كتاب الأغاني

لأبي الفرج الأصفهاني

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين الأستاذ بكر عباس

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الأوّل

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

1

جَميع الحُقوق مَحفوظَة

الطبعَة الأولىٰ

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

مقدمة التحقيق

أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني

I ـ أبو الفرج :

1 ـ توطئة موجزة

كان ليحيى بن أكثم قاضي قضاة المأمون مجلس يجتمع إليه فيه أهل العلم ، وكان ممّن يرتاد هذا المجلس إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فكان إسحاق ـ وصنعته التي عرف بها هي الغناء ـ يناظر أهل الكلام ، ويتكلّم في الفقه ، فإذا تحوّل الموضوع إلى الشعر خاض في الشعر واللغة ، وهو في كل ذلك يتفوّق على محاوريه في كل موضوع . كان عصراً يفسح المجال للمثقّف الطموح أن يتعمّق في أكثر العلوم ، إذا وهب القدرة على ذلك ، مع اشتهاره بالتخصّص في اتجاه واحد . ومَن عرف مؤلّفات إسحاق الموصليّ الكثيرة[1] استطاع أن يدرك ماذا كان يطمح إليه أبو الفرج عندما ألّف كتاب الأغاني . كان ذلك عصر التحدّي ، فيه نشأ أبو حيان التوحيديّ وابن النديم صاحب الفهرست ، وعشرات آخرون في شتّى حقول المعرفة ، وفيه كانت دكاكين الورّاقين ببغداد ، فيما أحسب ، أكثر من دكاكين البقالين وباعة الخضار والفواكه . وفي ذلك العصر نشأ أبو الفرج علي بن الحسين بن . . . إلخ ، الذي يرتفع نسبه إلى مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين ، وهذا هو الثابت في نسبه ، وإن كان صاحب الفهرست (1971 ص : 127–128) قد عدّه من ولد هشام بن عبد الملك . ولكن هذا سهو ، وإن كان لا ينفي نسبته إلى المروانيين ، ولعلّ تداخل النسب وتشابكه بين أبناء العمومة هو الذي أدّى إلى هذا السهو ؛ فهو إذن عربي قرشيّ وإن حمل النسبة إلى أصفهان (بكسر الألف دائماً في النطق الحديث فقط ، وإن كان فتحها جائزاً فيما مضى) .

2 ـ متى ولد علي بن الحسين ؟

أكثر المصادر التي ترجمت لأبي الفرج تذكر أنّه ولد عام 897/284 وسكت عن ذكر

---

1 من هذه المؤلفات على سبيل التمثيل لا الحصر : كتاب أغاني معبد . أخبار عزّة الميلاء . أخبار حماد عجرد . أخبار ذي الرمّة . أخبار طويس . أخبار المغنين المكيين . أخبار ابن مسجح . أخبار الدلال . أخبار ابن عائشة . أخبار الأبجر . كتاب قيان الحجاز . كتاب النغم والإيقاع . أخبار حسّان . أخبار الأحوص . أخبار جميل . أخبار نصيب . أخبار كثير ، إلى كتب أُخرى كثيرة ، ممّا يدلّ على أنّ أبا الفرج وجد لديه مصادر جاهزة . ولغير إسحاق بن إبراهيم في هذا السياق مؤلّفات أُخرى كثيرة . (معجم الأدباء لياقوت 2 : 615 نقلاً عن الأغاني وغيره) .

سنة مولده صاحب الفهرست والخطيب البغدادي وياقوت الحموي ولهذا السكوت معناه ، أي أنّ الذين ذكروه هم المؤلفون المتأخّرون نسبيّاً ، فمن أين جاءوا بهذا التاريخ وما هو المصدر المعتمد لديهم في هذه المسألة ؟ هذا ما أعياني التوصل إليه . أمّا تاريخ وفاته . فسأتحدّث عنه في آخر الحديث عن سيرته ، بعون الله .

3 ـ النسبة إلى إصبهان

يقول الثعالبي (اليتيمة 3 : 114–118 ط . القاهرة) ، «الأصفهاني الأصل ، البغدادي المنشأ» ، ويبدو أنّ أكثر مَن ترجموا له أخذوا بهذا القول ، فعدّوه أصفهانيّ المولد . غير أنّ بعض الباحثين المعاصرين يشكُّ في أن تكون أصفهان مسقط رأسه ، ربّما لأنّ ابن النديم سمّاه «أبو الفرج **ابن الأصفهاني**» ، وهذا أقرب إلى المعقول ، يعني أنّ أباه كان يعرّف بالأصفهانيّ ، فلمّا اختار أن يعيش في بغداد عرفه الناس باسم «الأصفهاني» (تخفّفاً من قولهم ابن الأصفهانيّ) .

4 ـ تشيع أبي الفرج

على الرغم من انتساب أبي الفرج إلى بني أُميّة ، فقد كان شيعيّاً ، وهو موقف يلفت النظر لأوّل وهلة . ترى هل كان للنشأة الأصفهانية أثر في ذلك ؟ أو هل كان تشيّعه مجاراة لنوع من السيادة الشيعية في عصر بني بويه ؟ لعله بالانتماء إلى هذا المذهب أحبَّ أن يعرفه الناس «محايداً» ، فلا هو أُمويّ ولا هو عبّاسيّ ، وإنّما هو علويّ الهوى ، يتشيّع لعليّ وآله ، ويؤلّف في أخبار مَن قتل منهم كتاباً كاملاً سمّاه «مقاتل الطالبيين» . وهو كتاب يدين بسرده لأخبار العلويين ومصارعهم ، كلاًّ من الأُمويين والعبّاسيين على حدٍّ سواء ، بل إنّه يُبرز أن مَن قتل منهم على أيدي العبّاسيين كان أكثر بكثير ممّن قتل في أيّام الأُمويين .

5 ـ المرحلة البغدادية

لا نعرف متى غادر أبو الفرج أصفهان إلى بغداد ، ولكنّنا نستطيع أن نقدّر أن جاذبية بغداد كانت أقوى من أن يقاومها شاب طموح ، يعرف أنّها كعبة العِلم والفنّ والحضارة من جميع النواحي ، فالعلم ، هكذا دون تحديد ، كان غاية أبي الفرج[1] الأولى من هذه الرحلة . فكان في أوّل مَن لقي علماء الحديث ، ومن أشهر من لقيهم مطين والقتات (محمد بن جعفر) والرزاز (علي بن أحمد) . ولكن المدينة الكبيرة بما فيها من متع متنوعة وحياة صاخبة أخذت تصرف هذا الإصبهاني الناشىء عن هذا الاتجاه ، وساعدها على ذلك ميول متأصلة في نفس الفتى إلى خوض تجربة الحياة بكلّ أبعادها ، فوجد نفسه مقبلاً على حفظ الشعر والأغاني

1 من هذا الكتاب طبعة بتحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ، 1949م .

والأخبار والآثار والأنساب ، بل إنّه لم يقف عند هذا الحدّ إذ رأى أنّ الثقافة التي تحوّل إليها لا بدَّ لها من معرفة اللغة والنحو والسير والمغازي ، وأضاف إلى ذلك كلّه «الخرافات» . ولم تكن هذه المعارف التي اتّجه إليها ، أو أكثرها ، بحاجة إلى توثيق كثير ، ومحاكمة مصادرها ، ونقد الواهن منها ، كما كان يتطلب علم الحديث .

ولعلّه كان يهيّىء نفسه ليكون نديماً يسلّي منادميه ، أياً كانت منزلتهم ، بما يورده على مسامعهم من أخبار وحكايات ونوادر وما يتمثل به من شعر . وكان حفظه للشعر العربي الذي ينتمي إلى مختلف الحقب حتى عصره ، هو الذي هيأ له أن يصبح شاعراً ، وقد أورد له الثعالبيّ (وعنه ياقوت وغيره) عدداً من القصائد والمقطعات في المدح وبخاصة في مدح الوزير أبي محمد المهلبيّ الذي أصبح راعياً له ، وكان صديقاً له قبل عهد الوزارة ، واستمرت تلك الصداقة بعدها . وله مقطعات في وصف الخمر ، وفي الهجاء المقذع ، حتى في هجاء المهلبيّ صديقه وراعيه ، وحتى كان الناس يتّقونه ويخشون لسانه .

ومن العجيب أن يتّخذه الوزير المهلبيّ نديماً على الرغم من ميل الوزير إلى التنطس والتنوق في شؤون الشراب والطعام ، وفقدان أبي الفرج لهذه الخلال ، إذ كان أبو الفرج لا يأنف من القذارة ، ومن إهمال التنظّف في ملبسه وغيره ، وافتقاره إلى آداب المائدة .

وقد أثبتت الأيام أن أبا الفرج كان يعاني حساسيّة تجاه الحمص ، فإذا أكل شيئاً منه ، أو شرب مرقاً فيه آثار حمص عمَّ بدنه «شري» يجبره على أن يستشير الأطباء للتخلص من تلك الحساسية ، ولكنّ الأطباء لم ينجحوا في معالجته .

وكان أبو الفرج أكولاً نهماً ، فإذا أحسَّ بثقل الطعام في معدته تناول كميّة قليلة من الفلفل المدقوق كأنّه يعتقد أنّ ذلك يساعد في الهضم .

وذكر ياقوت أنّ أبا الفرج كان كاتباً لركن الدولة البويهيّ وأنّه كان مكيناً عنده ، ولكنّ هذا وهم من ياقوت ، في ما يبدو ، إذ كان لركن الدولة كاتب كنيته أبو الفرج فظنّه ياقوت أبا الفرج الأصفهاني . غير أنّ مصدر هذا الخبر هو كتاب «أخلاق الوزيرين» لأبي حيان التوحيدي (ص : 421) واسم وزير ركن الدولة فيه أبو الفرج حمد بن محمد الكاتب (معجم الأدباء : 4 : 1713) .

وهيّأت بغداد لأبي الفرج ، إلى جانب لقاء العلماء ، ارتياد دور اللّهو والحانات والمتنزهات ، وبخاصة الأديرة ، والاستماع إلى المغنين والمغنيات والملحنين ، والتعرّف إلى مختلف ما تهيئه المدينة الكبيرة من متع التسلية ، والتردد إلى سوق الورّاقين ، وشراء ما يصدر من كتب جديدة ، وحضور مناداة الدلالين على الكتب ، والأثاث ، وغير ذلك من مختلف الأدوات والمعروضات .

وعلى الرغم من جاذبية بغداد ، فإنّ أبا الفرج كان يحبّ الرحلة والتطواف ، في مدن العراق الأخرى وفي خارج العراق ، ولكنّه لم يكن يغادر بغداد إلاّ ليرجع إليها ، وينعم بما فيها من ضروب الجمال ، الطبيعيّ والإنساني ، فحيناً نراه في جامع الرصافة ، وحيناً آخر في نزهة إلى دير الثعالب (أدب الغرباء : 34–36) وهذا الدير بالجانب الغربي من بغداد بالموضع الذي كان يعرف بباب الحديد ، وأهل بغداد يقصدونه ويتنزّهون فيه في عيد دير الثعالب الذي يصادف آخر سبتٍ من شهر أيلول (سبتمبر) (الشابشتي : الديارات : 24 والحاشية 2 بغداد 1966) . وكان باب الحديد أعمرّ موضع ببغداد كثير البساتين والنخل والرياحين .

فإذا قيّض له أن يخرج من بغداد انحدر إلى البصرة واستأجر منزلاً في خان وأقام هناك بضع ليالٍ ، ثم يغادر البصرة إلى حصن مهدي أو إلى مدينة «متوث» (مدينة بين سوق الأهواز وقرقوب) أو عرَّج على الكوفة أو غيرها من المدن العراقية . وأحياناً يبعد السفر إلى الرقّة أو باجسرى أو الأهواز أو تحمله الركائب إلى مكّة والقدس وأنطاكية حتى وصفه بعضهم بـ «الأديب الجوّاب» .

ويمكن جمع كثير من أخبار منادماته وصداقاته وتنقلاته من مؤلفاته وتكوين سيرة تفصيلية موثقة أحياناً بالتواريخ . ومثل هذه الأخبار يلقي ضوءًا كاشفاً على شخصيته وميوله وجانب كبير من ثقافته ولكن لم يتصدَّ أحدٌ لبناء سيرة تفصيلية له (قد تنوء بها هذه المقدمة) لا لتباعد الروايات في المصادر وحسب ، بل لأن النزعة الاعترافيّة لدى أبي الفرج قد تدفع متتبّع أخباره إلى التورط في شؤون قد تتجانف عنها المواضعات الأخلاقية وفي الأخبار المتيسرة عن نشاطاته ما يضمّ شواذ من السلوك .

6 ـ وفاة أبي الفرج

توفّي أبو الفرج في بغداد ، بغدادياً حتى العظم ، وكلّ المصادر التي ذكرت تاريخ وفاته أجمعت على أنّه رحل عن هذه الدنيا في 14 ذي الحجّة سنة 967/356 ، ما عدا الفهرست لابن النديم ، فقد ذكر أن وفاته كانت سنة نيف وستين وثلاثمائة . وجاء في كتابه «أدب الغرباء» (ص: 88) أنّه كان ما يزال على قيد الحياة سنة 362 وهذا غير بعيد عمّا قاله مؤلّف الفهرست .

وقد استوقف هذا التأريخ ياقوتاً الحمويّ الذي اطّلع على «أدب الغرباء» ونقل النصّ منه ، وقدَّر أن هذا التاريخ يحتاج إلى شيء من التأمّل ، ونقل الصفديّ النصَّ بكامله عن ياقوت . وحين اطّلع محقّق «أدب الغرباء» على هذا النص ، رفض في مقدّمة التحقيق (ص 12) التاريخ الذي أجمعت عليه معظم المصادر ، ولكنّي أرى أن رفض هذا التاريخ فيه شيء من التسرّع ، وهذا ما سأوضحه فيما يلي :

إن تحديد وفاته بعام 356 إنما نقله الخطيب البغدادي عن محمد بن أبي الفوارس ، وهذا التاريخ محدَّدٌ باليوم والشهر والسنة ، ومن المستبعد أن يبتدع ابن أبي الفوارس تاريخاً بهذا التحديد ، وكان ابن أبي الفوارس هذا متابعاً لأخبار أبي الفرج ، فهو الذي أخبرنا أن أبا الفرج «خلط في آخر عمره» . فذكر أبي الفرج لحادثة تمّت سنة 362 لا يستبعد انتماؤه إلى فترة التخليط ، خصوصاً إذا تذكّرنا أنّ أدب الغرباء كان آخر ما ألّف .

ولا يتعارض تاريخ 356 مع وفاة معزّ الدولة وتولّي ابنه بختيار ، فإنّ معزّ الدولة توفي في السنة نفسها (ربيع الآخر 356) ، وتوفّي أبو الفرج بعده بحوالي ستّة أشهر ، وأبو الفرج يقول في أدب الغرباء «إنّه عند وفاة معز الدولة كان هو في أيّام الشبيبة والصبا (ص : 83) أليس هو التخليط بعينه ؟! لذلك لا أتردّد في إثبات سنة 356 تاريخاً لوفاته ، إلى أن تظهر دلائل قوية تنفي هذا التاريخ .

II ـ مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني :

ذكر له صاحب الفهرست أربعة عشر كتاباً باستثناء كتاب الأغاني الكبير ، وكتاب مجرد الأغاني ، وقد أوصلها ياقوت إلى واحد وعشرين كتاباً عدا الكتابين في الأغاني وتجريده ، وبلغت عند عبد الجواد الأصمعيّ في كتابه «أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني» ستة وثلاثين مصنفاً :

1 ـ كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه :

1 ـ مجرد (أبو تجريد) الأغاني .

2 ـ أخبار جحظة (وكان صديقاً له ، وهو يكثر في الرواية عنه) .

3 ـ أخبار القيان (حاول إعادة بنائه د . جليل العطية ، ولكنه لم يعتمد على مخطوطة) .

4 ـ أخبار الإماء الشواعر ، وسمّاه ابن النديم «كتاب أشعار الإماء» وطبع بالاسم الأول مرّة بتحقيق الدكتورين القيسيّ ويونس السامرائيّ (بيروت 1984) ومرة بتحقيق د . جليل العطية .

5 ـ كتاب المماليك الشعراء .

6 ـ كتاب الأخبار والنوادر .

7 ـ كتاب أدب السماع .

8 ـ كتاب مجموع الأخبار والآثار .

9 ـ كتاب الغلمان المغنين .

10 ـ كتاب أخبار الطفيليين .

11 ـ أيّام العرب (وهو يشتمل على 1700 يوم) .

2 ـ كتب في الأنساب

1 ـ كتاب مناجيب الخصيان ألّفه للوزير المهلبيّ في خصيين كانا له .

2 ـ كتاب جمهرة النسب .

3 ـ كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وأنسابها (لم يره ياقوت ، وكان يتمنى رؤيته) .

4 ـ أربعة كتب في أنساب أربع قبائل مفردة هي : بنو عبد شمس ، بنو شيبان ، المهالبة ، بنو تغلب .

3 ـ مؤلفات في مجالات أُخرى :

1 ـ كتاب دعوة التجار .

2 ـ كتاب تفضيل ذي الحجّة .

3 ـ كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار ، رسالة عملها في هارون بن المنجم ، فردّ عليه هذا بكتاب «اللفظ المحيط بنقض ما لفظ به اللقيط» (ياقوت 5 : 1991) .

4 ـ مقاتل الطالبيين (وقد مرَّ ذكره فيما تقدّم) .

5 ـ كتاب الخمارين والخمارات (وفي الفهرست : الحمادين) وإحدى القراءتين تصحيف .

4 ـ دواوين جمعها ، منها ديوان يزيد بن الطثرية ، ديوان البحتري ، ديوان أبي تمام .

5 ـ كتاب الأغاني الكبير :

1 ـ مسيرة الأغاني على مرّ الزمن :

يذكر ابن النديم أنّه كان في نحو خمسة آلاف ورقّة ، ولكنّه لا يحدّد وصفها . وحين سئل أبو الفرج عن المدّة التي أمضاها قال إنّه ألّفه في خمسين عاماً أي أنّه كان نتيجة جهد متواصل استغرق أكثر العمر ، إذا قبلنا هذا القول حرفياً ، ولكن أبا الفرج كان يجمع مادته وينسّقها في فترات متقطعة .

وقد قرىء هذا الكتاب على مؤلفه ، قرأه عليه علي بن إبراهيم الدِّهكيّ (ياقوت 4 : 1641) كما قرأه عليه ابن دينار (علي بن محمد 5 : 1991) وربّما قرأه عليه آخرون ، ولكن مؤلّفه بعد أن أتمّه استخرج منه كتاب «مجرّد الأغاني» ، ممّا يدلّ على صعوبة قراءته كلّه لضخامته ، وذكر أنّ أبا الفرج لم يكتب منه إلاّ نسخة واحدة (وهذا معناه إلاّ «مبيضة» واحدة) وهي التي رحل بها إلى حلب وأهداها إلى سيف الدولة فأجازه بألف دينار . وحين

بلغ الخبر الصاحب بن عبّاد استقلَ المبلغ ، أمّا مسوّدة الكتاب (أي أصل أبي الفرج) فقد أخرجت إلى سوق الورّاقين ، وكان أكثرها في ظهور وبخطّ التعليق فاشتراها أحدهم في المناداة بأربعة آلاف درهم .

ولقي الكتاب ترحيباً بالغاً لدى مثقفي العصر ، فقد كان بعض الكبراء مثل عضد الدولة البويهي والصاحب بن عبّاد لا يكاد هذا الكتاب يفارقهم في سفر أو حضر ، واستغنى الثاني منهما بالأغاني عن أحمال كثيرة من الكتب كان يصطحبها معه إذا سافر . وكلّف أبو تغلب ناصر الدولة شخصاً يشتري له نسخة من كتاب الأغاني ، فابتاعها له بعشرة آلاف درهم (وكان كل 18 درهم = ديناراً) فلمّا حصلت النسخة لأبي تغلب قال : لقد ظُلِمَ وراقه وإنّه ليسوى عندي عشرة آلاف دينار .

وتدلّ النسخ التي نسخت منه على مرّ الزمن ، ووصلت إلينا على أنّه أصبح من أكثر الكتب رواجاً ، حتى إنّه ليوجد منه عشرات النسخ في مكتبات متعددة في الشرق والغرب ، وقد حاول المستشرق الألماني هلموت ريتر أن يحصر ما عرف من نسخه (Oriens 1949) وعدَّ الأستاذ فؤاد سزكين في «تاريخ التراث العربي» 87 نسخة أكثرها غير كامل ؛ منها سبع وعشرون في مدينة ميونخ ، هذا غير ما يوجد في برلين واستانبول ودار الكتب المصرية والمكتبة البريطانية بلندن ، ومكتبات أخرى .

وعلى مرّ الزمن تعرّض الكتاب لا للنسخ وحده ، بل للتجريد والاختصار والتهذيب واستخراج مختارات . فقد استخرج منه الوزير أبو القاسم المغربي اختيارات ، وكتب ياقوت منه نسخة في عشر مجلّدات ، وجرّده ابن واصل الحموي (في القرن السابع) وصنع منه ابن منظور مختارات .

وفي العصر الحديث لقي عناية بالغة ، منذ أن صدرت طبعة بولاق (1868–1869) وبعدها طبعة الساسيّ (1905) ثم توالت الطبعات بعد استقراره محقّقاً على أيدي عدّة محقّقين بدار الكتب المصرية . ثم ظهرت طبعة دار الثقافة (بيروت منذ 1955 وما بعدها) وقد قام عبد الستار فراج بتحقيق الأجزاء من 16–25 ، مع فهارس الشعر وغيرها ، فمنح هذه الطبعة مكانة عالية إلى جانب طبعة دار الكتب ، وبعد ذلك توالت الطبعات البيروتيّة .

لقد كسب هذا الكتاب لمصنفه شهرة منقطعة النظير ، وأصبح مصدراً لكلّ من يكتب في تراجم الشعراء أو المغنين ، ولمّا كتب ياقوت كتابه «أخبار الشعراء» الذي لم يصلنا اعترف أنّ جلَّ اعتماده على هذا الكتاب ، وكذلك فعل في «معجم الأدباء» ، وكذلك نجد كتباً كثيرة معتمدها الأوّل هو كتاب الأغاني ، مثل كثير من أخبار «كتاب مصارع العشاق» للسراج ،

وكتاب «الهفوات النادرة» لغرس النعمة ، وكتب التراجم مثل «وفيات الأعيان» وكتب أُخرى مثل «تذكرة ابن حمدون» وغيرها ممّا يعز على الحصر .

2 ـ منهج أَبي الفرج في كتاب الأغاني :

كانت المائة صوت التي غنيت للرشيد هي الحجر الذي ألقي في بحر معرفة أَبي الفرج ، فانداحت من حوله دائرة ثم أخذت الدوائر تتوالى حتى أَصبحت كتاباً في خمسة آلاف ورقة ، إذ وجد أَبو الفرج أَنّ الأصوات التي غنّاها ثلاثة هم : إبراهيم الموصليّ وإسماعيل بن جامع وفليح بن العوراء ، يمكن أن يضمّ إليها ما غنّاه غير هؤلاء مثل معبد وابن سريج وكثيرين غيرهم من المغنين والمغنيات ، وما غنّاه الخلفاء وأَبناء الخلفاء وأَن يذكر مع كلّ أغنية لحنها ، وهذا يعني تاريخ الغناء حتى عصر المؤلف ، وأن يذكر الشاعر الذي غني شعره ، فتذكر ترجمته ونسبه والأَخبار المتصلة به ومختارات من شعره ، وإن كان في شعره هذا يذكر يوماً أو أيّاماً من أيّام العرب ، فلا بأس من توجيه الانتباه إلى ذلك لكي نعرف المناسبة التي يتصل بها الشعر ، وقد يكون المغني الذي ترد ترجمته أو الشاعر المترجم له صاحب ترسُّل ، فلا بأس من إيراد نماذج من ذلك ، وهذا كلّه لا ينفرد أَبو الفرج بسرده ، بل هو يروي الأخبار والأشعار والحكايات ، وكلّ ما جاء في هذا الكتاب الضخم رواية ، وقد يشرح بعض ما يرد من غريب الألفاظ ، إن هذا المنهج الذي اتّسع مجاله عن فكرة بسيطة يحتاج إلى تنظيم دقيق وذاكرة قوية ، تنقذ صاحبها من التكرار ، كما تنقذه من النسيان ، ولكن ضخامة المشروع وتشعّبه الكثير ، كان امتحاناً قاسياً لأَبي الفرج ، فهو لم يعفه من التكرار ولم ينقذه من النسيان ، ولذلك قال ياقوت «وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي في غير موضع منه ، كقوله في أخبار أَبي العتاهية : «وقد طالت أَخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر» ولم يفعل . وقال في موضع آخر «أخبار أَبي نواس مع جنان إذ كانت سائر أخباره قد تقدّمت ، ولم يتقدّم بشيء ، إلى أَشباه لذلك . والأَصوات المائة هي تسع وتسعون ، وما أظنّ إلاّ أنّ الكتاب قد سقط منه شيء ، أو يكون النسيان غلب عليه ، والله أعلم» (4 : 1708) ، وهذه عيوب طفيفة بالنسبة لما يحتوي عليه الكتاب من فوائد ، ولذلك نجد ياقوتاً الذي استوقفته هذه العيوب يقول «ولعمري إنّ هذا الكتاب لجليل القدر شائع الذكر جم الفوائد عظيم العلم ، جامع بين الجدّ البحت ، والهزل النحت ؛ وقد تأمّلتُ هذا الكتاب وعنيت به وطالعته مراراً . . .» .

3 ـ موثوقية أَبي الفرج جملة وفي كتاب الأغاني بخاصة :

يقول فيه صاحب المنتظم أَبو الفرج ابن الجوزي : «يصرح في كتبه بما يوجب عليه الفسق ، ويهون شرب الخمر ، وربّما حكى ذلك عن نفسه ، ومن تأمل كتابه «الأغاني»

رأى كلّ قبيح ومنكر» . لهذه الأسباب وغيرها ، ومنها تشيعّه ، لا يثق المحدثون بروايته ، ولكنهم يشهدون له بقولهم «كان إليه المنتهى في معرفة الأخبار وأيّام الناس والشعر والغناء والمحاضرات» (ميزان الاعتدال 3 : 143 ولسان الميزان 4 : 221) ، ومع ذلك روى عنه الدارقطني في غرائب مالك عدّة أحاديث ولم يعترض له (لسان الميزان 4 : 222) إلاّ أن ذلك كلّه يجعله لدى المحدثين مستبعداً .

لكنه في الأغاني يروي عن كثير من العلماء المشهورين مثل نفطويه وابن دريد والمبرِّد ، وعن أناس ميزهم الرواة بالصدق مثل أحمد بن سليمان الطوسيّ وابن أبي خميصة وأبي خليفة بن الحباب الجمحيّ ، ولكنّه أيضاً يروي عن مجاهيل ، وعن أناس لم يوصفوا بالعدالة ، ومع ذلك فإنّنا لا نستطيع أن نطبق عليه قواعد المحدثين لأن الخطّة التي انتحاها كانت مفتوحة على مصراعيها لنقلة الأخبار ، ويجب أن نتذكّر أن ليس كلّ ما يرويه أبو الفرج تاريخاً وإن رواه عن الواقديّ والهيثم بن عدي والطبري ، إذ لا بدَّ أن نتذكّر دائماً أن العناية عند أبي الفرج لم تكن موجهة للتاريخ بالدرجة الأولى .

وهنالك باب آخر ندخل منه إلى مدى الموثوقية في أغاني أبي الفرج : ينقل الخطيب البغدادي رواية عن أحد العلويين عن الحسن بن الحسين النوبختيّ أنَّ أبا الفرج الأصفهاني أكذب الناس ، كان يدخل سوق الوراقين ، وهي عامرة ، والدكاكين مملوءة بالكتب ، فيشتري شيئاً كثيراً من الصحف ويحملها إلى بيته ، ثم تكون رواياته كلّها منها . وربّما تكون أهمية هذه الرواية في أنّ أبا الفرج كان ينقل عن الصحف ، والاعتماد يومئذٍ على الصحف يمثل درجة أدنى بكثير من لقاء الشيوخ . ولا يبعد كثيراً عن هذه الرواية قول ابن النديم : «وله رواية يسيرة وأكثر تعويله كان في تصنيفه على الكتب المنسوبة الخطوط وغيرها من الأصول الجياد» ، إلاّ أنّ ابن النديم يصف الأصول التي ينقل عنها بأنّها أصول جياد ذات خطوط منسوبة .

الأمر الذي يفصل في القضية أن نقول إنه لا فرق لدى أبي الفرج بين الحكاية المروية للتسلية وبين الخبر التاريخي ، لأن كليهما خبر يثير لدى القارىء ، كما يثير لدى المؤلف ، متعة . ذلك أنّ شخصية أبي الفرج تمثّل إنساناً مفتوناً بمظاهر الترف في بغداد أثناء القرن الرابع ، فلو أنّك تدبّرت ما يرويه عن بني أمية وخلفائهم ، وفكّرت في مستوى الترف والإقبال على اللذات لدى بني أميّة وعصرهم وجدته لا يفترق كثيراً عن الحياة في القرن الرابع ، وكان الدافع لهذا التصوير الذي لا يفرّق بين الدولة في دور التأسيس وبين الدولة في مرحلة متطورة ، وهذا له ، في نظري ، عاملان أوّلهما أنّ أبا الفرج في افتتانه بالترف يريد أن يقول إن قومه بني أميّة لم يكونوا يقلّون في ترفهم عن بني العبّاس في ذروة تطوّرهم ، وأنّه هو نفسه غير ملوم في أن يغرق إلى أذنيه في

الملذات ، لأنّه ينتمي إلى قوم كانوا كذلك ، وهو يعيش في عصر قوم آخرين يمارسون هذا المستوى من الترف ، فالملامة منفية عنه مرتين .

قد نجد من يقول إنّ الأغاني يصوّر الحضارة العربية خلال عدّة قرون حتى عصر المؤلف ، هذا صحيح إلى حدّ ما ، لأنّ الصورة ليست دائماً موضوعية ولأنّها كثيراً ما تبارح الواقع ، أو طبيعة المألوف . فما هو موقفنا اليوم من روايات الأغاني ؟

أرى قراء الأغاني في هذا العصر فئتين ، في الأقل ، فئة الذين يقرأون الأغاني رغبة في التسلية أو اعتماد بعض قصصه لصياغة السيناريوهات أو يتخذونها مجالاً لتخيلات يجعلونها أقنعة في روايات أو مسرحيات ، وهذا مجال يتمتّع القارىء فيه بحريّة تامة ، وفئة الأكادميين الذين يريدون بناء تاريخ أدبي أو سياسيّ ويجعلون الأغاني مصدراً مهماً في بحوثهم وكتبهم الأدبية والتاريخية ، وهؤلاء لا بدّ لهم من أن يفيدوا من الأغاني بحذر شديد ، وتكرار نظر ، وضرب الروايات ببعضها ، ولا بدّ أن يكونوا ذوي قدرة نقدية عالية ، ذلك أنّ الضعف في روايات الأغاني إنّما جاء من ضعف النقد لدى المصنف المهتم بالاستكثار من الجمع ، ولدى رواته الذين كانوا في أحسن الأحوال يظنّون أنّ قوّة السند تعني قوّة الخبر ، وصدقه .

4 ـ هل نحن في حاجة إلى طبعة جديدة من الأغاني ؟

كان هذا السؤال يتردّد دائماً بيني وبين محقّقي هذه الطبعة ، وكان الجواب عليه دائماً بالنفي نظراً لتشبع أسواق الكتب بطبعات كثيرة . ولكن إقدامنا على هذا العمل خضع لعاملين يتّصلان بنا لا بالأغاني : أوّلهما أنّنا أردنا أن نجعل من تعاوننا على إخراج كتاب صعب برهاناً على تعاون أصدقاء ، وشهادة على طبيعة هذه الأخوة وعمقها ، والعامل الثاني هو أن نقدّم تحية لدار عريقة في خدمة التراث العربي منذ حوالي أواسط القرن التاسع عشر ، حتى اليوم ، بأن نقدّم لها الأغاني ، استجابة لأمنية كان أنطون صادر يرجو أن تتحقّق ، وظلّ خلفاؤه (سليم وإبراهيم ونبيل) وفقّهم الله يرون في هذه الأمنية «وصيّة» يبرّون بتحقيقها روح والدهم ، صديقي الأمين ، تقبّل الله إخلاصه الطويل في خدمة اللغة العربية .

5 ـ كلمة حول هذا العمل

كل شيء كان واضحاً لدينا ، كثرة طبعات الكتاب ، كثرة نسخه في العالم ، طول المدة التي يستغرقها تحقيقه ، استقرار نص الأغاني على قراءات متقاربة . إذن نحن لا نريد أن نصدر طبعة مليئة باختلاف القراءات في النسخ ، ولذلك اكتفينا بتصوير نسختين : مخطوطة برلين (رقم : 7395) المحفوظة في مكتبة الدولة ، وهي مخطوطة كبيرة جداً ، ولكنّها على الرغم من ذلك ينقصها بعض التراجم ، عدد ورقاتها (1367) وفي كلّ ورقة (صفحتين) وفي كلّ

صفحة من صفحاتها 31 سطراً ومعدّل الكلمات في السطر الواحد عشرون كلمة .

أمّا النسخة الثانية فهي نسخة التيموريّة بدار الكتب المصرية ، ولم نستفد منها كثيراً ، لأنّ الخط فيها باهت لا يكاد يقرأ ، ولعلّ ذلك من سوء التصوير . وقد استعنّا بطبعة دار الكتب وحافظنا على التسلسل فيها ، وإن كانت مخطوطة برلين أحياناً تخلّ بهذا التسلسل ، واقتصدنا في تفسير الغريب والتعريفات . وأثبتنا قراءات نصّ النسخة البرلينيّة حيث تأكّدنا أنّها الأرجح وأمدتنا هذه النسخة بزيادات لم ترد في طبعة دار الكتب أو طبعة دار الثقافة ، لكننا لم نميّز هذه الزيادات ببنط طباعي أصغر أو أكبر من غيرها .

وكان من خطّتنا أن نقرأ الأغاني مقارناً بالنصوص التي نقلت عنه أو التي شاركته في المصادر ، ولكنّا لم نستطع أن نحقّق ذلك إلاّ بصورة جزئيّة ، لكثرة تلك المصادر .

إنّ الأغاني أوسع كتاب لتراجم الشعراء ، ولذلك فإنّ الكتب التي وصلتنا في هذا المجال ، كالشعر والشعراء لابن قتيبة ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتزّ تعد كتباً موجزة جدّاً فقيرة إذا قورنت به .

إن نقدنا لكتاب الأغاني لا يلغي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها ، وهي أنّ كتاب الأغاني سيظلّ أهمّ مصدر لدينا لتراجم الشعراء ولتاريخ الأدب العربيّ ، ولو وصلنا كتاب «المستنير» للمرزبانيّ ، وهو كتاب يقارب الأغاني في ضخامته ، لكان مصدراً مهمّاً آخر ، في هذا المجال .

على أيّ حال نضع الأقلام بعد كلّ هذا الجهد ، خلال سنوات طوال داعين الله تعالى أن يوفّقنا للخير ، وأن يسدد خطانا ، وأن يغفر خطايانا ، إنّه سميعٌ مجيبٌ .

عمّان ـ بيروت (يونيه ـ حزيران 2000) **إحسان عبّاس**

المصادر والمراجع

1 ـ المصادر الكلاسيكية لترجمة أبي الفرج :

1 ـ ابن النديم : **الفهرست** ، تحقيق رضا تجدد ، طهران 1971م .
2 ـ الخطيب البغدادي : **تاريخ بغداد** ، 11 : 398 (ط . بيروت) .
3 ـ أبو منصور الثعالبيّ : **يتيمة الدهر** ، 3 : 114 (ط . القاهرة) .
4 ـ أبو نعيم : **تاريخ أصفهان** ، 2 : 11 (ط . بيروت) .
5 ـ ابن الجوزيّ : **المنتظم** ، 14 : 185 (ط . بيروت) .
6 ـ جمال الدّين القفطيّ : **انباه الرواة** ، 2 : 251 (دار الكتب المصرية) .
7 ـ ياقوت الحموي : **معجم الأدباء** ، 4 : 1707 (دار الغرب الإسلامي ـ بيروت) .
8 ـ ابن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، 8 : 851 (دار صادر ، بيروت) .
9 ـ ابن خلكان : **وفيات الأعيان** ، 3 : 207 (بيروت) .
10 ـ خليل بن أيبك الصفديّ : **الوافي بالوفيات** ، 21 : 20 (شتوتغارت 1993م) .
11 ـ الحافظ الذهبيّ : **العبر في خبر من غبر** ، 2 : 305 (الكويت 1960م) .
12 ـ الحافظ الذهبي : **ميزان الاعتدال** ، 3 : 123 (عيسى البابي الحلبي) .
13 ـ الحافظ الذهبي : **سير أعلام النبلاء** ، 16 : 201 (مؤسسة الرسالة) .
14 ـ اليافعي : **مرآة الجنان** ، 2 : 159 .
15 ـ ابن كثير : **البداية والنهاية** ، 11 : 263 (بيروت ـ الرياض) .
16 ـ ابن حجر العسقلاني : **لسان الميزان** ، 4 : 221 (مؤسسة الأعلميّ ـ بيروت) .
17 ـ ابن تغري بردي : **النجوم الزاهرة** ، 4 : 15 (دار الكتب المصرية) .
18 ـ ابن العماد : **شذرات الذهب** ، 3 : 19 .

المراجع الحديثة

19 ـ M. Nallino, in EI2, p. 118
20 ـ بروكلمان : **تاريخ الأدب العربي** (الترجمة العربية) Brockelmann, GAL .
21 ـ فؤاد سزكين : **تاريخ التراث العربي** ، 2 : F. Sezgin, GAS .
22 ـ عبد الجواد الأصمعيّ : **أبو الفرج وكتابه** ، (القاهرة ، 1956) .
23 ـ عبد الجواد الأصمعيّ : تصحيح كتاب الأغاني للشنقيطي : 1916 .
24 ـ خلف الله محمد أحمد : **صاحب الأغاني أبو الفرج** . . . (دار الكاتب العربي 1968) .
25 ـ محمد أبو الفضل إبراهيم : **مقدّمة المحقّق** ، (ج : 1) (القاهرة 1992) .
26 ـ أحمد طالب : **أبو الفرج الأصفهاني و. . . مقاربة بيليوغرافيّة** (بحث في مجلّة آفاق الثقافة والتراث التي تصدر عن مركز جمعة الماجد [السنة الخامسة (17)] مايو/ أيّار 1997 .
27 ـ **مقدّمة الدكتور صلاح المنجد** محقّق «أدب الغرباء» (ص 5–17) دار الكتاب الجديد ، وقد ذكر مزيداً من الدراسات الكلاسيكيّة والدراسات الحديثة عن أبي الفرج وكتابه . كما أنّ هناك بحوثاً كثيرة أغفلنا ذكرها .

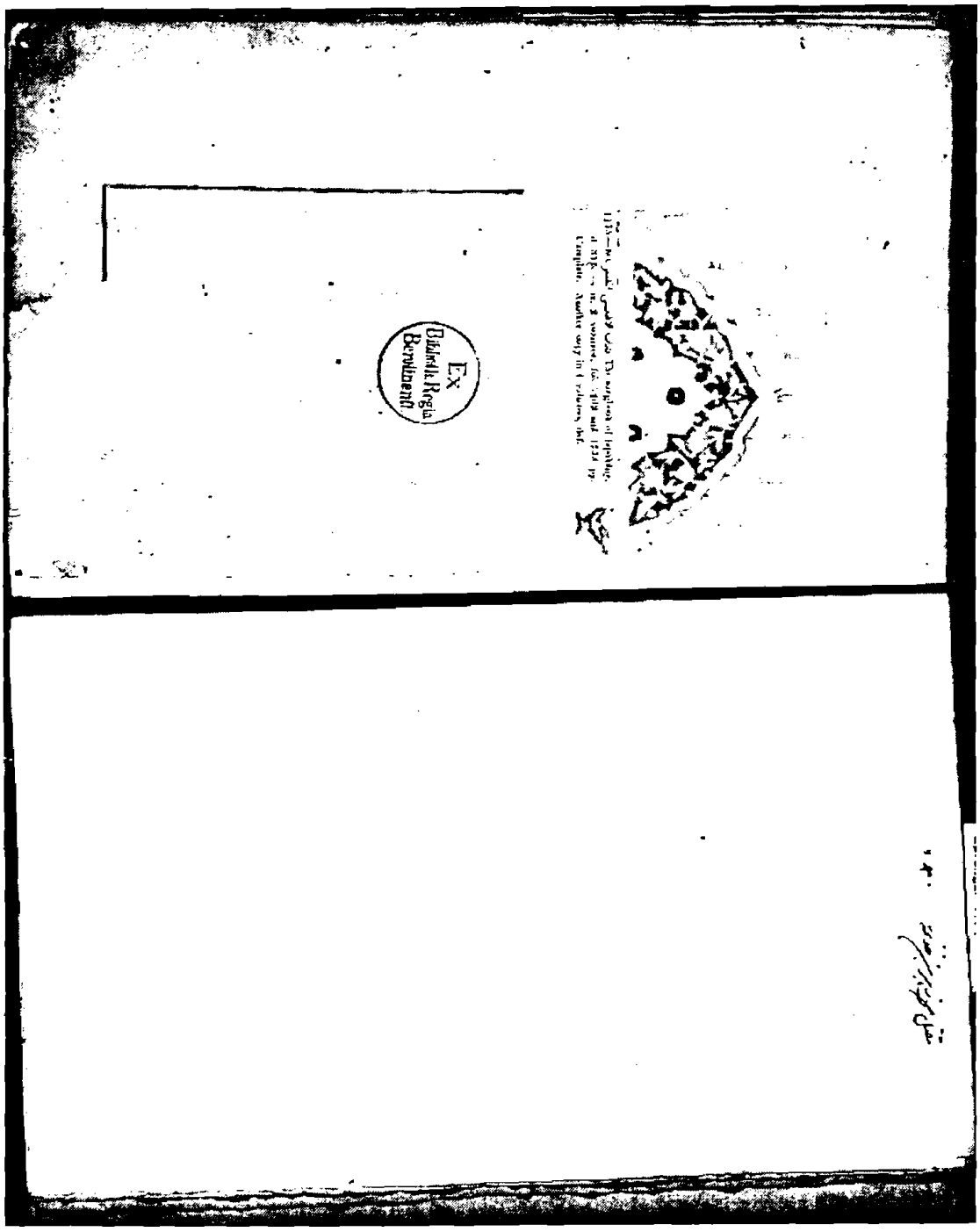

ورقة الغلاف من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

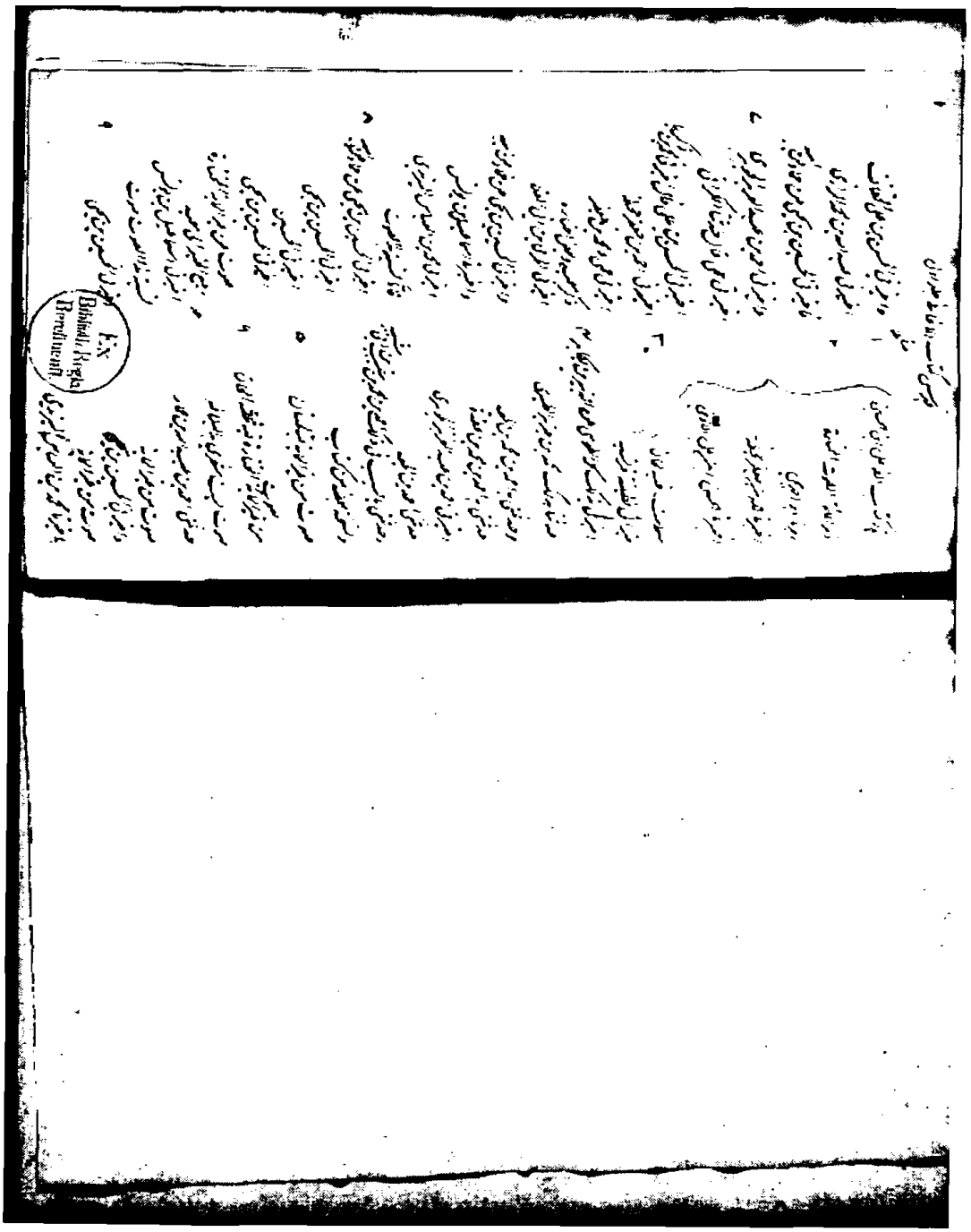

الورقة الأولى من فهارس المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

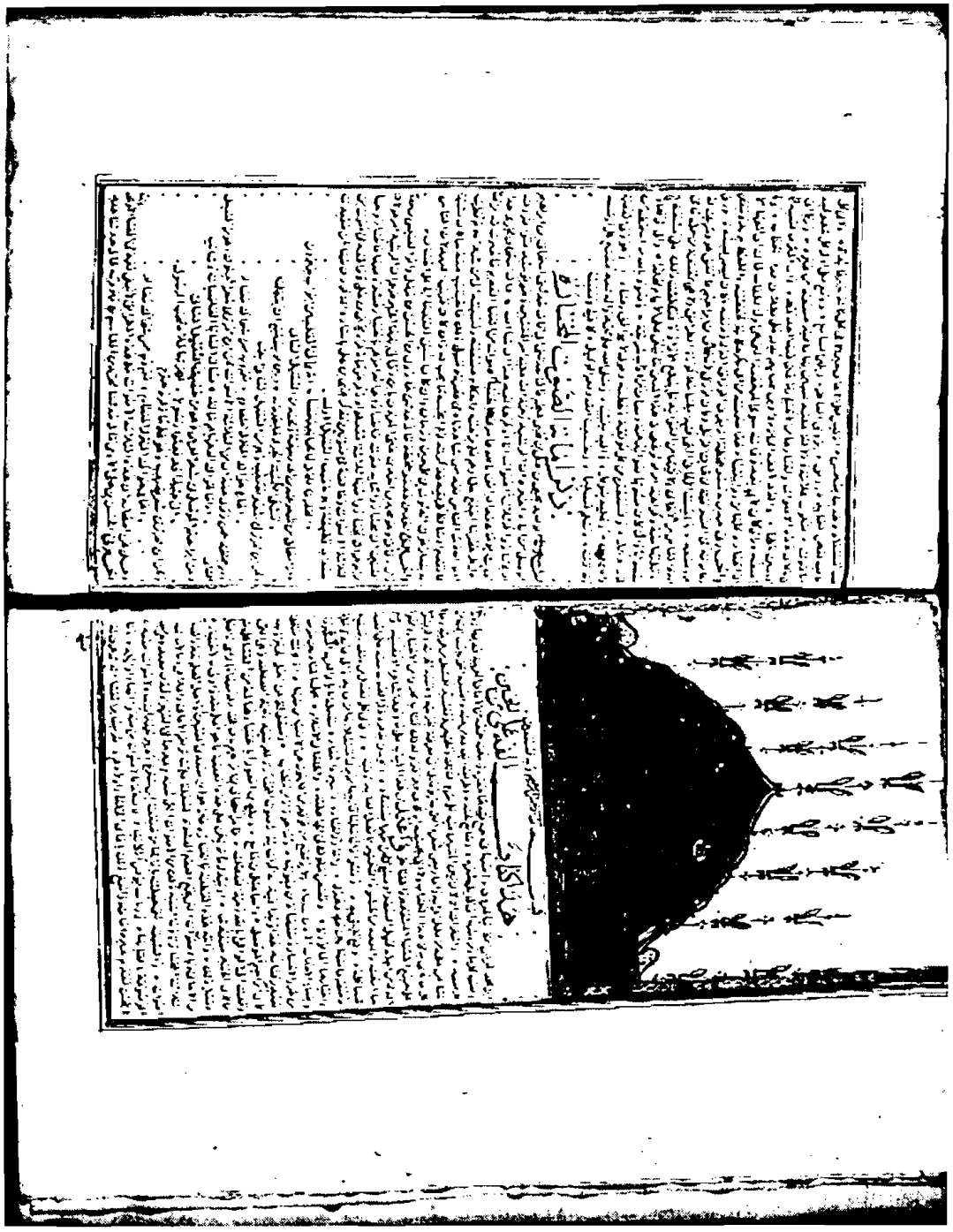

الورقة الأولى من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

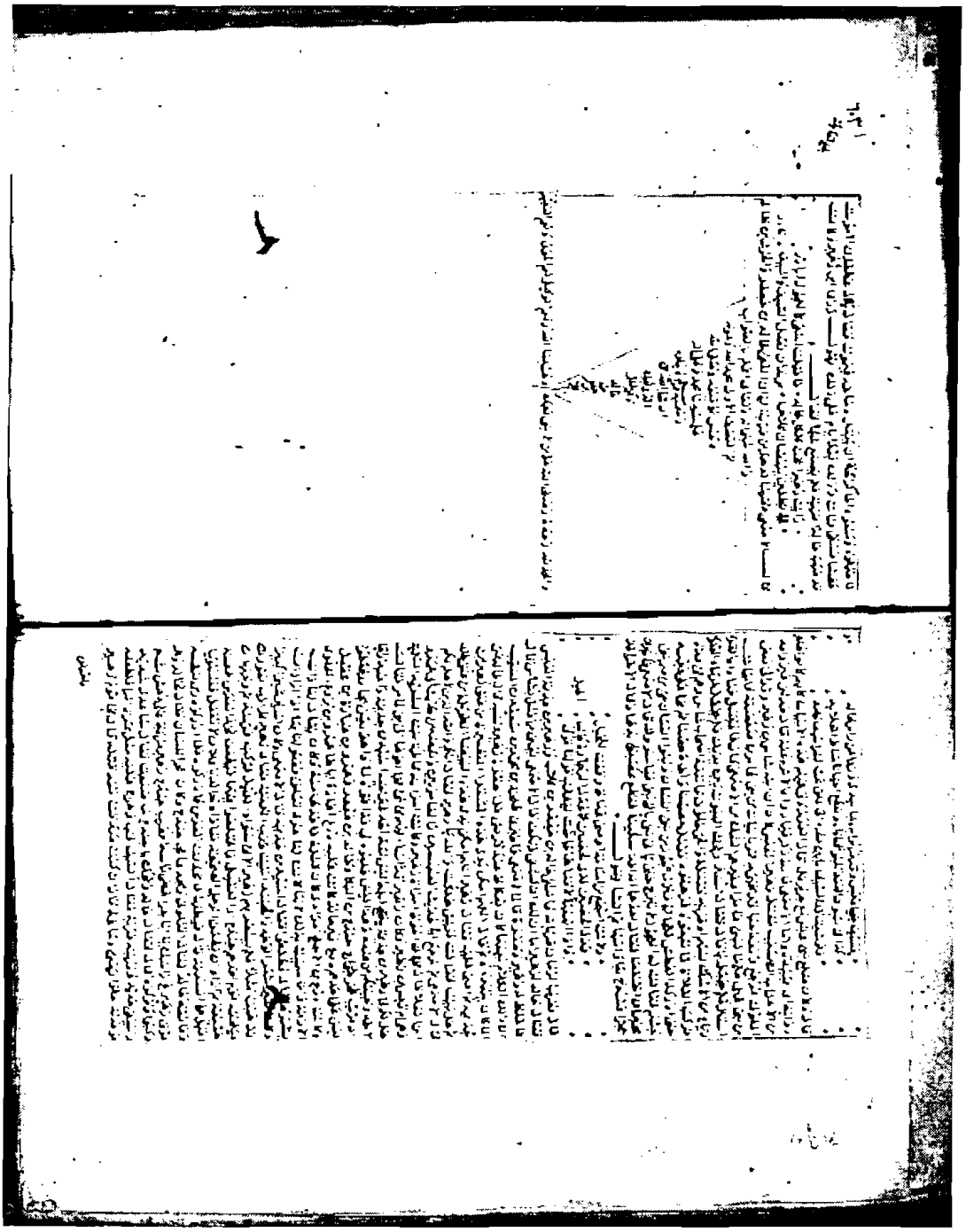

الورقة الأخيرة من المجلد الأول من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

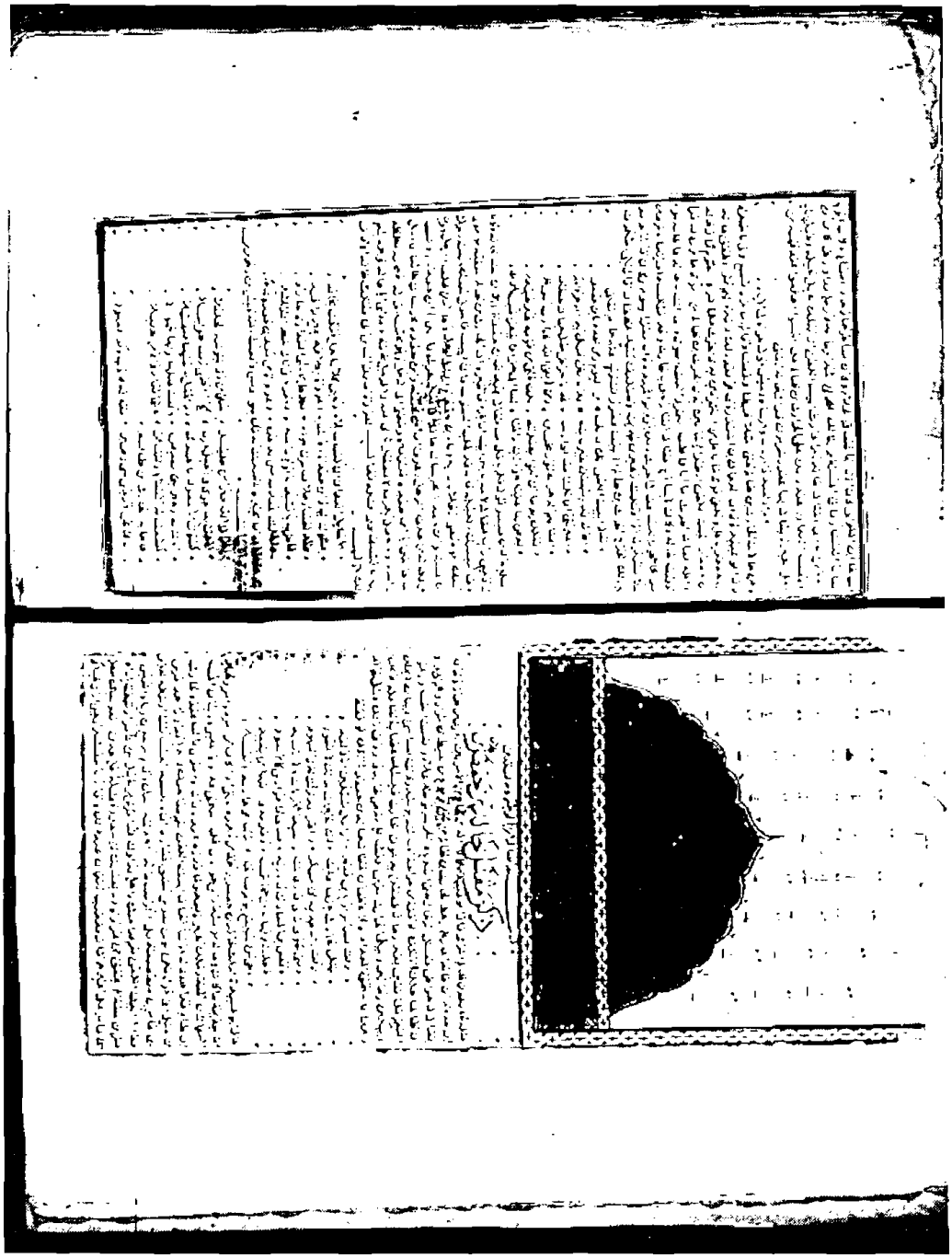

الورقة الأولى من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

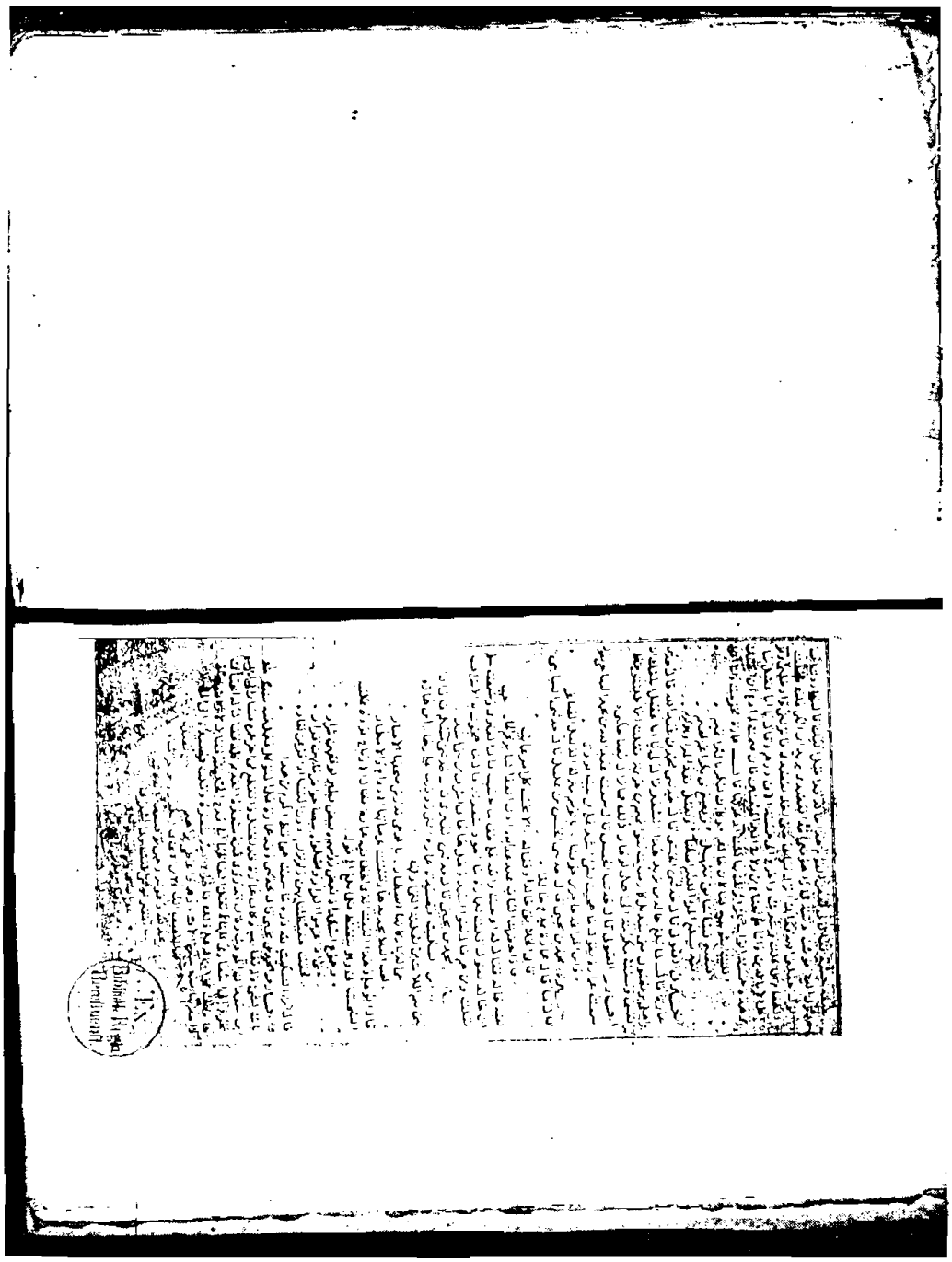

الورقة الأخيرة من المجلد الثاني من مخطوطة برلين

رقم : Ahlwardt 7395

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

مقدّمة المؤلّف

[نهج أبي الفرج في تأليف الكتاب]

هذا كتاب ألّفه عليُّ بنُ الحسين بن محمد القُرَشيّ الكاتب المعروف بالأصفَهاني ، وجمع فيه ما حضره وأمكنه جمعُه من الأغاني العربية قديمها وحديثها ، ونسب كلَّ ما ذكره منها إلى قائل شعره وصانعِ لحنه وطريقة إيقاعه من لحنه وإصبعه التي ينسب إليها من طريقته ، واشتراكٍ إن كان بين المغنين فيه ، على شرحٍ لذلك وتلخيص وتفسير للمشكل من غريبه وما لا غنًى عن علمه من عِلل إعرابه وأعاريض شعره التي بها يوصَّل إلى معرفة تجزئته وقسمة ألحانه .

ولم يستوعب كلَّ ما غُنِّيَ به في هذا الكتاب ولا أتى بجميعه ؛ إذ كان قد أفرد لذلك كتاباً مجرّداً من الأخبار ومحتوياً على جميع الغناء المتقدِّم والمتأخّر . واعتمد في هذا الباب على ما وجد لشاعره أو مغنّيه أو السبب الذي من أجله قيل الشعرُ أو صُنع اللحنُ خبراً يُستفاد ويَحْسُن بذكره ذكرُ الصوت معه ، على أَقْصرِ ما أمكنه وأبعدِه من الحَشو والتكثير بما تَقِلُّ الفائدة فيه . وأتى في كلّ فصلٍ من ذلك بنُتَفٍ تُشاكله ، ولُمَعٍ تليق به ، وفِقرٍ إذا تأمّلها قارئُها لم يزل متنقِّلاً بها من فائدة إلى فائدة مثلها ، ومتصرِّفاً منها بين جِدٍّ وهزلٍ ، وآثارٍ وأخبار ، وسِيَرٍ وأشعار ، متّصلةٍ بأيّام العرب المشهورة وأخبارها المأثورة ، وقصص الملوك في الجاهلية والخلفاء في الإسلام ، يجمُل بالمتأدِّبين معرفتها ويحتاج الأحداث إلى دراستها ، ولا يرتفع مَن فوقهم من الكهول عن الاقتباس منها ؛ إذ كانت مُنتخَلةً من غُرَر الأخبار ، ومُنتقاة من عيونها ، ومأخوذة من مظانِّها ، ومنقولة عن أهل الخبرة بها . فصدَّر كتابه هذا وبدأ فيه بذكر المائة الصوت المختارة [لأمير المؤمنين] الرشيد ، رحمة الله تعالى عليه ، وهي التي كان أمَرَ إبراهيم المَوصلي وإسماعيل بن جامع وفُلَيحَ بن العَوْراء باختيارها له من الغناء كلِّه ؛ ثم وقعت إلى الواثق بالله ، رحمة الله عليه ، فأمَرَ إسحاق بن إبراهيم بأن يختار له منها ما رأى أنّه أفضل ممّا كان اختِير متقدِّماً ، أو يُبدِلَ ما لم يكن على هذه الصفة بما هو أعلى[1] منه وأولى

1 ل : أعلم .

بالاختيار ؛ ففعل ذلك . وأَتْبعَ هذه القطعةَ بما اختاره غيرُ هؤلاء من متقدِّمي المغنّين وأهل العلم بهذه الصناعة من الأغاني ، وبالأصوات التي تجمع النَّغمَ العشرَ المشتملة على سائر نَغَم الأغاني والملاهي ، وبالأرمال الثلاثة المختارة ، وما أشبه ذلك من الأصوات التي تتقدّم غيرها في الشهرة كَمُدُنِ مَعبَد وهي سبعة أصوات ، والسبعة التي جُعلت بإزائها من صَنْعة ابن سُرَيْج وخَيَّر بينهما فيها ، وكأصوات معبد المعروفة[1] بألقابها وزيانِب يُونُسَ الكاتب ؛ فإنّ هذه الأصوات من صُدور الغناء وأوائله وما لا يَحْسُن تقديم غيره أمامه . وأتبع ذلك بأغاني الخلفاء وأولادهم ، ثم بسائر الغناء الذي عرف له قصّةً تُستفاد وحديثاً يُستحسن ؛ إذ ليس لكلِّ الأغاني خبرٌ ، ولا في كلّ ما له خبر فائدةٌ ، ولا لكلٍّ[2] ما فيه بعض الفائدة رونق يروق الناظر ويُلهي السامع .

ووَقَّع على أوّل كلّ شعرٍ فيه غناءٌ «صوت» لتكون علامةً ودلالةً عليه يتبيَّن بها ما فيه صنعةٌ من غيره . وربّما أتى في خلال هذه الأصوات وأخبارها أشعار[3] قيلت في تلك المعاني وغُنِّيَ بها وليست من الأغاني المختارة ولا من هذه الأجناس المرتَّبة ، فلا يوجد من ذكرها معها بُدٌّ ؛ لأنّها إذا أُفرِدت عنها كانت إمّا منقطعة الأخبار غير مُشاكلةٍ لنظائرها أو مُعادةً أخبارُها ؛ وفي كلتا الحالتين خلافٌ لما يجيء به هذا الكتاب . وقد يأتي أيضاً منها الشيءُ الذي تطولُ أخباره وتكثر قصص شاعره مع غيره من الأصوات والأخبار ، فلا يمكن شرحها جمعاء في ذلك الموضع لئلاّ تنقطعَ الأخبار المذكورة بدخوله بينها ، فيؤخَّر ذكره إلى مواضع يحسن فيها ، ونظائر له يُضاف إليها ، غير قاطع اتِّساق غيره منها ولا مُفرِدٍ للقرائن بتوسُّطه لها ، ويكون ذكره على هذه الحال أشكل وأَلْيَق .

[ترتيب الكتاب]

قال مؤلّف هذا الكتاب : ولعلَّ [بعض] مَن يتصفَّح ذلك يُنكر تركْنا تصنيفه أبواباً على طرائق الغناء أو على طبقات المغنّين في أزمانهم ومراتبهم أو على ما غُنّي به من شعر شاعر . والمانع من ذلك والباعث على ما نحوناه عِلَلٌ :

منها : أنّا لمّا جعلنا ابتداءه الثلاثةَ الأصوات المختارة كان شعراؤها من المتأخرين ، وأوّلهم أبو قطيفة وليس من الشعراء المعدودين ولا الفحول ، ثم عُمَرُ بن أبي ربيعة ، ثم نُصَيبٌ . فلمّا جرى أوّلُ الكتاب هذا المجْرَى ولم يمكن ترتيبُ الشعراء فيه ، ألحِق آخرُه

---

1 ل : الموصوفة .

2 ل : في كل .

3 من هنا سقط في ل ، حتى قوله : «من ذكرها معها» .

وجُعل على حسب ما حضر ذِكره . وكذلك سائر المائةِ الصوت المختارة ؛ فإنّها جارية على غير ترتيب الشعراء والمغنّين . وليس المَغْزَى في الكتاب ترتيبَ الطبقات ، وإنّما المغْزَى فيه ما ضُمِّنَهُ من ذكر الأغاني بأخبارها ، وليس هذا ممّا يضرُّ بها .

ومنها : أنّ الأغاني قلَّما يأتي منها شيء ليس فيه اشتراكٌ بين المغنّين في طرائقَ مختلفةٍ لا يمكن معها ترتيبُها على الطرائق ؛ إذ ليس بعض الطرائق ولا بعض المغنّين أولى بنسبة الصوت إليه من الآخر .

ومنها : أنّ ذلك لو لم يكن كما ذكرنا لم يَخْلُ فيها ، إذا أتينا بغناء رجلٍ رجلٍ وأخباره وما صنَّف إسحاق وغيره ، من أن نأتيَ بكلّ ما أتى به المصنِّفون والرواةُ منها على كثرة حَشْوه وقلّة فائدته ، وفي هذا نقضُ ما شرطناه من إلغاء الحشو ، أو أن نأتي ببعض ذلك فيُنسَبَ الكتابُ إلى قصورٍ عن مدى غيره . وكذلك تجري أخبارُ الشعراء . فلو أتينا بما غُنِّي به شعر شاعر منهم ولم نتجاوزه حتى نَفرُغ منه ، لجرى هذا المَجْرَى ، وكانت للنفس عنه نَبْوة ، وللقلب منه مَلَّة ، وفي طباع البشر محبّةُ الانتقال من شيء إلى شيء ، والاستراحةُ من معهود إلى مستجَدٍّ . وكلُّ منتقَلٍ إليه أشهى إلى النفس من المنتقَل عنه ، والمنتَظرُ أغلبُ على القلب من الموجود . وإذا كان هذا هكذا ، فما رتَّبناه أحلى وأحسنُ ، ليكون القارىء له بانتقاله من خبر إلى غيره ، ومن قصة إلى سواها ، ومن أخبارٍ قديمة إلى مُحدَثةٍ ، ومَلِيك إلى سُوقة ، وجِدٍّ إلى هَزل ، أنشطَ لقراءته وأشهى لتصفُّح فنونه ، لا سيَّما والذي ضَمَّنَّاه إيّاه أحسنُ جنسِه ، وصَفْو ما أُلِّف في بابه ، ولُبابُ ما جُمع في معناه .

وكلُّ ما ذكرنا فيه من نِسَب الأغاني إلى أجناسها فعلى مذهب إسحاق بن إبراهيم الموصلي وإن كانت رواية النسبة عن غيره ؛ إذ كان مذهبه هو المأخوذ به اليوم دون مذهب مَنْ خالفه ، مثل إبراهيمَ بن المَهْدي ومُخارق وعَلُّويه وعمرو بن بانةَ ومحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ومن وافقَهم ؛ فإنّهم يسمُّون الثقيلَ الأوّل وخفيفَه الثقيلَ الثاني وخفيفَه ، ويسمّون الثقيلَ الثاني وخفيفه الثقيلَ الأوّل وخفيفه ، وقد اطُّرح ما قالوه الآن وتُرك ، وأخذَ الناسُ بقولِ إسحاق .

[الباعث على تأليف الكتاب]

قال مؤلّف هذا الكتاب : والذي بَعثني على تأليفه أنّ رئيساً من رؤسائنا كلّفني جمعه له ، وعرَّفني أنّه بلَغه أنّ الكتاب[1] المنسوب إلى إسحاق مدفوعٌ أن يكون من تأليفه ، وهو مع ذلك قليلُ الفائدة ، وأنّه شاكٌّ في نسبته ؛ لأنّ أكثر أصحاب إسحاق يُنكرونه ، ولأنّ ابنه حمّاداً أعظمُ الناس إنكاراً لذلك . وقد لعَمْري صدق فيما ذكره ، وأصاب فيما أنكره .

1 هو كتاب الأغاني الكبير كما في فهرست ابن النديم .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال : سمعتُ حمّاداً يقول : ما أَلّف أبي هذا الكتاب قطُّ ولا رآه . والدليلُ على ذلك أنّ أكثر أشعاره المنسوبة التي جُمِعَتْ فيه إلى ما ذُكر معها من الأخبار ما غَنَّى فيه أحدٌ قطُّ ، وأنّ أكثر نسبه إلى المغنِّين خطأ ؛ والذي أَلّفه أبي من دواوين الغناء يدلّ على بُطلانِ هذا الكتاب ، وإنّما وضَعه ورّاقٌ كان لأبي بعد وفاته ، سوى الرُّخصةِ[1] التي هي أوّل الكتاب ؛ فإنّ أبي أَلّفها ؛ إلاّ أن أخبارها كلَّها من روايتنا . هذا ما سمِعتُه من أبي بكر حكايةً فحفظتُه واللفظ يزيد وينقُص .

وأخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحظةُ أنّه يعرِف الورّاقَ الذي وضَعه ، وكان يسمَّى بسندٍ الورّاق ، وحانوتُه في الشرقية في خان الزبل[2] ، وكان يُورِّق لإسحاق بن إبراهيم ؛ فاتفق هو وشريك له على وضعه . وليست الأغاني التي فيه أيضاً مذكورةَ الطَّرائق ، ولا هي بمُقنعةٍ من جُملة ما في أيدي الناس من الأغاني ، ولا فيها من الفوائد ما يبلغُ الإرادة ؛ فتكلَّفتُ ذلك له على مشقَّةٍ احتملتُها منه ، وكراهةَ أن يؤثَر عنّي في هذا المعنى ما يبقى على الأيّام مخلَّداً ، وإلىَّ على تطاولها منسوباً ، وإن كان مَشوباً بفوائد جَمَّةٍ ومَعانٍ من الآداب شريفةٍ . ونعوذ بالله ممّا أسخطه من قول أو عمل ، ونستغفره من كلِّ مُوبقةٍ وخَطِيئةٍ وقولٍ لا يوافق رضاه ، وهو وليّ العِصْمة والتوفيق ، وعليه نتوكّل وإليه نُنيب . وصلّى الله على محمد وآله عند مُفتَتح كلِّ قول وخاتمته وسلّم تسليماً . وحسبُنا الله ونعم الوكيل كافياً ومُعيناً .

---

1 قال في الفهرست : «وهذا الكتاب (أي كتاب الأغاني الكبير) يعرف في القديم بكتاب الشركة ، وهو أحد عشر جزءا لكلّ جزء أوّل يعرف به ؛ فالجزء الأوّل من الكتاب «الرخصة» وهو تأليف إسحاق لا شكّ فيه ولا حلف» .

2 الفهرست : «طاق الزبل» .

[1] ـ ذكر المائة الصوت المختارة

[إجماع المغنّين على اختيار الأصوات الثلاثة الشاملة لجميع نغم الغناء]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم قال حدّثني أبي قال : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ أباه أخبره أنّ الرشيد ، رحمة الله عليه ، أمَرَ المغنّين ، وهم يومئذٍ متوافرون ، أن يختاروا له ثلاثة أصوات من جميع الغناء ، [فأجمعوا على ثلاثة أصوات] أنا أذكرها بعد هذا إن شاء الله . قال إسحاق : فجرى هذا الحديث يوماً وأنا عند أمير المؤمنين الواثق بالله ، فأمرني باختيار أصواتٍ من الغناء القديم ، فاخترتُ له من غِناء أهلِ كلِّ عصر ما اجتمع علماؤهم على براعته وإحكام صنعته ، ونسبته إلى من شَدا به ، ثم نظرتُ إلى ما أحدث الناسُ بعدُ ممّن شاهدناه في عصرنا وقُبَيل ذلك ، فاجتبيت منه ما كان مشبِهاً لما تقدّم أو سالكاً طريقَه ، فذكرتُه ولم أَبْخَسه ما يجب له وإن كان قريب العهد ؛ لأنّ الناس قد يتنازعون الصوتَ في كلّ حين وزمان ، وإن كان السَّبْقُ للقدماء إلى كلّ إحسان .

وأخبرني أحمدُ بن جعفرٍ جحظة قال حدّثني هارون بن الحَسَن بن سَهل وأبو العَنْبَس بن حمدون وابن دُقاق وهو محمد بن أحمد بن يحيى المعروف بابن دقاق بهذا الخبر ، فزعم : أنّ الرشيد أمر هؤلاء المغنّين أن يختاروا له مائة صوتٍ فاختاروها ، ثم أمرهم باختيار عشرةٍ منها فاختاروها ، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا . وذكَرَ نحوَ ما ذكره يحيى بن عليّ ، ووافقه في صوت من الثلاثة الأصوات ، وخالفه في صوتين . وذكر يحيى بن عليّ بإسناده المذكور أنّ منها لَحْنَ مَعبَد في شعر أبي قَطيفة وهو من خفيف الثَّقيل الأوّل : [من البسيط]

القصر فالنخـــل فالجَمّاءُ بينهمـــا أَشْهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ

ولَحْنَ ابن سُرَيج في شعر عُمَر بن أبي ربيعة ، ولحنُه من الثَّقيل الثاني : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه وبَيَّن لـــو يَسْطِيـــعُ أن يتكلَّمـــا

ولَحْنَ ابن مُحرِزٍ في شعر نُصَيب ، وهو من الثقيل الثاني أيضاً : [من الطويل]

أهـــاجَ هـــواكَ المنزلُ المتقـــادِمُ ؟ نَعَـــمْ ، وبـــه ممّـــن شَجاكَ مَعالِمُ

وذكر جحظةُ عمن روى عنه أنّ من الثلاثة الأصوات لحنَ ابنِ مُحرِزٍ في شعر المجنون ، وهو من الثقيل الثاني : [من الطويل]

إذا ما طَواكِ الدهـــرُ يا أمَّ مالك فشأنَ المنايـــــا القاضياتِ وشانِيا

ولحن إبراهيم[1] الموصليّ في شعر العرجيّ ، وهو من خفيف الثقيل الثاني : [من الوافر]

إلى جَيْـداء قــد بَعثــوا رسولاً ليُحْزِنَهــا ، فــلا صُحِب الرسولُ

ولحن ابن محرز في شعر نُصيب ، وهو على ما ذكر ، هزَج : [من الهزج]

أهــاج هــواكَ المنزلُ المتقــادمُ ؟ نعــم وبــه ممــن شجاك معالمُ

وحكى عن أصحابه أنّ هذه الثلاثة الأصوات على هذه الطرائق لا تبقى نغمةٌ في الغناء إلاّ وهي فيها .

أخبرني الحسن بن عليّ الأَدَميّ[2] قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدّثني أبو توبة صالح بن محمد قال حدّثني محمد بن جرير المغنّي قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ : أنّ الرشيد أمر المغنّين أن يختاروا له أحسنَ صوت غُنِّيَ فيه ، فاختاروا له لحنَ ابن مُحْرِز في شعر نُصَيب :

أهاج هواك المنزلُ المتقادمُ ؟

قال : وفيه دَورٌ كثير ، أي صنعة كثيرة . والذي ذكره أبو أحمد يحيى بن عليّ أصحُّ عندي . ويدلّ على ذلك تبايُن ما بين الأصوات التي ذكرها والأصوات الأُخَر في جَودة الصنعة وإتقانها وإحكام مباديها ومقاطِعها وما فيها من العمل ، وأنّ الأُخَر ليست مثلَها ولا قريبةً منها . وأُخرى هي أنّ جَحظَةَ حكى عمّن روى عنه أنّ فيها صوتاً لإبراهيم الموصليّ ، وهو أحد من كان اختار هذه الأصوات للرشيد ، وكان معه في اختيارها إسماعيل بن جامع وفُلَيح [بن العوراء] ، وليس أحدٌ منهما دونه إن لم يَفُقْه ، فكيف يمكن أن يقال : إنّهما ساعدا إبراهيم الموصلي على اختيار لَحْنٍ من صَنعته في ثلاثة أصوات اختيرت من سائر الأغاني وفُضِّلت عليها ؟ ألم يكونا لو فعلا ذلك قد حكمَا لإبراهيم على أنفسهما بالتقدّم والحِذْق والرِّياسة وليس هو كذلك عندهما ؟

ولقد أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه أتى أباه إبراهيم بن ميمون يوماً مسلِّماً ، فقال له أبوه : يا بُنَي ، ما أعلم أحداً بلَغ من بِرِّ ولده ما بلغتُه من برّك ، وإنّي لأستقلُّ ذلك لك ، فهل من حاجةٍ أصير فيها إلى محبَّتك ؟ قلت : قد كان ، جُعِلتُ فداك ، كلُّ ما ذكرتَ فأطال الله لي بقاءك ، ولكنّي أسألك واحدةً : يموت هذا الشيخ غداً أو بعد غد ولم أسمعه ، فيقول الناس لي ماذا وأنا أَحُلُّ منك هذا المَحَلَّ ؟ قال لي : ومن هو ؟ قلت : ابن جامع . قال : صدقتَ يا بُنيّ ، أَسْرِجوا لنا . فجئنا ابن جامع ، فدخل

1 ل : ولحن إسحاق .

2 من يبيع الجلود .

عليه أبي وأنا معه ، فقال : يا أبا القاسم ، قد جئتك في حاجة ، فإن شئتَ فاشتُمني ، وإن شئت فاقذِفني ، غيرَ أنّه لا بدّ لك من قضائها . هذا عبدك وابن أخيك إسحاقُ قال لي كذا وكذا ، فركبت معه أسألك أن تُسْعفَه فيما سأل . فقال : نعم ، على شَريطةٍ : تقيمان عندي أُطْعِمكما مَشُوشة وقَلِية وأَسقيكما من نَبِيذي التمريّ وأُغَنِّيكما ، فإن جاءنا رسولُ الخليفة مضينا إليه وإلاّ أَقَمنا يومنا . فقال أبي : السمع والطاعة ، وأمَرَ بالدوابّ فرُدَّت . فجاءنا [ابن جامع] بالمشوشة والقليّة ونبيذه التمريّ فأكلنا وشرِبنا ، ثم اندفع فغنّانا ، فنظرتُ إلى أبي يَقِلُّ في عيني ويعظُم ابنُ جامع حتى صار أبي في عيني كلا شيء . فلمّا طربنا غاية الطرب جاء رسولُ الخليفة فركِبنا وركبتُ معهما . فلمّا كنّا في بعض الطريق قال لي أبي : كيف رأيت ابنَ جامع يا بنيّ ؟ قلت له : أَوَ تُعْفيني جُعِلتُ فِداك ! قال : لستُ أُعفيك فقل . فقلت له : رأيتُك ولا شيء أكبرُ عندي منك قد صغُرت عندي في الغناء معه [حتى صرتَ كلا شيء] . ثم مضَيا إلى الرشيد ، وانصرفتُ إلى منزلي ؛ [وذلك لأنّي لم أكُنْ بعدُ وصلتُ إلى الرشيد] . فلمّا أصبحتُ أرسل إليّ أبي فقال : يا بنيّ ، هذا الشتاء قد هجَم عليك وأنت تحتاج فيه إلى مؤونة ، وإذا مالٌ عظيمٌ بين يديه ، فاصرِف هذا المال في حوائجك . فقمت فقبّلت يده ورأسه ، وأمرتُ بحمل المال واتّبعته ، فصوَّت بي : يا إسحاق ارجع ، فرجعت . فقال لي : أتدري لِمَ وهبتُ لك هذا المال ؟ قلت : نعم ، جُعِلتُ فداك ! قال : لِمَ ؟ قلتُ : لِصِدقي فيك وفي ابن جامع . قال : صدقتَ يا بنيّ ، امضِ راشداً . ولهما في هذا الجنس أخبار كثيرة تأتي في غير هذا الموضع متفرّقةً في أماكن تصلح فيها و[لا] يُستغنى بما ذكر ها هنا عنها . فإبراهيم يُحِلّ ابنَ جامع هذا المحلَّ مع ما كان بينهما من المنافسة والمفاخرة ثم يُقدِم على أن يختار فيما هو معه فيه صوتاً لنفسه يكون مقدَّماً على سائر الغناء ، ويطابقه هو وفُلَيح عليه ؟! هذا خطأ لا يُتَخيَّل . وعلى ما به فإنّا نذكر الصوتين اللذين رويناهما عن جحظة المخالفين لرواية يحيى بن عليّ ، بعد ذكرنا ما رواه يحيى ، ثم نُتبعهما باقي الاختيار . فأوّل ذلك من رواية أبي الحسن عليّ بن يحيى .

[2 ـ الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة]

صوت فيه لحنان

[من البسيط]

القَصْرُ فالنَّخـلُ فالجَمَّاءُ بينهما أَشهى إلى القلبِ من أبوابِ جَيْرُونِ
إلى البَلاطِ فمـا حـازت قَرائنُه دُورٌ نَزَحْن عـن الفَحْشاءِ والهُونِ
قـد يَكْتُم الناسُ أسراراً فأعلمُها ولا يَنالـون حتى الموتِ مَكْنوني

عَرُوضه من أوّل البسيط . القصرُ الذي عناه هاهنا : قصرُ سعيد بن العاص بالعَرصة[1] . والنخل الذي عناه : نخل كان لسعيد هناك بين قصره وبين الجَمَّاء ، وهي أرضٌ كانت له ، فصار جميع ذلك لمعاوية بن أبي سفيان بعد وفاة سعيد ، ابتاعه من ابنه عمرٍو باحتمال دَيْنه عنه ؛ ولذلك خبرٌ يُذكر بعدُ . وأبواب جَيْرونَ بدمشق . ويُروى : «حاذت قرائنه» من المحاذاة . والقرائن : دورٌ كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة ؛ سُمِّيت بذلك لاقترانها . ونزحن : بَعُدن ، والنازح : البعيد ؛ يقال : نَزَح نُزُوحاً . والهُون : الهَوان . قال الراجز : [من الرجز]

لم يُبتَذَلْ مثـلُ مَكْنـونْ أبيضَ ماضٍ كالسِّنانِ المَسْنونِ
كان يُوَقِّي نفسَه من الهُونْ

والمكنون : المستور الخفيّ ، وهو مأخوذ من الكِنِّ . الشعر لأبي قَطِيفة المُعَيْطِيّ ، والغناء لَمعبد ، وله في لحنان : أحدهما خفيفُ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى في مَجراها من رواية إسحاق وهو اللحن المختار ، والآخر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عَمرو بن بانَةَ .

---

1 ل : بالعرضة .

[3] ـ خبر أبي قطيفة ونسبه[1]

[نسب أبي قطيفة]

هو عمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط . واسم أبي معيط أَبانُ بن أبي عمرو بن أمَيّة بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرَّة بن كَعْب بن لُؤيّ بن غالب . هذا الذي عليه النسّابون .

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ في «كتاب المَثالب» أنَّ أبا عمرو بن أُميّة كان عبداً لأُميّة اسمه ذَكْوان فاسْتَلْحَقَهُ . وذكر أنّ دَغْفَلاً النَّسَّابة دخل على معاوية فقال له : مَنْ رأيتَ من عِلْيةِ قُرَيش ؟ فقال : رأيت عبد المطّلب بن هاشم وأُميّةَ بن عبد شمس . فقال : صِفْهما لي . فقال : كان عبد المطلب أبيضَ مَدِيد القامة حسنَ الوجه ، في جبينه نور النبوّة وعزّ الملك ، يُطِيفُ به عشرةٌ من بَنِيه كأنّهم أسْدُ غاب . قال : فصِفْ أُمَيّة . قال : رأيته شيخاً قصيراً نحيفَ الجسم ضَريراً يَقُوده عبدُه ذكوان . فقال : مَهْ ، ذاك ابنه أبو عمرو . فقال : هذا شيء قُلتموه بعدُ وأحدثتُموه ، وأمّا الذي عرَفتُ فهو الذي أخبرتُك به .

ثم نعود إلى سياقة النَّسَب من لؤيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة . والنضر عند أكثر النسَّابين أصل قريش ، فمن وَلدَه النضرُ عُدَّ منهم . ومن لم يَلِدْه فليس منهم . وقال بعض نسّابي قريش : بل فِهْر بن مالك [أصل] قريش ، فمن لم يلده فليس من قريش . ثم يعود النسب إلى النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وولدُ إلياس يقال لهم خِنْدِفُ ، سُمُّوا بأُمِّهم خندفَ وهو لقبها ، واسمها ليلى بنتُ حُلوان بن عمران بن الحافِ بن قُضاعة ، وهي أُمُّ مُدْرِكةَ وطابِخَةَ وقَمَعَةَ بني إلياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أدّ بن أُدَدَ بن الهَمَيْسَع بن يَشْجُبَ ، وقيل : أَشْجبُ ، بن نَبْت بن قَيْدار بن إسماعيل بن إبراهيم . هذا النسب الذي رواه نسّابو العرب وروي عن بن شِهاب الزُّهريّ وهو من علماء قريش وفقهائها .

وقال قوم آخرون من النسّابين ممّن أخذ ، فيما يزعمُ ، عن دَغْفَلٍ وغيرِه : مَعَدُّ بن عدنان بن أدَد بن آمين بن شاجِيب بن نَبْت بن ثَعْلبة بن عَنْز بن سُرَيج بن محلم بن العَوّام بن المُحْتمل بن رائِمَةَ بن العِقْيان بن غلة بن شحدود بن الضرب بن عيفر[2] بن إبراهيم بن إسماعيل بن رزين بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود بن دعدع بن محمود بن

---

1 انظر معجم الشعراء للمرزباني : 67–68 (تحقيق عبد الستار فراج) القاهرة ، 1960 .

2 ل : عبقر .

الرائد بن بدوان بن أُمامة بن دَوْس بن حُصَيْن بن النَّزَّال بن الغمير بن محشر بن معذر بن صَيْفِيّ بن نَبْت بن قَيْدار بن إسماعيل [ذبيح الله ابن] إبراهيم خليل الله صلّى الله عليهما وعلى أنبيائه أجمعين وسلّم تسليماً . ثم أجمعوا أنّ إبراهيم بنُ آزَرَ وهو اسمه بالعربية كما ذكره الله تعالى في كتابه ، وهو في التوراة بالعِبرانية تارَح بن ناحُور ، وقيل : النّاحر بن الشّارِع وهو شارُوع بن أَرْغُو وهو الرامح بن فالغ ، وهو قاسم الأرض الذي قسمها بين أهلها ، بن عابر بن شالخ بن أَرْفَخْشَذ وهو الرافد بن سام بن نوح صلّى الله عليه وسلّم ابن لامَك وهو في لغة العربِ مِلْكان بن المَتُوشَلَخ وهو المنوف بن أَخْنُخ وهو إدريس نبيّ الله عليه السلام بن يارد وهو الرائد بن مَهْلايِل بن قَيْنان وهو قنان بن أَنُوش وهو الطاهر بن شِيثٍ وهو هبة الله ويقال له أيضاً : شاثُ بن آدم أبي البشر صلّى الله عليه وعلى سائر الأنبياء وعلى نبيّنا محمد خاصة وسلّم تسليماً . هذا الذي في أيدي الناس من النَّسَب على اختلافهم فيه .

وقد روي عن النبيّ ﷺ تكذيبٌ للنسّابين ودفعٌ لهم . ورُوي أيضاً خلافٌ لأسماء بعضِ الآباء . [وقد شرَحت ذلك في «كتاب النسب» شرحاً يُستَغْنى به عن غيره] .

[العنابس والأعياص من بني أميّة]

وأبو قطيفةَ وأهله من العنابِس من بني أميّة . وكان لأميّة من الوَلَد أحدَ عشرَ ذَكَراً ، كلٌّ واحد منهم يُكْنى باسم صاحبه ، وهم العاص وأبو العاص ، والعِيص وأبو العِيص ، وعمرو وأبو عمرو ، وحَرْب وأبو حرب ، وسُفيان وأبو سفيان ، والعُوَيص لا كُنى له . فمنهم الأَعياص فيما أخبرنا حَرَميُّ بن أبي العَلاء ، واسمه أحمد بن محمد بن اسحاق ، والطُّوسيّ ، واسمه أحمد بن سليمان ، قالا : حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن محمد بن الضَّحّاك الحِزاميّ عن أبيه قال : الأعياص : العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص والعُويص . ومنهم العنابس[1] وهم حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو . وإنّما سُمُّوا العنابسَ لأنّهم ثبَتوا مع أخيهم حَرْب بن أُميّة بعُكاظ وعقَلوا أنفسَهم وقاتَلوا قِتالاً شديداً فشُبِّهوا بالأسْد ، والأُسْدُ يقال لها العنابس ، واحدها عَنْبَسَة . وفي الأعياص يقول عبد الله بن فَضالة الأَسَديّ : [من الوافر]

مِن الأعياصِ أو من آل حربٍ أَغَــرَّ كغُــرة الفرس الجَوادِ

[عبد الله بن فضالة وابن الزبير]

والسبب في قوله هذا الشعرَ ما أخبرَنا به أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال : حدّثنا عمرُ بن شَبَّة ، وحدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز ، قال : حدّثنا المَدائنيّ

1 قارن بأنساب الأشراف 1/4 : 3 .

وابن غَزالة ، قالوا : أتى عبدُ الله بن فُضالة بن شَريك الوالبيّ ثم الأسديّ من بني أَسَد بن خُزيمة عبد الله بنَ الزُّبير ، فقال له : نَفِدتْ نَفَقتي ونَقِبتْ راحلتي . قال : أحضِرْها ، فأحضرَها . فقال : أقبِلْ بها ، أدبِرْ بها ، ففعل . فقال : ارقَعها بسِبْتٍ واخصِفها بهُلبٍ وأَنجِد بها يَبرُد خُفُّها وسِرِ البَرْدَين تَصِحّ[1] . فقال ابن فضالة : إنّي أتيتُك مُسْتَحمِلاً ولم آتِكَ مُستوصِفاً ، فلعَن الله ناقةً حملتني إليك ! قال ابن الزبير : إنّ وراكبَها . فانصرف عنه ابنُ فضالة وقال[2] : [من الوافر]

أقـول لغِلمتي شُدُّوا رِكابـي ... أُجاوِزْ بَطْـنَ مكّـةَ في سَوادِ
فمالي حينَ أَقْطَع ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابن الكاهِليَّـة من معادِ[3]
سيُبْعِدُ بيننـا نَصُّ المَطايـا ... وتعليـقُ الأَداوَي والمَـزادِ[4]
وكلُّ مُعَبَّـدٍ قـد أَعلَمَتْـه ... مَناسِمُهـن طُـلاَّعَ النِّجادِ[5]
أَرى الحاجاتِ عند أبي خُبَيْبٍ ... نُكِـدْنَ ولا أُمَيَّـةَ بـالبلادِ[6]
من الأَعْياصِ أو من آل حربٍ ... أغـرَّ كغُـرَّة الفـرس الجوادِ

أبو خُبَيب : عبد الله بن الزُّبير ، كان يكنى أبا بكر . وخبيب : ابن له هو أكبر ولده ، ولم يكن يَكنِيه به إلاّ من ذمَّه ، يجعله كاللقب له . قال : فقال ابن الزبير لمّا بلَغه هذا الشعر : علِم أنّها شرُّ أُمّهاتي فعيَّرني بها وهي خيرُ عمّاته . قال اليزيدي : «إنّ» هاهنا بمعنى نعمْ ، كأنّه إقرارٌ بما قال . ومثله قول ابن قيس الرُّقَيَّات : [من مجزوء الكامل]

ويَقُلْنَ شَيبٌ قـد عـلا ... كَ وقـد كَبِرتَ فقلـتُ إنَّهْ

وأُمُّ أبي مُعيطٍ آمنةُ بنت أَبانَ بن كُليب بن رَبيعة بن عامر بن صَعصَعة بن معاوية بن بَكْر بن

---

1 نقب البعير : رقَّت أخفافه . السبت : جلود البقر المدبوغة بالقرظ تُحذى منها النعال السبتية . والخصف : أن يُظاهر الجلدين بعضهما إلى بعض ويَخرزهما ؛ ولذلك قيل لِلخرْز المخصف . والهلب بضم الهاء : شعر الخنزير الذي يخرز به ، وأنجد : إذا أخذ في بلاد نجد ؛ والبردان : الغداة والعشيّ .

2 نسب البغدادي 4 : 65–66 . هذا الشعر لعبد الله بن الزبير الأسديّ . وأورد الأصبهاني عن ابن حبيب أنّ هذا الشعر لفضالة بن شريك وأوّله في أبيات : [من الوافر]

شكوت إليه أن تعبت قلوصي ... فردّ جواب مشدود الصفادِ

3 ذات عرق مُهَلّ أهل العراق وهو الحدّ بين نجد وتهامة (ياقوت) . والكاهلية : زهراء بنت خثراء امرأة من بني كاهل بن أسد وهي أمّ خويلد بن أسد بن عبد العُزّى .

4 نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير . والأداوي : جمع إداوة وهي وعاء الماء . والمزاد : جمع مزادة وهي الراوية يحمل فيها الماء .

5 المعبد : الطريق المذلل . وأعلمته مناسمهن : أثرت فيه بأخفافها .

6 يقال : نكده حاجته إذا منعه إيّاها ولم يقضها .

هَوازِنَ ، ولها يقول نابغةُ بني جَعدة : [من الوافر]

وشارَكْنا قريشاً في تُقاها وفي أنسابها شِرْكَ العَنانِ[1]

بما وَلدتْ نساءُ بني هِلالٍ وما ولدت نساءُ بني أُبانِ

وكانت آمنة هذه تحت أُميَّة بن عبد شمس ، فولدت له العاصَ وأبا العاص وأبا العِيص والعُوَيص وصفيّة وتَوبة وأَرْوى بني أُميَّة . فلمّا مات أُميَّةُ تزوّجها بعده ابنه أبو عمرو ، وكان أهلُ الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوّج الرجلُ امرأة أبيه بعده ، فولدت له أبا مُعَيطٍ ، فكان بنو أُميّة من آمنة إخوةَ أبي مُعَيط وعُمومته ؛ أخبرني بذلك كلِّه الطوسيّ عن الزُّبير بن بَكّار .

قال الزبير : وحدّثني عمّي مُصعَب قال : زعَموا أنّ ابنها أبا العاص زوّجها أخاه أبا عمرو ، وكان هذا نِكاحاً تَنكِحُه الجاهلية ، فأنزل الله تعالى تحريمه ؛ [قال الله تعالى] : ﴿وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آباؤُكُمْ مِنَ النِّساءِ إلاّ مَا قَدْ سَلَفَ إنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَمَقْتاً وَساءَ سَبِيلاً﴾ فسُمِّي نكاح المَقت .

[مقتل عقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث]

وأُسِر عُقبة بن أبي مُعَيط في يوم بدر ، فقتله رسول الله ﷺ صبراً . حدّثنا بذلك محمد بن جَرير الطبريّ قال حدّثنا محمد بن حُميد الرازيّ قال حدّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق في خبرٍ ذَكره طويلٍ ، وحدّثني به أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُليح عن موسى بن عُقبة عن ابن شهاب الزُّهريّ ، قالوا جميعاً[2] : قتله رسول الله ﷺ صبراً . فقال له ، وقد أمر بذلك فيه : يا محمد ، أأنا خاصَّةً من قريش ؟ قال نعم . قال : فمَن للصِّبية بعدي ؟ قال : النار .

فلذلك يُسَمَّى بنو أبي مُعَيط صِبيةَ النار . واختُلِف في قاتله ، فقيل : إنّ عليّ بن أبي طالب ، صلوات الله عليه ، تولَّى قتلَه . وهذا من رواية بعض الكوفيين ، حدّثني به أحمد ابن محمد بن سعيد بن عُقدة قال : أخبرني المُنذر بن محمد اللَّخمي قال حدّثنا سليمان بن عَبَّاد قال حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت المدنيّ عن أبيه عن محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن عن أبيه عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام : أنّ النبي ﷺ أمر عليّاً يومَ بَدْر فضرب عُنُقَ عُقْبةَ بن أبي مُعَيط والنَّضْرِ بن الحارث . وروى ابن إسحاق أنّ عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَح الأنصاري قتله ، وأنّ الذي قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام النضرُ ابنُ الحارث بن كَلَدَةَ .

---

1 شرك العنان وشركة العنان : اشتراك شخصين في شيء خاص دون سائر أموالهما ، والثاني في أنساب الأشراف 1/4 : 3 .

2 تاريخ الطبري 2 : 459 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني الحسن بن عثمان قال حدّثني ابن أبي زائدة عن محمد بن إسحاق عن أصحابه ، وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا أحمد بن حُمَيد قال حدّثنا سَلَمة عن ابن إسحاق عن أصحابه[1] ، قالوا : قتَل رسول الله ﷺ يومَ بَدْرٍ عُقْبةَ بن أبي مُعَيط صَبْراً : أمر عاصم بن ثابت فضرب عنقَه ، ثم أقبل من بدر حتى إذا كان «بالصَّفْراء»[2] قتَل النَّضْرَ بن الحارث بن كَلَدَةَ أحد بني عبد الدار ، أمر عليّاً عليه السلام أن يضرب عنقَه . قال عمر بن شبّة في حديثه : «الأُثَيل»[3] ؛ فقالت أُخته قُتَيلةُ بنت الحارث تَرثيه[4] : [من الكامل]

يـا راكباً إنّ الأُثَيْـلَ مَظِنَّـةٌ ... مِن صُبْح خامسةٍ وأنتَ مُوفَّقُ
أَبلِغْ بـه مَيْتـاً بأنّ تحيّـةً ... ما إن تَزالُ بها النجائبُ تَخْفِقُ
مِنّي إليـكَ وعَبْرةً مسفوحةً ... جادتْ بِدرَّتها وأُخرى تخنَقُ
هل يسمَعَنَّ النضرُ إن ناديتُه ... إن كان يسمعُ هالكٌ لا يَنطِقُ
ظَلّتْ سيوفُ بني أبيهِ تنوشُه ... للهِ أرحـامٌ هنـاكَ تُشَقَّقُ
صبراً يُقـادُ إلى المنيّة مُتعَباً ... رَسْفَ المقيَّدِ وهو عانٍ موثقُ
أَمُحمدٌ ولأنتَ نَسْلُ نَجيبةٍ ... في قومها والفحلُ فَحلٌ مُعْرِقُ
ما كان ضرّكَ لو مَنَنْتَ وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَقُ
أوْ كُنتَ قابلَ فديـةٍ فَلَنأتِيَنْ ... بأعزِّ مـا يَغْلو لديـكَ ويَنفُقُ
والنضرُ أقربُ مَنْ أخذتَ بزَلّةٍ ... وأحقُّهـم إن كان عِتـقٌ يُعْتَقُ

فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ قال : «لو سمعتُ هذا قبل أن أقتلَه ما قتلتُه» . فيقال : إنّ شعرها أكرمُ شعرٍ مَوْتُورةٍ وأعفُّه وأكفُّه وأحلمُه .

قال ابن إسحاق[5] : وحدّثني أبو عبيدةَ بن محمد بن عمّار بن ياسر أنّ رسول الله ﷺ لمّا كان بعِرقِ الظُّبية[6] قتلَ عُقبة بن أبي مُعَيطٍ . قال حين أمَرَ به أن يُقتَل : فمن للصِّبية يا محمد ؟

---

1 سيرة ابن هشام 2 : 644 .
2 الصفراء : واد قريب من بدر .
3 الأثيل : موضع بين بدر ووادي الصفراء .
4 أنساب الأشراف 1 : 144 وشرح التبريزي على الحماسة 3 : 14-15 (ط . بولاق) وفي الرواية اختلافات .
5 السيرة 2 : 744 .
6 عرق الظبية : موضع من الرَّوحاء على ثلاثة أميال مما يلي المدينة .

قال : النار . فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح أحد بني عمرو بن عوف .

حدّثني أحمد بن الجعد قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن إسحاق الأَدَمي قال حدّثنا الوليد بن مسلم قال حدّثني الأوزاعيّ قال حدّثني يحيى بن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم التَّيمي قال حدّثني عُروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني بأشدّ شيءٍ صنعَه المشركون برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فقال : بينا رسول الله ﷺ يصلّي في حِجْرِ الكعبة إذ أقبل عُقبة بن أبي مُعَيط فوضع ثوبَه في عُنق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم فخنَقه به خَنْقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر ، رحمة الله عليه ، [حتى أخذ بمَنكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ] وقال : أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربّيَ الله !

[ولاية الوليد بن عقبة الكوفة]

وكان الوليد بن عُقبة أخا عثمانَ بن عفّان لأمّه ، أُمُّهما أَرْوى بنت عامر بن كُرَيز ، وأمّها أُمُّ حَكيم البيضاء بنت عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف . والبيضاء وعبدُ الله أبو رسول الله ﷺ تَوأمان . وكان عُقبة بن أبي معيط تزوّج أَروَى بعد وفاة عفّان ، فولدت له الوليد وخالداً وعُمارة وأُمَّ كلثوم ، كلّ هؤلاء إخوة عثمان لأمّه . وولّى عثمانُ الوليد بن عقبة في خلافته الكوفة ، فشرِبَ الخمر وصلّى بالناس وهو سكران فزاد في الصلاة ، وشُهِدَ عليه بذلك عند عثمان فجلَده الحدّ . وسيأتي خبره بعد هذا في موضعه .

وأبو قَطِيفة عمرو بن الوليد يُكنى أبا الوليد . وأبو قطيفة لقبٌ لُقِّبَ به . وأُمُّه بنت الربيع بن ذي الخِمار من بني أسد بن خُزيمة .

[نفي بني أُميّة عن المدينة]

وقال أبو قطيفة هذا الشعر حين نفاه ابن الزبير مع بني أُميّة عن المدينة ، مع نظائر له تشوُّقاً إليها .

حدّثني بالسبب في ذلك أحمد بن محمد بن شَبيب بن أبي شيبة البزَّار ، قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرَّاز عن المدائني ، وأخبرني ببعضه أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثني أبي قال حدّثني وَهب بن جرير عن أبيه في كتابه المسمّى «كتاب الأَزارِقة» ، ونَسختُ بعضَه من كتابٍ منسوبٍ إلى الهيثم بن عدِيّ . واللفظ للمدائني في الخبر ما اتّسَق ، فإذا انقطع أو اختلف نسبتُ الخلاف إلى راويه .

[النفر الركب]

قال الهيثم بن عديّ أخبرنا ابن عيّاش عن مُجالد عن الشعبيّ وعن ابن أبي الجهم ومحمد بن المنتشر : أنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب ، عليه وعلى أبيه السلام ، لمّا سار إلى العراق ، شمّر ابن

الزبير للأمر الذي أراده ولبِس المعافريّ[1] وشبَرَ بطنه وقال : إنّما بطني شِبْرٌ ، وما عسى أن يَسَع الشبرُ ! وجعل يُظهر عيبَ بني أُميّة ويدعو إلى خلافهم . فأمهله يزيدُ سنةً ، ثم بَعَث إليه عشرةً من أهل الشام عليهم النعمان بن بَشير . وكان أهل الشام يسمُّون أولئك العشرةَ النَّفَرِ الرَّكْبَ ، منهم عبد الله بن عِضاه الأشعري ، ورَوْح بن زنباع الجُذاميّ ، وسعدَ بن حمزة الهمداني ، ومالك بن هبيرة السَّكوني ، وأبو كَبشة السَّكْسَكيّ ، وزَمْلُ بن عمرو العُذْري ، وعبد الله بن مسعود ، وقيل : ابن مسعدة الفزاريّ ، وأخوه عبد الرحمن ، وشريك بن عبد الله الكناني ، وعبدالله بن عامر الهمداني ، وجعل عليهم ، النعمان بن بشير ؛ فأقبلوا حتى قدِموا مكّة على عبدالله بن الزبير ، وكان النعمان يَخلو به في الحِجر كثيراً . فقال له عبد الله بن عِضاهٍ يوماً : يا ابن الزبير ، إنّ هذا الأنصاريّ والله ما أُمِر بشيء إلاّ وقد أُمِرنا بمثله إلاّ أنّه قد أُمِّرَ علينا ، إنّي والله ما أَدري ما بين المهاجرين والأنصار . فقال ابن الزبير : يا ابن عِضاه ، مالي ولك ! إنّما أنا بمنزلة حمامة من حمام مكّة ، أفكنتَ قاتلاً حماماً من حمام مكّة ؟ قال : نعم ، وما حرمةُ حمام مكة ؟ يا غلام ، ائتني بقَوسي وأَسهُمي ، فأتاه بقوسه وأسهمه ، فأخذ سهماً فوضعه في كبد القوس ثم سدّده نحو حمامة من حمام المسجد وقال : يا حمامة ، أيشربُ يزيد بن معاوية الخمر ؟ قُولي : نعم ، فوالله : لئن فعلتِ لأرمينّك . يا حمامة ، أتخلعين يزيد بن معاوية وتُفارقين أمّةَ محمد ﷺ ، وتُقيمين في الحرم حتى يُستحَلَّ بكِ ؟ والله لئن فعلتِ لأرمينّكِ . فقال ابن الزبير : ويحك ! أوَ يتكلّم الطائر ؟ قال : لا ! ولكنّك يا ابن الزبير تتكلّم . أُقسِم بالله لتُبايعنَّ طائعاً أو مُكرَهاً أو لتتعرَّفنَّ راية الأشعريين في هذه البطحاء ، ثم لا أُعظِّم من حقّها ما تُعظَّم . فقال ابن الزبير : أوَ تستحل الحرَم ! قال : إنّما يَستحِلُّه من أَلحَد فيه . فحبسهم شهراً ثم ردّهم إلى يزيد بن معاوية ولم يُجبه إلى شيء . وفي رواية أحمد بن الجَعد : وقال بعض الشعراء ، وهو أبو العباس الأعمى ، واسمه السائبُ بن فرُّوخ يذكر ذلك وشبراً بن الزبير بطنَه : [من البسيط]

ما زال في سُورة الأعراف يدرسُها حتى بدا لِيَ مثلَ الخَزِّ في اللِّينِ
لو كان بطنُكَ شِبراً قد شَبِعتَ وقد أَفْضلتَ فضلاً كثيراً للمساكينِ

[خلع ابن الزبير يزيد]

قال الهيثم : ثم إنّ ابن الزبير مضى إلى صَفيّة بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عمر ، فذكر لها أنَّ خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله ، عليه السلام ، والمهاجرين والأنصار من أَثَرة معاوية وابنه [وأهله] بالفيء ، وسألها مسألته أن يبايعه . فلمّا قدّمت له عشاءه ذكرت له أمر ابن الزبير

1 نسبة إلى معافر : اسم .

واجتهاده ، وأثنت عليه وقالت : ما يدعو إلاّ إلى طاعة الله جلّ وعزّ ، وأكثرت القولَ في ذلك . فقال لها : أمَا رأيتِ بَغَلاتِ معاوية اللواتي كان يُحجُّ عليهنّ الشُّهْبَ ، فإنّ ابن الزبير ما يريد غيرهنّ . قال المدائني في خبره : وأقام ابن الزبير على خلع يزيد ومالأه على ذلك أكثر الناس . فدخل عليه عبد الله بن مُطيع وعبد الله بن حنظلة وأهل المدينة المسجدَ وأَتَوا المِنبر فخلعوا يزيد . فقال عبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المُغيرة المخزوميّ : خلعتُ يزيد كما خلعتُ عمامتي ، ونزعها عن رأسه وقال : إنّي لأقول هذا وقد وصلني وأحسن جائزتي ، ولكنّ عدوّ الله سِكّير خمّير . وقال آخر : خلعته كما خلعتُ نعلي . وقال آخر : خلعتُه كما خلعت ثوبي . وقال آخر : قد خلعته كما خلعت خُفّي ، حتى كثُرت العمائمُ والنِّعال والخِفاف ، وأظهروا البراءة منه وأجمعوا على ذلك ، وامتنع منه عبد الله بن عمر ، ومحمد بن عليّ بن أبي طالب ، عليهما السلام ، وجرى بين محمد خاصّة وبين أصحاب ابن الزبير فيه قولٌ كثير ، حتى أرادوا إكراهه على ذلك ، فخرج إلى مكّة ؛ وكان هذا أوّل ما هاج الشرَّ بينه وبين ابن الزبير .

| وقعة الحرّة |

قال المدائني : واجتمع أهلُ المدينة لإخراج بني أُميّة عنها . فأخذوا عليهم العهود ألاّ يُعِينوا عليهم الجيش ، وأن يرُدُّوهم عنهم ؛ فإن لم يقدروا على ردّهم لا يرجعوا إلى المدينة معهم . فقال لهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان : أنشُدكم اللهَ في دمائكم وطاعتكم ! فإنّ الجنود تأتيكم وتطَؤُكم ، وأُعذِر لكم ألاّ تُخرجوا أميرَكم ؛ إنّكم إن ظفرتم وأنا مقيمٌ بين أظهركم فما أيسرَ شأني وأقدرَكم على إخراجي ! وما أقول هذا إلاّ نظراً لكم أُريد به حَقن دمائكم . فشتموه وشتموا يزيد ، وقالوا : لا نبدأُ إلاّ بك ، ثم نُخرجهم بعدك . فأتى مروانُ عبدَ الله بن عمر فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إنّ هؤلاء القوم قد ركبونا بما ترى ، فضُمَّ عيالنا . فقال : لست من أمركم وأمر هؤلاء في شيء . فقام مروان وهو يقول : قبح الله هذا أمراً وهذا ديناً . ثم أتى عليَّ بن الحسين ، عليهما السلام ، فسأله أن يضُمّ أهله وثقَلَه ففعل ، ووجَّههم وامرأته أُمَّ أبان بنت عثمان إلى الطائف ومعها ابناه : عبد الله ومحمدٌ . فعرَض حُرَيثٌ رَقّاصة وهو مولًى لبني بهزٍ من سُليم كان بعض عمّال المدينة قطع رِجله ، فكان إذا مشى كأنّه يرقص ، فسُمِّي رقّاصة ، لثَقَلِ مروان وفيه أُمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب ، فضربته بعصاً فكادت تدقُّ عنقه ، فولّى ومضى . ومضوا إلى الطائف وأخرجوا بني أُميّة . فحسَّ بهم سليمان بن أبي الجهم العدويّ وحريث رقّاصة ، فأراد مروان أن يصلّي بمن معه فمنعوه ، وقالوا : لا يُصلّي والله بالناس أبداً ، ولكن إن أراد أن يصلّي بأهله فليصلّ ، فصلّى بهم ومضى . فمرّ مروان بعبد الرحمن بن أزهر الزهريّ ، فقال له : هلُمَّ إليّ يا أبا عبد الملك ، فلا يَصل إليك مكروهٌ ما بقي

رجلٌ من بني زُهرة . فقال له : وصلتْك رَحِمٌ ، قومنا على أمرٍ فأكره أن أُعرِّضك لهم . وقال ابن عمر بعد ذلك ، لمّا أُخرجوا ونَدِم على ما كان قاله لمروان : لو وجدتُ سبيلاً إلى نصر هؤلاء لفعلت ؛ فقد ظُلِموا وبُغِي عليهم . فقال ابنه سالم : لو كلَّمت هؤلاء القوم ! فقال : يا بنيّ ، لا ينزع هؤلاء القوم عمّا هم عليه ، وهم بعين الله ، إن أراد أن يُغَيِّر غيَّر . قال : فمضوا إلى ذي خُشُب[1] ، وفيهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان والوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، واتَّبعهم العبيد والصبيان والسَّفِلة يرمونهم . ثم رجع حُريث رقَّاصة وأصحابه إلى المدينة ، وأقامت بنو أميّة بذي خُشُب عشرة أيّام ، وسرَّحوا حبيب بن كُرة إلى يزيد بن معاوية يُعلمونه ، وكتبوا إليه يسألونه الغَوث . وبلغ أهل المدينة أنّهم وجَّهوا رجلاً إلى يزيد ، فخرج محمد بن عمرو بن حزم ورجل من بني سليم من بهز وحريث رقّاصة وخمسون راكباً فأزعجوا بني أُميّة منها ، فنخس حريثٌ بمروان فكاد يسقط عن ناقته ، فتأخّر عنها وزجرها وقال : اعلَي واسلَمي . فلمّا كانوا بالسُّويداء[2] عرض لهم مولًى لمروان ، فقال : جُعلتُ فِداك ! لو نزلت فأرحت وتغدَّيت ! فالغداء حاضر كثير قد أدرك . فقال : لا يدعُني رقّاصة وأشباهه ، وعسى أن يمكِّن الله منه فتُقطع يده . ونظر مروان إلى ماله بذي خُشُب فقال : لا مال إلاّ ما أحرزتْه العِيابُ . فمضوا فنزلوا حَقِيلاً[3] أو وادي القُرى ؛ وفي ذلك يقول الأحوص : [من البسيط]

لا تَرثِيَنَّ لحَزْمِيٍّ رأيتَ بـه ضُرّاً ولو سقَط الحزميُّ في النارِ
الناخسينَ بمَروانٍ بذي خُشُبٍ والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدارِ

قال المدائني : فدخل حبيب بن كرة على يزيد ، وهو واضعٌ رِجله في طستٍ لوجع كان يجدُه ، بكتاب بني أُميّة وأخبره الخبرَ . فقال : أما كان بنو أميّة ومواليهم ألف رجل ؟ قال : بَلى وثلاثة آلاف . قال : أفعجزوا أن يقاتلوا ساعةً من نهار ؟ قال : كثرهم الناس ولم تكن لهم بهم طاقةٌ . فندَبَ الناس وأمَّرَ عليهم صخر بن أبي الجهم القَينيّ ، فمات قبل أن يخرج الجيش ، فأمَّر مسلم بن عقبة الذي يسمَّى مُسْرِفاً . قال : وقال ليزيد : ما كنت مُرسلاً إلى المدينة أحداً إلاّ قصَّر وما صاحبهم غيري ؛ إنّي رأيت في منامي شجرة غرقدٍ تصيح : على يَدَي مسلم ، فأقبلتُ نحو الصوت فسمعتُ قائلاً يقول : أدرِك ثأرك أهل المدينة قتلَةَ عثمان . فخرج مسلم وكان من قصَّة الحرَّة ما كان على يده ، وليس هذا موضعه . فقال أبو قطيفة في ذلك لما أخرجوا عن المدينة :

---

1 ذو خشب : واد على مسافة ليلة من المدينة .

2 السويداء : موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام .

3 حقيل : موضع .

صوت من غير المائة فيه لحنان

[تشوّق أبي قطيفة إلى المدينة]

[من الطويل]

بَكـى أُحُـدٌ لَمّـا تَحَمَّل أهلهُ ... فكيفَ بِذي وَجْدٍ من القوم آلِفِ

مِن أجلِ أبي بَكْرٍ جَلَتْ عن بلادها ... أُمَيَّةُ ، والأيّـامُ ذاتُ تَصارِفِ

عَروضه من الطويل ، وفيه ثَقيلٌ أوّلُ . والغناءُ لسائبِ خاثِرٍ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، ذكر ذلك حمّادٌ عن أبيه ، وذكر أنّ فيه لَحناً آخر لأهل المدينة لا يُعرف صاحبه . قال الهيثم في خبره : وقال أبو العبّاس الأعمى في ذلك : [من الطويل]

قد حَـلَّ في دار البَلاطِ مُجَوّعٌ ... ودارِ أبي العاصِ التَّميميُّ حَنْتَفُ[1]

فلـم أرَ مثـلَ الحيّ حين تحمّلوا ... ولا مثلَنا عن مثلِهم يَتَنَكَّفُ

وقال أبو قَطِيفةَ أيضاً : [من الطويل]

صوت من غير المائة فيه ثلاثة ألحان

بَكـى أُحُـدٌ لَمّـا تحمَّل أهلُه ... فسَلْعٌ فدارُ المال أمستْ تَصَدَّعُ

وبالشام إخواني وجُلُّ عَشِيرتي ... فقد جَعَلتْ نفسي إليهم تَطَلَّعُ

عَرُوضُه من الطويل . غنّى فيه دَحمان ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وفيه لَمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية حَبَش . وذكر إسحاق أنّ فيه لحناً في خفيف الثَّقيل الأوّل بالخِنصر في مجرى البِنصر مجهول الصانع . وقال أبو قطيفة أيضاً : [من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

ليت شِعْري : هَل البَلاطُ كعَهْدي ... والمُصَلَّـى إلى قصور العَقِيقِ ؟

لامَنـي في هَـواكِ يا أمَّ يحيى ... مِـن مُبِـينٍ بغِشِّه أو صَدِيقِ

عَروضه من الخفيف . غنّاه معبد ويقال دَحمان ، ولحنه ثقيلٌ أوّل بالسَّبابة في مجرى الوسطى ، وذكر إسحاق أنّه لا يُعرف صاحبه .

حدّثني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن يونس بن الوليد قال : كان ابن

---

1 البلاط : موضع بالمدينة . هو الحنتف بن السجف بن سعد بن عوف كان ديناً شريفاً ، المعارف لابن قتيبة ص212 .

الزبير قد نفى أبا قَطيفة مع من نفاه من بني أميّة عن المدينة إلى الشام ؛ فلمّا طال مُقامُه بها قال : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي هل تغيَّر بعدَنا قُباءٌ وهل زالَ العقيقُ وحاضِرُهْ ؟
وهل بَرِحَتْ بَطْحاءَ قبرِ محمدٍ أَراهِطُ غُرٌّ من قُرَيشٍ تُباكِرُهْ ؟
لهم منتهى حُبِّي وصَفْوُ مودَّتي ومَحْضُ الهَوى منِّي وللناسِ سائرُهْ

قال وقال أيضاً : [من الخفيف]

صوت من غير المائة المختارة

ليتَ شِعْرِي وأينَ مِنِّيَ لَيْتُ أعلى العَهْد يَلْبَنٌ فَبَرامُ[1]
أم كعَهْدِي العَقيقُ أم غَيَّرتْهُ بَعْدِيَ الحادثاتُ والأيّامُ ؟
وبأهلي بُدِّلْتُ عَكّاً ولَخماً وجُذاماً ، وأينَ منِّي جُذامُ !
وتبدَّلْتُ مِنْ مساكنِ قَوْمِي والقُصُورِ التي بها الآطامُ ،
كلَّ قَصْرٍ مُشَيَّدٍ ذي أَواسٍ يتغنَّى على ذُراهُ الحَمامُ
إقْرَ مِنِّي السَّلامَ إن جئتَ قومِي وقليلٌ لهمْ لَدَيّ السلامُ

عَروضُه من الخفيفِ ، غنَّاه مَعبد ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصر في مجرى البِنصر . و«يَلْبَنُ» و«بَرامُ» : موضعان . والآطامُ : جمع أطُم ، وهي القُصور والحصون . وقال الأصمعيّ : الآطام : الدُّور المسطّحة السقوف . وفي رواية ابن عمار : «ذي أَواشٍ» بالشين معجمة ؛ كأنّه أراد به أنّ هذه القصور مَوشِيَّةٌ أي منقوشة . ورواه إسحاق : «أواسٍ» بالسين غيرَ معجمة ، وقال : واحدها آسِيٌّ ، وهو الأصل . قال ويقال : فلانٌ في آسِيِّه ، أي في أصله . والآسيّ والأساس واحد . وذُرى كلِّ شيء : أعاليه ، وهو جمعٌ ، واحدته ذِرْوة . ويروى : «أَبْلِغَنَّ السَّلامَ إن جئتَ قَوْمي» .

وروى الزبير بن بكّار هذه الأبيات لأبي قطيفة ، وزاد فيها : [من الخفيف]

أَقْطَعُ الليلَ كلَّه باكتئابٍ وزَفِيرٍ فما أكادُ أَنامُ
نحوَ قَوْمِي إذ فرَّقَتْ بيننا الدا رُ وحادتْ عن قَصْدها الأحلامُ
خشيةً أن يُصيبَهم عَنَتُ الدّهـ ـرِ وحربٌ يَشِيبُ منها الغلامُ
فلقدْ حانَ أن يكونَ لهذا الدّ هرِ عنَّا تَباعُدٌ وانصِرامُ

1 يلبن : جبل قرب المدينة . وبرام : جبل في بلاد بني سليم عند الحرّة من ناحية البقيع .

[عفو ابن الزبير عن أبي قطيفة وعودته إلى المدينة وموته]

رجع الخبر إلى سِياقَتِه من رواية ابن عمّار . وأخبرنا بمثله من هذا الموضع الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الحِزامي ، وهو إبراهيم بن المنذر ، عن مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ قالا : إنّ ابن الزبير لمّا بلغَه شعرُ أبي قطيفة هذا قال : حَنَّ والله أبو قطيفة وعليه السلام ورحمة الله ، مَن لَقِيه فليُخبره أنّه آمنٌ فليرجع . فأخبر بذلك فانكفأ إلى المدينة راجعاً ، فلم يصل إليها حتى مات . قال ابن عمّار : فحدّثت عن المدائني أنّ امرأة من أهل المدينة تزوّجها رجل من أهل الشام ، فخرج بها إلى بلده على كُرهٍ منها ، فسمعت مُنشداً يُنشد شعرَ أبي قطيفة هذا ، فشهقت شهقةً وخرّت على وجهها ميتة ؛ هكذا ذكر ابن عمّار في خبره .

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي عن أيوب بن عباية قال قال حدّثني سعيد بن عائشة مولى آل المطّلب بن عبد مناف قال : خرجت امرأة من بني زُهْرة في خِفٍّ[1] ، فرآها رجل من بني عبد شمس من أهل الشام فأعجبته ، فسأل عنها فنُسبت له ، فخطبها إلى أهلها فزوّجوه [إيّاها] بكَرْهٍ منها ، فخرج بها إلى الشام . [وخَرَجَتْ مَخْرَجاً] ، فسمِعت متمثّلاً يقول : [من الطويل]

صوت من غير المائة المختارة

ألاَ ليتَ شعرِي هل تغيَّر بعدنا جَبُوبُ المصلَّى أم كعهدي القَرائنُ ؟[2]
وهل أَدْوُرُ حولَ البَلاط عَوامِرٌ من الحيِّ أم هل بالمدينة ساكنُ ؟
إذا بَرقَتْ نحوَ الحِجاز سحابةٌ دعا الشوقَ منِّي برقُها المتيامِنُ
فلَمْ أَتْرُكَنْها رَغْبةً عن بلادها ولكنّه ما قدَّر اللهُ كائنُ

عروضه من الطويل ، يقال : إن لمعبد فيه لحناً ، قال : فتنفَّسَتْ بينَ النساء فوقعت ميِّتة . قال أيوب : فحدَّثتُ بهذا الحديث عبد العزيز بن أبي ثابت الأعرج فقال : أتعرِفُها ؟ قلت لا . قال : هي والله عمّتي حميدةُ بنت عمر بن عبد الرحمن بن عوف .

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيدي قال حدّثنا الرياشي قال أخبرني ابن عائشة قال : لَمّا أَجلى ابن الزبير بني أميّة عن الحجاز قال أيمن بن خُرَيم الأسَدي : [من الوافر]

كأنّ بني أُميّةَ يومَ راحُوا وعُرِّيَ عن منازلهم صرارُ[3]

---

1 يقال : خرج فلان في خِف أي في جماعة قليلة من أصحابه .

2 الجبوب : الحجارة والأرض الصلبة .

3 صدار بالدال كغراب : موضع قرب المدينة ، صرار : جبل .

شَماريخُ الجبـالِ إذا تردَّتْ بزينتِهـا وجادَتْهـا القِطارُ[1]

وأخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن سَعدٍ الكُرّاني قال حدّثنا العُمَريّ عن العتبيّ قال : كتب أبو قطيفة عمرو بن الوليد بن عُقبة إلى أبيه وهو يتولّى الكوفة لعثمان بن عفّان : [من الكامل]

مَـنْ مُبْلِـغٌ عنّـي الأميرَ بأنّني أَرِقٌ بـلا داءٍ سوى الإنْعـاظِ
إن لم تُغِثْني خِفْتُ إثمَك أو أرى في الدارِ محـدوداً بزُرْقِ لِحاظِ

يعني دارَ عثمانَ التي تُقام فيها الحدود . فابتاع له جارية بالكوفة وبعث بها إليه .

أخبرني عبد الله بن محمد الرَّازي قال حدّثنا الخَرَّاز عن المدائني قال : كان أبو قطيفة من شعراء قريش ، وكان ممّن نفاه ابن الزبير مع بني أُميّة إلى الشام ، فقال في ذلك : [من الطويل]

ومـا أخرَجتْنا رَغْبـةٌ عن بلادنا ولكنّـه مـا قَـدَّر اللهُ كائـنُ
أَحِـنُّ إلى تلك الوجـوه صَبابةً كأنّي أسيرٌ في السَّلاسِلِ راهنُ

وكان يتحرَّق على المدينة ؛ فأتى عَبَّاد بن زياد ذات يوم عبد الملك فقال له : إنَّ خاله أخبره أنّ العراقَيْنِ قد فُتحا . فقال عبدُ الملك لأبي قطيفة لِما يعلمه من حُبِّه المدينة : أمَا تسمع ما يقوله عَبَّادٌ عن خاله ؟ قد طابت لك المدينة الآن . فقال أبو قطيفة : [من البسيط]

إنِّي لأَحْمَقُ مَنْ يَمْشِي على قَدَمٍ إن غَرَّني من حياتـي خالُ عَبَّادِ
أَنْشَا يقول لنا المِصْرانِ قد فُتِحا ودونَ ذلـك يـومٌ شَرُّهُ بادِي

قال : وأَذِنَ له ابنُ الزبير في الرجوع ، فرجع فمات في طريقه .

[قصر سعيد بن العاص بالعرصة]

وأمّا خبرُ القَصْر الذي تقدّم ذكرُه وبيعُه من معاويةَ ، فأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال ذكَر مُصعَب بن عمّار بن مصعب بن عُروة بن الزبير : أنّ سعيد بن العاص لمّا حضَرتْه الوفاةُ وهو في قصره هذا ، قال له ابنه عمرو : لو نزلتَ إلى المدينة ! فقال : يا بنيّ ، إنّ قومي لن يَضنُّوا عليّ بأن يحملوني على رقابِهم ساعةً من نهار ، وإذا أنا مُتُّ فآذِنْهم ، فإذا وارَيْتني فانطلق إلى معاوية فانعني له ، وانظُر في دَيني ؛ واعلم أنّه سيَعرِض عليك قضاءَه فلا تفعل ، واعرِض عليه قصري هذا ؛ فإنّي إنّما اتّخذتُه نُزهة وليس بمال .فلمّا مات آذَنَ به الناس ، فحملوه من قصره حتى دُفن بالبقيع ، ورواحل عمرو بن سعيد مُناخَةٌ ، فعزَّاه الناس على قبره وودّعوه ، فكان هو أوّل من نعاه لمعاوية ؛ فتوجَّع له وترحَّم عليه ، ثم قال : هل ترك دَيناً ؟ قال نعم .[قال : كم هو ؟

1 شماريخ الجبال : رؤوسها ، واحدها شمراخ . القطار : جمع قطر وهو المطر .

قال] ثلثمائة ألف درهم . قال : هي عليّ . قال : قد ظنَّ ذلك وأمرني ألاّ أقبله منك ، وأن أعرِض عليك بعض ماله فتبتاعه فيكونَ قضاءً دينه منه . قال : فاعرِض عليّ . قال : قصره بالعرصة . قال : قد أخذته بدَينه . قال : هو لك على أن تحملها إلى المدينة وتجعلها بالوافية . قال نعم . فحملها له إلى المدينة وفرّقها في غُرمائه ، وكان أكثرها عِداتٍ . فأتاه شابٌّ من قريش بصكٍّ فيه عشرون ألف درهم بشهادة سعيدٍ على نفسه وشهادة مولًى له عليه . فأرسل إلى المولى فأقرأه الصكّ ؛ فلمّا قرأه بكى وقال : نعم هذا خطُّه وهذه شهادتي عليه . فقال له عمرو : من أين يكون لهذا الفتى عليه عشرون ألف درهم وإنّما هو قديماً صعلوك من صعاليك قريش ؟ قال : أُخبرك عنه ، مرَّ سعيدٌ بعد عزله ، فاعترض له هذا الفتى ومشى معه حتى صار إلى منزله ، فوقف له سعيد فقال : ألكَ حاجةٌ ؟ قال : لا ، إلاّ أنّي رأيتُك تمشي وحدك فأحببتُ أن أَصِلَ جَناحَك . فقال لي : ائتني بصحيفة ، فأتيته بهذه ، فكتب له على نفسه هذا الدَّين وقال : إنّك لم تصادف عندنا شيئاً فخُذ هذا ، فإذا جاءنا شيء فأْتِنا . فقال عمرو : لا جَرَمَ واللهِ لا يأخذها إلاّ بالوافية ، أعطه إيّاها ؛ فدفع إليه عشرين ألف درهم وافية .

[جود سعيد بن العاص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الصّلتُ بن مسعود قال حدّثنا سفيان بن عيينة قال حدّثنا هارون المدائني قال : كان الرجل يأتي سعيد بن العاص يسأله فلا يكون عنده ، فيقول : ما عندي ، ولكن اكتب عليّ به ، فيكتب عليه كتاباً ، فيقول : تُرَوْني أخذتُ منه ثمن هذا ؟ لا ، ولكنه يجيء فيسألني فيَنْزو دم وجهه في وجهي فأكره ردّه . فأتاه مولًى لقريش بابن مولاه وهو غلام فقال : إنّ أبا هذا قد هلك وقد أردنا تزويجه . فقال : ما عندي ، ولكن خذ ما شئت في أمانتي . فلمّا مات سعيد بن العاص جاء الرجل إلى عمرو بن سعيد فقال : إنّي أتيتُ أباك بابن فلان ، وأخبره بالقصّة . فقال له عمرو : فكم أخذتَ ؟ قال : عشرة آلاف . فأقبل عمرو على القوم فقال : مَن رأى أعجز من هذا ! يقول له سعيدٌ : خُذ ما شئت في أمانتي فيأخذ عشرة آلاف ! لو أخذت مائة ألفٍ لأدّيتُها عنك .

[أبو قطيفة يفتخر بنسبه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العمريّ عن ابن الكلبي قال : قال أبو القطيفة ، وكانت أُمُّه وأُمُّ خالد بن الوليد بن عقبة عَمَّة أروَى بنت أبي عَقِيل بن مسعود بن عامر بن مُعَتِّب : [من الوافر]

أنا ابن أبي مُعَيْطٍ حين أُنْمَى ... لأَكْرَمِ ضِئْضِىءٍ وأعزِّ جِيلِ[1]

1 الضئضىء : الأصل والمعدن .

وأُنْمَـى للعَقائـل مـن قُصَيٍّ ومَخْزُومٍ فمـا أنـا بالضَّئيلِ
وأَرْوَى من كُرَيْزٍ قـد نَمتْنِي وأَروَى الخيرِ بنتُ أبي عَقِيلِ
كِلاَ الحَيَّيْن مـن هـذا وهذا لعمرُ أبيك في الشَّرَفِ الطويلِ
فعـدِّدْ مثلهـن أبـا ذُبابٍ ليَعْلَمَ مـا تقولُ ذوو العقولِ
فمـا الزَّرْقاءُ لي أُمّاً فأَخْزى ولا لِـيَ في الأَزارِقِ مِنْ سبيلِ

قال : يَعنِي بأبي الذُّبابِ عبدَ الملك . والزرقاء : إحدى أمهاتِه من كندَةَ ، وكان يُعَيَّرُ بها .

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني محمد بن زكريا قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المحرِز قال حدّثنا المدائني قال : بلغ أبا قطيفة أنّ عبد الملك بن مروان يتنقَّصُه ، فقال : [من الطويل]

نُبِّئْتُ أنّ ابـنَ العَمَلَّس عابَنـي ومَنْ ذا من الناس البَرِيءُ المسلَّمُ ؟
مَنَ آنتم مَـنَ آنتمُ خبِّرونا مَنَ انتُم فقد جَعَلتْ أشياء تبدو وتُكْتَم !

فبلغ ذلك عبدَ الملك فقال : ما ظننت أنّا نُجْهَل ، والله لولا رِعايتي لحُرمته لألحقتُه بما يعلم ، ولقطَّعتُ جلده بالسِّياط .

[شعر أبي قطيفة في امرأته بعد طلاقها]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن العُتبيّ قال : طلَّق أبو قطيفة امرأته ، فتزوّجها رجلٌ من أهل العراق ، ثم ندِم بعد أن رحَل بها الرجل وصارت له ، فقال : [من الوافر]

فيـا أَسَفـا لفُرْقـة أُمّ عمرٍو ورِحْلةِ أهلِهـا نحـوَ العِراقِ
فليس إلى زيارتهـا سبيـلٌ ولا حتّـى القيامـةِ من تَلاقِي
وعَـلَّ اللهَ يَرْجِعُهـا إلينـا بموتٍ مـن حَليـلٍ أو طلاقِ
فأَرْجِعَ شامتاً وتَقَـرَّ عيني ويُجْمـعَ شملُنا بعـدَ افتراقِ

[مقتل سعيد بن عثمان بالمدينة]

أخبرني عمّي ومحمد بن جعفر قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن أبي حَسَّان عن هشام بن محمد عن خالد بن سعيد عن أبيه قال : استعمل معاوية سعيد بن عثمان على خراسان ، فلمّا عزله قدِم المدينة بمالٍ وسلاحٍ وثلاثين عبداً من السُّغْد ، فأمرهم أن يَبْنُوا له داراً . فبينا هو جالسٌ فيها ومعه ابن سَيْحانَ وابنُ زِينَةَ وخالدُ بن عُقْبة وأبو قَطِيفة إذ تآمروا بينهم فقتلوه ؛ فقال أبو قطيفة يرثيه ، وقيل إنّها لخالد بن عُقْبة : [من البسيط]

يا عينُ جُودي بدمعٍ منكِ تَهْتانا وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عفّانا
إن ابنَ زِينَـةَ لم تَصْدُقْ مودّتُه وفـرّ عنـه ابنُ أَرْطاةَ بنِ سَيْحانا

[4] ـ ذكر معبد وبعض أخباره

هو مَعْبَدُ بن وَهْب ، وقيل ابن قطنيّ مَولى ابن قطر ، وقيل ابن قَطَن مولى العاص بن وابِصَةَ المخزومي ، وقيل بل مولى معاوية بن أبي سفيان .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري قال : معبدٌ المغنّي ابن وهب مولى عبد الرحمن بن قطر .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال ابن الكلبيّ : معبدٌ مولى ابن قطر ، والقطريون موالي معاوية بن أبي سفيان .

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غسّان قال : معبد بن وهب مولى ابن قَطَن وهم موالي آل وابصة من بني مخزوم ، وكان أبوه أسود وكان هو خِلاسيّاً مديد القامة أَحْوَل .

وذكر ابن خُرْداذبِهْ أنّه غنّى في أوّل دولة بني أُميّة ، وأدرك دولة ولد العباس ، وقد أصابه الفالِج وارتعش وبطَل ، فكان إذا غنّى يُضْحَك منه ويُهزأ به . وابن خُرْدَاذْبِه قليلُ التصحيح لما يرويه ويُضمِّنه كتبَه . والصحيح أنّ معبداً مات في أيّام الوليد بن يزيد بدمشق وهو عنده . وقد قيل : إنّه كان أصابه الفالج قبل موته وارتعش وبطَل صوتُه . فأمّا إدراكه دولة بني العبّاس فلم يَرْوِه أحد سوى ابن خُرْداذْبِه ولا قاله ولا رَواه عن أحد ، وإنّما جاء به مُجازفةً .

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني أيُّوب بن عُمَر أبو سلَمَة المَدِينيّ قال حدّثنا عبد الله بن عِمران بن أبي فَروة قال حدّثني كَرْدَمُ بن معبد المغنّي مولى ابن قَطَنٍ قال : مات أبي وهو في عسكر الوليد بن يزيد وأنا معه ، فنظرتُ حين أُخرِجَ نعشُه إلى سَلاَّمَةِ القَسِّ ، جارية يزيد بن عبد الملك ، وقد أُضْرب الناس عنه ينظرون إليها وهي آخذة بعمود السرير ، وهي تبكي أبي وتقول : [من مجزوء الرمل]

قـد لَعَمْري بتُّ لَيْلي ... كأخـي الـدّاءِ الوَجيعِ
ونَجِـيُّ الهَـمِّ منِّـي ... بات أدنى من ضَجِيعِي
كلَّمـا أبصرتُ ربعـاً ... خالياً فاضتْ دموعي
قـد خَـلا من سَيِّدٍ كا ... ن لنـا غيـرَ مُضِيـعِ
لا تَلُمْنـا إن خَشَعْنا ... أو هَمَمْنـا بخُشُوعِ

قال كَرْدَم : وكان يزيدُ أمَر أبي أن يعلِّمها هذا الصوت ، فعلَّمها إيّاه فندبَتْه به يومئذٍ . قال :

فلقد رأيتُ الوليدَ بن يزيدَ والغَمْرَ أخاه متجرِّدَيْنِ في قميصين ورِداءين يمشيان بين يديْ سريره حتى أُخرِجَ من دار الوليد ؛ لأنّه تولّى أمرَه وأخرجَه من داره إلى موضع قبره .

فأمّا نسبةُ هذا الصوت ، فإنّ الشعرَ للأحوص ، والغِناء لمَعبد ، ذكره يونس ولم يُجَنِّسه . وذكر الهشاميّ أنّه ثاني ثَقيلٍ بالوسطى ، قال : وفيه لَحبابة خفيفُ ثقيل ، ولابن المَكّي ثقيلٌ أوّلُ نشيد . وفيه لسلاّمة القسِّ عن إسحاق لَحْنٌ من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مجراها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبيدة : ذكرَ مولًى لآل الزبير ، وكان منقطِعاً إلى جعفرٍ ومحمد ابني سليمان بن عليّ : أنّ معبداً عاش حتى كَبِر وانقطع صوتُه ، فدعاه رجلٌ من ولد عثمان ، فلمّا غنّى الشيخُ لم يطرب القوم ، وكان فيهم فتيان نُزُولٌ[1] من ولد أَسِيد بن أبي العِيص بن أميّة ، فضحكوا منه وهزئُوا به ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

فضَحْتم قريشاً بالفِرار وأنتمُ قُمدونَ سُودانٌ عِظامُ المناكِبِ
فأمّا القتــالُ لا قتــالَ لديكم ولكنَّ سيراً في عِراضِ المَواكِبِ

وهذا شعرٌ هُجوا به قديماً ، فقاموا إليه ليتناولوه ؛ فمنعهم العثمانيّ من ذلك وقال : ضَحِكتُم منه حتى إذا أَحْفَظْتُموه أردتُم أن تتناولوه ، لا واللهِ لا يكونُ ذلك . قال إسحاق : فحدّثني ابن سَلاّم قال أخبرني من رآه على هذه الحالِ فقال له : أصِرْتَ إلى ما أرى ؟ فأشار إلى حَلْقِه وقال : إنّما كان هذا ؛ فلمّا ذهب ذهب كلُّ شيء .

[اعتراف المغنين لمعبد بالتفوّق]

قال إسحاق : كان معبد من أحسن الناس غِناء ، وأجودِهم صنعة ، وأحسنهم حَلْقاً ؛ وهو فحل المغنّين وإمامُ أهلِ المدينة في الغِناء ، وأخذ عن سائب خاثرٍ ، ونشيطٍ مولى عبد الله بن جعفر ، وعن جميلة مولاة بهزٍ ، (بَطْنٍ من سُلَيْم) ، وكان زوجُها مولًى لبني الحارث بن الخزرج ؛ فقيل لها مولاة الأنصار لذلك . وفي معبد يقول الشاعر : [من الطويل]

أجــاد طُوَيْسٌ والسُّرَيجيُّ بعــدَه ومــا قَصَبــاتُ السَّبْقِ إلاّ لمَعْبَدِ

قال إسحاق قال ابن الكلبيّ عن أبيه : كان ابن أبي عتيق خرج إلى مكّة فجاء معه ابن سريج إلى المدينة ، فأسمعوه غناء معبد وهو غلام ، وذلك في أيّام مُسْلم بن عُقبة المُرِّيّ ، وقالوا : ما تقولُ فيه ؟ فقال : إن عاش كان مُغَنِّيّ بلاده . ولمَعبدٍ صنعةٌ لم يسبقه إليها من تقدّم ، ولا زاد عليه

1 هذه الكلمة ساقطة من ل .

2 الشعر لخالد بن الحارث المخزومي كما في الخزانة 1 : 453 .

فيها مَن تأخّر . وكانت صناعته التجارة في أكثر أيّام رِقّه ، وربّما رعى الغنم لمواليه ، وهو مع ذلك يختلف إلى نشيطٍ الفارسيّ وسائب خاثرٍ مولى عبد الله بن جعفر ، حتى اشتهر بالحِذق وحسن الغناء وطِيبِ الصَّوْتِ . وصنعَ الألحان فأجاد واعتُرف له بالتقدّم على أهل عصره .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : قال الجُمَحِيّ : بلغني أنّ معبداً قال : والله لقد صنعت ألحاناً لا يقدر شبعان ممتلىء ولا سَقَّاءٍ يحمِل قربةً على الترنُّم بها ، ولقد صنعتُ ألحاناً لا يقدِر المتَّكىءُ أن يترنَّم بها حتى يقعد مستوفِزاً[1] ، ولا القاعد حتى يقوم .

قال إسحاق : وبلغني أنّ معبداً أتى ابن سريج ، وابن سريج لا يعرفه ، فسمع منه ما شاء ، ثم عرض نفسه عليه وغنّاه وقال له : كيف كنتَ تسمَع جُعِلْتُ فداءكَ ؟ فقال له : لو شئت كنت قد كُفِيتَ بنفسك الطلب من غيرك . قال : وسمِعتُ مَنْ لا أُحْصِي من أهل العلم بالغِناء يقولون : لم يكن فيمن غنَّى أحدٌ أعلمُ بالغناء من معبد . قال : وحدّثني أيُّوب بن عباية قال : دخلت على الحسن بن مسلم أبي العراقيب وعنده جاريته عاتكة ، فتحدّث فذكرَ معبداً فقال : أدركتُه يلبَس ثوبين مُمشَّقين[2] ، وكان إذا غنَّى عَلا مَنْخَراه . فقالت عاتكة : يا سيّدي أوَ أدركتَ معبداً ؟ قال : إي واللهِ وأَقْدَمَ من معبد . فقالت : استحييتُ لك من هذا الكبر .

[تفوق معبد في صناعة الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حمّاد : قرأت على أبي أخبرني محمد بن سَلاَّم قال حدّثني جرير قال : قال معبد : قَدِمتُ مكّة فقيل لي : إنّ ابن صفوان قد سبق بين المغنِّين جائزة ، فأتيتُ بابه فطلبتُ الدخول ؛ فقال لي آذنه : قد تقدّم إليّ ألاّ آذَنَ لأحدٍ عليه ولا أُؤْذِنَه به . قال فقلت : دَعني أَدنو من الباب فأُغنِّي صوتاً . قال : أمّا هذا فنعَم . فدنوت من الباب ، فغنّيت [صوتاً] ، فقالوا : مَعْبَد ! وفتحوا لي ، فأخذتُ الجائزة يومئذٍ .

أخبرني الحسين قال نسخت من كتاب حَمَّاد : قال أبي : وذكر عَوْرَكٌ ، وهو الحسن بن عُتْبة اللَّهَبيّ ، أنّ الوليد بن يزيد كان يقول : ما أقدِرُ على الحجّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال : يستقبلني أهلُ المدينة بصوتَيْ معبد : [من البسيط]

القصر فالنخلُ فالجَمَّاءُ بينهما

و«قُتَيْلةَ» يعني حنَه : [من الخفيف]

1 قِعدة المستوفز : هي قعدة الجالس كأنّه يريد القيام .

2 مصبوغين بالمشق : أي بالمغرة وهي صبغ أحمر .

يوم تُبْدِي لنا قُتَيْلَةُ عن جِيـ ـدٍ تلِيـعٍ تَزِينُـه الأَطْواقُ[1]

قال إسحاق : قيل لمعبد : كيف تصنع إذا أردت أن تصوغَ الغناء ؟ قال : أرتحِل قعودي وأُوقع بالقضيب على رَحلي وأترنَّم عليه بالشِّعر حتى يستوي لي الصوتُ . فقيل له : ما أَبْيَنَ ذلك في غنائك !

قال إسحاق : وقال مصعب الزبيري قال يحيى بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير حدّثني أبي قال : قال معبد : كنت غلاماً مملوكاً لآل قَطَن مولى بني مخزوم ، وكنت أتلقَّى الغنم بظَهر الحرّة ، وكانوا تِجاراً أُعالج لهم التجارة في ذلك ، فآتي صخرة بالحرّة مُلقاة بالليل فأستند إليها ، فأسمع وأنا نائم صوتاً يجري في مسامعي ، فأقوم من النوم فأحكيه ؛ فهذا كان مبدأ غنائي .

[اعتراف مالك بن أبي السمح لمعبد بالتفوّق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال : نسختُ من كتاب حمّاد : قال أبي قال محمد بن سعيد الدَّوْسي عن أبيه ومحمد بن يزيد عن سعيد الدوسيّ عن الربيع بن أبي الهيثم قال : كنّا جُلوساً مع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فقال إنسانٌ لمالك : أَنْشُدك الله ، أنت أحسن غناءً أم معبدٌ ؟ فقال مالك : واللهِ ما بلغتُ شِراكَه قطّ ، والله لو لم يُغنِّ معبدٌ إلاّ قوله : [من الطويل]

لعَمْـرُ أبيهـا لا تقـولُ حَلِيلَتي ألا فَرَّ عَنِّي مالكُ بن أبي كَعْبِ
وهُمْ يضرِبون الكَبْشَ تبرُقُ بَيضُه تَرى حَوْلَه الأبطالَ في حَلَقٍ شُهْبِ[2]

لكان حَسْبَه ! قال : وكان مالك إذا غنّى غِناءَ معبدٍ يُخَفِّفُ منه ، ثم يقول : أطال الشعرَ معبدٌ ومطَّطَه ، وحذفتُه أنا . وتمام هذا الصوت : [من الطويل]

صوت من غير المائة المختارة

لعمر أبيهـا لا تقـول حليلتـي ألا فَـرَّ عنِّي مالكُ بن أبي كعبِ
وهمْ يضربون الكبشَ تَبرُقُ بيضُه تَرى حولَه الأبطالَ في حَلَق شُهْبِ
إذا أَنْفَدُوا الزِّقَّ الرَّويَّ وصُرِّعُوا نَشاوى فلم أَقْطَعْ بقولي لهم حَسْبِي
بَعثـتُ إلى حانُوتهـا فَسبَأْتُها بغير مِكاسٍ في السُّوام ولا غَصْبِ[3]

عَرُوضُه من الطويل . والشعر لمالك بن أبي كَعب بن القَين الخَزرجيّ أحد بني سَلمة . هكذا ذكر إسحاق ، وغيره يذكُر أنّه من مُرادٍ . ولهذا الشعر خبرٌ طويل يُذكر بعد هذا .

1 الشعر للأعشى ، والتليع : الطويل .
2 الكبش : سيد القوم وقائدهم .
3 سبأ الخمر : اشتراها . والسوام (بالضم) كالسوم .

والغناء في البيتين الأوّلين لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، ومن الناس مَن ينسبه إلى ابن سُرَيج . ولمالك في الثالث والرابع من الأبيات لَحْنٌ من الثقيل الأوّل بالسَّبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، ومن الناس من ينسُب هذا اللحن إلى معبد ويقول : إنّ مالكاً أخذ لحنَه فيه فحذَف بعضَ نغَمه وانتحله ، وإن اللحن لمعبد في الأبيات الأربعة . وقد ذُكِر أنّ هذا الشعر لرجل من مُرادٍ ، ورُوي له فيه حديثٌ طويل . وقد أُخرج خبرُه في ذلك وخبرُ مالك بن أبي كعب الخزرجيّ أبي كعب بن مالك صاحب رسول الله ﷺ وآله في موضع آخر أُفرِد له ؛ إذ كانت له أخبارٌ كثيرة ، ولأجله لا تصلُح أن تُذكر هاهنا .

[معبد وابن محرز]

رجع الخبر إلى معبد ؛ أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان عن يونس الكاتب قال : أقبلتُ من عند معبد ، فلَقيني ابن مُحْرِز ببُطحان[1] ، فقال : من أين أقبلتَ ؟ قلتُ : من عند أبي عَبّاد . فقال : ما أخذتَ عنه ؟ قلت : غنّى صوتاً فأخذته . قال : وما هو ؟ قلت : [من الكامل]

ماذا تأمَّـلَ واقـفٌ جَمَلاً في رَبْـعِ دارٍ عابَـه قِدَمُهْ

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد ، فقال لي : ادخُلْ معي دار ابنِ هَرْمَةَ وأَلْقِه عليّ ، فدخلتُ معه ، فما زلتُ أرَدِّده عليه حتى غنّاه ، ثم قال : ارجع معي إلى أبي عبّاد ، فرجعنا فسمِعه منه ، ثم لم نفترِق حتى صنع فيه ابن مُحرز لحناً آخر .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

ماذا تأمّـل واقـفٌ جَمَلاً في رَبْع دارٍ عابَـه قِدَمُهْ
أَقْوى وأَقْفَرَ غيرَ مُنتصِبٍ لِبَدِ الرَّمادَةِ ناصعٍ حُمَمُهْ

غنّاه معبدٌ ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبّابة في مجرى الوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى يُنسب إلى الغَريض وإلى ابن مُحْرِز . وذكر عمرو بنُ بانَة أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لمالكٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه رَمْلٌ بالوسطى يُنسَب إلى سائِبِ خاثِرٍ ، وذكر حبشٌ أنّه لإسحاق .

[ارتداد ابن سريج والغريض عن المدينة بعد سماعهما صوت معبد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمّاد : قال أبي قال ابن الكَلْبيّ : قدِم ابنُ

1 بطحان : (مع اختلاف في ضبطه) أحد أودية المدينة الثلاثة ، وهي العقيق وبطحان وقناة .

سُرَيج والغَريضُ المدينة يتعرَّضان لمعروفِ أهلها ، ويزوران مَن بها من صَديقهما من قريشٍ وغيرهم . فلمّا شارفاها تقدّما ثَقَلَهما ليَرْتادا منزلاً ، حتى إذا كانا بالمَغْسِلَة ، وهي جبّانةٌ على طَرَف المدينة يُغْسَل فيها الثياب ، إذا هما بغلامٍ مُلتحِفٍ بإزارٍ وطَرَفُه على رأسه ، بيده حِبالَة يَتصيَّد بها الطيرَ وهو يتغنّى ويقول : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّـاء بينهمـا أَشهَى إلى النفسِ من أبواب جَيْرونِ

وإذا الغلام مَعْبَد . قال : فلمّا سمِع ابنُ سُرَيج والغَريضُ معبداً مالا إليه واستعاداه الصوتَ فأعاده ، فسمِعا شيئاً لم يَسْمَعا بمثله قطُّ . فأقبل أحدُهما على صاحبه فقال : هل سمعتَ كاليوم قَطُّ ؟ قال : لا والله ! فما رأيُك ؟ قال ابنُ سُرَيج : هذا غناءُ غلامٍ يَصيدُ الطير ، فكيف بمَنْ في الجوبَة[1] ! يعني المدينة . قال : أمّا أنا فَثكِلَتْه والدتُه إن لم أرجعْ . قال : فكَرّا راجعين .

[قدوم معبد مكّة ومشاهدة الغريض]

قال : وقال معبد : قدِمت مكّةَ ، فذهب بي بعضُ القُرشيِّين إلى الغريض ، فدخلنا عليه وهو متصبِّح[2] ، فانتبه من صُبْحَتِه وقعَد ، فسلَّم عليه القرشيّ ، وسأله فقال له : هذا معبدٌ قد أتيتُك به ، وأنا أُحِبُّ أن تسمع منه . قال : هاتِ ، فغنَّيتُه أصواتـاً . فقـال بمِدْرًى[3] معه في رأسه ، ثم قال : إنّك يا معبدُ لَمليح الغناء . قال : فأحفظَني ذلك ، فجَثَوتُ على رُكبتيّ ، ثم غنَّيتُه من صَنْعتِي عشرين صوتاً لم يُسْمَع بمثلِها قطُّ ، وهو مُطْرِقٌ واجِمٌ قد تغيَّر لونُه حسَداً وخجلاً .

[بين معبد وحكم الوادي]

قال إسحاق : وأُخْبِرتُ عن حَكَمٍ الوادي قال : كنت أنا وجماعةٌ من المغنّين نَختلِفُ إلى معبد نأخذُ عنه ونتعلّمُ منه ، فغنّانا يوماً صوتاً من صنعته وأُعجِبَ به ، وهو : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما

فاستحْسَنَّاه وعَجِبْنا منه . وكنتُ في ذلك اليوم أوّلَ من أخَذه عنه واستحسنه منّي فأَعجَبَتْني نفسي . فلمّا انصرفتُ من عندِ معبد عمِلتُ فيه لَحناً آخر وبكَّرْتُ على معبد مع أصحابي وأنا مُعجَبٌ بلَحني . فلمّا تغنَّينا أصواتاً قلتُ له : إنّي قد عمِلت بعدَك في الشعر الذي غنَّيْتَناه لَحْناً ، واندفعتُ فغنّيته صوتي ؛ فوَجَم معبدٌ ساعةً يتعجَّب منّي ثم قال : قد كنتُ أمس أرجي منّـي لك اليـومَ ، وأنـت اليوم عندي أبعـدُ من الفَلاح . قال حَكَمٌ : فأُنْسِيت ، يعلم الله ، صوتي ذلك منذُ تلك الساعة فما ذكرتُه إلى وقتي هذا .

---

1 لعلّها الحومة .

2 التصبّح : النوم بالغداة .

3 المدرى : المشط .

[معبد والأسود]

قال إسحاق : وقال معبد : بَعث إليّ بعضُ أُمراء الحجاز ، وقد كان جُمِعَ له الحَرَمان ، أن آشخَصْ إلى مكّة ، فشخَصْتُ . قال : فتقدّمت غُلامي في بعض تلك الأيّام ، واشتدّ عليَّ الحرُّ والعطشُ ، فانتهيتُ إلى خِباء فيه أَسْوَدُ وإذا حِبابُ[1] ماء قد بُرِّدَت ، فملتُ إليه فقلت : يا هذا ، اسقِني من هذا الماء . فقال لا . فقلتُ : فأْذَنْ لي في الكِنِّ[2] ساعةً . قال لا . فأَنَخْتُ ناقتي ولجأْتُ إلى ظِلِّها فاستترتُ به ، وقلت : لو أحدثتُ لهذا الأمير شيئاً من الغناء أَقْدَمُ به عليه ، ولعلِّي إن حَرَّكْت لساني أن يَبُلَّ حَلْقي رِيقي فيُخفِّف عنِّي بعض ما أَجدُه من العطش ! فترنَّمت بصوتي : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما

فلمّا سَمِعَني الأسودُ ، ما شعرتُ به إلاّ وقد احتملني حتى أدخلَني خِباءه ، ثم قال : أَي ، بأبي أنت وأمّي ! هل لك في سَويق السُّلتِ[3] بهذا الماء البارد ؟ فقلت : قد منعتني أقلَّ من ذلك ، وشَرْبَة ماءٍ تُجزئُني . قال : فسقاني حتى رَوِيتُ ، وجاء الغلام فأقمت عنده إلى وقت الرواح . فلمّا أردتُ الرِّحلة قال : أَي ، بأبي أنت وأمّي ! الحرُّ شديدٌ ولا آمن عليك مثل الذي أصابك ، فأْذَن لي [في] أن أحمِل معك قِربةً من ماءٍ على عُنُقي وأسعى بها معك ، فكلَّما عطِشتَ سَقَيتُك صَحْناً وغنَّيتَني صوتاً ! قال : قلت ذاك لك . فوالله ما فارَقَني يَسقيني وأُغَنِّيه حتى بلغت المنزل .

[معبد وابن سريج يلتقيان ببطن مرّ]

نسختُ من كتاب جعفر بن قُدامة بخطِّه : حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير عن جرير قال : كان معبد خارجاً إلى مكّة في بعض أَسفاره ، فسمع في طريقه غِناء في «بَطن مَرٍّ»[4] فقصد الموضع ، فإذا رجلٌ جالسٌ على حرف بركةٍ فارِقٌ شعره حسنُ الوجه ، عليه دُرَّاعة قد صبغها بزعفران ، وإذا هو يتغنّى : [من الخفيف]

صوت

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أَنابا ... وَدَعا الهَمَّ شَجْوُه فأَجابا

ذاكَ مِنْ منزلٍ لسلمى خَلاءٍ ... لابِسٍ من خَلائِه جِلبابا

---

1 جمع حُبّ وهو الجَرّة .

2 الكِنّ : ما وقاك من حرّ أو برد .

3 السُّلت : شعير لا قشر له .

4 بطن مرّ : موضع على مرحلة من مكّة ويقال له : «مرّ الظهران» .

عُجْتُ فيه وقلتُ للرَّكْبِ عُوجُوا طَمَعاً أن يَرُدّ ربعٌ جوابا
فاستَثارَ المنسيَّ من لَوْعة الحـ ـبّ وأَبدى الهمومَ والأَوْصابا

فقرع معبدٌ بعصاه وغنّى : [من الكامل]

منعَ الحياةَ من الرجالِ ونَفْعَها حَدَقٌ تُقَلِّبُها النساءُ مِراضُ
وكأنَّ أفئدةَ الرجالِ إذا رأَوْا حَدَقَ النساءِ لنَبْلِها أَغْراضُ

فقال له ابن سُرَيج : بالله أنت معبد ؟ قال : نعم ، [فسألته] وبالله أنت ابنُ سُرَيج ؟ قال : نعم ، ووالله لو عرفتك ما غنّيت بين يديك .

نسبة هذين الصوتين وأخبارهما

صوت

[من الخفيف]

حَنَّ قلبي من بعد ما قد أنابا ودعا الهمَّ شَجْوُه فأجابا
فاستثار المنسيَّ من لوعة الحـ ـبِّ وأَبْدى الهمومَ والأوصابا
ذاك من منزلٍ لسلمى خَلاءٍ مُكْتَسٍ من عَفائه جِلْبابا
عُجْتُ فيه وقلت للرَّكْب عُوجُوا طمعاً أن يَرُدَّ رَبْعٌ جوابا
ثانياً من زِمامِ وَجْناءَ عَنْسٍ قانِياً لونُها يُخال خِضابا
جَدُّها الفالِجُ الأَشَمُّ من البُخْـ ـتِ وخالاتُها انتُخِبْنَ عِرابا[1]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُريج ، وله فيه لحنان : رَمَلٌ بالسَّبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو .

صوت

[من الكامل]

منَع الحياةَ من الرجال ونَفْعَها حَدَقٌ تُقلِّبها النساءُ مِراضُ
وكأنَّ أفئدةَ الرجال إذا رأَوْا حَدَقَ النساء لنَبلِها أغراضُ

الشعر للفرزدق ، والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ .

[رحلة معبد إلى الأهواز]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سِياطٍ قال حدّثني يونس الكاتب قال : كان معبد قد علَّم جاريةً من جواري الحجاز الغِناء ، تُدعَى ظبية ،

1 الفالج : جمل بختي (ذو سنامين) ضخم . والعراب : من أصل عربي .

وعُني بتخريجها ، فاشتراها رجلٌ من أهل العراق فأخرجها إلى البصرة وباعها هناك ، فاشتراها رجل من أهل الأهواز ، فأُعجب بها وذهبَت به كلّ مذهب وغلبَت عليه ، ثم ماتت بعد أن أقامت عنده بُرهةً من الزمان وأخذ جواريه أكثر غنائها عنها ؛ فكان لمحبَّته إيّاها وأسفه عليها لا يزالُ يسأل عن أخبار معبدٍ وأين مستقرُّه ، ويُظهر التعصُّب له والميل إليه والتقديم لغنائه على سائر أغاني أهل عصرِه إلى أن عُرِف ذلك منه . وبلغ معبداً خبره ، فخرج من مكّة حتى أتى البصرة ، فلمّا وردها صادف الرجل قد خرج عنها في ذلك اليوم إلى الأهواز فاكترى سفينة . وجاء معبد يلتمس سفينة ينحدر فيها إلى الأهواز ، فلم يجد غير سفينة الرجل ، وليس يعرفُ أحدٌ منهما صاحبه ، فأمر الرجل المَلاّح أن يُجلسه معه في مؤخّر السفينة ففعل وانحدروا . فلمّا صاروا في فَم نهر الأبلة[1] تغدَّوْا وشربوا ، وأمر جواريه فغنَّين ، ومعبدٌ ساكتٌ وهو في ثياب السفر ، وعليه فَرْوٌ وخُفّان غليظان وزيٌّ جافٍ من زِيّ أهل الحجاز ، إلى أن غنَّت إحدى الجواري : [من البسيط]

صوت

بانت سُعادُ وأمسى حبلُها انصَرَما ... واحتَلَّت الغَوْرَ فالأَجْراعَ من إضما[2]

إحدى بَليٍّ ومـا هام الفؤادُ بها ... إلاَّ السِّفاهَ وإلاَّ ذُكـرَةً حُلُما

قال حمّاد : والشعر للنابغة الذبياني ، والغناء لمعبد ، خفيفُ ثقيل أوّل بالبِنصر ، وفيه لغيره ألحانٌ قديمة ومُحدثة ، فلم تُجِد أداءه ، فصاح بها معبد : يا جارية ، إنّ غناءك هذا ليس بمستقيم . قال : فقال له مولاها وقد غضِب : وأنت ما يُدرِيك الغناء ما هو ؟ ألا تُمسِكُ وتَلزَم شأنك ! فأمسك ، ثم غنَّت أصواتاً من غناء غيره وهو ساكتٌ لا يتكلّم ، حتى غنَّت : [من المديد]

صوت

بـا ابنةِ الأَزْدِيّ قَلْبي كَئِيبُ ... مُسْتَهـامٌ عندهـا مـا يُنيبُ

ولقـد لامـوا فقلتُ دَعُوني ... إنّ مَـنْ تَنْهَوْنَ عنـه حَبِيبُ

إنّمـا أَبْلَى عِظامِي وجِسْمي ... حُبُّهـا والحبُّ شيءٌ عَجِيبُ

أيُّها العائبُ عِنـدي هَواها ... أنتَ تَفْدِي مَـن أراكَ تَعِيبُ[3]

والشعر لعبد الرحمن بن أبي بكر ، والغناء لَمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالسَّبّابة في مَجْرى البِنْصر ، قال :

---

1 الأُبُلَّة : بلدة على شاطىء دجلة في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة .

2 الأجراع : الرمال الطيبة . إضم : الوادي الذي تقع فيه المدينة المنوّرة .

3 مَنْ لعلّ صوابها «الذي» .

فأخلَّتْ ببعضه ، فقال لها مَعْبدٌ : يا جاريةُ ، لقد أخللتِ بهذا الصوت إخلالاً شديداً . فَغضِبَ الرجلُ وقال له : ويلَك ! ما أنت والغناءُ ! ألا تَكُفُّ عن هذا الفُضول ؟ فأمسك . وغنَّى الجواري مَلِيّاً ، ثم غنَّتْ إحداهنّ : [من الطويل]

صوت

خَلِيلَيَّ عُوجا فأبكيا ساعةً معي ... على الرَّبْع نقضي حاجةً ونُوَدِّعِ[1]
ولا تُعْجِلاني أنْ أُلِمَّ بدِمْنَةٍ ... لِعَزَّةَ لاحتْ لي بِبَيْداءَ بَلْقَعِ
وقُولا لِقلبٍ قد سَلا : راجعِ الهوى ... وللعينِ : أَذْرِي من دموعِك أودَعي
فلا عَيْشَ إلاّ مثلُ عيشٍ مضى لنا ... مَصِيفاً أَقَمْنا فيه مِن بعد مَرْبَعِ

الشعر لكُثَيِّر ، والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ بالسبَّابة في مجرى الوسطى ، وفيه رمَلٌ للغَريض . قال : فلم تصنع فيه شيئاً . فقال لها معبد : يا هذه ، أما تَقْوَين[2] على أداء صوت واحد ؟ فغضِب الرجل وقال له : ما أراك تدَع هذا الفضول بوجهٍ ولا حيلةٍ ! وأُقسِم بالله لئن عاودتَ لأُخرجنَّك من السفينة ، فأَمْسك معبدٌ ؛ حتى إذا سكتتِ الجواري سكتةً اندفع يغنِّي الصوت الأوّل حتى فرَغ منه ، فصاح الجواري : أحسنتَ والله يا رجل ! فأعِده . فقال : لا والله ولا كرامة . ثم اندفع يغنِّي الثاني ، فقُلن لسيّدهنّ : ويحك ، هذا والله أحسن الناس غناءً ، فسَله أن يعيده علينا ولو مرّة واحدة لعلَّنا نأخذه عنه ؛ فإنّه إنْ فاتنا لم نجد مثله أبداً . فقال : قد سمعتُنَّ سوءَ ردِّه عليكنّ وأنا خائف مثله منه ، وقد أسلفناه الإساءة ، فاصبرن حتى نُداريه . ثم غنَّى الثالث . فزلزل عليهم الأرض . فوثب الرجل فخرج إليه وقبَّل رأسه وقال : يا سيّدي أخطأنا عليك ولم نعرف موضعك . فقال له : فهَبْكَ لم تعرف موضعي ؛ قد كان ينبغي لك أن تتثبّت ولا تُسرع إليّ بسوء العِشرة[3] وجفاء القول . فقال له : قد أخطأت وأنا أعتذر إليك ممّا جرى ، وأسألك أن تنزل إليّ وتختلط بي . فقال : أمّا الآن فلا . فلم يزل يرفُق به حتى نزل إليه . فقال له الرجل : ممّن أخذتَ هذا الغناء ؟ قال : من بعض أهل الحجاز ، فمِن أين أخذه جواريك ؟ فقال : أخذنَه من جارية كانت لي ابتاعها رجل من أهل البصرة من مكّة ، وكانت قد أخذت عن أبي عبّاد معبد وعُنيَ بتخريجها ، فكانت تَحُلُّ منّي محلَّ الروح من الجسد ، ثم استأثر اللهُ عزّ وجلّ بها ، وبقي هؤلاء الجواري وهنّ من تعليمها ، فأنا إلى الآن أتعصَّب لمعبد وأُفضِّله على المغنِّين جميعاً وأُفضِّل

1 ديوان كثيّر : 410 .
2 ل : تقومين .
3 ل : تسرع إلى سوء العشرة .

صنعتَه على كلِّ صنعة . فقال له معبد : أو إنكّ لأنت هو ! أفتعرفني ؟ قال لا . قال : فصَكَّ معبدٌ بيده صلعته ثم قال : فأنا والله معبدٌ ، وإليك قدمت من الحجاز ، ووافيت البصرة ساعة نزلت السفينة لأقصدك بالأهواز ، ووالله لا قصَّرتُ في جواريك هؤلاء ، ولأجعلنَّ لك في كلّ واحدة منهنّ خَلَفاً من الماضية . فأكبَّ الرجلُ والجواري على يديه ورجليه يقبِّلونها ويقولون : كتمتَنا نفسك طول هذا اليوم حتى جفَوناك في المخاطبة ، وأسأْنا عِشرتك ، وأنت سيّدنا ومَن نتمنّى على الله أن نلقاه . ثم غيَّر الرجل زِيَّه وحاله وخلع عليه عِدّة خِلَع ، وأعطاه في وقته ثلثمائة دينار وطِيباً وهدايا بمثلها ، وانحدر معه إلى الأهواز ، فأقام عنده حتى رضي حِذقَ جواريه وما أخذنه عنه ، ثم ودّعه وانصرف إلى الحجاز .

[غناء معبد للوليد بن يزيد]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف وعبد الباقي بن قانع قالا : حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ[1] قال حدّثني مهديُّ بن سابق قال حدّثني سليمان بن غزوان مولى هشام قال حدّثني عمر القاري بن عديّ قال : قال الوليد بن يزيد يوماً : لقد اشتقت إلى معبد ، فوجَّه البريد إلى المدينة فأتى بمعبد ، وأمر الوليد ببِركة قد هُيِّئت له فمُلئت بالخمر والماء ، وأُتِي بمعبد فأمر به فأُجلس والبركة بينهما ، وبينهما سِتْر قد أُرخِيَ ؛ فقال له غنِّني يا معبد : [من البسيط]

صوت

لَهْفي على فِتْية ذَلَّ الزمانُ لهمْ ... فما أصابَهُمُ إلاّ بما شاءوا
ما زال يَعْدُو عليهم رَيْبُ دَهْرِهِمُ ... حتى تَفانَوْا وريبُ الدهر عَدَّاءُ
أَبكى فِراقُهمُ عَيْنِي وأرّقها ... إنّ التفرُّق للأحباب بَكَّاءُ

الغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ ، وفيه ليحيى المكّيّ رَملٌ ، ولسليمان هزجٌ ، كلّها رواية الهشاميّ . قال : فغنّاه إيّاه ، فرفع الوليد السِّتر ونزع مُلاءةً مُطيَّبة كانت عليه وقذف نفسه في تلك البركة ، فنهل فيها نهلة ، ثم أُتي بأثوابٍ غيرها وتلقّوه بالمَجامر والطِّيب ، ثم قال غنِّني : [من الكامل]

صوت

يا رَبْعُ ما لكَ لا تُجيبُ متيَّما ... قد عاج نحوَك زائراً ومُسَلِّما
جادتْكَ كلُّ سحابةٍ هَطَّالةٍ ... حتى تُرى عن زَهْرةٍ[2] متبسِّما

1 الغلابي : أبو بكر محمد بن زكريا بن دينار الغلابيّ .
2 الزهرة : البهجة والنضارة .

الغناء لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى والخنصر عن ابن المكيّ . وفيه لعلُّوَيْه ثاني ثقيل آخر بالبنصر في مجراها عنه . قال : فغنّاه فدعا له بخمسةَ عشرَ ألفَ دينارٍ فصبَّها بين يديه ، ثم قال : انصرف إلى أهلك واكتم ما رأيت .

وأخبرني بهذا الخبر عمّي فجاء ببعض معانيه وزاد فيه ونقص ، قال : حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدّثني سليمان بن سعد[1] الحلبي قال : سمعتُ القاري بن عدِيٍّ يقول : اشتاق الوليد بن يزيد إلى معبد ، فوجَّه إليه إلى المدينة فأُحضر . وبلغ الوليد قدومه ، فأمر ببركةٍ بين يدي مجلسه فمُلئت ماء وردٍ قد خُلط بمسك وزعفران ، ثم فُرِش للوليد في داخل البيت على حافة البركة ، وبُسِط لمعبد مقابله على حافة البركة ، ليس معهما ثالثٌ ، وجيء بمعبد فرأى سِتراً مُرخىً ومجلس رجلٍ واحد . فقال له الحجّاب : يا معبد ، سلِّم على أمير المؤمنين واجلس في هذا الموضع ؛ فسلَّم فردَّ عليه الوليد السلامَ من خلف السِّتْر ، ثم قال له : حيَّاك الله يا معبد ! أتدري لِمَ وَجهتُ إليك ؟ قال : الله أعلم وأمير المؤمنين . قال : ذكرتُك فأحببتُ أن أسمع منك . قال معبد : أأُغنّي ما حضر أم ما يقترحه أمير المؤمنين ؟ قال : بل غنِّني : [من البسيط]

ما زالَ يَعْدُو عليهم ريبُ دهرِهِمُ حتى تفانَوا وريبُ الدهـر عَدّاءُ

فغنّاه ، فما فرغ منه حتى رفع الجواري السَّجْف ، ثم خرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج منها ، فاستقبله الجواري بثياب غير الثياب الأولى ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له : غنِّني يا معبد : [من الكامل]

يا رَبْعُ ما لك لا تُجِيبُ متيَّما قـد عـاج نحوَك زائراً ومسلِّما
جادتـكَ كلُّ سحابـةٍ هَطَّالةٍ حتى تُـرى عن زَهْرةٍ متبسِّما
لو كنتَ تَدْرِي مَنْ دعاك أجبتَه وبكيتَ من حُرَقٍ عليه إذاً دَما

قال : فغنّاه ، وأقبل الجواري فرفعن السِّتْرَ ، وخرج الوليد فألقى نفسه في البركة فغاص فيها ثم خرج ، فلبس ثياباً غير تلك ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم قال له : غنِّني . فقال : بماذا يا أمير المؤمنين ؟ قال غنِّني : [من مجزوء الرمل]

عَجِبَـتْ لمّـا رأتنِي أندُبُ الربـعَ المُحِيلا
واقفـاً في الدارِ أبكِي لا أرى إلاّ طلـولا
كيف تَبْكِـي لأُناسٍ لا يَمَلُّون الذَّمِيلا ؟[2]

---

1 ل : سعيد .

2 الذميل : نوع من سير الإبل .

كلّما قلتُ اطمأنّتْ دارُهم قالوا الرَّحيلا[1]

قال : فلمّا غنَّاه ألقى نفسه في البركة ثم خرج ، فردُّوا عليه ثيابه ، ثم شرب وسقى معبداً ، ثم أقبل عليه الوليد فقال له : يا معبد ، من أراد أن يزداد عند الملوك حظْوةً فليكتم أسرارهم . فقلت : ذلك ما لا يحتاج أميرُ المؤمنين إلى إيصائي به . فقال : يا غلام ، احمِلْ إلى معبدٍ عشرة آلاف دينار تُحَصّلُ له في بلده وألفَيْ دينار لنفقة طريقه ، فحُملت إليه كلُّها ، وحُمل على البريد من وقته إلى المدينة .

[معبد والشيخ الشامي]

قال إسحاق : وقال معبد : أرسلَ إليّ الوليد بن يزيد فأُشخِصتُ إليه . فبينا أنا يوماً في بعض حمّامات الشام إذ دخل عليّ رجل له هيبةٌ ومعه غِلمانٌ له ، فاطّلى واشتغل به صاحب الحمّام عن سائر الناس . فقلت : والله لئن لم أُطْلِع هذا على بعض ما عندي لأكونَنَّ بِمَزجَرِ الكلب ؛ فاستدبرتُه حيث يراني ويسمع منّي ، ثم ترنَّمت ، فالتفتَ إليّ وقال للغلمان : قدِّموا إليه جميع ما ها هنا ، فسار جميع ما كان بين يديه عندي . قال : ثم سألني أن أسير معه إلى منزله فأجبته ، فلم يدَع من البرِّ والإكرام شيئاً إلاّ فعله ، ثم وضع النبيذ ، فجعلت لا آتي بحَسَنٍ إلاّ خرجتُ إلى ما هو أحسنُ منه وهو لا يرتاح ولا يحفل لما يرى منّي . فلمّا طال عليه أمري قال : يا غلام ، شيخَنا شيخنا ، فأُنيَ بشيخ ؛ فلمّا رآه هَشَّ إليه ، فأخذ الشيخُ العود ثم اندفع يُغنّي :

سِلَّوْرُ في القِدْرِ وَيْلي عَلُوهْ جاء القِطّ أكلَهْ وَيْلي عَلُوهْ

السلَّور : السمك الجرِّي بلغة أهل الشام . قال : فجعل صاحب المنزل يُصفِّق ويضرب برِجله طرباً وسروراً . قال : ثم غنّاه : [من الوافر]

وتَرْمِينـــي حَبِيبةُ بالدُّراقِن وتَحْسَبُنِي حبيبـةُ لا أَراها

الدُّراقِن : اسم الخوخ بلغة أهل الشام . قال : فكاد أن يخرج من جلده طرباً . قال : وانسللتُ منهم فانصرفتُ ولم يَعلم بي . فما رأيت مثل ذلك اليوم قطّ غناءً أضيع ، ولا شيخاً أجهل !

[معبد وابن عائشة]

قال إسحاق : وذَكَر لي شيخٌ من أهل المدينة عن هارون بن سعد : أن ابن عائشة كان يُلقي عليه وعلى رُبَيْحة الشَّمَّاسيَّة ، فدخل معبدٌ فألقى عليهما صوتاً ، فاندفع ابن عائشة يُغنّيه وقد أخذه منه فغضب معبد وقال : أحسنتَ يا ابن عاهرة الدار ، تُفاخرني ! فقال : لا والله ، جعلني

1 قالوا في ل : صاحوا .

الله فداءك يا أبا عبَّاد ، ولكنِّي أقتبِس منك ، وما أخذته إلاّ عنك ، ثم قال : أنشُدُك الله يا ابن شَمَّاس ، هل قلت لك : قد جاء أبو عبّاد فاجمع بيني وبينه أقتبس منه ؟ قال : اللهمّ نعم .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قيل لابن عائشة ، وقد غنَّى صوتاً أحسن فيه فقال : أصبحت أحسن الناس غِناءً ، فقيل له : وكيف أصبحتَ أحسن الناس غناءً ؟ قال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذت من أبي عبَّاد أحد عشر صوتاً ، وأبو عبَّاد مُغنِّي أهل المدينة والمقدَّم فيهم !

[قدوم معبد إلى مكّة والتقاؤه بالمغنّين بها]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال حدّثني أيُّوب ابن عباية عن رجل من هُذيل قال : قال معبد : غنَّيت فأعجبني غنائي وأعجب الناس وذهب لي به صيتٌ وذِكر ، فقلت : لآتِيَنَّ مكّة فلأَسْمَعَنَّ من المغنِّين بها ولأُغَنِّيَنَّهم ولأتعرَّفَنَّ إليهم ، فابتعت حماراً فخرجت عليه إلى مكّة . فلمّا قدمتها بِعتُ حماري وسألت عن المغنِّين أين يجتمعون ؟ فقيل : بقُعَيْقِعانَ[1] في بيت فلان ؛ فجئت إلى منزله بالغَلَس فقرعت الباب ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقلت : انظر عافاك الله ، فدنا وهو يُسبِّحُ ويستعيذ كأنّه يخاف ، ففتح فقال : من أنت عافاك الله ؟ قلت : رجلٌ من أهل المدينة . قال : فما حاجتك ؟ قلت : أنا رجلٌ أشتهي الغناء ، وأزعمُ أنّي أعرف منه شيئاً ، وقد بلغني أنّ القوم يجتمعون عندك ، وقد أحببتُ أن تُنزِلني في جانب منزلك وتخلطني بهم ؛ فإنّه لا مؤونة عليك ولا عليهم منّي . فلَوى شيئاً ثم قال : انزل على بَرَكَة الله . قال : فنقلت متاعي فنزلت في جانب حُجرته . ثم جاء القوم حين أصبحوا واحداً بعد واحدٍ حتى اجتمعوا ، فأنكروني وقالوا : مَن هذا الرجل ؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة خفيفٌ يشتهي الغناء ويطربُ عليه ، ليس عليكم منه غبْنٌ ولا مكروه . فرحّبوا بي وكلّمتهم ، ثم انبسطوا وشربوا وغنَّوا ، فجعلت أُعجَبُ بغنائهم وأُظهر ذلك لهم ويُعجبهم منّي ، حتى أقمنا أيّاماً ، وأخذتُ من غنائهم وهم لا يدرون أصواتاً وأصواتاً وأصواتاً . ثم قلت لابن سريج : أي فديتك ، أَمْسِك عليّ صوتك : [من مجزوء الخفيف]

قُـلْ لهنـدٍ وتِرْبِهـا قبـلَ شَحْطِ النَّوى غَدا

قال : أَوَتُحْسِنُ شيئاً ؟ قلت : تَنظر وعسى أن أصنع شيئاً ، واندفعتُ فيه فغنَّيته ، فصاح وصاحوا وقالوا : أحسنت قاتلكَ الله ! قلتُ : فأَمْسِك عليَّ صوتَ كذا فأَمسَكوه عليّ ، فغنّيته ، فازدادوا عَجَباً وصِياحاً . فما تركت واحداً منهم إلاّ غنَّيته من غنائه أصواتاً قد تخيَّرتُها . قال :

1 قعيقعان : قرية قرب مكّة .

فصاحوا حتى عَلَت أصواتُهم وهَرفوا بي[1] وقالوا : لأنت أحسن بأَداءِ غِنائنا عنّا مِنّا . قال : قلت : فأَمْسِكوا عليّ ولا تَضحكوا بي حتى تسمعوا من غِنائي ، فأمسَكوا عليّ ؛ فغنَّيت صوتاً من غنائي فصاحوا بي ، ثم غنَّيتهم آخر وآخر فوثبوا إليّ وقالوا : نَحلِفُ بالله إنّ لك لَصِيتاً واسماً وذِكراً ، وإنّ لك فيما هاهنا لَسَهْماً عظيماً ، فمن أنت ؟ قلت : أنا معبد . فقبَّلوا رأسي وقالوا : لَفَّقتَ علينا وكنّا نتهاون بك ولا نعدُّك شيئاً وأنت أنت . فأقمت عندهم شهراً آخُذُ منهم ويأخذون منّي ، ثم انصرفت إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِهِنـدٍ وتِرْبِهـا قبلَ شَحْطِ النَّوى غَدا
إنْ تجُـودِي فطالما بِتُّ لَيْلِـي مُسهّدا
أنـتِ في وُدِّ بيننا خيرُ مـا عندَنا يدا
حينَ تُدْلِـي مُضَفَّراً حالِكَ اللَّـونِ أَسْودا

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة[2] ، والغناء لابن سُرَيج عن حمَّاد ولم يُجَنِّسه . وفيه لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وقال الهِشاميّ : فيه لابن مُحرز خفيف ثقيل بالوسطى .

ومن الثلاثة الأصوات المختارة
صوت فيه أربعة ألحان من رواية عليّ بن يحيى

[ثاني الثلاثة الأصوات المختارة]

[من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لما جَهَدْتُهُ وبَيَّـنَ لـو يَسْطِيـعُ أن يتكلَّما
لذلك أُدْنِي دونَ خَيْـلي مَكانَـهُ وأُوصي بـه ألاّ يُهـانَ ويُكرما
فقلتُ لـه : إنْ ألقَ للعين قُـرَّةً فهـان عـليّ أن تَكـلَّ وتَسْأَما

1 هرف به : غالى في مدحه .

2 ديوان عمر : 115 (ط . دار صادر ـ بيروت) 1961 .

عَدِمتُ إذاً وَفْرِي وفارقتُ مُهجتي لئن لم أَقِلْ قَرْنـاً إنِ اللهُ سَلَّما[1]

عروضه من الطويل . قولُه : «لئن لم أَقِل قَرنا» ، يعني أنّه يجدُّ في سيره حتى يقيل بهذا الموضع ، وهو قرن المنازل ، وكثيراً ما يذكره في شعره .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة[2] المخزوميّ ، والغناء في هذا اللحن المختار لابن سريج ، ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاق أيضاً ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وفيه ثقيلٌ أوّل يقال إنّه ليحيى المكّي . وفيه خفيف رملٍ يقال إنّه لأحمد بن موسى المنجِّم . وفيه للمعتضد ثاني ثقيل آخر في نهاية الجودة . وقد كان عمرو بن بانة صنع فيه لحناً فسقط لسقوط صنعته .

أخبرني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : صنع عمرو بن بانة لحناً في «تَشَكَّي الكميت الجري» فأخبرني بعض عجائزنا بذلك ، قالت ، فأردنا أن نعرضه على متيّم لنعلم ما عندها فيه ، فقلنا لبعض مَن أخذه عن عمرو : غنِّ «تشكَّى الكميتُ الجري» في اللحن الجديد ؛ فقالت متيَّمُ : أيْشِ هذا اللحنُ الجديد والكُمَيت المحدَث ؟ قلنا : لحنٌ صنعه عمرو بن بانة . فغنَّته الجارية ، فقالت متيَّم لها : اقطعي اقطعي ، حسبُكِ حسبُك هذا ! والله لحمار حُنين المكسور أشبه منه بالكميت .

1 أَقِلْ : من القيلولة ؛ وقرن : اسم موضع ، ذكره في المتن .

2 ديوان عمر : 341 .

[5] ـ ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه

[نسب عمر بن أبي ربيعة]

هو عُمَر بن عبد الله بن أبي ربيعة . واسم أبي ربيعة : حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر . وقد تقدّم باقي النسب في نسب أبي قطيفة . ويُكْنى عمر بن أبي ربيعة «أبا الخطَّاب» . وكان أبو ربيعة جدُّه يسمَّى «ذا الرُّمحين» ؛ سُمِّي بذلك لطوله ، كان يقال : كأنّه يمشي على رمحين .

أخبرني بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي ومحمد بن الضحّاك عن أبيه الضحّاك عن عثمان بن عبد الرحمن اليربوعي . وقيل : إنّه قاتلَ يوم عُكاظ برُمحين فسُمِّي «ذا الرمحين» لذلك .

وأخبرني بذلك أيضاً عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مصعب الزبيريّ والمدائنيّ والمُسيَّبيّ ومحمد بن سلاَّم ، قالوا وفيه يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى : [من الهزج]

ألاَ للهِ قـــــومٌ وَ لَدَتْ أُختُ بني سَهْمِ
هِشامٌ وأبـو عَبْـدِ مَنافٍ مِـدْرَهُ الخَصْمِ[1]
وذو الرُّمْحَين أَشْباكَ على القـوّة والحَـزْمِ[2]
فهـذان يَـــذُودانِ وذا مِـنْ كَثَبٍ يَرْمِي
أُسُودٌ تَزْدَهِي الأقـرا نَ مَنَّاعـونَ للهَضْمِ[3]
وهـم يـومَ عُكاظٍ مـ ـنعوا الناسَ مـن الهَزْمِ
وهـم مَنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا بِسرِّ الحَسَبِ الضَّخْمِ[4]
فإن أحلِفْ وبيتِ اللـ ـه لا أحلفْ على إثمِ
لَما مِـنْ إخـوَةٍ بين قصـورِ الشأم والرَّدْمِ
بأزْكى من بنـي رَيْطَـ ـةَ أو أَوْزَنَ في الحِلْمِ

1 المدره : زعيم القوم .
2 يقال أشباك بفلان كما يقال حسبك بفلان .
3 تزدهي الأقران : تستخفّ بهم .
4 يقال : أشبى فلان إذا وُلِد ولد كيِّس .

أبو عبد مَناف : الفاكِهُ بن المُغِيرة . ورَيْطة هذه التي عناها هي أُمُّ بني المُغيرة ، وهي بنت سعيد بن سعد بن سَهْم ، ولدتْ من المغيرة هِشاماً وهاشماً وأبا رَبيعة والفاكِهَ .

وأخبرني أحمدُ بن سليمان بن داود الطُّوسي والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا : حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي ثابت قال أخبرني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نَهْشَلٍ عن أبيه قال : قال لي أبو بكر بنُ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وجئتُه أطلب منه مَغْرَماً ، يا خال ، هذه أربعة آلاف درهم وأَنْشِد هذه الأبيات الأربعة وقل : سمعتُ حسّان يُنْشِدها رسول الله ﷺ . فقلت : أعوذ بالله أن أَفْتَرِيَ على الله ورسوله ، ولكن إن شئتَ أن أقول : سمعتُ عائشة تُنشِدها فعلتُ . فقال : لا ، إلاّ أن تقول : سمعت حسّان يُنشدها رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ جالسٌ ، فأبى عليّ وأَبَيْتُ عليه ، فأَقَمنا لذلك لا نتكلّم عِدّة ليالٍ . فأرسل إليّ فقال : قل أبياتاً تمدح بها هشاماً ، يعني ابن المغيرة ، وبني أميّة . فقلت : سَمِّهم لي ، فسمَّاهم وقال : اجعلها في عكاظ واجعلها لأبيك . فقلت : [من الهزج]

ألا لله قـــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سَهْمِ

. . . الأبيات . قال : ثم جئتُ فقلتُ : هذه قالها أبي . فقال : لا ، ولكن قل : قالها ابن الزِّبَعْرى . قال : فهي إلى الآن منسوبةٌ في كتب الناس إلى ابن الزِّبَعْرى .

قال الزبير : وأخبرني محمد بن الحسن المخزوميّ قال : أخبرني محمد بن طلحة أنّ عمر بن أبي ربيعة قائلُ هذه الأبيات : [من الهزج]

ألا لله قـــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سهمِ

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران قال حدّثني محمد بن عبد العزيز عن ابن أبي نهشل عن أبيه بمثل ما رواه الزبير عنه . وزاد فيه عمر بن شبّة : قال محمد بن يحيى : وأُختُ بني سهم التي عناها رَيطةُ بنت سعيد بن سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب بن لؤيّ بن غالب ، وهي أُمُّ بني المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهم : هشام وهاشمٌ وأبو ربيعة والفاكِهُ ، وعِدَّةٌ غيرهم لم يُعقِبوا ، وإيّاهم يعني أبو ذؤيب بقوله : [من الكامل]

صَخِبُ الشَّوارِبِ لا يزالُ كأنّه عبـدٌ لآل أبـي ربيعةَ مُسْبَعُ

ضَرب بعزِّهم المثَل . قال : وكان اسم عبد الله بن أبي ربيعة في الجاهلية بَحِيراً ، فسمَّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عبدَ الله ؛ وكانت قريش تلقّبه «العِدْلَ» ؛ لأنّ قريشاً كانت تكسُو الكعبة في الجاهلية بأجمعها من أموالها سنةً ، ويكسوها هو من ماله سنةً ، فأرادوا بذلك أنّه وحدَه عِدْلٌ لهم جميعاً في ذلك . وفيه يقول ابن الزِّبَعْرى : [من الطويل]

بَحِيرُ بنُ ذي الرُّمْحين قرَّب مجلِسي وراح عـليّ خيـرُه غيـرَ عاتِـمِ

وقد قيل : إنّ العِدْل هو الوليد بن المُغيرة .

وكان عبد الله بن أبي ربيعة تاجراً مُوسِراً ، وكان مَتجرُه إلى اليمن ، وكان من أكثرهم مالاً . وأُمّه أسماء بنت مُخَرِّبَةَ ، وقيل : مُخَرِّمَة ، وكانت عَطّارة يأتيها العِطرُ من اليمن . وقد تزوّجها هشام بن المُغيرة أيضاً ، فولدت له أبا جَهل والحارث ابنَي هشام ؛ فهي أُمُّهما وأُمُّ عبدِ الله وعيّاش ابنَي أبي ربيعة .

أخبرني الحِرْميّ والطوسيّ قالا : حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي عن الواقديّ قال : كانت أسماء بنت مُخَرِّبَةَ تبيع العطر بالمدينة . فقالت الرُّبَيِّعُ بنتُ مُعَوِّذ بن عَفراء الأنصارية ، وكان أبوها قَتل أبا جَهلِ بن هشام يوم بدر واحتزّ رأسه عبد الله بن مسعود ، وقيل : بل عبد الله بن مسعود هو الذي قتله ، فذكرتْ أنّ أسماء بنت مُخرِّبة دخلت عليها وهي تبيع عِطراً لها في نسوة ، قالت : فسألت عنّا ، فانتسبنا لها . فقالت : أأنتِ ابنةُ قاتل سيِّده ؟ تعني أبا جهل . قلت : بل أنا بنت قاتل عبدِه . قالت : حرامٌ عليّ أن أبيعك من عطري شيئاً . قلت : وحرامٌ عليّ أن أشتري منه شيئاً ؛ فما وجدت لعطرٍ نَتناً غير عطرك ، ثم قمت ؛ ولا والله ما رأيت عِطْراً أطيبَ من عطرها ، ولكنّي أردت أن أَعِيبَه لأَغيظَها .

وكان لعبد الله بن أبي ربيعة عبيدٌ من الحبشة يتصرّفون في جميع المِهَن ، وكان عددهم كثيراً ؛ فرُوي عن سفيان بن عيينة أنّه قيل لرسول الله ﷺ حين خرج إلى حُنين : هل لك في حَبَش بني المُغيرة تستعين بهم ؟ فقال : «لا خيرَ في الحبش إن جاعوا سَرَقوا وإن شَبِعوا زَنَوا ، وإنّ فيهم لخَلَّتَيْن حَسَنَتَين إطعام الطعام والبأس يوم البأس» . واستعمل رسول الله ﷺ عبد الله بن أبي ربيعة على الجند ومخاليفها ، فلم يزل عاملاً عليها حتى قُتل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه . هذا من رواية الزبير عن عمّه . قال : وحدّثني ابن الماجِشُون عن عمّه أنّ عثمان بن عفّان ، رحمه الله ، استعمله أيضاً عليها .

[أمّ عمر بن أبي ربيعة وأخوه الحارث]

وأُمُّ عمر بن أبي ربيعة أُمّ ولدٍ يقال لها «مَجْدُ» ، سبيّة من حَضرموت ويقال من حِمْيَر . قال أبو مُحَلِّمٍ ومحمد بن سلاّم : هي من حِميَر ، ومن هناك أتاه الغَزَل ؛ يقال : غَزَلٌ يمانٍ ، ودَلٌّ حجازيٌّ .

وقال عمر بن شبّة : أُمُّ عمر بن أبي ربيعة أُمُّ ولدٍ سوداء من حبشٍ يقال لهم : فرسان[1] .

1 فرسان : من جزائر اليمن .

وهذا غلطٌ من أبي زيد[1] . تلك أُمُّ أخيه الحارث بن عبد الله الذي يقال له : «القُباعُ» ، وكانت نصرانية . وكان الحارث بن عبد الله شريفاً كريماً دَيِّناً وسيّداً من سادات قريش .

قال الزبير بن بَكَّار : ذكره عبد الملك بن مروان يوماً وقد ولاّه عبدُ الله بن الزبير ، فقال : أَرْسَلَ عَوْفاً وقَعَد ! «لا حُرَّ بوادي عَوف» . فقال له يحيى بن الحكم : ومَنِ الحارث ابن السَّوداء ! فقال له عبد الملك : ما ولدتْ والله أمَةٌ خيراً ممّا ولدتْ أُمُّه !

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبير والمدائني والمسيَّبيّ : أنّ أُمّه ماتت نصرانية وكانت تُسِرُّ ذلك منه . فحضر الأشراف جنازتها ، وذلك في عهد عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فسمع الحارث من النساء لَغَطاً ، فسأل عن الخبر ، فعُرِّف أنّها ماتت نصرانية وأنّه وُجِد الصليب في عنقها ، وكانت تكتُمه ذلك . فخرج إلى الناس فقال : انصرفوا رحمكم الله ؛ فإنّ لها أهلَ دِينٍ هم أولى بها منّا ومنكم ؛ فاستُحسن ذلك منه وعجِبَ الناسُ من فعله .

[الغناء في «ألا لله قوم» . . .]

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الهزج]

ألا لله قـــــومٌ و لدتْ أُختُ بني سَهْمِ
هِشامٌ وأبـو عَبْـدِ مَنافٍ مِـدْرَهُ الخَصْمِ
وذو الرُّمحـين أَشْباكَ على القــوّة والحَـزْمِ
فهـــذان يَـذُودان وذا مـن كَثَبٍ يَرْمِي

عروضُه من مَكفوف الهزج . الغناء لمعبد خفيف رملٍ من رواية حمّاد .

[رأي يزيد بن عبد الملك في غناء معبد وابن سريج]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ قال قال إسماعيل بن مُجَمِّع أخبرنا المدائنيّ عن رُسْتَمَ بن صالح قال : قال يزيد بن عبد الملك يوماً لمعبد : يا أبا عبّاد ، إنّي أُريد أن أُخبرك عن نفسي وعنك ، فإن قلتُ فيه خلاف ما تعلم فلا تتحاشَ أن تردَّه عليّ ، فقد أذِنت لك . قال : يا أمير المؤمنين ، لقد وضعك ربُّك بموضع لا يعصيك إلا ضالٌّ ، ولا يردُّ عليك إلا مخطىء . قال : إنّ الذي أجده في غنائك لا أجده في غناء ابن سريج . أجد في غنائك متانة ، وفي غنائه انحناثاً ولِيناً . قال معبد : والذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لعباده ، وجعله أميناً على أُمّة نبيّه ﷺ ، ما عدا

1 أبو زيد : كنية عمر بن شبّة .

صفتي وصفة ابن سريج ، وكذا يقول ابن سريج وأقول ؛ ولكن إن رأى أمير المؤمنين أن يعلمني هل وضعني ذاك عنده فعل . قال : لا والله ، ولكنّي أُوثر الطرب على كلّ شيء . قال : يا سيدي فإذا كان ابن سريج يذهب إلى الخفيف من الغناء وأذهب أنا إلى الكامل التامّ ، فأُغرِّب أنا ويُشرّق هو ، فمتى نلتقي ؟ قال : أفتقدر أن تحكي رقيق ابن سريج ؟ قال نعم ؛ فصنع من وقته لحناً من الخفيف في : [من الهزج]

أَلاَ لله قـــــومٌ و لدَتْ أُختُ بني سَهْمِ

الأربعة الأبيات . وغنّاه ، فصاح يزيد : أحسنتَ والله يا مولاي ! أعِد فداك أبي وأمّي ، فأعاد ، فردّ عليه مثل قوله الأوّل ، فأعاد . ثم قال : أعد فداك أبي وأمّي ، فأعاد ، فاستخفّه الطرب حتى وثبَ وقال لجواريه : افعلن كما أفعل ، وجعل يدور في الدار ويدرن معه وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

يـا دارُ دَوِّرينـي يـا قَرقَـرُ امسكيني
آلَيْتِ مُنْـذُ حـينِ حقّـاً لَتَصْرِمِينـــي
ولا تُواصِلِينـــــي بـــالله فَارْحَمِينـي
لَـمْ تَذْكُـري يَمِيني

قال : فلم يزل يدور كما يدور الصبيان ويَدُرن معه ، حتى خَرَّ مغشيّاً عليه ووقعن فوقه ما يعقل ولا يعقلن ، فابتدره الخدمُ [فأقاموه] وأقاموا مَن كان على ظهره من جواريه ، وحملوه وقد جاءت نفسه أو كادت .

[جوان بن عمر]

رجع الخبر إلى ذكر عمر بن أبي ربيعة . وكان لعمر بن أبي ربيعة ابنٌ صالحٌ يقال له «جُوان» ، وفيه يقول العَرْجيّ : [من المتقارب]

شَهِيدي جُـوانٌ على حبِّها أليس بعَـدْلٍ عليهـا جُوانْ

فأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن ثَوْبان قال : جاء جوان بن عمر بن أبي ربيعة إلى زياد بن عبد الله الحارثيّ وهو إذ ذاك أميرٌ على الحجاز ، فشَهِد عنده بشهادة ؛ فتمثَّل : [من المتقارب]

شَهيدي جُـوانٌ على حبِّها أليس بعـدلٍ عليها جُوانْ

وهذا الشعر للعَرْجِيّ . ثم قال : قد أجزنا شهادتك ، وقَبِلَه . وقال غير الزبير : إنّه جاء إلى العرجي فقال له : يا هذا ! ما لي وما لك تُشَهِّرني في شِعرك ! متى أَشْهدتَني على صاحبتك هذه ؟ ومتى كنتُ أنا أشهد في مثل هذا ! قال : وكان امرأً صالحاً .

وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني بكار بن عبد الله قال : استعمَل بعض وُلاة مكة جوان بن عمر على تَبالَةَ[1] ، فحمل على خَثْعَمَ في صدقات أموالهم حَملاً شديداً ؛ فجعلتْ خثعم سنة جوانٍ تاريخاً ؛ فقال ضُبارَة بن الطُّفَيل : [من الطويل]

أَتَلْبَسُنا ليلى عـلى شَعَثٍ بنـا ... من العامِ أو يُرمى بنا الرَّجَوانِ[2]

صوت

[من الطويل]

رأَتْنِـي كأَشْلاءِ اللِّجامِ وراقَها ... أخـو غَـزَلٍ ذو لِمَّةٍ ودِهانِ
ولو شَهِدَتْني في ليالٍ مَضَيْنَ لي ... لِعامَيْنِ مـرًّا قبـلَ عـامِ جُوانِ
رأَتْنا كريمَيْ معشرٍ حُـمَّ بيننا ... هَـوًى فحفِظْناه بحُسْنِ صِيانِ[3]
نَذُودُ النفوسَ الحائِماتِ عن الصِّبا ... وهُـنَّ بأعناقٍ إليـه ثَوانِي

ذكر حَبَشٌ أنّ الغناء في هذه الأبيات للغريض ثاني ثقيلٍ بالبِنْصر ، وذكر الهشاميّ أنّه لقراريط .

[أمة الواحد بنت عمر]

قالوا : وكان لعمر أيضاً بنتٌ يقال لها : «أَمَةُ الواحِدِ» ، وكانت مُسترضَعة في هُذيل ، وفيها يقول عمر بن أبي ربيعة ، وقد خرج يطلبها فَضَلَّ الطريق : [من السريع]

لم تَدْرِ ولِيَغْفِرْ لها ربُّها ... ما جَشَّمَتْنا أَمَـةُ الواحدِ[4]
جَشَّمَـتِ الهَوْلَ بَراذيننـا ... نسألُ عن بيتِ أبي خالدِ
نسألُ عن شيخِ بني كاهلٍ ... أَعْيـا خَفاءً نشْدَةَ الناشِدِ

[مولد عمر]

أخبرني بذلك محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي بكر العامريّ أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهلَّبي قالا : حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثنا أُسامة بن زيد بن الحكم بن عوانة عن عوانة بن الحَكَم ، قال : أراه عن الحسن ، قال : وُلد عمرُ بن أبي ربيعة ليلة قُتل عمر بن الخطّاب ، رحمة الله عليه ، فأيُّ حقٍّ رُفع ، وأيُّ باطلٍ وُضِع ! . قال عوانة : ومات وقد قارب السبعين أو جاوزها .

---

1 تبالة : بلدة من أرض تهامة .

2 يرمي به الرجوان : يستهان به ، والرجوان جانبا البئر .

3 حمَّ : أتيح وقدر .

4 ديوان عمر : 116 .

أخبرني الجوهريّ والمُهلَّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني يعقوب بن القاسم قال حدّثني عبد الله بن الحارث عن ابن جُريج عن عطاء قال : كان عمر بن أبي ربيعة أكبر منّي كأنّه وُلد في أوّل الإسلام .

[عمر وابن عباس وابن الأزرق]

أخبرني الجوهري والمهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزهريّ قال : حدّثنا ابن أبي ثابت ، وحدّثني به عليّ بن صالح بن الهيثم عن أبي هفّان عن إسحاق عن المُسَيَّبي والزبيري والمدائنيّ ومحمد بن سلاَّم ، قالوا : قال أيّوبُ بن سيّار ، وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد العزيز بن عمران عن أيّوب بن سيّار عن عمر الركاءِ قال : بينا ابن عبّاس في المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناسٌ من الخوارج يسألونه ، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين مُوَرَّدين أو مُمَصَّرَين[1] حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عبّاس فقال أنشِدنا فأنشده : [من الطويل]

أمِن آل نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبْكِرُ غـداةَ غـدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرها . فأقبل عليه نافعُ بن الأزرق فقال : الله يا ابن عبّاس ! إنّا نضرب إليك أكبادَ الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقلُ عنّا ، ويأتيك غلام مُترفٌ من مُترفي قريش فيُنشدك : [من الطويل]

رأتْ رَجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَخْـزى وأمّـا بالعشِيِّ فيَخْسَرُ

فقال : ليس هكذا قال . قال : فكيف قال ؟ فقال : قال : [من الطويل]

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحـى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخصَرُ

فقال : ما أُراك إلاّ وقد حَفِظْتَ البيتَ ؛ قال : أَجَلْ ، وإن شئت أن أُنشدك القصيدة أنشدتك إيّاها . قال فإنّي أشاء ؛ فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها . وفي غير رواية عمر بن شبَّة : أنّ ابن عبّاس أنشدها من أوّلها إلى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أوّلها مقلوبةً ، وما سمعها قَطُّ إلاّ تلك المرّة صَفْحاً . قال : وهذا غاية الذكاء . فقال له بعضهم : ما رأيت أَذكى منك قطّ . فقال : لكنّني ما رأيت قطّ أذكى من عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام . وكان ابن عبّاس يقول : ما سمعتُ شيئاً قطّ إلا رويتُه ، وإنّي لأسمع صوت النائحة فأسُدُّ أُذني كراهة أن أحفظ ما تقول . قال : ولامَه بعض أصحابه في حفظ هذه القصيدة : «أمن آل نُعْم . . .» فقال : إنّا نَستجيدُها . وقال الزبير في خبره عن عمّه : فكان ابن عبّاس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا

1 ثوب ممصّر : فيه بعض صفرة .

المُغِيريُّ شيئاً بعدنا ؟

قال : وحدّثني عبد الله بن نافع بن ثابت قال : كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

فيَضْحَى وأمّا بالعَشِيّ فيَخْصَر

قال : لا ، بل :

فيَخزى وأمّا بالعشيّ فيخسَرُ

قال عمر بن شَبَّة وأبو هَفَّان والزبير في حديثهم : ثم أقبل على ابن أبي ربيعة فقال : أنشِد ، فأنشده[1] : [من المتقارب]

تَشُطُّ غـــداً دارُ جيرانِنـــا

وسكت ؛ فقال ابن عباس :

ولَلــدّارُ بعــدَ غـــدٍ أبعــدُ

فقال له عمر : كذلك قلت ، أصلحك الله ، أفسمعتَه ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغي .

[شهادات الشعراء في شعر عمر]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني يعقوب بن إسحاق قال : كان العرب تُقِرّ لقريش بالتقدّم في كلّ شيء عليها إلاّ في الشعر ؛ فإنّها كانت لا تُقِرُّ لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة ، فأقرّت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تُنازعها شيئاً .

قال الزبير : وسمعتُ عمّي مُصعباً يحدّث عن جدّي أنّه قال مثل هذا القول . قال : وحدّثني عِدَّةٌ من أهل العلم أنّ النُّصَيْب قال : لَعُمَرُ بن أبي ربيعة أوصَفُنا لرَبَّاتِ الحِجال .

قال المدائنيّ قال سليمان بن عبد الملك لعمر بن أبي ربيعة : ما يمنعك من مَدحنا ؟ قال : إنّي لا أمدح الرجال ، إنّما أمدح النساء . قال : وكان ابن جُرَيج يقول : ما دخل على العواتق في حِجالهنّ شيءٌ أضرُّ عليهنّ من شعر عمر بن أبي ربيعة .

قال الزبير وحدّثني عمّي عن جدّي ، وذكره أيضاً إسحاق فيما رويناه عن أبي هَفَّان عنه عن المدائني ؛ قال قال هشام بن عُروة : لا تُرَوُّوا فَتياتِكم شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورَّطن في الزِّنا تورُّطاً ، وأنشد : [من مجزوء الوافر]

لقد أرسلتُ جاريتــي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكْ

وقُــولي في مُلاطفــةٍ لزينبَ : نَـوِّلي عُمَرَكْ

1 ديوان عمر : 90 .

أخبرنا عليّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق عن الزبيريّ[1] قال حدّثني أبي عن سَمُرَةَ الدُّوماني[2] من حِمْيَر قال : إنّي لأطوف بالبيت فإذا أنا بشيخ في الطَّواف ، فقيل لي : هذا عمر بن أبي ربيعة . فقبَضتُ على يده وقلت له : يا ابن أبي ربيعة . فقال : ما تشاء ؟ قلت : أكُلَّ ما قلتَه في شعرك فعلته ؟ قال : إليك عنّي . قلتُ : أسألك بالله قال : نعم وأستغفرُ الله .

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عدِيّ عن حمّاد الراوية : أنّه سُئل عن شِعر عمر بن أبي ربيعة فقال : ذاك الفُسْتُق المُقشَّر[3] .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير عن عمّه قال : سمع الفرزدق شيئاً من نسيب عمر فقال : هذا الذي كانت الشعراء تطلبه فأخطأته وبكتِ الديار ، ووقع هذا عليه . قال : وكان بالكوفة رجلٌ من الفقهاء تجتمع إليه الناس فيتذاكرون العلمَ ؛ فذُكر يوماً شعرُ عمر بن أبي ربيعة فهَجَّنه . فقالوا له : بمن ترضى ؟ ومرّ بهم حمّادٌ الراوية فقال : قد رضيت بهذا . فقالوا له : ما تقول في من يزعم أنّ عمر بن أبي ربيعة لم يُحسن شيئاً ؟ فقال : أين هذا ؟ اذهبوا بنا إليه . قالوا : نصنع به ماذا ؟ قال ننزُو على أُمّه لعلّها تأتي بمن هو أَمْثَل من عمر .

قال إسحاق : وقال أبو المقوّم الأنصاري : ما عُصِي الله بشيء كما عُصِي بشعر عمرَ بن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وحدّثني قيس بن داود قال حدّثني أبي قال : سمعت عمر بن أبي ربيعة يقول : لقد كنت وأنا شابٌّ أُعشَق ولا أَعشَق ، فاليوم صرت إلى مُداراة الحِسان إلى الممات . ولقد لقيَتني فتاتان مرة فقالت لي إحداهما : أُدْنُ منّي يا ابن أبي ربيعة أُسِرَّ إليك شيئاً . فدنوت منها ودنَت الأُخرى فجعلت تَعَضُّني ، فما شعرت بعَضِّ هذه من لذّة سِرار هذه .

قال إسحاق : وذكر عبد الصمد بن المفضَّل الرَّقاشي عن محمد بن فلان الزهري ، سقط اسمه ، عن إسحاق عن عبد الله بن مسلمة بن أسلم قال : لقيتُ جريراً فقلت له : يا أبا حَزْرَةَ ، إنّ شِعرك رُفع[4] إلى المدينة وأنا أحِبّ أن تُسْمِعَني منه شيئاً . فقال : إنّكم يا أهل المدينة يُعجبكم النسيب ، وإنّ أنسب الناس المخزوميّ ؛ يَعني ابن أبي ربيعة .

قال إسحاق : وذكر محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه عن خاله عبد العزيز بن عبد الله بن عيَّاش بن أبي ربيعة قال : أشرف عمر بن أبي ربيعة على أبي قُبَيسٍ ، وبنو أخيه معه وهم

---

1 هو مصعب بن ثابت بن عبد الله الزبيري .

2 دوماني : نسبة إلى دومان ، وهي بطن من همدان .

3 ل : الفاسق المفسد .

4 ل : وقع .

مُحرِمون ، فقال لبعضهم : خُذ بيدي فأخذ بيده ؛ وقال : ورَبِّ هذه البَنيَّة[1] ما قلت لامرأةٍ قطُّ شيئاً لم تقله لي ، وما كشفتُ ثوباً عن حرام قطّ . قال : ولمّا مرض عمر مرضه الذي مات فيه جَزِع أخوه الحارث جَزَعاً شديداً . فقال له عمر : أحسِبُكَ إنّما تجزع لما تظنُّه بي ، والله ما أعلم أنّي ركبتُ فاحشةً قطُّ ! فقال : ما كنت أُشفق عليك إلاّ من ذلك ، وقد سَلَّيت عني .

قال إسحاق : حدّثني مُصعبٌ الزبيري قال قال مُصعب بن عروة بن الزبير : خرجت أنا وأخي عثمان إلى مكّة مُعتمرَين أو حاجَّيْن ؛ فلمّا طُفنا بالبيت مَضَينا إلى الحِجر نُصلّي فيه ، فإذا شيخٌ قد فرَج[2] بيني وبين أخي فأوسعنا له . فلمّا قضى صلاته أقبل علينا فقال : مَن أنتما ؟ فأخبرناه . فرحَّب بنا وقال : يا ابنَيْ أخي ، إنّي موكَّل بالجَمال أتبعُه ، وإنّي رأيتكما فَراقَني حُسنكما وجمالكما ، فاستمتِعا بشبابكما قبل أن تندما عليه ، ثم قام ؛ فسألنا عنه فإذا هو عمر بن أبي ربيعة .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك قال : عاش عمر بن أبي ربيعة ثمانين سنة ؛ فتكَ منها أربعين سنة ، ونسَك أربعين سنة .

قال الزبير وحدّثني إبراهيم بن حمزة ومحمد بن ثابت عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال : حَجَجْتُ مع أبي وأنا غلامٌ وعَليّ جُمَّة . فلمّا قدِمت مكّة جئتُ عمر بن أبي ربيعة ، فسلَّمتُ عليه وجلست معه ، فجعل يَمُدُّ الخُصلة من شعري ثم يُرسلها فترجع على ما كانت عليه ، ويقول : واشباباه ! حتى فعل ذلك مراراً . ثم قال لي : يا ابن أخي ، قد سمعتَني أقول في شعري : قالت لي وقلتُ لها ، وكلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن كنت كشفت عن فَرْجٍ حرام قطُّ ! فقمت وأنا مُتشكِّكٌ في يمينه ، فسألت عن رقيقه فقيل لي : أمّا في الحوك فله سبعون عبداً سوى غيرهم .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثتني ظَبية مولاة فاطمة بنت عمر بن مصعب قالت : مررت بجَدِّك عبد الله بن مُصعب وأنا داخلةٌ منزله وهو بفنائه ومعي دفتر ، فقال : ما هذا معك ؟ ودعاني . فجئتُه وقلت : شعرُ عمر بن أبي ربيعة . فقال : وَيْحَكِ ! تدخلين على النساء بشعر عمر بن أبي ربيعة !! إنّ لشعرِه لَمَوْقِعاً من القلوب ومَدخلاً لطيفاً ، لو كان شعرٌ يَسحَر لكان هو ، فارجِعي به . قالت : ففعلتُ .

قال إسحاق : وأخبرني الهيثم بن عديّ قال : قدِمت امرأةٌ مكّة وكانت من أجمل النساء . فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه ؛ فدنا منها فكلَّمها ، فلم تلتفت إليه . فلمّا كان في الليلة الثانية جعل يطلبها حتى أصابها . فقالت له : إليكَ عنّي يا هذا ، فإنّك

---

1 ل : الكعبة .

2 ل : فرق .

في حَرَم الله وفي أيّامٍ عظيمة الحُرمة . فألحّ عليها يُكلِّمها حتى خافت أن يُشَهِّرَها . فلمّا كان في الليلة الأُخرى قالت لأخيها : أُخرُج معي يا أخي فأَرِني المَناسِك ؛ فإنّي لستُ أعرفها ، فأقبلتْ وهو معها . فلمّا رآها عمر أراد أن يَعرِض لها ، فنظر إلى أخيها معها فعدَل عنها ؛ فتمثَّلت المرأة بقول النابغة : [من البسيط]

تَعْدُو الذئابُ على مَنْ لا كِلابَ له وتَتَّقِي صَوْلَةَ المُسْتَأسِدِ الحامي[1]

قال إسحاق : فحدّثني السِّندي مولى أمير المؤمنين أنّ المنصور قال ، وقد حُدِّث بهذا الخبر ، وَدِدْتُ أنّه لم تَبْقَ فتاةٌ من قريش في خِدرِها إلاّ سمعتْ بهذا الحديث .

قال إسحاق : قال لي الأصمعي : عمر حُجَّةٌ في العربية ، ولم يؤخذ عليه إلاّ قوله : [من الخفيف]

ثم قالوا تُحِبُّها قلْتُ بهْراً عدَدَ الرَّمْلِ والحَصى والتُّرابِ

وله في ذلك مَخرجٌ ؛ إذ قد أتى به على سبيل الإخبار . قال : ومن الناس من يزعم أنّه إنّما قال :

قيل لي هل تُحِبُّها قلت بهراً

[شعر عمر الذي غنّى فيه المغنّون]

نسبة ما مضى في هذه الأخبار من الأشعار التي قالها عمر بن أبي ربيعة وغنَّى فيها المغنّون إذ كانت لم تُنسب هناك لطول شرحها

منها ما يُغنَّى فيه من قوله[2] : [من الطويل]

صوت

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ غداةَ غدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ
لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جَوابِها فتُبْلِغَ عُذراً والمقالةُ تُعْذِرُ
أشارت بِمدْرَاها وقالت لأُختِها أهذا المُغِيريُّ الذي كان يُذْكَرُ ؟
فقالتْ : نعمْ لا شكَّ غيَّر لونَه سُرى الليلِ يَطوِي نَصَّه والتهجُّرُ
رأتْ رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحَى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرُ

1 الحامي في ل : الضاري ؛ وانظر ديوان النابغة (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ص 84 .
2 ديوان عمر : 120–127 .

أخـا سفرٍ جَـوَّابَ أرضٍ تقاذفتْ بـه فَلَـواتٌ فَهُوَ أَشْعَـثُ أَغْبَرُ
وليلةَ ذي دَوْران جَشَّمْتِني السُّرى وقـد يَجْشَمُ الهـولَ المُحبُّ المغرِّرُ[1]
فقلـــتُ : أُبادِيهـم فإمَّا أفُوتُهم وإمّـا يَنـالُ السيفُ ثـأراً فَيثأَرُ

هذه الأبياتُ جُمعت على غير تَوالٍ ؛ لأنّه إنّما ذُكر منها ما فيه صنعةٌ . غنَّى في الأوّل والثاني من الأبيات ابن سُريج خفيف رَمَلٍ بالبِنصر عن أحمد بن المكّي وذكر حبشٌ أنّ فيهما لمعبدٍ لَحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر . وغنّى ابن سُريج في الثالث والرابع أيضاً خفيف ثقيل بالوسطى ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لحناً من الهزج بالوُسطى لِحَكَم . وغنَّى ابن سُريج في الخامس والسادس لحناً من الرَّمَل بالوسطى عن عمرو بن بانَة . وذكر يونس أنّ في السابع والثامن لابن سريج لحناً ولم يذكر طريقته ، وذكر حبشٌ أنّ فيهما لمالك لحناً من الثقيل الثاني بالبِنصر .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرني محمد بن إسحاق قال أخبرني محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ : أنّ عمرَ بن أبي ربيعة أتى عبد الله بن عبّاس وهو في المسجد الحرام فقال : مَتّعني الله بك ! إنّ نفسي قد تاقَت إلى قول الشِّعر ونازعتني إليه ، وقد قلتُ منه شيئاً أحببتُ أن تسمعه وتستره عليّ . فقال : أنشِدني ، فأنشده : [من الطويل]

أمِن آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

فقال له : أنت شاعرٌ يا ابن أخي ، فقُل ما شِئت . قال : وأنشد عمر هذه القصيدة طَلحة بن عبيد الله بن عوف الزُّهْري وهو راكبٌ ، فوقف وما زال شانِقاً ناقته حتى كُتِبت له .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني الحسين بن إسماعيل قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان جرير إذا أُنشد شعرَ عمر بن أبي ربيعة قال : هذا شعرٌ تِهاميٌّ إذا أُنجد وجَد البردَ ، حتى أُنشد قوله : [من الطويل]

رأت رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيَضْحى وأمّـا بالعِشيّ فيَخْصَرُ
قليـلاً على ظَهـر المطيَّـة ظِلُّـه سِوى مـا نَفى عنـه الرداءُ المُحَبَّرُ
وأَعجبَها مـن عَيشها ظِـلُّ غُرفةٍ ورَيّـانُ مُلتـفُّ الحدائـقِ أخضَرُ
وَوالٍ كَفاهـا كلَّ شيء يَهُمُّهـا فليستْ لشيءٍ آخـرَ الليلِ تَسهَرُ

فقال جرير : ما زال هذا القُرَشيّ يَهذِي حتى قال الشعر .

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني أبو عبد الله اليماميّ قال حدّثني الأصمعيّ قال : قال لي الرشيد : أَنشِدْني أحسنَ ما قيل في رجل قد لوّحه السفر ؛ فأنشدته قولَ عمر بن أبي ربيعة

1 ذو دوران : موضع بين قديد والجحفة .

حيث قال : [من الطويل]

رأت رجلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضحى وأمّا بالعشيّ فيَخْصَرُ
أخا سَفَرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذفتْ به فَلَواتٌ فهو أَشْعَثُ أغبرُ

. . . الأبيات كلّها . قال : فقال لي الرشيد : أنا والله ذلك الرجل . قال : وهذا بعَقِب قدومه من بلاد الرُّوم .

أخبرني الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِيّ أبو خليفة في كتابه إليّ : قال حدّثنا محمد بن سَلاَّم قال أخبرني شُعَيب بن صخر قال : كان بين عائشة بنت طلحة وبين زوجها عمر بن عبيد الله بن مَعْمَرٍ كلامٌ ، فسهرت ليلةً فقالت : إنّ ابنَ أبي ربيعة لجاهلٌ بليلتي هذه حيث يقول : [من الطويل]

ووالٍ كَفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها فليستْ لشيءٍ آخرَ الليل تَسْهَرُ

[مجن عمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان قال حدّثني إسحاق عن المدائني قال : عرض يزيدُ بن معاوية جيش أهل الحرَّة ، فمرّ به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ خَلَقٌ سَمْجٌ ، فنظر إليه يزيد وضحك وقال له : وَيْحَك ! تُرْسُ عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من تُرْسِك . يريد قول عمر : [من الطويل]

فكان مِجَنِّي دون مَن كنتُ أتّقي ثلاثُ شُخوصٍ كاعِبانِ ومُعصِرُ

[جمين صاحب النوادر وشعر عمر]

أخبرنا جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخزاعي قال : سمِع أبو الحارث جُمَيْنٌ مُغنِّيةً تُغنّي : [من الطويل]

أشارت بِمدْراها وقالت لأُختها أهذا المُغِيريّ الذي كان يُذكَرُ ؟

فقال جُمَّين : امرأتُه طالق إن كانت أشارت إليه بمدراها إلاّ لتَفْقَأَ بها عينه ، هلاّ أشارت إليه بنقانق مُطَرَّفٍ بالخردل ، أو سنْبوسجةٍ مغموسة في الخلّ ، أو لوزينجةٍ شَرِقَةٍ بالدُّهن ! فإن ذلك أنفع له ، وأطيب لنفسه ، وأدلُّ على مودّة صاحبته .

أخبرني الحِرْميّ قال : حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد العزيز بن أبي أُوَيس عن عطّاف بن خالد الوابصيّ عن عبد الرحمن بن حرملة قال : أنشِد سعيد بن المسيِّب قولَ عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

وغابَ قُمَيرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ورَوَّحَ رُعْيانٌ ونَوَّمَ سُمَّرُ

[شعر عمر في ابنة الأشعث]

فقال : ما له قاتَله الله ! لقد صغَّر ما عظَّم الله ! يقول الله عزّ وجلّ : ﴿والقَمَرَ قَدَّرْناهُ

مَنازِلَ حَتَّى عادَ كالعُرْجُونِ القَدِيم﴾ [يس 36] .

ومنها ما فيه غِناء لم يُنْسَبْ في موضعه من الأخبار فنُسب هاهنا[1] : [من المتقارب]

صوت

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا ... وللدَّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ
إذا سَلَكَتْ غَمْر ذِي كنْدَة ... مع الصبحِ قَصْدٌ لها الفَرْقَدُ[2]
عِراقيَّةٌ ، وتِهامي الهَوى ... يَغُورُ بمكّةَ أو يُنْجِدُ
وحَثَّ الحُداةُ بها عِيرها ... سِراعاً إذا ما وَنَتْ تُطْرَدُ
هُنالِكَ إمّا تُعَزِّي الفؤادَ ... وإمّا على إثْرِها تَكْمَدُ
وليستْ ببِدْعٍ إذا دارُها ... نأتْ والعَزاءُ إذاً أَجْلَدُ[3]
صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى علمـ ... ـتُ أين المَصادِرُ والمَوْرِدُ
وجَرَّبْتُ من ذاك حتّى عرفـ ... ـتُ ما أتوقّى وما أحمَدُ
فلمّا دَنَوْنا لجَرْسِ النُّبا ... حِ والضوءِ ، والحيُّ لَمْ يَرْقُدُوا
[نأْينا عن الحَيِّ حتّى إذا ... تَوَدَّعَ من نارِها المَوْقِدُ][4]
بَعَثْنا لها باغياً ناشِداً ... وفي الحيّ بُغْيَةُ مَنْ يَنْشُدُ
أَتَتْنا تَهادَى على رِقبةٍ ... من الخوفِ أحشاؤها تُرْعَدُ
تقول وتُظْهِرُ وَجْداً بنا ... ووَجْدِي وإن أظهرتْ أَوْجَدُ
لَمِمَّا شَقائي تَعَلَّقْتُكم ... وقد كان لي عندكم مَقْعَدُ
وَكَفَّتْ سَوابِقَ من عَبرةٍ ... على الخَدِّ يَجْرِي بها الإثْمِدُ
فإنّ التي شَيَّعَتْنا الغَداةَ ... مع الفجرِ قلبي بها مُقْصَدُ
كأنَّ أَقاحِيَّ مَوْلِيَّةً ... تَحَدَّرُ من ماءِ مُزْنٍ نَدِي[5]

غنَّى معبدٌ في الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيف ثقيل من أصواتٍ قليلاتِ الأشباه عن إسحاق . وغنَّى فيها أَشْعَبُ المعروف بالطامع ثاني ثقيل بالوسطى ، عن الهشاميّ . وللغريض في الأبيات الأربعة الأُوَلِ ثاني ثقيل بالوسطى[6] عن عمرو . ولابن سُريج في الرابع عشر وهو :

---

1 ديوان عمر : 90–92 في فاطمة بنت الأشعث .
2 غمر ذي كندة : موضع على مسيرة يومين من مكّة .
3 وليست ببدعٍ إذا في ل : وليست نزوعاً لكن .
4 سقط البيت من ل .
5 في البيت إقواء ، ولعلّه دخيل على ما قبله من أبيات (ولم يرد في الديوان) .
6 ل : بالبنصر .

وكفَّتْ سوابقَ من عَبْرةٍ

ثم الأوّل والتاسع رَمَلٌ بالوسطى عن ابن المكّي . ولمالك ، ويقال إنّه لمعبد ، خفيف ثقيل في الرابع عشر والثالث عشر والأوّل عن الهشاميّ . وفي السابع والثامن والأوّل لابن جامع ثقيل أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وفي الأوّل والحادي عشر لابن سريج رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وفيهما ثاني ثقيل بالسَّبَّابة في مجرى البنصر عن إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أحمد بن المكّي أنّه لأبيه . وفي الرابع والخامس رملٌ لمعبد عن ابن المكّي ، وقيل : إنّه من منحول أبيه إلى معبد . وفي الثالث عشر والسادس ليونس خفيف رمل عن الهشاميّ . وفي الأوّل والثاني عشر ثاني ثقيل تشترك فيه الأصابع عن ابن المكّي ، وقال أيضاً : فيه للأبجر لحنٌ آخر من الثقيل الثاني . ولمعبد في الرابع والسادس ثاني ثقيل آخر عنه ، وفيهما أيضاً رملٌ لابن سريج عنه وعن حبش . ولإسحاق في الأوّل والثاني رمل من كتابه . ولعُلَيَّة بنت المهدي في الثالث عشر والأوّل ثقيلٌ أوّل . ولابن مِسجَحٍ في الثاني عشر والأوّل رملٌ ، ويقال إنّه للرَّطَّاب ، وذكر حبشٌ أنّه لابن سريج . وفي الخمسة الأبيات الأولى متوالية خفيف رمل بالوسطى يُنسب إلى معبد وإلى يحيى المكّي ، وزعم حبش أنّ فيها رملاً بالوسطى لابن محرز . والذي ذكره يونس في كتابه أنّ في :

تَشُطُّ غـــداً دارُ جيرانِنا

خمسة ألحان : اثنان لمعبد ، واثنان لمالك ، وواحد ليونس . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي عُرِف صحتُه من الغناء فيه سبعة ألحان : ثقيل أوّل ، وثاني ثقيل ، وخفيف ثقيل ، ورملٌ ، وخفيفُه .

أخبرني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله بن المرزبان أنّ الذي أُحصي فيه إلى وقته ستّة عشر لحناً . والذي وجدته فيه ممّا جمعته ها هنا ، سوى ما لم يَذكر يونس طريقته ، تسعة عشر لحناً : منها في الثقيل الأوّل لحنان ، وفي خفيف الثقيل لحنان ، وفي الثقيل الثاني ستة ، وفي الرَّمل سبعة ، وفي خفيف الرَّمل لحنان .

وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من ولد الأشعث بن قيس حجَّت فهَوِيَها وراسلها ، فواصلتْه ودخل إليها وتحدّث معها وخطبها ، فقالت : أمّا هاهنا فلا سبيل إلى ذلك ، ولكن إن قَدِمْتَ إلى بلدي خاطباً تزوّجتك ، فلم يفعل .

[عمر يخدع بُدَيْحاً]

أخبرني بهذا الخبر الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن الحسن المخزوميّ عن محرز بن جعفر مولى أبي هريرة عن أبيه قال : سمعت بديحاً يقول : حجَّت بنت محمد بن الأشعث الكِنْدِيَّة ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة ووعدها أن يتلقّاها مساءَ الغد ، وجعل

الآية بينه وبينها أن تسمع ناشداً ينشد ، إن لم يمكنه أن يُرسِل رسولاً ، يُعلمُها بمصيره إلى المكان الذي وعدها . قال بُدَيح : فلم أشعر به إلاّ مُتَلَثِّماً ، فقال لي : يا بديح ، ائتِ بنت محمد بن الأشعث فأخبرها أنّي قد جئت لموعدها ؛ فأبيتُ أن أذهب وقلت : مثلي لا يُعين على مثل هذا . فغيَّب بغلته عنّي ثم جاءني فقال لي : قد أضللت بغلتي فانشدها لي في زُقاق الحاجّ . فذهبت فنشدتها ، فخرجت عليَّ بنت محمد بن الأشعث وقد فهمت الآية ، فأتته لموعده ؛ وذلك قوله : [من المتقارب]

وآيـة ذلك أن تسمعي إذا جئتُكم ناشداً ينشُد

قال بديح : فلمّا رأيتها مقبلةً عرفتُ أنّه قد خدعني بنشدي البغلة ، فقلت له : يا عمر ، لقد صدقتِ التي قالت لك : [من مجزوء الوافر]

فهـذا سِحْـرُكَ النِّسْوا نَ ، قد خَبَّرْنَني خبرَكْ

قد سَحَرْتَنِي[1] وأنا رجل ، فكيف برقّة قلوب النساء وضعف رأيهنّ وما آمنك بعدها ، ولو دخلتَ الطّواف ظننت أنّك دخلته لبليَّةٍ . قال : وحدّثها بحديثي ، فما زالا ليلتهما يفصلان حديثهما بالضحك منّي .

قال الزبير : فحدّثني أبو الهِندام[2] مولى الرَّبَعيِّين عن أبي الحارث بن عبد الله الرَّبَعيّ قال : لَقِي ابن أبي عتيق بديحاً فقال له : يا بديح ، أخدَعَكَ ابن أبي ربيعة أنّه قُرَشيّ ؟ فقال بُديح : نعم ! وقد أخطأه ذلك عند القَسري وصواحبه . فقال ابن أبي عتيق : ويحك يا بديح ! إنّ من تغابى لك لِيَغْبى عنك ، فقد ضُمَّت عليه قَبضتُك إن كان لك ذهنٌ ، أمَا رأيت لِمَن كانت العاقبة ؟ والله ما بالى ابنُ أبي ربيعة أوقع عليهنّ أم وقعن عليه ! .

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن سعد الكُراني قال حدّثنا العُمري عن كعب بن بكر المحاربيّ : أنّ فاطمة بنت محمد بن الأشعث حَجَّت ، فراسلها عمر بن أبي ربيعة فواعدته أن تزوره ، فأعطى الرسولَ الذي بشَّره بزيارتها مائة دينار .

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن رجاله المذكورين ، قالوا : حَجَّت بنتٌ لمحمد بن الأشعث [هكذا قال إسحاق وهو عندي الصحيحُ] ، وكانت معها أُمُّها وقد سمعت بعمر بن أبي ربيعة فأرسلت إليه ، فجاءها فاستنشدته ، فأنشدها : [من المتقارب]

تَشُطُّ غداً دارُ جيرانِنا ولَلدارُ بعـدَ غـدٍ أبعدُ

---

1 ل : قد سخرت مني (وهو خطأ) .

2 لعلّ الصواب «أبو الهيذام» .

وذكر القصة[1] بطولها . قال : وقد كانت لمّا جاءها أرسلتْ بينها وبينه سِتراً رقيقاً تراه من ورائه ولا يراها ، فجعل يُحدّثها حتى استنشدته ، فأنشدها هذه القصيدة ، فاستخفَّها الشعر فرفعت السَّجف ، فرأى وجهاً حسناً في جسم ناحل ، فخطبها وأرسل إلى أمّها بخمسمائة دينار ، فأبت وحجبتْه وقال للرسول : تعود إلينا . فكأنّ الفتاة غمّها ذلك ، فقالت لها أُمُّها : قد قتلكِ الوجد به فتزوّجيه . قالت : لا والله لا يتحدّث أهل العراق عنّي[2] أنّي جئتُ ابن أبي ربيعة أخطبه ، ولكن إن أتاني إلى العراق تزوّجته . قال : ويقال : إنّها راسلته وواعدته أن تزوره ، فأَجْمَر[3] بيته وأعطى المبشِّر مائة دينار ، فأتته وواعدته إذا صدر الناس أن يُشيِّعها ، وجعلت علامة ما بينهما أن يأتيها رسوله ينشدها ناقة له . فلمّا صدر الناس فعل ذلك عمر . وفيه يقول وقد شيَّعها[4] : [من الكامل]

صوت

قال الخَلِيطُ غداً تَصَدُّعُنا ... أو بعدَه ، أفلا تُشَيِّعُنا
أمّا الرَّحيلُ فدونَ بعد غدٍ ... فمتى تقولُ الدارَ تَجْمَعُنا
لِتَشُوقَنا هندٌ وقد علمتْ ... علماً بأنّ البين يُفْزِعُنا[5]
عجباً لمَوْقفنا وموقِفها ... وبسَمْعِ تربْيها تُراجِعُنا !
ومَقالِها سِرْ ليلةً معَنا ... نَعْهَدْ فإنّ البينَ فاجِعُنا[6]
قلتُ العيونُ كثيرةٌ معكم ... وأظنُّ أنّ السَّيْرَ مانِعُنا
لا بل نَزورُكم بأرضكم ... فيُطاعُ قائلُكم وشافِعُنا
قالتْ أشيءٌ أنت فاعلُه ... هذا لَعَمْرُك أم تُخادِعُنا ؟
بالله حَدِّثْ ما تُؤمِّلُه ... واصدُقْ فإنّ الصِّدق واسعُنا
اضْرِبْ لنا أجلاً نعد له ... إخْلافُ موعِده تقاطُعُنا

الغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو أنّه للغريض بالوسطى . وفيه لابن سريج خفيف رملٍ عن الهشاميّ ، وذكر حبشٌ أنّه لموسى شهوات .

---

1 ل : القصيدة .
2 ل : خلفي .
3 أجمر البيت : بثّ فيه بخوراً .
4 ديوان عمر : 434 .
5 يفزعنا في الديوان : فاجعنا (وهو وهم).
6 فاجعنا في ل : شائعنا .

[شعره في زينب بنت موسى الجمحيّة]

ومنها ممّا لم يُنسب أيضاً : [من مجزوء الوافر]

صوت

لقد أرْسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَذَرَكْ[1]
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلي عُمَرَكْ
فَهزَّتْ رأسَها عجباً وقالت : مَنْ بذا أَمَرَكْ
أهذا سِحْرُكَ النِّسوا نَ ، قد خبَّرْنَني خَبَرَكْ[2]

غنّى فيها ابن سريج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو ، وقال قومٌ : إنّه للغريض . وفيها لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن ابن المكّي . وفي هذا الشعر ألحانٌ كثيرةٌ ، والشعر فيها على غير هذه القافية ؛ لأنّ هذه الأبيات لعُمرَ من قصيدة رائيّةٍ موصولة الرّاءات بألفٍ ، إلاّ أنّ المغنّينَ غيَّروا هذه الأبيات في هذين اللّحنين ، فجعلوا مكان الألِف كافاً ؛ وإنّما هي : [من مجزوء الوافر]

لقد أرسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذي حَذَرا

وأوّل القصيدة[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

تَصابَى القلبُ وادَّكَرا صِباهُ ولم يكن ظَهرا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا صفاءً لم يكن كَدِرا
أليستْ بالتي قالتْ لمولاةٍ لها ظُهُرا
أَشِيري بالسَّلام لَه إذا هُوَ نحونا خَطَرا
لقد أَرْسلتُ جاريتي وقلتُ لها : خُذِي حَذَرا
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ : نَوِّلي عُمَرا
فهَزَّتْ رأسَها عجباً وقالت : مَنْ بِذا أمَرا !
أهذا سِحْرُكَ النسوا نَ ، قد خبَّرْنني الخبرا

غنّى ابنُ سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّه لابن سريج ، وأبو إسحاق ينسبُه في نسخته الثانية إلى دَحمان . وللغريض في الأوّل من الأبيات لحن من

1 ديوان عمر : 213 وفيه «بعثت وليدتي سحراً» .
2 سحرك في ل : خدعك .
3 ديوان عمر : 194 والبيتان الأخيران ليسا في الديوان وكذلك الخامس .

القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالوسطى في مجراها ، أضاف إليه بيتين ليسا من هذه القصيدة وهما[1] : [من مجزوء الوافر]

طَرِبَتْ ورَدَّ مَنْ تهوى جِمالُ الحَيِّ فابتكرا
فقُلْ للمالكيَّةِ لا تلومي القلبَ إن جَهَرا[2]

وذكر يونس أنّ لمعبدٍ في هذا الشعر الذي أوّله :

تَصابى القلبُ وادّكرا

لحنين لم يذكر جنسيهما ؛ وذكر الهشاميُّ : أنّ أحدهما خفيفُ ثقيل والآخر رملٌ . وفي الأبيات التي غنّى فيها الغريض رملٌ لدحمان عن الهشاميّ ، قال : ويقال إنّه لابنه الزبير . وزينبُ التي ذكرها عمر بن أبي ربيعة هاهنا يقال لها : زينب بنت موسى أُختُ قُدامة بن موسى الجُمَحِيّ .

أخبرني بذلك محمد بنُ خَلَفِ بن المَرزُبان عن أبي بَكر العامريّ . وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهريّ قال حدّثني عمّي عمران بن عبد العزيز قال : شبّب[3] عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى الجُمَحيّة في قصيدته التي يقول فيها[4] : [من الخفيف]

صوت

يا خَليليَّ مِنْ مَلامٍ دَعانِي وأَلِمَّا الغَداةَ بالأَظْعانِ[5]
لا تلوما في آل زينبَ إنّ الـ ـقلبَ رَهْنٌ بآلِ زينبَ عاني
ما أَرى ما بقيتُ أنْ أذكرُ المو قِفَ منها بالخَيْفِ إلاّ شجاني

غنّى في هذه الأبيات الغريضُ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنساءِ عندِيَ حظّاً غيرَ ما قلتُ مازِحاً بلساني
هي أهلُ الصَّفاء والوُدِّ منّي وإليها الهَوى فلا تَعْذُلاني
حين قالت لأُختها ولأُخرى من قَطينٍ مُوَلَّد : حَدِّثاني[6]

1 انظر الديوان : 193–194 .
2 للمالكية في ل : للبربرية .
3 ل : نسب .
4 ديوان عمر : 416 .
5 مَلام في ل : مِ الملام .
6 لأختها في ل : لتربها .

كيفَ لي اليومَ أن أرى عُمَرَ المُرْ ... سِلَ سِرّاً في القولِ أن يَلْقانِي ؟
قالتــا : نَبْتَغِــي رسولاً إليــه ... ونُميــتُ الحديــثَ بالكِتمانِ
إنّ قلبي بعدَ الذي نِلْتُ منها ... كالمُعَمَّى عن سائــر النِّسْوانِ[1]

[عمر وابن أبي عتيق]

قال : وكان سببُ ذكره لها أنّ ابنَ أبي عتيق ذَكرها عنده يوماً فأَطْراها ، ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ما شغل قلب عمر وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّب بها ؛ فبلغ ذلك ابن أبي عتيق ، فلامه فيه وقال له : أتنطِقُ الشعر في ابنة عمّي ؟ فقال عمر[2] : [من الخفيف]

صوت

لا تَلُمْنِي عتيقُ حَسْبِي الذي بي ... إنّ بــي يــا عتيقُ ما قد كَفانِي
لا تَلُمني وأنــتَ زَيَّنْتَهــا لي ... أنــتَ مثلُ الشيطانِ للإنسانِ
إنّ بي داخلاً من الحبّ قد أَبْـ ... ــلَى عِظامي مكنونُـهُ وبَــرانِي
لــو بعينيك يــا عتيقُ نَظَرْنا ... ليلــةَ السَّفْح قَــرّتِ العينانِ
إذ بدا الكَشْحُ والوشاحُ من الدُّ ... رِّ وفَصْلٌ فيه مــن المَــرْجانِ
قــد قَلى قلبــي النساءَ سواها ... غيرَ مــا قلتُ مازحاً بلساني[3]

وأوّل هذه القصيدة : [من الخفيف]

إنَّنــي اليــومَ عــاد لي أحــزاني ... وتذكَّرتُ مــا مضى من زماني[4]
وتذكَّــرتُ ظبيــةً أُمَّ رِئــمٍ ... هاج لي الشوقَ ذِكرُها فشجاني[5]

غنّى أبو العنبس بن حمدون في «لا تلمني عتيق . . .» لحناً من الثقيل الأوّل المُطلق . وفيه رملٌ طُنبوريٌّ مجهولٌ .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون قال : أنشد عمر بن أبي ربيعة قوله : [من الخفيف]

يــا خليــليَّ مِ المــلام دعاني ... وألِمَّــا الغــداةَ بــالأَظْعانِ

---

1 كالمعمّى في الديوان : كالمعنَّى .
2 ديوان عمر : 417 .
3 الشطر الثاني في الديوان : بعد ما كانت مغرماً بالغواني .
4 وتذكّرت ما مضى في الديوان : وتذكرت ميعتي .
5 أم رئم في ل : أم زيد .

لا تلوما في آل زينبَ إنّ الـ ـقلبَ رَهْنٌ بآل زينبَ عاني

. . . القصيدةَ . قال : فبلغ ذلك أبا وداعة السَّهميّ فأنكره وغضب . وبلغ ذلك ابن أبي عتيق وقيل له : إنّ أبا وداعة قد اعترض لابن أبي ربيعة من دون زينب بنت موسى ، وقال : لا أُقِرُّ لابن أبي ربيعة أن يذكُرَ امرأةً من بني هُصَيْصٍ في شعره . فقال ابن أبي عتيق : لا تلوموا أبا وداعة أن يُنْعِظَ من سمرقَنْدَ على أهل عَدَنَ !

قال الزبير : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزهريّ قال حدّثني عَمّي عِمران بن عبد العزيز قال : شبّب عمر بن أبي ربيعة بزينب بنت موسى في أبياته التي يقول فيها : [من الخفيف]

لا تلومـا في آل زينب إنّ الـ ـقلبَ رهنٌ بـآل زينبَ عاني

فقال له ابن أبي عتيق : أمّا قلبُك فقد غُيِّبَ عنّا ، وأمّا لسانُكَ فشاهدٌ عليك .

قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عمران بن عبد العزيز : عذَلَ ابنُ أبي عتيق عمر في ذكره زينب في شعره ؛ فقال عُمر : [من الخفيف]

لا تَلُمْني عتيقُ حَسْبِي الذي بي إنّ بي يـا عتيقُ مـا قد كفاني

لا تلمنـي وأنـت زيّنتها لي . . . . . .

قال : فبدَره ابن أبي عتيق ، فقال :

أنت مثلُ الشيطان للإنسانِ

فقال ابن أبي ربيعة : هكذا وربِّ البيتِ قلتُه . فقال ابن أبي عتيق : إنّ شيطانك وربِّ القبر[1] ربّما ألَمَّ بي ، فيَجِدُ عندي من عِصيانه خلافَ ما يجد عندك من طاعته ، فيُصِيبُ منّي وأُصيبُ منه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثني قُدامة بن موسى قال : خرجتُ بأختي زينبَ إلى العُمرة ، فلمّا كنت بسَرِفٍ[2] لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلَّم عليّ . فقلت له : إلى أينَ أراك متوجِّهاً يا أبا الخطَّاب ؟ فقال : ذُكِرَتْ لي امرأةٌ من قومي بَرْزةُ الجمال ، فأردت الحديث معها . فقلت : هل علمت أنّها أُختي ؟ فقال : لا ! واستحيا وثَنى عُنُقَ فرسه راجعاً إلى مكّة .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمريّ عن لَقِيط بن

1 يعني قبر الرسول ﷺ .

2 سرف : موضع قريب من مكّة .

بكر المُحاربيّ قال : أنشدني ابن أبي عتيق قول عمر[1] : [من الطويل]

صوت

مَنْ لسَقيمٍ يكتُم الناسَ ما بـه ... لزينبَ نَجْوى صدرِه والوَساوِسُ
أقولُ لمن يَبْغِي الشِّفاءَ متى تجيء ... بزينبَ تُدرِكْ بعضَ ما أنتَ لامِسُ
فإنّك إن لم تَشْفِ من سَقَمِي بها ... فإنِّيَ مـن طِـبِّ الأطبَّاء آيسُ
ولستُ بناسٍ ليلةَ الدار مجلساً ... لزينبَ حتى يَعْلُوَ الرأسَ رامِسُ
فلمـا بَـدَتْ قَمْراؤُه وتَكشَّفَتْ ... دُجُنَّتُه وغـابَ مَنْ هو حارِسُ
ومـا نِلتُ منها مَحْرَماً غير أنّنا ... كِلانا مـن الثوبِ المورَّدِ لابِسُ
نَجيِّيْنِ نَقْضِي اللهوَ في غير مَأْثمٍ ... وإن رَغِمَتْ مِ الكاشِحِينَ المَعاطِسُ

قال : فقال ابنُ أبي عتيق : أمِنَّا يسخَرُ ابن أبي ربيعة فأيُّ مَحْرَم بقيَ ؟ ثم أتى عمرَ فقال له : يا عمرُ ، ألم تُخبرني أنّك ما أتيتَ حراماً قطُّ ؟ قال بلى ! قال : فأخبِرني عن قولك : [من الطويل]

كِلانـا من الثَّوْبِ المورَّد لابسُ

ما معناه ؟ قال : والله لأُخبِرنَّك ! خرجتُ أُريد المسجدَ وخرجتْ زينبُ تريده ، فالتقينا فاتّعدْنا لبعض الشِّعاب ، فلمّا توسَّطْنا الشِّعْبَ أخذتْنا السماء ، فكرِهتُ أن يُرى بثيابها بَللُ المطر ، فيقال لها : ألا استترتِ بسَقائِف المسجد أن كنتِ فيه ، فأمرتُ غِلماني فستَرونا بكِساء خَزٍّ كان عليّ ؛ فذلك حين أقول :

كلانا مِنَ الثوب المَطارفِ لابسُ[2]

فقال له ابن أبي عتيق : يا عاهِرُ ، هذا البيت يحتاج إلى حاضِنة !

الغناء في هذه الأبيات التي أوّلها : [من الطويل]

مَنْ لِسَقِيم يكتُم النّاسَ مـا بـه

لِرَذاذٍ ثقيلٌ أوّلُ ؛ وكان بعض المحدَثين ممّن شاهدناه يدّعي أنّه له ، ولم يُصَدِّق .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون قال : قال عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى[3] : [من الخفيف]

---

1 ديوان عمر : 217 .
2 الثوب في ل : من اثواب .
3 ديوان عمر : 226 .

صوت

طال من آل زينبَ الإعراضُ ... للتعدِّي وما بها الإبغاضُ[1]
ووَليدَيـــنِ كان عُلِّقَهـا القلـ ... ـبُ إلى أن علا الرؤوسَ بياضُ[2]
حبلُها عندَنـا متينٌ وحَبْلي ... عندها واهِـنُ القُوى أَنْقاضُ

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز خفيف رَمَلٍ بالبِنصر عن عمرو . وقال الهشاميّ : فيه لابن جامع خفيف رَمَلٍ آخر .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال قال عبد الرحمن بن عبد الله وحدّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه قال : لمّا قال عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من الخفيف]

لم تَدَعْ للنساء عندي نصيباً ... غيرَ ما قلتُ مازحاً بلساني

قال له ابن أبي عتيق : رَضِيتَ لها بالمودّة ، وللنساء بالدَّهفشة . قال : والدّهفشة : التّجْميشُ والخديعة بالشيء اليسير . وقال غير الزبير في هذا الخبر : الدهقشة ، مكان الدهفشة .

وممّا قاله عمر في زينب وغُنِّيَ فيه قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أيُّهـا الكاشِحُ المعيِّـر بالصُّـرْ ... مِ تَزَحْزَحْ فما لهـا الهِجْرانُ
لا مُطـاعٌ في آل زينبَ فارجعْ ... أو تَكلَّمْ حتّـى يَمَـلَّ اللِّسانُ
نجعلُ الليـلَ موعِـداً حينَ نُمْسي ... ثـم يُخْفِـي حديثَنـا الكِتْمانُ
كيفَ صَبْرِي عن بعض نَفْسِي وهل يَصْـ ... ـبِرُ عـن بعضِ نفسه الإنسانُ !
ولقـد أشهَدُ المحدَّثَ عنـد الـ ... ـقَصْر فيـه تَعفُّـفٌ وبَيانُ
في زمـانٍ مـن المعيشة لَـدْنٍ ... قـد مضى عَصْرُه وهـذا زمانُ

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرٍو ودنانير . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لابن مُحرز ولحناً لابن عباد الكاتب ، أوّل لحن ابن عبّاد الكاتب :

لا مُطاعٌ في آل زينبَ . . . . . .

وأوّل لحن ابن مُحرِز :

ولقد أشهد المحدَّث . . . . . .

---

1 وما بها في د : وما بنا .
2 بياض في د : البياض .
3 ديوان عمر : 420–421 باختلاف في ترتيب الأبيات .

وممّا غُنِّيَ فيه لابن مُحرِز من أشعار عمر بن أبي ربيعة في زينب بنت موسى قوله[1] : [من المنسرح]

صوت

يا مَنْ لقلبٍ مُتَيَّمٍ كَلِفٍ يَهْذِي بخَودٍ مريضةِ النَّظَرِ
تمشي الهُوَينا إذا مشَتْ فُضُلاً وهْيَ كمِثْلِ العُسْلُوجِ في الشَّجَرِ[2]

للغَريض في هذين البيتين خَفيف رَمَلٍ بالوسطى ، ولابن سريج رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحبش : [من المنسرح]

ما زالَ طَرْفِي يَحارُ إذ بَرَزَتْ حتى رأيتُ النقصانَ في بَصَرِي
أبصرتُها ليلةً ونسْوَتَها يمشِين بين المَقامِ والحَجَرِ
ما إن طمِعْنا بها ولا طَمِعَتْ حتّى التقينا ليلاً على قَدرِ
بِيضاً حساناً خَرائِداً قُطُفاً يَمْشِينَ هَوْناً كمِشْيَة البقرِ
قَد فُزْنَ بالحسن والجمال معاً وفُزنَ رِسْلاً بالدَّلِّ والخَفَرِ
يُنْصِتْنَ يوماً لها إذا نطقتْ كيّماً يُشَرِّفْنَها على البَشَرِ
قالت لتِرْبٍ لها تُحَدّثها لَنُفْسِدَنّ الطَّوافَ في عُمرِ
قُومي تَصَدَّي له ليعرفَنا ثم اغمِزيه يا أُخت في خَفَرِ
قالت لها قد غمزتُه فأبى ثم اسبَطَرَّتْ تَسعى على أَثَري[3]
من يُسْقَ بعد المنام ريقتها يُسْقَ بمِسْكٍ وباردٍ خَصِرِ[4]

[غنَّى في هذا الشعر الغريض خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وغنَّى فيه ابن سريج رَمَلاً بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَش] .

[ومنها][5] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا يا بَكْرُ قد طَرَقا خيالٌ هاج لي أَرقا[6]

---

1 ديوان عمر : 68–69 .
2 فضلاً في ل : قطفاً .
3 اسبطرت : أسرعت .
4 بعد المنام ريقتها في ل : بعد الكرى بريقتها . الشطر الثاني في ل : يسق بكأس ذي لذة .
5 ديوان عمر : 269–270 .
6 أرقا في د : الأرقا .

لزينب إنّها همّي فكيفَ بحبلِها خَلَقا
خَدَلَّجةٌ إذا انصرفتْ رأيتَ وِشاحَها قَلِقا
وساقاً تَمْلأُ الخَلْخا لَ فيه تَراه مُخْتَنِقا
إذا ما زينبٌ ذُكِرَتْ سكَبتُ الدمع مُتَّسِقا
كأنّ سحابةً تَهْمِي بماءٍ حُمِّلَتْ غَدَقا

الغناء لحُنَين رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن عبّاد خفيف ثقيل ، ويقال : إنّه ليونس . وممّا قاله [فيها] أيضاً وغُنِّيَ فيه : [من البسيط]

صوت[1]

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لَئِن كان الرَّحيلُ غَدا[2]
قد حَلَفتْ ليلةَ الصَّوْرَينِ جاهدة وما على المرء إلاّ الحلْفُ مجتهِدا
لأُختها ولأُخرى من مَناصِفِها لقد وجَدتُ به فوقَ الذي وَجَدا[3]
لو جُمِّعَ الناسُ ثم اختير صَفْوُهُمُ شخصاً من الناس لم أَعدِلْ به أحدا

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالسَّبّابة والبنصر في الأوّل والثاني عن يحيى المكّيّ ، وله فيه أيضاً خفيف رمل بالوسطى في الثاني والثالث والرابع عن عمرو ، ولِمَعْبد ثقيلٌ أوّل في الأوّل والثاني عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى الغريض ومالك .

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق عن مصعب الزبيريّ قال : اجتمع نسوةٌ فذكرن عمر بن أبي ربيعة وشعره وظَرفه ومجلسه وحديثه ، فتشوّقْن إليه وتمنَّيْنَه . فقالت سُكَينة : أنا لَكُنَّ به ؛ فبعث إليه رسولاً أنْ يُوافي الصَّوْرَيْن[4] ليلةَ سمَّتها ، فوافاهنَّ على رواحِلِه ، فحدَّثهنَّ حتى طلع الفجر وحان انصرافهنّ . فقال لهنّ : والله إنّي لمحتاجٌ إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكنّي لا أَخلط بزيارتكنّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكّة وقال في ذلك :

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفدا

وذكر الأبيات المتقدّمة .

[عود إلى شهادة جرير والنصيب وغيرهما في شعر عمر]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيُّ قال حدّثنا العُمريّ عن لقيط قال : أنشَد جرير قول عمر بن

1 ديوان عمر : 109 .
2 أفد : قرب ودنا .
3 المناصف : الخدم .
4 الصوران : موضع ببقيع المدينة .

أبي ربيعة[1] : [من الخفيف]

صوت

سائلا الربـعَ بالبُلِيِّ وقُـولا هِجْتَ شوقاً لِيَ الغَداةَ طويلا[2]
أين حَيٌّ حَلُّوكَ إذ أنتَ مَحْفُو فٌ بهم آهِلٌ أراكَ جَمِيلا ؟
قـال سارُوا فأَمْعَنُوا واسْتَقَلُّوا وبرَغْمـي لَوِ استطعتُ سبيلا
سئمونـا ومـا سئمنـا مُقاماً وأحبُّـوا دَماثَـة وسُهُـولا

فقال جرير : إنّ هذا الذي كنّا نَدُورُ عليه فأخطأناه وأصابه هذا القُرشيّ . وفي هذه الأبيات رملان : أحدهما لابن سريج بالسَّبَّابة في مجرى الوُسطى ، والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البِنصر جميعاً من روايته . وذكر عمرو : أنّ فيها رَمَلاً ثالثاً بالوُسطى لابن جامع . وقال الهشاميّ : فيها ثلاثة أرمال لابن سُريج ، وابن جامع ، وإبراهيم . ولأبي العَنْبَس بن حمدون فيها ثاني ثقيلٍ . وفيها هزجٌ لإبراهيم الموصلي من جامع أغانيه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال : وجدتُ كتاباً بخطّ محمد بن الحسن ذُكِر فيه أنّ فُليح بن إسماعيل حدّثه عن معاذٍ صاحب الهَرَويّ أنّ النُّصَيب قال : عمر بن أبي ربيعة أَوصَفُنا لرَبَّاتِ الحِجال .

أخبرني الطوسيّ : قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني ظَمْياءُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصعب قالت : سمعت جَدَّكِ[3] يقول وقد أُنْشِد قول عمر بن أبي ربيعة[4] : [من البسيط]

صوت

يا ليتني قد أَجَزْتُ الحبلَ نَحْوَكُمُ حَبْلَ المُعَرَّفِ أو جاوزت ذا عُشَرِ
إنّ الثَّواءَ بـأرضٍ لا أراكِ بها فاسْتَيقِنيه ثَـواءٌ حَقُّ ذِي كَدَرِ
وما مَلِلْتُ ولكن زاد حُبُّكُمُ وما ذكرتُكِ إلاّ ظِلْتُ كالسَّدِرِ[5]
ولا جَذِلـتُ بشيءٍ كان بعدَكُـمُ ولا مَنَحْتُ سِواكِ الحبَّ من بَشَرِ

الغناء في هذه الأربعة الأبيات لسَلاَّم بن الغَسَّاني رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع وقَفَا النجار لحنان من كتاب إبراهيم ولم يُجَنِّسهما . وتمام

1 ديوان عمر : 333 .
2 البلّيّ : اسم تلّ .
3 ل : خالي .
4 ديوان عمر : 145 .
5 السدر : المتحير .

الأبيات : [من البسيط]

أَدرِي الدموعَ كذي سُقْم يُخامِرُه وما يُخامرني سُقْمٌ سوى الذِّكَرِ
قد ذكرتُكِ لو أَجْدى تذكُّركُمْ يـا أشبهَ الناسِ كلِّ الناسِ بالقمرِ

قالت : فقال جَدّك : إنّ لشعرِ عمر بن أبي ربيعة لَموقِعاً في القلب ، ومخالطةً للنفس ليسا لغيره ، ولو كان شعرٌ يَسْحَرُ لكان شعرُه سحراً .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عِمامةُ بن عمر[1] قال : رأيت عامر بن صالح بن عبد الله بن عُروة بن الزبير يسأل المِسْوَرَ بن عبد الملك عن شعر عمر بن أبي ربيعة ، فجعل يذكُر له شيئاً لا يعرفه ، فيسأله أن يُكْتِبه إيّاه فيفعل ، فرأيته يكتب ويدُه تُرعَد من الفرح .

[مفاضلة بين شعر عمر وشعر الحارث بن خالد]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجِشون عن عمّه يوسف قال : ذُكر شعرُ الحارث بن خالد وشعرُ عمر بن أبي ربيعة عند ابن أبي عتِيق في مجلس رجل من وِلد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبُنا ، يعني الحارث بن خالد ، أشعرهُما . فقال له ابن أبي عتيق : بعض قولك يا ابن أخي ، لِشعْرِ عمر بن أبي ربيعة لَوْطَةٌ[2] في القلب ، وعُلُوقٌ بالنفس ، ودَرَكٌ للحاجة ليست لشعْرٍ ، وما عُصيَ الله جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا عُصيَ بشعر ابن بي ربيعة ، فخُذْ عنّي ما أصِفُ لك : أشعرُ قريش مَنْ دقّ معناه ، ولُطف مَدخلُه ، وسَهُل مَخرجه ، ومتُن حَشوه ، وتعطّفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأَعربَ عن حاجته . فقال المفضّل للحارث : أليس صاحبُنا الذي يقول[3] : [من الكامل]

إنّي ومـا نَحَرُوا غَداةَ مِنًى عنـد الجِمار يؤودها العقْلُ[4]
لـو بُدِّلَـتْ أعلَـى مساكِنها سُفْلاً وأصبـح سُفْلُها يَعْلُو
فَيَكـادُ يعرِفهـا الخَبيرُ بهـا فَيرُدُّه الإقْـواءُ والمَحْـلُ[5]
لعَرفْتُ مَغْناها بمـا احتمَلَتْ منّـي الضلـوعُ لأهلهـا قَبْلُ

فقال له ابن أبي عتيق : يا ابن أخي ، استُرْ على نفسك ، واكتُمْ على صاحبك ، ولا تُشاهد المحافلَ بمثل هذا ؛ أما تَطَيَّر الحارث عليها حين قلَبَ ربعَها فجعل عاليَه سافلَه ! ما بقي إلاّ أن

---

1 ل : عمرو .
2 لوطة : تعلّق والتصاق ؛ ويقال : نوطة والمعنى واحد .
3 ديوان الحارث 77–78 .
4 يؤودها : يثقّلها .
5 يعرفها في ل : ينكرها .

يسأَلَ الله تبارَك وتعالى لها حجارةً من سِجِّيلٍ . ابن أبي ربيعة كان أحسن صُحبةً للربع من صاحبك ، وأجمل مخاطبة حيث يقول : [من الخفيف]

سائـلا الربـعَ بالبُلِـيِّ وقولا هِجْتَ شوقاً لِيَ الغداةَ طويلا

وذكر الأبيات الماضية . قال : فانصرف الرجل خَجِلاً مُذْعِناً .

[شيء من أخبار الحارث بن أبي ربيعة الملقّب بالقباع]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق عن رجاله المسمِّيْنَ ، وأخبرني به الحِرْميّ عن الزبير عن عمّه عن جدّه ، قالوا : كان الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أخو عمر بن أبي ربيعة رجلاً صالحاً ديِّناً من سَرَوات قريش ؛ وإنّما لُقِّب القُباعَ لأنّ عبد الله بن الزبير كان ولّاه البصرة ، فرأى مكيالاً لهم فقال : إنّ مكيالكم هذا لقُباعٌ ، قال : وهو الشيء الذي له قعر ، فلُقِّب بالقُباع .

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المُهلَّبي قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عبد الله بن محمد الطائي قال حدّثنا خالد بن سعيد قال : استعمل ابن الزبير الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة على البصرة ، فأتوه بمكيال لهم ، فقال لهم : إنّ مكيالكم هذا لَقُباعٌ ، فغلب عليه . وقال أبو الأسود الدُؤَليّ ، وقد عتَب عليه ، يهجوه ويُخطب ابن الزبير : [من الوافر]

أميرَ المؤمنين جُزِيتَ خيراً أَرِحْنا من قُباع بني المُغِيرَهْ

بَلَوْنـــاه ولُمنـاه فأعْيا علينا مـا يُمِرُّ لنـا مَريرَهْ

على أنّ الفتى نِكْحٌ أكولٌ وَوَلاَّجٌ مذاهبُـــه كثيـرهْ

[عمر في اليمن تشوّق إلى مكّة]

قالوا : وكان الحارث ينهى أخاه عن قول الشعر فيأبى أن يقبلَ منه ، فأعطاه ألف دينار على ألاّ يقول شعراً ؛ فأخذ المال وخرج إلى أخواله بلَحْجٍ وأَبْيَنَ[1] مخافة أن يَهيجَه مُقامُه بمكة على قول الشعر ، فطَرِب يوماً فقال[2] : [من البسيط]

صوت

هيهاتَ مـن أَمَـةِ الوَهَّاب منزلُنا إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ[3]

1 لحج وأبين : مخلافان باليمن .

2 ديوان عمر : 413–414 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .

3 سيف البحر : ساحله .

واحتلَّ أهلُكِ أَجْيـاداً وليس لنا ... إلاّ التذكُّرُ أو حـظٌّ مِنْ الحَزَنِ[1]
لـو أنّها أبصرتْ بالجَزْع عَبْرَتَه ... من أنْ يُغَـرِّد قُمْرِيٌّ على فَنَنِ
إذاً رأتْ غير مـا ظَنَّتْ بصاحبها ... وأيقنتْ أنّ لَحْجاً ليس من وَطَني
ما أَنْسَ لا أَنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ... وموقفي وكلانـا ثَـمَّ ذو شَجَنِ
وقولَهـا للثُّرَيَّـا وهـي باكيةٌ ... والدمع منها على الخدّينِ ذو سُنَنِ[2]
بـالله قُـولي لـه في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْث في اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفِرْتَ بها ... فما أخذتَ بتَرْك الحجّ من ثمنِ[3]

قال : فسارتِ القصيدة حتى سمعها أخوه الحارث ، فقال : هذا والله شعر عمر ، قد فَتك وغدَر . قال : وقال ابن جُرَيج[4] : ما ظننتُ أنّ الله عزّ وجلّ ينفَع أحداً بشعر عمر بن أبي ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن مُنشداً يُنشد قوله : [من البسيط]

بالله قـولي لـــه في غير معتبـــة ... ماذا أردتَ بطول المكث في اليمنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو ظفرت بها ... فما أخذتَ بترك الحجّ من ثمنِ

فحرّكني ذلك على الرجوع إلى مكّة ، فخرجتُ مع الحاجِّ وحَججت .

غَنَّى في أبيات عمرَ هذه ابن سُريج ، ولحنُه رَمَلٌ بالبِنصر في مجراها عن إسحاق . وفيها للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

[عمر مع الوليد يعرِّفه أحوال الطائف]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان قال حدّثني إسحاق عن السعدي[5] قال : قَدِم الوليد بن عبد الملك مكّة ، فأراد أن يأتي الطائف فقال : هل [لي] في رَجُلٍ علمٌ بأموال الطائف فيُخبرني عنها ؟ فقالوا : عمرُ بن أبي ربيعة . قال : لا حاجة لي به . ثم عاد فسأل فذكروه له فردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ثمّ ردّه . ثم عاد فسأل فذكروه له ؛ فقال : هاتوه . فركب معه يحدّثه ، ثم حرّك عمرُ رداءه ليُصلحه على كتفه ، فرأى على مَنكِبه أثراً . فقال : ما هذا الأثر ؟ فقال : كنتُ عند جارية لي إذ جاءتني جاريةٌ برسالةٍ من عند جارية أُخرى ، فجعلتْ تُسارُّني ، فغارت التي كنت أُحدّثها فعضّت مَنكبي ؛ فما وجدتُ ألَم عَضّها من لذّة ما كانت تلك تَنفُث

1 أجياد : مكان بمكّة .
2 سنن : طرق .
3 ظفرت في ل : رضيت .
4 ل : ابن جرير .
5 ل : السعيدي .

في أذني ، حتى بلغت ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذي كنتَ تُضحِك أمير المؤمنين به ؟ فقال : ما زِلنا في حديث الزِّنا حتى رجَعنا .

[المفاضلة بين عمر وعبد الله بن قيس الرقيات]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني محمد بن عبد الله البكريّ وغيره عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أبيه قال : دخلتُ مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مُساحِق ؛ فإنّه لَمعتمدٌ على يدي ، إذ مررنا بسعيد بن المسيِّب في مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد ، مَن أَشعرُ : صاحبُنا أم صاحبُكم ؟ يريد : عبد الله بن قيس ، أو عمر بن أبي ربيعة . فقال نوفلٌ : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟ قال : حين يقول صاحبُنا[1] : [من الطويل]

خليليَّ مـا بـالُ المَطايـا كأنَّما نَراها على الأَدْبـارِ بالقومِ تَنْكُصُ
وقـد قُطِعَـتْ أعناقُهنّ صَبابةً فأنفُسُنا ممّـا يُلاقِـينَ شُخَّصُ
وقد أتعبَ الحادي سُراهُنَّ وانتحى بِهِـنّ فما يَـأْلُو عَجولٌ مُقَلِّصُ[2]
يَـزِدْنَ بنـا قربـاً فيزدادُ شَوْقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعدُ يَنْقُصُ

ويقولُ صاحبُك ما شئتَ . فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشعرُ في الغَزَل ، وصاحبنا أكثر أَفانِينَ شعرٍ . فقال سعيد : صدقتَ . فلمّا انقضى ما بينهما من ذِكر الشعر ، جعل سَعيدٌ يستغفر الله ويَعْقِد بيده حتى وفَّى مائةً . فقال البَكريّ في حديثه عن عبد الجبَّار ، قال مُسلِم : فلمّا انصرفنا قلت لنوفل : أتُراه استغفر الله من إنشاد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ؟ فقال : كلاَّ هو كثيرُ الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسبُ ذلك للفخر بصاحبه .

[مفاضلة بين جميل وعمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال أبو عبيدة حدّثنا عَوانة بن الحكم وأبو يعقوب الثَّقَفيّ : أنّ الوليد بن يزيد بن عبد الملك قال لأصحابه ذات ليلة : أيُّ بيت قالته العرب أغزل ؟ فقال بعضهم : قولُ جَمِيل[3] : [من الطويل]

يموتُ الهوى منِّي إذا ما لَقِيتُها ويَحْيـا إذا فارقتُهـا فيعودُ

وقال آخر : قول عمر بن أبي ربيعة[4] : [من البسيط]

---

1 ديوان عمر : 218 .
2 مقلَّص : مشمّر ثيابه .
3 ديوان جميل (دار صادر) : 40 .
4 ديوان عمر : 100 .

كأنَّني حينَ أُمْسِي لا تُكلِّمُني ذو بُغْيةٍ يَبْتَغِي ما ليس موجودا

فقال الوليد : حسبُك والله بهذا ! أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الحميد عن شيخ من أهله عن أبي الحارث مولى هشام بن الوليد بن المُغيرة ، قال : وهو الذي يقول فيه عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يـا أبا الحارثِ قلبـي طائـرٌ فأْتَمِـرْ أمـرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ

قال : شهِدتُ عمرَ بن أبي ربيعة ، وجميل بن عبد الله بن معمر العُذْرِيّ ، وقد اجتمعا بالأَبْطَح ؛ فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

لقَد فَرِحَ الواشونَ أنْ صَرَمَتْ حبلي بُثَينةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البُخْلِ
يقولون مَهْلاً يـا جميـلُ وإنَّني لأُقْسِمُ مـالي عـن بُثَيْنَةَ من مَهْلِ

حتى أتى على آخرها ، ثم قال لعمر : يا أبا الخطَّاب ، هل قلت في هذا الرَّوِيّ شيئاً ؟ قال نعم . قال : فأنْشِدْنِيه ؛ فأنشده قوله[2] : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقَرَّ بني يومَ الحِصابِ إلى قَتْلي[3]
فطارتْ بجَدٍّ من فؤادي وقارنت قرينتُها حبـلَ الصَّفاء إلى حبلي[4]
فلمّا تواقَفنـا عرفـتُ الذي بها كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ
فقُلْـنَ لهـا هـذا عِشاءٌ وأهلُنا قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمي مَركَبَ البَغْلِ
فقالتْ فما شِئتُنّ قلن لهـا انزلي فَللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ
نُجـومٌ دَراريٌّ تَـكَـنَّفْنَ صـورةً من البدر وافت غيرُ هُوجٍ ولا عُجْلِ
فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفَةَ أن يَرى عدوٌّ مُقامِي أو يـرى كاشحٌ فِعْلِي
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتْرِ إنّما معي فَتَكَلَّمْ غيرَ ذي رِقْبَـةٍ أَهْلِي
فقلتُ لهـا مـا بي لهم من تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرِّي ليس يَحْمِلُـه مثلي
فلمّا اقتصرْنـا دونهـنّ حديثَنا وهُنّ طَبِيباتٌ بحاجة ذي الشِّكْلِ[5]

1 ديوان جميل : 98 .
2 ديوان عمر : 293–294 .
3 الحصاب أو المحصب : موضع رمي الجمار .
4 فؤادي في ل : سهامي .
5 الشكل : الدلّ .

عَرَفْنَ الذي تَهْوى فقلن آئذَني لنا نَطُفْ ساعةً في بَرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ[1]
فقالتْ فلا تَلْبَثْنَ قُلْنَ تَحَدَّثي أتيناكِ ، وانْسَبْنَ انسِيابَ مَها الرَّمْلِ
وقُمْنَ وقد أفهمْنَ ذا اللُّبِّ أنّما أَتَيْنَ الذي يأْتِينَ من ذاك من أَجْلِي

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، لا أقول والله مثل هذا سَجِيسَ الليالي[2] ، والله ما يُخاطب النساء مخاطبتك أحدٌ . وقام مُشمِّراً .

قال أبو عبد الله الزبير قال عمّي مُصعب : كان عمر يُعارض جميلاً ؛ فإذا قال هذا قصيدة قال هذا مثلها . فيقال : إنّه في الرائية والعَيْنيّة أشعرُ من جميل ، وإنّ جميلاً أشعر منه في اللاّميّة ، وكلاهما قد قال بيتاً نادراً ظريفاً ؛ قال جميل : [من الطويل]

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي

وقال عمر : [من الطويل]

فقالت وأرختْ جانبَ السِّتْر إنّما معي فتكلّم غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي

[حين سمع الفرزدق بيتاً لعمر]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفّان عن إسحاق عن المدائنيّ قال : سمِع الفرزدقُ عمر بن أبي ربيعة يُنْشد قوله : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينها فقرّبني يوم الحِصابِ إلى قتلي

[ولمّا بلغ قوله : [من الطويل]

فَقُمْنَ وقد أفهمنَ ذا اللبّ أنّما أَتَيْنَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي]

صاح الفرزدق : هذا والله الذي أرادته الشعراءُ فأخطأتْه ، وبكتْ على الديار .

نسبة ما في هذه الأشعار من الغناء

منها في قصيدة جميل التي أنشدها عمر ، واستنشده ما له في وزنها : [من الطويل]

صوت

خليليَّ فيما عشْتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حبِّ قاتِله قبلي
أَبِيتُ مع المُلاَّكِ ضيفاً لأهلِها وأهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فضلِ[3]

1 تهوى قد تقرأ : نهوى .
2 سجيس الليالي : أبد الدهر .
3 الملاّك : المتسوّلون أو طالبو المعروف .

أَفِقْ أيّها القلبُ اللَّجُوجُ عن الجَهْلِ ودَعْ عنك «جُمْلاً» لا سبيلَ إلى جُمْلِ
فلو تَرَكَتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكنْ طِلابِيها لِما فات من عَقْلِي

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو في الأوّل والثاني من الأبيات . وذكر الهشاميّ الأبيات كلَّها ووصف أنّ الثقيل الثاني الذي يُغَنَّى به فيها لمعبد . وذكر يحيى المكّي : أنّ لابن مُحرز في الثالث وما بعده من الأبيات ثاني ثقيل بالخِنصر والبِنصر . وفي هذه الأبيات التي أوّلها الثالث هزج بالبِنصر يَمانٍ عن عمرو . وفي الرابع والخامس لابن طُنبورةَ خفيف رَمَلٍ عن الهشاميّ . وفيها لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ أيضاً . وذكر حمّادٌ عن أبيه : أنّ لنافع الخَيْرِ مولى عبد الله بن جعفر في هذه الأبيات لحناً ، ولم يُجَنِّسْه . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيل الأوّل لابن طُنبورة .

ومنها في شعر جميل أيضاً : [من الطويل]

صوت

لقد فَرِح الواشونَ أنْ صَرَمتْ حبلي بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنا جانبَ البخلِ
فلوْ تركتْ عقلي ما طلبتُها ولكن طِلابِيها لِمَا فات من عقلي

الغناء لابن مِسْجَح ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

ومنها في شعر عمر بن أبي ربيعة المذكور في أوّل الخبر : [من الطويل]

صوت

فقالت وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنّما معي فتحدّثْ غيرَ ذي رِقْبةٍ أهلي
فقلتُ لها ما بي لهم من تَرقُّبٍ ولكنّ سرِّي ليس يحملُه مثلي
جرى ناصحٌ بالوُدّ بيني وبينها فقرَّبني يومَ الحِصاب إلى قتلِ

غنَّى في هذه الأبيات ابن سُريج ، ولحنه رَملٌ مُطلَقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر يونس : أنّ فيه لحناً لمالكٍ لم يُجَنِّسه ، وذكر الهشاميّ : أنّ لحنَ مالك خفيف ثقيل . وذكر حبشٌ : أنّ لمعبد فيه لحناً من الثَّقيل الأوّل بالبِنصر ، ولابن سُريج ثاني ثقيل بالوسطى . [وليس حبشٌ ممّن يُعتمد في هذا على روايته] .

[رأي مشيخة قريش في شعر عمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : أدركتُ مَشيخة من قريش لا يزِنون بعمر بن أبي ربيعة شاعراً من أهل دهره في النسيب ، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه ، والتحلِّي بمودّته ، والابتيار في شعره . والابتيار : أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفخر به . والابتهار : أن يقول ما لم يفعل .

[نقد ابن أبي عتيق أبياتاً لعمر]

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني عبد الله بن عمر وغيره عن إبراهيم بن المنذر الحزاميّ عن عبد العزيز بن عمران قال : قال ابن أبي عتيق لعمر وقد أنشده قوله[1] : [من الرمل]

صوت

بينمـــا يَنْعَتْنِـــي أبْصَرْنَنِـــي دونَ قِيدِ المِيلِ يَعْدُو بي الأَغَرّ
قالتِ الكبرى أتَعْرِفْـنَ الفَتى قالتِ الوُسْطى نعمْ هـذا عمرْ
قالـت الصغرى وقـد تَيَّمْتُها قد عرفناه وهـل يَخْفى القمرْ

الغناء في هذه الأبيات لابن سُريج خفيف رَمَلٍ بالبِنصر . فقال له ابن أبي عتيق : وقد أنشدها ، أنت لم تَنسُب بها ، وإنّما نَسَبْتَ بنفسك ؛ كان ينبغي أن تقول : قلتُ لها فقالت لي ، فوضعتُ خَدِّي فوَطِئتْ عليه .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : لم يذهب على أحدٍ من الرواة أنّ عمر كان عفيفاً يَصِف ولا يقف[2] ، ويَحوم ولا يَرِد .

[عمر والوليد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن منصور عن ابن الأعرابيّ ، وحدّثني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هفّان عن إسحاق المَوصليّ عن رجاله ، قالوا : كان ابن أبي ربيعة قد حَجَّ في سنة من السنين . فلمّا انصرف من الحجّ أَلْفَى الوليد بن عبد الملك وقد فُرِشَ له في ظهر الكعبة وجلس ، فجاءه عمرُ فسلَّم عليه وجلس إليه . فقال له : أنشِدني شيئاً من شعرك . فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا شيخ كبير وقد تركت الشعر ، ولي غلامان هما عندي بمنزلة الولد ، وهما يرويان كلّ ما قلتُ وهما لك . قال : ائتني بهما ففعل ؛ فأنشداه قوله : [من الطويل]

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

فطرب الوليدُ واهتزّ لذلك ، فلم يزالا يُنشدانه حتى قام ، فأجزل صلتَه ورَدَّ الغلامين إليه .

[عدد من مميّزات شعر عمر]

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباري الكاتب الملقّب «كِيلَجَةَ» قال حدّثني أبو هفّان قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن مُصعب بن عبد الله الزبيريّ ، وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه مصعب أنّه قال : راق عمرُ بن أبي ربيعة الناس

1 ديوان عمر : 174 .
2 في رواية : يصف ويقف .

وفاق نظراءه وبرعهم بسهولة الشعر وشدّة الأَسْر ، وحُسن الوصف ، ودقّة المعنى ، وصواب المَصْدر ، والقصد للحاجة ، واستنطاق الربع ، وإنطاق القلب ، وحُسْن العزاء ، ومخاطبة النساء ، وعفّة المقال ، وقلّة الانتقال ، وإثبات الحجّة ، وترجيح الشكّ في موضع اليقين ، وطُلاوة الاعتذار ، وفَتْح الغزل ، ونهج العِلل ، وعطف المَساءة على العُذّال ، وحُسْنِ التفَجُّع ، وبَخّل المنازل ، واختصر الخبر ، وصدق الصَّفاء ؛ إن قَدَح أَورى ، وإن اعتذر أَبرا ، وإن تَشَكَّى أَشْجى ، وأَقدم عن خِبرة ولم يعتذر بغِرَّة ، وأَسَر النوم ، وغَمَّ الطَّير ، وأَغَذ السَّير ، وحيَّر ماءَ الشباب ، وسهَّل وقَوَّل ، وقاس الهوى فأَربى ، وعَصى وأَحْلى وحالف بسَمعه وطرْفِه ، وأَبْرَم نَعْتَ الرسل وحَذّر ، وأعلن الحبَّ وأَسَرّ ، وبطَن به وأَظْهَر ، وأَلَحَّ وأَسَفَّ ، وأَنْكَح النومَ ، وجَنى الحديثَ ، وضربَ ظهره لبَطْنِه ، وأذلَّ صعبَه ، وقَنِع بالرَّجاء من الوفاء ، وأَعلى قاتِلَه ، واستبكى عاذِله ، ونفَّض النوم ، وأَغْلَق رَهْن مِنًى ، وأَهْدَر قَتلاه ؛ وكان بعد هذا كلِّه فَصيحا .

فمن سُهولة شعرِه وشِدّة أَسْرِه قولُه[1] : [من الطويل]

صوت

فلمّا تَواقَفْنا وسلّمتُ أشرقَتْ وجوهٌ زهاها الحسنُ أن تَتَقنَّعا
تَبالَهْـنَ بالعِرْفـان لَمّا رأينَنِي وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أَكَلَّ وأَوْضَعا

الغناء لابن عَبَّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن جامع لحنٌ غيرُ مُجَنَّس عن إبراهيم .

ومن حسن وصفه قولُه[2] : [من البسيط]

لها مـن الرِّيـم عيناه وسُنَّتُهُ ونَخْوةُ السابق المُخْتال إذ صَهَلا[3]

ومن دقّة معناه وصواب مصدره قولُه[4] : [من السريع]

صوت

عُوجـا نُحَيِّ الطَّلَلَ المُحْوِلا والرَّبْعَ مِـنْ أسمـاء والمنزلا
بسابِـغِ البَوْبـاةِ لم يَعـدُه تَقـادُمُ العهـدِ بـأن يُؤْهَلا[5]

1 ديوان عمر : 228 .
2 ديوان عمر : 308 .
3 سنته في رواية : ولفتته .
4 ديوان عمر : 310 .
5 البوباة : الفلاة .

الغناء لابن سُريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . قال إسحاق بن إبراهيم : يعني أنّه لم يؤهل فيعدوه تقادم العهد . وقال الزبير : قال بعض المدنيّين : يُحيِّيه بأن يَوْهَل ، أي يدعو له بذلك .

ومن قصده للحاجة قولُه[1] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً ... عَمْرَكَ اللهَ كيفَ يلتقيانِ[2]

هي شاميّةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ ... وسُهَيْلٌ إذا استقلَّ يَماني

ويُروى : «هي غوريَّة» . الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو وابن المكّي .

ومن استنطاقه الربعَ قوله : [من الخفيف]

صوت

سائِلا الرَّبْعَ بالبُلَيّ وقُولا ... هِجتَ شوقاً لِيَ الغداةَ طويلا

أين حيٌّ حلُّوكَ إذ أنت محفو ... فٌ بهم آهلٌ أراكَ جميلا

قال ساروا فأمعَنوا واستقلُّوا ... وبِرَغْمِي لو قد وجدتُ سبيلا

ويروى : وبِكُرهِي لَـو آستطعتُ سبيلا

سئِمُونا ومـا سَئِمْنا جِواراً ... وأحبُّـوا دَماثَـةً وسُهـولا

فيه رَمَلان : أحدهما لابن سريج بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . والآخر لإسحاق مطلقٌ في مجرى البِنصر ، وفيه لأبي العَنْبَس ابن حمدون ثاني ثقيل . وقد شرحتُ نسبتَه مع خبره في موضع آخر . قال إسحاق : أُنشِدَ جريرٌ هذه الأبيات فقال : إنّ هذا الذي كنّا ندور عليه فأخطأناه .

ومن إنطاقه القلب قولُه[3] : [من المديد]

قال لي فيهـا عَتِيقٌ مقالاً ... فجرتْ ممّـا يقولُ الدموعُ

قال لي وَدِّعْ سُلَيْمى ودَعْها ... فأجاب القلبُ : لا أستطيعُ

الغناء للهُذَلِيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . قال : وفيه ليحيى المكيّ ثقيلٌ أوّل نُسِبَ إلى مَعْبَد وهو من مَنحوله .

---

1 ديوان عمر : 438 .

2 الثريا بنت علي بن عبد الله الأموية تزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري .

3 ديوان عمر : 247 .

ومن حسن عَزائه قولُه[1] : [من الطويل]

أَألحـقٌ إنْ دارُ الرَّبـاب تباعدتْ ... أو انْبَـتَّ حبـلٌ أنّ قلبَك طائرُ
أَفِقْ قد أفاق العاشقون وفارقوا الـ ... ـهوى واستمرَّتْ بالرِّجال المرائرُ[2]
زعِ النفسَ واستبقِ الحيـاءَ فإنّما ... تُباعِدُ أو تُدنِي الرَّبـابَ المَقادِرُ[3]
أمِتْ حُبَّها واجعل قَديمَ وِصالِها ... وعِشْرَتِها كمثـل مَـن لا تُعاشِرُ
وهَبْها كشيءٍ لم يكن أو كنازحٍ ... بـه الدارُ أو مَـنْ غيَّبَتْه المقابرُ
وكالناسِ عُلِّقْتَ الرَّبابَ فلا تكن ... أحاديثَ مَنْ يَبْدُو ومن هو حاضرُ

الغناء في بعض هذه الأبيات وأوّلُه «زَعِ النفسَ» لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لعمرَ الواديِّ رملٌ بالبنصر عن ابن المكّي . وفيه لـ«قُدارٍ» لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مُجَنَّس . وهذه الأبيات يرويها بعض أهل الحجاز لكُثيِّر[4] ، ويرويها الكوفيون للكميت بن معروف الأسديّ ، وذكر بعضها الزبير بن بكّار عن أبي عبيدة لكُثيِّر في أخباره ؛ [ولكلّ فيها أخبار قد ذكرتها في مواضعها] .

ومن حسن غزله في مخاطبة[5] النساء ، قال مُصعب الزبيري : وقد أجمع أهلُ بلدنا ممّن له علمٌ بالشعر أنّ هذه الأبيات أغزلُ ما سمعوا ؛ قوله[6] : [من المتقارب]

صوت

تقولُ غَـداةَ التَقَيْنا الرَّبـابُ ... أيـاذا أفَلْـتَ أفـولَ السِّماكِ
وكَفَّـتْ سوابـقَ مـن عَبْرةٍ ... كما ارفَضَّ نظمٌ ضعيفُ السِّلاكِ
فقلتُ لها مَنْ يُطِعْ في الصَّديقِ ... أعـداءَه يَجْتَنِبْـه كذاكِ
أغَـرَّكِ أنّي عصَيتُ المَلامَ ... فيـكِ وأنّ هوانـا هـواكِ
وألاَّ أرى لَـذَّةً في الحيـاةِ ... تَقَـرُّ بهـا العينُ حتـى أراكِ
فكان من الذنـب لي عندكم ... مُكارَمَتِـي واتِّباعـي رِضاكِ

1 ديوان عمر : 133 .
2 بالرجال في ل : بالرحيل .
3 زع : فعل أمر من وزع أي كف وزجر .
4 ل : وهذه الأبيات تنسب لكثير .
5 ل : مخاطبته .
6 ديوان عمر : 287 .

فليـــتَ الذي لامَ في حُبّكم وفي أن تُزاري بقَـــرْنٍ وَقاكِ[1]
هُمُـــومَ الحيـــاة واسقامَهـــا وإن كان حَتْـــفٌ جَهيزٌ فَداكِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكَر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحَكَم . وقيل : إنّ فيه لحناً آخر لابن جامع .

ومن عِفّة مقاله قوله[2] : [من الخفيف]

صوت

طالَ لَيْلِي واعتادَنِي اليومَ سُقْمُ وأصابتْ مَقاتِـــلَ القلبِ نُعْمُ
حُرَّةُ الوجـهِ والشمائلِ والجو هرِ تكليمُها لمـن نـــال غُنْمُ
وحديث بمثلـــه تُنْزَلُ العُصْـ ـمُ رَخِيـم يَشُوبُ ذلك حِلْمُ
هكذا وَصْفُ مـا بدا لي منها ليس لي بالـــذي تَغَيَّبَ علْمُ
إن تَجُودي أو تَبْخَلي فبحَمْدٍ لستِ يا نُعْمُ فيهما مَـــن يُذَمُّ

الغناء لابن سُريج رَمَلٌ عن الهشاميّ .

ومن قلّة انتقاله قوله[3] : [من المديد]

صوت

أيّها القائـــلُ غيرَ الصـــوابِ أمْسِكِ النُّصْحَ وأَقِلِـــلْ عِتابي
واجتَنِبني واعلَمَنْ أن ستُعْصى ولَخَيْـرٌ لـك طـولُ اجتنابي
إن تَقُلْ نُصْحاً فعن ظهرِ غِشٍّ دائِـم الغِمْرِ بعيـــدِ الذّهابِ[4]
ليس بي عِيٌّ بمـا قلتَ إنّي عالـمٌ أفقـهُ رَجْـعَ الجوابِ
إنّمـا قُـرَّةُ عينـي هواهـا فـدَعِ اللّومَ وكِلْنِي لِمـا بي
لا تَلُمْنِي في الرَّبابِ وأمستْ عَدَلتْ للنفس بَـرْدَ الشَّرابِ
هـي واللهِ الذي هـو ربِّـي صادقاً أحلِـفُ غيرَ الكِذابِ
أكـرمُ الأحيـاء طُـرّاً علينا عند قُـرْب منهـمُ واجتنابِ

1 قرن : اسم مكان وهو قرن المنازل .
2 ديوان عمر : 374 .
3 ديوان عمر : 60 .
4 الغمر : الحقد .

خاطبْتني ساعـةً وهي تبكي ثم عَزَّتْ خُلَّتي في الخِطابِ[1]
وكفى بي مِدرَهـاً لخصُومٍ لِسواهـا عنـد حَـدِّ تَبابِي[2]

الغناء لكَرْدَمٍ ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مَجرى الوُسطى عن إسحاق في الأوّل والخامس ثم الثاني والثالث . وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالبنصر عن يحيى المكيّ .

ومن إثباته الحُجّة قولُه[3] : [من الطويل]

خليليَّ بعضَ اللـوم لا تَرْحَلا بـه رفيقكما حتى تقولا على عِلْمِ[4]
خليليّ مَنْ يَكلف بآخـرَ كالذي كَلِفْتُ بـه يَدمُلْ فؤاداً على سُقْمِ
خليليّ مـا كانت تُصابُ مَقاتِلي ولا غِرَّتِي حتى وَقعتُ على نُعْمِ
خليليّ حتى لُـفَّ حَبْلِي بخادِعٍ مُوَقّىً إذا يُرْمى صَيُودٍ إذا يَرْمِي
خليليّ لـو يُرْقَى خليلٌ من الهوى رُقيتُ بما يُدْنِي النَّوارَ من العُصْمِ
خليليّ إن باعدتُ لانَتْ وإن أَلِنْ تُباعِدْ فلم أَنْبُلْ بحَرْبٍ ولا سَلْمِ

ومن ترجيحه الشكَّ في موضع اليقين قوله[5] : [من الطويل]

صوت

نظرتُ إليهـا بالمُحصَّب مـن مِنًى ولي نظـرٌ لـولا التَّحَـرُّجُ عارمُ
فقلـتُ : أشمسٌ أم مصابيحُ بيعَـةٍ بدتْ لك خَلْفَ السَّجْف أم أنت حالمُ
بعيدةُ مَهْـوى القُـرْطِ إمّـا لَنَوْفَلٌ أبوهـا وإمّا عبـدُ شمسٍ وهاشمُ[6]
ومَـدَّ عليها السَّجْفَ يـومَ لَقِيتُها على عَجَـلٍ تُبّاعُهـا والخـوادِمُ
فلـم أَسْتَطِعْها غيرَ أنْ قـد بـدا لنا عَشيّـةَ راحـتْ وجهُهـا والمعاصمُ
مَعاصمُ لم تَضْرِبْ على البَهْم بالضُّحى عَصاهـا ووجـهٌ لم تَلُحْـهُ السَّمائِمُ[7]

1 عزّت : بخلت .
2 المدره : القوي الحجّة .
3 ديوان عمر : 357 .
4 لا ترحلا به رفيقكما : لا تثقلا عليه به (أي باللوم) .
5 ديوان عمر : 348–349 .
6 بعيدة مهوى القرط : يعني أنّ عنقها طويل .
7 البهم : الصغير من أولاد الضأن والمعز .

نُضار تَرى فيه أَساريع مائه صَبِيحٌ تُغاديه الأَكُفُّ النَّواعمُ[1]
إذا ما دَعتْ أترابَها فاكتنفْنها تَمايَلْنَ أو مالتْ بهنَّ المآكِمُ
طَلَبْن الصِّبا حتى إذا ما أَصَبْنه نَزَعْنَ وهنّ المُسْلِمات الظّوالمُ

الغناء لمعبد ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق وابن المكّي . وفيها لابن سريج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً . وفيها للغريض [خفيف] ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

ومن طُلاوة اعتذاره قولُه[2] : [من الخفيف]

صوت

عاودَ القلبَ بعضُ ما قد شَجاهُ مِن حبيبٍ أمسى هَوانا هواهُ
يا لقَومي فكيف أصبرُ عمَّنْ لا تَرى النفسُ طِيبَ عيشٍ سِواهُ
أرسَلتْ إذ رأتْ بعادِيَ ألاّ يَقْبَلَنْ بي مُحَرِّشا إن أتاهُ[3]
دونَ أن يسمَع المقالةَ مِنّا ولْيُطعْنِي فإنّ عندي رضاهُ
لا تُطِعْ بي فَدَتْكَ نَفْسي عدوّاً لحديثٍ على هَواهُ افْتَراهُ
لا تُطِعْ بي مَنْ لو رآني وإيّا كَ أَسِيرَيْ ضَرُورةٍ ما عَناهُ
ما ضِراري نفسي بهَجْرِيَ مَنْ ليـ ـس مُسيئاً ولا بعيداً ثراهُ[4]
واجتنابي بيتَ الحبيبِ وما الخُلْـ ـدُ بأَشْهَى إليَّ من أن أَراهُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وقال عمرو : فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للهُذَليّ . وفيه لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وابتداؤه نشيدٌ أوّله : «ما ضراري نفسي» . وقال الهشاميّ : وفيه لعُلَيَّةَ بنتِ المَهديّ وسعيد بن جابر لَحنانِ من الثقيل الثاني .

[ومن نهجه العلل]

ومن نهجه العِلَل قولُه[5] : [من المتقارب]

---

1 نضار : صافٍ أو نضير . أساريع : طرائق .
2 ديوان عمر : 440 .
3 المحرش : المحرض .
4 ثراه في ل : نواه .
5 ديوان عمر : 91 .

وآيـــةُ ذلكِ أنْ تسمَعـي إذا جئتُكـــم ناشداً يَنْشُدُ[1]
فرُحْنـا سِراعـاً وراح الهوى دليـــلاً إليهـا بنـا يَقْصِدُ
فلمّا دَنَوْنـا لجَرس النُّبـا ح والصوتِ ، والحيُّ لم يَرْقُدوا
بَعَثْنـا لهـا باغيـاً ناشداً وفي الحـيّ بُغْيَـةُ مـن يَنْشُدُ

وقد نُسبتْ هذه الأبيات إلى مَنْ غَنَّى فيها مع :

تَشِطُّ غـداً دارُ جيراننـا

ومن فتحه الغزلَ قولُه[2] : [من الطويل]

إذا أنت لم تَعْشَقْ ولم تَدْرِ ما الهوى فكُنْ حجراً من يابس الصَّخْرِ جَلْمَدا

ومن عطفه المساءة على العُذّال قولُه[3] : [من الخفيف]

صوت

لا تَلُمْني عَتِيقُ حَسْبي الذي بي إنّ بي يـا عَتِيقُ ما قد كَفاني
لا تَلُمْنـي وأنـت زيَّنْتَها لي أنت مثـلُ الشيطان للإنسانِ

الغناء لأبي العَنْبَس ابن حمدون ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ من مجموع أغانيه . وفيه رملٌ طُنبوريٌّ مُحْدَث . وفيه هَزَجٌ لأبي عيسى ابن المتوكّل .

ومن حسن تفجّعه قوله[4] : [من الطويل]

صوت

هَجرتَ الحبيبَ اليومَ من غير ما اجْتَرمْ وقَطَّعْتَ من ذي وُدِّكَ الحبلَ فانصرمْ
أطعتَ الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ مَقالةَ واشٍ يَقْرَعِ السِّنَّ مِـنْ نَدَمْ[5]
أتـاني رسولٌ كنـتُ أحسَبُ أنّـه شَفِيقٌ علينـا ناصـحٌ كالذي زَعَمْ
فلمّـا تباثَثْنا الحديـثَ وصَرَّحَتْ سَرائِرُه عن بعض مـا كان قـد كَتَمْ
تَبَيَّـنَ لي أنّ المُحَـرِّشَ كاذبٌ فعندي لكِ العُتْبى على رَغْمِ مَنْ رَغِمْ

1 ناشداً ينشد في رواية : منشداً ينشد .
2 ديوان عمر : 118 .
3 ديوان عمر : 417 .
4 ديوان عمر : 356 .
5 الوشاة في ل : عدو ، وفي ديوانه «الوشاة» .

فمِلآنَ لُمْتُ النفسَ بعــد الذي مَضى وبعــد الذي آلتْ وآليتُ مِنْ قَسَمْ[1]
ظلمْــتَ ولم تُعْتِــبْ وكان رسولُهــا إليك سريعــاً بالرِّضا لــكَ إذ ظَلَمْ

الغناء لابن سريج رَمَلٌ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وقال يونس : فيه لابن سريج لحنان ، وذكر الهشاميّ أنّ لحنَه الآخر ثقيلُ أوّلُ ، وأنّ لعَلُّويَه فيه رملاً آخر .

ومن تبخيله المنازل قوله[2] : [من الطويل]

صوت

عَرَفْتُ مَصِيفَ الحيِّ والمُتَرَبَّعا ببَطْــنِ حُلَيَّــاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا[3]
إلى السَّرْح من وادي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ مَعالِمُها وَبْــلاً ونَكْبــاءَ زَعْزَعا[4]
فَيبْخَلْنَ أو يُخْبِرنَ بالعلم بعدمــا نَكَــأْنَ فؤاداً كان قِدْماً مُفَجَّعا

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى .

ومن اختصاره الخبر قوله[5] : [من الطويل]

صوت

أمِــن آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فمُبكِرُ غَداةَ غــدٍ أم رائــحٌ فمُهَجِّرُ
لحاجةِ نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها فتُبلِغَ عــذراً والمقالــةُ تُعذِرُ
أشارت بِمدْراها وقالت لتربها أهذا المُغِيريُّ الذي كان يُذكرُ
لئن كان إيّاه لقــد حال بعدَنا عن العهد والإنسانُ قــد يَتَغيَّرُ

الغناء لابن سريج رَمَلٌ بالسبابة في مجرى البِنصر ، وله أيضاً في بيتين آخرين من هذه القصيدة ، وهما قوله : [من الطويل]

وليلةَ ذي دَوْرانَ جَشّمتِنِي السُّرى وقــد يَجْشَمُ الهولَ المحبُّ المُغَرِّرُ
فقلــتُ أبادِيهــم فإمّــا أفوتُهــم وإمــّا ينــالُ السَّيفُ ثــأراً فيثأرُ

رَملٌ آخرُ بالوسطى عن عمرو . قال الزبير حدّثني إسحاق الموصلي قال : قلتُ لأعرابيٍّ ما معنى قول ابن أبي ربيعة : [من الطويل]

---

1 فملآن : فمن الآن .
2 ديوان عمر : 227 .
3 حليات : اسم موضع ، لعلّه قرب مكّة .
4 المغمس : موضع قرب مكّة في الطريق إلى الطائف .
5 ديوان عمر 120–127 .

لحاجة نفسٍ لم تَقُلْ في جوابها فتُبلِغَ عُـذْراً والمقالـةُ تُعذِرُ

فقال : قام كما جلَس .

ومن صدقه الصفاء قوله[1] : [من الخفيف]

كلُّ وصلٍ أمسى لديك لأُنثى غيرِها وصلُها إليها أَداءُ
كلُّ أُنثى وإن دنتْ لوصالٍ أو نأتْ فَيْيَ للرَّباب الفِداءُ

وقوله[2] : [من المتقارب]

صوت

أُحِبُّ لحبِّكِ مَـن لم يكنْ صَفِيّاً لنفسي ولا صاحِبا
وأَبـذُلُ مـالي لمَرْضاتِكم وأُعْتِبُ مَـنْ جاءكم عاتبا
وأرغَبُ في وُدّ مَنْ لم أكن إلى وُدّه قبلَكـم راغبـا
ولو سَلَكَ الناسُ في جانبٍ من الأرضِ واعتزلتْ جانِبا
لَيَمَّمْـتُ طِيَّتَهـا إنّنـي أرى قُرْبَها العجبَ العاجِبا

الغناء لابن القَفَّاص رملٌ عن الهشاميّ ويحيى المكّيّ ، وفيه للرَّبَعيِّ لحنٌ من كتاب إبراهيم غير مُجَنَّس .

ومما قَدَحَ فيه فأورَى قوله[3] : [من الرمل]

صوت

طالَ لَيْلِـي وتَعَنَّاني الطَّرَبْ واعتراني طـولُ هَمٍّ ووَصَبْ
أرْسلَتْ أسمـاءُ في مَعْتَبةٍ عَتَبَتْها وهي أحلى مَنْ عَتَبْ
أَنْ أتـى منهـا رسولٌ مَوْهِناً وجَـد الحـيَّ نياماً فانقلبْ
ضربَ البابَ فلم يَشْعُرْ بـه أحـدٌ يفتح باباً إذ ضَرَبْ
قـال : أيقـاظٌ ، ولكن حاجةٌ عَرَضَتْ تُكْتَمُ منّا فاحتجبْ
ولَعَمْـداً ردَّني ، فاجتَهـدَتْ بِيَمِينٍ حَلْفَـةً عنـد الغضبْ

1 ديوان عمر : 14 .
2 ديوان عمر : 66 .
3 ديوانه 28–29 .

يَشهَد الرحمـــنُ لا يجمعُنا سَقْفُ بيتٍ رَجَباً بعد رجبْ
قلـتُ حِـلاًّ فاقْبَلي مَعْذِرتي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أحبّ
إنّ كفَّـــيَّ لكِ رَهْنٌ بالرِّضا فاقْبَلي يا هندُ ، قالت قد وجَبْ

الغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لدحمان خفيف ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمعبدٍ لحن من كتاب يونس لم يُجنِّسه ، وذكر الهشاميّ أنّه خفيف ثقيلٍ . وفيه لابن سريج رملٌ عن الهشاميّ .

قال مَن حكينا عنه في صدر أخبار عمر روايتُهُ التي رواها عليُّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن رجاله والحرميُّ عن الزبير عن عمِّه : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى امرأةً يقال لها «أسماء» ، فكان الرسول يختلف بينهما زماناً وهو لا يقدر عليها . ثم وعدته أن تزوره ، فتأهّب لذلك وانتظرها ، فأبطأت عنه حتى غلبته[1] عينُه فنام ، وكانت عنده جاريةٌ له تخدمه ؛ فلم تَلبث أن جاءت ومعها جاريةٌ لها ، فوقفت حَجرَةً[2] وأمرت الجارية أن تضرب الباب ، فضربته فلم يستيقظ . فقالت لها : تطلَّعي فانظري ما الخبر ؟ فقالت لها : هو مُضطجعٌ وإلى جنبه امرأة ، فحلفت لا تزوره حَوْلا ؛ فقال في ذلك : [من الرمل]

طال ليلي وتَعَنّاني الطَّرَبْ

قال أبو هَفَّان في حديثه : وبعث إليها امرأة كانت تختلف بينه وبين معارفه ، وكانت جَزْلَةً[3] من النساء ، فصدَقَتْها عن قصَّته وحلفت لها أنّه لم يكن عنده إلاّ جاريته ، فرضيت . وإيّاها يَعني عمر بقوله : [من الرمل]

فأتتهـا طَبَّـــةٌ عالمـــةٌ تَخلِطُ الجِـدَّ مِـراراً باللَّعِبْ
تُغْلِظُ القولَ إذا لانـتْ لها وتُراخي عندَ سَوْراتِ الغضبْ
لم تَـزَلْ تَصْرِفُها عن رأيها وتأنَّاهـا برِفْـــقٍ وأدبْ

قال إسحاق في خبره : وحدّثني ابن كُناسَةَ قال أخبرني حَمَّاد الراوية قال : استنشدني الوليد بن يزيد ، فأنشدته نحواً من ألف قصيدة ، فما استعادني إلاّ قصيدة عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

طال لَيلِي وتعنَّاني الطربْ

---

1 ل : حملته .
2 حجرة : ناحية .
3 جزلة : عاقلة .

فلمّا أنشدته قوله : [من الرمل]

فأتتْهـــا طَبَّـــةٌ عالَمَـــةٌ تَخْلِطُ الجِـدّ مِـراراً باللَّعِبْ

إلى قوله :

إنّ كفِّـي لكِ رَهْـنٌ بالرِّضا فاقبَلِي يا أُخت قالت قد وجبْ[1]

فقال الوليد : وَيْحَكَ يا حَمَّاد ! أُطلُبْ لي مثلَ هذه أُرسِلها إلى سلمى . يعني امرأته سلمى بنتَ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وكان طَلَّقها ليتزوّج أُختَها ثم تَتَبَّعَتْها[2] نفسُه .

قال إسحاق وحدّثني جماعة منهم الحرميُّ والزبيريُّ وغيرهما : أنّ عمر أنشد ابن أبي عتيق هذه القصيدة ؛ فقال له ابن أبي عتيق : الناس يطلبون خليفة مذ قُتِل عثمان في صفة قَوَّادتِك هذه يدبِّر أمورَهم فما يجدونه ! .

رَجْعٌ إلى خبر عمر الطويل

قالوا : ومن شعره الذي اعتذرَ فيه فأبرأ قوله[3] : [من الخفيف]

فالتقينا فَرَحَّبَتْ حـين سلَّمـ ـتُ وكَفَّتْ دمعاً من العين مارا[4]
ثـم قالـتْ عنـد العِتابِ رَأَيْنا منـكَ عنَّـا تَجَلُّـداً وازْوِرارا
قلتُ كلاَّ لاهِ ابنُ عمِّك بل خِفْـ ـنا أُمـوراً كنَّـا بهـا أَغْمارا[5]
فجعلنـا الصُّدُودَ لَمّـا خَشِينا قالـةَ النـاسِ للهـوى أَسْتارا
ليس كالعهـد إذ عَهِدْتِ ولكن أوقـدَ الناسُ بالنميمـة نـارا
[فلِذاكِ الإعراضُ عنكِ وما آ ثَرَ قلبي عليكِ أُخْرى اختيارا]
مـا أُبـالي إذا النَّـوى قَرَّبتْكم فدنَوْتُم مَنْ حَـلَّ أو مَـنْ سارا
فالليـالي إذا نَـأَيـتِ طِـوالٌ وأَراهـا إذا قَرُبْـتِ قصارا

ومن تَشَكِّيه الذي أشجى فيه قوله[6] : [من الطويل]

---

1 يا أخت في رواية : يا هند .
2 ل : تبعتها .
3 ديوان عمر : 160–163 .
4 مار الدمع : جرى .
5 لاه ابن عمّك : لله ابن عمّك .
6 ديوان عمر: 48–49 .

صوت

لَعَمْرُكِ مـا جاورتُ غُمْدانَ طائعاً وقَصْرَ شَعُوبٍ أن أكونَ به صَبّا[1]
ولكنَّ حُمَّى أَضْرَعَتْني ثلاثـةً مُجَرَّمَـةً ثـم استمـرَّتْ بِنا غِبّا[2]
وحتى لو آنّ الخُلْدَ تَعْرِضُ إنْ مشت إلى الباب رِجْلِي ما نقلتُ لها إربا
فإنّـكِ لـو أبصرتِ يـومَ سُوَيقَةٍ مُناخي وحَبسي العِيسَ دامِيةً حُدْبا[3]
ومَصْـرَعَ إخـوانٍ كأنّ أَنينَهـم أنينُ المَكاكِي صادفتْ بلداً خِصْبا
إذاً لاقْشَعَرَّ الرَّأسُ منـك صَبابَةً ولاستفرغتْ عيناكِ من سَكْبَةٍ غَرْبا[4]

غَنّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبدٌ ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما لمالك ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ ، ونسبه يونس إلى مالك ولم يُجنِّسه .

ومن إقدامه عن خِبرة ولم يعتذر بغِرَّة قوله[5] : [من المتقارب]

صَرَمْتُ وواصلتُ حتّى عرفـ ـتُ أيـن المَصادِرُ والمَوردُ
وجَرَّبتُ مـن ذاك حتى عرفـ ـتُ مـا أتوقَّى ومـا أَعمِدُ

ومن أَسْره النومَ قوله[6] : [من الخفيف]

نامَ صَحْبي وباتَ نومي أسيرا أرقُب النَّجمَ مَوْهِناً أن يغُورا

ومن غَمِّه الطيرَ قوله[7] : [من الطويل]

فَرُحْنا وقلنا للغلام افضِ حاجةً لنـا ثـم أَدْرِكْنا ولا تتغبَّرِ
سِراعاً تَغُمُّ الطيرَ إن سنَحَتْ لنا وإن تَلْقَنا الرُّكْبـانُ لا نَتَخَبَّرِ

نتغبّر ، من قولهم : غبرَ فلان أي لبِث .

ومن إغْذاذه السيرَ قوله[8] : [من الخفيف]

---

1 غمدان وشعوب : قصران باليمن .
2 أضرعتني : أذلّتني . ثلاث مجرمات : ثلاثة أعوام كاملات .
3 حدبا في ل : جربا .
4 صبابة في ل : عجابة .
5 ديوان عمر : 90 .
6 ديوان عمر : 160 .
7 ديوان عمر : 130 .
8 ديوان عمر : 160–163 .

قلتُ سِيرا ولا تُقِيما بِبُصْرى وحَفِيرٍ فما أُحِبُّ حَفِيرا[1]
وإذا ما مررتُما بمَعانٍ فأقِلاَّ به الثَّواءَ وسِيرا
إنّما قَصْرُنا إذا حَسَّر السيـ ـرُ بعيراً أن نَستجِدَّ بَعِيرا[2]

ومن تحييره ماءَ الشباب قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أبرَزوها مثلَ المَهاةِ تَهادى بين خَمْسٍ كَواعِبٍ أتْرابِ
ثم قالوا تحبُّها قلتُ بَهْراً عددَ القَطْرِ والحصى والترابِ
وهي مكنونةٌ تخيَّر منها في أَدِيم الخَدَّيْنِ ماءُ الشبابِ

الغناء لمحمد بن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ ، وقيل : بل هو هذا .

ومن تَقويله وتَسْهيله قوله[4] : [من البسيط]

قالتْ على رِقْبةٍ يوماً لجارتها ما تأمُرينَ فإنّ القلبَ قد تُبِلا
وهل لي اليومَ منْ أختٍ مُواخِيةٍ منكنَّ أشْكُو إليها بعضَ ما فَعلا
فراجعتْها حَصانٌ غير فاحشةٍ برَجْعِ قولٍ ولُبٍّ لم يكن خَطِلا
لا تذكُري حُبَّه حتى أُراجِعَه إنِّي سَأَكْفِيكِه إنْ لم أمُتْ عَجَلا
فاقْنَيْ حياءَكِ في سَتْرٍ وفي كَرَمٍ فلستِ أَوَّلَ أُنثى عُلِّقتْ رجُلا

وأما ما قاس فيه الهوى فقوله[5] : [من الطويل]

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لمتيَّم يَقِيسُ ذراعاً كلّما قِسنَ إصبَعا

ومن عصيانه وإخلائه قوله[6] : [من الخفيف]

وأَنُصُّ المَطِيَّ يَتْبَعْنَ بالرَّكْـ ـبِ سِراعاً نَواعِمَ الأظْعانِ

---

1 بصرى : مدينة بالشام . حفير : نهر بالأردن .
2 قصرنا : غايتنا . حسَّره : جعله حسيراً أي ضعيفاً مجهداً .
3 ديوان عمر : 59 .
4 ديوان عمر : 315–317 .
5 ديوان عمر : 228 .
6 ديوان عمر : 419 .

فنَصِيدُ الغَرِيرَ مـن بقر الوَحـ ـشِ ونَلْهُـو بلـذّة الفِتْيانِ
في زمانٍ لو كنتِ فيه ضَجِيعِي غيرَ شَكٍّ عَرَفتِ لِي عِصْيانِي
وتَقَلّبـتِ في الفِراشِ ولا تَـدْ رِينَ إلاّ الظُّنـونَ أَين مكاني

ومن محالفته بسمعه وطرفه قوله[1] : [من البسيط]

سَمْعِي وطَرْفِي حَلِيفاها على جسدي فكيف أصْبِرُ عن سَمْعِي وعن بَصَرِي
لـو طاوعـاني عـلى ألاّ أُكَلِّمَهـا إذاً لَقَضَّيْتُ مـن أَوْطارِهـا وَطَرِي

ومن إبرامه نعتَ الرسلِ قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

فبعثتُ كاتمـةَ الحديـ ـثِ رَفِيقـةً بَجَوابِها
وحْشِيَّـةً إنسيَّـةً خَرَّاجـةً مـن بابهـا
فَرَقَـتْ فسهَّلتِ المَعـا رِضَ من سبيل نِقابِها

ومن تحذيره قوله[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

لقـد أرسلتُ جاريتـي وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
وقُـولي في مُلاطَفَـةٍ لزينـبَ نَـوِّلِي عُمَـرَكْ
فإنْ داويـتِ ذا سَقَمٍ فأخزى اللهُ مَنْ كَفَرَكْ
فهَزَّتْ رأسَها عجبـاً وقالتْ مَنْ بِـذا أمرك
أهـذا سِحْـرُك النِّسْوا نَ ، قـد خبَّرْنني خَبَرَكْ
وقُلْـنَ إذا قضى وَطَراً وأَدْرَكَ حاجـةً هَجَرَكْ

غنَّى ابن سُريج في هذه الأبيات ، ولحنُه خَفيف ثقيل . ولابن المَكِّي فيها هزج بالوسطى . وفيها رملٌ ذكر ذُكاءٌ وجهُ الرُّزَّة عن أحمد بن أبي العلاء عن مخارق أنّه لابن جامع ، وذكر قُمْرِيٌّ أنّه له وأنّ ذُكاء أبطل في هذه الحكاية .

قال الزبير : حدّثني عمّي قال حدّثني أبي قال : قال شيخ من قريش : لا تُزَوُّوا نساءكم

1 ديوان عمر : 140 .
2 ديوان عمر : 27 .
3 ديوان عمر : 213 .

شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتورّطن في الزِّنا تورُّطاً ؛ وأنشد : [من مجزوء الوافر]

لقـد أرسلتُ جاريتـي وقلتُ لها خُذي حَذَرَكْ

. . . الأبيات .

ومن إعلانه الحبَّ وإسراره قوله[1] : [من الطويل]

شكوتُ إليها الحبَّ أُعْلِنُ بعضَه وأخفيـتُ منـه في الفؤادِ غَلِيلا

وممّا أبطن به وأظهر قوله[2] : [من الرمل]

حُبُّكم يـا آل لَيْلى قاتِـلي ظهـرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ

ليس حُبٌّ فوقَ مـا أحببتُكُم غيرَ أَنْ أَقتُـلَ نفسي أو أُجَنّ

وممّا أَلَحَّ فيه وأَسَفَّ قوله[3] : [من الخفيف]

ليت حَظِّي كطَرْفة العين منها وكثيرٌ منهـا القليـلُ المُهَنّا

أو حديثٌ على خَلاءٍ يُسَلِّي ما يُجِـنُّ الفؤادُ منهـا ومِنّا

كَبُرَتْ رَبِّ نعمةً منكَ يوماً أنْ أراها قبـل الممـاتِ ومَنّا

ومن إنكاحه النومَ قوله[4] : [من الكامل]

صوت

حتّى إذا مـا الليلُ جَـنّ ظلامُه ونظـرتُ غَفلـةَ كاشحٍ أن يغفلا

واستَنْكَح النومُ الذين نَخافُهم وسَقى الكَرى بَوَّابَهُـمْ فاستُثْقِلا

خرجتْ تَـأَطَّرُ في الثيابِ كأنّها أَيْـمٌ يسيبُ على كَثيبٍ أَهْيَلا[5]

الغناء لمعبد خفيف ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه ألحانٌ لغيره وقد نُسبت في غير هذا الموضع مع قوله :

وَدِّعْ لُبابةَ قبل أن تترحَّلا

ومن جَنْيِه الحديثَ قوله : [من الخفيف]

---

1 ديوان عمر : 313 .

2 ديوان عمر : 414 .

3 ديوان عمر : 406 .

4 ديوان عمر : 312 .

5 الأيم : الحية .

وجَوارٍ مُساعِفـاتٍ على اللَّهْـ ـوِ مُسِرَّاتِ باطِـنِ الأَضْغانِ
صُيَّدٍ للرجال يَرشُقْن بالطَّرْ فِ حِسانٍ كخُـذَّل الغِزْلانِ
قد دَعاني وقـد دَعاهُنَّ لِلَّهـ ـوِ شُجُونٌ مُهِمَّـةُ الأَشجانِ
فاجتَنَيْنا مـن الحديـث ثِماراً ما جنَى مثلَهـا لَعَمْرُك جانِي

ومن ضَرْبِه الحديثَ ظهرَه لبطنه قولُه[1] : [من الخفيف]

في خَـلاء مـن الأَنيسِ وأَمْنٍ فَبَثَثْنـا غَليلَنـا واشْتَفَيْنا
وضربْنا الحديثَ ظهـراً لبطنٍ وأتينا مـن أمرنـا مـا اشْتَهَيْنا
فمكثنـا بـذاكَ عَشْرَ ليـالٍ في قضـاءٍ لِدَيْنِنا واقتَضيْنا

ومن إذلاله صعبَ الحديث قوله[2] : [من الطويل]

فلمّـا أَفَضْنا في الهـوى نستبينُه وعاد لنا صعبُ الحديث ذَلُولا
شكوتُ إليها الحبَّ أُظْهِرُ بعضَه وأخفيتُ منـه في الفؤادِ غَليلا

ومن قَناعتِه بالرجاء من الوفاء قوله[3] : [من الخفيف]

فِعِـدي نائـلاً وإن لم تُنيلي إنّـه ينفـعُ المُحِـبَّ الرجاءُ

قال الزبير : هذا أحسن من قول كثيِّر[4] : [من الطويل]

ولستُ براضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليـلٍ ولا أرضَى لـه بقليلِ

ومن إعلائه قاتلَه قوله[5] : [من الكامل]

فبعثتُ جاريتي وقلتُ لها اذهَبي فاشْكِي إليها مـا علمتِ وسَلِّمِي
قُولي يقـولُ تَحرَّجِي في عاشقٍ كَلِفٍ بكـم حتّى المماتِ مُتَيَّمِ
ويقول إنّكِ قـد علمتِ بأنّكُمْ أصبحتُمُ يا بِشْرُ أَوْجَـهَ ذي دمِ
فُكّـي رَهِينَتَـه فـإنْ لم تَفعَلِي فاعْلي على قَتْلِ ابنِ عمِّك واسْلَمِي

1 ديوان عمر : 430 .
2 ديوان عمر : 313 .
3 ديوان عمر : 15 .
4 لم يرد البيت في ديوان كثيِّر .
5 ديوان عمر : 364–365 .

فتضاحكتْ عَجَباً وقالتْ حقُّه ألاّ يُعَلِّمَنا بما لم نَعْلَمِ
علمِي به ، واللهُ يَغْفِرُ ذنبَه ، فيما بدا لي ، ذو هَوًى مُتَقَسَّمِ
طَرِفٌ يُنازِعهُ إلى الأَدْنى الهوى ويَبُتُّ خُلَّةَ ذي الوِصالِ الأَقْدَمِ[1]

ومن تنفيضه النومَ قولُه[2] : [من الطويل]

فلمّا فَقَدْتُ الصوتَ منهم وأُطفئتْ مَصابِيحُ شُبَّتْ بالعشاءِ وأَنْوُرُ
وغابَ قُمَيرٌ كنتُ أرجو غُيوبَه ورَوَّح رُعْيانٌ ونَوَّم سُمَّرُ
ونَفَّضْتُ عنِّي النومَ أقبلْتُ مِشْيَةَ الـ ـحُباب ورُكْنِي خَشْيَةَ القومِ أزْوَرُ[3]

ومن إغلاقه رَهْنَ منًى وإهداره قَتْلاً قوله[4] : [من الطويل]

فكَمْ من قَتِيلٍ ما يُباءُ به دمٌ ومن غَلِقٍ رَهْناً إذا لفَّه مِنى[5]
ومن مالِئٍ عينيه من شيءٍ غيره إذا راح نحو الجَمْرةِ البِيضُ كالدُّمى

وكان بعد هذا كلِّه فصيحاً شاعراً مِقوَلاً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي ، وأخبرنا به عليّ بن صالح عن أبي هَفّان عن إسحاق عن رجاله : أنّ عمر بن أبي ربيعة نظر إلى رجل يكلِّم امرأة في الطَّواف ، فعاب ذلك عليه وأنكره . فقال له : إنّها ابنة عمّي . قال : ذاك أشنعُ لأمرك . فقال : إنِّي خطَبْتُها إلى عمِّي ، فأَبى عليّ إلاّ بصَداق أربعمائة دينار ، وأنا غير مُطِيق ذلك ، وشكا إليه من حبِّها وكَلَفِه بها أمراً عظيماً ، وتَحَمَّلَ به على عمِّه . فسار معه إليه فكلَّمه . فقال له : هو مُمْلِق ، وليس عندي ما أُصْلِحُ به أَمرَه . فقال له عمر : وكم الذي تريده منه ؟ قال : أربعمائة دينار . فقال له : هي عليّ فزوِّجْه ، ففعل ذلك .

وقد كان عمر حين أَسَنَّ حلَف ألاّ يقولَ بيتَ شعر إلاّ أعتق رقبةً . فانصرف عمرُ إلى منزله يحدِّث نفسَه ؛ فجعلتْ جاريةٌ له تكلّمه فلا يردّ عليها جواباً . فقالت له : إنّ لك لأمراً ، وأراك تريد أن تقول شعراً ؛ فقال[6] : [من الوافر]

---

1 طرف : ملول .
2 ديوان عمر : 123 .
3 الحباب : الحية .
4 ديوان عمر : 18 .
5 أباء دمه : أخذ ثأره وقتل قاتله . غلق الرهن : استحقّ أجله ولم يفكّ .
6 ديوان عمر : 436 .

صوت

تقــولُ وَليدتِــي لمّا رأتْني ... طَرِبْتُ وكنتُ قد أقصرتُ حِينا
أراكَ اليومَ قد أحدثتَ شوقاً ... وهــاج لك الهوى داءٌ دَفِينا
وكنتَ زعمتَ أنّك ذو عَزاءٍ ... إذا مــا شئتَ فارقتَ القَرِينا
بربِّكَ هــل أتاك لهــا رسولٌ ... فشاقَك أم لَقِيتَ لها خَدِينا
فقلتُ شكا إليّ أخٌ مُحِــبٌّ ... كبَعْضِ زَمانِنــــا إذ تَعْلَمِينا
فقَصَّ عليّ مــا يَلْقى بهند ... فذكَّــر بعضَ مــا كنَّا نَسِينا
وذو الشَّوْقِ القديم وإنْ تَعَزَّى ... مَشُوقٌ حــين يلقى العاشقينا
وكم مــن خُلَّةٍ أعرضتُ عنها ... لغيرِ قِلىً وكنتُ بهــا ضَنِينا
أردتُ بِعادَها فصَدَدْتُ عنها ... ولــو جُــنَّ الفؤادُ بها جنونا

ثم دعا تسعةً من رقيقه فأعتقهم لكلّ بيتٍ واحدٌ . الغناء لابن سريج رَمَلَ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ . وفيه ثقيل أوّلُ يقال : إنّه للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أنّ فيه لدَحمان خفيف رَمَلٍ .

[عمر وعروة]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا أحمد بن عبيد أبو عصيدة قال : ذكرَ ابنُ الكلبيّ أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُساير عُروة بن الزبير ويُحادثه ، فقال له : وأين زينُ المواكب ؟ يعني ابنه محمد بن عُروة ، وكان يسمَّى بذلك لجماله . فقال له عروة هو أمامَك ؛ فركض يطلبه . فقال له عروة : يا أبا الخطَّاب ، أوَلَسنا أكفاءً كِراماً لمحادثتك ومسايرتك ؟ فقال : بَلى بأبي أنت وأمّي ! ولكنّي مُغْرًى بهذا الجمال أتْبَعُه حيث كان . ثم التفت إليه وقال[1] : [من البسيط]

إنّي امــرؤ مُولَعٌ بالحسن أتبعُه ... لا حظَّ لي فيــه إلاّ لَذَّةُ النَّظَرِ

ثم مضى حتى لَحِقَه فسار معه ، وجعَل عروة يضحك من كلامه تعجّباً منه .

[عمر ومالك بن أسماء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله قال : رأى عمرُ بن أبي ربيعة رجلاً يطوف بالبيت قد بهر الناس بجماله وتمامه ، فسأل عنه فقيل له : هذا مالكُ بن أسماء بن خارجة . فجاءه فسلَّم عليه وقال له : يا ابن أخي ، ما زلت أتشوّقكَ

1 ديوان عمر : 212 .

منذ بلغني قولُك : [من الخفيف]

إنَّ لي عنـدَ كلِّ نَفْحَـةِ بستا ... نٍ مـن الوَرْد أو من الياسِمِينا
نظـرةً والتفاتـــةً أتمنَّـى ... أنْ تكـوني حلَلْتِ فيما يَلِينا

ويروى : «. . . أترجَّى ... أن تكوني حللت . . .» .

[عمر وامرأة أبي الأسود الدؤلي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا العباس بن هشام عن أبيه قال أخبرني مولًى لزياد قال : حَجَّ أبو الأسود الدُّؤليّ ومع امرأته وكانت جميلة . فبينا هي تَطوف بالبيت إذ عرَض لها عمر بن أبي ربيعة ، فأتت أبا الأسود فأخبرته ، فأتاه أبو الأسود فعاتبه . فقال له عمر : ما فعلتُ شيئاً . فلمّا عادت إلى المسجد عاد فكلَّمها ، فأخبرتْ أبا الأسود ؛ فأتاه في المسجد وهو مع قومٍ جالسٌ فقال له : [من الطويل]

وإنّي ليَثْنِيني عن الجهل والخَنا ... وعن شَتْم أقوامٍ خلائـقُ أربعُ
حيـاءٌ وإسلامٌ وبُقْيـا وأنَّني ... كريمٌ ومثلي قـد يَضُرُّ وينفعُ
فشَتَّانَ مـا بيني وبينَك إنَّني ... على كلّ حـالٍ أستقيمُ وتَظْلَعُ

فقال له عمر : لستُ أعودُ يا عَمِّ لكلامِها بعد هذا اليوم . ثم عاود فكلَّمها ، فأَتَتْ أبا الأسود فأخبرته ، فجاء إليه فقال له : [من الطويل]

أنت الفتى وابنُ الفتى وأخو الفتى ... وسَيِّدُنـا لـولا خَلائِـقُ أربعُ
نُكُولٌ عن الجُلَّى وقُرْبٌ من الخَنا ... وبُخْـلٌ عـن الجَدْوى وأنّك تُبَّعُ

ثم خرجت وخرج معها أبو الأسود مُشتَمِلاً على سيف . فلمّا رآهما عمر أعرض عنها ؛ فتمثَّل أبو الأسود : [من البسيط]

تَعْدُو الذِّئابُ على من لا كِلابَ له ... وتتَّقِي صَوْلَـةَ المستأسِدِ الحامِي

[رأي الفرزدق في شعر عمر]

أخبرني ابن المَرْزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم الفِراسيّ قال حدّثنا العُمَريّ قال أخبرنا الهيثم بن عديّ قال : قَدِم الفرزدق المدينة وبها رجلان يقال لأحدهما صُوَيْمٌ ، وللآخر ابن أسماء ، وُصِفا له فقصدهما ، وكان عندهما قِيانٌ ؛ فسلَّم عليهما وقال لهما : من أنتما ؟ فقال أحدهما : أنا فِرعون ، وقال الآخر : أنا هامان . قال : فأين منزلكُما في النار حتى أقصدكما ؟ فقالا : نحن جيران الفرزدق الشاعر ؛ فضحك ونزل ، فسلَّم عليهما وسلَّما عليه وتعاشروا مدّة . ثم سألهما أن يَجمعا بينه وبين عمر بن أبي ربيعة ففعلا ، واجتمعا وتحادثا وتناشدا إلى أن

أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

فلمّـا التَقَيْنا واطمأنَّتْ بنا النَّوى وغُيِّبَ عنَّا مَـنْ نخافُ ونُشْفِقُ

حتى انتهى إلى قوله :

فقُمْـنَ لكـيْ يُخْلِينَنا فترقرقتْ مَدامِـعُ عَيْنَيْهـا وظَـلَّـتْ تَدَفَّقُ
وقالت أمَـا ترحَمْنَنِي لا تَدَعْنَنِي لَدى غَـزِلٍ جَـمِّ الصَّبابة يَخْرُقُ
فقلنَ اسْكُتِي عنَّـا فلَسْتِ مُطاعَةً وخِلُّكِ منَّا ، فاعلمي ، بِك أَرْفَقُ

فصاح الفرزدق : أنتَ والله يا أبا الخطّاب أغزلُ الناس ، لا يُحسن والله الشعراءُ أن يقولوا مثل هذا النَّسيب ولا أن يَرْقوا مثل هذه الرُّقْية ؛ وودّعه وانصرف .

[عمر وابن عياش]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن المُغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه : أنّه حَجَّ مع أبيه الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ، فأتى عمر بن أبي ربيعة وقد أسَنَّ وشاخ ، فسلَّم عليه وساءله ثم قال له : أيَّ شيء أحدثتَ بعدي يا أبا الخطّاب ؟ فأنشده[2] : [من الطويل]

يقولون : إنّي لستُ أصدُقُكِ الهوى وإنِّـيَ لا أرعـاكِ حـين أَغيبُ
فما بالُ طَرْفِي عَفَّ عمّا تَساقطتْ لـه أعـينٌ مـن مَعْشَرٍ وقُلوبُ
عَشِيَّةَ لا يَسْتَنْكِفُ القومُ أن يَرَوْا سَفاهَ امـرىءٍ ممّن يقـال لبيبُ
ولا فِتْنَةً مـن ناسكٍ أَوْمَضَتْ له بعـين الصِّبا كَسْلى القيامِ لَعُوبُ
تَـرَوَّحَ يَرْجُـو أن تُحَطَّ ذُنوبُـه فآبَ وقـد زِيـدتْ عليه ذنوبُ
وما النُّسْكُ أَسْلانِي ولكنَّ للهوى على العـين منِّـي والفؤادِ رقيبُ

[عمر والنسوة اللاتي واعدهنّ بالعقيق]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال : واعد عمر بن أبي ربيعة نسوةٌ من قريش إلى العقيق ليتحدَّثن معه ؛ فخرج إليهنّ ومعه الغَريضُ ، فتحدّثوا مَلِيّاً ومُطِروا ، فقام عمر والغريض وجاريتان للنسوة فأظلُّوا عليهنّ بمِطرَفِه وبُردَيْن له حتى استترنَ من المطر إلى أن سكن ، ثم انصرفن . فقال له الغريض : قل في هذا شعراً حتى أُغنِّي فيه ؛ فقال عمر[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان عمر : 265 .

2 ديوان عمر : 33 ولم يرد فيه البيت الرابع .

3 ديوان عمر : 330 .

صوت

ألـم تسألِ المنـــزلَ المُقفِـرا ... بيانـــاً فيكتُـــمَ أو يُخبِرا
ذكرتَ به بعض ما قد شَجاكَ ... وحُقَّ لذي الشَّجْو أن يَذْكُرا
مُقـــامَ الحبيبين قـد ظاهَـرا ... كِساءً وبُرْدَيْـنِ أن يُمْطَرا[1]
ومَمْشى الثلاثِ بـــه مَوْهِناً ... خرجـن إلى زائـــرٍ زُوَّرا
إلى مجلسٍ مـن وراء القِبابِ ... سَهْـلِ الرُّبـا طيِّـبٍ أَعْفَرا
غَفَلْنَ عن اللَّيـلِ حتّى بدتْ ... تَباشيرُ مـــن واضـــحٍ أسْفَرا
فقُمْـــنَ يُعَفِّـــينَ آثارَنـــا ... بأكسيـــة الخَـزِّ أن تُقْفَرا
مَهاتـانِ شيَّعتـا جُـؤْذُراً ... أَسِيـلاً مُقَلَّـــدُه أحْـوَرا[2]
وقُمْنَ وقُلْـنَ لَـوَ آنّ النهارَ ... مُـدَّ لـه اللَّيـلُ فاستأخَرا
قَضَيْنـا بـــه بعضَ أَشْجانِنا ... وكان الحديـــثُ بـــه أَجْدَرا

ذكر ابن المكيّ أنّ الغناء في الخمسة الأبيات الأولى لابن سريج ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن للغريض ، وأنّ لحن ابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . قال : ولدَحْمانَ فيه أيضاً ثاني ثقيل آخر بالوسطى . وفيها لابن المِرْبذِ خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وقال حبشٌ : فيها لمعبد خفيف ثقيلٍ بالوسطى .

[عمر وابن أبي عتيق]

أخبرنا محمد بن خَلَفَ بن المرزبان قال حدّثني أبو العبّاس المَدِينيّ قال أخبرنا ابن عائشة قال : حضر ابن أبي عتيق عمر بن أبي ربيعة وهو يُنشد قوله[3] : [من الطويل]

ومَنْ كان مَحْزوناً بإهـــراق عَبْرةٍ ... وَهَى غَرْبُهـــا فَلْيأتِنا نبكـــه غَدا
نُعِنْه على الإثْكال إنْ كان ثاكِلاً ... وإن كان مَحْروباً وإنْ كان مُقْصَدا[4]

قال : فلمّا أصبح ابن أبي عتيق أخذ معه خالداً الخِرِّيتَ وقال له : قُمْ بنا إلى عمر . فَمضَيا إليه ، فقال له ابن أبي عتيق : قد جئناك لموعدك . قال : وأيُّ موعدٍ بيننا ؟ قال : قولُك : «فليأتِنا نُبْكِه غدا» . قد جئناك ، والله لا نبرَحُ أو تَبْكِي إن كنت صادقاً في قولك ، أو ننصرف على أنّك

1 الحبيبين في رواية : المحبين .
2 جؤذراً في ل : ربرباً .
3 ديوان عمر : 114 .
4 مقصداً في رواية «محزونا» . والمقصد : المطعون أو المرمي بسهم .

غير صادق . ثم مضى وتركه . قال ابن عائشة : خالدٌ الخِرِّيت هو خالد بن عبد الله القَسْرِيّ .

[عود إلى خلق عمر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عيّاش الهمداني قال : لَقِيتُ عمر بن أبي ربيعة فقلت له : يا أبا الخطّاب ، أكُلُّ ما قلته في شِعرك فعلته ؟ قال : نعم ، وأستغفر الله .

[عمر ينزل الكوفة على ابن هلال]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن عبد الله بن مصعب قال : قدِم عمر بن أبي ربيعة الكوفة ، فنزل على عبد الله بن هلالٍ الذي كان يقال له صاحبُ إبليس ، وكان له قَيْنتان حاذقتان ، وكان عمر يأتيهما فيسمع منهما ؛ فقال في ذلك[1] : [من الكامل]

يا أهلَ بابِلَ ما نَفِسْتُ عليكُمُ ... من عَيشِكم إلاّ ثلاثَ خِلالِ

ماءَ الفُراتِ وطِيبَ ليلٍ باردٍ ... وغِناءَ مُسْمِعَتَيْنِ لابن هِلالِ[2]

[وصف عمر وغيره للبرق]

أخبرني عليّ بن صالح عن أبي هفّان عن إسحاق عن رجاله : أنّ عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد وأبا ربيعة المُصْطَلِقِيّ ورجلاً من بني مَخزوم وابن أُخت الحارث بن خالد ، خرجوا يُشَيِّعونَ بعض خلفاء بني أُميّة . فلمّا انصرفوا نزلوا «بَسِرفٍ» فلاح لهم برقٌ ؛ فقال الحارث : كلُّنا شاعر ، فهَلُمُّوا نَصِفِ البرقَ . فقال أبو ربيعة : [من الطويل]

أرِقْتُ لبرقٍ آخِرَ الليلِ لامِعٍ ... جَرى من سَناه ذو الرُّبا فيُنابعُ[3]

فقال الحارث : [من الطويل]

أرِقتُ له ليلَ التَّمامِ[4] ودونَه ... مَهامِهُ مَوْماةٍ وأرضٌ بَلاقِعُ[5]

فقال المخزوميّ : [من الطويل]

يُضِيءُ عِضاهَ الشَّوْكِ حتّى كأنّه ... مَصابِيحُ أو فجرٌ من الصُّبحِ ساطِعُ

فقال عمر : [من الطويل]

---

1 ديوان عمر : 336 (م) .

2 مسمعتيْن في ل : محسنتين .

3 ينابع : موضع ببلاد هذيل .

4 ليل التمام : أطول ليلة في الشتاء .

5 نقل جامع شعر الحارث الخبر والأبيات عن الأغاني ص 23 .

أيـا ربِّ لا آلُو المودَّةَ جاهِـداً لأسماءَ فاصْنَعْ بي الذي أنتَ صانعُ

ثم قال : مالي وللبرق والشوك !

[تتمّة خبر عمر ونسوة واعدنه بالعقيق]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة وخالدٌ القَسْرِيّ معه ، وهو خالد الخِرِّيتُ ، ذات يوم يمشيان ، فإذا هما بهند وأسماء اللتين كان يُشَبِّبُ بهما عمر بن أبي ربيعة تتماشيان ، فقصداهما وجلسا معهما مَلِيّاً ، فأخذتْهم السماء ومُطِروا . ثم ذكر مثل خبرٍ تقدّم ، ورويتُه آنِفاً عن هاشم بن محمد الخزاعيّ ، وذكرَ الأبيات الماضية ، ولم يذكر فيها خبر الغَريض . وحكى أنّه قال في ذلك[1] : [من الطويل]

صوت

أفي رَسْمِ دارٍ دَمْعُـكَ المُتَرَقْـرِقُ سَفاهـاً وما استنطاقُ مـا ليس يَنْطِقُ

بحيثُ التَقى «جَمْعٌ» ومُفْضى «مُحَسِّرٍ» مَغانِيَ قـد كادَتْ على العَهْدِ تَخْلَقُ

ذكرتُ به مـا قـد مضى من زماننا وذِكْـرُكَ رَسْمَ الدارِ مِمَّـا يُشَوِّقُ

مَقامـاً لنـا عند العِشاء ومجلساً بـه لم يُكـدِّرْه علينـا مُعَـوِّقُ

ومَمْشى فَتـاةٍ بـالكِساءِ تَكُنُّنـا بـه تحـت عَيْنٍ بَرْقُهـا يتألَّـقُ

يَبُـلُّ أعالِـي الثوبِ قَطْـرٌ وتحتَـه شُعاعٌ بَدا يُعْشِي العيـونَ ويُشْرِقُ

فأحسنُ شيءٍ بَـدْءُ أوّلِ ليلِنـا وآخـرُه حُـزْنٌ إذا نتفـرّقُ

ذكر يحيى بن المكيّ أنّ الغناء في ستّة أبيات متواليةٍ من هذا الشعر لمعبدٍ خفيف ثقيل بالسبابة والوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى .

[عمر وليلى بنت الحارث البكرية]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال أخبرني مصعب قال : لَقِي عمرُ بن أبي ربيعة ليلى بنت الحارث بن عمرو البكريّة وهي تسير على بغلة لها ، وقد كان نسَب بها ، فقال : جعلني الله فِداكِ ، عَرِّجي ها هنا أُسْمِعْكِ بعض ما قلته فيك . قالت : أَوَ قد فعلت ؟ قال نعم ، فوقفت وقالت : هاتِ . فأنشدها[2] : [من الوافر]

صوت

أَلا يـا لَيْلُ إنّ شِفاءَ نفسي نَوالُـكِ إن بَخِلْـتِ فَنَوِّلِينا

---

1 ديوان عمر : 274 .

2 ديوان عمر : 437 .

وقــد حضرَ الرَّحِيلُ وحانَ منَّا فِراقُكِ فانظُـرِي مـا تأمُرِينا

فقالت : آمُرك بتقوى الله وإيثار طاعتِه وتَرْكِ ما أنت عليه . ثم صاحتْ ببغلتها ومضتْ .

وفي هذين البيتين لابن سريج خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّي ، وذكر الهشاميّ أنّه من مَنْحولِه إلى ابن سريج . وفيهما رملٌ طُنبوريٌّ لأحمد بن صَدَقة .

أخبرني بذلك جَحظة عنه . وأخبرني بهذا الخبر عبد الله بن محمد الرَّازي قال : حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن ابن الأعرابيّ : أنّ ليلى هذه كانت جالسةً في المسجد الحرام ، فرأتْ عمر بن أبي ربيعة ، فوجّهت إليه مَولًى لها فجاءها به . فقالت له : يا ابن أبي ربيعة ، حتّى متى لا تزال سادراً في حَرَم الله تُشَبِّبُ بالنساء وتُشِيد بذكرهنّ ؟ أمَا تخاف الله ؟ قال : دعيني من ذاك واسمعي ما قلتُ . قالت وما قلتَ ؟ فأنشدها الأبيات المذكورة . فقالت له القول الذي تقدَّم أنّها أجابته به . قال : وقال لها : اسمعي أيضاً ما قلت فيك ، ثم أنشدها قوله[1] : [من الرمل]

أمِــنَ الرَّسْمِ وأَطْـلالِ الدِّمَنْ عاد لي وَجْدِي وعاودتُ الحَزَنْ
إنّ حُبِّــي آلَ ليــلى قاتــلي ظهــرَ الحبُّ بجسمي وبَطَنْ
يا أبــا الحارث قلبـي طائـرٌ فأُتَـمِرْ أمـرَ رشيــدٍ مؤتَمنْ
الْتَمِسْ للقلبِ وصلاً عندها إنّ خيرَ الوَصْلِ مـا ليس يُمَنْ
عَلِقَ القلبُ ، وقــد كان صَحا من بني بَكْرٍ غزالاً قـد شَدَنْ[2]
أحـورَ المُقْلــةِ كالبــدرِ ، إذا قُلِّـد الدُّرَّ فقلبـي مُمْتَحَنْ
ليس حُبٌّ فوقَ مــا أحببتُكم غيرَ أنْ أَقتُـلَ نفسي أو أُجَنّ
خُلِقَتْ للقلــبِ منِّـي فِتْنَــةً هكـذا يُخْلَــقُ معروضُ الفِتَنْ

قال : وفيها يقول[3] : [من الخفيف]

إنّ ليــلى وقــد بلغتُ المَشيبا لم تَــدَعْ للنساء عندي نصيبا
هاجِـرٌ بيتَهـا لأنْفِــيَ عنها قولَ ذي العيبِ إن أرادَ عيوبا

نسبة ما في هذين الشعرين من الغناء

الغناء في الأبيات الأولى النونيَّة لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ ، يقال : إنّه أوّلُ ثقيلٍ غنّاه ، كان يُغنّي الخفيف ، فعِيبَ بذلك فصنع هذا

1 ديوان عمر : 414 مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .
2 شدن : شبَّ .
3 لم يرد البيتان في ديوانه .

اللحن . وفيه لعبد الله بن يونس الأُبُلِّي رَملٌ عن الهشاميّ .

والغناء في : [من الخفيف]

إنَّ ليلى وقد بلغتُ المشيبا

لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لكَرْدَمٍ ثقيل أوّلُ بالوسطى عن عمرو أيضاً . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحنا لعَطَرَّدٍ ، ولم يجنّسه .

[حديث عمر مع النوار]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني محمد بن منصور الأَزْديّ قال حدّثني أبي عن الهيثم بن عديّ قال : بينما عمر بن أبي ربيعة منصرفٌ من المُزدلِفة يريد مِنًى إذ بَصُر بامرأة في رِحالةٍ ففُتِن ، وسمع عجوزاً معها تُناديها : يا نَوارُ استتري لا يَفْضَحْك ابن أبي ربيعة . فاتَّبعها عمر وقد شَغَلَت قلبه حتى نزلت بمِنًى في مِضرَب قد ضُرِب لها ، فنزل إلى جنب المِضرب ، ولم يزل يَتَلَطَّف حتى جلس معها وحادثها ، وإذا أحسنُ الناس وجهاً وأحلاه مَنطِقاً ، فزاد ذلك في إعجاب عمر بها . ثم أراد معاودتها فتعذّر ذلك عليه ، وكان آخر عهده ؛ فقال فيها[1] : [من الكامل]

صوت

عَلِـق النَّوارَ فُـؤادُهُ جَهْلا ... وصَبا فلم تترك لـه عقلا
وتعرّضتْ لي في المَسيرِ فما ... أمسى الفؤادُ يَرى لها مِثْلا
ما نعجةٌ من وحش ذِي بَقَرٍ ... تَغْذُو بسَقْط صَرِيمةٍ طِفْلا[2]
بأَلَـذَّ منهـا إذ تقــول لنا ... وأردتُ كَشْفَ قِناعها : مَهْلا
دعْنا فإنّـك لا مُكارمـةً ... تَجزِي ولَسْتَ بواصلٍ حَبْلا
وعليكَ مَنْ تَبَلَ الفؤادَ وإن ... أمسى لقلبك ذِكرُه شُغْلا
فأجبتُها إنّ المحبّ مُكَلَّفٌ ... فدَعِي العِتابَ وأحدِثِي بَذْلا[3]

الغناء لابن مُحرِز خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثاني ثقيل بالبنصر ينسب إلى ابن عائشة .

---

1 ديوان عمر : 334 .

2 النعجة : البقرة . الصريمة : الرملة المنقطعة عن الرمال ، وسقطها : منتهاها .

3 مكلّف : مثل كلف .

[عمر وأمّ الحكم]

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني أبو عبد الله السَّدوسيّ عن عيسى بن إسماعيل العَتَكِيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : حجَّت امرأة من بني أُميّة يقال لها أُمُّ الحَكَم ، فقدِمتْ قبل أوانِ الحجّ مُعتمِرةً . فبينا هي تطوف على بغلةٍ لها إذ مرَّت على عمر بن أبي ربيعة في نَفَرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدّثون وقد فَرَعهم[1] طولاً وجهَرهم جمالاً وبهَرهم شارةً وعارضةً وبياناً ، فمالت إليهم ونزلت عندهم ، فتحدّثت معهم طويلاً ثم انصرفت . ولم يزل عمر يتردّد إليها إلى أن انقضت أيّام الحجّ ، فرحلت إلى الشام . وفيها يقول عمر : [من المتقارب]

تـأوّب لَيْـلي بنَصبٍ وهَمّ ... وعاودتُ ذِكْرى لأُمّ الحَكَمْ[2]
فبِتُّ أُراقِـبُ ليلَ التَّمام ، ... مَنْ نـام من عاشقٍ لم أَنَمْ
فإن تَرينـي على مـا عَـرا ... ضعيفَ القيامِ شديدَ السَّقَمْ
قـد كتبَ فـوقَ الفِـراش ... مـا إن تُقِـلُّ قيامِي قَدَمْ
بآنسةٍ طيّـبٍ نَشْرهـا ... هَضيمِ الحَشا عَذْبةِ المُبتَسَمْ

في أوّل الأبيات الثلاثة غناء . وقبلها وهو أوّل الصوت : [من المتقارب]

صوت

وفتيانِ صدقٍ صِباحِ الوجو ... ه لا يَجِدون لشيءٍ أَلَمْ[3]
مِن آل المُغِيرةِ لا يَشْهدُون ... عند المَجازِرِ لحمَ الوَضَمْ[4]

الغناء في هذه الأبيات لمالك خفيف ثقيل الثاني بالبنصر وهو الذي يقال له الماخُوريُّ ، عن عمرو . وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى ابن سريج والغريض ودَحمان . وفيه لابن المكيّ خفيف رَمَلٍ .

[حديث عمر مع سكينة بنت الحسين]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفَّان عن إسحاق عن أبي عبد الله الزبيريّ قال : اجتمع نسوةٌ من أهل المدينة من أهل الشرف ، فتذاكَرْنَ عمر بن أبي ربيعة وشِعره وظَرفه وحسن حديثه ، فتَشَوّقْن إليه وتمنَّيْنَهُ ؛ فقالت سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام : أنا لَكُنّ به . فأرسلت إليه رسولاً وواعدته الصَّوْرَين ، وسمّت له الليلة والوقت ، وواعدت

1 فرعهم : زاد عليهم طولاً .
2 النصب : العناء . لم ترد هذه الأبيات في الديوان .
3 ديوان عمر : 389 .
4 الوضم : خشب أو نحوه يقطع فوقه اللحم ؛ ولحم الوضم : لحم يقطع للميسر ، وهو يفرق على الفقراء .

صواحباتها ؛ فوافاهنّ عمر على راحلته ، فحدّثهنّ حتى أضاء الفجر وحان انصرافهنّ . فقال لهنّ : والله إنّي لمحتاج إلى زيارة قبر رسول الله ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أخلط بزيارتكنّ شيئاً . ثم انصرف إلى مكّة وقال[1] : [من الكامل]

صوت

قالت سُكَينةُ والدموعُ ذَوارِفٌ ... منها على الخَدَّيْنِ والجِلْبابِ
ليتَ المُغِيريَّ الذي لم أَجزِه ... فيما أطال تصيُّدِي وطِلابِي
كانت تردُّ لنا المُنَى أيّامنا ... إذ لا نُلامُ على هَوًى وتَصابي
خُبِّرتُ ما قالتْ فبِتُّ كأنّما ... تَرْمِي الحَشا بنَوافِذِ النُّشّابِ
أَسُكَيْنَ ما ماءُ الفُراتِ وطِيبُه ... مِنِّي على ظملٍ وفَقْد شَرابِ
بألذّ منكِ وإن نأيتِ وقَلَّما ... ترعَى النساءُ أمانَةَ الغُيَّابِ

الغناء للهُذَليّ رَمَلٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه للغريض خفيف ثقيل بالوسطى عن حَبَشٍ . قال وقال فيها : [من المتقارب]

صوت

أُحِبُّ لحبّكِ مَنْ لم يكن ... صَفِيّاً لنفسي ولا صاحِبا
وأَبذُلُ نفسي لمَرْضاتكم ... وأُعتِبُ مَنْ جاءكم عاتِبا
وأرغَبُ في وُدِّ مَنْ لم أكن ... إلى ودِّه قبلَكم راغِبا
ولو سلَك الناسُ في جانبٍ ... مِن الأرض واعتزلتْ جانبا
لَيَمَّمْتُ طِيَّتَها ، إنّني ... أرى قُرْبَها العَجَبَ العاجبا
فما ظبيةٌ من ظباء الأَرا ... كِ تَقْرُو دَمِيث الرُّبَى عاشِباً[2]
بأحسنَ منها غَداةَ الغَمِيمِ ... وقد أبدتِ الخَدَّ والحاجبا[3]
غداةَ تقولُ على رِقْبَةٍ ... لخادِمها : يا احْبِسِي الراكبا
فقالت لها : فِيمَ هذا الكلامُ ... وأبدتْ لها عابساً قاطِبا
فقالت كريمٌ أتى زائراً ... يَمُرُّ بكم هكذا جانِبا

1 ديوان عمر : 63 وفيه أنّه قالها في سعدى بنت عبد الرحمن بن عوف .
2 يقرو : يتتبّع ، ودميث الربى : السهل اللين منها .
3 الغميم : اسم موضع بين مكّة والمدينة .

شريـفٌ أتـى رَبْعَنـا زائـراً فأَكْـرَهُ رجعتَـه خائبـا

[بغوم وأسماء]

غنَّى في الأوّل والثاني والرابع والخامس من هذه الأبيات ابن القفّاص المكّيّ ، ولحنه رملٌ من رواية الهشاميّ : وحدّثني وَكيعٌ وابن المرزبان وعمّي قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحراميّ قال حدّثنا محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ قال حدّثني سُفيان بن عُيينة قال : بينا أنا ومِسْعَرُ بن كِدامٍ مع إسماعيل بن أميّة بفِناء الكعبة إذا بعجوزٍ قد طلعت علينا عَوراء متّكئةً على عصاً يُصفّق أحد لَحْيَيها على الآخر ، فوقفت على إسماعيل فسلَّمت عليه ، فردّ عليها السلام ، وساءلها فأَحفى[1] المسألة ، ثم انصرفتْ . فقال إسماعيل : لا إله إلاّ الله ؛ ماذا تفعل الدنيا بأهلها ؟ ثم أقبل علينا فقال : أتعرفان هذه ؟ قلنا : لا والله ، ومَن هي ؟ قال : هذه «بَغُومُ» ابن أبي ربيعة التي يقول فيها : [من الخفيف]

حَبَّـذا أنتِ يـا بَغُـومُ وأسما ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنـا وخَـلاءُ[2]

أُنظرا كيف صارت ، وما كان بمكّة امرأة أجمل منها . قال : فقال له مِسعر : لا وربِّ هذه البَنِيَّة ، ما أَرى أنّه كان عند هذه خيرٌ قطُّ . وفي هذه الأبيات يقول عمر[3] : [من الخفيف]

صوت

صَرَمتْ حَبْلَكَ البغومُ وصَدَّتْ عنـكَ في غير رِيبَةٍ أسماءُ
والغَوانِـي إذا رأينَـكَ كَهْلاً كان فيهنّ عن هَـواكَ الْتِواءُ
حَبَّذا أنتِ يـا بَغُـومُ وأسما ءُ وعِيـصٌ يكُنُّنـا وخَلاءُ
ولقـد قلتُ ليلـةَ الجَزْلِ لَمّا أخضلتْ رَيْطَتِي عليّ السماءُ[4]
ليتَ شِعْرِي ، وهل يَرُدَّنَّ لَيْتٌ ، هـل لهـذا عند الرَّباب جزاءُ
كُلُّ وَصْلٍ أَمْسى لديَّ لأنثى غيرِهـا وَصْلُها إليهـا أداءُ
كلّ خَلْقٍ وإنْ دنـا لِوِصَالٍ أو نـأى فهو للرَّبـابِ الفِداءُ
فعِـدِي نائـلاً وإن لم تُنِيلِي إنّمـا يَنْفَعُ المحـبَّ الرجـاءُ

1 أحفى المسألة : بالغ وأطال في السؤال .
2 العيص : الشجر الكثيف .
3 ديوان عمر : 15 .
4 الجزل : اسم موضع قرب مكّة .

لِمعبد في : «ولقد قلت ليلة الجزل . . .» والذي بعده خفيفُ ثقيلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن يونسَ وإسحاقَ ودَنانيرَ ، [وهو من مشهور غنائه] .

أخبرني الحَرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني ظَبية مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصعب عن ذهيبة مولاة محمد بن مصعب بن الزبير قالت : كنتُ عند أَمَةِ الواحد أو أَمَة المجيد بنتِ عمر بن أبي ربيعة في الجُنْبُذ[1] الذي في بيت سُكَيْنة بنتِ خالد بن مصعب أنا وأبوها عمر وجاريتان له تُغنّيان ، يقال لإحداهما البَغوم ، والأخرى أسماء . وكانت أَمةُ المَجيد بنت عمر تحت محمد بن مُصعب بن الزبير . قالت : فقال عمر بن أبي ربيعة وهو معهم في الجُنبذ هذه الأبيات . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الخفيف]

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ لمّا أَخْضَلتْ رَيْطَتِي عليَّ السماءُ

خرجتِ البَغُوم ثم رجعت إليه فقالت : ما رأيتُ أكذبَ منك يا عمر ! تزعم أنّك بالجَزْل وأنت في جُنْبُذ محمد بن مصعب ، وتزعم أنّ السماء أَخْضَلتْ رَيطَتَك وليس في السماء قَزَعةٌ[2] ؛ قال : هكذا يستقيم هذا الشأن .

وأخبرني عليّ بن صالح عن أبي هَفَّان عن إسحاق عن المُسَيَّبيّ ومحمد بن سَلاَّم أنّ عمر أنشد ابنَ أبي عتيق قوله : [من الخفيف]

حَبّذا أنتِ يا بغومُ وأسما ءُ وعِيصٌ يَكُنُّنا وخـلاءُ

فقال له : ما أبقيتَ شيئاً يُتمَنَّى يا أبا الخطَّاب إلاّ مِرجَلاً يُسَخَّن لكم فيه الماءُ للغُسْل .

[عمر وبنت مروان بن الحكم]

أخبرني ابن المرزُبان قال حدّثني إسماعيل بن جعفر عن محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابيّ قال : حَجَّتْ أُمُّ محمدٍ بنتُ مروان بن الحَكَم ، فلمّا قَضَتْ نُسُكَها أتتْ عمر بن أبي ربيعة وقد أخفتْ نفسها في نِسوة ، فحدّثها مَلِيّاً . فلمّا انصرفت أَتْبعَها عمرُ رسولاً عرَف موضعها وسأل عنها حتى أَثْبَتها ؛ فعادت إليه بعد ذلك فأخبرها بمعرفته إيّاها . فقالت : نَشَدتُكَ الله أن تُشَهِّرَني بشِعرك ؛ وبَعَثتْ إليه بألفِ دينار ، فقَبلها وابتاع بها حُلَلاً وطِيباً فأَهْداه إليها ، فردَّتْه . فقال لها : واللهِ لئِنْ لم تَقْبلِيه لأُنْهِبَنَّه ، فيكونُ مشهوراً ؛ فقبِلَتْه ورحَلَتْ . فقال فيها[3] : [من الخفيف]

---

1 الجنبذ : بناء مرتفع مستدير .

2 القزع : ما تناثر من الغيم .

3 ديوان عمر : 176 .

صوت

أيُّها الراكبُ المُجِدُّ ابتِكارا قد قَضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارا
من يَكُنْ قلبُه صَحِيحاً سَلِماً ففُؤادِي بالخَيْفِ أَمْسى مُعارا
ليتَ ذا الدهرَ كان حَتْماً علينا كلَّ يومين حِجَّةً واعتِمارا

الغناء لابن مُحْرِزٍ ولحنُه من القَدر الأوسط من الثَّقِيل الأوّل بالخِنصر في مجرى الوُسطى عن إسحاق ، وفيه أيضاً له خفيف ثقيل بالوُسطى عن ابن المَكّيّ . وفيه لذُكاءَ وَجْهِ الرُّزَّة المُعْتَمِدِيّ ثقيل أوّل من جيِّد الغناء وفاخِرِ الصَّنعة ليس لأحد من طبقته وأهل صنعته مثلُه . وأُنشِد ابن أبي عتيق قول عمر هذا ، فقال : الله أَرحم بعباده أن يجعل عليهم ما سألته ليَتمَّ لك فسْقُك .

[عمر وحميدة جارية ابن تفاحة]

أخبرني ابن المرزبان قال أخبرني أحمد بن يحيى القرشيّ عن أبي الحسن الأَزديّ عن جماعة من الرواة : أنّ عمر كان يهوى حُمَيدة جارية ابن تُفَّاحة ؛ وفيها يقول[1] : [من الخفيف]

صوت

حُمِّلَ القلبُ من حُمَيدةَ ثِقْلا إنّ في ذاكَ للفؤادِ لشُغْلا
إنْ فعلتُ الذي سألتِ فقُولي حَمْدُ خيراً وأَتْبِعي القولَ فِعْلا
وصِلِيني فأُشْهِدُ اللهَ أَنِّي لستُ أُصفِي سواكِ ما عشتُ وصلا

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى عن يحيى المكّيّ والهشاميّ . وفيها يقول[2] : [من الكامل]

صوت

يا قلبُ هل لك عن حُمَيدةَ زاجرُ أم أنت مُدَّكِرُ الحياء فصابرُ
فالقلبُ من ذِكْرى حميدةَ مُوجَعٌ والدَّمْعُ مُنْحَدِرٌ وعَظْمِي فاترُ
قد كنتُ أحسِبُ أنّني قبل الذي فعلتْ على ما عند حَمْدَةَ قادرُ
حتى بَدا لي من حُميدةَ خُلَّتِي بَيْنٌ وكنتُ من الفِراق أُحاذرُ

الغناء لمعبد خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق .

---

1 ديوان عمر : 337 .

2 ديوان عمر : 209 وقد سقط فيه البيت الثالث .

[حديث عمر مع بعض جواري بني أميّة في موسم الحجّ]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثني أبو مُسلمٍ المُسْتَمْلي عن ابن أخي زُرقان عن أبيه قال : أدركتُ مولًى لعمر بن أبي ربيعة شيخاً كبيراً ، فقلت له : حَدِّثْني عن عمر بحديثٍ غريب ؛ فقال : نعمْ ، كنتُ معه ذات يوم ، فاجتاز به نِسْوةٌ من جواري بني أُميّة قد حَجَجْنَ ، فتعرَّض لهنّ وحادثهنّ وناشدهنّ مُدّة أيّام حجِّهنّ ؛ ثم قالت له إحداهنّ : يا أبا الخطّاب ، إنّا خارجاتٌ في غدٍ فابعث مولاك هذا إلى منزلنا ندفع إليه تذكرةً تكون عندك تذكُرنا بها . فسُرَّ بذلك ووجَّه بي إليهنّ في السَّحَرِ ، فوجدتُهنّ يَركبن ، فقُلْن لعجوزٍ معهنّ : يا فلانة ، ادفعي إلى مولى أبي الخطّاب التذكرة التي اتّخَفْناه بها . فأخرجت إليّ صُندوقاً لطيفاً مُقفلاً مختوماً ؛ فقلن : ادفعه إليه وارتحلنَ . فجئته به وأنا أظنُّ أنّه قد أُودِعَ طِيباً أو جَوهراً . ففتحه عمر فإذا هو مملوءٌ من المضارِبِ (وهي الكِيرِنْجاتُ)[1] ، وإذا على كلٍّ واحد منها اسم رجل من مُجَّان مكّة ، وفيها اثنان كبيران عظيمان ، على أحدهما الحارث بن خالد وهو يومئذٍ أميرُ مكّة ، وعلى الآخر عمر بن أبي ربيعة . فضحِك وقال : تَماجَنَّ عليَّ ونَفَذَ[2] لهنَّ . ثم أصلح مأْدُبةً ودعا كلَّ واحد ممّن له اسم في تلك المضارب . فلمّا أكلوا واطمأنّوا للجلوس قال : هاتِ يا غلام تلك الوديعة ، فجئته بالصندوق ؛ ففتحه ودفع إلى الحارث الكِيرِنْجَ الذي عليه اسمُه . فلمّا أخذه وكشف عنه غطاءه فَزِع وقال : ما هذا أخزاك الله ! فقال لـه : رُوَيداً ، اصْبِرْ حتى ترى . ثم أخرج واحداً واحداً فدفعه إلى من عليه اسمه حتى فرَّقها فيهم ؛ ثم أخرج الذي باسمه وقال : هذا لي . فقالوا له : وَيْحَك ! ما هذا ؟ فحدّثهم بالخبر فعَجِبوا منه ، وما زالوا يتمازحون بذلك دهراً طويلاً ويضحكون منه .

[قومي تصدي له]

قال وحدّثني هذا المولى قال : كنت مع عمر وقد أَسَنَّ وضعُف ، فخرج يوماً يمشي متوكّئاً على يدي حتى مرّ بعجوزٍ جالسة ، فقال لي : هذه فلانة وكانت إلْفاً لي ، وعدل إليها فسلّم عليها وجلس عندها وجعل يُحادثها ، ثم قال : هذه التي أقول فيها[3] : [من المنسرح]

صوت

أبصرْتُهـا ليلـةً ونِسْوَتَهـا يَمْشِينَ بـين المَقـام والحَجَرِ

1 الكيرنجات : ما كان في شكل عضو الرجل .

2 نفذ لهن التماجن : أي جاء نافذاً مصيباً .

3 ديوان عمر : 168 مع بعض اختلاف ولم يرد فيه البيت الأخير ضمن هذه الأبيات .

بِيضاً حِساناً نَواعِمـاً قُطُفـاً يَمْشِينَ هَوْنـاً كمِشْيَةِ البَقَرِ
قالـتْ لِتِرْبٍ لها تُلاطِفُهـا لَنُفْسِدَنَّ الطَّـوافَ في عُمَرِ
قُومِـي تَصَدِّي لـه لِيَعْرِفَنـا ثـم اغمزيه يا أُختِ في خَفَرِ
قالت لها قـد غمزْتُهُ فأبى ثـم اسبَطَرَّت تَشْتَدُّ في أَثَري[1]
بـل يـا خليليَّ عادني ذِكَرِي بـل اعترتْنِـي الهُمُـومُ بالسَّهَرِ

الغناء لابن سريج في السادس والأوّل والثاني خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسنانٍ الكاتب رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن يونس . وفيها للأَبْجَر خفيف رملٍ بالوسطى عنه . وفي : [من المنسرح]

قالت لترب لها تُلاطِفها

لعبد الله بن العبّاس خفيف رمل بالبِنصر عن الهشاميّ ، وفيه للدَّلالِ خفيفُ ثقيلٍ عنه أيضاً . ولأبي سعيد مولى فائدٍ في الأوّل والثاني ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ أيضاً ، ومن الناس من يَنسُب لحنَه إلى سنان الكاتب وينسب لحن سنان إليه .

[ملأ فمه ماء ومجّه في وجوههنّ]

قال : وجلس معها يحادثها ، فأطلعتْ رأسها إلى البيت وقالت : يا بناتي ، هذا أبو الخطّاب عمر بن أبي ربيعة عندي ؛ فإن كنتُنَّ تشتهينَ أن ترَيْنَه فتعالَيْن . فجئن إلى مِضْربٍ قد حُجِزنَ به دون بابها فجعلن يَثقُبْنه ويَضَعْنَ أعينهنّ عليه يُبصرنَ . فاستسقاها عمر ؛ فقالت له : أيُّ الشراب أحبّ إليك ؟ قال : الماء . فأُتِيَ بإناء فيه ماء ، فشرب منه ، ثم ملأ فمه فمجّه عليهنّ في وجوههنّ من وراء الحاجز ؛ فصاح الجواري وتهارَبنَ وجعلنَ يضحكنّ . فقالت له العجوز : ويلَك ! لا تَدَع مُجونَك وسَفَهك مع هذه السنّ ! فقال : لا تلوميني ، فما ملكتُ نفسي لمّا سمعت من حَرَكاتهنّ أن فعلتُ ما رأيتِ .

[عمر وامرأة رآها في الطواف]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن منصور بن أبي العلاء الهمدانيّ قال حدّثني عليُّ بن طريف الأَسَديّ قال : سَمِعتُ أبي يقول : بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأةً من أهل العراق فأعجبه جمالُها ، فمشى معها حتى عرف موضعها ، ثم أتاها فحادثها وناشدها وناشدته وخطبَها . فقالت : إنّ هذا لا يصلُح هاهنا ، ولكن إن جئتَني إلى بلدي وخطَبتني إلى أهلي تزوّجتُك . فلمّا ارتحلوا جاء إلى صديق له من بني سَهْمٍ وقال له :

1 اسبطرّت : أسرعت .

إنّ لي إليك حاجةً أُريد أن تُساعدني عليها ؛ فقال له نعم . فأخذ بيده ولم يذكرُ له ما هي ، ثم أتى منزله فركِب نَجِيباً له وأركبه نجيباً آخر ، وأخذ معه ما يُصلحه ، وسارا لا يشُكُّ السَّهْمِيّ في أنّه يريد سفر يوم أو يومين ؛ فما زال يَحْفِد[1] حتى لحِق بالرُّفقة ، ثم سار بسيرهم يُحادث المرأة طولَ طريقه ويُسايرها وينزل عندها إذا نزَلتْ حتى ورَد العِراق . فأقام أيّاماً ، ثم راسلها يَتَنَجَّزُها وعدَها ؛ فأعلمتْه أنّها كانت متزوّجة ابن عمٍّ لها وولدت منه أولاداً ثم مات وأوصى بهم وبماله إليها ما لم تتزوّج ، وأنّها تخاف فُرْقة أولادها وزوال النعمة ؛ وبَعَثتْ إليه بخمسة آلاف درهم واعتذرت ؛ فردّها عليها ورحَل إلى مكّة ؛ وقال في ذلك قصيدته التي أوّلها[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

نـام صَحْبِي ولم أَنَمْ ... مـن خَيـالٍ بنا أَلَمّ
طافَ بالركبِ مَوْهِناً ... بين خاخٍ إلى إضَمْ[3]
ثـم نَبّهـتُ صاحباً ... طَيِّبَ الخِيم والشِّيَمْ
أَرْيَحِيّـاً مُساعِـداً ... غيرَ نِكْسٍ ولا بَرَمْ
قلتُ يـا عَمْرُو شَفِّني ... لاعـجُ الحُبِّ والأَلَمْ
ايتِ هِنداً فقُـلْ لها ... ليلةَ الخَيْفِ ذي السَّلَمْ

الغناء لمالك خفيف رَمَلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيف رملٍ من رواية عمرو بن بانةَ ، وذكر حبشٌ أنّ لحنَ عبد الله بن العبّاس رملٌ آخر عن الهشاميّ .

[شهادة جرير في شعر عمر ثانية]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا الحسين بن إسماعيل عن ابن عائشة عن أبيه قال : كان جريرٌ إذا أُنْشِد شعر عمر بن أبي ربيعة قال : شعرٌ تِهاميٌّ إذا أَنْجد وَجَد البَرْدَ ، حتى أُنْشِد قوله : [من الطويل]

رأتْ رجُلاً أمّا إذا الشمسُ عارضتْ ... فيَضْحَـى وأمّـا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ

. . . الأبيات . فقال : ما زال هذا يَهْذِي حتى قال الشعر .

---

1 يحفد : يسعى ويسرع .
2 ديوان عمر : 395 .
3 خاخ وإضم : موضعان .

[عمر والغزل بعد أن نسك]

أخبرني حبيب بن نُصر المهلَّبيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ ، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن محمد بن أبان قال أخبرني العُتْبِيّ عن أبي زيد الزبيريّ عن عثمان بن إبراهيم الخاطبيّ قال : أتيتُ عمر بن أبي ربيعة بعد أن نَسَك بسنين وهو في مجلس قومه من بني مَخزوم ، فانتظرتُ حتى تفرّق القوم ، ثم دنوتُ منه ومعي صاحبٌ لي ظريفٌ وكان قد قال لي : تَعالَ حتى نَهيجَه على ذكر الغَزَل ، فننظرَ هل بقي في نفسه منه شيءٌ . فقال له صاحبي : يا أبا الخطّاب ، أكرمك الله ؛ لقد أحسن العُذريّ وأجاد فيما قال . فنظر عمر إليه ثم قال له : وماذا قال ؟ قال : حيث يقول : [من البسيط]

لو جُذَّ بالسَّيفِ رأْسي في مَوَدَّتها لَمَرّ يَهْوِي سريعاً نحوَها راسِي[1]

قال : فارتاح عمر إلى قوله وقال : هاهْ ! لقد أجاد وأحسن ؛ فقلت : ولله دَرُّ جُنادة العُذري ؛ فقال عمر حيث يقول ماذا ويحَك ؟ فقلت : حيث يقول : [من البسيط]

سَرَتْ لَعَيْنِكَ سَلْمى بعد مَعْفاها فبِتَّ مُستنبِهاً من بعد مَسْراها
وقلتُ أهلاً وسهلاً مَنْ هَداكِ لنا إن كنتِ تِمْثالَها أو كنتِ إيَّاها
مِن حبِّها أتمنَّى أن يلاقِيَني مِنْ نَحْوِ بلدتِها ناعٍ فيَنْعاها
كيما أقولَ فراقٌ لا لِقاءَ له وتُصْمِرُ النفسُ يأساً ثم تَسْلاها
ولو تموتُ لراعَتْنِي وقُلْتُ ألا يا بُؤْسَ للموتِ ليتَ الموتَ أبقاها

قال : فضحك عمر ثم قال : وأبيك لقد أحسن وأجاد وما أبقى ، ولقد هيَّجْتُما عليَّ ساكناً ، وذكَّرْتُماني ما كان عنّي غائباً ، ولأحدّثنَّكما حديثاً حُلْواً :

[عمر وهند بنت الحارث المرية]

بينا أنا منذ أعوام جالسٌ ، إذ أتاني خالدٌ الخِرِّيتُ ، فقال لي : يا أبا الخطّاب ، مَرّت بي أربعُ نُسوة قُبَيل العِشاء يُردْن موضع كذا وكذا لم أَرَ مثلهنّ في بَدْوٍ ولا حَضَر ، فيهنّ هند بنت الحارث المُرِّيّة ، فهل لك أن تأتيَهنَّ متنكِّراً فتسمع من حديثهنّ وتتمتّع بالنظر إليهنّ ولا يعلَمنَ مَن أنت ؟ فقلت له : وَيحك ، وكيف لي أن أُخفي نفسي ؟ قال : تلْبس لِبسةَ أعرابيّ ثم تجلس على قَعُود [ثم ائتهنّ فسلِّم عليهنّ] ، فلا يشعُرنَ إلاّ بك قد هَجَمتَ عليهنّ . ففعلت ما قال ، وجلستُ على قَعُود ، ثم أتيتهنّ فسلَّمت عليهنّ ثم وقفتُ بقُربهنّ . فسألنني أن أنشدهنَّ وأُحدِّثهنّ ، فأنشَدتَهنّ

1 مختلف في نسبته . فهو ينسب إلى ريسان العذري أو إلى نجبة بن جنادة العذري .

لكُثيِّر وجَميل والأَحوص ونُصَيب وغيرهم . فقلن لي : وَيْحَك يا أعرابيّ ؛ ما أملَحك وأظرفك ! لو نزلت فتحدّثتَ معنا يومَنا هذا ؛ فإذا أَمْسَيت انصرفت في حفظ الله . قال : فأَنَخْتُ بعيري ثم تحدّثت معهنّ وأنشدتُهنّ ، فسُرِرْن بي وجَذِلنَ بقُربي وأعجبهنّ حديثي . قال : ثم إنّهنّ تغامَزْنَ وجعل بعضُهنّ يقول لبعض : كأنّا نعرف هذا الأعرابيّ ؛ ما أشبهه بعمر بن أبي ربيعة ! فقالت إحداهنّ : فهو والله عمر ، فمدَّتْ هندٌ يدَها فانتزعت عِمامَتي فألقتها عن رأسي ثم قالت لي : هِيهِ بالله يا عمر ؛ أتُراك خدعتَنا منذ اليوم ، بل نحن والله خدعناك واحتلنا عليك بخالد ، فأرسلناه إليك لتأتيَنا في أسوأ هيئةٍ ونحن كما ترى . قال عمر : ثم أخذنا في الحديث ؛ فقالت هند : ويحك يا عمر ؛ اسمع منّي ، لو رأيتني منذ أيّام وأصبحت عند أهلي ، فأدخلتُ رأسي في جيبي ، فنظرتُ إلى حِرِي فإذا هو مِلءُ الكفِّ ومُنْيَةُ المتمنّي ، فناديت يا عُمراه يا عُمراه ، قال عمر : فصِحْتُ يا لَبَّكاهْ يا لَبَّيكاه[1] ؛ ثلاثاً ومددتُ في الثالثة صوتي ، فضحكتْ . وحادثتُهنّ ساعة ، ثم ودَّعتهنّ وانصرفتُ . فذلك قولي[2] : [من الطويل]

صوت

عَرَفتُ مَصِيفَ الحيِّ والمتربَّعا ... بِبَطْنِ حُلَيَّاتٍ دوارسَ بَلْقَعا
إلى السَّفْحِ من وادي المُغَمَّس بُدِّلتْ ... مَعالُمُهُ وَبْلاً ونَكْباءَ زَعْزَعا
لهندٍ وأترابٍ لهندٍ إذِ الهوى ... جميعٌ وإذ لم نَخْشَ أن يَتصدَّعا
وإذ نحن مثلُ الماء كان مِزاجُه ... كما صَفَّق الساقي الرحيقَ المُشَعْشَعا[3]
وإذْ لا نُطِيعُ الكاشحين ولا نرى ... لواشٍ لدينا يطلب الصُّرْمَ موضِعا[4]

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ ومن نسخة عمرو الثانية . وفيه لابن جامع وابن عبَّادٍ لحنان من كتاب إبراهيم . وفيها يقول ، وفيه غناء : [من الطويل]

صوت

فلمّا تواقفنا وسلَّمتُ أشرقتْ ... وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تَتقنَّعا
تَبالَهْنَ بالعِرْفانِ لمّا رَأَيْنَني ... وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلَّ وأَوضعا[5]

1 ل : يا للبيك للبيك (مع تصحيف) .
2 ديوان عمر : 227–229 .
3 كما في ل : إذا .
4 موضعا في ل : مطمعا .
5 في رواية : لما عرفنني . أكلَّ : تعب ؛ أوضعا : أسرع .

وقَرَّبْنَ أسبابَ الهوى لِمُتَيَّمٍ يقيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصبَعا

الغناء لابن عَبّادٍ رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه لابن جامعٍ لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنّسٍ . [هذه الأبيات مقرونةٌ بالأُولى ، والصنعةُ في جميعها مختلفةٌ ، يُغنّي المُغَنُّون بعضَ هذه وبعضَ تلك ويخلطونهما ، والصنعة لمن قَدَّمْتُ ذِكرَه] . وهي قصيدة طويلة ، ذَكرتُ منها ما فيه صَنْعةٌ .

وممّا قاله في هند هذه وغُنِّيَ فيه قولُه[1] : [من الطويل]

صوت

ألم تسألِ الأَطْلالَ والمنزِلَ الخَلَق ببُرْقَةِ ذي ضالٍ فَيُخبِرَ إنْ نَطَقْ ؟[2]
ذكرتُ بـه هنـداً فظِلْتُ كأنّني أخو نَشْوةٍ لاقَى الحوانيتَ فاغتَبَقْ

الغناء لعَطَرَّدٍ ولحنُه من القَدرِ الأوسط من الثقيل الأوّلِ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر حبشٌ أنّ فيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى . ومنها[3] : [من مجزوء الرمل]

صوت

أصبح القلبُ مَهِيضا راجَعَ الحُبَّ الغَريضا[4]
وأجـدَّ الشوقَ وَهْنـاً أن رأى بَرْقاً وَمِيضا
ثم بـاتَ الرَّكْبُ نُوّا مـاً ولم أَطْعَمْ غُموضا
ذاك مـن هنـدٍ قديماً تَرْكُها القلبَ مَهِيضا[5]
وتَبدَّتْ ثـم أَبْدتْ واضحَ اللَّوْنِ نَحِيضا[6]
وعِـذابَ الطَّعْمِ غُـرّاً كأَقاحِي الرَّملِ بِيضا

الغناء لابن مُحْرِزٍ خفيفُ ثقيلٍ بالسَّبابة في مَجْرى البِنْصر . وفيه لحَكَمٍ هزج بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه يَمانٍ . ومن الناس من يَنسُبُ لحنَ ابن مُحرِزٍ إلى ابن مِسْجَحٍ .

---

1 ديوان عمر : 278 .
2 برقة ذي ضال : رملة في ديار بني عذرة .
3 ديوان عمر : 221 .
4 مهيضا في رواية : «مريضا» .
5 تركها في ل : رجعها .
6 النحيض : الكثير اللحم .

ومنها[1] : [من الطويل]

صوت

أَرِبْتُ إلى هندٍ وتربْينِ مرّةً ... لها إذ تواقَفْنا بِفَرْع المُقَطَّعِ[2]
[لِتَعْريج يومٍ أو لتَعْريس ليلةٍ ... علينا بجَمْع الشَّمْل قبلَ التَّصَدُّعِ
فقُلنَ لها لولا ارتقابُ صَحابةٍ ... لنا خَلْفَنا عُجنا ولم نَتورَّعِ]
وقالت فتاةٌ كنتُ أحسِبُ أنّها ... مُغَفَّلةٌ في مِئْزَرٍ لم تُدَرَّعِ
لهنّ ، وما شاوَرْنَها ، ليس ما أرى ... بحُسْنِ جزاءٍ للحبيبِ المودِّعِ
فقلن لها لا شَبَّ قَرْنُكِ فافْتَحِي ... لنا بابَ ما يَخْفى من الأمر نَسْمَعِ[3]

وهي أبياتٌ . الغناء للغريض ولَحْنُه من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وذكر ابن المَكّي أنّه لابن سريج . ومنها[4] : [من البسيط]

صوت

لَمَّا أَلَمَّتْ بأصحابي وقد هَجَعُوا ... حَسِبْتُ وَسْطَ رِحالِ القوم عَطَّارا
فقلتُ مَنْ ذا المُحَيِّي وانتبهتُ له ... ومَنْ مُحَدِّثُنا هذا الذي زارا ؟
ألاَ انزِلوا نَعِمَتْ دارٌ بقربكُمُ ... أهلاً وسَهْلاً بكم مِنْ زائرٍ زارا
فبُدِّلَ الرَّبْعُ ممّن كان يسكنُهُ ... عُفْرَ الظِّباءِ به يَمشِينَ أَسْطارا

الغناءُ لابن سريج رَملٌ بالخِنصر في مَجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه ليونس خفيف ثقيل . وفيه لأبي[5] فارَةَ هَزَجٌ بالبِنصر . وأوّل هذه القصيدة التي فيها ذكرُ هند قولُه[6] : [من البسيط]

يا صاحبيَّ قِفا نَسْتَخْبِرِ الدارا ... أَقْوتْ وهاجتْ لنا بالنَّعْفِ تَذْكارا
وقد أرى مَرَّةً سِرْباً بها حَسَناً ... مثلَ الجآذرِ لم يُمْسَسْنَ أبكارا
فِيهنَّ هندٌ وهندٌ لا شبيهَ لها ... فيمَنْ أقام من الأحياء أو سارا

---

1 ديوان عمر : 234 .
2 أربت : احتجت واشفقت . فرع المقطع : اسم موضع .
3 لا شبّ قرنك : لا كبرت .
4 ديوان عمر : 143 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
5 ل : لابن .
6 ديوان عمر : 142–143 .

تقولُ ليتَ أبـا الخَطَّابِ وافقنا ... كي نَلْهُوَ اليـومَ أو نُنْشَدَ أشعارا
فلم يَرُعْهُـنَّ إلاّ العِيسُ طالعـةً ... بالقومِ يَحمِلْنَ رُكْباناً وأكْوارا[1]
وفارسٌ يحمـل البازِي فقُلْنَ لهـا ... ها هُمْ أولاءِ ومـا أكثَرْنَ إكثارا
لمـا وَقَفْنـا وعَنّنَّـا ركائبنـا ... بُدِّلْنَ بالعُرْفِ بعد الرَّجْع إنكارا[2]

ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلَمْ تَرْبَعْ على الطَّلَـلِ ... ومَغْنـى الحـيِّ كالخِلَلِ
لهنـدٍ إنّ هنـداً حُبُّـ ... ـها قـد كان من شُغُلي
[فلمّا أن عرَفْـتُ الدا ... رَ عُجْتُ لِرَسْمِها جَمَلي
وقلتُ لصُحْبَتي عُوجُوا ... فعاجُوا هِـزَّةَ الإبلِ]
وقالـوا قِفْ ولا تَعْجَلْ ... وإن كُنَّـا عـلى عَجَلِ
قليـلٌ في هـواكَ اليو ... مَ مـا نَلْقَى مـن العَمَلِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه [له] أيضاً رملٌ عن الهشاميّ وحَبَش . ومنها[4] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

هـاج ذا القلبَ منزلُ ... بـالبُلَيَّيْـنِ مُحْـولُ
غَيَّرتْ آيَـهُ الصَّبـا ... وجَنُـوبٌ وشَمـأَلُ
إنّ هنداً قَـدَ ٱرسَلتْ ... وأخـو الشوقِ مُرْسِلُ
أرسَلَـتْ تَسْتَحِثُّنـي ... وتُفَـدِّي وتَعْـذُلُ
أَيُّنـا بـاتَ ليلَـه ... بـين غُصْنَيْنِ يُوبَـلُ
تحـتَ عَيْنٍ يكُنُّنـا ... بُـرْدُ عَصْـبٍ مُهَلْهَلُ

في هذه الأبيات خفيف ثقيل مطلقٍ في مجرى البِنصر ، ذكر إسحاق أنّه لمالك ، وذكر

1 أكوار : جمع كور وهو رحل الناقة .
2 وعنّنّا في ل : وغيبنا ؛ وعنن الفرس : قلده العنان . الرجع : ترديد النظر .
3 ديوان عمر : 291 .
4 قارن بديوان عمر : 299–300 وفيه أنّ الأبيات في زينب بنت موسى الجمحية مع اختلاف شديد في الرواية .

عمرو أنّه لابن مُحْرِز . وذكر يونس أنّ فيها لحناً لابن محرز ولحناً لمالك . وقال عمرو في نسخته الثانية : إنّه لابن زُرْزُر الطَّائِفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، وروتْ مثلَ ذلك دَنانيرُ عن فُلَيح . وفيها لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيها لعبد الله بن موسى الهادي ثاني ثقيلٍ من مجموعه ورواية الهشاميّ . وفيه لحَكَمٍ هَزَجٌ بالخِنصر والبِنصر عن ابن المَكِّيّ . وفيه للحجبِيّ[1] رَمَلٌ عن الهشاميّ . وفيه ثقيلٌ أوّلُ نسَبه ابن المكّي إلى ابن مُحرِز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول . وفيه خفيف رَمَل ذكر الهشاميّ أنّه لحن ابن مُحْرِز . ومنها[2] : [من الكامل]

صوت

يا صاحِ هل تدري وقد جَمَدتْ ... عَيني بما أَلْقَى من الوَجْدِ[3]
لَمّا رأيتُ دِيارَها دَرَستْ ... وتبَدَّلَتْ أعلامُها بَعْدِي
وذكَرتُ مَجْلِسَها ومجلسَنا ... ذاتَ العِشاء بمَهْبِطِ النَّجْدِ
ورسالةً منها تُعاتِبُني ... فرَدَدْتُ مَعْتَبَةً على هِنْدِ

الغناء ليحيى المَكِّيّ رَمَلٌ بالوُسطى . وفيه لغيره ألحان أخَرُ . ومنها[4] : [من الرمل]

صوت

ليتَ هنداً انْجَزَتْنا ما تَعِدْ ... وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجِدْ
وٱسْتَبَدَّتْ مرّةً واحدةً ... إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستَبِدّ
ولقد قالتْ لجاراتٍ لها ... ذاتَ يومٍ وتَعَرَّتْ تَبْتَرِدْ

ويروى : زعَمُوها سألتْ جاراتِها

أكَما يَنْعَتُني تُبْصِرْنَني ... عَمْرَكُنَّ اللهَ أم لا يَقْتصِدْ
فَتَضاحَكْنَ وقد قُلْنَ لها ... حَسَنٌ في كلِّ عينٍ من تَوَدّ
حسداً حُمِّلْنَه من أجْلِها ... وقديماً كان في الناسِ الحَسَدْ

الغناء لابن سريج رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ لمالكٍ من كتاب يونس غيرُ مجنّس . وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبِنصر عن عمرو ، وذكره إسحاق في خفيف الثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ولم ينسبه إلى أحد . وفيه ثاني ثقيل يقال إنّه لحنٌ

1 ل : ليحيى .
2 ديوان عمر : 104–105 .
3 ألقى في ل : أخفي .
4 ديوان عمر : 101 .

لمالكٍ ، ويقال إنّه لمُتَيَّمَ . ومنها[1] : [من مجزوء الرجز]

صوت

هــاجَ القَريضَ الذِّكْرُ لَمّا غَـدَوْا فانْشَمَرُوا[2]
عـلى بَغـالٍ شُحَّجٍ قــد ضَمَّهُنَّ السَّفَرُ[3]
فيهنّ هنــدٌ ليتني مــا عُمِّرتْ أعَمَّرُ
حتّى إذا مــا جاءَها حَتْــفٌ أتــاني القَدَرُ

لابن سُرَيْج فيه لَحنان : رَمَلٌ مُطْلَقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وخفيفُ رملٍ عن الهشاميّ . ومنها[4] : [من السريع]

صوت

يــا مَــنْ لِقَلْبٍ دَنِــفٍ مُغْرَمِ هــامَ إلى هِنْـدٍ ولم يَظْلِمِ
هامَ إلى رِيــمٍ هَضِيمِ الحَشا عَذْبِ الثَّنايــا طَيِّــبِ المَبْسِمِ
لم أَحْسَبِ الشمسَ بليلٍ بَدَتْ قَبْلِي لِذِي لَحْمٍ ولا ذي دَمِ
قالــت أَلا إنَّــكَ ذو مَلَّــةٍ يَصْرِفُك الأدْنــى عــن الأقْدَمِ
قلــتُ لها بــل أنــتِ مُعْتَلَّةٌ في الوَصْلِ يا هندُ لكي تَصْرِمي

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لُبَدَيح لحنٌ قديمٌ . وقيل : إنّ فيه رَمَلاً آخر لعَمَّارة مولاةِ عبد الله بن جعفر . ومنها[5] : [من الطويل]

صوت

تَصابَى وما بعضُ التَّصابي بطائِلِ وعاوَدَ مــن هندٍ جَوًى غيرُ زائِلِ
عَشِيَّةَ قالتْ صَدَّعَتْ غَرْبَةُ النَّوى فما من تَلاقٍ قد أَرى دونَ قابلِ
وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ مَجْلِساً لنــا مَــرَّةً منهــا بقَــرْنِ المنازلِ
بنَخْلَــةَ بــين النَّخْلتــين يَكُنُّنــا من العَيْن عند العين بُرْدُ المَراجِلِ[6]

1 ديوان عمر : 196–197 .
2 انشمروا : مضوا مسرعين .
3 الشحيج : صوت البغل .
4 ديوان عمر : 351 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
5 ديوان عمر : 302 .
6 العين في ل : الغيث .

الغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالبِنصر عن عمرو . وفيه للعُمانيّ خفيفُ ثقيلٍ عن دنانير والهشاميّ . ومنها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

لَـجَّ قلبِي فِي التَّصابِي وازْدَهـى عنِّـي شَبابِي
ودَعانِـي لِهَـوى هنـ ـدٍ فـؤادٌ غيرُ نابي
قلتُ لَمّا فاضَتِ العَيْـ ـنانِ دَمْعاً ذا انْسِكابِ
إنْ جفَتْنِي اليومَ هندٌ بعـدَ وُدٍّ واقتـرابِ
فسبيلُ النـاسِ طُـرّاً لفَنـاءٍ وذَهـابِ

الغناء لأهل مكّة رَمَلٌ بالوُسطى .

[عمر وفاطمة بنت عبد الملك]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني أبو عليّ الأسديّ ، وهو بِشْرُ بن موسى بن صالح ، قال حدّثني أبي موسى بنُ صالح عن أبي بكر القُرَشيّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة جالساً بمِنىً في فِناء مِضْرَبِه وغلمانه حوله ، إذ أَقْبلتِ امرأةٌ بَرْزَةٌ[2] عليها أثرُ النَّعْمةِ ، فسلَّمتْ ، فردَّ عليها عمرُ السلام ، فقالت له : أنت عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال لها : أنا هو ، فما حاجتك ؟ قالت له : حيَّاكَ اللهُ وقَرَّبَك ! هل لك في محادثة أحسنِ الناس وجهاً ، وأتمِّهم خَلْقاً ، وأكملهم أدباً ، وأشرفهم حَسَباً ؟ قال : ما أَحَبَّ إليّ ذلك ! قالت : على شرطٍ . قال : قُولي . قالت : تُمْكِنُنِي من عينيك حتى أَشُدَّهما وأقودَك ، حتى إذا توسَّطْت الموضع الذي أُريد حَلَلْتُ الشَّدَّ ، ثم أفعل ذلك بك عند إخراجك حتى أنتهي بك إلى مِضْرَبِك . قال : شأنَكِ ، ففعلتْ ذلك به . قال عمر : فلمّا انتهتْ بي إلى المِضْرَب الذي أرادت كشَفَتْ عن وجهي ، فإذا أنا بامرأة على كرسيّ لم أَرَ مثلَها قطُّ جمالاً وكمالاً ، فسلَّمْتُ وجلستُ . فقالت : أأنت عمر بن أبي ربيعة ؟ قلت : أنا عمر . قالت : أنت الفاضح للحرائر ؟ قلت : وما ذاكِ جعلني الله فداءكِ ؟ قالت : ألستَ القائل[3] : [من الكامل]

صوت

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ والدي لأُنَبِّهـنّ الحـيِّ إن لم تَخْرُجِ[4]

---

1 ديوان عمر : 31 .
2 البرزة : التي تجلس إلى الرجال وتحدّثهم .
3 ديوان عمر : 83 وتنسب أيضاً إلى جميل وعروة بن أذينة وغيرهما .
4 ونعمة في ل : وحرمة .

فخرجتُ خَوفَ يمينِها فتبسَّمَتْ فَعلِمتُ أنّ يمينَها لم تَحْرَجِ
فتناولتْ رأسي لِتعرِف مَسَّه بمُخَضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ[1]
فَلثِمْتُ فاها آخِذاً بقُرونِها شُرْبَ النَّزِيف ببَرْد ماء الحَشْرَجِ[2]

الغناء لمعبد ثقيل أوّلُ بالبنصر عن يونس وعمرٍو .

ثم قالت : قم فاخرج عنّي ، ثم قامت من مجلسها . وجاءت المرأة فشدَّت عينيّ ، ثم أخرجتني حتى انتهت بي إلى مِضرَبي ، وانصرفتْ وتركتني . فحلَلتُ عينَيّ وقد دخلني من الكآبة والحزن ما الله به أعلم . وبِتُّ ليلتي ، فلمّا أصبحتُ إذا أنا بها ؛ فقالت : هل لك في العَوْد ؟ فقلت : شأنَكِ . ففعلتْ بي مثل فِعلها بالأمس ، حتى انتهت بي إلى الموضع . فلمّا دخلتُ إذا بتلك الفتاة على كرسيّ . فقالت : إيهِ يا فَضّاحَ الحَرائر ، قلت : بماذا جعلني الله فداءكِ ؟ قالت : بقولك .

صوت

[من الطويل]

وناهِدَةِ الثَدْيَيْنِ قلتُ لها اتَّكِي على الرملِ من جَبَّانةٍ[3] لم تَوَسَّدِ[4]
فقالت على اسمِ اللهِ أمرُك طاعةٌ وإن كنتُ قد كُلِّفتُ ما لم أُعَوَّدِ
فلمّا دنا الإصباحُ قالتْ فضحتَني فقُمْ غيرَ مطرودٍ إن شئتَ فازْدَدِ

الغناء لأهل مكّة ثقيلٌ أوّلُ عن الهِشاميّ . ثم قالت قُمْ فاخرج عنّي . فقمتُ فخرجتُ ثم رُدِدْتُ . فقالت لي : لولا وَشْكُ الرحيل ، وخوفُ الفَوت ، ومحبَّتي لُمناجاتك والاستكثار من محادثتِك ، لأَقْصَيتُك ؛ هاتِ الآن كلِّمني وحدِّثني وأنشدني .

فكلَّمتُ آدبَ الناس وأعلمهم بكلّ شيء . ثم نهضتْ وأبطأت العجوز وخلا لي البيتُ ، فأخذتُ أنظر ، إذا أنا بتَوْرٍ[5] فيه خَلوقٌ[6] ، فأدخلت يدي فيه ثمّ خبأْتُها في رُدني . وجاءت تلك العجوز فشدَّت عينيّ ونهضتْ بي تقُودني ، حتى إذا صرت على باب المِضرب أخرجتُ يدي فضربتُ بها على المِضرب ، ثم صرتُ إلى مِضربي ، فدعوت غلماني فقلتُ : أيُّكم يَقِفُني على باب مِضرب عليه خَلُوقٌ كأنّه أثر كَفٍّ فهو حرٌّ وله خمسمائة درهم . فلم ألبث أن جاء بعضهم

1 لتعرف في ل : لتعلم .
2 النزيف : الشديد العطش . الحشرج : النقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .
3 الجبانة هنا : الصحراء .
4 الأبيات في ديوان عمر : 113 .
5 تور : إناء صغير .
6 خلوق : طيب .

فقال : قم . فنهضتُ معه ، فإذا أنا بالكفِّ طريَّةً ، وإذا المِضربُ مضرِبُ فاطمة بنت عبدالملك بن مروان . فأخذت في أُهبة الرَّحيل ؛ فلمّا نَفَرتْ نفرتُ معها ، فبصُرَتْ في طريقها بقِبابٍ ومِضرب وهيئة جميلة ، فسألتْ عن ذلك ، فقيل لها : هذا عمر بن أبي ربيعة ؛ فساءها أمره وقالت للعجوز التي كانت تُرسلها إليه : قولي له نَشَدْتُكَ الله والرَّحم أن تَصحَبني ، ويحَك ! ما شأنك وما الذي تريد ؟ انصرِف ولا تفضَحني وتُشيط بدمك . فسارت العجوز إليه فأدَّت إليه ما قالت لها فاطمة . فقال : لستُ بمنصرفٍ أو تُوَجِّه إليَّ بقميصها الذي يلي جلدها ؛ فأخبرتها ففعلت ووجَّهت إليه بقميصٍ من ثيابها ؛ فزاده ذلك شغفاً . ولم يزل يتبعهم لا يُخالطهم ، حتى إذا صاروا على أميالٍ من دمشق انصرف وقال في ذلك[1] : [من الكامل]

ضاق الغَداةَ بحاجتي صَدْرِي ... ويئستُ بعد تقارُبِ الأمرِ
وذكرتُ فاطمةَ التي عُلِّقتُها ... عَرَضاً فيا لَحوادث الدَّهْرِ

وفي هذه القصيدة ممّا يُغَنَّى فيه قوله : [من الكامل]

صوت

مَمْكُورةٌ رَدْعُ العبير بها ... جَمُّ العِظام لطيفةُ الخَصْرِ[2]
وكأنّ فاها عند رَقْدَتِها ... تَجْرِي عليه سُلافَةُ الخَمْرِ[3]

الغناء لإبراهيم بن المهديّ ثاني ثقيلٍ من جامعه . وفيه لُمَيَّمَ رَملٌ من جامعها أيضاً . وتمام الأبيات وليست فيه صنعة : [من الكامل]

فسَبَتْ فؤادي إذ عرَضْتُ لها ... يومَ الرَّحِيلِ بساحة القَصْرِ
بمُزَيَّنٍ رَدْعُ العَبِير به ... حَسَنِ التَّرائبِ واضِح النَّحْرِ
وبجِيدِ آدَمَ شادِنٍ خَرِقٍ ... يَرْعى الرِّياضَ ببلدةٍ قَفْرِ[4]
لمّا رأيتُ مَطِيَّها حِزَقاً ... خَفَقَ الفؤادُ وكنتُ ذا صبرِ[5]
وتبادرَتْ عَيْنايَ بعدهُم ... وانهلَّ دمعُهما على الصَّدْرِ

1 ديوان عمر : 179–180 .
2 ممكورة : مدمجة الخلق . ردع العبير : أثر الطيب .
3 رقدتها في ل : بعد رقدتها .
4 آدم : أسمر . والشادن : الظبي . خرق : ذو حيرة .
5 الحزق : الجماعات .

ولقد عَصَيتُ ذَوِي القرابةِ فيكمُ طُـرًّا وأهـلَ الوُدِّ والصِّهْرِ[1]
حتى لقـد قالوا ومـا كذَبوا أجُنِنتَ أم بك داخلُ السِّحْرِ

[شعر عمر في فاطمة بنت عبد الملك]

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني إسحاق عن محمد بن أبان قال حدّثني الوليد بن هشام القحذميّ عن أبي معاذٍ القُرَشيّ قال : لمّا قَدِمتْ فاطمة بنت عبد الملك بن مروان مكّةَ جعل عمر بن أبي ربيعة يدور حولها ويقول فيها الشعر ولا يذكُرها باسمها فَرَقاً من عبد الملك بن مروان ومن الحَجّاج ؛ لأنّه كان كتب إليه يتوعَّدُه إن ذكرها أو عرَّض باسمها . فلمّا قضت حجَّها وارتحلت أنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

صوت

كِدْتُ يومَ الرَّحِيل أقضِي حياتِي ليتَنِي مُتُّ قبلَ يـومَ الرَّحِيلِ
لا أُطِيقُ الكلامَ من شدّة الخو فِ ودَمْعِي يَسِيلُ كلَّ مَسِيلِ
ذَرَفتْ عينُها وفاضَتْ دُموعِي وكلانـا يَلْقـى بلُبٍّ أَصِيلِ[3]
لـو خَلَتْ خُلَّتِي أصبتُ نَوالاً أَوْ حديثاً يَشْفِي مِنَ التَّنْوِيلِ[4]
ولَظَلَّ الخَلْخالُ فوقَ الحَشايا مثـلَ أثنـاءِ حَـيَّـةٍ مَقْتُولِ
فلَقَـدْ قالـتِ الحبيبـةُ لـولا كثرةُ الناسِ جُـدْتُ بالتَّقْبِيلِ

غنّى فيه ابن مُحْرِزٍ ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ من أصواتٍ قليلةِ الأشْباهِ عن إسحاقَ وفيه لِعَبادِلَ خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ويقال إنّه للهُذليّ . وفيه لعبيد الله بن أبي غسّان ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرني أبو عليّ الحسن بن الصَّبّاح عن محمد بن حَبيب أنّه أخبره : أنّ عمر بن أبي ربيعة قال في فاطمة بنت عبد الملك بن مَروان[5] : [من المديد]

صوت

يـا خَلِيلِي شَفِّنِي الذِّكَرُ وحُمُولُ الحـيِّ إذ صَدَرُوا
ضَرَبوا حُمْـرَ القِبابِ لها وأُدِيـرتْ حولَهـا الحُجَرُ

1 ذوي القرابة في ل : ذوي أقاربها .
2 ديوان عمر : 296–297 .
3 يلقى في ل : يلهى .
4 التنويل : الاعطاء .
5 ديوان عمر : 184–186 . مع بعض اختلاف في الترتيب واللفظ .

سلَكُوا شِعْبَ النِّقابِ بهـا زُمَـراً تَحْتُّهـا زُمَـرُ[1]
وطَرَقْـتُ الحـيَّ مُكتَتماً ومَعِـي عَضْبٌ بـه أثُرُ
وأخٌ لم أَخْشَ نَبْوتَـه بنَواحـي أمرِهِـمْ خَبِرُ
فـإذا رِيـمٌ على فُرُشٍ في حِجال الخَزّ مُخْتَدِرُ[2]
حَوْلَـه الأَحْـراسُ ترقُبه نُـوَّمٌ من طولِ مـا سَهِرُوا
شبَـهُ القَتْـلى ومـا قُتِلُوا ذاكَ إلاّ أنّهـم سَمَـرُوا
فَدَعتْ بالوَيْل ، ثم دَعَتْ حُـرَّةً مـن شأنها الخَفَرُ
ثـم قالـت لِلّتـي مَعَها وَيْحَ نَفْسِي قـد أتى عمرُ
مالَـه قـد جـاء يَطْرُقُنا ويَرَى الأعداء قد حَضَرُوا
لِشَقائِـي كانَ عُلِّقَنـا ولِحَيْنِـي ساقـه القَدَرُ
قلتُ عِرْضِي دُونَ عِرضِكُمُ ولِمَـنْ ناواكُـمُ الحَجَـرُ

هذا البيت الأخير ممّا فيه غناء مع :

وطَرَقْـتُ الحـيَّ مُكتتِماً

للغَريض

وفي : يـا خَليـلي شَفِّنِي الذِّكَرُ
وفي : قلتُ عِرْضِي دونَ عِرضِكمُ
وفي : ثـمَّ قالـتْ للتـي معها
وفي : مالـه قـد جـاء يطرُقنا

[ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو]

وفي : ضَربوا حُمْـرَ القِبابِ لهـا

وما بعده أربعةٍ متواليةٍ خفيفُ رملٍ بالوُسطى للهُذليّ .

وفي : «وطرقتُ» وبعده : «فإذا ريم» وبعده : «حوله الأحراس» والبيتين اللذين بعده لابن سريج خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها بعَيْنِها ثقيلٌ أوّلُ يقال إنّه للأَبجَر ، ويُنسب إلى غيره عن الهشاميّ .

1 النقاب : شعب من أعمال المدينة .
2 الحجال : جمع حجلة ، وهي قبة للنساء .

[عمر وعائشة بنت طلحة]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن رجل من قريش قال : بينا عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت ، إذ رأى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وهي تريد الرُّكن تستلمُه ، فبُهِت لمّا رآها ورأته ، وعلمتْ أنّها قد وقعت في نفسه ، فبعثتْ إليه بجارية لها وقالت : قولي له : اتَّقِ الله ولا تَقُل هُجْراً ؛ فإنّ هذا مقام لا بدّ فيه ممّا رأيتَ . فقال للجارية : أقْرِئيها السلامَ وقولي لها : ابن عمّك لا يقول إلاّ خيراً[1] . وقال فيها[2] : [من الوافر]

صوت

لعائشةَ ابنــةِ التَّيْمِيّ عنــدي ... حِمًى في القلبِ ما يُرْعَى حِماها
يُذَكِّرُني ابنــةَ التَّيْمِــيّ ظبــيٌ ... يَـرُودُ برَوْضَةٍ سَهْـلٍ رُباها
فقلتُ له ، وكاد يُراعُ قلبِي ، ... فلــم أَرَ قَـطُّ كاليوم اشتِباها
سِوى حَمْشٍ بِساقِكَ مُستبينٍ ... وأنّ شَواكَ لم يُشْبِــهْ شَواها[3]
وأنَّــكَ عاطِـلٌ عــارٍ وليستْ ... بعاريــةٍ ولا عُطُـلٍ يَــداها
وأنّكَ غيرُ أفْرَعَ وهــي تُدْلِي ... على المَتْنَيْنِ أسحمَ قــد كَساها[4]
ولــو قَعَدتْ ولم تَكْلَفْ بــوُدٍّ ... سوى ما قد كَلِفتُ بــه كَفاها
أَظَــلُّ إذا أُكَلِّمُهــا كأنِّــي ... أُكَلِّــم حيّــةً غَلَبَــتْ رُقاها
تَبِيتُ إليَّ بعــد النــوم تَسْرِي ... وقد أمسيت لا أخشى سُراها

الغناء في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات لأبي فارة ثقيل أوّل . وفيهما لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ خفيف ثقيلٍ جميعاً عن الهشاميّ . وذكر إسحاق أنّ هذا الصوت ممّا يُنسَب إلى معبد ؛ وهو يُشبه غناءه إلاّ أنّه لم يَرْوِه عن ثبَتٍ[5] ولم يذكُر طريقتَه . قال : وقال فيها أشعاراً كثيرة ، فبلغ ذلك فِتيان بني تميم ، أبلغهم إيّاه فتًى منهم قال لهم : يا بني تَيم بن مرّة ، هالله ليَقذِفَنَّ بنو مَخزوم بناتنا بالعظائم وتغفلون ، فمشى ولدُ أبي بكر وولدُ

1 ل : حسناً .
2 ديوان عمر : 442 .
3 حمش : دقّة الساقين .
4 أفرع : طويل الشعر .
5 ثبت : ثقة .

طلحة بن عبيد الله إلى عمر بن أبي ربيعة فأعلموه بذلك وأخبروه بما بلغهم . فقال لهم : والله لا أذكرها في شعرٍ أبداً . ثم قال بعد ذلك فيها ، وكنى عن اسمها ، قصيدته التي أوّلها[1] : [من البسيط]

صوت

يـا أمّ طَلْحةَ إنّ البَيْنَ قـد أفِدا ... قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرَّحِيلُ غَدا[2]

أمسى العِراقيّ لا يَدْرِي إذا بَرَزَتْ ... مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركانِ أو سجَدا

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ويونس . قال ولم يزل عمر يَنسُب بعائشة أيّام الحجّ ويطوف حولها ويتعرّض لها وهي تكره أن يرى وجهَها ، حتى وافقها وهي ترمي الجمار سافرة ، فنظر إليها فقالت : أمَا والله لقد كنتُ لهذا منكَ كارهة يا فاسقُ ، فقال[3] : [من الكامل]

صوت

إنِّي وأوّلَ مـا كَلِفْتُ بذِكْرها ... عَجَبٌ وهل في الحبِّ من مُتَعَجَّبِ[4]

نَعَتَ النساءَ فقلتُ لستُ بمُبْصِرٍ ... شَبَهاً لهـا أبـداً ولا بمُقَرِّبِ

فمكَثْنَ حِيناً ثـم قُلْنَ تَوجَّهَتْ ... للحَجِّ ، موعِدُها لِقاءُ الأَخْشَبِ[5]

أقبلتُ أنظرُ مـا زعمنَ وقُلْنَ لي ... والقلبُ بـين مُصَدِّقٍ ومُكذِّبِ[6]

فلَقِيتُها تَمْشِي تَهـادى مَوْهِنـاً ... ترمِـي الجِمارَ عَشِيَّةً في مَوْكِبِ

غَـرَّاءَ يُعْشِي الناظريـنَ بياضُها ... حَـوْراءَ في غُلَواءِ عيشٍ مُعْجِبِ

إنَّ التي مِـنْ أرضِهـا وسمائهـا ... جُلِبَـتْ لحَيْنِك ليتَهـا لم تُجْلَبِ

الغناء لمعبدٍ في الأوّل والثاني والرابع والسابع ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيها للغريض خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، يُبْدأ فيه بالثالث .

أخبرني عليّ بن صالح قال حدّثنا أبو هَفّان عن إسحاق قال أخبرني مُصْعب الزبيريّ : أنّ عمر بن أبي ربيعة لقي عائشة بنت طلحة بمكّة وهي تسير على بغلة لها ، فقال لها : قِفِي حتى

---

1 ديوان عمر : 109 .

2 أفد : اقترب .

3 ديوان عمر : 49 ، 50 .

4 في الحب في ل : في الدهر .

5 الأخشب : أحد جبلين بمكّة .

6 زعمت في ل : عزمن .

أُسمِعك ما قلتُ فيك . قالت : أَوَقد قُلْتَ[1] يا فاسق ؟ قال : نعمْ ، فوقفتْ فأنشدها[2] : [من البسيط]

صوت

يا ربَّة البغلة الشَّهباءِ هل لكِ في ... أن تُنْشِري مَيِّتاً لا تُرْهِقِي حَرَجا[3]

[ويروى : هل لكُمُ ... في عاشقٍ دَنِفٍ]

قالت بدائك مُتْ أو عِشْ تُعالِجُه ... فما نَرى لكَ فيما عندنا فَرَجا

قد كنتَ حمَّلتَنا غيظاً نُعالِجُه ... فإن تُقِدنا فقد عَنَّيْتَنا حِجَجا[4]

حتَّى لَوَ اسْطِيعُ ممّا قد فعلتَ بنا ... أكلتُ لحمَكَ من غيظٍ وما نَضِجا

الغناء لابن سريج ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج ثلاثة ألحانٍ ذكرها إسحاقُ ولم يُجنِّس منها إلاّ واحداً ، وذكر الهشاميّ أنّ أحدها خفيف رملٍ بالوسطى ، [وذكر عمرو أنّ الثالث هَزَجٌ بالوسطى] . ولإسحاق فيها هزج من مجموع صنعته ، فقالت : لا وربِّ هذه البَنِيَّة ! ما عنَّيْتَنا طَرْفَةَ عينٍ قطُّ . ثم قالت لبغلتها : عَدَسْ[5] ، وسارتْ . وتمام هذه الأبيات : [من البسيط]

فقلتُ لا والذي حَجَّ الحَجيجُ له ... ما مَحَّ حُبُّكِ من قلبي ولا نَهِجا

ولا رأى القلبُ من شيءٍ يُسَرُّ به ... مُذْ بانَ منزلُكم منّا ولا ثَلِجا

ضَنَّتْ بنائلها عنه فقد تَرَكتْ ... في غير ذنبٍ أبا الخَطَّاب مُخْتَلِجا

قال : فلم تَزل عائشة تُداريه وترفق به خوفاً من أن يتعرَّض لها حتى قضت حجَّها وانصرفت إلى المدينة . فقال في ذلك[6] : [من الرمل]

إنّ مَنْ تَهْوى مع الفجرِ ظَعَنْ ... لِلْهَوى والقلبُ مِتْباعُ الوَطَنْ

بانتِ الشمسُ وكانت كلَّما ... ذُكِرَتْ للقلبِ عاودتُ الدَّدَنْ[7]

---

1 ل : أو قد فعلت .

2 ديوان عمر : 81 .

3 أرهقه : كلفه .

4 أقاد به : قابله بالقصاص ؛ عنّاه : أرهقه .

5 عدس : لفظة يزجر بها البغل .

6 ديوان عمر : 410 والأبيات الثلاثة التي تلي هذين البيتين من قصيدة أُخرى في الديوان ص 414 .

7 الددن : اللهو واللعب .

صوت

[من الرمل]

يا أبا الحارثِ قلبِي طائرٌ فأتَمِـرْ أمـرَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ
نظَرَتْ عَيني إليهـا نظرةً تَركتْ قلبي لَديْها مُرتَهَنْ
ليس حبٌّ فوقَ ما أَحببتُها غيرَ أنْ أَقتُلَ نفسي أو أُجَنّ

فيها ثاني ثقيل بالوسطى نسبه عمرو بن بانة إلى ابن سُريج ، ونسبه ابن المكّي إلى الغريض . وفيها رمل لأهل مكّة .

وممّا يُغَنَّى فيه من أشعاره في عائشة بنت طلحة قوله في قصيدته التي أوّلُها[1] : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ لقلبٍ أَمْسى رهيناً مُعَنًّى مُستكيناً قـد شَفَّـه مـا أَجَنَّا[2]
إثْرَ شخصٍ نفسي فَدَتْ ذاك شخصاً نـازِحِ الدَّارِ بالمدينـة عنّـا
ليتَ حَظِّي كطَرْفـةِ العينِ منها وكثيرٌ منهـا القليـلُ المُهَـنَّا

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق .

[عمر وكلثم بنت سعد المخزومية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف ومحمد بن خَلَف قالا حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثني محمد بن عبد الرحمن التَّيميّ عن هشام بن سليمان بن عِكرِمة بن خالد المخزوميّ قال : كان عمر بن أبي ربيعة يهوى كلثم بنت سعدٍ المخزوميّة ، فأرسل إليها رسولاً فضربتْها وحَلَقَتْها وأحلفَتها ألاّ تُعاود ؛ ثم أعادها ثانية ففعلت بها مثل ذلك ، فتحاماها رسُلُه . فابتاع أَمَةً سوداء لطيفة رقيقة وأتى بها منزله ، فأحسن إليها وكَساها وآنسَها وعرَّفها خبرَه وقال لها : إنْ أَوصلتِ لي رُقعةً إلى كلثم فقرأتها فأنتِ حُرّةٌ ولكِ معيشتك ما بَقِيتِ . فقالت اكتُب لي مُكاتبةً واكتُب حاجتك في آخرها ، ففعل ذلك . فأخذتها ومضتْ بها إلى باب كلثم فاستأذنت ، فخرجت إليها أَمَـةٌ لها فسألتها عن أمرها ؛ فقالت : مُكاتبةٌ[3] لبعض أهل مولاتك جئتُ أَستعينُها في مُكاتبتي ، وحادثتْها وناشدتها حتى ملأتْ قلبَها ؛ فدخلت إلى كلثم وقالت : إنّ بالباب مُكاتبةً لم أَرَ قطُّ أجمل منها ولا أكملَ ولا آدَبَ . فقالت : ائذَني لها ،

1 ديوان عمر : 406 .
2 رهينا في ل : حزيناً .
3 المكاتبة : أمة قد كتب لها سيدها أن يحررها لقاء مبلغ تدفعه مقسّطاً .

فدخلت . فقالت : مَن كاتَبَكِ ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة الفاسق ! فاقرئي مكاتبتي . فمدّت يدها لتأخذها . فقالت لها : لي عليك عهد الله أن تقرئيها ؛ فإن كان منكِ إليّ شيءٌ ممّا أُحِبُّه وإلاّ لم يَلحَقْنِي منكِ مكروهٌ ؛ فعاهدتها وفَطِنَتْ . وأعطتْها الكتاب ، فإذا أوّله[1] : [من السريع]

من عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ الهوى ... قـد شَفَّه الوجدُ إلى كَلْثَمِ
رأتكِ عَيْنِي فدعاني الهوى ... إليـكِ للحَيْـنِ ولم أَعْلَمِ
قَتَلْتِنا ، يـا حبَّـذا أنتُـم ، ... في غيرِ مـا جُرْمٍ ولا مَأْثَمِ
واللهُ قـد أَنْزَلَ في وَحْيِهِ ... مُبَيِّنـاً في آيـهِ المُحْكَمِ
مَنْ يَقْتُلِ النفسَ كذا ظالماً ... ولم يُقِدْهـا نفسَه يَظْلِمِ
وأنتِ ثَـأْرِي فتَلافَيْ دَمِـي ... ثم اجعلِيـه نعمـةً تُنْعِمِي
وحَكِّمِـي عَـدْلاً يكُنْ بينَنا ... أو أنتِ فيما بينَنا فاحكُمِي
وجالِسِيني مَجْلِساً واحـداً ... من غيرِ مـا عارٍ ولا مَحْرَمِ
وخبِّريني مـا الذي عندَكم ... باللهِ في قتلِ امرىءٍ مُسْلِمِ

قال : فلمّا قرأتِ الشعر قالت لها : إنّه خدّاعٌ مَلِقٌ ، وليس لما شَكاه أصلٌ . قالت : يا مولاتي ، فما عليكِ من امتحانه ؟ قالت : قد أَذِنْتُ له ، وما زال حتّى ظَفِرَ ببُغْيَتِه ؛ فقولي له : إذا كان المساءُ فَلْيَجلِسْ في موضع كذا وكذا حتى يأتيَه رسولي . فانصرفت الجارية فأخبرته ؛ فتأهّب لها . فلمّا جاءه رسولُها مضَى معه حتى دخل إليها وقد تهيّأت أجمل هيئة ، وزيَّنت نفسها ومجلسها وجلست له من وراء سِتر ، فسلَّم وجلس . فتركته حتى سكن ، ثـم قالت له : أخبِرني عنكَ يا فاسق ! ألستَ القائل[2] : [من الكامل]

هلاَّ اسْتَحَيْتِ فتَرْحَمِي صَبّا ... صَدْيانَ لم تَدَعِي لـه قَلْبا[3]
جَشِمَ الزيـارةَ في مَودّتِكم ... وأرادَ ألاّ تُرْهِقِـي ذَنْبـا
ورَجا مُصالحَةً فكان لكم ... سِلْماً وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبا[4]
يا أيّها المُعْطِـي مودّتَـه ... مَنْ لا يَراكَ مُسامياً خِطْبا[5]

1 ديوان عمر : 389-390 .
2 الأبيات في ديوان عمر : 65 .
3 استحيتِ في ل : ارعويت .
4 مصالحة فكان لكم في ل : مصالحة فردكم .
5 لا يراك في ل : لا يزال .

لا تَجْعَلَنْ أحداً عليك إذا أحببتَـــه وهَوِيتَـــه رَبَّـــا
وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفْتَ به واطـوِ الزيـارةَ دونَـه غِبَّا
فَلَذاكَ أحسنُ مـن مُواظَبةٍ ليستْ تَزِيـدُكَ عنده قُرْبا
لا بـــل يَمَلُّكَ عند دَعْوته فيقـولُ هاهِ وطالما لَبَّى[1]

فقال لها : جُعِلتُ فِداك ، إنّ القلب إذا هَوِي نطق اللسان بما يَهوى . فمكث عندها شهراً لا يدري أهلُه أين هو . ثم استأذنها في الخروج . فقالت له : بعد أن[2] فَضَحْتَني ؟ لا والله لا تخرج إلاّ بعد أن تتزوّجني . ففعل وتزوّجها ؛ فولدت منه ابنين أحدهما جُوانٌ ؛ وماتت عنده .

[عمر ولبابة بنت عبد الله بن العبّاس]

أخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ المهلَّبيّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد قال حدّثني إبراهيم بن يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه : أنّ عمر رأى لبابة بنت عبدالله بن العبّاس امرأة الوليد بن عُتبة بن أبي سفيان تطوف بالبيت ، فرأى أحسنَ خَلْق الله ، فكاد عقلُه يذهب ، فسأل عنها فأخبر بنسبها ؛ فنسب بها وقال فيها[3] : [من الكامل]

صوت

وَدِّعْ لُبابَـةَ قبلَ أن تَتَرحَّلا واسْأَلْ فإنَّ قُلالَـة أن تَسْأَلا[4]
إلبَثْ بِعَمْرِك ساعـةً وتأنَّها فلعلَّ ما بَخِلَتْ بـه أن يُبْذَلا
قال ائتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالَفٍ فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلا
لَسْنا نُبالي حين تَقْضي حاجةً مـا باتَ أو ظَلَّ المَطِيّ مُعَقَّلا
حتى إذا ما الليلُ جَنَّ ظَلامُه ورَقَبْتُ غفلةَ كاشِحٍ أن يَمحُلا[5]
خرجتْ تأطَّرُ في الثياب كأنّها أَيْم يَسِيبُ على كثِيبٍ أَهْيَلا[6]
رحَّبْتُ حـينَ رأيتُها فتبسَّمَتْ لتحيَّتِـي لَمّـا رأتْنِـي مُقبِلا
وجَلا القِناعُ سَحابةً مشهورةً غَرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمّلا

1 هاه : كلمة وعيد .
2 ل : أبعد ما .
3 ديوان عمر : 311 .
4 قلالة : قليلة .
5 الشطر الثاني في ل : ونظرت غفلة حارس أن يغفلا .
6 تتأطر : تتثنّى . الأيم : الحية .

فلَبِثْتُ أَرْقِيها بما لـو عاقِـلٌ يُرقَى بـه ما اسْطاعَ ألاّ يَنْزِلا

غنَّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، ابتداؤه نشيدٌ . وفيها لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق أيضاً . وفيها لابن سريج في الأوّل والرابع من الأبيات رمل عن ابن المكّيّ ، ولأبي دُلَفَ القاسم بن عيسى في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ بالسبابة والبنصر ، وابتداؤه نشيد من رواية ابن المكّيّ . وفيه لمحمد بن الحسن بن مُصعبٍ هزجٌ .

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لمّا حَجَّ الغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل إليه معبد فغنّاه : [من الكامل]

وَدِّعْ لبابـةَ قبـــل أن تترحَّلا

فلم يزل يُردِّده عليه ، ثم أخرجه معه لمّا رَحل عن المدينة ، فغنّاه في المنزل به حتى أراد الرَّحِيل ، فحمله على بغلةٍ له وذهب غلامٌ له يَتبعُه ؛ فقال : إلى أين ؟ فقال : أمْضي معه حتى أجيءَ بالبغلة . فقال : هيهات ! ارجع يا بنيّ ، ذهبت والله لبابة ببغلة مولاك . وقد رُوي هذا الخبر لغير الغمر بن يزيد .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء المختار وهو : [من الطويل]

تشكَّى الكُمَيتْ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

[عمر والثريا]

يقولها عمر بن أبي ربيعة في الثريا بنتِ عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس بن عبد مَناف ، وهم الذين يقال لهم العَبَلاتُ ؛ سُمُّوا بذلك لجَدّةٍ لهم يقال لها عبلة بنت عُبَيد بن خالد بن خازِل بن قيس بن مالك بن حَنظَلَةَ بن مالك بن زيد مَناةَ بن تميم ، وهي من بطنٍ من تميم يقال لهم البراجِم ، غيرُ براجِمِ بني أسد .

[نسب الثريا بنت علي]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كانت عبلة بنت عُبَيد بن خالد بن خازل بن قيس بن حنظلة ، عند رجل من بني جُشَمَ بن معاوية ، فبعثها بأَنْحاء[1] سمنٍ تبيعها له بعكاظ ، فباعت السمن وراحلتين كان عليهما ، وشربتْ بثمنها الخمر . فلمّا نفِد ثمنُها رهنتِ ابنَ أخيه وهربَتْ ، فطلَّقها . وقالت في شُرْبِها الخمر : [من المتقارب]

1 أنحاء : جمع نحي وهو الزق .

شَرِبتُ براحلَتَيْ مِحْجَنٍ فيا وَيْلتي ، مِحْجَنٌ قاتِلِي
وبابنِ أخيه على لـذّةٍ ولم أَحْتَفِلْ عَذَلَ العاذِلِ

قال : فتزوّجها عبدُ شمس بن عبد مناف ؛ فولدتْ له أُميَّةَ الأصغر وعبدَ أُميَّةَ ونَوْفَلاً ، وهم العَبَلاتُ .

وقد ذكر الزبير بن بكّار عن عمّه : أنّ الثُّرَيَّا بنتُ عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُميّة الأصغر ، وأنّها أُختُ محمد بن عبد الله المعروف بأبي جِرابٍ العَبْليّ الذي قتله داود بن عليٍّ ؛ وهو الذي يقول فيه ابن زياد المكّي : [من الوافر]

ثلاثُ حوائجٍ ولَهُنَّ جِئنا فقُمْ فيهنَّ يا ابن أبي جِرابِ
فإنّكَ ماجدٌ في بيتِ مجدٍ بَقِيّةُ مَعْشَرٍ تحتَ التراب

قال : وله يقول ابن زيادٍ المكّي أيضاً : [من الطويل]

إذا مُتَّ لم تُوصَلْ بعُرْفٍ قرابةٌ ولم يَبْقَ في الدنيا رجاءٌ لسائِلِ

قال الزبير : وهذا أشبهُ من أن تكون بنت عبد الله بن الحارث ، وعبد الله إنّما أدرك سلطان معاوية وهو شيخ كبير ، ووَرِث بقُعْدُدِه[1] في النَّسب دار عبد شمس بن عبد مناف ، وحَجَّ معاويةُ في خلافته ، فجعل ينظر إلى الدار ، فخرج إليه عبد الله بن الحارث بمِحْجَنٍ ليضربه به وقال : لا أَشْبَعَ اللهُ بطنَك ، أما تَكفيكَ الخلافة حتى تطلب هذه الدار ؟ فخرج معاوية يضحك .

[ترجيح المؤلّف لنسب الثريا]

قال مُؤلِّف هذا الكتاب : وهذا غلطٌ من الزبير عندي ، والثريّا أن تكون بنت عبد الله بن الحارث أشبه من أن تكون أُختَ الذي قتله داود بن عليّ ؛ لأنّها ربَّتِ الغريض المُغنِّي وعلَّمته النَّوح بالمراثي على من قتله يزيد بن معاوية من أهلها يوم الحرَّة . وإذا كانت قد ربَّتِ الغريض حتى كبِرَ وتعلَّم النَّوح على قتلى الحرّة [وهو رجل] ، وهي وقعةٌ كانت بعَقِب موت معاوية ، فقد كانت في حياة معاوية امرأة كبيرة ، وبين ذلك وبين مَنْ قتله داود بن عليّ من بني أُميّة نحو ثمانين سنة ، وقد شَبَّب بها عمر بن أبي ربيعة في حياة معاوية ، وأنشد عبد الله بن عبّاس شِعره فيها ، فكيف تكون أُختَ الذي قتله داود بن عليّ وقد أدركتْ عبد الله بن عبّاس وهي امرأةٌ كبيرةٌ ! وقد اعترف الزبير أيضاً في خبره بأنّ عبد الله بن الحارث أدرك خلافة معاوية وهو شيخ كبير ؛ فقولُ مَن قال : إنّها بنتُه ، أصوب من قول مَن قرَنها بمن قتلَه داود بن عليّ .

1 القعدد : القرابة المتمكّنة في الوراثة .

وهذا القول الذي قلتُه قولُ ابن الكلبيّ وأبي اليقظان ، أخبرني به الحسن بن عليٍّ عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن أبي اليقظان ، قال وحدّثني به جماعةٌ من أهل العلم بنَسَب قُريش .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني مَسْلَمَةُ بن إبراهيمَ بن هشام المخزوميّ عن أيّوب بن مَسلمة ، أنّه أخبره أنّ عمر بن أبي ربيعة كان مُسهَباً[1] بالثُّريّا بنت عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميّة الأصغر ، وكانت عُرضَةَ ذلك جَمالاً وتماماً ، وكانت تَصِيفُ بالطائف ، وكان عمر يغدو عليها كلَّ غداة إذا كانت بالطائف على فرسه ، فيسأل[2] الرُّكبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الأخبار قِبَلَهم . فلَقِي يوماً بعضهم فسأله عن أخبارهم ؛ فقال : ما استطرَفنا خبراً ، إلاّ أنّني سمعتُ عند رحيلنا صوتاً وصِياحاً عالياً على امرأة من قريش اسمها اسم نجمٌ في السماء وقد سقط عنّي اسمُه . فقال عمر : الثُّريّا ؟ قال نعم . وقد كان بلغ عمر قبل ذلك أنّها عليلةٌ ، فوجَّه فرسه على وجهه إلى الطائف يركُضُه مِلء فُروجه وسلكَ طريق كَداءٍ[3] ، وهي أخشن الطُّرق وأقربها ، حتى انتهى إلى الثُّريّا وقد توقَّعته وهي تتشوّق له وتُشرِف ، فوجدها سليمة عميمة ومعها أختاها رُضَيَّا وأُمُّ عثمان ، فأخبرها الخبر ؛ فضحكتْ وقالت : أنا والله أمرتُهم لأختبِر ما لي عندك . فقال عمر في ذلك هذا الشعر[4] : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمّا جَهَدْتُه ... وبَيَّن لــو يَسْطِيــعُ أن يَتكلَّما[5]
فقلتُ لــه إنْ أَلْقَ للعَيْن قُــرَّةً ... فهانَ عــليّ أن تَكِــلَّ وتَسْأَما
لذلك أُدْنِي دونَ خَيْلِــي رِباطَه ... وأوصِي بــه ألاّ يُهــانَ ويُكْرَما
عَدِمْتُ إذاً وَفْرِي وفارقتُ مُهْجَتِي ... لئن لم أَقِــلْ قَرْنــاً إنِ اللهُ سَلَّما

قال مَسْلَمَةُ بن إبراهيم : قلتُ لأيُّوب بن مَسلمة : أكانت الثريّا كما يصف عمر بن أبي ربيعة ؟ فقال : وفوقَ الصِّفة ، كانت والله كما قال عبيد الله بن قيس الرقيَّات : [من الخفيف]

حَبَّــذا الحجُّ والثُّريّــا ومَنْ بالـ ... ـخَيْفِ من أجلِها ومُلْقَى الرِّحالِ
يــا سليمانُ إن تُــلاقِ الثريّــا ... تَلْقَ عَيْشَ الخُلُــودِ قبــلَ الهِلالِ
دُرَّةٌ من عَقائِــلِ البحــر بِكْــرٌ ... لم تَشِنْهــا مَثاقِــبُ الــلأَّلِ

1 المسهب : السقيم من الحبّ .
2 ل : فيسائل .
3 كداء : جبل في أعلى مكّة .
4 ديوان عمر : 341 .
5 ديوان ابن الرقيات (تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر) : 112–113 .

تَعْقِـد المِئْزَرَ السُّخامَ مـن الخـ ـزِّ على حَقْـوِ بـادِنٍ مِكْسالِ[1]

[عمر ورملة الخزاعية]

قال إسحاق في خبره عمَّن أسند إليه أخبار عمر بن أبي ربيعة ، وذكر مثله الزبير بن بكّار فيما حدّثنا به عنه الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني مؤمن بن عمر بن أفلح مولى فاطمة بنتِ الوليد بن عبد شمس بن المُغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم قال حدّثني بِلالٌ مولى ابن أبي عتيق : أنّ الحارث بن عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة قدِم للحجّ ، فأتاه ابن أبي عتيق فسلَّم عليه وأنا معه . فلمّا قضَى سلامه ومُساءلته عن حجِّه وسفره ، قال له : كيف تَرَكْتَ أبا الخطَّاب عمر بن أبي ربيعة ؟ قال : تركتُه في بُلَهْنِيَةٍ[2] من العيش . قال : وأنَّى ذلك ؟ قال : حَجَّتْ رَملَة بنت عبد الله بن خَلَفٍ الخزاعية فقال فيها[3] : [من الخفيف]

صوت

أصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينا مُقْصَداً يـومَ فارَقَ الظَّاعِنِينا
قلتُ مَنْ أنتُمُ فصَدَّتْ وقالتْ أَمُبِـدٌّ سؤالَـك العالَمِينا[4]
نحن من ساكني العِراق وكُنّا قبلَـه قاطنـين مكّـةَ حِينا
قد صَدَقْناكَ إذ سألتَ فمن أنـ ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا
ونَـرى أنّنا عَرَفْنـاكَ بالنَّعْـ ـتِ بظَـنٍّ ومـا قَتَلْنا يَقِينا
بسَوادِ الثَّنِيَّتَيْـن ونَعْـتٍ قـد نَـراه لناظـرٍ مُستَبِينا

غنَّى معبدٌ في البيتين الأوّلين خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالوُسطى في مجراها عن إسحاق . وغنَّى في الثاني وما بعده ابن سريج خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبابة في مجرى البِنصر عنه أيضاً . وذكر حبش أنّ فيه للغريض أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر . قال : فبلغ ذلك الثُّريّا ، بلَّغَتْها إيَّاه أُمُّ نوفلٍ ، وكانت غَضَبى عليه ، وقد كان انتشر[5] خبرُه عن الثريّا حتى بلغَها من جهةِ أُمِّ نَوفلٍ وأنشدتها قوله : [من الخفيف]

أَصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينا مُقْصَداً يـومَ فـارقَ الظاعِنينا

1 السخام : اللين .
2 في بلهنية : في عيش مرفه .
3 ديوان عمر : 425–426 .
4 أمبدّ سؤالك العالمينا : أقسّم سؤالك على جميع الناس .
5 ل : استتر .

فقالت : إنّه لوقاحٌ صنع[1] بلسانه ، ولئن سلِمتُ له لأَردَّنَّ من شأوِه ، ولأَثنِيَنَّ من عِنانه ، ولأُعَرِّفنَّه نفسه . فلمّا بلغت إلى قوله : [من الخفيف]

قُلتُ مَن أنتُمُ فصدَّتْ وقالتْ أُمبِـدٌّ سُؤالَـكَ العالَمِينـا

فقالت : إنّه لَسأَلٌ مُلِحٌّ ، [قُبحاً له] ولقد أجابتْه إن وَفَتْ . فلمّا بلَغتْ إلى قوله : [من الخفيف]

نحن من ساكني العراقِ وكنّا قبلَـه قاطنـين مكّـةَ حِينا

قالت : غَمَزَتْه الجَهمَةُ[2] ، فلمّا بلَغتْ إلى قوله : [من الخفيف]

قد صدَقْناك إذ سألتَ فمن أنـ ـتَ عسى أن يَجُرَّ شأنٌ شُؤونا

قالت : رَمَتْه الوَرْهاءُ[3] بآخر ما عندها في مقامٍ واحد . وهَجرتْ عمرَ .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعب : أنّ رملة بنت عبد الله بن خلف حجَّت ، فتعرّض لها عمر بن أبي ربيعة فقال فيها : [من الخفيف]

أصبَحَ القلبُ في الحِبال رهينا مُقصَداً يَـوم فـارقَ الظاعِنينا

وقال في هذه القصيدة : [من الخفيف]

فـرأَتْ حِرْصِيَ الفتاةُ فَقالتْ خَبِّرِيهِ ، من أَجْلِ مَن تَكْتُمِينا ؟

نحن من ساكني العِراق وكنّا قَبلَـه قاطِنـين مكّـةَ حينا

قد صدّقناك إذ سألت فمن أنـ ـتَ عَسى أن يَجرّ شأنٌ شؤونا

قال الزبير : ورملَةُ هذه أُمُّ طَلحة بن عمرَ بن عُبَيد الله بن معمرٍ التَّيميّ ، وهي أُخت طلحة الطَّلحات بن عبد الله بن خَلَفٍ الخُزاعيّ .

[كثير يتغزّل بنسوة من قريش ردّاً على عمر]

قال : فبلغتْ هذه الأبيات كثيِّراً ، فغضِب لذلك وقال : وأنا والله لا أَتمارى أنْ سيَجُرُّ شأنٌ شؤونا . ثم ذكَر نسوة من قريش فساقهنّ في شعره من الحجّ حتى بلغ بهنّ إلى مللٍ[4] ، ثم أَشفَقَ فجاز ، ولم يَزِد على ذلك ، وهو قوله في قصيدته التي أوّلها[5] : [من الخفيف]

---

1 صنع اللسان : ذلق اللسان .

2 الجهمة : الضعيفة .

3 الورهاء : الحمقاء .

4 ملل : موضع بين مكّة والمدينة .

5 ديوان كثيّر : 395–400 .

مـا عَناكَ الغَـداةَ من أَطْلالِ . دارِساتِ المُقـامِ مُـذْ أَحْوالِ

صوت

قُـمْ تأمَّلْ فأنـتَ أَبْصَرُ منِّي هل تَرى بالغَمِيم من أَجْمالِ[1]
قاضياتٍ لُبانَـةً مـن مُناخٍ وطَـوافٍ ومَوقِـفٍ بالجِبالِ[2]
قِلْنَ عُسْفانَ ثم رُحْنَ سِراعاً هابِطاتٍ عَشِيَّةً مـن غَزالِ[3]
واردات الكَدِيـدِ مُجْتَرِعاتٍ جُزْنَ وادِي الحَجُونِ بالأَثْقالِ[4]
قَصْدَ لِفْـتٍ وهُـنّ مُتَّسِقاتٌ كالعَدَوْلِيّ لاحِقـاتِ التَّوالِي[5]
طالعاتِ الغَمِيس مـن عَبّـودٍ سالكاتِ الخَوِيِّ مـن أَمْلالِ[6]
فسَقى اللهُ مُنْتَوى أُمِّ عمـرٍو حيث أَمَّتْ بها صُدورُ الرِّحالِ
حَبَّذا هُـنَّ مِنْ لُبانَـةِ قَلبِي وجَدِيـدُ الشَّبابِ من سِرْبالِي
رُبَّ يـومٍ أتيتُهـنّ جميعـاً عند بَيْضاءَ رَخْصَةٍ مِكْسالِ[7]
غيرَ أنِّي امرؤٌ تعَمَّمْتُ حِلْماً يَكْرَه الجهـلَ والصِّبا أمثالي

غنَّى ابن سريج في الثلاثة الأبيات الأوّل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ويونس . وذكر الهشاميّ أنّ فيها للحَجَبِيّ رملاً بالبِنصر .

[شعر عمر حين هجرته الثريا]

قالوا : فلمّا هَجرت الثُّريّا عمر قال في ذلك : [من الخفيف]

مَنْ رَسُولِي إلى الثُّرَيَّا فإنِّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فبلَغ ابن أبي عَتيقٍ قوله ، فمضى حتى أصلح بينهما . وهذه الأبيات تُذكر مع ما فيها من الغناء ومع خبر إصلاح ابن أبي عتيقٍ بينهما بعد انقضاء خبر رملة التي ذكرها عمرُ في شعره .

---

1 الغميم : موضع قرب المدينة .
2 بالجبال يروى أيضاً «بالخيال» .
3 عسفان : موضع قريب من مكّة . غزال : قرن غزال وهو وادٍ .
4 الكديد : موضع بين عسفان ورابغ .
5 لفت : واد قريب من عقبة هرشى . العدولي : سفن تنسب إلى مكان بالبحرين .
6 غميس : هو غميس الحمام بعد «ملل» وأنت ذاهب إلى بدر من المدينة . وعبود : جبل بين السيالة وملل . الخويّ : اسم واد . وأملال : اسم موضع .
7 أتيتهنّ في ل : رأيتهنّ .

قال مُصعب بن عبد الله في خبره : وكانت رملة جَهْمَةَ[1] الوجه ، عظيمةَ الأنف ، حسنةَ الجسم ، وتزوّجها عُمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ، وتزوّج عائشة بنت طَلحة بن عبيد الله وجمَع بينهما ، فقال يوماً لعائشة : فعلتُ في محاربة الخوارج مع أبي فُدَيك[2] كذا ، وصنعت كذا ، يذكر لها شجاعته وإقدامَه . فقالت له عائشة : أنا أعلَم أنّك أشجعُ الناس ، وأعرف لك يوماً هو أعظمُ من هذا اليوم الذي ذكرتَه . قال : وما هو ؟ قالت : يوم اجتَلَيت رملة وأقدمتَ على وجهها وأنفها .

قال مُصعب وحدّثني يعقوب بن إسحاق قال : لمّا بلغ الثريّا قولُ عمر بن أبي ربيعة في رملة : [من الخفيف]

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرَتْه نُورَ بدرٍ يُضِيء للناظرينا

قالت : أفٍّ له ما أكذَبه ! لن ترتفع حَسناءُ بصفتِه لها بعد رملةَ .

[رحل بابنته لئلاّ يشبب بها عمر حين تكبر]

وذكر ابن أبي حسّان عن الرياشيّ عن العبّاس بن بكّار عن ابن دَأب : أنّ هذا الشعر قاله عمر في امرأة من بني جُمَحَ كان أبوها من أهل مكّة ، فوُلدت له جارية لم يُولد مثلها بالحجاز حُسناً . فقال أبوها : كأنّي بها وقد كَبِرَت ، فشبَّبَ بها عمر بن أبي ربيعة وفضحها ونوّه باسمها كما فعل بنساء قريش ، والله لا أَقَمْتُ بمكّة . فباع ضَيعةً له بالطائف ومكّة ورحل بابنته إلى البصرة ، فأقام بها وابتاع هناك ضيعةً حسنة ، ونشأت ابنتُه من أجمل نساء أهل زمانها . ومات أبوها فلم تَرَ أحداً من بني جُمَحَ حضَر جنازته ، ولا وجدتْ لها مُسْعِداً ولا عليها داخِلاً . فقالت لداية لها سوداء : مَنْ نحن ؟ ومِنْ أيِّ البلادِ نحن ؟ فخبَّرتها . فقالت : لا جَرَمَ واللهِ لا أقمتُ في هذا البلد الذي أنا فيه غريبةٌ ! فباعت الضيعة والدار ، وخرجت في أيّام الحجّ . وكان عمر يَقْدَمُ فيعتمِر في ذي القِعدة ويُحِلُّ ، ويَلبَس تلك الحُلَلَ والوَشْيَ ، ويَركَب النجائب المخضوبة بالحنّاء عليها القُطوع[3] والدِّيباج ، ويُسْبِل لِمَّته ، ويَلقى العراقيّات فيما بينه وبين ذات عِرقٍ مُحْرِمات ، ويتلقّى المَدَنيّات إلى مَرٍّ ، ويتلقّى الشاميات إلى الكديد . فخرج يوماً للعراقيّات فإذا قُبَّةٌ مكشوفةٌ فيها جارية كأنّها القمر ، تُعادِلها جارية سوداء كالسُّبجة[4] . فقال للسوداء : مَن أنتِ ؟ ومِن أين أنت يا خالة ؟ فقالت : لقد أطال الله تَعَبك ،

1 جهمة الوجه : في وجهها غلظ .
2 أبو فديك : عبد الله بن ثور ، تغلبي خرج في البحرين أيّام بني أميّة .
3 القطوع : الطنافس .
4 السبجة : ثوب أو قميص أسود .

إن كنتَ تسأل هـذا العالم مَنْ هُم ومن أين هم . قال : فأخبريني عسى أن يكون لذلك شأن . قالـت : نحـن من أهل العراق ، فأمّا الأصل والمَنْشأ فمكّة ، وقد رجعنا إلى الأصل ورحلنا إلى بلدنا ؛ فضحك . فلمّا نظَرتْ إلى سواد ثَنِيَّتَيْهِ قالت : قد عرفناك . قال : ومن أنا ؟ قالت : عمر بن أبي ربيعة . قـال : وبِمَ عرفتني ؟ قالت : بسواد ثَنِيّتيك وبهيئتك التي ليست إلاّ لقريش ؛ فأنشأ يقول : [من الخفيف]

قلتُ من أنتُم فصَدَّتْ وقالتْ أمُبِـدٌّ سؤالَـك العالَمينا

وذكر الأبيات . فلم يزل عمر بها حتى تزوّجها وولدَتْ له .

[خبر صلح الثريا وعمر]

قال : فلمّا صَرَمتِ الثريّا عمر قال فيها[1] : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ رَسُولي إلى الثريّـا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ
سلبتْني مَجَّاجَـةُ المِسْكِ عَقْلِي فسَلُوهـا ماذا أحَلَّ اغتصابي
وهـي مَكْنونَـةٌ تحيَّر منهـا في أديم الخَدَّينِ ماءُ الشبابِ
أَبْرَزُوهـا مثلَ المَهـاةِ تَهادَى بـين خَمْسٍ كَواعـبٍ أَتْرابِ
ثم قالـوا تُحِبُّها قلتُ بَـهْـراً عددَ القَطْرِ والحصى والترابِ[2]

الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو ، وذكر حبشٌ أنّه لمالك .

[ابن أبي عتيق يصلح بين عمر والثريا]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني مُؤْمن بن عمر بن أَفْلَحَ مولى فاطمة بنت الوليد قال أخبرني بِلالٌ مـولى ابن أبي عتيق قال : أُنْشِد ابن أبي عتيق قول عمر : [من الخفيف]

مَـنْ رسولي إلى الثريّـا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرها والكتابِ

فقال ابن أبي عتيق : إيَّايَ أراد وبي نوّه ، لا جَرَمَ واللهِ لا أَذُوقُ أُكْلاً حتى أَشْخَصَ فأُصْلِحَ بينهما ، ونهض ونهضتُ معه ؛ فجاء إلى قوم من بني الدِّيل بن بَكْر لم تكن تُفارقهم نجائبُ لهم فُرِهٌ يُكرونَها ، فاكترى منهم راحلتين وأَغلى لهم . فقلت له : استَوْضِعْهم أو دعني أماكسهم ؛ فقد اشتطّوا عليك . فقال : ويحَك ، أما علمتَ أنّ المِكاسَ ليس من أخلاق الكِرام ؟ ثم ركب

1 ديوان عمر : 59–60 .

2 عدد القطر في الديوان : عدد النجم .

إحداهما وركبتُ الأُخرى ، فسار سَيْراً شديداً ؛ فقلتُ : أبقِ على نفسك ؛ فإنّ ما تريد ليس يَفُوتُك . فقال : وَيحَك ، [من الخفيف]

أُبادِرُ حَبْلَ الوُدّ أن يَتَقَضَّبا

وما حلاوة الدنيا إن تمَّ الصَّدْعُ بين عمَر والثريَّا ؟ فقَدِمْنا مكّة ليلاً غير مُحْرِمِين ، فدَقَّ على عمر بابه ، فخرج إليه وسلَّم عليه ولم ينزل عن راحلته ؛ فقال له : اركَبْ أُصلِحْ بينك وبين الثريّا ؛ فأنا رسولك الذي سألتَ عنه . فركب معنا وقَدِمنا الطائفَ ، وقد كان عمرُ أَرْضى أُمَّ نوفل فكانت تطلبُ له الحِيَلَ لإصلاحها فلا يمكنها . فقال ابن أبي عتيق للثريّا : هذا عمر قد جَشَّمَني السفرَ من المدينة إليك ، فجئتُكِ به مُعتَرِفاً لكِ بذنبٍ لم يَجْنِه ، معتذراً إليك من إساءته إليك ؛ فدعِيني من التَّعدادِ والتَّرْدادِ ؛ فإنّه من الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون ؛ فصالحتْه أحسن صُلْح وأتمَّه وأجملَه ، وكَرَرْنا إلى مكّة ، فلم ينزلها ابن أبي عتيق حتى رحل . وزاد عمر في أبياته[1] : [من الخفيف]

أَزْهَقَتْ أُمُّ نوفلٍ إذ دَعَتْها ... مُهْجَتِي ، ما لِقاتِلِي مِنْ مَتابِ
حين قالتْ لها أَجِيبي فقالتْ ... مَنْ دعانِي ؟ قالت أبو الخَطَّابِ
فاستجابتْ عند الدعاء كما لبَّـ ... ـى رجالٌ يَرجُونَ حسنَ الثوابِ

قال الزبير : وما دَعَتْها أُمُّ نوفلٍ إلاّ لابن أبي عتيق ، ولو دَعَتْها لعمر ما أجابتْ . قال : وسألتُ عمِّي عن أُمِّ نوفلٍ ، فقال : هي أُمُّ ولدِ عبد الله بن الحارث أبي الثريّا . وسألته عن قوله :

..... كما لبَّـ ... ـى رجالٌ يَرجُونَ حسنَ الثوابِ

فقال : كرَّرَتْ في التلبية كما يفعل المُحرِم ، فقالت : لبَّيك لبيك .

وأخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمِّه أنّ بعض المكِّيِّين قال : كانت الثريّا تَصُبّ عليها جَرَّة ماءٍ وهي قائمة فلا يُصيب ظاهر فَخِذَيْها منه شيءٌ من عِظَم عَجِيزَتِها .

وأخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو غسَّان محمد بن يحيى بخبر الثريّا هذا مع عمر ، فذكر نحواً ممّا ذكره الزبير ، وقال فيه : لمّا أناخ ابن أبي عتيق بباب الثريّا أرسلت إليه : ما حاجتُك ؟ قال : أنا رسولُ عمرَ بن أبي ربيعة وأنشدها الشعرَ . فقالت : ابن أبي ربيعة فارِغٌ ونحن في شُغْلٍ ، وقد تَعِبْتَ فانْزِلْ بنا . فقال : ما أنا إذاً برسول . ثم كَرَّ راجعاً إلى ابن أبي ربيعة بمكّة فأخبره الخبر فأصلح بينهما .

1 الأبيات في القصيدة السابقة في الديوان .

حدّثني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق العَنزيّ قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ ، وأخبرني به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيُّوب بن عبايَة ، وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير عن مُؤمِن بن عمَر بن أفلَح عن عبد العزيز بن عمران ، قالوا : قَدِم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، فنزل على ابن أبي عتيق ، وهو عبد الله بن محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر ، فلمّا استلقى قال : أَوَّهْ ! [من الخفيف]

مَنْ رسولي إلى الثريّـا فإنّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فقال ابن ابي عتيق : كلّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن بلَّغها ذاك غيري . فخرج ، حتى إذا كان بالمصَلَّى مَرَّ بنُصيب وهو واقفٌ فقال : يا أبا مِحجنٍ . قال لَبَّيْكَ ! قال : أتُودِعُ إلى سُلْمى شيئاً ؟ قال نعم . قال : وما ذاكَ ؟ قال : تقول لها يا ابنَ الصِّدِّيق : إنّك مررتَ بي فقلتَ لي : أتُودِع إليها شيئاً ، فقلتُ : [من الطويل]

أتَصْبِرُ عـــن سَلْمَى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ العَزْمِ منـكَ جَدِيرُ[1]

وكِدْتُ ولَمْ أُخْلَقْ من الطيرِ إن بَدا سَنَى بـــارقٍ نحـوَ الحِجـازِ أَطِيرُ

قال : فمرّ بسلمى وهي في قريةٍ يقال لها «القَسْرِيَّةُ»[2] ، فأَبْلَغَها الرسالة ؛ فزفرَتْ زَفرَةً كادت أن تفرِّق أضلاعها . فقال ابن أبي عتيق : كلُّ مملوكٍ لي حرٌّ إن لم يكن جوابُكِ أحسنَ من رسالته ، ولو سَمِعَكِ الآن لَنَعَق وصار غُراباً . ثم مضى إلى الثريّا فأَبلَغ الكتاب . فقالت له : أما وجد رسولاً أصغرَ منك ؟ انزِل فأَرِح . فقال : لستُ إذاً برسولٍ ؛ وسألها أن ترضى عنه ، ففعلتْ . وقال الزبير في خبره : فقال لها : أنا رسول ابن أبي ربيعة إليكِ ، وأنشدها الأبيات ، وقال لها : خَشِيتُ أن تَضيعَ هذه الرسالة . قالت : أدّى الله عنك أمانتك . قال : فما جوابُ ما تَجَشَّمْتُه إليك ؟ قالت : تُنْشِده قوله في رملة : [من الخفيف]

وجَلا بُرْدُها وقد حَسَرَتْـهُ ضوءَ بـدرٍ أضاءَ للناظرينا

فقال : أُعِيذُكِ بالله يا ابنةَ أخي أن تَغْلبيني بالمَثَل السائر . قالت : وما هو ؟ قال : «حَريصٌ لا يَرى عملَه» . قالت : فما تشاءُ ؟ قال : تَكْتُبينَ إليه بالرضا عنه كتاباً يَصِل على يدي ، ففعلت . فأخذ الكتابَ ورجَع من فَورِه حتى قَدِم مكّة ، فأتى عمَر . فقال له : من أين أقبلتَ ؟ قال : من حيث أرسلتَني . قال : وأنّى ذلك ؟ قال : من عند الثريّا ، أَفْرِخْ رَوعَك ، هذا كتابها بالرضا عنك إليك .

---

1 الأصوب : سعدى ، كما سيأتي في شعر نصيب . والبيتان في مجموع شعر نصيب (الدكتور داود سلوم) : 191 .

2 ل : القشيريّة .

[تغنّى ابن عائشة بشعر عمر في مجلس حسن بن حسن]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : اجتمع ابن عائشة ويونس ومالك عند حسن بن حسن بن عليّ ، عليهم السلام ، فقال الحسن لابن عائشة : غَنِّني «مَن رسولي إلى الثريّا . . .» ؛ فسكت عنه فم يُجبه . فقال له جليسٌ له : أيقول لك غنِّني فلا تُجيبه ؟! فسكت . فقال له الحسن : مالَكَ ؟ وَيْحَك ، أبِك خَبال ؛ كان والله ابن أبي عتيق رضي الله عنه أجود منك بما عنده ؛ فإنّه لمّا سمع هذا الشعر قال لابن أبي ربيعة : أنا رسولُك إليها ، فمضى نحو الثريّا حتى أدّى رسالَته ، وأنت معنا في المجلس تَبْخَل أن تُغَنِّيَه لنا ، فقال له : لم أذهَبْ حيثُ ظننتَ ، إنّما كنتُ أتخيَّر لكَ أيَّ الصوتَيْن أُغَنِّي : أقَوْلَه[1] : [من الخفيف]

مَنْ رسولِي إلى الثريّا فإنِّي ضافَنِي الهَمُّ واعترَتْنِي الهُمُومُ
يَعْلَمُ اللهُ أنَّنِي مُسْتَهامٌ بهَواكُمْ وأنَّنِي مرحومُ

أم قولَه : [من الخفيف]

مَنْ رسولي إلى الثريّا فإنِّي ضِقْتُ ذَرْعاً بهَجْرِها والكتابِ

فقال له الحسن : أسأنا بك الظنَّ أبا جَعفر ، غَنِّ بهما جميعاً ، فغنّاهما . فقال له الحسن : لولا أنّك تغضَب إذا قلنا لك : أحسنتَ ، لقلتُ لك : أحسنتَ والله ، قال : ولم يَزَلْ يُردِّدُهما بَقِيَّةَ يومِهِ .

[ينشد عمرُ ابنَ أبي عتيق شعره في الثريا]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعيّ عن أبيه قال : أنْشَدَ عمرُ بن أبي ربيعةَ ابن أبي عتيقٍ قولَه : [من الخفيف]

لَم تَرَ العينُ للثريّا شَبِيهاً بِمَسِيلِ التِّلاعِ يومَ التقَيْنا

فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الخفيف]

ثم قالتْ لأُختها قد ظَلَمْنا إن رَدَدْناه خائباً واعتدَيْنا

قال : أحسنتْ والهدايا[2] وأجادت . ثم أنشده ابن أبي عتيق مُتَمَثِّلاً قول الشاعر : [من الخفيف]

أَرِيني جَواداً مات هُزْلاً لعلَّنِي أَرى ما تَرَيْنَ أو بخيلاً مُخَلَّدا[3]

---

1 البيتان في ديوان عمر : 394 .

2 والهدايا : قَسَمٌ ؛ وهي ما ينحر من الحيوان في الحجّ .

3 ديوان حاتم (تحقيق عادل سليمان جمال) : 230 .

فلمّا بلغ عمر إلى قوله في الشعر :

في خَلاءٍ من الأَنِيسِ وأَمْنٍ

قال ابن أبي عَتِيق : أَمْكنتْ للشَّارِب الغُدُر «مَنْ عالَ بعدها فلا آنجبَر»[1] . فلمّا بلغ إلى قوله : [من الخفيف]

فمكَثْنا كـذاك عَشْراً تِباعـاً في قَضاءٍ لِدَيْنِنـا واقتَضَيْنـا

قال : أما والله ما قضَيْتَها ذهباً ولا فِضَّةً ولا اقتضَيْتَها إيَّاه ، فلا عَرَّفكُما الله قبيحاً ! فلمّا بلغ إلى قوله : [من الخفيف]

كان ذا في مَسِيرنا إذ حَجَجْنا علمَ اللهُ فيـه مـا قَـدْ نَوَيْنا

قال : إنّ ظاهرَ أمرِك ليَدُلُّ على باطنِه ، فأَرْوِد[2] التفسير ، ولئنْ مُتَّ لأموتَنَّ معك ، أُفٍّ للدنيا بعدَك يا أبا الخطّاب . فقال له عمر : بل عليها بعدَك العَفاءُ يا أبا محمد .

قال : فلَقِيَ الحارثُ بن خالد بن أبي عتيق فقال : قد بلغني ما دار بينَك وبين ابن أبي ربيعة ، فكيف لم تَتَحلَّلا منِّي[3] ؟ فقال له ابن أبي عتيق : يَغْفِرُ اللهُ لكَ يا أبا عمرو ، إنّ ابنَ أبي ربيعة يُبرِىءُ القَرحَ ، ويضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ[4] ، وأنتَ جميلُ الخَفْض . فضحِك الحارث بن خالد وقال : «حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ» . فقال : هيهاتَ أنا بالحُسن عالِمٌ نَظَّار !

[خبر السواد في ثنيّتي عمر]

وأمّا خبر السواد في ثَنِيَّتَيْ عمر فإن الزبير بن بكّار ذكره عن عمِّه مُصعب في خبره : أنّ امرأةً غارتْ عليه فاعترضتْه بمِسْواكٍ كان في يدها فضربتْ به ثنيتيه فاسوَدَّتا .

وذكر إسحاقُ المَوْصليّ عن أبي عبد الله المُسَيَّبيّ وأبي الحسن المدائنيّ : أنّه أتى الثريّا يوماً ومعه صديقٌ له كان يصاحبه ويتوصَّل بذكره في الشعر ، فلمّا كشفَتِ الثريّا السِّتر وأرادت الخروج إليه ، رأت صاحبه فرجعتْ . فقال لها : إنّه ليس ممَّنْ أَحْتَشِمُه ولا أُخفِي عنه شيئاً ؛ واستَلْقى فضحِك ، وكان النساءُ إذ ذاك يتختَّمْنَ في أصابعهنّ العَشْر ، فخرجت إليه فضربتْه بظاهر كفِّها ، فأصابت الخَواتِيم ثنيّتيه العُلْيَـيَـيْن فنَغَضَتا وكادتا تَسقطان[5] ، فقَدِم البصرة فعُولِجَتا له ، فَثَبَتَتا واسودَّتا . فقال الحزين الكِناني يُعَيِّره بذلك ، وكان عدوّه وقد بلغه خبره : [من البسيط]

---

1 من عال بعدها فلا انجبر : هذا مثل ، أي من افتقر بعد هذا فلا استغنى .

2 أرود : ترفق ؛ وربّما قرنت فأورد .

3 تحلل : سأل الآخر أن يجعله في حلّ .

4 يضع الهناء مواضع النقب : مثل يضرب للدقيق الذي يضع شيء في المكان المناسب .

5 ل : فنغضتا ، وكادت أن تقتلعهما وخاف أن يسقطا .

مـا بالُ سِنِّيْكَ أَمْ ما بالُ كَسْرِهما أهكذا كُسِرا في غيرِ مـا باسِ[1]
أم نَفْحَةٌ مـن فتاةٍ كنتَ تألَفُها أم نالَها وَسْطَ شَرْبٍ صدمةُ الكاسِ

قال : ولقيه الحزين الكِناني ، يوماً فأنشده هذين البيتين ؛ فقال له عمر : اذهَبْ اذهَبْ ، وَيْلَكَ ، فإنّك لا تُحْسِنُ أن تقول[2] : [من الرمل]

صوت

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفسَنا ممّا تَجِدْ
واستبَدّتْ مرّةً واحـدةً إنّما العاجزُ مَنْ لا يَستبِدّ

لابن سريج في هذا الشعر رملٌ بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وخفيف رَمَلٍ [أيضاً] في هذه الإصبع وهذا المجرى عن ابن المكيّ . ولمالك [فيه] ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . ولُمتيَّمَ ثاني ثقيلٍ عن ابن المعتزّ . وذكر أحمدَ بن أبي العلاء عن مُخارق أنّ خفيف الرمل ليحيى المكّيّ صنعه وحكى فيه لحن [هذا الصوت] :

اسْلَمِي يا دارُ مِنْ هند

[خبر الثريا مع الحارث أخي عمر]

حدّثني عليُّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفّان عن إسحاق المَوصِليّ عن رجاله المذكورين : أنّ الثريّا واعدَتْ عمر بن أبي ربيعة أن تزوره ، فجاءت في الوقت الذي ذكرَته ، فصادفت أخاه الحارث قد طرَقَه وأقام عنده ، ووجَّه به في حاجة له ونام مكانه وغطّى وجهه بثوبه ، فلم يشعر الحارث إلاّ بالثريّا قد ألقتْ نفسَها عليه تُقبِّله ، فانتبه وجعل يقول : اعْزُبي عنّي فلستُ بالفاسق ، أخْزاكِ الله ، فلمّا علِمتْ بالقِصّة انصرفَتْ . ورجعَ عمرُ فأخبره الحارث بخبرها ؛ فاغتمَّ لِما فاتَه منها ، وقال : أمَا واللهِ لا تَمسُّكَ النارُ أبداً وقد ألقتْ نفسَها عليك . فقال له الحارث : عليك وعليها لعنةُ الله .

وأخبرني بهذه القصّة الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بَكّار عن يعقوب بن إسحاق الربعيّ عن الثقة عنده عن ابن جريج عن عثمان بن حَفْصٍ الثّقفيّ : أنّ الحارث بن عبد الله زار أخاه ، ثم ذكر نحواً من الذي ذكره إسحاق ، وقال فيه : فبلَغ عمر خبرها ، فجاء إلى أخيه الحارث وقال له : جُعِلتُ فِداءَك ، ما لَكَ ولأمَةِ الوهّاب ابنتِك ؟ أتَتْكَ مُسلِّمةً عليك فلعنتَها وزجرتَها وتهدَّدْتَها ، وها هي تِيك باكية . فقال : وإنّها لهيَ ، قال : ومَنْ تَراها تَكون ؟ قال : فانكسر الحارثُ عنه وعن لَومِهِ .

1 ما بالُ كسرهما في ل : أم ما شأن حسنهما .

2 ديوان عمر : 101–102 .

[سهيل يتزوّج الثريّا]

أخبرني عليٌّ بن صالح قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن جعفر بن سعيد عن أبي سعيد مولى فائد ، هكذا قال إسحاق ، وأخبرني الحرميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني جعفر بن سعيد عن أبي عبيدة بن محمد بن عَمَّار . ورواه أيضاً حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن جعفر بن سعيد فقال فيه : عن أبي عبيدة العَمَّاريّ ، ولم يذكر أبا سعيد مولى فائد : قالوا : تزوّج سهيل بن عبد العزيز بن مروان الثريّا ، وقال الزبير : بل تزوّجها أبو الأبيض سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، فحُملت إليه وهو بمصر . والصواب قول من قال : سهيل بن عبد العزيز ؛ لأنّه كان هناك منزلُه ، ولم يكن لسُهيل بن عبد الرحمن هناك موضعٌ . فقال عمر : [من الخفيف]

صوت

أيُّها المُنْكِحُ الثريَّا سُهَيلاً عَمْـرَكَ اللهَ كيـف يَلْتقيانِ
هي شاميّـةٌ إذا ما اسْتَقَلَّتْ وسُهَيـلٌ إذا استقلَّ يَماني

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالبنصر . وفيه لعبد الله بن العبّاس ثاني ثقيلٍ بالبِنصر . وأوّلُ هذه القصيدة[1] : [من الخفيف]

أيُّها الطارِق الذي قد عَناني بعد ما نـام سامِرُ الرُّكْبانِ
زارَ مِنْ نـازِحٍ بغير دليلٍ يَتَخَطَّـى إليَّ حتى أَتـانِي

وذَكر الرِّياشيُّ عن ابن[2] زكريا الغَلابيّ عن محمد بن عبد الرحمن التَّيْمِيّ عن أبيه عن هشام بن سليمان بن عكرمة بن خالد المخزوميّ قال : كان عمرُ بن أبي ربيعة قد أَلَحّ على الثريّا بالهوى . فشَقَّ ذلك على أهلِها ، ثم إنّ مَسْعَدَةَ بنَ عمر أَخرج عمر إلى اليمين في أمر عَرض لـه ، وتزوّجـت الثريّا وهـو غائـب ، فبلغه تزويجها وخروجها إلى مصرَ ، فقـال : [من الخفيف]

أيّها المنكحُ الثريّـا سهيلاً عمرَك اللهَ كيفَ يلتقيانِ

وذكَر الأبيات . وقال في خبره : ثم حمله الشوقُ على أن سار إلى المدينة فكتب إليها[3] : [من مجزوء الوافر]

كتبتُ إليكِ من بلدي كتـابَ مُوَلَّـهٍ كَمِـدِ

---

1 ديوان عمر : 438 وقد أفرد البيتان عن الأبيات التي أوّلها «أيّها المنكح» .

2 هو محمد بن زكريا الغلابي .

3 ديوان عمر : 114 .

كَئيبٍ واكِفِ العينيـ ـن بالحَسَراتِ منفردِ
يُؤَرِّقُه لَهيبُ الشَّوْ قِ بين السَّحْرِ والكَبِدِ[1]
فيُمْسِكُ قلبَه بيدٍ ويَمْسَحُ عينَه بيدِ

وكتبه في قُوهِيَّةٍ[2] وشنفه وحَسَّنَه وبعثَ به إليها . فلمّا قرأتْه بكتْ بكاءً شديداً ، ثم تمثّلت : [من الطويل]

بنفسيَ مَنْ لا يستقِلُّ بنفسِه ومَنْ هو إن لم يَحْفَظِ اللهُ ضائعُ[3]

وكتبت إليه تقول[4] : [من الطويل]

أتاني كتابٌ لم يَرَ الناسُ مثلَه أُمِدَّ بكافُورٍ ومِسْكٍ وعَنْبَرِ
وقِرطاسُه قُوهِيَّةٌ ورِباطُه بِعقْدٍ من الياقوتِ صافٍ وجَوْهرِ
وفي صَدْرِه : مِنِّي إليكِ تحيّةٌ لقد طال تَهْيامِي بكم وتذكُّري
وعُنوانُه مِنْ مُسْتَهامٍ فؤادُه إلى هائمٍ صَبٍّ من الحُزْنِ مُسْعَرِ

قال مؤلّف هذا الكتاب : وهذا الخبرُ عندي مصنوعٌ ، وشِعرُه مُضَعَّفٌ يدلُّ على ذلك ، ولكنّي ذكرتُه كما وقَع إليّ .

[الثريا عند الوليد بن عبد الملك]

قال أبو سعيد مَوْلى فائِدٍ ومَنْ ذكر خبره مع الثريّا : فمات عنها سُهَيلٌ أو طلّقها ، فخرجت إلى الوليد بن عبد الملك وهو خليفة بدمشقَ في دَيْنٍ عليها ؛ فبَيْنا هي عند أُمِّ البَنِينَ بنتِ عبد العزيز بن مروان ، إذ دخل عليها الوليد فقال : مَنْ هذه ؟ فقالت : الثريّا جاءتني ، تَطلُبُ إليكَ في قضاءِ دينٍ عليها وحَوائجَ لها . فأَقبلَ عليها الوليدُ فقال : أَتَرْوِينَ من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة شيئاً ؟ قالت : نعم ، أمَا إنّه يرحمه الله كان عفيفاً عَفيفَ الشِّعر ، أَرْوِي قوله[5] : [من الخفيف]

صوت

مـا عَلى الرَّسْمِ بالبُلَيَّيْنِ لو بيَّـ ـن رَجْعَ السَّلامِ أو لو أجابا
فإلى قَصْرِ ذي العُشَيرةِ فالصَّا ئِفِ أَمْسى من الأنيس يَبابا[6]

1 السحر : الرئة .
2 قوهية : قطعة قماش من صنع قوهستان .
3 الشعر والشعراء لابن قتيبة (ط . دار صادر) : 470 لليلى ترثي قيس .
4 انظر خزانة الأدب 1 : 31 وما بعدها .
5 ديوان عمر : 40 .
6 ذو العشيرة : موضع بالصَّمان . الصائف : من نواحي المدينة .

وبما قـد أرى بـه حيَّ صِدْقٍ ظاهـري العيشِ نَعمـةً وشبابا
إذ فؤادي يَهْوى الرَّبابَ وأنّى الدَّ هـرَ حتّـى المَماتِ أَنْسَى الرَّبابا
وحِسانـاً جَوارِيـاً خَفِـراتٍ حافظـاتٍ عند الهـوى الأَحْسابا
لا يُكَثِّرْنَ في الحديـثِ ولا يتـ ـبعـنَ يَنْعِقْنَ بالبِهـامِ الظِّرابا[1]

فقضى حوائجها وانصرفت بما أرادت منه . فلمّا خَلا الوليدُ بأمِّ البَنِينَ قال لها : للهِ دَرُّ الثريّا ، أَتَدْرِينَ ما أرادتْ بإنشادها ما أنشدتْني من شعر عمر ؟ قالت لا . قال : إنّي لمّا عرَّضْتُ لها به عرَّضتْ لي بأن أُمِّي أعرابيةٌ . وأُمُّ الوليد وسليمان وَلاَّدَةُ بنتُ العبَّاس بن جزيّ بن الحارث بن زهير بن جَذيمة العبسيّ .

الغناء في الأبيات التي أنشدتها الثريّا الوليد بن عبد الملك لمالك بن أبي السَّمح خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر . وفيها لابن سريج رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر . وفيها لإبراهيم خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر كلها عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أيضاً أنّ فيها لابنِ مِسْجَحٍ خفيفَ رملٍ بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أن لابن مُحْرِزٍ فيها خفيف ثقيلٍ بالوسطى .

وممّا يُغنَّى فيه من أشعارِ عمر بن أبي ربيعة التي قالها في الثريّا من القصيدة التي أوّلها «من رسولي» : [من الخفيف]

صوت

وتَبَدَّتْ حتّى إذا جُنَّ قلبي حـال دوني وَلائِدٌ بالثِّيابِ
يـا خليليَّ فاعلَما أنّ قلبي مُسْتهـامٌ برَبَّـةِ المِحْرابِ[2]

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أَقْتُلِينـي قتـلاً سَرِيعـاً مُرِيحـاً لا تَكـُوني عـليَّ سَوْطَ عَذابِ
شَفَّ عنهـا مُحقَّـقٌ جَنَـديٌّ فهي كالشمس من خِلالِ السَّحابِ[3]

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . ومنها : [من الخفيف]

---

1 يعني أنّهنّ لسن راعيات غنم ، يصحن زجراً لها بين الروابي (الظراب) .
2 المحراب هنا : العلّية .
3 جندي : ثوب من صنع الجند باليمن ، محقق : عليه صور حق .

صوت

قال لي صاحبي ليَعْلَمَ مـا بي أتُحِبُّ البَتُولَ أُختَ الرَّبابِ[1]
قلتُ وَجْدِي بها كوَجْدِك بالما ءِ إذا مـا مُنِعْتَ بَرْدَ الشَّرابِ

الغناء لمالكٍ رَمَلٌ مُطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الخفيف]

صوت

أَذْكَرَتْنِي من بَهْجَةِ الشمسِ لَمَّا بَرَزَتْ مـن دُجُنَّـةٍ وسَحابِ
أَزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَـلٍ إذ دعتْهـا مُهْجَتِي ، مـا لقاتلي مِنْ مَتابِ
حين قالت لها أجيبي فقالتْ مَنْ دعاني ؟ قالتْ أبو الخَطَّابِ

الغناء للغَريض خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ وحمَّاد بن إسحاق . ومنها[2] : [من الخفيف]

صوت

مَرْحَباً ثم مرحبـاً بالتي قـا لتْ غَداةَ الوَداعِ عند الرَّحيلِ
للثُّريّـا قُولِي لـه أنتَ هَمِّي ومُنَـى النَّفْسِ خاليـاً وخَليلي

الغناء لابن مُحرِز ثقيلٌ مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . ومنها[3] : [من الوافر]

صوت

زَعَمُوا بأنّ البَيْنَ بعدَ غَـدٍ فالقلبُ مِمّـا أَزْمَعُوا يَجِفُ[4]
تَشْكُو ونشكو ما أَشَتَّ بنا كلٌّ لِوَشْكِ البَيْنِ يَعْتَرِفُ
حَلَفُـوا لقـد قَطَعُوا بَيْنَهمُ وحلَفْتُ أَلفاً مثلَ ما حَلَفُوا

الغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى . ومنها[5] : [من الخفيف]

صوت

فَلَوتْ رأسَها ضِراراً وقالتْ لا وعَيْشِي ولو رأيتُك مُتًّا

---

1 البتول في ل : القتول .
2 ديوان عمر : 301–302 .
3 ديوان عمر : 258 .
4 وجف يجف : خفق .
5 ديوان عمر : 74 .

حِينَ آثَرْتَ بالمودَّةِ غَيْرِي وتناسَيْتَ وَصْلَنـــا ومَلِلْتا
قد وَجَدْناكَ إذ خُبِرْتَ مَلُولاً طَرِفاً لم تَكُنْ كما كنتَ قُلْتا[1]

الغناء لمالكٍ رمل ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وكذا رَوَتْه دنانير عن فُليح ، وقد نسب قوم لحن مالك إلى الغريض . ومنها[2] : [من الخفيف]

صوت

يـا خَلِيلَيَّ سائـلا الأَطْـلالا ومَحَـلاً بالرَّوْضَتَيْنِ أَحـــالا[3]

ويُروى : بالبُـلَـيَّيْنِ إن أَحَرْنَ سُؤالا[4]

وسَفاهٌ لولا الصَّبابَةُ حَبْسِي في رُسُومِ الدِّيارِ رَكْباً عِجالا
بعدَ مـا أَقْفَرتْ مِنَ آلِ الثريّا وأَجَدَّتْ فيهـا النِّعـاجُ ظِلالا

الغناء لابن سريج هزج خفيفٌ مُطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحَكَم الوادي ثقيل أوّل من جامع أغانيه . وذكر ابن دينار أنّ فيه لابن عائشةَ لحناً لم يذكر طريقته . وذكر إبراهيم أنّ فيه لدحمانَ لحناً ولم يُجنِّسه . وقال حَبَشٌ : فيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

[سهيل ينقل الثريّا إلى الشام]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أبو عبد الله التميميّ ، يعني أبا العيناء ، عن القَحْذَمِيِّ عن أبي صالح السَّعديّ قال : لمّا تزوّج سُهيل بن عبد العزيز الثريّا ونقلها إلى الشام ، بلغَ عمر بن أبي ربيعة الخبرُ ، فأتى المنزل الذي كانت الثريّا تَنزِلُه ، فوجدها قد رحَلتْ منه يومئذٍ ، فخرج في أَثرها فلحِقَها على مرحلتين ، وكانت قبل ذلك مُهاجِرته لأمرٍ أنكرته عليه . فلمّا أدركهم نزل عن فرسه ودفعه إلى غلامه ومشى مُتَنكِّراً حتى مَرَّ بالخيمة ؛ فعرَفَتْه الثريَّا وأَثبتتْ حركته ومِشيته ، فقالت لحاضنتها : كلِّميه ؛ فسلَّمت عليه وسألته عن حاله وعاتبته على ما بلغَ الثريّا عنه ؛ فاعتذر وبكى ، فبكتِ الثريا ؛ فقالت : ليس هذا وقت العِتاب مع وَشْك الرَّحِيل . فحادثها إلى وقت طلوع الفجر ثم ودّعها وبَكَيا طويلاً ، وقام فركِب فرسَه ووقَف ينظُر إليهم وهم يَرحلون ، ثم أَتْبَعهم بصرَه حتى غابوا ؛ وأنشأ يقول[5] : [من البسيط]

---

1 الطرف : الملول .
2 ديوان عمر : 321–322 .
3 الروضتان : مثنّى يراد به المفرد .
4 أحرن : رجعن ، رددن .
5 ديوان عمر : 315–317 مع بعض اختلاف .

يـا صاحبـيَّ قِفـا نَسْتَخبِرِ الطَّلَلا ... عن حالِ مَـنْ حَلَّه بالأمْسِ ما فَعَلا
فقال لي الرَّبْـعُ لَمّـا أن وقَفْتُ به ... إنّ الخَلِيـطَ أجَـدَّ البَيْنَ فاحتَمَلا
وخادَعتْـكَ النَّـوى حتـى رأيتَهمُ ... في الفَجْرِ يَحْتَثُّ حادِي عِيسِهم زجِلا[1]
لَمّـا وَقَفْنا نُحَيِّيهم وقـد صَرَخَتْ ... هَواتِفُ البَيْنِ واستولتْ بهـم أصُلا
صَدّتْ بَعاداً وقالـتْ للّتي معهـا ... بـالله لُومِيـهِ في بعضِ الذي فَعَلا
وحَدِّثِيـه بمـا حُدِّثْـتِ واستَمِعي ... مـاذا يقـولُ ولا تَعْيَيْ بـه جَدَلا
حتى يَـرى أنّ ما قـال الوُشاةُ له ... فينـا لَدَيْـهِ إلينـا كلُّـه نُقِلا
وعَرِّفِيـه بـه كالهَـزْلِ واحْتَفِظِي ... في بعضِ مَعْتَبةٍ أن تُغْضِبـي الرجُلا[2]
فإنَّ عَهْـدِي بـه واللهُ يَحْفَظُـه ... وإن أَتـى الذنبَ ممّن يَكْـرَه العَذَلا
لـو عندنا اغتِيبَ أو نِيلَـتْ نقيصتُه ... مـا آبَ مُغتابُـه من عندِنا جَذلا
قلتُ اسمَعِي فلقـد أَبْلَغتِ في لَطَفٍ ... وليس يَخْفَى على ذي اللُّبِّ مَنْ هَزَلا
هـذا أرادت بـه بُخْلاً لأَعْذِرَهـا ... وقـد أَرى أنّها لـن تَعْـدَمَ العِلَلا[3]
مـا سُمِّي القلـبُ إلاّ مـن تَقَلُّبِه ... ولا الفـؤادُ فـؤاداً غيرَ أَنْ عَقَلا
أمّا الحديث الذي قالـت أُتيتَ به ... فما عَبَأْتُ بـه إذ جـاءني حِوَلا[4]
ما إن أَطَعْتُ بها بالغَيْبِ قـد عَلِمتْ ... مقالـةَ الكاشحِ الواشي إذا مَحُلا[5]
إنّـي لأَرْجِعُـه فيهـا بسَخْطَتِـه ... وقـد يَـرى أنّه قـد غـرّني زلَلا

وهي قصيدة طويلة مذكورة في شعره .

[وفاة الثريا]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نَصْر ومحمد بنُ خَلَف بن المرزبانِ قالوا حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال أخبرنا محمد بن يحيى قال زعمَ عُبَيْد بن يَعْلى قال حدّثني كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمِيّ قال : لَمّا ماتت الثريّا أتاني الغريض فقال لي : قُلْ أبياتَ شعرٍ أَنْحُ بها على الثريّا فقلت : [من الخفيف]

1 زجلاً : رافعاً الصوت بالحداء .
2 في بعض في الديوان : في غير .
3 لأعذرها في الديوان : لنعذرها .
4 الحول : الحيلة .
5 محل : سعى به فساداً وكيداً .

صوت

أَلاَ يــا عينُ مـا لكِ تَدْمَعِينا أمن رَمَــدٍ بَكَيْتِ فتُكْحَلِينا
أمَ أنــتِ حَزينةٌ تَبْكِينَ شَجْواً فشَجْوُكِ مثلُه أَبكَــى العيونا

غنَّى الغريضُ في هذين البيتين لحناً من خفيف الثَّقيلِ الأوّل بالوسطى عن عمرو ويحيى المكّي والهشاميّ وغيرهم .

[وفاة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ قال حدّثني إبراهيم بنُ يعقوب بن أبي عبد الله عن أبيه عن جدّه عن ثعلبة بن عبد الله بن صُعَير : أنّ عمرَ بن أبي ربيعة نظَر في الطَّواف إلى امرأةٍ شريفة ، فرأى أحسنَ خَلْق الله صورةً ، فذهب عقلُه عليها ، وكلَّمها فلم تُجِبْه ؛ فقال فيها[1] : [من البسيط]

الرّيحُ تَسْحَب أَذْيالاً وتَنْشُرهــا يا ليتني كنتُ ممَّن تَسحَبُ الريحُ
كَيْما تَجُرُّ بنــا ذَيــلاً فتَطْرَحُنا على التّي دونَها مُغبَرَّةٌ سُوحُ
أنِّي بقُرْبِكُم أم كيفَ لي بِكُمُ هَيْهاتَ ذلكَ ما أَمْسَتْ لنا رُوحُ
فليتَ ضِعْفَ الذي أَلْقَى يكونُ بها بل ليت ضِعْفَ الذي أَلقَى تَبارِيحُ
إحْدى بُنَيَّاتِ عَمِّي دون منزلها أرضٌ بقيعانها القَيْصُومُ والشِّيحُ

فبلغَها شعرُه فجَزِعتْ منه . فقيل لها : اذكُريه لزوجِك ؛ فإنّه سيُنْكِر عليه قولَه . فقالت : كلاَّ والله لا أشكوه إلاّ إلى الله . ثم قالت : اللهمّ إن كان نَوَّه باسمِي ظالِماً فاجعَلْه طعاماً للريح . فضرَب الدهرُ مِنْ ضَرْبِه ، ثم إنّه غدا يوماً على فرس فهبَّتْ ريحٌ فنزلَ فاستتر بسَلمةٍ[2] ، فعَصَفتِ الريحُ فخدَشَه غُصنٌ منها فدَمِيَ ووَرِمَ به ومات من ذلك .

1 ديوان عمر : 89 .
2 ل : فنزل فاستذرى .

[6] ـ أخبار ابن سريج ونسبه[1]

[نسب ابن سريج]

هو عبيد بن سريج ، ويُكْنى أبا يحيى ، مولى بني نوفل بن عبد مَنافٍ . وذكَر ابنُ الكلبيّ عن أبيه وأبي مِسكين أنّه مَوْلًى لبني الحارث بن عبد المطَّلب .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسَّان قال : ابن سريج مَوْلًى لبني ليث ، ومنزلُه مكّةُ .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألت الحسن بن عُتْبَةَ اللَّهَبيّ عن ابن سريج فقال : هو مَوْلًى لبني عائذِ بن عبدِ الله بن عمر بن مَخزوم . وفي بني عائذٍ يقول الشاعر : [من الوافر]

فإن تَصْلُحْ فإنّـك عائِذيٌّ وصُلْحُ العائِذيِّ إلى فَسادِ[2]

قال إسحاق : وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : ابن سريج مولى عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن نوفل ، أو ابن عامر بن الحارث بن نوفل بن عبد منافٍ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز عن أبي أيُّوب المَدِينيّ قال : ذكر إبراهيم بن زياد بن عنبسة بن سعيد بن العاص : أنّ ابنَ سُرَيج كان آدَمَ أحمرَ ظاهرَ الدَّمِ سُناطاً[3] في عينيه قَبَلٌ[4] ، بلغ خمساً وثمانين سنةً ، وصَلِعَ فكان يلبَس جُمَّةً[5] مركَّبة ، وكان أكثر ما يُرى مُقنَّعاً ، وكان منقطعاً إلى عبد الله بنِ جعفر .

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان ابن سُريج مُخنَّثاً أحول أعمش يُلقَّب «وجه البابِ» ، وصَلِعَ فكان يلبس جُمَّة ؛ وكان لا يُغنِّي إلاّ مقنَّعاً يُسْبِل القِناع على وجهه .

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكينٍ : كان ابن سريج أحسن الناس غناءً ، وكان يُغَنِّي مُرْتَجِلاً ويُوقِع بقَضيبٍ ، وغنَّى في زمن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، ومات في خِلافَةِ هشام بن عبد الملك .

---

1 ل : ذكر ابن سريج وأخباره ونسبه .

2 من قصيدة لحسّان بن ثابت في هجاء بني عابد بالباء كما في الخزانة 6 : 103–104 .

3 سناط : لا ينبت شعر في لحييه .

4 القبل : ضرب من الحول .

5 جمة : شعر مستعار .

قال إسحاق : وكان الحسن بن عُتْبة اللَّهبيّ يَرْوِي مثلَ ذلك فيه ، وذكَر أنّ قبرَه بنخلة[1] قريباً من بستان ابن عامر .

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسَّان قال : كان عبيد بن سريج من أهل مكّة وكان أحسن الناس غناءً . قال إسحاق قال عمارة بن أبي طَرَفة الهُذليّ : سمعت ابن جُريج يقول : عبيد بن سريج من أهل مكّة مولى آل خالد بن أَسيدٍ .

قال إسحاق وحدّثني إبراهيم بن زياد عن أيّوب بن سلمة المخزوميّ قال : كان في عين ابن سريج قَبَلٌ حُلْوٌ لا يَبلُغ أن يكون حَوَلاً ، وغنَّى في خلافةِ عثمان رضي الله عنه ، ومات بعد قتل الوليد بن يزيد ، وكان له صَلَعٌ في جَبهتِه ، وكان يلبس جُمَّة مُركَّبة فيكون فيها أحسن شيء ، وكان يُلقَّب «وجه الباب» ولا يغضب من ذلك ، وكان أبوه تُركِيّاً .

وقال أبو أيُّوبَ المَدينيّ : كان ابنُ سريج ، فيما روينا عن جماعة من المَكِّيِّين ، مولى بني جُندَعِ بن ليث بن بكر ، وكان إذا غنَّى سَدَلَ قِناعَه على وجهه حتى لا يُرى حولُه ، وكان يُوقِّع بقضِيب ، وقيل : إنّه كان يضرب بالعُود ، وكانت عِلَّته التي مات منها الجُذام .

[ابن سريج أوّل من ضرب بالعود الفارسيّ على الغناء العربي]

قال إسحاق وحدّثني أبي[2] قال : أخبرني مَنْ رأى عُودَ ابنِ سريج وكان على صَنعةِ عيدانِ الفُرس ، وكان ابن سريج أوّل من ضرب به على الغناء العربيِّ بمكّة . وذلك أنّه رآه مع العَجَم الذين قَدِم بهم ابن الزبير لبناء الكعبة ، فأعجب أهلَ مكّة غناؤهم . فقال ابن سريج : أنا أضرِب به على غنائي ؛ فضرب به فكان أحذَقَ الناس .

[أمّ ابن سريج]

قال إسحاق وذكر الزبيريّ : أنّ أُمّ ابنِ سريج مَولاةٌ لآلِ المُطَّلِب يقال لها «رائِقَةُ» ، وقيل : بل أُمُّه هند أُختُ رائقة ؛ فمِنْ ثَمَّ قيل : إنّه مَولى بني المطّلب بن حَنْطَب . وكان ابنُ سريج بعد وفاة عبد الله بن جعفر قد انقطع إلى الحَكَم بن المُطَّلب بن عبد الله بن المطّلب بن حنطب أحد بني مخزوم ، وكان من سادة قريش ووجوهها . وأخذ ابن سريج الغناء عن ابن مِسجَحٍ .

[أصول الغناء العربيّ]

قال إسحاق : وأصلُ الغناء أربعة نَفَرٍ : مَكِّيّان ومدنِيَّان ؛ فالمكِّيان : ابن سريج وابن محرز ، والمدنيان : معبد ومالكٌ .

---

1 هي نخلة اليمانية .

2 ل : وحدثني الأصمعي .

[أوّل شهرة ابن سريج بالغناء]

قال إسحاق وقال سلمة بن نوفل بن عمارة : أخبرني بذلك مَن شِئتَ من مَشيَخَتِنا : أنّ يوماً شُهِر فيه ابن سريج بالغناء في خِتان ابن مولاه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حُسين . قال لأُمّ الغلام : خَفِّضي عليك بعض الغُرْم والكُلفة ؛ فوالله لأُلهِيَنَّ نساءك حتى لا يَدرين ما جئتِ به ولا ما عزَمتِ عليه .

[شهادة هشام بن المرّية في ابن سريج]

قال إسحاق : وسألت هشام بن المُرِّيَّة ، وكان قد عُمِّر ، وكان عالماً بالغناء فلا يُبارى فيه ، فقلتُ له : مَنْ أَحذَقُ الناس بالغناء ؟ فقال لي : أتُحِبُّ الإطالة أم الاختصار ؟ فقلت : أحبّ الاختصار الذي يأتي على سؤالي . قال : ما خلَق الله تعالى بعد داود النبيِّ عليه الصلاة والسلام أحسنَ صوتاً من ابن سريج ، ولا صاغ الله عزّ وجلّ أحداً أَحذقَ منه بالغناء ، ويَدُلُّك على ذلك أنّ معبداً كان إذا أعجبه غناؤه وقال : أنا اليوم سريجيّ .

[شهادة يونس بن محمد الكاتب فيه]

قال وأخبرني إبراهيم ، يعني أباه ، قال : أدركتُ يونس بن محمد الكاتب فحدّثني عن الأربعة : ابن سريج وابن مُحرِز والغريض ومعبد . فقلت له : من أحسنُ الناسِ غناءً ؟ فقال : أبو يحيى . قلت : عبيد بن سريج ؟ قال نعم . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إن شئتَ فسَّرْتُ لك ، وإن شئت أَجمَلتُ . قلت : أَجملْ . قال : كأنّه خُلِقَ من كلِّ قَلبٍ ، فهو يغنّي لكلّ إنسانٍ ما يشتهي .

[شهادة إبراهيم الموصليّ فيه]

أخبرني أحمد بن جعفرٍ جَحظة قال قال حَمَّاد بن إسحاق : أخبرني أبي عن الفضلِ بن يحيى بن خالد بن برمَك قال : سألتُ إبراهيم المَوصليّ ليلةً وقد أخذ منه النبيذ : مَنْ أَحسَنُ الناسِ غناءً ؟ فقال لي : من الرجال أم من النساء ؟ فقلتُ : من الرجال . فقال : ابن محرز . قلت : ومن النساء ؟ قال : ابن سريج . ثم قال لي : إنْ كان ابن سريج إلاّ كأنّه خُلِقَ من كلِّ قلبٍ فهو يُغنّي له ما يشتهي !

[شهادة إسحاق الموصليّ فيه]

أخبرني جَحظة قال حدّثني عليُّ بن يحيى المنجِّم قال : أرسلني محمد بن الحسين بن مصعبٍ إلى إسحاق أسأله عن لحنه ولحنِ ابن سريج في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَرْيَ لمّا جَهَدْتُه

أيُّهما أحسنُ ؟ فصِرْتُ إليه فسألته عن ذلك ؛ فقال لي : يا أبا الحسن ، والله لقد أخذتُ بخِطام راحلته فزَعْزَعتُها وأَنَحْتُها وقمتُ بها فما بلَغتُه . فرجعتُ إلى محمد بن الحسين فأخبرته ؛ فقال : والله إنّه لَيَعلم أنّ لحنَه أحسنُ من لحنِ ابنِ سريج ، ولقد تحامل لابن سريج على نفسه ،

ولكن لا يدع تعصُّبه للقدماء . وقد أخبرنا يحيى بنُ عليّ بن يحيى هذا الخبر عن أبيه ، فذكر نحو ما ذكرَه جَحظةٌ في خبره ولم يقُل : أرسلني محمد بن الحسين إلى إسحاق . وقال جحظة في خبره : قال عليٌّ بن يحيى : وقد صدق محمد بن الحسين ؛ لأنّه قلَّما غُنِّي في صوتٍ واحدٍ لحنانِ فسقَط خيرُهما ، والذي في أيدي الناس الآن من اللحنين لحنُ إسحاق ، وقد تُرِك لحنُ ابنِ سريج ، فقَلَّ مَنْ يسمعه إلاّ من العجائز المتقدّمات ومَشايخ المغنِّين . هذا أو نحوه .

[لحن إسحاق مأخوذ من لحن الأبجر]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن إبراهيمَ بن عليّ بن هشام قال : يقولون : إنّ ابتداء غناء إسحاق الذي في[1] : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ لَمّا جَهَدْتُه

إنّما أخذه من صوتِ الأَبْجَر : [من الطويل]

يقولون ما أَبْكاكَ والمالُ غامِرٌ[2]

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

يقولـون مـا أبكاكَ والمالُ غامرٌ عليكَ وضاحِي الجلدِ منكَ كَنِينُ
فقلتُ لهـم لا تَسألونِـيَ وانظُروا إلى الطَّـرِبِ النَّزَّاعِ كيفَ يكونُ

غنَّاه الأَبجَرُ ثقيلاً أوّل بالبِنصر ، عن عمروٍ ودنانير . وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لعَزَّة المَرزوقِيَّة ثاني ثقيلٍ بالوُسطى .

[مولد ابن سريج ووفاته واشتغاله بالغناء]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بنُ إبراهيمَ قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِياطٍ قال : كان ابن سريج أوّل مَن غنَّى الغناء المُتقَن بالحجاز بعد طُوَيسٍ ، وكان مولِدُه في خلافة عمر بن الخطَّاب ، وأدرك يزيد بن عبد الملك وناح عليه ، ومات في خلافة هشام . قال : وكان قبل أن يُغنِّيَ نائحاً ولم يكن مذكوراً ، حتى ورَد الخبرُ مكّة بما فعله مُسْرِفُ بن عقبة[3] بالمدينة ، فعَلا على أبي قُبَيْسٍ وناح بشعرٍ هو

1 ل : الذي فيه الصباح .
2 أبكاك في ل : أبلاك (حيث وردت) .
3 اسمه مسلم بن عقبة ولقّب مسرفاً لأنّه صاحب معركة الحرّة .

اليومَ داخلٌ في أغانيه ، وهو : [من السريع]

يا عينُ جُودِي بالدُّموعِ السِّفاحْ وابكِي على قَتْلى قُرَيْشِ البِطاحْ

فاستحسن الناس ذلك منه ، وكان أوّل ما ندب به .

قال ابن جامع : وحدّثني جماعةٌ من شيوخِ أهلِ مكّةَ أنّهم حُدِّثوا : أنّ سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام بعثَت إلى ابن سريج بشعرٍ أمرَتْه أن يصوغ فيه لحناً يُناح به ، فصاغ فيه ، وهو الآن داخلٌ في غنائه . والشعر : [من الكامل]

يا أرضُ وَيْحكِ أكْرِمِي أمواتِي فلقد ظَفِرْتِ بسادتِي وحُماتِي

فقدّمه ذلك عند أهل الحرمين على جميع ناحَةِ مكّة والمدينة والطائف .

قال وحدّثني ابن جامع وابن أبي الكَنّاتِ جميعاً : أنّ سُكينة بعثَتْ إليه بمملوكٍ لها يقال له عبد الملك ، وأمرَتْه أن يُعلِّمه النِّياحةَ ، فلم يزلْ يعلِّمه مدّة طويلة ، ثم تُوفِّي عمُّها أبو القاسم محمد بن الحنفيَّة عليه السلام ، وكان ابن سريج عَلِيلاً عِلَّةً صعبة فلم يقدِر على النِّياحة . فقال لها عبدها عبد الملك : أنا أَنوح لكِ نَوحاً أُنْسِيكِ به نَوح ابن سريج . قالت : أَوَ تُحْسِن ذاك ؟ قال نعم . فأمرته فناح ؛ فكان نَوحه في الغاية من الجودة ، وقال النساء : هذا نَوحٌ غَريضٌ ؛ فلُقِّب عبد الملك الغريض . وأفاق ابن سريج من علَّتِه بعد أيّام وعرَف خبر وفاةِ ابن الحنفيَّة ، فقال لهم : فمَن ناح عليه ؟ قالوا : عبد الملك غلامُ سُكَينة . قال : فهل جَوّز الناسُ نوحَه ؟ قالوا : نعم وقدَّمه بعضهم عليك . فحلف ابن سريج ألاّ ينوح بعد ذلك اليوم ، وترك النوحَ وعَدَل إلى الغناء ، فلم يَنُحْ حتى ماتت حَبابةُ ، وكانت قد أخذت عنه وأحسنت إليه فناح عليها ، ثم ناح بعدها على يزيد بن عبد الملك ، ثم لم يَنُح بعده حتى هلك . قال : ولمّا عدَل ابن سريج عن النَّوح إلى الغناء عدل معه الغريض إليه ، فكان لا يُغَنِّي صوتاً إلاّ عارضه فيه .

[ابن سريج وعطاء بن أبي رباح]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال : حدّث إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أبا إسحاق إبراهيم بن المهديّ وأنا حاضرٌ أنّ يحيى المكّي حدّثه أنّ عَطاءَ بنَ أبي رَباحٍ لَقِي ابن سريج بذي طُوًى[1] ، وعليه ثيابٌ مُصَبَّغة وفي يده جَرادَةٌ مشدودة الرِّجل بخيطٍ يُطيِّرها ويجذبها به كلّما تخلَّفت ؛ فقال له عَطاء : يا فَتَانُ ، ألا تَكُفُّ عمّا أنت عليه ؟ كفى اللهُ الناس مؤونتَك . فقال ابن سريج : وما على الناس من تَلوِينِي ثيابي ولَعِبِي بجَرادَتِي ؟ فقال له : تَفْتِنُهم أغانيك الخبيثة . فقال له ابن سريج : سألتُك بحقِّ من تَبِعْتَه من أصحاب رسولِ الله صلّى

1 ذو طوى : موضع عند مكّة .

الله عليه وآله وسلَّم ، وبحقِّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم عليك ، إلاّ ما سمعتَ منِّي بيتاً من الشعر ، فإن سمعتَ مُنْكَراً أمرتَنِي بالإمساك عمّا أنا عليه . وأنا أقْسِم بالله وبحقِّ هذه البَنِيَّة لئن أمرتَني بعد استماعك منِّي بالإمساك عمّا أنا عليه لأفعلنَّ ذلك . فأطمع ذلك عطاءً في ابن سريج ، وقال : قُلْ . فاندفع يغنِّي بشعر جَرير[1] : [من الكامل]

صوت

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّكَ غادَرُوا وَشَلاً بعَينِك لا يــزال مَعِينا[2]

غَيَّضْنَ مِـن عَبَراتهنّ وقُلْنَ لِي ماذا لَقِيتَ مــن الهوى ولَقِينا

لحن ابن سريج هذا ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكِّي والهشاميّ ، وله أيضاً فيه رمل . ولإسحاق فيه رملٌ آخرُ بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالوسطى يُنسب إلى ابن سريج والغريض . قال : فلمّا سمِعَه عَطاءٌ اضطرب اضطراباً شديداً ودخلتْه أَرِيَحِيَّة ، فحلف ألاّ يُكَلِّمَ أحداً بقية يومه إلاّ بهذا الشِّعر ، وصار إلى مكانه من المسجد الحرام ؛ فكان كلُّ من يأتيه سائلاً عن حلالٍ أو حرامٍ أو خبرٍ من الأخبار ، لا يُجيبه إلاّ بأن يَضرِب إحدى يديه على الأُخرى ويُنشِد هذا الشِّعر حتى صلّى المغربَ ، ولم يُعاود ابن سريج بعد هذا ولا تعرَّض له .

[ابن سريج ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني جعفر بن قُدامَةَ قال حدّثني حمَّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الفَضْل بن محمد اليزيديّ قال حدّثني إسحاق عن ابن جامعٍ عن سِياطٍ عن يونس الكاتب قال : لمّا قال عمر بن أبي ربيعة : [من الطويل]

نظَرتُ إليها بالمُحَصَّبِ من مِنًى ولِي نَظَرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ

غنَّى فيه ابن سريج .

قال : وحَجَّ يزيد بن عبد الملك في تلك السنة بالناس ، وخرج عمر بن أبي ربيعة ومعه ابن سريج على نَجِيبَين رِحالَتاهما[3] مُلبَستان بالدِّيباج ، وقد خضبا النجيبين ولَبسا حُلَّتين ، فجعلا يتلقَّيان الحاجَّ ويتعرَّضان للنساء إلى أن أظلم الليل ، فعَدَلا إلى كَثيبٍ مُشْرِفٍ والقمر طالعٌ يُضِيءُ ، فجلسا على الكثيب ، وقال عمر لابن سريج : غنِّني صوتَك الجديد ؛ فاندفع يغنّيه ، فلم يستَتِمَّه إلاّ وقد طلعَ عليه رجلٌ راكبٌ على فرسٍ عتيقٍ ، فسلَّم ثم قال : أيمكنُك ، أعزَّك

1 ديوان جرير (ط . دار صادر) : 476 .

2 الوشل : الماء القليل . المعين : الجاري .

3 الرحالة : سرج من جلد يتّخذ للخيل والإبل .

الله ، أن تَرُدَّ هذا الصوت ؟ قال : نعم ونُعْمَةَ عَينٍ ، على أن تنزل وتجلِس معنا . قال : أنا أعجَل من ذلك ، فإن أَجْمَلتَ وأنعمتَ أَعَدْتَه ، وليس عليك من وقوفي شيءٌ ولا مؤونةٌ ، فأعاده . فقال له : بالله أنت ابن سريج ؟ قال نعم . قال : حيَّاك الله ، وهذا عمرُ بن أبي ربيعة ؟ قال نعم . قال : حيَّاكَ الله يا أبا الخَطَّاب ؛ فقال له : وأنت فحيَّاك الله ، قد عَرَفتَنا فعَرِّفْنا نفسك . قال : لا يمكنني ذلك . فغَضِبَ ابن سريج وقال : والله لو كنتَ يزيد بن عبد الملك لما زاد . فقال له : أنا يزيد بن عبد الملك . فوثَب إليه عمر فأعظَمه ، ونزل ابن سريج إليه فقبَّل رِكابَه ؛ فنزع حُلَّته وخاتمه فدفعهما إليه ، ومضى يركض حتى لَحِق ثَقَلَه . فجاء بهما ابن سريج إلى عمر فأعطاه إيّاهما ، وقال له : إنّ هذين بك أشبهُ منهما بي . فأعطاه عمر ثلثمائة دينارٍ وغدا فيهما إلى المسجد ، فعرفهما الناس وجعلوا يتعجَّبون ويقولون : كأنّهما والله حُلَّةُ يزيد بن عبد الملك وخاتمه ، ثم يسألون عمر عنهما فيُخبرهم أنّ يزيد بن عبد الملك كساه ذلك .

[وقف غناؤه الناس في طريق الحاج]

وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قدامة أيضاً قال وحدّثني ابن عبد الله بن أبي سعيد قال حدّثني عليُّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : حَجَّ عمر بن أبي ربيعة في عام من الأعوام على نجيب له مخضوبٍ بالحِنَّاء مشهَّر الرَّحْل بِقَراب[1] مُذهب ، ومعه عُبيد بن سريج على بغلة له شقراء ، ومعه غلامه جَنَّادٌ يقود فرساً له أدهم أغرَّ مُحجَّلا ، وكان عمر بن أبي ربيعة يُسمِّيه «الكوكبَ» ، في عُنقه طَوق ذهبٍ ، وجنادٌ هذا هو الذي يقول فيه عمر[2] : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشتملْ عليه برِفْقٍ وارقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لي الدَّهْماءَ واعجَلْ بِمِمطَرِي ولا تُعلِمَنْ خَلْقاً من الناس مَذْهَبي[3]

الغناء لزُرْزُرٍ غلامِ المارِقيّ خفيفُ ثقيلٍ وهو أجود صوتٍ صنعه ، قال : ومع عمر جماعةٌ من حَشَمِه وغِلمانه ومَواليه وعليه حُلَّة مَوْشِيَّةٌ يَمانيّة ، وعلى ابن سريج ثوبان هَرَوِيَّان[4] مرتفعان ، فلم يَمُرُّوا بأحدٍ إلاّ عَجِبَ من حسنِ هيئتهم ، وكان عمر من أَعْطَرِ الناسِ وأحسنِهم هيئةً ، فخرجوا من مكّة يومَ التَّرْوِية بعد العَصْر يريدون منًى ، فمَرُّوا بمنزلِ رجلٍ من بني عبد مَنافٍ بمِنًى قد ضُربت عليه فساطِيطُه وخِيَمُه ، ووافى الموضع عمرُ فأبصر بنتاً للرجل قد خرجتْ من

1 القراب : شبيه الجراب .
2 ديوان عمر : 55–56 .
3 الممطر : معطف يتّقي به المطر . خلقاً في الديوان : حيّاً .
4 ثوب هرويّ : من صنع مدينة هراة .

قُبَّتها ، وستَر جواريها دون القُبَّة لئلاّ يراها مَنْ مَرّ . فأشرف عمر على النَّجيب فنظرَ إليها ، وكانت من أحسن النساء وأجملهنّ . فقال لها جواريها : هذا عمر بن أبي ربيعة . فرفَعتْ رأسها فنظرت إليه ، ثم ستَرتها الجواري وولائدها عنه وبَطَّنَّ دونها بِسَجْفِ القُبَّة حتى دخلتْ . ومضى عمر إلى منزله وفَساطِيطِه بمِنًى ، وقد نظَر من الجارية إلى ما تَيَّمَه ومن جمالها إلى ما حَيَّره ، فقال فيها[1] : [من الطويل]

نظَـرتُ إليهـا بالمُحَصَّبِ من مِنى ... ولي نَظَـرٌ لـولا التَّحَـرُّج عـارِمُ
فقلـتُ أشمسٌ أم مَصابيحُ بِيعَـةٍ ... بدتْ لك خَلْفَ السَّجْفِ أم أنت حالِمُ
بَعيـدةُ مَهْـوى القُرْطِ إمّـا لَنَوْفَلٌ ... أبوهـا وإمّـا عبـدُ شمسٍ وهاشِمُ
ومَـدّ عليهـا السّجْفَ يـومَ لَقيتُها ... على عَجَـلٍ تُبَّاعُهـا والخَـوادِمُ
فلم أستطِعْها غيرَ أنْ قـد بـدا لنا ... على الرَّغْم منهـا كَفُّهـا والمَعاصِمُ[2]
مَعاصِمُ لم تَضْرِبْ على البَهْم بالضُّحى ... عَضاهـا ووجـهٌ لم تَلُحْـه السَّمائِمُ
نَضِيرٌ تَـرى فيـه أَساريعَ مائـه ... صَبيحٌ تُغادِيـه الأَكُـفُّ النَّواعِمُ
إذا مـا دعـتْ أترابَهـا فاكتنفْنَها ... تَمايَلْـنَ أو مالَـتْ بهـنَّ المَآكِمُ
طَلَبْنَ الصِّبا حتـى إذا مـا أَصَبْنَه ... نَزَعْـنَ وهـنّ المُسْلِمـاتُ الظَّوالِمُ

ثم قال عمر لابن سريج : يا أبا يحيى ، إنّي تفكَّرْتُ في رجوعنا مع العشيَّة إلى مكّة مع كثرة الزِّحام والغُبار وجَلَبَة الحاجّ فثقل عليّ ، فهل لك أن تَرُوح رَواحاً طيِّباً معتزلاً ، فنَرى فيه من راح صادراً إلى المدينة من أهلِها ، ونرى أهلَ العراق وأهلَ الشَّام ونتعلَّل في عشيَّتنا وليلتنا ونستريحَ ؟ قال : وأنَّى ذلك يا أبا الخَطَّاب ؟ قال : على كثِيب أبي شَحْوَةَ[3] المُشْرِف على بطن يَأْجَجَ[4] بين مِنًى وسَرِف ، فنُبْصِر مرور الحاجّ بنا ونراهُم ولا يَرَونا . قال ابن سريج : طَيِّبٌ والله يا سيِّدي . فدعا بعض خدمه فقال : اذهبوا إلى الدار بمكّة ، فاعملوا لنا سُفرةً واحملوها مع شرابٍ إلى الكثيب ، حتى إذا أَبْرَدنا ورمينا الجمرة صِرنا إليكم ؛ قال : والكثيب على خمسة أميال من مكّة مُشرِفٌ على طريق المدينة وطريق الشام وطريق العراق ، وهو كثيبٌ شامخٌ مُسْتدِقٌّ أعلاه منفردٌ عن الكثبان ؛ فصارا إليه فأكلا وشرِبا . فلمّا انتشيا أخذ ابن سريج

1 ديوان عمر : 348-349 .
2 على الرغم منها في الديوان : عشية راحت .
3 أبو شحوة : كذلك هو عند ياقوت .
4 يأجج : موضع قريب من مكّة .

الدُّفّ فنقرَه وجعل يغنّي وهم ينظرون إلى الحاجّ . فلمّا أمْسيا رفع ابن سريج صوته يغنّي في الشِّعر الذي قاله عمر ، فسمعه الرُّكبان فجعلوا يصيحون به : يا صاحب الصوت أما تتّقي الله قد حبستَ الناس عن مناسِكهم ؛ فيسكُتُ قليلاً ، حتى إذا مَضَوْا رفع صوتَه وقد أخذ فيه الشراب فيقفُ آخرون ، إلى أن مَرَّت قطعةٌ من الليل ، فوقف عليه في الليل رجلٌ على فرسٍ عتيقٍ عربيٍّ مَرِحٍ مُستَنٍّ[1] فهو كأنّه ثَمِلٌ ، حتى وقف بأصل الكثيب وثنى رجلَه على قَرَبُوسِ[2] سَرجه ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهُلُ عليك أن تَرُدّ شيئاً ممّا سمعته ؟ قال : نعم ونعمة عينٍ ، فأيَّها تريد ؟ قال : تُعيد عليّ : [من الطويل]

ألاَ يا غُرابَ البَيْنِ ما لكَ كلّما نَعَبْتَ بفقدانٍ عليَّ تَحُومُ
أبالبينِ من عَفْراءَ أنت مُخَبِّري عَدِمْتُك مِن طيرٍ فأنتَ مَشُومُ

قال : والغناء لابن سريج ، فأعاده ، ثم قال له ابن سريج : ازْدَدْ إن شئتَ . فقال : غنِّني : [من الطويل]

أمَسْلَم إنّي يا ابنَ كلّ خَلِيفَةٍ ويا فارسَ الهَيْجا ويا قَمَرَ الأرضِ[3]
شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى وما كلُّ مَنْ أقْرَضْتَه نعمةً يَقْضِي[4]
ونَوَّهْتَ لي باسمِي وما كان خاملاً ولكنّ بعضَ الذكرِ أنْبَهُ من بعضِ[5]

فغنّاه ، فقال له : الثالث ولا أستزيدُك . فقال : قل ما شئتَ . فقال : تُغنيني . [من المنسرح]

يا دارُ أقْوَتْ بالجِزْعِ فالكَثَبِ بين مَسِيلِ العُذَيْبِ فالرُّحَبِ[6]
لم تَتَقَنَّعْ بفَضْلِ مِئْزَرِها دَعْدٌ ولم تُسْقَ دَعْدُ في العُلَبِ[7]

فغنّاه . فقال له ابن سريج : أبَقِيَتْ لكَ حاجةٌ ؟ قال : نعم ، تنزِل إليّ لأُخاطِبَك شِفاهاً بما أُريد . فقال له عمر : انزِل إليه ، فنزل . فقال له : لولا أنّي أُريد وَداعَ الكعبة وقد تقدّمني ثَقَلِي وغلماني لأَطَلتُ المُقام معك ولنزلتُ عندكم ، ولكنّي أخافُ أن يَفضحَنِي الصبحُ ، ولو كان ثَقَلِي

1 مستنّ : مرح نشيط .
2 قربوس السرج : مقدمه ومؤخره .
3 نداء «مسلمة» مرخم .
4 حبلٌ في رواية : «جزء» .
5 الشطر الثاني في ل : وأحييت لي ذكري وما كان ميتاً .
6 الكثب : اسم وادٍ . انظر ديوان جرير : 67 .
7 العلب : جمع علبة ، إناء لحفظ اللبن (يعني أنها ليست بدويّة) .

معي لَما رَضِيت لك بالهُوَينا ، ولكن خذ حُلَّتي هذه وخاتَمي ولا تُخدَع عنهما ؛ فإن شراءهما ألفٌ وخمسمائة دينار . وذكر باقي الخبر مثلَ ما ذكره حماد بن إسحاق .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

نظَرتُ إليها بالمحصَّبِ من مِنىً ... ولي نظرٌ لولا التَّحَرُّجُ عارِمُ
فقلتُ أشمسٌ أم مصابيحُ بِيعَةٍ ... بدتْ لك خلفَ السَّجْفِ أم أنتَ حالِمُ
بعيدةُ مَهْوى القُرط إمّا لَنَوْفَلٌ ... أبوها وإمّا عبدُ شمسٍ وهاشمُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبدٍ ثقيلٌ أوّل بالسَّبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عنه . وقد نُسب في مواضع من هذا الكتاب .

صوت

[من الطويل]

ألا يا غُرابَ البَيْنِ مالكَ كُلَّما ... نَعَبْتَ بفِقْدانٍ عليَّ تَحُومُ
أبالبَيْنِ من عَفْراءَ أنتَ مُخَبِّري ... عَدِمْتُك من طيرٍ فأنتَ مَشُومُ

الشعر لقيس بن ذريح ، وقيل : إنّه لغيره[1] . والغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن الهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

أَمَسْلَم إنّي يا ابن كلِّ خليفةٍ ... ويا فارسَ الهَيْجا ويا قمر الأرضِ[2]
شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقى ... وما كلُّ مَنْ أوليتَه نعمةً يَقْضِي
ونوّهتَ لي باسمي وما كان خاملاً ... ولكنّ بعضَ الذكر أنبهُ من بعضِ

الشعر لأبي نُخَيْلة الحِمَّانيّ . والغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وقد أُخرِج هذا الصوت مع سائر أخبار نُخيلة في موضعٍ آخرَ .

[إجلال المغنين لابن سريج]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن سلاّم الجمَحيّ قال حدّثني عُمَرُ بن أبي خليفة قال : كان أبي نازلاً في عُلْوٍ ، فكان المغنّون يأتونه . قال فقلت :

---

1 لعلّه لعروة بن حزام ، فعفراء صاحبته ، ولابن ذريح لبنى .

2 ويا قمر في رواية «ويا جبل» .

فأيُّهم كان أحسنَ غِناءً ؟ قال : لا أدري ، إلاّ أنّي كنتُ أراهم إذا جاء ابن سريج سَكَتُوا .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال حدّثني الزبيريّ ، يعني عبد الله بن مُصعب ، عن عمرو بن الحارث ، قال إسحاق : وحدَّثَنِيه المدائنيّ ومحمد بن سلاَّم عن المُحرِز بن جعفر عن عمر[1] بن سعد مولى الحارث بن هشام قال : خرج ابن الزبير ليلةً إلى أبي قُبَيْسٍ فسمع غِناءً ، فلمّا انصرف رآه أصحابه وقد حال لونُه ، فقالوا : إنّ بك لشَرّاً . قال : إنّه ذاك . قالوا : ما هو ؟ قال : لقد سمعتُ صوتاً إن كان من الجنِّ إنّه لَعَجَبٌ ، وإن كان من الإنْس فما انتهى مُنتهاه شيءٌ ! قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنّى : [من المتقارب]

صوت

أمِـنْ رَسْمِ دارٍ بـوادِي غُدَرْ ... لجاريـةٍ مِـن جَواري مُضَرْ[2]
خَدَلَّجـةِ السَّاقِ مَمْكُـورَةٍ ... سَلُوس الوِشاحِ كمثلِ القَمَرْ[3]
تَزِينُ النساءَ إذا مـا بَـدَتْ ... ويُبْهَتُ في وجهها مَـنْ نَظَرْ[4]

الشعر ليزيد بن معاوية . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر عن يونس وحَبَشٍ .

قال إسحاق : وذكر المدائنيّ في خبره أنّ عمر بن عبد العزيز مَرَّ أيضاً فسمع صوت ابن سريج وهو يتغنّى : [من البسيط]

بَتَّ الخَلِيطُ قُوى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا

فقال عمر : لله دَرُّ هذا الصوت لو كان بالقرآن ، قال المدائني : وبلغني من وجه آخرَ أنّه سمِعه يُغنّي : [من المنسرح]

قَـرَّبَ جِيرانُنـا جِمالَهُـمُ ... ليلاً فأضْحَوْا معاً قَد ارتَفَعُوا[5]
ما كنتُ أَدْرِي بوَشْكِ بَيْنِهِمُ ... حتى رأيتُ الحُداةَ قد طَلَعُوا

فقال هذه المقالة .

---

1 ل : عمير .
2 غدر : من مخاليف اليمن .
3 خدلجة : ممتلئة الذراعين . سلوس : (الوشاح) ليّنته .
4 يبهت : يدهش .
5 ديوان عمر : 243 .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من البسيط]

بَتَّ الخَليطُ قُوى الحَبْلِ الذي قَطَعُوا إذ وَدَّعُوك فولَّوْا ثـم مـا رجَعُوا
وآذَنُـوكَ ببَيْنٍ مـن وِصالِهُـمُ فما سَلَوْتَ ولا يُسْلِيكَ ما صَنَعُوا
يا ابنَ الطَّويلِ وكم آثَرْتَ من حَسَنٍ فينا وأنت بمـا حُمِّلْتَ مُضْطَلِعُ
نَحْظى ونبقَى بخيرٍ مـا بَقِيتَ لنا فإن هلَكْتَ فما في مَلجـإٍ طَمَعُ

الشعر للأحوص ، والغناءُ لابن سريج رمل بالسَّبابة في مجرى البنصر على إسحاق وذكر حبشٌ أنّ فيه رملاً بالوسطى عن الهشاميّ .

نسبة الصوت الآخر

صوت

[من المنسرح]

قَـرَّبَ جيرانُنـا جمالَهُـمُ ليلاً فأَضْحَوْا معاً قد ارتفعُوا
ما كنتُ أدْري بوَشْكِ بَيْنِهمُ حتى رأيتُ الحُداةَ قد طلَعُوا
على مِصَكَّيْنِ مـن جِمالِهُم وعَنْتَرِيسَيْنِ فيهمـا خَضَعُ[1]
يـا قلـبُ صَبْراً فإنّه سَفَهٌ بالحُـرِّ أن يَسْتَفِـزَّه الجَزَعُ

الغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّل من أصواتٍ قليلة الأشباه عن إسحاق . وفيه رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر أيضاً فيه خفيفَ رمل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسُبه . وذكر الهشاميّ أنّ الرمل للغريض وخفيف الرمل لابن المَكِّي . وذكرتْ دنانير والهشاميّ أنّ فيه لمعبد ثاني ثقيل . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر عبد الله بن موسى أنّ لحن ابن سريج خفيف ثقيل .

[عدد الأصوات التي غنّى فيها ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال : حضرتُ أبا إسحاق إبراهيم بن المهديّ وعنده إسحاق الموصليّ ، فقال إسحاق : غنّى ابن سريج ثمانية وستّين صوتاً . فقال له أبو إسحاق : ما تجاوز قطُّ ثلاثة وستّين صوتاً . فقال بلى . ثم جعَلا يُنشدان أشعار الصحيح منها حتى بلغا ثلاثة وستّين صوتاً وهما يتّفقان على ذلك ، ثم أنشد

1 العنتريس : الناقة القويّة الصلبة . المصك : القويّ .

إسحاق بعد ذلك أشعار خمسة أصواتٍ أيضاً . فقال أبو إسحاق : صدَقتَ ، هذا من غنائه ، ولكنّ لحنَ هذا الصوت نقله من لَحنِه في الشعر الفُلانيّ ، ولَحْنَ الثاني من لَحنِه الفلانيّ ، حتى عَدّ له الخمسة الأصوات . فقال له إسحاق : صدقتَ . ثم قال له إبراهيم : إنّ ابن سريج كان رجلاً عاقلاً أديباً ، وكان يُغَنِّي[1] الناس بما يشتهون ، فلا يُغنِّيهم صوتاً مُدِح به أعداؤهم ولا صوتاً عليهم فيه عارٌ أو غضاضةٌ ، ولكنَّه يَعدِل بتلك الألحان إلى أشعار في أوزانها ، فالصّوتان واحدٌ لا ينبغي أن نَعُدَّهما اثنين عند التحصيل مِنَّا لغنائه ، فصدّقه إسحاق . فقال له إبراهيم : فأيُّها أولى عندك بالتَّقدِمة ؟ فقال : [من الرمل]

وإذا مـا عَثَرتْ في مِرْطهـا نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

فقال له إبراهيم : أَحْسَبُك يا أبا محمد ، مُتَّعتُ بكَ ، ما أردتَ إلاّ مُساعدتي . فقال : لا ، والله ما إلى هذا قَصَدتُ ، وإن كنتُ أَهْوى كلَّ ما قَرَّبَنِي من مَحبَّتك . فقال له : هذا أَحَبُّ أغانيه إليّ ، وما أَحسَبُه في مَكانٍ أحسنَ منه عندي ، ولا كان ابن سريج يتغنَّاه أحسن ممّا يتغنّاه جَواريّ . ولئن كان ذلك فما هو عندي في حُسن التجزئة والقِسْمةِ وصحَّتِهما مثلُ لَحنه في[2] :

صوت

من المائة المختارة من رواية جحظة

[من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـا أُمَّ يَعْمَـرا قبلَ شَحْطٍ من النَّوَى[3]
أَجْمعَ الحـيُّ رِحْلَـةً ففُؤادِي كَذي الأَسَى
قلتُ لا تُعجِلُوا الرَّوا حَ فقالُـوا ألا بَلَـى

الغناء لابن سريج من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل مُطلقٌ في مجرى الوسطى . وفيه للهذليّ خفيف ثقيل بالبِنصر عن ابن المكّي . وفيه لمالك ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرٍو . وفيه لحنان من الثقيل الثاني : أحدُهما لإسحاق والآخر لأبيه ، ونسَبه قومٌ إلى ابن مُحرز ، ولم يصحّ ذلك . قال : فاجتمعا معاً على أنّه أوّل أغانيه وأحقُّها بالتقديم . وأمرني أبو إسحاق بتَدْوين ما يجري بينهما ويتَّفِقان عليه ، فكتبتُ هذا الشعر . ثم اتّفقا على أنّ الذي يَلِيه : [من الرمل]

وإذا مـا عَثَرتْ في مِرْطِهـا نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يا عُمَرْ

---

1 ل : يعاشر .
2 ديوان عمر : 16 .
3 أم يعمرا في رواية : أم معمر .

فأثبتُّه أيضاً . ثم تناظَرا في الثالث فاجتمعا على أنّه : [من الكامل]

فتركتُه جَـزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّة رأسِه والمِعْصَمِ

فقال إسحاق : لو قدّمناه على الأغاني التي تَقدَّمَتْه كلِّها لكان يستحقُّ ذلك . فقال أبو إسحاق : ما سمعتُه منذ عرفتُه إلاّ أَبْكاني ؛ لأنّي إذا سمعته أو ترنَّمتُ به وجدتُ غَمْراً على فؤادي لا يَسْكُن حتى أبكِي . فقال إسحاق : إنّ مذهبه فيه ليُوجِبُ ذلك ؛ فدوّنتُه ثالثاً . ثم اتّفقا على الرابع وأنّه : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتَّجْمِير مَنظَرَ ناظِرٍ ولا كلَيالي الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوى

وتحدّثا بأحاديث لهذا الصوت مشهورة . ثم تناظرا في الخامس ، فاتّفقا على أنّه : [من السريع]

عُوجِـي علينـا رَبَّةَ الهَـوْدَجِ إنّـكِ إلاّ تَفْعـلي تَحْرَجِي

فأثبتُّه . ثم تناظَرا في السادس واتّفقا على أنّه : [من مجزوء الوافر]

ألا هَـلْ هاجَـكَ الأَظْعـا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحـا

فأثبتُّه . ثم تَناظَرا في السابع فاتّفقا على أنّه : [من الكامل]

غَيَّضْنَ مـن عَبَراتِهِنَّ وقُلْن لي ماذا لَقِيتَ مـن الهَوى ولَقِينا

فأثبتُّه . وتناظرا في الثامن فاتّفقا على أنّه : [من الرمل]

تُنكِـرُ الإثْمِـدَ لا تَعرِفُـه غيرَ أنْ تَسْمَـعَ منـهُ بخَبَرْ

فأثبتُّه . وتناظرا في التاسع فاتّفقا على أنّه : [من الطويل]

ومِن أَجْلِ ذاتِ الخالِ أَعملْتُ ناقتِي أُكَلِّفُها سَيْرَ الكَلالِ مـع الظَّلْعِ

نسبة هذه الأصوات وأجناسها

منها : [من الرمل]

صوت

وإذا مـا عَثَـرَتْ في مِرْطِهـا نَهَضَتْ باسمِي وقالتْ يـا عُمَرْ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

فتركْتُه جَـزَرَ السِّباع يَنُشْنَهُ مـا بـين قُلَّة رأسِه والمِعصَمِ

الشعرُ لعَنْتَرَةَ بنِ شَدَّادٍ العَبْسيّ . والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن

عمرو[1] ومنها : [من الطويل]

صوت

فلَـمْ أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كليالي الحجِّ أفْتَنَّ ذا هَوَى

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . ومنها[2] : [من السريع]

صوت

عُوجِي علينا رَبَّـةَ الهَـوْدجِ إنّـكِ إلاَّ تفعَـلي تَحْرَجِي

الشعرُ للعَرْجِيّ . والغناء لابن سريج ثقيل بالوسطى عن عمرو . ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَلا هَـلْ هاجـكَ الأظعـا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحـا

الشعر لعمر . والغناء لابن سريج ثقيل أوّلُ مطلَقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه للغريض لَحنان : ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لمعبدٍ ثقيلٌ أوّلُ ثالث بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها : [من الكامل]

صوت

غَيَّضْنَ من عَبراتِهنَّ وقُلْنَ لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

الشعر لجرير . والغناء لابن سريج رمل بالبنصر . وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . وفيه للهُذليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

تُنْكِـر الإثْمِـدَ لا تَعْرِفُـه غيرَ أن تَسْمَعَ منـه بخَبَرْ

الشعر لعبد الرحمن بن حسَّان . والغناء لابن سريج رَمَلٌ بالوسطى . ومنها : [من الطويل]

صوت

ومن أجلِ ذاتِ الخالِ أعملتُ ناقتِي أُكَلِّفُهـا سَيْرَ الكَلالِ مـع الظَّلْعِ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج رملٌ بالبنصر . وفيه لإسحاق رملٌ بالوسطى .

---

1 ل : عن الهشاميّ .

2 ديوان العرجي : 17 (تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي) بغداد .

3 ديوان عمر : 84 .

[تنافر معبد ومالك إلى ابن سريج]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني الزبير بن دحمان أنّ أباه حدّثه : أنّ معبداً تَغَنَّى : [من الرمل]

آب لَيْلي بهُمُومٍ وفِكَرْ من حَبِيبٍ هاج حُزْنِي والسَّهَرْ[1]

يومَ أبصرتُ غراباً واقعاً شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ

فعارضه مالكٌ فغنَّى في أبياتٍ من هذا الشعر ، وهي : [من الرمل]

وجَرَتْ لي ظبيةٌ يتبَعُها لَيِّنُ الأَظْلافِ من حُورِ البَقَرْ[2]

كلَّما كَفْكَفْتُ منِّي عَبْرَةً فاضتِ العينُ بمُنْهَلٍّ دِرَرْ[3]

قال : فتَلاحَيا جميعاً فيما صنعاه من هذين الصَّوتَين ، فقال كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه : أنا أَجوَدُ صنعةً منك . فتَنافَرا إلى ابن سريج فمَضَيا إليه بمكّة . فلمّا قَدِماها سألا عنه ، فأُخْبِرا أنّه خرج يَتطَرَّفُ[4] بالحنَّاء في بعض بساتينها . فاقتَفَيا أثره ، حتى وقفا عليه وفي يده الحِنَّاء ، فقالا له : إنّا خرجنا إليك من المدينة لِتَحْكُم بيننا في صوتين صنعناهما . فقال لهما : لِيُغَنِّ كلُّ واحدٍ منكما صوتَه . فابتدأ معبد يُغنّي لحنَه . فقال له : أحسنتَ والله على سوءِ اختيارك للشِّعر ! يا ويحك ! ما حَمَلك على أن ضَيَّعْتَ هذه الصنعة الجيّدة في حُزنٍ وسَهَرٍ وهُمومٍ وفِكر ! أربعة ألوانٍ من الحُزن في بيتٍ واحد ، وفي البيت الثاني شرَّان في مِصْراع واحدٍ ، وهو قولُك : [من الرمل]

شَرَّ ما طار على شَرِّ الشَّجَرْ

ثم قال لمالك : هاتِ ما عندكَ ، فغنَّاه مالك . فقال له : أَحسنتَ والله ما شئتَ ! فقال له مالك : هذا وإنّما هو ابن شَهْرِه ، فكيف تَراه يا أبا يحيى يكون إذا حال عليه الحَوْل ؟ قال دحمان : فحدّثني معبد أنّ ابن سريج غضِب عند ذلك غضباً شديداً ، ثم رمى بالحنَّاء من يديه وأصابعه وقال له : يا مالك ، أَلِي تقول ابن شَهْرِه ! اسمعْ منِّي ابن ساعته ، ثم قال : يا أبا عَبَّاد ، أَنشِدني القصيدة التي تَغَنَّيتُما فيها . فأنشدته القصيدة حتى انتهيت إلى قوله : [من الرمل]

تُنكِرِ الإثْمِدَ لا تَعْرِفُه غيرَ أن تَسْمَع منه بخَبَرْ

فصاح بأعلى صوته : هذا خليلي وهذا صاحبي ، ثم تغنَّى فيه ؛ فانصرفنا مَفلُولَيْن مَفضوحَيْن من غير أن نُقِيم بمكّة ساعةً واحدةً .

---

1 وفكر في ل : وذكر .

2 لَيّن الأظلاف في ل : لَيّن الأطراف .

3 أي كالمطر المتتابع .

4 يتطرّف بالحناء : يخضب به أطراف أصابعه .

نسبة هذه الأغاني كلّها

صوت

[من الرمل]

آبَ لَيْلي بهُمُومٍ وفِكَرْ ... من حَبِيبٍ هاج حُزْني والسَّهَرْ
يومَ أبصرتُ غراباً واقعاً ... شَرَّ ما طارَ على شَرِّ الشَّجَرْ
يَنْتِفُ الرِّيشَ عَلى عُبْرِيَّةٍ ... مُرَّةِ المَقْضَمِ من دَوحِ العُشَرْ[1]

الشِّعر لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت يقوله في رملة بنت معاوية بن أبي سفيان ، وله معها ومع أبيها وأخيها في تَشبيبه بها أخبارٌ كثيرةٌ ستُذكر في موضعها إن شاء الله . ومن الناس من يَنْسُب هذا الشعر إلى عمر بن أبي ربيعة ، وهو غلط . وقد بُيِّن ذلك مع أخبار عبد الرحمن في موضعه .

والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكّي ، وذكر عمرو بن بانة أنّه للغريض ، وله لحنٌ آخرُ في هذه الطريقة .

صوت

[من الرمل]

وجَرَتْ لي ظَبْيَةٌ يتبعُها ... لِيِّنُ الأظلاف من حُورِ البَقَرْ[2]
خلفَها أَطْلَسُ عَسَّالُ الضُّحى ... صادفتْه يومَ طَلٍّ وخَصَرْ[3]

الغناء لمالكٍ خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[من الرمل]

صوت

إنّ عَيْنَيْها لعَيْنا جُؤْذُرٍ ... أَهْدَبِ الأَشْفارِ من حُورِ البَقَرْ
تُنْكِرُ الإثْمِدَ لا تعرِفُه ... غيرَ أنْ تسمَع منه بخَبَرْ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة ، عن عمرو ويحيى المكّيّ .

[ابن سريج يميل إلى الأرمال والأهزاج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي قال محمد بن سعيد : لمّا ضادَّ ابن سريج الغريض وناوأه ، جعل ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلاّ عارضه فيه الغريض فغنّى فيه لحناً غيره ، وكانت ببعضِ أطراف مكّة دارٌ يأتيانها في كلّ جمعة ويجتمع لهما ناسٌ كثيرٌ ، فيوضع لكلٍّ

1 العبرية : من شجر السدر .
2 الأظلاف في ل : الأطراف .
3 الأطلس : الذئب . العسال : الذي يهتزّ إذا مشى أو عدا .

واحد منهما كرسيّ يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويترادَّانِه . قال : فلمّا رأى ابن سريج موقع الغريض وغنائه من الناس لقربه من النَّوح وشَبَهِه به ، مال إلى الأرمال والأهزاج فاستخفَّها الناس . فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قَصَرْتَ الغناء وحذَفْتَه وأفسدْتَه . فقال له : نعم يا مخنَّث ، جعلتَ تَنوح على أبيك وأُمِّك ، أَلِي تقول هذا ؟ والله لأُغَنِّيَنَّ غناءً ، ما غنَّى أحدٌ أثقلَ منه ولا أجود . ثم تغنَّى : [من الطويل]

تشكَّـــى الكميْت الجَرْيَ لمّا جهدْتهُ

[تقدير ابن أبي عتيق لابن سريج]

قال حمّاد : وقرأت على أبي عن هشام بن المُرِّيَّة قال : كان ابن أبي عتيق يسوق في كلّ عام عن ابن سريج بَدَنةً وينحَرُها عنه ، ويقول : هذا أقلُّ حقِّه علينا .

[اعتراف معبد لابن سريج بالسبق]

قال حمّاد : قال أبي وقال مَخْلَدُ بن خِداشٍ المهلَّبي : كنّا بالمدينة في مجلسٍ لنا ومعنا معبدٌ ، فقدِم قادمٌ من مكّة إلى المدينة فدخل علينا ليلاً ، فجلس معبد يُسائلُه عن الأخبار وهو يُخْبِرُهُ ولا نسمع ما يقول . فالتفت إلينا معبد فقال : أصبحتُ أَحْسَنَ الناس غناءً . فقيل له : أو لم تكُن كذلك ؟ قال : لا حيث كان ابن سريج حيّاً ، إنّ هذا أخبرني أنّ ابن سريج قد مات . ثم كان بعد ذلك إذا غنَّى صوتاً فأعجبه غناؤه قال : أصبحتُ اليومَ سُرَيجيّاً .

[أبو السائب المخزوميّ وأغاني ابن سريج]

قال حمّاد : حدّثني أبي قال حدّثني أبو الحسن المدائنيُّ قال : قال معبد : أتيتُ أبا السائب المخزوميّ ، وكان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألفَ ركعةٍ ، فلمّا رآني تجوّز[1] وقال : ما معك من مُبكِيات ابن سريج ؟ قلت قوله : [من الكامل]

ولَهُـــنَّ بالبيتِ العَتِيقِ لُبانةٌ والبيتُ يَعْرِفُهـــنَّ لـــو يَتكَلَّمُ
لـــو كان حَيّـاً قبلَهن ظَعائِناً حَيّا الحَطِيمُ وجوهَهنَّ وزَمْزَمُ
لَبِثُوا ثـــلاثَ بأعظمٍ مِنىً غِبْطَةٍ وهُمُ على سَفَرٍ لَعَمْرُكَ ما هُمُ
مُتجاوِريـــنَ بغيرِ دارِ إقامـــةٍ لو قـــد أجـــدّ تفرّقٌ لم يَنْدَمُوا

فقال لي : غنِّه ، فغنَّيْتُه . ثم قام يصلّي فأطال ، ثم تجوَّزَ إليّ فقال : ما معك من مُطْرِباتِه ومُشجِياته ؟ فقلت : قوله : [من الكامل]

1 تجوّز : خفف في صلاته .

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجـةً ما بـاتَ أو ظَـلَّ المَطِيُّ مَعَقَّلا

فقال لي : غنِّه ، فغنَّيتُه . ثم صلَّى وتجوّز إليّ وقال : ما معك من مُرْقِصاتِه ؟

فقلت : [من الطويل]

فلَـم أَرَ كالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ ناظرٍ ولا كَلَيالي الحجِّ أَفْتَنَّ ذا هَوَى

فقال : كما أنتَ حتى أَتَحَرَّمَ لهذا بركعتين .

[تغنّى ابن سريج والغريض بمسمع من عطاء بن أبي رباح]

قال حمّاد : وأخبرني أبي عن إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ ، وذكر أبو أيُّوبَ المدينيّ عن الحزاميّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم المخزوميّ قال : أرسلتني أُمِّي وأنا غلامٌ أسأل عطاءَ بنَ أبي رباحٍ عن مسألة ، فوجدتُه في دارٍ يقال لها دارُ المُعَلَّى ، وقال أبو أيُّوب في خبره : دارُ المُقلِّ ، وعليه مِلحَفة مُعَصفَرَةٌ ، وهو جالسٌ على مِنبر وقد خُتن ابنه والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به أن يُفرّق في الخَلْق ، فلهوتُ مع الصبيان ألعب بالجَوْز حتى أكل القوم وتفرَّقوا وبَقِي مع عطاءٍ خاصّته ، فقالوا : يا أبا محمد لو أَذِنتَ لنا فأَرسَلْنا إلى الغريض وابن سريج ! فقال : ما شئتم ، فأرسلوا إليهما . فلمّا أتيا قاموا معهما وثبت عطاءٌ في مجلسه فلم يدخل ، فدخلوا بهما بيتاً في الدار ، فتغنَّيا وأنا أسمع . فبدأ ابن سريج فنقَر بالدُّفّ وتغنَّى بشعر كُثيِّر : [من الطويل]

بلَيْلى وجاراتٍ لليـلى كأنّها نِعاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأَباعِرُ[1]

أمُنْقطِعٌ يا عَـزّ مـا كان بينَنا وشاجَرَنِي يا عزّ فيكِ الشَّواجِرُ

إذا قيلَ هذا بيتُ عزّةَ قادَنِي إليه الهَوى واستعجَلَتْنِي البَوادِرُ[2]

أصُدُّ وبِي مثلُ الجُنونِ لكي يَرى رُواةُ الخَنا أنِّي لِبيتِكِ هاجرُ

فكأنّ القوم قد نزل عليهم السُّبات ، وأدركَهم الغَشْيُ فكانوا كالأموات فما تسمع حسّاً ، ثم أَصغوا إليه بآذانهم وشخصتْ إليه أعينهم[3] وطالتْ أعناقُهم . ثم غنَّى الغريض بصوتٍ أُنسِيتُه بلحنٍ آخر . ثم غنَّى ابن سريج وأوقع بالقضيب ، وأخذ الغريض الدُّفَّ فغنَّى بشعر الأخطل : [من الطويل]

فَقلتُ اصبَحُونـا لا أَبـا لأَبيكُمُ ومـا وَضَعُوا الأثقالَ إلاّ لِيَفْعَلوا

وقلتُ اقتُلوهـا عنكُـمُ بمِراجِها فأكْرِمْ بها مَقْتُولـةً حـين تُقْتَلُ

---

1 الملا : مثل الفلا .

2 اللبوادر : الدموع .

3 ل : أحداقهم .

أناخُوا فَجَـرُّوا شاصِياتٍ كأنّها رِجالٌ من السُّودانِ لَم يَتَسَرْبَلُوا[1]

فوالله ما رأيتُهم تحرَّكوا ولا نَطَقوا إلاّ مستمعين لما يقولُ . ثم غنَّى الغريضُ بشعرٍ آخر وهو : [من البسيط]

هل تعرِف الرَّسْمَ والأَطْلالَ والدِّمَنا زِدْنَ الفـؤادَ على مـا عندَه حَزَنا
دارٌ لصَفْراءَ إذ كانت تَحُـلُّ بها وإذ تَرى الوَصْلَ فيما بيننا حَسَنا
إذ تَسْتَبيكَ بمَصْقـولٍ عوارضُـه ومُقْلَتَيْ جُـؤْذُرٍ لم يَعْـدُ أن شَدَنا

ثم غنَّيا جميعاً بلحنٍ واحد ؛ فلقد خُيِّل لي أنّ الأرضَ تَميدُ ، وتبيَّنْتُ ذلك في عطاء أيضاً .

وغنَّى الغريضُ في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وهو قوله[2] : [من الطويل]

كَفى حَزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنا وأُمْسي قريبـاً لا أَزُورُكِ كَلْثَما
دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي بـه منكِ أو داوي جَـواه المُكَتَّما
ومَـنْ كان لا يَعْـدُو هواه لسانَه فقد حَـلَّ في قلبي هواك وخَيَّما
وليس بتَزْويـقِ اللسانِ وصَوْغِـه ولكنَّه قـد خالطَ اللحمَ والدَّما

وغنّى ابن سريج أيضاً[3] : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ عُوجا نَسْأل اليـومَ مَنْزِلا أَبـى بـالبِراقِ العُفْرِ أن يَتحوَّلا
ففُرْعِ النَّبيتِ فالشَّرى خَفَّ أهلُه وبُدِّلَ أَرْواحاً جَنُوبـاً وشَمأَلا[4]
أرادتْ فلم تَسْطِعْ كلاماً فأومأَتْ إلينـا ولم تأمَـنْ رَسولاً فتُرْسِلا
بأَنْ بِتْ عَسى أن يسترَ الليلُ مجلساً لنا أو تنامَ العـين عنَّـا فتُقبِلا[5]

وغنَّى الغريضُ أيضاً[6] : [من الكامل]

يـا صاحِبَـيّ قِفا نُقَضِّ لُبانَـةً وعلى الظَّعائِنِ قبلَ بَيْنِكما اعْرِضا
لا تُعْجِلانِـي أن أقـولَ بحاجةٍ رِفْقاً فقد زُوِّدْتُ زاداً مُجْرِضا[7]

---

1 الشاصيات : صفة للزقاق .
2 ديوان عمر : 390 .
3 ديوان عمر : 309 .
4 النبيت والشرى : موضعان . الأرواح : الرياح .
5 فتقبلا في ل : فتغفلا .
6 ديوان عمر : 323–324 .
7 مجرضاً : يغص بالريق ، وقد تقرأ «محرضاً» .

ومقالَهـا بالنَّعْفِ نَعْـفِ مُحَسِّرٍ لِفَتاتِهـا هـل تَعْرِفِـينَ المُعْرِضا[1]
هذا الذي أَعْطى مَواثِـقَ عهـدِهِ حتى رَضِيتُ وقُلتِ لي لن يَنْقُضا

وأَغانيَّ أُنْسيتُها ، وعَطاءٌ يسمع على مِنبرِه ومكانه ، وربّما رأيتُ رأْسَه قد مال وشَفَتَيْه تتحرّكان حتّى بلغتْه الشمسُ ، فقام يريد منزلَه . فما سمع السامعون شيئاً أحسن منهما وقد رفعا أصواتهما وتغنَّيا بهذا . ولمّا بلغتِ الشمس عطاءً قام وهُمْ على طريقةٍ واحدةٍ في الغناء ، فاطَّلَع في كُوَّة البيت . فلمّا رأَوْه قالوا : يا أبا محمد ، أيُّهما أحسنُ غناءً ؟ قال : الرَّقِيق الصوت ، يَعنِي ابن سريج .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الكامل]

ولَهُـنَّ بـالبيتِ العَتِيق لُبانَـةٌ والبيتُ يعرِفهـنّ لـو يتكلَّمُ
لـو كان حَيّـاً قبلَهنّ ظعائناً حيّا الحَطِيمُ وُجوهَهنّ وزمزمُ
وكأنّـهنّ وقـد حَسَرْنَ لَواغِباً بَيْضٌ بأكنافِ الحَطِيم مُرَكَّمُ[2]
لَبِثُوا ثلاثَ مِنًى بمنزلِ غِبْطَةٍ وهمُ على سَفَرٍ لعمرُك ما همُ
مُتَجاوِريـنَ بغيرِ دارِ إقامـةٍ لو قـد أجدَّ رَحِيلُهم لم يَنْدَمُوا

عَرُوضُه من الكامل . الشعر لابن أُذَيْنَة . والغناء لابنِ سريج ثاني ثقيلٍ مُطْلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبارُ ابن أُذَينةَ تأتي بعد هذا في موضِعها إن شاء الله .

ومنها الصوتُ الذي أوّله في الخبر : [من الكامل]

لسنا نُبالي حين نُدْرِكُ حاجةً

صوت[3]

[من الكامل]

وَدِّعْ لُبابةَ قبلَ أن تَترحَّـلا واسألْ فـإن قَلِيلَـه أن تَسْألا
وانظُـرْ بعينـكَ ليلةً وتأنَّها فلعلَّ ما بَخِلَتْ بـه أن يُبْذَلا[4]

---

1 محسر : موضع بين مكّة وعرفة ؛ والنعف ، ما انحسر عن السفح .
2 لواغبا : متعبات .
3 ديوان عمر : 311–312 .
4 الشطر الأول في الديوان : امكث بعمرك ليلة وتأنها .

لسنا نُبالي حين نُدرِكُ حاجةً ... مـا راح أو ظَلَّ المَطِيُّ مُعَقَّلا
حتّى إذا ما الليلُ جَنَّ ظلامُه ... ورَجَوْتُ غفلةَ حارسٍ أن يَعْقلا[1]
خرجَتْ تَـأطَّرُ في الثيابِ كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناءُ لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالوسطى في مَجراها . وفيه لمعبد لحنٌ من خفيف الثّقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى ، وهو من مختار أغانيه ونادرها وصُدور صنعته وما يُقدَّم على كثيرٍ منها .

[الغمر بن يزيد وشعر عمر]

أخبرني أحمدُ بن محمد بن إسحاق الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فَرْوَةَ قال : كنتُ أَسِيرُ مع الغَمْرِ بن يزيد ، فاستنشدني فأنشدته لعمر بن أبي ربيعة : [من الكامل]

وَدِّعْ لُبابَة قبـلَ أن تترحَّلا ... واسألْ فـإن قَلِيلَـه أن تَسْألا
قال ائتَمِرْ ما شئتَ غيرَ مُخالَفٍ ... فيما هَوِيتَ فإنّنا لن نَعْجَلا
نَجْزِي أيادِيَ كنتَ تَبْذُلُها لنا ... حـقٌّ علينا واجبٌ أن نَفْعَلا
حتّى إذا ما الليلُ جَنّ ظلامُه ... ورجوتُ غفلة حارسٍ أن يَعْقِلا
خرجتْ تأطَّرُ في الثياب كأنَّها ... أَيْمٌ يَسِيبُ على كثيبٍ أَهْيَلا
رَحَّبْتُ لَمّـا أقبلـتْ فتَعَلَّلتْ ... لتحيَّتِـي لمّا رأتْنِـي مُقْبِلا
فَجلا القِناعُ سحابةً مشهورةً ... غَرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمَّلا
فظَلِلْتُ أَرْقِيها بمـا لـو عاقِلٌ ... يُرقَى بـه ما اسْطاعَ ألاّ يَنْزِلا
تَدْنُو فأَطْمَعُ ثـم تمنعُ بَذْلَها ... نفسٌ أبتْ للجُودِ أن تتبخَّلا[2]

قال : فأمَر غلامَه فحملني على بغلتِه التي كانت تحتَه . فلمّا أراد الانصراف طلب الغلام منّي البغلة ، فقلتُ : لا أُعطِيكَها ، هو أكرمُ وأشرفُ مِن أن يحملَني عليها ثم ينتزعَها منّي . فقال للغلام : دَعْه يا بُنيّ ، ذهبتْ واللهِ لُبابَةُ ببغلةِ مولاكَ .

[القرشي يطرب لغناء ابن سريج في شعر عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنيه الحسن بن عليّ عن هارون بن الزَّيّات عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني عثمان بن حفصٍ الثّقفيّ عن إبراهيم بن عبد السلام بن

1 غفلة حارسٍ أن يعقلا في الديوان : غفلة كاشح أن يمحلا .
2 فأطمعُ . . . . في الديوان : فتطمع . . . . بالجود .

أبي الحارث عن ابن تَيْزَن المغنّي قال : قال أبو نافع الأسود ، وكان آخِرَ مَنْ بَقِيَ من غلمان ابن سريج : إذا أعجزك أن تُطرِب القرشيّ فغنِّه غناء ابن سريج في شعر عمر بن أبي ربيعة فإنّك تُرقِصُه : قال : وأبو نافع هذا أحذقُ غِلمان ابن سريج ومَنْ أَخَذ عنه ، وكان آخِرَ رُواتِه صوتاً . ومنها[1] : [من الطويل]

صوت

بلَيْلى وجاراتٍ لِلَيْلى كأنَّها ... نِعاجُ المَلا تُحْدَى بهنَّ الأباعِرُ
أمُنقطِعٌ يا عزّ ما كان بيننا ... وشاجَرَني يا عزّ فيكِ الشَّواجِرُ
إذا قيل هذا بيتُ عَزّة قادني ... إليه الهوى واستعجلتْني البَوادِرُ
أُصُدّ وبي مثلُ الجنونِ لكي يَرى ... رُواةُ الخَنا أنّي لبيتكِ هاجِرُ
ألاَ ليتَ حَظّي منكِ يا عزّ أنّني ... إذا بِنْتِ باع الصبرَ لي عنكِ تاجرُ

عروضُه من الطويل . الشعر لكُثيِّر . والغناء لمعبدٍ ثقيل أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو . وفيه لابن سريج لحنٌ أوّله : «أصُدّ وبي مثلُ الجُنون» خفيف رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق : ومنها[2] : [من الطويل]

صوت

أناخُوا فَجَرُّوا شاصِياتٍ كأنَّها ... رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فقلتُ اصبَحُونِي لا أبا لأبيكمُ ... وما وضَعُوا الأثقالَ إلاّ ليفعَلُوا
تَمُرّ بها الأيْدِي سَنِيحاً وبارِحاً ... وتُرْفَعُ باللَّهُمَّ حَيِّ وتُنْزَلُ

عَروضه من الطويل . الشاصياتُ : الشَّائِلاتُ قوائمها من امتلائها ، يعني الزِّقاقَ ؛ يقال : شَصا يَشْصُو . وشَصا ببصرِه إذا رفعه كالشاخص ؛ وأنشد : [من مشطور الرجز]

وربْرَبٍ خِماص ... يَطْعُنُ بالصَّياصي[3]
ينظُر من خَصاصِ ... بأَعْيُنٍ شَواصي[4]
كَفِلَقِ الرَّصاصِ ... تَسْمُو إلى القَنَّاصِ

الشعرُ للأخطل ، وذكره يأتي في غير هذا الموضع ، من قصيدة يمدح بها خالد بن عبد الله بن

1 ديوان كثير : 368–370 (تحقيق إحسان عبّاس) بيروت 1971 .
2 ديوان الأخطل : 3–4 (تحقيق أنطون الصالحاني) بيروت .
3 ربرب : قطيع من البقر . خماص : ضامرات جوعاً . الصياصي : القرون .
4 خصاص : فتحات ، كوى .

أَسيد بن أبي العِيص بن أُميّة . والغناء لمالك وله فيه لحنان : أحدُهما في الأوّل والثاني رَمَلٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، والآخرُ في الثالث والأوّل والثاني خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن محرز خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها . وفيه رمل آخر لإبراهيم عن عمرو أيضاً . ومنها : [من البسيط]

صوت

هل تعرِفُ الرسمَ والأَطْلالَ والدِّمَنا

وذكر الأبياتَ الثلاثة وقد تقدَّمت . عروضُه من البسيط . الشعرُ لذي الإصبَع العدواني[1] . والغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر . ومنها : [من الطويل]

صوت

كفَى حَزَناً أن تجمعَ الدارُ شَمْلَنا

صوت
وهو من المائة المختارة في رواية جحظة عن أصحابه

[من الطويل]

دَعِي القلبَ لا يَزْدَدْ خَبالاً مع الذي ... بــه مِنْكِ أو دَاوِي جَواه المُكَتَّما
ومَنْ كان لا يَعْدُو هــواه لِسانَه ... فقد حَلَّ في قلبي هَــواكِ وخَيَّما
وليس بتَزْويــقِ اللسانِ وصوْغِــه ... ولكنَّه قــد خالَطَ اللَّحــمَ والدَّما

عروضُه من الطَّويل . الشعر للأحوص ، وقيل : إنّه لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان . والغناء لمعبد ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر يونس أنّ لمالك لحناً فيه : [من الطويل]

أَكَلْتُمُ فُكِّــي عانياً بــكِ مُغْرَما ... وشُدِّي قُوى حَبْلٍ لنا قــد تَصَرَّما
فــإن تُسعِفِيه مَــرَّةً بنَوالِكــم ... فقد طالَما لم يَنْجُ منــكِ مُسَلَّما
كَفى حَزَناً أن تَجْمعَ الدارُ شَمْلَنا ... وأُمْسِي قريبــاً لا أَزُورُكِ كَلْثَما

وبعده هذه الأبيات التي مَضَتْ .

[اتفاق المغنين على تفضيل لحن لابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد وذكر الثقفيّ عن دَحمان قال : تذاكرنا ونحن في المسجد أنا والربيع بن أبي الهيثم الغناء أيُّه أحسنُ ، فجعل يقول وأقول فلا نجتمع على شيء .

1 تنسب أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه : 432 .

فقلت : اذهَبْ بنا إلى مالك بن أبي السَّمْح . فذهبنا إليه فوجدناه في المسجد ، فقال : ما جاء بكما ؟ فأخبرناه . فقال : قد جرى هذا بيني وبين معبد وقال وقلت ، فجاءني معبد يوماً وأنا في المسجد وقال : قد جئتُك بشيء لا ترُدُّه . فقلت : وما هو ؟ قال : لحنُ ابن سريج : [من الطويل]

وليسَ بتزويقِ اللسانِ وصَوْغِه ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدَّما

ثم قال لي معبد : أُسْمِعُكَه ؟ قلت : نعم ، وأريتُه أنِّي لم أسمعه قبل ، فقال : اسمعه منِّي ، فغنَّى فيه ونحن في المسجد ، فما سمعتُ شيئاً قطُّ أحسنَ منه ، فافترقنا وقد اجتمعنا عليه .

وقرأتُ في فصلٍ لإبراهيم بن المَهديّ إلى إسحاق الموصليّ . «وكتبتُ رُقعتي هذه وأنا في غَمرةٍ من الحُمَّى تَصدِف عن المفترضات . ولولا خَوفي من تشنيعِك وتَجَنِّيك لم يكن فيّ للإجابة فَضلٌ ، غير أنِّي قد تكلّفتُ الجواب على ما الله به عالمٌ من صعوبة علَّتي وما أُقاسيه من الحرارة الحادثة بي .

وليس بتزويقِ اللسان وصَوغِه ولكنَّه قد خالطَ اللحمَ والدّما

[تفضيل غناء ابن سريج على غناء معبد ومالك]

وقال إسحاق حدّثني شيخٌ من مَوالي المنصور قال : قَدِم علينا فِتيان من موالي بني أميّة يريدون مكّة ، فسمعوا معبداً ومالِكاً فأعجبوا بهما ، ثم قدموا مكّة فسألوا عن ابن سريج فوجدوه مريضاً ، فأتوا صديقاً له فسألوه أن يُسمِعَهم غناءه ، فخرج معهم حتى دخلوا عليه . فقالوا : نحن فتيانٌ من قريش ، أتيناك مُسلِّمين عليك ، وأحببنا أن نسمع منك . فقال : أنا مريضٌ كما تَرَوْن . فقالوا : إنّ الذي نكتفي منكَ به يَسيرٌ ، وكان ابن سريج أدِيباً طاهر الخُلُق عارفاً بأقدار الناس ، فقال : يا جارية ، هاتي جِلْبابِي وعُودِي ، فأتَتْه خادمه بخامَةٍ[1] فسَدَلَها على وجهه ، وكان يفعل ذلك إذا تَغَنَّى لقُبح وجهِه ، ثم أخذ العود فغنَّاهم ، فأرخى ثوبه على عينيه وهو يغنِّي ، حتى إذا اكتفَوْا ألقى عودَه وقال : معذرةً . فقالوا : نَعَم ، قد قبِل اللهُ عذرَك فأحسنَ اللهُ إليك ، ومسح ما بك ، وانصرفوا يتعجَّبون ممّا سمِعوا . فمَرُّوا بالمدينة مُنصرفين ، فسمِعوا من معبدٍ ومالِكٍ ، فجعلوا لا يَطربون لهما ولا يُعجبون بهما كما كانوا يَطربون . فقال أهلُ المدينة : نَحلِفُ بالله لقد سمعتم بعدنا ابن سريج قالوا : أجل ! لقد سمعناه فسمِعنا ما لم نسمع مثله قطُّ ، ولقد نَغَّصَ علينا ما بعده .

[تغنّي رقطاء الحبطية برمل ابن سريج]

وذكر العَتَّابيّ أنّ زكريّا بن يحيى حدّثه قال حدّثني عبد الله بن محمد بن عثمان العثمانيّ

1 خامة : قطعة من قماش .

عن بعض أهل الحجاز قال[1] : التقى قنديلٌ الجَصَّاص وأبو الحديد بشِعب الصَّفراء[2] ، فقال قنديلٌ لأبي الحديد : من أين وإلى أين ؟ قال : مررت برقطاء الحَبَطِيَّة رائحةً تترنَّم برَمَل ابن سريج في شعر ابن عُمارة السُّلَميّ : [من الطويل]

صوت

سَقى مَأْزِمَيْ نَجْـدٍ إلى بئر خالدٍ ... فوادِي نِصاع فالقُرُونِ إلى عَمْدِ[3]
وجادَتْ بُروقُ الرائحـاتِ بمُزْنَةٍ ... تَسُحُّ شآبيـاً بمرتجـزِ الرَّعْـدِ
منـازلَ هِنْـدٍ إذ تُواصِلُنِي بها ... ليـالي تَسْبِينـي بمُسْتَطْرَفِ الوُدِّ
يُنيرُ ظلامُ الليلِ من حُسْنِ وجهِها ... وتَهْدِي بطِيبِ الرِّيحِ مَنْ جاء مِن نَجْدِ

الغناء لابن سريج رملٌ بالبِنصر عن الهشاميّ . فزَفَفْتُ خلفَها زَفِيفَ النَّعامَة ، فما انجلتْ غشاوَتِي إلاّ وأنا بالمُشاش[4] حَسِير[5] فأَوْدعتُها قلبي وخلَّفتُه لديها ، وأقبلتُ أَهْوِي كالرَّخمة بغير قَلْبٍ . فقال لي قِنديلٌ : ما دفعَ أحدٌ من المُزدلِفة أَسعدُ منكَ ، سمعتَ شعرَ ابن عُمارة في غِناء ابن سريج من رقطاء الحَبَطيَّة ؛ لقد أُوتيت جزءاً من النبوّة . قال : وكانت رَقْطاءُ هذه من أَضْرِب الناس ؛ فدخل رجلٌ من أهلِ المدينة منزلها فغنَّته صوتاً . فقال له بعض مَن حضر : هل رأيتَ قطُّ أو تَرى أفصح من وَتَرِ هذه ؟! فطَرِب المدنيُّ وقال : عليّ العهدُ إن لم يكن وترها من معَى بَشْكَسْتَ النَّحْويّ ، فكيف لا يكون فصيحاً ؟ وبشكستُ هذا كان نحويّاً بالمدينة ، وقُتل مع الشُّراةِ[6] الخارجين مع أبي حمزة صاحب عبد الله بن يحيى الكنديّ الشَّارِي المعروف بطالب الحقِّ .

[غناء ابن سريج مخلوق من قلوب الناس]

قال محمد بن الحسن وحدّث عن إسحاق عن أبيه أنّه كان يقول : غناءُ كلِّ مُغَنٍّ مخلوقٌ من قلب رجلٍ واحد ، وغناءُ ابن سريج مخلوق من قلوب الناس جميعاً . وكان يقول : الغناء على ثلاثة أَضرُب ، فضربٌ مُلْهٍ مُطرِبٌ يُحَرِّك ويَستخِفُّ ، وضربٌ ثانٍ له شَجاً ورِقَّة ، وضربٌ ثالثٌ حِكمةٌ وإتقان صنعَةٍ . قال : وكلّ هذا مجموعٌ في غناء ابن سريج .

---

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 61–62 (الفقرة : 85) .
2 الصفراء : اسم واد بناحية المدينة .
3 المأزم : طريق ضيّق بين جبال . هذه كلها أسماء مواضع .
4 المشاش : واد يجري بعرفات .
5 حسير : متعب كلّ عن السير .
6 الشراة : الخوارج ، شروا (أي باعوا) أنفسهم بالجنة .

[التقاء ابن سلمة الزهريّ والأخضر الجدّي وتغنّى ابن سلمة بغناء ابن سريج]

قال العتابي وحدثني زكريا بن يحيى عن عبد الله بن محمد العثماني قال : ذكر بعض أصحابنا الحجازيين قال : التقى ابن سلَمة الزُّهريّ والأخضر الجدِّي ببئر الفصح[1] ، فقال ابن سلمة : هل لكَ في الاجتماع نَستَمتِع بك ؟ فقال له الأخضر : لقد كنتُ إلى ذلك مُشْتاقاً ، قال : فقعدا يتحدَّثان ، فمرّ بهما أبو السائب ، فقال : يا مُطْرِبَي الحجاز ، ألشيءٍ كان اجتماعُكما ؟ فقالا : لغير موعِدٍ كان ذلك ، أفتُؤْنِسُنا ؟ قال : فقعدوا يتحدَّثون . فلمّا مضى بعض الليل قال الأخضر لابن سلَمة : يا أبا الأزهر ، قد ابْهارَّ الليل[2] وساعدَك القمر ، فأَوقِعْ بقَهقهة ابن سريج وأَصِب مَعناك . فاندفع يُغنِّي : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّتْ بلا جُرْمٍ وصَدّتْ تغضُّباً ... وقالت لِتِرْبَيْها مقالةَ عاتبِ
سَيَعْلَمُ هـذا أنَّني بنتُ حُرَّةٍ ... سأمنَعُ نَفْسي من ظُنُونٍ كَواذِبِ
فقُولِي لـه عنّـا تَنَـحَّ فإنّنا ... أَبِيَّاتُ فُحْشٍ طاهِراتُ المَناسِبِ

الغناء لابن سريج ولم يذكر طريقته . قال : فجعل أبو السائب يَزفِن[3] ويقول : أَبشِرْ حَبِيبي ، فلأنت أفضل من شُهداءِ قزوين . قال : ثم قال ابن سلَمة للأخضر : نِعم المُساعد على هَمِّ الليل[4] أنتَ ؛ فأَوقِع[5] بنَوْح ابن سريج ولا تعْدُ مَعْناكَ[6] . فاندفع يُغنِّي : [من الطويل]

صوت

فلمّـا الْتَقَيْنا بالحَجُـون تَنفَّسَتْ ... تَنَفُّسَ محـزونِ الفُـؤادِ سَقِيمِ
وقالتْ وما يَرْقا مِنَ الخَوْفِ دمعُها ... أَقاطِنُهـا أم أنـتَ غيرُ مُقِيمِ
فإنّا غداً تُحْدَى بنا العِيسُ بالضُّحَى ... وأنـتَ بمـا نَلْقـاه غيرُ عَلِيمِ
فقَطَّعَ قَلْبِي قولُهـا ثـم أَسْبَلَتْ ... مَحاجِـرُ عَيْنِـي دمعَهـا بسُجُومِ

قال : فجعل أبو السَّائب يتأفَّف ويقول : أُعْتِقُ ما أَملِك إن لم تَكُنْ فِرْدَوسِيَّة الطِّينة ، وإنّها بعلمِها لأفْضَلُ من آسِيَةَ امرأةِ فرعونَ .

---

1 ل : ببئر الفصيح .
2 ابهار الليل : انتصف .
3 يزفن : يرقص .
4 ل : سهر الليل .
5 ل : فوقع .
6 ل : مغناك .

[تغنّي الذلفاء بلحن ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ قال : بلَغني أنّ أبا دَهْبَلٍ الجُمَحيّ قال : كنتُ أنا وأبو السَّائب المخزوميّ عند مُغَنِّيةٍ بالمدينة يقال لها «الذِّلْفاء» ، فغنَّتْنا بشعر جَمِيلِ بن معمَر العُذْريّ ، واللحن لابن سريج : [من الطويل]

صوت

لَهُنَّ الوَجى لِمْ كُنّ عَوناً على النَّوَى ولا زالَ منهـا ظالـعٌ وكَسِيرُ[1]
كأنّي سُقِيتُ السُّمَّ يومَ تحمَّلوا وجَـدّ بهـم حادٍ وحانَ مَسِيرُ

فقال أبو السائب : يا أبا دَهبَل ، نحن والله على خَطَرٍ من هذا الغناء ، فنسأل الله السلامة وأن يَكفينا كلَّ مَحذُور ، فما آمَنُ أن يهجُمَ بي على أمرٍ يَهتِكُني . قال : وجعل يَبكِي .

[تأثير غناء ابن سريج في الحاج]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وَكِيعُ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن بكّار بن رباح عن إسحاق بن مِقَمَّة عن أُمِّه قالت : سمعتُ ابن سريج على أخشَب منًى غداة النَّفْر وهو يغنّي : [من الخفيف]

جَدّدِي الوصلَ يا قريبَ وجُودِي لمحـبٍّ فِراقُـه قـد ألَمَّـا
ليسَ بـينَ الحيـاةِ والمـوتِ إلاَّ أن يَـرُدُّوا جمالَهُـمْ فنُزَمَّـا

ونسبةُ هذا الصوت تأتي بعد هذه الأخبار ـ قالت : فيما تشاء أن تسمَع من خِباءٍ ولا مِضْرَبٍ حنيناً ولا أنيناً إلاّ سمعتَه .

[مفاضلة أخرى بين معبد وابن سريج]

وذكر يوسف بن إبراهيم أنّه حضر إسحاقَ بن إبراهيم الموصِلِيّ ليلةً وهو يُذاكِرُ إبراهيم بن المهديّ ، إلى أن قال إسحاق في بعض مخاطبته إيّاه : هذا صوتٌ قد تَمَعبَدَ فيه ابن سريج . فقال له إبراهيم : ما ظننتُ أنّك يا أبا محمد مع علمك وتَقَدُّمِك تقول مثلَ هذا في ابن سريج ، فكيف يجوز أن تقول : تَمَعْبَدَ ابنُ سريج ، وإنّما مَعبدٌ إذا أحسن قال : أصبحتُ سُرَيجِيّاً ، قد أَغنَى اللهُ ابنَ سريج عن هذا ورفعَ قَدْره عن مثله ، وأُعِيذُكَ بالله أن تستَشْعِر مثلَه في ابن سريج . قال : فما رأيت إسحاق دفع ذلك ، ولا أباه ، ولا زاد على أن قال : هي كلمةٌ يقولُها الناس ، لم أَقُلها اعتقاداً لها فيه ، وإنّما تَكلَّمتُ بها على العادة .

[اعتراف معبد لابن سريج بالتفوّق عليه]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكيعٌ قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال حدّثنا محمد بن سلاَّم قال :

---

1 الوجى : الحفا . وكسير في ل : وحسير .

قال لي شُعَيْب بن صخر : كان معبدٌ إذا غنّى فأجاد قال : أنا اليوم سُرَيجِيٌّ .

[سكوت المغنين عند حضور ابن سريج]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن سَلاَّم قال حدّثنا شُعيب بن صخر قال : كان نعمان المغنّي عندي نازلاً ، وكان يغنّي ، وكنتُ أراه يأتيه قومٌ . قال أبو عبد الله : فقلتُ له : فأيُّهم كان أحذقَ ؟ قال : لا أدْرِي ، إلاّ أنّهم كانوا إذا جاء ابن سريج سَكَتُوا .

[الأحوص وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّادٍ عن أبيه قال حدّثني الهيثم بن عيّاش قال حدّثني عبد الرحمن بن عُيينة قال : بينما نحن بمِنًى ونحن نريد الغُدُوَّ إلى عرفاتٍ ، إذ أتانا الأحْوص فقال : أَبِيتُ بكم الليلة ؟ قلنا : بالرَّحْبِ والسِّعة . فلمّا جَنَّه الليلُ لم يلبث أن غاب عنّا ثم عاد ورأسه يقطُر ماءً . قلت : ما لك ؟ قال : [من المتقارب]

صوت

تَعَرَّضُ سَلْمـــاكَ لمّا حَرَمْـــ ـتَ ، ضَلَّ ضَلالُكَ مِنْ مُحْرِمِ !
تُريـــدُ بِـــه البِرَّ يا لَيْتَـــه كَفافـــاً مِـن البِرِّ والمأْثَـــمِ

الغناء لابن سريج ولم يُجنِّسه . قال قلت : زنَيْتَ ورَبِّ الكعبة ! قال : قُلْ ما بدا لك . ثم لَقِي ابن سريج فقال : إنّي قد قلتُ بيتين حسنَين أُحِبُّ أن تُغنِّيَني بهما . قال : ما هما ؟ فأنشده إيَّاهما ؛ فغنّى بهما من ساعته ، ففُتِنَ مَن حضر ممَّن سمِع صوتَه .

[جرير يذهب من المدينة إلى مكّة ليسمع غناء ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إسحاق بن يحيى بن طلحة قال[1] : قدِم جرير بن الخَطَفَى المدينة ونحن يومئذٍ شبابٌ نطلُبُ الشِّعر ، فاحتشدنا له ومعنا أَشْعبُ . فبينا نحن عنده إذ قام لحاجة وأقمنا لم نبرح . وجاء الأحوص بن محمد الشاعر من قُباء على حمارٍ فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام لحاجةٍ ، فما حاجتك إليه ؟ قال : أُريد والله أنْ أُعْلِمه أنّ الفرزدق أشعرُ منه وأشرف . قلنا : ويحك ! لا تعرِض له وانصَرِف ، فانصرف وخرج . فجاء جرير فلم يكن بأسرع من أن أقبل الأحوص الشاعر فأقبل عليه ، فقال : السلام عليكَ يا جرير . قال جرير : وعليك السلام . فقال الأحوص : يا ابن الخطَفَى ، الفرزدق أشرفُ منكَ وأشعر . قال جرير : مَن هذا أَخْزاه الله ؟ قلنا : الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأَقلح . فقال : نعم ،

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 10–11 (رقم : 6) .

هذا الخبيث ابن الطيب ، أأنت القائل : [من الطويل]

يَقَرُّ بعَيْنِي ما يَقَــرُّ بعَيْنِهــا وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

قال نعم . قال : فإنّه يَقَرُّ بعَينها أن يدخل فيها مثل ذِراع البَكْر ، أفَيَقرُّ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوص يُرمى بالحُلاقِ فانصرف ، فبعث إليهم بتمرٍ وفاكهة . وأقبلنا على جرير نُسائله ، وأشعب عند الباب وجرير في مؤخّر البيت ، فألحَّ عليه أشعبُ يسأل . فقال : والله إنّي لأراكَ أَقْبحَهم وجهاً وأراكَ ألأمَهم حَسَباً ؛ فقد أَبْرَمْتَني منذ اليوم . قال : إنّي والله أنفعُهم وخيرُهم لك . فانتبه جرير وقال : ويحك ! كيف ذاك ؟ قال : إنّي أُمَلِّح شِعرَك وأُجيدُ مَقاطِعَه ومبادئه . فقال : قُلْ ، وَيْحَك ! فاندفع أشعب فنادى بلحن ابن سريج : [من الكامل]

يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّحِيل وقبل عَذْلِ العُذَّلِ

لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عهدِكم يومُ الرَّحيل فعَلتُ ما لم أفعلِ

فطَرِب جرير وجعل يزحف نحوه حتى أَلصق برُكبته رُكبَتَه[1] ، وقال : لعَمري لقد صَدقتَ ، إنّك لأنفعُهم لي وقد حَسَّنْته وأَجَدتَه وزيَّنته ، أحسنتَ والله ، وصله وكساه . فلمّا رأينا إعجاب جريرٍ بذلك الصوت ، قال له بعض أهلِ المجلس : فكيف لو سمعتَ واضعَ هذا الغِناء ؟ قال : أوَ إنّ له لواضعاً غير هذا ؟ فقلنا نعم . قال : فأين هو ؟ قلنا : بمكّة . قال : فلستُ بمفارقٍ حِجازَكم حتى أَبْلُغَه . فمضى ومضى معه جماعة ممّن يرغب في طلب الشعر في صحابته وكنت فيهم ، فأتيناه جميعاً ، فإذا هو في فِتيةٍ من قريش كأنّهم الَمهَا مَع ظَرْفٍ كثيرٍ ، فأدنوا ورحَّبوا وسألوا عن الحاجة ، فأخبرناهم الخبر ، فرحَّبوا بجرير وأدنَوه وسُرُّوا بمكانه ، وأعظم عُبَيد بن سريج موضع جرير وقال : سَلْ ما تريد جُعِلتُ فداءَك ! قال : أُريد أن تُغَنِّيَني لحناً سمعتُه بالمدينة أزعجَني إليك . قال : وما هو ؟ قال : [من الكامل]

يا أُختَ ناجيةَ السلامُ عليكُمُ قبلَ الرَّحيلِ وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ

فغنَّاه ابن سريج وبيده قضيبٌ يُوقِعُ به ويَنْكُتُ ، فوالله ما سمعتُ شيئاً قطّ أحسنَ من ذلك . فقال جرير لله دَرُّكُم يا أهلَ مكّة ، ما أعطيتُم ! والله لو أنّ نازعاً نزع إليكم ليُقيم بين أظهُرِكم فيسمعَ هذا صباح مساء لكان أعظمَ الناس حَظّاً ونصيباً ، فكيف ومع هذا بيتُ الله الحرام ، ووجوهُكُم الحِسانُ ، ورِقّةُ ألسِنتِكم ، وحُسْنُ شارَتِكم ، وكثرةُ فوائدِكم !

[الوليد بن عبد الملك وابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال : كتب الوليد بن عبد

1 ل : حتى مسّ بركبتيه ركبتيه .

الملك إلى عامل مكّة أن أَشْخِص إليّ ابن سريج ، فأَشخَصَه . فلمّا قَدِم مكثَ أيّاماً لا يدعو به ولا يلتفت إليه . قال : ثم إنّه ذَكَره ، فقال : ويلَكم ، أين ابن سريج ؟ قالوا : هو حاضرٌ . قال : عليَّ به . فقالوا : أجبْ أمير المؤمنين . فتهيّأ ولَبِسَ وأقبل حتى دخل عليه فسلَّم . فأشار إليه أنْ اجلِسْ ، فجلس [بعيداً] . فاستدناه فدنا حتى كان منه قريباً ، وقال : وَيْحَكَ يا عُبَيد ! لقد بلغنِي عنكَ ما حملني على الوِفادة بك من كثرة أدبِك وجَودة اختيارك مع ظَرف لسانك وحلاوة منطقك ومجلسك . فقال : جُعِلتُ فداءَك يا أمير المؤمنين ! «تسمعُ بالمُعَيديّ خيرٌ من أن تَراه» . قال الوليد : إنّي لأَرجُو ألاَّ تكون أنت ذاك ، ثم قال : هاتِ ما عندك . فاندفع ابن سريج فغنّى بشعر الأحوص[1] : [من الطويل]

أمَنزلَتَيْ سَلْمَى على القِدَمِ اسْلَما ... فقد هِجْتُما للشوقِ قلباً متيَّما
وذَكَّرْتُما عَصْرَ الشَّبابِ الذي مضى ... وجِدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قد تَجَذَّما
وإنّي إذا حَلَّتْ بِبِيشٍ مقِيمَةً ... وحَلَّ بوجٍّ جالساً أو تَنَهَّما[2]
يَمانِيَةٌ شَطَّتْ فأصبحَ نَفْعُها ... رَجاءً وظنّاً بالمَغِيبِ مُرَجَّما
أُحِبُّ دُنُوَّ الدارِ منها وقد أَبَى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدار إلاّ تَثَلُّما
بَكاها وما يَدْرِي سوى الظَّنِّ مَنْ بكى ... أحيّاً يُبَكِّي أم تُراباً وأعظُما
فدَعْها وأَخْلِفْ للخليفَةِ مِدْحَةً ... تُزِلْ عنكَ بُؤْسَى أوَ تُفِيدُك أَنْعُما[3]
فإنّ بكَفَّيْه مَفاتِيحَ رحمةٍ ... وغَيْثَ حَيّاً يَحيا به الناس مُرْهِما[4]
إمامٌ أتاه المُلْكُ عفواً ولم يُثِبْ ... على مُلْكِه مالاً حَراماً ولا دما
تَخيَّرَهُ ربُّ العِباد لخَلْقِه ... وَلِيّاً وكان اللهُ بالناسِ أَعْلَما
فلمّا قَضاه اللهُ لم يَدْعُ مُسْلِماً ... لبَيْعَتِه إلاّ أجابَ وسَلَّما
يَنالُ الغِنَى والعِزَّ مَنْ نالَ وُدَّه ... ويَرْهَبُ موتاً عاجلاً مَنْ تَشأما

فقال الوليد : أحسنتَ واللهِ وأحسنَ الأحوصُ ؛ عليّ بالأَحوص . ثم قال : يا عُبَيد هِيهْ ؛ فغنّاه بشعر عَدِيّ بن الرِّقاعِ العامليّ يمدح الوليد[5] : [من البسيط]

---

1 شعر الأحوص : 195–196 (صنعة عادل سليمان جمال) ، القاهرة 1970 .

2 بيش : هي بيشة وكانت قديماً من مخاليف اليمن . وج : اسم واد بالطائف . جالساً أي نازلاً الجلس وهو من نجد . تنهّم : نزل تهامة .

3 أنعما في ل : مغنما .

4 مرهما : يجود بالرهام أي المطر .

5 ديوان عدي بن الرقاع : 216–221 (الدكتورين القيس والضامن) ، بغداد 1987.

صوت

طـارَ الكَـرَى وأَلَمَّ الهَمُّ فاكْتَنَعا ... وحِيلَ بَيْنِي وبـينَ النَّوْم فامتنعا[1]
كان الشَّبابُ قِناعـاً أَسْتَكِنُّ به ... وأَسْتَظِلُّ زمانـاً ثُمَّـتَ انْقَشَعا
فاسْتَبْدَل الرأسُ شَيْباً بعد داجِيَةٍ ... فَيْنانةٍ ما تَرى في صُدْغِها نَزَعا[2]
فإن تَكُنْ مَيْعةٌ من باطِلٍ ذهَبَتْ ... وأَعْقَبَ اللهُ بعـد الصَّبْوةِ الوَرَعا
فقد أَبِيتُ أُراعِي الخَـوْدَ راقـدةً ... على الوَسائِدِ مسروراً بهـا وَلِعا[3]
بَرَّاقةَ الثَّغْـر تَشْفِي القلبَ لَذَّتُها ... إذا مُقَبِّلُهـا في ريقِهـا كَرَعا
كلاأُقْحُوانِ بضاحِي الرَّوْضِ صَبَّحه ... غَيْثٌ أَرَشَّ بتَنْضاحٍ ومـا نَقَعا
صَلَّى الذي الصَّلواتُ الطَّيِّباتُ له ... والمؤمِنُون إذا مـا جَمَّعُوا الجُمَعا
على الذي سبَق الأقـوامَ ضاحِيَةً ... بالأَجْرِ والحَمْدِ حتى صاحباه معا
هـو الذي جَمـع الرحمنُ أُمَّتَه ... على يَدَيْـه وكانوا قبلَـه شِيَعا
عُذْنا بذي العَرْشِ أن نَحْيا وتَفْقِدَه ... وأَنْ نكـونَ لِـراعٍ بعـدَه تَبَعا
إنّ الوليـدَ أميرَ المؤمنين لـه ... مُلْكٌ عليـه أعـانَ اللهُ فارتَفَعا
لا يَمْنَع الناسُ ما أَعْطى الذين هُم ... لـه عِبـادٌ ولا يُعْطُونَ مـا منَعا

فقال له الوَليد : صدقتَ يا عُبَيد ! أَنَّى لك هذا ؟ قال : هو من عند الله . قال الوليد : لو غيرَ هذا قلتَ لأحسنتُ أدبَك . قال ابن سريج : ذلك فضلُ اللهِ يُؤتِيه مَن يشاءُ . قال الوليد : يزيد في الخلق ما يشاء . قال ابن سريج : هذا من فَضلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشكُرُ أم أَكفر .

قال الوليد : لَعِلْمُك والله أكبرُ وأعجبُ إليَّ من غِنائك ! غنِّني . فغنَّاه بشعر عَدِيّ بن الرِّقاع العامليّ يمدح الوليد[4] : [من الكامل]

عرَف الدِّيـارَ تَوَهُّمـاً فاعتادَها ... من بعدِ مـا شَمِلَ البِلى أَبْلادَها
ولرُبَّ واضحـةِ العَوارِضِ طَفْلَةٍ ... كالرِّيم قد ضَرَبَتْ بهـا أوتادَها[5]

1 الكتنع : حضر .
2 نزع : صلع خفيف .
3 أراعي في ل : أناغي .
4 ديوان عدي بن الرقاع : 82–95 .
5 طفلةً في ل : برزة .

إنِّي إذا مـا لم تَصِلْنِـي خُلَّتـي ... وتباعَـدتْ منِّـي اغتفرتُ بِعادَها
صلّى الإلـهُ على امـرىءٍ ودّعْتُه ... وأَتَـمَّ نِعْمتَـه عليـه وزادَها
وإذا الرَّبيـعُ تتابعـتْ أَنْواؤُه ... فسَقى خُناصِرَةَ الأحَصِّ فجادَها[1]
نَزلَ الوَليـدُ بهـا فكان لأهلِها ... غَيْثـاً أغـاثَ أنيسَها وبِلادَها
أوَ لا تَـرى أنّ البَرِيَّـةَ كلَّهـا ... ألقـتْ خَزائِمَهـا إليـه فقادَها
ولقـد أرادَ اللهُ إذ وَلاَّكَهـا ... مـن أُمَّـةٍ إصلاحَهـا ورَشادَها
أَعمَـرْتَ أرضَ المسلمينَ فأَقْبَلَتْ ... وكَفَفْتَ عنها مَـنْ يَرُومُ فسادَها
وأَصَبْتَ في أرضِ العَـدُوِّ مُصِيبةً ... عَمَّـتْ أَقاصِيَ غَوْرِهـا ونِجادَها
ظَفَراً ونَصْراً مـا تنـاولَ مثلَـه ... أحـدٌ من الخُلَفـاءِ كان أَرادَها[2]
فإذا نَشَرْتُ لـه الثنـاءَ وجدتُه ... جَمعَ المَكـارِمَ طِرْفَهـا وتِلادَها

فأشار الوليدُ إلى بعض الخدم ، فغَطَّوْه بالخِلَع ووضعوا بين يديه كيساً من الدَّنانير وبدَراً من الدَّراهم ، ثم قال الوليد بن عبد الملك : يا مولى بني نَوفل بن الحارث ، لقد أُوتِيتَ أمراً جَليلاً . فقال ابن سريج : وأنت يا أمير المؤمنين ، لقد آتاك الله مُلْكاً عظيماً وشرفاً عالياً ، وعِزّاً بَسَط يدَك فيه فلم يَقبضْه عنكَ ولا يفعلُ إن شاء الله . فأدام الله لكَ ما ولاّك ، وحَفِظَك فيما استَرْعاك ؛ فإنّك أهلٌ لِما أعطاك ، ولا نَزعه منك إذ رآكَ له موضِعاً . قال : يا نَوْفَلِيُّ ، وخَطِيبٌ أيضاً ؟ قال ابن سريج : عنك نطقتُ ، وبلسانكَ تكلَّمْتُ ، وبعزِّك بيَّنْتُ . وقد كان أمر بإحضار الأَحْوَص بنِ محمد الأنصاريّ وعَدِيّ بن الرِّقاع العامِلِيّ . فلمّا قَدِما عليه أمر بإنزالهما حيث ابن سريج ، فأُنزلا منزلاً إلى جَنْبِ ابنِ سريج . فقالا : والله لَقُرْبُ أميرِ المؤمنين كان أحبّ إلينا من قربك يا مولى بني نوفل ، وإنّ في قُربك لَما يَلَذُّنا ويَشْغَلُنا عن كثيرٍ مما نُريد . فقال لهما ابن سريج : أوَ قِلَّةُ شكرٍ ؟ فقال له عديّ : كأنّكَ يا ابن اللَّخناء تَمُنُّ علينا ! عليَّ وعليَّ إن جَمعنا وإيّاك سقْفُ بيتٍ أو صحنُ دارٍ إلاّ عند أميرِ المؤمنين . وأمّا الأحوص فقال : أوَ لا تحتمل لأبي يحيى الزَّلَّةَ والهَفْوة ؟ وكفّارة يمين خيرٌ من عدمِ المَحَبَّة ، وإعطاء النَّفْسِ سُؤْلَها خيرٌ من لَجاجٍ في غير منفعة ! فتحوّل عَديٌّ ، وبَقي عنده الأحوص . وبلغَ الوليدَ ما جرى بينهم ، فدَعا ابن سريج وأدخله بيتاً وأَرخى دونه سِتراً ، ثم أمره إذا فرَغ الأحوص وعديٌّ من كلمتيهما أن يُغَنّيَ . فلمّا دخلا وأنشداه مدائح فيه ، رفع ابن سريج

1 خناصرة : بلدة قرب قنسرين في الشام ، وأضافها إلى الأحص وهو مرج قريب منها .

2 هذا البيت آخرها في ل .

صوته من حيث لا يَرَوْنه وضرب بعُوده . فقال عديٌّ : يا أمير المؤمنين ، أتأذَنُ لي أن أتكلَّم ؟ فقال : قل يا عامليّ . قال : أمثِلُ هذا عند أمير المؤمنين ، ويبعثُ إلى ابن سريج يتخطّى به رِقابَ قريشٍ والعرب من تِهامة إلى الشام ، ترفعه أرضٌ وتَخفِضه أُخرى فيقال : مَن هذا ؟ فيقال : عُبيد بن سريج مولى بني نوفلٍ بعثَ أمير المؤمنين إليه ، ليسمَعَ غناءه ؟ فقال : ويحك يا عَدِيّ ! أوَلا تعرفُ هذا الصوت ؟ قال : لا والله ما سمعتُه قطُّ ولا سمعتُ مثلَه حُسناً ، ولولا أنّه في مجلس أمير المؤمنين لقلت : طائفةٌ من الجِنِّ يتغنَّون . فقال : اخرُج عليهم ، فخرج فإذا ابن سريج . فقال عديّ : حُقَّ لهذا أن يُحمل ؛ حُقَّ لهذا أن يُحمل ؛ ثلاثاً ، ثم أمر لهما بمثلِ ما أمر به لابن سريج ، وارتحل القوم . وكان الذي غنَّاه ابن سريج من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة[1] : [من السريع]

باللهِ يـا ظَبْيَ بنـي الحارِثِ هل مَنْ وَفى بالعَهْدِ كالنَّاكِثِ
لا تَخْدَعَنِّـي بالمُنَـى باطِلاً وأنت بـي تَلعَـبُ كالعابِثِ
حتَّى متـى أنـتَ لنـا هكذا نَفْسي فِـداءٌ لكَ يـا حارِثي
يا مُنْتَهـى همِّي ويـا مُنْيتي ويـا هَوَى نفسي ويا وارِثي

[عتاب ابن سريج في الغناء ثم الرجوع بعد السماع]

قال : وبلغني أنّ رجلاً من [الأشراف من] قريش من مَوالي ابن سريج عاتبه يوماً على الغناء وأنكره عليه ، وقال له : لو أقبلتَ على غيره من الآداب لكان أزينَ بمواليك وبك ؛ فقال : جُعِلتُ فِداك ، امرأتُه طالقٌ إن أنتَ لم تدخل الدار . فقال الشيخ : ويحك ، ما حَملك على هذا ؟ قال : جُعِلتُ فِداك قد فعلتُ . فالتفتَ النوفليّ إلى بعض من كان معه متعجِّباً ممّا فعل . فقال له القوم : قد طَلُقت امرأتُه إن أنت لم تدخل الدار . فدخل ودخل القوم معه . فلمّا توسَّطوا الدار قال : امرأته طالقٌ إن أنت لم تسمع غنائي . قال : اعزُبْ عنّي يا لُكَعُ ، ثم بَدَر الشيخ ليخرج . فقال له أصحابه : أتُطَلِّق امرأته وتحمل وِزْرَ ذلك ؟! قال : فوِزْرُ الغناء أشدُّ . قالوا : كَلاَّ ما سَوَّى الله عزّ وجلّ بينهما . فأقام الشيخ مكانه . ثم اندفع ابن سريج يغنّي في شعر عمر بن أبي ربيعة في زينب : [من مجزوء الوافر]

أَلَيْسَتْ بالَّتِي قالتْ لمـولاةٍ لَهـا ظهرا
أَشِيري بالسَّلامِ لـهُ إذا هُـو نحوَنا خَطَرا

1 ديوان عمر : 78 .

وقُولِـي في مُلاطفةٍ لِزينـبَ نولّـي عمرا
أهــذا سِحرُك النِّسوا نَ قد خَبَّرَنني الخبرا

فقال للجماعة : هذا واللهِ حسنٌ ، ما بالحجاز مثلُه ولا في غيره . وانصرفوا .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعي قال : قال عبد الله بن عُمَير اللّيثيّ لابن سريج : لو تركتَ الغناء ، وعاتبه على ذلك . فقال : جُعِلتُ فِداك ، لو سمعته ما تركته . ثم قال : امرأته طالق ثلاثاً إن لم تدخُل الدار حتى تسمَعَ غِنائي . فالتفت عبد الله إلى رفيقٍ له كان معه فقال : ما تنتظِر ؟ ادخُل بنا وإلاّ طَلَقتِ امرأةُ الرجل . فدخلا مع ابن سريج ، فغنّى بشعرِ الأحوص : [من المتقارب]

صوت

لقدْ شاقَكَ الحيُّ إذ وَدَّعوا فعَينُـك في إثْرِهـمْ تَدْمَعُ
ونـاداكَ للبَيْـنِ غِرْبانُـه فَظِلْـتَ كأنَّك لا تَسمَعُ

ثم قال : امرأتُه طالقٌ ثلاثاً إن أنت لم تستَحْسِنه لأَترُكَنَّه . فتبسَّم عبد الله وخرج .

نسبةُ ما في هذه الأخبار من الأصوات

منها : الصوتُ الذي أوّلُه في الخبر : [من الخفيف]

جَدِّدِي الوَصْلَ يا قريب وجُودِي

أوّلُه[1] : [من الخفيف]

صوت

إنَّ طَيْـفَ الخَيـالِ حـينَ أَلمَّا هـاجَ لي ذُكْـرةً وأحدثَ هَمَّا
جَدِّدِي الوَصْلَ يا قريبَ وجُودِي لِمُحِـبٍّ فِراقُـه قـد أَلَمَّا
ليس بـينَ الحيـاةِ والمـوتِ إلاّ أن يَـرُدُّوا جمالَهـم فنُزَمَّا[2]
ولقـد قُلْـتُ مُخيفـاً لِغَريضٍ هـل تـرى ذلك الغَزالَ الأَجَمَّا[3]
هل تَرى مثلَه مـن الناسِ شَخْصاً أكمـلَ النـاسِ صـورةً وأَتَمَّا[4]

1 ديوان عمر : 393 .
2 والموت في ل : الرحيل والسير (حيث وردت) .
3 الأجم : الذي ليس له قرنان .
4 الناس في ل : اليوم .

عَرُوضُه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه للغريض أيضاً ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزُّبير قال : أُنشِدَ جعفرُ بن محمد بن زيد بن عليّ بن الحسين عليهم السلام قول عمر : [من الخفيف]

ليس بـينَ الحياةِ والموتِ إلاّ أن يَـرُدُّوا جمالَهـم فتُـزَمَّا

فطَرِبَ وارتاح وجعل يقول : لقد عَجَّلوا البيْنَ ، أفلا يُوكُون قِربةً ! أفلا يُودِّعون صديقاً ! أفلا يشُدُّون رَحْلا ؟ حتى جَرت دموعُه .

وحدّثنا الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير فذكر مثله . ومنها : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجِيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرَّحِيل وقبلَ عَذْلِ العُذَّلِ
لو كنتُ أعلمُ أنّ آخرَ عَهْدِكم يومُ الرَّحِيل فعلتُ ما لم أفعَلِ[1]

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير ، والغناء لابن سريج ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن ابن المَكّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد . وفيه للغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكّي أيضاً . وممّا يُشَكّ فيه أنّه لمعبد أو لكَرْدَم ابنِه في البيت الثاني والأوّل ثاني ثقيل . ولعَرِيبَ في هذين البيتين لحنٌ من رواية ابن المعتزّ غير مجنَّس . ومنها : [من الطويل]

صوت

أمَنزِلَتَيْ سَلْمى على القِـدَمِ اسلَما فقـد هِجْتُمـا للشوقِ قلباً مُتَيَّما
وذَكَّرتُما عصرَ الشَّبابِ الذي مضَى وجِـدَّةَ وَصْلٍ حَبْلُه قـد تَجَذَّما

عَروضه من الطّويل . والشعرُ للأحوص ، والغناء لكَردمٍ ثاني ثقيل بالوسطى ، وقيل : إنّ هذا الثقيل الثاني لمحمد الرَّفّ ، وإنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّلِ لكَرْدَم . ومنها : [من الكامل]

صوت

عرَفَ الديارَ توهُّماً فاعتادَها من بَعْدِ ما شَمِلَ البِلى أَبْلادَها
إلاّ رَواكِدَ كُلُّهنّ قَدِ اصْطَلى حَمْراءَ أكثرَ أهلُها إيقادَها[2]

عَروضه من الكامل . الشعر لعَدِيّ بن الرِّقاع العامليّ ، والغناء لابن مُحرز ثقيل أوّل مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لمالكٍ ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرٍو . وفيه لحنٌ لإبراهيم ،

---

1 الرحيل في ل : الفراق .

2 رواكد : صفة للأثافي . أكثر في ل : أشعل .

وفي هذه الأخبار أنّه لابن سريج ، وذكر حمّاد في كتاب ابن مُحرِزٍ أنّه ممّا يُنسب إلى ابن مِسجَح [أو إلى ابن مُحرزٍ] . ومنها : [من السريع]

صوت

باللهِ يا ظَبْـيَ بنـي الحارثِ هل مَنْ وَفَى بالعهدِ كالنَّاكِثِ
لا تَخْدَعَنِّـي بالمُنَـى باطِـلاً وأنتَ بـي تلعَـبُ كالعابِثِ

عَروضه من السريع . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ولحنُه خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لسِياطٍ . وذكر الهشاميّ وبَذْلُ أنّ فيه لإبراهيم المَوصليِّ لحناً آخر . وفيه خفيف رملٍ بالبِنصر ذكر حبشٌ أنّه لإبراهيم بن المهديّ ، وغيرُه ينسبه إلى إسحاق . ومنها :

صوت

وهو الذي أوّله في الخبر : [من مجزوء الوافر]

أليستْ بالتـي قالـتْ لمولاةٍ لهـا ظهرا
تَصابَى القلبُ فادَّكَرا هَواه ولم يَكُـن ظَهَرا[1]
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنـا صَفاء لم يَكُـنْ كَدِرا
أليستْ بالتـي قالـتْ لمـوْلاةٍ لهـا ظهـرا
أَشِيري بالسَّلامِ لـه إذا هـو نحوَنـا نَظَرا
وقُـولي في مُلاطَفـةٍ لزينـبَ نَـوِّلي عُمَـرا
فهـزَّتْ رأسَها عَجَبـاً وقالتْ مَـنْ بِذا أمَرا
أهـذا سِحْـرُكَ النِّسْوا نَ قـد خبَّرْنَنِي الخَبَرا
طَرِبْتَ وردّ مَنْ تَهْوى جَمـالُ الحَـيِّ فابتكَرا
فقُلْ للبَرْبَرِيَّـةِ لا تَلُومي القلبَ إن جَهَرا[2]
بَطِرْتَ وهكـذا الإنسا نُ ذو بَطَـرٍ إذا طَفِرا
فأيـنَ العَهْـدُ والميثا قُ لا تُخْبِرْ بنـا بَشَرا

1 ديوان عمر : 194–195 وهي هنا أكمل ولعلّها هنا ملفّقة من قصائد متعدّدة إذا صحّ توزيع القصائد في الديوان .

2 القلب في ل : الصب .

عَروضه من الوافر . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج في الثالث والرابع والخامس والأوّل خفيف ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البِنصر عن إسحاق . وللغريض في السابع والثامن والأوّل لحنٌ من القَدْر الأوسط من الثّقيل الأوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . ولمعبدٍ في هذه الأبيات كلِّها لحنٌ عن يونسَ ودنانيرَ ولم يُجنِّساه ، وذكَر الهشاميّ أنّه خفيف ثقيلٍ . وفي السابع والثامن والتاسع رملٌ لِدَحْمان ، ويقال إنّه للزُّبير ابنه . ولمالك لحنٌ أوّلُه : [من مجزوء الوافر]

صوت[1]

لقــدْ أرسلتُ جارِيَتِي وقلتُ لها خُذِي حَذَرَكْ
وقُولِــي في مُلاطَفةٍ لزينــبَ نَــوّلِي عُمَرَكْ
فهــزَّتْ رَأسَها عَجَبــاً وقالتْ مَن بــذا أمَرَكْ
أهــذا سحــرُك النسوا نَ قــد خبّرنني خبرَكْ

ولحنُ مالك هذا خفيف ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابن المكّيّ . وهكذا يروي الشعر ويجعل قوافِيَه كلَّها على الكاف . وفي هذه الأبيات بعينها على هذه القافية خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سريج وإلى الغريض . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمعبد لحناً من الرَّمل أوّله الثالث من الأبيات الأوّل المذكورة .

رجع الخبر إلى سياقَة أحاديث ابن سُرَيج

[ابن سريج أحسن الناس غناء]

أخبرنا يحيى بن عليّ ووكِيعٌ وجَحظة قالوا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال لي الفَضْل بن يحيى : سألتُ أباكَ ليلةً وقد أخذ منه الشراب عن أحسن الناس غِناءً ، فقال لي : مِنَ النساءِ أم من الرجال ؟ قلتُ : مِنَ الرجال . قال : ابن مُحرز . فقلت : فمِن النساء ؟ قال : ابن سريج . قال إسحاق لي : ويقال أحسن الرجال غناءً من تَشَبَّه بالنساء ، وأَحسنُ النساء غناءً من تشبَّه بالرجال . قال يحيى بن عليّ خاصَّة : ثم كان ابن سريج كأنّه خُلِق من قلبِ كلِّ واحد ، فهو يُغنِّي له بما يَشتهي .

[ابن سريج ببعض أندية مكّة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن الهيثم بن عديّ قال : قال ابن

1 ديوان عمر : 213 .

سريج : مرَرْتُ ببعضِ أندية مكّة وفيه جماعةٌ ، فحَصِرْت فقلت : كيف أَجُوزُهم مع تَعَبِي وما أنا فيه ؟ فسمِعْتُهم يقولون : قد جاء ابن سريج ، فقال بعضهم ممَّن لم يَعْرِفْنِي : ومَنِ ابن سريج ؟ فقال : الذي يغنِّي : [من مجزوء الوافر]

أَلا هَــلْ هاجَكَ الأظعا نُ إذ جــاوَزْنَ مُطَّلَحا

قال ابن سريج : فلمّا سمِعْتُ ذلك قَوِيَتْ نفسي واشتدّت مُنَّتِي ، ومررتُ بهم أَخطِر في مُصبَّغاتِي . فلمّا حاذَيْتُهم قاموا بأجْمَعِهم فسلَّموا عليَّ ، ثمّ قالوا لأَحداثِهم : امْشوا مع أبي يَحيى .

[ابن سريج مع فتية من بني مروان]

وقد حدّثني عمّي بهذا الخبر فقال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سَلاَّم عن جرير قال : قال لي ابن سريج : دعاني فِتْيَةٌ من بني مروانَ ، فدخلتُ إليهم وأنا في ثياب الحِجاز الغِلاظ الجافِية ، وهم في القُوهِيِّ والوَشْيِ يَرفُلون كأنّهم الدَّنانير الهِرَقْلِيَّة ، فغنَّيتُهم وأنا محتقِرٌ لنفسي عندهم لَحناً لِي ، وهو : [من الطويل]

صوت

أَبالفُرْعِ لم تَظْعَنْ مع الحيِّ زينبُ بنَفْسِي من النَّأْيِ الحَبِيبُ المُغَيَّبُ
بوَجْهِكِ عن مَسِّ التُّرابِ مَضَنَّةٌ فلا تَبْعَدي إذ كلُّ حَيّ سيَعْطَبُ

ولحن ابنِ سريج هذا رمل بالخِنصر في مجرى البِنصر . قال : فتضاءلوا في عَيْني حتى ساوَيْتُهم في نفسي لما رأَيْتُهم عليه من الإعظام لي . ثم غنَّيتُهم : [من الكامل]

وَدِّعْ لُبابَـةَ قبلَ أن تَترحَّـلا واسألْ فإن قُلالــةَ أن تَسْألا

فطَرِبوا وعظَّموني وتواضَعوا لي ، حتى صِرتُ في نفسي بمَنزِلتهم لِما رأيتُهم عليه ، وصاروا في عيني بمَنْزِلَتِي . ثم غنَّيتهم : [من مجزوء الوافر]

أَلاَ هَـلْ هاجَكَ الأَظْعـا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحـا

فطَرِبوا ومَثَلوا بين يديَّ ورَموا بحُلَلِهم كلِّها عليّ حتى غَطّوني بها ؛ فمثَّلَتْ لي نَفسي أنّها نفسُ الخليفة وأنّهم لي خَوَلٌ ؛ فما رفعتُ طَرفي إليهم بعد ذلك تِيهاً . وقد مضت نسبةُ «ودِّعْ لُبابَةَ» في أخبار عمر بن أبي ربيعة وغيره . وأمّا :

أَلا هَـلْ هاجَكَ الأَظْعـا نُ.....

فنذكر نسبته : [من الوافر]

نسبة هذا الصوت

صوت

أَلاَ هَـلْ هاجَكَ الأظعا نُ إذ جـاوَزْنَ مُطَّلَحا
نَعَـمْ ولوَشْكِ بينهِـمُ جَـرى لكَ طائرٌ سُنُحا
أَجَزْنَ الماءَ مـن رَكَكٍ[1] وضوءُ الفَجْرِ قد وَضَحا
فقُلْـنَ مَقِيلُنـا قَـزْنٌ نُباكِـرُ مـاءَه صُبُحا
تَبِعْتُهمُ بطَـرْفِ العَيْـ ـنِ حتَّى قِيلَ لي افتَضَحا
يُـوَدِّع بَعْضُنـا بعضاً وكلٌّ بالهَـوَى جُـرِحا
فمَـنْ يَفْـرَحْ ببَيْنِهـمُ فغَيْرِي إذ غـدَوْا فَرِحا

عروضه من الوافر . الشِّعر لأبي دَهبَلٍ الجُمَحِيّ[2] والغناء لمالكٍ وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيل بالوسطى عن عمرٍو . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالخِنصر في مجرى الوسطى . ولابن سريج في الخامس وما بعده ثقيلٌ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه الغريض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[مدح جرير ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قَدِمَ جريرٌ المدينة أو مكّة فجلس مع قومٍ ، فجعلوا يَعرِضون عليه غناء رجلٍ رجلٍ من المغنِّين ، حتى غنَّوه لابن سريج ، فطَرِب وقال : هذا أحسنُ ما أسمعتُمُوني من الغناء كلِّه . قالوا : وكيف قلتَ ذاك يا أبا حَزْرة ؟ قال : مَخْرَجُ كلِّ ما أسمعتموني من الغناء من الرأس ، ومَخرج هذا من الصَّدر .

[تحكيم الأفلح المخزوميّ في غناء قينتين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدّثني أبي قال حدثني إبراهيم بن محمدٍ الشافعيّ قال : جاء سندة الخيَّاط المغنِّي إلى الأفلح المخزوميّ ، وكان يوصَف بعقلٍ وفَضْلٍ ، فقال له : من أين أقبلتَ ؟ وإلى أين تَمضِي ؟ فقال : إليكَ قصَدْتُ من مجلسٍ لبعضِ القُرَشِيِّين أقبلت مُحاكِماً إليكَ . قال : فيماذا ؟ قال : كنتُ عند هذا الرجلِ وحَضَرتْ مجلسَه رَقْطاءُ الحَبَطِيِّين ، وصفراءُ العَلْقَمِيِّين ، فتناوَلَتا بينهما رَمَل ابنِ سريج : [من الرمل]

---

1 ركك : موضع بجبل طيء المسمّى «سلمى» .

2 سبق أن نسبه إلى عمر بن أبي ربيعة وانظر ديوانه ص 84 . وينسب أيضاً إلى جعفر بن الزبير وعبد الرحمن بن أرطاة .

ليتَ شِعْرِي كيفَ أَبْقى ساعةً مع ما أَلْقى إذا الليلُ حَضَرْ
من يَـذُقْ نومـاً ويَهْدأْ ليلُه فلقـد بُدِّلْتُ بالنـومِ السَّهَرْ
قلـتُ مَهْـلاً إنّهـا جنِّيَّـةٌ إن تُخالِطْها تَفُزْ منهـا بشَرّ[1]

فغَنَّاه جميعاً ، واختلفنا في تفضيلهما ، ففضَّل كلُّ فريقٍ منَّا إحداهما ، فرَضِينا جميعاً بحُكْمِك ، فاحكُمْ بيننا وبينهما . قال : فوجَم ساعةً ، وأهلُ الحِجاز إذا أرادوا أن يَحْكُموا تأمَّلوا ساعةً ثم حكَمُوا ، فإذا حكَم المحكَّمُ مضى حكمُه كائناً ما كان ، ففضَّل مَن فضَّله وأَسْقَطَ مَن أَسقطَه ، إذا تَراضى الخَصْمانِ به ، فكَرِهَ الأَفْلَحُ أن يُرضِي قوماً ويُسْخِطَ آخرينَ ، فقال لسندة : صِفْهُما أنتَ لي كيفَ كانتا إذ غنَّاه واشرَح لي مذهبهما فيه كما سمعتَ ، وأنا أَحْكُم بعد ذلك . فقال سندة : أما جارية الحَبَطِيِّين ، فإنّها كانت تَلوكُ لحنَه كما يلوك الفرسُ العتيقُ لِجامه ، ثم تُلقيه في هامةٍ لَدْنةٍ ثمّ تُخرجه من مَنخَرٍ أَغَنَّ[2] ، واللهِ ما ابتدأتْه فتوسَّطَتْه وأنا أَعقِل ، ولا فرَغتْ منه فأَفقتُ إلاّ وأنا أظُنُّ أنّي رأيتُه في نومي . وأمّا صفراءُ العَلْقَمِيِّين ، فإنّها أَحْسَنُهما حَلْقا ، وأَصَحُّهما صوتاً ، وأَلْيَنُهُما تَثَنِّياً ، واللهِ ما سَمِعها أحدٌ قطُّ فانتفع بنفسِه ولا دينِه .

هذا ما عندي ، فاحكُمْ أنت يا أخا بَني مَخزومٍ . فقال : قد حكمتُ بأنّهما بمنزلة العينين في الرأس ، فبأيِّهما نظرتَ أبصرتَ ، ولو كان في الدنيا من عُبَيد بن سريج خَلَفٌ لكانتا . قال : فانصَرَفُوا جميعاً راضِين بحُكْمه .

[ثناء جرير المدينيّ على ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم قال : سألتُ جَريراً المَدِينيّ عن ابن سريج ، فقال : أتذكُره وَيحَك باسمه ، ولا تقول : سَيِّدُ مَنْ غَنَّى وواحدُ مَنْ ترنَّم !

[ثناء الشعبيّ عليه]

قال حمّاد وحدّثني أبي عن هارون[3] بن مُسلم عن محمد بن زهير السَّعديّ الكوفيّ عن أبي بَكْر بنِ عَيَّاش عن الحسن بن عمرو الفُقَيميّ قال : دخلتُ على الشعبيّ ، فبينا أنا عنده في غُرفته ، إذ سمعتُ صوتَ غِناء ، فقلتُ : أهذا في جِوارِك ؟ فأَشْرف بي على منزِله ، فإذا بغلامٍ كأنّه فِلْقَةُ قمرٍ وهو يَتغنَّى . قال إسحاق : وهذا الغناء لابن سريج : [من الخفيف]

وقُميرٌ بَدا ابن خمسٍ وعشريـ ـن لـه قالـت الفتاتانِ قُوما

1 تفز في ل : تُصَبْ .
2 ل : أرن .
3 ل : مروان .

قال : فقال لي الشَّعْبِيُّ : أتعرِف هذا ؟ قلتُ لا . فقال : هذا الذي أُوتِيَ الحُكْمَ صَبِيّاً ، هذا ابن سريج .

[ثناء ابن سريج على نفسه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال : حدّثني الهشاميّ الربعيّ عن إسحاق المَوصليّ قال : تغنَّى ابنُ سريج في شعرٍ لعمرَ بن أبي ربيعة وهو[1] : [من الرجز]

صوت

خانَكَ مَنْ تَهْوى فلا تَخُنْهُ وكُنْ وَفِيّاً إن سَلَوْتَ عنهُ
واسلُكْ سَبِيلَ وَصْلِه وصُنْه إن كان غَدّاراً فــلا تَكُنْهُ
عسى تَبارِيحُ تَجِــيءُ منه فيرجِعَ الوَصْلُ ولم تَشِنْهُ

قال المَكِّـيُّون : قال ابن سريج : ما تغنَّيْتُ بهذا الشعر قطُّ إلاّ ظننتُ أنّي أُحَلُّ محلَّ الخليفةِ .

قال مؤلّف هذا الكتاب أبو الفرج الأصفهانيّ : وجدت في هذا الشعرِ لحنَيْن : أحدُهما ثقيلٌ أوّلُ والآخر رَمَلٌ ، مجهولَيْن جميعاً ، فلا أدري أيُّهما لحنُه .

[وصف ابن سريج للمغني المحسن]

ونسَخْتُ من كتاب العَتَّابيّ : أخبرني عَونُ بن محمد قال حدّثني عبد الله بن العباس بن الفَضْلِ بن الرَّبيع عن جدّه الفَضْل عن ابن جامع عن سِياطٍ عن يونُس الكاتب عن مالك بن أبي السَّمح قال : سألتُ ابن سريج عن قول الناس : فلان يُصيب وفلان يُخطىء ، وفلان يُحسِن وفلان يُسيىء ؛ فقال : المصيب المحسنُ من المغنِّين هو الذي يُشْبِع الألحانَ ، ويَمْلأُ الأنفاس ، ويُعَدِّل الأوزان ، ويُفَخِّم الألفاظ ، ويَعرِف الصواب ، ويُقيم الإعراب ، ويستوفي النَّغَم الطِّوال ، ويُحسِّن مقاطيع النَّغَم القِصار ، ويُصِيبُ أجناس الإيقاع ، ويَختلسُ مواقع النَّبرات ، وبستوفي ما يشاكلها في الضرب من النَّفَرات . فعرَضْتُ ما قال على معبدٍ ، فقال : لو جاء في الغناء قرآنٌ ما جاء إلاّ هكذا .

[يزيد بن عبد الملك ومولى حبابة المغنّية]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال حدّثني الزُّبير ابن بَكّار عن ظَبْيةَ : أنّ يزيد بن عبد الملك قال لحَبابة يوماً : أتعرفين أحداً هو أطربُ منِّي ؟ قالت . نعم ، مولاي الذي باعني . فأمر بإشخاصه فأُشخص إليه مقيَّداً . وأُعلم بحاله فأذن في إدخاله ، فمثَل بين يديه وحَبابة وسَلاَّمة تُغنّيان ؛ فغنَّته سلاَّمة لحن الغريض في : [من المتقارب]

---

1 ديوان عمر : 440 .

تَشُطُّ غداً دارُ جيراننا

فطرِبَ وتحرّك في أقياده . ثم غنّته حبابةُ لحن ابن سريج المجرّد في هذا الشعر ، فوثَب وجعل يَحجُلُ في قيده ويقول : هذا وأبيكما ما لا تعذُلاني فيه ، حتى دنا من الشمعة فوضع لحيته عليها فاحترقت ، وجعل يصيح : الحريقَ الحريقَ يا أولاد الزِّنا . فضحك يزيد وقال : هذا والله أطرب الناس حقّاً ، ووصله وسرَّحه إلى بلده .

[سماع عطاء وابن جريج لغناء ابن سريج]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا فضلٌ اليزيديّ عن إسحاق : أنّ ابن سريج كان جالساً ، فمرّ به عطاءٌ وابن جُريج . فحلفَ عليهما بالطَّلاق أن يُغنّيهما ، على أنّهما إن نهياه عن الغِناء بعد أن يسمعا منه تركه . فوقفا له وغنّاهما : [من المديد]

إخوتـي لا تَبْعُدُوا أبداً وابلَى واللهِ قـد بَعُدُوا

فغُشيَ على ابن جُريج ، وقام عطاء فرقَص . ونسبة هذا الصوت وخبره يُذكر في موضعٍ آخر .

[غناء ابن سريج عند موقف الحاج للاستماع]

أخبرني الحسن قال حدّثنا الفضل عن إسحاق : أنّ ابن سريج كان عند بستان ابن عامرٍ يغنّي : [من مجزوء الوافر]

لِمَنْ نـارٌ بأَعْلى الخَيْـ ـفِ دونَ البئر ما تَخْبُو
أَرِقْـتُ لذكرِ موقعِها فحَنَّ لذكرِها القَلْبُ
إذا ما أخْمِدتْ أُلْقِي عليها المَنْدَلُ الرَّطْبُ

فجعل الحاجُّ يركب بعضُهم بعضاً ، حتى جاء إنسانٌ من آخر القُطُرات فقال : يا هذا ، قد قطعتَ على الحاجِّ وحبستَهم ، والوقتُ قد ضاق ، فاتَّقِ اللهَ وقُمْ عنهم ، فقام وسار الناس .

[ابن سريج ينال جائزة السابق في الغناء]

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن زكريا قال حدّثني يزيد بن محمد عن إسحاق المَوصِليّ : أنّ سليمان بن عبد الملك لمّا حَجَّ سبَّق بين المغنّين بَدْرَةً . فجاء ابن سريج وقد أُغلِقَ الباب ، فلم يأذَنْ له الحاجب ، فأمسك حتى سَكتُوا وغنّى : [من الوافر]

سَرى هَمِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي

فقال سليمان : ينبغي أن يكون هذا ابن سريج ، قالوا : هو هو ، قال : أدخلوه فأُدخل فأمره بإعادة الصوت فأعاده ، فقال : خذ البدرة ، وأمر للمغنين بأُخرى .

نسبة هذا الصوت
صوت[1]

[من الوافر]

سَرى همِّي وهَمُّ المرءِ يَسْرِي ... وغابَ النَّجْمُ إلاّ قِيسَ فِتْرِ
أُراقِبُ في المَجَرَّة كلَّ نَجْمٍ ... تعرَّض للمَجَرَّة كيفَ يَجْرِي
لِهَـمٍّ لا أزالُ لـه مُديماً ... كأنّ القلبَ أُسْعِر حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخي ولَّى حَمِيداً ... وأيُّ العَيْشِ يَصْفُو بعدَ بَكْرِ

الشعر لعُروة بن أُذَينة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه لأبي عبّاد[2] رملٌ بالوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّ هذا اللحن لصاحبِ[3] الحَرُون .

[تاريخ وفاة ابن سريج]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن مِقَمَّةَ : دخلتُ على ابن سريج في مرضه الذي مات فيه ، فقلتُ : كيف أصبحتَ يا أبا يَحيى ؟ فقال : أصبحتُ واللهِ كما قال الشاعرُ : [من الوافر]

كأنّي من تَذَكُّرِ ما أُلاقِي ... إذا ما أَظْلَمَ الليلُ البهيمُ
سَقيمٌ مَـلَّ منـه أَقْرَبُوه ... وأَسْلَمَه المُداوِي والحَمِيمُ

ثم مات .

قال إسحاق : قال ابن مِقَمَّة : لمّا احتُضِر ابن سريج نظرَ إلى ابنته تبكي فبكى ، وقال : إنّ من أكبر هَمِّي أنتِ ، وأَخشى أن تَضيعي بَعدِي . فقالت : لا تَخفْ ؛ فما غَنَّيتَ شيئاً إلاّ وأنا أُغنِّيه . فقال : هاتي . فاندفعت تُغنِّي أصواتاً وهو مُصْغٍ إليها ، فقال : قد أصبتِ ما في نفسي ، وهوَّنْتِ عليّ أمرَكِ . ثم دعا سعيدَ بن مسعود الهُذليّ فزوَّجه إيَّاها ؛ فأخذ عنها أكثر غناء أبيها وانتحله ؛ فهو الآن يُنسب إليه . قال إسحاق : فقال كَثِيرُ بن كَثِير السَّهْمي يرثيه : [من البسيط]

ما اللهوُ بعدَ عُبَيْدٍ حين يَخْبُرُه ... مَنْ كان يَلهو بـه منه بمُطَّلَبِ
للهِ قبرُ عُبَيدٍ مـا تضمَّن من ... لَذاذَةِ العَيْشِ والإحسانِ والطربِ

---

1 أبيات عروة بن أذينة في ديوانه ص 34 (طبعة دار صادر ، 1996 بيروت) مع بعض اختلاف .
2 ل : لابن عباد .
3 ل : لحاجب .

لولا الغَريضُ ففيه من شمائِلِهِ مَشابِهٌ لم أكُنْ فيها بذي أَرَبِ[1]

قال إسحاق : وحدّثني هشام بن المُرِّيَّة أنّ قادماً قَدِمَ المدينة فسارَّ معبداً بشيء ، فقال معبدٌ : أصبحتُ أحسنَ الناس غناءً . فقلنا : أو لم تكن كذلك ؟ فقال : ألا تدرون ما أخبرني به هذا ؟ قالوا لا . قال : أعلمني أنّ عبيد بن سريج مات ، ولم أكن أحسنَ الناس غناءً وهو حَيٌّ . وفي ابن سريج يقول عمر بن أبي ربيعة : [من السريع]

صوت

قالتْ وعَيناها تَجُودانِها صُوحِبْتَ واللهُ لكَ الرَّاعِي
يا ابنَ سُريج لا تُذِعْ سِرَّنا قد كُنتَ عِندي غيرَ مِذْياعِ

غنّى فيه ابن سريج من رواية يونس .

قال أبو أيّوب المَدينيّ : توُفِّيَ ابن سريج بالعِلَّة التي أصابته من الجُذام بمكّة ، في خلافة سليمان بن عبد الملك أو في آخر خلافة الوليد ، بمكّة ودُفِن في موضع بها يقال له دَسْم[2] .

[وقفة على قبر ابن سريج بدسم]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني هارون بن أبي بكرٍ قال حدّثني إسحاق بن يعقوب العثمانيّ مَولى آل عثمان عن أبيه قال : إنّا لبفِناءِ دار عمرو بن عثمان بالأَبطح في صُبح خامسةٍ من الثّمان ، يعني أيام الحجّ ، قال : كنت جالساً أيّام الحجّ ، فما إن دَرَيْتُ إلاّ برجلٍ على راحلةٍ على رحل جَميلٍ وأداةٍ حسنةٍ ، معه صاحبٌ له على راحلةٍ قد جنب إليها فرساً وبغلاً ، فوقفا عليّ وسألاني ، فانتسبتُ لهما عثمانيّاً . فنزلا وقالا : رجلان من أهلِك لهما حاجةٌ ونُحِبُّ أن تقضيها قبل أن نُشْدَه[3] بأمر الحَجّ . فقلتُ ما حاجتكما ؟ قالا : نريد إنساناً يَقِفُنا على قبر عُبَيد بن سرَيج . قال : فنهضتُ معهما حتى بلغتُ بهما محلَّة بني أبي قارة من خزاعة بمكّة ، وهم موالي عبيد ابن سريج ، فالتمستُ لهما إنساناً يَصحبهُما حتّى يَقِفَهما على قبره بدسْم ، فوجدتُ ابن أبي دُباكِلٍ فأنهضتُه معهما . فأخبرني بعد : أنّه لمّا وَقَفَهُما على قبره نزل أحدهما عن راحلته فحسَر عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله بن سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فعقَر ناقته واندفع يندبه بصوتٍ شَجِيٍّ كَلِيلٍ حَسَنٍ ويقول : [من الطويل]

---

1 شمائله في ل : مشابهه .
2 دسم : موضع على مقربة من مكّة .
3 نشده : نشغل .

وَقَفْنا على قبرٍ بدَسْمٍ فَهاجَنا وذكَّرنا بالعَيْشِ إذ هو مُصْحِبُ
فجالتْ بأرجاءِ الجُفُونِ سَوافِحٌ من الدَّمْعِ تَسْتَتلي الذي يَتعَقَّبُ
إذا أبطأتْ عن ساحةِ الخدّ ساقَها دمٌ بعدَ دمعٍ إثْرَه يَتَصَبَّبُ
فإن تُسْعِدا نَنْدُبْ عُبَيداً بعَوْلَةٍ وقَلَّ لـه منَّا البُكا والتَّحَوُّبُ

ثم نزل صاحبه فعقر ناقته ، وقال له القُرَشيّ : خُذ في صوت أبي يحيى ؛ فاندفع يتغنّى[1] : [من الطويل]

أَسْعِدانِـــي بعَبْـــرَةٍ أَسْرابِ من دُمُـوعٍ كَثِيرةِ التَّسْكابِ
إنّ أَهْلَ الحِصابِ قـد تركُونِي مُولَهـاً مُولَعـاً بأهـلِ الحِصابِ
أهـــلِ بيتٍ تتايَعُـــوا للمَنايـا مـا على الموتِ بعدَهم من عِتابِ
فارَقُونِـي وقـد علمتُ يقينـاً مـا لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً مـن إيابِ
كم بذاكَ الحَجُونِ من أهلِ صِدْقٍ وكُهُـولٍ أَعِفَّـةٍ وشَبـابِ
سَكَنُوا الجَزْعَ جَزْعَ بَيتِ أبي مُو سَى إلى النَّخْلِ من صُفَيٍّ السِّبابِ
فلِـيَ الويـلُ بعدَهـم وعليهـمْ صِرْتُ فـرداً ومَلَّنِـي أَصْحابِي

قال ابن أبي دُباكِلٍ : فوالله ما تَمَّم صاحبُه منها ثلاثاً حتى غُشِيَ على صاحبِه ، وأقبل يُصلح السَّرج على بغلته وهو غير مُعَرِّجٍ عليه . فسألتُه مَن هو ؟ فقال : رجلٌ من جُذام . قلتُ : بمن تُعرَف ؟ قال : بعبد الله بن المُنْتَشِر . قال : ولم يَزَل القُرَشيّ على حاله ساعةً ثم أفاق ، ثم جعل الجذامي ينضحُ الماء على وجهه ويقول كالمعاتب له : أنت أبداً مَصبوبٌ[2] على نفسك ! ومَن كَلَّفَك ما تَرى ؟ ثم قرّب إليه الفرسَ ، فلمّا عَلاه استخرج الجذاميّ من خُرْجٍ على بَغْلٍ قَدَحاً وإداوة ماءٍ ، فجعل في القدح تُراباً من تُراب قَبرِ ابن سريج وصَبَّ عليه ماءً من الإداوة ، ثم قال : هاكَ فاشرب هذه السَّلْوَة فشرِب ، ثم فعل هو مثل ذلك ، وركِب على البغل وأردفَنِي . فخرجا والله ما يُعَرِّضان بذكر شيءٍ ممّا كنّا فيه ، ولا أَرى في وجوههما شيئاً ممّا كنت أرى قبلَ ذلك . فلمّا اشتمَلَ علينا أبطحُ مكّة قالا : انزِل يا خُزاعيّ فنزلتُ . وأومأ الفتى إلى الجذاميّ بكلامٍ ، فمدَّ يده إليّ وفيها شيءٌ فأخذته ، فإذا هو عشرون ديناراً ، ومضيا . فانصرفتُ إلى قبره ببعيرَيْنِ ، فاحتملتُ عليهما أداةَ الراحلتين اللتين عقَراهما فبعتُها بثلاثين ديناراً .

---

1 الشعر لكثير بن كثير السهمي كما سيأتي في ترجمة حنين الحبري من الأغاني .

2 ل : منصوب .

صوت
من المائة المختارة

[ثالث الثلاثة الأصوات المختارة]

وهو الثالث من الثلاثة المختارة[1] : [من الطويل]

أهــاجَ هــواكَ المنزلُ المُتقادِمُ نعمْ وبــه مِمَّنْ شَجاكَ مَعالِمُ
مَضارِبُ أَوْتادٍ وأَشْعَثُ داثِرٌ مُقِيمٌ وسُفْعٌ في المَحَلِّ جَواثِمُ[2]

عَروضه من الطَّويل . الشعرُ لنُصَيْبٍ ، والغناء في اللَّحن المختار لابن محرز ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، وله فيه أيضاً هزج بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر جَحظة عن أصحابه أنّه هو المختار ، وحكى عن أصحابه أنّه ليس في الغناء كلِّه نَغَمَةٌ إلاّ وهي في الثلاثة الأصوات المختارة التي ذكرها .

ومن قصيدة نُصَيب هذه مما يُغنَّى فيه قوله : [من الطويل]

لقد راعَنِي للبَيْنِ نَوْحُ حمامةٍ على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائِمُ
هَواتِفُ أمّا مَنْ بَكَيْنَ فعهدُه قَديمٌ وأمّا شَجْوُهُنَّ فَدائِمُ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البِنصر عن يونس ويحيى المَكّيّ وإسحاق ، وأظنُّه مع البيتين الأوّلين وأن الجميعَ لحنٌ واحد ، ولكنّه تفرَّق لصعوبة اللَّحن وكثرةِ ما فيه من العمل ، فجُعِلا صوتَيْن .

1 شعر نُصيب : 128 عن الأغاني .
2 أشعث : صفة للوتد ؛ وسفع صفة للأثافي .

[7] ـ ذكر نُصَيْبٍ وأخباره[1] [-108هـ]

[نسب نصيب ونشأته]

هو نُصَيْبُ بن رَباح ، مولى عبد العزيز بن مروان ، وكان لبعضِ العرب من بني كِنانةَ السُّكَّان بوَدان[2] ، فاشتراه عبد العزيز منهم ، وقيل : بل كانوا أعتقوه ، فاشترى عبد العزيز ولاءَه منهم ، وقيل : بل كاتب مَواليه ، فأدَّى عنه مُكاتبَتَه .

وقال ابن دَأبٍ : كان نُصَيْبٌ من قُضاعة ثم من بَلِيٍّ . وكانت أُمُّه سوْداءَ فوقع عليها سيِّدُها فحبلت بنُصَيب ، فوثب عليه عمُّه بعد وفاة أبيه فباعه من عبد العزيز .

وقال أبو اليقظان : كان أبوه من كِنانة من بني ضَمْرة . وكان شاعراً فَحْلاً فصيحاً مُقدّماً في النسيب والمديح ، ولم يكن له حظٌّ في الهجاء ، وكان عفيفاً ، وكان يقال : إنّه لم يَنْسُبْ قطُّ إلاّ بامرأته .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : كتب إليّ عبد الله بن عبد العزيز بن مِحْجَن بن نُصَيب بن رباح يذكُر عن عمَّتِه غَرْضَةَ بنت النُّصَيب : أنّ النُّصيب كان ابن نوبِيَّيْن سَبِيَّيْن كانا لخُزاعة ، ثم اشترت سَلامة أُمَّ نُصَيب امرأةٌ من خُزاعة ضَمريَّة حاملاً بالنُّصيب ، فأعتقتْ ما في بطنها .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : كان نُصيبٌ من أهل وَدَّان عبداً لرجلٍ من كِنانة هو أهلُ بيته . وكان أهل البادية يدعونه النُّصيب تفخيماً له ، ويَروُون شِعره . وكان عفيفاً كبيرَ النَّفْس مُقَدَّما عند الملوك ، يُجيد مَديحَهم ومَراثيَهم .

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : كان نُصيب من بَلِيٍّ بن عمرو بن الحاف بن قُضاعَةَ . وكانت أُمُّه أمةً سوداء ، وقع عليها أبوه فحملت ثم مات ، فباعه عمُّه أخو أبيه من عبد العزيز بن مروان .

---

1 ترجمة نصيب في الشعر والشعراء : 322 ، (بيروت 1964) . والموشّح للمرزباني : 296 ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (القاهرة 1965) . وشرح الأمالي للبكري : 291 ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، القاهرة 1936 . ومعجم الأدباء لياقوت 6 : 2752–2757 ، تحقيق إحسان عبّاس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1993 . وفوات الوفيات للكتبي 4 : 197–201 تحقيق إحسان عبّاس بيروت 1973 ؛ وخزانة الأدب 8 : 386–390 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة (الطبعة الأولى) . ومقدمة ديوانه جمع الدكتور داود سلوم ، بغداد 1967 .

2 ودان : اسم موضع ، ولعلّ المراد هو الذي بين مكّة والمدينة .

[مبدأ قوله الشعر واتصاله بعبد العزيز بن مروان بمصر]

قال حمّاد وأخبرني أبي عن أيوب بن عَباية ، وأخبرنا الحِرْميُّ عن الزبير عن عمّه وعن إسحاق بن إبراهيم جميعاً عن أيّوب بن عبايَةَ قال حدّثني رجلٌ من خُزاعة من أهل كُلَيَّةَ ، وهي قرية كان فيها النُّصَيب وكُثَيِّر ، قال : بلغني أنّ النّصَيب قال : قلتُ الشّعر وأنا شابّ فأعجبني قولي ، فجعلتُ آتِي مَشْيَخَةً من بني ضَمرة بن بكر بن عبد مَناة ، وهم موالي النُّصَيب ، ومشيخةً من خُزاعة ، فأُنشِدُهم القصيدة من شِعْرِي ، ثم أنسبها إلى بعض شعرائهم الماضين فيقولون : أحسنَ والله ، هكذا يكون الكلام ! وهكذا يكون الشّعرُ ! فلمّا سمعتُ ذلك منهم علِمتُ أنّي مُحسِنٌ ، فأزمعوا وأزمَعْتُ الخروجَ إلى عبد العزيز بن مروان وهو يومئذٍ بمصر ، فقلتُ لأُختي أُمامة وكانت عاقلةً جَلدةً : أي أُخَيَّة ، إنّي قد قلت شعراً ، وأنا أُريد عبد العزيز بن مروان ، وأرجو أن يُعتِقَكِ اللهُ عزّ وجلّ به وأُمّك ، ومن كان مرقوقاً من أهل قرابَتي . قالت : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! يا ابن أمّ ، أتَجتمع عليك الخصلتان : السَّواد ، وأن تكون ضُحكةً[1] للناس ! قال : قلت فاسمعي ، فأنشدتُها فسمِعَت ، فقالت : بأبي أنتَ ، أحسنتَ واللهِ ، في هذا والله رَجاءٌ عظيمٌ ، فاخرُج على بركةِ الله . فخرجتُ على قعودٍ لي حتى قدِمتُ المدينة ، فوجدتُ بها الفرزدق في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فعرَّجتُ إليه فقلت : أُنشِده وأستنشده وأعرِض عليه شِعري . فأنشدتُه : فقال لي : وَيلَكَ ؟ أهذا شِعرُك الذي تَطلُب به الملوك ؟ قلتُ نعم . قال : فلستَ في شيء ، إن استطعتَ أن تكْتُم هذا على نفسِك فافعل . فانفضختُ عَرَقاً ، فحَصَبَنِي رجلٌ من قريشٍ كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمِع إنشادي وسمع ما قال لي الفرزدق ، فأومأ إليّ فقمتُ إليه . فقال : ويحك ؛ أهذا شعرُك الذي أنشدتَه الفرزدق ؟ قلتُ نعم . فقال : قد والله أصَبتَ ، والله لئن كان هذا الفرزدق شاعراً لقد حسدك ، فإنّا لنعرِف مَحاسن الشعرِ ، فامضِ لوَجهِك ولا يَكسِرَنَّك . قال : فسَرَّني قوله ، وعلمتُ أنّه قد صدَقَني فيما قال ، فاعتزمتُ على المُضِيِّ .

[اتصاله بعبد العزيز بن مروان]

قال : فمضيتُ فقدِمتُ مصر ، وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرت بابه مع الناس ، فنُحِّيت عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءَهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بغلةٍ حسن الشّارة سَهْلَ المَدخَل ، يُؤْذَن له إذا جاء . فلمّا انصرف إلى منزله انصرفتُ معه أُماشي بغلته . فلمّا رآني قال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم ، أنا رجلٌ من أهل الحجاز شاعرٌ ، وقد مدحتُ الأميرَ وخرجتُ إليه راجياً معروفه ، وقد ازدريتُ فطُرِدتُ من الباب ونُحِّيت عن الوجوه . قال :

1 الضحكة : من كان يضحك منه الناس .

فأنشِدني ، فأنشدته . فأعجبه شِعري ، فقال : ويحك ؛ أهذا شِعرُك ؟ فإيّاك أن تَنْتَحِلَ ؛ فإنّ الأمير راويةٌ عالمٌ بالشِّعر وعنده رُواةٌ ، فلا تفضحني ونفسك . فقلت : والله ما هو إلاّ شِعري . فقال : ويحَك ، فقُل أبياتاً تذكرُ فيها حَوْفَ[1] مصر وفضلَها على غيرها ، والقَني بها غداً . فغدوتُ عليه من غَدٍ فأنشدتُه قولي[2] : [من الطويل]

سَرى الهَمُّ تَثْنِيني إليكَ طَلائعُهُ ... بمصرَ وبالحَوْف اعترَتْني رَوائعُهْ

وباتَ وِسادِي ساعدٌ قَلَّ لحمُه ... عن العَظْمِ حتى كاد تَبْدُو أَشاجعُهْ[3]

قال : وذكرت فيها الغيث فقلت : [من الطويل]

وكم دونَ ذاكَ العارِضِ البارِقِ الذي ... له اشتَقْتُ مِنْ وَجْهٍ أسِيلَ مَدامعُهْ

تَمَشَّى بـه أفْناءُ بَكْرٍ ومَذْحِجٍ ... وأفناءُ عَمْرٍو وهو خِصْبٌ مَرابِعُهْ

فكلُّ مَسِيلٍ من تِهامةَ طيِّبٌ ... دَمِيثُ الرُّبى تَسْقِي البِحارَ دَوافِعُهْ

أعِنِّي على بَرْقٍ أُريكَ وَمِيضَه ... تُضِيءُ دُجُنَّاتِ الظَّلامِ لَوامِعُهْ

إذا اكتَحَلَتْ عَينا مُحِبٍّ بضَوْئِهِ ... تَجافَتْ به حتى الصَّباحِ مَضاجِعُهْ

هَنِيئاً لأُمِّ البَخْتَرِي الرِّوى بـه ... وإن أَنْهَجَ الحَبْلُ الذي أنا قاطِعُهْ

وما زِلتُ حتّى قُلْتُ إنِّي لَخالِعٌ ... وَلائِيَ مِنْ مَوْلًى نَمَتْنِي فَوارِعُهْ

وَمانِحُ قومٍ أنتَ منهمْ مَوَدَّتِي ... ومُتَّخِذٌ مَوْلاكَ مَوْلًى فتابِعُهْ

[نصيب وأيمن بن خريم الأسدي]

فقال : أنت والله شاعرٌ ، احْضُرْ بالبابِ حتّى أَذْكُرَك للأمير . قال : فجلستُ على الباب ودخل ، فما ظَنَنْتُ أنّه أمكنه أن يذكرَني حتى دُعي بي . فدخلت فسلَّمتُ على عبد العزيز ، فصعَّد فيَّ بصره وصوَّب ، ثم قال : أنت شاعرٌ ؟ ويلك ! قلت : نَعم ، أيُّها الأمير . قال : فأَنشِدني . فأنشدته ، فأعجبه شِعري . وجاء الحاجب فقال : أيّها الأمير ، هذا أيمن بن خُرَيْم الأسديّ[4] بالباب . قال : ائذَن له ، فدخل فاطمأنّ . فقال له الأمير : يا أيمن بن خرَيم ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إليّ فقال : والله لنِعمَ الغادِي في أَثَر المَخاض ، هذا أيّها الأمير أرى ثمَنه مائة دينار . قال : فإنّ له شِعراً وفصاحةً . فقال لي أيمن : أتقول الشِّعر ؟ قلت نعم . قال : قيمتُه ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أَرفَعهُ وتخفِضُه أنتَ ؟ قال : لكونِه أَحمق أيُّها الأمير ! ما لهذا

---

1 الحوف : بمصر هما حوفان شرقي وغربي .

2 منها أبيات في الأشباه والنظائر 2 : 127 منسوبة لابن الدمينة ، وانظر ديوان نصيب : 103–104 .

3 الأشاجع : أصول الأصابع .

4 سيترجم أبو الفرج لأيمن بن خريم الأسدي فيما بعد .

وللشِّعر ؟ أمِثْلُ هذا يقول الشِّعر أو يُحسِن شِعراً ؟ فقال : أنشِده يا نُصَيب ، فأنشدته . فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أَيمنُ ؟ قال : شِعرُ أَسود . وهو أشعر أهلِ جِلدَته . قال : هو والله أَشْعرُ منكَ ، قال : أمِنِي أيُّها الأمير ؟ قال : إي والله منكَ . قال : واللهِ أيُّها الأمير ، إنّك لَـلُولٌ طَرِفٌ . قال : كذبتَ والله ما أنا كذلك ؛ ولو كنتُ كذلك ما صبرتُ عليك ، تُنازِعُنِي التَّحيَّة وتُؤاكِلُني الطَّعامَ وتَتَّكِيءُ على وسائِدي وفُرُشِي وبكَ ما بكَ ؟ يَعني وَضَحاً كان بأيمن ؛ قال : ائذَن لي [أنْ] أخرج إلى بشر بالعراق ، واحمِلني على البريد . قال : قد أَذِنتُ لك ، وأمَر به فحُمِل على البريد إلى بشْرٍ . فقال أيمن بن خُرَيم : [من الوافر]

ركبتُ من المُقَطَّمِ في جُمادَى ... إلى بِشْرِ بنِ مَرْوانَ البَريدا
ولو أعطاكَ بِشْرٌ أَلْفَ أَلْفٍ ... رَأَى حَقّاً عليه أن يَزِيدا
أَمِيرَ المؤمِنينَ أَقِمْ بِبِشْرٍ ... عَمُودَ الحقّ إنّ لـه عَمُودا
ودَعْ بِشْراً يُقوِّمْهُمْ ويُحْدِثْ ... لأهلِ الزَّيغْ إسلاماً جَديدا
كأنّ التاجَ تاجَ بني هِرَقْلٍ ... جَلَوْه لأَعْظَمِ الأيّامِ عِيدا
على دِيباجِ خَدَّيْ وَجْهِ بِشْرٍ ... إذا الألوانُ خالفتِ الخُدُودا

قال أيّوب يعني بقوله :

إذا الألوان خالَفَتِ الخُدودا

أنّه عَرَّضَ بكَلَفٍ كان في وجهِ عبد العزيز .

وأَعْقَبَ مِدْحَتِي سَرْجاً مليحاً ... وأَبْيَضَ جُوزَجانِيّاً عَتودا[1]
وإنّا قد وَجَدْنا أُمَّ بِشْرٍ ... كأُمِّ الأُسْدِ مِذكاراً وَلُودا

قال : فأعطاه بِشْرٌ مائةَ ألفِ درهمٍ .

[أوّل من نوّه باسم نصيب ووصله بعبد العزيز بن مروان]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزهريّ عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة قال : أوّلُ مَن نَوَّه باسم نُصَيب وقَدِمَ به على عبد العزيز بن مروان عبد الله بن أبي فَروة ، قَدِمَ به عليه وهو وَصِيفٌ حين بلغ وأوّلَ ما قال الشِّعرَ . قال : أَصْلَح الله الأميرَ ، جئتُك بوصِيفٍ نُوبِيٍّ يقول الشعر ، وكان نُصَيب ابنَ نُوبيَّيْن ، فأدخله عليه ، فأعجبه شعره ، وكان معه أَيْمَن بن خريم الأسديّ . فقال عبد العزيز : إذا دعوتُ بالغداءِ فأَدخِلوه عليَّ في جُبَّةِ صوفٍ مُحتزِماً بعِقالٍ ، فإذا قلتُ قَوِّموه فقوِّموه وأخرجوه ورُدُّوه عليّ في جُبَّة وَشْيٍ ورِداء

1 يعني جملاً قويّاً أبيض من منطقة جوزجان .

وشيٍ . فلمّا جلس للغداء ومعه أيمن ابن خريم أُدخِل نُصَيب في جُبَّة صوفٍ محتزماً بعِقال ، فقال : قوِّموا هذا الغلام . فقالوا : عشرةٌ ، عشرون ، ثلاثون ديناراً . فقال : رُدُّوه ، فأخرجوه ثم ردُّوه في جُبّة وَشْيٍ ورِداء وَشْيٍ . فقال : أنشِدنا ، فأنشدهم . فقال : قوّموه ، قالوا : ألفُ دينار . فقال أيمن : والله ما كان قطُّ أقلَّ في عَيْني منه الآن ، وإنّه لنِعمَ راعي المَخاض . فقال له : فكيف شِعرُه ؟ قال : هو أشعر أهلِ جلدتِه . فقال له عبد العزيز : هو والله أشعر منكَ . قال : أمِنّي أيّها الأمير ؟ قال نعم . فقال أيمن : إنّك لَمُلولٌ طَرِفٌ . فقال له : والله ما أنا بملولٍ وأنا أُنازِعُكَ الطعام منذ كذا وكذا ، تضع يدَك حيث أضعَها وتلتقي يدُك مع يدي على مائدة ، كلُّ ذلك أحتملك ، وكان بأيمن بياضٌ ، فقال له أيمن : ائذَن لي أن أخرُج إلى بِشْرٍ . فأَذِن له فخرج ، وقال أبياته التي أوّلها : [من الوافر]

رَكِبْتُ من المقطَّمِ في جُمادى

وقد مضتِ الأبياتُ . قال : فلمّا جازَ بعبد الملك بن مروان ، قال : أين تريد ؟ قال أُريد أخاك بِشْراً . قال : أتَجُوزُني ؟! قال : إي واللهِ أجوزُكَ إلى مَن قَدِمَ إليَّ وطلَبَني . قال : فلِمَ فارقتَ صاحبك ؟ قال : رأيتُكم يا بَني مَروان ، تتَّخذون للفتى من فِتيانِكم مؤدِّبا ، وشيخكم والله محتاجٌ إلى خمسة مؤدِّبينَ . فسَرَّ ذلك عبد الملك ، وكان عازماً على أن يخلعه ويعقِد لابنه الوليد .

[عبد العزيز بن مروان يعتق النصيب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : يقال : إنّ نُصَيباً أَضَلَّ إبلاً له فخرج في بُغائِها فلم يُصِبها ، وخاف مَوالِيه أن يرجع إليهم ، فأتى عبد العزيز بن مروان فمدحه وذكر له قصّته ؛ فأَخلَف عليه ما ضلَّ لَمواليه وابتاعه وأَعتقه .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الهِلاليّ ثم الدَّوسيّ قال : أراد النُّصَيب الخروج إلى عبد العزيز بن مروان ، وهو عبدٌ لبني مُحرز الضَّمْرِيّ ، فقالت أُمُّه له : إنّك ستَرْقُد ويأْخُذُك ابن مُحرز يذهب بك ، فذهب ولم يُبال بقَولها . حتى إذا كان بمكان ماءٍ يُعرَف بالدَّوِّ ، فبينا هو راقد إذ هجم عليه ابن مُحرز ؛ فقال حين رآه : [من الطويل]

إنِّي لأَخشى من قِلاصِ ابن مُحرِزٍ ... إذا وَخَدَتْ بالدَّوِّ وَخْدَ النَّعائِمِ

يَرُعْنَ بَطِينَ القَوْمِ أيَّةَ رَوْعةٍ ... ضُحَيّا إذا اسْتَقْبَلْنَه غير نائمِ

فأَطلقوه ، فرجع فأتى أُمّه . فقالت : أخبرتُك يا بُنيّ أنّه ليس عندك أن تُعْجِزَ القومَ . فإن كنتَ يا بُنَيِّ قد غلبتَني أنّك ذاهبٌ فخُذ بنت الفلانة ؛ فإنِّي رأيتُها وَطِئَتْ أفحُوصَ[1] بيضات

1 الأفحوص : مجثم القطاة التي تضع بيضها فيه .

قَطاةٍ فلم تَفلِقْهنّ فَرِكبَها ، فهي التي بلَّغتْه ابنَ مروان .

قال أبو عبيد الله بن الزبير : عندنا أنّ التي أعتقتْه امرأةٌ من بني ضَمْرَة ثم من بني حَنْبلٍ .

[أوّل اتصاله نصيب بعبد العزيز بن مروان]

حدّثنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَد قال حدّثنا عبد الله بن صالح بن مسلم قال حدّثنا كُلَيب بن إسماعيل مَولى بني أُميَّة وكان حَدِثاً (أي حَسَن الحديث) قال : بلغني أن نُصَيباً كان حبشيّاً يَرعى إبلاً لمواليه ، فأضلّ منها بعيراً ، فخرج في طلبه حتى أتى الفُسطاطَ ، وبه إذ ذاك عبد العزيز بن مروان ، وهو وَلِيُّ عَهد عبد الملك بن مروان ، فقال نُصَيبٌ : ما بعدَ عبد العزيز واحدٌ أعتمِدُه لحاجتي . فأتى الحاجبَ فقال : استأذِنْ لي على الأمير ؛ فإنّي قد هيَّأْتُ له مديحاً . فدخل الحاجب فقال : أصلح الله الأميرَ ، بالباب رجلٌ أسودُ يستأذِن عليك بمديح قد هيّأَهُ لك . فظَنَّ عبد العزيز أنّه ممن يُهزأ به ويُضْحِكُهم ، فقال : مُرْه بالحضورِ ليومِ حاجتِنا إليه . فغدا نُصَيب وراح إلى باب عبدِ العزيز أربعةَ أشهُر ، وأتاه آتٍ من عبد الملك فسَرَّه ، فأمر بالسَّرير فأُبْرِز للناس ، وقال : عليَّ بالأَسود ، وهو يريد أن يُضحِك منه الناسَ . فدخل ، فلمّا كان حيث يُسمع كلامُه ، قال[1] : [من المتقارب]

لِعبـد العَزيـز على قَومِـه وغيرِهِـمُ نِعَـمٌ غامِرَهْ
فبابُـك ألـينُ أبوابِهم ودارُك مأهولـةٌ عامِرَهْ
وكلبُـك آنسُ بالمُعْتَفِينَ مـن الأمِّ بالإبْنَـة الزائِرَهْ
وكَفُّكَ حينَ تَرى السائليـ ـنَ أَنْدى من اللّيلةِ الماطِرَهْ
فَمنكَ العَطاءُ ومنِّي الثَّناءُ بكـلِّ مُحَبَّـرةٍ سائرَهْ

فقال : أعطُوه أَعْطُوه . فقال : إنّي مملوكٌ . فدعا الحاجبَ فقال : اخرُجْ فابلُغْ في قيمته ؛ فدعا المقوِّمين فقال : قَوِّموا غلاماً أسودَ ليس به عَيبٌ . قالوا : مائةُ دينارٍ . قال : إنّه راعٍ للإبل يُبْصرها ويُحسِن القيامَ عليها . قالوا : حينئذٍ مائتا دينار . قال : إنّه يبْرِي القِسِيَّ ويُثقفُها ويَرمي النَّبْلَ ويَريشُها . قالوا : أربعمائة دينار . قال : إنّه راويةٌ للشِّعر بصيرٌ به . قالوا : ستُّمائة دينار . قال : إنّه شاعرٌ لا يُلحَق حِذقاً . قالوا : ألفُ دينار . قال عبد العزيز : ادفَعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ثَمَنَ بَعِيري الذي أضللت . قال : وكم ثمنُه ؟ قال : خمسةٌ وعشرون ديناراً . قال ادفعوها إليه . قال : أصلح الله الأمير ؛ جائزتي لنَفسي عن مديحي إيَّاك . قال : اشترِ نفسك ثم عُد إلينا . فأتى الكوفة وبها بِشْرُ ابنُ مروان ، فاستأذن عليه فاستصعب الدخول إليه . وخرج بِشر بن مروان

1 أمالي الزجاجي : 44–45 وديوان نصيب (تحقيق د . داود سلوم) بغداد : 69 .

متنزِّهاً فعارضَه ، فلمّا ناكبَه (أي صار حِذاء مَنكبه) ناداه[1] : [من الكامل]

يا بشرُ يا ابنَ الجَعْفَرِيَّةِ ما خلَقَ الإلهُ يَدَيْكَ للبُخْلِ
جاءتْ بـه عُجُزٌ مُقابَلةٌ ما هُنّ من جَرْمٍ ولا عُكْلِ

قال : فأمَر له بِشْرٌ بعشرة آلاف درهم . الجعفريّة التي عَناها نُصَيب : أُمُّ بِشر بن مروان ، وهي قُطَيَّة بنت بِشر بن عامر مُلاعب الأسِنَّة بن مالك بن جعفر بن كِلاب .

[أم بشر بن مروان]

أخبرنا اليَزيديّ عن الخرّاز عن المدائنيّ عن عبد الله بن مُسْلم وعامر بن حَفص وغيرهما : أنّ مروان بن الحَكَم مَرَّ ببادية بني جعفر ، فرأى قُطَيَّة بنت بِشر تَنزِع بدَلْو على إبلٍ لها ، وتقول : [من الرجز]

ليس بنا فَقْرٌ إلى التَّشَكِّي جَرَبَّـةٌ كحُمُـرِ الأَبَـكِّ[2]
لا ضَرَعٌ فيها ولا مُذَكّي[3]

ثم تقول : [من الرجز]

عامـانِ تَرْقيقٌ وعـامٌ تَمَّما لم يَتْرِكْ لَحْماً ولم يَتْرُكْ دما
ولم يَدَعْ في رأسِ عَظْمٍ مكدما إلاّ رَذايـا ورجـالاً رُزَّما[4]

فخطبها مروان فتزوّجها ، فولدتْ له بِشر بن مروانَ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أحمد بن معاوية عن إسحاق بن أيّوب عن خليل بن عَجْلان في خبر النُّصَيب مثلَ ما ذكره الزُّبير وإسحاق سواءً .

[نصيب يقسم ما يصيبه في مواليه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال : دعا النُّصَيب مَواليه أن يستلحِقوه فأبى ، وقال : والله لأن أكون مولًى لائقاً أحبُّ إليّ من أن أكون دَعِيّاً لاحِقاً . وقد علمتُ أنّكم تريدون بذلك مالي ، ووالله لا أَكسِبُ شيئاً أبداً إلاّ كنتُ أنا وأنتم فيه سواءً كأحدكم ، لا أستأثِرُ عليكم منه بشيء أبداً . قال : وكان كذلك معهم حتى مات ، إذا أصاب شيئاً قَسَمه فيهم ، فكان فيه كأحدهم .

[نصيب والفرزدق بحضرة سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا [الزُّبيري ، وحدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن

---

1 ديوان نصيب : 120 .
2 الجربّة : قطيع من الحمير . الأبكّ : الحمير المتدافعة .
3 الضرع : الضعيف . المذكّي : المسنّ .
4 مكدم : موضع للكدم أي العض . الرذايا : المهزولة . الرزم : الذين لا يستطيعون النهوض .

أبي خَيثَمة قال حدّثنا الزُّبير] قال حدّثنا محمد بن إسماعيل الجعفريّ قال : دخل النُّصَيب على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق ، فاستنشد الفرزدقَ وهو يرى أنّه سيُنشده مديحاً له ، فأنشده قوله يفتخر[1] : [من الطويل]

ورَكْبٍ كأنَّ الريحَ تطلُبُ عندهمْ لهـا تِـرَةً من جَذْبِها بالعَصائبِ
سَرَوْا يَرْكَبُون الريحَ وهي تَلُفُّهم على شُعَبِ الأَكْوارِ من كلِّ جانبِ
إذا اسْتَوْضَحُوا ناراً يقولون ليتَها وقد خَصِرَتْ أيديهمُ نـارُ غالبِ

قال : وعمامتُه على رأسِه مثلُ المِنْسَفِ ؛ فغاظ سليمان وكَلَحَ في وجهه ، وقال لنُصَيب : قُمْ فأَنشِد مولاك وَيلَك ، فقام نُصَيب فأنشده قوله[2] : [من الطويل]

أقـولُ لرَكْـبٍ صادِرِينَ لَقِيتُهم قَفا ذاتِ أَوْشالٍ ومَوْلاك قارِبُ[3]
قِفُوا خبِّروني عن سليمانَ إنَّنِـي لمعروفِـه من أهلِ وَدَّانَ طالبُ
فعاجُـوا فأَثْنَوا بالذي أنـت أهلُه ولـو سكتوا أَثْنتْ علَيكَ الحقائبُ
وقالـوا عَهِدْنـاهُ وكلَّ عشيَّةٍ بأبوابه من طالبِ العُـرْفِ راكبُ
هو البدرُ والناسُ الكَواكِبُ حولَه ولا تُشْبِهُ البدرَ المضيءَ الكواكبُ[4]

فقال له سليمان : أحسنتَ والله يـا نُصَيب ، وأمر له بجائزة ولم يصنَعْ ذلك بالفرزدق . فقال الفرزدق وقد خرج من عنده : [من الوافر]

وخيرُ الشِّعْرِ أكرمُـه رجـالاً وشرُّ الشعرِ مـا قـال العَبيدُ

[النصيب وعبد العزيز بن مروان]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمِّه موسى بن عبد العزيز قال : حَمل عبد العزيز بن مروان النُّصَيب بالمقطَّم ، مقطَّم مصرَ ، على بُخْتيٍّ قد رَحَلَه بغَبيطٍ[5] فوقَه ، وألبسه مُقَطَّعاتِ وَشْيٍ ، ثم أمره أن ينشد ؛ فاجتمع حوله السُّودان وفَرِحوا به ، فقال لهم : أسَرَرْتُكم ؟ قالوا : إي والله . قال : والله لَما يَسوءُكم من أهل جِلدتِكم أكثرُ .

---

1 ديوان الفرزدق : 1 : 29 (ط . دار صادر ـ بيروت) ، مع بعض اختلاف في الرواية .
2 ديوان نصيب : 59 .
3 قارب : ذاهب للورود .
4 المضيء في ل : المنير .
5 الغبيط : الرحل .

[نصيب وجرير]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلاَّم قال حدّثني أبو العَرَّاف قال : مَرَّ جريرٌ بنُصَيب وهو يُنشد ، فقال له : اذهب فأنت أشعرُ أهل جلدتِك . قال : وجِلدتِك يا أبا حَزْرة .

[هشام بن عبد الملك ونصيب]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أيّوب بن عبايَة قال : بلغني أنّ النُّصَيب كان إذا قَدِم على هشام بن عبد الملك أَخلى له مجلسه واستنشده مَراثي بني أُميَّة ، فإذا أنشده بكى وبكى معه . فأنشده يوماً قصيدةً له مدحه بها ، يقول فيها : [من الطويل]

إذا استبَقَ الناسُ العُلا سَبَقَتْهمُ يَمِينُكَ عَفْواً ثم صَلَّت شِمالُها[1]

فقال له هشامٌ : يا أَسودُ ، بلغتَ غاية المدح فسَلْنِي . فقال : يدُك بالعطيَّة أجود وأبسط من لساني بمسئلتك . فقال : هذا والله أحسنُ من الشعر ، وحَباه وكَساه وأحسنَ جائزته .

[نصيب وإعتاقه ذوي قرابته]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : أصاب نُصَيبٌ من عبد العزيز بن مروان معروفاً ، فكتمه ورجع إلى المدينة في هيئة بَذَّةٍ ، فقالوا : لم يُصِب بمدحِه شيئاً . فمكث مُدّةً ، ثم ساوم بأُمّه فابتاعها وأعتقها ، ثم ابتاع أُمَّ أُمِّه بضِعفِ ما ابتاع به أُمَّه فأعتقها . وجاءه ابن خالةٍ له اسمه سُحَيمٌ فسأله أن يُعتقه ، فقال له : ما مَعي والله شيءٌ ، ولكنّي إذا خرجتُ أخرجتُك معي ، لعلّ الله أن يُعتِقَكَ . فلمّا أراد الخروج دفع غلاماً له إلى مَولى سُحَيم يَرعى إبله وأخرجه معه ، فسأل في ثمنه فأعطاه وأَعتقه . فمرّ به يوماً وهو يَزْفِن ويَزمُرُ مع السودان ، فأنكر ذلك عليه وزجره . فقال له : إنْ كنتَ أعتقْتَنِي لأكون كما تريد فهذا والله ما لا يكونُ أبداً ، وإن كنتَ أعتقْتَنِي لِتَصِل رَحِمِي وتَقْضي حقّي فهذا والله الذي أفعله هو الذي أُريده ، أَزفِن وأَزمُر وأصنع ما شئت . فانصرف النُّصَيبُ وهو يقول[2] : [من الرجز]

إنِّـي أرانِـي لِسُحَيم قائـلا إنّ سُحَيمـاً لم يُشِبْنِي طائلا
نَسِيتَ إعْمالي لـكَ الرَّواحلا وضَرْبِيَ الأبوابَ فيك سائلا !
عنـد الملـوك أَسْتَثِيبُ النائلا حتـى إذا آنَسْتَ عتْقاً عاجلا
ولَّيْتَنِي منـك القَفـا والكاهِلا أخْلُقاً شَكْساً ولونـاً حائِلا

[استعجاله جائزة عند عبد العزيز]

قال إسحاق : وأبطأتْ جائزة النُّصيب عند عبد العزيز ، قال[3] : [من الوافر]

1 صلّت : جاءت مصلّية أي تالية .

2 ديوان نصيب : 121 عن الأغاني .

3 ديوان نصيب : 63 .

وإنّ وراءَ ظَهْرِي يا ابْنَ لَيْلى أُناساً يَنْظُـرونَ متـى أَؤُوبُ
أُمامَـــةُ منهـــمُ ولِمأْقِيَيْهـا غَـداةَ البَيْنِ في أَثَري غُرُوبُ
تركتُ بِلادَها ونأيـتُ عنها فأشبهُ ما رأيتُ بهـا السَّلُوبُ
فأتْبِـعْ بعضَنـا بعضـاً فلَسْنا نُثِيبُـــك لكِـــنِ اللهُ المُثِيبُ

فعجَّل جائزتَه وسرَّحه . قال إسحاق : فحدّثني ابن كُناسة قال : ليلى أُمُّ عبد العزيز كَلْبِيَّة . وبَلَغني عنه أنّه قال : لا أُعطي شاعراً شيئاً حتى يذكرها في مدحي لشَرَفِها ؛ فكان الشعراءُ يذكرونها باسمها في أشعارهم .

[شرف نصيب لشعره]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن ابن عباية قال : وقَفَتْ سَوْداءُ بالمدينة على نُصيبٍ وهو يُنشد الناس ، فقالت : بأبي أنتَ يا ابن عمّ وأُمِّي ! ما أنت والله عليَّ بِخزْيٍ . فضحك وقال : والله لَمَنْ يُخزِيك من بني عمِّك أكثر ممَّن يَزينُكِ .

[خطبة ابن نصيب بنت سيده]

قال إسحاق وحدّثني ابن عَباية وغيره أنّ ابناً لنُصَيب خطب بعد وفاة سيِّده الذي أعتقه بنتاً له من أخيه ، فأجابه إلى ذلك ، وعرَّف أباه . فقال له : اجمَعْ وُجوهَ الحيِّ لهذا الحال فجمعهم . فلمّا حضروا أقبل نُصَيبٌ على أخي سيِّده فقال : أزَوَّجْتَ ابني هذا من ابنة أخيك ؟ قال نعم . فقال لِعَبيدٍ له سُودٍ : خُذُوا برِجْلِ ابني هذا فجُرُّوه فاضربوه ضرباً مبرِّحاً ، ففعلوا وضربوه ضرباً مبرِّحاً . وقال لأخي سيِّده : لولا أنِّي أكره أذاكَ لأَلحقتُك به . ثم نظر إلى شابّ من أشراف الحيّ ، فقال : زَوِّج هذا ابنة أخيك وعليّ ما يُصلِحُهما في مالي ، ففعل .

[نصيب ومنادمة عبد الملك بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : دخل نُصَيب على عبد الملك فتغدَّى معه ، ثم قال : هل لك فيما نتنادم عليه ؟ فقال : تُؤَمِّنُنِي ؟ ففعل . فقال : لَوْنِي حائلٌ ، وشَعْرِي مُفَلفَلٌ ، وخِلقتي مشوَّهة ، ولم أَبلُغ ما بلغت من إكرامك إيَّايَ بشرف أبٍ أو أمٍّ أو عشيرة ، وإنّما بلغته بعقلي ولساني . فأَنْشُدُك الله يا أمير المؤمنين أن تَحُول بيني وبين ما بلغتُ به هذه المنزلة منك ، فأعفاه .

[سبب تسميته بهذا الاسم]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال بلغني عن خَلاَّد بن مُرَّة عن أبي بكر بن مَزيَدٍ قال : لَقِيتُ النُّصَيبَ يوماً بباب هشام ، فقلت له : يا أبا مِحْجَنٍ ، لِمَ سُمِّيت نُصَيباً ، ألقولك في شعرك عاينَها النُّصَيبُ ؟ فقال : لا ، ولكني وُلِدتُ عند أهل بيتٍ من وَدّان ، فقال سيّدي : إيتونا بمولودنا هذا لننظر إليه . فلمّا رآني قال : إنّه لَمُنَصَّب

الخلق ؛ فسُمِّيت النُّصَيبَ ، ثم اشتراني عبد العزيز بن مروان فأعتقني .

[فصاحته وتخلّصه إلى جيد الكلام]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة أبي يحيى الأسديّ قال : قال أبو عبد الله بن أبي إسحاق البَصْريّ : لئن وَلِيتُ العِراق لأَسْتَكْتِبَنَّ نُصَيباً لفصاحته وتخلُّصه إلى جيِّد الكلام .

[صدق الحديث مع عبد العزيز فأجازه]

أخبرني الأسديّ قال حدّثني محمد بن صالح عن أبيه عن محمد بن عبد العزيز الزُّهْريّ قال : حدّثني نُصيب قال : دخلتُ على عبد العزيز بن مروان ، فقال : أَنشِدني قولَك : [من الطويل]

إذا لم يكــنْ بــينَ الخليلَيْــنِ رِدَّةٌ سِوى ذكرِ شيء قد مضى دَرَسَ الذِّكْرُ

فقلتُ : ليس هذا لي ، هذا لأبي صخر الهُذَليّ ، ولكنِّي الذي أقول : [من الطويل]

وقَفتُ بــذي دَوْران أَنْشُدُ ناقَتِي وما إنْ بها لي مِنْ قَلُوصٍ ولا بَكْرِ

فقال لي عبد العزيز : لك جائزةٌ على صِدق حديثِك ، وجائزة على شعرِك ؛ فأعطاني على صدق حديثي ألف دينار ، وعلى شِعري ألف دينار .

[أوصاف نصيب الجسمية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن أبيه قال : رأيت النُّصَيب وكان أسود خفيف العارضَين ناتىء الحَنجرة .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن يزيد السَّعديّ عن جدّته جمال بنت عَون بن مسلم عن أبيها عن جدّها قال : رأيت رجلاً أسود مع امرأةٍ بيضاء ، فجعلتُ أَعجبُ من سواده وبياضها ، فدنوتُ منه وقلت : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي ما الذي تُحْدِثِينَ بي غــداً غُرْبةَ النأيِ المفــرّقِ والبعدِ
لَــدى أُمِّ بَكْــرٍ حين تَقتَرِبُ النَّوى بنا ثم يَخْلُو الكاشحونَ بها بَعْدِي
أَتَصْرِمُنِي عند الأُلى هُــمْ لنا العِدا فتُشْمِتَهم بــي أم تــدومُ على العهدِ

قال : فصاحتْ : بل والله تَدُومُ على العهد . فسألتُ عنهما فقيل : هذا نُصَيبٌ ، وهذه أُمُّ بكر .

[النصيب وعبد الله بن جعفر]

أخبرني أبو الحسن الأَسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَّطَّاح قال حدّثني أبو اليقظان عن جُوَيريَةَ بن أسماء قال : أتى النُّصَيب عبد الله بن جعفرٍ فحمَله وأعطاه وكَساه . فقال له قائل : يا أبا جعفر ، أَعطيتَ هذا العبدَ الأسودَ هذه العطايا ؟ فقال : والله لئن كان أسودَ إنّ ثناءَه لأبيض ، وإنّ شِعرَه لَعَربيّ ، ولقد استحقَّ بما قال أكثر ممّا نال . وما ذاك ، إنّما هي

رواحِل تُنضَى ، وثيابٌ تَبلى ، ودراهمُ تَفنى ، وثناءٌ يَبقَى ، ومدائح تُروى !

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال قال أبو الأسود : امتدح نُصيبٌ عبد الله بن جعفر وذكر مثلَه .

[نصيب والنسوة اللاتي أردن أن يسمعن شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخَرّاز عن المدائني قال : قيل لنُصيب : إنّ هاهنا نسوةً يُرِدن أن ينظرنَ إليك ويسمَعن منك شِعرك . قال : وما يَصنَعنَ بي ! يَرَيْنَ جلدةً سوداء وشَعَراً أبيض ، ولكن ليسمَعن شِعري من وراء سِترٍ .

[تغني منقذ الهلالي بشعر نصيب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص عن رجل ذكره قال : أتاني مُنقِذٌ الهِلالِيُّ ليلاً ، فضرب عليَّ الباب . فقلت : مَن هذا ؟ فقال : مُنقِذٌ الهِلالِيّ . فخرجتُ إليه فزِعاً . فقال : البُشرى . فقلت : وأيُّ بُشرى أَتَتْنِي بك في هذا الليل ؟ فقال : خَيْرٌ ، أتاني أهلي بدَجاجةٍ مَشويَّةٍ بين رغيفين فتعشَّيتُ بها ، ثم أتَوني بِقِنّينَةٍ من نبيذٍ قد التقى طرفاها صفاءً ورِقَّةً ، فجعلتُ أشرب وأترنَّم بقول نُصَيب :

بزينبَ أَلْمِمْ قبــلَ أن يَظْعَنَ الرَّكْبُ

ففكَّرْتُ في إنسانٍ يفهم حُسنه ويعرِف فَضله ، فلم أجد غيرك ، فأتيتُك مُخبِراً بذلك . فقلت : ما جاء بك إلاّ هذا ؟ فقال : أَوَلا يَكفِي ؟ ثم انصرف .

[عفة نصيب في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال مَسلمة لنُصَيب : أنت لا تُحسِن الهِجاء . فقال : بَلى والله ، أتُراني لا أُحسِن أن أجعل مكان عافاك الله أخزاك الله ؟! قال : فإنّ فلاناً قد مدحتَه فحرَمك فاهْجُه ، قال : لا والله ما ينبغي أن أَهجُوَه ، وإنّما ينبغي أن أَهجُو نفسي حين مدحتُه . فقال مَسلمة : هذا والله أشدُّ من الهجاء .

[نصيب وعمر بن عبد العزيز في مسجد رسول الله ﷺ]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن أبن عَباية عن الضَّحّاك الخِزاميّ قال : دخل نُصَيب مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يومئذٍ أمير المدينة ، وهو جالس بين قبر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ومِنبره ، فقال : أيُّها الأمير ، ائذَن لي أن أُنشِدك من مراثي عبد العزيز . فقال : لا تفعل فتحزُنَني ، ولكن أنشدني قولك . «قفا أَحوَيَّ» ؛ فإنّ شيطانَك كان لك فيها ناصحاً حين لقّنك إيّاها . فأنشده[1] : [من الوافر]

1 ديوان نصيب : 135 عن الأغاني .

صوت

قِفا أَخَوَيَّ إنّ الدارَ ليستْ كما كانتْ بعهدِكُما تكونُ
ليالِيَ تَعْلمانِ وآلُ لَيْلى قَطِينُ الدارِ فاحتملَ القَطِينُ
فعُوجا فانظُرا أتُبِينُ عمًّا سألناها به أم لا تُبِينُ
فظَلاًّ واقفَيْنِ وظلَّ دَمْعِي على خَدِّي تجودُ به الجُفُونُ[1]
فلولا إذ رأيتَ اليأسَ منها بدا أنْ كِدْتَ تَرْشُقُك العيونُ ،
بَرِحْتَ فلم يَلُمْكَ الناسُ فيها ولم تَغْلَقْ كما غَلِقَ الرَّهِينُ

في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات والأخيرين لابن سُرَيج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن عمرٍو ويونس .

[قصّة نصيب مع عجوز بالجحفة]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : كان نُصَيبٌ ينزل على عجوز بالجحفة إذا قَدِم من الشام ، وكان لها بُنَيَّةٌ صفراء وكان يستحليها ، فإذا قَدِم وهَب لها دراهم وثياباً وغير ذلك . فقدِم عليهما قَدمةً وبات بهما ، فلم يشعر إلاّ بفتىً قد جاءها ليلاً فركَضها برِجلِهِ ، فقامت معه فأبطأت ثم عادت ، وعاد إليها بعد ساعة فركضها برِجله فقامت معه فأبطأت ثم عادت . فلمّا أصبح نُصيب رأى أثر مُعتَرَكهما ومُغتَسَلِهما . فلمّا أراد أن يرتحل قالت له العجوز وبنتُها : بأبي أنتَ ، عادتَك . فقال لها[2] : [من الطويل]

أَراكِ طَمُوحَ العينِ مَيَّالةَ الهوى لهذا وهـذا منك وُدٌّ مُلاطِفُ
فإن تَحْمِلِي رِدْفَيْن لا أَكُ منهما فحُبّيَ فردٌ لستُ ممّن يُرادِفُ

ولم يُعْطها شيئاً ورحَل .

[حديث النصيب مع امرأة من ملل]

قال أيّوب : وكانت بمَلَلَ امرأة ينزل بها الناس ، فنزل بها أبو عبيدة بن عبد الله بن زَمْعة وعِمران بن عبد الله بن مُطيع ونُصيب . فلمّا رحلوا وهب لها القُرشيَّان ولم يكن مع نُصيب شيءٌ ، فقال لها : اختاري إن شئتِ أن أضمَنَ لكِ مثل ما أعطياك إذا قَدِمتُ ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ أبياتاً تنفعُك . قالت : بَلِ الشِّعْرُ أحبُّ إليّ . فقال[3] : [من الطويل]

---

1 الجفون في ل : الشؤون .
2 ديوان نصيب : 105 عن الأغاني وغيره .
3 ديوانه : 70 عن الأغاني وغيره .

أَلا حَـيِّ قبلَ البَيْن أُمَّ حَبِيبِ وإن لم تَكُنْ منَّا غـداً بقَرِيبِ
لئن لم يكن حُبِّيك حُبّاً صدَقْتُه فما أحـدٌ عنـدي إذاً بحَبِيبِ
تَهامٍ أصابـتْ قلبَـه مَلَلِيَّـةٌ غَرِيبُ الهَوى يا وَيْحَ كلِّ غَرِيبِ

فشهرها بذلك ، فأصابت بقوله ذلك فيها خيراً .

[النصيب وعمر بن عبد العزيز]

قال أيّوب : ودخل النُّصيب على عمر بن عبد العزيز ، رحمة الله عليه ، بعد ما وَلِيَ الخلافة . فقال له : إيهِ يا أسود ، أنت الذي تُشَهِّر النساءَ بنسيبك ! فقال : إنِّي قد تركتُ ذلك يا أمير المؤمنين ، وعاهدتُ الله عزّ وجلّ ألاّ أقولَ نسيباً ، وشهِد له بذلك مَن حضر وأثنَوا عليه خيراً . فقال : أمّا إذْ كان الأمرُ هكذا فسَلْ حاجتَك . فقال : بُنَيَّاتٌ لي نفضْتُ عليهنّ سوادِي فكسَدْنَ ، أَرْغَبُ بهنّ عن السُّودان ويرغب عنهنّ البِيضانُ . قال : فتُريد ماذا ؟ قال : تَفْرِض لهنَّ ، ففعل . قال : ونفقةً لطريقي . فأعطاه حِلية سَيفه وكساه ثوبيه ، وكانا يُساويان ثلاثين درهماً .

[اجتماع النصيب والكميت وذي الرمّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبَّة عن إسحاق المَوصليّ عن ابن كُناسة قال : اجتمع النُّصَيب والكُمَيت وذو الرمّة ، فأنشدهما الكُمَيت قوله : [من البسيط]

هل أنتَ عن طلبِ الأيْفاعِ منْقَلِبُ

حتى بلغ إلى قوله فيها : [من البسيط]

أم هلْ ظَعائِـنُ بالعَلياءِ نافعةٌ وإن تَكاملَ فيها الأُنْسُ والشَّنَبُ

فعقد نصيبٌ واحدةً . فقال له الكُميت : ماذا تُحصِي ؟ قال : خطأك ، باعدتَ في القول ، ما الأُنْسُ من الشَّنَب ؟ ألا قُلتَ كما قال ذو الرمّة : [من البسيط]

لَمْياءُ في شَفَتَيْهـا حُـوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِّثاتِ وفي أنيابِهـا شَنَبُ[1]

ثم أنشدهما قوله :

أَبَتْ هذه النفسُ إلاّ ادِّكارا

حتى بلغ إلى قوله : [من المتقارب]

إذا مـا الهَجارِسُ غَنَّيْنَهـا تُجاوِبْنَ بالفَلَواتِ الوِبارا[2]

فقال له النُّصَيب : والوِبار لا تسكن الفلوات . ثم أنشد حتى بلغ منها : [من المتقارب]

1 حوة : سمرة في الشفة . لعس : لون اللثة حين تكون حمراء مع بعض سواد . الشنب : رقة في الأسنان مع عذوبة .
2 الهجارس : الثعالب . الوبار : دابة تشبه السنور .

كأنّ الغُطامِطَ مـن غَلْيِها أَراجيزُ أَسْلَمَ تَهْجُو غِفارا[1]

فقال النصيب : ما هَجَتْ أَسْلَمُ غِفاراً قطُّ ؛ فانكسر الكُمَيت وأمسك .

[نصيب وعبد الرحمن بن الضحاك الفهري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ : أنّ نُصَيباً مدح عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيسٍ الفِهري ، فأمر له بعشر قَلائص ، وكتب بها إلى رجلين من الأنصار ، واعتذر إليه وقال له : والله ما أملِك إلاّ رِزقي ، وإنّي لأكره أن أبسُط يَدي في أموال هؤلاء القوم . فخرج حتّى أتى الأنصاريَّيْن فأعطاهما الكتاب مختوماً . فقرآه وقالا : قد أمر لك بثمان قلائص ، ودفعا ذلك إليه . ثم عُزِل ووُلِّي مكانه رجلٌ من بني نَصْر بن هَوازن ، فأمر بأن يُتتبَّع ما أعطى ابن الضَّحّاك ويُرتَجَعَ ، فوُجد باسم نُصَيب عشر قلائص ، فأمر بمطالبته بها . فقال : والله ما دفع إليّ إلاّ ثماني قلائص . فقال : والله ما تخرُج من الدَّار حتى تُؤدِّي عشر قلائص أو أثمانها ؛ فلم يخرُج حتى قُبِض ذلك منه .

فلمّا قدِم على هشام سَمر عنده ليلةً وتذاكروا النَّصريَّ ، فأنشده قوله فيه[2] : [من البسيط]

أفي قلائصَ جُـرْبٍ كُنَّ في عملٍ أُرْدى وتُنْزَعُ مـن أحشائيَ الكَبِدُ
ثمانياً كُـنَّ في أهـلي وعندهمُ عَشْرٌ فأيَّ كتابٍ بعدَنـا وَجَدُوا
أخانَنِـي أَخَـوا الأنصارِ فانتقصا منها فعندهمـا الفَقْدُ الذي فَقَدُوا
وإنّ عامِلَـك النَّصْرِيّ كلَّفَنِـي في غير نائـرةٍ دَيْنـاً لـه صَعَدُ[3]
أَذنْبَ غيري ولم أُذنبْ يُكلّفُني أم كيف أُقْتَلُ لا عَقْلٌ ولا قَوَدُ

قال : فقال هشام : لا جَرَمَ والله ، لا يعمَلُ لي النَّصْريّ عملاً أبداً ؛ فكتب بعزله عن المدينة .

[شعر لنصيب في الجفر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أخبرنا الزبير بن بَكّار إجازةً عن هارون بن عبد الله الزبيريّ عن شيخ من الجَفْرِ[4] قال : قَدِم علينا النُّصيب فجلس في هذا المجلس وأومأ إلى مجلسٍ حِذاءَه ، فاستنشدناه ، فأنشدنا قوله[5] : [من الطويل]

ألا يـا عُقابَ الوَكْرِ وَكْرِ ضَرِيَّةٍ سَقَتْكِ الغَوادِي من عُقاب ومن وَكْرِ[6]

---

1 الغطامط : صوت غليان القدر .
2 ديوان نصيب : 78 عن الأغاني .
3 النائرة : الحقد . الصعد : المشقّة .
4 الجفر : اسم موضع بنواحي المدينة .
5 انظر ديوانه 93–94 ففيه بعض هذه الأبيات بروايات مختلفة وأبيات تنسب للمجنون .
6 ضرية : قرية على مقربة من الحمى المعروف باسمها .

تَمُــرّ الليالي مــا مَرَرْنَ ولا أَرى مُرُورَ الليالي مُنْسِياتِي ابنــةَ النَّضْرِ
وقَفتُ بــذي دَوْرانَ أَنشُد ناقَتي ومالي لَدَيْها من قَلُوصٍ ولا بَكْرِ[1]
ومــا أَنْشُد الرُّعْيــانَ إلاّ تَعِلَّــةً بواضحــةِ الأَنْيابِ طَيِّبــة النَّشْرِ
أما والذي نادى من الطُّورِ عبدَه وعلَّــم أيّــامَ المَناسِكِ والنَّحْرِ
لقــد زادَنِي للجَفْرِ حبّــاً وأهلِه لَيــالٍ أقامتْهُنَّ لَيْــلى على الجَفْرِ

[نصيب وعبد الملك بن مروان]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزبير قال أخبرني عمر بن إبراهيم السَّعْدِيّ عن يوسف بن يعقوب بن العَلاء بن سليمان عن سلَمة بن عبد الله بن أبي مسروح قال : قال عبد الملك بن مروان لنُصَيبٍ أَنشدْني ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها[2] : [من البسيط]

ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضَّجِيعُ به طَيَّ الحَمائِــلِ لا جــافٍ ولا فَقِرُ
وَذِي رَوادِفَ لا يُلْفــى الإزارُ بها يُلْوى ولو كان سبعاً حــين يَأْتزِرُ

فقال له عبد الملك : يا نُصيب ، مَنْ هذه ؟ قال : بنتُ عمٍّ لي نُوبِيَّةٌ ، لو رأيتَها ما شربتَ من يدها الماء . فقال له : لو غيرَ هذا قلتَ لضربتُ الذي فيه عيناك .

[رحلة نصيب السنوية إلى عبد العزيز بن مروان]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا الحارث بن محمد بن أبي أُسامَة قال حدّثنا المدائنيّ قال : كان عبد العزيز بن مروان اشترى نُصَيباً وأهله وولدَه فأعتقهم ، وكان نُصَيب يرحل إليه في كلّ عام مستميحاً[3] ، فيجيزه ويُحسن صِلتَه . فقال فيه نُصيب[4] : [من الوافر]

يقولُ فيُحسِنُ القولَ ابنُ ليلى ويفعَلُ فَوقَ أَحْسنِ مــا يقولُ
فتــىً لا يَــرْزأُ الخُــلاّنَ إلاّ مَوَدَّتَهــمْ ويَــرْزَؤُهُ الخليــلُ
فبَشِّرْ أهــلَ مصرَ فقدْ أتاهُم مَعَ النِّيــلِ الذي في مصرَ نِيلُ

[نصيب وشاعر هجاه]

أخبرني هاشم بن محمد بن هارون بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه قال : كان نُصَيب يُكنى أبا الحَجناءِ ، فهجاه شاعرٌ من أهل الحجاز فقال : [من الطويل]

---

1 ذو دوران : موضع بين الجحفة وقديد .
2 ديوان نصيب : 90 عن الأغاني .
3 مستميحاً : طالباً العطاء .
4 ديوان نصيب : 114 عن الأغاني .

رَأَيتُ أبا الجَحْناءِ في الناسِ حائراً ولونُ أبي الجَحْناءِ لـونُ البهائِمِ
تراه على مـا لاحَـه من سَوادِهِ وإن كان مظلُوماً لـهُ وجهُ ظالِمِ

فقيل لنصيب : أَلا تُجيبُه فقال : لا ، ولو كنتُ هاجياً لأحدٍ لأجَبتُه ، ولكن الله أوصلَني بهذا الشعر إلى خير ، فجعلتُ على نفسي ألاّ أقولَه في شرّ ، وما وصَفنِي إلاّ بالسواد وقد صدَق . أفلا أُنْشِدُكم ما وصفتُ به نفسي ؟ قالوا بلى . فأنشدهم قوله[1] : [من الكامل]

ليس السوادُ بناقصي مـا دام لي هـذا اللسانُ إلى فـؤادٍ ثابتِ
مَنْ كان ترفَعُـه مَنابـتُ أصلِه فبيوتُ أشعاري جُعِلْنَ مَنابِتِي
كم بـين أسودَ ناطـقٍ ببيانِه ماضي الجَنانِ وبين أبيضَ صامتِ
إنّي لَيَحْسُدني الرفيـعُ بنـاؤُه من فضل ذاك وليس بي مِنْ شامتِ

ويُروى مكان «من فضل ذاك» ، «فضل البيان» وهو أجود .

أخبرني عمّي ومحمد بن خَلَفٍ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني سعيد بن يحيى الأُمويّ قال حدّثني عمّي عن محمد بن سعد قال : قال قائل للنُّصيب : أيّها العبد ، ما لكَ وللشِّعر ؟ فقال : أمّا قولُك عبدٌ فما وُلِدتُ إلاّ وأنا حرٌّ ، ولكن أهلي ظلموني فباعوني . وأمّا السواد فأنا الذي أقول[2] : [من الوافر]

وإنْ أَكُ حالِكاً لَوْنِي فإنِّي لِعَقْلٍ غيرِ ذي سَقَطٍ وِعاءُ
وما نزلتْ بِيَ الحاجاتُ إلاّ وفي عِرْضِي من الطَّمَعِ الحياءُ

[شعر النصيب في جارية طلبت منه أن يشبب بها]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال حُدّثتُ عن السَّدُوسيّ قال : وقَف نصيبٌ على أبيات فاستسقى ماءً ، فخرجتْ إليه جاريةٌ بلبنٍ أو ماءٍ فسَقَتْه ، وقالت : شَبِّبْ بي . فقال : وما اسمُكِ ؟ فقالت : هندٌ . ونظر إلى جبلٍ وقال : ما اسم هذا العَلَم ؟ قالت : قَناً . فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أُحِبُّ قَناً من حُبِّ هندٍ ولم أكُنْ أُبالي أقُربـاً زادَه الله أم بُعْدا
ألاَ إنّ بالقِيعانِ من بطن ذي قَناً لنا حاجـةً مالتْ إليه بنا عَمْدا
أَرُوني قَنـاً أنظُـرْ إليـه فإنَّني أُحِبُّ قَناً إنّي رأيتُ بـه هِنْدا

1 ديوان نصيب : 73 عن الأغاني ومعجم الأدباء .
2 ديوان نصيب : 57 عن الأغاني .
3 ديوان نصيب : 84–85 عن الأغاني .

قال : فشاعت هذه الأبيات ، وخُطبت هذه الجارية من أجلِها ، وأصابت بقول نصيب فيها خيراً كثيراً .

[نصيب وجارية خطبها فأبت ثم تزوّجته]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل بن نَبيه قال حدّثنا محمد بن سلاَّم قال : دخل نصيبٌ على يزيد بن عبد الملك ، فقال له : حدِّثني يا نُصيب ببعض ما مرَّ عليك . فقال : نعم ، يا أمير المؤمنين ، عُلِّقْتُ جارية حمراء ، فمكَثْتُ زماناً تُمنِّيني بالأباطيل ، فلمّا أَلححتُ عليها قالت : إليك عنِّي ؛ فوالله لكأنَّك من طَوارِق الليل . فقلت لها : وأنتِ والله لكأنّك من طوارق النهار . فقالت : ما أظرفك يا أسود ! فغاظني قولُها ، فقلت لها : هل تَدرين ما الظَّرف ؟ إنّما الظَّرف العقلُ . ثم قالت لي : انصرف حتى أنظر في أمرك . فأرسلتُ إليها هذه الأبيات[1] : [من الوافر]

فإن أَكُ حالِكاً فالمِسْكُ أحوى ... وما لِسَوادِ جِلْـدِي من دَواءِ
ولي كَـرَمٌ عـن الفَحْشاءِ ناءٍ ... كبُعْدِ الأرضِ مـن جوّ السَّماءِ
ومثْلِـي في رِجالِكُـمُ قليـلٌ ... ومثلُكِ ليس يُعْدَم في النِّساءِ
فإنْ تَرضَيْ فَرُدِّي قولَ راضٍ ... وإن تَـأْبَيْ فنحنُ على السَّواءِ

قال : فلمّا قرأتِ الشِّعر قالت : المالُ والشِّعر يأتيان على غيرهما ؛ فتزوّجتْني .

[استجادة الأصمعي شعراً لنصيب]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرياشيّ قال : أنشدنا الأصمعيّ لنُصيب وكان يستجيد هذه الأبيات ويقول إذا أنشدها : قاتَل اللهُ نُصَيباً ما أشعَرَه[2] ! : [من الطويل]

فإنْ يَكُ من لونِي السّوادُ فإنَّنِي ... لَكالمسكِ لا يَرْوى من المِسْكِ ذائقُهْ
وما ضَرَّ أثوابـي سَوادِي وتحتَها ... لِبـاسٌ مـن العَلْيـاءِ بِيضٌ بنائقُهْ
إذا المرءُ لم يَبْذُلْ من الودّ مثلَ ما ... بذلتُ لـه فاعلَـمْ بأنِّي مُفارِقُهْ

[نصيب وجرير]

أخبرني الفَضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاَّم عن خَلَف : أنّ نُصَيباً أنشد جريراً شيئاً من شعره ، فقال له : كيف تَرى يا أبا حَزْرة . فقال له : أنت أشعرُ أهلِ جِلدتك .

[نصيب والوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن

1 ديوان نصيب : 58 عن الأغاني .

2 ديوان نصيب : 110–111 وفيه تخريج كثير والبيت الأوّل مختلف عمّا هنا .

عبد العزيز بن عِمران بن محمد عن المِسْوَر بن عبد الملك قال : قال نُصَيب لعبد الرحمن بن أزهر : أنشدتُ الوليد بن عبد الملك ، فقال لي : أنت أشعر أهل جلدتك ، والله ما زاد عليها ! فقال لي عبد الرحمن : يا أبا مِحجن ، أَفَرَضِيتَ منه أنْ جَعَلَكَ أشعرَ السُّودان فقط ؟ فقال له : وَدِدتُ والله يا ابن أخي أنّه أعطاني أكثر من هذا ، ولكنّه لم يفعل ولستُ بكاذبك .

[نصيب يصف شعره وشعر بعض معاصريه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبَيدة قال : قال لي محمد بن عبد ربِّه : دخلت مسجد الكوفة ، فرأيت رجلاً لم أَرَ قطُّ مثلَه ولا أشدّ سواداً منه ، ولا أَنقى ثياباً منه ، ولا أحسن زِيّاً . فسألتُ عنه ، فقيل : هذا نُصَيب ، فدنوت منه فحدّثته ، ثم قلت له : أخبرني عنك وعن أصحابك . فقال : جَميلٌ إمامُنا ، وعمر بن أبي ربيعة أَوصَفُنا لرَبّات الحِجال ، وكُثَيِّر أبكانا على الدِّمَن وأمدحُنا للملوك ، وأمّا أنا فقد قلتُ ما سمعتَ . فقلت له : إنّ الناس يزعمون أنّك لا تُحسِن أن تَهْجُوَ . فضحِك ثم قال : أفتراهم يقولون : إنّي لا أُحسِن أن أَمْدَح ؟ فقلت لا . فقال : أَفما تَرانِي أُحسِن أن أجعلَ مكانَ عافاك الله أَخزاك الله ؟ قال قلت بَلى . قال : فإنّي رأيتُ الناس رَجُلَيْن : إمّا رجلٌ لم أسأله شيئاً فلا ينبغي أن أهجوَه فأظلمه ، وإمّا رجلٌ سألته فمنعني فنفسي كانت أحقَّ بالهجاء ؛ إذ سؤلت لي أن أسأله وأن أطلُبَ ما لديه .

[نصيب وكثيّر والأحوص في مجلس]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني عبد الله بن إسماعيل بن أبي عُبَيد الله كاتب المهديّ قال : وجدتُ في كتاب أبي بخطّه : حدّثني أبو يوسف التُّجيبيّ قال حدّثني إسماعيل بن المختار مولى آل طلحةَ وكان شيخاً كبيراً قال : حدّثني النّصيب أبو مِحجن أنّه خرج هو وكثَيِّر والأحوص غِبَّ يومٍ أمطرتْ فيه السماء ، فقال : هل لكم في أن نركَبَ جميعاً فنسير حتى نأتي العقيق فنُمَتِّعَ فيه أبصارنا ؟ فقالوا نعم . فركبوا أفضلَ ما يَقدِرُون عليه من الدوابِّ ، ولبِسوا أحسن ما يقدِرون عليه من الثياب ، وتنكَّروا ثم ساروا حتى أَتَوا العقيق ، فجعلوا يتصفَّحون ويَرَون بعض ما يشتهون ، حتى رُفع لهم سوادٌ عظيم فأَمُّوه حتى أَتَوه ، فإذا وصائِفُ ورجالٌ من الموالي ونساءٌ بارزاتٌ ، فسألنهم أن ينزلوا ، فاستحيوا أن يُجيبُوهنّ من أوّل وَهلةٍ ، فقالوا : لا نستطيع أو نَمضي في حاجةٍ لنا . فحلَّفْنَهم أن يرجِعوا إليهنّ ، ففعلوا وأتوهنّ ، فسألَنهم النزول فنزلوا . ودخلت امرأةٌ من النساء فاستأذنتْ لهم ، فلم تلبث أنْ جاءت المرأة فقالت : ادخلوا . فدخلنا على امرأة جميلة بَرْزةٍ على فُرُشٍ لها ، فرحَّبَتْ وحَيَّت ، وإذا كراسيُّ موضوعةٌ ، فجلسنا جميعاً في صفٍّ واحد كلُّ إنسانٍ على كرسيّ . فقالت : إن أحببتُم أن ندعو بصبيٍّ لنا فنُصَيِّحَه ونَعرُك أُذنَه فعلْنا ، وإن شئتُم بدأنا بالغداء . فقلنا : بل تَدعِينَ بالصبيّ ولن يفوتنا الغداء . فأومأتْ

بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يَكُنْ إلاّ كلا ولا حتى جاءت جاريةٌ جميلةٌ قد سُتِرَت بمُطرفٍ ، فأَمْسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها[1] ، ثم كُشف عنها وإذا جاريةٌ ذاتُ جمالٍ قريبةٌ من جمال مَولاتِها ، فرحَّبتْ بهم وحيَّتْهم ، فقالت لها مولاتها : خُذِي ، وَيحك ، من قول النُّصيب عافى الله أبا مِحجن[2] : [من الطويل]

أَلا هل من البَيْن المُفرِّق من بُدِّ ... وهل مثلُ أيّامٍ بمُنْقَطَع السَّعْدِ[3]

تَمنَّيتُ أيّامي أُولئك ، والمُنى ... على عَهد عادٍ ما تُعِيدُ ولا تُبْدِي

فغنَّته ، فجاءت به كأحسن ما سمعتُه قطّ بأَحلى لفظٍ وأَشجى صوت . ثم قالت لها : خُذي أيضاً من قول أبي مِحجن عافى الله أبا مُحجن[4] : [من الكامل]

أَرِقَ المُحِبُّ وعادَه سَهَدُهْ ... لِطَوارِقِ الهـمِّ التـي تَرِدُهْ

وذكرتُ مَنْ رَقَّتْ له كَبِدِي ... وأَبى فليس تَرِقُّ لي كَبِدُهْ

لا قَومُه قَومِي ولا بلَدِي ... فنَكُونَ حيناً جيرةً ، بَلَدُهْ

ووَجدْتُ وَجْداً لم يكن أحدٌ ... قَبلي مِنَ أجْلِ صَبابةٍ يَجِدُهْ

إلاّ ابنُ عَجْلانَ الذي تَبَلَتْ ... هِنْدٌ فَفاتَ بنفسِهِ كَمَدُهْ[5]

قال : فجاءت به أحسنَ من الأوّل ، فكدتُ أَطِيرُ سروراً . ثم قالت لها : وَيحَكِ ، خُذي من قول أبي مِحجَن عافى اللهُ أبا مِحجَن[6] : [من الطويل]

فَيا لكَ مـن ليلٍ تمتَّعتُ طُولَه ... وهـل طائفٌ مـن نائـمٍ مُتَمتِّعُ

نَعمْ إنّ ذا شَجْوٍ متى يَلقَ شَجْوَه ... ولـو نائمـاً مُسْتَعْتِبٌ أو مُوَدّعُ

له حاجةٌ قـد طالَما قـد أَسَرَّها ... من الناسِ في صَدْرٍ بهـا يتصدَّعُ

تحمَّلَهـا طُـولَ الزمـانِ لعلَّهـا ... يكونُ لها يوماً مـن الدهرِ مَنْزَعُ

وقد قُرعتْ في أُمّ عمرٍو لِيَ العَصا ... قَدِيماً كما كانتْ لذِي الحِلْمِ تُقْرَعُ[7]

---

1 ذهب بهرها : سكن روعها .

2 ديوان نصيب : 83 عن الأغاني .

3 السعد : موضع قريب من المدينة .

4 ديوان نصيب : 81 عن الأغاني .

5 فات بنفسه : ذهب بها .

6 ديوان نصيب : 101 .

7 المثل من بيت المتلمس «لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا» . فصل المقال (تحقيق إحسان عبّاس وعبد المجيد عابدين ص 148) .

قال : فجاءت والله بشيء حيَّرني وأذهلني طَرَباً لحسنِ الغناءِ وسروراً باختيارها الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسن الصَّنعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت لها : خُذي أيضاً من قول أبي مِحجنٍ ، عافى الله أبا محجن[1] : [من البسيط]

يا أيُّها الرَّكبُ إنِّي غيرُ تابِعِكُمْ حتى تُلِمُّوا وأنتُمْ بِي مُلمُّونا
فَما أَرى مِثلَكُمْ رَكْباً كشَكْلِكُمُ يَدعوهُمُ ذُو هَوًى إلاّ يَعُوجُونا
أم خبِّروني عن دائي بعلمِكُمُ وأعلمُ النّاسِ بالدّاءِ الأَطَبُّونا

قال نُصَيب : فوالله لقد زُهِيتُ بما سمعتُ زَهْواً خَيَّل إليّ أنّي من قُريش ، وأنّ الخلافة لي . ثم قالت : حَسبُكِ يا بُنيّة ! هاتِ الطعام يا غلام ! فوثب الأحوص وكُثَيِّر وقالا : والله لا نَطعَمُ لكِ طعاماً ولا نجلسُ لك في مجلس ؛ فقد أسأتِ عِشرتنا واستخففتِ بنا ، وقدّمتِ شعرَ هذا على أشعارنا ، واستمعتِ الغناء فيه ، وإن في أشعارنا لَما يَفضُلُ شِعره ، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا . فقالت : على معرفةٍ كلُّ ما كان منِّي ، فأيُّ شعرِكما أفضلُ من شعره ؟ أقولُك يا أحوص : [من الطويل]

يَقَرُّ بعينِي ما يقَرّ بعينها وأحسنُ شيءٍ ما بِهِ العينُ قَرّتِ

أو قولك يا كثَيِّر في عَزّة : [من الطويل]

وما حَسِبَتْ ضَمْرِيَّةٌ جُدَوِيَّةٌ سِوى التَّيسِ ذي القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلا[2]

أم قولك فيها : [من الوافر]

إذا ضَمْرِيَّةٌ عطَستْ فنِكْها فإن عُطاسَها طَرَفُ السِّفادِ

قال : فخرجا مُغضَبَيْن واحتَبَسَتْنِي ، فتغدّيت عندها ، وأمرت لي بثلثمائة دينار وحُلَّتَيْن وطيب ، ثم دفعت إليّ مائتيّ دينار وقالت : ادفَعها إلى صاحبَيك ؛ فإن قَبِلاها وإلاّ فهي لك . فأتيتُهما منازلهما فأخبرتُهما القصّة . فأمّا الأحوص فقبِلَها ، وأمّا كثيِّر فلم يقبلها ، وقال : لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفتُ . فسألتُ النُّصَيب : ممّن المرأة ؟ فقال : من بني أُميّة ولا أذكرُ اسمها ما حييتُ لأحد .

[رثاء نصيب عبد العزيز بن مروان]

أخبرني عيسى بن يحيى الورّاق عن أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ قال : وقع الطاعونُ بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان إيّاها ، فخرج هارباً منه فنزل بقريةٍ من الصعيد

1 ديوان نصيب : 137–138 عن الأغاني .
2 جدوية : نسبة إلى جدي بن ضمرة الكناني .

يقال لها «سُكّرُ» . فقدِم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك ، فقال له عبد العزيز : ما اسمك ؟ فقال : طالب بن مُدرِك . فقال : أوّهْ ، ما أُرانِي راجعاً إلى الفُسطاط أبداً ! ومات في تلك القرية . فقال نُصيبٌ يرثيه[1] : [من المنسرح]

أُصِبْتُ يومَ الصعيد من سُكَرٍ ... مصيبةً ليس لي بهـا قِبَلُ
تـاللهِ أَنْسى مصيبتِي أبـداً ... مـا أسمَعَتْني حَنِينَهـا الإبلُ
ولا التَّبَكِّـي عليـه أُعْوِلُـه ... كلُّ المصيباتِ بعـدَه جَلَلُ
لم يعلمِ النَّعْشُ ما عليه من الـ ... ـعُرْفِ ولا الحاملون ما حمَلُوا
حتـى أجَنُّـوه في ضَرِيحِهِـمُ ... حِينَ انتهى من خليلِكَ الأملُ

غنَّى في هذه الأبيات ابن سُريج ، ولحنُه رَمَلٌ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر الهِشاميّ أنّ له فيه لحناً من الهزج ، وذكر ابن بانَةَ أنّ الرَّمَل لابن الهِرْبذِ[2] :

أخبرني محمد بن مَزيَد بن أبي الأَزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مُصعب الزبيريّ عن مشيخةٍ من أهل الحجاز : أنّ نُصَيباً دخل على عبد الملك بن مروان ، فقال له : أنشِدْني بعض ما رَثَيْتَ به أخي ؛ فأنشده قولَه[3] : [من الطويل]

عرفتُ وجرّبتُ الأُمورَ فما أَرى ... كأضٍ تَـلاه الغابـرُ المتـأخِّرُ
ولكنَّ أهلَ الفضلِ من أهلِ نِعْمَتِي ... يمـرُّون أَسْلافـاً أمامـي وأَغْبُرُ
فإن أَبْكِهِ أُعْذَرْ وإن أَغلِبِ الأَسى ... بصبرٍ فمِثْلِي عندمـا اشتدَّ يَصْبِرُ
وكانت رِكابي كلّما شئتُ تَنْتَحِي ... إليكَ فتَقْضِي نَحْبَها وهـي ضُمَّرُ
تَـرى الوِرْدَ يُسْراً والثَّواءَ غنيمةً ... لديكَ وتُثْنِي بالرِّضا حين تَصْدُرُ
فقـد عَرِيتْ بعـدَ ابنِ لَيْلى فإنّما ... ذُراها لمن لاقـتْ من الناس مَنْظَرُ
ولـو كان حيّـاً لم يَزَلْ بدُفُوفِها ... مَـرادٌ لغِرْبـانِ الطريـق ومَنْقَرُ[4]
فإن كُنَّ قـد نِلْنَ ابنَ لَيْلى فإنّه ... هـو المصطفى مـن أهلِهِ المُتَخَيَّرُ

فلمّا سمع عبد الملك قوله : [من الطويل]

فإن أبكِهِ أُعْذَرْ وإن أَغلِبِ الأَسى ... بصبرٍ فمثلي عندمـا اشتدّ يصبرُ

---

1 ديوان نصيب : 103 عن الأغاني .

2 هو إسماعيل بن الهربذ ، وكان مولىً لآل الزبير .

3 ديوان نصيب : 87–88 عن الأغاني ولكن مسقط منه عجز البيت الرابع وصدر الخامس .

4 الدف : الجنب ، والضمير في دفوفها يعود إلى «ركاب» في بيت سابق .

قال له : ويلَك ! أنا كنتُ أحقَّ بهذه الصفة في أخي منكَ ؛ فهلاَّ وصفْتَني بها ؛ وجعل يبكي .

[نصيب وعبدالله بن إسحاق البصري]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي يحيى محمد بن كُناسةَ قال : قال لي عبد الله بن إسحاق البصْريّ : لو وَلِيتُ العراقَ لاستكتبتُ نُصَيباً . قلتُ : لماذا ؟ قال لفصاحته وحسن تخلُّصه إلى جيِّد الكلام ، ألم تسمع قوله[1] : [من الطويل]

فلا النفسُ مَلَّتْها ولا العينُ تنتهي إليها سوامي الطَّرْف عنها فتَرْجعُ
رأتْها فما تَرْتَدُّ عنها سآمةً ترى بدلاً منها به النَّفْسُ تَقْنَعُ

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن محمد بن الحسن قال : دخل نُصَيب على إبراهيم بن هشام فأنشده مديحاً له . فقال إبراهيم : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دَهْبَلٍ لصاحبِنا ابن الأزرق حيث يقول : [من البسيط]

إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَخْلانَ مُرْتَحِلاً يَرْحَلْ من اليمنِ المعروفُ والجودُ[2]

قال : فغضِب نُصَيبٌ ونزع عِمامته وبرك عليها ، وقال : لئن تأتُونا برجالٍ مثل ابن الأزرق نأتِكم بمثل مديح أبي دهبل أو أحسن ؛ إنّ المديح والله إنّما يكون على قدر الرجال . قال : فأطرق ابن هشام ، وعَجِبوا من إقدام نُصَيبٍ عليه ، ومن حِلم ابن هشام وهو غير حَليم[3] .

[نصيب وأمّ بكر الخزاعية]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ : أنّ نصيباً كان ربّما قَدِم من الشام فيَطرَحُ في حِجر أُمّ بَكْرٍ الخزاعيّة أربعمائة دينار ، وأنّ عبد الملك بن مروان ظهر على تعلُّقه بها ونسِيبِه فيها ، فنهاه عن ذلك حتى كفّ عن ذاك .

[نصيب يعترف أنّه كان يستعصي عليه أحياناً قول الشعر]

أخبرني محمد بن مزيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عثمان بن حفص الثَّقَفيّ عن أبيه قال : رأيتُ النُّصَيب بالطائف ، فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قُوهِيٌّ ورداءٌ وحِبَرَةٌ[4] ، فجعل يُنشِدنا مديحاً لابن هشام ، ثم قال : إنّ الوادي مَسْبَعَةٌ ، فمَنْ أهلُ المجلس ؟

---

1 ديوان نصيب : 102 .

2 المنتقل : الطريق في الجبل ؛ وفي رواية «نجران» .

3 بعد هذا في (ل) خبر مرَّ من قبل .

4 الحبرة : ضرب من برود اليمن .

قالوا : ثَقِيف ؛ فعرَف أنَّا نُبغضُ ابن هشام ويُبغِضُنا ، فقال : إنّا لله أبعدَ ابنِ ليلى أَمتَدح ابن جَيْداء ! فقال له بعض أهل المجلس : يا أبا مِحجَن ، أتطلبُ القريض أحياناً فيعسُر عليك ؟ فقال : إي والله لربَّما فعلتُ ، فآمرُ براحلتي فيُشَدُّ بها رَحْلِي ، ثم أَسير في الشِّعاب الخالية ، وأقف في الرِّباع المُقْوِيَة ، فيُطرِبُني ذلك ويُفتح لي الشعرُ . والله إنِّي على ذلك ما قلتُ بيتاً قطُّ تستحِي الفتاة الخَيِيَّة من إنشاده في سِتْر أبيها . قال إسحاق قال عثمان بن حفص فوصفَه أبي وقال : كأنِّي أراه صَدْعاً[1] خفيف العارضين ناتىء الحَنجرة .

[نصيب وابن أبي عتيق]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن محمد بن كُناسة قال : أَنشد نُصيب قوله : [من الطويل]

وكِدْتُ ولَم أُخْلَقْ من الطيرِ إن بدا لهـا بـارقٌ نحـوَ الحجـاز أطيرُ

فسمعه ابن أبي عتيق ، فقال : يا ابن أُمّ ، قُلْ غاقٍ فإنّك تَطير . يعني أنّه غُرابٌ أسودُ .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال أخبرني أحمد بن محمد الأسدي أَسَد قريشٍ قال : قال ابن أبي عتيق لنُصيب : إنِّي خارجٌ ، أفترسلُ إلى سُعْدَى بشيء ؟ قال : نعم ، بيتَيْ شِعرٍ . قال : قل ؛ فقال : [من الطويل]

أتصبرُ عـن سُعْدى وأنت صَبُورُ وأنت بحُسْنِ الصبرِ مِنْـكَ جديرُ

وكدتُ ولَم أُخلَق مِنَ الطيرِ إن بدا سنا بـارقٍ نحـوَ الحجـازِ أطيرُ[2]

قال : فأنشد ابن أبي عتيق سُعدى البيتين ، فتنفَّست تنفُّسةً شديدةً . فقال ابن أبي عتيق : أوّهْ ! أَجَبْتِه والله بأجود من شعره ، ولو سمعك خليلُك لنَعق وطار إليك .

[نصيب والحكم بن المطّلب]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيثم الكاتب قال حدّثني أبو هَفَّان عن إسحاق المَوصِلِيّ عن المُسَيَّبِيّ قال : قال أبو النَّجم : أَتيتُ الحَكَم بن المُطَّلب فمدحتُه ، وخرج إلى السِّعاية[3] فخرجنا معه ومعه عدَّةٌ من الشعراء . فبينا هو مع أصحابه يوماً واقفٌ ، إذا براكب يُوضع في السرابِ[4] وإذا هو نُصيب ، فتقدّم إليه فمدحه فأمر بإنزاله ، فمكث أيّاماً حتى أتاه فقال : إنِّي قد خلَّفْتُ صِبيةً صِغاراً وعِيالاً ضِعافاً . فقال له : ادخُلِ الحظيرةِ فخُذ منها سبعين فَريضةً[5] . فقال له :

---

1 الصدع : الرجل حين يكون خفيف اللحم .

2 سنا في ل : لها .

3 السعاية : جمع الزكاة .

4 في رواية : يوضع في السير .

5 الفريضة : ناقة عمرها سنة .

جعلني الله فداك قد أحسنت ، ومعي ابنٌ لي أخاف أن يَثْلِمها[1] عليّ . قال : فادخل فخذ له سبعين فريضة أُخرى ؛ فانصرف بمائة وأربعين فريضة .

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن الضَّحَّاك عن عثمان عن أبيه قال : قيل لنُصَيب : هَرِمَ شِعرُك . قال : لا والله ما هَرِمَ ، ولكن العطاء هَرِمَ ، ومن يُعطيني مثل ما أعطاني الحَكَم بن المطّلب ؟ خرجتُ إليه وهو ساعٍ على بعض صَدَقات المدينة ، فلمّا رأيته قلت[2] : [من الوافر]

أبـا مَـروانَ لستَ بخارجيٍّ ... وليس قديمُ مجـدِك بانتحالِ[3]
أَغَرُّ إذا الرِّواقُ انجـابَ عنه ... بَـدا مثـلَ الهـلالِ على المِثالِ
تَـــراءاه العيـونُ كما تَـراءى ... عَشِيَّةَ فِطْرِهـا وَضَحَ الهلالِ

قال : فأعطاني أربعمائة ضائنةٍ ومائةَ لَقْحَةٍ ، وقال : ارفَعْ فِراشي ؛ فرفعتُه فأخذتُ من تحته مائتَيْ دينارٍ .

[نصيب وكثير عند أبي عبيدة بن عبد الله بن زمعة]

أخبرني عيسى بن الحُسين الورّاق قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني أسعدُ بن عبد الله المريّ[4] عن إبراهيم بن سعيد بن بِشر بن عبد الله بن عقيل الخارجيّ عن أبيه قال : والله إنّي لَمَع أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة في حِواءٍ[5] له ، إذ جاءه كُثيِّر فحيَّاه ، فاحتفى به ، ودعا بالغداء فشرَعنا فيه وشرع معنا كُثيِّر ؛ وجاء رجلٌ فسلَّم فردَدنا عليه السلام واستدْنَيناه ، فإذا نُصيب في بِزّةٍ جميلةٍ قد وافى الحجَّ قادماً من الشام ، فأكبَّ على أبي عبيدة فعانقه وسأله ثم دعاه إلى الغداء ، فأكل مع القوم ، فرفع كثيِّر يده وأقلع عن الطعام ، وأقبل عليه أبو عُبَيدة والقوم جميعاً يسألونه أن يأكل ، فأبى فتركوه . وأقبل كثيِّر على نُصَيب فقال : والله يا أبا مِحجَن ، إنّ أثر الشام عليك لجميل ، لقد رجعتَ هذه الكَرَّة ظاهرَ الكِبْر قليلَ الحياء . فقال له نُصَيب : لكنّ أثرَ الحجازِ عليك يا أبا صَخر غير جميل . لقد رجعت وإنّك لزائدُ النقصِ[6] ، كثير الحماقة . فقال كثيّر : أنا والله أشعرُ العرب حيث أقول لمَولاتِك : [من الوافر]

---

1 يثلمها : يحدث فيها ثلماً أي نقصاً .
2 ديوان نصيب : 119 عن الأغاني .
3 خارجي : حديث عهد بالرفعة والشرف .
4 ل : المزني .
5 الحواء : مجموعة من بيوت الشعر .
6 ل : التقصير .

إذا أَمْسَيتُ بَطْنُ مَجاحَ دُوني وعَمْـقٌ دون عَـزَّةَ فالبَقِيعُ[1]
فليس بلائِمـي أحـدٌ يُصَلِّـي إذا أخذتْ مَجارِيَهـا الدموعُ

فقال له نُصيب : أنا والله أشعرُ منكَ حيث أقول لابنة عمِّك[2] : [من الطويل]

خَلِيـلِيَّ إنْ حَلّتْ كُلَيَّـةَ فالرُّبى فذا أَمَجٍ فالشِّعْبَ ذا الماء والحَمْضِ[3]
فأصبَح مـن حَوْرانَ رَحْلِي بمنزلٍ يُبَعِّده من دونِها نازحُ الأرضِ[4]
وأَيْأَسْتُما أنْ يجمعَ الدهـرُ بيننا فَخُوضا لِيَ السمَّ المُصَرِّحَ بالمَحْضِ[5]
ففي ذاك من بعضِ الأُمورِ سلامةٌ وللْمَوْتُ خيرٌ من حياةٍ على غَمْضِ

قال : فاقْتَحَم إليه كثيِّر ، وثبت له النُّصيب . فلمّا نالتْه رِجلاه رمَحه نصيبٌ بساقه[6] رَمْحةً طاح منها بعيداً عنه ، فما زال راقداً حتى أيقظناه عَشِيّاً لرَمْي الجِمار .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير عن محمد بن موسى بن طلحة عن عبد الله بن عمر بن عثمان النَّحويّ عن أنيس بن ربيعة الأَسْلَميّ أنّه قال : غدوتُ يوماً إلى أبي عُبَيدة بن عبد الله بن زمعة وهو مُحْتَـلٌّ بالرَّحبة[7] ، فألقيتُ عنـده جماعـةً منّـا ومن غيرنا ، فأتاه آتٍ فقال له : ذاك النُّصَيب منذ ثلاثٍ بالفَرْش[8] من مَلَل مُتَلَدِّدٌ كأنّه والهٌ في أَثَر قومٍ ظاعنين . فنهض أبو عبيدة ونهضنا معه ، فإذا نُصيب على المنحر من صَفَر[9] . فلمّا عايَنَنا وعرَف أبا عُبَيدة هبَط ؛ فسأله عن أمره ، فأخبره أنّه تَبِـع قوماً سائرين وأنّه وجد آثارهم ومَحَلَّهم بالفَرْشِ فاستوْلَهه ذلك . فضحِك به أبو عُبَيدة والقوم ، وقالوا له : إنّما يُهْتَر[10] إذا عَشِق مَن انتسب عُذريّاً ، فأمّا أنت فمالَكَ ولهذا ؟! فاستحيا وسكَن . وسأله أبو عُبَيدة : هل قلتَ في مُقامِك شِعراً ؟ قال : نعم ، وأنشد[11] : [من الطويل]

1 مجاح : بعد مدلجة للذاهب من مكّة إلى المدينة . وعمق : من أودية الطائف .
2 ديوان نصيب : 100 عن الأغاني .
3 ذو أمج : من أعمال المدينة .
4 رحلي في ل : أهلي .
5 أن يجمع الدهر في ل : أن تجمع الدار .
6 ل : برجله .
7 الرحبة : متسع من الأرض ، وبه يسمّى المكان .
8 الفرش : اسم واد .
9 صفر : جبل قرب ملل .
10 يهتر : يذهب عقله .
11 ديوان نصيب : 98–99 عن الأغاني .

لَعَمْرِي لئن أَمْسَيْتَ بالفَرْشِ مُقْصَداً ثَوِيَّاكَ عَبُّودٌ وعُدْنَـةُ أو صَفَرْ[1]
ففَـرِّع صَبّاً أو تَيمَّـم مُصْعِداً لِرَبْعٍ قديمِ العهدِ يَنْتَكِفُ الأَثَرْ[2]
دَعا أهلَـه بالشام بَرْقٌ فأَوْجَفُوا ولم أَرَ متبوعـاً أضَرَّ مـن المَطَرْ
لتَسْتَبْدِلَنْ قلبـاً وعينـاً سِواهُما وإلاّ أَتى قصداً حُشاشَتَكَ القَدَرْ
خَلِيلَيَّ فيمـا عِشْتُمـا أو رأيتُما هل اشتاق مَضْرورٌ إلى من به أُضَرّ
نعَـمْ رُبّما كان الشَّقاءُ مُتَيَّحـاً يُغَطِّي على سَمْعِ ابنِ آدمَ والبَصَرْ[3]

قال : فانصرف به أبو عبيدة إلى منزله ، وأطعمه وكَساه وحَمَله ، وانصرف وهو يقول[4] : [من الوافر]

أصابَ دواءَ عِلَّتِـكَ الطبيبُ وخاضَ لكَ السُّلُوَّ ابنُ الرَّبيبِ
وأَبْصَرَ مِـنْ رُقـاكَ مُنَفِّثاتٍ ودائك كان أَعْـرَفَ بالطَّبيبِ

[نصيب ويزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا أبو حاتم عن الأصمعيّ قال : دخل نُصَيب على يزيد بن عبد الملك ذاتَ يوم ، فأنشده قصيدةً امتدحه بها ، فطرِب لها يزيد واستحسنها ، فقال له : أحسنتَ يا نُصَيب ! سَلْني ما شئتَ . فقال : يَدُكَ يا أمير المؤمنين بالعَطاء أَبْسَطُ من لساني بالمسألة ؛ فأمر به فمُلِىء فمُه جَوهراً ، فلم يزل به غَنِيّاً حتى مات .

[نصيب وإبراهيم بن هشام]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غُزِيَّةَ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال : دخل نُصَيبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة ، فأنشده قوله : [من البسيط]

يا ابنَ الهِشامَيْن لا بَيْتٌ كَبَيْتِهما إذا تَسامَتْ إلى أحسابِها مُضَرُ

فقال له إبراهيم : قم يا أبا مِحجَن إلى تلك الراحلة المَرحولة فخُذها برَحلِها . فقام إليها نُصَيب متباطئاً والناس يقولون : ما رأينا عَطِيَّةً أَهْنأَ من هذه ولا أكرم ولا أعجَل ولا أَجزَل . فسمعهم نُصَيب فأقبل عليهم وقال : والله إنّكم قلَّما صاحبتُم الكِرام ؛ وما راحلةٌ ورَحْلٌ حتى تَرفعوهما فوق قَدْرِهما !

---

1 عبود : اسم جبل . عدنة : ثنية قرب ملل .
2 ففرع صباً : ذهب منحدراً . ينتكف الأثر : يقصه ويتتبّعه .
3 متيّحاً : مقدّراً .
4 ديوان نصيب : 70 عن الأغاني .

[نصيب وهشام بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميّ وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن] عمرو بن عثمان بن عفّان عن أبيه قال : استبطأ هشام بن عبد الملك حين وَلِيَ الخلافة نُصَيباً ألاّ يكونَ جاءه وافِداً عليه مادحاً له ووَجَدَ عليه . وكان نُصَيب مريضاً ، فبلغه ذلك حين بَرأ ، فقَدِمَ عليه وعليه أثرُ المرض وعلى راحلته أثرُ النَّصَب ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها[1] : [من الطويل]

حَلَفتُ بمَـنْ حَجَّتْ قريشٌ لبيتِه ... وأَهْدَتْ لـه بُدْنـاً عليها القلائدُ
لئن كنتُ طالتْ غَيْبَتِي عنكَ إنَّني ... بمَبْلغِ حَوْلِـي في رِضاكَ لَجاهِدُ
ولكنَّني قـد طالَ سُقْمِي وأكثرتْ ... عليَّ العِهادَ المُشْفِقاتُ العَوائِدُ[2]
صَرِيعُ فِراشٍ لا يَزَلْنَ يَقُلْنَ لي ... بنُصْحٍ وإشفاقٍ متـى أنت قاعدُ
فلمّا زجَرْتُ العِيسَ أَسْرَتْ بحاجتي ... إليكَ وذلَّـتْ للِّسانِ القصائدُ
وإنِّي فـلا تَسْتَبْطِنِـي بمَودَّتِـي ... ونُصْحِـي وإشْفاقِي إليـكَ لَعامِدُ
فلا تُقْصِنِي حتى أكـونَ بصَرْعَةٍ ... فييأَسَ ذو قُرْبى ويَشْمَتَ حاسدُ[3]
أنِلْنِـي وقرِّبنـي فإنِّـيَ بالـغٌ ... رِضاكَ بعَفْوٍ مـن نَـداكَ وزائِدُ
أبِتْ نائمـاً أمّـا فؤادِي فهَمُّه ... قليلٌ وأمّـا مَسُّ جِلْـدِي فبارِدُ
وقد كان لي منكم إذا ما لَقِيتكُمْ ... لَيـانٌ ومعـروف وللخيرِ قائدُ[4]
إليك رَحَلَتُ العِيسَ حتّى كأنَّها ... قِسِيُّ السُّرى ذُبْلاً بَرَتْها الطَّرائِدُ
وحتى هَوادِيهـا دِقاقٌ وشَكْوُها ... صَرِيفٌ وباقي النَّقْيِ منها شَرائِدُ[5]
وحتّى وَنَتْ ذاتُ المِراحِ فأذعنتْ ... إليـكَ وكَلَّ الرَّاسِماتُ الحَوافِدُ[6]

قال : فرقَّ له هشام وبكى ، وقال له : ويحَك يا نُصَيب ! لقد أضرَرْنا بك وبرواحِلِك . ووصَله وأحسَن صِلَتَه واحتفل به .

[نصيب وعبد الواحد النصري أمير المدينة]

أخبرنا الحِرْميُّ عن الزُّبير عن عمِّه عن أيّوب بن عبابة قال : قدِم نُصَيبٌ على عبد الواحد

---

1 ديوان نصيب : 76-77 عن الأغاني .
2 العهاد هنا : الدموع وأصل معناها الأمطار .
3 الصرعة هنا : الموت .
4 الليان : النعمة والترفيه .
5 هواديها : أعناقها . وشكوها : شكواها . صريف : احتكاك أسنانها ؛ النقي : مخ العظام . شرائد : بقايا .
6 ذات المراح : الناقة النشيطة ؛ الراسمات : اللواتي يمشين الرسيم ؛ والحوافد : المسرعات .

النَّصريّ وهو أمير المدينة بفَرضٍ من أمير المؤمنين يضعَهُ في قومه من بني ضَمرة ، فأدخلهم عليه ليفرِض لهم وفيهم أربعة غِلمة لم يَحْتَلِمُوا ، فردَّهم النَّصريّ . فكلَّمه نُصَيبٌ كلاماً غليظاً إدلالاً بمنزلته عند الخليفة ، فأشار إليه إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع أن اسكتْ وكُفَّ واخرُج ؛ فإنِّي كافيكَ . فلمّا خرج إبراهيم لقيَه نُصَيب ، فقال له : أشرتَ إليّ فكرهتُ أن أُغضِبَك ، فما كَرِهتَ لي من مراجعته والصَّلابة له ومن ورائي المُستعتَب من أمير المؤمنين ؟ فقال إبراهيم : هو رجلٌ عربيّ حديدٌ غَلِقٌ ، وخَشِيتُ إن جاذبتَه شيئاً ألاّ يرجع عنه وأن يَمضي عليه ويَلِجَّ فيه ، وهو مالكٌ للأمر وله فيه سلطان ، فأردتُ أن تخرُج قبل أن يَلِجَّ ويظهرَ منه ما لا يرجعُ عنه فيَمضي عليه ويَلِجَّ فيه ؛ فتنتظِر لتُصادِف منه طِيبَ نفس فتكلِّمَه ونُرفِدكَ عنده . فقال نُصَيب : [من الرجز]

يَوْمانِ يومٌ لِرُزَيْقٍ فَسْلُ ... ويومُه الآخرُ سَمْحٌ فَضْلُ[1]

أنا ، جُعلتُ فِداءك ، فاعلٌ ذلك ؛ فإذا رأيتَ القولَ فأَشِرْ إليّ حتى أُكلِّمَه . قال : ودخل إليه نُصيب عَشيّاتٍ ، كلَّ ذلك يُشير إليه ابن مُطيع ألاّ يكلّمه ، حتى صادفَ عَشيّةً من العَشيّاتِ منه طِيبَ نَفس ، فأشار إليه أن كلِّمه . فكلَّمه نُصيبٌ فأصاب مَخْتِلَه بكلامه ، ثم قال : إنِّي قد قلتُ شعراً فاسمَعه أيّها الأمير وأَجِزه ، ثم قال[2] : [من الطويل]

أهاجَ البُكا رَبْعٌ بأَسْفَلِ ذي السِّدْرِ ... عَفاهُ اختِلافُ العَصْرِ بعدَك والقَطْرِ[3]
نَعمْ فَتَنانِي الوجدُ فاشتقتُ لِلَّذي ... ذكرتُ وليس الشوقُ إلاّ معَ الذِّكرِ
حَلفتُ بِربِّ المُوضِعِين لِربِّهِمْ ... وحُرمةِ ما بينَ المَقامِ إلى الحجْرِ
لئن حاجتي يوماً قَضَيتَ ورِشْتَنِي ... بِنَفْحة عُرْف من يَديكَ أبا بِشرِ[4]
لَتَعْتَرِفَنَّ الدَّهرَ مِنِّي مودَّةً ... ونُصْحاً على نُصْحٍ وشُكْراً على شُكرِ
سَقى اللهُ صَوْبَ المُزْنِ أرضاً عَمَرْتَها ... بِرِيٍّ وأَسْقاها بِلادَ بنِي نَصْرِ
بوجهِك فاستُعْمِلْتَ ما دُمْتَ خائفاً ... لِرَبِّك تَقضِي راشِداً آخِرَ الدَّهْرِ
لِتُنْقِذَ أصحابي وتَسترَ عَورةً ... بَدتْ لكَ من صَحْبِي فإنّكَ ذو سَتْرِ
فما بأمير المؤمنين إلى التي ... سألتُ فأعطاني لقومِيَ من فَقْرِ

---

1 الفسل : الرذل .

2 ديوان نصيب : 95–96 عن الأغاني .

3 ذو السدر : اسم موضع لم يحدده ياقوت .

4 لئن حاجتي يوماً في ل : لئن أنت حاجاتي .

وقـد خرجتْ منهُ إليك فلا تكن بموضعِ بَيْضاتِ الأَنوقِ من الوَكْرِ[1]

قال : فقال عثمان بن حَيّان المُرِّيّ وهو عنده ، وكان قد جاءه بالقَوَد من ابنِ حَزْم : قَدِ احتلَم الآن القومُ أيّها الأمير ، واستوجَبُوا الفَرْضَ . ورَفَده ابنُ مُطيع فأَحْسن ، واشتدَّ عليه أن شَرِكَه ابنُ حَيّان في رَفده وتَشييعه . وقال النَّصْرِيّ لابن مُطِيع وابن حَيَّان : صَدَقتُما قد احتلَموا واستوجَبُوا الفَرضَ ، افرِضْ لهم يا فلانُ ، لكاتبٍ من كُتّابه ، ففَرض له .

[نصيب يحدث أنّه عشق أمة لبني مدلج]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني جعفر بن عليّ اليَشْكُرِيّ قال حدّثني الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال : دخل نُصَيبٌ على عبد العزيز بن مروان ، فقال له عبد العزيز وقد طال الحديث بينهما : هل عَشِقْتَ قطُّ ؟ قال : نعمْ ، أَمَةً لبني مُدْلِج . قال : فكنتَ تصنَعُ ماذا ؟ قال : كانوا يَحْرُسُونها منّي ، فكنتُ أقنَع أن أَراها في الطَّريق وأُشيرَ إليها بعيني أو حاجبي ، وفيها أقول[2] : [من الطويل]

وقَفْـتُ لهـا كَيْما تَمُـرَّ لعلّنـي أُخالِسُها التّسليـمَ إن لم تُسَلِّمِ
ولمّا رأتنِـي والوُشاةَ تحدّرتْ مَدامعُهـا خوفـاً ولم تتكلَّمِ
مَساكينُ أهلُ العِشق ما كُنتُ أشتَرِي جميـعَ حَياةِ العاشقِين بِدِرْهَمِ

فقال عبد العزيز : وَيْحَكَ ، فما فعَلتْ ؟ قال : بِيعتْ فأولَدها سيِّدُها . قال : فهل في نفسِك منها شيء ؟ قال : نعَم ، عَقابِيل أحزان .

[حمل عبد العزيز بن مروان ديناً عن نصيب]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بُهْلُول بنُ سليمان بن قِرضاب البَلَويّ : أنّ إبلاً لنُصَيب أَجدَبتْ وحالت[3] ، وكان لرجل من أَسلَمَ عليه ثمانيةُ آلافِ درهمٍ . قال : فأخبرني أبي وعمّي أنّه وفَدَ على عبد العزيز بن مروان ، فقال له : جعَلني الله فداءَك ، إنّي حَمَلتُ دَيناً في إبل ابتعتُها مُجدِباتٍ حِيال ، وقد قلتُ فيها شعراً . قال : أَنشِده ، فأنشدَه[4] :

فلمّا حَمَلْتُ الدَّيْنَ فيها وأصبحتْ حِيالاً مُسِنَّاتِ الهوى كِدْتُ أندَمُ
على حينِ أن راثَ الربيعُ ولم يكن لهـا بصَعِيدٍ مـن تِهامَةَ مَقْضَمُ[5]

1 بيضات الأنوق ، لا تنال ، ولذلك يضرب المثل بعزتها .
2 ديوان نصيب 131–132 عن الأغاني وغيره .
3 حالت : لم تحمل .
4 ديوان نصيب : 126 عن الأغاني .
5 راث : أبطأ . راث الربيع في ل : راث الزمان .

ثمانيــةٌ للأسْلَمِيِّ ومـا دَنـا لفُحْشٍ ولا تدنو إلى الفُحْشِ أَسْلَمُ

فقال له عبد العزيز : فما دَيْنُك ويحك ؟ قال : ثمانية آلاف ، فأمر له بثمانية آلاف درهم . فلمّا رجَع أنشد الأسلميّ الشعرَ فتركَ ما له عليه ، وقال : الثمانيةُ الآلاف لك .

[نصيب والنسوة الثلاث]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني المَوْصِلِيّ عن ابن أبي عُبَيدة قال : أتى نُصَيب مكّة فأتى المسجد الحرامَ ليلاً . فبينما هو كذلك إذ طلَع ثلاثُ نسوةٍ فجلسْن قريباً وجعلن يتحدّثن ويتذاكرْنَ الشعر والشعراء ، وإذا هنّ من أفصحِ النساء وآدبِهنّ . فقالت إحداهنّ : قاتل الله جميلاً حيث يقول : [من الطويل]

وبـينَ الصَّفا والمَرْوتـين ذكرتُكـم بمُخْتَلفٍ مـا بـين ساعٍ ومُوجِفُ
وعنـد طَوافي قـد ذكرتُـكِ ذُكْرةً هي الموتُ بل كادتْ على الموتِ تَضْعفُ

فقالت الأُخرى : بل قاتل اللهُ كُثَيِّر عَزَّةَ حيث يقول : [من الطويل]

طَلَعْنَ علينا بـين مَرْوةَ والصَّفا يَمُرْنَ على البَطْحاءِ مَوْرَ السحائبِ
فكِدْنَ لَعمْـرُ اللهِ يُحْدِثْنَ فتنةً لمُختَشِعٍ مـن خَشْيةِ اللهِ تائبِ

فقالت الأُخرى : قاتل اللهُ ابنَ الزانية نُصَيباً حيث يقول : [من الطويل]

ألامُ عـلى لَيْلى ولـو أستطيعُهـا وحُرْمةِ مـا بـين البَنِيَّةِ والسِّتْرِ
لَمِلْـتُ على لَيْـلى بنفسيَ مَيْلةً ولو كان في يوم التَّحالُق والنَّحْرِ

فقام نصيبٌ إليهنّ فسلَّم عليهنّ ، فردَدْنَ عليه السلام . فقال لهنّ : إنّي رأيتُكنّ تتحادَثْنَ شيئاً عندي منه علمٌ . فقلن : ومن أنت ؟ فقال : اسمَعْنَ أوّلاً . فقلن : هاتِ . فأنشدهنّ قصيدتَه التي أوّلها : [من البسيط]

ويـومَ ذي سَلَمٍ شاقَتْكَ نائحةٌ وَرْقـاءُ في فَنَنٍ والريحُ تضطربُ

فقلن له : نسألك بالله وبحقِّ هذه البَنيَّة ، من أنت ؟ فقال : أنا ابنُ المظلومةِ المقذوفة بغير جُرم «نُصَيب» . فقُمْن إليه فسلَّمن عليه ورحَّبنَ به ، واعتذرت إليه القائلة ، وقالت : والله ما أردت سوءاً ، وإنّما حملني الاستحسان لقولك على ما سمعتَ . فضحك وجلس إليهنّ ، فحادثهنّ إلى أنِ انصرفن .

[8] ـ أخبار ابن مُحرز ونسبه

[نسب ابن محرز]

هو مُسْلم بن مُحرز فيما رَوى ابنُ المَكِّي ، ويُكْنى أبا الخطَّاب ، مولى بني عبد الدَّارِ بن قُصَيّ . وقال ابن الكلبيّ : اسمه سَلْمٌ . قال ويقال : اسمه عبد الله . وكان أبوه من سَدَنةِ الكعبة ، أصله من الفُرس ، وكان أصفر أجنأ[1] طويلاً .

وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجِشون قال : اسمُ ابن مُحرز سَلْم ، وهو مولى بني مخزوم . وذكر إسحاق أنّه كان يسكُن المدينة مَرّةً ومكّة مرّةً ، فإذا أتى المدينة أقام بها ثلاثة أشهر يتعلّم الضرب من عزّة المَيْلاء ، ثم يرجع إلى مكّة فيقيم بها ثلاثة أشهر . ثم يشخَص إلى فارس فتعلّم ألحان الفرس وأخذ غناءهم ، ثم صار إلى الشام فتعلّم ألحان الرُّوم وأخذ غناءهم ، فأسقط من ذلك ما لا يُستحسن من نَغَم الفريقين ، وأخذ محاسنها فمزج بعضها ببعض وألَّف منها الأغاني التي صنعها في أشعار العرب ، فأتى بما لم يُسمَعْ مثلُه . وكان يقال له صَنَّاج العرب .

[ابن محرز أوّل من غنى الرمل]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوب المَدِيني عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال ، قال أبي : أوّلُ من غنّى الرَّمَل ابن محرز وما غُنِّي قبلَه . فقلتُ له : ولا بالفارسيّة ؟ قال : ولا بالفارسيّة ، وأوّل مَن غنّى رَمَلاً بالفارسيّة سَلْمَك في أيّام الرشيد ، استحسن لحناً من ألحان ابن محرز ، فنقَل لحنه إلى الفارسيّة وغنّى فيه .

[خمول ذكر ابن محرز إلا في الغناء]

قال أبو أيّوب وقال إسحاق : كان ابن مُحرِز قليلَ المُلابَسَةِ للناس ، فأَحْمَل ذلك ذِكْرَه فما يُذكر منه إلاّ غناؤه ، وأخذتْ أكثرَ غنائه جاريةٌ كانت لصديق له من أهل مكّةَ كانت تألَفه ، فأخذه الناس عنها . ومات بداءٍ كان به . وسقَط إلى فارسَ فأخذ غناء الفُرْس ، وإلى الشام فأخذ غناءَ الروم ، فتخيَّر من نَغَمهم ما تغنَّى به غناءَه . وكان يَقدَم بما يُصيبه فيدفعُه إلى صديقه ذاك فيُنفقُه كيف شاء ، لا يسأله عن شيءٍ منه ، حتى إذا كاد أن يَنفد جهَّزه وأصلح من أمرِه ، وقال له : إذا شئتَ فارحل ، فيرحلُ ثم يعود . فلم يزل كذلك حتى مات .

---

1 أجنأ : محدودب الظهر

[ابن محرز أوّل من غنّى بزوج من الشعر]

قال : وهو أوّل مَن غنّى بزَوجٍ من الشِّعر ، وعمل ذلك بعده المغنُّون اقتداءً به . وكان يقول : الأفراد لا تَتِمُّ بها الألحان . وذكر أنّه أوّلَ ما أخذ الغناء أخذه عن ابن مِسْجَح . قال إسحاق : وكانت العِلّة التي مات بها الجُذام ، فلم يُعاشر الخلفاء ولا خالَط الناس لأجل ذلك .

قال أبو أيّوب قال إسحاق : قدِم ابن مُحرِز يريد العراق ، فلمّا نزل القادسيّة لَقيَه حُنين ، فقال له : كم مَنَّتْك نفسك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار . قال : فهذه خمسمائة دينارٍ فخُذها وانصرف واحلِف ألاّ تعود .

[علو كعبه في صنعة الغناء]

وقال إسحاق : وقلتُ ليونس : مَن أحسنُ الناس غناءً ؟ قال : ابن محرز . قلت : وكيف قلت ذاك ؟ قال : إن شئتَ فسَّرْتُ ، وإن شئتَ أجملتُ . قلت : أجمل . قال : كأنّه خُلِق من كلّ قلب ؛ فهو يغنّي لكلِّ إنسان بما يشتهي . وهذه الحكاية بعينها قد حُكيت في ابن سريج ، ولا أدري أيُّهما الحقُّ .

قال إسحاق : وأخبرني الفضل بن يحيى بن خالد أنّه سأل بعض من يُبصر الغناء : مَنْ أحسن الناس غناءً ؟ فقال : أمِنَ الرجالِ أم من النساء ؟ فقلت : من الرجال . فقال : ابنُ مُحرز . فقلت : فمن النساء ؟ فقال : ابن سريج . قال : وكان إسحاق يقول : الفحول ابن سُرَيج ، ثم ابن مُحرز ، ثم معبد ، ثم الغريض ، ثم مالك .

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي حدّثنا بعض أهل المدينة ، وأخبرني بهذا الخبر الحَرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أخي هارون عن عبد الملك بن الماجشون قال : كان ابن محرز أحسن الناس غناءً ، فمرّ بهند بنتِ كنانة بن عبد الرحمن بن نَضْلَةَ بن صفوان بن أُميّة بن مُحَرِّث الكِنانيّ حَليف قريش ، فسألتْه أن يجلس لها ولصواحب لها ، ففعل وقال : أُغنّيكنّ صوتاً أمرني الحارث بن خالد بن العاص بن هشام أن أُغنّيه عائشةَ بنت طلحة بن عُبَيد الله في شعر له قاله فيها وهو يومئذٍ أميرَ مكّة ؟ قُلنَ نعم . فغنّاهنّ : [من الكامل]

صوت

فَودِدْتُ إذ شَحَطُوا وشَطَّتْ دارُهُمْ وَعَدَتْهُمُ عَنَّا عَوادٍ تَشْغَلُ
أنّا نُطاعُ وأن تُنَقَّلَ أرضُنا أو أنَّ أرضَهُم إلينا تُنْقَلُ

لِتُــرَدَّ مِــنْ كَتَبٍ إليكِ رَسائلي بجَوابهــا ويعــودَ ذاكَ المُرْسَلُ[1]

عَروضه من الكامل الغناء في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى البِنصر ، ذكر عمرو بن بانة أنّه لابن مُحرز ، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيج .

[ابن محرز وحنين الحيري]

وقال أبو أَيُّوب المَدِينيّ في خبره : بلغني أنّ ابنَ مُحرِز لمّا شَخَص يريد العراقَ لقيه حُنَين فقال له : غنِّني صوتاً من غنائك . فغنَّاه : [من المتقارب]

صوت

وحُسْنُ الزَّبَرْجَــدِ في نَظْمِــه على واضِحِ اللِّيتِ زانَ العُقُودا[2]
يُفَصِّــــلُ ياقوتُــــــه دُرَّه وكالجَمْرِ أبصرتَ فيه الفَريدا

عروضُه من المتقارب الشعر لعمر بن أبي ربيعة : والغناء لابن مُحرز ثاني ثقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرى البِنصر . قال : فقال له حُنين حينئذٍ : كم أَمَّلتَ من العراق ؟ قال : ألفَ دينار . فقال له : هذه خمسمائة دينارٍ فخُذها وانصرفْ . ولمّا شاع ما فعل لامه أصحابُه عليه ؛ فقال : والله لو دخل العراقَ لما كان لي معه فيه خبزٌ آكلُه ، ولاطُّرِحْتُ وسقَطْتُ إلى آخرِ الدهر . وهذا الصوتُ أعني : [من المتقارب]

وحسنُ الزبرجــدِ في نظمِهِ

من صُدور أغاني ابن محرز وأوائِلها وما لا يتعلَّق بمذهبه فيه ولا يتشبَّه به أحدٌ . وممّا يُغَنِّي فيه من قصيدة نُصَيب التي أوّلها :

أهــاجَ هــواكَ المنزلُ المتقادمُ

صوت

[من الطويل]

لقــد راعَنِي للبيْن نَوْحُ حمامةٍ على غُصْنِ بانٍ جاوَبَتْها حَمائِمُ
هَواتفُ أمّا مَنْ بَكَيْن فعهدُه قديــمٌ وأمّا شَجْوُهــنّ فدائمُ

الغناء لابن سريج من رواية يونس وعمرو وابن المكيّ ، وهو ثاني ثقيلٍ بالبِنصر ، وهو من جَيِّد الألحان وحَسَنِ الأغاني ، وهو ممّا عارض ابنُ سُرَيج فيه ابنَ محرز وانتصَفَ منه .

---

1 المرسل في ل : الدخلل (وهو الذي يداخل الآخر ويعرف سره) .

2 الليت : صفحة العنق .

ذكر الأصوات التي رواها جحظة عن أصحابه وحكى أنّها من الثلاثة المختارة

صوت[1]

[من الوافر]

إلى جَيْداءَ قــد بَعَثُوا رسولاً ليحْزُنَها فـلا صُحِبَ الرَّسُولُ
كأنّ العامَ ليس بعــامِ حَجٍّ تغيَّرتِ المــواسمُ والشُكولُ

الشعرُ للعرجيّ ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ، ولحنُه المختار ماخوريٌّ بالوسطى ، وهو من خفيفِ الثَّقيل الثاني على مذهب إسحاق . وفيه لابن سريج ثاني ثَقيلٍ بالسَّبَّابة في مجرى البِنصر ، وذكر عمرو بن بانة أنّ الماخوريّ لابن سُرَيج .

1 ديوان العرجي : 190 عن الأغاني .

[9] ـ أخبار العَرْجِيّ ونسبه[1]

[نسب العرجي من قبل أبويه]

هو عبد الله بن عُمَرَ بن عمرو بن عثمان بن عفّان بن أبي العاصي بن أميّة بن عبد شمس[2] . وقد شُرِح هذا النسبُ في نسب أبي قَطيفة . وأُمُّ عَفَّان وجميع بني أبي العاصي آمنةُ بنت عبد العُزَّى بن حُرْثان بن عوف بن عُبَيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب . وأُمُّ عثمان أَروى بنتُ كُرَيز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأُمّها البيضاء أُمّ حَكِيم بنتُ عبد المُطَّلِب بن هاشم بن عبد مَناف ، وهي أُخت عبد الله بن عبد المُطَّلب أبي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، لأُمِّه وأبيه وُلِدا في بطنٍ واحدٍ . وأُمُّ عمرو بن عثمان أُمُّ أَبان بنتُ جُنْدَب الدَّوْسِيَّة .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عليُّ بن صالح عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال حدّثني مُحرز بن جعفر عن أبيه عن جدّه قال : قَدِم جُندَب بن عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسِيُّ المدينة مهاجِراً في خلافة عمر بن الخطّاب ، ثم مضى إلى الشام وخلَّف ابنته أُمَّ أَبان عند عمر ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إن وجدتَ لها كفئاً فزوِّجه بها ولو بَشَراك نَعْلِه ، وإلاّ فأَمْسِكها حتى تُلحقَها بدار قومها بالسَّراة[3] . فكانت عند عمر ، واستُشهد أبوها ، فكانت تدعو عمر أباها ويدعوها ابنته . قال : فإنّ عمر على المنبر يوماً يكلّم الناس في بعض الأمر إذ خطَر على قلبه ذكرُها ، فقال : مَن له في الجميلة الحسيبة بنت جندب بن عمرو بن حُمَمة ، وليعلَمِ امرؤٌ مَن هو ، فقام عثمان فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فقال أنت لعَمْرُ اللهِ ، كم سُقْتَ إليها ؟ قال : كذا وكذا . قال : قد زوَّجتُكها ، فعجِّله ؛ فإنّها مُعَدّة . قال : ونزل عن المنبر . فجاء عثمان رضي الله عنه بمهرها ، فأخذه عمر في ردنِه[4] فدخل به عليها ، فقال : يا بُنيَّة ، مُدِّي حِجرك ، ففتحتْ حجرَها ، فألقى فيه المال ، ثم قال : يا بُنيَّة ، قولي اللهمّ بارِك لي فيه . فقالت : اللهمّ بارِك لي فيه ، وما هذا يا أبتاه ؟ قال : مَهْرُك . فنفَحَتْ[5] به وقالت : واسَوْأَتاه ! فقال : احتَبِسي منه لنفسك ووسِّعي منه لأهلِك ، وقال لحَفصة : يا ابنتاه ، أَصلحي من شأنها

---

1 راجع عن العرجي : الشعر والشعراء : 478–480 ؛ ونسب قريش للمصعب : 118 . وشرح الأمالي للبكري : 422 ؛ والوافي بالوفيات للصفدي 17 : 384–388 تحقيق دوروتيا كرافولسكي . وتهذيب التهذيب 5 : 338–339 وخزانة الأدب 1 : 98–99 ؛ ومقدّمة ديوانه تحقيق رشيد العبيدي ، بغداد .

2 كذلك هو نسبه في أنساب الأشراف 1/4 : 608 .

3 السراة : سلسلة الجبال المحاذية لتهامة .

4 ل : في يديه .

5 نفحت به : روته ورمته (أي المال) .

وغَيِّري بَدَنَها[1] واصبُغي ثوبها ، ففعلتْ . ثم أرسل بها مع نسوةٍ إلى عثمان . فقال عمر لمّا فارقتْه : إنّها أمانةٌ في عُنقي أخشى أن تَضيع بيني وبين عثمان ، فلحِقَهُنَّ فضرب على عثمان بابه ، ثم قال : خُذ أهلك بارك الله لك فيهم . فدخلت على عثمان ، فأقام عندها مُقاماً طويلاً لا يخرُج إلى حاجة . فدخل عليه سعيد بن العاص فقال له : يا أبا عبد الله ، لقد أقمتَ عند هذه الدَّوْسيَّة مُقاماً ما كنتَ تقيمه عند النساء . فقال : أما إنّه ما بقيت خَصلةٌ كنتُ أُحبُّ أن تكون في امرأة إلاّ صادفتُها فيها ما خلا خَصلةً واحدة . قال : وما هي ؟ قال : إنّي رجل قد دخلت في السنّ ، وحاجتي في النساء الولدُ ، وأحسبُها حديثةً لا ولد فيها اليوم . قال : فتبسّمت . فلمّا خرج سعيدٌ من عنده قال لها عثمان : ما أضحككِ ؟ قالت : قد سمعتُ قولك في الولد ، وإنّي لمن نسوةٍ ما دخلتِ امرأةٌ منهنّ على سيِّد قطُّ فرأت حمراء[2] حتى تَلِد سيِّد مَن هو منه : قال : فما رأت حمراء حتى ولدت عمرو بن عثمان . وأُمُّ عمر بن عمرو بن عثمان أُمُّ ولدٍ . وأُمُّ العرجيّ آمنة بنت عمر بن عثمان ؛ وقال إسحاق : بنت سعيد بن عثمان وهي لأُمِّ ولد .

[سبب تلقبه بالعرجي وتشبهه بعمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي : أنّه إنّما لُقِّب العرجيّ لأنّه كان يسكن عَرْج الطائف . وقيل : بل سُمِّي بذلك لماءٍ كان له ومالٍ عليه بالعرْج . وكان من شعراء قريش ، ومَن شُهِر بالغَزَل منها ، ونحا نحوَ عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبَّه به فأجاد . وكان مشغوفاً باللَّهو والصَّيد حَريصاً عليهما قليل المُحاشاة لأحدٍ فيهما ، ولم يكن له نباهةٌ في أهله ، وكان أشقر أزرق جميل الوجه . وجَيداءُ التي شبَّب بها هي أُمُّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وكان ينسُب بها ليفضح ابنها لا لمحبَّةٍ كانت بينهما ؛ فكان ذلك سبب حبس محمد إيّاه وضربه له ، حتى مات في السجن .

وأخبرني محمد بن مَزيد إجازةً عن حمّاد بن إسحاق فذكر أنّ حماداً حدّثه عن إسحاق عن أبيه عن بعض شيوخه : أنّ العرجيّ كان أزرق كَوسَجاً[3] ناتىء الحنجرة ، وكان صاحب غزلٍ وفُتُوَّةٍ ، وكان يسكن بمالٍ له في الطائف يسمَّى العرج ؛ فقيل له العرجيّ ونُسِب إلى ماله . وكان من الفرسان المعدودين مع مسلمة بن عبد الملك بأرض الروم ، وكان له معه بَلاءٌ حسنٌ ونفقة كثيرة .

قال إسحاق : قد ذكر عُتبة بن إبراهيم اللّهبيّ : أنّ العرجيّ فيما بلغه باع أموالاً عظاماً

---

1 البدن : شبه درع على قدر الجسد .

2 حمراء : كناية عن دم الحيض .

3 كوسج : خفيف شعر اللحية .

كانت له وأطعم ثمنها في سبيل الله حتى نفِد ذلك كلُّه ، وكان قد اتّخذ غلامين ، فإذا كان الليل نصب قِدرَه وقام الغلامان يوقِدان ، فإذا نام واحدٌ قام الآخر ، فلا يزالان كذلك حتى يُصبِحا ، يقول : لعلّ طارقاً يَطرق .

[العرجيّ خليفة عمر بن أبي ربيعة]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثني مصعب ، وأخبرنا الحِرْميّ عن الزبير عن عمّه مصعب وعن محمد بن الضَّحّاك بن عثمان عن أبيه قال ، دخل حديث بعضهم في بعضٍ ، وأخبرني محمد بن مزيد عن حمّاد عن أبيه عن مُصعب قال : كانت حبشيَّة من مولّدات مكّة ظريفةٌ صارتْ إلى المدينة ، فلمّا أتاهم موت عمر بن أبي ربيعة اشتدّ جَزَعُها وجعلَتَ تَبكِي وتقول : مَن لمكّة وشِعابِها وأباطحِها ونُزهِها ووَصفِ نسائها وحسنهنّ وجمالهنّ ووصف ما فيها ؟ فقيل لها : خفِّضي عليك ؛ فقد نشأ فتًى من ولد عثمان رضي الله عنه يأخذ مأخذه ويسلُك مسلَكَه . فقالت : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها ؛ فمسحت عينَها وضحكت وقالت : الحمد لله الذي لم يُضَيِّعْ حَرَمَه .

[العرجيّ وكلابة مولاة عبد الله بن القاسم العبلي]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعب ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَورَكٍ[1] اللهبيّ : أنّ مَولاةً لثقيف يقال لها كلابة كانت عند عبد الله بن القاسم الأُمويّ العَبليّ[2] ، وكان يَبلُغها تشبيب العرجيّ بالنساء وذكرهُ لهنّ في شعره ، وكانت كلابة تُكثر أن تقول : لشدّ ما اجترأ العرجيّ على نساء قريش حين يذكُرهنّ في شِعره ؛ ولعمري ما لقِي أحداً فيه خيرٌ ، ولئن لقيتُه لأُسَوِّدنَّ وجهَه ! فبلغه ذلك منها . قال إسحاق في خبره : وكان العبليّ نازلاً على ماء لبني نصر بن معاوية يقال له الفُتُق على ثلاثة أميال من مكّة على طريق مَن جاء من نجران أو تبالة إلى مكّة ، والعرج أعلاها قليلاً ممّا يلي الطائف . فبلغ العرجيّ أنّه خرج إلى مكّة ، فأتى قصره فأطاف به ، فخرجت إليه كلابةُ وكان خلَّفها في أهله ، فصاحت به : إليكَ ، ويلك ! وجعلت ترميه بالحجارة وتمنعه أن يدنو من القصر . فاستسقاها ماء فأبتْ أن تسقيه ، وقالت : لا يوجد والله أَتْرُك عندي أبداً فيلصَق بي منك شرٌّ . فانصرف وقال : ستعلمين ؛ وقال[3] : [من البسيط]

1 قد تقدّم أنّه الحسن بن عتبة اللهبي .

2 نسبة إلى العبلات .

3 هي أوّل قصيدة في ديوان العرجي ، تحقيق رشيد العبيدي وخضر الطائي .

صوت

حُــورٌ بَعَثْنَ رسولاً في مُلاطَفَةٍ ... ثَقْفاً إذا غَفَــلَ النَّسَّاءةُ الوَهِمُ[1]

إليَّ أنْ إيتنــا هَـدْأ إذا غَفَلتْ ... أحراسُنا وافتضحنا إنْ همُ عَلِمُوا

فجئتُ أَمْشِي على هَــوْلٍ أُجَشمه ... تَجَشُّمُ المرءِ هولاً في الهوى كَرَمُ

إذا تخوّفتُ من شيءٍ أقولُ له ... قد جفَّ فامْضِ بشيءٍ قُدر القَلَمُ[2]

أَمْشِي كما حَرَّكــتْ رِيحٌ يَمانيَّةٌ ... غُصْناً من البانِ رَطْباً طَلَّة الدِّيَمُ[3]

في حُلَّةٍ من طِرازِ السُّوسِ مُشْرَبَةٍ ... تَعْفُو بهُدّابِها مــا أَثَّــرتْ قَدَمُ[4]

خَلَّتْ سَبِيلِي كما خَلَّيْتُ ذا عُذُرٍ ... إذا رأتــه عِتــاقُ الخيــلِ ينتجِمُ

وهُنّ في مجلسٍ خــالٍ وليس له ... عــينٌ عليهنّ أَخْشاها ولا نَدَمُ[5]

حتى جلستُ إزاءَ البابِ مكتَتِماً ... وطالبُ الحاجِ تحت الليل مُكْتَتِمُ

أَبْدَيْنَ لي أعيُناً نُجْلاً كما نَظرتْ ... أُدْمٌ هِجانٌ أتاها مُصْعَبٌ قَطِمُ[6]

قالتْ كُلابة مَنْ هذا ؟ فقلتُ لها ... أنا الذي أنتِ من أعدائه زَعَمُوا

أنا امرؤٌ جدَّ بي حبٌّ فأَحْرَضَنِي ... حتى بَلِيتُ وحتى شَفَّنِي السَّقَمُ

لا تَكِلينــي إلى قــومٍ لَوَ آنَّهمُ ... من بُغْضِنا أُطْعِموا لحمِي إذاً طَعِمُوا[7]

وأَنْعِمِي نِعْمــةً تُجْزى بأحسنِها ... فطالما مَسَّنِي مــن أهلِكِ النِّعَمُ

سَتْرُ المُحِبِّــين في الدنيــا لعلّهُم ... أن يُحْدِثُوا توبةً فيهــا إذا أَثِمُوا

هذِي يَمِينِيَ رَهْنٌ بالوَفاء لكم ... فارضَيْ بها ولأَنْفِ الكاشح الرَّغَمُ

قالت رَضِيتُ ولكن جئتَ في قمرٍ ... هَلاَّ تلبَّثْتَ حتــى تَدخُــلَ الظُّلَمُ

---

1 ثقفاً : فهماً حاذقاً ، ورواية الدؤلي : أسقط . النساءة في ل : استيقظ ، والنساءة : الكثير النسيان .

2 الديوان : بما قد قدر (أي قد جف بما قد قدر القلم) .

3 الدميم في ل : الرهم .

4 السوس : مدينة في خوزستان . مشربة : ملوّنة . تعفو : تطمس . ما أثرت قدم في الديوان : ما تندب القدم ، والمراد أنّ أهدابها تطمس آثار الأقدام .

5 ولا ندم في الديوان : ولا يرم . ل : ولا قدم .

6 أبدين في الديوان : سدءن . المصعب : الفحل . القطم : المشتهي للضراب .

7 لا تكليني في الديوان : لا تذكريني .

فبِتُّ أُسْقَى بأكْــواسٍ أُعَلُّ بها ... من باردٍ طابَ منها الطَّعْمُ والنَّسَمُ[1]
حتَّى بَــدا ساطعٌ للفجر نَحْسَبُه ... سَنا حريقٍ بلَيْــلٍ حــين يَضْطَرِمُ
كَغُرَّة الفرسِ المَنْسوبِ قد حُسِرَتْ ... عنه الجِلالُ تَلالا وهــو يَلْتَجِمُ[2]
ودّعتهــنّ ولا شيءٌ يُراجعنــي ... إلاّ البَنانُ وإلاّ الأعــينُ السُّجُمُ
إذا أَرَدْنَ كلامِي عندَه اعترضتْ ... من دُونِــه عَبَراتٌ فانثَنى الكَلِمُ
تكاد إذ رُمْنَ نَهْضاً للقيام معي ... أعجازُهنّ مــن الأنصافِ تَنقَصِمُ

قال : فسمِع ابن القاسم العَبْلِيّ بالشِّعْر يُغَنَّى به ، وكان العَرجِيّ قد أعطاه جماعةً من المغنِّين وسألهم أن يُغَنُّوا فيه ، فصنعوا في أبياتٍ منه عدّة ألحان ، وقال : والله لا أجد لهذه الأَمَةِ شيئاً أبلغَ من إيقاعها تحت التُّهمة عند ابن القاسم ليقطعَ مَأْكَلَتَها من ماله . قال : فلمّا سمِع العبليّ بالشعر يغنَّى به أخرج كُلابةَ واتَّهمها ، ثم أرسل بها بعد زمانٍ على بعير بين غِرارَتَيْ بَعْرٍ ، فأحلفها بمكّةَ بين الرُّكْنِ والمَقام أنّ العَرْجِيّ كذَب فيما قاله . فحلفتْ سبعين يميناً ، فرَضِيَ عنها وردّها . فكان بعد ذلك إذا سمِع قولَ العَرْجِيْ : [من البسيط]

فطالما مَسَّنِي من أهلِك النِّعَمُ

قال : كذَب واللهِ ما مسَّه ذلك قطُّ . وقال إسحاق : وقد قيل : إنّ صاحبَ هذه القصيدة [والقصّة] أبو جراب[3] العَبْلِيّ ، وإنّ كُلابةَ كانت أَمَةً لسُعْدَةَ بنتِ عبد الله بن عَمْرو بن عثمان ، وكان العَرْجِيّ قد خطبَها وسُمِّيت به ، ثم خطبها يزيدُ بن عبد الملك أو الوليد بن يزيد فزُوِّجته ، فقال العَرجِيّ هذا الشعر فيها . غنَّى في قوله : [من البسيط]

أَمْشِي كما حَرَّكَتْ رِيحٌ يَمانيّةٌ

عليُّ بنُ هِشام هَزَجاً مطلقاً بالبِنْصر ، وفيه للمَسْدُود هَزجٌ آخر طُنْبُوريٌّ ، ذكر ذلك جَحْظةُ . وفي :

لا تَكليني إلى قــوم لَوَانهمُ

رَمَلٌ لابنِ سريج عن ابن المَكِّيّ وإسحاق بالسبابة في مجرى الوُسطى . وفي «قالت كُلابةُ» والذي بعده لعبيد الله بن أبي غسَّان لحنٌ من خفيف الرَّمَل . ولنبيه في «أنا امرؤ جدّبي» وما بعده . هزج بالوُسطى ، ولدَحمان في «حُورٌ بَعَثْنَ» وما بعده ، هزجٌ بالوُسطى ،

1 طاب في ل : لذّ . الشطر الثاني في الديوان : أصناف شتّى فطاب الطعم والنسم .
2 الفرس في الديوان : الأزهر .
3 ل : جراب .

وروى عنه الهشاميّ فيه ثقيلاً أوّل . ولأبي عيسى ابن المتوكّل في «وأَنْعِمِي نِعمةً» وبيتين بعده ، ثقيل أوّل .

وأخبرني بخبَر العرجيّ وكُلابة هذه الحرميُّ بن أبي العلاء عن الزبير بن بكّار عن عمِّه مُصعب ، وأخبرني به وكيعٌ عن أبي أيوب المَدِينيّ عن مُصعب وذكر نحواً ممّا ذكره إسحاق ؛ وزعما أنّ كُلابة كانت قَيِّمةً لأبي جِراب العَبْليّ وهو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحارث بن أُميَّة الأصغر بن عبد شمس .

[أيوب بن مسلمة وأشعب يتذكّران شعراً للعرجيّ]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني مسلمة بن إبراهيم بن هشام قال : كنتُ عند أيُّوبَ بنِ مَسْلَمَة ومعنا أشعب ، فذكر قول العرجيّ[1] : [من الخفيف]

أينَ ما قلتِ مُتُّ قبلَكَ أينا ... أين تصديقُ ما وَعَدْتِ إلينا
فلقد خِفْتُ منكِ أن تَصْرِمِي الحَبْـ ... ـلَ وأن تَجمعي مع الصُّرْمِ بَيْنَا
ما تقولين في فتىً هامَ إذ ها ... مَ بمن لا ينالُ جهلاً وحَيْنا
فاجْعَلِي بيننا وبينكِ عَدْلاً ... لا تَحِيفي ولا يَحِيفُ علينا
واعلَمِي أنّ في القَضاءِ شُهوداً ... أو يميناً فأَحْضِرِي شاهِدَينا
خُلّتِي لو قدَرتُ منكِ على ما ... قُلْتِ لي في الخَلاء حينَ التقَينا
ما تحرّجتُ من دَمِي عَلِمَ اللـ ... ـهُ ولو كنتُ قد شهدتُ حُنَيْنا

قال فقال أيّوب لأشعب : ما تظنُّ أنّها وَعَدتْه ؟ قال : أخبرك يقيناً لا ظنّاً أنّها وَعَدَتْه أن تأتيه في شِعْب من شِعاب العَرج يوم الجمعة إذا نزل الرجال إلى الطائف للصَّلاة ، فعرض لها عارض شُغْلٍ فقطَعها عن موعِده . قال : فمن كان الشاهدان ؟ قال : كُسَيِّرٌ وعُوَير ، وكلٌّ غَير خَيِّر[2] : فِندٌ أبو زيد مولى عائشة بنتِ سعد ، وزور الفرق مولى الأنصار . قال : فمن العدلُ الحَكَم ؟ قال : حُصَين بن غُرير الحِمْيَري . قال : فما حَكَم به ؟ قال : أدّتْ إليه حقَّه وسقَطتِ المؤونة عنه . قال : يا أشعبُ ، لقد أحكمتَ صِناعتَك ؛ قال : سَلْ علاَّمةً عن علمِه .

[شعر العرجيّ في عاتكة زوجة طريح بن إسماعيل الثقفيّ]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عورك اللهبيّ قال : قال العرجيّ في امرأة من بني حبيب (بطنٍ من بَنِي نَصْر بن معاوية) يقال لها عاتِكة ، وكانت زوجةَ

1 الأبيات في ديوان العرجي : 194 ، عن الأغاني .
2 هذا مثل .

طُرَيح بن إسماعيل الثَّقفيّ : [من الكامل]

يا دارَ عاتِكــةَ التي بالأَزْهَرِ أو فَوْقَه بقَفا الكَثِيبِ الأَحْمر[1]
لم أَلْقَ أهلَكِ بعدَ عامَ لقِيتُهم يا ليتَ أنّ لِقاءهــم لم يُقْدَرِ

صوت

[من الكامل]

بفناء بيتك وابن مِشْعَبَ حاضرٌ في سامِرٍ عَطِرٍ وليلٍ مُقْمِرِ
مُستشعِرينَ مَلاحِفاً هَرَوِيّةً بالزَّعْفران صِباغُها والعُصْفُرِ
فتَلازَما عند الفراقِ صَبابَةً أخْذَ الغَريم بفَضْل ثَوبِ المُعْسِرِ

الأَزهُر : على ثلاثة أميال من الطائف . وابن مِشْعبٍ الذي عناه مغنٍّ من أهل مكّةَ كان في زمن ابنِ سريج . والغناء في هذه الأبيات له رملٌ بالوسطى . قال إسحاق : كان ابن مشعب من أحسن الناس وجهاً وغِناء ، ومات في تلك الأيّام ، فأدخلَ الناسُ غناءه في غناء ابن سريج والغريض . قال : وهذا الصوت ينسبُه مَن لا يعلم إلى ابن مُحْرِزٍ ، يعني : [من الكامل]

بفِناءِ بيتك وابن مشعب حاضرٌ

قال : وهو الذي غنّى : [من المنسرح]

أَقْفَــرَ مِمّــن يَحُلُّــه السَّنَدُ فالمُنحنــى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ
وَيْحِي غداً إنْ غَدا عليّ بمَا أَحذَرُ من فُرقة الحَبيبِ غَدُ

والناس ينسبونه إلى ابن سريج .

[يوم غاب عذاله]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن ثابت بن إبراهيم الأنصاريّ قال حدّثني ابن مُخارق قال : واعَدَ العرجيُّ هَوًى له شِعْباً من شِعاب عَرْج الطائف إذا نزل رجالُها يوم الجمعة إلى مسجد الطائف . فجاءت على أَتانٍ لها معها جاريةٌ لها ، وجاء العرجيُّ على حِمار معه غلام له ؛ فواقع المرأة ، وواقع الغلام الجارية ، ونَزا الحمارُ على الأَتان . فقال العرجيّ : هذا يومٌ قد غاب عُذَّاله .

[ثراء العرجي]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن ابن داحَةَ قال : كان العرجيّ يَستقي على إبله في شَمْلَتين ، ثم يغتسل ويلبس حُلّتين بخمسمائة دينارٍ ، ثم يقول : [من الرجز]

---

1 ديوان العرجي : 177 .

يَوماً لأصْحابي ويوماً للمالْ مِدرعةٌ يومـاً ويومـاً سِرْبالْ

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجاله : أنّ العرجيّ كان غازياً فأصابتِ الناسَ مجاعةٌ ، فقال للتجار : أَعطُوا الناسَ وعليَّ ما تعطون ، فلم يزل يُعطيهم ويُطعِم الناس حتى أَخصبوا[1] ، فبلَغ ذلك عشرين ألفَ دينار ، فألزمها العَرْجيُّ نفسَه . وبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز فقال : بيتُ المال أَحقُّ بهذا ، فقضى التُّجّارَ ذلك المالَ من بيت المال .

[العرجيّ وأم الأوقص المخزوميّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمّه ، وأخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ وغيره : أنّ العرجيّ خرج إلى جَنَبات الطائف مُتَنَزِّهاً ، فمرّ ببطن النَّقيع فنظر إلى أمّ الأَوقص ، وهو محمد بن عبد الرحمن المخزوميّ القاضي ، وكان يتعرّض لها ، فإذا رآها رَمتْ بنفسها وتستَّرت منه ، وهي امرأة من بني تَميم ، فبَصُر بها في نسوةٍ جالسةٍ وهنّ يتحدّثن ، فعرفَها وأحبَّ أن يتأمَّلها من قُرب ، فعدَل عنها ولقي أعرابيّاً من بني نصر على بَكْرٍ له ومعه وَطْبا لَبنٍ ، فدفع إليه دابّته وثيابه وأخذ قَعُودَه ولبنَه ولَبِس ثيابه ، ثم أقبل على النسوة فَصِحْنَ به : يا أعرابيُّ ، أمَعك لبنٌ ؟ قال نعم ، ومال إليهنّ وجلس يتأمّل أُمَّ الأوقص ، وتواثَب مَن معها إلى الوَطْبين ، وجعل العرجيُّ يلحظَها وينظُر أحياناً إلى الأرض كأنّه يطلبُ شيئاً وهُنّ يشرَبْنَ من اللَّبن . فقالت له امرأةٌ منهنّ : أي شيء تطلُب يا أعرابيُّ في الأرض ؟ أضاعَ منكَ شيءٌ ؟ قال : نعم قلبي . فلمّا سمعت التَّميميَّة كلامه نظرتْ إليه وكان أزرقَ فعرفته ، فقالت : العرجيُّ بن عمرَ وربِّ الكعبة ؛ ووثَبتْ وستَرها نساؤها وقلن : انْصرِفْ عنّا لا حاجةَ بنا إلى لبنكَ . فمضى مُنصرِفاً ، وقال في ذلك[2] : [من الوافر]

أقــول لصاحبَيَّ ومثلُ ما بي شكاهُ المرءُ ذو الوَجْــدِ الأليمِ
إلى الأَخوَيْنِ مثلِهما إذا مــا تأوّبـــه مُؤرِّقـــةُ الهمـــومِ
لَحيني والبلاءِ لقِيــتُ ظُهْراً بأعلى النَّقْع أُختَ بنِــي تَمِيمِ
فلمّــا أن رأتْ عينــايَ منهــا أَسِيلَ الخَدّ في خَلْــقٍ عَمِيمِ
وعَيْنَيْ جــؤذَرٍ خَــرِقٍ وثَغْراً كلَونِ الأُقْحُوانِ وجيــدَ رِيمِ[3]
حَنا أترابُهــا دُونِــي عليهــا حُنــوَّ العائــداتِ على السَّقِيمِ

1 أخصبوا في ل : أحصي .
2 ديوان العرجيّ : 97-100 .
3 خرق : مفزع .

قال إسحاق في خبره : فقال رجل من بني جُمَحَ يقال له ابنُ عامر للأوقص وقَضى عليه بقَضِيّة فتظلَّم منه : والله لو كنتُ أنا عبدَ الله بن عمر العَرجيّ لكنتَ قد أسرفتَ عليّ . فضربه الأوقص سبعين سوطاً .

[أبو السائب المخزوميّ وشعر العرجي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب بن عبد الله عن أبيه قال : أتاني أبو السائب المخزوميّ ليلةً بعدما رقَد السّامرُ فأشرفتُ عليه . فقال : سَهِرتُ وذكَرتُ أخاً لي أستمتعُ به ، فلم أجد سواك . فلو مضينا إلى العقيق فتناشدنا وتحدّثنا ! فمضينا ، فأنشدته في بعض ذلك بيتَيْن للعرجيّ[1] : [من الكامل]

باتا بأنعَم ليلةٍ حتى بدا صُبْحٌ تَلوّح كالأَغَرّ الأشقَرِ

فتَلازَما عندَ الفِراق صبابةً أخْذَ الغَرِيمَ بفَضْلِ ثوبِ المُعسِرِ

فقال : أعِدْه عليّ ، فأعدتُه . فقال : أحسنَ والله ! امرأتُه طالقٌ إنْ نطقَ بحرف غيره حتّى يرجعَ إلى بيته . قال : فلقينا عبدَ الله بن حسن بن حسن ، فلمّا صِرْنا إليه وقَف بنا وهو مُنصرِفٌ من ماله يريد المدينة ، فسلَّم ثم قال : كيفَ أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال :

فتلازَما عندَ الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمَ بفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفت إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبَكَ ؟ فقلت : منذُ الليلة . فقال : إنّا لله ! وأيُّ كَهلٍ أُصيبتْ منه قريشٌ ! ثم مضَينا ، فلقِينا محمد بن عمران التَّيميّ قاضي المدينة يريد مالاً له على بغلةٍ له ومعه غلامٌ على عنقه مِخلاةٌ فيها قيد البغلة ، فسلَّم ثم قال : كيف أنتَ يا أبا السائب ؟ فقال : [من الكامل]

فتلازَما عندَ الفِراقِ صبابةً أخْذَ الغريمَ بفَضلِ ثوبِ المُعسِرِ

فالتفتَ إليّ فقال : متى أنكرتَ صاحبَك ؟ قلتُ : آنفاً . فلمّا أراد المُضيّ قلتُ : أفتدَعُه هكذا ؟ والله ما آمَنُ أن يتهوَّر في بعض آبار العقيق ؛ قال : صدقتَ ، يا غلام ، قَيْدَ البغلة ، فأخذ القيد فوضعَه في رِجله وهو ينشد البيت ويُشير بيده إليه يُري أنّه يفهم عنه قِصّته . ثم نزل الشيخ وقال لغلامه : يا غلام ، احمِله على بغلتي وألحِقْه بأهله . فلمّا كان بحيث علمتُ أنّه قد فاته أخبرته بخبره ، فقال : قَبّحَك الله ماجِناً ؛ فضَحْتَ شيخاً من قُريش وغرَرْتَني .

[ابن أبي عتيق وشعر العرجي]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عُروة بن عبد الله بن

1 ديوان العرجي : 178 .

عروة بن الزبير عن عروة بن أُذينة قال : أنشد ابن جُنْدَبٍ الهُذَلِيّ ابن أبي عتيق قول العرجيّ[1] : [من الطويل]

وما أنْسَ مِ الأَشياءِ لا أَنْسَ قولَها لخادمها قُومِي آسْأَلِي لي عن الوَتْرِ
فقالت يقول الناسُ في سِتٍّ عَشْرةً فلا تعجَلِي منهُ فإنّكِ في أجْرِ
فما ليلةٌ عندِي وإن قيل جمعةٌ ولا ليلةُ الأَضْحى ولا ليلةُ الفِطْرِ
بعادلةِ الإثنين عندي وبِالحَرَى يكونُ سواءً منهما ليلةُ القَدْرِ

فقال ابن أبي عتيق : أُشهدكم أنّها حُرّةٌ من مالِي إن أجازَ ذلك أهلُها ، هذه والله أَفْقَهُ من ابن شِهاب .

[شعر العرجيّ في زوجته أمّ عثمان بنت بكير بن عمرو بن عثمان]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : تزوّجَ العرجيّ أُمّ عثمان بنت بُكَير بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، وأُمُّها سُكَينة بنت مصعب بن الزبير ، فقال فيها[2] : [من الخفيف]

إنّ عثمانَ والزُّبَيْرَ أخَلاَّ دارَها باليَفاعِ إذ وَلَداها
إنَّها بنتُ كلِّ أَبْيضَ قَرْمٍ نال في المجد من قُصَيٍّ ذُراها
سَكَنَ الناسُ بالظَّواهِرِ منها وتَبَوَّا لنفسِه بَطْحاها

قال إسحاقُ : ولّما تزوّج الرشيدُ زوجتَه العُثمانية أعْجِب بها . فكان كثيراً ما يتمثَّل بهذه الأبيات .

[العرجي وأبو عدي العبلي]

أخبرني محمد بن مَزيَد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : حُدّثت أنّ أبا عَدِيّ العَبْلِيّ خرج يريد وادياً نحو الطائف يقال له جِلْذان ، فمرّ بعبد الله بن عمر العرجيّ وهو نازلٌ هناك بوادٍ يقال له العَرْجُ ، فأرسل إليه غلاماً له فأعلمه بمكانه ، فأتاه الغلام فقال له : هذا أبو عديّ ، فأمر أن يُنزله في مسجد الخَيف ، فأنزله وأبطأ عليه في الخروج . فقال للغلام : وَيْحَك ؛ ما يَحبسُ مولاك ؟ قال : عنده ابن وَرْدان مولى معاوية ، وهما يأكلان القَسْبَ والجُلْجُلان[3] . ثم بعث إليه بخُبْز ولبن ، وبعث لرواحله بحَمْض ، وقدّم إلى رواحل ابن وردان

1 ديوان العرجي : 178 ، عن الأغاني .
2 ديوانه : 52 . وأوّل القصيدة ص 50 والترتيب مختلف .
3 القسب : التمر اليابس ؛ الجلجلان : السمسم .

القَتّ[1] والشَّعير . فكتب إليه أبو عدِيّ : [من الطويل]

أبا عُمَرٍ لَمْ تُنْزِل الركبَ إذ أَتَوْا ... منازلَهم والرَّكْبُ يَحْفَوْنَ بالرَّكْبِ
رفعتَ لِثامَ الناسِ فوقَ كَرامِهِمْ ... وآثَرْتَهمْ بالجُلْجُلان وبالقَسْبِ
فأمّا بَعِيرانا فبالحمْض غُذِّيا ... وأُوثِرَ عَبَّادُ بنُ وَرْدانَ بالقَضْبِ

فكتب إليه العرجيّ[2] : [من الطويل]

أتانا فلم نَشْعُرْ به غيرَ أنّه ... له لِحيَةٌ طالتْ على حَمِقِ القَلْبِ
كَرايةِ بَيْطارٍ بأَعْلى حديدةٍ ... إذا نُصِبتْ لم تَكْسِبِ الحمدَ بالنَّصْبِ
أتانا على سَغْبٍ يُعَرِّض بالقِرَى ... وهل فوق قُرْصٍ من قِرى صاحبِ السَّغْبِ

قال : فارتحل أبو عديّ مُغضَباً وقال : مزَحتُ معه فهجاني ، وأنشأ يقول في العرجيّ : [من الطويل]

سَرتْ ناقتِي حتَّى إذا مَلّتِ السُّرَى ... وعارَضها عَرْجُ الجبانةِ والخِصْبِ[3]
طَواها الكَرى بعدَ السُّرى بمُعَرَّسٍ ... جَديبٍ وشيخٍ بئس مُسْتَعْرِضُ الرَّكْبِ
وهَمَّتْ بتعريسٍ فحلَّتْ قُيودَها ... إلى رجلٍ بالعَرْجِ ألأمَ من كَلْبِ
تَمَطَّى قليلاً ثم جاء بصَرْبةٍ ... وقُرْص شعيرٍ مثلِ كِركِرَةِ السَّقْبِ[4]
فقلتُ له أُرْدُدْ قِراكَ مُذَمَّما ... فلستُ إليه بالفَقِيرِ ولا صَحْبِي
جزى اللهُ خيراً خيرَنا عند بيتِه ... وأَنْحَرَنا للكُومِ في اليومِ ذي السَّغْبِ
لقد عَلِمَتْ فِهْرٌ بأنّك شرُّها ... وآكَلُ فهرٍ للخبيثِ من الكَسْبِ
وتلبَس للجاراتِ إتْباً ومِئزَراً ... ومِرْطاً فبئس الشيخُ يَرْفُل في الإتبِ[5]
يُدَخِّنَّ بالعُودِ اليَلَنْجُوجِ مَرَّةً ... وبالضِرْوِ والسَّوْداءِ والمائع الرَّطْبِ[6]
فإنْ قلتَ عثمانُ بنُ عَفَّانَ والدي ... فقد كان عثمانٌ بريئاً من الوِشْبِ[7]

---

1 القت : ضرب من علف الدواب ، وهو القضب أيضاً .
2 ديوان العرجيّ : 175–176 ، عن الأغاني .
3 ل : الخيانة .
4 صربة : لبن في سقاء . الكركرة : زور البعير ؛ والسقب : ولد الناقة.
5 الاتب : ثوب لا جيب له ولا كمّين .
6 يُدخنَّ في ل : يبخر . الضرو : شجر طيب الريح . والسوداء : الحبة السوداء . والمائع الرطب : نوع من الطيب .
7 الوشب والوبش بمعنى .

وقِدْمــاً يَجِــيءُ الحيُّ بالنَّسْلِ مَيِّتاً ويأتي كريــمُ الناسِ بالوَكَل الثِّلْبِ[1]
لــه لِحْيَــةٌ قــد مُزِّقَــتْ فكأنّها مِقَمَّــةُ حَشَّاشٍ مُحالِفَــةُ العُشْبِ[2]

فلمّا بلَغ ذلك العَرْجيَّ أتى عمَّه عليَّ بن عبد الله بن عليٍّ العَبْليّ فشَقَّ قميصَه بين يديه وشَكاه إليه . فبعث إلى أبي عَدِيّ فنهاه عنه وقال : لئن عُدْتَ لا كلَّمْتُك أبداً ، فكفَّ عنه .

[كان العرجيّ من أفرس الناس وأرماهم وأبراهم لسهم]

أخبرني محمد بن مزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن سليمان بن عثمان بن يَسار : رجلٍ من أهل مكّةَ وكان هَيِّباً أديباً قال : كان للعرجيّ حائطٌ يقال له العَرْج في وسط بلاد بني نصر بن معاوية ، فكانت إبلُهم وغَنَمهم تدخل فيه فيَعقِر كلَّ ما دخلَ منها ، فكانت تَضُرّ به ويَضُرّ بأهلها ويَشْكونه ويشكوهم . وكان من أَفْرس الناس وأَرماهم وأَبراهم لسهم ، فكان ربَّما برى مائةَ سهمٍ من الرُّمَّان ، ثم يقول : والله لا أنقلب حتى أقتُلَ بها مائة خَلِفَةٍ[3] من إبلِ بني نَصر ، فيفعلُ ذلك .

[حبس العرجي]

قال إسحاق : فحدّثني ابن غُرَير قال : لمّا حُبِس العرجيّ وضُرِب وأُقيم على البُلُس[4] قال : [من الطويل]

مَعِــي ابن غُرَيْرٍ واقِفــاً في عَباءةٍ لَعَمْرِي لقد قَرّتْ عُيونُ بنِي نَصْرِ

فقال فتى من بني نصر يُجيبه ، وكان حاضراً لضَرْبِه وإقامتِه : [من الطويل]

أجَــلْ قــد أَقَــرّ اللهُ فيكَ عُيونَنا فبئسَ الفتَى والجارُ في سالِف الدّهْرِ

وقال إسحاق في خبره : قال رجلٌ للعرجيّ : جِئتُكَ أخطُب إليكَ مودّتَكَ . قال : بل خُذْها زِناً ؛ فإنّها أحْلى وألذّ !

[تمثل امرأة بشعر العرجيّ عند لومها على الرفث في الحجّ]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثنا إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ عن عبد الله بن سلم قال : قال عبد الله بن عمر العُمَريّ : خرجْتُ حاجّاً ، فرأيتُ امرأةً جميلةً تتكلّم بكلام أرفَثَت فيه ، فأَدْنَيْتُ ناقتي منها ، ثم قلت لها : يا أمةَ الله ، ألستِ حاجةً ! أما تخافين الله ؟ فسفَرتْ عن وجهٍ يَبْهَر الشمسَ حُسْناً ، ثم قالت : تأمّلْ يا عمِّ ؛ فإنّني ممَّن عَنا العرجيُّ بقوله[5] : [من الطويل]

---

1 الوكل : الضعيف العاجز ؛ الثلب : ذو العيب .
2 العشب في ل : القشب .
3 الناقة الخلفة : الحامل .
4 البلس : المسوح تعبأ بالتبن .
5 ديوان العرجي : 74 .

صوت

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وَجْهِها وأَدْنتْ على الخَدَّيْن بُـرْداً مُهَلْهَلا
مِن اللاّءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولَكـــنْ لِيقتُلْـنَ البَرِيءَ المُغَفَّلا

قالَ فقلتُ لها : فإنّي أسأل الله ألاّ يُعَذِّب هذا الوجه بالنار . قال : وبلَغ ذلك سعيد بن المسيَّب فقال : أمَا والله لو كان من بعض بُغضاء العراق لقال لها : أعزبي قَبَّحَكِ الله ؛ ولكنّه ظَرْفُ عُبَّاد أهل الحجاز . وقد رويتْ هذه الحكاية عن أبي حازم الأَعْرَج وهو سَلَمَةُ بن دينار ، وقد روى أبو حازمٍ عن أبي هريرة وسَهْل بن سعد وغيرهما ، وروى عنه مالك وابن أبي ذئب . والحكاية عنه في هذا المعنى أصحُّ منها عن عبد الله العُمَري ، حدّثنا بهذا وكيعٌ . والغناءُ في هذه الأبيات لعَرار المكّيّ ثاني ثقيلٍ . وفيه خفيف ثقيل لمعبدٍ ، وفيها لعبد الله بن العبّاس الربيعيّ ثقيل أوّل ، ويقال إنّ خفيف الثقيل لابن سُريج ، ويقال للغَريض .

[غناء عبد الله بن العباس الربيعي في شعر العرجيّ]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة قال : قال عبد الله بن العبّاس : دعاني المتوكّل ، فلمّا جلست مجلسَ المنادمة قال لي : يا عبد الله ، تَغَنَّ فغنَّيْتُه في شعرٍ مدحتُه به ؛ فقال : أين هذا من غنائك في : [من الطويل]

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وجهِها

ومن صنعتك في : [من المنسرح]

أَقْفَرَ مِمَّنْ يَحُلُّه سَرِفُ

[هجاء العرجيّ محمد بن هشام وتشبيبه بأمّه]

فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّ صَنْعتي حينئذٍ كانت وأنا شابٌّ عاشقٌ ؛ فإن استطعتَ رَدَّ شبابي وعِشقي صنعتُ مثلَ تلك الصنعة . فقال هيهاتَ ، وقد لَعَمري صدقتَ ، ووصلني . والأبيات التي فيها الغناء المذكور من شعر العَرْجيّ يقوله في جَيْداءَ أُمِّ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، وكان يهجوه ويشبِّب بأمّه وبامرأته ، وكان محمد تَيَّاهاً شديد الكِبر جَبَّاراً ، فلم يزل يتطلَّب عليه العِلَلَ حتى حبسه وقيَّده بعد أن ضربه بالسَّوط وأقامه على البُلُس للناس . واختلف الرُّواة في السبب الذي أعتَلَّ به عليه ؛ وقد ذكرتُ ذلك في رواياتهم .

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال أخبرنا الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب ومحمد بن الضحّاك الحزاميّ عن الضَّحّاك ابن عثمان ، وذكره

حمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية ، ونسختُه أيضاً من رواية محمد بن حبيب ، قالوا : كان محمد بن هشام خال هشام بن عبد الملك ، فلمّا وَلِيَ الخلافة ولاّه مكّة ، وكتب إليه أن يَحُجَّ بالناس ، فهجاه العرجيّ بأشعارٍ كثيرة .

منها قوله فيه : [من الوافر]

كأنّ العامَ ليس بعامِ حَجٍّ ... تَغَيَّرتِ المواسمُ والشُّكُولُ
إلى جَيْداءَ قد بَعثوا رسولاً ... لِيُخْبِرَها فلا صُحِبَ الرّسُولُ

ويروى : «ليحْزُنَها» وهكذا يغنَّى .

ومنها قوله[1] : [من الطويل]

أَلا قُلْ لِمنْ أَمْسى بمكّةَ قاطناً ... ومن جاء من عَمْقٍ ونَقْبِ المُشَلَّلِ[2]
دَعُوا الحَجَّ لا تَسْتَهْلِكُوا نفقاتِكم ... فما حجُّ هذا العامِ بالمُتَقَبَّلِ
وكيف يُزَكَّى حَجُّ مَنْ لم يكنْ له ... إمامٌ لدى تَجْمِيره غيرُ دُلْدُلِ[3]
يَظَلُّ يُرائِي بالصِّيام نَهارَه ... ويَلْبَسُ في الظَّلماءِ سِمْطَيْ قَرَنْفُلِ

فلم يزل محمد يطلب عليه العلل حتى وجدها فحبسه .

قال الزُّبير في خبره عن عمِّه ومحمد بن الضّحّاك ، وقال إسحاق في خبره عن أيّوبَ بن عَباية : كان العَرْجيُّ يشبِّب بأُمّ محمد بن هشام ، وهي من بني الحارث بن كعب ، ويقال لها جَيْداء[4] : [من السريع]

صوت

عُوجِي علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ ... إنَّكِ إن لا تَفْعَلِي تَحْرَجِي
إنِّي أُتيحتْ لي يمانِيةٌ ... إحْدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حولاً كاملاً كلّه ... ما نلتقي إلاّ على مَنْهَجِ
في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا منًى ... وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نال مُحِبٌّ لَدَى ... بَيْنِ حَبيبٍ قولُه عَرِّجِ

---

1 ديوان العرجيّ : 189 (عن الأغاني) .
2 عمق : من أودية الطائف . والمشلل : جبل .
3 الدلدل : شبيه بالقنفذ .
4 ديوان العرجيّ : 17–20 .

نَقْضِ إليكـــم حاجـةً أو نَقُلْ هــل لِيَ مِمَّا بِيَ مــن مَخْرَجِ

قال إسحاق في خبره : فحدّثني حَمْزة بن عُتبة اللّهبيّ قال : أنْشِد عطاءُ بنُ أبي رباحٍ قولَ العرجيّ : [من السريع]

في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـــه إنْ هــي لم تَحْجُجِ

فقال : الخير والله كلُّه بمِنًى وأهلهِ حَجَّتْ أو لم تَحُجَّ . قال : ولَقِيَ ابن سُرَيج عَطاءً وهو راكب بمِنًى على بغلته ، فقال له : سألتُك بالله إلاّ وقفتَ لي حتى أُسْمِعَك شيئاً . قال : وَيْحَك ؛ دَعني فإنّي عَجِلٌ . قال : امرأته طالق لئن لم تقف مختاراً للوقوف لأُمْسِكَنَّ بلِجام بغلتِك ثم لا أُفارِقُها ولو قُطِعَتْ يدي حتى أُغنِّيَك وأرفعَ صوتي لا أُسِرُّه . قال : هاتِ وعجِّل ؛ فغَناه : [من السريع]

في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً وأهلُـــه إنْ هــي لم تَحْجُجِ

فقال : الخيرُ كلُّه والله بمِنًى ، لا سيَّما وقد غيَّبها الله عن مشاعره ، خَلِّ سبيلَ البغلة .

أخبرنا محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الوهاب بن مجاهد أو غيره قال : كنتُ مع عطاء بن أبي رباح فجاءه رجلٌ فأنشده قول العرجيّ : [من السريع]

إنِّــي أتيحــتْ لي يمانِيَــةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبَــث حــولاً كامــلاً كلَّــه لا نلتقــي إلاّ على مَنْهَــجِ
في الحجِّ إن حَجَّتْ وماذا مِنىً وأهلُـــه إنْ هــي لم تَحْجُجِ

فقال عطاءٌ : خيرٌ كثيرٌ بمنًى إذ غيَّبَها اللهُ عن مشاعره .

[تشبيبه بجبرة المخزومية زوجة محمد بن هشام]

قال : وقال في زوجتِه جَبْرة المخزوميّة (يعني زوجة محمد بن هشام)[1] : [من الكامل]

صوت

عُوجِي عليَ فسلِّمي جَبْرُ فِيــمَ الصدودُ وأنتــمُ سَفْرُ
ما نَلْتَقِــي إلاّ ثَلاثَ مِنًى حتــى يُفَــرِّقَ بيننــا النَّفْرُ
الحولُ بعد الحــول يَتْبَعُه ما الدهرُ إلاّ الحولُ والشهرُ

قال حَمَّاد بن إسحاق في خبره : حدّثني ابن أبي الحُوَيْرِث الثَّقَفِيّ عن ابن عمّ لعُمارة بن

1 ديوان العرجي : 42–45 .

حمزة قال حدّثنا سليمان[1] الخشّاب عن داود المكّي قال : كنّا في حلقة ابن جُرَيج وهو يحدّثنا وعنده جماعة فيهم عبد الله بن المبارك وعدّةٌ من العراقيين ، إذ مرَّ به ابنُ تيزن المغنّي وقد ائتزر بمئزر على صدره ، وهي إزرة الشُّطّار عندنا ، فدعاه ابن جُرَيج فقال له : أحِبُّ أن تُسْمِعَني . قال : إنّي مستعجِلٌ ، فألحّ عليه ؛ فقال : امرأته طالقٌ إن غَنَّاك أكثر من ثلاثة أصوات . فقال له : ويحك ، ما أعجلك إلى اليَمينِ ! غنِّني الصوت الذي غنّاه ابن سُرَيج في اليوم الثاني من أيّام منًى على جَمْرة العَقَبة فقطع طريق الذاهب والجائي حت تكسّرت المحاملُ . فغنّاه : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ

فقال له ابن جُرَيج : أحسنت والله ، (ثلاث مرات) ، ويحك ، أَعِدْه . قال : من الثلاثة فإني قد حلفْتُ . قال : أعده ، فأعاده . فقال : أحسنتَ ؛ فأعِدْه من الثلاثة ، فأعاده وقام ومضى ، وقال : لولا مكانُ هؤلاء الثُّقَلاء عندك لأطلتُ معك حتى تَقْضِيَ وَطَرَك . فالتفت ابن جُرَيج إلى أصحابه فقال : لعلّكم أنكرتُم ما فعلتُ ، فقالوا : إنّا لَنُنْكِره عندنا بالعراق ونَكْرَهه . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) . قالوا : لا بأس به عندنا . قال : فما الفرق بينه وبين الغناء ؟!

[اضطغان محمد بن هشام حبس العرجيّ حتى مات]

قال إسحاق في خبره : بلغني أنّ محمد بن هشام كان يقول لأُمِّه جَيداء [بنت عفيف] : أنتِ غَضَضْتِ منّي بأنّكِ أُمّي ، وأَهلَكْتِني وقتلتِني . فتقول له : ويحك ، وكيف ذاك ؟ قال : لو كانت أُمّي من قريش ما وَلِيَ الخلافة غيري . قالوا : فلم يزل محمد بن هشام مضطغناً على العرجيّ من هذه الأشعار التي يقولها فيه ومتطلّباً سبيلاً عليه حتى وجده فيه ، فأخذه وقيَّده وضربه وأقامه للناس ، ثم حبسه وأَقْسَمَ : لا يخرُج من الحَبْس ما دام لي سلطانٌ . فمكث في حبسه نحواً من تسعِ سنين حتى مات فيه .

[روايات أخرى في سبب الخصومة بين محمد بن هشام والعرجيّ]

وذكر إسحاق في خبره عن أيّوب بن عَباية ووافقه عمر بن شبَّة ومحمد بن حبيب : أنّ السبب في ذلك أنّ العرجيّ لاحى مولًى كان لأبيه فأمصَّه العرجيّ ، فأجابه المولى بمثل ما قاله له . فأمهله حتى إذا كان الليل أتاه مع جماعة من مَواليه وعبيده فهجم عليه في منزله وأخذه وأَوثقه كتافاً ، ثم أمر عبيده أن ينكِحُوا امرأته بين يديه ففعلوا ، ثم قتله وأحرقه بالنار . فاستعْدَتِ امرأتُه على العرجيّ محمد بن هشام فحبسَه .

---

1 ل : سليم .

وذكر الزُّبير في خبره عن الضَّحَّاك بن عثمان : أنّ العرجيّ كان وكَّل بحُرَمِه مَولًى له يقوم مقامه بأمورهنّ ، فبلغه أنّه يُخالفُ إليهنّ ، فلم يزل يَرصُده حتى وجده يحدّث بعضهنّ ، فقتَله وأحرقه بالنار . فاستعْدتْ عليه امرأة المولى محمد بن هشام المخزوميّ وكان والياً على مكّة في خلافة هشام ، وكان العرجيّ قد هجاه قبل ذلك هِجاءً كثيراً لّما ولاّه هشامٌ الحجَّ فأحفَظَه . فلمّا وجد عليه سبيلاً ضربه وأقامه على البُلُس للناس ، وسجنه حتى مات في سجنه .

وذكر الزُّبير أيضاً في خبره عن عمِّه وغيره أنّ أشعب كان حاضراً للعرجيّ وهو يشتُم مولاه هذا ، وأنّه طال شَتْمُه إيّاه . فلمّا أكثر ردَّ المولى عليه ، فاختلط من ذلك ، فقال لأشعب : اشْهَد على ما سمعت . قال أشعب : وعَلامَ أشهد ؟ قد شتمتَه ألفاً وشتمَك واحدة ، والله لو أنّ أُمَّك أُمُّ الكتاب ، وأُمَّه حَمَّالة الحطب ما زاد على هذا .

[تعذيب محمد بن هشام للعرجيّ]

قال الزُّبير وحدّثني حمزة بن عُتبة اللّهبيّ قال : لّما أخذ محمد بن هشام المخزوميّ العرجيّ أخذه وأخذ معه الحُصَين بن غُرَير الحِميَريّ ، فجلدهما ، وصبَّ على رؤوسهما الزيت ، وأقامهما في الشمس على البُلُس في الحَنَّاطِين[1] بمكّة ؛ فجعل العرجيّ يُنشِد : [من الوافر]

سينصُرني الخليفةُ بعد رَبِّي ... ويغضَب حين يُخْبَر عن مَساقي
عليَّ عَباءةٌ بَلْقاءُ ليستْ ... مع البَلْوى تُغَيِّب نِصْفَ ساقِي
وتغضَب لي بأجْمَعها قُصَيٌّ ... قَطِينُ البيتِ والدُّمْثِ الرِّقاقِ

ثم يصيح : يا غُريرَ أَجْياد ، يا غُرَيرَ أَجْياد ، فيقول له الحميريّ المجلود معه : ألا تَدَعُنا ، ألا تَرى ما نحن فيه من البَلاءِ ؟ يعني بقوله : يا غرير ، الحصين بن غرير الحميريّ المجلود معه ، وكان صديقاً وخَلِيطاً . وذكر إسحاق تمامَ هذه الأبيات وأوّلها[2] : [من الوافر]

وكَمْ مِنْ كاعِبٍ حَوْراء بِكْرٍ ... أَلُوف السِّتْرِ واضحةِ التَّراقِي
بَكَتْ جَزَعاً وقد سُمِرَتْ كُبُولٌ ... وجامِعَةٌ يُشَدُّ بها خِناقِي[3]
على دَهْماءَ مُشْرِفَةٍ سَمُوقٍ ... ثناها القَمْحُ مَزْلَقَةِ المراقي[4]
عليَّ عَباءةٌ بَلْقاءُ ليستْ ... مع البَلْوى تُغَيِّب نصفَ ساقِي

---

1 الحناطون : باعة الحنطة ، وقوله في الحناطين يعني السوق الخاصة بهم .

2 ديوان العرجيّ : 135-137 .

3 الجامعة : الغلّ .

4 ثناها في الديوان : بناها . المراقي في ل : البراق .

كأنّ على الخدود وهُنّ شُعْثٌ سِجالَ الماءِ يُبْعَث في السَّواقِي
فقلتُ تجلُّـداً وحلَفتُ صبراً أبالي اليومَ مـا دَفعَتْ مآقِي
سيَنْصُرُنِي الخليفةُ بعـد ربِّي ويغضَب حين يُخْبَر عن مَساقِي
وتغضَب لي بأَجْمَعِهـا قُصَيٌّ قَطِـينُ البيت والدُّمْثِ الرِّقاقِ
بمُجْتَمَع السُّيولِ إذا تَنَحَّـى لِئامُ الناسِ في الشُّعَبِ العِماقِ

قال : فكانَ إذا أَنْشد هذا البيت التفت إلى ابن غُرير فصاح به : يا غُريرَ أَجْياد ، يا غُرَير أَجياد ، يعني بني مَخْزُوم ، وكانت منازلُهم في أَجيادَ ، فعيَّرهم بأنّهم ليسوا من أهل الأَبْطَح .

وقال الزبير في خبره ووافقَه إسحاق فذكرَ أنّ رجلاً مرَّ بالعَرْجيّ وهو واقفٌ على البُلُس ومعه ابن غُرير وقد جُلدا وحُلِقا وصُبَّ الزيت على رؤوسهما وأُلْبِسا عباءتين واجتمع الناس ينظرون إليهما . قال : وكان الرجل صديقاً للعَرْجيّ ، وكان فَأفاءً ، فوقف عليه فأراد أن يتوجَّع لما ناله ويدعو له ، فلَجْلَجَ لِما كان في لسانه كما يفعلُ الفأفاء . فقال له ابن غُرَير : عنِّي ، لاخرجتْ من فِيكَ أبداً ! فقال له الرجل : فمكانك إذاً لا بَرِحتَ منه أبداً .

قال : ومرَّ به صبيان يلقُطون النَّوى ، فوقفوا ينظرون إليه ، فالتفت إلى ابن غُرَير وقال له : ما أعرف في الدنيا سَخْلَيْن أشأمَ منِّي ومنكَ ! إنّ هؤلاء الصبيان لأهلهم عليهم في كلِّ يومٍ على كلِّ واحدٍ منهم مُدُّ نَوًى ؛ فقد تركوا لَقْطَهم للنَّوى ، وقد وقَفوا ينظرون إليّ وإليكَ وينصرفون بغير شيءٍ فيُضربون ، فيكونُ شؤمُنا قد لَحقَهم .

قال : وقال العَرْجيّ في حبسه[1] : [من الوافر]

صوت

أَضاعُونِي وأيَّ فتًـى أَضاعُوا ليـومِ كَرِيهـةٍ وسِدادِ ثَغْرِ
وصبرٍ عنـدَ مُعْتَـرَكِ المَنايـا وقـد شُرِعَتْ أسنَّتُها بنَحْرِي
أُجَـرَّرُ في الجَوامِع كلَّ يـومٍ فيـا للهِ مَظْلِمَتِـي وصَبْرِي
كأنِّـي لم أَكُـنْ فيهم وَسِيطاً ولم تَكُ نِسْبَتِي في آلِ عَمْرِو

[أبو حنيفة وجار له كان يغنّي بشعر العرجيّ]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحَّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن المُحرِز الباهليّ عن الأصمعيّ قال : كان لأبي حَنِيفة جارٌ بالكوفة يغنِّي ، فكان إذا انصرف وقد سَكِرَ يُغنِّي في غرفته ، ويسمع أبو حنيفة غناءه فيُعجبُه . وكان كثيراً ما يغنِّي : [من الوافر]

1 ديوان العرجيّ : 34-36 .

أَضاعُونِي وأيِّ فتًى أضاعُوا ليومِ كَرِيهةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فلقِيَه العَسَسُ ليلةً فأخذوه وحُبس . ففقَد أبو حنيفة صوته تلك الليلة ، فسأل عنه من غدٍ فأُخبِر ؛ فدَعا بسَواده وطويلته فلبسهما ، وركِب إلى عيسى بن موسى فقال له : إنّ لي جاراً أخذه عَسَسُك البارحة فحُبس ، وما علمتُ منه إلاّ خيراً . فقال عيسى : سلِّموا إلى أبي حنيفة كلَّ من أخذه العَسَس البارحة ، فأُطلِقُوا جميعاً . فلمّا خرج الفتى دعا به أبو حنيفة وقال له سِرّاً : ألستَ كنتَ تغنّي يا فتىً كلَّ ليلةٍ : [من الوافر]

أضاعونِي وأيَّ فَتًى أَضاعُوا

فهل أَضَعْناكَ ؟ قال : لا والله أيُّها القاضي ، ولكن أحسنتَ وتكرّمتَ ، أحسنَ اللهُ جزاءَك . قال : فعُدْ إلى ما كنتَ تغنّيه ؛ فإنّي كنتُ آنَسُ به ، ولم أَرَ به بأساً . قال : أفعلُ .

[عبد الله بن عليّ كان كثير التمثّل في حبسه بقول العرجيّ «أضاعوني»]

وقال إسحاق في خبره : لمّا حبس المنصور عبد الله بن عليّ ، كان يُكْثِر التَّمَثُّل بقول العَرْجيّ : [من الوافر]

أَضاعونِي وأيَّ فتًى أضاعوا ليومِ كريهــةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فبلغ ذلك المنصورَ ، فقال : هو أضاعَ نفسه بسوءِ فعله ، فكانت أنفسُنا عندنا آثَر من نفسه .

[حكاية الأصمعيّ مع كنّاس بالبصرة]

قال إسحاق : وقال الأصمعيّ : مررتُ بكَنّاسٍ بالبصرة يكنُس كَنِيفاً ويغنّي : [من الوافر]

أَضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليــومِ كريهــةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقلت له : أمّا سِداد الكَنِيف فأنت مَليءٌ به . وأمّا الثغر فلا علمَ لي بك كيفَ أنتَ فيه ، وكنتُ حديث السنّ فأردتُ العبث به ، فأَعْرَضَ عنّي مليّاً ، ثم أقبل عليّ فأنشد متمثّلاً : [من الطويل]

وأُكْرِمُ نفسِي إنَّنِــي إن أَهنتُها وحَقِّك لم تَكْرُمْ على أحدٍ بَعْدِي

قال فقلتُ له : والله ما يكونُ من الهَوانِ شيءٌ أكثرُ ممّا بذلتَها له ، فبأيّ شيء أكرمتَها ؟ فقال : بَلى ، والله إنّ من الهوانِ لشرّاً ممّا أنا فيه . فقلت : وما هو ؟ فقال : الحاجة إليك وإلى أمثالك من الناس . فانصرفتُ عنه أَخْزَى الناس . قال محمد بن مزيَد : فحدّثني حمّادٌ قال قال لي أبي : اختصَر الأصمعيُّ ، فيما أَرى ، الجواب ، وستَر أقبحه على نفسه ، وإلاّ فكنّاس كنيفٍ قائمٌ يكنُسه ويعبث به هذا العَبث ، فيرضى بهذا الجواب الذي لا يُجيب بمثله الأحنفُ بن قيس لو كانت المخاطبة له ؟

[اقتصاص الوليد بن يزيد من محمد وإبراهيم ابني هشام]

وقال إسحاق في خبره : كان الوليد بن يزيد مُضطغِناً على محمد بن هشام لأشياء كانت تبلُغه عنه في حياة هشام ، فلمّا وَلِيَ الخلافة قبَض عليه وعلى أخيه إبراهيم بن هشام وأُشخِصا إليه إلى الشام ، ثم دعا بالسِّياط . فقال له محمد : أسألُك بالقَرابة . قال : وأيُّ قرابةٍ بيني وبينَك ؟ وهل أنت إلاّ من أَشْجَعَ ؟ قال : فأسألك بصِهْر عبد الملك . قال : لم تَحفَظْه . فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أن يُضْرَبَ قرشيٌّ بالسِّياط إلاّ في حَدّ . قال : ففي حدٍّ أَضْرِبُك وقَوَدٍ ، أنت أوّلُ من سَنَّ ذلك على العرجيّ ، وهو ابن عمّي وابنُ أمير المؤمنين عثمان ، فما رَعَيْتَ حقَّ جَدّه ولا نَسبه بهشام ، ولا ذكرتَ حينئذٍ هذا الخبر ، وأنا ولِيُّ ثَأْرِه ، اضرِبْ يا غُلام ؛ فضربهما ضرباً مبرِّحاً ، وأُثْقِلا بالحديد ، ووجَّه بهما إلى يوسف بن عمر بالكوفة ، وأمره باستصفائهما وتعذيبهما حتى يَتْلَفا ، وكتب إليه : احبِسْهما مع ابن النَّصرانية ، يعني خالداً القَسْرِيّ ، ونفسَك نفسَك إن عاش أحدٌ منهم . فعذَّبهم عذاباً شديداً ، وأخذ منهم مالاً عظيماً حتى لم يبق فيهم موضعٌ للضَّرْب . فكان محمد بن هشام مطروحاً ، فإذا أرادوا أن يُقيموه أخذوا بلِحيتِه فجذبوه بها . ولمّا اشتدّت عليهما الحال ، تَحامَلَ إبراهيم لينظر في وجه محمد ، فوقع عليه فماتا جميعاً ، ومات خالدٌ القسريّ معهما في يومٍ واحد . فقال الوليد بن يزيد لمّا حملهما إلى يوسف بن عمر : [من المنسرح]

قد راحَ نحو العِراقِ مَشْخَلَبَهْ قُصارُه السِّجْنُ بعدَه الخَشَبَهْ[1]
يركَبُها صاغِراً بــلا قَتَبٍ ولا خِطــامٍ وحَوْلَه جَلَبَهْ
فَقُلْ لدَعْجاءَ إن مررتَ بها لن يُعْجِزَ اللهَ هاربٌ طَلَبَهْ
قــد جعلَ اللهُ بعدَ غَلْبَتِكم لنا عليكم يــا دُلْدُلُ الغَلَبَهْ
لستَ إلى هاشمٍ ولا أَسَدٍ ولا إلى نَوْفَــلٍ ولا الحَجَبَهْ
لكنَّما أشْجَعٌ أبوكَ سَلِ الـ ـكَلْبِيَّ لا ما يُـزَوِّقُ الكَذَبَهْ

[الرشيد وإسحاق حين غنّاه بيت العرجيّ]

قال إسحاق في خبره : غنّيتُ الرشيدَ يوماً في عُرْضِ الغناء : [من الوافر]

أَضاعُوني وأيَّ فتًى أضاعوا ليــومِ كريهــةٍ وسِدادِ ثَغْرِ

فقال لي : ما كان سببُ هذا الشعر حتى قاله العرجيّ ؟ فأخبرتُه بخبره من أوّله إلى أن

1 مشخلبة : أداة تتّخذ من الليف والخرز أمثال الحلي ، وقد تسمّى الجارية مسخلبة بما عليها من الحلي أو الخرز . والأبيات في ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي) ص 21 .

مات ، فرأيتُه يتغيّظ كلّما مرَّ منه شيءٌ . فأتبعتُه بحديث مَقتَلِ ابنَيْ هشام ، فجعل وجهُه يُسْفِر وغيظُه يسكُن . فلمّا انقضى الحديث ، قال لي : «يا إسحاق ! والله لولا ما حدّثتني به من فعل الوليد لَما تركتُ أحداً من أماثلِ بني مخزومٍ إلاّ قتلتُه بالعرجيّ .

والصوت الآخر من رواية جحظة عن أصحابه : [من الطويل]

صوت

إذا ما طَواكِ الدهرُ يا أُمَّ مالكٍ فشأنَ المنايا القاضِياتِ وشانيا
تمرُّ الليالي والشهورُ وتَنْقَضي وحُبُّكِ ما يَزْدادُ إلاّ تَمادِيا
خليليَّ إن دارتْ على أُمّ مالكٍ صُرُوفُ الليالي فابغِيا لِيَ ناعِيا
ولا تترُكاني لا لخيرٍ مُعَجَّلٍ ولا لبقاء تَنْظُرانِ بَقائِيا

الشعر للمجنون ، ومن الناس من يَروي البيت الأوّل منها لقَيْس بن الحدادية وهو جاهليّ . والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالوسطى . وذكر حَبَشٌ وابنُ المكّيّ أنّ فيه لإسحاق لحناً آخَرَ من الثقيل بالخنصرْ والبِنْصَر .

* * * *

الفهرس

مقدمة التحقيق : أبو الفرج الأصفهاني وكتاب الأغاني 5
I ـ أبو الفرج 5
1 ـ توطئة موجزة 5
2 ـ متى ولد علي بن الحسين ؟ 5
3 ـ النسبة إلى أصفهان 6
4 ـ تشيع أبي الفرج 6
5 ـ المرحلة البغدادية 6
6 ـ وفاة أبي الفرج 8
II ـ مؤلفات أبي الفرج الأصفهاني مع التركيز على الأغاني 9
1 ـ كتب تجري في سياق الأغاني وربما استلّت منه 9
2 ـ كتب في الأنساب 10
3 ـ مؤلفات في مجالات أخرى 10
4 ـ دواوين جمعها 10
5 ـ كتاب الأغاني الكبير 10
المصادر والمراجع 16
المراجع الحديثة 16
مقدمة المؤلف 23
[1] ـ ذكر المائة الصوت المختارة 27
[2 ـ الكلام على أحد هذه الأصوات الثلاثة] 30
[3] ـ خبر أبي قطيفة ونسبه 31
[4] ـ ذكر معبد وبعض أخباره 46
[5] ـ ذكر خبر عمر بن أبي ربيعة ونسبه 62
[6] ـ أخبار ابن سريج ونسبه 167
[7] ـ ذكر نُصَيْب وأخباره [ـ108هـ] 214
[8] ـ أخبار ابن مُحرز ونسبه 245
[9] ـ أخبار العَرْجِيّ ونسبه 249

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عبّاس

المجلد الثاني

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

2

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[10] ـ أخبار مجنون بني عامر ونسبه[1]

[نسبه وتصحيح اسمه]

هو ، على ما يقوله من صحَّح نسبَه وحديثَه ، قَيْسٌ ، وقيل : مَهْدِيّ ، والصحيح [أنه] قيسُ بن الملوّح بن مُزاحِم بن عُدَس[2] بن ربيعة بن جَعدة بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . ومن الدليل على أنّ اسمه قيسٌ قولُ ليلى صاحبته فيه : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي والخطوبُ كثيرةٌ متى رَحْـلُ قَيْسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ

وأخبرني الحسن بن عليّ[3] قال حدّثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مَن لا أُحْصِي يقول : اسم المجنون قيسُ بن الملوّح .

[كانت به لوثة ولم يكن مجنوناً]

وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ ، وأخبرني الجَوهريّ عن عمر بن شبَّة أنّهما سمِعا الأصمعيّ يقول ، وقد سُئل عنه : لم يكن مجنوناً ولكن كانتْ به لُوثة كلُوتة أبي حَيَّة النُّمَيريّ .

[اختلاف الرواة في وجوده]

وأخبرني حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّةَ عن الحزاميّ قال حدّثني أيُّوب بن عَباية قال : سألت بني عامرٍ بطناً بطناً عن مجنون بني عامر فما وجدتُ أحداً يعرفه .

وأخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْبٍ[4] قال : قلت لرجل من بني عامر : أتعرِف المجنون وتروِي من شعره شيئاً ؟ قال : أوَقد فرَغنا من شعر العقلاء حتى

---

1 مجنون بني عامر : لا فائدة في الإحالة على مصادر لترجمته ، ففي كتب أخبار العشّاق مثل : مصارع العشّاق وتزيين الأسواق ، وكتاب الشوق والفراق ، لابن المرزبان ، وفي الزهرة لابن داود الظاهريّ وخزانة الأدب 4 : 229–233 وغيرها أخبار وأشعار له ، وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستّار فراج ، وتلك مغامرة لا تحمد آثارها في الدارسين (طبعة مكتبة مصر ، القاهرة) على أنّه حاول ـ رحمه الله ـ استقصاء المراجع في تخريج الشعر وإثبات الروايات المختلفة . وقال الجاحظ (البيان والتبيين 4 : 22) وأمّا مجنون بني عامر وبني عقيل فهو قيس بن معاذ ، وهو الذي يقال له : مجنون بني عامر ، وهما شاعران ، قيل ذلك لهما لتجنّنهما بعشيقتين كانتا لهما ، ولهما أشعار معروفة . وقال أيضاً : ومن المجانين مهدي بن الملوح الجعدي ، وهو مجنون بني جعدة .

2 ل : بن قيس بن عدي .

3 ل : وأخبرني الحرمي .

4 ابن دأب اسمه عيسى بن يزيد .

نَروي أشعار المجانين ؟ إنّهم لكثيرٌ ! فقلت : ليس هؤلاء أعني ، إنّما أعني مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق ، فقال : هيهات ، بنو عامر أغلظ أكباداً من ذاك ، إنّما يكون هذا في هذه اليَمانية الضِّعاف قلوبُها ، السَّخيفة عقولُها ، الصَّعْلَةِ[1] رؤوسها ، فأمّا نزار فلا .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الرياشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول : رجلان ما عُرِفا في الدنيا قَطُّ إلاّ بالاسم : مجنون بني عامر ، وابن القِرِّيَّة ، وإنّما وضَعهما الرُّواة .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني عبد الله بن أبي سَعد عن الحِزاميّ قال : ولم أسمعه من الحزاميّ فكتبتُه عن ابن أبي سعد قال أحمد : وحدّثنا به ابن أبي سعد عن الحزاميّ قال حدّثنا عبد الجَبّار بن سعيد بن سليمان بن نوفل بن مُساحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال : سعيتُ[2] على بني عامر فرأيتُ المجنون وأُتِيتُ به وأنشدني .

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفشُ قال حدّثنا أبو سعيد السُّكَّريّ قال حدّثنا إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال : المجنون المشهور بالشعر عند الناس صاحبُ ليلى قيس بن مُعاذ من بني عامر ، ثم من بني عُقَيل ، أحد بني نُمَير بن عامر بن عُقَيل ، قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مَهْدِيّ بن المُلوّح من بني جَعْدَة بن كَعب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعَة .

[قيل إنّ فتى من بني أميّة وضع حديثه وشعره ونسبه إليه]

وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ قال حدّثنا ابن أبي سَعد عن عليّ بن الصَّبّاح عن ابن الكلبيّ قال[3] : حُدّثتُ أنّ حديث المجنون وشعرَه وضعه فتًى من بني أميَّة كان يهوى ابنة عمّ له ، وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها ، فوضع حديث المجنون وقال الأشعار التي يرويها الناس للمجنون ونسَبها إليه .

أخبرني الحسين بن يحيى وأبو الحَسن الأَسَديّ قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : اسم المجنون قيسُ بن مُعاذٍ أحدُ بَني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وأخبرني أبو سعد الحسن بن عليّ بن زكريّا العَدَوِيّ قال حدّثنا حَمّاد[4] بن طالوت بن عبّاد : أنّه سأل الأصمعيّ عنه ، فقال : لم يكن مجنوناً ، بل كانت به لُوثةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوَى امرأةً من قومه يقال لها ليلى ، واسمه قيس بن مُعاذ .

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه أنّ اسمه قيسُ بن مُعاذ .

---

1 رأس صعلٍ : صغير .

2 سعى على القوم : عمل ساعياً أي جابياً للزكاة .

3 انظر الخزانة : 4 : 229 .

4 عثمان بن طالوت .

وذكر شُعَيب بن السَّكَن عن يونس النَّحويّ أنّ اسمه قيس بن الملوّح . قال أبو عمرو الشَّيباني : وحدّثني رجل من أهل اليمن أنّه رآه ولقيه وسأله عن اسمه ونسبه ، فذكر أنّه[1] قيسُ بن الملوّح .

وذكر هشام بن محمد الكلبيّ أنّه قيس بن الملوّح ، وحدّث أنّ أباه مات قبل اختلاطه[2] ، فعقَر على قبره ناقته وقال في ذلك : [من الطويل]

عقـرتُ على قبر الملـوّح ناقتي بذي السَّرْح[3] لما أن جفاه الأقاربُ
وقلـتُ لهـا كُوني عَقِيراً فإنّني غداً راجلٌ أمشي وبالأمسِ راكبُ
فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يا ابن مُزاحمٍ فكلٌّ بكأس الموت لا شكَّ شارِبُ[4]

وذكر إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى أنّ اسمه البُحتُريّ بن الجَعْد .

وذكر مُصْعَب الزُّبيريّ والرياشيّ وأبو العالِية أنّ اسمَه الأقرع بن مُعاذ . وقال خالد بن كلثوم : اسمه مهديُّ بن الملوّح .

وأخبرني الأخفش عن السُّكَّريّ عن أبي زياد الكِلابيّ[5] ، قال : ليلى صاحبة المجنون هي ليلى بنت سَعد بن مَهْدِيّ بن رَبيعة بن الحَريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ ، قال حدّثنا أبو قِلابة الرَّقاشيّ[6] ، قال حدّثني عبد الصَّمد بن المُعَذَّل ، قال : سمعتُ الأصمعيّ وقد تذاكرنا مجنون بني عامر يقول : لم يكن مجنوناً وإنّما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل[7] : [من مجزوء الكامل]

أخذَتْ محاسنَ كلِّ مـا ضَنَّـتْ محاسنُـه بحُسنِهْ
كادَ الغـزالُ يكونُهـا لولا الشَّوَى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

[لقب بالمجنون كثير غيره وكلّهم كان يشبب بليلى]

وأخبرني عمر بن عبد الله بن جَمِيل العَتَكِيّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : سألتُ أعرابيّاً من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامِريّ فقال : عن أيِّهم تسألُني ؟

---

1 في ل : فعرفه أنّه .
2 اختلاطه : تغيّر عقله .
3 ذو السرح : واد بنجد .
4 لا شك في ل : لا بدّ .
5 أبو زياد الكلابيّ : اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث عاش في أوائل الدولة العباسية وكان شاعراً وعالماً باللغة .
6 أبو قلابة الرقاشي ، هو عبد الملك بن محمد الرقاشي .
7 ديوان المجنون : 281 .

فقد كان فينا جماعةٌ رُمُوا بالجنون ، فعن أيّهم تسألُ ؟ فقلت : عن الذي كان يُشَبّب بليلى ، فقال : كلُّهم كان يُشبّب بليلى ، قلتُ : فأنشِدني لبعضهم ، فأنشدني لمُزاحِم بن الحارث المجنون[1] : [من الطويل]

ألا أيُّها القلبُ الذي لَجَّ هائِماً بلَيْلى وليــداً لم تُقَطَّــعْ تمائِمُهْ
أَفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أَنى لكَ اليومَ أن تَلقى طبيباً تُلائِمُهْ
أجِــدّكَ لا تُنسِيكَ لَيْلى مُلِمَّةٌ تُلِمُّ ولا عهــدٌ يَطُــولُ تَقادُمُهْ

قلت : فأنشِدني لغيره منهم ، فأنشَدَني لمُعاذ بن كُلَيب[2] المجنون : [من الطويل]

ألا طالَما لاعَبْتُ لَيْلى وقادَني إلى اللَّهوِ قلبٌ للحِسانِ تَبُــوعُ
وطال امتراءُ الشّوقِ عينيَ كلّما نَزَفــتُ دُموعاً تَسْتَجِدُّ دُموعُ
فقد طال إمساكي على الكَبِد التي بها مِن هَوى لَيْلى الغَداةَ صُدُوعُ

قلتُ : فأنشِدني لغير هذين ممّن ذكرتَ ، فأنشدَني لَمَهْدِيّ بن الملوّح : [من الطويل]

لو آنّ لــكَ الدنيا وما عُدِلَتْ به سِواها وليلى بائــنٌ عنــكَ بينُها[3]
لكنــتَ إلى ليــلى فقيراً وإنّمــا يقــود إليهــا وُدَّ نفسِك حَينُها

قلتُ له : فأنشِدني لمن بقي من هؤلاء ، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنّ في واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال قال ابن الأعرابيّ : كان مُعاذ بن كليب مجنوناً ، وكان يُحبّ ليلى ، وشَرِكَه في حبّها مُزاحم بن الحارث العُقَيليّ ، فقال مزاحمٌ يوماً للمجنون : [من الوافر]

كِلانــا يــا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْلى بفِيّ وفيكَ مِــن لَيْلى التُّرابُ
شَرِكتُكَ في هَوى من كان حظّي وحظَّكَ مِــن مودّتِها العَذابُ
لقد خَبَلَتْ فؤادَك ثــم ثَنَّتْ بقلبــي فهــو مخبولٌ مُصابُ

قال فيقال : إنّه لما سمع هذه الأبيات التُبِس وخولِط في عقله .

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ : أنّه سمع في الليل هاتفاً يهتِفُ بهذه الأبيات ، فكانت سبب جنونه .

---

1 ديوان مجنون ليلى : 248 .

2 هذه الأبيات لمعاذ بن كليب ، ولكنها موجودة في ديوان المجنون أيضاً .

3 بائن في ل : حائن .

وذكر إبراهيم بن المُنذر الحِزاميّ عن أيُّوب بن عباية : أنّ فتًى من بني مروان كان يهوى امرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه إلى المجنون ، وأنّه عملَ له أخباراً وأضاف إليها ذلك الشعر ، فحمله الناس وزادوا فيه .

[إنكار وجوده والقول بأنّ شعره مولد عليه]

وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العُتبيّ عن عَوانةَ أنّه قال : المجنون اسم مستعار لا حقيقة له ، وليس له في بني عامر أصلٌ ولا نسبٌ ، فسئل مَن قال هذه الأشعار ؟ فقال : فتًى من بني أميّة .

وقال الجاحظ[1] : ما تركَ الناس شعراً مجهولَ القائل قِيل في لَيْلى إلاّ نسَبوه إلى المجنون ، ولا شعراً هذه سبيلُه قيل في لُبْنى إلاّ نسَبوه إلى قيس بن ذَرِيح .

وأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني أبو أيُّوب المَدِيني[2] قال حدّثني الحَكَم بن صالح قال : قِيلَ لرجل من بني عامر : هل تعرفون فيكم المجنون الذي قتله العشقُ ؟ فقال : هذا باطلٌ ، إنّما يقتلُ العشقُ هذه اليمانية الضّعاف القلوبِ .

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال حدّثني أيُّوب بن عباية قال حدّثني مَن سأل بني عامرٍ بطناً بطناً عن المجنون فما وجدَ فيهم أحداً يعرِفُه .

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأَزْهَر قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن ابن الأعرابيّ أنّه ذَكر عن جماعة من بني عامر أنّهم سُئِلوا عن المجنون فلم يعرِفوه ، وذكروا أنّ هذا الشعر كلَّه مُوَلَّد عليه .

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شيخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوانة قال : ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبي العَقِب صاحبُ قصيدة المَلاحم[3] ، وابن القِرِّيَّة[4] ، ومجنون بني عامر .

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعتُ الأصمعيّ يقول : الذي أُلقِيَ على المجنون من الشعر وأُضِيفَ إليه أكثرُ ممّا قاله هو .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال :

---

1 هذا القول مهمّ للدارس ، وهو منطلق لتصحيح الدراسة في المجنون وشعره ؛ وقد ردّد هذا القول البغدادي في الخزانة 4 : 229 .

2 أبو أيوب المديني : هو سليمان بن أيوب بن محمد المديني (أي من أهل المدينة) .

3 قصيدة الملاحم : قصيدة يزعم فيها صاحبها أنّه سينبيء عمّا سيجري من أحداث في المستقبل .

4 له محاورات مع الحجّاج ، يبدو أنّ معظمها موضوع .

أنشدتُ أيُّوب بن عباية هذين البيتين[1] : [من الطويل]

وخبَّرتُمـــاني أنّ تَيمـــاءَ منزِلٌ لِلَيْلَى إذا ما الصَّيفُ أَلْقَى المَراسِيا
فهذي شهورُ الصَّيْفِ عنّا قد انقضَتْ فما لِلنّـوَى تَرمِـــي بلَيْلَى المَرامِيا

وسألتُه عن قائلهما ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إنّ الناس يَروونَهما للمجنون ، فقال : ومَن هو المجنونُ ؟ فأخبرتُه ، فقال : ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به .

وأخبرني عمّي عن عبد الله بن شَبِيب عن هارون بن موسى الفَرْويّ قال : سألت أبا بكر العَدَوِيّ عن هذين البيتين فقال : هما لجَمِيل ، ولم يَعرِف المجنونَ ، فقلتُ : فهل معهما غيرُهما ؟ قال : نعم ، وأنشدني : [من الطويل]

وإنِّي لأخشى أن أموتَ فُجاءةً وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هِيا
وإنِّي لَيُنْسِينِي لِقاؤكِ كلَّما لقِيتُكِ يوماً أنْ أَبُـثَّكِ ما بِيا[2]
وقالوا بـــه داءٌ عَياءٌ أصابه وقد علِمتْ نفسي مكانَ دوائِيا

وأنا أذكر ممّا وقع إليّ من أخباره جُمَلاً مستحسنةً ، مُتبرِّئاً من العهدة فيها ، فإنّ أكثر أشعاره المذكورة في أخباره ينسبُها بعضُ الرُّواة إلى غيره وينسبُها مَنْ حُكِيتْ عنه إليه ، وإذا قدّمتُ هذه الشريطة برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومُتَتَبِّع للعيوب[3] .

[بدء تعشّقه ليلى]

أخبرني بخبره في شَغَفِه بليلى جماعةٌ من الرُّواة ، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك في سِياقة خبره ما اتَّسقَ ولم يختلِفْ ، فإذا اختلفَ نسَبتُ كلَّ رواية إلى راويها .

فممن أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبيّ ، قالا : حدّثنا عمرُ بن شبّة عن رجاله وإبراهيمُ بنُ أيّوبَ عن ابن قُتَيبة ، ونسختُ أخبارَه من رواية خالد بن كُلْثُوم وأبي عَمْرو الشَّيباني وابن دَأْبٍ وهِشام بن محمد الكَلْبيّ وإسحاق بن الجَصَّاص وغيرِهم من الرُّواة .

قال أبو عمرو الشَّيبانيّ وأبو عبيدة : كان المجنون يهوى ليلى بنت مَهديّ بن سَعد بن مهديّ بن ربيعة بن الحَرِيش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وتُكنى أُمَّ مالك ، وهما حينئذٍ صبيان ، فعَلِق كلٌّ واحد منهما صاحبَه وهما يرعَيانِ مواشِيَ أهلِهما ، فلم يزالا كذلك حتى كبِرا فَحُجِبتْ عنه ، قال : ويدلّ على ذلك قوله : [من الطويل]

---

1 بشأن ما يرد من الأبيات اليائية المنسوبة للمجنون انظر القصيدتين رقم 307 و308 في ديوانه .

2 ل : ليثنيني .

3 تأمّل تخرج أبي الفرج في هذا الموضع .

صوت

تَعلّقتُ لَيْلى وهـي ذاتُ ذُؤابـةٍ ولم يَبْدُ للأتراب من ثَدْيِها حجمُ[1]
صغيرَيْنِ نرعَى البَهْمَ يا ليتَ أنّنا إلى اليوم لم نَكْبُرْ ولم تَكْبُرِ البَهْمُ

في هذين البيتين للأَخْضَر الجُدِّيّ لحن من الثقيل الثاني بالوسطى ، ذكره هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات والهشاميّ .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية ونسختُ هذا الخبر بعينه من خطِّ هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أبو عَتّاب البصريّ عن إبراهيم بن محمد الشافعيّ قال : بَيْنا ابنُ مُلَيكةَ يؤذِّن إذ سمِع الأخضر الجُدِّيَّ يُغنّي من دار العاص بن وائل : [من الطويل]

وعُلِّقتُهـا غَـرّاءَ ذاتَ ذوائـــبٍ ولم يَبدُ للأتراب من ثديِها حجمُ
صغيرَيْنِ نرعَى البهمَ يا ليتَ أنّنا إلى اليومِ لم نَكْبُرْ ولم تَكبُرْ البَهْمُ

قال : فأراد أن يقول : حيِّ على الصلاة فقال : حيِّ على البَهْم ، حتى سمِعه أهلُ مكّة فغدا يعتذرُ إليهم .

وقال ابن الكلبيّ : حدّثني مَعروف المَكّيّ والمُعَلَّى بن هِلال وإسحاقُ بن الجَصّاص قالوا : كان سبب عشق المجنون لَيْلَى ، أنّه أقبل ذات يوم على ناقة له كريمة وعليه حُلّتان من حُلَل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها : كريمة ، وعندها جماعةُ نسوةٍ يتحدّثن فيهنّ ليلى ، فأعجبهنّ جمالُه وكمالُه ، فدعَوْنه إلى النزول والحديث ، فنزل وجعل يُحدِّثهنّ وأمر عبداً له كان معه فعقر لهنّ ناقته ، وظَلَّ[2] يحدّثهنّ بقيةَ يومه ، فبينا هو كذلك ، إذ طلع عليهم فتًى عليه بُرْدةٌ من بُرَدِ الأعراب يقال له : «مُنازِلُ» يَسُوق مِعْزًى له ، فلمّا رأيْنَه أقبلْنَ عليه وتركْنَ المجنون ، فغضب وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول : [من الطويل]

أأعقِرُ مِـنْ جَـرّا كَريمـةَ ناقَتِي ووَصْلِي مَفْـروشٌ لِوَصْلِ مُنازِلِ
إذا جـاء قَعْقَعنَ الحُـليَّ ولم أكُنْ إذا جئتُ أرضى صوتَ تلكَ الخلاخلِ
متى مـا انتضَلْنا بالسِّهام نضَلْتُه وإن نَرْمِ رَشْقًا عندها فهو ناضِلي[3]

قال : فلمّا أصبح لبِس حُلّتَه ، وركب ناقة له أُخرى ومضى مُتعرِّضاً لهنّ ، فألفَى لَيْلَى

1 في رواية : وهي ذات تمائم .
2 ل : وجعل .
3 انتضلا : تباريا في رمي السهام .

قاعدةً بفناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهوِيَتْه ، وعندها جُوَيرياتٌ يتحدّثْنَ معها ، فوقف بهنّ وسلّم ، فدَعونَه إلى النزول وقلن له : هل لك في محادثة مَن لا يَشغَلُه عنك مُنازِلٌ ولا غيرُه ؟ فقال : إي لَعَمْرِي ، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالأمس ، فأرادت أن تعلم ، هل لها عنده مثلُ ما له عندها ، فجعلتْ تُعرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدّث غيره ، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبّها إيّاه وشَغَفَتْه واستملحها ، فبينا هي تُحدِّثه ، إذ أقبل فتًى من الحيّ فدعته وسارّته سِراراً طويلاً ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيَّر وانتُقِع[1] لونه وشَقَّ عليه فعلُها ، فأنشأت تقول : [من الوافر]

كِلانا مُظهِـرٌ للناسِ بغضاً وكلٌّ عنـدَ صاحبِهِ مَكِينُ
تُبلِّغُنا العيـونُ بما أردنـا وفي القلبين ثَمَّ هَوىً دَفِينُ

فلمّا سمع البيتين شَهَقَ شهقةً شديدة وأُغمِيَ عليه ، فمكث على ذلك ساعة ، ونضَحوا الماء على وجهه [حتى أفاق] وتمكّن حبُّ كلّ واحد منهما في قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مَبلغ .

[خطبته لليلى واختيارها عليه غيره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عبد الرحمن بن إبراهيم عن هشام بن محمد بن موسى المكيّ عن محمد بن سعيد المَخزوميّ عن أبي الهيثم العقيليّ قال : لمّا شُهِر أمر المجنون وليلى وتناشد الناس شعره فيها ، خطبَها وبذل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقَيليّ وبذل لها عَشْراً من الإبل وراعِيها ، فقال أهلُها : نحن مُخيِّروها بينكما ، فمَنِ اختارَتْ تزوّجته ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختاري وَرْداً لنُمثِّلَنّ بِك ، فقال المجنون[2] : [من الوافر]

ألا يـا لَيْلَ إن مُلِّكْتِ فينا خِيارَكِ فانظُرِي لِمَن الخيارُ
ولا تَسْتَبْدِلِي منّـي دَنيّـاً ولا بَرَماً إذا حُبّ القُتارُ[3]
يُهَرْوِل في الصغير إذا رآه وتُعجِـزُه مُلِمّـاتٌ كِبارُ
فمثلُ تأيُّـم منـه نكاحٌ ومثلُ تَمَـوُّلٍ منه افتِقارُ

فاختارت ورداً فتزوّجته على كُرهٍ منها .

---

1 انتقع لونه : تغيّر .

2 ديوان مجنون ليلى : 122–123 وينسب البيتان للعباس بن الأحنف .

3 البرم : اللئيم ، والأصل وصف للذي لا يدخل مع القوم في الميسر . القتار : رائحة اللحم المشويّ .

[حكاية أبيه عن جنونه بليلى]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا : حدّثنا عمر بن شَبَّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة بن خُريم[1] المُرِّي قال : خرجتُ إلى أرض بني عامر لألقى المجنون ، فَدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّته ، فلَقِيت أباه شيخاً كبيراً وحولَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالاً ؛ فسألتهم عنه فبَكَوه ، وقال الشيخ : أما والله لهو كان آثَر عندي من هؤلاء جميعاً ، وإنّه عَشِقَ امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع في مثله ، فلمّا فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يزوّجه إيّاها بعد ما ظهر من أمرهما ، فزوّجها غيره ، وكان أوّل ما كَلِفَ بها يجلس إليها في نفرٍ من قومها فيتحدّثون كما يتحدّث الفِتيان ، وكان أجملَهم وأظرفهم وأرواهم لأشعار العرب ، فيُفِيضون في الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً ، فتُعرِض عنه وتُقبِل على غيره ، وقد وقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه ، فظنَّتْ به ما هو عليه من حبّها ، فأقبلت عليه يوماً وقد خَلَتْ فقالت : [من الوافر]

صوت

كِلانا مُظهِرٌ للنـاسِ بغضاً وكلٌّ عنـدَ صاحبـهِ مَكِـينُ
وأسرارُ المَلاحِظِ ليس تَخْفَـى إذا نطَقتْ بما تُخْفِي العيونُ[2]

غنّت في الأوّل عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ ، وقيل : إنّ هذا الغناء لشارية ، والبيت الأخير ليس من شعره ، قال : فخَرّ مغشيّاً عليه ثم أفاق فاقداً عقلَه ، فكان لا يلبس ثوباً إلاّ خرَّقه ولا يمشي إلاّ عارياً ويلعب بالتراب ويجمعُ العظام حوله ، فإذا ذُكرتْ له ليلى أنشأ يحدِّث عنها عاقلاً ولا يُخطىء حرفاً ، وترك الصلاة ، فإذا قيل له : ما لكَ لا تُصلّي ! لم يَرُدَّ حرفاً ، وكنّا نحبسه ونُقيّده ، فيَعضُّ لسانه وشفته ، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيله فهو يهيم .

[قصّته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف]

قال الهيثم : فولّى مروان بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عَوف صدقاتِ بني كعب وقُشَير وجَعْدَة والحَريش وحبيبَ وعبد الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يَسْتحكم جُنونه[3] فكلّمه وأنشده فأُعجِبَ به ، فسأله أن يخرجَ معه ، فأجابه إلى ذلك ، فلمّا أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى ، وأنّ أهلها استَعدَوُا السلطان عليه ، فأهدرَ دمَه إن أتاهم ، فأضربَ عمّا وعده وأمر له بقلائص ، فلمّا علم بذلك وأُتِي بالقلائص ردّها عليه وانصرف .

---

1 هو حريم (بالحاء المهملة) في تاريخ الطبري .
2 الشطر الثاني في ل : وقد تغرى بذي اللحظ الظنون .
3 ل : يستحكم حبّه .

وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم عن جماعة من الرُّواة : أنّ المجنون هو الذي سأل عمر بنَ عبد الرحمن أن يخرج به ، قال له : أكون معك في هذا الجَمْع الذي تَجمعه غداً ، فَأُرى في أصحابك ، وأتجمّل في عشيرتي بك ، وأفخرُ بقربك ، فجاءه رَهطٌ من رهط لَيْلى وأخبروه بقصّته ، وأنّه لا يريد التجمّل به ، وإنّما يريد أن يدخل عليهم بيوتهم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها ، وأنّهم قد شكَوْه إلى السلطان فأهدر دمَه إن دخل عليهم ، فأعرض عمّا أجابه إليه من أخذه معه وأمر له بقلائص ، فردّها وقال [في ذلك] : [من الوافر]

رَددتُ قلائـصَ القرشيّ لمّا بدا لي النقضُ منـه للعهودِ
وراحوا مُقْصِرين وخلّفُوني إلى حُزنٍ أُعالجُـهُ شديدِ

[نوفل بن مساحق يتوسط للمجنون]

قال : ورجع آيساً فعاد إلى حاله الأولى ، قال : فلم تزل تلك حالَه ، إلاّ أنّه غيرُ مستوحش ، إنّما يكون في جَنَباتِ الحيّ منفرداً عارياً لا يلبس ثوباً إلاّ خرَّقه ، ويَهْذِي ويُخطِّط في الأرض ويلعب بالتراب والحجارة ، ولا يُجيب أحداً سأله عن شيء ، فإذا أحبُّوا أن يتكلّم أو يثوب عقلُه ذكروا له ليلى ، فيقول : بأبي هي وأُمّي ، ثم يرجع إليه عقله فيخاطبونه ويُجيبهم ، ويأتيه أحداث الحيّ فيحدِّثونه عنها ويُنشدونه الشعر الغزل ، فيجيبهم جواباً صحيحاً ويُنشدهم أشعاراً قالها ، حتى سعى عليهم في السنة الثانية بعد عمر بن عبد الرحمن نوفلُ بن مساحق ، فنزل مَجْمَعاً من تلك المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عريان ، فقال لغلام له : يا غلام ، هاتِ ثوباً ، فأتاه به ، فقال لبعضهم : خذ هذا الثوب فألقِه على ذلك الرجل ، فقال له : أتعرِفه جُعِلتُ فِداك ؟ قال : لا ، قال : هذا ابن سيّدِ الحيّ ، لا والله ما يلبس الثياب ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن ، وإذا طُرِحَ عليه شيء خرَّقه ، ولو كان يلبسُ ثوباً لكان في مال أبيه ما يكفيه ، وحدّثه عن أمره ، فدعا به وكلّمه ، فجعل لا يعقِل شيئاً يكلّمه به ، فقال له قومه : إن أردت أن يُجيبك جواباً صحيحاً فاذكر له ليلى ، فذكرها له وسأله عن حبّه إيّاها ، فأقبل عليه يحدّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إيّاها ويُنشده شعره فيها ، فقال له نوفل : الحبّ صيّرك إلى ما أرى ؟ قال : نعم ، وسينتهي بي إلى ما هو أشدّ مما ترى ، فعجِب منه وقال له : أتُحِبُّ أن أزوّجكَها ؟ قال : نعم ، وهل إلى ذلك من سبيلٍ ؟ قال : انطلق معي حتى أَقْدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأُرَغِّبهم في المهر لها ، قال : أتُراك فاعلاً ؟ قال : نعم ، قال : انظر ما تقول ، قال : لك عليّ أن أفعل بك ذلك ، ودعا له بثياب فألبسه إيّاها ، وراح معه المجنون كأَصحِّ أصحابه يحدّثه ويُنشده ، فبلغ ذلك رهطها فتلقَّوه في السلاح ، وقالوا له : يا ابن مُساحِق ، لا والله لا يدخل المجنون منازلنا أبداً أو يموت ، فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دمه ،

فأَقبل بهم وأَدبر ، فأَبَوْا ، فلمّا رأى ذلك قال للمجنون : انصرف ، فقال له المجنون : والله ما وفَيْتَ لي بالعهد ، قال له : انصرافُك بعد أن آيسني القوم من إجابتك أصلح من سَفْكِ الدماء ، فقال المجنون[1] : [من الطويل]

صوت

أيا وَيْح مَنْ أَمْسى تُخُلِّسَ عقلُه فأصبحَ مذهوباً به كلَّ مذهبِ[2]
خليّاً من الخُلاَّنِ إلاّ مُعَذِّراً يُضاحِكني مَنْ كان يَهوى تَجَنُّبِي[3]

الغناء للحسين بن محرز ثقيل أوّل بالوسطى من جامع أغانيه : [من الطويل]

إذا ذُكرتْ ليلى عَقَلتُ وراجعَتْ روائع عقلي مِن هَوىً مُتَشَعِّبِ[4]
وقالوا صحيحٌ ما به طيفُ جِنَّةٍ ولا الهمُّ إلاّ بافتراء التكذّبِ
وشاهدُ وجْدِي دمعُ عيني وحُبُّها بَرى اللحمَ عن أحناءِ عظمي ومنكِبي

صوت

[من الطويل]

تجنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ[5]
ألا إنّما غادَرْتِ يا أمّ مالكٍ صَدىً أينما تَذْهبْ به الريحُ يَذْهَبِ[6]

الغناء لإسحاق خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وفيه لابن جامعٍ هزج من رواية الهشاميّ وهي قصيدة طويلة .

ومما يُغنّى فيه منها قوله : [من الطويل]

صوت

فلم أَرَ ليلى بعد مَوْقِفِ ساعةٍ بخَيْفِ مِنىً تَرمِي جِمارَ المحصَّبِ[7]
ويُبْدِي الحَصى منها إذا قذَفتْ به من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ

---

1 ديوان مجنون ليلى : 78–80 وفيه تخريج كثير .
2 تخلّس عقله : أخذ خلسة .
3 المعذّر : المقصّر .
4 روائع عقلي في ل : عوازب قلبي .
5 الحب في ل : اليأس .
6 غادرت في ل : أبقيت .
7 بعد في ل : غير .

فأصبحتُ من لَيْلى الغَداةَ كناظرٍ مع الصبحِ في أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ
ألا إنّما غـادرتِ يا أمَّ مالكٍ صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

فيه ثقيل أوّل مطلق باستهلال ، ذكر ابن المكّيّ أنّه لأبيه يحيى ، وذكر الهشاميّ أنّه للواثق ، وذكر حبش أنّه لابن محرز ، وهو في جامع أغاني سليمان منسوبٌ إليه .

أنشدني الأخفش عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب للمجنون[1] : [من الطويل]

فـواللهِ ثـم اللهِ إنِّـي لدائبٌ أُفكّر مـا ذنبِي إليهـا وأعجَبُ
ووالله مـا أدري عَـلامَ قتلتِني وأيَّ أموري فيك يا ليلَ أركبُ
أأقطَعُ حبـلَ الوصلِ فالموتُ دونه أمَ اشْربُ رَنْقا منكم ليس يُشرَبُ
أَمَ اهربُ حتى لا أرَى لي مجاوراً أمَ اصنعُ مـاذا أم أبوح فَأُغلَبُ
فأيّهما يـا ليـلَ مـا ترتضِينَه فإنّـي لمظلـومٌ وإنّي لَمُعْتِبُ

[حجّه مع أبيه لسلوان ليلى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال : ذكر هشام بن الكلبيّ ووافقه في روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصَّبّاح عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه : أنّ أبا المجنون وأمّه ورجال عشيرته اجتمعوا إلى أبي ليلى فوعظوه وناشدوه الله والرحِمَ ، وقالوا له : إنّ هذا الرجل لَهالكٌ ، وقبل ذلك ففي أقبح من الهلاكِ بذهاب عقله ، وإنّك فاجعٌ به أباه وأهلَه ، فنشَدناك الله والرحم أن تفعل ذلك ، فوالله ما هي أشرف منه ، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه ، وقد حكَّمَك في المَهر ، وإن شئتَ أن يخلع نفسه إليك من ماله فعل ، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها إنّه لا يزوّجه إيّاها أبداً ، وقال : أفضحُ نفسي وعشيرتي وآتِي ما لم يأتِه أحدٌ من العرب ، وأَسِمُ ابنتي بمِيسَم فضيحة ، فانصرَفوا عنه ، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلاً من قومها وأدخلها إليه ، فما أمسى إلاّ وقد بنى بها ، وبلغه الخبر فأيِس منها حينئذٍ وزال عقله جملةً ، فقال الحيّ لأبيه : احجُجْ به إلى مكّة وادعُ الله عزّ وجلّ له ، ومُره أن يتعلّق بأستار الكعبة ، فيسأل الله أن يعافيه ممّا به ويُبغضَها إليه ، فلعلّ الله أن يُخلِّصه من هذا البلاء ، فحجَّ به أبوه ، فلمّا صاروا بمِنًى سمع صائحاً في الليل يَصيح : يا ليلى ، فصرخ صَرخةً ظنّوا أنّ نفسه قد تَلِفَت وسقط مَغشِيّاً عليه ، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائلَ اللون ذاهلاً ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 45–46 . والشطر الثاني من البيت الخامس فيه «فأوّل مهجور وآخر معتب» .

2 ديوان مجنون ليلى : 162 وانظر أيضاً ص 163–164 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لغير المجنون .

صوت

عَرَضتُ على قلبي العزاءَ فقال لي ... مِن الآنَ فايأسْ لا أعزّك مِن صَبْرِ
إذا بـانَ مَنْ تهوى وأصبحَ نائياً ... فلا شيءَ أجدَى من حُلُولكَ في القبرِ
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْفِ مِن منىً ... فهيَّجَ أطرابَ الفؤادِ ومـا يَدرِي
دعا باسم ليـلى غيرِها فكأنّما ... أطارَ بليلى طائـراً كان في صدرِي
دعا باسم ليـلى ضلَّل اللهُ سعيَه ... وليـلى بأرضٍ عنـه نازحةٍ قفرِ

الغناء لعريب خفيف ثقيلٍ ، ثم قال له أبوه : تعلَّقْ بأستار الكعبة واسأل اللهَ أن يعافيك من حبِّ ليلى ، فتعلّقَ بأستار الكعبة وقال : اللهمّ زِدني لليلى حبّاً وبها كَلَفاً ولا تُنْسِني ذكرها أبداً ، فهام حينئذٍ واختلط[1] فلم يَضْبِطْ . قالوا : فكان يهِيم في البريَّة مع الوحش ولا يأكل إلاّ ما ينبُت في البرِّيَّة من بقل ولا يشرب إلاّ مع الظباء إذا وردَتْ مناهلها ، وطال شعر جسده ورأسه وألِفَتْه الظباء والوحوش فكانت لا تنفِر منه ، وجعل يَهِيم حتى يبلغ حدود الشام ، فإذا ثاب إليه عقله سأل مَن يمرّ به من أحياء العرب عن نجدٍ ، فيقال له : وأين أنت من نجد؟ قد شارفتَ الشام ! أنتَ في موضع كذا ، فيقول : فأروني وِجهة الطريق ، فيرحمونه ويعرِضون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى ، فيدُلّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوه .

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن الهيثم بن عديّ وأخبرنا حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال ذكر الهيثم بن عدي عن أبي مسكين قال : خرج منّا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ[2] إذا جماعة فوق بعض تلك الجبال ، وإذا معهم فتًى أبيضُ طُوال جعد[3] كأحسن مَن رأيت من الرجال على هزالٍ منه وصُفرة ، وإذا هم متعلّقون به ، فسألت عنه ، فقيل لي : هذا قيس المجنون خرج به أبوه يستجير له بالبيت ، وهو على نيّة أن يأتي به قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ليدعوَ له هناك لعلّه يُكشَف ما به ، فإنّه يصنع بنفسه صنيعاً يرحمه منه عدوُّه ، يقول : أخرِجوني لعلّني أتنسَّم صَبا نَجدٍ ، فيُخرجونه فيتوجّهون به نحو نجدٍ ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقي نفسه من الجبل ، فإن شئتَ الأجرَ دنوتَ منه فأخبرته أنّك أقبلتَ من نجدٍ ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليه فقالوا له : يا أبا المهديّ ، هذا الفتى أقبل من نجد ، فتنفَّسَ تَنفُّسةً ظننتُ أنّ

1 ل : وخولط .
2 بئر ميمون : بئر في مكّة .
3 طوال : زائد في الطول ؛ جعد : شديد الأسر ، غير مضطرب الخلق .

كبده قد انصدعتْ ، ثم جعل يسألني عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ ، وأنا أُخبره وهو يبكي أحرَّ بكاءٍ وأَوجعه للقلب ، ثم أنشأ يقول[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري عن عُوارِضَتَيْ قناً ... لطولِ الليالي هـلْ تغيَّرتا بعدِي[2]

وهل جارتانـا بالبَتِيل إلى الحِمى ... على عَهْدِنا أم لم تَدُوما على العهدِ[3]

وعن عُلْوِيَّاتِ الريـاح إذا جرتْ ... بريح الخُزامَى هل تهُبُّ على نجدِ[4]

وعن أُقْحُوانِ الرملِ مـا هو فاعلٌ ... إذا هـو أَسْرى ليلةً بِثَرىً جَعدِ[5]

وهل أنفُضَنَّ الدهـرَ أفنـانَ لِمَّتِي ... على لاحِقِ المتنينِ مُندَلِقِ الوَخدِ[6]

وهلْ أسمعنَّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ ... تَحدَّرُ من نَشْزٍ خَصِيبٍ إلى وَهْدِ[7]

[سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ والعُتْبِيّ قالا[8] : مرّ المجنون بزوج ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلي في يومٍ شاتٍ ، وقد أتى ابن عمٍّ له في حيّ المجنون لحاجةٍ ، فوقف عليه ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

صوت

بِربِّك هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى ... قُبيـلَ الصبح أو قَبَّلْـتَ فاها

وهل رَفَّتْ عليكَ قُرونُ ليلَى ... رَفِيـفَ الأُقْحُوانـةِ في نَداها

فقال : اللهمّ إذ حلَّفتَنِي فنَعَمْ ، قال : فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فما فارقهما حتى سقط مغشيّاً عليه ، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه ، وعضّ على شفته فقطعها ، فقام زوجُ ليلى مغموماً بفعله مُتعجّباً منه فمضى .

غنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر الحسين بن محرز ، ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ .

---

1 ديوان مجنون ليلى : 123–124 .

2 قنا وعوارضتاه : جبال بنجد .

3 البتيل : هو بحسب السياق اسم موضع .

4 علويات الرياح : الرياح التي تهبّ من جهة العالية من نجد .

5 الثرى الجعد : الذي أصابه الندى .

6 لاحق المتنين : ضامر . مندلق الوخد : سريع في سيره .

7 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . النشز : المكان المرتفع .

8 الخبر والشعر في خزانة الأدب : 10 : 54–55 .

[مروره بجبلي نعمان ومكثه فيهما إلى هبوب الصبا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبّة قال قال محمد بن الحكَم عن عَوانة : إنّه حدّثه ووافقه ابن نصر وابن حبيب قالوا : إنّ أهل المجنون خرجوا به معهم إلى وادي القُرى قبل توحشه ليَمْتاروا خوفاً عليه [من] أن يضيعَ أو يهلِك ، فمرّوا في طريقهم بجبلي نعمان ، فقال له بعض فِتيان الحيّ : هذان جبلا نعمان ، وقد كانت ليلى تنزل بهما ، قال : فأيّ الرياح يأتي من ناحيتهما ؟ قالوا : الصَّبا ، قال : فوالله لا أُريم هذا الموضع حتى تهُبَّ الصبا ، فأقام ومَضَوْا فامتاروا لأنفسهم ، ثم أَتَوْا عليه فأقاموا معه ثلاثة أيّام حتى هَبَّتِ الصَّبا ، ثم انطلق معهم فأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أيــا جَبَلَــيْ نَعمــانَ باللهِ خَلِّيا ... سبيل الصَّبا يَخلُصْ إليّ نَسيمُها[2]
أجِدْ بردَها أو تَشْفِ منّــي حرارَةً ... على كَبِـدٍ لم يبـقَ إلاّ صَميمُها
فإنّ الصَّبــا ريحٌ إذا مــا تنسّمَتْ ... على نَفْسِ محزونٍ تجلَّتْ هُمُومُها[3]

[ارتحال أهل ليلى عن منازلهم وما قاله في ذلك]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن الحسين بن الحَرون قال حدّثني الكِسْرَوِيُّ[4] عن جماعةٍ من الرواة قال : لمّا منَعَ أبو ليلى المجنون وعشيرتُه من تزويجه بها ، كان لا يزال يَغشى بيوتهم ويهجم عليهم ، فشكَوْه إلى السلطان فأهدر دمه لهم ، فأخبروه بذلك فلم يَرُعْهُ وقال : الموت أَرْوح لي فليتهم قتلوني ، فلمّا علموا بذلك وعرفوا أنّه لا يزال يطلب غِرَّةً منهم حتى إذا تفرّقوا دخل دورهم ، فارتحلوا عنها وأبعدوا ، وجاء المجنون عشيّةً فأشرف على دورهم فإذا هي منهم بَلاقِعُ ، فقصد منزل ليلى الذي كان بيتُها فيه ، فألصق صدره به وجعل يُمرِّغ خدَّيه على ترابه [ويبكي] ، ثم أنشأ يقول ، وذكر هذه الأبيات ابن حبيب وأبو نصر له [بغير خبر][5] : [من الطويل]

أيا حَرَجاتِ الحيّ حيثُ تحمّلوا ... بِذي سَلَمٍ لا جادَكُــنَّ رَبيعُ[6]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 250 .
2 سبيل الصّبا في ل : نسيم الصبا .
3 تجلّت في ل : تسلّت .
4 ل : الكردوسي .
5 ديوان مجنون ليلى : 190–193 وتنسب هذه الأبيات أيضاً لقيس بن ذريح .
6 الحرجة : الغيضة .

وخَيماتُكِ اللاتِي بمُنعَرَجِ اللِّوى ... بَلِينَ بِلـىً لم تَبلَهـنّ رُبُـوعُ
نَدِمتُ على ما كان منّي ندامةً ... كما يَنـدَمُ المغبونُ حـين يبيعُ
فَقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ فإنّني ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جميعُ[1]
فقرّبْتِ لي غيرَ القريب وأشرفتْ ... إليكِ ثَنايا ما لهـنّ طُلُوعُ[2]

[حديثه مع نسوة فيهنّ ليلى]

وذكر خالدُ بن جميل وخالد بن كلثوم في أخبارهما التي صنعاها[3] أنّ ليلى وعدَته قبل أن يختلِط أن تستزيره ليلةً إذا وجدت فُرصةً لذلك ، فمكث مدّةً يراسلها في الوفاء وهي تَعِده وتُسَوّفُه[4] ، فأتى أهلَها ذات يوم والحيُّ خُلُوفٌ[5] ، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرةً[6] منها بحيث تسمع كلامه ، فحادثهنّ طويلاً ثم قال : ألا أُنشِدكنّ أبياتاً أحدثتُها في هذه الأيّام ؟ قلن : بَلى ، فأنشدهنّ[7] : [من البسيط]

صوت

يا لَلرِّجالِ لِهَـمٍّ باتَ يَعرونِي ... مُسْتَطْرَفٍ وقَدِيـمٍ كادَ يُبْلِينِي
مَنْ عاذِري مِن غريمٍ غيرِ ذي عُسُرٍ ... يأبى فيمطُلُنِي دَيْنِي ويَلْوِينِي
لا يُبعِدُ النقدَ مِن حقّي فينكرَه ... ولا يُحدِّثُنِي أنْ سوفَ يَقْضِينِي
وما كشُكرِيَ شكرٌ لو يوافِقُني ... ولا مُنـايَ سِواه لـو يُوافِينِي[8]
[أطعتُه وعصيتُ الناس كلَّهُمُ ... في أمرِه وهواه وهو يَعْصِينِي][9]

قالا : فقلن له : ما أنصفكَ هذا الغريم الذي ذكرتَه ! وجعلنَ يتضاحكنَ وهو يبكي ، فاستحيَتْ ليلى منهنّ ورقّت له حتى بكت ، وقامت فدخلت بيتَها وانصرف هو .

في الثلاثة الأبيات الأُوَل من هذه الأبيات هزج طنبوريّ للمسدود ؛ قالا في خبرهما هذا :

---

1 نفس شعاع : انتشر أمرها فلا تتشدّد .
2 أشرفت : ارتفعت . الثنايا : العقاب (ج عقبة) .
3 ل : صنفاها .
4 تسوّفه : تماطله .
5 الحيّ خلوف : غاب عنه الرجال وبقي فيه النساء .
6 حجرة : ناحية .
7 ديوان مجنون ليلى 279 .
8 يوافيني في رواية : يواتيني .
9 هذا البيت لم يرد في ل .

وكان للمجنون ابنا عمّ يأتيانِه فيُحدّثانه ويُسلّيانه ويؤانسانه ، فوقف عليهما يوماً وهما جالسان ، فقالا له : يا أبا المهديّ ألا تجلس ؟ قال : لا ، بل أَمضي إلى منزل ليلى فأترسَّمه وأرى آثارَها فيه ، فأشفي بعض ما في صدري بها ، فقالا له : فنحن معك ، فقال : إذا فعلتما أكرمتُما وأحسنتُما ، فقاما معه حتى أتى دار ليلى ، فوقف بها طويلاً يتتبَّع آثارَها ويبكي ويقفُ في موضعٍ موضعٍ منها ويبكي ، ثم قال[1] : [من البسيط]

صوت[2]

يا صاحبيّ أَلِمَّا بـــي بمنزلةٍ ... قد مـرَّ حينٌ عليها أيُّما حين

إنّي أرى رَجَعاتِ الحبّ تَقتُلُني ... وكان في بدئِها ما كان يَكْفِيني

لا خيرَ في الحبّ ليستْ فيه قارعةٌ ... كأنّ صاحبها في نَزْعِ مَوتونِ[3]

إن قال عُذَّالُهُ مَهْلاً فَلانَ لهم ... قال الهَوى غيرُ هذا القولِ يَعْنِيني

أَلْقى من اليأس تاراتٍ فتقتُلُني ... ولِلرجـاء بشاشاتٌ فتُحْيِيني

الغناء لإبراهيم خفيف ثقيل من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبيّ عن أبي مسكين : إنّ جماعة من بني عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بني عامر بن عُقَيلٍ يقال له : قيس بن معاذ ، وكان يُدعى المجنون ، وكان صاحب غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء ، فخرج على ناقة له يسيرُ ، فمرّ بامرأة من بني عُقَيل يقال لها : كريمة ، وكانت جميلة عاقلة ، معها نسوة فعرفنَه ودعونَه إلى النزول والحديث ، وعليه حُلّتان له فاخرتان وطَيلسان وقَلَنسُوة ، فنزل فظلّ يُحدّثهنّ ويُنشدهنّ وهنّ أعجبُ شيءٍ به فيما يُرى ، فلمّا أعجبه ذلك منهنّ عقرَ لهنّ ناقته ، وقُمْنَ إليها فجعلنَ يَشوِين ويأكلنَ إلى أن أَمْسى ، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ الوجه من حيّهنّ فجلس إليهنّ ، فأقبلنَ عليه بوجوههنّ يَقُلن له : كيف ظَلِلْتَ يا مُنازِلُ اليوم ؟ فلمّا رأى ذلك من فِعلهنّ غَضِب ، فقام وتركهنّ وهو يقول[4] : [من الطويل]

أَأَعقِـرُ مـــن جَـرًّا كريمـةَ ناقتِي ... وَوَصْلِـــي مَفْرُوشٌ لِوصْـلِ مُنازِلِ

إذا جـاء قَعقَعْنَ الحُلِـيَّ ولم أَكُـنْ ... إذا جئتُ أرضى صوتَ تلكَ الخلاخِلِ

قال : فقال له الفتى : هَلُمَّ نتصارع أو نتناضل ، فقال له : إن شئتَ ذلك فقُم إلى حيث لا

---

1 ديوان مجنون ليلى : 280 .

2 وردت هذه الأبيات في الشعر والشعراء أيضاً .

3 الموتون : المنقطع الوتين .

4 قد مرَّ الخبر والشعر في هذه الترجمة عن ابن الكلبيّ من طريق آخر .

تراهُنَّ ولا يَرَيْنَك ، ثم ما شئت فافعل ، وقال : [من الطويل]

إذا ما انتضَلْنا في الخلاء نَضَلْتُه وإن يَرْمِ رَشْقاً عندَها فهو ناضلي

وقال ابن الكلبيّ في هذا الخبر : فلمّا أصبح لبِسَ حُلَّته وركب ناقته ومضى مُتعرِّضاً لهنّ ، فأَلفَى ليلى جالسةً بفناء بيتها ، وكانت معهنّ يومئذٍ جالسة ، وقد عَلِقَ بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيرِياتٌ يُحدِّثْنَها ، فوقف بهنّ وسلّم ، فدعَونه إلى النزول وقُلنَ له : هل لك في محادثة مَن لا يشغله عنك مُنازِل ولا غيره ؟ قال : إي لعَمري ، فنزل وفعَل فَعلته بالأمس ، فأرادت أن تعلَمَ هل لها عنده مثلُ ما له عندها ، فجعلت تُعرض عن حديثه ساعة بعد ساعة وتُحدِّث غيره ، وقد كان عَلِقَ حبُّها بقلبه وشَغَفَه واستملَحها ، فبينا هي تُحدِّثه إذ أقبل فتى من الحيّ فدعته فسارَّتْه سَراراً طويلاً ثم قالت له انصرف ، فانصرف ، ونظرتْ إلى وجه المجنون قد تغيَّر وامتُقِع وشَقَّ عليه ما فعلَت ، فأنشأَتْ تقول : [من الوافر]

كلانا مُظهِرٌ للناسِ بُغضاً وكلٌّ عندَ صاحبهِ مَكِينُ

تُبَلِّغُنا العيونُ مَقالَتَيْنا وفي القلبيْن ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

[قد نسبت هذا الشعر متقدّماً] فلمّا سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهْقَةً عظيمةً وأُغمِيَ عليه فمكث [كذلك] ساعةً ، ونضَحُوا الماءَ على وجهه حتى أفاق ، وتمكَّنَ حبُّ كُلِّ واحدٍ منهما في قلب صاحبه وبلغَ منه كلَّ مَبْلغٍ .

حدّثني عمّي عن عبد الله بن أبي سعدٍ عن إبراهيم بن محمد بن إسماعيل القُرَشيّ قال حدّثنا أبو العالية عن أبي ثُمامة الجعديّ قال : لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلاّ قيس بن الملوّح .

[اتّصاله بليلى في صباه]

قال : وحدّثني بعض العشيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوّح قبل أن يُخالَطَ : ما أَعجبُ شيء أصابك في وَجدِك بليلى ؟ قال : طَرَقَنا ذات ليلةٍ أضيافٌ ولم يكن عندنا لهم أُدْمٌ ، فبعثني أبي إلى منزل أبي ليلى وقال لي : اطلب [لنا] منه أُدماً ، فأتيتُه فوقفتُ على خِبائه فصِحْتُ به ، فقال : ما تشاء ؟ فقلتُ : طَرَقَنا ضِيفانٌ ولا أُدمَ عندنا لهم فأرسلَني أبي أطلب منك أُدماً ، فقال : يا ليلى ، أخرجي إليه ذلك النِّحْيَ[1] ، فاملئي له إناءه من السمن ، فأخرجَتْه ومعي قَعْبٌ[2] ، فجعلَت تَصُبُّ السمن فيه ونتحدَّث ، فألهانا الحديث وهي تصُبُّ السمن وقد امتلأ القَعبُ ولا نعلم جميعاً ، وهو يسيل حتى استنقعت أرجلُنا في السمن ، قال : فأتيتُهم ليلةً ثانية

1 النحي : الزق .

2 القعب : القدح الضخم .

أطلُبُ ناراً ، وأنا مُتَلَفِّعٌ ببُردٍ لي ، فأخرجَت لي ناراً في عُطبةٍ[1] فأعطتْنيها ووقفنا نتحدَّث ، فلمّا احترقت العُطبة خَرَقْت من بُردي خرقةً وجعلتُ النارُ فيها ، فكلّما احترقت خرقتُ أُخرى وأذكيت بها النار حتى لم يبق عليّ من البرد إلاّ ما وارى عورتي ، وما أعقِل ما أصنع ، وأنشدني[2] : [من الطويل]

أَمُسْتَقْبِلِي نَفْحُ الصَّبا ثم شائِقي ببَـرْدِ ثَنايا أُمّ حَسَّانَ شائِقُ
كأنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّها بماء الندَى من آخرِ الليلِ غابِقُ[3]
وما شِمْتُــه إلاّ بعيني تَفَرُّساً كما شِيم في أعلى السّحابةِ بارِقُ[4]

ومن الناس مَن يروي هذه الأبيات لنُصَيبٍ ، ولكن هكذا رُوي في [هذا] الخبر .

[حدّث الأصمعيّ أنّه لم يكن مجنوناً وروى من شعره]

أخبرنا محمد بن خلف وَكيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرَّقاشيّ عن عبد الصَّمد بن المعذَّل قال : سمعتُ الأصمعيّ يقول ، و[قد] تذاكرنا مجنون بني عامر قال : هو قيس بن معاذ العُقَيليُّ ، ثم قال : لم يكن مجنوناً إنّما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل : [من مجزوء الكامل]

أخـذَتْ محاسنَ كلِّ ما ضَنَّــتْ محاسنُه بحُسْنِهْ
كادَ الغـزالُ يكونُهــا لولا الشَّوى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

قال : وهو القائل : [من الطويل]

[صوت]

ولم أَرَ ليلى بعــدَ موقِفِ ساعةٍ بخَيْفِ مِنىً ترمِي جِمارَ المحصَّبِ
ويُبْدِي الحصى منها إذا قَذَفَتْ به من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخَضَّبِ
فأصبحتُ مِــن لَيْلى الغداةَ كناظرٍ مع الصبح في أعقابِ نجمٍ مُغَرِّبِ
ألا إنّمــا غــادَرْتِ يا أمَّ مــالِكٍ صَدىً أينما تَذْهبْ به الريحُ يذهَبِ

في هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأوّل ، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور . وذكره ابن المكيّ لأبيه يحيى . وهو في جامع غناء سُلَيم[5] بن سَلام له . وذكره حبشٌ في موضعين من كتابه فنسبه في طريقة الثقيل الأوّل في أحدهما إلى ابن محرز ، والآخر إلى يحيى المكيّ . وزعم الهشاميّ أن فيه لِسُلَيم بن سَلام لحناً آخر من الثقيل الأوّل .

---

1 العطبة : خرقة تعلق بها نار .
2 ديوان مجنون ليلى : 203 .
3 الغابق : الساقي .
4 شمته في ل : ذقته .
5 ل : سليمان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار الصوفيّ قال حدّثني إبراهيم بن سعد الزُّهريّ قال : أتاني رجل من عُذرة لحاجة ، فجرى ذكرُ العشق والعُشّاق ، فقلت له : أنتم أرقُّ قلوباً أم بنو عامر ؟ قال : إنّا لأرقُّ الناس قلوباً ، ولكن غلبتْنا بنو عامرٍ بمجنونها .

[شيء من أوصافه]

أخبرني أحمد بن عمر بن موسى بن زكويه[1] القطّان إجازةً قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحزاميّ قال أخبرني عبد الجبّار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جدّه قال : أنا رأيت مجنون بني عامر ، وكان جميل الوجه أبيض اللون قد علاه شُحُوبٌ ، واستنشدتُه فأنشدني قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

تَذَكَّرْتُ ليلَى والسِّنِينَ الخَوالِيا وأيّامَ لا أُعْدِي على اللَّهْوِ عادِيا[2]

أخبرني محمد بن الحسن الكِندي خطيب مسجد القادسية قال حدّثنا الرياشي قال : سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول : سمعت مُعاذاً وبشر بن المفضَّل جميعاً يُنشدان هذين البيتين وينسبانهما لمجنون بني عامر : [من الطويل]

طمِعْتُ بليلى أن تَرِيعَ وإنَّما تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامِعُ[3]

وداينتُ ليلى في خَلاءٍ ولم يكن شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقانِعُ[4]

وحدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو خليفة [الفضل بن الحُباب] عن ابن سَلاَّم قال : قضى عبيد الله بن الحسن بن الحُصين بن أبي الحرّ العَنبريُّ على رجل من قومه قضيَّةً أوجبها الحكمُ عليه ، وظنّ العنبريّ أنّه تحاملَ عليه وانصرف مُغضَباً ، ثم لقيه في طريق ، فأخذ بلِجام بغلتِه وكان شديداً أيِّداً ، ثم قال له : إيه يا عبيد الله ! [من الطويل]

طمِعْتُ بليلى أن تَريــعَ وإنَّما تُقَطِّعُ أعناقَ الرجــالِ المطامِعُ

فقال عبيد الله : [من الطويل]

وبايعتُ ليلَى في خلاءٍ ولم يكنْ شهودٌ عدولٌ عندَ ليلَى مَقانِعُ

خَلٍّ عن البغلة . قال الصُّوليّ في خبره هذا : والبيتان للبَعِيث[5] هكذا ، قال : فلا أدري أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفة .

---

1 لعلّ الصواب : زكرويه .

2 اللّهو في ل : الدهر .

3 تريع : ترجع .

4 المقانع : الشهود العدول .

5 البعيث : من شعراء العصر الأمويّ .

[زيارة ليلى له وحديثه معها]

أخبرنا محمد بن القاسم الأنباريّ عن عبد الله بن خلف الدلاّل قال حدّثنا زكريا بن موسى عن شُعَيب بن السَّكَن عن يونس النحويّ قال[1] : لما اختلط عقلُ قيس بن الملوَّح وترك الطعامَ والشراب ، مضت أُمُّه إلى ليلى فقالت لها : إنّ قيساً قد ذهب حُبُّكِ بعقله ، وترك الطعام والشراب ، فلو جئتِه وقتاً لرجوتُ أن يثوب إليه [بعض] عقلِه ، فقالت ليلى : أمّا نهاراً فلا [لأنّني لا][2] آمن قومي على نفسي ولكن ليلاً ، فأتته ليلاً فقالت له : يا قيس ، إنّ أمّك تزعم أنّك جُنِنتَ من أجلي وتركتَ المطعم والمشرب ، فاتّقِ الله وأبقِ على نفسك ، فبكى وأنشأ يقول : [من البسيط]

قالت جُنِنتَ على أيْشٍ فقلتُ لها ... الحبُّ أعظمُ ممّا بالمجانينِ[3]

الحبُّ ليس يُفِيقُ الدهرَ صاحبُه ... وإنّما يُصرَعُ المجنونُ في الحِينِ

قال : فبكتْ معه ، وتحدّثا حتى كاد الصبحُ أن يُسفِرَ ، ثم ودّعتْه وانصرفَتْ ، فكان آخرَ عهدِه بها .

[سبب جنونه بيت شعر قاله]

أخبرنا ابن المرزُبان قال قال القحذَميُّ : لمّا قال المجنون : [من الطويل]

قضاها لغيري وابتلاني بحبِّها ... فهلاَّ بشيءٍ غيرِ ليلَـى ابتلانِيا

سُلِب عقله . الغناء لحَكَم ثقيل أوّل ، وقيل إنّه لابن الهِربِذ . وفيه لمتيَّمَ خفيف ثقيل أوّل من جامع أغانيها . وحدّثني جَحظة بهذا الخبر عن ميمون بن هارون أنّه بلغه أنّه لمّا قال هذا البيت بَرِصَ .

[اختلاف الرواة في تسميته المجنون]

أخبرني الحسن بن عليّ [قال حدّثنا محمد بن طاهر] القرشيّ عن ابن عائشة قال : إنّما سمِّي المجنون بقوله : [من البسيط]

ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خُلِعا ... في حبِّ مَنْ لا تَرى في نَيْلِه طمَعا

الحبُّ والودّ نيطا بالفؤادِ لهـا ... فأصبحا في فؤادِي ثابتَيْنِ معا

حدّثنا وَكِيعٌ عن ابن يونس قال قال الأصمعيّ : لم يكن المجنون مجنوناً ، إنّما جنَّته العشقُ ، وأنشد له : [من الطويل]

---

1 ورد هذا الخبر بسند آخر عن يونس النحويّ في مصارع العشّاق 1 : 125 .

2 في مصارع العشّاق : أمّا نهاراً فلا يمكنني ذلك ، وإن علم أهل الماء لم آمنهم على نفسي . . .

3 على أيش (أصلها على أي شيء) وقيل إنّها مولدة في الاستعمال ، وفي مصارع العشاق : قالوا جننت على رأسي (وهو مصحّف) .

يُسَمُّونني المجنونَ حين يَرَوْنَني نَعمْ بيَ مِن ليلَى الغـداةَ جنونُ
لَيالِيَ يُزْهى بِـي شَبابٌ وشِرَّةٌ وإذ بــيَ مِنْ خَفْضِ المعيشةِ لِينُ[1]

أخبرني محمد بن المرزبان عن إسحاق بن محمد بن أبان قال حدّثني عليّ بن سهل عن المدائنيّ : أنّه ذُكِرَ عنده مجنون بني عامر فقال : لم يكن مجنوناً ، وإنّما قِيل له المجنون بقوله : [من الطويل]

وإنِّـي لمجنـونٌ بليـلى مُوَكَّـلٌ ولستُ عَزُوفاً عن هواها ولا جَلْدا
إذا ذُكِرَتْ ليلَى بكيـتُ صَبابـةً لِتَذْكارِها حتى يَبُـلَّ البُكا الخَدَّا

أخبرني عمر بن جميل العَتَكِيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عون بن عبد الله العامريّ أنّه قال : ما كان والله المجنون الذي تَعْزُونه إلينا مجنوناً ، إنّما كانت به لُوثة وسَهْوٌ أحدثهما به حُبُّ ليلى ، وأنشد له : [من الطويل]

وبي مِن هَوى ليلَى الذي لو أَبُثُّـه جماعةَ أعدائي بكـتْ لِي عُيونُها
أرى النفسَ عن ليلَى أبتْ أن تُطِيعَني فقد جُنَّ مِن وَجْدِي بليلَـى جُنونُها

أخبرني ابن المرزبان قال قال العُتبيّ : إنّما سمّي المجنون بقوله : [من الطويل]

يقـول أُناسٌ عَـلَّ مجنونَ عامرٍ يرومُ سُلُوّاً قلـتُ أنَّى لِمَـا بِيا
وقد لامنِي في حُبِّ ليلَـى أقاربي أخي وابنُ عمّي وابنُ خالِي وخالِيا[2]
يقولون ليلَى أهـلُ بيتِ عَداوةٍ بنفسي ليلَـى مِـن عَـدُوٍّ ومالِيا
ولـو كان في ليلَى شَذاً من خصومةٍ لَوَيتُ أعنـاقَ المَطِـيّ[3] المَلاوِيا

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعيّ عن عيسى بن إسماعيل قال قال ابن سَلاَّم : لو حلفتُ أنّ مجنونَ بني عامرٍ لم يكن مجنوناً لصدقتُ ، ولكن تَولّه[4] لما زُوِّجت ليلى وأيقن اليأسَ منها ، ألم تسمَعْ إلى قوله : [من الطويل]

أيـا ويحَ مَـنْ أمسى تُخُلِّسَ عَقلُـه فأصبح مذهوباً بـه كلَّ مذهبِ
خَلِيعـاً مِـنَ الخُلاَّنِ إلاّ مُجامِلاً يُساعِدني مَنْ كان يَهْوى تَجنُّبِي[5]
إذا ذُكِرتْ ليلَى عَقَلتُ وراجَعَتْ عَوازِبُ قلبـي مِنْ هَوىً مُتَشَعِّبِ

1 الشرة : نشاط الشباب .
2 أقاربي في ل : قرابتي .
3 المطي في ل : الخصوم .
4 ل : تدلّه .
5 خليعاً في رواية تقدّمت : خليّاً . مجاملاً ورد في ما تقدّم «معذراً» .

[أخبرني به الحسن بن علي عن دينار بن عامر التغلَبيّ عن مسعود بن سعد عن ابن سَلاَّم ونحوه .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال أنشدني صالح بن سعيد قال أنشدني يعقوب بن السِّكّيت للمجنون : [من الطويل]

يُسَمُّونَنِي المجنونَ حينَ يرونَنِي نَعَمْ بيَ مِن ليلَى الغداةَ جُنُونُ]

قال : وأنشدنا له أيضاً : [من الكامل]

صوت

وشُغِلْتُ عن فهم الحديثِ سِوَى ما كان فيكِ فإنّه شُغْلِي
وأُدِيمُ لَحْظَ مُحَدِّثي لِيَرى أنْ قد فهِمتُ وعِندكُم عَقْلِي

[تكنيته ليلى بأمّ مالك]

أخبرني ابن المرزبان عن محمد بن الحسن بن دينار الأَحْول عن عليّ بن المغيرة الأَثْرم عن أبي عبيدة : أنّ صاحبة مجنون بني عامر التي كَلِفَ بها ليلى بنتُ مهديّ بن سَعْد بن مهديّ [بن ربيعة] بن الحَرِيش ، وكنيتها أُمُّ مالكٍ ، وقد ذكر هذه الكنيةَ المجنونُ في شعره فقال : [من الطويل]

تكادُ بِلادُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ بما رَحُبَتْ يوماً عليَّ تَضِيقُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

فإنّ الذي أمّلتُ مِن أُمّ مالكٍ أشابَ قَذالي واستَهامَ فُؤادِيا
خليلَيَّ إنْ دارَتْ على أُمِّ مالكٍ صُرُوفُ اللّيالي فابغِيا ليَ ناعِيا

وقال أبو عَمرو الشيبانيّ : عَلِقَ المجنون ليلى بنت مهديّ بن سعد من بني الحَرِيش ، وكنيتُها أمُّ مالكٍ ، فشُهِر بها وعُرِف خبره فحُجِبَت عنه ، فشَقَّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوّجه إيّاها ، فاشتدَّ به الأمر حتى جُنَّ وقيل له : «مجنون بني عامر» ، فكان على حاله يجلسُ في نادي قومه فلا يفهم ما يُحَدَّثُ به ولا يعقِله إلاّ إذا ذُكِرَتْ ليلى . وأنشد له أبو عمرو[1] : [من الطويل]

صوت

ألا ما لِليلَى لا تُرى عند مَضْجَعِي بليلٍ ولا يَجْرِي بذلكَ طائرُ
بَلى إنّ عُجْمَ الطيرِ تَجرِي إذا جَرَتْ بليلَى ولكنْ ليس للطير زاجِرُ

1 ديوان مجنون ليلى : 126–127 .

أزالَتْ عـن العهد الذي كان بيننا ... بِذِي الأَثْلِ أم قـد غيَّرتْها المقادِرُ
فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ... ولا البعدُ يُسْلِينِي ولا أنا صابِرُ
ووالله مـا أدري بأيَّـةِ حِيلَـةٍ ... وأيِّ مَـرامٍ أو خِطـارٍ أُخاطِرُ[1]
وتاللهِ إنَّ الدهـرَ في ذاتِ بيننا ... عـليّ لها في كلِّ حـالٍ لجائِرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ هَجري تركتِنِي ... جميعَ القُوى والعقلُ مِنِّيَ وافرُ
ولكـنَّ أيّامِـي بِحَقْـلِ عُنَيزَةٍ ... وبالرَّضْم أيّامٌ جناهـا التَّجاوُرُ[2]
وقـد أصبحَ الوُدُّ الذي كان بيننا ... أمانِـيَّ نفسٍ والمؤمِّـلُ حائِـرُ
لَعَمْرِي لقـد رَنَّقْتِ يـا أمّ مالكٍ ... حياتِي وساقَتْنِـي إليـكِ المقادِرُ[3]

قال أبو عمرو : وأخبرني بعض الشاميين قال : دخلتُ أرضَ بني عامر ، فسألتُ عن المجنون الذي قتله الحبُّ ، فخبَّروني عنه أنّه كان عاشقاً لجارية منهم يقال لها ليلى ، رَبا معها ثم حُجِبَتْ عنه ، فاشتدّ ذلك عليه وذهب عقلُه ، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يَصْنَعُ بنفسه ، فقال[4] : [من البسيط]

صوت

يا صاحِبيّ ألِمّا بـي بمنزلةٍ ... قد مـرَّ حينٌ عليها أيُّما حينِ
في كلّ منزلةٍ ديـوانُ مَعْرِفةٍ ... لم يُبقِ باقيةً ذكـرُ الدواوينِ
إنّي أرى رَجَعاتِ الحبِّ تقتُلُنِي ... وكان في بدئها ما كان يكفيني

الغناء لابن جامع خفيف ثقيلٍ .

[جنونه بليلى وهيامه على وجهه من أجلها]

أخبرني هاشم الخزاعيّ عن [العباس بن الفرج] الرِّياشيّ قال : ذكر العُتْبيُّ عن أبيه قال : كان المجنون في بدء أمره يرى ليلى ويألَفُها ويأنَسُ بها ثم غُيِّبتْ عن ناظره ، فكان أهلُه يُعزُّونه عنها ويقولون : نُزوِّجك أنفسَ جاريةٍ في عشيرتك ، فيأبى إلاّ ليلى ويَهذي بها ويذكرها [فكان ربّما استراح إلى أمانِيّهم ورَكِنَ إلى قولهم] ، وكان ربّما هاج عليه الحزن والهمُّ فلا يملك ممّا هو فيه أن يَهيمَ على وجهه ، وذلك قبل أن يتوحَّش مع البهائم في القِفار ، فكان قومُه

1 الخطار : المراهنة .
2 حقل عنيزة والرضم : موضعان .
3 رنَّق : كدَّر .
4 ديوان مجنون ليلى : 280 .

يلومونه ويَعذُلُونه ، فأكثروا عليه في الملامة والعَذْلِ يوماً فقال : [من البسيط]

صوت

يـا لَلرِّجالِ لهـمٍّ بـاتَ يَعْرُونِي مُسْتطـرَفٍ وقديـمٍ كان يَعْنِيني
على غَرِيم مَـلِيء غيرِ ذي عُدُمٍ يأبَـى فيمْطُلُنِي دَيْنِـي ويَلْوِيني
لا يذكُر البعضَ مِـن دَيني فيُنكرُه ولا يُحَدِّثني أنْ سوفَ يَقْضِيني[1]
وما كَشُكْرِي شُكرٌ لو يُوافِقُنِي ولا مُنـىً كَمُنـاهُ إذ يُمنّيني
أطعتُـه وعَصَيـتُ النـاسَ كُلَّهُـمُ في أمره ثم يأبـى فهـو يَعْصِيني
خَيرِي لمـن يبتغي خيري ويأمُلُه من دون شَرّي وشَرِّي غيرُ مأمونِ
ومـا أُشارِكُ في رأيي أخا ضَعَفٍ ولا أَقولُ أَخِـي مَـنْ لا يُواتِيني

في هذه الأبيات هَزَجٌ طُنبوريّ للمسدود من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : حدّثني رَباح العامريّ قال : كان المجنون أوّل ما عَلِقَ ليلى كثير الذِّكر لها والإتيان بالليل إليها ، والعرب ترى ذلك غير منكرٍ أن يتحدّث الفتيان إلى الفتيات ، فلمّا عَلِمَ أهلُها بعشقه لها منعوه من إتيانها وتقدّموا إليه ، فذهب لذلك عقلُه ويئس منه قومه واعتَنَوا بأمرِه[2] ، واجتمعوا إليه ولاموه وعذَلوه على ما يصنع بنفسه ، وقالوا : والله ما هي لك بهذه الحال ، فلو تناسيتها رَجَونا أن تَسلوَ قليلاً ، فقال لمّا سمع مقالتهم وقد غلب عليه البكاء : [من الطويل]

صوت

فواكبِدا مِن حـبّ مَن لا يُحبّنِي ومِـن زَفَـراتٍ مـا لهـنَّ فَناءُ
أَرَيْتكِ إن لم أُعطِكِ الحبَّ عن يدٍ ولم يكُ عنـدي إذ أبَيْتِ إباءُ[3]
أتارِكَتِي للمـوتِ أنـتِ فميِّتٌ ومـا للنفـوسِ الخائفـاتِ بَقاءُ

ثم أقبل على القوم فقال : إنّ الذي بي ليس بهيِّنٍ ، فأقِلُّوا من مَلامِكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطِيعٍ لقول قائلٍ .

[قصّة حبّه ليلى في رواية رباح العامريّ]

أخبرني عمّي ومحمد بن حبيب وابن المرزُبان عن عبد الله بن أبي سعد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ابن دَأْبٍ عن رَباح بن حبيب العامريّ : أنّه سأله عن حال المجنون وليلى ،

---

1 فينكره في ل : فننظره .
2 ل : واغتموا بأمره .
3 أريتك : مخفّف عن أرأيتك . عن يد : عن استسلام ؛ طواعية .

فقال : كانتْ ليلى من بني الحَرِيش وهي بنت مَهدِيّ بن سعيد بن مهديّ بن ربيعة ابن الحريش ، وكانت من أجمل النساء وأظْرَفِهنّ وأحسنِهنّ جِسماً وعقلاً وأفضلهنّ أدباً وأملحهنّ شكلاً ، وكان المجنون كَلِفاً بمحادثة النساء صَبّاً بهنّ ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له ، فصبا إليها وعزمَ على زيارتها ، فتأهّب لذلك ولبِس أفضلَ ثيابِه ورجَّل جُمَّته ومسَّ طِيباً كان عنده ، وارتحَل ناقةً له كريمةً برَحْلٍ حسنٍ وتقلَّد سيفَه وأتاها ، فسَلَّم فردّتْ عليه السلامَ وتَحَفَّتْ[1] في المسألة ، وجلس إليها فحادثَته وحادثها فأكثرا ، وكلُّ واحد منهما مُقبِلٌ على صاحبه مُعْجَبٌ به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف إلى أهله فبات بأطول ليلةٍ شوقاً إليها ، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم انصرف إلى أهله فبات بأطولَ من ليلته الأولى واجتهد أن يُغمِض فلم يقدر على ذلك ، فأنشأ يقول[2] : [من الطويل]

نَهارِي نهارُ الناسِ حتى إذا بدا ... لِيَ الليلُ هَزَّتْنِي إليكِ المضاجعُ
أُقَضِّي نهارِي بالحديثِ وبِالمُنَى ... ويَجمَعُنِي والهـمَّ بالليـلِ جامِعُ
لَقَد ثَبَتَتْ في القلبِ منكِ محبَّةٌ ... كما ثبتَتْ في الراحتـينِ الأصابعُ

عَروضه من الطويل . والغناء لإبراهيم الموصليّ رملٌ بالوسطى عن عمرو ، قال : وأدامَ زيارتها وترك مَن كان يأتيه فيتحدّث إليه غيرَها ، وكان يأتيها في كلّ يوم فلا يزال عندها نهاره أجمع حتى إذا أمسى انصرف ، فخرج ذات يومٍ يريد زيارتها فلمّا قَرُب من منزلها لقِيَتْه جاريةٌ عَسْراء فتطيّر منها ، وأنشأ يقول : [من الطويل]

وكيف يُرَجَّى وصلُ لَيْلى وقد جرى ... بِجَـدِّ القُوى والوصلِ أعسرُ حاسِرُ
صَدِيعُ العَصا صَعْبُ المرام إذا انتحى ... لوصلِ امرىءٍ جُذَّتْ عليه الأواصِرُ[3]

ثم سار إليها في غدٍ فحدّثها بقصّته وطِيرَتِه ممّن لقِيه ، وأنّه يخاف تغيُّرَ عهدِها وانتكاثَه وبكى ، فقالت : لا تُرَعْ ، حاشَ للهِ من تَغَيُّرِ عهدي ، لا يكون والله ذلك أبداً إن شاء اللهُ ، فلم يزل عندها يُحادثها بقية يومه ، ووقع له في قلبها مثلُ ما وقع لها في قلبه ، فجاءها يوماً كما كان يجيء ، وأقبل يُحدِّثها فأعرضَتْ عنه ، وأقبلتْ على غيره بحديثها ، تريد بذلك مِحنَتَه وأن تعلَم

---

1 ل : وأحفت .

2 الأبيات في شرح أمالي القالي : 961 قال ورواهما غير أبي عليّ :

نهاري نهار الواهنين صبابة ... وليلِيَ تنبو فيه عني المضاجع

وقال المحقق : من قصيدة في الأغاني 17 : 72 لابن الدمينة ، ومنها بيتان في عيون الأخبار 1 : 262 بغير نسبة وستأتي في الأغاني منسوبة لقيس بن ذريح . وفي ديوانه تحقيق الأستاذ راتب النفاخ ، ص 88 .

3 صدع العصا : كناية عن التفرّق .

ما في قلبه ، فلمّا رأى ذلك جَزِعَ جَزَعاً شديداً حتى بانَ في وجهه وعُرِف فيه ، فلمّا خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسرّة إليه فقالت[1] : [من الوافر]

كِلانا مُظهرٌ للناسِ بغضاً وكلٌّ عندَ صاحبهِ مَكِينُ

فَسُرِّيَ عنه وعلم ما في قلبها ، فقالت له : إنّما أردتُ أن أمتحِنَكَ والذي لكَ عندي أكثر من الذي لي عندكَ ، وأُعطِي اللهَ عهداً إن جالستُ بعد يومي هذا رجلاً سواك حتى أذوقَ الموت إلاّ أن أُكرَه على ذلك ، قال : فانصرفَتْ عنه وهو من أشدّ الناس سروراً وأقرِّهم عيناً ، وقال : [من الطويل]

أَظُنُّ هواهـا تارِكِي بِمضَلَّةٍ من الأرض لا مالٌ لديَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضِي إليـه وصيَّتي ولا صاحبٌ إلاّ المطيَّةُ والرَّحْلُ[2]
مَحَا حبُّها حبَّ الأُلَى كُنَّ قبلَها وحَلَّتْ مكاناً لم يكن حُلَّ مِنْ قَبْلُ

[شعره فيها بعد أن تزوّجت وأيس منها]

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أبي العَيْناء عن العُتبيّ قال : لمّا حُجبتْ ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضهم أهلها ، وخطبها رجل من بني ثقيفٍ موسِرٌ فزوّجوه وأخْفَوا ذلك عن المجنون ثم نُمِي إليه طَرَفٌ منه لم يتحقَّقه ، فقال[3] : [من الطويل]

دعَوْتُ إلهي دعـوةً مـا جهِلتُها وربِّـي بما تُخفِي الصدورُ بصيرُ
لئن كنتَ تُهدِي بردَ أنيابها العُلا لأفقـرَ مِنِّـي إنَّنِـي لَفَقِيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تَزَوّجَتْ فهـل يأتِيَنِّـي بـالطلاقِ بشِيرُ

وقال أيضاً[4] : [من الطويل]

ألا تِلك لَيْلى العامِرِيَّـةُ أصبَحَتْ تَقَطَّـعُ إلاّ مـن ثَقِيـفٍ حِبالُها[5]
همُ حبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتَغى بها المـالَ أقـوامٌ ألا قَـلَّ مالُها
إذا التفتتْ والعِيسُ صُعْرٌ من البُرى بنخلـةَ جلّت عبرةَ العـينِ حالُها[6]

1 خبر الجارية العسراء ، والشعر الذي يتلوه في مصارع العشاق للسراج : ج2 : 46–48 (طبعة دار صادر ، 1958) .
2 صاحب في مصارع العشّاق : ولا وارث .
3 تنسب الأبيات لابن الدمينة . انظر ديوانه تحقيق الأستاذ أحمد راتب النفاخ وانظر ديوان مجنون ليلى : 140 .
4 الأبيات في مصارع العشّاق 2 : 288 وديوان مجنون ليلى : 227 .
5 حبالها في مصارع العشّاق : وصالها .
6 جلت في مصارع العشاق : خلّى .

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفِتُ إليه ، ويقول إذا جاوزه : [من الطويل]

صوت

ألاَ أيُّها البيتُ الذي لا أَزُوره وإن حَلَّه شخصٌ إليّ حبيبُ
هجرتُكَ إشفاقاً وزرتُك خائفاً وفيك عليّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستعتِبُ الأيّامَ فيكَ لعلّها بيومِ سُرورٍ في الزمانِ تؤوبُ

الغناء لعَرِيبَ ثاني ثقيل بالوسطى . قال : وبلغه أنّ أهلَها يريدون نقلَها إلى الثَّقَفِيّ فقال[1] : [من الوافر]

صوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدى بلَيْلى العامريَّةِ أو يُراحُ
قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَناحُ

عَروضه من الوافر . الغناء لابن المكّيّ خفيفُ ثقيلٍ [أوّل] بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وفيه خفيف ثقيلٍ آخر لسليمان مطلقٌ في مجرى البِنْصر ، وفيه لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ ، قال : فلمّا نُقِلتْ [ليلى] إلى الثَّقفيّ قال : [من الطويل]

[قصيدته العينية]

طَرِبتَ وشاقتكَ الحُمولُ الدّوافعُ غَداةَ دعا بالبين أسْفَعُ نازعُ[2]
شَحا فاهُ نعباً بالفِراقِ كأنّه حريبٌ سليبٌ نازحُ الدار جازِعُ[3]
فقلتُ ألا قد بَيَّنَ الأمرُ فانصرِف فقد راعنا بالبين قبلكَ رائعُ
سُقِيتَ سُمُوماً من غراب فإنّني تبيّنتُ ما خبَّرتَ مذ أنتَ واقعُ[4]
ألم تَرَ أنّي لا مُحِبٌّ أَلومُه ولا بِبديلٍ بعدهم أنا قانعُ

---

1 ورد الشعر في الزهرة 1 : 229 منسوباً لتوبة بن الحمير ؛ وفي شرح الأمالي : 696 منسوباً لنصيب بن رباح أو لقيس بن ذريح . وهو للمجنون في الأمالي 2 : 61 . وانظر ديوان مجنون ليلى 180–182 .

2 هذا البيت مكوّن في الديوان من بيتين :

طربت وهاجتك الديار البلاقع وعادك شوق بعد عامين راجع
وأوقد ناراً في فؤادك محرقاً غداتئذٍ للبين أسفع نازع

الأسفع : صفة للغراب .

3 شحا فمه : فتحه . نعباً في الديوان : نطقاً .

4 سموماً في ل : سماماً . خبرت في الديوان : حاولت .

[ألم تر دارَ الحيّ في رونقِ الضحى ... بحيثُ انحنتْ للهَضْبتينِ الأَجارعُ]

وقد يتناءى الإلْفُ من بعد أُلْفةٍ ... ويصدَعُ ما بين الخليطين صادِعُ[1]

وكم من هَوىً أو جيرةٍ قد أَلِفتُهُم ... زماناً فلم يمنعهمُ البينَ مانِعُ[2]

كأنّي غداةَ البين مَيِّتُ جوبةٍ ... أخو ظمإٍ سُدّت عليه المشارِعُ[3]

تَخَلَّسَ من أوشال ماءٍ صُبابةً ... فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هو ناقِعُ[4]

وبيضٍ تَطَلَّى بالعَبير كأنّها ... نِعاجُ المَلا جيبَتْ عليها البراقعُ[5]

تحمّلنَ من وادي الأراكِ فأومَضَتْ ... لهنّ بأطرافِ العيونِ المدامِعُ[6]

فما رِمْنَ ربعَ الدار حتى تشابهتْ ... هجائنُها والجُونُ منها الخواضعُ[7]

وحتى حملنَ الحُورَ من كلّ جانب ... وخاضت سُدُولَ الرَّقْمِ منها الأكارِعُ[8]

فلمّا استوتْ تحتَ الخدورِ وقد جرى ... عَبيرٌ ومسكٌ بالعرانينِ رَادِعُ[9]

أَشَرْنَ بأن حُثُّوا الجِمال فقد بدا ... من الصيفِ يومٌ لافحُ الحرِّ ماتِعُ[10]

فلمّا لَحِقْنا بالحُمولِ تباشَرَتْ ... بنا مُعْصِرَاتٌ غاب عنها المطامِعُ

يُعَرِّضْنَ بالدَّلِّ المَلِيحِ وإن يُرِدْ ... جَناهُنَّ مشغوفٌ فهنَّ مَوانِعُ[11]

فقلتُ لأصحابي ودَمعِيَ مُسْبَلٌ ... وقد صَدَعَ الشملَ المشتَّتَ صادِعُ

أليلَى بأبوابِ الخُدورِ تعرّضَتْ ... لِعَينيَ أم قرنٌ من الشمسِ طالعُ

[مروره مع ابن عمّ له على حمامة تهدل]

أخبرني عيسى بنُ الحسين الورّاق قال حدّثنا الهيثم بن فِراسٍ قال حدّثني العُمَريّ عن

---

1 من بعد ألفة في ل : من بعد قربه . والشطر الأول في الديوان : «وقد يشعب الألاّف من بعد عزة» .

2 جيرةٍ في الديوان : خلة .

3 جوبة : أرض سهلية ملساء . وفي الديوان «رهن منية» .

4 الشطر الأول في الديوان : «تخلّس من يهواه ماء حياته» .

5 الشطر الأول في الديوان : «وبيض غذاهن النعيم كأنّها» . نعاج الملا : البقر الوحشية في الصحراء .

6 الشطر الأول في الديوان : تحملت من ذات التناضب وانبرت» .

7 في الديوان : هجل الدار . الهجائن : الإبل البيض ، والجون : (هنا) السود .

8 الحور : صفة للنساء . السدول : ما يجلل من الهودج . الأكارع : السيقان .

9 رادع : مزوّد بالردع وهو الطيب والخلوق . وفي الديوان «المطي» «طيب الظل» .

10 متع الحرّ فهو ماتع : اشتدّ وطال .

11 جناهن في الديوان : حِماهن .

الهيثم بن عَدِيّ : أنّ أبا المجنون حجَّ به لِيدعوَ الله عزّ وجلّ في الموقف أن يُعافِيه ، فسار ومعه ابنُ عمّه زياد بن كعب بن مزاحم ، فمرّ بحمامة تدعو على أَيْكة فوقف يبكي ، فقال له زياد : أيّ شيء هذا ؟ ما يُبْكِيك أيضاً ؟ سِرْ بنا نلحَقِ الرُّفقةَ ، فقال[1] : [من الطويل]

أأن هَتفَتْ يوماً بوادٍ حمامةٌ ... بكيتَ ولم يَعْذِرك بالجهل عاذِرُ
دعَتْ ساقَ حُرٍّ بعد ما عَلَتِ الضُّحى ... فهاجَ لكَ الأحزانَ أن ناحَ طائرُ[2]
تُغنّي الضُّحى والصُّبحَ في مُرْجَحِنَّةٍ ... كِثافِ الأَعالِي تحتها الماءُ حائرُ[3]
كأنّ لم يكن بالغَيْل أو بطنِ أَيْكةٍ ... أو الجزْعِ من ثولِ الأَشاءةِ حاضِرُ[4]
يقول زيادٌ إذ رأى الحيَّ هَجَّرُوا ... أَرى الحيّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ[5]
وإنّي وإن غالَ التقادُمُ حاجتي ... مُلِمٌّ على أوطانِ لَيْلَى فَناظِرُ[6]

[هيامه إلى نواحي الشام]

أخبرني [محمد بن مَزيد] بن أبي الأَزهر عن الزبير عن محمد بن عبد الله البَكريّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني عمّي عن [عبد الله] بن شَبِيب عن [هارون بن موسى] الفرويّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير وأخبرني ابن المرزُبان عن ابن الهيثم عن العمريّ عن العُتبيّ قالوا جميعاً : كان المجنون وليلى وهما صَبِيّان يَرعَيان غنماً لأهلهما عند جبل في بلادهما يقال له التَّوباد[7] ، فلمّا ذهب عقله وتوحَّش ، كان يجيء إلى ذلك الجبل فيقيم به ، فإذا تذكّر أيّام كان يُطيفُ هو وليلى به جَزِع جزعاً شديداً واستوحش فهام على وجهه حتى يأتي نواحي الشام ، فإذا ثاب إليه عقلُه رأى بلداً لا يعرفه فيقول للناس الذين يلقاهم : بأبي أنتم ، أين التَّوباد من أرض بني عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بني عامر ؟ أنت بالشام عليك بنجم كذا فَأُمَّه ، فيمضي على وجهه نحو ذلك النجم حتى يقع بأرض اليمن ، فيرى بلاداً يُنكِرها وقوماً لا يعرِفهم

1 ديوان مجنون ليلى : 125 .
2 ساق حرّ : ذكر الحمام .
3 مرجحنة : متمايلة (يعني الأغصان) .
4 الغيل وبطن أيكة والجزع : مواضع ؛ وكذلك : ثول الأشاءة . والأشاءة في الأصل نوع من الشجر ؛ والثول : نوع من الشجر أو تجمّع النحل .
5 هجروا : ظعنوا في الهاجرة .
6 غال التقادم حاجتي : أي أنّ تقادم العهد ومضيه قد قضى على حاجتي وذهب بها .
7 في تحديد جبل التوباد والشعر المتّصل به ، انظر معجم البلدان لياقوت ، مادة «توباد» 2 : 55 (طبعة دار صادر) . وانظر الشعر في الزهرة 1 : 295 وفيه بعض الخبر أيضاً .

فيسألهم عن التَّوباد وأرض بني عامر ، فيقولون : وأين أنتَ من أرض بني عامر ! عليك بنجم كذا وكذا ، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ ، فإذا رآه قال في ذلك : [من الطويل]

[شعره عند رؤيته التوباد]

وأجْهَشْتُ للتَّوبادِ حين رأيتُه ... وكَبَّر للرحمنِ حينَ رآنيَ[1]
وأذرَيتُ دمعَ العين لمّا عرفتُه ... ونادى بأعلى صوته فدعاني
فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ ... وعهدِي بذاكَ الصّرم منذ زمانِ[2]
فقال مَضَوْا واستودَعُونِي بلادَهم ... ومَنْ ذا الذي يبقى على الحَدَثانِ[3]
وإنّي لأبكي اليومَ من حَذَرِي غداً ... فِراقَكَ والحيَّانِ مُجْتَمِعانِ[4]
سِجالاً وتَهْتانا ووَبْلاً ودِيمَةً ... وسَحّاً وتَسْجاماً إلى هَمَلانِ

[سبب ذهاب عقله]

أخبرني عمّي عن [عبد الله] بن شبيب عن هارون بن موسى الفَرْوِيّ عن موسى بن جعفر بن أبي كَثِير قال : لما قال المجنون : [من الطويل]

خليليّ لا واللهِ لا أملكُ الذي ... قضى اللهُ في لَيْلى ولا ما قَضى لِيا
قضاها لغيري وابتلاني بحبِّها ... فهَلاَّ بشيءٍ غيرِ لَيْلى ابتلانِيا

سُلِبَ عَقلَه .

[توهّم أنّ منادياً ينادي ليلى]

وحدّثني جحظة عن ميمون بن هارون عن إسحاق الموصليّ أنّه لمّا قالهما بَرِصَ . قال موسى بن جعفر في خبره المذكور : وكان المجنون يسير مع أصحابه فسمع صائحاً يصيح : يا ليلى في ليلةٍ ظلماءَ أو توهَّم ذلك ، فقال لبعض مَنْ معه : أما تسمع هذا الصوت ؟ فقال : ما سمعتُ شيئاً ، قال : بلى ، والله هاتفٌ يهتِف بليلى ، ثم أنشأ يقول[5] : [من الطويل]

أقولُ لأدنى صاحِبَيَّ كُلَيمةً ... أُسِرَّتْ من الأقصى أجِبْ ذا المنادِيا
إذا سِرْتُ في الأرضِ الفَضاءِ رأيتُني ... أُصانِعُ رَحْلِي أن يَمِيلَ حِيالِيا

---

1 ياقوت : وسبَّح ؛ الزهرة : وهلل .

2 ياقوت : فقلت له أين الذين عهدتهم ... بربّك في خَفْض وعيش ليانِ

3 ياقوت : يغترّ بالحدثان .

4 ياقوت : وأقلق .

5 هناك أبيات متفرّقة في الزهرة 1 : 71 ، 82 ، 85 لعلّها من هذه القصيدة اليائية . وانظر ديوانه .

يميناً إذا كانت يميناً وإن تكـن شِمالاً يُنازِعْنِي الهَوى عن شِمَالِيا

[شعر له في منى وغيرها]

وقال ابن شبيب وحدّثني هارون بن موسى قال : قلت لغُرَير بن طلحة المخزوميّ : مَن أشعر الناس ممّن قال شعراً في منًى ومكّةَ وعرفاتٍ ؟ فقال : أصحابُنا القُرَشيُّون ، ولقد أحسن المجنون حيث يقول[1] : [من الطويل]

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيفِ من مِنًى فهيَّجَ أحزانَ[2] الفؤادِ ومـا يدرِي
دعـا باسم لَيْـلى غيرَها فكأنّما أطارَ بلَيْلى طائـراً كانَ في صدرِي

فقلت له : هل تروي للمجنون غير هذا ؟ قال : نعم ، وأنشدني له : [من الطويل]

أمـا والذي أرْسى ثَبِيراً مكانـه عليـه السَّحابُ فوقـه يتنصَّبُ[3]
ومـا سَلَكَ المومـاةُ مِن كلِّ جَسْرَةٍ طليحٍ كجفنِ السّيفِ تَهْوِي فتُركَبُ[4]
لقد عشْتُ مِنْ لَيْـلى زماناً أُحِبُّها أخا الموت إذ بعضُ المحِبِّين يكذِبُ

أخبرني محمد بن مزيد عن حماد [بن إسحاق] عن أبيه قال : كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو ، وأنشَد للمجنون[5] : [من الطويل]

صوت

أبى القلبُ إلاّ حُبَّـهُ عامريَّـةً لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو
تكادُ يدِي تَنْدى إذا ما لمستُها وينبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضْرُ

الغناء لعريب ثقيل أوّل ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيف ثقيلٍ .

[ليلى تتزوّج رجلاً من ثقيف]

أخبرني هاشم [بن محمد] الخزاعيّ عن دماذ عن أبي عبيدة قال : خطب ليلى صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم ، فخطبها رجلٌ من ثَقِيفٍ موسرٌ فرضيتْه ، وكان جميلاً فتزوّجها وخرج بها ، فقال المجنون في ذلك[6] : [من الطويل]

---

1 البيتان في الزهرة : 238 وانظر ديوانه : 56 .
2 الزهرة : أطرابَ (وكتبت هناك خطأ أطرار) .
3 يتنصّب : يعلو .
4 الجسرة : الناقة القوية , طليح : متعبة من كثرة السير .
5 يرد البيت الثاني في قصيدة لأبي صخر الهذلي (شرح ديوان الهذليين 2 : 957) وفي الشرح أنّه للمجنون .
6 انظر مصارع العشّاق 2 : 288 وديوانه : 56–57 .

ألا إنّ لَيْلى كالمَنِيحَةِ أصبحَتْ تَقَطَّعُ إلاّ من ثقيفٍ حبالُها[1]
فقد حبسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتغَى بها الربحَ أقوامٌ تَساحَتَ مالُها[2]
خليليّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانِها يُدَنِّي لنا تكليمَ لَيْلى احتيالُها
فإن أنتما لم تَعْلَماها فلستُما بأوّلِ باغٍ حاجةً لا ينالُها
كأنّ مع الركبِ الذينَ اغتَدَوْا بها غمامةَ صيفٍ زعزعَتْها شَمالُها
نظرتَ بمُفْضى سَيلِ جَوْشَنَ إذ غَدَوا تَخُبُّ بأطرافِ المَخارِمِ آلُها[3]
بشافيةِ الأحزان هيَّج شوقَها مُجامَعَةُ الأُلاَّفِ ثم زِيالُها
إذا التفتتْ من خَلْفِها وهي تَعْتَلِي بها العِيسُ جَلَّى عَبْرَةَ العينِ حالُها

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَشُ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي نصر أحمد بن حاتم قال : وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال[4] : [من الطويل]

صوت

وأَحْبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ بذِكْراكِ والمَمْشى إليكِ قريبُ
مخافةَ أن تسعى الوُشاةُ بظِنَّةٍ وأَحْرُسُكم أن يستريبَ مُرِيبُ
فقد جعلتْ نفسي ، وأنتِ اجترمتِه وكنتِ أعزَّ الناسِ ، عنكِ تَطِيبُ
فلو شئتِ لم أَغضَبْ عليكِ ولم يزلْ لكِ الدهرَ منّي ما حييتُ نصيبُ
أما والذي يَبْلُو السرائرَ كلَّها ويعلَمُ ما تُبْدِي به وتَغِيبُ
لقد كنتِ ممّن تَصْطَفِي النفسُ خُلَّةً لها دونَ خُلاَّنِ الصَّفاء حُجُوبُ

ذكر يحيى المكّيّ أنّه لابن سُرَيج ثقيل أوّل ، وقال الهشاميّ : إنّه من منحول يحيى إليه .

[خبر أبي الحسن الببغاء والمرأة التي أحبّت صديقاً له من قريش]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الحَسَن بن محمد بن طالب الدِّيناري قال حدّثني إسحاق الموصليّ ، وأخبرني به محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني سعيد بن سليمان عن أبي الحسن الببَّغاء قال : بينا أنا وصديق لي من قريش نمشي بالبلاط ليلاً ، إذا بِظلّ نسوة في القمر ، فسمعتُ إحداهنّ تقول : أهو هو ؟ فقالت لها أُخرى معها : إي

1 المنيحة : الهبة (شاة تمنح وترد إذا انقطع لبنها) .
2 تساحت مالها : ذهب مالها واستؤصل .
3 جوشن : اسم جبل . غدوا في ل : والضحى . المخارم : الطرائق في الجبال . الآل : السراب .
4 ديوان مجنون ليلى : 51 .

والله إنّه لهو هو ! فدنت منّي ثم قالت : يا كهلُ ، قل لهذا الذي معك : [من البسيط]

ليستْ لياليكَ في خاخٍ بعائدةٍ كما عهدتَ ولا أيامُ ذي سَلَمِ[1]

فقلت : أجِبْ فقد سمعتَ ، فقال : قد والله قُطِعَ بي وأُرتج عليّ فأجبْ عنّي ، فقلت[2] : [من الطويل]

فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وُطّنتْ يوماً لها النفسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى إذا كنّا بمَفْرِق طريقين مضى الفتى إلى منزله ومضيتُ إلى منزلي ، فإذا أنا بجويريةٍ تجذِب ردائي فالتفتُّ ، فقالت لي : المرأة التي كلّمتَها تدعوكَ ، فمضيتُ معها حتى دخلت داراً واسعة ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ ، وقد ثَنَتْ لي وسادةً فجلستُ عليها ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثنيّةٍ فطرحتها ، ثم جاءت المرأة فجلستْ عليها ، فقالت لي : أنت المجيب ؟ قلت : نعم ، قالت : ما كان أفظَّ لجوابكَ وأغلظَه ! فقلت لها : ما حضرني غيره ، فسكتَتْ ، ثم قالت : لا ، والله ما خلق الله خلقاً أحبّ إليّ من إنسان كان معك ، فقلت لها : أنا الضامنُ لكِ عنه ما تُحبِّين ، فقالت : هيهاتَ أن يقع بذلك وفاءٌ ، فقلت : أنا الضامن وعليّ أن آتِيَكِ به في الليلة القابلة فانصرفتُ ، فإذا الفتى ببابي ، فقلت : ما جاء بك ؟ قال : ظننتُ أنّها سَتُرسل إليكَ وسألتُ عنكَ فلم أعرف لك خبراً ، فظننتُ أنّكَ عندها ، فجلستُ أنتظركَ ، فقلت له : وقد كان الذي ظننتَ ، وقد وعدتُها أن آتيكَ فأمضي بك إليها في الليلة المقبلة ، فلمّا أصبحنا تهيّأنا وانتظرنا المساء ، فلمّا جاء الليل رحَلنا إليها ، فإذا الجارية منتظرةٌ لنا ، فمضت أمامَنا حين رأتنا حتى دخلت تلك الدار ودخلنا معها ، فإذا رائحةٌ طيّبة ومجلسٌ قد أُعِدّ ونُضّد ، فجلسنا على وسائد قد ثُنيتْ [لنا] ، وجلستْ مَلِيّاً ثم أقبلتْ عليه فعاتبته مليّاً ثم قالت[3] : [من الطويل]

صوت

وأنتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَنِي وأشْمَتَّ بِي مَنْ كان فيكَ يلومُ
وأبرزتَنِي للناسِ ثم تركْتَنِي لهم غَرَضاً أُرمَى وأنتَ سَليمُ
فلو كان قولٌ يَكلُمُ الجلدَ قد بدا بِجِلْديَ مِن قولِ الوشاةِ كُلُومُ

هذه الأبيات لأميمة امرأة ابن الدُّمَينة ، وفيها غناء لإبراهيم الموصليّ ذكره إسحاق ولم يُجنِّسه . وقال الهشاميّ : هو خفيف رملٍ . وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ أوّل يُنسب إلى حَكَم

---

1 خاخ في ل : جمع .

2 البيت لكثير من تائيته المشهورة .

3 وردت الأبيات في البيان والتبيين 3 : 370 ؛ والديوان 3 : 55 .

الوادِي وإلى يعقوب . قال : ثم سكتَتْ وسكت الفتى هُنيهةً ثم قال : [من الطويل]

غَدَرْتِ ولم أغدِر وخُنْتِ ولم أخُنْ وفي بعضِ هـذا للمحبّ عَزاءُ
جزيتُكِ ضِعْفَ الودّ ثم صَرَمتِنِي فحبُّـكِ مِـن قلبـي إليكِ أَداءُ

فالتفتت إليّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتُكَ ، فغمزتُه أن كُفَّ فكفّ ، ثم أقبلتْ عليه وقالت : [من الطويل]

صوت

تجاهَلْتَ وَصلِي حينَ جَدّتْ عَمايتِي فهلاّ صرَمتَ الحبـلَ إذ أنا أُبصِرُ
ولي من قُوى الحبل الذي قد قطعتَه نصيبٌ وإذ رأيـي جميـعٌ مُوفَّرُ
ولكنَّمـا آذنـتَ بـالصَّرْم بغتَـةً ولستُ على مثل الذي جئتَ أَقدِرُ

الغناء لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، فقال : [من الطويل]

لقد جعلتْ نفسِي ، وأنتِ اجترمتِه وكنت أعزَّ النـاس ، عنكِ تطيبُ

قال : فبكت ، ثم قالت : أو قد طابتْ نفسُك ؟ لا ، والله ما فيك بعدها خير ، ثم التفتت إليّ وقالت : قد علمتُ أنّك لا تفِي بضمانك ولا يفي به عنك . وهذا البيت الأخير للمجنون ، وإنّما ذُكِر هذا الخبر هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه .

رجع الخبر إلى سِياقَةِ أخبار المجنون

[رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ أنّ رهطَ المجنون اجتازوا في نُجْعَةٍ لهم بحيّ ليلى ، وقد جمعتْهم نُجعةٌ فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقدِم على الإلمام بهم وعدَلَ أهلُه إلى جهة أُخرى ، فقال المجنون[1] : [من الطويل]

لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقِبَـل الذي مـررتُ ولم أُلِمْ عليـه لَشائِقُ[2]
وبالجَزْعِ مِـن أعلى الجنيبةِ منزلٌ شَجا حَزَنٍ صدرِي بـه مُتَضايِقُ
كأنّـي إذا لم أَلـقَ لَيْـلى مُعَلَّـقٌ بسِبَّيْنِ أهْفُو بـين سَهْـلٍ وحالِقُ

1 ديوان مجنون ليلى ، طبعة دار صادر ، ص 155 .
2 منها بيتان في مصارع العشاق 2 : 244 .

على أنَّنِي لو شئتُ هاجت صبابتي ... عـليّ رسومٌ عـيّ فيهـا التَّناطُقُ
لَعمْرُكِ إنّ الحبَّ يـا أُمَّ مالكٍ ... بقلبـي بـراني اللهُ منـه لَلاصِقُ[1]
يَضمُّ عليّ الليـلُ أطرافَ حُبِّكم ... كما ضَمَّ أطـرافَ القميصِ البَنائِقُ

صوت

[من الطويل]

وماذا عسى الواشونَ أن يتحدّثوا ... سوى أن يقولوا إنّني لكِ عاشِقُ
نَعَم صدقَ الواشون أنتِ حبيبةٌ ... إليّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائِقُ

الغناء لمتيَّمَ ثقيل أوّل من جامعها . وفيه لدِعامةَ رملٌ عن حَبَشٍ .

[حديث ليلى مع جارة لها من عقيل]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني أحمد بن الطَّيِّب قال قال ابن الكلبيّ : دخلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفي يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به ، فتنفَّستْ ثم قالت : سقى الله من أهدى لي هذا المِسواك ؛ فقالت لها جارتها : مَنْ هو ؟ قالت : قيسُ بن الملوّح ، وبكت ثم نزعتْ ثيابها تغتسلُ ؛ فقالت : وَيحَه ، لقد عَلِق منّي ما أهلكه من غير أن أستحقَّ ذلك ، فنشدتُكِ الله ، أصدَق في صفتي أم كَذب ؟ فقالت : لا والله ، بل صدق ؛ قال : وبلغ المجنون قولُها فبكى ثم أنشأ يقول[2] : [من البسيط]

نُبِّئتُ لَيْلى وقـد كنّـا نبخّلها ... قالت سقى المزنُ غيثاً منزلاً خرِبا
وحبَّذا راكـبٌ كُنّـا نَهَشُّ بـه ... يُهدِي لنا من أَراكِ الموسمِ القُضُبا
قالتْ لجارتِهـا يومـاً تُسائِلُها ... لَمّا استَحَمَّتْ وأَلقَتْ عندها السَّلبا
يـا عَمْرَكِ اللهَ أَلاّ قُلْـتِ صادقـةً ... أَصَدَقَتْ صِفـةُ المجنونُ أَمْ كذبا

ويروى : «نشدتُكِ اللهَ» ويروى : «أصادقاً وصفَ المجنونُ أم كذبا» .

[سمع المجنون بخروج ليلى مع زوجها فقال شعراً]

وقال أبو نصر في أخباره : لمّا زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفيّ سمع المجنون رجلاً من قومها يقول لآخر : أنتَ ممّن يُشَيِّع ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : غداً ، ضَحْوةً أو الليلة ، فبكى [المجنون] ثم قال : [من الوافر]

---

1 براني في ل : جزاني .

2 ديوان مجنون ليلى : 82 .

صوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغدَى بلَيْلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شرَكٌ فباتتْ تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

الغناء ليحيى المكّي خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وفيه رمل ينسب إلى إبراهيم وإلى أحمد بن يحيى المكّيّ ؛ وقال حَبَش : فيه خفيف ثقيل [بالوسطى] لسليم .

[وعظه رجل من بني عامر فأنشده شعراً]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره : حدّثني عبد الله بن عيَّاش الهَمدانيّ قال حدّثني رجلٌ من بني عامر قال : مُطِرنا مَطَراً شديداً في ربيع ارتبعْناه ، ودام المطرُ ثلاثاً ثم أصبحنا في اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادي ، فرأيت رجلاً جالساً حَجْرةً وحدَه فقصدْتُه ، فإذا هو المجنون جالسٌ وحدَه يبكي فوعظتُه وكلّمتُه طويلاً وهو ساكتٌ لم يرفع رأسه إليّ ، ثم أنشدني بصوت حزين لا أنساه أبداً وحُرْقَتَه[1] : [من الطويل]

صوت

جَرى السَّيلُ فاستبكانِيَ السيلُ إذ جرى وفاضَتْ لـه من مُقْلَتَيَّ غُروبُ[2]
وما ذاكَ إلاّ حينَ أيقنتُ أنّه يكونُ بوادٍ أنتِ فيه قريبُ
يكونُ أُجاجاً دونكم فإذا انتهى إليكم تَلَقَّى طيبَكم فيطيبُ
أظَلُّ غريبَ الدارِ في أرضِ عامرٍ ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غَرِيبُ
وإن الكثيبَ الفردَ من أيمنِ الحمَى إليّ وإن لم آتِه لحبيبُ
فَلا خيرَ في الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر حبيباً ولم يَطرَبْ إليكَ حبيبُ

وأوّل هذه القصيدة ، وفيه أيضاً غناء : [من الطويل]

صوت

ألا أيُّها البيتُ الذي لا أزوره وهِجْرانُه منّي إليه ذُنوبُ
هجرتُكَ مشتاقاً وزرتُكَ خائفاً وفيكَ عليّ الدهرَ منكَ رقيبُ
سأستَعْطِفُ الأيّامَ فيكَ لعلّها بيومِ سرورٍ في هواكَ تُثِيبُ

1 ديوان مجنون ليلى : 52–53 .
2 غروب : جمع غرب ، وهو الدمع ، وهو أيضاً سجل الماء .

هذه الأبيات في شعر محمد بن أُمَيَّةَ[1] مَرْوِيَّةٌ ، ورُوِيتْ ها هنا للمجنون [في هذه القصيدة] . وفيها لِعَريب ثقيل أوّل . ولعبد الله بن العباس ثاني ثقيل . ولأحمد بن المكّيّ خفيف ثقيل : [من الطويل]

وأُفرِدْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ ... إلى النفسِ حاجاتٌ وهنّ قريبُ
لئن حـالَ يأسٌ دونَ لَيْلى لربَّما ... أتى اليأسُ دون الأمرِ فهو عَصِيبُ[2]
ومنَّيْتِنـي حتـى إذا مـا رأيتنِي ... عـلى شَرَفٍ للناظريـن يَرِيبُ
صدَدتِ وأشمَتَّ العدوَّ بصرْمِنا ... أثابكِ يـا لَيْلى الجـزاءَ مُثيبُ

[لقاؤه في توحشه ليلى فجأة وشعره في ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدّثنا مَهديّ بن سابق قال حدّثنا بعض مشايخ بني عامر أنّ المجنون مرّ في توحُّشه فصادف حيَّ ليلى راحلاً ولقيها فجأةً فعرفها وعرفته فصَعقَ وخرّ مغشيّاً على وجهه ، وأقبل فِتيانٌ من حيّ ليلى فأخذوه ومسحوا التراب عن وجهه ، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تَقِفَ له وقفةً ، فرقَّتْ لِما رأتْه به ، وقالت : أمّا هذا فلا يجوز أن أُفتضِحَ به ، ولكن يا فلانة ، لأَمَةٍ لها ، اذهبي إلى قيس فقولي له : ليلى تقرأُ عليك السلام ، وتقول لك : أعزِزْ عليّ بما أنتَ فيه ، ولو وجدتُ سبيلاً إلى شفاء دائكَ لوقَيْتُكَ بنفسي منه ، فمضت الوليدة إليه وأخبرته بقولها ، فأفاقَ وجلس وقال : أَبْلِغيها السلام وقولي لها : هيهاتَ ! إنّ دائي ودوائي أنتِ ، وإنّ حياتي ووفاتي لفي يديكِ ، ولقد وكَّلْتِ بي شقاء لازماً وبلاءً طويلاً . ثم بكى وأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

أقول لأصحابي هي الشمس ضوؤُها ... قريـبٌ ولكـن في تَناوُلِهـا بُعدُ
لقـد عارضتنا الريحُ منهـا بنفحةٍ ... على كَبِدي من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مَغْشِيّاً عليّ وقد مَضَتْ ... أناةٌ ومـا عندي جـوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّـبُ بالأيـدي وأهـلي بِعَوْلَـةٍ ... يُفدُّوننـي لو يستطيعون أن يَفْدُوا
ولم يبقَ إلاّ الجلـدُ والعظمُ عاريا ... ولا عظمَ لي إن دام ما بي ولا جِلدُ

---

1 محمد بن أميّة شاعر غزل مأموني ، ترجمته في معجم الشعراء : 354 والوافي للصفدي 2 : 229–230 وطبقات ابن المعتزّ : 322 .

2 فهو عصيبٌ في ل : فهو قريب .

3 ديوان مجنون ليلى : 97–98 . وردت هذه الأبيات فيما تقدم من هذا الجزء ص 18 بلفظ وترتيب مختلفين .

أَدُنيايَ ما لي في انقطاعي وغُربتي إليكِ ثوابٌ منكِ دَيـنٌ ولا نَقْدُ
عِديني ، بنفسي أنتِ ، وعْداً فربَّما جَلا كُربةَ المكروبِ عن قلبهِ الوعدُ
وقـد يُبتـلى قـومٌ ولا كَبليّتـي ولا مثلَ جَدِّي في الشقاءِ بكم جَدُّ
غَزَتني جنودُ الحبّ من كلِّ جانبٍ إذا حانَ من جندٍ قُفُولٌ أتى جُنْدُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدنيّ يقول قال نوفل بن مُساحق : أُخبِرتُ عن المجنون أنّ سبب توحّشه أنّه كان يوماً بِضَرِيَّةَ جالساً وحده إذ ناداه مُنادٍ من الجبل : [من الوافر]

كِلانـا يـا أُخَـيّ يُحِبُّ لَيلى بِفِيَّ وفِيكَ من لَـيْـلَى الترابُ
لقـد خَبَلتْ فؤادكَ ثم ثَنَّتْ بقلبي فهـو مَهمـومٌ مُصابُ
شَرِكتُكَ في هَوى مَن ليس تُبدِي لنـا الأيّامُ منه سِوَى اجتنابُ

[خبر نوفل بن مساحق مع المجنون]

قال : فتنفّس الصُّعَداء وغُشِي عليه ، وكان هذا سبب توحّشه فلم يُرَ له أثرٌ حتى وجده نوفل بن مساحق . قال نوفل : قدِمتُ البادية فسألتُ عنه ، فقيل لي : توحَّشَ وما لنا به عهدٌ ولا ندرِي إلى أين صار ، فخرجتُ يوماً أتصيَّدُ الأرْوى ، ومعي جماعةٌ من أصحابي ، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأَراكةٍ عظيمةٍ قد بدا منها قَطِيعٌ من الظباء ، فيها شخص إنسان يُرى من خَلَل تلك الأراكة ، فعجِب أصحابي من ذلك ، فعرفتُه وأتيته وعرفتُ أنّه المجنون الذي أُخبِرتُ عنه ، فنزلتُ عن دابتي وتخفَّفتُ من ثيابي وخرجتُ أمشي رُويداً حتى أتيت الأراكة فارتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الظباء ؛ فإذا به وقد تدلّى الشعَرُ على وجهه ، فلم أكد أعرفُه إلاّ بتأمّل شديد ، وهو يرتَعِي في ثمر تلك الأراكة ، فرفع رأسَه فتمثَّلتُ ببيت من شعره[1] : [من الطويل]

أَتَبكِي على ليلى ونفسُك باعَدتْ مَزارَكَ من ليلى وشَعْباكُما معا[2]

قال : فنفرَتِ الظباء ، واندفع في باقي القصيدة يُنشِدُها ، فما أنسى حُسن نَغمته وحُسن صوته وهو يقول : [من الطويل]

1 هذه الأبيات في حماسة أبي تمام (شرح التبريزي 2 : 112–114) ط . بولاق ليزيد بن الطرفة باختلاف يسير في الترتيب ، وسقوط البيتين 6 ، 7 هنا وفي شرح المرزوقي للصمة القشيريّ ؛ وسترد منسوبة للصمة في ترجمته من كتاب الأغاني ، وتنسب أيضاً إلى قيس بن ذريح .

2 الحماسة : أتبكي على ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا ، وفي رواية حضنت إلى ريا . . .

فما حَسَنٌ أن تأتيَ الأمـرَ طائعاً وتَجْزَعَ أن داعـي الصبابةِ أسمعا
بكتْ عَينيَ اليسرى فلمّا زجرتُها عن الجهلِ بعـد الحلمِ اسبلَتا معا
وأذكـرُ أيّامَ الحِمَـى ثـم أَنثَني على كبِدي من خَشيةٍ أن تَصدَّعا
فليستَ عَشِيَّاتُ الحِمـى برواجعٍ عليكَ ولكن خَـلِّ عينيكَ تَدمَعا
معي كلُّ غِرٍّ قـد عصَى عاذلاته بوصل الغَواني من لَدُنْ أن تَرعرَعا
إذا راح يمشي في الرداءينِ أسرَعتْ إليـه العيـونُ الناظـراتُ التطلُّعا

قال : ثم سقط مغشيّاً عليه ، فتمثّلتُ بقوله[1] : [من البسيط]

يا دارَ ليلى بسِقْطِ الحيّ قد دَرَسَتْ إلاّ الثُّمـامَ وإلاّ مَوْقِـدَ النَّارِ
ما تفتأ الدهرَ من لَيْلى تموتُ كذا في موقـف وقفتْـه أو على دارِ
أبْلَى عظامَكَ بعد اللحم ذِكْرُكَها كما يُنَحِّتُ قِدْحَ الشَّوْحَطِ البارِي[2]

فرفع رأسه إليّ وقال : مَنْ أنت حيّاك الله ؟ فقلت : أنا نوفل بن مساحق ، فحيّاني فقلت له : ما أحدثتَ بعدي في يأسِكَ منها ؟ فأنشدني يقول[3] : [من الطويل]

ألا حُجِبَتْ لَيْلى وآلى أميرُها عليّ يميناً جاهـداً لا أزورُها
وأوعدني فيها رجـالٌ أبوهُمُ أبي وأبوها خُشِّنَتْ لي صُدورُها
على غير جُـرمٍ غيرَ أنّي أُحِبُّها وأنَّ فؤادي رهنُهـا وأسيرُها

قال : ثم سنَحَتْ له ظِباء فقام يعدو في أثرها حتى لحقها فمضى معها .

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني علي بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال : لما قال مجنون بني عامر : [من الطويل]

قضاها لغيري وابتـلاني بحبِّها فهـلاَّ بشيءٍ غيرِ لَيْلى ابتلانِيا

نُودِي في الليل : أنت المتسخِّط لقضاء الله والمعترض في أحكامه ؟ واختُلِسَ عقلُه فتوحّشَ منذ تلك الليلة وذهب مع الوحش على وجهه . وهذه القصيدة التي قال فيها هذا البيت من أشهر أشعاره ، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون هاهنا منها . وفيها أيضاً عدّة أبيات يُغنَّى فيها ، فمن ذلك[4] : [من الطويل]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 67 .
2 القدح : السهم ؛ الشوحط : من أنواع النبع الصالح لصنع القسيّ .
3 ديوان مجنون ليلى : 146 ببعض اختلاف .
4 انظر الزهرة : 67 ، 70 ، 82 ، 85 ، 185 .

[قصيدته اليائية]

صوت

أَعُـدُّ الليالي ليلـةً بعـد ليلـةٍ وقـد عِشْتُ دهراً لا أَعُـدُّ اللّياليا
أَراني إذا صَلَّيْتُ يمّمْتُ نحوَهـا بوجْهِي وإن كان المصلَّى ورائِيا
وما بِـيَ إشراكٌ ولكـنَّ حبَّهـا كعُودِ الشّجَا أعيا الطبيبَ المُداوِيا
أُحِبُّ من الأسماءِ مـا وافق اسمَها وأشبَهـه أو كان منـه مُدانِيـا

في هذه الأبيات هزج خفيف لمعان معزفي [؟] : [من الطويل]

صوت

وخبّرتمانِـي أنّ تيمـاءَ منـزلٌ لليْلى إذا مـا الصيفُ ألقَى المراسيا
فهذي شهورُ الصّيفِ عنّي قد انقضَتْ فما للنَّوى تَرمِـي بليـلَى المراميا

في هذين البيتين لحن من الرمل صنعَته عجوزُ عُمير الباذَغِيسِي[1] على لحن إسحاق :

أمَاوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحُ

وله حديث قد ذُكر في أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنّى ، لأنّه أشْهَرُ في أيدي الناس ، وإنّما هو لحن إسحاق أُخِذ فجُعِل على هذه الأبيات وكيدَ بذلك : [من الطويل]

صوت

فلـو كان واشٍ باليمامـة بيتُه وداري بأعلَى حَضْرَمَوْتَ اهتدَى لِيا
وماذا لهم ، لا أحسنَ اللهُ حالَهُمْ ، مـن الحظّ في تَصْريم لَيْلى حِبالِيا
فأنتِ التي إن شئتِ أشقَيتِ عِيشتي وإن شئتِ بعـدَ اللهِ أنعمتِ بالِيا
وأنتِ التي ما من صديقٍ ولا عِداً يَرى نِضْوَ ما أبقيتِ إلاّ رَثَى لِيا
أَمَضروبةٌ لَيْلى على أن أزورَهـا ومُتَّخَـذٌ ذنبـاً لهـا أن تَرانِيا
إذا سِرْتُ في الأرض الفضاءِ رأيتُنِي أُصانِعُ رَحْلِي أن يَميلَ حِيالِيا
يميناً إذا كانت يمينـاً وإن تكن شِمالاً يُنازِعْنِي الهوى عن شِمالِيا
أُحِبُّ من الأسماءِ مـا وافقَ اسمَها وأشبَهـهُ أو كان منـه مُدانِيا
هـي السحرُ إلاّ أنّ للسحرِ رُقْيَةً وإنِّـيَ لا أُلْفِي لهـا الدهرَ راقِيا

1 الباذغيسي : نسبة إلى باذغيس من أعمال هراة .

وأنشد أبو نصرٍ للمجنون وفيه غناء[1] : [من الطويل]

صوت

تكادُ يدِي تَنْدَى إذا ما لمستُها ... ويَنبُتُ في أطرافها الورَقُ الخُضْرُ
أبــى القلبُ إلاّ حبَّها عامريَّةً ... لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

الغناء لِعَريب ثقيل أوّل ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لإسحاق خفيف ثقيل .

[رثاؤه لأبيه]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ قال : أنشدني جماعةٌ من بني عُقَيل للمجنون يرثي أباه ، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه ، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات[2] : [من الطويل]

عقَــرتُ على قبر الملــوّح ناقتي ... بِذي السَّرْحِ لّما أن جَفتْه أقاربُهْ
وقلتُ لهــا كــوني عقيراً فإنّني ... غــداةَ غــدٍ ماشٍ وبالأمسِ راكبُهْ
فلا يُبعِدَنْكَ اللهُ يــا ابنَ مزاحمٍ ... وكلُّ امرىءٍ لِلْموتِ لا بدّ شاربُهْ
فقد كنتَ طَلاّعَ النِّجادِ ومُعْطِيَ الْـ ... ـجيادِ وسيفــاً لا تُفَــلُّ مَضاربُهْ

[وعظه جعدي فقال شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب عن الحزاميّ عن محمد بن مَعْنٍ قال : بلغني أنّ رجلاً من بني جعدةَ بن كعب كان أخاً وخِلاًّ للمجنون ، مرّ به يوماً وهو جالسٌ يخطّ في الأرض ويعبَثُ بالحصى ، فسلّم عليه وجلس عنده ، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه ، وهو ينظر إليه ويلعب[3] بيده كما كان وهو مُفكّر قد غمره ما هو فيه ، فلمّا طال خطابه إيّاه قال : يا أخي ، أما لكلامي جوابٌ ؟ فقال له : والله يا أخي ما علمتُ أنّك تُكلّمني فاعذِرْني ، فإنّي كما ترى مذهوبُ العقلِ[4] مُشتَرَكُ اللُّبِّ وبكى ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

صوت

وشُغِلتُ عن فَهم الحديث سِوى ... مــا كان منــكِ فإنّــه شُغْلِي
وأُدِيــمُ لَحْــظَ مُحَدِّثِي ليرى ... أنْ قــد فهمــتُ وعندكم عَقْلِي

---

1 سبق أن ورد البيتان بترتيب معكوس فيما تقدّم من هذا الجزء .
2 وردت ثلاثة من هذه الأبيات فيما تقدّم من هذا الجزء غير متّصلة القوافي بالهاء .
3 ل : ويعبث .
4 ل : مذهوب بي .

[شعره عند تجاوب حمام]

الغناء لِعَلُّويَهْ . وقال الهيثم : مرّ المجنون بوادٍ في أيّام الربيع وحمامُه يتجاوب فأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

ألا يا حَمامَ الأيكِ ما لكَ باكياً أفارقْتَ إلفاً أم جفاكَ حبيبُ
دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنَّمَتْ هَتُوفُ الضحى بين الغصون طَروبُ
تُجاوِبُ وُرْقاً قد أذِنَّ لصوتِها فكلٌّ لِكلٍّ مُسْعِدٌ ومُجِيبُ[1]

الغناء لرذاذ ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى .

[زيارة قيس لليلى عندما غاب زوجها]

وقال خالد بن حمل : حدّثني رجالٌ من بني عامر أنّ زوج ليلى وأباها خرجا في أمرٍ طَرَقَ الحيَّ إلى مكّة ، فأرسلتْ ليلى بأمَةٍ لها إلى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرجته في السَّحَر ، وقالت له : سِر إليّ في كلّ ليلة ما دام القومُ سَفْراً ، فكان يختلِفُ إليها حتى قدِموا . وقال فيها في آخر ليلة لَقِيها وودّعتْه : [من الطويل]

تمتّعْ بلَيْلى إنّما أنتَ هامةٌ من الهامِ يدنو كلَّ يوم حِمامُها[2]
تمتّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنّهم متى يرجعوا يَحْرُمْ عليكَ كلامُها

[مرض ولم تعده ليلى]

وقال الهيثم : مَرِض المجنون قبل أن يختلط فعاده قومه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده ، فقال[3] : [من الطويل]

صوت

ألا ما لِلَيْلى لا تُرى عند مَضْجَعِي بليلٍ ولا يَجْرِي بها لِيَ طائرُ
بلى إنّ عُجْمَ الطير تجري إذا جَرَتْ بلَيْلى ولكن ليس للطير زاجرُ
أحالَتْ عن العهدِ الذي كان بيننا بذي الرِّمْثِ أم قد غيّبتْها المقابرُ[4]

الغناء لسُليم ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 أذنّ لصوتها : أصغين لها .
2 يقال : فلان هامة اليوم أو غد أي أنّه قريب من الموت ، لا يعمّر طويلاً .
3 ديوان مجنون ليلى : 126–127 .
4 ذو الرمث : اسم وادٍ ، سمّي كذلك لأنّ فيه شجر الرمث . وفي رواية بذي الأثل .

فواللهِ ما في القربِ لي منكِ راحةٌ ولا البُعدُ يُسْلِيني ولا أنا صابرُ
ووالله ما أدري بأيّةِ حيلةٍ وأيّ مَرامٍ أو خِطارٍ أُخاطِرُ
ووالله إنّ الدهرَ في ذاتِ بَينِنا عليّ لها في كلّ أمرٍ لجائرُ
فلو كنتِ إذ أزمَعْتِ هَجْري تركتِني جميعَ القُوى والعقلُ منّيَ وافرُ
ولكنَّ أيّامي بحَقْلِ عُنَيزَةٍ وذِي الرِّمثِ أيّامٌ جناها التجاوُرُ
فقد أصبحَ الودُّ الذي كان بيننا أمانيَّ نفس إن تَخَبَّرَ خابرُ[1]
لعَمْري لقد أرْهَقْتِ يا أُمَّ مالكٍ حياتي وساقَتْنِي إليكِ المقادِرُ

[خبر الظبي الذي ذكّره ليلى]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه قال : حدّثني بعض بني عُقيل قال : قيل للمجنون أيّ شيءٍ رأيته أحبُّ إليك ؟ قال : ليلى ، قيل : دَعْ ليلى فقد عرفنا ما لها عندك ولكن سواها ، قال : والله ما أعجبني شيء قطّ فذُكِرَتْ ليلى إلاّ سقطَ من عيني وأذهب ذكرُها بشاشَتَه عندي ، غير أنّي رأيتُ ظبياً مرّةً فتأمّلته وذكرتُ ليلى فجعل يزداد في عيني حُسناً ، ثم إنّه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعتُه حتى خَفِيا عنّي فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه ، فرميته بسهم فما أخطأتُ مقتله ، وبقَرتُ بطنه فأخرجت ما أكل منه ، ثم جمعته إلى بقيّة شِلْوه ، ودفنتُه وأحرقتُ الذئب ، وقلت في ذلك[2] : [من الطويل]

أبى اللهُ أن تبقى لحيّ بشاشةٌ فصبراً على ما شاءه اللهُ لي صبرا
رأيتُ غزالاً يرتَعِي وَسْطَ روضةٍ فقلتُ أَرى لَيْلى تراءتْ لنا ظُهْرا
فيا ظبيُ كُلْ رَغْداً هنيئاً ولا تخفْ فإنّكَ لي جارٌ ولا تَرْهَبِ الدهرا
وعندي لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ حُسامٌ إذا أعملتُهُ أحسنَ الهَبْرا
فما راعني إلاّ وذئبٌ قد انتَحى فأعلقَ في أحشائه النابَ والظُّفْرا
ففوّقتُ سهمي في كَتُوم غَمَزْتُها فخالط سهمي مُهجَةَ الذئبِ والنَّحْرا[3]
فأذهب غيظي قتلُه وشفى جَوىً بقلبيَ إن الحرَّ قد يُدرِكُ الوِتْرا

1 الديوان : والمؤمل حائر .
2 ديوان مجنون ليلى : 171 .
3 كتوم : صفة للقوس حين لا تصوّت .

[بلغه أنّ زوج ليلى سبّه فقال فيه شعراً]

قال أبو نصر : بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنَّ زوج ليلى ذكره وعضهه[1] وسبّه وقال : أَوَ بَلَغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعي محبّة ليلى ويُنَوِّهَ باسمها ؟ فقال لِيَغيظَه بذلك : [من الطويل]

فإن كان فيكـم بعـلُ لَيْلى فإنّني ... وذي العرشِ قد قبّلتُ فاها ثمانِيا
وأشهَدُ عنـدَ الله أنّـي رأيتُهـا ... وعشرونَ منها إصبعاً مِـنْ ورائِيا
أليسَ من البلوى التي لا شَوى لها ... بأن زُوِّجَتْ كلباً وما بُذِلتْ لِيا[2]

[خبر رفقة أبوا أن يعدلوا معه إلى جهة رهط ليلى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال : خرج المجنون في عِدّةٍ من قومه يريدون سَفَراً لهم ، فمرّوا في طريق يتشعّب وِجهَتين : إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادة مرحلةٍ ، فسألهم أن يَعْدِلوا معه إلى تلك الوِجهة فأَبَوْا ، فمضى وحده وقال[3] : [من الطويل]

صوت

أَأَتركُ ليلى ليسَ بيني وبينها ... سوى ليلـةٍ إنّي إذاً لَصَبُورُ
هَبُونـي امرأً منكم أضلَّ بعيرَه ... لـه ذِمَّـةٌ إنّ الذِّمـامَ كبيرُ
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً ... على صاحبٍ مِنْ أن يَضِلَّ بعيرُ
عفا اللهُ عـن لَيْلى الغداةَ فإنّها ... إذا وَلِيَتْ حُكمـاً عليّ تَجُورُ

الغناء لابن سريج خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وفيه للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش ، وفيه لابن المارقيّ خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وفيه لعَلُّوَيْهْ رَمَلٌ بالبِنصر .

[هتفت حمامة فقال شعراً]

وذكر عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه : أنّ المجنون كان ذات ليلة جالساً مع أصحاب له من بني عمّه وهو وَلِهٌ يتلظّى ويتململُ وهم يَعِظونه ويُحادثونه ، حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحةٍ كانت بإزائهم ، فوثب قائماً وقال : [من الطويل]

---

1 عضهه : تنقصه بسبّ أو ذمّ .
2 بلوى لا شوى لها : أي لا بلوى بعدها .
3 ديوان مجنون ليلى : 139 .

صوت

لقـد غَرَّدَتْ في جنحِ ليل حمامةٌ على إلفهـا تبكـي وإنّـي لنائمُ
كَذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً لَما سَبَقَتْنِـي بالبكـاءِ الحمائمُ

ثم بكى حتى سقط على وجهه مَغْشيّاً عليه ، فما أفاق حتى حَمِيَتْ الشمسُ عليه من غدٍ .
الغناء في هذين البيتين لعبد الله بن دحمان ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى .

[في رمل يبرين]

وذكر أبو نصر عن أصحابه أنّ رجلاً مرّ بالمجنون وهو برمل يَبْرِينَ[1] يُخطّط فيه ، فوقف عليه متعجّباً منه وكان لا يعرفه ، فقال له : ما بك يا أخي ؟ فرفع رأسَه إليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

بِيَ اليأسُ والداءُ الهُيامُ أصابني فَإيّاكَ عنّي لا يكُنْ بكَ ما بِيا
كأنّ جفونَ العينِ تَهْمي دموعُها غداةَ رأتْ أظعانَ لَيْلى غوادِيا
غُروبٌ أمرَّتْها نواضحُ بُـزَّلٌ على عَجَلٍ عُجْم يُروِّينَ صادِيا

[الهوى اليماني]

وقال خالد بن حمل : ذكر حماد الراوية أنّ نفراً من أهل اليمن مرُّوا بالمجنون ، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا أيُّها الركبُ اليَمانُونَ عرِّجوا علينـا فقـد أمسى هوانـا يمانِيا
نُسائِلُكُم هـل سالَ نَعْمانُ بعدنا وحَـبَّ إلينا بطـنُ نَعْمانَ وادِيا

يقول في هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

ألا يا حَمامَيْ قَصْرِ وَدّانَ هِجْتُما عـليّ الهـوى لَمّـا تغنّيتُمـا لِيا
فأبكيتُماني وسْطَ صَحْبِي ولم أكنْ أُبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خالِيا

غنّى في هذين البيتين عَلُّويَهْ غناء لم يُنسب . [من الطويل]

فواللهِ إنّـي لا أُحِبُّ ، لغير أن تَحُلّ بهـا لَيْـلى البِراقَ الأعالِيا
ألا يا خليلي حُبُّ لَيْلى مُجشِّمِي حياضَ المنايا أو مُقيـدي الأعادِيا

1 يبرين : من منطقة الأحساء في شرقي الجزيرة العربية .

ويـــا أيّها القُمْرِيَّتـــان تَجاوَبـا بلَحْنيكما ثـم اسجَعـا عَلِّلانِيا
فـــإن أنتمـا استَطْربتما وأردتُمـــا لَحاقـاً بأطـراف الغَضا فاتْبعانِيا

[زوج ليلى يرحل بها]

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لما أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنّه غادٍ بها فقال : [من الطويل]

صوت

أمُزمِعةٌ للبين لَيْلى ولم تَمُتْ كأنّكَ عمّا قـد أظلَّك غافلُ
ستَعلم إن شطَّتْ بهم غُرْبةُ النَّوى وزالـوا بلَيْـلى أنّ لُبّـك زائلُ

الغناء للزبير بن دَحمان ثقيل أوّل بالوسطى .

قال أبو نصر قال خالد : وحدّثني جماعة من بني قُشَير أنّ المجنونَ سقِم سَقاماً[1] شديداً قبل اختلاطه حتى أشفى على الهلاك ، فدخل إليه أبوه يعلّله فوجده يُنشِد هذه الأبيات ويبكي أحرَّ بكاء ويَنشِج أحرَّ نشيج[2] : [من الطويل]

ألا أيّها القلبُ الذي لجَّ هائِماً بلَيْـلى وليـداً لم تُقطَّـعْ تمائمُه
أَفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أَنَى لحالـكَ أن تلقـى طبيباً تلائمُه
فما لَكَ مسلوبَ العَزاء كأنّما تَرى نأيَ لَيْلى مَغْرَماً أنتَ غارِمُه
أَجِـدَّكَ لا تُنسِيكَ لَيْـلى مُلِمَّـةٌ تُلِـمُّ ولا يُنسيك عهـداً تَقادُمُه

قال : ووقف مستتراً ينظر إلى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها وقومها ، فلمّا رآهم يرتحلون بكى وجزع ، فقال له أبوه : ويحك ، إنّما جئنا بك مُتخفّياً ليتروّح بعضُ ما بك بالنظر إليهم ، فإذا فعلتَ ما أرى عُرِفْتَ ، وقد أهدرَ السلطان دمَكَ إن مررتَ بهم ، فأمسِكْ أو فانصرف ؛ فقال : ما لي سبيلٌ إلى النظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غير جازعٍ ولا باكٍ فانصرِفْ بنا ، فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

صوت

ذُدِ الدّمعَ حتى يظعَنَ الحيّ إنّما دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ
كأنّ دموعَ العين يـومَ تحمَّلوا جُمانٌ على جَيب القميص يسيلُ

1 ل : سقماً .
2 ديوان مجنون ليلى : 248 .

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال أنشدني إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابيّ للمجنون[1] : [من الطويل]

صوت

ألا ليتَ لَيْلى أطفأتْ حَرَّ زَفْرةٍ أُعالجها لا أستطيع لها رَدَّا
إذا الريحُ من نَحوِ الحِمَى نَسَمَتْ لنا وجدتُ لَمسْراها ومَنْسَمها بَرْدا
على كبِد قد كاد يُبدِي بها الهوَى نُدُوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا[2]

هذا البيت الثالث خاصّةً يُروى لابن هَرْمة[3] في بعض قصائده ، وهو من المائة المختارة التي رواها إسحاق ، أوّله :

أفاطمَ إنّ النّأيَ يُسلي من الهَوى[4]

وقد أُخرج في موضع آخر . غنّى في هذين البيتين عبدُ آل الهذليّ[5] ، ولحنُه المختار على ما ذكره جحظة ثاني ثقيل ، وهما في هذه القصيدة : [من الطويل]

وإنّي يَمانيٌّ الهوى مُنجِدُ النَّوى سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدا
سقى اللهُ نَجداً من رَبيعٍ وصَيِّفٍ وماذا يُرَجَّى من ربيع سقى نَجْدا
بلى إنّه قد كانَ للعيش قُرّةً وللصَّحب والرُّكبان منزلةً حَمْدا[6]
أبى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكرِ نِسوةٍ رِقاقٍ ولم يُخلَقن شُؤْماً ولا نُكْدا
إذا رُحنَ يَسحَبنَ الذُّيولَ عَشيّةً ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسَنا عَمْدا
مَشى عَيطَلاتٌ رُجَّحٌ بخصورِها رَوادفُ وَعْثاتٌ تردُّ الخُطا رَدّا[7]
وتَهتزّ لَيْلى العامريّةُ فوقَها ولاثتْ بسِبّ القَزّ ذا غُدُرٍ جَعْدا[8]

---

1 ديوان مجنون ليلى : 119–120 .

2 قرّر أبو الفرج أنّ هذا البيت وحده لابن هرمة ، ولكن جامع الديوان ، أورد له قبله ثلاثة أبيات أُخرى لم ترد هنا (ديوانه : 95–96) . وانظر الأغاني 579/2 من هذه الطبعة .

3 ابن هرمة : إبراهيم بن هرمة وهو أحد الشعراء المحدثين ، وستأتي ترجمته في الأغاني ؛ جمع ديوانه محمد جبار المعيبد ؛ النجف 1969 .

4 يسلي من الهَوى في الديوان : يسلي ذوي الهوى .

5 ل : عبدان الهذلي (وهو خطأ) .

6 منزلة حمدٌ أي منزلة محمودة .

7 عيطلات جمع عيطلة وهي الطويلة العنق . وعثات : لينات .

8 لاثت : لفّت ؛ السبّ : الخمار ؛ الغدر جمع غديرة وهي الذؤابة أو الخصلة من الشعر .

إذا حَرَّكَ المِدرَى ضَفائرَهـا العُلا مَجَجْنَ نَدى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدا

وأخبار الهُذلِيَّين[1] تُذكر في غير هذا الموضع إن شاء الله لئلاّ تنقطع أخبار المجنون ، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تُذكر أخبارها معاً إن شاء الله .

[طلب من رجلين إطلاق ظبية صاداها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال ذكر الهيثم بن عديّ ، وأخبرني محمد بن خلَف [بن المرزبان] عن أحمدَ بن الهيثم عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : مرّ المجنون برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها ، فلمّا نظر إليها وهي تركض في حِبالهما دمعَت عيناه ، وقال لهما : حُلاَّها وخُذا مكانها شاةً من غنمي ، وقال ميمون في خبره : وخُذا مكانها قَلُوصاً من إبلي ؛ فأعطاهما وحَلاَّها فولَّتْ تعدو هاربةً . وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالهما[2] : [من البسيط]

يا صاحِبيّ اللّذينِ اليومَ قـد أخذا في الحبل شِبْهاً لليْـلى ثـم غَلاَّها
إنّي أرى اليومَ في أعطافِ شاتِكُما مَشابِهـاً أشبهَـتْ لَيْـلى فَحُلاَّها

قال : وقال فيها وقد نظر إليها [وهي] تعدو أشدَّ عدْوٍ هاربةً مذعورةً[3] : [من الطويل]

صوت

أيا شِبهَ لَيْلى لا تُراعِي فإنّني لكِ اليومَ من وَحْشِيَّةٍ لَصَديقُ
ويا شِبهَ لَيْلى لو تَلَبّثتِ ساعةً لعـلَّ فؤادِي مِنْ جَواه يُفِيقُ
تَفِرُّ وقـد أطلقتُها من وَثاقِها فأنتِ لليْلى لـو علِمْتِ طَلِيقُ

[خبره مع نسوة عذلنه في حبّ ليلى]

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بن الحسن الأحول أنّ ابن الأعرابيّ أخبرهما أنّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذي دعاك إلى أن أحلَلتَ بنفسك ما ترى في هَوى ليلى ، وإنّما هي امرأة من النساء ، هل لكَ في أن تصرِفَ هواك عنها إلى إحدانا فنُساعِفَكَ ونَجزيَكَ بهواك ويرجعَ إليك ما عَزَبَ[4] من عقلك وجسمك ؟ فقال لهنّ : لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفتُهُ عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ في الناس

1 الهذليان : مغنيان هما سعيد وعبد آل ابنا مسعود .

2 ديوان مجنون ليلى : 285 .

3 ديوان مجنون ليلى : 206–207 وفيه رواية البيت الثالث :

عشقت فـأدّي شكر ليلى بنعمـة فأنت لليـلى إن شكـرت طليق

4 في ل : ذهب .

سويّاً مستريحاً ؛ فقلن له : ما أعجبك منها ؟ فقال : كلّ شيء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبني ، والله ما رأيتُ شيئاً منها قطّ إلاّ كان في عيني حَسَناً وبقلبي عَلِقاً ، ولقد جَهَدتُ أن يَقبُحَ منها عندي شيءٌ أو يَسمُجَ أو يُعابَ لأسلُوَ عنها فلم أجده ؛ فقلن له : فَصِفْها لنا ، فأنشأ يقول[1] : [من الكامل]

بيضاءُ خالصةُ البياض كأنّها ... قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبرَدِ
مَوْسُومةٌ بالحسنِ ذاتُ حواسدٍ ... إنّ الجمالَ مَظِنّةٌ للحسَّدِ
وتُرى مدامعُها تَرقرُقَ مُقْلَةٍ ... سوداءَ ترغبُ عن سوادِ الإثمدِ
خَوْدٌ إذا كثُرَ الكلامُ تعوّذَتْ ... بِحِمى الحياء وإن تَكَلَّمْ تَقْصِدِ[2]

قال : ثم قال ابن الأعرابيّ : هذا والله من حَسَن الكلام ومُنَقّح الشِّعر .

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضاً ، وفيه غناء ، قال : [من الطويل]

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائرٍ ... إذا ذُكِرتْ لَيْلى يَشُدُّ به قَبْضا
كأنَّ فِجاجَ الأرضِ حَلْقةُ خاتَمٍ ... عليّ ، فما تزدادُ طولاً ولا عَرضا

[أودع رجلاً شعراً ينشده على مسمع من ليلى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنا أبو مسلم عن القحذَميّ قال : قال رجل من عشيرة المجنون له : إنّي أُريد الإلمامَ بحيّ ليلى فهل تُودِعُني إليها شيئاً ؟ فقال : نعم ، قِفْ بحيث تسمعُك ثم قُلْ[3] : [من البسيط]

صوت

اللهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ ... باليأس منكِ ولكنّي أُعنِّيها[4]
مَنّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرّ بها ... واستيقَنَتْ خُلُفاً ممّا أُمنِّيها
وساعةٌ منكِ أَلْهُوها وإن قَصُرَتْ ... أشْهَى إليّ من الدنيا وما فيها

قال : فمضى الرجل ، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلى لقد أحسن الذي يقول[5] : [من البسيط]

---

1 ديوان مجنون ليلى 117 ورواية البيت الأول فيه :
بيضاء باكرها النعيم كأنّها ... قمر توسط جنح ليل أسود

2 تقصد : تذهب مذهب الاعتدال .

3 ديوان مجنون ليلى : 270 .

4 أعنيها : أحملها العناء .

5 ديوان مجنون ليلى : 289 .

اللهُ يعلـم أنّ النفسَ هالكـــةٌ باليـأسِ منـكِ ولكنّي أُعَنّيها

وأنشدها الأبيات ؛ فبكت بكاءً طويلاً ثم قالت : أبلِغْهُ السلام وقُل له : [من البسيط]

نفسي فداؤكَ ، لو نفسي ملكتُ إذاً مـا كان غيرُك يَجْزِيها ويُرضِيها

صبراً على ما قضاه الله فيكَ على مرارةٍ في اصطباري عنـكَ أُخفيها

قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشيّاً عليه ، ثم أفاق وهو يقول : [من الوافر]

عَجِبتُ لعُروةَ العُذْرِيّ أضحى أحاديثـاً لقـومٍ بعد قـومِ

وعروةُ مات موتـاً مُسْتَريحاً وها أنـا ميّـتٌ في كلِّ يومِ

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبي نصر للمجنون[1] : [من الطويل]

صوت

أيا زينـةَ الدنيـا التي لا ينالُها مُنايَ ولا يبدو لقلبـي صَرِيمُها

بعيني قَـذاةٌ من هواكِ لَـوَ آنّها تُداوَى بمن تَهوى لصحّ سقيمُها

وما صَبَرَتْ عن ذكرِك النفسُ ساعةً وإن كنتُ أحيانـاً كثيراً ألومُها

[سأل أبو المجنون رجلاً أن يبلغه أنّ ليلى تشتمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن ابن الكلبيّ قال : سأل الملوّح أبو المجنون رجلاً قَدِمَ من الطائف أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبرَه أنّه لقي ليلى وجلس إليها ، ووصف له صفات منها ومن كلامها يعرفها المجنون ، وقال له : حَدِّثه بها ، فإذا رأيتَه قد اشرأبّ لحديثك واشتهاه فعرِّفه أنّك ذكرتَه لها ووصفتَ ما به فشتَمَتْه وسبّته ، وقالت : إنّه يكذب عليها ويُشهِّرُها بفعله ، وإنّها ما اجتمعت معه قطّ كما يصفُ ؛ ففعل الرجل ذلك ، وجاء إليه فأخبره بلقائه إيّاها ؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها ، فيخبره بما أمره به الملوّح ، فيزداد نشاطاً ويثوب إليه عقله ، إلى أن أخبره بسبّها إيّاه وشتمِها له ؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لِما حكاه عنها[2] : [من الطويل]

1 ديوان مجنون ليلى 252–253 .

2 ديوان مجنون ليلى : 85 .

صوت

تمرّ الصَّبا صَفْحاً بساكن ذي الغَضَا ... ويَصدَعُ قلبـي أن يَهُبَّ هُبُوبُها
إذا هبَّـتِ الريحُ الشَّمالُ فإنّمـا ... جـوايَ بما تُهـدِي إليّ جَنُوبُها
قريبـةُ عهـدٍ بـالحبيبِ وإنّمـا ... هَـوى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها
وحسبُ الليالي أن طَرَحْنَكَ مَطْرَحاً ... بدار قِلـىً تُمسِي وأنتَ غَرِيبُها
حـلالٌ لِلَيْلى شتمُنـا وانتقاصُنا ... هنيئـاً ومغفـورٌ لَلَيْـلى ذُنُوبُها

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ الغناء في هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته . وفيه لمتيَّم غِناءٌ يُنسب . وذكر الهيثم بن عديّ أنّ المجنون قال ، وفيه غناء[1] : [من الطويل]

صوت

كأن لم تكن لَيْلى تُزارُ بِذي الأَثْلِ ... وبالجِزْعِ من أجزاع وَدّانَ فالنخلِ
صديقٌ لنا فيما نَـرى غير أنّـها ... تَـرى أنّ حبّي قد أحلَّ لها قَتلي

[وصف رجل المجنون لليلى فبكت]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن عثمان بن عمارة بن حُريم عن أشياخ من بني مُرَّة قالوا : خرج منّا رجلٌ إلى ناحيةِ الشام والحجاز وما يلي تَيماءَ والسَّراةَ وأرضَ نجد ، في طلب بُغيةٍ له ، فإذا هو بخيمة قد رُفعت له وقد أصابه المطرُ فعدَل إليها وتنحنح ، فإذا امرأةٌ قد كلّمته فقالت : انزل ، فنزل . قال وراحت إبلُهم وغنمُهم فإذا أمرٌ عظيم ، فقالت : سَلُوا هذا الرجل من أين أقبل ؛ فقلت : من ناحية تِهامة ونجد ؛ فقالت : ادخل أيّها الرجل ، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة ، فأرخَتْ بيني وبينها سِتراً ثم قالت لي : يا عبد الله ، أيّ بلاد نجدٍ وطِئتَ ؟ فقلت : كلّها ؛ قالت : فبِمنْ نزلتَ هناك ؟ قلت : ببني عامر ؛ فتنفَّست الصُّعداء ثم قالت : فبأيّ بني عامر نزلت ؟ فقلت : ببني الحَرِيش ؛ فاستعبرَتْ ثم قالت : فهل سمعت بذكر فتًى منهم يقال له : قيس بن الملوّح ويلقّب بالمجنون ؟ قلتُ : بلى والله ، وعلى أبيه نزلتُ ، وأتيتُه فنظرتُ إليه يهيم في تلك الفيافي ، ويكون مع الوحش لا يعقل [ولا يفهم] إلاّ أن تُذكر له امرأة يقال لها ليلى ، فيبكي ويُنشِد أشعاراً قالها فيها . قال : فرفَعَتِ السترَ بيني وبينها ، فإذا فِلْقةُ قمرٍ لم تَرَ عيني مثلَها ، فبكتْ حتى ظننتُ ، والله ، أنّ قلبها قد انصدعَ ، فقلتُ : أيّتها المرأة ، اتّقي اللهَ فما قلتُ بأساً ،

1 ديوان مجنون ليلى : 233 .

فمكثتْ طويلاً على تلك الحال من البكاء والنحيب ثم قالت : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعري والخُطُوبُ كثيرةٌ متى رَحْـلُ قيسٍ مُسْتقِلٌّ فراجعُ

بنفسيَ مَـنْ لا يستقلّ برَحْلِـــه ومَنْ هـو إن لم يَحفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكت حتى سقطت مغشيّاً عليها ، فقلت لها : مَنْ أنتِ يا أمَةَ اللهِ ؟ وما قصّتُكِ ؟ قالت : أنا ليلى [صاحبته] المشؤومة والله عليه غيرُ المؤنسة له ؛ فما رأيت مثلَ حزنها ووجدها عليه قطّ .

[خبر شيخ من بني مرّة لقى المجنون وشهده ميتاً في واد]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا : حدّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة ، وأخبرني عثمان عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن لَقِيط ، وحدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثم بن عديّ عن عثمان بن عمارة ، وذكر أبو نصر أحمد بن حاتم صاحب الأصمعيّ وأبو مسلم المُستَمْلي عن ابن الأعرابيّ ، يزيد بعضهم على بعض ، أنّ عثمان بن عمارة المرّي أخبرهم أنّ شيخاً منهم من بني مرّة حدّثه أنّه خرج إلى أرض بني عامر ليلقى المجنون ، قال : فدُلِلْتُ على مَحَلّته فأتيتُها ، فإذا أبوه شيخ كبير وإخوة له رجال ، وإذا نَعَمٌ كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ ، فسألتُهم عنه فاستعبروا جميعاً ، وقال الشيخ : والله لهو كان آثَر في نفسي من هؤلاء وأحبَّهم إليّ ؛ وإنّه هَوِيَ امرأةً من قومه ، والله ما كانت تَطمعُ في مثله ، فلمّا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره ، فذهب عقلُ ابني ولَحِقَه خَبَلٌ وهام في الفَيافِي وَجْداً عليها ، فحبسناه وقيَّدناه ، فجعل يَعَضّ لسانه وشفَتَيه حتى خِفْنا [عليه] أن يقطعَها فخلّينا سبيلَه ، فهو يهيم في [هذه] الفيافي مع الوحوش يُذْهَب إليه كلّ يوم بطعامه فيوضَع له حيث يراه ، فإذا تنحَّوْا عنه جاء فأكلَ منه . قال : فسألتُهم أن يَدُلّوني عليه ، فدَلّوني على فتًى من الحيّ كان صديقاً له وقالوا : إنّه لا يأنسُ إلاّ به ولا يأخذ أشعاره عنه غيره ، فأتيتُه فسألته أن يدُلّني عليه ؛ فقال : إن كنتَ تريد شِعرَه فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمس عندي ، وأنا ذاهب إليه غداً فإن كان قال شيئاً أتيتُك به ؛ فقلت : بل أريد أن تَدُلَّني عليه لآتيه ؛ فقال لي : إنّه إن نفَر منك نفر منّي فيذهب شِعره ، فأبيت إلاّ أن يدُلّني عليه ؛ فقال : اطلبه في هذه الصحارى فإذا رأيته فآدنُ منه مستأنساً ولا تُرِه أنّك تهابُه ، فإنّه يتهدّدكَ ويتوعّدك أن يرميك بشيء ، فلا يَرُوعنّك واجلِس صارفاً بصرك عنه والحظه أحياناً ، فإذا رأيته قد سكن من نِفاره فأنشِده شعراً غَزَلاً ، وإن كنت تروي من شعر قيس بن ذريح شيئاً فأَنشِدْه إيّاه فإنّه معجب به ؛ فخرجت فطلبتُه يومي إلى العصر فوجدته جالساً على رمل قد خطَّ فيه بإصبعه خطوطاً ، فدنوتُ منه غير منقبضٍ ، فنفر منّي نفورَ الوحش من الإنس ، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجراً فأعرضت عنه ، فمكث

ساعة كأنّه نافرٌ يريد القيام ، فلمّا طال جلوسي سكن وأقبل يخطّ بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلت : أحسن والله قيسُ بن ذَرِيح حيث يقول[1] : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّني بعلمك في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِر بشيءٍ علمتَه فلا طِرْتَ إلاّ والجناحُ كسيرُ
ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبكَ فيهمُ كما قد تَراني بالحبيب أدورُ

فأقبل عليّ وهو يبكي فقال : أحسنَ والله ، وأنا أحسنُ منه قولاً حيث أقول : [من الوافر]

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هُنيهةً ، ثم أقبلت عليه فقلت : وأحسنَ واللهِ قيس بن ذريح حيث يقول : [من الطويل]

وإنّي لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَيَّ بالبكا حِذاراً لِما قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاكَ بليلةٍ فراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكون مَنِيّتِي بكفّيكِ إلاّ أن مَنْ حانَ حائِنُ

قال : فبكى ، والله حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضت ، وحتى رأيتُ دموعَه قد بلّتِ الرمل الذي بين يديه ، ثم قال : أحسنَ لَعَمرُ الله ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول[2] : [من الطويل]

صوت

وأدْنيتِني حتى إذا ما سَبَيتِني بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ
تناءَيْتِ عنّي حينَ لا لِيَ حيلةٌ وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانحِ

ويروى : «وغادَرْتِ ما غادَرْتِ . . .» ، ثم سنحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدُو خلفَها حتى غاب عنّي وانصرفتُ ، وعُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ كانت تصنع له طعامه إلى الطعام فوجدَتْه بحاله ، فلمّا كان في اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهله معي فطلبناه يومنا فلم نَجده ، وغَدَونا في اليوم الرابع نَسْتَقْرِي أثرَه حتى وجدناه في وادٍ كثير الحجارة خَشِنٍ ، وهو ميّتٌ بين تلك الحجارة ، فاحتمله أهله فغسّلوه وكفّنوه ودفنوه .

[الحزن على المجنون وندم أبي ليلى]

قال الهيثم : فحدّثني جماعة من بني عامر : أنّه لم تبقَ فتاةٌ من بني جعدة ولا بني الحَريش

1 ديوان مجنون ليلى : 262 مع اختلاف في الترتيب واللفظ .
2 ينسب هذان البيتان أيضاً لكثير (انظر ديوانه : 586 وديوان مجنون ليلى : 94) .

إلاّ خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندبه ؛ واجتمع فتيان الحيّ يبكون عليه أحرَّ بكاء ، ويَنشِجون عليه أشدّ نشيج ، وحضرهم حيُّ ليلى مُعزِّين وأبوها معهم فكان أشدّ القوم جزعاً وبكاءً عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أنّ الأمر يبلغ كلَّ هذا ، ولكنّي كنتُ امرءاً عربيّاً أخاف من العار وقُبح الأُحدوثة ما يخافه مثلي ، فزوّجتُها وخرجت عن يدي ، ولو علمتُ أنّ أمره يجري على هذا ما أخرجتُها عن يده ولا احتملتُ ما كان عليّ في ذلك . قال : فما رُئِيَ يومٌ كان أكثر باكيةً وباكياً على ميّتٍ من يومئذٍ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[منها] الصوت الذي أوّله : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّني بعلمِكَ في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

الغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لحَكَم . وفي رواية ابن الأعرابيّ أنّه أنشده مكان :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِّنِي بعلمِكَ في لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

صوت

[من الطويل]

ألا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخْبِري بخيرٍ كما خَبَّرْتَ بالنأيِ والشَّرِّ
وخبّرتَ أن قد جَدّ بَيْنٌ وقَرَّبُوا جِمالاً لبينٍ مُثْقَلاتٍ من الغَدْرِ
وهِجتَ قذَى عينٍ بلُبْنَى مريضةٍ إذا ذُكِرَتْ فاضَتْ مدامعُها تجرِي
وقلتَ كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

الشعر لقيس بن ذَريح ، والغناء لابن جامع ، ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لبَحْرٍ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لدَحمان ثاني ثقيل عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى .

ومنها الصوت الذي أوّله : [من الوافر]

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدى بلَيْلى العامريّةِ أو يُراحُ

ومنها الصوت الذي أوّله : [من الطويل]

وأدنيتِني حتى إذا ما سبيتِني بقولٍ يُحِلّ العُصْمَ سهلَ الأباطِحِ

الغناء لإبراهيم ، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ .

[بكاء أبي ليلى على المجنون]

أخبرنا الحسين بن القاسم الكوكَبيّ قال حدّثنا الفَضْل الرَّبعيّ عن محمد بن حبيب قال : لمّا مات مجنون بني عامر وُجد في أرض خشنة بين حجارة سُود ، فحضر أهله وحضر معهم أبو ليلى ، المرأة التي كان يهواها ، وهو متذمّم من أهله ، فلمّا رآه ميتاً بكى واسترجع وعلم أنّه قد شَرِكَ في هلاكه ، فبينما هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرقةً فيها مكتوبٌ : [من الطويل]

أَلا أيُّها الشيخُ الذي ما بنا يرضَى شَقِيتَ ولا هُنِّيتَ من عَيشِكَ الغَضّا
شَقِيـــتَ كما أشقيتَني وتركتَنِـــي أهِيمُ مع الهُـلاّكِ لا أَطْعَمُ الغَمْضا

صوت

[من الطويل]

كأنّ فؤادي في مخالبِ طائـرٍ إذا ذُكِرَتْ لَيْلى يَشُدُّ به قَبْضا
كأنّ فِجاجَ الأرضِ حَلْقةُ خاتَمٍ عليّ فما تزدادُ طُولاً ولا عَرْضا

في هذين البيتين رمل ينسب إلى سليم وإلى ابن محرز ، وذكر حبشٌ والهشاميّ أنّه لإسحاق .

[عوتب على التغنّي بالشعر]

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثني أبو سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حَبيب قال حدّثني بعض القُشَيريِّين عن أبيه قال : مررتُ بالمجنون وهو مُشرِفٌ على وادٍ في أيّام الربيع ، وذاك قبل أن يختلط ، وهو يتغنّى بشعر لم أفهمه ، فصِحتُ به : يا قيس ، أما تشغَلُك ليلى عن الغناء والطرب ؟ فتنفّس تنفُّساً ظننت أنّ حيازيمَه قد انقدّتْ ، ثم قال : [من الطويل]

صوت

ومـا أُشرِفُ الأيْفاعَ إلاّ صَبابـةً ولا أُنشِدُ الأشعـارَ إلاّ تَـداوِيا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتَين بعـد ما يظنّانِ جَهـدَ الظـنِّ أن لا تلاقِيا
لحَـى اللهُ أقوامـاً يقولـون إنّني وجدتُ طَوالَ الدّهر للحبِّ شافِيا

[التقاؤه بقيس بن ذريح]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس قال : اجتاز قيس بن ذريح بالمجنون وهو جالس وحده في نادي قومه ، وكان كلّ واحد منهما مشتاقاً إلى لقاء الآخر ، وكان المجنون قبل توحُّشه لا يجلس إلاّ مُنفرداً ولا يُحدِّث أحداً ولا يردّ على

متكلّم جواباً ولا على مُسلّم سلاماً ، فسلّم عليه قيس بن ذريح فلم يردّ عليه السلام ؛ فقال له : يا أخي ، أنا قيس بن ذريح ؛ فوثب إليه فعانقه وقال : مرحباً بك يا أخي ، أنا والله مذهوبٌ بي مُشترَكُ اللب فلا تلُمني ، فتحدّثا ساعة وتشاكيا وبكيا ، ثم قال له المجنون : يا أخي ، إنّ حيَّ ليلى منا قريب ، فهل لك أن تمضي إليها فتبلّغها عنّي السلام ؟ فقال له : أفعل . فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلّم وانتسب ؛ فقالت له : حيّاكَ الله ، ألكَ حاجة ؟ قال : نعم ، ابن عمِّك أرسلني إليك بالسلام ؛ فأطرقت ثم قالت : ما كنتَ أهلاً للتحيّة لو علمتُ أنّك رسوله ، قل له عنّي : أرأيت قولك : [من الطويل]

أبَتْ ليلةٌ بالغَيلِ يـا أمّ مالكٍ لكم غيرَ حبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ[1]

ألا إنّما أبقيـتِ يا أمَّ مـالكٍ صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

أخبرني عن ليلة الغَيْل ، أيُّ ليلة هي ؟ وهل خلوتُ معكَ في الغَيل أو غيره ليلاً أو نهاراً ؟ فقال لها قيس : يا ابنة عمّ ، إنّ الناس تأوّلوا كلامه على غير ما أراد ، فلا تكوني مثلهم ، إنّما أخبر أنّه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبت بقلبه ، لا أنّه عَناكِ بسوء ؛ قال : فأطرقت طويلاً ودموعها تَجري وهي تكفكفها ، ثم انتحَبَت حتى قلتُ تقطّعت حيازِيمُها ، ثم قالت : اقرأ على ابن عمِّي السلام ، وقل له : بنفسي أنتَ ، والله إنّ وجدي بك لفوقِ ما تجدُ ، ولكن لا حيلة لي فيك ؛ فانصرف قيسٌ إليه ليخبره فلم يجده .

[رأى ليلى فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهرُويَهْ قال حدّثني عمّي عن ابن الصَّباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : مرّ المجنون بعد اختلاطه بليلى [وهي] تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويل ، فلمّا رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيّاً عليه ، فانصرفت خوفاً من أهلها أن يلقَوها عنده ، فمكث كذلك ملياً ثم أفاق وأنشأ يقول : [من الوافر]

بكى فرحاً بلَيْلى إذ رآها محبٌّ لا يرى حَسَناً سواها

لقد ظفِرَتْ يداه ونال مُلكاً لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكيّ رمل بالبنصر . وفيه لعَريب ثقيل أوّل عن الهشاميّ . وفيه خفيف رمل ليزيد حوراء . وقد نُسِبَ لحنُه إلى ابن المكيّ ولحن ابن المكّي إليه .

---

1 الغيل : واد لبني جعدة .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من الرمل]

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندَنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزّلالِ
عَصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

الشعر لعديّ بن زيد العِباديّ ، والغناء لابن مُحْرز ، ولحنه المختار خفيف [رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيف رمل] آخر بالبنصر ابتداؤه نشيد ذكر عمرو بن بانة أنّه لابن طنبورة ، وذكر أحمد بن المكّي أنّه لأبيه . وهذه الأبيات قالها عديّ بن زيد العباديّ على سبيل الموعظة للنُّعمان بن المنذر ، فيقال : إنّها كانت سبب دخوله في النصرانية .

[عظة عديّ بن زيد للنعمان بن المنذر]

حدّثني بذلك أحمد بن عِمران المؤدّب قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : خرج النعمان بن المنذر إلى الصيد ومعه عديُّ بن زيد فمرّوا بشجرةٍ ، فقال له عديّ بن زيد : أيُّها الملك ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : لا ، قال تقول : [من الرمل]

رُبَّ ركبٍ قد أناخُوا عندنا يشربون الخمرَ بالماءِ الزُّلالِ
عصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

قال : ثم جاوز الشجرة فمرّ بمقبرةٍ ، فقال له عديّ : أيّها الملك ، أتدري ما تقول هذه المقبرة ؟ قال : لا ، قال تقول : [من مجزوء الرمل]

أيُّهـا الركبُ المُخِبّو نَ على الأرضِ المُجِدّون
فكمـا أنتـمُ كُنّـا وكما نحـن تكونـون

فقال له النعمان : إنّ الشجرة والمقبرة لا يتكلّمان ، وقد علمتُ أنّك إنّما أردتَ عِظَتِي ، فما السبيلُ التي تُدرَكُ بها النجاة ؟ قال : تدعُ عبادة الأوثان وتعبدُ الله وتدينُ بدين المسيح عيسى بن مريم ؛ قال : أَوَفي هذا النجاةُ ؟ قال : نعم ، فتنصّر يومئذٍ . وقد قيل : إنَّ هذه القصّة كانت لعديّ مع النعمان الأكبر بن المنذر ، وإنّ النعمان الذي قتله هو ابن المنذر بن النعمان الأكبر الذي تنصّر . وخبر هذا يأتي مع أحاديث عديّ .

[11] ـ ذكر عديّ بن زيد ونسبه وقصّته ومقتله[1]

[نسبه]

هو عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيُّوب بن محروف بن عامر بن عُصَيَّة بن امرىء القيس بن زيد مَناة بن تميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وكان أيّوب هذا فيما زعم ابن الأعرابيّ أوّل مَن سُمِّيَ من العرب أيّوب ، شاعرٌ فصيحٌ من شعراء الجاهليّة ، وكان نصرانيّاً وكذلك كان أبوه وأمّه وأهلُه .

[عديّ بن زيد لا يعدّ في فحول الشعراء]

وليس ممّن يُعدّ في الفحول ، وهو قرويّ . وكانوا قد أخذوا عليه أشياء عِيب فيها . وكان الأصمعيّ وأبو عبيدة يقولان : عديُّ بن زيد في الشعراء بمنزلة سُهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها مَجراها . ومثله كان عندهم أُميّة بن أبي الصَّلت ، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين[2] الكُمَيت والطِّرِمَّاح . قال العجّاج : كانا يسألاني عن الغريب فأُخبرهما به ، ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير مواضعه ؛ فقيل له : ولم ذاك ؟ قال : لأنّهما قَرَوِيّان يَصِفان ما لم يَرَيا فيضعانه في غير موضعه ، وأنا بدويّ أصِفُ ما رأيتُ فأضَعُه في مواضعه . وكذلك عندهم عديٌّ وأُميَّةُ .

[سبب نزول آل عديّ الحيرة]

قال ابن الأعرابيّ فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عنه وعن هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : سبب نزول آل عَدِيّ بن زيد الحِيرة أنّ جدَّه أيوب بن محروف كان منزله اليمامة في بني امرىء القيس بن زيد مناة ، فأصاب دماً في قومه فهرب فلَحِق بأَوْس بن قَلاَّمٍ أحد بني الحارث بن كعب بالحيرة . وكان بين أيّوب بن محروف وبين أوس بن قلاّمٍ هذا نسبٌ من قِبَل النساء ، فلمّا قدِم عليه أيّوب بن محروف أكرمه وأنزله في داره ، فمكث معه ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنّ أوساً قال له : يا ابن خالِ ، أتريد المُقام عندي

---

1 ترجمة عدي بن زيد في طبقات فحول الشعراء : 140–142 والشعر والشعراء : 150–156 ومعاهد التنصيص 1 : 315–323 وخزانة الأدب 3 : 348–356 والموشح : 532–534 ومعجم المرزباني : 80 ومعجم الأدباء والوافي للصفدي 19 : 530 تحقيق د . رضوان السيد : 1203 وصفحتان أخرى (انظر الفهرست) وشعراء النصرانية للويس شيخو ومقدّمة ديوانه صنعة محمد جبار المعيبد ، بغداد 1965 (ولبعضه أصل مخطوط) .

2 ل : في الإسلام .

وفي داري ؟ فقال له أيّوب : نعم ، فقد علمت أنّي إن أتيتُ قومي وقد أصبتُ فيهم دماً لم أسْلم ، وما لي دارٌ إلاّ دارُكَ آخرَ الدهر ؛ قال أوس : إنّي قد كبِرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يعرِفُ ولدي لك من الحقّ مثلَ ما أعرِفُ ، وأخشى أن يقع بينك وبينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ ، فانظر أحبَّ مكانٍ في الحيرة إليكَ فأعلِمني به لأُقْطِعَكه أو أبتاعه لك ؛ قال : وكان لأيّوب صديقٌ في الجانب الشرقيّ من الحيرة ، وكان منزلُ أَوْسٍ في الجانب الغربيّ ، فقال له : قد أحببتُ أن يكون المنزل الذي تُسكِنُنِيه عند منزل عصام بن عبدة أحد بني الحارث بن كعب ؛ فابتاع له موضع داره بثلثمائة أُوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتي أوقية ذهباً ، وأعطاه مائتين من الإبل برعائِها وفرساً وقَيْنةً ؛ فمكث في منزل أوس حتى هلك ، ثم تحوّل إلى داره التي في شرقيّ الحيرة فهلك بها . وقد كان أيّوب اتّصل قبل مهلَكه بالملوك الذين كانوا بالحيرة وعرفوا حقّه وحقّ ابنه زيد بن أيّوب ، وثبت أيوب فلم يكن منهم ملكٌ يملِك إلاّ ولِولد أيوب منه جوائز وحُملان[1] .

[مقتل زيد بن أيوب]

ثم إنّ زيد بن أيوب نكح امرأة من آل قَلاَّم فولدت له حمّاداً ، فخرج زيد بن أيوب يوماً من الأيّام يريد الصيد في ناس من أهل الحيرة وهم مُنتدون[2] بِحَفيرٍ ، المكان الذي يذكره عديّ بن زيد في شِعره ؛ فانفرد في الصيد وتباعد من أصحابه ، فلقيه رجلٌ من بني امرىء القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه ، فقال له ، وقد عَرَفَ فيه شَبَهَ أيوب : ممَّن الرجل ؟ قال : من بني تميم ، قال : من أيّهم ؟ قال : مَرَئيّ[3] ؛ قال له الأعرابيّ : وأين منزلك ؟ قال : الحيرة ؛ قال : أمن بني أيوب أنت ؟ قال : نعم ، ومن أين تعرف بني أيّوب ؟ واستوحش من الأعرابيّ وذكر الثأر الذي هرب أبوه منه ؛ فقال له : سمعتُ بهم ، ولم يُعلِمه أنّه قد عرفه ؛ فقال له زيد بن أيوب : فمن أيّ العرب أنت ؟ قال : أنا امرؤٌ من طيىء ؛ فأمِنه زيد وسكتَ عنه ، ثم إنّ الأعرابيّ اغتفل[4] زيد بن أيّوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيه ففلَقَ قلبه ، فلم يَرِم حافر دابته حتى مات ؛ فلبِث أصحابُ زيد حتى إذا كان الليل طلبوه وقد افتقدوه وظنُّوا أنّه قد أمعن في طلب الصيد ، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه ، ثم غَدَوا في طلبه فاقتَفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ورأوا معه أثر راكب يُسايره فاتبعوا الأثر حتى وجدوه قتيلاً ، فعرفوا أنّ صاحب الراحلة قتله ، فاتبعوه وأغَذُّوا السير فأدركوه مساءَ الليلة الثانية ، فصاحوا به وكان من أرمَى الناس فامتنع منهم بالنَّبْل حتى حال الليل

---

1 الحملان : دواب الحمل .

2 ل : وهم متبدون . ومنتدون أي مجتمعون .

3 نسبة إلى امرىء القيس .

4 اغتفله : انتهز منه غفلة .

بينهم وبينه وقد أصاب رجلاً منهم في مَرْجعِ[1] كتفَيه بسهم فلمّا أجنَّه الليل مات وأفلت الرامي ، فرجعوا وقد قَتل زيد بن أيوب ورجلاً آخر معه من بني الحارث بن كعب .

[تولي حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر]

فمكث حماد في أخواله حتى أيفع ولحِق بالوُصفاء ؛ فخرج يوماً من الأيّام يلعب مع غلمان بني لحيان فلَطَم اللِّحيانيُّ عين حماد فشجّه حمّادٌ ، فخرج أبو اللحيانيّ فضرب حمّاداً ، فأتى حمّادٌ أُمَّه يبكي ، فقالت له : ما شأنك ؟ فقال : ضربني فلان لأنّ ابنه لطمني فشججتُه ، فجزِعَت من ذلك وحوّلته إلى دار زيد بن أيوب وعلّمته الكتابة في دار أبيه ، فكان حمّاد أوّل من كتب من بني أيّوب ، فخرج من أكتب الناس وطُلِبَ حتى صار كاتبَ الملكِ النُّعمان الأكبر ، فلبِث كاتباً له حتى وُلد له ابن من امرأة تزوّجها من طيىء فسمّاه زيداً باسم أبيه .

[سبب اتصال زيد بن حماد بكسرى]

وكان لحمّاد صديق من الدَّهاقين[2] العظماء يقال له فرّوخ ماهان ، وكان مُحسناً إلى حمّاد ، فلمّا حضرَت حمّاداً الوفاة أوصى بابنه زيدٍ إلى الدِّهقان ، وكان من المَرازِبة[3] ، فأخذه الدِّهقان إليه فكان عنده مع ولده ، وكان زيدٌ قد حذَق الكتابة والعربية قبل أن يأخذه الدِّهقان ، فعلَّمه لمّا أخذه الفارسيّة فَلقِنَها ، وكان لَبِيباً فأشار الدِّهقان على كِسرى أن يَجعله على البريد في حوائجه ، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلاّ بأولاد المرازبة ، فمكث يتولّى ذلك لكِسرى زماناً .

[تمليك زيد بن حماد على الحيرة]

ثم إنّ النُّعمان النَّصريّ اللَّخميّ هلكَ ، فاختلف أهلُ الحيرة فيمن يُمَلّكونه إلى أن يعقِد كِسرى الأمر لرجل يُنَصِّبُه ، فأشار عليهم المرزبان بزيد بن حمّاد ، فكان على الحيرة إلى أن مَلَّكَ كِسْرى المُنْذِر بن ماء السماء ونكح زيد بن حمّاد نعمة بنت ثعلبة العَدَوِيّة فولدت له عَدِيّاً ، وملك المنذر وكان لا يعصيه في شيء ، ووُلد للمرزبان ابن فسمّاه «شاهانْ مَرْد» .

[تعلم عديّ بن زيد الكتابة والكلام بالفارسية]

فلمّا تحرّك عديُّ بن زيد وأيفع طرَحَه أبوه في الكُتّاب ، حتى إذا حَذَقَ أرسله المرزبان مع ابنه «شاهان مَرْد» إلى كُتّاب الفارسية ، فكان يختلِف مع ابنه ويتعلّم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعر ، وتعلّم الرمي

---

1 مرجع الكتف : الجانب السفلي منه .

2 الدهاقين وهو جمع دهقان ، وهو رئيس القرية .

3 المرازبة : جمع مرزبان (Satrap) قائد منطقة حدوديّة . والٍ على منطقة ثغرية (حدوديّة) .

بالنُّشّاب فخرج من الأساورة[1] الرُّماة ، وتعلَّم لِعْبَ العجم على الخيل بالصَّوالجة[2] وغيرها .

[اتصاله بكسرى وتوليه الكتابة في ديوانه]

ثم إنّ المرزبان وفَد على كِسرى ومعه ابنه «شاهان مرد» ، فبينما هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعم الذكر والأنثى بجعل كلّ واحد منقاره في منقار الآخر ، فغضِب كسرى من ذلك ولحِقَته غَيرة ، فقال للمرزبان وابنه : لِيَرمِ كلُّ واحد منكما واحداً من هذين الطائرين ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيت المال وملأت أفواهكما بالجوهر ، ومَن أخطأ منكما عاقبته ؛ فاعتمد كلُّ واحد منهما طائراً منهما ورَمَيا فقتلاهما جميعاً ، فبعثهما إلى بيت المال فمُلئت أفواههما جوهراً ، وأثبت «شاهان مرد» وسائر أولاد المرزبان في صَحابته ؛ فقال فرُّوخ ماهان عند ذلك للملك : إنّ عندي غلاماً من العرب مات أبوه وخلَّفه في حِجري[3] فربَّيته ، فهو أفصحُ الناس وأكتبهم بالعربيّة والفارسية ، والملك محتاج إلى مثله ، فإن رأى أن يُثبِته في وَلَدِي فعلَ ؛ فقال : ادعه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد ، وكان جميل الوجه فائق الحُسن ، وكانت الفُرس تتبرّك بالجميل الوجه ، فلمّا كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرهم جواباً ، فرغِب فيه وأثبته مع ولد المرزبان .

[عديّ أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى]

فكان عديّ أوّل من كتب بالعربية في ديوان كِسرى . فرغِب أهلُ الحيرة إلى عديّ ورهِبوه ، فلم يزل بالمدائن في ديوان كسرى يؤذَن له عليه في الخاصّة وهو معجبٌ به قريبٌ منه ، وأبوه زيد بن حمّاد يومئذ حيّ إلاّ أنّ ذِكر عديّ قد ارتفع وخَمَلَ ذكرُ أبيه ، فكان عديّ إذا دخل على المنذر قام جميعُ مَن عنده حتى يقعد عديّ ، فعَلا له بذاك صِيت[4] عظيمٌ . فكان إذا أراد المُقام بالحيرة في منزله ومع أبيه وأهله استأذن كسرى فأقام فيهم الشهر والشهرين وأكثر وأقلّ .

[إرسال كسرى له إلى ملك الروم]

ثم إنّ كسرى أرسل عديَّ بن زيد إلى ملِكِ الروم بهديّةٍ من طُرَفِ ما عنده ، فلمّا أتاه عديّ بها أكرمه وحمله إلى عُمّاله على البريد ليُريه سَعةَ أرضه وعظيم[5] مُلكِه ، وكذلك كانوا يصنعون ؛ فمن ثَمَّ وقع عديّ بدمشق ، وقال فيها الشعر . فكان مما قاله بالشام وهي أوّل شعر

---

1 الأساورة جمع أسوار وهو الفارس الحاذق في الرمي .

2 الصوالجة جمع صولجان ، عصا معقوفة ، يلعب بها بالكرة اللاعب وهو على ظهر الفرس (Polo) .

3 ل : وخلّفه عندي .

4 ل : صوت وهي بمعنى «صيت» .

5 ل : وعظم .

قاله فيما ذكر[1] : [من الخفيف]

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجزْعِ مِنْ دُو مَـةَ أشْهى إليّ مِنْ جَيرُونِ[2]
ونَدامَـى لا يَفرحـون بما نـا لُوا ولا يرهَبُون صَرْفَ المَنُونِ
قد سُقِيتُ الشَّمُولَ في دار بِشْرٍ قَهْـوَةً مُـزَّةً بمـاء سَخِينِ

ثم كان أوّل ما قاله بعدها قولُه[3] : [من الرمل]

لِمَـنِ الدارُ تَعفَّتْ بخِيَمْ أصبحَتْ غيَّرَها طولُ القِدَمْ

[وفي غير هذه الرواية لمن الدار تبدت . . . .][4] :

ما تَبِينُ العين مـن آياتهـا غيرَ نُؤْيٍ مثل خـطٍّ بالقَلَمْ
صالحاً قد لفَّها فاستوسَقَتْ لفَّ بازيٍّ حَماماً في سَلَمْ[5]

[تولية أهل الحيرة زيداً أبا عديّ على الحيرة]

قال : وفسد أمرُ الحِيرة وعديّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، لأنّ أهلَ الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتلَه لأنّه كان لا يعدل فيهم ، وكان يأخذ من أموالهم ما يُعجبه ، فلمّا تيقّن أنّ أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبي ، وقد بلغني ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لي في مُلكِكُم ، دونكموه مَلّكوه مَن شئتم ؛ فقال له زيد : إنّ الأمر ليس إليّ ، ولكنّي أُسبُرُ[6] لك هذا الأمر ولا آلُوك نصحاً ، فلمّا أصبح غدا إليه الناس فحَيَّوْه تحيّة الملك ، وقالوا له : ألا تَبعَثُ إلى عبدك الظالِم ، يَعنون المنذر ، فتُريح منه رعيَّتك ؟ فقال لهم : أوَلا خيرٌ من ذلك ! قالوا : أشِرْ علينا ؛ قال : تَدَعُونه على حاله فإنّه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيهِ فأُخبِره أنّ أهل الحيرة قد اختاروا رجلاً يكون أمرُ الحيرة إليه إلاّ أن يكون غزوٌ أو قتالٌ ، فلك اسم المُلك وليس إليك سوى ذلك من الأمور ؛ قالوا : رأيُك أفضل . فأتى المنذر فأخبره بما قالوا ؛ فقَبِل ذلك وفَرح ، وقال : إنّ لك يا زيد عليّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حَقَّ سبد ، وسبد صنم كان لأهل الحيرة ؛ فولّى أهلُ الحيرة زيداً على كلّ شيء سوى اسم المُلك فإنّهم أقرّوه للمنذر . وفي

1 ديوان عدي : 186 ، وانظر معاهد التنصيص 1 : 318 .
2 دومة : قرية من قرى الغوطة . جيرون : دمشق أو أحد أبوابها .
3 ديوان عدي : 73 .
4 زيادة من ل .
5 استوسقت : اجتمعت . السلم : نوع من الشجر .
6 أسبر : أختبر وأتفحّص .

ذلك يقول عديّ : [من الرمل]

نحــن كنّا قــد علِمتُمْ قبلَكُمْ عَمَــدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ[1]

[قدوم عديّ للحيرة وخروج المنذر للقائه]

قال : ثم هلك زيدٌ وابنُه عديّ يومئذٍ بالشام . وكانت لزيدٍ ألفُ ناقةٍ للحَمالات[2] كان أهلُ الحيرة أعطوه إيّاها حين ولَّوْه ما ولَّوْه ، فلمّا هلك أرادوا أخذَها ؛ فبلغ ذلك المنذر ، فقال : لا ، واللاَّت والعُزَّى لا يؤخذ ممّا كان في يد زيدٍ ثُفْرُوقٌ[3] وأنا أسمعُ الصَّوتَ .

ففي ذلك يقول عديّ بن زيد لابنه النُّعمان بن المنذر : [من الرمل]

وأبــوكَ المــرءُ لم يُشْنَأْ بــــه يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسارِ[4]

قال : ثم إنّ عدياً قَدِم المدائن على كسرى بهديَّةٍ قيصَر ، فصادف أباه والمرزبان الذي ربَّاه قد هلكا جميعاً ، فاستأذن كسرى في الإلمام بالحِيرة فأَذِن له فتوجَّه إليها ، وبلغ المنذر خبرُه فخرج فتلقّاه في الناس ورجع معه . وعديّ أنبلُ أهل الحيرة في أنفسهم ، ولو أراد أن يُملّكوه لملّكوه ، ولكنّه كان يُؤْثِرُ الصيد واللّهوَ واللعبَ على المُلك ، فمكث سنين[5] يبدو في فَصْلَي السنة فيقيم في جفير ويشتُو بالحيرة ، ويأتي المدائن في خلال ذلك فيخدُم كسرى ، فمكث كذلك سنين ، وكان لا يؤثر على بلاد بني يَربوع مَبدًى من مَبادي العرب ولا ينزل في حيّ من أحياء بني تميم غيرهم ، وكان أخِلاّؤه من العرب كلِّهم بني جعفر ، وكانت إبله في بلاد بني ضَبَّة وبلاد بني سعد ، وكذلك كان أبوه يفعل : لا يجاوز هذين الحيَّين[6] بإبله .

[زواجه من هند بنت النعمان]

ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي يومئذٍ جاريةٌ حين بلغَتْ أو كادت . وخبرُه يذكر في تزويجها بعد هذا .

قال ابن حبيب وذكر هشام بن الكلبيّ عن إسحاق بن الجَصَّاص وحَمَّاد الراوية وأبي محمد بن السائب قالوا : كان لعديّ بن زيد أخوان : أحدهُما اسمه عَمّار ولقبُه أُبَيّ ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَيّ ، وكان لهم أخ من أمّهم يقال له عديّ بن حنظلة من طيىء ، وكان أُبيّ

---

1 الإصار : طنب الخيمة .

2 الحمالة : الدية .

3 الثفروق : قمع البسرة والثمرة ، يقال للشيء إذا كان تافهاً .

4 لم يشنأ به : لم يواجه بالكراهية . ذو الخسار في ل : بخسار .

5 ل : سنتين .

6 ل : هاتين القبيلتين .

يكون عند كسرى ، وكانوا أهل بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة ، ولهم معهم أُكْلٌ[1] وناحيةٌ ، يُقطِعُونَهم القطائعَ ويُجزِلُونَ صِلاتهم .

[المنذر يعهد بابنه النعمان إلى عديّ]

وكان المنذر لما ملك جعل ابنَه النعمان بن المنذر في حِجر عديّ بن زيد ، فهم الذين أرضعوه وربَّوْه ، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له «الأسود» ، أُمّهُ ماريةُ بنت الحارث بن جُلْهُم من تَيْم الرّباب ، فأرضعه وربّاه قومٌ من أهل الحيرة يقال لهم بنو مَرِينا ينتسبون إلى لَخْمٍ وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ ، وكان وَلَدُه يقال لهم «الأشاهب»[2] من جمالهم ، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة : [من الخفيف]

وبنو المنـذرِ الأشاهبُ في الحِيْـ ـرَةِ يمشونَ غُدْوةً كالسيوفِ

[سعى عديّ بن زيد في ولاية النعمان بن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عديّ بن مرينا]

وكان النعمان من بينهم أحمَرَ أبرش[3] قصيراً ، وأُمّه سَلمى بنت وائل بن عطيَّة الصائغ من أهل فَدَكَ ، فلمّا احتُضِر المنذر وخلَّف أولاده هؤلاء العشرة ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر ، أوصى بهم إلى إياس بن قَبِيصة الطَّائيّ ، وملّكه على الحيرة إلى أن يَرى كِسرى رأيَهُ ، فمكث مُملَّكاً عليها أشهُراً وكسْرى في طلب رجل يُملّكه عليهم ، وهو كسرى بن هُرْمُزَ ، فلم يجد أحداً يَرضاه فضَجِرَ ، فقال : لأبعثنّ إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة ، ولأُمَلّكنَّ عليهم رجلاً من الفُرس ، ولآمرنَّهم أن ينزلوا على العرب في دُورهم ويَملِكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عديُّ بن زيد واقفاً بين يديه ، فأقبل عليه وقال : ويحك يا عديُّ : مَن بقي من آل المنذِر ؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ ؟ فقال : نعم أيّها الملك السعيد ، إنّ في ولد المنذر لبقيّةً وفيهم كلِّهم خيرٌ ؛ فقال : ابعث إليهم فأحضِرْهم ، فبعث عديٌّ إليهم فأحضرهم وأنزلهم جميعاً عنده ، ويقال : بل شَخَص عديّ بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد وأوصاهم ، ثم قَدِم بهم على كسرى . قال : فلمّا نزلوا على عديّ بن زيد أرسل إلى النعمان : لستُ أُملِّكُ غيرك فلا يُوحشَنَّكَ ما أُفَضِّلُ به إخوتَكَ عليك من الكرامة فإنّي إنّما أغترُّهم بذلك ، ثم كان يُفَضِّلُ إخوته جميعاً عليه في النُّزُلِ والإكرام والملازمة ويُرِيهِم تنقُّصاً للنُّعمان وأنّه غير طامعٍ في تمام أمر على يده ، وجعل يخلو بهم رجلاً رجلاً فيقول : إذا أدخلتُكم على المَلِكِ فالبَسُوا أفخر ثيابكم وأجملها ، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطؤوا في الأكل وصَغِّروا اللُّقَمَ ونَزِّرُوا ما تأكلون ، فإذا قال

---

1 أكل : رزق .

2 سمّوا بذلك لبياضهم أو لجمالهم .

3 أبرش : أرقط ، في وجهه بقع بيضاء وأخرى غير ذلك .

لكم : أَتَكْفُونَنِي العربَ ؟ فقولوا : نعم ، فإذا قال لكم : فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد ، أَتَكْفُونَنِيه ؟ فقولوا : لا ، إنّ بعضَنا لا يقدر على بعض ، لِيَهابكم ولا يَطمَعَ في تَفرّقكم ويعلم أنّ للعرب مَنَعةً وبأساً فقَبِلوا منه ؛ وخلا بالنعمان فقال له : البَسْ ثيابَ السفر وادخُل مُتقلِّداً بسيفك ، وإذا جلستَ للأكل فعظِّم اللُّقَمَ وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ في الأكل وتجوَّعْ قبل ذلك ، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الأكل من العرب خاصّةً ، ويَرى أنّه لا خير في العربيّ إذا لم يكن[1] أكولاً شَرِهاً ، ولا سيّما إذا رأى غيرَ طعامه وما لا عَهْد له بمثله ، وإذا سألكَ هل تكفِيني العربَ ؟ فقل : نعم ، فإذا قال لك : فَمنْ لي بإخوتكَ ؟ فقل له : إن عجزتُ عنهم فإنّي عن غيرهم لأَعْجَزُ . قال : وخلا ابنُ مَرينا بالأَسْود فسأله عمّا أوصاه به عديّ فأخبره ، فقال : غَشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ وما نَصَحَك ، ولئن أطَعتَنِي لتُخالفنَّ كلَّ ما أَمركَ به ولتُملِّكنّ ، ولئن عصيتَني ليُملِّكَنّ النعمان ولا يغرنَّك ما أراكَه من الإكرام والتفضيل على النعمان ؛ فإنّ ذلك دهاء فيه ومكر ، وإنّ هذه المَعَدِّيَّة لا تخلو من مكرٍ وحيلةٍ ؛ فقال له : إنّ عدياً لم يألُني نصحاً وهو أعلم بكِسرى منك ، وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد عليّ وهو جاء بنا ووصَفَنا وإلى قوله يرجع كسرى ؛ فلمّا أَيِسَ ابنُ مَرينا من قبوله منه قال : ستعلمُ . ودعا بهم كسرى ، فلمّا دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ورأى رجالاً قلَّما رأى مثلَهم ، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عديّ ، فجعل ينظر إلى النعمان من بينهم ويتأمّلُ أكله ، فقال لعديّ بالفارسية : إن يكن في أحد منهم خيرٌ ففي هذا ، فلما غسلوا أيديهم جعل يدعو بهم رجلاً رجلاً فيقولُ له : أتكفِيني العربَ ؟ فيقول : نعم أكْفِيكَها كلَّها إلاّ إخوتي ، حتى انتهى إلى النعمان آخرهم فقال له : أتكفيني العربَ ؟ قال : نعم ؛ قال : كلّها ؟ قال : نعم ؛ قال : فكيف لي بإخوتك ؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ ؛ فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجاً قيمته ستّون ألف درهم فيه اللؤلؤ والذهبُ .

[توعد عديّ بن مرينا لعديّ بن زيد]

فلمّا خرج وقد مُلِّك قال ابن مرينا للأسود : دونك عُقْبى خلافِك لي ؛ ثم إنّ عدياً صنع طعاماً في بِيعةٍ وأرسل إلى ابن مرينا أن ائتِني بمن أحببتَ فإنّ لي حاجة ، فأتى في ناس فتغدَّوْا في البِيعة ؛ فقال عديُّ بن زيد لابن مرينا : يا عديّ ، إنّ أحقَّ مَن عرفَ الحقَّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلكَ ، وإنّي قد عرفتُ أنّ صاحبَك الأسودَ بن المنذر كان أحبّ إليك أن يُملِّك من صاحبي النعمان ، فلا تلُمني على شيء كنتَ على مثله ، وأنا أُحِبُّ ألاّ تَحقِدَ عليّ شيئاً لو قدَرتَ عليه ركبتَه ، وأنا أُحِبُّ أن تُعطِيني من نفسك ما أُعطيكَ من نفسي ، فإنّ نصيبي في

1 ل : إلاّ أن يكون . .

هذا الأمر ليس بأوفر من نصيبك ؛ وقام إلى البيعة فحلف ألاّ يَهجوه أبداً ولا يَبغِيَه غائلةً ولا يَزْوِيَ عنه خيراً أبداً . فلمّا فرغ عديُّ بن زيد ، قام عديُّ بن مرينا فحلف مثل يمينه ألاّ يزال يهجوه أبداً ويَبغِيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزل أبيه بالحيرة ، فقال عديُّ بن مرينا لعديّ بن زيد : [من الوافر]

ألا أبلغ عديّاً عن عديٍّ ... فلا تجزَعْ وإن رَثَّتْ قُواكا
هياكلُنا تَبَرُّ لغير فَقْرٍ ... لِتُحمَدَ أو يَتِمَّ به غِناكا
فإن تظفَرْ فلم تظفر حميداً ... وإن تَعطَبْ فلا يَبْعَدْ سِواكا
نَدِمتَ نَدامَةَ الكُسَعِيّ لَمّا ... رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا[1]

[تدبير عديّ بن مرينا المكيدة لعديّ بن زيد]

قال : ثم قال عديُّ بن مرينا للأسود : أما إذا لم تظفَر فلا تعجِزَنَّ أن تطلبَ بثأرك من هذا المَعَدِّيّ الذي فعل بكَ ما فعل ، فقد كنتُ أُخبِركَ أنّ مَعَدّاً لا ينام كيدُها ومكرها وأمرتُكَ أن تَعصِيَه فخالفتَني ؛ قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألاّ تَأتيَكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلاّ عَرَضتَها عليّ ، ففعلَ . وكان ابنُ مرينا كثيرَ المال والضَّيعةِ ، فلم يكن في الدهر يومٌ يأتي إلاّ على باب النعمان هديّةٌ من ابن مرينا ، فصار من أكرمِ الناس عليه حتى كان لا يَقضِي في ملكه شيئاً إلاّ بأمر ابن مرينا ، وكان إذا ذُكِر عديُّ بنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناءَ عليه وشيَّع ذلك بأن يقول : إن عديَّ بن زيد فيه مكر وخديعة ، والمعَدِّيُّ لا يصلح إلاّ هكذا . فلمّا رأى مَن يُطِيفُ بالنعمان منزلةَ ابن مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يَثِق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عديّاً عند الملك بخير فقولوا : إنّه لكذلك ، ولكنّه لا يَسلَم عليه أحدٌ ، وإنّه ليقول : إنّ الملكَ ، يعني النعمان ، عاملُه ، وإنّه هو ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضْغَنوه عليه ، فكتبوا كتاباً على لسانه إلى قَهْرَمانٍ[2] له ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتَوْا به النعمانَ فقرأه فاشتدّ غضبُه ، فأرسل إلى عديّ بن زيد : عزمتُ عليك إلاّ زُرْتَني فإنّي قد اشتقتُ إلى رؤيتك ، وعديٌّ يومئذٍ عند كسرى ، فاستأذَن كسرى فأَذِنَ له .

[حبس النعمان لعديّ بن زيد وما خاطب به عدّي النعمان من الشعر]

فلمّا أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه في محبِسٍ لا يدخل عليه فيه أحدٌ ، فجعل عديٌّ يقول

---

1 الكسعي : رجل من كسع ، كان رامياً ، فرمى عيراً في الظلام فأصابه ، وهو يحسب أنّه أخطأه ، فكسر قوسه ، فلمّا رأى العير مقتولاً ندم ؛ فضرب به المثل في الندامة .

2 القهرمان : الخازن أو الوكيل .

الشعر وهو في الحبس ، فكان أوّل ما قاله وهو محبوس من الشعر[1] : [من الخفيف]

ليتَ شِعْرِي عن الهمام ويأتيـ ـكَ بخُبْرِ الأنباء عطفُ السُّؤَالِ
أين عنّا إخطارُنا المالَ والأنـ ـفُسَ إذ ناهَدُوا لِيـومِ المِحالِ[2]
ونِضالِي في جنبكَ الناسَ يرمُو ن وأَرْمِـي وكُلُّنـا غَيرُ آلِي[3]
فأُصيبُ الذي تُريد بـلا غِشٍّ وأُرْبِـي عليهِـمُ وأُوالِـي
ليتَ أنِّي أخذتُ حَتْفِي بكَفِّيّ ولم ألْـقَ مِيتَـةَ الأَقْتَالِ[4]
مَحَلوا مَحلَهُـمْ لصَرْعَتِنا العا مَ فقد أوقَعُوا الرحَـى بالثِّفالِ[5]

وهي قصيدة طويلة . قالوا : وقال أيضاً وهو محبوس[6] : [من الوافر]

أرِقْـتُ لمكفَهِـرٍّ بـات فيـه بَـوارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤوسَ شِيبِ[7]
تَلُـوحُ المشرَفِيَّـةُ في ذُراه ويجلـو صفحَ دَخدارٍ قَشِيبِ

ويروى : تخالُ المشرفيّةُ . الدخدار : فارسية معرّبة وهو الثوب المصون . يقول فيها : [من الوافر]

سعـى الأعداءُ لا يألون شرّاً عليّ وربِّ مكّـةَ والصلِيبِ
أرادوا كـي تُمهِّلَ عـن عَدِيٍّ ليسجَن أو يُدهْدَه في القَلِيبِ[8]
وكنتُ لِزازَ خَصمِكَ لم أُعَرِّدْ وقد سَلَكوكَ في يومٍ عصيبِ[9]
أُعالِنُهـمْ وأُبطِـنُ كلّ سرٍّ كما بينَ اللحاء إلى العَسِيبِ
فَفُـزْتُ عليهـمُ لَمّـا التَقَينـا بتاجِكَ فوزَةَ القِدْحِ الأَرِيبِ[10]

---

1 الأبيات في ديوانه : 56 (وأكثرها عن الأغاني) .
2 الاخطار للمال والنفس : بذلهما . ناهدوا في الحرب : نهض بعضهم إلى بعض . المحال : (بكسر الميم) : المكر وإعمال الحيلة .
3 غير آلي : غير مقصّر .
4 الأقتال (هنا) الأعداء .
5 الثفال : الجلد يفرَش تحت الرحى ، ويسمّى به أيضاً الحجر الأسفل من الرحى .
6 الشعر في ديوان عدي : 37 .
7 المكفهرّ (هنا) صفة للسحاب . رؤوس شيب : أي رؤوس جبال مبيضّة بما يعلوها من ثلج .
8 يدهده : يدحرج ؛ القليب : البئر .
9 لزاز الخصم : لازم للخصم ؛ لا يعرّد : لا يحيد .
10 القدح : سهم الميسر ؛ الأريب : الفائز .

وما دَهْري بأن كُدِّرتُ فضلاً ... ولكن ما لقيتُ من العَجيبِ[1]
ألا مَـن مُبلِـغُ النعمانِ عنّي ... وقد تُهـدى النَّصيحةُ بالمغِيبِ
أحَظّـي كان سِلْسِلةً وقَيْـداً ... وغُـلاًّ والبيانُ لـدى الطبيبِ
أتـاكَ بأنّني قـد طالَ حبسي ... ولم تَسأم بمسجونٍ حَرِيبِ[2]
وبَيْتِـي مُقْفِـرٌ إلاّ نساءً ... أراملَ قـد هَلَكْنَ من النّحِيبِ
يُبادِرْنَ الدموعَ على عَـديٍّ ... كَشَنٍّ خانَه خَـرْزُ الرَّبيبِ[3]
يُحـاذِرْنَ الوُشاةَ على عـدِيّ ... وما اقترفُوا عليه من الذُّنوبِ
فإنْ أخطأتُ أو أوهمْتُ أمـراً ... فقـد يهِـمُ المصافِي بالحبيبِ
وإن أَظْلِـمْ فقـدٍ عاقَبتُمـوني ... وإن أُظلَـمْ فذلِكَ من نصيبِي
وإن أهلِكْ تجدْ فَقدِي وتُخذَلْ ... إذا التَقتِ العَوالِي في الحروبِ
فهل لـكَ أن تَدارَكَ ما لدينا ... ولا تُغْلَـبْ على الرأي المصيبِ
فإنّي قـد وكَلْتُ اليومَ أمـري ... إلى ربٍّ قريـبٍ مستجيبِ

قالوا : وقال فيه أيضاً[4] : [من الرمل]

طـال ذا الليـلُ علينا واعتكَرْ ... وكأنّي نـاذرُ الصبـحِ سَمَرْ
مِنْ نجـيّ الهـمّ عندي ثاويـاً ... فـوقَ مـا أُعْلِنُ منـه وأُسِرّ
وكأنّ اللّيـلَ فيـه مثلُـه ... ولَقِدْماً ظُـنَّ بالليـلِ القِصَرْ
لم أُغَمِّضْ طولَـه حتى انقضى ... أتمنّى لـو أرى الصُّبحَ جَشَرْ[5]
غير مـا عِشقٍ ولكن طـارقٌ ... خلَسَ النومَ وأجدانِـي السَّهَرْ

وفيها يقول : [من الرمل]

أبلِـغِ النُّعمـانَ عَنِّـي مَـأْلُكاً ... قولَ مَنْ قد خافَ ظَنّاً فاعتذَرْ[6]

---

1 ما دهري بأن كدرت : ما رغبتي بأن أكون كُدّرت .
2 الحريب : المحروب الذي سلب ماله .
3 الشنّ : الجلد الخلق . الربيب : الذي يصلح الشيء ولا يفسده .
4 الديوان : 59 ومنها أبيات في تاريخ الطبريّ 2 : 198 ومعاهد التنصيص 1 : 319 .
5 جشر الصبح : طلع .
6 مألكاً : رسالة .

أنّنِي والله ، فاقبَلْ حَلِفِي ... لأَبِيلٌ كُلَّما صَلَّى جَأَرْ[1]
مُرْعَدٌ أحشاؤه في هَيكَلٍ ... حَسَن لِمتُه وافي الشَّعَرْ
ما حَمَلْتُ الغِلَّ مِنْ أعدائِكم ... ولَدى اللهِ مِنَ العِلْمِ المُسَرّ
لا تكونَنَّ كآسي عَظْمِه ... بأسيً حتى إذا العَظْمُ جَبَرْ[2]
عادَ بعدَ الجَبْرِ يَبْغِي وَهْنَهُ ... يَنْحُوَنَّ المَشيَ مِنه فانكَسَرْ
واذْكُرِ النُّعمى التي لم أنسَها ... لكَ في السَّعي إذا العبدُ كَفَرْ

وقال له أيضاً ، وهي قصيدة طويلة[3] : [من الرمل]

أبلِغِ النُّعمانَ عنّي مَأْلُكاً ... أنّه قد طال حَبسِي وانتِظارِي
لو بغير الماءِ حَلْقِي شَرِقٌ ... كنتُ كالغَصّان بالماءِ اعتِصارِي[4]
ليتَ شِعري عن دخيلٍ يفترِي ... حيثما أدركَ لَيلي ونهارِي
قاعِداً يكرُبُ نفسي بَثُّها ... وحراماً كان سِجْنِي واحتِصارِي
أَجْلَ نُعمى ربَّها أوَّلُكُمْ ... ودُنُوّي كان مِنكم واصْطِهارِي[5]

[رواية المفضل الضبي في سبب حبس النعمان عديّ بن زيد]

في قصائد كثيرة كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغنِي عنده شيئاً . (هذه رواية الكلبيّ) . وأمّا المفضَّل الضَّبّيّ فإنّه ذكر أنّ عديّ بن زيد لمّا قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاث ولا ما يَصلُح لمَلِكٍ ؛ وكان آدم إخوته مَنظَراً وكلُّهم أكثر مالاً منه ؛ فقال له عديّ : كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندك ؟ فقال له النعمان : ما أعرِف لك حيلةً إلاّ ما تعرفه أنت ؛ فقال له : قم بنا نَمْضِ إلى ابن قرْدس ، رجلٍ من أهل الحِيرة من دُومةَ ؛ فأتياه ليقترضا منه مالاً ، فأبى أن يُقرِضَهما وقال : ما عندي شيء ، فأتيا جابر بن شمعون وهو الأسقفّ أحد بني الأَوس بن قلاّم بن بطين [ابن الأوس][6] بن جمهير بن لحيان من بني الحارث بن كعب فاستقرضا منه مالاً ، فأنزلهما

1 حلفي لأبيل في ل : حلفتي بأبيل . والأبيل : الراهب .
2 آسي : مداوي . الأسى : العلاج .
3 ديوان عديّ : 93-94 .
4 هذا قد ذهب مثلاً . إنّ المرء إذا شرق باللقمة حذرها بشرب الماء ، فماذا يفعل إذا شرق بالماء نفسه ؟! وهو مثل للأذى الحاصل ممّن يرجى نفعه (انظر المثل 3290 في الميدانيّ) .
5 أجل أن : من أجلِ أن . ربّها : تعهدها ونمّاها ؛ قيل : ربُّ الصداقة أصعب من إنشائها .
6 زيادة من ل .

عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويَسقِيهم الخمر ، فلمّا كان في اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عديّ : تُقرِضُنا أربعين ألف درهم يستعين بها النعمان على أمره عند كسرى ؛ فقال : لكما عندي ثمانون ألفاً ، ثم أعطاهما إيّاها ؛ فقال النعمان لجابر : لا جرم لا جرى لي درهمٌ إلاّ على يديك إن أنا ملكت . قال : وجابر هو صاحب القَصْر الأبيض بالحِيرة ، ثم ذكر من قصّة النعمان وإخوته وعديّ وابن مَرينا مثلَ ما ذكره ابن الكلبيّ . وقال المفضَّل خاصّةً : إنّ سبب حبس النعمان عديَّ بن زيد ، أنّ عديّاً صنع ذات يوم طعاماً للنعمان ، وسأله أن يركب إليه ويتغدّى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمانُ إليه فاعترضه عديّ ابن مرينا فاحتبسه حتى تغدَّى عنده هو وأصحابه وشربوا حتى ثمِلوا ، ثم ركب إلى عديّ ولا فَضْلَ فيه ، فأحفظه[1] ذلك ، ورأى في وجه عديّ الكراهة ، فقام فركب ورجع إلى منزله ؛ فقال عديّ بن زيد في ذلك من فعل النعمان : [من مجزوء الكامل]

أحَسِبْتَ مجلِسَنا وحُسْـ ـنَ حديثِنا يُودِي بمالِكْ
فالمـالُ والأهلـونَ مصْـ ـرَعَةٌ لأمرِكَ أو نَكالِكْ
مـا تأمُرَنْ فينـا فأمـ ـرُكَ في يمينك أو شِمالِكْ[2]

قال : وأرسل النعمانُ ذات يوم إلى عديّ بن زيد فأبى أن يأتيه ثم أعاد رسوله فأبى أن يأتيه ، وقد كان النعمان شَرِب فغضِب وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى انتُهِي به إليه ، فحبسه في الصِّنَّيْنِ[3] ولجّ في حبسه وعديّ يرسل إليه بالشعر ، فممّا قاله له[4] : [من الخفيف]

ليسَ شيءٌ على المنـونِ بباقِ غيرُ وجـه المسبَّح الخَلاَّقِ
إن نَكُنْ آمِنـينَ فاجأنا شَـ ـرٌّ مُصيبٌ ذا الوُدِّ والإشفاقِ
فبريءٌ صدرِي من الظلم للرَّ بّ وحِنثٍ بِمُعْقَـدِ الميثاقِ
ولقـد ساءني زيـارةُ ذي قُرْ بَـى حبيبٍ لوُدّنـا مُشتاقِ
ساءه مـا بنـا تبيَّنَ في الأيـ ـدِي وإشناقُهـا إلى الأعناقِ
فاذهبِي يـا أُمَيم غيرَ بعيـدٍ لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ[5]

1 أحفظه : غاظه ، ولد لديه حفيظة .
2 تأمُرن في ل : ما تأتمر .
3 الصنين : موضع بظاهر الكوفة ينزل فيه المنذر .
4 ديوان عديّ : 150–151 وانظر ابن سلام : 118 .
5 يا أميم في ل : يا أُمّي .

واذهَبي يـا أُمَيـمَ إن يشأ اللهُ يُنفِّسْ مِن أَزْمِ هذا الخِناقِ[1]
أو تَكُنْ وُجهَةٌ فتلكَ سبيلُ النـ ـاس لا تَمنعُ الحتوفَ الرَّواقي

ويقول فيها : [من الخفيف]

وتقول العُـداةُ أودى عـديٌّ وبنـوه قـد أيقنـوا بغَلاقِ[2]
يـا أبـا مُسْهِرٍ فأبلِـغْ رسولا إخوتي إن أتيتَ صَحْنَ العِراقِ
أبلِغـا عامـراً وأبلِـغْ أخـاه أنّني مُوثـقٌ شديـدٌ وَثاقِي[3]
في حديد القِسْطاس يرقُبني الحا رسُ والمرءُ كلَّ شيءٍ يُلاقِي[4]
في حديـدٍ مُضاعَف وغُلُولٍ وثيـابٍ مُنَضَّحـاتٍ خِلاقِ[5]
فاركبُوا في الحرام فُكُّوا أخاكم إنّ عِيراً قـد جُهِّزَتْ لانطِلاقِ

يعني الشهرَ الحرام . قالوا جميعاً : وخرج النعمانُ إلى البحرين ، فأقبل رجل من غَسَّانَ فأصاب في الحِيرة ما أحب ؛ ويقال : إنّه جَفْنة بن النُّعمان الجَفْنِيّ ، فقال عديّ بن زيد في ذلك[6] : [من الوافر]

سما صَقْرٌ فَأَشْعَلَ جانِبَيْها وأهلكَ المروَّحُ والعَزِيبُ

المروَّح : الإبل المروَّحة إلى أعطانها . والعَزِيب : ما تُرِكَ في مراعيه .

وثَبْنَ لدى الثَّوِيةِ مُلْجَماتٍ وصبَّحنَ العِبادَ وهنَّ شِيبُ[7]
ألا تلـكَ الغَنِيمةُ لا إفالٌ تُرَجِّيها مُسَوَّمَـةٌ ونِيبُ[8]
تُرجِّيها وقـد صابَتْ بِقُرٍّ كما ترجُو أصاغرَها عَتِيبُ

[لما طال سجنه كتب إلى أخيه في ذلك شعراً فأجابه]

وقالوا جميعاً : فلمّا طال سجنُ عديّ بن زيد كتب إلى أخيه أُبَيّ وهو مع كسرى بهذا

1 يا أميم في ل : يا أُمِّي . الأزم : الضّيق والشدّة .
2 الغلاق : إسلام القاتل إلى وليّ أمر المقتول .
3 وثاقي في ل : الوثاق .
4 حديد القسطاس : حديد القبّان .
5 منضحات في ل : موذحات (أي قذرات ، علق بها وزح) .
6 ديوان عديّ : 114 .
7 الثوية : موضع قريب من الكوفة ؛ والضمير في وثبن يعود إلى الخيل . العباد : نصارى الحيرة .
8 الإفال : صغار الإبل والمفرد أفيل . ترجيها في ل : تزجيها . النيب : النوق المسنّة .

الشعر[1] : [من المتقارب]

أَبلِغْ أُبَيّاً على نأيِهِ ... وهل ينفعُ المرءَ ما قد عَلِمْ
بأنّ أخاكَ شقيقَ الفُؤا ... دِ كنتَ بهِ واثقاً ما سَلِمْ
لَدى مَلِكٍ مُوثَقٌ في الحديـ ... ـدِ إمّا بحقّ وإمّا ظُلِمْ
فلا أَعْرِفَنْكَ كذات الغلا ... م ما لم تجِدْ عارِماً تَعْتَرِمْ[2]
فأرضَكَ أرضَكَ إن تأتِنا ... تَنَمْ نومةً ليس فيها حلمْ

قال : فكتب إليه أخوه أبيّ : [من الخفيف]

إن يكن خانك الزمانُ فلا عا ... جزُ باعٍ ولا أَلَفَّ ضَعيفُ[3]
ويمينِ الإله لو أنّ جَأْوا ... ءَ طَحُونا تُضيءُ فيها السيوفُ[4]
ذاتَ رِزٍّ مجتابةً غمرةَ المو ... تِ صَحيحٌ سِرْبالُها مكفُوفُ[5]
كنتَ في حَمْيِها لجئتُكَ أسعى ... فاعلمنْ لو سمعتُ إذ تَستَضِيفُ[6]
أو بمالٍ سألتَ دونكَ لم يُمـ ... ـنَعْ تِلادٌ لحاجةٍ أو طَرِيفُ
أو بأرضٍ أسطِيعُ آتيكَ فيها ... لم يَهُلْنِي بُعْدٌ بها أو مَخوفُ
إن تَفُتْنِي واللهِ إلْفاً فَجُوعاً ... لا يُعَقِّبْكَ ما يَصوبُ الخريفُ
في الأعادي وأنتَ منّي بعيدٌ ... عزَّ هذا الزمانُ والتعْنِيفُ
ولَعمْري لئن جزِعتُ عليه ... لجزوعٌ على الصديق أَسُوفُ
ولَعَمْري لئن ملكتُ عَزائِي ... لقليلٌ شَرْواكَ فيما أطُوفُ

[أمر كسرى النعمان بإطلاق عديّ فقتله]

قالوا جميعاً : فلمّا قرأ أُبيّ كتاب عديّ قام إلى كسرى فكلّمه في أمره وعرّفه خبره ؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث معه رجلاً ؛ وكتب خليفة النعمان إليه : إنّه قد كُتِب إليك في أمره . فأتى النعمانَ أعداءُ عديّ من بني بُقَيْلَةَ وهم من غسان ، فقالوا له : اقتُله

1 ديوان عديّ : 164 .
2 صبي عارم : بيّن العرامة أي الحدّة والشدّة ؛ وفي البيت روايات مختلفة .
3 الألفّ : الثقيل البطيء .
4 الجأواء : الكتيبة السوداء (من لبس الدروع) .
5 الرز : الصوت .
6 تستضيف : تستجير .

الساعةَ فأبى عليهم . وجاء الرسول ، وقد كان أخو عديّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعديّ فيدخلَ إليه وهو محبوس بالصِّنَّيْنِ ، فقال له : ادخل عليه فانظر ما يأمركَ به فامتثِلْه ، فدخل الرسول على عديٍّ ، فقال لـه : إنّي قد جئتُ بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تُحبُّ ووعَدَه بعِدَةٍ سنيّةٍ ، وقال له : لا تَخرُجَنَّ من عندي وأعطني الكتاب حتى أُرسله إليه ، فإنّك والله إن خرجتَ من عندي لأُقتلَنَّ ، فقال : لا أستطيع إلاّ أن آتي الملك بالكتاب فأوصِّله إليه . فانطلق بعضُ مَن كان هناك من أعدائه فأخبر النعمان أنّ رسولَ كسرى دخل على عديّ وهو ذاهبٌ به ، وإن فعل والله لم يَستَبقِ منّا أحداً أنتَ ولا غيرك ؛ فبعث إليه النعمان أعداءه فغمُّوه حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسول إلى النعمان فأوصل الكتاب إليه ؛ فقال : نَعَمْ وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهباً وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسك فأخرِجْه ؛ فلمّا أصبح ركِبَ فدخل السجن ، فأعلمَه الحرس أنّه قد مات منذ أيّامٍ ولم نجترىء على إخبار الملك خوفاً منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إنّي كنت أمس دخلتُ على عديّ وهو حيّ ، وجئتُ اليوم فَجَحَدني السَّجّان وبهتَنِي[1] ، وذكر أنّه قد مات منذ أيّامٍ . فقال له النعمان : أيبعثُ بكَ الملكُ إليّ فتدخل إليه قبلي ؛ كذبت ، ولكنّك أردتَ الرشوة والخبث ، فتهدّده ثم زاده جائزة وأكرمه ، وتوثّق منه ألاّ يخبر كسرى إلاّ أنّه قد مات قبل أن يقدَمَ عليه . فرجع الرسول إلى كسرى ، وقال : إنّي وجدتُ عديّاً قد مات قبل أن أدخل عليه . وندِم النعمان على قتل عديّ وعرف أنّه احتيل عليه في أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدة .

[مدح النعمان زيد بن عديّ لدى كسرى فاتّخذه كاتباً]

ثم إنّه خرج إلى صيده ذات يوم فلقي ابناً لعديّ يقال له زيد ، فلمّا رآه عرف شبهَهُ ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عديّ بن زيد ؛ فكلّمه فإذا غلام ظريفٌ ، ففرح به فرحاً شديداً وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهّزه ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ عديّاً كان ممّن أُعِينَ به الملكُ في نُصحه ولُبّه ، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مُدَّته وانقضى أجله ، ولم يُصَب به أحدٌ أشدّ من مصيبتي ، وأمّا الملك فلم يكن ليَفقِد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خَلَفاً لِما عظَّم الله من ملكه وشأنه ؛ وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلُحُ لخدمة المِلكِ فسرَّحته إليه ، فإن رأى المِلك أن يجعله مكان أبيه فليفعل ، وليصرِف عمَّه عن ذلك إلى عملٍ آخر . وكان هو الذي يلي المكاتبة عن الملك إلى ملوك العرب في أمورها وفي خواصّ أمور المِلكِ . وكانت له من العرب وظيفةٌ موظَّفةٌ في كلّ

1 بهته : كذَّبه في وجهه .

سنة : مُهْرانِ أشقرانِ يُجعَلانِ له هُلاماً[1] ، والكَمْأَة الرَّطْبَةُ في حينها واليابسة والأَقِطُ والأُدْمُ وسائرُ تجارات العرب ؛ فكان زيدُ بن عديّ يلي ذلك له وكان هذا عملَ عديّ . فلمّا وقع زيد بن عديّ عند الملك هذا الموقعَ سأله كسرى عن النعمان ، فأحسنَ الثناءَ عليه . ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذي كان أبوه عليه . وأُعجِبَ به كسرى ، فكان يكثر الدخول عليه والخدمةَ له .

[كيد زيد بن عديّ للنعمان عند كسرى]

وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عندهم ، فكانوا يبعثون في تلك الأَرضِينَ بتلك الصفة ، فإذا وُجِدَت حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنّهم لم يكونوا يطلبونَها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنّه بدا للملك في طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتب بها إلى النواحي ، ودخل إليه زيد بن عديّ وهو في ذلك القول ، فخاطبه فيما دخل إليه فيه ، ثم قال : إنّي رأيت الملك قد كتب في نسوة يُطلَبنَ له وقرأتُ الصفةَ ، وقد كنت بآل المنذر عارفاً ، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمّه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة ؛ قال : فاكتب فيهنّ ؛ قال : أيّها الملك ، إنّ شرّ شيء في العرب وفي النعمان خاصّةً أنّهم يتكرّمون ، زعموا في أنفسهم ، عن العجم ، فأنا أكره أن يُغَيبهنّ عمّن تبعث إليه أو يَعرضَ عليه غيرَهنّ . وإن قدِمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثني وابعثْ معي رجلاً من ثقاتك يفهم العربية حتى أبلغ ما تحبّه ؛ فبعث معه رجلاً جَلْداً فَهِماً ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم الرجلَ ويُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرة ، فلمّا دخل عليه أعظم الملك وقال : إنّه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته ، وأراد كرامتك بصِهره فبعث إليك ؛ فقال : ما هؤلاء النِّسوة ؟ فقال : هذه صفتُهنّ قد جئنا بها . وكانت الصفة أنّ المنذر الأكبر أهدى إلى أَنُوشِرْوانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ ، فكتب إلى أَنُوشِرْوان بصفتها ، وقال : إنّي قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلة الخَلْق ، نقيَّة اللون والثغر ، بيضاء قَمراء وَطْفاء[2] كَحْلاء دَعْجاء حَوْراء عَيْناء قَنْواء[3] شَمّاء بَرْجاء[4] زَجّاء[5] أَسيلة الخدّ ، شهيّة المقبَّل ، جَثْلة الشَّعَر[6] ، عظيمة الهامة ،

1 الهلام : مرق اللحم المطبوخ بخلّ حين يبرّد ويصفّى .

2 وطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجب .

3 قنواء : مرتفعة أعلى الأنف .

4 برجاء : جميلة الوجه .

5 زجاء : دقيقة الحاجب .

6 جثلة الشعر : ذات شعر كثيف .

بعيدة مَهوى القُرط[1] ، عَيْطاء[2] ، عريضة الصدر ، كاعبَ الثدي ، ضخمة مُشاشِ المَنكِب والعضدِ ، حسنةَ المِعصَم ، لطيفة الكفّ ، سَبْطَة البَنان ، ضامرة البطن ، خَمِيصة الخَصر ، غَرْثَى الوِشاح[3] ، رَداحَ الإقبال ، رابيةَ الكفَل ، لَفَّاءَ الفِخذين[4] ، رَيّا الروادِف ، ضخمة المأكِمتَيْن ، مُفعمة الساق ، مُشبَعة الخَلخال ، لطيفة الكعب والقدم ، قَطوفَ المشي[5] ، مِكسال الضُّحى ، بضَّة المتجرَّد ، سَمُوعاً للسيّد ، ليست بخَنساء[6] ولا سَفعاء[7] ، رقيقة الأنف ، عزيزة النفس ، لم تُغَذَّ في بؤسٍ ، حييّةً رَزِينةً ، حليمةً رَكينةً ، كريمة الخال ، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها ، وتستغني بفصيلتها دون جماع قبيلتها ، قد أحكمتها الأمورُ في الأدب ، فرأيُها رأيُ أهل الشرف ، وعملُها عملُ أهل الحاجة ، صَناعَ الكفَّين ، قَطِيعة اللسان[8] رَهْوةَ الصوت[9] ساكنته ، تَزِين الوليَّ ، وتَشِين العدوَّ ، إن أردتها اشتهت ، وإن تركتها انتهت ، تُحملِقُ عيناها ، وتحمرُّ وجنتاها ، وتَذَبذبُ شفتاها ، وتبادِرُكَ الوثبة إذا قمتَ ، ولا تجلس إلاّ بأمرك إذا جلست . قال : فقبِلَها أنوشروان وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز . فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان ، فشقت عليه ؛ وقال لزيد والرسول يسمع : أما في مَها السَّواد وعِين فارس ما يبلُغ به كسرى حاجته ؟ فقال الرسول لزيد بالفارسية : ما المَها والعِينُ ؟ فقال له بالفارسية : كاوان أي البقر ؛ فأمسك الرسول . وقال زيد للنعمان : إنّما أراد الملك كرامتَكَ ، ولو علم أنّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتب إليكَ به . فأنزلهما يومين عنده ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ الذي طلب المِلكُ ليس عندي ، وقال لزيد : اعذِرني عند الملك . فلمّا رجعا إلى كسرى ؛ قال زيدٌ للرسول الذي قَدِم معه : اصْدُقِ الملكَ عمّا سمعتَ ، فإنّي سأحدّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه . فلمّا دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه إليك ، فقرأه عليه . فقال له كسرى : وأين الذي كنتَ خبَّرتني به ؟ قال : قد كنتُ خبّرتكَ بضِنَّتِهم بنسائهم على غيرهم ، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع

1 بعيدة مهوى القرط : كِنَاية عن أنّها طويلة .
2 عيطاء : طويلة العنق .
3 غرثى الوشاح : كناية عن دقّة الخصر .
4 لفاء الفخذين : ضخمة الفخذين .
5 قطوف المشي : متقاربة الخطى .
6 خنساء : متأخّرة الأنف .
7 سفعاء : سوداء .
8 قطيعة اللسان : نزرة الكلام .
9 رهوة الصوت : رقيقة الصوت .

والعُريَ على الشِّبَع والرِّياش ، وإيثارهم السَّمومَ والرياح على طِيب أرضكَ هذه ، حتى إنّهم ليسمّونها السّجنَ ، فسلْ هذا الرسول الذي كان معي عمّا قال ، فإنّي أُكْرِمُ الملكَ عن مشافهته بما قال وأجاب به . قال للرسول : وما قال ؟ فقال له الرسول : أيّها الملك ، إنّه قال : أمَا كان في بقَرِ السواد وفارس ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا ، فعُرِف الغضب في وجهه ، ووقَع في قلبه منه ما وقع ، لكنّه لم يزد على أن قال : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّباب . وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى أشهراً على ذلك .

[النعمان يستجير بسادات العرب ثمّ يسلم نفسه لكسرى]

وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّع حتى أتاه كتابه : أنْ أقبِلْ فإنّ للملِكِ حاجةً إليك ، فانطلق حين أتاه كتابُه ، فحمل سلاحه وما قَوِيَ عليه ، ثم لحق بجبَلَيْ طَيِّىء وكانت فَرعة[1] بنت سعد بن حارثة بن لأْم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب بنت أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيّئاً على أن يُدخِلوه الجبلين ويمنعوه فأَبَوْا ذلك عليه ، وقالوا له : لولا صهْرُكَ لقتلناك ، فإنّه لا حاجة بنا إلى مُعاداة كسرى ، ولا طاقة لنا به . وأقبل يطوف على قبائل العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه ، غيرَ أنّ بني رَواحةَ بن قُطَيعةَ بن عَبْسٍ قالوا : إن شئتَ قاتلنا معك ، لِنَّةٍ كانت له عندهم في أمر مروان القَرَظ[2] ، قال : ما أُحبُّ أَنْ أُهلِكَكُم ، فإنّه لا طاقة لكم بكِسْرى . فأقبل حتى نزل بذِي قارٍ في بني شَيبان سِرّاً ، فلقِيَ هانىءَ بن قَبيصة ، وقيل بل هانىء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذُهل بن شيبان ، وكان سيّداً مَنيعاً ، والبيتُ يومئذٍ من ربيعة في آلِ ذي الجَدين لقَيس بن مسعود بن قيس بن خالد ذي الجَدَّين ، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بن مسعود الأُبُـلَّةَ ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهلَه لذلك ، وعلِم أنّ هانئاً يمنعه ممّا يمنع منه نفسه .

وقال حَمّاد الراوية في خبره : إنّه إنّما استجار بهانىء كما استجار بغيره فأجاره ، وقال له : قد لزمني ذِمامُك وأنا مانِعُك ممّا أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ما بقي من عشيرتي الأَدْنَيْن رجلٌ ، وإن ذلك غير نافعك لأنه مُهلِكي ومُهْلِكُـك ، وعندي رأيٌ لكَ ، لستُ أُشير به عليك لأدفعكَ عمّا تريده من مجاورتي ولكنّه الصواب ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : إنّ كلَّ أمر يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلاّ أن يكون بعد المُلْكِ سُوقَةً ، والموت نازلٌ بكلّ أحدٍ ، ولأنْ تموتَ كريماً خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سُوقَةً بعد المُلْكِ ، هذا إن بقيتَ ، فامضِ إلى صاحبك واحمِلْ إليه هدايا ومالاً وألْقِ نفسَك بين يديه ، فإمّا أن صفح

---

1 ل : قرعة .

2 مروان القرظ : مروان بن زنباع العبسيّ ، وكان يضرب به المثل في العزّة .

عنك فعُدت مَلِكاً عزيزاً ، وإمّا أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّب بك صعاليك العرب ويتخطَّفكَ ذئابها وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيراً مجاوراً أو تُقتلَ مقهوراً ؛ فقال : كيف بحُرَمي ؟ قال : هنَّ في ذِمّتي ، لا يُخلَص إليهنَّ حتى يُخلَصَ إلى بناتي ؛ فقال : هذا وأبيكَ الرأيُ الصحيح ، ولن أُجاوِزَه . ثم اختار خيلاً وحُلَلاً من عَصْبِ اليمن وجوهراً وطُرَفاً كانت عنده ، ووجَّه بها إلى كسرى وكتب إليه يعتذِر ويُعلِمُه أنّه صائرٌ إليه ، ووجَّه بها مع رسوله ، فقبلها كسرى وأمره بالقدوم ؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنّه لم يرَ له عند كسرى سوءاً .

[وصول النعمان لكسرى وسجنه ثم موته]

فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن لقيه زيد بن عديّ على قنطرة ساباط ، فقال له : انجُ نُعيمُ ، إن استطعتَ النَّجاء ؛ فقال له : أفعلتَها يا زيد ؟ أما والله ، لئنْ عشتُ لكَ لأَقتلنَّكَ قِتْلةً لم يُقتَلْها عربيٌّ قطّ ولأُلْحِقَنّكَ بأبيك ؛ فقال له زيد : امضِ لشأنك نُعَيمُ ، فقد والله أخَّيتُ لك أَخِيَّةً[1] لا يقطَعها المهرُ الأرِنُ . فلمّا بلغ كسرى أنّه بالباب بعث إليه ، فقيّده وبعث به إلى سجن كان له بخانِقينَ[2] ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه .

وقال حمّاد الراوية والكوفيّون : بل مات بساباط في حبسه . وقال ابن الكلبيّ : ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئته حتى مات ، واحتجُّوا بقول الأعشى : [من الطويل]

فذاكَ ومـا أنجَى مـن الموتِ ربَّه بساباطَ حتى ماتَ وهو مُحَزْرَقُ

قال : المحزرق : المضيَّقُ عليه . وأنكر هذا من زعم أنّه مات بخانِقين ، وقالوا : لم يزل محبوساً مدّة طويلة ، وإنّه إنّما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيل الإسلام ، وغَضِبَت له العرب حينئذٍ ، وكان قتلُه سبب وقعة ذي قارٍ .

[أحبّ عدي بن زيد هند بنت النعمان ثم تزوّجها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال قال عليّ بن الصبّاح حدّثني هشام بن الكلبيّ عن أبيه قال : كان عديّ بن زيد بن حمّاد بن زيد بن أيّوب الشاعر العباديّ يهوى هِنْد بنت النعمان بن المنذر بن المنذر بن امرىء القيس بن النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عديّ بن نَصْر بن ربيعة بن عمرو ـ الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمارة بن لَخْم وهو مالك بن عَدِيّ بن الحارث بن مرّة بن أُدَد بن زَيد بن يَشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سَبأ بن

1 أخية : عروة ؛ أي ربطت لك عروة ، وشددتك إليها ، وهي عروة قوية لا يقطعها المهر الحيويّ النشيط .

2 خانقين : بلد في شرق العراق .

يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحطان ، ولها يقول[1] : [من الرمل]

عَلِقَ الأحشاءَ من هِندٍ عَلَقْ مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ وأَرَقْ

وهي قصيدة طويلة . وفيها أيضاً يقول[2] : [من الرمل]

مَنْ لِقَلب دَنِفٍ أو مُعتَمَدْ قد عَصى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَدّ

وهي طويلة . وفيها أيضاً يقول[3] : [من الخفيف]

يا خليليّ يَسِّرا التعسِيرا ثم رُوحا فهجِّرا تهجِيرا

عرِّجا بي على ديارٍ لهندٍ ليس أن عُجْتُما المَطِيَّ كبيرا

[قصّة تزوّجه بهند]

قال ابن الكلبيّ : وقد تزوّجها عديّ . وقال ابن أبي سعد ، وذكر ذلك خالد بن كلثوم أيضاً قالا : كان سبب عِشقه إيّاها أنّ هنداً كانت من أجمل نساء أهلها وزمانها ، وأُمُّها مارِيَةُ الكِندِيّة ؛ فخرجتْ في خميس الفِصْحِ[4] ، وهو بعد السَّعانِين[5] بثلاثة أيّام ، تتقرّب في البِيعة ، ولها حينئذٍ إحدى عشرة سنة ، وذلك في مُلْكِ المنذر ؛ وقد قَدِم عديّ حينئذٍ بهديَّةٍ من كسرى إلى المنذر ، والنعمان يومئذٍ فتًى شابّ ، فاتّفق دخولُها البِيعة وقد دخلها عديّ ليتقرّب ، وكانت مديدة القامة عَبلة الجسم ، فرآها عديّ وهي غافلة فلم تنتبه له حتى تأمّلها ، وقد كان جواريها رأينَ عديّاً وهو مقبلٌ فلم يقُلْن لها ذلك ، كَي يراها عديّ ، وإنّما فعلن هذا من أجل أمةٍ لهند يقال لها ماريةُ ، وقد كانت أحبَّت عديّاً فلم تَدرِ كيف تأتي[6] له . فلمّا رأت هند عديّاً ينظر إليها شقَّ ذلك عليها ، وسَبَّتْ جواريها ونالت بعضهنَّ بضرب ؛ فوقعت هند في نفس عديّ . فلبث حولاً لا يخبر بذلك أحداً . فلمّا كان بعد حولٍ وظَنَّتْ مارية أنّ هنداً قد أضربت عمّا جرى وصَفَتْ لها بِيعة دُومة ، وقال خالد بن كلثوم : بيعةَ توما وهو الصحيح ؛ ووصفَت لها مَن فيها من الرواهب ، ومَن يأتيها من جواري الحيرة ، وحسن بِنائها وسُرُجِها ؛ وقالت لها : سَلِي أُمَّكِ الإذنَ لكِ في إتيانها ، فسألتها ذلك فأَذِنت لها ، وبادرت مارية إلى عديّ فأخبرته الخبرَ فبادر فلبِسَ يَلْمَقاً[7] كان «فَرْخانْشاهْ مَرْد»

1 ديوان عديّ : 147 .

2 ديوان عديّ : 42 .

3 ديوان عديّ : 130 .

4 الفصح : عيد تذكار قيامة المسيح عند النصارى ويسمّى العيد الكبير ويقع دائماً يوم أحد .

5 السعانين (وبالشين أيضاً) عيد لهم يقع يوم الأحد السابق لعيد الفصح .

6 ل : كيف تراءى .

7 اليلمق : القباء .

قد كساه إيّاه ، وكان مُذهَباً لم يُرَ مثله حُسناً ، وكان عديّ حسنَ الوجه[1] ، مديد القامة ، حُلوَ العينين ، حسَنَ المَبسِم ، نقيّ الثّغر . وأخذ معه جماعة من فتيان الحيرة ، فدخل البِيعة ؛ فلمّا رأته مارية قالت لهند : انظري إلى هذا الفتى ؛ فهو والله أحسن من كلّ ما تَرَيْن من السرج وغيرها ؛ قالت : ومن هو ؟ قالت : عديُّ بن زيد ؛ قالت : أتخافين أن يعرفَني إن دنوتُ منه لأَراه من قريبٍ ؟ قالت : ومِن أين يعرِفُك وما رآك قطّ من حيث يعرِفُك ؛ فدنَتْ منه وهو يمازح الفتيان الذين معه وقد برع عليهم بجماله ، وحُسن كلامه[2] وفصاحته ، وما عليه من الثياب ، فذَهَلَت لمّا رأته وبَهُتَت تنظر إليه . وعرَفَتْ مارية ما بها وتبيَّنَتْه في وجهها ، فقالت لها : كَلِّميه ، فكلَّمته ، وانصرفت وقد تبعتْه نفسُها وهَوِيَتْه ، وانصرف بمثل حالها . فلمّا كان الغدُ تعرّضت له مارية ، فلمّا رآها هَشَّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلّمها ، وقال لها : ما غَدا بِكِ ؟ قالت : حاجةٌ إليك ، قال : اذكريها ، فوالله لا تسأليني شيئاً إلاّ أعطيتُكِ إيّاه ، فعرَّفته أنّها تهواه ، وأنّ حاجتها الخَلوة به على أن تحتال له في هند ، وعاهدتْه على ذلك ؛ فأدخلها حانوت خمّارٍ في الحيرة ووقَع عليها ؛ ثم خرجت فأتت هنداً ، فقالت : أما تشتهين أن ترَيْ عديّاً ؟ قالت : وكيف لي به ؟ قالت : أَعِدُه مكان كذا وكذا في ظَهْر القصر وتُشرِفين عليه ؛ قالت : افعلي ، فواعدته إلى ذلك المكان ، فأتاه وأشرفت هند عليه ، فكادت تموت ، وقالت : إن لم تُدخليه إليّ هلَكْتُ . فبادرت الأمَة إلى النعمان فأخبرته خبرَها وصَدَقَتْه ، وذَكَرَت أنّها قد شُغِفَت به ، وأنّ سبب ذلك رؤيتها إيّاه في يوم الفِصح ، وأنّه إن لم يزوّجها به افتضحت في أمره أو ماتت ؛ فقال لها : ويلك ؛ وكيف أبدؤه بذلك ! فقالت : هو أرغب في ذلك من أن تبدأَه أنتَ ، وأنا أحتال في ذلك من حيث لا يعلم أنّك عرفتَ أمره . وأتتْ عديّاً فأخبرته الخبر ، وقالت : ادعُه ، فإذا أخذ الشراب منه فاخطُبْ إليه فإنّه غير رادّك ؛ قال : أخشى أن يُغضِبَه ذلك فيكون سبب العداوة بيننا ؛ قالت : ما قلتُ لك هذا حتى فرغتُ منه معه ؛ فصنع عديٌّ طعاماً واحتفل فيه ، ثم أتى النعمان بعد الفِصح بثلاثة أيّام ، وذلك في يوم الاثنين ، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابه ، ففعل . فلمّا أخذ منه الشراب خطبها إلى النعمان ، فأجابه وزوّجه وضمّها إليه بعد ثلاثة أيّام .

[ترهّب هند بعد قتل عديّ]

قال خالد بن كلثوم : فكانت معه حتى قتله النعمان ، فترهَّبَت وحبسَت نفسَها في الدير المعروف بدير هند[3] في ظاهر الحيرة . وقال ابن الكلبيّ : بل ترهّبت بعد ثلاث سنين ومنعته

---

1 ل : حسن الثغر .

2 ل : وحسن قامته .

3 هما ديران بهذا الاسم ، كبير وصغير .

نفسها واحتبست في الدير حتى ماتت ، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل في ولاية المُغِيرة بن شُعبة الكوفة ، وخطبها المغيرة فردّته .

[خطبها المغيرة بن شعبة فردّته]

أخبرني عمّي قال حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمد بن الكلبيّ عن أبيه والشَّرَقيّ بن القَطاميّ قالا : مرّ المغيرة بن شعبة لمّا ولاّه معاوية الكوفة بدير هند ، فنزله ودخل على هند بنت النعمان بعد أن استأذن عليها ، فأذِنت له وبسطت له مِسحاً فجلس عليه ، ثم قالت له : ما جاء بك ؟ قال : جئتُكِ خاطباً ؛ قالت : والصليبِ لو علمتُ أنّ فيّ خَصلةً من جمالٍ أو شبابٍ رغَّبَتْكَ فيّ لأجبتُكَ ، ولكنّك أردتَ أن تقول في المواسم : مَلَكتُ مملكة النعمان بن المنذر ونكحت ابنته ، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ ؟ قال : إي والله ؛ قالت : فلا سبيل إليه ؛ فقام المغيرة وانصرف وقال فيها : [من الكامل]

أدركتِ ما منَّيتُ نفسيَ خالياً لله درُّكِ يـــا ابنـةَ النعمانِ
فلقد ردَدْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ إنّ الملـــوكَ نَقِيَّـــةُ الأذهانِ

وفي رواية أُخرى :

إنّ الملـوكَ بَطِيَّةُ الإذعـانِ
يا هندُ حسبُكِ قد صَدَقتِ فأمْسِكي فالصِّدقُ خيـرُ مَقالَـــةِ الإنسانِ

[عشقها لزرقاء اليمامة]

وقـد روى عن ابن الكلبيّ غيرُ عليّ بن الصّبّاح في هند أنّها كانت تهوى زرقاء اليمامة ، وأنّها أوّل امرأة أحبَّتْ امرأةً في العرب ، فإنّ الزرقاء كانت تَرى الجيشَ من مسيرة ثلاثين ميلاً ؛ فغزا قـوم من العرب اليمامة ، فلمّا قَرُبُوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول مع الزرقاء ؟ فاجتمع رأيُهم على أن يقتلِعُوا شجراً تستُر كلُّ شجرة منها الفارس إذا حملها ؛ فقطع كلُّ واحد منهم بمقدار طاقته وساروا بها ؛ فأشرفَت ، كما كانت تفعل ، فقال لها قومها : ما تَرَيْنَ يا زرقاء ؟ وذلك في آخر النهار ؛ قالت : أرى شجراً يسير ؛ فقالوا : كذبتِ أو كذبَتْك عينُكِ ، واستهانوا بقولها ؛ فلمّا أصبحوا صبَحهم القوم ، فاكتسحوا أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمة وأخذوا الزرقاء فقَلعوا عينها فوجدوا فيها عروقاً سوداء ، فسُئِلت عنها فقالت : إنّي كنتُ أُديمُ الاكتحال بالإثمد فلعلَّ هذا منه ، وماتَت بعد ذلك بأيّام ؛ وبلغ هنداً خبرُها فترهَّبت ولَبِست المُسوح وبنَتْ ديراً يعرفُ بدير هند إلى الآن ، فأقامت فيه حتى ماتت .

[قيل إنّ النعمان أكره عديّاً على طلاق هند]

وروى ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : أنّ النعمان لما حبسَ عديّاً أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلّقها . قال ابن حبيب : وذكر عديّ بن زيد صِهرَه هذا للنعمان في قصائده وكان زوجَ أخته ، هكذا ذكر العلماء من أهل الحيرة .

وقالت رواة العرب : إنّه كان زوجَ ابنتِه هندٍ ، فمن ذلك قولُه في قصيدته التي أوّلها :

أبصَرَتْ عينِي عِشاءً ضَوءَ نارِ

فقال فيها : [من الرمل]

أَجْـلَ نُعمَـى رَبَّهـا أَوّلُكُمْ ودُنُوِّي كان منكم واصْطِهارِي

نحن كنَّا قـد علِمتُـم قبلها عَمَـدَ البيتِ وأوتادَ الإصارِ[1]

[سبب تنصّر النعمان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا إبراهيم بن فهد قال حدّثنا خليفة بن خيّاط شباب العُصْفُرِيّ[2] قال حدّثنا هشام بن محمد قال حدّثني يحيى بن أيّوب البجَليّ قال حدّثنا أبو زُرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَليّ قال : سمعتُ جدّي جرير بن عبد الله يقول ، وأخبرني به عمّي قال حدّثنا أحمد بن عبيد الله قال أخبرنا محمد بن يزيد بن زياد الكلبيّ أبو عبد الله قال حدّثني معروف بن خَرَّبُوذَ عن يحيى بن أيّوبَ عن أبي زُرعة بن عمرو قال : سمعت جدّي جرير بن عبدالله ، ولَفْظ هذا الخبر لأحمد بن عبيد الله وروايته أتم ، قال : كان سببُ تنصّر النعمان ، وكان يعبد الأوثان قبل ذلك ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : النعمان بن المنذر الأكبر ، أنّه كان قد خرج يتنزّه بظهر الحيرة ومعه عديّ بن زيد ، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها ؛ فقال له عديّ بن زيد : أبيتَ اللَّعنَ ، أتدري ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ، وقال أحمد بن عبيد الله في خبره : فقال له تقول[3] : [من مجزوء الرمل]

أيُّهـا الركـبُ المخِبُّـو نَ على الأرضِ المجـدُّونْ

كما أنتُـمُ كُنَّـا وكما نحـنُ تكونُـونْ

وقال الصُّوليُّ في خبره : فقال له تقول : [من البسيط]

كنَّـا كما كنتُمُ حينـاً فغَيَّرنا دهرٌ فسوفَ كما صِرنا تصِيرونا

قال : فانصرف وقد دخلته رِقَّةٌ ، فمكث بعد ذلك يسيراً ؛ ثم خرج خَرْجةً أُخرى فمرّ

1 قبلها في الرواية الشهيرة : قبلكم ، وقد مرَّت .

2 هو المؤرّخ صاحب تاريخ خليفة وكتاب في الطبقات (توفي سنة 240 وقيل 246) .

3 ورد البيتان فيما تقدّم من هذا الجزء وأوّل البيت الثاني «فكما» .

على تلك المقابر ومعه عديّ ، فقال له : أبيتَ اللّعنَ ، أتدرِي ما تقول هذه المقابر ؟ قال : لا ؛ قال : فإنّها تقول[1] : [من الرمل]

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفْسَه ... أنّه مُوفٍ على قَرْنِ زَوالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقى لها ... ولِمَا تأتِي به صُمُّ الجبالِ
رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمرَ بالماءِ الزُّلالِ[2]
والأباريقُ عليها فُدُمٌ ... وجيادُ الخيلِ تَرْدِي في الجِلالِ[3]
عَمِرُوا دهراً بعيشٍ حَسَنٍ ... آمِني دَهْرِهمُ غيرَ عِجالِ
ثم أضْحَوْا عصفَ الدَّهرُ بهم ... وكذاكَ الدهرُ يُودِي بالرِّجالِ[4]
وكذاكَ الدهرُ يرمِي بالفتى ... في طِلابِ العيشِ حالاً بعدَ حالِ

قال الصُّولِيّ في خبره وهو الصحيح : فرجع النعمان فتنصّر ؛ وقال أحمد بن عبيد الله في خبره عن الزياديّ الكلبيّ : فرجع النعمان من وجهه وقال لعديّ : ائتني الليلة إذا هَدَأتِ الرِّجلُ لتعلمَ حالي ، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسوحَ وتنصّر وترهّب وخرج سائحاً على وجهه فلا يُدرى ما كانت حالُه ، فتنصّر ولدُه بعده ، وبَنوا البِيعَ والصوامعَ ، وبنَتْ هندُ بنت النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر الديرَ الذي بظهر الكوفة ويقال له : «دير هند» ، فلمّا حبَس كِسرى النعمان الأصغر أباها ومات في حبسه ترهّبتْ هند ولبِست المسوحَ وأقامت في ديرها مُترهِّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه .

[المؤلّف يرى أنّ النعمان هو الذي تنصّر]

قال مؤلّف هذا الكتاب : إنّما ذكرتُ الخبرَ الذي رواه الزياديّ على ما فيه من التخليط لأنّي إذا أتيتُ بالقصّة ذكرتُ كلّ ما يُروى في معناها . وهو خبر مختلط ، لأنّ عديَّ بن زيد إنّما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عديّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذي صحبه عديّ كما ذكر ابن زياد ؛ وقد ذكرت نسب النعمان آنفاً ، ولعلّ هذا النعمانَ الذي ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر ، والمتنصّر السائح على

1 ديوان عديّ : 82 .
2 عندنا في ل : حولنا .
3 الفدم : جمع فَدام وهو غطاء يوضع على فم الابريق للتصفية . تردي : تعدو أو تمشي الرديان : أي ترجم الأرض بحوافرها .
4 رواية هذا البيت فيما تقدّم من هذا الجزء :
عصف الدهر بهم فانقرضوا ... وكذاك الدهر حالاً بعد حال

وجهه ليس عديّ بن زيد أدخله في النصرانية ؛ وكيف يكون هو المدخِلَ له في النصرانية وقد ضربه مثلاً للنعمان في شعره لمّا حبسه مع مَن ضربه مثلاً له من الملوك السالفة ! .

[حكاية خالد بن صفوان مع هشام بن عبد الملك]

حدّثنا بخبر ذلك الملِك جعفرُ بن محمد الفِريابيّ وأحمدُ بن عبد العزيز بن الجَعْدِ الوَشّاء قالا : حدّثنا إسحاق بن البُهلول الأَنباريّ قال حدّثني أبي البُهلول بن حسّان التَّنوخيّ قال حدّثني إسحاق بن زياد من بني سامة بن لؤي عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الأَهتم قال : أوفدني يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك في وَفد أهل العراق قال : فقَدِمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمِه وغاشِيته وجُلسائه ، فنزل في أرض قاعٍ صَحْصَحٍ مُنِيفٍ أَفيحَ ، في عامٍ قد بكّر وسمِيُّهُ ، وتتابع وَلِيّه ، وأخذت الأرضُ فيه زينتَها على اختلاف ألوان نبتِها من نَوْرِ رَبيع مُونقٍ فهو في أحسنِ منظَرٍ ، وأحسن مُختبَرٍ ، وأحسن مُسْتَمْطَرٍ ، بصعيدٍ كأنّ ترابَه قِطَعُ الكافور ؛ قال : وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حِبرةٍ كان يوسف بن عُمر صنعه له باليمن ، فيه فُسطاطٌ فيه أربعة أفرِشَةٍ من خَزٍّ أحمرَ مِثلُها مَرافِقها ، وعليه دُرَّاعةٌ من خَزٍّ أحمر مثلُها عمامَتُها ، وقد أخذ الناسُ مجالسهم ؛ قال : فأَخرجتُ رأسي من ناحية السِّماط فنظر إليَّ شِبْهَ المستنطِق لي فقلت : أتمّ اللهُ عليكَ يا أمير المؤمنين نِعَمَه ، وجعل ما قَلَّدك من هذا الأمر رُشْداً ، وعاقبةَ ما يؤول إليه حمداً ، وأخلصَه لك بالتُّقى ، وكثره لك بالنَّماء ، ولا كدَّر عليك منه ما صَفا ، ولا خالط سروره بالرّدى ، فلقد أصبحت للمؤمنين ثقةً ومُستراحاً ، إليك يقصدون في مَظَالمهم[1] ، ويفزَعون في أمورهم ، وما أجِدُ شيئاً يا أمير المؤمنين هو أبلغ في قضاء حقّك ، وتوقِير مجلسك ، وما منَّ الله جلّ وعزّ عليّ به من مجالستك من أن أُذَكِّرَكَ نعمَ الله عليكَ ، وأُنبّهك لشكرها ، وما أجِدُ في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث مَن سلف قبلك من الملوك ، فإن أذِنَ أمير المؤمنين أخبرتُه به ؛ قال : فاستوى جالساً وكان متّكئاً ثم قال : هاتِ يا ابن الأَهْتَم ، قال : قلت يا أمير المؤمنين إنّ مِلكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثلِ عامكَ هذا إلى الخَوَرْنَقِ والسَّدير في عامٍ قد بَكّر وسمِيُّه ، وتتابع وَلِيّه ، وأخذت الأرض [فيه] زينتَها على اختلاف ألوان نَبتها في ربيع مُونقٍ ، فهو في أحسن مَنظَر ، وأحسنِ مختبَر ، بصعيد كأنّ ترابَه قِطعُ الكافور ، وقد كان أُعطِيَ فَتاءَ السنّ مع الكثرة والغلبة والقهر ، فنظر فأبعد النظر ثم قال لجلسائه : لِمَنْ مِثلُ هذا ، هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ؟ وهل أُعطِي أحدٌ مثل ما أُعطيت ؟ قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحُجَّة ، والمضيِّ على أدب الحقّ ومِنهاجه ، قال : ولم تَخْلُ الأرض من قائم لله بحُجّة في عباده ؛ فقال : أيّها الملك إنّك سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذَنُ في الجواب عنه ؟ قال : نعم ؛ قال : أرأيتَ

---

1 ل : في مطالبهم .

هذا الذي أنتَ فيه ، أشيءٌ لم تزل فيه ، أم شيءٌ صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنكَ وصائر إلى غيرك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو ؛ قال : فلا أُراكَ إلاّ عَجِبتَ بشيءٍ يسيرٍ تكون فيه قليلاً وتغِيبُ عنه طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتَهَناً ؛ قال : وَيحك ؛ فأين المهربُ وأين المطلب ؟ قال : إما أن تُقِيم في ملككَ فتعملَ فيه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءك وسرَّك ، وأمَضَّك وأرْمَضك[1] ، وإمّا أن تضع تاجك ، وتخلَعَ أطمارك ، وتلبس أمساحك ، وتعبد ربّك حتى يأتيك أجلُكَ ؛ قال : فإذا كان السَّحَر فاقرع عليّ بابي فإنّي مختارٌ أحد الرأيين ، وربّما قال إحدى المنزلتين ، فإن اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرض وقَفرَ البلاد كنت رفيقاً لا يُخالَف ؛ قال : فقرع عليه عند السَّحَر بابه فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس أمساحَه ، وتهيّأ للسياحة ، فلزِما والله الجبلَ حتى أتاهما أجلُهما ، وهو حيث يقول عديّ بن زيد أخو بني تميم[2] : [من الخفيف]

أيُّها الشَّامِتُ المعَيِّرُ بالدَّهـ ... ـرِ أأنتَ المبرَّأُ الموفُورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيَّـ ... ـام بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ
مَن رأيتَ المَنونَ خَلَّدْنَ أم مَنْ ... ذا عليه مِن أن يُضامَ خفيرُ
أينَ كسرى كسرى الملوك أنُوشِرْ ... وانُ أم أينَ قبله سابورُ
وبنو الأصفرِ الكرامُ ملوكُ الر ... وم لم يبقَ منهمُ مَذْكورُ
وأخو الحَضْرِ إذ بناه وإذ دِجْـ ... ـلَةُ تُجْبى إليه والخابُورُ
شادَهُ مَرمَراً وجَلَّلَه كِلْـ ... ـساً فَلِلطيرِ في ذُراه وكورُ
لم يَهَبْه رَيبُ المنونِ فبادَ الْـ ... ـمُلكُ عنه فبابُه مَهجُورُ
وتَذَكَّرْ رَبَّ الخَوَرْنَقِ إذ أشْـ ... ـرَفَ يوماً وللهُدى تَفكيرُ
سرَّه مالُهُ وكثرةُ ما يمـ ... ـلِكُ والبحرُ مُعرِضاً والسديرُ
فارعَوى قلبُه فقال وما غِبْـ ... ـطَةُ حيٍّ إلى الممات يصيرُ
ثم بعدَ الفلاحِ والملكِ والإمّـ ... ـةِ وارَتهمُ هُناكَ القُبُورُ[3]

1 أرمضك : أوجعك .

2 ديوان عديّ : 84–92 وأوّل القصيدة :

أرداح مودع أم بكور لك فاعلم لأي حال تصير

3 الإمة : النعمة .

ثم صاروا كأنّهم وَرَقٌ جَـ ـفّ فألَوت به الصَّبا والدَّبُورُ[1]

قال : فبكى والله هشام حتى أخضل لحيته ، وبلَّ عمامته ، وأمرَ بنزع أبنيته ، وبنقلان قرابته وأهله وحشَمه وغاشِيته من جلسائه ، ولزم قصرَه ، فأقبلتِ الموالي والحشمُ على خالد بن صفوان فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ؛ أفسدتَ عليه لذّته ، ونغَّصتَ عليه مأدُبَته ، فقال : إليكم عنّي فإنّي عاهدتُ الله عزّ وجلّ ألاّ أخلوَ بملِكٍ إلاّ ذَكَّرتُه اللهَ عزّ وجلّ .

[خبر الخضر]

فأمّا خبرُ الخَضْر وصاحبه ، والخورنق وصاحبه ، فإنّي أذكر خبرهما ها هنا لأنّه ممّا يحسُن ذكرُه بعَقِب هذه الأخبار ولا يُستغنى عنه ، والشيء يتبعُ الشيءَ .

أخبرني بخبره إبراهيم بن السَّرِيّ عن أبيه عن شُعيب عن سيف ، وأخبرني به الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا الحارث بن محمد قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقديّ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش في كتاب المغتالين[2] عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن بن الأعرابيّ عن المفضَّل بن سلمة الضَّبِّيّ ، وهشامُ بن الكلبيّ عن أبيه ، وإسحاق بن الجَصَّاص عن الكوفيّين : أنّ الخَضرَ كان قصراً بجِيال تَكرِيتَ بين دِجلة والفُرات ، وأنّ أخا الخَضْرِ الذي ذكره عديّ بن زيد هو الضيْزَنُ بن معاوية بن العبيد بن الأَجْرام بن عمرو بن النَّخَع بن سَلِيح من بني تَزِيد بن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة ، وأمّه جَبْهَلَةُ امرأةٌ من بني تَزِيدَ بن حُلوان أخي سَلِيح بن حُلوان ، وكان لا يُعرفُ إلاّ بأمّه هذه ، وكان ملِكَ تِلكَ الناحية وسائر أرضِ الجزيرة ، وكان معه من بني الأجرام [ثم من بني العَبِيد ابن الأجرام] وسائر قبائل قضاعة ما لا يُحصى ، وكان مُلكُه قد بلغ الشام . فأغار الضيزن فأصاب أختاً لسابور ذي الأكتاف وفتح مدينة نهر شير وفتك فيهم ، فقال في ذلك عمرو بن السَّليح بن حُدَيٍّ بن الدّها بن غَنْم بن حُلوان بن عِمران ابن الحاف بن قُضاعة : [من الوافر]

لَقِيناهم بجَمْع من عِلافٍ وبالخيلِ الصَّلادِمة الذكورِ
فلاقتْ فارسٌ منّا نَكالاً وقَتَّلنا هَرابِذَ شَهْرَزُورِ
دلَفْنا للأعاجم من بعيدٍ بجمعٍ مِ الجزيرةِ كالسَّعِيرِ

---

1 ألوت به : ذهبت به .

2 كتاب أسماء المغتالين لمحمد بن حبيب في «نوادر المخطوطات» ـ المجموعة السادسة ، تحقيق محمد عبد السلام هارون (ط . ثانية) 1972 ، ولم يرد فيه خبر الخضر ؛ وانظر الطبريّ 2 : 47–48 ومعجم البلدان لياقوت (حضر) ؛ وحضارة الحضر أمر تشهد به الآثار ؛ وقد نشرت عنها بحوث كثيرة في مجلّة سومر بالعراق .

قالوا : ثم إنّ سابور ذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم ، فأقام على الحضْر أربع سنين لا يستغِلّ منهم شيئاً[1] . ثم إنّ النَّضيرة بنتَ الضَّيْزن عَرَكَتْ ؛ أي حاضت فأُخرِجَتْ إلى الرَّبَض ، وكانت من أجمل أهل دهرها ، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه ، فرآها ورأته ، وعشِقها وعشِقته ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دللتُكَ على ما تهدِمُ به هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : أُحكِّمكِ وأرفَعُكِ على نسائي ، وأخصُّكِ بنفسي دونَهنَّ ؛ قالت : عليك بحمامةٍ مطوّقة وَرقاء ، فاكتب في رجلها بحيض جارية بكرٍ تكون زرقاء ، ثم أرسلها فإنّها تقعُ على حائط المدينة فتتداعى المدينة ، وكان ذلك طِلَّسْمَها لا يَهدِمها إلاّ هو ، ففعل وتأهّب لهم ، وقالت له : أنا أسقي الحرس الخمر ، فإذا صُرِعوا فاقتلهم وادخل المدينة ، ففعل فتداعت المدينة ، وفتحها سابور عَنْوةً ، فقَتَل الضيزن يومئذٍ ، وأبادَ بني العَبيد ، وأفنى قُضاعة الذين كانوا مع الضَّيزن فلم يبق منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأُصيبت قبائل حُلوان وانقرضوا ودَرَجوا ، فقال في ذلك عمرو بن آلة وكان مع الضَّيزن : [من الوافر]

أَلَمْ يَحْزُنْكَ والأنباءُ تَنْمِي ... بما لاقَتْ سَراةُ بَنِي العَبِيدِ
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِي أبيه ... وأحْلاسِ الكتائبِ مِنْ تَزِيدِ[2]
أتاهُم بالفُيُولِ مُجلَّلاتٍ ... وبالأبطالِ سابورُ الجنودِ
فهدَّمَ من أَواسِي الحضْرِ صَخْراً ... كأنّ ثِقالَه زُبَرُ الحديدِ[3]

قال : فأخرب سابور المدينة واحتمل النَّضيرة بنت الضَّيزن فأعرس بها بعينِ التمرِ ، فلم تزل ليلتَها تتضوّر[4] من خَشانةٍ في فُرُشِها وهي من حرير محشُوّ بالقَزّ ، فالتُمسَ ما كان يؤذيها فإذا هي ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنِها قد أثّرتْ فيها . قال : وكان يُنظر إلى مُخِّها من لِينِ بشرتها . فقال لها سابور : ويحك ! بأيّ شيء كان أبوك يُغذّيكِ ؟ قالت : بالزُّبد والمخّ وشُهْدِ الأبكار من النحل وصَفْوةِ الخمر . فقال : وأبيكِ لأنا أحدَثُ عهداً بمعرفتِك ، وآثرُ لكِ من أبيكِ الذي غذّاكِ بما تذكرين ! ثم أمر رجلاً فركب فرساً جَمُوحاً وضَفَرَ غدائرَها بذنبه ، ثم استركضَه فقطّعها قِطَعاً ، فذلك قول الشاعر : [من الخفيف]

أقفرَ الحضْرُ من نضيرةَ فالمِرْ ... باعُ مِنها فجانبُ الثَّرْثارِ

---

1 ل : لا يظفر منهم بشيء .
2 أحلاس الخيل : الملازمون لها من الفرسان ؛ وأحلاس الكتائب : رجال الحرب .
3 الأواسي : جمع آسية . وهي أساس البناء .
4 تتضوّر : تتلوّى .

قالوا : وكان الضَّيزن صاحبُ الحَضْر يُلَقَّبُ السَّاطِرونَ ، وقال غيرهم : بل السَّاطِرون صاحبُ الحَضْر كان رجلاً من أهل باجَرْمى والله أعلم أيّ ذلك كان . هذا خبر صاحب الحَضْر الذي ذكره عديٌّ .

[خبر الخورنق][1]

وأمّا صاحب الخَوَرنَقِ فهو النعمان بن الشَّقيقة ، وهو الذي ساح على وجهه فلم يُعرفْ له خبرٌ ، والشقيقة أمّه بنت أبي ربيعة بن ذُهْل بن شيبان . وهو النعمان بن امرىء القيس بن عمرو بن عَدِيّ بن نَصْر بن ربيعة بن الضَّخْم اللَّخميّ ، وهو صاحب الخورنق ، فذكر ابن الكلبيّ في خبره الذي قدّمنا ذكره ورواية عليّ بن الصبَّاح إيّاه عنه : أنّه كان سببُ بنائه الخورنَقَ أنَّ يَزدَجِردَ بن سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مَرِيءٍ صحيح من الأدواء والأسقام ، فَدُلَّ على ظَهْرِ الحِيرةِ ، فدفع ابنَه بَهرام جُور بن يزدجِرد إلى النعمان بن الشقيقة ، وكان عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنيَ الخورنَقَ مسكناً له ولابنه ويُنزله إيّاه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب .

[جزاء سنمار]

وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له «سِنِمَّارُ» فلمّا فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنّكم تُوفُوني أُجرتي وتصنعون بي ما أستحقُّه ، لَبنيتُه بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقالوا : وإنّك لتبني ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه ؟ ثم أُمِرَ به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ[2] . وقال : في بعض الروايات أنّه قال له : إنّي لأعرِفُ في هذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ ، فقال له : أما والله لا تدلُّ عليه أحداً أبداً ، ثم رُمِيَ به من أعلى القَصْرِ ، فقالت الشعراء في ذلك أشعاراً كثيرة منها قولُ أبي الطَّمَحانِ القَيْنيّ[3] : [من الطويل]

جـــزاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها ورَبِّـها وباللاَّتِ والعُزَّى جزاءَ المكفَّرِ

ومنها قول سَلِيط بن سعد[4] : [من البسيط]

---

1 تجد خبر الخورنق في شرح المثل «جزاه جزاء سنمار» في كتب الأمثال ؛ وانظر نشوة الطرب لابن سعيد ، 273–274 تحقيق د . نصرت عبد الرحمن ، عمان ، الأردن 1982 والمناقب المزيدية لأبي البقاء 1 : 266–269 تحقيق الدكتورين درادكه وخريسات ، عمان (الطبعة الأولى) وخزانة الأدب 1 : 292–294 .

2 الجوسق : القصر .

3 بيت أبي الطمحان في خزانة الأدب 1 : 294 .

4 بيت سليط بن سعد في خزانة الأدب 1 : 293 .

جزى بنوه أبا الغِيلان عن كِبَرٍ وحُسْنِ فعلٍ كما يُجزى سِنِمَّارُ

وقال عبد العزّى بن امرىء القيس الكلبيّ[1] ، وكان أهدى إلى الحارث بن مارية الغسّانيّ أفراساً ، ووفَدَ إليه فأُعْجِبَ به واختصّه ، وكان للملك ابنٌ مُسترضَعٌ في بني عَبْدِ وُدٍّ من كَلْبٍ فنهشَتْه حَيَّةٌ ، فظنَّ الملكُ أنّهم اغتالُوه ، فقال لعبد العُزّى : جئني بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ليس لي عليهم فضلٌ في نسبٍ ولا فعلٍ ، فقال : لتأتِيَنّي بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ، فقال له : رَجَوْنا من حِبائِكَ أمراً حال دونه عِقابُكَ ، ودعا ابْنيه شَراحِيلَ وعبد الحارث ، فكتبَ معهما إلى قومه : [من الطويل]

جـزاني جـزاه اللهُ شَرَّ جزائه جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذا ذنبِ
سوى رَصِّه البنيانَ عِشرينَ حِجةً يُعَلِّي عليه بالقَرامِيدِ والسَّكْبِ[2]

وهي أبيات ، قال : فقتله النعمان ، وكان أمره قد عظُم وجعل معه كسرى كتيبتين : إحداهما يقال لها : «دَوْسَر» وهي لِتَنُوخ ، والأُخرى : «الشَّهْباء» وهي للفُرسِ ، وكانتا أيضاً تُسمَّيانِ القبيلتين ، وكان يغزو بهما بلادَ الشام ، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب . فجلس يوماً يُشرِفُ من الخَوَرْنَقِ فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوانَ لهشامٍ من مخاطبة الواعِظ وجوابِه وما كان من اختياره السياحة وتركِه مُلكَه .

[رثاء النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال حدّثني عبدالله بن عمرو قال ذكر ابنُ حمزة عن مشايخه : أنّ النعمان بن المنذر لما نُعِيَ إلى النابغة الذُّبيانيّ وحُدِّثَ بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثَّلَ[3] : [من البسيط]

مَنْ يَطْلُبِ الدهـرُ تُدرِكْه مَخالِبُه والدَّهْرُ بالوَتْرِ نـاجٍ غيرُ مطلوبِ
ما منْ أناسٍ ذَوِي مجدٍ ومَكرُمةٍ إلاّ يَشُدُّ عليهـم شَدَّةَ الذِّيبِ
حتـى يُبِيدَ على عَمْـدٍ سَراتَهُمُ بالنافـذاتِ مـن النَّبْلِ المَصايِيبِ
إنّي وجدتُ سِهامَ الموتِ مُعرِضةً بكلِّ حَتْفٍ مـن الآجالِ مكتوبِ

[الغناء في شعر عديّ بن زيد]

وفي سائر قصائد عديّ بن زيد التي كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ .

---

1 الخبر في الخزانة 1 : 293–294 .

2 السكب : النحاس أو الرصاص .

3 قوله «تمثّل» يعني أنّ الأبيات ليست للنابغة .

منها[1] : [من المنسرح]

صوت

لَمْ أَرَ مثلَ الفِتيانِ في غَبَنِ الْـ ـأيـامِ يَنْسَوْنَ مـا عواقِبُها
يَنسونَ إخوانَهُـم ومصرَعَهُم وكيـف تَعْتاقُهُـم مَخالِبُها[2]
ماذا تُرجِّي النفوسُ مِن طلبِ الـ ـخير وحبُّ الحيـاةِ كاربُها[3]
تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الد هـرِ ورَيبُ المنـونِ صائِبُها[4]

ويروى عُقَبُ الدهر ، يقول : الأيّامُ تَغْبِنُ الناسَ فتخدَعُهم وتختِلُهم مثل الغبنِ في البيع . وتَعتاقُهُم : تَحبسُهم ، يقال : اعتاقه واعتقاه . وكاربها ها هنا : غامُّها ، وهو في موضع آخر القريب منها ، يقال كَرَبهُ الأمر وكرثه وبهَضه وغَنَظه إذا غمّه ، الغناء في هذه الأبيات لابن مُحرز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيها رمل بالبنصر ، نسبه حَبَشٌ ودَنانير إلى حُنين ، ونسبه الهشاميّ وابن المكّيّ إلى الهُذليّ . ومنها[5] : [من المديد]

صوت

يـا لُبَينَى أوقِدِي النَّارا إنّ مَنْ تَهْوَيْنَ قـد حارا
رُبَّ نـارٍ بِتُّ أَرْمُقُها تَقْضِمُ الهِنْـدِيَّ والغارا
عندَهـا ظبـيٌّ يؤرّثهـا عاقِدٌ في الجيدِ تِقصارا[6]

عروضه من المديد ، حار يحير هنا : ضلّ ، وحار في موضع آخر : رجع . والغار : شجر طيّبُ الريح ، والغار أيضاً : شجرُ السوسِ ، والغار : الغَيرة . ويؤرِّثها : يوقِدُها ويُكثِر حَطَبها . والتِّقصار : المِخْنَقَةُ ، الغناء لحُنين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيف رملٍ يقال إنّه لعَرِيب .

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن كلوة بن محمد عن داود بن محمد عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس

---

1 ديوان عدي بن زيد : 45 .
2 تعتاقهم في الديوان : تغتالهم .
3 كاربها في الديوان : كاذبها .
4 صائبها في الديوان : كاربها .
5 ديوان عديّ بن زيد : 100 .
6 الشطر الثاني في الديوان : عاقد في الخصر زنارا . والتقصار : القلادة .

النحويّ قال : مات رجل من جُندِ أهل الشام عظيمُ القدر ، له فيهم عزّ [وعدد] ؛ فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلس على قبره وقال : لِيَنْزِل إليه بعضُ إخوانه ، فنزل نفرٌ منهم ، فقال أحدهم وهو يُسَوِّي عليه : رحمك الله أبا قنان ، إن كنتَ ما علمتُ لَتُجِيدُ الغناء ، وتُسرِعُ ردَّ الكأس ، ولقد وقَعْتَ في موضع سُوءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة[1] . قال : فما تمالك الحجّاج أن ضحِكَ ، وكان لا يكثر الضحكَ في جدٍّ ولا هزلٍ . فقال له : أهذا موضع هذا لا أمَّ لكَ ؟ فقال : أصلح الله الأمير ، فرسُه حبِيسٌ في سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنِّي : [من المديد]

يا لُبَيْنَى أوقِدي النارا إن مَنْ تَهوَيْنَ قد حارا

لانتشر الأمير على سعْنةَ ، وكان الميتُ يلقّبُ بسعنة ، فقال : إنّا لله أخرجوه من القبر ؛ ما أبينَ حُجّة أهلِ العراقِ في جهلكم يا أهل الشام ؟ قال : وكان سعنةُ هذا الميتُ من أوحشِ خلقِ الله كلِّهم صورةً ، وأذمِّهم قامةً . فلم يبقَ أحد حضر القبرَ إلاّ استفرغ[2] ضحكاً . ومنها من قصيدته التي أوّلها[3] : [من الرمل]

لِمَـن الدارُ تَعفَّـتْ بِخِيَمْ

صوت

[من الرمل]

وثـلاثٍ كالحمامـاتِ بهـا بـين مَجْثاهُنَّ توشيمُ الحُمَمْ
أسأل الـدارَ وقـد أنكرتُهـا عن حبيبي فإذا فيهـا صَمَمْ[4]

ويروى : توشيمُ العَجَم . والتوشيمُ أراد به آثار الوَقود قد صار فيها كالوَشْم . والثلاث يعني الأثافِيَّ التي تُنصب عليها القِدرُ ، الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيل أوّل مطلقٍ في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكيّ . وفيه لحَكَم لحنٌ من كتاب إبراهيم غيرُ مجنَّس . وهذه القصيدة التي أوّلها : [من الرمل]

لمـن الدارُ تعفَّـتْ بِخِيَـمْ أصبحت غيَّرها طـولُ القِدَمْ
مـا تَبِينُ العـينُ مـن آياتهـا غيرَ نُـؤْيٍ مثل خـطٍّ بالقلمْ

وبعده :

1 ل : إلى يوم الدكة .
2 ل : إلاّ استغرب .
3 ديوان عديّ بن زيد : 73 .
4 أنكر تهاني في ل : وقد أُنكرها ؛ الديوان : وقد حييتها .

وثـلاثٍ كالحمامـاتِ بهـا بـين مَجثاهـنَّ توشيمُ الحُمَمْ

وعلى هذا خُفِضَ قولُه : وثلاث كالحمامات . ومنها قوله :

كفى غِيَرُ الأيّام للمرءِ وازعا

صوت

[من الطويل]

بنـاتِ كِـرامٍ لم يُرَبْنَ بضَرَّةٍ دُمًى شَرِقـاتٍ بالعَبيرِ رَوادِعا[1]

يُسارِقْـنَ مِ الأستارِ طَرْفـاً مُفَتَّراً ويُبْرِزْنَ من فَتْقِ الخُدورِ الأصابعا[2]

بنات كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :

وأُصْبِي ظِباءً في الدِّمَقْسِ خواضِعا

بناتِ كرام هكذا في القصيدة على تواليها ، وقد يجوز رفعه على الابتداء . ويروى : بضُرَّةٍ وبضَرَّةٍ جميعاً بالضمِّ والفتح . والدُّمى : الصُّوَرُ ، واحدتُها دُمْيَةٌ . الغناء في هذين البيتين لابن قندحٍ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيعٍ ، وذكر حبشٌ أنّه لإبراهيم . ومنها[3] : [من الوافر]

صوت

أَرِقْتُ لمكفهِـرٍّ بـاتَ فيـه بَـوارِقُ يرتَقِينَ رؤوسَ شِيبِ

تـــروحُ المشرَفِيَّـةُ في ذُراهُ ويَجْلُو صفحةَ الذَّيـلِ القَشِيبِ

والمكفَهِرُّ والمكرهِفُّ : السحاب المتوالي المتراكب . والشِّيب : السحائب التي فيها سواد وبياض شبَّهها بالرؤوس الشِّيب ، وقال قوم : بل شِيبٌ : جبل معروفٌ . شبَّه البرق في السحاب بلَمَعانِ السُّيوف . ورواه ابن الأعرابيّ :

ويجلو صفحَ دَخْدارٍ قَشِيبِ

وقال : الدَّخْدارُ : الثوب المَصُونُ ، وهو أعجميّ معرّب أصله تخت دار . والقشيب : الجديد . الغناء لِعَرِيبَ ثقيل أوّل بالبنصر . ومنها من قصيدته التي أوّلها[4] : [من الوافر]

ألا يـا طـالَ ليلي والنهارُ

---

1 روادع بالعبير : مخلّقات بالعبير .

2 من فتق الخدور في ل : من فتق الستور .

3 ديوان عديّ : 37 (وقد تقدّم) .

4 ديوان عديّ : 132 (ولم يورد الشطر الثاني) .

صوت

[من الوافر]

ألا مَنْ مُبلغُ النعمانِ عنِّي ... علانيةً فقد ذهبَ السِّرارُ
بأنّ المرءَ لم يُخلَقْ حَديداً ... ولا هَضْباً تَوَقَّاه الوِبارُ[1]
ولكنْ كالشِّهابِ فثمَّ يَخْبُو ... وحادِي الموتِ عنه ما يَحارُ
فهل مِن خالدٍ إما هلكنا ... وهل بالموتِ يا لَلنَّاسِ عارُ

الهَضْبُ : الجبلُ . والوِبار : جمع وَبْرٍ . والشِّهاب : السراج . ويخبو : يَطْفَأُ . الغناء لبابُويَه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشاميّ . ومنها[2] : [من الوافر]

صوت

ألا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنِّي ... فبينا المرءُ أَعْزَبَ إذ أَراحا[3]
أطَعْتَ بني بُقَيْلَةَ في وَثاقِي ... وكنَّا في حُلُوقِهِمُ ذُباحا[4]
منحتَهمُ الفُراتَ وجانبيْه ... وتَسقِينا الأواجِنَ والمِلاحا[5]

الغناء لُحَين خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ومنها[6] : [من الرمل]

صوت

مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمَدْ ... قد عَصى كلَّ نَصِيحٍ ومُفَدّ
لستُ إن سَلْمَى نأتني دارُها ... سامعاً فيها إلى قول أحدْ

المعتَمدُ : الذي عمَده الوجعُ يَعمِده عَمْداً . غنّاه ابن محرز ولحنُه خفيف ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو . وذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ، ولِسَنانٍ الكاتب لحناً ، وهو ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش . ومنها[7] : [من الخفيف]

---

1 الوبار : جمع وبرة ، وهي – فيما يقال – دويبة تكون في الغور ولا تترقى الهضاب .
2 ديوان عدي : 120 .
3 أغاني الدار الوطنية أغرب ، وعنه الديوان ؛ وصوبناه ، معنى أعزب : خرج بماشية ليقيم في المرعى بعيداً عن مكان قومه ؛ أراح : رجع بها مساء إلى الحيّ وهذا كناية عن الحياة والموت .
4 الذباح : وجع في الحلق .
5 ل : وما يليه . الأواجن : جمع آجن ، وهو الماء الذي تغيّر طعمه ؛ والملاحا : الملح .
6 ديوان عدي : 42 .
7 ديوان عدي : 84 .

صوت

أَرَواحٌ مُـــوَدَّعٌ أم بُكـورُ لكَ فاعمِدْ لأيّ حـالٍ تَصِيرُ[1]
ويقولُ العُـداةُ أَوْدى عـديٌّ وعـديٌّ بسُخْـطِ ربٍّ أَسِيرُ[2]
أيُّها الشامتُ المعَيِّرُ بالدهـ ـرِ أأنـت المبـرّأ الموفورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّا مِ بـل أنـت جاهلٌ مغرُورُ

يريد : أَرَواحٌ نودِّعُكَ فيه أم بكورٌ ؟ أيَّهما تُريد ؟ فاعمِدْ للذي تصيرُ إليه من أمر آخرتكَ . والموفورُ : الذي لم تُصِبه نوائب الدهر . الغناء لحُنَين من كتاب يونسَ ولم يذكر طريقته ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنيناً غنّاه خالداً القَسْرِيّ أيّام حَرَّم الغِناء ، فرَقَّ له وقال : غَنِّ ولا تُعاشِر سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . والخبر [في ذلك] يُذكر في أخبار حنين .

وممّا يُغنَّى فيه أيضاً من شعر عديٍّ[3] : [من الهزج]

صوت

أَلا يـا ربَّمـا عَـزَّ خليلـي فتهـاونْتُ
ولو شئتُ على مَقْـدُ رَةٍ مِنِّـي لعـاقبتُ
ولكن سَرَّنِـي أن يعـ ـلَمُوا قَدْرِي فأَقْلعتُ
أَلا لا فاسألوا الفتيـ ـة ما قالوا وقد قمتُ

الغناء لسِياطٍ رمل عن الهشاميّ . وفيه ليحيى المكيّ خفيف ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له . ولِعَرِيبَ في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل . وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر[4] وهو :

ولكنَّ حبيبي جلّ عندي فتغافلتُ

وممّا يُغنَّى فيه من شعره[5] : [من السريع]

صوت

تَعرِفُ أمْسِ منْ لَمِيسَ الطَّلَلْ مثلَ الكتابِ الدارسِ الأحْوَلْ

---

1 الديوان : فاعلم .
2 هذا البيت هو رقم 43 من القصيدة ، والذي بعده هو التاسع عشر : ففي الترتيب اختلاف كبير .
3 ديوان عديّ : 119 .
4 ولكن جامع الديوان ألحقه بالأبيات السابقة .
5 ديوان عدي : 157 .

الذي قد دَرَس فلا يُقرأ .

أنعِمْ صَباحاً عَلْقَمَ بنَ عَدِي أثَوَيْتَ اليومَ أم تَرْحَلْ
قد رحَّلَ الفِتيانُ عِيرَهُمُ واللحمُ بالغِيطانِ لم يُنْشَلْ[1]
إذ هي تَسْبِي الناظرين وتجـ ـلو واضحاً كالأُقْحُوانِ رَتِلْ

الرَّتِلُ : المستوي البِنيةِ .

عذباً كما ذقتُ الجَنِيَّ من التـ ـفاحِ مَسْقِيّاً ببردِ الطَّلّ

هكذا يُغنَّى . والذي قاله عديّ : يَسقيهِ بردُ الطَّلّ . الغناء لحنين رمل بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ أنّ عمرَو بن امرىء القيس المكني بأبي شريح وعَلْقمة بن عديّ ، وقيل علقم بن عديّ بن كعب ، وعمرَو بن هند خرجوا إلى الصيد فأتوْا قصر ابن مُقاتِل[2] فمكثوا فيه يتصيّدون ، فزعموا أنّ علقمة بن عديّ تَبِعَ حماراً فصرعه والشمسُ لم تَطلع ، ثم لحق آخر فطعنه فانقصف الرمح فيه ومرَّ به فرسُه يركض ، فجال به العَير فضربه فأصاب صدرَه فقتله ، وقيل : إنّ الرمحَ المنقصف دخل في صدره فقتله ، وذلك في أيّام الربيع ، وكان عديّ بن زيد معهم وإليه قصدوا ، وكان نازلاً في قصر ابن مقاتل ، فقال عديّ هذه القصيدة يرثيه بها .

صوت
من المائة المختارة[3]

[من الطويل]

عَفا مِنْ سُلَيْمَى مُسحُلانُ فحامِرُهْ تَمَشَّى بـــه ظُلْمانُـه وجـآذِرُهْ[4]
بمستأسِدِ القُرْيانِ عافٍ نَباتُـه فَنُوَّارُه مِيلٌ إلى الشمسِ زاهِرُهْ[5]
رأتْ عارِضاً جَوْناً فقامَتْ غَرِيرةً بمِسْحاتها قبـل الظـلامِ تُبادِرُهْ
فما بَرِحَتْ حتى أتى الماءُ دونها وسُدّت نواحيـه ورُفِّـعَ دابِـرُهْ[6]

1 الغيطان : الحقول المطمئنّة .
2 قصر ابن مقاتل (أو قصر مقاتل) كان في طريق الذاهب من عين التمر إلى الشام .
3 ديوان الحطيئة : 180 تحقيق نعمان أمين طه . القاهرة : 1958 .
4 مسحلان وحامر : موضعان في ديار الشام . الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام ؛ والجآذر : أولاد البقر .
5 مستأسد القريان : النامي من نبات القريان وهي مجاري الماء . عافٍ نباتُه في ل : حوّ تلاعه .
6 سدّت في ل : وهدت .

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسحُلان : موضع . وحامِرُهُ : موضعٌ أضافه إلى مُسحُلان . والظُّلمان : ذكورُ النعام واحدُها ظليم . والجآذر : أولاد البقر واحدها جُؤذُر وجُؤذَر بضمّ الذال وفتحها . وتمشَّى : تُكْثِر المشيَ . والقُرْيانُ : مجاري الماء إلى الرِّياض واحدها قَرِيّ . والمستأسِدُ : ما التفَّ منها وطال . والنَّوّارُ يقال : إنّه يكون أبداً حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه ، فيقول : إنّ نُوّارَ هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس . والعارض : السحاب . والجون : الأسود . والغريرة : الناعمة التي لم تُجرِّب الأمورَ ، يقول : لما رأت هذه المرأة السحابة السوداء قامت بمِسْحاتها تُصلِحُ النؤيَ حوالَيْ بيتها وهو الحاجزُ بينه وبين الأرض المستوية . وقوله : رُفِّع دابرُه أي مؤخّره الذي يلي الماء من النؤي . الشعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْر . والغناء لابن عائشة ولحنُه المختار خفيف رملٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر حبشٌ أنّ له فيه لحناً آخرَ من الثقيل الثاني .

[12] ـ خبر الحطيئة ونسبه[1]

والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر

[نسبه]

الحُطَيئةُ لقبٌ لُقِّبَ به ، واسمه جَرْوَلُ بنُ أَوْس بن مالك بن جُؤَيَّة بن مَخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْثِ بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار . وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم ، متصرِّفٌ في جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنسيب ، مُجِيد في ذلك أجمع ، وكان ذا شرٍّ وسَفَهٍ ، ونسبُه مُتدافَع بين قبائل العرب ، وكان ينتمي إلى كلّ واحدة منها إذا غضب على الآخرين .

[إسلامه وارتداده]

وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم . ثم ارتدّ وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

أطعنا رسولَ الله إذ كان بيننا ... فيا لَعِبادِ اللهِ ما لأبِي بَكْرِ

أَيُورِثُها بكرا إذا مات بعده ... وتلك لعمرُ الله قاصِمَةُ الظهرِ

[سبب لقبه الحطيئة]

ويُكْنى الحطيئة أبا مُلَيكة ، وقيل : إنّ الحطيئة غلَب عليه ولُقِّبَ به لقِصره وقُربه من الأرض . وقال حمّاد الراوية قال أبو نصر الأعرابيّ : سمِّيَ الحطيئة لأنّه ضَرِطَ ضرطةً بين قوم ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال : إنّما هي حُطَيْئة ، فسمّي الحطيئة . وقال المدائنيّ قال أبو اليقظان : كان الحطيئة يدَّعي أنّه ابن عمرو بن علقمة أحد بني الحارث بن سَدوس ، قال : وسمّي الحطيئة لقربه من الأرض .

[انتماؤه إلى بني ذهل بن ثعلبة]

أخبرني الفضل بن الحُباب[3] الجُمَحيّ أبو خليفة في كتابه إليّ بإجازته لي يذكر عن محمد بن

---

1 في ترجمة الحطيئة وأخباره انظر (الشعر والشعراء) : وابن سلام : 110–121 والموشح : 139–141 والخزانة 3 : 287–295 (جرول) ووصية الحطيئة في تذكرة ابن حمدون 3 : 269–271 (تحقيق إحسان عبّاس وبكر عباس دار صادر ، بيروت 1996) .

2 الشعر في تاريخ الطبريّ 3 : 246 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم) ونسبه لعبد الله الليثي ، وانظر ديوان الحطيئة : 329 والبيت الأوّل في الأغاني هو السابع في الديوان ، من قصيدة مطلعها :

ألا كلّ أرماح قصار أذلة ... فداء الأرماح ركزن على الغمر

3 طبقات ابن سلام 1 : 158 وانظر الديوان : 81 .

سَلاَّم : أنّ الحطيئة كان ينتمي إلى بني ذُهل بن ثعلبة فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامـةَ خيرُ ساكنهـا أهلُ القُرَيَّـةِ مـن بني ذُهْلِ

قال : والقُرَيّة : منازلهم ، ولم ينبت[1] الحطيئة في هؤلاء .

[تلوّنه في نسبه]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ قال : سمعتُ خِراشَ بن إسماعيل وخالد بن سعيد يقولان : كان الحطيئة إذا غضب على بني عَبسٍ يقول : أنا من بني ذُهل ، وإذا غضب على بني ذُهل قال : أنا من بني عبس .

أخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق قال أبي قال ابن الكلبيّ : كان الحطيئة مغموز النسب ، وكان من أولاد الزنا الذين شَرُفوا .

قال إسحاق وقال الأصمعيّ : كان الحطيئة يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال في ذلك[2] : [من مجزوء الكامل]

قومي بنو عَوْفِ بن عمـ ـرٍو إن أرادَ العلمَ عالِمْ
قـومٌ إذا ذهبَـتْ خَضا رِمُ منهمُ خَلَفَتْ خَضارِمْ
لا يَفْشَلُـون ولا تَبِيـ ـتُ على أُنوفِهِمُ المَخاطِمْ

قال الأصمعيّ : وقَدِمَ الحطيئة الكوفة فنزل في بني عوف بن عامر بن ذُهل يسألهم وكان يزعم أنّه منهم وقال في ذلك[3] : [من البسيط]

سِيرِي أُمـامَ فإنَّ المـالَ يجمعُه سَيْبُ الإلـه وإقْبالِـي وإدباري
إلى معاشرَ منهـم يـا أُمـامَ أبي من آل عَوْف بُـدُوءٍ غيرِ أَشْرارِ[4]
نمشي على ضوء أحسابٍ أَضأْنَ لنا ما ضَوَّأَتْ ليلةُ القَمْراءِ لِلسَّارِي[5]

[خبره مع أخويه من أوس بن مالك]

وقال ابن دريد في خبره عن عمّه عن ابن الكلبيّ عن أبيه ، وحَمَّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان أوس بن مالك بن جُؤَيَّة بن مَخزوم بن مالك بن غالب بن قُطَيعة بن عبس تزوّج بنت رِياح بن عمرو بن عوف بن الحارث بن سَدُوس بن شيبان بن

---

1 ل : يثبت .
2 ديوان الحطيئة : 80 .
3 ديوان الحطيئة : 78–79 .
4 البدوء : السادة والمفرد بدء .
5 الشطر الثاني في الديوان : كما أضاءت نجوم الليل للساري .

ذُهل بن ثعلبة ، وكان له أَمَةٌ يقال لها الضَّرَّاء فأَعلقها بالحطيئة ورحل عنها . وكان لبنت رياح أخٌ يقال له : الأَفقَم ، وكان طويلاً أفقم[1] ، صغير العينين ، مضغوط اللَّحْيين ، فولدتِ الضَّراء الحطيئة فجاءت به شبيهاً بالأفقم ، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبيّ ؟ فقالت لها : من أخيك ، وهابت أن تقول لها من زوجك ، فشبَّهتْه بأخيها ؛ فقالت لها : صدقتِ . ثم مات أوس وترك ابنين من الحُرّة ، وتزوّج الضَّرَّاء رجلٌ من بني عبسٍ فولدت له رجلين فكانا أخوي الحطيئة من أمّه . فأعتقت بنت رياحٍ الحطيئة وربَّتْه فكان كأنّه أحدُهما . وترك الأفقم نخلاً باليمامة . فأتى الحطيئة أخويه من أوس بن مالك وقد كانت أمّه لما أعتقتها بنت رياح اعترفت أنّها اعتلقتْ من أوس بن مالك ، فقال لهم : أفرِدوا إليّ من مالكم قطعةً فقالا : لا ، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيك فقال[2] : [من الكامل]

أَأَمَرْتُماني أن أُقِيـمَ عليكما كلاَّ لعَمْرُ أبيكما الحَبَّاقِ
عبدانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبْعِه شَلَّ الأجير قلائصَ الوَرَّاقِ[3]

[سأل أمّه من أبوه فخلطت عليه]

قال : وسأل الحطيئةُ أمَّه : مَن أبوه فخَلَطتْ عليه فقال[4] : [من الطويل]

تقـول لِيَ الضرَّاءُ لستَ لواحِدٍ ولا اثنين فانظر كيفَ شِرْكُ أُولئكا
وأنتَ امرؤٌ تَبغِي أباً قـد ضَلَلْتَه هَبِلْـتَ ألَّا تَسْتَفِقْ من ضَلالِكا

[خبره مع إخوته من بني الأفقم]

قال : وغضِبَ عليها فلحِقَ بإخوته بني الأفقم فقال : [من البسيط]

سِيري أُمامَ فإن المـال يجمعُه سَيبُ الإله وإقبـالي وإدباري

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامـةَ خيرُ ساكِنهـا أهلُ القُرَيَّـةِ مـن بنـي ذُهلِ

وسألهم ميراثَه من الأفقم فأعطَوْه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعى نخلات أُمّ مُليكة ، وأمّ مليكة : امرأةُ الحطيئة ، فقال : [من الطويل]

---

1 أفقم : في أسنانه عيب .
2 ديوان الحطيئة : 281 .
3 يشل : يطرد ، بضبعه : بوسط عضده . الورّاق : صاحب الورِق ، أي ذو المال .
4 ديوان الحطيئة : 276 .

لِيَهْنِي تُراثِي لامرىءٍ غيرَ ذِلَّةٍ صَنابيرُ أُحْـدانٌ لهـنّ حَفيفُ

قال : ثم لم تُقْنِعه النُّخيلات ، وقد أقام فيهم زماناً فسألهم ميراثه كاملاً من الأَفقم فلم يُعطوه شيئاً وضربوه[1] ، فغضِب عليهم وقال[2] : [من الطويل]

تَمنّيتُ بكرا أن يكونوا عِمارتي وقومِـي وبَكرٌ شرُّ تلك القبائلِ[3]

إذا قلـتُ بَكْرِيٌّ نَبَوْتُمْ بحاجتي فيا ليتني مِـن غيرِ بكرِ بن وائلِ

فعاد إلى بني عبس وانتسب إلى أَوْس بن مالك . وقال الأصمعيّ في خبره : لمّا أتى أهل القُرَيَّة ، وهم بنو ذُهْلٍ ، يطلب ميراثه من الأَفقمِ مدحهم فقال : [من الكامل]

إنّ اليمامـةَ خيرُ ساكِنهـا أَهلُ القُرَيَّـة من بني ذُهْلِ

الضامنون لمـالِ جارهِـمُ حتى يتـمَّ نـواهضُ البقلِ

قـوم إذا انتسبوا ففرعُهُم فرَعِي وأثبتُ أَصْلِهم أَصْلِي

قال : فلم يُعطوه شيئاً ، فقال يهجوهم : [من الكامل]

إنّ اليمامـة شَرُّ ساكنهـا أهلُ القُرَيَّـة من بني ذُهْلِ

[تزوّجت أمّه فهجاها]

وقال أبو اليَقْظان في خبره : كان الرجل الذي تزوّج أمّ الحطيئة أيضاً ولدَ زنا اسمه الكَلْب بن كُنَيس بن جابر بن قَطَن بن نَهشل ، وكان كُنَيس زنى بأمَةٍ لزُرارة يقال لها رُشَيّةُ ، فولدت له الكلبَ ويَربوعاً ، فطلبهم من زُرارة فمنعه منهم ، فلمّا مات طلبهم من ابنه لَقِيطٍ فمنعه ؛ وقال لقيطُ في ذلك : [من الطويل]

أفِي نصفِ شهر ما صَبَرتم لحقِّنا ونحنُ صبرنَـا قبـل ذاكَ سِنِينا

وهي أبيات . فتزوّج الكلب الضَّرَّاء أمَّ الحطيئة ؛ فهجاه الحطيئة وهجا أُمَّه فقال[4] : [من الكامل]

ولقد رأيتُـكِ في النساءِ فسُؤتِني وأَبـا بنيكِ فساءني في المجلسِ

إنّ الذليـل لمـن تَـزُور ركابُه رهطَ ابن جَحْشٍ في الخُطوبِ الحُوّسِ[5]

1 ل : فصرفوه .

2 ديوان الحطيئة .

3 العمارة : القبيلة .

4 ديوان الحطيئة : 273 .

5 الحوس : الشداد .

قَبــحَ الإلــهُ قبيلــةً لم يَمنعُــوا يومَ المُجَيْمِرِ جارَهم مِــن فَقْعَسِ[1]
أبلغْ بنــي جَحْش بــأنّ نِجارَهُم لــؤمٌ وأنّ أباهــمُ كالهِجْرِسِ[2]

وقال الحطيئة يهجو أمه[3] : [من الوافر]

جــزاكِ اللهُ شرّاً من عجوزٍ ولقّــاكِ العُقُوقَ مــن البنينِ
فقد مُلِّكتِ أمرَ بنيكِ حتى تركتِهِمُ أدقَّ مــن الطَّحِينِ[4]
فإن تُخْلَيْ وأمرَكِ لا تَصُولي بمشْتدٍّ قُــواهُ ولا مَتِينِ
لسانُكِ مِبْرَدٌ لا خير فيــه ودَرُّكِ دَرُّ جاذبــةٍ دَهِينِ[5]

وقال يهجو أمّه أيضاً[6] : [من الوافر]

تَنَحَّيْ فاجلِسي مِنّي بعيداً أراحَ اللهُ منــكِ العالَمينــا
أغِرْبالاً إذا استُودِعْتِ سِرّاً وكانونــاً على المتحــدّثينا
حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سُوءٍ وموتُكِ قــد يسرُّ الصالحِينا

[هجاء دنيء النفس فاسد الدين]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان الحطيئة جَشِعاً سَؤولاً مُلحِفاً ، دنيءَ النفس ، كثير الشرِّ ، قليل الخير ، بخيلاً ، قبيح المنظر ، رَثَّ الهيئة ، مغموز النسب ، فاسد الدِّين ، وما تشاء أن تقول في (شعر) شاعرٍ من عيبٍ إلاّ وجدته ، وقلَّما تجد ذلك في شعره .

أخبرني ابن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : بُخلاء العرب أربعةٌ : الحطيئة ، وحميد الأَرقَط ، وأبو الأسود الدُّؤَلِيّ ، وخالد بن صفوان .

أخبرنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الحطيئة بَذِيّاً هَجَّاءً ، فالتَمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول[7] : [من الطويل]

---

1 المجيمر : أرض أو جبل ببلاد بني أسد . فقعس : قبيلة من بني أسد .
2 الهجرس : ولد الثعلب .
3 ديوان الحطيئة : 278 .
4 فقد ملكت في الديوان : فقد سُوِّسْتِ .
5 لا خير فيه في ل : لا عيب فيه ؛ الديوان : لم يبق شيئاً . الجاذبة : الناقة التي تجذب لبنها فلا ينزل ، والدهين : الناقة القليلة اللبن .
6 ديوان الحطيئة : 277 .
7 ديوان الحطيئة : 282 .

أَبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلاّ تكلُّماً بشرٍّ فما أَدْرِي لِمن أنا قائِلُهْ

وجعل يُدَهْوِرُ هذا البيت في أشداقِه ولا يرى إنساناً ، إذ اطّلع في رَكِيٍّ أو حوض فرأى وجهه فقال : [من الطويل]

أَرى لِيَ وجهاً شَوّهَ اللهُ خَلْقَه فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

[قدم المدينة فجمعت له قريش العطايا خوفاً من شرّه]

نسختُ من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء : حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي قال : قدِم الحطيئة المدينة فأَرْصَدَت قريشٌ له العطايا خوفاً من شرِّه ، فقام في المسجد فصاح : مَن يحمِلني على بغلين .

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم[1] وأخبرني الحسين بن يحيى المِرداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عبيدة والمدائنيّ ومُصعبٌ : كان الحطيئة سؤولاً جَشِعاً ، فقدِم المدينة وقد أرصَدَتْ له قريش العطايا ، والناس في سَنَةٍ مُجدِبةٍ وسَخطةٍ من خليفة[2] ، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضهم إلى بعض ، فقالوا : قد قدِم علينا هذا الرجل وهو شاعر ، والشاعر يَظُنّ فيُحقِّق ، وهو يأتي الرجل من أشرافكم يسأله ، فإن أعطاه جَهْدَ نفسِهِ بَهَرَها[3] ، وإن حرمَه هجاه ، فأُجمع رأيُهم على أن يجعلوا له شيئاً مُعَدّاً يجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرة والعشرين والثلاثين ديناراً حتى جمعوا له أربعمائة دينار ، وظنّوا أنّهم قد أغنَوه ، فَأَتَوه فقالوا له : هذه صلة آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آل فلان وهذه صلة آل فلان ، فأخذها ؛ فظنّوا أنّهم قد كَفَوه عن المسألة ، فإذا هو يومَ الجمعة قد استقبل الإمام ماثلاً ينادي : مَن يحملني على بغلين وقاه الله كَبَّةَ جهنّم[4] .

[كان متين الشعر]

ووصف أبو عبيدة ومحمد بن سلاّم شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرقَ ما وصفاه به في هذا الخبر ، أخبرنا به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم وابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قالا : كان الحطيئة مَتينَ الشعر ، شَرودَ القافية[5] ، وكان دنيءَ النفس ، وما تشاء أن تطعن في

1 طبقات ابن سلام 1 : 113 (الفقرة : 130) .

2 في سخطة من خليفة أي غضبة ؛ وقد توفي الحطيئة سنة 59هـ ؛ وقد يكون الخليفة هو معاوية ؛ ولعلّه كان مغضباً على أهل المدينة .

3 بهر نفسه : كلفها فوق ما تطيق .

4 كبّة جهنّم : شدّتها وصدمتها .

5 القافية الشرود : القصيدة التي تسير في البلاد .

شعر شاعر إلاّ وجدت فيه مطعَناً ، وما أقلّ ما تجد ذلك في شعره .

[وضعه كعب بن زهير بعده في الشعر فهجاه مزرد بن ضرار]

قالا : فبلغ من دناءة نفسه أنّه أتى كعب بن زهير ، وكان الحطيئةَ راويةَ زهير وآل زهير ، فقال له : قد علمتَ روايتي لكم أهلَ البيت وانقطاعي إليكم ، وقد ذهب الفحول غيري وغيرك ، فلو قلتَ شعراً تذكر فيه نفسَكَ وتضعُني موضعاً بعدك ، وقال أبو عبيدة ؛ تبدأ بنفسك فيه ثم تُثنّي بي ، فإنّ الناس لأشعاركم أروَى وإليها أسرع ! فقال كعب[1] : [من الطويل]

فمَن للقوافي شانَها مَنْ يَحوكُها ... إذا ما ثَوى كعبٌ وفَوَّز جَرْوَلُ
كَفَيتُكَ لا تلقَى من الناسِ واحداً ... تَنَخَّلَ منهـا مثـلَ مـا نَتَنَخَّلُ
نقولُ فـلا نعيا بشيءٍ نقولُـه ... ومِن قائِليها مَنْ يُسيىء ويُجْمِلُ
نُثَقِّفها حتّـى تَلِـينَ مُتُونُها ... فيقصُرُ عنهـا كلّ مـا يُتمَثَّلُ

قال : فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرار ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمَّاخ ، وكان عِرِّيضاً أي شديد العارِضة كثيرَها ، فقال[2] :

باستك إذ خلّفتَني خلفَ شاعرٍ ... من الناس لم أُكْفِىء ولم أتنحّلِ[3]
فإن تَخْشِبا أَخْشِب وإن تتنخَّلا ... وإن كنتُ أَفْتى منكما أتنخَّلِ[4]
فلستَ كحَسّانَ الحُسامِ ابنِ ثابتٍ ... ولست كَشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّلِ

[هجا قومه ومدح إبله]

نسختُ من كتاب الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك قال : أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدح إبله فقال[5] : [من الطويل]

مَهارِيسُ يُرْوِي رِسْلُها ضيفَ أهلِها ... إذا الريحُ أبدتْ أوجُـهَ الخَفِراتِ[6]

1 ديوان كعب بن زهير (شرح السكري) : 59–60 (دار الكتب 1950) .
2 أبيات مزرد وردت في ديوان كعب : 64 وما بعدها .
3 أكفأ : جاء بالإكفاء ، وهو عيب في القافية . تنحّل : ادّعى شعراً لنفسه وهو ليس له .
4 خشب الشعر جاء به كما جادت به القريحة دون تنقيح ؛ وقد تقرأ «خشن» بالنون .
5 ديوان الحطيئة : 322 .
6 المهاريس : النوق التي تأكل العيدان (تهرسها) إذا لم تجد كلأً . رسلها : حليبها .

يُزِيلُ القَتادَ جذبُها بأصولِه إذا أصبحتْ مُقْوَرَّةً خَرِصاتِ[1]

[دخل عند سعيد بن العاص فأنكره الناس ثم عرف فكرّم]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن التَّوَّزِيّ عن أبي عبيدة قال : بينا سعيد بن العاص يُعَشِّي الناس بالمدينة والناس يخرجون أوّلاً أوّلاً ، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظر ، رثّ الهيئة ، جالسٍ مع أصحاب سَمَرِه ، فذهب الشُّرَطُ يُقيمونه فأبى أن يقوم ، وحانتْ من سعيدٍ التفاتةٌ فقال : دَعُوا الرجل ، فتركوه ؛ وخاضوا في أحاديث العرب وأشعارها مَلِيّاً ؛ فقال لهم الحطيئة : والله ما أصبتم جَيِّدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب ؛ فقال له سعيد : أتعرِف من ذلك شيئاً ؟ قال : نعم ؛ قال : فمن أشعرُ العرب ؟ قال : الذي يقول : [من الخفيف]

لا أَعُـدُّ الإقتارَ عُدمـاً ولكن فَقْدُ مَـنْ قـد رُزِئتُـه الإعدامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ؛ فقال له : مَن يقولها ؟ قال : أبو دُوادٍ الإياديُّ ؛ قال : ثم مَن ؟ قال : الذي يقول : [من الرجز]

أَفْلِحْ بما شئتَ فقد يُدرَكُ بالـ ـجهلِ وقـد يُخدَّعُ الأريبُ[2]

ثم أنشدها حتى فرغ منها ؛ قال : ومن يقولها ؟ قال عَبِيد بن الأَبْرص ؛ قال : ثم من ؟ قال : والله لَحَسْبُك بي عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجليّ على الأُخرى . ثم عَوَيت في أثر القوافي عُواء الفَصيل الصّادِي ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : الحطيئةُ ؛ قال : فرحّبَ به سعيد ، ثم قال : أسأت بكتماننا نفسَك منذ الليلة ؛ ووصَله وكساه .

[عتيبة بن النهاس يكرمه عندما عرفه]

ومضى لوجهه إلى عُتيبة بن النَّهَّاس العِجْليّ فسأله ؛ فقال له : ما أنا على عملٍ فأعطيكَ من عدده ، ولا في مالي فضل عن قومي ؛ قال له : فلا عليك ، وانصرف . فقال له بعض قومه : لقد عرّضتنا ونفسَك للشرّ ؛ قال : وكيف ؟ قالوا : هذا الحطيئة وهو هاجِينا أخبثَ هجاء ؛ فقال : رُدّوه ، فردّوه إليه ، فقال له : لِمَ كتمتنا نفسَك كأنّك كنت تطلب العِلَل علينا ؟ اجلسْ فلك عندنا ما يسرّك ؛ فجلس فقال له : مَن أشعر الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

ومَنْ يَجعَلِ المعروفَ من دون عِرْضِه يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِـي الشَّتمَ يُشتَمِ[3]

---

1 مقورة : مهزولة . خرصات : جائعات ، وفي ل : خورات .

2 أفلح : أي أبقَ . وفي ل : أدرك .

3 يفره : يكمله .

فقال له عتيبة : إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك ؛ ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلب شيئاً إلاّ اشتريته[1] له ؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزَّ ورقيقَ الثياب فلا يريدها ويُومِيء إلى الكرابيس[2] والأكسية الغِلاظِ فيشتريها له حتى قضى أربَه ثم مضى ؛ فلمّا جلس عتيبة في نادي قومه أقبل الحطيئة ، فلمّا رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذِ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرّك ؛ قال : قد كنتُ قلتُ بيتين فاستمِعْهما ثم أنشأ يقول[3] : [من الطويل]

سُئِلتَ فلم تبخَل ولم تُعْطِ طائـلاً ... فَسِيّانِ لا ذمٌّ عليـكَ ولا حمـدُ[4]

وأنتَ امرؤ لا الجودُ منكَ سَجِيّةٌ ... فتُعطِي ولا يُعدِي على النائل الوُجْدُ

ثم ركض فرسَه فذهب .

[ليس في شعره مطعن]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزيَد البُوشَنْجِيّ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن عمرو الجَرجَرائيّ[5] عن أبي صفوان الأحوزيّ[6] قال : ما من أحدٍ إلاّ لو أشاءُ أن أجِدَ في شعره مطعَناً لوجدته إلاّ الحطيئة[7] .

[رأي إسحاق في شعره]

قال حمّاد : وسمعت أبي يقول وقد أنشَدَ قولَ الحطيئة : [من الطويل]

وفتيـانِ صدقٍ من عَـدِيٍّ عليهـمُ ... صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَواتِقِ

إذا ما دُعُوا لم يَسأَلُوا مَنْ دعاهمُ ... ولم يُمْسِكوا فَوقَ القلوبِ الخَوافِقِ

وطارُوا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فأَلْجموا ... وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطِقِ

أولئك آباءُ الغَريب وغاثَةُ الصَّرِ ... يـخِ ومـأوَى المُرْمِلـين الدَّرادِقِ

أَحَلُّوا حِياضَ الموتِ فوقَ جِباهِهم ... مكانَ النَّواصي من وجوهِ السَّوابِقِ

ويروى :

---

1 ل : ابتعته .

2 الكرابيس : الثياب القطنية .

3 ديوان الحطيئة : 329 .

4 طائلاً في ل : نائلاً .

5 ل : الجرجاني .

6 ل : الأحوذي .

7 ديوان الحطيئة : 394 .

«إذا استُلْحِموا» . . . . . وإذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم

ويروى : أولئك أبناء العَزِيف ، ثم قال : أما إنّي ما أزعم أنّ أحداً بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة .

[وافقه ابن ميادة في شطر فعرف أنّه شاعر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغني أنّه لمّا قال ابن مَيَّادة :

تمشَّى بــه ظُلْمانه وجآذِرُهْ

قيل له : قد سبقك الحطيئة إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنَّ الحطيئة قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أنّي شاعرٌ حين واطأتُ الحطيئة .

[رأي الأصمعيّ في شعره]

قال حمّاد : قال أبي : وقال لي الأصمعيّ وقد أنشدني شيئاً من شعر الحطيئة : أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

[سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه]

قال حمّاد : قال أبي : وبلغني عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أنّه قال : لقيت الحطيئة بذات عِرق[1] فقلت له : يا أبا مُليكة ، مَن أشعر الناس ؟ فأخرج لسانه كأنّه لسان الحيّة ثم قال : هذا إذا طَمِع .

[قابل حسّان متنكّراً وسمع من شعره]

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن طلحة وكان قد قارب ثمانين سنة قال : أخبرني بعض أشياخنا أنّ أعرابيّاً وقف على حسّان بن ثابت وهو يُنشِد ، فقال له حسّان : كيف تسمع[2] يا أعرابيّ ؟ قال : ما أسمع[3] بأساً ؛ قال حسّان : أما تسمعون إلى الأعرابيّ ؟ ما كنيتكَ أيّها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ عليّ منك حين اكتنيتَ بامرأة ، فما اسمك ؟ قال : الحطيئة ، فأطرق حسّان ثم قال له : امضِ بسلام .

[الحطيئة وابن الحمامة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال[4] : مرّ ابن الحمامة بالحطيئة وهو جالس بفناء بيته ، فقال : السلام عليكم ؛ فقال : قلتَ ما لا يُنكر ؛ قال : إنّي خرجت

1 ذات عرق : على الحدّ بين نجد وتهامة .

2 ل : كيف ترى .

3 ل : ما أرى .

4 الحكاية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 380) .

من [عند] أهلي بغير زاد ؛ فقال : ما ضَمِنتُ لأهلك قِراك ؛ قال : أفتأذن لي أن آتيَ ظلَّ بيتك فأتفيّأ به ؟ قال : دونكَ الجبلَ يفيءُ عليك ؛ قال : أنا ابن الحمامة ؛ قال : انصرف وكن ابن أيّ طائر شئت .

وأخبرنا بهذا الخبر اليزيديّ عن الخزّاز[1] عن المدائنيّ فحكى ما ذكرناه من قول الحطيئة عن أبي الأسود الدُّؤَليّ .

وأخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة والمدائنيّ قالا[2] : أتى رجلٌ الحطيئة وهو في غنم له فقال له : يا صاحبَ الغنم ، فرفع الحطيئة العصا وقال : إنّها عَجراء من سَلَم ؛ فقال الرجل : إنّي ضيف ؛ فقال : للضِّيفانِ أعددتُها ، فانصرف عنه . قال إسحاق : وقال غيرهما : إنّ الرجل قال له : السلام عليكم ؛ فقال له : عَجْراء من سَلَم ؛ فقال : السلام عليكم ؛ فقال : أعددتُها للطُّرّاق ؛ فأعاد السلام فقال له : إن شئتَ قمتُ بها إليك ؛ فانصرف الرجل عنه .

[«إنّما أنا حسب موضوع»]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : زعم الجاحظ أنّ الحطيئة كان يقول : إنّما أنا حسَبٌ موضوعٌ ؛ فسمع عمرو بن عُبَيد رجلاً يحكي ذلك عنه يقال له عبد الرحمن بن صِدِّيقة ، فقال عمرو : كذب تَرَّحَه الله إنّما ذلك التقوى .

[يهجو أضيافه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعيّ : لم ينزل ضيفٌ قطُّ بالحطيئة إلاّ هجاه ، فنزل به رجلٌ من بني أسد لم يسمِّه الأصمعيّ ، وذكر أبو عبيدة أنّه صَخْر بنُ أَعْيَى الأَسَدِيّ أحدُ بني أَعْيَى بن طَرِيف بن عمرو بن قُعَين ، فسقاه شَربةً من لبنٍ ، فلمّا شربها قال[3] : [من الطويل]

لَمّا رأيتُ أنّ مَنْ يبتغِي القِرَى ... وأن ابنَ أعْيَى لا محالةَ فاضِحِي

شَدَدْتُ حَيازيمَ ابنِ أعيى بشربةٍ ... على ظَمإٍ سَدَّتْ أصولَ الجوانِحِ

وروى الأصمعيّ شَدَّتْ بالشين المعجمة :

ولم أَكُ مثلَ الكاهِلِيِّ وعِرْسِه ... بَغى الوُدَّ من مَطْروفَةِ العينِ طامِحِ[4]

---

1 الخزاز : هو أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز (بزاءين) .

2 الحكاية التالية في التذكرة الحمدونية 2 : 318 (رقم : 821) .

3 ديوان الحطيئة : 317 .

4 الكاهليّ : رجل من بني كاهل ، سقته زوجه سمّاً . مطروفة العين في ل : مطروفة الودّ .

غدا باغياً يَبْغِي رضاها وودَّها وغابتْ له غيبَ امرىء غيرِ ناصِحِ
دعَتْ ربَّها ألاّ يزالَ بفاقةٍ ولا يغتَدِي إلاّ على حدِّ بارِحِ[1]

قال فأجابه صخرُ بن أعْيَى فقال[2] : [من الطويل]

ألا قَبَحَ اللهُ الحطيئةَ إنّه على كلِّ ضيفٍ ضافَه هو سالِحُ
دُفِعْتُ إليه وهو يخنُقُ كلبَه ألا كلُّ كلبٍ لا أبا لكَ نابِحُ
بكَيتَ على مَذْقٍ خبيثٍ قَرَيْتَه ألا كلُّ عَبْسِيٍّ على الزاد شائِحُ

قال أبو عبيدة وهجا الحطيئة أيضاً رجلاً من أضيافه فقال[3] : [من الوافر]

وسَلَّمَ مرّتينِ فقلتُ مهلاً كفتكَ المرّةُ الأولى السَّلاما
ونَقْنَقَ بطنُه ودعا رُؤَاساً لِمَا قد نالَ من شِبَعٍ وناما[4]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم عن يونس أنّ الحطيئة خرج في سفر له ومعه امرأته أُمامة وابنته مُلَيكة ، فنزل منزِلاً وسرحَ ذَوْداً له ثلاثاً ، فلمّا قام للرَّواح فقَد إحداها فقال : [من الوافر]

أذئبُ القفرِ أم ذئبٌ أنيسٌ أصابَ البَكْرَ أم حَدَثُ الليالي
ونحن ثلاثةٌ وثَلاثُ ذَوْدٍ لقد جارَ الزمانُ على عِيالِي

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه قال قال أبو عمرو بن العلاء : لم تقل العربُ بيتاً قطُّ أصدقَ من بيت الحطيئة : [من البسيط]

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جَوازِيَه لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ

فقيل له : فقولُ[5] طَرَفَة : [من الطويل]

سَتُبدِي لكَ الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار مَنْ لم تُزوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممّن زَوّدتَ أكثر ، وليس بيتٌ ممّا قالته الشعراء إلاّ وفيه مَطعَنٌ إلاّ قولَ[6] الحطيئة : [من البسيط]

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

---

1 إلا على في ل : إلاّ رأى . أي لا يقابله إلاّ الطائر البارح الذي يتشاءم به .
2 شعر ابن أعين في ديوان الحطيئة : 319–320 .
3 ديوان الحطيئة : 353 .
4 نقنق : قرقر ، لأنّه شبع ، فنادى : يا بني رؤاس ، أشرّاً منه وبطراً .
5 ل : فبيت .
6 ل : بيت .

قال إسحاق قال المدائنيّ قال سَلْم بن قتيبة : ما أعلم قافيةً تستغني عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنشَد مثل قول الحطيئة :

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

[كتب له الأصمعيّ أربعين قصيدة في ليلة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدّثنا الرِّياشيّ قال سمعت الأصمعيّ يقول : كتبت للحطيئة في ليلةٍ أربعين قصيدة .

[«لا يذهب العرف . . .» في التوراة وهو من تخرصات كعب الأحبار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : بلغني أنّ هذا البيت في التوراة ، ذكره غير واحد عن أُبَيّ بن كعب . يعني قول الحطيئة : [من البسيط]

لا يذهبُ العرفُ بينَ اللهِ والناسِ

قال إسحاق وذكر عبد الله بن مروان عن أيُّوب بن عثمان الدِّمشقيّ عن عثمان بن أبي عائشة قال : سَمِعَ كَعبٌ الحِبْرُ رجلاً يُنشِد بيت الحطيئة : [من البسيط]

مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه لا يذهبُ العُرفُ بينَ اللهِ والناسِ

فقال : والذي نفسي بيده إنّ هذا البيت لمكتوبٌ في التوراة . قال إسحاق قال العمريّ : والذي صحّ عندنا في التوراة «لا يذهبُ العرفُ بين اللهِ والعبادِ» .

[أوصى عبيد الله بن شدّاد ابنه بشعره]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عدنان : لمّا حضَرتْ عبيد الله بن شدّاد الوفاة دعا ابنه محمداً فأوصاه وقال له : يا بُنيّ إنّي أرى داعِيَ الموتِ لا يُقلِعُ ، وبِحقٍّ أنّ مَن مضى لا يرجع ، ومن بَقِي فإليه ينزِعُ . يا بنيّ ، لِيكُن أَولى الأمور بك تقوى الله في السرّ والعلانية ، والشكر لله ، وصِدقَ الحديث والنيّة ، فإنّ للشكر مزيداً ، والتقوى خيرُ زادٍ ، كما قال الحطيئة[1] : [من الوافر]

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مالٍ ولكنّ التقيّ هو السعيدُ
وتقوَى اللهِ خيرُ الزاد ذخراً وعندَ اللهِ للأتقَى مَزِيدُ
وما لا بدّ أن يأتيَ قريبٌ ولكنّ الذي يمضي بعيدُ

[روى حمّاد لبلال مدحه في أبي موسى الأشعريّ]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قَدِم حمّاد

1 الأبيات أضيفت إلى ديوانه : 393 .

الراوية البصرة على بِلال بن أبي بُردة وهو عليها ؛ فقال له : ما أطرفتَني شيئاً يا حمَّاد ؛ قال : بَلى ، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة في أبي موسى الأَشْعَريّ يمدحه : [من البسيط]

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن جُشَمٍ ومن تَميم ومن حاءٍ ومن حامِ
مُسْتَحقباتٍ رَواياهـا جَحافِلَها يَسْمُو بها أَشْعَريٌّ طَرْفُه سامِي

فقال له بلال : وَيحكَ ؛ أيمدحُ الحطيئة أبا موسى الأشعريَّ وأنا أروي شعرَ الحطيئة كلَّه فلا أعرفُها ؛ ولكن أشِعْها تذهَب في الناس .

وذكر المدائنيّ أنّ الحطيئة قال هذه القصيدة في أبي موسى ، وأنّها صحيحة . قالها فيه وقد جمع جيشاً للغزو فأنشده : [من البسيط]

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أَسَدٍ

وذكر البيتين وبينهما هذا البيت وهو :

فما رضيتَهـمُ حتـى رَفدْتَهمُ بوائلٍ رهطِ ذي الجَدَّينِ بِسْطامِ

فوصله أبو موسى ؛ فكتب إليه عمر رضي الله عنه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه : إنّي اشتريت عِرضي منه بها ؛ فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنّما فديتَ عرضك من لسانه ولم تعطه للمدح والفخر فقد أحسنتَ[1] . ولمّا وَلِيَ بلالُ بنُ أبي بُرْدةَ أنشده إيّاها حمّادٌ الراوية فوصله أيضاً .

[كذبه عمر في بيت قاله]

ونسختُ من كتاب لحمّاد بن إسحاق حدّثني به أبي وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرياشيّ قال حدّثني محمد بن الطُّفيل عن أبي بكر بن عيَّاش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال : سبَق رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على فرس له فجَثا على ركبتيْه وقال : «إنّه لبَحْر» ؛ قال عمر : كذَب الحطيئة حيث يقول : [من الطويل]

وإنّ جيـادَ الخيـل لا تستفِزُّنا ولا جاعلاتُ الرَّيطِ فوقَ المَعاصِمِ[2]

لو ترك هذا أحدٌ لتركه رسول الله ﷺ .

[أراد سفراً فاستعطفته امرأته فرجع]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة أنّ الحطيئة أراد سفراً فأتتْه امرأته وقد قُدِّمتْ راحلته ليركب ، فقالت : [من الكامل]

---

1 هذا خبر غريب .

2 يوصف الفرس بأنّه بحر إذا كان واسع الخطو .

آذكـرْ تحنُّنَنَا إليكَ وشوقَنا واذكـرْ بناتِـك إنّهنّ صِغارُ

فقال : حُطُّوا ، لا رحلتُ لسفرٍ أبداً .

[رجل ضاف قوماً من الجنّ فيهم صاحب الحطيئة]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدّثنا عبد الرحمن ابنُ أخي الأصمعيّ عن عمّه عن أبيه قال : قال رجل : ضِفْتُ قوماً في سفر وقد ضللتُ الطريقَ ، فجاؤوني بطعام أجدُ طعمَه في فمي وثقلَه في بطني ، ثم قال شيخ منهم لشابٍّ : أنشِدْ عمَّك ؛ فأنشدني : [من الطويل]

عفا من سُلَيمى مُسْحُلانُ فَحامِرُهْ تَمَشَّى بـه ظِلْمانُـه وجَآذِرُهْ[1]

فقلت له : أليس هذا للحطيئة ؟ فقال : بلى ، وأنا صاحبه من الجنّ .

[رأي ابن شبرمة في شعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : قال ابن عُيَينة : سمعت ابن شُبرمة يقول : أنا والله أعلم[2] بجيِّد الشعر ، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول[3] : [من الطويل]

أولئك قـوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا شَدُّوا

وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بها وإن أَنْعموا لا كدَّرُوها ولا كَدُّوا

وإن قال مَوْلاهم على جُـلِّ حادثٍ من الدهرِ رُدُّوا فَضْلَ أحلامكم رَدُّوا

قال : وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عدنان عن هذا البيت : ما واحد البُنى ، قال : بِنْية ؛ فقال له : أتُجْمَع فِعْلة على فُعَل ؟ قال : نعم مثل رِشْوة ورُشًى وحِبْوة وحُبًى .

[نزل على بني مقلد فأحسنوا جواره ومدحهم]

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن صدقة الأنباريّ قال حدّثنا ابن الأعرابيّ عن المفضّل : أنّ الحطيئة أقحمتْه السنة ، فنزل ببني مُقَلِّد بن يَرْبُوع ، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا : إنّ هذا الرجل لا يَسْلَم أحدٌ من لسانه[4] ، فتعالَوْا حتى نسأله عمّا يحبّ فنفعله وعمّا يكره فنجتنبه ؛ فأتَوْه فقالوا له : يا أبا مُلَيْكة ، إنّك اخترتنا على سائر العرب ووجب حقُّك علينا ، فمُرْنا بما تحبّ أن نفعله وبما تحبّ أن ننتهي عنه ؛ فقال : لا تُكثروا زيارتي فتُمِلُّوني ، ولا تقطعوها فتُوحِشُوني ، ولا تجعلوا فِناءَ بيتي مجلساً لكم ، ولا تُسْمِعوا

1 عفا من سليمى مسحلان في ل : عفا مسحلان من سليمى .

2 ل : عالم .

3 ديوان الحطيئة : 140 .

4 ل : لا يسلم على لسانه أحد .

بناتي غناءَ شُبّانكم[1] ، فإنّ الغناء رُقْية الزنا . قال : فأقام عندهم . وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أُمُّكم الطلاق ، لئن تَغَنَّى أحد منكم والحطيئة مقيمٌ بين أظهُرنا لأضربنّه ضربةً بسيفي[2] أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزل مقيماً فيما يرضى حتى انجلتْ عنه السَّنَةُ ، فارتحل وهو يقول[3] : [من البسيط]

جاورتُ آلَ مُقَلَّـدٍ فحَمِدتُهم إذ ليس كلُّ أخـي جِوارٍ يُحْمَدُ
أيامَ مَنْ يـُرِدِ الصنيعةَ يَصْطنعْ فينا ومن يُـرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَدُ

[خبره مع الزبرقان]

فأمّا خبره مع الزِّبرقان بن بدر والسبب في هجائه إيّاه ، فأخبرني به أبو خليفة عن محمد بن سلاّم ولم يتجاوزه به ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس ، وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني اليزيديّ عن عمّه عبيدالله عن أبي حبيب عن ابن الأعرابيّ وقد جمعتُ رواياتهم وضممتُ بعضها إلى بعض :

أنّ النبيّ ﷺ كان ولّى الزِّبرِقان بن بدر بن امرىء القيس بن خَلَف بن بَهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم عَمَلاً ، وذكر مثل ذلك الأصمعيُّ ، وقال : الزِّبْرِقان : القمر ، والزبرقان : الرجل الخفيف اللحية . قال : وأقرَّه أبو بكر رضي الله عنه بعد النبيّ ﷺ على عمله ، ثم قدم على عمر في سنة مُجْدِبة ليؤدّي صدقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئة بقَرْقَرى[4] ومعه ابناه أوسٌ وسَوادةُ وبناتُه وامرأتُه ؛ فقال له الزِّبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال : العراق ، فقد حطَمتْنا هذه السنة ؛ قال : وتصنع ماذا ؟ قال ودِدتُ أن أصادف بها رجلاً يَكفيني مؤونة عيالي وأُصفِيه مَدحِي أبداً ؛ فقال له الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسِعك لبناً وتمراً ويجاورك أحسن جِوار وأكرمه ؟ فقال له الحطيئة : هذا وأبيك العيش ، وما كنت أرجو هذا كلَّه ؛ قال : فقد أصبتَه ؛ قال : عند مَنْ ؟ قال : عندي ؛ قال : ومن أنت ؟ قال : الزبرقان بن بدر ؛ قال وأين محلُّك ؟ قال : اركب هذه الإبل ، واستقبل مَطلِع الشمس ، وسَلْ عن القمر حتى تأتي منزلي . قال يونس : وكان اسم الزبرقان الحُصَين بن بدر ، وإنّما سمِّي الزبرقان لحسنه ، شُبِّه بالقمر . وقيل : بل لبس عمامة مزبرقةً[5] بالزَّعفران فسمِّي الزِّبْرِقان لذلك . وقال

1 ل : غناء شبيبتكم .
2 ل : بالسيف .
3 ديوان الحطيئة : 66 .
4 قرقرى : منطقة من اليمامة ذات قرى وزروع .
5 مزبرقة : مصبوغة .

أبو عبيدة في خبره : فقال له : سِرْ إلى أمّ شَذْرة وهي أمّ الزبرقان وهي أيضاً عمّة الفرزدق ، وكتب إليها أن أحْسِني إليه ، وأكثري له من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكَله إلى زوجته . فلحِق الحطيئة[1] بزوجته على رواية ابن سَلاّم ، وهي بنت صعصعة بن ناجِية المُجاشِعِيَّة ، واسمُها هُنَيدة[2] ، وعلى رواية أبي عبيدة : أنّها أُمُّه ، وذلك في عامٍ صعب مُجدِب ، فأكرمتْه المرأة وأحسنت إليه ؛ فبلغ ذلك بَغِيض بن عامر بن شَمّاس بن لأْي بن جعفر وهو أَنْفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوْف [بن كعب] بن سَعْد بن زيد مَناة بن تَمِيم ، وبلغ إخوته وبني عمّه فاغتنموها . وفي خبر اليزيديّ عن عمّه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ : وكانوا يغضبون من أنفِ الناقة ، وإنّما سُمِّيَ جعفرٌ أنفَ الناقة لأنّ أباه قُرَيعاً نحرَ ناقةً فقسَمها بين نسائه ، فبعثتْ جعفراً هذا أُمُّه ، وهي الشَّمُوس من وائل ثم من سعد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يبقَ من الناقة إلاّ رأسُها وعنقها ، فقال : شأنك بهذا ؛ فأدخل يده في أنفها وجرّ ما أعطاه ؛ فسمِّيَ أنف الناقة . وكان ذلك كاللّقب لهم حتى مدَحهم الحطيئة ، فقال[3] : [من البسيط]

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ومَن يسوِّي بأنفِ الناقة الذنبا

فصار بعد ذلك فخراً لهم ومدحاً ، وكانوا ينازعون الزِّبْرِقان الشرفَ ، يعني بَغِيضاً وإخوتَه وأهله ، وكانوا أشرفَ من الزِّبرقان ، إلاّ أنّه قد كان استعلاهم بنفسه . وقال أبو عبيدة في خبره : كان الحطيئة دَمِيماً سَيِّىء الخَلْق ، لا تأخذه العين ، ومعه عِيال كذلك ، فلمّا رأت أُمُّ شَذرة حالَه هان عليها وقصَّرت به ، ونظر بغيضٌ وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أُمُّ شذرة ، فأرسلوا إليه : أن ائتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصير والغَفلة ، ولستُ بالذي أحمِل على صاحبها ذنبها . فلمّا ألحّ عليه بنو أَنْف الناقة ، وكان رسولُهم إليه شَمّاس بن لأْي وعَلقمة بن هَوذة وبَغِيضَ بن شمّاس والمُخَبَّلَ الشاعر ، قال لهم : لستُ بحاملٍ على الرجل ذنبَ غيره ، فإن تُركتُ وجُفيت تحوّلتُ إليكم ؛ فأطمَعوه ووعدوه وعداً عظيماً . وقال ابن سَلاّم في خبره[4] : فلمّا لم يُجِبْهم دَسُّوا إلى هُنَيدة زوجةِ الزبرقان أنّ الزبرقان إنّما يريد أن يتزوّج ابنته مُلَيكة ؛ وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة للحطيئة جَفوة وهي في ذاك تُداريه . ثم أرادوا النُّجعة ، قال أبو عبيدة : فقالت له أُمُّ شَذْرة ، وقال ابن سَلاّم : فقالت له هُنيدة : قد حضَرت النُّجعة فاركب أنت وأهلُك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا

1 ل : فرحل الحطيئة حتى لحق .
2 ل : هند .
3 ديوان الحطيئة : 128 .
4 طبقات ابن سلام : 115 .

وكذا ، ثم اردُدْه إلينا حتى نَلحَقكَ[1] فإنّه لا يَسَعُنا جميعاً ؛ فأرسل إليها : بل تقدَّمي أنتِ فأنتِ أحقُّ بذلك ؛ ففعلتْ وتثاقلت عن ردّها إليه وتركتْه يومين أو ثلاثة ، وألحَّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له : قد تُرِكتَ بمَضْيعة . وكان أشدُّهم في ذلك قولاً بَغِيضَ بن شَمَّاس وعَلْقمة بن هَوذة ، وكان الزبرقان قد قال في علقمة : [من مجزوء الكامل]

لِـي ابنُ عـمٍّ لا يـزا ل يَعِيبُنِي ويُعِـينُ عائبْ
وأعِينُـه في النائبـا تِ ولا يُعِينُ على النوائبْ
تَسْرِي عَقارِبُـه إلـ ـيَّ ولا تَدِبُّ له عقارِبْ[2]
لاهِ ابنُ عَمِّـكَ لا يَخا فُ المُخزياتِ من العواقِبْ[3]

قال : فكان عَلْقمة ممتلئاً غيظاً عليه . فلمّا ألَحُّوا على الحُطَيئة أجابهم وقال : أما الآن فنعم ، أنا صائرٌ معكم . فتحمَّل معهم ، فضربوا له قبَّةً ، وربطوا بكلّ طُنُب من أطنابها جُلَّة[4] هَجَرِيَّة ، وأراحُوا عليه إبلهم ، وأكثروا له من التمر واللبن ، وأعْطَوْه لِقاحاً[5] وكُسْوة . قال : فلمّا قدِم الزبرقان سأل عنه فأُخبر بقصّته ، فنادى في بني بَهدلة بن عَرْف ، وهم لأُمٍّ دون قُرَيع ، أُمُّهم السَّفعاء بنت غنم بن قتيبة من باهلة . فركب الزبرقان فرسه ، وأخذ رمحه ، وسار حتى وقف على نادي بني شَمَّاس القُرَيعيّين ، فقال : رُدّوا عليّ جاري ؛ فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقد اطَّرحتَه وضيّعتَه ؛ فألَمَّ أن يكونَ بين الحيَّين حربٌ ، فحضرهم أهل الحِجى من قومهم ، فلاموا بَغِيضاً وقالوا : اردُدْ على الرجل جارَه ؛ فقال : لست مُخرِجَه وقد آويتُه ، وهو رجل حرٌّ مالكٌ لأمره ، فخيِّروه فإن اختارني لم أُخرِجْه ، وإن اختاره لم أُكْرِهْه . فخيَّروا الحطيئة فاختار بغيضاً ورهطه ؛ فجاء الزبرقان ووقف عليه وقال له : أبا مُليكة ، أفارقتَ جِوارِي عن سُخْط وذَمّ ؟ قال : لا ؛ فانصرف وتركه . هذه رواية ابن سَلاَّم[6] ، وأمّا أبو عبيدة فإنّه ذكَر أنّه كان بين الزبرقان ومن معه من القُرَيعيِّين تَلاحٍ وتَشاحٌّ . وزعم غيرهما أن الزبرقان استعدى عمر بن الخطّاب على بغيضٍ ، فحكم عمر بأن يُخرَجَ الحطيئة حتى يُقام في موضعٍ خالٍ بين الحيَّين وحدَه ويُخلَّى سبيلُه ، ويكون جارَ أيِّهما اختار ؛ ففعَل ذلك به ، فاختار القُرَيعيِّين . قال : وجعل الحطيئة

---

1 ل : حتى يلحقنا .
2 ولا تدب في ل : ولا تيممه .
3 لاه : لله .
4 الجلّة : وعاء من خوص لحفظ التمر . وعند ابن سلام : جلة من بر في هجر .
5 اللقاح : النوق الحلوبة .
6 ليس هذا مطابقاً تماماً لما عند ابن سلاّم .

يمدحهم من غير أن يَهجُو الزبرقان ، وهم يحضُّونه على ذلك ويُحرِّضونه فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عندي ؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بن قاسِط يقال له دِثار بن شيبان ، فهجا بَغِيضاً فقال : [من الوافر]

أرى إبلِي بجَوْف الماء حَلَّتْ ... وأعْوزها بـه المـاءُ الرَّواءُ
وقد وردَتْ مِياهَ بنـي قُرَيْع ... فما وصلُوا القرابةَ مذ أساؤوا
تُحَلَّأُ يـومَ وِرْد الناس إبْلِي ... وتَصْدُر وهـي مُحنِقةٌ ظِماءُ[1]
أَلَـم أَكُ جارَ شمّاس بنِ لأْي ... فأسلمني وقـد نـزل البَلاءُ
فقلتُ تحوَّلِـي يـا أُمَّ بَكْـرٍ ... إلى حيـثُ المكـارمُ والعَلاءُ
وجدنا بيتَ بَهْدلةَ بنِ عَوْفٍ ... تعالى سَمْكُـه ودَحَـا الفَناءُ
وما أَضْحَى لشَمَّاسِ بنِ لأْيٍ ... قَدِيـمٌ في الفَعـالِ ولا رَباءُ[2]
سِوى أنّ الحطيئةَ قـال قولاً ... فهـذا مـن مقالتِـه جزاءُ

فحينئذٍ قال الحطيئةُ يَهجو الزبرقان ويُناضل عن بغيضٍ قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

والله مـا مَعْشرٌ لامُوا امْرءاً جُنُباً ... في آلِ لأْي بن شَمَّـاس بأَكْياسِ
مـا كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أبا لكمُ ... في بائسٍ جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقد مَرَيْتُكـمُ لـو أن دِرَّتَكم ... يوماً يَجِيء بها مَسْحِي وإبْساسِي[4]
وقـد مدحتُكـمُ عمداً لأُرْشِدكم ... كيما يكون لكم مَتْحِي وإمراسي
لمـا بـدا لِيَ منكم غيبُ أنفسِكم ... ولم يكن لجِراحـي فيكمُ آسي
أزمعتُ يأساً مُبِيناً مـن نَوالِكُمُ ... ولن يُـرى طارداً للحُرِّ كالياسِ[5]
جـارٌ لقومٍ أطالُوا هُـونَ منزِلِه ... وغـادرُوه مقيمـاً بـينَ أَرْماسِ
مَلُّوا قِـراه وهَرَّتْـه كلابُهُـم ... وجَرَّحُـوه بأنيـابٍ وأَضْراسِ

1 تحلأ : تمنع من ورود الماء . محنقة : ضامرة .
2 الرباء : الفضل .
3 ديوان الحطيئة : 283 .
4 مرى : مسح الضرع لتدرّ الناقة . الابساس : التسكين والتهدئة .
5 يرى في ل : ترى .

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها واقعُدْ فإنّكَ أنت الطاعمُ الكاسي
مَن يَفْعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَه لا يذهبُ العُرْفُ بين اللهِ والناسِ
ما كان ذنبيَ أن فَلَّتْ مَعاوِلَكم من آلِ لأْيٍ صَفاةٌ أصلُها راسي
قد ناضلُوكَ فسَلُّوا من كَنائنِهم مجداً تَليداً ونَبْلاً غيرَ أَنْكاسِ

الجُنُب : الغريب . والإبْساس : أن يُسكِّنها عند الحَلْب . والماتِح : المستَقِي الذي يجذِب الدلوَ من فوق . والإمراس : أن يقع الحبلُ في جانب البَكَرة فيُخرِجَه ، فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطّاب ، فرفعه عمرُ إليه واستنشده فأنشده ؛ فقال عمر لحَسَّان : أتُراه هجاه ؟ قال : نعم وسلَح عليه ، فحبسه عمر .

[زياد يقتدي بفعل عمر]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيّ عن عبد الله بن عيَّاش عن الشَّعْبيّ قال : شهِدتُ زياداً وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثَةَ التَّيْميّ ، فقال : إنّه هجاني ؛ قال : وما قال لك ؟ قال قال : [من الطويل]

وكيف أرجِّي ثَرْوَها ونماءَها وقد سار فيها خُصْيَةُ الكلبِ عامِرُ

فقال أبو علاثة : ليس هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال قلتُ :

وإنّي لأرجو ثَرْوَها ونماءها وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ

قال زياد : قاتل الله الشاعر ، ينقلُ لسانه كيف شاء ، والله لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانَك ؛ فقام قَيس بن فهد الأنصاريّ فقال : أصلح الله الأمير ، ما أَدْرِي مَن الرجل ، فإن شئتَ حدّثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه ، قال : وكان زيادٌ يعجبه الحديث عن عمر رضي الله عنه ، قال : هاتِه ، قال شهدتُه وأتاه الزبرقان بن بدر بالحطيئة فقال : إنّه هجاني ؛ قال وما قال لك ؟ قال قال لي : [من البسيط]

دَعِ المكارِمَ لا ترحلْ لبُغيتها واقعدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي

فقال عمر : ما أسمَعُ هجاءً ولكنّها معاتبةٌ ؛ فقال الزبرقان : أو ما تبلغ مروءتي إلاّ أن آكُلَ وألبَس ؟ فقال عمر : عليّ بحَسّان ، فجيء به فسأله ؛ فقال : لم يَهْجُه ولكن سلَح عليه ، قال ويقال : إنّه سأل لَبيداً عن ذلك فقال : ما يسُرُّني أنّه لَحِقَني من هذا الشعر ما لَحِقه وأن لي حُمُرَ النَّعَم ، فأمر به عُمر فجُعِل في نَقِيرٍ[1] في بئر ثم أُلْقِيَ عليه شيء ،

1 نقير : موضع منقور أي محفور مجوّف .

فقال[1] : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... زُغْبِ الحَواصِلِ لا ماءٌ ولا شَجَرُ[2]
ألقيتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظْلِمةٍ ... فاغفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يا عمرُ[3]
أنت الإمامُ[4] الذي من بعدِ صاحبِه ... ألقى إليك مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدَّموك لها ... لكن لأنفسِهم كانتْ بكَ الأُثَرُ

فأخرجه وقال له : إيّاك وهِجاءَ الناس ؛ قال : إذاً يموت عِيالِي جوعاً ، هذا مكسَبِي ومنه مَعاشِي ؛ قال : فإيّاك والمُقذِعَ من القول ؛ قال : وما المقذع ؟ قال : أن تخاير بين الناس فتقول : فلان خَيرٌ من فلان ، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ قال : فأنت واللهِ أَهْجى منّي . ثم قال : واللهِ لولا أن تكون سُنَّةً لقطعتُ لسانك ، ولكن اذهبْ فأنت له ، خُذْه يا زِبرقان ؛ فألقى الزبرقان في عنقه عمامةً فاقتاده بها ؛ وعارضتْه غَطَفان فقالوا له : يا أبا شَذْرَةَ ، إخوتُك وبنو عمِّك ، هَبْه لنا ؛ فوهبه لهم . فقال زياد لعامر بن مسعود : قد سمعتَ ما رُوِي عن عمر ، وإنّما هي السُّنَن ، فاذهب به فهو لك ؛ فألقى في عنقه حبلاً أو عمامة ، وعارضتْه بَكْرُ بن وائل فقالوا له : أخوالُك[5] وجيرانُك ؛ فوهبَه لهم .

[استعطف عمر بشعر فأطلقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : أنّ الحطيئة لمّا حبسه عمر قال وهو أوّل ما قاله[6] : [من المتقارب]

أَعُوذُ بجَدّكَ إنّي امرؤٌ ... سقَتْنِي الأعادي إليكَ السِّجالا
فإنّك خيرٌ مِن الزبرقان ... أشدُّ نَكالاً وأَرْجى نَوالا
تحَنَّنْ عليَّ هَداكَ المليكُ ... فإنّ لكلِّ مقامٍ مَقالا
ولا تأخُذَنِّي بقولِ الوُشَاةِ ... فإن لكلِّ زمانٍ رِجالا

1 ديوان الحطيئة : 208 .
2 ذو مرخ : واد كثير الشجر بالحجاز ، وقيل قرية باليمامة ويروى بذي أمر وهو موضع بنجد . زغب الحواصل في الديوان : حمر الحواصل ؛ وكلتاهما كناية عن الصغر .
3 ألقيت في الديوان : غيبت .
4 الأمام في الديوان : الأمين .
5 ل : إخوتك .
6 ديوان الحطيئة : 222 .

فـإن كان مـا زَعَمُوا صادقاً فسيقَتْ إليكَ نسائي رِجالا[1]
حَواسِرَ لا يشتكـينَ الوَجـى يُخفِّضْـنَ آلا ويرفَعْـنَ آلا

فلم يلتفت عمر إليه حتى قال أبياته التي أوّلها : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء ومحمد بن العبَّاس اليزيديّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهِشاميّ قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ قال حدّثني عبد الله بن مُصعب عن ربيعة بن عثمان عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالسٌ عنده وقد كلّمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن فأنشده قولَه : [من البسيط]

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زغبِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجرُ[2]
ألقيـتَ كاسبَهم في قعـرِ مظلمةٍ فاغْفرْ عليكَ سلامُ اللهِ يـا عمرُ[3]
أنتَ الإمامُ الذي من بعد صاحبِه ألقى إليك مقاليدَ النُّهـى البشرُ
لم يؤثروكَ بهـا إذ قدَّمـوك لها لكن لأنفسِهم كانت بـك الأُثَرُ[4]
فامنُنْ على صِبْيةٍ بالرملِ مسكنُهم بين الأباطحِ تَغْشاهم بهـا القِرَرُ
أهـلي فِـداؤُكَ كم بينـي وبينهمُ من عَرْض داوِية تَعْمى بها الخُبُرُ[5]

قال فبكى حين قال :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ

فقال عمرو بن العاص : مـا أَظلَّتِ الخَضراء ولا أَقلَّت الغَبْراء أعدلَ من رجلٍ يبكي على تركه الحطيئة ، فقال عمر : عليّ بالكرسيّ ، فأُتي به ، فجلس عليه ثم قال : أشيروا عليّ في الشاعر[6] ، فإنّه يقول الهُجْرَ ويَنسُب بالحُرَم ويمدح الناس ويذمّهم بغير ما فيهم ، ما أُراني إلاّ قاطعاً لسانه ، ثم قال : عليّ بالطَّسْت[7] ، فأُتِي بها ، ثم قال : عليّ بالمِخْصَف[8] ، عليّ بالسكِّين ، لا

1 رجالا : راجلة أي ماشية .
2 زغب الحواصل في ل : حمر الحواصل .
3 ألقيت في ل : غادرت .
4 كانت بك في ل : إذ كانت .
5 داوية في ل : دوية .
6 الشاعر : أي شاعر يفعل ذلك = يقول الهجر وينسب بالحرم ويمدح الناس ويذمهم بغير ما فيهم .
7 ل : بطست .
8 المخصف : المخرز .

بل عليّ بالمُوسى ، فهو أوحى[1] ؛ فقالوا لا يعود يا أمير المؤمنين ، فأشاروا إليه أن قُلْ لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النَّجاء . قال : فلمّا ولّى قال له عمر : يا حطيئة ، كأنّي بك عند فتًى من قريش ، قد بسَطَ لك نُمْرُقةً وكسرَ لك أُخرى وقال : غنِّنا يا حطيئة ، فطَفِقْتَ تغنّيه بأعراض الناس . قال ابن أَسْلم : فما انقضبت الدنيا حتى رأيت الحطيئة عند عبيد الله بن عُمر قد بسَط له نمرقة وكسَر له أُخرى وقال : غنِّنا يا حطيئة ، فجعل يغنّيه ، فقلت له : يا حطيئة ، أتذكر قول عمر ؟ ففزع وقال : يرحَم الله ذلك المرء[2] ، أمّا إنّه لو كان حيّاً ما فعلتُ . قال : وقلت لعبيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

[اشترى منه عمر أعراض المسلمين]

ورُوي عن عبد الله بن المبارك أنّ عمر رضي الله عنه لمّا أطلق الحطيئة أراد أن يؤكّد عليه الحُجّة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعاً بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال الحطيئة في ذلك[3] : [من الكامل]

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ شَتْماً يضُرّ ولا مَدِيحاً ينفعُ
وحَمَيْتَنِي عِرْضَ اللئيم فلم يَخَفْ دَمِّي وأصبح آمناً لا يَفْزَعُ

[شفع له عبد الرحمن بن عوف عند عمر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه عن نافع بن أبي نُعَيم : أنّ عبد الرحمن بن عوف هو الذي استرضى عمر بن الخطّاب وكلّمه في أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن . قال حمّاد وأخبرني أبي عن أبي عبيدة أنّ عمر رضيّ الله عنه لمّا أطلقه قال الشاعر النَّمريّ الذي كان الزبرقان حمَله على هجاء بَغِيض : [من الوافر]

دَعانِي الأَثْبَجانِ ابنا بَغِيضٍ وأَهْلِي بالعَلاةِ فمَنَّيانِي[4]
وقالوا سِرْ بأهلك فأْتِيَنَّا إلى حَبٍّ وأَنْعامٍ سَمانِ
فسرتُ إليهمُ عشرين شهراً وأربعةً فذلك حِجَّتانِ
فلمّا أن أتيتُ ابنَيْ بغيضٍ وأسلمني بدائي الداعيانِ

1 أوحى : أسرع .
2 ل : يرحم الله عمر .
3 ديوان الحطيئة : 210 .
4 الأثبج : صفة للرجل إذا كان أحدب أو عظيم الجوف أو ناتيء الصدر . العلاة : جبل في ديار النمر بن قاسط أو بالعراق .

يَبيتُ الذئبُ والعَثْواءُ ضيفاً ... لنا بالليل بئسَ الضائفانِ[1]
أُمارِسُ منهما ليلاً طويلاً ... أُهَجْهِجُ عن بَنِيّ ويَعْرُوانِ[2]
تقولُ حليلتِي لما اشتكَيْنا ... سيدرِكُنا بنو القَرْمِ الهِجانِ
سيُدْرِكُنا بنو القمر بن بَدْرٍ ... سراجِ الليلِ للشمس الحَصانِ
فقلتُ ادْعِي وأَدْعُوَ إن أندَى ... لصوتٍ أن ينادِيَ داعيانِ[3]
فمن يَكُ سائلاً عنِّي فإنِّي ... أنا النَّمَرِيُّ جارُ الزِّبْرِقانِ
طَرِيدُ عَشيرةٍ وطريدُ حربٍ ... بما اجترمتْ يَدِي وجنى لسانِي
كأنِّي إذ نزلتُ به طرِيداً ... نزلتُ على الممنَّعِ من أَبانِ
أتيتُ الزِّبْرِقانَ فلم يُضِعْنِي ... وضيَّعَنِي بِتِرْيَمَ مَنْ دَعانِي[4]

[مكث في بني قريع إلى أن أخصبوا وأجازوه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة قال : لم يزل الحطيئة في بني قُرَيع يمدحهم حتى إذا أَحْيَوْا[5] قال لبَغِيضٍ : فِ لي بما كنتَ تضمّنتَ ؛ فأتى بَغِيضٌ علقمة بن هَوْذة فقال له : قد جاء الله بالحَيا ، فَفِ لي بما قلتَ ، وكان قد ضمِن له مائة بعير ، وأبرئْنِي ممّا تضمَّنْته عهدتي ؛ فقال : نعم ، سَلْ في بني قريع فمهما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمَّ مائةً أتممتُه ، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيراً ، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعير والبعيرين ؛ قال : فأتمَّها علقمة له مائة وراعيَيْن فدُفعت إليه . فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمتَه السينيّة واستعدى الزبرقان عليه عمر رضي الله عنه . فلمّا رحل عنهم قال[6] : [من البسيط]

لا يُبْعِدِ اللهُ إذ ودّعتُ أرضَهمُ ... أخي بَغِيضاً ولكن غيرهُ بُعدا
لا يبعد الله من يُعْطِي الجزيلَ ومن ... يَحْبو الجليلَ وما أَكْدى ولا نَكِدا
ومن تُلاقِيه بالمعروفِ مبتهِجاً ... إذا اجْرَهَدَّ صَفا المذمومِ أو صلَدا[7]

1 العثواء : الضبع .
2 هجهج : يصيح بالذئب أو الضبع لتنفيره .
3 هذا البيت من الشواهد النحوية على نصب الفعل بعد واو المعيّة المسبوقة بالأمر .
4 تريم : اسم وادٍ .
5 أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .
6 ديوان الحطيئة : 139 .
7 مبتهجاً في ل : مجتهداً . اجرهدَّ الأرض : لم ينبت فيها نبات .

لاقيتُـــه ثَلِجـــاً تَنْـدى أناملُـه إن يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك ذاك غَدا[1]
إنّـــي لرافـدُه وُدّي ومَنْصَرَتِـي وحافظٌ غيبَه إن غابَ أو شهِدا

[سأل ابن عباس أعليه جناح في هجاء الناس]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن دَأْب عن عبد الله بن عيَّاش المَنْتوف قال : بَيْنا ابن عبّاس جالسٌ في مجلس رسول الله ﷺ بعد ما كُفَّ بصرُه وحولَه ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابيٌّ يَخطِر وعليه مِطْرَفُ خزٍّ وجبّة خزٍّ وعِمامة خزٍّ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يا ابن عمّ رسول الله ، أَفْتِني ؛ قال : في ماذا ؟ قال أتخاف عليّ جُناحاً إن ظلمني رجل فظلمته وشتمني فشتمتُه وقصّر بي فقصّرت به ؟ فقال : العفو خير ، ومن انتصر فلا جُناح عليه ؛ فقال : يا ابن عمّ رسول الله ﷺ ، أرأيت امرأ أتاني فوعَدني وغَرّني ومَنّاني ثم أخلفني واستخفّ بحُرمتي ، أيسعُني أن أهجوه ؟ قال : لا يصلُح الهجاء ، لأنّه لا بدّ لك من أن تهجُو غيره من عشيرته فتظلم من لم يظلمك ، وتشتم من لم يشتمك ، وتَبغِي على من لم يَبْغ عليك ، والبغي مَرتعٌ وَخِيم ، وفي العفو ما قد علمتَ من الفضل ؛ قال : صدقتَ وبَرِرْتَ ؛ فلم يَنشَب أن أقبل عبد الرحمن بن سَيحان المُحاربيّ حليف قريش ، فلمّا رأى الأعرابيَّ أجلَّه وأعظمه وألطف في مسألته ، وقال : قرّب الله دارَك يا أبا مُلَيكة ، فقال ابن عباس : أجَرْوَل ؟ قال : جرول ؛ فإذا هو الحطيئة . فقال ابن عباس : لله أنتَ ! أيّ مِرْدى قِذافٍ[2] ، وذائدٍ عن عشيرة ، ومُثْنٍ بعارفة تُؤْتاها أنت يا أبا مُلَيكة ! والله لو كنتَ عرَكْتَ بجنبك بعض ما كرهتَ من أمر الزِّبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلمك ، وشتمتَ مَن لم يشتمك ؛ قال : إنّي والله بهم يا أبا العباس لعالم ؛ قال ما أنت بأعلم بهم من غيرك ؛ قال : بَلى والله ، يرحمك الله ، ثم أنشأ يقول[3] : [من البسيط]

أنا ابنُ بَجْدتِهـم علمـاً وتجربـةً فسَلْ بسعدٍ تجدْني أعلمَ الناسِ[4]
سعدُ بن زيـد كثيرٌ إن عددْتَهمُ ورأسُ سعدِ بـن زيـد آلُ شَمَّاسِ
والزّبرقـــانُ ذُناباهـــم وشرّهُـــم ليس الذُّنابَى أبـا العباس كالراسِ

فقال ابن عباس : أقسمتُ عليك ألاّ تقول إلاّ خيراً ، قال : أفعل . ثم قال ابن عباس : يا أبا مُلَيكة ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ؛ قال : الذي

1 ثلجاً : فرحاً مبتهجاً .
2 مردى قذاف : حجر يقذف به ؛ ويستعمل أيضاً للرجل الشجاع فيقال إنّه لمردى حروب .
3 ديوان الحطيئة : 294 .
4 أنا ابن بجدتهم : أنا العالم بحقيقتهم وبواطن أمورهم .

يقول : [من الطويل]

ومَنْ يجعلْ المعروفَ من دون عرضِه يَفِرْهُ ومَنْ لا يَتَّقِ الشّتمَ يُشْتَمِ

وما بدونه الذي يقول : [من الطويل]

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تَلُمُّه على شَعَثٍ ، أيُّ الرجال المهذَّبُ

ولكنّ الضراعة أفسدتْه كما أفسدتْ جَرْولاً ، يعني نفسَه ، والله يا ابن عمّ رسول الله لولا الطمع والجشع لكنتُ أشعرَ الماضين ، فأمّا الباقون فلا تَشُكَّ أنّي أشعرهم وأصرَدُهم سهماً[1] إذا رَميتُ .

[منع الزبرقان عبد الله بن أبي ربيعة ماءه فهجاه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال : رُوِي لنا عن أبي عبيدة والهيثم بن عَدِيّ وغيرهما : أنّ عبد الله بن أبي ربيعة لمّا قَدِم من البحرين نزل على الزِّبْرقان بن بدر بمائه فحلأه وهو الماء الذي يقال له بنيان ، فنزل على بني أَنْف الناقة بمائهم وهو الذي يقال له وشِيع ، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا : لو كانت إبلُنا منّا قريبةً لنحرْنا لك ؛ فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله : [من الطويل]

وما الزبرقانُ يومَ يمنَعُ ماءه بمُحْتَسِبِ التَّقْوى ولا متوكِّلِ

مقيمٌ على بُنْيانَ يمنعُ ماءه وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرْمِلِ

قال : فركب الزِّبْرقان إلى عمرَ رضي الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال : إنّه هجاني يا أمير المؤمنين ؛ فسأل عمرُ عن ذلك عبدَ الله ؛ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّي نزلت على مائه فحلّأني عنه ؛ فقال عمر رضوان الله عليه : يا زِبْرِقانُ ، أتمنع ماءك من ابن السبيل ؟ قال : يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماءً حفر آبائي مجاريَه ومستقرّه وحفرتُه أنا بيدي ؟ فقال عمر : والذي نفسي بيده ، لئن بلغني أنّكَ منعتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتَني بنجد أبداً ؛ فقال بعضُ بني أنف الناقة يُعيِّر الزِّبْرقان ما فعله : [من الوافر]

أتدري مَنْ منعتَ ورودَ حوضٍ سَليل خَضارمٍ منَعوا البِطاحا

أزادَ الركبِ تمنَع أم هِشاماً وذا الرُّمْحين أمنعَهم سلاحا[2]

همُ مَنعوا الأباطحَ دون فِهْرٍ ومَنْ بالخَيْف والبُدْنَ اللِّقاحا

---

1 أصردهم سهماً : أنفذهم سهماً .

2 زاد الركب : لقب والد أميّة بن المغيرة المخزوميّ . ذو الرمحين : لقب المغيرة بن عبد الله المخزوميّ .

بضربٍ دونَ بَيْضتِهم طِلَخْفٍ إذ الملهوفُ لاذَ بهم وصاحا[1]
وما تَدْرِي بأيِّهِمُ تُلاقي صدورَ المَشرَفِيّة والرِّماحا

[وصيته عند موته بالشعراء والفقراء والأيتام]

وللحطيئة وصيّةٌ ظريفة يأتي كلُّ فريق من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ما وقع إليّ منها في موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها .

أخبرني بها محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال حدّثنا عُيَينة بن المِنْهال عن الأصمعيّ ، وأخبرني بها أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة ، ونسختُها من كتاب محمد بن الليث عن محمد بن عبدالله العُبْديّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عبد الرحمن [ابن أبي عمرة] عن أبيه ، وأخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبي عبيدة قالوا[2] : لمّا حضرتِ الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومُه فقالوا : يا أبا مُلَيكة : أوصِ فقال : ويلٌ للشِّعْر من راوية السوء ؛ قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطَيءُ ؛ قال : من الذي يقول : [من الطويل]

إذا أَنْبَض الرامونَ عنها تَرَنَّمَتْ ترنُّمَ ثَكْلَى أوجعَتْها الجنائزُ ؟

قالوا : الشَّمّاخ ؛ قال : أبلِغوا غَطَفانَ أنّه أشعرُ العرب ؛ قالوا : وَيحَك ! أهذه وصيَّة ! أوْصِ بما ينفعُك ! قال : أبلغوا أهلَ ضابيءٍ أنّه شاعرٌ حيث يقول : [من الطويل]

لِكلِّ جَديدٍ لَذَّةٌ غيرَ أنّني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ[3]

قالوا : أَوصِ ويحك بما ينفعك[4] ! قال : أَبلِغوا أهلَ امرىء القيس أنّه أشعرُ العرب حيث يقول : [من الطويل]

فَيا لَكَ من لَيْلٍ كأنَّ نجومَهُ بكلِّ مُغارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

قالوا : اتّقِ الله ودَعْ عنك هذا ؛ قال : أبلغوا الأنصارَ أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول : [من الكامل]

يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كِلابُهم لا يَسْأَلون عن السَّواد المُقْبِلِ

---

1 بيضة القدم : ساحتهم . ضرب طلخف : ضرب شديد .
2 قد أشرنا إلى هذه الوصية في أوّل ترجمة الحطيئة .
3 رأيت في ل : وجدت .
4 ل : بغير ذا .

قالوا : هذا لا يُغْنِي عنك شيئاً ، فقل غيرَ ما أنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

الشِّعْرُ صَعْبٌ وطويـلٌ سُلَّمُهْ إذا ارتَقى فيـه الذي لا يَعْلَمُهْ
زَلَّتْ بـه إلى الحَضِيض قَدَمُهْ يريـدُ أن يعربـه فَيُعْجِمُهْ

قالوا : هذا مِثْلُ الذي كنتَ فيه ؛ فقال : [من الرجز]

قد كنتُ أحياناً شديدَ المعتمَدْ وكنتُ ذا غَرْبٍ على الخَصْمِ أَلَدّ
فَوَرَدَتْ نفسي وما كادتْ تَرِدْ

قالوا : يا أبا مُلَيكة ، ألك حاجة ؟ قال : لا والله ، ولكن أَجزَع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلاً . قالوا : فمَنْ أشعرُ الناس ؟ فأومأ بيده إلى فِيهِ وقال : هذا الجُحَير إذا طَمِعَ في خير (يعني فَمَه) واستعبَرَ باكياً ؛ فقالوا له : قل لا إله إلاّ الله ؛ فقال : [من الرجز]

قالتْ وفيها حَيْـدَةٌ وذُعْرُ عَوْذٌ بِرَبِّي مِنْكُـمُ وحُجْرُ

فقالوا له : ما تقول في عَبِيدك وإمائك ؟ فقال : هم عَبِيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النهارَ ؛ قالوا : فأَوْصِ للفقراء بشيء ؛ قال : أُوصِيهم بالإلحاحِ في المسألة فإنّها تجارةٌ لا تَبُورُ ، واسْتُ المسؤولِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ في مالك ؟ قال : للأُنْثى من وَلَدِي مثلُ حَظِّ الذكر ؛ قالوا : ليس هكذا قَضى اللهُ جَلَّ وعزّ لهنّ ؛ قال : لكنِّي هكذا قَضَيْتُ .

قالوا : فما توصي لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالَهم ونِيكوا[1] أُمَّهاتِهم ؛ قالوا : فهل شيء تَعْهَدُ فيه غَيْرُ هذا ؟ قال : نعمْ ، تَحْمِلونَنِي على أَتانٍ وتتركونني راكبها حتى أَموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه ، والأَتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ ؛ فَحَملوه على أتان وجَعَلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول : [من الرجز]

لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيَّهْ هجا بَنِيهِ وهجـا المُرَيَّهْ
من لُؤمِهِ ماتَ على فُرَيَّهْ

والفُرَيَّة : الأَتان .

[الغناء في شعر الحطيئة]

ذكر ما غُنِّيَ فيه من القصائد التي مدح بها الحطيئةُ بَغِيضاً وقومَه وهجا الزبرقان وقومه منها : [من الطويل]

---

1 ل : وانكحوا .

صوت

أَلا طَرَقَتْنا بعدَ ما هَجَعُوا هِنْدُ وقد حُزْنَ غَوْراً واستبانَ لنا نَجْدُ
وإنّ التي نَكَّبْتُها عن مَعاشِرٍ عَلَيَّ غِضابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعلُويَه ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو ، وهذه القصيدة التي يقول فيها : [من الطويل]

أتتْ آلَ شَمَّاسِ بنِ لأْيٍ وإنّما أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ
فإنّ الشقيَّ مَن تُعادِي صدورُهم وذو الجَدِّ مَن لانُوا إليه ومَن وَدُّوا
يَسُوسون أحلاماً بعيداً أناتُها فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظةُ والجِدُّ
أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبِيكُمُ مِن اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا
وإن كانت النُّعْمى عليهم حَزَوْا بها وإن أنعمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا[1]
وإن قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ حادثٍ من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم رَدُّوا[2]
مَطاعِينُ في الهَيْجا مَكاشِيفُ للدُّجَى بَنَى لهمُ آباؤهم وبَنَى الجَدُّ

ومنها[3] : [من الطويل]

صوت

وأدماءَ خُرْجُوجٍ تَعالَلْتُ مَوْهِناً بسَوْطِيَ فارمَدَّتْ نَجاءَ الخَفَيْدَدِ[4]
إذا آنسَتْ وقْعاً من السَّوْط عارضَتْ به الجوْرَ حتى يستقيم ضُحى الغَدِ[5]
وتشربُ بالقَعْب الصغير وإن تُقَدْ بمِشْفَرِها يوماً إلى الحَوض تَنْقَدِ

المَوهِن : وقتٌ من الليل بعد مُضيّ صَدْرٍ منه . وارمدّت : نجت ، والارمداد : النَّجاء . والخَفَيْدَد : الظَّليم .

1 النُّعمى عليهم في ل : النعماء فيهم .
2 على جُل في ل : على كلّ .
3 ديوان الحطيئة : 155 .
4 الخرجوج : الناقة الطويلة . تعالل : استخرج ما بقي لدى الناقة من قوّة على المسير . أرمدت : أسرعت . النجاء : السرعة . الخفيدد : الظليم (ذكر النعام) .
5 الجور : القصد . ويروى :
فإن آنست حسّاً من السوط عارضت بي القصد حتى تستقيم ضحى الغدِ

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبابة في مَجْرى البِنْصر عن إسحاق . وذكر الهِشاميّ : أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخر ، وهو في جامع إبراهيم غير مجنَّس . وفيه خفيف ثقيل مجهول ، وذكر حَبَشٌ : أنّه لَمَعْبَد ؛ ويُشبِه أن يكون ليحيى المكيّ .

[عدّه بعضهم أشعر الناس]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن المنذِر عن ابن عباية عن محمد بن مسلم الجَوْسق عن رجل من كعب قال : جئتُ سوق الظهر[1] فإذا بكُثَيِّر ، وإذا الناس مُتَقَصِّفون عليه ، فتخلَّصْتُ حتى دَنَوْتُ منه فقلت : أبا صخْر ؛ قال : ما تشاء ؟ قلتُ : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

وآثرتُ إدلاجِي على لَيْلِ حُرَّةٍ هَضِيم الحشا حُسَّانَة المتجَرَّدِ
تُفَرِّق بالمِدْرى أَثِيثاً نباتُه على واضح الذِّفْرى أسيلِ المُقَلَّدِ[2]

قال : قلتُ : هذا الحطيئة ؟ قال : هو ذاك .

[كذبه عمر في شعر له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن مُجاهد عن هشام بن عُروة : أنّ عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه أُنْشِد قولَ الحطيئة : [من الطويل]

مَتى تأتِهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : كَذَب ، بل تلك نارُ موسى نبيِّ الله ﷺ .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية : أنّ رجلاً دخل على الحُطيئة ، وهو مُضْطجع على فراشه وإلى جانبه سَوْداءُ قد أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء ، فقال له : ويحك ! أفي رجلك خُفٌّ ؟ قال : لا والله ولكنّها رِجْلُ سوداء ، أتدري مَنْ هي ؟ قال : لا ؛ قال : هي والله التي أقول فيها : [من الطويل]

وآثرتُ إدلاجِي على ليلِ حُرَّةٍ

وذكر البيتين ، والله لو رأيتَها يا ابن أخي لَمَا شَرِبتَ الماء من يدها ؛ قال : فجعلتْ تَسُبُّه أقبحَ سَبٍّ وهو يضحك . ومنها[3] : [من البسيط]

---

1 سوق الظهر : سوق الدواب .
2 الذفرى : العظم الناتىء خلف الأذن .
3 ديوان الحطيئة : 195 .

صوت

ما كان ذنبُ بَغِيضٍ لا أَبـا لَكُمُ ... في بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقاً شُزُبا[1]
طافـتْ أُمامـةُ بالرُّكبـانِ آونةً ... يا حُسْنها مـن خَيالٍ زارَ مُنْتَقِبا
إذ تَسْتَبِيكَ بمصقولٍ عَوارِضُـهُ ... حَمْشِ اللَّثات تَرى في مائِهِ شَنَبا[2]
قد أخلفَتْ عهدَها من بعد جِدّته ... وكذَّبَتْ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كذَبا

الغناء لابن سريج رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

ومنها : [من الطويل]

صوت

جَزى اللهُ خيراً ، والجزاءُ بكفّه ، ... بأحسنِ ما يَجْزِي الرجالَ بغيضا[3]
فلـو شاءَ إذ جئناه صَدَّ فلم يُلَمْ ... وصادَف مَنْأًى في البلاد عريضا

الغناء للهُذليّ ثقيل أوّل بالبنصر عن الهشاميّ .

1 الأينق الشزب : الضامرة .
2 حمش : دقيق .
3 هو بغيض بن عامر الذي أغرى الحطيئة بالتحوّل عن جوار الزبرقان إلى جواره .

[13] ـ أخبار ابن عائشة ونسبه

[اسمه وكنيته]

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر ، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان يُنسب إلى أمّه ، ويلقّبه مَن عاداه أو أراد سبَّه «ابن عاهة الدار» . وكان هو يزعم أنّ اسم أبيه جعفر ؛ وليس يُعرف ذلك . وعائشة أمّه مولاة لكَثِير بن الصَّلت الكِنديّ حليف قريش . وقيل : إنّها مولاة لآل المطَّلب بن أبي وَداعة السَّهْميّ ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلاّم . وحكى ابن الكلبيّ القول الأوّل ، وقال إسحاق : هو الصحيح ، يعني قول ابن الكلبيّ . وقال إسحاق فيما رواه لنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه : إنّ محمد بن مَعْن الغِفاريّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أنّ ابن عائشة مولى المطّلب بن أبي وداعة السَّهميّ وإنّه كان لغير رَشْدة ، فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتاً حسناً قالوا : أحسن ابن المرأة . قال إسحاق وقال عمران بن هند الأَرقميّ : بل كان مَوْلًى لكَثِير بن الصَّلت .

[سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه]

قال إسحاق : قال عبيد الله بن محمد بن عائشة : قال الوليد بن يزيد لابن عائشة : يا محمد ، أَلِغَيَّةٍ أنت ؟ قال : كانت أُمِّي يا أمير المؤمنين ماشطة ، وكنت غلاماً ، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا : ارفعوا هذا لابن عائشة ؛ فغلبتْ على نسبي .

[كان يفتن كلّ من سمعه وأخذ عن معبد ومالك]

قال إسحاق : وكان ابن عائشة يفتن كلّ من سمعه ، وكان فِتيان من المدينة قد فسدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته . وقد أخذ عن معبد ومالك ولم يموتا حتى ساواهما على تقديمه لهما واعترافه بفضلهما .

[كان جيد الغناء دون الضرب]

وقد قيل : إنّه كان ضارباً ولم يكن بالجيِّد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرْتجِلاً لم يَضْرب قطّ .

[كان يضرب بابتدائه المثل]

وابتداؤه بالغناء كان يُضرب به المثل ، فيقال للابتداء الحسن كائناً ما كان من قراءة قرآن ، أو إنشاد شِعر ، أو غِناء يُبدأ به فيستحسن : كأنّه ابتداء ابن عائشة . قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديماً وحديثاً يقولون : ابن عائشة أحسن الناس ابتداءً ، وأنا أقول : إنّه أحسنُ الناس ابتداءً وتوسُّطاً وقَطْعاً بعد أبي عَبَّاد معبد ، وقد سمعتُ مَن يقول : إنّ ابن عائشة مثله ؛ وأمّا أنا

فلا أجسُرُ على أن أقول ذلك .

وكان ابن عائشة غير جيِّد اليدين فكان أكثر ما يغنِّي مرتجلاً . وكان أطيب الناس صوتاً .

قال إسحاق وحدّثني محمد بن سلاّم قال قال لي جرير : لا تخدعنّ عن أبي جعفر محمد بن عائشة ، فلولا صَلَفٌ كان فيه لَما كان بعد أبي عبّاد مثله .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثةٌ من المغنِّين كانوا أحسن الناس حُلوقاً : ابن عائشة وابن تَيْزَن وابن أبي الكَنّات .

[ضرب ابن أبي عتيق رجلاً خدش حلقه]

حدّثني عمّي قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني مصعب الزبيريّ عن أبيه قال[1] : رأى ابن أبي عتيق حَلْقَ ابن عائشة مُخدَّشاً فقال : مَن فعل هذا بك ؟ قال : فلان ، فمضى فنزع ثيابه وجلس للرجل على بابه ، فلمّا خرج أخذ بِتَلْبِيبِه وجعل يضربه ضرباً شديداً والرجل يقول له : ما لَكَ تَضرِبُني ؟ أيّ شيء صنعتُ ؟ وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلاّه وأقبل على مَن حضر فقال : هذا أراد أن يكسر مَزامير آل داود : شدّ على ابن عائشة فخنقه وخَدش حلْقه .

[لم يكن آخر غنائه كأوّله]

قال إسحاق في خبره : وحدّثني أبي عن سِياطٍ عن يونس الكاتب قال : ما عرَفْنا أحداً بالمدينة أحسن ابتداءً من ابن عائشة إذا غنّى ، ولو كان آخر غنائه مثل أوّله لقدَّمته على ابن سُرَيج . قال إبراهيم : هو كذاك عندي ، وقال إسحاق مثلَ قولهما . قال : وقال يونس : كان ابن عائشة يضرب بالعود ولم يكن مُجيداً ، وكان غناؤه أحسن من ضربه ، فكان لا يكاد يَمَسُّ العود إلاّ أن تجتمع جماعةٌ من الضُرَّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويغنِّي ، فناهيك به حُسْناً .

[يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك]

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن صالح بن حسّان أنّه ذكر يوماً المغنِّين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعد طُوَيس أعلمَ من ابن عائشة ولا أظرف مجلساً ولا أكثر طِيباً ؛ وكان يصلح أن يكون نديم خليفة أو سمير ملك . قال إسحاق : فأذكرني هذا القول قول جميلة له : وأنت يا أبا جعفر فمع الخلفاء تصلح أن تكون .

[رآه الحسن بن الحسن بالعقيق فأكرهه على أن يغنيه مائة صوت]

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال حدّثني جرير قال : كان ابن عائشة تائهاً سيِّىءَ الخُلُق ،

---

1 الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 63 (الفقرة : 92) عن الأغاني .

فإن قال له إنسان : تَغَنَّ ، قال : أَلِمِثْلِي يقال هذا ؟ وإن قال له إنسان وقد ابتدأ هو بغناء : أحسنتَ ، قال : ألمثلي يقال أحسنت ؟ ثم يسكت ، فكان قليلاً ما يُنتفع به . فسال العقيق مرَّة فدخل عَرصَةَ سعيد بن العاصي الماءُ حتى ملأها ، فخرج الناس إليها وخرج ابن عائشة فيمن خرج ، فجلس على قرن البئر ، فبينا هم كذلك إذ طلع الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، عليهم السلام ، على بغلة وخلفَه غلامان أسودان كأنّهما من الشياطين ، فقال لهما : امضِيا رُويداً حتى تَقفا بأصل القرن الذي عليه ابن عائشة ، فخرجا حتى فعلا ذلك . ثم ناداه الحسن | كيف أصبحت يا ابن عائشة ؟ قال : بخيرٍ ، فداك أبي وأمّي ، قال : انظر من إلى جَنبك ، فنظر فإذا العبدان ، فقال له : أتعرفهما ؟ قال : نعم ، قال : فهما حُرَّان لئن لم تغنني مائة صوت لآمرَنَّهما بطرحك في البئر ، وهما حُرَّان لئن لم يفعلا لأقطعنّ أيديهما ، فاندفع ابن عائشة فكان أوّل ما ابتدأ به صوتاً له وهو : [من مجزوء الوافر]

ألا لله درُّكَ مـــن فتَى قـومٍ إذا رَهِبُوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائة صوت ، فيقال إنّ الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثر ممّا سمعوا في ذلك اليوم ، وكان آخر ما غنّى : [من البسيط]

صوت

قلْ للمنازلِ بالظَّهْرانِ قد حانا أن تنطقي فتُبينِي القولَ تِبْيانا

قال جرير : فما رُئي يومٌ أحسن منه ، ولقد سمع الناس شيئاً لم يسمعوا مثله ، وما بلغني أنّ أحداً تشاغل عن استماع غنائه بشيء ، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ . ولقد تبادر الناس من المدينة وما حولها حيث بلغهم الخبر لاستماع غنائه ، فيقال : إنّه ما رئي جَمْعٌ في ذلك الموضع مثلُ ذلك الجمع ، ولقد رفع الناس أصواتهم يقولون له : أحسنتَ والله ، أحسنتَ والله ، ثم انصرفوا حوله يزُفُّونه إلى المدينة زَفّاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها[1] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا لله درُّكَ مِـــــنْ فتَـى قـومٍ إذا رَهِبُـوا

1 شعر أبي العيال في شرح أشعار الهذليين 1 : 423–432 وهو يرثي ابن عمّ له اسمه عبد بن زهرة ، قتل بالقسطنطينيّة .

وقالوا مَنْ فتــىً للحر ب يَرْقُبُنــا ويَرْتَقــبُ
فكنــتَ فتاهــمُ فيهــا إذا تُدْعَــى لهــا تَثِبُ
ذكرتُ أخــي فعاودَني رُداعُ السُّقْمِ والوَصَبُ[1]
كما يعتــاد ذاتَ البَــ ــوِّ بعدَ سُلُوّها الطَّرَبُ
على عَبْدِ بن زُهْرَةَ بتُّ طــولَ الليــلِ أنتحبُ

الشعر لأبي العِيال الهُذَليّ . والغناء لمعبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدأ فيه بقوله : [من مجزوء الوافر]

ذكــرتُ أخــي فعاودني رداعُ السُّقمِ والوصبُ

والآخر خفيف رملٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ آخر ، وقيل : بل هو لحن معبد . وذكر حَمَّاد بن إسحاق أنّ خفيف الرمل لمالك . البَوُّ : جلد يُحشى تِبناً ويجفَّف لكيلا تخبُثَ رائحته[2] ، ويُدنى إلى الناقة التي قد نُحر فصيلها أو مات لتَشَمَّه فتَدِرّ عليه .

ومنها[3] : [من البسيط]

صوت

قلْ للمنازلِ بالظَّهْرانِ قــد حانــا أن تنطقــي فتُبِيني القــولَ تِبْيانــا
قالت ومَن أنت قل لي قلتُ ذو شَغَفٍ هِجْتِ له من دَواعي الحبِّ أَحْزانا[4]

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن عائشة خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

[غنّى بالموسم فحبس الناس عن المسير]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني عبد الرحمن بن سليمان عن عليّ بن الجهم الشاعر قال حدّثني رجل[5] : أنّ ابن عائشة كان واقفاً بالموسم متحيِّراً ، فمرّ به بعض أصحابه فقال له : ما يُقيمك ها هنا ؟ فقال : إنّي أعرف رجلاً لو تكلّم لحبسَ الناسَ ها هنا فلم

1 رداع في ل : صداع الرأس ؛ الديوان : رداع السقم .
2 ل : يخبث ريحه .
3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 433 .
4 هجت له في ل : هاجت له .
5 نقل ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 12–13 (رقم : 7) وانظر نهاية الأرب للنويريّ 4 : 284 والبيت الأوّل في شرح ديوان زهير : 59 .

يذهب أحد ولم يجىء ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم اندفع يغنّي : [من الوافر]

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزي نَـوىً مشمولـةً فمتى اللقاءُ

قال : فحُبِس الناس ، واضطربت المَحاملُ ، ومدّت الإبل أعناقها ، وكادت الفتنة أن تقع . فأُتِي به هشامُ بن عبد الملك ، فقال له : يا عدوَّ الله ، أردتَ أن تَفتن الناس ؟ قال : فأمسك عنه وكان تيَّاهاً ، فقال له هشام : ارفُقْ بتِيهك ، فقال : حَقّ لمن كانت هذه مقدرته على القلوب أن يكون تَيَّاهاً ، فضحك منه وخلّى سبيله .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت

[من الوافر]

جرتْ سُنُحاً فقلتُ لها أجيزِي نَـوًى مشمولـةً فمتى اللقاءُ
بنَفْسِي مَـنْ تذكّـره سَقـامٌ أُعانيـه ومَطْلَبُـه عَنـاءُ

السانح : ما أقبل من شِمالك يريد يمينك ، والبارح ضدّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رُؤْبة عن السانح والبارح ، فقال : السانح : ما ولاّك ميامِنَه ، والبارح : ما ولاّك مشائمَه . وقوله : أجيزي أي انفُذِي . قال الأصمعي : يقال : أَجَزْتُ الوادي إذا قطعته وخلّفته ، وجُزْتُه أي سِرْت فيه فتجاوزته ، وجاوزته مثلُه . قال أَوْس بن مغراء : [من البسيط]

ولا يَرِيمُون في التعريفِ موقفَهم حتى يقالَ أَجِيزُوا آلَ صوفانا[1]

ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من السحابة المشمولة ، وهي التي تصيبها الشَّمال فتكشِفها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحاب ، واستعارها هاهنا في النَّوى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم ، وأجرى ذلك مُجرى الذمّ للسانح لأنّه يُتشاءم به . البيت الأوّل من الشعر لزهير بن أبي سُلمى ، والثاني مُحدَث ألحقه المغنّون به لا أعرف قائله . والغناء لابن عائشة ، ولحنه خفيف ثقيل أوّل بالبنصر .

[غنّى الوليد بحضرة معبد ومالك فطرب الوليد]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إسحاق وأخبرني به محمد بن مَزيد[2] والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عدِيّ عن حمّاد الراوية

1 آل صوفانا في ل : آل صفوانا .
2 ل : محمد بن جرير .

قال : كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أمّا بعد ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فسَرِّحْ إليّ حمّاداً الراوية على ما أحبَّ من دوابّ البريد ، وأعطِه عشرة آلاف درهم يتهيّأ بها . قال : فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبذه إليّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ؛ فقال : يا دُكَين ، مُرْ شجرة يعطيه عشرة آلاف درهم ، فأخذتُها . فلمّا كان اليوم الذي أردتُ الخروج فيه أتيتُ يوسف بن عمر ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفته من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائك ؛ فقلت : أصلح الله الأمير «إن العَوانَ لا تُعلَّمُ الخِمْرةَ»[1] وسيبلغك قولي وثنائي . فخرجتُ حتى انتهيت إلى الوليد وهو بالبَخْراء ، فاستأذنتُ عليه فأذِن لي ، فإذا هو على سرير ممهَّد ، وعليه ثوبان أصفران : إزارٌ ورِداء يقيئان الزَّعفران قيئاً ، وإذا عنده معبد ومالك بن أبي السَّمح وأبو كاملٍ[2] مولاه ، فتركني حتى سكن جَأْشي ، ثم قال أنشِدني :

أمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتوجّعُ

فأنشدته حتى أتيت على آخرها ؛ فقال لساقيه : يا سَبْرة اسقِه ، فسقاني ثلاثة أكؤس خَثَّرْنَ ما بين الذُّؤابة والنعل . ثم قال يا مالك ، غنِّني : [من مجزوء الوافر]

ألا هــل هاجَـكَ الأظعا نُ إذ جـاوزْنَ مُطَّلَحـا

ففعل . ثم قال له : غنِّني : [من البسيط]

جَـلا أُميَّـةُ عنِّـي كلَّ مظْلِمَةٍ سَهْل الحجابِ وأوفى بالذي وَعَدا

ففعل . ثم قال له : غنِّني : [من الوافر]

أتنسَى إذ تُودِّعنا سُلَيْمـى بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ

ففعل . ثم قال : يا سَبرة ، أو يا أبا سبرة ، اسقِني بزُبّ فرعون ؛ فأتاه بقدح مُعْوَجٍّ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، الرجل الذي طلبتَ بالباب ؛ قال : أدخله ، فدخل شابٌّ لم أَرَ شابّاً أحسنَ وجهاً منه ، في رِجله بعض الفَدَع[3] ؛ فقال : يا سبرة اسقِه ، فسقاه كأساً ؛ ثم قال له : غنِّني : [من الرمل]

وهْي إذ ذاكَ عليها مِئْـزَرٌ ولهـا بيتُ جَوارٍ من لُعَبْ

فغنّاه ، فنبَذ إليه الثوبين . ثم قال له : غنِّني : [من مجزوء الكامل]

---

1 هذا مثل ، انظر جمهرة العسكري : 32 .

2 ل : وأبو مالك .

3 الفدع : الاعوجاج .

طـاف الخيـالُ فمَرحبا ألفـاً برؤيـة زينَبـا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا مقبلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنّك تركتَنا بمَزْجَر الكلب ، وأقبلت على هذا الصبيّ ؛ فقال : والله يا أبا عَبَّاد ، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكن هذا الغلام طرَحني في مثل الطَّناجِير[1] من حرارة غنائه . قال حمّاد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لي هو ابن عائشة .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من البسيط]

جـلا أُميَّـةُ عنّـي كلّ مظْلِمَـةٍ سَهْلُ الحجابِ وأَوْفى بالذي وعَدا
إذا حلَلْتُ بـأرضٍ لا أراكَ بهـا ضاقتْ عليّ ولم أعرفْ بها أحَدا

الغناء لابن عَبَّاد الكاتبِ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لعمر الواديّ . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمالك لحناً من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى . ومنها[2] : [من الوافر]

صوت

أَتَنْسى إذ تودِّعُنـا سُلَيْمَى بفَـرْعِ بَشامةٍ سُقِـيَ البَشامُ
متى كان الخِيامُ بـذي طُلُوحٍ سُقِيتِ الغيـثَ أيَّتُها الخِيامُ
أَتَمْضُـون الخيـامَ ولم نسلمْ كلامُكُـم عـليّ إذاً حـرامُ
بنفسي مَـنْ تجنُّبُه عزيـزٌ عـليّ ومَـنْ زيارتُـه لِمامُ
ومـن أُمسي وأُصبح لا أَراه ويَطْرُقُنِـي إذا رقَـدَ النِّيامُ[3]

الشعر لجرير . والغناء لابن سُرَيج ، وله في هذه الأبيات ثلاثة ألحان : أحدها في الأوّل والرابع ثقيل أوّلُ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . والآخر في الثاني ثم الأوّل ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو ، والآخرُ في الثالث وما بعده رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ . وللدَّلالِ في الثاني والثالث ثاني ثقيلٍ بالسَّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق والمكّيّ . وللغريض في الأوّل والثاني والثالث خفيف رمل بالبنصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقيل أوّل

1 الطناجير جمع طنجير ، وهو نوع من القدور .
2 ديوان جرير 1 : 278 تحقيق د . نعمان أمين طه ، (دار المعارف ، القاهرة) .
3 رقد في ل : هجع .

بالبنصر عن الهشاميّ . ولابن جامع في الأوّل والثاني والرابع والخامس هزج عن الهشاميّ . وفيها لابن جندب خفيف ثقيل بالبنصر . ومنها الصوت الذي أوّله في الخبر :

وهي إذ ذاك عليها مِئْزَرٌ

وأوّله[1] : [من الرمل]

صوت

عَهِدَتْنِي ناشئاً ذا غِرّة رَجِلَ الجُمَّةِ ذا بَطْنٍ أَقَبّ
أتبَعُ الوِلدانَ أُرْخِي مِئزَرِي ابن عَشْر ذا قُرَيْطٍ من ذهبْ
وهي إذ ذاك عليها مئزرٌ ولها بيتُ جَوارٍ من لُعَبْ

الشعر لامرىء القيس ، ويقال : إنّه أوّلُ شعرٍ شَبَّب فيه بالنساء . والغناء لابن عائشة ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ ودنانير وحمّاد بن إسحاق . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر ذكر حمّاد في أخبار جميلة أنّه لها ، وذكر حبش والهشاميّ أنّه لابن سُرَيج ، وقيل : إنّه لغيرهما . ومنها[2] : [من مجزوء الوافر]

صوت

ألا هل هاجكَ الأظعا نُ إذ جاوزْن مُطَّلَحا
نعمْ ولِوَشْك بَيْنِهمُ جرى لكَ طائرٌ سُنُحا
أَخَذْن الماءَ من ركَك وضوءُ الفجر قد وضَحا[3]
يَقُلْنَ مَقِيلُنا قَرْنٌ نُباكِرُ ماءَه صُبُحا
تبعتُهمُ بطَرْفِ العيـ ـن حتى قيل لي افتضحا
يودِّع بعضُنا بعضاً وكلٌّ بالهوى جُرِحا
فمَن يفرَحْ ببينهِمُ فغيري إذ غَدَوْا فَرِحا

الشعر ترويه الرُواة جميعاً لعمر بن أبي ربيعة سوى الزبير بن بكّار فإنّه رواه عن عمّه وأهله لجعفر بن الزبير بن العوّام ، وقد ذكر خبره في هذا مع أخباره المذكورة في آخر الكتاب . ورواه الزُّبير * إذ جاوزْن مَنْ طَلَحا * وقال : ليس على وجه الأرض موضعٌ يقال له : مُطَّلح . والغناء لمالك وله فيه لَحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن إسحاق ، وخفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمعبد ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج في الخامس ، وهو

1 ديوان امرىء القيس : 294 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، (دار المعارف ، القاهرة) .
2 هو في ديوان عمر : 84 وقد مرَّ من قبل .
3 من ركك في ل : من وشل . الفجر في ل : الصبح .

تَبِعْتُهُم بطرف العين إلى آخر الأبيات ، ثقيلٌ أوّلُ مُطلَق في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيها للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال : وهو الذي فيه استهلالٌ . وذكر ابن المكيّ أن الثقيل الثاني لمالكٍ ، وخفيف الثقيل للغريض . ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

طرَقَ الخيـالُ فمَرْحَبا ألفـاً برؤيـة زينَبا
أنَّى اهتديـتَ لفِتيةٍ سلَكُوا السَّلِيـلَ فعُلْيَبا[1]

[طرب أبي جعفر الناسك لغناء ابن عائشة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلاَّم قال حدّثني جرير قال : أخذ بعض وُلاة المدينة المغنِّين والمخنَّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله ﷺ، وكان في المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جعفر مولًى لابن عيّاش بن أبي ربيعة المخزوميّ يُقْرِىء الناس القرآن ، وكان ابن عائشة يلازمه ، فخلا لابن عائشة يوماً الموضعُ مع أبي جعفر فقرأ له فطَرَّب ورَجَّع ، فسمع الشيخ صوتاً لم يسمع مثلَه قطُّ ، فقال له : يا ابن أخي ، أفسدتَ نفسك وضيَّعتها ، فلو أنّك لزِمت المسجد وتعلّمت القرآن لأقمتَ[2] للناس في مسجد رسول الله ﷺ في شهر رمضان ، ولأصبت بذلك من الولاة خيراً ، فوالله ما دخل أذني قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك ؛ فقال ابن عائشة : فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتي في الأمر الذي صُنِع[3] له ! قال : وما هو ؟ قال : انطلق معي حتى أُسمِعَكه ، فخرج معه إلى مِيضأةٍ ببَقِيع الغَرْقَد عند دار المُغيرة بن شُعبة ، وكان أبو جعفر يتوضأ عندها كلَّ يوم ، فاندفع ابن عائشة يغنّي : [من مجزوء الكامل]

ألآنَ أبصـرتُ الهـدَى وعلا المَشِيبُ مَفارِقِي

فبلغ ذلك من الشيخ كلَّ مبلغ ، وقال : يا ابن أخي ، هذا حَسَنٌ وأنا أشتهي أن أسمعه ، ولكن لا أطلبه ولا أمشي إليه ؛ قال ابن عائشة : فعليّ أن أُسْمِعَكه ؛ فكان يرصُده ، فإذا خرج أبو جعفر يتوضّأ خرج ابن عائشة في أَثَرِه حتى يقف خلف جِدار المِيضأة بحيث يسمع غناءه ، فيغنّيه أصواتاً حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه . فلم يزل يفعل ذلك حتى أُطْلِقوا من لزوم المسجد .

---

1 السليل وعليب : واديان .
2 ل : لأمت .
3 ل : صيغ .

نسبة هذا الصوت[1]

صوت

[من مجزوء الكامل]

طَـرق الخيـالُ المُعْترِي وَهْنـاً فـــؤادَ العاشِقِ
طَيْـفٌ ألـمّ فهاجَنِي للبَيْـــنِ أُمَّ مُساحِـقِ
ألآنَ أبصـرتُ الهـدى وعـلا المَشِيبُ مفارقِي
وتركـتُ أمـرَ غَوايتـي وسلكتُ قصدَ طرائقي
ولقـد رضيـتُ بعيشنا إذ نحـن بـين حدائقِ
ركائـب تَهْـوِي بنـــا بـين الدُّروبِ فدابِقِ[2]

الشعر للوليد بن يزيد ، ويقال : إنّه لابن رُهَيمة . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر عن عمرو ، وذكره يونس أيضاً له في كتابه . وفيه لأبي زَكَّار الأعمى خفيف رمل بالوسطى عن عمرو والهشاميّ . وذكر ابن خُرْدَاذْبِه أنّه لأبي زَكَّار الأعمى وهو قديم ، وأنّه وجد ذلك في كتاب يونس . وفيه لحَكَم الوادي لحن في كتاب يونس غير مجنَّس ، ولا أدري أيُّها هو . وفي هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ متنازعٌ فيه نُسِب إلى معبد وإلى مالِك ، ولم أجده لهما عن ثقة ، وأظنّه لَحْنَ حَكَم .

[أكرهه الحسن بن الحسن على الخروج معه إلى البغيبغة]

أخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأَزهر البُوشنجي والحسين بن يحيى الأعور المِرداسيّ قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم عن أبيه قال : كان الحسن بن الحسن مُكرِماً لابن عائشة مُحِبّاً له ، وكان ابن عائشة منقطعاً إليه ، وكان من أَتْيه خَلْق الله وأشدِّه ذَهاباً بنفسه ، فسأله الحسن أن يخرُج معه إلى البُغَيبغة فامتنع ابن عائشة من ذلك ؛ فأقسم عليه فأبى ؛ فدعا بغِلمانٍ له حُبشان وقال : نُفيت من أبي لئن لم تَسِر معي طائعاً لتسيرَنّ كارهاً ، ونُفِيتُ من أبي لئن لم يُنفذوا أمري فيك لأقطَعنّ أيديهم . فلمّا رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنّه لا بدّ من الذهاب ، فقال له : بأبي أنت وأمّي ، أنا أمضِي معك طائعاً لا كارهاً . فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج إليه وركب ، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا ، حتى صارا إلى البُغَيْبِغة[3] فنزلا الشِّعب ، وجاءهم ما أعدّوا فأكلوا ؛ ثم أمر الحسنُ بأمرِه وقال يا محمد ؛ فقال له : لبّيك يا

1 شعر الوليد بن يزيد : 153 تحقيق د . حسين عطوان (عمان 1979) عن الأغاني .
2 وركائب في ل : وركابنا . دابق : مكان تجمع جيوش الأجناد الشامية لمحاربة الروم ، وهي في منطقة حلب .
3 البغيبغة : عين غزيرة الماء لآل الرسول ﷺ وقفها عليّ بن أبي طالب هي وعين أبي نيروز على أهل المدينة .

سيّدي ؛ قال : غنِّني ؛ فاندفع فغنّاه : [من الكامل]

صوت

يدعـو النبـيَّ بعمِّـه فيُجيبُـه يا خيرَ مـن يدعو النبيَّ جَلالا
ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رجالا وأرى الإقامـةَ بالعراقِ ضلالا
وأرى المرجِّـيَ للعراقِ وأهلَه ظَمْـآنَ هاجِـرةٍ يؤمِّـلُ آلا
وطَرِبتُ إذ ذكَر المدينةَ ذاكرٌ يومَ الخميسِ فهاجَ لي بَلْبالا
فظَلِلْتُ أنظر في السماء كأنّني أبغـي بناحيـة السماء هلالا

الشعر لابن المولى[1] من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مُقامه بها واشتاق إلى بلده . وقد ذُكِر خبره في موضعه من هذا الكتاب . والغِناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن حمّاد والهشاميّ وحبش . وقال الهِشاميّ خاصّةً : فيه لحن لقَراريطَ ، فقال له الحسن : أحسنتَ والله يا ابن عائشة ؛ فقال ابن عائشة : والله لا غنّيتُك في يومي هذا شيئاً ؛ فقال الحسن : فوالله لا برِحتَ البُغَيْبِغَة ثلاثة أيّام ! فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندِم وعلم أنّه لا حيلة له إلاّ المُقام ، فأقاموا . فلمّا كان اليوم الثاني قال له الحسن : هاتِ ما عندك فقد بَرّت يمينُك ، وكانوا جلوساً على شيء مرتفع ، فنظروا إلى ناقة تَقدُم جماعة إبل ، فاندفع ابن عائشة فغنّى : [من المتقارب]

تَمُـــرّ كجَنْدلـــة المَنْجنيـــ ـقِ يُرْمى بها السورُ يوم القتالِ
فمـاذا تُخَطرِف مِـن قُلّةٍ ومِـن حَـدَبٍ وإكامٍ توالى[2]
ومـن سيرها العَنَـقُ المُسْبطِرُّ والعَجْرفِيّـةِ بعـدَ الكَـلالِ

فقال له الحسن : وَيْلَك يا محمد ؛ لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له : غنّني ، فغنّاه : [من المتقارب]

إذا ما انتشيتُ طَرَحْتُ اللِّجام في شَدْقِ مُنْجَـرِدٍ سَلْهَبِ[3]
يُبـــذّ الجيـــاد بتَقْريبِـهِ ويَأْوِي إلى حُضُـرٍ مُلْهِبِ
كُمَيْـتٌ كَـأَنّ على مَتْنِـهِ سبائكَ مـن قِطَـعِ المُذْهَبِ
كأنَّ القَرَنْفُـلَ والزنجبيـلَ يُعَـلُّ على رِيقِهـا الأطيبِ

1 ستأتي ترجمة ابن المولى في الأغاني .
2 قلّة في ل : حالق .
3 اللجام في ل : الكلام .

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد ، فقال له ابن عائشة : لكنّك ، بأبي أنت وأمّي ، قد ألجمتني بحجر فما أُطيق الكلام . فأقاموا باقيَ يومهم يتحدثون ؛ فلمّا كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيّامك يا محمد ؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن غنّاك إلاّ صوتاً واحداً حتى تنصرِف ، وعليه وعليه إن حلَفت ألاّ أبِرّ قسمَك ولو في ذَهاب رُوحه ؛ فقال له الحسن : فلك الأمان على محبّتك ؛ فاندفع فغنّاه : [من الخفيف]

صوت

أنعمَ اللهُ لي بـذا الوجـهِ عينـاً ... وبـــه مرحبـاً وأهـلاً وسهـلا
حين قالــت لا تذكـرنَّ حديثي ... يا ابنَ عمّي أقسمتُ قلتُ أجلْ لا
لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتّى ... يُنقــلَ البحـرُ بالغرابيــلِ نقلا

قال : ثم انصرف القوم ، فما رأى الحسن بن الحسن ابن عائشة بعدها .

[نسبة الغناء في الشعر الذي غنّى به ابن عائشة]

نسبة ما لم تمض نسبته في الخبر من هذه الأصوات

منها : [من المتقارب]

صوت

تمــرّ كَجَنْدلــة المَنْجَنيــــ ... ـقِ يُرْمى بها السورُ يومَ القتالِ
فمـاذا تُخَطْـرِفُ مـن قُلّـةٍ ... ومــن حَـدبٍ وإكامٍ تُوالي
ومِـنْ سيرِهــا العَنَقُ المُسبطِـ ... ـرُّ والعَجْرفِيّـةُ بعـد الكَلالِ
ألا يـا لَقومِ لِطَيْف الخيالِ ... أرَّق مــن نــازحٍ ذي دَلالِ
يُثَنِّــي التحيّـةَ بعـدَ السلامِ ... ثمّ يُفَـدّي بعــمٍّ وخالِ
خيــالٌ لسَلْمى فقد عـاد لي ... بنُكْسٍ مــن الحبِّ بعد آندمالِ

أما الذي قاله الشاعر في هذا الشعر فإنّه قال : يمرّ بالياء لأنّه وصف به حماراً وحْشِيّاً ، ولكنّ المُغنِّين جميعاً يغنّونه بالتاء على لفظ المؤنث ، وقد وَصَف في هذه القصيدة الناقة ولم يذكر من صفتها إلاّ قولَه :

ومن سيرِها العَنَقُ المُسْبطرّ

ولكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَير شيئاً ومن صفة الناقة شيئاً فخلطوهما وغنّوْا فيهما . وقوله :

فماذا تَخَطْرَف مِـنْ قُلّـةٍ

يعني أنّه يمرّ بالموضع المرتفع فيَطفِره . وروى الأصمعيّ : [من المتقارب]

فمـاذا تَخَطرَفَ مـن حالِـقٍ ومن قُلّـة وحجـابٍ وجالِ

فالحالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال : حرف الشيء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَق المُسْبطِرّ : المُسترسِل السهل . والعَجرفِيّة : التعسّف والإسراع . يقول : إذا كَلّتْ وتعِبت تعجرفت في السير من بقيّة نفسها وشدّتها . وروى الأصمعيّ فيها : [من المتقارب]

خَيالٌ لجَعْدةَ قـد هـاجَ لي نُكاساً مـن الحبِّ بعد اندمالِ

يقال : نُكْس ونُكاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعد الصحة . والاندمال : الإفاقة من العلّة ، واندمال الجُرح : بُرْؤه . فأمّا الأبيات التي يصف فيها الناقة فقوله : [من المتقارب]

فسَلِّ الهمـومَ بعَيْرانـةٍ مُواشِكَةِ الرَّجْعِ بعد انتقالِ[1]

ذَمُـولٍ تَزِفّ زفيفَ الظَّلي ـم شمر بالنَّعْفِ وَسْط الرِّئالِ[2]

وتَرْمَـدّ هَمْلَجـةً زَعْزَعـاً كما انخرط الحبلُ فوق المَحالِ[3]

ومن سيرهـا العَنَق المُسْبَطِرّ والعَجْرفيّـةُ بعـد الكَـلالِ

كأنّي ورحلِـي إذا رُعتُهـا على جَمزَى جازىءٍ بالرمالِ[4]

وأمّا صفة الحمار في هذه القصيدة فقوله فيه وفي الأُتُن : [من المتقارب]

فظَـلَّ يُسوّفُ أبوالَهـا ويُـوفي زيـازِيَ حُـدْبَ التِّلالِ[5]

فطـاف بتعشيره وانتحـى جَوائلَهـا وهـو كالمُسْتَجالِ[6]

تَهـادى حوافرُهـا جَنْـدَلاً زواهـقَ ضربَ قُـلاتٍ بِقـالِ[7]

رمـى بالجَرامِيزِ عُـرْضَ الوَجِيـ ـنِ وارمدّ في الجري بعد انفتالِ[8]

بشأوٍ له كضَريـم الحريـ ـقِ أو شِقّة البرق في عُرْض خالِ[9]

---

1 مواشكة الرجع : سريعة السير .

2 الرئال : جمع رأل وهو ولد النعام .

3 ترمدّ : تسرع في السير . هملجة : حسنة السير في سرعة . زعزع : شديد .

4 جمزى : سريع في وثبه . والجازىء : المكتفي بالرطب عن الماء .

5 يوفي : يصعد ، يعلو . زيازي : جمع زيزاء وهي الأرض الغليظة .

6 التعشير : النهيق .

7 تقذف حوافرها الجندل من حافر لآخر . الزواهق : السابقات . وهنا إشارة إلى لعبة قديمة .

8 جراميز الوحش : قوائمه وجسده . الوجين : الأرض الغليظة .

9 الخال : السحاب الذي يوشك أن يمطر .

يمُـــرّ كجَنْدلـــــة المَنْجَنيـــ ـــقِ يُرْمى بها السورُ يـوم القتالِ
فمـــاذا تَخَطْـــرف مـن حالـقٍ ومن حَـدَبٍ وحجـابٍ وجالِ

الشعر لأميّة بن أبي عائذ الهذليّ[1] . والغناء لابن عائشة . ولحن ابن عائشة مشكوك فيه : أيّ الألحان المصنوعة في هذا الشعر هو ، فيقال : إنّه خفيف الرمل ، ويقال : إنّه هو الثقيل الأوّل ، ويقال : إنّه الرمل . فأمّا خفيف الرمل فهو بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكره إسحاق في موضع فتوقّف عنه ولم ينسُبه ، ونسبه في موضعٍ آخرَ إلى ابن أبي يَزَن المكيّ . ونسبه عمرو بن بانة إلى معبد وقال : فيه خفيف رمل آخر لمالك . وذكره يونس في أغاني ابن أبي يَزَن المكيّ ونسبه ولم يُجنّسه . وذكر ابن خُرْداذْبه والهشاميُّ أنّ فيه لهشام بن المريَّة لحْناً من الثقيل الأوّل ، ورأيت ذلك أيضاً في بعض الكتب بخطّ عليّ بن يحيى المنجم كما ذكرا . وذكر إسحاق أنّ الرمل مطلق في مجرى الوسطى وأنّه لابن عائشة . وذكر أحمد بن المكيّ أنّه لأبيه ، وذكر غيره أنّه غلط وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأوّل والرمل لابن عائشة . وقال حَبَش : فيه لابن سُرَيج هزج خفيف بالوسطى . ومنها ، وقد مضى تفسيره في الخبر واقتُصِر على البيت الأوّل منه : [من المتقارب]

صوت

إذا ما انتشيتُ طرَحتُ اللِّجامَ في شِدْقِ مُنْجَـرِدٍ سَلْهَـبِ

الشعر للنابغة الجعديّ[2] . والغناء لابن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وحمّاد . ومنها الصوت الذي أوّله : [من الخفيف]

أنعَمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عيناً

وقد جُمع مع سائر ما يُغنّى فيه من القصيدة ، وهو : [من الخفيف]

أثْلَ جُـودِي على المتيَّـم أثْلا لا تَزِيدي فؤادَه أثْـلَ خَبْلا
أثْلَ إنّـي والراقصاتِ بجَمْع يتبارَيْـــن في الأزِمّـــة فُتْلا
سابحـاتٍ يَقطعْن مـن عرفاتٍ بين أيدي المَطيّ حَزْنا وسهلا
والأكفِّ المُطهّراتِ على الرُّكْـ ـنِ لشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلا

1 أميّة بن أبي عائذ الهذليّ : وقصيدته هذه في شرح أشعار الهذليين 2 : 494 والأبيات الواردة هنا لا تلتزم ترتيب الديوان .

2 ديوان النابغة الجعدي : 31 وما بعدها (طبع المكتب الإسلامي 1964) .

لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتّى ... يُنْقلَ البحرُ بالغرابيلِ نَقْلا
أو تمورَ الجبالُ مَوْرَ سحابٍ ... مُرْتَقٍ قد وَعَى من الماءِ ثِقْلا
أنعمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عيناً ... وبه مرحباً وأهلاً وسهلا
حين قالت لا تُفْشِيَنّ حديثي ... يا ابن عمّي أقسمتُ قلتُ أجَلْ لا
فاتّقي اللهَ واقبلي العذرَ منّي ... وتجافَيْ عن بعض ما كان زَلاّ
إن أكن سؤتُكم به فلكِ العُتْـ ... ـبى لَدَينا وحَقَّ ذاك وقلاّ
لم أُرحِّب بأن سَخِطتِ ولكنْ ... مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُه ليلةَ البد ... رِ عليه ابتَنى الجمالُ وحَلاّ
جعل اللهُ كلّ أنثى فِداءً ... لكِ بل خدَّها لرجليْكِ نعلا
وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ به المز ... نَ من الحسنِ والجمالِ استهلاّ

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ[1] . والغناء لمعبد في الأربعة الأبيات الأُوَل : خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة . ولابن هَوْبَر في الأوّل والثاني ثقيل أوّلُ آخر عن إسحاق . ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيل أوّل ، وآخر بالبنصر أوّله استهلال . وللغريض في الخامس وما بعده إلى التاسع خفيف ثقيلٍ بالوسطى . ولدَحمان في التاسع والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن من كتاب يونس ولم يقع إليَّ من يُجنّسه . ولابن سريج فيها بعينها رمل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيها أيضاً للغريض خفيف رملٍ بالبنصر . ولابن عائشة في السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يُجنّسه .

[غنّى الوليد بن يزيد فطرب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعِيّ وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن سلاّم ، وأخبرني محمد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه عن شيخ من تَنُوخ ولم يقل عمر بن شبّة في خبره : محمد بن سلاّم عن أبيه ، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ ، قال : كنتُ صاحبَ سِتْر الوليد بن يزيد ، فرأيتُ ابن عائشة عنده وقد غنّاه : [من الكامل]

1 شعر الحارث بن خالد : 81–84 جمع د . يحيى الجبوري (بغداد – 1972) عن الأغاني .

صوت

إنِّي رأيتُ صَبِيحةَ النَّفْرِ حُوراً نَفَيْنَ عزيمةَ الصبرِ
مثلَ الكواكب في مطالعِها بعدَ العشاءِ أطفْنَ بالبدرِ
وخرجتُ أبغِي الأَجْرَ مُحتسباً فرجَعتُ مَوْفوراً من الوِزْرِ

قال إسحاق في خبره : والشعر لرجل من قريش ، والغناء لمالك . هكذا في خبر إسحاق . وما وجدتُه ذكرَه لمالك في جامع أغانيه . ووجدته في غِناء ابن سريج خفيف رمل بالوُسطى عن الهشاميّ قال : فطرِب الوليد حتّى كفر وألحد ، وقال : يا غلام ، اسقِنا بالسماء الرابعة ، وكان الغِناء يعمَل فيه عملاً ضلّ عنه مَن بعدَه ؛ ثم قال : أحسنتَ والله يا أميري ؛ أعِد بحقّ عبد شمس ، فأعاد ؛ ثم قال : أحسنت والله يا أميري ؛ أعِد بحقّ أُميّة ، فأعاد ؛ ثم قال : أعِد بحقّ فلان ، أعد بحقّ فلان ، حتّى بلغ من الملوك نفسَه ، فقال : أعِد بحياتي ؛ فأعاده . قال : فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضْو من أعضائه إلاّ قبّله وأهوى إلى هَنِه ؛ فجعل ابن عائشة يضمّ فخذيه عليه ؛ فقال : والله العظيم لا تَرِيم حتى أُقبّله ، فأبداه له فقبّل رأسه ، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه ، وبقيَ مجرّداً إلى أن أَتَوْه بمثلها ، ووهب له ألف دينار ، وحمله على بغلة وقال : اركبها ، بأبي أنت ، وانصرِف ، فقد تركتَني على مثل المِقلى من حرارة غنائك ؛ فركِبها على بِساطه وانصرف .

[محتاج يصرّ على السماع فجعله الوليد في ندمائه]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحسن النَّخَعيّ قال حدّثني محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرَّبَعِيّ قال[1] : خرج ابن عائشة المدنيّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه : [من الوافر]

أبعَدَكَ مَعْقِلاً أرجو وحِصْناً قَدَ اعْيتنِي المَعاقلُ والحُصونُ

وهي أربعة أبيات ، هكذا في الخبر ، ولم يَذكر غير هذا البيت منها ، قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألف درهم ، وبمثل كارةِ القَصّار كُسوةً . فبينا ابن عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادي القرى كان يشتهي الغِناء ويشرب النبيذ ، فدنا من غلامه وقال : مَن هذا الراكب ؟ قال : ابن عائشة المغنّي ؛ فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك ، أنت ابن عائشة أُمِّ المؤمنين ؟ قال : لا ، أنا مولًى لقريش وعائشة أمّي وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر ؛ قال : وما هذا الذي أراه

1 التذكرة الحمدونية 9 : 63–64 (رقم : 93) عن الأغاني ؛ وانظر نهاية الأرب 4 : 284–285 وديوان النابغة الذبياني : 222 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة) .

بين يديك من المال والكُسوة ؟ قال : غنّيت أمير المؤمنين صوْتاً فأطربته فكفَر وترك الصلاة وأمر لي بهذا المال وهذه الكُسوة ؛ قال : جُعِلت فداءك ، فهل تمُنّ عليّ بأن تُسمعني ما أسمعتَه إيّاه ؟ فقال له : ويلك ؛ أمثلي يُكلَّم بمثل هذا في الطريق ! قال فما أصنع ؟ قال : الحَقْنِي بالباب . وحرَّك ابن عائشة بغلةً شَقراء كانت تحته لينقطع عنه ؛ فعدا معه حتى وافيا الباب كفرَسَيْ رِهانٍ ، ودخل ابن عائشة فمكث طويلاً طمعاً في أن يضجر فينصرف ، فلم يفعل ؛ فلمّا أعياه قال لغلامه : أدخِلْه ، فلمّا دخل قال له : ويلك ؛ من أين صَبّك الله عليّ ! قال : أنا رجل من أهل وادي القُرى أشتهي هذا الغناء ؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفع لك منه ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك ؛ فقال له : جُعِلتُ فداءك ، والله إنّ لي لبُنيّةً ما في أذنها ، علِم الله ، حلقة من الورِق فضلاً عن الذهب ، وإنّ لي لزوجةً ما عليها ، يشهد الله ، قميصٌ ، ولو أعطيتني جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هذه الخَلّة والفقر اللذيْن عرّفتُكَهما وأضعفتَ لي ذلك ، لكان الصوتُ أعجبَ إليّ ، وكان ابن عائشة تائهاً لا يغنّي إلاّ لخليفةٍ أو لذي قدر جليل من إخوانه ؛ فتعجّب ابن عائشة منه ورحِمه ، ودعا بالدَّواة وكان يغنّي مُرتجِلاً ، فغنّاه الصوت ؛ فطرِب له طرباً شديداً ، وجعل يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أنّ عنقه سينقصف ، ثم خرج من عنده ولم يَرْزَأْه شيئاً ، وبلغ الخبر الوليد بن يزيد فسأل ابن عائشة عنه ، فجعل يَغِيب عن الحديث . ثم جدّ الوليد به فصدَقه عنه ، وأمر بطلب الرجل فطُلِب حتى أُحضِر ، ووصله صِلةً سنيّة ، وجعله في ندمائه ووكّله بالسَّقْي ، فلم يزل معه حتى مات .

[سمع الشعبيّ غناءه فمدحه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب قال حدّثنا محمد بن سَلاّم قال حدّثني عمر بن أبي خليفة قال : كان الشَّعبيّ مع أبي في أعلى الدار ، فسمعنا تحتَنا غِناء حسناً ، فقال له أبي : هل ترى شيئاً ؟ قال : لا ، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنّ يتغنّى : [من مجزوء الكامل]

قالتْ عُبَيْد تَجَرُّماً في القولِ فعلَ المازِحِ

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه ، فإذا هو ابن عائشة ، فجعل الشَّعبيّ يتعجّب من غنائه ويقول : يُؤتِي الحِكمة من يشاء . [من مجزوء الكامل]

نسبة هذا الصوت

صوت

قالتْ عُبَيد تَجَرُّماً في القول فعلَ المازِحِ

أنجزْ بعَمْرك وعدَنا فأظنّ حبَّك فاضحِي
فأجبتُهـا لـو تعلمـ ـينَ بما تُجِنّ جوانحي
فيمـا أرى لَرَحِمْتِني من حَمْل حُبٍّ فادِحِ
ما في البريّة لي هوىً فاسمع مَقالـة ناصحِ
أشكو إليـه جَفـاءكم إلاّ سلام مُصافِحِي

زعم حبش أنّ الغناء لابن عائشة خفيف ثقيل بالبنصر .

[احتال عليه جماعة من قريش في الحجّ فغنّى لهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض أهل المدينة قال : حدّثني مَن رأى ابن عائشة حاجّاً وقد دعاه فِتْيةٌ من بني هاشم فأجابهم ، قال : وكنت فيهم ، فلمّا دخلنا جعلوا صدرَ المجلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتّى حضَر الطعام ، فلمّا طعِموا دعا بشراب فشرِبوا ، وكان ابن عائشة إذا سئل أن يغنّيَ أبى ذلك وغضِب ، فإذا تحدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُنّي فيه ابتدأ هو فغنّاه ، فكان مَن فَطِن له يفعلُ ذلك به ، فقال رجل منهم : حدّثني اليوم رجل من الأعراب ممّن كان يصاحب جَميلاً بحديث عجيب ؛ فقال القوم : وما هو ؟ فقال : حدّثني أنّ جَميلاً بينما هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يَرى ، فثار نافراً ، مُقشعرّ الشعر ، متغيّر اللّون ، إلى ناقة له مجتمعةٍ[1] قريبة من الأرض ، مُوثَّقَة الخَلق ، فشدّ عليها رَحلَه ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته ، ثم ثنّى فشربتْ حتى رَوِيتْ ، ثم قال : اشدُد أداة رَحلك واشرب واسقِ جملَك ، فإنّي ذاهب بك إلى بعض مذاهبي ، ففعلت ، فجال في ظَهْر ناقته وركبتُ ناقتي ، فسِرنا بياض يومنا وسَواد ليلتنا ، ثم أصبحنا فسِرنا يومَنا لا والله ما نَزَلنا إلاّ للصلاة ؛ فلمّا كان اليوم الثالث دَفَعنا إلى نسوة فمِلْ إليهنّ فوجدنا الرجال خُلُوفاً ، وإذا قِدرُ لِبأ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطشاً ، فلمّا رأيت النِدْر اقتحمتُ عن بعيري وتركتهم جانباً ، ثم أدخلت رأسي في القِدر ما يَثنِيني حَرُّها حتى رويت ، فذهبتُ أُخرِجُ رأسي من القدر فضاقتْ عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسُوة ، فضحِكن منّي وغَسَلن ما أصابني . وأُتيـ جميلٌ بقِرًى فوالله ما التفتُّ إليه ؛ فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَواعِي الإبل ، وقد كان السلطان أحلّ لهم دَمَهُ إن وجدوه في بلادهم ، وجاء الناس[2] فقُلن : وَيحَك ! أُنجُ وتقدّم ، فوالله ما أكبرهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يرمونه ويطردونه ، فإذا غَشَوه قاتلهم

1 يريد مجتمعة الخلق أي مكتنزة قويّة .

2 ل : وجاء النسوة .

ورَمى فيهم ، وقام بي جَمَلي ، فقال لي : يَسِّر لنفسك مركباً خَلفي ، فأردفني خلفه ، لا والله ما انكسر ولا انحَلّ عن فرسه حتى رجع إلى أهله ، وقد سار ستّ ليالٍ وستّة أيّام وما التفتَ إلى طعام وقال في ذلك : [من الكامل]

إنّ المنـــازلَ هَيجَـتْ أطرابِي واستَعْجَمَت آياتُهـا بجـوابي

وهي قصيدة طويلة . وقال أيضاً : [من الطويل]

وأحسنُ أيامي وأبهجُ عِيشَتِي إذا هِيجَ بِي يَوْماً وهُنَّ قُعُودُ

قال فقال ابن عائشة : أفلا أُغَنّي لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغنّاه ، فما سَمِعَ السامعون شيئاً أحسنَ من ذلك ، وبقي أصحابنا يتعجّبون من الحديث وحُسنه والغناء وطِيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنّا مستأذنوك ، فإن أذِنتَ لنا سألناك ، وإن كَرِهتَ تركناك ؛ فقال : سَلُوا ، فقالوا : نحبُّ أن تُغَنّينا في مجلسنا هذا ما نَشطْتَ هذا الصوت فقط ؛ فقال لهم : نعم ونِعمةَ عينٍ وكرامةً ، فما زلنا في غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسبة هذا الغناء

صوت

[من الكامل]

إنَّ المنازلَ هَيَّجَتْ أطرابـي واستعجمـتْ آياتُهـا بجوابي
قَفْرٌ تَـلُوحُ بذي اللِّجَين كأنّها أَنْضاءُ وَشْمٍ أو سُطورُ كتابِ
لَمّا وقفتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ منّي الدموعُ لفُرقةِ الأحبابِ[1]
وذكرتُ عصراً يا بُثَيْنَةُ شاقَني إذ فاتَنِي وذكرتُ شَرخَ شبابي

الشعر لجميل[2] . والغناء للهُذليّ ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق .

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ عن أبيه قال حدّثني عمرو بن أبي الكَنّات الحَكَميّ قال حدّثني يونس الكاتب قال : كنّا يوماً متنزّهين بالعقيق أنا وجماعةٌ من قريش ، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني ليث وهو متوكّىء على يده ، فلمّا رأى جماعتَنا وسَمِعَني أُغَنّي جاءنا فسلّم وجلس إلينا

1 القلوص في ل : الركاب .

2 ديوان جميل بثينة : 31–32 عن الأغاني – جمعه د . حسين نصّار (مكتبة مصر) .

وتحدَّث معنا ، وكانت الجماعة تَعرف سوءَ خُلُقِه وغَضَبه إذا سئل أن يُغَنِّيَ ، فأقبل بعضهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء ، يَسْتَجِرُّون بذلك أن يطرَب فيُغنّي ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا ، فقلتُ لهم أنا : لقد حدّثني اليوم بعض الأعراب حديثاً يأكل الأحاديث ، فإن شئتم حدّثتكم إيّاه ؛ قالوا : هاتِ ؛ قلتُ : حدّثني هذا الرجل أنّه مَرَّ بناحية الرَّبَذَة فإذا صبِيانٌ يتغاطسون[1] في غَدِيرٍ ، وإذا شابٌّ جميلٌ منهوك الجسم عليه أثرُ العِلّة ، والنحول في جسمه بيِّن ، وهو جالس ينظر إليهم ، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال : من أين وَضَحَ الراكب ؟ قلتُ : من الحِمَى ؛ قال : ومتى عهدُك به ؟ قلتُ : رائحاً ؛ قال : وأين كان مبيتك ؟ قلت : ببني فلان ؛ فقال : أوَّه ! وألقى بنفسه على ظهره وتنفَّس الصعداء تنفُّساً قلت إنّه قد خرّق حِجاب قلبه ؛ ثم أنشأ يقول[2] : [من الطويل]

صوت

سَقى بلداً أمستْ سُلَيْمى تَحُلُّهُ ... مِنَ المُزْنِ ما يَرْوى به ويُسِيمُ
وإن لم أَكُنْ من قاطِنِيهِ فإنّه ... يَحُلّ بـه شخصٌ عليّ كَرِيمُ
ألاّ حَبّذا مَنْ ليسَ يَعْدِلُ قُرْبَهُ ... لَدَيَّ وإن شَطَّ المـزارُ نَعِيمُ[3]
ومَنْ لامَنِي فيهِ حَمِيمٌ وصاحبٌ ... فَرُدَّ بغَيظٍ صاحِـبٌ وحَمِيمُ

ثم سكن كالمَغشيّ عليه ، فصِحتُ بالصِّبْية ، فأتوْا بماءٍ فَصَبَبْتُه على وجهه ، فأفاق وأنشأ يقول[4] : [من الوافر]

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشُوعي ... وأنفاسي تَزَيَّـنَ بالخُشُوعِ
ولي عَيْنٌ أَضَرَّ بها التفاتِـي ... إلى الأجراع مُطلقـةَ الدموعِ
إلى الخَلَواتِ يأنسُ فيكِ قلبي ... كما أَنِسَ الغريبُ إلى الجميعِ[5]

فقلتُ له : ألا أنزلُ فأساعدك ، أو أكُرُّ عَوْدِي على بَدْئي إلى الحِمى في حاجة إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة ؟ فقال : جُزِيتَ خيراً وصَحِبَتْك السلامة ؛ امضِ لِطيَّتك ، فلو أنّي علمتُ أنّك تُغْنِي عنّي شيئاً لكنتَ موضِعاً للرغبة وحقيقاً بإسعاف المسألة ، ولكنّك أدركتني في صُبابة من حياتي يسيرة ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسي ليلته إلاّ ميِّتاً ؛ فقال القوم : ما أعجبَ

1 ل : يتغامسون ؛ وفي أمالي القالي (37) يتقامسون .
2 الخبر والشعر في أمالي القالي 1 : 37–38 .
3 لدي في ل : عليّ .
4 هذه الأبيات في أمالي القالي 1 : 38 دون نسبة .
5 يأنس فيك قلبي في ل : تأنس فيك نفسي .

هذا الحديث ! واندفع ابن عائشة فتغنَّى في الشعرين جميعاً وطَرِبَ وشَرِبَ بقيّة يومه ، ولم يزل يُغَنِّينا إلى أن انصرفنا .

فأمّا نسبة هذين الصوتين فإنّ في الأوّل منهما لَحناً من خفيف الرمل الثقيل المطلق في مجرى الوسطى ، نسبه يحيى المكّيّ إلى معبد ، وذكر الهشاميّ أنّه مَنحول . وفي هذا الخبر : أنّ ابن عائشة غنّاه ، وهو يغنّى في البيت الأوّل والثاني من الأبيات . وفيه للضَّيزنيّ الملقّب بنُبَيكة لحنٌ جيِّد من الثقيل الأوّل . وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنّين وكبارهم ، وقد خدم المعتمد ثم شخص إلى مصر فخدم خُمارَوَيْه بن أحمد ، ثم قَدِم بغداد في أيّام المقتدر ، ورأيناه وشاهدناه ، وكانت في يده صُبابة قويَّة من إفضال ابن طولون واستغنى بها حتى مات ، وله صنعةٌ جيِّدة قد ذكرتُ ما وقع إليّ منها في المجرَّد[1] . وذكرتُ ممّا وقع إليّ له في هذا الكتاب لَحْناً جيِّداً في شعر سعد ذلفاء ، وهو :

ولَمَّا وَقَفْنا دُونَ سَرْحَةِ مالِكٍ

في موضعه من أخباره .

وأمّا الشعرُ الثاني الذي ذكرتُ في هذا الخبر الماضي : أنَّ ابن عائشة غنّاه فما رأيتُ له نسبة في كتاب ولا سمعت فيه صنعةً من أحد ، ولعلّه ممّا انطوى عنّي أو لم يَشْتهِر فسقط عن الناس .

[غنّى من قصر ذي خشب ورأى نسوة يمشين فاتّجه نحوهنّ فسقط فمات]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب بن طلحة اللَّيثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبلَ ابن عائشة من الشام حتى نزل قصر ذي خُشُب ومعه مالٌ وطِيبٌ وكُساً فشَرِبَ فيه ، ثم تطرَّقوا إلى ظهر القصر فصَعِدوا ، ثم نَظَرَ فإذا بِنِسْوةٍ يَتَمَشَّيْنَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلَبِسَ مُلاءة مَدلوكة ، ثم قام على شُرفةٍ من شُرُفات القصر فتغنَّى : [من الهزج]

وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تَلاقَيْنا
تَعالَيْنَ فقد طابَ لنا العَيْشُ تَعالَيْنا

فأَقْبَلْنَ إليه فطَرِبَ واستدارَ حتى سقط من السطح ؛ وهذا الخبر يُذكر على شرحه في خبر وفاته .

1 المجرد : أحد مؤلّفات أبي الفرج .

[كان يغنّي بشعر الحطيئة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأتُ على أبي عن محمد بن سلاَّم عن جرير أبي الحصين قال : كان ابن عائشة إذا غَنَّى في صوت له من شعر الحطيئة وهو :

عَفـا مـن سُلَيْمى مُسْحُلانُ فحامِرُهْ

نظر إلى أعطافه في كلّ رَنّة ، فسئل يوماً ، وقد دَبَّ فيه الشرابُ ، عن ذلك ، فقال : أنا عاشقٌ لهذا الصوت ، وعاشقٌ لحديثه ، وعاشقٌ لغريبه ، وعاشقٌ لقول الحطيئة : إنّ الغناء رُقْيَةٌ من رُقى النَّيْك ، ويُعجبني فهمُ الحطيئة بالغِناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء ، وكيف لا أُعجَبُ به ومَحَلُّه منّي هذا المحلّ ؟ وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلاّ غَنّاه ، فمن فَطِنَ له أكثر سؤاله إيّاه . وكان جرير يقول : إنّه أحسنُ صوتٍ له وأرقّه وأجوده .

[وفاة ابن عائشة]

وتُوُفِّي ابن عائشة فيما قيل في أيّام هشام بن عبد الملك ، وقيل في أيّام الوليد . وما أظنّ الصحيح إلاّ أنّه توفّي في أيّام الوليد ، لأنّه أقدمه إليه . وذكر من زعمَ أنّه توفِّي في خلافة هشام : أنّه إنّما وفد على الوليد وهو وليّ عهد .

[ذو خشب]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ذكر عِمران بن هند : أنّ الغَمر بن يزيد خرج إلى الشام ، فلمّا نَزَل قصرَ ذي خُشُب شرب على سطحه ، فغنّى ابن عائشة صوتاً طَرِبَ له الغَمْر ، فقال : اردُدْه ، فأبى ، وكان لا يردّ صوتاً لسوء خُلُقه ، فأمر به ، فطُرِح من أعلى السَّطح فمات . ويقال : بل قام من الليل وهو سكران ليبُول فسقط من السطح فمات .

[حكايات أُخرى في سبب وفاته]

قال إسحاق فحدّثني المدائنيّ قال حدّثني بعض أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأتِ به أحدٌ من عنده ، فلمّا قَرُب من المدينة نزل بذي خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة ، وكان واليَها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، ولاّه هشام وهو خاله ، وكان في قصر هناك ، فقيل له : أصلحَ الله الأمير ، هذا ابن عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد ، فلو سألته أن يقيم عندنا اليومَ فيُطرِبَنا وينصرف من غَدٍ ؛ فدعا به فسأله المُقام عنده فأجابه إلى ذلك ، فلمّا أخذوا في شُربهم أخرج المخزوميّ جواريَه ، فنظر إلى ابن عائشة وهو يغمِز جاريةً منهنّ ، فقال لخادمه : إذا خرج ابن عائشة يريد حاجته فارمِ به ، وكانوا يشربون فوق سطح ليس له إفريز ولا شرفات ، وهو يُشرف على بستان ، فلمّا قام ليبول رمى به الخادم من فوق السطح فمات ، فقبرُه معروف هناك .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه وأخبرني به الحسن بن عليّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك بن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طلحة الليثيّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال : أقبل ابن عائشة من الشام حتى نزل بقصر ذي خشب ومعه مال وطيبٌ وكُسأً ، فشرب فيه ، ثم تطَرَّقوا إلى ظهر القصر فصعدوا ، ثم نظر فإذا بنِسْوة يتمشّينَ في ناحية الوادي ، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلبس مُلاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرفة من شُرَف القصر فتغنّى في شعر ابن أُذَينة: [من الهزج]

وقد قالتْ لأَتْرابٍ لها زُهْرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقد طابَ لنا العيشُ تعالَيْنا

فأقبلن إليه ، وطرِب فاستدار فسقط فمات . قال : وقال قوم : بل قدِم المدينة فمات بها .

[بكى عليه أشعب فأضحك الناس]

قال : ولّما مات قال أَشْعَب[1] : قد قلتُ لكم ، ولكنّه لا يُغنِي[2] حَذَرٌ من قَدَر ، : زوِّجوا ابن عائشة رُبَيحة الشَّمَّاسِيّة تخرُج لكم بينهما مزامير داود فلم تفعلوا ، وجعل يَبكي والناس يضحكون منه .

نسبة هذا الصوت الذي غنّاه ابن عائشة

صوت[3]

[من الهزج]

سُلَيْمى أَزْمعتْ بَيْنَا فأين تقولُها أَيْنا[4]
وقد قالتْ لأترابٍ لها زُهْرٍ تلاقَيْنا
تعالَيْنَ فقد طابَ لنا العيشُ تعالَيْنا
وغابَ البَرَم الليلـ ـلة والعينُ فلا عَيْنا
فأَقبَلْنَ إليها مسـ ـرِعاتٍ يَتَهادَيْنا
إلى مثلِ مَهاةِ الرمـ ـلِ تَكْسُو المجلسَ الزَّيْنا
إلى خَوْدٍ منعَّمةٍ حَفَفْنَ بها وفدَّيْنا
تمنَّيْنَ مُناهنّ فكُنَّا ما تمنَّيْنا

1 قول أشعب نقله الحمدوني في التذكرة 9 : 62 (رقم : 86) .
2 ل : ينجي .
3 الشعر لعروة بن أذينة في مجموع شعره : 398–400 جمع د . يحيى الجبوري (بغداد) .
4 أزمعت في ل : أجمعت . تقولها : تظنّها .

الشعر لعروة بن أُذينة ، والغناء لابن عائشة لحنان أحدهما رملٌ مطلَقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثاني ثقيل بالوسطى عن حبش .

[كان مالك بن أنس يكره الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سمعتُ إبراهيم بن سعد يحلف للرشيد وقد سأله عمَّن بالمدينة يكره الغناء ، فقال : من قنَّعه الله بخِزْيه مالكُ بن أنس ، ثم حلف له إنّه سمع مالكاً يُغنّي : [من الهزج]

سُلَيمَى أزمعتْ بينا فأين تقولها أينا

في عُرس رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حنظلة .

[مرّ بابن أذينة وطلب إليه أن يقول له شعراً يغنّيه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال : مَرَّ ابن عائشة بابن أُذينة فقال له : قل أبياتاً هَزَجاً أُغنّ فيها ؛ فقال له : اجلس فجلس ؛ فقال :

سُلَيْمى أزمعت بينا

الأبيات . قال أبو غسّان : فحُدِّثتُ أنّ ابن عائشة رواها ، ثم ضحك لمّا سمع قوله : [من الهزج]

تمنَّيْنَ مُناهنّ فكنَّا ما تمنَّيْنا

ثم قال له : يا أبا عامر ، تمنَّيْنَك لمّا أقبل بَخَرُك ، وأدبر ذَفَرُك ، وذُبِل ذَكَرُك ! فجعل يشتُمه . هذا لفظ إسماعيل بن يونس .

أخبرني الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال فحدّثني حمّاد الخَشَبيّ[1] قال : ذُكِر ابنُ أُذَينة عند عمر بن عبد العزيز ، فقال : نِعْم الرجل أبو عامر ، على [أنّه] الذي يقول : [من الهزج]

وقد قالت لأتْرابٍ لها زُهْرٍ تلاقَيْنا

[غنّى للوليد بن يزيد بمكّة فطرب وأجازه]

أخبرني محمد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيّوب القُرَشيّ قال : كان هشام بن عبد الملك مُكرِماً للوليد بن يزيد ، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّباً للوليد ، وكان ، فيما يقال ، زِنديقاً ، فحمل الوليد على الشراب والاستخفاف بدينه ، فاتّخذ نُدَماءَ وشرب وتهتّك ، فأراد هشامٌ قطعَهم عنه ، فولاّه المَوْسِمَ في سنة عشر

1 ل : الحسني .

ومائـة ، فرأى الناس منه تهاوناً واستخفافاً بدينه ، وأمر مولاه عيسى فصلّى بالناس ، وبعث إلى المغنّين فغنَّوْه وفيهم ابن عائشة فغنّاه :

سُليمى أجمعتْ بَيْنَا

فنَعر الوليدُ نَعْرةً أَذِن لها أهلُ مكّة . وأمر لابن عائشة بألف دينار ، وخلع عليه عدّة خِلَع ، وحمَله . فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناس ، وأمر للمغنِّين بدون ذلك ، فتكلّم أهلُ الحجاز وقالوا : أهذا وليّ عهدِ المسلمين ؟ وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خَلْعه ، وأراده على ذلك فأبى ؛ وتنكّر هشام للوليد ، وتمادى الوليد في الشرب واللذات فأفرط ، وتعبث هشام بالوليد وخاصّته ومَواليه ، فنزل بالأَزرق بين أرض بَلْقَيْن وفَزارة على ماء يقال له الأَغْدَق ، حتى مات هشام . [انقضت أخباره] .

ومّما في المائة الصوت المختارة من أغاني ابن عائشة

[غناؤه في صوت من المائة المختارة]

صوت

من رواية عليّ بن يحيى : [من الكامل]

حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِي بعضَ الحَنِين فإن شَجْوَكِ شائِقي
بأبـي الوليدُ وأمِّ نفسي كلّما بدت النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارِقِ
أَثْوى فأكرمَ في الثَّواء وقُضِّيتْ حاجاتُنا من عنـد أَرْوعَ باسِقِ
لا تَبْعَـدنّ إداوةٌ مطروحـةٌ كانـت حَدِيثاً للشَّرابِ العاتِقِ

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنّت ، يعني ناقته . وهذا البيت يتبع بيتاً قبله وهو : [من الكامل]

فإلى الوليدِ اليومَ حنّتْ ناقتي تَهْوِي بمُغْبرِّ المُتُونِ سَمالِقِ[1]

وبعده «حنت إلى برق . . .» . وقوله : «قِرِي» من الوَقار ، كأنّها لمّا حنّت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد ، فقال يخاطبها ، قِرِي . وذَرَّ قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس ؛ يريد : بأبي الوليد وأمّي في كلّ ليل ونهار أبداً . وأَثْوى : أنزَل . والثَّواء : الإقامة ؛ قال الأعشى : [من الطويل]

1 السمالق : الأراضي الجرداء .

لقد كانَ في حول ثَواء ثويته تُقَضَّى لُباناتٌ ويَسأم سائمُ

والباسق : الطويل ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالنَّخْلَ باسِقاتٍ لها طَلْعٌ نَضِيد﴾ أي طِوالاً . ويروى :

لا تَبْعَـدنّ إداوةٌ مطروحـةٌ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطأة المُحارِبيّ . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه للهذليّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ وابن المكيّ . فأوّلُ لحنِ الهذليّ استهلالٌ في :

حنتْ إلى برقٍ فقلتُ لها قِرِي

وأوّل لحن ابن عائشة : [من الكامل]

بأبي الوليدُ وأُمِّ نفسي كلّما بدت النجومُ وذَرّ قرنُ الشارقِ

[14] ـ أخبار ابن أرطاة ونسبه[1]

[نسبه]

هو عبد الرحمن بن أَرطاة ، وقيل : عبد الرحمن بن سَيْحان بن أَرطاة بن سَيْحان بن عمرو بن نُجَيد بن سعد بن لاحِب بن ربيعة بن شُكُم بن عبد الله بن عوف بن زيد بن بكر بن عمير بن عليّ بن جَسْر بن محارب بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار . وأمّ جَسْر بن محارب كأس بنت لُكَيز بن أَفصى بن عبد القيس ، وأمّ عليّ بن جسر ماوِيَّة بنت عليّ بن بكر بن وائل ، هذه رواية أبي عمرو الشيبانيّ أخبرني بها عمّي والصُّوليّ عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه ، قال : وشُكُم بن عبد الله أوّل مُحاربيّ سادَ قومَه وأبَـذُّهم رأساً بنفسه ، وكانوا جيراناً في هَوازن ؛ وآل سَيحان حلفاء حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصّة وعند سائر بني أميّة عامّة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عمران قال : بنو سيحان من بني جَسْر بن محارب ، وبنو عبد مناف تُقَوِّي حِلْفَهم ، وهم عندي أعِزَّاؤهم وليسوا بأحلافهم .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان قال : لمّا قتَل هشام بن الوليد أبا أُزَيْهِر ، بعثتْ قريش أَرطاة بن سيحان حليف حرب بن أميّة إلى الشَّراة يُحَذِّر مَن بها من تُجّار قريش ، وخرج حاجزٌ الأَزدِيّ ليُخْبِرَ قومه ، فسبقه أرطاة ، وقال في ذلك وقد حذَّرهم فنَجَوا : [من الكامل]

مثـلُ الحليـفِ تُشدُّ عُرْوتُـه ... يَثْنِي العِناجَ لها مع الكَرَبِ[2]

زَلَـمٌ إذا يَسَرُوا بـــه يُسُرٌ ... ومناضلٌ يَحْمِي عن الحَسَبِ[3]

هـل تَشْكُرَنْ فِهـرٌ وتاجِرُها ... دَأْبَ السُّرى بالليلِ والخَبَبِ

حتـى جَلَـوْتُ لهـم يَقِينَهُمُ ... ببيـان لا أَلْسٍ ولا كَـذِبِ[4]

---

1 لم نجد لعبد الرحمن بن أرطاة ترجمة في المصادر الأدبية عدا الأغاني .

2 العناج والكرب : سير وحبل يشدّان بالدلو لاستنقاذها إذا انقطع الحبل .

3 الزلم : قدح لا ريش فيه ويشبه به الرجل الخفيف . إذا يسروا : إذا لعبوا الميسر .

4 الألس : الخيانة والكذب .

[شاعر إسلاميّ مقل ليس من الفحول]

وكان عبد الرحمن شاعراً مُقِلاً إسلاميّاً ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول في الشراب والغَزَل والفَخْر ومدح أحلافه من بني أميّة ، وهو أحد المعاقِرين للشراب والمحدودين فيه ، وكان مع بني أميّة كواحدٍ منهم إلاّ أنّ اختصاصه بآل أبي سفيان وآل عثمان خاصّة كان أكثر ، وخُصوصُه بالوليد بن عثمان ومؤانستُه إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم ، لأنّهما كانا يَتَنادَمان على الشَّراب .

وهذه الأبيات التي فيها الغناء يقولها في الوليد بن عثمان ، وقيل : بل في الوليد بن عتبة . وخبره في ذلك يُذكَر بعد هذا .

[أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال قال عُتبَة بن المِنهال المهلَّبيّ حدّثني غيرُ واحد من أهل الحجاز قالوا : كان ابن سيحان حليفاً لقريش ينزِل بالمدينة ، وكان نديماً للوليد بن عثمان ، فأصابه ذات يومٍ خُمارٌ ، فذهب لسانه وسكنَت أطرافه وصرَخ أهله عليه ، فأقبل الوليد إليه فَزِعاً ، فلمّا رآه قال : أخي مَخمور ورَبِّ الكعبة ، ثم أمرَ غلاماً له فأتاه بشراب من منزله في إداوة فأمرَ به فأُسخن ثم سقاه إيّاه وقيّأه ، وصنع له حِساء وجعل على رأسه دُهناً وجعل رجليه في ماء سُخْن ، فما لبِث أن انطلق وذهب ما كان به . ومات الوليد بعد ذلك . فبينا ابن سيحان يوماً جالسٌ وبعض متاعه يُنقَل من بيت إلى بيت ، إذ مَرّت الخادم بإداوة الوليد التي كان داواه بما فيها من الشراب وقد يَبِسَتْ وتَقَبَّضت ، فانتحب وقال : [من الكامل]

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانتْ حديثاً للشرابِ العاتِقِ

وذكر باقي الأبيات .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي عبيدة عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان وكان يُخْمَر فأصابه من ذلك شيءٌ شديدٌ حتى خِيفَ عليه وشقَّ النساء عليه الجُيوب ، فدُعِي له ابن سيحان ، فلمّا رآه قال : اخرُجنَ عنّي وعن أخي ، فخَرَجْنَ ، فقال له : الصَّبوح أبا عبد الله ، فجلس مُفِيقاً ؛ فذلك حيث يقول ابن سيحان : [من الكامل]

بأبي الوليدُ وأُمِّ نفسي كلّما بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ

أَثْوى فأكرَمَ في الثَّواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا من عندِ أَرْوَعَ باسِقِ

كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ وفضائلٍ معدودةٍ وخلائقِ
وسَماحةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَفَوْا في ماله حَقّاً وقَوْلٍ صادِقِ
لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانتْ حَديثاً للشرابِ العاتِقِ

[كان ينادم الوليد بن عثمان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان الوليد بن عثمان يُكنى أبا الجَهْم ، وكان لابن سيحان صديقاً ونديماً ، وكان صاحب شراب ، فمرِض فعادَه الوليد وقال : ما تشتهي ؟ قال : شراباً ؛ فبعث فجاءه بشراب في إداوة . ثم ذكر باقي الخبر[1] نحو الذي قبله .

[خرج مع الوليد بن عثمان إلى الحجاز ولمّا عاد أعطاه إداوة شراب]

أخبرني محمد بن خلف وكِيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عباية قال : كان الوليدُ بن عُثمان ذا غَلّة في الحجاز يخرُجُ إليها في زمان التَّمْر بنَفَرٍ من قومه ، يَجْنُون له ويعاونونه ، فكان إذا حضرَ خروجُهم دفَعَ إليهم نفقاتٍ لأهليهم إلى رجعتهم ، فخرج بهم مرّةً كما كان يخرج وفيهم ابن سيحان ، فأتى ابن سيحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدُوم لحاجةٍ لا بدّ منها ، فاستأذنه فأَذِنَ له ، فقال له ابن سيحان : زَوِّدوني من شرابكم هذا ، فزَوَّدُوه إداوةً ملأها له من شرابهم ، فكان يَشْرَبها في طريقِهِ حتى قَدِمَ على أهله ، فألقاها في جانب بيتِه فارغةً ، فمكثَ زماناً لا يذكرها ، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلقاةً في الكُناسة فقال : [من الكامل]

لا تَبْعَدَنَّ إداوةٌ مطروحةٌ كانت حَدِيثاً للشرابِ العاتِقِ
إن تُصْبِحِي لا شيءَ فيكِ فرُبَّما أُتْرِعْتِ من كأسٍ تَلَذُّ لِذائِقِ
بأبي الوليدُ وأُمِّ نفسي كُلَّما بَدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارِقِ
كم عندَه من نائلٍ وسَماحةٍ وشمائلٍ مَيْمونةٍ وخلائِقِ
وكرامةٍ للمُعْتَفِين إذا اعْتَفَوْا في ماله حَقّاً وقَوْلٍ صادِقِ
أَثْوى فأَكرَمَ في الثَّواءِ وقُضِّيَتْ حاجاتُنا من عندِ أَرْوَعَ باسِقِ
لَمَّا أتينـاهُ أَتَيْنا ماجدَ الـ ـأخلاق سَبَّاقاً لِقَرْمٍ سابِقِ
قال الوليدُ يَدِي لكم رَهْنٌ بما حاوَلْتُمُ من صامتٍ أو ناطِقِ
فإلى الوليدِ اليوم حَنَّتْ ناقتي تَهْوِي بِمُغْبَرِّ المُتُونِ سَمالِقِ
حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِي بَعْضَ الحَنِينِ فإنَّ شَجْوَكِ شائقِي

1 ل : الحديث .

[حدّه مروان بالخمر ومنع منه معاوية]

أخبرني عَمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله التَّميميّ الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه وأخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي ، قالا جميعاً : كان عبد الرحمن بن سيحان قد غاظ مَروان بن الحكم أيّام كان معاوية يُعاقِب بينه وبين سعيد بن العاص في ولاية الحَرَمين ، وأنكر عليه أشياءَ بلغَته فغاظَته : من مدحه سعيداً وانقطاعه إليه وسروره بولايته ، فرصَدَه حتى وجده خارجاً من دار الوليد بن عثمان وهو سكران فضربه الحدَّ ثمانين سوطاً . وقدِم البريد من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها ، حتى انتهى به الحديث إلى ابن سيحان فأخبره أنّ مروان ضربه الحدّ ثمانين ؛ فغضِب معاوية وقال : واللهِ لو كان حليف أبي العاص لَما ضربه ولكنّه ضربه لأنّه حليف حَرب ، أليس هو الذي يقول : [من الطويل]

وإنّي امرؤٌ حِلْفٌ إلى أفضل الوَرى عَدِيداً إذا ارفَضَّتْ عَصا المُتَحلِّفِ

كذب والله مروان ، لا يَضْرِبه في نبيذ أهل المدينة وشَكِّهم وحُمقهم ؛ ثم قال لكاتبه : اكتُبْ إلى مروان : فَليُبْطل الحدَّ عن ابن سيحان ، وليَخطُب بذلك على المِنبر ، وليَقُل إنّه كان ضربه على شُبهة ثم بانَ له أنّه لم يشرب مُسْكِراً ، وليُعْطِه ألفيْ درهم . فلمّا ورد الكتاب على مروان عَظُم ذلك عليه ، ودعا بابنه عبد الملك فقرأه عليه وشاوره فيه ؛ فقال له عبد الملك : راجِعْه ولا تُكَذِّب نفسَك ، ولا تُبْطِل حُكْمَك ؛ فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا عزَم على شيءٍ أو أراده ، لا واللهِ لا أُراجِعُه . فلمّا كان يوم الجمعة وفرَغ من الخطبة قال : وابنُ سيحان فإنّا كشَفنا أمره فإذا هو لم يشرب مُسْكِراً ، وإذا نحن قد عَجَّلنا عليه ، وقد أَبْطَلتُ عنه الحدّ . ثم نزل فأرسل إليه بألفيْ درهم .

[رآه مروان سكران وشنع به فجلده الوليد بن عثمان الحدّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : كان عبد الرحمن بن سيحان المُحاربيّ شاعراً ، وكان حلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيّامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصيب من الشراب ، فكان كلُّ مَن قدِم من وُلاة بني أُميّة وأحداثهم ممّن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه ، فلمّا وَلِيَ الوليدُ بن عُتبة بن أبي سُفيان وعُزل مَروان وجَد مروان في نفسه وكان قد سبَعَه[1] ، فحقَد ذلك عليه مروان واضطغنه ، وكان

1 سبعه : ذكره بالقبيح .

الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سيحان فيشرب معه ، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مروان يفعل به الذي فعله ، وقد كان مدحه ابن سيحان ووصَلَه مروان ، ولكنّ مروان أراد فضيحة الوليد ، فرصدَه ليلةً في المسجد ، وكان ابن سيحان يخرج في السَّحَر من عند الوليد ثَمِلاً فيمرّ في المقصورة من المسجد حتى يخرج في زُقاق عاصِم ، وكان محمد بن عمرو يبيت في المسجد يصلّي ، وكذلك عبد الله بن حنظَلَة وغيرهما من القُرّاء يبيتُون في المسجد يتهجّدون ، فلمّا خرج ابن سيحان ثمِلاً من دار الوليد أخذه مروان وأعوانه ، ثمّ دعا له محمد بن عمرو وعبد الله بن حنظلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها ، فدفعه إلى صاحب شُرطتِه فحبسه ؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع في المدينة وعلِم أنّ مروان إنّما أراد أن يفضحه ، وأنّه لو لقِيَ ابن سيحان ثَمِلاً خارجاً من عند غيره لم يَعْرِض له ، فقال الوليد : لاَ يُبرِّئني من هذا عند أهل المدينة إلاّ ضربُ ابن سيحان ، فأمر صاحبَ شُرطته فضربه الحدَّ ثم أرسله .

[مكث في بيته استحياء]

فجلس ابن سيحان في بيته لا يخرج حياءً من الناس ، فجاءه عبد الرحمن بن الحارث بن هشام في ولده وكان له جليساً فقال له : ما يُجْلسك[1] في بيتك ؟ قال : الاستحياء من الناس ؛ قال : اخرجْ أيّها الرجل ، وكان عبد الرحمن قد حمَل له معه كُسْوة ، فقال له : البَسْها ورُحْ معنا إلى المسجد فهذا أَحْرى أن يكذِّب به مكذِّب ، ثم تَرحَل إلى أمير المؤمنين فتُخبِره بما صنع بك الوليد فإنّه يَصِلُك ويُبطِل هذا الحدّ عنك ؛ فراح مع عبد الرحمن في جماعة ولده متوسّطاً لهم حتى دخل المسجد فصلّى ركعتين ، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسطوانة ؛ فقائل يقول : لم يُضْرب ، وقائل يقول : أنا رأيته يُضْرَب ، وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطاً .

[رحل إلى معاوية وشفع فيه يزيد]

فمكث أيّاماً ثم رحل إلى معاوية فدخل إلى يزيد فشرِب معه ، وكلّم يزيد أباه معاوية في أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مروان ، فقال : قبّح الله الوليد ما أضعف عقلَه ! أما استحيا من ضربك فيما شرِب ؟ وأمّا مروان فإنّي كنتُ لا أحسبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيه ومودّتك له ، ولكنّه أراد أن يضع الوليد عندي ولم يُصِب ، وقد صيّر نفسه في حدٍّ كنّا نُنزِّهه عنه ، صار شُرْطَيا ! ثم قال لكاتبه : اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة . أمّا بعد ، فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه ، ما زدتَ على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تشربه ممّا حُرّم عليك ، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان ،

1 ل : يحبسك .

وطُفْ به في حِلَق المسجد وأخبرهم أنّ صاحب شُرَطِك تعدَّى عليه وظلمه ، وأنّ أمير المؤمنين قد أبطلَ ذلك عنه ، أليس ابن سيحان الذي يقول : [من الطويل]

وإنّي امرُؤ أُنْمَى إلى أفضلِ الوَرى ... عديداً إذا ارفَضَّتْ عصا المُتحلَّفِ
إلى نَضَدٍ من عبدِ شمس كأنّهم ... هِضابُ أجـا أركانُها لم تَقَصَّفِ[1]
ميامينُ يَرْضَوْن الكِفايَة إنْ كُفُوا ... ويَكْفُون مـا وُلّوا بغير تكلّفِ
غَطارِفـةٌ ساسوا البلاد فأحْسَنوا ... سياستهـا حتّى أقـرّت لمُرْدِفِ[2]
فمن يك منهم مُوسِراً يُفْشِ فضلَه ... ومن يـكُ منهم مُعسِراً يَتعفَّفِ
وإنْ تُبْسَطِ النُّعْمى لهم يَبْسُطوا بها ... أَكُفّاً سِباطاً نفعُهـا غيرُ مُقْرَفِ
وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلْفِهِمْ ... قليلي التشكّي عندهـا والتكلُّفِ[3]
إذا انصرفوا للحقِّ يوماً تصرّفوا ... إذا الجاهـلُ الحيرانُ لم يتصرَّفِ
سَمَوْا فعلَوْا فـوقَ البريـةِ كلّهـا ... ببُنْيان عالٍ مـن مُنيفٍ ومُشْرِفِ

قال : وكتب له بأن يُعطى أربعمائة شاة وثلاثين لِقحة ممّا يوطِن السَّيالة[4] وأعطاه هو خمسمائة دينار ، وأعطاه يزيد مائتي دينار . ثم قدِم بكتاب معاوية إلى الوليد ، فطاف به في المسجد ، وأبطل ذلك الحَدّ عنه ، وأعطاه ما كتب به له مُعاوية . وكتب معاوية إلى مروان يلومه فيما فعله بابن سيحان ، وما أراده بذلك . ودعا الوليد عبد الرحمن بن سيحان إلى أن يعود للشرب معه ؛ فقال : والله لا ذقتُ معك شراباً أبداً .

[ضربه مروان الحدّ فأبطله معاوية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو مسلم الغِفاريّ قال حدّثني موسى بن عبد العزيز قال : أُخذ ابنُ سَيْحان الجَسْريّ ، هكذا قال وهو غلط ، في شراب في إمارة مروان ، وكان حليفاً لأبي سفيان بن حرب ، فضربه مروان ثمانين سوطاً على رؤوس الناس ، فكتب إلى معاوية يشكوه ، فكتب إليه معاوية : أمّا بعد فإنّك أخذت حليف حرب فضربته ثمانين على رؤوس الناس ، والله لتُبْطِلنّها عنه ، أو لأُقِيدَنّه منك ؛ فقال مروان لابنه عبد الملك : ما تَرى ؟ قال : أرى والله ألاّ تفعل ؛ قال : ويحك ، أنا أعلم

1 النضد : الأعمام والأخوال . كأنهم في ل : كأنّه .
2 الغطارفة جمع غطريف وهو السيد الشريف . سياستها في ل : سياستهم .
3 والتكلُّف في ل : والتلهّف .
4 السيالة : أرض بين المدينة ومكّة .

بعَزَمات[1] معاوية منك ، فصعِد المِنبر فحمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّا كنّا ضربنا ابن سيحان بشهادة رجل من الحرس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضاً ، فاشهدوا أنّي قد أبطلتُ ذلك الحَدّ عنه .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران قال : ضرب مروان عبد الرحمن بن سيحان في الخمر ثمانين سوطاً ، فكتب إليه معاوية : أمّا بعد ، فإنّك ضربتَ عبد الرحمن في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه وليس بحرام ، وإنّما ضربتَه حيث كان حِلفُه إلى أبي سفيان بن حرب ، وايْمُ الله لو كان حليفاً للحَكَم ما ضربته ، فأبطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرِب مَن أُخِذ معه : أخاك عبد الرحمن بن الحَكَم ؛ فأبطل مروان عنه الحدّ ؛ فقال ابن سيحان في ذلك يذكر حِلفه : [من الطويل]

إنّي امرؤٌ عَقْدِي إلى أفضل الورَى عَديدا إذا ارفَضَّتْ عصا المُتَحلِّفِ[2]

وقال الطُّوسيّ : كان عبد الرحمن بن الحَكَم أخو مروان يشرب مع ابن سيحان ، فلمّا ضربه مروان الحدَّ كتب إليه معاوية : والله لتُبْطلنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يضرب ظهرَه بالسَّوط في السُّوق ، أليس ابن سيحان الذي يقول : [من الطويل]

سَموْتُ بحِلْفي للطِّوالِ مِـن الرُّبـى ولم تَلْقَنِـي قِنّاً لدى مَبْرَك الجُرْبِ
إذا مـا حَلِيف الذُّلّ أَقْمأ شخصَه ودَبَّ كما دبَّ الحَسيرُ على نَقْـبِ[3]
وهَصْتُ الحَصى لا أُخْنِسُ الأنفَ قابِعاً إذا أنا راخى لي خِناقي بَنـو حَرْبِ[4]

[كان مع سعيد بن عثمان حين قتله غلمانه وهرب عنه]

أخبرني الحَرْمِيّ بن أبي العلاء وأحمد بن سليمان الطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصعب وغيره قالوا : قدِم سعيد بن عثمان المدينة فقتله غِلمانٌ جاء بهم من الصُّغْد ، وكان معه عبد الرحمن بن أُرطاة بن سيحان حَليفُ بني حرب بن أميّة ، فهرَب عنه لمّا قتلوه ، فقال خالد بن عُقبة بن أبي مُعَيط يرثي سعيد بن عثمان ، وعثمان أخوه لأمّه : [من البسيط]

يا عينُ جُودِي بدمعٍ منكِ تَهْتانا وابكِي سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفَّانا[5]

---

1 ل : بحماقات .
2 عقدي في ل : أنمي .
3 الحسير : المعيي . نقِب خفّ البعير : حني .
4 وهص الحصى : دقّه . قابع : مستخفّ .
5 ورد هذا البيت في المجلد الأول ، ص 45 . وأبكي في ل : على .

إنّ ابنَ زِينـةَ[1] لم تصدُق مودَّتُـه وفرّ عنـه ابنُ أرطاةَ بنِ سَيْحانا

فقال ابن سيحان يعتذر من ذلك : [من الطويل]

يقول رجالٌ قـد دعاك فلم تُجِبْ وذلك مـن تِلْقاءِ مثلِـك رائعُ[2]
فإن كان نـادى دعوةً فسمعتُها فشَلَّتْ يدي واستَكَّ منّي المسامِعُ
وإلاّ فكانتْ بالذي قـال باطلاً ودارتْ عليه الدائـراتُ القوارعُ
يلومونني أن كنتُ في الدارِ حاسراً وقد فـرَّ عنه خالـدٌ وهو دارِعُ

فقال بعض الشعراء يجيبه : [من الطويل]

فإنّـكَ لم تسمَعْ ولكـن رأيتَـه بعينيك إذ مَجْراك في الدارِ واسعُ
وأسلمتَه للصُّغْد تَدْمَـى كُلُومُـه وفارقتَه والصوتُ في الدارِ شائعُ
ومـا كان فيهـا خالـدٌ بمعذِّرٍ سواء عليـه صَمّ أو هـو سامعُ[3]
فـلا زلتُما في غُـلِّ سَوْءٍ بعِبْرةٍ ودارتْ عليكم بالشَّماتِ القَوارعُ

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا قُتل سعيد بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهي أن يرثيَه شاعرٌ كما في نفسي حتى أُعطيَه ما يَحْتَكِم ؛ فقال ابن سيحان : [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ باكيـةً فتـىً فابْكِي هَبِلْتِ على سعيدِ :[4]
فارقـتَ أهلَـكَ بغتـةً وجَلَبْتَ حَتْفَكَ من بعِيدِ
أذْرِي دموعَـكِ والدِّمـا ءَ على الشَّهِيدِ ابن الشهيدِ

فقالت : هكذا كنت أشتهي أن يقال فيه ، ووصلت ابن سيحان . وكانت تندُبه بهذا الشعر .

وقال أبو عمرو في روايته التي ذكرتُها عن عمّي عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : جلس ابن سيحان وخالد بن عُقبة بعد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان ، فجرى ذكرُه فبكيا جميعاً عليه ، فقال ابن سيحان يرثيه : [من الطويل]

---

1 ابن زينة في ل : ابن زنية .
2 يقول رجالٌ في ل : يقول أناس . مثلك في ل : نفسك .
3 معذِّر : مقصِّر .
4 هبلت : ثكلت .

أَلا إنّ خيرَ الناس إن كُنت سائلاً سعيدُ بنُ عثمانَ القَتِيلُ بلا ذَحْلِ[1]
تداعـت عليـه عُصْبَةٌ فارسيّةٌ فأَضْحى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي[2]

وقال خالد بن عُقبة : [من الطويل]

ألا إنّ خيرَ النـاس نفساً ووالداً سعيدُ بـن عثمانٍ قتيلُ الأعاجِمِ
بكتْ عينُ مَن لَم يَبْكِهِ وَسْطَ يَثْرِبٍ مَدى الدهرِ منه بالدموعِ السَّواجِمِ
فإن تكن الأيّامُ أَرْدتْ صروفُها سعيداً ، فمَنْ هـذا عليها بسالِمِ

قال الحَزَنْبَل : أنشدني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه لابن سيحان قال عمّي وأنشدني السُّكَّريّ عن ابن حبيب والطُّوسيّ له : [من الخفيف]

صوت

رحِم اللهُ صاحِبَـيَّ ابنَـي الحـا رثِ إذ ينْهَيانِنـي أن أَبُوحـا
بالتـي تيَّمتْ فـؤادي وأن أُذْ رِي دموعي على ردائـي سُفُوحا
في مَغـاني منـازلٍ مـن حبيبٍ باشرتْ بعـدَه قِطـاراً ورِيحـا
ولقـد قلـتُ للفـؤادِ ولكـنْ كان قِدْمـاً إلى هـواه جَمُوحـا
قلتُ أَقْصِرْ عن بعضِ حُبِّك أرْوى إن بعضَ الحِبـابِ كان فُضُوحا
فعصاني ، فليس يسمَـعُ قـولاً من حَمـامٍ على الأَراكِ ، جُنُوحا
أُمَّ يحيـى تقبـَّل اللهُ يحيـى بقَبُـول كما تقَبّـل نُوحـا
أُمَّ يحيى لولا طِلابُكِ قـد سِحْـ ـتُ مع الوحشِ أو لَبِسْتُ المُسُوحا
ولقـد قلـتُ لا أُحـدِّث سِرّاً سرَّ أُخرى ما دمتُ أمشِي صحيحا

الغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه للغريض ثقيل أوّل عن الهشاميّ . وفيه لزُرَيق رمل .

قال أبو عمرو : وابنُ سيحان الذي يقول : [من مجزوء الوافر]

ألا هل هاجَك الأظعا نُ إذ جـاوزْنَ مُطَّلحا

[جفاه بنو مطيع فذمّهم]

والناس يَرْوونه لعمر بن أبي ربيعة لغلبتِه على غزل أهل الحجاز جميعاً . وقال أبو عمرو في

1 بلا ذحل : بغير ثأر .
2 تداعت في ل : تراغت .

خبره : كان ابن سيحان يحدِّث قال : كنت آلَفُ[1] من قريش أهلَ بيتين سوى من كنت منقطعاً إليه من بني أميّة : بني عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وبني مُطِيع ، فلمّا ضربني مروان الحدَّ جئتُ فجلستُ إلى بني مُطيع كما كنت أجلس ، فلمّا رأوْني عرفتُ الكراهة في وجوههم ، والله ما أقبلوا عليّ بحديثهم ولا وَسَّعوا لي ، فانصرفتُ ورُحتُ إلى بني عبد الرحمن ، فلمّا رأوْني أقبلوا بوجوههم عليّ وحَيَّوْا ورحَّبوا وسهَّلوا ووسَّعوا لي ، ورفعوني إلى حيث لم أكن أجلس ، وأقبلوا عليّ بوجوههم يحدّثونني ، وقالوا : لعلّك خشعتَ للذي لَحِقَك ، أما والله لقد علم الناس أنّك مظلوم ، وظَلَّموا مروان في فعله ، ورأوْا أنّه قد أساء وأخطأ في شأنك ، وقالوا : ما ضَرَّك ذلك ولا نقَصك ولا زادك إلاّ خيراً ، ولم يزالوا حتى بسَطُوني ، فقلت أمدحهم وأذمّ بني مطيع : [من الوافر]

لقد حرَّمتُ وُدَّ بني مُطِيعٍ ... حَرامَ الدُّهْنِ للرجلِ الحَرامِ
وإن جنَفَ الزمانُ مددتُ حبلاً ... مَتِيناً من حبالِ بني هشامِ
رَطِيبٌ عودُهم أبداً وَرِيقٌ ... إذا ما اغبرَّ عِيدانُ اللئامِ

[لامته امرأته على مبيته خارج المنزل]

وقال أبو عمرو في خبره : كان عبد الرحمن بن سيحان يُنادِم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفاً من أن يظهر وهو سكران فيُحَدَّ ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيت في منزلك وأظنّك قد تزوّجت ، وإلاّ فما مبيتك عن أهلك ! فقال لها : [من البسيط]

لا تَعْدَمِيني نَديماً ماجِداً أَنِفاً ... لا قائلاً قاذِفاً خَلْقاً ببُهْتانِ[2]
أغرَّ راووقُه مَلآنُ صافيةً ... تَنْفي القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ[3]
سَبِيئة من قُرى بَيْروتَ صافية ... عَذْراء أو سُبِئتْ من أرض بَيْسانِ
إنّا لنَشربُها حتى تميلَ بنا ... كما تَمايَلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ

[يحثّ ابن عمّه على شرب الخمر]

أخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأَزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : كان ابن سيحان صاحب شراب ، فدخل على ابن عمّ له يقال له الحارث بن سريع فوجده يشرب نبيذ زبيبٍ ، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر ، وقال

1 ل : كنت أختصّ .
2 لا تعدميني في ل : لن تعدميني .
3 ملآن في ل : صهباء .

له : يا ابن سريع ، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنّك أحمق ، وإن كنت تشربه على أنّه حرام تستغفر الله منه وتنوي التوبة فاشربْ أجوَده فإن الوِزْرَ واحد ، ثم قال : [من الطويل]

دَعِ ابنَ سَرِيع شُرْبَ ما مات مرّةً ... وخُذْها سُلافاً حيّةً مُزّةَ الطَعْمِ
تَدَعْكَ على مُلْكِ ابن ساسان قادراً ... إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ
فَشتّان بين الحيّ والمَيْتِ فاعتزِمْ ... على مُزّةٍ صَفْراء راووقُها يَهْمِي[1]
فإنّ سَرِيعـاً كان أوصَى بحبّها ... بَنِيه وعمِّي جـاوز اللهُ عن عَمِّي
ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بني أبي ... عليها إلى أن غابَ تاليةُ النَّجْمِ
حَسَوْها صلاةَ العصرِ والشمسُ حيّةٌ ... تُدار عليهم بالصغير وبالضَّخْمِ
فماتُـوا وعاشُوا والمُدامـةُ بينهم ... مُشَعْشَعةٌ كالنجمِ تُوصَفُ بالوَهْمِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن عاصم بن الحدثان قال : كان ابن سيحان حليف حرب بن أُميّة يُنادِم الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط ، ويشرب معه الخمر ، وهو القائل : [من البسيط]

إصبَحْ نَدِيمكَ من صَهْباء صافيةٍ ... حتى يروحَ كريمـاً ناعـمَ البالِ
واشربْ هُدِيتَ أبا وَهْبٍ مُجاهَرَةً ... واختَلْ فإنّكَ من قومٍ أُولي خالِ
أنتَ الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ ... أيدي الرجالِ بما تَحْويه من مالِ
لولا رجاؤك قد شَمَّرْتُ مُرتحِلاً ... عَنْساً تُعاقِـبُ تَخْويـداً بإرْقالِ
لما تَواصَوْا بقتلي قمتُ معتزِماً ... حتى حَمَيْتُ من الأعداءِ أَوْصالِي
عـمّ الوليـدُ بمعروفٍ عشيرتَه ... والأبعدونَ حَظُـوا منـه بإفضالِ

[شعره في الوليد وقد حماه من أخواله]

قال : وكان ابن سيحان قد ضرب رجلاً من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بَيِّنة ، فتآمر به القوم ومنع منه ابنُ خالٍ له منهم ؛ وخاف الوليد بن عقبة أن يرجع إلى المدينة هارباً منهم وخوفاً من جنايته عليهم فيفارقه وينقطع عنه ، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبِهم . فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَدِيمُه وصفيُّه . وهو القائل في الوليد ، وفيه غناء : [من البسيط]

1 الشطر الثاني في ل : وبادرْ إلى الصهباء راووقها يهمي .

صوت

بـاتَ الوَلِيدُ يُعاطِينـي مُشَعشَعَةً حتى هَوَيْتُ صَرِيعاً بين أصحابي

في الغناء : بات الكريم يعاطيني .

لا أستطيع نهوضاً إن هَمَمْتُ به ومـا أُنَهْنَه من حَسْوٍ وتَشْرابِ
حتى إذا الصبحُ لاحتْ لي جوانبُه ولَّيْتُ أسحَبُ نحـوَ القومِ أثوابِي
كأنّني من حُمَيَّا كأسِه جَمَلٌ صَحَّتْ قوائمُه من بعد أَوْصابِ[1]

ويروى :

كأنّني مـن حُمَيَّا كأسِه ظَلِعٌ

الغناء ليَحيى المَكِّيّ ، ورُوي : ضَلِعٌ ، خفيف ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وبَذْل . قالت بَذْل : وفيه لحنٌ آخر ليحيى ؛ ولم تذكر طريقته .

[قصّة تبرئه لسعيد بن العاص من الشرب]

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو فُهَيرة قال : دخل عبد الرحمن بن أَرطاة على سعيد بن العاص وهو أمير المدينة ؛ فقال له : ألستَ القائل : [من البسيط]

إنّا لنشربُها حتى تميلَ بنا كما تَمايـل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبد الرحمن : مَعاذ الله أن أشربها وأنعتَها ، ولكنّي الذي أقول : [من الطويل]

سَمَوْتُ بجِلْفِـي للطِّوالِ مـن الذُّرى ولم تَلْقَنِـي كالنَّسْرِ في ملتقَى جَدْبِ
إذا مـا حَلِيفُ القـومِ أَقْعَى مكانَه ودَبَّ كما يمشي الحَسِيرُ مـن النَّقْبِ
وَهَصْتُ الحَصى لا أرهبُ الضيمَ قائما إذا أنا راخى لي خِناقـي بنو حَرْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه بين الصفّيْن حتى خرج . فأقبل عمرو بن سعيد على أبيه فقال : لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتيْ سوط كان خيراً له ؛ فقال : يا بنيّ ، أضربهُ وهو حليفُ حرب بن أُميّة ومعاوية خليفةٌ بالشام ! إذاً لا يرضى ؛ فلمّا حجّ معاوية لقيه بمنًى ؛ فقال : إيهٍ يا سعيد ؛ أمرَك أحمقُك بأن تضرب حليفي مائتيْ سوط ؛ أما والله لو جَلَدْتَه سوطاً لجلَدْتُك سوطَين ؟ فقال له سعيد : ولِمَ ذاك ؟ أو لم تجلِد أنت حليفك عمر بن جَبَلة ؛ فقال له معاوية : هو لَحمِي آكلُه ولا أُوكِلُه[2] . قال : وكان ابن سيحان قد قال : [من البسيط]

---

1 جمل في ل : خبل .

2 في المثل : هو لحمي آكله ولا أدعه لآكل .

لا يَعْدَمَنِّي نديمي ماجِداً أنِفاً ... لا قائـلاً خالطاً زوراً ببُهْتانِ
أُمْسِي أُعاطِيه كأساً لذَّ مَشْرَبُها ... كالمسكِ حُفَّتْ بنِسْرِينٍ ورَيحانِ
سبيئةً من قُرى بَيْرُوت صافيةً ... أو التي سُبِئَتْ من أرض بَيْسانِ
إنّا لَنَشربُها حتـى تَمِيلَ بنـا ... كما تَمايـل وَسْنـانِ بَوْسنانِ

انقضت أخباره .

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[صوت من المائة المختارة]

[من الخفيف]

يـا خليليّ هَجِّرا كَـيْ تَرُوحا ... هِجْتمـا للرَّواح قَلْبـاً قريحا
إنْ تُرِيغا[1] لِتَعْلَما سِرَّ سُعْدى ... تَجِداني بِسِرّ سُعْدى شَحِيحا
إنّ سُعدى لَمُنْيةُ المُتَمنِّـي ... جَمَعتْ عِفّة ووَجْهاً صَبيحا
كلّمتني وذاك مـا نِلتُ منها ... إنّ سُعْدى ترى الكلامَ رَبيحا[2]

الشعر لابن ميّادة . والغناء لُحَين ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لدَحمان لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وأظنّه هذا ، وأنّ عَمْراً غَلِط في نسبته إلى دحمان .

1 تريغان : تريدان ، تحاولان .
2 ربيحا : جالباً للريح .

[15] ـ أخبار ابن ميّادة ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه الرَّمَّاح بن أَبرد بن ثَوْبان بن سُراقة بن حَرْمَلة ، هكذا قال الزبير بن بكّار في نسبه . وقال ابن الكلبيّ : ثَوْبان بن سُراقة بن سلمى بن ظالمٍ ويقال سُراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان بن بغيض بن ريث بن زيد بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر . وأُمُّه ميّادة أم ولَدٍ بربريّة ، ورُوِي أنّها كانت صقلبيّة[2] . ويكنى أبا شُرَحْبِيل ، وقيل بل يُكنى أبا شَراحيل .

[كان يزعم أنّ أمّه فارسيّة]

وكان ابن ميّادة يزعم أنّ أمّه فارسيّة ؛ وذكرَ ذلك في شعره فقال[3] : [من الطويل]

أنا ابنُ أبي سلمى وَجَـدِّيَ ظالمُ وأُمِّي حَصانٌ أخلصتْها الأعاجمُ[4]

أليس غـلامٌ بـين كسرى وظالمٍ بأكرمِ مَـن نِيطتْ عليـه التمائمُ

[كذّبه موسى بن سيار في أنّ أمّه فارسية]

أخبرني بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو مَسلمة مرهوب بن سيد وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني موسى بن زهير الفَزاريّ قال أخبرني موسى بن سيّار بن نَجيح المُزَنيّ قال : أنشدني ابن ميّادة أبياته التي يقول فيها : [من الطويل]

أليسَ غلامٌ بين كِسرى وظالم بأكرم من نِيطَتْ عليه التمائمُ

فقلت له : لقد أشحطْتَ بدار العجوز وأبعدتَ بها النُّجعة ، فهلاَّ غَرَّبتَ (يريد أنّها صَقلَبيَّة ومحلها بناحية المغرب) فقال : إي بأبي أنتَ ، إنّه مَن جاع انتجع ، فدَعْها تَسِرْ في الناس فإنّه «مَن يَسْمَع يَخَلْ»[5] .

---

1 في ترجمة ابن ميّادة انظر : من نسب إلى أمّه لابن حبيب في نوادر المخطوطات 1 : 91 (رقم : 27) والشعر والشعراء وأنساب الأشراف للبلاذري (خ) . وطبقات ابن المعتزّ 106–109 وشرح أمالي القالي للبكري وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (خ) (مصوّرة 6 : 79) . ومعجم الأدباء لياقوت الحموي 1309–1311.

2 صقلبية : من الأقوام السلافية واللفظة تعريب للأصل .

3 شعر ابن ميّادة : 227 وخزانة الأدب 1 : 77 .

4 أخلصتها في ل : حصنتها .

5 من يسمع يخل : هو مثل يعني أنّ من يسمع أخبار الناس قد يصدّقها .

[ردّ عليه الحَكَم الخضري فخره وهجاه]

قال الزبير قال ابن مسلمة : ولّما قال ابن ميّادة هذه الأبيات قال الحَكَم الخُضْرِيّ يرُدّ عليه : [من الطويل]

وما لكَ فيهم من أبٍ ذي دسيعةٍ ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَناتُ الكرائمُ
وما أنتَ إلاّ عبدُهـم إن تُرِبْهُمُ مِنَ الدهرِ يومـاً تَسْتَرِبْكَ المقاسِمُ
رَمى نَهْبَلٌ في فَـرْج أُمِّـك رَمْيَةً بِحَوقاءَ تَسْقِيها العُـرُوق الثَّواجمُ

قال أبو مسلمة : ونَهْبل عبدٌ لبني مُرّة كانت ميّادة تزوّجتْه بعد سيِّدها ، وكانت صَقلبيَّة .

[شاعر مخضرم]

وابن ميّادة شاعرٌ فصيحٌ مقدَّمٌ مخضرم من شعراء الدولتين . وجعله ابن سلاّم في الطبقة السابعة[1] ، وقَرَنَ به عُمَر بن لَجأ والقُحَيف العُقَيليّ والعُجَير السَّلُوليّ .

[يقول لأمّه اصبري على الهجو]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان ابنُ مَيّادة عِرِّيضاً للشرّ ، طالباً مُهاجاةَ الشعراء ومُسابَّةَ الناس . وكان يضرب بيده على جَنْب أمّه ويقول : [من الرجز]

اعْرَنْزِمِي مَيّـادَ للقوافِي[2]

أي إنّي سأهجو الناس فيَهْجُونك .

وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي هفّان بهذه الحكاية مِثله ، وزاد فيها : [من الرجز]

اعْرَنْزِمـي مَيَّـادَ للقوافِـي واسْتَسْمِعيهـنّ ولا تَخافِي
سَتَجِدِينَ ابنَكِ ذا قِذَافِ[3]

[استنشد امرأة أمام أمّه عمّا قيل في هجوها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا داود بن عُلَّفَة الأَسديّ قال : جاورتِ امرأةٌ من الخُضر : (رهط الحَكَم الخُضْريِّ) أبيات ابن ميّادة ، فجاءت ذات يوم تطلب رحىً وثِفالاً لتَطحَن ، فأعاروها إيّاهما ؛ فقال لها ابن ميّادة : يا أختَ الخُضر ، أَتروين شيئاً ممّا قاله الحَكَمُ الخُضْريّ لنا ، يريد بذلك أن تسمع أُمُّه ، فجعلتْ تأبى ، فلم يزل

1 كذا قال أبو الفرج ، ولم يرد ذكر لابن ميّادة في طبقات ابن سلام .
2 اعرنزمي : اشتدّي .
3 ذا قذافٍ : ذا مراماة .

بها حتى أنشدته : [من الطويل]

أَمَيّادَ قد أفسدتِ سيفَ ابن ظالم بِبَظْرِك حتى عـاد أَثْلَمَ بالِيا

قال : وميّادة جالسةٌ تسمع . فضحِك الرمّاح ، وثارت ميّادة إليها بالعَمود تَضرِبها به وتقول : أَيْ زانية ؛ هَيا زانية ! أَإيّايَ تَعْنِين ؟ وقام ابن ميّادة يخلِّصها ، فَبَعْد لأْيٍ ما أَنقذَها ، وقد انتزعَتْ منها الرّحى والثِّفال .

[في صحبته شماطيط إيّاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو حَرملة منظور بن أبي عديّ الفزاريّ قال حدّثني شَماطِيط ، وهو الذي يقول : [من الرجز]

أنا شَماطِيطُ الذي حُدِّثتَ بِهْ متـى أُنبَّـهْ للغَـداء أَنْتَبِهْ

حتى يُقال شَرِهٌ ولستُ بِهْ

قال : كنتُ جالساً مع ابن ميّادة فوردَت عليه أبيات للحَكَم الخُضريّ يقول فيها : [من الطويل]

أَأَنتَ ابن أشبانِيّةٍ أَدْلَجَتْ به إلى اللؤمِ مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنينُها[1]

أشبانية : صَقْلَبيّة ، قال : وأمّه ميّادة تسمع فضرب جَنبها وقال : [من الرجز]

اعْرَنْزِمِـي مَيَّـادَ للقوافِي

فقالت : هذه جنايتك يا ابن مَن خَبُثَ وشَرَّ ، وأهوتْ إلى عصاً تريد ضربه بها ؛ ففرَّ منها وهو يقول :

يا صِدْقَها ولم تكن صَدُوقا

فصِحْتُ به : أيُّهما المعنيّ ؟ فقال : أَضْرَعُهما خَدَّين وألأَمُهُما جَدَّين ؛ فضربتُ جنبها الآخر وقلتُ : فهي إذاً مَيّادة ، وخرجتُ أعدو في أثر الرَّمّاح ، وتبِعَتنا تَرمينا بالحجارة وتَفتَري علينا حتى فُتناها .

[أصل أمّه ميادة]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو داود الفزاريّ : أنّ ميّادة كانت أَمَةً لرجلٍ من كَلْب زوجةً لعبدٍ له يقال له نَهْبَل ، فاشتراها بنو ثَوْبان بن سُراقة فأقبلوا بها من الشام ، فلمّا قدِموا وصبَّحوا بها المُلَيحة (وهي ماءة لبني سلمى ورَحْلِ بن ظالم بن جَذِيمة) نَظَرَ رجلٌ من بني سلمى إليها وهي ناعسة تَمايَلُ على بعيرها ،

1 المقلات : المرأة ليس لها إلاّ ولد واحد .

فقال : ما هذه ؟ قالوا : اشتراها بنو ثوبان ؛ فقال : وأبيكم إنّها لميّادة تميدُ وتميل على بعيرها ، فغلب عليها «ميّادة» . وكان أبردُ ضِلَّةً من الضلل[1] ورِثَّةً من الرِّثَث[2] جِلفاً لا تَخلُص إحدى يديه من الأُخرى ، يَرعى على إخوته وأهله ، وكانت إخوته كلّهم ظُرفاء غيره . فأرسلوا ميّادة ترعى الإبل معه فوقع عليها ، فلم يشعروا بها إلاّ حُبْلى قد أَقعَسها بطنها[3] ، فقالوا لها : لَمن ما في بطنك ؟ قالت : لأَبرد ، وسألوه فجعل يسكُت ولا يُجيبهم ، حتى رمت بالرَّمَّاح فرأَوْا غلاماً فَدْغَماً نَجيباً ، فأقرّ به أَبرد . وقالت بنو سلمى : ويلكم يا بني ثوبان ! ابتطِنوه فلعلّه يُنجِب ؛ فقالوا : والله ما له غير ميّادة ، فبنَوا لها بيتاً وأقعدوها فيه ، فجاءت بعد الرمّاح بثوبان وخليل وبَشير بني أبرد ، وكانت أوّل نسائه وآخرهنّ ، وكانت امرأة صِدق ، ما رُميت بشيء ولا سُبّت إلاّ بنهبل .

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسديّ]

قال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسديّ في هجائه ابن ميّادة : [من الطويل]

لعَمْرِي لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ لبئس شبابُ المرءِ كان شبابُها
ولم تدرِ حمراءُ العِجان أَنَهْبَلٌ أبوه أمِ المُرِّيّ تَبَّ تَبابُها

[هجا بني مازن فردّ عليه رجل منهم]

قال أبو داود : وكان ابن ميّادة هجا بني مازن وفَزارة بن ذُبيان ، وذلك أنّهم ظلموا بني الصارد ، والصارد من مُرّة ، فأخذوا مالَهم[4] وغلبوهم عليه حتّى الساعة ؛ فقال ابن ميّادة[5] : [من الكامل]

فلأُوردَنّ على جماعةِ مازنٍ خَيْلا مُقلِّصةَ الخُصى ورجالا
ظلّوا بذي أُرُكٍ كأنّ رؤوسهم شجَرٌ تخطّاه الربيع فحالا[6]

فقال رجل من بني مازن يردّ عليه :

يا ابن الخبيثة يا ابن طَلّةِ نَهْبَلٍ هلاّ جمَعتَ كما زعمتَ رجالا

1 ضلّة : امرؤ لا خير فيه ، وقد تقرأ «صلة» بالصاد المهملة .
2 الرثث : سفلة الناس .
3 أقعسها : جعلها قعساء وهي التي تكون ناتئة الصدر .
4 ل : فأخذوا ماء لهم .
5 شعر ابن ميّادة : 198 (عن الأغاني) .
6 ذو أرك : واد باليمامة .

أبِبَظْرِ مَيْـدَة أم بخُصْيَيْ نَهْبَلٍ أم بالفُساةِ تُنـازِلُ الأبطـالا
ولئن وردتَ على جماعة مازنٍ تبغِـي القتـالَ لتَلْقَيَنّ قِتـالا

[يفتخر بأمّه وأبيه]

قال : وبنو مُرّة يُسمَّون الفُساة لكثرة امتيارهم التمر ، وكانت منازلهم بين فَدَك وخَيْبَر فلُقّبوا بذلك لأكلهم التمر . وقال يحيى بن عليّ في خبره ، ولم يذكره عن أحد : وقال ابن ميّادة يفتخر بأمّه[1] : [من الرجز]

أنا ابن مَيّـادةَ تَهْـوِي نُجُبِي صَلْتُ الجبـينِ حَسَنٌ مُرَكَّبِي
ترفَعنـي أمّـي وينمينـي أبي فوق السحابِ ودُوَيْنَ الكوكبِ

[يفخر بأبيه في العرب وبأمّه في العجم]

قال يحيى بن عليّ في خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبي داود الفَزاريّ : إنّ ابن ميّادة قال يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمّه في العجم[2] : [من الطويل]

أليس غلامٌ بين كِسرى وظالم بأكرمِ مَن نِيطت عليه التمائمُ
لَوَ آنّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعةٍ وجئتُ بجَدّي ظالمٍ وابنِ ظالمِ
لظلّتْ رقابُ الناسِ خاضعةً لنا سُجوداً على أقدامِنا بالجماجمِ

[سمع الفرزدق شيئاً من شعره فانتحله]

فأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة قال : كان ابن ميّادة واقفاً في الموسم يُنشِد : [من الطويل]

لو آنّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعَةٍ

وذكر تمام البيت والذي بعده . قال : والفرزدق واقفٌ عليه في جماعة وهو مُتلثّم ، فلمّا سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال : أنت يا ابن أَبْرَد صاحب هذه الصفة ؟ كذَبتَ والله وكذَب مَن سمع ذلك منك فلم يُكذّبك ؛ فأقبل عليه فقال : فَمَهْ يا أبا فِراس ؛ فقال : أنا والله أولى بهما منك ، ثم أقبل على راويته فقال : اضممهما إليك : [من الطويل]

لَوَ آنّ جميعَ الناسِ كانوا بتَلْعَةٍ وجئتُ بجَدّي دارِمٍ وابن دارمِ
لَظلَّتْ رِقابُ النّاسِ خاضِعَةً لنا سُجوداً على أقدامِنا بالجَماجِمِ

1 شعر ابن ميّادة : 70 .
2 شعر ابن ميادة : 227 .

قال : فأطرق ابن ميّادة فما أجابه بحرف ، ومضى الفرزدق فانتحلهما .

[كان له أخوان شاعران]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن أبي داود قال : أمُّ بني ثوبان ، وهم أبرد أبو ابن ميّادة والعوثبان وقريض وناعضة ، وكان العوثبان وقريض شاعرين ، أمّهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن أبي سُلمى .

[مهاجاته لعقبة بن كعب بن زهير]

ويقال : إنّ الشعر أتى ابنَ ميادة عن أعمامه من قِبَل جدِّهم زهير . قال إسحاق في خبره هذا : وحدّثني حُمَيد بن الحارث أنّ عُقبة بن كعب بن زهير نزل المُلَيحة على بني سلمى بن ظالم فأكلوا له بعيراً ، وبلغ ابن ميّادة أنّ عقبة قال في ذلك شعراً ، فقال ابن ميّادة يردّ عليه[1] : [من الكامل]

ولقد حلفتُ بربِّ مكّةَ صادقاً ... لـولا قرابـةُ نِسْوةٍ بالحاجرِ
لكسوتُ عُقْبَةَ كُسْوةً مشهورةً ... تَرِدُ المَناهِلَ مـن كـلامٍ عائرِ

وهي قصيدة ؛ فقال له عُقبة : [من الوافر]

أَلَوْما أنّني أصبحتُ خـالاً ... وذكـرُ الخال ينقُص أو يزيدُ
لقـد قلَّدتُ من سَلْمى رجالا ... عليهم مَسْحَـةٌ وهُـمُ العبِيدُ

فقال ابن ميّادة[2] : [من الوافر]

إن تَـكُ خالنا فقُبِحْتَ خالاً ... فأنت الخـالُ تنقُص لا تزيدُ[3]
فيومـاً في مُزَينة أنت حُرٌّ ... ويومـاً أنـت مَحْتِدُك العبيدُ
أحقُّ الناسِ أن يَلْقـى هَوانـاً ... ويؤكلَ مالُـه العبـدُ الطَّرِيدُ[4]

[أوصاف ابن ميّادة]

قال إسحاق فحدّثني عجرمة[5] قال : كان ابن ميّادة أحمر سَبْطاً[6] عظيم الخَلْق طويلَ اللِّحية ، وكان لَبَّاساً عَطِراً ، ما دنوتُ من رجلٍ كان أطيب عَرفاً منه .

---

1 شعر ابن ميّادة : 157 .
2 شعر ابن ميّادة : 108 .
3 فقبحت في ل : قبحت .
4 يلقى في ل : يلقوا .
5 ل : عكرمة .
6 سبطاً : طويلاً حسن الاستواء .

[مقارنة بينه وبين النابغة]

قال إسحاق : وحدّثني أبو داود قال : سمعت شيخاً عالماً من غَطَفان يقول : إن كان الرَّمَّاح لأشعر غطَفان في الجاهلية والإسلام ، وكان خيراً لقومه من النابغة ، لم يمدح غير قريش وقَيْس ، وكان النابغة إنّما يَهْذِي باليمن مضلّلاً حتى مات .

[كثير السقط في شعره]

قال إسحاق : وحدّثني أبو داود أنّ بني ذُبيان تزعمُ أنّ الرَّمَّاح بن مَيَّادة كان آخرَ الشعراء . قال إسحاق : وحدّثني أبو صالح الفَزاريّ أنّ القاسم بن جُندَب الفَزاريّ ، وكان عالماً ، قال لابن ميّادة : والله لو أصلحت شعرَك لذُكِرتَ به ، فإنّي لأراه كثير السَّقَط ؛ فقال له ابن ميّادة : يا ابن جُندَب ، إنّما الشعر كنَبْلٍ في جَفيرِك[1] ترمي به الغرض ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ[2] وقاصد .

[كان في أيّام هشام وبقي إلى خلافة المنصور]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال : كان ابن ميّادة حديث العهد لم يُدرك زمان قُتيبة بن مسلم ، ولا دخل فيمن عَناه حين قال : «أشعرُ قيسٍ الملقَّبون من بني عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غَطَفان» ، ولكنه شاعر مُجيد كان في أيام هشام بن عبد الملك وبقي إلى زمن المنصور .

[مدح بني أمية وبني هاشم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : كان ابن ميّادة فصيحاً يُحتجُّ بشعره ، وقد مدح بني أميّة وبني هاشم : مدح من بني أميّة الوليد بن يزيد وعبد الواحد بن سليمان ، ومدح من بني هاشم المنصور وجعفر بن سليمان .

[علم أنّه شاعر حين وافق الحطيئة في بيت قاله]

وأخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ قال أخبرني طمَّاح ابن أخي الرَّمَّاح بن ميّادة قال : قال لي عمّي الرَّمَّاح : ما علمتُ أنّي شاعرٌ حتى واطأت[3] الحطيئة ، فإنّه قال : [من الطويل]

عفا مُسْحُلان من سُلَيْمى فحامِرُهْ تَمَشَّى بـه ظِـلْمانُـه وجـآذرُهْ

فوالله ما سمعتُه ولا رويتُه فواطأته بطبعي فقلت : [من الطويل]

---

1 الجفير : جعبة السهام .

2 عاصد : حائد عن الهدف .

3 واطأ : وافق .

فذو العُشّ والممدورُ أصبحَ قاوِياً تَمَشَّى بـــه ظُـلْمانُـهُ وجآذِرُهْ[1]

فلمّا أنشدتُها قيل لي : قد قال الحطيئة :

تَمَشَّى به ظلمانُـه وجآذرهْ

فعلمتُ أنّي شاعرٌ حينئذٍ .

[كان ينسب بأمّ جحدر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني موسى بن زهير بن مُضَرِّس قال : كان الرماح بن أَبرَد المعروف بابن ميّادة يَنْسُب بأم جحدر بنت حسَّان المُرِّيّة إحدى نساء بني جذيمة ، فحلف أبوها ليُخرجنّها إلى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنجد ؛ فقَدِم عليه رجلٌ من الشام فزوّجه إيّاها ؛ فلقي عليها ابن ميّادة شدّة ، فرأيته وما لقي عليها ، فأتاها نساؤها يَنظُرْن إليها عند خروج الشاميّ بها . قال : فوالله ما ذَكرْنَ منها جمالاً بارعاً ولا حُسْناً مشهوراً ، ولكنّها كانت أكسبَ الناس لعجب . فلمّا خرج بها زوجها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول[2] : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل إلى أمّ جَحْدَر سبيلٌ فأمّا الصبرُ عنها فـلا صَبْرا

إذا نزلت بصْرى تراخى مَزارُها وأغلَق بَوّابانِ مِـن دُونها قَصْرا[3]

فهل تأتينّي الريحُ تَـدْرُجُ مَوْهِناً بريّاكِ تَعْرَوْرِي بهـا جَرَعاً عُفْرا

قال الزبير : وزادني عمّي مُصعب فيها :

فلـــو كان نَذْرٌ مُدْنِياً أمَّ جَحْدَرٍ إليّ لقد أَوْجَبتُ في عُنُقي نَذْرا[4]

ألا لا تَلُطِّي السِّتْرَ يـا أمّ جَحْدَرٍ كَفى بذُرا الأعلام مِنْ دُوننا سِتْرا[5]

لَعمري لئن أَمْسَيتِ يا أمّ جَحْدَرٍ نأيتِ لقد أبليتُ في طلبٍ عُذْرا

فَبَهْراً لقومـي إذ يبيعون مُهْجتي بغانيةٍ بَهْـراً لهـم بعدَهـا بَهْرا[6]

قال الزبير : بَهْراً هاهنا : يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يَبْهرهم ، كما تقول :

---

1 ذو العش : من أودية العقيق ؛ الممدور : اسم موضع في ديار غطفان . القاوي : المقفر .

2 شعر ابن ميادة : 134 (مع اختلاف في الترتيب) وانظر فرحة الأديب 67 ، 68– 70 .

3 الشطر الأول في شعر ابن ميادة : إذا جاوزت بصرى تقطّع وصلها .

4 أوجبت في شعر ابن ميادة : أوذمت .

5 لطّ الستر : أرخاه .

6 شعر ابن ميادة : تفاقد قومي . . .

جَدْعاً وعَقْرا . وفي أوّل هذه القصيدة ، على ما رواه يحيى بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن حُمَيد بن الحارث ، يقول : [من الطويل]

ألا لا تَعُدْ لِي لَوْعَـةٌ مثلُ لَوْعَتِي عليكِ بأَدْمى والهوى يَرجعُ الذِّكْرا
عَشِيَّةَ أَلْوِي بالـرِّداءِ على الحَشا كأنّ رِدائـي مُشْعَلٌ دونَـه جَمْرا

[تزوّج أمّ جحدر وشعر ابن ميادة في ذلك]

قال حُميد بن الحارث : وأُمّ جحدر امرأة من بني رَحل بن ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرّة .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه وأخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد عن جبر بن رباط النَّعاميّ : أنّ أمّ جحدر كانت امرأة من بني مرّة ثم من بني رحل ، وأنّ أباها بلغه مصير ابن ميّادة إليها ، فحلف ليزوِّجنَّها رجلاً من غير ذلك البلد ، فزوّجها رجلاً من أهل الشام فاهتداها[1] وخرج بها إلى الشام ، فتبعها ابن ميّادة حتى أدركه أهلُ بيته فردّوه مُصْمِتاً لا يتكلّم من الوجد بها ؛ فقال قصيدة أوّلها : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ مـن أَبْناء عُـذْرَة بَلِّغـا رسائـلَ منّـا لا تَزيـدكما وِقْرا[2]
أَلِمّا عـلى تَيْمـاءَ نَسْأَلْ يَهُودَها فإنّ لدى تيماءَ مـن رَكْبها خُبْرا
وبالغَمْر قـد جازتْ وجازَ مَطِيُّها عليه فسَلْ عن ذاك نَيَّـانَ فالغَمْرا[3]
ويا ليتَ شِعْرِي هـل يَحُلّنّ أَهلُها وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببَطْن اللِّوى خُضْرا

[قصّة عشقه لها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني أبو سعيد (يعني عبد الله بن شبيب) قال حدّثني أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرني به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله بن شبيب عن أبي العالية الحسن بن مالك الرِّياحِيّ العُذْريّ قال حدّثني عمر بن وَهْب العَبْسيّ قال حدّثني زياد بن عثمان الغَطَفانيّ من بني عبد الله بن غَطَفان قال : كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا[4] من طُول الثَّواء ، فإذا أعرابيّ يقول : يا معشر العرب ، أَما منكم[5] رجلٌ يأتيني أعلِّله إذ غَرِضنا

1 اهتداها : تزوّجها .
2 أبناء في ل : أفناء .
3 الشطر الثاني في ل : فأسقى الغوادي بطن تبان فالغمرا .
4 غرضنا : سئمنا .
5 ل : أما فيكم .

من هذا المكان فأُخبره عن أمّ جَحدر وعنّي ؟ فجئتُ إليه فقلت : مَن أنت ؟ فقال : أنا الرَّمَّاح بن أَبْرد ، قلت : فأخبرني ببدء أمركما ؛ قال : كانت أمّ جحدر من عشيرتي فأعجبتني ، وكانت بيني وبينها خُلّة ، ثم إنّي عَتَبْتُ عليها في شيء بلغني عنها ، فأتيتها فقلت : يا أمّ جحدر إنّ الوصل عليكِ مردود ؛ فقالت : ما قضى الله فهو خير . فلبثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجعةٌ فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقاً شديداً ، فقلتُ لامرأة أخٍ لي : والله لئن دَنَتْ دارُنا من أمّ جحدر لآتينَّها ولأَطلبنّ إليها أن تردَّ الوَصْل بيني وبينها ، ولئن رَدَّته لا نَقَضْتُه أبداً ؛ ولم يكن يومان حتى رجعوا ، فلمّا أصبحتُ غَدَوتُ عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سند[1] أبرق طويل ، وإذا امرأتان جالستان في كِساءٍ واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلَّمتُ ، فردّتْ إحداهما ولم تردّ الأُخرى ؛ فقالت : ما جاء بك يا رمّاح إلينا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلاّ أنّه قد انقطع ما بيننا وبينك ؛ فقلتُ : إنّي جعلتُ عليّ نَذْراً لئن دَنَتْ بأمّ جحدر دارٌ لآتينَّها ولأَطلبنّ منها أن تردّ الوصل بيني وبينها ، ولئن هي فعلت لا نَقَضْتُه أبداً ، وإذا التي تكلّمني امرأة أخيها وإذا الساكتة أمّ جحدر ؛ فقالت امرأة أخيها : فادخُل مقدَّم البيت فدخلت ، وجاءت فدخَلَت من مؤخّره فدَنَت قليلاً ، ثم إذا هي قد برزت ، فساعة برزت جاء غرابٌ فنَعَبَ على رأس الأَبرق فنظرتْ إليه وشَهَقَتْ وتغيَّر وجهها ؛ فقلت : ما شأنكِ ؟ قالت : لا شيء ؛ قلت : بالله إلاّ أخبرتِني ؛ قالت : أرى هذا الغراب يخبرني أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلاّ ببلد غيرِ هذا البلد ؛ فتقبَّضَت نفسي ، ثم قلت : جاريةٌ والله ما هي في بيت عِيافة ولا قِيافة ، فأقمتُ عندها ، ثم تروّحتُ إلى أهلي فمكثتُ عندهم يومين ، ثم أصبحتُ غادياً إليها ، فقالت لي امرأة أخيها : ويحك يا رمّاح ؛ أين تذهب ؟ فقلت : إليكم ؛ فقالت : وما تريد ؟ قد والله زُوِّجَت أمُّ جحدر البارحة ، فقلت : بمَن ويحكِ ؟ قالت : برجل من أهل الشام من أهل بيتها ، جاءهم من الشام فخطبها فزوَّجَها وقد حُمِلت إليه ، فمضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرادقاتٍ ، فجلستُ إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أيّاماً ، ثم إنّه احتملها فذهب بها فقلتُ[2] : [من الطويل]

أجارتَنا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ ... علينا وبعضَ الآمنين تُصِيبُ
أَجارَتَنا لَسْتُ الغَداةَ ببارحٍ ... ولكنْ مُقِيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ
فإن تسأَلِيني هل صَبَرْتَ فإنّني ... صَبُورٌ على رَيْب الزمانِ صَلِيبُ

1 السند : ما ارتفع من قبل الوادي .

2 لعلّ هذا وهم ؛ إذ لم يكن ابن ميّادة يهتدم أشعار غيره .

قال عليّ بن الحسين : هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابن ميّادة فأخذها بأعيانها ، أمّا البيتان الأوّلان فهما لامرىء القيس قالهما لَمّا احْتُضِر بأَنْقِرَةَ في بيتٍ واحد وهو : [من الطويل]

أجارتنـا إنّ الخطوبَ تَنُوبُ وإنّي مُقِيمٌ مـا أقـامَ عَسِيبُ

والبيت الثالث لشاعر[1] من شعراء الجاهلية ، وتمثل به أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبي طالب ، فنقله ابن ميّادة نقلاً . ونرجع إلى باقي شعر ابن ميّادة[2] : [من الطويل]

جَرَى بانْبِتاتِ الحَبْلِ من أمّ جَحدَرٍ ظبـاءٌ وطيرٌ بالفِـراق نَعُـوبُ
نظرتُ فلم أَعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ لهـا الطيرُ قبلِـي واللبيـبُ لبيبُ
فقالت حـرامٌ أن نُرى بعـد هذه جميعَيْـنِ إلاّ أن يُلِـمَّ غريبُ
أجارتَنـا صبراً فيـا رُبَّ هالكٍ تَقَطَّعُ مـن وَجْـدٍ عليـه قلوبُ

[رحل إلى الشام لرؤيتها فردّته]

قال : ثم انحدرتُ في طلبها ، وطَمِعتُ في كلمتها : «إلاّ أن نجتمع في بلد غير هذا البلد» . قال : فجئت فدُرْتُ الشام زماناً فتلقّاني زوجُها فقال : ما لك لا تغسِل ثيابك هذه ؟ أرسلْ بها إلى الدار تُغسَل ، فأرسلتُ بها ؛ ثم إنّي وقفت أنتظر خروجَ الجارية بالثياب ، فقالت أمُّ جحدر لجاريتها : إذا جاء فأعلِميني ؛ فلمّا جئتُ إذا أمُّ جحدر وراء الباب فقالت : ويحك يا رمَّاح ؛ قد كنتُ أحسَب أنّ لك عقلاً ؛ أما ترى أمراً قد حيل دونه وطابت أنفسُنا عنه ؟ انصرف إلى عشيرتك فإنّي أستحيي لك من هذا المُقام ؛ فانصرفتُ وأنا أقول[3] : [من الطويل]

صوت

عسى إن حَجَجْنا أن نرى أمَّ جَحْدَرٍ ويجمعَنـا مـن نَخْلَتَيْن طَرِيـقُ
وتَصْطَـكَّ أعضـادُ المَطِيِّ وبينَنا حديـثٌ مُسَرٌّ دونَ كلّ رَفِيـقِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثاني ذكر الهشاميّ أنّه للحَجَبِيّ .

وقال حين خرج إلى الشام ، هذه رواية ابن شبيب[4] : [من الطويل]

---

1 ل : لرجلٍ .
2 لم ترد هذه الأبيات في ما جمع من شعره .
3 شعر ابن ميّادة : 175 .
4 ل : حبيب .

ألا حيِّيا رَسْماً بـذي العُشِّ مُقْفِرا وربعاً بذي المَمْدُورِ مستعجِماً قَفْرا
فأعجبُ دارٍ دارُهـا غيرَ أنّني إذا مـا أتيتُ الدار تَرْجِعُني صِفْرا
عشيةَ أُثْنِي بـالرِّداء على الحَشى كأنّ الحَشى من دُونه أُسْعِرَتْ جَمْرا
يَمِيلُ بنا شَحْطُ النَّوى ثـم نلتقي عِدادَ الثُّرَيَّـا صادفتْ ليلَـةً بَدْرا
وبالغَمْرِ قـد جازتْ وجاز مطيُّها فأسْقى الغَوادِي بَطْنَ نَيَّانَ فالغَمْرا
خَلِيليّ مـن غَيْظِ بن مُرَّةَ بلِّغـا رسائـلَ منِّـي لا تَزِيدكُمـا وِقْرا
ألا ليت شعري هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ سَبِيلٌ ، فأمّا الصبرُ عنها فلا صَبْرا
فإن يَكُ نَذْرٌ راجعـاً أمَّ جَحْدَرٍ عليّ لقـد أَوْذَمتُ في عُنُقي نَذْرا[1]
وإنّي لاستنشي الحديثَ من آجْلِها لأسمعَ منهـا وهـي نازِحةٌ ذِكْرا
وإنّي لأستحيـي مـن اللهِ أن أُرى إذا غـدَر الخُلاَّنُ أنوِي لها غَدْرا

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن ميّادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ أنّ الصارِدِيَّـةَ جاورتْ لياليَ بالمَمْـدور غيرَ كَثِيرِ[2]
ثلاثـاً فلمّـا أن أصابتْ فـؤادَه بسَهْمَيْن من كُحْلٍ دعَتْ بهَجِيرِ
بأَصْهَبَ يَرْمِـي للزِّمـام برأسِه كأنّ على ذِفْـراه نَضْـخَ عَبِيرِ
جلتْ إذ جلت عن أهلِ نجدٍ حميدةً جَـلاءَ غنـيٍّ لا جـلاءَ فقيرِ
وقالت وما زادتْ على أن تبسّمتْ عَذِيرَكَ مـن ذي شَيْبةٍ وعَذِيري
عَدِمتُ الهوى ما يَبْرَح الدهرَ مُقْصِداً لقلبـي بسَهْمٍ في اليديـن طَرِيرِ[3]
وقـد كان قلبي ماتَ للوَجْدِ مَوْتةً فقد هَـمَّ قلبـي بعدَهـا بنُشُورِ

قال : فقلت لأبي داود : ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابن ميّادة ، والله ما جُليت إلاّ على حمار وهو يذكر بعيراً ويَصِفُه وأنّها جُليت جلاءَ غنيّ لا جلاءَ فقيرٍ ، فأنطقه الشيطان بهذا كلِّه كما سمعت .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني موسى بن زهير قال : مكثتْ أمُّ

1 أوذمت في ل : أوجبت .
2 الصارديّة : نسبة إلى بني صارد وهم حي من مرّة .
3 مقصد : مصيب . السهم الطرير : المحدّد .

جحدر عند زوجها زماناً ثم مات زوجُها عنها ومات ولدُها منه ، فقدِمتْ نجداً على إخوتها وقد مات أبوها .

[قص على سيار خبره معها حتى تزوّجت]

أخبرني سَيَّار بن نجيح المُزَنيّ قال : لقيتُ ابن ميّادة وهو يبكي فقلت له : ويحك ؛ ما لك ؟ قال : أخرجتْني أمُّ جحدر وآلتْ يميناً ألاّ تكلّمني ، فانطلِقْ فاشفعْ لي عندها ؛ فخرجتُ حتى غَشِيتُ رِواقَ بيتها فوجدتُها وهي تَدمُك جريراً لها بين الصَّلايةِ والمُدُقّ تريد أن تَخْطِم به بعيراً تُحجّ عليه ؛ فقالت : إن كنتَ جئتَ شَفِيعاً لابن مَيَّادة فبيتي حرامٌ عليك أن تُلْقِي فيه قدمَك . قال : فحجّتْ ، ولا والله ما كلّمتْه ولا رآها ولا رأتْه . قال موسى قال سَيَّار : فقلت له : اذكرْ لي يوماً رأيتَه منها ؛ فقال لي : أمَا والله لأخبرنّك يا سَيَّار بذلك : بعثتُ إليها عجوزاً منهم فقلت : هل تَرَيْنَ من رجالٍ ؟ فقالت : لا والله ، ما رأيتُ من رجل ؛ فألقيتُ رَحلي على ناقتي ثم أرسلتُها حتى أنَخْتُها بين أطناب بيتهم ؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة ، فما كان إلاّ ذاك حتى دخلتُ وقد ألقتْ لي فراشاً مرقوماً مطموماً ، وطرحتْ لي وسادتين على عجُز الفِراش وأخريين على مقدّمه ؛ قال : ثم تحدّثنا ساعةً وكأنّما تُلْعِقُني بحديثها الرُّبَّ[1] من حلاوته ، ثم إذا هي تَصُبُّ في عُسٍّ مخضوبٍ بالحِنّاء والزعفران من ألبان اللِّقاح ، فأخذتُ منها ذلك العُسَّ وكأنّه قناةٌ فراوحتُه بين يديّ ، ما ألقمتُه فمي ولا دَرَيْتُ أنّه معي حتى قالت لي عجوز : ألا تصلّي يا ابن ميّادة لا صلّى الله عليك فقد أظلّك صَدْر النهار[2] ! ولا أحسَب إلاّ أنّني في أوّل البُكرة ؛ قال : فكان ذلك اليوم آخر يومٍ كلّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها ، وهو أظرف ما كان بيني وبينها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني حكيم بن طلحة الفزاريّ ثم المنظوريّ قال : قال ابن ميّادة : إنّي لأعلم أقصرَ يومٍ مرّ بي من الدهر ؛ قيل لـه : وأيُّ يوم هو يا أبا الشَّرَحْبِيل ؟ قال : يومٌ جئتُ فيه أمَّ جحدرٍ باكراً فجلستُ بفِناء بيتها فدعتْ لي بعُسٍّ من لبن فأُتيتُ به وهي تحدّثني ، فوضعتُه على يدي وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ ، فما زال القدح على راحتي وأنا أنظر إليها حتى فاتَتْني صلاةُ الظهر وما سربت .

قال الزبير : وحدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد بمثل هذا ، وزاد في خبره : وقال ابن ميّادة فيها أيضاً[3] :

---

1 ل : الزبد .

2 ل : الرجال .

3 شعره : 149-150 عن الأغاني .

أَلَمْ تَـرَ أنّ الصارِدِيَّـةَ جاورتْ ... ليـــالِيَ بالمَمْـــدُورِ غيــرَ كثيرِ
ثلاثــاً فلمّــا أن أصابتْ فؤادَه ... بسهمَيْن من كُحل دعتْ بهَجيرِ
بأَحْمـرَ ذَيَّالِ العَسِيبِ مفــرَّجٍ ... كأنّ على ذِفْــراه نَضْـخَ عَبيرِ[1]
حلفْتُ بـربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... زَفِيفَ القَطا يقطعْنَ بطــنَ هَبيرِ
لقــد كاد حبُّ الصارِديَّةِ بعدما ... عــلا في سَوادِ الرأسِ نَبْذُ قَتِيرِ
يكــون سَفاهاً أو يكونُ ضمانة ... على مــا مضى من نعمةٍ وعُصُورِ
عدِمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِداً ... لقلبي بسهــمٍ في الفــؤادِ طَرِيرِ
وقد كان قلبي ماتَ للحبِّ موتةً ... فقد هَــمَّ قلبــي بعدهــا بنُشُورِ
جَلَتْ إذ جلت عن أهلِ نَجْد حميدةً ... جــلاءَ غنــيٍّ لا جــلاءَ فقيرِ

وممّا يغنّى فيه من أشعار ابن ميّادة في النسيب بأمّ جحدرٍ [قوله][2] : [من الطويل]

صوت

أَلا يا لَقَوْمِي لِلهوى والتذكُّرِ ... وعينٍ قَذى إنسانِها أمُّ جَحْدَرِ
فلَمْ تَـرَ عيني مثلَ قلبيَ لم يَطِرْ ... ولا كضلوعٍ فَوقَــه لم تُكَسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

[جاءه سيار في حمالة فرأى جاريته وسمع شعره]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا حَكِيم بن طَلْحة الفَزاريّ عن رجل من كَلْبٍ قال : جنيْتُ جنايةً فغرِمتُ فيها ، فنهضتُ إلى أخوالي بني مُرّة فاستعنتُهم فأعانُوني ، فأتيتُ سَيَّار بن نجيح أحدَ بني سلمى بن ظالِم فأعانني ، ثم قال : انهضْ بنا إلى الرمَّاح بن أَبْرَدَ ، يعني ابن ميّادة ، حتى يُعِينَك ، فدَفعْنا إلى بيتين له ، فسألنا عنه فقيل : ذهبَ أمس ؛ فقال سَيَّار : ذهب إلى أَمَةٍ لبني سُهيل ، فخرجنا في طلبه فوقعنا عليه في قَرارةٍ[3] بيضاء بين حَرَّتين ، وفي القَرارة غَنَمٌ من الضأن سُودٌ وبيضٌ ، وإذا حمارٌ مقيَّد مع الغنم وإذا به معها ، فجلسْنا فإذا شابّة حلوة صفراء في دُرَّاعةٍ مُوَرَّسَةٍ ، فسلَّمْنا وجلسْنا ؛ فقال : أَنْشدِيهم ممّا قلتُ فيكِ شيئاً ؛ فأنشدتْنا[4] : [من الطويل]

1 تقدّم هذا البيت برواية أخرى .
2 شعر ابن ميادة : 156 .
3 القرارة : المطمئن من الأرض .
4 شعر ابن ميادة : 204 .

يُمَنُّونَنـي منـكِ اللقـاءَ وإنّنـي لأعلَـمُ لا ألقاكِ من دونِ قابلِ
إلى ذاك ما حارتْ أمورُك وانجلتْ غَايـةُ حُبِّـيكِ انجلاءَ المَخايلِ[1]
إذا حَـلَّ أهـلي بالجناب وأهلُها بحيث التقى الغُلاَّنُ من ذي أرايلِ
أقلْ خُـلَّةٌ بانت وأَدْبـرَ وصلُها تقطَّـعَ منهـا باقيـاتُ الحَبائلِ[2]
وحالتْ شهورُ الصيفِ بيني وبينها ورفعُ الأعـادِي كلَّ حقٍّ وباطِلِ
أقـول لعَـذَّاليَّ لمـا تَقابَلا عليّ بلَـوْمٍ مثـلِ طعـنِ المَعابِلِ
لا تُكْثِرا عنهـا السؤالَ فإنّهـا مُصَلْصِلةٌ من بعض تلك الصَّلاصِلِ[3]
من الصُّفْرِ لا وَرْهاءُ سَمْجٌ دَلالُها وليستْ من السُّودِ القِصارِ الحَوائِلِ
ولكنّهـا ريحانـةٌ طـابَ نَشْرُهـا وردتُ عليها بالضُّحى والأَصائِلِ

ثم قال لها : قُومِي فاطرَحي [عنكِ] دُرَّاعتكِ ، فقالت : لا حتى يقولَ لي سيَّار بن نجيح ذلك ، فأبى سيَّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما ، فقال لها فقامت فطرحتْها ، فما رأيتُ أحلى منها . فقال له سيَّار : فما لك يا أبا الشُّرَحْبِيل لا تشتريها ؟ فقال : إذاً يفسُد حبُّها .

[ابن ميادة وصخر بن الجعد الخضريّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثتني مُغيرة بنت أبي عَدِيّ بن عبد الجَبَّار بن منظور بن زَبَّان بن سَيَّار الفَزاريّة قالت أخبرني أبي قال : جمعني وابن مَيَّادة وصخر بن الجعد الخُضريّ مجلسٌ ، فأنشدنا ابن ميّادة قوله : [من الطويل]

يُمَنُّونَنِي منـكِ اللقاءَ وإنّنِـي لأعلَمُ لا ألقاك من دون قابِلِ

فأقبل عليه صخر فقال له : المحبّ المُكِبُّ يرجو الفائتَ ويَغُمّ الطيرَ ، وأراك حسَنَ العَزاءِ يا أبا الشُّرَحْبيل ؛ فأعرض عنه ابن ميّادة . قال أبو عَدِيّ فقلت : [من الرجز]

صادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ سيلاً يَرْدَعُهْ بهَضْبـةٍ تـرُدُّه وتدفَعُـهْ

ويروى : دَرْءَ السيل سيلٌ ، فقال لي : يا أبا عديّ ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين وقد قال أخو عُذرة :

---

1 الغياية : كلّ ما يظلّ من سحاب ونحوه .
2 بانت في ل : ناءت .
3 مصلصلة : مصوّتة كالحمام .

هــو العبــدُ أقصى همِّــه أن تسُبَّه وكان سِبابُ الحرِّ أقصَى مدى العَبْدِ

قال الزبير : قوله يغمّ الطير يقول : إذا رأى طيراً لم يزجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره .

قال : فلم يُحِرْ إليه صخر بن الجعد جواباً . يعني بقوله : «لا أتلطخ بالخُضْر مرّتين» مُهاجاته الحَكَم الخُضريّ ، وكانا تَهاجَيا زماناً ثم كفَّ ابن ميّادة وسأله الصلحَ فصالحه الحَكَمُ .

[ابن ميادة والحكم الخضريّ]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد عن عبد الرحمن بن الأحول التغلبيّ ثم الخولانيّ قال : كان أوّل ما بدأ الهجاءُ بين ابن ميّادة وحَكَم بن مَعْمر الخُضريّ أنّ ابن ميّادة مرّ بالحَكَم بن مَعْمر وهو يُنشد في مصلّى النبيّ ﷺ في جماعة من الناس قوله : [من الكامل]

لمــن الديــارُ كأنّهــا لم تُعْمَرِ بين الكِناسِ وبــين بُرْقِ مُحَجِّرِ[1]

حتى انتهى إلى قوله :

يــا صاحبَــيَّ ألم تَشِيمــا بارِقــاً نُضِحَ الصُّرادُ بِهِ فهَضْبُ المَنْحَرِ[2]

قــد بــتُّ أَرْقُبُــه وبات مصعِّداً نَهْضَ المقيَّــد في الدَّهــاسِ المُوقَرِ[3]

فقال [له] ابن ميادة : ارفعْ إليّ رأسَك أيّها المنشِد ، فرفع حَكَم إليه رأسَه ؛ فقال له : من أنت ؟ قال : أنا حكم بن مَعْمَر الخُضريّ ؛ قال : فوالله ما أنت في بيتِ حسبٍ ، ولا في أُرُومةِ شِعْرٍ ؛ فقال له حَكَم : وماذا عِبْت من شعري ؟ قال : عِبْتُ أنّك أَدْهستَ وأَوْقرتَ ؛ قال له حكم : ومن أنت ؟ قال أنا ابن ميّادة ؛ قال : ويحك ! فلم رَغِبتَ عن أبيك وانتسبتَ إلى أمّك ؟ قبّح الله والدينِ خيرُهما ميّادة ، أَمَا والله لو وجدتَ في أبيك خيراً ما انتسبتَ إلى أمّك راعيةِ الضأن . وأما إدْهاسي وإيقاري فإنّي لم آتِ خَيْبَر إلاّ مُمتاراً لا مُتَحامِلاً[4] ، وما عدوتَ أن حكيتَ حالكَ وحالَ قومِك ، فلو كنتَ سكتَّ عن هذا لكان خيراً لك وأبقى عليك . فلم يفترقا إلاّ عن هِجاء .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِيّ قال حدّثني عُمَير بن ضمرة الخُضريّ قال : أوّلُ ما هاج الهجاء بين ابن ميّادة وبين حَكَم بن معمر بن

1 الكناس والمحجر : موضعان .

2 الصراد وهضب المنحر : موضعان .

3 الدهاس : الأرض السهلة اللينة تغوص فيها الرِجل ؛ والموقر : الثقيل الحمل ، وهي نعت للمقيد .

4 متحامل : الذي يحمل بالأجرة .

قنْبَر بن جِحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب ، قال : والخُضر ولد مالك بن طريف ، سُمُّوا بذلك لأنّ مالكاً كان شديد الأُدْمة ، وكذلك خرج ولده فسُمُّوا الخُضْرَ ، أنّ حَكَماً نزل بسُمَيرِ بن سَلَمة بن عوسجة بن أَنَس بن يزيد بن معاوية بن ساعدة بن عمْرو وهو خُصَيلة بن مرّة ، فأقبل ابن ميّادة إلى حَكَم ليَعْرِض عليه شعرَه وليسمع من شعره ، وكان حَكَم أسنَّهما ، فأنشدا جميعاً جماعةَ القوم ، ثم قال ابن ميّادة : والله لقد أعجبني بيتان قلتَهما يا حَكَم ؛ قال : أو ما أعجبك من شعري إلاّ بيتان ؟ فقال : والله لقد أعجباني ، يردّد ذلك مراراً لا يزيده عليه ؛ فقال له حكم : فأيُّ بيتيْن هما ؟ قال : حين تُساهِمُ بين ثوبيْها وتقول : [من الطويل]

فوالله مـا أدري أَزِيدتْ مَلاحَةً وحُسناً على النِّسوان أم ليس لي عقْلُ
تَساهَم ثوباهـا ففِي الدِّرعِ غادَةٌ وفي المِـرْطِ لفَّاوانِ رِدْفهُما عَبْلُ[1]

فقال له حَكَم : أَوَ ما أعجبَك غيرُ هذين البيتين ؟ فقال له ابن ميّادة : قد أعجباني ، فقال : أَوَ ما في شعري ما أعجبك غيرهُما ؟ فقال : لقد أعجباني ؛ فقال له حَكَم : فإنّي سوف أَعيب عليك قولك :

ولا برِح المَمْدور رَيّان مُخصِباً وجِيدَ أَعالِي شِعْبِـه وأسافلُهْ[2]

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلِه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه ؛ فقال : وأيَّ شيء تريد ؟ تركتُه لا يزال رَيّان مُخصِباً : وتهاترا فغضِب حَكَم فارتحل ناقتَه وهدَر ثم قال :

فإنّـه يـومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ

فقال رجل من بني مُرّة لابن ميّادة : اهدِرْ كما هدَر يا رمّاح ، فقال : إنّما يَغِطّ البَكْر . ثم قال الرَّمّاح : [من الرجز]

فإنّـه يـومُ قَرِيضٍ ورَجـزْ مَن كان منكم ناكِزاً فقد نَكَزْ
وبيَّن الطِّرْفُ النَّجِيبُ فبَرَزْ

قال الزبير : يريد بقوله ناكزاً : غائضاً قد نزَف . قال الزبير : وسمعت رجلاً من أهل البادية يَنزِع على إبلٍ له كثيرة من قَلِيب ويرتجِز : [من الرجز]

قد نَكَزَتْ أنْ لم تكن خَسِيفا أو يكـنِ البحـرُ لهـا حَلِيفا

قال الزبير قال الجُمَحيّ قال عُمَيْر بن ضَمْرَة : فهذا أوّل ما هاج التهاجِيَ بينهما .

---

1 غادة في ل : رأدة .

2 جيد : سقي مطراً غزيراً .

[فضلت أمّ جحدر ابن ميادة على الحَكَم وعملس]

قال الزُّبير قال الجُمَحيّ : وحدّثني عبد الرحمن بن ضبعان المُحاربيّ قال : كان ابن ميّادة وحَكَم الخُضريّ وعَمَلَّس بن عقيل بن عُلَّفة مُتجاورين مُتحالِّين ، وكانوا جميعاً يتحدّثون إلى أمّ جحدر بنت حَسّان المُرِّيَّة ، وكانت أمّها مَولاة ، ففضّلت ابن ميّادة على الحكم وعملّس فغضبا . وكان ابن ميّادة قال في أمّ جَحْدر : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي هل إلى أمِّ جَحْدَرٍ سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فـلا صَبْرا
ويا ليتَ شِعْرِي هل يَحُلَّنّ أهلُها وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطنِ اللِّوى خُضْرا

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

إذا ركَدتْ شمسُ النهارِ ووضَّعَتْ طَنافِسَها ولَّيْنهـا الأَعيُنَ الخُزْرا

الأبيات ؛ فقال عَمَلَّس بن عَقِيل وحَكَم الخُضْرِيّ يهجُوانها ، وهي تُنسب إلى حَكَم : [من الطويل]

لا عُوفِيتْ في قبرِها أمّ جحدَرٍ ولا لَقِيَتْ إلاّ الكَلالِيبَ والجَمْرا
كما حادثتْ عبداً لئيماً وخِلْتُه مِن الزادِ إلاّ حَشْوَ رَيْطاته صِفْرا
فيا ليتَ شِعرِي هل رأت أمُّ جَحْدَرٍ أكُشَّكَ أو ذاقتْ مَغابِنَك القُشْرَا[1]
وهل أبصرتْ أَرْساغَ أَبْرَدَ أو رأت قفا أمّ رَمَّاح إذا ما استقت دَفْرا[2]
وبالغَمْرِ قد صَرّت لِقاحاً وحادثتْ عبيداً فسَلْ عن ذاك نَيّان فالغَمْرا

وقال عَمَلَّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة ويقال : بل قالها عُلَّفَة بن عَقِيل : [من الطويل]

فلا تضَعَـا عنهـا الطنافسَ إنّما يُقَصِّر بالمِرماة مَـن لم يكن صَقْرا

وزاد يحيى بن عليّ مع هذا البيت عن حمّاد عن أبيه عن جرير بن رَبّاط وأبي داود قال : يُعرِّض بقوله : «مَن لم يكن صَقْرا» بابن ميّادة أي إنّه هَجين ليس من أَبَوَيْن متشابهين كما الصقر . وبعدَه بيت آخر من رواية يحيى ولم يَرْوه الزُّبَيْر معه : [من الطويل]

مُنَعَّمـةٌ لم تَـلْـقَ بؤساً وشِقْـوةً بنجدٍ ولم يَكْشِفْ هجينٌ لها سِترا

قالوا جميعاً : فقال ابن مَيّادة يهجو عُلَّفة[3] : [من الطويل]

---

1 أكش : لعلّها جمع كشّة على غير قياس وهي الخصلة من الشعر .المغابن : الآباط وبواطن الأفخاذ . والقشر : البرص أو الشديدة الحمرة .

2 دفراً : دفعاً .

3 شعر ابن ميادة : 143–144 .

أعُلَّفَ إنّ الصقــرَ ليس بمُدْلِـجٍ ولكنّـه بالليـل مُتَّخِـذٌ وَكْـرا
ومُفْتَرِشٌ بين الجَناحــين سَلْحَهُ إذا الليلُ ألقى فوقَ خُرْطومه كِسْرا
فإنْ يـكُ صقراً بعد ليلــة أمّه وليلــة جَحّافٍ فــأُفٍّ له صقرا
تَشُدّ بكفَّيْهــا على جِـذْل أَيْــرِه إذا هــي خافت مــن مَطِيَّتها نَفْرا

يريد أنّ أمّ عُلَّفة من بني أَنمار ، وكان أبوه عَقِيل بن عُلَّفة ضربها ، فأرسلت إلى رجلٍ من بني أَنمار يقال له جَحّاف ، فأتاها ليلاً فاحتملها على جمل فذهب بها . وقال يحيى بن عليّ خاصّة في خبره عن حَمّاد عن أبيه عن أبي داود : إنّ جَحّاف بن إياد كان رجلاً من بني قِتال بن يَربوع بن غيظ بن مُرّة ، وكان يتحدّث إلى امرأة عَقِيل بن عُلَّفة ، وهي أمّ ابنه عُلَّفة بن عَقِيل ، ويُتَّهم بها ، وهي امرأة من بني أَنْمار بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها سُلافة ، وكانت من أحسن الناس وجهاً ، وكان عَقِيل من أَغْيَر الناس ، فربَطها بين أربعة أوْتاد ودهنَها بإهالَة[1] ، وجعلها في قرية نَمْل ، فمرّ بها جحّاف بن إياد ليلاً فسمع أنينَها ، فأتاها فاحتملها حتى طرَحها بفَدَكَ ، فاستعدت واليَها على عقيل . وقام عقيل من جوف الليل فأوقد عُشْوة[2] ونظَرها فلم يجدها ووجد أثر جحّاف فعرَفه وتبِعه حتى صَبّح القرية ، وخَنَس جَحّاف عنها ؛ فأتى الواليَ فقال : إنّ هذه رأتني قد كَبِرتْ [سِنّي] وذهب بصري فاجترأتْ عليّ ، وكان عقيل رجلاً مَهيباً فلم يعاقبه الوالي بما صنعه لموضعه من صِهْر بني مروان . قال : فغيّر ابن ميّادة عُلَّفَةَ بن عَقيل بأمر جَحّاف هذا في قوله : [من الطويل]

فإنْ يكُ صقراً بعدَ ليلــةٍ أمّه وليلةِ جَحّافٍ فأُفٍّ له صقرا

قال : ولَجَّ الهِجاءُ بينهما . وقال فيه ابن ميّادة وفي حَكَم الخُضْرِيّ وقد عاون عُلَّفَة : [من الطويل]

لقد ركِبَ الخُضْرِيُّ مِنّي وتربُـه على مَرْكَبٍ من نابياتِ المَراكِبِ

وقال لعُلَّفَة[3] : [من الرجز]

يا ابــنَ عَقِيل لا تكــن كَذُوبا أأن شَرِبــتَ الخَــزْرَ والخَلِيبا
من شَوْل زيد وشَمَمْتَ الطِّيبا جَهْـلاً تَجَنّيــتَ لِـيَ الذنوبا

1 إهالة : شحم مذاب .
2 العشوة : النار يستضاء بها .
3 شعر ابن ميادة : 82–83 عن الأغاني .

قال : ثم لم يُلْبِثْه ابنُ مَيّادة أن غلبه ، وهاج التهاجيّ بينه وبين حَكَم الخُضريّ ، وانقطع عنه عُلَّفة مفضوحاً . قال : وماتت أُمّ جَحدر التي كان يَنسُب بها ابن ميّادة على تفئةِ[1] ما كان بينه وبين عُلَّفة من المُهاجاة ، ونُعِيتْ له فلم يُصدِّق حتّى أتاه رجل من بني رَحْل يقال له عَمّار فنعاها له ؛ فقال[2] :

ما كنتُ أحسَب أنّ القومَ قد صدقوا ... حتّى نعاها لِيَ الرَّحْلِيُّ عَمّارُ

وقال يرثيها[3] : [من الطويل]

خَلتْ شُعَبُ المَدْور لستَ بواجدٍ ... بـه غيرَ بـالٍ من عِضاهٍ وحَرْمَلِ
تمنّيتَ أنْ تَلْقـى بـه أمّ جَحْدَرٍ ... وماذا تَمَنَّى من صَدًى تحتَ جَنْدَلِ
فلَلْموتُ خيرٌ مـن حيـاةٍ ذَميمةٍ ... ولَلْبخـلُ خيرٌ مـن عَنـاء مُطوّلِ

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم عن ساعدة بن مرمىء ، وذكره إسحاق أيضاً عن أصحابه : أنّ ابن ميّادة وحَكَماً الخُضريّ تواعدا المدينة ليتواقَفا بها ، فتواقفا بها وجاء نَفَرٌ من قريش ، أمهاتُهم من مُرَّة ، إلى ابن ميّادة فمنعوه من مواقفة حَكَم ، وقالوا : أتتعرض له ولست بكُفْئِه فيشتُم أمّهاتِنا وأخوالنا وخالاتِنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان ، قال : وكان حَكَم يَسْجَع سَجْعاً كثيراً ، فقال : والله لئن واقفتُه لأسجَعَنّ به قبلَ المُقارضة سَجْعا أفضَحُه به فلم يَلْقَه . وذكر الزُّبير له سَجْعاً طويلاً غَثّاً لا فائدة فيه ، لأنّه ليس برَجَز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجَّع سَجْعاً مؤتلفاً كائتلاف القوافي ، إلاّ أنّ من أسْلَمه قولَه : والله لئن ساجعْتَني سِجاعاً ، لتجدنّي شُجاعاً ، للجار منّاعاً ، ولأجدنّك هيَّاعاً ، للحَسَب مِضْياعاً ؛ ولئن باطشْتُك بطاشاً ، لأُدْهِشنَّك به إدهاشاً ، ولأُدَقَّنَّ منك مُشاشاً ، حتى يجيء بولُك رَشاشاً . وهذا من غَثِّ السَّجْع ورَذْلِه ، وإنّما ذكرتُه ليُستدلَّ به على ما هو دونه ممّا ألغيتُ ذكره . قال : ورجز به فقال[4] : [من الرجز]

يـا معدِنَ اللؤم وأنتَ جَبَلُـه ... وآخـرَ اللـؤم وأنـت أوّلُهْ
جاريـتَ سَبَّاقاً بعيـداً مَهَلُـه ... كان إذا جـارى أبـاك يُفْشِلُهْ
فكيـفَ ترجـوه وكيفَ تأمُلُهْ ... وأنـتَ شرُّ رجـلٍ وأَنْذَلُهْ

1 على تفئة : على حين أو على إثر .
2 البيت مفرداً في مجموع شعره : 128 عن الأغاني .
3 شعر ابن ميادة : 212–213 .
4 شعر ابن ميادة : 217 .

ألأمُـه في مـأزِقٍ وأجهلُـهْ أدخلـه بيتَ المخازي مُدْخِلُهْ
فاللـؤم سِرْبالٌ لـه يُسَرْبَلُـهْ ثوبـاً إذا أَنْهَجـه يُبَـدَّلُـهْ[1]

فأجابه حَكَم : [من الرجز]

يا ابن التي جيرانَها كانت تَضُرّ وتَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانـت تَمْتَصِرْ
كيف إذا مارسْتَ حُرّاً تنتصِرْ

ولهما أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جدّاً أسقطتُها لكثرتها وقلّة فائدتها .

[خرج الحكم إلى الرقم للقاء ابن ميّادة ولما لم يلقه تهاجيا]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عبد الله بن إبراهيم قال : أخبرني بعضُ من لقيت من الخُضْر : أنّ حكماً الخضريّ خرج يريد لِقاءَ ابنِ ميّادة بالرَّقَم من غير مَوعد فلم يَلْقَه ، إمّا لأنّه تغيَّب عنه وإمّا لأنّه لم يصادفْه ، فقال حكم : [من البسيط]

فَـرّ ابنُ مَيَّادةَ الرَّقْطاءِ من حَكَم بالصُّغْرِ مثلَ فِرار الأَعْقَدِ الدَّهِمِ[2]
أصبحتَ في أُقُرٍ تَعْلُـو أطاوِلَـه تَفِرُّ منّـي وقـد أصبحتُ بالرَّقَمِ[3]

وقال إسحاق في روايته عن أصحابه : قال ابن مَيَّادة يهجو حَكَماً وينسبُ بأمّ جحدر : [من الطويل]

يُمَنُّونَنِـي منـكِ اللقاءَ وإنّني لأعلمُ لا ألقاكِ من دونِ قابِلِ

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدّماً ، فذكرتُ هاهنا منها ما لم يمضِ وهو قوله :

[من الطويل]

فيا ليتَ رَثَّ الوصلِ من أمّ جَحْدَرٍ لنا بجديـدٍ مـن أُولاكَ البَدائلِ
ولم يَبْقَ ممّـا كان بينـي وبينها من الوُدِّ إلاّ مُخْفَيـات الرسائلِ
وإنّي إذا استَنْبهتُ من حُلْوِ رَقْدةٍ رُمِيـتُ بحُبِّيهـا كَرَمْـي المُناضِلِ

صوت

[من الطويل]

فما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَها وأدمُعها يُـذْرِينَ حَشْوَ المَكاحلِ

---

1 أنهجه : أبلاه وأخلقه .

2 الصغر : الذلّ . الأعقد : التيس في قرنه التواء وكذلك الكلب والذئب لانعقاد ذنبيهما .

3 أقر : واد لبني مرّة .

تمتّعْ بـذا اليومِ القصيرِ فإنّـه رَهِـينٌ بأيّامِ الدهـورِ الأطاولِ

الغناء في هذين البيتين لعليّ بن يحيى المنجِّم ، ولحنه من الثقيل الثاني .

وكنتُ امـرءاً أَرْمِي الزوائلَ مـرّةً فأصبحتُ قد ودّعتُ رميَ الزوائلِ

وعطَّلتُ قوسَ اللهو مـن سَرَعانها وعادتْ سِهامِي بـين رَثٍّ وناصِلِ

السَّرَعان : وَتَرٌ يعمل من عَقَبِ المتن ، وهو أطول العَقَبِ .

إذا حَلَّ بَيْتِي بين بَـدْرٍ ومازِنٍ ومُرَّةَ نِلْتُ الشمسَ واشتدّ كاهِلِي

يعني بَدْرَ بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوذان بن ثعلبة بن عَدِيّ بن فزارة بن ذبيان ، ومُرَّةَ بن عوف بن سعد بن ذبيان ، ومُرَّة بن فزارة ، ومازن بن فزارة . وهي طويلة . قال أبو الفرج الأصبهانيّ : أخذ إسحاق الموصليّ معنى بيت ابن ميّادة في قوله : «نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلي» فقال : [من الطويل]

عطَسْتُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ يَدايَ الثريّا قاعـداً غيرَ قائِمِ

ولَعمْرِي لئن كان استعار معناه لقد اضطلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

فضَلْنا قريشاً غيرَ رَهْطِ محمدٍ وغيرَ بني مروان أهلِ الفضائِلِ

[سُرَّ به إبراهيم بن هشام لدعواه أنّه فضل قريشاً]

قال يحيى بن عليّ وأخبرني عليّ بن سليمان بن أيّوب عن مُصْعَب ، وأخبرني به الحسن بن علي عن أحمد بن زُهير عن مُصعَب قال : قال إبراهيم بن هشام بن إسماعيل لابن ميّادة : أنت فضَلْتَ قريشاً ؟ وجرّده فضربه أسواطاً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لما قال ابن ميادة : [من الطويل]

فضَلنا قُرَيشاً غيرَ رَهْطِ محمـد وغيرَ بني مَرْوانَ أهلِ الفضائِلِ

قال له الوليد بن يزيد : قدّمتَ آلَ محمدٍ قبلنا ؛ فقال : ما كنتُ يا أمير المؤمنين أظنُّه يمكنُ غيرُ ذلك . قال : فلمّا أَفْضت الخلافةُ إلى بني هاشم وفَد ابن ميّادة إلى المنصور ومدحه ؛ فقال له أبو جعفر لما دخل إليه : كيف قال لك الوليد ؟ فأخبره بما قال ، فجعل المنصور يتعجّب .

[ابن ميادة والحَكَم الخضريّ بعريجاء]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : حدّثني العباس بن سَمُرَة بن عَبّاد بن شَمّاخ بن سَمُرة عن ريحان بن سُوَيد الخُضريّ ، وكان راوية

حَكَم بن معمر الخُضريّ ، قال : تواعد حَكَمٌ وابنُ ميّادة عُريجاء ، وهي ماءة ، يتواقفان عليها ، فخرج كلّ واحد منهما في نَفَرٍ[1] من قومه ؛ وأقبل صخر بن الجعد الخُضريّ يَؤُمُّ حَكَماً ، وهو يومئذٍ عدوّ لحَكَم لِما كان فرط بينهما من الهجاء في أُرْكُوبٍ[2] من بني مازِن بن مالك بن طَريف بن خَلَف بن مُحارب ؛ فلمّا لقيه قال له : يا حَكَم ، أهؤلاء الذين عَرَضْتَ للموت ؟ وهم وجوه قومك ؛ فوالله ما دماؤهم على بني مُرّة إلاّ كدماء جَداية ؛ فعرَف حَكَم أنّ قول صخر هو الحقّ فردّ قومَه ، وقال لصخر : قد وعدني ابنُ ميّادة أن يُواقفني غداً بعُريجاء لأن أناشدَه ؛ فقال لـه صخر : أنا كثير الإبل ، وكان حَكَم مُقِلاً ، فإذا وردتْ إبلي فارتجز ، فإنّ القوم لا يشجُعُون عليك وأنت وحدَك ، فإن لقيتَ الرجل نحَر وأطعم فانحَرْ وأطعِمْ وإن أتيتَ على مالي كلِّه . قال رَيحان راويتُه : فورد يومئذٍ عُرَيجاءَ وأنا معه فظلّ على عُرَيجاءَ ولم يَلْقَ رَمّاحاً ولم يوافِ لموعده ، وظلّ يُنْشِد يومئذٍ حتى أمسى ، ثم صرف[3] وجوهَ إبل صخرٍ وردّها . وبلغ الخبرُ ابنَ ميّادة ومُوافاة حَكَم لموعده[4] ، فأصبح على الماء وهو يرتجزُ ويقول : [من الرجز]

أنا ابنُ مَيّادةَ عَقّارُ الجُزُرْ كلِّ صَفِيّ ذاتِ نابٍ مُنْفَطِرْ

وظَلَّ على الماءِ فنَحَر وأَطْعَم . فلمّا بلغ حَكَماً ما صنعَ ابن ميّادة من نحره وإطعامه شقَّ عليه مشقّةً شديدةً .

[توافيهما بحمى ضريّة وصلحهما]

ثم إنّهما بعدُ توافيا بحِمى ضَرِيّة . قال ريحان بن سُوَيد : وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَةٍ إلاّ بقيـةَ كلإٍ بضريّة . قال : فسبقْنا ابن ميّادة يومئذٍ فنزلنا على مولاةٍ لعُكّاشة بن مُصْعَب بن الزُّبير ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان . قال : وكان حَكَم كريماً على الوُلاةِ هناك يُتَّقى لسانُه . قال ريحـان : فبَيْنا نحـن عند المولاة وقد حطَطْنا براذعَ دوابّنا إذا راكبان قد أقبلا ، وإذا نحن برَمّاح وأخيه ثَوْبان ، ولم يكن لثوبان ضَرِيبٌ في الشجاعة والجمال ، فأقبلا يتسايران ، فلمّا رآهما حَكَمٌ عرفهما ، فقال : يا رَيْحانُ ، هذان ابنا أَبْرَد ، فما رأيك ؟ أتَكفِيني ثوبانَ أم لا ؟ قال : فأقبلا نحونا ورَمّاح يتضاحك حتى قبض على يد حكم وقال : مرحباً برجل سكتُّ عنه ولم يسكت عنّي ، وأصبحتُ الغداة أطلب سَلْمه يَسُوقني الذِّئبُ والسنةُ ، وأرجو أن أَرْعى

1 ل : جماعة .
2 أركوب : ركب .
3 ل : ضرب .
4 ل : لموضعه .

الحِمى بجاهِهِ وبركته ؛ ثم جلس إلى جَنْب حَكَم وجاء ثوبان فقعد إلى جَنْبِي ؛ فقال له حَكَم : أما وربِّ المرسَلين يا رمّاح لولا أبياتٌ جعلتَ تعتصم بهنّ وترجعُ إليهنّ ؛ يعني أبياتَ ابنِ ظالم ، لاستوسقت كما استوسق مَنْ كان قَبْلَكَ . قال ريحان : وأخذا في حديثٍ أسمَع بعضَه ويخفى عليّ بعضُه ، فظَلِلْنا عند المرأة وذُبح لنا وهما في ذلك يتحادثان ، مقبِلٌ كلّ واحد منهما على صاحبه لا ينظرانِ شَدَّنا ، حتى كان العِشاء فشدَدنا للرَّواح نؤمُّ أهلَنا ؛ فقال رَمَّاح لحكم : يا أبا مَنِيع ، وكانت كنيةَ حَكَم : قد قضيتَ حاجتَك وحاجةَ مَنْ طلبتَ له من هذا العامل ، وإن لنا إليه حاجةً في أن يُرْعِيَنا ؛ فقال له حكم : قد والله قضيتُ حاجتي منه وإنّي لأكره الرجوع إليه ، وما من حاجتك بُدٌّ ؛ ثم رجع معه إلى العامل ، فقال له بعد الحديث معه : إنّ هذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بيني وبينه ، وقد سأل الصلحَ وأناب إليه ، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك[1] وبمَحْضَرِك . قال : فدعا به عاملُ ضَرِيّة[2] وقال : هل لك حاجةٌ غيرُ ذلك ؟ قال : لا والله ، ونسي حاجةَ رَمّاح ، فأَذْكرتُه إيّاها ، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان . فقال العامل لابن ميّادة : ما حاجتك ؟ فقال : تُرْعِيني عُرَيجاء لا يَعْرِضُ لي فيها أحدٌ ، فأَرعاه إيّاها . فأقبل رَمَّاح على حَكَم فقال : جزاك الله خيراً يا أبا مَنِيع ، فوالله لقد كان ورائي مِنْ قومي مَنْ يتمنّى أن يرعى عُرَيجاء بنصف ماله . قال فلمّا عزَما على الانصراف ودّع كلّ واحد منهما صاحبه وانصرفا راضيَيْن .

[استعدى قوم ابن ميادة السلطان على الحكم]

وانصرف ابنُ ميّادة إلى قومه فوجد بعضهم قد ركب إلى ابن هِشام فاستغضبه على حكم في قوله : [من الطويل]

وما ولدتْ مُرِّيَّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدهرِ إلاّ زاد لؤماً جَنِينُها

فأَطْرده وأقسم : لئن ظفِر به ليُسْرِجَنّه وليَحْمِلَنّ عليه أحدَهم . فقال رَمّاح ، وساءه ما صنعوا : عَمَدتُم إلى رجل قد صَلُح ما بيني وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتُم عليه وجئتُم بإطْراده ! وبلغ الحكَمَ الخبرُ فطار إلى الشام فلم يبرَحْها حتى مات .

قال العباس بن سَمُرة : مات بالشام غرَقاً ، وكان لا يُحسِن العَوْمَ فمات في بعض أنهارها . قال : وهو وجْهُه الذي مدح فيه أَسْود بن بِلال المُحاربيّ ثم السُّوائيّ في قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

1 ل : يديك .

2 ل : الجهة .

واستيقنتْ أن لا بَراحَ من السُّرى حتـى تُنـاخَ بأَسْوَدَ بنِ بِلالِ
قَـرْمٌ إذا نـزلَ الوُفـودُ بـبابـه سَمَـتِ العيونُ إلى أَشَمَّ طُوالِ

[مناقضات حكم وابن ميّادة]

ولحَكَم الخُضْريّ وابن ميّادة مُناقضات كثيرة وأراجيز طِوالٌ طَويتُ ذكرَ أكثرها وألغيتُه ، وذكرتُ منها لُمَعاً من جيّد ما قالاه لئلاّ يخلوَ هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يستوعبَ سائرَه فيطولَ . فمما قاله حَكَمٌ في ابن ميّادة قوله : [من الطويل]

خَلِيليّ عُوجا حَيِّيا الدارَ بالجَفْرِ وقُولا لها سَقْياً لعَصْرِكِ من عَصْرِ
وماذا تُحَيِّي مـن رسومٍ تلاعبتْ بها حَرْجَفٌ تَذْرِي بأذيالِها الكُدْرِ

ومن جيّد قوله فيها وهو يفتخر : [من الطويل]

إذا يبِسَت عِيدانُ قـومٍ وجدتَنا وعِيدانُنا تُغْشى على الوَرَقِ الخُضْرِ
إذا الناسُ جـاؤوا بـالقُرُوم أتيتُهم بقَرْم يُساوي رأسُه غُـرَّةَ البدرِ[1]
لنا الغَوْرُ والأَنجاد والخَيْلُ والقَنا عليكـم وأيّامُ المَكـارِمِ والفخرِ

ومن جيّد هجائه قولُه : [من الطويل]

فيا مُـرَّ قد أخزاكِ في كلِّ موطنٍ من اللؤمِ خَلاَّتٌ يزِدْنَ على العَشْرِ
فمنهنّ أنّ العبـدَ حامِـي ذِمارِكم وبئس المحامي العبدُ عن حَوْزةِ الثَّغْرِ
ومنهنّ أن لم تمسَحُوا وجهَ سابقٍ جَوادٍ ولم تأتوا حَصاناً على طُهْرِ
ومنهنّ أن الميْتَ يُدْفَـن منكـمُ فَيَفْسُو على دُفّانـه وهو في القبرِ
ومنهنّ أنّ الجارَ يسكُن وَسْطَكم بريئـاً فيُلْقـى بالخيانـةِ والغَدْرِ
ومنهنّ أن عُذْتُم بأَرْقَـطَ كَوْدَنٍ وبئس المحامي أنت يا ضَرْطةَ الجَفْرِ
ومنهنّ أنّ الشيخَ يوجَـدُ منكمُ يَدِبُّ إلى الجاراتِ مُحْدَوْدِبَ الظهرِ
تَبيت ضِبابُ الضِّغْنِ تَخْشى احتراشها وإن هي أمسَتْ دونَها ساحلُ البحرِ[2]

فأجابه ابن ميّادة بقصيدةٍ طويلة ، منها قولُه مجيباً له عن هذه الخصال التي سبَّهم بها[3] : [من الطويل]

1 يساوي في ل : يسامي .
2 ضباب الضغن : الأحقاد .
3 شعر ابن ميادة : 152-154 .

لقد سَبقتْ بالمُخْزِيات مُحارِبٌ وفازتْ بخَلاَّتٍ على قومِها عَشْرِ
فمنهنّ أن لم تَعْقِروا ذاتَ ذِرْوةٍ لحقٌّ إذا ما احْتِيجَ يوماً إلى العَقْرِ
ومنهنّ أن لم تَمسَحُوا عربيّةً من الخَيْل يوماً تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومنهنّ أن لم تضرِبوا بسيوفكم جَماجِمَ إلاّ فَيْشَلَ القُرَّحِ الحُمْرِ
ومنهنّ أن كانت شيوخُ محارِب كما قد علمتم لا تَرِيشُ ولا تَبْرِي
ومنهنّ أخزى سوءةٍ لو ذكرتُها لكنتم عَبِيداً تخدُمون بني وَبْرِ
ومنهنّ أنّ الضأنَ كانت نساءكم إذا اخضرّ أطرافُ الثُّمام من القَطْرِ
ومنهنّ أن كانت عجوزُ مُحارِبٍ تُرِيغ الصِّبا تحت الصَّفِيح من القَبْرِ
ومنهنّ أنْ لو كان في البحرِ بعضُكُمْ لخبَّثَ ضاحِيَ جِلْدِهِ حَوْمَةَ البحرِ

ومما قاله ابن ميّادة في حكم قولُه من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

أَلا حَيِّيا الأطلالَ طالتْ سِنِينُها بحيثُ التقتْ رُبْدُ الجِناب وعِينُها

ويقول فيها :

فلمّا أتاني ما تقولُ مُحارِبٌ تغنَّتْ شياطيني وجُنَّ جُنُونُها
أَلَمْ تَرَ أنَّ اللهَ غَشَّى مُحارِباً إذا اجتمعَ الأقوامُ لَوْناً يَشِينُها[2]
ترى بوجوه الخُضْرِ خُضْرِ مُحارِبٍ طوابعَ لُؤم ليسَ ينْفَتُّ طِينُها
لقد ساهَمَتْناكُمْ سُليمٌ وعامرٌ فَضِمْناهُمُ إنّا كذاك نَدِينُها
فصارتْ لنا أهلُ الضَّغِين مُحارِبٌ وصارتْ لهم جَسْرٌ وذاك ثَمِينُها
إذا أخذَتْ خُضْرِيَّةٌ قائِمَ الرحَى تَحَرَّك قُنْباها فطارَ طَحِينُها
وما حَمَلتْ خُضريَّةٌ ذاتَ ليلةٍ من الدهرِ إلاّ ازدادَ لؤماً جَنِينُها

فقال حَكَمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

لأنتَ ابنُ أَشبانِيّةٍ أدلجتْ به إلى اللّؤمِ مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنِينُها
فجاءتْ بَرُوَّاثٍ كأنّ جَبِينَه إذا ما صَغا في خِرقَتَيها جَبِينُها
فما حَمَلتْ مُرِّيَّة قطُّ ليلةً من الدهرِ إلاّ ازدادَ لؤماً جَنِينُها
وما حَمَلتْ إلاّ لألأمِ مَنْ مَشى ولا ذُكِرتْ إلاّ بأمرٍ يَشِينُها

1 شعر ابن ميادة : 230–231 عن الأغاني .
2 لوناً في ل : لؤماً .

تـزوّجُ عثـوانُ الضَّئِـينَ وتَبْتَغِي بهـا الدَّرَّ لا دَرَّتْ بخيرٍ لَبُونها
أظَنَّتْ بنو عثوان أن لستُ شاتماً بشَتْمِي وبعضُ القوم حَمْقى ظُنُونُها
مَـدانِيسُ أبـرامٌ كأنّ لِحاهُـمُ لِحَـى مُسْتَهِبّاتٍ طِوالٍ قُرُونُها[1]

قال الزبير : فحدّثني مَوهوب بن رشيد قال : فسمع هذه القصيدة أحدُ بني قَتّال بن مُرّة فقال : ما له أخزاه الله يهجو صِبْيَتَنا ؟ قال : وهم أجفى قوم غَضَباً لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

قال : وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه في نساء بني مُرّة إذ يقول :

ومـا حَمَلتْ إلا لألأم مَنْ مَشى

فغَضِبَ ثم نَذَر[2] دَمَه ؛ فهَرَب من الحجاز إلى الشام فمات بها .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن ضَبْعان الخُضْريّ قال : لقيَ ابن ميادة صخر بن الجعد الخُضْريّ فقال له : يا صخر ، أَعَنْتَ عليّ ابنَ عَمِّك الحَكَم بنَ مَعْمَر ؛ فقال له صخر : لا والله يا أبا الشُّرَحْبيل ما أعنتُهُ عليك ، ولكن خُيِّل إليك ما كان يُخَيَّل[3] إليّ ، ولقد هاجَيْتُه فكنتُ أظنّ أنّ شَجَرَ الوادِي يُعِينه عليّ .

ومن جَيِّد قَوْل ابنِ ميّادة في حَكَم قصيدتُهُ التي أوّلها : [من الطويل]

صوت

لقـد سَبَقَتْك اليـومَ عَيْناك سَبْقَةً وأبكاكَ من عهـد الشباب ملاعبُهْ
فواللهِ مـا أَدري أيَغلِبُنِي الهَـوى إذا جَـدَّ جِـدُّ البَيْن أم أنا غالبُهْ
فإن أستطِعْ أغلِبْ وإن يَغلِب الهَوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهْ

في هذه الأبيات غِناءٌ يُنسَبُ ، يقول فيها في هجاء حَكَم :

لقد طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبٍ عن المجدِ لم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجِبُهْ
وقـال لهـم كُـرُّوا فلستُ بآذنٍ لكم أبداً أو يُحْصِيَ التُّرْبَ حاسِبُهْ

وهي قصيدة طويلة .

[فضله الوليد بن يزيد على الشعراء وأجازه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جلال[4] بن عبد العزيز المُرِّيّ ثم الصارِدِيّ عن

1 أبرام : جمع برم وهو الثقيل الجافي . المستهبات : التيوس الهائجة للسفاد .
2 نذر في ل : هدر .
3 ل : خُيِّل .
4 ل : حلال ، بالحاء .

أبيه : قال جلال : وقد رأيتُ ابنَ ميّادة في بيت أبي ، قال : قال لي ابن ميّادة : وصلتُ أنا والشعراء إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مولىً من مَوالي خَرَشَةَ يقال له شُقْران يَعِيب ابن ميادة ويَحسدُه على مكانه من الوليد ، فلمّا اجتمعت الشعراء قال الوليد بن يزيد لشُقْران : يا شُقْران ، ما عِلمُكَ في ابن ميّادة ؟ قال علمي فيه يا أمير المؤمنين أنّه : [من الطويل]

لئيمٌ يُبارِي فيــه أَبْرِدُ نَهْبَلاً لئيمٌ أتاه اللؤمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليد : يا ابن ميّادة ، ما عِلمُك في شُقْران ؟ قال : عِدمِي يا أمير المؤمنين أنّه عبدٌ لعجوز من خَرَشَة كاتبَتْه على أربعين دِرهماً ووعدها ، أو قال : وعدَتْهُ ، أن تُجيزه بعشرين درهماً فقبَّضَتْه[1] إيّاها ، فأغنِه عنّي يا أميرَ المؤمنين ، فليس له أَصْلٌ فأحتفِره ، ولا فَرعٌ فأهتصِرَه ؛ فقال له الوليد : اجتَنِبْه يا شُقران فقد أبلغ إليك في الشَّتيمة ، فقَصَر شُقْران صاغراً ، ثم أنشدتُه ، فأقيمت الشعراء جميعاً غيري ، وأمر لي بمائة لِقْحةٍ وفَحْلها وراعيها وجاريةٍ بِكْرٍ[2] وفَرَسٍ عتيق ، فاختْلتُ ذلك اليومَ وقلتُ[3] : [من البسيط]

أعطيْتَني مائـةً صُفْرا مَدامِعُهـا كالنخل زَيَّنَ أعلى نَبْتِهِ الشَّرَبُ[4]

ويُروى : كأنّها النخلُ رَوَّى نَبْتَها الشَّرَبُ

يَسُوقُها يافــع جَعْــدٌ مفارقُهُ مثْلُ الغُراب غَذاه الصَّرُّ والحَلَبُ

وذا سَبِيبٍ صُهَيْبِيّاً لــه عُرُفٌ وهامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ نابُها صَخِبُ[5]

لم يذكر الزبير في خبره غير هذه الأبيات الثلاثة ، وهي من قصيدة للرّمّاح طويلة يمدح فيها الوليد بن يزيد ، وقد أجاد فيها وأحسن ؛ وذكرتُ من مُختارها هاهنا طرَفاً ، وأوّلها : [من البسيط]

هل تَعرفُ الدارَ بالعَلْياء غَيَّرَها سافي الرِّياحِ ومُسْتَنٌّ له طُنُبُ[6]

دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٍّ مسائحُهـا كأنّها ظَبْيَةٌ تَرْعى وتَنْتَصِبُ

المسائح : ما بين الأُذُن إلى الحاجب من الشَّعَر . وتنتصب : تَقِفُ إذا ارتاعتْ منتصبة تتوجَّسُ .

---

1 ل : فنقصته .

2 ل : عذراء .

3 شعر ابن ميادة : 57–59 .

4 في اللسان «شرب» : «مثل النخيل يروي فرعه الشرب» . والشرب الحفر التي تُحفر حول النخيل وتملأ بالماء ليروى .

5 السبيب : شعر الناصية والذنب .

6 بالعلياء غيرها في ل : بالربع غيره .

تحنُو لأكْحَلَ أَلقَتْهُ بمَضْيَعَةٍ فقَلْبُها شَفَقاً من حَوْلِه يَجِبُ

يقول فيها : [من البسيط]

يا أطيبَ الناسِ ريقاً بعدَ هَجْعَتها وأملَحَ الناسِ عَيْناً حينَ تَنْتَقِبُ
ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألها ولستُ عندَ خَلاء اللَّهوِ أغتصبُ
في مرْفَقَيْها إذا ما عُونِقَتْ جَمَمٌ على الضَّجيعِ وفي أنيابها شَنَبُ
وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكِبُها مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ
قد جُبْتُها جَوْبَ ذي المِقْراضِ مِمْطَرَةً إذا استوى مُغْفَلاتُ البِيدِ والحَدَبُ[1]
بِعَنْتَرِيس كأنّ الدَّبْرَ يَلْسَعُها إذا تَرَنَّمَ حادٍ خَلْفَها طَرِبُ[2]
إلى الوليد أبي العَبّاس ما عجلتْ ودونَه المُعْطُ من لُبْنانَ والكُثُبُ[3]
لمّا أتيتُك مِن نَجْدٍ وساكنِه نفَحتَ لي نَفْحةً طارتْ بها العَرَبُ

وبعد هذا البيت قوله :

أعطيتَنِي مائةً صُفْراً مَدامعُها

إنّي امرُؤٌ أعتفِي الحاجاتِ أطْلُبُها كما اعتَفى سَنِقٌ يُلْقَى له العُشُبُ

السَّنِق : الذي قد شَبِع حتى بَشِمَ ، يقول : أطلب الحاجة بغير حِرْص ولا كَلَبٍ ، كما يَعْتَفي هذا البعير البَشِمُ من غير شَرَهٍ ولا شدّة طَلَب .

ولا أُلِحُّ على الخُلاّن أسألُهم كما يُلِحُّ بعظْمِ الغارب القَتَبُ
ولا أُخادِع نَدْمانِي لأخدَعَه عن ماله حين يَسْتَرْخِي به اللَّبَبُ
وأنتَ وابناك لم يوجد لكم مَثَلٌ ثلاثةً كلّهم بالتاج مُعْتَصِبُ
الطيّبون إذا طابتْ نفوسُهمُ شُوسُ الحواجب والأبصار إنْ غَضِبُوا[4]
قِسنِي إلى شُعراء الناسِ كلِّهمِ وادعُ الرُّواة إذا ما غَبّ ما اجتلَبوا[5]
إنّي وإن قال أقوام مَديحَهمُ فأحسنوه وما حابوا وما كَذَبوا

1 الممطرة : ثوب من صوف يلبس في المطر . الحدب : الأرض الغليظة المرتفعة .
2 العنتريس : الناقة الضخمة القوية .
3 المعط : الأراضي التي لا نبات فيها .
4 شوس : جمع أشوس . والشوس هو النظر بمؤخّر العين غيظاً أو تكبّراً .
5 غب : فسد .

أَجرِي أمامَهُمُ جَرْيَ امرىء فَلَج عِنانُه حين يَجْرِي ليس يَضْطرِبُ

[سبب الهجاء بينه وبين شقران]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرني أبو الحسن ، أظنّه[1] المَدائنيّ ، قال أخبرني أبو صالح الفَزاريّ قال : أقبل شُقْران مولى بني سَلامان بن سعد هُذَيْم أخي عُذْرة بن سعد بن هُذَيْم ، قال : وهُذَيْم عبدٌ حَبَشِيّ كان حَضَنَ سعداً فغلَب عليه ، وهو ابن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد امتاره ، فلَقِيَه ابنُ مَيّادة فقال له : ما هذا معك ؟ قال : تمرٌ امترتُه لأهلي يقال له : زُبٌّ رُبّاح ، فقال له ابن ميّادة يُمازِحه[2] : [من الطويل]

كأنّك لم تَقْفُل لأهلك تمْرةً إذا أنت لم تَقْفُل بزُبٍّ رُبَاحِ[3]

فقال له شقران : [من الطويل]

فإنْ كان هذا زُبَّه فانطلق به إلى نِسْوةٍ سُودِ الوجوه قِباحِ

فغضِب ابن ميّادة وأَمَضه وأَنحى عليه بالسوط فضربه ضَرَبات وانصرفَ مُغضَباً ؛ فكان ذلك سبب الهِجاء بينهما .

قال حمّاد عن أبيه وحدّثني أبو عليّ الكلبيّ قال : اجتمع ابن ميّادة وشُقران مولى بني سلامان عند الوليد بن يزيد ، فقال ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين ، أتجمع بيني وبين هذا العبد وليس بمِثْلِي في حَسبِي ولا نَسَبِي ولا لِساني ولا مَنْصِبِي ! فقال شُقران : [من الطويل]

لَعَمْرِي لئن كنتَ ابن شَيْخَيْ عشيرتي هِرَقْلٍ وكِسْرى ما أُرانِي مُقَصِّرا
وما أَتمنَّى أنْ أكونَ ابن نزوةٍ نَزاها ابنُ أَرْضٍ لم تجِدْ مُتَمَهّرا[4]
على حائلٍ تَلْوِي الصِّرارَ بكَفِّها فجاءتْ بخَوَّارٍ إذا عُضّ جَرْجرا

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بَكّار وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيُّوب المَدِينيّ عن زُبير قال حدّثني جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خَلّاد عن أبي أيّوب بن عبد العزيز قال : استأذن ابن ميّادة على الوليد بن يزيد وعنده شُقْران مَوْلى قُضاعة فأدخله في صُندوق وأَذِن لابن ميّادة ؛ فلمّا دخل أجلسه على الصندوق واستنشده هِجاء شُقران فجعل يُنشِده ، ثم أمر

1 ل : أحسبه .
2 شعره : 107 . وفسر جامع الشعر «زبّ ربّاح» بأنّه نوع من تمور البصرة ، ولم يفهمه شقران كذلك .
3 لأهلك في ل : لأمّك .
4 ابن أرض : غريب أو مسافر أو ضيف .

بفتح الصندوق فخرج عليه شُقران وجعل يَهدِر كما يهدِر الفَحلُ ويقول : [من الوافر]

سأَكْعَمُ عن قُضاعة كلْبَ قيسٍ على حَجَـرٍ فيُنْصِتُ للكِعامِ[1]
أسيرُ أمـامَ قيْسٍ كلَّ يـومٍ ومـا قيسٌ بسائـرةٍ أمامي

وقال أيضاً وهو يسمع : [من الكامل]

إنّي إذا الشعراءُ لاقى بعضُهُمْ بعضاً ببَلْقعـةٍ يريـد نِضالَها
وقَفوا لُمُرْتَجِزِ الهدير إذا دنتْ منـه البِكارة قَطَّعـتْ أبوالَها[2]
فتركتُهمْ زُمَراً تَرَمَّـزُ باللِّحَـى منها عَنافِقُ قـد حَلقتُ سِبالَها

فقال له ابن ميّادة : يا أمير المؤمنين اكفُف عنّي هذا الذي ليس له أصلٌ فأحفِرَه ، ولا فرعٌ فأهصِرَه ؛ فقال الوليد : أشهد أنّك قد جَرْجرت كما قال شُقْران :

فجاءتْ بخوّارٍ إذا عُضّ جرجرا

[تفاخره مع عقال بالشعر]

قال يحيى في خبره : واجتمع ابن ميّادة وعِقال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد ، وكان عِقالٌ شديد الرأي في اليمن ، فغمزَ عِقالٌ ابن ميّادة واعتلاه ؛ فقال ابن مَيّادة[3] : [من الطويل]

فجَرْنـا ينابيـعَ الكلامِ وبَحْـرَهُ فأصبحَ فيـه ذو الرِّوايـة يَسْبَحُ
وما الشِّعرُ إلاّ شعرُ قيسٍ وخِندِفٍ وقـولُ سِواهـم كُلْفَـةٌ وتملُّحُ

فقال عِقالٌ يُجيبه : [من الطويل]

ألا أبْلِغ الرَّمّـاح نَقْضَ مَقالـةٍ بهـا خَطِلَ الرَّمّاحُ أو كان يَمْزَحُ[4]
لئن كان في قيسٍ وخِنْدِفَ أَلْسُنٌ طِـوالٌ وشِعرٌ سائـرٌ ليس يُقْدَحُ
لقد خرَق الحـيُّ اليمانون قبلَهمْ بحورَ الكلام تُسْتَقى وهي تَطْفَحُ[5]
وهُمْ عَلَّموا مَنْ بعدَهـم فتعلّموا وهُمْ أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا
فللسابقـين الفضلُ لا يُجْحَدُونـه وليس لَمَخْلـوقٍ عليهـم تَبجُّـحُ

1 كعم : شدّ فمّ الحيوان فلا يؤكل أو يصوّت .
2 البكارة : الفتية من الإبل .
3 شعر ابن ميادة : 97 .
4 نقض في ل : بعض .
5 تطفحُ في ل : طُفّح .

[شعره في حنينه إلى وطنه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز[1] عن أبيه قال حدّثني ابن ميّادة قال : قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأباين ، وهو موضع كان الوليد ينزله في الربيع : [من الطويل]

لعَمْـــرُك إنّي نـــازلٌ بأبـــاينٍ لصَوْأرَ مشتاقٌ وإنْ كنتُ مُكْرَما[2]
أبِيتُ كأنّي أرمَـدُ العـين ساهـرٌ إذا بات أصحابي مـــن الليل نُوَّما

قال : فقال لي الوليد : يا ابن ميّادة كأنّك غَرِضْتَ[3] من قُربنا ؛ فقلت : ما مِثلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه ، ولكن[4] : [من الطويل]

ألا لَيتَ شِعرِي هـــل أبيتنّ ليلةً بحرّةِ ليـــلى حيث رَبَّتَنِي أهلِي
وهل أَسمَعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمَةٍ تَطالعُ من هَجْلٍ خَصيبٍ إلى هَجْلِ[5]
بـلادٌ بهـا نِيطَتْ عـــليَّ تَمائمِي وقُطِّعنَ عنّي حينَ أدركني عَقْلِي
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابِسي فأَيْسِرْ عليَّ الرزق واجمَع إذاً شَمْلِي

فقال : كم الهَجْمَة ؟ قلت : مائة ناقة ؛ فقال : قد صَدَرْتَ بها كلّها عُشَراء . قال ابن ميّادة : فذكرتُ وِلْداناً لي بنجد إذا استطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا ، وإذا استَسْقَوْه سقاهم اللهُ وأنا ، وإذا استكْسَوْه كساهم اللهُ وأنا ؛ فقال : يا ابن ميّادة ، وكم وِلْدانك ؟ فقلت : سبعة عشَر ، منهم عشرة نَفَرٍ وسبع نسوة ، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبي ؛ فقال : يا ابن ميّادة ، قد أطعمهم الله وأمير المؤمنين ، وسقاهم الله وأمير المؤمنين ، وكساهم الله وأمير المؤمنين ؛ أمّا النساء فأربعُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا الرجال فثلاثُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان ، وأمّا السِّقْي فلا أرى مائة لِقْحة إلاّ ستُروِيهم ، فإن لم تُروِهم زِدتُهم عينَيْن من الحجاز ؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، لسنا بأصحاب عيون يأكلُنا بها البعوض ، وتأخذُنا بها الحُمَّياتُ ؛ قال : فقد أخلفها اللهُ عليك ؛ كلّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتُك العامَ : مائة لِقْحة وفَحْلها وجارية بِكْر وفَرَس عَتِيق .

---

1 ل : عبد الرحمن .
2 صوأر : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة ممّا يلي الشام .
3 غرضت : ضجرت ومللت .
4 شعر ابن ميادة : 199–200 .
5 الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . الهجل : المطمئن من الأرض .

[عارض ابن القتال وانتحل بيتاً من شعره]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني شَدّاد بن عُقْبة عن عبد السلام بن القَتّال قال : عارضني ابن ميّادة فقال : أنشدني يا ابن القَتّال ، فأنشدته : [من الطويل]

ألا ليت شعري هل أبيتَنّ ليلةً بصحراءَ ما بين التَّنوفة والرَّمْلِ
وهل أزجُرنَّ العِيسَ شاكيَة الوَجى كما عَسَلَ السِّرحانُ بالبلدِ المَحْلِ[1]
وهل أسْمَعنَّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ تُغَنّي حماماتٍ على فَنَنٍ جَثْلِ[2]
وهل أشرَبنّ الدهرَ مُزْنَ سحابةٍ على ثَمَدِ الأفعاة حاضرُه أهلِي[3]
بلادٌ بها نيطتْ عليّ تمائِمي وقُطِّعنَ عنّي حين أدركني عقْلِي

قال : فأتاني الرّواة بهذا البيت وقد اصطرفه ابن ميّادة وحدَه .

[أجازه الوليد إبلاً فأرادوا ابدالها]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني رجل من كَلْب وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عليّ الكلبيّ قال : أمر الوليد بن يزيد لابن ميّادة بمائة من الإبل من صَدَقات بني كلب ، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد ، وهي الغرائب ، وأن يُمسِكوا التِّلاد ؛ فقال ابن ميّادة[4] : [من الوافر]

ألَمْ يَبْلُغْكَ أنّ الحيّ كلباً أرادوا في عطيّتِكَ ارتِدادا
وقالوا إنّها صُهْب ووُرْقٌ وقد أعطيتَها دُهْماً جِعادا

فعلِموا أنّ الشعرَ سيبلُغ الوليد فيُغْضِبُه ؛ فقالوا له : انطلِق فخذها صُفْراً جِعاداً .

[شعره في رثاء الوليد]

وقال يحيى بن عليّ في روايته : لمّا قتِل الوليد بن يزيد قال ابن ميّادة يرثيه[5] : [من الوافر]

ألا يا لَهْفَتَيّ على وليدٍ غداةَ أصابه القَدرُ المُتاحُ

---

1 الوجى : الحفا .
2 الجثل : الكثير الورق .
3 مُزن في ل : صوب . الثمد : الماء القليل . والأفعاة : هضبة لبني كلاب .
4 شعر ابن ميادة : 109–110 والبيتان في الشعر والشعراء ص 657 . ورواية البيت الثاني فيه :
أرادوا لي بها لدنين شتّى وقد أعطيتها دهماً جعادا
5 شعر ابن ميادة : 95 والشطر الأوّل من البيت الأول فيه : «ألا لهفي على الملك المرجى» .

ألا بكّي الوليد فتى قُرَيْشٍ وأسمحَها إذا عُدّ السِّماحُ
وأجبرَها لذي عَظْمٍ مَهِيضٍ إذا ضَنَّتْ بدِرّتها اللِّقاحُ
لقد فعلَتْ بنو مَرْوانَ فِعْلاً وأمراً ما يسوغ به القَراحُ

قال يحيى : وغنّى فيه عُمَرُ الوادي ولم يذكُر طريقَةَ غِنائه .

[ابن ميادة وعثمان بن عمرو بن عثمان]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا محمد بن زهير بن مُضَرِّس الفَزارِيّ عن أبيه قال : أخصب جَنابُ الحجاز الشاميّ فمالتْ لذلك الخِصْب بنو فَزارة وبنو مُرّة ، فتحالُّوا جميعاً به . قال : فبينا ذات يوم أنا وابن ميّادة جالسان على قارعة الطريق عِشاءً إذا راكبان يُوجِفان راحلتين حتّى وقفا علينا ، فإذا أحدهما بحر الريح[1] وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفّان معه مَوْلًى له ، فنَسَبَنا وانتسب لنا ، وقد كان ابن ميّادة يُعلِّلني بشعره ، فلمّا انقضى كلامُنا مع القُرشيّ ومولاه استعدتُ ابنَ ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدني فخراً له يقول فيه[2] : [من الكامل]

وعلى المُلَيْحة من جَذِيمةَ فِتْيةٌ يتمارضُون تمارضَ الأُسْدِ
وتَرى الملوكَ الغُرّ تحت قِبابهم يمشُون في الحلَقاتِ والقِدِّ[3]

قال : فقال له القُرشيّ : كذبتَ ؛ قال ابن ميّادة : أفي هذا وحدَه ؟ أنا والله في غيره أكذَبُ ؛ فقال له القرشيّ : إنْ كنتَ تريد في مديحك قريشاً فقد كفرتَ بربّك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه : ﴿لإيلافِ قُرَيْشٍ﴾ حتّى أتى على آخرها ، ونهض هو ومولاه وركِبا راحلتَيْهما ؛ فلمّا فاتا أبصارنا قال ابن ميّادة[4] : [من الطويل]

سمِينُ قريشٍ مانعٌ منكَ نفسَهُ وغَثٌّ قريشٍ حيث كان سمينُ

[ابن ميّادة وسنان بن جابر وهجاؤه بني حميس]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه عن أبي الحارث المُرِّيّ قال : كان ابن ميّادة قد هاجى سِنان بن جابر أحد بني حُمَيس بن عامر بن جُهَيْنة بن زيد بن ليث بن سُود بن أسْلَم ؛ فقال ابن ميّادة له فيما قال من هِجائه[5] : [من الطويل]

---

1 ل : بخر الزنج .
2 شعره : 117 .
3 قبابهم في الديوان : «حول بيوتنا» .
4 شعر ابن ميادة : 258 وينسب أيضاً إلى عروة بن أذينة وسلمة بن عبّاس .
5 شعر ابن ميادة : 160 عن الأغاني .

لقـد طالمـا عَلّلتَ حُجْـراً وأهلَه بأعراضِ قيسٍ يـا سنانُ بنَ جابرِ
أأهجُـو قُرَيشاً ثم تكـرَه رِيبتِي ويَسرِقُنِي عِرْضِي حُمَيسُ بنُ عامرِ

قال : وقال فيهم أيضاً[1] : [من الطويل]

قِصار الخُطى فُرْق الخُصى زُمَرُ اللِّحى كأنّهُمُ ظِرْبَـى اهتَرشْنَ على لَحْـمِ
ذكـرتُ حَمـام القَيْظ لمـا رأيتُهم يُمَشُّون حَوْلِـي في ثيابهـم الدُّسْمِ
وتُبْـدِي الحُمَيْسِيَّاتُ في كلِّ زِينـةٍ فُروجـاً كآثـارِ الصِّغـار مـن البَهْمِ

قال : ثم إنّ ابنَ مَيّادة خرَج يبغي[2] إبلاً له حتى ورَد جُباراً ، وهو ماءٌ لحُمَيس بن عامر ، فأتى بيتاً فوجد فيه عجوزاً قد أسنَّتْ ، فنَشَدها إبلَه فذكرتْها له وقالت : ممّن أنت ؟ قال : رَجُلٌ من سُلَيم بن منصور ؛ فأَذِنَتْ له وقالت : ادخل حتى نَقْرِيَك وقد عَرَفَتْه وهو لا يدري ؛ فلمّا قَرَتْه قال ابن ميّادة : وَجَدتُ ريحَ الطِّيب قد نفَح عليّ من البيت ، فإذا بنْتٌ لها قد هَتَكَت السِّتْرَ ، ثم استقبلَتْني وعليها إزارٌ أحمرُ وهي مؤتزرةٌ به ، فأطلقتْه وقالت : انظر يا ابن ميّادة الزانية ؛ أهذا كما نَعَتَّ ؟ فلم أرَ امرأةً أضخم قُبُلاً منها ؛ فقالت : أهذا كما قلتَ ؟ : [من الطويل]

وتُبْـدِي الحُمَيسِيّاتُ في كلِّ زينةٍ فُرُوجـاً كآثارِ الصِّغارِ من البَهْمِ[3]

قال : قلتُ : لا والله يا سيّدتي ، ما هكذا قلتُ ولكن قلت : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيسِيَّاتُ في كلّ زينةٍ فروجاً كآثـارِ المُقَيْسِرةِ الدُّهْمِ[4]

وانصرف يتشبَّب[5] بها ، فذلك حين يقول : [من الطويل]

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشّوْق والهَوى لزينبَ نـارٌ أُوقِـدَتْ بجُبـارِ
كأنّ سَناها لاحَ لي من خَصاصةٍ على غير قَصْدٍ والمَطِـيُّ سَوارِي
حُمَيسِيَّـةٌ بالرملتـين مَحَلُّهـا تَمُـدّ بحِلْـفٍ بيننـا وجِـوارِ

قال أبو داود : وكانت بنو حُمَيس حُلفاء لبني سَهْم بن مُرَّة ، ثم للحُصَيْن بن الحُمام . وتمدّ وتَمُتّ واحد .

---

1 شعر ابن ميادة : 229 عن الأغاني .
2 يبغي في ل : يبتغي .
3 الصغار من البهم في ل : المقيصرة الدهم .
4 المقيسرة : الإبل المسانّ .
5 يتشبب في ل : ينسب .

رجعٌ إلى الشعر

[من الطويل]

تُجاوِر من سهْم بن مُـرّة نِسوةً ... بمُجْتَمَـع النقبين غيرَ عواري[1]
نواعـمَ أبكـاراً كأنّ عيونَهـا ... عيـونُ ظِبـاء أو عيـونُ صُوارِ[2]
كأنّا نراهـا وهـي منّا قريبةٌ ... على متْن عصْماءِ اليَدَيْن نَوارِ[3]
تَتَبّعُ مـن حِجـر ذُرا مُتَمَنِّع ... لها مَعقِلٌ في رأس كلّ طَمارِ[4]
يَدُور بهـا ذو أسهُـم لا ينالها ... وذو كَلَبـات كالقِسيّ ضَوارِي
كأنّ على المَتْنَيْنِ منهـا وَدِيّةً ... سقَتْها السواقِي من وَدِيّ دَوارِ[5]
يَظَلّ سحيقُ المِسْك يقطُرُ حَوْلَها ... إذا الماشِطاتُ احتفنـه بمَـداري
وما رَوْضةٌ خضراءُ يضرِبها الندى ... بها قُنَّةٌ مـن حَنْـوَةٍ وعَـرارِ[6]
بأطيبَ من ريح القَرَنْفُـل ساطعاً ... بما التفّ مِن دِرْعٍ لهـا وخمارِ
وما ظبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمَةً ... على غفلـةٍ فاستسمعت لخُوارِ[7]
بأحسنَ منها يـومَ قامتْ فأَتْلعتْ ... على شَرَكٍ مـن رَوْعـةٍ ونِفارِ[8]
فليتَكِ يـا حسناءُ يا ابنةَ مالكٍ ... يَبيعُ لنا منـكِ المَـوَدّةَ شارِي[9]

[ابن ميّادة وزينب بنت مالك]

وأخبرني بهذا الخبر الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني أبو حرملة منظور بن أبي عَدِيّ الفَزاريّ ثم المَنْظورِيّ عن أبيه قال حدّثني رَمّاح بن أَبرَد قال : خرجتُ قافلاً من السَّلْع[10] إلى نَجْد حتى إذا كنتُ ببعض أَهْضام[11] الحَرّة (هكذا في نُسختي ، وأظنّه هِضاب

1 النقبين في ل : الصفين .
2 الصوار هنا قطيع البقر .
3 عصماء اليدين : في يديها بياض . وتوصف به الخيل والظباء والوعول . ونوار : نفور .
4 حجر في ل : حجن . الطمار : المكان المرتفع .
5 الودية : فسيلة النخل وهي هنا كناية عن ضفيرة من الشعر . السواقي في ل : السواني .
6 الحنوة نبات طيب الرائحة وكذا العرار .
7 نغمة في ل : فغمة .
8 أتلعت : مدّت عنقها .
9 شاري : بائع .
10 سلع : جبل قرب المدينة .
11 أهضام : جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الأرض .

الحَرّة)[1] رُفِع لي بيتٌ كالطِّراف العظيم ، وإذا بفِنائه غَنَمٌ لم تَسْرَحْ ، فقلت : بيتٌ مَنْ بيوت بني مُرّةَ وبِي من العَيْمة[2] إلى اللبن ما ليس بأحد ، فقلت : آتيهم فأُسلِّم عليهم وأشْرَب من لبنهم ، فلمّا كنت غيرَ بعيد سلّمت فردّتْ عليّ امرأةٌ بَرْزَة بفِناء البيت ، وحَيّت ورحّبت واستنزلتني فنزَلتُ ، فدعَتْ بلبن ولَبَأ ورِسْل من رِسْل[3] تلك الغنم ، ثم قالت : هَيا فلانةُ البَسِي شَفّاً واخرُجِي ، فخرجتْ عليّ جاريةٌ كأنّها شَمعة ما رأيتُ في الخَلْق لها نظيراً قبْلُ ولا بعدُ ، فإذا شَفّها ذاك ليس يُوارِي منها شيئاً وقد نَبا عن رَكَبِها ما وقع عليه من الثوب فكأنّه قَعْبٌ مُكْفَأ ، ثم قالت : يا ابن ميّادة الخبيثة ، أأنت القائل : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسيَّات في كلّ زينةٍ فُروجاً كآثارِ الصِّغارِ مِن البَهْمِ ؟

فقلت : لا والله ، جعلني الله فِداك يا سيّدتي ، ما قلت هذا قطّ ، وإنّما قلت : [من الطويل]

وتُبْدِي الحُمَيْسِيَّاتُ في كلّ زينةٍ فُروجاً كآثار المُقَيْسِرة الدُّهْمِ

قال : وكان يقال للجارية الحُمَيسيّة : زينب بنت مالك ، وفيها قال ابن ميّادة قصيدته :

أِلمّا فَزُورا اليومَ خيْرَ مَزارِ

[أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعراً]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني مَوهُوب بن رَشيد الكِلابيّ قال : أعطى الوليد بن يزيد ٱبن ميّادة جاريةً طَبَريّة أعجميَّة لا تُفْصِح ، حسناءَ جميلةً كاملةً لولا العُجمة ، فعشِقها وقال فيها[4] : [من الوافر]

جزاكَ الله خيراً من أمير فقد أعطيتَ مِبْراداً سَخُونا
بأهلِي ما ألَذّكِ عندَ نفسي لَوَ ٱنّك بالكلام تُعَرِّبينا[5]

1 الظاهر أنّ ما بين قوسين ليس من صلب الكتاب ولعلّها حاشية على بعض النسخ فأدخلها ناسخ لاحق في المتن ، لأنّ أبا الفرج يروي رواية عن الحرميّ بن أبي العلاء . وعندما يقتبس من كتابه يقول «نسخت من كتاب الحرميّ بن أبي العلاء» .

2 العيمة : شهوة اللبن .

3 الرسل : اللبن .

4 شعر ابن ميادة : 231 .

5 بأهلي في ل : بنفسي .

كأنّكِ ظبيـةٌ مَضَغَتْ أراكاً بوادِي الجِزْعِ حـين تُبَغِّمِينا[1]

[ملاحاته مع رجل من بني جعفر]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إسحاق بن شُعَيْب بن إبراهيم بن محمد بن طلحة قال : ورَدتُ على بني فَزارة ساعياً[2] ، فأتاني ابنُ ميّادة مُسَلِّماً عليّ ، وجاءتْني بنو فَزارة ومعها رجلٌ من بني جعفر بن كلاب كان لهم جاراً وكان مُخطَّطاً مَوسوماً بجمال ، فلمّا رأيتُه أعجبني ، فأقبلتُ على بني فزارة وقلتُ لهم : أي أخوالي هذا ؟ فوالله إنّه ليَسُرّني أنْ أرى فيكم مثلَه ؛ فقالوا : هذا ، أمْتَعَ الله بك ، رجلٌ من بني جعفر بن كلاب وهو لنا جارٌ . قال : فأصغى إليّ ابن ميّادة ، وكان قريباً منّي ، وقال : لا يغرنّك ، بأبي أنت ، ما ترى من جسمه فإنّه أجوفُ لا عقلَ لـه ؛ فسمعه الجعفريُّ فقال : أفيّ تقَع يا ابن ميّادة وأنت لا تَقْرِي ضيفك ؟ فقال له ابن ميّادة : إن لم أقره قراه ابن عمّي وأنت لا تَقْرِي ولا ابن عمّك . قال ابن عمران : فضحِكت ممّا شَهِد[3] به ابن ميادة على نفسه .

[بخيل لا يكرم أضيافه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن المُعَلَّى بن نوح[4] الفَزاريّ قال حدّثني خال لي كان شريفاً من سادات بني فَزارة قال : ضِفتُ ابن ميّادة فأكرمني وتحفّى بي وفَرّغ لي بيتاً فكنتُ فيه ليس معي أحد ، ثم جاءني بقَدَح ضخْم من لبن إبله فشربته ثم ولّى ، فلم يَنْشَب أن جاءني بآخرَ فتناولتُ منه شيئاً يسيراً ، فما لبثتُ حتّى عاد بآخرَ فقلتُ : حَسْبُك يا رَمّاح فلا حاجةَ لي بشيء ؛ فقال : اشرَب بأبي أنت ، فوالله لربّما بات الضيفُ عندنا مَدْحُورا[5] .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مُصْعَب عن جَدّي عبدِ الله بن مُصْعب قال : أتينا ابن ميّادة نتلقّى منه الشعرَ ؛ فقال لنا : هل لكم في فضل شَنَّةٍ ؟ فظننّاها تمراً ، فقلنا له : هاتِ ، لنَبْسُطَه بذلك ، فإذا شَنَّةٌ فيها فَضلةٌ من خَمْر قد شُرِب بعضُها وبقِي بعضٌ ، فلمّا رأيناها قمنا وتركناه .

[دعي في وليمة فرجع لما رأى من ضرب الناس بالسياط]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن الكَثِيريّ قال حدّثني نعمة

---

1 التبغيم : ترخيم الصوت .
2 ساعياً : جابياً للصدقات .
3 ل : باء .
4 ل : برج .
5 مدحوراً : مطروداً .

الغِفاريّ قال : قدِم ابن ميّادة المدينة فدُعِي في وليمة فجاء فوجد على باب الدار التي فيها الوليمةُ حَرَساً يضربون الزَّلاَّلين[1] بالسِّياط يمنعونهم من الدخول ، فرجَعَ وهو يقول[2] : [من الطويل]

ولّما رأيتُ الأَصْبَحِيّة قنّعتْ مفارِقَ شُمْطٍ حيث تُلْوى العمائمُ
تركتُ دِفاعَ الباب عمّا وراءَه وقلتُ صحيحٌ مَن نجا وهو سالمُ

[رقيباه على نسائه]

أخبرني يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال : قال الوليد بن يزيد لابن ميّادة في بعض وِفاداته عليه : مَن تركتَ عند نسائك ؟ قال : رَقيبين لا يُخالفاني طَرْفة عين : الجُوع والعُرْي . وهذا القول والجواب يُرْوى أنّ عمرَ بن عبد العزيز وعَقِيلَ بن عُلّفَة تراجعاهما ، وقد ذُكِرا في أخبار عَقِيل .

[مدحه لأبي جعفر المنصور]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب وأخبرني محمّد بن مَزْيَد قال : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْر وأخبرنا يحيى بن عليّ قال : حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ عن مُصْعَب : أنّ ابن ميّادة مدَح أبا جعفر المنصور بقصيدته التي يقول فيها[3] : [من الكامل]

طلعتْ علينا العِيسُ بالرَّمّاحِ

ثم خرج من عند أهله يُريده ، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقة من إبله ، وراح عليه راعِيه بلبنها فشرِبَه ثم مَسَح على بطْنِه ثم قال : سبحان الله ؛ إنّ هذا لهو الشَّرَه ؛ يكفيني لبن بَكْرة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج وأغتربُ في طلب المال ! ثم رجَعَ فلم يخرُج . وهذه القصيدةُ من جيّد شعر ابن ميّادة ، أوّلها : [من الكامل]

وكواعبٍ قد قلن يَوم تَواعُدٍ قَوْلَ المُجِدّ وهُنّ كالمُزّاحِ
يا ليتَنا في غير أمرٍ فادِحٍ طَلَعتْ عَلَيْنا العِيسُ بالرَّمّاحِ
بَيْنا كذاكَ رأيتَنِي مُتَعَصِّباً بالخَزِّ فوق جُلالة سرْداحِ[4]

1 الزلالين : الطفيليين .
2 شعر ابن ميادة : 228–229 عن الأغاني وأنساب الأشراف 12 : 50 .
3 شعر ابن ميادة : 99–100 وفي الروايات اختلاف في اللفظ باختلاف المصادر .
4 الجلالة : الناقة العظيمة . وسرداح : أي طويلة أو كثيرة اللحم .

فيهـنّ صفـراءُ المَعاصِمِ طَفْلَةٌ بيْضاءُ مثـلُ غَـرِيضةِ التُّفّاحِ[1]
فنظَرنَ من خَلَل الحِجال بأعينٍ مَرْضى مُخالِطُها السَّقامُ صِحاحِ
وارتشن حين أَرَدْنَ أنْ يرمِينَني نَـبْـلاً بـــلا رِيشٍ ولا بِقدَاحِ

يقول فيها في مدح المنصور وبني هاشم :

فلئِنْ بَقِيـتُ لأَلحقَنّ بأَبْحُرٍ يَنْمـينَ لا قُطْـعٍ ولا أنْزاحِ[2]
ولآتِـينّ بَنِـي عـلـيٍّ إنّهـمْ مَـن يأتهـم يُتَلـقّ بالإفلاحِ[3]
قـومٌ إذا جُلِـب الثناء إليهِمُ بِيعَ الثنـاء هُنـاك بالأرباحِ
ولأجْلِسَنّ إلى الخليفـة إنّـه رَحْـبُ الفِنـاء بواسع بَحْباحِ

وهي قصيدة طويلة .

[قوله عندما أصاب الحاج بمكّة مطر شديد وصواعق]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن أيّوب بن سلمة قال : اعتمرتُ في رجب سنة خمس ومائة ، فصادفني ابن ميادة بمكّة وقدِمها مُعتمراً ، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق ، فجلس إليّ ابن ميادة الغَدَ من ذلك اليوم ، فجعل يأتيني قومٌ من قومي وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيث فيقولون : صَعِق فلان وانهدم منزل[4] فلان ؛ فقال ابن ميادة : هذا العَيْث[5] لا الغَيْث ؛ فقلت : فما الغيث عندك ؟ فقال : [من الطويل]

سحائبُ لا مِن صَيِّبٍ ذي صَواعِقٍ ولا مُحْرِقـات ماؤهُـنّ حَمِيمُ[6]
إذا ما هبطْنَ الأرضَ قد مات عُودُها بكَيْنَ بهـا حتّـى يَعيش هَشِيمُ

[استحسان الناس لشعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني موسى بن زهير عن أبيه قال : جلستُ أنا وعيسى بن عُمَيْلة وابن ميّادة ذات يوم ، فأنشدنا ابن ميّادة شعره مَلِيّاً ، ثم أنشدنا

1 الطفلة : اللينة . غريضة : رقيقة البشرة ناعمة .
2 قطع : ناضبات . وأنزاح : نزح أكثر مائها .
3 الإشارة هنا إلى علي بن عبد الله بن العبّاس جدّ المنصور .
4 ل : دار .
5 العيث : الفساد .
6 صيب في ل : صيّف .

قوله[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْري هل أبيتنَّ ليلةً ... بحرَّة ليلى حيث ربَّتني أهلي
بلادٌ بها نِيطتْ عليّ تمائمي ... وقُطِّعن عنّي حين أدركني عَقلي
وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات هَجْمَةٍ ... تَطالَع من هَجْل خَصِيبٍ إلى هَجْلِ
صُهَيْبِيّةٍ صفراء تُلْقي رِباعها ... بمُنْعَرِج الصَّمّان والجَرَع السهلِ[2]

تلقي رباعها : تطرح أولادها . وواحد الرباع رُبَع .

وهل أجمعنّ الدهرَ كفّيَّ جَمْعةً ... بمَهْضومَةِ الكَشْحَيْنِ ذاتِ شَوًى عَبْلِ
مُحلَّلةٍ لي لا حَراماً أتيتُها ... من الطيباتِ حين تَرْكُضُ في الحِجْلِ
تميلُ إذا مالَ الضجيع بعِطْفِها ... كما مال دِعْصٌ من ذُرا عَقِد الرملِ

فقال له عيسى بن عُمَيلة : فأين قولك يا أبا الشَّرَحبيل[3] : [من الطويل]

لقد حَرَّمت أُمِّي عليّ عَدِمْتُها ... كَرائمَ قومي ثمّ قِلَّةُ مالِيا

فقلت له : فاعطِف إذاً على أَمَة بني سُهيل فهي أعنَدُ وأنكد ، وقد كنت أظنّ أنّ ميادة قد ضربت جأشك[4] على اليأس من الحرائر ، وأنا أُداعبه وأُضاحكه ؛ فضحِك وقال[5] : [من الطويل]

ألم تَرَ قوماً يَنْكِحون بمالِهِمْ ... ولو خَطَبتْ أنسابُهم لم تُزَوّجِ[6]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مُصعب وغيره : أنّ حُسَيْنة اليساريّة كانت جميلة ، وآلُ يسار من موالي عثمان رضوان الله عليه يسكنون تَيْماء ، ولهم هناك عدد وجَلَد ، وقد انتسبوا في كَلْب إلى يسار بن أبي هند فقبِلهم[7] بنو كلب ، قال : وكانت عند رجل من قومها يقال له : عيسى بن إبراهيم بن يَسار ، وكان ابن ميّادة يزورها ؛ وفيها يقول : [من الوافر]

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيث شِئْنا ... وإن رَغِمَتْ أُنوفُ بني يَسارِ[8]

---

1 شعره : 199–200 .
2 بمنعرج الصمّان في ل : بمعتلج الصمان ؛ والصمان موضع .
3 شعر ابن ميادة : 239 .
4 ضرب جأشاً : اطمأن قلبه . والمعنى هنا أنّ أمّه جعلته ييأس من الاقتران بالحرائر لضعف نسبها .
5 شعر ابن ميادة : 94 عن الأغاني .
6 أنسابهم في ل : أماتهم .
7 ل : وقبيلتهم .
8 شعر ابن ميادة : 159 عن الأغاني وأنساب الأشراف .

قال : فدخل عليها زوجها يوماً فوجد ابن ميّادة عندها ، فهمّ به هو وأهلُها ؛ فقاتلهم وعاونته عليهم حُسَيْنة حتى أفلت ابن ميّادة ؛ فقال في ذلك : [من الوافر]

لقــد ظلّتْ تُعاونُني عليهــمْ صَمُوتُ الحِجْل كاظمةُ السِّوارِ[1]
وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ يُقطِّــع سَلْحَه خَـلْفَ الجِدارِ

[ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني إبراهيم بن سعد بن شاهين قال حدّثني عبد الله بن خالد بن دُفَيْف التَّغْلِبيّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُميرة العَدَويّ عن أبي العلاء ابن وثّاب قال : قَدِمَ ابن ميادة المدينة زائراً لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسمُر عنده في الليل ، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّي أَهُمّ أن أتزوّج ، فابغوني أيِّماً ؛ فقال له ابن ميّادة : أنا أَدُلُّك ، أصلحك الله أيّها الأمير ؛ قال : على مَن يا أبا الشَّرَحْبيل ؟ قال : قدِمتُ عليك أيّها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شيء به وبمَن فيه الجنّةُ وأهلُها ، فوالله لبَيْنا أنا أمشي فيه إذْ قادتني رائحة عطْر رجل حتى وَقَفَت بي عليه ، فلمّا وقع بصري عليه استلهاني حُسْنُه فما أقلعتُ عنه حتّى تكلّم ، فخِلْته لمّا تكلّم يتلو زبوراً أو يدْرُس إنجيلاً أو يقرأ قرآناً حتّى سكَت ، فلولا معرفتي بالأمير لشككتُ أنّه هو ، ثم خرج من مُصلاّه إلى داره ، فسألت : مَن هو ؟ فأُخبِرت أنّه لِلْحَيَّيْن وبين الخليفتين ، وأنْ قد نالته ولادةٌ من رسول الله ﷺ لها نور ساطع من غُرّته وذؤابته ، فنعم المُنكِحُ ونعم حَشْو الرحْل وابنُ العَشِيرة ، فإن اجتمعت أنت وهو على ولد ساد العباد وجاب ذكرُه البلاد . فلمّا قضى ابن ميّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وأمّه فاطمة بنت الحسين ، فقال ابن ميّادة[2] : [من الطويل]

لهم نَبْوَةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم وكلٌّ قضاء الله فهو مُقَسَّم[3]

قال يحيى بن عليّ : وممّا مدَح به عبد الواحد لمّا قَدِم عليه قوله[4] : [من الكامل]

مَــن كان أخطأه الربيعُ فإنّمــا نُصِرَ الحجاز بغَيْثِ عبدِ الواحدِ[5]
إنّ المدينــةَ أصبحــتْ معمورةً بمُتَوَّجٍ حُلْــوِ الشمائــلِ مــاجدِ

1 كاظمة السوار : لا يسمح لسوارها أو حجلها صوت لامتلاء معصمها وساقها . وفي ل : كاظمة السرار .
2 شعر ابن ميادة : 223 .
3 فهو في ل : فضل .
4 شعر ابن ميادة : 112 .
5 الحجاز في ل : الربيع .

ولقـد بَلَغـتَ بغير أمـرٍ تَكَلَّـفٍ أعلى الحظوظِ برَغْم أَنْـفِ الحاسدِ
وملكتَ مـا بين العراق ويَثْرِبٍ مُلْكـاً أجـارَ لمسلـم ومُعاهِدِ
مالَيْهِما ودَميْهِما مـن بعـد مـا غَشَّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

[التقاؤه في طريق مكّة بجماعة يرتجزون بشعره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن زيد السُّلَمِيّ قال : إنّا لَنزولٌ أنا وأصحابٌ لي قبل الفِطْر بثلاث ليالٍ على ماءٍ لنا ، فإذا راكبٌ يسير على جَمَلٍ مُلْتفٌّ بثوب والسماء تغسِله حتى أناخ إلى أَجَمٍ عَرَفته ، فلمّا رأيناه لَثِقاً[1] قُمنا إليه فوضعنا رَحْلَه وقَيَّدنا جَمَلَه ، فلمّا أقلعتِ السماء عنّا وهو معنا قاعدٌ قام غلمةٌ منّا يرتجزون والرَّجُلُ لم ينتسب لنا ولا عرفناه ، فارتجز أحدهم فقال[2] : [من الرجز]

أنـا ابنُ مَيّادةَ لَبّاسُ الحُلَـلْ أَمَرُّ من مُـرٍّ وأَحْلى من عَسَلْ

حتى قال له الرجل : يا ابن أخي ، أَتَدْري من قال هذا الشعر ؟ قال : نعم ، ابن ميّادة قال : فأنا هو ابن ميادة الرَّمّاح بن أَبْرَدَ ، وبات يُعلِّلنا من شعره ، ويقطع عنّا الليل بنشيده ، وسرينا راحلين فصَبَّحنا مكّة فقضينا نُسُكَنا ، ولَقِيَه رَجُلان من قومه من بني مُرّة فعرفهما وعرفاه وأفطرنا بمكّة ، فلمّا انصرفنا من المسجد يوم الفِطر إذا نحن بفارسين مُسَوّدين وراجِلين[3] مع المرِّيِّين يقولون : أين ابن ميّادة ؟ فقلنا : ها هو وقد برزنا من خيمة كنّا فيها ، فقلنا لابن ميّادة : ابرُز ؛ فلمّا نَظَر إلى المرِّيِّين قال : [من الرجز]

إحـدى عَشِيّاتِك يـا شميرجْ

[محاورته مع عبد الصمد بن علي]

قال : وهذا رجزٌ لبعض بني سُلَيم يقوله لفرسه : [من الرجز]

أقولُ والرّكبة فـوقَ المِنْسَجْ إحدى عَشِيّاتِك يـا شميرجْ[4]

ويروى : مشمرج ، فقالوا لابن ميّادة : أجب الأمير عبد الصمد بن عليّ ، وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةُ نَفَرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النَّدوة ، فدخل أحد المسوِّدين ، ثم خرج فقال : ادخل يا أبا شجرة ، فدخَلتُ على عبد الصمد بن عليّ فوجدتُه جالساً متوشِّحاً بمِلحفةٍ مُوَرَّدة ؛ فقال لي : مَن أنت ؟

1 لثقاً : مبتلاً .
2 شعر ابن ميادة : 218 .
3 ل : وراحلتين .
4 منسج الفرس : ما بين العرف وموضع اللبد .

قلتُ : رجلٌ من بني سُلَيم ؛ فقال : ما لك تُصاحب المُرِّيّ وقد قتلوا معاوية بن عمرو ؛ وقالت الخنساء[1] : [من المتقارب]

أَلا مـا لِعَيْنِي أَلا مـا لَها لقد أَخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها
فآلَيْتُ آسَى على هالـكٍ وأسألُ نائحـةً مـا لَها
أبعدَ ابنِ عمرو مِنَ الِ الشَّريد حَلَّتْ بـه الأرضُ أثقالَها
فإنْ تَـكُ مُـرّةُ أوْدَتْ بـه فقـد كان يُكثِـر تَقْتالَها

أَتَرويها ؟ قلتُ : نعم أصلح الله الأمير ، وما زال من المعركة حتى قُتِل به خُفاف بن عمرو المعروف بابن نُدبة كبش القوم مالك بن حِمارٍ الفزاريّ ثم الشَّمخيّ[2] ، أمَا سمع الأميرُ قولَ خُفاف بن ندبة في ذلك[3] : [من الطويل]

فإن تَكُ خَيْلِي قد أُصِيب صَميمُها فعَمْداً على عينٍ تَيمّمْتُ مالِكا[4]
تيمّمتُ كَبْشَ القوم حـين رأيتُه وجانَبْتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعالِكا[5]
أقـولُ لـه والرمحُ يأْطِرُ مَتْنَه تَـأمّـل خُفافـاً إنّني أنا ذَلِكا[6]

وقد توسَّط معاوية بن عمرو خيلَهم فأكثر فيهم القتلَ ، وقتل كبش القوم الذي أُصيب بأيديهم ؛ فقال : لله دَرُّكَ ! إذا ولدتِ النساءُ فلْيَلدن مثلَك ؛ وأمر لي بألف درهم ، فدُفِعت إليَّ وخلع عليّ .

وأُدخل ابن ميّادة فسلّم عليه بالإمْرة ؛ فقال له : لا سلّم اللهُ عليك يا ماصّ كذا من أمه ؛ فقال ابن ميادة : ما أكثر الماصِّين ! فضحِك عبد الصّمد ، ودعا بدفتر فيه قصيدة ابن ميّادة التي يقول فيها : [من الطويل]

لنا المُلـكُ إلاّ أنّ شيئاً تَعُدُّه قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ رِقابُها[7]

---

1 الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر) : 120–123 وسترد مرّة أُخرى في الأغاني في ترجمة الخنساء .

2 الشمخيّ : نسبة شمخ وهم بطن من فزارة .

3 الأبيات في مجموع شعر خفاف بن ندبة (جمع وتحقيق د . نوري حمودي القيسي) . وسترد مرّة أُخرى في ترجمة خفاف في الأغاني وفي ترجمة الخنساء . وانظر العقد الفريد 5 : 163–166 والخزانة 5 : 438 وما بعدها .

4 على عين : بجد ويقين . يقال فعلت كذا عمداً على عين وفعلته عمد عين . وفي ل : على عيني .

5 حين في ل : لما . وجانبت في ل : جنّبت .

6 يأطر : يثني ، يعطف .

7 داخت : ذلّت وخضعت .

ثم قال لابن ميّادة : أُعْتِق ما أَمْلِك إن غادرتَ منها شيئاً إن لم أُبلِّغ غيظَك ، فقال ابن ميّادة : أُعتِق ما أملِك إن أنكرتُ منها بيتاً قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أَقُلْه ؛ فقرأها عبدُ الصّمد ثم قال له : أأنتَ قلتَ هذا ؟ قال نعم ؛ قال : أفَكنتَ أمِنْتَ يا ابن ميّادة أن يَنْقَضّ عليك بازٍ من قريش فيَضرِب رأسك ؟ فقال : ما أكثر البازِين ! أفكان ذلك البازيّ آمِناً أن يلقاه بازٍ من قيس وهو يسير فيرميه فتَشُول رِجلاه ! فضحِك عبد الصمد ثم دعا بكُسْوة فكساهم .

[تمثّل بعض ولد الحسن بشعر ابن ميادة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الصمد[1] بن شبيب قال قال أبو حُذافة السَّهْميّ : سَبّ رجلٌ من قريش في أيّام بني أميّة بعض ولد الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فأغلظ له وهو ساكتٌ ، والناس يَعجبون من صبره عليه ، فلمّا أطال أقبل الحَسنيّ[2] عليه متمثّلاً بقول ابن ميّادة[3] : [من الطويل]

أظَنَّتْ سَفاهاً من سَفاهة رأيِها أَنَ اهْجُوَها لمّا هَجَتْنِي مُحارِبُ
فلا وأبِيها إنّني بعَشِيرتي ونَفْسِيَ عن ذاك المَقامِ لراغِبُ

فقام القُرشيّ خَجِلاً وما ردَّ عليه جواباً .

[مدحه لجعفر بن سليمان أمير المدينة]

أخبرني أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلاّم قال : مدح ابن ميّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة ، فأخبرني مِسمَع بن عبد الملك أنّه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها إليه . قال فقال له : جزاكَ اللهُ خيراً . ممّن أنتَ رحمك الله ؟ قلتُ : أحدُ بني مِسمع ؛ قال : ممّن ؟ قلتُ : من قَيس بن ثعلبة ؛ قال : ممّن ؟ عافاك الله ! قلتُ : من بكر بن وائل ؛ قال : والله لو كنتُ سمعتُ ببكر بن وائل قطّ أو عرفتُهم لمدحتُك ، ولكنّي ما سمعتُ ببكر قطّ ولا عرفتهم ، ثم مدح جعفراً فقال[4] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما سيوفُ بني عليٍّ بنابِيَةِ الظُّباةِ ولا كِلالِ
هُمُ القومُ الأُلَى وَرِثوا أباهُمْ تُراثَ محمّدٍ غيرَ انتحالِ

1 ل : عبد الله .
2 ل : الحسيني .
3 شعر ابن ميادة : 243 ورواية البيت الثاني فيه : «معاذ الإله إنّني . . .» .
4 شعر ابن ميادة : 214 عن الأغاني .

وهـــم تَرَكوا المقال لهم رفيعاً وما تَرَكـوا عليهم مـن مَقالِ[1]
حَذَوْتُمْ قومَكم ما قـد حَذَوْتُمْ كما يُحْذى المثـالُ على المِثالِ
فَـرُدُّوا في جِراحِكُـمُ أساكم فقـــد أبْلَغتـمُ مُـرَّ النَّكالِ[2]

يُشير عليه بالعفو عن بني أميّة ويُذَكِّره بأرحامهم .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن عليّ عن سليمان المَدِينيّ عن محمد بن سلاّم ، قال يحيى قال أبو الحارث المُرِّيّ فيما ذكره إسحاق من أخباره : قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أتحبُّ أن أعطيك مثلَ ما أعطاك ابنُ عَمِّك رِياح[3] بن عثمان ؟ فقال : لا ، أيُّها الأمير ، ولكن أعطني كما أعطاني ابنُ عَمِّك الوليد بن يزيد .

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبي الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أأنت الذي تقول[4] : [من الطويل]

بَني أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثمّ تَغْضَبوا وتَغْضَبْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

قال : لا والله ، ما هكذا قلتُ ؛ قال : فكيف قلتَ ؟ قال : قلتُ .

بَني أَسَدٍ إن تَغْضَبوا ثـمّ تَغْضَبوا وتَعْدلْ قُرَيشٌ تَحْمِ قَيْساً غِضابُها

[هجا بني أسد وبني تميم]

قال : صَدَقتَ هكذا قلتَ . وهذه القصيدة يهجو بها ابن ميّادة بني أسد وبني تميم ، وفيها يقول بعد هذا البيت الذي ذكره له جعفر بن سليمان : [من الطويل]

وأحقـرُ محقـورٍ تَميمٌ أخوكُـمُ وإن غَضِبَتْ يَرْبُوعُها ورِبابُها
أَلا ما أبالي أن تُخَندِفَ خِنْدِفٌ ولستُ أُبـالي أن يَطِـنَّ ذُبابُها[5]
ولو أنّ قَيْساً قَيسَ عَيْلانَ أقسمتْ على الشمسِ لم يَطْلُعْ عليكم حِجابُها
ولـــو حاربتْنا الجنُّ لم نَرفعْ القَنا عن الجنّ حتى لا تَهِـرَّ كِلابُها
لنـــا المُلْكُ إلاّ أنّ شيئـــاً تَعُدُّه قُرَيشٌ ولـو شِئنا لَذَلَّتْ رِقابُها

1 المقال في ل : المقام .
2 الأسى : المداواة والعلاج .
3 ل : رماح .
4 شعر ابن ميادة : 77–78 .
5 تخندف : تهرول .

وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فقُلْ لها مَعاذَ الإلـهِ أن أكـونَ أُهابُها
وإنّـي لقـوّالُ الجـوابِ وإنّني لَمفتجرٌ أشيـاءَ يُعيـي جوابُها[1]
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ يداكَ وفات الرِّجلَ منك ركابُها

[ابن ميادة وسماعة بن أشول]

قال إسحاق في خبره فحدّثني جَبْر بن رباط بن عامر بن نصر قال : فقال سَماعة بن أَشْوَل النعاميّ يعارض ابن ميّادة : [من الطويل]

لعـلّ ابنَ أشبانيّةٍ عارضتْ بـه رِعاءَ الشَّوِيّ من مُريح وعازِبِ[2]
يُسامي فروعاً من خُزَيمة أحرزتْ عليه ثنايا المجدِ من كلِّ جانبِ

فقال ابن ميّادة : مَن هذا ؟ لقد أغلقَ عليّ أغلق اللهُ عليه ! قالوا : سَماعة بن أَشْول ؛ فقال : سماعةُ يُسَمِّع بي[3] ، وأَشْوَلُ يَشُول بي ، والله لا أُهاجِيهِ أبداً ، وسكت عنه .

[هجاه عبد الرحمن بن جهيم الأسديّ]

وقال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسديّ أحدُ بني الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أسد يردُّ على ابن ميّادة ، وهي قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتاً : [من الطويل]

لقد كَـذَبَ العبدُ ابنُ ميّادة الذي رَبا وهي وَسْطَ الشَّوْلِ تَدْمَى كِعابُها
شَرَنْبَثة الأطـرافِ لم يَقْـنَ كَفَّها خِضابٌ ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثيابُها[4]
أرمّاحٌ إن تَغْضَبْ صناديدُ خِندِفٍ يَهِجْ لك حَرْباً قَصْبُها واعتيابُها[5]

ويروى «اغتيابها» من الغِيبة . و«اعتيابها» من العَيْب .

ولو أَغْضَبَتْ قَيْسٌ قُرَيشاً لجَدَّعَتْ مَسامعَ قَيسٍ وهـي خُضْعٌ رِقابُها
لقد جَرَّ رَمّاحُ ابن واهصة الخُصى على قومه حَرْبـاً عظيماً عَذابُها
وقد عَلِـمَ المملوحُ بالشؤم رأسُهُ قُتَيبةُ أن لم تَحْمِ قَيْساً غِضابُها[6]
ولم تَحْمِها أيّامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ وأيّامَ قَتْلى كان خِزْيـاً مُصابُها

---

1 يقال افتجر الكلام إذا اخترقه من غير أن يسمعه . وفي ل : لمفتخر .
2 الشوي : اسم جمع للشاة .
3 يسمّع بي : يشهرني ويفضحني وكذلك يشول بي .
4 شرنبثة الأطراف : غليظتها . لم يقن : لم يقنأ أي يصبغ .
5 قصبها : عيبها .
6 بالشؤم في ل : بالشأم .

ولا يَـوْمَ لاقينا نُميراً فَقُتِّلَتْ نُمَيرٌ وفَـرَّتْ كَعْبُها وكِلابُها
وإن تَدْعُ قَيْساً لا تُجِبْكَ وحَوْلَها خُيُولُ تميـم سَعْدُهـا ورِبابُها
ولو أنّ قيساً قيسَ عَيْلان أصْحرتْ لأنـواء غَنْـمٍ غَرَّقتهـا شِعابُها
ولو أنّ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ لكان لنـا إشراقُهـا واحتجابُها
ولكنّهـا للهِ يَمْلـكُ أمرَهـا بقُدْرتـه إصعادهـا وانصبابُها
لَعَمْرِي لئن شابتْ حَلِيلةُ نَهْبَلٍ لبئسَ شبابُ المـرءِ كان شبابُها
ولم تـدرِ حَمْراءُ العِجانِ أنَهْبَلٌ أبـوهُ أم المُـرِّيّ تَـبَّ تَبابُها
فإن يـك رَمَّـاحُ بنُ ميّادةَ التي يُصِنّ إذا باتَـتْ بأرضٍ ترابُها
جَرَى جَرْيَ موهونِ القُوى قَصَّرتْ به لئيمةُ أعـراقٍ إليـه انتسابُها
فلن تَسْبق المضمار في كلّ مَوْطنٍ من الخيلِ عندَ الجِدِّ إلاّ عِرابُها[1]
ووالله لـولا أنّ قَيْساً أذِلّـةٌ لئامٌ فـلا يُرْضـى لحُـرٍّ سِبابُها
لألْحقتُها بالزَّنْـج ثـم رَمَيْتُها بشنعاءَ يُعيـي القائلـين جَوابُها

[ابن ميّادة وأبان بن سعيد]

أخبرني يحيى بن عليّ عن حمّاد عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب أبي عمرو الشيبانيّ فعرضتُه على أبي داود فعَرَفه أو عامّتَه ، قال : إنّا لجلوسٌ على الهَجْم[2] في ظلّ القَصْر عَشِيَّةً ، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نَفَرٍ يَقُودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عُيَينة بن حِصْن وهو في جماعة من بني عُيَينة ، قال : فرأيتُ أجِلّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ ، فقلنا : مَن القوم ؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتي ؛ فقال أبان لأحد بَنِيه : اذهبْ بهذه الناقة فأطلِقْ عنها عند بيت أمّك ؛ فقال له ابن ميّادة : هذه يـا أبـا جعفر السِّعْلاة ، أفلا أُنشِدُك ما قلتُ فيها ؟ قال : بَلى فهات ؛ فقال[3] : [من الطويل]

قَعَدْتُ على السِّعلاة تَنْفَضُ مِسْحَها وتُجْذَبُ مِثلَ الأَيْمِ في بُرَة الصُّفْرِ[4]
تُيَمِّـمُ خيرَ الناسِ مـاءً وحاضراً وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدري[5]

1 تسبق في ل : الصمات .
2 الهجم : ماء لبني فزارة .
3 شعر ابن ميادة : 152–153 عن الأغاني .
4 الأيم : الحية .
5 الحاضر : الحي العظيم .

فإنّـي على رَغْـمِ الأعادِي لقائلٌ ... وَجَدْتُ خِيارَ الناسِ حَيَّ بني بدرِ
لهـم حاضرٌ بالهَجْم لم أَرَ مثلهم ... من الناسِ حيّاً أهل بَدْوٍ ولا حَضْرِ
وخيرُ مَعَدٍّ مجلساً مجلسٌ لهـم ... يَفيءُ عليه الظلُّ من جانبِ القَصْرِ
أخُصُّ بهـا رَوْقَـيْ عُيَينة إنّه ... كذاك ضحاحُ الماء يأوِي إلى الغَمْرِ
فأنتم أحقُّ الناسِ أن تتخيَّروا الـ ... ـمياه وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلدِ القَفْرِ

قال : فكان أوّل قائم من القوم ركضةُ بن عليّ بن عُيَينة ، وهو ابن عمّ أبان وعَبْدة بنت أبان ، وكانت إبلُه في العَطَن[1] وهي أكرمُ نَعَمِ بني عُيَينة وأكثرُه ، فقال : ما سمعتُ كاليوم مَديحَ قَوْمٍ قطّ ، حُكْمُك ماضٍ في هذه الإبل ؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك ، وقام آخر وآخر ؛ فقال ابن ميّادة : يا بني عُيينة ، إنّي لم آتكم لتتبارى لي شياطينكم في أموالكم ، إنّما كان عليّ دَيْنٌ فأردتُ أن تُعْطوني أَبْكُراً أبيعها في دَيْنِي . فأقامَ عندَ أبان بن سعيد خمسةَ عشرَ يوماً ، ثم راح بتسع عشرة ناقة ، فيها ناقةٌ لابن أبان عُشراءُ أو رَباعيّةٌ . قال يحيى في خبره : وقال يعقوب بن جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيينة : إنّي على الهَجْم يوماً إذ أقبلَ رجلٌ فجعل يُصَرِّف راحلتَه في الحِياض فيردّه الرجل بعد الرجل ، فدعوته فقلت : اشْرَعْ في هذا الحوض ؛ فلمّا شَرع فسَقى قال : مَن هذا الفتى ؟ فقيل : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيينة ؛ فقال[2] : [من الطويل]

بَنُو الصالحين الصالحون ومَن يكن ... لآبـاء سَوْءٍ يَلْقَهـم حيثُ سَيَّرا
فما العـودُ إلاّ نابِـتٌ في أُرُومه ... أبى شَجَـرُ العِيـدان أن يتغيّرا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله : [من الطويل]

كذاك ضحاحُ الماء يَجْرِي إلى الغَمْرِ

فقال : أراد أنّ الأمرَ كلَّه والسؤدد يصير إليه ، كما يصير الماءُ إلى الغَمْرة حيث كانت .

[ابن ميّادة وأيوب بن سلمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ قال أخبرني مُصعَب بن الزبير قال : ضافَ ابنُ ميّادة أيّوبَ بن سَلَمة فلم يَقْرِه ، وابن ميّادة من أخوال أيوب بن سلمة ، فقال فيه[3] : [من الطويل]

---

1 العطن : مبرك الإبل .

2 شعر ابن ميادة : 272 وقد وضعهما جامع الشعر في ما ينسب إلى ابن ميادة وليس له . وهما ينسبان أيضاً لجميل بثينة ونهشل بن حري أو يردان دون نسبة .

3 شعر ابن ميادة : 216 عن الأغاني .

ظَلِلْنا وُقُوفاً عند باب ابن أختنا وظلَّ عن المعروفِ والمجدِ في شُغْلِ
صَفاً صَلَدٌ عند النـدَى ونَعامَـةٌ إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذِها العُصُلِ

[ابن ميّادة ورياح بن عثمان]

قال أبو أيّوب وأخبرني مصعب قال : قدم ابن ميّادة على رِياح بن عثمان ، وقد وَلِيَ المدينة وهو جادٌّ في طلب محمد بن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه ، فقال له : اتخذْ حَرَساً وجُنْداً من غَطَفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمَك ، وحَذارِ من قريش ؛ فاستخفَّ بقوله ولم يقبل رأيه ؛ فلمّا قُتِلَ رِياح قال ابن ميّادة[1] : [من الوافر]

أمرتكَ يـا رِياحُ بأمرِ حَزْمٍ فقلتَ هَشِيمةٌ من أهل نجدِ
وقلتُ لـه تحفَّظ من قُريشٍ ورَقِّـع كلَّ حاشيـةٍ وبُردِ
فوجداً ما وَجَدْتُ على رِياحٍ وما أغنيتُ شيئاً غيرَ وَجْدِي

[تشبيه بالنساء]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال حدّثني أكثم بن صَيفِيّ المُرِّيّ ثم الصارديّ عن أبيه قال : كان ابنُ ميّادة رأى امرأة من بني جُشَم بن معاوية ثم من بني حَرام يقال لها أمّ الوليد ، وكانوا سارُوا عليه ، فأُعجبَ بها وقال فيها[2] : [من الطويل]

ألا حَبّـذا أمُّ الوليدِ ومَرْبَـعٌ لنا ولهـا نَشْتُو بـه ونَصِيفُ

ويروى :

. . . . . ومَرْبع لنا ولهـا بالمشتوى ومصيفُ
حَرامِيَّةٌ أمّا مَـلاثُ إزارِها فَوَعْـثٌ وأمّا خَصْرُها فلطيفُ
كأنّ القُرونَ السُّودَ فوقَ مَقَذِّها إذا زالَ عنها بُرْقُـعٌ ونَصِيفُ
بهـا زَرَجُونَاتٌ بقَفْرٍ تَنَسَّمت لهـا الريحُ حتى بينهنّ رَفِيفُ[3]

قال : فلمّا سمع زَوجها هذه الأبيات أتاها فحلَف بطلاقها لئن وَجَدَ ابن ميّادة عندها ليَدُقّنَّ فَخِذَها ، ثم أعرض عنها واغترّها[4] ، حتى وجده يوماً عند بيتها فدقّ فخذها ، واحتمل فرحل

1 شعر ابن ميادة : 114 .
2 شعر ابن ميادة : 171 .
3 الزرجونة : شجرة العنب .
4 اغترها : راقبها وطلب غرتها .

ورحل بها معه ؛ فقال ابن ميّادة[1] : [من الوافر]

أتانا عـامَ سار بنو كلابٍ حَراميّـون ليسَ لهـم حَرامُ
كأنّ بيوتهـم شجرٌ صِغارٌ بقِيعانٍ تَقِيـلُ بهـا النَّعامُ
حَراميّـون لا يَقْرُون ضَيْفاً ولا يَدْرون ما خُلُقُ الكرامِ

قال : ثم سارت عليهم بعد ذلك بنو جعفر بن كلاب ، فأُعجِبَ بامرأة منهم يقال لها : أمّ البَخْتَرِيّ ، وكان يتحدّث إليها مدّة مُقامهم ، ثم ارتحلوا فقال فيها[2] : [من الطويل]

أرِقـتُ لِبَرْقٍ لا يُفَتِّـر لامعُـهْ بشُهْب الرُّبى والليلُ قد نام هاجعُهْ[3]
أرِقتُ له من بعد مـا نام صُحْبَتِي وأعجبنـي إيماضُـه وتتابعُـهْ
يُضيءُ صَبِيراً من سَحابٍ كأنّه هِجانٌ أرنَّـتْ للحنـين نوازعُهْ[4]
هَنيئاً لأمّ البَخْتَرِيّ الرِّوى بـه وإن أَنْهَجَ الحبلُ الذي النأْيُ قاطعُهْ[5]
لقد جَعَـلَ المُسْتَبْضِعُ الغشّ بيننا لِيَصْرِمَ حَبْلينـا تَجُـوز بضائعُهْ
فما سَرْحةٌ تَجْرِي الجداولُ تحتها بمطَّردِ القِيعـانِ عَـذْبٍ ينابِعُهْ[6]
بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذي الغَضا أَتَرْعَى جديدَ الحبلِ أمْ أنتَ قاطعُهْ

[خطب امرأة من بني سلمى بن مالك فلم يزوّجوه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني أحمد بن إبراهيم قال : وذكر أبو الأَشْعَث أنّ ابن ميّادة خطب امرأة من بني سلمى بن مالك بن جعفر ثم من بني البُهْثَة ، وهم بطن يقال لهم البهثاء ، فأبوْا أن يزوّجوه وقالوا : أنت هَجِينٌ ونحنُ أشرفُ منك ؛ فقال[7] : [من الطويل]

فلو طاوعَتْني آلُ سَلْمَى بن مالكٍ لأعطيتُ مَهْـراً مـن مَسَرّةَ غالِيا
وسِرْبٍ كسِرْب العِين من آل جَعْفَرٍ يُغادِينَ بالكُحْل العُيُونَ السواجِيا

1 شعر ابن ميادة : 223 عن الأغاني .
2 شعر ابن ميادة : 167 عن الأغاني .
3 يفترّ : يضعف ويخبو .
4 الصبير : السحاب الأبيض الكثيف . هجان الإبل : البيض .
5 أنهج الحبل : أخلق وبلي .
6 القيعان في ل : القريان .
7 شعر ابن ميادة : 239 عن الأغاني .

إذا ما هَبَطْنَ النِّيلَ أو كُنَّ دونـه بسَرْوِ الحِمَى أَلْقَيْنَ ثَـمّ المَراسِيا[1]

[مات في صدر خلافة المنصور]

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابن ميّادة في صَدْر من خلافة المنصور ، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ[2] إليه ولا مدحه ، لِما بلغه من قلّة رغبته في مدائح الشعراء وقلّة[3] ثوابه لهم .

1 النيل : بليدة في سواد الكوفة (ياقوت) أو موضع في بلاد بني كلاب . وفي ل : النير . السرو : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل .

2 ل : يعد .

3 ل : نزارة .

[16] ـ أخبار حُنَين الحِيريّ ونسبه

[نسبه]

حنين بن بَلْوَعَ الحِيريّ مختلف في نسبه ، فقيل : إنّه من العِباديِّين من تَميم ، وقيل : إنّه مِنْ بني الحارث بن كعب ، وقيل : إنّه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسْم فنزلوا في بني الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم ، ويُكْنى أبا كعب . وكان شاعراً مُغَنِّياً فَحْلاً من فُحول المُغَنِّين ، وله صنعة فاضلة متقدّمة ، وكان يسكن الحِيرةَ ويُكْرِي الجمالَ إلى الشام وغيرها ، وكان نصرانيّاً . وهو القائل يصفُ الحِيرَة ومنزلَهُ بها : [من المنسرح]

صوت

أنـا حُنَينٌ ومَنْزِلي النَّجَفُ ... وما نَدِيمي إلاّ الفَتى القَصِفُ
أَقْـرَعُ بالكأسِ ثَغْـرَ باطيةٍ ... مُتْرَعَـةٍ ، تـارةً وأَغترفُ
من قهوة باكَرَ التِّجَارُ بها ... بيتَ يَهُودٍ قرارُها الخَزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلي خَصِبٌ ... لم تَغْذُني شِقْوَةٌ ولا عُنُفُ

الغناء والشعر لحنين ، ولحنُه خفيف رمل بالبنصر . وفيه لابن المكّيّ خفيف ثقيل قديم . ولعَريب فيه خفيف ثقيل آخر عن الهشاميّ .

[غنّى هشام بن عبد الملك في الحجّ]

أخبرنا وَكِيع قال قال حمّاد حدّثني أبي عن أبي الخطّاب قال وحدّثني ابن كُناسة عن سليمان بن داود : مولًى ليحيى ، وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْهْ عن قَعْنَب بن المحرِز الباهليّ عن المدائنيّ قالوا جميعاً : حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَدِيلُه الأبرشُ الكلبيّ ، فوقفَ له حُنين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامرٌ له ، وعليه قُلَنْسِيَة طويلة ، فلمّا مرّ به هشام عَرَض له ؛ فقال : مَن هذا ؟ فقيل : حُنَين ، فأمر به فحُمل في مَحملٍ على جمل وعَدِيلُه زامرُه ، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنّى : [من مجزوء الوافر]

صوت

أَمِنْ سَلْمى بِظَهْرِ الكو ... فَـةِ الآيـاتُ والطَّلَلُ
يلـوحُ كما تلـوحُ على ... جفون الصَّيقلِ الخِلَلُ[1]

1 الصيقل : الذي يشحذ السيوف ويجلوها . والخلل : جمع خلّة وهي بطانة تجعل على السيف وينقش عليها بالذهب أو غيره .

الصنعة في هذا الصوت لحُنَين ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى حنين أيضاً وإلى غيره ، قال : فأمر له هشام بمائتي دينار ، وللزامر بمائة . وذكر إسحاق في خبره عن أبي الخطّاب أنّه غنّى هشاماً : [من مجزوء الرمل]

صوت

صاحِ هل أبصرتَ بالخَبْـ ـتيْن مـن أسمـاءَ نارا
مَوْهِنـاً شُبَّـت لعينيـ ـكَ ولم تُوقَـدْ نهارا
كَتَلالي البَرْقِ في المُـزْ ـنِ إذا البَرْقُ اسْتَطارا
أذكَرْتني الوصلَ من سُعْـ ـدى وأيّامـاً قِصارا

الشعر للأحوص ، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالسبّابة في مَجْرى الوُسْطى عن إسحاق . ونسبه ابن المكّيّ إلى الغَرِيض . وقال يونس : فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسهما . وقال الهِشاميّ : فيه لمالك خفيف رملٍ ، قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نزَلَ من النجف ، فأمر له بمائتي دينار .

[كان يغلي ثمن غنائه]

وقال إسحاق : قيل لحُنَين : أنتَ تُغنِّي منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالاً ولا داراً ولا عَقاراً إلاّ أتيتَ عليه ! فقال : بأبي أنتم ، إنّما هي أنفاسي أَقْسِمها بين الناس ، أَفَتَلُومونَني أن أُغْلِيَ بها الثمن !

[غنّى في الموسم في ظلّ بيت أبي موسى الأشعريّ]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصْعَب بن الزُّبير عن بعض المكّيّين ، وأخبرني به الحرميّ بن أبي العَلاء وحبيب بن نصر قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عَمّي مُصْعب قال حدّثني شيخ من المكّيّين يقال له شَرِيس[1] قال : إنّا لبالأبطَح أيّامَ الموسم نَشْتَرِي ونَبِيع إذ أقبل شيخٌ أبيضُ الرأس واللحية على بغلة شَهباء ما ندري أهو أشدّ بياضاً أم بغلته أم ثيابه ؛ فقال : أين بيتُ أبي موسى ؟ فأشرنا له إلى الحائط ؛ فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبي موسى ، ثم استقبلنا ببغلته ووجهِه ثم اندفع يُغَنِّي : [من الخفيف]

صوت

أَسْعِدِينـي بدمعـةٍ أَسْرابِ مـن دمـوعٍ كثيرة التَّسْكابِ[2]

1 ل : شويس .
2 أسعديني في ل : أسعداني .

إنّ أهــل الحِصاب قــد تركوني ... مُغْرَمــاً مولَعــاً بأهــلِ الحِصابِ
فارقــوني وقــد علمــتُ يقينــاً ... مــا لِمَنْ ذاق مِيتــةً من إيابِ
سكنوا الجِزْعَ جزعَ بيْت أبي مُو ... سَى إلى النخلِ من صُفِيّ السِّبابِ[1]
كم بذاكَ الحَجُون من حَيّ صِدْق ... وكهــولٍ أعفَّــــةٍ وشبابِ
أهــلُ بيتٍ تتايعــوا للمنايــا ... مــا على الموتِ بعدَهُم من عتابِ
فــلِيَ الوَيــلُ بعدَهــم وعليهم ... صِرتُ فــرداً ومَلّنــي أصحابي

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطَّلب بن أبي وَداعة السَّهْميّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لابن أبي دُباكِل الخُزاعيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن ابن خُرْدَاذْبِهْ ، قال : ثم صَرَف[2] الرجل بغلتَه وذهب ، فتبعناه حتى أدركناه ، فسألناه مَن هو ؛ فقال : أنا حُنَين بن بَلُوَع وأنا رجلٌ جَمّال أُكرِي الإبل ، ثم مضى .

[خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ ، قال : كان حُنَين غُلاماً يحمل الفاكهة بالحِيرة ، وكان لطيفاً في عمل التحيّات[3] ، فكان إذا حَمَلَ الرياحين إلى بيوت الفِتيان ومياسير أهل الكوفة وأصحاب القِيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقتَه وحُسن قَدِّه وحلاوته وخفّة روحه استحلَوه ، وأقام عندهم وخفّ لهم ، فكان يسمع الغناء ويَشتهيه ويُصغي إليه ويستمعه ويُطِيل الإصغاء إليه ، فلا يكاد يُنتَفَع به في شيء إذا سمِعَه ، حتى شَدا منه أصواتاً فأسمعها الناس ، وكان مطبوعاً حَسَنَ الصوت ، واشتهوا غناءه والاستماع منه وعِشرته ، وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه ، وبَلَغ منه مَبلغاً كبيراً ، ثم رَحَلَ إلى عُمَر بن داود الواديّ وإلى حَكَم الواديّ ، وأخذ منهما ، وغَنّى لنفسه في أشعار الناس ، فأجاد الصنعة وأحكمها ، ولم يكن بالعراق غيرُهُ فاستولى عليه في عصره . وقَدِم ابن محرز حينئذٍ إلى الكوفة فبلغ خبره حُنيناً ، وقد كان يعرفه ، فخَشِيَ أن يعرفه الناس فيَسْتَحلوه ويَستولي على البلد فيسقُط هو ، فقال له : كم مَنَّتك نفسُك من العراق ؟ قال : ألف دينار ؛ قال : فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخُذها وانصرف واحلف لي أنّك لا تعود إلى العراق ؛ فأخذها وانصرف .

أخبرني عمّي وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المدائنيّ عن أحمد بن

1 صفي السباب : موضع بمكّة .
2 ل : ضرب .
3 التحيات : ما يحيا به القادم من باقات الريحان ونحوه .

إبراهيم بن إسماعيل قال : كان ابن مُحرز قَدِم الكوفة وبها بِشْر بن مروان ، وقد بلغه أنّه يشربُ الشراب ويسمعُ الغِناء ، فصادفه وقد خرج إلى البصرة ؛ وبلغ خبره حُنين بن بَلْوَع فتلطَّف له حتى دعاه ؛ فغنّاه ابن محرز لحنه ، قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثاني من جَيِّد الأغاني : [من المتقارب]

صوت

وَحُـرُّ الزَّبَرْجَـدِ في نَظْمِهِ ... على واضِحِ اللِّيتِ زانَ العُقُودا[1]

يُفَصِّـلُ ياقوتَـهُ دُرَّهُ ... وكالجَمْرِ أَبْصَرْتَ فيهِ الفَرِيدا

قال : فسمع شيئاً هاله وحيّره ، فقال له حنين : كم مَنّتْك نفسُك من العراق ؟ قال : ألفَ دينار ، فقال : هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك في عَودتك وبدْأتِك ودَعِ العراق لي وامضِ مُصاحباً حيث شئت ، قال : وكان ابن محرز صغير الهِمّة لا يحبّ عشرةَ الملوك ولا يُؤثِرُ على الخَلْوة شيئاً ، فأخذها وانصرف .

[خرج إلى حمص وغنّى بها فلم يستطعم أهلها غناءه]

وقال حمّاد في خبره قال ابي حدّثني بعض أهل العلم بالغناء عن حُنَين قال : خرجت إلى حِمْص ألتمِس الكَسْب بها وأرتاد مَن أستفيد منه شيئاً ، فسألت عن الفِتيان بها وأين يجتمعون ، فقيل لي : عليك بالحَمَّامات فإنّهم يجتمعون بها إذا أصبحوا فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه ، فإذا فيه جماعة منهم ، فأَنِسْتُ وانبسطت ، وأخبرتهم أنّي غريب ، ثم خرجوا وخرجتُ معهم ، فذهبوا بي إلى منزل أحدهم ، فلمّا قعدنا أُتينا بالطَّعام فأكلنا ، وأُتينا بالشراب فشربنا ، فقلت لهم : هل لكم في مُغَنٍّ يُغنّيكم ؟ قالوا : ومَن لنا بذلك ؟ قلت : أنا لكم به ، هاتوا عُوداً فأُتيتُ به ، فابتدأت في هُنيّات[2] أبي عَبّاد معبد ، فكأنّما غَنّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغنائي ولا سُرُّوا به ، فقلت : ثَقُلَ عليهم غناءُ معبد لكثرة عمله وشدّته وصعوبة مذهبه ، فأخذتُ في غناء الغريض فإذا هو عندهم كلا شيءٍ ، وغنّيتُ خفائف ابن سريج ، وأهزاج حَكَم ، والأغاني التي لي ، واجتهدتُ في أن يفهموا ، فلم يتحرّك من القوم أحدٌ ، وجعلوا يقولون : ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا ؛ فقلت في نفسي : أرى أنّي سأفتضح اليوم بأبي مُنَبِّه فضيحةً لم يَفتضح أحدٌ قطُّ مثلها . فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنبِّه ، وإذا هو شيخ عليه خفّان أحمران كأنّه جَمّال ، فوثبوا جميعاً إليه وسَلّموا عليه وقالوا : يا أبا مُنبّه أبطأتَ علينا ،

1 الليت : صفحة العنق .

2 الهنيات : الأراجيز .

وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحاً ، وخَنَسْتُ أنا حتى صرتُ كَلا شيءٍ خوفاً منه ، فأخذ العود ثم اندفع يغني : [من الخفيف]

طَرِبَ البحر فاعبُرِي يا سفينهْ لا تَشُقِّي على رجـالِ المدينهْ

فأقبل القوم يصفِّقون ويَطرَبون ويشربون ، ثم أخذ في نحو هذا من الغناء ، فقلت في نفسي : أنتم هاهنا ! لئن أصبحتُ سالماً لا أمسيتُ في هذه البلدة . فلمّا أصبحتُ شددتُ رَحلي على ناقتي واحتقبتُ رَكوةً[1] من شراب ورَحَلت متوجّهاً إلى الحِيرة ، وقلت : [من الخفيف]

ليتَ شِعري متى تَخُبّ بيَ النا قـةُ بـين السَّديـرِ والصيَّبونِ
مُحْقِباً ركـوةً وخُبْزَ رُقـاقٍ وبُقُـولاً وقطعـةً من نُونِ[2]
لستُ أبغِي زاداً سواها من الشا مِ وحسبـي عُلالـةٌ تَكْفيني
فإذا أُبْتُ سالماً قلـت سُحْقاً وبِعـادا لمعشرٍ فـارقوني

[غنّى خالداً القسريّ بعد ما حرم الغناء]

أخبرني محمد بن مَزيد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به وكيع في عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال : وقال لي إسحاق ، فلا أدري أأدْرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرسَلاً ، قال إسحاق وذكر ابن كُناسة : أنّ خالدَ بن عبد الله القَسْرِيّ حرّم الغناءَ بالعراق في أيّامه ، ثم أَذِنَ للناس يوماً في الدخول عليه عامّة ، فدخل إليه حُنين ومعه عودٌ تحت ثيابه ، فقال : أصلح الله الأمير ، كانت لي صناعةٌ أعودُ بها على عيالي فحرّمها الأمير فأضرّ ذلك بي وبهم ؛ فقال : وما صناعتك ؟ فكشف عن عوده وقال : هـذا ؛ فقال له خالد : غَنِّ ؛ فحرّك أوتاره وغنّى : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الشامـتُ المُعَيِّر بالدهـ ـرِ أأنـت المُبَرَّأُ الموفـورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأيـّـ ـامِ بـل أنـت جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَنْ ذا عليـه مـن أن يُضامَ خَفِيرُ

قال : فبكى خالد وقال : قد أذِنتُ لك وحدَك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهاً ولا مُعَرْبِداً . فكان إذا دُعي قال : أفيكم سفيهٌ أو مُعرْبِد ؟ فإذا قيل له : لا ، دخل .

1 ل : زكرة وهي زق صغير .
2 ركوة في ل : زكرة .

شعر هذا الصوت المذكور لعديّ بن زيد ، والغناء لحُنين رمل بالوسطى عن عمرو . وقوله : المبرأ ، يعني المبرأ من المصائب . والموفور : الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شيء ، يقال : وُفِرَ الرجل يُوفر . ولديك بمعنى عندك هاهنا .

[غنّى بشر بن مروان بحضور الشعبيّ]

أخبرني أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحَّاف الكوفيّ قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهليّ قال أخبرنا الهَيْثَم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن الشَّعْبِيّ جميعاً ، وأخبرني محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشَّعْبيّ قال : لمّا ولِيَ بِشْرُ بن مروان الكوفة كنتُ على مَظالمه ، فأتيتُه عشيَّةً وحاجبُه أعْيَن (صاحب حمّام أعْيَن) جالس ، فقلت له : استأذنْ لي على الأمير ، فقال لي : يا أبا عمرو ، هو على حال ما أظنّك تصل إليه معها ؛ فقلت : أعلِمْه ، وخَلاك ذَمٌّ ، فقد حدث أمر لا بدّ لي من إنهائه إليه ، وكان لا يجلس بالعَشيّ ، فقال : لا ، ولكن اكتب حاجتك في رُقعة حتى أوصِّلَها إليه ؛ فكتبتُ رقعة ، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبيّ ممّن يُحتَشَم منه فَأْذَنْ له ، فأذن لي فقال : ادخل ، فدخلت فإذا بشر بن مروان عليه غِلالةٌ رقيقة صفراء ومُلاءةٌ تقوم قياماً من شدّة الصِّقال ، وعلى رأسه إكليل من رَيحان ، وعلى يمينه عِكْرمة بن رِبْعي ، وعلى يساره خالد بن عَتَّاب بن وَرْقاء ، وإذا بين يديه حُنين بن بَلْوَع معه عُوده ، فسلّمت فردّ عليّ السلام ورحّب وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو ، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هذه الحال ؛ فقلت : أصلح الله الأمير ، عندي لك السترُ لكلِّ ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَجْمُل ، والشكرُ على ما تُوليني ؛ فقال : كذاك الظنّ بك ، ثم التفتُّ إلى حُنَين وعودُه في حِجْره وعليه قباء خُشْك شوِي ، وقال إسحاق : خشكون ، ومُسْتُقَةَ[1] حمراء وخُفّان مُكعَّبان ، فسلّم عليّ ؛ فقلت له : كيف أنت أبا كعب ؛ فقال : بخير أبا عمرو ؛ فقلت : احْزِق الزِّير وأرْخِ البَمّ ففعل ؛ وضرب فأجاد ؛ فقال بشرٌ لأصحابه : تلومونني على أن آذنَ له في كلّ حال ! ثم أقبل عليّ فقال : أبا عمرو ، من أين وقع لك حَزْقُ الزير ؟ فقلت : ظننت أنّ الأمر هناك ؛ فقال : فإنّ الأمر كما ظننتَ هناك كلّه . ثم قال : فمن أين تعرف حُنَيناً ؟ فقلت : هذا بطَّةُ أعراسنا فكيف لا أعرفه ؟ فضحك ، وغنّى حُنين فأجاد ، فطرِبَ وأقْر له بجائزة ، ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ؛ فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منه وانصرفتُ . وقد وجدت هذا الخبر

1 خشك شوي : قميص خشن . خشكون : زاهي اللون . مستقة : فرو طويل الكمّ أو جبّة واسعة . وجميعها كلمات معرّبة عن الفارسية .

بخطّ أبي سعيد السُّكَّريّ يأْثُره[1] عن محمد بن عثمان المخزوميّ عن أبيه عن جدّه : أنّه كان عند بِشْر بن مروان يوم دخل عليه الشّعبيّ هذا المَدخل وأنّ حنين بن بَلُوَع غَنَّاه: [من الطويل]

هُمُ كتموني سَيْرَهمْ حين أزمَعُوا وقالوا اتّعدنا للرَّواحِ وبَكِّرُوا

وهذا القول خطأ قبيح ، لأنّ هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعَلُّويَه رمل بالوسطى ، وغُنِّي للمأمون فيه فقال : سَخِرُوا من أبي الفضل أعزّه الله .

[شيء من أوصاف الحيرة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبي ، وقال أبو عُبَيد الله الكاتب حدّثني سليمان بن بِشْر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال : وكان بعض وُلاة الكوفة يذُمُّ الحِيرة في أيّام بني أميّة ، فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَب المثل في الجاهليّة والإسلام ؟ قال : وبماذا تُمدح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطِيب مائها ، ونُزهة ظاهرها ، تَصلُح للخُفِّ والظِّلف ، سَهْلٌ وجَبَلٌ ، وباديةٌ وبُسْتان ، وبَرٌّ وبَحْرٌ ، مَحَلُّ الملوك ومَزارُهم ، ومسكنُهم ومَثواهم ، وقد قَدمْتَها ، أصلحك الله ، مُخِفّاً فرجَعْتَ مُثقِلاً ووردَتها[2] مُقِلاً فأصارتك مُكثراً ؛ قال : فكيف نعرفُ ما وصفتَها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إليّ ، ثم ادعُ ما شئتَ من لذّات العيش ، فوالله لا أجوزُ بك الحِيرة فيه ؛ قال : فاصنع لنا صنيعاً واخرُج من قولك ؛ قال : أفعلُ ؛ فصنع لهم طعاماً وأطعمهم من خُبْزها وسَمَكها وما صِيدَ من وَحشها : من ظِباءٍ ونَعامٍ وأرانبَ وحُبارى ، وسقاهم ماءَها في قِلالها ، وخَمْرَها في آنِيَتها ، وأجلسهم على رَقمها[3] ، وكان يُتَّخذ بها من الفُرُش أشياءُ ظريفة ، ولم يستخدم لهم حُرّاً ولا عَبْداً إلاّ من مُوَلَّديها ومولّداتها من خَدَمٍ ووصائف ووُصَفاء كأنّهم اللؤلؤ ، لُغَتُهم لُغة أهلها ، ثم غنّاهم حُنين وأصحابه في شِعر عَدِيّ بن زيد شاعرهم وأعشى همدان لم يتجاوزهما ، وحَيّاهم برَياحِينها ، ونَقّلهم على خَمرها ، وقد شربوا بفواكهها ؛ ثم قال له : هل رأيتني استعنتُ على شيء ممّا رأيت وأكلتَ وشَرِبتَ وافترشتَ وشَمَمْت وسَمِعتَ بغير ما في الحِيرة ؟ قال : لا والله ، ولقد أحسنتَ صفة بلدك ونَصَرْتَه فأحسنتَ نُصْرَتَه والخروج ممّا تَضَمَّنَته ، فبارك الله لكم في بلدكم .

---

1 يأثره : يرويه .

2 ل : وزرتها .

3 الرقم : ضرب مخطّط من الوشي أو الخزّ .

[المغنّون المشهورون بالحيرة غير حنين]

قال إسحاق : ولم يكن بالحيرة مذكورٌ في الغِناء سوى حُنين إلاّ نَفَراً من السِّدرِيِّين يقال لهم : عَباديس ، وزَيد بن الطُّلَيس ، وزيد بن كعب ، ومالك بن حُمَمَة ، وكانوا يغنّون غناء الحِيرة بين الهَزَج والنَّصْب[1] وهو إلى النصب أقرب ولم يُدوّن[2] منه شيءٌ لسقوطه وأنّه ليس من أغاني الفحول . وما سمِعنا نحن لأحد من هؤلاء خبراً إلاّ لمالك بن حُمَمة ، أخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سَعْد .

[عمره ونسبه]

وقال وَكِيع في خبره عن إسحاق حدّثني أبو بِشْر الفَزاريّ قال حدّثني بِشْر بن الحسين بن سليمان بن سَمُرَة بن جُنْدَب قال : عاش حُنين بن بَلْوَع مائة سنة وسبع سنين ، وكان يقال إنّه من جَدِيس ؛ قال وقيل أيضاً : إنّه من لَخْم ؛ وكان هو يزعم أنّه عِباديّ وأخواله من بني الحارث بن كعب .

[غنّى حفيده إبراهيم بن المهديّ وقصّ عليه خبر جدّه مع ابن سريج]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال : كنتُ مع الرشيد في السنة التي نزل فيها على عونٍ العِباديّ ، فأتاني عَوْن بابن ابن حُنين بن بَلْوَع ، وهو شيخ ، فغنّاني عدّةَ أصوات لجَدِّه ، فما استحسنتها ، لأنّ الشيخ كان مشوّه الخَلْق[3] ، طَنَّ الغِناء[4] ، قليلَ الحلاوة ، إلاّ أنّه كان لا يفارق عمود الصوت أبداً حتى يَفْرُغ منه ، فغنّاني صوتَ ابن سُرَيج : [من الكامل]

فَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ ما بينَ قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ

فما أذكر أنّي سمِعتُه من أحد قطّ أحسنَ ممّا سمعتُه منه ، فقلتُ له : لقد أحسنت في هذا الصوت ، وما هو من أغاني جَدّك ولا من أغاني بلدك ، وإنّي لأعجبُ من ذلك ! فقال لي الشيخ : والصليب والقُربان ما صُنِع هذا الصوت إلاّ في منزلنا وفي سِرْداب لجَدّي ، ولقد كاد أن يأتي على نفس عمّتي ؛ فسألته عن الخبر في ذلك فقال :

[ضافه ابن سريج متنكّراً فأكرمه]

حدّثني أبي أنّ عُبيد بن سُريج قدم الحِيرة ومعه ثلثمائة دينار . فأتى بها منزلنا في ولاية

---

1 النصب : غناء يشبه الحداء إلاّ أنّه أرقّ .

2 ل : يذروا .

3 ل : مشتد الخلق .

4 ل : كزّ الغناء .

بِشْر بن مروان الكوفة ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكّة ، بلغني طِيبُ الحِيرة وجَودة خَمرها وحُسْن غِنائك في هذا الشعر : [من الوافر]

حنَتْنِي حانيـاتُ الدهر حتّى كأنِّي خاتـلٌ يَدْنُـو لصَيْـدِ
قريبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني ولستُ مُـقَيَّـداً أنِّي بِقَيْـدِ

فخرجتُ بهذه الدنانير لأُنفقها معك وعندك ، ونتعاشر حتى تَنْفَدَ وأنصرف إلى منزلي . فسأله جَدِّي عن اسمه ونسبه فغيَّرهما وانتمى إلى بني مخزوم ، فأخذ جدّي المال منه وقال : موَفَّرٌ مالُك عليك ولك عندنا كلّ ما يحتاج إليه مثلُك ما نَشِطْتَ للمُقام عندنا ، فإذا دَعَتك نفسُك إلى بلدك جهَّزناك إليه وردَدنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقته عليك إلى أن جئتَنا ، وأسكنه داراً كان ينفرد فيها ؛ فمكث عندنا شهرين لا يعلم جَدِّي ولا أحدٌ من أهلنا أنّه يُغنِّي ، حتى انصرف جَدِّي من دار بِشْر بن مروان في يومٍ صائفٍ مع قيام الظَّهيرة ، فصار إلى باب الدار التي كان أنزل ابن سريج فيها فوجده مُغْلَقاً فارتاب بذلك ، ودقَّ الباب فلم يُفتح له ولم يُجبْه أحدٌ ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنته ولا جواريه ، ورأى ما بين الدار التي فيها الحُرَم ودار ابن سُريج مفتوحاً ، فانتضى سيفه ودخل الدار ليقتُل ابنته ؛ فلمّا دخلها رأى ابنته وجواريه وقوفاً على باب السِّرداب وهُنَّ يُومِئنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يلتفت إلى إشارتهنّ لِمَا تداخلَه ، إلى أن سَمِع تَرَنُّمَ ابن سريج بهذا الصوت ، فألقى السيف من يده وصاح به ، وقد عَرَفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحذْق : أبا يحيى ، جُعِلتُ فداءك ، أتيتنا بثلثمائة دينار لتُنفِقَها عندنا في حِيرتنا ! فوحقِّ المسيح لا خرجتَ منها إلاّ ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك ، ثم دخل إليه فعانقه ورحَّب به ولَقِيَه بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنّه صاغه في ذلك الوقت . فصار معه إلى بشر بن مروان فوصله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرَّةٍ ، ثم وصله بعد ذلك بمثلها ؛ فلمّا أراد الخروج ردّ عليه جدّي مالَه وجَهَّزه ووصلَه بمقدار نفقته التي أنفقها من مكّة إلى الحِيرة ، ورجع ابن سريج إلى أهله وقد أخذ جميع مَن كان في دارنا منه هذا الصوت .

[استقدامه إلى الحجاز ووفاته]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسَّان بن محمد الحارثيّ قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا عبيد بن حُنَين الحِيرِيّ قال : كان المغنُّون في عصر جدّي أربعة نَفَرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحدَه بالعراق ، والذين بالحجاز : ابن سريج والغَريض ومعبد ، فكان يبلغُهم أنّ جدّي حُنَيناً قد غنَّى في هذا الشعر : [من الكامل]

هَلاَّ بَكَيْتَ على الشبابِ الذاهبِ وكَفَفْتَ عـن ذَمِّ المَشِيبِ الآئبِ
هـذا ورُبَّ مُسَوِّفِـينَ سَقَيْتُهُمْ من خمـر بابـلَ لـذَّةً للشارِبِ
بَكَـرُوا عَلَـيَّ بسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهم من ذات كُوب مثل قَعْبِ الحالِبِ
بزجاجـة مـلْءِ اليَدَيْـن كأنّها قِنْدِيـلُ فِصْح في كَنيسة راهِبِ[1]

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّي وقالوا : ما في الدنيا أهلُ صناعة شرٌّ منَّا ، لنا أَخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نـزوره ولا نستزيره . فكتبـوا إليـه ووجَّهوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحن ثلاثةٌ وأنت وَحدَك فأنت أَولى بزيارتنا ، فشخَص إليهم ، فلمّا كان على مرحلة من المدينة بَلَغَهُم خبره فخرجوا يتلقَّونه ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثر حَشْراً ولا جمعاً من يومئذٍ ، ودخلوا ، فلمّا صاروا في بعض الطريق قال لهم معبد : صِيرُوا إليَّ ؛ فقال له ابن سريج : إن كان لك من الشرف والمروءة مثل ما لِمولاتي سكينة بنت الحسين عطَفْنا إليك ؛ فقال : ما لي من ذلك شيء ، وعدَلوا إلى منزل سُكَينة . فلمّا دخلوا إليها أَذِنَتْ للناس إذناً عامّاً فغَصَّت الدار بهم وصعِدوا فوق السطح ، وأمرت لهم بالأطعمة فأكلوا منها ، ثم إنّهم سألوا جَدّي حُنيناً أن يغنِّيهم صوته الذي أوّله : [من الكامل]

هلاَّ بكيتَ على الشبابِ الذاهبِ

فغنَّاهم إيّاه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنّا لنتقدَّمَك ، ولا نُغنِّي قبلك حتى نسمع هذا الصوت ؛ فغنّاهم إيّاه ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فازدحم الناس على السطح وكَثُرُوا ليسمعوه ، فسقط الرِّواق على مَن تحته فسَلِموا جميعاً وأُخرِجوا أَصِحَّاء ، ومات حُنين تحت الهدم ؛ فقالت سكينة عليها السلام : لقد كدّر علينا حُنين سرورنا ، انتظرناه مدّة طويلة كأنّا والله كنّا نسوقه إلى مَنِيّته .

[الغناء في الأصوات المتقدّمة]

نسبة ما في الخبر الأوّل[2] من الغناء

صوت

[من الكامل]

وَتَرَكْتُهُ جَـزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ مـا بينَ قُلَّـة رأسِهِ والمِعْصَمِ

1 فصح في ل : صبح .
2 سقطت من ل .

إن تُغْدِفِي دُونِـي القِناعَ فإنّنِي طَبٌّ بأخـذ الفارسِ المُسْتَلْئِمِ[1]

الشعر لعنترة بن شدّاد العبسيّ ، والغناء فيه لحنين ثاني ثقيلٍ . ومنها :

صوت

[من الوافر]

حَنَتْني حانِياتُ الدهـر حتّى كأنّـي خاتِـلٌ يَدْنُـو لِصَيْـدِ
قَرِيبُ الخَطْو يَحْسَبُ مَنْ رآني ولَسْتُ مُـقَيَّـداً أنّـي بقَيْـدِ

الغناء لحُنين الحِيريّ ثقيل أوّل . وفيه لإبراهيم المَوْصِليّ ماخُوريّ جميعاً عن ابن المَكّيّ ، ووافقه عمرو بن بانة في لحن إبراهيم الموصليّ . ونسبة الشعر الذي غَنَّاه حُنَينٌ في منزل سُكَينة ، عليها السلام ، يقال : إنّه لعَدِيّ بن زيد ، وقيل : إنّ بعضه له وقد أضافه المغنّون إليه . ولَحنُه خفيف ثقيل مُطلق في مجرى البِنصر عن إسحاق .

صوت من المائة المختارة

[من الكامل]

راعَ الفؤادَ تَفَـرُّقُ الأحبابِ يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أَطْرابِي
فَظَلِلتُ مكتئباً أُكَفْكِفُ عَبْرةً سَحّاً تَفِيضُ كواشِلِ الأسرابِ
لَمّا تَنـادَوْا للرحيـلِ وقَرَّبـوا بُـزُلَ الجِمال لِطِيَّـةٍ وذَهابِ
كاد الأَسى يَقضي عليك صبابةً والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كابِي

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . [وقال حَبَشٌ : وفيه لأبي كامل ثاني ثقيل بالوسطى] . وذكر حبش : أنّ للغريض أيضاً فيه خفيف ثقيل بالوسطى . ولمالك ثقيل أوّل بالوسطى . وهذه الأبيات قالها عمر بن أبي ربيعة في بنتٍ لعبد الملك بن مروان كانت حَجَّت في خلافته .

[قصّة ابن أبي ربيعة مع بنت عبد الملك بن مروان]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال أخبرني أبو هَفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن الزبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سَلاّم والمُسَيَّبيّ : أنّ بنتاً لعبد الملك بن مروان حجَّت ، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبي ربيعة يتوعَّده إن ذكرها في شعره بكلّ مكروه ؛ وكانت تحبُّ أن يقول فيها شيئاً وتتعرَّض لذلك ، فلم يفعل خوفاً من الحجّاج . فلمّا قضتْ حَجَّها خرجت فمرّ بها رجلٌ فقالت

1 أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . المستلئم : لابس اللأمة وهي الدرع .

له : مِن أين أنت ؟ قال : من أهل مكّة ؛ قالت : عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله ، قال : ولم ذاك ؟ قالت : حَجَجتُ فدخلتُ مكّة ومعي من الجواري ما لم تَرَ الأعين مثلهنّ ، فلم يستطع الفاسقُ ابن أبي ربيعة أن يُزوِّدنا من شعره أبياتاً نَلْهو بها في الطريق في سَفَرنا ! قال : فإنّي لا أراه إلاّ قد فعل ؛ قالت : فأْتِنا بشيء إن كان قاله ولك بكلّ بيتٍ عشرةُ دنانير ؛ فمضى إليه فأخبره ؛ فقال : لقد فعلتُ ، ولكن أُحبُّ أن تَكْتُمَ عليّ ؛ قال : أفعل ؛ فأنشده : [من الكامل]

راعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبابِ يومَ الرحيلِ فهاجَ لي أَطْرابي

وهي طويلة . وأنشده : [من الخفيف]

هاجَ قلبي تَذَكُّرُ الأحبابِ واعترْتِني نوائبُ الأطرابِ

وهي طويلة أيضاً ، يقول فيها : [من الخفيف]

اقْتُلِيني قَتْلاً سريعاً مُريحاً لا تكوني عليّ سَوْطَ عَذابِ

شَفَّ عنها مُحَقَّق جَنَدِيٌّ فهي كالشمس من خلال سَحابِ[1]

ذكر حبشٌ : أنّ في هذه الثلاثة الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيل بالبِنصر ، قال : فعاد إليها الرجل فأنشدها هاتين القصيدتين فدفَعتْ إليه ما وعدتْه به .

1 محقق في ل : مرفق .

[17] ـ ذكر الغريض وأخباره

[اسمه وكنيته وسبب لقبه]

الغريض لقبٌ لُقِّب به ، لأنّه كان طَرِيَّ الوجه نَضِراً غَضّ الشباب حَسَنَ المنظر ، فلُقِّب بذلك . والغريض : الطريّ من كلّ شيء . وقال ابن الكلبيّ : شُبِّه بالإغريض وهو الجُمّار فسُمِّي به ، وثَقُلَ ذلك على الألسنة فحذفت الألف منه ، فقيل له : الغريض . واسمه : عبد الملك ، وكنيته : أبو يزيد[1] .

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي غسّان عن جماعة من المكِّيِّين : أنّه كان يكنى أبا مروان . وهو مولى العَبلات ، وكان مُوَلَّداً من مُوَلَّدِي البربر . وولاؤُه وولاءُ يحيى قَيْل وسُمَيَّة للثرَيَّا (صاحبة عُمر بن أبي ربيعة) وأخواتها : الرُّضَيَّا وقُرَيبة وأمّ عثمان بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر ، وقد مضت أخبارُهنّ في صدر الكتاب .

[أخذ الغناء عن ابن سريج]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني محمد بن نصر الضُّبَعيّ قال حدّثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابيّ عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مسكين . وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى ، وأخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن أبي الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ والمدائنيّ ومحمد بن سلاّم ، وقد جمعت رواياتهم في قصّة الغريض ، قالوا : كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدفّ ويُوقع بالقضيب ، وكان جميلاً وَضِيئاً ، وكان يُصنِّع نفسه ويُبرِّقها[2] ، وكان قبل أن يُغنّيَ خيّاطاً . وأخذ الغناء في أوّل أمره عن ابن سريج ، لأنّه كان يخدمُه . فلمّا رأى ابن سريج طَبْعَه وظَرفه وحَلاوة مَنطِقه خَشِيَ أن يأخذ غناءه فيغلبَه عليه عند الناس ويفوقه بحسنِ وجهه وجسده ؛ فاعتلّ عليه ، وشكاه إلى مَوْلياته ، وهنّ كنّ دَفَعنه إليه ليعلّمه الغناء ، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده ؛ فشكا ذلك إلى مَولياته وعرّفهنّ غرضَ ابن سريج في تنحيته إيّاه عن نفسه ، وأنّه حسده على تقدّمه ؛ فقلن له : هل لك في أن تسمع نَوحنا على قَتلانا فتأخذه وتُغنّي عليه ؟ قال : نعم فافعلنَ ، فأسمَعنه المراثي فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثي .

---

1 ل : زيد .

2 ل : يترفها .

[كان ينوح للنساء في المآتم]

وكان ينوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضرب دونه الحُجُب ثم ينوح فيفتن كلَّ من سمعه . ولمّا كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشَّجا . فكان ابن سريج لا يغنّي صوتاً إلاّ عارضه الغريض فغنّى فيه لحناً آخر . فلمّا رأى ابن سريج موقع الغريض اشتدّ عليه وحسده ، فغنّى الأرمال والأهزاج فاشتهاها الناس ؛ فقال له الغريض : يا أبا يحيى ، قصَّرتَ الغناء وحذفته ؛ قال : نعم يا مخنَّث حين جعلتَ تَنُوح على أمّك وأبيك .

قال إسحاق وحدّثني أبو عبيدة قال : لما غضِب ابن سريج على الغريض فأقصاه وهجَره لحِق بحَوراء وبَغُوم ، جاريتين نائحتين كانتا في شعْب ابن عامر بمكّة ، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما ، فرأتاه يوماً يعصر عينيه ويبكي ؛ فقالتا له : ما لك تبكي ؟ فذكر لهما ما صنع به ابن سريج ؛ فقالتا له : لا أرقأَ الله دمعك ؛ الزُزْ رأسك بين ما أخذتَه عنه وبين ما تأخذه منّا ، فإن ضِعْتَ بعدها فأبعدك الله .

[عدّه جرير ضمن الأربعة المشهورين في الغناء]

قال إسحاق وحدّثني أبو عبد الله الزبيريّ قال : رأيت جريراً في مجلس من مجالس قريش فسمعته يقول : كان المغنُّون بمكّة أربعة ، فسيد مبرِّز وتابع مسدِّد ؛ فسألناه عن ذاك ، فقال : كان السيِّد أبو يحيى بن سريج والتابع أبو يزيد الغريض[1] .

[كان الناس لا يفرّقون بينه وبين ابن سريج]

وكان هناك رجل عالِم بالصناعة فقال : كان الغريض أحْذَق أهلِ زمانه بمكّة بالغناء بعد ابن سريج ، وما زال أصحابنا لا يُفرّقون بينهما لمقاربتهما في الغناء . قال الزبيريّ وقال بعض أهلي : لو حُكِّمتُ بين أبي يحيى وأبي يزيد لما فرّقت بينهما ، وإنّما تَفضيلي أبا يحيى بالسَّبق ، فأمّا غير ذلك فلا ، لأنّ أبا يزيد عنه أخذ ومن بحره اغترف وفي ميدانه جرى ، فكان كأنّه هو ؛ ولذلك قالت سُكينة لما غنّى الغريض وابن سريج : [من السريع]

عُوجِي علينا رَبّة الهودَجِ

والله ما أُفرِّق بينكما ، وما مَثَلُكما عندي إلاّ كَمَثَل اللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّ ذلك أحسن .

[كان الغريض أشجى غناء من ابن سريج]

قال إسحاق : وسمعتُ جماعةً من البُصَراء عند أبي يتذاكرونهما ، فأجمعوا على أنّ الغريض أشجى غِناءً ، وأنّ ابن سريج أحكمُ صنعةً .

---

1 لم يذكر غير اثنين .

[غنّى الناس بجمع فحسبوه من الجنّ]

قال إسحاق وحدّثني أبو عبد الله الزبيريّ قال حدّثني بعض أهلي قال : حجَجنا فلمّا كنّا بِجَمْع سمعنا صوتاً لم نسمع أحسن منه ولا أَشْجَى ، فأصغى الناس كلّهم إليه تعجُّباً من حسنه[1] ، فسألت : مَن هذا الرجل ؟ فقيل لي : الغريض ، فتتابع جماعةٌ من أهل مكّة فقالوا : ما نعرِف اليومَ أحداً أحسنَ غناءً من الغريض ، ويدلّك على ذلك أنّه يعترض بصوته الحاجّ وهم في حجِّهم فيُصغون إليه . فسألوا الغريض عن ذلك ، فقال : نعم ، فسألوه أن يُغنِّيَهم فأجابهم ، وخرج فوقف حيث لا يُرى ، ويُسمع صوتُه فترنّم ورجَّع صوتَه وغنّى في شعر عمر بن أبي ربيعة : [من الخفيف]

أيّها الرائحُ المُجِدُّ ابْتِكارا قد قضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارا

فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك الصوتِ ، وتكلّم الناس فقالوا : طائفةٌ من الجِنّ حُجَّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابتِكارا قد قضى مِن تِهامَةَ الأَوْطارا
مَنْ يكنْ قلبُه الغَداةَ خَلِيّاً ففؤادي بالخَيْفِ أَمْسى مُعارا[2]
ليت ذا الحجّ كان حَتْماً علينا كلَّ شهرين حِجَّةً واعتِمارا

عَروضه من الخفيف . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن محرز ، ولحنُه من القَدْر الأَوسط من الثقيل الثاني[3] بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لحن للغريض من رواية حمّاد عن أبيه .

[غنّى هو ومعبد وابن سريج على أبي قبيس فعفا الوالي عنهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني أنّ معبداً وابن سريج والغريض اجتمعوا بمكّة ذات ليلة فقالوا : هَلُمَّ نَبْكِ أهلَ مكّة ، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْوِيّاً عن يونس الكاتب : أنّ أميراً من أمراء مكّة أمر بإخراج المُغنِّين من الحَرَم ، فلمّا كان في الليلة التي عزم بهم على

1 ل : واستحساناً .
2 معارا في ل : مطارا .
3 ل : الأوّل .

النَّفي في غَدِها اجتمعوا على أبي قُبَيْس ، وكان مَعبد قد زارهم ، فبدأ معبد فغنّى ، كذا رُوي عن يونس ولم يذكره الباقون : [من الطويل]

صوت

أَتِرْبَيَّ مِـــن أَعْلى مَعَدّ هُدِيتُما أَجِدّا البُكا إنّ التفرُّقَ باكِرُ[1]

فما مُكْثُنا دام الجَمِيلُ عليكما بِثَهْـلان إلاّ أنْ تُـــزَمّ الأباعِرُ

عَرُوضه من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسُبه ولا جنّسه ، قال : فتأوّه أهل مكّة وأنّوا وتمخَّطُوا . واندفع الغريض يُغنّي : [من الخفيف]

أيُّها الرائــحُ المُجِـدُّ ابتِكارا قـد قضى مِن تِهامَةَ الأَوطارا[2]

فارتفع البكاء والنحيب . واندفع ابن سريج يغنّي : [من الخفيف]

جَدِّدِي الوصلَ يا قُريبُ وجُودِي لِمُحـبٍّ فِراقُـــه قـــد أَلَـمّا

ليس بـين الحيـاةِ والمـــوتِ إلاّ أن يَـــرُدُّوا جِمالَهُـــمْ فتُزَمّـــا

فارتفع الصراخ من الدُّور بالوَيْلِ والحرب . قال يونس في خبره : واجتمع الناسُ إلى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأعفاهم . وذكر الباقون أنّ الغريض ابتدأ بلَحْنه :

أيُّها الراكب المُجِـدّ ابتِكارا

وتلاه ابن سريج في «جَدِّدِي الوصل» . قال : وارتفع الصراخ فلم يُسْمَع من معبد شيء ولم يقدِر على أن يُغَنّي .

[غنّت شطباء المغنية على بن جعفر فطرب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال أخبرني عبد الرحمن بن محمد السعديّ قال : حضَرتُ شَطْباء المغنّية جارية عليّ بن جعفر ذات يوم تُغنّي : [من الخفيف]

ليس بين الرَّحِيل والبَيْنِ إلاّ أنْ يَرُدُّوا جِمالَهم فتُزَمَّا[3]

فطرِب عليّ بن جعفر وصاح : سبحان الله العظيم ! ألا يُوكَونَ[4] قِرْبة ! ألا يَشُدُّون مَحْمِلا ؟ ألا يُعَلِّقون سُفْرة ؟ ألا يُسَلِّمون على جارٍ ؟ هذه والله العجلةُ .

[لمّا ماتت الثريّا ناح عليها الغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن

---

1 أعلى في ل : عليا .

2 الرائح في ل : الراكب .

3 البين في ل : والموت .

4 أوكى القربة : ربط رأسها .

يحيى قال زعم عبيد بن يعلى قال : قال لي كَثِير بن كَثِير السَّهْمِيّ : لَمّا ماتتِ الثريّا أتاني الغَريض فقال لي : قل لي شعراً أَبْكِ به عليها ؛ فقلت :

صوت

[من الوافر]

أَلا يــا عينُ مالَكِ تَدْمَعِينا أَمِنْ رَمَـدٍ بكِيتِ فتُكْحَلِينا
أَمَ انتِ مريضةٌ تَبْكِين شَجْواً فَشَجْوُكِ مثلُهُ أبكــى العيونا

فناح به عليها . قال : وأخبرني مَن رآه بين عمودَيْ سَريرها يَنوح به . الغناء للغريض في هذين البيتين خفيف ثقيل بالوسطى عن ابن المكّيّ . وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول .

[ساوت سكينة بينه وبين ابن سُرَيج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن سلام وأخبرنا وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم عن جرير ، ورواه حمّاد عن أبيه عن ابن سلام عن جرير أيضاً : أنّ سُكَينة بنت الحسين عليه السلام حجّت فدخل إليها ابن سريج والغريض وقد استعار ابن سريج حُلّةً لامرأة من قريش فلَبِسَها ؛ فقال لها ابن سريج : يا سيّدتي ، إنّي كنتُ صنعتُ صوتاً وحَسَّنْتُه وتَنَوَّقْت[1] فيه ، وخبأته لك في حريرةٍ في دُرج مملوءٍ مِسكاً فنازَعَنِيه هذا الفاسق ؛ يعني الغريض ، فأردنا أن نتحاكم إليك فيه ، فأيُّنا قَدَّمْتِهِ فيه تقدَّم ؛ قالت : هاته ؛ فغنّاها : [من السريع]

عُوجِي علينــا رَبَّــةَ الهَوْدَجِ إنّكِ إلاّ تَفْعَلِــي تَحْرَجِــي

فقالت : هاتِه أنتَ يا غريض ؛ فغنّاها إيّاه ؛ فقالت لابن سريج : أعِدْه ، فأعاده ، وقالت : يا غريض ، أعِده ، فأعاده ؛ فقالت : ما أُشَبِّهُكُما إلاّ بالجَدْيَيْن[2] : الحارّ والبارد لا يُدرى أيُّهما أطيب . وقال إسحاق في خبره : ما أشَبِّهُكُما إلاّ باللؤلؤ والياقوت في أعناق الجواري الحِسان لا يُدرى أيّهما أحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِي علينــا رَبَّــةَ الهَوْدَجِ إنّــكِ إلاّ تَفْعَلِــي تَحْرَجِــي
إنّي أُتِيحــتْ لي يَمانِيَّــةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذحِجِ

1 تنوق في الشيء : جوده .
2 ل : بالحد بين .

نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كُلَّه لا نلتقي إلاّ على مَنْهَجِ
في الحجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى وأهلُه إن هي لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نالَ مُحِبٌّ لدى بَيْنِ حبيبٍ قولُهُ عَرِّجِ

عَروضه من السريع ، والشعرُ للعَرْجيّ ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالوسطى عن حَبَش . ولإسحاق في الأوّل والثالث ثقيلِ أوّلِ بالبِنصر عن عمرو . وللأَبْجَر فيه ثاني ثقيل بالخِنصر في مجرى البِنصر عن ابن المكيّ . ولِعلُّوَيْهْ خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ . ولحكَم خفيفُ رملٍ عنه أيضاً .

[غنّى عطاء بشعر العرجيّ فردّه عليه]

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن بِشْر قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثني حمزة بن عتبة اللّهبيّ عن عبد الوهّاب بن مُجاهد أو غيره قال : كنت مع عَطاء بن أبي رَباح فجاءه رجل فأنشده قولَ العرجيّ :

إنّي أُتِيحَتْ لي يمانِيَةٌ

وذكر الأبيات وختمها بقوله : [من السريع]

في الحجّ إن حَجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُه إنْ هي لم تَحْجُجِ

قال فقال عطاء : بمنًى والله وأهلِه خَيْرٌ كثيرٌ إذ غيَّبها الله وإيّاه عن مشاعره .

[قصّة الأوقص المخزوميّ مع سكران يغنّي]

أخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال : وَلِيَ قضاءَ مكّة الأَوْقَصُ المخزوميّ فما رأى الناس مثلَه في عفافه ونُبْلِه ، فإنّه لنائم ليلة في جَناح له إذ مرّ به سكران يتغنّى : [من السريع]

عُوجِي علينا رَبَّة الهَوْدَجِ

فأشرف عليه فقال : يا هذا شرِبتَ حراماً ؛ وأيقظتَ نِياماً ؛ وغنّيتَ خطأً ؛ خُذْه عنّي . فأصلحَه له وانصرف .

[عطاء بن رباح والأبجر المغنّي]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إسحاق عن حمزة بن عُتبة اللهبيّ قال : مرّ الأبجر بعَطاء وهو سكرانُ فعذَله وقال : شهّرتَ نفسَك بالغِناء وأطّرَحْتَها وأنت ذو مُروءة ، فقال : امرأته طالقٌ ثلاثاً إنْ برِحْتَ أو أُغنّيَك صوتاً ، فإن قلتَ لي : هو قبيحٌ تركتُه ؛ فقال له عطاء : هات ويحك ! فقد أضررتَ بي ، فغنّاه : [من السريع]

في الحجّ إنْ حجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُـجِ

فقال له عطاء : الخيرُ والله كلُّه هناك حجّتْ أو لم تَحُجّ ، فاذهب الآن راشداً فقد برّتْ يمِينُكَ .

[ابن أبي عتيق والغريض]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني المُغيرة بن محمد قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْويّ قال حدّثني بعضُ المَدَنِيِّين قال : خرج ابن أبي عتيق على نجيبٍ له من المدينة قد أَوْقَرَه من طُرَف المدينة المَشارِبَ[1] وغير ذلك ، فَلَقِيَ فتًى من بني مَخزُوم مُقبِلاً من بعض ضياعِه ، فقال : يا ابن أخي ، أتَصْحَبُنِي ؟ قال : نعم ؛ قال المخزوميّ : فمضَينا حتى إذا قرُبْنا من مكّة جَنَبْنا عنها حتّى جُزْناها فصِرْنا إلى قصرٍ ، فاستأذن ابن أبي عتيق فأُذِن له ، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنّه عجوزٌ بربريّة مُختضبة ، لا أَشكّ في ذلك ، وإذا هو الغريض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبي عتيق : تشوّقْنا إليك ، وأهدى له ما كان معه ، ثم قال له : نُحِبّ أنْ نسمعَ ؛ قال : ادْع فُلانةَ ، جاريةً له ، فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئاً ، ثم حلَّ خضابَه وغنّى : [من السريع]

عُوجِي علينـا رَبَّةَ الهَوْدَجِ

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فأقمنا عنده أيّاماً كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامُه كثير . ثم قال له ابن أبي عتيق : إنّي أريد الشُّخُوص ، فلَم يَبْقَ بمكّة تُحفةُ عَدَنيّ ولا يَمانٍ ولا عُودٌ إلاّ أَوقَر به راحلته . فلمّا ارتحلنا وبرَزْنا صاح به الغريض : هيَا هيَا ، فرجعنا إليه ؛ فقال : ألم تَرْوُوا عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «يُحشَر من بَقيعنا هذا سبعون ألفاً على صورة القمر ليلةَ البدر» ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى ؛ فقال : هذه سِنٌّ لي انتَزَعَتْ فأُحِبّ أن تَدْفِنَها بالبقيع ، فخرجنا والله أَخْسَرَ اثنين لم نعتَمِر ولم ندخُل مكّة ، حاملين سِنّ الغريض حتّى دفنّاها بالبقيع .

[غنّى بعض أهل المدينة فطربوا لغنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغريض مع قوم فغنّاهم هذا الصوت : [من الطويل]

جرى ناصحٌ بالوُدِّ بيني وبينَها فقَرّبَني يومَ الحِصابِ إلى قَتْلي

فاشتدّ سرورُ القوم ، وكان معهم غلام أعجبه ، فطلب إليهم أن يُكلِّموا الغلامَ في الخَلْوة معه ساعةً ففعلوا ، فانطلق مع الغلام حتّى توارى بصخرة ، فلمّا قضى حاجته أقبل الغلام إلى

1 المشارب : جمع مشربة وهي إناء للشرب .

القوم ، وأقبل الغريض يتناول حَجَراً حَجَراً يَقرَع به الصخرة ، ففعل ذلك مراراً ، فقالوا له : ما هذا يا غريض ؟ قال : كأنّي بها قد جاءت يومَ القيامة رافعةً ذَيْلها تَشْهد علينا بما كان منّا إلى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرِّح شهادتَها عليّ ذلك اليوم .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

جَرى ناصِحٌ بالوُدِّ بَيْني وبينَها فقرَّبني يـومَ الحِصاب إلى قَتْلِي
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنّما معي فتحدَّثْ غَيْرَ ذي رِقْبَةٍ أهلِي
فقلتُ لها ما بـي لهم من تَرَقُّبٍ ولكنَّ سِرِّي ليس يَحمِلُـهُ مِثْلِي

عَرُوضه من الطويل ، الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَر في مجرى البِنصَر عن إسحاق في الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أنّ فيه لَحْناً لمالك ، وفيه للغريض خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَشٍ والهشاميّ وعليّ بن يحيى وحمّاد بن إسحاق . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش . ولابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى عنه .

[كان عمر وجميل يتعارضان في قول الشعر]

حدّثني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثني أبو هِفّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبيّ والمدائنيّ وابن سلاّم : أنّ عمر بن أبي ربيعة كان يُعارض جميلاً ، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلَها ، فيقال : إنّ عمر في الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَميل ، وإنّ جميلاً أشعرُ منه في اللاميّة . وقال الزبير فيما أخبرني به الحرميّ بن أبي العلاء عنه : من الناس من يُفَضِّل قصيدة جَميل اللاميّة على قصيدة عمر ، وأنا لا أقول هذا ، لأنّ قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة ، فيها طوالعُ النَّجْد وخوالدُ المَهْد ، وقصيدة عمر بن أبي ربيعة مَلْساء المتون ، مُستوية الأبيات ، آخِذٌ بعضُها بأذناب بعض ، ولو أنّ جميلاً خاطب في قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِجَ عليه وعَثَر كلامُهُ به .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني شيخ من أهلي عن أبي الحارث بن نابتة مَولى هشام بن الوليد المخزوميّ وهو الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبـا الحارثِ قَلْبِي طائـرٌ فاستمِعْ قَوْلَ رشيدٍ مُؤْتَـمَنْ

قال : شَهِدتُ عمر بن أبي ربيعة وجميلاً بالأبْطَح ، فأنشد جميلٌ قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

لقد فَرِحَ الواشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي بُثَيْنَةُ أو أَبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال : يا أبا الخطّاب ، هل قلتَ في هذا الوزن شيئاً ؟ قال : نعم ؛ فأنشده قوله: [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبَيْنَها

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، والله لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ الليالي ؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتك أحدٌ ؛ وقام مُشَمِّراً .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال : رأيتُ علماءنا جميعاً[1] لا يشكُّون في أنّ أحسن ما يُرْوى في تعظيم[2] السرّ قولُ عمر : [من الطويل]

ولكــنَّ سِرِّي ليس يَحْمِله مِثْلِي

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن إسماعيل قال حدّثني ابن أبي الزِّناد قال : إنّما اجتمع عمر بن أبي ربيعة وجميل بالجِناب .

[سمع الفرزدق شعر ابن أبي ربيعة فمدحه]

أخبرني محمد بن أحمد الطَّلاَّس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَزَّاز عن المدائنيّ : أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبي ربيعة يُنشد هذه القصيدة ، فلمّا بلغ إلى قوله : [من الطويل]

فقُمْنَ وقــد أَفْهَمْنَ ذا اللبِّ أنّما فَعَلْنَ الذي يَفعَلْنَ مِن ذاك مِن أَجْلِي

صاحَ الفرزدق وقال : هذا واللهِ الشعرُ الذي أرادتْهُ الشعراء فأخطأَتْهُ وبَكَتِ الديارَ .

نسبة ما في قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغاني سِوى قصيدة جميل فإنّ لها أخباراً تُذكَر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التي أوّلها : [من الطويل]

جَرى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِي وبينها

صوت

[من الطويل]

قِفِــي البغلــةَ الشهباءَ باللهِ سَلِّمِي عُزَيزة ذاتَ الدَّلِّ والخُلُق الجَزْلِ

فَلَمَّــا تَواقَفْنا عَرَفْــتُ الذي بها كمِثْل الذي بي حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ

1 جميعاً في ل : كلهم .

2 ل : حفظ .

فقُلنَ لهـا هـذا عِشاءٌ وأهلُنـا قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِي مَرْكَبَ البَغْلِ

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لمعبد في الأوّل والثاني ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانَة وعليّ بن يحيى ، وقيل إنّه لمالك . ولابن مُحرز في الثاني والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبِنصَر عن الهشاميّ . ولابن سريج في الأوّل ثقيل والثاني خفيف آخر بالوسطى وهو الذي فيه استهلال . ولمالك في الثاني والثالث ثاني ثقيل بالبِنصَر . ولإبراهيم فيهما خفيف ثقيل بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن ابن المكّيّ . ومنها : [من الرمل]

صوت

يـا أبـا الحارثِ قَلْبِي طائـرٌ فاستمِعْ قـولَ رشيدٍ مؤتمَنْ[1]
ليس حُبٌّ فوق مـا أحببتُكم غيرَ أن أقتُـلَ نفسي أو أُجَنّ
حَسَنُ الوجـهِ نقـيٌّ لونُـهُ طيـبُ النَّشْرِ لذيـذُ المحتضَنْ

عروضه من الرمل ، الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه لابن عائشة ، وذكر ابن المكيّ أنّه للغريض في الثاني والثالث ، وفيهما رمل يقال إنّه لأهل مكّة ، ويقال : إنّه لعبد الله بن يونس صاحب أيلَة . وفيه ثقيل أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنّه لابن سريج ، وذكر غيره أنّه لمحمد ابن السِّنْديّ المكّيّ ، وأنّه غنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَرُ بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال : كان ابن عائشة يُغنّي الهَزَج والخفيف ؛ فقيل له : إنّك لا تستطيع أن تُغنّي غناءً شجِيّاً[2] ثقيلاً ؛ فغنّى : [من الرمل]

يا أبـا الحـارث قلبي طائِرٌ

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

[قيل إنّه كان يتلقّى غناءه عن الجنّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عباية عن مولًى لآل الغريض قال : حدّثني بعض مَوْلياتي وقد ذَكَرْنَ الغريض فترحَّمْنَ عليه وقُلْن : جاءنا يوماً يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفنا بعد ذلك حقيقته ، وكان من أحسن الناس وجهاً صغيراً وكبيراً ، وكنّا نَلْقى من

1 قول في ل : أمر . وقد ورد البيت في ترجمة عمر برواية «فائتمر أمر رشيد مؤتمن» وكذلك هو في الديوان .
2 ل : نقيّاً .

الناس عَنَتاً بسببه ، وكان ابن سريج في جِوارنا فدفعناه إليه فَلَقِنَ الغناء ، وكان من أحسن الناس صوتاً ففَتَن أهلَ مكّةَ بحُسْن وجهه مع حُسْن صوته ، فلمّا رأى ذلك ابن سريج نَحّاه عنه ، وكانت بعض مَوْلَياته تُعَلِّمه النِّياحة فَبَرَّز فيها ، فجاءني يوماً فقال : نَهَتْنِي الجنُّ أن أَنُوح وأسمعتْني صَوتاً عجيباً فقد ابتنيتُ عليه لحناً فاسمعيه منّي ، واندفع فغنّى بصوت عجيب في شعر المَزَّار الأسديّ : [من الطويل]

حَلَفْتُ لها باللهِ ما بَيْنَ ذي الغَضا وهضْبِ القَنانِ من عَوانٍ ولا بِكْرِ[1]
أحَبُّ إلينا منكِ دَلاًّ ومـا نَرى بـه عند لَيْلى من ثوابٍ ولا أجرِ

فكذَّبناه وقلنا : شيء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن[2] ، فكان في كلّ يوم يأتينا فيقول : سمعتُ البارحةَ صوتاً من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنَيْتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان ، فلم يَزل على ذلك ونحن نُنْكِر عليه ؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتمع جماعةٌ من نساء أهل مكّة في جَمْع لنا سَهِرْنا فيه ليلتنا والغريض يُغنّينا بشعر عمر بن أبي ربيعة : [من المتقارب]

أمِـنْ آلِ زينبَ جـدَّ البُكُورُ نَعَـمْ فـلأيٍّ هواهـا تَصِيرُ

إذ سَمعنا في بعض الليل عَزيفاً عجيباً وأصواتاً مختلفة ذَعَرَتْنا وأَفزَعَتْنا ، فقال لنا الغريض : إنّ في هذه الأصوات صوتاً إذا نِمْتُ سمعتُه ، وأُصبح فأَبْني عليه غنائي ؛ فأصغينا إليه فإذا نَغَمَتُهُ نغمة الغريض بعينها فصدَّقناه تلك الليلة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

حلفت لها . . . . . البيتان

عَروضه من الطويل . غنّاه الغريض ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن حَبَشٍ . قال : ولعلُّوَيْهْ فيه ثقيل أوّل آخر بالبنصر .

ومنها[3] : [من المتقارب]

صوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جَدَّ البُكُورُ نَعَمْ فـلأيٍّ هواهـا تَصِيرُ

1 القنان : جبل لبني أسد .
2 ل : الحسن .
3 الأبيات في ديوان عمر بن أبي ربيعة (طبعة دار صادر) : 154 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .

أبالغَوْر أم أَنْجدَتْ دارُها وكانتْ حَديثاً بعهدي تَغُورُ
نَظَـرتُ بخَيْفِ مِنًى نظرةً إليهـا فكاد فـؤادي يَطِيرُ
هي الشمسُ تَسْرِي بها بَغْلَةٌ وما خِلْتُ شمساً بليلٍ تسيرُ
ألَمْ تَـرَ أنّـكَ مستشرفٌ وأنّ عدوّك حَوْلِي حضورُ

عروضه من المتقارب . الشعر للنُّميريّ ، وقيل : إنّه ليزيد بن معاوية . والغناء لسِياط خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيف ثقيلٍ بالوسطى ؛ أوّله :

هي الشمسُ تَسْرِي بها بَغْلَةٌ

وفيه للغريض ثاني ثقيل بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر غيرهما أنّه لابن جامع . وذكر حبش أن فيها لابن محرز ثقيلاً أوّل بالبنصر .

[أرسله ابن أبي ربيعة إلى سكينة فغنّاها بشعره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عبد الله مُصعب الزُّبيريّ : اجتمع نسوةٌ فذكرنَ عمر بن أبي ربيعة وشعره وظَرفه وحُسن مجلسه وحديثه وتشوَّقنَ إليه وتمنَّينه ؛ فقالت سُكَينة : أنا لَكُنَّ به ، فبعثَت إليه رسولاً ووعدته الصَّوْرَين[1] لليلة سَمَّتها ، فوافاها على رواحله ومعه الغريض ، فحدّثهنّ حتى وافى[2] الفجر وحان انصرافهنّ ، فقال لهنّ : إنّي والله لمشتاق إلى زيارة قبر النبيّ ﷺ والصلاة في مسجده ، ولكن لا أُخلِط بزيارتكنّ شيئاً ، ثم انصرف إلى مكّة وقال : [من البسيط]

ألْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدا قلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرحيلُ غَدا

قال : وانصرف عمر بالغريض معه ، فلمّا كان بمكّة قال عمر : يا غَريض ، إنّي أريد أن أخبرك بشيء يتعجّل لك نفعُهُ ويبقى لك ذكرُه ، فهل لك فيه ؟ قال : افعل من ذلك ما شئت وما أنت أهلُه ؛ قال : إنّي قد قلتُ في هذه الليلة التي كنّا فيها شعراً فامضِ به إلى النِّسوة فأَنشِدْهُنّ ذلك وأخبِرهنَّ أنّي وَجَّهتُ بك فيه قاصداً[3] ؛ قال : نعم . فحمَل الغريض الشعر ورجَع إلى المدينة فقصد سُكَينة وقال لها : جُعلتُ فداكِ يا سيِّدتي ومولاتي ، إنّ أبا الخطّاب ، أبقاه الله ، وجّهني إليك قاصداً ، قالت : أَوَلَيْس في خيرٍ وسرور تركتَه ؟ قال : نعم ؛ قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حَفِظه الله ؟ قال : جُعلت فداك ، إن ابن أبي ربيعة حمّلني شعراً

1 الصوران : موضع بالمدينة .
2 ل : رأى .
3 ل : عامداً .

وأمرني أن أُنشِدَكِ إيّاه ؛ قالت : فهاته ، قال فأنشدها : [من البسيط]

أَلْمِمْ بزينبَ إن البَيْن قد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لئِن كان الرحيلُ غدا

الشعر كلّه ؛ قالت : فيا وَيْحَه ! فما كان عليه ألاّ يرحَل في غده ؛ فوجّهتْ إلى النِّسوة فجمعتْهنّ وأنشدتهنّ الشعر ، وقالت للغريض : هل عَمِلْتَ فيه شيئاً ؟ قال : قد غنّيتُهُ ابن أبي ربيعة ؛ قالت : فهاته ، فغنّاه الغريض ؛ فقالت سكينة : أحسنتَ والله وأحسنَ ابن أبي ربيعة ، لولا أنّك سبقتَ فغنّيته عمر قبلنا لأَحْسَنَّا جائزتك ، يا بُنانة ، أعطِيهِ بكلّ بيت ألفَ درهم ، فأخرجت إليه بُنانة أربعة آلاف درهم فدفعتها إليه ؛ وقالت سكينة : لو زادَنا عُمَر لَزِدناك .

نسبة هذا الغناء

صوت

أَلْمِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قــد أَفِـدا قَلَّ الثَّواءُ لَئِنْ كان الرَّحِيـلُ غَدا
قد حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْن جاهدةً وما على الحُـرِّ إلاّ الصَّبْرُ مُجتَهِدا
لأختها ولأُخـرى مـن مَناصِفِها لقد وَجَدتُ به فوقَ الذي وَجَدا[1]
لَعَمْرُها ما أراني إن نَوًى نَزَحتْ وهكـذا الحـبُّ إلاّ مَيِّتـاً كَمَدا

عَروضه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سريج ، وله فيه لحنان : أحدهما رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، والآخر خفيف رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لحنٌ للغريض خفيف ثقيلٍ بالبِنصر عن الهشاميّ وحمّاد ، وذكر عمرو : أنّه لمالك ، أوّله الرابع ثم الأوّل ، ومن الناس مَن يَنْسِبُ هذا إلى مَعبد ؛ وأوّله : [من البسيط]

يـا أمّ طَلْحَةَ إن البَيْنَ قد أَفِدا

وذلك خطأ ، اللحن الذي عَمِله معبد غير هذا وهو :

صوت

[من البسيط]

يـا أمَّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قــد أَفِدا قَلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيـلُ غَدا
أَمْسَى العِراقيُّ لا يدرِي إذا بَرَزَتْ مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركانِ أو سَجَدا

عروضه من البسيط . الشعر للأَحوص ، ويقال : إنّه لعمر أيضاً . والغناء لمعبد ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

---

1 مناصف : جمع مِنصف وهو الخادم .

[غنّى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال : حجّت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله فجاءتها الثريّا وأخواتها ونساء أهل مكّة القُرَشيّات وغيرُهنّ ، وكان الغريض فيمن جاء ، فدخل النسوة عليها فأمَرت لهنّ بكُسوة وألطاف كانت قد أعدّتها لَمن يَجيئها ، فجعلتْ تَخرج كلّ واحدة ومعها جاريتها ومعها ما أمَرتْ لها به عائشة والغريض بالباب حتى خرج مَولَياتُه مع جَواريهنّ الخِلَعُ والألطاف ؛ فقال الغريض : فأين نصيبي من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك وذهبتَ عن قلوبنا ؛ فقال : ما أنا ببارح من بابها أو آخُذَ بحظّي منها فإنّها كريمةٌ بنت كرام ، واندفع يغنّي بشعر جميل : [من الطويل]

تذكّرتُ لَيْلى فالفؤادُ عَميدُ وشَطّتْ نواها فالمَزارُ بعيدُ

فقالت : ويلكم ؛ هذا مولى العَبَلات بالباب يُذكّر بنفسه هاتوه ، فدخل ، فلمّا رأته ضحِكت وقالت : لم أعلم بمكانك ، ثم دَعَت له بأشياء أمَرت له بها ، ثم قالت له : إن أنت غَنّيتني صوتاً في نفسي فلك كذا وكذا (شيءٌ سَمّتْه له ذهب عن ابن سلاّم) قال : فغنّاها في شعر كُثيّر : [من الطويل]

وما زِلتُ من لَيْلى لَدُن طَرّ شاربي إلى اليوم أُخْفِي حبَّها وأُداجِنُ

وأَحمِل في لَيْلى لقومٍ ضَغِينةً وتُحمَل في لَيْلى عَليّ الضغائنُ

فقالت له : ما عَدَوْتَ ما في نفسي ، ووصَلَتْه فأجزلت . قال إسحاق : فقلت لأبي عبد الله : وهل علِمتَ حديث هذين البيتين ؟ ولم سألتَ الغريض ذلك ؟ قال : نعم .

[الشعبيّ عند مصعب بن الزبير وزوجه عائشة]

حدّثني أبي قال قال الشعبيّ : دخلتُ المسجد فإذا أنا بمُصعب بن الزبير على سرير جالسٌ والناس عنده ، فسلّمتُ ثم ذهبتُ لأنصرف ، فقال لي : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعت يدي على مَرافقه ، ثم قال : إذا قمتُ فاتّبعني ، فجلس قليلاً ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طلحة فتبعتُه ، فلمّا طَعَن في الدار التفتَ إليّ فقال : ادخُل ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجرته وتبِعتُه ، فالتفتَ إليّ فقال : ادخل ، فدخلتُ معه ، فإذا حَجَلة ، وإنّها لأوّل حَجَلة رأيتها لأمير ، فقمتُ ودخلَ الحجلة فسمعتُ حركة ، فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف ، فإذا جارية قد خرجت فقالت لي : يا شَعْبيّ ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس ، فجلستُ على وسادة ورُفع سَجْف الحجلة ، فإذا أنا بمُصعب بن الزبير ، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة ، قال : فلم أرَ زوجاً قطُّ كان أجمل منهما : مصعب وعائشة ، فقال مصعب : يا شَعْبيّ ، هل تعرف هذه ؟ فقلت : نعم أصلح الله الأمير ؛ قال : ومَنْ هي ؟ قلت : سيدة نساء المسلمين عائشة بنت طلحة ؛

قال : لا ، ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر :

وما زِلتُ من لَيْلى لَدُنْ طَرَّ شاربي

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فَقُمْ ، فقمتُ . فلمّا كان العَشِيُّ رُحت وإذا هو جالس على سريره في المسجد فسلّمتُ ، فلمّا رآني قال لي : ادْنُ ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على مَرافقه ، فأصغى إليّ فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسان قطّ ؟ قلت : لا والله ؛ قال : أفتدري لِمَ أدخلناك ؟ قلتُ : لا ؛ قال : لتُحدِّث بما رأيت . ثم التفتَ إلى عبد الله بن أبي فَرْوة فقال : أعطِه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوباً ، فما انصرف يومئذٍ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به ، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة[1] القَصّار ثياباً وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة .

[عائشة بنت طلحة وأزواجها]

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وكان أبا عُذْرتها ثم هَلك ، فتزوّجها مصعب فقُتل عنها ، ثم تزوّجها عمر بن عبيد الله بن مَعمر فبَنى بها بالحِيرة ، ومُهِّدت له يوم عُرسه فُرُش لم يُرَ مثلها : سبع أذرع في عرض أربع ، فانصرف تلك الليلة عن سبع مَرّات ؛ فلَقِيَته مَولاة لها حين أصبح فقالت : يا أبا حَفص ، كَملْتَ في كلّ شيء حتى في هذا . فلمّا مات ناحت عليه وهي قائمةٌ ، ولم تَنُح على أحد منهم قائمةً ، وكانت العرب إذا ناحت المرأة قائمةً على زوجها عُلم أنّها لا تريد أن تتزوّج بعده ؛ فقيل لها : يا عائشة ، ما صنعتِ هذا بأحد من أزواجك ؛ قالت : إنّه كان فيه خِلال ثلاث لم تكن في أحد منهم : كان سيِّد بني تَيْم ، وكان أقربَ القوم بي قَرابة ، وأردتُ ألاّ أتزوّجَ بعده ! .

وأخبرني بخبر مصعب والشَّعبيّ وعائشة أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال أخبرنا محمد بن الحَكَم عن عَوانَة قال : خرج مصعب بن الزبير من دار الإمارة يريد دار موسى بن طلحة ، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشّعبيّ . ثم ذكر باقي الحديث مثله ، ولم يذكر شيئاً من حديث المُغنِّين . قال ابن عمّار : وأخبرني به داود بن جميل عن محمد بن جميل الكاتب عن ابن الأعرابيّ : قال ابن عمّار وأخبرني به أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائنيّ أنّ الشّعبيّ قال : دخلتُ المسجد وفيه مصعب بن الزبير فاستدناني فدَنَوت حتى وضعت يدي على مرافقه ، فأصغى إليّ وقال : إذا قمتُ فاتّبعني . ثم ذكر باقي الحديث أيضاً مثلَ الذي تقدّمه .

1 كارة : صرّة الثياب . وقال كارة القصار كناية عن كبرها .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

وما زِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرَّ شاربي إلى اليوم أُخْفِي حُبّها وأُداجِنُ
وأحمِل في ليلى ضغائنَ مَعْشَرٍ وتُحْمَل في ليلى عليّ الضغائنُ[1]

عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر بن عبد الرحمن . والغِناء لمعبد ثقيل أوّل بالبِنصر عن حبش . وفيه لحن للغريض .

[كان الغريض إذا غنّى بشعر لكثير قال أنا سريجيّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان الغريض إذا غنّى بيتين لكثيّر قال : أنا السُّرَيجيّ حقّاً ، ولم يكن يقول ذلك في شيء من غنائه وكان من جيّد غنائه .

[قدم يزيد بن عبد الملك مكّة فغنّاه الغريض]

وقَدِمَ يزيد بن عبد الملك مكّة فبعث إلى الغريض سِرّاً فأتاه فغنّاه بهذا اللحن وهو فيهما : [من الطويل]

وإنّي لأَرعى قومَها من جَلالها وإن أظهروا غِشّاً نصَحت لهم جَهْدِي
ولو حاربوا قومي لكنتُ لقومها صديقاً ولم أَحمِلْ على قومها حِقْدِي

فأُشير إلى الغريض أن اسكُتْ ؛ وفطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يُغنِّيني بما يريد ، فأعاد عليه الصوت مراراً ، ثمّ قال : زِدني ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو[2] بن شَأْس الأَسدِيّ : [من الطويل]

فوَانَدمي على الشباب ووانَدَمْ ندِمتُ وبان اليومَ منّي بغير ذمّ
أرادتْ عرارا بالهَوانِ ومن يُرِدْ عراراً[3] لعَمْرِي بالهوانِ فقد ظَلَمْ

قال : فطرِب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبد الله هذا الحديث ، وقد أخذنا في أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضاً ، فقال أبو عبد الله : كان قدوم يزيد مكّة وبِعثَتُه إلى الغريض سِرّاً قبل أن يُستَخلف ؛ فقلت له : فلِم أُشير إلى الغريض أن يسكت

1 ورد البيت فيما تقدّم برواية مختلفة وتلك هي رواية الديوان .

2 سيترجم له أبو الفرج فيما بعد . وله ترجمة في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة) 338–339 وفي الحاشية ذكر لمصادر أخرى .

3 ضبط هذا الاسم في المصادر بالقلم بفتح العين وكسرها . انظر اللسان (عرر ، عمم) والشعر والشعراء : 338 والحماسة بشرح المرزوقي : 280 .

حين غنّاه بشعر كثيّر :

وإنّي لأَرْعى قومَها من جَلالها

وما السبب في ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أُحدِّثُكَه :

[عمر بن بلال يصلح بين عبد الملك وزوجته عاتكة]

حدّثني أبي قال : كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبّاً لعاتكة امرأته ، وهي ابنة يزيد بن معاوية وأُمّها أمّ كُلثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز ، وهي أمّ يزيد بن عبد الملك ، فغَضِبَت مرّة على عبد الملك ، وكان بينهما باب فحَجَبته وأغلقتْ ذلك الباب ، فشقّ غضبُها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له عمر بن بِلال الأسديّ ، فقال له : ما لي عندك إن رَضِيَتْ ؟ قال : حُكْمُك . فأتى عمرُ بابها وجعل يَتباكى . وأرسل إليها بالسلام ، فخرجتْ إليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فقُلن : ما لك ؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها ، فقد علِمتْ مكاني من أمير المؤمنين معاوية ومن أبيها بعدَه ، قلن : وما لك ؟ قال : ابناي لم يكن لي غيرهما فقَتل أحدهما صاحبه ، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به ، فقلت : أنا الوليّ وقد عفوتُ ؛ قال : لا أُعوِّد الناس هذه العادة ، فرجوتُ أن يُنْجِيَ الله ابني هذا على يدها ؛ فدخَلْن عليها فذكَرْنَ ذلك لها ؛ فقالت : وكيف أصنع مع غضبي عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْن إذاً والله يُقْتَل ، فلم يزَلْن حتى دعت بثيابها فأجْمَرَتها[1] ثم خرجت نحو الباب ، فأقبل حُدَيْج الخَصيّ قال يا أمير المؤمنين : هذه عاتكة قد أقبلت ؛ قال : ويلك ، ما تقول ؟ قال : قد واللهِ طلعتْ ، فأقبلتْ وسلّمت فلم يَرُدّ عليها ، فقالت : أما والله لولا عمر ما جئتُ ، إنّ أحد ابنيه تعدّى على الآخر فقتَله فأردتَ قَتل الآخر وهو الوليّ وقد عفا ؛ قال : إنّي أكره أن أُعوِّد الناس هذه العادة ؛ قالت : أَنْشُدُك الله يا أمير المؤمنين ، فقد عرفتَ مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يزيد ، وهو ببابي ؛ فلم تزل به حتى أخذت برِجله فقبّلتها ؛ فقال : هو لك ، ولم يَبْرَحا حتى اصطلحا ؛ ثم راح عمر بن بلال إلى عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف رأيت ؟ قال : رأينا أَثَرك ، فهاتِ حاجَتَك ؛ قال : مَزرعة بعُدَّتها وما فيها ، وألف دينار وفرائض لولدي وأهل بيتي وعيالي ؛ قال : ذلك لك . ثم اندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر :

وإنّي لأرعى قومها من جَلالها

البيتين ؛ فعلِمتْ عاتكة ما أراد . فلمّا غُنِّيَ يزيد بهذا الشعر كَرِهتْه مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به في أُمِّه ، ولم يكرهه يزيد وقال : لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنِّيَ به لما كان عَيْباً ،

1 أجمر الثياب : بخرها .

فكيف وإنّما هو مثلٌ تمثّل به أمير المؤمنين في أجمل العالَمين !

[حمل عرار بن عمرو بن شأس رأس ابن الأشعث إلى عبد الملك]

قال أبو عبد الله : وأمّا خبره لما غنّى بشعر عمرو بن شأس فإن ابن الأشعث لما قُتِل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شأس ، فلمّا ورد به وأوصل كتاب الحجّاج جعل عبد الملك يقرؤه ، فكلّما شكّ في شيء سأل عراراً عنه فأخبره ، فعجب عبد الملك من بيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

وإنّ عـراراً إن يكن غيرَ واضِح فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَمْ[1]

فضحك عرار من قوله ضحكاً غاظ عبد الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحِكت ويلَك ! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال : لا ؛ قال : فأنا والله هو ؛ فضحِك عبد الملك وقال : حظٌّ وافق كلمة ، ثم أحسن جائزته وسرّحه .

قال أبو عبد الله : وإنّما أراد الغريض أن يغنّي يزيدَ بمُتَمثَّلات عبد الملك في الأمور العِظام ، فلمّا تبيّن كراهة مواليه غناءه فيما تمثَّل به في عاتكة أراد أن يُعقِبه ما تمثَّل به في فتح عظيم كان لعبد الملك ، فغنّاه بشعر عمرو بن شأس في عرار .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

وإنّي لأرعَـى قومَهـا مِـن جَلالها وإن أظهروا غِشّاً نصَحتُ لهم جُهدي

ولـو حاربـوا قومـي لكنتُ لِقومها صديقاً ولم أَحمِلْ على قومِهـا حِقدي

عروضه من الطويل . الشعر لكُثيِّر ، والغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه لقفا النّجار ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيه لعَلُّوَيْهْ ثقيل أوّل .

[خرج إليه معبد بمكّة وسمع غناءه]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني إبراهيم عن يونس الكاتب قال حدّثني معبد قال : خرجت إلى مكّة في طلب لقاء الغريض وقد بلغني حسن غِنائه في لَحنه : [من الطويل]

وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ شادِناً بمكّـةَ مَكْحـولاً أَسِيلاً مَدامعُهْ

1 المنكب العمم : الطويل .

وقد كان بلغني أنّه أوّل لحن صنعه وأنّ الجنّ نهته أن يُغنّيه لأنّه فَتَن طائفةً منهم ، فانتقلوا عن مكّة من أجل حُسنه ، فلمّا قدمتُ مكّة سألت عنه فدُلِلتُ على منزله ، فأتيتُه فقرعتُ الباب فما كلّمني أحد ، فسألت بعض الجيران فقلت : هل في الدار أَحَدٌ ؟ قالوا لي : نعم ، فيها الغريض ، فقلت : إنّي قد أكثرتُ دَقَّ الباب ، فما أجابني أَحَدٌ ؛ قالوا : إنّ الغريض هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجبني أحد ، فقلت : إن نفعني غِنائي يوماً نفعني اليوم ، فاندفعت فغنّيت لحني في شعر جميل : [من الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وَلِيداً فلم يزلْ إلى اليوم يَنْمِي حبُّها ويزيدُ

فوالله ما سمعتُ حركة الباب ، فقلت : بطَل سِحري وضاع سَفَري وجِئتُ أطلب ما هو عسيرٌ عليّ ، واحتقرت نفسي وقلت : لم يتوهّمني[1] لضَعف غِنائي عنده ، فما شعرتُ إلاّ بصائح يصيح : يا معبد المغنّي ، افهَم وتَلَقّ عنّي شعر جميل الذي تُغنّي فيه يا شقيّ البخت ، وغنّى :

صوت
للغريض ولم تُذكر طريقتُه

[من الطويل]

وما أَنْس مِ الأشياءِ لا أَنْس قولَها وقــد قُرّبتْ نِضْوي أَمِصْرَ تريدُ[2]
ولا قولها لولا العيونُ التي تَرى أَتيتُــك فاعذِرني فدَتْــك جُدودُ
خَليليّ مــا أُخفي من الوجدِ باطن ودمعي بمــا قلتُ الغداةَ شَهيدُ[3]
يقولون جاهــِدَ يا جميلُ بغزوةٍ وأيّ جِهــادٍ غيرهــنّ أُرِيــدُ
لكلّ حديــثٍ عندهــنّ بشاشةٌ وكلّ قتيــلٍ بينهــنّ شَهيدُ[4]

عروضه من الطويل . قال : فلقد سمعتُ شيئاً لم أسمع أحسن منه ، وقَصّر إليّ نفسي وعلِمتُ فضيلته عليّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت : إنّه لَحَرِيّ بالاستتار من الناس تَنْزِيهاً لنفسه وتعظيماً لقَدْره ، وإنّ مثلَه لا يستحقّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعاً ، فلمّا كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بي : يا معبد ، انتظر أكلّمْك ،

1 لم يتوهّمني : لم يعرفني .
2 النضو : المهزول من الإبل .
3 باطن في رواية ظاهر .
4 عندهن في ل : بينهنّ .

فرجعتُ ، فقال لي : إنّ الغريض يدعوك ؛ فأسرعتُ فَرِحاً فدنوتُ من الباب ؛ فقال لي : أتُحِبّ الدخول ؟ فقلت : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ فقرع الباب ففُتِح ، فقال لي : ادخل ولا تُطِلِ الجلوس ؛ فدخلت فإذا شمس طالعةٌ في بيت ، فسلّمتُ فَرَدّ السلام ، ثم قال : اجلس فجلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنهم وجهاً وخَلْقاً وخُلُقاً ، فقال : يا معبد ، كيف طرأتَ إلى مكّة ؟ فقلت : جُعِلت فداءك ! وكيف عرفتَني ؟ فقال : بصوتك ؛ فقلت : وكيف وأنت لم تسمعه قطّ ؟ قال : لمّا غنّيت عرفتُك به وقلت : إن كان معبدٌ في الدنيا فهذا ؛ فقلت : جُعلت فداءك ، فكيف أجبتَني بقولك : [من الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قُرّبتْ نِضْوِي أمصرَ تريدُ

فقال : قد علمتُ أنّك تريد أن أُسْمِعَك صوتي : [من الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ شادِناً بمكّة مكحولاً أسِيلاً مدامعُهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنّه صوتٌ قد نهيتُ أن أُغنّيَه فغنّيتُك هذا الصوتَ جواباً لِما سألتَ وغنّيتَ ؛ فقلت : والله ما عدَوتَ ما أردتُ ، فهلْ لك حاجةٌ ؟ فقال لي : يا أبا عَبّاد ، لولا ملالة الحديث وثِقل إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك ، فأعْذِر ؛ فخرجتُ من عنده ، وإنّه لأجلُّ الناس عندي ، ورجعتُ إلى المدينة فتحدثتُ بحديثه وعجِبتُ من فِطنته وقِيافته ، فما رأيتُ إنساناً إلاّ وهو أجلّ[1] منه في عيني .

[خبر جميل وبثينة وتوسيطه رجلاً من بني حنظلة في لقائها]

وذكرتُ جميلاً وبُثينة فقلت : ليتني عرفت[2] إنساناً يُحدّثني بقصّة جميل وخبر الشعر فأكون قد أخذت بفضيلة الأمرِ كلِّه في الغناء والشعر . فسألت عن ذلك فإذا الحديث مشهور ، وقيل لي : إن أردتَ أن تُخَبَّرَ بمشاهدته فأتِ بني حنظلة ، فإن فيهم شيخاً منهم يقال له فلان يُخبِرك الخبر ؛ فأتيت الشيخَ فسألته فقال : نعم ، بينا أنا في إبلي في الربيع إذا أنا برجل مُنْطَوٍ على رَحله كأنّه جانٌّ فسلّم عليّ ثم قال : ممّن أنت يا عبد الله ؟ فقلت : أحدُ بني حنظلة ؛ قال : فانتسِب ؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فَخذي الذي أنا منه ؛ ثم سألني عن بني عُذرة أين نزلوا ؛ فقلت له : هل ترى ذلك السَّفْح ؟ فإنّهم نزلوا من ورائه ؛ قال : يا أخا بني حنظلة ، هل لك في خير[3] تصطنعه إليّ ؟ فوالله لو أعطيتني ما أصبحتَ تسوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّي لك

1 ل : أعظم .
2 ل : أصبت .
3 ل : معروف .

عليه ؛ فقلت نعم ، ومن أنت أوّلاً ؟ قال : لا تسألني من أنا ولا أُخبرك غير أنّي رجلٌ بيني وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بني العمّ ، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنّك تجد القوم في مجلسهم فتَنشدُهم بَكْرةً أَدماء[1] تجرّ خُفَّيْها غُفْلاً من السِّمة ، فإن ذكروا لك شيئاً فذاك ، وإلاّ استأذنتَهم في البيوت وقلتَ : إنّ المرأة والصبيَّ قد يَرَيان ما لا يَرى الرجال ، فتنشُدهم ولا تَدَع أحداً تُصيبه عينُك ولا بيتاً من بيوتهم إلاّ نشَدتها فيه ؛ فأتيتُ القوم فإذا هم على جَزُور يقتسمونها ، فسلَّمت وانتسبتُ لهم ونَشدتهم ضالّتي ، فلم يذكروا لي شيئاً ؛ فاستأذنتهم في البيوت وقلت : إنّ الصبيّ والمرأة يَريان ما لا ترى الرجال ، فأذِنوا ؛ فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم استقريتُها بيتاً بيتاً أنشُدُهم فلا يذكرون شيئاً ، حتى إذا انتصف النهار وآذاني حَرّ الشمس وعَطِشْت وفَرَغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ منّي التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات ، فقلت : ما عند هؤلاء إلاّ ما عند غيرهم ، ثم قلت لنفسي : سوءَةً ، وَثِقَ بي رجلٌ وزعم أن حاجته تَعدِل مالي ثم آتيه فأقول : عَجَزت عن ثلاثة أبيات ! فانصرفتُ عامداً إلى أعظمها بيتاً ، فإذا هو قد أُرْخِيَ مؤخّرُه ومقدّمُه ، فسلّمت فرُدّ عليّ السلام ، وذكرتُ ضالّتي ، فقالت جارية منهم : يا عبد الله ، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنّك إلاّ قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيت الشراب ؛ قلت : أجَلْ ؛ قالت : ادخل ؛ فدخلت فأتتني بصحفة فيها تمرٌ من تمر هَجَر ، وقدحٍ فيه لبن ، والصحفة مصريّة مُفَضّضة والقدح مفضَّض لم أرَ إناءً قطُّ أحسنَ منه ؛ فقالت : دونَك ؛ فتجَمَّعْتُ وشربت من اللبن حتى رَوِيتُ ، ثم قلتُ : يا أَمَة الله ، والله ما أتيتُ اليوم أكرمَ منكِ ولا أَحقَّ بالفضل ، فهل ذكرتِ من ضالّتي شيئاً ؟ فقالت : هل ترى هذه الشجرة فوق الشَّرَف[2] ؟ قلت نعم ؛ قالت : فإنّ الشمس غَرَبتْ أمسِ وهي تُطِيف حولَها ثم حال الليل بيني وبينها ؛ فقمتُ وجَزَيتُها الخير وقلت : والله لقد تغدّيتُ ورَوِيتُ ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرة فأطفت بها ، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ ، فأتيت[3] صاحبي فإذا هو متَّشِحٌ في الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرتَه[4] يُغنّي ، قلت : السلام عليك ؛ قال : وعليك السلام ما وراءك ؟ قلت : ما ورائي من شيء ؛ قال : لا عليك ! فأخبرْني بما فعلتَ ، فاقتصصتُ عليه القصّة حتى انتهيت إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذي صنعتْ ؛ فقال : قد أصبت طَلِبَتك ؛ فعجِبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئاً ، ثم سألني عن صفة الإناءين : الصَّحفة والقدح فوصفتُهما له ، فتنفّس الصُّعداء وقال : قد أصبتَ طلبتك ويحك ؛ ثم ذكرتُ له الشجرة وأنّها رأتها تُطيف

1 تنشدهم : تسألهم . البكرة : الفتية من الإبل . أدماء : بيضاء .

2 الشرف : المكان العالي .

3 ل : وانصرفت إلى .

4 عقيرة الرجل : صوته .

بها ؛ فقال : حسبُك ! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلي إلى مباركها دعوتُه إلى العشاء فلم يدنُ منه ، وجلس منّي بِمَزْجَر الكلب ، فلمّا ظنّ أنّي قد نِمتُ رمَقتُه فقام إلى عَيبة[1] له فاستخرج منها بُردَين فأتَزَر بأحدهما وتردّى بالآخر ، ثم انطلق عامداً نحو الشجرة . واستبطنت الوادي فجعلتُ أُخفي نفسي حتى إذا خِفت أن يراني انبطحت ، فلم أزل كذلك حتى سبقته إلى شجراتٍ قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أسمع كلامهما فاستترت بهنّ ، وإذا صاحبته عند الشجرة ، فأقبل حتى كان منها غير بعيدٍ ، فقالت : اجلس ؛ فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض ، فسلّم عليها وسألها عن حالها أكرم سؤال سمِعتُ به قطّ وأبعده من كلّ ريبة ، وسألتْه مثل مسألته ، ثم أمرتْ جارية معها فقرّبت إليه طعاماً ، فلمّا أكل وفَرَغ ، قالت أنشدني ما قلتَ ؛ فأنشدها : [من الطويل]

عَلِقتُ الهوى منها وليداً فلم يَزَل إلى اليوم يَنْمِي حبُّها ويَزِيدُ

فلم يزالا يتحدّثان ، ما يقولان فُحشاً ولا هُجْراً ، حتى التفتت التفاتة فنظرتْ إلى الصبح ، فودَّع كلُّ واحد منهما صاحبَه أحسن وداع ما سمعتُ به قطّ ثم انصرفا ، فقمتُ فمضيتُ إلى إبلي فاضطجعت وكل واحد منهما يمشي خطوة ثم يلتفت إلى صاحبه ؛ فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بني تَميم ، حتى متى تنام ؟ فقمتُ وتوضأت وصلّيت وحلبت إبلي وأعانني عليها وهو أظهر الناس سروراً ، ثمّ دعوتُه إلى الغداء فتغدّى ، ثم قام إلى عَيبته فافتتحها[2] فإذا فيها سلاح وبُردان ممّا كسته الملوك ، فأعطاني أحدَهما وقال : أما والله لو كان معي شيء ما ذخَرْتُه عنك ، وحدّثني حديثه وانتسب لي ، فإذا هو جميل بن معمَر والمرأة بُثينة ، وقال لي : إنّي قد قلتُ أبياتاً في مُنْصَرَفي من عندها ، فهل لك إنْ رأيتها أن تُنشدها[3] ؟ قلت : نعم ! فأنشدني : [من الطويل]

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها وقد قُرّبتْ نِضْوِي أمصرَ تُريدُ

الأبيات ، ثم ودّعني وانصرف ، فمكثتُ حتّى أخذتِ الإبلُ مراتِعَها ، ثم عَمَدتُ إلى دُهْنٍ كان معي فدهنتُ به رأسي ، ثم ٱرتديت بالبُردْ وأتيت المرأة فقلت : السلام عليكم ، إنّي جئت أمس طالباً واليوم زائراً ، أفتأذنون ؟ قالت : نعم ، فسمِعتُ جُوَيْرِيَة تقول لها : يا بثينة ، عليه والله بُرْد جميلٍ ؛ فجعلت اثْني على ضيفي وأذكر فضله ، وقلت : إنّه ذكرك فأحسن[4]

1 العيبة : وعاء من الجلد توضع فيه الثياب .
2 ل : مال إلى عيبته فأشخصها .
3 ل : هل لك أن تأتيها فتنشدها .
4 ل : بأحسن .

الذكر ، فهل أنتِ بارزةٌ لي حتّى أنظر إليك ؟ قالت : نعم ، فلبستْ ثيابها ثم برزت ودعت لي بطُرَفٍ ، ثم قالت : يا أخا بني تميم ، والله ما ثَوْباك هذان بمُشتبِهَيْن ، ودعَتْ بعَيبتها فأخرجت لي مِلحفة مَرَوِيّة مُشْبعة من العُصفر ، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولتَخلَعَنّ مِدرَعَتك ثم لتأْتَزِرَنّ بهذه الملحفة فهي أشبه ببُردِك ؛ ففعلت ذلك وأخذت مدرعتي بيدي فجعلتها إلى جانبي ، وأنشدتها الأبيات فدَمَعت عيناها ، وتحدّثنا طويلاً من النهار ، ثم انصرفتُ إلى إبلي بملحفة بثينة وبُرد جميلٍ ونَظرةٍ من بثينة . قال معبد : فجزَيتُ الشيخ خيراً وانصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناس حالاً بنظرة من الغريض واستماعٍ لغنائه ، وعِلمٍ بحديث جميل وبثينة فيما غنّيت أنا به وفيما غنّى به الغريض على حقّ ذلك وصِدقه ، فما رأيت ولا سمعت بزوجين قطّ أحسنَ من جميل وبثينة ، ومن الغريض ومنّي .

نسبة هذه الأصوات التي ذكرت في هذا الخبر

وهي كلّها من قصيدة واحدة .

منها :

صوت

[من الطويل]

عَلِقتُ الهَوى منها وليداً فلم يَزَلْ ... إلى اليومِ يَنْمِي حُبّها ويَزِيدُ

وأَفنيتُ عُمْرِي في انتظاري نوالَها ... وأَفنتْ بذاكَ الدهْرَ وهو جَديدُ

فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حُبُّها فيما يَبِيدُ يَبِيدُ

وما أَنسَ مِ الأشياءِ لا أَنسَ قولَها ... وقد قَرّبت نِضْوِي أمِصرَ تريدُ

ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى ... لَزُرتُك فاعذِرْني فدتْكَ جُدُودُ

إذا قلتُ ما بي يا بُثَيْنَةُ قاتلِي ... من الحبّ قالتْ ثابتٌ ويَزِيدُ

وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي أَعِشْ به ... تَوَلَّتْ وقالتْ ذاكَ منكَ بَعِيدُ

عروضه من الطويل ، الشعر لجميل بن معمر ، والغناء لمعبد في الأوّل والثاني والثالث والسادس والسابع ، ولحنه ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو بن بانة . وذكر عمرو والهشاميّ أنّ فيه ثقيلاً أوّل آخرَ للهُذَليّ ، وأنّ فيه خفيف ثقيل يُنسَبُ إلى معبد وإلى الغريض وإلى إبراهيم ، أوّله : «وما أنسَ مِ الأشياء» . وفي الأربعة الأبيات الأُوَل ثاني ثقيل بالبنصر لابن أبي قباحة . ولإسحاق في الثالث والسادس ثاني ثقيل آخر بالوسطى عن الهشاميّ . وأوّلُ هذه القصيدة فيه غناءٌ أيضاً ، وهو موصول بأبيات أُخَرَ : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ رَيْعــانَ الشبابِ جديدُ ودهــراً تَوَلّــى يــا بُثَيْنُ يعــودُ
فنَغْنَــى كما كنّــا نكــون وأنتــمُ قريبٌ ومــا قــد تَبْذُلِــين زَهِيدُ
أَلا لَيت شِعْرِي هــل أَبيتَنّ ليلةً بــوادي القُــرى إنِّي إذاً لسعيدُ
وهل أُلْقَيَنْ سُعْدى من الدهر ليلةً وما رثَّ من حبل الصفاء جديدُ[1]
فقد تَـلْتَقِي الأهواءُ بعــد تَفاوُتٍ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهي بَعِيدُ

في البيتين الأوّلين خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، ذكر حبش أنّه لإسحاق ؛ وليس يُشبه أنْ يكون له . وفي الثالث وما بعده لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر عن حبش أيضاً .

[قال ابن أبي ربيعة في شعر له فغيره الغريض باسمه لما غنّاه]

أخبرني إسماعيل بن يونس إجازةً قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال حدّثني الوليد بن هشام عن محمد بن مَعْن عن خالد بن سلمة المخزوميّ قال : خرجتُ مع أعمامي وأنا على نجيب ومعنا شيخٌ ، فلمّا أَسْحَرْنا قال لي أعمامي : انزل عن نَجيبك واحمل عليه هذا الشيخ واركب جَمَلَه ، ففعلت ؛ فإذا الشيخ قد أخرج عوداً له من غِلاف ، ثمّ ضرب به وغنّى : [من الرجز]

هاجَ الغَريضَ الذِّكَرُ لَمّا غَــدَوْا فانشَمَرُوا

فقلت لبعض أصحابنا : مَن هذا ؟ قال : الغريض .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الرجز]

هاجَ الغَريضَ الذِّكَرُ لَمّا غَــدَوْا فانشَمَرُوا
على بِغــالٍ شُحَّجٍ قــد ضَمَّهُنّ السفَرُ
فيهــنّ هِنْــدٌ ليتَنِي مــا عُمِّرتْ أُعَمَّرُ
حتى إذا مــا جاءَها حَتْــفٌ أتاني القَدَرُ

عروضه من الرجز . الذي قال عمر :

1 ليلة في ل : مرّة .

هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرُ

بالقاف ، فجعله الغريض لما غنّى فيه : «الغريض» يعني نفسه . الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء لابن سريج . ذكر يونس أنّ له فيه لحنَيْن . وذكر إسحاق أنّ أحدهما رملٌ مطلق في مجرى البنصر ولم يذكر الآخر ، وذكر الهشاميّ أنّ الآخر خفيف رملٍ . وفيه للغريض ثقيل أوّل بالبنصر ، وقيل : إنّه لحن ابن سريج ، وإنّ خفيف الرمل للغريض . وأوّل هذا الصوت في كتاب يونس : [من مجزوء الرجز]

هـاج فؤادي مَحْضَرُ بـذي عُكاظٍ مُقْفِرُ[1]
حتّى إذا ما وازنوا الـ ـمَرْوَةَ حين ائْتَمَرُوا[2]
قيل انزلُـوا فَعَرِّسُوا من ليلكم وانشَمِرُوا
وقولُهـا لأختهـا أمُطْمَئِـنٌّ عُمَـرُ

[قدم الوليد بن عبد الملك مكّة فصحبه ابن أبي ربيعة وغنّاه الغريض]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السَّعْدِيّ : أنّ الوليد بن عبد الملك قدِم مكّة ، فأراد أن يأتي الطائف ، فقال : هل من رجلٍ عالمٍ يُخبرني عنها ؟ فقالوا : عُمَرُ بن أبي ربيعة ؛ قال : لا حاجة لي به ، ثم عاد فسأل ، فذكَروه فأباه ، ثمّ عاد فذكروه فقال : هاتوه ؛ وركِب معه فجعل يُحدِّثه ، ثم حوّل عمر رداءه ليُصلحه على نفسه ، فرأى الوليد على ظهره أثراً ، فقال : ما هذا الأثر ؟ قال : كنت عند جارية لي إذ جاءتني جارية برسالة من عند جاريةٍ أُخْرى وجعلتْ تُسارُّني بها ، فغارت التي كنت عندها فعَضَّت مَنكبي ، فما وجدتُ ألَم عَضّتها من لذّة ما كانت تلك تنفُثُ في أُذُني حتى بلغتْ ما ترى ، والوليد يضحك . فلمّا رجع عمر قيل له : ما الذي كنت تُضحِك به أمير المؤمنين ؟ قال : ما زلنا في حديث الزِّنا حتى رجع . وكان قد حَمَل الغريض معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندي أجمل الناس وجهاً وأحسنهم حديثاً ، فهل لك أن تسمعه ؟ قال : هاتِه ، فدعا به فقال : أسمِع أمير المؤمنين أحسن شيء قلته ؛ فاندفع يغني بشعر عمر ، ومن الناس مَن يرويه لجميل : [من الكامل]

صوت

إنّـي لأحفَـظُ سِرَّكم ويَسُرُّني لـو تعلمـين بصالح أن تُذْكَرِي

1 المحضر : الماء يجتمعون ويحضرون عليه .
2 وازنوا : حاذوا . وائتمروا : تشاوروا .

ويكون يـومٌ لا أرى لك مُرْسَلاً أو نَلتقـي فيـه عـليّ كأشهُرِ
يـا ليتني ألقَـى المنيّـةَ بَغْتَـةً إنْ كان يـومُ لقائكم لم يُقْدَرِ
مـا كنتِ والوعدَ الذي تَعِدِينَني إلاّ كبَـرْقِ سَحابـةٍ لم تُمْطِرِ
تُقْضَى الدّيونُ وليس يُنْجِزُ عاجلاً هذا الغريـمُ لنـا وليس بمُعْسِرِ

عروضه من الكامل . وذكر حبش أنّ الغناء للغريض ، ولحنه ثقيل أوّل بالبنصر ، قال : فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رُقْيَتُك ، ووصله وكساه وقضى حوائجه .

[نصيب يصف لنفسه وللشعراء الثلاثة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنيّ عن عَوانة قال حدّثني رجل من أهل الكوفة قال : قدِم نُصَيْب الكوفة ، فأرسلني أبي إليه ، وكان له صديقاً ، فقال : أقرئْه منّي السلام وقل له : إنْ رأيتَ أن تُهدِي لنا شيئاً ممّا قلتَ ! فأتيتُه في يوم جمعة وهو يصلّي ، فلمّا فَرَغ أقرأته السلام وقلت له ، فقال : قد علم أبوك أنّي لا أُنْشِد في يوم الجمعة ولكن تلْقاني في غيره فأبلُغ ما تحبّ ، فلمّا خرجتُ وانتهيت إلى الباب رُدِدْتُ إليه ؛ فقال : أتروي شيئاً من الشعر ؟ قلتُ نعم ؛ قال : فأنشدني ؛ فأنشدته قول جميل : [من الكامل]

إنّي لأَحفظُ غَيْبَكم ويَسُرُّني لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِي

الأبيات المتقدّمة ؛ فقال نُصَيْبٌ : أمْسِكْ ! أمْسِك ! لله دَرُّه ! ما قال أحدٌ إلاّ دون ما قال ، ولقد نَحَت للناس مثالاً يَحتذون عليه . ثم قال : أمّا أصدَقُنا في شعره فجَمِيل ، وأمّا أوصفُنا لربّات الحِجال فكُثَيِّر ، وأمّا أكذبنا فعُمَر بن أبي ربيعة ، وأمّا أنا فأقول ما أعرف .

[سمع أصوات رهبان في دير فصنع لحناً على مثالها]

وقال هارون بن محمد الزيّات حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ الغريض سمِع أصواتَ رُهبان بالليل في دير لهم فاستحسنها ، فقال له بعض مَن معه : يا أبا يزيد ، صُغ على مِثْل هذا الصوت لحناً ؛ فصاغ مِثله في لحنه : [من الكامل]

يـا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي لا تَصْرِمِيني إنّني غـادي

فما سُمِعَ بأحسنَ منه .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الكامل]

يـا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي لا تَصْرِميني إنّني غادي

جَدّ الرحيلُ وحثَّني صَحْبِي وأُريدُ إمتاعـاً مـن الزَّادِ

عروضه من مُزاحَف الكامل . الشعر[1] لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ . والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لابن المكّيّ ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفيه لإبراهيم بن أبي الهيثم هَزَج .

[غناء إبراهيم بن أبي الهيثم والرجل الناسك]

وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمَر بن شبّة عن أيّوب بن عباية عن عمرو بن عُقبة ، وكان يُعرف بابن الماشطة ، قال : خرجتُ أنا وأصحابٌ لي فيهم إبراهيم بن أبي الهيثم إلى العقيق ، ومعنا رجلٌ ناسك كنّا نحتَشم منه ، وكان محموماً نائماً ، وأحببنا أن نسمع مَن معنا من المغنّين ونحن نَهابُه ونحتشمه ، فقلت له : إنّ فينا رجلاً يُنشد الشعر فيُحسِن ، ونحن نُحِبّ أن نسمعه ، ولكنّا نهابُك ؛ قال : فما عليّ منكم ؛ أنا محموم نائم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فاندفع إبراهيم بن أبي الهيثم فغنّى : [من الكامل]

يـا أُمّ بكـرٍ حبّكِ البادِي لا تَصْرِمِيني إنّنـي غـادِي
جَدّ الرحيلُ وحَثَّني صَحْبِي وأُريـد إمتاعـاً مـن الزَّادِ

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسكُ فجعل يَرقص ويَصيح : أريد إمتاعاً من الزاد ، والله أُريد إمتاعاً من الزاد ، ثم كشف عن أَيره وقال : أنا أنيك أمّ الحُمَّى ! قال : يقول لي ابن الماشطة : أعتقتُ ما أملِك إن كان ناك أمّ الحُمَّى أحدٌ قبله .

أخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب فذكر الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءته وما قاله بعد ذلك .

[هروبه إلى اليمن خوفاً من نافع بن علقمة وموته بها]

وكانت وفاة الغريض في أيّام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنّه مات في خلافة سليمان ، لأنّ الوليد كان ولّى نافع بن علقمة مكّة فهرب منه الغريض وأقام باليمن واستوطنها مدّةً ثم مات بها . وأخبرني بخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبي قال أخبرني بعض المخزوميين أيضاً بخبره .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان : أنّ نافعَ بن علقمة لمّا وُلّيَ مكّة خافه الغريض ، وكان كثيراً ما يطلبه فلم يجئه ، فهرب منه واستخفى في بعض منازل إخوانه . قال : فحدّثني رجلٌ من أهل مكّة كان يخدمه : أنّه دفع إليه يوماً

1 سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

رَبْعَةً[1] له وقال له : صِرْ بها إلى فلان العطّار يملؤها لي طِيباً ؛ قال : فصِرتُ بها إليه ، فلقيني نافع بن عَلقمة فقال : هذه رَبْعَةُ الغريض والله ، فلم أقدِر أن أكتُمَه ، فقلت : نعم ؛ قال : ما قِصَّته ؟ فأخبرته الخبر ؛ فضحك وقال : سِرْ معي إلى المنزل ففعلت ، فملأها طِيباً وأعطاني دنانير ، وقال : أعطِه وقل له يَظهرُ فلا بأس عليه ؛ فسِرتُ إليه مسروراً فأخبرتُه بذلك فجَزِع وقال : الآن ينبغي أن أهرب ، إنّما هذه حيلةٌ احتالها عليّ لأقع في يده ؛ ثم خرج من وقته إلى اليمن ، فكان آخر العهد به .

قال إسحاق فحدّثني هذا المخزوميّ : أنّ الغريض لمّا صار إلى اليمن وأقام به اجتَزْنا به في بعض أسفارِنا ؛ قال : فلمّا رآني بكى ؛ فقلت له : ما يُبكيك ؟ قال : بأبي أنتَ وأُمّي ! وكيف يَطِيبُ لي أن أعيش بين قوم يَرونَني أحمِل عودي فيقولون لي : يا هَناه ، أتبيع آخرةَ الرَّحْل ! فقلت له : فارجع إلى مكّة ففيها أهلُك ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّما كنتُ أستلذّ مكّة وأعيش بها مع أبيك ونحوه ، وقد أوطَنتُ[2] هذا المكان ولستُ تاركَه ما عشتُ ؛ قلنا له : فغَنِّنا بشيء من غنائك فتأبّى ، ثم أقسمنا عليه فأجاب ، وعَمَدنا إلى شاةٍ فذبحناها وخرَطنا من مُصرانها أوتاراً ، فشدّها على عُوده واندفع فغنّى في شعر زهير : [من الوافر]

جَرى دَمْعِي فهيَّج لي شُجُونا فقلبي يُسْتَجَـنُّ بـــه جُنونا

فما سمعنا شيئاً أحسن منه ؛ فقلنا له : ارجع إلى مكّة ، فكلُّ مَن بها يشتاقك . ولم نَزَل نُرغِّبه في ذلك حتى أجاب إليه . ومَضينا لحاجتنا ثم عُدنا فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصّتك ؟ قال : جاءني منذ ليالٍ قوم ، وقد كنتُ أُغنّي في الليل ، فقالوا : غَنِّنا ؛ فأنكرتُهم وخِفتُهم ، فجعلت أُغنّيهم ؛ فقال لي بعضُهم غَنِّني : [من مجزوء الوافر]

لقد حَثُّوا الجمالَ ليَهْـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا[3]

ففعلت ؛ فقام إليّ هَنٌ منهم أزَبُّ[4] فقال لي : أحسنتَ والله ! ودَقّ رأسي ، حتى سقطتُ لا أدري أين أنا ، فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى ، ولا أُراني إلاّ سأموت . قال : فأقمنا عنده بقيّة يومنا ومات من غدٍ فدفنّاه وانصرفنا .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبّة عن أبي غسّان قال : زعم المكيُّون أنّ

---

1 ربعة : وعاء الطيب .

2 أوطن المكان : اتّخذه وطناً .

3 لم يئلوا : لم يجدوا موئلاً يعتصمون به .

4 هن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه «هنون» . والأزب : الكثير الشعر .

الغريض خرج إلى بلاد عَكٍّ[1] فغنّى ليلاً : [من مجزوء الوافر]

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا ركباً كما قـد تجمَعُ السُّبُلُ

فصاح به صائح : اكفُفْ يا أبا مروان ، فقد سَفَّهتَ حُلَماءَنا ، وأصبيت سفهاءَنا ، قال : فأصبح ميّتاً .

[رواية أخرى في وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الخَطّاب قال حدّثنا رجل من آل أبي قَبِيلٍ ، يقال له مُحْرز ، عن أبي قبيل قال : رأيتُ الغريض ، وقال إسحاق في خبره المذكور : حدّثني محمد بن سلاّم عن أبي قبيل ، وهو مولًى لآل الغريض ، قال : شهدتُ مَجْمَعاً لآل الغريض إمّا عُرْساً أو خِتاناً ، فقيل له : تَغَنَّ ؛ فقال : هو ابن زانية إن فعل ؛ فقال له بعض مَواليه : فأنت والله كذلك ! قال : أَوَكذلك أنا ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت أعلم بي والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرمى به وتمشَّى مِشيةً لم أَرَ أحسن منها ، ثم تَغَنَّى : [من الطويل]

تَشَرَّبَ لـــونَ الرَّازِقيّ بياضُــه أو الزعفران خالط المِسكَ رادعُهْ[2]

فجعل يُغَنِّيه مُقبِلاً ومُدْبِراً حتى التوتْ عُنُقه وخَرَّ صريعاً ، وما رفعناه إلاّ ميّتاً ، وظَنَنَّا أنّ فالِجاً عاجَلَه . قال إسحاق وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال : إنّما نهتْهُ الجنّ أن يتغنّى بهذا الصوت ، فلمّا أغضبه مَواليه تَغَنّاه فقتَلَتْه الجنّ في ذلك .

نسبة هذه الأصوات

صوت[3]

منها : [من الوافر]

جَرى دَمْعي فهيَّج لي شُجُونا فقلبـــي يُسْتَجَنُّ بــه جُنونـا
أأبكـــي للفِرَاق وكلُّ حـيٍّ سيبكي حـين يَفتَقِـد القَرِينا
فإن تُصْبِحْ طُلَيْحـــةُ فارقتني بَيْـنٍ فالرزيَّـــةُ أن تَبينـــا[4]
فقد بانتْ بكرْهِي يوم بانتْ مُفارِقـــةً وكنـــتُ بهـا ضَنِينا

1 بلاد عك : مخلاف باليمن .
2 الرازقي : ثياب الكتّان البيض ، وقيل هو الكتّان نفسه (اللسان) ، وهو غير متّفق تماماً مع سياق البيت .
3 لم نعثر على هذه الأبيات في ديوان زهير بشرح ثعلب .
4 طليعة في ل : ظليمة .

الشعر لزهير ، والغناء للغريض عن حبش ، وقيل : إنّه لدَحمان . وفيه لأبي الورد خفيف رمل بالوسطى [عن حبش والهشاميّ] .

انقضت أخبار الغريض .

ومنها : [من مجزوء الوافر]

صوت

من المائة المختارة في رواية جَحْظَة

لقد حَثُّوا الجِمالَ لَيَهْـ ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا
عـلى آثارهـنّ مُقَلّـ ـص السِّرْبالِ مُعْتَمِلُ[1]
وفيهم قلبُك المَتبو لُ بالحسناءِ مُخْتَبَلُ
مُخَفّفةٌ بحَمْلِ حما ئلِ الدِّيباجِ والحُلَلِ[2]
أُسائل عاصماً في السِّرِّ أَيْنَ تُراهُمُ نَزَلُوا
فقال هُمُ قَرِيبٌ منـ ـكَ لو نفعوكَ إذ رَحَلُوا

الشعر للحَكَم بن عَبْدَل الأسديّ ، والغناء في اللحن المختار للغريض ، ولحنُه خفيف ثقيل [أوّل] بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى في الأول والثاني من الأبيات . وذكر الهشاميّ أنّ فيهما لحناً لمعبد من الثقيل الأوّل . وفي الثالث وما بعده من الأبيات لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثقيل أوّل بالوسطى عن حبش . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي صحّ فيه أربعةُ ألحان : منها لحنان في خفيف الثقيل للغريض ومالك ، ولحنان في الرمل لابن سريج ومُخارق . وذكر ابن الكلبيّ أنّ فيها لعريب رَمَلاً ثالثاً ، وذكر حبشٌ أنّ فيها لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، ولابن مِسْجَح رملاً بالبنصر ، ولابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر . هذه الألحان كلّها في «لقد حثُّوا» والذي بعده .

1 مقلص السربال : مشمره .

2 في هذا البيت إقواء .

[18] ـ أخبار الحكم بن عبدل ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحَكَم بن عبدل بن جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن عِقال بن بِلال بن سعد بن حِبال بن نصر بن غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة ، شاعرٌ مُجيد مُقَدَّم في طبقته ، هَجَّاءٌ خبيثُ اللسان ، من شعراء الدولة الأمويّة ؛ وكان أعرج أحدب . ومنزله ومنشؤه الكوفة .

[أعرج يكتب بحاجته على عصاه فلا تردّ]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا محمد بن إدريس القَيسيّ بواسط قال حدّثنا العُتْبيّ قال : كان الحَكَم بن عبدل الأَسديّ أعرج لا تُفارقه العصا ، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك ، وكان يكتُب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رُسُله[2] ، فلا يُحبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخَّر له حاجةٌ ؛ فقال في ذلك يحيى بن نوفل : [من الطويل]

عَصا حَكَمٍ في الدار أوّلُ داخلٍ ونحنُ على الأبوابِ نُقْصَى ونُحْجَبُ
وكانتْ عَصا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً وهذي لَعمرُ الله أدهَى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعْصى ويُحْذَرُ سُخْطُها ويُرْغَبُ في المَرْضاة منها وتُرْهَبُ

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحِك الناس منها ؛ فكان ابن عبدل بعد ذلك يقول ليحيى : يا ابن الزانية ! ما أردتَ من عصاي حتى صَيَّرتها ضُحكةً ؟ واجتَنَبَ أن يكتُب عليها كما كان يفعل ، وكاتَب الناس بحوائجه في الرِّقاع .

[حبس هو وأبو علية صاحبه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ ، وأخبرني ابن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا

---

1 ترجمة الحكم بن عبدل في السمط : 899 ومصورة ابن عساكر 5 : 208 وتهذيب ابن عساكر 4 : 399 ومختصر ابن منظور 7 : 219 والمؤتلف والمختلف : 242 والوافي 13 : 114 والفوات 1 : 390 ووردت له ترجمة في ابن خلكان 2 : 201 وأخرى في معجم الأدباء 3 : 1185 ، واستغرب محقّق الكتابين ـ إحسان عبّاس ـ ورود هاتين الترجمتين فيهما لأنّ الأولى ليست على شرط ابن خلكان لأنّه لا يعرف سنة وفاته ، وبما أنّ الثانية لشاعر فهي أليق بمعجم الشعراء . وقد اقتبس ابن حمدون من أخباره وأشعاره عن الأغاني في عشرة مواضع وله في حماسة أبي تمام أربع قطع .

2 ل : رسوله .

أبو جعفر القُرَشيّ قال : كان للحَكَم بن عبدل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيّة ، وكان ابن عبدل قد أُقعد ، فخرجا ليلة من منزلهما إلى منزل بعض إخوانهما ، والحَكَمُ يُحمَلُ وأبو عُلَيَّة يُقاد ، فلَقِيَهما صاحب العَسس بالكوفة فأخذهما فحبسهما ، فلمّا استقرّا في الحبس نظر الحَكَم إلى عصا أبي عُلَيّة موضوعةً إلى جانب عصاه ، فضحِك وأنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

حَبْسي وحَبْسُ أبي عُلَيَّـ ـةَ من أعاجيب الزمانِ
أَعْمـى يُقـادُ ومُقْعَدٌ لا الرِّجْلُ منه ولا اليَدانِ
هـذا بِـلا بَصَرٍ هنـا كَ وبي يَخُبُّ الحامِلانِ
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَلا ةِ قَرِينَ حُوتٍ في مكانِ
طِرْفِي وطِرْفُ أبي عُلَيَّـ ـةَ دهْرَنـا مُتَوافقانِ
مَـنْ يَفْتَخِرْ بجَـوادِهِ فَجِيادُنـا عُكَّـازتانِ
طِرْفـانِ لا عَلَفاهُمـا يُشْرى ولا يَتَصاوَلانِ
هَـبْنِي وإيّـاه الحريـ ـقَ أكان يَسْطَع بالدُّخانِ

قال : وكان اسم أبي عُلَيَّة يحيى ، فقال فيه الحَكَم أيضاً : [من الطويل]

أقول ليحيى ليلـةَ الحبسِ سادِراً ونَوْمِي بـه نَـوْمُ الأَسِيرِ المُقَيَّدِ[1]
أَعِنِّي على رَعْـي النجومِ ولَحْظِها أُعِنْـكَ على تحبيرِ شِعْـرٍ مُقَصَّدِ[2]
ففـي حالَتَيْنـا عِبرةٌ وتَفَكُّـرٌ وأَعجبُ شيءٍ حَبْسُ أعمى ومُقْعَدِ
كِلانا إذا العُكَّـازُ فـارقَ كَفَّـهُ يُنِيخ صَرِيعاً أو على الوجه يَسْجُدُ[3]
فعُكّازة تَهْدِي إلى السُّبْل أَكْمَهاً وأُخْرى مَقامَ الرِّجل قامت مع اليَدِ

[دولة العرجان]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرَفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني أحمد بن بُكَير الأسديّ قال حدّثني محمد بن أَنَس السَّلاميّ الأسديّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال : وَلِيَ الشُّرطَةَ بالكوفة رجلٌ أَعرجُ ، ثم وَلِيَ الإمارة أمير أَعرج ، وخرج ابن عبدلٍ وكان أعرج ، فلقي سائلاً أَعرجَ وقد تَعرَّض للأمير يسأله ، فقال ابن عبدل للسائل : [من الكامل]

1 السادر : المتحير .
2 الشعر المقصد : أي في قصائد طويلة .
3 في هذا البيت إقواء .

أَلْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ والتَمِسْ عَمَلاً فهَذِي دَوْلَةُ العُرْجانِ[1]
لأَميرِنا وأميرِ شُرْطَتِنا مَعاً يا قَوْمَنا لِكِلَيْهِما رِجْلانِ
فإذا يكونُ أميرُنا ووزيرُنا وأنا فإنّ الرابعَ الشيطانُ[2]

فبلغت أبياتُه ذلك الأمير فبعث إليه بمائتي درهم وسأله أن يكُفَّ عنه .

وحدّثنيه الأخفش عن عبيد الله اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال : وَلِيَ عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفة وضُمَّ إليه رجلٌ من الأشعريّين يقال له سهل ، وكانا جميعاً أعرجَيْن . ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث يعقوب بن نُعَيم .

[حلم بما أعطاه عبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن المُحرز الباهليّ عن الهيثم الأَحْمَرِيّ قال : كانت لابن عبدل الأسديّ حاجةٌ إلى عبد الملك بن بِشْر بن مروان ، فجعل يدخل عليه ولا يتهيّأ له الكلام ، حتى جاءه رجلٌ فقال : إنّي رأيتُ لك رؤيا ، فقال : هاتِها . فقصَّها عليه ؛ فقال ابن عبدل : وأنا قد رأيت أيضاً ؛ قال : هاتِ ما رأيت ؛ فقال : [من الكامل]

أَغْفيتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّدٍ في ساعةٍ ما كنتُ قبلُ أَنامُها
فَحَبوتَنِي فيما أرى بوليدةٍ مَغْنوجةٍ حَسَنٍ عليّ قِيامُها
وبِبَدرةٍ حُمِلتْ إليّ وبغلةٍ شَهْباءَ ناجيةٍ يَصِلّ لِجامُها[3]
ليتَ المنابرَ يا ابنَ بِشْرٍ أصبحتْ تُرقى وأنتَ خطيبُها وإمامُها

فقال له ابن بشر : إذا رأيتَ هذا في اليَقظة أتعرفُه ؟ قال : نعم وإنّما رأيتُه قُبيلَ الصبح ؛ قال : يا غلام ، ادعُ فلاناً ، فجاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة فجاءت ، فقال : أين هذه ممّا رأيتَ ؟ قال : هي هي ؛ وإلاّ فعليه وعليه ؛ ثم دعا له ببَدرة ، فقال : مثلَ ذلك ، وببغلة فركِبها وخرج ؛ فلَقِيَه قَهْرمانُ[4] عبد الملك ، قال : أتبيعها ؟ قال : نعم ، قال : بِكَم ؟ قال : بستّمائة ، قال : هي لك ، فأعطاه ستّمائة ، فقال له : أما والله لو أبيتَ إلاّ ألفاً لأعطيتُك ؛ قال : إيّاي

1 التخامع في ل : التحامق . والتخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج .
2 ووزيرنا في ل : ووزيره . وفي هذا البيت إقواء .
3 الناجية : الناقة السريعة . يصلّ لجامها : أي له صوت .
4 قهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

تُنْدِم ! لو أبيتَ إلاّ ستّةً لَبِعتُك .

[هجاؤه محمد بن حسان]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم عن ابن عيّاش عن لَقِيط قال : تزوّج محمد بن حسّان بن سعد التّميميّ امرأةً من ولد قيس بن عاصم وهي ابنة مقاتل بن طلبة بن قيس ، زوّجها إيّاه رجلٌ منهم يقال له زياد ، فقال ابن عبدل : [من الطويل]

أباعَ زيادٌ سوَّد اللهُ وجهَهُ ... عَقِيلَةَ قومٍ سادةٍ بالدراهِمِ

وما كان حسّانُ بن سعدٍ ولا ابنهُ ... أبو المسك من أكفاء قَيْس بن عاصِمِ

ولكنّه ردَّ الزمانَ على استِهِ ... وضَيَّع أمرَ المُحْصَناتِ الكرائِمِ

خُذِي دِيَةً منه تكُنْ لكِ عُدَّةً ... وجيئي إلى باب الأمير فخاصمي

فلو كنت في رَوْحٍ لما قلتُ خاصمي ... ولَكنَّما أُلقِيتِ في سجن عارِمِ[1]

قال : فلمّا بلغَ أهلَها شعرُه أَنِفوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها . قال : وكان محمد بن حسّان عاملاً على بعض كُوَر السَّواد ، فسأله ابن عَبْدَل حاجةً فردَّه عنها ، فقال فيه هذا الشعر وغيره وهجاه هجاءً كثيراً .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن بُكَير الأسديّ عن محمد بن بِشْر السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت ، فذكر نحواً ممّا ذكره عَمّي وزاد فيه قال : وكانت المرأةُ التي تزوَّجها مُعاذة بنت مُقاتل بن طَلبة ، فلمّا سمِعَت ما قال ابن عبدل فيها نَشَزَت على زوجها وهَرَبَتْ إلى أهلها ، فتوسَّطوا ما بينهما وافتُدِيَتْ منه بمال وفارقها .

[سمع امرأة تنشد شعره فحادثها وأنشدها من شعره]

أخبرني عَمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ عن عَطاء عن يحيى بن نصر أبي زكريّا قال : سمِع ابن عبدل الأسديّ امرأةً وهي تتمشّى بالبلاط تتمثّل بقوله : [من الطويل]

وأُعسِرُ أحياناً فتشتَدّ عُسْرَتِي ... وأُدرِكُ ميسورَ الغِنى ومَعِي عِرْضِي

فقال لها ابن عبدل ، وكان قريباً منها : يا أُخَيَّا ، أتعرفين قائل هذا الشعر ؟ قالت : نعم ، ابن عبدل الأَسديّ ؛ قال : أفتُثْبِتِينَه معرفةً ؟ قالت : لا ؛ قال : فأنا هو ، وأنا الذي أقول : [من الطويل]

---

1 سجن عارم : حبس كان لابن الزبير ثم للحجّاج . قال ياقوت «ولا أعرف موضعه وأظنّه بالطائف» .

وأُنْعِظُ أحيانـاً فينقدُّ جلدُهُ وأَعذِلُهُ جُهْدِي فلا ينفعُ العَذْلُ
وأَزدادُ نَعْظاً حين أُبصِرُ جارتي فأُوثِقُه كيما يَثُوبَ لـه عَقْلُ[1]
وربَّتما لم أَدْرِ مـا حِيلَتِي لـه إذا هو آذاني وغَرَّ بِـه الجهلُ
فآويتُهُ في بطن جارِي وجارتي مكابرةً قُدْماً وإنْ رَغِمَ البَعْلُ[2]

فقالت له المرأة : بئس والله الجارُ للمُغِيبَة[3] أنتَ ، فقال : إي والله ، وللتي معها زوجها وأبوها وابنُها وأخوها .

[قدم على ابن هبيرة مستجدياً فأعطاه بعد إلحاح ما أراد]

أخبرني محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَب بن المحرز الباهليّ قال حدّثنا الهيثم بن عَدِيّ وأخبرني به حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الحسن قال حدّثني أبو خالد الخُزاعيّ الأَسْلَميّ عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدَل الشاعر الكوفيّ واسطاً على ابن هُبَيرة وكان بخيلاً ، فأقبل حتى وقف بين يديه ثم قال : [من الطويل]

أتيتكَ في أمرٍ مِـنَ آمرِ عَشِيرتِي وأَعْيا الأمورِ المُفْظِعاتِ جَسِيمُها
فإن قلتَ لِي في حاجتي أنا فاعلٌ فقد ثَلِجَتْ نفسي ووَلَّتْ همومُها

قال : أنا فاعل إن اقتصدتَ ، فما حاجتك ؟ قال : غُرْمٌ لَزِمَنِي في حَمالة ؛ قال : وكم هي ؟ قال : أربعة آلاف ، قال : نحن مُناصفُوكها ، قال : أصلح الله الأمير ، أتخاف عليَّ التُّخَمة إن أتممتَها ؟ قال : أكره أن أعوِّد الناسَ هذه العادة ؛ قال : فأعطِنِي جميعَها سرّاً وامنعني جميعَها ظاهراً حتى تُعوِّد الناس المنعَ وإلاّ فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلبون ؛ فضحِك ابن هُبَيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان ؛ قال : أعطوه إيّاها قبّحه الله فإنّه ، ما عَلِمتُ ، حَلاّف مَهِين ؛ فأخذها وانصرف .

[أفنى الطاعون قوماً من بني غاضرة فرثاهم]

أخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال حدّثنا العَنزِيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأَسديّ قال حدّثني مشايخنا من بني أسد محمد بن أنس وغيرُه قالوا : لمّا وقَعَ الطاعون بالكوفة أفنى بني

1 يثوب في ل : يكون .
2 قدماً : المضي والإقدام .
3 المغيبة : التي غاب عنها رجالها .

غاضرة ومات فيه بنو زِرّ بن حُبَيش الغاضريّ صاحب عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرَفاء ، وبنو عمٍّ لهم ، فقال الحَكَمُ بن عَبْدل الغاضريّ يرثيهم : [من الطويل]

أبعدَ بني زِرٍّ وبعـدَ ابـن جَنْدَلٍ ... وعمرو أُرَجِّي لَذَّة العيش في خَفْضِ
مَضَوْا وبَقِينا نَـأمُلُ العيشَ بعدَهم ... أَلا إن مَنْ يَبْقى على إثْرِ مَنْ يَمْضي
فقد كان حَوْلِي من جِيادٍ وسالمٍ ... كُهُولٌ مَساعِيرٌ وكلُّ فَتًى بَضِّ[1]
يَرى الشُّحَّ عاراً والسماحةَ رِفْعَةً ... أغـرُّ كعودِ البانـةِ الناعمِ الغَضِّ

[هجاؤه محمد بن حسّان وقد سأله حاجة فلم يقضها]

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبي مُحَلِّم قال : سأل الحَكَم بن عبدل أخو بني نصر بن قُعَين محمدَ بن حسّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألتَه إيّاها ؛ فردّه ولم يَقْضها ؛ فقال فيه ابنُ عَبْدَل : [من الوافر]

رأيـتُ محمـداً شَرِهاً ظلوماً ... وكنـتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول أماتنـي رَبِّي خِداعـاً ... أمـاتَ اللهُ حَسّانَ بـن سَعْدِ
فلـولا كَسْبُه لَوُجِدْتَ فَسْلاً ... لَئِيمَ الكَسْبِ شأنُكَ شأنُ عَبْدِ[2]
رَكِبـتُ إليه في رَجُـلٍ أتاني ... كريمٍ يَبْتَغِي المعروفَ عندي
فقلتُ لـه وبعضُ القول نُصْحٌ ... ومنـه مـا أُسِرُّ لـــه وأُبْدِي
تَـوَقَّ دراهـمَ البَكْـرِيِّ إنّي ... أخافُ عليك عاقبـةَ التعدِّي
أُقَرِّبُ كلّ آصـرةٍ ليدنـو ... فمـا يـزدادُ مِنِّـي غيرَ بُعْدِ
فأُقسِمُ غيـرَ مُسْتَثنٍ يمينـاً ... أبـا بَخـرٍ لَتَتَّخِمَـنَّ رَدِّي

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأَسَديّ قال حدّثني محمد بن أَنَس السَّلاميّ قال حدّثني محمد بن سهل الأسديّ راويةُ الكُمَيت : أنّ الحَكَم بن عبدل الأسديّ أتى محمد بن حسّان بن سعد التَّميميّ وكان على خراج الكوفة ، فكلّمه في رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خَراجه ؛ فقال : أماتني الله إن كنتُ أقدِر أن أَضَع من خراج أمير المؤمنين شيئاً ؛ فانصرف ابن عبدل وهو يقول : [من البسيط]

1 مساعير : يسعرون نار الحرب . والبض : رخص الجسم .
2 الفسل : المسترذل الضعيف الذي لا مروءة له .

دَعِ الثلاثين لا تَعْرِض لصاحبها ... لا بارَكَ اللهُ في تلك الثلاثينا
لمّا علا صوتُــه في الدارِ مُبْتكراً ... كأشتفان يرى قوماً يدُوسُونا[1]
أحسِنْ فإنّك قد أُعطيتَ مملكةً ... إمارةً صرتَ فيها اليومَ مَفْتونا
لا يُعطِك اللهُ خيراً مثلَها أبداً ... أقسمتُ بالله إلاّ قلتَ آمينا

قال : فلم يضع له شيئاً ممّا على الرجل ؛ فقال فيه :

رأيــتُ محمــداً شَرِهــاً ظَلُوماً ... وكنــتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقولُ أماتنِــي ربِّــي خِداعــاً ... أمــاتَ اللهُ حَسّانَ بــنَ سَعْدِ
فما صادفتَ في قَحْطان مثْلي ... ولا صادفــتُ مِثلَك في مَعَدِّ
أقــلَّ براعــةً وأشدّ بُخْــلاً ... وألأمَ عنــدَ مسألــةٍ وحَمْدِ
نَحَوْتُ محمــداً ودُخانُ فيــه ... كَريح الجَعْرِ فوقَ عَطِين جِلْدِ[2]
فأُقسمُ غيرَ مُسْتَثْــنٍ يمينــاً ... أبا بَخَــرٍ لَتَتَّخِمَــنَّ رَدِّي
فلو كنتَ المهذَّبَ مــن تميمٍ ... لَخِفْتَ مَلامَتِي ورَجَوْتَ حَمْدِي
نكَهْتَ عليّ نَكْهــةَ أَخْدَرِيٍّ ... شَتيمٍ أَعْصَلِ الأنيــاب وَرْدِ[3]
فما يدنــو إلى فَمِــهِ ذُبابٌ ... ولــو طُلِيَتْ مَشافــرُه بقَنْدِ[4]
فإن أهديتَ لي من فِيك حَتفاً ... فإنّي كالذي أهديــتَ مُهْدِي

قال محمد بن سهل : وما زال ابن عبدل يزيد في قصيدته هذه الداليّة حتى مات وهي طويلة جدّاً . قال : واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكارِي ليَسوق بغلَه أو حمارَه فيقول : عَدْ * أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَعْدِ * فإذا سمع ذلك أبوه قال : بل أماتَ اللهُ ابني محمداً ، فهو عَرَّضني لهذا البلاء في ثلاثين درهماً .

[ابن عبدل وأبو المهاجر]

أخبرني أحمد بن محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنا قَعْنَبُ بن مُحرِز قال أخبرنا الهيثم بن عَدِيّ قال : دعا أبو المهاجر الحَكَم بن عبدل ليشرب عنده وله جارية تغنّي فغنّت ؛ فقال ابن

1 كأشتفان في ل : كاستعار . يدوسونا في ل : يسوقونا .
2 نحوت في ل : فقدت . الجعر : نجو كل ذي مخلب من السباع . والعطين : الجلد المنتن .
3 يقصد بالأخدري : الأسد ؛ والشتيم : الأسد العابس ؛ وأعصل الأنياب : معوجها ؛ والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .
4 القند : عسل قصب السكّر إذا جمد .

عبدل : [من الكامل]

يا أبا المُهاجر قد أردتَ كرامتي فأهنتَنِي وضررتَنِـي لـو تَعْلَمُ
عند التي لو مَسَّ جِلْدِي جلدها يوماً بَقِيتُ مخلَّـداً لا أَهْرَمُ
أو كنتُ في أُحْمى جهنَّمَ بقعةً فرأيتُهـا بَـرَدَتْ عـلَيَّ جهنَّمُ

قال : فجعل أبو المهاجر يَضْحَك ويقول له : وَيْحَك ! واللهِ لو كان إليها سبيلٌ لوهبتُها لك ، ولكن لها مِنِّي ولدٌ .

[ابن عبدل وعمر بن يزيد الأسديّ]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال : كان عمر بن يزيد الأسديّ مُبَخَّلاً ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له فكان يُعَيَّر بذلك ، وجاءه الحكم بن عبدل الأسديّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً ، فدخلوا إليه وهو يأكل تمراً فلم يَدْعُهم إليه ، وذكروا له حاجتَهم فلم يَقضِها ؛ فقال فيه ابن عبدل : [من البسيط]

جِئنا وبين يديه التمرُ في طَبَقٍ فما دعانا أبو حَفْص ولا كادا
علا على جسمهِ ثوبانِ من دَنَسٍ لـؤمَ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا

[ابن عبدل يقتضي ديون امرأة موسرة من الكوفة]

أخبرني علي بن سليمان الأَخفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأَحْول عن أبي نصر عن الأصمعيّ قال : كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد ، فاستعانت بابن عبدل في دَينها ، وقالت : إنّي امرأة ليس لي زوج ، وجعلت تُعَرِّض بأنّها تُزَوِّجه نفسَها ؛ فقام ابن عبدل في دَينها حتى اقتضاه ؛ فلمّا طالبها بالوفاء كتبتْ إليه : [من الوافر]

سَيُخطئكَ الذي حاولتَ منّي فقطِّعْ حبلَ وصلك من حبالِي
كما أخطاك معروفُ ابن بِشْرٍ وكنتَ تَعُـدّ ذلك رأسَ مالِ

قال : وكان ابن عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله ؛ فقال له : أخمسمائة أَحَبُّ إليك الآن عاجلة أم ألف في قابل ؟ قال : ألف في قابل . فلمّا أتاه قال له : ألف أَحبّ إليك أم أَلْفان في قابل ؟ قال : أَلفان ؛ فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات ابن بشر وما أعطاه شيئاً .

[تلطفه في سؤال عبد الملك بن بشر بن مروان]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال : دخل ابن عبدل على عبد الملك بن بشر ، فقال له : ما أحدثتَ بعدي ؟ قال : خطبتُ امرأة من قومي فرَدَّت عليّ جوابَ رسالتي بِبَيْتَيْ شعرٍ ؛ قال : وما هما ؟ قال : قالت : [من الوافر]

سيخطئكَ الذي حاولتَ منّـي فقطِّع حبلَ وصلك من حبالي
كما أخطاكَ معروفُ ابن بشر وكنتَ تعُـدّ ذلك رأسَ مالِ

فضحِك عبد الملك ، ثم قال : لجاد ما أَذْكَرتَ بنفسك ! وأمر له بألفيْ درهم .

[ابن عبدل وبشر بن مروان]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ وحَبيب بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال حدّثني مِنْجاب بن الحارث قال حدّثني عبد الملك بن عفّان قال : كان الحكم بن عبدل الأسديّ ثم الغاضِريّ صديقاً لبشر بن مروان ، فرأى منه جَفاءً لشُغلٍ عَرَض له ، فغبَر عنه شهراً ، ثم التَقَيا فقال : يا ابن عبدل ، ما لك تركتَنا وقد كنت لنا زَوَّاراً ؟ فقال ابن عبدل : [من الخفيف]

كنتُ أُثني عليـك خيراً فلمّا أَضْمَرَ القلبُ من نَوالك ياسا
كنت ذا مَنْصِب قَنِيتُ حَيائي لم أَقُل غيرَ أن هجرتُـك باسا
لم أُطِق ما أردتَ بي يا ابن مروا نَ سَتَلقـــى إذا أردتَ أُناسا
يَقْبَلونَ الخَسيسَ منـك ويُثْنو نَ ثنـاءً مُدَخْمَساً دِخْماسا[1]

فقال له : لا نَسُومك الخسيسَ ولا نريد منك ثناءً مدخمساً ، ووصَلَه وحَمَله وكساه .

[ابن عبدل وقد طلبه عمر بن هبيرة للغزو]

أخبرني الأسديّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال وحدّثني محمد بن معاوية قال حدّثني مِنْجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفّان قال : أراد عمر بن هبيرة أن يُغْزِي الحَكَم بن عبدَل الغاضريّ ، فاعتلّ بالزِّمانة[2] فحُمل وأُلقي بين يديه فجرَّده فإذا هو أعرج مفلوج ، فوضع عنه الغزوَ وضمَّه إليه وشَخَص به معه إلى واسط ؛ فقال الحَكَم بن عبدل : [من الطويل]

لعَمْرِي لقد جرّدتني فوجدتني كثير العيـوب سَيِّءَ المُتَجرَّدِ
فأعفيْتَنِي لَمّـا رأيـتَ زَمانتـي وَوُفِّقْتَ منّـي للقضاء المُسَدَّدِ

فلمّا صار عمر إلى واسط شكا إليه الحكمُ بن عبدل الضَّبْعَة[3] ، فوهَب له جاريةً من جواريه ، فواثَبَها ليلةَ صارت إليه فنكَحها تسعاً أو عشراً طَلَقاً ، فلمّا أصبحت قالت له : جُعِلتُ فِداك من أيِّ الناس أنت ؟ قال : امرؤٌ من أهل الشام ؛ قالت : بهذا العمل نُصِرْتُم .

1 ثناء مدخمس ودخماس : أي لا حقيقة له .
2 الزمانة : العاهة .
3 الضبعة : شدّة شهوة الفحل .

[أعفاه الحجّاج من الغزو]

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرفيّ ، قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أَنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت فقال فيه : ضرب الحجّاج البَعْثَ على المُحتَلِمين ومن أَنْبتَ من الصِّبيان ، فكانت المرأة تجيء إلى ابنها وقد جُرّد فَتَضمّه إليها وتقول له : «بأبي» جَزَعاً عليه ، فسُمِّي ذلك الجيش «جيش بأبي» ، وأُحضِر ابن عبدل فجُرّد فوُجد أعرج فأُعفيَ ؛ فقال في ذلك :

لعمري لقد جَرّدتني فوجدتني

البيتين ، وزاد معهما ثالثاً وهو : [من الطويل]

ولستُ بـذي شَيْخَيْن يَلْتَزِمانه ولكن يَتِيمٌ ساقطُ الرِّجلِ واليدِ

[تزوّج همدانيّة ولمّا كرهها قال فيها شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنْجاب عن عبد الملك بن عفّان قال : تزوّج ابن عبدل امرأةً من هَمْدان فقالوا له : على كم تزوّجتَ ؟ فقال : [من الطويل]

تَزوّجتُ هَمْدانيَّةً ذات بهجةٍ على نَمَـط عاديّةٍ ووسائدِ
لعمري لقد غاليتُ بالمَهْرِ إنّه كذاك يُغالَى بالنساء المَواجِدِ

قال : فلمّا دخَل بها كرِهها فقال : [من الوافر]

أَعاذِلتيّ من لَـومٍ دعاني أَقِـلاّ اللومَ إن لم تَعْذِراني
فإنّي قـد دُلِلتُ على عجوزٍ مُبرقَعـةٍ مخَضّبـةٍ البَنانِ
تَغَضّن جلدُهـا واخضرّ إلا إذا ما ضُرِّجَتْ بالزعفرانِ
فلمّا أن دخلتُ وحادثَتْني أَظَلّتْني بيـومٍ أَرْوَنـانِ[1]
تُحدّثني عن الأزمـانِ حتى سمعتُ نـداءَ حُـرٍّ بالأذانِ
فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى فلمّـا صاحَبـاني طَلّقانِي[2]
وأربعـةً نكحتُهـم فماتـوا فليت عَرِيف حَيٍّ قد نعانِي[3]

1 أرونان : صعب .
2 صاحباني في ل : صابحاني .
3 عريف في ل : عزيف الجنّ .

وقالت ما تِلادُك قلتُ مالي حمـــارٌ ظالـعٌ ومَـزادتانِ
وبُـــوريٌّ وأربعةٌ زُيُوف وثَوْبـــا مُفْـلِسٍ مُتَخَرِّقانِ[1]
وقِطعةُ جُلّـــة لا تَمْرَ فيها ودَنّـــا عومـــةٍ مُتَقابِلانِ[2]
فقالت قد رَضِيتُ فسَمِّ ألفاً ليسمع ما تقولُ الشَّاهِدانِ
وما لكِ عندنـــا ألفٌ عَتِيد ولا تِسْعٌ تُعَـــدّ ولا ثَمانِ
ولا سَبْعٌ ولا سِتٌّ ولكن لكم عندي الطويلُ من الهَوانِ

[كان منقطعاً إلى بشر بن مروان فلمّا مات رثاه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : كان الحكم بن عبدل الأسديّ منقطعاً إلى بشر بن مروان ، وكان يأْنَس به ويُحبّه ويَستطِيبه ، وأخرجه معه إلى البصرة لمّا وَلِيَها ، فلمّا مات بِشْر جَزِع عليه الحَكَم وقال يرثيه : [من الكامل]

أصبحتُ جَـمَّ بَلابِـل الصَّدْرِ مُتَعجِّبـــاً لتصـــرُّفِ الدَّهـــرِ[3]
ما زلتُ أطلبُ في البلاد فتًى ليكون لي ذُخْـــراً من الذُّخْرِ
ويكـــون يُسعـــدني وأُسعِـده في كلّ نائبـــةٍ من الأمرِ
حتى إذا ظَفِـــرتْ يدايَ به جـــاء القَضاءُ بحَيْنِـــه يَجْرِي
إنّي لفِـــي هـــَم يباكرُنِـــي منـــه وهـــمٍّ طـــارقٍ يَسْرِي
فلأَصْبِرَنَّ ومـــا رأيـــتُ دواً للهـــمّ غيرَ عزيمـــةِ الصبرِ
واللهِ مـــا استعظمـــتُ فُرْقَتَه حتـــى أحاطَ بفضلِـهِ خُبْرِي

[خرج مع عمّال بني أميّة إلى الشام]

أخبرني ابن دريد قال حدّثني عمّي عن أبيه عن ابن الكلبيّ قال : لمّا ظَفِرَ ابن الزبير بالعراق وأخرج عنها عُمّال بني أميّة خرج ابن عبدل معهم إلى الشام ، وكان ممّن يدخل إلى عبد الملك ويَسْمُر عنده ، فقال لعبد الملك ليلةً : [من البسيط]

يا ليْتَ شِعْرِي وليتٌ رُبَّما نفعتْ هل ابصِرَنَّ بني العَوّام قد شُمِلُوا
بالذلّ والأَسْرِ والتشريد إنّهمُ على البريّـةِ حَتْف حيثمـا نَزلُوا

1 بوري : حصير من قصب . والأربعة الزيوف : أربعة دراهم مزيّفة .
2 الجلة : قفّة كبيرة للتمر .
3 بلابل الصدر : الهموم ، جمع بلبال .

أم هل أراكَ بأكنافِ العراق وقد ذلّت لِعزّك أقوامٌ وقـد نَكَلُوا[1]

فقال عبد الملك ، ويُرْوى أنّه قائل هذا الشعر :

إن يُمكِنِ اللهُ من قَيْس ومن جَدَسٍ ومن جُذام ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ[2]
نَضْرِبْ جَماجِمَ أقوامٍ على حَنَقٍ ضَرْباً يُنَكِّلُ عنّا سائـرَ الأُمَمِ[3]

[يزيد بن عمر بن هبيرة وبنت ابن عبدل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن أبيه قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ عن رجل من بني أسَد قال : خرج يزيد بن عمر بن هبيرة يسير بالكوفة فانتهى إلى مسجد بني غاضرة ، وقد أُقيمت الصلاة ، فنزل يُصلّي ، واجتمع الناس لمكانه في الطريق وأشْرفَ النساءُ من السطوح ، فلمّا قضى صلاته قال : لمن هذا المسجد ؟ قالوا : لبني غاضرة ، فتمثّل قول الشاعر : [من الكامل]

ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِراً إلاّ فَصَمْنَ بساقهـا خَلْخالا[4]

فقالت له امرأةٌ من المُشرِفات : [من الكامل]

ولقـد عَطَفْن على فَزارةَ عَطْفَةً كَرَّ المَنِيحِ وجُلْنَ ثَـمَّ مَجالا[5]

فقال يزيد : مَنْ هذه ؟ فقالوا : بنت الحَكَم بن عبدل ؛ فقال : هل تلد الحيّةُ إلاّ حَيَّةً ! وقام خَجِلاً .

[ابن عبدل وصاحب العسس]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدّثني أحمد بن الهيثم قال حدّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصعب عن عاصم بن الحدثان قال : كان ابن عبدل الأسديّ أعرج أحدب ، وكان من أطيب الناس وأملحِهم ، فلَقيَه صاحب العَسس ليلةً وهو سكران محمول في مَحَفَّـة ؛ فقـال لـه : مَـن أنت ؟ فقال له : يا بغيض ، أنت أعرفُ بي من أن تسألني مَن أنا ، فاذهب إلى شُغلك ، فإنّك تعلمُ أنّ اللصوص لا يخرجون بالليل للسَّرقة محمولين في مِحفّة ؛ فضحك الرجل وانصرف عنه .

---

1 أقوام في ل : أعداء .
2 جدس : بطن من كندة . وفي رواية جُرَش ، وهي بطن من حمير .
3 سائر في ل : غابر .
4 فصمن في ل : قصمن .
5 المنيح : اسم فرس .

[ابن عبدل يعرض بابن هبيرة حتى أغضبه]

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدّثنا العبّاس بن مَيْمون طائع قال حدّثني أبو عدنان عن الهيثم بن عَدِيّ عن ابن عيّاش قال : رأيتُ ابن عبدل الأسديّ وقد دخل على ابن هبيرة ، فقال له : أنشدْني شيئاً . فقال : أُنشدك مَقُولةً أيّها الأمير ؟ قال : هات ؛ فأنشده هذه الأبيات ؛ وهي قديمة وقد تمثّل بها ابن الأشعث حين خرج ، ويُروى أنّها لأَعشى هَمْدان : [من الطويل]

نجمُّ ولا نُعطى وتُعْطَى جُيُوشُهم وقد مَلَؤوا مِن مالنا ذا الأَكارِعِ
وقد كَلّفُونا عُدَّةً وروائِعاً فَقَدْ وَأَبِي رُعْناكُمُ بالرَّوائِعِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ من أَلْفِ فَرْسخٍ إليكم بمُحْمرٍّ من الموتِ ناقِعِ

قال : فغضب ابن هبيرة من تعريضه به ، وقال له : والله لولا أنّي قد أمّنتك واستنشدْتُك لضَرَبتُ عُنُقَك .

[كانت له جارية سوداء فولدت ولداً فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال : كانت للحَكَم بن عبدل جارية سوداء ، وقد كان يميل إليها فولَدَت له ابناً أسود ، فكان من أَعْرَمِ الصِّبيان[1] ، فقال فيه : [من الرجز]

يا رُبَّ خالٍ لَكَ مُسْوَدّ القَفا لا يَشْتَكِي من رِجْلِه مَسّ الحَفا
كأنّ عَيْنَيْه إذا تَشَوَّفا عَيْنا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ أَشْرَفا[2]

[هجا عمر بن يزيد الأسديّ لبخله]

أخبرنا محمد بن خلف بن المرزبان أبو عبد الله قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا المدائنيّ قال : كان عُمَرُ بن يزيد الأسديّ بخيلاً على الطعام ، فدخل عليه الحَكَم بن عبدل الشاعر وهو يأكل بِطِّيخاً ، فسلّم فلم يرُدّ عليه السلام ولم يَدْعُه إلى الطعام ؛ فقال ابنُ عبدل يهجوه : [من البسيط]

في عُمَر بن يزيد خَلَّتا دَنَسٍ بُخْلٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا
جِئْناه يأْكُلَ بِطِّيخاً على طَبَقٍ فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال وكان عُمر على شُرطة الحجّاج وكان بخيلاً جِدّاً ، فأصابه قُولَنَجٌ فحَقَنَه الطبيب بدُهن

1 من أعرم الصبيان : من أخبثهم .
2 النيق : أرفع موضع من الجبل .

كثير ، فانحلّ ما في بطنه في الطَّسْت ، فقال للغُلام : ما تصنع به ؟ قال : أصُبُّه ؛ قال : لا ! ولكن مَيِّز منه الدُّهنَ واستصبحْ به .

[ابن عبدل ومحمد بن عمير كاتب عبد الملك بن بشر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا أبو هَفَّان قال : كان لعبد الملك بن بشر بن مروان كاتب يقال له محمّد بن عُمَير وكان كلّما مدحه ابن عبدل بشيء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها ، فدخل يوماً إلى عبد الملك وكاتِبُه هذا يُسارُّه ، فوقف وأنشأ يقول : [من الكامل]

ألقيتَ نفسَك في عَرُوض مَشَقَّةٍ ... وحَصادُ أنفك بالمَناجِل أهْوَنُ[1]
فبحقِّ أُمِّك وهي غيرُ حقيقة ... باللِّين واللُّطَف الذي لا يُخْزَنُ[2]
لا تُدْنِ فاكَ إلى الأمير ونَحِّهِ ... حتى يُداوِي نَتْنَه لك أهونُ
إن كان للظَّرِبان جُحْرٌ مُنْتِنٌ ... فلَجُحْرُ أنفِكَ يا محمدُ أنتنُ

[خطب امرأة فأبت فقال يعيّرها]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العنَزِيّ قال حدّثني أحمد بن بُكَيْر الأسديّ عن محمد بن أَنَس السَّلاميّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيْت قال : خطب ابن عبدل امرأةً من هَمْدان يقال لها : أُمُّ رِياح فلم تتزوّجْه ، فقال : أما واللهِ لأفضحنَّكِ ولأُعَيِّرنكِ فقال : [من الطويل]

فلا خيرَ في الفِتْيان بعدَ ابنِ عَبْدلٍ ... ولا في الزواني بعد أُمِّ رِياحِ
فأيري بحمدِ الله ماضٍ مُجَرَّبٌ ... وأمّ رِياحٍ عُرْضَةٌ لنِكاحِي

[ولد له ولد سمّاه بشراً تيمّناً ببشر بن مروان]

قال : فتَحاماها الناسُ فما تزوّجتْ حتى أسنّتْ . وبهذا الإسناد عن محمد بن سهل قال : وُلِد للحَكَم بن عبدل ابنٌ فسمّاه بِشراً ، ودخل على بشر بن مروان فأنشده : [من المتقارب]

سَمَّيْتُ بِشْراً ببشر النَّدى ... فلا تَفْضَحَنِّي بتَصْداقِها
إذا ما قُرَيشٌ قُرَيشُ البِطا ... حِ عند تَجَمُّعِ آفاقِها

1 عروض : الطريق في عرض الجبل .
2 باللين في ل : بالبر .

تَسامَتْ قُـرُومُهـمُ للنَّدى تُبارِي الرِّيـاحَ بأَوْراقِها[1]
فمالُـكَ أنفـعُ أموالِهـا وخُلْقُـكَ أكـرمُ أخلاقِها

[اقترض مالاً فدفعه عنه عبد الملك بن بشر]

فأمر له بألفيْ درهم ، وقال : استَعِنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال : اقترض ابن عبدل مالاً من التِّجار وحلَف لهم بالطلاق ثلاثاً أنْ يَقضيَهم المال عند طلوع الهلال ، فلمّا بَقي من الشهر يومان قال : [من المنسرح]

قد بـات هَمِّي قِرْناً أُكابِدُهُ كأنّما مَضْجَعِي على حَجَرِ
من رَهْبَةٍ أنْ يُرى هلالُ غَدٍ فإنْ رأوْه فحـقّ لي حَذَرِي
من فقْدِ بيضاء غادَةٍ كَمُلَتْ كأنّها صورةٌ مـن الصُّوَرِ
أصبحتُ من أهليَ الغداةَ ومِن مـالي على مثل ليلةِ الصَّدَرِ[2]

فبلغ خبرُه عبد الملك بن بِشْر فأعطاهم ما لهم عليه وأضعَفَه له ؛ فقال فيه : [من المنسرح]

لّما أتـاه الذي أُصِبْتُ بِـهِ وأَنْشَدُوه إيّـاه في شِعْرِي
جاد بضِعْفَيْ ما حلَّ من غُرمِي عفواً فزالـت حرارةُ الصَّدْرِ
لأَشكـرنَّ الذي مَنَنْتَ بِـهِ ما دُمْتُ حيّاً وطال لي عُمْرِي

[فضّله الحجّاج في الجائزة على الشعراء]

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : اجتمع الشعراءُ إلى الحجّاج وفيهم ابن عبدل ، فقالوا للحجّاج : إنّما شعرُ ابن عبدل كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف ؛ فقال له : قد سمعتَ قولَهم فاستمع منِّي ؛ قال هات ؛ فأنشده قوله[3] : [من الطويل]

وإنّي لأَسْتَغْنِـي فما أَبْطَرُ الغِنَى وأُعْرِضُ مَيْسُورِي لِمَنْ يَبْتَغِي قَرْضِي
وأُعْسِرُ أحيانـاً فتَشْتَدُّ عُسْرَتِـي فأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنى ومعي عِرْضِي

حتى انتهى إلى قوله : [من الطويل]

ولستُ بذِي وَجْهَيْن فيمن عَرَفْتَـهُ ولا البُخْلُ فاعلَمْ مِن سَمائي ولا أَرْضِي

فقال له الحجّاج : أحسنتَ ! وفضّله في الجائزة عليهم بألفيْ دِرْهم .

---

1 أوراقها : أموالها .

2 ليلة الصدر : ليلة صدور الناس عن حجّهم ، أي شديد الاضطراب .

3 يبدو أنّ هذه الأبيات من قصيدة طويلة أثبت القالي أربعة عشر بيتاً منها (الأمالي 2 : 261) .

[أحد الأصوات المائة المختارة]

صوت[1]
من المائة المختارة

[من المتقارب]

أَجَـدّ بعَمْـرَةَ غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأنَنـا شانُها
فإنْ تُمس شَطَّتْ بها دارُها وبـاحَ لكَ اليومَ هِجْرانُها
فما رَوْضَةٌ من رِياضِ القَطا كأنّ المَصابِيحَ حَوذانُها[2]
بأحسنَ منهـا ولا مُزْنَـةٌ دَلُوحٌ تَكَشَّفَ إدْجانُها
وعَمْرةُ من سَروات النّسا ءِ تَنْفَحُ بالمسكِ أَرْدانُها

أجدّ : أَسْتَمِرّ . وغُنيانُها : استغناؤها . أم شأننا شأنها : يقول أَمْ هي على ما نحِبّ . وشطّتْ : بعُدَت ، قال ابن الأعرابيّ : يقال : شطّتْ وشَطَنَت وشَسَعَتْ وتشسّعتْ وبعُدَت ونأت وتزحزحت وشَطَرت ؛ قال الشاعر :

لا تَتْرُكَنّي فيهمُ شَطيرا[3]

ومنه سُمِّي الشاطر . وباح : ظَهَر ؛ ومنه باحَة الدار وأنشد :

أَتَكْتُمُ حُبّ سَلْمى أم تَبُوحُ[4]

والرّوضة : موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير ، وكذلك الحديقة . وقوله :

كأنّ المصابيـحَ حَوْذانُهـا

أراد كأنّ حَوذانها المصابيح فقلَب ، والعرب تفعل ذلك ؛ قال الأعشى :

. . . كأنّ الجَمْرَ مثلُ تُرابِها

أراد كأنّ ترابَها مثلُ الجمر . والمُزْنَةُ : السحابة . والدّلُوحُ : الثقيلة ، يقال : مرّ يَدْلَح

1 أبيات قيس بن الخطيم في ديوانه (تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت) : 66–69 .
2 الحوذان : نبات سهليّ طيّب الريح له زهرة حسنة .
3 شطيراً : غريباً .
4 سلمى في ل : ليلى .

بحمله إذا مرّ به مُثْقَلاً . والدَّجْن : إلباسُ الغيم السحاب برَشٍّ ونَدًى ، يقال : أدجنت السماء ؛ وقوله : تكشَّف إدْجانُها إذا انكشف السوادُ عنها ، وذلك أحسن لها ، وأراد مُزْنة بيضاء . والأردان : ما يلي الذراعين جميعاً والإبطَيْن من الكُمّين .

الشعر لقيس بن الخطيم ، والغناء لطُوَيْس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسطى .

* * * *

الفهرس

[10] ـ أخبار مجنون بني عامر ونسبه 5
[11] ـ ذكر عديّ بن زيد ونسبه وقصّته ومقتله 63
[12] ـ خبر الحطيئة ونسبه والسبب الذي من أجله هجا الزبرقان بن بدر 101
[13] ـ أخبار ابن عائشة ونسبه 132
[14] ـ أخبار ابن أرطاة ونسبه 158
[15] ـ أخبار ابن ميّادة ونسبه 171
[16] ـ أخبار حُنَين الحِيريّ ونسبه 223
[17] ـ ذكر الغريض وأخباره 235
[18] ـ أخبار الحكم بن عبدل ونسبه 265

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عباس

المجلد الثالث

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

3

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

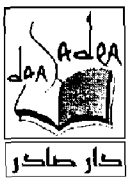

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[19] ـ ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو قَيس بن الخَطيم بن عَدِيّ بن عمرو بن سُود بن ظَفَر ، ويُكنى قيس أبا يزيد[2] .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا محمد بن موسى بن حَمّاد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم[3] : [من المنسرح]

بينَ شُكُولِ النساء خِلْقتُها حَذْواً فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[4]

فقال : لولا أن أبا يزيد قال : حَذْواً ما درى الناس كيف يَحْشُون هذا الموضع .

[أخذه بثأر أبيه وجدّه]

وكان أبوه الخطيم قُتِل وهو صغير ، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخَزْرَج ، فلمّا بلغ قتَل قاتلَ أبيه ، ونشِبتْ لذلك حروبٌ بين قومه وبين الخزرج وكان سببها .

فأخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال : كان سبب قتل الخطيم أنّ رجلاً من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالِك اغتاله فقتله ، وقيس يومئذٍ صغير ، وكان عديّ أبو الخطيم أيضاً قُتل قبلَه ، قتله رجل من بني عبد القيس ، فلمّا بلغ قيس بن الخطيم وعرَف أخبار قومه وموضع ثأْرِه لم يزل يلتمس غِرَّة من قاتل أبيه وجَدّه في المواسم حتى ظفِر بقاتل أبيه بيَثْرِبَ فقتله ، وظفِر بقاتل جدّه بذي المَجاز ، فلمّا أصابه وجدَه في رَكْبٍ عظيم من قومه ، ولم يكن معه إلاّ رهطٌ من الأَوس ، فخرج حتى أتى حُذَيفة بن بَدْر الفَزاريّ ، فاستنجده فلم يُنجده ، فأتى خِداش بن زُهير فنهض معه ببني عامر حتى أتوا قاتل عديّ ، فإذا هو واقف على راحلته في السُّوق ، فطعنه قيس بحربة حتى أنفذ حضنه فقتله ، ثم استمرّ . فأراده رهطُ الرجل ، فحالت بنو عامر دونه ؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم[5] : [من الطويل]

---

1 طبقات محمد بن سلام الجمحي : 228–231 تحقيق العلاّمة الكبير الأستاذ محمود محمد شاكر ، القاهرة 1974 ، والمؤتلف والمختلف للآمدي : 159–160 تحقيق عبد الستّار فرّاج ، القاهرة 1961 ، وخزانة الأدب للبغداديّ 7 : 24–37 تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1986 ، وديوان قيس بن الخطيم تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، دار صادر ، بيروت 1967 .

2 ل : أبا زيد .

3 الديوان : 103 .

4 جبلة في الديوان : قصد ، وفي ل : عبلة (حيثما وردت) . القضف : قلّة اللحم .

5 من القصيدة الأولى في ديوانه .

ثأرتُ عَدِيّاً والخَطِيمَ فلم أُضِعْ ... وِلايةَ أشياخٍ جُعلتُ إزاءَها
ضربتُ بذي الزُّجَّيْنِ رِبْقةَ مالكٍ ... فأُبتُ بنفسٍ قد أصبتُ شفاءَها[1]
وسامَحَنِي فيها ابنُ عمرو بنِ عامرٍ ... خِداشٌ فأدّى نعمةً وأفاءها
طعنتُ ابنَ عبد القَيْس طعنةَ ثائرٍ ... لها نَفَذٌ لولا الشَّعاعُ أضاءها[2]
ملكتُ بها كفِّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها ... يَرى قائمٌ من دونِها ما وراءَها[3]

هذه رواية ابن الأعرابيّ عن المفضَّل . وأمّا ابن الكَلْبيّ فإنّه ذكر أنّ رجلاً من قُريش أخبره عن أبي عبيدة أنّ محمد بن عَمّار بن ياسِر ، وكان عالِماً بحديث الأنصار ، قال[4] : كان من حديث قيس بن الخطيم أنّ جَدّه عديّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة يقال له مالك ، وقتل أباه الخَطيمَ بن عديّ رجل من بني عبد القيس ممّن كان يسكن هَجَرَ ؛ وكان قيس يوم قُتل أبوه صبيّاً صغيراً ، وقُتل الخَطيم قبل أن يثأر بأبيه عديّ ؛ فخشيتْ أمّ قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثأر أبيه وجدّه فيَهلِك ، فعمَدتْ إلى كُومة من تراب عند باب دارهم ، فوضعت عليها أحجاراً وجعلتْ تقول لقيس : هذا قبر أبيك وجَدّك ، فكان قيس لا يشكّ أن ذلك على ذلك . ونشأ أيِّداً شديد الساعدين ، فنازع يوماً فتى من فتيان بني ظفر ، فقال له ذلك الفتى : والله لو جعلتَ شدّة ساعديك على قاتِل أبيك وجدّك لكان خيراً لك من أن تُخرجها عليّ ؛ فقال : ومن قاتل أبي وجدّي ؟ قال : سَلْ أُمَّك ؛ فأخذ السيف ووضع قائمه على الأرض وذُبابه بين ثدييه وقال لأمّه : أخبريني مَن قتل أبي وجدّي ؟ قالت : ماتا كما يموت الناس وهذان قبراهما بالفِناء ؛ فقال : والله لتُخبرينني مَن قتلهما أو لأَتحامَلَنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ؛ فقالت : أمّا جَدُّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة يقال له مالك ، وأمّا أبوك فقتله رجل من عبد القيس ممّن يسكن هَجَرَ ؛ فقال : والله لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي وجدّي ؛ فقالت : يا بُنيّ إنّ مالكاً قاتِل جَدِّك من قوم خِداش بن زهير ، ولأبيك عند خداش نعمة هو لها شاكر ، فَأْتِه فاستشرْه في أمرك واستعِنه يُعِنك ؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه[5] وهو يسقي نخله ، فضرب الجَرِيرَ[6] بالسيف فقطعه ، فسقطت الدلوُ في

1 الزُّجّين في الديوان : بذي الزرّين (وهو سيف) ويروى بذي الخرصين .
2 الشعاع : انتشار الدم .
3 أنهرت : وسّعت .
4 أورد ابن حمدون في التذكرة خبر ثأر قيس واغتياله 7 : 377–382 .
5 الناضح : جمل يستقى عليه .
6 الجرير : الحبل .

البئر ، وأخذ برأس الجمل فحمل عليه غِرارَتين من تمر ، وقال : مَن يَكفيني أمر هذه العجوز ؟ (يعني أمّه) فإن مِتُّ أنفق عليها من هذا الحائط[1] حتى تموت ثم هو له ، وإن عشتُ فمالي عائد إليّ وله منه ما شاء أن يأكل من تمره ؛ فقال رجل من قومه : أنا له ، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خداش بن زهير حتى دُلَّ عليه بمَرِّ الظَّهْران ، فصار[2] إلى خبائه فلم يجده ، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه ، ثم نادى امرأة خداش : هل من طعام ؟ فأطلعَت إليه فأعجبها جماله ، وكان من أحسن الناس وجهاً ؛ فقالت : والله ما عندنا من نُزُلٍ نرضاه لك إلاّ تمراً ؛ فقال : لا أُبالي ، فأخرجي ما كان عندك ؛ فأرسلت إليه بقُباع[3] فيه تمر ، فأخذ منه تمرة فأكل شِقَّها وردّ شِقَّها الباقي في القُباع ، ثم أمر بالقُباع فأُدخِل على امرأة خداش بن زهير ، ثم ذهب لبعض حاجاته[4] . ورجع خداش فأخبرته امرأته خبر قيس ، فقال : هذا رجل متحرِّم . وأقبل قيس راجعاً وهو مع امرأته يأكل رُطَبا ؛ فلمّا رأى خداش رِجلَه وهو على بعيره قال لامرأته : هذا ضيفُك ؟ قالت : نعم ؛ قال : كأن قدمه قدم الخَطيم صديقي اليثربيّ ؛ فلمّا دنا منه قرَع طُنُب[5] البيت بسنان رمحه واستأذن ، فأذِن له خداش فدخل إليه ، فنسَبه فانتسب وأخبره بالذي جاء له ، وسأله أن يُعينه وأن يشير عليه في أمره ؛ فرحّب به خداش وذكر نعمة أبيه عنده ، وقال : إنّ هذا الأمر ما زلتُ أتوقّعه منك منذ حينٍ . فأمّا قاتل جدّك فهو ابن عمّ لي وأنا أُعينك عليه ، فإذا اجتمعنا في نادينا جلستُ إلى جنبه وتحدّثتُ معه ، فإذا ضربتُ فخذَه فثِبْ إليه فاقتله . فقال قيس : فأقبلتُ معه نحوه حتى قمتُ على رأسه لمّا جالسه خداش ، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه[6] بسيف يقال له ذو الخُرْصين[7] ، فثار إليَّ القوم ليقتلوني ، فحال خداش بينهم وبيني وقال : دَعُوه فإنّه والله ما قتل إلا قاتل جدّه . ثم دعا خداش بجمل من إبله فركبه ، وانطلق مع قيس إلى العَبْدِي الذي قتل أباه ، حتى إذا كانا قريباً من هَجَرَ أشار عليه خداش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه ، فإذا دُلّ عليه قال له : إنّ لصّاً من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعاً لي ، فسألت مَن سيد قومه فدُللتُ عليك ، فانطلقْ معي حتى تأخذ متاعي منه ؛ فإن اتّبعك وحده فستنال ما تريد منه ، وإن أخرج معه غيره فاضحك ، فإن سألك ممّ ضحكتَ فقل : إنّ الشريف عندنا لا يصنع

1 الحائط : البستان .
2 ل : فأتى .
3 القباع : وعاء للتمر وغيره .
4 ل : حاجته .
5 ل : قرع الظلة .
6 ل : عنقه .
7 هو سيف ذو الزرين أو ذو الخرصين ، انظر الأبيات فيما تقدّم .

كما صنعتَ إذا دُعي إلى اللص من قومه ، إنّما يخرج وحده بسوطه دون سيفه ، فإذا رآه اللص أعطى كلّ شيء أخذ هيبةً له ، فإن أمر أصحابه بالرجوع فسبيل ذلك ، وإن أبَى إلاّ أن يمضوا معه فأْتِني به ، فإنّي أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه . ونزل خداش تحت ظلّ شجرة ، وخرج قيس حتى أتى العبديَّ فقال له ما أمره خداش فأحفظَه ، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس ؛ فلمّا طلع على خداش ، قال له : اخترْ يا قيس إمّا أن أُعينك وإمّا أن أكفِيَك ؛ قال : لا أُريد واحدة منهما ، ولكن إن قتلني فلا يُفْلِتَنَّك ؛ ثم ثار إليه فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه ، فلمّا فرغ منه قال له خداش : إنّا إن فررنا الآن طلبَنا قومه[1] ، ولكن ادخل بنا مكاناً قريباً من مقتله ، فإنّ قومه لا يظنّون أنّك قتلته وأقمتَ قريباً منه ، ولكنّهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره ، فإذا وجدوه قتيلاً خرجوا في طلبنا في كلّ وجه ، فإذا يئسوا رجعوا . قال : فدخلا في داراتٍ من رمال هناك ، وفقَد العبديّ قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلاً ، فخرجوا يطلبونهما في كلّ وجه ثم رجعوا ، فكان من أمرهم ما قال خداش . وأقاما مكانهما أيّاماً ثم خرجا ، فلم يتكلّما حتى أتيا منزل خداش ، ففارقه عنده قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله . ففي ذلك يقول قيس[2] : [من الطويل]

تذكَّـر لَـيْـلَى حسنَهـا وصفاءَها ... وبانتْ فمـا إن يستطيعُ لقاءَها[3]
ومِثْلُكِ قد أَصبَيتُ ليست بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ أَفْضَتْ إليّ خِباءَها[4]
إذا ما اصطبَحتُ أربعاً خَطّ مِئْزَرِي ... وأَتْبعتُ دَلْوِي في السَّماحِ رِشاءَها[5]
تَأَرْتُ عديّاً والخَطيمَ فلم أُضِعْ ... وصيّة أشيـاخٍ جُعِلـتُ إزاءَها

وهي قصيدة طويلة .

[استنشد الرسول شعره وأعجب بشجاعته]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المِنْقَرِيّ قال حدّثنا زياد بن بيان[6] العُقيليّ قال حدّثنا أبو خَوْلة الأنصاريّ عن أَنَس بن مالك قال : جلس رسول الله ﷺ في مجلس ليس فيه إلاّ خَزْرَجِيّ ثم استنشدهم قصيدة قيس بن الخطيم ،

1 ل : إن فررنا اليوم قتلنا .
2 هي أوّل القصيدة التي منها الأبيات السابقة .
3 فما إن يستطيع في الديوان : فأمسى ما ينال .
4 أفضيت إليّ خباءها في الديوان : أفضت إلى حيائها ، أي لم يبق بيني وبينها ستر .
5 خطّ أو حط : أي أصبح مئزره يجرّ وراءه لأنّه يمشي مختالاً .
6 ل : بنان .

يعني قوله[1] : [من الطويل]

أتعـرفُ رسمـاً كاطّـرادِ المذاهبِ لعَمْرةَ وَحْشاً غيرَ موقِف راكبِ[2]

فأنشده بعضهم إيّاها ، فلمّا بلغ إلى قوله : [من الطويل]

أُجالِدُهـم يـومَ الحَديقـةِ حاسِراً كأن يدي بالسيفِ مِخْراقُ لاعبِ[3]

فالتفت إليهم رسول الله ﷺ فقال : «هل كان كما ذكَر» ؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شَمّاس وقال له : والذي بعثَك بالحقّ يا رسول الله ، لقد خرج إلينا يومَ سابع عُرْسه عليه غِلالة ومِلحفة مورَّسة[4] فجالدَنا كما ذكر . هكذا في هذه الرواية .

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال : لم تكن بينهم في هذه الأيّام حروب إلاّ في يوم بُعاث[5] فإنّه كان عظيماً ، وإنّما كانوا يخرجون فيترامَوْن بالحجارة ويتضاربون بالخشب .

قال الزبير وأنشدتُ محمد بن فَضالة قول قيس بن الخطيم : [من الطويل]

أجالِدُهـم يـومَ الحديقـةِ حاسراً كأنّ يدي بالسيفِ مِخراقُ لاعبِ

فضحك وقال : ما اقتتلوا يومئذٍ إلاّ بالرطائب والسَّعَف .

قال أبو الفرج : وهذه القصيدة التي استنشدهم إيّاها رسولُ الله ﷺ من جيّد شعر قيس بن الخطيم ، وممّا أَنْشَده نابغة بني ذُبيان فاستحسنه وفضّله وقدّمه من أَجْلِه .

[أنشد النابغة من شعره فاستجاده]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال قال أبو غُزَيَّة قال حسّان بن ثابت : قدِم النابغة المدينة[6] فدخل السُّوقَ فنزل عن راحلته ، ثم جثا على ركبتيه ، ثم اعتمد على عصاه ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

عرفـتُ منـازلاً بعُرَيْتناتٍ فأعـلَى الجِزْع للحَيّ المُبِنِّ[7]

فقلت : هلك الشيخ ورأيته قد تبع قافيةً مُنكرة . قال ويقال : إنّه قالها في موضعه ، فما

---

1 الديوان : 76 .

2 يعني تتابع جلود ذات خطوط مذهّبة .

3 الحديقة : قرية من أعمال المدينة .

4 مورّسة : مصبوغة بالورس أي صفراء اللون .

5 يوم بعاث : من أيّام الحرب بين الأوس والخزرج .

6 ل : السوق .

7 عريتنات : اسم واد . المُبين في ل : الخيف . المبنّ : المقيم .

زال يُنشد حتى أتى على آخرها ، ثم قال : ألا رجلٌ يُنْشِد ؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه وأنشده : [من الطويل]

أتعرف رَسْماً كاطّراد المذاهبِ

حتى فرغ منها[1] ؛ فقال : أنت أشعرُ الناس يا ابن أخي . قال حسّان : فدخَلَني منه ، وإنّي في ذلك لأجد القوّة في نفسي عليهما ، ثم تقدّمتُ فجلست بين يديه ؛ فقال : أنشِدْ فوالله إنّك لشاعر قبل أن تتكلّم ، قال : وكان يعرفني قبل ذلك ، فأنشدته ؛ فقال أنت أشعر الناس . قال الحسن بن موسى : وقالت الأَوْس : لم يَزِدْ قيس بن الخطيم النابغةَ على : [من الطويل]

أتعرف رَسْماً كاطّرادِ المذاهبِ

نصف البيت ، حتى قال أنت أشعر الناس .

[صفاته الجثمانية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال قال سليمان بن داود المُجَمِّعيّ : كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أَدْعج[2] العينين أحمر الشفتين بَرّاق الثّنايا كأن بينها بَرقاً ، ما رأته حليلة رجل قطُّ إلاّ ذهب عقلُها .

[أمر حسّان الخنساء بهجوه فأبت]

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المُجَمِّعيّ قال : قال حسّان بن ثابت للخنساء : اهْجِي قيس بن الخطيم ؛ فقالت : لا أهجو أحداً أبداً حتى أراه . قال : فجاءته يوماً فوجدته في مَشْرَقَةٍ[3] ملتفّاً في كِساء له ، فنخَسته برجلها وقالت : قم ، فقام ؛ فقالت : أدبِرْ ، فأدبر ؛ ثم قالت : أقبِلْ ، فأقبل . قال : والله لكأنّها تعترض عبداً تشتريه ، ثم عاد إلى حاله نائماً ؛ فقالت : والله لا أهجو هذا أبداً .

[عرض عليه الرسول ﷺ الإسلام]

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعب قال : كانت عند قيس بن الخطيم حَوّاء بنت يَزيد بن سِنان بن كُرَيز[4] بن زَعُوراء فأسلمتْ ، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها ، فلمّا قدِم قيس مكّة عرَض عليه رسول الله ﷺ الإسلام ، فاستنظره قيس حتى يَقْدَم رسول الله ﷺ المدينة ؛ فسأله رسول الله ﷺ أن يجتنب زوجته حواءَ بنت يزيد ، وأوصاه بها خيراً ، وقال له : إنّها قد

1 ل : حتى أتى على آخرها . (وهي في 38 بيتاً في الديوان) .

2 الدعج : شدّة سواد العين مع سعتها .

3 المشرقة : حيث يتشرّق الإنسان ، أي يجلس في الشمس شتاء .

4 ل : كرز .

أسلمت ؛ ففعل قيس وحفظ وصيّة رسول الله ﷺ ؛ فبلغ رسول الله ﷺ ، فقال : «وفَى الأُدَيْعِجُ» .

قال أبو الفرج وأحسَب هذا غلطاً من مصعَب ، وأنّ صاحبَ هذه القصّة قيس بن شمّاس ، وأمّا قيس بن الخطيم فقُتل قبل الهجرة .

[قتله الخزرج بينهم]

أخبرني علي بن سليمان الأَخفش النحويّ عن أبي سعيد السُّكَّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ حرب الأَوْس والخَزْرَج لمّا هدأت ، تذكرت الخزرج قيس بن الخطيم ونكايته فيهم ، فتوامروا[1] وتواعدوا قتله ؛ فخرج عشيَّةً من منزله في مُلاءتين يريد مالاً له بالشَّوْط[2] حتى مرّ بأُطُمِ[3] بني حارثة ، فرُميَ من الأطم بثلاثة أسهم ، فوقع أحدها في صدره ، فصاح صَيحةً سمعها رهطه ، فجاؤوا فحملوه إلى منزله ، فلم يَرَوْا له كُفْئاً إلاّ أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مُدرِك النَّجّاريّ ، فاندسَّ إليه رجل حتى اغتاله في منزله ، فضرب عُنُقه واشتمل على رأسه ، فأتى به قيساً وهو بآخر رَمَق ، فألقاه بين يديه وقال : يا قيس قد أدركت بثأرك ؛ فقال : عضَضْتَ بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة ؛ فقال : هو أبو صعصعة ، وأراه الرأس ؛ فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات .

[مهاجاته حسّان]

وهذا الشعر أَعْني : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها[4]

فيما قيل يقوله قيس في عَمْرة بنت رَواحة ، وقيل : بل قاله في عَمرة : امرأةٍ كانت لحسّان بن ثابت ، وهي عمرة بنت صامت بن خالد . وكان حسّان ذكر ليلى بنت الخَطيم في شعره ، فكافأه قيس بذلك ، وكان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الرَّبيع[5] .

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني مصعب قال : مَرّ حسّان بن ثابت بليلى بنت الخَطيم ، وقيس بن الخطيم أخوها بمكّة حين خرجوا يطلبون الحِلْفَ في قريش ، فقال لها حسّان : اظعَني فالحَقي بالحيّ فقد ظعَنوا ، وليت شعري

---

1 توامروا : لغة في تآمروا ؛ وفي ل : تذامروا أي حضّ بعضهم بعضاً .

2 الشوط : ذكر ياقوت أنّه بستان بالمدينة .

3 الأطم : البناء الحصين .

4 عجز البيت : فتهجر أم شأننا شانها ، وهي فيما يقال ردّ على قصيدة حسّان «لقد هاج نفسك أشجانها» وسيرِد تفصيل ذلك فيما بعد .

5 من أيّام الأوس والخزرج.

ما خلَّفكِ وما شأنُك : أقلّ ناصرُك أم راث[1] رافدُكِ ؟ فلم تكلّمه وشتَمه نساؤها ؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه[2] : [من المتقارب]

لقد هـاج نفسَك أشْجانُها ... وعاودها اليـومَ أدْيانُها[3]
تذكرتَ ليلى وأنّى بهـا ... إذا قُطِّعتْ منـك أقْرانُها
وحَجَّـلَ في الدارِ غِرْبانُها ... وخَفَّ مـن الدار سُكّانُها
وغيَّرها مُعْصِراتُ الرِّياحِ ... وسَحُّ الجَنُـوب وتَهْتانُها
مَهاةٌ من العِينِ تَمْشي بها ... وتَتْبَعُهـا ثَـمّ غِـزْلانُها
وقفـتُ عليهـا فساءلتُها ... وقد ظعَنَ الحيُّ : ما شانُها
فعَيَّـتْ وجاوبنـي دونَها ... بمـا راع قلبـيَ أعوانُها

وهي طويلة . فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أوّلها : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها

وفخَر فيها بيوم الرُّبيع وكان لهم فقال : [من المتقارب]

ونحن الفوارسُ يـومَ الرُّبيـ ... ـع قد علِمُوا كيف فُرْسانُها
حِسانُ الوجوه حِدادُ السيو ... فِ يَبْتَدِرُ المجـدَ شُبّانُها

وهي أيضاً طويلة .

[غنّت عزّة الميلاء بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا الأصمعيّ قال حدّثني شيخ قدِم من المدينة ، وأخبرني إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غَسّان عن أبي السائب المخزوميّ ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال ذُكِر لي عن جعفر بن مُحرز السَّدُوسيّ ، قالوا : دخل النُّعمان بن بَشير الأنصاريّ المدينةَ أيّام يزيد بن معاوية وابنِ الزُّبير ، فقال : والله لقد أخْفَقتْ[4] أُذُنايَ من الغناء فأَسْمِعُوني ؛ فقيل له : لو وجَّهتَ إلى عَزّة فإنّها من قد عرفتَ ؛ قال : إي وربِّ البيت ، إنّها لَمَنْ يزيدُ النفسَ طِيباً والعقل شَحْذاً ، ابعثوا إليها عن رسالتي ، فإن أبَتْ صِرنا إليها ؛ فقال له بعض القوم : إنّ الثُّقْلة تشتدُّ

1 راث : تأخّر وتلكّأ .
2 ديوان حسّان : 239-240 .
3 الدين هنا بمعنى العادة .
4 أخفقت هنا : حُرِمَتْ .

عليها لثِقَل بدنها وما بالمدينة دابة تحملها ؛ فقال النعمان : وأين النجائب عليها الهوادج ! فوجَّه إليها بنجيب فذكرت علّة ، فلمّا عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبَر بها ، قوموا بنا ؛ فقام هو مع خواصّ أصحابه حتى طرَقوها ، فأذِنتْ وأكرمتْ واعتذرتْ ، فقبل النعمان عُذرها وقال : غنّيني ، فغنّته : [من المتقارب]

أجَـدّ بعَمْـرة غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها

فأشير إليها أنّها أُمُّه فسكتت ؛ فقال : غنّيني فوالله ما ذكرتِ إلاّ كراماً وطِيباً ؛ لا تغنّيني سائر اليوم غيره ؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف .

وتذاكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عديّ ، فقال : ألا أزيدكم فيه طريفة ؟ قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن ؛ قال قال لقيط : كنت عند سعيد الزبيريّ قال سمعت عامراً الشعبيّ يقول : اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عَزَّة ، فلمّا انصرف إذا امرأةٌ بالباب منتظرة له ، فلمّا خرج شكت إليه كثرة غِشْيان زوجها إيّاها ؛ فقال لها النعمان بن بشير : لأَقضينّ بينكما بقضيّة لا تُردّ عليّ ، قد أحلّ الله له من النساء مَثْنى وثُلاث ورُباع ، فله امرأتان بالنهار وامرأتان بالليل . فهذا يدلّ على أنّ المعنيَّة بهذا الشعر عمرة بنت رواحة[1] .

وأمّا ما ذُكر أنّه عَنى عَمْرة امرأةَ حسّان بن ثابت ، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بَكّار عن عمّه : أنّ قيس بن الخطيم لمّا ذكر حسّانُ أخته ليلى في شعره ذكر امرأته عمرة ، وهي التي يقول فيها حسّان[2] : [من الرمل]

أزمعتْ عَمرة صرْماً فابتَكِرْ

[حسّان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعب قال : تزوّج حسّان بن ثابت عمرة بنت الصامت بن خالد بن عطيّة الأَوْسيَّة ثم إحدى بني عمرو بن عوف ، فكان كلّ واحد منهما معجباً بصاحبه ، وإنّ الأَوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأَسْلَت : [من الوافر]

أجرتُ مخلَّدا ودفعتُ عنه وعندَ اللهِ صالحُ ما أتيتُ

فتكلّم حسّان في أمره بكلام أغضب عمرة ، فعيّرته بأخواله وفخَرت عليه بالأوس ؛ فغضب لهم فطلّقها ، فأصابها من ذلك ندم وشدّة ؛ وندم هو بعدُ فقال : [من الرمل]

1 لأنّ عمرة بنت رواحة هي أمّ النعمان بن بشير .

2 ديوان حسّان : 307 وفيه : أجمعت عمرة ، وهي في 21 بيتاً .

صوت

أزمعتْ عمرةُ صرماً فابتكِرْ ... إنّما يُدهِنُ للقلبِ الحَصِرْ[1]
لا يكن حبُّكِ حبّاً ظاهراً ... ليس هذا منكِ يا عَمْرُ بسِرّ[2]
سألتْ حَسّانَ مَن أخوالُه ... إنّما يَسأل بالشيء الغُمُرْ[3]
قلتُ أخوالي بنو كَعبٍ إذا ... أسلمَ الأبطالُ عوراتِ الدُّبُرْ

يريد يُدهِن القلبُ ، فأدخل اللام زائدةً للضرورة . عَمْر : ترخيم عمرة . والسر : الخالص الحَسَن . غنّت في هذه الأبيات عزّة المَيلاء ثاني ثقيل بالبِنصر من رواية حَبَش .

وتمام القصيدة : [من الرمل]

رُبَّ خالٍ لِيَ لو أبصرتِه ... سَبِطِ المِشْية في اليوم الخَصِرْ
عند هذا الباب إذ ساكِنُه ... كلُّ وجهٍ حسنِ النَّقْبَة حُرّ[4]
يُوقِدُ النارَ إذا ما أُطْفِئَتْ ... يُعْمِل القِدْرَ بأثْباج الجُزُرْ
مَن يَغُرُّ الدهرُ أو يأمَنُه ... من قَبيلٍ بعد عمروٍ وحُجُرْ[5]
ملَكا منْ جبلِ الثلجِ إلى ... جانِبَيْ أيلَةَ من عبدٍ وحُرّ
ثم كانا خيرَ من نالَ النَّدى ... سبَقا الناسَ بإقساطٍ وبِرّ[6]
فارِسَيْ خيلٍ إذا ما أمسكتْ ... ربّةُ الخِدْرِ بأطرافِ السُّتُرْ
أتَيا فارسَ في دارهمُ ... فتناهَوْا بعد إعصارٍ بِقُرّ
ثم نادَوْا يا لَغَسّانَ اصبِرُوا ... إنّه يومُ مَصاليتَ صُبُرْ[7]
اجعلوا مَعْقلَها أيمانَكم ... بالصَّفِيح المُصْطَفى غيرِ الفُطُرْ[8]
بِضَرابٍ تأذَن الجِنُّ له ... وطِعانٍ مثلِ أفْواه الفُقُرْ[9]

---

1 يدهن للقلب يريد يدهن القلب بمعنى يداهن .
2 ظاهراً في ل : قاهراً .
3 الغمر : الجاهل .
4 النقبة : حالة وضع النقاب .
5 قبيل في ل : قتيل .
6 الندى في ل : الغنى . إقساط : عدالة .
7 مصاليت : شجعان .
8 السيف الفطير : المثلم .
9 تأذن : تسمع . الفقر : أفواه القنوات .

ولقد يعلَم مَنْ حارَبنا أنّنا ننفعُ قِدْماً ونَضُرّ
صُبُرٌ للموت إن حَلَّ بنا صادِقُو البأسِ غَطارِيفُ فُخُرْ
وأقام العزُّ فينا والغِنَى فلنا فيه على الناسِ الكُبُرْ
منهم أصْلِي فمن يفْخَرْ به يَعرِفُ الناسُ بفخرِ المفتخِرْ[1]
نحن أهل العزِّ والمجدِ معاً غيرُ أنكاسٍ ولا مِيلٍ عُسُرْ[2]
فاسألوا عنّا وعن أفعالنا كلُّ قومٍ عندهم علمُ الخَبَرْ[3]

قال الزبير فحدّثني عمّي قال : ثم إنّ حسّان بن ثابت مرّ يوماً بنسوة فيهنّ عمرة بعد ما طلّقها ، فأعرضتْ عنه وقالت لامرأة منهنّ : إذا حاذاكِ هذا الرجلُ فاسأليه مَنْ هو وانسُبِيه وانسُبي أخوالَه وهي متعرِّضة له ، فلمّا حاذاهنّ سألتْه مَنْ هو ونسَبتْه فانتسب لها ، فقالت : فمَنْ أخوالُك ؟ فأخبرها ، فبصقتْ عن شِمالها وأعرضتْ عنه ؛ فحدّد النظرَ إليها وعجِب من فعلها وجعل ينظر إليها ، فبصُر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أنّ الأمر من قِبَلها أتى ؛ فقال في ذلك[4] : [من الكامل]

قالتْ له يوماً تخاطِبُه رَيّا الروادفِ غادَةُ الصُّلبِ
أمّا المروءةُ والوَسامةُ أو حُشُم الرجالِ فقد بدا ، حَسْبِي
فوَدِدْتُ أنّكَ لو تُخبِّرنا مَنْ والداكَ ومنصِبُ الشَّعْبِ[5]
فضحكتُ ثم رفَعتُ متّصِلاً صوتي كرَفعِ المنطق الشَّغْبِ[6]
جَدِّي أبو لَيْلى ووالدُه عمرٌو وأخوالِي بنو كَعْبِ
وأنا من القومِ الذينَ إذا أزَم الشتاءُ بحَلْقة الجَدْبِ[7]
أعطى ذوو الأموالِ مُعْسِرَهم والضاربين بمَوْطِنِ الرُّعْبِ

قال مصعب : وأبو ليلى الذي عناه حسّان : حَرام بن عمرو بن زَيد مَناة .

1 يعرف : يعترف .
2 النكس : الضعيف .
3 أفعالنا في ل : أخبارنا .
4 ديوان حسّان : 230 .
5 الشغب : مجمع القبائل .
6 كرفع في ل : أوان .
7 بحلقة في ل والديوان : محالف .

وممّا فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

صوت

حَوْراءُ مَمْكــورةٌ منعَّمةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[1]
تنامُ عن كُبْرِ شأنهــا فإذا قامتْ رُويداً تكاد تنقصفُ[2]
أوحشَ من بَعدِ خُلَّةٍ سَرِفُ فالمُنْحنى فالعَقيقُ فالجُرُفُ

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث ، والغناء لقَفا النَّجَّار ، ولحنُه المختار ثاني ثقيل ، هكذا ذكر يحيى بن عليٍّ في الاختيار الواثقيّ . وهو في كتاب إسحاق لقفا النجَّار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر ، ولعلّه غير هذا اللحن المختار .

[الحرب بين مالك بن العجلان وبني عمرو بن عوف]

وهذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حربٍ كانت بينهم وبين بني جَحْجَبى وبني خَطْمَةَ ، ولم يشهدها قيس ولا كانت في عصره ، وإنّما أجاب عن ذكرها شاعراً منهم يقال له : دِرْهم بن يَزيد . قال أبو المِنهال عُتيبةُ بن المِنهال : بعث رجل من غَطَفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذُبيان إلى يثرب بفرسٍ وحُلّةٍ مع رجل من غَطَفان وقال : ادفعهما إلى أعزّ أهلِ يثرب ، قال وقيل : إنّ الباعث بهما عبد ياليل بن عمرو الثَّقفيّ . قال وقيل : بل الباعث بهما علقمة بن عُلاثة ، فجاء الرسول بهما حتى ورد سوق بني قَيْنُقاع فقال ما أُمِر به ، فوثب إليه رجلٌ من غطَفان كان جاراً لمالك بن العَجْلان الخزرجيّ يقال له كعب الثعلبيّ ، فقال : مالك بن العَجْلان أعزّ أهل يثرب ؛ وقام رجل آخر فقال : بل أُحَيحة بن الجُلاح أعزّ أهل يثرب ، وكثر الكلام ، فقَبِل الرسول الغطَفانيّ قول الثعلبيّ الذي كان جاراً لمالك بن العَجْلان ودفعهما إلى مالك ؛ فقال كعب الثعلبيّ : ألم أقل لكم : إنّ حَليفي أعزُّكم وأفضلُكم ! فغَضِب رجلٌ من بني عمرو بن عوف يقال له سُمَير فرصد الثعلبيّ حتى قتله ، فأُخبر مالك بذلك ، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك ابن الأوس : إنّكم قتلتم منّا قتيلاً فأرسِلوا إلينا بقاتله ؛ فلمّا جاءهم رسولُ مالك تَرامَوْا به : فقالت بنو زيد : إنّما قتلتْه بنو جَحْجَبى ، وقالت بنو جَحْجَبى : إنّما قتلتْه بنو زيد ؛ ثم أرسلوا إلى مالك : إنّه قد كان في السوق التي قُتِل فيها صاحبكم ناسٌ[3] كثير ، ولا يُدرى أيُّهم قتَله ؛ وأمر مالكٌ أهلَ تلك السوق أن يتفرّقوا ، فلم يبق فيها غيرُ سُمَير وكعب ، فأرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك وقال : إنّما قتله سُمَير ، فأرسِلوا به إليّ أقتلْه ؛ فأرسلوا

1 الشطر الأول في ديوان قيس : «تغترق الطرف وهي لاهية» .
2 تنقصف في الديوان : تنغرف ، أي تسقط .
3 ل : خلق .

إليه : إنّه ليس لك أن تقتل سُمَيراً بغير بيّنة ؛ وكَثُرت الرسل بينهم في ذلك : يسألهم مالك أن يعطوه سُميراً ويأبَوْن أن يُعطوه إيّاه . ثم إنّ بني عمرو بن عوف كَرِهوا أن يُنشِبوا بينهم وبين مالك حرباً ، فأرسلوا إليه يَعرِضون عليه الدِّيّة فقبِلها ؛ فأرسلوا إليه : إنّ صاحبكم حليف وليس لكم فيه إلاّ نصف الدية ، فغضب مالك وأبى أن يأخذ فيه إلاّ الدية كاملةً أو يقتل سُميراً ؛ فأبت بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلاّ ديةَ الحليف وهي نصف الدية ، ثم دعوه أن يَحكم بينهم وبينه عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج وهو جدّ عبد الله بن رَواحة ففعل ؛ فانطلقوا حتى جاؤوه في بني الحارث بن الخزرج ، فقضى على مالك بن العجْلان أنّه ليس له في حليفه إلاّ دية الحليف ، وأبى مالك أن يرضى بذلك وآذن بني عمرو بن عوف بالحرب ، واستنصر قبائل الخزرج ، فأبت بنو الحارث بن الخزرج أن تنصُره غضباً حين ردّ قضاءَ عمرو بن امرىء القيس ؛ فقال مالك بن العجْلان يذكر خِذلان بني الحارث بن الخزرج له وحَدبَ بني عمرو بن عوف على سُمَير ، ويحرِّض بني النجّار على نُصرته : [من المنسرح]

إنّ سُمَيراً أرى عشيرتَه ... قد حَدِبُوا دونَه وقد أَنِفُوا
إن يكن الظنُّ صادقاً ببني النَّـ ... ـجّار لا يَطْعَمُوا الذي عُلِفُوا
لا يُسْلِمُونا لمعشرٍ أبداً ... ما دامَ منّا ببَطْنِها شَرَفُ[1]
لكنْ مَوالِيَّ قد بدا لهمُ ... رأيٌ سِوى ما لديَّ أو ضَعُفُوا

[يقال : عُلفوا الضيمَ إذا أقرُّوا به ، أي ظنّي أنّهم لا يقبلون الضيم] .

صوت

[من المنسرح]

بينَ بني جَحْجَبى وبين بني ... زيدٍ فأنّى لجاريَ التَّلَفُ[2]
يمشون في البَيْض والدروع كما ... تمشي جِمالٌ مَصاعبٌ قُطُفُ[3]
كما تَمَشّى الأسودُ في رَهَج الـ ... ـموتِ إليه وكلُّهم لَهِفُ

غنّى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيلٍ عن إسحاق ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحناً من الثقيل الأوّل للغريض .

وقال درهم بن يزيد بن ضُبيعة أخو سُمَير في ذلك[4] : [من المنسرح]

---

1 شرف : شريف .

2 فأنّى لجاري التَّلف في ل : فأتى تخاذل السلف .

3 مصاعب : جمع مصعب وهو الجمل الذي لم يذلل للركوب أو الحمل . وقطف : سريعة .

4 الأبيات في الخزانة 4 : 280 .

يا قــومِ لا تقتلوا سُميراً فإنَّ القتلَ فيــه البَــوارُ والأسفُ
إن تقتُلوه تَــرِنَّ نِسْوتُكــم على كريمٍ ويَفْــزَعِ السَّلَفُ[1]
إنّي لعَمرُ الذي يَحُجُّ لــه النـ ـاسُ ومــن دون بيتِه سَرِفُ
يمــينُ بَــرٍّ بالله مجتهــدٍ يَحْلِف إن كان ينفَع الحَلِفُ
لا نرفَــعُ العبدَ فــوقَ سُنَّتِه ما دام منّا ببَطْنِها شَرَفُ
إنّــك لاقٍ غــداً غُواةَ بني عمِّيَ فانظرْ ما أنتَ مُزْدَهِفُ[2]
فأبْــدِ سِيمَــاكَ يَعْرِفوكَ كما يُبْدُون سِيمَاهــمُ فَتعترِفُ

معنى قوله «فأبد سيماك» : أنّ مالك بن العجْلان كان إذا شهد الحرب يغيِّر لباسه ويتنكّر لئلاّ يُعرف فيُقصَد .

وقال درهم بن يزيد في ذلك :

يا مــالِ لا تَبْغِــينْ ظُلامتَنا يــا مــالِ إنّــا مَعاشِرٌ أنُفُ
يا مــالِ والحقُّ إن قَنِعْتَ به فيــه وفينــا لأمرنــا نَصَفُ
إنّ بُجَيراً عبــدٌ فخُــذْ ثمناً فالحــقُّ يُوفَى بــه ويُعتَرفُ
ثم اعلَمنْ إن أردتَ ضَيْمَ بني زَيدٍ فإنّــي ومَــنْ لــه الحَلِفُ
لأُصْبَحَنْ دارَكم بــذي لَجَبٍ جَوْنٍ لــه مــن أمامِه عَزَفُ[3]
البَيْضُ حِصْنٌ لهــم إذا فَزِعُوا وسابِغــاتٌ كأنّهــا النَّطَفُ[4]
والبِيضُ قــد ثُلَّمت مضاربُها بهــا نفوسُ الكُماةِ تُختطَفُ[5]
كأنّها في الأكــفِّ إذ لَمعتْ وَمِيضُ برقٍ يبدو وينكسفُ

وقال قيس بن الخطيم الظَّفَرِيّ أحد بني النَّبيت في ذلك ، ولم يدركه وإنّما قاله بعد هذه الحرب بزمان ، ومن هذه القصيدة الصوت المذكور : [من المنسرح]

رَدّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا مــاذا عليهم لــو أنّهم وقَفُوا

1 ترن نسوتكم : يرفعن أصواتهنّ بالبكاء .
2 مزدهف : مقتحم .
3 عزف : عزيف أي صوت .
4 النطف : اللؤلؤ الصافي أو الماء .
5 ثلمت في ل : فللت .

لـو وَقفـوا ساعـةً نسائلُهم رَيْث يضحّي جمالَـه السَّلَفُ
فيهم لَعُوبُ العِشاءِ آنسةُ الدّ ل عَـرُوب يَسُوءها الخُلُفُ
بـين شُكُول النساءِ خِلقَتُها قَصْدٌ فـلا جَبْلةٌ ولا قَضَفُ[1]
تنـامُ عـن كُبْر شأنِهـا فإذا قامت رُويـداً تكاد تَنْغَرِفُ[2]
تَغْترِقُ الطرفَ وهـي لاهيةٌ كأنّما شفَّ وجهَهـا نُزُفُ
حَوْراء جَيْـداءُ يُستضاء بها كأنّها خُـوطُ بانـةٍ قَصِفُ
قضى لها اللهُ حين صَوّرها الـ ـخالقُ أن لا يُكِنَّها سَدَفُ[3]
خَوْدٌ يَغِثُّ الحديثُ ما صَمَتتْ وهـو بِفيها ذو لـذة طَرِفُ[4]
تخزنُـه وهـو مشتهىً حسَنٌ وهـو إذا ما تكلمت أنُفُ[5]

وهي طويلة يقول فيها : [من المنسرح]

أبلغْ بنـي جَحْجَبى وإخوتَهم زيـداً بأنّا وراءهـم أُنُفُ[6]
إنّا وإن قـلّ نصرُنـا لهـمُ أكبادُنـا مـن ورائِهِمْ تَجِفُ
لمّـا بـدتْ نحوَنـا جِباهُهمُ حنَّت إلينا الأرحامُ والصُّحُفُ[7]
نَفْلِي بحـدّ الصَّفيح هامَهمُ وفَلُّنا هامَهـم بهـا جَنَفُ[8]
يَتْبَع آثارَهـا إذا اختُلِجَتْ سُخْـنٌ عَبيطٌ عُروقُـه تَكِفُ
إنّ بنـي عمِّنـا طغَـوْا وبَغوْا ولَجّ منهم في قومِهم سَرَفُ

فردّ عليه حسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك[9] : [من المنسرح]

مـا بـالُ عينيك دمعُهـا يَكفُ من ذكر خَوْدٍ شَطَّت بها قَذَفُ[10]
بانـتْ بهـا غَرْبَـةٌ تـؤمّ بهـا أرضاً سِوانـا والشكل مختلِفُ

---

1 جبلة في ل : عبلة .
2 قد مرّ آنفاً برواية «تنقصف» .
3 السدف : الظلمة .
4 لذة في ل : للذة .
5 أنف : مستأنف .
6 أنف : يأبون الضيم .
7 الصحف : كتب العهود .
8 جنف في ل : عنف .
9 ديوان حسان : 387 .
10 عينيك في الديوان : عيني .

ما كنتُ أَدْرِي بوَشْكِ بَيْنهمُ حتى رأيتُ الحُدوجَ تَنقذِفُ[1]
دَعْ ذا وَعدِّ القَرِيضَ في نَفَرٍ يَرْجُون مدحي ومدحيَ الشرفُ[2]
إن تَدْعُ قومي للمجد تُلْفِهُمُ أهلَ فَعالٍ يبدو إذا وُصِفُوا
إنّ سُمَيراً عبدٌ طغَى سَفَهاً ساعده أعبُدٌ لهم نَطَفُ[3]

قال : ثم أرسَل مالكُ بن العَجْلان إلى بني عمرو بن عوف يُؤذِنُهم بالحرب ، ويَعِدُهم يوماً يلتقون فيه ، وأمَر قومَه فتهيَّأوا للحرب ، وتحاشد الحيّان وجمع بعضهم لبعض . وكانت يَهُودُ قد حالفتْ قبائلَ الأَوْس والخَزْرج ، إلاّ بني قُرَيظة وبني النَّضير فإنّهم لم يحالفوا أحداً منهم ، حتى كان هذا الجمع ، فأرسلت إليهم الأوسُ والخزرج ، كلٌّ يدعوهم إلى نفسه ، فأجابوا الأَوسَ وحالفوهم ، والتي حالفتْ قُرَيظةُ والنَّضيرُ من الأَوسِ أوسُ اللهِ وهي خَطْمَةُ وواقِفُ وأُمَيّةُ ووائلُ ، فهذه قبائلُ أَوسِ الله . ثم زحَف مالكٌ بمن معه من قومه من الخزرج ، وزَحفت الأوسُ بمن معها من حلفائها من قُريظة والنضير ، فالتقوْا بفضاء كان بين بئر سالِم وقُباء ، وكان أوّل يوم التَقوْا فيه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وهم منتصِفون جميعاً ، ثم التقوْا مرّة أُخرى عند أُطُمِ بني قَيْنُقاع ، فاقتتلوا حتى حَجز الليلُ بينهم ، وكان الظَّفَر يومئذٍ للأوس على الخزرج ، فقال أبو قيس ابن الأَسلَت في ذلك : [من البسيط]

لقد رأيتُ بني عمرٍو فما وهَنُوا عند اللقاء وما هَمُّوا بتكذيبِ
ألا فِدًى لهمُ أُمِّي وما ولَدتْ غداةَ يَمْشُون إرْقالَ المَصاعيبِ
بكلِّ سَلْهَبةٍ كالأَيْمِ ماضيةٍ وكلِّ أبيضَ ماضي الحدّ مخشوبِ[4]

أصل المخشوب : الحديث الطبع ، ثم صار كلّ مصقول مخشوباً ؛ فشبّهها بالحيّة في انسلالها ، قال : فلبث[5] الأوسُ والخزرج متحاربيْن عشرين سنة في أمر سُمير يتعاودون[6] القتالَ في تلك السنين ، وكانت لهم فيها أيّامٌ ومواطنُ لم تُحفظ ، فلمّا رأت الأوسُ طولَ الشرّ وأنّ مالكاً لا ينزِع[7] ، قال لهم سُوَيد بن صامتِ الأوسيّ ، وكان يقال له الكاملُ في الجاهلية ،

1 تنقذف في الديوان : قد عزفوا .
2 الشطر الثاني في الديوان : يدعون مجدي ومدحتي شرف .
3 النطف : الأقراط .
4 السلهبة : الفرس الطويلة .
5 ل : فمكث .
6 ل : يتعاورون .
7 ينزع : يكفّ .

وكان الرجل عند العرب[1] إذا كان شاعراً شجاعاً كاتباً سابحاً رامياً سمَّوْه الكامل ، وكان سويدٌ أحدَ الكَمَلة : يا قوم ، أَرْضُوا هذا الرجل من حليفه ، ولا تقيموا على حرب إخوتكم فيقتلَ بعضُكم بعضاً ويطمع فيكم غيرُكم ، وإن حَمَلْتُم على أنفسكم بعض الحَمْل . فأرسلت الأَوسُ إلى مالك بن العَجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه وبينهم ثابت بن المُنذر بن حرام أبو حسّان بن ثابت ، فأجابهم إلى ذلك ، فخرجوا حتى أَتَوْا ثابت بن المنذر ، وهو في البئر التي يقال لها سُمَيْحة ، فقالوا : إنّا قد حَكّمناك بيننا ؛ فقال : لا حاجةَ لي في ذلك ؛ قالوا : ولم ؟ قال : أخاف أن تردّوا حُكمي كما رددتم حكم عمرو بن امرىء القيس ؛ قالوا : فإنا لا نردّ حكمَك فاحكم بيننا ؛ قال : لا أحكم بينكم حتى تُعطوني مَوْثِقاً وعهداً لَتَرضَون بحكمي وما قضيتُ به ولَتُسْلِمُنّ له ؛ فأعطوه على ذلك عهودهم ومواثيقهم ، فحكم بأن يُودى حليفُ مالكٍ ديةَ الصريح ثم تكون السنّة فيهم بعده على ما كانت عليه : الصريح على ديته والحليف على ديته ، وأن تُعَدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم ثم يكون بعضٌ ببعض ثم يُعطوا الدية لمن كان له فضلٌ في القتلى من الفريقين ، فرضي بذلك مالكٌ وسلَّمت الأَوسُ وتفرّقوا على أنّ على بني النَّجّار نصف دية جارِ مالكٍ معونةً لإخوتهم ، وعلى بني عمرو بن عوف نصفَها ؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنّهم لم يُخرِجوا إلاّ الذي كان عليهم ، ورأى مالكٌ أنّه قد أدرك ما كان يطلب ، ووُدِيَ جارُه ديةَ الصريح . ويقال : بل الحاكم المنذر أبو ثابت .

1 ل : وكان الرجل في الجاهلية .

[20] ـ ذكر طُوَيس وأخباره[1]

[اسمه وكنيته]

طُوَيْس لقب غلب عليه ، واسمه عيسى بن عبد الله ، وكنيته أبو عبد المُنْعِم وغيّرها المخنَّثون فجعلوها أبا عبد النَّعِيم ، وهو مولى بني مخزوم . وقد حدّثني جَحظة عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد : قال سعد بن أبي وَقّاص : كُنيَ طويس أبا عبد المُنعِم .

[أوّل من غنّى بالعربية في المدينة]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبِي ومحمد بن سَلاَّم الجُمَحِيّ ، وعن الواقديّ عن ابن أبي الزِّناد ؛ وعن المدائنيّ عن زيد بن أَسْلَم عن أبيه ، وعن ابن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مِسكين ؛ قالوا : أوّل من غنّى بالعربيّ بالمدينة طويسٌ ، وهو أوّل من ألقى الخَنَث بها ، وكان طويلاً أحول يُكنى أبا عبد المنعم ، مولى بني مخزوم ، وكان لا يضرب بالعود ، إنّما كان ينقُر بالدُّف ، وكان ظريفاً عالِماً بأمر المدينة وأنساب أهلها ، وكان يُتَّقى للسانِه .

[شؤمه]

قالوا : وسئل عن مولده فذكر أنّه وُلِد يوم قُبض رسول الله ﷺ ، وفُطم يوم مات أبو بكر ، وخُتن يوم قتل عمر ، وزُوّج يوم قتل عثمان ، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين . قال وقيل : إنّه وُلد له يوم مات الحسن بن عليّ عليهما السلام . وقال : وكانت أمّي تمشي بين نساء الأنصار بالنَّميمة . قالوا : وأوّل غناء غنّاه وهزِج به : [من مجزوء الرمل]

صوت

كيف يأتـي مـن بعيـدٍ ... وهـو يُخْفيـه القريـبُ
نـازحٌ بـالشأم عنّـا ... وهـو مِكْسالٌ هَيُـوبُ
قـد بَـراني الحـبُّ حتى ... كدتُ من وَجْدِي أَذُوبُ

الغناء لطُويس هزجٌ بالبنصر .

قال إسحاق : أخبرني الهيثم بن عديّ قال قال صالح بن حسّان الأنصاريّ أنبأني أبي قال : اجتمع يوماً جماعة بالمدينة يتذاكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويساً ، فقالوا : كان وكان ؛ فقال رجل منّا : أمَا لو شاهدتموه لرأيتم ما تُسَرُّون به علماً وظَرْفاً وحسنَ غناء وجودة نَقْرٍ

1 تجد له ذكراً في كتب الأمثال تحت قولهم «أخنث من طويس» (الميداني 1 : 137 والدرة الفاخرة : 1 : 185) . وقولهم «أشأم من طويس» (الدرّة 1 : 235 ومادة (طوس) في اللسان) .

بالدفّ ، ويُضحك كلَّ ثكلى حَرَّى ؛ فقال بعض القوم : والله إنّه على ذلك كان مشؤوماً[1] ؛ وذكر خبَر ميلاده كما قال الواقديّ ، إلاّ أنّه قال : وُلد يوم مات نبيّنا ﷺ ، وفُطِم يوم مات صدِّيقُنا ، وخُتن يوم قُتِل فاروقنا ، وزُوّج يوم قُتل نورُنا ، ووُلد له يوم قُتل أخو نبيّنا ؛ وكان مع هذا مخنَّثاً يَكِيدنا ويطلب عَثَراتنا ؛ وكان مُفْرِطاً في طوله مضطرباً في خَلقه أحولَ . فقال رجل من جِلّة أهل المجلس : لئن كان كما قلت لقد كان مُمتِعاً فَهِماً يُحسن رعاية من حفظ له حقَّ المجالسة ، ورعاية حُرمة الخدمة ، وكان لا يحمِل قول من لا يرعى له بعض ما يرعاه له .

[كان يحبّ قريشاً ويحبّونه]

ولقد كان مُعظِّماً لمواليه بني مخزوم ومَن والاهم من سائر قريش ، ومسالماً لمن عاداهم دون التَّحكيك به ؛ وما يلام من قال بعلم وتكلّم على فهم ، والظالم المَلوم ، والبادىء أظلم . فقال رجل آخر : لئن كان ما قلتَ لقد رأيت قريشاً يَكتنفونه ويُحدِقون به ويُحبّون مجالسته ويُنصِتون إلى حديثه ويتمنَّوْن غناءه ، وما وضعه شيء إلاّ خَنَثُه ، ولولا ذلك ما بقي رجل من قريش والأنصار وغيرهم إلاّ أدناه .

[كان يلقّب بالذائب]

أخبرني رضوان بن أحمد الصَّيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني إسماعيل بن جامع عن سِياط قال : كان أوّل من تغنَّى بالمدينة غناءً يدخُل في الإيقاع طُوَيس ، وكان مولده يوم مات رسول الله ﷺ ، وفِطامه في اليوم الذي توفِّي فيه أبو بكر ، وخِتانه في اليوم الذي قُتل فيه عمر ، وبناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان ، ووُلد له يوم قُتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين ، ووُلد وهو ذاهب العين اليمنى . وكان يلقَّب بالذائب ، وإنّما لقِّب بذلك لأنّه غنّى : [من مجزوء الرمل]

قــد بــراني الحــبُّ حتى كدتُ من وَجْدِي أذُوبُ

[مروان بن الحكم والنغاشي المخنّث]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مسكين قال : كان بالمدينة مخنَّث يقال له النُّغاشيّ ، فقيل لمَروان بن الحكم : إنّه لا يقرأ من كتاب الله شيئاً ، فبعث إليه يومئذٍ ، وهو على المدينة ، فاستقرأه أمَّ الكتاب : فقال : والله ما معي بناتُها ، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أُمَّهنّ ؟ فقال : أتهزأ لا أمَّ لك ؟ فأمر به فقُتل في موضع يقال له بَطحان[2] ، وقال : من جاءني بمخنَّث فله عشرة دنانير .

---

1 ل : لمشؤوم .

2 بطحان : واد بالمدينة .

[طلبه مروان في المخنّثين ففرّ منه حتى مات]

فأُتِي طُوَيس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة ، وهو يغنّي بشعر حسّان ابن ثابت[1] : [من المتقارب]

لقد هاجَ نفسَك أَشْجانُها وعاودها اليومَ أَدْيانُها
تذكَّرتَ هنداً وما ذكرُها وقد قُطِّعَتْ منك أَقْرانُها[2]
وقفتُ عليها فساءلتُها وقد ظعَنَ الحيُّ ما شانُها
فصَدَّتْ وجاوب مَنْ دونها بما أوجعَ القلبَ أعوانُها

فأُخبر بمقالة مروان فيهم ؛ فقال : أما فضّلني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيّ وفيهم أمراً واحداً ؟ ثم خرج حتى نزل السُّويداء ، على ليلتين من المدينة في طريق الشام ، فلم يَزل بها عُمرَه ، وعُمِّر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك .

[هيت المخنّث وبادية بنت غيلان]

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبيّ قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه وعَوانة قالا : قال هِيتُ المخنَّث لعبد الله بن أبي أُميّة : إنْ فَتح الله عليكم الطائف فسَل النبيّ ﷺ بادية بنت غَيلان بن سلمة بن معتِّب ، فإنّها هيفاء شَموع[3] نجلاء ، إن تكلّمت تغنّت ، وإن قامت تثنّت ، تُقبِل بأربع وتُدبِر بثمان[4] ، مع ثغر كأنّه الأُقحوان ، وبين رجليها كالإناء المكفوء ، كما قال قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

تَغْتَرِقُ الطرفَ وهي لاهيةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[5]
بين شُكولِ النساءِ خِلْقَتُها قَصْدٌ فلا جَبْلَةٌ ولا قَضَفُ[6]

فقال النبيّ ﷺ : لقد «غَلْغلتَ النظر يا عدوَّ الله» ، ثم جلاه عن[7] المدينة إلى الحمى . قال هشام : وأوّل ما اتُّخِذت النُّعوش[8] من أجلها . قال : فلمّا فُتحت الطائف تزوّجها عبد الرحمن بن

1 قد مرّ هذا الشعر من قبل .
2 هنداً في ل : ليلى وقد تقدّم بهذه الرواية .
3 شموع : ضحوك لعوب .
4 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 5 : 307 ولكنّه أسقط هذه العبارة . وانظر الإصابة 6 : 296 .
5 سبق أن مرّ هذا البيت برواية أخرى .
6 جبلة في ل : عبلة .
7 ل : عن نظر .
8 النعش هنا : المحفة .

عوف فولدت له بُرَيهة . فلم يزل هِيتٌ بذلك المكان حتى قُبض النبيّ ﷺ ؛ فلمّا ولي أبو بكر رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يُردّه ؛ فلمّا وَلِيَ عمر رضي الله عنه كلّم فيه فأبى أن يردّه وقال : إن رأيته لأضربنّ عنقه ؛ فلمّا ولي عثمان رضي الله عنه كُلِّم فيه فأبى أن يردّه ؛ فقيل له : قد كبِر وضعُف واحتاج ؛ فأذِن له أن يدخل كلَّ جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه . وكان هيتٌ مولًى لعبد الله بن أبي أُميّة بن المغيرة المخزوميّ ، وكان طُوَيس له ؛ فمن ثمّ قيل الخَنِثُ .

وجلس يوماً فغنّى في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أُميّة :

تغترقُ الطرَفَ وهـي لاهيـةٌ

إلى آخر البيتين ؛ فأشير إلى طُوَيس أن اسكتْ ؛ فقال : والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنّما هذا مَثَلٌ ضربه هيتٌ في أمّ بُرَيهة ؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال : يا ابن الطاهر ، أوجَدتَ عليّ في نفسك ؟ أُقسِم بالله قسماً حقّاً لا أغنّي بهذا الشعر أبداً .

[ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه]

قال إسحاق وحدّثنا أبو الحسن الباهليُّ الراوية عن بعض أهل المدينة ، وحدّثنا الهيثم بن عديّ والمدائنيّ ، قالوا : كان عبد الله بن جعفر معه إخوان[1] له في عشيّة من عشايا الربيع ، فراحت عليهم السماء بمطر جَودٍ فأسال كلّ شيء ؛ فقال عبد الله : هل لكم في العقيق ؟ وهو متنزَّه أهل المدينة في أيّام الربيع والمطر ، فركبوا دوابَّهم ثم انتهوا إليه فوقفوا على شاطئه وهو يرمي بالزَّبَد مثل مَدِّ الفُرات ، فإنّهم لينظرون إذ هاجت السماء ، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جُنَّة نستجِنُّ بها وهذه سماء خليقة أن تَبُلَّ ثيابنا ، فهل لكم في منزل طُوَيس فإنّه قريب منّا فنستكنّ فيه ويحدّثنا ويُضحكنا ؟ وطويس في النَّظَّارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر ؛ فقال له عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت : جُعِلت فداءك ؛ وما تريد من طُوَيس عليه غضب الله : مخنَّث شائن لمن عرفه ؛ فقال له عبد الله : لا تقل ذلك ، فإنّه مليح خفيف لنا فيه أُنْس ؛ فلمّا استوفى طُوَيس كلامهم تعجَّل إلى منزله فقال لامرأته : وَيحَك ؛ قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس ، فما عندك ؟ قالت : نذبح هذه العَناق[2] ، وكانت عندها عُنَيِّقَة قد ربَّتها باللبن ، واختبز خبزاً رُقاقاً ؛ فبادر فذبحها وعَجنتْ هي . ثم خرج فتلقّاه مقبِلاً إليه ؛ فقال له طُوَيس : بأبي أنت وأُمّي ؛ هذا المطر ، فهل لك في المنزل فتستكنّ فيه إلى أن تكُفَّ السماء ؟ قال : إيّاك أُريد ؛ قال : فامض يا سيدي على بركة الله ، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا ، فتحدّثوا حتى أدرك الطعام ، فقال : بأبي أنت وأُمّي ، تُكرِمني إذ دخلت منزلي بأن تتعشَّى

1 ل : حداث .

2 العناق : الأنثى من ولد الماعز .

عندي ؛ قال : هات ما عندك ؛ فجاءه بعَناقٍ سمينة ورُقاق ، فأكل وأكل القوم حتى تَمَلَّوُوا ، فأعجبه طِيب طعامه ، فلمّا غسلوا أيديهم قال : بأبي أنت وأُمّي ، أتَمَشَّى معك وأُغنّيك ؟ قال : افعل[1] يا طُوَيس ؛ فأخذ ملحفة فأتزر بها وأرخى لها ذَنَبَين ، ثم أخذ المُرَبَّع[2] فتمشّى وأنشأ يغنّي : [من الرمل]

يا خَلِيلي نابني سُهُدِي لَمْ تَنَمْ عيني ولم تَكَدِ
كيف تَلْحوني على رجلٍ آنسٍ تَلتَـــدُّه كبِـدِي
مثـل ضوء البدرِ طَلْعَتُه ليس بالزُّمَّيْلَة النَّكِدِ[3]

فطرب القوم وقالوا أحسنتَ والله يا طُوَيس . ثم قال : يا سيدي ، أتدري لمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله ، ما أدري لمن هو ، إلاّ أنّي سمعت شعراً حسناً ؛ قال : هو لفارعة بنت ثابت أخت حسّان بن ثابت وهي تتعشّق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزوميّ وتقول فيه هذا الشعر ؛ فنكّس القوم رؤوسهم ، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره ، فلو شُقَّت الأرض له لدخل فيها .

[عرّض بسعيد بن عبد الرحمن في شعر]

قال وحدّثني ابن الكلبيّ والمدائنيّ عن جعفر بن محرز قال : خرج عمر بن عبد العزيز ، وهو على المدينة ، إلى السويداء وخرج الناس معه ، وقد أُخِذت المنازل ، فلحق بهم يزيد بن بكر بن دأب اللَّيثيّ وسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصاريّ ، فلقيهما طويس فقال لهما : بأبي أنتما وأُمّي ؛ عرِّجا إلى منزلي ؛ فقال يزيد لسعيد : مِل بنا مع أبي عبد النَّعيم ؛ فقال سعيد : أين تذهب مع هذا المخنَّث ؛ فقال يزيد : إنّما هو منزل ساعة فمالا ، واحتمل طُوَيس الكلام على سعيد ، فأتيا منزله فإذا هو قد نضحه ونصَّعه[4] ، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء ؛ ثم قال سعيد : لو أسمعتنا يا أبا عبد النَّعيم ؛ فتناول خريطة فاستخرج منها دُفّاً ثم نقره وقال : [من الرمل]

يا خَلِيلي نابَنِي سُهُدِي لم تَنَمْ عينِي ولم تَكَدِ
فشَرابِي مـــا أُسِيغُ وما أَشْتَكِي مـــا بي إلى أحدِ

1 ل : بلى .
2 المربع : دفّ هذا شكله .
3 الزميلة : الضعيف الرذل .
4 ل : ونضده .

كيف تَلْحُوني على رجلٍ آنسٍ تلتـــذُّه كبِـــدِي
مثـــلُ ضوءِ البدرِ صورتُه ليس بالزُّمَّيْلَـــةِ النَّكِدِ
من بنـــي آل المُغِيرة لا خامـــلٍ نِكْسٍ ولا جَحِدِ
نظرتْ يومـــاً فلا نظرتْ بعـــدَه عينـــي إلى أحدِ

ثم ضرب بالدفّ الأرض ؛ فقال سعيد : ما رأيت كاليوم قطّ شعراً أجود ولا غناءً أحسن منه ؛ فقال له طُوَيس : يا ابن أبي الحُسام ، أتدري مَن يقوله ؟ قال : لا ؛ قال : قالته عمَّتُك خولة بنت ثابت تُشَبِّب بعُمارة بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ ؛ فخرج سعيد وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطّ مثل ما استقبلني به هذا المخنَّث ؛ والله لا يُفلِتُني ! فقال يزيد : دَع هذا وأَمِتْه ولا ترفع به رأساً . قال أبو الفرج الأصبهانيّ : هذه الأبيات ، فيما ذكر الحرميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار ، لابن زهير المخنَّث .

[مدح ابن سريج غناءه]

قال إسحاق وحدّثني الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش ، وابن الكلبيّ عن أبي مسكين قالا : قدِم ابن سريج المدينة فغنّاهم ، فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كلّ مَنْ غنّى ، وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم يقولون ذلك ، فاستخرج دُفّاً من حِضنِه ثم نقَر به وغنّاهم بشعر عُمارة بن الوليد المخزوميّ في خولة بنت ثابت ، عارضها بقصيدتها فيه : [من الرمل]

يا خليلي نابنـي سُهُدِي لم تَنَـمْ عَيْنِـي ولم تَكَدِ

وهو :

تَناهى فيكُـم وَجْـدِي وصدَّع حبُّكم كِبْدِي
فقلبي مُسْعَـرٌ حزنـاً بذات الخـالِ في الخدِّ
فما لاقـى أخـو عشقٍ عَشِيرَ العُشْرِ من جَهْدِي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال : والله هذا أحسنُ الناس غناء .

أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدّثنا إسماعيل بن مجمِّع قال حدّثني المدائنيّ قال : قدِم ابن سريج المدينة فجلس يوماً في جماعة وهم يقولون : أنت والله أحسنُ الناس غناء ، إذ مرّ بهم طُوَيس فسمعهم وما يقولون ، فاستلَّ دُفَّه من حِضنه ونقره وتغنّى : [من مجزوء الكامل]

إنّ المُخنَّبَـــةَ التـــي مَـرَّتْ بنا قبل الصَّباحِ
في حُلَّـــةٍ مَوْشيّـــةٍ مَكِيَّـــةٍ غَرْثَى الوِشاحِ
زَيْنٌ لمشهـــدِ فِطْرِهم وتَزِينُهم يومَ الأضاحِي

الشعر لابن زهير المخنَّث ، والغناء لطُويس هزجٌ ؛ أخبرنا بذلك الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بَكّار ، فقال ابن سريج : هذا والله أحسنُ الناس غناء لا أنا .

[تبع جارية فزجرته]

قال إسحاق حدّثني المدائنيّ قال : حُدّثت أنّ طويساً تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها ، فخَبَّتْ[1] في المشي فلم ينقطع عنها ؛ فلمّا جازت بمجلسٍ وقفتْ ثم قالت : يا هؤلاء ، لي صديق ولي زوج ومولًى يَنْكِحُني ، فسَلُوا هذا ما يريد منّي ؟ فقال : أُضيِّق ما قد وسّعوه . ثم جعل يتغنّى : [من الهزج]

أَفِقْ يا قلبُ عن جُمْلِ ... وجُمْلٌ قطَّعتْ حَبْلِي
أفِق عنها فقد عُنِّيـ ... ـتَ حَوْلاً في هَوى جُمْلِ
وكيف يُفِيق محزونٌ ... بجُمْلٍ هائمُ العقلِ
بَراه الحُبّ في جملٍ ... فحَسْبِي الحبُّ من ثِقْلِ
وحَسْبِي فيكِ ما أَلْقَى ... من التَّفْنيد والعَذْلِ[2]
وقِدْماً لامني فيها ... فلم أَحْفِل بهم أهلِي

[طُوَيس والرجل المسحور]

قال إسحاق وقال المدائنيّ قال مسلمة بن محارب حدّثني رجل من أصحابنا قال : خرجنا في سَفْرة ومعنا رجلٌ ، فانتهينا إلى وادٍ فدعَونا بالغداء ، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه ، وهو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل ، فخرجنا نسأل عن حاله فلقِينا رجلاً طويلاً أحول مضطرب الخَلق في زِيّ الأعراب ، فقال لنا : ما لكم ؟ فأنكرنا سؤاله لنا ، فأخبرناه خبر الرجل ؛ فقال : ما اسم صاحبكم ؟ فقلنا : أُسَيد ؛ فقال : هذا وادٍ قد أُخِّذَتْ[3] سِباعه فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادي استمرّ صاحبكم وأكل . قلنا في أنفسنا : هذا من الجنّ ، ودخلتْنا فَزعةٌ[4] ؛ ففهم ذلك وقال : لِيُفْرِخْ رَوعُكم فأنا طُوَيس . قال له بعض مَن معنا من بني غِفارٍ أو من بني عَبْس : مرحباً بك يا أبا عبد النعيم ، ما هذا الزِّيّ ! فقال : دعاني بعض أُودّائي من الأعراب فخرجت إليهم وأحببت أن أتخطّى الأحياء فلا يُنكروني . فسألت الرجل أن يغنّينا ؛ فاندفع ونَقَر بدُفٍّ كان معه مربَّعٍ ، فلقد تخيَّل لي[5] أنّ الوادي يَنطِق معه حسناً ،

1 ل : فحثت .
2 التفنيد في ل : التعنيف .
3 أُخِّذت سباعه : سحرت ؛ وفي ل : أخاف .
4 ل : ودخلنا فزع .
5 ل : خيّل إلي .

وتعجَّبْنا من علمه وما أخبرنا [به] من أمر صاحبنا .

وكان الذي غنّى به في شعر عُروة بن الورد في سلمى امرأته الغِفاريّة حيث رهَنها على الشراب[1] : [من الوافر]

سَقَوْني الخمرَ ثم تكنَّفُوني عُداةُ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ[2]
وقالوا لستَ بعدَ فِداء سَلْمى بمُفْنٍ ما لديك ولا فقيرِ
فلا واللهِ لو مُلِّكْتُ أمري ومَنْ لي بالتَّدَبُّرِ في الأُمورِ
إذاً لَعَصَيتُهمْ في حبّ سَلْمى على ما كان من حَسَكِ الصدورِ[3]
فيا للنّاسِ كيف غُلِبْتُ أمري على شيءٍ ويكرَهُهُ ضميرِي

[عروة وامرأته سلمى الغفارية]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : لمّا غزا النبيّ ﷺ بني النَّضير وأجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خَيبَر يضربون بدُفوف ويَزمُرون بالمزامير وعلى النساء المُعصفرات وحُلِيّ الذهب مُظهرين لذلك تجلُّدا ، ومرَّت في الظَّعن يومئذٍ سلمى امرأة عروة بن الورد العبسي ، وكان عروة حليفاً في بني عمرو بن عوف ، وكانت سلمى من بني غِفار ، فسباها عروة من قومها وكانت ذات جمال فولدت له أولاداً وكان شديد الحبّ لها وكان ولده يعيِّرون بأُمِّهم ويسمَّون بني الأَخيذة ، أي السَّبِيّة ، فقالت : ألا ترى ولدك يعيِّرون ؟ قال : فماذا تَرَين ؟ قالت : أرى أن تردَّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأَنعَم لها[4] ، فأرسلت إلى قومها أنِ القَوْه بالخمر ثم اتركوه حتى يسكَر ويثمل فإنّه لا يُسأل حينئذٍ شيئاً إلاّ أعطاه ؛ فلَقوه وقد نزل في بني النَّضير فسَقوه الخمر ، فلمّا سكر سألوه سلمى فردّها عليهم ثم أنكحوه بعد . ويقال : إنّما جاء بها إلى بني النَّضير ، وكان صُعلوكاً يُغِير ، فسقَوه الخمر ، فلمّا انتشى منعوه ولا شيء معه إلاّ هي فرهنها ، ولم يزل يشرب حتى غَلِقَت[5] ؛ فلمّا قال لها : انطلقي قالت : لا سبيل إلى ذلك ، قد أغلَقتني . فبهذا صارت عند بني النَّضير . فقال في ذلك : [من الوافر]

سقَوْني الخمرَ ثم تكنَّفُوني عُداةُ اللهِ من كذبٍ وزورِ

1 ديوان عروة (شرح ابن السكيت) : 58 تحقيق عبد المعين الملوحي ، دمشق : 1966 .
2 الخمر في الديوان : النسء وهي أيضاً الخمر .
3 حسك الصدور : الغلّ والعداوة .
4 أنعم لها : قال لها نعم .
5 غلق الرهن : استحقّ .

هذه الأبيات مشهورة بأنّ لطويس فيها غناءً ، وما وجدتُه في شيء من الكتب مجنَّساً فتُذكر طريقته .

[كان يغرى بين الأوس والخزرج بغنائه]

قال إسحاق وحدّثني المدائنيّ قال : كان طويس وَلِعاً بالشعر الذي قالته الأَوس والخزرج في حروبهم ، وكان يريد بذلك الإغراء ، فقَلّ مجلسٌ اجتمع فيه هذان الحَيّان فغنّى فيه طويس إلاّ وقع فيه شيء ؛ فنُهِي عن ذلك ، فقال : والله لا تركتُ الغناء بشعر الأنصار حتى يُوَسِّدوني التراب ؛ وذلك لكثرة تولُّع القوم به ، فكان يُبْدي السرائر ويُخرج الضغائن ، فكان القوم يتشاءمون به[1] .

وكان يُستحسن غناؤه ولا يُصبَر عن حديثه ويُستشهد على معرفته ، فغنّى يوماً بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس والخزرج وهو : [من المنسرح]

ردّ الخَليطُ الجِمالَ فانصرفوا ... مـاذا عليهم لـو أنّهم وقفُوا
لـو وقفـوا ساعـةً نسائلُهم ... رَيْث يضحِّي جِمالَـه السَّلَفُ
فليت أهلي وأهلَ أَثْلَة في الـ ... ـدَّارِ قَرِيبٌ من حيثُ نختلِفُ[2]

فلمّا بلغ إلى آخر بيت غنّى فيه طويس من هذه القصيدة وهو : [من المنسرح]

أبلِغْ بني جَحْجَبى وقومَهـمُ ... خَطْمَـةَ أنّا وراءَهـم أُنُفُ

تكلّموا وانصرفوا وجرتْ بينهم دماءٌ ، وانصرف طُوَيس من عندهم سليماً لم يُكْلَمْ ولم يُقَلْ له شيءٌ .

[سبب الحرب بين الأوس والخزرج]

قال إسحاق فحدّثني الواقديّ وأبو البختريّ ، قالا : قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشَغب أثاره القوم بعد دهر طويل . ونذكر سبب أوّل ما جرى بين الأَوس والخزرج من الحرب .

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيديّ وأبو البختريّ ، وحدّثني مشايخ لنا قالوا : كانت الأوس والخزرج أهلَ عزٍّ ومَنَعةٍ وهما أخوان لأبٍ وأمّ وهما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وأُمُّهما قَيلة بنت جَفنة بن عُتبة بن عمرو ؛ وقُضاعة تذكر أنّها قَيلة بنت كاهِل بن عُذرة بن سعد بن زيد بن سُود بن أَسلم بن الحاف بن قُضاعة . وكانت أوّلُ حرب جرت

---

1 ل : يتماشون إليه .

2 في الدار في ل : والدار . ورواية الديوان :

بل ليت أهلي وأهل أثلة في دارٍ ... قريـبٍ من حيث تختلـفُ

بينهم في مولىً كان لمالك بن العجلان قتله سُمَير بن يزيد بن مالك ، وسُمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف ، وكان مالك سيد الحيَّين في زمانه ، وهو الذي ساق تُبَّعاً إلى المدينة وقتل الفِطْيون[1] صاحب زُهرة وأذلَّ اليهودَ للحيَّين جميعاً ، فكان له بذلك الذكر والشرف عليهم ، وكانت ديةُ المولى فيهم ، وهو الحليفُ ، خَمساً من الإبل ، ودية الصريح عشراً ، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف : ابعثوا إليّ سُمَيراً حتى أقتله بمولاي فإنّا نكرَه أن تَنشَبَ بيننا وبينكم حرب ؛ فأرسلوا إليه : إنّا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منّا عقلَه[2] ، فإنّك قد عرفت أنّ الصريح لا يُقتل بالمولى ؛ قال : لا آخذ في مولاي دون دية الصريح ؛ فأبوا إلاّ ديةَ المولى . فلمّا رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج ، وكان فيهم مُطاعاً ، وأمرهم بالتهيّؤ للحرب . فلمّا بلغ الأوس استعدُّوا لهم وتهيَّئُوا للحرب واختاروا الموت على الذلّ ؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصَّفِينة بين بئر سالم وبين قُباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من بعض . ثم إنّ رجلاً من الأوس نادى : يا مالك ، ننشدك الله والرَّحِمَ ، وكانت أُمّ مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف ، فاجعل بيننا وبينك عدلاً من قومك فما حكَم علينا سلّمنا لك ؛ فارعوى مالك عند ذلك ، وقال نعم ؛ فاختاروا عمرو بن امرىء القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به ، واستوثق منهم ، ثم قال : فإنّي أقضي بينكم : إن كان سُمَير قتل صَريحاً من القوم فهو به قَوَدٌ ، وإن قبِلوا العقل فلهم دية الصريح ؛ وإن كان قتل مولًى فلهم ديّة المولى بلا نقصٍ ، ولا يُعطى فوق نصف الدية ، وما أصبتم منّا في هذه الحرب ففيه الدية مسلَّمةً إلينا ، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلَّمة إليكم . فلمّا قضى بذلك عمرو بن امرىء القيس غضب مالك بن العجْلان ورأى أن يردّ عليه رأيه ، وقال : لا أقبل هذا القضاء ؛ وأمَر قومه بالقتال ، فجمع القومُ بعضهم لبعضٍ ثم التقَوا بالفضاء عند آطام بني قَيْنُقاع ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تداعَوا إلى الصلح فحَكَّموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسّان بن ثابت النَّجّاريّ ، فقضى بينهم أن يَدُوا مولى مالك بن العجْلان بدية الصَّريح ثم تكون السنَّة فيهم بعده على مالكٍ وعليهم كما كانت أوّل مرّة : المَولى على ديته ؛ والصريح على ديّته ؛ فرضي مالك وسلَّم الآخرون . وكان ثابت إذ حَكَّموه أراد إطفاء النائرة[3] فيما بين القوم ولَمّ شَعَثِهم ، فأخرج خمساً من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدّي إلى مالك أكثر من خمسٍ وأبى مالكٌ أن يأخذ دون عشر . فلمّا أخرج

1 أسطورة الفطيون لها مشابه ، من ذلك ما يتصل بقصّة طسم واستعباده لجديس .

2 عقله : ديته .

3 النائرة : الفتنة (وتصحف إلى الثائرة) .

ثابت الخمس أرضى مالكاً بذلك ورضيت الأوس ، واصطلحوا بعهد وميثاقٍ ألاّ يُقتَل رجلٌ في داره ولا معقلِه ، والمعاقل : النخل ، فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل . ثم انظروا في القتلى فأيُّ الفريقين فَضَل على صاحبه وَدى له صاحبه . فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نَفَر فوَدَتْهم الأوس واصطلحوا . ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت لِما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك : [من الخفيف]

وأبِي في سُمَيْحة القائـلُ الفا صِلُ حين التَفّتْ عليه الخصومُ

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة : [من المنسرح]

رَدّ الخليطُ الجمالَ فانصرفوا ماذا عليهم لـو أنّهم وقَفوا

[رأي عمر بن عبد العزيز في شعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يُنشِد قول قيس بن الخطيم : [من المنسرح]

بينَ شُكـولِ النساءِ خِلْقتُها قَصْدٌ فلا جَبْلـةٌ ولا قَضَفُ
تنـام عن كُبْر شأْنهـا فإذا قامت رُويداً تكاد تنقصفُ
تغترق الطرفَ وهي لاهيةٌ كأنّما شَفَّ وجهها نُـزُفُ

ثم يقول : قائلُ هذا الشعر أنسب الناس .

[أصوات من المائة المختارة]

وممّا في المائة المختارة من أغاني طويس

صوت[1]

[من الخفيف]

يـا لَقَوْمِي قـد أرّقتني الهمومُ ففؤادي ممّـا يُجِنُّ سقيمُ
أنْدَبَ الحـبُّ في فؤادي ففيه لـو تَراءى للناظرين كلومُ

يُجنّ : يُخفي ، والجُنَّة من ذلك ، والجنّ أيضاً مأخوذ منه . وأندب : أبقى فيه نَدَباً وهو أثر الجرح ؛ قال ذو الرُّمّة[2] : [من البسيط]

تُرِيكَ سُنّةَ وجـهٍ غيرَ مُقْرِفةٍ ملساءَ ليس بها خالٌ ولا نَدَبُ

---

1 الأبيات في ديوان ابن قيس الرقيات : 194 تحقيق د . محمد يوسف نجم ، عن الأغاني (دار صادر ، بيروت) .

2 ديوان ذي الرمّة : 1 : 29 من قصيدته المشهورة :

ما بال عينِكَ منها الماء ينسكبُ كأنّه من كُلـىً مفريـة سرِبُ

الشعر لابن قيس الرُّقيَّات فيما قيل . والغناء لطويس ، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق في مجرى الوسطى ، قال إسحاق : وهو أجود لحن غنّاه طويس ، ووجدتُه في كتاب الهشاميّ خفيفَ رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طُنْبورة . قال وقال ابنُ المكّيّ : إنّه لَحَكم ، وقال عمرو بن بانة : إنّه لابن عائشة أوّلُه هذان البيتان ، وبعدهما : [من الخفيف]

ما لِذا الهمِّ لا يَرِيمُ فؤادِي ... مثلَ ما يَلزَمُ الغريمَ الغريمُ
إنّ مَنْ فَرّق الجماعةَ منّا ... بعد خَفْضٍ ونَعْمَةٍ لذميمُ

انقضت أخبار طويس .

صوت

من المائة المختارة من صنعة قفا النجّار

[من الكامل]

حُجبَ الأُلى كنّا نُسَرّ بقربهم ... يا ليتَ أنّ حجابَهم لم يُقْدَرِ
حُجبُوا ولم نَقضِ اللُّبانةَ منهمُ ... ولنا إليهم صَبْوةٌ لم تُقْصرِ
ويُحيط مئزرُها برِدْفٍ كاملٍ ... رابي المَجَسّةِ كالكَثيبِ الأعفرِ
وإذا مَشَتْ خِلتَ الطريقَ لمشيها ... وَحِلاً كمشي المُرْجحِنّ المُوقَرِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لقفا النجّار ، ولحنه المختار من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ويقال : إن فيه لحناً لابن سريج . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى في الاختيار الواثقيّ أنّ لحن قفا النجّار المختار من الثقيل الأوّل .

صوت

من المائة المختارة

أَفِقْ يا دارميُّ فقد بُلِيتا ... وإنّك سوف تُوشِك أن تَمُوتا
أراك تَزِيدُ عشقاً كلَّ يومٍ ... إذا ما قلتَ إنّك قد بَرِيتا

الشعر والغناء جميعاً لسعيد الدارميّ ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

[21] ـ ذكر الدارميّ وخبره ونسبه[1]

[نسبه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : الدارميّ من ولد سُوَيد بن زيد الذي كان جَدُّه قتل أسعد بن عمرو بن هِنْد ، ثم هربوا إلى مكّة فحالفوا بني نَوفل بن عبد مَناف .

وكان الدارميّ في أيّام عمر بن عبد العزيز ، وكانت له أشعار ونوادر ، وكان من ظُرفاء أهل مكّة ، وله أصوات يسيرة . وهو الذي يقول : [من المتقارب]

ولمّـا رأيتُـكَ أوليتنـي الـ ـقَبيحَ وأبعدتَ عنّي الجميلا
تركتُ وِصالَك في جانبٍ وصادفتُ في الناسِ خِلاًّ بَدِيلا

[شبب بذات خمار أسود فنفقت الخمر السود]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا فَضْل اليزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرِّياشيّ عن الأصمعيّ ، قال وحدّثني به النُّوشْجانِيّ عن شيخ له من البِصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد ، ولم يقل عن ابن أبي الزناد غيره : أنّ تاجراً من أهل الكوفة قَدِم المدينة بخُمُر فباعها كلّها وبقيت السود منها فلم تَنْفُق ، وكان صديقاً للدارميّ ، فشكا ذاك إليه ، وقد كان نسَك وترك الغناء وقول الشعر ، فقال له : لا تهتمّ بذلك فإنّي سأُنفقها لك حتى تبيعها أجمع ؛ ثم قال : [من الكامل]

صوت

قُلْ للمليحةِ في الخَمارِ الأسودِ ماذا صَنَعتِ براهبٍ متعبِّدِ
قـد كان شَمَّر للصـلاةِ ثيابَـه حتى وقَفتِ لـه ببابِ المسجِدِ

وغنّى فيه ، وغنّى فيه أيضاً سِنان الكاتب ، وشاع في الناس وقالوا : قد فتَك[2] الدارميّ ورجع عن نُسكه ؛ فلم تبقَ في المدينة طريفةٌ إلاّ ابتاعت خِماراً أسود حتى نَفِد ما كان مع

---

1 لم يذكر أبو الفرج اسم الدارميّ كاملاً فلم يكن من الممكن العثور على ترجمة له في مصادر أُخرى ، وهو إنّما اشتهر بأبياته في «ذات الخمار الأسود» . وقد حققت ديوانه كارين صادر ، بيروت 2000 .

2 فتك : مجن .

العراقيّ منها ؛ فلمّا علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه ولزم المسجد .

فأمّا نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ والغناء أيضاً ، وهو خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لسِنانٍ الكاتب رمل بالوسطى عن حبش . وذكر حبش أنّ فيه لابن سريج هزجاً بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هفّان قال : حضرتُ يوماً مجلس بعض قوّاد الأتراك وكانت له ستارة فنُصبت ، فقال لها : غنّي صوت الخمار الأسود المليح ، فلم ندرِ ما أراد حتى غنّت :

قل للمليحةِ في الخمار الأسودِ

ثم أمسك ساعة ثم قال لها غنّي :

إنّـي خريـت وجئـت أنتقله

فضحِكت ثم قالت : هذا يشبهك ؛ فلم ندرِ أيضاً ما أراد حتى غنّتْ :

إنّ الخليـطَ أجـدّ مُنتقَـلَـهْ

[بخله وظرفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سَلْم[1] الخُزاعيّ قال حدّثني الحِرْمازيّ قال زعَم لي ابن مودود قال : كان الدارميّ المكيّ شاعراً ظريفاً وكانت مُتَفَتِّيات[2] أهل مكّة لا يطيب لهنّ مُتَنزَّه إلاّ بالدارميّ ، فاجتمع جماعةٌ منهنّ في متنزَّه لهنّ ، وفيهنّ صديقة له ، وكلّ واحدة منهنّ قد واعدت هَواها ، فخرجن حتى أتيْنَ الجُحفة[3] وهو معهنّ ؛ فقال بعضهنّ لبعض : كيف لنا أن نَخلو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ ؟ فإنّا إن فعلنا قطَّعَنا في الأرض ؛ قالت لهنّ صاحبته : أنا أكفِيكُنّه ؛ قلن : إنّا نريد ألاّ يلومَنا ؛ قالت : عليّ أن ينصرف حامداً ، وكان أبخلَ الناس ، فأتته فقالت : يا دارميّ ، إنّا قد تَفِلْنا[4] فاجلُب لنا طِيباً ؛ قال نعم هو ذا ، آتي سوق الجُحفة آتيكنّ منها بطِيبٍ ؛ فأتى المُكارِين فاكترى حماراً فصار عليه إلى مكّة وهو يقول : [من الهزج]

أنـا بالله ذي العِـزّ وبالرُّكـنِ وبالصَخْرهْ
من اللائـي يُرِدنَ الطِّيـ ـبَ في اليُسر وفي العُسْرهْ

1 ل : ابن أبي سلمة .

2 متفتيات : يذهبن مذهب الفتوة ويتشبّهن بالفتيان .

3 الجحفة : قرية بين مكّة والمدينة .

4 تفل : تغيّرت رائحته لعدم الطيب .

وما أقـــوى على هـذا ولـو كنتُ على البَصْرهْ

فمكث النسوة ما شئن . ثم قَدِم من مكّة فلقِيتْه صاحبته ليلة في الطَّواف ، فأخرجته إلى ناحية المسجد وجعلتْ تُعاتبه على ذهابه ويُعاتبها ، إلى أن قالت له : يا دارميّ ، بحقّ هذه البَنيّة أتُحبُّني ؟ فقال نعم ، فبِربِّها أتُحبِّيني ؟ قالت نعم ؛ قال : فيا لكِ الخيرُ فأنتِ تحبِّيني وأنا أُحبّك ، فما مدخل الدراهم بيننا ؟!

[عطسة الدارميّ وعبد الصمد بن علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه ، فأغفى عبد الصمد فعطس الدارميُّ عطسةً هائلة ، ففزع عبد الصمد فزعاً شديداً وغضب غضباً شديداً ، ثم استوى جالساً وقال : يا عاضَّ كذا من أمّه أتُفزِّعني ؟ قال : لا والله ولكن هكذا عُطاسي ؛ قال : والله لأَنقعنّك في دمك أو تأتيني ببيّنة على ذلك ؛ قال : فخرج ومعه حَرَسيٌّ لا يدري أين يذهب به ، فلقيه ابن الريّان المكيّ فسأله ؛ فقال : أنا أشهد لك ؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد ؛ فقال له : بم تشهد لهذا ؟ قال : أشهد أنّي رأيته مرّةً عطس عطسةً فسقط ضرسه ؛ فضحك عبد الصمد وخلّى سبيله .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال : قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ : لو صَلَحتْ عليك ثيابي لكسوتك ؛ قال : فَدَيتك ! إن لم تصلُح عليّ ثيابك صَلَحتْ عليّ دنانيرك .

[الدارميّ مع نسوة من الأعراب]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير ، ونسخت من كتاب هارون بن محمد : حدّثنا الزبير قال حدّثني يونس بن عبد الله الخيّاط قال : خرج الدارميّ مع السُّعاة[1] ، فصادف جماعةً منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطَوه دراهم ، فأتى بها في ثوبه ، وأحاط به أعرابيّات فجعلن يسألنه وألححْنَ عليه وهو يردّهنّ ؛ فعرفته صبيّة منهنّ فقالت : يا أخواتي ، أتدرين من تسألن منذ اليوم ؟ هذا الدارميّ السأّل . ثم أنشدت : [من المتقارب]

إذا كنتَ لا بـدّ مُستطعِماً فدَعْ عنك مَنْ كان يَستطعِمُ

فولّى الدارميّ هارباً منهنّ وهنّ يتضاحكن به .

[الدّارميّ والأوقص القاضي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال أخبرني أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثنا مصعب الزبيريّ قال : أتى الدارميُّ الأوقص القاضي بمكّة في شيء فأبطأ عليه فيه ، وحاكمه إليه خصم له في

1 السعاة : عمّال الصدقات .

حقٌ ، فحبسه به حتى أدّاه إليه . فبينا الأوقص يوماً في المسجد الحرام يصلّي ويدعو ويقول : يا ربّ أعتِق رقبتي من النار ، إذ قال له الدارميّ والناس يسمعون : أَوَلك رقبةٌ تُعتق ؟ لا والله ما جعل الله ، وله الحمد ، لك من عتق ولا رقبة ؛ فقال له الأوقص : ويلك ! ومن أنت ؟ قال : أنا الدارميّ ، حبستَني وقتلتني ؛ قال : لا تقل ذلك وأْتِني فإنّي أعوّضك ؛ فأتاه ففعل ذلك به .

[نادرة له مع عبد الصمد بن علي]

أخبرني الحِرْميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة واستأذنه في الإنشاد فأذن له ؛ فلمّا فرغ أُدخِل إليه رجلٌ من الشُّراة ؛ فقال لغلامه : أَعْطِ هذا مائةَ دينار واضرب عنقَ هذا ؛ فوثب الدارميّ فقال : بأبي أنت وأُمّي ! بِرُّك وعقوبتك جميعاً نَقد ! فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا ، فإذا فرغ منه أمرتَه فأعطاني ! فإنّي لن أَريمَ من حضرتك حتى يفعل ذلك ؛ قال : ولم ويلك ؟ قال : أخشى أن يغلط فيما بيننا ، والغلط في هذا لا يُستقال ؛ فضحك وأجابه إلى ما سأل .

[نادرة له في مرضه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي قال : أصابت الدارميّ قُرحةٌ في صدره ، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده . فرآه قد نفث من فيه نَفثاً أخضر ، فقال له : أَبْشِر ، قد أخضرَّتِ القرحة وعُوفِيتَ ؛ فقال : هيهات ، والله لو نفَثْتُ كلّ زُمُرُّدةٍ في الدنيا ما أفلَتُّ منها .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا رَبْعَ سَلْمَى لقد هيَّجتَ لي طرَبا ... زِدْتَ الفؤادَ على عِلاَّتِه وصَبا

ربعٌ تبدّل ممّن كان يسكُنه ... عُفْرَ الظِّباء وظِلْماناً بَه عُصَبا

الشعر لِهلال بن الأَسعر المازِنيّ ، أخبرني بذلك وَكِيعٌ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه . وهكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشَّيباني . ومن لا يعلم ينسُبه إلى عمرَ بن أبي ربيعة وإلى الحارث بن خالد ونُصَيب ، وليس كذلك . والغناء في اللحن المختار لعزّور الكوفيّ ، ومن الناس من يقول عَزُّون بالنون وتشديد الزاي ، وهو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة ، ولا أعلم أنّي سمعتُ له بخبرٍ ولا صنعةٍ غير هذا الصوت . ولحن هذا المختار ثقيل أوّل بالبِنصر في مجراها عن إسحاق ، وهكذا نسَبه في الاختيار الواثقيّ . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن عائشة لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر . وفي أخبار الغريض عن حمّاد أنّ له ثقيلاً أول . وقال الهشاميّ : فيه لعبد الله بن العبّاس لحنٌ من الثقيل الثاني . وذكر حبش أنّ فيه لحسين بن محرز خفيف رملٍ بالبنصر .

[22] ـ أخبار هلال بن الأسعر ونسبه[1]

[شاعر أمويّ شجاع أكول]

هو ، فيما ذكر خالد بن كلثوم ، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأَرقم بن قسيم بن ناشرة بن سيَّار بن رِزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم . شاعرٌ إسلاميّ من شعراء الدولة الأُمويّة ، وأظنّه قد أدرك الدولة العباسية ، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكولاً معدوداً من الأَكَلة . قال أبو عمرو : وكان هلال فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حربٍ غَناءً . هذا لفظ أبي عمرو . وقال أبو عمرو : وعمِّر هلال بن أسعر عُمْراً طويلاً ومات بعد بلايا عِظامٍ مرّت على رأسه .

[كان المغيرة بن قنبر يعوله فلمّا مات رثاه]

قال : وكان رجل من قومه من بني رِزام بن مالك يقال له المُغيرة بن قنبر يعوله ويُفضلُ عليه ويحتملُ ثِقْلَه وثِقْلَ عيالِه فهلك ، فقال هلال يَرثيه : [من الوافر]

ألا ليـتَ المُغيرةَ كان حيّـاً ... وأَفْنـى قبلَـه النـاسَ الفناءُ
ليَبْكِ على المُغيرةِ كلُّ خيـلٍ ... إذا أَفنـى عَرائكَهـا اللِّقاءُ[2]
ويَبْـكِ على المغيرةِ كلُّ كَلٍّ ... فَقِيـرٍ كان يَنْعَشُـه العَطاءُ[3]
ويَبْـكِ على المغيرةِ كلُّ جيشٍ ... تَمُورُ لـدى مَعارِكـه الدِّماءُ
فتى الفتيانِ فارسُ كلِّ حربٍ ... إذا شالت وقـد رُفِع اللِّواءُ[4]
لقد وارَى جديـدُ الأرضِ منه ... خِصالاً عَقْـدُ عِصْمتِها الوفاءُ
فصبراً للنوائـب إن أَلَمَّـتْ ... إذا مـا ضاق بالحَدَثِ الفضاءُ
هِزبـرٌ تَنْجـلي الغَمْراتُ عنه ... نقـيّ العِـرْضِ همَّتُـه العَلاءُ
إذا شهِد الكَرِيهَـةَ خاض منها ... بُحـوراً لا تكدّرُهـا الدِّلاءُ
جَسُورٌ لا يـروَّع عنـد رَوْعٍ ... ولا يَثْنِـي عزيمتَـه اتِّقاءُ

1 أورد ابن حمدون بعض أخبار هلال المازنيّ في التذكرة نقلاً عن الأغاني 9 : 34 ، 101 .
2 العرائك : جمع عريكة أي الشدّة والقوّة ، وأصل العريكة : سنام البعير .
3 ينعشه في ل : حين يلتمس .
4 شالت الحرب : إذا تمّ الاستعداد لها وأصبحت وشيكة الوقوع .

حَلِيـمٌ في مَشاهده إذا مـا حُبـا الحُلَمـاءِ أطلقها المِراءُ[1]
حَميـدٌ في عشيرتِـه فَقيـدٌ يَطيـب عليـه في المـلأ الثناءُ
فـإن تكـن المنيّـةُ أَقْصدتْه وحُمَّ عليـه بالتلفِ القَضاءُ[2]
فقـد أَوْدَى بـه كـرمٌ وخِيرٌ وعَـوْدٌ بالفضائـل وابتداءُ[3]
وجـودٌ لا يَضُمّ إليـه جوداً مُراهِنُـه إذا جَـدّ الجِراءُ[4]

[كان عاديّ الخلْق صبوراً على الجوع]

وقال خالد بن كُلْثوم : كان هلال بن الأسعر ، فيما ذكروا ، يَرِد مع الإبل فيأكُل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها ولا يتزوّد طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم ورودِها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عاديّ الخَلق لا تُوصف صفتُه .

[حكايات عن قوّته]

قال خالد بن كلثوم فحدّثنا عنه من أدركه : أنّه كان يوماً في إبلٍ له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وَقْع الشمس محتدم الهاجِرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءَه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ، فبينا هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فُقَيم ، كانا أشدّ تَميميَّين في ذلك الزمان بطشاً ، يقال لأحدهما الهَيَّاج ، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أَنواطٌ[5] من تمر هَجَرَ ، وكان هلالٌ بناحية الصِّعاب[6] ؛ فلمّا انتهيا إلى الإبل ، ولا يعرفان هلالاً بوجهِه ولا يعرفان أنّ الإبل له ، نادَيا : يا راعي ، أعندك شرابٌ تسقينا ؟ وهما يظنّانه عبداً لبعضهم ؛ فناداهما هلالٌ ورأسه تحت كسائه : عليكما الناقة التي صفتُها كذا في موضع كذا فأَنِيخاها فإنّ عليها وَطْبَيْن من لبنٍ ، فاشربا منهما ما بدا لكما . قال فقال له أحدهما : ويحك ! انهض يا غلام فأْتِ بذلك اللبن !؟ فقال لهما : إن تَكُ لكما حاجةٌ فستأتيانها فتجدان[7] الوطبين فتشربان ؛ قال فقال أحدهما : إنّك يا ابن اللَّخناء لغليظ الكلام ، قم فاسقنا ، ثم دنا من هلال وهو على تلك الحال . وقال لهما ، حيث قال له

1 حبا : جمع حُبوة والثوب يشتمل به ؛ وإطلاق الحبا يعني الخروج عن طور الحلم إلى السفه والطيش ؛ والمراء : المجادلة والمخاصمة . أي أنّه يظلّ حليماً حتى إذا واجهه ما يخرج الحلماء عن أطوارهم .

2 أقصدته : أصابته .

3 خير : شرف .

4 الجراء : المسابقة والمفاخرة .

5 أنواط : جمع نوط وهو الجلة الصغيرة من التمر ونحوه .

6 الصعاب : اسم جبل بين اليمامة والبحرين .

7 ل : فتحدران .

أحدهما : «إنّك يا ابن اللخناء لغليظ الكلام» ، : أراكما والله ستلقيان هواناً وصَغاراً ؛ وسمعا ذلك منه ، فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسَّوط على عَجُزِه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ورماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطةً ؛ فنادى صاحبه : ويحك أغِثني قد قتلني ؛ فدنا صاحبه منه ، فتناوله هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأُخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصُكّ برؤوسهما بعضاً ببعضٍ لا يستطيعان أن يمتنعا منه ؛ فقال أحدهما : كنْ هِلالاً ولا نُبالي ما صنعت ؛ فقال لهما : أنا والله هلال ، ولا والله لا تُفلِتان منّي حتى تُعطياني عهداً وميثاقاً لا تَخِيسان به : لتأْتيانّ المِربَد[1] إذا قدِمتُما البصرة ، ثم لتُناديانّ بأعلى أصواتكما بما كان منّي ومنكما ؛ فعاهداه وأعطياه نَوطاً من التمر الذي معهما ، وقدِما البصرة فأتيا المِربد فناديا بما كان منه ومنهما .

وحدّث خالد عن كُنَيف[2] بن عبد الله المازنيّ قال : كنتُ يوماً مع هلال ونحن نبغي إبلاً لنا ، فدفَعْنا إلى قوم من بكر بن وائل وقد لَغِبنا وعطشنا ، وإذا نحن بفِتيةٍ شبابٍ عند رَكِيّة[3] لهم وقد وردت إبلُهم ، فلمّا رأوْا هلالاً استهْولُوا خَلقَه وقامتَه ، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما : يا عبد الله ، هل لك في الصِّراع ؟ فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج ؛ قال : وما هو ؟ قال : إلى لبنٍ وماءٍ فإنّني لَغِبٌ ظمآن ؛ قال : ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئاً حتى تُعطيَنا عهداً لتُجيبنّنا إلى الصراع إذا أَرَحتَ ورَوِيت ؛ فقال لهما هلال : إنّني لكم ضيفٌ ، والضيف لا يُصارع آهِلَه وربَّ منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم : اعمِدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم شدّة وأهْيبِه صولةً وإلى أشدِّ رجل منكم ذراعاً ، فإن لم أقبض على هامة البعير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل ولا البعير حتى أُدخل يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني ، وإن فعلته علمتم أنّ صراع أحدكم أيسر من ذلك . قال : فعجبوا من مقالته تلك ، وأومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائلٍ قَطِمٍ[4] ؛ فأتاه هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخ لهم ، فأخذ بهامة الفحل ممّا فوق مِشفره فضغطها ضغطة جَرجَر الفحلُ منها واستخذى ورَغا ، وقال : ليُعطني من أحببتم يده أُولِجها في فم هذا الفحل . قال فقال الشيخ : يا قوم تنكّبوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعت فلاناً (يعني الفحل) جرجر منذ بزَل[5] قبل اليوم ، فلا تعرِضوا لهذا الشيطان . وجعلوا

1 المربد : محلة بالبصرة كانت قديماً سوقاً للإبل ثم أصبحت معقد مفاخرة الشعراء ومجالس الخطباء .

2 ل : كفيف .

3 ركية : بئر .

4 قطم : هائج .

5 بزل البعير : فطر نابه ودخل في سنته التاسعة .

يتبعونه وينظرون إلى خطوِه ويعجبون من طول أعضائه حتى جازهم .

[صارع في المدينة عبداً]

قال وحدّثنا مَن سمع هلالاً يقول : قدِمتُ المدينة وعليها رجلٌ من آل مروان ، فلم أزل أضع عن إبلي وعليها أحمال للتجّار حتى أُخِذ بيدي وقيل لي : أجِب الأمير . قال : قلتُ لهم : ويلكم ! إبلي وأحمالي ! فقيل : لا بأس على إبلك وأحمالك . قال : فانطُلِقَ بي حتى أُدخلت على الأمير ، فسلّمتُ عليه ثم قلت : جُعِلتُ فِداك ! إبلي وأمانتي ! قال فقال : نحن ضامنون لإبلك وأمانتك حتى نؤدّيها إليك . قال فقلت عند ذلك : فما حاجةُ الأمير إليّ جعلني الله فداه ؟ قال فقال لي ، وإلى جَنْبه رجل أصفر ، لا والله ما رأيت رجلاً قطُّ أشدَّ خَلْقاً منه ولا أغلظ عُنُقاً ، ما أدرى أطولُه أكثر أم عرضُه : إنّ هذا العبد الذي ترى لا والله ما ترك بالمدينة عربيّاً[1] يصارع إلاّ صرعه ، وبلغني عنك قوّة ، فأردتُ أن يُجريَ الله صرعَ هذا العبد على يديك فتُدرِك ما عنده من أوتار العرب . قال فقلت : جعلني الله فداء الأمير ، إنّي لَغِبٌ نَصِبٌ جائعٌ ، فإن رأى الأمير أن يدَعني اليوم حتى أضعَ عن إبلي وأُؤدِّي أمانتي وأُريح يومي هذا وأجيئَه غداً فليفعل . قال فقال لأعوانه : انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله وأداءِ أمانته وانطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه ؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به . قال : فظَلِلْتُ بقية يومي ذلك وبتُّ ليلتي تلك بأحسن حالٍ شِبَعاً وراحةً وصلاح أمر ، فلمّا كان من الغد غدوتُ عليه وعليّ جُبّةٌ لي صوفٌ وبَتٌّ[2] وليس عليّ إزار إلاّ أنّي قد شددت بعمامتي وسَطي ، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام ، وقال للأصفر : قُم إليه ، فقد أرى أنّه أتاك الله بما يُخزيك ؛ فقال العبد : اتَّزِرْ يا أعرابيّ ؛ فأخذت بَتّي فاتَّزرت به على جُبّتي ؛ فقال : هيهات ؛ هذا لا يثبُت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي ؛ قال فقلت : والله ما لي من إزار ؛ قال : فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها ولا علا جلدي مثلها ، فشددت بها على حَقْوِي[3] وخلعت الجُبّة ؛ قال : وجعل العبد يدور حولي ويريد خَتْلي وأنا منه وجِلٌ ولا أدري كيف أصنع به ، ثم دنا منّي دَنْوةً فنقد[4] جَبهتي بظُفره نَقدة حتى ظننتُ أنّه قد شجّني وأوجعني ، فغاظني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِه بِم أقبضُ منه ، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من رأسه ، فوضعت إبهاميّ في صُدغيه وأصابعي الأُخَر في أصل أُذنيه ، ثم غمزته غمزةً صاح منها : قتلتني ؛ قتلتني ! فقال الأمير :

---

1 ل : عبداً .

2 البت : كساء غليظ ، وقيل هو من وبر وصوف .

3 حقو : خصر .

4 نقد الشيء : نقره باصبعه .

اغمِس رأس العبد في التراب ؛ قال فقلت له : ذلك لك عليّ ؛ قال : فغمستُ والله رأسه في التراب ووقع شبيهاً بالمَغشيّ عليه ؛ فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزةٍ وصلة وكسوةٍ وميرة وانصرفتُ[1] .

[قتل رجلاً من بني جلان استجار بمعاذ ثم فرّ إلى اليمن]

قال أبو الفرج : ولهلالٍ أحاديثُ كثيرة من أعاجيب شدّته . وقد ذكره حاجب بن ذبيان فقال لقوم من بني رِبابٍ من بني حَنِيفة في شيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف ، فقال حاجب : [من الوافر]

وقائلـــةٍ وباكيـــةٍ بشَجْـــوٍ لَبئس السيفُ سيفُ بني رِبابِ
ولـو لاقَـى هلالَ بني رِزام لعجّلـــه إلى يـــوم الحسابِ

وكان هلالُ بن الأسعر ضربه رجلٌ من بني عنزة ثم من بني جَلاّن يقال له عبيد بن جريّ في شيء كان بينهما ، فشجّه وخمشه خُماشةً ، فأتى هلالٌ بني جَلاّن فقال : إنّ صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقّي ، فأوعدوه وزجروه[2] ؛ فخرج من عندهم وهو يقول : عسى أن يكون لهذا جزاءٌ حتى أتى بلاد قومه ؛ فمضى لذلك زمن طويل حتى درس ذكرُه ؛ ثم إنّ عبيد بن جريّ قَدِم الوَقَبى ، وهو موضع من بلاد بني مالك ، فلمّا قَدِمها ذكر هلالاً وما كان بينه وبينه فتخوّفه ؛ فسأل عن أعزّ أهلِ الماء ، فقيل له : مُعاذ بن جعدة بن ثابت بن زُرارة بن ربيعة بن سيّار بن رزام بن مازن ؛ فأتاه فوجده غائباً عن الماء ، فعقد عُبيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طُنُبِ بيت معاذ ، وكانت العرب إذا فعلت ذلك وجب على المعقود بطُنُبِ بيته للمستجير به أن يجيره وأن يطلب له بظلامته ، وكان يوم فعل ذلك غائباً عن الماء ، فقيل : رجلٌ استجار بآل مُعاذِ بن جعدة . ثم خرج عبيد بن جريّ ليستقي ، فوافق قدومه هلال بإبله يوم وُروده ، وكان إنّما يقدَمُها في الأيّام ، فلمّا نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه وبينه ، ولم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة ، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده ، فانتزع المِحور[3] من السَّانية فعلاه به ضربةً على رأسه فصُرع وقِيذاً[4] ، وقيل : قتَل هلال بن الأسعر جارَ معاذ بن جعدة ! فلمّا سمع ذلك هلال تخوّف بني جعدة الرِّزاميّين ، وهم بنو عمّه ، فأتى راحلته[5] ليركبها . قال هلال : فأتتني

1 ل : ثم انحدرت .
2 ل : وزبروه .
3 المحور : الحديدة بين الخطاف والبكرة ؛ والسانية : الدلو العظيمة .
4 الوقيذ : الذي أشرف على الموت .
5 ل : ناقته .

خَولة بنت يزيد بن ثابت أخي بني جعدة بن ثابت ، وهي جدّة أبي السَّفَّاح زهيد بن عبد الله بن مالك أُمُّ أبيه ، فتعلّقت بثوب هلال ، ثم قالت : أيْ عدوّ الله قتلتَ جارنا ، والله لا تُفارقني حتى يأتيَكَ رجالُنا ! قال هلال : والمحورُ في يدي لم أضعه ؛ قال : فهَممتُ أن أعلو به رأس خولة ، ثم قلت في نفسي : عجوزٌ لها سِنٌّ وقرابةٌ ، قال : فضربتها برجلي ضربةً رميتُ بها من بعيدٍ ، ثم أتيت ناقتي فأركبها[1] ثم أضربها هارباً . وجاء معاذ بن جعدة وإخوته ؛ وهم يومئذٍ تسعة إخوة ، وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ ويقال لها جُبَيلةُ ، وهو مع ذلك ابن عمّتهم خَوْلة بنت يزيد بن ثابت ، فهو معهم كأنّه بعضُهم ؛ فجاؤوا من آخر النهار فسمِعوا الواعية[2] على الجَلاّنيّ وهو دَنِفٌ لم يمُت ، فسألوا على تلك الواعية فأُخبروا بما كان من استجارة الجَلاّنيّ بمعاذ بن جعدة وضربِ هلالٍ له من بعد ذلك ؛ فركب الإخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم ، وكانوا أمثال الجبال في شدّة خَلْقِهم مع نجدتهم ، وركبوا معهم بعشرة غِلمة لهم أشدّ منهم خَلْقاً لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضعٍ يريده من رَمِيَّته ، حتى تبعوا هلالاً ؛ وقد نَسَلَ[3] هلال من الهرب يومه ذلك كلَّه وليلته ، فلمّا أصبح أمِنَهم وظنَّ أن قد أَبْعد في الأرض ونجا منهم ؛ وتبِعوه ، فلمّا أصبحوا من تلك الليلة قصُّوا أثره ، وكان لا يَخفى أثرُه على أحد لعِظَم قَدَمه ، فلحقوه من بعد الغد ، فلمّا أدركوه وهم عشرون ومعهم النَّبْل والقِسيّ والسيوف والتِّرَسَة ، ناداهم : يا بني جعدة ، إنّي أنشُدكم الله أن أكون قتلتُ رجلاً غريباً طلبته بِتَرةٍ تقتلوني وأنا ابن عمّكم ! وظنّ أنّ الجَلاّني قد مات ، ولم يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه ؛ فقال معاذ : والله لو أيقنّا أنّه قد مات ما ناظرْنا[4] بك القتل من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت ، ولسنا نحبّ قتلك إلاّ أن تمتنع منّا ، ولا نُقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا ؛ فقاتلهم وامتنع منهم ، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلمانه : لا ترموه بالنبل ولا تضربوه بالسيوف ، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه ؛ ففعلوا ذلك ، فما قَدَروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأُخرى إصبعين ، ودقُّوا ضِلعين من أضلاعه وأكثروا الشِّجاج في رأسه ، ثم أخذوه وما كادوا يقدرون على أخذه ، فوضعوا في رجله أَدهَم[5] ، ثم جاؤوا به وهو معروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوَقَبى فدفعوه إلى الجَلاّني ولم يمت بعد ، فقالوا : انطلقوا به

1 ل : فركبتها .

2 الواعية : الصراخ على الميت .

3 نسل : أسرع في سيره ؛ وفي ل : تمهّل .

4 ما ناظرنا بك القتل : ما أخّرناه .

5 أدهم : قيد .

معكم إلى بلادكم ولا يُحدِثوا في أمره شيئاً حتى تنظروا ما يُصنع بصاحبكم ، فإن مات فاقتلوه وإن حَيَ فأعلمونا حتى نحمل لكم أرْشَ[1] الجِناية . فقال الجلاّنيّون : وَفَتْ ذمّتكم يا بني جعدة ، وجزاكم الله أفضل ما يجزي به خيار الجيران ، إنّا نتخوّف أن ينزعه منّا قومكم إن خلّيتم عنّا وعنهم وهو في أيدينا ؛ فقال له معاذ : فإنّي أحمله معكم وأُشيِّعكم حتى تَرِدوا بلادكم ، ففعلوا ذلك ، فحُمل معروضاً على بعير ورَكِبتْ أختُه جماء بنت الأسعر معه ، وجعل يقول : قتلتْني بنو جعدة ، وتأتيه أخته بمَغْرة فيشربها فيُقال : يُمشي بالدَّم ، لأنّ بني جعدة فرَثوا[2] كبِدَه في جوفه . فلمّا بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجَلاّنيّون لمعاذ وأصحابه : أدام الله عزّكم ، قد وفيتم فانصرفوا . وجعل هلال يُريهم أنّه يُمشي في الليلة عشرين مرّة . فلمّا ثقُل الجَلاّنيُّ وتخوّف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميّتاً ، تبرّز هلال كما كان يصنع وفي رجله الأدهم كأنّه يقضي حاجة ، ووضع كساءه على عصاه في ليلة ظَلماء ، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه ، ثم طار تحت ليلته على رجليه ، وكان أدلّ الناس فتنكّب الطّريق التي تُعرف ويُطلب فيها وجعل يسلك المسالك التي لا يُطمَع فيها ، حتى انتهى إلى رجل من بني أُثاثة بن مازن يقال له السِّعر بن يزيد بن طَلْق بن جُبَيلة بن أُثاثة بن مازن ، فحمله السِّعر على ناقة له يقال لها مَلْوة ، فركبها ثم تجنّب بها الطريق فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان ، تخوّفاً من بني مازن أن يَتبعوه أيضاً فيأخذوه ، فسار ثلاث ليالٍ وأيّامها حتى نزل اليوم الرابع ، فنحَر الناقة فأكل لحمها كلَّه إلاّ فضلة فضلت منها فاحتملها ، ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها ، فلبث زماناً وذلك عند مُقام الحجاج بالعراق ، فبلغ إفلاته مَن بالبصرة من بكر بن وائل . فانطلقوا إلى الحجّاج فاستعدَوْه وأخبروه بقتله صاحبهم ؛ فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شُعبة بن العلقم ، وهو يومئذٍ عريف بني مازن حاضرتهم وباديتهم ، فقال له : لَتَأْتيني بهلال أو لأفعلنّ بك ولأفعلنّ ؛ فقال له عبد الله بن شُعبة : إنّ أصحاب هلال وبني عمّه قد صنعوا كذا وكذا : فاقتصَّ عليه ما صنعوا في طلبه وأخذِه ودفعه إلى الجَلاّنيّين وتَشييعهم إيّاه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل ؛ فقال له الحجّاج : ويلك ! ما تقول ؟ قال فقال بعض البكريّين : صدَق ، أصلحَ الله الأمير ؛ قال فقال الحجّاج : فلا يُرغم الله إلاّ أنوفكم ، اشهدوا أنّي قد آمنت كلَّ قريب لهلال وحَميم وعريف ومنعتُ من أخذ أحدٍ به ومن طلبه حتى يظفَرَ به البكريّون أو يموت قبل ذلك . فلمّا وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رِزام بن مازن بشعر يعاتبهم فيه ويُعظّم عليهم حقّه ويذكر قرابته ، وذلك أنّ سائر بني

1 الأرش : دية الجراحات .

2 فرثوا كبده : ضربوها فأخذوا بها .

مازن قاموا ليحمِلوا ذلك الدّم ، فقال معاذ : لا أرضى والله أن يُحمل لجاري دمٌ واحد حتى يُحمل له دم ولِجواري دمٌ آخر ، وإن أراد هلال الأمان وسطنا حُمل له دم ثالث ؛ فقال هلال في ذلك : [من الطويل]

بَني مـــازنٍ لا تطـرُدوني فإنّني ... أخوكم وإن جَرّتْ جرائرَها يدِي
ولا تُثلِجوا أكبادَ بكر بـن وائلٍ ... بترك أخيكـم كالخلِيـع المُطرَّدِ
ولا تجعلوا حِفظي بظَهرٍ وتحفَظوا ... بعيـداً ببغضاء يـروح ويغتدي
فإنّ القريـبَ حيثُ كان قريبُكم ... وكيفَ بقطع الكَفّ من سائرِ اليدِ
وإن البعيدَ إن دنـا فهـو جاركم ... وإن شطّ عنكم فهـو أبعدُ أبعدِ
وإنّي وإن أوجدتمـوني لحافـظ ... لكم حفظَ راض عنكمُ غير مُوجَدِ[1]
سيَحْمِي حِماكم بي وإن كنتُ غائباً ... أغـرُّ إذا مـا رِيـــع لم يتبلَّدِ
وتَعلم بكر أنّكم حيـثُ كنتمُ ... وكنتُ من الأرض الغريبة مَحتِدِي
وأنّي ثقيلٌ حيثُ كنتُ على العِدا ... وأنّي وإن أُوحِدتُ لستُ بأوحدِ
وأنّهـمُ لمّـا أرادوا هَضِيمتـي ... مُنُوا بجميع القلب عَضبٍ مُهنَّدِ
حُسامٍ متى يعزِمْ على الأمـر يأتهِ ... ولم يتوقَّـفْ للعواقـبِ في غدِ
وهم بَدأوا بالبَغْي حتّى إذا جُزُوا ... بأفعالهـم قالـوا لجازيهُـمُ قَدِ
فلم يَكُ منهم في البديهةِ[2] مُنصِفٌ ... ولم يك فيهم في العواقب مُهتدي
ولم يفعلـوا فعـلَ الحليم فيُجْمِلوا ... ولم يفعَلـوا فعـلَ العزيـز المؤيَّدِ
فإن يَسْرِ لي إيعادُ بَكْرٍ فربّمـا ... مَنَعتُ الكَرى بالغيظ من مُتوعِّدِ
ورُبَّ حِمَى قـوم أبحـتُ ومَوردٍ ... ورَدتُ بفتيـان الصباح وموردِ
وسَجْفٍ دَجُوجِيٍّ من الليل حالكٍ ... رفعتُ بعَجْلَى الرِّجل مَوّارةِ اليدِ[3]
سفينةِ خَـوّاضٍ بُحـورَ هُمومِـه ... قليلِ التِياث العزم عنـد التردّدِ[4]
جَسورٌ على الأمـر المَهيب إذا ونَى ... أخـو الفَتْك ركّابٍ قَرى المتهدِّدِ

1 أوجدتموني : أحفظتموني .
2 البديهة : البداية .
3 موارة اليد : يعني أنها سريعة الحركة .
4 الالتياث : الابطاء ؛ وفي ل : ثبات .

وقال وهو بأرض اليمن : [من الطويل]

أقول وقـد جاوزتُ نُعْمى وناقتي ... تَحِنُّ إلى جَنْبَيْ فُلَيج مـع الفَجْرِ
سقى اللهُ يا ناقَ البـلادَ التيْ بها ... هواكِ ، وإن عنّا نأتْ ، سَبَلَ القَطرِ[1]
فما عن قِلًى منّا لها خَفّتِ النّوى ... بنـا عـن مَراعِيها وكُثْبانِها العُفْرِ
ولكنّ صرفَ الدّهـرِ فـرّق بيننا ... وبين الأداني ، والفتى غَرَضُ الدهرِ
فسَقْياً لصحراء الإهالـة مَرْبَعاً ... وللوَقَـبَى من مَنزلٍ دَمِثٍ مُثْرِي
وسَقْياً ورَعْيـاً حيث حَلّتْ لمازنٍ ... وأيّامِهـا الغُـرّ المحجّلـــةِ الزُّهْرِ

قال خالد بن كلثوم : ولمّا دُفِعَ هلال إلى أولياء الجَلاَّني ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له : حُفيدٌ [2] كان هلال قد وتَره فقال : والله لأوئبنّه ولأُصَغِّرنّ إليه نفسه وهو في القيود مصبورٌ[3] للقتل ، فأتاه فلم يدع له شيئاً ممّا يكره إلاّ عدّه عليه . قال : وإلى جنب هلالٍ حَجَرٌ يملأ الكفَّ ، فأخذه هلال فأهوى به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف جُلفةً من وجهه ورأسه ، ثم رمى بها وقال : خذ القصاص منّي الآن ، وأنشأ يقول : [من الرجز]

أنـا ضرَبتُ كَرِباً وزَيْدا ... وثابِتـاً مَشَّيتُهـم رُوَيْـدا
كما أفـدتُ حَيْنَـه عُبَيْدا ... وقد ضربتُ بعده حُفيدا[4]

قال : وهؤلاء كلُّهم من بني رِزام بن مازن ، وكلُّهم كان هلال قد نكَأَ فيهم .

[أدّى عنه ديسم الديّة لبني جلان فمدحه]

قال خالد بن كلثوم : ولمّا طال مُقام هلالٍ باليمن نهضَتْ بنو مازنٍ بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال ورهط معاذ بن جعدة جار الجَلاَّني المقتول ، فقالوا : إنّكم قد أسأتم بابن عمّكم وجُرْتُم الحدَّ في الطلب بدم جاركم ، فنحن نحمِل لكم ما أردتم ، فحمل دَيْسَم بن المِنهال بن خزيمة[5] بن شهاب بن أُثاثة بن ضِباب بن حُجيَّة بن كابِية بن حُرقوص بن مازنٍ الذي طلب معاذ بن جعدة أن يُحمَلَ لجاره ، لفضل عزّه وموضعه في عشيرته ، وكان الذي طلب ثلثمائة بعيرٍ ؛ فقال هلال في ذلك : [من الكامل]

---

1 السبل : المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض .
2 ل : جعيد .
3 ل : مصفود .
4 حفيدا في ل : جعيدا .
5 ل : جذيمة .

إن ابن كابيةَ المـرَزَّأَ دَيْسماً ... وارِي الزنادِ بعيدُ ضوءِ النارِ[1]
من كان يحملُ ما تحمّلَ ديسمٌ ... من حائـلٍ فُنُقٍ وأمِّ حُوَارِ[2]
عَيَّتْ بنو عمرو بحمل هنائدٍ ... فيها العِشارُ مَلابىءُ الأبكارِ[3]
حتى تَلافاهـا كريـمٌ سابقٌ ... بالخير حـلّ منـازلَ الأخيارِ
حتى إذا وردتْ جميعاً أُرْزِمَتْ ... جَـلاَّنَ بعـد تَشَمُّسٍ ونِفارِ
تَرعَى بصحراءِ الإهالَة رُوبَةً ... والعُنظُوانَ مَنابِتَ الجَرجارِ[4]

[أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل وقال في ذلك شعراً]

وقال خالد بن كلثوم : كان قُميرُ بنُ سعد مُصَدِّقاً على بكر بن وائل ، فوجد منهم رجلاً قد سرق بعض صدقتِه ، فأخذه قُمَير ليحبسه ، فوثب قومُه وأرادوا أن يَحُولوا بين قُميرٍ وبينه ، وهلالٌ حاضرٌ ، فلمّا رأى ذلك هلالٌ وثَب على البكريّين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنُفُهما[5] ويُناطِح بين رؤوسهما ، فانتهى إلى قُميرٍ أعوانُه فقَهَروا البكريّين ؛ فقال هلال في ذلك : [من الطويل]

دعـاني قُمَيرٌ دَعْـوةً فأجبتُـه ... فأيُّ امرىءٍ في الحرب حين دَعاني
معي مِخْذَمٌ قـد أخلَص القَيْنُ حَدَّه ... يُخَفِّـضُ عنـد الرَّوْعِ رَوْعَ جَناني
وما زِلتُ مذ شَدَّتْ يميني حُجْزتي[6] ... أُحـارِبُ أو في ظِـلّ حربٍ تَراني

[حبسه بلال بن أبي بردة وافتكّه ديسم]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العنزيّ قال حدّثنا حَكِيم بن سعد عن زُفَر بن هبيرة قال : تَقاوَم هلالُ بن أسعر المازنيّ ، وهو أحد بني رِزام بن مازن ، ونُهَيْسٌ[7] الجَلاَّنيّ من عنزة وهما يسقيان إبلَهما ، فخذف[8] هلالٌ نُهيساً[9] بمحورٍ في يده

1 المرزأ هنا : الكريم الذي يصاب في ماله .
2 الفنق : الناقة الفتيّة السمينة .
3 عيت في ل : عنيت . هنائد : جمع هنيدة وهي المائة من الإبل . العشار الملابىء : التي قرب نتاجها .
4 الروبة : الأرض الكثيرة الكلأ والشجر . العنظوان : نبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه . الجرجار : نبات طيّب الريح .
5 يكنفهما : يضمهما .
6 الحجزة : معقد الإزار .
7 ل : وبهس .
8 خذف : حذف ورمى .
9 ل : بيهسا بمحزز .

فأصابه فمات ، فاستعدى ولده بلال بن أبي بُردة على هلالٍ فحبسه فأسلمه قومه بنو رزام وعمل في أمره ديسم ابن المنهال أحد بني كابِية بن حرقوص فافتكه بثلاث دِيات ، فقال هلال يمدحه : [من الوافر]

تداركَ دَيْسمٌ حسَباً ومجداً رِزاماً بعد ما انشقَّتْ عَصاها
همو حمَلوا المِئينَ فألحقُوها بأهليهـا فكان لهـم سَناها
وما كانـت لتحمِلَها رِزامٌ بأسْتـاهٍ مُعَقّصَـة لِحاها
بكابيـةَ بنِ حُرقُوصٍ وجدٌّ كريـمٍ لا فتـى إلاّ فَتاها

[نهم هلال وكثرة أكله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثني نصر بن علي الجَهْضَميّ قال حدّثنا الأصمعيّ ، وأخبرني أبو عبيد محمد بن أحمد بن المؤمّل الصَّيرفيّ قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال حدّثنا المُعْتمِر بن سليمان قال : قلت لهلال بن أسعر : ما أَكْلَةٌ أكلتَها بلغتني عنك ؟ قال : جُعتُ مرَّةً ومعي بعيري فنحرته وأكلته إلاّ ما حملت منه على ظهري ، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل المضري : ثم أردت امرأتي فلم أقدر على جماعها ؛ فقالت لي : ويحك ؛ كيف تصل إليّ وبيني وبينك بعيرٌ ! قال المعتمر : فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة ؟ قال : أربعة أيّام . وحدّثني به ابن عَمّار قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الأصمعيّ عن مُعتمِر بن سليمان عن أبيه قال : قلت لهلال بن الأسعر ، هكذا قال ابن أبي سعد : معتمر عن أبيه وقال في خبره : فقلت له ، كم تكفيك هذه الأكلة ؟ فقال : خمساً .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال حدّثني شيخ من بني مازن قال : أتانا هلال بن أسعر المازنيّ فأكل جميع ما في بيتنا ، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلمّا رأى الخبز قد اختلف عليه قال : كأنّكم أرسلتم إلى الجيران ، أعندكم سَوِيق ؟ قلنا : نعم ، فجئتُه بجراب طويل فيه سويق وبَرْنِيّة نبيذ ، فصبّ السويقَ الذي كان في الجراب كلّه ، فشربه مع النبيذ وصبَّ عليه النبيذ حتى أتى على السويقِ والنبيذ كلّه .

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ هلال بن أسعر مرَّ على رجل من بني مازن بالبصرة وقد حمل من بستانه رُطَباً في زَواريق ، فجلس على زورقٍ صغير منها وقد كُثِبَ الرطب فيه وغُطِّي بالبواري ؛ قال له : يا ابن عمّ آكُلُ من رُطَبك هذا ؟ قال : نعم ؛ قال : ما يكفيني . قال : ما يكفيك ؛ فجلس على صدر الزورق

وجعل يأكل إلى أن اكتفى ، ثم قام فانصرف ، فكُشف الزورق فإذا هو مملوءٌ نوًى قد أكل رُطَبه وألقى النوى فيه .

قال المدائنيّ وحدّثني مَن سأله عن أعجبِ شيءٍ أكله ، فقال : مائتي رغيف مع مَكّوكٍ[1] ملح .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازيّ ، وكان كَهْلاً سَرِيّاً مُعَدّلاً ، قال حدّثني شبان النِّيليّ عن صدقة بن عبيد المازنيّ قال : أولَمَ عليَّ أبي لما تزوّجت فعَمِلنا عشر جِفانٍ ثريداً من جَزورٍ . فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازنيّ ، فقدّمنا إليه جفنةً فأكلها ثم أُخرى ثم أُخرى حتى أتى على العشر ، ثم استسْقَى فأُتي بقربةٍ من نبيذ فوضع طرفها في شِدقه ففرّغَها في جوفه ، ثم قام فخرج ؛ فاستأنفنا عمل الطعام .

[أبو عمرو بن العلاء لم يَرَ أطول منه]

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال : حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال : رأيت هلال بن أسعر ميتاً ولم أره حيّاً ، فما رأيت أحداً على سرير أطول منه .

[غنّى مخارق الرشيد فأعتقه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد قال حدّثني بعض حاشية السلطان قال : غنّى إبراهيم الموصليّ الرشيد يوماً : [من البسيط]

يا ربعَ سَلْمى لقد هيّجتَ لي طربا زِدتَ الفــؤاد على علاّتــه وَصَبا

قال : والصنعةُ فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عَزّون ، فأُعجِبَ به الرشيد وطرِب له واستعاده مراراً ؛ فقال له الموصليّ : يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مُخارقٍ ، فإنّه أخذه عنّي وهو يفضُلُ فيه الخلق جميعاً ويَفضُلُني ، فأمر بإحضار مُخارقٍ ، فأُحضِر فقال له غنّني :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا زدتَ الفــؤاد على عِلاّتــه وصَبا

فغنّاه إيّاه ؛ فبكى وقال : سَلْ حاجتكَ ! قال مخارق : فقلت : تُعتِقُني يا أمير المؤمنين من الرقّ وتُشَرِّفني بولائِك ، أعتقك الله من النار ؛ قال : أنت حرّ لوجه الله ، أعِدِ الصوت ؛ قال : فأعدته . فبكى وقال : سل حاجتك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ضيعةٌ تُقيمُني غلّتها ؛ فقال : قد أمرت لك بها ، أعد الصوت ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ فقلت : يأمر لي أمير المؤمنين

1 المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

بمنزلٍ وفرشِه وما يصلحه وخادمٍ فيه ؛ قال : ذلك لك ، أعِدْه ؛ فأعدته فبكى وقال : سل حاجتك ؛ قلتُ : حاجتي يا أمير المؤمنين أن يُطِيل الله بقاءك ويُديم عزَّك ويجعلني من كلّ سوء فداءك ؛ قال : فكان إبراهيم الموصليّ سبب عتقه بهذا الصوت .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثني هارون بن مخارق ، وحدّثني به الصُّوليّ أيضاً عن وكيع عن هارون بن مخارق قال : كان أبي إذا غنّى هذا الصوت : [من البسيط]

يا ربعَ سلمى لقد هيّجت لي طربا زدتَ الفـؤاد على عِلاّتـه وصَبا

يقول : أنا مولى[1] هذا الصوت ؛ فقلت له يوماً : يا أبت ، وكيف ذلك ؟ فقال : غنّيتُه مولاي الرشيد فبكى وقال : أحسنتَ ، أعِد فأعدتُ ؛ فبكى وقال : أحسنت ! أنتَ حرّ لوجه الله وأمر لي بخمسة آلاف دينار ، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي ، وذكر قريباً ممّا ذكره المبرّد من باقي الخبر .

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن أبي الدُّنيا قال حدّثني إسحاق النَّخعيّ عن حسين بن الضَّحّاك عن مُخارق : أنّ الرشيد أقبل يوماً على المغنّين وهو مضطجع ، فقال : مَن منكم يغنّي :

يا ربعَ سلمى لقد هيّجتَ لي طربا زدتَ الفـؤاد على عِلاّتـه وصَبا

قال : فقمت فقلت : أنا ، فقال : هاتِه ؛ فغنّيتُه فطرب وشرب ، ثم قال : عليّ بهَرثمة ، فقلت في نفسي : ما تُراه يريد منه ؟ فجاؤوا بهرثمة فأُدخِلَ إليه وهو يَجُرّ سيفه ، فقال : يا هرثمة ، مخارق الشاري الذي قتلناه بناحية الموصل ما كانت كنيته ؟ فقال : أبو المهنّا ؛ فقال : انصرف فانصرف ؛ ثم أقبل عليّ فقال : قد كنيتك أبا المهنّا لإحسانك ، وأمر لي بمائة ألف درهم ، فانصرفتُ بها وبالكنية .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه[2]

[من الوافر]

وخِلٍّ كنتُ عينَ الرُّشْد منه إذا نظرتْ ومستمِعاً سَمِيعا
أطاف بِغَيِّـه فعدلتُ عنها وقلت لـه أرى أمراً فظيعا[3]

الشعر لعُروة بن الورد ، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبِنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لإبراهيم ماخوريّ بالوسطى عن عمرو أيضاً .

---

1 التذكرة : عتيق .

2 ديوان عروة : 50 .

3 الشطر الأول في الديوان : «أطاف بغيه فعدلت عنه» .

[23] ـ أخبار عروة بن الوَرْد ونسبه[1]

[نسبه ، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور]

عُرْوةُ بن الوَرد بن زيد ، وقيل ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشِب بن هريم[2] بن لُدَيم بن عوذ بن غالب بن قُطَيعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطفان بن سعد بن قيس بن عَيلان بن مُضَر بن نزار ، شاعرٌ من شعراء الجاهلية وفارس من فُرسانها وصُعلوك من صعاليكها المعدودين المقدَّمين الأجواد .

[سبب تلقيبه بعروة الصعاليك]

وكان يلقَّب عروة الصعاليك لجَمعه إيّاهم وقيامه بأمرهم[3] إذا أخفقوا في غزواتهم ولم يكن لهم معاشٌ ولا مغزىً ، وقيل : بل لُقّب عروة الصعاليك لقوله[4] : [من الطويل]

لَحى اللهُ صُعلوكاً إذا جَنّ ليلُه ... مُصافي المُشاشِ آلِفاً كلَّ مَجزرِ[5]

يَعُدُّ الغنى مِن دهـره كلَّ ليلةٍ ... أصابَ قِراها من صَدِيقٍ مُيَسَّرِ

وللهِ صُعلوكٌ صفيحةُ وجهِـه ... كضوءِ شهابِ القابسِ المتنوِّرِ[6]

[شرف نسبه وتمنّي الخلفاء أن يصاهروه أو ينتسبوا إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال بلغني أنّ معاوية قال : لو كان لعُروة بن الوَرْد وَلدٌ لأحببتُ أن أتزوّج إليهم .

أخبرني محمد بن خَلَف قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ ، وحدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مُسلم قالا جميعاً : قال عبد الملك بن مروان :

---

1 ترجمة عروة بن الورد في الشعر والشعراء : 566 (دار الثقافة 1964) ، وأخباره ومختارات من شعره منثورة في مصادر كثيرة كخزانة الأدب للبغدادي (تحقيق عبد السلام هارون) وأمالي القالي (انظر الفهرس) وحماسة أبي تمام (شرح المرزوقي تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 421 ، 464 ، 1169 ، 1575 ، 1653 ، 1723 وانظر التذكرة الحمدونية (تحقيق إحسان عبّاس وبكر عبّاس ، دار صادر 1996 ، بيروت) 2 : 279 ، 430 ، 4 : 20 ، 5 : 104 ، 7 : 338 ، 8 : 91 ، 98 ، 117 ، 118 ، والبصائر والذخائر للتوحيدي (تحقيق د . وداد القاضي ، دار صادر 1988 ، بيروت) 7 : 162 ، وقد طبع ديوانه مرّات .

2 ل : هرم .

3 ل : بأمورهم .

4 ديوان عروة (طبعة دار صادر ، بيروت 1964) : 37 وهذه الأبيات من قصيدة له طويلة .

5 مصافي المشاش : مؤثر رؤوس العظام اللينة .

6 وللهِ صُعلوك في الديوان : ولكن صعلوكاً .

ما يسُرّني أنّ أحداً من العرب ولَدني ممّن لم يَلِدْني إلاّ عروة بن الورد لقوله[1] : [من الطويل]

إنّي امـرؤٌ عافي إنائيَ شِرْكَةٌ وأنت امرؤٌ عافي إنائِكَ واحدُ
أتهـزأ منّي أن سمِنْتَ وأن ترى بجسمي مَسَّ الحقّ والحقُّ جاهِدُ[2]
أُفرِّق جِسْمِي في جسومٍ كثيرةٍ وأَحْسُو قَراحَ الماءِ والماءُ باردُ[3]

[قال الحطيئة لعمر بن الخطّاب كنّا نأتم في الحرب بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبّة قال : بلغني أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا ألف حازِم ، قال : وكيف ؟ قال : كان فينا قيس بن زهير وكان حازماً وكنّا لا نعصيه ، وكنّا نُقْدِم إقدام عنترة ، ونأتمُّ بشعر عروة بن الوَرْد ، وننقاد لأمر الرَّبيع بن زياد .

[أجود من حاتم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال : ويقال : إنّ عبد الملك قال : من زعم أنّ حاتماً أَسمحُ الناسِ فقد ظلمَ عُروة بن الوَرْد .

[منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويهم قصيدة له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرنا إبراهيم بن المُنذر قال حدّثنا مَعْن بن عيسى قال : سمعت أنّ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلّم ولده : لا تُرَوِّهم قصيدة عُروة بن الورد التي يقول فيها[4] : [من الوافر]

دَعِيني للغِنَى أَسْعى فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهُم الفقيرُ

ويقول : إنّ هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم .

[خبر عروة مع سلمى سبيته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهريّ عن عامر بن جابر قال : أغار عُروة بن الورد على مُزَينة فأصاب منهم امرأةً من كِنانة ناكحاً ، فاستاقها ورجع وهو يقول[5] : [من الطويل]

---

1 ديوان عروة : 29 .
2 الشطر الثاني في الديوان والحماسة : بوجهي شحوب الحقّ والحقّ جاهد ، ومسّ في ل : شحوب .
3 ديوان والحماسة : أقسم .
4 ديوانه : 45 .
5 ديوانه : 63 .

تَبَغَّ عَدِيّاً حيث حَلّتْ ديارَهـا وأبناءَ عَـوْفٍ في القُرُونِ الأوائلِ[1]
فـإلاّ أَنَـلْ أَوْساً فإنّـي حَسْبُها بمُنْبطِحِ الأدغال من ذي السلائلِ[2]

ثم أقبل سائراً حتى نزل ببني النَّضير ، فلمّا رأوْها أعجبتهمْ فسَقَوْه الخمر ، ثم استوهبوها منه فوهبها لهم ، وكان لا يمسُّ النساء ، فلمّا أصبح وصحا ندم فقال :

سَقَوْني الخمرَ ثم تكنّفوني

الأبيات . قال : وجَلاها النبي ﷺ مع مَن جلا من بني النضير .

وذكر أبو عمرو الشيبانيّ من خبر عروة بن الورد وسلمى هذه أنّه أصاب امرأة من بني كنانة بِكْراً يقال لها سلمى وتُكنى أمَّ وهب ، فأعتقها واتّخذها لنفسه ، فمكثتْ عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً وهو لا يشكّ في أنّها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حَججتَ بي فأَمُرَّ على أهلي وأراهم ؛ فحجّ بها ، فأتى مكّة ثم أتى المدينة ، وكان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيُقرضونه إن احتاج ويُبايعهم إذا غَنِم ، وكان قومها يخالطون بني النضير ، فأتوهم وهو عندهم ؛ فقالت لهم سلمى : إنّه خارجٌ بي قبل أن يخرج الشهرُ الحرام ، فتعالوا إليه وأخبروه أنّكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سَبِيَّة ، وافتدوني منه فإنّه لا يرى أنّي أُفارقه ولا أَختار عليه أحداً ، فأتوه فسَقَوه الشراب ، فلمّا ثمل قالوا له : فادِنا بصاحبتنا فإنّها وسيطة النسب فينا معروفة ، وإنّ علينا سُبَّةً أن تكون سبيَّة ، فإذا صارت إلينا وأردتَ معاودتها فاخطُبها إلينا فإنّنا نُنكحك ؛ فقال لهم : ذاك لكم ، ولكن لي الشرط فيها أن تُخيِّروها ، فإن اختارتني انطلقتْ معي إلى ولدها وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذاك لك ؛ قال : دعوني أَلْهُ بها الليلة وأُفادِها غداً ، فلمّا كان الغد جاؤوه فامتنع من فدائها ؛ فقالوا له : قد فاديتنا بها منذ البارحة ، وشهد عليه بذلك جماعةٌ ممّن حضر ، فلم يقدر على الامتناع وفاداها ، فلمّا فادوه بها خيّروها فاختارت أهلها ، ثم أقبلت عليه فقالت : يا عروة أمَا إنّي أقول فيك وإن فارقتُك الحقَّ : والله ما أعلم امرأةً من العرب ألقت سِترَها على بعلٍ خيرٍ منك وأغضَّ طرفاً وأقلّ فُحشاً وأجود يداً وأحمى لحقيقة ؛ وما مرّ عليّ يومٌ منذ كنت عندك إلاّ والموت فيه أحبُّ إليّ من الحياة بين قومك ، لأنّي لم أكن أشاء أن أسمع امرأةً من قومك تقول : قالت أَمَةُ عروة وكذا وكذا إلاّ سمعتُه ؛ ووالله لا أنظر في وجه غَطَفانيَّةٍ أبداً ، فارجع راشداً إلى ولدك وأحسِنْ إليهم . فقال عروة في ذلك :

---

1 عديّاً في الديوان : عداء .

2 الشطر الثاني في ل والديوان : بمنبطح الأوعال من ذي الشلائل .

سقَوْني الخمرَ ثـم تكنّفوني[1]

وأوّلها[2] : [من الوافر]

أرِقتُ وصُحْبتي بمضيقِ عَمْقٍ لبرقٍ مـن تَهامـةَ مُستَطِيرِ[3]
سَقى سَلْمى وأين ديارُ سلْمى إذا كانـت مُجاوِرةَ السَّريرِ[4]
إذا حَلَّتْ بأرض بنـي عـليّ وأهـلي بـين إمَّـرَةٍ وَكِيرِ[5]
ذكرتُ منـازلاً مـن أمّ وهبٍ محلَّ الحـيِّ أسفلَ مـن نَقِيرِ[6]
وأحْدَثُ معهدٍ من أمّ وهبٍ مُعرَّسُنا بـدار بنـي النَّضِيرِ
وقالوا مـا تشاءُ فقلـتُ أَلْهُو إلى الإصباحِ آثـرَ ذِي أَثِيرِ[7]
بآنسةِ الحديثِ رُضـابُ فِيها بُعَيـدَ النـومِ كالعِنَبِ العَصِيرِ

وأخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو ، وقال فيها : إنّ قومَها أغلَوْا بها الفِداء ، وكان معه طَلْقٌ وجُبار أخوه وابن عمّه ، فقالا له : والله لئن قبِلتَ ما أعطَوك لا تفتقِرُ أبداً ، وأنتَ على النساء قادر متى شئت ، وكان قد سَكِرَ فأجاب إلى فدائها ، فلمّا صحا ندم فشهِدوا عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع . وجاءت سلمى تُثني عليه فقالت : والله إنّك ما علِمتُ لضَحُوكٌ مُقبِلاً ، كسوبٌ مُدبِراً ، خفيفٌ على مَتن الفرس ، ثقيل على العدو ، طويل العماد ، كثير الرَّماد ، راضي الأهل والجانب ، فاستوصِ ببنيك خيراً ، ثم فارقتْه . فتزوّجها رجل من بني عمِّها ، فقال لها يوماً من الأيّام : يا سلمى ، أثْنِي عليّ كما أثنيتِ على عروة ، وقد كان قولها فيه شُهِرَ ، فقالت له : لا تُكلِّفني ذلك فإنّي إن قلتُ الحقَّ غَضِبتَ ولا واللاّتِ والعُزَّى لا أكذب ؛ فقال : عزمت عليكِ لتأْتيني في مجلس قومي فلتُثنِين عليّ بما تعلمين ، وخرج فجلس في نَدِيّ القوم ، وأقبلت فرماها القوم[8] بأبصارهم ، فوقفت عليهم وقالت : أنعِموا صباحاً ، إنّ هذا عزَم عليَّ

1 الخمر في الديوان : النسء وهو الخمر .
2 ديوان عروة : 31–32 .
3 عمق : موضع قرب المدينة .
4 السرير : موضع في بلاد بني كنانة .
5 إمّرة وكير : جبلان ، وفي الديوان : زامرة .
6 نقير : موضع . وفي الديوان وياقوت : أسفل ذي نقير .
7 آثر ذي أثير : أوّل كلّ شيء .
8 ل : الناس .

أن أُثنيَ عليه بما أعلم . ثم أقبلت عليه فقالت : والله إنّ شِملتَك لالتِحاف ، وإنّ شُربَك لاشتِفاف[1] ، وإنّك لتنام ليلة تخاف ، وتَشبع ليلة تُضاف ، وما تُرضي الأهل ولا الجانب ، ثم انصرفت . فلامَه قومه وقالوا : ما كان أغناك عن هذا القول منها .

[كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم]

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني أبو فقعسٍ قال : كان عروة بن الوَرْد إذا أصابت الناس سنةٌ شديدةٌ تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف ، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يَحفِرُ لهم الأسراب ويَكنُف عليهم الكُنُفَ[2] ويَكسِبُهم ، ومَن قَوِي منهم ، إمّا مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيفٌ تثوب قوّته ، خرج به معه فأغار ، وجعل لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً ، حتى إذا أخصَبَ الناس وأَلبَنوا وذهبت السَّنة ألحقَ كلَّ إنسانٍ بأهله وقسَم له نصيبه من غنيمةٍ إن كانوا غنموها ، فربّما أتى الإنسان منهم أهلَه وقد استغنى ، فلذلك سُمّي عروة الصعاليك ، فقال في ذلك بعض السنين وقد ضاقت حاله[3] : [من الطويل]

لعلّ ارتيادِي في البلادِ وبُغيَتي ... وشَدِّي حَيازِيمَ المطيَّةِ بالرَّحْلِ[4]

سيدفَعُنِي يوماً إلى ربّ هَجْمَةٍ ... يُدافِعُ عنها بالعُقُوقِ وبالبُخلِ[5]

[أغار مع جماعة على رجل فأخذ إبله وامرأته ثم هجاهم]

فزعموا أنّ الله عزّ وجلّ قيَّضَ له وهو مع قوم من هُلاَّكِ عشيرته في شتاءٍ شديدٍ ناقتين دهماوَيْن ، فنحَر لهم إحداهما وحمَل متاعهم وضُعفاءهم على الأخرى ، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان ، وكان بين النَّقرة والرَّبذَة[6] فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له : ماوان[7] . ثم إنّ الله عزّ وجلّ قيَّضَ له رجلاً صاحبَ مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق قومه ، وذلك أوّل ما ألبنَ الناسُ ، فقتله وأخذ إبله وامرأته ، وكانت من أحسن النساء ، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحمَلهم عليها ، حتى إذا دَنَوْا من عشيرتهم أقبل يَقسِمُها بينهم وأخذ مثلَ

1 شربك اشتفاف : تعني أنّه يشرب كلّ في الإناء .

2 يكنف عليهم الكنف : يتّخذ لهم حظائر يؤون إليها ، واحدها الكنيف .

3 ديوان عروة : 54 .

4 ارتيادي في الديوان والحماسة : انطلاقي .

5 الهجمة من الإبل : أربعون أو أكثر ، فإذا بلغت مائة فهي هنيدة .

6 النقرة : من منازل حاج الكوفة ؛ والربذة : من قرى المدينة .

7 ماوان : قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة .

نصيب أحدهم ، فقالوا : لا واللاتِ والعُزّى لا نرضى حتى تجعلَ المرأة نصيباً فمن شاء أخذها ؛ فجعل يَهُمُّ بأن يحمِلَ عليهم فيقتلهم وينتزع الإبل منهم ، ثم يذكرُ أنّهم صنيعته وأنّه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع ، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يُردّ عليهم الإبل إلاّ راحلةً يحمِلُ عليها المرأة حتى يلحَقَ بأهله ، فأبوا ذلك عليه ، حتى انتدب رجلٌ منهم فجعل له راحلةً من نصيبه ؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أوّلها[1] : [من الطويل]

ألا إن أصحابَ الكَنِيفِ وجدتُهم ... كما الناسِ لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا
وإنّي لمدفُوعٌ إليّ وَلاؤُهُم ... بماوانَ إذ نَمْشي وإذ نَتَملمَلُ
وإنّي وإيّاهم كذِي الأمِّ أرْهَنَتْ ... له ماءَ عينيْها تُفدّي وتَحمِلُ[2]
فباتت بحدّ المِرْفَقيْن كِلَيْهما ... تُوَحوِحُ ممّا نالها وتُوَلْوِلُ[3]
تُخَيَّرُ من أمرين ليسا بغِبطةٍ ... هو الثُّكل إلاّ أنّها تتجمَّلُ[4]

[سبى ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعراً]

وقال ابن الأعرابيّ في هذه الرواية أيضاً : كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها : ليلى بنت شعواء ، فمكثتْ عنده زماناً وهي مُعجبة له تُريه أنّها تحبّه ، ثم استزارته أهلها فحملها حتّى أتاهم بها ، فلمّا أراد الرّجوع أبتْ أن ترجع معه ، وتوعّده قومها بالقتل فانصرف عنهم ، وأقبل عليها فقال لها : يا ليلى ، خبِّري صواحبك عنّي كيف أنا ؛ فقالت : ما أرى لك عقلاً ، أتُراني قد اخترتُ عليك وتقول : خبِّري عنّي ، فقال في ذلك[5] : [من الطويل]

تَحِنّ إلى ليلى بجوّ بلادها ... وأنت عليها بالمَلا كنتَ أقدرا[6]
وكيف تُرَجّيها وقد حِيلَ دونَها ... وقد جاوزتْ حيّاً بتيْماء مُنكَرا
لعلّك يوماً أن تُسرِّي ندامةً ... عليّ بما جشّمتَني يوم غَضْوَرا[7]

وهي طويلة .

---

1 ديوان عروة : 56–58 .
2 وإيّاهم في الديوان : وإيّاكم . أرهنت : أدامت .
3 بحد المرفقين في الديوان : لحد المرفقين ، أي أنّها باتت متّكئة على مرفقيها .
4 تتجملُ في الديوان : قد تجمّل .
5 ديوانه : 33–35 ، وهي أبيات من قصيدة طويلة .
6 بجو بلادها في الديوان : بحر بلادها : أي وسطها . الملا : المتّسع من الأرض .
7 تسرّي هنا : تظهري ، وهو من الأضداد . غضور : مدينة فيما بين المدينة وبلاد خزاعة وكنانة .

قال : ثم إنّ بني عامر أخذوا امرأة من بني عَبس ثم من بني سُكَين يقال لها أسماء ، فما لبِثتْ عندهم إلاّ يوماً حتّى استنقذَها قومُها ؛ فبلغَ عروة أنّ عامر بن الطُّفيل فخر بذلك وذكر أخذَه إيّاها ، فقال عروة يعيّرهم بأخذه ليلى بنت شعواء الهلالية[1] : [من الطويل]

إن تأخُذوا أسماءَ مَوقِفَ ساعةٍ فمأْخَذُ ليلى وهي عَذْراءُ أعجبُ
لبِسنا زماناً حُسنَها وشَبابَها ورُدَّتْ إلى شَعْواء والرأسُ أشيبُ
كأُخذِنا حسناءَ كرهاً ودمعُها غداةَ اللِّوى مَغصوبةً يَتصبّبُ

[خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها]

وقال ابن الأعرابيّ : أَجْدَب ناس من بني عَبْس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس ، فأتوا عُروة بن الورد فجلسوا أمام بيته ، فلمّا بَصُروا به صرخوا وقالوا : يا أبا الصَّعاليك ، أغِثْنا ؛ فرَقَّ لهم وخرج ليغزوَ بهم ويُصيب معاشاً ، فنهتْه امرأته عن ذلك لِما تخوّفتْ عليه من الهلاك ، فعصاها وخرج غازياً ، فمرّ بمالِك بن حِمار الفزاريّ ثم الشَّمخيّ ؛ فسأله : أين يريد ؟ فأخبره ، فأمر له بجَزور فنحرها فأكلوا منها ؛ وأشار عليه مالكٌ أن يرجع ، فعصاه ومضى حتّى انتهى إلى بلاد بني القَيْن ، فأغار عليهم فأصاب هَجْمَةً عاد بها على نفسه وأصحابه ؛ وقال في ذلك[2] : [من الطويل]

أرى أمَّ حَسَّانَ الغَداةَ تلُومُني تُخوِّفني الأعداءَ والنّفسُ أَخوفُ
تقول سُلَيمى لو أقمتَ لَسَرَّنا ولم تـدرِ أنّي للمُقام أُطَوِّفُ
لعـلَّ الذي خَوّفتِنا مِنْ أمامِنا يُصادفـه في أهلـه المُتَخَلِّفُ

وهي طويلة .

وقال في ذلك أيضاً[3] : [من الطويل]

أليس وَرائي أن أدِبَّ على العصا فيَشْمَتَ أعدائـي ويسأَمَني أهلِي
رَهينـة قَعْـر البيت كلَّ عَشيّـةٍ يُطيفُ بي الوِلْدانُ أَهْدَجَ كالرَّألِ[4]
أقيموا بنـي لُبْنَى صُدورَ رِكابكم فكلُّ مَنايا النّفْس خيرٌ من الهُزلِ
فإنّكمُ لـن تبلُغـوا كلَّ هِمّتِي ولا أربَـي حتّى تَرَوْا مَنبِتَ الأَثْلِ

1 ديوانه : 18 .
2 ديوان عروة : 51 .
3 ديوان عروة : 53–54 .
4 الرأل : ولد النعام . وأهدج كالرأل : أمشي مضطرباً من الكبر كولد النعام .

لعلّ ارتيادي في البــلاد وحِيلتي وشَدِّي حيازيـمَ المطيّـة بالرَّحْلِ[1]
سيدفعني يَومــاً إلى ربّ هَجْمةٍ يُدافِـع عنهـا بالعُقـوق وبالبُخلِ

[قصّته مع هذلي أغار على فرسه]

نسختُ من كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدّثني حُرّ بن قَطَن أنّ ثُمامة بن الوليد دخل على المنصور ؛ فقال : يا ثُمامة ، أتحفَظ حديثَ ابن عمِّك عُروة الصَّعاليك بن الوَرْد العَبْسيّ ؟ فقال : أيُّ حديثِه يا أمير المؤمنين ؟ فقد كان كثير الحديث حسنَه ؛ قال : حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسَه ؛ قال : ما يَحضُرني ذلك فأَرْوِيَه يا أمير المؤمنين ؛ فقال المنصور : خرج عروة حتّى دنا من منازل هُذَيل فكان منها على نحو مِيلين وقد جاع فإذا هو بأَرْنبٍ فرماها ثم أَوْرَى ناراً فشَواها وأكلها ودفَن النّار على مقدار ثلاث أذرُع وقد ذهب الليل وغارت النجوم ، ثمّ أتى سَرْحة[2] فصَعِدها وتخوّف الطّلَب ، فلمّا تغيّب فيها إذ الخيلُ قد جاءت وتخوّفوا البَيات[3] . قال : فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركَز رُمحَه في موضع النار وقال : لقد رأيتُ النّارَ هاهنا ؛ فنزل رجل فحفَر قدر ذِراع فلم يجد شيئاً ، فأكبّ القوم على الرجل يعذُلونه ويَعِيبون أمرَه ويقولون : عنَّيتَنا في مثل هذه الليلة القرّة وزعمتَ لنا شيئاً كذبت فيه ؛ فقال : ما كذبتُ ، ولقد رأيت النّار في موضع رُمحي ؛ فقالوا : ما رأيت شيئاً ولكن تحذلُقَك وتَدَهّيك هو الذي حَملك على هذا ، وما نعجب إلاّ لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتّبعناك ؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم . واتّبعهم عروة ، حتى إذا ورَدوا منازلهم جاء عروة فتمكّن في كِسر بيت ؛ وجاء الرجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود ، وعُروة ينظر ، فأتاها العبد بعُلبة فيها لبن فقال : اشربي ؛ فقالت لا ، أو تبدأ ، فبدأ الأسود فشرِب ؛ فقالت للرجل حين جاء : لعنَ الله صَلَفك ! عنّيتَ قومك منذ الليلة ؛ قال : لقد رأيت ناراً ، ثم دعا بالعلبة ليشرب ، فقال حين ذهب ليكرَع : ريحُ رجلٍ وربِّ الكعبة ؛ فقالت امرأته : وهذه أخرى ، أيُّ ريح رجلٍ تجده في إنائك غيرَ ريحك ؟ ثم صاحت ، فجاء قومها فأخبرتهم خبره ، فقالت : يتّهمني ويظُنّ بي الظُّنون ، فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجع عن قوله ؛ فقال عروة : هذه ثانية . قال ثم أوى الرجل إلى فراشه ، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به ، فضرب الفرس بيده وتحرّك[4] ، فرجع عروة إلى موضعه ، ووثَب الرجل فقال : ما كنتَ لتكْذِبَني فمالكَ ؟ فأقبلت

1 ارتيادي في الديوان : انطلاقي .
2 السرحة : واحدة من شجر السرح وهو شجر عظام يستظلّ بها .
3 البيات : الإيقاع بالقوم ليلاً .
4 ل : ونخر .

عليه امرأته لَوماً وعَذْلاً . قال : فصنع عروة ذلك ثلاثاً وصنعه[1] الرجل ، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم ، فقال : لا أقوم إليكَ الليلة ؛ وأتاه عُروة فجال في متنه وخرج ركْضاً ، وركِب الرجلُ فرساً عنده أنثى . قال عروة : فجعلت أسمعه خَلفي يقول : الحَقِي فإنّك من نسله . فلمّا انقطع عن البيوت ، قال له عُرْوة بن الورد : أيّها الرجل قِف ، فإنّك لو عرفتني لم تُقدم عليّ ، أنا عروة بن الورد ، وقد رأيت الليلة منكَ عجباً ، فأخبرني به وأردَّ إليك فرسك ؛ قال : وما هو ؟ جئتَ مع قومك حتّى ركزتَ رُمْحَك في موضع نارٍ قد كنتُ أوقدتُها فثنَوْك عن ذلك فانثنيت وقد صدَقْت ، ثم اتّبعتُك حتّى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتَها منهما ، ثم شَممتَ رائحة رجل في إنائك ، وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجتُك بالإناء ، وهو عبدُك الأسود وأظنّ أنّ بينهما ما لا تحبُّ ، فقلتَ : ريحُ رجلٍ ؛ فلم تزل تَثْنيكَ عن ذلك حتى انثنيت ، ثم خرجتُ إلى فرسك فأردتُه فاضطرب وتحرّك فخرجتَ إليه ، ثم خرجتَ وخرجتَ ، ثم اضربتَ عنه ، فرأيتُك في هذه الخصال أكملَ الناس ولكنّك تَنثني وترجع ؛ فضحِك وقال : ذلك لأخوال السَّوْء ، والذي رأيت من صَرامتي فمن قِبَل أعمامي وهم هُذَيل ، وما رأيت من كَعاعَتي[2] فمن قِبَل أخوالي وهم بطنٌ من خُزاعة ، والمرأة التي رأيت عندي امرأةٌ منهم وأنا نازلٌ فيهم ، فذلك الذي يَثْنيني عن أشياء كثيرة ، وأنا لاحقٌ بقومي وخارجٌ عن أخوالي هؤلاء ومُخَلٌّ سبيلَ المرأة ، ولولا ما رأيتَ من كَعاعتي لم يقوَ على مناوأة قومي أحدٌ من العرب . فقال عروة : خُذْ فرسَك راشداً ؛ قال : ما كنت لآخذه منك وعندي من نسله جماعةٌ مثله[3] ، فخذه مباركاً لك فيه . قال ثمامة : إنّ له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا .

[قصّة غزوه لماوان وحديثه مع غلام تبيّن بعد أنّه ابنه]

قال المنصور : أفَلا أُحدّثك له بحديثٍ هو أظرف من هذا ؟ قال : بلى يا أمير المؤمنين ، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضلٌ على غيره . قال : خرج عروة وأصحابُه حتى أتى ماوان فنزل أصحابه وكَنَف عليهم كَنيفاً من الشجر ، وهم أصحاب الكَنيف الذي سمعتَه قال فيهم : [من الطويل]

ألا إنّ أصحابَ الكنيف وجدتُهم كما الناس لمّا أمرَعُوا وتموّلُوا

وفي هذه الغَزاة يقول عروة[4] : [من الطويل]

---

1 ل : ومنعه الفرس .

2 الكعاعة : الجبن والضعف .

3 ل : خير منه .

4 ديوان عروة : 23 .

أقول لقــوم في الكَنيفِ تَروّحُوا عَشِيّةَ قِلْنا حولَ مــاوانَ رُزَّحِ[1]

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

ليَبْلُغَ عُــذْراً أو يُصِيــبَ غَنيمــةً ومُبْلِغُ نفسٍ عُذرَهــا مِثْلُ مُنْجحِ[2]

ثم مضى يبتغي لهم شيئاً وقد جُهِدُوا ، فإذا هو بأبيات شَعَرٍ وبامرأة قد خلا من سنّها وشيخٍ كبيرٍ كالحِقاء[3] المُلقى ، فكمَن في كِسر بيتٍ منها ، وقد أجدبَ الناس وهَلَكت الماشية ، فإذا هو في البيت بسُحُورٍ ثلاثةٍ مَشويّةٍ ، فقال ثمامة : وما السُّحور ؟ قال : الحلقوم بما فيه ، والبيت خالٍ فأكلها ، وقد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئاً فأشبعتْه وقَوِي ، فقال : لا أُبالي مَن لَقِيتُ بعد هذا . ونظرتِ المرأة فظنّتْ أنّ الكلبَ أكلها فقالت للكلب : أفعلتَها يا خبيثُ ! وطردَته . فإنّه لكذلك إذا هو عند المساء بإبلٍ قد ملأت الأُفُق وإذا هي تلتفِت فَرَقاً ، فعلم أنّ راعيَها جلدٌ شديدُ الضرب لها ، فلمّا أتتِ المُناخ بركَت ، ومكث الراعي قليلاً ثم أتى ناقةً منها فَمرى[4] أخلافَها ، ثم وضع العلبة على ركبتيه وحلب حتى ملأها ، ثم أتى الشيخ فسقاه ، ثم أتى ناقةً أُخرى ففعل بها ذلك وسقى العجوز ، ثم أتى أُخرى ففعل بها كذلك فشرب هو ، ثم التفع بثوب واضطجع ناحية ، فقال الشيخ للمرأة وأعجبه ذلك : كيف تَرَيْنَ ابني ؟ فقالت : ليس بابنك ! قال : فابن مَن ويلك ؟ قالت : ابن عروة بن الورد ، قال : ومِن أين ؟ قالت : أتذكر يوم مرَّ بنا يريد سوق ذي المجاز فقلت : هذا عروة بن الورد ، ووصفتَه لي بِجَلَدٍ فإنّي استظرفته . قال : فسكت : حتى إذا نوّم وثَب عروة وصاح بالإبل فاقتطع منها نحواً من النصف ومضى ورجا ألاّ يَتبعه الغلام ، وهو غلام حين بدا شاربه ، فاتّبعه . قال : فاتخذا[5] وعالجه . قال : فضرب به الأرض فيقع قائماً ، فتخوّفه على نفسه ، ثم واثبه فضرب به وبادره ، فقال : إنّي عُروة بن الورد ، وهو يريد أن يُعجزَه عن نفسه . قال : فارتدع ، ثم قال ما لكَ ويلك ؟ لستُ أشكُّ أنّك قد سمعتَ ما كان من أمّي ؛ قال قلت : نعم فاذهب معي أنت وأمّك وهذه الإبلُ ودَعْ هذا الرجل فإنّه لا ينهاك عن شيء ، قال : الذي بقي من عمر الشيخ قليلٌ ، وأنا مقيمٌ معه ما بقي ، فإن له حقّاً وذماماً ، فإذا هلك فما أسرعني إليك ، وخذ من هذه الإبل بعيراً ؛ قلت : لا يكفيني ، إنّ معي أصحابي قد خلّفتُهم ؛ قال : فثانياً ، قلت لا ؛ قال : فثالثاً ، والله لا زِدتُكَ على ذلك . فأخذها ومضى إلى

---

1 الديوان والحماسة : قلت لقوم . . . عشية بتنا» ، وفي رواية : أقول لأصحاب الكنيف . . .

2 الديوان : رغيبة .

3 ل : كالخباء .

4 مرى أخلافها : مسح ضرعها لتدر .

5 اتّخذا : تقاتلا .

أصحابه ، ثم إنّ الغلام لَحِقَ به بعد هَلاك الشيخ . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد زيَّنتَه عندنا وعظّمته في قلوبنا ؛ قال : فهل أعقبَ عندكم ؟ قال لا ، ولقد كنّا نتشاءم بأبيه ، لأنّه هو الذي أوقعَ الحربَ بين عَبْسٍ وفزارة بمراهنته حُذيفة ، ولقد بلغني أنّه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثِرُه على عروة فيما يعطيه ويُقرِّبه ، فقيل له : أتؤثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه ! قال : أتَرَوْن هذا الأصغر ؟ لئن بقي مع ما رأى من شدّة نفسه ليَصِيرَنّ الأكبر عِيالاً عليه .

صوت

من المائة المختارة[1]

[من البسيط]

أزْرَى بنا أنّنا شالَتْ نَعامتُنا ... فخالني دونه بل خِلتُه دوني

فإن تُصِبكَ من الأيّام جائحةٌ ... لم أَبكِ منك على دنيا ولا دينِ[2]

الشعر لذي الإصبع العَدْوانيّ ، والغناء لِقيلٍ مولى العَبَلات هزجٌ خفيفٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . معنى قوله أزرى بنا : قَصَّر بنا ، يقال : زَرَيتُ عليه إذا عِبتَ عليه فِعلَه ، وأزريتُ به إذا قَصَّرتَ به في شيء . وشالت نعامتُهم إذا انتقلوا بكُلِّيتهم ، يقال : شالت نعامتُهم ، وزَفَّ رَألُهمْ ، إذا انتقلوا عن الموضع فلم يبقَ فيه منهم أحد ولم يبقَ لهم فيه شيء . وخالني : ظنني ، يقال : خِلتُ كذا وكذا فأنا إخاله إذا ظننتَه . والجائحة : النازلة التي تجتاح ولا تُبقي على ما نزلَتْ به .

---

1 هذان البيتان من نونية ذي الإصبع العدواني التي مطلعها :

يا من لقلب شديد الهم محزون ... أمسى تذكر ليلى أم هارون

وهي المفضلية الحادية والثلاثون ، وقد أوردها القالي كاملة في أماليه 1 : 255 وما بعدها ومنتهى الطلب 3 : 62–63 (طبعة دار صادر) ، وتجد تخريجاً كاملاً لها في المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ط . 7 ، دار المعارف ، القاهرة) .

2 لم يرد هذا البيت في المفضليات ولا عند القالي ، وسيورد أبو الفرج جانباً كبيراً من القصيدة ليس فيه هذا البيت . وانظر ديوانه (جمع وتحقيق عبد الوهاب العدواني ومحمد الدليمي ، الموصل ، 1973) .

[24] ـ ذكر ذي الإصبع العدوانيّ ونسبُه وخبره[1]

[نسبه]

هو حُرثان بن الحارث بن مُحرِّثِ بن ثعلبة بن سَيّار بن ربيعة بن هُبيرة بن ثعلبة بن ظَرِب بن عمرو بن عباد بن يَشْكُر بن عَدْوان بن عمرو بن سَعَد بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار ، أحد بني عدوان وهم بطنٌ من جَدِيلَة . شاعرٌ فارسٌ من قُدماء الشعراء في الجاهلية وله غارات كثيرة في العرب ووقائع مشهورة .

[فنيت عدوان فرثاها]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيعٌ وابن عَمّار والأسديّ ، قالوا حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أبو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال : نزلَت عدوان على ماء فأحْصَوْا فيهم سبعين ألف غلام أغْرَلَ[2] سِوى من كان مختوناً لكثرة عددهم ، ثم وقع بأسهُم بينهم فتفانوا فقال ذو الإصبع[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

عَذِيـرَ الحيّ مِـن عَدْوا ... نَ كانوا حَيَّـةَ الأرضِ[4]
بَغَـى بعضُهُـمُ بعضـاً ... فلم يُبْقُوا على بعضِ
فقـد صاروا أحـاديثَ ... برَفْعِ القولِ والخفضِ[5]
ومنهـم كانـت السَّادا ... تُ والمُوفُـونَ بالقَرْضِ
ومنهـم مَـنْ يُجيزُ النا ... سَ بالسُّنّـة والفَرْضِ
ومنهـم حَكَـمٌ يَقْضِي ... فلا يُنقَضُ مـا يَقضِي

---

1 ترجمة ذي الإصبع العدواني في الشعر والشعراء لابن قتيبة : 597–598 (طبعة دار الثقافة ، بيروت) والمؤتلف والمختلف للآمدي : 118 والسمط : 289 والخزانة 5 : 282 وما بعدها (تحقيق عبد السلام هارون) والمفضلية 29–31 بشرح ابن الأنباري (تحقيق ليال) وبتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون وأمالي القالي 1 : 255 وما بعدها ، وأورد ابن حمدون في مواطن متفرّقة من التذكرة نتفاً من أخباره وشعره وأمثاله (انظر الفهرس) .

2 أغرل : غير مختون .

3 ديوانه : 46–52 .

4 حية الأرض : يقال للرجل الصعب المنيع الجانب حيّة الأرض .

5 أي أنّهم أصبحوا أحاديث للناس في السرّ والعلن .

غنّى في هذه الأبيات مالكٌ ثقيلاً أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو .

وأمّا قولُ ذي الإصبع :

ومنهم حَكَـمٌ يَقضِي

فإنّه يعني عامرَ بنَ الظَّرب العَدواني ، كان حَكَماً للعرب تَحْتَكِم إليه .

[من قرعت له العصا]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن محمد بن حبيب قال : قيس تدَّعي هذه الحكومة وتقول : إنّ عامر بن الظَّرب العدوانيّ هو الحَكَم وهو الذي كانت العصا تُقرَع له ، وكان قد كَبِرَ فقال له الثاني من ولده : إنّك ربّما أخطأتَ في الحكم فيُحمَل عنك ؛ قال : فاجعلوا لي أَمارةً أعرِفُها فإذا زُغتُ فسمعتُها رجعتُ إلى الحكم والصواب ، فكان يجلس قُدّامَ بيته ويقعدُ ابنُه في البيت ومعه العصا ، فإذا زاغ[1] أو هفا قرَع له الجَفنة فرجع إلى الصواب . وفي ذلك يقولُ المتلمِّسُ[2] : [من الطويل]

لِذِي الحِلم قبلَ اليومِ ما تُقرَعُ العصا وما عُلِّـمَ الإنسانُ إلاّ لِيَعلَمـا

قال ابن حبيب : وربيعةُ تدّعيه لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمّام . واليمنُ تدّعيه لربيعة بن مُخاشِنٍ ، وهو ذو الأعواد ، وهو أوّل من جلس على مِنبر أو سرير وتكلّم ؛ وفيه يقول الأسود بن يَعفُر : [من الكامل]

ولقد علمتُ لَوَ آنّ علمِي نافِعي أنّ السبيلَ سبيـلُ ذِي الأعوادِ

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال أخبرنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : زعم أبو عمرو بن العلاء أنّه ارتحلتْ عَدوان من منزلٍ ، فعُدَّ فيهم أربعونَ ألفَ غلام أَقْلَف . قال الرياشيّ وأخبرني رجل عن هشام بن الكلبيّ قال : وقع على إيّادٍ البقُّ فأصاب كلَّ رجلٍ منهم بقتّانِ .

[سؤال عبد الملك بن مروان عن ذي الإصبع]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدّثنا أحمد بن عبيدٍ أبو عَصيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزياديّ ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عمرُ بن شبّة ولم يُسنده إلى أحد وروايته أتمّ : أنّ عبد الملك بن مروان لما قَدِم الكوفة بعد قتله مُصعب بن الزبير جلس لعرض[3] أحياء العرب ، وقال عمرُ بن شبة : إنّ مصعب بن الزبير

1 ل : زلّ .

2 راجع ذلك في كتب الأمثال .

3 ل : جعل يعترض .

كان صاحب هذه القصّة ، فقام إليه معبد بن خالد الجَدَليّ ، وكان قصيراً دميماً ، فتقدّمه إليه رجل منّا حسنُ الهيئة ؛ قال معبد : فنظر عبد الملك إلى الرجل وقال : ممّن أنت ؟ فسكتَ ولم يقل شيئاً وكان منّا ، فقلتُ من خلفه : نحن يا أمير المؤمنين من جَدِيلة ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : مِن أيّكم ذو الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان عَدوانيّاً ؛ فأقبل على الرجل وتركني وقال : لم سُمِّيَ ذا الإصبع ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ فقلت : نهشتْه حيّةٌ في إصبعه فيبست ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : وبِمَ كان يسمَّى قبل ذلك ؟ قال الرجل : لا أدري ؛ قلت : كان يسمَّى حُرْثانَ ؛ فأقبل على الرجل وتركني ، فقال : مِن أيّ عدوان كان ؟ فقلت منْ خَلفه : من بني ناجٍ الذين يقول فيهم الشاعر : [من الطويل]

وأمّا بَنُو نـاجٍ فـلا تَذْكُرَنَّهُمْ ولا تُتبِعَنْ عَينيكَ ما كان هالكا
إذا قُلتُ معروفاً لأُصلِحَ بينهم يقــولُ وُهَيبٌ لا أُسالِمُ ذلكا

وروى عمرُ بن شبّة : لا أسَلّم . [من الطويل]

فأضحى كظَهر الفحل جُبَّ سَنامُه يَـدِبُّ إلى الأعداء أحـدَبَ بارِكا

فأقبل على الرجل وتركني وقال أَنشِدني قوله : [من الهزج]

عذيــرَ الحــيّ مــن عَدوانَ

قال الرجل : لستُ أَرويها ؛ قلت : يا أمير المؤمنين إن شئتَ أنشدتُك ؛ قال : ادْنُ منّي ، فإنّي أَراكَ بقومك عالِماً ؛ فأنشدته[1] : [من مجزوء الوافر]

وليس المــرءُ في شيءٍ مــن الإبـرامِ والنقِضِ
إذا أبـرم أمـراً خـا لــه يَقْضي وما يَقْضِي
يقـولُ اليــومَ أُمْضِيه ولا يَملِكُ مـا يُمْضِي
عَذِيــرَ الحــيّ من عَدوا نَ كانوا حَيَّــةَ الأرضِ
بغـى بعضُهـمُ بعضـاً فلم يُبْقُوا على بعضِ
فقـد صـاروا أحاديثَ برفع القــولِ والخفضِ
ومنهــم كانــت السادا تُ والموفُـونَ بالقَرضِ
ومنهــم حَكَـمٌ يَقضي فلا يُنقَضُ مـا يَقضِي

1 ديوانه : 46–52 .

ومنهـم مـن يُجِيزُ النا سَ بالسُّنَّـةِ والفـرضِ
وهم مَـنْ وَلَدُوا أَشْبَوْا بسرّ الحَسبِ المَحْـضِ[1]
ومِمَّـنْ ولـــدوا عامِـ ـرُ ذو الطول وذو العرضِ
وهـم بَـوَّوْا ثَقِيفـاً دا رَ لا ذُلٌّ ولا خَفْـضِ[2]

فأقبل على الرجل وتركني وقال : كم عطاؤك ؟ فقال : ألفان ، فأقبل عليّ فقال : كم عطاؤك ؟ فقلت : خمسمائة ؛ فأقبل على كاتبه وقال : اجعل الألفين لهذا والخمسمائة لهذا ؛ فانصرفتُ بها .

وقوله : «ومنهم من يُجيزُ الناس» فإنّ إجازة الحجّ كانت لخُزاعة فأخذتْها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم يقال له أبو سَيّارة أحدُ بني وابش بن زيد بن عدوان . وله يقول الراجز : [من الرجز]

خَلّوا السبيلَ عن أبي سَيَّارَهْ وعـن مَواليـه بنـي فَزارَهْ
حتى يُجيز سالمـاً حِمارَهْ مستقبِلَ الكعبةِ يدعو جارَهْ

قال : وكان أبو سيارة يُجيز الناس في الحجّ بأن يتقدّمهم على حمارٍ ، ثم يَخطُبَهم فيقول : اللهمّ أصلحْ بين نسائنا ، وعاد بين رعائنا ، واجعل المالَ في سُمَحائنا ، أَوْفُوا بعهدكم ، وأكرِمُوا جارَكم ، واقرُوا ضيفكم ، ثم يقول : أَشْرِقْ ثَبِيرْ كيما نُغير ، وكانت هذه إجازتَه ، ثم يَنْفِرُ ويتبعُه الناس . ذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ والكلبيّ وغيرهما .

[خبر بناته الأربع وقد أردن الزواج]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيميّ قال حدّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال[3] : كان لذي الإصبع أربعُ بنات وكنّ يُخطَبْنَ إليه فيَعرِضُ ذلك عليهنّ فيَستَحِينَ ولا يزوّجهنّ ، وكانت أُمّهنّ تقول : لو زوّجتَهنّ ! فلا يفعل . قال : فخرج ليلةً إلى مُتحدَّثٍ لهنّ فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمْنَ فقلن : تعالَيْنَ نتمنّى ولنَصْدُقْ ، فقالت الكبرى . [من الطويل]

ألا ليتَ زوجي من أُناسٍ ذَوِي غِنًى حَدِيثُ الشباب طيّبُ الريح والعِطرِ[4]
طبيـبٌ بـــأدواء النساء كأنّـــه خليفـةُ جـانٍ لا ينـام على وترِ[5]

1 أشبوا : جاؤوا بأولاد نجباء أذكياء .
2 بووا : أنزلوا ، بوأوا .
3 قارن الخبر بما جاء في الكامل للمبرد (تحقيق الدالي) : 679 وما بعدها .
4 والعطر في ل : والنشر .
5 وتر في ل : هجر .

فقلن لها : أنتِ تُحِبِّين رجلاً ليس من قومك . فقالت الثانية : [من الطويل]

ألا هـل أراها ليلـةً وضَجِيعُها أَشَمُّ كنصـلِ السيف غَيرُ مُبَلَّدِ[1]

لَصُـوقٌ بأكبـاد النساء وأصلُـه إذا ما انتمي من سِرِّ أهلي ومَحْتِدِي

فقلن لها : أنتِ تُحِبِّين رجلاً من قومك . فقالت الثالثة : [من الطويل]

أَلا لَيْتَه يَمْـلا الجِفـانَ لضَيْفِه له جفنةٌ يَشْقى بها النِّيبُ والجُزُرُ[2]

له حَكَمات الدهر من غير كَبْرة تَشِين ولا الفاني ولا الضَّرِعُ الغَمْرُ[3]

فقلن لها : أنت تُحبّين رجلاً شريفاً . وقلن للصُّغرى : تمنَّيْ ؛ فقالت : ما أريد شيئاً ؛ قلن : والله لا تَبرحين حتى نعلم ما في نفسك ؛ قالت : زوجٌ من عُود خيرٌ من قُعود[4] . فلمّا سمع ذلك أبوهنّ زوّجهنّ أربعتهنّ . فمكَثنَ برهةً ثم اجتمعن إليه ، فقال للكبرى : يا بُنيّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الإبل ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : خير مال ، نأكل لحومها مُزَعا ، ونشرب ألبانها جُرَعا ، وتحمُلنا وضعيفَنا معا ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خيرُ زوج يُكرم الحليلة ، ويُعطي الوسيلة[5] ؛ قال : مالٌ عميم وزوجٌ كريم . ثم قال للثانية : يا بنيّة ما مالُكم ؟ قالت : البقر ؛ قال : فكيف تجدونها ؛ قالت : خير مال ، تألف الفِناء ، وتُوَدِّك[6] السِّقاء ، وتملأ الإناء ، ونساءٌ في نساء ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : خير زوج يكرم أهله ويَنسى فضله ؛ قال : حَظِيتِ ورضيتِ . ثم قال للثالثة : ما مالُكم ؟ قالت : المِعزى ؛ قال : فكيف تجدونها ؟ قالت : لا بأس بها نُولِدها فُطُما ، ونسلَخها أُدَما ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : لا بأس به ليس بالبخيل الحَكِر[7] ولا بالسَّمْح البَذِر ، قال : جَدْوى مُغْنِية . ثم قال للرابعة : يا بنيّة ، ما مالُكم ؟ قالت : الضّأن ؛ قال : وكيف تجدونها ؟ قالت : شرّ مال ، جُوفٌ لا يَشْبَعن ، وهِيمٌ[8] لا يَنقعنَ ، وصُمٌّ لا يَسمَعنَ ، وأمرَ مُغوِيَتهنَّ يَتْبَعْنَ[9] ؛ قال : فكيف تجدين زوجك ؟ قالت : شرّ

1 ليلة في ل : مرّة .

2 لضيفه في ل : فدية .

3 حكمات الدهر في ل : محكمات الشيب . الضرع الغمر : الضعيف غير المجرّب .

4 انظر المثل رقم 1729 عند الميداني وقد نقل في خبره ما جاء في الكامل .

5 الوسيلة : ما يتقرّب به إلى الغير .

6 تودّك : تجعل فيه الودك وهو الدسم .

7 الحكر : المستبدّ ، وفي ل : الخرّ .

8 أي عظيمات الأجداف لا يشبعن وشديدات العطش لا يروين .

9 أمر مغويتهن يتبعن : يتبعن المتقدمة منهنّ فإذا سقطت في ماء أو وحل تبعها الباقي .

زوج ، يُكرِم نفسه ويُهين عِرسه ؛ قال : «أشبه امرأ بعضُ بَزّه»[1] .

وذكر الحسن بن عُليل العنزيّ في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنّه لا يصحّ من أبيات ذي الإصبع الضَّادِيّة إلاّ الأبيات التي أنشدها وأنّ سائرها مَنحول .

[خرف وأهتر وقال في ذلك شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحَزَنْبَلِ قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال : عُمِّر ذُو الإصبع العدوانيّ عمراً طويلاً حتى خرِف وأهتر وكان يفرِّق ماله ، فعذَله أصهاره ولاموه وأخذوا على يده ؛ فقال في ذلك[2] : [من المنسرح]

أَهْلَكَنا اللّيلُ والنّهارُ معا ... والدّهرُ يَعْدُو مُصمِّما جَذَعا[3]

فليس فيما أصابني عَجَبٌ ... إن كنتُ شَيباً أنكرتُ أو صَلَعا

وكنتُ إذ رَونقُ الشَّبابِ به ... ماء شبابي تَخالُه شرعا

والحيُّ فيه الفتاةُ تَرْمُقني ... حتّى مضى شَأْوُ ذاك فانقشعا[4]

صوت

[من المنسرح]

إنّكما صاحبيّ لم تدَعا ... لَوْمِي ومَهما أُضِقْ فلن تَسَعا[5]

لم تَعقِلا جَفْوةً عليّ ولم ... أشتُم صديقاً ولم أُنِلْ طَبَعا[6]

إلاّ بأن تكذِبا عليّ وما ... أُملِك أن تكذِبا وأن تَلِعا[7]

لابن سريج في هذه الأبيات لحنان : أحدهما ثاني ثقيلٍ بالسبَّابة والبِنصر عن يحيى المكّيّ ، والآخر ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . [من المنسرح]

---

1 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (إعداد إحسان عبّاس ، طبعة دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981) : 701 . ويروى أيضاً «أشبه امرؤ بعضَ بزّه» .

2 انظر ديوان : 55–63 والمفضليّة 29 .

3 الجذع : الحدث الناشيء .

4 انقشعا في ل : فانقطعا .

5 لم في ل والمفضليات : لن . أضق في ل والمفضليات : أُضع . يعني : أنّهما لا يستطيعان الإحاطة بما يضيع منه ، أي أنّهما يعجزان عن بلوغ مبلغه أو القيام مقامه .

6 في المفضليات : لن تعقلا جفرة عليّ ولن ... أوذ نديماً ولم أنل طبعا
الطبع : هو الدنس أو العيب .

7 تلعا : تكذبا .

وإنّني سوف أبتدِي بنَـدًى ... يـا صاحبيَّ الغـداةَ فاستمِعا
ثـمّ سَلا جارتِـي وكِنَّتَهـا ... هل كنتُ فيمن أراب أو خدَعا[1]
أو دَعَتاني فلـم أُجِبْ ، ولقد ... تأمـن منّـي حَليلتِي الفَجَعا
آبَى فـلا أقـربَ الخِباءَ إذا ... مـا ربُّـه بعـد هَـدْأةٍ هجَعا
ولا أُرُوم الفتـاةَ زَوْرَتَهـا ... إن نام عنهـا الحليلُ أو شَسَعا[2]
وذاك في حِقبةٍ خَلتْ ومضَتْ ... والدّهرُ يأتـي على الفتى لُمَعا[3]
إن تَزْعُما أنّني كبِرتُ فلـم ... أُلـفَ ثقيلاً نِكْسا ولا وَرَعا
إمّا تَـرَيْ شِكّتِي رُمَيحَ أبي ... سعدٍ فقـد أحمِلُ السّلاحَ مَعا

أبو سعد : ابنُه ، ورُمَيحٌ : عصاً كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يُطاعِنُهم بها كالرُّمح ، فصار يتوكّأ هو عليها ويقوده ابنه هذا بها . [من المنسرح]

السّيفُ والرّمحُ والكِنانـةُ قـد ... أكملتُ فيهـا مَعابِـلاً صُنُعا[4]
والمُهْـرُ صافي الأَدِيـم أصنَعُه ... يَطِيـر عنـه عِفـاؤه قَزَعا[5]
أُقْصِرُ مـن قَيـده وأُردَعُه ... حتّى إذا السِّرب رِيعَ أو فزِعا
كان أمـامَ الجيـادِ يَقْدُمها ... يَهُزُّ لَدْنـاً وجُؤجُـؤا تَلِعا[6]
فغامَس المـوتَ أو حَمى ظُعُنا ... أو رَدّ نَهْبـاً لأيِّ ذاك سعى[7]

[وصيّته لابنه عند موته]

قال أبو عمرو : ولمّا احتضِر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا فقال له : يا بُنيّ ، إنّ أباك قد فني وهو حيّ وعاش حتّى سَئم العيش ، وإنّي مُوصيك بما إنّ حفِظتَه بلغتَ في قومك ما بلغتُه ، فاحفظ عنّي : أَلِن جانبك لقومك يحبّوك ، وتواضع لهم يرفعوك ، وابسُط لهم وجهَك يُطيعوك ، ولا تَستأثر عليهم بشيء يُسوّدوك ؛ وأكرِم صِغارهم كما تُكرِم كبارَهم يكرمْك كبارُهم ويكبَرْ على

1 خدَعا في ل : قذعا .
2 شسع : بعد .
3 لمعا : ألوانًا .
4 رواية المفضليات : السيف والرمح والكنانة والـ ـنّبل جيـاداً محشورة صنعا
والمعابل : جمع معبلة وهي نصل عريض طويل . وصنع : جمع صنيع وهو المجرب المجلو .
5 العفاء : الشعر الطويل والقزع : القطع المتفرّقة .
6 الجؤجؤ : الصدر . وتلع : منبسط .
7 غامس الموت : ورده .

مودّتك صغارهم ، واسمح بمالك ، واحْم حريمَك ، وأعززْ جارك ، وأعِن مَن استعان بك ، وأكرِم ضيفَك ، وأسرع النَّهضة في الصَّريخ ، فإن لك أجلاً لا يَعْدُوك ، وصُنْ وجهَك عن مسألة أحد شيئاً ، فبذلك يتمّ سُودَدُك ؛ ثم أنشأ يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

أأسيدُ إنْ مـالاً مَلكـ ـتَ فسِرْ به سَيراً جميلا
آخِ الكِـرامَ إن استطعـ ـتَ إلى إخائهـمُ سبيلا
واشرَب بكأسهـمُ وإن شرِبوا بـه السُّمّ الثَّميلا
أهِـنِ اللِّئـام ولا تكـنْ لإخائهم جَمَـلاً ذَلُولا
إنَّ الكـرامَ إذا تُـوا خِيهِمْ وجدتَ لهم فُضولا[2]
ودَع الذي يَعِـد العَشيـ ـرةَ أن يسيلَ ولن يَسيلا
أبُنـيّ إن المـالَ لا يَبْكِي إذا فقَـد البخيلا

صوت

[من مجزوء الكامل]

أأسيدُ إن أزمعتَ مـن بلـدٍ إلى بلـدٍ رَحيلا
فاحفـظْ وإن شَحط المَزا رُ أخا أخيك أو الزَّميلا[3]
واركب بنفسك إن هَمَمـ ـتَ بها الحزونةَ والسّهولا
وصِلِ الكِرامَ وكُـن لمن تَرجـو مَودّتـه وَصولا

الغناء للهذليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرٍو : [من مجزوء الكامل]

ودَعِ التَّوانِـيَ في الأمـو رِ وكن لهـا سَلِساً ذَلُولا
وابسُطْ يمينَـكَ بالنَّدى وامْدُدْ لهـا باعـاً طويلا
وابسُطْ يَدَيْكَ بمـا مُلكْـ ـتَ وشَيِّد الحسَبَ الأَثيلا
واعْـزِمْ إذا حاولـتَ أمـ ـراً يَفْرِجُ الهـمَّ الدَّخِيلا
وابذُلْ لِضَيفكَ ذاتَ رَحْـ ـلِكَ مُكرِمـاً حتّى يَزُولا[4]
واحلُـلْ على الأَيْفاعِ لل ـعافِينَ واجْتنِبِ المَسِيلا

1 ديوانه : 72–74 .
2 فضولاً في ل : قبولا .
3 الزميل : الرفيق في السفر .
4 الرحل هنا : المثوى والمنزل .

وإذا القُـرُومُ تخاطـرَتْ يوماً وأرعَـدَتِ الخَصِيلا[1]
فاهصِرْ كهَصْرِ الليث خَضَّـ ـبَ مِن فَريستِه التَّلِيلا[2]
وانـزِلْ إلى الهيجـا إذا أبطالُـها كَرِهـوا النزولا
وإذا دُعِيـتَ إلى المُهِـ ـمّ فكن لفادِحِهِ حَمُولا

[استنشد معاوية قيسيّاً شعره وزاد في عطائه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : جرى بين عبد الله بن الزُّبير وعُتْبةَ بن أبي سُفيان لِحاء بين يدي معاوية ، فجعل ابن الزبير يَعدِلُ بكلامه عن عُتبَةَ ويُعَرِّضُ بمعاوية ، حتى أطال وأكثر من ذلك ، فالتفت إليه معاوية متمثِّلاً وقال[3] : [من الطويل]

ورامٍ بعُـورانِ الكلام كأنّهـا نوافِـرُ صُبْـحٍ نفَّرتْهـا المراتِعُ[4]
وقد يَدْحَضُ المرءُ المُوارِبُ بالخَنا وقد تُدرِك المرءَ الكريمَ المصانِعُ[5]

ثم قال لابن الزبير : مَن يقول هذا ؟ فقال : ذو الإصبع ؛ فقال : أَتَرْوِيه ؟ قال لا ؛ فقال : مَنْ هاهنا يروي هذه الأبيات ؟ فقام رجل من قيس فقال : أنا أرْوِيها يا أمير المؤمنين ؛ فقال أنشِدني ؛ فأنشده حتى أتى على قوله : [من الطويل]

وساعٍ برجليـه لآخـرَ قاعدٍ ومُعْـطٍ كريـمٌ ذو يَسارٍ ومانِعُ
وبـانٍ لأحسابِ الكرامِ وهادِمٌ وخافـضُ مولاه سَفاهاً ورافِعُ
ومُغْضٍ على بعض الخطوبِ وقد بدَت له عَوْرةٌ من ذي القرابةِ ضاجعُ
وطالـب حُـوبٍ باللسان وقَلبُـه سِوى الحقِّ لا تَخفَى عليه الشرائعُ[6]

فقال له معاوية : كم عطاؤك ؟ قال : سبعمائة ؛ قال : اجعلوها ألفاً ، وقطع الكلام بين عبد الله وعُتبة .

[شعره في ابن عمّه وقد عاداه]

قال أبو عمرو : وكان لذي الإصبع ابن عمّ يُعاديه فكان يتدسَّسُ إلى مكارِهه ويَمشي به إلى أعدائه ويُؤلِّبُ عليه ويسعى بينه وبين بني عمّه ويَغِيه عندهم شرّاً ؛ فقال فيه ، وقد أنشدنا

1 أرعدت الخصيل : جعلت الأوصال ترجف من الخوف .
2 التليل : العنق .
3 ديوانه : 66–67 .
4 عوران الكلام : ما تنفيه الأذن .
5 يدحض : يزلّ .
6 سوى الحق : وسطه أي أن قلبه ملازم للحق .

الأخفش هذه الأبيات أيضاً عن ثعلب والأحول السُّكَّريّ[1] : [من مجزوء الكامل]

يـا صاحِبَيّ قِفا قَليلا وتَخَبَّرا عَنِّـي لَمِيسا
عمَّنْ أصابَـتْ قلْبَـه في مَرِّهـا فغَدا نَكِيسا[2]
ولِـيَ ابنُ عـمٍّ لا يـزا ل إليّ مُنكَـرُه دَسِيسا
دبَّـتْ لـه فأَحسَّ بعـ ـد البُرْءِ من سَقَمٍ رَسِيسا[3]
إمّـا علانيـةً وإمّـ ـا مُخْمَراً أَكْلاً وَهِيسا[4]
إنّـي رأيـتُ بَنـي أبيـ ـك يُحَمِّجُون إليّ شُوسا[5]
حَنَقاً عـليَّ ولن تَـرى لِيَ فيهـمُ أثـرا بَئِيسا
أَنْحَوْا على حُـرّ الوجو ه بحَدّ مِئشارٍ ضُرُوسا[6]
لـو كنتَ مـاءً لم تَكنْ عَذْبَ المَذاقِ ولا مَسُوسا[7]
مِلحاً بعيـدَ القعـر قـد فَلَّـتْ حجارتُه الفُؤوسا
مَنَّاعُ مـا ملكَـتْ يـدا كَ وَسائِلٌ لَهُمُ نُحُوسا

وأنشدنا الأخفش عن هؤلاء الرواة بعقب هذه الأبيات ، وليس من شعر ذي الإصبع ولكنه يشبه معناه : [من الرجز]

لو كنتَ ماءً كنتَ غيرَ عَذْبِ أو كنتَ سيفاً كنتَ غير عَضْبِ
أو كنتَ طِرْفاً كنتَ غيرَ نَدْبِ أو كنتَ لحما كنتَ لحمَ كَلْبِ[8]

قال : وفي مثله أنشدنا : [من الرجز]

لو كنتَ مُخّاً كنتَ مُخّاً رِيرا أو كنت بَرْدًا كنتَ زَمْهَرِيرا[9]
أو كنت رِيحاً كانت الدَّبورا

1 ديوانه : 42–44 .
2 نكيس : مريض .
3 الرسيس : أول الحمّى .
4 مخمراً : متستراً . والأكل الوهيس : الشديد .
5 يحمجون : يديمون النظر . الشوس : النظر بمؤخر العين تغيظاً .
6 المئشار : لغة في المنشار .
7 المسوس : الماء بين العذب والملح .
8 طرف ندب : حصان نشيط .
9 مخ ريرا : أي فاسد من الهزال .

[سبب تفرّق عدوان وتقاتلهم]

قال أبو عمرو : وكان السبب في تفرّق عدوان وقتال بعضهم بعضاً حتى تفانَوْا : أنّ بني ناج بن يَشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرِب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان ، ونَذِرتْ بهم بنو عوف فاقتتلوا ، فقتل بنو ناج ثمانية نفرٍ ، فيهم عُمَير بن مالك سيِّد بني عوف ، وقتلت بنو عوف رجلاً منهم يقال له سِنان بن جابر ، وتفرّقوا على حرب . وكان الذي أصابوه من بني واثلة بن عمرو بن عباد وكان سيّداً ، فاصطلح سائرُ الناس على الديات أن يتعاطوها ورضوا بذلك ، وأبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر ديةً ، واعتزل هو وبنو أبيه ومن أطاعهم ومَن والاهم ، وتَبِعه على ذلك كَرِبُ بن خالد أحد بني عبس بن ناج ، فمشى إليهما ذو الإصبع وسألهما قبولَ الدية وقال : قد قُتِلَ منَّا ثمانية نفر فقبِلنا الدية وقُتِل منكم رجل فاقبلوا ديته ؛ فأبَيا ذلك وأقاما على الحرب ، فكان ذلك مبدأ حربِ بعضِهم بعضاً حتى تَفانَوْا وتَقَطَّعوا . فقال ذو الإصبع في ذلك[1] : [من الطويل]

ويا بُـؤسَ للأيّام والدّهرِ هالِكا ... وصَرْفِ الليالي يَخْتَلِفْـنَ كذلِكا
أبْعدَ بنِـي نـاجٍ وسَعْيِكَ فيهِمُ ... فلا تُتبِعَنْ عينيْكَ مـا كان هالِكا
إذا قلتُ معروفـاً لأُصْلِحَ بينهم ... يقـولُ مَريـرٌ لا أُحـاوِلُ ذلِكا
فأضحَوْا كظهر العَوْدِ جُبَّ سَنامُه ... تَحُوم عليه الطيرُ أحدَبَ بارِكا[2]
فإن تك عَدْوانُ بن عمرو تفرّقت ... فقد غَنِيَتْ دَهـراً ملوكاً هُنالِكا

[قصيدته النونية]

وقال أبو عمرو : وفي مَرير بن جابر يقول ذو الإصبع ، وهذه القصيدة هي التي منها الغناء المذكور ، وأوّلها[3] : [من البسيط]

يـا مَنْ لقلبٍ شَدِيدِ الهمِّ مَحزونِ ... أمسَى تَذَكَّـرَ رَيَّـا أُمَّ هـارُونِ[4]
أمسى تَذَكَّرها مِن بعد ما شَحَطتْ ... والدَّهْرُ ذو غِلظٍ حينا وذو لِينِ[5]

1 ديوانه : 69–70 .
2 تحوم عليه الطير في ل : يدب إلى الأعداء .
3 هذه هي النونية التي منها المفضلية 31 وفي حاشية طبعة شاكر وهارون تخريج كامل لها وقد أوردها القالي في الأمالي كاملة 1 : 255–257 ، وانظر ديوانه : 88–98 .
4 الأمالي : طويل البث .
5 غلط في ل والأمالي : غلظة .

فإنْ يكنْ حبُّها أمسى لنا شَجَناً ... وأصبحَ الوَلْيُ منها لا يُواتِيني[1]
فقد غَنِينا وشمْلُ الدارِ يجمعُنا ... أُطِيعُ رَيَّا ورَيَّا لا تُعاصِيني
نَرمِي الوُشاةَ فلا نُخطِي مَقاتِلَهُمْ ... بخالصٍ مِن صفاءِ الوُدِّ مَكنونِ[2]
ولي ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلُقٍ ... مُختَلِفانِ فأَقْلِيهِ ويَقْلِينِي
أزرى بنا أنّنا شالَتْ نَعامتُنا ... فخالني دونه بل خِلتُهُ دوني
لاهِ ابنُ عمّك لا أفضلتَ في حسَبٍ ... شيئاً ولا أنت دَيَّانِي فتَخْزُوني[3]
ولا تَقُوتُ عِيالي يومَ مَسْغَبةٍ ... ولا بنفسكَ في العَزَّاءِ تَكْفِيني[4]
فإن تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بمَنْقَصَتِي ... فإنّ ذلك مِمّا ليس يُشْجِيني
ولا تَرى فيَّ غيرَ الصّبرِ مَنقَصَةً ... وما سِواه فإنّ اللهَ يَكفِيني
لولا أَواصِرُ قُرْبى لستَ تحفظُها ... ورَهْبَةُ اللهِ في مَولىً يُعادِيني
إذاً بَرَيتُك بَرْياً لا انجبارَ له ... إنّي رأيتُك لا تَنفَكُّ تَبرِيني
إنّ الذي يَقبِضُ الدنيا ويبسُطها ... إن كان أغناكَ عنّي سوفَ يُغْنِيني
اللهُ يَعلَمُكم واللهُ يَعلَمُنِي ... واللهُ يَجزِيكُمُ عَنّي ويَجْزِيني[5]
ماذا عليَّ وإن كنتم ذوِي رَحِمِي ... ألاَّ أحبّكم إن لم تُحبُّوني
لو تَشْرَبُونَ دَمِي لَم يَرْوَ شارِبُكم ... ولا دِماؤُكم جَمْعاً تُرَوِّينني
ولي ابن عمٍّ لو آنّ الناسَ في كَبِدي ... لَظَلَّ مُحتَجِزاً بالنَّبْلِ يَرْمِيني[6]
يا عمرُو إن لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقصَتِي ... أَضْرِبْكَ حتى تقولَ الهامةُ اسْقُونِي[7]
كلّ امرِىءٍ صائرٌ يوماً لِشيمَتِه ... وإن تخلَّقَ أخلاقاً إلى حِينِ
إنّي لَعَمْرُكَ ما بَابِي بذِي غَلَقٍ ... عن الصّديق ولا خَيري بمَمْنُونِ

---

1 الولي : القرب وفي الأمالي : الوأي وهو الوعد .
2 بخالص في الأمالي : بصادق .
3 دانه : قهره .
4 العزاء : السنة الشديدة .
5 الشطر الأول رواية الأمالي : الله يعلمني والله يعلمكم .
6 محتجز : شاد مئزره كناية عن التهيّؤ .
7 حتى في الأمالي : حيث . كانت العرب تزعم أن القتيل الذي لم يؤخذ بثأره تصيح روحه عند قبره «اسقوني ! اسقوني !» وتطير عندما يدرك بثأره .

ولا لساني على الأدنى بمنطَلق ... بالمنكَرات ولا فَتْكِي بمأمُونِ
لا يُخْرِجُ القَسْرُ منّي غير مَغْضِبةٍ ... ولا أُلِينُ لِمَنْ لا يبتغِي لِيني[1]
وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائةٍ ... فأجمِعُوا أمرَكم شَتَّى فكِيدُونِي
فإن علمتُم سبيلَ الرُّشدِ فانطلِقوا ... وإن غَبِيتم طريقَ الرشدِ فأْتُونِي[2]
يا رُبَّ ثوبٍ حواشيه كأوسطِه ... لا عيبَ في الثوبِ من حُسنٍ ومن لِينِ
يوماً شَدَدتُ على فَرْغاءَ فاهقةٍ ... يوماً من الدّهرِ تاراتٍ تُمارِيني[3]
ماذا عليّ إذا تدعونَنِي فَزَعاً ... ألاَّ أُجِيبَكم إذ لا تُجِيبُوني
وكنتُ أُعطِيكُم مالي وأَمنحُكم ... وُدِّي على مُثْبَتٍ في الصدرِ مَكنونِ[4]
يا رُبَّ حَيٍّ شَدِيد الشَّغْبِ ذي لَجَبٍ ... ذعَرْتُ مِن راهن منهم ومَرهُونِ[5]
رَدَدتُ باطلَهُم في رَأْس قائِلهم ... حتى يَظَلُّوا خصوماً ذا أفانينِ[6]
يا عَمرُو لو كنتَ لي أَلْفَيْتَنِي يَسَراً ... سَمْحاً كريماً أُجازِي مَنْ يُجازِيني

[قصيدته في رثاء قومه]

قال أبو عمرو : وقال ذو الإصبع يرثي قومَه : [من الهزج]

وليس المرءُ في شيءٍ ... من الإبرام والنقضِ
إذا يفعلُ شيئاً خا ... له يَقْضِي وما يَقْضِي
جَدِيدُ العيشِ ملبوسٌ ... وقد يُوشِكُ أن يُنْضي

وقد مضى بعض هذه القصيدة متقدّماً في صدر هذه الأخبار ، وتمامها :

وأَمْرَ اليومِ أَصْلِحْهُ ... ولا تَعْرِضْ لما يَمضي
فبينا المرءُ في عَيشٍ ... له من عِيشَةٍ خَفْضِ
أتاه طَبَقٌ يوماً ... على مَزْلَقَةٍ دَحْضِ[7]

1 مغضبة في الأمالي : مأبية .
2 غبيتم في الأمالي : جهلتم .
3 فرغاء : طعنة واسعة ، والفاهقة هي التي تنهق بالدم أي تتصبّب .
4 وكنت في الأمالي : قد كنت .
5 ذعرت في الأمالي : دعوتهم .
6 خصوماً في الأمالي : جميعاً .
7 طبق : شدّة .

وهم كانوا فلا تُكْذَبْ ذوِي القُــوّةِ والنَّهْضِ
وهم إن وَلَـدُوا أَشْبَوْا بسِرّ الحسَــب المَحْضِ
لهــم كانت أعالي الأر ض فالسرَّان فـالعِرْضِ[1]
إلى مـا حــازه الحَزْنُ فمـا أسهـلَ للحَمْضِ
إلى الكَفْرَيــنِ من نخلـ ــةَ فالـدّاءةِ فالمَرْضِ[2]
لهـم كان جِمـامُ[3] المـا ءِ لا المُزجى ولا البَرْضِ[4]
فكان النـاسُ إذ هَمُّوا بيُسْرٍ خــاشعٍ مُغْضي
تَنادَوْا ثـم ساروا بِــ ـرئيسٍ لهــمُ مُـرْضي
فمَــنْ ساجَلَهُمْ حربـاً ففي الخَيْبَةِ والخَفْضِ
وهــم نالُـوا على الشَّنْآ نِ والشَّحْنــاءِ والبُغضِ
مَعـالي لم ينلهــا النَّــا سُ في بَسْطٍ ولا قبضِ

[شعر أمامة بنت ذي الإصبع]

قال أبو عمرو : قالت أُمامة بنت ذي الإصبع وكانت شاعرةً ترثي قومَها : [من السريع]

كم مِن فَتىً كانت لـه مَيْعَةٌ أَبلـجَ مثلِ القمـرِ الزاهِرِ[5]
قـد مرَّتِ الخيلُ بحافاتِهِ كمـرّ غيثٍ لجِبٍ ماطِرِ
قـد لَقِيَتْ فَهْمٌ وعَدْوانُها قَتْلاً وهُلْكـاً آخــرَ الغابِرِ
كانوا ملوكاً سادةً في الذُّرى دهراً لها الفَخْرُ على الفاخِرِ
حتى تَساقَوْا كأسَهم بينهم بَغْياً فَيـا لِلشَّارِبِ الخاسِرِ
بادُوا فمَنْ يَحْلُلْ بأوطانهم يَحْلُـلْ برَسْمٍ مُقْفــرٍ داثِرِ

[شعره في الكبر]

قال أبو عمرو : ولأمامة ابنتِه هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط وتوكّأ على العصا فبكت فقال : [من الكامل]

1 العرض : واد باليمامة . وكلّ واد فيه قرى ومياه : عرض .
2 الداءة : جبل نواحي مكّة . وفي ل : الدارة .
3 جمام الماء : كثيرة .
4 المزجى والبرض : الماء القليل .
5 ميعة الشباب : أوّله .

جَزِعَتْ أمامَةُ أن مَشَيتُ على العصا ... وتَذَكَّرَتْ إذ نحن مِ الفِتْيانِ
فَلَقَبْل ما رام الإلهُ بكيده ... إرَماً وهذا الحيَّ مِنْ عَدْوانِ
بعد الحكومةِ والفضيلة والنُّهى ... طاف الزمانُ عليهمُ بأوانِ
وتفرّقُوا وتقطّعت أشلاؤهم ... وتبدَّدُوا فِرَقاً بكلّ مكانِ
جَدَبَ البلادُ فأُعْقِمَتْ أرحامُهُم ... والدَّهْرُ غَيَّرَهُمْ مع الحِدثانِ
حتى أبادَهُمُ على أُخْراهُم ... صَرْعَى بكلٍّ نُقَيْرَةٍ ومَكانِ
لا تَعْجَبِنَّ أُمامُ من حَدَثٍ عَرا ... فالدَّهْرُ غَيَّرنا مع الأزمانِ

[25] ـ ذكرُ قيلٍ مولى العَبَلات

[ولاؤه وغناؤه]

قال هارونُ بن محمد بن عبد الملك : أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يحيى قَيْل عبداً للثُّريّا ورُضَيّا وأخواتهما بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أُميّةَ الأصغر بن عبد شمس مَوْلَياتِ الغَريض .

قال وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال حدّثني ابن أبي جَناحٍ قال حدّثنا مقاحف بنُ ناصِحٍ مولى عبد الله بن عبّاس قال قال حدّثني هشامُ بن المُرِّية ، وهي أمّه ، وهو مولى بني مَخزوم ، قال : كان يحيى قَيْل عبداً لامرأة من العَبَلات ، وله من الغناء[1] : [من الطويل]

صوت

وأخرجتُها من بطن مكّةَ بعد ما أَصاتَ المنادِي للصّلاةِ وأَعْتَما
فمرّتْ ببطن اللِّيثِ تَهْوِي كأنّما تُبادِرُ بالإصباح نَهْباً مُقَسَّما[2]

والشعر لأبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ . وأوّل هذه القصيدة :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّم كَلْثَما

[أبو دهبل الجمحي]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني يحيى بن المقداد الزَّمْعِيّ قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب الزَّمْعِيّ قال أنشدني أبو دَهْبلٍ الجُمَحِيّ لنفسه[3] : [من الطويل]

ألا عَلِقَ القلبُ المتيَّمُ كَلْثَما لَجُوجاً ولم يلزَمْ من الحبّ مَلْزَما
خَرَجْتُ بها من بطن مكّةَ بعدَ ما أصاتَ المنادِي للصَّلاةِ وأعتَما
فما نام مِنْ راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الحيّ حتى جاوزَتْ بِي يَلَملَما[4]
ومرَّتْ ببطنِ اللِّيثِ تَهوِي كأنّها تُبادِرُ بالإدلاج نَهْباً مُقَسَّما

---

1 البيتان لأبي دهبل الجمحي وسيردان عمّا قليل في قصيدته . وسيترجم أبو الفرج فيما بعد في الأغاني لأبي دهبل ، وسيورد القصيدة بصورة أتمّ . لاحظ اختلاف الرواية في الصفحة الواحدة .

2 الليث : واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو هو موضع في الحجاز (ياقوت) .

3 ديوان أبي دهبل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن ، ط10 ، النجف ، 1972) : 106–109 .

4 يلملم : موضع قريب من مكّة وهو ميقات أهل اليمن .

أجازت على البَزواءِ والليلُ كاسرٌ جناحَيْنِ بالبزواء وَرْداً وأدْهَما[1]
فما ذَرَّ قرنُ الشمسِ حتى تبيَّنَتْ بِعُلْيَبَ نخـلاً مُشرِفـاً ومُخَيِّما[2]
ومرَّتْ على أشطانِ دُومةَ بالضحى فما خزَرتْ للمـاء عيناً ولا فَما
وما شَرِبَـتْ حتى ثَنيتُ زِمامَها وخِفْتُ عليهـا أن تُحَزَّ وتُكْلَما
فقلت لهـا قـد تِعْتِ غيرَ ذميمةٍ وأصبحَ وادِي البِرْكِ غَيْثاً مُدَيِّما[3]

قال فقلت له : يا عمّ ما كنتَ إلاّ على الريح ! فقال : يا ابن أخي إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعل ، وهي العَجاجة ، أما سمعتَ قول أخي بني مُرَّة[4] : [من المتقارب]

إذا أقبلَتْ قُلـتَ مَشْحُونـةٌ أقلَّتْ لهـا الريحُ قِلْعاً جَفُولا[5]
وإن أدبَرَتْ قلـتَ مَذعُورةٌ من الرُّمْـدِ تتبَعُ هَيقاً ذَمُولا[6]
وإن أعرضَتْ خالَ فيها البَصيـ ـرُ مـا لا يُكلِّفُـه أن يَفِيلا[7]
يَـداً سُرُحـاً مائرا ضَبْعُها تَسُوم وتَقْدُمُ رِجـلاً زَجُولا[8]
فمـرّت على كشبٍ غُـدوَةً ومرَّتْ فُوَيـقَ أُرِيكٍ أَصِيلا[9]
تُخَبِّـطُ بالليـلِ حِزَّانَـهُ كَخَبْطِ القَويِّ العزيزِ الذَّلِيلا[10]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني ابن أصبغ السلميّ قال : جاء إنسان يُغنّي إلى عيّاش المِنقريّ بالعقيق فجعل يُغنّيه قول أبي دَهبلٍ :

ألا عَلِقَ القلبُ المتيّمُ كَـلْـثَما

---

1 البزواء : موضع في طريق مكّة قرب الجحفة .
2 عليب : موضع بتهامة .
3 تعت في ل : بعت . وادي البرك : ناحية باليمن .
4 المقصود بشامة بن عمرو الغدير والأبيات من المفضلية العاشرة وبين الروايتين بعض اختلاف .
5 القلع : الشراع ، وفي ل : خلعا .
6 الرمد : جمع رمداء وهي النعامة التي فيها سواد مائل إلى الرمادي ، والهيق : ذكر النعام ، والذمول : المسرع .
7 يفيل : يخطىء .
8 الشطر الأول في ل : يدي سرح مائر ضبعها . ومائر ضبعها : أي سريعة حركة القوائم . وتسوم : تمرّ مرّاً سهلاً . والزجول : التي تدفع نفسها .
9 ل : بذي خشب ، وهو موضع قرب المدينة ، وكشب : جبل ممّا يلي حدود اليمن . أريك : جبل في بلاد بني مرّة ، وقيل سمّي بذلك لكثرة شجر الأراك فيه .
10 حزان (بكسر الحاء وضمّها) : جمع حزين وهو المكان الغليظ الصلب من الأرض .

وجعل يعيدُه فلمّا أكثر قال له عيّاش : كم تُنذِر بالعجوز عافاك الله ! اسم أمّي كلثم ، قال : وتسمعُ العجوز ، فقالت : لا والله ما كان بيني وبينه شيء .

قال : ومن غنائه[1] : [من البسيط]

أزرى بنا أنّنا شالَتْ نعامتُنا فخالَني دونه بل خِلتُه دوني

فإن تُصبكَ من الأيّام جائحةٌ لا نَبكِ منك على دنيا ولا دينِ

[وأوّل هذه الأبيات فيما أنشدناه عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب] .

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

لِيَ ابنُ عمٍّ على ما كان من خُلقٍ مختلفانِ فأَقلِيهِ ويَقْلِيني

لاهِ ابنُ عمِّكَ لا أفضلتَ في حَسَبٍ عَنِّي ولا أنتَ ديَّاني فتَخْزُوني

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثانيَ ثقيل بالوسطى .

وقد عجِبتُ وما في الدَّهرِ من عَجبٍ يَدٌ تَشُجُّ وأُخرى منك تَأسُوني

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

ارفَعْ ضَعِيفَكَ لا يُحِرْ بكَ ضَعْفُه يوماً فتدرِكَه العواقبُ قد نَما

يَجزِيك أو يُثْنِي عليك وإنّ مَنْ أثنى عليكَ بما فعلتَ فقد جَزى

عَروضه من الكامل ، الشعر لغَريض[2] اليهوديّ وهو السموألُ بن عادِياء ، وقيل إنّه لابنه سَعْيَة[3] بن غريض ، وقيل إنّه لزيد بن عمرو بن نُفَيلٍ ، وقيل إنّه لورَقَة بن نَوْفلٍ ، وقيل إنّه لزهير بن جَنابٍ ، وقيل إنّه لعامر بن المجنون الجَرْميّ الذي يقال له : مَدرَجُ الرّيح ، والصحيح أنّه لغَريض أو لابنه .

---

1 تقدّمت الأبيات في ترجمة ذي الإصبع العدواني .

2 ضبط غريض في المصادر المختلفة هكذا بالغين على وزن فعيل ، وبالعين على الوزن نفسه وعلى التصغير . وقول أبي الفرج إنّ غريض هو السموأل بن عادياء مستغرب ، فهو يذكر السموأل في ترجمته بأنّه ابن عُريض بن عاديا .

3 سعية بن غريض تسميه بعض المصادر سعنة بالنون (انظر الإصابة 3 : 94) ويقال شعية بالشين (المؤتلف : 211) .

26 ـ [خبر غريض اليهوديّ]

[نسبه وأصل قومه]

وغريضٌ هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران ﷺ ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجَّه جيشاً إلى العَماليق وكانوا قد طَغَوْا وبلغت غاراتُهم إلى الشام وأمرهم إن ظَفِروا بهم أن يقتلوهم أجمعين ، فظَفِروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابنٍ لملكِهم كان غلاماً جميلاً فرحِموه واستبقوه ، وقَدِموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه ؛ فقالوا : أنتم عصاةٌ لا تدخلون الشام علينا أبداً ، فأخرجوهم عنها . فقال بعضهم لبعض : ما لنا بلدٌ غيرُ البلد الذي ظفِرنا به وقتلنا أهلَه ؛ فرجعوا إلى يثرِب فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأَوْس والخَزرج إيّاها عند وقوع سَيل العَرِم باليمن ، فمن هؤلاء اليهودِ قُرَيظة والنَضيرُ وبنو قَيْنُقاع وغيرُهم ، ولم أجد لهم نسباً فأذكره لأنّهم ليسوا من العرب فتُدَوِّنَ العرب أنسابهم إنّما هم حلفاؤهم ، وقد شَرَحتُ أخبارهم وما يُغَنَّى به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيتُه أبو عبد الله ، وكان أبوه على المِيضأة بالمدينة فعُرِف بذلك ، وهو يسير الصناعة ليس ممّن خَدمَ الخلفاءَ ولا شُهِرَ عندهم شُهرة غيره . وهذا الغناء ماخوريّ بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر .

[نسب له شعر هو لورقة بن نوفل]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة قال :

ارفَعْ ضَعِيفَك لا يحُرْ بِكَ ضعفُه لغَريض اليهودي

[تمثّلت عائشة أمام رسول الله بشعر نزل بمعناه الوحي]

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا مؤمِّل بن عبد الرحمن الثَّقفيّ قال حدّثني سهل بن المغيرة عن الزُّهريّ عن عروة عن عائشة قالت : دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا أتمثّل بهذين البيتين : [من الكامل]

ارفَعْ ضعيفَك لا يحُرْ بك ضعفُه يوماً فتُدرِكَه العواقبُ قد نَما[1]

---

1 في نسبة هذين البيتين وتمثّل عائشة بهما وما قاله لها النبيّ ﷺ انظر الشعر والشعراء 296 والعقد 1 : 279 / 5 : 275 (لزهير بن جناب) وفيهما «فتدركه عواقب ما جنى» وفصل المقال : 207 (دون نسبة) والسمط : 206 وحماسة البحتري : 252 والخزانة 3 : 393 (ورقة بن نوفل) وروايتها جميعاً كراوية الأغاني : ومؤدى قول النبيّ لعائشة على اختلاف اللفظ أنّ من شكر الناس صنيعهم فقد كافأ ومن لم يشكرهم لم يشكر الله .

يَجْزِيكَ أو يُثني عليكَ وإنّ مَنْ أثنى عليكَ بما فعلْتَ فقد جَزى

فقال ﷺ : «رُدِّي عليّ قول اليهوديّ قاتله الله ؛ لقد أتاني جبريلُ برسالةٍ من ربّي : أيُّما رجل صنَع إلى أخيه صنيعةً فلم يجِد له جزاءً إلاّ الثناء عليه والدعاءَ له فقد كافأه» .

قال أبو زيد : وقد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل ، وقد ذكر الزبير بن بكّار أيضاً أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدةٍ أوّلها : [من الكامل]

رَحَلَتْ قُتيلَةُ عِيرَها قبلَ الضحى وإخالُ أن شَحَطَتْ بجارتِكَ النَّوى
أو كُلَّما رَحَلَتْ قُتيلَةُ غُدْوَةً وغَدَتْ مُفارِقَةً لأرضهمُ بكى
ولقد ركِبتُ على السَّفينِ مُلجِّجاً أَذرُ الصّديقَ وأنتحِي دارَ العِدا
ولقد دخلتُ البيتَ يُخشى أَهلُه بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندى
فوجدتُ فيه حُرّةً قد زُيِّنتْ بالحَلْي تحسَبُه بها جمرَ الغَضا
فنَعِمْتُ بالاً إذ أَتيتُ فِراشَها وسقَطتُ منها حين جِئتُ على هَوى
فلَتِلكَ لَذَّاتُ الشَّبابِ قَضَيتُها عَنّي فسائِلْ بعضهم ماذا قَضى
فرج الرَّباب فليس يؤدي فرجه لا حاجةً قَضَّى ولا ماءٍ بغى
فارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدرِكَه العواقبُ قد نَما
يَجْزِيكَ أو يُثْني عليك وإنّ مَنْ أثنى عليك بما فعلتَ فقد جَزى

[27] ـ ذكر ورقة بن نوفل ونسبه[1]

[نسبه]

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى بن قُصيّ ، وأمّه هند بنت أبي كثير بن عبد بن قُصَي . وهو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية وطلب الدِّين وقرأ الكتب وامتنع من أكل ذبائح الأوثان .

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

غيرِ ارفع ضعيفَكَ . . .

صوت

[من الكامل]

ولقد طرقتُ البيتَ يُخشى أهلُه بعد الهدوء وبعد ما سقطَ الندى
فوجدتُ فيه حُـرَّةً قـد زُيِّنَـتْ بِالحَلْي تحسَبُه بها جَمرَ الغَضا

الشعر لورقة بن نوفل ، والغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

أخبرنا الطُّوسيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الله بن مُعاذٍ عن مَعمرٍ عن الزُّهريّ عن عروة بن الزبير قال : سُئِلَ رسول الله ﷺ عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال : «قد رأيتُه في المنام كأنّ عليه ثياباً بيضاً فقد أظنّ أنّ لو كان من أهل النار لم أرَ عليه البياض» . قال الزبير وحدّثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزهريّ عن عائشة : أنّ خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبي ﷺ حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العُزَّى وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب[2] العِبرانيّ فيكتُب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عَمِيَ ، فقالت خديجة : أي ابن عمٍّ ، اسمع من ابن أخيك ؛ قال ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة : هذا الناموس الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى ؛ يا ليتني فيها جَذَع[3] ، ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجُك قومُك ؛ قال رسول الله ﷺ : «أَوَ مُخرِجيّ هم» قال ورقة : نعم ، لم يأت رجل قطُّ بمثلِ ما جئتَ به إلاّ عُودِيَ ، وإن يُدركني يومُكَ لأنصرنَّكَ نصراً مُؤزَّراً ، ثم لم يَنشبْ ورقةُ أن تُوُفِّيَ .

---

1 انظر سيرة ابن هشام 1 : 222 وما بعدها وخزانة الأدب : 3 : 389 وما بعدها وتاريخ الطبري 2 : 292 (أبو الفضل إبراهيم) .

2 الكتاب : مصدر أي الكتابة العبرانيّة .

3 جذع : شاب حدث .

[رأى بلالاً يعذّب لإسلامه فقال شعراً]

قال الزبير حدّثني عثمان عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال قال عروة : كان بِلالٌ لجاريةٍ من بني جُمَحٍ بن عمرو ، وكانوا يعذِّبونه برَمضاء مكّة ، يُلصِقون ظهرَه بالرَّمضاء ليُشرك بالله ؛ فيقول : أحدٌ أحدٌ ؛ فيمرّ عليه ورقة بن نوفل وهو على ذلك يقول : أحد أحد ، فيقول ورقة بن نوفل : أحَدٌ أحدٌ والله يا بلال ؛ والله لئن قتلتموه لاتّخذنّه حناناً[1] كأنّه يقول : لأَتَمسّحنّ به . وقال ورقة بن نوفل في ذلك[2] : [من البسيط]

لقد نَصَحتُ لأقوامٍ وقلتُ لهم ... أنا النذيرُ فلا يَغرُرْكُمُ أحَدُ
لا تَعبُدُنّ إلهاً غيرَ خالقكم ... فإن دَعَوْكم فقولوا بيننا حَدَدُ[3]
سُبحانَ ذي العرشِ سبحاناً نعوذ به ... وقبلُ قد سبّحَ الجوديُّ والجُمُدُ[4]
مُسَخَّرٌ كلُّ ما تحت السماءِ له ... لا ينبغي أن يُناوِي مُلكَهُ أحَدُ
لا شيءَ ممّا ترى تبقى بَشاشتُهُ ... يبقى الإله ويُودِي المالُ والوَلَدُ[5]
لم تُغْنِ عن هُرْمُزٍ يوماً خزائنُه ... والخُلْدَ قد حاولتْ عادٌ فما خَلَدُوا
ولا سليمانَ إذ دانَ الشُّعُوبُ له ... والجنُّ والإنسُ تَجْرِي بينها البُرُدُ[6]

[مدحه النبيّ ونهى عن سبّه]

قال الزبير حدّثني عمّي قال حدّثنا الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة : أنّ رسول الله ﷺ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه : «شَعَرتُ أنّي قد رأيتُ لوَرَقة جنّةً ، أو جنّتين» يشكّ هشام .

قال عروة : ونَهى رسول الله ﷺ عن سبّ ورقة .

وقال الزبير وحدّثني عمّي قال حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه : أنّ خديجة كانت تأتي ورقة بما يُخبرها رسول الله ﷺ أنّه يأتيه ، فيقول ورقة : لئن كان ما يقول حقّاً إنّه ليأتيه الناموس الأكبر ناموسُ عيسى بن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلاّ بثمن ، ولئن نَطَق وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنّ فيه لله بَلاءً حسناً .

---

1 لاتخذنه حناناً : لاتخذن قبره موضعاً للتبرّك وطلباً للرحمة . ويضعّف الخبر أنّ ورقة بن نوفل توفي قبل البعثة ولم يكن بلال قد تعرّض للعذاب .

2 الأبيات في الخزانة منسوبة إلى ورقة بن نوفل 3 : 389 مع اختلاف يسير في اللفظ والترتيب .

3 حدد : مانع .

4 الجمد : اسم جبل .

5 جعل هذا البيت في الخزانة آخراً .

6 البرد : جمع بريد وهو الرسول . وهذا البيت ممّا ينسب إلى أميّة بن الصلت ولزيد بن عمرو بن نفيل .

[28] ـ خبر زيد بن عمرو ونسبه[1]

[نسبه]

هو زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزاح بن عديّ بن كعب بن لُؤيّ بن غالب . وأمّه جَيْداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فَهْم . وكانت جيداء عند نُفَيل بن عبد العُزَّى فولدت له الخطّاب أبا عُمَر بن الخطّاب وعبدَنُهْم[2] ، ثم مات عنها نُفَيل فتزوّجها ابنه عمرو فولدت له زيداً ، وكان هذا نِكاحاً ينكحه أهل الجاهليّة .

[اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشاً]

وكان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان وامتنع من أكل ذبائحهم ، وكان يقول : يا معشرَ قريش ، أيُرسِل الله قَطْرَ السماء ويُنبت بَقْل الأرض ويَخلق السائمة فترعى فيه وتذبحوها لغيره ؟ والله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على دين إبراهيم غيري .

[إخراجه عن مكّة لمخالفته دين قريش]

أخبرنا الطُّوسيُّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعَب بن عبد الله ومحمد بن الضحّاك عن أبيه ، قالا : كان الخَطّاب بن نُفَيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكّة وجماعةٌ من قريش ومنعوه أن يدخُلها حين فارق أمرَ عبادة الأوثان ، وكان أشدّهم عليه الخَطّاب بن نُفَيل . وكان زيد بن عمرو إذا خلَص إلى البيت استقبله ثم قال[3] : لَبَّيْكَ حَقّاً حقّاً ؛ تَعَبُّداً ورِقّاً ؛ البِرَّ أرجو لا الخال ، وهل مُهَجِّرٌ كمن قال ! ثم يقول : [من مجزوء الكامل]

عُـدتُ بما عاذَ به إبراهِيمُ مُسْتَقْبِلَ الكعبةِ وهـو قائِمُ
يقولُ أنفِي لك عانٍ راغمُ مهما تُجَشِّمْنِي فإنّي جاشِمُ

ثم يسجد . قال محمد بن الضحّاك عن أبيه : [و] هو الذي يقول : [من الرجز]

لا هُـمّ إنّي حَـرَمٌ لا حِلَّـهْ وإنّ داري أوسط المَحَلَّـهْ
عند الصَّفا ليست بها مَضَلَّهْ

---

1 انظر ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل في سيرة ابن هشام 1 : 224–232 والخزانة 6 : 410–419 وكتب السير كالاستيعاب والإصابة .

2 عبد نهم : شيطان أو صنم لمزينة وبه سمّوا عبدنهم .

3 قارن بما جاء في سيرة ابن هشام 1 : 230 .

[شعره في ترك عبادة الأوثان]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنّها قالت : قال زيد بن عمرو بن نُفَيْل[1] : [من الوافر]

عزلتُ الجنَّ والجنَّانَ عنّي ... كذلك يفعل الجَلْدُ الصَّبُورُ
فلا العُزَّى أدِينُ ولا ابنَتَيْها ... ولا صَنَمَيْ بني غَنَمٍ أزورُ[2]
ولا هُبَلاً أدِينُ وكان رَبّاً ... لنا في الدهرِ إذ حلمي صغيرُ[3]
أربّاً واحداً أم ألفَ ربٍّ ... أدينُ إذا تُقُسِّمتِ الأُمورُ
ألم تعلَمْ بأنّ اللهَ أفنى ... رجالاً كان شأْنَهُمُ الفُجورُ
وأبقى آخرين ببرِّ قومٍ ... فيربو منهم الطفلُ الصغيرُ
وبينا المرء يَعْثُرُ ثابَ يوماً ... كما يتروّحُ الغُصنُ النَّضيرُ[4]

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نُفيل[5] : [من الطويل]

رَشَدتَ وأنعمتَ ابنَ عمرٍو وإنّما ... تَجَنَّبْتَ تَنُّوراً من النار حامِيا
بِدِينك ربّا ليس ربّ كَمِثلِه ... وتَرْكِكَ جنّانَ الجبالِ كما هيا
أقولُ إذا ما زُرتُ أرضاً مخوفةً ... حَنانَيْكَ لا تُظْهِرْ عليَّ الأعادِيا
حَنانَيْكَ إنّ الجنَّ كانت رجاءَهُمْ ... وأنت إلهي ربَّنا ورَجائيا
أدِينُ لربٍّ يستجيبُ ولا أُرى ... أُدِينُ لمن لا يسمع الدهرَ داعِيا
أقولُ إذا صلَّيْتُ في كلِّ بِيعةٍ ... تباركتَ قد أكثرتَ باسمك داعِيا

يقول : خلقتَ خَلْقاً كثيراً يدعُون باسمك .

[امتناعه عن ذبائح قريش]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله قال حدّثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن

---

1 هناك اختلاف كبير بين ما أثبته أبو الفرج وما جاء في سيرة ابن هشام 1 : 226–227 .
2 غنم في ل : طسم .
3 هبلاً في ل : غنماً .
4 ثاب في ل : ذات .
5 هذا رثاء ورقة لزيد كما جاء في السيرة 1 : 232 وينحصر التشابه بين النصين في أوّل بيتين أمّا الأبيات الأربعة الأخرى فمختلفة جدّاً .

أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة قال سمعتُ من أرضى يحدِّث : أنّ زيد بن عمرو كان يَعِيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها اللهُ وأنزل من السماء ماءً وأنبتَ لها من الأرض نباتاً ثم تذبحونها على غير اسم الله ؟ إنكاراً لذلك وإعظاماً له .

قال الزبير : وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله أنّه سمع عبد الله بن عمر يحدِّث عن رسول الله ﷺ : أنّه لَقيَ زيد بن عمرو بن نُفَيل بأسفل بَلْدَح ، وكان قبل أن ينزل على رسول الله ﷺ الوحيُ ، فقدّم إليه رسول الله ﷺ سُفْرة فيها لحم ، فأبى أن يأكل ، وقال : إنّي لا آكل إلاّ ما ذُكِر اسم الله عليه .

[اجتمع بالشام مع يهودي ونصرانيّ فسألهما عن الدّين واعتنق دين إبراهيم]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن موسى بن عُقبة عن سالم بن عبد الله قال ، قال موسى : لا أُراه إلاّ حدّثه عن عبد الله بن عمر : إنّ زيد بن عمرو خرج إلى الشام يسأل عن الدِّين ويتّبعه ، فلقي عالِماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال : لعلّي أدين بدينكم فأخبِرني بدينكم ؛ فقال اليهوديّ : إنّك لا تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من غضب الله ؛ فقال زيد بن عمرو : لا أفرّ إلاّ من غضب الله وما أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تَدُلّني على دين ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلَمه إلاّ أن يكون حَنِيفاً ؛ قال : وما الحَنيف ؟ قال : دين إبراهيم ؛ فخرج من عنده وتركه . فأتى عالِماً من علماء النَّصارى فقال له نحواً ممّا قال لليهوديّ ، فقال له النَّصرانيّ : إنّك لن تكون على ديننا حتّى تأخذ بنصيبك من لعنة الله ؛ فقال : إنّي لا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً وأنا أستطيع ، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا ؟ فقال له نحواً ممّا قاله اليهوديّ : لا أعلمه إلاّ أن تكون حنيفاً ؛ فخرج من عندهما وقد رضيَ بما أخبراه واتّفقا عليه من دين إبراهيم ، فلمّا بَرَز رفع يديه وقال : اللهمّ إنّي على دين إبراهيم .

[بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد قال قال هشام بن عُروة : بلَغنا أنّ زيد بن عمرو كان بالشام ، فلمّا بلَغه خبرُ النبيّ ﷺ أقبل يريده فقتله أهل مَيفعة[1] .

---

1 ل : ميقعة .

[قال عنه النبي يأتي يوم القيامة أُمّةً وحده]

قال الزبير وحدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال : سألت أنا وعمر بن الخطّاب رسول الله ﷺ عن زيد فقال : «يأتي يومَ القيامة أمّةً وَحْدَه» .

وأنشد محمد بن الضحّاك عن الحزاميّ عن أبيه لزيد بن عمرو[1] : [من المتقارب]

أسلمتُ وجهي لمن أسلمتْ ... له المُزْنُ تحمِل عَذْبا زُلالا
وأسلمتُ وجهِي لمن أسلمتْ ... له الأرضُ تَحمِل صَخْراً ثِقالا
دَحاها فلمّا استوتْ شَدّها ... سَواءً وأرسَى عليها الجِبالا

1 أبيات زيد هذه في سيرة ابن هشام 1 : 230 مع اختلاف في الترتيب .

29 ـ [خبر زهير بن جناب][1]

[زهير بن جناب وشعره في الكبر]

وأمّا زهير بن جَناب الكلبيّ فإنّه أحد المعمَّرين ، يقال : إنّه عُمِّر مائةً وخمسين سنة وهو ، فيما ذُكِر ، أحد الذين شرِبوا الخمر في الجاهليّة حتى قتلتهم ؛ وكان قد بلغ من السنّ الغاية التي ذكرناها ، فقال ذات يوم : إنّ الحيّ ظاعن . فقال عبد الله بن عُلَيم بن جناب : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال زهير : إنّ الحيّ مقيم ؛ فقال عبد الله : إنّ الحيّ ظاعن ؛ فقال : مَن هذا الذي يخالفني منذُ اليوم ؟ قيل : ابن أخيك عبد الله بن عُلَيم ؛ فقال : أوَ ما هاهنا أحدٌ يَنهاه عن ذلك ! قالوا : لا ، فغضب وقال : لا أُراني قد خولفت ، ثم دعا بالخمر فشربها صِرْفاً بغير مِزاج وعلى غير طعام حتّى قتلته . وهو الذي يقول في ذمّ الكِبَر وطول الحياة[2] : [من مجزوء الكامل]

المــوتُ خيــرٌ للفتى فلْيَهْلِكَــنْ وبــه بَقيّهْ
من أن يُرى الشّيخَ البجا لَ إذا تَهادى بالعشيّهْ[3]
أبَنيّ إن أهلِـكْ فقـد أورثتكـم مجـداً بَنيّهْ[4]
وتركتُكـم أبنـاءَ سا داتِ زِنادُكُـمُ وَرِيَّـهْ
بـل كلّ مـا نال الفتى قـد نلتُـه إلاّ التّحيّهْ[5]

[مدرج الريح][6]

[مدرج الريح وسبب هذه التسمية]

وأمّا مَدرَج الرِّيح فاسمه عامر بن المجنون الجَرْميّ ، وإنّما سمّي مدرجَ الريح بشعر قاله

---

1 ترجمة زهير بن جناب الكلبيّ في طبقات ابن سلام : 35 والشعر والشعراء : 294–297 والمؤتلف : 190 وسيترجم له أبو الفرج ترجمة أوفى في الأغاني فيما بعد .

2 ثلاثة من هذه الأبيات في الشعر والشعراء وثلاثة في المؤتلف . وقد وردت القصيدة كاملة في طبقات ابن سلام وسيوردها أبو الفرج في ترجمة زهير بن جناب فيما بعد .

3 البجال : الشيخ المبجل لكبره .

4 الشطر الثاني في رواية : «فإني قد بنيت لكم بنيه99» .

5 الطبقات والمؤتلف : «ولكل» وكذلك هي في ترجمة زهير في الأغاني . التحية : الملك ، وتعني أيضاً البقاء . قالوا إنّه يقصد هنا البقاء لأنّه كان ملكاً في قومه ، وذهب البغدادي في الخزانة 5 : 299 إلى أنّه يعني «الملك» وأنّ التحيّة أن يقال له «أبيت اللعن» التي لا تقال إلاّ للملوك .

6 لم نعثر على ترجمة له سوى سطر في الشعر والشعراء : 622 : «هو عامر بن المجنون ، من قضاعة ، وسمّي مدرج الريح لقوله . . .» .

في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ وأنّها تسكُن الهواء وتتراءى له ، وكان محمَّقاً ؛ وشعره هذا : [من الرمل]

صوت

لابنة الجنِّيّ في الجَوِّ طَلَلْ دارسُ الآياتِ عافٍ كالخَلَلْ
دَرَسَتْهُ الرّيحُ من بين صَبَاً وجَنوبٍ درَجتْ حِيناً وطَلّ

الغناء فيه لحُنين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وابن المكيّ ، وذكر حبش أنّه لمعبد ، وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن حُنين من خفيف الثّقيل الأوّل بالبِنصر . وأخبار عامر بن المجنون تُذْكَر في موضع آخرَ إن شاء الله تعالى[1] .

1 لم يفِ أبو الفرج بهذا الوعد .

30 ـ [سعية بن غريض][1]

[سعية بن غريض وشعره وهو يحتضر]

وأمّا سعية بن غَريض فقد كان ذُكِر خبرُ جدِّه[2] السَّموأل بن غريض بن عادِيا في موضع غير هذا . وكان سعية بن غريض شاعراً ، وهو الذي يقول لمّا حضرته الوفاة يرثي نفسه[3] : [من الكامل]

صوت

يا ليتَ شِعري حين يُذكَر صالحي ... ماذا تُؤبِّنُني به أنواحِي[4]
أيَقُلْنَ لا تبعَدْ ، فربّ كريهة ... فرّجتها ببشارة وسَماحِ[5]
وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سهّلتُها ... أُدعَى بأفلِحْ تارةً ونجاحِ[6]

غنّاه ابنُ سُريج ثاني ثقيل بالبِنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وأسلم سَعْيَة وعُمِّر عمراً طويلاً ، ويقال : إنّه مات في آخر خلافة معاوية .

[سعية بن غريض ومعاوية]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عَدِيّ قال : حجّ معاوية حجّتين في خلافته ، وكانت له ثلاثون بغلةً يحجّ عليها نساؤه وجواريه . قال : فحجّ في إحداهما فرأى شيخاً[7] يُصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان

---

1 ترجمته في طبقات ابن سلام (وانظر حاشية الأستاذ محمود محمد شاكر حول الاختلاف في اسمه واسم أبيه في المصادر المختلفة) والمؤتلف : 211 .

2 انظر أبو الفرج في القول إنّ السموأل جدّ سعية ، فهو في جميع المصادر أخوه ، وقد ذكر مرّة في الإصابة أنّه ابن أخي السموأل .

3 هذه الأبيات في طبقات ابن سلام .

4 أنواحي : النائحات عليّ .

5 ببشارة في الطبقات : بيسارة .

6 رواية الطبقات :

وإذا عمدت لصخرة أسهلتها ... أدعو بأفلحَ مرّة ورباحِ

وفي حاشية الأستاذ محمود شاكر أنّ أفلح ورباح كانا ، على الظنّ ، بطنين من قبائل اليهود ، وربّما كانا عبدين عنده لأنّ أفلح ورباح من أربعة أسماء نهى النبيّ ﷺ عن تسمية الرقيق بها .

7 ل : شخصاً .

أبيضان ، فقال : من هذا ؟ قالوا : سَعْيَة بن غَريض ، وكان من اليهود ، فأرسل إليه يدعوه ، فأتاه رسولُه فقال : أجِبْ أميرَ المؤمنين ؛ قال : أو ليس قد مات أميرُ المؤمنين ! قيل : فأجب معاوية ؛ فأتاه فلم يسلِّم عليه بالخلافة ؛ فقال له معاوية : ما فعلتْ أرضُك التي بتَيْماء ؟ قال : يُكسى منها العارِي ويُردّ فَضلُها على الجار ؛ قال : أفتبيعها ؟ قال : نعم ؛ قال : بكَمْ ؟ قال : بستّين ألفَ دينار ، ولولا خَلّة أصابت الحيّ لم أبِعها ؛ قال : لقد أغليت ؛ قال : أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تُبَل ! قال : أجل ، وإذ بخِلتَ بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي [به] نفسه ؛ فقال : قال أبي : [من الكامل]

يا ليتَ شِعري حين أُندَبُ هالكاً ... ماذا تُؤبّنُني به أنواحِي
أيقلن لا تبعَد ، فرُبّ كَريهة ... فرّجتُها بشجاعةٍ وسَماحِ
ولقد ضربتُ بفضل مالي حقَّه ... عند الشِّتاء وهَبَّة الأرواحِ
ولقد أخذتُ الحقَّ غير مخاصم ... ولقد رددتُ الحقَّ غيرَ مُلاحِي
وإذا دُعيتُ لصَعبةٍ سهّلتُها ... أُدعى بأفلِحْ مرّة ونَجاحِ

فقال : أنا كنتُ بهذا الشعر أولى من أبيك ؛ قال : كذبتَ ولَؤُمْتَ ؛ قال : أمّا كذبتُ فنَعَمْ ، وأمّا لَؤُمْتُ فَلِمَ ، قال : لأنّك كنتَ مَيّتَ الحقِّ في الجاهلية ومميِّتَه في الإسلام ، أمّا في الجاهليّة فقاتلتَ النبيَّ ﷺ والوَحِي حتى جعل الله عزّ وجلّ كيدَك المردود ، وأمّا في الإسلام فمنعتَ ولدَ رسول الله ﷺ الخلافة ، وما أنت وهي ؟ وأنتَ طَلِيقٌ ابن طَلِيقٍ[1] ! فقال معاوية : قد خَرِفَ الشيخ[2] فأقيموه ، فأُخِذَ بيده فأُقِيم .

وسَعية هذا هو الذي يقول : [من البسيط]

صوت

يا دارَ سُعْدى بأقصى تَلْعَةِ النَّعَمِ ... حُيِّيتِ داراً على الإقواء والقِدَمِ[3]
وما بِجِزْعِك إلاّ الوَحشُ ساكنةً ... وهامدٌ من رَمادِ القِدْرِ والحُمَمِ
عُجْنا فما كلَّمتْنا الدارُ إذ سُئِلَتْ ... وما بها عن جوابٍ خِلتُ من صَمَمِ

الشعر لسعية بن غريض ، والغناء لابن محرز ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البِنصر .

1 أي من الذين قال لهم النبيّ ﷺ يوم الفتح : اذهبوا فأنتم الطلقاء .
2 ل : الرجل .
3 تلعة النعم : موضع بالبادية .

[31] ـ أخبار ابن صاحب الوَضوء ونسبه

[نسبه]

اسمه محمد بن عبد الله ، ويُكنى أبا عبد الله ، مولى بني أميّة ، وهو من أهل المدينة ؛ وكان أبوه على مِيضَأَةِ المدينة فسُمّي صاحب الوَضوء . وهو قليل الصّنعة لم يذكُر له إسحاق إلاّ صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخُوريّ ، ولا ذكَر له غير إسحاق سواهما إلاّ ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصل له ، وفي كتاب حَبَش [الصينيّ] . وهو رجل لا يُحصِّل ما يقوله ويَرويه .

[مدح يونس الكاتب غناءه]

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه [عن] جدّه عن سِياط عن يونس الكاتب قال : غنّى ابن صاحب الوَضوء في شعر النابغة : [من الطويل]

خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حبالٍ مَتينةٍ تَمُدّ بهـا أيـدٍ إليكَ نَوازِعُ

وفي شعر بعض اليهود : [من الكامل]

ارفع ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدركَه العواقبُ قـد نَما

فأجاد فيهما ما شاء وأحسنَ غايةَ الإحسان ؛ فقيل له : ألا تزيد وتصنع شيئاً آخر ؟ فقال : لا والله حتى أرى غيري قد صنع مثلَ ما صنعتُ وأزْيد ، وإلاّ فحَسبي هذا .

[نقل أبو مسلمة لعبد الله بن عامر صوتاً فغنّاه في المحراب]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجَوهريّ وإسماعيل بن يونس الشيعيّ ، قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ ، قال ابن عمّار في خبره : وكان يسمَّى المبارك ، قال حدّثنا أبو مسلمة المَصّبَحيّ قال : قَدِم علينا أسود من أهل الكوفة فغنّى : [من الكامل]

ارفَعْ ضعيفَك لا يحرْ بك ضعفُه يوماً فتدركَه العواقبُ قـد نَما

قال : فمررت بعبد الله بن عامر الأسلميّ ، وكان يؤمّنا وهو قائم يصلّي الظهر ، فقلت له : قدِم علينا أسودُ من الكوفة يُغنّي كذا وكذا فأجاده ؛ فأشار إليّ بيده أن اجلس ؛ فلمّا قضى صلاته قال : أخذته عنه ؟ قلت : نعم ؛ قال : فأمِرَّهُ عليّ ، ففعلتُ ؛ قال : فلمّا كان بالليل صلّى بنا فأدّاه في المحراب .

صوت
من المائة المختارة التي رواها عليّ بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

يـا ليلَتـي تَزْدادُ نُكْـرا مِنْ حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرا
حَـوْراءُ إن نظرَتْ إليـ ـكَ سقَتْك بالعينين خَمْرا

الشعر لبشّار ، والغناء في اللحن المختار ليزيد حَوراء رملٌ بالبِنصر عن عمرو ويحيى المكيّ وإسحاق . وفيه لِسِياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو وإبراهيم المَوْصلِيّ .

[32] ـ أخبار بشّار بن برد ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مَهْرُويه عن غيلان الشّعوبيّ ، بَشّار بن بُرد بن يَرجُوخ بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزدكرد بن حسيس بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن ادريوس بن يستاسب بن لهراسف . قال : وكان يَرْجُوخ من طُخارُستان من سَبْيِ المُهَلَّب بن أبي صُفرة . ويُكنى بَشّار أبا معاذ . ومَحَلُّه في الشعر وتقدُّمه طبقات المحْدَثين فيه بإجماع الرُّواة ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه وإطالة ذكر محله . وهو من مُخَضْرَمي شعراء الدولتين العبّاسية والأُمَويّة ، وقد شُهِر فيهما ومَدَح وهَجا وأخذ سَنيّ الجوائز مع الشعراء .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حُمَيد بن سعِيد : كان بشّار من شعب ادريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك . قال : وهو بشّار بن برد بن بهمن بن أزدكرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز . قال : وكان يُكنى أبا مُعاذ .

[ولاؤه لبني عقيل]

وأخبرني يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ وغيرُهما عن الحسن بن عُلَيل العَنزيّ عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال : كان بشّار بن بُرْد بن يَرجوخ وأبوه بُرْدٌ من قِنّ خِيرةَ القُشَيريّة امرأة المهلّب بن أبي صُفرة ، وكان مُقيماً لها في ضيعتِها بالبصرة المعروفة «بخِيرَتان» مع عَبيدٍ لها وإماء ، فوهَبَتْ بُرداً بعد أن زوّجته لامرأةٍ من بني عُقَيل كانت متّصلة بها ، فولدت له امرأته وهو في مِلكِها بشاراً فأعتقته العُقيليّة .

وأخبرني محمد بن مَزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان بُردٌ أبو بشّارٍ مولى أُمِّ الظِّباء العُقيليّة السَّدوسيّة ، فادّعى بشّار أنّه مولى بني عُقَيل لنزوله فيهم .

---

1 ترجمة بشّار بن برد في الشعر والشعراء : 643–646 ونكت الهميان : 125 ومعاهد التنصيص 1 : 289 والموشح : 246 وتاريخ بغداد 7 : 112 وطبقات ابن المعتزّ : 21–31 ووفيات الأعيان 1 : 271–274 والسمط : 196 وانظر بروكلمان 2 : 13–17 وقد نشر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ثلاثة مجلّدات من ديوانه وصلت إلى حرف الراء وأتبعها جزءا رابعاً ضمنه ما جمعه من شعره وكذلك فعل محمد بدر الدين العلوي (ط . دار الثقافة ، بيروت) وإليه نشير . وقد نقل ابن حمدون قدراً كبيراً من أخباره في مواضع متفرّقة من التذكرة (انظر الفهرس) .

وأخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني رجلٌ من ولد بشّار يقال له حَمدان كان قَصّاراً بالبصرة ، قال : وَلاؤُنا لبني عُقَيلٍ ؛ فقلت : لأيّهم ؟ فقال : لبني ربيعة بن عُقَيلٍ .

وأخبرني وكيعٌ قال حدّثني سليمان المَدَنيّ قال قال أحمد بن معاوية الباهليّ : كان بشّار وأُمّه لرجل من الأزد ، فتزوّج امرأةً من بني عُقَيل ، فساق إليها بشّاراً وأُمّه في صَداقها ، وكان بشّار وُلِدَ مكفوفاً فأعتقته العُقيليّة .

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عليلٍ العنزيّ قال حدّثنا قعنَبُ بن المُحرِز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : باعتْ أُمّ بشّار بشّاراً على أُمّ الظِّباء السَّدوسيّة بدينارين فأعتقته . وأُمُّ الظباءِ امرأة أوس بن ثعلبة أحد بني تَيْم اللاّت بن ثعلبة ، وهو صاحب قصر أُوسٍ بالبصرة ؛ وكان أوس أحد فُرسان بَكْر بن وائلٍ بخُراسان .

[كان أبوه طياناً]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا محمد بن زيد العِجْليُّ قال أخبرني بَدْر بن مُزاحِم : أنّ بُرْداً أبا بشّار كان طَيَّاناً يَضرِب اللَّبِنَ ، وأراني أبي بيتين لنا فقال لي : لَبِنُ هذين البيتين من ضَرب بُردٍ أبي بشّار . فسمع هذه الحكاية حمّاد عَجْردٍ فهجاه فقال : [من الخفيف]

يا ابنَ بُردٍ إخْسَأْ إليكَ فمثلُ الـ ـكلبِ في الناسِ أنتَ لا الإنسانِ
بل لَعَمْرِي لأنتَ شرٌّ من الكلـ ـبِ وأولى منه بكلّ هَـوانِ
ولَرِيحُ الخنزيرِ أهونُ من رِيـ ـحِكَ يا ابن الطيّانِ ذِي التُّبَّانِ

[أنشد المهديّ شعراً في أنّه عجميّ بحضور أبي دلامة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الصَّلْتِ البَصْرِيّ عن أبي عدنان قال حدّثني يحيى بن الجَوْنِ العَبْدِيُّ راوِية بشّار قال : قال : لمّا دَخلتُ على المهديّ قال لي : فيمَن تَعتَدُّ يا بشّار ؟ فقلت : أمّا اللسان والزِّيّ فعربيّان ، وأمّا الأصل فعجميّ ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين[1] : [من المتقارب]

ونُبِّئتُ قومـاً بهم جنَّـةٌ يقولونَ مَـنْ ذا وكنتُ العَلَمْ
ألا أيُّها السائـلي جاهـداً لِيَعْرِفَنِـي أنـا أنـفُ الكَرَمْ

1 ديوان بشّار : 218 مع بعض اختلاف وقد أثبت جامعه القراءات المختلفة في المصادر المختلفة .

نَمَتْ في الكرامِ بَنِـي عامـرٍ فُروعِي وأَصْلِي قريشُ العَجَمْ
فإنّي لأُغْنـي مقـامَ الفتـى وأُصبي الفتـاةَ فمـا تَعتَصِمْ

قال : وكان أبو دُلامة حاضراً فقال : كلا ! لَوَجْهُك أقبح من ذلك ووجهي مع وجهك ؛ فقلت : كلاً ، والله ما رأيتُ رجلاً أصدقَ على نفسه وأكذب على جليسه منك ، والله إنّي لطويلُ القامة عظيمُ الهامة تامّ الألواح أسجحُ[1] الخدَّين ، ولرُبَّ مُسترخِي المذْرَوَين[2] للعين فيه مَرادٌ قد جلس من الفتاة حَجرةً وجلستُ منها حيث أُريد ، فأنتَ مثلي يا مَرْضَعان[3] ! قال : فسكت عنّي . ثم قال لي المهديّ : فمِن أيِّ العجم أصلُك ؟ فقلت : مِن أكثرها في الفُرسان ، وأشدِّها على الأقران ، أهل طُخارُستان ؛ فقال بعض القوم : أولئك الصُّغْدُ ؛ فقلت : لا ، الصُّغْدُ تِجارٌ ؛ فلم يَرُدُدْ ذلك المهديُّ .

[كان كثير التلوّن في ولائه للعرب مرّة وللعجم أُخرى]

وكان بشّار كثير التلوّن في ولائه ، شديد الشَّغْب والتعصُّب للعجم ، مرَّةً يقول يفتخر بولائه في قيس[4] : [من الوافر]

أَمِنْـتُ مَضَرَّةَ الفُحَشاء أنّي أَرى قيساً تَضُرُّ ولا تُضـارُ[5]
كأنّ الناسَ حـين تَغِيبُ عنهم نباتُ الأرضِ أخطأَهُ القِطارُ[6]
وقد كانـت بتَدْمُرَ خيلُ قيسٍ فكـان لِتَدْمُرٍ فيهـا دَمـارُ
بحيٍّ مـن بنـي عَيْلانَ شُوسٍ يَسيرُ الموتُ حيث يقالُ سارُوا
ومـا نَلقاهُـمُ إلاّ صَدَرْنـا بِـرِيٍّ منهـمُ وهُـمُ حِرارُ[7]

ومرَّةً يتبرَّأُ من وَلاء العرب فيقول[8] : [من الكامل]

أصبحتُ مولَى ذي الجلالِ وبعضُهمْ مولى العُرَيبِ فخذْ بفضلك فافخَرِ
مَولاكَ أكـرمُ مـن تميـمٍ كلِّهـا أهـلِ الفَعالِ ومـن قُريشِ المَشْعَرِ

1 أسجح الخدّين : سهلهما .
2 المذروان : طرف الاليتين ، يريد أنّه سمين يروق للعين .
3 مرضعان : لئيم .
4 ديوان بشّار : 110 .
5 الفحشاء : جمع فاحش وهو السيء الخلق . تضر في ل : تسب .
6 القطار : المطر .
7 حرار : شديدو العطش .
8 ديوان بشّار : 124 عن الأغاني .

فارجِعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدافَع سُبحانَ مَولاكَ الأجلِّ الأكبرِ

وقال يفتخِر بولاء بني عُقَيلٍ[1] : [من الخفيف]

إنّني من بني عُقَيلِ بنِ كعبٍ مَوضِعَ السّيفِ مِنْ طُلَى الأعناقِ

ويُكنى بشّار أبا مُعاذ ، ويُلقَّب بالمرَعَّثِ .

أخبرني عمّي ويحيى بن عليّ قالا حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم قال : بشّارٌ المرعَّثُ هو بشّار بن بُرد ، وإنّما سُمِّي المرعَّثَ بقوله[2] : [من مجزوء الخفيف]

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ ساحرُ الطَّرفِ والنَّظَرْ

لستَ واللهِ نائلي قلتُ أو يَغْلِبُ القَدَرْ

أنتَ إن رُمتَ وَصْلَنا فانجُ ، هل تُدْرِكُ القَمَرْ

قال أبو أيّوب : وقال لنا ابن سلاّمٍ مرّةً أُخرى : إنّما سُمّي بشّار المرعَّث ، لأنّه كان لقميصه جَيبان : جَيبٌ عن يمينه وجَيبٌ عن شماله ، فإذا أراد لُبسَه ضَمّه عليه من غير أن يُدخِل رأسه فيه ، وإذا أراد نزعَه حلَّ أزراره وخرج منه ، فشُبِّهت تلك الجيوب بالرِّعاث لاسترسالها وتَدَلِّيها ، وسُمِّي من أجلها المرعَّثَ .

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة : لُقِّبَ بشّارٌ بالمرَعَّثِ لأنّه كان في أُذنه وهو صغير رِعاثٌ . والرِّعاث : القِرَطَةُ ، واحدتها رَعْثَةٌ وجمعُها رِعاثٌ ، ورَعَثاتٌ . ورَعَثاتُ الديك : اللحم المتدلّي تحت حنكه ؛ قال الشاعر : [من الوافر]

سَقَيْتُ أبا المصرَّعِ إذ أتاني وذُو الرّعَثاتِ مُنتَصِبٌ يَصيحُ[3]

شراباً يهرُبُ الذِّبّانُ منه ويَلْثَغُ حين يشرَبه الفَصيحُ

قال : والرَّعث : الاسترسال والتساقط . فكأنّ اسم القِرَطَةِ اشتُقَّ منه .

[كان شديد التبرّم بالناس]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العنزيُّ قال حدّثنا محمد بن بدر العِجليّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يذكر أنّ بشّاراً كان من أشدّ الناس تبرُّماً بالناس ، وكان يقول : الحمد لله الذي ذهب ببصري ؛ فقيل له : ولِمَ يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : لئلاّ أرى مَن أُبغِضُ . وكان يلبس قميصاً له

1 ديوان بشّار : 168 .

2 ديوان بشّار : 140 .

3 المصرع في ل : المطرح .

لِبْنتان[1] ، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله ، فبذلك سُمّيَ المرعَّث .

[صفاته]

أخبرني هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعيّ قال حدّثنا قَعنَبُ بن مُحرِز عن الأصمعيّ قال : كان بشّارٌ ضَخماً ، عظيم الخَلق والوجه ، مَجدوراً ، طويلاً ، جاحظ المُقلتين[2] قد تغشّاهما لحمٌ أحمر ، فكان أقبح الناس عَمًى وأفظَعه مَنظراً ، وكان إذا أراد أن يُنشِد صفَّق بيديه وتنحنح وبصَق عن يمينه وشماله ثم يُنشد فيأتي بالعجب .

[وُلد أعمى وهجي بذلك]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلاّم قال : وُلِد بشّارٌ أعمى ، وهو الأكمه . وقال في تَصداق ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه : [من الطويل]

وعبدِي فَقا عينيكَ في الرِّحْمِ أَيرُه ... فجئتَ ولم تَعلَم لعينيكَ فاقِيا

أَأُمُّكَ يا بشّارُ كانت عفيفةً ؟ ... عليّ إذاً مَشي إلى البيتِ حافِيا

قال : ولم يزل بشّار منذ قال فيه هذين البيتين مُنكسِراً .

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : وُلِد بشّار أعمى فما نَظَر إلى الدنيا قطُّ ، وكان يُشبِّه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدِر البُصَراء أن يأتوا بمثله ؛ فقيل له يوماً وقد أنشد قوله : [من الطويل]

كأنّ مُثارَ النقعِ فوقَ رُؤوسنا ... وأسيافَنا ليلٌ تَهاوَى كواكبُهْ

ما قال أحدٌ أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم ترَ الدنيا قطّ ولا شيئاً فيها ؟ فقال : إنّ عدم النظر يُقَوّي ذكاءَ القلب ويقطع عنه الشغلَ بما يُنظَرُ إليه من الأشياء فيتوفّر حِسّه وتذكوِ قريحتُه ؛ ثم أنشدهم قوله[3] : [من الطويل]

عَمِيتُ جَنِيناً والذكاءُ من العَمَى ... فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلمِ مَوْئِلا

وغاضَ ضياءُ العينِ للعلمِ رافداً ... لِقلب إذا ما ضَيّعَ الناسُ حَصّلا

وشِعرٍ كنَوْرِ الروض لاءمتُ بينَه ... بقولٍ إذا ما أحزنَ الشعرُ أسهلا

أخبرنا هاشم قال حدّثنا العَنزيّ عن قَعنَب بن مُحرِز عن أبي عبد الله الشرادنيّ قال : كان بشّارٌ أعمى طويلاً ضخماً آدمَ مجدوراً .

---

1 اللبنة : بنيقة القميص .

2 ل : الحدقتين .

3 ديوان بشّار : 180 .

وأخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدِينيّ قال قال الحمرانيّ قالت لي عمّتي : زرتُ قرابةً لي في بني عُقَيْل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم يُنشِد[1] : [من الوافر]

مِـنَ المَفْتونِ بَشّارِ بن بُـرْدِ إلى شَيبانَ كَهْلِهِـمُ ومُـرْدِ
بأنّ فتاتَكـم سَلَبتْ فـؤادِي فنِصْفٌ عندها والنصفُ عندي

فسألت عنه فقيل لي : هذا بشّار .

[كان يقول أزرى بشعري الأذان]

أخبرني محمد بن يحيى الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التَّوَّزِيّ يقول : قال بشّار : أزرى بشعري الأذان . يقول : إنّه إسلاميّ .

[قال الشعر وهو ابن عشر سنين]

وأخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال أبو عبيدة : قال بشّار الشعرَ ولم يبلغ عشر سنين ، ثم بلغ الحُلُم وهو مَخْشِيٌّ مَعَرّةِ لِسانه .

[هجا جريراً فأعرض عنه استصغاراً له]

قال : وكان بشّار يقول : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي واستصغرني ، ولو أجابني لكنتُ أشعر الناس .

[كان الأصمعيّ يقول هو خاتمة الشعراء]

وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الأصمعيّ يقول : بشّارٌ خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضّلتُه على كثيرٍ منهم .

قال أبو زيد : كان راجزاً مُقَصِّداً .

[جودة نقده للشعر]

أخبرني أبو الحسن الأَسديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النَطّاح قال حدّثني أبو عبيدة : قال سمعت بشّاراً يقول وقد أُنْشِد في شعر الأعشى : [من البسيط]

وأنكَرَتْني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا

فأنكره ، وقال : هذا بيت مصنوع ما يُشبه كلام الأعشى ؛ فعَجِبتُ لذلك .

فلمّا كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالساً عند يونس ، فقال : حدّثني أبو عمرو ابن العلاء أنّه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى : [من البسيط]

---

1 ديوان بشّار : 142 .

وأنكرتْني وما كان الذي نكرتْ من الحوادثِ إلاّ الشيبَ والصلعا

فجعلت حينئذٍ أزداد عَجَباً من فِطنة بشّار وصحّة قريحته وجَودة نَقده للشعر .

[له اثنتا عشرة ألف قصيدة]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : قال بشّار : لي اثنا عَشَرَ ألف بيت عَين ؛ فقيل له : هذا ما لم يكن يَدّعيه أحدٌ قطُّ سواك ؛ فقال : لي اثنتا عشرة ألف قصيدة ، لَعَنها اللهُ ولعن قائلها إن لم يكن في كلّ واحدةٍ منها بيتٌ عينٌ .

[رأي أبي عبيدة فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال : قلتُ لأبي عبيدة : أمَروانُ عندك أشعر أم بشّار ؟ فقال : حَكَمَ بشّار لنفسه بالاستظهار أنّه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيِّد ، ولا يكون عدد الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة والإسلام هذا العدد ، وما أحسبهم بَرَّزُوا في مثلها ، ومروان أمدح للملوك .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال بشّار الشعر وله عشرُ سنين ، فما بلغ الحُلُمَ إلاّ وهو مَخْشيُّ مَعَرّة اللسان بالبَصرة . قال : وكان يقول : هَجَوت جريراً فاستصغرني وأعرض عنّي ، ولو أجابني لكنتُ أشعر أهل زماني .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويَهْ قال حدّثنا أبو العَواذل زكريّا بن هارون قال : قال بشّار : لي اثنا عشر ألف بيت جيّدة ؛ فقيل له : كيف ؟ قال : لي اثنتا عشرة ألف قصيدة ، أمّا في كلّ قصيدة منها بيت جيّد .

[كلام الجاحظ عنه]

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره : كان بشّار شاعراً خطيباً صاحب منثور ومزدوجٍ وسَجعٍ ورسائل ، وهو من المطبوعين أصحاب الإبداع والاختراع المفتنّين في الشعر القائلين في أكثر أجناسه وضروبه ؛ قال الشعرَ في حياة جرير وتَعَرَّض له ، وحُكي عنه أنّه قال : هجوتُ جريراً فأعرض عنّي ، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس .

[كان يدين بالرجعة ويكفر جميع الأمّة]

قال الجاحظ: وكان بَشّار يَدِين بالرَّجعة[1] ، ويُكَفِّر جميع الأمّة ، ويصوِّب رأي إبليس في تقديم النار على الطِّين ، وذكر ذلك في شعره فقال : [من البسيط]

الأرضُ مُظْلِمةٌ والنارُ مُشْرِقةٌ والنارُ معبودةٌ مذ كانتِ النارُ

1 الرجعة : القول بأنّ الميت يرجع إلى الدنيا ويكون فيها حيّاً كما كان ، وهو مذهب قوم من العرب في الجاهلية ومذهب طائفة من فرق المسلمين من أولي البدع والأهواء (اللسان) .

[هجا واصل بن عطاء فحثّ على قتله]

قال : وبلغه عن أبي حُذَيفة واصلِ بن عَطاء إنكارٌ لقوله وهَتْفٌ به ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

ما لي أُشايعُ غَزالاً لـه عُنُقٌ كعِقْنِق الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإنْ مثلا[2]
عُنْقَ الزَّرافةِ ما بالي وبالكُمُ تُكَفِّرُون رجالاً كَفَّرُوا رَجلا !

قال[3] : فلمّا تَتابع على واصلٍ منه ما يَشْهد على إلحاده خَطَب به واصلٌ ، وكان أَلْثغَ على الراء فكان يجتنبها في كلامه ، فقال : أَمَا لهذا الأعمى المُلْحِد ، أما لهذا المُشَنَّف المَكنيّ بأبي مُعاذ من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغِيلة سجيّةٌ من سَجايا الغالِية لدَسَسْتُ إليه من يَبْعَج بطنَه في جوف منزله أو في حفله[4] ، ثم كان لا يتولّى ذلك إلاّ عُقَيْلِيٌّ أو سَدُوسِيٌّ . فقال أبا مُعاذ ولم يقل بشّاراً ، وقال المُشَنَّفَ ولم يقل المُرَعّث ، وقال : من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة ، وقال : في منزله ولم يقل في داره ، وقال : يبعج بطنه ولم يقل يَبْقُر ، للّثغة التي كانت به في الرّاء .

قال : وكان واصلٌ قد بَلَغ من اقتداره على الكلام وتمكُّنه من العبارة أنْ حَذَفَ الراءَ من جميع كلامه وخُطَبه وجعل مكانَها ما يقوم مَقامها .

[هو أحد أصحاب الكلام الستّة]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدّثني أبو سهيل قال حدّثني سعيد بن سَلاّم قال : كان بالبصرة ستّةٌ من أصحاب الكلام : عمرو بن عُبَيد ، وواصل بن عطاء ، وبشّار الأعمى ، وصالح بن عبد القدُّوس ، وعبد الكريم بن أبي العوجاء ، ورجلٌ من الأَزد ، قال أبو أحمد : يعني جرير بن حازم ، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدِيّ ويختصمون عنده . فأمّا عمرو وواصلٌ فصارا إلى الاعتزال . وأمّا عبد الكريم وصالح فصحّحا التوبة . وأمّا بشّار فبقِي متحيِّراً مُخَلِّطاً . وأمّا الأَزدي فمال إلى قول السُّمَنِيّة[5] ، وهو مذهب من مذاهب الهند ، وبقي ظاهرُه على ما كان عليه . قال : فكان عبد الكريم يُفسد الأحداث ؛ فقال له عمرو بن عُبيد : قد بلَغني أنّك تخلو بالحدث من أحداثنا فتُفسده وتستزِلُّه وتُدخِله في دينك ،

1 ديوان بشّار : 181 .

2 الغزال : لقب واصل بن عطاء . قيل إنّه لقّب بذلك لأنّه كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين (انظر البيان والتبيين 1 : 33 تحقيق عبد السلام هارون) . النقنق : ذكر النعام . والدو : الفلاة .

3 انظر البيان والتبيين 1 : 16 .

4 الحفل : الجمع من الناس .

5 السُّمَنية : نسبة إلى سومنات في الهند ، وهم قوم دهريون يقولون بالتناسخ .

فإن خرجتَ من مصرنا وإلاّ قمتُ فيك مقاماً آتي فيه على نفسك ؛ فلحِق بالكوفة ، فدُلّ عليه محمد بن سليمان فقتَله وصلَبه بها . وله يقول بشّار[1] : [من الخفيف]

قلْ لعبد الكريم يا ابنَ أبي العَوْ ... جاء بعتَ الإسلامَ بالكفرِ موقا[2]
لا تصلّي ولا تصومُ فإن صُمـ ... ـتَ فبعضَ النّهار صوماً رَقيقا
لا تُبالِي إذا أصبتَ من الخمـ ... ـرِ عَتيقاً ألاّ تكون عَتِيقا
ليتَ شعري غداةَ حُلّيتَ في الجيـ ... ـدِ حَنيفاً حُلِّيت أم زنديقا
أنت ممّن يَدُور في لعنة اللـ ... ـهِ صديق لمن ينيك الصديقا

[رأي الأصمعي فيه وفي مروان بن أبي حفصة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرياشيّ قال : سئل الأصمعيّ عن بشّار ومروان أيّهما أشعر ؟ فقال : بشّار ؛ فسئل عن السبب في ذلك ، فقال : لأنّ مروان سلكَ طريقاً كثُر من يسلكه فلم يلحَق من تقدّمه ، وشركه فيه من كان في عصره ، وبشّار سلك طريقاً لم يُسلَك وأحسن فيه وتفرّد به ، وهو أكثر تصرّفاً وفنونَ شعرٍ وأغزرُ وأوسع بَديعاً ، ومروان لم يتجاوز مَذاهب الأوائل .

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العَنزيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ وقد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حَفصة ، فقال : وجَد أهلَ بغداد قد ختَموا به الشعراء وبشّار أحقٌّ بأن يَختِموهم به من مروان ؛ فقيل له : ولِمَ ؟ فقال : وكيف لا يكون كذلك وما كان مروان في حياة بشّار يقول شعراً حتّى يُصلحَه له بشّار ويُقَوِّمَه ! وهذا سَلْمٌ الخاسِرُ من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز ، وسلم مُعترف بأنّه تَبَعٌ لبشّار .

[مقارنته بامرىء القيس والقطامي]

أخبرني جحظة قال سمعت عليّ بن يحيى المُنجِّم يقول : سمعتُ مَن لا أُحصي من الرّواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداء في الجاهليّة امرؤ القيس حيث يقول :

ألا انعِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلل البالِي

وحيث يقول :

قِفا نبكِ من ذِكْرى حبيبٍ ومنزِلِ

1 ديوان بشّار : 167 عن الأغاني .
2 موقاً : حمقاً وغباوة .

وفي الإسلام القَطاميّ حيث يقول :

إنّا مُحيّـوكَ فاسلَـم أيُّها الطّللُ

ومن المُحدثين بشّار حيث يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أبى طَلَـلٌ بالجِزْع أن يتكلّما وماذا عليه لـو أجاب مُتيّما

وبالفرعِ آثـارٌ بقـينَ وباللِّوَى مَلاعـبُ لا يُعرَفْنَ إلاّ تَوهُّما

وفي هذين البيتين لابن المَكّي ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى من كتابه . وفيهما لابن جُؤذَرٍ رَمَلٌ .

[مقارنة بينه وبين مروان بن أبي حفصة]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأصمعيّ يُعجَب بشعر بشّار لكثرة فنونه وسعة تصرُّفه ، ويقول : كان مطبوعاً لا يُكلّف طَبْعه شيئاً متعذّراً لا كمن يقول البيت ويحكّكه أيّاماً . وكان يُشبِّه بَشّاراً بالأعشى والنّابغة الذُّبيانيّ ، ويشبِّه مروان بزهير والحُطَيئة ، ويقول : هو متكلِّف .

قال الكُرانيّ : قال أبو حاتم : وقلت لأبي زيد : أيّهما أشعرُ بشّارٌ أم مروان ؟ فقال : بشّار أشعر ، ومروان أكفر .

قال أبو حاتم : وسألت أبا زيد مرّة أُخرى عنهما فقال : مروان أَجَدُّ وبشّارٌ أَهْزلُ ؛ فحدّثت الأصمعيّ بذلك ؛ فقال : بشّارٌ يصلُحُ للجِدّ والهزل ، ومَروان لا يصلحُ إلاّ لأحدهما .

[كان شعره سيّاراً بين الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا نجمُ بن النَّطّاح قال : عَهدي بالبصرة وليس فيها غَزِلٌ ولا غَزِلةٌ إلاّ يَروِي من شعر بشّار ، ولا نائحةٌ ولا مُغنّيةٌ إلاّ تتكسَّب به ، ولا ذو شرفٍ إلاّ وهو يَهابه ويخاف مَعرّة لسانه .

[لم يأت في شعره بلفظ مستنكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن المبارك قال حدّثني أبي قال : قلتُ لبشّار : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلاّ وقد قال فيه شيئاً استنكرتْه العرب من ألفاظهم وشُكّ فيه ، وإنّه ليس في شعرك ما يُشكُّ فيه ؛ قال : ومن أين يأتيني الخطأ ؛ وُلِدتُ هاهنا ونشأتُ في حُجور ثمانين شَيخاً من فُصحاء بني عُقَيل ما فيهم أحدٌ يعرِف كلمة من الخطأ ، وإن دخلتُ إلى نسائهم فنساؤهم أفصحُ منهم ، وأيفعتُ

1 ديوان بشّار : 199 .

فأبديتُ[1] إلى أن أدركتُ ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟ .

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ وأحمد بن عبد العزيز ويحيى بن عليّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الأصمعيّ يقول : إنّ بشّاراً خاتمةُ الشعراء ، والله لولا أنّ أيّامه تأخّرتْ لفضّلتُه على كثير منهم .

[هو أوّل الشعراء في جملة من أغراض الشعر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو الفضل المَرْوَزِيّ[2] قال حدّثني قَعنَب بن المُحرِز الباهليّ قال قال الأصمعيّ : لَقِيَ أبو عمرو بن العَلاء بعض الرواة فقال له : يا أبا عمرو ، مَن أبدع الناس بيتاً ؟ قال : الذي يقول[3] : [من الرمل]

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أَنَمْ ونَفى عنّي الكَرى طيفٌ ألمّ
رَوِّحي عنّي قليلاً وآعلَمي أنّني يا عَبْدَ من لحمٍ ودَمْ

قال : فمَن أمدح الناس ؟ قال : الذي يقول[4] : [من الطويل]

لَمَستُ بكفّي كفّه أبتغي الغِنَى ولم أدرِ أنّ الجودَ من كفّه يُعْدِي
فلا أنا منه ما أفادَ ذوو الغِنَى أفدتُ وأعداني فأتلفتُ ما عِندي

قال : فمَنْ أهجَى الناس ؟ قال : الذي يقول[5] : [من الطويل]

رأيتُ السُّهيْلَيْن استوى الجودُ فيهما على بُعْد ذا من ذاك في حُكمِ حاكمِ
سُهَيلُ بن عثمانٍ يَجودُ بمالِهِ كما جادَ بالوَجْعا سُهَيلُ بن سالمِ[6]

قال : وهذه الأبيات كلُّها لبشّار .

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يُغنّى فيها صوت

[من الرمل]

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أَنَمْ ونفى عنّي الكرى طيفٌ ألمّ
وإذا قلتُ لها جُودِي لنا خرجتْ بالصَّمْت عن لا ونعَمْ
نَفسي يا عَبْدَ عنّي واعلمي أنّني يا عبدَ من لحمٍ ودمْ

---

1 أبديت : خرجت إلى البادية .
2 ل : المورودي .
3 ديوان بشّار : 211–212 وفي رواية «نفسي يا عبد . . .» .
4 ديوان بشّار : 88 .
5 ديوان بشّار : 207 .
6 الوجعا : الدبر .

إنَّ في بُـرْدَيَّ جسماً ناحِلاً لـو توكّـأتِ عليـه لانهدَمْ
ختَم الحـبُّ لهـا في عُنُقـي موضِعَ الخاتَمِ من أهـل الذِّمْ

غنّاه إبراهيم هزجاً بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ . وفيه لقعنب[1] الأسود خفيف ثقيلٍ . فأمّا الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدح الناس وأوّلها : [من الطويل]

لَمَسْتُ بكَفّي كفَّه أبتَغِي الغِنى

فإنّه ذكر أنّها لبشّار . وذكر الزبير بن بكّار أنّها لابن الخيّاط في المهديّ ، وذكر له فيها معه خبراً طويلاً قد ذكرته في أخبار ابن الخيّاط في هذا الكتاب .

[هجا صديقه ديسماً لأنّه يروي هجاءه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ الكسرويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال : كان بشّار كثير الوَلُوع بدَيسَم العَنزيّ وكان صديقاً له وهو مع ذلك يُكثِرُ هجاءه ، وكان ديسمٌ لا يزال يحفظ شيئاً من شعر حمّادٍ وأبي هشام الباهليّ في بشّار ؛ فبلغه ذلك فقال فيه[2] : [من الطويل]

أَدَيْسَمُ يا ابنَ الذئبِ من نَجْلِ زارِعٍ أَتَرْوِي هِجائي سادِراً غيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم : فأنشدْتُ أبا زيد هذا البيت وسألتُه ما يقول فيه ، فقال : لمن هذا الشعر ؟ فقلتُ : لبشّار يقوله في ديسم العَنزيّ ؛ فقال : قاتله الله ما أعلَمه بكلام العرب ! ثم قال : الدَّيسمُ : ولد الذئب من الكلبة ، ويقال للكلاب : أولاد زارعٍ . والعِسبار : ولدُ الضَّبُعِ من الذئب . والسِّمْعُ : ولد الذئب من الضَّبع . وتزعم العرب أن السِّمْعَ لا يموت حتف أنفِه ، وأنّه أسرع من الريح وإنّما هلاكُه بعَرَض من أعراض الدنيا .

[مزاحه مع حمدان الخرّاط]

أخبرنا حبيب بن نصرٍ المهلَّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان بالبصرة رجلٌ يقال له : حمدان الخرّاط ، فاتّخذ جاماً لإنسان كان بشّار عنده ، فسأله بشّارٌ أن يتّخذ له جاماً فيه صُوَرُ طيرٍ تطِيرُ ، فاتّخذه له وجاءه به ، فقال له : ما في هذا الجام ؟ فقال : صُوَرُ طيرٍ تطيرُ ؛ فقال له : قد كان ينبغي أن تتخذ فوق هذه الطير طائراً من الجوارح كأنّه يريد صيدها ، فإنّه كان أحسن ؛ قال : لم أعلم ؛ قال : بلى قد علمتَ[3] ، ولكن علِمت أنّي أعمى لا أُبصر شيئاً ! وتهدّده بالهجاء ، فقال له حمدان : لا تفعل فإنّك تندم ؛ قال : أَو تُهَدِّدُني أيضاً ! قال : نعم ؛ قال : فأيّ شيءٍ تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك ؟ قال : أُصَوِّرُكَ على باب داري بصورتك هذه وأجعلُ من

1 ل : لعثعث .
2 ديوان بشّار : 128 .
3 ل : عملت .

خلفك قِرداً يَنكِحُك حتى يراك الصادر والوارد ؛ فقال بشّار : اللّهمّ أَخْزه ، أنا أمازحُهُ وهو يأبى إلاّ الجِدَّ ! .

[مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى والحسن بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ قالوا : حدّثنا العنزيّ قال حدّثني جعفر بن محمد العدويّ عن محمد بن سلاّم قال حدّثني مَخْلَدٌ أبو سفيان قال : كان جرير بن المنذر السدوسيّ يُفاخر بشّاراً ؛ فقال فيه بشّار[1] : [من المتقارب]

أَمِثْلُ بَنِـي مُضَرٍ وائِـلٌ ... فَقَدتُكَ من فاخرٍ ما أَجَنّ
أفي النومِ هـذا أبـا مُنْذِرٍ ... فَخَيْراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ
رأيتُـكَ والفخرَ في مثلِها ... كعاجِنـةٍ غيرَ مـا تَطَّحِنْ

وقال يحيى في خبره : فحدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني عاصم[2] بن وهبٍ أبو شبلٍ الشاعر البُرْجُميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج السراداني قال : كنّا عند بشّار وعنده رجلٌ ينازعه في اليمانيّة والمُضَرِيّة إذ أذّن المؤذّن ، فقال له بشّار : رويداً ، تَفَهَّم هذا الكلام ؛ فلمّا قال : أشهدُ أنّ محمداً رسول الله ، قال له بشّار : أهذا الذي نُودِي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مُضر هو أم من صُداءٍ وعَكٍّ وحِمْيَر ؟ فسكت الرجل .

[نقده للشعر]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال أنشد[3] بشّار قول الشاعر[4] : [من الطويل]

وقد جَعل الأعداءُ ينتقِصُوننا ... وتطمَعُ فينا ألسُنٌ وعيونُ
ألا إنّما ليلى عَصا خَيزُرانةٍ ... إذا غمزُوها بالأكفّ تَلينُ

فقال : والله لو زعم أنّها عصا مُخّ أو عصا زُبْدٍ ، لقد كان جعلها جافيةً خَشِنَةً بعد أن جعلها عصاً ؛ ألا قال كما قلت[5] : [من الوافر]

ودَعْجاءِ المَحاجـر من مَعَدٍّ ... كأنّ حديثَها ثَمرُ الجِنانِ

---

1 ديوان بشّار : 244 .

2 ل : عصيم .

3 ل : أنشدنا .

4 انظر الخبر والشعر في الكامل للمبرد (الدالي) : 1018 وينسب البيت الأول لكثير (ديوانه : 176) . والثاني للمجنون بني عامر (ديوانه 264) ويردان دون نسبة في عدّة مصادر .

5 ديوان بشّار : 235 .

إذا قامت لِمشيتها تثنَّتْ كأنّ عظامَها من خَيْزُرانِ[1]

[اعتداده بنفسه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني محمد بن [صالح بن] الحجّاج قال : قلت لبشّار : إنّي أنشدت فلاناً قولك : [من الطويل]

إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصفُو مَشارِبُهْ

فقال لي : ما كنتُ أظنّه إلاّ لرجل كبير ؛ فقال لي بشّار : ويلك ؛ أفلا قلتَ له : هو والله لأكبر الجنِّ والإنسِ ! .

[وعدته امرأة واعتذرت فعاتبها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني أبو الشبل عن محمد بن الحجّاج قال : كان بشّار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته ، فوعدته بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلمّا لم تأته أرسل إليها يعاتبها ، فاعتذرت بمرض أصابها ؛ فكتب إليها بهذه الأبيات[2] : [من مجزوء الكامل]

يـا لَيْلَتي تَـزدادُ نُكْـراً مِن حُبِّ مَنْ أحببتُ بِكْرا
حَـوراءُ إن نظـرت إليـ ـكَ سقتكَ بالعينينِ خَمرا
وكأن رَجْـــعَ حديثِهـــا قِطَعُ الرياض كُسينَ زَهْرا
وكأنّ تحـــت لسانهـــا هاروتَ ينفُثُ فيه سِحْرا
وتَخالُ مـــا جمعَتْ عليـ ـــه ثيابَهـــا ذهبـاً وعِطْرا
وكأنّهـــا بَـــرْدُ الشرا بِ صَفا ووافق منك فِطْرا
جِنِّيَّـــــةٌ إنسيَّـــةٌ أو بـينَ ذاك أجـلُّ أمرا
وكفـــاك أنـّي لم أحِـطْ بشَكاةِ مَـنْ أحببتُ خُبرا
إلاّ مقالـــــةَ زائـــرٍ نَثَرَتْ لِيَ الأحـزانَ نثرا
مُتخشِّعاً تحـت الهـــوَى عشراً وتحت الموتِ عشرا

[كان إسحاق الموصليّ لا يعتدّ به ويفضل عليه مروان]

حدّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : كان إسحاق الموصليّ لا يَعتدُّ ببشّارٍ ويقول : هو كثير التخليط في شعره ، وأشعاره مختلفةٌ ، لا يُشبِه بعضها بعضاً ؛ أليس هو

1 لمشيتها في ل والديوان : لسبحتها ، والسبحة : صلاة التطوع والنافلة وفي رواية أُخرى «لحاجتها» .
2 ديوان بشّار : 118–119 .

القائل[1] : [من مجزوء الرمل]

إنّما عَظْمُ سُلَيمى حِبَّتـــي قَصَبُ السُّكَّرِ لا عَظْمُ الجمَلْ[2]
وإذا أدْنَيــتَ منهـــا بصَـلاً غلبَ المِسكُ على ريح البصَلْ[3]

لو قال كلّ شيء جيّدٍ ثم أُضيفَ إلى هذا لزيَّفَهُ . قال : وكان يقدِّم عليه مروان ويقول : هذا هو أشدّ استواء شعرٍ منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ، وكان لا يعُدُّ أبا نوّاس ألبتّة ولا يرى فيه خيراً .

[أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور ولمّا قتل غيرها وجعلها في هجو أبي مسلم]

حدّثنا محمد بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيْميّ قال : دخل بشّار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدةً يهجو فيها المنصور ويُشير عليه برأيٍ يستعمله في أمره ، فلمّا قُتِلَ إبراهيم خاف بشّارٌ ، فقلب الكنية ، وأظهر أنّه كان قالها في أبي مُسلم وحذف منها أبياتاً وأوّلها[4] : [من الطويل]

أبا جعفرٍ مـا طولُ عيشٍ بدائمٍ ولا سالمٌ عمَّـا قَلِيـلٍ بسالِمِ

قلب هذا البيت فقال : «أبا مسلمٍ» . [من الطويل]

على المَلكِ الجَبّارِ يَقتحِمُ الردى ويصرَعُـه في المأزِقِ المتلاحِمِ
كأنّك لم تَسمَعْ بقتـل مُتوَّجٍ عظيم ولم تسمع بفَتكِ الأعاجِمِ
تَقَسَّمَ كِسرى رهطُه بسيوفهم وأمسى أبو العبّاسِ أحلامَ نائِمِ

يعني الوليد بن يزيد :

وقد كان لا يَخْشى انقلابَ مكيدةٍ عليـه ولا جَـرْيَ النُّحوسِ الأشائِمِ
مُقيماً على اللذّاتِ حتى بَدَتْ له وجـوهُ المنايـا حاسِراتِ العمائمِ
وقـد تَـرِدُ الأيـامُ غُـرّاً وربَّما وَرَدْنَ كُلُوحاً بادِيـاتِ الشَّكائِمِ
ومَرْوانُ قد دارَتْ على رأسه الرحى وكان لِما أجرمْتَ نَزْرَ الجرائِمِ[5]
فأصبحتَ تجري سادراً في طريقهم ولا تَتَّقِـي أشبـاهَ تلـكَ النقائِمِ

1 ديوان بشّار : 192 .
2 حبَّتي في ل : خلّتي .
3 أدنيت في ل : قربت .
4 ديوان بشّار : 204-206 .
5 يقصد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أميّة .

تجـرَّدتَ لِلإسلامِ تَعفُـو سبيلَه وتُعْرِي مَطـاهُ لِلُّيوثِ الضَّراغِمِ[1]
فما زِلتَ حتى استنصرَ الدينُ أهلَه عليكَ فعـاذُوا بالسّيوفِ الصوارمِ
فَرُمْ وَزَراً يُنْجِيكَ يـا ابن سَلامةٍ فلستَ بِنـاجٍ من مَضِيم وضائِمِ

جعل موضع «يا ابن سلامة» «يا ابن وشيكة» وهي أمّ أبي مسلمٍ .

لَحـا الله قومـاً رأَّسُوكَ عليهمُ وما زِلتَ مَرْؤوساً خبيثَ المطاعِمِ
أَقُـولُ لِبَسَّامٍ عليـه جَلالَـةٌ غَـدا أَرْيَحِيّـاً عاشِقاً للمكارمِ
مـن الفاطمِيّينَ الدُّعاةِ إلى الهدَى جِهاراً ومَنْ يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ فاطمِ

هذا البيت الذي خافه وحذفه بشارٌ من الأبيات .

سِراجٌ لعـين المستضِيءِ وتـارَةً يكـون ظَلاماً للعـدوِّ المزاحِمِ
إذا بلَـغَ الرأيُ المَشُورةَ فاستعِنْ بـرَأْيِ نَصِيح أو نَصِيحةِ حازمِ
ولا تجعَلِ الشُّورى عليكَ غضاضَةً فـإنّ الخـوافي قُـوّةٌ للقَوادِمِ
وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها ومـا خيرُ سَيـفٍ لم يُؤَيَّدْ بقائِمِ
وخَـلِّ الهُوَينا للضَّعيف ولا تكُنْ نَؤُومـاً فـإن الحَزْمَ ليس بنائِمِ
وحارِبْ إذا لم تُعـطَ إلاّ ظُلامةً شَبا الحربِ خيرٌ من قَبُولِ المظالِمِ

قال محمد بن يحيى : فحدّثني الفضل بن الحُباب قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول سمعت أبا عبيدة يقول : ميمِيَّةُ بشّارٍ هذه أحبّ إليّ من ميميَّتَيْ جريرٍ والفرزدق .

[حديث بشّار في المشورة]

قال محمد : وحدّثني ابن الرِّياشيّ قال حدّثني أبي قال : قال الأصمعيّ قلت لبشّار : يا أبا معاذ ، إنّ الناس يَعجَبُونَ من أبياتك في المشورة ؛ فقال لي : يا أبا سعيد ، إنّ المُشاوِرَ بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يُشارك في مكروهه ؛ فقلت له : أنت والله في قولِكَ هذا أشعرُ منكَ في شعرك .

[بشّار والمعلّى بن طريف]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الفَضْلُ بن محمد اليزيديّ عن إسحاق وحدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال : كان بشّار جالساً في دار المهديّ والناس ينتظرون الإذن ، فقال بعض موالي المهديّ لمن حضر : ما عندكم في قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَأَوْحى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبالِ بُيُوتاً ومِنَ الشَّجَرِ﴾ فقال له بشّار : النّحلُ التي يعرفها الناس ؛

1 تعفو : تمحو . المطى : كظهر .

قال : هيهات يا أبا معاذٍ ، النحل : بنو هاشم ، وقوله : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِها شَرابٌ مُختَلِفٌ أَلْوانُهُ فِيهِ شِفاءٌ لِلنَّاس﴾ يعني العلم ؛ فقال له بشّار : أَراني اللهُ طعامَكَ وشرابَكَ وشِفاءَكَ فيما يخرجُ من بطون بني هاشم ، فقد أوسَعْتَنا غَثاثَةً ؛ فغَضِبَ وشتَم بشّاراً ؛ وبلغ المهديَّ الخبرُ فدعا بهما فسألهما عن القصّة ، فحدّثه بَشّار بها ؛ فضحِك حتى أمسك على بطنه ، ثم قال للرجل : أَجَلْ ! فجعل الله طعامك وشرابك ممّا يخرج من بطون بني هاشم ، فإنّك بارِدٌ غَثٌّ . وقال محمد بن مَزيَد في خبره : إنّ الذي خاطبَ بشّاراً بهذه الحكاية وأجابه عنها من موالي المهديّ المُعَلَّى بن طَريفٍ .

[بشّار ويزيد بن منصور الحميري]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل يزيد بن منصور الحِمْيَرِيّ على المهديّ وبشّار بين يديه يُنشده قصيدةً امتدحه بها ، فلمّا فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحِميريّ ، وكانت فيه غفلةٌ ، فقال له : يا شيخ ، ما صناعتك ؟ فقال : أَثقُبُ اللؤلؤ ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشّار : أُعْزُبْ ويلك ؛ أَتتنادَرُ على خالي ! فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخاً أعمى يُنشِد الخليفة شِعراً ويسأله عن صناعته ! .

[ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال : وقف على بشّار بعض المُجّان وهو ينشد شعراً ؛ فقال له : اسْتُر شِعرَكَ هذا كما تستُر عورَتَك ؛ فصفَّق بشّار بيديه وغضب وقال له : مَن أنت ويلك ؟ قال : أنا أعزّك الله رجل من باهلة ، وأخوالي من سَلُول ، وأصهاري عُكْل ، واسمي كلبٌ ، ومولدي بأُضاخ[1] ، ومنزلي بنهر بلال[2] ؛ فضحك بشّار ثم قال : اذهب ويلك ؛ فأنت عتيق لؤمِك ، قد علم الله أنّك استترتَ منّي بحصونٍ من حديد .

[وصف قاص قصراً كبيراً في الجنّة فعابه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني الفضل بن سعيد قال حدّثني أبي قال : مرّ بشّار بقاصٍّ بالبصرة[3] فسمعه يقول في قصصه : مَن صام رجباً وشعبان ورمضان بنى الله له قصراً في الجنّة صحنُه ألف فرسخ في مثلها وعُلْوُه ألف فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصِرِه عشرة فراسخ في مثلها ، قال : فالتفت بشّارٌ إلى قائده فقال : بئست والله الدار هذه في كانون الثاني .

---

1 أضاخ : قرية من قرى اليمامة .

2 نهر بلال : نهر بالبصرة حفره بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري .

3 ل : بالمدينة .

[سمع صخباً في الجيران فقال كأن القيامة قامت]

قال الفضل بن سعيد وحدّثني رجلٌ من أهل البصرة ممّن كان يتزوّج بالنّهاريّات قال : تزوّجت امرأةً منهنّ فاجتمعت معها في عُلْوِ بيتٍ وبشّار تحتنا ، أو كنّا في أسفل البيت وبشّار في عُلْوة مع امرأةٍ ، فنهقَ حمارٌ في الطريق فأجابه حمار في الجيران وحمار في الدار فارتجّت الناحية بنهيقها ، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يَدُقّها بها دقّاً شديداً فسمعتُ بشّاراً يقول للمرأة : نُفِخَ ، يعلم الله ، في الصُّورِ وقامتِ القيامة أما تسمعين كيف يُدَقُّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها ! قال : ولم يلبث أن فَزِعَتْ شاةٌ كانت في السطح فقطعت حبلَها وعَدَت فألقت طبقاً وغَضارةً[1] إلى الدار فانكسرا ، وتطاير حمامٌ ودجاج كنّ في الدار لصوت الغضارة وبكى صبيٌّ في الدار ؛ فقال بشّار : صحَّ والله الخبر ونُشِرِ أهلُ القبور من قبورهم أُزِفَتِ ، يشهد الله ، الآزفة وزُلزِلَتِ الأرضُ زِلزالها ، فعجِبتُ من كلامه وغاظني ذلك ؛ فسألت من المتكلّم ؟ فقيل لي : بشّار ، فقلت : قد علمتُ أنّه لا يتكلّم بمثل هذا غير بشّار .

[نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار قال حدّثني قُدامة بن نوح قال : مرّ بشّارٌ برجل قد رمحَته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكراً ، فقال له بشّار : استَزِدْه يَزِدْكَ .

[ما لهم مسرعين بالميت ؟]

قال : ومرّ به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها ، فقال : ما لهم مسرعين ؛ أتُراهم سرقوه فهم يخافون أن يُلحَقوا فيؤخذ منهم ؟ .

[مات ابن له فرثاه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب ، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جُمهور ، قالا : توفّي ابن لبشّار فجزِع عليه ؛ فقيل له : أجرٌ قدّمتَه ، وفَرَطٌ افترطتَه ، وذُخْرٌ أحرزته ، فقال : ولدٌ دفنته ، وثكلٌ تعجّلته ، وغيبٌ وُعِدتُه فانتظرته ؛ والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرحُ للزيادة . وقال يرثيه[2] : [من الطويل]

أَجارَتَنــا لا تَجْزَعِــي وأنِيبِي ... أتاني مــن المــوت المُطلِّ نَصِيبِي

بُنَيِّي على رَغْمِي وسُخْطِي رُزِئْتُه ... وبُــدِّلَ أحجاراً وجــالَ قليبِ[3]

1 الغضارة : القصعة الكبيرة .

2 ديوان بشار : 33–34 .

3 جال : جانب ، والقليب : البئر .

وكان كرَيحانِ الغصونِ تَخالُه ذَوى بعد إشراقٍ يَسُرُّ وطِيبِ[1]
أُصيبَ بُنَيِّي حين أورَقَ غُصنُه وأَلقى عليّ الهَمَّ كُلُّ قَريبِ
عَجِبتُ لإسراعِ المنيّةِ نحوَه وما كان لو مُلِّيتُهُ بعَجِيبِ[2]

[نوادره]

أخبرني يحيى بن عليّ قال ذكر عافيةُ بن شبيب عن أبي عثمان اللّيثيّ ، وحدّثني به الحسن بن عليّ عن ابن مهرويَه عن أبي مسلم ، قالا : رفع غلام بشّارٍ إليه في حساب نفقته جِلاءَ مرآةٍ عشرة دراهم ، فصاح به بشّار وقال : والله ما في الدنيا أعجبُ من جِلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدقَتْ عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة مَن يجلوها عشرة دراهم .

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ قال حدّثنا أبو معاذ النُّميريّ قال : قلت لبشّار : لِمَ مَدحتَ يزيد بن حاتم ثم هجوته ؟ قال : سألني أن أنيكَه فلم أفعل ؛ فضحكتُ ثم قلت : فهو كان ينبغي له أن يغضب ، فما موضع الهجاء ؟ فقال : أظنّك تُحِبّ أن تكون شريكَه ؛ فقلت : أعوذ بالله من ذلك ويلَك !

[سئل عن شعره الغث فأجاب]

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثنا أحمد بن خَلاّد ، وأخبرنا يحيى بن عليّ ومحمد بن عِمران الصَّيرفيّ ، قالا حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خلاّد قال حدّثني أبي قال قلت لبشّار : إنّك لَتجيءُ بالشيءِ الهَجِين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قال قلت : بينما تقول شعراً تُثير به النقع وتخلع به القلوب ، مثل قولك[3] : [من الطويل]

إذا ما غَضِبنا غَضْبَةً مُضَرِيّةً هَتكنا حِجابَ الشمس أو تُمْطِرَ الدَما
إذا ما أعَرْنا سَيِّداً من قبيلةٍ ذُرى مِنْبرٍ صلَّى علينا وسَلَّما

تقول[4] : [من الهزج]

رَبابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصُبُّ الخلَّ في الزَّيْتِ
لها عَشْرُ دَجاجاتٍ ودِيكٌ حَسَنُ الصّوتِ

فقال : لكُلٍّ وجهٌ وموضعٌ ، فالقولُ الأوّل جِدٌّ ، وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا آكلُ البيض من السُّوق ، وربابة هذه لها عشر دجاجاتٍ وديكٌ فهي تجمع لي البيض وتحفظه عندها ،

1 الغصون في ل : العروس .
2 مليته : متعت به .
3 ديوان بشّار : 199 .
4 ديوان بشّار : 52 .

فهذا عندها من قولي أحسن من : [من الطويل]

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حبيبٍ ومَنزِلِ

عندكَ .

[كان يحشو شعره تكميلاً للقافية]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن محمد جِدار قال حدّثني قُدامة بن نوح قال : كان بشّار يحشو شِعرَه إذا أعوزَته القافية والمعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنّه أنشد يوماً شعراً له فقال فيه :

غَنِّني للغَريض يـا ابنَ قنانِ

فقيل له : مَن ابن قنان هذا ، لسنا نعرفه من مُغَنّي البصرة ؟ قال : وما عليكم منه ! ألكم قِبَلَهُ دَينٌ فتطالبوه به ، أو ثأرٌ تريدون أن تُدرِكوه ، أو كَفَلتُ لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء من هذا ، وإنّما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل يُغنّي لي ولا يخرج من بيتي ؛ فقالوا له : إلى متى ؟ قال : مُذ يومَ وُلِد وإلى يوم يموت . قال : وأنشدها أيضاً في هذه القصيدة :

. . . . . ووافا ني هـلالُ السمـاء في البردانِ

فقلنا : يا أبا معاذ . أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة ، فقال : هو بيت في بيتي سمّيته البردان ، أفعليكم من تسميتي داري وبيوتها شيء فتسألوني عنه ؟ .

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسّان دَماذ ، واسمه رفيع بن سلَمَة ، قال حدّثني يحيى بن الجَوْنِ العبديّ راوية بشّار قال : كنّا عند بشّار يوماً فأنشدنا قوله[1] : [من المتقارب]

وجاريةٍ خُلِقَـتْ وحدَهـا كأنّ النساءَ لديْهـا خَدَمْ
دُوار العـذارَى إذا زُرْنَـها أطَفْنَ بحَوْراءَ مثـلِ الصَنَمْ[2]
ظَمِئتُ إليهـا فلم تَسْقِني بِرِيٍّ ولم تَشْفِني من سَقَمْ
وقالت هَوِيتَ فمتْ راشِداً كما مـات عُروةُ[3] غمّاً بغَمّ
فلمّا رأيـتُ الهـوى قاتلي ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَمّ
دَسَسْتُ إليهـا أبا مِجْلَزٍ وأيّ فتىً إن أصابَ اعتَزَمْ

1 ديوان بشار : 214-216 .

2 دوار : اسم صنم كانت العرب تدور حوله .

3 هو عروة بن حزام صاحب عفراء .

فمـا زال حتى أنابتْ لـه فراح وحلَّ لنـا مـا حَرُمْ

فقال له رجل : ومَن أبو مجْلزٍ هذا يا أبا مُعاذٍ ؟ قال : وما حاجتك إليه ؟ لك عليه دينٌ أو تطالبه بطائلةٍ[1] ! هو رجل يتردّد بيني وبين معارفي في رسائل . قال : وكان كثيراً ما يحشُو شعرَه بمثل هذا .

[شعره في قينة]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كانت بالبصرة قينةٌ لبعض ولد سليمان بن عليّ وكانت مُحسنة بارعة الظَّرف ، وكان بشّار صديقاً لسيِّدها ومَدّاحاً له ، فحضر مجلسه يوماً والجارية تغنّي ؛ فَسُرَّ بحضوره وشَرِب حتى سكِر ونام ، ونهض بشّار ؛ فقالت : يا أبا معاذ ، أُحبّ أن تذكر يومنا هذا في قصيدة ولا تذكر فيها اسمي ولا اسم سيّدي وتكتب بها إليه ؛ فانصرف وكتب إليه[2] : [من البسيط]

وذاتِ دَلٍّ كأن البدرَ صُورَتُها باتَتْ تُغنّي عميدَ القلبِ سكرانا
(إنّ العيونَ التي في طَرْفِها حَوَرٌ قَتَلْننا ثم لم يُحيِينَ قتلانا)
فقلتُ أَحسَنْتِ يا سَوْلِي ويا أملي فأسمِعِيني جزاكِ اللهُ إحسانا :
(يا حبّذا جبلُ الرَّيانِ من جبلٍ وحبّذا ساكنُ الريّانِ مَنْ كانا)
قالت فهلاّ فدَتكَ النفسُ أحسن مِنْ هذا لِمَنْ كان صبَّ القلبِ حَيرانا :
(يا قوم أُذْني لبعض الحيِّ عاشِقَةٌ والأذن تَعشَقُ قبل العين أحيانا)
فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً أضرَمْتِ في القلبِ والأحشاءِ نِيرانا
فأسمِعينيَ صَوتاً مُطرِباً هَزَجاً يزيدُ صَبّاً مُحِبّاً فيكِ أشجانا
يا ليتني كنتُ تُفّاحاً مُفَلَّجةً أو كنتُ من قُضبِ الريحان رَيحانا
حتى إذا وَجَدَتْ رِيحِي فأعجبَها ونحنُ في خَلوةٍ مُثِّلْتُ إنسانا
فحرّكَتْ عُودَها ثم انثنَتْ طَرَباً تَشْدُو به ثم لا تُخفِيه كِتمانا :
(أصبَحْتُ أطوعَ خَلقِ اللهِ كُلِّهِمِ لأكثرِ الخلق لِي في الحبِّ عِصيانا)

1 طائلة : ذحل أو ثأر .

2 ديوان بشّار : 223–225 والأبيات التي بين قوسين هي التي فيها الغناء وأوّل اثنين منها من قصيدة جرير التي مطلعها (ص 490 ، ط . دار صادر) :

بان الخليط ولو طوّعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

فقلتُ أطربْتِنا يـا زَيْنَ مجلِسَنا فهـاتِ إنـكِ بالإحسانِ أولانا
لـو كنـتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتُلُني أعددتُ لي قبل أن ألقاكِ أكفانا
فغنَّتِ الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنِقاً رَمَلاً يُذْكِي السّرورَ ويُبْكِي العينَ ألوانا :
(لا يَقتُلُ اللهُ مَـنْ دامَـتْ مَوَدّتُهُ واللهُ يقتُـلُ أهـلَ الغَـدْرِ أحيانا)

ووجّه بالأبيات إليها ، فبعث إليه سيّدُها بألفَيْ دينار وسُرَّ بها سروراً شديداً .

[أغضبه أعرابيّ عند مجزأة بن ثور فهجاه]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ قال حدّثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد الله المقرىء الجَحدَريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة ، قال : دخل أعرابيّ على مجزأة بن ثور السَّدوسيّ وبشّار عنده وعليه بِزّةُ الشعراء ، فقال الأعرابيّ : مَنِ الرجل ؟ فقالوا : رجلٌ شاعرٌ ؛ فقال : أمَوْلًى هو أم عَرَبيّ ؟ قالوا : بل مولًى ؛ فقال الأعرابيّ : وما للموالي وللشعر ؟ فغضِب بشّار وسكت هُنيهةً ، ثم قال : أتأذن لي يا أبا ثور ؟ قال : قل ما شئت يا أبا مُعاذٍ ؛ فأنشأ بشّار يقول[1] : [من الوافر]

خليـلي لا أنـامُ على اقتسارِ ولا آبـى عـلى مَوْلـىً وجارِ
سَأُخبِرُ فاخـرَ الأعراب عنّي وعنـه حـين تأذنُ بالفَخارِ
أحين كُسِيتَ بعد العُرْي خَزّاً ونادَمْـتَ الكِـرامَ على العُقارِ
تُفاخِرُ يـا ابـنَ راعيةٍ وراعٍ بني الأحرار حَسبُكَ مِنْ خَسارِ
وكنتَ إذا ظمِئْتَ إلى قَراحٍ شَرِكْتَ الكلبَ في وَلْغِ الإطارِ
تُرِيـغُ بخُطْبَـةٍ كسرَ الموالي ويُنسِيكَ المكـارمَ صيدُ فارِ[2]
وتَغْـدُو للقنافـذ تَـدَّرِيهـا ولم تَعقِـلْ بـدَرَّاج الدِّيارِ[3]
وتَـتَّشحُ الشِّمـالَ لِلابسيهـا وتَرعى الضأنَ بالبلَـد القِفارِ[4]
مُقامُـكَ بيننـا دَنَسٌ علينـا فليتَـكَ غائِـبٌ في حَـرِّ نارِ
وفخـرُكَ بـين خنزيرٍ وكلبٍ على مِثلي مـن الحدَثِ الكُبارِ

فقال مجزأةُ للأعرابيّ : قَبَحَكَ الله ؛ فأنتَ كَسَبْت هذا الشرَّ لنفسك ولأمثالِك .

---

1 ديوان بشار : 122–123 عن الأغاني .
2 تريغ : تريد وتطلب .
3 تدريها : تختلها لتصيدها . دراج الديار : القنفذ .
4 الشمال : جمع شملة وهي الكساء يتّشح به .

[خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني العنزيّ عن الرياشيّ قال : حضر بشّار باب محمد بن سليمان ، فقال له الحاجب : آصبِر ؛ فقال : إنّ الصبرَ لا يكون إلاّ على بلِيَّةٍ ؛ فقال له الحاجب : إنّي أظنُّ أنّ وراء قولك هذا شرّاً ولن أتعرَّض له ، فقم فادخُل .

[بشّار وهلال الرأي]

أخبرني وكيعٌ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سلاّم قال : قال هلال الرأي ، وهو هلال بن عطيّة ، لبشّارٍ وكان له صديقاً يمازحه : إنّ الله لم يُذهب بصرَ أحدٍ إلاّ عوّضه بشيء ، فما عوّضَك ؟ قال : الطويل العريض ؛ قال : وما هذا ؟ قال : ألاّ أراك ولا أمثالك من الثقلاء . ثم قال له : يا هلال أتُطِيعُني في نصيحةٍ أخُصُّكَ بها ؟ قال نعم ؛ قال : إنّك كنتَ تسرِقُ الحمير زماناً ثم تُبتَ وصِرتَ رافِضِيّاً ، فعُد إلى سرقة الحمير ، فهي والله خيرٌ لك من الرِّفْضِ[1] .

قال محمد بن سلاّم : وكان هلال يُستثقَل ، وفيه يقول بشّار[2] : [من الوافر]

وكيفَ يَخِفُّ لي بصري وسمعي ... وحَوْلِي عَسكَرانِ مِـنَ الثِّقالِ
قُعُوداً حـولَ دَسْكَرتِي وعندِي ... كأنّ لهـم عـليّ فضولَ مالِ
إذا مـا شِئتُ صبَّحني هِلالٌ ... وأيُّ الناس أثقـل مـن هلالِ

وأخبرني أبو دُلَفَ الخُزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة ، فذكر أنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه المخاطبة ابن سيَّابة ، فلمّا أجابه بشّار بالجواب المذكور ، قال له : من أنت ؟ قال : ابن سيّابة ؛ فقال له : يا ابن سيّابة ، لو نُكِحَ الأسد ما افترس ؛ قال : وكان يُتَّهمُ بالأُبْنةِ .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

قال أيوب وحدّثني محمد بن سلاّم وغيره قالوا : مرّ ابن أخي بشّارٍ به ومعه قومٌ ؛ فقال لرجل معه : مَن هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أنّ أصحابه أنذال ؛ قال : وكيف علِمتَ ؟ قال : ليست لهم نِعالٌ .

[كان دقيق الحسّ]

أخبرنا محمد بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني عافيةُ بن شَبيب عن أبي دُهمان الغَلابيّ ، قال : مررتُ ببشّار يوماً وهو جالس على بابه وحده وليس معه خَلقٌ وبيده مِخْصَرَةٌ يلعبُ بها

1 الرفض (بالكسر) : مذهب الرافضة ، وهم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن علي ولمّا رفض التبرّؤ من الشيخين رفضوه وانفضوا عنه .

2 ديوان بشار : 282 عن الأغاني .

وقُدَّامه طبق فيه تفّاح وأُترُجٌّ ، فلمّا رأيته وليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه ، فجئتُ قليلاً قليلاً وهو كافٌّ يده حتى مَددت يدي لأتناول منه ، فرفع القضيب وضرب به يدي ضربةً كاد يكسِرُها ، فقلت له : قطع الله يدك يا ابن الفاعلة ، أنتَ الآن أعمى ؛ فقال : يا أحمق ، فأين الحِسُّ ؟ .

[حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : كان لبشّار في داره مجلسان : مجلسٌ يجلس فيه بالغداة يُسمِّيه «البردان» ومجلسٌ يجلس فيه بالعشيّ اسمه «الرَّقيق» ، فأصبح ذات يومٍ فاحتجم وقال لغلامه : أَمسك عليّ بابِي واطبُخ لي من طَيِّبِ طعامي وصَفِّ نبيذي ؛ قال : فإنّه لكذلك إذ قُرِع الباب قرعاً عنيفاً ؛ فقال : ويحك يا غلام ؛ انظُر مَنْ يدقّ الباب دَقَّ الشُّرَطِ ؛ قال : فنظر الغلام ، فقال له : نسوةٌ خمسٌ بالباب يسألن أن تقول لهنَّ شعراً ينُحْنَ به ؛ فقال : أَدخِلْهُنَّ ، فلمّا دخلنَ نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قَنانِيَّه في جانب بيته ؛ قال : فقالت واحدة منهنّ : هو خمرٌ ، وقالت الأُخرى : هو زبيبٌ وعسلٌ ، وقالت الثالثة : نقيع زبيب ؛ فقال : لستُ بقائلٍ لكنّ حرفاً أو تَطعَمْنَ من طعامي وتشربْنَ من شرابي ؛ قال : فتماسكْنَ ساعةً ، ثم قالت واحدة منهنّ : ما عليكنّ ؛ هو أعمى فكُلْنَ من طعامه واشربن من شرابه وخُذْن شِعرَه ؛ فبلغ ذلك الحسن البصريَّ فعابه وهتَفَ ببشّارٍ ؛ فبلغه ذلك ، وكان بشّار يُسمِّي الحسن البصريّ القَسَّ ، فقال[1] : [من مجزوء الكامل]

لمّا طَلَعْـنَ مـن الرّقيـ ـق عليّ بالبردانِ خمسا
وكأنّهـنّ أهِلَّـةٌ تحت الثيابِ زَفَفْنَ شمسا
باكَـرْنَ عِطْـرَ لَطِيمَـةٍ وغُمِسْنَ في الجادِيّ غمسا[2]

صوت

لمّـا طلَعْـنَ حَفَفْنَهـا وأَصَخْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسا
فسألنَني مَـنْ في البيـو تِ فقلتُ ما يُؤْوِينَ إنسا
ليـتَ العيـونَ الطارفـا تِ طُمِسْنَ عنّا اليومَ طَمْسا
فأَصَبْنَ من طُـرَفِ الحديـ ـثِ لَذاذةً وخَرَجْنَ مُلسا[3]

1 ديوان بشار 141–142 عن الأغاني .

2 اللطيمة : المسك . الجادي : الزعفران .

3 مُلسا في ل : قلسا . والقلص : شرب الكثير من النبيذ . وملس : خاليات من العيب .

لـــولا تَعَرُّضُهُـــنَّ لي يـا قَسُّ كنتُ كأنتَ قَسَّا

غنَّى في هذه الأبيات يحيى المكيّ ، ولحنه رمل بالبنصر عن عمرٍو .

[نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء]

أخبرنا يحيى قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا عليّ بن محمد قال حدّثني جعفر بن محمد النوفليّ ، وكان يروي شعر بشّار بن بُرد ، قال : جئتُ بشّاراً ذات يومٍ فحدّثني ، قال : ما شعرتُ منذ أيّام إلاّ بقارع يقرَع بابي مع الصّبح ، فقلت : يا جارية انظُري مَن هذا ، فرجعتْ إليّ وقالت : هذا مالكُ بن دينار ؛ فقلت : ما هو من أشكالي ولا أضرابي ، ثمّ قلت : ائذَني له ، فدخل فقال : يا أبا معاذ ، أتشتم أعراض الناس وتُشبِّب بنسائهم ؟ فلم يكن عندي إلاّ أن دفعتُ عن نفسي وقلت : لا أعود ، فخرج عنّي ، وقلتُ في أثره[1] : [من المتقارب]

غـَدا مالـــكٌ بمَلاماته عليّ ومـا بـاتَ من باليَهْ
تَناولَ خَوْداً هَضِيم الحشَى من الحُورِ مَحظوظةً عاليَهْ[2]
فقلتُ دَع اللّوم في حبّهـا فقبـلكَ أعيَيـتُ عُذّالِيَهْ
وإنّـــي لأكتُمهـم سِرّهـا غداةَ تقـول لهـا الجالِيَهْ[3]
عُبَيـدةُ ما لـك مَسلوبـةً وكنـتِ مُعطَّـرة حاليَهْ
فقالـت على رقبةٍ : إنّني رهَنتُ المرَعّـث خَلخاليَهْ
بمجلس يـوم سأُوفِي به ولو أُجْلَب الناسُ أحواليهْ[4]

[شعره في محبوبته فاطمة]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني السَّمَيدع بن محمد الأزديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الجَهْم عن هشام بن الكلبيّ قال : كان أوّل بَدْء بشّار أنّه عشق جارية يقال لها فاطمة ، وكان قد كُفّ وذهب بصرُه ، فسمعها تغنّي فهَوِيَها وأنشأ يقول[5] : [من الرمل]

دُرّةٌ بَحريَّـــةٌ مكنونـــــةٌ مازها التّاجرُ مـن بين الدُّررْ
عجبتْ فَطْمةُ مـــن نَعْتِي لهـا هل يُجيد النَّعتَ مَكفوفُ البصرْ

1 ديوان بشّار : 247–248 .
2 محظوظة في ل : محطوطة أي ممدودة المتنين حسنة .
3 الجالية : الماشطة التي تجلوها .
4 أحواليه : من حولي .
5 ديوان بشّار : 135–136 .

أمَتا بَـــدّد هـــذا لُعَبـــي ووِشاحي حَلّـــه حتّى انتثَرْ
فدَعينـــي معَـــه يـا أمتـــا عَلَّنا في خَلْـوةٍ نَقْضي الوَطَرْ
أقبلـتْ مُغضَبـــةً تضرِبهـا واعتراهـا كجنـــون مستعِـرْ
بأبـــي واللهِ مـــا أحسنَـــه دمعُ عين يَغْسِل الكحْلَ قَطَرْ
أيُّها النُّوّام هُبُّـــوا وَيْحَكم واسألوني اليومَ ما طعمُ السَّهَرْ

[عبث به رجل من آل سوّار فلم يجبه]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدّثني أبي عن الحكم بن مَخْلَد بن حازم قال : مررتُ أنا ورجل من عُكْل من أبناء سَوّار بن عبد الله بقصر أوس[1] ، فإذا نحن ببشّار في ظلّ القصر وحده ، فقال لي العُكْليّ : لا بدّ لي من أن أعبَث ببشّار ؛ فقلت : ويحك ، مَهْ لا تُعرِّض بنفسك وعِرْضِك له ؛ فقال : إنّي لا أجده في وقتٍ أخلى منه في هذا الوقت ؛ قال فوقفت ناحيةً ودنا منه فقال : يا بشّار ؛ فقال : من هذا الذي لا يَكْنِيني ويدعوني باسمي ؟ قال : سأخبرك من أنا ، فأخبِرْني أنت عن أمّك : أوَلدتْك أعمى أم عميتَ بعدما ولدتْك ؟ قال : وما تريد إلى ذلك ؟ قال : وَدِدتُ أنّه فُسِح لك في بصرك ساعة لتنظُر إلى وجهك في المرآة ، فعسى أن تُمْسِكَ عن هجاء الناس وتعرفَ قَدْرَك ؛ فقال : ويحكم ؛ مَن هذا ؟ أمَا أحدٌ يُخبرني مَن هذا ؟ فقال له : على رِسلك ، أنا رجل من عُكْل وخالي يبيع الفَحم بالعَبْلاء[2] فما تقدِر أن تقول لي ؟ قال : لا شيء ، اذْهَبْ ، بأبي أنت ، في حِفْظ الله .

[مدح خالد البرمكيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال حدّثني هارون بن عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني عليّ بن مَهْدِيّ قال حدّثني العبّاس بن خالد البرمكيّ قال : كان الزوّار يُسمَّوْن في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن برمك السُّؤّال ؛ فقال خالد : هذا والله اسم أستثقله لطُلاّب الخير ، وأرفعُ قدرَ الكريم عن أن يُسمِّيَ به أمثال هؤلاء المؤمِّلين ، لأنّ فيهم الأشراف والأحرار وأبناءَ النَّعيم ومن لعلّه خيرٌ ممّن يقصِد وأفضلُ أدباً ، ولكنّا نسمِّيهم الزوّار ؛ فقال بشّار يمدحه بذلك[3] : [من الطويل]

حذا خالدٌ في فعله حَذوَ بَرْمكٍ فمَجدٌ لـه مُستطرَف وأَصِيلُ
وكان ذوو الآمالِ يُدعَوْن قبلَه بلَفظٍ على الإعدام فيـه دَليلُ

1 قصر أوس بالبصرة يُنسب إلى أوس بن ثعلبة الذي ولي خراسان في عهد الدولة الأموية .
2 بلدة كانت لخثعم بها كان ذو الخلصة بيت صنم (ياقوت) .
3 ديوان بشّار: 107 .

يُسمَّون بالسُّؤَّال في كلّ مَوْطِنٍ وإن كان فيهم نابـةٌ وجَلِيلُ
فسمّاهمُ الزّوّارَ سَتْراً عليهمُ فأستارُه في المُجْتَدِين سُدُولُ

قال : وقال بشّار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلّم خالد بهذا الكلام في أمر الزوّار ، فأعطاه لكلّ بيت ألفَ درهم .

[بشّار وصديقه تسنيم بن الحواري]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهْرُوَيْهْ قال حدّثني أبو شِبْل عاصم بن وهب قال : نهق حِمارٌ ذات يوم بقرب بشّار ، فخطر بباله بيتٌ فقال[1] : [من البسيط]

ما قام أيـرُ حمـارٍ فامتلا شَبَقاً إلاّ تحرّك عرقٌ في استِ تَسْنِيمِ

قال : ولم يُرِد تَسْنِيماً بالهجاء ؛ ولكنّه لمّا بلغ إلى قوله : «إلاّ تحرّك عِرْقٌ» قال : في اسْتِ مَنْ ؟ ومرّ به تسنيم بن الحواري وكان صديقه ، فسلّم عليه وضحك ، فقال : في استِ تسنيم عَلِمَ الله ؛ فقال له : أيش ويحك !؟ فأنشده البيت ؛ فقال له : عليك لعنة الله ؛ فما عندك فرقٌ بين صديقك وعدوّك ، أيّ شيء حملك على هذا ! ألا قلت : «في است حمّاد» الذي هجاك وفضَحك وأعياك ، وليست قافيتك على الميم فأعذِرَك ! قال : صدقتَ والله في هذا كلّه ، ولكن ما زلتُ أقول : في است من ؟ في است من ؟ ولا يخطُر ببالي أحد حتى مررتَ وسلّمت فرُزِقته ؛ فقال له تسنيم : إذا كان هذا جواب السَّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلّمتُ عليك ؛ وجعل بشّار يضحك ويُصفّق بيديه وتسنيمٌ يشتُمه .

[ليس من حسنه يهاب الأسد]

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدّثنا عليّ بن محمّد النوفليّ عن عمّه قال : قالت امرأة لبشّار : ما أدري لِمَ يهابُك الناس مع قُبح وجهك ؛ فقال لها بشّار : ليس من حُسْنِه يُهاب الأسد .

[الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤبة]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الحجّاج قال : دخل بشّار على عقبة[2] بن سَلْم ، فأنشده بعض مدائحه فيه وعنده عقبة بن رؤبة يُنشده رجزاً يمدحه به ، فسمِعه بشّار وجعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ ؛ ثم أقبل على بشّار فقال : هذا طرازٌ لا تُحسنه أنت يا أبا معاذ ؛ فقال له بشّار : ألي يُقال هذا ؟ أنا والله أرجَز منك ومن أبيك وجدّك ؛ فقال له عقبة : أنا والله وأبي فتحنا للناس باب الغريب وباب الرّجز ، ووالله إنّي لخليق أن أسُدّه عليهم ؛ فقال بشّار : ارحَمْهم رحمك الله ؛ فقال عقبة : أتستخفُّ بي يا أبا

1 ديوان بشّار : 210 .
2 ولي البصرة لأبي جعفر المنصور .

معاذ وأنا شاعر ابن شاعر ابن شاعر ؟ فقال له بشّار : فأنت إذاً من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرِّجْس وطهّرهم تطهيراً ؛ ثمّ خرج من عنده عقبةُ مُغضَباً . فلمّا كان من غدٍ غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن رؤبة ، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها[1] : [من الرجز]

يـا طَلَلَ الحيِّ بـذات الصَّمْدِ ... باللهِ خبِّرْ كيف كنتَ بعدِي[2]
أَوْحَشْتَ من دعدٍ وتِرْب دعدِ ... سَقْيـاً لأسمـاءَ ابنـةِ الأَشَدِّ
قامَتْ تَراءى إذ رأَتْنِي وَحْدِي ... كالشّمْسِ تحتَ الزِّبْرِج المُنْقدِّ[3]
صدَّت بخدّ وجَلَتْ عن خـدِّ ... ثـم انثنـتْ كالنَّفْس المُـرتَدِّ
عَهْدِي بها سَقْياً لـه من عَهْدِ ... تُخلِـفُ وعـداً وتَفِـي بوعدِ
فنحنُ من جَهْدِ الهوى في جَهْدِ ... وزاهـرٍ مـن سَبِـطٍ وجَعْدِ
أَهْدى لـه الدّهرُ ولم يَستهدِ ... أفـوافَ نَـوْرِ الحِبَرِ المُجَدِّ[4]
يلقَى الضُّحى رَيحانُـه بسَجْدِ ... بُدِّلتُ من ذاك بُكًى لا يُجدِي
وافقَ حظّاً مـن سَعـى بجَدِّ ... ما ضرَّ أهلَ النَّوْكِ ضعفُ الجِدِّ
الحُـرّ يُـلْحَـى والعصا للعبدِ ... وليس للمُلْحِـف مثـلُ الردِّ
والنَّصْفُ يَكْفِيك من التعدّي ... وصاحـبٍ كالدُّمَّـلِ المُمِدِّ[5]
حملتُه في رُقعـةٍ مـن جِلْدِي ... أرقُبُ منـه مثلَ يومِ الوِرْدِ[6]
حتى مضى غيرَ فقيـد الفَقْدِ ... وما دَرى ما رَغْبَتِي من زُهدِي
اسلَمْ وحُيِّيتَ أبـا المِلَدِّ ... مفتاحَ بـاب الحدَث المنسدِّ
مُشتَرَكَ النَّيْـل وريَّ الزَّنـدِ ... أغـرَّ لبَّـاسَ ثيـابِ الحمدِ
مـا كان منّي لك غيرُ الوُدِّ ... ثـم ثنـاءٌ مثـلُ ريح الوَرْدِ
نسَجْتُه في مُحْكَماتِ النَّـدِّ ... فالبَسْ طِـرازِي غيرَ مُستَردِّ
لله أيّامُـكَ في مَعَـدِّ ... وفي بنـي قَحْطـانَ غيرَ عَدِّ

1 ديوان بشّار : 84–87 .
2 ذات الصمد : موضع أو ماء .
3 الزبرج : السحاب . والمنقد : المتقطّع .
4 أفواف : جمع فوف وهو نوع من برود اليمن .
5 النصف : الإنصاف .
6 الورد : من أسماء الحمى .

يوما بذِي طِخْفَةَ عنـد الحـدِّ ومثلَه أودَعْـتَ أرضَ الهندِ[1]
بالمرْهَفاتِ والحَديـدِ السَّردِ والمُقْربـات المُبْعـداتِ الجُرْدِ
إذا الحيا أَكْدى بها لا تُكْدِي تُلْحِمُ أمراً وأموراً تُسْدي
وابنُ حكيـم إن أتاك يَرْدِي أصمَّ لا يسمعُ صوتَ الرعدِ[2]
حيَّيْتَـه بتُحْفَـة المُعِـدِّ فانهَـدَّ مثـلَ الجبـل المُنْهَدِّ
كُلُّ امرىءٍ رَهْنٌ بما يُؤدِّي ورُبَّ ذي تـاجٍ كريمِ الجَدِّ
كآلِ كِسرَى وكـآلِ بُـردِ أنكَبَ جافٍ عن سبيل القصدِ[3]
فَصَلْتَه عـن مالِـهِ والوُلْدِ

فطرب عُقبة بن سَلْم وأَجْزل صلته ، وقام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بِخِزْيٍ ، وهرب من تحت ليلته فلم يَعُد إليه .

وذكر لي أبو دُلَفَ هاشم بن محمد الخزاعيّ هذا الخبر عن الجاحظ ، وزاد فيه الجاحظ قال : فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤبة وقد أجملَ بشّارٌ مَحضرَه وعِشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبوه أعلمَ خلقِ الله به ، لأنّه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يا بُنيَّ ذَهْبان الشعر إذا مُتَّ مات شعرُك معك ، فلم يوجد مَن يرويه بعدك ؛ فكان كما قال له ، ما يُعرفُ له بيتٌ واحدٌ ولا خبرٌ غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالِّ على سُخفه وسقوطه وسُوء أدبه .

[كان يهوى امرأة من البصرة]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ قال حدّثنا أبو عبيدة قال : كان بشّار يهوى امرأةً من أهل البصرة يقال لها عبيدة[4] ، فخرجت عن البصرة إلى عُمانَ مع زوجها ، فقال بشّارٌ فيها[5] : [من الطويل]

صوت

هوَى صاحِبِي ريحُ الشَّمالِ إذا جَرَتْ وأشفَى لقلبِـي أن تهُـبَّ جَنُوبُ
وما ذاكَ إلاّ أنّها حـين تنتهِي تَناهَـى وفيهـا من عُبيدَةَ طِيبُ

1 طخفة : موضع كان فيه يوم لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .
2 يردي : يعدو .
3 أنكب : مائل .
4 ل : عبدة .
5 ديوان بشار : 19 .

عَذِيرِي مـن العُذَّالِ إذ يَعْذِلُونَنِي سَفاهاً ومـا في العاذِلـينَ لَبيبُ

صوت

[من الطويل]

يقولونَ لو عَزَّيْتَ قلبَكَ لارْعَوى فقلتُ وهـل للعاشقـينَ قُلوبُ
إذا نطـقَ القـومُ الجُلوسُ فإنّني مُكِبٌّ كأنّي في الجميع غَرِيبُ[1]

[بشّار وأبو الشمقمق]

أخبرني هاشم قال حدّثني دَماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال : جاء أبو الشمقمق إلى بشّار يشكو إليه الضِّيقة ويحلف له أنّه ما[2] عنده شيء ؛ فقال له بشّار : والله ما عندي شيء يُغنيك ولكن قُم معي إلى عقبة بن سلم ، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعر وله شكر وثناء ، فأمر له بخمسمائة درهم ؛ فقال له بشّار[3] : [من مجزوء الكامل]

يا واحدَ العربِ الذي أمسَى وليسَ لـه نَظِيرُ
لـو كان مِثْلَـكَ آخَـرٌ ما كان في الدنيا فَقِيرُ

فأمر لبشّار بألفيْ درهم ؛ فقال له أبو الشمقمق : نفعتَنا ونفعناك يا أبا معاذٍ ؛ فجعل بشّار يضحك .

[بشّار وأبو جعفر المنصور]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثنا زكريّا بن يحيى أبو السُّكَين[4] الطائي قال حدّثني زَحرُ بن حِصنٍ قال : حجّ المنصور فاستقبلناه بالرَّضم الذي بين زُبالة والشُّقوق[5] ، فلمّا رحل من الشُّقوق رحَلَ في وقت الهاجرة فلم يركب القبّة[6] وركب نجيباً فسار بيننا ، فجعلت الشمس تضحك[7] بين عينيه ، فقال : إنّي قائلٌ بيتاً فمن أجازه وهَبْتُ له جبَّتي هذه ؛ فقلنا : يقول أمير المؤمنين ، فقال : [من الوافر]

---

1 مكب : مطرق .
2 ل : ليس .
3 ديوان بشار : 104 وسيردان لابن المولى في ترجمته وهما أيضاً له في معجم الشعراء : 326 وابن خلكان 6 : 362 .
4 ل : المستكين .
5 زبالة : قرية على طريق الحاج من الكوفة . الشقوق : منزل على الطريق بعد الكوفة .
6 القبة : الهودج .
7 تضحك : تتلألأ .

وهاجـرةٍ نَصبْتُ لهـا جَبِيني يُقَطِّعُ ظهرُهـا ظَهْـرَ العظايَهْ

فبدر بشار الأعمى فقال[1] : [من الوافر]

وقَفْتُ بها القَلُوصَ ففاضَ دمعي على خـدِّي وأَقْصَرَ واعِظـايَهْ

فنزع الجبّة وهو راكب فدفعها إليه . فقلت لبشّار بعد ذلك : ما فعلت بالجبّة ؟ فقال بشّار : بعتُها والله بأربعمائة دينار .

[كانت له شعر غث يعير به]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدّثني عبد الرحمن بن العبّاس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيّاش بن أبي ربيعة عن أبيه قال : كان بشّار منقطعاً إليّ وإلى إخوتي فكان يَغشانا كثيراً ، ثم خرج إبراهيم بن عبد الله فخرج معه عِدَّةٌ منّا ، فلمّا قُتِل إبراهيم تواارينا ، وحبس المنصور منّا عدّةً من إخوتي ، فلمّا وَلِيَ المهديُّ أَمّنَ الناس جميعاً وأطلق المحبوسين ، فقدِمتُ بغداد أنا وإخوتي نلتمس أماناً من المهديّ ، وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد الرُّصافة يُنشدون ويتحدّثون ، فلم أُطلِع بشّاراً على نفسي إلاّ بعد أن أظهر لنا المهديّ الأمان ، وكتب أخي إلى خليفته بالليل ، فصِحتُ به : يا أبا معاذ مَن الذي يقول : [من الهزج]

أُحِبُّ الخاتـمَ الأحمـ ـــر مِنْ حُـبِّ مَوالِيهِ

فأعرض عنّي وأخذ في بعض إنشاده شعره ، ثم صِحتُ : يا أبا مُعاذٍ مَن الذي يقول : [من الرمل]

إنّ سَلْمى خُلِقَـتْ من قَصَبِ قصبِ السكّرِ لا عظـمِ الجَمَلْ

وإذا أدنيـتَ منهـا بصـلاً غلَب المسكُ على ريحِ البصلْ

فغضب وصاح : من الذي يُقَرِّعُنا بأشياءَ كنّا نعبث بها في الحداثة فهو يُعَيِّرنا بها ! فتركته ساعةً ثم صِحتُ به : يا أبا مُعاذٍ مَنِ الذي يقول[2] : [من الطويل]

أخشّابُ حقّاً أنّ دارَكِ تُزْعَجُ وأنّ الذي بيني وبينَكِ يَنْهَجُ[3]

فقال : ويحك ؛ عن مثلِ هذا فسَلْ ، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها ، وهي من جيّد شعره ، وفيه غناءٌ : [من الطويل]

---

1 ديوان بشّار : 248 .

2 ديوان بشّار : 58 .

3 ينهج : يبلى .

صوت

فواكَبِدا قد أنضَجَ الشوقُ نصفها ونصفٌ على نارِ الصَّبابةِ يَنضَجُ
وواحَزَنا منهنَّ يَحْفُفْنَ هودجاً وفي الهودجِ المحفوفِ بدرٌ مُتَوَّجُ
فإن جئتَها بين النساء فقل لها عليكِ سلامٌ ماتَ مَنْ يتزوّجُ
بكيت وما في الدمعِ منكِ خليفةٌ ولكنّ أحزاني عليكِ تَوَهَّجُ

الغناء لسُلَيم بن سَلاَّم رملٌ بالوسطى . ووجدتُ هذا الخبر بخطّ ابن مهرويَهْ فذكر أنّه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه وكان إليها مائلاً يقال لها خَشَّابة ، فارسيّة ، فزُوِّجَتْ وأُخرجت عن البصرة .

[أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني أبو حاتم : قال أبو النضير الشاعر : أنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي ، فقال لي : أيجيئُكَ شعرُكَ هذا كلّما شئتَ أم هذا شيء يجيئك في الفَيْنةِ بعد الفينةِ إذا تَعَمَّلتَ له ؟ فقلت : بل هذا شعرٌ يجيئني كلّما أردتُه ؛ فقال لي : قل فإنّك شاعر ؛ فقلت له : لعلّك حابيتَني أبا مُعاذ وتحمَّلتَ[1] لي ؛ فقال : أنتَ أبقاك الله أهونُ عليّ من ذلك .

[حاول تقبيل جارية لصديق له ثم اعتذر عن ذلك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ عن العمريّ عن عبّاس بن عبّاس الزِّنادِيّ عن رجلٍ من باهلة ، قال : كنتُ عند بشّارٍ الأعمى فأتاه رجلٌ فسلّم عليه ، فسأله عن خبر جاريةٍ عنده وقال : كيف ابنتي ؟ قال : في عافيةٍ ، تدعوكَ اليوم ؛ فقال بشّار : يا باهليّ انهَضْ بنا ، فجئنا إلى منزلٍ نظيف وفَرشٍ سَرِيّ ، فأكلنا ، ثم جيء بالنبيذ فشربنا مع الجارية ، فلمّا أراد الانصراف قامت فأخذتْ بيد بشّار ، فلمّا صار في الصحن أومأ إليها ليقبّلها ، فأرسلت يدَها من يده ، فجعل يجول في العَرْصة ؛ وخرج المولى فقال : ما لك يا أبا معاذٍ ؟ فقال : أذنبتُ ذنباً ولا أبرحُ أو أقولَ شعراً ، فقال[2] : [من المتقارب]

أتوبُ إليكَ من السيئاتِ وأستغفرُ اللهَ من فَعْلتي
تناولتُ ما لم أُرِدْ نَيْلَه على جهلِ أمرِي وفي سَكرتي
ووالله واللهِ ما جئتُه لعمدٍ ولا كان من هِمَّتي

1 لعلّها تجمّلت ، أي تكلّفت الجميل .
2 ديوان بشار : 54 عن الأغاني .

وإلاّ فَمِـتُّ إذاً ضائعـاً وعَذَّبَنِـي اللهُ في مِيتَتِـي
فمَن نـالَ خيراً على قُبْلَـةٍ فـلا بـارِكَ اللهُ في قُبلَتِي

[كتب شعراً على باب عقبة يستنجزه وعده]

أخبرنا هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال : لمّا أنشد بشّارٌ أرجوزته : [من الرجز]

يا طللَ الحيّ بذاتِ الصَّمْدِ

أبا المِلَدِّ عُقبة بن سَلْم أمر له بخمسين ألفَ درهم ، فأخّرها عنه وكيلُه ثلاثة أيّام ، فأمر غلامه بشّار أن يكتب على باب عُقبة عن يمين الباب[1] : [من الرجز]

ما زالَ ما مَنَّيتَنِي من هَمِّي والوعدُ غمٌّ فأزِحْ من غَمِّي
إن لم تُرِدْ حَمْدِي فَراقِبْ ذَمِّي

فلمّا خرج عقبةُ رأى ذلك ، فقال : هذه مِن فَعَلات بشّارٍ ، ثم دعا بالقَهْرَمانِ ، فقال : هل حملتَ إلى بشّارٍ ما أمرتُ له به ؟ فقال : أيّها الأمير نحن مُضيِقون وغداً أحملُها إليه ؛ فقال : زِدْ فيها عشرة آلاف درهم واحمِلها إليه الساعة ؛ فحملها من وقته .

[نهاه المهدي عن التشبيب بالنساء]

أخبرني هاشم قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ قال : سألتُ أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهديُّ بشّاراً عن ذكر النساء قال : كان أوّلُ ذلك استهتار نساء البصرة وشُبَّانِها بشعره ، حتى قال سَوّار بن عبد الله الأكبر ومالكُ بن دينار : ما شيءٌ أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى ؛ وما زالا يَعِظانه ؛ وكان واصلُ بن عطاءٍ يقول : إن مِن أخدَع حبائلِ الشيطان وأغواها لَكَلمات هذا الأعمى الملحِد . فلمّا كثُر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهديّ ، وأنشد المهديَّ ما مدحه به ، نهاه عن ذكر النساء وقولِ التشبيب ، وكان المهديّ من أشدّ الناس غَيْرةً ؛ قال : فقلت له : ما أحسَبُ شِعرَ هذا أبلغ في هذه المعاني من شعر كُثيّر وجميلٍ وعُروة بن حِزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة ؛ فقال : ليس كلُّ مَن يسمع تلك الأشعار يعرِف المراد منها ؛ وبشّار يُقارب النساء حتى لا يخفى عليهنّ ما يقول وما يريد ، وأيّ حُرَّةٍ حَصانٍ تسمع قول بشّار فلا يؤثِّر في قلبها ، فكيف بالمرأة الغَزِلَة والفتاة التي لا همَّ لها إلاّ الرجالُ ! ثم أنشد قوله[2] : [من البسيط]

1 ديوان بشار : 211 .
2 ديوان بشار : 99–100 .

قـد لامَني في خليلتـي عُمَرُ ... واللَّومُ في غير كُنهِـه ضَجَرُ
قـال أَفق قلتُ لا فقـال بلى ... قد شاعَ في الناسِ منكما الخَبَرُ
قلتُ وإذ شاعَ ما اعتذارُكَ ممّـ ... ـا ليس لي فيه عندهـم عُذُرُ
ماذا عليهم ومـا لهم خَرِسُوا ... لـو أنّهم في عيوبِهم نَظَرُوا
أعشَقُ وحدي ويؤخَذُون بـه ... كالتُّركِ تَغْزُو فتُؤخَـذُ الخَزَرُ
يا عجباً للخلاف يـا عجبـاً ... بِفِي الذي لامَ في الهوى الحجَرُ
حَسْبِي وحَسْبُ الذي كَلِفْتُ به ... منّي ومنـه الحديـثُ والنّظرُ
أو قُبلَةٌ في خـلالِ ذاك ومـا ... بأسٌ إذا لم تُحَـلَّ لِـي الأُزُرُ
أو عَضَّـةٌ في ذراعِهـا ولهـا ... فـوق ذراعي مـن عَضِّها أَثَرُ
أو لَمسةٌ دون مِرْطِها بيدي ... والبابُ قـد حال دونه السُّتُرُ
والساقُ برَّاقَـةٌ مُخَلخَلُهـا ... أو مَصُّ رِيقٍ وقد علا البُهُرُ[1]
واسترختِ الكفُّ للعِراك وقا ... لتْ إيهِ عنّي والدَّمعُ مُنحَدِرُ
انهَضْ فما أنتَ كالذي زعموا ... أنـتَ وربّـي مُغـازِلٌ أَشِرُ
قد غابَتِ اليومَ عنكَ حاضِنَتي ... واللهُ لي منـكَ فيـكَ يَنتَصِرُ
يا ربِّ خُذْ لي فقد ترى ضَرَعِي ... من فاسقٍ جاء مـا بـه سَكَرُ
أهوى إلى مِعْضَدِي فرضَّضهُ ... ذو قـوّةٍ مـا يُطاقُ مُقتدِرُ[2]
ألصقَ بي لِحْيَةً لـه خَشُنتْ ... ذاتَ سوادٍ كأنّهـا الإبَـرُ
حتّـى عَلاني وأُسرتـي غَيَبٌ ... وَيْلي عليهم لو أنّهم حَضَرُوا[3]
أُقسِم باللهِ لا نجوتَ بهـا ... فاذهبْ فأنـت المُساوِرُ الظّفِرُ
كيف بأُمِّـي إذا رأتْ شَفَتي ... أم كيف إن شاعَ منك ذا الخبرُ
قد كنتُ أخشى الذي ابتُلِيتُ به ... منكَ فمـاذا أقولُ يـا عبرُ[4]
قلتُ لهـا عند ذاك يا سَكَني ... لا بأسَ إنّـي مُجَـرَّبٌ خَبِرُ

---

1 البهر : (بسكون الهاء) تتابع النفس وانقطاعه من الاعياء وقد حرّك للضرورة .
2 المعضد : الدملج يلبس في العضد .
3 غيب : غائبون .
4 عبر : شديد قوي .

قُولِـي لهـا بَـقَّـةٌ لهـا ظُفُرٌ إن كان في البقِّ مـا لـه ظُفُرُ

ثم قال له : بمثل هذا الشعر تَميل القلوب ويَلِين الصَّعْبُ .

قال دَماذ قال لي أبو عبيدة : قال رجلٌ يوماً لبشّار في المسجد الجامع يُعابِثه : يا أبا معاذ ، أيُعجبك الغلام الجادل[1] ؟ فقال غير مُحتشِم ولا مُكترث : لا ، ولكن تُعجبني أُمّه .

[ورد على خالد البرمكيّ بفارس وامتدحه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجّاج قال : ورد بشّار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه ؛ فوعده ومَطَله ؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد ، فأخذ بلجام بغلته وأنشده[2] : [من الطويل]

أَظَلّتْ علينا منكَ يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا برقاً وأبطا رِشاشُها

فـلا غيمُها يُجْلي فييأسَ طامعٌ ولا غيثُها يأتِي فيَرْوى عِطاشُها

فحَبَس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له : لن تنصرف السحابة حتى تَبُلَّك إن شاء الله .

[تظاهر بالحجّ وخرج مع سعد بن القعقاع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثني عليّ بن حرب الطائيّ قال حدّثني إسماعيل بن زياد الطائيّ قال : كان رجلٌ منّا يقال له سعد بن القعقاع يتندّم[3] بشّاراً في المَجانة ، فقال لبشّار وهو يُنادمه : ويحك يا أبا معاذ ! قد نسبَنا الناس إلى الزَّندقة ، فهل لك أن تُحِجّ بنا حجَّةً تنفي ذلك عنّا ؟ قال : نِعْمَ ما رأيتَ ؛ فاشترَيا بعيراً ومَحمِلاً وركِبا ، فلمّا مَرّا بزُرارة قال له : ويحك يا أبا معاذ ! ثلاثمائة فرسخ متى نقطعها ؟ مِلْ بنا إلى زُرارة نتنعّم فيها ، فإذا قَفَل الحاجُّ عارضناهم بالقادسيّة وجَزَزْنا رؤوسنا فلم يَشُكَّ الناس أنّا جئنا من الحجّ ؛ فقال له بشّار : نِعْمَ ما رأيتَ لولا خبثُ لسانك ، وإنّي أخاف أن تَفضَحنا . قال : لا تخفْ . فمالا إلى زُرارة فما زالا يشربان الخمر ويَفسُقان ، فلمّا نَزَل الحاجُّ بالقادسيّة راجعين ، أخذا بعيراً ومَحمِلاً وجَزَّا رؤوسهما وأقبلا وتلقّاهما الناس يهنّئونهما ؛ فقال سعيد بن القعقاع : [من الوافر]

ألم تَـرَني وبَشّاراً حَجَجْنـا وكان الحجُّ من خيرِ التِّجارَهْ

خرجْنا طالبَـيْ سَفَرٍ بعيدٍ فمال بنا الطريقُ إلى زُرارَهْ

---

1 الجادل : اليافع الذي قوي واشتدّ .

2 ديوان بشار : 145 .

3 لعلّها يتقدّم .

فآبَ الناسُ قد حَجّوا وبَرُّوا وأُبْنا مُوقَرينَ من الخسارَهْ

[أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم الدِّينَوَريّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن مطر الشاميّ قال حدّثني محمد بن الحسّان الضَّبّي قال حدّثني محمود الورّاق قال حدّثني داود بن رزين قال : أتينا بشّاراً فأذن لنا والمائدة موضوعةٌ بين يديه فلم يَدْعُنا إلى طعامه ، فلمّا أكل دَعا بطَست فكشف عن سَوْءَته فبال ؛ ثم حضرتِ الظهرُ والعصر فلم يصلِّ ، فدنونا منه فقلنا : أنت أستاذُنا وقد رأينا منك أشياءَ أنكرناها ؛ قال : وما هي ؟ قلنا : دخلنا والطعام بين يديك فلم تدعُنا إليه ؛ فقال : إنّما أَذِنتُ لكم أن تأكلوا ولو لم أُرِد أن تأكلوا لَما أذِنتُ لكم ؛ قال : ثم ماذا ؟ قلنا : ودعوتَ بطست ونحن حضورٌ فبُلْتَ ونحن نراك ؛ فقال : أنا مكفوف وأنتم بصراء وأنتم المأمورون بغَضّ الأبصار ، ثم قال : ومه ؛ قلنا : حضرتِ الظهرُ والعصر والمغرب فلم تُصَلِّ ؛ فقال : إنّ الذي يقبَلُها تفاريقَ يقبلها جُمْلةً .

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن بعض أصحاب بشّار قال : كنّا إذا حضرتِ الصلاةُ نقوم ويقعد بشّار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلّي ، فنعود والتراب بحاله .

[بشّار والثقلاء]

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الحِرمازِيّ قال : قعد إلى بشّار رجلٌ فاستثقله فضَرِط عليه ضرطةً ، فظنّ الرجل أنّها أفلَتَتْ منه ، ثم ضَرِط أُخرى : فقال : أفلتت ، ثم ضَرِط ثالثة ، فقال : يا أبا معاذ ، ما هذا ؟ قال : مَهْ ، أرأيتَ أم سمِعتَ ؟ قال : بل سمعت صوتاً قبيحاً ، فقال : فلا تُصَدِّق حتى ترى .

قال : وأنشد أبو أيّوب لبشّارٍ في رجل استثقله[1] : [من الخفيف]

ربّما يثقُلُ الجليسُ وإن كا نَ خفيفاً في كِفّةِ المِيزانِ
كيفَ لا تحمِل الأمانةَ أرضٌ حَمَلتْ فوقها أبا سُفْيانِ

وقال فيه أيضاً[2] : [من السريع]

هل لك في مالي وعِرضي معاً وكلٌّ ما يملكُ جيرانِيَهْ
واذهبْ إلى أبعدِ ما يُنتوى لا رَدّكَ اللهُ ولا مالِيَهْ

1 ديوان بشّار : 231 .
2 ديوان بشّار : 248 .

[أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجِيليّ قال حدّثني محمد بن عِمران الضَّبّيّ قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشّار الأعمى[1] : [من الخفيف]

أيُّها الساقيانِ صُبَّا شَرابِي ... واسقِياني من رِيقِ بيضاءَ رُودِ[2]
إن دائي الظّما وإن دوائي ... شَرْبةٌ من رُضابِ ثغرٍ بَرُودِ[3]
ولها مَضْحَكٌ كغُرِّ الأَقاحِي ... وحديثٌ كالوَشْيِ وشيِ البُرودِ
نزلتْ في السَّوادِ من حبّةِ القلـ ... ـبِ ونالتْ زيادةَ المُسْتَزيدِ
ثم قالت نلقاكَ بعد لَيالٍ ... والليالي يُبْلِينَ كلَّ جديدِ
عندَها الصبرُ عن لقائي وعندي ... زَفَراتٌ يأكلنَ قلبَ الحديدِ

قال : فطرب الوليد وقال : مَن لي بمزاجِ كاسي هذه من ريق سلمى فيَروى ظَمَئي وتَطفأ غُلَّتي ! ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : إن فاتَنا ذاك فهذا .

[هجا جاره أبا زيد فهجاه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الطُّفاويّ قال حدّثني عبد الله بن أبي بكر ، وكان جليساً لبشّار ، قال : كان لنا جارٌ يُكنى أبا زيد وكان صديقاً لبشّار ، فبعث إليه يوماً يطلب منه ثياباً بنسيئةٍ فلم يصادفها عنده ، فقال يهجوه[4] : [من الهزج]

ألا إنّ أبا زيدٍ ... زَنى في ليلةِ القَدْرِ
ولم يَرْعَ ، تعالى اللـ ... ـهُ ربِّي ، حُرْمةَ الشَّهْرِ

وكتبها في رُقعة وبعث بها إليه ، ولم يكن أبو زيد ممّن يقول الشعر ، فقلبها وكتب في ظهرها : [من الهزج]

ألا إنّ أبا زيدٍ ... لـه في ذلكم عُذْرُ
أتتْه أُمُّ بشّارٍ ... وقد ضاقَ بها الأمرُ
فواثَبها فجامعَها ... وما ساعدَه الصّبرُ

1 ديوان بشّار : 79–80 .
2 رود : الشابة الحسنة .
3 الشطر الثاني في الديوان : «إن دائي الصدى وإن شفائي» .
4 ديوان بشّار : 121 .

قال : فلمّا قُرِئَتْ على بشّار غضِب وندِم على تعرّضه لرجل لا نباهة له ، فجعل ينطَحُ الحائط برأسه غيظاً ، ثم قال : لا تَعَرَّضتُ لهجاءِ سَفِلةٍ مثلِ هذا أبداً .

[شعره في قينة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني بعضُ ولد أبي عبيد الله وزير المهديّ ، قال : دخل بشار على المهديّ وقد عُرِضَتْ عليه جارية مغنّية فسمع غِناءها فأطربه وقال لبشّار : قُلْ في صفتها شعراً ؛ فقال[1] : [من الطويل]

ورائحةٍ للعين فيها مَخِيلَةٌ إذا بَرَقَتْ لم تَسْقِ بَطْنَ صَعِيدِ[2]
من المستَهلاّتِ السّرور على الفتى خفا بَرقُها في عبقرٍ وعُقُودِ[3]
كأنّ لساناً ساحراً في كلامها أُعِينَ بصوتٍ للقلوب صَيُودِ
تُمِيتُ به ألبابَنا وقُلوبَنا مراراً وتُحيِيهنَّ بعد هُمُودِ

[شعره في عقبة بن سلم]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال قال أبو عدنان حدّثني يحيى بن الجَوْن قال : دخل بشّار يوماً على عُقبة بن سَلْمٍ فأنشده قوله فيه[4] : [من الخفيف]

صوت

إنّما لَذّةُ الجَوادِ ابنِ سَلْمٍ في عَطاءٍ ومَرْكَبٍ لِلّقاءِ
ليس يُعطيكَ للرجاء ولا الخو فِ ولكن يَلَذُّ طَعْمَ العَطاءِ
يَسقُطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَـ ـبُّ وتُغْشى مَنازِلُ الكُرَماءِ
لا أُبالي صَفْحَ اللئيم ولا تَجْـ ـري دُموعي على الحَرونِ الصَّفاءِ
فعلى عُقبةَ السلامُ مقيماً وإذا سار تحت ظلِّ اللواءِ

فوصَلَه بعشرة آلاف درهم . وفي هذه الأبيات خفيف رملٍ مطلق في مجرى البنصر لرَذاذٍ ، وهو من مختار صنعته وصُدورِها وممّا تشبّه فيه بالقدماء ومذاهبهم .

[كان خلف الأحمر وخلف بن أبي عمرو يرويان شعره]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيُّ قال حدّثنا أحمد بن خَلاّدٍ عن الأصمعيّ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال

1 ديوان بشّار : 81–82 .
2 رائحة : واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحاً ويقابلها الغادية .
3 خفا برقها : لمع . عبقر : قرية باليمن توشى فيها الثياب والبسط . والمقصود هنا ثياب المغنية الموشاة .
4 ديوان بشّار : 14–15 .

حدّثني أحمد بن خَلاَّد عن الأصمعيّ قال : كنتُ أشهد خَلَفَ بن أبي عمرو بن العلاء وخَلَفاً الأحمر يأتيان بشّاراً ويُسلِّمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان : يا أبا معاذ ، ما أحدَثْتَ ؟ فيُخبرهما ويُنشدهما ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه ، فأتياه يوماً فقالا له : ما هذه القصيدة التي أحدَثتها في سلم بن قتيبة ؟ قال : هي التي بلغتكما ؛ قالا : بلغنا أنّك أكثرتَ فيها من الغريب ؛ فقال : نعم ، بلغني أنّ سَلْماً يتباصر[1] بالغريب فأحببتُ أن أُوردَ عليه ما لا يعرفه ؛ قالا : فأنشدناها ، فأنشدهما : [من الخفيف]

بَكِّرا صاحِبَيَّ قبل الهَجيرِ إنّ ذاكَ النجاحَ في التَّبكِيرِ

حتى فرغ منها ؛ فقال له خَلَف : لو قلت يا أبا مُعاذ مكان «إن ذاك النجاح» :

بَكِّرا فالنجاحُ في التَّبكيرِ

كان أحسن ؛ فقال بشّار : بَنيتُها أعرابيّة وحشِيَّةً ، فقلت : «إنّ ذاك النجاح» كما يقول الأعراب البدويُّون ، ولو قلت : «بَكِّرا فالنجاح» كان هذا من كلام المولَّدين ولا يشبه ذلك الكلام ولا يدخل في معنى القصيدة ؛ فقام خَلَفٌ فقبَّلَ بين عينيه ؛ وقال له خلف بن أبي عمرٍو يمازحه : لو كان عُلاثَةُ[2] ولدك يا أبا معاذ لفعلتُ كما فعل أخي ، ولكنّك مولًى ، فمدّ بشارٌ يده فضرب بها فخذ خَلَفٍ وقال[3] : [من البسيط]

ارْفُقْ بعَمرٍو إذا حَرَّكْتَ نِسبَتَه فإنّه عربيٌّ من قَواريرِ

فقال له : أفعلتَها يا أبا معاذ ؟ قال : وكان أبو عمرو يُغمَزُ في نسبه .

وأخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبّة عن أبي عبيدة ، فذكر نحوه وقال فيه : إنّ سَلْماً يُعجِبه الغريب .

[قيل له إنّ فلاناً سبّك عند الأمير فهجاه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال حدّثنا محمد بن سلاَّم قال قال لي خَلَفٌ : كنت أسمع ببشّار قبل أن أراه ، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره ، فاستنشدتهم شيئاً من شعره ، فأنشدوني شيئاً من شعره لم يكن بالمحمود عندي ، فقلت : والله لآتينّه ولأُطَأْطِئَنَّ منه ، فأتيتُه وهو جالسٌ على بابه ، فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثّة ، فقلت : لعن الله مَن يُبالي بهذا ، فوقفتُ

1 يتباصر بالغريب : يظهر أنّه بصير به .
2 يعني أنّه لو كان عربيّاً قحّاً .
3 ديوان بشّار : 123 .

أتأمَّلُه طويلاً ، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجلٌ فقال : إنّ فلاناً سبّك[1] عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك ؛ فقال : أوَ قد فعل ؟ قال : نعم ؛ فأطرق ، وجلس الرجل عنده وجلستُ ، وجاء قومٌ فسلّموا عليه فلم يردُد عليهم ، فجعلوا ينظرون إليه وقد دَرَّت أوداجُه ، فلم يلبث إلاّ ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفخمه[2] : [من الكامل]

نُبِّئتُ نائِـكَ أُمّـــهِ يغتابُنِـي عنـد الأميرِ وهـل عـليَّ أميرُ
نارِي مُحَرّقَـةٌ وبَيتِي واسِعٌ للمعتَفـينَ ومَجلِسي مَعْمُورُ
ولِيَ المهابـةُ في الأحبَّةِ والعِدا وكأَنّنـي أسَدٌ لـه تامُـورُ[3]
غَرِثَتْ حَليلتُـه وأخطأ صيدَه فلـه على لَقَـمِ الطريـق زَئِيرُ

قال : فارتَعَدَتْ والله فَرائِصي واقْشَعَرَّ جلدي وعَظُمَ في عيني جدّاً ، حتى قلت في نفسي : الحمد لله الذي أبعدني من شَرِّكَ .

[شعر له في مدح خالد بن برمك]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا العباس بن خالد قال[4] : مدح بشّار خالد بن برمكٍ فقال فيه : [من الطويل]

لعَمْرِي لَقَد أجْدى عليَّ ابنُ برمَكٍ وما كلُّ مَنْ كان الغِنَى عنده يُجْدِي
حَلَبتُ بشعْرِي راحَتَيْـه فَدَرَّتـا سَماحاً كما دَرَّ السَّحابُ مع الرّعدِ
إذا جئتَـه للحمـــد أشرقَ وجهُه إليكَ وأعطاكَ الكرامةَ بالحمدِ
لـــه نِعَمٌ في القـومِ لا يستثيبُها جـزاءٌ وكَيْلَ التاجِـر المُـدَّ بالمُدِّ
مُفِيـدٌ ومِتلافٌ ، سَبيلُ تُراثِـه إذا ما غدا أو راحَ كالجزْرِ والمَدِّ[5]
أخالـدُ إنّ الحمـدَ يبقَى لأهلِـه جمالاً ولا تبقَى الكُنوزُ على الكَدِّ
فَأَطْعِمْ وكُلْ مـن عارَةٍ مُستَرَدَّةٍ ولا تُبقِهـا ، إن العَـوارِيَ للرَّدِّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يُعطِيهِ في كلِّ وِفادَةٍ خمسة آلاف درهم ، وأمر خالدٌ أن يُكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه . وقال ابنه يحيى بن خالد : آخرُ ما أوصاني به أبي العملُ بهذين البيتين .

---

1 ل : سبعك .
2 ديوان بشّار : 111 .
3 التامور : عرين الأسد .
4 ديوان بشار : 88–89 .
5 تراثه لعلّها «ثرائه» ليستقيم المعنى .

[عمر بن العلاء ومدائح الشعراء فيه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عثمان[1] قال : كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عُمّال الخراج ، وكان عفيفاً بخيلاً ، فسأل عُمَرَ بن العلاء ، وكان جواداً شجاعاً ، في رجل فوهب له مائة ألف درهم ؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عُمَر بن العلاء خائنٌ ؛ قال : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : كُلِّمَ في رجل كان أقصى أَمَلِه ألفَ درهم فوهب له مائة ألف درهم ؛ فضحك المهديّ ثم قال : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعمَل على شاكِلَتِه﴾ ، أما سمعت قول بشّار في عمر[2] : [من المتقارب]

إذا دَهَمَتْكَ عِظامُ الأمورِ فَنَبِّهْ لها عُمَراً ثم نَمْ
فتىً لا ينامُ على دِمْنَةٍ ولا يَشْرَبُ الماءَ إلاّ بدَمْ[3]

أوَ ما سمعتَ قول أبي العتاهية فيه : [من الكامل]

صوت

إنّ المطايا تَشتَكِيكَ لأنّها قَطَعَتْ إليك سَباسِباً ورِمالا
فإذا ورَدْنَ بنا وَرَدْنَ مُخِفَّةً وإذا رجَعْنَ بنا رجَعْنَ ثِقالا

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرِو بن بانة ، أوَ ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية : [من البسيط]

يا ابنَ العَلاء ويا ابنَ القَرْمِ مِرْداسِ إنّي لأُطْرِيكَ في صَحْبِي وجُلاَّسي
حتى إذا قيل ما أعطاكَ من نَشَبٍ أُلفِيتُ من عُظْمِ ما أُسديتَ كالناسي

ثم قال : مَن اجتمعتْ أَلْسُنُ الناس على مدحه كان حقيقاً أن يُصدِّقَها بفعله .

[شعره في جارية له سوداء]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو بكر الرَّبَعِيّ قال : كانت لبشّار جارية سوداء وكان يَقَعُ عليها ، وفيها يقول[4] : [من السريع]

وغادَةٍ سَوداءَ بَرَّاقَةٍ كالماءِ في طِيبٍ وفي لِينِ
كأنّها صِيغَتْ لمن نالَها من عَنبرٍ بالمِسكِ مَعجُونِ

---

1 ل : طهمان .
2 ديوان بشار : 218 وفيه «إذا أيقظتك حروب العدا» .
3 دمنة : حقد .
4 ديوان بشّار : 239 عن الأغاني .

[ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني أبو الشِّبل البُرْجُميّ قال : قال رجلٌ لبشّار : إنّ مدائحك عُقبة بن سَلْمٍ فوق مدائحكَ كلَّ أحدٍ ؛ فقال بشّار : إنّ عطاياه إيّايَ كانت فوق عطاءِ كلّ أحدٍ ، دخلتُ إليه يوماً فأنشدته : [من الخفيف]

حرَّم اللهُ أن تَرى كابنِ سَلْمٍ عُقبَـةِ الخيرِ مُطْعِـمِ الفقراءِ
ليس يُعطِيكَ لِلرَّجاءِ ولا الخو فِ ولكن يَلَذُّ طَعْـمَ العَطاءِ
يَسقطُ الطيرُ حيثُ يَنْتَثِرُ الحَـ ـبُّ وتُغشى مَنـازِلُ الكُرَماءِ

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار ، وها أنا قد مدحت المهديّ وأبا عبيد الله وزيره ، أو قال يعقوب بن داود ، وأقمتُ بأبوابهما حولاً فلم يعطياني شيئاً ، أفأُلامُ على مدحي هذا !

[أبو الشمقمق ينتزع الجزية من بشّار]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ أيضاً : حدّثني عليّ قال حدّثني عبيد الله بن أبي الشِّيص عن دِعبِل بن عليّ قال : كان بشّار يُعطي أبا الشمقمق في كلّ سنة مائتي درهمٍ ، فأتاه أبو الشمقمق في بعض تلك السنين فقال له : هَلُمَّ الجزية يا أبا مُعاذ ؛ فقال : ويحَك ! أجزيةٌ هي ؟ قال : هو ما تسمع ؛ فقال له بشّار يمازحه : أنتَ أفصحُ منّي ؟ قال : لا ؛ قال : فأعلمُ منّي بمثالب الناس ؟ قال : لا ؛ قال : فأشعَرُ منّي ؟ قال : لا ؛ قال : فلِمَ أُعطيك ؟ قال : لئلاّ أهجُوَكَ ؛ فقال له : إنْ هجوتَنِي هجوتُك ؛ فقال له أبو الشمقمق : هكذا هو ؟ قال : نعم ، فقل ما بدا لك ؛ فقال أبو الشمقمق : [من الرجز]

إنّي إذا ما شاعِرٌ هَجانِيَهْ ولَجَّ في القـولِ له لِسانِيَهْ
أدخلتُه في استِ آمّهِ عَلانِيّهْ بشّارُ يا بشّارُ . . . . . .

وأراد أن يقول : «يا ابن الزانِيَهْ» ؛ فوثب بشّارٌ فأمسك فاه ، وقال : أراد والله أن يشتمني ، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له : لا يسمَعَنَّ هذا منك الصبيان يا أبا الشمقمق .

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيُّ قال حدّثني محمد بن بكر قال حدّثني الأصمعيّ قال : أمر عقبة بن سَلْم الهُنائيّ لبشّار بعشرة آلاف درهم ، فأُخبر أبو الشمقمق بذلك فوافى بشّاراً فقال له : يا أبا مُعاذٍ ، إنّي مررتُ بصبيانٍ فسمعتُهم يُنشدون : [من مجزوء الرمل]

هَلِّلِينَـــهْ هَلِّلِينَـــــهْ طَعْـنَ قِتَّـاةٍ لِـتِينَـهْ
إنّ بشّارَ بـنَ بـــردٍ تَيسٌ اعمَى في سَفِينَـهْ

فأخرج إليه بشّارٌ مائتي درهم فقال : خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشمقمق .

[شعره في هجاء العبّاس بن محمد بن علي]

أخبرني أحمد قال حدّثنا أبو محمد الصَّعْتَرِيّ قال حدّثنا محمد بن عثمان البصريّ قال : استمنحَ بشّار بن برد العبّاس بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس فلم يَمنحْه ، فقال يهجوه[1] : [من البسيط]

ظِلُّ اليسارِ على العباسِ مَمـدُودُ وقَلبُـهُ أبـداً في البخـلِ مَعقُودُ
إنّ الكريمَ لَيُخْفِي عنكَ عُسرَتَهُ حتى تَراه غَنِيّـاً وهـو مجهودُ
وللبخيـلِ على أموالِـهِ عِلَـلٌ زُرقُ العيونِ عليها أوجُـهٌ سُودُ
إذا تكرَّهتَ أن تُعْطِي القليلَ ولم تَقـدِرْ على سَعَةٍ لم يَظهَـرِ الجُودُ
أَوْرِقْ بخَيرٍ تُرَجَّـى لِلنّوالِ فما تُرْجى الثمارُ إذا لم يُورِقِ العُودُ
بُثَّ النَّـوالَ ولا تَمنَعْـكَ قِلَّتُـهُ فكلُّ مـا سَدَّ فَقراً فهـو محمودُ

[اجتمع بعباد بن عباد وسلّم عليه]

أخبرني أحمد قال حدّثنا العَنزيُّ قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلَّبيّ قال حدّثني أبي عن عبّاد بن عبّاد قال : مررتُ ببشّار فقلت : السلامُ عليك يا أبا معاذ ؛ فقال : وعليك السلام ، أعبّاد ؟ فقلت : نعم ؛ قال : إنّي لحسن الرأي فيك ؛ فقلت : ما أحوَجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ !

[جارى امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمر الجُرجانيّ عن أبي يعقوب الخُرَيميّ الشاعر أنّ بشّاراً قال : لم أزل منذ سمعتُ قول امرىء القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيتٍ واحدٍ حيث يقول : [من الطويل]

كأنّ قلـوبَ الطيرِ رَطْبـاً ويابساً لدى وكرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي

أُعمِلُ نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلتُ : [من الطويل]

كأنّ مُثارَ النّقعِ فـوقَ رؤوسِنا وأسيافَنا ليلٌ تَهـاوَى كَواكِبُهْ

قال يحيى : وقد أخذ هذا المعنى منصورٌ النَّمريّ فقال وأحسن : [من البسيط]

ليلٌ من النّقْعِ لا شمسٌ ولا قَمَرٌ إلاّ جَبِينُكَ والمذْرُوبَةُ الشُّرُعُ[2]

1 ديوان بشار : 74–75 .

2 المذروبة الشُّرع : السيوف المحدّدة المشروعة .

[كان إسحاق الموصليّ يطعن في شعره ولمّا أنشد منه سكت]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : كان إسحاق الموصليّ يطعن على شعرِ بشّار ويضع منه ويذكر أنّ كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضاً ؛ فقلنا : أتقول هذا القول لمن يقول[1] : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمـورِ مُعاتباً صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتِبُهْ
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخـاكَ فإنّهُ مُقـارِفُ ذنـبٍ مَـرّةً ومُجانِبُهْ
إذا أنتَ لم تشرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصْفُو مَشارِبُهْ

لأبي العنبس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ بالبنصر ، قال عليّ بن يحيى : وهذا الكلامُ الذي ليس فوقه كلامٌ من الشعر ولا حَشوَ فيه ؛ فقال لي إسحاق : أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنّى أنّ شُبَيلَ بن عزرة الضَّبّعيَّ أنشده هذه الأبيات للمتلمّس ، وكان عالماً بشعره لأنّهما جميعاً من بني ضبيعة ؛ فقلت له : أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنّه قال لبشّار : إنّ شُبيلاً أخبره أنّها للمتلمّس ؛ فقال : كذبَ والله شُبيلٌ ، هذا شعري ، ولقد مدحت به ابن هُبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفاً . وقد صدق بشّار ، قد مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة ، وقال فيها : [من الطويل]

روَيـدَ تَصاهَـلْ بالعـراق جِيادُنا كأنّكَ بالضّحاكِ قـد قامَ نادِبُهْ
وسامٍ لمروانٍ ومِنْ دونِـه الشَّجا وهَوْلٌ كَلُجِّ البحرِ جاشَتْ غوارِبُهْ
أحَلَّتْ بـه أُمُّ المنايـا بناتِها بأسيافنا ، إنّا رَدى مَـنْ نُحارِبُهْ
وكنّا إذا دَبَّ العـدوُّ لسِخْطِنا وراقَبنـا في ظاهـرٍ لا نُراقِبُهْ
ركِبنا لـه جَهْـراً بكلِّ مُثَقَّفٍ وأبيضَ تَستسْقي الدِّمـاءَ مَضارِبُهْ

ثم قلت لإسحاق : أخبرني عن قول بشّار في هذه القصيدة : [من الطويل]

فلمّا تَوَلّـى الحَـرُّ واعتَصَرَ الثّرى لَظى الصَّيفِ مِنْ نَجمٍ تَوَقَّدَ لاهِبُهْ
وطارَتْ عَصافيرُ الشَّقائقِ واكتسَى من الآلِ أمثـالَ المَجَـرَّةِ ناضِبُهْ[2]
غَدَتْ عانَةٌ تشكو بأبصارِها الصَّدَى إلى الجأْبِ إلاّ أنّها لا تُخاطِبُهْ

العانة : القَطِيع من الحمير ، والجأب : ذكرها . ومعنى شكواها الصدى بأبصارها أنّ

1 ديوان بشار : 42–48 .

2 الشقائق : جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب .

العطش قد تبيّن في أحداقها فغارت ، قال : وهذا من أحسن ما وُصِف به الحمار والأُتُن ، أفهذا للمتلمّس أيضاً ؟ قال : لا ؛ فقلت : أفما هو في غاية الجَودة وشبيهٌ بسائر الشعر ؟ فكيف قصد بشّار لسرقة تلك الأبيات خاصّة ! وكيف خصّه بالسرقة منه وحدَه من بين الشعراء وهو قبله بعصرٍ طويلٍ ؟ وقد روى الرُّواةُ شعره وعلم بشّار أنّ ذلك لا يخفى ، ولم يُعثَر على بشّار أنّه سرق شعراً قطّ جاهليّاً ولا إسلاميّاً . وأُخرى فإنّ شعر المتلمّس يُعرفُ[1] في بعض شعر بشّار ؛ فلم يردُدْ ذلك بشيءٍ .

وقد أخبرني بهذا الخبر هاشمُ بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبي عبيدة أنّ بشّاراً أنشده : [من الطويل]

إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تُعاتبُهْ

وذكر الأبيات . قال : وأنشدتُها شُبيلَ بن عَزْرَةَ الضُّبَعِيّ ، فقال : هذا للمتلمّس ؛ فأخبرتُ بذلك بشّاراً ، قال : كذب والله شُبَيل ، لقد مدحتُ ابن هبيرة بهذه القصيدة وأعطاني عليها أربعين ألفاً .

[سأل طاهر عن ولد بشّار ليبرّهم]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم[2] المَروَزِيّ ، وكان أبوه من قوّاد طاهر ، قال حدّثني أبي قال : لمّا خلعَ محمّدٌ المأمونَ وندَب له عليَّ بنَ عيسى ، ندب المأمون للقاء عليّ بن عيسى طاهِرَ بن الحسين ذا اليمينين وجلس له لعَرضِه وعَرْض أصحابه ، فمرّ به ذو اليمينين مُعترضاً وهو يُنشد : [من الطويل]

رُوَيدَ تَصاهَلْ بالعراق جيادُنا كأنّكَ بالضحّاكِ قد قام نادِبُهْ

فتفاءل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه ؛ فقال ذو الرِّياسَتَين : يا أمير المؤمنين هو حَجَرُ العِراق ؛ قال : أجل . فلمّا صار ذو اليمينين إلى العراق سأل : هل بقي من ولد بشّار أحد ؟ فقالوا : لا ؛ فتوهّمت أنّه قد كان همَّ لهم بخيرٍ .

[غضب على سلم الخاسر لأنّه سرق من معانيه]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح ، وكان أحدَ الأدباء ، قال : غَضِبَ بشّارٌ على سَلْمٍ الخاسِرِ وكان من تلامذته ورُواته ، فاستشفع عليه بجماعةٍ من إخوانه فجاؤوه في أمره ؛ فقال لهم : كلُّ حاجةٍ لكم مَقْضِيَّةٌ إلاّ سَلْماً ؛ قالوا : ما جئناك إلاّ في سَلْمٍ ولا بدّ من أن تَرضى عنه لنا ؛ فقال : أين هو الخبيث ؟ قالوا : ها هو هذا ؛ فقام إليه سَلْمٌ فقبّل رأسه ومثَل بين

1 ل : يفرق .

2 ل : علي .

يديه وقال : يا أبا معاذ ، خِرِّيجُكَ وأَديبُكَ ؛ فقال : يا سَلْمُ ، مَن الذي يقول : [من البسيط]

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجته وفازَ بالطّيباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

قال : أنت يا أبا مُعاذٍ ، جعلني الله فداءَكَ ! قال : فمَن الذي يقول : [من مخلّع البسيط]

مَنْ راقبَ الناسَ مات غَمّاً وفاز باللَّذّةِ الجَسُورُ

قال : خِرِّيجُكَ يقول ذلك (يعني نفسه) ؛ قال : أفتأخُذُ معانيَّ التي قد عُنِيتُ بها وتَعِبتُ في استنباطها ، فتكسوها ألفاظاً أخفَّ مِنْ ألفاظي حتى يُروى ما تقول ويذهب شعري ! لا أرضى عنك أبداً ، قال : فما زال يتضرَّعُ إليه ، ويشفَعُ له القومُ حتى رَضِيَ عنه . وفي هذه القصيدة يقول بشّارٌ[1] : [من البسيط]

لو كنتِ تَلْقِينَ ما نَلْقى قَسَمتِ لنا يوماً نَعِيشُ بـه منكم ونَبتَهِجُ

صوت

[من البسيط]

لا خيرَ في العيش إن كنّا كذا أبدا لا نَلتقِي وسبيلُ الملتَقى نَهَجُ[2]

قالوا حرامٌ تلاقِينا فقلت لهم ما في التَّلاقِي ولا في قُبْلَةٍ حَرَجُ

مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بحاجتهِ وفاز بالطّيّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ

أشكو إلى الله هَمّاً ما يُفارِقُنِي وشُرَّعاً في فُؤادِي الدّهرَ تعتَلِجُ

[أنشد الأصمعيّ شعره في هجو باهلة]

أخبرنا محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن خَلاّدٍ قال : أنشدتُ الأصمعيّ قول بشّارٍ يهجو باهلة[3] : [من الرمل]

ودعـــاني مَعشَرٌ كُلُّهُـــمُ حُمُقٌ دام لهـــمْ ذاكَ الحُمُقْ

ليس مـن جُرمٍ ولكن غاظَهُم شَرَفِي العارِضُ قـد سَدَّ الأُفُقْ

فاغتاظ الأصمعيّ فقال : وَيْلِي على هذا العبد القِنّ ابنِ القِنّ[4] !

[حديثه مع امرأة في الشيب]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني

1 ديوان بشّار : 59–60 .

2 نهج : بيّن واضح .

3 ديوانه : 168– 169 .

4 القن : العبد مُلك هو وأبوه .

عبّاس بن خالد قال سمعتُ غيرَ واحد من أهل البصرة يُحدِّثُ : أنّ امرأةً قالتْ لبشّار : أيّ رجل أنتَ لو كنتَ أسودَ اللحية والرأس ! قال بشّار : أما علِمتِ أنّ بِيض البُزاة أثمن من سُود الغِربان ؛ فقالت له : أمّا قولك فحَسَنٌ في السّمع ، ومن لك بأن يَحسُن شَيبُك في العين كما حسُنَ قولك في السّمع ! فكان بشّار يقول : ما أفحمني قطّ غير هذه المرأة .

[أحبّ الأشياء إليه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازنيّ : سئل بشّار : أيُّ متاع الدنيا آثرُ عندكَ ؟ فقال : طعامٌ مُزّ ، وشرابٌ مُرّ ، وبنتُ عشرين بِكْر .

[دخل إليه نسوة وطلب من إحداهنّ أن تواصله]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن صالح بن عطيّة قال : كان النساء المتظرِّفات يدخُلْنَ إلى بشّار في كلّ جمعة يومين ، فيجتمعن عنده ويسمَعْن من شعره ، فسمِع كلام امرأة منهنّ فعلِقَها قلبُه وراسلها يسألها أن تواصله ؛ فقالت لرسوله : قل له وأيُّ معنى فيك لي أوْ لك فيّ ! وأنت أعمى لا تراني فتعرف حسني ومقداره ، وأنتَ قبيحُ الوجه فلا حظّ لي فيك ؛ فليت شِعري لأيّ شيء تطلُب وِصال مثلي ؟ وجعلَتْ تهزأُ به في المخاطبة ؛ فأدّى الرسول الرسالة ، فقال له : عُد إليها فقل لها : [من الكامل]

أيرِي لـــه فضلٌ على آيارهم ... وإذا أشظّ سَجدْنَ غير أوابِي[1]

تلقاه بعــد ثــلاثَ عشْرةَ قائماً ... فعلَ المؤذِّن شكَّ يومَ سَحابِ

وكأنّ هامَــةَ رأسه بِطّيخــةٌ ... حُمِلتْ إلى مَلِكٍ بدجلةَ جابي[2]

[اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيبانيّ عن أبيه قال : قال مروان لبشّار لمّا أنشده هذا البيت : [من الرمل]

وإذا قلتُ لهـا جُـــودِي لنا ... خرجَتْ بالصَّمْت مِن لا ونَعَمْ

جعلني الله فِداءك يا أبا معاذ ! هلاّ قلتَ : «خَرِستْ بالصَّمْت» ؛ قال : إذاً أنا في عقلك فضّ الله فاك ! أأتطيّر على مَن أُحِبّ بالخَرس ؟ .

---

1 أشظ : أنعظ . أوابي : ممتنعات آبيات .

2 جابي : جامع الخراج .

[مدح خالد البرمكيّ فأجازه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني بعضُ أصحابنا قال : وفَد بشّار إلى خالد بن برمك وهو على فارِس فأنشده[1] : [من الطويل]

أخالــدُ لم أُخْبِطْ إليك بذمّةٍ سوى أنّني عافٍ وأنتَ جَوادُ
أخالدُ بينَ الأجر والحمدِ حاجتي فأيّهما تأتــي فأنــتَ عِمادُ
فإن تُعطني أُفرِغْ عليك مدائحي وإن تأبَ لم يُضْرَبْ عليّ سدادُ
رِكابي على حَرْفٍ وقلبي مُشَيَّع وما لي بأرض الباخلـينَ بِلادُ[2]
إذا أنكرتنِي بَلـدةٌ أو نَكِرْتُها خرجتُ مع البازِي عليّ سَوادُ

قال : فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضَع واحداً عن يمينه وواحداً عن شِماله وآخرَ بين يديه وآخر خلفَه ، وقال : يا أبا معاذ ، هل استقلّ العماد ؟ فلَمس الأكياس ثم قال : استقلّ والله أيّها الأمير .

[مدح الهيثم بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال قال محمد بن الحجّاج حدثني بشّار قال : دخلت على الهيثم بن معاوية وهو أمير البصرة ، فأنشدته : [من الرجز]

إنّ السّلامَ أيُّهــا الأميرُ عليكَ والرّحمةُ والسّرورُ

فسمعتُه يقول : إنّ هذا الأعمى لا يدَعنا أو يأخذ من دراهمنا شيئاً ؛ فطمعتُ فيه فما برحتُ حتّى انصرفتُ بجائزته .

[طلب رجلاً من بني زيد للمفاخرة وهجاه فانقطع عنه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : وقَف رجلٌ من بني زيد شريفٌ ، لا أُحِبّ أن أُسمّيَه ، على بشّار ، فقال له : يا بشّار قد أفسدتَ علينا مَوالينا ، تَدعوهم إلى الانتفاء منّا وتُرغّبهم في الرُّجوع إلى أصولهم وترك الوَلاء ، وأنت غيرُ زاكي الفَرع ولا معروف الأصل ؛ فقال له بشّار : والله لأَصْلِي أكرمُ من الذهب ، ولَفَرْعي أزكى من عمل الأبرار ، وما في الأرض كلبٌ يودّ أنّ نسبَكَ له بنسبه ، ولو شئتُ أن أجعل جوابَ كلامك كلاماً[3] لفعلتُ ، ولكنّ موعدك غدا بالمِربَد ؛ فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهّم أنّ بشّاراً يحضُر معه المِربد ليفاخره ، فخرج من الغد يريد المِربد فإذا رجل يُنشِد : [من الطويل]

1 ديوان بشار : 70–71 .
2 الحرف : الناقة القوية . ومشيع : شجاع .
3 كلاماً في ل : شعراً .

شهِدتُ على الزَّيديّ أنّ نِساءه ضِباعٌ إلى أيـر العُقيليّ تَزفِرُ[1]

فسأل عمّن قال هذا البيت ؛ فقيل له : هذا لبشّار فيك ؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المِربد حتّى مات .

قال ابن سَلاّم : وأنشد رجل يوماً يونس في هذه القصيدة وهي[2] : [من الطويل]

بَلَوتُ بنـي زيدٍ فمـا في كِبارهم حُلـومٌ ولا في الأصغَرِيـنَ مُطهَّرُ
فأبلغْ بنـي زيـدٍ وقـلْ لَسراتهم وإن لم يكـن فيهم سَراةٌ تُوقَّرُ
لأمِّكم الوَيـلاتُ إنّ قصائدي صَواعـقُ منهـا مُنجـدٌ ومغوِّرُ
أجَدَّهـمُ لا يتَّقـونَ دَنِيّـةً ولا يُؤثِـرون الخيرَ والخيرُ يؤثَرُ
يَلُفُّون أولاد الزّنـا في عِدادِهم فعِدّتُهم من عِـدّةِ الناسِ أكثرُ[3]
إذا مـا رأوا مَنْ دأبُه مثلُ دأبهم أطافوا بـه ، والغَيُّ للغيِّ أصوَرُ[4]
ولـو فارقـوا من فيهمُ من دَعارةٍ لمـا عرفتْهم أُمُّهـم حـين تَنظُرُ
لقـد فخَـروا بالمُلْحَقِينَ عشيَّةً فقلتُ افخروا إن كان في اللؤمِ مفخَرُ
يريـدون مَسْعاتِـي ودون لقائِها قناديلُ أبـوابِ السَّمواتِ تَزْهَرُ[5]
فقل في بني زيـدٍ كما قال مُعْرِبٌ قَوارِيـرُ حَجَّـامٍ غـداً تَتَكَسَّرُ

فقال يونس للذي أنشده : حَسْبُك حسبك ؛ مَنْ هَيَّجَ هذا الشيطانَ عليهم ؟ قيل : فلانٌ ؛ فقال : رُبَّ سَفِيهٍ قومٍ قد كسَبَ لقومه شرّاً عظيماً .

[ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلم واستحقّ جائزته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني عبد الله بن بُشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ[6] قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجّاج قال : قال بشّار : دعاني عقبة بن سَلْم ودعا بحمّاد عَجْرَد وأعشى باهلة ، فلمّا اجتمعنا عنده قال لنا : إنّه خطر ببالي البارحة مَثَلٌ يتمثّله الناس : «ذهبَ الحمارُ يطلبُ قرنَيْنِ فجاءَ بِلا أذنيْنِ» فأخرِجوه من الشعر ، ومن أخرجَه فله خمسة آلاف درهم ، وإن لم تفعلوا جَلَدْتُكم كُلَّكم خمسمائة ؛ فقال حمّاد :

---

1 ضباع : جمع ضبعة وهي الناقة تشتهي الفحل .
2 ديوان بشار : 115– 116 .
3 يلفون : يجمعون .
4 أصور : أميل .
5 مسعاتي : مكرمتي . تزهر : تتلألأ .
6 ل : المضري .

أجِّلْنا أعزّ الله الأمير شهراً ؛ وقال الأعشى : أجِّلْنا أسبوعين ؛ قال : وبشّار ساكتٌ لا يتكلّم ؛ فقال له عقبة : مالكَ يا أعمى لا تتكلّم ! أعمى الله قلبك ؛ فقال : أصلحَ اللهُ الأمير ، قد حضرني شيءٌ فإن أمرتَ قلتُه ؛ فقال قل ؛ فقال[1] : [من السريع]

شَطَّ بِسَلْمى عاجلُ البينِ ... وجاورتْ أُسْدَ بَنِي القَيْنِ
ورَنَّتِ النفسُ لها رَنَّةً ... كادتْ لها تنشَقُّ نصفَيْنِ
يا ابنةَ مَن لا أشتَهِي ذكرَه ... أخشى عليهِ عُلَقَ الشَّيْنِ
واللهِ لو ألقاكِ لا أتّقي ... عيناً لقبَّلتُكِ ألفَيْنِ
طالبتُها دَيني فراغَتْ به ... وعَلَّقتْ قلبي مع الدَّيْنِ
فصِرتُ كالعَيْرِ غدا طالباً ... قَرْناً فلم يَرجِعْ بأُذْنَيْنِ

قال : فانصرف بشّارٌ بالجائزة .

[قصّته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثني عثمان بن عمرٍو الثقفيّ قال قال أبانُ بن عبد الحميد اللاحقيّ : نزل في ظاهر البصرة قومٌ من أعراب قَيس عَيلان وكان فيهم بيانٌ وفصاحة ، فكان بشّار يأتيهم ويُنشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيُجلُّونه لذلك ويُعظِّمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدّثن إليه وينشدهنّ أشعاره في الغزل وكنّ يُعجَبن به ، وكنتُ كثيراً ما آتي ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم ، فأتيتُهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا ، فجئتُ إلى بشّار فقلت له : يا أبا معاذ ، أعَلِمتَ أنّ القوم قد ارتحلوا ؟ قال : لا ؛ فقلت : فاعلم ؛ قال : قد علمتُ لا علمتَ ؛ ومضيتُ ، فلمّا كان بعد ذلك بأيّام سمعتُ الناس يُنشدون[2] : [من الوافر]

دعا بفِراق مَنْ تَهْوى أبانُ ... ففاضَ الدّمعُ واحترقَ الجَنانُ
كأنّ شَرارةً وقعَتْ بقلبي ... لها في مُقْلتِي ودَمِي استِنانُ[3]
إذا أنشدتُ أو نَسَمَتْ عليها ... رياحُ الصّيفِ هاجَ لها دُخانُ

فعلِمتُ أنّها لبشّار ، فأتيتُه فقلت : يا أبا معاذ ، ما ذنبي إليك ؟ قال : ذنبُ غرابِ البين ؛ فقلت : هل ذكرتَني بغير هذا ؟ قال : لا ؛ فقلت : أنشُدُكَ الله ألاّ تزيد ؛ فقال : امضِ لشأنك فقد تركتُكَ .

---

1 ديوان بشّار : 238-239 .

2 ديوان بشّار : 222 عن الأغاني .

3 استنان : سرعة السير .

[بشّار وجعفر بن سليمان]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني يحيى بن سعيد الأيوزَرِذِي المعتزليّ قال حدّثني أحمد بن المعذّل عن أبيه قال : أنشد بشّار جعفر بن سليمان[1] : [من الطويل]

أقِلّـــي فإنّا لاحِقـــونَ وإنّمـا يُؤَخِّرنا أنّا يُعَـدُّ لنـــا عَـدَّا

وما كنتُ إلاّ كالأغـــرّ ابن جعفرٍ رأى المالَ لا يبقى فأبقى بـه حمدا

فقال له جعفر بن سليمان : مَن ابنُ جعفرٍ ؟ قال : الطيّارُ في الجنّة ؛ فقال : لقد سامَيْتَ غير مُسامًى ؛ فقال : والله ما يُقعِدُني عن شأوه بعد النسب ، لكن قِلّةُ النشب ، وإنّي لأجودُ بالقليل وإن لم يكن عندي الكثيرُ ، وما على مَن جاد بما يملك ألاّ يهبَ البدورَ ؛ فقال له جعفر : لقد هَزَزْتَ أبا مُعاذ ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه .

[جوابه عندما سئل عن ميله للهجاء دون المديح]

ونسخت من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الرازيّ عن سليمان بن سليمان العَلَويّ قال : قيل لبشّار : إنّك لكثيرُ الهِجاء ؛ فقال : إنّي وجدتُ الهِجاءَ المؤلم آخَذَ بِضَبُع[2] الشاعر من المديح الرائع ، ومَن أراد من الشعراء أن يُكرَمَ في دَهرِ اللئامِ على المديح فليستعدَّ للفقرِ وإلاّ فليُبالِغ في الهجاء ليُخافَ فيُعطى .

[بشّار في صباه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان بُردٌ أبو بشّار طَيَّاناً حاذِقاً بالتّطيين ، ووُلِد له بشّار وهو أعمى ، فكان يقول : ما رأيتُ مولوداً أعظم بركةً منه ، ولقد وُلِد لي وما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعتُ مائتي درهم . ولم يمت بردٌ حتى قال بشّار الشعر . وكان لبشّار أخوانِ يقال لأحدهما : بشر ، وللآخر : بشير ، وكانا قصّابَين وكان بشّار بارّاً بهما ، على أنّه كان ضيِّق الصدر متبرِّماً بالناس ، فكان يقول : اللهمّ إنّي قد تبرَّمت بنفسي وبالناس جميعاً ، اللهمّ فأَرِحني منهم . وكان إخوته يستعيرون ثيابه فيوسِّخونها ويُنتِنون ريحَها ، فاتّخذ قميصاً له جَيبان وحلف ألاّ يُعيرهم ثوباً من ثيابه ، فكانوا يأخذونها بغير إذنه ؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول إذا وجد رائحةً كريهةً من ثوبه : «أينما أتوجَّه أَلْقَ سَعْدا» . فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على نَتْنِها ووسَخِها ، فيقال له : ما هـذا يا أبا معاذ ؟ فيقول : هذه ثمرة صِلة الرّحم . قال : وكان يقول الشعر وهو صغير ، فإذا هجا قوماً جاؤوا إلى أبيه فشكَوه فيضربه ضرباً

1 ديوان بشّار : 76–77 .

2 الضبع : العضد أو ما بين الإبط إلى منتصف العضد .

شديداً ، فكانت أمّه تقول : كم تضرِب هذا الصبيّ الضرير ، أما ترحمه ؟ فيقول : بلى والله إنّي لأرحمه ولكنّه يتعرّض للناس فيشكونه إليّ ؛ فسمعه بشّار فطمِع فيه فقال لـه : يا أبتِ إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليك هو قول الشعر ، وإنّي إن ألممتُ عليه أغنيتُكَ وسائرَ أهلي ، فإن شَكَوني إليك فقل لهم : أليس الله يقول : ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمى حَرَجٌ﴾ . فلمّا عاودوه شَكواه قال لهم بُردٌ ما قاله بشّار ؛ فانصرفوا وهم يقولون : فِقْهُ بُردٍ أغْيظُ لنا من شعرِ بشّار .

[أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني محمد بن عثمان الكُرَيْزِيّ قال حدّثني بعض الشعراء قال : أتيتُ بشّاراً الأعمى وبين يديه مائتا دينار ، فقال لي : خذ منها ما شئت ، أوَ تَدري ما سببها ؟ قلت : لا ؛ قال : جاءني فتًى فقال لي : أنت بشّار ؟ فقلت : نعم ؛ فقال : إنّي آليتُ أن أدفع إليك مائتيْ دينارٍ وذلك أنّي عَشِقتُ امرأة فجئتُ إليها فكلّمتها فلم تلتفِت إليّ ، فهمَمتُ أن أتركها فذكرت قولك[1] : [من الكامل]

لا يُؤْيِسَنَّكَ من مُخَبَّأةٍ قولٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحا
عُسْرُ النِّساءِ إلى مُياسَرَةٍ والصَّعْبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

قعدتُ إليها فلازمتُها حتى بلغتُ منها حاجتي .

[عاب الأخفش شعره ثم صار يستشهد به]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان الأخفش طعن على بشّار في قوله[2] : [من الكامل]

فالآنَ أقْصَرَ عن سُمَيَّةَ باطلي وأشارَ بالوَجَلى عليّ مُشِيرُ

وفي قوله[3] : [من الطويل]

على الغَزَلى منّي السَّلامُ فربَّما لَهَوْتُ بها في ظِلِّ مَرْؤُومَةٍ زُهْرِ[4]

وفي قوله في صفة سفينةٍ[5] : [من الوافر]

تُلاعِبُ نِينانَ البُحورِ وربَّما رأيتَ نفُوسَ القوم من جَرْيِها تَجْرِي

وقال : لم يُسمَع من الوجَل والغزل فَعَلى ، ولم أسمع بنونٍ ونينان ؛ فبلغ ذلك بشّاراً

1 ديوان بشّار : 63 .
2 ديوان بشّار : 111 .
3 ديوان بشّار : 133 .
4 مرؤومة : محبوبة .
5 ديوان بشّار : 134 وفيه «تلاعب تيار البحور . . .» .

فقال : ويلي على القَصّارين ؟ متى كانت الفصاحة في بيوت القصّارين ؟ دعوني وإيّاه ؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى وجَزِع ؛ فقيل له : ما يُبكيك ؟ فقال : وما لي لا أبكي وقد وقعت في لسان بشّار الأعمى ! فذهب أصحابه إلى بشّار فكذّبوا عنه واستوهَبوا منه عِرضه وسألوه ألاَّ يهجوه ؛ فقال : قد وهبتُه لِلؤم عِرضِه . فكان الأخفش بعد ذلك يحتَجُّ بشعره في كتبه لِيَبلُغَه ؛ فكَفَّ عن ذكره بعد هذا .

قال : وقال غير أبي حاتم : إنّما بلغه أنّ سيبويه عابَ هذه الأحرف عليه لا الأخفش ، فقال يهجوه[1] : [من الطويل]

أَسِبْوَيْهِ يـا ابنَ الفارسيَّةِ ما الذي تَحَدَّثْتَ عن شَتْمِي وما كنتَ تَنبِذُ
أَظَلْتَ تُغَنِّي سادِراً في مَساءَتِـي وأُمُّكَ بالمِصْرَينِ تُعْطِـي وتَأْخُذُ

قال : فتوقّاه سيبويه بعد ذلك ، وكان إذا سُئِلَ عن شيءٍ فأجاب عنه ووجَدَ له شاهداً من شعرِ بشّار احتجّ به استِكفافاً لشرِّه .

[ذمّ بني سدوس باستعانة بني عقيل]

أخبرني محمّد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سويد بن مَنجوفٍ قال : كان بشّار مُجاوِراً لبني عقيل وبني سدوس في منزل الحيَّين ، فكانوا لا يزالون يتفاخرون ، فاستعانت عُقيل ببشّار وقالوا له : يا أبا معاذٍ ، نحن أهلُك وأنت ابنُنا ورَبِيتَ في حُجُورنا فأَعِنَّا ؛ فخرج عليهم وهم يتفاخرون ، فجلس ثم أنشد[2] : [من الوافر]

كأنّ بنـي سَدُوسٍ رَهطَ ثَوْرٍ خَنافِسُ تحـتَ مُنكَسِرِ الجِدارِ
تُحـرِّكُ للفَخـارِ زُبانَيْهـا وفخـرُ الخُنْفَساءِ مـن الصَّغارِ

فوثب بنو سدوسٍ إليه فقالوا : ما لنا ولكَ يا هذا ؟ نعوذ بالله من شَرِّكَ ! فقال : هذا دأبكُم إن عاودتم مُفاخرة بني عُقيلٍ ؛ فلم يُعاوِدُوها .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرُويَهْ قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : قال يونس النحويّ : العجب من الأَزد يَدَعون هذا العبد يَنسِبُ بنسائهم ويَهجو رجالَهم ، يَعني بشّاراً ، ويقول[3] : [من الهزج]

ألا يـا صَنَمَ الأَزْدِ الـ ـذي يَدْعُونَـه رَبَّـا

1 ديوان بشّار : 98 .
2 ديوان بشّار : 122 .
3 ديوان بشّار : 24 .

ألا يبعثون إليه من يفتُقُ[1] بطنَه ؟ .

[ذم أناساً كانوا مع ابن أخيه]

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مهرويَه عن أحمد بن إسماعيل عن محمد بن سلاّم قال : مرّ ابن أخ لبشّار ببشّار ومعه قوم : فقال لرجل معه وسمع كلامه : من هذا ؟ فقال : ابن أخيك ؛ قال : أشهد أنّ أصحابه سَفِلَةٌ ؛ قال : وكيف علِمْتَ ؟ قال : ليس عليهم نِعالٌ .

[سمع شعره من مغنّية فطرب]

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثني الفضل بن يعقوب قال : كنّا عند جارية لبعض التجّار بالكَرْخِ تُغنّينا ، وبشّار عندنا ، فغنّت في قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

إنّ الخليفـةَ قـد أبـى ... وإذا أبـى شيئاً أبَيتُهْ
ومُخَضّبٍ رَخْصِ البَنـا ... نِ بكى عَليَّ ومـا بكَيتُهْ
يـا مَنْظـراً حَسَناً رأيـ ... ـتُ بوجهِ جاريةٍ فَدَيتُهْ[3]
بعثَـتْ إليّ تَسُومُنِـي ... ثَوبَ الشَّبابِ وقد طَوَيتُهْ

فطرِب بشّار وقال : هذا والله يا أبا عبد الله أحسن من سُورَةِ الحَشر ؛ وقد روى هذه الكلمة عن بشّار غير مَن ذكرته فقال عنه : إنّه قال : هي والله أحسن من سورة الحشر . الغناء في هذه الأبيات . وتمام الشعر : [من مجزوء الكامل]

وأنـا المِطلُّ على العِـدا ... وإذا غَلا الحمدُ اشتريتُهْ[4]
وأمِيـلُ في أُنسِ النّديـ ... ـم من الحياءِ وما اشتَهيتُهْ
ويَشُوقُنِي بيتُ الحبيـ ... ـبِ إذا غدوتُ وأينَ بيتُهْ[5]
حـالَ الخليفـةُ دونـه ... فصبَرتُ عنه وما قَليتُهْ[6]

وأنشدني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات وأخبرني أنّ الجاحظ أخبره أنّ المهديّ نهى بشّاراً عن الغَزَل وأن يقول شيئاً من النسيب ، فقال هذه الأبيات . قال : وكان الخليل بن أحمد يُنشدها ويستحسنها ويُعجَب بها .

---

1 ل : يشقّ .
2 ديوان بشّار : 55–56 مع اختلاف في الترتيب .
3 رأيتُ في الديوان : رأيته . بوجه في ل والديوان : من وجه .
4 الحمد في الديوان : علق .
5 غدوت في الديوان : ادّكرت .
6 حال في الديوان : قام .

[سألته ابنته لماذا يعرفه الناس ولا يعرفهم]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ أبو غسّان عن محمد بن الحجّاج قال : قالت بنت بشّار لبشّار : يا أبتِ ، ما لكَ يعرِفك الناس ولا تعرفهم ؟ قال : كذلك الأمير يا بنيّة .

[سبّ عبد الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشّار]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : قال عبد الله بن مِسْوَر الباهليّ يوماً لأبي النَّضير ، وقد تحاورا في شيء ، : يا ابن اللَّخناء ، أتُكلِّمني ولو اشتريت عبداً بمائتي درهم وأعتقته لكان خيراً منك ؟ فقال له أبو النضير : والله لو كنتُ ولد زنًا لكنت خيراً من باهلة كلِّها ؛ فغضِب الباهليّ ، فقال له بشّار : أنت منذ ساعة تُزنِّي أمَّه ولا يغضب ، فلمّا كلّمَك كلمةً واحدة لحقك هذا كلّه ؛ فقال له : وأُمُّه مثل أُمِّي يا أبا مُعاذٍ ! فضحك ، ثم قال : والله لو كانت أُمُّك أُمَّ الكتاب ما كان بينكما من المُصارَمة هذا كلّه ! .

[طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوّفه فهجاه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بن عُبيدٍ الخُزاعيّ قال : ورد بشّار بغداد فقصد يزيد بن مَزيد ، وسأله أن يذكره للمهديّ ، فسوّفه أشهراً ؛ ثم وردَ رَوْحُ بن حاتم فبلغه خبر بشّار ، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه ، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشده شعراً مدحه به ، فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً وقَيْنَةً وكساه كُساً كثيرة ؛ وكان يحضر قيساً مرّة ، فقال بشّار يهجو يزيد بن مزيد[1] : [من الطويل]

ولّما التقينا بالجُنَينَةِ غَرَّني بمعروفه حتى خرجتُ أفُوقُ[2]

غرَّني : أوجَرني[3] كما يُغَرّ الصبيُّ أي يُوجَر اللبن .

حَباني بعبدٍ قَعْسَرِيٍّ وقَيْنَةٍ ووَشْيٍ وآلافٍ لهنَّ بَريقُ[4]

فَقُل ليزيدٍ يلعَصُ الشهدَ خالياً لنا دونه عندَ الخليفةِ سُوقُ[5]

رَقَدتَ فنَمْ يا ابنَ الخبيثةِ إنّها مكارِمُ لا يَسْطِيعُهُنّ لَصِيقُ

أبى لكَ عِرْقٌ من فلانةَ أن تُرى جواداً ورأسٌ حين شِبْتَ حَلِيقُ

1 ديوان بشّار : 165-166 .

2 أفوق : أشهق من الامتلاء .

3 أوجره اللبن : جعله في فيه .

4 قعسري : صلب شديد .

5 يلعص : يلعق .

[مدح إبراهيم بن عبد الله بقصيدة فلمّا قتل جعلها للمنصور]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعيّ قال : كان بشّار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدةٍ يمدحه بها ويُحرّضه ويُشير عليه ، فلم تَصل إليه حتى قُتِل ، وخاف بشّارٌ أن تشتهِر فقلبها وجعل التحريض فيها على أبي مُسلم والمدح والمشورة لأبي جعفرٍ المنصور ، فقال : [من الطويل]

أبا مُسلمٍ ما طِيبُ عَيشٍ بدائِمِ ولا سالمٌ عمّا قليلٍ بسالِمِ

وإنّما كان قال : «أبا جعفرٍ ما طِيبُ عيشٍ» فغيّره وقال فيها[1] : [من الطويل]

إذا بلغ الرأيُ النصيحةَ فاستَعِنْ بعَزْمِ نَصيحٍ أو بتأييدِ حازِمِ
ولا تَجعَلِ الشُّورى عليك غضاضةً مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ
وخَلِّ الهُوَينَى للضعيفِ ولا تكن نَؤُوماً فإنّ الحزمَ ليس بنائمِ
وما خيرُ كَفٍّ أمسكَ الغُلُّ أختَها وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ
وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلاّ ظُلامةً شَبا الحربِ خيرٌ من قَبول المظالمِ
وأَدْنِ على القُرْبَى المقرِّبَ نَفسَه ولا تُشْهِد الشّورى امرأً غيرَ كاتمِ
فإنّكَ لا تَسْتَطْرِدُ الهمَّ بالمُنَى ولا تَبلُغُ العلْيا بغير المكارمِ
إذا كنتَ فرداً هَرَّكَ القومُ مُقبِلاً وإن كنت أدنى لم تَفُزْ بالعَزائمِ[2]
وما قَرَعَ الأقوامَ مِثلُ مُشَيَّع أريبٍ ولا جَلَّى العَمى مثلُ عالمِ[3]

قال الأصمعيّ : فقلت لبشّار : إنّي رأيت رجال الرأي يتعجّبون من أبياتك في المشورة ؛ فقال : أما علمتَ أنّ المشاور بين إحدى الحُسْنَيَيْنِ : بين صوابٍ يفوز بثمرته أو خطأً يُشارك في مكروهه ؛ فقلت : أنت والله أشعرُ في هذا الكلام منك في الشعر .

[اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول وهو سمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال : مررتُ ببشّار وهو مُتَبَطِّح في دِهْليزه كأنّه جاموس ، فقلتُ له : يا أبا مُعاذ ، مَن القائل : [من السريع]

في حُلّتي جسمُ فتًى ناحلٍ لو هَبّتِ الريحُ بـه طاحا

1 ديوان بشّار : 205– 207 مع بعض اختلاف في اللفظ والترتيب .
2 هرّ القوم : كرهوا .
3 المشيع : الشجاع .

قال : أنا ؛ قلتُ : فما حَمَلك على هذا الكذب ؟ والله إنّي لأرى أن لو بعث اللهُ الرياحَ التي أهلك بها الأمم الخاليةَ ما حرّكتْك من موضعك ؛ فقال بشّار : مِن أين أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة ؛ فقال : يا أهل الكوفة لا تَدَعون ثِقَلَكم ومَقْتَكم على كلّ حال ! .

[عاتب صديقاً له لأنّه لم يهدِ له شيئاً]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عافية بن شبيب قال : قدِم كُرْدِيّ بن عامر المِسْمعيّ من مكّة ، فلم يُهْدِ لبشّار شيئاً وكان صديقه ؛ فكتب إليه[1] : [من الكامل]

ما أنتَ يا كرديّ بالهَشِّ ولا أُبَرِّيك من الغِشِّ
لم تُهْدِنا نَعلاً ولا خاتَماً من أين أقبلتَ ؟ من الحشّ ![2]

فأهدى إليه هديّةً حسنةً وجاءه فقال : عَجِلتَ يا أبا معاذ علينا ، فأَنشُدُك اللهَ ألاّ تزيدَ شيئاً على ما مضى .

[أخبر أنّه غنّى بشعر له فطرب]

ونسختُ من كتابه عن عافيةَ بن شَبيب أيضاً قال حدّثني صديقٌ لي قال : قلتُ لبشّار : كنّا أمس في عُرْس فكان أوّل صوت غنّى به المغنّي : [من الطويل]

هَوى صاحبي ريحُ الشَّمالِ إذا جرتْ وأَشْفى لنفسي أن تَهُبَّ جَنُوبُ
وما ذاك إلاّ أنّها حين تنتهي تَناهى وفيها من عُبَيدةَ طِيبُ

فطَرب وقال : هذا والله أحسن من فُلْج[3] يوم القيامة .

[مدح المهدي فلم يجزه]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال : مدح بشّار المهديَّ فلم يُعطه شيئاً ؛ فقيل له : لم يَستجِدْ شعرَك ؛ فقال : والله لقد قلت فيه شعراً لو قيل في الدهر لم يُخْشَ صرفُه على أحد ، ولكنّا نكذب في القول فنُكذَبُ في الأمل .

[هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنّه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العِجْليّ قال : هجا بَشّار رَوْحَ بن حاتم ؛ فبلغه ذلك فقذفه وتهدّده ؛ فلمّا بلغ ذلك بشّاراً قال فيه[4] : [من الهزج]

---

1 ديوان بشّار : 145 .
2 الحش : موضع قضاء الحاجة ، وهو أصلاً البستان .
3 الفلج : الفوز والظفر .
4 ديوان بشّار : 201–202 عن الأغاني .

تَهَــدّدني أبو خلفٍ وعــن أوتــاره ناما
بسيفٍ لأُبــي صُفْرَ ةَ لا يَقْطَــع إبهاما
كأنّ الوَرْسَ يَعْلُــوهُ إذا مــا صدرُه قاما

قال ابن أبي سعد : ومن الناس من يروي هذين البيتين لعمرو الظالمي ، قال : فبلغ ذلك رَوحاً فقال : كلّ مالي صدقةٌ إنْ وقعتْ عيني عليه لأضربنّه ضربةً بالسيف ولو أنّه بين يَدَي الخليفة ؛ فبلغ ذلك بشّاراً فقام من فوره حتى دخل على المهديّ ؛ فقال له : ما جاء بك في هذا الوقت ؟ فأخبره بقصّة رَوح وعاذ به منه ، فقال : يا نُصَيْر ، وَجِّهْ إلى رَوْح من يُحضره الساعة ؛ فأرسل إليه في الهاجرة ، وكان ينزل المُخَرِّم[1] ، فظنّ هو وأهله أنّه دُعي لولاية . قال : يا روح ، إنّي بعثتُ إليك في حاجة ؛ فقال له : أنا عبدُك يا أمير المؤمنين فقل ما شئتَ سوى بشّار فإنّي حلفت في أمره بيمين غَمُوس ؛ قال : قد علمتُ وإيّاه أردتُ ؛ قال له : فاحتلْ ليميني يا أمير المؤمنين ؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتّفقوا على أن يضربه ضربةً على جسمه بعُرْض السيف ، وكان بشّار وراء الخيش ، فأُخرِج وأُقعِد واستلّ رَوح سيفَه فضربه ضربةً بعُرضه ؛ فقال : أُوَّهْ باسم الله ؛ فضحك المهديّ وقال له : ويلك ؛ هذا وإنّما ضَرَبَك بعُرْضه وكيف لو ضربك بحدّه !

[مدح سليمان بن هشام]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبيدة قال : مَدَح بشّار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيماً بحَرّان وخرج إليه فأنشده قوله فيه[2] : [من الطويل]

نأتْكَ على طُــول التجاوُرِ زينبُ وما شَعَرتْ أنّ النَّوى سوف تَشعَبُ
يرى الناسُ ما تَلْقى بزينبَ إذ نأتْ عجيباً وما تُخفي بزينبَ أعجبُ
وقائلــةٍ لي حــين جَــدّ رحيلُنا وأجفــانُ عينيهــا تجودُ وتسكُبُ
أغــادٍ إلى حَــرّانَ في غيرِ شِيعةٍ وذلك شأوٌ عــن هَواهــا مُغَرّبُ[3]
فقلتُ لهــا كَلّفتِني طَلَبَ الغِنى وليس وراءَ ابــنِ الخليفــةِ مذهبُ
سيكفي فَتىً مــن سعيه حَدُّ سيفِه وكُــورٌ عِــلافيٌّ ووجناء ذِعْلِبُ[4]

1 محلّة كانت ببغداد .
2 ديوان بشّار : 17–18 .
3 مغرّب : بعيد .
4 الكور : الرحل . العلافي : نسبة إلى رجل اسمه علاف بن طوار كان أوّل من صنعها . الوجناء : الناقة الصلبة القويّة . ذعلب : سريعة .

إذا استوغرتْ دارٌ عليه رمى بها ... بناتِ الصُّوى منها رَكوبٌ ومُصْعَبُ[1]
فعُدّي إلى يلملم ارتحلتُ وسائلي ... بزَوْرك والرَّحّال من جاء يضربُ
لعلكِ أن تسْتَيْقِني أن زَوْرتي ... سليمانَ من سير الهواجر تُعقِبُ
أغَرُّ هِشاميُّ القَناةِ إذا انتمى ... نَمَتْه بدورٌ ليس فيهنّ كوكبُ
وما قصدتُ يوماً مخيلين خيلُه ... فتُصْرَفُ إلاّ عن دِماءٍ تَصَبّبُ[2]

[استقلّ عطاء سليمان فقال شعراً]

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم وكان يُبَخَّل ، فلم يرضها وانصرف عنه مُغضباً فقال[3] : [من الكامل]

إن أُمْسِ مُنْقبِضَ اليدين عن النَّدى ... وعن العدوّ مُخَيَّسَ الشيطانِ[4]
فلقد أروحُ عن اللئام مُسَلَّطاً ... ثَلِجَ المَقِيلِ مُنَعَّمَ النَّدْمانِ
في ظِلِّ عيشٍ عشيرةٍ محمودةٍ ... تَنْدى يدي ويُخافُ فَرْطُ لساني
أزْمانَ جِنّيُّ الشباب مُطاوِعٌ ... وإذ الأميرُ عليّ من حَرّانِ
رِيمٌ بأَحْوِيةِ العراق إذا بَدا ... بَرَقتْ عليه أكِلَّةُ المَرْجانِ[5]
فاكحَلْ بعَبْدَة مُقْلَتَيْكَ من القَذى ... وبوَشْكِ رُؤْيتها من الهَمَلانِ
فلَقُرْبُ مَنْ تهوى وأنتَ متيّمٌ ... أَشْفى لدائكَ من بني مَرْوانِ

فلمّا رجع إلى العراق بَرّه ابن هُبَيرة ووصَلَه ، وكان يُعَظّم بشّاراً ويُقدّمه ، لمدحه قيساً وافتخاره بهم ، فلمّا جاءت دولةُ أهلِ خراسان عَظُم شأنُه .

[مدح المهديّ بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : قَدِمَ بشّار الأعمى على المهديّ بالرُّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحاً فيه تشبيب حسنٌ ، فنهاه عن التشبيب لغَيْرةٍ شديدةٍ كانت فيه ، فأنشده مديحاً فيه ، يقول فيه[6] : [من المنسرح]

---

1 استوغرت : حميت ، وهنا ضاقت . الصوى : علامات يهتدى بها .
2 يوماً في ل : قوماً .
3 ديوان بشّار : 233 .
4 مخيّس : مذلّل .
5 أحوية : جمع حواء وهو جماعة البيوت المتدانية . أكلة : جمع إكليل .
6 ديوان بشّار : 25–26 .

كأنّمـا جئتُـه أُبشِّرُهُ ولم أُجِيء راغِباً ومُحتَلِبا
يُزَيِّـنُ المِنبرَ الأشمَّ بعِطْـ ـفَيـهِ وأقوالـه إذا خَطَبا
تُشَمُّ نَعْلاه في النَّدِيّ كما يُشَمُّ مـاءُ الرّيحانِ مُنتهَبا

فأعطاه خمسة آلاف درهم وكساه وحمله على بغل وجعل له وِفادةً في كلّ سنةٍ ونهاه عن التشبيب ألبتَّة ، فقدِمَ عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده[1] : [من الطويل]

تَجالَلْتُ عن فِهْرٍ وعن جارَتَيْ فِهرِ ووَدَّعتُ نُعْمى بالسّلامِ وبالبشْرِ[2]
وقالتْ سُليمى فيكَ عنّـا جَلادَةٌ مَحلُّكَ دانٍ والزيـارةُ عن عُفْرِ[3]
أخي في الهوى ما لي أراكَ جَفَوْتَنا وقد كنتَ تقفُونا على العُسْرِ واليُسرِ
تثاقلـتُ إلاّ عـن يـدٍ أستفِيدُها وزَوْرَةِ أَمْـلاكٍ أَشُدُّ بهـا أَزْرِي
وأخرَجَني من وِزْرِ خمسينَ حِجَّةً فَتىً هاشميٌّ يَقْشَعِر مـن الوِزْرِ
دفَنْتُ الهـوى حَيّـاً فلسْتُ بزائرٍ سُلَيمى ولا صفراءَ ما قَرْقَرَ القُمْرِي
ومُصْفَـرَّة بالزعفـرانِ جلودُهـا إذا اجتُلِيَتْ مثلَ المُفَرطَحَةِ الصُّفْرِ[4]
فرُبَّ ثَقالِ الرِّدفِ هَبَّتْ تلومُني ولو شَهِدَتْ قبري لصَلَّتْ على قبرِي
تَرَكتُ لِمَهْدِيّ الأنـام وِصالَها وراعيتُ عهداً بيننا ليس بالخَتْرِ[5]
ولـولا أميرُ المؤمنـين محمـدٌ لقبَّلتُ فاها أو لَكانَ بها فِطْرِي
لَعَمْرِي لقد أوقَرتُ نفسِي خطيئةً فما أنا بالمُزْدادِ وِقْـراً على وِقْرِ

في قصيدة طويلة امتدحه بها ، فأعطاه ما كان يُعطِيه قبل ذلك ولم يَزِدْه شيئاً .

[توفي ابن له فجزع عليه وتمثّل بقول جرير]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكيّ عن محمد بن سَلاّم عن بعض أصحابه قال : حضَرْنا جنازة ابنٍ لبشّار توفّي ، فجزِع عليه جَزَعاً شديداً ، وجعلنا نُعزّيه ونُسَلّيه فما يُغْني ذلك شيئاً ، ثم التفتَ إلينا وقال : لله درُّ جريرٍ حيث يقول وقد عُزِّيَ بسَوادة ابنِه[6] : [من البسيط]

1 ديوان بشّار : 131– 134 .
2 تجاللت : ترفّعت .
3 تعني أنّ زيارتك متباعدة رغم قرب محلّك .
4 المفرطحة الصفر : يعني الدنانير .
5 الختر : العذر والخديعة .
6 ديوان جرير (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1964) : 345 مع اختلاف في اللفظ والترتيب .

قالوا نَصِيبَكَ من أجرٍ فقلتُ لهم ... كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أشبالِي
ودَّعْتَنِي حين كفَّ الدَّهرُ من بصَرِي ... وحين صِرتُ كعَظمِ الرِّمَّةِ البالِي
أودَى سَوادَةُ يَجْلُو مُقلَتي لَحمٍ ... بازٍ يُصَرصِرُ فوقَ المِربَأ العالِي[1]
إلاّ تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَين نائحةٌ ... فرُبَّ نائحةٍ بالرّمل مِعْوالِ

[استنشده صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني خَلاّدٌ الأرقط قال : لمّا أُنشِدَ المهديُّ قول بشّار : [من الكامل]

لا يُؤيِسَنَّكَ من مُخبَّأةٍ ... قولٌ تُغَلِّظُهُ وإن جَرَحا
عُسْرُ النساءِ إلى مُياسَرةٍ ... والصَّعبُ يُمكِنُ بعد ما جَمَحا

فنهاه المهديّ عن قوله مثلَ هذا ، ثم حضر مجلساً لصديقٍ له يقال له عمرو بن سَمّان ، فقال له : أنشِدنا يا أبا مُعاذٍ شيئاً من غَزَلِكَ ، فأنشأ يقول[2] : [من البسيط]

وقائلٍ هاتِ شَوِّقْنا فقلتُ له ... أنائمٌ أنتَ يا عمرو بنَ سَمّانِ
أما سَمِعتَ بما قد شاعَ في مُضَرٍ ... وفي الحلِيفَيْنِ من نَجْرٍ وقَحطانِ[3]
قال الخليفةُ لا تَنْسُبْ بجاريةٍ ... إيّاكَ إيّاكَ أن تَشْقى بعِصيانِ

[صدق ظنّه في تقدير جوائز الشعر]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيّوب المدائنيّ قال : قال مروان بن أبي حفصة : قدِمتُ البصرة فأنشدتُ بشّاراً قصيدةً لي واستنصحتُه فيها ؛ فقال لي : ما أجوَدَها ! تَقْدم بغداد فتُعطى عليها عشرة آلاف درهم ؛ فجزعتُ من ذلك وقلتُ : قتَلتَني ! فقال : هو ما أقول لك ؛ وقَدِمتُ بغداد فأُعطيتُ عليها عشرة آلاف درهم ؛ ثم قدِمتُ عليه قَدْمةً أُخرى فأنشدته قصيدتي :

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها

فقال : تُعطى عليها مائة ألف درهم ؛ فقدمتُ فأُعطِيتُ مائةَ ألف درهم ، فعُدتُ إلى البصرة فأخبرتُه بحالي في المرّتين ، وقلت له : ما رأيت أعجبَ من حَدْسك[4] ! فقال : يا بُنيّ ، أما علمتَ أنّه لم يبقَ أحدٌ أعلمُ بالغيب من عمّك ؟ .

---

1 لحم : صفة مقدمة لباز . المربأ : مكان وقوف البازي .
2 ديوان بشّار : 236 عن الأغاني .
3 نجر : في الصحاح أرض مكّة والمدينة .
4 ل : حديثك .

أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصُّوليّ قال : حدّثنا يزيد بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الله بن أبي عُيينة عن مروان أنّه قَدِمَ على بشّار فأنشده قوله :

طرقتكَ زائرةً فحيِّ خيالَها

فقال له : يُعطونَكَ عليها عشرة آلاف درهم ، ثم قدِم عليه فأنشده قوله : [من الكامل]

أنَّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ لِبَنـي البناتِ وِراثَـةُ الأعمامِ

فقال : يُعطُونَكَ عليها مائة ألفِ درهم ، وذكر باقي الخبر مثلَ الذي قبله .

[امتحن في صلاته فوجد لا يصلي]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال بعض أصحاب بشّار : كنّا نكون عنده فإذا حضرَتِ الصلاة قمنا إليها ونجعلُ على ثيابه تراباً حتى ننظُرَ هل يقوم يُصلّي ، فنعود والتراب بحاله وما صَلَّى .

[جعل الحب قاضياً بين المحبّين بأمر المهديّ]

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال : قال أبو عمرو : بعث المهديّ إلى بشّار فقال له : قُلْ في الحبّ شِعراً ولا تُطِلْ واجعَلِ الحبَّ قاضياً بين المحبِّين ولا تُسمِّ أحداً ؛ فقال[1] : [من الخفيف]

اجعلْ الحبَّ بين حِبّي وبيني قاضِياً إنّني بـه اليـومَ راضي
فاجتمعنا فقلتُ يا حِبَّ نفسي إنّ عَينِـي قليلـةُ الإغماضِ
أنتَ عذَّبتَني وأنحلتَ جسمي فارحمِ اليومَ دائـمَ الأمراضِ
قال لي لا يَحِلّ حُكمي عليها أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراضِ[2]
قلـتُ لمّـا أجابنـي بهواهـا شَمِلَ الجورُ في الهوى كلَّ قاضي

فبعث إليه المهديّ : حكمتَ علينا ووافَقَنا ذلك ، فأمر له بألف دينار .

[اتهمه بعضهم بأخذ معنى من أشعب فردّ عليه]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان المدنيّ قال حدّثني الفضل بن إسحاق الهاشميّ قال : أنشد بشّار قوله[3] : [من الوافر]

يُرَوِّعُـهُ السِّرارُ بكـلِّ أرضٍ مخافةَ أن يكونَ بـه السِّرارُ[4]

---

1 ديوان بشار : 148– 149 .

2 الإحراض : إدناف الحب .

3 هذا البيت من قصيدة طويلة في ديوانه من مصادر متعدّدة : 108– 110 .

4 السرار : المسارة .

فقال له رجل : أظنّك أخذتَ هذا من قول أشعَبَ : ما رأيتُ اثنين يتسارّانِ إلاّ ظننتُ أنّهما يأمران لي بشيء ؛ فقال : إن كنتُ أخذتُ هذا من قول أشعبَ فإنّكَ أخذتَ ثِقَلَ الرُّوح والمقتَ من الناس جميعاً فانفردتَ به دونهم ، ثم قام فدخل وتركنا . وأخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشّار فقال فيه[1] : [من الخفيف]

تركَتْنِي الوُشاةُ نُصْبَ المُسِرِّيـ ـنَ وأُحْدُوثةً بكلِّ مَكانِ
ما أرى خاليَيْنِ في السرّ إلاّ قلتُ ما يخلوانِ إلاّ لِشاني

[استنشد هجوه في حماد عجرد وعمرو الظالميّ]

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدّثني سعيد ، جليسٌ كان لأبي زيد ، قال : أتاني أعشى سُلَيم وأبو حَنَشٍ فقالا لي : انطلق معنا إلى بشّار فتسأله أن يُنشِدَك شيئاً من هِجائه في حمّاد عَجْرَد أو في عمرٍو الظالميّ فإنّه إن عرفَنا لم يُنشِدنا ، فمضيتُ معهما حتى دخلتُ على بشّار فاستنشدته فأنشد قصيدةً له على الدال فجعل يخرج من وادٍ في الهجاء إلى وادٍ آخر ، وهما يستمعان وبشّار لا يعرِفهُما ، فلمّا خرجا قال أحدهُما للآخر : أما تعجبُ مما جاء به هذا الأعمى ؟ فقال أبو حنش : أمّا أنا فلا أُعَرِّض ، واللهِ ، والدَيَّ له أبداً ؛ وكانا قد جاءا يَزورانه ، وأحسَبُهما أرادا أن يتعرّضا لمهاجاته .

[مدح واصلاً قبل أن يدين بالرجعة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ عن الجاحظ قال : كان بشّار صديقاً لأبي حُذيفة واصل بن عطاءٍ قبل أن يدين بالرجعة ويُكَفِّر الأمّةَ ، وكان قد مدح واصلاً وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلّها الراءَ وكانت على البديهة ، وهي أطول من خُطبتَيْ خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة ، فقال[2] : [من البسيط]

تكلَّفُوا القولَ والأقوامُ قـد حَفَلُوا وحَبَّرُوا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ
فقـام مُرتَجِـلاً تَغْـلي بَداهَتُـهُ كَمِرْجَلِ القَيْنِ لَمّا حُـفَّ باللَّهَبِ
وجانَبَ الراءَ لم يَشْعُرْ بـه أحـدٌ قبل التصَفُّح والإغراقِ في الطلبِ

قال : فلمّا دانَ بالرجعة زعم أنّ الناس كلّهم كفروا بعد رسول الله ﷺ ؛ فقيل له : وعليّ بن أبي طالب ؟ فقال[3] : [من الوافر]

1 ديوان أبي نواس (الغزالي ، بيروت) : 246 .
2 ديوان بشّار : 28 .
3 البيت من معلقة عمرو بن كلثوم .

وما شرُّ الثلاثةِ أمّ عمرٍو بصاحبِك الذي لا تَصْبَحِينا

[قال : ما كان الكميت شاعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينةُ قال قال لي محمد بن الحجّاج : قال بشّار : ما كان الكُمَيتُ شاعراً ؛ فقيل له : وكيف وهو الذي يقول ! : [من الطويل]

أَنِصْفُ امْرِىءٍ من نصفِ حيٍّ يسُبُّنِي لَعَمْرِي لقد لاقيتُ خَطْباً من الخَطْبِ

هنيئاً لكَلْبٍ أنَّ كلباً يسُبُّنِي وأنِّيَ لم أُردُدْ جواباً على كَلْبِ

فقال بشّار : لا بَلَّ شانِئُكَ[1] ، أترى رجلاً لو ضَرَطَ ثلاثين سنة لم يُستَحْلَ من ضرطه ضرطَةٌ واحدةٌ !

[تمثّل سفيان بن عيينة بشعر له]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حجّاج المعلّم قال سمعتُ سفيان بن عيينة يقول[2] : عَهدِي بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدباً ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدباً ، وصبَرنا عليهم حتى أشبَهْناهم ، فصرنا كما قال الشاعر : [من الطويل]

وما أنا إلاّ كالزمانِ إذا صَحا صَحَوتُ وإن ماقَ الزمانُ أَمُوقُ[3]

[وبخ من سأله عن منزل ولم يفهم]

أخبرني حبيبُ بن نصر قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : كنّا مع بشّار فأتاه رجلٌ فسأله عن منزل رجل ذكره له ، فجعل يُفَهِّمُه ، ولا يَفْهَمُ ، فأخذ بيده وقام يقوده إلى منزل الرجل وهو يقول[4] : [من البسيط]

أعمى يقودُ بصيراً لا أبا لَكُمُ قد ضَلَّ مَنْ كانت العُمْيانُ تَهدِيهِ

حتى صار به إلى منزل الرجل ، ثم قال له : هذا هو منزلُه يا أعمى .

[أنشده عطاء الملط شعراً فاستحسنه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : زعم أبو دعامة أنّ عطاء الملط أخبره أنّه أتى بشّاراً فقال له : يا أبا مُعاذ ، أُنْشِدُكَ شِعراً حسناً ؟ فقال : ما أسرّني بذلك ، فأنشده : [من الطويل]

---

1 لا بل شانئك : لا برىء كارهك . ويجوز بناء «بُلّ» للمجهول بمعنى «لا مُطر» .

2 ديوان بشّار : 165 .

3 الموق : حمق في غباوة .

4 ديوان بشّار : 98 .

أعاذِلَتـيَّ اليـومَ وَيلَكُمـا مَهْـلا فما جَزَعاً مِ الآنَ أبكي ولا جَهْلا[1]

فلمّا فَرَغ منها قال له بشّار : أحسنتَ ، ثم أنشده على رَوِيّها ووزنها[2] : [من الطويل]

لقد كادَ ما أُخْفِي من الوَجْدِ والهوى يكون جَوًى بين الجوانِح أو خَبْلا

صوت

[من الطويل]

إذا قال مهـلاً ذو القرابة زادَني وَلُوعاً بذكراها ووجْداً بها مَهْلا

فلا يَحسَبِ البِيضُ الأوانسُ أنّ في فؤادي سوى سُعْدى لِغانيةٍ فَضْلا

فَأُقسِمُ إن كان الهوى غيرَ بالغ بِيَ القتلَ من سُعدى لقد جاوزَ القتلا

فيا صاحِ خَبِّرني الذي أنت صانعٌ بقاتِلَتِي ظُلْماً وما طَلَبَتْ ذَحْلا[3]

سِوى أنّني في الحبّ بيني وبينها شَدَدْتُ على أكظامِ سِرٍّ لها قُفْلا

وذكر أحمدُ بن المكيّ أنّ لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلاً أوّل بالوسطى فاستحسنتُ القصيدةَ وقلتُ : يا أبا مُعاذٍ ، قد والله أجدتَ وبالغتَ ، فلو تفضّلتَ بأن تُعيدَها ؛ فأعادها على خلاف ما أنشدَنِيها في المرّة الأولى ، فتوهّمتُ أنّه قالها في تلك الساعة .

[حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلاّد قال حدّثني أبي قال : كنتُ أكلّم بشّاراً وأردّ عليه سوءَ مذهبه بميلِه إلى الإلحاد ، فكان يقول : لا أعرف إلاّ ما عاينتُه أو عاينت مثله ؛ وكان الكلام يطول بيننا ، فقال لي : ما أظنّ الأمر يا أبا خالد[4] إلاّ كما تقول ، وأن الذي نحن فيه خِذْلانٌ ، ولذلك أقول[5] : [من الطويل]

طُبِعْتُ على ما فِيّ غيرَ مُخَيَّرٍ هَوايَ ولو خُيِّرتُ كنتُ المهذَّبا

أُرِيدُ فلا أُعْطى وأُعطى ولم أُرِدْ وقَصَّر عِلْمِي أَنْ أَنالَ المغَيَّبا[6]

فَأُصرَفُ عن قَصْدِي وعلمي مُقَصِّرٌ وأمْسي وما أُعْقِبْتُ إلاّ التعجُّبا[7]

1 ويلكُما في ل : ويحكما .

2 ديوان بشّار : 182 عن الأغاني .

3 الذحل : الثأر .

4 ل : مخلد .

5 ديوان بشار : 24–25 .

6 وقصر في الديوان : ويَقصر .

7 مقصِّر في الديوان : ثاقب .

[عاتب منقريّاً بعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد بن المبارك قال حدّثني أبي قال : كان بالبصرة فتًى من بني مِنقَرٍ أمُّه عِجْلِيَّةٌ ، وكان يبعث إلى بشّار في كلّ أُضْحِيَّةٍ بأُضحيّةٍ من الأضاحي التي كان أهل البصرة يُسَمِّنونها سنةً وأكثر للأضاحي ثم تُباعُ الأضحيّة بعشرة دنانير ، ويبعثُ معها بألف درهم ؛ قال : فأمر وكيلَه في بعض السنين أن يُجرِيَه على رسمه ، فاشترى له نعجةً كبيرةً غيرَ سمينةٍ وسرقَ باقي الثمن ، وكانت نعجةً عَبدَلِيَّةٍ من نِعاج عبد الله بن دارم وهو نِتاجٌ مرذولٌ ، فلمّا أُدخِلَتْ عليه قالت له جاريته رَبابة : ليست هذه الشاةُ من الغنم التي كان يَبعثُ بها إليك ؛ فقال : أَدنيها منّي فأدنتْها ولمسَها بيده ثم قال : اكتب يا غُلام[1] : [من المتقارب]

وهبتَ لنا يا فتى مِنقَرٍ ... وعِجْلٍ وأكْرَمَهمْ أوّلا
وأبسَطَهم راحةً في النَّدى ... وأرفعَهم ذِرْوَةً في العُلا
عجوزاً قَدَ اوْردَها عمرُها ... وأسكنَها الدهرُ دارَ البِلى
سَلُوحاً توهّمتُ أن الرِّعاء ... سَقَوْها ليُسهِلَها الحنظَلا
وأضرَطَ من أُمّ مُبتاعِها ... إن اقتحَمَتْ بُكرةً حَرْمَلا[2]
فلو تأكُل الزُّبدَ بالنِّرسِيان ... وتَدَّمِجُ المِسكَ والمَنْدَلا[3]
لَما طَيّبَ اللهُ أرواحَها ... ولا بلّ من عَظْمها الأقْحَلا[4]
وضعتُ يميني على ظهرها ... فخِلْتُ حَراقِفَها جَنْدَلا
وأهوتْ شِمالي لعُرْقوبها ... فخلتُ عَراقِبَها مِغْزَلا
وقَلّبتُ أَلْيَتَها بعد ذا ... فشَبَّهتُ عُصْعُصَها مِنْجَلا
فقلتُ أبيع فلا مشرَباً ... أُرَجِّي لديها ولا مَأكَلا
أَمَ اشوِي وأطبُخُ من لحمها ... وأطْيَبُ من ذاك مَضْغُ السَّلى[5]
إذا ما أُمِرَّتْ على مجلسٍ ... من العُجْبِ سَبّحَ أو هَلّلا

1 ديوان بشّار : 183–184 .
2 الحرمل : حبّ كالسمسم .
3 النرسيان : نوع من أجود التمر . تدّمج : مثل تندمج أي تدخل في المسك والمندل .
4 الأقحل : من أقحل الشيء وإذا يبس .
5 السلى : الجلدة يكون فيها الولد في بطن أمّه .

رأوْا آيـةً خَلْفَهـا سائقٌ يَحُثّ وإن هَرْولتْ هَرْولا
وكنتَ أمرتَ بهـا ضَخْمةً بلحمٍ وشحمٍ قد استُكْمِلا
ولكنّ رَوحاً عَـدا طورَه وما كنتُ أحسَبُ أن يفعلا
فعَضّ الذي خانَ في أمرها مِنِ اسْتِ امّه بَظْرَها الأغْرَلا
ولـولا مكانُـك قَلّدتـه عِلاطاً وأنشقتُه الخَرْدَلا[1]
ولـولا استِحائِيكَ خَضّبتُها وعَلّقت في جِيدها جُلْجُلا
فجاءَتْكَ حتى ترى حالَها فتعلَـمَ أنّي بهـا مُبْتَلى
سألتُـك لحماً لصِبْيانـنـا فقـد زِدْتَنِي فيهمُ عَيِّلا
فخُذْهـا وأنت بنا مُحسِنٌ وما زلتَ بِي مُحسِناً مُجْمِلا

قال : وبعث بالرقعة إلى الرجل ؛ فدعا بوكيله وقال له : ويلك ؛ تعلم أنّي أفتدي من بشّار بما أُعطيه وتُوقِعني في لسانه ! اذهَبْ فاشترِ أُضحِيّةً ، وإن قَدَرتَ أن تكونَ مثلَ الفيل فافعل ، وابلُغْ بها ما بلغتْ وابعَثْ بها إليه .

[شعره في رثاء بنية له]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال أخبرنا أبو عمرو بن العَلاء قال : رأيت بشّاراً المرعَّثَ يرثي بُنَيَّة له وهو يقول[2] : [من الرجز]

يا بنتَ من لم يكُ يَهْوى بنتا مـا كنتِ إلاّ خمسةً أو ستّـا
حتّى حَلَلْتِ في الحَشى وحتّى فَتَّتْ قلبي مـن جـوًى فانفَتّا
لأَنْـتِ خيرٌ مـن غـلامٍ بتّـا يُصبِحُ سكرانَ ويُمْسِي بَهْتا[3]

[مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه]

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ قال : كان نافع بن عُقبة بن سَلْم جَواداً مُمَدَّحاً ، وكان بشّار منقطعاً إلى أبيه ، فلمّا مات أبوه وَفَد إليه وقد وَلِيَ مكانَ أبيه ، فمدحه بقوله[4] : [من الكامل]

ولنافـعٍ فضـلٌ على أكفائـه إن الكريـمَ أحـقٌّ بالتفضيلِ

1 علاط : حبل يجعل في عنق البعير .
2 ديوان بشّار : 51 عن الأغاني .
3 بت : منقطع عن العمل (بسبب السكر) . بهت : دهش متحيّر متعب .
4 ديوان بشّار : 187 .

يا نافعَ الشِّبْراتِ حين تناوحتْ هُوجُ الرياحِ وأُعْقِبتْ بوُبُولِ[1]
أشبهتَ عُقْبَةَ غيرَ ما مُتَشبِّهٍ ونشأتَ في حلمٍ وحسنِ قَبُولِ
ووَلِيتَ فينا أشهراً فكفيتَنا عَنَتَ المُريبِ وسَلّة التّضليلِ
تُدْعَى هِلالاً في الزمانِ ونافعاً والسَّلمُ نِعْمَ أُبُوَّةُ المأمولِ

فأعطاه مثل ما كان أبوه يُعطيه في كلّ سنة إذا وفَد عليه .

[أجاز شعراً للمهدي في جارية]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال حدّثني إبراهيم بن عُقبة الرفاعيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم التمّارِ البَصْرِيّ قال : دخل المهديُّ إلى بعض حُجَر الحُرَم فنظر إلى جاريةٍ منهنّ تغتسل ، فلمّا رأته حَصِرتْ[2] ووضعت يدَها على فَرْجها ، فأنشأ يقول :

نظرتْ عيني لحَيْني

ثم أُرتِجَ عليه ، فقال : مَن بالباب من الشعراء ؟ قالوا : بشّار ، فأذن له فدخل ؛ فقال له : أجِزْ :

نظرتْ عيني لحيني

فقال بشّار[3] : [من مجزوء الرمل]

نظـرتْ عيني لِحَيْني نَظَـراً وافـقَ شَيْني
سَتَرَتْ لمّـا رأتنـي دونَـه بالراحتَـينِ
فَضَلتْ منـه فُضُولٌ تحت طَـيِّ العُكْنَتَينِ

فقال له المهديّ : قبّحكَ الله ويحك ؛ أكنت ثالثنا ! ثم ماذا ؟ فقال : [من مجزوء الرمل]

فتمنّيـتُ وقلبـي للهـوى في زَفْرَتَـينِ
أنّني كنـتُ عليـه ساعـةً أو ساعتَـينِ

فضحكَ المهديّ وأمر له بجائزة ؛ فقال : يا أمير المؤمنين أقَنِعتَ من هذه الصفة بساعة أو ساعتين ؟ فقال : اخرج عنّي قبّحك الله ؛ فخرج بالجائزة .

[أنشد شعراً على لسان حمار له مات]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وَهْب البُرْجُميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : جاءنا بَشّار يوماً فقلنا له :

1 الشبرات : من شبره : أعطاه والشَبر (بفتح الشين) ؛ اسم العطية .
2 حصرت : استحت .
3 ديوان بشّار : 242–243 مع اختلاف في اللفظ .

ما لك مغتمّاً ؟ فقال : مات حماري فرأيته في النوم فقلتُ له : لم مُتّ ؟ ألم أكن أُحسِن إليك ؟ فقال[1] : [من مجزوء الرمل]

سَيِّدِي خُذْ بـي أتاناً عندَ بـابِ الأصبهاني
تَـيّمتنِـي ببنـانٍ وبدَلٌ قـد شَجانِـي
تَـيّمتنِي يـومَ رُحنا بثناياهـا الحسانِ
وبغُنْـج ودَلال سَلّ جسمـي وبَراني
ولهـا خَـدٌّ أسِيـلٌ مثـلُ خـدّ الشيفرانِ
فلـذا مـتُّ ولو عِشْـ ـتُ إذاً طـالَ هوانِي

فقلتُ له : ما الشيفران ؟ قال : ما يدريني ؛ هذا من غريب الحمار ، فإذا لَقِيتَه فاسأله .

[رأيه فيما يكون عليه المجلس]

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني علي بن إيّاس قال حدّثني السَّرِيّ بن الصبّاح قال : شَهِد بشّار مجلساً فقال : لا تُصَيِّروا مجلسنا هذا شعراً كلّه ولا حديثاً كلّه ولا غناءً كلّه ، فإن العيش فُرَصٌ ، ولكن غَنُّوا وتحدّثوا وتَناشدوا وتعالَوْا نتناهب العيشَ تناهُباً .

[وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكَرانيّ عن ابن عائشة قال : جاءَ بشّار يوماً إلى أبي وأنا على الباب ، فقال لي : مَن أنت يا غلام ؟ فقلت : مِن ساكني الدار ؛ قال : فكلّمني والله بلسانٍ ذَرِبٍ وشِدْقٍ هَرِيتٍ[2] .

[أبطأ سهيل القرشي في إهدائه التمر فكتب إليه يتنجزه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : كان سُهيل بن عُمَر القرشيّ يبعث إلى بشّار في كلّ سنة بقواصر[3] تمر ، ثم أبطأ عليه سنةً ؛ فكتب إليه بشّار[4] : [من الخفيف]

تمركُم يا سُهَيْلُ دُرٌّ وهل يُطْـ ـمَعُ في الدرّ مِنْ يَدَيْ مُتَعَتِّي[5]
فاحبُنِي يا سُهيلُ من ذلك التمـ ـرِ نـواةً تكون قُرْطاً لبنتِي

فبعث إليه بالتمر وأضعفه له ، وكتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر .

---

1 ديوان بشّار : 242 .
2 الشدق الهريت : الواسع .
3 قواصر : جمع قوصرة (بتخفيف الراء وتشديدها) وعاء للتمر يشبه الزنبيل .
4 ديوان بشّار : 54 .
5 متعتّي : مستكبر .

[سأله بعض أهل الكوفة أن ينشدهم شعراً ثم عاتبوه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صَفوان قال : جلس إلى بشّارٍ أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه ، فسألوه أن يُنشدَهم شيئاً ممّا أحدثه ، فأنشدهم قوله[1] : [من السريع]

أنّى دعاه الشّوقُ فارتاحا من بعد ما أصبح جَحجاحا

حتى أتى على قوله :

في حُلَّتِي جسمُ فتىً ناحلٍ لو هبّت الرّيح به طاحا

فقالوا : يا ابن الزانية ، أتقول هذا وأنت كأنّك فِيل عَرضُك أكثر من طولك ! فقال : قوموا عنّي يا بني الزِّناء ؛ فإنّي مشغول القلب ، لست أنشَط اليومَ لمشاتمتكم .

[عشق امرأة وألحّ عليها فشكته إلى زوجها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال : كان لبشّار مجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البَرْدان ، فدخل إليه نِسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره ، فعشِق امرأة منهنّ ، وقال لغلامه : عَرِّفها محبّتي لها ، واتبعها إذا انصرفت إلى منزلها ؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تُجبه إلى ما أحبّ ، فتبِعها إلى منزلها حتى عرَفه ، فكان يتردّد إليها حتى بَرِمت به ، فشكته إلى زوجها ، فقال لها : أجيبيه وعِديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلتْ ، وجاء بشّار مع امرأةٍ وجّهتْ بها إليه ، فدخل وزوجُها جالسٌ وهو لا يعلم ، فجعل يحدّثها ساعة ، وقال لها : ما اسمك بأبي أنت ؟ فقالت : أُمامة ؛ فقال[2] : [من الوافر]

أمامةُ قد وُصفتِ لنا بحسن وإنّا لا نَراكِ فألمِسينا

قال : فأخذتْ يده فوضعتها على أير زوجها وقد أنعظ ، ففزِع ووثب قائماً وقال[3] : [من الوافر]

عليّ أَلِيّةٌ ما دمتُ حيّا أمَسُّكِ طائعاً إلاّ بعُودِ
ولا أُهدِي لقومٍ أنتِ فيهم سلامَ الله إلاّ من بعيدِ
طلبتُ غنيمةً فوضَعت كفّي على أيرٍ أشدَّ من الحديدِ
فخيرٌ منكِ من لا خيرَ فيه وخيرٌ من زيارتكم قُعودِي

1 ديوان بشّار : 63 .
2 ديوان بشّار : 227 .
3 ديوان بشّار : 81 .

وقبض زوجها عليه وقال : هَمَمتُ بأن أفضحك ؛ فقال له : كفاني ، فديتُك ، ما فعلتَ بي ، ولستُ والله عائداً إليها أبدا ، فحسبُك ما مضى ، وتركه وانصرف . وقد رُوي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشّار هذه . وهذا الخبر بعينه يُحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد وأوضحَ عن أبي العبّاس الأعمى السائب بن فَرُّوخ ، وقد ذكرته في أخبار أبي العبّاس بإسناده .

[رثاؤه أصدقاءه]

نسخت من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حمدان الآبَنوسيّ قال حدّثنا أبو نُواس قال : كان لبشّار خمسة نُدماء فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له البَراء ، فركب في زَورق يريد عُبور دجلة العوراء[1] فغرِق ، وكان المهديّ قد نهى بشّاراً عن ذكر النساء والعشق ، فكان بشّار يقول : ما خَيرٌ في الدنيا بعد الأصدقاء ؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله[2] : [من الخفيف]

يا ابنَ موسى ماذا يقول الإمامُ ... في فتاة بالقلبِ منها أوامُ
بِتُّ من حبِّها أُوَقَّرُ بالكأ ... سِ ويهفُو على فؤادي الهُيامُ
وَيْحَها كاعباً تُدِلّ بجَهْمٍ ... كَعَبيّ كأنّه حَمّامُ
لم يكن بينها وبينيَ إلاّ ... كُتُبُ العاشقين والأحلامُ
يا ابنَ موسى اسقني ودَع عنك سلمى ... إنّ سلمى حِمىً وفيّ احتشامُ
رُبّ كأسٍ كالسَّلسبيل تعلّلـ ... ـتُ بها والعيون عنّي نيامُ
حُبستْ للشُّراة في بَيت رأس ... عُتّقتْ عانساً عليها الخِتامُ[3]
نَفحتْ نَفحةً فهزّت نديمي ... بنسيمٍ وانشقّ عنها الزّكامُ
وكأنّ المعلولَ منها إذا را ... حَ شَجٍ في لسانه بِرْسامُ[4]
صدَمتْه الشَّمُولُ حتّى بعينيـ ... ـه انكسارٌ وفي المفاصل خامُ
وهو باقي الأطراف حَيَّت به الكأ ... س وماتت أوصالُه والكَلامُ
وفتىً يشرَبُ المدامةَ بالما ... لِ ويمشي يرومُ ما لا يُرامُ[5]

1 دجلة العوراء : دجلة بالبصرة .
2 ديوان بشّار : 195–196 .
3 بيت رأس : اسم قرية قرب حلب وأُخرى قرب بيت المقدس والقريتان تكثر فيهما الكروم .
4 برسام هنا : لجلجة وهذيان .
5 ويمشي في ل : يمسي .

أنفـدتْ كأسُه الدنانيرَ حتّـى ذهب العـينُ واستمرّ السَّوامُ[1]
تركتْـه الصَّهبـاء يرنـو بعـين نـام إنسانُهـا وليست تَنامُ
جُنّ مـن شَربة تُعَـلّ بأُخرى وبكـى حـين سار فيـه المُدامُ
كان لي صاحباً فأودَى بـه الدّهـ ـر وفارقتُـه عليـه السَّلامُ
بَقِـيَ النّاس بعـدَ هُلْك نَدامـا يَ وقوعاً لم يشعروا مـا الكلامُ
كجَزورِ الأيسار لا كَبِـدٌ فيـ ـها لبـاغٍ ولا عليهـا سَنامُ[2]
يا ابنَ موسى فَقْدُ الحبيب على العيـ ـنِ قَـذاةٌ وفي الفـؤادِ سَقامُ
كيف يصفُو ليَ النّعيم وَحيـداً والأخـلاّءُ في المقابـرِ هـامُ[3]
نَفِسَتْهـم عـليّ أمّ المنايـا فأنامَتْهـمُ بعُنـفٍ فناموا
لا يَغيضُ انسجامُ عينـي عليهـم إنّما غايـةُ الحزيـنِ السِّجامُ

[وفد على عمر بن هبيرة فمدحه]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ : أنّ بشّاراً وفَد إلى عمر بن هُبيرة وقد مدحه بقوله[4] : [من الطويل]

يخافُ المنايا أن ترحّلتُ صاحبي كأنّ المنايـا في المُقـام تُناسِبُهْ
فقلـتُ لـه إنّ العـراقَ مُقامُـه وخيـمٌ إذا هبّـت عليك جنائبُهْ
لأَلقـى بنـي عَيـلان إنّ فَعالَهم تزيـدُ عـلى كلِّ الفَعـال مَراتبُهْ
أولاك الأُلى شقّوا العمى بسيوفهم عن العينِ حتّى أبصر الحقَّ طالبُهْ
وجيشٍ كجُنحِ الليلِ يزحَفُ بالحصى وبالشوكِ والخَطّيِّ حُمراً ثَعالِبُهْ[5]
غَدَونا له والشّمسُ في خِـدر أُمّهـا تُطالعنـا والظّـلُّ لم يَجـرِ ذائبُهْ
بضَربٍ يذوقُ الموتَ مَنْ ذاقَ طعمَه وتُدْرِكُ مَـنْ نجّـى الفرارُ مَثالبُهْ
كأنّ مُثَارَ النّقع فـوقَ رؤوسنا وأسيافَنا ليـلٌ تَهـاوى كواكبُهْ

1 العين : الذهب . السوام : الإبل أو المواشي السائمة .
2 جزور الأيسار : الناقة تذبح للمقامرة عليها .
3 هام : أموات .
4 هذه الأبيات من قصيدة بشّار التي تقدمت (ديوانه : 42–48) مع اختلاف في الترتيب .
5 ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في السنان .

بعثنا لهم موتَ الفُجاءة إنّنا بنو الموت خفّاق علينا سَبائبُهْ[1]
فراحوا فريقٌ في الإسار ومثلُه قتيلٌ ومثلٌ لاذَ بالبحرِ هاربُهْ
إذا الملكُ الجبّارُ صَعَّر خدّه مَشَيْنا إليه بالسُّيوف نعاتبُهْ

فوصله بعشرة آلاف درهم ، فكانت أوّل عطيّة سنيّة أُعطيها بشّار ورَفعتْ من ذكره ، وهذه القصيدة هي التي يقول فيها : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ في كلِّ الأمور مُعاتبا صديقَك لم تلقَ الذي لا تعاتبُهْ
فعِشْ واحداً أو صِلْ أخاك فإنّه مُقارِفُ ذنبٍ مرّة ومجانِبُهْ
إذا أنت لم تَشرَبْ مِراراً على القَذَى ظَمِئتَ وأيُّ النّاسِ تصفُو مَشاربُهْ

الغناء في هذه الأبيات لأبي العَنْبس بن حمدون خفيف ثقيل بالبنصر في مجراها .

[شعره في العشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال : كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البَرْدانَ ، وكان النساء يحضُرنه فيه ، فبينما هو ذاتَ يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشِقها ، فدعا غلامه فقال : إذا تكلّمتِ المرأة عرّفتُك فاعرِفها ، فإذا انصرفتْ من المجلس فاتبعها وكلّمها وأعلمها أنّي لها مُحبّ ؛ وقال فيها[2] : [من البسيط]

يا قومُ أُذني لبعضِ الحيّ عاشقةٌ والأذنُ تعشَقُ قبلَ العينِ أحيانا
قالوا : بمَن لا تَرى تَهذِي فقلتُ لهم الأذنُ كالعينِ تُوفي القلبَ ما كانا[3]
هل من دواءٍ لمشغوفٍ بجاريةٍ يلقَى بلُقيانها رَوحا ورَيحانا[4]

وقال في مثل ذلك[5] : [من البسيط]

قالت عُقَيل بن كَعب إذ تَعلّقها قلبي فأضحى به من حبّها أثرُ
أنّى ولم ترها تَهذِي فقلتُ لهم إنّ الفؤادَ يَرى ما لا يَرى البصرُ
أصبحتُ كالحائمِ الحَيران مُجتنَباً لم يقضِ وِرداً ولا يُرجَى له صَدَرُ

---

1 السبائب : جمع سبيبة وهي هنا الراية .
2 ديوان بشّار : 226 مع اختلاف في الترتيب .
3 توفي : تبلغ .
4 الشطر الأول في رواية الديوان : «ما كنت أوّل مشغوف بجارية . . .» .
5 ديوان بشّار : 106–107 .

قال يحيى بن عليّ وأنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى وكان يستحسنه[1] : [من الطويل]

يُزهّدني في حبِّ عَبدةَ مَعشرٌ ... قلوبُهمُ فيها مخالفةٌ قلبي
فقلت دَعوا قلبي وما اختارَ وارتضى ... فبالقلبِ لا بالعينِ يُبصِرُ ذو الحبِّ
فما تُبصرُ العينان في مَوضع الهوى ... ولا تَسمع الأذنان إلاّ من القلبِ
وما الحسنُ إلاّ كلُّ حسنٍ دعا الصّبا ... وألّف بين العشقِ والعاشقِ الصَّبِّ

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك[2] : [من المنسرح]

يا قلبُ ما لي أراكَ لا تَقِر ... إيّاك أعني وعندكَ الخبرُ[3]
أذعتَ بعدَ الألى مضَوْا حُرَقاً ... أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا[4]

قال أبو أحمد : وقال في مثل ذلك[5] : [من المنسرح]

إنّ سليمى واللهُ يكلؤها ... كالسُّكر تَزدادُه على السَّكَرِ
بُلّغتُ عنها شَكلاً فأعجبني ... والسّمعُ يكفيك غَيبةَ البصرِ[6]

[أنشد المهدي شعراً فلم يعطه شيئاً فقال شعراً مداره الحكمة]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدّثني أبي قال : زعم أبو العالية أنّ بشّاراً قدِم على المهديّ ، فلمّا استأذن عليه قال له الربيع : قد أذِن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئاً من الغزل والتشبيب فادخُل على ذلك ، فأنشده قوله[7] : [من مجزوء الكامل]

يا مَنظَراً حَسَناً رأيتُهْ ... من وجه جاريةٍ فديتُهْ
بعثتْ إليّ تَسومني ... بُردَ الشّباب وقد طوَيتُهْ
واللهِ ربِّ مُحمّدٍ ... ما إن غَدرتُ ولا نَويتُهْ
أمسكتُ عنك وربّما ... عَرض البلاءُ وما ابتغيتُهْ

1 ديوان بشّار : 34–35 .
2 ديوان بشّار : 100–101 وأوّل البيت الثاني فيه «أضعت بين . . .» .
3 لا تقر : لا تأخذ بالوقار والرزانة .
4 ضاع في ل : ذاع .
5 ديوان بشّار : 130–131 .
6 شكل : غنج ودلال .
7 تقدّمت بعض أبيات هذه القصيدة في ترجمة بشّار (ديوانه : 55–56) .

إنّ الخليفـةَ قـد أبَى وإذا أبَـى شيئـاً أبيتُهْ
ومُخضَّبٍ رَخص البَنـا ن بكَى عليّ وما بكَيتُهْ
ويشوقنِي بيتُ الحبيـ ـبِ إذا ادّكرتُ وأينَ بيتُهْ
قـامَ الخليفـةُ دونَـه فصبَرتُ عنه ومـا قلَيْتُه
ونَهـانيَ الملِـك الهما م عن النَّسيب وما عصَيتُهْ[1]
لا بل وفَيتُ فلم أُضِع عهـداً ولا رأيـاً رأيتُهْ
وأنا المُطـلّ على العِدا وإذا غـلا عِلْق شريتُهْ[2]
أُصفي الخليـلَ إذا دنا وإذا نـأى عنّـي نأيتُهْ

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب ، فحرمه ولم يُعطه شيئاً ؛ فقيل له : إنّه لم يستحسن شعرك ؛ فقال : والله لقد مدحتُه بشعر لو مُدح به الدهر لم يُخشَ صرفُه على أحد[3] ، ولكنّه كذّب أملي لأنّي كذَبتُ في قولي . ثم قال في ذلك[4] : [من الطويل]

خليـلـيَّ إنّ العسرَ سوف يُفيـقُ وإنّ يساراً في غـدٍ لخليـقُ
وما كنتُ إلاّ كالزّمان إذا صَحا صَحوتُ وإن مـاقَ الزّمانُ أموقُ
أأَدْمـاء لا أسطيع في قلّة الثّرى خُزوزا ووَشيـا والقليلُ مَحيقُ[5]
خُذي من يدي ما قلّ إنّ زماننا شَمُوسٌ ومعروف الرجـال رقيقُ
لقد كنتُ لا أرضَى بأدنى مَعيشة ولا يَشتكـي بُخـلاً عليّ رفيقُ
خليـليّ إنّ المـالَ ليس بنافـع إذا لم ينَـل منـه أخٌ وصديقُ
وكنتُ إذا ضاقـتْ عـليَّ مَحَلَّةٌ تيمّمتُ أُخرى مـا عليّ تَضيقُ
وما خابَ بينَ اللهِ والناسِ عاملٌ لـه في التّقى أو في المحامدِ سُوقُ
ولا ضاقَ فضلُ اللهِ عن مُتعفّفٍ ولكـنّ أخـلاقَ الرجـالِ تَضيقُ

[أنشد المهديّ شعراً في النسيب فتهدّده إن عاد إلى مثله]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبّة قال : بلغ المهديَّ قولُ بشّار[6] : [من الكامل]

---

1 النسيب في ل : النساء .
2 الشطر الثاني تقدّمت رواية هذا الشطر : وإذا غلا حمد شريته .
3 ل : حر .
4 ديوان بشّار : 164–165 .
5 أدماء : الظبية التي أشرب لونها بياضاً أو السمراء ، وهي هنا علم . الخزوز : جمع خز . محيق : لا خير فيه .
6 تقدّم البيتان الثاني والثالث في هذه الترجمة .

قاسِ الهمومَ تنلْ بها نُجُحا والليلَ إنّ وراءه صُبُحا
لا يُؤيسنّك من مُخبّأةٍ قولٌ تُغلّظه وإن جَرَحا
عُسر النّساءِ إلى مُياسَرةٍ والصّعبُ يُمكن بعد ما جَمَحا

فلمّا قدِم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إيّاه ، وكان المهديّ غيوراً ، فغضب وقال : تلك أمّك يا عاضّ كذا من أمّه ! أتحضّ الناس على الفجور وتقذف المحصَنات المخبّآت ! والله لئن قلتَ بعد هذا بيتاً واحداً في نسيبٍ لآتينّ على روحك ؛ فقال بشّار في ذلك[1] : [من المنسرح]

واللهِ لولا رِضا الخليفة ما أعطيتُ ضَيماً عليَّ في شَجنِ
وربّما خِيرَ لابن آدمَ في الـ ـكُره وشقَّ الهوى على البدنِ
فاشرَبْ على أُبنة الزّمان فما تلقَى زماناً صَفا من الأُبَنِ[2]
الله يُعطيك من فواضله والمرء يُغضي عيناً على الكُمَنِ[3]
قد عشتُ بين الرَّيحان والراح والـ ـمزْهر في ظلِّ مَجلسٍ حسنِ
وقد ملأتُ البلادَ ما بين فُغْـ ـفُور إلى القَيروان فاليمنِ

قال عمر بن شبّة : فُغْفُور : ملك الصين .

شِعراً تُصلّي له العواتِقُ والـ ـثّيبُ صلاةَ الغُواة للوَثَنِ
ثم نهاني المَهديّ فانصرفتْ نفسي صنيعَ الموفَّق اللّقِنِ[4]
فالحمدُ للهِ لا شريكَ له ليس بباقٍ شيءٌ على الزّمَنِ

ثم أنشده قصيدته التي أوّلها :

تجاللتُ عن فِهرٍ وعن جارتَيْ فهرِ

ووصف بها تركه التشبيب ، ومدحه فقال[5] : [من الطويل]

تَسلّى عن الأحبابِ صَرّامُ خُلّة ووصّالُ أُخرى ما يُقيم على أمرِ
وركّاض أفراس الصّبابة والهوى جرت حِجَجاً ثم استقرّت فما تَجرِي

1 ديوان بشّار : 237 .
2 الأبنة هنا : الكدر .
3 الكمن : جمع كمنة وهي ورم في الجفن .
4 اللقن : السريع الفهم .
5 ديوان بشّار : 133–134 .

فأصبحن مـا يُركَبن إلاّ إلى الوغَى وأصبحتُ لا يُزْرى عليّ ولا أُزرِي
فهذا وإنّي قـد شَرَعْتُ مـع التّقى وماتت همومي الطارقاتُ فما تسري[1]

ثم قال يصف السفينة : [من الطويل]

وعذراء لا تجري بلحـمٍ ولا دمٍ قليلة شكوى الأيْن مُلجَمةُ الدُّبْرِ[2]
إذا ظَعَنَت فيهـا الفُلـول تَشخّصت بفُرسانها لا في وُعـوث ولا وعرِ[3]
وإن قصدت زلّـت على مُتنصِّـب ذليل القوى لا شيء يَفري كما تفري
تُلاعـب تَيّارَ البحـور وربّمـا رأيتَ نفوسَ القوم من جَريها تجري

قال : وكان قال : «نِينان البحور» فعابه بذلك سيبويه فجعله «تيّار البحور» .

إلى ملـكٍ مـن هاشمٍ في نبـوّةٍ ومن حِمْير في الملك في العدد الدَّثرِ[4]
مِنَ المشترين الحمد تندى من النّدى يـداه ويـندى عارِضاه مـن العِطرِ
فألزمتُ حبلِـي حبـلَ من لا تُغبّه عُفاة الندى من حيثُ يَدرِي ولا يَدرِي
بَنـى لـك عبد اللهِ بيتَ خلافـةٍ نزلـتَ بهـا بـين الفَراقـد والنَّسرِ
وعندك عهـدٌ مـن وَصاة محمّـد فَرَعتَ بـه الأملاكَ من ولد النّضرِ[5]

[هجا المهدي بعد أن مدحه فلمّا بلغه ذلك أمر بقتله]

فلم يَحْظَ منه أيضاً بشيء ، فهجاه فقال في قصيدته[6] : [من السريع]

خليفـةٌ يـزني بعمّاتـه يلعب بالدَّبُّوق والصّوْلجانْ
أبدلنـا اللهُ بـه غيـرَه ودسّ مُوسى في حِرِ الخَيْزُرانْ[7]

وأنشدها في حَلقة يونس النّحويّ ، فسُعي به إلى يعقوب بن داود ، وكان بشّار قد هجاه فقال[8] : [من البسيط]

---

1 شرعت مع التقى : لزمت الحقّ وابتعدت عن الباطل .
2 الأين : التعب .
3 الوعوث : جمع وعث وهو المكان السهل .
4 الدثر : الكثير .
5 فرع : علا بالشرف .
6 ديوان بشار : 243 .
7 الخيزران : إحدى جواري المهدي وهي أمّ موسى (الهادي) وهارون (الرشيد) .
8 ديوان بشّار : 91 .

بنـــي أميّة هُبّـوا طـــال نومُكُم إنّ الخليفـةَ يعقـوبُ بنُ داودِ
ضاعتْ خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفـةَ الله بـينَ الـزِّقِّ والعودِ

فدخل يعقوب على المهديّ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ هذا الأعمى المُلحد الزنديق قد هجاك ؛ فقال : بأيّ شيء ؟ فقال : بما لا ينطق به لساني ولا يتوهّمه فكرِي ؛ قال له : بحياتي إلاّ أنشدتني ! فقال : والله لو خيّرتَني بين إنشادي إيّاه وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي ؛ فحلف عليه المهديّ بالأيمان التي لا فُسحة فيها أن يخبره ؛ فقال : أمّا لفظاً فلا ، ولكنّي أكتبُ ذلك ، فكتبه ودفعه إليه ؛ فكاد ينشقّ غيظاً ، وعمَد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها ، وما وكده[1] غير بشّار . فانحدر ، فلمّا بلغ إلى البَطِيحة سمِع أذاناً في وقت ضُحى النّهار ، فقال : انظروا ما هذا الأذان ؛ فإذا بشّار يؤذّن سكران ؛ فقال له : يا زنديق يا عاضّ بَظْر أمّه ، عجبتُ أن يكون هذا غيرك ، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة وأنت سكران ؛ ثم دعا بابن نَهِيك فأمره بضربه بالسّوط فضربه بين يديه على صدر الحَرّاقة[2] سبعين سوطاً أتلفه فيها ، فكان إذا أوجعه السوط يقول : حَسٌّ ، وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع ، فقال له بعضهم : انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين ، يقول : حَسٌّ ، ولا يقول : باسم الله ؛ فقال : ويلك ؛ أطعامٌ هو فأُسمّيَ الله عليه ! فقال له الآخر : أفلا قلتَ : الحمد لله ؛ قال : أَوَنعمةٌ هي حتّى أحمد الله عليها ؟ فلمّا ضربه سبعين سوطاً بان الموت فيه ، فأُلقي في سفينة حتّى مات ثم رُميَ به في البَطيحة ، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدُفن بها .

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال : لمّا وليَ صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزيرِ المهديّ البصرة ، قال بشّار يهجوه[3] : [من الطويل]

هُمُ حَملوا فـوقَ المنابر صالحاً أخاك فضجّت من أخيك المنابرُ

فبلغ ذلك يعقوبَ فدخل على المهديّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أبَلَغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجوَ أمير المؤمنين ؟ قال : ويحك ! وما قال ؟ قال : يُعفيني أمير المؤمنين من إنشاده ، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه . فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره : وخاف يعقوب بن داود أن يَقدَم على المهديّ فيمدحَه ويعفو عنه ، فوجّه إليه من استقبله فضربه بالسِّياط حتّى قتله ثم ألقاه في البَطيحة في الخَرّارة .

---

1 وكده : قصده .
2 الحراقة : سفينة يرمى بالنار منها .
3 ديوان بشّار : 113 .

[هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه وعن جماعة من رُواة البصريين ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن علي بن محمد ، وخبره أتمّ ، قالوا : خرج بشّار إلى المهديّ ، ويعقوبُ بن داود وزيره ، فمدحه ومدح يعقوب ، فلم يحفِل به يعقوب ولم يُعطه شيئاً ، ومرّ يعقوب ببشّار يريد منزله ، فصاح به بشّار :

طال الثَّواء على رُسوم المنزِلِ

فقال يعقوب :

فإذا تشاءُ أبا معاذٍ فارحَلِ

فغضِب بشّار وقال يهجوه : [من البسيط]

بني أميّة هُبّوا طال نومكمُ إنّ الخليفة يعقوبُ بن داودِ
ضاعت خلافتُكم يا قوم فالتمسوا خليفةَ اللهِ بين الزِّقّ والعُودِ

قال النوفليّ : فلمّا طالت أيّام بشّار على باب يعقوب دخل عليه ، وكان من عادة بشّار إذا أراد أن يُنشد أو يتكلّم أن يتفُل عن يمينه وشماله ويُصفّق بإحدى يديه على الأُخرى ، ففعل ذلك وأنشد[1] : [من الكامل]

يعقوبُ قد ورد العُفاةُ عشيّةً مُتعرّضين لسَيبك المُنتابِ
فسقَيتَهم وحسِبتَني كَمّونةً نَبتت لزارعها بغير شرابِ
مَهلاً لديك فإنّني رَيحانة فاشمُمْ بأَنفك واسقِها بذِنابِ[2]
طال الثواءُ على تنظُّرِ حاجةٍ شَمِطتْ لديك فمن لها بِخِضابِ[3]
تُعطِي الغزيرةُ دَرَّها فإذا أبتْ كانت مَلامتُها على الحُلاّبِ[4]

يقول ليعقوب : أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يُوصَل إلى دَرِّها فليس ذلك من قِبَلها ، إنّما هو من منع الحالب منها ، وكذلك الخليفة ليس من قِبَله لسَعَة معروفه ، إنّما هو من قِبَل السبب إليه . قال : فلم يعطِفْ ذلك يعقوبَ عليه وحرَمه ، فانصرف إلى البصرة مُغضَبا . فلمّا قدِم المهديُّ البصرة أعطى عطايا كثيرةً ووصَل الشعراء ، وذلك كلُّه على يديْ يعقوب ، فلم يُعط بشّاراً شيئاً من ذلك ، فجاء بَشّار إلى حَلقة يونسَ

1 ديوان بشّار : 38–39 .
2 ذناب : جمع ذنوب وهو الدلو الملأى .
3 فمن في ل : قمر .
4 الغزيرة : الكثيرة الدرّ .

النَّحْوي فقال : هل هاهنا أحد يُحْتَشم ؟ قالوا له : لا ؛ فأنشأ بيتاً يَهْجو فيه المهديّ ، فسعى به أهلُ الحلقة إلى يعقوب ؛ فقال يونس للمهديّ : إنّ بشّاراً زِنْديق وقامت عليه البيّنة عندي بذلك ، وقد هجا أمير المؤمنين ، فأمر ابنَ نَهيك بأخذه ، وأَزِف خروجُهم فخرجوا وأخرجه ابن نَهيك معه في زَورق .

[وفاة بشّار]

فلمّا كانوا بالبَطِيحة ذكرَه المهديّ فأرسل إلى ابن نَهيك يأمُره أن يضرب بشّاراً ضربَ التلف ويُلقيه بالبطيحة ، فأمر به فأُقيم على صدر السفينة وأمر الجلاّدين أن يضربوه ضرباً يُتلفون فيه نفسَه ففعلوا ذلك ، فجعل يَسترجع ؛ فقال بعض من حضر : أمَا تراه لا يحمد الله ؟ فقال بشّار : أنعمةٌ هي فأحمدَ الله عليها ؟ إنّما هي بليّة أسترجع عليها ، فضُرب سبعين سوطاً مات منها وأُلقيَ في البطيحة .

قال يحيى بن عليّ فحكى قَعنب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال : لمّا ضُرب بشّار بالسياط وطُرح في السفينة قال : ليت عينَ أبي الشَّمقمق رأتني حين يقول : [من مجزوء الرمل]

إنّ بشّارَ بنَ بـــرد تيسٌ أعمى في سفينهْ[1]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبة قال : أمر المهديّ عبد الجبّار صاحب الزنادقة فضرب بشّاراً ، فما بقي بالبصرة شريفٌ إلاّ بعث إليه بالفَرْش والكُسْوة والهدايا ومات بالبطيحة . قال : وكانت وفاته وقد ناهز ستّين سنة .

قال عمر بن شبّة حدّثني سالم بن عليّ ، قال : كنّا عند يونس فنعى بشّاراً إلينا ناعٍ ، فأنكر يونُس ذلك وقال : لم يمتْ ؛ فقال الرجل : أنا رأيت قبرَه ؛ فقال : أنت رأيته ؟ قال : نعم ، وإلاّ فعليّ وعليّ ، وحلَف له حتى رضيَ ، فقال يونس : «لِليدين ولِلفم»[2] .

قال أبو زيد وحدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عَوْن بن بَشير ، وكان يُتّهَم بمذهب بشّار ، فقال : لمّا مات بشّار أُلقيتْ جُثّته بالبطيحة في موضع يُعرَف بالخَرّارة ، فحمله الماء فأخرجه إلى دِجلة البصرةِ فأُخِذ فأُتِي به أهلُه فدفنوه ، قال وكان كثيراً ما ينشدني[3] : [من مجزوء الرمل]

---

1 قال الجاحظ : تقول العرب : «ما هو إلاّ تيس في سفينة» إذا أرادوا الغباوة و«ما هو إلاّ تيس» إذا أرادوا به نتن الريح (الحيوان 2 : 150 تحقيق عبد السلام هارون) .

2 هذا مثل في الشماتة (الميداني رقم 3465 وفصل المقالي : 98) .

3 ديوان بشّار : 201 .

ستَرى حولَ سَريري حُسّرا يَلْطِمن لَطما
يا قَتِيلا قتلتْه عبدةُ الحوراءِ ظلما

قال : وأُخرِجَتْ جنازته فما تبعها أحدٌ إلاّ أمَةٌ له سوداء سِنديّة عَجماء ما تُفصح ، رأيتُها خلفَ جنازته تَصيح : واسيّداه ! واسيّداه !

[شماتة الناس بموته]

قال أبو زيد وحدّثني سالم بن عليّ قال : لمّا مات بشّار ونُعِيَ إلى أهل البَصرة تَباشر عامّتهم وهنّأ بعضُهم بعضاً وحمِدوا الله وتصدّقوا ، لمّا كانوا مُنُوا به من لسانه .

وقال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بشّار : [من المنسرح]

يا بُؤْسَ مَيْتٍ لم يَبكِهِ أحدُ أجَلْ ولم يَفتقِدْه مُفتقِدُ
لا أمُّ أولاده بكتْه ولم يَبْكِ عليه لفُرقةٍ وَلَدُ
ولا ابنُ أختٍ بكى ولا ابنُ أخٍ ولا حَميمٌ رقَت له كبِدُ
بل زعموا أنّ أهلَه فرَحاً لمّا أتاهم نَعِيُّه سَجَدوا

قال : وقال أيضاً في ذلك : [من السريع]

قد تبِع الأعمى قَفا عَجْرَدٍ فأصبحا جارَين في دارِ
قالت بِقاعُ الأرضِ لا مَرحباً بِرُوحِ حمّادٍ وبشّارِ
تَجاورَا بعد تَنائيهما ما أبغَضَ الجارَ إلى الجارِ
صارا جميعاً في يَدي مالكٍ في النّار والكافرُ في النارِ

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمّد عن أحمد بن خَلاّد عن أبيه قال : مات بشّار سنة ثمان وستّين ومائة وقد بلغ نَيِّفاً وسبعين سنة .

[ندم المهديّ على قتله]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال : لمّا ضرب المهديّ بشّاراً بعث إلى منزله من يُفتّشه ، وكان يُتّهم بالزندقة فوُجد في منزله طومار[1] فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّي أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرتُ قرابتهم من رسول الله ﷺ فأمسكت عنهم إجلالاً له ﷺ ، على أنّي قد قلتُ فيهم[2] : [من البسيط]

1 طومار : صحيفة .
2 ديوان بشار : 53 .

دِينـــارُ آلِ سليمانٍ ودِرهَمُهم كالبابِليَّين حُفّا بالعفـــارِيتِ
لا يُبصَران ولا يُرجَى لقاؤهما كما سمعتَ بهارُوتٍ ومارُوتِ

فلمّا قرأه المهديّ بكى وندم على قتله ، وقال : لا جزى الله يعقوب بن داود خيراً ، فإنّه لمّا هجاه لقّق عندي شهوداً على أنّه زنديقٌ فقتلتُه ثمّ ندمت حين لا يُغني الندم .

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون قال : لمّا نزل المهديُّ البصرة كان معه حَمْدُويَه صاحب الزنادقة فدفع إليه بشّاراً وقال : اضربْه ضربَ التلف ، فضربه ثلاثة عشر سوطاً ، فكان كلّما ضربه سوطاً قال له : أوجعتَني ويلك ؛ فقال : يا زنديق ، أتُضرَب ولا تقول : باسم الله ؟ قال : ويلك ! أتَريدُ هو فأسمّي الله عليه !! قال : ومات من ذلك الضّرب .

ولبشّار أخبار كثيرة قد ذُكرت في عدّة مواضع : منها أخباره مع عبدة فإنّها أُفردت في بعض شعره فيها الذي غنّى فيه المغنّون ، وأخبارُه مع حَمّاد عَجْرد في تَهاجيهما فإنّها أيضاً أُفرِدتْ ، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهليّ فإنّا لم نجمع جميعها في هذا الموضع ، إذ كان كلّ صِنفٍ منها مُستغنياً بنفسه حسبما شُرِط في تصدير الكتاب .

[33] ـ أخبار يزيد حوراء

[ولاؤه ، وهو مغن من طبقة ابن جامع والموصلي]

يزيد حَوْراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كنانة ، ويُكنى أبا خالد ، مُغنٍّ محسنٌ كثيرُ الصّناعة ، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصليّ ، وكان ممّن قدِم على المهديّ في خلافته فغنّاه ، وكان حسنَ الصوت حُلوَ الشمائل .

[كان إبراهيم الموصلي يحسده]

وذكر ابن خُرْداذْبِهْ أنّه بلغه أنّ إبراهيم الموصليّ حسده على شمائله وإشارته في الغناء ، فاشترى عدّة جوارٍ وشاركه فيهنّ ؛ وقال له : عَلِّمهن فما رَزَق الله فيهنّ من رِبْحٍ فهو بيننا ، وأمرهنّ أن يجعلنَ وَكْدَهنّ[1] أخْذ إشارته ففعلن ذلك ، وكان إبراهيم يأخذها عنهن هو وابنه ويأمرهنّ بتعليم كلّ من يعرفنَه ذلك حتى شهَرها في الناس ، فأبطل عليه ما كان منفرداً به من ذلك .

[كان صديقاً لأبي العتاهية وغنّى للمهدي من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعةٌ من موالي الرشيد : أنّ يزيد حوراء كان صديقاً لأبي العتاهية ، فقال أبو العتاهية أبياتاً في أمر عُتْبة يتنجَّز فيها المهديّ ما وعده إيّاه من تزويجها ، فإذا وجد المهديَّ طيِّبَ النفس غنَّاه بها ، وهي[2] : [من الكامل]

ولقد تَنَسّمتُ الرياحَ لحاجتي ... فإذا لها مـن راحتَيْكَ نسيمُ
أشْربتُ نفسي من رجائك ما له ... عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورَسِيمُ
ورَمَيتُ نحوَ سماءِ جَوْدِك ناظِري ... أرْعَـى مخايـلَ بَرْقِـهِ وأشيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقولُ لا ، ... إنّ الذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

فصنَع فيها لحناً وتوخَّى لها وقتاً وجد المهديّ فيه طيِّبَ النفس فغنّاه بها . فدعا بأبي العتاهية وقال له : أمّا عُتْبة فلا سبيل إليها لأنّ مولاتها مَنَعتْ من ذلك . ولكن هذه خمسون ألفَ درهم فاشتر ببعضها خيراً من عُتبة ، فحُمِلتْ إليه وانصرف .

---

1 وكد : قصد .

2 ديوان أبي العتاهية (تحقيق د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965) : 631–633 .

[كان نظيفاً ظريفاً حسن الوجه جميل الخصال]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن المرزبان قال حدّثنا شَيبة بن هشام عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : كان يزيد حوراء نظيفاً ظريفاً حسنَ الوجه شَكِلاً[1] ، لم يَقدَم علينا من الحجاز أنظفُ ولا أشكلُ منه ، وما كنتَ تشاء أن ترى خَصْلةً جميلةً فيه لا تراها في أحد منهم إلاّ رأيتَها فيه ، وكان يتعصّب لإبراهيم الموصليّ على ابن جامع ، فكان إبراهيم يرفع منه ويُشيع ذكره بالجميل وينبّه على مواضع تقدُّمه وإحسانه ويَبعث بابنه إسحاق إليه يأخذ عنه .

[رثاه صديقه أبو مالك حين مات]

وكان صديقاً لأبي مالكٍ الأعرج التَّميميّ لا يكاد أن يفارقه ، فمرِض مرضاً شديداً واحتُضر ، فاغتمّ عليه الرشيد وبعث بمسرورٍ الخادم يسأل عنه ، ثم مات ؛ فقال أبو مالك يرثيه : [من الخفيف]

صوت

لم يُمَتَّعْ مـــن الشبابِ يزيدُ ... صار في التُّرْبِ وهو غَضٌّ جديدُ
خانَـه دهـرُه وقابَلَـه منـ ... ـهُ بنَحْسٍ ودابَرَتْـهُ السُّعودُ
حين زُفَّتْ دُنْياه من كل وجهٍ ... وتَدانـــى إليـه منـه البعيدُ
فكأنْ لم يكنْ يزيدُ ولم يَشْـ ... ـجُ نَدِيمـاً يَهُـزُّه التّغريدُ

وفي هذه الأبيات لحسين بن محرز لحنٌ من الثقيل الثاني بالبنصر ، من نسخة عمرو بن بانة .

[توسّط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهديّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَهْ قال حدّثني أحمد بن أبي يوسف قال حدّثني الحسين بن جُمهور بن زِياد بن طرخان مولى المنصور قال حدّثني أبو محمد عبد الرحمن بن عُيَينة بن شارية الدُّؤليّ قال حدّثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدّثني يزيد حوراء المغنّي قال : كلّمني أبو العتاهية في أن أُكلِّم له المهديّ في عُتبة ، فقلت له : إنّ الكلام لا يمكنني ولكن قل شعراً أُغَنّه به ، فقال[2] : [من البسيط]

صوت

نفسي بشيءٍ من الدنيا مُعَلَّقةٌ ... اللهُ والقائـمُ المهـديُّ يَكْفِيها
إنّي لأيأسُ منهـا ثم يُطْمِعُني ... فيها احتقارُكَ للدنيا وما فيها

1 شكلا : ذا دلّ وغزل .

2 ديوان أبي العتاهية : 668 .

قال : فعمِلتُ فيه لحناً وغنّيته به ، فقال : ما هذا ؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية ، فقال : ننظُر فيما سأل ، فأخبرتُ أبا العتاهية ، ثم مضى شهرٌ فجاءني وقال : هل حدث خبر ؟ فقلت : لا ، قال : فاذكرني للمهديّ ، قلت : إن أحببتَ ذلك فقل شعراً تُحرّكه وتُذكّره وعدَه حتى أُغنّيَه به ، فقال[1] : [من الخفيف]

صوت

ليتَ شعرِي ما عندكم ليتَ شعري فلقد أُخِّرَ الجوابُ لأمرِ
ما جوابٌ أوْلى بكلّ جميلٍ من جوابٍ يُرَدُّ من بعد شهرِ

قال يزيد : فغنّيت به المهديّ فقال : عَلَيَّ بعُتْبة فأُحضِرَتْ ، فقال : إنّ أبا العتاهية كلّمني فيكِ ، فما تقولين ، ولك وله عندي ما تُحِبّان ممّا لا تبلُغُه أمانِيكما ؟ فقالت له : قد عَلِم أمير المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حقّ مولاتي ، وأُريد أن أذكُرَ لها هذا ، قال : فافعلي ؛ قال : وأعدمتُ أبا العتاهية ، ومضتْ أيّامٌ فسألني معاودَةَ المهديّ ، فقلت : قد عرفتَ الطريقَ فقل ما شئتَ حتى أغنّيَه به ، فقال[2] : [من الكامل]

صوت

أشْربتُ قلبي من رجائك ما له عَنَقٌ يَخُبّ إليك بي ورسيمُ
وأمَلتُ نحوَ سماء جَودِك ناظري أرعَى مَخايِلَ بَرْقِها وأُشيمُ
ولربّما استيأستُ ثم أقول لا إنّ الذي وعَدَ النجاحَ كريمُ

قال يزيد : فغنّيته المهديّ ، فقال : عَلَيَّ بعُتْبة فجاءت ، فقال : ما صنعتِ ؟

فقالت : ذكرتُ ذلك لمولاتي فكَرِهتْه وأبَتْه ، فليفعل أميرُ المؤمنين ما يريد ، فقال : ما كنتُ لأفعلَ شيئاً تكرهه ، فأعلمت أبا العتاهية بذلك ، فقال[3] : [من الكامل]

قَطّعْتُ منكِ حبائلَ الآمالِ وأرحْتُ من حِلٍّ ومن تَرْحالِ
ما كان أشأمَ إذ رجاؤُكِ قاتلي وبناتُ وَعْدِكِ يَعْتلِجن ببالي
ولئن طَمِعتُ لَرُبَّ بَرْقةِ خُلّبٍ مالتْ بذي طَمَع ولمعةِ آلِ

[مغازلته لجارية]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قال يزيد حوراء :

1 ديوان أبي العتاهية : 547 .
2 ديوان أبي العتاهية : 633 .
3 ديوان أبي العتاهية : 281 .

كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش ، فكانت تمرّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء ، تتعلّم منها الغِناء ، فقلت لها يوماً : افهَمِي قولي ورُدِّي جوابي وكوني عند ظنّي ، فقالت : هاتِ ما عندك ، فقلت : بالله ما اسمك ؟ فقالت : ممنّعة ؛ فأطرقتُ طِيَرَةً من اسمها مع طَمَعي فيها ، فقلت : بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله ، فاسمعي منّي ، فقالت وهي تتبسّم : إن كان عندك شيءٌ فقُل ، فقلت : [من الطويل]

لِيَهْنِكِ منّي أنّني لستُ مُفْشِياً هواكِ إلى غيري ولو مِتُّ من كَرْبِ
ولا مانحاً خَلْقاً سواكِ مودّتي ولا قائلاً ما عشتُ من حبّكم حَسْبي

قال : فنظرتْ إليّ طويلاً ، ثم قالت : أنشُدُك الله ، أعن فَرْطِ محبّة أم اهتياج غُلمة تكلّمت ؟ فقلت : لا والله ولكن عن فَرْط محبّة ، فقالت : [من الطويل]

فواللهِ ربِّ الناس لا خُنتُكَ الهَوى ولا زلتَ مخصوصَ المحبَّة من قلبي
فثِقْ بِي فإنّي قد وَثِقْتُ ولا تكنْ على غيرِ ما أظهرتَ لي يا أخا الحُبِّ

قال : فوالله لكأنّما أضرمتْ في قلبي ناراً ، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلُكُه فتحدّثني وأتفرّج بها ، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء ، فكانت تُكاتبني وتُلاطفني دهراً طويلاً .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

يـا ليلـةً جمعتْ لنا الأحبابا لو شئتِ دام لنا النعيمُ وطابا
بِتنا نُسَقَّاهـا شَمولاً قَرْقَفاً تدَعُ الصحيحَ بعقلـه مُرتابا
حمراء مثـل دمِ الغزال وتارةً عنـد المِـزاج تخالهـا زِريابا
من كفِّ جاريـةٍ كأنّ بَنانَها من فِضّةٍ قـد قُمِّعَتْ عُنّابا
وكأنّ يُمناها إذا نقَـرتْ بها تُلقي على الكفِّ الشِّمال حِسابا

عروضه من الكامل ، الشعر لعُكّاشة العَمّيّ ، والغناء لعبد الرحيم الدَّفّاف ، ولحنه المختار هَزَجٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوُسطى .

[34] ـ أخبار عُكَّاشة العمّيّ ونسبه[1]

[نسبه وأصل قومه]

هو عُكَّاشة بن عبد الصَّمَد العَمِّيّ من أهل البصرة من بني العمّ . وأصلُ بني العمّ كالمدفوع ، يقال : إنّهم نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيّام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغَزَوا مع المسلمين وحَسُنَ بلاؤهم ، فقال الناس : أنتم ، وإن لم تكونوا من العرب ، إخوانُنا وأهلُنا وأنتم الأنصار والإخوانُ وبنو العمِّ ، فلُقِّبوا بذلك وصاروا في جملة العرب .

[هجا كعب بن معدان بني ناجية وشبّههم ببني العمّ]

وقال بعض الشعراء ، وهو كعب بن مَعْدان ، يهجو بني ناجية ويشبِّههم ببني العمِّ : [من الوافر]

وجدنا آلَ سامةَ في قُريشٍ كمثل العمِّ بين بني تميمِ

ويروى : «في سَلَفَيْ تميم» .

[أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير]

أخبرني عيسى بن الحسين عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة قال : لمّا تواقف جرير والفرزدق بالمِربد للهجاء اقتتلت بنو يربوع وبنو مُجاشع ، فأمدّت بنو العمّ بني مُجاشع وجاؤوهم وفي أيديهم الخشب فطردوا بني يربوع ؛ فقال جرير : مَن هؤلاء ؟ قالوا : بنو العمّ ، فقال جرير يهجوهم : [من البسيط]

ما للفرزدقِ مِنْ عزٍّ يلوذُ به إلاّ بني العمِّ في أيديهمُ الخشَبُ

سِيروا بني العمِّ فالأهواز داركُمُ ونهرُ تِيرى ولم تعرفْكم العَرَبُ

وعُكّاشة شاعر مُقِلٌّ من شعراء الدولة العباسية ، ليس ممّن شُهِر وشاع شعره[2] في أيدي الناس ولا ممّن خدَم الخلفاء ومدحهم .

[ذكر لصديقه حميد الكاتب حبّه لنعيم وشعره فيها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني سعيد بن حُمَيد الكاتب البصريّ قال قال أبي : كان عُكّاشة بن

---

1 عكّاشة العمّي : بتشديد الكاف وتخفيفها ، له ترجمة في السمط : 526–527 وفوات الوفيات (تحقيق إحسان عبّاس ، دار صادر ، بيروت) 2 : 455–457 وذكر أنّه توفّي بعد المائتين والزركشي : 209 وأعلام الزركلي .

2 ل : ذكره .

عبد الصَّمد العمِّيّ صديقاً لي وإلفاً ، وكنّا نتعاشر ولا نكاد نفترق ولا يكتُم أحدنا صاحبه شيئاً ، فرأيته في بعض أيّامه متغير الهيئة عمّا عهدته مقسَّمَ القلب والفكر غير آخذٍ ما كنَّا فيه من الفُكاهة والمُزاح ، فسألته عن حاله فكاتَمَنِيها مَلِيّاً ، ثم أخبرني أنّه يهوى جاريةً لبعض الهاشميين يقال لها نُعَيْم ، وأنّ مَرامَها عليه مستصعِبٌ لا يراها إلاّ من جَناحٍ لدارِهم ، تُشرِفُ عليه في الفَيْئة[1] بعد الفَيْئة فتكلّمه كلاماً يسيراً ثم تذهب ، فعاتبتُه على ذلك فلم يَزْدجِرْ وتمادى في أمره ، ثم جاءني يوماً ، فقال : قد وعدَتْني الزيارة لأنّ شكواي إليها طالت ، فقلت له : فهل حقَّقَتْ لك الموعدَ على يومٍ بعينه ؟ قال : لا ، إنّما سألتُها الزيارة فقالت : نعم أفعل ، فقلت له : هذا والله أعجبُ من سائرِ ما مضى ، وأيُّ شيءٍ لك في هذا من الفائدة بلا تحصيلِ وعدٍ ؟ فقال لي : يا أخي ، إنّ لي في قولها : «نعم» فرجاً كبيراً ، فقلتُ : أنت أقنعُ الناس ؛ ثم جاءني بعد يومين وهو كاسفُ البال مهمومٌ ، فقلت له : ما لك ؟ فقال : مضيتُ إلى نُعَيْم فتنجَّزتُ وعدَها ، فقالت لي : إنّ لي صاحبةً أستنصِحُها وأعلمُ أنّها تُشفقُ عليَّ شفقة الأختِ على أختها والأمِّ على ولدِها وقد نهَتني عن ذلك ، وقالت لي : إنّ في الرجال غَدراً ومكراً ، ولا آمنُ أن تفتضحي ثم لا تَحصُلي منه على شيء ؛ وقد انقطعتْ عنّي ثم أنشدني لنفسه : [من المنسرح]

عـلامَ حبـلُ الصفاء منصرمُ ... وفيمَ عنّـي الصدودُ والصَّمَمُ
يا مـن كَنَيْنا عن اسمه زمناً ... نتبـعُ مرضاتَـهُ ويجتـرمُ
قـد عِيلَ صبري وأنتِ لاهيـةٌ ... عنّي وقلبـي عليـكِ يَضْطَرِمُ
مَنْ جَـذَّ حبلَ الوفـاء سيِّدتي ... منكِ ومن سامني لـه العَدَمُ
فكـم أتـاني واشٍ يعيبكُـمُ ... فقلتُ اخسَأْ لأنفِـك الرَّغَمُ
أنتَ الفِدا والحِمَى لمن عِبتَ فار ... جعْ صاغِراً راغماً لك الندَمُ

صوت

[من المنسرح]

يا ربِّ خُذْ لي من الوُشاة إذا ... قامـوا وقُمنـا إليكَ نختصِمُ
دَبُّـوا إليهـا يُوَسوسون لهـا ... كي يستزلُّوا حبيبتـي زَعموا
هيهاتَ مِنْ ذاك ضَلَّ سعيُهُم ... مـا قلبهـا المستعـارُ يُقتَسَمُ

1 الفيئة : بمعنى الفينة .

يـا حاسدينا موتوا بغيظِكُمُ حَبْـلي متـينٌ بقولهـا نَعَـمُ
بـاللهِ لا تُشْمتي العُـداةَ بنـا كونـي كقلبـي فلستُ أتّهمُ

الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رمل . وقيل : إنّه لغيرها .

[زارته نُعَيْم وغنّته ثم ذهبت]

قال : ثم طال تَرداده إليها واستصلاحه لها ، فلم ألبَثْ أن جاءتني رُقعتُه في يومِ خميسٍ يُعلِمني أنّها قد حصَلتْ عنده ويستدعيني فحضرتُ ، وتوارتْ عنّي ساعةً وهو يُخبِرُها أنّه لا فرق بيني وبينه ولا يحتشمني في حالٍ ألبتّة إلى أن خرجتْ ، فاجتمعنا وشربنا وغنّت غناءً حسناً إلى وقت العصر ثم انصرفت ، وأخذ دواةً ورُقعة فكتب فيها[1] : [من الكامل]

سَقْيـاً لمجلسنا الذي كنّـا بـه يـومَ الخميسِ جماعـةً أَتْرابا
في غُرفةٍ مَطَرَت سمـاوةُ سقفِها بحَيـا النعيم مـن الكرومِ شَرابا
إذ نحـنُ نُسقاهـا شَمولا قَرْقَفاً تـدَعُ الصحيـحَ بعقلـه مُرتابا
حمراء مثـل دمِ الغزالِ وتـارةً بعـد المِـزاج تخالُها زِرْيابا
مـن كـفِّ جاريـةٍ كأنَّ بنانَها مـن فِضَّةٍ قـد قُمِّعـتْ عُنّابا
تزدادُ حسناً كأسُها مـن كفّها ويطيـبُ منهـا نشرُهـا أحقابا
وإذا المـزاجُ عَـلا فشَجّ جبينَها نفَثَـتْ بـألْسِنةِ المِـزاجِ حَبابا[2]
وتخالُ ما جَمَعتْ فأحدق سِمْطُه بالطَّـوقِ رِيـقَ حَبائبٍ ورُضابا
كَفَتِ المَناصِفَ أن تَذُبَّ أكُفُّها عنهـا إذا جعلـتْ تَفُوح ذُبابا
والعُـودُ مُتّبـعٌ غِنـاءَ خَرِيدةٍ غَرِداً يقـولُ كما تقـول صوابا
وكأنّ يُمناها إذا نَطَقـتْ بـه تُلقي على يدهـا الشِّمالِ حِسابا
فهناك خَفّ بنا النعيمُ وصار من دون الثقيـلِ لنـا عليـه حِجابا
آليتُ لا ألْحَـى على طلب الهوى مُتَلـذِّذًا حتـى أكـونَ تُرابا

[اشترى نعيم بغداديّ وسافر بها]

قال : ثم قدِمَ قادم من أهلِ بغداد فاشترى نُعَيْمَ هذه من مولاتها ورحل إلى بغداد ، فعَظُم أسَفُ عُكّاشة وحزنُه عليها واستُهيم بها طول عمره ، فاستحالت صورتُه وطبعُه وخُلُقُه إلى أن فرّق الدهر بيننا ، فكان أكثر وَكده وشُغْله أن يقول فيها الشعر وينوحَ به عليها ويبكي ؛ قال

1 الأبيات من الثالث إلى الحادي عشر في الفوات 2 : 457 .
2 نفثت في ل : نفشت .

حُميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك[1] : [من الطويل]

ألا ليتَ شِعْرِي هل يعودنّ ما مضى ... وهل راجعٌ ما مات من صِلة الحَبْلِ
وهل أجلسنْ في مثل مجلِسنا الذي ... نَعِمْنا بـه يـومَ السعادة بالوصلِ
عشيّةَ صَبّتْ لـذّةُ الوصل طِيبَها ... علينا وأفنانُ الجِنانِ جَنى البَذْلِ[2]
وقـد دار ساقينـا بكأسٍ رَوِيّـةٍ ... تُرَحِّلُ أحزانَ الكئيبِ مع العقلِ
وشَجَّ شَمُولاً بالمِـزاج فطيَّرت ... كألسنة الحَيّات خافتْ من القتلِ[3]
فبِتْنا وعـينُ الكأسِ سَحٌّ دموعُها ... لِكلِّ فتًى يهتزّ للمجـدِ كالنَّصْلِ
وقَيْنَتُنا كالظبـي تسمَحُ بالهوى ... وبَـثٌّ تَبارِيح الفـؤادِ على رِسْلِ
إذا ما حَكّتْ بالعُودِ رَجْعَ لسانِها ... رأيتَ لسانَ العودِ من كَفِّها يُمْلِي
فلـم أَرَ كاللذّات أمطرتِ الهَوى ... ولا مثلَ يومي ذاك صادفَه مِثلِي

ومِمّا قاله فيها[4] : [من الكامل]

أنُعَيم حبُّـكِ سَلّني وبَـلاني ... وإلى الأمرِّ مـن الأمـورِ دعاني
أنُعَيم لو تَجِدينَ وَجْدِي والذي ... أَلْقى بَكَيتِ مـن الذي أبكاني
أنُعَيم سيّدتي عليـكِ تَقَطَّعتْ ... نفسي مـن الحَسَراتِ والأحزانِ
أنُعَيم قـد رَحِم الهوى قلبي وقد ... بكتِ الثيابُ أَسًى على جُثْماني
أنُعَيم وانحـدرتْ مدامعُ مقلتي ... حتّـى رَحِمـتُ لرحمتي إخواني
أنُعَيم مَثّلـك الهُيـامُ لمقلتي ... فكأنّنـي ألقـاكِ كلَّ مكانِ
أنُعَيم نظرةُ سحرِ عينِك بالهوى ... معروفـةٌ بالقتـلِ في إنسانِ
أنُعَيمٌ اشفي أو دَعـي مَنْ داؤه ... ودواؤه بيديـكِ مُقترنـانِ
هـذا وكم من مجلسٍ لي مُؤْنِقٍ ... بـين النعيـمِ وبـين عيشٍ داني
نازعتُـه أردانَـه فلَبستُها ... مـع ظَبْيـةٍ في عيشنا الفَيْنانِ
تُنْسي الحليمَ مـن الرجال مَعادَه ... بـين الغِناء وعُودِهـا الحَنّانِ

1 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة من أوّلها .
2 الفوات : جنى النحل .
3 الفوات : وشجت شمول .
4 في الفوات تسعة أبيات من هذه القطعة ابتداء من البيت التاسع .

حتى يعـودَ كأنّ حَبَّـةَ قلبـه مشدودةٌ بَمَثالِـــثٍ ومَثـاني
ظَلَّت تُغنّينـي وتَعْطِفُ كفَّهـا بالعُـودِ بـين الـرَّاحِ والرَّيحانِ
فسمِعتُ ما أبكى وأضْحكَ سامعاً وسكِرتُ من طَرَبٍ ومن أشجانِ
ومَشَيتُ في لُجَجِ الهوى مُتَبختراً ومشى إليّ اللهـوُ في الألوانِ
فعلمتُ أنْ قـد عـاد قلبي عائدٌ مـن بينِ عُـودٍ مُطربٍ وبَنانِ

وممّا قاله أيضاً فيها : [من الوافر]

نُعَيْمٌ هـل بَكَيتِ كما بَكَيتُ وهل بعـدي وَفَيتِ كما وَفَيتُ
أَلا يا ليت شِعرِي كيف بَعدي اصـ ـطبارُكِ إذ نَأَيـتِ وإذ نأيتُ
فكم مـن عَبْرةٍ ذَرَفـتْ فلمّا خَشِيتُ عيونَ أهـلي واستحَيتُ
نَهَضتُ بهـا مُكاتَمَـةً فلمّـا خلـوتُ ذَرَفتُهـا حتّى اشتفيتُ
وقلـتُ لصُحْبتي لمّـا رَمـاني هـواكِ بدائـه حتـى انطويتُ
أراني مـن همـومِ النفسِ مَيْتـاً ولم أَرَ في نُعَيـمٍ مـا نَوَيتُ
فليتَ المـوتَ عَجّل قبضَ رُوحي جِهـاراً فاسترحتُ وأيـن ليتُ

وقال أيضاً في فراقه إيّاها : [من الكامل]

أَنُعَيْمُ في قلبـي عليـك شَرارُ وعلى الفـؤادِ من الصَّبابـةِ نارُ
وعلى الجفونِ غِشاوةٌ وعلى الهَوى داعٍ دعَتْـه لِحَيْنـيَ الأقدارُ
بِمُضلّةٍ لُـبَّ الحليـم إذا رَمتْ بالمقلتـين كأنّهـا سَحّـارُ
طالبتُهـا حَوْلَيْنِ لا لَـيْلي بهـا ليـلٌ ولا هـذا النهـارُ نهـارُ
حتى إذا ظَفِـرَتْ يدايَ بكاعِبٍ كالشمسِ تَقْصُر دونهـا الأبصارُ
وثَلِجتُ صدراً بـالفتاةِ وصارتـا كالنفسِ نفسانـا وقَـرّ قَـرارُ
بلـغَ الشقاءُ أشدَّ مـا يَسطِيعُهُ فينـا وفَـرّقَ بيننـا المِقْدارُ

وممّا يُغَنّى فيه من شعر عُكّاشة الذي قاله في هذه الجارية :

صوت

[من مجزوء الكامل]

لَهْفِي على الزمنِ الذي وَلَّـى ببهجته القصيرِ
قـد كان يُؤْنقني الهوى ويُقِـرّ عينـي بالسرورِ

إذ نحـــنُ خُلاّنُ الهوى رَيْحانُنـــا عَبِـــقُ العبيرِ
وغناؤنا وصفُ الهـــوى نلتـــذّ بالحـــبِّ اليسيرِ

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته . وفيه لأبي العَنَبْس بن حمدون خفيف رمل . وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

وجـهُ التواصُـل بيننـا في الحسنِ كالقمرِ المنيرِ
إيماؤنا يَحكـــي الكلا مَ وسِرُّنا فَطَـنُ المشيرِ
وحديثُنـــا بحواجـــبٍ نطقتْ بألسنةِ الضَّميرِ
بل رُسْلنا الكُتُبُ التي تَجري بخافيةِ الصُّدورِ

[أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حدّه]

حدّثني الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثنا أبو مُسلمٍ عن المدائنيّ قال : أنشد عُكّاشة بن عبد الصمد المهديّ قوله في الخمر : [من الكامل]

حمراء مِثلَ دمِ الغـزالِ وتارةً عنـــدَ المِـــزاجِ تَخالُها زِرْيابا

فقال له المهديّ : لقد أحسنت في وصفها إحسان مَنْ قد شربها ، ولقد استحققتَ بذلك الحدَّ ، فقال : أيؤمِّنني أمير المؤمنين حتى أتكلّم بحجّتي ؟ قال : قد أمّنتُك ، قال : وما يُدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت وأجدت صفتَها إن كنتَ لا تعرفها ؟ فقال له المهديّ : اعزُبْ قبّحك الله .

[وقع له مثل ذلك مع الهادي]

قال الحسن وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكّار أنّ عكّاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله : [من الطويل]

كأنّ فُضولَ الكأسِ من زَبَداتها خَلاخِلُ شُدّتْ بالجُمانِ إلى حَجْلِ[1]

فقال له موسى : والله لأجلِدنّك حدّ الخمر ، قال : ولم يا أمير المؤمنين ؟ إنّما نقول ولا نفعل ، فقال : كذبتَ ، قد وصفتَها صفة عالمٍ بها ، قال : فاجعل لي الأمان حتى أتكلّم بحُجّتي ، قال : تكلّم وأنت آمِنٌ ، قال : أجَدتُ وصفَها أم لم أُجِدْ ؟ قال : بلى قد أجدتَ ، قال : وما يُدريك أنّي أجدتُ إن كنتَ لا تعرفها ؟ إن كنتُ وصفتُها بطبعي دون امتحاني فقد شرِكتَني في ذلك بطبعك ، وإن كان وصفُها لا يُعلَم إلاّ بالتجربة فقد شركتَني أيضاً فيها ؛ فضحك موسى وقال له : قد نجوتَ بحيلتك منّي ، قاتلك الله فما أدهاك !

1 زبدات : جمع زبدة وهي الطائفة من الزبد الذي يطفو على الماء والشراب .

[ما غنّى فيه من شعره]

وممّا وجَدْتُ فيه غناءً من شعر عُكّاشة قوله : [من الطويل]

صوت

وجـاؤوا إليــه بالتَّعاويذِ والرُّقَى وصَبّوا عليه الماءَ من شدّةِ النُّكْسِ[1]
وقالوا بــه من أعين الجنّ نَظرةٌ ولو صدَقوا قالوا بــه أعينُ الإنسِ

الغناء لعَريبَ . ومنها : [من الكامل]

صوت

طَرفي يذوبُ وماءُ طَرفِكِ جامدُ وعــليَّ مــن سِيما هواكِ شواهدُ
هذا هــواكِ قسَمتِه بين الورى ومنحتني أرَقــاً وطَرفُكِ راقدُ
فعليّ منــه اليــومَ تسعةُ أسهُمٍ وعلى جميــعَ النّاسِ سهمٌ واحدُ

الغناء لجَحظة ؛ ومنها : [من مجزوء الكامل]

غــادِ الهــوى بالكأس بــردا وأطِــعْ إمــارةَ مــن تَبدّى

ومنها : [من البسيط]

كما اشتهتْ خُلقتْ حتى إذا اعتدلتْ تمّت قَواماً فــلا طولٌ ولا قِصَرُ

ومنها : [من البسيط]

وزَعفرانيّة في اللّــونِ تحسَبُها إذا تأمّلتَهــا في جِسم كافُورِ
تخال أنّ سَقيطَ الطَّلّ بينَهما دمــعٌ تحيّر في أجفانِ مَهْجُورِ

1 النكس : معاودة المرض . وهذان البيتان في الفوات 2 : 456 .

[35] ـ أخبار عبد الرحيم الدفّاف ونسبه

[نسبه]

عبد الرحيم بن الفَضل الكوفيّ ، ويُكنى أبا القاسم ، وقيل : هو عبد الرحيم بن سعد ، وقيل : عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد ، مولًى لآل الأشعث بن قيس ، وقيل : بل هو مولى خُزاعة .

[سمعه حمّاد الراوية يغنّي]

ذكر أبو أيّوب المدينيّ أنّ حمّاداً الراوية حدّثه قال : رأيتُ عبد الرَّحيم الدفَّاف أيّام هارون الرشيد بالرَّقَّة وقد ظَهَرْتُ ، فحضَرني وسمعتُه يغنّي يومئذٍ صوتاً سئل عنه فذكر أنّه من صنعته ، وهو : [من الطويل]

فَديتُكِ لو تَدْرِينَ كيف أحِبّكم وكيف إذا ما غِبتُ عنكِ أقولُ

[كان منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ]

وكان عبد الرحيم منقطعاً إلى عليّ بن المهديّ المعروف بأمّه رَيْطة بنت أبي العبّاس .

[غنّى في شعر عرّض فيه بالرشيد فجلده]

فأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني عبد الصمد بن المعذَّل قال : غنّت جاريةٌ يوماً بحضرة الرشيد : [من المنسرح]

قُل لعليّ أيا فتى العربِ وخيرَ نامٍ وخيرَ مُكتسِبِ
أعلاكَ جَدّاكَ يا عليُّ إذا قصّر جَدٌّ عن ذروةِ الحسبِ

فأمر بضرب عنقها ، فقالت : يا سيّدي ما ذنبي ! هذا صوت عُلّمْتُه ، والله ما أدري من قاله ولا فيمن قيل ؛ فعلم أنّها صدقت ، فقال لها : عمّن أخذته ؟ فقالت : عن عبد الرَّحيم الدّفّاف ، فأمر بإحضاره فأُحضِر ، فقال له : يا عاضَّ بَظْرِ أمّه ، أتغنّي في شعرٍ تُفاخِر فيه بيني وبين أخي ؟ جرِّدوه ، فجرَّدوه ، ودعا له بالسياط ، فضُرب بين يديه خمسمائة سوطٍ .

[غنّى لعليّ بن المهديّ فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن القَطِرانيّ عن محمد بن جبر قال : قال لي عبد الرَّحيم بن القاسم الدفّاف : دخلتُ على عليّ بن رَيطة يوماً وسِتارتُه منصوبة ، فغنّت جاريته[1] : [من الطويل]

1 ديوان العباس بن الأحنف (تحقيق عاتكة الخزرجيّ) : 230 .

أُنــاسٌ أمِنّاهــم فنَمّوا حديثَنا فلمّا كتَمنا السرَّ عنهم تَقوَّلوا

فقلت : أرأيتَ إن غنّيتُك هذا الصوتَ وفي تمامه زيادةُ بيتٍ واحدٍ ، أيّ شيء لي عليك ؟ قال : خِلعتي التي عليّ ، فغنّيته : [من الطويل]

فلم يحفَظوا الوُدّ الذي كان بيننا ولا حينَ هَمّوا بالقَطيعة أجملوا

قال : فنزع خِلْعَته فخلَعها عليّ ، وأقمتُ عنده بقيّة يومي على عربدةٍ كانت فيه .

الشعر لعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعبد الرَّحيم الدّفّاف هزج بالبنصر . وهذا أخذه العبّاس من قول أبي دَهْبَل[1] : [من الطويل]

صوت

أمِنّــا أُناساً كنــتِ تأتمِنينهم فزادوا علينا في الحديثِ وأَوْهَمُوا

وقالوا لهــا ما لم نقل ثمّ أكثروا عليّ وباحــوا بالذي كنتُ أكتمُ

وفي هذين البيتين أغانٍ قديمة : منها لحنٌ لابن سُريج رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن زرزور الطائفيّ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيف رمل بالبنصر والوسطى لمتيَّمَ وعَرِيبَ .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

بَكَرتْ سُمَيّةُ غُدْوةً فتمتّعي وغدتْ غُدُوَّ مُفارقٍ لم يَرْبَعِ

وتَعَرّضتْ لكَ فاستبتكَ بواضح صَلْتٍ كمُنْتَصِّ الغزالِ الأتلعِ

عَروضه من الكامل ، والشعر للحادِرة الثَّعْلَبيّ ، والغناء في اللحن المختار لسعيد بن مِسْجَحٍ ، وإيقاعُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لابن مُحْرِز . وفيهما للغريض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو . وفيهما خفيف رملٍ بالوسطى لابن سريج عن حبش .

وممّا يُغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الكامل]

أسُمَيّ ما يُدريكِ كم من فِتْية بادرتُ لَذّتَهم بأدكَنَ مُتْرَعِ[2]

---

1 ديوان أبي دهبل (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن) : 112 .

2 بادرتُ في ل : باكرت .

بَكَروا عليّ بسُحْرة فصَبَحتُهم من عاتقٍ كدَمِ الذبيحِ مُشَعْشَعِ

غنّاه مالك ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ آخر أيضاً . وفيهما لعَلُّويَهْ ثقيلٌ أوّلُ صحيحٌ من جيِّد صنعته . قوله : فتمتّعي يخاطب نفسه ، أي تمتّعي منها قبل فِراقها . ولم يربَع : لم يُقِم . والواضح الصَّلْت : يعني عُنُقَها ، وأصل الصلت : الماضي ، ومنه الناقة المِصْلاتُ : الماضية ، وشَدّ عليه بالسيف صَلْتاً أي خارجاً من غِمْده . والصلت في هذا الشعر : الطويل الذي لا قِصَرَ فيه . والمنتصّ : المنتصب ، يقال : انتصّ فلان أي انتصب ، ومِنَصّة العروس مأخوذةٌ من هذا ، ومنه نَصَّ الحديث : رَفَعه إلى صاحبه . واستبْتك : غلبتْك على عقلك . والواضح : الخالص الأبيض . وأدكن مُترَع يعني الزِّقَّ . والمشعشَع : المُرَقْرَق بالماء .

[36] ـ أخبار الحادرة ونسبه[1]

[نسبه]

الحادرة لَقب غلَب عليه ، والحُوَيدِرة أيضاً ؛ واسمه قُطبة بن أُوس بن مِحصَن بن جَرْوَل بن حبيب بن عبد العُزَّى بن خُزيمة بن رِزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن بَغيض بن رَيث بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مُضر بن نزار ، شاعرٌ جاهليّ مُقِلٌّ . أخبرني بنسبه هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قُرَيب ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه . قال : وإنّما سُمِّي الحادرة بقول زَبّان بن سَيّار الفَزاريّ له : [من المتقارب]

كأنّـك حـادرةُ المَنْكَبَيْـ ـنِ رَصْعاءُ تُنقِضُ في حائرِ[2]
عجـوزُ ضَفـادِعَ محجوبةٌ يَطِيـفُ بهـا ولْـدةُ الحاضرِ

قال : والحادرة : الضخم .

وذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ أن الحادرة خرج هو وزبّان الفزاريّ يصطادان فاصطادا جميعاً ، فخرج زَبّان يشتوي ويأكل في الليل وحده ؛ فقال الحادرة : [من الوافر]

تركتَ رفيقَ رَحْلِكَ قد تراه وأنت لِفِيكَ في الظَّلْماءِ هادِي

فحقَدها عليه زبّان ، ثم أتيا غديراً فتجرّد الحادرة ، وكان ضخمَ المنكبين أرسح ، فقال زَبّان : [من المتقارب]

كأنّـك حـادرةُ المنكِبَيْـ ـنِ رصعاء تُنْقِض في حائرِ

فقال له الحادرة[3] : [من المتقارب]

لَحَـا اللهُ زَبّانَ مـن شاعرٍ أخـي خَنْعـةٍ فاجـر غادرِ[4]

---

1 انظر مقدّمة ديوانه (تحقيق د . ناصر الدين الأسد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، 1973) وطبقات فحول الشعراء لابن سلام (تحقيق العلاّمة محمود محمد شاكر) 1 : 186 ، وانظر المفضلية السابقة في شرح التبريزي وفي المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) .

2 تنقض في حائر : تنق في مجتمع الماء . والرصعاء : الرسحاء الخفيفة العجز والفخذين .

3 ديوان الحادرة : 97 .

4 خنعة : ريبة .

كأنّـك فُقّاحـةٌ نَـوّرتْ مع الصبحِ في طَـرَف الحائرِ[1]

فغَلَب هذا اللقب على الحادرة .

[كان حسّان بن ثابت معجباً بقصيدته «بكرت سميّة»]

حدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال سمعت شيخاً من بني كِنانة من أهل المدينة يقول : كان حسّان بن ثابت إذا قِيل له : تُنُوشدَتِ الأشعارُ في موضع كذا وكذا يقول : فهل أُنشِدتْ كلمةُ الحُوَيْدِرة : [من الكامل]

بَكَرتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً فَتَمتّعي

قال أبو عبيدة : وهي من مختار الشعر ، أصْمَعِيّةٌ مُفَضَّلِيَّةٌ .

[سبب الهجاء بينه وبين زبان]

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضّل قال : كان الحادرة جاراً لرجل من بني سُلَيم ، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفعها إلى رجلٍ من أهل وادي القُرى يهوديٍّ ، وكان له عليه دَينٌ فأعطاه إيّاها بدينه ، وكان أهل وادي القرى حُلفاء لبني ثعلبة ؛ فلمّا سمع اليهوديّ بذلك قال : سيجعل الحادرة هذا سبباً لنقض العهد الذي بيننا وبينه ، ونحن نقرأ الكتاب ولا ينبغي لنا أن نَغْدِر ، فردّ الإبل على الحادرة فردّها على جاره ، ورجع إلى زبّان فقال له : أعطِني مالي الذي عليك ، فأعطاه إيّاه زبّان ، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة ؛ فقال الحادرة فيه[2] : [من الطويل]

لعَمْرةَ بـين الأخرمَيْنِ طلـولُ تَقادَمَ منهـا مُشْهِرٌ ومُحِيلُ[3]

وَقَفتُ بها حتى تعالى لِيَ الضُّحَى لأُخبَرَ عنهـا إنّنـي لَسَؤُولُ

يقول فيها : [من الطويل]

فإنْ تَحْسَبوها بالحجابِ ذليلةً فما أنا يوماً إن رَكِبتُ ذليلُ[4]

سأَمنَعُهـا في عُصْبةٍ ثَعْلبيَّـةٍ لهـم عَدَدٌ وافٍ وعِـزٌّ أَصِيلُ

فإنْ شِئتمُ عُدْنا صديقاً وعُدْتُم وإمّـا أَبَيتم فالمُقـامُ زَحُولُ[5]

قال : ولَجَّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه .

---

1 فقاحة : واحدة الفقاح وهو الزهر عندما يتفتح .

2 ديوان الحادرة : 100 .

3 الأخرمان : مثنّى الأخرم وهو اسم لعدّة مواضع .

4 تحسبوها في ل : تحبسوها .

5 زحول : بعيد .

[غزوة بني عامر]

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيبانيّ يذكر عن أبيه : أنّ جيشاً لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء : ذُؤاب بن غالب من عُقَيل ثم من بني كَعب بن ربيعة ، وعبد الله بن عمرو من بني الصَّمُوت ، وعُقَيل بن مالك من بني نُمَيرٍ ، وهم يريدون غَزْو بني ثعلبة بن سعد رهطِ الحادرة ومن معهم من مُحارب ، وكانوا يومئذ معهم ، فنَذِرَتْ بهم بنو ثعلبة ، فركب قيس بن مالك المحاربيُّ الخَصَفيّ وجُؤيَّة بن نصر الجَرْميّ أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم ، فلمّا دَنَوَا منهم عرف عُقَيل بن مالك النميريّ جُؤيَّة بن نَصر الجَرميّ ، فناداه : إليَّ يا جُؤَيّة بن نصر فإنّ لي خبَراً أُسِرّه إليك ؛ فقال : إليكَ أقبلتُ لكن لغير ما ظننتَ ، فقال له : ما فعلتْ قَلوص ؟ ، يعني امرأته ؛ فقال : هي في الظُّعن أسَرَّ ما كانت قطُّ وأجمله ؛ ثم حَمَل كلّ واحدٍ منهما على صاحبه واختلفا طَعنتين فطَعَنه جُؤيّة طعنةً دقّت صُلبه ، وانطلق قيس بن مالك المحاربيّ إلى بني ثعلبة فأنذرهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهُزِمت بنو نُمَير وسائرُ بني عامر ومات عُقَيل النُّميريّ وقُتِل ذؤاب بن غالب وعبد الله بن عمرو أحد بني الصَّمُوت ؛ فقال الحادرة في ذلك[1] : [من الطويل]

كأنَّ عُقَيلاً في الضُّحى حَلَّقتْ به ... وطارتْ بِهِ في الجوّ عنقاءُ مُغرِبُ

ويروى : «وطارت به في اللَّوْح» ، وهو الهواء .

وذي كـرمٍ يدعوكُـمُ آلَ عامرٍ ... لدى مَعْـرَكٍ سِرْبالُـه يتصبَّبُ
رأت عامرٌ وقْعَ السيوف فأسلموا ... أخاهم ولم يعطِفْ من الخيلِ مُرهِبُ
وسلَّم لمّـا أن رأى المـوتَ عامرٌ ... لـه مركبٌ فـوق الأسنّةِ أَحْدَبُ
إذا مـا أظلّتْه عَـوالي رماحِنـا ... تدلَّـى بـه نَهْدُ الجُزارة مِنْهَبُ[2]
على صَلَوَيْـه مُرْهَفـاتٌ كأنّها ... قوادمُ نَسرٍ بُـزَّ عنهنّ مَنكِبُ[3]

قال : وفي هذه الوقعة يقول خِداش بن زهير : [من الطويل]

أيـا أخَوَيْنـا مـن أبينا وأُمِّنا ... إليكم إليكم لا سبيلَ إلى جَسْرِ

جَسْر : قبيلة من مُحارب . قال : وهذا اليوم يُعرَف بيوم شُواحطٍ ، قبيلة من محارب .

---

1 ديوان الحادرة : 92 .
2 نهد الجزارة : عظيم الأطراف . والمنهب : الفرس الفائق في العدو .
3 الصلا : وسط الظهر من الناس ومن كلّ ذي أربع وما انحدر من الوركين .

[يوم الكفافة]

وقال أبو عمرو : خرج خارجة بن حِصن في جمع من بني فزارة ومن بني ثعلبة بن سعد وهو يريد غزو بني عبس بن بَغيض ، فلقُوا جيشاً لبني تميم على ماءٍ يقال له «الكُفافة» وتميم في جمع سعد والرِّباب وبني عمرو ، فقاتلوهم قتالاً شديداً وهُزِمتْ تميم وأُجْفلت ، وهذا اليوم يقال له : «يوم كُفافة» ، فقال الحادرة في ذلك[1] : [من الطويل]

ونحن مَنعْنا من تميم وقد طغتْ ... مَراعي المَلا حتى تضمَّنها نجدُ
كَمعْطَفِنا يومَ الكُفافة خيْلَنا ... لتَتْبَع أُخْرى الجيشِ إذ بلغ الجِدُّ
على حين شالتْ واستَخَفَّتْ رجالَهم ... جلائبُ أحياءٍ يسيلُ بها الشدُّ
إذا هي شَكَّ السَّمْهَرِيُّ نحورَها ... وخامت عن الأبطالِ أتعبها القِدُّ[2]
تَكُرُّ سِراعاً في المَضِيقِ عليهِمُ ... وتُثْنَى بِطاءٍ ما تخُبُّ ولا تَعدو
فأثْنُوا علينا لا أَبا لأبيكُمُ ... بإحساننا إن الثناءَ هو الخُلْدُ

1 ديوان الحادرة : 94 .

2 خامت : نكصت وجبنت . القد : سير يقد من جلد ويقيد به .

[37] ـ أخبار ابن مِسْجَح ونسبه

[ولاؤه ، وهو مغنّ أسود متقن نقل غناء الفرس]

سعيد بن مِسْجَح أبو عثمان مولى بني جُمَح ، وقيل : إنّه مولى بني نَوفل بن الحارث بن عبد المطّلب . مكيٌّ أسود ، مُغنٍّ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم ، وأوّلُ من صنع الغناء منهم ، ونقل غِناءَ الفُرس إلى غناء العرب ، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم والبَرْبَطِيّة والأسطوخوسيّة ، وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناءً كثيراً وتعلّم الضربَ ، ثم قدِم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النَّغَم ، وألقى منها ما استقبحه من النَّبرات والنغم التي هي موجودةٌ في نَغَم غِناء الفُرس والروم خارجةً عن غناء العرب ، وغنّى على هذا المذهب ، فكان أوّل من أثبت ذلك ولحّنه وتبِعه الناس بعد .

[علّم ابن سريج والغريض الغناء]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان ، والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن هشام بن المُرِّيّة : أنّ أوّل من غنّى هذا الغناء العربيّ بمكّة ابن مِسْجَح مولى بني مَخْزوم ، وذلك أنّه مرَّ بالفُرس وهم يَبْنون المسجدَ الحرام ، فسمِع غِناءهم بالفارسيّة فقلبه في شعر عربيٍّ ؛ وهو الذي علّم ابن سريج والغريض ، وكان ابن مِسْجَح مولّداً أسود يُكنى بأبي عيسى .

[احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير وبناؤها]

أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد[1] بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهُذَليّ قال : كان سبب بناء ابن الزُّبير الكعبة لمّا احترقت ، أنّ أهل الشام لمّا حاصروه سمِع أصواتاً بالليل فوق الجبل فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه ، وكانت ليلةً ظلماءَ ذات ريح شديدة صعبةٍ ورعدٍ وبرقٍ ، فرفع ناراً على رأس رمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها واستطالت فيها ، وجهد الناس في إطفائها فلم يقدِروا ، وأصبحت الكعبة تتهافت وماتت امرأة من قريش ، فخرج الناس كلُّهم في جنازتها خوفاً من أن ينزل العذاب عليهم ، وأصبح ابن الزُّبير ساجداً يدعو ويقول : اللهمّ إنّي لم أتعمّد ما جرى فلا تُهلِك عبادَك بذنبي وهذه ناصيتي بين يديك ؛ فلمّا تعالى النهار أمِنَ وتراجَعَ الناس ، فقال لهم : اللهَ اللهَ أن ينهدمَ في بيت أحدكم حجرٌ فيزول

1 ل : محمد .

عن موضعه فيبنيه ويُصلحه وأتركَ الكعبة خراباً ؛ ثم هدمها مبتدئاً بيده وتبعه الفَعَلةُ حتى بلغوا إلى قواعدها ، ودعا ببنَّائِين من الفُرس والروم فبناها .

[نقل غناء الفرس من بنّائي الكعبة]

قال إسحاق : وأخبرني ابن الكلبيّ عن أبي مِسكين قال : كان سعيد بن مِسْجَح أسودَ مولّداً يُكنى أبا عيسى مولًى لبني جُمَح ، فرأى الفُرس وهم يعملون الكعبة لابن الزُّبير ويتغنَّون بالفارسية فاشتقَّ غِناءه على ذلك .

قال إسحاق : وحدّثني محمد بن سلاّم عن شُعَيب بن صخر وجرير قالا : كان سعيد بن مِسْجح أسود وهو مولى بني جُمح يُكنى أبا عيسى .

[كان ولاؤه هو وابن سريج لرجل واحد]

قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ عن صخر بن جعفر عن أبي قَبِيل بمثل ذلك ، وذكر أنّه كان يُكنى أبا عثمان . قال : وهو مولًى لبني نوفل بن الحارث كان هو وابن سريج لرجل واحد ، ولذلك قَبِل عنه ابن سُرَيج .

[ابن مسجح في حداثته]

قال إسحاق : وحدّثني الهيثم بن عدِيّ عن صالح بن حسّان فذكر مثل ما ذكر أبو قَبِيل من كنيته وولائه ، وقال : كان ابن مسجح فَطِناً كيِّساً ذكيّاً ، وكان أصفر حسن اللون ، وكان مولاه مُعجباً به ، وكان يقول في صِغره : ليكونَنَّ لهذا الغلام شأنٌ ، وما منعني من عتقه إلاّ حسنُ فِراستي فيه ، ولئن عشتُ لأتعرَّفَنَّ ذلك ، وإن مِتُّ فهو حرٌّ ؛ فسمِعه مولاه يوماً وهو يتغنَّى بشعر ابن الرِّقاع العامليِّ ، وهو من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى : [من الكامل]

صوت

أَلِمْ على طَلَلٍ عَفا متقادم بين اللَّكيكِ وبين غَيْب الناعمِ[1]

لولا الحياء وأنّ رأسي قد عثا فيه المشيبُ لزرتُ أمّ القاسِمِ[2]

فدعا به مولاه فقال له : يا بُنَيَّ أعِدْ ما سمعتُه منك عليّ ، فأعاده فإذا هو أحسن ممّا ابتدأ به ، فقال : إن هذا لمن بعض ما كنتُ أقول ، ثم قال : أنَّى لك هذا ؟ قال : سمعتُ هذه الأعاجم تتغنَّى بالفارسيّة فثَقفْتُها وقلبتُها في هذا الشعر ، قال له : فأنت حرٌّ لوجه الله ، فلزم مولاه وكثُر أدبُه واتّسع في غنائه ومهَر بمكّة وأُعجِبوا به لظَرْفِه وحُسن ما سمعوه منه ، فدفع

1 اللكيك أو اللكاك : موضع وكذلك غيب الناعم .

2 عثا في ل : عسا .

إليه مولاه عُبيد بن سُريج ؛ وقال له : يا بنيّ علِّمه واجتهد فيه ؛ وكان ابنُ سريج أحسن الناس صوتاً ، فتعلَّم منه ثم برَّزَ عليه حتى لم يُعرف له نظير .

[غناء نافع الخير عند رجل من قريش]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا أخي هارون عن ابن الماجِشون عن شيخ من أهل المدينة ، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبيّ عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال : دخلتُ على رجل من قريش بالمدينة وعنده رجل ساكن الطَّرْف نبيلٌ تأخذه العين ، لا أعرفه ؛ فقال له القرشيّ : أقسمتُ عليك إلاّ ما غنّيت صوتاً ، فحوّل خاتمَه من خِنصره اليُسرى إلى بِنصره اليُمنى ، ثم تناول قَدَحاً ، فغنّاه لحن ابن سريج في شعر كعب بن جُعَيلٍ : [من الطويل]

إذا امتشطتْ عالَوْا لها بوِسادةٍ ... ومدَّتْ عَسِيبَ المتن أن يتعَفَّرا

ثَوَتْ نصفَ شهر تحسَبُ الشهرَ ليلةً ... تُناغِي غَزالاً ساجِيَ الطرف أحوَرا[1]

تَزَيَّنُ حتى تَسلُبَ المرءَ عقلَه ... وحتى يَحارَ الطرْفُ فيها ويَسْكُرا

ثم غنّى في شعر توبة بن الحُمَيِّر : [من الطويل]

وغَيَّرني إن كنتِ لَمّا تَغَيّري ... هواجرُ تَكْتَنّنَها وأسِيرُها

وأدْماء من سِرِّ المَهارى كأنّها ... مَهاةُ صُوارٍ غيرَ ما مَسّ كُورُها[2]

قطعتُ بها أجوازَ كلِّ تَنُوفَةٍ ... مَخُوفٍ رَداها كلّما استنَّ مُورُها[3]

تَرى ضعفاءَ القوم فيها كأنّهم ... دَعامِيص ماءٍ نَشَّ عنها غَدِيرُها[4]

قال : فقلت له إنّي لأرْوي هذا الشعرَ وما أعرف هذه الأبيات فيه ، فقال : هكذا رويتُها عن عبد الله بن جعفر ، قال : وإذا هو نافع الخير مولى عبد الله بن جعفر .

الغناء في هذين اللحنين لابن مِسجح ولم أجد لهما طريقةً في شيء من الكتب التي مرَّت . وذكر حبشٌ أنّ في أبيات كعب بن جُعَيلٍ لإبراهيم خفيف رملٍ بالوسطى .

[دور معاوية بمكّة]

حدّثني جعفر بن قُدامة بن زياد الكاتب وعمّي وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن

---

1 ساجي الطرف : فاتره .

2 الصوار : قطيع البقر .

3 أجواز : جمع جوز وهو الوسط . والتنوفة : الفلاة لا ماء فيها . استن مورها : ثار غبارها .

4 دعاميص : دود أسود يكون في الغدران كلّما نشت ، أي نضب أو جفّ ماؤها .

موسى بن حمزة بن عمارة بن صفوان الجُمَحيّ عن أبيه قال : أوّلُ مَن نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم . قال : وقد يُختلف في ولائه إلاّ أنّ الأغلب عليه ولاءُ بني مخزوم ، وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لمّا بنى دُورَه التي يقال لها : «الرُّقْطُ» ، وهي ما بين الدارَين إلى الرَّدْم : أوّلها الدار البيضاء وآخرها دار الحمَّام ، وهي على يسار المُصْعِدِ من المسجد إلى «رَدْمِ عُمَرَ» ، حمل لها بَنَّائِينَ فُرْساً من العراق فكانوا يبنونها بالجِصّ والآجُرّ ، وكان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بُنيانِهم ، فما استحسن من ألحانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربيّ ، ثم صاغ على نحو ذلك ؛ وهو الذي علَّمَ الغريض ، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني[1] : [من الكامل]

صوت

أَسَلامُ إنَّكِ قد مَلَكْتِ فَأَسجِحي ... قد يملكُ الحرُّ الكريمُ فيُسْجِحُ[2]

مُنّي على عانٍ أَطَلْتِ عَناءَه ... في الغُلِّ عندكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ

إنّي لأنصَحُكُمْ وأعلَمُ أنّه ... سيّانِ عندكِ مَنْ يَغُشُّ ويَنصَحُ

وإذا شكوتُ إلى سَلامةَ حُبَّها ... قالتْ أَجِدٌّ منكَ ذا أم تَمزَحُ

الشعر للأحْوص ، والغناء لابن مسجح ثقيل أوّل بالبنصر . ولِدَحمان فيه ثقيل أوّل بالبنصر . ولمالكٍ فيه خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ .

[أخذ عنه معبد]

قال : وهو أوّل من غنّى الغناءَ العربيّ المنقول عن الفارسيّ . وعاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبدٌ وأخذ عنه في أيّام الوليد بن عبد الملك .

[نفاه دحمان الأشقر والي مكّة إلى الشام فتوصل إلى عبد الملك برد]

حدّثني عمّي والحسين بن القاسم الكوفيّ قالا جميعاً حدّثنا محمد بن سعيد الكُرانيّ قال حدّثني النضر بن عمرو قال حدّثني أبو أُميَّة القرشيّ قال حدّثنا دَحمان الأشقر قال : كنتُ عاملاً لعبد الملك بن مروان بمكّة فنُمِيَ إليه أنّ رجلاً أسود يقال له : سعيد بن مسجح أفسدَ فِتيان قريش وأنفقوا عليه أموالهم ، فكتب إليّ : أن أقبض مالَه وسَيِّرهُ ، ففعلت . فتوجَّه ابن مِسْجح إلى الشام فصحِبه رجلٌ له جَوارٍ مُغَنِّيات في طريقه ، فقال له : أين تريد ؟ فأخبره خبره ، وقال له : أُريد الشام ، قال له : فتكون معي ؟ قال : نعم ، فصحبه حتى بلغا دمشق

1 ديوان الأحوص : 48 عن الأغاني .

2 الأسجاح : حسن العفو .

فدخلا مسجدها فسألا : مَن أخَصُّ الناسِ بأمير المؤمنين ؟ فقالوا : هؤلاء النفر من قريش وبنو عمّه ، فوقف ابن مسجح عليهم وسلّم ثم قال : يا فِتيان ، هل فيكم مَن يُضيفُ رجلاً غريباً من أهل الحجاز ؟ فنظر بعضهم إلى بعضٍ وكان عليهم موعدٌ أن يذهبوا إلى قَينةٍ يُقال لها : «بَرْقُ الأُفُقِ» فتثاقلوا به إلاّ فتًى منهم تَذَمَّم فقال : أنا أُضِيفُكَ ، وقال لأصحابه : انطلقوا أنتم وأنا أذهبُ مع ضيفي ، قالوا : لا ، بل تجيء أنت وضيفُك ، فذهبوا جميعاً إلى بيت القَيْنة ، فلمّا أُتُوا بالغَداء قال لهم سعيد : إنّي رجلٌ أسود ولعلّ فيكم من يَقذَرُني فأنا أجلس وآكلُ ناحيةً وقام ، فاستحيَوا منه وبعثوا إليه بما أكل ، فلمّا صاروا إلى الشراب قال لهم مثلَ ذلك ، ففعلوا به ، وأخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وُضِع لهما ، فغنَّتا إلى العِشاء ثم دخلتا ، وخرجت جاريةٌ حسنة الوجه والهيئة وهما معها فجلستْ على السرير وجلستا أسفل منها عن يمين السرير وشماله ، قال ابن مسجح : فتمثَّلتُ هذا البيت : [من الطويل]

فقلــتُ أشمسٌ أم مَصابِيحُ بِيعَــةٍ بدَتْ لكَ خلفَ السِّجفِ أم أنت حالمُ

فغضبت الجارية وقالت : أَيَضرِبُ هذا الأسود بي الأمثال ؟ فنظروا إليّ نظراً مُنكراً ولم يزالوا يُسَكِّنونها ، ثم غنَّت صوتاً ، فقال ابن مسجح : أحسنتِ والله ، فغضب مولاها وقال : أمثلُ هذا الأسود يُقدِمُ على جاريتي ؟ فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده : قم فانصرف إلى منزلي فقد ثَقُلتَ على القوم ، فذهبتُ أقومُ[1] فتذمّم القوم وقالوا لي : بل أَقِم وأَحسِن أدبَك فأقمتُ ، وغنَّت فقلت : أخطأتِ والله يا زانية وأسأت ، ثم اندفعتُ فغنَّيتُ الصوت فوثبتِ الجارية فقالت لمولاها : هذا والله أبو عثمان سعيد بن مسجح ، فقلت : إنّي والله أنا هو ، والله لا أُقيم عندكم ، فوثب القُرشيّون فقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : يكون عندي ، وقال هذا : بل عندي ، فقلت : والله لا أُقيم إلاّ عند سيِّدكم ، يعني الرجل الذي أنزله منهم ، ثم سألوه عمّا أقدمَه فأخبرهم الخبر ، فقال له صاحبه : إنّي أَسمُرُ الليلة مع أمير المؤمنين فهل تُحسن أن تَحدُوَ ؟ قال : لا ، ولكنّي أستعمل حُداء ، قال : فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقتُ منه طِيبَ نفسٍ أرسلتُ إليكَ ، ومضى إلى عبد الملك فلمّا رآه طَيِّبَ النفس أرسل إلى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شُرَف القصر ثم حَدا[2] : [من الرجز]

إنّكَ يا مُعاذُ يــا ابن الفُضَّلِ إن زُلــزِلَ الأقــدامُ لم تُزلزَلِ

---

1 ل : فقمت لأذهب .

2 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 24–26 (رقم 45) وانظر نهاية الأرب 4 : 241–243 .

عن دينِ موسى والكتابِ المنزَلِ تُقيمُ أصداغَ القرونِ المُيَّلِ
للحقِّ حتى ينتَحُوا للأعدلِ

فقال عبد الملك للقرشيّ : مَن هذا ؟ قال : رجلٌ حجازيّ قَدِمَ عليّ ، قال : أَحضِره فأحضره له ، وقال له : احْدُ مُجدّاً ، ثم قال له : هل تُغَنّي غِناء الركبانِ ؟ قال : نعم ، قال : غنِّه ، فتغنّى ، فقال له : فهل تغنّي المُتقَن ؟ قال : نعم ، قال : غنّه ، فتغنّى فاهتزّ عبد الملك طرباً ، ثم قال له : أُقسم إن لك في القوم لأسماء كثيرة ، مَن أنت ويلك ؟ قال له : أنا المظلوم المقبوض مالُه المُسَيَّر عن وطنه سعيد بن مِسْجح ، قبض مالي عاملُ الحجاز ونفاني ، فتبسّم عبدُ الملك ثم قال له : قد وضَح عذرُ فتيان قريش في أن يُنفقوا عليك أموالَهم ، وأمَّنه ووصله وكتب إلى عامله بردّ ماله عليه وألاّ يَعْرِض له بسوء .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

سلا دارَ ليلى هل تُبين فتَنْطِقُ وأنّى تَرُدّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ[1]
وأنّى تـردّ القولَ دارٌ كأنّها لطُول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ[2]

عروضه من الطويل ، الشِّعر لابن المولى . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعرَ للأعشى ؛ وذلك غلط ، وقد التمسناه في شعر كل أعشى ذُكِر في شعراء العرب فلم نجده ، ولا رواه أحدٌ من الرُّواة لأحد منهم ، ووجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة ، وقد أثبتناها بعَقِب أخباره ليُوقَفَ على صحّة ما ذكرناه ، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجّة على ما خالفه والدلالة على الصواب فيه . والغناء في اللحن المختار لعَطَرَّد ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو ، وفيه لأيّوب زهرة خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن المكيّ . وفي غناء أيّوب زهرة زيادة بيتين وهما : [من الطويل]

وقال خليلي والبُكا لي غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبْرةً تكاد إذا رُدَّتْ لها النفسُ تَزْهَقُ[3]

1 سملق : القاع المستوي لا شجر فيه .
2 مهرق : صحيفة .
3 توقاني في ل : توقافي . سيرد هذا الشطر بعد قليل برواية أُخرى .

[38] ـ أخبار ابن المولى ونسبه

[نسبه]

هو محمد بن عبد الله بن مُسْلِم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف ، شاعرٌ متقدّم مجيد من مخضرميّ الدولتين ومَدّاحي أهلهما ، وقدِم على المهديّ وامتدحه بعدّة قصائد فوصَله بصِلاتٍ سنيّةٍ ، وكان ظريفاً عفيفاً نظيفَ الثياب حسنَ الهيئة .

[قدم على المهدي ومدحه فأجزل صلته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحَزَنْبل قال قال لي محمد بن صالح بن النَّطّاح : كان ابن المولى يسمّى محمداً مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار ، وكان مسكنه بقُباء ، وكان يَقْدَم[1] على المهديّ فيمدحه ، فقدِم عليه فأنشده قوله : [من الطويل]

سَلا دارَ ليلى هل تُبِين فَتَنْطِقُ ... وأنّى تردُّ القولَ بيداءُ سَمْلَقُ
وأنّى تردُّ القولَ دارٌ كأنّها ... لطول بِلاها والتقادمِ مُهْرَقُ
وقال خليلي والبكا ليَ غالبٌ ... أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وإنسانُ عيني في دوائرِ لُجّةٍ ... من الدمعِ يبدو تارةً ثم يَغْرَقُ

يقول فيها : [من الطويل]

إلى القائم المهديّ أعملتُ ناقتي ... بكلِّ فلاةٍ آلُها يترقرقُ[2]
إذا غال منها الركبَ صحراءُ برَّحت ... بهم بعدها في السير صحراءُ دردقُ[3]
رَميتُ قَراها بين يوم وليلة ... بفَتْلاء لم ينكُبْ لها الزَّوْرَ مِرْفَقُ[4]
مُزَمِّرَةً سَقْباً كأنّ زِمامَها ... بجرداء من عمّ الصَّنَوْبر مُعْلَقُ[5]
موكَّلةً بالفادحات كأنّها ... وقد جَعَلت منها الثَّمِيلةُ تَخْلُقُ[6]
بِقِيّ المَلا هَيْقٌ أمام رِئاله ... أصَمُّ هِجَفٌّ أقرعُ الرأس نِقْنِقُ[7]

---

1 ل : يفد .
2 الآل : السراب .
3 غالت الصحراء الركب : أبعدتهم . دردق : لعلّه يقصد واسعة .
4 القرا : الظهر . الناقة الفتلاء : هي التي فتل ذراعها أي تباعد عن الجنبين .
5 مزمرة : مصوتة ، ولعلّها مذمرة : أي تحثّ فتسرع في السير . العم : النخل الطويل واستعير هنا للصنوبر .
6 الثميلة : البقية التي تدّخر من الطعام وغيره .
7 القيّ : القفر . الهيق : الظليم وكذلك النقنق . الرئال : أفراخ النعام . الهجفّ : المسن أو الجافي الثقيل من النعام .

تراهـــا إذا استعجلتَها وكأنّها على الأَيْن يَعْرُوها من الرَّوْع أَوْلَقُ[1]
مورِّكة أرضَ العُذَيْـب وقـد بدا فسُرّ بـــه للآئبـــين الخَـورَنقُ

فاستحسنها المهديّ وأجزل صِلتَه ، وأمر فَغُنِّيَ في نسيب القصيدة . فأمّا ما شَرَطتُ ذكره من تمام القصيدة فهو بعقِب البيت الثاني منها : [من الطويل]

عفَتْها الرياحُ الرامِساتُ مع البِلى بأذيالهـــا والرائـــحُ المُتبَعِّقُ[2]
بكلِّ شآبيبٍ مـن المـاءِ خلفَها شآبيـــبُ مـــاءٍ مُزْنهـا متألِّقُ
إذا رَيِّـقٌ منهـــا هُرِيقَتْ سِجالُه أُعِيد لهـا كِرْفِيءُ مـــاءٍ ورَيِّقُ[3]
فأصبح يرمـــي بالرَّبـــاب كأنّما بأرجلـــه منـــه نَعـــامٌ مُعَلَّقُ[4]
فـــلا تبـــكِ أطلالَ الديارِ فإنّها خبالٌ لمن لا يدفع الشوقَ عَوْلَقُ[5]
وإنّ سفاهـــاً أن تُـــرى متفجِّعا بـــأطلالِ دارٍ أو يقـــودَك مَعْلَقُ
فلا تَجْزَعَنْ للبـــين كلُّ جماعةٍ وجَدِّك مكتوبٌ عليهـا التفرُّقُ
وخذ بالتعزّي كلَّ ما أنتَ لابسٌ جديـــداً على الأيّام بالٍ ومُخْلِقُ
فصبرُ الفتـــى عمّـــا تولّـــى فإنّه من الأمـــرِ أولى بالسَّداد وأوفقُ

ويروى : «أدنى للذي هو أوفق» .

وإنّك بالإشفاقِ لا تدفعُ الرّدى ولا الحَيْنُ مجلوبٌ فما لك تُشْفِقُ
كأنْ لم يَرُعْك الدهرُ أو أنتَ آمنٌ لأحداثـــه فيما يُغادي ويَطْرُقُ
وقـــال خليـــلي والبكا لِيَ غالبٌ أقاضٍ عليك ذا الأسى والتشوّقُ
وقد طال تَوْقاني أُكفكِف عَبرةً على دِمْنةٍ كادت لها النفسُ تَزْهَقُ[6]
وإنسانُ عينـــي في دوائـــرِ لجّـــةٍ مـــن الماء يبدو تـــارةً ثم يَغرَقُ
وللدّمع من عيني شَرِيجا صبابةٍ مُرِشُّ الرَّجـــا والجائـــلُ المُترقرِقُ[7]

1 الأولق : الجنون .
2 الرائح المتبعق : المطر المندفع .
3 كرفيء : سحاب مرتفع .
4 الرباب : السحاب الأبيض .
5 عولق : غول .
6 توقاني في ل : توقافي .
7 الشريجان : لونان مختلفان .

وكنتُ أخا عِشق ولم يك صاحبي فيعـذِرَني ممّـا يَصَـبُّ ويعشَقُ
وقد يعذِر الصبُّ السقيمُ ذوي الهوى ويَلحَى المحبّين الصديـقُ فيَخرَقُ[1]
وعابَ رجالٌ أن عَلِقتُ وقد بدا لهم بعضُ ما أهوى وذو الحلم يعلَقُ

والقصيدة طويلة . وفي بعض ما ذكرته منها دلالةٌ على صحّة ما قلته .

[كان يشبّب بليلى وهي قوسه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : خرجتُ أنا وأبو السائب المخزوميّ وعبيد الله بن مُسلم بن جُندب وابن المولى وأَصبَغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قُباء ، وابن المولى مُتنكِّب قوساً عربية ، فأنشد ابن المولى لنفسه : [من الطويل]

وأبكي فلا ليلى بكت من صَبابةٍ إليّ ولا ليلى لـذي الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتبى إذا كنـتُ مُذنباً وإن أذنَبتْ كنتُ الـذي أتنصَّلُ

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جُندَب : مَن ليلى هذه حتى نقودَها إليك ؟ فقال لهما ابن المولى : ما هي والله إلاّ قَوسي هذه سمّيتها ليلى .

في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ مطلق في مجرى الوسطى لخَزْرَج ، ويقال : إنّه لهاشم بن سليمان .

[مدح يزيد بن حاتم فوهبه كلّ ما يملك]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو هفّان قال أخبرني أبو محلّم عن المفضّل الضبّيّ قال : وفَد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها[2] : [من مجزوء الكامل]

يا واحدَ العربِ الذي أضحَى وليس له نظيرُ
لـو كان مثلَك آخَـرٌ ما كان في الدنيا فقيرُ

قال : فدعا بخازنه وقال : كم في بيت مالي ؟ فقال له : من الورقِ والعَيْن بقيَّةٌ عشرون ألف دينار ، فقال : ادفعها إليه ، ثم قال : يا أخي ، المعذرة إلى الله وإليك ، والله لو أنّ في مِلكي أكثرَ لَما احتجبتُها[3] عنك .

[كان يمدح جعفر بن سليمان وقثم بن عبّاس ويزيد بن حاتم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المرزبان قالا حدّثنا أحمد بن زهير بن حرب

---

1 ذوي في ل : ذوو .
2 سبق أن أورد هذين البيتين منسوبين لبشّار .
3 ل : احتجنتها .

قال حدّثنا مُصعَب الزبيريّ عن عبد الملك بن الماجِشُون قال : كان ابن المولى مَدَّاحاً لجعفر بن سليمان وقُثَم بن العباس الهاشميَّين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلَّب ، واستفرغ مدحَه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

يا واحدَ العرب الذي دانت له قَحطـانُ قاطبةً وساد نِزارا
إنّي لأرجو إن لقِيتُك سالِما ألاّ أُعالِـجَ بعـدَك الأسفارا
رِشْتَ النَّدى ولقد تكسَّر رِيشُه فعَلا النّدى فوقَ البلادِ وطارا

[مرض عند يزيد بن حاتم وأضعف يزيد صلته]

ثم قصَده بها إلى مصر وأنشده إيّاها ؛ فأعطاه حتّى رضِيَ . ومرِض ابن المولى عنده مرضاً طويلاً وثقُل حتّى أَشْفى[1] ، فلمّا أفاق من علّته ونهض ، دخل عليه يزيد بن حاتم مُتعرِّفاً خبره ، فقال : لودِدْتُ والله يا أبا عبد الله ألاّ تُعالج بعدي الأسفار حقّاً ، ثم أضعفَ صلتَه .

[كان يمدح يزيد دون أن يراه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير بن بكّار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال : كنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرِفه ولا ألقاه ، فلمّا ولاّه المنصور مصرَ أخذ على طريق المدينة فلقِيتُه فأنشدته ، وقد خرج من مسجد رسول الله ﷺ إلى أن صار إلى مسجد الشجرة ، فأعطاني رِزمتَيْ ثياب وعشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضِياعاً تُغِلّ ألف دينار ، أقوم في أدناها وأصيح بقَيِّمي ولا يسمعني وهو في أقصاها .

[عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلى]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو قال : بلغني أنّ الحسن بن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له وقال : أتُشبّب بحُرَم المسلمين وتُنشد ذلك في مسجد رسول الله ﷺ وفي الأسواق والمحافل ظاهراً ؟ فحلَف له بالطّلاق أنّه ما تعرّض لمحرَّمٍ قطّ ولا شبّب بامرأة مُسلم ولا مُعاهدٍ قطّ ، قال : فمن ليلى هذه التي تُذكرُ في شعرك ؟ فقال له : امرأتي طالق إن كانت إلاّ قَوسي هذه ، سمّيتُها ليلى لأذكرَها في شِعري ، فإنّ الشعر لا يحسُن إلاّ بالتشبيب ، فضحك الحسن ثم قال : إذا كانت القصّة هذه فقل ما شئت .

[كان بالعراق وتشوّق إلى المدينة]

فقال الحَزَنْبَل : وحُدّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال : قدِم ابن المولى إلى العراق في بعض سِنيه فأخفَق وطال مُقامه وغرِض[2] به وتشوّق إلى المدينة فقال في ذلك : [من الكامل]

1 أشفى : أشرف على الموت .
2 غرض به : ضجر وقلق .

صوت

ذهبَ الرجالُ فلا أُحِسّ رِجالا ... وأَرى الإقامةَ بالعراق ضَلالا
وطرِبْتُ إذ ذَكَر المدينةَ ذاكرٌ ... يومَ الخميسِ فهاجَ لي بَلْبالا
فظللتُ أنظُر في السماءِ كأنّني ... أبغي بناحيــة السماءِ هلالا
طرباً إلى أهلِ الحِجازِ وتارةً ... أبكي بدمــعٍ مُسبَلٍ إسبالا

غنّى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة . ولحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ . وذكره حمّاد عن أبيه في أخباره ولم يذكر طريقتَه . [من الكامل]

فيقال قــد أضحى يُحدِّث نفسَه ... والعينُ تَذرِفُ في الرّداءِ سِجالا[1]
إنّ الغريبَ إذا تذكّــر أوشكت ... منــه المدامــعُ أن تَفيضَ عِلالا
ولقــد أقــولُ لصاحبي وكأنّه ... ممّــا يعالــجُ ضُمِّــن الأغلالا
خَفِّضْ عليكَ فما يُرَدْ بك تَلقَهُ ... لا تُكثِرنَّ وإن جزِعــتَ مَقالا
قد كنتَ إذ تَدع المدينةَ كالذي ... تــرك البحارَ ويَمّم الأوشالا[2]
فأجابني خاطرْ بنفسِكَ لا تكنْ ... أبــداً تُعَــدّ مــع العِيــال عِيالا
واعلمْ بأنّكَ لن تَنــالَ جَسيمةً ... حتّــى تُجشِّم نفسَكَ الأهوالا
إنّي وجــدّك يــومَ أترُك زاخراً ... بحــراً يُنفّــل سيبُــه الأنفالا
لأضلُّ مَن جلَــب القوافيَ صَعْبةً ... حتّــى أَذَلّ مُتونَهــا إذلالا[3]

[مدح المهديّ وعرّض بالطالبيين فأجازه]

قال الحَزَنْبَلُ : وحدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن بن زيد قال : قدم ابن المولى على المهديّ وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

وما قارَعَ الأعــــداءَ مثلُ محمّــدٍ ... إذا الحربُ أبدتْ عن حُجولِ الكَواعبِ
فتىً ماجدُ الأعــراقِ مــن آل هاشمٍ ... تَبَحْبَح منهــا في الذُّرى والذَّوائبِ[4]
أشمُّ مــن الرّهــطِ الذيــنَ كأنَّهــم ... لدى حِنْدسِ الظَّلماءِ زُهْرُ الكواكبِ[5]

1 سجال : جمع سجل وهو الدلو العظيمة .
2 الأوشال : جمع وشل وهو الماء القليل .
3 صعبة في ل : ضيعة .
4 تبحبح : تمكّن .
5 حندس : الليل الشديد الظلمة .

إذا ذُكِـرَتْ يومـاً مَناقِبُ هاشمٍ فإنّكـمُ منهـا بخيـرِ المَناصِبِ
ومَـن عِيـبَ في أخلاقـه ونِصابِه فما في بنـي العبّاس عَيْـبٌ لِعائبِ[1]
وإنّ أميـرَ المؤمنـين ورَهْطَـهُ لأهلُ المَعالي من لُـؤَيِّ بـن غالبِ
أُولئك أوتادُ البـلادِ ووارِثو النـ ـبيِّ بأمـرِ الحـقِّ غير التَّكاذُبِ[2]

ثم ذكر فيها آلَ أبي طالبٍ فقال :

وما نَقَمـوا إلاّ المـودّةَ منهمُ وأن غادرُوا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنّهمُ نالـوا لهـم بدمائهم شفاءَ نفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ[3]
وقامـوا لهم دونَ العدا وكفَوْهمُ بسُمر القنا والمُرهَفات القَواضبِ
وحامَـوْا على أحسابهم وكرائم حسانِ الوجوهِ واضحاتِ التّرائبِ
وإن أميـرَ المؤمنـين لعائـدٌ بإنعامـه فيهـم على كلِّ تائبِ
إذا ما دَنَـوْا أدناهُمُ وإذا هفَوْا تَجـاوز عنهـم ناظراً في العواقبِ
شفيقٌ على الأَقْصَيْن أن يركبوا الرّدى فكيف بـه في واشِجات الأقاربِ[4]

[مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهديّ]

قال : فوصله المهديّ بصلة سنيّة ، وقدِم المدينة فأنفق وبنى دارَه ولبس ثياباً فاخرةً ، ولم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه . ثم قدم[5] على الحسن بن زيد وكانت له عليه وظيفة في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه : [من الخفيف]

هـاج شوقـي تفـرّقُ الجيرانِ واعترتنـي طـوارقُ الأحزانِ
وتذكّرتُ ما مضى من زماني حـين صارَ الزمانُ شرَّ زمانِ

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد :

ولـو آنّ امـرأ ينالُ خلوداً بمحـلٍّ ومَنْصِـبٍ ومكـانِ
أو ببيتٍ ذُراه تَلْصَق بالنجـ ـمِ قِراناً في غير بُـرج قِرانِ
أو بمجـدِ الحيـاةِ أو بسَماحٍ أو بحلم أوفَـى عَلى ثَهْلانِ

1 النصاب : الأصل .
2 ووارثوا في ل : وأورثوا .
3 نفوس في ل : النفوس .
4 الواشجات : جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتّصلة .
5 ل : دخل .

أو بفضل لنالـــه حسَنُ الخَيْـ ـر بفضلِ الرسول ذي البرهانِ
فضلُه واضحٌ برهطِ أبـي القا سم رهـطِ اليقـينِ والإيمانِ
هم ذَوُو النور والهُدى ومَدى الأمـ ـر وأهـــلُ البرهانِ والعِرفانِ[1]
مَعْدِنُ الحـقِّ والنبوّةِ والعـد لِ إذا مـا تنازع الخَصْمانِ
وابنُ زيد إذا الرجالُ تَجارَوْا يـومَ حَفْـل وغايـةٍ ورِهانِ
سابـقٌ مُغْلِـقٌ مُجيزُ رِهـانٍ وَرِث السَّبْقَ من أبيه الهِجانِ[2]

قال : فلمّا أنشده إيّاها دعا به خالياً ثم قال له : يا عاضَّ كذا من أمه ، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا ، وأمّا إذا مضيت إلى العراق فتقول : [من الطويل]

وإن أمير المؤمنين ورهطَـــه لرَهطُ المعالي من لُؤَيِّ بن غالبِ
أولئكَ أوتادُ البلادِ ووارِثو النـ ـبيِّ بأمرِ الحقِّ غير التَّكاذُبِ[3]

فقال له : أتُنْصِفني يا ابن الرسول أم لا ؟ فقال : نعم ، فقال : ألم أقل :

وإن أميرَ المؤمنـينَ ورهطَه

ألستم رهطه ؟ فقال : دَعْ هذا ، ألم تقدِر أن يَنفُق شعرُك ومديحُك إلاّ بتهجين أهلي والطعنِ عليهم والإغراء بهم حيث تقول : [من الطويل]

ومـا نَقَمـوا إلاّ المودّةَ منهُمُ وأن غادروا فيهم جزيلَ المواهبِ
وأنّهمُ نالـوا لهـم بدمائهم شفاءَ نُفوسٍ من قتيلٍ وهاربِ[4]

فوجَم ابن المولى وأطرق ثم قال : يا ابن الرسول إنّ الشاعر يقول ويتقرّب بجهده ، ثم قام فخرج من عنده منكسرا ، فأمر الحسن وكيله أن يحمِل إليه وظيفته ويزيده فيها ففعل ؛ فقال ابن المولى : والله لا أقبلها وهو عليّ ساخطٌ ، فأمّا إنْ قرَنها بالرضى فقبلتُها ، وأمّا إن أقام وهو عليّ ساخط ألبتّة فلا ؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره ؛ فقال له : قل له : قد رضيتُ فاقبلْها . ودخل على الحسن فأنشده قوله فيه :

سألتُ فأعطاني وأعطَى ولم أَسَلْ وجاد كما جادتْ غـوادٍ رَواعِدُ

1 العرفان في ل : والفرقان .
2 الهجان : الحسيب .
3 ووارثو في ل : وأورثوا .
4 نفوس في ل : النفوس .

فأُقسِمُ لا أنفــكُّ أُنشِدُ مَدْحَــه إذا جمعتْنــي في الحَجيج المَشاهدُ
إذا قلتُ يومــاً في ثنائي قصيدةً ثَنَيْتُ بأخرى حيث تُجْزى القصائدُ

[مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز وغلبته على الأزارقة]

قال الحَزَنْبَل : وحدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلّبيّ قال : لمّا انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة وقد ظَفِر ، خُلِع عليه وعُقِد له لواءٌ على كُوَر الأهواز وسائر ما افتتحه ، فدخل عليه ابن المولى وقد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده : [من الطويل]

صوت

ألا يا لَقومي هل لِما فاتَ مَطلبُ وهل يُعْذَرَنْ ذو صَبْوةٍ وهو أَشْيَبُ
يحِنّ إلى ليلى وقد شَطَّتْ النَّوى بليــلى كما حَــنّ اليَراعُ المثَقّبُ[1]

غنّى في هذين البيتين عَطَرَّد ، ولحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ؛ وفيه ليونس لحن ذكرَه لنفسه في كتابه ولم يذكر طريقتَه . [من الطويل]

تقرّبتُ ليلى كــي تُثيب فزادني بِعــاداً على بعــدٍ إليهــا التقرّبُ
فداويتُ وجدي باجتنابٍ فلم يكن دواءٌ لِمــا ألقــاه منها التجنُّبُ
فلا أنــا عنــد النَّأْيِ سالٍ لحبّها ولا أنا منها مُشْتَفٍ حين تَصْقَبُ[2]
وما كنت بالراضي بما غيرُه الرِّضى ولكنني أنــوي العــزاءَ فأُغلَبُ
وليلٍ خُــداريّ الرّواق جَشِمتُــه إذا هابــه السارون لا أتهيّبُ[3]
لأظْفَرَ يوماً مــن يزيد بن حاتم بحبل جِوارٍ ذاك مــا كنتُ أطلبُ
بلَــوتُ وقلّبتُ الرجــالَ كما بَلا بكفّيــه أوساطَ القِــداح مُقلِّبُ
وصَعَّــدني همّــي وصَــوَّب مرّةً وذو الهمّ يومــاً مُصْعَدٌ ومُصوَّبُ
لأعرفَ مــا آتــي فلم أرَ مثلــه من الناس فيما حاز شرقٌ ومغرِبُ
أكَــرَّ على جيش وأعظــمَ هيبةً وأوهبَ في جــود لما ليس يُوهبُ
تصدَّى رجالٌ في المعالي ليَلْحَقوا مَــداك ومــا أدركتَــه فتَذَبْذَبوا
ورُمتَ الذي راموا فأذللتَ صعبه وراموا الذي أذللتَ منه فأصعَبوا

1 اليراع المثقب : المزمار .
2 تصقب : تقرب .
3 خداري : مظلم .

ومهما تَناولْ مـن مَنـال سَنيّة يساعدْك فيها المُنْتَمى والمُركَّبُ[1]
ومَنصِبُ آبـاء كِـرامٍ نَماهـمُ إلى المجـدِ آبـاءٌ كِرامٌ ومنصِبُ

صوت

[من الطويل]

كواكبُ دَجْنٍ كلّما انقضَّ كوكبٌ بـدا منهمُ بـدرٌ مُنيرٌ وكوكبُ
أنـارَ بـه آل المهلّـب بعدمـا هَوى مَنكِبٌ منهم بليلٍ ومَنكِبُ
ومـا زال إلْحاحُ الزمانِ عليهمُ بنائبةٍ كادت لها الأرض تَخْرَبُ
فلـو أبقـتِ الأيّامُ حيّـاً نَفاسةً لأبقاهمُ للجـودِ نـابٌ ومِخلَبُ
وكنتَ ليومَيْ نِعمـةٍ ونِكايـةٍ كما فيهمـا للنّـاس كان المهلَّبُ
ألا حبَّـذا الأحياءُ منكم وحبّذا قبـورٌ بهـا مَوتاكُـم حين غُيّبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم وفرسٍ بسرجه ولجامه وخِلعةٍ ، وأقسم على من كان بحضرته أن يُجيزوه كلٌّ واحد منهم بما يمكنه ، فانصرف بملء يده .

[كان عمرو بن أبي عمرو ينشد شعره ويستحسنه]

قال الحَزَنْبَل : أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى وكان يستحسنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

حَيّ المنازلَ قد بَلِينا أقوَينَ عن مَرّ السِّنينا[2]
وسلِ الدّيـارَ لعلَّهـا تُخبرك عن أمِّ البَنينا
بانـت وكلُّ قرينـةٍ يومـاً مفارِقـةٌ قرينا
وأخو الحياة من الحيا ةِ مُعالِجٌ غِلَظاً ولِينا

غنّى في هذه الأبيات نبيهٌ خفيفَ ثقيل بالبنصر .

وتـرى المُوَكَّـل بالغوا ني راكباً أبـداً فُنونا
ومـن البليّـةِ أن تُـدا نَ بما كرِهتَ ولن تَدينا
والمـرءُ تُحـرَم نفسُه ما لا يـزال بـه حَزينا
وتَـراه يَجمـع مالَـه جمعَ الحريص لوارِثينا

1 المنتمى في ل : المنتهى . المركب : المنبت .
2 أقوى : أقفر .

يسعـى بأفضلِ سعيـه فيصيرُ ذاك لقـاعدينا
لم يُعطِ ذا النّسب القريـ ـبِ ولم يَجُدْ للابعدينا
قـد حلَ منزلَه الذميـ ـمَ وفارق المتنصِّحينا[1]

[مدح المهدي بولايته الخلافة]

قال الخَزَنْبل : وذكر أحمد بن صالح بن النطّاح عن المدائنيّ : أن المهديّ لّما وليَ الخلافة وحجّ فرّق في قريشٍ والأنصار وسائرِ الناس أموالاً عظيمةً ووَصَلهم صِلاتٍ سنيّةً ، فحسُنتْ أحوالُهم بعد جُهد أصاب الناس في أيّام أبيه ، لتسرّعهم مع محمد بن عبد الله بن حسن ، وكانت سنة ولايتـه سنة خِصب ورُخْص ، فأحبّـه الناس وتَبرّكوا بـه ، وقالوا : هذا هو المهـديّ ، وهذا ابن عمّ رسول الله ﷺ وسَميُّه ، فلقُوه فدَعوا له وأثنَوا عليه ، ومدحته الشعراء ، فمدّ عينَه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقُرّب منه ؛ فقال له : هاتِ يا مولى الأنصار ما عندك ، فأنشده [قوله فيه] : [من البسيط]

يا ليـلَ لا تَبخلي يـا ليلَ بالزادِ واشفي بذلك داءَ الحائم الصادي
وأنجزي عِـدَةً كانت لنا أَمَـلاً قـد جـاء مِيعادُها من بعد ميعادِ
مـا ضَرّه غيرُ أن أبـدى مودّته إنّ المُحـبَّ هـواه ظاهـرٌ بادي

ثم قال فيها يصف ناقته :

تَطـوي البـلادَ إلى جـمٍّ منافعُه فعّـالِ خيرٍ لفعـل الخيرِ عـوّادِ
للمهتديـن إليـه مـن منافعه خيرٌ يروحُ وخيرُ باكـر غادي[2]
أغنَى قُريشاً وأنصارَ النبيِّ ومَـنْ بالمسجدَيْـن بإسعـاد وإحفادِ[3]
كانت منافعُه في الأرض شائعـةً تَتْرى وسيرتُـه كالمـاء للصّادِي
خليفـةُ اللهِ عبـدُ الله والـدُه وأمُّـه حُـرّةٌ تُنْمَـى لأمجـادِ
من خير ذي يَمـنٍ في خير رابِيـةٍ من القَبولِ إليها مَعْقِل النّادي[4]

حتى أتى على آخرها ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وكُسوة ، وأمر صاحب الجاري[5] بأن يُجريَ له ولعياله في كلّ سنة ما يَكفيهم ، وألحقهم في شرف العطاء .

---

1 المتنصّح : الكثير النصح .
2 للمهتدين في ل : للمجتدين .
3 الإحفاد : الإسراع في مرضاتهم وقضاء حوائجهم .
4 معقل : ملجأ .
5 صاحب الجاري : صاحب الجرايات أي الأرزاق .

قال : وذكر ابن النطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيريّ قال : وفدنا إلى المهديّ ونحن جماعة من قريش والأنصار ، فلمّا دخلنا عليه سلّمنا ودعَونا وأثنينا ، فلمّا فرَغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال : هاتِ يا محمد ما قلت ، فأنشده : [من مجزوء الكامل]

صوت

نـادى الأحبّةُ باحتمالِ ... إنّ المُقيـمَ إلى زَوالِ
ردَّ القِيـانُ عليهـمُ ... ذُلَلَ المطيّ من الجِمالِ[1]
فتحمّلـوا بعَقيلـةٍ ... زهـراءَ آنسةِ الدَّلالِ
كالشمسِ راقَ جَمالُهـا ... بين النساء على الجَمالِ
لمّـا رأيـت جِمالهم ... في الآل تَغْـرَق باللآلي
يا ليت ذلك بعـدَ أنْ ... أظهـرتَ أنّك لا تُبالي
ولِمثْل مـا جرّبتَ مـن ... إخلافهنّ لذي الوصالِ
أسلاكَ عن طلَب الصِّبا ... وأخو الصّبا لا بدّ سالي
يـا ابنَ الأطايب للأطا ... يب ذا المَكارم والمَعالي
وابنَ الهُداةَ بَنـي الهدا ... ةِ وكاشفي ظُلَم الضّلالِ
أصبحتَ أكـرمَ غالبٍ ... عنـدَ التّفاخرِ والنِّضالِ
وإذا تُحَصَّـلُ هاشمٌ ... يعلـو بمجدك كلُّ عالي
ويكـون بيتُـك منهمُ ... في الشاهقات من القِلالِ[2]
هـذا وأنـت ثِمالُهـا ... وابنُ الثّمالِ أخو الثِّمالِ[3]
ومآلُهـا بأمورِهـا ... إنّ الأمـورَ إلى مـآلِ

قال : فأمر له خاصّة بعشرة آلاف درهم معجّلة ، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة وأعطاه مثل ما أعطاهم ، وقال : ذلك بحقّ المديح ، وهذا بحقّ الوِفادة .

[سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ أبو أحمد وعمّي قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيلٍ العَنزيّ

1 القيان : العبيد والإماء .
2 القلال : جمع قلة وهي أعلى الجبل .
3 ثمال : غياث .

قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : قدِم عبد الملك بن مروان المدينة ، وكان ابن المولى يُكْثر مدحَه ، وكان يسأل عنه من غير أن يكونا التقيا ، قال : وابن المولى مولى الأنصار ، فلمّا قدم عبدُ الملك المدينة قدِم ابن المولى ، لِما بلَغه من مسألة عبد الملك عنه ، فوردها وقد رحَل عبد الملك عنها ، فأتْبعه فأدركه بإضَم بذي خُشُب بين عين مروان وعين الحديد ، وهما جميعاً لمروان ، فالتفت عبد الملك إليه وابنُ المولى على نجيبٍ مُتَنكّباً قوساً عربيّة ، فقال له عبد الملك : ابن المولى ؟ قال : لَبّيْك يا أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بمن نالنا شكرُه ولم يَنَلْه منّا فعلٌ ، ثم قال له : أخبرني عن ليلى التي تقول فيها : [من الطويل]

وأبكي فلا لَيْلى بكَتْ من صَبابةٍ إليّ ولا ليلى لذي الوُدّ تَبذُلُ

والله لئن كانت ليلى حرّةً لأُزوِّجَنّكها ، ولئن كانت أَمَةً لأبتاعنّها لك بما بلَغتْ ، فقال : كلاّ يا أمير المؤمنين ، والله ما كنتُ لأَذْكُر حُرْمة حُرّ أبداً ولا أَمَته ، والله ما ليلى إلاّ قوسي هذه ، سمّيتها ليلى لأُشبِّب بها ، وإن الشاعر لا يُسْتطاب إذا لم يَتشبّب[1] ؛ فقال له عبد الملك : ذلك والله أظرف لك ، فأقام عنده يومَه وليلته يُنشده ويُسامره ، ثم أمر له بمال وكسوة ، وانصرف إلى المدينة .

[وقف لجعفر بن سليمان على طريقه وأنشده شعراً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ عن الزبير وغيره عن محمد بن فَضالة النحويّ قال : قدِم ابن المولى البصرة ، فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه وقد ركب فناداه : [من السريع]

كم صارخٍ يدعو وذي فاقةٍ يا جعفرَ الخيراتِ يا جعفرُ
أنت الذي أحييتَ بَذْلَ النَّدى وكان قد ماتَ فلا يُذْكَرُ
سليلُ عبّاسٍ وليّ الهُدى ومَنْ به في المَحْل يُسْتَمْطَرُ
هذا امتداحِيكَ عَقيدَ النَّدى أشهدُ بالمجدِ لكَ الأَشْقَرُ

1 ل : ينسب .

[39] ـ أخبار عَطَرَّد ونسبُه

[ولاؤه وصفته وهو مغنّ مقبول الشهادة فقيه]

عَطَرّد مولى الأنصار ، ثم مولى بني عمرو بن عوف ، وقيل : إنّه مولى مُزَيْنَة ، مدنيٌّ ، يكنى أبا هارون ، وكان ينزل قُباء . وزعم إسحاق[1] أنّه كان جميل الوجه ، حسنَ الغناء ، طيّبَ الصوت ، جيّد الصَّنعة ، حسنَ الرأي والمروءة ، فقيهاً ، قارئاً للقرآن ، وكان يغنّي مرتجلاً ، وأدرك دولة بني أميّة ، وبقي إلى أيّام الرشيد ، وذكر ابن خُرْداذْبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه : أنّه كان مُعدَّل الشهادة بالمدينة ؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجّم عن أبي أيّوب المدينيّ عن إسحاق .

[جاءه عباد بن سلمة ليلاً وطلب منه أن يغنّيه]

وأخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ سلمة بن عبّاد[2] وَلِيَ القضاءَ بالبصرة ، فقصد ابنه عبّاد بن سلمة عطرَّداً وهو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن عليّ وأقام معهم ؛ فأتى بابه ليلاً فدَقّ عليه ومعه جماعة من أصحابه أصحاب القلانس ، فخرج عطرَّد إليه ، فلمّا رآه ومن معه فزِع ؛ فقال : لا تُرَعْ : [من الكامل]

إنّي قصدتُ إليكَ مـن أهلي في حاجـةٍ يأتـي لهـا مثـلي

فقال : وما هي أصلحك الله ؟ قال : [من الكامل]

لا طالبـاً شيئاً إليـك سوى «حيِّ الحُمُولَ بجانب العَزْلِ»[3]

فقال : انزلوا على بركة الله ، فلم يزل يغنّيهم هذا وغيره حتى أصبحوا .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

حيِّ الحُمولَ بجانب العَزْلِ إذ لا يوافق شكلُها شكلي

اللهُ أنجحُ مـا طلبتَ بـه والبِـرُّ خيرُ حقيبـة الرَّحْلِ

1 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 35–36 (رقم 55 حتى آخرها) .

2 هو كذلك في التذكرة الحمدونية وفي ل : عباد بن سلمة .

3 العزل : موضع في ديار قيس (كذا ذكر البكري) .

إنّي بحبلــكَ واصلٌ حبلي وبريشِ نَبْلكَ رائشٌ نَبْلي
وشمائلي ما قــد علمتَ وما نبحتْ كلابُكَ طارقاً مثلي

الشعر لامرىء القيس بن عابِس الكِنْديّ ، هكذا روى أبو عمرو الشيبانيّ ، وقال : إن من يرويه لامرىء القيس بن جُحْر يغلَط . والغِناء لعطرَّد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة ، وفيه لعمرو بن بانة ثقيلٌ بالوسطى من روايته أيضاً ، وفيه لابن عائشة خفيف رملٍ بالبنصر ، وفيه عنه وعن دنانير لمالكٍ خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى ، وفيه عنه أيضاً لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

[غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهديّ]

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال : كتب إليّ أبو أيّوب المدينيّ ، وخبره أتمّ ، قال : حدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المُعَيْطيّ[1] قال : دخلت على المهديّ ، وقد كان وُصِف له غنائي ، فسألني عن الغناء وعن علمي به ، فجاذبتُه من ذلك طَرَفا ؛ فقال لي : أتُغنّي النواقيس ؟ قلت : نعم ، وأُغنّي الصُّلبان يا أمير المؤمنين ، فتبسّم . والنواقيس لحن معبد ، كان معبد وأهل الحجاز يسمّونه النواقيس ، وهو : [من الطويل]

سَلا دارَ ليلى هــل تُبين فتَنْطِقُ وأنّى تَرُدُّ القولَ بيداءُ سَمْلقُ

قال : ثم قال لي المهديّ وهو يضحك : غنّه ، فغنّيته فأمر لي بمالٍ جزيلٍ وخلَع عليّ وصرفني ، ثم بلغني أنّه قال : هذا مُعَيْطِيٌّ وأنا لا آنَسُ به ، ولا حاجةَ لي إلى أن أُدْنيَه من خَلْوتي وأنا لا آنسُ به . هكذا ذُكِرَ في هذا الخبر أنّ اللحنَ لمعبد ، وما ذكره أحدٌ من رُواة الغِناء له ، ولا وُجِد في ديوانٍ من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به ولا شِرْكة فيه ، ولعلّه غلط .

[تنادر إبراهيم بن خالد المعيطيّ على ابن جامع]

وقد أخبرني هذا الخبر الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال : كان إبراهيم بن خالد المُعيطيّ يغنّي ، فدخل يوماً الحمّامَ وابنُ جامع فيه ، وكان له شيءٌ يجاوز ركبتيه ، فقال له ابن جامع : يا إبراهيم أتَبِيع هذا البغل ؟ قال : لا بل أحمِلك عليه يا أبا القاسم ؛ فلمّا خرج ابن جامع من الحمّام رأى ثياب المُعَيطيّ رثّةً فأمر له بخِلْعةٍ من ثيابه ؛ فقال له المعيطيّ : لو قبِلتَ حُملاني قبلتُ خِلْعتَك ، فضَحِك ابن جامع وقال له : ما لك أخزاك الله ؟ ويلك أما تَدَع ولَعَك وبِطالتَك وشرَّك ؟ ودخل إلى الرشيد فحدّثه حديثه ؛ فضحك وأمر بإحضاره ، فأُحضر ، فقال له : أتغنّي النواقيس ؟ قال : نعم ، وأُغنّي الصلبان أيضاً . ثم ذكر باقي الخبر مثلَ الذي تقدّمه .

---

1 لا نعرف لماذا أقحم أبو الفرج هذا الخبر والذي يليه عن إبراهيم بن خالد المعيطي في أخبار عطرد ، ولكن مثل هذا كثير في الأغاني .

[كان عطرّد منقطعاً إلى آل سليمان بن عليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال : كان عطرّد منقطعاً في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يَخدِمُ غيرهم ، وتُوُفّي في خلافة المهديّ . قال : وكان يوماً يغنّي بين يدَيْ سليمان بن علي فغنّاه : [من السريع]

صوت

أُلْـهُ فكم من ماجدٍ قد لَها ومـن كريـمٍ عِرضُـه وافِـرُ

الغناء لعطرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ ، فقيل له : سرَقتَ هذا من لحن الغريض : [من السريع]

يـا رَبْعَ سلاّمـةَ بالمُنْحَنـى فَخَيْفِ سَلْـعٍ جـادكَ الوابلُ

فقال : لم أسرقه ولكنَّ العقولَ تتوافق[1] ، وحلف أنّه لم يسمعه قطّ .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

يـا ربـعَ سلاّمـةَ بالمُنْحَنى فَخَيْفِ سَلْـعٍ جـادكَ الوابلُ
إن تُمْسِ وحْشاً طالما قد تُرَى وأنـتَ معمـورٌ بهـم آهِلُ[2]
أيّـامَ سلاّمـةُ رُعْبُوبـةٌ خَـوْدٌ لَعُـوبٌ حبُّهـا قاتلُ
محطوطةُ المَتْـنِ هَضِيمُ الحَشا لا يطَّبِيهـا الوَرَعُ الـواغلُ

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ . قال : ومن الناس من ينسُبه إلى ابن سريج .

[حبسه زبراء والي المدينة مع المغنّين ثم أطلقه وأطلقهم]

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جَدّي عليّ بن يحيى قال حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال[3] : كنت مع زبراء بالمدينة وهو والٍ عليها ، وهو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب ، فأمر بأصحاب الملاهي فحُبِسوا وحُبِس عطرّد فيهم ، فجلس ليَعْرِضَهم ، وحضر رجالٌ من أهل المدينة شفَعوا لعطرّد ، وأخبروه أنّه من أهل الهيئة والمروءة والنّعمة والدِّين ، فدعا به فخلّى سبيله ، وأمره برفع

1 ل : تتوافى .
2 طالما في ل : فبما .
3 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 65 (رقم 96) .

حوائجه إليه فدعا له ، وخرج فإذا هو بالمغنّين أُحضِروا ليُعرَضوا ، فعاد إليه عطرّد ، فقال : أصلح الله الأمير ، أعَلى الغِناء حبستَ هؤلاء ؟ قال : نعم ؛ قال : فلا تَظْلِمهم ، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قطّ ؛ فضحِك وخلّى سبيلهم .

[استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة]

أخبرني محمد بن مَزيد وجحظة قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيّوب بن إسماعيل قال : لمّا استُخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخوص إليه بعطرّد المغنّي ؛ قال عطرّد : فأقرأني العامل الكتابَ وزوّدني نفقةً وأشخصني إليه ، فأُدخِلتُ عليه وهو جالسٌ في قصره على شَفِير بركةٍ مرصّصةٍ مملوءةٍ خمراً ليست بالكبيرة ولكنّها يدور الرجل فيها سباحةً ، فوالله ما تركني أُسلِّم عليه حتى قال : أعَطرّد ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ قال : لقد كنتُ إليك مشتاقاً يا أبا هارون . غنّني : [من الكامل]

حيِّ الحُمولَ بجانبِ العَزْلِ إذ لا يُلائم شكلُها شكلي
إنّي بحبلـكِ واصلٌ حبلِي وبريشِ نَبْلِكِ رائشٌ نبلي
وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحَتْ كلابُك طارقاً مثلي

قال : فغنّيتُه إيّاه ، فوالله ما أتممتُه حتى شقّ حُلّة وَشْي كانت عليه لا أدري كم قيمتها ، فتجرّد منها كما ولدته أُمُّه وألقاها نِصفين ، ورمى بنفسه في البركة فنَهِل منها حتى تبيّنتُ ، عَلِم اللهُ ، فيها أنّها قد نَقَصَت نُقْصاناً بيّناً ، وأُخرج منها وهو كالميّت سُكراً ، فأضجع وغُطِّيَ ، فأخذتُ الحُلّة وقمتُ ، فوالله ما قال لي أحدٌ : دَعها ولا خُذْها ، فانصرفتُ إلى منزلي متعجّباً ممّا رأيتُ من ظَرْفه وفعله وطَرَبه ، فلمّا كان من غَدٍ جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني ، فلمّا دخلتُ عليه قال لي : يا عطرّد ، قلت : لَبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال غنّني : [من الطويل]

أيَذْهَبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها مَجالسَ تَشفي قَرْحَ قلبي من الوجدِ
وقالـوا تَداوَ إنّ في الطّبِّ راحةً فعلّلتُ نفسي بالدواء فلـم يُجْدِ

فغنّيته إيّاه ، فشقّ حلّة وشْي كانت تَلْتَمِع عليه بالذهب التماعاً احتقرتُ والله الأولى عندها ، ثم ألقى نفسه في البركة فنهِل فيها حتى تبيّنت ، علم الله ، نقصانها ، وأُخرج منها كالميّت سكرا ، وأُلْقي وغُطِّيَ فنام ، وأخذتُ الحلّة فوالله ما قال لي أحد : دعها ولا خذها ، وانصرفتُ ؛ فلمّا كان اليوم الثالث جاءني رسولُه فدخلتُ إليه وهو في بهْوٍ قد أُلقيت سُتُوره ، فكلّمني من وراء الستور وقال : يا عطرّد ، قلت : لبّيك يا أمير المؤمنين ؛ قال : كأنّي بك الآن قد أتيتَ المدينة فقمتَ بي في مجلسها ومَحفِلِها وقعدتَ وقلتَ : دعاني أمير المؤمنين فدخلتُ

إليه فاقترح عليّ فغنّيته وأطربته فشقّ ثيابه وأخذتُ سَلَبَه وفعل وفعل ، والله يا ابن الزانية ، لئن تحرّكتْ شَفتاك بشيء ممّا جرى فبلغني لأضربنّ عنقك ، يا غلام أعطِهْ ألفَ دينار ، خُذْها وانصرف إلى المدينة ؛ فقلت : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذَن لي في تقبيل يده ، ويزوِّدَني نظرةً منه وأُغنّيَه صوتاً ؛ فقال : لا حاجة بي ولا بك إلى ذلك ، فانصرف . قال عطرّد : فخرجتُ من عنده وما ، علم الله ، أنّي ذكرتُ شيئاً ممّا جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة .

نسبة هذين الصوتين

الصوت الأوّل ممّا غنّاه عطرّد الوليد قد نُسب في أوّل أخباره ، والثاني الذي أوّله: [من الطويل]

أيذهبُ عمري هكذا لم أَنَلْ بها

الغناء فيه لعطرّد ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

صوت
من المائة المختارة[1]

[من السريع]

إن امرءاً تَعْتاده ذِكَرٌ ... منها ثلاثُ مِنىً لَذو صَبَرِ
ومواقفٌ بالمَشْعَرَيْنِ لها ... ومناظرُ الجَمَرات والنحرِ
وإفاضةُ الرُّكبان خَلْفَهمُ ... مثلَ الغمام أَرَذّ بالقَطْرِ[2]
حتى استلمنَ الركنَ في أُنُفٍ ... من ليلهنّ يَطَأْن في الأُزْرِ
يَقْعُدن في التَّطْوافِ آونةً ... ويَطُفن أحياناً على فَتْرِ
ففرَغن من سَبْع وقد جُهِدَتْ ... أحشاؤهنّ موائلَ الخُمْرِ

الشعر للحارث بن خالد المخزوميّ ، والغِناء في اللحن المختار للأَبْجَر ، وإيقاعُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنصر في الأوّل والثاني والسادس من الأبيات عن إسحاق . وفيه للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج في الثالث والرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 شعر الحارث بن خالد المخزومي (جمع د . يحيى الجبوري ، 1972) : 65–66 عن الأغاني .

2 وإفاضة في ل : وأفاضت . أرذّ : أمطر الرذاذ .

[40] ـ أخبار الحارث بن خالد المخزوميّ ونسبه[1]

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة بن كعب بن لُؤيّ بن غالب . وأمّه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام ، وأمُّها بنت أبي جهل بن هشام . وكان العاص بن هشام جَدَّ الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بَدْر فقتله أميرُ المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

[قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني مُصعب بن عبد الله قال : قامَر أبو لَهَب العاص بن هشام في عَشْرٍ من الإبل فقَمَره أبو لهب ، ثم في عشرٍ فقَمره ، ثم في عشرٍ فقَمَره ، ثم في عشر فقَمَره ، ثم في عشرٍ فقَمَره ، إلى أن خلعه من ماله فلم يَبْق له شيءٌ ، فقال له : إنّي أرى القِداح قد حالفتْك يا ابن عبد المطّلب فهلمّ أُقامرك ، فأيُّنا قُمِرَ كان عبداً لصاحبه ، قال : افعل ، ففعل . فقمَرَه أبو لهب فكرِه أن يسترقّه فتَغْضَب بنو مخزوم ، فمشى إليهم وقال : افتَدُوه منّي بعشرٍ من الإبل ؛ فقالوا : لا والله ولا بوبرة ، فاسترقّه فكان يرعى له إبلاً إلى أن خرج المشركون إلى بدر . وقال غير مُصعب : فاسترقّه وأجلسه قَيْنا يعملُ الحديد . فلمّا خرج المشركون إلى بدر كان مَن لم يَخرج أُخرج بديلاً ، وكان أبو لهب عليلاً فأخرجه وقعد ، على أنّه إن عاد إليه أعتقه ، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذٍ .

[ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل]

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغَزَليِّين ، وكان يذهب مَذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبّب بها ؛ وولاّه عبد الملك بن مروان مكّة ، وكان ذا قدْرٍ وخَطَرٍ ومنظرٍ في قريش ؛ وأخوه عِكرِمة بن خالد المخزوميّ محدِّثٌ جليلٌ من وجوه التابعين ، قد روى عن جماعة من الصحابة ؛ وله أيضاً أخٌ يقال له عبد الرحمن بن خالد ، شاعرٌ ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

رحَل الشبابُ وليتَه لم يَرْحَلِ ... وغدا لِطيَّـةِ ذاهبٍ مُتَحمِّلِ
ولّى بـلا ذمٍّ وغـادر بعدَهُ ... شيْباً أقـامَ مكانَـه في المَنزلِ
ليتَ الشبابَ ثَوى لدينا حقْبَةً ... قبلَ المشيبِ وليتـه لم يَعْجَلِ

1 ورد ذكره بإيجاز في خزانة الأدب 1 : 453–454 .

فنُصيبَ مـن لذّاتِـهِ ونعيمِـهِ كالعهدِ إذ هو في الزمانِ الأوّلِ

وفيه غناء .

[كان أبو عمرو بن العلاء يسأله عن بعض الحروف]

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال معاذ بن العَلاء أخو أبي عمرو بن العلاء : كان أبو عمرو إذا لم يَحُجّ استَبْضَعني بعض الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر وآتِيه بجوابها ؛ قال : فقَدِمتُ عليه سنةً من السنين وقد ولاّه عبد الملك بن مروان مكّةَ ، فلمّا رآني قال : يا مُعاذ ، هاتِ ما معك من بضائع أبي عمرو ، فجعلتُ أعجَبُ من اهتمامه بذلك وهو أمير .

[هو أحد شعراء قريش الخمسة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير ، ولفظُه أتمّ ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال : كانت العرب تُفضِّل قريشاً في كلّ شيء إلاّ الشعر ، فلمّا نجَمَ في قريش عمر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد المخزوميّ والعَرْجِيّ وأبو دهبل وعبيد الله بن قيس الرُّقَيّات ، أقرّت لها العرب بالشعر أيضاً .

[تفاخر مولى له ومولى لابن أبي ربيعة بشعريهما]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس وحبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسّان قال : تفاخَر مَوْلىً لعمر بن أبي ربيعة ومولًى للحارث بن خالد بشِعريْهما ، فقال مولى الحارث لمولى عمر : دعني منك فإنّ مولاك والله لا يعرِف المنازلَ إذا قُلبت ، يعني قول الحارث[1] : [من الكامل]

إنّي وما نَحَروا غداةَ مِنًى عندَ الجمار تَؤُودها العُقْلُ
لو بُدِّلَتْ أعلى مَساكِنِها سُفْلاً وأصبحَ سُفْلُها يَعْلُو
فيَكاد يعرِفها الخبيرُ بها فيـرُدّه الإقْـواءُ والمَحْلُ
لعرفتُ مَغْناها بما احتمَلتْ منّي الضلوعُ لأهلها قَبْلُ

قال عمر بن شبّة : وحدّثني محمد بن سلاّم بهذا الخبر على نحوٍ ممّا ذكره أبو غسّان ، وزاد فيه : فقال مولى بنِ أبي ربيعة لمولى الحارث : والله ما يُحسنُ مولاك في شعرٍ إلاّ نُسِب إلى مولاي .

قال ابن سلاّم : وأنشَد الحارثُ بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلَّها حتى انتهى إلى قوله : [من الكامل]

لعرفتُ مغناها بما احتملتْ منّي الضلوعُ لأهلِها قبلُ

1 شعر الحارث بن خالد : 78 .

فقال له ابنُ عمر : قُلْ : إن شاء الله ؛ قال : إذاً يَفسُد بها الشعر يا عمّ ، فقال له : يا ابن أخي ، إنّه لا خيرَ في شيء يُفسدُه «إن شاء الله» . قال عمر : وحدّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر ولم يُسنِدْها إلى أحدٍ ، وأظنّه لم يَرْوِها إلاّ عن محمد بن سلاّم . وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي الفضل المَرْوَرُّوذيّ عن إسحاق عن أبي عبيدة ، فذكر قصّة الحارث مع ابن عمر مثلَ الذي تقدّمه .

[فضّله كثيّر في الشعر على نفسه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثني أبو سلمة الغِفاريّ عن يحيى بن عروة بن أُذَينة عن أبيه قال : كان كُثَيِّرٌ جالساً في فتيةٍ من قريش إذ مرّ بهم سعيد الراس ، وكان مغنّياً ، فقالوا لكثيّر : يا أبا صخر ، هل لك أن نُسمِعك غناء هذا ، فإنّه مُجيد : قال : افعلوا ؛ فدَعوا به فسألوه أن يغنّيهم : [من الكامل]

صوت[1]

هَـلاَّ سألتَ معالِمَ الأطلالِ بالجِزعِ من حُرُضٍ وهنَّ بَوالِي[2]
سَقْياً لعَزّةَ خُلّتي سَقْيا لهـا إذ نحن بالهَضباتِ من أُمْلالِ[3]
إذ لا تكلّمنـا وكان كلامُها نَفَـلا نؤمّلـه مـن الأنفالِ

فغنّاه ، فطرِب كثيّر وارتاح ، وطرِب القومُ جميعاً ، واستحسنوا قولَ كثيّر ، وقالوا له : يا أبا صخر ما يستطيع أحدٌ أن يقول ، مثل هذا ؛ فقال : بلى ، الحارث بن خالد حيث يقول : [من الكامل]

صوت

إنّي وما نَحروا غداةَ مِنىً عند الجمار تَؤودُها العُقْلُ
لـو بُدّلتْ أعلى مساكنها سُفْلا وأصبحَ سُفْلُها يعلو
لعرَفتُ مَغناها بما احتملَتْ منّي الضلوعُ لأهلِها قَبْلُ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني في أبيات كثيّر الأُوَل التي أوّلها :

هلاّ سألتَ مَعالِـمَ الأطلالِ

لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض

1 ديوان كثير : 284–285 والشطر الأوّل فيه «أربع في معارف الأطلال» .
2 حرض : واد عند أحد .
3 أملال : موضع على طريق المدينة إلى مكّة .

في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر عنه . وفيهما لعلُّويَهْ رمل بالوسطى عن عمرو . وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصليّ رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

[تمثّل أشعب بشعره في علوّ الزبيريين على العلويين]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد عن العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : دخل أشعب مسجد النبيّ ﷺ فجعل يطوف الحِلَق ، فقيل له : ما تريد ؟ فقال : أَسْتَفْتي في مسألة ؛ فبينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مُسْنِدٌ إلى سارية وبين يديه رجلٌ عَلَويّ ، فخرج أشعب مبادراً ؛ فقال له الذي سأله عن دخوله وتَطوافه : أَوَجدتَ من أفتاك في مسألتك ؟ قال : لا ، ولكني علمتُ ما هو خير لي منها ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : وجدتُ المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد : [من الكامل]

قد بُدّلتْ أَعْلى مساكنها سُفْلاً وأصبحَ سُفْلُها يعلو

رأيتُ رجلاً من ولد الزُّبير جالساً في الصدر ، ورجلاً من ولد عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه جالساً بين يديه ، فكفى هذا عَجَباً ، فانصرفت .

[كان مروانيّاً وكلّ بني مخزوم زبيرية]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غسّان ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به أبو أيّوب سليمان بن أيّوب المدنيّ قال حدّثنا مُصعب الزبيريّ ، وأخبرني به أيضاً الحَرَميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي ، وقد جمعتُ رواياتهم في هذا الخبر : أنّ بني مخزوم كلّهم كانوا زبيريّة سوى الحارث بن خالد فإنّه كان مَرَوانيّاً .

[ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحجبه وجفاه]

فلمّا وليَ عبد الملك الخلافة عامَ الجماعة وفَد عليه في دَيْن كان عليه وذلك في سنة خمس وسبعين ؛ وقال مصعب في خبره : بل حجّ عبد الملك في تلك السنة فلمّا انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق ، فظهرت له منه جَفوة ، وأقام ببابه شهراً لا يَصِل إليه ، فانصرف عنه وقال فيه[1] : [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد : 101–102 .

صَحِبتُك إذ عَيْني عليها غِشاوةٌ فلمّا انجلَتْ قَطّعتُ نفسي ألومُها
وما بي وإن أقصيْتَني من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسي إلى من يَضِيمُها

هذا البيت في رواية ابن المرزُبان وحده : [من الطويل]

عَطَفتُ عليك النفسَ حتى كأنّما بكفّيْكَ بؤسي أو عليكَ نعيمُها

[عزله عبد الملك لأنه أخّر الصلاة]

وبلغ عبد الملك خبره وأُنشد الشعرَ ، فأرسل إليه مَن ردّه من طريقه ؛ فلمّا دخل عليه قال له : حارِ ، أخبِرني عنك : هل رأيتَ عليك في المُقام ببابي غَضاضةً أو في قصدي دناءةً ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ؛ قال : فما حمَلك على ما قلتَ وفعلتَ ؟ قال : جفوةٌ ظهرتْ لي ، كنتُ حقيقاً بغير هذا ، قال : فاختَرْ ، فإن شئتَ أعطيتُك مائة ألف درهم ، أو قضيتُ دَيْنَك ، أو ولّيتُك مكّةَ سنةً ، فولاّه إيّاها . فحجّ بالناس[1] وحجّت عائشة بنت طلحة عامئذٍ ، وكان يهواها ، فأرسلت إليه : أخِّر الصلاة حتى أُفرُغ من طوافي ، فأمر المؤذّنين فأخّروا الصلاة حتى فرغَت من طَوافها ، ثم أُقيمت الصلاة فصلّى بالناس ، وأنكر أهلُ الموسم ذلك من فعله وأعظموه ، فعزَله وكتب إليه يؤنّبه فيما فعل ؛ فقال : ما أهونَ واللهِ غضبه إذا رَضِيَتْ ! والله لو لم تفرغْ من طوافها إلى الليل لأخّرتُ الصلاة إلى الليل . فلمّا قضَتْ حجَّها أرسَل إليها : يا ابنة عمّي ألمِّي بنا أوعِدِينا مجلساً نتحدّث فيه ؛ فقالت : في غَدٍ أفعلُ ذلك ، ثم رحلت من ليلتها ؛ فقال الحارث فيها[2] : [من الكامل]

صوت

مـا ضرُّكم لو قلتمُ سَدَداً إنّ المطايـا عاجِـلٌ غَدُها
ولهـا علينا نِعمةٌ سَلَفتْ لسنا على الأيّامِ نجحدُها
لـو تمّمتْ أسبابَ نعمتِها تمّتْ بذلكَ عندنـا يدُها

لمعبد في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة ويونس ودنانير ، وقد ذكره إسحاق فنسَبه إلى ابن محرز ثقيلاً أوّل في أصوات قليلة الأشباه ؛ وقال عمرو بن بانة : من الناس من نسبه إلى الغريض .

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

[من الطويل]

وما بي وإن أقصيتني من ضَراعةٍ ولا افتقرتْ نفسي إلى من يُهينُها

---

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 6 : 179 (رقم 489) .

2 شعر الحارث بن خالد : 57–58 .

بَلى بأبـي إنّي إليك لضَارعٌ فقيرٌ ونفسي ذاك منها يَزِينُها

البيت الأوّل للحارث بن خالد ، والثاني أُلحِق به . والغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن ابن المكيّ . وذكر الهشاميّ أنّ لحن الغريض خفيف ثقيلٍ في البيت الأوّل فقط ، وحكى أنّ قافيته على ما كان الحارث قاله :

ولا افتقرتْ نفسي إلى مَنْ يَضيمُها

وأن الثقيل الأوّل لعُليّة بنت المهديّ ، ومن غنائها البيت المضاف . وأُخْلِقْ بأن يكونَ الأمر على ما ذكره ، لأنّ البيت الثاني ضعيفٌ يُشبه شِعرَها .

[قوله عندما تزوّج مصعب بعائشة ورحل بها إلى العراق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر وإسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان محمد بن يحيى قال : لمّا تزوّج مُصعب بن الزُّبير عائشة بنت طلحة ورحَل بها إلى العراق ، قال الحارث بن خالد في ذلك[1] :

صوت

[من الكامل]

ظعَـن الأميرُ بأحسن الخَلْقِ وغـدا بلُبّك مَطْلِعَ الشَّرْقِ
في البيت ذي الحسبِ الرفيعِ ومِن أهـلِ التُّقـى والبرِّ والصِّدقِ
فظَلِلتُ كالمقهور مهجتـه هـذا الجنونُ وليس بالعِشْقِ
أتْرُجَّـةٌ عَبِـقَ العبيرُ بهـا عَبَقَ الدِّهـان بجانـب الحُقِّ
مـا صبّحتْ أحداً برؤيتها إلاّ غـدا بكواكـب الطَّلقِ

وهي أبيات ، غنّى ابن مُحرز في البيتين الأوّلين خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أن فيهما لمالك ثقيلاً بالوسطى ، وذكر حَبَش أن فيهما لمالك رملاً بالوسطى ، وذكر حبش أيضاً أن فيهما لِلدَّلال ثاني ثقيل بالبنصر ، ولابن سُريج ومالك رَمَلَيْن ، ولسعيد بن جابر هَزَجاً بالوسطى .

[استأذن على عائشة فوعدته وخرجت من مكّة]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن ابن جُعْدُبة قال : لمّا أن قدِمتْ عائشةُ بنتُ طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير على مكّة : إنّي أُريد السلام عليكِ ، فإذا خفّ عليكِ أذِنْتِ ، وكان الرسول الغريض ، فقالت له : إنّا حُرُم ، فإذا أحلَلْنا أذِنّاك ، فلمّا أحَلّت سَرَتْ على بَغَلاتها ، ولَحِقها

1 شعر الحارث بن خالد : 75–76 .

الغريض بعُسْفان أو قريبٍ منه ، ومعه كتابُ الحارث إليها :

ما ضَرُّكم لو قلتُمُ سَدَداً

الأبيات المذكورة ؛ فلمّا قرأتِ الكتابَ قالت : ما يَدَعُ الحارث باطلَه ؛ ثم قالت للغريض : هل أحدثْتَ شيئاً ؟ قال : نعم ، فاسمعي ، ثم اندفع يغنّي في هذا الشعر ؛ فقالت عائشة : والله ما قلنا إلاّ سَدَداً ، ولا أردنا إلاّ أن نشتري لسانه ؛ وأتى على الشعر كلّه ، فاستحسنته عائشة ، وأمرت له بخمسة آلاف درهم وأثواب ، وقالت : زِدْني ، فغنّاها في قول الحارث بن خالد أيضاً[1] : [من الكامل]

زَعَموا بأن البَيْن بعد غَدٍ فالقلبُ ممّا أَحْدَثوا يَجِفُ
والعَيْنُ منذ أُجِدّ بَيْنَهُمُ مثلُ الجُمانِ دموعُها تَكِفُ
ومقالها ودموعُها سُجُمٌ أَقْلِلْ حنينَك حين تَنصرِفُ
تشكو ونشكو ما أشَتّ بنا كلٌّ بوَشْك البيْن مُعْتَرِفُ

إيقاع هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ ، ولم يذكر له حمّادٌ طريقاً .

[غنّاها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة]

قال : فقالت له عائشة : يا غريض ، بحقّي عليك أهو أَمَرَكَ أن تغنّيَني في هذا الشعر ؟ فقال : لا ، وحياتِك يا سيدتي ! فأمرت له بخمسة آلاف درهم ، ثم قالت له : غَنّني في شعرِ غيره ؛ فغنّاها قول عمر فيها[2] :

صوت

[من الخفيف]

أجْمَعتْ خُلّتي مع الفجر بَيْنا جَلّل اللهُ ذلك الوجهَ زَيْنا
أجمعتْ بينَها ولم نَكُ منها لذّةَ العيشِ والشبابِ قضَيْنا
فتولّتْ حُمُولُها واستقلّت لم نَنَلْ طائلاً ولم نُقْضَ دَيْنا
ولقد قلتُ يومَ مكّةَ لمّا أرسلتْ تَقْرَأُ السلامَ علينا
أنعم اللهُ بالرسولِ الذي أُر سِلَ والمُرسِلِ الرسالةِ عَيْنا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن

1 شعر الحارث بن خالد : 70–71 . وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه : 258 ، 259) .
2 ديوان عمر : 435 .

إسحاق ، وغيره ينسُبه إلى ابن سريج . وفيه لمعبدٍ خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وأظنّه هذا اللحن ، قال : فضحِكَتْ ثم قالت : وأنت يا غريض فأنعَم الله بك عينا ، وبابن أبي ربيعة عينا ، لقد تلطّفتَ حتى أدّيتَ إلينا رسالته ، وإن وفاءك له لممّا يزيدنا رغبةً فيك وثقةً بك . وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنّيَها هذا الصوتَ لأنّه قد كان ترك ذكرها لمّا غضِبت بنو تيم من ذلك ، فلم يحبّ التصريح بها وكرِهَ إغفال ذكرها ؛ وقال له عمر : إن أَبْلغتَها هذه الأبيات في غناء فلَكَ خمسةُ آلاف درهم ، فوفَى له بذلك ، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أُخرى .

[غنّى الغريض عاتكة بنت يزيد]

ثم انصرف الغريض من عندها فلَقِي عاتِكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان ، وكانت قد حجّت في تلك السنة ، فقال لها جواريها : هذا الغريض ؛ فقالت لهنّ : عليَّ به ، فَجِيء به إليها . قال الغريض : فلمّا دخلتُ سلّمتُ فردّت عليّ وسألتني عن الخبر ، فقصَصتُه[1] عليها ؛ فقالت : غنّني بما غنّيتَها به ، ففعلتُ فلم أَرَها تَهَشّ لذلك ، فغنّيتُها مُعرِّضاً لها ومذكِّراً بنفسي في شعر مُرّة بن مَحكان السَّعْديّ يُخاطب امرأته وقد نزل به أضيافٌ : [من البسيط]

أقـولُ والضّيفُ مَخْشيٌّ ذَمامَتُـه ... على الكريمِ وحقُّ الضيفِ قد وجَبا

صوت

[من البسيط]

يا ربّـةَ البيتِ قُومِي غيرَ صاغرةٍ ... ضُمِّي إليك رِحالَ القوم والقِرَبا

في ليلـةٍ من جُمادى ذاتِ أندِيَةٍ ... لا يُبصِر الكلبُ من ظَلْمائها الطُّنُبا

لا ينبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... حتى يَـلُـفَّ على خَيْشومه الذَّنَبا

الشعر لمُرّة بن مَحكان السَّعديّ ، والغِناء لابن سريج . ذكر يونس أنّ فيه ثلاثةَ ألحان ، فوجدتُ منها واحداً في كتاب عمرو بن بانة رَمَلاً بالوسطى ، والآخَرَ في كتاب الهِشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى ، والآخر ثاني ثقيلٍ في كتاب أحمد بن المكيّ . قال : فقالت وهي متبسّمة : قد وجَب حقّك يا غريض ، فغنّني ؛ فغنّيتها : [من الكامل]

صوت

يـا دهرُ قـد أكثرتَ فَجْعتنا ... بسَراتنا ووَقَـرْتَ في العَظْمِ

وسَلَبتنـا مـا لستَ مُخْلِفَـه ... يا دهرُ مـا أنصفتَ في الحُكْمِ

لـو كان لي قِـرنٌ أُناضِلـه ... ما طاشَ عنـدَ حَفِيظةٍ سَهْمي

---

1 ل : فاقتصصته .

لو كان يُعطِي النَّصْفَ قلتُ له أحرزتَ سهمك فَالْهُ عن سهمي

فقالت : نُعطِيك النصف ولا نُضيع سهمَك عندنا ، ونُجزِل لك قِسمك ، وأَمَرتْ لي بخمسة آلاف درهم وثياب عَدَنِيّة وغير ذلك من الألطاف ، وأتيتُ الحارثَ بن خالد فأخبرته الخبرَ وقصصتُ عليه القصّة ؛ فأمر لي بمثل ما أَمَرتا لي به جميعاً ، فأتيتُ ابن أبي ربيعة وأعلمتُه بما جرى ، فأمر لي بمثل ذلك ، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثل ما انصرفتُ به : بنظرة من عائشة ونظرةٍ من عاتكة وهما من أجمل نساء عالَمهما ، وبما أمرتا لي به ، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكّة ، وابنِ أبي ربيعة ، وما أجازاني به جميعاً من المال .

[استأذن عائشة بنت طلحة في الزيارة فوعدته ثم هربت]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أبو الحسن المَرْوَزِيّ قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال : لمّا حجّت عائشةُ بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير مكّة : أنعم الله بك عيناً وحيّاكِ ، وقد أردتُ زيارتك فكرِهتُ ذلك إلاّ عن أمرك ، فإن أَذِنْتِ فيها فعلتُ ؛ فقالت لَمْوْلاة لها جَزْلةٍ : وما أَرُدّ على هذا السفيه ؟ فقالت لها : أنا أَكْفِيك ، فخرجتْ إلى الرسول وقالت له : اقرأ عليه السلام ، وقل له : وأنت أنعم الله بكَ عيناً وحيّاك ، نَقْضي نُسُكَنا ثم يأتيك رسولُنا إن شاء الله ، ثم قالت لها : قُومِي فطُوفي واسعَيْ واقضي عُمْرَتك واخرجي في الليل ، ففعلت ؛ وأصبح الحارث فسأل عنها فأُخبر خبرَها ، فوجّه إليها رسولاً بهذه الأبيات ، فوجَدها قد خرجت عن عمل مكّة ، فأوصل الكتابَ إليها ، فقالت لمولاتها : خُذيه فإنّي أظنّه بعض سفاهاته ، فأخذتْه وقرأته وقالت له : ما قلنا إلاّ سَدَداً وأنت فارغ للبَطالة ، ونحن عن فَراغك في شغل .

[سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ وإسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : زعم كُلْثُوم بن أبي بكر بن عمر بن الضّحّاك بن قيس الفِهْرِيّ قال : قدِم المدينة قادمٌ من مكّة فدخل على عائشة بنت طلحة ، فقالت له : من أين أقبل الرجل ؟ قال : من مكّة ، فقالت : فما فعل الأعرابيّ ؟ فلم يَفْهَم ما أرادت ، فلمّا عاد إلى مكّة دخل على الحارث ، فقال له : من أين ؟ قال : من المدينة ، قال : فهل دخلتَ على عائشة بنت طلحة ؟ قال : نعم ، قال : فعَمّاذا سألتْك ؟ قال : قالت لي : ما فعل الأعرابيّ ؟ قال له الحارث : فَعُدْ إليها ولك هذه الراحلةُ والحُلّة ونَفَقتُك لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة ، وكتب إليها فيها[1] : [من البسيط]

1 شعر الحارث بن خالد : 103-104 .

صوت

من كان يسأل عنّا أين منزِلُنا فالأُقْحُوانَـةُ منّـا منزلٌ قَمَنُ[1]
إذ نلبَس العيشَ صفواً ما يكدّره طَعْنُ الوُشاة ولا ينبو بنا الزمنُ

قال إسحاق : وزادني غيرُ كلثوم فيها :

ليتَ الهـوَى لم يقرّبني إليكِ ولم أَعْرِفْكِ إذ كان حظّي منكمُ الحَزَنُ

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرِز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وذكر يونس أنّ فيها لحناً ولم يُجنّسه ، وذكر عمرو أنّ فيه لبابُويَه ثاني ثقيل بالبنصر .

[غضب على الغريض ثم رقّ له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم ، قال : لمّا ولّى عبدُ الملك بن مروان الحارثَ بن خالد المخزوميّ مكّةَ بعث إلى الغريض فقال له : لا أُرَيَنّك في عملي ، وكان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يُجيبه ، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف ، وبلغ ذلك الحارث فرقّ له فردّه وقال له : لِمَ كنتَ تُبْغِضنا وتهجر شِعرَنا ولا تَقْرَبُنا ؟ قال له الغريض : كانت هفوةً من هفوات النفس ، وخطرةً من خطرات الشيطان ، ومثلُك وهَب الذنب ، وصفَح عن الجُرْم ، وأقال العَثْرة ، وغَفَر الزَّلّة ، ولستُ بعائد إلى ذلك أبداً ؛ قال : وهل غنّيتَ في شيء من شعري ؟ قال : نعم ، قد غنّيت في ثلاثة أصوات من شعرك ، قال : هاتِ ما غنّيتَ ، فغنّيتُ[2] : [من البسيط]

صوت

بانَ الخَلِيطُ فما عاجوا ولا عَدَلوا إذ ودّعوكَ وحنّت بالنوى الإبلُ
كأنّ فيهم غداةَ البَيْن إذ رَحَلوا أُدْماءَ طاع لهـا الحَوْذانُ والنَّفَلُ

الغناء للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَش ؛ قال حبَش : وفيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر ، ولإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر ، فقال له : أحسنتَ والله يا غريض ، هاتِ ما غنّيتَ فيه أيضاً من شعري ، فغنّاه في قوله[3] : [من البسيط]

---

1 الأقحوانة : موضع قريب من مكّة .
2 شعر الحارث بن خالد : 79 .
3 شعر الحارث بن خالد : 60 .

صوت

يا ليتَ شعري وكم من مُنْية قُدِرتْ وَفْقا وأُخرى أتى من دونها القَدَرُ
ومُضْمَرِ الكَشْحِ يَطْوِيه الضجيعُ له طـيَّ الحِمالةِ لا جـافٍ ولا فَقِرُ
لـه شَبيهان لا نَقْـصٌ يَعِيبهمـا بحيث كانـا ولا طُـولٌ ولا قِصَرُ

لم أَعْرف لهذا الشعر لحناً في شيء من الكتب ولا سمعتُه ، فقال له الحارث : أحسنت والله يا غريض ، إيهِ ، وماذا أيضاً ؟ فغنّاه قوله[1] : [من الكامل]

عَفَتِ الديارُ فمـا بهـا أهلُ حُزّانُهـا ودِماثُهـا السهلُ
إنّي وما نحـروا غـداةَ مِنىً عنـدَ الجِمار تؤدهـا العُقْلُ

الأبيات المذكورة وقد مضت نِسْبتُها معها ، فقال له الحارث : يا غريض لا لومَ في حبّك ، ولا عذرَ في هجرك ، ولا لذّة لمن لا يروِّح قلبَه بك ، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّةَ حظٌّ إلاّ أنتَ لكان حظّاً كافياً وافياً ، يا غريض إنّما الدنيا زينة ، فأَزْيَنُ الزينة ما فرّح النفسَ ، ولقد فَهِم قَدرَ الدنيا على حقيقته من فَهِم قَدْر الغناء .

[نقدت سكينة بنت الحسين بيتاً من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزبيريّ قال : أُنشِدتْ سُكَينة بنت الحسين قول الحارث بن خالد : [من الكامل]

ففرَغْن من سَبْع وقد جُهِدت أحشاؤهـنّ موائـلَ الخُمْرِ

فقالت : أَحَسَنٌ عندكم ما قال ؟ قالوا : نعم ، فقالت : وما حُسْنُه ؟ فوالله لو طافت الإبل سَبْعاً لجُهِدت أحشاؤها .

[سئل عمّا يمنعه من عائشة بعد موت زوجها]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال : لمّا مات عمر بن عبد الله التَّيْميّ عن عائشة بنت طلحة وكانت قبله عند مُصعَب بن الزبير قيل للحارث بن خالد : ما يمنعك الآن منها ؟ قال : لا يتحدّث والله رجالٌ من قريش أنّ نَسيبي بها كان لشيء من الباطل .

[تنازع هو وأبان بن عثمان ولاية الحجّ]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : لمّا خرج ابنُ الأشعث على عبد الملك بن مروان شُغِل عن أن يولّيَ على الحجّ رجلاً ، وكان الحارث بن خالد عامِلَه على مكّة ، فخرج أَبانُ بن عثمان من المدينة وهو عامله عليها ، فغدا على الحارث بمكّة ليَحُجّ بالناس ؛ فنازَعه الحارث وقال له : لم يأتني كتابُ أمير

1 شعر الحارث بن خالد : 77– 78 .

المؤمنين بتَوْلِيتك على الموسم ، وتغالبا فغلبَه أبانُ بن عثمان بنسبه ، ومال إليه الناس فحجّ بهم ؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك[1] : [من الطويل]

فإن تَنْجُ منها يا أَبانُ مسلَّما فقد أفلت الحجّاجَ خيلُ شَبِيبِ
وكاد غَداةَ الدّيرِ يُنفِذُ حِضْنَه غلامٌ بطعنِ القِرْن جِدُّ طبيبِ
وأَنْسَوْه وصفَ الدَّيْر لما رآهُمُ وحسَّنَ خوفُ الموت كلَّ مَعيبِ

فَلَقِيَه الحجّاج بعد ذلك ، فقال : ما لي ولك يا حارث ! أَيُنازعك أبان عملاً . فتذكرَني ؟ فقال له : ما اعتمدتُ مَساءَتك ولكن بلغني أنّك أنت كاتبتَه ، قال : والله ما فعلتُ ، فقال له الحارث : المعذرة إلى الله وإليك أبا محمد .

[قال هشام حين سمع شيئاً من شعره : هذا كلام معاين]

نسختُ من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات : حدّثني عمرو بن سلم قال حدّثني هارون بن موسى الفَرْوِيّ قال حدّثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدّثني مؤدِّب لبني هشام بن عبد الملك قال : بَيْنا أنا أُلقي على ولد هشامٍ شعرَ قريشٍ إذ أنشدتُهم شعرَ الحارث بن خالد : [من الكامل]

إن امـرءاً تعتـادُه ذِكَـرٌ منها ثَلاثُ مِنىً لـذو صَبْرِ

وهشامٌ مُصْغٍ إليّ حتى ألقيتُ عليهم قولَه : [من الكامل]

ففرَغْنَ من سَبْع وقد جُهِدتْ أحشاؤهنّ موائـلَ الخُمْرِ

فانصرف وهو يقول : هذا كلامُ مُعاينٍ .

[شعره عندما قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثني أبو عبد الله السَّدُوسيّ قال وحدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عبيدة قال : قدِمتْ عائشة بنت طلحة مكّةَ تريد العُمرة ، فلم يزل الحارث يدور حولها وينظر إليها ولا يُمكِنه كلامُها حتى خرجتْ ، فأنشأ يقول ، وذكر في هذه الأبيات بُسْرةَ حاضِنَتَها وكَنى عنها[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا دارُ أَقْفَـرَ رسمُهـا بين المُحَصَّبِ والحَجُونِ
أَقْـوَتْ وغيَّر آيَهـا مَـرُّ الحوادثِ والسّنينِ

1 شعر الحارث بن خالد : 46–47 .
2 شعر الحارث بن خالد : 106–107 .

واستبدلوا ظَلَف الحجا زَ وسُرّةَ البلـــد الأمينِ
يا بُسْر إنّـــي فاعلمـــي باللهِ مجتهـــداً يَمينـــي
ما إن صَرَمتُ حبالكم فَصِلي حبـالي أو ذَرِيني

في هذه الأبيات ثاني ثقيل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ وحَبَشٍ ، قال : وفيها لابن مِسجَح ثقيلٌ أوّل ، وذكر أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملاً بالبنصر ؛ فيها لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن حَبَش .

[شبب بزوجته أم عبد الملك]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني مُصْعَب بن عثمان بن مصعب بن عُروة بن الزُّبير ، وأخبرني به محمد بن خَلَف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مُصعب الزُّبيريّ قال : كانت أُمُّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أَسِيد عند الحارث بن خالد ، فولدتْ منه فاطمة بنت الحارث ، وكانت قَبْلَه عند عبد الله بن مُطِيع ، فولدت منه عِمران ومحمداً ، فقال فيها الحارث وكنّاها بابنها عمران[1] : [من البسيط]

يا أمَّ عِمْرانَ ما زالت وما بَرِحتْ بِيَ الصبابةُ حتى شفّني الشَّفَقُ
القلبُ تاقَ إليكم كي يُلاقِيَكم كما يتوقُ إلى مَنْجاتـــه الغَرِقُ
تُنِيل نَزْراً قليلاً وهي مُشْفِقةٌ كما يخافُ مَسِيسَ الحَيّةِ الفَرِقُ

قال مصعب بن عثمان : فأنشد رجلٌ يوماً بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مُطِيع هذا الشعر ، ثم فَطِن فأمسك ؛ فقال له : لا عليك ، فإنّها كانت زوجته . وقال ابن المرزبان في خبره : فقال له : امضِ رحِمك الله وما بأس بذلك ، رجلٌ تزوّج بنت عمّه وكان لها كفئاً كريماً فقال فيها شعراً بلغ ما بلغ ، فكان ماذا ؟ .

[شبّب بأمّ بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التّميميّ عن أبي شُعَيْب الأسديّ عن القَحذَميّ قال : بينا الحارث بن خالد واقف على جمرة العَقَبة إذ رأى أمَّ بكر وهي ترمي الجمرة فرأى أحسنَ الناس وجهاً ، وكان في خدّها خالٌ ظاهر ، فسأل عنها فأُخبِر باسمها حتى عرف رَحْلَها ، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذَن له في الحديث ، فأذِنتْ له ، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى انقضت أيّامُ الحجّ ، فأرادت الخروج إلى بلدها ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد : 72–73 .
2 شعر الحارث بن خالد : 53–54 عن الأغاني .

ألا قُل لذاتِ الخال يا صاحِ في الخدِّ تدومُ إذ بانت على أحسن العَهْدِ
ومنها علاماتٌ بمجرى وِشاحها وأُخرى تَزِين الجِيدَ من مَوْضِع العِقْدِ
وترعـى من الوُدّ الذي كان بيننا فما يَستوي راعي الأمانةَ والمُبْدي
وقل قد وعدتِ اليوم وعداً فأنْجِزي ولا تُخْلِفي ، لا خيرَ في مُخْلِف الوعدِ
وجُودِي عليّ اليـومَ منكِ بنائل ولا تَبْخَلي ، قُدِّمتُ قَبْلَك في اللَّحدِ
فمن ذا الذي يُبدي السرورَ إذا دنت بِك الدارُ أو يُعْنى بنأيكمُ بعدي
دنوّكُـمُ منّـا رَخـاءٌ نالـه ونأيُكُمُ والبعدُ جَهْـدٌ على جَهدِ
كثيرٌ إذا تدنو اغتباطي بك النّوى ووجدي إذا ما بِنْتُمُ ليس كالوجدِ
أقولُ ودمعي فوقَ خدّي مُخَضِّل له وَشَلٌ قـد بَـلَّ تَهْتانُه خدّي
لقـد منـحَ اللهُ البخيلـةَ وُدَّنا وما مُنِحتْ ودّي بدعوى ولا قَصْدِ

[شبّب بليلى بنت أبي مرّة لمّا رآها بالكعبة]

أخبرني محمد بن خلف قال وحُدّثت عن المدائنيّ ولست أحفظ من حدّثني به قال : طافت ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود وأمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بالكعبة ، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها[1] : [من الطويل]

أطافتْ بنا شمسُ النهار ومَنْ رأى من الناس شمساً بالعشاء تطوفُ
أبـو أُمّهـا أوفـى قريشٍ بذِمّـةٍ وأعمامُهـا إمّـا سألـتَ ثَقِيفُ

وفيها يقول[2] : [من الطويل]

أمِن طَلَلٍ بالجِزْع من مكّةَ السِّدرِ عفا بـين أكناف المُشَقَّرِ فالحَضْرِ
ظَلِلتَ وظلَّ القومُ من غير حاجةٍ لَدُنْ غُدوةٍ حتى دَنَتْ حَزَّةُ العَصْرِ
يُبَكُّون مـن ليلى عهـوداً قديمةً وماذا يُبَكِّي القومُ مـن منزلٍ قَفْرِ

الغِناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن يحيى المكيّ ، وذكر غيره أنّه للغريض . وفي ليلى هذه يقول ، أنشدناه وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ للحارث بن خالد ، وفي بعض الأبيات غناءٌ[3] : [من الطويل]

1 شعر الحارث بن خالد : 71–72 .
2 شعر الحارث بن خالد : 66–67 .
3 شعره : 115–117 وتنسب هذه الأبيات أيضاً إلى عمر بن أبي ربيعة (ديوانه 95–96) .

صوت

لقــد أرسلتْ في السرِّ ليلى تلومني ... وتزعُمُنــي ذا مَلّــةٍ طَرِفــاً جَلْدا
وقــد أخلفتْنا كلَّ مــا وعَدتْ به ... ووالله مــا أخلفتُهــا عامــداً وعْدا
فقلتُ مُجِيباً للرسولِ الذي أتى ... تُراه ، لكَ الوَيْلاتُ ، من قولها جِدّا ؟
إذا جئتَها فاقْــرَ السلامَ وقُــلْ لها ... دَعِي الجَوْرَ ليلى واسلُكي مَنْهَجاً قَصْدا
أفي مُكْثِنــا عنكم ليــالٍ مَرِضتُها ... تَزِيدينَنــي ليــلى على مَرضِــي جَهْدا
تَعُدِّيــن ذنبــاً واحــداً مــا جنيتُه ... عــليّ ومــا أُحصي ذنوبَكــمُ عَدّا
فإن شئتِ حرّمــتُ النساءَ سِواكُم ... وإن شئتِ لم أُطْعَم نُقاخاً ولا بَرْدا
وإن شئتِ غُرْنا بعدكم ثــم لم نزَل ... بمكّةَ حتــى تَجْلِسي قابِــلاً نَجْدا

الغناء للغريض ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وذكر ابن المكيّ أنّ فيه لدَحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا أدري أهذا أم غيره . وفيه ثقيلٌ أوّلُ للأبجَر عن يونس والهشاميّ . وفيه لابن سريج رمل بالبنصر . ولعَرار خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ وحَبَش .

[غلبه أبان بن عثمان على الصلاة]

أخبرني محمد بن خَلَف قال أخبرني محمد بن الحارث الخَرّاز قال حدّثنا أبو الحسن المدائنيّ قال : كان الحارث بن خالد والياً على مكّة ، وكان أبان بن عثمان ربّما جاءه كتابُ الخليفة أن يُصَلّي بالناس ويُقِيمَ لهم حَجّهم ، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابُه ولم يأتِ الحارث كتابٌ ، فلمّا حضر الموسم شخَص أبان من المدينة ، فصلّى بالناس وعاونَتْه بنو أُميّة ومَواليهم فغلَب الحارث على الصلاة ، فقال : [من الطويل]

فإن تَنْجُ منها يــا أبانُ مسلَّماً ... فقد أفلتَ الحَجّاجَ خيلُ شَبيبِ

فبلغَ ذلك الحجّاج فقال : ما لي وللحارث ! أيغلِبُه أبان بن عثمان على الصلاة ويهتِف بي أنا ؟ ما ذِكْرُه إيّاي ؟ فقال له عبيد بن مَوهب : أتأذَن أيّها الأمير في إجابته وهِجائه ؟ قال : نعم ؛ فقال عبيد : [من الطويل]

أبا وابِصٍ رَكِّب عَلاتَك والتَمِس ... مَكاسِبَهــا إن اللئيــمَ كَسوبُ
ولا تَذْكُــرِ الحجّــاجِ إلاّ بصالحٍ ... فقد عِشْتَ من معروفه بذَنُوبِ[1]
ولستَ بــوالٍ مــا حيِيتَ إمارةً ... لُمُسْتَخلَــفٍ إلاّ عليــك رقيــبُ

1 في هذا البيت إقواء .

[سأله عبد الملك عن أيّ البلاد أحبّ إليه فأجاب وقال شعراً]

قال المدائنيّ : وبلغني أنّ عبد الملك قال للحارث : أيّ البلاد أحبّ إليك ؟ قال : ما حسُنتْ فيه حالي وعُرض وجهي ، ثم قال : [من الطويل]

لا كُوفــةٌ أُمّــي ولا بَصْـرةٌ أبي ولستُ كمن يَثنيه عن وجهه الكَسَلْ

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعره]

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عِمران : [من البسيط]

صوت

بــانَ الخَلِيطُ الذي كنّا بــه نَشِــقُ بانــوا وقلبُــك مجنونٌ بهــم عَلِقُ
تُنِيــل نَــزْراً قليــلاً وهــي مُشْفِقــةٌ كما يَخافُ مَسِيسَ الحيّــة الفَرِقُ
يا أمّ عِمرانَ ما زالتْ وما بَرِحتْ بيَ الصّبابــةُ حتــى شفّنــي الشَفَقُ
لا أعتَق اللهُ رِقّــي مــن صبابتكم ما ضرّني أنّني صَــبٌّ بكــم قَلِقُ
ضحِكتِ عن مُرْهَفِ الأنياب ذي أُشُرٍ لا قَضَــمٌ في ثنايــاه ولا رَوَقُ
يتــوقُ قلبــي إليكــم كي يلاقيَكم كما يتــوقُ إلى مَنْجاتــه الغَرِقُ

غنّى ابن محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ، ولِسَلْسَل في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل مطلق عن الهشاميّ ، ولابن سريج في الثاني والأوّل والرابع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق ، وللهُذليّ في الثاني ثم الأوّل هَزَج عن الهشاميّ . وذكر حَبَش أنّ فيها لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولابن مُحرِز ثاني ثقيل آخر بالبِنصر . وذكر الهشاميّ أنّ لابن سريج في الأبيات خفيف رمل .

وممّا يغنّى فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً ببُسْرةَ جاريتها[1] : [من الكامل]

صوت

يــا رَبْعَ بُسْرةَ بالجنابِ تَكَلَّمِ وأَبِــنْ لنــا خبراً ولا تَسْتَعْجِمِ

1 شعر الحارث بن خالد : 97–98 عن الأغاني .

ما لي رأيتُك بعـد أهلك مُوحِشاً خَلَقـاً كَحَوْض الباقـر المتهدِّمِ
تَسْبِي الضجيعَ إذا النجومُ تغوّرت طـوعُ الضجيع أنيقـةُ المتوسَّمِ
قُـبُّ البطونِ أوانسٌ مثلُ الدُّمَى يَخْلِطـنَ ذاك بعِفّـةٍ وتكـرُّمِ

الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . والأبيات أكثر من هذه إلاّ أنّي اعتمدتُ على ما غُنِّيَ فيه .

ومنها صوتٌ قد جُمعتْ فيه عدّة طرائقَ وأصوات في أبياتٍ من القصيدة[1] : [من الكامل]

أعَرفتَ أطلالَ الرُّسوم تنكّرتْ بعدي وبُـدِّل آيُهـنّ دُثُورا
وتَبدّلـتْ بعـد الأنيسِ بأهلهـا عُفْـراً بَواغِـمَ يَرْتَعِـين وُعُورا
من كلّ مُصْبية الحديثِ ترى لها كَفَـلاً كرابية الكَثِيبِ وَثِيرا
دَعْ ذا ولكن هل رأيتَ ظَعائناً قَرَّبْن أجْمالا لهـنّ بُكُورا
قَرّبـنَ كلّ مُخَيَّسٍ مُتَحَمِّـل بُـزُلا تُشَبِّـه هامَهـنّ قُبُورا
يَفتِـنّ لا يَألُـون كلَّ مُغَفَّـلٍ يملأنـه بحديثهـنّ سرورا
يا دارُ حسَّرهـا البلى تحسِيرا وسَفَتْ عليها الريحُ بعدك بُورا
دَقّ التـرابُ نَخِيلُـه فمخيِّم بِعِراصهـا ومُسَيَّـر تَسْيِيرا
يـا رَبْعَ بُسْرة إن أضرّ بكِ البِلى فلقـد عهِدتُـكَ آهلا معمورا
عَـقَبَ الرّذاذُ خِلافَهم فكأنّما بسَط الشّواطِبُ بينهنّ حصيرا[2]
إنْ يُمسِ حبلُكِ بعد طولِ تواصُلٍ خَلَقاً ويُصبحْ بَيْتُكم مهجورا
فلقد أراني ، والجديدُ إلى بِلًى ، زمنـاً بوصلكِ قانعـاً مسرورا
جَـذِلاً بمالي عندكم لا أبتغـي للنفسِ غيـرَكِ خُلَّـةً وعشيرا
كنتِ المُنَى وأعزَّ مَنْ وطِيء الحصا عندي وكنتُ بذاكِ منكِ جديرا

غنّى في الأوّل والثاني من هذه الأبيات معبد ، ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ، مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وللغريض فيه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو ، ولإسحاق فيهما ثاني ثقيل ، ولإبراهيم فيهما وفي الثالث خفيفُ ثقيل بالسبابة والوسطى عن ابن المكّيّ ، وغنّى الغريض في الثالث والسادس والرابع والخامس ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى

1 شعر الحارث بن خالد : 60–63 .

2 الشواطب : جمع شاطبة ، وهي المرأة التي تشقّ الجريد لتعمل منه الحصير . بينهنّ في ل : فوقهنّ .

الوسطى عن إسحاق ، وغنّى معبدٌ في السابع والثامن والعاشر خفيفَ ثقيلٍ بالسبّابة والوسطى عن يحيى المكّيّ ؛ وفيها ثاني ثقيل يُنسَبُ إلى طُوَيْس وابن مِسجَح وابن سُرَيج ، ولمالك في التاسع والعاشر والحادي عشَرَ والثاني عشر خفيف ثقيلٍ بالسبابة والوسطى عن يحيى المكيّ ، وفيها بأعيانها لابن سريج رمل بالسبّابة والوسطى عن يحيى أيضاً ، وليحيى المكّيّ في الحادي عشر وما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل ، ولإبراهيم فيها بعينها ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، وفيها لإسحاق رمل ، وفي الثالث والرابع لحنٌ لخُلَيْدةَ المكيّة خفيف رملٍ عن الهشاميّ أيضاً .

ومنها من أبيات قالها بالشام عند عبد الملك أوّلها[1] : [من البسيط]

هل تعرفُ الدارَ أضحت آيُها عُجُما ... كالرَّقّ أجرى عليها حاذقٌ قَلَما

بالخَيْفِ هاجت شؤونا غيرَ جامدةٍ ... فانهلّت العينُ تُذْرِي واكفاً سَجِما

دارٌ لبُسرَةَ أمستْ ما تُكلّمنا ... وقد أبنتُ لها لو تعرِفُ الكَلما

واهاً لبُسرةَ لو يدنو الأميرُ بها ... يا ليتَ بُسرةَ قد أمست لنا أَمَما

صوت

حلَّتْ بمكّةَ لا دارٌ مُصاقِبة ... هيهاتَ جَيْرونُ ممّن يسكن الحَرَما

يا بُسرُ إنّكمُ شطَّ البِعادُ بكم ... فما تُنيلوننا وصلاً ولا نِعَما

غنّى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيهما ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر ، جميعاً من روايته : [من البسيط]

قد قُلتُ بالخَيفِ إذ قالت لجارتِها ... أدامَ وصلُ الذي أهدى لنا الكَلِما

صوت

[من البسيط]

لا يُرغِمُ اللهُ أنفاً أنتَ حاملُه ... بل أنفُ شانيك فيما سرّكم رَغِما

إن كان رابكِ شيء لستُ أعلمه ... منّي فهذي يميني بالرضى سَلَما

أو كنتُ أحببتُ شيئاً مثلَ حبّكُمُ ... فلا أرحتُ إذاً أهلا ولا نَعَما

لا تكليني إلى من ليس يرحمُني ... وقاكِ مَنْ تُبْغِضين الحتفَ والسَّقما

إن الوُشاةَ كثيرٌ إن أطعتِهمُ ... لا يرقُبون بنا إلا ولا ذِمَما

1 شعر الحارث بن خالد : 94– 96 .

غنّى ابن محرز في :

لا يُرغمُ اللهُ أنفاً أنت حاملُه

خفيف ثقيل بالبنصر ، ولابن مسجح فيه ثاني ثقيلٍ عن حبش ؛ وفي :

لا تكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أوّل بالبنصر عن حبشٍ والهشاميّ .

[أخّر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك]

أخبرني محمد بن مزيد والحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ قال : أذّن المؤذّنُ يوماً وخرج الحارثُ بن خالد إلى الصلاة ، فأرسلتْ إليه عائشة ابنة طلحة : إنّه بقي عليَّ شيءٌ من طوافي لم أُتِمهُ ، فقعد وأمر المؤذّنين فكفّوا عن الإقامة وجعل الناس يصيحون حتى فرغَت من طَوافها ؛ فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فعزله وولّى مكّة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وكتب إلى الحارث : ويلَكَ ، أتركت الصلاةَ لعائشة بنت طلحة ؟ فقال الحارث : والله لو لم تَقْضِ طوافَها إلى الفجر لما كَبَّرتُ ؛ وقال في ذلك[1] : [من الخفيف]

لم أُرَحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن ... مرحباً أن رضيتِ عنّا وأهلا

إنَّ وجهاً رأيتُه ليلةَ البد ... رِ عليه انثنى الجمالُ وحَلاَّ

وجهُها الوجهُ لو يُسالُ به المُز ... نُ من الحسنِ والجمالِ استهلاَّ

إن عندَ الطَّوافِ حين أتته ... لجَمالاً فَعْما وخُلْقاً رِفَلاَّ

وكُسِين الجمالَ إن غِبنَ عنها ... فإذا ما بدتْ لهنّ اضمحلاّ

[الغناء في شعره]

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلَّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه ، وهو : [من الخفيف]

صوت

أَثْلَ جُودِي على المتيّم أثلاَ ... لا تزيدي فؤادَه بِكِ خَبْلا

أثلَ إنّي والراقصاتِ بجَمْع ... يتباريْن في الأزمّة فُتْلا

سانحاتٍ يقطعن من عرفاتٍ ... بين أيدي المطيّ حَزْنا وسَهلا

والأكفِّ المضمّرات على الركـ ... ـنِ بشُعْثٍ سعَوْا إلى البيت رَجْلى

لا أخونُ الصديقَ في السرِّ حتى ... يُنقَلَ البحرُ بالغرابيلِ نقلا

أو تمرَّ الجبالُ مرَّ سحابٍ ... مُرْتَقٍ قد وعَى من الماءِ ثِقْلا

1 شعر الحارث بن خالد : 81–84 .

أنعـمَ اللهُ لي بـذا الوجهِ عيناً وبــه مرحبـاً وأهلاً وسَهلا
حـين قالت لا تفشِيَنَّ حديثي يا ابن عمّي أقسمت قلت أجلْ لا
اتّقي اللهَ واقبلي العـذرَ منّـي وتَجافَيْ عن بعض ما كان زَلاَّ
لا تُصـدّي فتقتُلينـيَ ظُلماً ليس قتلُ المحـبِّ للحِـبِّ حِلاَّ
ما أكن سؤتُكم به فلك العُتـ ـبى لدينا وحَـقَّ ذاك وقَلاّ
لم أرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكن مرحبـاً أن رضيتِ عنّا وأهلا
إنّ شخصاً رأيتُـه ليلـة البد رِ عليـه انثنـى الجَمالُ وحلاَّ
جعـلَ اللهُ كلَّ أنثـى فـداءً لك بل خدَّها لرجلِك نعلا
وجهِك البدرُ لو سألتُ به المز نَ من الحسنِ والجمالِ استهلاَّ

غنّى معبدٌ في الأبيات الأربعة الأولى خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولابن تَيْزن في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق ، ولابن سريج في الأوّل والثاني والخامس ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ وللغريض في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، ولدحمان في التاسع والعاشر والثالث عشر والرابع عشر خفيف ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو ، ولمالك في التاسع إلى آخر الثاني عَشَر لحنٌ ذكره يونس ولم يجنِّسه ، ولابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو ، وللغريض فيها أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكّيّ ، ولابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يذكر طريقته .

ومنها[1] : [من الوافر]

صوت

أَحَقّاً أنّ جيرتنـا استحبّـوا حُزُونَ الأرضِ بالبلدِ السَّخاخِ[2]
إلى عُـقْـر الأباطـح من ثَبِير إلى ثــوْر فَمدْفَعِ ذي مُراخِ[3]
فتلك ديارُهــم لم يَبْقَ فيها سوى طللِ المُعَـرَّس والمُناخِ
وقد تَغْنى بهـا في الدار حُورٌ نَواعمُ في المجاسدِ كالإراخِ[4]

غنّى في هذه الأبيات الغريض ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن الهشاميّ .

1 شعر الحارث بن خالد : 50–51 .
2 السخاخ : الأرض اللينة .
3 هذه جميعها جبال ومواضع بمكّة .
4 المجاسد : جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن . والإراخ : بقر الوحش .

[جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلمّا سمعت شعر الحارث طابت به نفساً]

وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلاّم قال : كانت سوداءُ بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة ، وكانت من مولّدات مكّة ، فلمّا ورد على أهل المدينة نَعْيُ عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك واشتدّ عليهم ، وكانت السوداءُ أشدَّهم حزناً وتَسَلُّباً وجعلت لا تمرّ بسِكّة من سكك المدينة إلاّ ندبَتْه ، فلقيَها بعض فتيان مكّة ، فقال لها : خفِّضي عليك ، فقد نشأ ابن عمّ له يشبه شعرُه شِعرَه ، فقالت : أنشِدني بعضه ، فأنشدها قوله : [من الكامل]

إنّي وما نحروا غَداةَ مِنىً عندَ الجِمارِ تؤودُها العُقْلُ

الأبيات كلّها ، قال : فجعلت تمسَح عينيها من الدموع وتقول : الحمد لله الذي لم يُضيِّع حَرَمه .

[ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله]

أخبرني اليزيديّ قال حدّثني عمّي (جَدُّ عُبَيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : ناضل[1] سليمان بن عبد الملك بين الحارث وبين رجل من أخواله من بني عَبْس ، فرمى الحارث بن خالد فأخطأ ورمى العَبْسيّ فأصاب ، فقال :

أنا نَضَلْتُ الحارثَ بن خالدِ

ثم رمى العبسيّ فأخطأ ورمى الحارثُ فأصاب ، فقال الحارث :

حَسِبْتَ نَضْلَ الحارث بن خالدِ

ورمَيا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

مَشْيَكَ بين الزَّرْبِ والمَرابدِ[2]

ورَميا فأخطأ العبسيّ وأصاب الحارث ، فقال الحارث :

وإنّك الناقصُ غيرُ الزائدِ

فقال سليمان : أقسمتُ عليك يا حارثُ إلاّ كفَفْتَ عن القولِ والرَّمْي فكَفّ .

1 جعلهما يتباريان في الرماية .

2 الزرب : موضع الغنم . والمربد : موضع الإبل .

[41] ـ أخبار الأَبجَر ونسبه

[اسم الأبجر وولاؤه]

الأَبجَر لقبٌ غلَب عليه ، واسمه عُبَيْد الله بن القاسم بن ضبية ، ويُكنى أبا طالب ، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق ، وروى هارون بن الزيّات عن حمّاد عن أبيه : أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبية ، وهو مولى لكِنانة ثم لِبَني بَكْر ، ويقال : إنّه مولى لِبَني لَيْث .

[نشأته]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهرويَهْ وهارون بن الزيّات قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا يوماً جلوساً عند إسحاق ، فغنّتنا جارية يقال لها «سَمْحَة[1]» : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مَرَضٌ قتَلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا

فَهِبتُ إسحاق أن أسأله لِمن الغناء ، فقلت لبعض من كان معنا : سَلْه ، فسأله فقال له إسحاق : ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا ، فقال : أحْبَبْتُه لمّا أسْنَنتُ ، فقال : لا ولكنّ هذا النَّقْبَ عمَلُ هذا اللّص ، وضرب بيده إلى تَلابيبي ، فقال له الرجل : صدقتَ يا أبا محمد ، فأقْبَل عليّ فقال لي : ألم أقُل لك إذا اشتهيتَ شيئاً فسَلْ عنه ، أما لأُعطِيَنَّك فيه ما تُعابِي به مَن شئتَ منهم ، أتدري لمن الشعر ؟ فقلت : لجرير ، فقال لي : والغناء للأبجر ، وكان مَدَنِيّاً مَنْشَؤه بمكّة ، أو مكيّاً منشؤه بالمدينة ، أتدري ما اسمه ؟ قلت : لا ، قال : اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبية ، أتدري ما كنيته ؟ قلت : لا ، قال : أبو طالب ، ثم قال : اذهب فَعابِ بهذا مَن شئتَ منهم فإنّك تظفَر به .

[كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث]

وقال هارون : حدّثني حمّاد عن أبيه قال : الأَبجر اسمه محمد بن القاسم بن ضبية وقال مرّة أُخرى : عُبَيْد الله بن القاسم ، مولى لبني بكر بن كِنانة ، وقيل : إنّه مولى لبني ليث ، يُلقّب بالحَسْحاس .

---

1 ل : سميحةُ .

[ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه]

قال هارون : وحدّثني حمّاد عن أبيه قال حدّثني عَوْرَك اللّهبيّ قال : لم يكن بمكّة أحدٌ أظرفَ ولا أسرى ولا أحسن هيئةً من الأبجر ، كانت حُلّته بمائة دينار وفرسُه بمائة دينار ومركَبُه بمائة دينار ، وكان يقف بين المأزِمَيْن[1] فيرفع صوته فيقِف الناس له يركَبُ بعضُهم بعضاً .

[احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه ، قالا : جلس الأبجر في ليلة اليوم السابع من أيّام الحَجّ على قريبٍ من التنعيم[2] فإذا عَسْكرٌ جرّار قد أقبل في آخر الليل ، وفيه دوابُّ تُجْنَبُ وفيها فرسٌ أدْهَمُ عليه سَرْجٌ حِلْيته ذهب فاندفع ، فغنّى : [من الطويل]

عَرَفتُ ديارَ الحيّ خاليةً قَفْرا كأن بها لَمّا توهمتُها سَطْرا

فلمّا سمِعَه مَن في القِباب والمحامل أمسكوا ، وصاح صائحٌ : ويحك ؛ أعِد الصوت ، فقال : لا والله ، إلاّ بالفرس الأدهم بسرجه ولجامه وأربعمائة دينار ، فإذا الوليد بن يزيد صاحبُ الإبل ، فنُودِيَ : أين منزلك ومَن أنت ؟ فقال : أنا الأبجر ومنزلي على باب زُقاق الخرّازين ، فغدا عليه رسولُ الوليد بذلك الفرس وأربعمائة دينار وتَخْتٍ من ثياب وَشْي وغيرِ ذلك ، ثم أتى به الوليد فأقام عنده ، وراح مع أصحابه عشيّة التَّرْوِيَة وهو أحسنهم هيئة ، وخرج معه أو بعده إلى الشام .

[خرج معه إلى الشام]

قال إسحاق : وحدّثني عَوْرك اللّهبيّ أن خروجه كان معه ، وذلك في ولاية محمد ابن هشام بن إسماعيل مكّةَ ، وفي تلك السنة حَجّ الوليد ، لأنّ هشاماً أمره بذلك ليَهتِكه عند أهل الحَرَم ، فيجدَ السبيل إلى خلعه ، فظهر منه أكثر ممّا أراد به من التّشاغل بالمغنّين واللهو ، وأقبل الأبجر معه حتى قُتل الوليد ، ثم خرج إلى مصر فمات بها .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الطويل]

عَرَفْتُ ديارَ الحيِّ خاليةً قَفْرا كأنّ بها لَمّا توهّمتُها سَطْرا

1 المأزمان : جبلان بمكّة .

2 التنعيم : موضع بمكّة .

وقفتُ بها كيما تَـرُدَّ جوابَهـا فما بيّنتْ لي الدارُ عن أهلِها خُبْرا

الغناء لأبي عبّاد ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو ، وفيه لسِياط خفيفُ رملٍ بالبنصر .

[أخذ صوتاً من الغريض]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ أنّ الأبجر أخذ صوتاً من الغريض ليلاً ثم دخل في الطواف حين أصبح ، فرأى عطاء بن أبي رَباح يطوف بالبيت ، فقال : يا أبا محمد ، اسمع صوتاً أخذتُه في هذه الليلة من الغريض ؛ قال له : ويحك ، أفي هذا الموضع ؟ فقال : كفرتُ بربِّ هذا البيتِ لئن لم تسمَعْه منّي سِرّاً لأجهَرَنّ به ؛ فقال : هاته ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

عُوجِي علينـا ربّـةَ الهودَج إنّـكِ إلاّ تَفْعَلِـي تَحْرَجـي
إنّـي أُتيحـتْ لي يَمانِيّـةٌ إحدى بني الحارثِ من مَذْحِجِ
نلبَـثُ حـولاً كامـلاً كلَّـه لا نلتقـي إلاّ عـلى مَنْهَـجِ
في الحجِّ إن حجَّتْ وماذا مِنًى وأهلُـه إنْ هـي لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء : الخيرُ الكثيرُ والله في مِنًى وأهلِهِ حجّت أو لم تحجّ ، فاذهب الآن . وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبره في أخبار العَرجيّ والغريض .

[ختن عطاء بنيه فغنّاهم ثلاثة أيام]

قال إسحاق : وذكر عمرو بن الحارث عن عبد الله بن عبيد بن عُمير قال : ختَن عطاء بن أبي رَباح بنيه أو بني أخيه ، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيّام يغنّي لهم .

[نازع ابن عائشة في الغناء فتشاتما]

قال هارون بن محمد حدّثني حمّاد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح بخطّه : حدّثني غُرَير بن طلحة الأرقميّ عن يحيى بن عِمران عن عمر بن حفص بن أبي كِلاب قال : كان الأبجر مولانا وكان مَكّيّاً ، فكان إذا قَدِم المدينة نزل علينا ، فقال لنا يوماً : أسمِعوني غناءَ ابن عائشتِكم هذا ، فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبّار فتغنّى ابن عائشة ، فقال الأبجر : كلّ مملوكٍ لي حرٌّ إن تَغَنّيتُ معك إلاّ بنصف صوتي ، ثم أدخل إصبعه في شِدقه فتغنّى ، فسمِع صوتَه مَن في السوق فحُشِر الناس علينا ، فلم يفترقا حتى تشاتما ؛ قال : وكان ابن عائشة حديداً[1] جاهلاً .

1 حديد : حاد الطبع .

[غنّى الوليد وقد عرف سرّه من خادمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَهْ قال وحدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد بن جبر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال[1] : دُعِيَ ذات يوم المغنّون للوليد بن يزيد ، وكنت نازلاً معهم ، فقلت للرسول : خُذني فيهم ؛ قال : لم أُومَرْ بذلك وإنّما أُمِرتُ بإحضار المغنّين وأنت بَطّال لا تدخل في جملتهم ؛ فقلت : أنا والله أحسنُ غِناءً منهم ، ثم اندفعتُ فغنّيته ؛ فقال : لقد سمعتُ حَسَناً ولكنّي أخاف ؛ فقلت : لا خوفَ عليك ، ولك مع هذا شرطٌ ، قال : وما هو ؟ قلت : كلّ ما أصبته فلك شَطره ؛ فقال للجماعة : اشهدوا عليه ، فشهدوا ، ومضينا فدخلنا على الوليد وهو لَقِسُ النفس ، فغنّاه المغنّون في كلّ فنّ من خفيفٍ وثقيلٍ ، فلم يتحرّك ولا نَشِط ، فقام الأبجر إلى الخلاء ، وكان خبيثاً داهياً ، فسأل الخادمَ عن خبره ، وبأيّ سببٍ هو خاثر ؟ فقال : بينه وبين امرأته شرٌّ ، لأنّه عَشِق أختها فغضِبت عليه فهو إلى أختها أميل ، وقد عزم على طلاقها وحلف لها ألاّ يذكرها أبداً بمراسلة ولا مخاطبة ، وخرج على هذا الحال من عندها ؛ فعاد الأبجر إلينا وما جلس حتى اندفع فغنّى : [من الطويل]

صوت

فبِيني فإنّي لا أُبالي وأيقِني أصَعَّدَ باقي حبِّكم أم تَصَوَّبا
ألم تعلَمي أنّي عَزُوفٌ عن الهَوى إذا صاحبي من غير شيء تَغَضَّبا

فطَرِب الوليد وارتاح وقال : أصبتَ يا عبيد والله ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم وشَرِب حتى سكِر ، ولم يحظَ بشيء أحدٌ سوى الأبجر ، فلمّا أيقنتُ بانقضاء المجلس وثَبْتُ فقلت : إن رأيتَ يا أمير المؤمنين أن تأمَر مَن يضرِبني مائةً الساعة بحضرتك ؛ فضحك وقال : قَبّحك الله ، وما السبب في ذلك ؟ فأخبرتُه بقصّتي مع الرسول وقلت : إنّه بَدَأني من المكروه في أوّل يومه بما اتّصل عليّ إلى آخره ، فأُريد أن أُضرَبَ مائةً ويُضرَب بعدي مثلَها ، فقال له : لقد لَطُفتَ ، أعطوه مائة دينار وأعطوا الرسول خمسين ديناراً من مالنا عوضاً عن الخمسين التي أراد أن يأخذها ؛ فقبضتُها وما حَظِيَ أحدٌ بشيء غيري وغيرَ الرسول .

والشعر الذي غنّى فيه الأبجر الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم ، والغناء للأبجر ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لغيره عدّة ألحان نُسبتْ .

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 66–67 (رقم 97) .

صوت[1]
من المائة المختارة من رواية جَحظة

[من الرمل]

حمـزةُ المبتـاعُ بالمـال الثَّنا ... ويَـرى في بَيْعه أنْ قـد غَبَنْ
فهـو إن أعطَى عطاء فاضلاً ... ذا إخـاء لم يُكَدِّرْهُ بمَـنّ
وإذا مـا سَنَـةٌ مُجْدِبَـة ... بَـرَتِ الناسَ كبَـرْيٍ بالسَّفَنْ[2]
كان للنـاسِ ربيعـاً مُغْدِقـاً ... ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّ
نُـور شَرقٍ بَيِّنٌ في وجهـه ... لم يُصِب أثوابَـه لـونُ الدَّرَنْ[3]

عروضه من الرمل ، الشعر لموسى شَهَوات . والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 انظر الأبيات في جمهرة نسب قريش 1 : 39 .
2 مجدبة في جمهرة النسب : مجحفة . السفن : قطعة خشناء تحكّ بها الصحف والسهام .
3 جمهرة النسب : نور صدق . . . لم يدنس ثوبه .

[42] ـ أخبار موسى شَهَوات ونسبُه وخبرُه في هذا الشعر[1]

[نسبه]

هو موسى بن يَسار مولى قريش ، ويُختَلَف في ولائه فيقال : إنّه مولى بني سَهم ، ويقال : مولى بني تَيْم بن مُرّة ، ويقال : مولى بني عدِيّ بن كعب ؛ ويُكنى أبا محمد ، وشَهَوات لقبٌ غَلَب عليه .

وحدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : إنّما لُقّب موسى شهوات لأنّه كان سَؤولاً مُلحِفاً ، فكان كلّما رأى مع أحد شيئاً يُعجبه من مالٍ أو مَتاع أو ثوب أو فرس[2] ، تباكى ، فإذا قيل له : ما لك ؟ قال : أشتهي هذا ؛ فسُمِّيَ موسى شهوات . قال : وذكر آخرون أنّه كان من أهل أذْرَبِيجان وأنّه نشأ بالمدينة وكان يُجْلَب إليه القَنْدُ والسكّر ، فقالت له امرأة من أهله : ما يزال موسى يَجيئنا بالشهوات ؛ فغَلَبتْ عليه .

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كان محمد بن يحيى يقول : موسى شَهَوات مولى بني عدِيّ بن كعب ، وليس ذاك بصحيح ، هو مولى تيم بن مُرّة . وذكر عبد الله بن شَبيب عن الحِزاميّ : أنّه مولى بني سَهْم .

وأخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مصعب ومحمد بن سلاّم قال : موسى شَهَوات مولى بني سَهْم .

[عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : هَوِيَ موسى شَهَوات جاريةً بالمدينة فاسْتُهِيم بها وساوم مولاها فيها فاستام بها عشرة آلاف درهم ، فجمع كلَّ ما يَملِكه واستماح إخوانَه فبلغ أربعة آلاف درهم ، فأتى إلى سعيد بن خالد العُثمانيّ فأخبره بحاله واستعان به ، وكان صديقه وأوثق الناس عنده ، فدافعه واعتلّ عليه فخرج من عنده ؛ فلمّا ولّى تمثّل سعيدٌ قول الشاعر : [من الوافر]

كتبتَ إليَّ تَسْتَهْدِي الجَواري لقد أنْعَظْتَ من بَلَدٍ بَعيدِ

---

1 أخبار موسى شهوات وشعره في جمهرة نسب قريش للزبير بن بكّار (تحقيق الأستاذ العلاّمة محمود محمد شاكر) 1 : 39 وما بعدها ، القاهرة ، 1381هـ .

2 ل : فرش .

[أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه]

فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبره بقصّته فأمر له بستّة آلاف درهم ، فلمّا قبَضَها ونهَض قال له : اجلِسْ ، إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كلّ ما تَملِك فبأيّ حالٍ تعيشان ! ثم دفع إليه ألفيْ درهم وكُسوةً وطِيباً ، وقال : أُصلِحْ بهذا شأنكما ؛ فقال فيه : [من الطويل]

أبـا خالـدٍ أعني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرْف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ
ولكنّني أعنـي ابـنَ عائشةَ الذي ... أبـو أبَويْـه خالـدُ بـن أسِيدِ
عَقِيدُ الندى ما عاش يَرضى به النّدى ... فإن مات لم يَرضَ النّـدى بعَقِيدِ
دَعُوهُ دعـوه إنّكم قـد رَقَدتُم ... وما هـو عـن أحسابكـم برَقُودِ
قتلتَ أُناساً هكـذا في جلودهم ... مـن الغيـظِ لم تقتُلْهـمُ بحديدِ

[رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجواً له فشكاه]

قال : فشكاه العثمانيّ إلى سليمان بن عبد الملك ؛ فأحضر موسى وقال له : يا عاضّ كذا وكذا ، أتهجو سعيدَ بن خالد ؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما هجوتُه ولكنّي مدحتُ ابن عمّه فغضِب هو ، ثم أخبره بالقصّة ؛ فقال للعثمانيّ : قد صدَق ، إنّما نَسَبَ مَن مدحَه إلى أبيه ليُعرَف . قال : وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول : لَعَمْري والله ما أنت عن أحسابنا برَقود .

وأخبرني محمد بن عبد الله[1] اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عبيدة وقال فيه :

وكان سعيد بن خالد هذا تأخذه المُوتَةُ[2] في كلّ سنة ، فأرادوا عِلاجه ، فتكلّمتْ صاحبته على لسانه وقالت : أنا كريمة بنت مِلحان سيّدِ الجنّ ، وإن عالجتموه قتلتموه ، فوالله لو وجدتُ أكرم منه لهَوِيتُه .

أخبرني وكيع عن أبي حَمزة أَنَسِ بن خالد الأنصاريّ عن قبيصة بن عمر بن حَفص المهلَّبيّ[3] عن أبي عبيدة قال حدّثني الحارث بن سليمان الهُجَيْميّ ، وهو أبو خالد بن الحارث المحدِّث ، قال : وكان عنده رؤبة بن العجّاج ، قال : شهِدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن

1 ل : محمد بن العباس .
2 الموتة : ضرب من الصرع .
3 ل : اللهبيّ .

عبد الملك وأتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أتيتُك مُستَعْدِياً ، قال : ومَن بك ؟ قال : موسى شَهَوات ، قال : وماله ؟ قال : سَمّع بي واستطالَ في عرْضي ، فقال : يا غلام ، عليّ بموسى فأُتني به فأُتيَ به ؛ فقال : ويلك ؛ أسمَّعتَ به واستطلتَ في عِرضه ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ولكنّي مدحتُ ابن عمّه فغضِب هو ، قال : وكيف ذلك ؟ قال : علِقتُ جاريةً لم يبلغ ثمنها جِدَتِي[1] ، فأتيتُه وهو صديقي فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أُصِب عنده شيئاً ، فأتيتُ ابن عمّه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أُسيد فشكوتُ إليه ما شكوته إلى هذا ، فقال : تعود إليّ ، فتركته ثلاثاً ثم أتيته فسَهَّل من إذْني ، فلمّا استقرّ بي المجلس قال : يا غلام ، قل لقيِّمتي : هاتي ودِيعتي ، ففتح باباً بين بيتين وإذا بجارية ، فقال لي : أهذه بُغيتُك ؟ قلت : نعم فِداك أبي وأُمّي ! قال : اجلس ثم قال : يا غلام ، قل لقيّمتي : هاتي ظَبية[2] نَفَقتي ، فأُتي بظبية فنُثِرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها فرُدّت في الظَّبْية ، ثم قال : عَتِيدة طِيبي ، فأُتي بها ، فقال : مِلحَفَةَ فِراشي ، فأُتي بها ، فصَيّر ما في الظبية وما في العتيدة في حواشي المِلحفة ، ثم قال : شأنك بهواك واستعِن بهذا عليه ؛ فقال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

[ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد]

[من الطويل]

أبا خالدٍ أعْني سعيدَ بن خالدٍ ... أخا العُرف لا أعني ابنَ بنتِ سعيدِ

ولكنني أعني ابنَ عائشة الذي ... أبو أبويه خالدُ بن أسِيدِ

عقيدُ الندى ما عاش يرضَى به الندى ... فإن ماتَ لم يرضَ الندى بعَقيدِ

دَعُوهُ دعُوهُ إنّكم قد رقدتمُ ... وما هو عن أحسابكم برَقودِ

فقال سليمان : عليّ يا غلام بسعيد بن خالد ، فأُتي به ، فقال : أحقٌّ ما وصفَك به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه ، فقال : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : فما طوّقتك هذه الأفعال ؟ قال : دَيْنَ ثلاثين ألفَ دينار ؛ فقال له : قد أمرتُ لك بمثلها وبمثلها وبمثلها وبثُلُث مثلها ، فحُمِلت إليه مائةُ ألف دينار ؛ قال : فلقيتُ سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت له : ما فعلَ المالُ الذي وصلَكَ به سليمان ؟ قال : ما أصبحتُ والله أملِك منه إلاّ خمسين ديناراً ؛ قلت : ما اغتاله ؟ قال : خَلّةٌ من صديق أو فاقةٌ من ذي رَحِم .

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَة عن مُصعب الزبيريّ ومحمد بن سَلاّم قال :

---

1 الجدة : اليسار والسعة .

2 الظبية : جراب صغير من جلد الظبي .

عشِق موسى شهوات جارية[1] بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم ؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ ؛ وقال فيه : أما والله لئن مدحتُه وهو سَميُّك وأبوه سَميُّ أبيك ولم أُفرِّق بينكما ليقولنّ الناس : أهذا أم هذا ، ولكن والله لأقولنّ قولاً لا يُشَكّ فيه . وتمامُ هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها : [من الطويل]

فِدًى للكريمِ العَبْشَمِيِّ ابنِ خالد ... بَنِـيّ ومـالي طـارِفي وتَلِيـدي
على وجهه تلقى الأيامِنَ واسمِهِ ... وكُلُّ جَـواري طيـره بِسُعودِ
أبان وما استغنى عن الثّدْي خيرُه ... أبـان بـه في المهـد قبلَ قُعُودِ
دعوه دعـوه إنّكم قد رقدتُمُ ... ومـا هـو عن أحسابكم برَقودِ
ترى الجُنْد والجُنّابَ يَغشَوْن بابَه ... بحاجاتهـم مـن سيـّد ومَسُودِ[2]
فيُعطِي ولا يُعطَى ويُغشَى ويُجتدَى ... ومـا بابُـه للمُجْتَـدِي بسديدِ
قتلـتَ أُناساً هكذا في جلودهم ... مـن الغيـظِ لم تقتلهـمُ بحديدِ
يعيشون ما عاشوا بغيظٍ وإن تَحِنْ ... مَناياهُمُ يومـاً تَحِـنْ بِحُقُودِ
فقل لبُغاة العُرْف قـد مات خالدٌ ... ومـات النّدَى إلاّ فُضُولَ سعيدِ

قال وكيع في خبره : أمّا قوله : «لا أعني ابن بنت سعيد» فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان أمِنةُ بنت سعيد بن العاصي ، وعائشة أمّ عَقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخُزاعيّة أخت طلحة الطَّلحات ، وأمُّها صَفِيّة بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قُصَيّ ، وأمّ أبي عقيد الندى رَمْلة بنت معاوية بن أبي سفيان .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبي قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا أنشد موسى شهوات سليمانَ بن عبد الملك شعرَه في سعيد بن خالد قال له : اتّفق اسماهُما واسما أبوَيْهما ، فتخوّفتُ أن يذهب شعري باطلاً ففرّقت بينهما بأمّهما ، فأغضبه أنْ مدحتُ ابن عمّه ، فقال له سليمان : بَلى والله لقد هجوتَه وما خَفِي عليّ ولكنّي لا أجد إليك سبيلاً ، فأطلقه .

[مدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بشعر غنّاه معبد]

أخبرني وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال حدّثنا محمد بن مَسلمة الثقفيّ قال : قال موسى شهوات لمعبد : أأَمْدح حمزة بن عبد الله بن الزُّبير بأبيات

1 ل : مغنّية .
2 الجناب : الغرباء .

وتُغنّي فيها ويكون ما يُعطينا بيني وبينك ؟ قال : نعم ؛ فقال موسى : [من الرمل]

حمـزةُ المبتـاعُ بالمـالِ الثّنـا ... ويَـرى في بَيْعه أن قـد غَبَنْ
فهــو إن أعطى عَطاءً فاضلاً ... ذا إخـاءٍ لم يُكـدِّرْه بِمَنْ
وإذا مـا سَنَـةٌ مُجْحِفَـــةٌ ... بـرَتِ النـاسَ كَبَرْيٍ بالسَّفَنْ
حَسَرَتْ عنـه نقيّـــاً عرضُـه ... ذا بــلاءٍ عند مُخْناها حَسَنْ
نُـور صــدقٍ بَيّنٌ في وجهه ... لم يُدَنِّسْ ثوبَـه لـونُ الدَّرَنْ
كنتَ للنـاسِ رَبيعـاً مُغْدِقـاً ... ساقطَ الأكنافِ إن راحَ ارجَحَنّ

قال أحمد بن زهير : وأوّلُ هذه القصيدة عن غير ابن سلاّم : [من الرمل]

شاقَني اليومَ حبيبٌ قد ظَعَنْ ... ففـؤادي مُسْتَهامٌ مُرْتَهَنْ
إنّ هنـداً تَـيّمتني حِقْبَـةً ... ثم بانتْ وهي للنفسِ شَجَنْ
فتنـــةٌ ألْحَقَهـا اللهُ بنـــا ... عائـذٌ بالله من شرِّ الفِتَنْ

[عارض فاطمة بنت الحسين لما زفّت إلى عبد الله بن عمرو]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال أخبرني الطَّلْحيّ قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عِمران بن موسى بن طلحة قال : لما زُفّت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان ، عارَضَها موسى شهوات : [من مجزوء الخفيف]

طَلْحَةُ الخيرِ جَـدّكم ... ولخيـرِ الفَواطِـــمِ
أنتِ للطاهـراتِ مِن ... فَـرْعِ تَيْـمٍ وهاشمِ
أرْتَجِيكُـمْ لنَفْعِكـــم ... ولدَفْـعِ المظـــالمِ

فأُمر له بكُسوةٍ ودنانير وطيبٍ .

[هجا داود بن سليمان لمّا تزوّج فاطمة بنت عبد الملك]

قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العَنَزيّ عن العُتبيّ قال : كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلمّا مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان وكان قبيح الوجه ، فقال في ذلك موسى شهوات : [من المتقارب]

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز ... قَرِيـعِ قريشٍ إذا يُذْكَرُ
تَزوّجْـتِ داودَ مُخْتـارةً ... ألا ذلك الخَلَفُ الأعْوَرُ

فكانت إذا سَخِطَتْ عليه تقول : صدق والله موسى ، إنّك لأنتَ الخَلَف الأعور ، فيشتُمُه داود .

[مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمريّ عن لَقِيط قال : أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق ، وكان فتًى جواداً سَمْحاً ، فلمّا ركب وثَب إليه فأخذ بعِنان دابّته ، ثم قال : [من الخفيف]

قم فصوِّتْ إذا أتيت دِمَشْقاً : يـا يزيدُ بنَ خالـدِ بن يزيدِ
يا يزيدُ بـن خالدٍ إن تُجِبْني يَلْقَني طائـري بنجمِ السُّعودِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة ، وقال له : كلّما شئتَ فنادِنا نُجِبْك .

[تزوّج بنت داود بن أبي حميدة]

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب الزُّبيريّ قال : زُوِّج موسى شهوات بنتَ مولًى لمَعْن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له : داود بن أبي حُمَيدة ، فلمّا جُلِيت عليه قال داود : ما للجَلْوة ؟ فأنشأ يقول : [من الوافر]

تقول ليَ النساءُ غَداةَ تُجْلَى حميدةُ يا فتـى مـا للجلاءِ
فقلتُ لهم سَمَرْقَنْدٌ وبَلْخٌ وما بالصين من نَعَمٍ وشاءِ
أبوها حاتمٌ إن سِيلَ خيراً وليثُ كريهـةٍ عندَ اللقاءِ

[هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه]

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب قال : قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حُوَيْطِب على موسى شهوات بقضيّة ، وكان خالدُ بن عبد الملك استقضاه في أيّام هشام بن عبد الملك ، فقال موسى يهجوه : [من الطويل]

وجدتُك فَهّـاً في القضاء مُخَلِّطاً فقَدْتُك مـن قـاضٍ ومـن مُتأمِّرِ
فدَعْ عنك ما شيّدته ذات رخـة أذى الناس لا تَحْشُرْهُمُ كلَّ مَحْشَرِ

ثم وَلِيَ القضاءَ سعيد بن سليمان بن زيد بن ثابت الأنصاريّ ، فقال يمدحه : [من البسيط]

مَنْ سَرّه الحُكْمُ صِرفا لا مِزاجَ له من القُضـاة وعـدلٌ غيرُ مَغْمُوزِ
فليـأتِ دارَ سعيد الخَيْر إنَّ بها أمضى على الحقّ من سيف ابن جُرْمُوزِ

[هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة]

قال : وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف ، قد ولِيَ المدينة واشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنّين ، ولحِقَ موسى شهوات بعضُ ذلك منه ، وكان قبيحَ الوجه ، فقال موسى يهجوه : [من الخفيف]

قل لِسَعْدٍ وجهِ العجوز لقد كنـ ـتَ لِما قد أُوتِيتَ سعداً مخيلا
إن تكن ظالماً جهـولاً فقد كا نَ أبوك الأدْنى ظلوماً جهولا

وقال يهجوه : [من الخفيف]

لعـن اللهُ والعبـادُ تُطَيْطَ الـ ـوجه لا يُرْتَجى قبيحَ الجِوارِ
يَتّقـي النـاسُ فحشه وأذاه مثلَ مـا يتّقون بـولَ الحِمارِ
لا تَغُرّنْك سَجْدةٌ بـين عينيْـ ـه حَـذارِ منها ومنـه حَذارِ
إنّها سَجْدةٌ بهـا يَخْدَعُ النا سَ ، عليها من سَجْدة بالدَّبارِ[1]

[مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين أعطاه]

أخبرني عمّي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شَبيب قال : ذكر الحِزاميّ أنّ موسى شهوات سأل بعضَ آلِ الزبير حاجةً فدفعه عنها ، وبلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فبعث إليه بما كان التمسه من الزُّبيريّ من غير مسألة ؛ فوقف عليه موسى وهو جالس في المسجد ، ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

ليس فيما بَدا لنا منك عيبٌ عابَـه النـاسُ غيرَ أنّك فاني
أنت نِعمَ المَتاعُ لو كنتَ تَبْقَى غيـرَ أنْ لا بقـاءَ لِلإنسانِ

والشعر المذكور فيه الغناء ، يقوله موسى شَهَوات في حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، وكان فتًى كريماً جواداً على هَوَجٍ كان فيه ، ووَلاّه أبوه العِراقَين وعَزَل مُصعباً لمّا تزوّج سُكَيْنة بنت الحسين رضي الله عنه وعائشة بنت طلحة وأمهر كلَّ واحدٍ منهما ألفَ ألفِ درهم .

[سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزُّبيريّ ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة ، وأخبرني عبيد الله بن محمد الرّازيّ والحسين بن عليّ : قال عبيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ ، وقال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة عن المدائني عن أبي مِخْنَف : أن أَنَسَ بن زُنَيْم اللّيثيّ كتب إلى عبد الله بن الزبير : [من الكامل]

أبْلِغْ أميرَ المؤمنـين رسالـةً مِن ناصح لك لا يُرِيك خِداعا
بضَع الفتاةَ بألفِ ألفٍ كاملٍ وتَبِيتُ قاداتُ الجيوش جِياعا
لـو لأبي حَفْصٍ أقولُ مَقالتي وأبَـثُّ مـا أبثثكم لارتاعا

1 الدبار : الهلاك .

فلمّا وصلت الأبيات إليه جَزِع ثم قال : صَدَق والله ، لو لأبي حفصٍ يقول : إنَّ مُصعباً تزوّج امرأتين بألفيْ ألفِ درهم لارتاع ، إنّا بعثنا مصعباً إلى العراق فأغمد سيفَه وسَلّ أيره وسنَعْزِله ، فدعا بابنه حمزة ، وأمُّه بنت منظور بن زَبّان الفَزاريّ وكان لها منه مَحَلٌّ لطيف ، فولاّه البصرة وعزل مصعباً . فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب ، فقال : لكنّ أبا خُبَيب أغمد سيفَه وأيرَه وخَيْرَه .

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : هذه الأبيات لعبد الله بن همّام السَّلُوليّ .

[عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه وحمقه]

قالوا جميعاً : فلمّا ولي ابنه حمزة البصرة أساء السِّيرة وخَلّط تخليطاً شديداً ، وكان جواداً شجاعاً أهوج ، فوفدتْ إلى أبيه الوفود في أمره ، وكتب إليه الأحنف بأمره وما يُنكره الناس منه وأنّه يخشى أن تفسُد عليه طاعتهم ؛ فعزله عن البصرة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنيّ قال : لمّا قدِمَ حمزة بن عبد الله البصرة والياً عليها ، وكان جواداً شجاعاً مُخلِّطاً : يجود أحياناً حتى لا يدع شيئاً يملِكه إلاّ وَهَبه ويَمنع أحياناً ما لا يُمنع من مثله ، فظهرَتْ منه بالبصرة خِفّة وضَعف . ورَكِب يوماً إلى فَيْض البصرة ، فلمّا رآه قال : إنّ هذا الغدير إن رَفَقُوا به لَيَكْفيَنّهم صَيْفَتَهم هذه ، فلمّا كان بعد ذلك ركِب إليه فوافقه جازِراً فقال : قد رأيتُه ذاتَ يوم فظننتُ أن لن يكفيَهم ؛ فقال له الأحنف : إنّ هذه ماءٌ يأتينا ثم يَغِيض عنّا ثم يعود . وشَخَص إلى الأهواز فرأى جبلَها ؛ فقال : هذا قُعَيْقِعان ـ وقعيقعان : جبلٌ بمكّة ـ فلُقِّب ذلك الجبلُ بقُعَيقعان .

قال أبو زيد : وحدّثني غير المدائنيّ أنّه سَمِع بذكر الجبل بالبصرة ، فدعا بعامله فقال له : ابعث فأتنا بخَراج الجبل ؛ فقال له : إنّ الجبل ليس ببلد فآتيك بخراجه . وبعث إلى مَرْدانْشاه فاستحثّه بالخراج فأبطأ به ، فقام إليه بسيفه فقتله ؛ فقال له الأحنف : ما أَحَدَّ سيفك أيّها الأمير ! وهَمّ بعبد العزيز بن شبيب[1] بن خيّاط أن يضربه بالسِّياط ؛ فكتب إلى ابن الزُّبير بذلك وقال له : إذا كانت لك بالبصرة حاجةٌ فاصرِف ابنَك عنها وأَعِد إليها مُصعباً ؛ ففعل ذلك . وقال بعض الشعراء يهجو حمزة ويَعِيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جَزَر : [من الكامل]

يا ابن الزُّبير بَعَثتَ حمزةَ عاملاً ... يا ليتَ حمزةَ كان خلفَ عُمانِ

أزرى بِدَجْلةَ حين عَبّ عُبابُها ... وتقاذفتْ بزواخرِ الطُّوفانِ

1 ل : بشير (بشر) .

[نفار النوار من الفرزدق والتجاؤها لابن الزبير]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ عن أبي عبيدة قال[1] : خَطَبَ النَّوارَ ابنة أعْيَن المُجاشِعِيّة رجلٌ من قومها ، فجعلت أمرَها إلى الفرزدق ، وكان ابن عمّها دِنْيةً ، ليزوّجها منه ، فأشهد عليها بذلك وبأنّ أمرَها إليه شُهوداً عُدُولاً ؛ فلمّا أشهدتْهم على نفسها قال لهم الفرزدق : فإنّي أُشْهِدكم أنّي قد تزوّجتُها ، فمنعته النَّوار نفسَها وخرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزُّبير ، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زَبّان ، وخرج الفرزدق فعاذَ بابنه حمزة ، وقال يمدحه[2] : [من البسيط]

يا حَمْز هَلْ لك في ذي حاجةٍ ، عَرَضتْ أنضاؤه بمكان غيرَ ممطورِ
فأنتَ أولى قُرَيشٍ أن تكونَ لها وأنت بين أبي بكرٍ ومنظورِ[3]

فجعل أمر النوار يقوى وأمر الفرزدق يضعُف ؛ فقال الفرزدق في ذلك : [من البسيط]

أمّا بَنُوه فلم تَنْفَعْ شَفاعتُهم وشُفِّعت بنتُ منظور بن زَبّانا
ليس الشفيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتَزراً مثلَ الشفيع الذي يأتيك عُرْيانا

فبلغ ابنَ الزبير شعره ، ولَقِيَه على باب المسجد وهو خارجٌ منه فضَغَط حَلقه حتى كاد يقتله ، ثم خلّاه وقال : [من الطويل]

لقد أصبحتْ عِرْسُ الفَرَزْدقِ ناشِزاً ولو رَضِيتْ رُمحَ استِهِ لاستقرَّتِ

ثم دخل إلى النَّوار فقال لها : إن شئتِ فَرّقتُ بينك وبينَه ثم ضربتُ عنقَه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئتِ أمضيتِ نِكاحه فهو ابن عمّك وأقربُ الناس إليك ، وكانت امرأةً صالحةً ، فقالت : أوَما غيرُ هذا ؟ قال : لا ؛ قالت : ما أُحِبّ أن يُقتَل ولكني أُمضِي أمرَه فلعلّ الله أن يجعل في كُرْهي إيّاه خيراً ؛ فمضتْ إليه وخرجتْ معه إلى البصرة .

[غنّى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمد بن مزيد بن أبي الأزهر قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيريّ : أنّ حمزة بن عبد الله كان جواداً ، فدخل إليه معبد يوماً وقد أرسله ابنُ قَطَن مولاه يقترض له من حمزة ألفَ دينار فأعطاه الألف الدينار ، فلمّا خرج من عنده قيل له : هذا عبد ابنِ قَطَن وهو يروي فيك شعر موسى شَهَوات فيُحسِنْ روايته ، فأمر بردّه فرُدَّ ، وقال له ما حكاه

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 192 وما بعدها (رقم 403) .
2 جمهرة نسب قريش : 40–41 (ستّة أبيات) .
3 أولى في الجمهرة : أحجى .

القوم عنه ، فغنّاه معبد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً ؛ ولمّا كان بعد ذلك رَدّ ابنُ قَطَن عليه المال فلم يقبله ، وقال له : إنّه إذا خرج عنّي مالٌ لم يَعُد إلى ملكي . وقد رُوِي أنّ الداخلَ على حمزة والمخاطَبَ في أمره بهذه المخاطبة ابن سُرَيج ؛ وليس بذلك بِثَبَتٍ ، هذا هو الصحيح ، والغناء لمعبد .

[أنشد حمزة بن عبد الله شعراً وغنّاه إيّاه معبد]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة عن محمد بن يحيى الغسّانيّ : أنّ موسى شهوات أملق ، فقال لمعبد : قد قلتُ في حمزة بن عبد الله شعراً فغنِّ فيه حتى يكونَ أجزلَ لصلتنا ؛ ففعل ذلك معبد وغنّى في هذه الأبيات ، ثم دخلا على حمزة فأنشده إيّاها موسى ثم غنّاه فيها مَعبد ، فأمَرَ لكلٍّ واحدٍ منهما بمائتي دينار .

[كان من شعراء الحجاز وكان خلفاء بني أميّة يحسنون إليه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال : كان موسى شَهَوات مولًى لسليمان بن أبي خَيْثَمة بن حُذَيفة العدويّ ، وكان شاعراً من شعراء أهل الحجاز ، وكان الخلفاء من بني أُميّة يحسِنون إليه ويُدِرُّون عطاءه وتَجيئُه صِلاتهم إلى الحجاز .

[هجا داود بن سليمان بن مروان]

وكانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز ، فلمّا مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان وكان دميماً قبيحاً ، فقال موسى شهوات في ذلك : [من المتقارب]

أبعد الأغرِّ ابنِ عبد العزيز ... قريـعِ قريشٍ إذا يُذكرُ
تزوّجتِ داودَ مختـارةً ... ألا ذلك الخلَـفُ الأعورُ

فغلبَ عليه ذلك في بني مروان ، فكان يقال له : الخلفُ الأعورُ .

صوت

من المائة المختارة[1]

[من السريع]

عُوجـا خليليّ على المَحْضَرِ ... والربـعِ من سَلاّمة المُقْفِرِ
عُوجـا بـه فاستنطِقاه فقد ... ذَكّرني ما كنتُ لم أَذْكُرِ
ذَكّرني سَلْمَـى وأيّامَهـا ... إذ جاورتْنا بلـوى عَسْجَرِ

1 ديوان الوليد بن يزيد (جمع وتحقيق ف . غابريلي ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1967) : 39–40 .

بالربعِ من وَدّانَ مبدى لنا ومِحْوراً ناهيكَ من محورِ
في مَحْضَرٍ كنّا به نلتقي يا حبّذا ذلك من محضَرِ
إذ نحن والحيّ به جيرةٌ فيما مضى من سالفِ الأعصُرِ

الشعر للوليد بن يزيد ، وقيل : إنّه لعمر بن أبي ربيعة ، قيل : إنّه للعرجيّ ، وهو للوليد صحيح ، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها ، وفيه لِشارِيةَ خفيف رملٍ آخر عن ابن المعتزّ ، وذكر الهشاميّ أنّ فيه لَحَكمٍ الواديّ خفيف رملٍ أيضاً .

[عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينة بنت الحسين]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ قال : كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سُكَينة بنت الحسين رضي الله تعالى عنه ، فعَتَبَ عليها يوماً ، فخرج إلى مال له ، فذكر أشعب أنّ سكينة دعته فقالت له : إن ابن عثمان خرج عاتباً عليّ فاعلَمْ لي حالَه ، قلت : لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة ، فقالت : أنا أُعطيك ثلاثين ديناراً ، فأعطتني إيّاها فأتيتُه ليلاً فدخلتُ الدار ، فقال : انظروا مَن في الدار ، فأتوه فقالوا : أشعب ، فنزل عن فرشه[1] وصار إلى الأرض فقال : أشُعَيب ؟ قلت : نعم ، قال : ما جاء بك ؟ قلت : أرسلتني سُكينة لأعلم خبرك ، أتذَكّرتَ منها ما تذكّرتْ منك ؟ وأنا أعلم أنّك قد فعلتَ حين نزلتَ عن فرشك وصرتَ إلى الأرض ، قال : دعني من هذا وغنّني : [من السريع]

عُوجَا به فاستنطِقاه فقد ذكّرني ما كنتُ لم أذكُرِ

فغنّيته فلم يَطرَبْ ، ثم قال : غنّني ويحك غير هذا ، فإن أصبتَ ما في نفسي فلك حُلّتي هذه وقد اشتريتها آنفاً بثلثمائة دينار ، فغنّيته : [من الخفيف]

صوت

عَلِقَ القلبَ بعضُ ما قد شجاه من حبيبٍ أمسى هوانا هواهُ
ما ضِرارِي نفسي بهِجرانِ مَنْ ليـ ـس مُسيئاً ولا بعيداً نواهُ
واجتنابِي بيتَ الحبيبِ وما الخُلـ ـدُ بأشهى إليّ من أن أراهُ

فقال : ما عدَوتَ ما في نفسي ، خُذ الحلّة ، فأخذتُها ورجعتُ إلى سكينة فقصصت عليها القصّة ، فقالت : وأين الحلّة ؟ قلت : معي ، فقالت : وأنت الآن تريد أن تلبس حلّة ابن عثمان ؟ لا والله ولا كرامة ، فقلت : قد أعطانيها ، فأيّ شيءٍ تُريدين منّي ؟ فقالت : أنا أشتريها منك ، فبعتُها إيّاها بثلثمائة دينار .

---

1 ل : عرشه .

الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للدارميّ خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنّه للهذليّ ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيل بالوسطى .

[غاضب رجل جارية كان يهواها فغنّت مغنية من شعره فاصطلحا]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه أن رجلاً كانت له جارية يهواها وتهواه فغاضبها يوماً وتمادى ذلك بينهما ، واتّفق أنّ مغنيةً دخلت فغنتهما : [من الخفيف]

ما ضِراري نفسي بهِجران مَنْ ليـ ـس مُسيئاً ولا بعيـــداً نـــواهُ

فقالت الجارية : لا شيء والله إلاّ الحمقُ ، ثم قامت إلى مولاها فقبَّلت رأسَه واصطلحا .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يا ويحَ نفسي لو أنّه أقصَرْ ما كان عيشي كما أرى أكدَرْ
يا من عذيري ممّن كَلِفتُ به يشهـدُ قلبـي بأنّـه يَسْحَرْ
يا رُبَّ يـومٍ رأيتُنـي مَرِحـاً آخذُ في اللهـو مُسبِلَ المِئزرْ
بـين ندامـى تحُـثّ كأسَهمُ عليهمُ كـفٌّ شادِنٍ أحـوَرْ

الشعر لأبي العتاهية والغناء لفريدةَ خفيفُ رمل بالبنصر .

* * * *

الفهرس

[19] ـ ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه 5
[20] ـ ذكر طُوَيس وأخباره 22
[21] ـ ذكر الدارميّ وخبره ونسبه 34
[22] ـ أخبار هلال بن الأسعر ونسبه 38
[23] ـ أخبار عروة بن الوَرْد ونسبه 51
[24] ـ ذكر ذي الإصبع العدوانيّ ونسبُه وخبره 62
[25] ـ ذكرُ قيلٍ مولى العَبَلات 77
26 ـ [خبر غريض اليهوديّ] 80
[27] ـ ذكر ورقة بن نوفل ونسبه 82
[28] ـ خبر زيد بن عمرو ونسبه 84
29 ـ [خبر زهير بن جناب] 88
30 ـ [سعية بن غريض] 90
[31] ـ أخبار ابن صاحب الوَضوء ونسبه 92
[32] ـ أخبار بشّار بن برد ونسبه 94
[33] ـ أخبار يزيد حوراء 176
[34] ـ أخبار عُكّاشة العمّيّ ونسبه 180
[35] ـ أخبار عبد الرحيم الدفّاف ونسبه 187
[36] ـ أخبار الحادرة ونسبه 190
[37] ـ أخبار ابن مِسْجَح ونسبه 194
[38] ـ أخبار ابن المولى ونسبه 200
[39] ـ أخبار عَطَرَّد ونسبُه 212
[40] ـ أخبار الحارث بن خالد المخزوميّ ونسبه 217
[41] ـ أخبار الأبجَر ونسبه 238
[42] ـ أخبار موسى شَهَوات ونسبُه وخبرُه في هذا الشعر 243

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦ هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عبّاس

المجلد الرابع

دار صادر

بيروت

كتاب الأغاني

4

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

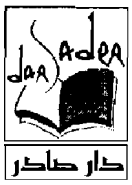

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[43] ـ ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره[1]

سوى ما كان منها مع عتبة ، فإنّه أُفرد لكثرة الصنعة في تشبيبه بها ، وأنّها اتّسعت جدّاً فلم يصلح ذكرها هنا ، لئلاّ تنقطع المائة الصوت المختارة ، وهي تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى .

[اسمه ولقبه وكنيته ونشأته]

أبو العتاهية لقبٌ غلب عليه ، واسمه إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كَيْسان ، مولى عَنَزة ، وكنيته أبو إسحاق . وأُمّه أُمّ زيد بنت زياد المُحارِبيّ مولى بني زُهرة ؛ وفي ذلك يقول أبو قابوس[2] النصرانيّ وقد بلغه أنّ أبا العتاهية فضّل عليه العتّابي : [من مجزوء الكامل]

قُــلْ لِلمُكَنِّــي نفسَه مُتَخَيِّــراً بعَتاهِيــهْ
والمرسِلِ الكَلِـمَ القبيـ ـحَ وعَتْــه أُذْنٌ واعيهْ
إن كنتَ سِرّاً سوءَتَني أو كان ذاك عَـلانيهْ
فعليكَ لعنةُ ذي الجلا لِ وأُمُّ زيــدٍ زانيهْ

ومنشؤه بالكوفة . وكان في أوّل أمره يتخنّث ويحمل زاملةَ المخنّثين ، ثم كان يبيع الفَخّار بالكوفة ، ثم قال الشعر فبرع فيه وتقدّم .

[شاعريته]

ويقال : أطبع الناس بشّار والسيّد[3] وأبو العتاهية . وما قدَر أحدٌ على جمع شعر هؤلاء الثلاثة لكثرته . وكان غزير البحر ، لطيف المعاني ، سهل الألفاظ ، كثير الافتنان ، قليلَ التكلّف ، إلاّ أنّه كثير الساقط المرذول مع ذلك . وأكثر شعره في الزهد والأمثال . وكان قوم

---

1 ترجمة أبي العتاهية في الشعر والشعراء 675– 679 وطبقات ابن المعتزّ : 228 ومعاهد التنصيص 2 : 285 وشذرات الذهب 2 : 25 ووفيات الأعيان رقم 94 وتاريخ بغداد 6 : 25 والموشّح : 254 وانظر بروكلمان 2 : 34–36 وله ترجمة مهمّة أوردها ابن العديم في بغية الطلب استمدّها من عدّة مصادر بعضها لم يصلنا مثل المستنير في أخبار الشعراء للمرزباني وأخبار أبي العتاهية للآمدي وأخبار أبي العتاهية لابن عمّار . وهذه الترجمة نشرها إحسان عبّاس في مجلّة دراسات التي تصدر عن الجامعة الأردنية ، المجلّد 15 (7 : 70–91) 1988 وهي التي نشير إليها في الحواشي . وديوانه الذي نعتمده هنا هو الذي عني بجمعه وتحقيقه د . شكري فيصل ، مطبعة جامعة دمشق ، 1965 وطبعة دار صادر ، 1964 . وقد أورد ابن حمدون في التذكرة نتفاً من أخباره وشعره في نحو ثلاثين فقرة .

2 ل : فارس .

3 يعني السيد الحميري .

من أهل عصره ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة ممّن لا يؤمن بالبعث ، ويحتجّون بأنّ شعره إنّما هو في ذكر الموت والفناء دون ذكر النُّشور والمَعاد . وله أوزان طريفة قالها ممّا لم يتقدّمه الأوائلُ فيها . وكان أبخَل الناس مع يَساره وكثرة ما جمعه من الأموال .

[كنيته]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال أخبرني محمد بن موسى بن حمّاد قال : قال المهديّ[1] يوماً لأبي العتاهية : أنت إنسانٌ مُتحذلِق مُعَتَّه[2] . فاستوتْ له من دلك كنية غلبت عليه دون اسمه وكنيته ، وسارت له في الناس . قال : ويقال للرجل المتحذلق : عتاهية ، كما يقال للرجل الطويل : شَناحِية . ويقال : أبو عتاهية ، بإسقاط الألف واللام .

قال محمد بن يحيى وأخبرني محمد بن موسى قال أخبرني ميمون بن هارون عن بعض مشايخه قال : كُني بأبي العتاهية أنْ كان يحبّ الشهرة والمُجون والتعتُّه . وبلدُه الكوفة وبلد آبائه ، وبها مولده ومنشؤه وباديتُه .

[قول ابنه إنّهم من عنزة]

قال محمد بن سَلاَّم : وكان محمد بن أبي العتاهية يذكر أنّ أصلَهم من عَنَزة ، وأنّ جَدّهم كَيْسان كان من أهل عَيْن التَّمْر ، فلمّا غزاها خالد بن الوليد كان كَيْسان جَدُّهم هذا يتيماً صغيراً يكفُله قَرابةٌ له من عَنزة ، فسباه خالد مع جماعة صبيان من أهلها ، فوجّه بهم إلى أبي بكر ، فوصلوا إليه وبحضرته عبّاد بن رِفاعة العَنَزيّ بن أسَد بن ربيعة بن نِزار ، فجعل أبو بكر رضي الله عنه يسأل الصبيان عن أنسابهم فيُخبره كلُّ واحد بمبلغ معرفته ، حتى سأل كَيْسان ، فذكر له أنّه من عَنَزة . فلمّا سمعه عبّاد يقول ذلك استوهبه من أبي بكر رضي الله عنه ، وقد كان صار خالصاً له ، فوهبه له ؛ فأعتقه ، فتولّى عَنَزَة .

[استعداؤه مندل بن علي وأخاه على من سبه بأنّه نبطي]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدّثنا أحمد بن الحجّاج الجَلاَّني الكوفيّ قال حدّثني أبو دُؤَيل مُصْعَب[3] بن دُؤَيل الجَلاَّني ، قال : لم أَرَ قطُّ مَنْدَل بن عليّ العَنَزيّ وأخاه حَيَّان[4] بن عليٍّ غضِبا من شيء قطُّ إلاّ يوماً واحداً ، دخل عليهما أبو العتاهية وهو مُضَمَّخ بالدماء . فقالا له : ويحك ؛ ما بالك ؟ فقال لهما : من أنا ؟ فقالا له :

---

1 ابن العديم في دراسات : 49 (الفقرة 11) .

2 ل وابن العديم : مُتَعَتِّه .

3 ل وابن العديم : صعب .

4 ل وابن العديم : حبان ؛ وانظر الفقرة 9 من ابن العديم .

أنت أخونا وابن عمّنا ومولانا . فقال : إنّ فلاناً الجزّار قتلني وضربني وزعم أنّي نَبَطِيّ ، فإن كنتُ نبطيّاً هربت على وجهي وإلاّ فقوما فخُذا لي بحقّي . فقام معه مندل بن عليّ وما تعلّق نعله غضباً ؛ وقال له : والله لو كان حقُّك على عيسى بن موسى لأخذتُه لك منه ؛ ومرّ معه حافياً حتى أخذ له بحقّه .

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن الحسن بن عليّ عن عمر بن معاوية عن جُبارة [1] بن المُغَلِّس الحِمّانيّ قال : أبو العتاهية مولى عَطاء بن مِحجن العَنَزيّ .

[صنعة أبي العتاهية وصنعة أهله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال قال أبو عَوْن أحمد بن المُنجِّم أخبرني خِيارٌ الكاتب قال : كان أبو العتاهية وإبراهيم الموصليّ من أهل المَذار [2] جميعاً ، وكان أبو العتاهية وأهلُه يعمَلون هذه الجِرار الخُضْر ، فقدما إلى بغداد ثم افترقا ؛ فنزل إبراهيم الموصليّ ببغداد ، ونزل أبو العتاهية الحيرةَ . وذُكر عن الرِّياشيّ أنّه قال مثل ذلك ، وأنّ أبا أبي العتاهية نقله إلى الكوفة .

قال محمد بن موسى : فولاءُ أبي العتاهية من قِبَل أبيه لعَنَزة ، ومن قِبَل أُمّه لبني زُهرة ، ثم لمحمد بن هاشم بن عُتبة بن أبي وَقّاص ، وكانت أُمّه مَولاةً لهم ، يقال لها أُمّ زيد .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن مَهْرُويَه قال : قال الخليل بن أسد : كان أبو العتاهية يأتينا فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخَزّاف . وكان أبوه حجّاماً من أهل ورجة ؛ ولذلك يقول أبو العتاهية [3] : [من الطويل]

أَلا إنّما التَّقْوى هــو العزّ والكَرَمْ وحُبُّك للدّنيا هــو الفقــر والعَدَمْ
وليس عــلى عبــدٍ تَقِــيٍّ نقيصةٌ إذا صحّح التّقوى وإن حاك أو حَجمْ

[فاخره رجل من كنانة]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال : جاذب رجلٌ من كِنانةَ أبا العتاهية في شيء ، ففخَر عليه الكِنانيّ واستطال بقوم من أهله ؛ فقال أبو العتاهية : [من الرجز]

دَعْنِيَ من ذِكْــر أبٍ وجَدِّ ونَسَبٍ يُعْلِيكَ سُورَ المجدِ

1 ل : محمد بن معاوية عن جنادة بن المغلّس .
2 المذار : بين واسط والبصرة .
3 ابن العديم في دراسات : 52 (الفقرة 17) .

ما الفخرُ إلاّ في التُّقى والزُّهدِ وطاعةٍ تُعطي جِنان الخُلْدِ
لا بُدَّ من وِرْدٍ لأهلِ الوِردِ إمّـا إلى ضَحْلٍ وإمّـا عِدِّ[1]

[آراؤه الدينية]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى عن أحمد بن حرب قال : كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد ، وأنّ الله خلق جوهرين متضادّين لا من شيء ، ثم إنّه بَنى العالَم هذه البِنْية منهما ، وأنّ العالَم حديثُ العين والصّنعة لا مُحدِثَ له إلاّ اللهُ . وكان يزعم أنّ الله سيرُدّ كلَّ شيء إلى الجوهرين المتضادّين قبل أن تَفْنى الأعيانُ جميعاً . وكان يذهب إلى أن المعارف واقعةٌ بقَدْر الفكر والاستدلال والبحث طِباعاً . وكان يقول بالوعيد وبتحريم المكاسب ، ويتشَيّع بمذهب الزّيدية البُتْريّة المبتدِعة ، لا يتنَقَّص أحداً ولا يرى مع ذلك الخروج على السلطان . وكان مُجَبِّراً .

[مناظرته لثمامة بن أشرس]

قال الصُّولي : فحدّثني يموت بن المُزَرِّع قال حدّثني الجاحظ قال : قال أبو العتاهية لثُمامة بين يدَي المأمون ، وكان كثيراً ما يعارضه بقوله في الإجبار : أسألك عن مسألة . فقال له المأمون : عليك بشعرك . فقال : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في مسألته ويأمرَه بإجابتي ؛ فقال له : أجِبْه إذا سألك . فقال : أنا أقول : إنّ كلّ ما فعله العباد من خيرٍ وشرّ فهو من الله ، وأنت تأبى ذلك ، فمن حرّك يدي هذه ؟ وجعل أبو العتاهية يحرّكها . فقال له ثُمامة : حرّكها مَنْ أُمّه زانية . فقال : شتمني والله يا أمير المؤمنين . فقال ثمامة : ناقض الماصُّ بَظْرُ أُمّه والله يا أمير المؤمنين ؛ فضحك المأمون وقال له : ألم أقل لك أن تَشْتَغِل بشِعرك وتدعَ ما ليس من عملك ! قال ثمامة : فلقيني بعد ذلك فقال لي : يا أبا مَعْن ، أما أغناك الجواب عن السَّفَه ؟ فقلت : إنّ من أتمِّ الكلامِ ما قطع الحجّة ، وعاقبَ على الإساءة ، وشَفى من الغيظ ، وانتصَر من الجاهل .

قال محمد بن يحيى وحدّثني عَون بن محمد الكِنْدِيّ قال : سمعتُ العبّاس بن رُسْتَم يقول : كان أبو العتاهية مُذَبْذَباً في مذهبه : يعتقد شيئاً ، فإذا سمع طاعِناً عليه ترك اعتقاده إيّاه وأخذ غيره .

[اعترض عليه أبو الشمقمق في ملازمة المخنّثين]

حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني ابن أبي الدنيا قال حدّثني الحسين بن عبد ربّه قال حدّثني عليُّ بن عبيدة الرَّيحانيّ قال حدّثني أبو الشَّمقمق : أنّه رأى أبا العتاهية يحمل زاملةَ المُخَنَّثين ، فقلت له : أمِثْلُك يضع نفسه هذا الموضعَ مع سِنّك وشعرك وقدرك ؟ !

1 العد : الماء الجاري .

فقال له : أُريد أن أتعلَّم كِيادَهم ، وأتحفّظ كلامهم .

[حاوره بشر بن المعتمر في صنعة الحجامة]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : ذكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنّ بِشْر بن المُعْتَمِر قال يوماً لأبي العتاهية : بلغني أنّك لمّا نَسَكْتَ جلستَ تحجُم اليتامى والفقراء للسبيل ، أكذلك كان ؟ قال نعم . قال له : فما أردتَ بذلك ؟ قال : أردتُ أن أضع من نفسي حَسَبَما رفعتْني الدنيا ، وأضعَ منها ليسقُط عنها الكِبْر ، وأكتسِب بما فعلتُه الثواب ، وكنت أحجِم اليتامى والفقراء خاصّة . فقال له بشر : دَعني من تذليلك نفسَك بالحِجامة ؛ فإنّه ليس بحُجّة لك أن تؤدّبها وتُصلِحها بما لعلّك تُفسد به أمرَ غيرك ؛ أُحبّ أن تُخبرني هل كنتَ تعرف الوقت الذي كان يحتاج فيه من تحجُمه إلى إخراج الدم ؟ قال لا . قال : فهل كنت تعرف مقدار ما يحتاج كلّ واحد منهم إلى أن يُخرجه على قَدْر طبعه ، ممّا إذا زدتَ فيه أو نقصتَ منه ضَرّ المحجومَ ؟ قال لا . قال : فما أُراك إلاّ أردتَ أن تتعلّم الحِجامة على أقْفاء اليتامى والمساكين !

[أراد حمدويه صاحب الزنادقة أخذه فتستر بالحجامة]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أبو ذَكْوان قال حدّثنا العبّاس بن رُسْتَم قال : كان حَمدُويه صاحب الزنادقة قد أراد أن يأخذ أبا العتاهية ، ففزع من ذلك وقعَد حجّاماً .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال : قال أبو دِعامة عليّ بن يزيد : أُخبر يحيى بن خالد أنّ أبا العتاهية قد نَسَك ، وأنّه جلس يحجُم الناس للأجر تواضعاً بذلك . فقال : ألم يكن يبيع الجِرار قبل ذلك ؟ فقيل له بلى . فقال : أما في بَيْع الجِرار من الذُّلّ ما يكفيه ويَسْتَغني به عن الحجامة ؟

[جوابه عن خلق القرآن]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني شيخ من مشايخنا قال حدّثني أبو شُعَيب صاحب ابن أبي دُواد قال : قلت لأبي العتاهية : القرآن عندك مخلوقٌ أم غير مخلوق ؟ فقال : أسألتَني عن الله أم عن غير الله ؟ قلت : عن غير الله ، فأمسك . وأعدتُ عليه فأجابني هذا الجواب ، حتى فعل ذلك مراراً . فقلت له : ما لك لا تُجيبني ؟ قال : قد أجبتُك ولكنّك حمار .

[أوصافه وصناعته]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا شيخ من مشايخنا قال حدّثني محمد بن موسى قال[1] : كان أبو العتاهية قَضيفاً ، أبيض اللون ، أسود الشعر ، له وَفْرة جَعدة ، وهيئة حسنة ولَباقة وحَصافة ،

1 صفة أبي العتاهية في ابن العديم – دراسات : 50 (الفقرة 5) .

وكان له عَبِيد من السُّودان ، ولأخيه زيدٍ أيضاً عبيدٌ منهم يعملون الخَزَف في أَتُّون لهم ؛ فإذا اجتمع منه شيء أَلقَوْه على أَجير لهم يُقال له أبو عباد اليزيديّ من أهل طاق الجِرار بالكوفة ، فيبيعه على يديه ويردّ فضلَه إليهم . وقيل : بل كان يفعل ذلك أخوه زيد لا هو ؛ وسُئل عن ذلك فقال : أنا جرّار القوافي ، وأخي جَرّار التّجارة .

قال محمد بن موسى : وحدّثني عبد الله بن محمد قال حدّثني عبد الحميد بن سريع مولى بني عِجْل قال : أنا رأيت أبا العتاهية وهو جرّار يأتيه الأحداث والمتأدّبون فيُنشِدُهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسّر من الخَزَف فيكتبونها فيها .

[كان يشتم أبا قابوس ويفضل عليه العتابيّ]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عون بن محمد الكِنديّ قال حدّثني محمد بن عمر الجُرْجانيّ قال : لمّا هاجى أبو قابوس النصرانيّ كُلثوم بن عمرو العَتّابيّ ، جعل أبو العتاهية يشتُم أبا قابوس ويَضع منه ، ويُفَضِّل العَتّابيّ عليه ؛ فبلغه ذلك فقال فيه : [من مجزوء الكامل]

قُـلْ للمُكَنِّـي نفسَه مُتخيِّـراً بعتـاهيهْ
والمرسِلِ الكَلِـمَ القبيـ ـحَ وعَتْه أُذْنٌ واعيهْ
إن كنتَ سرّاً سوّتَني أو كان ذاك عَلانيـهْ
فعليك لعنةُ ذي الجلا لِ وأُمّ زيـدٍ زانيـهْ

يعني أُمَّ أبي العتاهية ، وهي أُمّ زيد بنت زياد ، فقيل له : أتشتُم مسلماً ؟ فقال : لم أشْتُمه ، وإنّما قلت :

فعليك لعنـةُ ذي الجلا لِ ومَـنْ عَنَيْنـا زانيهْ

[هجاه والبة بن الحباب]

قال : وفيه يقول والِبَةُ بن الحُباب وكان يُهاجيه : [من الخفيف]

كان فينا يُكْنى أبا إسحاقِ وبها الرّكْبُ سارَ في الآفاقِ
فتكنَّـى مَعْتُوهُنـا بعَتـاهٍ يـا لهـا كُنْيَةً أتت باتّفاقِ
خلقَ اللهُ لِحْيةً لك لا تنـ ـفكّ معقودةً بداء الحُلاقِ

[قصّته مع النوشجاني]

أخبرنا محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا النُّوشَجانيّ قال : أتاني البوّاب يوماً فقال لي : أبو إسحاق الخزّاف بالباب ؛ فقلت : ائْذَن له ، فإذا أبو العتاهية قد دخل . فوضعت بين يديه قِنْوَ مَوْزٍ ؛ فقال : قد صِرْتَ تقتل العلماء بالموز ، قتلتَ أبا عُبيدة

بالموز ، وتريد أن تقتلني به ! لا والله لا أذوقه . قال : فحدّثني عُروة بن يوسف الثَّقَفيّ قال : رأيت أبا عبيدة قد خرج من دار النُّوشَجانيّ في شِقّ مَحْمِل مُسَجًّى ، إلاّ أنّه حيّ ، وعند رأسه قِنْوُ موز وعند رجليه قِنْوُ موز آخر ، يُذهَب به إلى أهله . فقال النُّوشَجانيّ وغيرُه : لمّا دخلنا عليه نعوده قلنا : ما سبب عِلّتك ؟ قال : هذا النُّوشَجانيّ جاءني بمَوز كأنّه أُيُور المساكين ، فأكثرتُ منه ، فكان سبب عِلّتي . قال : ومات في تلك العِلّة .

[رأي مصعب بن عبد الله في شِعره]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال : سمعتُ مُصْعَب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعرُ الناس . فقلت له : بأيّ شيء استحقّ ذلك عندك ؟ فقال : بقوله[1] : [من الهزج]

تَعَلّقتُ بآمالٍ ... طِوالٍ أيّ آمالِ
وأقبلتُ على الدّنيا ... مُلِحّاً أيَّ إقبالِ
أيا هذا تَجَهَّزْ لـ ... ـفراق الأهل والمالِ
فلا بدَّ من الموتِ ... على حالٍ من الحالِ

ثم قال مُصعب : هذا كلامٌ سهلٌ حقٌّ لا حشو فيه ولا نُقصان ، يعرِفه العاقل ويُقِرّ به الجاهل .

[استحسن الأصمعيّ بعض شعره]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال : سمعتُ الأصمعيّ يستحسن قول أبي العتاهية[2] : [من مجزوء الرمل]

أنتَ ما استغنيتَ عن صا ... حبك الدهرَ أخوه
فإذا احتجتَ إليه ... ساعةً مجّك فُوه

[سلم الخاسر يعتبره أشعر الجنّ والإنس]

حدّثنا محمد بن العبّاس اليزيديّ إملاءً قال حدّثني عمّي الفَضْل بن محمد قال حدّثني موسى بن صالح الشَّهْرَزُوريّ قال[3] : أتيتُ سَلْماً الخاسِر فقلت له : أنشِدني لنفسك . قال : لا ، ولكن أُنشدك لأشعر الجنّ والإنس ، لأبي العتاهية ، ثم أنشدني قوله[4] : [من المديد]

1 ديوان أبي العتاهية : 305 (رقم 316) .
2 البيتان في بخلاء الجاحظ : 166 .
3 قارن بابن العديم – دراسات : 50 (الفقرة 14) .
4 ديوان أبي العتاهية : 361 (رقم 368) .

صوت

سَكَنٌ يبقى لـه سَكَنُ ... مـا بهـذا يُؤذِن الزَّمنُ
نحـن في دارٍ يُخبِّرنـا ... ببِلاهـا ناطـقٌ لَسِنُ
دار سَوء لم يَـدُمْ فَرَحٌ ... لامرىءٍ فيها ولا حَزَنُ
في سبيـلِ اللهِ أنفسُنا ... كلُّنا بالمـوتِ مُرتَهنُ
كلُّ نفسٍ عنـد مِيتَتِهـا ... حظُّها من مالها الكَفَنُ[1]
إنّ مـالَ المرء ليس لـه ... منـه إلاّ ذكـرُه الحسنُ

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني رجل من أهل البصرة أُنسِيتُ اسمَه ، قال حدّثني حَمدون بن زيد قال حدّثني رجاء بن مَسلمة قال : قلت لسَلْم الخاسر : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : إن شئتَ أخبرتك بأشعر الجنّ والإنس . فقلت : إنّما أسألك عن الإنس ، فإن زدتَني الجنَّ فقد أحسنتَ . فقال : أشعرُهم الذي يقول : [من المديد]

سَكَنٌ يبقى لـه سَكَنُ ... مـا بهذا يُؤذِن الزّمنُ

قال : والشعر لأبي العتاهية .

[أثنى جعفر بن يحيى على شعره ووافقه الفراء]

حدّثني اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفَضْل قال حدّثنا عبد الله بن محمد قال حدّثنا يحيى بن زِياد الفَرّاء قال : دخلتُ على جعفر بن يحيى فقال لي : يا أبا زكريّا ، ما تقول فيما أقول ؟ فقلت : وما تقول أصْلَحك الله . قال : أزعمُ أنّ أبا العتاهية أشعرُ أهلِ هذا العصر . فقلت : هو والله أشعرُهم عندي .

[أثنى آخرون على شعره]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني جعفر بن النَّضْر الواسِطيّ الضَّرير قال حدّثني محمد بن شِيرَوَيْه الأنْماطيّ قال : قلت لداود بن زيد بن رَزِين الشاعر : مَن أشعرُ أهلِ زمانه ؟ قال : أبو نُواس . قلت : فما تقول في أبي العتاهية ؟ فقال : أبو العتاهية أشعرُ الإنس والجنّ .

أخبرني الصوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال ، قال الزُّبير بن بكّار : أخبرني إبراهيم بن المنذر عن الضحّاك ، قال : قال عبد الله بن عبد العزيز العُمريّ : أشعرُ الناس أبو العتاهية حيث يقول : [من الكامل]

---

1 الديوان : كلّ حيّ عند ميتته . . . حظّه .. .

ما ضَرّ مَنْ جَعل التُّرابَ مِهادَه ألاّ ينـامَ على الحريــرِ إذا قَنِعْ

صَدَق والله وأَحْسن .

[مهارته في الشعر]

حدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حَرْب قال حدّثني المعلّى بن عثمان قال : قيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردتُه قطّ إلاّ مثَل لي ، فأقول ما أُريد وأَترُك ما لا أُريد .

أخبرني ابن عمّار قال حدّثني ابن مهرويَهْ قال حدّثني رَوْح بن الفرج الحِرمازيّ قال : جلستُ إلى أبي العتاهية فسمعتُه يقول : لو شئتُ أن أجعل كلامي كلّه شِعراً لفعلتُ .

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال : قال محمد بن أبي العتاهية[1] : سُئل أبي : هل تَعْرف العَروض ؟ فقال : أنا أكبر من العروض . وله أوزانٌ لا تدخل في العَروض .

[نظم شعراً للرشيد وهو مريض فقربه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا أبو عِكرمة قال : حُمّ الرشيدُ ، فصار أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع برُقعة فيها[2] : [من المنسرح]

لــو عَلِم الناسُ كيف أنت لهم ماتــوا إذا ما أَلِمْـتَ أَجْمَعُهـمْ

خليفــةَ الله أنــت ترجَحُ بالنّـ ـاس إذا ما وُزِنتَ أنت وهُـمْ

قد عَلِم الناسُ أنّ وجهَك يَسـ ـتَغْنِي إذا مــا رآه مُعدِمُهــمْ

فأنشدها الفضلُ بن الربيع الرشيد ؛ فأمر بإحضار أبي العتاهية ، فما زال يُسامره ويُحدِّثه إلى أن بَرِىء ، ووَصل إليه بذلك السبب مالٌ جليلٌ .

[إعجاب ابن الأعرابيّ به]

قال : وحُدّثتُ أنّ ابن الأعرابيّ حَدّث بهذا الحديث ؛ فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمُستحق لِما قلتَ . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّه شعر ضعيف . فقال ابن الأعرابيّ ، وكان أحَدَّ الناس : الضعيف والله عقلُك لا شعر أبي العتاهية ، أَلأبي العتاهية تقول : إنّه ضعيف الشعر ؟ فوالله ما رأيتُ شاعراً قطّ أطبعَ ولا أقدرَ على بيت منه ، وما أحسبُ مذهبَه إلاّ ضَرْباً من السحر ، ثم أنشد له[3] : [من الكامل]

---

1 أفرد المرزباني ترجمة لمحمد بن أبي العتاهية في معجم الشعراء : 377 وأورد له مقطوعة .

2 ديوان أبي العتاهية (طبعة دار صادر) : 406 .

3 ديوان أبي العتاهية : 280 (رقم 295) وهي 47 بيتاً .

قطَّعتُ منك حَبائـلَ الآمال وحَطَطتُ عن ظَهْر المَطِيّ رِحالي
ووجدتُ بَرْد اليأس بين جَوانحي فأَرَحْتُ من حَلٍّ ومن تَرْحالِ
يا أيُّها البَطِرُ الذي هو من غدٍ في قبـره متمـزِّقُ الأَوْصالِ
حذَف المُنَى عنه المُشَمِّرُ في الهُدى وأرى مُنـاك طَويلـةَ الأذيالِ
حِيَلُ ابن آدم في الأمورِ كثيرةٌ والموتُ يَقْطَـعُ حيلـةَ المُحتالِ
قِستُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً من كلِّ عارفةٍ جَرَتْ بسؤالِ
فإذا ابتُلِيتَ ببَذْلِ وجهك سائلاً فابذُلْـه للمُتكَـرِّم المِفْضالِ
وإذا خَشِيتَ تَعَـذُّراً في بلدةٍ فاشدُدْ يَديْك بعاجِلِ التَّرحالِ
واصْبِرْ على غِيَر الزّمـان فإنّما فَرَجُ الشّدائدِ مثلُ حَـلّ عِقالِ

ثم قال للرجل : هل تعرف أحداً يُحسِنُ أنْ يقول مثلَ هذا الشّعر ؟ فقال له الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداءَك ؛ إنّي لم أَرْدُدْ عليك ما قلتَ ، ولكنّ الزهدَ مذهبُ أبي العتاهية ، وشعرُه في المديح ليس كشعره في الزُّهد . فقال : أفلَيْس الذي يقول في المديح[1] : [من الطويل]

وهارونُ ماءُ المُزْن يَشْفي به الصَّدى إذا ما الصَّدِي بالرِّيق غَصَّتْ حَناجِرُهْ
وأَوْسَطُ بيـتٍ في قريش لَبيتُـه وأوّلُ عِـزٍّ في قـريش وآخـرُهْ
وزَحْفٍ له تَحكِي البروقَ سيوفُه وتَحكي الرعودَ القاصفاتِ حوافرُهْ
إذا حَمِيتْ شمسُ النَّهارِ تضاحكتْ إلى الشّمس فيـه بَيْضُه ومَغافرهْ
إذا نُكِبَ الإسلامُ يومـاً بنَكْبةٍ فهارونُ مـن بـين البَرِيّةِ ثائرُهْ
ومَنْ ذا يفوتُ الموتَ والموتُ مُدرِكٌ كذا لم يَفُتْ هارونَ ضِدٌّ يُنافرهْ

قال : فتخلّص الرجل من شرّ ابن الأعرابيّ بأن قال له : القولُ كما قلتَ ، وما كنتُ سمِعتُ له مثلَ هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

[قال أبو نواس لست أشعر الناس وهو حيّ]

حدّثني محمد قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني ابن الأعرابيّ المُنَجِّم قال حدّثني هارون بن سَعْدان بن الحارث مولى عَباد قال : حضرتُ أبا نُواس في مجلسٍ وأُنشد شعراً . فقال له مَنْ حضَر في المجلس : أنت أشعرُ الناس . قال : أمّا والشيخُ حيّ فلا . (يعني أبا العتاهية) .

1 تكملة الديوان : رقم 96 (ص 540) .

[أنشد لثمامة شعره في ذمّ البخل فاعترض على بخله]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مَهْديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : قال ثمامة بن أَشْرَس أنشدني أبو العتاهية[1] : [من الطويل]

إذا المرءُ لم يُعْتِقْ من المالِ نفسَه تَملّكه المالُ الذي هو مالِكُهْ
ألا إنّما مالي الذي أنا مُنفِقٌ وليس لِيَ المالُ الذي أنا تارِكُهْ
إذا كنتَ ذا مالٍ فبادِرْ به الذي يَحِقّ وإلاّ استهلَكتْه مَهالِكُهْ

فقلت له : من أين قضيتَ بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله ﷺ : «إنّما لك من مالك ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبْلَيْتَ ، أو تصدّقت فأمضَيْتَ» . فقلت له : أتؤمن بأنّ هذا قولُ رسول الله ﷺ وأنّه الحقّ ؟ قال نعم . قلت : فلِم تحبِس عندك سبعاً وعشرين بدْرَةً في دارك ، ولا تأكل منها ولا تشرب ولا تُزَكّي ولا تُقَدِّمها ذُخْراً ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا مَعن ، والله إنّ ما قلتَ لهو الحقّ ، ولكنّي أخاف الفقرَ والحاجةَ إلى الناس . فقلت : وبِمَ تَزيد حالُ مَنِ افتقر على حالك ، وأنت دائمُ الحِرْص دائمُ الجَمْع ، شحيحٌ على نفسك ، لا تشتري اللحمَ إلاّ من عِيد إلى عيد ؟ فترك جوابَ كلامي كلّه ، ثم قال لي : والله لقد اشتريتُ في يوم عاشوراء لحماً وتَوابِلَه وما يتبعه بخمسة دراهم . فلمّا قال لي هذا القول أضحكني حتّى أذهلني عن جوابه ومُعاتبته ، فأمسكتُ عنه وعلمت أنّه ليس ممّن شرَح الله صدره للإسلام .

[حكايات في بخله]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن المهديّ قال قال الجاحظ : حدّثني ثُمامة قال : دخلتُ يوماً إلى أبي العتاهية فإذا هو يأكل خُبزاً بلا شيء . فقلت : كأنّك رأيتَه يأكل خُبزاً وحده ؛ قال : لا ؛ ولكنّي رأيتُه يتأدّم بلا شيء . فقلت : وكيف ذلك ؟ فقال : رأيت قُدّامه خبزاً يابساً من رِقاقِ فَطيرٍ وقَدَحاً فيه لبنٌ حليبٌ ، فكان يأخُذ القطعة من الخبز فيغمِسها من اللبن ويُخرجها ولم تتعلّق منه بقليل ولا كثير ؛ فقلت له : كأنّك اشتهيتَ أن تتأدّم بلا شيء ، وما رأيتُ أحداً قبلك تأدّم بلا شيء .

قال الجاحظ : وزعم لي بعضُ أصحابنا قال : دخلتُ على أبي العتاهية في بعض المتنزّهات ، وقد دعا عَيّاشاً صاحب الجسر وتهيّأ له بطعام[2] ، وقال لغلامه : إذا وضعتَ قُدّامهم الغداء فقدِّم إليّ ثَريدةً بخلّ وزيت . فدخلت عليه ، وإذا هو يأكل منها أكل مُتكمّش

1 ديوان أبي العتاهية : 276 في الحاشية عن الأغاني (طبعة دار صادر : 317) .
2 ل : وهيأ له غداء .

غير مُنكر لشيء . فدعاني فمددت يدي معه ، فإذا بثريدة بخلّ وبِزْر بدلاً من الزيت . فقلت له : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم ثريدةً بخلٍّ وبِزْر . فقلت : وما دعاك إلى هذا ؟ قال : غَلِط الغلام بين دبّة الزيت ودبّة البِزْر ؛ فلمّا جاءني كَرِهت التجبُّر وقلت : دُهنٌ كدهن ، فأكلتُ وما أنكرتُ شيئاً .

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عبد الله بن عطيّة الكوفيّ قال حدّثنا محمد بن عيسى الخُزَيْميّ ، وكان جارَ أبي العتاهية ، قال : كان لأبي العتاهية جارٌ يلتقط النَّوى ضعيفٌ سيّيء الحال متجمِّل له بناتٌ[1] فكان يمرّ بأبي العتاهية طَرَفَي النهار ؛ فيقول أبو العتاهية : اللهمّ أَغْنِه عمّا هو بسبيله ، شيخٌ ضعيف سيّيءُ الحال له بنات متجمّل ، اللهمّ أَغْنه ، اصنع له ، بارِك فيه . فبقي على هذا إلى أن مات الشيخ نَحْواً من عشرين سنة . ولا والله إنْ تصدّق عليه بدرهم ولا دانِق قطّ ، وما زاد على الدعاء شيئاً . فقلت له يوماً : يا أبا إسحاق إنّي أراك تُكثر الدعاءَ لهذا الشيخ وتزعم أنّه فقير معيلٌ[2] ، فلِمَ لا تتصدّق عليه بشيء ؟ فقال : أخشى أن يعتاد الصدقة ، والصدقة آخِر كسب العبد ، وإنّ في الدعاء لخيراً كثيراً .

قال محمد بن عيسى الخُزَيْميّ هذا : وكان لأبي العتاهية خادمٌ أسود طويل كأنّه مِحراك أتُّون ، وكان يُجري عليه في كلّ يوم رغيفين . فجاءني الخادم يوماً فقال لي : والله ما أشبع . فقلت : وكيف ذاك ؟ قال : لأنّي ما أَفْتُر من الكدّ وهو يُجري عليّ رغيفين بغير إدام . فإن رأيتَ أن تكلّمه حتى يزيدني رغيفاً فتُؤجَر ؛ فوعدتُه بذلك . فلمّا جلستُ معه مَرّ بنا الخادم فكَرِهتُ إعلامَه أنّه شكا إليّ ذلك ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، كم تُجري على هذا الخادم في كلّ يوم ؟ قال رغيفين . فقلت له : لا يَكفِيانه . قال : من لم يَكفِه القليل لم يكفه الكثير ، وكلٌّ من أعطى نفسه شهوتها هلكَ ، وهذا خادم يدخل إلى حُرَمي وبناتي ، فإن لم أُعَوِّده القناعة والاقتصاد أهلكني وأهلك عيالي ومالي . فمات الخادم بعد ذلك فكفّنه في إزار وفراش له خَلَق . فقلت له : سبحان الله ؛ خادمٌ قديم الحُرمة طويل الخدمة واجبُ الحقّ ، تكفّنه في خَلَق ، وإنّما يكفيك له كفن بدينار ؛ فقال : إنّه يصير إلى البِلَى ، والحيُّ أولى بالجديد من الميّت . فقلت له : يرحمك الله يا أبا إسحاق ! فلقد عوّدته الاقتصاد حيّاً وميّتاً .

قال محمد بن عيسى هذا : وقف عليه ذات يوم سائلٌ من العَيَّارين الظُّرفاء وجماعةٌ من جيرانه حوله ، فسأله مِن بين الجيران ؛ فقال : صنع الله لك ، فأعاد السؤال فأعاد عليه ثانية ، فأعاد عليه ثالثةً فردّ عليه مثل ذلك ؛ فغضب وقال له : ألستَ القائل : [من المديد]

---

1 طبعة الدار : عليه ثياب .

2 طبعة الدار : مُقلّ .

كلُّ حَـــيٍّ عند مِيتته حظُّه مِن ماله الكفنُ

ثم قال : فبالله عليك أتريد أن تُعِدَّ مالَك كلَّه لثمن كفنك ؟ قال لا . قال : فبالله كم قَدّرت لكفنك ؟ قال : خمسة دنانير . قال : فهي إذاً حظُّك من مالك كلِّه . قال نعم . قال : فتصدّق عليّ من غير حظّك بدرهم واحد . قال : لو تصدّقت عليك لكان حظّي . قال : فاعمل على أنّ ديناراً من الخمسة الدنانير وضيعته[1] قيراط ، وادفع إليّ قيراطاً واحداً ، وإلاّ فواحدة أخرى . قال : وما هي ؟ قال : القبور تحفر بثلاثة دراهم ، فأعطني درهماً وأُقيم لك كفيلاً بأنّي أحفِر لك قبرك به متى مُتّ ، وتربح درهمين لم يكونا في حُسبانك ، فإن لم أحتفر رددتُه على وَرَثَتك أو ردّه كفيلي عليهم . فخجِل أبو العتاهية وقال : اعزُب لعنك الله وغضب عليك ؛ فضحك جميع مَن حضر . ومرّ السائل يضحك ؛ فالتفت إلينا أبو العتاهية فقال : من أجل هذا وأمثالِه حُرّمت الصدقة . فقلنا له : ومَن حرّمها ومتى حُرّمت ؟ فما رأينا أحداً ادّعى أنّ الصدقة حُرّمت قبله ولا بعده .

قال محمد بن عيسى هذا : وقلت لأبي العتاهية : أتُزَكّي مالَك ؟ فقال : والله ما أُنفق على عيالي إلاّ من زكاة مالي . فقلت : سبحانَ الله ! إنّما ينبغي أن تُخرِج زكاةَ مالك إلى الفقراء والمساكين . فقال : لو انقطعت عن عيالي زكاة مالي لم يكن في الأرض أفقرُ منهم .

[سئل عن أحكم شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : قال سليمان بن أبي شيخ قال إبراهيم بن أبي شيخ قلت لأبي العتاهية : أيُّ شعرٍ قلتَه أحْكم ؟ قال قولي : [من الرجز]

عَلِمتَ يا مُجاشِعُ بنَ مَسْعَدهْ أنّ الشّبابَ والفَراغَ والجِدَهْ
مَفْسَدةٌ للمرء أيُّ مَفْسدهْ

[عاتب عمرو بن مسعدة]

أخبرني عيسى قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال : كان مُجاشِع بن مَسعدة أخو عمرو بن مَسعدة صديقاً لأبي العتاهية ، فكان يقوم بحوائجه كلِّها ويُخلص مودّته ، فمات ، وعرضت لأبي العتاهية حاجةٌ إلى أخيه عمرو بن مسعدة فتباطأ فيها ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من الطويل]

1 الوضيعة : حطّ شيء من أصل الثمن وتسمّى أيضاً «الحطيطة» .

2 ديوان أبي العتاهية : في الزيادات رقم 44 ورواية البيت الثاني فيه :

ومن عجب الأيّام أن باد من يفي ومـن كنت ترعـاني لـه وبقيتـا

غَنِيتَ عـن العهـدِ القديمِ غَنِيتا وضَيَّعـتَ وُدّاً بيننـا ونَسِيتـا
ومِن عَجَب الأيّام أن مات مألَفي ومَـن كُنتَ تَغْشاني بـه وبَقِيتا

فقال عمرو : استطال أبو إسحاق أعمارنا وتوعّدنا ، ما بعد هذا خيرٌ ، ثم قضى حاجته .

[فارق أبا غزية في المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا أبو غَزِيّة قال : كان أبو العتاهية إذا قدِم من المدينة يجلس إليّ ؛ فأراد مرّة الخروج من المدينة فودّعني ثم قال : [من الخفيف]

إنْ نَعِشْ نجتمعْ وإلاّ فما أشْـ ـغلَ مَنْ مات عن جميع الأنامِ

[طالبه غلام من التجار بمال فأخجله بشعر]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العنزيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن إسحاق العُذْرِيّ قال : كان لبعض التُّجّار من أهل باب الطّاق على أبي العتاهية ثمنُ ثيابٍ أخذها منه . فمرّ به يوماً ، فقال صاحب الدكان لغلام ممّن يخدمه حسن الوجه : أدرِك أبا العتاهية فلا تُفارقه حتى تأخذ منه مالنا عنده ؛ فأدركه على رأس الجِسر ، فأخذ بعنان حماره ووقَفَه . فقال له : ما حاجتُك يا غلام ؟ قال : أنا رسولُ فلان ، بعثني إليك لآخذ ما له عليك . فأمسك عنه أبو العتاهية ؛ وكان كلُّ مَن مَرّ فرأى الغلام متعلّقاً به وقف ينظر ، حتى رضي أبو العتاهية جمع الناس وحفلَهم ، ثم أنشأ يقول[1] : [من مجزوء الكامل]

واللهِ ربِّـــك إنّنـــي لأُجِلُّ وجهَك عن فِعالِكْ
لـو كان فِعلُك مثلَ وجـ ـهِك كنتُ مُكْتفياً بذلكْ

فخجل الغلام وأرسل عِنان الحمار ، ورجع إلى صاحبه ، وقال : بعثَني[2] إلى شيطان جمع عليَّ الناس وقال فيّ الشعر حتى أخجلني فهربتُ منه .

[حجبه حاجب عمرو بن مسعدة]

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدّثنا العَنَزيّ قال قال إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم التَّيميّ : حدّثني إبراهيم بن حَكِيم قال : كان أبو العتاهية يختلف إلى عمرو بن مسعدةٍ لودٍّ كان بينه وبين أخيه مُجاشع . فاستأذن عليه يوماً فحُجِب عنه ، فلزِم منزلـه . فاستبطأه عمرو ؛ فكتب إليه : إنّ الكسل يمنعني من لقائك ؛ وكتب في أسفل رقعته[3] : [من المنسرح]

---

1 تكملة الديوان : رقم 221 (صادر : 321) .
2 ل : أرسلتني .
3 تكملة الديوان : رقم 217 .

كَسَّلني اليأسُ منكْ عنك فما أرفـعُ طَرْفي إليك من كَسَلِ
إنّي إذا لم يكن أخـي ثِقـة قطَّعتُ منـه حبائـلَ الأمـلِ

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد النَّحويّ قال : استأذن أبو العتاهية على عمرو بن مسعدة فحُجب عنه ؛ فكتب إليه[1] : [من المنسرح]

ما لك قد حُلْتَ عن إخائك واسـ ـتبدلت يا عمرُو شِيمةً كَدِرهْ
إنّـي إذا البـابُ تـاه حاجبُـه لم يَكُ عندي في هَجْره نَظِرَهْ
لَسْتُمْ تُرَجَّوْنَ للحِساب ولا يـومَ تكونُ السماءُ مُنفطِرهْ
لكـنْ لدنيـا كالظـلّ بهجتُها سريعـةُ الإنقضـاءِ مُنْشمِرَهْ
قد كان وجهي لديـك معرفةً فاليومَ أضحى حَرْفاً من النَّكِرهْ

[قصيدته في هجو عبد الله بن معن]

أخبرني محمد بن القاسم الأَنباريّ قال حدّثنا أبو عِكْرِمة قال : كان الرشيد إذا رأى عبد الله بن مَعن بن زائدة تمثّل قول أبي العتاهية : [من السريع]

أختُ بني شَيْبان مرّتْ بنا مَمْشوطةً كُـوراً على بَغْلِ

وأوّل هذه الأبيات[2] : [من السريع]

يـا صاحِبَيْ رَحْـلِيَ لا تُكْثِرا في شَتْم عبـد الله من عَذْلِ
سبحانَ من خَصَّ ابنَ معنٍ بما أرى بـه مـن قِلَّـة العَقْلِ
قال ابنُ مَعْـنٍ وجَلا نفسَه على مَـنِ الجَلْـوةُ يـا أهْلي
أنا فتـاةُ الحـيّ مـن وائلٍ في الشَّرَف الشّامـخ والنُّبْلِ
مـا في بَني شَيبانَ أهلِ الحِجا جاريـةٌ واحـدةٌ مثـلي
وَيْـلي ويـا لَهْفي على أَمْرَدٍ يُلْصِق منّـي القُرْط بالحِجْلِ
صافحتُه يومـاً على خَلْـوةٍ فقال دَعْ كفي وخُـذْ رِجْلي
أختُ بني شيبانَ مـرَّتْ بنا ممشوطةً كُـوراً على بَغْلِ
تُكْنى أبا الفضل ويا مَنْ رأى جاريـةً تُكْنَى أبـا الفضلِ

1 تكملة الديوان : رقم 102 عن الأغاني .
2 تكملة الديوان : رقم 210 عن الأغاني (صادر : 381) .

قـد نَقَّطتْ في وجهها نُقطةً مَخافـةَ العـين مـن الكُحْلِ
إن زُرتموها قـال حُجَّابُها نحـن عـن الزُّوَّار في شُغْلِ
مولاتُنـا مشغولـةٌ عندهـا بَعْـل ولا إذنَ عـلى البَعْلِ
يـا بنتَ مَعْنِ الخيرِ لا تجهَلي وأيـن إقصارٌ عـنِ الجهـلِ
أتَجْلـدُ النـاسَ وأنـت امرؤٌ تُجْلَـد في الدُّبْـر وفي القُبْلِ
مـا ينبغي للنّاسِ أن يَنسُبُوا مَنْ كان ذا جُودٍ إلى البُخلِ
يَبذُلُ مـا يمنع أهـلُ الندى هـذا لعَمْـري مُنتهـى البَذْلِ
ما قلتُ هـذا فيك إلاّ وقد جَفّتْ بـه الأقلامُ من قَبْلي

قال : فبعث إليه عبد الله بن مَعْن ، فأتي به ؛ فدعا بغلمان له ثم أمرهم أن يرتكبوا منه الفاحشة ، ففعلوا ذلك ، ثم أجلسه وقال له : قد جزَيتُك على قولك فيّ ، فهل لك في الصُّلح ومعه مركبٌ وعشرة آلاف درهم أو تُقيم على الحرب ؟ قال : بل الصلح . قال : فأسمِعني ما تقوله في الصلح ؛ فقال[1] : [من مجزوء الرمل]

مـا لعُـذّالي وما لي أمـروني بالضّـلالِ
عذَلـوني في اغْتِفـاري لابـن مَعْـنٍ واحتمالي
إن يكن مـا كان منه فبِجُرمـي وفِعـالي
أنـا منـه كنـتُ أسوا عِشْرةً في كلِّ حـالِ
قل لِمن يَعْجَب من حُسـ ـنِ رُجوعـي ومَقالي
رُبَّ وُدٍّ بعـد صَـدٍّ وهـوى بعـد تَقـالي
قـد رأينـا ذا كثيراً جاريـاً بـين الرّجالِ
إنّمـا كانـتْ يمينـي لَطَمَـتْ منّـي شِمالي

[أحبّ سعدى التي كان يحبّها ابن معن ثم هجاها]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى اليزيديّ قال حدّثنا أبو سُوَيد عبد القَويّ بن محمد بن أبي العتاهية ومحمد بن سعد قالا : كان أبو العتاهية يَهوى في حَداثته امرأةً نائحة من أهل الحِيرة لها حُسن وجمال يقال لها سُعدى ؛ وكان عبد الله بن مَعْن بن زائدة المُكنّى بأبي الفضل يَهواها أيضاً ، وكانت مولاةً لهم ، ثم اتّهمها أبو العتاهية بالنِّساء ، فقال

1 تكملة الديوان : رقم 211 عن الأغاني (صادر : 382) .

فيها[1] : [من الطويل]

أَلا يا ذَواتِ السَّحْق في الغرب والشّرقِ أَفِقْنَ فإنّ النَّيْك أَشْفى من السَّحْقِ
أفِقنَ فإنّ الخبز بالأُدم يُشتَهى وليس يَسُوغُ الخبزُ بالخُبزِ في الحَلْقِ
أَراكُنَّ تَرقَعن الخُروقَ بمثلها وأيُّ لبيبٍ يرقَعُ الخَرْقَ بالخَرْقِ
وهل يصلحُ المِهراسُ إلاّ بعُوده إذا احْتِيج منه ذاتَ يوم إلى الدَّقِّ

[أهاجيه في ابن معن]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الغَلابيّ قال حدّثني مَهْديّ بن سابق قال : تهدّد عبد الله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ونهاه أن يَعْرِض لمولاته سُعدى ؛ فقال أبو العتاهية[2] : [من الهزج]

ألا قُلْ لابن معنٍ ذا الذ ي في الوُدّ قد حالا
لقد بُلِّغتُ ما قال فما باليتُ ما قالا
ولو كان من الأُسْدِ لَما صال ولا هالا[3]
فصُغْ ما كنتَ حلَّيتَ به سَيْفَك خَلْخالا
وما تصنَع بالسيف إذا لم تَكُ قَتّالا
ولو مَدّ إلى أُذْنيـ ـه كَفَّيه لما نالا
قَصيرُ الطُّولِ والطِّيلـ ـةِ لا شَبّ ولا طالا[4]
أرى قومَك أبطالا وقد أصبحتَ بطّالا

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني سليمان المدائنيّ قال : احتال عبد الله بن معن على أبي العتاهية حتى أُخِذ في مكان فضربه مائةَ سَوْط ضرباً ليس بالمبرِّح غَيْظاً عليه ، وإنّما لم يَعْنُفْ في ضربه خوفاً من كثرة من يُعنى به ؛ فقال أبو العتاهية يهجوه[5] : [من مجزوء الخفيف]

جَلَدَتْني بكَفّها بنتُ معنِ بن زائدهْ

1 تكملة الديوان : رقم 165 .
2 تكملة الديوان : رقم 194 (صادر : 380) .
3 صال في الديوان : راع .
4 الديوان : قصير الطَّول والطُّول فلا . . . .
5 تكملة الديوان : رقم 69 عن الأغاني .

جَلدتنـــي فأوجعـــتْ بأبـــي تِلـــك جالدهْ
وتَراها مـــع الخَصِيّ على البـــاب قاعدهْ
تَتَكَنّى كُنـــى الرجـــا لِ بِعَمْـــدٍ مُكـــايدهْ
جلدَتْنـــي وبالغـــتْ مائـــةً غيـــرَ واحدهْ
اجْلدينـــي واجْلِـــدي إنّمـــا أنـــتِ والـــدهْ

وقال أيضاً[1] : [من الخفيف]

ضربَتْني بكَفِّهـــا بنتُ مَعْـــنٍ أوْجَعَتْ كفَّهـــا وما أوجَعتني
وَلَعَمْرِي لـــولا أذى كفِّها إذ ضَرَبَتْني بالسَّوْط مـــا تَرَكَتْني

[توعّده يزيد بن معن لهجائه أخاه فهجاه]

قال الصولي : حدّثنا عَوْن بن محمد ومحمد بن موسى قالا : لمّا اتصل هجاء أبي العتاهية بعبد الله بن معن وكَثُر ، غضب أخوه يزيد بن معن من ذلك وتوعّد أبا العتاهية ؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها[2] : [من الوافر]

بَنى مَعْنٌ ويَهدِمُـــه يزيدُ كذاك اللهُ يفعلُ ما يُريدُ
فمَعْنٌ كان للحُسّاد غَمّاً وهذا قد يُسَرّ به الحسودُ
يزيدُ يزيدُ في مَنْعٍ وبخلٍ ويَنقُص في العطاء ولا يزيدُ

[مصالحته أولاد معن]

حدّثني الصوليّ قال حدّثني جَبَلَةُ بن محمد قال حدّثني أبي قال : مضى بنو مَعْن إلى مَنْدَل وحيّان ابنَيْ عليّ العَنَزِيَّيْن الفقيهين ، وهما من بني عمرو بن عامر بطنٍ مِنْ يَقْدُمَ بن عَنَزة ، وكانا من سادات أهل الكوفة ، فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ، ولا فرقَ بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الوَلاء لوجبَ أن تَرْدعاه . فأحْضَرا أبا العتاهية ، ولم يكن يُمكنه الخلافُ عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبد الله ويزيد ابنَيْ معن ، وضمِنا عنه خُلُوصَ النيّة ، وعنهما ألاّ يَتْبَعاه بسوء ، وكانا ممّن لا يُمكن خلافُهما ، فرجَعت الحالُ إلى المَوَدّة والصَّفاء . فجعل الناس يَعذِلُون أبا العتاهية على ما فرَط منه ، ولامه آخرون في صُلْحه لهما ؛ فقال : [من مجزوء الرمل]

1 تكملة الديوان : رقم 266 .
2 تكملة الديوان : رقم 62 .

مـا لعُـذّالي ومـا لي أَمَـروني بالضَّـلالِ

وقد كُتِبَتْ مُتقدِّمة .

[رثاؤه زائدة بن معن]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال : كان زائدةُ بن معنٍ صديقاً لأبي العتاهية ولم يُعِنْ إخوتَه عليه ، فمات ؛ فقال أبو العتاهية يَرثيه[1] : [من الوافر]

حَزِنتُ لمـوت زائدةَ بن مَعْنٍ حقيقٌ أن يطولَ عليـه حُزني

فَتـى الفتيانِ زائـدةُ المُصَفَّى أبـو العبّاس كان أخي وخِدْني

فتى قـومٍ وأيُّ فتًى توارتْ بـه الأكفانُ تحت ثَرًى ولِبْنِ

ألا يـا قبرَ زائـدةَ بن مَعْنٍ دعوتُك كي تُجيبَ فلمَ تُجبني

سَلِ الأيّامَ عن أركانِ قومي أُصبن بهنّ رُكناً بعـدَ ركنِ

[عبد الله بن معن يخجل إذا لبس السيف لهجوه فيه]

أخبرني الصّوليّ قال حدّثنا الحسن بن عليّ الرازيّ القارىء قال حدّثني أحمد بن أبي فَنَن قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ ، فذكروا[2] قولَ ابن نوفلٍ في عبد الملك بن عُمَير : [من الطويل]

إذا ذاتُ دَلٍّ كلَّمتْـه لحاجـةٍ فَهَمَّ بأن يَقْضِي تَنَحْنَحَ أو سَعَلْ

وأن عبد الملك قال : تركني والله وإنّ السُّعْلة لتَعْرِض لي في الخلاء فأذكُر قولَه فأهاب أن أسعُل . قال : فقلت لابن الأعرابيّ : فهذا أبو العتاهية قال في عبد الله بن مَعْن بن زائدة : [من الهزج]

فصُغْ ما كنت حَلَّيتَ بـه سيفَك خَلْخالا

وما تصنـع بالسَّيفِ إذا لم تـك قتّالا

فقال عبد الله بن مَعْن : ما لبِستُ سيفي قطّ فرأيت إنساناً يَلمَحُني إلاّ ظننتُ أنّه يحفظ قول أبي العتاهية فيّ ، فلذلك يتأمَّلُني فأخجَل . فقال ابن الأعرابيّ : اعجَبوا لعبد يَهجو مولاه . قال : وكان ابن الأعرابيّ مولى بني شيبان .

[ناظر مسلم بن الوليد]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مَهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : اجتمع أبو العتاهية ومسلم بن الوليد الأنصاريّ في بعض

1 تكملة الديوان : رقم 269 .

2 ل : فتذاكروا .

المجالس ، فجرى بينهما كلامٌ ؛ فقال له مُسلم : والله لو كنتُ أرضى أن أقولَ مثل قولك[1] : [من مجزوء الرجز]

الحمدُ والنعمةُ لـك والملكُ لا شريكَ لكْ
لبيك إنّ المُلْكَ لكْ

لقلتُ في اليوم عشرة آلاف بيت ، ولكنّي أقول[2] : [من البسيط]

مُوف على مُهجٍ في يوم ذي رهجٍ كأنّه أجلٌ يسعَى إلى أَملِ
ينالُ بالرّفقِ ما يعْيا الرجالُ به كالموتِ مُستعجِلاً يأتي على مَهَلِ
يكسو السيوف نُفوسَ الناكثين به ويجعلُ الهامَ تِيجانَ القنا الذُّبُلِ
للهِ من هاشمٍ في أرضِهِ جبل وأنتَ وابنُك رُكْنا ذلك الجَبَلِ

فقال له أبو العتاهية : قُلْ مثلَ قولي :

الحمدُ والنِّعمة لكْ

أَقُلْ مثل قولك :

كأنّه أجلٌ يَسعى إلى أملِ

[تقارض هو وبشّار الثناء]

حدّثني الصوليّ قال حدّثنا الغلابيّ قال حدّثنا مهديّ بن سابق قال : قال بشّار لأبي العتاهية : أنا والله أَسْتحسِن اعتذارك من دمعك حيث تقول[3] : [من مجزوء الكامل]

كم من صَديقٍ لي أُسا رِقُه البُكاءَ من الحَياءِ
فإذا تأمَّلَ لامني فأقولُ ما بي مِنْ بُكاءِ
لكنْ ذهبتُ لأرتدي فطَرَفتُ عيني بالرِّداءِ

فقال له أبو العتاهية : لا والله يا أبا مُعاذ ، ما لُذتُ إلاّ بمعناكَ ولا اجتنيتُ إلاّ من غَرْسك حيث تقول[4] : [من الوافر]

---

1 تكملة الديوان : رقم 203 .
2 شرح ديوان صريع الغواني (تحقيق سامي الدهان ، دار المعارف بمصر) : 9 .
3 تكملة الديوان : رقم 2 .
4 في أمالي القالي 1 : 49–50 أبيات منها :

وقالوا قد جزعت فقلت كلا وهل يبكي من الطرب الجليد

ولم ينسبها لبشّار . ومن المستبعد نسبتها إلى بشّار لأن قائلها لا بدّ أن يكون بصيراً .

صوت

شكوتُ إلى الغواني ما أُلاقي ... وقلتُ لهنّ ما يَومي بَعِيدُ
فقُلْنَ بكيتَ قلتُ لهنّ كلاّ ... وقد يَبْكي من الشَّوْق الجَلِيدُ
ولكنّي أصابَ سَوادَ عيني ... عُوَيْدُ قَذىً له طَرَفٌ حديدُ
فقُلْن فما لدَمْعِهما سواءٌ ... أكِلْتا مُقْلَتَيْك أصابَ عُودُ

لإبراهيم المَوصليّ في هذه الأبيات لحن من الثقيل الأوّل بالوسطى مُطلق .

[شكا إليه محمد بن الفضل الهاشميّ جفاء السلطان]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني محمد بن هارون الأَزرَقيّ مولى بني هاشم عن ابن عائشة عن ابنٍ لمحمد بن الفضل الهاشميّ قال : جاء أبو العتاهية إلى أبي فتحدّثا ساعةً ، وجعل أبي يشكو إليه تَخَلُّفَ الصَّنعة وجَفاءَ السلطان . فقال لي أبو العتاهية : اكتُبْ[1] : [من الكامل]

كلٌّ على الدنيا له حِرْصُ ... والحادثاتُ أُناتُها غَفْصُ[2]
وكأنّ من وَارَوْه في جَدَثٍ ... لم يبدُ منه لناظر شَخصُ
تَبْغِي من الدنيا زِيادتَها ... وزيادةُ الدنيا هي النَّقْصُ
لِيَدِ المنيّة في تَلَطُّفها ... عن ذُخْر كلِّ شفيقةٍ فَحْصُ

[حبسه الرشيد ثم عفا عنه وأجازه]

حدّثني عمرو قال حدّثني عليّ بن محمد الهشاميّ عن جدّه ابن حمدون قال أخبرني مُخارِق قال : لمّا تنسّك[3] أبو العتاهية ولبِس الصوف ، أمره الرشيد أن يقولَ شعراً في الغزَل ، فامتنع ؛ فضربه الرشيد ستّين عصاً ، وحلف ألاّ يخرج من حبسه حتى يقول شعراً في الغزل . فلمّا رُفعت المقارِعُ عنه قال أبو العتاهية : كلُّ مملوكٍ له حرّ وامرأته طالق إن تكلّم سنةً إلاّ بالقرآن أو بلا إله إلاّ الله محمد رسول الله . فكأنّ الرشيد تَحزّن ممّا فعله ، فأمر أن يُحبَس في دار ويُوسَّعَ عليه ، ولا يُمنع من دخول من يريد إليه . قال مُخارق : وكانت الحال بينه وبين إبراهيم الموصليّ لطيفةً ، فكان يبعثُني إليه في الأيّام أتعرّف خبره . فإذا دخلتُ وجدتُ بين يديه ظَهْراً[4] ودواةً ، فيكتب

1 ديوان أبي العتاهية : 198 (رقم 206) .
2 الغفص : الختل .
3 ل : تقرأ وهي بمعنى «تنسك» . وانظر الخبر في ابن العديم – دراسات : 51 (الفقرة : 16) .
4 ل : ظهوراً .

إليّ ما يريد ، وأُكَلِّمه . فمكث هكذا سنةً . واتَّفق أنّ إبراهيم الموصليّ صنع صوتَه : [من الكامل]

صوت

أعرَفْتَ دارَ الحيّ بالحِجْرِ فشدوريان فقُنّة الغَمْرِ[1]
وهجرتَنا وأَلِفتَ رَسْمَ بِلًى والرسمُ كان أحقَّ بالهَجْرِ

لحن إبراهيم في هذا الشعر خفيف رملٍ بالوسطى ، وفيه لإسحاق رمل بالوسطى . قال مخارق : فقال لي إبراهيم : اذهَب إلى أبي العتاهية حتى تُغَنّيه هذا الصوت . فأتيته في اليوم الذي انقضت[2] فيه يمينه ، فغنّيته إيّاه . فكتب إليّ بعد أن غنّيته : هذا اليوم تَنقضي فيه يميني ، فأُحِبّ أن تُقيم عندي إلى الليل ؛ فأقمتُ عنده نهاري كلّه ، حتى إذا أَذّن الناسُ المغربَ كلّمني ، فقال : يا مُخارق . قلت : لَبَّيْك . قال : قُلْ لصاحبك : يا ابن الزانية ؛ أما والله لقد أبقيتَ للناس فِتنةً إلى يوم القيامة ، فانظر أين أنت من الله غداً ؛ قال مُخارق : فكنتُ أوّل من أَفْطر على كلامه ؛ فقلت : دَعْني من هذا ، هل قلتَ شيئاً للتخلّص من هذا الموضع ؟ فقال : نعم ، قد قلت في امرأتي شعراً . قلت : هاته ؛ فأنشدني[3] : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لِقلبٍ مُتَيَّمٍ مُشتاقِ شَفّه شوقُه وطولُ الفراقِ
طالَ شوقي إلى قعيدةِ بيتي ليت شعري فهل لنا من تَلاقي
هي حظّي قَدِ اقتصرتُ عليها من ذوات العُقود والأطواقِ
جَمَع اللهُ عاجلاً بِك شملي عن قريبٍ وفكّني من وَثاقي

قال : فكتبتها وصِرتُ بها إلى إبراهيم ؛ فصنع فيها لحناً ، ودخل بها على الرشيد ؛ فكان أوّل صوت غنّاه إيّاه في ذلك المجلس ؛ وسأله : لمن الشعر والغِناء ؟ فقال إبراهيم : أمّا الغناء فلي ، وأمّا الشعر فلأسيرك أبي العتاهية . فقال : أَوَ قد فَعل ؟ قال : نعم قد كان ذلك . فدعا به ، ثم قال لمسرور الخادم : كم ضربنا أبا العتاهية ؟ قال : ستّين عصاً ، فأمر له بستّين ألف درهم وخلَع عليه وأطلقه .

---

1 الغمر : جبل بحذاء توّز بمكّة .

2 ل : انقطعت .

3 الأبيات في تكملة الديوان : 586 عن الأغاني . وكلّ ما لم نشِر إلى تخريجه في الديوان من شعره فهو منقول عن الأغاني . وانظر أيضاً ابن العديم : 64 (الفقرة 40) .

[غضب عليه الرشيد وترضّاه له الفضل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهدي قال حدّثنا الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : قال لي الفضل بن العبّاس : وجَد الرشيدُ وهو بالرَّقَّة على أبي العتاهية وهو بمدينة السّلام ، فكان أبو العتاهية يرجو أن يتكلَّم الفضلُ بن الربيع في أمره ، فأبطأ عليه بذلك ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

أَجَفَوْتَني فيمن جفاني وجعلتَ شأنَك غيرَ شاني
ولطالما أَمَّنْتني ممّا أرى كلَّ الأمانِ
حتّى إذا انقلبَ الزّما نُ عليَّ صرت مع الزمانِ

فكلّم الفضلُ فيه الرشيد فرضِي عنه . وأرسل إليه الفضلُ يأمره بالشخوص ، ويذكر له أنّ أمير المؤمنين قد رضي عنه ؛ فشخص إليه . فلمّا دخل إلى الفضل أنشده قوله فيه[2] : [من الخفيف]

قد دعوناه نائياً فوجدنا ه على نَأْيه قريباً سميعا

فأدخله إلى الرشيد ، فرجع إلى حالته الأولى .

[رثاء يزيد بن منصور]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : كان يزيد بن منصور خالُ المهديّ يتعصّب لأبي العتاهية ؛ لأنّه كان يمدح اليمانية أخوالَ المهديّ في شعره ؛ فمن ذلك قوله[3] : [من الوافر]

صوت

سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السّلامِ فنِعْم مَحَلّةُ الملكِ الهُمامِ
لقد نشرَ الإلهُ عليك نُوراً وحفَّك بالملائكةِ الكِرامِ
سأشكُر نعمةَ المهديّ حتّى تدورَ عليّ دائرةُ الحِمامِ
له بيتانِ بيتٌ تُبَّعِيٌّ وبيتٌ حَلَّ بالبلدِ الحرامِ

قال : وكان أبو العتاهية طولَ حياة يزيد بن منصور يدّعي أنّه مولًى لليمن ويَنْتفي من عَنَزَة ؛ فلمّا مات يزيد رجع إلى ولائه الأوّل . فحدّثني الفضل بن العبّاس قال : قلت له : ألم تكن تزعمُ أنّ ولاءَك لليمن ؟! قال : ذلك شيء احتجنا إليه في ذلك الزمن ، وما في واحدٍ ممّن

1 تكملة الديوان : رقم 267 .
2 تكملة الديوان : رقم 149 .
3 تكملة الديوان : رقم 242 .

انتميتُ إليه خيرٌ ، ولكنّ الحقَّ أحقُّ أن يُتّبع . وكان ادّعى ولاءَ اللَّخْمِيّين . قال : وكان يزيد بن منصور من أكرم الناس وأحفظِهم لحُرْمةٍ ، وأرعاهم لعهدٍ ، وكان بارّاً بأبي العتاهية ، كثيراً فضلُه عليه ؛ وكان أبو العتاهية منه في مَنَعة وحصْن حَصين مع كَثْرة ما يدفَعُه إليه ويمنَعه من المَكاره . فلمّا مات قال أبو العتاهية يَرثيه[1] : [من البسيط]

أَنْعَى يزيدَ بن منصورٍ إلى البَشَرِ ... أَنْعى يزيدَ لأهلِ البَدْوِ والحَضَرِ
يا ساكنَ الحُفْرة المهجورِ ساكنُها ... بعد المَقاصر والأبواب والحُجَرِ
وجدتُ فَقْدَك في مالي وفي نَشَبي ... وجدتُ فقدك في شَعْرِي وفي بَشَرِي
فلستُ أدري جزاك الله صالحةً ... أمنظَري اليومَ أسْوَا فيك أم خَبَري

[استحسن شعره بشّار وقد اجتمعا عند المهديّ]

حدّثنا ابن عمّار قال حدّثنا محمد بن إبراهيم بن خَلَف قال حدّثني أبي قال[2] : حُدّثتُ أنّ المهديّ جلس للشّعراء يوماً ، فأذِن لهم وفيهم بشّار وأشجعُ ، وكان أشجع يأخذ عن بشّار ويُعظّمه ، وغيرُ هذين ، وكان في القوم أبو العتاهية . قال أشجع : فلمّا سمِع بشّار كلامَه قال : يا أخا سُلَيم ، أهذا ذلك الكوفيّ المُلَقَّب ؟ قلت نعم . قال : لا جزى الله خيراً مَنْ جمعنا معه . ثم قال له المهديّ : أنشد ، فقال : ويحك ؛ أوَيبدأ فيُستَنشَدَ أيضاً قبلنا ؟! فقلت : قد ترى . فأنشد : [من المتقارب]

ألا ما لِسيّدتِي ما لها ... أدَلاً فأحمِلَ إدْلالَها
وإلاّ ففِيمَ تَجنَّتْ وما ... جَنيتُ سَقى اللهُ أطلالَها
ألا إنّ جاريةً لِلإما ... مِ قد أُسْكِن الحبُّ سِرْبالَها
مَشتْ بين حُورٍ قصارِ الخُطا ... تُجاذِبُ في المَشْي أكفالَها
وقد أتعبَ اللهُ نفسي بها ... وأتعب باللَّوْمِ عُذّالَها

قال أشجع : فقال لي بشّار : وَيْحَك يا أخا سُلَيم ؛ ما أدري من أيّ أمْرَيْه أعجب : أمِنْ ضعف شِعْره ، أم من تَشْبيبه بجارية الخليفة ، يسمع ذلك بأذنه ! حتى أتى على قوله : [من المتقارب]

أتَتْه الخلافةُ مُنقادةً ... إليه تُجَرِّرُ أذيالَها
ولم تَكُ تصلُح إلاّ له ... ولم يَكُ يصلُح إلاّ لها

1 تكملة الديوان : رقم 111 .

2 الخبر والشعر في ابن العديم ـ دراسات : 71 (الفقرة 48) . وانظر ديوان أبي العتاهية : الزيادة (رقم 719) .

ولـو رامهـا أحدٌ غيرُه لزُلزلتِ الأرضُ زِلْزالَها
ولو لم تُطِعْه بناتُ القلوبِ لمَـا قَبِـل اللهُ أعمـالَها
وإنّ الخليفةَ من بُغض لا إليـه لَيُبْغِض مَـن قالَها

قال أشجع : فقال لي بشّار وقد اهتزّ طرباً : ويحك يا أخا سُلَيم ! أترى الخليفة لم يَطِرْ عن فَرْشه طَرَباً لما يأتي به هذا الكوفيّ ؟

[رماه منصور بن عمّار بالزندقة]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني ابن مهرويَه قال حدّثني العبّاس بن ميمون قال حدّثني رَجاء بن سَلَمة قال : سمعتُ أبا العتاهية يقول : قرأتُ البارحةَ ﴿عَمَّ يَتَساءَلُونَ﴾ ، ثم قلتُ قصيدة أحسن منها . قال : وقد قيل : إنّ منصورَ بن عمّار شَنّع عليه بهذا .

قال يحيى بن عليّ حدّثنا ابن مَهرويَهْ قال حدّثني أبو عُمَر القرشيّ قال : لمّا قَصَّ منصور بن عمّار على الناس مجلسَ البَعُوضة قال أبو العتاهية : إنّما سرق منصورٌ هـذا الكلامَ من رجل كـوفيّ . فبلـغ قولُـه منصوراً فقـال : أبو العتاهية زِنديقٌ ، أما تَرَوْنه لا يذكر في شعره الجنّة ولا النار ، وإنّما يذكر الموت فقط ؟ فبلغ ذلك أبا العتاهية ، فقال فيه[1] : [من البسيط]

يا واعظَ الناسِ قد أصبحتَ مُتَّهَماً إذ عِبتَ منهـم أُموراً أنت تأتيها
كالمُلْبِس الثوبَ من عُريٍ وعورتُه للنـاس باديـةٌ مـا إنْ يُواريها
فأعظمُ الإثْمِ بعـد الشِّرك نَعلَمُه في كلّ نفسٍ عَماهـا عن مَساويها
عِرفانُها بعيوبِ الناسِ تُبصرهـا منهم ولا تُبصر العيبَ الذي فيها

فلم تَمضِ إلاّ أيّامٌ يسيرة حتى مات منصور بن عمّار ، فوقف أبو العتاهية على قبره وقال : يَغفِر الله لك أبا السَّرِيّ ما كنتَ رميتَني به .

[وشي به إلى حمدويه صاحب الزنادقة فتحقّق أمره وتركه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن موسى قال أخبرني النَّسائيّ عن محمد بن أبي العتاهية قال[2] : كانت لأبي العتاهية جارةٌ تُشْرِف عليه ، فرأتْه ليلةً يَقْنُت ، فروتْ عنه أنّه يُكلِّم القمر ، واتّصل الخبر بحمدويَه صاحب الزنادقة ، فصار إلى منزلها وبات وأشرف على أبي العتاهية ورآه يُصلّي ، ولم يزَل يرقُبه حتى قَنَت وانصرف إلى مضجعه ، وانصرف حمدويَه خاسئاً .

1 ديوان أبي العتاهية : 445 (رقم 441) وفيه في البيت الرابع «وشغلها» بدل «عرفانها» .

2 هذا الخبر في ابن العديم ـ دراسات : 53 (الفقرة 22) . وحمدويه صاحب الزنادقة اسمه محمد بن عيسى من أهل ميسان ، عيّنه المهدي لتعقّب الزنادقة .

[قال شعراً يدلّ على توحيده ليتناقله الناس]

حدّثنا محمد بن يحيى قال حدّثنا محمد بن الرياشيّ قال حدّثنا الخليل بن أسد النُّوشَجانيّ قال : جاءنا أبو العتاهية إلى منزلنا فقال : زعَم الناس أنّي زنديق ، والله ما ديني إلاّ التّوحيد . فقلنا له : فقُلْ شيئاً نتحدّث به عنك ؛ فقال[1] : [من المتقارب]

ألا إنّنـــا كلّنـــا بائـــدُ وأيُّ بنـــي آدمٍ خالـــدُ
وبَدْؤُهـــمُ كان مـــن ربِّهم وكلٌّ إلى ربِّـــه عائـــدُ
فيا عجباً كيف يُعْصى الإلـ ـهُ أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ
وفي كلِّ شيءٍ له آيـــةٌ تـــدلُّ على أنَّـــه واحـــدُ

[أرجوزته المشهورة]

أخبرني أبو دُلَف هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال : تذاكروا يوماً شعرَ أبي العتاهية بحضرة الجاحظ ؛ إلى أن جرى ذكرُ أرجوزتِه المزدوجة التي سمّاها «ذاتَ الأمثال» ؛ فأخذ بعض مَن حضر يُنشدها حتى أتى على قوله : [من الرجز]

يا لَلشَّبابِ المَـرِح التَّصابي روائحُ الجنَّـةِ في الشَّبابِ

فقال الجاحظ للمُنشد : قِفْ ، ثم قال : انظروا إلى قوله :

روائحُ الجنّةِ في الشَّبابِ

فإنّ له معنًى كمعنى الطَّرب الذي لا يقدِر على معرفته إلاّ القلوبُ ، وتَعجِز عن ترجمته الألسنة إلاّ بعد التطويل وإدامة التفكير . وخيرُ المعاني ما كان القلبُ إلى قبوله أسرعَ من اللسان إلى وصفه . وهذه الأُرجوزة من بدائع أبي العتاهية ، ويقال : إن له فيها أربعةَ آلاف مَثَل . منها قوله[2] : [من الرجز]

حَسْبُك ممّـــا تَبْتَغيه القـــوتُ ما أكثَرَ القُـــوتَ لمـــن يموتُ
الفقـــرُ فيمـــا جـــاوزَ الكفافا مِـــن اتّقَـــى اللهَ رَجـــا وخافا
هـــي المقاديـــرُ فلُمْني أو فَذَرْ إن كنتُ أخطأتُ فما أخطا القَدَرْ
لِكلِّ مـــا يُؤذِي وإن قَلَّ أَلَـــمْ ما أطولَ اللَّيلَ على من لم يَنَم
مـــا انتفع المـــرءُ بمثلِ عَقْلِهِ وخيرُ ذُخْرِ المـــرءِ حُسْنُ فِعْلِهِ

1 ديوان أبي العتاهية : 102 (رقم 103) .
2 هذه الأرجوزة وردت في أصل ديوانه ، وقد جاءت في 320 بيتاً (ص 444–465) .

إنّ الفسادَ ضِـدُّه الصّـلاحُ ورُبّ جِـدٍّ جَـرّه المِزاحُ
مَـن جَعَـل النَّمَّامَ عيناً هلَكا مُبْلِغُـك الشرَّ كَباغيـه لكا
إنّ الشَّبابَ والفَـراغ والجِدَه مَفْسَدةٌ للمـرء أيُّ مَفْسَدهْ
يُغْنيك عـن كلِّ قبيحٍ تَرْكُهُ يَرتَهِـن الرأيَ الأصيلَ شَكُّهُ
مـا عَيشُ مَـنْ آفتُـه بقاؤُهُ نَغِّص عيشاً كلَّـه فَنـاؤهُ
يا رُبَّ مَـنْ أسخطنا بجَهْدِهِ قـد سَرّنـا اللهُ بغَير حَمْده
مـا تطلُع الشمسُ ولا تغيبُ إلاّ لأمـرٍ شأنُـه عجيبُ
لكلّ شيء مَعْـدِنٌ وجَوْهَـرُ وأوسطٌ وأصغـرٌ وأكبرُ
مَنْ لك بالمَحْضِ وكلٌّ مُمتزِجْ وساوسَ في الصّدر منه تَعتلجْ
وكلُّ شيءٍ لاحـقٌ بجوهرهْ أصغـرُه مُتَّصِـلٌ بـأكبرهْ
مـا زالتِ الدنيا لنا دارَ أذَى ممزوجةَ الصَّفو بألـوان القَذى
الخيـرُ والشرُّ بهـا أزواجُ لِـذا نِتـاجٌ ولِـذا نِتاجُ
مَنْ لك بالمَحْض وليس مَحْضُ يَخبُـث بعضٌ ويَطيب بعضُ
لكـلٌّ إنسانٍ طبيعتـانِ خيرٌ وشرٌّ وهمـا ضِـدّانِ
إنّك لـو تَستنشق الشَّحِيحا وجدتَـه أنتـنَ شيءٍ ريحا
والخيرُ والشرُّ إذا مـا عُـدّا بينهما بَـوْنٌ بعيـدٌ جِدّا
عجبتُ حتى غمّني السكوتُ صِرْتُ كأنّي حائـرٌ مبهوتُ
كذا قضى اللهُ فكيف أصنَعُ الصمتُ إن ضاقَ الكلامُ أوسعُ

وهي طويلة جدّاً ، وإنّما ذكرتُ هذا القدرَ منها حسَب ما اسْتاقَ الكلامُ من صفتها .

[برمه بالناس وذمّه لهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه عن رَوْح بن الفَرَج قال : شاوَرَ رجلٌ أبا العتاهية فيما ينقُشه على خاتمه ؛ فقال : انقُش عليه : لَعنةُ الله على الناس ؛ وأنشد[1] : [من السريع]

بَرِمـتُ بالناسِ وأخلاقِهم فصِرْتُ أستأنِس بـالوَحدَهْ
مـا أكثرَ الناسَ لعَمْري وما أقلَّهـم في حاصـلِ العِدّهْ

1 ديوان أبي العتاهية : 134 (الحاشية) عن الأغاني .

[مدح عمر بن العلاء]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضحّاك : أنّ عمر بن العلاء مولى عمرو بن حُرَيث صاحبَ المهديّ كان مُمَدَّحاً ، فمدحه أبو العتاهية ، فأمر له بسبعين ألف درهم ؛ فأنكر ذلك بعضُ الشعراء وقال : كيف فعل هذا بهذا الكوفيّ ؟ وأيّ شيء مِقدارُ شعره ؟ فبلغه ذلك ، فأحضر الرجلَ وقال له : والله إنّ الواحد منكم لَيَدُور على المعنى فلا يُصيبه ، ويتعاطاه فلا يُحسنه ، حتى يُشبّب بخمسين بيتاً ، ثم يمدَحنا ببعضها ، وهذا كأنّ المعاني تُجمع له ، مدحني فقَصَّر التشبيبَ ، وقال[1] : [من الكامل]

إنّي أُمِنْتُ من الزمـانِ ورَيبِه لَمّا عَلِقتُ مـن الأميرِ حِبالا
لو يستطيعُ الناسُ من إجلاله لَحَذَوْا لـه حُـرَّ الوُجوهِ نِعالا

صوت

إنّ المطايا تَشتكيك لأنّها قطَعتْ إليك سَباسِباً ورِمالا
فإذا وَرَدْنَ بنا ورَدن مُخِفَّةً وإذا رجَعْنَ بنا رجعنَ ثِقالا

أخذ هذا المعنى من قول نُصَيب : [من الطويل]

فعاجُوا فأَثْـنَـوْا بالذي أنت أهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

[رأي العتابي فيه]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن عَوْن قال حدّثني محمد بن النَّضْر كاتب غَسّان بن عبد الله قال : أُخرِجتُ رسولاً إلى عبد الله بن طاهر وهو يُريد مصر ، فنزلت على العتّابيّ ، وكان لي صديقاً ، فقال : أنشِدني لشاعر العراق ، يعني أبو نواس ، وكان قد مات ، فأنشدته ما كنت أحفظ من مُلَحِه ، وقلت له : ظَننتُك تقول هذا لأبي العتاهية . فقال : لو أردتُ أبا العتاهية لقلت لك : أنشِدني لأشعر الناس ، ولم أقتصر على العراق .

[ملاحظته على سهولة الشعر لمن يعالجه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني هارون بن سَعدان عن شيخ من أهل بغداد قال : قال أبو العتاهية : أكثرُ الناس يتكلّمون بالشعر وهم لا يعلمون ، ولو أحسنوا تأليفه كانوا شعراء كلّهم . قال : فبينما نحن كذلك إذ قال رجلٌ لآخر عليه مِسحٌ : «يا صاحب المِسْحِ تَبيع المسْحَ ؟» . فقال لنا أبو العتاهية : هذا من ذلك ، ألم تسمعوه يقول : [من الرجز]

1 تكملة الديوان : رقم 191 .

يا صاحبَ المِسح تَبيع المسحا

قد قال شعراً وهو لا يعلم . ثم قال الرجل : «تعال إن كنتَ تريد الرِّبح» . فقال أبو العتاهية : وقد أجاز المصراع بمصراع آخر وهو لا يعلم ، قال له :

تعـــالَ إن كنـتَ تُريـــدُ الرّبحا

[وصف الأصمعيّ شعره]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن بشير أبو طاهر الحَلَبيّ قال حدّثنا مَزْيَد الهاشميّ عن السِّدْريّ قال : سمعت الأصمعيّ يقول : شِعْرُ أبي العتاهية كساحة الملوك يَقع فيها الجوهرُ والذهب والتراب والخَزَف والنَّوى .

[مدح يزيد بن منصور]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لمّا حَبس المهديُّ أبا العتاهية ، تكلّم فيه يزيد بن منصور الحِميريّ حتى أطلقه ؛ فقال فيه أبو العتاهية[1] : [من البسيط]

مـا قلتُ في فَضلِه شيئاً لأمدحَه إلاّ وفضلُ يَزيـدٍ فـوقَ ما قلتُ
ما زلتُ من رَيْبِ دهري خائفاً وَجِلاً فقد كفانيَ بعـدَ الله مـا خِفْتُ

[قدرته على ارتجال الشعر]

أخبرني يحيى بن عليٍّ إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد الله بن الحسن قال : جاءني أبو العتاهية وأنا في الديوان فجلس إليّ . فقلت : يا أبا إسحاق ، أما يصعُب عليك شيءٌ من الألفاظ فتحتاج فيه إلى استعمال الغريب كما يحتاج إليه سائرُ من يقول الشعر ، أو إلى ألفاظ مُسْتكرَهة ؟ قال لا . فقلت له : إنّي لأحسب ذلك من كثرة رُكوبك القوافي السَّهلةَ . قال : فاعرِض عليّ ما شئتَ من القوافي الصعبة . فقلت : قل أبياتاً على مثل البلاغ . فقال من ساعته[2] : [من الخفيف]

أيُّ عيشٍ يكون أبلَغ من عيـ ـشِ كَفافٍ قُوتٍ بقَدْر البلاغِ
صاحبُ البَغْي ليس يسلَمُ منه وعلى نَفْسه بَغـــى كلُّ باغِي
رُبَّ ذي نِعمـةٍ تَعرَّضَ منهـا حائـلٌ بينـه وبـين المَساغِ
أبْلَغ الدهـرُ في مَواعظهِ بل زاد فيهـنّ لي عـلى الإبلاغِ

1 تكملة الديوان : رقم 41 وهي أربعة أبيات عن الموشح : 262 .
2 ديوان أبي العتاهية : 236 (رقم 244) .

غَبَنَتْنِي الأيّـامُ عقلِـي ومالي وشَبابـي وصِحّتـي وفراغِي

[كان مسلم بن الوليد يستخفّ به فلمّا أنشده من غزله أكبره]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو عليّ اليَقطِينيّ قال حدّثني أبو خارجة بن مسلم قال : قال مسلم بن الوليد : كنت مُسْتَخِفّاً بشعر أبي العتاهية ، فلَقِيَني يوماً فسألني أن أصير إليه ، فصِرت إليه فجاءني بلَونٍ واحد فأكلناه ، وأحضَرني تمراً فأكلناه ، وجلسنا نتحدّث ، وأنشدته أشعاراً لي في الغزل ، وسألته أن يُنشِدني ، فأنشدني قوله[1] : [من البسيط]

باللهِ يـا قُـرّةَ العينَيْنِ زُورِيني قبـلَ المماتِ وإلاّ فاسْتَزِيريني
إنّي لأَعْجَبُ من حُـبٍّ يُقَرّبني ممّـن يُباعـدني منـه ويُقْصِيني
أمّا الكثير فما أرجوه منكِ ولو أطمعتني في قليـلٍ كان يَكفيني

ثم أنشدني أيضاً[2] : [من الطويل]

رأَيتُ الهوى جمرَ الغَضا غيرَ أنّه على حَرِّه في صدرِ صاحبِهِ حُلْوُ

صوت

[من الطويل]

أَخِلاّيَ بي شَجْوٌ وليس بكم شجوُ وكلُّ امرىءٍ عن شَجو صاحبه خِلْوُ
ومـا مـن مُحِبٍّ نالَ ممّن يُحِبّه هوًى صادقاً إلاّ سيدخُلـه زَهْوُ
بُلِيتُ وكان المَـزْحُ بـدْءَ بَلِيّتي فأحببـتُ حقّاً والبلاء لـه بَدْوُ
وعُلِّقتُ مَـنْ يزهـو عليّ تَجبُّراً وإنّـيَ في كلِّ الخِصالِ لـه كُفْوُ
رأيتُ الهوى جمرَ الغَضا غير أنّه على كلِّ حالٍ عنـد صاحبه حُلْوُ

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مُطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو . ولعمرو بن بانة رمل بالوسطى من كتابه . ولعَريب فيه خفيف ثقيلٍ من كتاب ابن المُعتزّ ، قال مسلم : ثم أنشدني أبو العتاهية[3] : [من الطويل]

1 تكملة الديوان : الزيادة رقم 263 وفيها «بالله يا حلوة العينين . . .» .
2 تكملة الديوان : رقم 295 .
3 تكملة الديوان : رقم 243 .

صوت

خليـلـيَّ مـا لي لا تَـزال مَضَرّتـي ... تكون على الأَقْدارِ حَتْماً منَ الحَتْمِ
يُصاب فؤادي حين أَرْمى ورَمْيَتي ... تعودُ إلى نَحري ويَسْلَمُ من أَرْمي
صَبَرتُ ولا واللهِ مـا بي جَلادةٌ ... على الصبر لكنّي صبَرتُ على رَغْمي
ألا في سبيلِ الله جسمي وقُوّتي ... ألا مُسْعِدٌ حتى أنوح على جسمي
تُعَدّ عظامي واحـداً بعـد واحدٍ ... بِمَنْحًى منَ العُذّال عَظْماً على عَظمِ
كفاك بحقّ الله مـا قـد ظلمتَني ... فهـذا مَقـام المستجير من الظُّلْمِ

الغناء لسِياط في هذه الأبيات ، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، قال مسلم : فقلت له : لا والله يا أبا إسحاق ما يُبالي مَنْ أحسنَ أن يقول مثل هذا الشّعر ما فاته من الدنيا ! فقال : يا ابن أخي ، لا تقولنّ مثل هذا ؛ فإن الشعر أيضاً من بعض مَصايد الدنيا .

[وفد مع الشعراء على الرشيد فأفرده بالجائزة]

أخبرنا يحيى إجازةً قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن الفضل قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : اجتمعت الشعراء على باب الرشيد ، فأذِن لهم فدخلوا وأنشدوا ؛ فأنشد أبو العتاهية[1] : [من السريع]

يا مَـنْ تَبَغَّـى زمنـاً صالحاً ... صَلاحُ هـارونَ صلاحُ الزمنْ
كلُّ لسانٍ هـــو في مُلكـه ... بالشكـرِ في إحسانه مُرْتَهَنْ

قال : فاهتزّ له الرشيد ، وقال له : أحسنتَ والله ؛ وما خرج في ذلك اليوم أحد من الشعراء بِصلةٍ غيره .

[شعره في فرس الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عامر بن عِمران الضَّبيّ قال حدّثني ابن الأعرابيّ قال : أَجرى هارون الرشيد الخيلَ ، فجاءه فرس يقال له المُشَمِّر سابقاً ، وكان الرشيد مُعْجَباً بذلك الفرس ، فأمر الشعراء أن يقولوا فيه ؛ فبدرهم أبو العتاهية فقال[2] : [من البسيط]

1 تكملة الديوان : رقم 280 .
2 تكملة الديوان : رقم 97 .

جـاء المشمّرُ والأفراسُ يَقْدُمُهـا هَوْنـاً على رِسْله منها ومـا انْبَهرا
وخَـلَّفَ الريحَ حَسْرى وهي جاهدةٌ ومَـرَّ يَختطـفُ الأبصارَ والنظرا

فأجزل صلتَه ، وما جسَر أحدٌ بعد أبي العتاهية أن يقول فيه شيئاً .

[رثاؤه صديقه علي بن ثابت]

أخبرني يحيى إجازةً قال حدّثني الفضل بن عبّاس بن عُقبة بن جعفر قال : كان عليّ بن ثابت صديقاً لأبي العتاهية وبينهما مُجاوبات كثيرة في الزهد والحِكمة ، فتُوفّي عليّ بن ثابت قبله ، فقال يَرثيه[1] : [من مجزوء الخفيف]

مُؤْنِسٌ كان لي هَلَـكْ والسبيلُ التـي سَلَكْ
يـا عليُّ بـنَ ثابـتٍ غَفَـرَ الله لي ولَـكْ
كلُّ حـيٍّ مُمَلَّـكٍ سوف يَفْنى ومـا مَلَكْ

قال الفضل : وحضر أبو العتاهية عليَّ بن ثابت وهو يجود بنفسه ، فلم يزل مُلتزمه حتى فاض ، فلمّا شُدّ لَحياه بكى طويلاً ، ثم أنشد يقول[2] : [من الخفيف]

يـا شَرِيكي في الخير قَرّبك اللّـ ـهُ فنعمَ الشّريكُ في الخيرِ كُنتا
قد لَعَمْرِي حكَيْتَ لي غُصَصَ المو تِ فحرَّكْتَنـي لهـا وسَكَنْتا

قال : ولّما دُفن وقف على قبره يبكي طويلاً أحرَّ بكاء ، ويردِّد هذه الأبيات[3] : [من الوافر]

ألا مَـنْ لي بأُنْسِك يا أُخَيّا ومَـنْ لي أن أُبُثَّك مـا لديَّا
طَوَتْكَ خُطوبُ دهركَ بعد نَشْرٍ كـذاك خُطوبُـه نَشْراً وطيّا
فلـو نَشَرتْ قُواك لِيَ المنايا شكوتُ إليك مـا صنعتْ إليَّا
بكيتُك يـا عليُّ بدمـعِ عَيني فما أغنـى البكاءُ عليك شَيَّا
وكانت في حياتِكَ لي عِظاتٌ وأنت اليومَ أوعظُ منـكَ حيًّا

[مرثيته في عليّ بن ثابت وأقوال الفلاسفة في موت الإسكندر]

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه المعاني أخذها كلَّها أبو العتاهية من كلام الفلاسفة لّما حضروا تابوتَ الإسكندر[4] ، وقد أُخرج الإسكندر ليُدْفَن : قال بعضهم : كان

1 تكملة الديوان : رقم 177 وقد جعل البيت الثاني ثالثاً .
2 ديوان أبي العتاهية : 70 (رقم 67) .
3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 491 .
4 وردت أقوال الفلاسفة في مصادر كثيرة ذكرها إحسان عبّاس في كتابه «ملامح يونانية في الأدب العربي» 247– 271 (الطبعة الثانية) . وفي تضمين أبي العتاهية لبعض أقوالهم في شعره انظر زهر الآداب 2 : 673–674 (تحقيق علي محمد البجاوي ـ الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1969) .

الملك أمسِ أهيبَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظُ منه أمس . وقال آخر : سَكَنتْ حركةُ الملك في لذّاته ، وقد حرّكنا اليوم في سكونه جزعاً لفقده . وهذان المعنيان هما اللذان ذكرهما أبو العتاهية في هذه الأشعار .

[هو عند نفسه أشعر الناس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلَّبيّ قال : لَقِينا أبو العتاهية فقلنا له : يا أبا إسحاق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من منهوك الكامل]

اللهُ أنجحُ ما طلبتَ بـه والبِـرُّ خيرُ حَقيبة الرَّحْـلِ

فقلت : أنْشِدني شيئاً من شعرك ؛ فأنشدني[1] : [من البسيط]

يا صاحبَ الرُّوح ذي الأنفاسِ في البدَنِ بـين النهارِ وبـين الليـلِ مُرْتَهَنِ
لقلّمـا يتخطّـاك اختلافُهمـا حتى يُفَـرِّق بـين الرُّوحِ والبدنِ
لَتَجْذِبَنِّـي يـدُ الدُّنيـا بقوّتهـا إلى المنايـا وإن نازعتُهـا رَسَنـي
للهِ دُنيـا أُنـاسٍ دائبِـين لهـا قَـد ارتَعـوْا في رياض الغَيّ والفِتنِ
كسائماتٍ رِتـاعٍ تَبتغـي سِمَنـاً وحَتْفُها لـو دَرَتْ في ذلك السِّمَنِ

قال : فكتبتُها ، ثم قلت له : أنشدني شيئاً من شعرك في الغزل ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّ الغزل يُسرِع إلى مثلك . فقلت له : أرجو عصمةَ الله جلّ وعزّ . فأنشدني[2] : [من السريع]

كأنّها مـن حُسنهـا دُرّةٌ أخرجها اليَـمُّ إلى الساحِلِ
كأنّ في فيهـا وفي طَرفها سواحراً أقبلـنَ مـن بابلِ
لم يُبْـقِ مِنّي حبُّها ما خلا حُشاشَةً في بَـدَنٍ ناحلِ
يا مَنْ رأى قبلي قتيلاً بكى من شدّةِ الوَجْدِ على القاتلِ

فقلت له : يا أبا إسحاق ، هذا قولُ صاحبنا جَميل : [من الطويل]

خليليَّ فيما عِشتُما هل رأيتما قتيلاً بكى من حبّ قاتِله قبلي

فقال : هو ذاك يا ابن أخي وتبسّم .

---

1 ديوان أبي العتاهية : 397 (رقم 410) .

2 تكملة الديوان : رقم 204 مع اختلاف في الترتيب .

[شعره في التحسّر على الشباب]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أبو عِكْرِمة عن شيخ له من أهل الكوفة قال : دخلتُ مسجد المدينة ببغداد بعد أن بُويع الأمينُ محمدٌ بسَنةٍ ، فإذا شيخٌ عليه جماعةٌ وهو يُنشد[1] : [من مجزوء الكامل]

لَهْفِي على وَرَقِ الشّبابِ وغُصونِه الخُضْرِ الرِّطابِ
ذهبَ الشبابُ وبانَ عنّـ ـي غيرَ مُنتَظَرِ الإيابِ
فلأَبْكيَنَّ عـلى الشَّبا ـبِ وطِيبِ أيّام التَّصابي
ولأَبْكِـينَّ مـن البِـلى ولأَبكينَّ من الخِضابِ
إنّي لآمُـلُ أن أُخَـ ـلَّد والمنيَّةُ في طِلابي

قال : فجعل يُنشدها وإنّ دموعَه لتَسيل على خدّيه . فلمّا رأيت ذلك لم أصبر أنْ مِلتُ فكتبتُها . وسألت عن الشيخ فقيل لي : هو أبو العتاهية .

[ابن الأعرابيّ يعيب شعره]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثني أبو العبّاس محمّد بن أحمد قال : كان ابن الأعرابيّ يَعيب أبا العتاهية ويَثْلُبُه ، فأنشدته[2] : [من منهوك الكامل]

كم من سفيهٍ غاظَني سَفَهاً فشَفَيْتُ نفسي منه بالحِلْمِ
وكَفَيْتُ نفسي ظلمَ عاديتي ومنحتُ صفوَ مودّتي سِلْمي
ولقد رُزِقتُ لظالمي غِلَظاً ورَحِمتُه إذ لَجَّ في ظُلْمي

[أحبَ شعره إليه]

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق قال حدّثني محمد بن أحمد الأزديّ قال : قال لي أبو العتاهية : لم أقل شيئاً قطّ أحبَّ إليّ من هذين البيتين [في] معناهما[3] : [من الخفيف]

ليت شعري فإنّني لستُ أدري أيُّ يـومٍ يكون آخِرَ عُمْرِي

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 68 .
2 تكملة الديوان (صادر) : 411 .
3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 172 .

وبأيِّ البـلادِ يُقبض رُوحـي وبأيِّ البِقـاعِ يُحْفَـرُ قبري

[راهن جماعة على قول الشعر فغلبهم]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الفضل قال حدّثنا محمد بن عبد الجبّار الفزاريّ قال : اجتاز أبو العتاهية في أوّل أمره وعلى ظهره قفصٌ فيه فَخّار يدور به في الكوفة ويَبيع منه ، فمرّ بفتيان جُلوس يتذاكرون الشعرَ ويتناشدونه ، فسلّم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : يا فتيانُ أراكم تذاكرون الشعر ، فأقول شيئاً منه فتُجيزونه ، فإن فعلتم فلكم عشرة دراهم ، وإن لم تفعلوا فعليكم عشرة دراهم ؛ فهَزِئوا منه وسخِروا به وقالوا نعم . قال : لا بدّ أن يُشترَى بأحد القِمارَيْن رُطَبٌ يُؤكل فإنّه قِمار حاصل ، وجعل رَهْنَه تحت يد أحدهم ، ففعلوا . فقال : أجِيزوا :

ساكِنـي الأجداثِ أنتُمْ

وجعل بينه وبينهم وقتاً في ذلك الموضع إذا بلغته الشمسُ ولم يُجيزوا البيت ، غُرِّموا الخطر[1] ؛ وجعل يهزأ بهم وتَمَّمه : [من مجزوء الرمل]

. . . . . مثلَنـا بالأمسِ كُنْتـمْ
ليـتَ شعري ما صنعتم أرَبِحتـم أم خَسِرتـمْ

وهي قصيدة طويلة في شعره .

[هجاه أبو حبش وذم شعره]

أخبرني عمّي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله عن أبي خَيْثَم العَنَزيّ قال : لمّا حَبَس الرشيد أبا العتاهية وحلَف ألاّ يُطلِقه أو يقول شعراً ، قال لي أبو حبش : أسمعتَ بأعجبَ من هذا الأمر ، تقول الشعراء الشعرَ الجيّد النادر فلا يُسمع منهم ، ويقول هذا المخنَّث المُفَكَّك تلك الأشعار بالشفاعة ! ثم أنشدني[2] : [من الوافر]

أبـا إسحاق راجعت الجماعَهْ وعُدْتَ إلى القوافي والصِّناعَهْ
وكنت كجامحٍ في الغَيّ عاصٍ وأنـت اليومَ ذو سمـع وطاعَهْ
فجُرَّ الخَزّ ممّـا كنتَ تُكْسَى وَدَع عنك التَقَشُّفَ والبَشاعَهْ
وشَبِّبْ بالتـي تهـوى وخَبِّرْ بأنّـك مَيِّـتٌ في كلّ ساعَهْ
كسَدنا مـا نـراد وإنْ أجدنا وأنت تقولُ شعـرَك بالشّفاعَهْ

1 الخطر : الرهان .

2 لم ترد هذه الأبيات في الديوان المطبوع .

[خرج مع المهديّ في الصيد]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن عبد الله قال حدّثني أبو خَيْثم العَنَزيّ ، وكان صديقاً لأبي العتاهية ، قال حدّثني أبو العتاهية قال : أخرجني المهديّ معه إلى الصيد ، فوقعنا منه على شيء كثيرٍ ، فتفرّق أصحابه في طلبه وأخذ هو في طريق غير طريقهم فلم يَلْتَقوا ، وعرض لنا وادٍ جرّارٌ وتَغيَّستِ السماءُ وبدأت تُمطر فتحيّرنا ، وأشرفنا على الوادي فإذا فيه ملاّح يُعَبِّر الناس ، فلجأنا إليه فسألناه عن الطريق ، فجعل يُضَعِّف رأينا ويُعجِّزنا في بَذلنا أنفسنا في ذلك الغَيم للصيد حتى أبعدنا ، ثم أدخلنا كُوخاً له . وكاد المهديّ يموت برداً ؛ فقال له : أغطّيك بجُبّتي هذه الصوف ؟ فقال نعم ؛ فغطّاه بها ، فتماسك قليلاً ونام . فافتقده غِلمانه وتَبِعوا أثره حتى جاؤونا . فلمّا رأى الملاّح كثرتهم علِم أنّه الخليفة فهرب ، وتبادر الغِلمان فنَحَّوا الجبّة عنه وألقَوا عليه الخَزَّ والوَشْيَ . فلمّا انتبه قال لي : ويحك ؛ ما فعل الملاّح ؟ فقد والله وَجَب حقُّه علينا . فقلت : هرَب والله خوفاً من قُبح ما خاطبنا به . قال : إنّا لله ؛ والله لقد أردتُ أن أغْنِيه ، وبأيّ شيء خاطبَنا ؟ نحن والله مُستحقّون لأقبح ممّا خاطبنا به ، بحياتي عليك إلاّ ما هجوتَني . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تَطيب نفسي بأن أهجوكَ ؟ قال : والله لَتَفْعَلنّ ؛ فإنّي ضعيفُ الرأي مُغرَمٌ بالصّيد . فقلت[1] : [من السريع]

يا لابسَ الوَشْي على ثوبـه ما أقبحَ الأَشْيبَ في الراحِ

فقال : زدْني بحياتي ؛ فقلت : [من السريع]

لو شئتَ أيضاً جُلْتَ في خامةٍ وفي وَشاحَيْنِ وأَوْضـاحِ[2]

ويلك ! هذا معنى سَوْء يرويه عنك الناس ، وأنا أستأهل . زِدني شيئاً قلت : إفِ أخاف أن تغضب . قال : لا والله . فقلت : [من السريع]

كم مَنْ عظيمِ القَدرِ في نفسِه قـد نـامَ في جُبّةِ مَلاّحِ

فقال معنى سوء ، عليك لعنةُ الله ؛ وقمنا وركبنا وانصرفنا .

[وقعت في عسكر المأمون رقعة فيها شعره فوصله]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال حدّثنا جماعة من كتاب الحسن بن سهل قالوا : وقعت رقعةٌ فيها بيتا شعرٍ في عسكر المأمون ، فجيء بها إلى مُجاشع بن

1 تكملة الديوان : رقم 59 .

2 الأوضاح : حلي من الفضّة .

مسعدَة ، فقال : هذا كلام أبي العتاهية ، وهو صديقي ، وليست المخاطبة لي ولكنّها للأمير الفضل بن سهل . فذهبوا بها ، فقرأها وقال : ما أعرف هذه العلامة . فبلغ المأمون خبرُها فقال : هذه إليّ وأنا أعرف العلامة . والبيتان[1] : [من الخفيف]

صوت

ما على ذا كنّا افترَقْنا بِسَنْدا نَ وما هكذا عهِدْنا الإخاءَ
تَضْرِبُ الناسَ بالمُهَنَّدة البِيـ ـضِ على غَدْرِهم وتَنْسَى الوفاءَ

قال : فبعث إليه المأمون بمالٍ .

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل رمل من رواية ابن المعتزّ .

[استبطأ عادة ابن يقطين فقال شعراً فعجلها له]

قال : وكان عليّ بن يَقطِين صديقاً لأبي العتاهية ، وكان يَبَرّه في كلّ سنة ببرّ واسع ، فأبطأ عليه بالبِرّ في سنة من السنين . وكان إذا لقِيَه أبو العتاهية أو دخل عليه يُسَرّ به ويرفع مجلسَه ولا يَزيده على ذلك . فلقيه ذات يوم وهو يريد دار الخليفة ، فاستوقفه فوقف له ، فأنشده[2] : [من البسيط]

حتّى متى ليت شعري يا ابنَ يَقْطِينِ أُثني عليك بما لا منك تُولِيني
إنّ السّلامَ وإنّ البِشْرَ من رجلٍ في مثلِ ما أنتَ فيه ليس يَكْفِيني
هذا زمانٌ ألحّ الناسُ فيه على تيه الملوك وأخلاقِ المساكينِ
أمَا علمتَ جزاك اللهُ صالحةً وزادك اللهُ فضلاً يا ابنَ يَقْطِينِ
أنّي أُريدك للدُّنيا وعاجلها ولا أُريدك يومَ الدِّين للدينِ

فقال عليّ بن يَقطين : لستُ والله أبرح ولا تَبرح من موضعنا هذا إلاّ راضياً ، وأمر له بما كان يبعث به إليه في كلّ سنة ، فحُمل من وقته وعليٌّ واقفٌ إلى أن تَسَلّمه .

[نظم شعراً في الحبس أبكى الرشيد]

وأخبرني محمد بن جعفر النحويّ صِهْرُ المبرَّد قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني من غير وجه : أنّ الرشيد لمّا ضرب أبا العتاهية وحبسَه ، وَكّل به صاحب خَبَرٍ يكتب إليه بكلّ ما يسمعه . فكتب إليه أنّه سمعه يُنشد[3] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 17 .

2 الديوان : 376 (رقم 384) بترتيب مختلف وفي التكملة : رقم 285 بهذا الترتيب .

3 الديوان : 353 (رقم 361) .

أمّـا واللهِ إنّ الظلمَ لُـومُ وما زالَ المُسيءُ هو الظَّلُومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضِي وعندَ اللهِ تجتمعُ الخصومُ

قال : فبكى الرشيد ، وأمر بإحضار أبي العتاهية وإطلاقه ، وأمر له بألفَيْ دينار .

[رماه منصور بن عمار بالزندقة]

أخبرني محمد بن جعفر قال حدّثني محمد بن موسى عن أحمد بن حرب[1] عن محمد بن أبي العتاهية قال : لمّا قال أبي في عُتْبة[2] : [من السريع]

كأنّ عتابـةَ مـن حسنِها دُمْيـةُ قَسٍّ فتنَتْ قَسَّها
يـا رَبِّ لو أَنْسَيْتَنِيها بمـا في جَنَّةِ الفِرْدوس لم أَنْسَها

شَنَّع عليه منصور بن عمّار بالزندقة ، وقال : يتهاون بالجنّة ويَبتذل ذِكْرَها في شعره بمثل هذا التهاونِ ! وشنّع عليه أيضاً بقوله[3] : [من مجزوء الكامل]

إنّ المليـكَ رآكِ أحـ ـسنَ خَلْقِه ورأى جَمالكْ
فحـذا بقُـدْرةِ نفسه حُـورَ الجِنانِ على مثالِكْ

وقال : أيُصَوِّر الحورَ على مثال امرأة آدميّة واللهُ لا يحتاج إلى مثال ؛ وأوقع له هذا على ألْسِنة العامّة ؛ فلَقِي منهم بلاءً .

[سأله الباذغيسي عن أحسن شعره]

حدّثني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا خليل بن أسد قال حدّثني أبو سَلَمة الباذَغيسيّ قال : قلتُ لأبي العتاهية : في أيّ شعر أنت أشعرُ ؟ قال : قولي[4] : [من مجزوء الكامل]

النـاسُ في غَفَلاتِهِـمْ وَرَحـى المنيـّةِ تَطْحَنُ

[أنشد المأمون شعره في الموت فوصله]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني يحيى بن عبد الله القرشيّ قال حدّثني المُعَلّى بن أيّوب قال : دخلتُ على المأمون يوماً وهو مُقبِل على شيخ حَسَن اللِّحية خَضيبٍ شديد بياض الثياب على رأسه لاطئةٌ ، فقلت للحسن بن أبي سعيد ، قال : وهو ابن خالة المُعَلّى بن أيّوب . وكان الحسن كاتبَ المأمون على العامّة : مَن هذا ؟ فقال : أما

1 ل : حريث .
2 تكملة الديوان : رقم 135 .
3 تكملة الديوان : رقم 208 . وانظر حاشية القطعة رقم 135 من التكملة .
4 الديوان : 381 (رقم 389) من قطعة فيها 14 بيتاً .

تعرفه ؟ فقلت : لو عرفتُه ما سألتُك عنه . فقال : هذا أبو العتاهية . فسمعت المأمون يقول له : أنْشِدني أحسنَ ما قلتَ في الموت ؛ فأنشده[1] : [من مجزوء الكامل]

أنساكَ مَحْياك المماتا فطَلَبْتَ في الدنيا الثَّباتا
أوَثِقْتَ بالدنيا وأنـ ـتَ ترى جَماعتَها شَتاتا
وعزَمتَ منك على الحيا ةِ وطُولِها عَزْماً بَتاتا
يا مَنْ رأى أبَوَيْه فيـ ـمَنْ قد رأى كانا فماتا
هل فيهما لك عِبْرةٌ أم خِلْتَ أنّ لك انْفِلاتا
ومَن الذي طَلبَ التَّفَلُّـ ـتَ من مَنِيّته ففاتا
كلٌّ تُصَبِّحه المنـ ـيّةُ أو تُبَيِّتُه بَياتا

قال : فلمّا نهض تَبِعتُه فقبضت عليه في الصحن أو في الدهليز ، فكتبتها عنه .

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل قال حدّثني الجاحظ عن ثُمامة قال : دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده[2] : [من السريع]

ما أحسنَ الدنيا وإقبالَها إذا أُطاع اللهَ مَنْ نالَها
مَنْ لم يُواسِ الناسَ من فضلها عَرَّض للإدبارِ إقبالَها

فقال له المأمون : ما أجود البيتَ الأوّل ! فأمّا الثاني فما صنعتَ فيه شيئاً ، الدنيا تُدبر عمّن واسَى منها أو ضَنّ بها ، وإنّما يُوجِب السماحةُ بها الأجرَ ، والضنُّ بها الوِزْرَ . فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين ، أهلُ الفضلِ أوْلى بالفضل ، وأهلُ النقصِ أولى بالنقص . فقال المأمون : ادفَعْ إليه عشرةَ آلاف درهم لاعترافه بالحقّ . فلمّا كان بعد أيّام عاد فأنشده[3] : [من السريع]

كم غافلٍ أوْدى به الموتُ لم يأخُذِ الأُهبَةَ للفَوْتِ
مَنْ لم تَزُلْ نعمتُه قبلَه زال عن النعمةِ بالموتِ[4]

فقال له : أحسنتَ ؛ الآن طَيَّبْتَ المعنى ؛ وأمر له بعشرين ألف درهم .

[تأخّرت عنه عادة المأمون سنة ثم عجلها]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثني ابن

1 الديوان : 74 (رقم 73) .
2 ديوان أبي العتاهية : 338 (رقم : 346) خمسة أبيات .
3 ديوان أبي العتاهية : 79 (رقم : 78) .
4 زال عن النعمة في ل : تذعر النعمة .

سِنانٍ العِجليّ عن الحسن بن عائذ قال : كان أبو العتاهية يَحُجّ في كلّ سنة ، فإذا قدِم أهْدى إلى المأمون بُرْداً ومِطرَفاً ونعلاً سوداء ومَساوِيكَ أراكٍ ، فيبعث إليه بعشرين ألف درهم . وكان يُوَصّل الهديّة من جهته مِنْجابٌ مولى المأمون ويَجيئه بالمال . فأهدى مرّةً له كما كان يُهدي كلّ سنة إذا قَدِم فلم يُثبْه ولا بعث إليه بالوظيفة . فكتب إليه أبو العتاهية[1] : [من الرمل]

خَبَّروني أنّ مِن ضَرْب السّنَهْ جُدُداً بِيضاً وصُفْراً حَسَنَهْ
أُحْدِثَتْ لكنّني لم أرها مِثْلَ ما كنتُ أرى كلّ سَنَهْ

فأمر المأمون بحمل العشرين ألف درهم ، وقال : أغفلْناه حتى ذَكّرنا .

[كان الهادي واجداً عليه فلمّا تولّى استعطفه]

حدّثنا محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا المُغيرة بن محمد المُهلَّبيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال أخبرني عُروة بن يوسف الثَّقفيّ قال : لمّا وَلِي الهادي الخلافة كان واجداً على أبي العتاهية لُملازمته أخاه هارون وانقطاعه إليه وتَركِه موسى ، وكان أيضاً قد أُمر أن يخرُج معه إلى الرَّيّ فأبى ذلك ؛ فخافه وقال يَستعطفه[2] : [من الطويل]

ألا شافِعٌ عند الخليفةِ يَشْفَعُ فيدفَع عنّا شرَّ ما يُتَوَقَّعُ
وإنّي على عُظْمِ الرجاء لخائفٌ كأنّ على رأسي الأسِنّةَ تُشْرَعُ
يُروِّعني موسى على غير عَثْرةٍ ومالي أرى موسى من العفوِ أوْسَعُ
وما آمِنٌ يُمسِي ويُصبح عائذاً بعفو أمير المؤمنين يُرَوَّعُ

[مدح الهادي واستشفع ابن عقال حتى نال جائزة]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : دخل أبي على الهادي فأنشده[3] : [من مجزوء الرمل]

يا أمينَ اللهِ مالي لستُ أدري اليومَ مالي
لم أَنَلْ منكَ الذي قد نال غيري من نَوالِ
تَبْذُلُ الحقَّ وتُعْطِي عن يمينٍ وشِمالِ
وأنا البائسُ لا تَنـ ـظُر في رِقّةِ حالي

قال : فأمر المُعَلَّى الخازنَ أن يُعطيه عشرة آلاف درهم . قال أبو العتاهية : فأتيته فأبى أن

1 تكملة الديوان : رقم 261 .
2 تكملة الديوان : رقم 146 .
3 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 377 .

يُعطِيها وذلك أنّ الهادي امتحنني في شيءٍ من الشعر ، وكان مَهِيباً ، فكنتُ أخافه فلم يُطِعني طَبْعي ، فأمر لي بهذا المال ، فخرجتُ . فلمّا مَنعنِيه المُعَلَّى صِرتُ إلى أبي الوليد أحمد بن عِقال ، وكان يُجالس الهادي ، فقلت له[1] : [من الكامل]

أبْلِغْ سَلِمتَ أبا الوليدِ سَلامي ... عنّـــي أميرَ المؤمنـــين إمامي
وإذا فرَغتَ من السّلامِ فقل له ... قد كان ما شاهدتَ من إفحامي
وإذا حَصِرتُ فليس ذاك بمُبْطِلٍ ... ما قد مَضى من حُرْمتي وذمامي
ولطالما وفَدتْ إليكَ مدائحي ... مخطوطةً فَلْيـأتِ كلُّ ملامِ
أيّـــامَ لي لَسَنٌ ورقّـــةُ جِدّةٍ ... والمـرءُ قـد يَبْلَـى مـع الأيّامِ

قال : فاستخرج لي الدراهم وأنفذها إليّ .

[استعطف الهادي لمّا ولي الخلافة بعد موجدة]

حدّثني الصوليّ ومحمد بن عمران الصيرفيّ قالا حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن أحمد بن سليمان قال : وُلِد للهادي ولد في أوّل يوم وَلِي الخلافة ؛ فدخل أبو العتاهية فأنشده[2] : [من السريع]

أكثرَ موسى غيظَ حُسّادِهِ ... وزَيّـــن الأرضَ بأولادِهِ
وجاءنا من صُلْبه سَيّدٌ ... أصْيَدُ في تقطيع أجدادِهِ
فاكتستِ الأرضُ به بَهْجةً ... واستبشر الملكُ بميلادِهِ
وابتسم المِنْبَرُ عن فَرْحةٍ ... عَلَتْ بهـا ذرْوةُ أعوادِهِ
كأنّني بعـد قليلٍ بـه ... بـين مَواليـــه وقُوّادِهِ
في مَحفِلٍ تَخْفِقُ راياتُه ... قد طَبَّق الأرضَ بأجنادِهِ

قال : فأمر له موسى بألف دينار وطِيبٍ كثير ، وكان ساخطاً عليه فرضي عنه .

[ترضّي المهدي على وزيره أبي عبيد الله]

أخبرني يحيى بن عليٍّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني عليُّ بن مهديّ قال حدّثني عليّ بن يزيد الخزرجيّ الشاعر عن يحيى بن الربيع قال : دخل أبو عبيد الله على المهديّ ، وكان قد وجَد عليه في أمر بلغه عنه ، وأبو العتاهية حاضرٌ المجلس ، فجعل المهديّ يشتم أبا عبيد الله ويتغيّظ

1 تكملة الديوان : رقم 244 .
2 تكملة الديوان : رقم 83 .

عليه ، ثم أمر به فجُرّ برِجله وحُبِس ، ثم أطرق المهديّ طويلاً . فلمّا سكن أنشده أبو العتاهية[1] : [من الوافر]

أرى الدنيا لمن هي في يَدَيْهِ عذاباً كلّما كَثُرَت لدَيْهِ
تُهينُ المُكْرِمين لها بصُغْرٍ وتُكْرِم كلَّ من هانتْ عليهِ
إذا استَغْنيتَ عن شيءٍ فدَعْهُ وخُذْ ما أنت محتاجٌ إليهِ

فتبسَّم المهديّ وقال لأبي العتاهية : أحسنتَ ! فقام أبو العتاهية ثم قال : والله يا أميرَ المؤمنين ، ما رأيتُ أحداً أشدَّ إكراماً للدّنيا ولا أصْونَ لها ولا أشَحَّ عليها من هذا الذي جُرّ برجله الساعة . ولقد دخلتُ إلى أمير المؤمنين ودخل هو وهو أعزّ الناس ، فما بَرِحتُ حتى رأيته أذلّ الناس ، ولو رضي من الدنيا بما يكفيه لاستوت أحواله ولم تتفاوت . فتبسّم المهديّ ودعا بأبي عبيد الله فرضي عنه . فكان أبو عبيد الله يشكر ذلك لأبي العتاهية .

[بيتان روحانيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَهْ قال حدّثني محمد بن الحسن قال حدّثني إسحاق بن حَفْص قال : أنشدني هارون بن مُخَلَّد الرازيّ لأبي العتاهية[2] : [من منهوك الكامل]

ما إن يَطيبُ لذي الرعاية للـ ـأيّام لا لَعِب ولا لَهْوُ
إذ كان يطْرب في مَسَرّته فيموت من أجزائه جُزُوُ[3]

فقلت : ما أحسنهما ! فقال : أهكذا تقول ؟ والله لهما روحانيّان يطيران بين السماء والأرض .

[فضّله ابن مناذر على جميع المحدثين لإحسانه في الجدّ والهزل]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي عن ابن عكرمة عن مسعود بن بشر المازنيّ قال : لَقِيتُ ابن مناذر بمكّة ، فقلت له : مَن أشعرُ أهل الإسلام ؟ فقال : أترى مَن إذا شئت هزَل ، وإذا شئت جدّ ؟ قلت : مَنْ ؟ قال : مثلُ جرير حين يقول في النَّسيب[4] : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوْا بلُبّك غادروا وَشَلاً بعينك ما يزال مَعينا
غَيّضْنَ من عَبَراتِهنّ وقُلْن لي ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

1 ديوان أبي العتاهية : 410 (رقم : 425) .
2 ديوان أبي العتاهية : 429 (رقم : 445) .
3 يطرب في الديوان : يسرف . أجزائه في الديوان : أعضائه .
4 ديوان جرير (صادر) : 476 .

ثم قال حين جدّ : [من الكامل]

إنّ الذي حَـرَمَ المَكارِم تَغلِباً جعـل النُّبـوّةَ والخلافـةَ فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوك فهل لكم يـا آل تَغلِبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمّي في دمَشْقَ خليفةٌ لـو شئـتُ ساقكم إليّ قَطِينا

ومن المحدَثين هذا الخبيثُ الذي يتناول شعره من كُمّه . فقلت : مَن ؟ قال : أبو العتاهية . قلت : في ماذا ؟ قال : قوله[1] : [من المنسرح]

اللهُ بينـي وبـين مَوْلاتي أبْدَتْ لِيَ الصَّدّ والمَلالاتِ
لا تَغْفِرُ الذنبَ إن أسأتُ ولا تقبَـل عُـذْري ولا مُواتاتي
منحتُها مُهجتي وخالِصتي فكـان هجْرانُهـا مُكافاتي
أقلقنـي حُبُّهـا وصَيَّرني أُحدوثـةً في جمع جاراتي[2]

ثم قال حين جدّ[3] : [من المنسرح]

ومَهْمـهٍ قـد قطعتُ طامِسَه قَـفْرٍ على الهَوْل والمُحاماةِ
بحُـرّةٍ جَسْرةٍ عُذافِـرةٍ خَوصـاءَ عَيْرانـةٍ عَلَنْداةِ
تُبادر الشمسَ كلّما طلعتْ بالسَّير تَبْغي بذاك مَرْضاتي
يا ناقُ خُبّي بنا ولا تَعدي نَفْسَك ممّـا تَرَيْنَ راحاتِ
حتى تُناخَيْ بنا إلى مَلِكٍ تَـوَّجَـه اللهُ بالمَهـابات
عليـه تاجان فـوقَ مَفْرقه تاجُ جـلالٍ وتـاجُ إخْباتِ
يقول للرِّيح كلّما عصَفتْ هل لكِ يا ريحُ في مُباراتي
مَنْ مثلُ مَنْ عمُّه الرسولُ ومَنْ أخوالُـه أكـرمُ الخُؤولاتِ

[يعيّر إسحاق بن عزيز لقبوله المال عوضاً عن عبادة معشوقته]

أخبرني وكيع قال : قال الزُّبير بن بكّار حدّثني أبو غَزِيّة ، وكان قاضياً على المدينة ، قال : كان إسحاق بن عُزَيز يتعشّق عَبّادة جارية المُهلَّبيّة ، وكانت المهلبيّة مُنقطعة إلى الخيزُران . فركب إسحاق يوماً ومعه عبدُ الله بن مصعب يُريدان المهديّ ، فلقيا عبّادة ؛ فقال إسحاق : يا

1 تكملة الديوان : رقم 45 .
2 أقلقني في الديوان : هيَّمني .
3 تكملة الديوان : رقم 48 .

أبا بكر ، هذه عبّادة ، وحرّك دابّته حتى سبقها فنظر إليها ، فجعل عبد الله بن مُصعب يتعجّب من فِعله . ومضيا فدخلا على المهديّ ، فحدّثه عبد الله بن مصعب بحديث إسحاق وما فعل . فقال : أنا أشتريها لك يا إسحاق . ودخل على الخيزُران فدعا بالمهلّبيّة فحضرتْ ، فأعطاها بعبّادة خمسين ألف درهم . فقالت له : يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تُريدها لنفسك فبِها فداك الله ، وهي لك . فقال : إنّما أريدها لإسحاق بن عُزَيز . فبكت وقالت : أتُؤثِر عليّ إسحاق بن عُزَيز وهي يَدي ورِجلي ولساني في جميع حوائجي ! فقالت لها الخيزُران عند ذلك : ما يُبكيك ؟ والله لا وَصَلَ إليها ابن عُزَيز أبداً ، صار يتعشّق جواريَ الناس ؟ فخرج المهديّ فأخبر ابن عُزَيز بما جرى ، وقال له : الخمسون ألف درهم لك مكانها ، وأمر له بها ، فأخذها عن عبّادة . فقال أبو العتاهية يُعَيّره بذلك[1] : [من السريع]

مَنْ صَدَق الحبَّ لأحبابه ... فإنّ حُبّ ابن عُزَيْزٍ غُرورْ
أنساه عبّادةَ ذاتَ الهوى ... وأذهبَ الحبَّ الذي في الضميرْ
خمسون ألفاً كلُّها راجِحٌ ... حُسْناً لها في كلّ كِيسٍ صَرِيرْ

وقال أبو العتاهية في ذلك أيضاً[2] : [من المنسرح]

حُبُّك للمال لا كحبّك عبَّـ ... ـادةَ يا فاضحَ المُحبّينا
لو كنتَ أصفيتَها الوِدادَ كما ... قُلْتَ لَما بِعْتَها بخمسينا

[طال وجع عينه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني جَبَلةَ بن محمد قال حدّثني أبي قال : رأيت أبا العتاهية بعد ما تَخَلّص من حَبس المهديّ وهو يلزم طبيباً على بابنا ليكحَل عينه . فقيل له : قد طال وجع عينِك ؛ فأنشأ يقول[3] : [من الطويل]

صوت

أيا وَيْحَ نفسي وَيْحَها ثم وَيْحَها ... أما من خَلاصٍ من شِباك الحبائِلِ[4]
أيا ويحَ عيني قد أضرّ بها البُكا ... فلم تُغنِ عنها طِبُّ ما في المكاحِلِ

في هذين البيتين لإبراهيم الموصليّ لحنٌ من الثقيل الأوّل .

---

1 تكملة الديوان : رقم 123 .
2 تكملة الديوان : 259 .
3 تكملة الديوان : رقم : 214 وفيها «ويا ويح» في البيتين .
4 أما من خلاص في التكملة : ألم تنج يوماً .

[مدح الهادي وكان واجداً عليه لاتّصاله بهارون]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كان الهادي واجِداً على أبي العتاهية لمُلازمته أخاه هارون في خلافة المهديّ ، فلمّا ولي موسى الخلافة ، قال أبو العتاهية يمدحه[1] : [من المنسرح]

صوت

يضطربُ الخوفُ والرجاءُ إذا حَرّكَ موسى القضيبَ أو فَكَّرْ
ما أَبْيَنَ الفضلَ في مُغَيَّبِ ما أَوْرَدَ من رأيه وما أَصْدَرْ

في هذين البيتين لأبي عيسى بن المتوكّل لحن من الثقيل الأوّل في نهاية الجَودة ، وما بان به فضلُه في الصّناعة : [من المنسرح]

فكم تَرَى عَزَّ عند ذلك مِنْ مَعْشَرِ قومٍ وذَلَّ مِنْ مَعْشَرْ
يُثمر مِنْ مَسِّه القضيبُ ولو يَمَسُّه غيرُه لَمَا أَثْمَرْ
مَنْ مِثلُ موسى ومثلُ والدِه الـ ـمهديّ أو جَدِّه أبي جَعفرْ

قال : فرضي عنه . فلمّا دخل عليه أنشده[2] : [من مجزوء الكامل]

لَهْفي على الزمنِ القصير بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ
إذ نحن في غرَف الجنا نِ نَعُومُ في بَحر السُّرورِ
في فتيةٍ ملكوا عنا نَ الدهرِ أمثال الصُّقورِ
ما منهمُ إلاّ الجَسو رُ على الهوى غيرُ الحَصُورِ
يَتعاوَرُون مُدامةً صهباءَ من حَلَب العَصيرِ
عَذراءَ ربّاها شُعا عُ الشمسِ في حَرِّ الهَجِيرِ
لم تُدْنَ من نارٍ ولم يَعْلَقْ بها وَضَرُ القُدورِ
ومُقَرْطَقٍ يمشي أمَا مَ القومِ كالرَّشأ الغَريرِ
بزُجاجةٍ تَستخرج السـ ـرَّ الدّفينَ من الضميرِ
زهراءَ مثلِ الكوكب الدُّ رِّيّ في كَفّ المُديرِ
تَدعُ الكريمَ وليس يَد رِي ما قَبِيلٌ من دَبيرِ

1 تكملة الديوان : رقم 120 .
2 تكملة الديوان : 104 .

ومُخَصَّـــراتٍ زُرْنَنـــا بعـد الهُـدوّ من الخُدورِ
رَيَّـــا رَوادِفُهـــنّ يَلْـ ـبَسْنَ الخواتمَ في الخُصورِ
غُـرِّ الوُجـوه محجَّبـــا تٍ قاصراتِ الطّرف حُورِ
مُتَنَعِّمـــاتٍ في النَّعيـ ـمِ مُضَمَّخـاتٍ بالعَبيرِ
يَرفُلْـنَ في حُلَـلِ المَحا سِنِ والمَجـاسدِ والحـريرِ
مـا إن يَرين الشمسَ إلاّ الفَرْطَ مـن خَلَل السُّتورِ
وإلى أمـينِ اللهِ مَهـ ـرُبُنا مـن الدّهرِ العَثُورِ
وإليـه أتعبْنـا المطـا يـا بـالرّواح وبالبُكورِ
صُعْـرَ الخُـدود كأنّما جُنِّحْنَ أجنحـةَ النُّسورِ
مُتَسَرْبِـلاتٍ بالظَّـلا مِ على السُّهولـة والوُعورِ
حتّـى وَصَلْـنَ بنـا إلى رَبّ المدائـن والقُصورِ
مـا زالَ قبـلَ فِطامِـه في سنّ مُكْتَهِـلٍ كبيرِ

قال : قيل لو كان جَزْل اللفظ لكان أشعر الناس ، فأجزل صلته . وعاد إلى أفضل ما كان له عليه .

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثني الكُرانيّ عن أبي حاتم قال : قَدِم علينا أبو العتاهية في خلافة المأمون . فصار إليه أصحابنا فاستنشدوه ، فكان أوّل ما أنشدهم[1] : [من الطويل]

ألم تَـرَ رَيْبَ الدّهر في كلّ ساعةٍ لـه عـارضٌ فيـه المنيّـة تلمَعُ
أيا بـانيَ الدُّنيـا لغيرك تَبتني ويـا جامعَ الدنيا لغيرك تَجْمَعُ
أَرى المرءَ وَثّابـاً على كلّ فُرْصةٍ وللمرء يومـاً لا مَحالـةَ مَصْرَعُ
تبـارَكَ مَنْ لا يَملِك المُلكَ غيرُه متى تنقضي حاجاتُ من ليس يَشبَعُ
وأيُّ امرىءٍ في غايةٍ ليس نفسُه إلى غايـةٍ أُخـرى سواهـا تَطَلّعُ

قال : وكان أصحابنا يقولون : لو أنّ طَبْع أبي العتاهية بجزالة لفظٍ لكان أشعرَ الناس .

[تمثّل الفضل بشعر له حين انحطّت مرتبته عند المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني سليمان بن جعفر الجَزَريّ قال حدّثني أحمد بن عبد الله قال : كانت مَرْتبة أبي العتاهية مع الفضل بن الربيع في موضع واحد

1 ديوان أبي العتاهية : 210–212 (وانظر الحاشية) .

في دار المأمون . فقال الفضل لأبي العتاهية : يا أبا إسحاق ، ما أحسنَ بيتين لك وأصدقهما ! قال : وما هما ؟ قال : قولك[1] : [من الكامل]

مـا النَّاسُ إلاّ لِلكثيرِ المالِ أو ... لِمُسَلَّطٍ مـا دامَ في سُلْطانِـهِ
فإذا الزمـانُ رماهمـا بِبَلِيَّـةٍ ... كان الثِّقاتُ هناك من أعوانِهِ[2]

يعني : من أعوان الزمان . قال : وإنّما تمثَّل الفضلُ بن الربيع بهذين البيتين لانحطاط مرتبته في دار المأمون وتقدُّم غيره . وكان المأمون أمر بذلك لتحريره مع أخيه .

[كان ملازماً للرشيد فلمّا تنسّك حبسه ثم أطلقه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي محمد بن أبي العتاهية : كان أبي لا يُفارق الرشيد في سَفَرٍ ولا حَضَر إلاّ في طريق الحجّ ، وكان يُجري عليه في كلّ سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمَعاوِن . فلمّا قدِم الرشيد الرَّقّة ، لبِس أبي الصوف وتزهّد وترك حُضورَ المُنادمة والقول في الغزل ، وأمر الرشيد بحبسه فحُبس ؛ فكتب إليه من وقته[3] : [من الطويل]

صوت

أنـا اليـومَ لي والحمدُ لله أَشْهُرُ ... يَرُوح عـليَّ الهَمُّ منكـم ويَبْكُرُ
تَذَكَّرْ أمينَ الله حَقِّـي وحُرْمتي ... ومـا كنتَ تُوليني لعلّك تَذْكُرُ[4]
ليالِيَ تُدْنِي منك بالقُرْبِ مجلسي ... ووجهُك مـن ماء البشاشةِ يَقْطُرُ
فمَنْ لِيَ بـالعين التي كنتَ مرّةً ... إليّ بها في سالِـف الدهـرِ تَنظُرُ

قال : فلمّا قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك . فكتب إليه[5] : [من الوافر]

صوت

أَرِقتُ وطار عن عَيْنِي النُّعاسُ ... ونـام السامرون ولم يُواسُوا
أمـينَ الله أَمْنُك خيرُ أمـنٍ ... عليك مـن التُّقى فيـه لِباسُ
تُساس مـن السماء بكلّ بِـرٍّ ... وأنت بـه تَسُوس كما تُساسُ

1 ديوان أبي العتاهية : 401 (رقم 412) .
2 ببلية في ل : بملمة والديوان «رمى الفتى بملمة» .
3 تكملة الديوان : رقم 86 .
4 لعلّك تذكر في ل : لذلك يذكر .
5 تكملة الديوان : رقم 133 .

كأنّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ ... لـه جَسَدٌ وأنتَ عليه راسُ
أمينَ اللهِ إنّ الحَبْسَ بـأْسٌ ... وقد أُرْسلتَ : ليس عليك باسُ

غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ، ولحنه : ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وفيه أيضاً ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ، قال : وكتب إليه أيضاً في الحبس[1] : [من الطويل]

وكَلَّفْتَني ما حُلْتَ بيني وبينه ... وقلتَ سأبغي ما تُريد وما تهوى
فلو كان لي قلبانِ كَلّفتُ واحداً ... هواك وكَلّفتُ الخَلِيَّ لِما يَهْوى

قال : فأمر بإطلاقه .

حدّثني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني ثابت بن الزُّبير بن حبيب قال حدّثني ابن أُخت أبي خالد الحَربيّ قال : قال لي الرشيد : احْبِسْ أبا العتاهية وضَيِّقْ عليه حتى يقول الشعر الرقيق في الغزل كما كان يقول . فحبستُه في بيتٍ خمسة أشبارٍ في مثلها ؛ فصاح : الموت ، أخرِجوني ، فأنا أقول كلَّ ما شئتم . فقلت : قُلْ . فقال : حتى أتنفَّس . فأخرجته وأعطيته دواةً وقِرطاساً ؛ فقال أبياته التي أوّلها[2] : [من الخفيف]

صوت

مَنْ لعبدٍ أذلّه مولاهُ ... ما له شافعٌ إليه سِواهُ
يشتكي ما به إليه ويخشا ... هُ ويرجوه مثل ما يخشاهُ

قال : فدفعتُها إلى مسرور الخادم فأوْصلها ، وتقدّم الرشيد إلى إبراهيم الموصليّ فغنّى فيها ، وأمر بإحضار أبي العتاهية فأحضر . فلمّا أُحضر قال له : أنشِدني قولك[3] : [من الكامل]

صوت

يا عُتْبَ سيّدتي أمَا لَكِ دِينُ ... حتّى متى قلبي لديكِ رَهينُ
وأنا الذَّلولُ لكلِّ ما حمّلتِني ... وأنا الشقيُّ البائسُ المسكينُ
وأنا الغداةَ لكلِّ باكٍ مُسعِدٌ ... ولكلِّ صَبٍّ صاحبٌ وخَدِينُ
لا بأسَ إنّ لذاك عندي راحةً ... لِلصَّبِّ أن يَلْقَى الحزينَ حزينُ

1 تكملة الديوان : رقم 8 .
2 تكملة الديوان : رقم 282 .
3 تكملة الديوان : رقم 252 .

يا عُتْبَ أين أَفِرُّ منك أميرتي وعليَّ حِصْنٌ من هَواكِ حصينُ

لإبراهيم في هذه الأبيات هَزَجٌ عن الهِشاميّ ، فأمر له الرشيد بخمسين ألف درهم . ولأبي العتاهية في الرشيد لمّا حبسه أشعارٌ كثيرة ، منها قوله[1] : [من الرمل]

يـا رشيدَ الأمرِ أَرشِدْني إلى وجهِ نُجْحِي لا عَدِمتَ الرَّشَدا
لا أَراكَ اللهُ سُوءًا أبـدا مـا رأتْ مثلَك عـينٌ أحدا
أَعِـن الخائفَ وارحَمْ صوتَه رافعـاً نحـوَك يدعـوكَ يَدا
وابلائي مـن دَعـاوى أمـلٍ كلّما قلـتُ تَدانَـى بَعُدا
كم أُمَنِّـي بِغَـدٍ بعـدَ غـدٍ يَنْفَـدُ العمـرُ ولم ألـقَ غدا

[هجا القاسم بن الرشيد فضربه وحبسه فاشتكى إلى زبيدة]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّرِيّ قال : مرّ القاسم بن الرشيد في مَوكبٍ عظيمٍ وكان من أَتْيَهِ الناس ، وأبو العتاهية جالسٌ مع قوم على ظهر الطريق . فقام أبو العتاهية حين رآه إعظاماً له ، فلم يَزَلْ قائماً حتى جاز ، فجاوزه ولم يلتفت إليه ؛ فقال أبو العتاهية : [من المتقارب]

يَتِيـهُ ابنُ آدمَ من جهلـهِ كأنَّ رَحا الموت لا تَطْحَنُهْ

فسمِع بعض مَن في موكبه ذلك فأخبر به القاسم ؛ فبعث إلى أبي العتاهية وضربه مائة مِقرعةٍ ، وقال له : يا ابن الفاعلة ! أتُعَرِّض بي في مثل ذلك الموضع ؟ وحبسه في داره . فدسَّ أبو العتاهية إلى زبيدة بنت جعفر ، وكانت تُوجِب له حقَّه ، هذه الأبيات[2] : [من السريع]

حتّى متى ذو التّيه في تِيهِهِ أَصلحـه اللهُ وعافـاهُ
يَتيه أهلُ التّيـه من جَهلهم وهـم يموتـون وإن تاهُوا
مَـنْ طلبَ العِـزّ لِيبقى به فـإنَّ عِـزَّ المـرء تَقْواهُ
لم يعتصم باللهِ مـن خَلْقِه مَنْ ليس يَرجـوه ويَخْشاهُ

وكتب إليها بحاله وضيق حبسه ، وكانت مائلةً إليه ، فرثت[3] له وأخبرت الرشيد بأمره وكلّمته فيه : فأحضره وكساه ووصله . ولم يَرْضَ عن القاسم حتى برَّ أبا العتاهية وأدناه واعتذر إليه .

1 تكملة الديوان : رقم 65 .
2 الديوان : 413–414 (رقم 430) .
3 ل : فرقّت .

[مدح الرشيد والفضل فأجازاه]

ونسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليُّ بن مهديّ قال حدّثني محمد بن سهل عن خالد بن أبي الأزهر قال : بعث الرشيد بالحَرَشيّ[1] إلى ناحية المَوْصِل ، فجبى له منها مالاً عظيماً من بقايا الخراج ، فوافى[2] به باب الرشيد ، فأمر بصرف المال أجمع إلى بعض جواريه ، فاستعظم الناس ذلك وتحدّثوا به ؛ فرأيتُ أبا العتاهية وقد أخذه شِبْهُ الجنون ، فقلت له : ما لك ويحك ؟ ! فقال لي : سبحان الله ؛ أيُدفَع هذا المال الجليل إلى امرأة ، ولا تتعلّق كفّي بشيء منه ؟ ثم دخل إلى الرشيد بعد أيّام فأنشده[3] : [من مجزوء الكامل]

اللهُ هَوّنَ عندك الدنـ ـيا وبَغّضَها إليكا
فأَبَيْتَ إلاّ أن تُصَـ ـغِّر كلَّ شيء في يَدَيْكا
مـا هانتِ الدُّنيا على أحـدٍ كما هانت عَلَيْكا

فقال له الفضل بن الربيع : يا أمير المؤمنين ، ما مُدِحَتِ الخلفاء بأصدق من هذا المدح . فقال : يا فضل ، أعطِه عشرين ألف درهم . فغدا أبو العتاهية على الفضل فأنشده[4] : [من الوافر]

إذا ما كنتَ مُتَّخِذاً خليلاً فمثلُ الفضلِ فاتَّخِذِ الخليلا
يرى الشُّكْرَ القليلَ له عظيماً ويُعطي من مَواهبه الجزيلا
أراني حيثُما يَمَّمتُ طَـرْفي وجدتُ على مَكارمه دليلا

فقال له الفضل : والله لولا أنّ أُساوِيَ أميرَ المؤمنين لأعطيتُك مثلها ، ولكن سأُوصلها إليك في دَفَعات ، ثم أعطاه ما أمر له به الرشيد ، وزاد له خمسة آلاف درهم من عنده .

[سمع علي بن عيسى شعره وهو طفل فأعجب به]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا المُبَرِّد قال حدّثني عبد الصمد بن المُعَذَّل قال : سمعتُ الأميرَ عليَّ بن عيسى بن جعفر يقول : كنت صبيّاً في دار الرشيد ، فرأيت شيخاً يُنشد والناس حوله[5] : [من الرمل]

ليس للإنسان إلاّ مـا رُزِقْ أستعـينُ اللهَ بـالله أَثِـقْ

---

1 ل : بالمجرشي .
2 ل : فوافق .
3 تكملة الديوان : رقم 170 .
4 ديوان أبي العتاهية : 311 (الحاشية) وديوان أبي العتاهية (صادر) : 383 وهما يتّفقان مع الأغاني في البيت الأوّل فقط .
5 تكملة الديوان : رقم 168 .

عَلِقَ الهمُّ بقلبي كلَّه وإذا ما علِق الهمّ عَلِقْ
بأبي مَنْ كان لي من قلبه مَرَّةً وُدٌّ قليلٌ فَسُرِقْ
يا بني الإسلام فيكم مَلِكٌ جامعُ الإسلامِ عنه يَفْترِقْ
لَنَدى هارونَ فيكم وَلَهُ فِيكُمُ صَوْبٌ هَطُولٌ ووَرِقْ
لم يَزَلْ هارونُ خيراً كلّه قُتِل الشَّرُّ به يومَ خُلِقْ

فقلتُ لبعض الهاشميّين : أما ترى إعجاب الناس بشِعْرِ هذا الرجل ؟ فقال : يا بُنيّ ، إنّ الأعناقَ لتُقطَع دون هذا الطبع . قال : ثم كان الشيخ أبا العتاهية ، والذي سأله إبراهيم بن المهديّ .

[استعطف الرشيد وهو محبوس فأطلقه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني عبد القويّ بن محمد بن أبي العتاهية عن أبيه قال : لبِس أبو العتاهية كساءَ صُوفٍ ودُرَّاعةَ صوفٍ ، وآلى على نفسه ألاَّ يقول شعراً في الغَزَل ، وأمر الرشيد بحبسه والتضييق عليه ؛ فقال[1] : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عمِّ النبيّ سمعاً وطاعه قد خلعنا الكساءَ والدُّرّاعهْ
ورجَعْنا إلى الصِّناعة لمّا كان سُخْطُ الإمام تَرْكَ الصِّناعهْ

وقال أيضاً[2] : [من الطويل]

أمَا رَحِمَتْنِي يومَ وَلَّتْ فأَسْرعتْ وقد تركَتْني واقفاً أتلفَّتُ
أُقَلِّبُ طَرْفِي كي أَراها فلا أُرى وأحلِبُ عيني دَرَّها وأُصَوِّتُ

فلم يزل الرشيد مُتوانياً في إخراجه إلى أن قال[3] : [من الوافر]

أمَا واللهِ إنّ الظلمَ لُومُ وما زال المُسيء هو الظَّلومُ
إلى دَيَّانِ يومِ الدِّين نَمْضِي وعندَ اللهِ تَجتمعُ الخصومُ
لأمرٍ مّا تَصَرَّفتِ الليالي وأمرٍ مّا تُولِّيتِ النُّجومُ
تموت غداً وأنت قَرِيرُ عينٍ من الغَفَلاتِ في لُجَجٍ تَعومُ

1 التكملة : رقم 152 .
2 تكملة الديوان : رقم 39 .
3 ديوان أبي العتاهية : 353–354 (رقم 361) .

تنـامُ ولم تَنَمْ عنـك المنايا تَنبّـهْ للمنيّـة يـا نَؤُومُ
سَلِ الأيّامَ عـن أمَمٍ تَقَضَّتْ ستُخبـرك المَعالـمُ والرُّسُومُ
تَـروم الخُلْدَ في دار المنايـا وكم قـد رام غيرُك مـا تَرومُ
ألا يـا أيّها الملـك المُرَجَّى عليـه نَواهِضُ الدنيـا تَحومُ
أَقِلْني زَلَّـةً لم أَجْـرِ منهـا إلى لَـومٍ ومـا مثـلي مَلومُ
وخَـلِّصْني تُخَلَّصْ يـومَ بَعْثٍ إذا للنـاس بُـرِّزتِ الجَحِيمُ

فَرقَّ له وأمر بإطلاقه .

[حديثه عن شعره ورأي أبي نواس فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ابن أبي الأبيض قال : أتيتُ أبا العتاهية فقلت له : إنّي رجلٌ أقول الشعر في الزُّهد ، ولي فيه أشعارٌ كثيرة ، وهو مذهب أستحسِنه ؛ لأنّي أرجو ألاّ آثَمَ فيه ، وسمعت شعرك في هذا المعنى ، فأحببت أن أستزيد منه ، فأُحِبّ أن تُنشدني من جَيِّد ما قلتَ ؛ فقال : اعلَمْ أنّ ما قلته رديء . قلت : وكيف ؟ قال : لأنّ الشعر ينبغي أن يكون مثلَ أشعار الفحول المتقدّمين أو مثلَ شعر بشّار وابن هرمة ، فإن لم يكن كذلك فالصواب لقائله أن تكون ألفاظُه ممّا لا تخفى على جمهور الناس مثل شعري ، ولا سيّما الأشعار التي في الزُّهد ؛ فإنّ الزُّهد ليس من مذاهب الملوك ولا من مذاهب رُواة الشعر ولا طُلاّب الغريب ، وهو مذهب أَشْغَفُ الناس به الزُّهّاد وأصحاب الحديث والفقهاء وأصحاب الرِّياء والعامّة ، وأعجبُ الأشياء إليهم ما فهِموه . فقلت : صدقتَ . ثم أنشدني قصيدته[1] : [من الوافر]

لِدُوا للموتِ وابْنُوا للخرابِ فكلّكـمُ يَصيرُ إلى تَبابِ[2]
ألا يـا موتُ لم أَرَ منكَ بُـدّاً أتيتَ وما تَحِيفُ وما تُحابي
كأنّك قد هَجَمْتَ على مَشِيبي كما هجمَ المشيبُ على شَبابي

قال : فصِرتُ إلى أبي نُواس فأعلمتُه ما دار بيننا ؛ فقال : والله ما أحسب في شعره مثلَ ما أنشدك بيتاً آخر . فصِرت إليه فأخبرته بقول أبي نواس ؛ فأنشدني قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

1 ديوان أبي العتاهية : 33–34 (رقم 28) وهي 19 بيتاً .
2 تباب : هلاك .
3 ديوان أبي العتاهية : 278–280 وهي 23 بيتاً .

طُولُ التَّعاشُرِ بين النَّـاس مَمْلُولُ ... مـا لابنِ آدمَ إن فَتَّشْتَ معقولُ
يا راعـيَ الشاءِ لا تُغْفِلْ رِعايتها ... فأنت عن كلِّ ما استُرْعِيتَ مسؤولُ[1]
إنّي لَفِي مَنزلٍ مـا زِلتُ أعمُره ... على يَقِـينٍ بأنّـي عنـه منقولُ
وليس من مَوْضِعٍ يأتيه ذو نَفَسٍ ... إلاّ وللموتِ سَيفٌ فيـه مَسْلولُ
لم يُشْغَلِ الموتُ عنّا مـذ أُعِدَّ لنا ... وكلّنـا عنـه بـاللذّاتِ مَشغولُ
ومَنْ يَمُتْ فهو مَقْطوعٌ ومُجْتَنَبٌ ... والحيُّ مـا عاش مَغْشيٌّ ومَوْصولُ
كُلْ مـا بـدا لك فالآكالُ فانِيةٌ ... وكُلُّ ذي أُكُلٍ لا بُـدَّ مَأْكولُ

قال : ثم أنشدني عدّة قصائد ما هي بدون هذه ، فصِرتُ إلى أبي نواس فأخبرته ؛ فتغيّر لونُه وقال : لِمَ خبَّرتَه بما قلت ؟ قد والله أجاد ، ولم يَقُل فيه سوءا .

[كان أبو نواس يجلّه ويعظّمه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني عليّ بن عبد الله بن سعد قال حدّثني هارون بن سعدان مولى البَجَلِيِّين قال : كنتُ مع أبي نواس قريباً من دُور بني نِيبَخْت بنهر طابِق[2] وعنده جماعةٌ ، فجعل يَمُرّ به القُوّاد والكُتّاب وبنو هاشم فيُسَلِّمون عليه وهو متّكىءٌ ممدودُ الرِجل لا يتحرّك لأحد منهم ، حتى نظرنا إليه قد قبض رِجليه ووثَب وقام إلى شيخٍ قد أقبل على حمارٍ له ، فاعتنق أبا نواس ووقف أبو نواس يُحادثه ، فلم يزل واقِفاً معه يُراوِح بين رجليه يرفع رجلاً ويضع أُخرى ، ثم مضى الشيخ ورجع إلينا أبو نواس وهو يتأوّه . فقال له بعضُ مَن حضر : والله لأنت أشعرُ منه . فقال : والله ما رأيتُه قطّ إلاّ ظننت أنّه سَماءٌ وأنا أَرْض .

[رأي بشّار فيه]

قال محمد بن القاسم حدّثني عليّ بن محمد بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثني السَّرِيّ بن الصَّبَّاح مولى ثَوبان بن عليّ قال : كنتُ عند بَشّار فقلتُ لـه : مَن أشعرُ أهـل زماننا ؟ فقال : مُخَنَّث أهل بغداد (يعني أبا العتاهية) .

[عزّى المهديّ في وفاة ابنته فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى المُنَجِّم إجازةً : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الخَزْرَجيّ الشاعر قال حدّثني عبد الله بن أيّوب الأنصاريّ قال حدّثني أبو العتاهية قال : ماتت

1 الشاء في ل والديوان : النفس .
2 نهر طابق : محلّة كانت ببغداد .

بنتُ المهديّ فحزِن عليها حزناً شديداً حتى امتنع من الطعام والشراب ، فقلت أبياتاً أُعَزّيه بها ؛ فوافيته وقد سَلا وضحك وأكل وهو يقول : لا بدّ من الصبر على مالا بدّ منه ، ولئن سَلَوْنا عمّن فقدنا ليَسْلُوَنَّ عنّا من يَفقِدنا ، وما يأتي الليلُ والنهارُ على شيء إلاّ أَبْلَياه . فلمّا سمعتُ هذا منه قلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذَن لي أن أُنشدك ؟ قال هاتِ ؛ فأنشدته[1] : [من البسيط]

ما للجديدَيْن لا يَبْلَى اختلافُهما ... وكلُّ غَضٍّ جديدٍ فيهما بالي
يا مَنْ سَلا عن حبيبٍ بعد مِيتته ... كم بعد موتِك أيضاً عنك منْ سالي
كأنّ كلَّ نعيمٍ أنت ذائقُه ... من لذّةِ العيشِ يحكي لمعةَ الآلِ
لا تَلعَبَنَّ بك الدنيا وأنت ترى ... ما شئتَ من عِبَرٍ فيها وأمثالِ
ما حيلةُ الموت إلا كُلّ صالحةٍ ... أولاَ فما حيلةٌ فيه لمُحتالِ

فقال لي : أحسنتَ ويحك ؛ وأصبتَ ما في نفسي ووعظت وأَوْجزت ، ثم أمر لي لكلّ بيت بألف درهم .

[حبسه الرشيد مع إبراهيم الموصليّ ثم أطلقهما]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن خَلاّد قال حدّثني أبي قال : لمّا مات موسى الهادي قال الرشيد لأبي العتاهية : قُلْ شعراً في الغَزَل ؛ فقال : لا أقول شعراً بعد موسى أبداً ، فحبسه . وأمر إبراهيم المَوصليّ أن يغنّي ؛ فقال : لا أُغنّي بعد موسى أبداً ، وكان مُحسِناً إليهما ، فحبسه . فلمّا شخَص إلى الرَّقّة حفَر لهما حَفيرةً واسعةً وقطَع بينهما بحائطٍ ، وقال : كونا بهذا المكان لا تخرُجا منه حتى تَشعُر أنت ويُغَنّي هذا . فصَبَرا على ذلك بُرهةً . وكان الرشيد يشرب ذاتَ يومٍ وجعفرُ بن يحيى معه ، فغنّتْ جاريةٌ صوتاً فاستحسناه وطربا عليه طَرباً شديداً ، وكان بيتاً واحداً . فقال الرشيد : ما كان أحوجه إلى بيتٍ ثانٍ ليطولَ الغِناءُ فيه فنَسْتَمتِع مدّةً طويلة به ؛ فقال له جعفر : قد أصبتُه . قال : من أين ؟ قال : تبعَث إلى أبي العتاهية فيُلحِقه به لقُدرته على الشعر وسرعته . قال : هو أنكدُ من ذلك ، لا يُجيبنا وهو محبوس ونحن في نعيم وطربٍ . قال : بلى ؛ فاكتُب إليه حتى تعلَم صحّة ما قلتُ لك . فكتب إليه بالقصّة وقال : أَلحِقْ لنا بالبيت بيتاً ثانياً . فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من الرمل]

شُغِل المسكينُ عن تلك المِحَنْ ... فارقَ الرُّوحَ وأَخلَى من بدنْ

1 تكملة الديوان : رقم 297 .
2 تكملة الديوان : رقم 278 .

ولقـد كُـلِّفـتُ أمـراً عَجباً أسْأَلُ التَّفريجَ من بيتِ الحَزَنْ

فلمّا وصلتْ قال الرشيد : قد عرَّفتك أنّه لا يفعل . قال : فتُخرِجه حتى يفعل . قال : لا ، حتى يَشعُر ؛ فقد حلَفتُ . فأقام أيّاماً لا يفعل . قال : ثم قال أبو العتاهية لإبراهيم : إلى كم هذا نُلاجُّ الخلفاء ؟ هَلُمَّ أَقُلْ شعراً وتُغَنّ فيه . فقال أبو العتاهية[1] : [من الرمل]

بأبي مَـنْ كان في قلبي لـه مـرّةً حُـبٌّ قليـلٌ فسُرِقْ
يا بنـي العبّاس فيكـم مَلِكٌ شُعَبُ الإحسانِ منـه تفترقْ
إنّمـا هـارونُ خيرٌ كلُّـه ماتَ كلُّ الشرّ مُذْ يـومَ خُلِقْ

وغنّى فيه إبراهيم ، فدعا بهما الرشيد ؛ فأنشده أبو العتاهية وغنّاه إبراهيم ، فأعطى كلَّ واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب .

حدّثني الصُّوليّ بهذا الحديث عن الحسين بن يحيى عن عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الربيع ، فقال فيه : غضِب الرشيد على جاريةٍ له فحلَف ألاّ يدخُل إليها أيّاماً ، ثم ندِم فقال[2] : [من الرمل]

صَدَّ عنّـي إذ رآني مُفْتَـتَـنْ وأطـال الصَّدَّ لمّـا أن فَطَـنْ
كان مَملوكي فأضحى مالكي إنّ هـذا مِـن أعاجيبَ الزَّمنْ

وقال لجعفر بن يحيى : اطلُبْ لي مَنْ يزيدُ على هذين البيتين . فقال له : ليس غيرُ أبي العتاهية . فبَعث إليه فأجاب بالجواب المذكور ، فأمر بإطلاقه وصلَتِه . فقال : الآن طاب القولُ ؛ ثم قال[3] : [من الرمل]

عِـزَّةُ الحِـبِّ أرتْـه ذِلّتي في هـواه ولـه وجـهٌ حَسَنْ
ولهـذا صِرتُ مملوكاً لـه ولهـذا شاعَ مـا بـي وعَلَنْ

فقال : أحسنتَ والله وأصبتَ ما في نفسي ؛ وأضعَف صلتَه .

[شعره في ذمّ الناس]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني الهيثم بن عثمان قال حدّثني شَبيب بن منصور قال : كنتُ في الموقف واقفاً على باب الرشيد ، فإذا رجلٌ

1 تقدّمت هذه الأبيات والإشارة إليها في تكملة الديوان برواية أُخرى : «بأبي من كان لي في قلبه» في الأوّل و«يا بني الإسلام» في الثاني .
2 تكملة الديوان : رقم 278 (الحاشية) .
3 تكملة الديوان : رقم 279 .

بَشِع الهيئة على بغل قد جاء فوقف ، وجعل الناسُ يُسَلِّمون عليه ويُسائلونه ويُضاحكونه ، ثم وقف في الموقف ، فأقبل الناس يَشْكُون أحوالَهم : فواحد يقول : كنت مُنقطعاً إلى فلان فلم يصنع بي خيراً . ويقول آخر : أمّلت فلاناً فخاب أملي وفعل بي ، ويشكو آخرُ من حاله ؛ فقال الرجل[1] : [من منهوك الكامل]

فَتَّشْتُ ذي الدنيا فليس بها أحـدٌ أراه لآخـرٍ حامِدْ
حتّى كأنّ الناسَ كلَّهُـمُ قد أُفرغوا في قالَبٍ واحِدْ

فسألت عنه فقيل : هو أبو العتاهية .

[هجا سلماً الخاسر بالحرص]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني أحمد بن خَلاَّد عن أبيه عن عبد الله بن الحسن قال : أُنشِد المأمون بيت أبي العتاهية يُخاطب سَلْماً الخاسر : [من الوافر]

تَعالى اللهُ يا سَلْم بنَ عمرٍو أذلَّ الحِرصُ أعناقَ الرجالِ

فقال المأمون : إنّ الحرص لَمُفسِدٌ للدّين والمروءة ، والله ما عرفتُ من رجلٍ قطّ حِرْصاً ولا شَرَهاً فرأيت فيه مُصْطَنعا . فبلغ ذلك سَلْماً فقال : ويلي على المخنَّث الجَرّار الزنديق ؛ جمع الأموالَ وكنزَها وعبّأ البدورَ في بيته ثم تَزهّد مُراءاةً ونفاقاً ، فأخذ يهتِف بي إذا تصَدّيتُ للطلب .

[اقتصّ منه الجماز لخاله سلم فاعتذر له]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ المؤدِّب ومحمد بن عمران الصَّيرفيّ قالا حدّثنا الحسن بن عُليل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن أحمد بن سليمان العَتَكيّ قال حدّثني العبّاس بن عبيد الله بن سِنان بن عبد الملك بن مِسْمَع قال : كنّا عند قُثَم بن جعفر بن سليمان وعنده أبو العتاهية يُنشد في الزهد ، فقال قُثَم : يا عبّاس ، اطلُبِ الساعة الجَمّاز حيث كان ، ولك عندي سَبَقٌ[2] . فطلبته فوجدته عند رُكن دار جعفر بن سليمان ، فقلت : أجِبِ الأمير ؛ فقام معي حتّى أتى قُثَم ؛ فجلس في ناحية مجلسه وأبو العتاهية يُنشده ؛ فأنشأ الجَمّاز يقول : [من السريع]

ما أقبحَ التَّزهِيدَ مـن واعظٍ يُزَهِّـدُ النـاسَ ولا يَزْهَـدُ
لـو كان في تزهيده صادقاً أضحَى وأمسَى بيتُـه المسجدُ

1 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 126 .
2 سبق : جائزة المتسابقين .

يخـــافُ أن تنفَـدَ أرزاقُـه والــرزقُ عنـد الله لا ينفَدُ
والرزقَ مقسومٌ على مَنْ تَرى ينالُـــه الأبيـضُ والأسودُ

قال : فالتفت أبو العتاهية إليه فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : هذا الجمّاز وهو ابن أختِ سَلْم الخاسر ، اقتصّ لخاله منك . فأقبل عليه وقال : يا ابن أخي ، إنّي لم أذهب حيث ظننتَ ولا ظنّ خالُك ، ولا أردتُ أن أهتِف به ؛ وإنّما خاطبته كما يُخاطِب الرجلُ صديقَه ، فالله يغفِر لكما ، ثم قام .

[غنّاه مخارق بشعره]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن أحمد بن خَلَف الشِّمْريّ عن أبيه قال : كنتُ عند مُخارِق ، فجاء أبو العتاهية في يوم جمعة فقال : لي حاجةٌ وأُريد الصلاةَ ؛ فقال مُخارق : لا أبرَح حتّى تعود . قال : فرجَع وطرح ثيابه ، وهي صوفٌ ، وغسل وجهه ، ثم قال له : غَنّني[1] : [من الخفيف]

صوت

قال لي أحمدٌ ولم يدرِ مـا بي أتُحِبّ الغــداةَ عُتْبــةَ حقّـا
فتنفَّستُ ثـم قلـتُ نعمْ حُـ ـبّاً جرى في العُروق عِرْقاً فعرقا

فجذَب مُخارق دواةً كانت بين يديه فأوقع عليها ثم غنّاه ؛ فاستعاده ثلاث مرّاتٍ فأعاده عليه ، ثم قام وهو يقول : لا يَسمع والله هذا الغناءَ أحدٌ فيُفْلِح . وهذا الخبر رواية محمد بن القاسم بن مهرويَه عنه .

وحدّثنا به أيضاً في كتاب هارون بن عليّ بن يحيى عن ابن مهرويَه عن ابن عمّار قال حدّثني أحمد بن يعقوب عن محمد بن حَسّان الضَّبّيّ قال حدّثنا مُخارق قال : لقيني أبو العتاهية فقال : بلغني أنّك خرَّجْتَ قولي : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ مـا بي أتُحِبُّ الغــداةَ عُتْبــةَ حَقّا

فقلت نعم . فقال : غَنِّه . فمِلتُ معه إلى خَرابٍ ، فيه قوم فقراء سكّان ، فغنّيْتُه إيّاه ؛ فقال : أحسنتَ والله ؛ منذ ابتدأت حتّى سكتَّ ؛ ثم قال لي : أما ترى ما فعل الملك بأهل هذا الخراب ؟

[شعره في تبخيل الناس]

أخبرني جحظة قال حدّثني ميمون بن هارون قال : قال مُخارق : لَقِيتُ أبا العتاهية على الجِسْر ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، أتُنشدني قولك في تبخيلك الناس كلّهم ؟ فضحك وقال

1 تكملة الديوان : رقم 161 .

لي : ها هنا ؟ قلت نعم . فأنشدني[1] : [من مجزوء الكامل]

إن كنتَ مُتّخِـذاً خليلاً فتَنَـقَّ وانتقِـدِ الخليلا
مَنْ لم يكـن لك مُنصفاً في الودّ فابْغِ بـه بديلا
ولربّمـا سُئِـل البخيـ ـلُ الشيءَ لا يَسْوى فَتِيلا
فيقـول لا أجـد السَّبيـ ـل إليه يَكْرَهُ أن يُنِيلا
فلـذاك لا جعـلَ الإلـ ـهُ لـه إلى خيرٍ سبيلا
فاضْرِبْ بطَرْفك حيث شئـ ـتَ فلن ترى إلاّ بخيلا

فقلتُ له : أَفرَطْتَ يا أبا إسحاق ؛ فقال : فديتُك ، فأَكْذِبْنيّ بجوادٍ واحد . فأحببتُ موافقتَه ، فالتفتُّ يميناً وشمالاً ثم قلت : ما أجد . فقبّل بين عينيّ وقال : فديتُك يا بُنيّ ! لقد رَفَقْتَ حتى كِدتَ تُسرِف .

[كان بعد تنسّكه يطرب لحديث هارون بن مخارق]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن مُخارِق قال : كان أبو العتاهية لمّا نسَك يقول لي : يا بُنيّ ، حدّثني ؛ فإن ألفاظَك تُطْرِب كما يُطرِب غِناؤُك .

[جفاه أحمد بن يوسف فعاتبه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ قال حدّثني أبو هَفّان قال حدّثني موسى بن عبد الملك قال : كان أحمد بن يوسف صديقاً لأبي العتاهية ، فلمّا خدَم المأمونَ وخُصّ به ، رأى منه أبو العتاهية جَفْوة ، فكتب إليه[2] : [من الطويل]

أبـا جعفـرٍ إنّ الشريفَ يَشينه تَتايُهُـه عـلى الأَخِـلاّء بالوَفْـرِ
ألم تَرَ أنّ الفقرَ يُرجى لـه الغِنَى وأنّ الغِنى يُخشَى عليـه من الفقرِ
فإن نِلتَ تِيهاً بالذي نِلْتَ من غِنًى فإنّ غنايَ في التجمّـلِ والصبرِ

قال : فبعث إليه بألفيْ درهم ، وكتب إليه يعتذر ممّا أنكره .

[طلب إليه أن يجيز شعراً فأجازه على البديهة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم الكوفيّ قال حدّثني أبو جعفر المَعْبديّ قال : قلت لأبي العتاهية : أَجِزْ لي قولَ الشاعر[3] : [من الوافر]

---

1 ديوان أبي العتاهية : 311–312 (حاشية القطعة رقم 320) وقد تقدّمت الإشارة إليها في الخبر عن الفضل بن الربيع لاشتراكها مع تلك الأبيات في البيت الأوّل .

2 ديوان أبي العتاهية (صادر) : 217–218 .

3 الخبر في تكملة الديوان : رقم 189 والحاشية عن الأغاني .

وكان المـالُ يأتينا فكنّـا نُبَـذّره وليس لنـا عقولُ
فلمّا أن تولّـى المالُ عنّـا عَقَلْنا حين ليس لنا فُضُولُ

قال : فقال أبو العتاهية على المكان : [من الوافر]

فقصِّر مـا ترى بالصّبر حقّاً فكلٌّ إن صبرتَ لـه مُزِيلُ

[قال لابنه : أنت ثقيل الظلّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني الحسن بن الفضْل الزَّعفرانيّ قال : حدّثني مَن سمع أبا العتاهية يقول لابنه وقد غضِب عليه : اذهب فإنّك ثقيلُ الظلّ جامد الهواء .

[أهدى إلى الفضل نعلاً فأهداها للخليفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني يحيى بن خليفة الرَّازيّ قال حدّثنا حبيب بن الجَهْم النُّمَيريّ قال : حضرتُ الفضلَ بن الربيع مُتَنجِّزاً جائزتي وفَرضي ، فلم يدخل عليه أحدٌ قبلي ، فإذا عونٌ حاجِبُه قد جاء فقال : هذا أبو العتاهية يُسَلّم عليك وقد قدِم من مكّة ؛ فقال : أَعْفِني منه الساعة[1] يشغَلُني عن ركوبي . فخرج إليه عونٌ فقال : إنّه على الرّكوب إلى أمير المؤمنين . فأَخرَج من كُمّه نعلاً عليها شِراكٌ فقال : قل له إنّ أبا العتاهية أهداها إليك جُعِلتُ فداءك . قال : فدخل بها ؛ فقال : ما هذه ؟ فقال : نعلٌ وعلى شراكها مكتوبٌ كتاب . فقال : يا حبيب ، اقرأ ما عليها . فقرأته فإذا هو[2] : [من الكامل]

نعـلٌ بعثـتُ بهـا ليلبسَها قَـرْمٌ بهـا يمشي إلى المجدِ
لـو كانَ يَصلُح أن أُشَرّكهـا خدّي جعلتُ شِراكَها خدّي

فقال لحاجبه عَون : احمِلها معنا ، فحملها . فلمّا دخل على الأمين قال له : يا عبّاسيّ ، ما هذه النّعل ؟ فقال : أهداها إليّ أبو العتاهية وكتب عليها بيتين ، وكان أمير المؤمنين أُولى بلُبْسها لِما وصف به لابسها . فقال : وما هما ؟ فقرأهما . فقال : أجاد والله ! وما سبَقه إلى هذا المعنى أحد ، هَبُوا له عشرة آلاف درهم . فأخرجتْ والله في بَدْرة وهو راكب على حماره ، فقبضها وانصرف .

[قيل إنّه كان من أقل الناس معرفة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله الكوفيّ قال حدّثنا عمروس صاحب الطعام وكان جارَ أبي العتاهية ، قال : كان أبو العتاهية من أقلّ الناس معرفةً ، سمعتُ بِشْراً المرِّيسيّ يقول له : يا أبا إسحاق ، لا تُصلِّ خلف فلانٍ جارِك

1 ل : فالساعة .
2 التكملة : رقم 75 .

وإمام مسجدكم ؛ فإنّه مُشَبِّه[1] . قال : كلاَّ إنّه قرأ بنا البارحة في الصّلاة : ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ؛ وإذا هو يظنّ أنّ المشبّه لا يقرأ ﴿قُلْ هو الله أحد﴾ .

[شكا إليه بكر بن المعتمر ضيق حبسه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثني أحمد بن يعقوب الهاشميّ قال حدّثني أبو شَيخ منصور بن سليمان عن أبيه قال : كتب بَكْر بن المُعتمِر إلى أبي العتاهية يشكو إليه ضِيقَ القَيْد وغَمّ الحبس ؛ فكتب إليه أبو العتاهية[2] : [من مجزوء الوافر]

هـيَ الأيّام والعِبَرُ وأمـرُ الله يُنْتَظَرُ
أتَيْأَس أن ترى فرجاً فأيـنَ اللهُ والقَدَرُ

[ذمّه الخيلاء وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه قال حدّثنا أحمد بن عبيد بن ناصح قال : كنت أمشي مع أبي العتاهية يدُه في يدي وهو متّكيء عليّ ينظر إلى الناس يذهبون ويجيئون ، فقال : أما تراهم هذا يَتيه فلا يتكلّم ، وهذا يتكلّم بصَلَفٍ ؟ ثم قال لي : مرَّ بعض أولاد المهلَّب بمالك بن دينار وهو يَخطِرُ ، فقال : يا بنيّ ، لو خَفَّضتَ بعضَ هذه الخُيَلاءِ ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشُّهرة التي قد شهَرت بها نفسك ؟! فقال له الفتى : أوَما تعرِف مَنْ أنا ؟ فقال له : بلى والله أعرِفك معرفة جيّدة ، أوّلُك نطفة مَذِرة ، وآخرك جِيفةٌ قَذِرة ، وأنت بين ذينك حامِلٌ عَذِرة . قال : فأرخى الفتى أُذنيه وكفّ عمّا كان يفعل ، وطَأْطَأ رأسَه ومشى مُسترسِلاً . ثم أنشدني أبو العتاهية[3] : [من الهزج]

أيـا واهـاً لذِكر اللّـ ـهِ يا واهاً لـه واها
لقـد طَيَّب ذِكرُ اللّـ ـه بالتسبيحِ أفواها
فيـا أنتنَ مـن حُشٍّ عـلى حشٍّ إذا تاها[4]
أرى قومـاً يتيهـون حُشوشا رُزقوا جاها[5]

[مدح إسماعيل بن محمد شعره]

حدّثني اليزيديّ عن عمّه إسماعيل بن محمد بن أبي محمد قال : قلت لأبي العتاهية وقد جاءنا :

---

1 المشبه : فرقة تقول بأن الله يشبه الإنسان في تكوينه وأفعاله .
2 تكملة الديوان : 94 .
3 ديوان أبي العتاهية : 406 (رقم 420) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 459 .
4 حشّ في الديوان : «زبل» في المرّتين .
5 حشوشا في الديوان : «بهاماً» .

يا أبا إسحاق ، شعرُك كلُّه حَسَنٌ عجيب ، ولقد مرّت بي منذُ أيّام أبياتٌ لك استحسنتها جدّاً ؛ وذلك أنّها كانت مقلوبةً أيضاً ، فأواخِرُها كأنّها رأسُها ، لو كتبها الإنسان إلى صديق له كتاباً والله لقد كان حسناً أرفعَ ما يكون شعراً . قال : وما هي ؟ قلت[1] : [من الكامل]

المـــرءُ في تأخير مُدّتـه كالثوب يَخْلُق بعـد جِدّتِهِ
وحياتُـه نَفَسٌ يُعَـدّ لـه ووفاتُـه استكمالُ عِدّتِهِ
ومصيرُه مـن بعـد مُدّتـه لِبِلىً وذا من بعد وُحْدتِهِ[2]
مَنْ مات مالَ ذوو مودّته عنـه وحالوا عـن مودّتِـهِ
أزِفَ الرحيلُ ونحن في لَعِبٍ مـا نستعِـدّ لـه بِعُدّتِهِ
ولقلّما تُبْقي الخطوبُ على أشَرِ الشّبابِ وحَـرِّ وقْدتِهِ
عَجَبـاً لمنتبِـهٍ يُضَيّع مـا يحتـاج فيـه ليـوم رَقْدتِهِ[3]

[شبّه أبو نواس شعراً له بشعره]

قال اليزيديّ : قال عمّي وحدّثني الحسين بن الضحّاك قال : كنت مع أبي نواس فأنشدني أبياته التي يقول فيها[4] : [من مجزوء الخفيف]

يـا بنـي النقصِ والغِيَرْ وبنـي الضعفِ والخَوَرْ

فلمّا فرَغ منها قال لي : يا أبا عليّ ، والله لكأنّها من كلام صاحبك (يعني أبا العتاهية) .

[سأل أعرابيّاً عن معاشه ثم قال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني حُذَيْفَة بن محمد الطائيّ قال حدّثني أبو دُلَف القاسم بن عيسى العجْليّ قال : حَجَجْت فرأيت أبا العتاهية واقفاً على أعرابيّ في ظلّ مِيلٍ[5] وعليه شَمْلةٌ إذا غطّى بها رأسَه بدتْ رِجلاه ، وإذا غطّى رِجليه بدا رأسُه . فقال له أبو العتاهية : كيف اخترتَ هذا البلدَ القَفْر على البُلدان المُخصِبة ؟ فقال له : يا هذا ، لولا أنّ الله أقنع بعضَ العباد بشرّ البلاد ، ما وَسِع خيرُ البلاد جميعَ العباد . فقال له : فمن أين مَعاشُكم ؟

1 ديوان أبي العتاهية : 84 (رقم 84) مع اختلاف كبير في الترتيب واللفظ .
2 رواية الديوان : ومصيره مـن بعـد مِرّتـه بالناس ظلمة بيت وحدّته
3 يحتاج في الديوان : يحتاجه .
4 أدرج هذا البيت وآخر معه في تكملة الديوان : رقم 128 نقلاً عن كتاب البديع لابن المعتزّ : ص 44 ، ولم يردا في طبعة صادر من الديوان . ومفهوم قول الحسين بن الضحاك هنا أنّ البيت لأبي نواس ولكنّه ليس في ديوانه (الغزالي) .
5 الميل : منار يبنى للمسافر على نشز من الأرض .

فقال : منكم معشرَ الحاجّ ، تمرّون بنا فننال من فُضولكم ، وتَنْصرفون فيكون ذلك . فقال له : إنّما نمرّ ونَنْصرِف في وقت من السنة ، فمن أين معاشُكم ؟ فأطرق الأعرابيّ ثم قال : لا والله لا أدري ما أقول إلاّ أنّا نُرْزَقُ من حيث لا نَحتسب أكثرَ ممّا نُرزق من حيث نَحتسب . فولّى أبو العتاهية وهو يقول[1] : [من الهزج]

ألا يـا طالـبَ الدُّنيـا دَعِ الدنيـا لشانِيكا
ومـا تصنـعُ بالدنيـا وظِـلُّ المِيـل يَكْفِيكا

[شتمه سلم لمّا سمع هجوه فيه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : لمّا قال أبو العتاهية : [من الوافر]

تعالى اللهُ يـا سَلْمُ بنَ عَمْرٍ أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

قال سَلم : ويلي على ابن الفاعِلة ؛ كَنَز البُدور ويزعُم أنّي حريصٌ وأنا في ثوبيّ هذين !

[كان عبد الله بن عبد العزيز يتمثّل كثيراً بشعره]

أخبرني محمد بن مَزْيد والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمرو بن أَدعَج قال : قلت لعبد الله بن عبد العزيز العُمَريّ وسمعته يتمثّل كثيراً من شعر أبي العتاهية : أشهدُ أنّي سمعته يُنشد لنفسه[2] : [من مجزوء الخفيف]

مَرّتِ اليومَ شاطرهْ بَضّة الجسمِ ساحرهْ
إنّ دُنيا هـي التي مرّت اليـومَ سافرهْ
سَرَقوا نصفَ إسمهـا فَهْيَ دنيـا وآخِرهْ

فقال عبد الله بن عبد العزيز : وكَله اللهُ إلى آخرتها . قال : وما سُمع بعد ذلك يَتَمَثّل ببيتٍ من شعره .

قال عليّ بن الحسين مؤلّف هذا الكتاب : هذه الأبيات لأبي عُيَيْنة المُهلَّبيّ ، وكان يُشَبِّب بدنيا في شعره ، فإمّا أن يكون الخبرُ غلطاً ، وإمّا أن يكون الرجل أنشدها العُمَرِيَّ لأبي العتاهية وهو لا يعلم أنّها ليست له .

[موازنة بينه وبين أبي نواس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل قال : قال لي الحِرْمازِيّ : شهِدتُ أبا العتاهية وأبا نواس في مجلس ، وكان أبو العتاهية أسرع الرجلين جواباً عند البديهة ،

1 ديوان أبي العتاهية 275 (رقم 291) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 317 .
2 تكملة الديوان : رقم 101 .

وكان أبو نواس أسرعَهما في قول الشعر ؛ فإذا تَعاطَيا جميعاً السرعةَ فضَله أبو العتاهية ، وإذا توقّفا وتمهّلا فضَله أبو نواس .

[جفاه صالح المسكين فعاتبه فجاهره بالعداوة]

أخبرني أحمد بن العبّاس عن ابن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدّثنا أبو أَنَس كَثِيرُ بن محمد الحِزاميّ قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار عن مَعروف العامِليّ قال : قال أبو العتاهية : كنتُ منقطعاً إلى صالح المسكين ، وهو ابن أبي جعفر المنصور ، فأصبت في ناحيته مائةَ ألف درهم ، وكان لي ودوداً وصديقاً ، فجئتُه يوماً ، وكان لي في مجلسه مَرتبةٌ لا يجلس فيها غيري ، فنظرت إليه قد قصّر بي عنها ، وعاودتُه ثانيةً فكانت حاله تلك ، ورأيت نظرَه إليّ ثقيلاً ، فنهضتُ وقلت[1] : [من الهزج]

أراني صالـــحٌ بُغْضا ... فأظهـرتُ لـه بُغضا
ولا واللهِ لا ينقُـــ ... ـض إلاّ زدتُـه نَقْضا
وإلاّ زِدتُـــه مقتـاً ... وإلاّ زدتـــــه رفْضا
ألا يـا مُفسِد الودّ ... وقـد كان لـــه محضا
تغضبـتَ مِـنَ الريح ... فمـا أطلُب أن تَرْضى
لئن كان لك المالُ الـ ... ـمُصفَّى إنّ لي عِرْضا

قال أبو العتاهية : فنُمي الكلامُ إلى صالح فنادى بالعداوة ؛ فقلت فيه[2] : [من الوافر]

مَـدَدْتُ لمُعْرِضٍ حَبْلاً طويلاً ... كأطولِ مـا يكون من الحِبالِ
حبـالٍ بالصَّريمةِ ليس تَفْنى ... مُوَصَّلـةٍ على عَـــددِ الرمالِ
فـلا تنظُـرْ إليّ ولا تُـرِدْني ... ولا تُقْرِبْ حبالَك من حِبالي
فليت الرَّدْمَ من يأجوجَ بيني ... وبينَـك مثبتاً أُخـرى الليالي
فكَرِّش إن أردتَ لنـا كلاماً ... ونقطع قِحْـفَ رأسِك بالقَذالِ

[استنشده مساور شعراً في جنازة فأبى]

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليٌّ بن سليمان النَّوفليّ قال : قال مُساوِر السبَّاق ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبير عن مُساوِر السبَّاق قال : شَهِدتُ

1 تكملة الديوان : رقم 143 .
2 تكملة الديوان : رقم 216 .

جنازةً في أيّام الحاجّ وقت خروج[1] الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن المقتول بفَخّ ، فرأيتُ رجلاً قد حضر الجنازةَ معنا وقد قال لآخر : هذا الرجل الذي صِفَتُه كذا وكذا أبو العتاهية . فالتفت إليه فقلت له : أنت أبو العتاهية ؟ فقال : لا ، أنا أبو إسحاق . فقلت له : أنشِدْني شيئاً من شعرك ؛ فقال لي : ما أحمقَك ؛ نحن على سَفَرٍ وعلى شَفِير قَبْر ، وفي أيّام العشر ، وببلدكم هذا تَستنشدني الشعر ؟ ثم أَدْبَر عنّي ثم عاد إليّ فقال : وأُخرى أَزِيدُكها ، لا والله ما رأيت في بني آدم قطُّ أسمجَ منك وجهاً !

قال النَّوفليّ في خبره : وصدق أبو العتاهية ، كان مُساوِرٌ هذا مُقَبَّحاً طويلَ الوجه كأنّه ينظُر في سيف .

[حجبه حاجب يحيى بن خاقان فعاتبه ولم يرض عنه]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد وجَحظة قالا حدّثنا مَيمون بن هارون قال : قدِم أبو العتاهية يوماً منزلَ يحيى بن خاقان ، فلمّا قام بادر له الحاجب فانصرف . وأتاه يوماً آخرَ فصادفه حين نزل ، فسلّم عليه ودخل إلى منزله ولم يأذَن له ؛ فأخذ قِرطاساً وكتب إليه[2] : [من الوافر]

أراكَ تُراعُ حين تَرى خَيالي ... فما هذا يَرُوعك من خيالي
لعلّك خائفٌ منّي سؤالي ... ألا فلَكَ الأمانُ مِنَ السؤالِ
كَفَيتُك إنّ حالَك لم تَمِلْ بي ... لأطلُبَ مثلَها بَدَلاً بحالي
وإنّ اليُسْرَ مثلُ العُسْر عندي ... بأيّهما مُنِيتُ فلا أُبالي

فلمّا قرأ الرُّقعةَ أمر الحاجب بإدخاله إليه ، فطلبه فأبى أن يرجع معه ، ولم يَلتَقِيا بعد ذلك .

[كان بينه وبين أبي الشمقمق شرّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرَّازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ قال : اجتمع أبو نواس وأبو الشَّمقمق في بيت ابن أذَيْن ، وكان بين أبي العتاهية وبين أبي الشَّمقمق شرٌّ ، فخبّؤوه من أبي العتاهية في بيت . ودخل أبو العتاهية فنظر إلى غلام عندهم فيه تأنيثٌ ، فظنّ أنّه جارية ، فقال لابن أُذَيْن : متى استطرفتَ هذه الجارية ؟ فقال : قريباً يا أبا إسحاق ، فقال : قُلْ فيها ما حضَر ؛ فمدّ أبو العتاهية يده إليه وقال : [من السريع]

مددتُ كَفّي نحوَكم سائلاً ... ماذا تَرُدُّون على السائلِ

---

1 ل : خرج .

2 تكملة الديوان : رقم 213 .

فلم يَلبث أبو الشمقمق حتى ناداه من البيت : [من السريع]

نَـــرُدّ في كـفِّـــك ذا فَيْشَةٍ يَشْفي جوًى في آسْتِك من داخلِ

فقال أبو العتاهية : شمقمق والله ؛ وقام مُغضَباً .

[استنشد ابن أبي أميّة شعره ومدحه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد النَّوفليّ قال حدّثني سليمان بن عَبّاد قال حدّثنا سليمان بن مُناذر قال : كنّا عند جعفر بن يحيى وأبو العتاهية حاضرٌ في وسط المجلس ؛ فقال أبو العتاهية لجعفر : جعلني الله فداك ؛ معكم شاعرٌ يُعرَف بابن أبي أُميّة أُحِبّ أن أسمعه يُنشِد ؛ فقال له جعفر : هو أقربُ الناس منك . فأقبل أبو العتاهية على محمد ، وكان إلى جانبه ، وسأله أن يُنشده ، فكأنّه حَصِر ثم أنشده : [من الرمل]

صوت

رُبّ وعدٍ منك لا أنساه لي أَوْجَبَ الشكرَ وإن لم تَفعلِ

أَقطَعُ الدهرَ بوعـدٍ حَسَنٍ وأُجَلِّـي غَمْرَةً مـا تَنْجَلي

كلّما أمّلتُ وعـداً صالحاً عَرَض المكروهُ دونَ الأَملِ

وأرى الأيّامَ لا تُدْني الذي أَرْتَجِي منـك وتُدْني أَجلي

في هذه الأبيات لأبي حَبَشة رملٍ ، قال : فأقبل أبو العتاهية يُردّد البيت الأخير ويُقبّل رأسَ ابن أبي أميّة ويبكي ، وقال : وَدِدتُ والله أنّه لي بكثيرٍ من شِعْرِي .

[لم يرض بتزويج ابنته من منصور بن المهدي]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : كانت لأبي العتاهية بنتان ، اسم إحداهما «لله» ، والأُخرى «بالله» ؛ فخطَب منصور بن المهدي «لله» فلم يُزوّجه ، وقال : إنّما طلبها لأنّها بنت أبي العتاهية ، وكأنّي بها قد مَلّها ، فلم يكن لي إلى الانتصاف منه سبيل ، وما كنت لأُزوّجها إلاّ بائع خَزَفٍ وجِرارٍ ، ولكنّي أختاره لها مُوسِراً .

[كان له ابن شاعر]

وكان لأبي العتاهية ابنٌ يقال له محمد وكان شاعراً ، وهو القائل[1] : [من مخلّع البسيط]

قـد أَفْلحَ السَّالِمُ الصَّمُوتُ كَلامُ راعِي الكلامِ قُوتُ

ما كلُّ نُطْـقٍ لــه جوابٌ جوابُ مـا يُكْرَهُ السُّكوتُ

1 ديوان أبي العتاهية : 144 (رقم 148) على اختلاف في الترتيب .

يا عَجَبـاً لامرىءٍ ظَلُومٍ مُسْتَيقِـنٍ أنّـه يموتُ

[سأله عبد الله بن الحسن بن سهل أن ينشده من شعره ففعل]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثنا زكريّا بن الحسين عن عبد الله بن الحسن بن سَهْل الكاتب قال : قلت لأبي العتاهية : أنشِدني من شِعرك ما تستحسن ، فأنشدني : [من السريع]

ما أسرعَ الأيّامَ في الشّهرِ وأسرَعَ الأشْهُـرَ في العُمْرِ

صوت

ليس لمن ليستْ لـه حِيلةٌ موجـودةٌ خيرٌ مـن الصَّبْرِ
فاخْطُ مع الدهرِ إذا ما خطا واجْرِ مـع الدهرِ كما يَجْرِي
مَنْ سابَقَ الدهرَ كبا كَبْوةً لم يَسْتَقِلْهـا آخِـرَ الدهرِ

لإبراهيم في هذه الأبيات خفيف ثقيلٍ وثقيلٌ أوّل .

[جفاه الفضل فوصله ابن الحسن بن سهل]

قال عبد الله بن الحسن : وسمعتُ أبا العتاهية يُحدّث قال : ما زال الفضلُ بن الربيع من أَميَلِ الناس إليّ ، فلمّا رجع من خُراسان بعد موت الرشيد دخلت إليه ، فاستنشدني فأنشدته[1] : [من البسيط]

أفنيـتَ عمـرَك إدبـاراً وإقبالا تَبْغِي البنين وتَـبْغِي الأَهْـلَ والمالا
الموتُ هَوْلٌ فكُنْ ما شِئتَ مُلْتمِساً من هَوْلِه حِيلةً إن كنتَ مُحتالا[2]
أَلَـم تَرَ المَلِكَ الأَمْسِيَّ حين مضى هل نال حيٌّ مـن الدنيا كما نالا[3]
أفناه مَنْ لم يَزَلْ يُفْني القُرونَ فَقَدْ أضحى وأصبح عنه الملكُ قد زالا[4]
كم من ملوكٍ مضى رَيْبُ الزمانِ بهم فأصبحـوا عِبَـراً فينـا وأمثالا

فاستحسنها وقال : أنت تعرِف شُغْلي ، فَعُدْ إليّ في وقت فراغي أقعد معك وآنسْ بك . فلم أَزَلْ أُراقِب أيّامه حتى كان يومُ فراغه فصرتُ إليه ؛ فبينما هو مُقبِلٌ عليّ يستنشدني ويسألني

1 ديوان أبي العتاهية : 302–303 (رقم 314) .
2 الديوان : «للموت غول . . . من غوله . . .» .
3 الأمسي في الديوان : الأمي .
4 القرون في الديوان : الملوك .

فأحدّثه ، إذْ أنشدته[1] : [من الكامل]

ولّى الشبابُ فما له من حِيلةٍ وكَسا ذُؤابَتَي المشيبُ خِمارا
أين البرامكةُ الذين عَهِدْتُهمْ بالأمسِ أعظمَ أهْلِهـا أخطارا

فلمّا سمع ذكري البرامكة تَغَيّر لونُه ورأيتُ الكراهيّة في وجهه ، فما رأيت منه خيراً بعد ذلك .

قال : وكان أبو العتاهية يُحدّث هذا الحديث ابن الحسن بن سهل ؛ فقال له : لئن كان ذلك ضَرّك عند الفَضْل بن الربيع لقد نفعك عندنا ؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب وأجرى له كلّ شهرٍ ثلاثة آلاف درهم ، فلم يزل يَقْبَلها دارّةً إلى أن مات .

[عاتب مجاشع بن مسعدة فردّ عليه من شعره]

قال أبو عبد الله بن الحسن بن سهل : وسمعت عمرو بن مَسعدة يقول : قال لي أخي مُجاشِع : بينما أنا في بيتي إذ جاءتني رُقعةٌ من أبي العتاهية فيها[2] : [من مجزوء الوافر]

خَليلٌ لي أُكاتمُـه أرانـي لا أُلائمُـهُ
خليلٌ لا تَهُبّ الرِّيـ ـحُ إلاّ هـبّ لائِمهُ
كذا مَنْ نـالَ سلطاناً ومـن كَثُرتْ دراهمهُ

قال : فبعثتُ إليه فأتاني ، فقلت له : أما رَعَيْتَ حقّاً ولا ذِماماً ولا مودّة ؟ فقال لي : ما قلتُ سوءا . قلت : فما حمَلك على هذا ؟ قال : أُغِيبُ عنك عشرةَ أيّام فلا تسأل عنّي ولا تبعَثُ إليّ رسولاً ؟ فقلت : يا أبا إسحاق ، أنَسِيتَ قولك[3] : [من مجزوء الكامل]

يَأْبـى المُعَلَّق بالمُنَـى إلاّ رَواحـاً وادّلاجـا
أُرفُقْ فعمرُك عُودُ ذي أَوَدٍ رأيتُ به اعوجاجا
مَنْ عاجَ من شيءٍ إلى شيءٍ أصابَ له مَعاجا

فقال : حسبُك ، حسبُك ، أوسَعْتَني عُذْراً .

[عاب شعر ابن مناذر لاستعماله الغريب]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ الزّارع قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن عِمران بن عبد الصّمد الزّارع قال حدّثنا ابن عائشة قال : قال أبو العتاهية لابن

1 ديوان أبي العتاهية : 145 (رقم 148) (الحاشية) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 171 .
2 تكملة الديوان : رقم 232 .
3 ديوان أبي العتاهية : 95 (رقم 96) .

مناذر : شعرك مُهَجَّن لا يَلْحَق بالفحول ، وأنت خارجٌ عن طبقة المُحدَثين . فإن كنت تَشبّهت بالعجّاج ورُؤْبة فما لَحِقْتَهما ولا أنت في طريقهما ، وإن كنت تذهب مَذْهبَ المُحْدَثين فما صنعتَ شيئاً . أَخبِرْني عن قولك :

ومَنْ عاداك لاقَى المَرْمَرِيسا[1]

أَخبرني عن المرمريس ما هو ؟ قال : فخجِل ابن مناذر وما راجعه حَرْفاً . قال : وكان بينهما تَناغُر[2] .

[عرف عبيد الله بن إسحاق بمكّة وسأله أن يجيز شعره]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدّثني الحسين بن إسماعيل المَهديّ قال حدّثني رجاء بن سلمة قال : وجد المأمون عليّ في شيء ، فاستأذنتُه في الحجّ فأذن لي ، فقَدِمتُ البصرة وعبيد الله بن إسحاق بن الفضل الهاشميّ عليها وإليه أمرُ الحجّ ، فزاملتُه إلى مكّة . فبينا نحن في الطَّواف رأيت أبا العتاهية ، فقلت لعبيد الله : جُعِلتُ فِداك ؛ أَتُحِبّ أن ترى أبا العتاهية ؟ فقال : والله إنّي لأُحِبُّ أن أراه وأُعاشِره . قلت : فافرُغ من طَوافك واخرُج ، ففعل . فأخذتُ بيد أبي العتاهية فقلت له : يا أبا إسحاق ، هل لك في رجلٍ من أهل البصرة شاعرٍ أديب ظريف ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ فأخذت بيده فجئتُ به إلى عبيد الله ، وكان لا يعرفه ، فتحدّثا ساعةً ، ثم قال له أبو العتاهية : هل لك في بيتين تُجيزهما ؟ فقال له عبيد الله : إنّه لا رَفَثَ ولا فُسوقَ ولا جِدال في الحجّ . فقال له : لا نَرْفُث ولا نفسُق ولا نُجادل . فقال : هات إذاً . فقال أبو العتاهية[3] : [من الكامل]

إنّ المنــونَ غُدُوَّهــا ورَواحَها ... في الناسِ دائبة تُجِيلُ قِداحَها
يــا ساكنَ الدنيا لقد أُوطنتَها ... ولَتَنْزَحنَّ وإن كَرِهتَ نزاحَها

فأطرق عبيد الله ينظُر إلى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه فقال : [من الكامل]

خُــذْ لا أبــا لكَ للمنيّةِ عُدَّةً ... واحْتَلْ لنفسك إن أَردتَ صلاحَها
لا تَغْتَـرِرْ فكأَنَّني بعُقاب رَيـ ... ـب الموت قد نَشَرتْ عليك جَناحَها

قال : ثم سمعتُ الناس يَنْحَلون أبا العتاهية هذه الأربعة الأبيات كلّها ، وليس له إلاّ البيتان الأوّلان .

---

1 المرمريس : الداهية .

2 ل : تباعد .

3 ديوان أبي العتاهية : 101 (رقم 101) .

[قصّته في السجن مع داعية عيسى بن زيد]

أخبرني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا مَيمون بن هارون قال حدّثني إبراهيم بن رَباح قال أخبرني إبراهيم بن عبد الله ، وأخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا هارون بن مُخارق قال حدّثني إبراهيم بن دَسْكَرة ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيخ قال : قال أبو العتاهية : حبَسني الرشيد لمّا تركتُ قولَ الشعر ، فأُدخِلتُ السجن وأُغلِق الباب عليَّ ، فدَهِشتُ كما يدهَش مثلي لتلك الحال ، وإذا أنا برجل جالس في جانب الحبس مُقَيّد ، فجعلتُ أنظر إليه ساعةً ، ثم تمثّل : [من الطويل]

صوت

تَعــوّدتُ مُرَّ الصبر حتى أَلِفْتُـه وأسلمني حسنُ العَزاء إلى الصبرِ[1]
وصيّرني يأسي مــن النَّاس راجياً لحُسْن صنيعِ الله من حيثُ لا أدري

فقلت له : أَعِدْ ، يرحمك الله ، هذين البيتين . فقال لي : ويلَك أبا العتاهية ؛ ما أسوأ أدبَك وأقلَّ عقلَك ! دخلتَ عليّ الحبس فما سلَّمتَ تسليم المُسْلِم على المُسْلم ، ولا سألتَ مسألة الحُرّ للحرّ ، ولا توجّعت توجُّع المُبتلى للمُبتلَى ، حتى إذا سمعتَ بيتين من الشعر الذي لا فضلَ فيك غيره ، لم تصبِر عن استعادتهما ، ولم تُقَدِّم قبلَ مسألتك عنهما عُذراً لنفسك في طلبهما ؛ فقلت : يا أخي إنّي دَهِشتُ لهذه الحال ، فلا تَعذُلْني واعذِرْني مُتفضّلاً بذلك . فقال : أنا والله أولى بالدَّهش والحيرة منك ؛ لأنّك حُبستَ في أن تقول شعراً به ارتفعتَ وبلَغت ، فإذا قُلتَ أُمِّنت ، وأنا مأخوذٌ بأن أَدُلَّ على ابن رسول الله ﷺ ليُقتَل أو أُقتَلَ دونه ، ووالله لا أدُلّ عليه أبداً ، والساعة يُدعى بي فأُقتَل ، فأيُّنا أحقُّ بالدَّهَش ؟ فقلت له : أنت والله أولى ، سَلَّمك الله وكفاك ، ولو علمتُ أنّ هذه حالُك ما سألتُك . قال : فلا نَبْخَلُ عليك إذن ، ثم أعاد البيتين حتى حفظتُهما . قال : فسألته مَن هو ؟ فقال : أنا خاصّ داعيةُ عيسى بن زيد وابنِه أحمد . ولم نلبث أن سمعنا صوتَ الأقفال ، فقام فسكَب عليه ماء كان عنده في جرّة ، ولبِس ثوباً نظيفاً كان عنده ، ودخل الحرس والجند معهم الشمع فأخرجونا جميعاً ، وقُدِّم قبلي إلى الرشيد . فسأله عن أحمد بن عيسى ؛ فقال : لا تسألني عنه واصنع ما أنت صانع ، فلو أنّه تحت ثوبي هذا ما كشفتُه عنه . وأمر بضرب عنقه فضُرِب . ثم قال لي : أظنّك قد ارتعتَ يا إسماعيل ؛ فقلت : دون ما رأيتَه تَسِيل منه النفوس . فقال : ردّوه إلى مَحبسه فرُدِدْتُ ، وانتحلت هذين البيتين وزِدْتُ فيهما[2] : [من الطويل]

---

1 مُرّ الصبر في ل : مسّ الضر .

2 انظر ديوان أبي العتاهية : 174–175 (رقم 178) وهي خمسة أبيات من ضمنها الثلاثة المتقدّمة .

إذا أنا لم أَقْبَلْ من الدّهرِ كلَّ ما تكَرَّهتُ منه طال عَتْبِي على الدهرِ

لِزُرْزُور غلامِ المارِقيّ في هذين البيتين المذكورين خفيف رمل . وفيهما لعَرِيب خفيف ثقيل .

[كان خِلْفاً في شعره منه الجيّد والرديء]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني ناجيةٌ بن عبد الواحد قال : قال لي أبو العبّاس الخُزيميّ : كان أبو العتاهية خِلْفاً في الشعر ، بينما هو يقول في موسى الهادي : [من مجزوء الكامل]

لَهْفي على الزمنِ القصيرِ بين الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

إذ قال[1] : [من مجزوء الرجز]

أيا ذَوِي الوَخامهْ أكثرتُمُ المَلامهْ
فليس لي على ذا صبرٌ ولا قُلامهْ
نعمْ عَشِقتُ مُوقاً هل قامتِ القيامهْ
لأَرْكَبَنّ فيمن هَوِيتُه الصَّرامهْ

[عرض شعراً له على سلم الخاسر فذمّه]

ونسختُ من كتابه : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني أحمد بن عيسى قال حدّثني الجَمّاز قال : قال سَلْمٌ الخاسِر : صار إليّ أبو العتاهية فقال : جئتُكَ زائراً ؛ فقلت : مقبولٌ منك ومشكورٌ أنت عليه ، فأَقِمْ . فقال : إنّ هذا ممّا يَشتدّ عليّ . قلت : ولِمَ يشتدّ عليك ما يَسهُل على أهل الأدب ؟ فقال : لِمَعرِفتي بضيقِ صدرك . فقلت له وأنا أُضحكك وأُعجب من مُكابرته : «رَمَتْني بدائِها وانسلَّتْ»[2] . فقال : دَعني من هذا واسمع منّي أبياتاً . فقلت : هاتِ ، فأنشدني[3] : [من الخفيف]

نغَّصَ الموتُ كلَّ لذّة عيشٍ يا لَقومِي لِلْمَوتِ ما أَوْحاهُ[4]
عجباً أنّه إذا مات مَيْتٌ صَدَّ عنه حبيبُه وجَفاهُ
حيثما وُجِّه امرؤٌ ليفوتَ الـ ـموتَ فالموتُ واقفٌ بِحِذاهُ
إنّما الشَّيْبُ لابن آدمَ ناعٍ قام في عارِضَيْهِ ثم نَعاهُ

1 تكملة الديوان : رقم 240 .
2 هو المثل رقم 1521 عند الميداني وانظر فصل المقال : 92 .
3 ديوان أبي العتاهية : 414–415 (رقم 432) .
4 أوحاه : ما أسرعه .

مَنْ تَمَنَّى المُنى فأَغْرق فيها ... مات من قبلِ أن ينالَ مُناهُ
مـا أَذَلَّ المُقِلَّ في أَعْيُنِ النّا ... سِ لإقلالـــه ومـا أَقْماهُ
إنّما تنظـرُ العيـونُ من النا ... سِ إلى مَنْ تَرْجوه أو تخْشاهُ

ثم قال لي : كيف رأيتها ؟ فقلت له : لقد جوَّدتَها لو لم تكن ألفاظُها سُوقيّةً . فقال : والله ما يُرَغِّبني فيها إلاّ الذي زهّدك فيها .

[قوله عندما مرّ به حميد الطوسيّ متكبّراً]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة عن محمد بن عيسى الحربيّ قال : كنت جالساً مع أبي العتاهية ، إذ مرّ بنا حُمَيْدٌ الطُّوسيّ في موكبه وبين يديه الفُرسان والرَّجّالة ، وكان بِقُربِ أبي العتاهية سَوادِيٌّ على أتان ، فضربوا وجه الأتان ونَحَّوْه عن الطريق ، وحُميد واضعٌ طَرَفَه على مَعرَفَة فرسه والناس ينظرون إليه يعجَبون منه وهو لا يلتفت تِيهاً ؛ فقال أبو العتاهية[1] : [من مجزوء الكامل]

لِلمـوت أبنـاءٌ بهـمْ ... ما شِئْتَ من صَلَفٍ وتيهِ
وكأنّني بالمـوتِ قـد ... دارَتْ رَحاه على بَنِيهِ

قال : فلمّا جاز حميد مع صاحب الأتان قال أبو العتاهية[2] : [من الخفيف]

مـا أذلَّ المُقِـلَّ في أعين النا ... س لإقلالـــه ومـــا أقْماهُ
إنّما تنظـرُ العيـونُ مـن النا ... سِ إلى مَنْ تَرْجوه أو تَخْشاهُ

[اعترض عليه في بخله فأجاب]

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال : قيل لأبي العتاهية : ما لك تَبخَل بما رزقك الله ؟ قال : والله ما بَخِلتُ بما رزقني الله قطّ . قيل له : وكيف ذاك وفي بيتك من المال ما لا يُحصى ؟ قال : ليس ذلك رِزقي ، ولو كان رزقي لأنفقتُه .

[طلب من صالح الشهرزوري حاجة فلم يقضها فعاتبه]

قال عليّ بن مهديّ وحدّثني محمد بن جعفر الشَّهرَزُورِيّ قال حدّثني رَجاء مولى صالح الشهرزوريّ قال : كان أبو العتاهية صديقاً لصالح الشهرزوريّ وآنس الناس به ، فسأله أن يُكَلِّم الفضلَ بن يحيى في حاجة له ؛ فقال له صالح : لست أُكَلِّمه في أشباه هذا ، ولكن حَمِّلْني ما شئت في مالي . فانصرف عنه أبو العتاهية وأقام أيّاماً لا يأتيه ؛ فكتب إليه أبو

1 تكملة الديوان : رقم 291 .
2 ديوان أبي العتاهية : 400–401 (رقم 412) وهي 10 أبيات .

العتاهية : [من الكامل]

أَقْلِلْ زيارتَك الصديقَ ولا تُطِلْ إتْيانَـه فتَلِـجَّ في هِجْرانِهِ[1]
إنّ الصديقَ يَـلِـجّ في غِشْيانِه لصديقه فيُمَـــلُّ من غِشْيانِهِ
حتّى تراه بعد طـول مَسرّةٍ بمكانـــــه مُتَبرِّمـاً بمكانِهِ[2]
وأقَلُّ ما يُلْفَى الفتى ثِقَلاً على إخوانه مـا كـفَّ عن إخوانِهِ[3]
وإذا توانَـى عن صِيانة نفسه رجلٌ تُنُقِّص واستُخِفَّ بشانِهِ

فلمّا قرأ الأبياتَ قال : سبحانَ الله ؛ أتهجُرني لمنعي إيّاك شيئاً تعلم أنّي ما ابتذلتُ نفسي له قطّ ، وتَنْسى مودّتي وأخوّتي ، ومِنْ دون ما بيني وبينك ما أوجب عليك أن تَعْذِرني ! فكتب إليه[4] : [من الكامل]

أهلَ التَّخَلُّقِ لو يَدوم تَخَلُّقُ لسكنتُ ظِلّ جَناح مَنْ يَتَخَلَّقُ
ما الناس في الإمساك إلاّ واحدٌ فبأيّهم إنْ حُصِّلـوا أتعلّقُ
هـذا زمـانٌ قـد تعوَّد أهلُه تيهَ الملوك وفِعلَ مَنْ يَتصدّقُ

فلمّا أصبح صالحٌ غدا بالأبيات على الفضل بن يحيى وحدّثه بالحديث ؛ فقال له : لا والله ما على الأرض أبْغضُ إليّ من إسداء عارفةٍ إلى أبي العتاهية ؛ لأنّه ممّن ليس يظهر عليه أثرُ صنيعة ، وقد قضيتُ حاجتَه لك ؛ فرجعَ وأرسلني إليه بقضاء حاجته . فقال أبو العتاهية[5] : [من الطويل]

جَزَى اللهُ عنّـي صالحاً بوَفائـه وأَضْعَفَ أضعافاً لـه في جَزائِهِ
بَلَوْتُ رجـالاً بعـدَه في إخائهمْ فما ازددتُ إلاّ رغبةً في إخائِهِ
صديقٌ إذا ما جئتُ أبغيه حاجةً رجعتُ بما أبغي ووجهي بمائِهِ

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى قال حدّثني أحمد بن حرب قال : أنشدني محمد بن أبي العتاهية لأبيه يعاتب صالحاً هـذا في تأخيره قضاء حاجتـه[6] : [من الطويل]

---

1 ولا تطل إتيانه فتلجُّ في الديوان : «. . . ولا تطل هجرانه فيلج . . .» .
2 الديوان : «. . . مستثقلاً لمكانه» .
3 وأقل في الديوان : وأخف .
4 تكملة الديوان : رقم 158 .
5 تكملة الديوان : رقم 5 .
6 تكملة : رقم 60 .

صوت

أَعَيْنَيَّ جُودا وابكِيا وُدَّ صالِحٍ وهيجا عليه مُعْوِلاتِ النَّوائِحِ
فما زالَ سلطاناً أخٌ لي أَوَدُّه فيَقْطَعُني جُرْماً قطيعةَ صالِحِ

الغناء في هذين البيتين لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

[أمر الرشيد مؤدّب ولده أن يرويهم شعره]

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : كان الرشيد مُعجَباً بشعر أبي العتاهية ، فخرج إلينا يوماً وفي يده رُقعتان على نسخةٍ واحدة ، فبعث بإحداهما إلى مُؤَدِّب لوَلَده وقال : ليُرَوِّهِمْ ما فيها ، ودفَع الأُخرى إليّ وقال : غَنّ في هذه الأبيات . ففتحتُها فإذا فيها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

قُـلْ لِمَنْ ضَنَّ بوُدِّهْ وكَوى القلـبَ بصَدِّهْ
ما ابتـلى اللهُ فؤادي بـكَ إلاّ شُؤْمَ جَدِّهْ
أيُّها السارقُ عَقْـلي لا تَضَنَّـنَّ بِـرَدِّهْ
مـا أرى حُبَّكَ إلاّ بالغاً بـي فـوقَ حَدِّهْ

[تمثّل المعتصم عند موته بشعر له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدّثني عبد الله بن محمد الأُمويّ العُتْبيّ قال قال لي محمد بن عبد الملك الزيّات : لمّا أحسّ المعتصم بالموت قال لابنه الواثق : ذَهَب والله أبوك يا هارون ! للهِ درُّ أبي العتاهية حيث يقول[2] : [من مجزوء الكامل]

الموتُ بـين الخَلْقِ مُشْتَرَكٌ لا سُوقـةٌ يَبْقى ولا مَلِكُ
ما ضَرَّ أصحابَ القليلِ وما أَغْنى عَنِ الأملاكِ ما مَلَكُوا

[عدّ أبو تمّام خمسة أبيات من شعره وقال لم يشركه فيها غيره]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمّي الحسن والكوكبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : قال لي أبو تمّام الطائيّ : لأبي العتاهية خمسةُ أبياتٍ ما شَرِكَه فيها أحدٌ ، ولا قَدَر على مثلها مُتَقَدِّم ولا متأخّر ، وهو قوله : [من مجزوء الكامل]

1 تكملة : رقم 84 .
2 ديوان أبي العتاهية : 267–268 (رقم 283) .

النـــاسُ في غَفَلاتِهِـــمْ ورَحـــى المَنِيَّـــةِ تَطْحَنُ

وقوله لأحمد بن يوسف : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أنّ الفَقْرَ يُرْجى له الغِنى وأنّ الغِنى يُخْشى عليه مِنَ الفَقْرِ

وقوله في موسى الهادي[1] : [من المتقارب]

ولَمّـا اسْتَقَلُّوا بأَثقالِهِـمْ وقد أَزْمَعُوا للذي أَزمعوا

قرنتُ التفاتـي بآثارِهِمْ وأَتْبَعْتُهُـمْ مُقْلَـةً تَدْمَعُ

وقوله : [من الوافر]

هَبِ الدنيا تصيرُ إليك عَفْواً أليس مصيرُ ذاك إلى زَوالِ

[عزاؤه صديقاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني محمد بن سعيد المَهْديّ عن يحيى بن سعيدٍ الأنصاريّ قال : مات شيخٌ لنا ببغداد ، فلمّا دفنّاه أقبل الناسُ على أخيه يُعَزُّونه ، فجاء أبو العتاهية إليه وبه جَزَعٌ شديد ، فعَزَّاه ثم أنشده[2] : [من المجتث]

لا تَـأمنِ الدَّهْرَ والْبَسْ لكلِّ حـــينٍ لِبـــاسا

لَيَـدْفِنَنّـــا أُنـــاسٌ كما دَفَنّـــا أُنـــاسا

قال : فانصرف الناسُ ، وما حفِظوا غير قول أبي العتاهية .

[أرسل لخزيمة من شعره في الزهد فغضب وذمّه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليّ : حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حبيب بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه : قال : كنتُ في مجلس خُزَيمة[3] ، فجرى حديثُ ما يُسْفَكُ من الدماء ، فقال : والله مالنا عند الله عذرٌ ولا حُجّةٌ إلاّ رجاء عفوه ومغفرته . ولولا عزُّ السلطان وكراهةُ الذلّة ، وأن أصيرَ بعد الرياسة سُوقةً وتابعاً بعد ما كنتُ متبوعاً ، ما كان في الأرض أزهَدُ ولا أعبدُ منّي ؛ فإذا هو بالحاجب قد دخل عليه برُقعة من أبي العتاهية فيها مكتوبٌ[4] : [من الطويل]

1 تكملة الديوان : رقم 145 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية القطعة 198 (ص 193) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 229 .

3 هو خزيمة بن خازم أحد قواد الرشيد .

4 ديوان أبي العتاهية : 347 (رقم 356) وهي عشرة أبيات مع اختلاف في الترتيب .

أَراكَ امرءاً ترجو من الله عَفْوَهُ وأنتَ على مـا لا يُحِبُّ مُقِيمُ
تَدُلُّ على التقوى وأنتَ مُقَصِّرٌ أيا مَن يُداوي الناسَ وهو سَقِيمُ
وإنَّ امرءاً لم يُلْهِهِ اليومُ عن غَدٍ تَخَوُّفُ مـا يأتـي بـه لحكيمُ
وإنّ امرءاً لم يَجعلِ البِرَّ كنزَه وإنْ كانـتِ الدنيا لـه لعديمُ

فغضِب خُزيمة وقال : والله ما المعروفُ عند هذا المعتوه المُلْحِف من كنوز البِرّ فيرغب فيه حرٌّ . فقيل له : وكيف ذاك ؟ فقال : لأنّه من الذين يكنِزون الذهب والفِضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله .

[مدح يزيد بن مزيَد فوصله]

ونسختُ من كتابه : عن عليّ بن مهديّ قال حدّثني الحسين بن أبي السَّريّ قال قال لي الفضل بن العبّاس : قال لي أبو العتاهية : دخلتُ على يزيد بن مَزْيد ، فأنشدته قصيدتي التي أقول فيها[1] : [من الطويل]

ومـا ذاك إلاَّ أنَّني واثِـقٌ بما لديـك وأنِّي عالـمٌ بوفائِكا
كأنّك في صدري إذا جئتُ زائراً تُقَـدِّر فيـه حاجتـي بابتدائكا
وإنّ أميـرَ المؤمنـين وغيـرَه ليَعلَمُ في الهيجـاء فضلَ غَنائِكا
كأنّك عند الكَرِّ في الحربِ إنّما تَفِرُّ من السِّلْمِ الذي من وَرائِكا
فما آفةُ الأملاكِ غيرُك في الوَغَى ولا آفـةُ الأمـوالِ غيرُ حِبائِكا

قال : فأعطاني عشرة آلاف درهم ، ودابةً بسرْجها ولِجامها .

[وعظ راهب رجلاً عابداً بشعره]

وأخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق وعمّي الحسن بن محمد وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا : حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : مرّ عابدٌ براهبٍ في صَوْمعة ؛ فقال له : عِظْني . فقال : أَعِظُك وعليكم نَزل القرآن ، ونبيُّكم محمد ﷺ قريب العهد بكم ؟ قلت نعم . قال : فاتَّعِظْ ببيتٍ من شعر شاعركم أبي العتاهية حين يقول : [من الطويل]

تَجَرَّدْ مِـنَ الدنيـا فإنَّك إنّما وقعتَ إلى الدنيا وأنتَ مُجَرَّدُ[2]

[فضّله العتابيّ على أبي نواس]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني الفضل بن محمد الزَّارع

1 تكملة الديوان : رقم 7 .
2 وقعت في الديوان (القطعة رقم 109) : سقطت .

قال حدّثني جعفر بن جَمِيل قال : قدِم العَتّابيّ الشاعر على المأمون ، فأنزله على إسحاق بن إبراهيم ، فأنزله على كاتبه ثوابة بن يونس ، وكنّا نختلف إليه نكتب عنه . فجرى ذات يوم ذِكر الشعراء ؛ فقال : لَكُمْ يا أهل العراق شاعرٌ منوَّه الكنية ، ما فعل ؟ فذكر القوم أبا نواس ؛ فانتهرهم ونفضَ يده وقال : ليس ذلك ، حتى طال الكلام . فقلت : لعلّك تريد أبا العتاهية . فقال : نعم ، ذاك أشعر الأوّلين والآخرين في وقته .

[لام أبا نواس في استماع الغناء]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدّثني العَنَزيّ قال حدّثني محمد بن إسحاق عن عليّ بن عبد الله الكِنديّ قال : جلس أبو العتاهية يوماً يَعْذُلُ أبا نواس ويلومه في استماع الغِناء ومجالسته لأصحابه ؛ فقال له أبو نواس : [من مجزوء الرمل]

أَتُراني يـــا عَتاهـــي ... تـــاركاً تلك المَلاهي
أَتُراني مفْسِداً بالنُّسْـ ... ـكِ عند القوم جاهي

قال : فوثب أبو العتاهية وقال : لا بارك الله عليك . وجعل أبو نواس يضحك .

[بلغه أنّ إبراهيم بن المهديّ رماه بالزندقة فبعث إليه يعاتبه]

أخبرني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : بلغ أبا العتاهية أنّ أبي رماه في مجلسه بالزندقة وذكره بها ؛ فبعث إليه يُعاتبه على لسان إسحاق الموصلي ، فأدّى إليه إسحاق الرسالة ؛ فكتب إليه أبي : [من الكامل]

إنّ المنيَّـةَ أمهلتْـك عَتاهـــي ... والموتُ لا يسهو وقلبُك ساهِي
يا ويحَ ذي السنِّ الضعيفِ أمالُه ... عن غَيِّه قبـــل الممات تُناهي
وُكِّلْـــتَ بالدنيا تُبَكِّيهـــا وتَنْـ ... ـدُبها وأنت عَنِ القيامة لاهي
والعيشُ حُلْـوٌ والمَنُونُ مَريرةٌ ... والـــدَّارُ دارُ تَفاخُـرٍ وتَباهي
فاخْتَرْ لنفسك دونها سُبُلاً ولا ... تَتَحامَقَنَّ لهـا فإنّـك لاهي[1]
لا يُعْجِبَنَّـــكَ أنْ يُقال مُفَوَّهٌ ... حَسَنُ البَلاغة أو عَرِيضُ الجاهِ
أَصْلِحْ جَهُولاً من سَرِيرتك التّي ... تخلو بهـــا وارهَبْ مَقامَ اللهِ
إنّـــي رأيتُك مُظْهِـراً لِزَهادةٍ ... تحتـــاجُ منـــك لهـا إلى أشباه

1 فاختر في ل : فاحتل .

[شغف عبد الله بن العباس بن الفضل بالغناء في شعره]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى الصوليّ قال حدّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : رآني الرشيد مشغوفاً بالغِناء في شعر أبي العتاهية : [من الخفيف]

صوت

أحمدٌ قال لي ولم يَدْر ما بي ... أتُحِبُّ الغداةَ عُتْبةَ حَقّا
فتَنَفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَمْ حُـ ... ـبّاً جَرى في العُروق عِرْقاً فعِرقا
لو تَجُسِّينَ يا عُتَيبةُ قلبي ... لَوجَدْتِ الفؤادَ قَرْحاً تَفَقّا
قد لَعَمْري مَلَّ الطبيبُ ومَلَّ الأ ... هلُ منّي مِمّا أُقاسي وأَلْقَى
ليتَني مُتُّ فاسترحتُ فإنّي ... أبداً ما حَيِيتُ منها مُلَقَّى

ولا سيّما من مُخارق ، وكان يُغنّي فيه رَمَلاً لإبراهيم أخذه عنه . وفيه لحنٌ لفَريدة رمل . هكذا قال الصُّولي : «فريدة» بالياء ، وغيره يقول : «فِرِندة» بالنون .

[صنع شعراً يغنّي فيه الملاّحون فلمّا سمعه الرشيد بكى]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا محمد بن صالح العَدَويّ قال أخبرني أبو العتاهية قال : كان الرشيد ممّا يعجبه غِناءُ المَلاّحين في الزَّلاّلات إذا رَكبها ، وكان يتأذّى بفساد كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء يعمَلوا لهؤلاء شعراً يُغَنُّون فيه . فقيل له : ليس أحدٌ أقدَرَ على هذا من أبي العتاهية ، وهو في الحبس . قال : فوَجَّه إليّ الرشيد : قُلْ شعراً حتّى أسمعه منهم ، ولم يأمُرْ بإطلاقي ؛ فغاظني ذلك فقُلت : والله لأقولَنَّ شعراً يَحزنه ولا يُسَرُّ به ، فعَمِلتُ شعراً ودفعتُه إلى مَنْ حَفَّظَه الملاّحين ، فلمّا رَكِب الحَرّاقة سمِعه ، وهو[1] : [من مجزوء الرمل]

خانَكِ الطَّرْفُ الطَّمُوحُ ... أيُّها القَلْبُ الجَمُوحُ
لِدَواعي الخَيْرِ والشَّـ ... ـرِّ دُنُوٌّ ونُزُوحُ
هَلْ لمطلوبٍ بِذَنْبٍ ... توبةٌ منه نَصُوحُ
كيف إصلاحُ قُلُوبٍ ... إنّما هُنَّ قُروحُ
أَحْسَنَ اللهُ بنا أَ ... نَّ الخَطايا لا تَفُوحُ

1 ديوان أبي العتاهية : 96-97 (رقم 97) .

فـــإذا المستـورُ مِنَّـا بـــينَ ثَوبَيْـهِ نَضُوحُ[1]
كَمْ رأينا مِـنْ عَزِيـزٍ طُوِيـتْ عنـه الكُشوحُ
صـاحَ منـه بِرَحِيـلٍ صائحُ الدَّهْـرِ الصَّدُوحُ
موتُ بعضِ الناسِ في الأَرْ ضِ على قـــومٍ فُتُوحُ
سيصيرُ المـرءُ يومـاً جَسَداً مـا فيـه رُوحُ
بـين عَيْنَيْ كُلِّ حَـيٍّ عَلَـمُ المـوتِ يلـوحُ
كُلُّنـا في غَفْلَـةٍ والْـ ـمَوْتُ يغـدو ويروحُ
لِبَني الدُّنيـا مِـنَ الدُّنْ ـيا غَبُـوقٌ وصَبُوحُ
رُحْنَ في الوَشْي وأَصْبَحْ ـنَ عليهِـنَّ المُسُوحُ
كلُّ نَطَّـاحٍ مِـنَ الدَّهْ ـرِ لـه يـومٌ نَطُوحُ
نُحْ على نَفْسِكَ يا مِسْـ ـكينُ إنْ كنـتَ تنوحُ
لَتَمُوتَـنَّ وإنْ عُمِّـ ـرْتَ مـا عُمِّـرَ نُوحُ

قال : فلمّا سمع ذلك الرشيد جعل يبكي ويَنتَحِب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعاً في وقت الموعظة ، وأشدِّهم عَسْفاً في وقت الغَضب والغِلظة . فلمّا رأى الفضل بن الربيع كثرةَ بكائه ، أومأ إلى المَلاَّحين أن يسكتوا .

[هجا منجاباً الذي كان موكلاً بحبسه]

حدّثني الصُّولي قال حدّثني الحسن بن جابر كاتب الحسن بن رَجاء قال : لَمّا حَبَس الرشيد أبا العتاهية دَفَعه إلى مِنجابٍ ، فكان يَعْنُف به ؛ فقال أبو العتاهية[2] : [من مجزوء الكامل]

مِنْجابُ مـات بِدائه فاعْجَـلْ لـه بدَوائهِ
إنَّ الإمـامَ أعلَّـه ظُلْمـاً بحَـدّ شَقائهِ
لا تُعْنِفـنّ سِياقَـهُ مـا كُلُّ ذاك بِرائِهِ
ما شِمْتُ هذا في مَخا يِـلِ بارِقاتِ سَمائِهِ

[مدح الرشيد حين عقد ولاية العهد لبنيه]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيرفيّ قال حدّثنا العَنَزيّ قال حدّثني أحمد بن معاوية

1 نضوح في الديوان : فضوح .
2 تكملة الديوان : رقم 6 .

القُرشيّ قال : لمّا عقد الرشيد ولايةَ العهد لبنيه الثلاثة : الأَمين ، والمأمون ، والمؤتمن ، قال أبو العتاهية[1] : [من الطويل]

رَحَلْتُ عَنِ الرَّبْعِ المُحِيلِ قَعُودِي ... إلى ذي زُحُوفٍ جَمَّةٍ وجُنودِ
وَراعٍ يُراعِي اللَّيل في حِفْظِ أُمَّةٍ ... يُدافِع عنها الشرَّ غيرِ رَقُودِ
بِأَلْوِيَةٍ جبريلُ يَقْدُم أهلَها ... ورايات نَصْرٍ حولَه وبُنودِ
تَجافَى عَنِ الدُّنيا وأَيْقَن أَنَّها ... مُفارِقَةٌ ليستْ بَدارِ خُلودِ
وشَدَّ عُرَى الإسلامِ منه بِفِتْيةٍ ... ثَلاثةِ أَملاكٍ وُلاةِ عُهُودِ
هُمْ خيرُ أولادٍ ، لَهُمْ خيرُ والدٍ ... لَهُ خيرُ آباءٍ مَضَتْ وجُدودِ
بنو المصطفى هارونَ حولَ سَرِيرِه ... فَخَيْرُ قِيامٍ حولَه وقُعودِ
تُقَلِّبُ ألحاظَ المَهابةِ بينهمْ ... عيونُ ظِباءٍ في قُلوبِ أُسُودِ
جُدُودُهُمُ شمسٌ أتتْ في أَهِلَّةٍ ... تَبَدَّتْ لِراءٍ في نُجومِ سُعُودِ

قال : فوصله الرشيد بصِلةٍ ما وَصَل بمثلها شاعراً قَطُّ .

[ذكر لملك الروم فالتمسه من الرشيد]

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد الأَسديّ إجازةً قال حدّثني الرِّياشيّ قال : قدِم رسولٌ لِمَلِك الروم إلى الرشيد ، فسأل عن أبي العتاهية وأنشده شيئاً من شعره ، وكان يُحسِن العربية ، فمضى إلى ملك الرُّوم وذكره له ؛ فكَتَب ملكُ الروم إليه ، ورَدَّ رسولَه يسأل الرشيد أن يُوجِّه بأبي العتاهية ويأخذ فيه رهائن مَن أراد ، وألحَّ في ذلك . فكلَّم الرشيد أبا العتاهية في ذلك ، فاستعفى منه وأباه . واتَّصل بالرشيد أنّ ملك الروم أَمَر أن يُكتَبَ بيتان من شعر أبي العتاهية على أبواب مَجالسه وباب مدينته ، وهما[2] : [من المنسرح]

صوت

ما اختلفَ اللَّيْلُ والنَّهارُ ولا ... دارتْ نجومُ السماء في الفَلَكِ
إلاّ لِنَقْلِ السُّلْطانِ عن مَلِكٍ ... قَدِ انْقَضَى مُلْكُه إلى مَلِكِ

1 تكملة الديوان : رقم 72 .

2 ديوان أبي العتاهية : حاشية ص 274 (رقم 291) ، ديوان أبي العتاهية (صادر) : 316 .

[انقطع بعد خروجه من الحبس فلامه الرشيد]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله[1] بن أبي سعد قال حدّثنا الرَّبيع بن محمد الخُتَّليّ الوَرَّاق قال أخبرني ابن أبي العتاهية : أنّ الرشيد لمّا أطلق أباه من الحبس ، لَزِم بيتَه وقطَع الناس ؛ فذكَره الرشيد فعُرِّفَ خبره ، فقال : قولوا له : صِرْتَ زِيرَ نساء وحِلْسَ بَيت ؛ فكتب إليه أبو العتاهية : [من السريع]

بَرِمْتُ بِالنَّاسِ وأخلاقِهِم ... فصِرْتُ أَسْتَأْنِسُ بالوحدَهْ
ما أَكثَرَ النَّاسَ لَعَمْرِي وما ... أَقَلَّهم في مُنْتَهى العِدَّهْ

ثم قال : لا ينبغي أنْ يمضي شعر إلى أمير المؤمنين ليس فيه مدحٌ له ، فقَرَن هذين البيتين بأربعة أبيات مدحه فيها : وهي[2] : [من المديد]

صوت

عادَ لي من ذِكْرِها نَصَبُ ... فدموعُ العَين تَنْسَكِبُ
وكذاكَ الحُبُّ صاحِبُه ... يَعْتَرِيهِ الهَمُّ والوَصَبُ
خيرُ مَنْ يُرْجى ومَنْ يَهَبُ ... مَلِكٌ دانتْ له العَرَبُ
وحقيقٌ أنْ يُدانَ له ... مَنْ أبوه لِلنَّبيّ أَبُ

[وعظه الرشيد]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثنا عون بن محمد قال حدّثنا محمد بن أبي العتاهية قال : قال الرشيد لأبي : عِظني ؛ فقال له : أخافك . فقال له : أنت آمِن . فأنشده[3] : [من البسيط]

لا تَأمَنِ الموتَ في طَرْفٍ ولا نَفَسٍ ... إذا تَسَتَّرْتَ بالأبوابِ والحَرَسِ[4]
واعلَمْ بأنّ سِهامَ الموتِ قاصدةٌ ... لكلِّ مُدَّرِعٍ منّا ومُتَّرِسِ[5]
ترجو النجاةَ ولم تَسْلُكْ طَرِيقَتَها ... إنّ السفينةَ لا تَجْري على اليَبَسِ[6]

قال : فبكى الرشيد حتى بلَّ كُمَّه .

---

1 ل : عبيد الله .
2 تكملة الديوان : رقم 12 .
3 ديوان أبي العتاهية : 192 (من القطعة رقم 199) .
4 الشطر الثاني في الديوان : «وإن تمنّعت بالحجاب والحرس» .
5 الديوان : «فما تزال سهام الموت نافذة . . . في جنب» .
6 طريقتَها في الديوان : مسالكها .

[تناظر ابن أبي فنن وابن خاقان فيه وفي أبي نواس]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال : قال لي أحمد بن أبي فنن : تناظرت أنا والفتح بن خاقان في منزله : أيُّما الرجلين أشعر : أبو نواس أم أبو العتاهية . فقال الفتح : أبو نواس ، وقلت : أبو العتاهية . ثم قلت : لو وُضِعتْ أشعارُ العرب كلُّها بإزاء شعر أبي العتاهية لَفَضَلها ، وليس بيننا خلافٌ في أنّ له في كلِّ قصيدة جيّداً ووسطاً وضعيفاً ، فإذا جُمع جيِّده كان أكثر من جيِّد كلِّ مُجوِّد . ثم قلت له : بمَن تَرضى ؟ قال : بالحسين بن الضحّاك . فما انقطع كلامنا حتى دخل الحسين بن الضحّاك ؛ فقلت : ما تقول في رجلين تَشاجرا ، فَضَّل أحدُهما أبا نواس وفضَّل الآخرُ أبا العتاهية ؟ فقال الحسين : أُمُّ مَن فَضَّل أبا نواسٍ على أبي العتاهية زانيةٌ ؛ فخَجِل الفَتح حتى تبيَّن ذلك فيه ، ثم لم يُعاوِدْني في شيء من ذِكْرهما حتى افترقنا .

[اجتمع مع مخارق فراح يغنّيه وهو يشرب ويبكي ثم كسر الآنية وتزهّد]

وقد حدّثني الحسن بن محمد بهذا الخبر على خلاف ما ذكره إبراهيم بن المهديّ فيما تقدّم ، فقال : حدّثني هارون بن مخارق قال حدّثني أبي قال[1] : جاءني أبو العتاهية فقال : قد عزمتُ على أنْ أتزوَّد منك يوماً تَهَبُه لي ، فمتى تَنشَط ؟ فقلت : متى شئت . فقال : أخاف أن تقطع بي . فقلت : والله لا فعلتُ وإنْ طَلَبني الخليفة . فقال : يكون ذلك في غدٍ . فقلت : أفعل . فلمّا كان في غدٍ باكرني رسولُه فجئته ، فأدخلني بيتاً له نظيفاً فيه فَرشٌ نظيفٌ ، ثم دعا بمائدة عليها خُبْزُ سَميذٍ وخَلٌّ وبَقْلٌ ومِلحٌ وجَدْيٌ مَشويّ فأكلنا منه ، ثم دعا بسمك مشويّ فأصبنا منه حتى اكتفينا ، ثم دعا بحلواء فأصبنا منها وغسلنا أيدينا ، وجاؤونا بفاكهة وريحان وألوانٍ من الأنبذة ، فقال : اختَر ما يصلُح لك منها ؛ فاخترتُ وشرِبت ؛ وصبَّ قَدَحاً ثم قال : غنِّني في قولي : [من الخفيف]

أحمدٌ قال لي ولم يَدْرِ ما بي أَتُحِبُّ الغَداةَ عُتْبَةَ حَقّا

فغنَّيته ، فشرب قدحاً وهو يبكي أَحَرَّ بكاء . ثم قال : غَنِّني في قولي : [من السريع]

ليس لِمَنْ ليستْ له حِيلَةٌ موجودةٌ خيرٌ مِنَ الصَّبْرِ

فغنَّيته وهو يبكي ويَنْشِج ، ثم شرِب قدحاً آخر ثم قال : غنِّني ، فديتك ، في قولي : [من الطويل]

---

1 هذا الخبر والذي يليه ممّا أورده ابن حمدون عن أبي العتاهية بتمامه في التذكرة 9 : 330–332 نقلاً عن الأغاني .

خَلِيلَيَّ مـالي لا تزالُ مَضَرَّتي تكونُ مع الأقدارِ حَتْماً من الحَتْمِ

فغنَّيته إيّاه . وما زال يقترح عليّ كلَّ صوتٍ غُنِّي به في شِعره فأُغَنِّيه ويشرَب ويبكي حتى صار العتمة . فقال : أُحِبُّ أن تَصبِر حتى ترى ما أصنع فجلست . فأمر ابنه وغلامه فكَسَرا كلَّ ما بين أيدينا من النبيذ وآلته والمَلاهي ، ثم أمر بإخراج كلِّ ما في بيته من النبيذ وآلته ، فأخرج جميعه ، فما زال يكسره ويَصُبُّ النبيذ وهو يبكي حتى لم يبقَ من ذلك شيءٌ ، ثم نزع ثيابه واغتسل ، ثم لبِس ثياباً بيضاء[1] من صوف ، ثم عانقني وبكى ، ثم قال : السلام عليك يا حبيبي وفَرَحي من الناس كلِّهم سلامَ الفِراق الذي لا لِقاء بعده ؛ وجعل يبكي ، وقال : هذا آخِرُ عهدي بك في حال تعاشُرِ أهل الدنيا ؛ فظننت أنّها بعض حماقاته ، فانصرفت ، وما لَقِيته زماناً . ثم تشوّقته فأتيته فاستأذنت عليه فأذِن لي فدخلت ، فإذا هو قد أخذ قَوصَرَتَين وثقب إحداهما وأدخل رأسه ويديه فيها وأقامها مقام القميص ، وثَقَب الأُخرى وأخرج رجليه منها وأقامها مقام السَّراويل . فلمّا رأيته نسيت كلَّ ما كان عندي من الغَمّ عليه والوحشة لعِشرته ، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكتُ مثله قطّ . فقال : من أيّ شيءٍ تضحك ؟ فقلت : أسخن الله عينك ؛ هذا أيُّ شيء هو ؟ مَن بَلَغَك عنه أنّه فَعَل مثل هذا من الأنبياء والزُّهّاد والصحابة والمجانين ، انزِع عنك هذا يا سخين العين ، فكأنّه استحيا منّي ، ثم بلَغَني أنّه جَلَس حَجَّاماً ، فجَهِدت أن أراه بتلك الحال فلم أرَه . ثم مرِض ، فبلغني أنّه اشتهى أن أُغنِّيه ، فأتيتُه عائداً ، فخرج إليّ رسوله يقول : إن دخلتَ إليّ جَدَّدتَ لي حزناً وتاقت نفسي من سماعك إلى ما قد غلبتُها عليه ، وأنا أستودعك الله وأعتذر إليك من ترك الالتقاء ، ثم كان آخر عهدي به .

[تمنّى عند موته أن يجيء مخارق فيغنّيه في شعره]

حدّثني حجظة قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : قيل لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فقال : أشتهي أن يجيء مخارق فيَضَع فمه على أُذني ثم يغنّيني[2] : [من الطويل]

سَيُعْرَضُ عن ذِكْرِي وتُنْسى مَوَدّتي ويَحْدُثُ بعدي للخليلِ خليلُ
إذا ما انقضتْ عنّي مِنَ الدَّهْرِ مُدّتي فإنَّ غَناءَ الباكِياتِ قليلُ[3]

1 ل : ثياب بياض .
2 ديوان أبي العتاهية : 317 (رقم 325) .
3 مدتي في ل : ليلتي .

وأخبرني به أبو الحسن الأَسَديّ قال حدّثنا محمد بن صالح بن النطّاح قال : قال بشر بن الوليد لأبي العتاهية عند الموت : ما تشتهي ؟ فذَكَر مثلَ الأوّل .

وأخبرني به ابن عمّار أبو العبّاس عن ابن أبي سعد عن محمد بن صالح : أنّ بِشراً قال ذلك لأبي العتاهية عند الموت ، فأجابه بهذا الجواب .

[آخر شعر قاله في مرضه الذي مات فيه]

نسختُ من كتاب هارون بن عليٍّ : حدّثني عليُّ بن مَهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطيّة قال حدّثني محمد بن أبي العتاهية قال : آخرُ شعرٍ قاله أبي في مرضه الذي مات فيه[1] : [من الوافر]

إلهـي لا تُعَذِّبْنـي فإنّـي ... مُقِـرٌّ بـالذي قـد كان مِنّي
فمـالي حيلـةٌ إلاّ رجـائي ... لِعَفْوِك إنْ عَفَوْتَ وحُسْنُ ظَنّي
وكَم مِنْ زَلةٍ لي في الخَطايا ... وأنـتَ عـليَّ ذو فَضْلٍ ومَنِّ
إذا فَكَّرْتُ في نَدَمـي عليها ... عَضِضْتُ أناملي وقَرَعْتُ سِنّي
اجنُّ بزَهْـرةِ الدُّنْيـا جُنُونا ... وأَقْطَعُ طولَ عُمْـري بالتمنّي
ولَوْ أنّـي صَدَقْتُ الزُّهْدَ عنها ... قلبـتُ لأهلِها ظَهْـرَ المِجَنِّ
يَظُنّ الناسُ بـي خيراً وإنّـي ... لَشَرُّ الخَلْقِ إنْ لم تَعْـفُ عنّي

[أمر بنته في مرض موته أن تندبه بشعر له]

أخبرني محمد بن عمران الصيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثني أحمد بن حمزة الضُّبَعيّ قال أخبرني أبو محمد المؤدِّب قال : قال أبو العتاهية لابنته رُقَيَّة في علّته التي مات فيها : قُومي يا بُنيّة فاندُبي أباك بهذه الأبيات ؛ فقامت فندبَته بقوله[2] : [من الكامل]

لَعِبَ البِلى بمَعالمـي ورُسُومي ... وقُبِرْتُ حَيّاً تحت رَدْمِ هُمومي
لَزِمَ البِلى جِسْمِي فأَوْهَنَ قُوَّتي ... إنّ البِـلَى لَمُوَكَّـلٌ بِلُزومي

[تاريخ وفاته ومدفنه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثني عليّ بن محمد قال حدّثني مُخارق المُغنّي قال : تُوُفّي أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصليّ ، وأبو عمرو الشَّيباني عبد السلام[3] في يومٍ واحد في خلافة المأمون ، وذلك سنة ثلاث عشرة ومائتين .

---

1 ديوانه : 375 (رقم 383) .

2 ديوانه : حاشية ص 358 (رقم 364) ، (صادر) : 402 .

3 لعلّها : بمدينة السلام .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويَه عن أحمد بن يوسف عن أحمد بن الخليل عن إسماعيل بن أبي قتيبة قال : مات أبو العتاهية ، وراشد الخَنَّاق ، وهشيمة الخمَّارة في يومٍ واحد سنة تسع ومائتين .

وذكر الحارث بن أبي أُسامة عن محمد بن سعد كاتب الواقديّ : أنَّ أبا العتاهية مات في يوم الاثنين لثمانٍ خَلَوْنَ من جُمادى الأُولى سنة إحدى عشرة ومائتين ، ودُفِن حيال قَنطَرة الزيَّاتين في الجانب الغَربيّ ببغداد .

أخبرني الصُّوليّ عن محمد بن موسى عن أبي محمد الشيباني عن محمد بن أبي العتاهية : أنَّ أباه توفِّي سنة عشرٍ ومائتين .

[الشعر الذي أمر أن يكتب على قبره]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمد بن موسى عن محمد بن القاسم عن إبراهيم بن عبد الله بن الجُنيد عن إسحاق بن عبد الله بن شُعَيب قال : أمَر أبو العتاهية أن يُكتَب على قبره[1] : [من مجزوء الخفيف]

أُذْنَ حَيٍّ تَسَمَّعي ... اسْمَعِي ثُمَّ عي وعِي
أنا رَهْنٌ بِمَضْجَعي ... فاحْذَرِي مِثْلَ مَصْرعي
عِشتُ تسعينَ حِجَّةً ... أَسْلَمَتْنِي لَمَضْجَعِي
كَمْ ترى الحَيَّ ثابتاً ... في دِيارِ التزَعْزُعِ
ليس زادٌ سوى التُّقَى ... فخُذِي منه أَوْ دَعِي

[رثاه ابنه بشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمةَ قال : لمّا مات أبو العتاهية رثاه ابنه محمد بن أبي العتاهية فقال : [من مجزوء الخفيف]

يا أبي ضَمَّكَ الثَّرى ... وطوى الموتُ أَجْمَعَكْ
ليتَني يومَ مُتَّ صِرْ ... تُ إلى حُفْرةٍ مَعَكْ
رحِمَ اللهُ مَصْرَعَكْ ... بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَكْ

1 ديوانه : الحاشية ص 231 (رقم 238) ، وفي ديوانه (صادر) : 268 ومع أنّه نقل عن الأغاني فقد سقط فيه البيت الرابع .

[أنكر ابنه أنّه أوصى بأن يكتب شعر على قبره]

أخبرني الحسن قال حدّثني أحمد بن زهير قال : قال محمد بن أبي العتاهية : لَقِيَني محمد بن أبي محمد اليزيديّ فقال : أَنشِدني الأبيات التي أَوْصى أبوك أن تُكتَبَ على قبره ؛ فأنشأتُ أقول له : [من الوافر]

كَذَبْتَ على أخٍ لك في مَماتهْ وكَمْ كَذِبٍ فشا لك في حَياتهْ

وأَكذَبُ ما تكونُ على صَدِيقٍ كَذَبْتَ عليه حَيّاً في مماتهْ

فخَجِل وانصرف . قال : والناس يقولون : إنّه أَوْصى أنْ يُكْتَبَ على قبره شعرٌ له ، وكان ابنه يُنْكِر ذلك .

وذكر هارون بن عليّ بن مهديّ عن عبد الرحمن بن الفضل أنّه قرأ الأبيات العينيّة التي أوّلها :

أُذْنَ حَـيٍّ تَسَمَّعي

على حَجَرٍ عند قبر أبي العتاهية .

ولم أذكرها هنا مع أخبار أبي العتاهية أخباره مع عُتبة ، وهي من أعظم أخباره ؛ لأنّها طويلة ، وفيها أغانٍ كثيرة ، وقد طالت أخباره ها هنا فأفردتُها .

[44] ـ أخبار فريدة

[أخبار فريدة الكبرى ونشأتها ومصيرها]

قال مؤلّف هذا الكتاب : هما اثنتان مُحسِنتان لهما صنعةٌ تُسَمَّيان بفَرِيدة . فأمّا إحداهما ، وهي الكبرى ، فكانت مُوَلَّدةً نشأتْ بالحجاز ، ثم وقعت إلى آل الربيع ، فعُلِّمَتِ الغناء في دُورهم ، ثم صارت إلى البرامكة . فلمّا قُتِل جعفر بن يحيى ونُكِبوا هربت ، وطلبها الرشيد فلم يجدها ، ثم صارت إلى الأمين ، فلمّا قُتِل خرجت ، فتزوّجها الهيثم بن مُسْلِم[1] فولدتْ له ابنه عبد الله ، ثم مات عنها ، فتزوَّجها السِّنديّ بن الحَرَشيّ وماتت عنده .

[بعض الشعر الذي لها فيه صنعة]

ولها صنعةٌ جيّدة ، منها في شعر الوليد بن يزيد[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلْمى لو تَراني لَعَناهـا مـا عَنـاني
واقفاً في الدَّارِ أَبْكي عاشقـاً حُـورَ الغَواني

ولحنُها فيه خفيف رملٍ .

ومن صنعتها[3] : [من الطويل]

صوت

أَلا أَيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ ألا هُبُّوا نُسائلكُمْ هـل يقتُل الرَّجُلَ الحُبُّ
أَلا رُبَّ رَكْبٍ قد وقفتُ مَطِيَّهُمْ عليك ولولا أنتِ لم يَقِف الرَّكْبُ

لحنُها فيه ثاني ثقيل . وفيه لابن جامع خفيف رملٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[بيت نصفه بدوي والآخر حضري]

فحدّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدّثني العُمَريّ قال

---

1 ل : سلم .

2 ديوان الوليد (تحقيق غابريلي ، بيروت) : 70 (رقم 94) ورواية للبيت الثاني
متلفـاً في اللهـو مـا لي عاشقـاً حـور القيـان

3 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 16 ورواية البيت الأوّل فيه :
ألا أيّها النوام ويحكـمُ هبـوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

حدّثني الهيثم بن عديّ قال : قال صالح بن حسّان يوماً : ما نصفُ بيتٍ كأنّه أعرابيّ في شَمْلةٍ ، والنصفُ الآخر كأنّه مُخَنَّثٌ مُفَكَّك ؟ قلت : لا أدري . فقال : قد أَجَّلْتُك حولاً . فقلت : لو أجَّلتني عشرةَ أحوالٍ ما عرفتُه . فقال : أَوَّهْ ! أُفٍّ لك ! قد كنتُ أحسِبك أجودَ ذِهْناً ممّا أرى . فقلت : فما هو الآن ؟ قال : قولُ جميل : [من الطويل]

أَلا أيُّها الرَّكْبُ النِّيامُ أَلا هُبُّوا

هذا كلام أعرابيّ ، ثم قال : [من الطويل]

أُسائلكم هلْ يقتلُ الرَّجلَ الحبُّ

كأنّه والله من مخَنثي العقيق .

[فريدة المحسنة دون فريدة الكبرى]

وأمّا فريدة الأُخرى فهي التي أرى بل لا أَشُكّ في أنّ اللحن المختار لها ؛ لأنّ إسحاق اختار هذه المائة الصوت للواثق ، فاختار فيها لمُتيَّم لحناً ، ولأبي دلف لحناً ، ولسُلَيم بن سَلاَّم لحناً ، ولرياض جارية أبي حمّاد لحناً . وكانت فريدة أثيرةً عند الواثق وحظيّةً لديه جدّاً ، فاختار لها هذا الصوت ، لمكانها من الواثق ، ولأنّها ليست دون مَن اختار له من نُظَرائها .

[قدّمت هي وشارية في الطيب وإحكام الغناء]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا الحسين بن يحيى عن رَيِّق : أنّها اجتمعت هي وخِشْفُ الواضحيّة يوماً ، فتذاكرتا أحسن ما سمعتاه من المغنّيات ؛ فقالت رَيِّق : شارية أحسنهنّ غناءً ومُتَيَّمُ ، وقالت خِشْف : عريب وفريدة ؛ ثم اجتمعتا على تساويهنّ ، وتقديم متيَّم في الصَّنعة ، وعريب في الغزارة والكثرة ، وشارية وفريدة في الطِّيب وإحكام الغناء .

[أهداها ابن بانة للواثق]

حدّثني جحظة قال حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : كانت فريدة جارية الواثق لعمرو بن بانة ، وهو أهداها إلى الواثق ، وكانت من الموصوفات المُحسِنات ، ورُبِّيت عند عمرو بن بانة مع صاحبة لها اسمها «خِلّ» ، وكانت حسنة الوجه ، حسنة الغناء ، حادّة الفِطنة والفهم .

[سألت ابن بانة عن صاحبة لها بالإشارة]

قال الهشاميّ فحدّثني عمرو بن بانة قال : غنّيت الواثق : [من الرمل]

قلتُ حِلاًّ فاقبَلي مَعْذِرَتي ما كذا يَجْزِي مُحِبٌّ مَنْ أَحَبّْ

فقال لي : تقدّم إلى الستّارة فألْقِه على فريدة ، فألقيتُه عليها ؛ فقالت : هو حِلٌّ أو خِلٌّ كيف هو ؟ فعلمتُ أنّها سألتني عن صاحبتها في خَفاءٍ من الواثق .

[تزوّجها المتوكّل ثم ضربها حتى غنّت]

ولمّا تزوَّجها المتوكّل أرادها على الغناء ، فأبَتْ أن تغنّي وفاءً للواثق ، فأقام على رأسها خادماً وأمره أن يضرب رأسها أبداً أو تغنّي ، فاندفعت وغنّتْ : [من الوافر]

فَــلا تَبْعَدْ فكُلُّ فتىً سيأتي عليــه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

[قصّتها مع الواثق وغيرته من المتوكّل]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال حدّثني محمد بن الحارث بن بُسخُنَّر قال[1] : كانت لي نوبة في خدمة الواثق في كلّ جمعة ، إذا حضرتْ رَكِبتُ إلى الدار ؛ فإنْ نَشِط إلى الشُّرْب أقمتُ عنده ، وإن لم يَنشَطِ انصرفت . وكان رسمُنا ألاّ يحضر أحدٌ منّا إلاّ في يوم نوبته . فإنّي لفي منزلي في غير يوم نوبتي إذا رُسُل الخليفة قد هجموا عليّ وقالوا لي : احضُرْ . فقلت : أَلِخَيرٍ ؟ قالوا : خير . فقلت : إنّ هذا يومٌ لم يُحضِرني فيه أمير المؤمنين قطّ ، ولعلّكم غلِطتم . فقالوا : الله المستعان ، لا تُطِلْ وبادِر ؛ فقد أُمِرنا ألاّ نَدعك تستقرّ على الأرض . فداخلني فزع شديد ؛ وخِفتُ أن يكون ساعٍ قد سعى بي ، أو بَلِيَّةٌ قد حدثت في رأي الخليفة عليّ ؛ فتقدّمت بما أردت وركبت حتى وافيت الدار ؛ فذهبت لأدخل على رَسْمي من حيث كنت أدخل ، فمُنِعتُ ، وأخذ بيدي الخدم فأدخلوني وعدَلوا بي إلى ممرّات لا أعرفها ، فزاد ذلك في جَزَعي وغمّي . ثم لم يزل الخدم يُسْلِمونني من خدمٍ إلى خدم حتى أُفضيتُ إلى دار مفروشة الصَّحْن ، مُلبَسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ، ثم أفضيت إلى رِواقٍ أرضه وحيطانه ملبسة بمثل ذلك ، وإذا الواثق في صدره على سرير مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثياب منسوجة بالذهب ، وإلى جانبه فريدة جاريته ، عليها مثل ثيابه وفي حجرها عودٌ . فلمّا رآني قال : جَوَّدتَ والله يا محمد إلينا . فقبّلت الأرض ثم قلت : يا أمير المؤمنين خيراً ! قال : خيراً ، أما ترانا ! طلبتُ والله ثالثاً يؤنسنا فلم أَرَ أحقَّ بذلك منك ، فبحياتي بادِرْ فكُلْ شيئاً وبادِر إلينا . فقلت : قد والله يا سيّدي أكلت وشربت أيضاً . قال : فاجلس فجلست ، وقال : هاتوا لمحمد رِطلاً في قَدَحٍ ، فأُحضرتُ ذلك ، واندفعت فريدة تغنّي[2] : [من الطويل]

---

1 نقل ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 226–228 (الفقرة 449) .

2 البيتان في شرح المرزوقي للحماسة رقم 559 ، وهي لنصيب كما في السمط 401 .

أُهابُكِ إجلالاً وما بك قدرةٌ عليَّ ولكِنْ مِـلءُ عينٍ حَبِيبُها
وما هَجَرَتْك النَّفْسُ يا لَيْلَ أنَّها قلَتْكِ ولا أنْ قَلَّ منكِ نَصِيبُها

فجاءت والله بالسحر ، وجعل الواثق يُجاذبها ، وفي خلال ذلك تغنّي الصوت بعد الصوت ، وأُغنّي أنا في خلال غنائها ، فمرّ لنا أحسن ما مَرَّ لأحد . فإنا لكذلك إذ رَفَع رِجله فضرب بها صدر فريدة ضربة تدحرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض وتَفتَّتَ عُودُها ومَرَّت تعدو وتصيح ، وبقيت أنا كالمنزوع الرُّوح ؛ ولم أَشُكَّ في أنّ عينه وقعت عليّ وقد نظرتُ إليها ونظرتْ إليّ ؛ فأطرق ساعة إلى الأرض متحيِّراً وأطرقتُ أتوقَّع ضرب العنق . فإنّي لكذلك إذ قال لي : يا محمد ، فوثبت . فقال : ويحك ! أرأيتَ أغرب ممّا تهيَّأ علينا ؟ فقلت : يا سيّدي ، الساعة والله تخرج روحي ، فعلى من أصابنا بالعين لعنة الله ؛ فما كان السبب ؟ أَلِذَنْبٍ ؟ قال : لا والله ! ولكن فكّرت أنّ جعفراً يقعُد هذا المقعَد ويقعُد معها كما هي قاعدة معي ، فلم أَطِقِ الصبر وخامرني ما أَخرجني إلى ما رأيت . فسُريَ عنّي وقلت : بل يقتُل الله جعفراً ، ويحيا أمير المؤمنين أبداً ، وقبَّلت الأرض وقلت : يا سيِّدي اللهَ اللهَ ! ارحَمها ومُرْ بردّها .

فقال لبعض الخدم الوقوف : من يجيء بها ؟ فلم يكن بأسرع من أن خرجت وفي يدها عودها وعليها غير الثياب التي كانت عليها . فلمّا رآها جذبها وعانقها ، فبكت وجعل هو يبكي ، واندفعتُ أنا في البكاء . فقالت : ما ذنبي يا مولاي ويا سيِّدي ؟ وبأيِّ شيءٍ استوجبتُ هذا ؟ فأعاد عليها ما قاله لي وهو يبكي وهي تبكي . فقالت : سألتُك بالله يا أمير المؤمنين إلاّ ضربتَ عُنقي الساعة وأَرَحتَني من الفكر في هذا ، وأرحت قلبك من الهمّ بي ؛ وجعلت تبكي ويبكي ، ثم مسحا أعينهما ورجعت إلى مكانها ؛ وأومأ إلى خدم وقوفٍ بشيء لا أعرفه ، فمضوا وأحضروا أكياساً فيها عَيْنٌ ووَرِقٌ ، ورزَماً فيها ثياب كثيرة ، وجاء خادمٌ بدُرْجٍ ففتحه وأخرج منه عقداً ما رأيت قطُّ مثل جوهر كان فيه ، فألبسها إيَّاه ، وأُحضِرت بَدْرة فيها عشرة آلاف درهم فجُعلت بين يدي وخمسة تُخُوتٍ فيها ثياب ، وعُدنا إلى أمرنا وإلى أحسن ممّا كنّا ؛ فلم نَزَل كذلك إلى الليل ، ثم تفرّقنا .

[قصّتها مع المتوكّل بعد الواثق]

وضرب الدهر ضربَه وتقلَّد المتوكّل . فوالله إنّي لفي منزلي بعد يومِ نوبتي إذ هجمَ عليّ رُسُلُ الخليفة ، فما أمهلوني حتى ركبتُ وصِرت إلى الدار ، فأُدخلت والله الحجرة بعينها . وإذا المتوكّل في الموضع الذي كان فيه الواثق على السرير بعينه وإلى جانبه فريدة .

فلمّا رآني قال : ويحك ؛ أما ترى ما أنا فيه من هذه ! أنا منذ غُدوةٍ أطالبها بأن تغنّيني فتأبى ذلك ! فقلت لها : يا سبحان الله ! أتُخالفين سيِّدك وسيِّدنا وسيّد البشر ! بحياته غَنِّي ! فعرفت والله ثم اندفعت تُغَنِّي[1] : [من الوافر]

مُقِيمٌ بالمَجـازةِ مـن قَنَوْنى وأهلُـكِ بالأُجَيْفِـرِ فالثِّمادِ
فـلا تَبْعَـدْ فكلُّ فتًى سيأتي عليـه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

ثم ضربتْ بالعود الأرض ، ثم رمت بنفسها عن السرير ومرَّت تعدو وهي تصيح واسيِّداه ! فقال لي : ويحك ! ما هذا ؟ فقلت : لا أدري والله يا سيِّدي . فقال : فما ترى ؟ فقلت : أرى أن أنصرف أنا وتحضُرَ هذه ومعها غيرُها ؛ فإنّ الأمر يؤول إلى ما يريد أمير المؤمنين . قال : فانصرِف في حِفظ الله ؛ فانصرفت ولم أدرِ ما كانت القصّة .

[مدح محمد بن عبد الملك غناءها]

أخبرني جعفر بن قدامة قال حدّثني محمد بن عبد الملك قال : سمعتُ فريدة تغنّي[2] : [من الطويل]

أخِلاَّيَ بي شَجوٌ وليس بكم شَجْوُ وكلُّ امرىءٍ ممّا بِصاحبـه خِلْوُ
أذابَ الهوى لَحْمِي وجِسْمِي ومَفْصِلِي فلم يبقَ إلاّ الرُّوحُ والجَسَدُ النِّضْوُ

فما سمعتُ قبلَه ولا بعده غناءً أحسنَ منه .

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى الوسطى عن الهشاميّ ، وله أيضاً فيه خفيف ثقيل بالسبابة والبِنصر عن ابن المكيّ . وفيه لعمرو بن بانة رمل بالوسطى من مجموع أغانيه . وفيه لعريب خفيف ثقيلٍ آخر صحيح في غنائها من جمع ابن المعتزّ وعليّ بن يحيى . وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

وما مِنْ مُحِبٍّ نال ممّن يُحِبُّهُ هوًى صادقاً إلاّ سَيَدْخُلُه زَهْوُ

وفيها كلُّها غناء مُفْترِقُ الألحان في أبياته .

بُلِيتُ وكان المَزْحُ بدءَ بليّتي فأحببتُ جهلاً والبلايا لها بَدْوُ
وعُلِّقْتُ مَنْ يَزْهُو عليّ تَجَبُّراً وإنِّيَ في كلِّ الخِصالِ له كُفْوُ

1 البيتان لكثير في ديوانه : 222 .
2 الأبيات الواوية لأبي العتاهية وقد تقدّما في ترجمته .

صوت
من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

[من المنسرح]

باتَتْ هُمُومي تَسْرِي طوارقها أكُفُّ عيني والدمعُ سابِقُها
لِمَا أتاهـا مِـنَ اليقينِ ولم تَكُـنْ تـراه يُلِـمُّ طارقُها

الشعر لأُميّة بن أبي الصَّلْت ، والغناء للهُذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لابن محرز لحنان : هزج وثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحبش . وذكر يونس : أنّ فيه لابن محرز لحناً واحداً مجنّساً .

[45] ـ ذكر أُميَّة بن أبي الصَّلْت ونسبه وخبره[1]

[نسبه]

واسمُ أبي الصَّلْت عبدُ الله بن أبي ربيعة بن عوف بن عُقدة بن عنزة بن قَسيّ ، وهو ثقيف بن مُنَبِّه بن بكر بن هوازن . هكذا يقول مَن نَسَبهم إلى قيس ، وقد شُرِح ذلك في خبر طُرَيح . وأُمّ أُميّة بن أبي الصلت رُقَيّة بنت عبد شمس بن عبد مَناف .

وكان أبو الصلت شاعراً ، وهو الذي يقول في مدح سيف بن ذي يَزَن : [من البسيط]

لِيَطْلُبِ الثأْرَ أمثالُ ابن ذِي يَـزَنٍ إذ صارَ في البَحْرِ للأعداء أحْوالا

وقد كُتِب خبر ذلك في موضعه .

[أولاد أميّة]

وكان له أربعة بنين : عمرٌو وربيعة ووَهْبٌ والقاسم . وكان القاسم شاعراً ، وهو الذي يقول ، أنشدَنيه الأَخْفَش وغيرُه عن ثعلبٍ ، وذكر الزُّبير أنّها لأُميّة[2] : [من الكامل]

صوت

قومٌ إذا نَزَل الغريبُ بدارِهمْ رَدُّوه ربَّ صَواهِـلٍ وقِيـانِ

لا يَنْكُتون الأرضَ عند سُؤالهمْ لِتَلَمُّسِ العِـلاَّتِ بالعِيـدانِ

يمدح عبد الله بن جُدعان بها ؛ وأوّلها :

قومِي ثَقِيفٌ إنْ سألتَ وأسْرتي وبهم أُدافِع ركْنَ مَنْ عاداني

غنَّاه الغريض ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر . ولابن مُحرزٍ فيه خفيف ثقيلٍ أوّلُ بالوسطى ، عن الهشاميّ جميعاً .

وكان ربيعة ابنه شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

وإنْ يَـكُ حيّاً من إيادٍ فإنّنا وقَيْساً سَواءٌ مـا بَقِينا وما بَقُوا

---

1 تغلب على ترجمة أميّة في هذا الفصل نزعة أسطورية ، وانظر طبقات ابن سلام : 259–260 إن ذكره في شعراء الطائف ، والشعر والشعراء (ط . دار الثقافة ـ بيروت) : 369–372 وخزانة الأدب 1 : 247–253 ، والسمط : 362 والدميري 2 : 154 ، وشعراء النصرانية : 219 ، وراجع بروكلمان 1 : 113–114 حيث أورد ثبتاً ببحوث تناولت أميّة وشعره . وقد جمع شعره وقدّم له بدراسة طويلة د . عبد الحفيظ السطلي (وإليه نشير) ولكن كيف يميّز الدارس بين الأصل والمنحول من شعره .

2 البيتان الأول والثاني في الشعر والشعراء ومعجم المرزباني : 213 للقاسم بن أُميّة .

ونحن خيـارُ النَّاسِ طُـرّاً بِطانةً لِقَيْسٍ وهُمْ خيرٌ لنا إنْ هُمُ بَقُوا

[كان يستعمل في شعره كلمات غريبة]

أخبرني إبراهيم بن أيُّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسلم قال : كان أُميَّة بن أبي الصَّلْتِ قد قرأ كتاب الله عزّ وجلّ الأوّل ، فكان يأتي في شعره بأشياء لا تعرفها العرب ؛ فمنها قوله :

قَمـرٌ وساهُـورٌ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

وكان يسمِّي اللهَ عزَّ وجلَّ في شعره السِّلْطِيطَ ، فقال :

والسِّلْطِيطُ فوقَ الأرضِ مُقْتَدِرُ

وسمّاه في موضع آخَرَ التغرور فقال : «وأيَّده التغرور» . وقال ابن قتيبة : وعلماؤنا لا يحتجّون بشيء من شعره لهذه العلّة .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : قال أبو عبيدة : اتَّفقت العرب على أنّ أشعرَ أهل المدن أهل يثرب ثم عبد القيس ثم ثقيف ، وأنّ أشعر ثقيف أُميّة بن أبي الصلت .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال : قال يحيى بن محمد : قال الكُمَيْت : أُميّة أشعرُ الناس ، قال كما قُلنا ولم نَقُل كما قال .

قال الزُّبير وحدّثني عمّي مصعب عن مصعب بن عثمان قال : كان أُميّة بن أبي الصلت قد نظر في الكتب وقرأها ، ولبس المُسُوح تعبُّداً ، وكان ممّن ذكر إبراهيم وإسماعيل والحنيفيّة ، وحرّم الخمر وشكَّ في الأوثان ، وكان[1] مُحقِّقاً ، والتمس الدِّين وطمع في النبوّة ؛ لأنّه قرأ في الكتب أنّ نبيّاً يُبعث من العرب ، فكان يرجو أن يكونه . قال : فلمّا بُعِث النبيّ ﷺ قيل له : هذا الذي كنتَ تستريث[2] وتقول فيه ؛ فحسَده عدوُّ الله وقال : إنّما كنتُ أرجو أنْ أكونَه ؛ فأنزل الله فيه عزّ وجلّ : ﴿واتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذي آتَيْناهُ آياتِنا فانْسَلَخَ مِنْها﴾ . قال : وهو الذي يقول[3] : [من الخفيف]

كلُّ دِينٍ يومَ القيامةِ عند اللهِ إلاّ دِيـــنَ الحَنِيفـــــةِ زُورُ

[كان يحرّض قريشاً بعد بدر ويرثي قتلى قريش]

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد قال : كان أُميَّة يُحرّض قريشاً بعد وَقعة بَدْرٍ ، وكان

1 ل : وصام .

2 تستريث : تستبطىء .

3 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 393 (رقم 25) .

يرثي مَن قُتِل من قريش في وقعة بدر ؛ فمن ذلك قولُه[1] : [من مجزوء الكامل]

مـــاذا بِبَـــدْرٍ والعَقَنْـــ ـقَلِ مِنْ مَرازِبةٍ جَحاجِحْ

وقال : وهي قصيدة نهى رسول الله ﷺ عن روايتها . ويقال : إنّ أُميّة قَدِم على أهل مكّة «باسمِك اللهُمّ» ؛ فجعلوها في أوّل كُتبهم مكان (بسم الله الرحمن الرحيم) .

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن محمد المدائنيّ قال : قال الحجّاج على المِنبر : ذهب قومٌ يَعرِفون شعر أُميّة ، وكذلك اندراسُ الكلام .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عمر بن أبي بكر المُؤَمِّليّ وغيره قال : كان أُميّة بن أبي الصلت يلتمسُ الدِّين ويطمَع في النبوّة ، فخرج إلى الشام فمرّ بكنيسة ، وكان معه جماعة من العرب وقريش ، فقال أُميّة : إنّ لي حاجةً في هذه الكنيسة فانتظروني ، فدخل الكنيسة وأبطأ ، ثم خرج إليهم كاسفاً متغيِّر اللَّون ، فرمى بنفسه ، وأقاموا حتى سُرِّي عنه ، ثم مضَوا فقضَوا حوائجهم ثم رجعوا . فلمّا صاروا إلى الكنيسة قال لهم : انتظروني ، ودخل إلى الكنيسة فأبطأ ، ثم خرج إليهم أسوأ من حاله الأولى ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : قد شَقَقْتَ على رُفَقائك . فقال : خلُّوني فإنّي أرتاد على نفسي لمَعادي ، إنّ ها هنا راهباً عالِماً أخبرني أنّه تكون بعد عيسى عليه السلام ستُّ رَجَعاتٍ[2] ، وقد مضتْ منها خمسٌ وبَقِيتْ واحدةٌ ، وأنا أطمع في النبوّة وأخاف أن تُخطِئني ، فأصابني ما رأيتَ فلمّا رجعتُ ثانيةً أتيتُه فقال : قد كانت الرجعة ، وقد بُعث نبيٌّ من العرب ؛ فيئست من النبوّة ، فأصابني ما رأيتَ ؛ إذ فاتني ما كنتُ أطمع فيه .

قال : وقال الزُّهريّ : خرج أميّة في سفر فنزلوا منزِلاً ، فأَمَّ أُميّة وجهاً وصعد في كَثيب ، فرُفِعتْ له كنيسةٌ فانتهى إليها ، فإذا شيخٌ جالسٌ ، فقال لأُميّة حين رآه : إنّك لَمتبوع ، فمن أين يأتيك رئيُّك[3] ؟ قال : من شِقّي الأيسر . قال : فأيُّ الثياب أحَبُّ إليك أن يلقاك فيها ؟ قال : السواد . قال : كِدتَ تكون نبيَّ العرب ولستَ به ، هذا خاطرٌ من الجنِّ وليس بمَلَكٍ ، وإنّ نبيَّ العرب صاحب هذا الأمر يأتيه من شِقِّه الأيمن ، وأَحَبُّ الثياب إليه أن يلقاه فيها البياضُ .

قال الزُّهريّ : وأتى أُميَّةُ أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، عَمِي الخبر ، فهل أحسستَ شيئاً ؟ قال : لا والله ! قال : قد وجدتُه يخرُج العامَ .

[مع أبي سفيان في رحلة إلى الشام]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال : سمعتُ خالد بن يزيد يقول : إنّ

---

1 من قصيدة تتألّف من 11 بيتاً : 345–347 (رقم 8) .

2 في حاشية ل : أي ستّ من المئين .

3 الرئي : الجني المصاحب .

أُميّة وأبا سفيان اصطحبا في تجارة إلى الشام ؛ ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فخرج من عند الراهب وهو ثقيل . فقال له أبو سفيان : إنّ بك لَشَرّاً ، فما قِصَّتك ؟ قال : خيرٌ ، اخبِرني عن عُتبة بن ربيعة كم سِنُّه ؟ فذكر سِنّاً . وقال : أَخبِرني عن ماله فذَكَر مالاً . فقال له : وضعتَه . فقال أبو سفيان . بل رفعتُه . فقال له : إنّ صاحب هذا الأمر ليس بشيخ ولا ذي مالٍ . قال : وكان الراهبُ أَشْيَبَ ، وأخبره أنَّ الأمر لرجلٍ من قريش .

[يفهم ثغاء الغنم]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حُدِّثتُ عن عبد الرحمن بن أبي حمّاد المِنقَريّ قال : كان أُميّة جالساً معه قوم ، فمرّت بهم غنم فثَغَت منها شاة ؛ فقال للقوم : هل تَدرون ما قالت الشاة ؟ قالوا لا . قال : إنّها قالت لِسَخْلتها : مُرِّي لا يجيء الذئب فيأكلك كما أكل أختَك عام أوّل في هذا الموضع . فقام بعض القوم إلى الراعي فقال له : أَخبِرني عن هذه الشاة التي ثَغَتْ ألها سَخْلةٌ ؟ فقال : نعم ، هذه سخلتها . قال : أكانت لها عام أوّلَ سخْلةٌ ؟ قال : نعم ، وأكلها الذئب في هذا الموضع .

قال الزُّبير وحدَّثني يحيى بن محمد عن الأَصمعيّ قال : ذهب أُميّة في شعره بعامّة ذِكْر الآخرة ، وذهب عنترة بعامّة ذكر الحرب ، وذهب عُمَر بن أبي ربيعة بعامّة ذكر الشباب .

قال الزُّبير حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّلي قال حدّثني رجلٌ من أهل الكوفة قال : كان أُميّة نائماً فجاء طائران فوقَع أحدُهما على باب البيت ، ودخل الآخر فشَقَّ عن قلبه ثم ردّه الطائر ؛ فقال له الطائر الآخر : أَوَعى ؟ قال نعم . قال : زَكا ؟ قال : أبى .

[خرج مع ركب إلى الشام]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث عن ابن الأعرابيّ عن ابن دَأْبٍ قال : خرج ركبٌ من ثَقيفٍ إلى الشام ، وفيهم أُميّة بن أبي الصَّلْت ، فلمّا قفَلوا راجعين نزلوا منزلاً ليتعشُّوا بعشاء ، إذ أقبلتْ عَظايةٌ حتى دنت منهم ، فحَصَبها بعضهم بشيءٍ في وجهها فرجعت ؛ وكَفَتوا سُفرتهم ثم قاموا يرحلون مُمْسِين ؛ فطلعت عليهم عجوزٌ من وراء كَثِيبٍ مقابلٍ لهم تتوكّأ على عصاً ، فقالت : ما منعكم أن تُطعموا رَجِيمةَ الجارية اليتيمة التي جاءتكم عشيّة ؟ قالوا : ومَن أنتِ ؟ قالت : أنا أمّ العوّام ، إمتُ[1] منذ أعوام ؛ أمّا ورَبِّ العباد ، لتَفترِقُنّ في البلاد ؛ وضربت بعصاها الأرض ثم قالت : بَطِّئي إيابهم ، ونَفِّري ركابهم ؛ فوثبت الإبلُ كأنّ على ذِروة كلِّ بعير منها شيطاناً ما يُملَكُ منها شيءٌ ، حتى افترقت في الوادي . فجمعناها في آخر النهار من الغد ولم نَكَد . فلمّا أَنَخناها لنَرحَلَها طلعت علينا العجوز فضربت الأرض بعصاها ثم قالت كقولها

1 إمت : أصبحت أيماً .

الأوّل ؛ ففعلت الإبل كفعلها بالأمس ، فلم نجمعها إلاّ الغَدَ عشيّة . فلمّا أنخناها لنَرحَلَها أقبلت العجوز ففعلت كفعلها في اليومين ونفرت الإبل . فقُلنا لأُميّة : أين ما كنت تُخبرنا به عن نفسك ؟ فقال : اذهبوا أنتم في طلب الإبل ودعوني . فتوجَّه إلى ذلك الكثيب الذي كانت العجوز تأتي منه حتى علاه وهبط منه إلى واد ، فإذا فيه كنيسة وقناديل ، وإذا رجلٌ مضطجع معترض على بابها ، وإذا رجلٌ أبيض الرأس واللِّحية ؛ فلمّا رأى أُميّة قال : إنّك لمتبوع ، فمن أين يأتيك صاحبك ؟ قال : من أُذني اليسرى . قال فبأيّ الثياب يأمرك ؟ قال : بالسواد . قال : هذا خطيب الجنّ ؛ كِدت والله أن تكونه ولم تفعل ؛ إنّ صاحبَ النبوّة يأتيه صاحبه من قِبَل أُذنه اليمنى ، ويأمره بلباس البياض ؛ فما حاجتك ؟ فحدّثه حديث العجوز ؛ فقال : صدقت ، وليست بصادقة ؛ وهي امرأة يهودية من الجِنّ هَلَك زوجها منذ أعوام ، وإنّها لن تزال تصنع ذلك بكم حتى تُهلِككم إن استطاعت . فقال أُميّة : وما الحيلة ؟ فقال : جَمِّعوا ظهْرَكم ، فإذا جاءتكم ففعلت كما كانت تفعل فقولوا لها : سَبْعٌ من فوقُ وسبعٌ من أسفل ، باسمِك اللّهمّ ؛ فلن تضُرَّكم . فرجع أُميّة إليهم وقد جمعوا الظَّهْر . فلمّا أقبلت قال لها ما أمره به الشيخ ، فلم تضُرَّهم . فلمّا رأتِ الإبل لم تتحرّك قالت : قد عرفتُ صاحبكم ، ولَيَبْيَضَنَّ أعلاه ، ولَيَسْوَدَنَّ أسفله ؛ فأصبح أُميّة وقد بَرِص في عذارَيْه واسوَدّ أسفلُه . فلمّا قدِموا مكّة ذكروا لهم هذا الحديث ؛ فكان ذلك أوّل ما كتَبَ أهل مكّة «باسمك اللهمّ» في كُتبهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال حدّثنا عبد العزيز بن عمران عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر بن مسعود عن الزُّهريّ قال : دخل يوماً أُميّة بن أبي الصلت على أخته وهي تهيىء أَدَماً لها ، فأدركه النوم فنام على سرير في ناحية البيت . قال : فانشقّ جانبٌ من السقف في البيت ، وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه ، فشَقّ الواقعُ صدره فأخرج قلبه فشَقّه ؛ فقال الطائر الواقف[1] للطائر الذي على صدره : أوعى ؟ قال : وَعى . قال : أقَبِلَ ؟ قال : أبى . قال : فرَدَّ قلبه في موضعه فنهض ؛ فأتبعهما أُميّة طَرفَه فقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنـذا لَدَيْكُما

لا بَريءٌ فأعتذِر ، ولا ذو عشيرةٍ فأنتصِر . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الأعلى : أوَعى ؟ قال : وَعى . قال : أقَبِلَ ؟ قال : أبى ، ونهَض ؛ فأتبعهما بَصَرَه وقال : [من مجزوء الرجز]

1 ل : الواقع .

لَبَّيْكُما لبيكما هأنـذا لديكمـا

لا مالٌ يُغنيني ، ولا عشيرةٌ تَحميني . فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه ، ثم أخرج قلبه فشقّه ؛ فقال الطائر الأعلى : أَوَعى ؟ قال : وَعَى . قال : أَقَبِل : قال : أَبى ، ونهض ؛ فأتبعهما بصره وقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكما لبيكما هأنـذا لديكمـا

محفوفٌ بالنِّعم ، محوطٌ من الريب . قال : فرجع الطائر فوقع على صدره فشقّه وأخرج قلبَه فشقّه ؛ فقال الأعلى : أَوَعى ؟ فقال : وَعَى . قال : أَقَبِلَ : قال : أَبى . قال : ونهض ، فأتبعهما بصره وقال : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكما لبيكما هأنـذا لديكمـا

[من الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللهـمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عبـدٍ لـكَ لا أَلَمَّا[1]

قالت أُخته : ثم انطبق السَّقف وجلس أُميّة يمسح صدره . فقلت : يا أخي ، هل تجد شيئاً ؟ قال : لا ، ولكنّي أجد حَرّاً في صدري . ثم أنشأ يقول[2] : [من الخفيف]

ليتني كنتُ قبل ما قـد بـدا لي في قِنانِ الجبـالِ أَرْعَـى الوُعولا

اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِك واحْذَر غَوْلَةَ الدَّهْـرِ إنّ للدّهـر غُولا

حدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثني سلمة عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة عن عكرمة عن ابن عبّاس : أنّ رسول الله ﷺ قال صَدق أُميَّة في قوله[3] : [من الكامل]

زُحَلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يَمِينِه والنَّسْرُ للأُخرى وليثٌ مُرْصَدُ

فقال رسول الله ﷺ : «صَدَق» .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني حمّاد بن عبد الرحمن بن الفضل الحَرّانيّ قال حدّثنا أبو يوسف ، وليس بالقاضي ، عن الزُّهريّ عن عروة عن عائشة عن النبيّ ﷺ بمثل هذا .

---

1 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 491 (رقم 85) .

2 ديوان أميّة بن أبي الصّلت : 450–452 (رقم 65) .

3 من قصيدة مطلعها :

اعلم بأنّ الله ليس كصنعه صنع ولا يحلي عليه ملحد

(ديوان أميّة بن أبي الصّلت 353–367) .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن الحسين المُهلَّبيّ[1] قال حدّثني إبراهيم بن إبراهيم بن أحمد عن عِكرِمة قال : أُنْشِد النبيّ ﷺ قولَ أُميّة[2] : [من البسيط]

الحمدُ للهِ مُمْسانا ومُصْبَحَنا ... بالخيرِ صَبَّحَنا ربِّي ومَسَّانا
رَبُّ الحنيفةِ لم تَنْفَدْ خزائنُها ... مملوءةً طَبَّقَ الآفاقَ سُلْطانا[3]
ألا نَبِيٌّ لنا مِنّا فيُخبِرَنا ... ما بعدَ غايتنا من رأس مَحْيانا
بينا يُرَبِّينا آباؤنا هَلَكُوا ... وبينما نَقْتَني الأولادَ أفنانا
وقد عَلِمْنا لَوَ انّ العلمَ ينفعنا ... أنْ سوف يَلْحَقُ أُخْرانا بأُولانا

فقال النبيّ ﷺ : «إنْ كاد أُميَّةُ لَيُسلِم» .

[شعر له في عتاب ابنه وتوبيخه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثنا عبدالله بن أبي بكر ، وحدّثنا خالد بن عمارة : أنّ أُميّة عَتَب على ابنٍ له فأنشأ يقول[4] : [من الطويل]

غَذَوْتُك مولوداً ومُنْتُكَ يافعاً ... تَعَلُّ بما أَجْنِي عليك وتَنْهَلُ
إذا ليلةٌ نابَتْك بالشَّكْوِ لم أَبِتْ ... لِشَكواكَ إلاّ ساهراً أَتَمَلْمَلُ
كأنّي أنا المطروقُ دونَكَ بالذي ... طُرِقتَ به دُوني فعَيْنِيَ تَهْمُلُ
تخافُ الرَّدى نفسي عليك وإنّني ... لأعلمُ أنّ الموتَ حَتْمٌ مُؤَجَّلُ
فلمّا بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي ... إليها مَدى ما كنتُ فيك أُؤمِّلُ
جعلتَ جزائي غِلْظَةً وفظاظةً ... كأنّك أنت المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ[5]

قال الزُّبير قال أبو عمرو الشَّيبانيّ قال أبو بكر الهُذَليّ قال : قلتُ لعِكرِمة : ما رأيت مَن يبلِّغنا عن النبيّ ﷺ أنّه قال لأُميّة : «آمَنَ شِعْرُه وكَفَر قلبُه» ؛ فقال : هو حقٌّ ، وما الذي أنكرتم من ذلك ؟ فقلت له : أنكرنا قوله[6] : [من الكامل]

والشمسُ تطلُع كلَّ آخرِ لَيلةٍ ... حمراءَ مَطْلَعُ لَوْنِها مُتَوَرِّدُ

---

1 ل : اللهبي .
2 ديوان أُميّة بن أبي الصّلت : 516–519 (رقم 96) .
3 تنفد خزائنها في ل : تعنت خوايمها .
4 ديوان أُميّة بن أبي الصّلت : 430–433 (رقم 53) .
5 المتفضل في ل : المتطول .
6 ديوانه : 366 (رقم 10) .

تأبى فلا تبدو لنا في رِسْلِها إلاّ مُعَذَّبــةً وإلاَّ تُجلَــدُ

فما شأن الشمس تُجْلَد ؟ قال : والذي نفسي بيده ما طلعتْ قَطُّ حتَّى يَنْخُسَها سبعون ألفَ مَلَك يقولون لها : اطْلُعي ؛ فتقول : أأطْلُعُ على قومٍ يعبدونني من دون الله ! قال : فيأتيها شيطانٌ حين تستقبل الضِّياء يريد أن يَصُدَّها عن الطُّلوع فتطلعُ على قَرْنَيْه ، فيُحرقه الله تحتها . وما غَرَبتْ قَطُّ إلاَّ خَرَّتْ لله ساجدةً ، فيأتيها شيطانٌ يريد أن يصُدّها عن السجود ، فتغرُب على قَرنيه فيُحرقه الله تحتها ؛ وذلك قول النبيّ ﷺ : «تطلُع بين قرْنَيْ شيطان وتغرب بين قرنَيْ شيطان» .

حدّثني أحمد بن محمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن عبّاد قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن زياد بن سعد أنّه سمع ابن حاضر يقول : اختلف ابن عباس وعمرو بن العاصي عند معاوية ؛ فقال ابن عبّاس : ألا أُغنّيك ؟ قال بلى فأنشده[1] : [من الكامل]

والشمسُ تغرُب كلَّ آخرِ ليلةٍ في عين ذي خُلُبٍ وثَـأْطٍ حَرْمَدِ

[حاله في مرض موته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا عمّي عن مصعب بن عثمان عن ثابت بن الزُّبير قال : لمّا مرِض أُميّة مَرَضَه الذي مات فيه ، جعل يقول : قد دنا أجلي ، وهذه المَرضة منيَّتي ، وأنا أعلم أنّ الحنيفيّة حقٌّ ، ولكن الشكّ يُداخلني في محمد . قال : ولمّا دنت وفاته أُغمي عليه قليلاً ثم أفاق وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنذا لديكمـا

لا مالٌ يفديني ، ولا عشيرة تُنجيني . ثم أُغمي عليه أيضاً بعد ساعة حتى ظنَّ مَن حضره من أهله أنّه قد قضى ، ثم أفاق وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنذا لديكمـا

لا بَريءٌ فأعتذر ، ولا قويٌّ فأنتصر . ثم إنّه بقي يحدِّث مَن حضره ساعة ، ثم أُغمي عليه مثل المرّتين الأُولَيَيْن حتى يئسوا من حياته ، وأفاق وهو يقول : [من مجزوء الرجز]

لَبَّيْكُما لبيكما هأنذا لديكمـا

محفوفٌ بالنِّعَم ، [من الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللهُمَّ تغفـرْ جَمّا وأيُّ عبـدٍ لـك لا ألَـمَّا

1 لم يرد البيت في ديوانه وانظر اللسان (ثأط) .

ثم أقبل على القوم فقال : قد جاء وقتي ، فكونوا في أُهْبتي ؛ وحدّثهم قليلاً حتى يئس القوم من مرضه ، وأنشأ يقول : [من الخفيف]

كلُّ عيشٍ وإنْ تَطـاولَ دَهْـراً مُنْتَهـى أمـرِه إلى أن يَـزُولا[1]
ليتَني كنتُ قبل مـا قـد بَدا لي في رؤوسِ الجبالِ أَرْعـى الوُعولا
اجْعَلِ الموتَ نُصْبَ عينيك واحذَرْ غَوْلَةَ الدّهـرِ إنّ لِلدّهـرِ غُولا

ثم قضى نَحبه ، ولم يُؤْمن بالنبيّ ﷺ . وقد قيل في وفاة أُميّة غيرُ هذا .

[ذهابه إلى اليمن]

أخبرني عبد العزيز بن أحمد عمّ أبي قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال : سمعت في خبر أُميّة بن أبي الصَّلت ، حين بُعِث النبيّ ﷺ ، أنّه أخذ بِنْتَيهْ وهرب بهما إلى أقصى اليمن ، ثم عاد إلى الطائف ؛ فبينما هو يشرب مع إخوانٍ له في قصر غَيلان بالطائف ، وقد أودع ابنتَيه اليمن ورجع إلى بلاد الطائف ، إذ سقط غرابٌ على شُرفة في القصر فنَعَب نَعبةً ؛ فقال أُميّة : بفِيك الكَثْكَثُ ! وهو التُّراب ، فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : يقول إنّك إذا شربتَ الكأس التي بيدك مُتَّ ، فقلت : بفِيك الكثْكَث . ثم نَعَب نعبةً أُخرى ، فقال أُميّة نحو ذلك ؛ فقال أصحابه : ما يقول ؟ قال : زَعَم أنّه يَقَع على هذه المَزبلة أسفل القصر ، فيستثير عَظْماً فيبتلعه فيَشْجى به فيموت ، فقلت نحو ذلك . فوقع الغراب على المزبلة ، فأثار العظْمَ فشَجِيَ به فمات ؛ فانكسر أُميّة ، ووضع الكأْسَ من يده ، وتغيَّر لونه . فقال له أصحابه : ما أكثر ما سمعنا بمثل هذا وكان باطلاً ؛ فألحُّوا عليه حتى شرب الكأس ، فمال في شِقٍّ وأُغمِي عليه ثم أفاق ، ثم قال : لا بَرِيءٌ فأعتذر ، ولا قويٌّ فأنتصر ، ثم خرجت نفسه .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

تَبلَتْ فـؤادَك في المنامِ خَرِيدةٌ تَشْفِـي الضَّجِيعَ ببـاردٍ بَسّامِ
كالمِسْكِ تَخْلِطُه بمـاءِ سَحابةٍ أو عاتـقٍ كَدَمِ الذَّبِيـحِ مُدامِ

عَروضه من الكامل ، الشعر لحسّان بن ثابت ، والغناء لموسى بن خارجة الكوفيّ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوَتَر في مجرى البنصر . وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيه لحناً لَعَزّة المَيْلاء . وليس موسى بكثير الصنعة ولا مشهور ، ولا ممّن خَدَم الخلفاء .

1 منتهى أمره في ل : قصره مرة ، وفي الشعر والشعراء : «صائر مرة» .

[46] ـ أخبار حسّان بن ثابت ونسبه[1]

[نسبه]

هو حسّان بن ثابت بن المنذر بن حَرام بن عمرو بن زيد مَناة بن عديّ بن عمرو بن مالك بن النجّار ، واسمُه تَيمُ الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة ، وهو العَنقاء بن عمرو ؛ وإنّما سُمِّي العنقاء لطول عنقه . وعمرو هو مُزَيْقِياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغِطريف بن امرىء القيس البِطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد ، وهو ذرى ، وقيل : ذِراء ممدود ، بن الغَوْث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان .

قال مصعب الزُّبيريّ فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عمِّه قال : بنو عَدِيٍّ بن عمرو بن مالك بن النجّار يُسَمَّوْن بني مَعالة . ومعالة أُمّه ، وهي امرأة من القَيْن وإليها كانوا يُنسَبون . وأُمّ حسّان بن ثابت بن المنذر ، الفُرَيعةُ بنت خالد بن قيس بن لَوذان بن عبد وُدّ بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وقيل : إنّ اسم النجّار تَيمُ اللاّت ؛ وفي ذلك يقول حسّان بن ثابت : [من الطويل]

وأُمُّ ضِرارٍ تَنْشُدُ النَّاسَ والِهاً أَمَا لابن تَيْمِ اللاّتِ ماذا أَضَلَّتِ

يعني ضِرار بن عبد المُطَّلب ، وكان ضَلَّ فنشدته أُمّه . وإنّما سمّاه رسول الله ﷺ تَيْمَ الله ؛ لأنَّ الأنصار كانت تنسب إليه ، فكَرِه أن يكون في أنسابها ذكرُ اللاّت .

ويُكنى حسّان بن ثابت أبا الوليد[2] ، وهو فحلٌ من فحول الشعراء . وقد قيل : إنّه أشعر أهلِ المَدَر . وكان أحد المُعَمَّرِين من المُخضرمين ، عُمِّر مائةً وعشرين سنة : ستِّين في الجاهليّة وستّين في الإسلام .

[عاش حسان مائة وعشرين سنة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : عاش ثابت بن المنذر مائةً وخمسين سنةً ، وعاش حسّان مائةً وعشرين سنة . وممّا يحقّق ذلك ما أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن حسين عن إبراهيم بن

---

1 أخبار حسان في طبقات ابن سلام 215–220 والشعر والشعراء 1 : 223–226 وفي كتب السيرة وتراجم الصحابة وغيرها من كتب التراجم ، وخزانة الأدب 4 : 70–77 ، وديوانه الذي نعتمده هنا بتحقيق د . وليد عرفات ط . أمناء سلسلة جب التذكارية .

2 ذكر البغداديّ في الخزانة كنية أخرى له هي «أبو الحسام» وسترِد فيما بعد في هذه الترجمة .

محمد عن صالح بن إبراهيم عن يحيى بن عبد الرحمن بن سعيد بن زرارة عن حسّان بن ثابت قال : إنّي لَغُلامٌ يَفَعَةٌ ابن سَبْعِ سنين أو ثمان ، إذا بيهوديّ بيثرب يصرخ ذات غداةٍ : يا معشر يهود ؛ فلمّا اجتمعوا إليه قالوا : ويلك ؛ مالكَ ؟ قال : طلع نجمُ أحمد الذي يُولَد به في هذه الليلة . قال : ثم أدركه اليهوديّ ولم يُؤْمِن به . فهذا يدلّ على مدّة عُمره في الجاهليّة ؛ لأنّه ذكر أنّه أدرك ليلة وُلِد النبيّ ﷺ ، وله يومئذٍ ثمان سنين ، والنبيّ ﷺ بُعِث وله أربعون سنة ، وأقام بمكّة ثلاث عشرة سنةً ، فقدِم المدينة ولحسَّان يومئذٍ ، على ما ذكره ، ستّون سنةً أو إحدى وستّون سنة ، وحينئذ أسلم .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدّثني ابن أبي الزِّناد قال : عُمِّر حسّان بن ثابت عشرين ومائة سنة : ستِّين في الجاهليّة ، وستّين في الإسلام .

قال أخبرني الحسن بن عليٍّ قال أخبرني أحمد بن زهير قال حَدّث سليمان بن حرب عن حمّاد بن زيد عن يزيد بن حازمٍ عن سليمان بن يَسار قال : رأيتُ حسّان بن ثابت وله ناصيةٌ قد سَدَلَها بين عينيه .

[كان يخضب شاربه وعنفقته بالحناء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني عليُّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه قال : كان حسّان بن ثابت يَخضِب شاربه وعنفقته بالحِنَّاء ، ولا يَخضِب سائِر لِحيته . فقال له ابنه عبد الرحمن : يا أبتِ ، لِمَ تفعل هذا ؟ قال : لأكونَ كأنّي أَسَدٌ والِغٌ في دَمٍ .

[فضل الشعراء بثلاث]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : فَضَل حسّان الشعراء بثلاث : كان شاعرَ الأنصار في الجاهليّة ، وشاعرَ النبيّ ﷺ في النبوّة ، وشاعرَ اليمن كلِّها في الإسلام .

[أجمعت العرب على أنّه أشعر أهل المدر]

قال أبو عبيدة : وأجمعتِ العربُ على أنّ حَسّان أشعر أهل المَدَر . أخبرنا بذلك أيضاً أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة عن أبي عبيدة قال : اتَّفقت العرب على أنّ أشعر أهل المَدَر أهلُ يثرِب ، ثم عبدُ القيس ثم ثَقيفٌ ؛ وعلى أنّ أشعر أهلِ يَثْرِب حَسّان بن ثابت[1] .

---

1 رتب ابن سلام شعراء المدن أو القرى العربية : المدينة ، مكّة ، الطائف ، اليمامة ، البحرين ، وأشعرهم شعراء المدينة وفي مقدمتهم حسّان بن ثابت .

[سأل أبا هريرة عن حديث في شأنه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عَفّان قال حدّثنا عبد الواحد بن زياد قال حدّثنا مَعْمَر عن الزُّهْريّ عن سعيد بن المسيِّب قال : جاء حَسّان إلى نَفَرٍ فيهم أبو هُريرة ، فقال : أَنْشُدُك الله : أَسَمِعْتَ رسول الله ﷺ يقول : «أجِبْ عَنِّي» ثم قال : «اللّهُمّ أيِّده برُوح القُدُس» ؟ قال أبو هريرة : اللهُمّ نعم .

[كان أحد الأنصار الثلاثة الذين عارضوا شعراء قريش]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثنا وَهْب بن جرير قال حدّثنا أبي قال سمعتُ محمد بن سِيرِين ، قال أبو زيد وحدّثَنا هَوْذةُ بن خليفة قال حدّثنا عَوف عن محمد بن سيرين قال : كان يهجو رسولَ الله ﷺ ثلاثةُ رَهْطٍ من قريش : عبد الله بن الزِّبَعْرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المُطَّلِب ، وعمرو بن العاصي ؛ فقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه : اهْجُ عنّا القومَ الذين قد هَجَوْنا . فقال عليٌّ رضي الله عنه : إنْ أذِن لي رسولُ الله ﷺ فعلتُ . فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ، ائذن لعليّ كي يهجو عنّا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال : «ليس هُناك» أو «ليس عنده ذلك» ؛ ثم قال للأنصار : «ما يَمْنَع القَوْمَ الذين نَصَروا رسولَ الله ﷺ ، بسلاحهم أن يَنْصُروه بألسنتهم ؟». فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطَرَف لسانه وقال : والله ما يَسُرُّني به مقْوَلٌ بين بُصرى وصنعاء . فقال : «كيف تهجوهم وأنا منهم» ؟ فقال : إنّي أَسُلُّك منهم كما تُسَلُّ الشَّعَرةُ من العجين . قال : فكان يهجوهم ثلاثة من الأنصار : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَواحة . فكان حسّان وكعب يُعارِضانِهم بمثل قولهم بالوقائع والأيّام والمآثر ويُعَيِّرانهم بالمَثالِب ، وكان عبد الله بن رواحة يُعَيِّرهم بالكفر . قال : فكان في ذلك الزمان أشدُّ القولِ عليهم قولَ حسّان وكعب ، وأهوَن ، القول عليهم قول ابن رواحة . فلمّا أسلموا وفقهوا الإسلام ، كان أشدُّ القول عليهم قولَ ابن رواحة .

[استأذن النبيّ في هجو قريش فأمره أن يأخذ أنسابهم عن أبي بكر]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبدالله بن بكر بن حبيب السَّهْميّ قال حدّثنا أبو يونس القُشَيْريّ وهو حاتم[1] بن أبي صغيرة قال حدّثنا سِماك بن حرب قال : قام حسّان أبو الحُسام فقال : يا رسول الله ، ائذَن لي فيه ، وأخرج لساناً له أسود ، فقال : يا رسول الله ، لو شئتُ لفَرَيْتُ به المزاد ، ائذَنْ لي فيه . فقال : «اذهَبْ إلى أبي بكر فَلْيُحدثك حديثَ القوم وأيّامِهم وأحسابهم ثم اهجُهم وجبريلُ معك» . قال أبو

1 ل : خالد (وهو خطأ) . انظر ابن حجر : تهذيب التهذيب 2 : 130 .

زيد قال ابن وهب وحدّثنا بهذا الحديث حاتم عن السُّدِّيّ عن البراء بن عازِب وعن سِماكِ بن حَرب ، فأنا أشكّ : أهو عن أحدهما أم عنهما جميعاً ، قال أبو زيد : وحدّثنا عليّ بن عاصم قال حدّثنا حاتم بن أبي صغيرة عن سِماك بن حَرْب بنَحوه ، وزاد فيه : فأخرج لسانه أسود ، فوضعه على طَرَف أرنَبَتِه ، وقال : يا رسول الله ، لو شِئْتَ لَفَرَيْتُ به المزاد ؛ فقال : «يا حسّان وكيف وهو مِنّي وأنا منه» ؟ قال : والله لأسلُنَّه منك كما يُسَلُّ الشَّعر من العجين ؛ قال : «يا حسّان فَأْتِ أبا بكر فإنّه أعلمَ بأنساب القوم منك» . فأتى أبا بكر فأعلمَه ما قال رسول الله ﷺ ؛ فقال : كُفَّ عن فُلانة واذكُرْ فلانة . فقال[1] : [من الوافر]

هَجَوْتَ محمداً فأجَبْتُ عنه وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ
فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي لِعِرض محمدٍ منكم وِقاءُ
أتهجوه ولستَ له بكُفْءٍ فشَرُّكُما لخَيْرِكُما الفِداءُ

[لمّا بلغ قريشاً شعر حسّان اتهموا فيه أبا بكر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أحمد بن سليمان عن الأصمعيّ عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال : لمّا أُنشِدت قريش شعر حسان قالت : إنّ هذا الشَّتم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة .

قال الزُّبير : وحدّثني محمد بن يحيى عن يعقوب بن إسحاق بن مُجَمِّع عن رجلٍ من بني العَجلان قال : لمّا بلغ أهل مكّة شعر حسّان ولم يكونوا عَلِموا أنّه قوله ، جعلوا يقولون : لقد قال أبو بكر الشِّعْرَ بعدَنا .

[نهي عمر بن الخطّاب عن إنشاد مناقضات الأنصار ومشركي قريش]

قال الزُّبير : وحدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن فضالة عن أبيه عن خالد بن محمد بن ثابت بن قيس بن شَمّاس قال : نهى عمر بن الخطّاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومُشركي قريش ، وقال : في ذلك شَتْمُ الحَيّ بالمَيِّت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدَم الله أَمْرَ الجاهليّة بما جاء من الإسلام . فقدِم المدينة عبد الله بن الزِّبَعرى السَّهْميّ وضرارَ بن الخطّاب الفِهريّ ثم المحاربيّ ، فنزلا على أبي أحمد بن جحش ، وقالا له : نُحِبُّ أن تُرسِل إلى حسّان بن ثابت حتى يأتيك ، فننشده ويُنشدنا ممّا قلنا له وقال لنا . فأرسل إليه

1 ديوان حسان : 18 . والمخاطب بقوله «هجوت» هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب وهو ابن عمّ الرسول ﷺ ؛ والقصيدة التي منها الأبيات قيلت يوم فتح مكّة . وانظر سيرة ابن هشام 1 : 421–424 .

فجاءه ؛ فقال لـه : يا أبا الوليد ، هذان أخَواك ابن الزِّبعرى وضرارُ قد جاءا أن يُسمعاك وتُسمِعهما ما قالا لك وقلتَ لهما . فقال ابن الزِّبَعرى وضِرار : نَعَم يا أبا الوليد ، إن شِعرَكَ كان يُحتَمَل في الإسلام ولا يُحتمل شعرُنا ، وقد أحببنا أن نُسمِعك وتُسمعنا . فقال حسّان : أفتَبْدَآن أم أبدأ ؟ قالا : نبدأ نحن . قال : ابتدِئا ؛ فأنشداه حتى فارَ فصار كالمِرْجَل غَضَباً ، ثم استويا على راحلتيهما يريدان مكّة ؛ فخرج حسّان حتى دخل على عُمَر بن الخطّاب فقَصَّ عليه قِصَّتهما وقصَّته . فقال له عمر : لن يذهبا عنك بشيءٍ إن شاء الله ، وأرسل مَن يَرُدّهما ، وقال له عمر : لو لم تُدْرِكهما إلاّ بمكّة فاردُدْهما عليّ . وخرجا فلمّا كانا بالرَّوحاء[1] رجع ضِرار إلى صاحبه بكُـرهٍ ، فقال له يا ابن الزِّبَعرى : أنا أعرف عمر وذَبَّه عن الإسلام وأهلِه ، وأعرف حسّان وقلّة صبره على ما فعلنا به ، وكأنّي به قـد جاء وشَكا إليه ما فعلنا ، فأرسل في آثارنا وقال لرسوله : إن لَم تَلحَقهُما إلاّ بمكّة فاردُدْهما عليّ ؛ فاربح بنا تَرك العناء وأَقِم بنا مكاننا ؛ فإنْ كان الذي ظننتُ فالرجوع من الرَّوحاء أسهلُ منه من أبعد منها ، وإنْ أخطأ ظَنّي فذلك الذي نُحِبُّ ونحن من وراء المُضِيّ . فقال ابن الزِّبَعرى : نِعْمَ ما رأيت . قال : فأقاما بالرَّوحاء ، فما كان إلاّ كمَرّ الطائر حتى وافاهما رسولُ عمر فردَّهما إليه ، فدعا لهما بحسّان ، وعُمَرُ في جماعةٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال لحسّان : أَنْشِدهما ممّا قلت لهما ؛ فأنشدهما حتى فَرَغ ممّا قال لهما فوقف . فقال له عمر : أَفرغْتَ ؟ قال نعم . فقال له : أَنشَدك في الخَلاء وأنشدتَهما في المـلأ . وقال لهما عمر : إن شئتما فأَقيما ، وإن شئتما فانصرفا . وقال لمن حضره : إنّي قد كنت نهيتكم أن تذكروا ممّا كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دَفْعاً للتضاغُن عنكم وبَثِّ القبيح فيما بينكم ، فأمّا إذ أَبَوا فاكتبوه واحتفظوا به ؛ فدوّنوا ذلك عندهم . قال خَلاّد بن محمد : فأدركتُه والله وإنّ الأنصار لتُجدِّده عندها إذا خافت بِلاه .

[شعر له في هجو أبي سفيان بن الحارث]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عفّان بن مُسلم قال حدّثنا عمران بن زيد قال : سمعتُ أبا إسحاق قال في قصّة حسّان وأبي سفيان بن الحارث نحو ما ذكره ممّا قدّمنا ذِكره ، وزاد فيه : فقال حسّان فيه[2] : [من الطويل]

وإنّ سَنامَ المَجْـدِ مـن آلِ هاشمٍ بنو بِنْتِ مَخْزومٍ ، ووالدُك العَبْدُ

1 الروحاء : موضع بين مكّة والمدينة .

2 ديوان حسان : 398 من قصيدة أولها :

لقـد علـــم الأقـوام أن ابـن هاشم هو الغصن ذو الأفنان لا الواحد الوغد

ومَنْ ولـــدتْ أبناء زُهْرةَ منكمُ كِـرامٌ ولم يَلْحَقْ عجائزَك المَجْدُ
وإنّ امـــرءاً كانـــتْ نثيلة أُمَّـــهُ وسَمراءَ مغلوبٌ إذا بَلَغ الجَهْدُ[1]
وأنت هَجِينٌ نِيطَ في آل هاشمٍ كما نيطَ خَلْفَ الرَّاكبِ القَدَحُ الفَرْدُ[2]

فقال العبّاس : وما لي وما لحسّان ! يعني في ذكره نُثَيْلةَ ، فقال فيها : [من الطويل]

ولَسْتَ كَعبَّـــاسٍ ولا كابـــنِ أُمِّـــهِ ولكن هَجِينٌ ليس يُورى له زَنْدُ

[أعانه جبريل في مديح النبيّ]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا القَعْنَبيّ قال حدّثنا مَروان بن معاوية قال حدّثنا إيّاس السُّلَميّ عن ابن بُرَيدةَ قال : أعان جبريل عليه السلام حسّان بن ثابت في مديح النبيّ ﷺ بسبعين بيتاً .

[مدحه النبيّ ومدح كعباً وعبد الله بن رواحة]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن منصور قال حدّثنا سعيد بن عامر قال حدّثني جُوَيْرِيّة بن أسماء قال : بلغني أنّ رسول الله ﷺ قال : «أُمرتُ عبد الله بن رَواحةَ فقال وأحسَنَ ، وأُمرتُ كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرتُ حسّان بن ثابت فشفى واشتَفى» .

[أخبره النبيّ أن روح القدس يؤيّده]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أحمد بن عيسى قال حدّثنا ابن وهب قال أخبرنا عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن مروان بن عثمان ويَعلى بن شدّاد بن أَوْس عن عائشة قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول لحسّان بن ثابت الشاعر : «إنّ روحَ القدس لا يزال يُؤيِّدك ما كافحتَ عن الله عزّ وجلّ وعن رسول الله» ﷺ .

[استنشده النبيّ وجعل يصغي إليه]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا هَوْذَةُ بن خليفة قال حدّثنا عوف بن محمد قال : قال النبيّ ﷺ ليلةً وهو في سَفَرٍ : «أين حسّان بن ثابت» ؟ فقال حسّان : لَبَّيك يا رسول الله وسَعْدَيك . قال : «احْدُ» ، فجعل حسّان ينشد ويُصغي إليه النبيّ ﷺ ويستمع ، فما زال يستمع إليه وهو سائق راحلته حتى كان رأس الراحلة يَمَسُّ الوَرِكَ حتى فرغ من نشيده . فقال النبيّ ﷺ : «لَهَذا أَشَدُّ عليهم من وَقْع النَّبْل» .

[انتهره عمر لإنشاده في مسجد الرسول]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا أبو عاصم النبيل قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرنا

---

1 نثيلة في رواية أخرى : سمية . سمراء : أم أبي سفيان المهجوّ .

2 الهجين : من كان أبوه عربيّاً وأمّه غير عربيّة . نيط : ألحق بهم وليس منهم .

زِياد بن أبي سهل قال حدّثني سعيد بن المسيّب : أنّ عمر مرّ بحسّان بن ثابت وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ فانتهره عمر ؛ فقال حسّان : قد أنشدتُ فيه مَن هو خيرٌ منك ؛ فانطلق عمر .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا أبو داود الطَّيالسيّ قال حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزُّهريّ عن سعيد بن المسيّب : أنّ عمر مرّ على حسّان وهو يُنشد في مسجد رسول الله ﷺ ، فذكر مثله وزاد فيه : وعَلِمتُ أنّه يريد النبيّ ﷺ .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا محمد بن حاتم قال حدّثنا شُجاع بن الوليد عن الإفريقيّ عن مسلم بن يسار : أنّ عمر مرّ بحسّان وهو يُنشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فأخذ بأُذُنه وقال : أرُغاءَ كرُغاءِ البعير ! فقال حسّان : دَعنا عنك يا عمر ، فوالله لَتَعلَمُ أنّي كنت أُنشِد في هذا المسجد مَن هو خيرٌ منك فلا يُغيِّر عليّ ! فصدّقه عمر .

[مدح الزبير بن العوام شعره]

حدّثنا محمد بن جرير الطبريّ والحِرْميّ بن أبي العلاء وعبد العزيز بن أحمد عمّ أبي وجماعة غيرهم قالوا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو غَزِيّةَ محمد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن مصعب عن هشام بن عُروة عن فاطمة بنت المُنذر عن جدّتها أسماء بنت أبي بكر قالت : مرَّ الزُّبير بن العوّام بمجلسٍ من أصحاب رسول الله ﷺ ، وحسّان بن ثابت يُنشدهم من شِعره وهم غيرُ نِشاط لِما يسمعون منه ، فجلس معهم الزُّبير فقال : مالي أراكم غير آذنين لِما تسمعون من شعر ابن الفُرَيعة ! فلقد كان يَعرِض لرسول الله ﷺ فيُحسن استماعه ويُجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه بشيء . فقال حسّان[1] : [من الطويل]

أقــامَ عــلى عهدِ النبيِّ وهَدْيِهِ حَواريُّــه والقَــوْلُ بالفِعْلِ يُعْدَلُ
أقــامَ عــلى مِنْهاجِــه وطَرِيقِــهِ يُوالي وَلِيَّ الحــقِّ والحَــقُّ أعدلُ
هــو الفارسُ المشهورُ والبَطَلُ الذي يَصُولُ إذا مــا كان يــومٌ مُحَجَّلُ
إذا كَشَفتْ عن ساقها الحربُ حَشَّها بأبيض سَبّاقٍ إلى المــوتِ يُرْقِلُ[2]
وإنَّ امــرءاً كانــتْ صَفِيّــةُ أُمَّهُ ومِــنْ أَسَدٍ في بيتهــا لَمــرَفَّلُ[3]

1 ديوان حسان : 433 وهي فيه كما وردت في الأغاني ترتيباً وعدد الأبيات .
2 حشها : زاد وقودها .
3 المرفل : المعظم المسود .

له مـن رسول الله قُربَـى قريبةٌ ومِنْ نُصْرةِ الإسلامِ نصرٌ مُؤثَّلُ[1]
فكَـمْ كُرْبةٍ ذَبَّ الزُّبَيْرُ بسيفه عَن المصطفى واللهُ يُعطي فيُجْزِلُ
فما مثلُـه فيهـم ولا كان قبلَـه وليس يكون الدَّهْرَ ما دام يَذْبُلُ[2]
ثناؤك خيرٌ مـن فِعـال مَعاشِرٍ وفِعْلُك يـا ابنَ الهاشميّةِ أفضلُ

[تقدم هو وكعب وابن رواحة لحماية أعراض المسلمين فاختاره النبيّ دونهما]

أخبرني أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا واصلُ بن عبد الأعلى قال حدّثنا ابن فُضَيْل عن مُجالد عن الشَّعبيّ قال : لمّا كان عامُ الأحزاب وردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً ، قال النبيّ ﷺ : «مَنْ يَحْمي أعراض المسلمين» ؟ فقال كعب : أنا يا رسول الله ، وقال عبدالله ابن رَواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حَسّان بن ثابت : أنا يا رسول الله ؛ فقال : «نعم اهْجُهم أنت فإنّه سَيُعِينُك عليهم رُوحُ القُدُس» .

[سبّه قوم في مجلس ابن عبّاس فدافع عنه]

أخبرني أحمد بن عبد الرحمن قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثنا أبو داود قال حدّثنا حُدَيْج بن معاوية عن أبي إسحاق عن سعيد بن جُبير قال : كنّا عند ابن عبّاس فجاء حسّان ، فقالوا : قد جاء اللَّعين . فقال ابن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد نَصَر رسولَ الله ﷺ بلسانه ويده .

حدّثنيه أحمد بن الجَعد قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا حُدَيج بن معاوية قال حدّثنا أبو إسحاق عن سعيد بن جُبير قال : جاء رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : قد جاء اللعين حسّان من الشام . فقال ابن عبّاس : ما هو بلعين ؛ لقد جاهد مع رسول الله ﷺ بلسانه ونفسه .

[قدم وفد تميم على النبيّ مفتخرين فأمره النبيُّ أن يجيب شاعرهم]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الله بن عمر وشُرَيْح بن النُّعمان قالا حدّثنا عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : لمّا قَدِم وفد بني تميم وضع النبي ﷺ لحسّان مِنبراً وأجلسه عليه ، وقال : «إنّ الله لَيُـؤَيِّـد حسّان برُوح القدس ما نافح[3] عن نبيّه» ﷺ . هكذا روى أبو زيد هذا الخبر مختصراً . وأتينا به على تمامه هاهنا ؛ لأنّ ذلك حسنٌ فيه : أخبرنا به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : قَدِم على النبي ﷺ وفدُ بني تميم[4] وهم سبعون أو ثمانون رجلاً ، فيهم

---

1 نصر في ل : مجد .
2 يذبل : جبل في نجد .
3 نافح : هذه رواية ل ، وفي رواية أُخرى «كافح» وكلتاها بمعنى .
4 قصة الوفادة وما فيها من خطب وشعر في كتب السيرة . وانظر ديوان حسان : 101–104 .

الأَقرَع بن حابس ، والزِّبرقان بن بدر ، وعُطارد بن حاجب ، وقيس بن عاصم ، وعمرو بن الأهتَم ، وانطلق معهم عيينة بن حِصنٍ ، فقَدِموا المدينة ، فدخلوا المسجد ، فوقفوا عند الحجرات ، فنادوا بصوتٍ عالٍ جافٍ : اخرُج إلينا يا محمد ؛ فقد جئنا لنُفاخرك ، وقد جئنا بشاعرنا وخطيبنا . فخرج إليهم رسول الله ﷺ فجلس . فقام الأَقرع بن حابس فقال : والله إنّ مَدحي لَزَيْن ، وإنّ ذَمّي لَشَيْن . فقال النبيّ ﷺ «ذلك الله» . فقالوا : إنّا أكرمُ العرب . فقال رسول الله ﷺ : «أكرمُ منكم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام» . فقالوا : ايذَنْ لشاعرنا وخطيبنا . فقام رسول الله ﷺ فجلس وجلس معه الناس ، فقام عُطارد بن حاجب فقال : الحمد لله الذي له الفضل علينا وهو أهلُه ، الذي جعلنا ملوكاً وجعلنا أَعَزَّ أهل المَشْرِق ، وآتانا أموالاً عِظاماً نفعل فيها المعروف ، ليس في الناس مثلُنا ؛ ألسنا برؤوس الناس وذوي فَضلهم ؟ فمَن فاخرنا فليعدُد مثلَ ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا ، ولكنّا نستحي من الإكثار فيما خَوَّلَنا الله وأعطانا . أقول هذا ، فأْتُوا بقَوْلٍ أفضلَ من قولنا ، أو أمرٍ أَبيَنْ من أمرنا ، ثم جلس .

فقام ثابت بن قيس بن شَمَّاس فقال : الحمد لله الذي السمواتُ والأرضُ خلْقُه ، قضى فيهنّ أمرَه ووَسِع كُرْسيُّه علمه ، ولم يَقض شيئاً إلاّ من فضله وقُدرته ؛ فكان من قدرته أن اصطفى من خلقه لنا رسولاً أكرمهم حَسَباً وأصدقهم حديثاً وأحسنهم رأياً ، فأنزل عليه كتاباً ، وأْتَمَنه على خَلقه ، وكان خِيرةَ اللهِ من العالمين . ثم دعا رسول الله ﷺ إلى الإيمان ، فأجابه من قومه وذوي رَحِمِه المهاجرون أكرمُ الناس أنساباً ، وأَصبَحُ الناس وجوهاً ، وأفضل الناس فِعالاً . ثم كان أوّل من اتَّبع رسول الله ﷺ من العرب واستجاب له نحن مَعْشَرَ الأنصار ؛ فنحن أنصار الله ووزراءُ رسوله ، نُقاتل الناسَ حتى يؤْمِنوا ويقولوا : لا إله إلاّ الله . فمن آمن بالله ورسوله مَنَع منّا مالَه ودمه ، ومَن كَفَر بالله ورسوله جاهدناه في الله ، وكان جهاده علينا يسيراً . أقول قولي هذا ، وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات .

فقام الزِّبرقان فقال[1] : [من البسيط]

نحنُ الملوكُ فلا حَيٌّ يُقارِبُنا ... مِنّا الملوكُ وفينا يُؤْخَذُ الرُّبُعُ

تلك المكارمُ حُزْناها مُقارَعةً ... إذا الكرامُ على أمثالها اقتَرَعوا

كَمْ قد نَشَدْنا مِنَ الأحياءِ كُلِّهِمُ ... عندَ النِّهابِ وفضلُ العِزِّ يُتَّبَعُ[2]

1 ورد هذا الشعر في سيرة ابن هشام (2 : 563 وما بعدها) برواية مختلفة في كثير من الأبيات ، وقارن بما جاء في ديوان حسان .

2 نشدنا في ل : قسرنا .

ونَنْحَرُ الكُـومَ عُبْطاً في مَنازلنا ... للنازلين إذا مـا اسْتَطْعَموا شَبِعوا[1]
ونحن نُطْعِم عند المَحْلِ مـا أكلوا ... من العبيطِ إذا لم يَظْهَـرِ القَزَعُ
وننصر النـاسَ تأتينـا سَراتُهُـمُ ... مِنْ كُـلِّ أَوْبٍ فتَمْضِي ثم تُتَّبَعُ

فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى حسان بن ثابت فجاء ، فأمره أن يُجيبه . فقال حسان : [من البسيط]

إنّ الذوائبَ مِنْ فِهْـرٍ وإخْوَتِهمْ ... قـد بَيَّنُوا سُنَّـةً لِلنّـاسِ تُتَّبَعُ
يَرضى بها كلُّ مَنْ كانت سريرتُـه ... تَقْوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شَرَعُوا
قـومٌ إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ... أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم نَفَعُوا
سجِيَّـةٌ تلك منهـم غيرُ مُحْدَثَةٍ ... إنّ الخلائقَ فاعلَمْ شَرُّها البِدَعُ
لا يَرْقَعُ النّاسُ ما أَوهَتْ أَكُفُّهُمُ ... عند الدِّفاع ولا يُوهُون ما رَقَعوا
إنْ كان في الناسِ سبّاقون بعدَهُمُ ... فكُلُّ سَبْقٍ لأَدْنـى سَبْقِهِـمْ تَبَعُ
أَعِفَّةٌ ذُكِرَتْ في الوَحْـي عِفَّتُهمْ ... لا يَطْمَعون ولا يُزري بهم طَمَعُ
ولا يَضَنُّـونَ عـن جـارٍ بِفَضْلِهِمُ ... ولا يَمَسُّهُمُ مِـنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ
يَسْمُون للحرب تبدو وهي كالحةٌ ... إذا الزَّعانِفُ من أظفارِها خَشَعُوا
لا يَفْرَحـون إذا نالـوا عَدُوَّهُمُ ... وإنْ أُصيبوا فلا خُورٌ ولا جُزُعُ
كأنّـهم في الوغى والموتُ مُكتَنِعٌ ... أُسُودُ بِيشَةَ في أَرساغها فَدَعُ[2]
خُذْ منهمُ ما أتى عَفْواً وإنْ مَنَعُوا ... فلا يَكُنْ هَمُّكَ الأمرَ الذي مَنَعُوا[3]
فإنّ في حَرْبِهم ، فاتْرُكْ عداوَتهم ، ... سُمّاً يُخاض عليه الصَّابُ والسَّلَعُ[4]
أَكْـرِمْ بقَوْمٍ رسولُ الله قائدُهُمْ ... إذا تَفَرّقَـتِ الأهـواءُ والشِّيَعُ
أَهْدى لهـمُ مِدَحِي قلبٌ يؤازِرُهُ ... فيما أراد لسانٌ حائِـكٌ صَنَعُ
فإنّهـم أفضلُ الأحيـاءِ كلِّهِـمُ ... إنْ جَدّ بالناسِ جِدُّ القولِ أو شَمَعُوا[5]

---

1 الكوم : جمع كوماء وهي الناقة الضخمة .
2 مكتنع : قريب . أسد بيشة أو أسد حلية . فدع : اعوجاج الرسغ .
3 أتى في ل : أتوا .
4 يخاض : يخلط . الصاب والسلع : نوعان من الشجر مران .
5 شمعوا : لم يجدوا .

فقام عُطارد بن حاجب فقال[1] : [من الطويل]

أتيناك كيما يعلَم الناسُ فضلَنا ... إذا اجتمعوا وقتَ احتضارِ المواسِمِ

بأنّا فُروعُ الناسِ في كلِّ موطنٍ ... وأنْ ليس في أرض الحجاز كَدارِمِ

فقام حسّان بن ثابت فقال[2] : [من الطويل]

مَنَعْنا رسولَ الله من غَضَبٍ له ... على أَنْفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ

هَلِ المجدُ إلاّ السُّؤْدُدُ العَوْدُ والنَّدى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ[3]

قال : فقال الأَقرَع بن حابس : والله إنّ هذا الرجل لَمُؤَتًّى له ؛ والله لَشاعرُه أشعرُ من شاعرنا ، ولَخَطِيبُه أخطبُ [من خطيبنا] ، ولأصواتُهم أرفعُ من أصواتنا ؛ أَعطِني يا محمد فأعطاه . فقال : زِدني فزاده . فقال : اللّهمَّ إنّه سيد العرب . فنزلتْ فيهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الحُجُراتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ .

[إسلام وفد تميم وإكرام النبيّ لهم]

ثم إنّ القوم أسلموا ، وأقاموا عند النبيّ ﷺ يتعلَّمون القرآن ، ويتفقّهون في الدّين . ثم أرادوا الخروج إلى قومهم ، فأعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم ، وقال : «أَما بقيَ منكم أَحدٌ ؟» ، وكان عمرو بن الأَهْتَم في رِكابهم ، فقال قيس بن عاصم ، وهو من رهطه وكان مُشاحِناً له .

[مناقضة عمرو بن الأهتم وقيس بن عاصم]

لم يبقَ منّا أحدٌ إلاّ غلام حديث السن في ركابنا ؛ فأعطاه رسول الله ﷺ مِثْلَ ما أعطاهم . فبلغ عَمْراً ما قال قيس ؛ فقال عمرو بن الأَهتم لقيس : [من البسيط]

ظَلِلْتَ مُفْتَرِشَ الهَلْباء تَشْتُمني ... عندَ الرسولِ فلم تَصْدُقْ ولم تُصِبِ[4]

إنْ تُبْغِضونا فإنَّ الرُّومَ أصلُكُمُ ... والرومُ لا تملِك البغضاء للعَرَبِ

فإنَّ سُؤْدُدَنا عَوْدٌ وسُؤْددكم ... مُؤَخَّرٌ عند أصل العَجْبِ والذَّنَبِ

فقال له قيس : [من السريع]

لولا دفاعي كنتمُ أَعْبُدّاً ... دارُكم الحِيرةُ والسَّيْلَحونْ[5]

---

1 نسب الشعر في سيرة ابن هشام للزبرقان .

2 ديوان حسان : 109 .

3 العود : القديم .

4 الهلباء : الاست .

5 السيلحون : موضع بين الكوفة والقادسية .

[شعر حسان الذي يقرر به إيمانه بالرسل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدّثني عمر بن عليّ بن مُقَدَّم عن يحيى بن سعيد عن أبي حيَّان التَّيميّ عن حبيب بن أبي ثابت ، قال أبو زيد وحدّثنا محمد بن عبد الله بن الزُّبير قال حدّثنا مِسْعَرٌ عن سعد بن إبراهيم ، قالوا : قال حسّان بن ثابت للنبيّ ﷺ[1] : [من الطويل]

صوت

شَهِدتُ بإذن الله أنّ محمداً ... رسولُ الذي فوق السمواتِ من عَلُ
وأنَّ أخا الأحقاف إذ يَعْذُلونه ... يقومُ بدِين الله فيهم فيَعدِلُ[2]
وأنَّ أبا يحيى ويحيى كِلاهُما ... له عَمَلٌ في دينِه مُتَقَبَّلُ[3]
وأنّ الذي عادى اليهودَ ابنَ مَرْيَمٍ ... رسولٌ أتى من عند ذي العرش مُرْسَلُ
وأنَّ الذي بالجِزْعِ من بطن نَخْلةٍ ... ومَنْ دونَها فِلٌّ من الخير مَعْزِلُ[4]

غنّى في هذه الأبيات معْبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر من رواية يونس وغيره ، فقال النبيّ ﷺ : «أنا أشهَد معك» .

[أنكرت عليه عائشة شعراً له في مدحها]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا زهير بن حرب قال حدّثني جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق ، وأخبرني بها أحمد بن عيسى العِجليّ قال حدّثنا سفيان بن وكيع قال حدّثنا جرير عن الأعمش عن أبي الضُّحى عن مسروق قال : دخلتُ على عائشة وعندها حسّان وهو يرثي بنتاً له ، وهو يقول[5] : [من الطويل]

رَزانٌ حَصانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحوم الغَوافِلِ

فقالت عائشة : لكن أنت لستَ كذلك . فقلت لها : أيدخل عليك هذا وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ منْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ ! فقالت : أمَا تراه في عذاب عظيم قد ذَهَب بصرُه !

---

1 ديوان حسان : 203 .

2 أخو الأحقاف : النبي هود .

3 يحيى النبي وأبوه زكريا .

4 الشطر الأول في الديوان : وأن التي بالسد من بطن نخلة . الفلّ : المقفر من الخير .

5 هذا البيت من جملة أبيات يعتذر لعائشة عمّا نسب إليه من حديث الأفك (انظر ديوانه 1 : 292 و510 برواية السيرة) . وأبياته في رثاء ابنته في ص 234 . ولعلّ تشابه البيت الثاني منها والبيت الأوّل من أبيات عائشة كان وراء القصّة المنسوبة إلى مسروق .

[أخبر بوقعة صفين قبل وقوعها]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا ابن أبي أُوَيْس قال حدّثني أبي ومالك بن الربيع بن مالك حدّثاني جميعاً عن الرَّبيع بن مالك بن أبي عامر عن أبيه أنّه قال : بينا نحن جُلوسٌ عند حسّان بن ثابت ، وحسّان مضطجعٌ مُسنِدٌ رِجليه إلى فارِعٍ[1] قد رفعهما عليه ؛ إذ قال : مَهْ ، أما رأيتم ما مرَّ بكم الساعة ؟ قال مالك : قلنا : لا والله ، وما هو ؟ فقال حسّان : فاختِةٌ مَرَّت الساعة بيني وبين فارع فصدمتني ، أو قال : فزَحَمتني . قال : قلنا : وما هي ؟ قال[2] : [من الطويل]

ستأتيكمُ غَدْواً أحاديثُ جَمَّةٌ فأَصغُوا لها آذانَكم وتَسَمَّعوا

قال مالك بن أبي عامر : فصَبَحَنا من الغد حديث صِفِّين .

[سمعه المغيرة بن شعبة ينشد شعراً فبعث إليه بمال]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا اللَّيث بن محمد عن الحَنْظَلِيّ عن أبي عبدة عن العلاء بن جَزْء العنبريّ قال : بينا حسان بن ثابت بالخَيْفِ وهو مكفوفٌ ، إذ زَفَر زفرةً ثم قال[3] : [من الكامل]

وكأنَّ حاقِرَهـا بكلِّ خَمِيلةٍ صاعٌ يَكِيلُ به شحيحٌ مُعْدِمُ

عارِي الأَشاجعِ من ثَقِيفٍ أصلُه عبدٌ ويزعمُ أنَّه مِـنْ يَقْدُمُ[4]

قال : والمُغيرة بن شُعبة جالسٌ قريباً منه يسمع ما يقول ، فبعث إليه بخمسة آلاف درهم . فقال : مَن بعث بهذا ؟ قال : المُغيرة بن شُعبة سمع ما قلتَ . قال : واسَوْءتاه ! وقَبِلها .

[استجار الحارث بن عوف من شعره بالنبيّ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الأصمعيّ قال : جاء الحارث بن عوف بن أبي حارثة إلى النبي ﷺ فقال : أَجِرْني من شعر حسّان ، فلو مُزِج البحرُ بشِعره لَمَزَجه . قال : وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة عن الأصمعيّ ، وأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب : أنّ الحارث بن عوف أتى رسولَ الله ﷺ فقال : ابعَثْ معي مَن يدعو إلى دِينك وأنا له جار . فأرسل معه رجلاً من الأنصار . فغَدَرتْ بالحارث عشيرته فقتلوا الأنصاريّ ، فقَدِم الحارث على رسول الله ﷺ ، وكان عليه الصلاة والسلام لا يؤنِّب أحداً

1 فارع : أطم بالمدينة ، كان لحسان .

2 ديوان حسان : 492 .

3 ديوان حسان : 438 .

4 يقدم : أبو قبيلة وعلى هذا جاز رفعه .

في وجهه ، فقال : «ادْعُوا لي حسّان» ؛ فدُعي له . فلمّا رأى الحارث أنشده[1] : [من الكامل]

يا حارِ مَنْ يَغْدِرْ بذِمّةِ جارِه منكُـمْ فإنّ محمـداً لم يَغْدُرِ
إنْ تَغْدِرُوا فالغَدْرُ منكم شيمةٌ والغدرُ ينبُت في أُصول السَّخْبَرِ[2]

فقال الحارث : اكْفُفْه عنّي يا محمد ، وأُؤدّي إليك ديَةَ الخفارة ؛ فأدّى إلى النبيّ ﷺ سبعين عُشَراء ، وكذلك دِيةُ الخُفارة ، وقال : يا محمد ، أنا عائذٌ بك من شَرِّه ، فلو مُزج البحر بشِعره مزجه .

[بلغ النبيّ شعره فأمله فضربه ابن المعطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا عبد الله بن وَهْب قال أخبرنا العطّاف بن خالد قال : كان حسان بن ثابت يجلس إلى أُطُمِه فارِعٍ ، ويجلس معه أصحابٌ له ويضع لهم بِساطاً يجلسون عليه ؛ فقال يوماً ، وهو يرى كثرة مَن يأتي إلى النبي ﷺ من العرب فيُسْلِمون : [من البسيط]

أَرى الجَلابيبَ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابنُ الفُرَيْعَةِ امسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[3]

فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ ، فقال : «مَن لي بأصحاب البِساطِ بفارِع ؟» . فقال صفوان بن المعَطَّل : أنا لك يا رسول الله منهم ؛ فخرج إليهم فاخترط سيفه ، فلمّا رأَوْه عرفوا الشرَّ في وجهه ففرّوا وتبدّدوا ، وأدرك حسّان داخلاً بيتَه ، فضربه وفلق أَلْيَتَه . قال : فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ عوّضه وأعطاه حائطاً[4] ، فباعه من معاوية بعد ذلك بمال كثير ، فبناه معاوية قصراً ، وهو الذي يقال له : «قصر الدّارَين» . وقد قيل : إنّ صفوان بن المعطَّل إنّما ضرب حسّان لِما قاله فيه وفي عائشة زوج النبي ﷺ من الإفك ؛ لأن صفوان هو الذي رمى أهلُ الإفك عائشة به .

وأخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيْد قال حدّثنا سَلَمةُ عن محمد بن إسحاق عن يعقوب بن عُتبة قال : اعترض صَفوان بن المُعَطَّل حسّان بن ثابت بالسيف لِما قَذَفه[5] به من الإفك حين بلغه ما قاله . وقد كان حسّان قال شِعراً يعرِّض بابن المعطَّل وبمن أسلمَ من العرب من مُضَر فقال[6] : [من البسيط]

---

1 ديوان حسان : 137 .
2 السخبر : نوع من الشجر .
3 الجلابيب : لقب كان المنافقون ينبزون به المهاجرين .
4 الحائط : البستان .
5 ل : قرفه .
6 ديوان حسان : 284 . وانظر الخبر والشعر في سيرة ابن هشام : 304 فما هنا متابع للسيرة .

أمسَى الجَلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابنُ الفُرَيعةِ أمسى بَيْضَةَ البَلَدِ
قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأَسَدِ
ما للقتيلِ الذي أَعدُو فآخُذُه من دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ
ما البحرُ حين تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيةً فيَغْطئِلُّ ويَرْمي العِبْرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلبَ منِّي حين تُبْصِرُني بالسيف أَفْرِي كفَرْيِ العارِضِ البَرِدِ

فاعترضه صفوان بن المعطَّل بالسيف فضربه وقال : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيْفِ عنِّي فإنّني غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

[قبض ثابت بن قيس على ابن المعطل ثم انتهى الأمر إلى النبيّ فاسترضاه]

وحدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيْد قال حدّثنا سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيميّ : أنّ ثابت بن قيس بن الشمَّاس أخا بَلْحارث بن الخزرج وثَبَ على صفوان بن المعطَّل في ضَربه حسّان فجمع يديه على عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلَقِيَه عبد الله بن رواحة فقال : ما هذا ؟ فقال : ألا أُعَجِّبُك ؛ ضرب حسّان بالسيف ، والله ما أراه إلاّ قد قتله . فقال له عبد الله بن رواحة : هل علِم رسولُ الله ﷺ بشيءٍ من هذا ؟ قال : لا والله . لقد اجترأت ! أَطْلِق الرجلَ ، فأطلقه . ثم أتَوْا رسول الله ﷺ فذُكِر ذلك له ، فدعا حسّان وصفوان بن المعطَّل ؛ فقال ابن المعطَّل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني فضربتُه . فقال رسول الله ﷺ لحسّان : «يا حسّان أَتَعِيبُ على قومي أنْ هداهم الله عزّ وجلّ للإسلام !» ، ثم قال : «أَحْسِنْ يا حسّان في الذي أصابك» . قال : هي لك يا رسول الله .

[برواية أخرى حول الموضوع نفسه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني المَدائنيّ قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن أبيه إسحاق بن يَسارٍ عن بعض رجال بني النجّار بمثل ذلك ، وزاد في الشعر الذي قاله حسّان زيادةً ، ووافقه عليها مُصعَب الزُّبيريّ ، فيما أخبرنا به الحسن بن عليّ ، قال قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب وخالف في القصّة ، فذكر أنّ فِتيةً من المهاجرين والأنصار تنازعوا على الماء وهم يسقون خيولهم ، فغضب من ذلك حسّان فقال هذا الشعر .

وذكر الزُّهريّ ، فيما أخبرنا أحمد بن يحيى بن الجَعد ، قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبي قال حدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عُقبة عن ابن شِهاب الزُّهريّ أنّ هذا الخبر كان بعد غزوة النبي ﷺ بني المُصْطَلِق . قال : وكان في أصحاب رسول الله ﷺ رجلٌ يقال له : سِنان ، ورجل من بني غِفار يقال له : جَهْجاه ؛ فخرج جَهْجاهٌ بفرس لرسول

الله ﷺ وفرس له يومئذٍ يَسقيهما ، فأوردهما الماء ، فوجد على الماء فِتيةً من الأنصار ، فتنازعوا فاقتتلوا ؛ فقال عبد الله بن أبيّ بن سَلُول يومئذٍ : هذا ما جَرَونا به ، آويناهم ثم هم يقاتلوننا ؛ وبلغ حسّان بن ثابت الذي بين جَهجاه وبين الفِتية الأنصار ، فقال وهو يريد المهاجرين من القبائل الذين قَدِموا على رسول الله ﷺ في الإسلام ، وهذا الشعر من رواية مُصعب دون الزُّهريّ : [من البسيط]

أمسَى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا ... وابنُ الفُرَيعةِ أمسى بيضةَ البَلَدِ
يمشون بالقولِ سِرّاً في مُهادَنةٍ ... تَهَدُّداً لي كأنّي لستُ من أحَدِ
قد ثَكِلتْ أُمُّه مَن كنتُ صاحبَه ... أو كان مُنْتشِباً في بُرْثُن الأسَدِ
ما للقتيلِ الذي أسموا فأقتُلُه ... من دِيَةٍ فيه أُعْطِيها ولا قَوَدِ
ما البحرُ حين تَهُبُّ الريحُ شاميةً ... فيَغْطَئِلُّ ويَرْمي العَبْرَ بالزَّبَدِ
يوماً بأغلبَ منّي حين تُبْصِرُني ... أفْري من الغَيْظِ فَرْيَ العارِضِ البَرِدِ
أمّا قريشٌ فإنّي لستُ تاركَهم ... حتى يُنِيبُوا مِنَ الغَيّاتِ بالرَّشَدِ
ويتركوا اللاّتَ والعُزّى بمَعْزِلَةٍ ... ويَسْجُدوا كلُّهم للواحدِ الصَّمَدِ
ويَشْهَدوا أنَّ ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ ويُوفُوا بعهد الله في سَدَدِ
أبْلِغْ بَنيّ بأنّي قد تركتُ لهم ... من خير ما تَرَكَ الآباء للوَلَدِ
الدّارُ واسطةٌ والنخلُ شارعةٌ ... والبِيضُ يَرْفُلْنَ في القَسِّيّ كالبَرَدِ

قال : فقال رسول الله ﷺ : «يا حسّان نَفِستَ عليّ إسلامَ قومي» وأغضبه كلامه . فغدا صفوان بن المعطَّل السُّلَميّ على حسّان فضربه بالسيف . وقال صفوان : [من الطويل]

تَلَقَّ ذُبابَ السَّيْفِ عنّي فإنّني ... غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

فوثب قومُه على صفوان فحبسوه ، ثم جاؤوا سعد بن عبادة بن دُلَيْم بن حارثة بن أبي حَزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وهو مُقبِلٌ على ناضِحه بين القِربتين ، فذكروا له ما فعلَ حسّان وما فعلوا ؛ فقال : أشاورْتُم في ذلك رسولَ الله ﷺ ؟ قالوا لا . فقعد إلى الأرض وقال : وانقِطاعَ ظَهْراه ! أتأخذون بأيديكم ورسول الله ﷺ بين ظَهْرانَيْكم ؟ ودعا بصفوان فأُتي به ، فكساه وخلاّه . فجاء إلى النبيّ ﷺ ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «مَنْ كَساك كساه الله» . وقال حسان لأصحابه : احمِلوني إلى رسول الله ﷺ أُترضّاه ففعلوا ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فردّوه . ثم سألهم فحملوه إليه الثانية ؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فانصرفوا به . ثم قال

لهم : عُودوا بي إلى رسول الله ﷺ ؛ فقالوا له : قد جئنا بك مرّتين كلّ ذلك يُعْرِض فلا نُبرمه بك . فقال : احمِلوني إليه هذه المرّة وحدَها ، ففعلوا . فقال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمّي ! احفَظ قولي : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ اللهِ في ذاك الجزاءُ
فإنّ أبي ووالدَه وعِرْضي لِعِرض محمدٍ منكم وِقاءُ

فرضي عنه رسول الله ﷺ ووهَبَ له سيرين أُخت مارية أُمّ ولد رسول الله ﷺ إبراهيم . هذه رواية مُصعب . وأمّا الزُّهريّ فإنّه ذكر أنّ رسول الله ﷺ لمّا بلغه ضربُ السُّلَميّ حسّان قال لهم : «خُذوه فإنْ هلك حسّان فاقتلوه» . فأخذوه فأسروه وأوثقوه ، فبلغ ذلك سعد بن عبادة ، فخرج في قومه إليهم فقال : أرْسِلوا الرجل ، فأبوا عليه ؛ فقال : أعمدتم إلى قوم رسول الله ﷺ تُؤْذونهم وتَشتُمونهم وقد زعمتم أنّكم نصرتموهم ؟ أرسِلوا الرجلَ ؛ فأبوا عليه حتى كاد يكون قتالٌ ، ثم أرسلوه . فخرج به سعدٌ إلى أهله فكساه حُلَّةً ، ثم أرسله سعد إلى أهله . فبلغنا أنّ النبيّ ﷺ دخل المسجد ليُصلّي فيه فرآه ، فقال : «مَن كساكَ كساه اللهُ مِن ثيابِ الجنّة» . فقال : كساني سعد بن عبادة . وذكر باقي الخبر نحوه .

وحدّثني محمد بن جرير الطبريّ قال حدّثني ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث : أنّ رسول الله ﷺ أعطاه عِوَضاً منها بيرحاء[1] ، وهي قصر بني جُدَيلة اليوم بالمدينة ، كانت مالاً لأبي طلحة بن سهلٍ تَصَدَّق بها إلى رسول الله ﷺ ، فأعطاه حسّان في ضَربته ، وأعطاه سيرين (أَمَةً قِبطيّة) فولدت له عبد الرحمن بن حسّان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سُئل عن صفوان بن المُعَطَّل ، فإذا هو حَصُورٌ[2] (لا يأتي النساء) ؛ قُتِل بعد ذلك شهيداً .

[شعره في مدح عائشة والاعتذار عمّا رماها به]

قال ابن إسحاق في روايته عن يعقوب بن عُتبة : فقال حسّان يعتذر من الذي قال في عائشة : [من الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ
فإنْ كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتُمُ فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ أَناملي
وكيفَ ووُدِّي من قديمٍ ونُصْرَتي لآلِ رسولِ اللهِ زَيْنِ المَحافِلِ

1 بيرحاء : موضع بالمدينة .
2 ل : فوجدوه حصوراً ما يأتي النساء .

فإنّ الذي قـد قِيلَ ليس بِلائطٍ ولكنّه قولُ امـرىءٍ بيَ ماحِلِ[1]

[هجاه رجل بما فعل به ابن المعطل]

قال الزُّبير وحدّثني محمد بن الضحّاك : أنّ رجلاً هجا حسّان بن ثابت بما فعل به ابن المعطَّل فقال : [من الوافر]

وإنّ ابنَ المُعَطَّلِ مـن سُلَيْمٍ أَذَلَّ قِيـادَ رَأْسِك بالخِطامِ

[سبّه أُناس فدافعت عنه عائشة]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال أخبرنا أبو عاصمٍ قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرني محمد بن السائب عن أُمّه : أنّها طافت مع عائشة ومعها أُمُّ حكيم وعاتكة : (امرأتان من بني مخزوم) . قالت : فابتَدَرْنا حسّان نَشْتُمه وهو يطوف ؛ فقالت : أَبْنَ الفُرَيعة تَسْبُبْنَ ؟ قلن : قد قال فيكِ فَبَرَّأكِ الله . قالت : فأين قوله : [من الوافر]

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعندَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ

فإنّ أبي ووالـدَه وعِرضي لِعِرْضِ محمـدٍ منكم وِقاءُ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني إبراهيم بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن محمد بن السائب بن بركة عن أُمّه بنحو ذلك ، وزاد فيه : إنّي لأَرجو أن يُدخله الله الجنَّة بقوله .

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير عن عبد العزيز بن عمران عن سفيان بن عُيينة وسَلْمِ بن خالد عن يوسف بن ماهَك عن أُمّه قالت : كنتُ أطوف مع عائشة بالبيت ، فذكرتُ حسّانَ فسَبَبْتُه ؛ فقالت : بِئس ما قلتِ ! أتَسُبِّينَه وهو الذي يقول : [من الوافر]

فـإنّ أبـي ووالـدَه وعِرْضي لِعِـرْضِ محمـدٍ منكـم وِقاءُ

فقلت : أليس ممّن لَعَن الله في الدنيا والآخرة بما قال فيكِ ؟ قالت : لم يَقُلْ شيئاً ، ولكنّه الذي يقول : [من الطويل]

حَصانٌ رَزانٌ مـا تُـزَنّ بريبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لُحومِ الغَوافِلِ

فإنْ كان ما قـد جـاء عنّيَ قلتُه فـلا رفعتْ سَوْطي إليَّ أناملي

أخبرني الحسن قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مصعب عمّي قال حدّثني بعض أصحابنا عن هشام بن عروة عن أبيه قال : كنتُ قاعـداً عند عائشة ، فمُرَّ بجنازة حسّان بن ثابتٍ فنِلتُ منه ؛

1 محل به : كاده بسعاية . ورواية الديوان : «بك الدهر بل سعي امرىء بك ماحل» .

فقالت : مَهلاً ؛ فقلت : أليس الذي يقول ؟ قالت : فكيف بقوله : [من الوافر]

فإنّ أبـي ووالدَه وعِرْضي لِعـرْض محمدٍ منكم وِقاءُ

[افتخاره بلسانه]

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثني أحمد بن سَلمان عن سليمان بن حرب قال حدّثنا حمّاد بن زيد عن أيّوب عن محمد بن سيرين : أنّ حسّان أخذ يوماً بطَرَفِ لسانه وقال : يا رسول الله ، ما يَسُرُّني أنّ لي به مِقْوَلاً بين صنعاءَ وبُصرى ، ثم قال : [من الوافر]

لِساني مِقْـوَلٌ لا عيبَ فيـه وبَحْرِي ما تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

[جبنه عن مناصرة صفية بنت عبد المطّلب يوم الخندق]

أخبرنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة قال حدّثني محمد بن إسحاق عن يحيى بن عَبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه قال : كانت صفيّة بنت عبد المطّلب في فارِعٍ (حِصْنِ حسّان بن ثابت) ، يعني يوم الخندق . قالت : وكان حسّان معنا فيه والنساء والصبيان . قالت : فمرّ بنا رجلٌ من يهود فجعل يُطِيف بالحصن ، وقد حاربتْ بنو قُريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله ﷺ ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا ، ورسول الله والمسلمون في نُحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ، إذْ أتانا آتٍ . قالت : فقلت : يا حسّان ، إنّ هذا اليهوديّ كما ترى يُطيفُ بالحِصن ، وإنّي والله ما آمَنُه أن يَدلّ على عَوراتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شُغل عنّا رسول الله ﷺ وأصحابه ، فانْزِل إليه فاقْتُلْه ؛ فقال : يغفِر الله لكِ يا ابنة عبد المطّلب ؛ لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا . قالت : فلمّا قال ذلك ولم أَرَ عنده شيئاً احتجَزتُ[1] ثم أخذت عموداً ثم نزلتُ إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسّان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجلٌ . قال : مالي بسَلْبِه من حاجة يا بنتَ عبد المطّلب .

[حديث ابن الزبير عن يوم الخندق وجبن حسان]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عليّ بن صالح عن جدّي عبد الله بن مصعب عن أبيه قال : كان ابن الزُّبير يحدّث أنّه كان في فارِعٍ (أُطُمِ حسان بن ثابت) مع النساء يوم الخندق ومعهم عمر بن أبي سلَمة . قال ابن الزُّبير : ومعنا حسّان بن ثابت ضارباً وَتِداً في آخر الأُطُم ، فإذا حَمَل أصحابُ رسول الله ﷺ على المشركين حَمَل على الوتد فضربه بالسيف ؛ وإذا أقبل المشركون انحاز عن الوتد حتى كأنّه

1 ل : اعتجرت . واحتجز بردائه : إذا شدّه على وسطه .

يُقاتل قِرناً ، يتشبّه بهم كأنّه يُري أنّه مجاهدٌ حين جَبُن . وإنّي لأظلم ابنَ أبي سلمة وهو أكبر منّي بسنتين فأقول له : تَحْمِلُني على عُنقك حتّى أنظر ، فإنّي أحمِلك إذا نزلتُ . قال : فإذا حملني ثم سألني أن يركب قلتُ له : هذه المرّة أيضاً . قال : وإنّي لأنظر إلى أبي مُعلَماً بصُفرةٍ ، فأخبرتُها أبي بعدُ ؛ فقال : أين كنتَ حينئذٍ ؟ فقلت : على عُنق ابن أبي سلَمة يحملني . فقال : أمَا والذي نفسي بيده إنّ رسول الله ﷺ حينئذٍ لَيجمع لي أبَويه .

قال ابن الزُّبير : وجاء يهوديٌّ يرتقي إلى الحصن ، فقالت صفيّة له : أعطِني السيف ، فأعطاها . فلمّا ارتقى اليهوديّ ضربتْه حتّى قتلته ، ثم احتَزّت رأسه فأعطته حسّان وقالت : طَوِّحْ به ؛ فإنّ الرجل أقوى وأشدّ رميةً من المرأة . تريد أن تُرْعِب به أصحابه .

[كان حسّان مقطوع الأكحل]

قال الزُّبير : وحدّثني عمّي مصعب عن الواقديّ قال : كان أَكْحَلُ حسّان قد قُطِع فلم يكن يَضرب بيده .

[أنشد النبي شعراً في شجاعته فضحك]

قال الزُّبير وحدّثني عليّ بن صالح عن جدّي أنّه سمع أنّ حسّان بن ثابت أنشد رسول الله ﷺ[1] : [من البسيط]

لقد غدوتُ أمامَ القومِ مُنتَطِقاً ... بِصارِمٍ مِثْلِ لَوْنِ المِلْحِ قَطَّاعِ

يَحْفِزُ عنّي نِجادَ السيفِ سابغةٌ ... فَضْفاضةٌ مثل لَوْنِ النِّهْيِ بالقاعِ[2]

قال : فضحك رسول الله ﷺ ؛ فظنّ حسّان أنّه ضحك من صفته نفسَه مع جبْنه .

[قال النابغة حسان شاعر والخنساء بكّاءة]

قال الزُّبير وحدّثني محمد بن الحسن قال : قال حسّان بن ثابت : جئتُ نابغة بني ذبيان ، فوجدت الخنساء بنت عمرو حين قامت من عنده ، فأنشدته ؛ فقال : إنّك لشاعرٌ ، وإنّ أُخْتَ بني سُلَيم لَبَكّاءة .

[سمعه الحطيئة ينشد فسأله رأيه فأجابه الحطيئة بما لم يرضه]

قال الزُّبير وحدّثني يحيى بن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصدِّيق قال أخبرني غير واحدٍ من مَشايخي : أنّ الحُطَيئة وقف على حسّان بن ثابت وحسّان يُنشد من شعره ؛ فقال له حسّان وهو لا يعرفه : كيف تسمع هذا الشعر يا أعرابيّ ؟ قال الحطيئة : لا أرى به بأساً . فغضب حسان وقال : اسمعوا إلى كلام هذا الأعرابيّ ! ما كُنيَتُك ؟ قال : أبو

---

1 ديوان حسان : 300 .

2 الشطر الثاني في رواية الديوان «تغشى الأنامل مثل النهي بالقاع» .

مُلَيكة . قال : ما كنتَ قطُّ أَهوَنَ عليّ منك حين كُنِّيتَ بامرأةٍ ، فما اسمك ؟ قال : الحُطَيئة فقال حسان : امضِ بسلام .

[اتّهمه أعشى بكر بالبخل فاشترى كلّ الخمر وأراقها]

أخبرني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني محمد بن الحسن بن مسعود الزُّرَقيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثني الزُّبير ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني بعض القرشيين قال : دخل حسان بن ثابت في الجاهلية بيت خَمَّارٍ بالشَّام ومعه أعشى بكر بن وائل ، فاشتريا خمراً وشربا ، فنام حسّان ثم انتبه ، فسمع الأعشى يقول للخمّار : كَرِه الشيخ الغُرم . فتركه حسّان حتى نام ، ثم اشترى خمر الخمّار كلَّها . ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الأعشى ؛ فعَلِم أنَّه سمع كلامه فاعتذر إليه ؛ فقال حسّان[1] : [من الطويل]

ولَسْنا بِشَرْبٍ فَوْقَهُمْ ظِلُّ بُرْدةٍ ... يُعِدُّونَ للخَمّارِ تَيْساً ومِفْصَدا
ولكِنَّنا شَرْبٌ كِرامٌ إذا انتشَوْا ... أهانوا الصَّرِيحَ والسَّدِيفَ المُسَرْهَدا[2]
كأَنَّهُمُ ماتُوا زمانَ حَلِيمةٍ ... فإنْ تَأْتِهِمْ تَحْمَدْ نِدامَتَهمْ غَدا[3]
وإن جئتَهم أُلْفَيْتَ حولَ بُيوتِهِمْ ... من المِسْكِ والجادي فَتِيتاً مُبَدَّدا
تَرى حولَ أثناءِ الزَّرابيِّ ساقطاً ... نِعالاً وقَسُّوباً ورَيْطاً مُنَضَّدا[4]
وذا نُمْرُقٍ يَسْعَى ومُلْصِقَ خَدِّهِ ... بديباجةٍ تَكْفافُها قد تَقَدَّدا

[تعييره الحارث بن هشام بفراره]

وهذه القصيدة يقولها حسّان بن ثابت في وقعة بَدْرٍ يفخر بها ويُعَيِّر الحارث بن هشام بفِرارِه عن أخيه أبي جهل بن هشام . وفيها يقول[5] : [من الكامل]

صوت

إنْ كُنْتِ كاذِبةَ الذي حَدَّثْتِني ... فَنَجَوْتِ مَنْجَى الحارثِ بن هشامِ
تَرَكَ الأَحِبَّةَ أنْ يُقاتِلَ دونَهم ... ونجا برأْس طِمِرَّةٍ ولجامِ

1 ديوان حسان : 312 .
2 الصريح : الذي ذهبت رغوته . السديف المسرهد : لحم أو شحم السنام السمين .
3 يشير إلى يوم حليمة بين المنذر الأكبر والحارث الأكبر وبه يضرب المثل «ما يوم حليمة بسر» .
4 الزرابي : الطنافس . القسوب : الخف . الريط : جمع ريطة وهي الملاءة .
5 من قصيدة من 28 بيتاً . انظر ديوانه : 29 .

غنّاه يحيى المكيّ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . ولعَزَّة المَيلاء فيه خفيف رمل بالبنصر . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبنصر لموسى بن خارجة الكوفيّ ، فأجاب الحارث بن هشام ، وهو مشرك يومئذٍ ، فقال[1] : [من الكامل]

صوت

اللهُ يعلَـم مـا تركتُ قِتالَهـم حتَّى رَمَـوْا فَرَسِي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنِّي إنْ أُقاتِـلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوِّيَ مشْهَدي
ففَرَرْتُ منهـمْ والأَحِبَّـةُ فيهـمُ طَمَعاً لهـم بعِقـاب يوم مُرْصَدِ

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر ، وقيل : بل هو لفُلَيْح .

[تمثّل رتبيل بشعر حسّان]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثني سليمان بن أيُّوب قال حدّثنا محمد بن سلاّم عن يونس قال : لمّا صار ابن الأشعث إلى رُتْبِيل ، تمثَّل رتبيل بقول حسّان بن ثابت في الحارث بن هشام : [من الكامل]

تَرَكَ الأحِبَّةَ أنْ يُقاتِلَ دونَهُمْ ونجـا برأس طِمِـرّةٍ ولجامِ

فقال له ابن الأشعث : أوَ ما سمعتَ ما ردّ عليه الحارث بن هشام ؟ قال : وما هو ؟ فقال قال : [من الكامل]

اللهُ يعلَم مـا تركتُ قتالَهم حتى رَمَوْا فرسي بأَشْقَرَ مُزْبِدِ
وعلمتُ أنِّي إنْ أُقاتِلْ واحداً أُقْتَلْ ولا يَضْرُرْ عَدُوّي مَشْهَدي
فصددتُ عنهمْ والأحبّةُ فيهمُ طمعاً لهم بعقاب يوم مُرْصَدِ

فقال رُتْبِيل : يا معشر العرب ، حَسَّنتم كلَّ شيء حتى حسَّنتم الفِرار .

1 انظر الأبيات في سيرة ابن هشام 2 : 18 والحماسية رقم 37 في شرح المرزوقي .

[47] ـ ذكر الخبر عن غَزاة بدر[1]

[أخبار غزاة بدر]

حدّثني بخبرها محمد بن جرير الطبريّ في المغازي قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا سلمة قال حدّثني محمد بن إسحاق[2] قال حدّثني محمد بن مُسلم الزهريّ وعاصم بن عُمر بن قَتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزُّبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عبّاس ، كلٌّ قد حدّثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سمعت من حديث بدر ، قالوا :

[ندب النبي المسلمين للعير واستنفار أبي سفيان لقريش]

لمّا سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مُقبِلاً من الشام ندَب المسلمين إليهم ، وقال : «هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها ؛ فلعلّ الله أن يُنَفِّلَكُموها» . فانتدب الناس ، فخفّ بعضهم وثَقُل بعضهم ؛ وذلك أنّهم لم يظنُوا أنّ رسول الله ﷺ يَلقى حرباً . وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز وجعل يتحسَّس الأخبار ، ويسأل مَن لَقِي من الرُّكبان ، تَخَوُّفاً على أموال[3] الناس ، حتى أصاب خبراً من بعض الرُّكبان أنّ محمداً استنفر أصحابه لك ولعِيرك ، فجَدَّ[4] عند ذلك فاستأجر ضَمْضَمَ بن عَمْرو الغِفاريّ فبعثه إلى مكّة وأَمَره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويُخبرهم أنّ محمداً قد عرض لها في أصحابه ؛ فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكّة .

[رؤيا عاتكة بنت عبد المطّلب]

قال ابن إسحاق[5] : وحدّثني مَن لا أتّهِمُ عن عِكرمة مولى ابن عبّاس ويزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير قال : وقد رأت عاتكة بنت عبد المطّلب قبل قدوم ضمضم [مكّة] بثلاث [ليالٍ] رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العبّاس بن عبد المطّلب ، فقالت : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا أفظعتني وتخوّفتُ أن يدخل على قومك [منها] شرٌّ أو مصيبة ، فاكتم عنّي

1 سيرة ابن هشام 1 : 606 وتاريخ الطبري 2 : 421 ومغازي الواقدي 1 : 19 .
2 هو نصّاً عن ابن هشام 1 : 606–607 .
3 السيرة (س) : على أمر .
4 السيرة : فحذر .
5 متابع للسيرة 1 : 607–608 .

ما أحدِّثك . قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعيرٍ له حتى وقف بالأبطَح ، ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفِروا يا آلَ غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث ؛ وأرى الناس قد اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛ فبينما هم حولَه مَثُلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته : انفِرُوا يا آل غُدَرَ لمصارعكم في ثلاث ، ثم مَثَل به بعيره على رأس أبي قُبَيس فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرةً فأرسلها فأقبلت تَهوي ، حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفَضَّتْ ، فما بقي بيتٌ من بيوت مكّة ولا دارٌ من دورها إلاّ دخلتْها منها فِلقة . قال العبّاس : إنّ هذه لَرؤيا ، وأنتِ فاكتمِيها ولا تذكريها لأحد .

ثم خرج العبّاس[1] فلَقِي الوليد بن عتبة بن ربيعة ، وكان له صديقاً ، فذكرها [له] واستكتمه إيَّاها ؛ فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث [بمكّة] حتى تحدّثت به قريش . قال العبّاس : فغدوتُ أطوفُ بالبيت ، وأبو جهل بن هشام ورهطٌ من قريش قُعُودٌ يتحدّثون برؤيا عاتكة . فلمّا رآني أبو جهل قال : يا أبا الفضل ، إذا فرغتَ من طَوافك فأقبِل إلينا ؛ فلمّا فرغتُ أقبلتُ إليه حتى جلست معهم . فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطّلب[2] ، متى حدثَتْ فيكم هذه النَّبيَّة ؟! قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأتْ عاتكة . قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطّلب ، أما رضيتم أن تتنبَّأ رجالكم حتى تتنبّأ نساؤكم ؟ قد زعمت عاتكة في رؤياها أنّها قالت : انْفِروا في ثلاثٍ ؛ فسنتربّص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقّاً فسيكون ، وإن تَمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نَكتب كتاباً عليكم أنّكم أكذب أهلِ بيتٍ في العرب . قال العبّاس : فوالله ما كان إليه منّي كبيرٌ إلاّ أن جحدتُ ذلك وأنكرتُ أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرّقنا . فلمّا أمسينا لم تبقَ امرأةٌ من بني عبد المطّلب إلاّ أتتني فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقَع في رجالكم ، ويتناول النساءَ وأنت تسمع ، ولم يكن عندك غَيْرٌ لشيءٍ ممّا سمعتَ ؟ قلتُ : قد والله فعلتُ ، ما كان منّي إليه من كبيرٍ ، وايْمُ اللهِ لأتَعَرَّضَنّ له ؛ فإنْ عاد لأكْفِيَنَّكُنَّه . قال : فغدوتُ في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديدٌ مُغضبٌ أُرى [أنّي] قد فاتني منه أمرٌ أحِبُّ أن أُدركه منه . قال : فدخلت المسجد فرأيته ، فوالله إنّي لأمشي نحوَه العِرَضْنةَ[3] ليعود لبعضِ ما كان فأُوقِعَ به . وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر ، إذ خرج نحو باب المسجد يشتدّ . قال : قلت في نفسي : ما لَه لَعَنه الله ؟ أكُلُّ هذا فَرَقاً منّي أنْ أُشاتمه ؟ فإذا هو قد سمِع ما لم أسمع ، صوتَ ضمضم بن

1 متابع للسيرة 608–609 .

2 ل : يا بني عبد مناف .

3 يمشي العرضنة : يمشي مشية فيها تحدٍّ ؛ وفي س : إني لأمشي نحوه أتعرضه .

عمرو الغِفاريّ وهو يصرخ ببطن الوادي [واقفاً على بعيره قد جَدَّع بعيره وحوّل رحله وشَقَّ قميصَه وهو يقول] : يا معشر قريش اللَّطيمةَ ! [اللطيمةَ !] أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أنْ تُدركوها ؛ الغَوْثَ الغوثَ ! قال : فشَغَلني عنه وشَغَله عنّي ما جاء من الأمر .

قال[1] : فتجهَّز الناسُ سِراعاً ، وقالوا : لا يَظُنَّ محمدٌ وأصحابه أن تكون كعِيرِ ابن الحَضْرَميّ ؛ كلاَّ والله ليَعْلَمُنّ غير ذلك ! فكانوا بين رجلين : إمّا خارج وإمّا باعث مكانه رجلاً .

[خروج قريش وإرسال أبي لهب العاصي بن هشام مكانه]

وأوعبتْ قريش فلم يتخلَّف من أشرافها أحدٌ إلاّ أبو لَهَبٍ بن عبد المطّلب تخلَّف فبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة ، وكان لَطَّ[2] له بأربعة آلاف درهمٍ كانت له عليه ، فأفلس بها ، فاستأجره بها على أن يُجزِىء عنه بَعْثَه ، فخرج عنه وتخلَّف أبو لهب . هكذا في الحديث . فذكر أبو عبيدة وابن الكلبيّ : أنّ أبا لهبٍ قامَر العاصي بن هشام في مائة من الإبل ، فقمَره أبو لهب ، ثم عاد فقمَره أيضاً ، ثم عاد فقمَره أيضاً الثالثة ، فذهب بكلّ ما كان يملكه . فقال له العاصي : أرى القِداح قد حالفتك يا ابن عبد المطّلب ، هَلُمَّ نجعلها على أيّنا يكون عبداً لصاحبه ؛ قال : ذلك لك ؛ فدَحاها فقمَره أبو لهب ، فأسلَمه قيناً ، وكان يأخذ منه ضريبةً . فلمّا كان يومُ بدرٍ وأخذتْ قريش كلَّ مَن لم يُخرج بإخراج رجلٍ مكانَه أخرجه أبو لهب عنه وشرَط له العِتق ؛ فخرج فقَتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

رجع الحديث إلى وقعة بدر[3]

[وبخ ابن أبي معيط أميّة بن خلف لإجماعه القعود]

قال محمد بن إسحاق : وحدّثني عبد الله بن أبي نَجيح : أنّ أُمَيَّة بن خَلَفٍ كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً [جليلاً جسيماً] ثقيلاً ، فجاءه عُقبة بن أبي مُعَيط وهو جالسٌ في المسجد بين ظَهْرانَيْ قومه بمِجْمَرةٍ يحملها ، فيها نارٌ ومِجْمَرٌ حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ، استَجْمِرْ فإنّما أنت من النساء ! قال : قَبّحك الله وقبّح ما جئتَ به ؛ ثم تجهّز وخرج مع الناس . فلمّا فرغوا من جَهازهم وأجمعوا السيرَ ، ذكروا ما [كان] بينهم

1 متابع للسيرة : 609-610 .

2 لط بالمال : ماطل .

3 متابع للسيرة : 610-612 .

5 ه كتاب الأغاني - ج4

وبين بني بكر بن عبد مَناةَ بن كِنانة من الحرب ، فقالوا : إنّا نخشى أن يأتُوا من خَلفِنا .

[تخوّف قريش من كنانة وتأمين إبليس لهم]

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزُّبير قال : لمّا أجمعتْ قريش المسيرَ ذكرتِ الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مَناةَ ، فكاد ذلك أن يُثَبِّطهم ، فتبدّى لهم إبليس في صورة سُراقة بن جُعْشُم المُدْلِجيّ ، وكان من أشراف بني كنانة ، فقال : إنّي جارٌ لكم من أن تأتيكم كِنانة [من خَلْفِكم] بشيءٍ تكرهونه ، فخرجوا سِراعا .

[خروج النبيّ وعدد جيشه والطريق التي سلكها]

وخرج رسول الله ﷺ ، فيما بَلَغني عن غير ابن إسحاق ، لثلاث ليالٍ خَلَوْن من شهر رمضان المعظَّم في ثلاثمائةٍ وبضعة عَشَرَ رجلاً من أصحابه . فاختُلِف في مبلغ الزيادة على العشرة ؛ فقال بعضُهم : كانوا ثلاثمائة وثلاثة عَشَرَ رجلاً . وكان المهاجرون يومَ بَدْرٍ سبعةً وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين وستّةً وثلاثين رجلاً ، وكان صاحبُ راية رسول الله ﷺ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان صاحبُ راية الأنصار سعد بن عُبادة .

حدّثنا محمد قال حدّثنا هارون بن إسحاق قال حدّثنا مصعب بن المِقدام ، قال أبو جعفر وحدّثني محمد بن إسحاق الأَهْوازيّ قال حدّثنا أبو أحمد الزُّبيريّ قال حدّثنا إسرائيل قال حدّثنا أبو إسحاق عن البراء قال : كنّا نتحدّث أنّ عِدّة أصحاب بَدْرٍ على عِدّة أصحاب طالوتَ الذين جازوا معه النهر ، ولم يَجُزْ معه إلاّ مؤمن ، ثلاثمائةٍ وبِضعةَ عشَرَ .

قال ابن إسحاق[1] في حديثه عمّن روى عنه : وخرج رسول الله ﷺ في أصحابه ، وجعل على السّاقة قيس بن أبي صعصعة أخا بني مازن بن النجّار ، في ليالٍ مضتْ من رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصَّفراء بعث بَسْبَسَ بن عمرو الجُهَنِيّ حليفَ بني ساعدة وعَدي بن أبي الزَّغباء حليفَ بني النجّار إلى بدر يتجسَّسان له الخبر عن أبي سفيان بن حربٍ وغيره ، ثم ارتحل رسول الله ﷺ وقدّمهما . فلمّا استقبل الصَّفراء ، وهي قريةٌ بين جبلين ، سأل عن جبلَيْها ما اسماهما ؟ فقيل : يقال لأحدهما هذا مُسْلِح ، وللآخر هذا مُخْرِىء ؛ وسأل عن أهلها فقالوا : بنو النّار ، وبنو حُراق (بطنان من غِفار) ؛ فكَرِههما رسولُ الله ﷺ والمرورَ بينهما ، وتفاءَل باسميهما وأسماء أهاليهما ، فتَرَكهما والصفراء يساراً ، وسلَكَ ذات اليمين على وادٍ يقال له ذَفِران فخرج منه ، حتى إذا كان ببعضه نَزَل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرَهم .

1 متابع للسيرة : 614–615 .

[استشارة النبيّ لأصحابه وتأييد الأنصار له]

فاستشار النبيّ ﷺ الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر فقال فأحسن ، ثم قام عمر فقال فأحسن ، ثم قام المِقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امضِ لِما أمرك الله فنحن معك ؛ والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذْهَبْ أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربُّك فقاتِلا إنّا معكما مُقاتلون مُعْلَمون . فوالذي بَعَثك بالحقِّ لو سرتَ بنا إلى بَرْكِ الغَماد ، يعني مدينةَ الحبشة ، لجالدنا معك مَنْ دونه حتى تَبْلُغَه . فقال رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير .

حدّثنا محمد قال حدّثنا محمد بن عبيد المحاربيّ قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى قال حدّثنا المُخارق عن طارق عن عبد الله بن مسعود قال : شَهِدْتُ من المقداد مشهداً لأَنْ أكونَ صاحبه أحَبُّ إليّ ممّا في الأرض من كلِّ شيء : كان رجلاً فارساً ، وكان رسولُ الله ﷺ إذا غضب احمارّتْ وَجنتاه ، فأتاه المِقداد على تلك الحال ، فقال : أَبْشِرْ يا رسول الله ، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهَبْ أنت وربُّك فقاتلا إنَّا هاهنا قاعدون ، ولكن والذي بَعَثك بالحقِّ لنكونن بين يديك ومِن خَلفك وعن يمينك وشِمالك أو يفتح الله تبارك وتعالى .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق

ثم قال رسول الله ﷺ : «أَشِيروا عليَّ أيُّها الناس» ، وإنّما يريد الأنصار ؛ وذلك أنّهم كانوا عَدَدَ الناس ، وأنّهم حين بايعوا بالعَقَبة قالوا : يا رسول الله إنا بُرآء من ذِمامَك حتى تصير إلى دارنا ، فإذا وصلتَ فأنت في ذِمامنا ، نَمْنَعُك ممّا نمنع منه أنفسَنا وأبناءنا ونساءنا . فكان رسولُ الله ﷺ يتخوّف ألاّ تكونَ الأنصارُ ترى عليها نُصرته إلاّ ممّن دَهِمَه بالمدينة من عَدُوّه ، وأنْ ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدوٍّ في غير بلادهم . فلمّا قال ذلك رسول الله ﷺ قال له سعد بن معاذ : والله لكأنّك تريدنا يا رسول الله . قال : «أجل» . قال : فقد آمنّا بك يا رسول الله وصدّقناك وشَهِدنا أنّ ما جئتَ به هو الحقُّ ، وأعطيناك على ذلك عهودَنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامضِ بنا يا رسول الله لِما أردت [فنحن معك] . فوالذي بعَثَك بالحقِّ لو استعرضتَ بنا هذا البحر وخُضْتَه لَخُضناه معك ما يتخلَّف منّا رجلٌ واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدوَّنا غداً . إنّا لَصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء ، لعلّ الله تعالى أن يُريك [منّا] ما تَقَرَّ به عينُك ؛ فسِرْ بنا على بركة الله . فسُرَّ رسول الله ﷺ [بقول سعد] ونَشَّطه ذلك ؛ ثم قال : «سِيرُوا على بركة الله وأَبْشِروا ؛ فإنّ الله قد وعَدَني إحدى

الطائفتين ، واللهِ لكأنّي أنظر إلى مصارع القوم» .

[نزول النبيّ قريباً من بدر]

ثم ارتحل رسول الله[1] ﷺ من ذَفِران ، وسَلَك على ثنايا يُقال لها الأَصافر ، ثم انحطّ منها على بلدٍ يقال له الدَّبَّة ، ثم ترك الحَنَّان بيمينٍ ، وهو كثيبٌ عظيم كالجبل ، ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه ، قال الطبريّ قال محمد بن إسحاق : حدّثني محمد بن يحيى بن حَبَّان ، حتى وقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ؛ فقال الشيخ : لا أُخبركما حتى تُخبراني ممّن أنتما . فقال له رسول الله ﷺ : «إذا أَخبرتَنا أخبرناك» . فقال : أَوَذاك بذاك ؟ فقال : «نعم» . قال الشيخ : فإنّه بلغني أنّ محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإنْ كان صَدَقني الذي أخبرني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به رسول الله ﷺ) . وبلغني أنّ قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدّثني صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا (للمكان الذي به قريش) . فلمّا فرغ من خبره قال : ممّن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : «نحن من ماء» ، ثم انصرف الشيخ عنه . قال يقول الشيخ : ما من ماء ؟ أمِنْ ماء العراق ؟ ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه .

[أرسل النبيّ نفراً إلى بدر يلتمسون الخبر]

فلمّا أمسى بعث عليَّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، والزُّبير بن العوّام ، وسعد بن أبي وقّاص في نَفَرٍ من أصحابه إلى بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه .

[قبض هؤلاء النفر على غلامين لقريش لمعرفة أخبارهم منهما]

قال محمد بن إسحاق[2] : حدّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير : فأصابوا راويةً لقريش فيها أَسْلَمُ غلام بني الحجّاج ، وعريض[3] أبو يسار غلام بني العاصي بن سعيد ، فأَتَوْا بهما رسول الله ﷺ وهو يصلّي . فسألوهما فقالا : نحن سُقاةٌ لقريش بعثونا نسقيهم من الماء . فكره القوم خبرهما ورجَوْا أن يكونا لأبي سفيان فضربوهما ، فلمّا أذلقوهما قالا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما . وركع رسول الله ﷺ وسجد سجدتين ثم سلَّم ، ثم قال : «إذا صَدَقاكم ضربتموهما ، فإذا كَذَباكم تركتموهما ، صَدَقا واللهِ إنّهما لقريش . أَخبِراني أين قريش» ؟ قالا : هم وراء [هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوة القُصوى و] الكثيب : العَقَنْقَل ، فقال لهما رسول الله ﷺ : «كَمِ القومُ» ؟ قالا : لا ندري . قال : «كَمْ يَنْحَرون كلَّ يوم» ؟ قالا : يوماً تِسْعاً

---

1 تابع للسيرة : 615–616 .

2 متابع للسيرة : 616 .

3 ل : وغريض .

ويوماً عَشْراً . فقال رسول الله ﷺ : «القوم ما بين التسعمائة والألف» . ثم قال لهما رسول الله ﷺ : «فمَنْ فيهم من أشراف قريش» ؟ قالا : عُتبة بن ربيعة ، وشَيْبة بن ربيعة ، وأبو البختريّ بن هشام ، وحكيمُ بن حِزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن عامر بن نوفل ، وطُعَيْمةُ بن عَدِيّ ، والنَّضْرُ بن الحارث ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأُميَّة بن خَلَفٍ ، ونُبَيْهُ ومُنَبِّه ابنا الحجّاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن وُدّ . فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال : «هذه مكّة قد رمتْ إليكم أفلاذَ كَبِدها» .

قال ابن إسحاق[1] : وقد كان بَسْبَسُ بن عمرو وعَدِيّ بن أبي الزَّغباء مَضَيا حتى نزلا بدراً فأناخا إلى تَلٍّ قريب من الماء ، ثم أخذا شَنّاً يستقيان فيه ، ومَجدِيُّ بن عمرو الجُهَنيّ على الماء ، فسمع عدِيٌّ وبَسْبَسٌ جاريتين من جواري الحاضر وهما تتلازمان على الماء ، والملزومة تقول لصاحبتها : إنّما تأتي العِيرُ غداً أو بعد غدٍ فأعمَلُ لهم ثم أُقضِيكِ الذي لك . قال مَجديٌّ : صدقتِ ، ثم خلَّص بينهما . وسَمِع ذلك عديٌّ وبَسْبَس فجلسا على بعيريهما ثم انطلقا حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخبراه بما سمِعا .

[قدم أبو سفيان إلى بدر متجسّساً ثم اتّجه بالعير نحو الساحل]

وأقبل أبو سفيان حتى[2] تقدّم العير حذراً حتى ورد الماء ، فقال لمجديّ بن عمرو : هل أحسستَ أحداً ؟ قال : ما رأيت أحداً أُنكره ، إلاّ أنّي رأيت راكبين أناخا إلى هذا التلّ ثم استقيا في شَنٍّ لهما ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان مُناخَهما فأخذ من أبعار بعيرَيهما ففَتَّه فإذا فيه النَّوى ، فقال : هذه والله علائفُ يَثْرِب . فرجع إلى أصحابه سريعاً فصَرَفَ وجهَ عِيرِه عن الطريق فساحَلَ[3] بها وترك بدراً يَساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

[رؤيا جهيم بن أبي الصلت]

وأقبلت قريش ، فلمّا نزلوا الجُحفة رأى جُهَيم بن أبي الصَّلت بن مَخرَمة بن عبد المُطَّلِب بن عبد مَنافٍ رُؤيا ، فقال : إنّي رأيت فيما يرى النائم ، وإنّي لَبَيْن النائم واليقظان إذْ نظرتُ إلى رجلٍ أقبلَ على فَرَسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له ثم قال : قُتِل عتبة بن ربيعة ، وشَيْبةُ بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأُميَّة بن خَلَفٍ ، وفلانٌ وفلان ، فعدّد رجالاً ممّن قُتِل يومئذٍ من أشراف قريش ، ورأيتُه ضرَب في لَبّة بعيره ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خِباءٌ من أخبية العسكر إلاّ أصابه نَضْحٌ من دمه . قال : فبلغتْ أبا جهل فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخَرُ من بني عبد المطّلب !

---

1 السيرة : 618-620 .

2 ل : حين .

3 ساحل : اتّجه نحو الساحل .

سيعلم غداً مَن المقتول إنْ نحن التقينا .

[نصح أبو سفيان بالرجوع فأبى أبو جهل]

ولمّا رأى أبو سفيان أنّه قد أحرز عِيرَه ، أرسل إلى قريش : إنّكم إنّما خرجتم لتمنعوا عِيرَكم ورحالكم وأموالكم فقد نَجّاها الله فارجِعوا . فقال أبو جهل : والله لا نرجع حتى نَرِدَ بدراً ، وكان بدرٌ مَوْسِماً من مواسم العرب تجتمع به ، لهم بها سُوقٌ كلَّ عام ، فنُقيم عليه ثلاثاً ، ونَنْحَرُ الجُزُرَ ونُطْعم الطعامَ ونسقي الخمور ، وتَعْزِف علينا القِيان ، وتسمَع بنا العربُ [بمسيرنا وجَمْعِنا] ، فلا يزالون يَهابُوننا أبداً ، فامْضُوا .

[رجوع بني زهرة]

فقال الأَخنس بن شَرِيق بن عمرو [بن وَهْب] الثَّقَفِيّ ، وكان حليفاً لبني زهرة ، وهم بالجُحفة : يا بني زهرة قد نَجَّى الله لكم عِيرَكم وخلَّص لكم صاحبكم مَخْرَمةَ بن نوفَلَ ، وإنّما نَفَرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَها وارجِعوا ؛ فإنّه لا حاجة بكم في أن تخرُجوا في غير ضيعةٍ لِما يقول هذا (يعني أبا جهل) ؛ فلم يَشْهَدْها زُهْرِيّ ، وكان فيهم مُطاعاً ، ولم يكن بَقِي من قريش بطنٌ إلاّ نَفَر منهم ناسٌ ، إلاّ بني عَدِيّ بن كعب لم يخرج منهم رجلٌ واحد . فرجعتْ بنو زهرة مع الأَخْنَس بن شَرِيق ، فلم يشهد بدراً من هاتين القبيلتين أحد . ومضى القوم .

[اتّهام قريش لبني هاشم]

وقد كان بين طالب بن أبي طالب ، وكان في القوم ، وبين بعض قريش محاورةٌ ؛ فقالوا : والله لقد عرفنا يا بني هاشم ، وإنْ خرجتم معنا ، أنّ هواكم [لمع] محمد ؛ فرجع طالبٌ إلى مكّة فيمن رجع . وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه قال فيما حُدّثتُ عنه : شَخَص طالبُ بن أبي طالب إلى بدرٍ مع المشركين ، أُخْرِج كَرْهاً ، فلم يوجَد في الأَسرى ولا في القَتلى ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ، وهو الذي يقول : [من الرجز]

يـا رَبِّ إمَّا يَغْزُوَنّ طالِبْ في مِقْنَبٍ من هـذه المَقانِبْ
فَلْيَكُنِ المسلوبَ غيرَ السالِبْ وليكُنِ المغلوبَ غيرَ الغالِبْ

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق[1]

[نزول قريش بالعدوة القصوى من الوادي]

قال : ومضت قريشٌ حتّى نزلوا بالعُدوةِ القصوى من الوادي خلفَ العَقنقَل . وبطنُ

1 السيرة : 620–621 .

الوادي ، وهو يَلْيَل ، بين بَدْرٍ وبين العقنقل : الكثيب الذي خَلْفَه قريشٌ . والقَلِيب ببدر من العُدْوة الدنيا من بطن يَلْيَل إلى المدينة . وبعث اللهُ عزّ وجلّ السماءَ ، وكان الوادي دَهْساً ، فأصاب رسول الله ﷺ [وأصحابه منها] ما لَبَّد لهم الأرضَ ولم يمنعهم المسيرَ ، وأصاب قريشاً منها ما لم يَقدِروا على أن يرتحِلوا معه . فخرج رسولُ الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بَدْرٍ فنزل به .

[مشورة الحباب بن المنذر على النبي]

قال ابن إسحاق : فحدّثني عشرة رجالٍ من بني سَلَمةَ ذكروا أنّ الحُبابَ بن المُنذِر بن الجَمُوح قال : يا رسول الله ، أرأيتَ هذا المنزلَ ، أمنزلٌ أنْزَلَكَهُ الله ليس لنا أن نتقدّمه ولا نتأخّر عنه ، أم هو الرأي والحربُ والمكيدة ؟ قال : «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» . فقال : يا رسول الله ، إنّ هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماءٍ من مياه القوم فتنزله ، ثم تُعَوِّرَ ما سواه من القُلُب ثم تبني عليه حوضاً فتملأه ماءً ، ثم نُقاتل القوم فنشرب ولا يشربوا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أشرتَ بالرأي» . فنهض رسول الله ﷺ ومَنْ معه من الناس حتى أتى أدنى ماءٍ من القوم فنزل عليه . ثم أُمِرَ بالقُلُب فعُوِّرَتْ وبَنَوا حوضاً على القَليب الذي نزل عليه فمُلِىء ماءً ثم قذفوا فيه الآنية .

[بناء عريش من جريد للنبيّ]

قال محمد بن إسحاق : فحدّثني محمد بن أبي بكر أنّ سعد بن مُعاذ قال : يا رسول الله ، نَبْني لك عَريشاً من جريدٍ فتكون فيه ونُعِدّ عندك ركائبَك ، ثم نَلقى عدوَّنا ؛ فإن نحن أعزّنا الله وأظهَرَنا على عدوّنا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأُخرى جلستَ على ركائبك فلَحِقتَ بمن وراءنا من قومنا ؛ فقد تخلَّف عنك أقوامٌ يا نبيّ الله ما نحن بأشدَّ حُبّاً لك منهم ، [ولو ظنّوا أنّك تلقى حرباً ما تخلَّفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يُناصحونك ويُجاهدون معك] . فأثنى [عليه] رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير .

[إقبال قريش ودعاء النبيّ عليها]

ثم بُنِي لرسول الله ﷺ عَريشٌ فكان فيه . وقد ارتحلت قريشٌ حين أصبحت وأقبلت . فلمّا رآها رسول الله ﷺ تَصَوَّبُ من العقنقل ، وهو الكثيب الذي منه جاؤوا ، إلى الوادي قال : «اللهمّ هذي قريشٌ قد أقبلت بُخَيلائها وفَخْرها تُحادُّكَ وتكذِّب رسولَك . اللهمّ فنَصْرَكَ الذي وعدتَني . اللّهمّ فأَحِنْهُمُ الغداة» . وقد قال رسول الله ﷺ ورأى عُتبة بن ربيعة في القوم على جمل له أحمر : «إنْ يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند صاحب الجمل الأحمر إنْ يُطيعوه يرشُدوا» .

[عرض خفاف بن إيماء معونته على قريش]

وقد كان خُفافَ [بن إيماء] بن رَحَضة الغِفاريّ ، أو أبوه أَيْما بن رَحَضة ، بعث إلى قريش حين مَرُّوا به ابناً له بجزائر أهداها لهم وقال لهم : إنْ أحببتم أن نُمِدّكم بسلاحٍ ورجالٍ فعلنا . فأرسلوا [إليه] مع ابنه : أنْ وَصَلَتْك رحِمٌ ! فقد قضيتَ الذي عليك . فلَعَمْرِي لئن كنّا إنّما نُقاتل الناسَ فما بنا ضعفٌ [عنهم] ، ولئن كنّا نقاتل الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة . فلمّا نزل الناس أقبل نفرٌ من قريش حتى وردوا الحوض حوض رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : «دَعُوهم» . فما شَرِب منهم رجلٌ إلاّ قُتِل يومئذٍ ، إلاّ ما كان من حَكيم بن حزامٍ فإنّه لم يُقتل ، نجا على فرس له يقال له الوَجِيه ، وأسلمَ بعد ذلك فحَسُنَ إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد [في] يمينه قال : والذي نجّاني من يوم بَدْرٍ .

[بعثت قريش عمير بن وهب متجسّساً فأخبرهم بما روّعهم]

قال محمد بن إسحاق[1] : وحدّثني أبي إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم عن أشياخ من الأنصار قالوا : لمّا اطمأنّ القوم بعثوا عُمَير بن وهبٍ الجُمَحيّ فقالوا : احزُرْ لنا أصحاب محمد ؛ فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم ، فقال : ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو ينقُصونه ، ولكن أَمْهِلوني حتى أنظر : أَلِلقَوم كمينٌ أو مددٌ . قال : فضرب في الوادي حتى أمعن ، فلم يرَ شيئاً ، فرجع فقال : لم أَرَ شيئاً ، ولكن قد رأيت يا معشر قريش الوَلايا تحمِل المَنايا ! نواضِحَ يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قومٌ ليس لهم منعةٌ ولا ملجأ إلاّ سيوفهم . والله ما أُرَى أن يُقتَلَ رجلٌ منهم حتى يقتلَ رجلاً منكم ! فإذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رأيَكم . فلمّا سمع حكيم بن حِزامٍ ذلك مشى في الناس فأتى عتبة بن ربيعة وقال : يا أبا الوليد ، إنّك كبيرُ قريش الليلة وسيِّدُها والمطاع فيها ، هل لك إلى أمرٍ لا تزال تُذكَرُ منه بخير إلى آخر الدهر ؟ قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : تَرجع بالناس وتَحمِل دَمَ حليفِك عمرو بن الحضرميّ . قال : قد فعلتُ ، أنت على ذلك شهيدٌ ، إنّما هو حليفي فعليّ عقلُه وما أُصيبَ من ماله ؛ فَأْتِ ابنَ الحَنْظَلِيَّةَ فإنّي لا أخشى أن يَسْحَر الناسَ غيرُه (يعني أبا جهل بن هشام) .

[حكيم بن حزام يقص حديث بدر لمروان بن الحكم]

حدّثنا محمد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا غمامة بن عمرو السَّهميّ قال حدّثنا مُسَوَّر بن عبد الملك اليربوعيّ عن أبيه عن سعيد بن المسيّب قال : بينا نحن عند مروان بن الحَكَم إذ دخل عليه حاجبه فقال : هذا أبو خالدٍ حكيمُ بن حزام . قال : إيذَنْ له . فلمّا

1 السيرة : 622 .

دخل حكيم بن حزام ، قال : مرحباً بك يا أبا خالد ، ادْنُ ؛ فحال له مروان عن صدر المجلس حتى كان بينه وبين الوسادة ، ثم استقبله مروان فقال : حدِّثنا حديث بَدْرٍ . قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رجعتْ قبيلةٌ من قبائل قريش بأسرها ، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدراً ؛ ثم خرجنا حتى نزلنا العُدْوةَ التي قال الله عزّ وجلّ ؛ فجئت عُتبة بن ربيعة فقلت : يا أبا الوليد ، هل لك أن تذهب بشَرَفِ هذا اليوم ما بقيتَ ؟ قال : أفعلُ ماذا ؟ قال : قلتُ : إنّكم لا تطلبون من محمد إلاَّ دَمَ واحدٍ : (ابن الحضرميّ) وهو حليفك ، فتَحَمَّل دِيَتَه فيرجع الناس . قال : أنت وذاك ، وأنا أتحمَّل دِيَتَه ، فاذهبْ إلى ابن الحَنْظَلِيَّة (يعني أبا جهل) فقل له : هل لك أن ترجع اليومَ بمن معك عن ابن عمّك ؟ فجئتُه فإذا هو في جماعةٍ من بين يديه ومن ورائه ، فإذا ابن الحضرميّ واقفٌ على رأسه وهو يقول : قد فسختُ عَقدي من بني عبد شمس ، وعقدي إلى بني مخزوم . فقلت له : يقول لك عُتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمِّك بمن معك ؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ؟ قلتُ : لا ، ولم أكن لأكونَ رسولاً لغيره . قال حكيم : فخرج مُبادِراً إلى عتبة وخرجتُ معه لئلاّ يفوتَني من الخبر شيء ، وعُتبة يتّكيء على إيماء بن رَحَضَة الغِفاريّ ، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر ، فطلع أبو جهل والشرُّ في وجهه ، فقال لعُتبة : انتفخ سَحْرُك ! فقال عُتبة : فستعلم . فسَلَّ أبو جهل سيفَه فضرب به متنَ فرسه ؛ فقال إيماء بن رحَضةَ : بئس المُقام هذا ؛ فعند ذلك قامت الحرب .

رجع الحديث إلى ابن إسحاق[1]

[نصح عتبة بالرجوع فأبى أبو جهل]

ثم قام عُتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشَر قريش ، والله ما تصنعون بأن تَلْقَوا محمداً وأصحابه شيئاً ! والله لئن أصبتموه ، لا يزال الرجلُ منكم ينظر في وجه رجلٍ يكره النظر إليه ، رجلٍ قَتَلَ ابن عمِّه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ، فارجِعوا وخَلُّوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذلك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تَعدَموا منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقتُ حتى جئت أبا جهل ، فوجدتُه قد نَثَل دِرعاً له من جِرابها وهو يُهَيِّئها ؛ فقلت له : يا أبا الحكم ، إنّ عُتبة أرسلني إليك بكذا وكذا (الذي قال) ؛ فقال : انتفخ والله سَحْرُه حين رأى محمداً وأصحابه . كلاّ والله ! لا مَرجِعَ حتّى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ؛ وما بِعُتْبة ما قال ، ولكنّه قد رأى أنّ

1 السيرة : 623 .

محمداً وأصحابه أكلَةُ جَزُورٍ ، وفيهم ابنُه قد تَخَوَّفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرميّ فقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيتَ ثَأْرَك بعينك ، فقُمْ فانْشُد خُفرَتَك[1] ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرميّ فاكتشف[2] ثم صرخ : واعَمْراه ! واعَمْراه ! فحَمِيَتِ الحرب ، وحَقِب[3] أمر الناس ، واستوسقوا على ما هم عليه من الشرِّ ، وأُفسِد على الناس الرَّأي الذي دعاهم إليه عُتبة بن ربيعة . ولمّا بلغ عتبة قول أبي جهل : «انتفخ سَحْرُه» قال : سيعلم مُصَفّر الاسْتِ مَن انتفخ سَحْرُه : أنا أم هو ؟ ثم التمس عتبة بيضةً ليُدخِلها في رأسه فلم يجد في الجيش بيضةً تسَعُه من عِظم هامته ؛ فلمّا رأى ذلك اعتجَرَ على رأسه ببُردٍ له .

[أقسم الأسود بن عبد الأسد ليشربن من حوض المسلمين فقتل]

وقد خرج الأسود[4] بن عبد الأسد المخزوميّ ، وكان رجلاً شرساً سيّىء الخُلق ، فقال : أُعاهد الله لأشربنَّ من حوضهم أو لأهدِمَنَّه أو لأموتنّ دونه . فلمّا خرج خرج له حمزة بن عبد المطّلب ، فلمّا التقيا ضربه حمزة فأبان قَدَمَه بنصف ساقه وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تَشْخَبُ رجلُه دماً نحو أصحابه ، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه يريد أن يُبِرَّ يمينه ، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

[طلب عتبة بن ربيعة وابنه وأخوه المبارزة فندب لهم النبيّ من قتلهم]

ثم خرج بعده عُتبة بن ربيعة بين أخيه شَيْبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا نَصَل[5] من الصفِّ دعا إلى المبارزة ، فخرج إليه فِتية من الأنصار ثلاثة نفرٍ ، وهم : عوف ومُعَوِّذ ابنا الحارث ، وأمُّهما عفراء ، ورجلٌ آخر يقال : هو عبد الله بن رواحة ؛ فقالوا : مَن أنتم ؟ قالوا : رهطٌ من الأنصار . قالوا : ما لنا بكم حاجة . ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرِج إلينا أكفاءَنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : «قُم يا حمزة بن عبد المطلب ، قُم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا عليّ بن أبي طالب» . فلمّا قاموا ودَنَوا منهم ، قالوا : مَن أنتم ؟ فقال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال عليٌّ : عليّ . قالوا : نعم أكفاءٌ كِرامٌ . فبارز عبيدة بن الحارث ، وكان أسنَّ القوم ، عتبة بن ربيعة ؛ وبارز حمزةُ

1 ل : حقوقك .
2 ل : فاكتنف .
3 ل : وخفت .
4 السيرة : 624 .
5 ل : فصل .

شيبةَ بن ربيعة ؛ وبارز عليٌّ الوليدَ بن عتبة . فأمّا حمزة فلم يُمْهِل شيبة أنْ قتله . وأمّا عليٌّ فلم يُمهل الوليد بن عتبة أنْ قتله . واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين كلاهما أثبت[1] صاحبه ؛ فكرَّ حمزة وعليٌّ على عتبة بأسيافهما فذفَّفا[2] عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة ، فجاءا به إلى أصحابه وقد قُطِعتْ رِجله ومُخُّه يسيل . فلمّا أتَوا بعبيدة إلى رسول الله ﷺ قال : ألستُ شهيداً يا رسول الله ؟ قال «بلى» . فقال عبيدة . لو كان أبو طالب حيّاً لعلِم أنّي بما قال أحقُّ منه حيث يقول : [من الطويل]

ونُسْلِمُه حتى نُصَرَّعَ حولَه ونَذْهَلَ عن أبنائنا والحَلائِلِ

قال محمد بن إسحاق[3] : وحدّثني عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ عُتبة بن ربيعة قال للفِتية من الأنصار حين انتسبوا له : أكفاءٌ كرامٌ ، إنّما نُريد قومنا . ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله ﷺ [أصحابه] ألاّ يحمِلوا حتى يأمرهم ، وقال : «إنِ اكتنفكم القوم فانضحوهم عنكم بالنَّبْل» ، ورسول الله ﷺ في العريش معه أبو بكر .

وكانت وقعة بدرٍ يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، قال ابن إسحاق : كما حدّثني أبو جعفر محمد بن عليّ بن الحسين .

[تعديل النبي لصفوف أصحابه وقصّة سواد بن غزيّة]

قال محمد بن جرير وحدّثنا ابن حميد[4] قال حدّثنا سلَمة قال قال لي محمد بن إسحاق حدّثني حبّان بن واسع بن حبّان عن أشياخٍ من قومه : أنّ رسول الله ﷺ عدّل صفوفَ أصحابه يوم بدرٍ ، وفي يده قدحٌ يُعَدِّل به القوم ، فمرّ بسَواد بن غَزِيّةَ حليف بني عديّ بن النجّار وهو مُسْتَنٍّلٌ من الصفّ ، فطعن رسول الله ﷺ في بطنه بالقِدح ، ثم قال : «اسْتَوِ يا سواد بن غزيّة» . فقال : يا رسول الله ، أوجعتَني ؛ وقد بعثك الله بالحقِّ ، فأَقِدْني . قال : فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال : «اسْتَقِدْ» ؛ فاعتنقه وقبَّل بطنه . فقال : ما حَمَلك على هذا يا سَواد» ؟ فقال : يا رسول الله ، حضر ما ترى ، فلم آمَنِ الموت ، فأردتُ أن يكون آخر العهد بك أن يَمَسَّ جِلدي جلدَك ؛ فدعا له رسول الله ﷺ بخير وقال له خيراً . ثم عدّل رسول الله ﷺ الصفوف ، ورجع إلى العريش ودخله ومعه أبو بكر ليس معه غيره ، ورسول الله ﷺ يُناشد ربَّه ما وعده من النصر ، ويقول فيما يقول : «اللهمّ إنْ تَهْلِكْ هذه العِصابة

1 أثبته : أثخنه جراحاً .

2 ذفف على الجريح : أجهز عليه .

3 السيرة : 625 .

4 ل : ابن أحمد ، وهو خطأ .

اليوم ، يعني المسلمين ، لا تُعبَد بعد اليوم» ، وأبو بكر يقول : يا نبيَّ الله خَلِّ بعض مُناشدتك ربَّك ؛ فإنّ اللهَ مُنجزٌ لك ما وعدك .

[دعاء النبيّ يوم بدر]

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا محمد بن عبيد المُحاربيّ قال حدّثنا عبد الله بن المبارك عن عِكرمة بن عمّار قال حدّثني سِماكٌ الحَنَفيّ قال سمعتُ ابن عبّاس يقول : حدّثني عمر بن الخطّاب قال : لمّا كان يوم بدر ونظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وعِدتِهم وإلى أصحابه وهم نَيِّفٌ على ثلاثمائة ، استقبل الكعبة وجعل يدعو ويقول : «اللّهمّ أَنجِزْ لي ما وعدتَني . اللّهمّ إن تَهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبَد في الأرض» ، فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤُه ؛ فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه فقال : كفاك يا نبيَّ الله ، بأبي أنت وأُمّي ، مناشدتك لربّك ، سيُنجِزُ لك ما وعدك . فأنزل الله تعالى : ﴿إذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ المَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ .

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن وكيع قال حدّثنا الثَّقَفيّ (يعني عبد الوهّاب) عن خالد عن عِكرمة عن ابن عبّاس : أنّ النبيّ ﷺ قال وهو في قُبَّتِه يومَ بدرٍ «اللّهمَّ أسألُك عهدَك ووَعدك . اللّهمّ إن شئتَ لم تُعبَد بعد اليوم» . قال : فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبُك يا نبيّ الله ، فقد ألححتَ على ربِّك ، وهو في الدِّرع ؛ فخرج وهو يقول : ﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ والسَّاعةُ أَدْهى وأَمَرُّ﴾ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق[1]

[أخذت النبي سنة ثم انتبه مبشّراً بالنصر ومحرّضاً على القتال]

قال : وقد خَفَق رسول الله ﷺ خَفْقةً وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : «يا أبا بكر أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخِذٌ بعِنان فَرَسه يقوده وعلى ثناياه النَّقْع» . قال وقد رُمِي مِهجَعٌ مولى عُمَر بن الخطّاب بسهمٍ فقُتِل ، فكان أوّلَ قتيلٍ من المسلمين . ثم رُمي حارثة بن سُراقة أحدُ بني عَدِيّ بن النجّار وهو يشرب من الحوض بسهمٍ فأصاب نَحرَه فقُتِل . ثم خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرّضهم ونَفَّل كلَّ امرئٍ ما أصاب ، وقال : «والذي نَفْسي بيده لا يُقاتلهم اليوم رجلاً فيُقتَل صابراً مُحتسِباً مُقبِلاً غير مُدبرٍ إلاّ أدخله اللهُ الجنّة» .

1 السيرة : 627 وما بعدها .

[استهانة أصحاب النبي بالموت]

فقال عمير بن الحُمام أخو بني سلمة في يده تَمَراتٌ يأكلها : بَخٍ بخ ! أما بيني وبين أن أدخلَ الجنَّة إلاّ أن يقتلَني هؤلاء ! قال : ثم قَذَف التَّمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِل ، وهو يقول : [من الرجز]

رَكْضاً إلى اللهِ بغيـر زادِ إلاّ التُّقـى وعَمَـلَ المَعـادِ
والصَّبْرَ في اللهِ على الجِهادِ وكلُّ زادٍ عُرْضـةُ النَّفـادِ
غيرَ التُّقَـى والبِرِّ والرَّشادِ

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قَتادة : أنّ عَوفَ بن الحارث ، وهو ابن عَفراء ، قال : يا رسول الله ، ما يُضحك الربَّ من عبده ؟ قال : «غَمْسُه يَدَه في العدوِّ حاسراً» ؛ فنزع دِرعاً كانت عليه فقَذَفها ، ثم أخذ سيفَه فقاتل القومَ حتى قُتِل .

[التقاء الفريقين وهزيمة المشركين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق قال وحدّثني محمد بن مسلم الزُّهريّ عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذريّ حليفِ بني زُهرة قال : لمّا التقى الناس ودنا بعضُهم من بعضٍ ، قال أبو جهل : اللّهمّ أقطَعُنا للرَّحِمِ وآتانا بما لا يُعرَف فأَحِنْهُ الغداة ؛ فكان هو المُستَفْتِحَ على نفسه . ثم إنّ رسول الله ﷺ أخذ حفنةً من الحصباء واستقبل بها قريشاً ، ثم قال : «شاهتِ الوجوه» ثم نَفَحهم بها ، وقال لأصحابه : «شُدُّوا» ؛ فكانتِ الهزيمة ، فقتَل اللهُ مَن قَتَل من صناديد قريش ، وأَسَرَ مَن أَسَر منهم . فلمّا وضع القومُ أيديَهم يأسِرون ، ورسولُ الله ﷺ في العريش ، وسعدُ بن معاذ قائمٌ على باب العريش الذي فيه رسول الله ﷺ مُتَوَشِّحاً بالسيف في نَفَرٍ من الأنصار ، يحرسون رسول الله ﷺ ، يخافون عليه كَرّةَ العَدوّ ، رأى رسول الله ﷺ ، فيما ذُكِر لي ، في وجه سعد بن مُعاذ الكراهة فيما يصنع الناس ؛ فقال له : «كأنّك كَرِهْتَ ما يصنَع الناس» ! قال : أجَلْ يا رسول الله ! كانت أوّلَ وَقعةٍ أوقعها الله عزّ وجلّ بأهل الشِّرك ؛ فكان الإثخان في القتل أعجبَ إليّ من استبقاء الرجال .

[نهى النبيّ عن قتل جماعة أخرجوا كارهين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة عن محمد بن إسحاق قال ، وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عبّاس[1] : أنّ رسول الله ﷺ قال لأصحابه

1 السيرة : 629 .

يومئذٍ : «إنّي قد عرفتُ أنّ رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أُخرِجوا كَرْهاً لا حاجةَ لهم بقتالنا ؛ فمَن لَقِي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتُلْه ، ومَن لَقِيَ أبا البَخْتَريّ [ابن هشام] بن الحارث فلا يقتُله ومن لقي العبّاس بن عبد المطّلب ، عمّ رسول الله ﷺ ، فلا يقتله ، فإنّما خرج مُستكرَهاً» . قال : فقال أبو حُذيفة بن عتبة بن ربيعة : أيُقتَل آباؤنا وأبناؤنا وإخوانُنا وعشيرتُنا ونترك العبّاس ! والله لئن لقيتُه لأُلجِمَنَّه السيف ! فبلغتْ رسول الله ﷺ ، فجعل يقول لعمر بن الخطّاب : «يا أبا حَفص أما تسمع إلى قول أبي حذيفة يقول أضرِب وجهَ عمّ رسول الله ﷺ ، بالسيف» . فقال عمر : يا رسول الله ، دَعني فَلأَضْرِبنَّ عُنُقه بالسيف ، فوالله لقد نافقَ . قال عمر : والله إنّه لأوّلُ يومٍ كَناني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . قال : فكان أبو حُذَيفة يقول : ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلتُ يومئذٍ ولا أزالُ منها خائفاً إلاّ أن تُكَفِّرها عنّي الشهادة ؛ فقُتل يوم اليمامة [شهيداً] .

[سبب نهي النبي عن قتل أبي البختري]

قال : وإنّما نهى رسول الله ﷺ عن قتل أبي البختريّ ، لأنّه كان أكفَّ القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمكّة ، كان لا يُؤْذيه ولا يبلُغه عنه بمكّة شيءٌ يكرهه ، وكان ممّن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطّلب . فلقيه المُجَذَّر بن ذِياد البَلَويّ حليفُ الأنصار من بني عَدِيّ ، فقال المجذَّر بن ذياد لأبي البختريّ : إنّ رسول الله ﷺ قد نهى عن قتلك ، ومعِ أبي البختريّ زميلٌ له خرج معه من مكّة ، وهو جُنادة بن مليحة بن زهير بن الحارث بن أسَد ، وجُنادة رجلٌ من بني ليث . واسم أبي البختري العاصي بن هشام بن الحارث بن أسد ، قال : وزميلي ؟ فقال المجذَّر : لا والله ما نحن بتاركي زميلك ؛ ما أمرنا رسول الله ﷺ إلاّ بك وحدك . قال : والله إذاً لأموتنّ أنا وهو جميعاً ! لا تتحدّث عنّي نساء قريش بين أهل مكّة أنّي تركتُ زميلي حرصاً على الحياة . فقال أبو البختريّ حين نازله المجذَّر وأبَى إلاّ القتال وهو يرتجز : [من الرجز]

لن يُسْلِمَ ابنُ حُرَّةٍ أكِيلَه حتّى يموتَ أو يرى سبيلَه

فاقتتلا ، فقتله المجذَّر بن ذِياد . ثم أتى المجذَّر بن ذِياد رسول الله ﷺ فقال : والذي بعثك بالحقّ ، لقد جَهِدتُ عليه أن يستأسِرَ فآتيك به ، فأبى إلاّ القتالَ ، فقاتلتُه فقتلته .

[عبد الرحمن بن عوف وأميّة بن خلف]

قال محمد بن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه ، قال : وحدّثنيه أيضاً عبد الله بن أبي بكر وغيرهما عن عبد الرحمن بن عوف قال[1] : كان أميّة بن خَلَف لي صديقاً

1 السيرة : 631 .

بمكّة . قال : وكان اسمي عبدَ عمروٍ ، فسُمِّيت حين أسلمتُ عبدَ الرحمن ونحن بمكّة . قال : وكان يلقاني بمكّة فيقول : يا عبد عمرو ، أَرَغِبتَ عن اسمٍ سمّاك به أبواك ؟ فأقول نعم ؛ فيقول : فإنّي لا أعرف الرحمن ، فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ، أمّا أنت فلا تُجيبني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : يا عبدَ عمرو ، لم أجبه . فقلت : اجعَلْ بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت . قال : فأنت عبد الإله . فقلت نعم . قال : فكنتُ إذا مررتُ به قال : يا عبد الإله فأُجيبه فأتحدّث معه . حتى إذا كان يوم بَدرٍ ، مررتُ به وهو واقفٌ مع عليٍّ ابنه آخذاً بيده ، ومعي أدراعٌ قد سلبتُها وأنا أحملها . فلمّا رآني قال : يا عبد عمرو ، فلم أُجبه . فقال : يا عبد الإله ، قلت نعم . قال : هل لك فيّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع ؟ قلت : نعم ، هَلُمَّ إذاً . فطرحتُ الأدراعَ من يدي وأخذتُ بيده وبيد ابنه عليٍّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كاليوم قطُّ ، أما لكم حاجةٌ في اللبن ؟ ثم خرجتُ أمشي بينهما .

[مقتل أميّة بن خلف وابنه]

قال ابن إسحاق : وحدّثني عبد الواحد بن أبي عون عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف قال : قال لي أُميّة بن خَلَفٍ وأنا بينه وبين ابنه آخذ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجلُ المُعْلَمُ منكم بريش نَعامةٍ في صدره ؟ قال قلت : ذلك حمزةُ بن عبد المطّلب . قال : ذلك الذي فَعَل بنا الأفاعيل . قال عبد الرحمن : فوالله إنّي لأقودهما إذ رآه بِلالٌ معي ، وكان هو الذي يعذِّب بِلالاً بمكّة على أن يترك الإسلام ، فيُخرجه إلى رَمضاءِ مكّة إذا حَمِيتْ فيُضْجِعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتُوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزالُ هكذا حتى تفارقَ دينَ محمد ؛ فيقول بِلالٌ : أَحَدٌ أَحَدٌ ، فقال بلالٌ حين رآه : رأسُ الكُفر أُميَّةُ بن خَلَفٍ ، لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قال : قلت : أيْ بلال ، أبأسِيرَيّ ؟ قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! قلت : أيْ بلالُ ، أبأسيرَيّ تُسَمِّعُ يا ابن السوداء ! قال : لا نجوتُ إن نَجَوَا ! ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأسُ الكفر أُميّة بن خلف ، لا نجوتُ إن نَجَوَا . قال : فأحاطوا بنا حتى جعلونا في مثل المَسكَة وأنا أذُبُّ عنه . قال : فأخلفَ رجلٌ السيفَ فضرَب رِجْلَ ابنِه فوقع ، وصاح أُميّة صيحةً ما سمعت بمثلها قطُّ . قال قلت : انْجُ بنفسك ولا نَجاءَ ! فوالله ما أُغْني عنك شيئاً . قال : فهَبَروهما بأسيافهم حتى فرغوا منهما . قال : فكان عبد الرحمن يقول : رَحِم اللهُ بلالاً ؛ ذَهَب بأدراعي وفَجَعني بأسيريّ .

[قتال الملائكة في غزوة بدر]

قال ابن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر أنّه حدّث عن ابن عبّاس قال حدّثني رجلٌ

من بني غِفار[1] قال : أقبلتُ أنا وابن عمٍّ لي حتى أصعدنا في جبلٍ يُشْرِفُ بنا على بدر ، ونحن مشركان ننتظر الوقعة على مَن تكون الدَّبْرة ؛ فنَنْهَب مع من يَنهَب . فبينا نحن في الجبل إذ دنتْ منّا سحابةٌ ، فسمِعنا فيها حَمحَمة الخيل ، وسمعتُ قائلاً يقول : أَقْدِمْ حَيزُومُ . قال : فأمّا ابن عمّي فانكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه . وأمّا أنا فكدتُ أهلِك ، ثم تماسكتُ .

قال محمد بن إسحاق حدّثني أبي إسحاق بن يسارٍ عن رجالٍ من بني مازِن بن النجّار عن أبي داود المازنيّ ، وكان شَهِد بدراً ، قال[2] : إنّي لأتْبَعُ رجلاً من المشركين يوم بدرٍ لأضربه ، إذ وقَعَ رأسُه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعلمتُ أنّه قد قتَله غيري .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن الحكم المِصريّ قال حدّثنا يحيى بن بُكَيْر قال حدّثني محمد بن إسحاق عن العَلاء بن كَثِير عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مَخْرَمة عن أبي أمامةَ بن سَهل بن حُنيف قال : قال لي أبي : يا بُنيّ ، لقد رأيتنا يومَ بدرٍ وإنّ أحدنا لَيُشِيرُ إلى المُشرِكِ بسيفه فيقَع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف .

[لباس الملائكة يوم بدر وحنين]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُمَيْدٍ قال حدّثنا سلمة عن محمد قال ، وحدّثني الحسن بن عُمارَّة قال أخبرنا سلَمة عن الحَكَم بن عُتَيْبة[3] عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن عبّاس قال[4] : كانت سِيما الملائكة يوم بدرٍ عمائم بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويوم حُنين عمائم حُمراً ، ولم تُقاتل الملائكة في يومٍ من الأيّام سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيما سواه من الأيّام مَدَداً وعَدَداً ولا يضرِبون .

[مقتل أبي جهل بن هشام]

حدّثنا محمد قال حدّثنا ابن حُميد قال حدّثنا سلَمة قال ، قال محمد وحدّثني ثور بن زيد مولى بني الدِّيل عن عِكرمة مولى ابن عبّاس عن ابن عبّاس ، قال وحدّثني عبد الله بن أبي بكر ، قالا : كان معاذ بن عمرو بن الجَموح أخو بني سلمة يقول[5] : لمّا فرغ رسول الله ﷺ من غزوة بدر أمر بأبي جهل أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقال : «اللهمّ لا يُعجِزنَّك» . وكان أوّل مَن لقِي أبا

1 السيرة : 633 .
2 السيرة : 633 .
3 ل : عيينة .
4 السيرة : 633 .
5 السيرة : 634–636 .

جهل مُعاذ بن عمرو بن الجَموح ، قال : سمعتُ القوم ، وأبو جهل في مثل الحَرَجة ، وهم يقولون : أبو الحَكَم لا يُخلَصُ إليه . فلمّا سمعتها جعلتُها من شأني ، فعَمَدتُ نحوه ، فلمّا أمكنني حملتُ عليه ، فضربته ضربةً أطَنَّت[1] قدمَه بنصف ساقه ، فوالله ما شبَّهتها حين طاحت إلاّ كالنواة تَطِيح من تحت مِرضخة[2] النَّوى حين يُضرب بها . قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي ، فتعلَّقت بجلدةٍ من جنبي ، وأجهضني القتال عنها ؛ فلقد قاتلتُ عامّة يومي وإنّي لأسحَبُها خلفي ، فلمّا آذتني جعلتُ عليها رجلي ثم تمطَّيتُ بها حتى طرحتها . قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك حتى كان في زمن عثمان بن عفّان .

قال : ثم مرّ بأبي جهلٍ ، وهو عَقيرٌ[3] ، مُعَوِّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبته ، فتركه وبه رمقٌ ، وقاتل معوِّذ حتى قُتِل . فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله ﷺ أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقال لهم رسول الله ﷺ فيما بلغني : «انظُروا إنْ خَفي عليكم في القَتْلى إلى أثر جُرح بركبته ؛ فإنّي ازدحمتُ أنا وهو يوماً على مأدُبةٍ لعبد الله بن جُدعان ونحن غلامان وكنت أشَبَّ ، أو أشَفَّ ، منه بيسير ، فدفعته فوقع على ركبتيه فخُدِش في إحداهما خَدشاً لم يزل أثره فيها بعدُ» . فقال عبد الله بن مسعود : فوجدتُه بآخر رَمَقٍ فعرفتُه ، فوضعتُ رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَثَ[4] بي مرّةً بمكّة فآذاني ولَكَزني ، ثم قلت : هل أخزاك الله يا عدوّ الله ؟ قال : وبماذا أخزاني ! أعْمَدُ[5] من رجلٍ قتلتموه !؟ لمن الدَّبرة اليوم ؟ قال : قلت : لله ولرسوله ﷺ .

حدّثنا محمد بن جرير قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلَمة عن محمد قال[6] : زعم رجالٌ من بني مخزومٍ أنّ ابن مسعود كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيتَ يا رُوَيْعِيَ الغنم مُرتَقًى صعباً ؛ ثم احتززتُ رأسه ، ثم جئتُ به رسول الله ﷺ ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله أبي جهل . فقال رسول الله ﷺ : «آللهِ الذي لا إله غيرُه» ! ، وكانت يمين رسول الله ﷺ ، قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسَه بين يَدَي رسول الله ﷺ ؛ قال : فحَمِد اللهَ .

---

1 أطنت : قطعت .

2 مرضخة النوى : حجر يكسر به النوى .

3 عقير : جريح .

4 ضبث بالشيء : قبض عليه بكفّه .

5 أعمد : أعجب .

6 السيرة : 636 .

[تكليم النبي أصحاب القليب بعد موتهم]

قال محمد بن إسحاق وحدّثني يزيد بن رُومان عن عروة بن الزُّبير عن عائشة قالت[1] : لمّا أمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يُطرَحوا في القَليب طُرِحوا فيها إلاّ ما كان من أميّة بن خلفٍ ، فإنّه انتفخ في دِرعه فملأها ؛ فذهبوا به ليخرجوه فتَزايل ، فأقرّوه وألقوا عليه ما غيّبه من التراب والحجارة . فلمّا ألْقَوْهم في القَليب ، وقف رسول الله ﷺ فقال : «يا أهل القَليب هل وجدتُم ما وعدكم ربُّكم حقّاً فإنّي وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً» . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، أتكلّم قوماً موتى ؟ قال : «لقد علِموا أنَّ ما وعدهم ربُّهم حقٌّ» . قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمِعوا ما قلتُ لهم» ، وإنّما قال رسول الله ﷺ : «لقد عَلِموا» .

قال ابن سحاق وحدّثني حميد الطويل عن أَنَس بن مالك قال : لمّا سمع أصحاب رسول الله ﷺ رسول الله ﷺ وهو يقول من جَوف الليل : «يا أهل القليب يا عُتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام ، فعدّد مَن كان منهم في القليب ، هل وجدتم ما وعدَكم ربُّكم حقّاً فإنِّي قد وجدتُ ما وعدني ربِّي حقّاً» قال المسلمون : يا رسول الله ، أتُنادي قوماً قد جَيَّفوا ! فقال : «ما أنتم بأَسْمَعَ لِما أقول منهم ، ولكنّهم لا يستطيعون أن يُجيبوني» .

قال محمد بن إسحاق وحدّثني بعض أهل العلم : أنَّ رسول الله ﷺ يوم قال هذه المقالة قال : «يا أهل القَليب بئس عشيرة النبيّ كنتم لنبيِّكم ؛ كذَّبتموني وصدّقني الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس» . ثم قال : «هل وجدتم ما وَعدكم ربُّكم حقّاً» للمقالة التي قالها . ولمّا أمَر بهم رسول الله ﷺ أن يُلقوا في القليب ، أُخِذ عُتبة فسُحب إلى القليب ، فنظر رسول الله ﷺ ، فيما بلغني ، إلى وجه أبي حذيفة بن عُتبة ، فإذا هو كئيبٌ قد تغيَّر ؛ فقال رسول الله ﷺ : «يا أبا حُذيفة لعلّك قد دخلك من شأن أبيك شيء» أو كما قال . قال فقال : لا والله يا رسول الله ما شَكَكتُ في أبي ولا في مصرعه ، ولكنّني كنتُ أعرف من أبي رأياً وفضلاً وحِلماً ، فكنتُ أرجو أن يهديه الله إلى الإسلام ، فلمّا رأيتُ ما أصابه وذكرتُ ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، أحزنني ذلك . قال : فدعا رسول الله ﷺ له بخير وقال له خيراً .

[اختلاف المسلمين على الفيء]

ثم إنّ[2] رسول الله ﷺ أمر بما في العسكر ممّا جمع الناس فجُمِع ، واختلف المسلمون فيه : فقال مَن جَمَعه : هو لنا ، وقد كان رسول الله ﷺ نَفَّل كلَّ امرىءٍ ما أصاب . فقال

1 السيرة : 638-639 ، 640 .

2 السيرة : 641-642 .

الذين كانوا يُقاتلون العدوّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شَغَلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . وقال الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ مخافة أن يُخالِف إليه العدوّ : والله ما أنتم بأحقَّ منّا ، ولقد رأينا أن نقتل العدوَّ إذ ولاَّنا الله ومَنَحَنا أكتافهم ، ولقد رأينا أن نأخذ المتاع حين لم يكن دونه مَن يمنعه ، ولكن خِفنا على رسول الله ﷺ كَرّةَ العدوّ ، فقُمنا دونه ، فما أنتم بأحقَّ به منّا .

[مقتل النضر بن الحارث]

قال ابن إسحاق وحدّثني عاصم بن عُمَر بن قتادة ويزيد بن رُومان[1] : أنّ رسول الله ﷺ جمع الأسارى من المشركين ، وكانوا أربعةً وأربعين أسيراً ، وكان من القَتلى مثلُ ذلك ، وفي الأسارى عُقبة بن أبي معيطٍ ، والنَّضْر بن الحارث بن كَلَدَة ، حتّى إذا كان رسول الله ﷺ بالصَّفراء ، قُتل النَّضر بن الحارث بن كَلَدَة ، قتَله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

[تعنيف سودة لسهيل بن عمرو حين أُسر]

قال محمد بن إسحاق حدّثني عبد الله بن أبي بكر عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال[2] : قُدِم بالأسارى حين قُدِم بهم ، وسَودة بنت زَمعة (زوج النبي ﷺ) عند آل عَفراء في مَناحَتهم على عَوْف ومُعَوِّذ ابني عفراء ، وذلك قبل أن يُضرب عليهنّ الحجاب . قال : تقول سودة : والله إنّي لعندهم إذْ أُتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتي بهم ، فرُحت إلى بيتي ورسول الله ﷺ فيه ، وإذا أبو يزيد سُهيل بن عمرو في ناحية الحُجرة مجموعةً يداه إلى عنقه بحَبْل . قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد كذلك أن قلتُ : يا أبا يزيد ، أَعْطَيتُم بأيديكم ، ألا مُتُّم كِراماً ؟ فوالله ما أنبهني إلاّ قولُ رسول الله ﷺ من البيت : «يا سَودة أَعَلى الله وعلى رسوله ؟» قالت فقلت : يا رسول الله ، والذي بعثَك بالحقّ ما ملكتُ نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعةً يداه إلى عنقه بحبل أن قلتُ ما قلت .

[إخبار الحيسمان أهل مكّة عن قتلى بدر]

قال محمد بن إسحاق[3] : وكان أوّلُ مَن قَدِم مكّةَ بمُصاب قريش ، الحَيْسُمان بن عبد الله بن إياس بن ضُبيعة بن رُومان بن كعب بن عمرو الخُزاعيّ . قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتِل عُتبة بن ربيعة ، وشَيبة بن ربيعة ، وأبو الحَكَم بن هشام ، وأُميّة بن خَلَف ، وزَمعة بن الأسود ، وأبو البختريّ بن هشام ، ونُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحجّاج . قال : فلمّا جعل يُعَدِّد أشرافَ قريش قال

1 السيرة : 644 .
2 السيرة : 645 .
3 السيرة : 646 .

صفوان بن أُميّة وهو قاعدٌ في الحِجر : والله إن يَعْقِل هذا فسَلُوه عنّي . قالوا : ما فعل صفوان بن أُميّة ؟ قال : هو ذلك جالس في الحِجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قُتِلا .

[أبو لهب وتخلّفه عن الحرب ثم موته]

قال محمد بن إسحاق حدّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عبّاس عن عِكرمة مولى ابن عبّاس قال[1] : قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : كنتُ غلاماً للعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دَخَلَنا أهلَ البيت ، فأسلم العبّاس وأسلمت أُمّ الفضل ، وأسلمتُ ، وكان العبّاس يَهاب قومَه ، ويكره خِلافَهم ، وكان يكتُم إسلامه ، وكان ذا مالٍ كثير متفرِّق في قومه ، وكان أبو لَهَبٍ عدوُّ الله قد تخلَّف عن بدر ، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المُغيرة ، وكذلك صَنعوا ، لم يتخلَّف رجلٌ إلاّ بعث مكانه رجلاً . فلمّا جاء الخبر عن مُصاب أهل بدرٍ من قريش ، كَبَتَه الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّةً وعزّاً ؛ وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنتُ أعملَ القِداح أنحَتُها في حُجرة زَمزم ؛ فوالله إنّي لجالسٌ فيها أنحَت القِداح ، وعندي أُمّ الفضل جالسة وقد سَرَّنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبل الفاسقُ أبو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجليه يسير حتى جلس على طُنب الحُجرة ، فكان ظهرُه إلى ظهري . فبينا هو جالس إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب قد قَدِم ؛ فقال أبو لهب : هَلُمَّ إليَّ يا ابن أخي ، فعندك لعمري الخبر . فجلس إليه والنّاس قيامٌ عليه . فقال يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمرُ الناس ؟ قال : لا شيء والله ، إنْ كان إلاّ أنْ لَقِيناهم فأَبحناهم أكتافَنا يقتلون ويأسِرون كيف شاؤوا . وايْمُ اللهِ مع ذلك ما لُمتُ الناس ، لَقينا رجالاً بِيضاً على خيلٍ بُلقٍ بين السماء والأرض ما تُليق شيئاً ولا يقوم لها شيء . قال أبو رافع : فرفعتُ طُنُبَ الحُجرة بيدي ، ثم قلتُ : تلك واللهِ الملائكة ، فرفع أبو لَهَب يدَه فضرب وجهي ضربةً شديدة . قال : فساورتُه فاحتملني فضرب بي الأرض ، ثم بَرَك عليّ يضربني ، وكنتُ رجلاً ضعيفاً ؛ فقامت أُمّ الفضل إلى عمود من عُمُد الحُجرة فأخذتْه فضربته به ضربةً ، فشَجّتْ في رأسه شَجَّةً مُنكَرة وقالت : أتَستَضعفه أنْ غاب عنه سيِّده ؟ فقام مُوَلِّياً ذليلاً . فوالله ما عاش فيها إلاّ سبع ليالٍ حتى رماه الله جلّ جلاله بالعَدَسة فقتلته ؛ فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً لا يَدفِنانه حتّى أنْتَن في بيته ، وكانت قريش تتّقي العَدَسة كما يُتّقى الطاعون ، حتى قال لهما رجلٌ من قريش ويحكما ! لا تَستَحِيان أنّ أباكما قد أنتن في بيته لا تُغيِّبانه ! فقالا : نخشى هذه القرحة . قال : فانطلِقا فأنا معكما . فما غسَّلوه إلاّ قَذْفاً بالماء عليه من بعيد ما يَمَسُّونه ؛ فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكّة على جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى وارَوْه .

---

1 السيرة : 646-647 .

[العباس بن عبد المطّلب وتألّم النبي لأسره]

قال محمد بن إسحاق وحدّثني العبّاس بن عبد الله بن مَعبَد عن بعض أهله عن الحَكَم بن عُتَيبة عن ابن عبّاس قال : لمّا أمسى القومُ من يوم بدرٍ ، والأسارى محبوسون في الوَثاق ، بات رسول الله ﷺ ساهراً أوّلَ ليلته . فقال له أصحابه : يا رسول الله ، ما لك لا تنام ؟ فقال : «سمعتُ تَضَوُّرَ العبّاس في وثاقه» ؛ فقاموا إلى العبّاس فأطلقوه ؛ فنام رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق وحدّثني الحسن بن عُمارة عن الحكم بن عُتيبة عن ابن عبّاس قال : كان الذي أَسَر العبّاس أبو اليَسَر كعبُ بن عمرو أخو بني سَلَمة ، وكان رجلاً مجموعاً ، وكان العبّاس رجلاً جسيماً . فقال رسول الله ﷺ لأبي اليَسَر : «كيف أسَرْتَ العبّاس يا أبا اليَسَر» ؟ فقال : يا رسول الله ، أعانني عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ، هيئته كذا وكذا . فقال رسول الله ﷺ : «لقد أعانك عليه مَلَكٌ كريم» .

[طلب منه النبي الفداء وأخبره عن أمواله بمكّة]

قال ابن إسحاق عن الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس : أنّ رسول الله ﷺ قال للعبّاس بن عبد المطّلب حين انتُهِي به إلى المدينة : «يا عبّاس افْدِ نَفسَك ، وابنَ أخيك عَقِيل بن أبي طالب ، ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جَحْدَم أخا بني الحارث بن فِهْر ؛ فإنّك ذو مال» . فقال : يا رسول الله ، إنّي كنتُ مُسلِماً ولكنّ القومَ استكرهوني . فقال «الله أعلم بإسلامك ، إن يكن ما تذكُر حقّاً فالله يَجزِيك به ، فأمّا ظاهرُ أمرك فقد كان علينا ؛ فافْدِ نفسك» . وكان رسول الله ﷺ قد أخذ منه عشرين أوقِيّةً من ذهب . فقال العبّاس : يا رسول الله ، احسُبْها لي في فِدائي . قال : «لا ، ذلك شيء أعطاناه الله منك» . قال : فإنّه ليس لي مال . قال قال : «فأين المالُ الذي وضعته بمكّة حين خرجت من عند أُمِّ الفضل بنت الحارث ليس معكما أحدٌ ، ثم قلتَ لها إن أُصِبْتُ في سَفرتي هذه فلِلْفَضْل كذا ولعبد الله كذا ولِقَثَم كذا ولعبيد الله كذا» ؟ قال : والذي بعثَك بالحقّ ما عَلِم هذا أحدٌ غيري وغيرها ، وإنّي لأعلم أنّك رسول الله . ففَدى العبّاس نفسَه وابنَ أخيه وحليفَه .

[فدت زينب زوجها فردّ عليها النبي الفداء]

قال ابن إسحاق : وحدّثني يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير عن أبيه عن عائشة قالت[1] : لمّا بَعَث أهلُ مكّة في فِداء أُسراهم ، بعثتْ زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاصي بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقِلادةٍ لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاصي حين بَنَى عليها . فلمّا رآها رسول الله ﷺ رَقَّ لها رِقّةً شديدة وقال : «إنْ رأيتم أن تُطلِقوا لها أسيرَها وتَرُدُّوا عليها

1 السيرة : 653 .

الذي لها فافعلوا» ! فقالوا : نعم يا رسول الله ؛ فأطلقوه وردّوا عليها الذي لها .

[رثاء الأسود بن المطّلب لأولاده]

قال ابن إسحاق : حدّثني يحيى بن عبّاد عن أبيه قال[1] : ناحت قريش على قَتلاها ، ثم قالت : لا تفعلوا فيبلُغَ ذلك محمداً وأصحابه فيَشْمَتوا بكم ، ولا تبعثوا في فِداء أَسراكم حتى تستَأْنوا بهم ، لا يتأرَّب عليكم محمد وأصحابُه في الفداء . قال : وكان الأَسود بن المطَّلب قد أُصيب له ثلاثةٌ من ولده : زَمَعَةُ وعقيل والحارث بنو الأسود ، وكان يُحِبّ أن يبكي على بَنيه . فبينا هو كذلك إذ سمع نائحةً في الليل ، فقال لغلامه وقد ذهب بصره : انظر هل أحِلَّ النَّحيب ؟ وهل بكت قريش على قَتلاها ؟ لعلِّي أبكي على أبي حَكِيمة (يعني زَمعةَ) ؛ فإنّ جَوْفي قد احترق . فلمّا رجع إليه الغلام قال : إنّما هي امرأةٌ تبكي على بعيرٍ لها أضلَّته ؛ فذلك حين يقول الأسود : [من الوافر]

أتبكـــي أنْ أُضِلَّ لهـــا بعيرٌ ... ويَمْنَعُها البكاءُ مـــن الهُجودِ
ولا تَبْكي على بَكْـرٍ ولَكِنْ ... على بَـدْرٍ تَقاصَرتِ الجُدُودُ[2]
على بَدْرٍ سَراةَ بني هُصَيْصٍ ... ومَخْزومٍ ورَهْط أبي الوليدِ
وبَكِّي إنْ بَكَيْـتِ على عَقِيلٍ ... وبَكِّي حارثـاً أَسَدَ الأُسودِ
وبَكِّيهم ولا تُسْمي جميعًـا ... فما لأبـــي حَكِيمـةَ من نَدِيدِ
أَلا قـــد سادَ بَعْدَهُمُ رجالٌ ... ولولا يـــومُ بَدْرٍ لم يَسودُوا[3]

[رثاء هند بنت عتبة أباها]

وممّا قيل في بدر من الشعر وغُنّي به قول هند بنت عُتبة ترثي أباها[4] : [من مجزوء الكامل]

صوت

مَنْ حَسَّ لي الأَخَوَيْنِ كالـ ... ـغُصْنَينِ أو مَـــنْ راهُما
قَرْمـــانِ لا يَتَظالَمـــا ... نِ ولا يُـــرامُ حِماهُما
وَيْلِـي على أَبَـوَيَّ والـ ... ـقَبْرِ الـــذي واراهُما

1 السيرة : 647–648 .

2 في هذا البيت إقواء .

3 في هذا البيت إقواء .

4 وردت هذه الأبيات في ديوان الخنساء (طبعة دار صادر ، بيروت ، 1963) وأثبت في الحاشية أنّها تنسب لهند بنت عتبة .

لا مِثْلَ كَهْلي في الكُهُو لِ ولا فَتًى كَفَتاهُما

ذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن سريج رمل ، وفي الكتاب الكبير المنسوب إلى إسحاق أنّه للغريض ، وتمام هذه الأبيات : [من مجزوء الكامل]

أسدانِ لا يَتَذَلَّلا نِ ولا يُرامُ حِماهما
رُمْحَيْنِ خَطِّيَّيْن في كَبِدِ السماءِ تراهما
ما خَلَّفا إذ وَدَّعا في سُودَدٍ شَرْواهُما
سادا بغير تَكَلُّفٍ عَفْواً يَفِيضُ نَداهُما

[معاظمتها الخنساء بعكاظ وشعرهما في مصابهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثنا محمد بن سعد عن الواقِديّ ، وأخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن عبد الرحمن بن أبي الزِّنادَ قال : لمّا كانت وقعة بدرٍ ، قُتِل فيها عُتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عُتبة ؛ فأقبلت هند بنت عُتبة تَرثيهم ، وبَلَغها تَسْوِيمُ[1] الخَنساء هَوْدَجَها في الموسمِ ومعاظمتها العرب بمُصيبتها بأبيها عمرو بن الشَّريد وأَخوَيها صخرٍ ومعاوية ، وأنّها جعلتْ تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سوّمت هودَجها براية ، وأنّها تقول : أنا أعظم العرب مصيبةً ، وأنّ العرب قد عرفتْ لها بعض ذلك . فلمّا أُصيبت هند بما أُصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبةً ، وأمرتْ بهودجها فسُوِّمَ براية ، وشَهِدَت الموسم بعُكاظ ، وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب ، فقالت : اقْرِنوا جَمَلي بجمل الخنساء ، ففعلوا . فلمّا أن دنتْ منها ، قالت لها الخنساء : مَن أنتِ يا أُخَيَّة ؟ قالت : أنا هند بنت عُتبة أعظمُ العرب مصيبةً ، وقد بلغني أنّكِ تُعاظِمين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تُعاظِمِينَهم ؟ فقالت الخنساء : بعَمرِو بن الشَّريد ، وصخرٍ ومعاوية ابني عمرو ، وبِمَ تُعاظمينهم أنتِ ؟ قالت : بأبي عُتبة بن ربيعة ، وعَمِّي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد . قالت الخنساء : أَوَ سَواءٌ هُمْ عندكِ ؟ ثم أنشدتْ تقول[2] : [من الطويل]

أُبَكِّي أبي عَمْراً بعينٍ غَزِيرَةٍ قليلٌ إذا نامَ الخَلِيُّ هُجودُها
وصِنْوَيَّ لا أَنْسى مُعاويةَ الذي له من سَراةِ الحَرَّتَيْن وُفودُها

1 تسويم : وضع علامة للتمييز .

2 في الديوان (طبعة دار صادر) أن هند بنت عتبة أنشدت والخنساء أجابت مع أن في مقدمة الشعر ما يفيد أن شارح الديوان إنّما ينقل عن الأغاني .

وصخراً ، ومَنْ ذا مثلُ صخرٍ إذا غَدا بساهمـــة الآطـالِ قُبّاً يَقُودُها[1]
فذلك يـا هندُ الرَّزِيَّـة فاعْلَمي ونيـرانُ حَـرْبٍ حين شَبَّ وَقُودُها

فقالت هند تُجيبها : [من الطويل]

أَبَكِّي عَمِيدَ الأَبْطَحَيْنِ كِلَيْهِما وحاميهما مـن كلِّ باغٍ يُريدها[2]
أَبِي عُتْبَةُ الخَيْراتِ وَيْحَكِ فاعْلَمي وشَيْبَةُ والحامي الذِّمارَ وليدُها
أولئكَ آلُ المَجْدِ مـن آلِ غالبٍ وفي العِـزِّ منها حين يَنْمـي عَدِيدُها

وقالت لها أيضاً يومئذٍ : [من مجزوء الكامل]

مَـنْ حَسَّ لي الأَخَوَيْنِ كالـ ـغُصْنَيـنِ أو مَـنْ راهُمـا

[لم ينكر معاوية على عبد الله بن جعفر سماعه الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني بعض القُرَشيِّين قال : قَدِم عبدالله بن جعفر على معاوية وافداً ، فدخل عليه إنسانٌ ثم ذهب إلى معاوية فقال : هذا ابن جعفر يشرب النبيذ ، ويسمع الغناء ، ويُحَرِّك رأسَه عليه . فجاء معاوية مُتغيِّراً حتى دخل على ابن جعفر ، وعَزَّة المَيْلاءُ بين يديه كالشمس الطالعة في كِواء[3] البيت يُضيء بها البيت ، تُغَنِّيه على عُودها : [من الكامل]

تَبَلتْ فُؤادَكَ في الظلامِ خَرِيدةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ ببارِدٍ بَسّامِ[4]

وبين يديه عُسٌّ ؛ فقال : ما هذا يا أبا جعفر ؟ قال : أقسمتُ عليك يا أمير المؤمنين لتَشْرَبَنَّ منه ، فإذا عسلٌ مَجدوحٌ بمِسْكٍ وكافور . فقال : هذا طَيِّبٌ ، فما هذا الغِناء ؟ قال : هذا شعرُ حسَّان بن ثابت في الحارث بن هشام . قال : فهل تُغَنِّي بغير هذا ؟ قال : نعم ، بالشعر الذي يأتيك به الأعرابيّ الجافي الأدفَر ، القبيح المنظر ، فيُشافهُك به ، فتُعطيه عليه ؛ وآخذه أنا ، فأختار محاسنه ورقيق كلامه ، فأعطيه هذه الحسنة الوجه ، اللَّيِّنة اللمس ، الطيبة الريح ، فتُرَتِّله بهذا الصوت الحسن . قال : فما تحريكُكَ رأسَك ؟ قال : أريحيَّة أجِدُها إذا سمعت الغناء ، لو سُئلت عندها لأعطيتُ ، ولو لَقِيت لأَبْلَيت . فقال معاوية : قَبَّح اللهُ قوماً عَرَّضوني لك . ثم خرج وبَعَث إليه بصِلَةٍ .

---

1 بساهمة الآطال في ل : بسلهبة الأبطال .
2 الأبطحان : بطحاء مكّة وسهل تهامة .
3 كواء : جمع كوة وهي النافذة .
4 في الظلام في في ديوان حسان : «في المنام» وتشفي الضجيع «تسقي الضجيع» .

[عمر بن أبي ربيعة ونُعْم]

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أيُّها القلــبُ لا أراكَ تُفيقُ ... طالَما قــدْ تَعَلَّقَتْكَ العَلُوقُ[1]
مَنْ يَكُنْ مِنْ هَوى حبيبٍ قريباً ... فأنــا النازحُ البعيــدُ السَّحِيقُ
قُضِــيَ الحُــبُّ بيننــا فالتقينا ... وكلانــا إلى اللِّقــاء مَشُوقُ

الشعر في البيت الأوّل والثالث لعُمَر بن أبي ربيعة ، والبيت الثاني ليس له ، ولكن هكذا غُنِّي ؛ وليس هو أيضاً مُشاكِلاً لحكاية ما في البيت الثالث . والغِناء لبابَوَيْه الكُوفيّ ، خفيف ثقيلٍ أوّل . وهذا الشعر يقوله عمر بن أبي ربيعة في امرأة من قريش ، يقال لها نعم ، كان كثيرَ الذِّكر لها في شعره . أخبرني بذلك محمد بن خَلَف بن المَرزبان عن أبي عبد الله التَّميميّ عَنِ القَحْذَميّ والمدائنيّ . قال : وهي التي يقول فيها :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ

قال : وكانت تُكنى أُمَّ بَكْر ، وهي من بني جُمَحَ . وتمامُ هذه الأبيات على ما حكاه ابن المرزبان عمّن ذكرتُ : [من الخفيف]

فالتَقَيْنا ولم نَخَفْ مــا لَقِينا ... ليلةَ الخَيْفِ ، والمُنى قد تَشُوقُ
وجرى بيننا فجــددَ وصلا ... قُلَّبٌ حُــوَّلٌ أرِيــبٌ رفيقُ
لا تَظُنِّــي أنّ التَّراسُلَ والبَذْ ... لَ لكــلِّ النساء عندي يَلِيقُ
هل لكَ اليومَ إنْ نأتْ أُمُّ بَكْرٍ ... وتَوَلَّــتْ إلى عَــزاءٍ طـريقُ

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حُدِّثت عن محمد بن حُمَيد عن عبد الله بن سَوّار القاضي عن بِشْر بن المُفَضَّل قال : بلغَ عُمَرَ بنَ أبي ربيعة أنّ نُعْماً اغتسلت في غَدِيرٍ ، فأتاه فأقام عليه ، وما زال يشرب منه حتى جَفَّ .

أخبرني محمد بن خَلَف قال : قال محمد بن حبيب الراوية : بلغني أنّ نُعْماً استقبلتْ عمرَ بن أبي ربيعة في المسجد الحرام ، وفي يدها خَلُوقٌ من خلوق المسجد ، فمسحتْ به ثوبه ، ومضتْ

1 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 266 وقد تضمّن البيت الثاني الذي نفى أبو الفرج نسبته إليه ، ومع بعض اختلاف في الرواية .

وهي تضحك ؛ فقال عمر[1] : [من الخفيف]

أدخل اللهُ ربُّ موسى وعيسى جَنَّةَ الخُلْدِ مَنْ مَلانِي خَلُوقا
مسحتْه من كَفِّها في قميصى حين طافتْ بالبيت مَسْحاً رَفِيقا
غَضِبَتْ أَنْ نظرتُ نحوَ نساءٍ ليس يَعْرِفْنَنِي سَلَكْنَ طريقا
وأرى بينهـا وبـين نساء كنتُ أَهْذِي بِهِنَّ بَوْناً سَحِيقا

وهذا البيت الأوّل ممّا عِيب على عمر .

وممّا غُنِّي فيه من تشبيب عمر بنُعْمٍ هذه[2] : [من المديد]

صوت

دِينَ هذا القلبُ مِنْ نُعْمِ بسَقـامٍ ليس كالسُّقْـمِ
إنّ نُعْماً أَقصدتْ رجلاً آمناً بالخَيْفِ إذ تَرْمي
بِشَتِيـتٍ نَبْتُـه رَتَـلٍ طَيِّبِ الأنيابِ والطَّعْمِ
وبِوَحْـفٍ مائلٍ رَجِلٍ كعناقيـدَ مِـن الكَـرْمِ

ومنها[3] : [من مجزوء الوافر]

صوت

خَلِيلَـيَّ ارْبَعـا وسَلا بمَغْنى الحَـيِّ قـد مثِلا
بأعلى الوادِ عنـد البِئْـ ـرِ هَيَّجَ عَبْرةً سبَلا
وقـد تَغْنى بـه نُعْـمٌ وكنت بوَصْلِهـا جَذِلا
لَيـالِيَ لا نُحِـبُّ لنـا بعَيْشٍ قـد مضى بَدَلا
وتَهْوانـا ونَهْواهـا ونَعْصِي قَوْلَ مَنْ عَذَلا
وتُرْسِلُ في مُلاطَفَـةٍ ونُعْمِلُ نحوَهـا الرُّسُلا

غنّاه الهذليّ ، ولحنُه من القَدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوُسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج لحنان : رملٌ بالبنصر في مجراها عن إسحاق ، وخفيف ثقيلٍ

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 270 .
2 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 386 ورواية البيت الأول :
قد أصاب القلب من نُعْمٍ سقم داء ليس كالسقمِ
3 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 337 .

بالوسطى عن عمرو . وفيها عن إسحاق ثاني ثقيلٍ ، ولسُلَيْم خفيف رملٍ ، جميعاً عن الهشاميّ . قال : ويقال : إنّ اللحنَ المنسوب إلى سُلَيْمٍ لِحَكَم الوادي .

ومنها من قصيدة أوّلها[1] : [من الطويل]

لقد أرسلتْ نُعْمٌ إلينا أن ائْتِنا فأَحببْ بها من مُرْسِلٍ مُتَغَضِّبِ

يُغَنّى منها في قوله :

صوت

فقلتُ لِجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشْتَمِلْ عليه بِرِفْقٍ وارْقُبِ الشمسَ تَغْرُبِ
وأَسْرِجْ لِيَ الدَّهْماءَ واعْجَلْ بِمِمْطَرِي ولا تُعْلِمَنْ حَيّاً مِنَ النّاسِ مَذْهَبِي
فلمّا التقينا سَلّمتْ وتبسَّمَتْ وقالتْ مقالَ المُعْرِضِ المُتَجَنِّبِ
أَمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنميمةٍ مَشى بيننا صَدَّقْتَه لم تُكَذِّبِ[2]
وقَطَّعْتَ حبلَ الوصلِ منّا ، ومَنْ يُطِعْ بذِي ودِّه قولَ المُؤَرِّشِ يُعْتَبِ[3]

صوت

[من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهْلكِ يا رَبابُ خُزْراً كأنَّهُمُ غِضابُ
إنْ زُرْتُ أهلَكِ أَوْعَدُوا وتَهِرَّ دونَهُمُ الكِلابُ

عروضه من الكامل ، الشعر لعَلَسٍ ذي جَدَنٍ الحِمْيَريّ ، أخبرنا بذلك محمد بن الحسن بن دريد عن عمّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه . والغناء لطُوَيْس ؛ ولحنُه المختار خفيف رملٍ بالبِنصر .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 55–56 مع بعض اختلاف في الرواية .
2 مشى في ل : جرى .
3 أرش بين القوم : أفسد .

[48] ـ نسب عَلَس ذي جَدَنٍ وأخباره

[نسبه]

هو عَلَسُ بن زيد بن الحارث بن الغَوْث بن سعد بن عوف بن عديّ بن مالك بن زيد الجُمهور بن سَهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَمَ بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قَطَن بن عَريب بن زهير بن أعز بن الهمّ بن الهَمَيْسَع بن حِمْيَر بن سَبأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قحطان . وهو مَلِكٌ من ملوك حِمْيَر . ولُقِّب ذا جَدَنٍ لحسن صوته ، والجَدَن : الصوت بلغتهم ، ويقال : إنّه أوّل من تغنّى باليمن .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ وأبي مسكين قالا : إنّما سُمِّي ذا جَدَنٍ لحسن صوته .

[قبره بصنعاء وآثاره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثنا عليُّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن إسماعيل بن إبراهيم بن ذي الشِّعار الهمدانيّ عن حيّان بن هانىء الأَرْحَبيّ عن أبيه قال : أخبرني رجلٌ من أهل صنعاء : أنّهم حفروا حفيراً في زمن مروان ، فوقفوا على أَزَجٍ له بابٌ ، فإذا هم برجل على سريرٍ كأعظم ما يكون من الرجال ، عليه خاتمٌ من ذهب وعِصابةٌ من ذهب ، وعند رأسه لوحٌ من ذهب مكتوبٌ فيه : «أنا عَلَس ذو جَدَنٍ القَيْلُ ، لخليلي منّي النَّيْل ، ولعَدُوّي منّي الوَيل . طلبت فأدركتُ وأنا ابن مائة سنةٍ من عمري ، وكانت الوَحشُ تأْذَنُ[1] لصوتي . وهذا سيفي ذو الكفّ عندي ، ودِرعي ذاتُ الفُروج ، ورُمْحي الهزبريّ ، وقوسي الفَجْواء[2] ، وقَرَني[3] ذاتُ الشرّ ، فيها ثلاثمائة حَشْر ، من صنعة ذي نمِر[4] ؛ أعددت ذلك لدفع الموت عنّي فخانني» . قال : فنظرنا فإذا جميعُ ذلك عنده . ووجدت هذا الخبر عن ابن الكلبيّ في بعض الكتب من غير رواية ابن عمّار ، فوجدت فيه : فإذا طولُ السيف اثنا عشر شبراً ، وعليه مكتوبٌ تحت شاربه بالمُسْنَدِ : «بِأستِ امرىء كنتَ في يده فلم يَنْتَصِر» .

انقضت أخباره .

---

1 تأذن لصوتي : تستمع ، تعبيراً عن جمال صوته .

2 القوس الفجواء : هي التي يبين وترها عن كبدها .

3 القرن : الجعبة .

4 ل : ذو نمر ، وهو واد في ديار بني كلاب .

[49] ـ أخبار طويس[1] ونسبه

[أوّل من صنع الهزج والرمل]

طُوَيْسٌ لَقبٌ ، واسمه طاووس ، مولى بني مخزوم . وهو أوّل مَن غنّى الغناء المُتقَن من المخنَّثين . وهو أوّل من صنع الهزَج والرَّمَل في الإسلام . وكان يقال : أحسنُ الناس غناءً في الثَّقيل ابن مُحرِز ، وفي الرمل ابن سُرَيج ، وفي الهزج طُوَيْس . وكان الناس يضربون به المثل ، فيقال : «أَهْزَجُ من طُوَيس» .

[غنّى أبان بن عثمان فطرب وسأله عن عقيدته وسنه وشؤمه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزهَر والحسين بن يحيى قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه وأبي مسكين ، قال إسحاق : وحدّثني المدائنيّ والهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن كَيْسان : أنّ أبانَ بن عثمان وفَد على عبد الملك بن مروان ، فأمَّره على الحجاز ؛ فأقبل حتى إذا دنا من المدينة تلقّاه أهلُها ، وخرج إليه أشرافُها ، فخرج معهم طُوَيْس ؛ فلمّا رآه سلَّم عليه ، ثم قال له : أيّها الأمير ، إنّي كنتُ أعطيت اللهَ عهداً لئن رأيتُك أميراً لأَخْضبَنَّ يديّ إلى المرفَقَيْن ، ثم أَزْدُو[2] بالدُّفّ بين يديك ، ثم أَبْدى عن دُفّه وتغنّى بشعر ذي جَدَنٍ الحِمْيَريّ : [من مجزوء الكامل]

ما بالُ أهلِكِ يــا ربابُ خُــزْراً كأنّهــمُ غِضابُ

قال : فطَرِب أبان حتى كاد أن يطير ، ثم جعل يقول له : حَسْبُك يا طاوُس ، ولا يقول له : يا طُوَيْس لِنُبْلِه في عينه ، ثم قال له : اجْلِسْ فجلس . فقال له أبان : قد زعموا أنّك كافر . فقال : جُعِلتُ فِداءَك ! والله إنّي لأَشْهَدُ أنْ لا إله إلاّ اللهُ وأنّ محمداً رسول الله ، وأُصلّي الخمس ، وأصوم شهر رمضان ، وأَحُجُّ البيت . فقال : أفأنت أكبرُ أم عمرو بن عثمان ؟ ، وكان عمرٌو أخا أبان وأمّه ، فقال له طويس : أنا والله ، جُعِلتُ فداءك ، مع جلائل نساء قومي ، أُمْسِكُ بذُيولهنّ يومَ زُفَّتْ أُمُّك المباركة إلى أبيك الطيِّب . قال : فاستحيا أبان ورمى بطَرْفه إلى الأرض .

وأخبرني بهذه القصّة إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال حدّثنا العُتْبيّ

---

1 تقدّم ذكر طويس وأخباره في المجلد الثالث صفحة 22 من الأغاني (ذكر طُويس وأخباره) وقد أعاد أبو الفرج بعض أخباره التي تقدّمت .

2 أزدو : أضرب .

عن أبيه بمثل هذه القصّة عن أبان وطُوَيس . وزاد فيها أنّ طُوَيْساً قال له : نَذْرِي أيّها الأمير ؛ قال : وما نَذْرُك ؟ قال : نذرتُ إنْ رأيتُك أميراً في هذه الدار أنْ أُغنّي لك وأَزدُو بِدُفّي بين يديك . فقال له : أَوْفِ بنَذْرِك ؛ فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ﴾ . قال : فأخرجَ يديه مخضوبتين ، وأخرج دُفّه وتَغنّى : [من مجزوء الكامل]

ما بـالُ أهلِكِ يا ربابُ

وزاد فيه : فقال له أبان : يقولون : إنّك مشؤوم ، قال : وفوق ذلك ؛ قال : وما بلغ من شؤمك ؟ قال : وُلِدت ليلة قُبِض النبي ﷺ ، وفُطِمتُ ليلة مات أبو بكر رضي الله عنه ، واحتلمتُ ليلة قُتِل عُمَر رضوان الله عليه ، وزُفّت إليّ أهلي ليلة قُتِل عثمان رضي الله عنه . قال : فاخرُج عنّي عليك الدَّبارُ[1] .

[أهدر دمه أمير المدينة مع المخنّثين]

أخبرني إسماعيل قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن الوليد قال حدّثني مُصعب بن عثمان عن نوفل بن عمارة قال : خرج يحيى[2] بن الحَكَم وهو أمير على المدينة ، فبَصُر بشخصٍ بالسَّبَخة ممّا يلي مسجد الأحزاب ، فلمّا نظر إلى يحيى بن الحكم جلَس ، فاستَرابَ به ، فوجّه أعوانه في طَلَبه ؛ فأُتي به كأنّه امرأةٌ في ثياب مُصَبَّغة مصقولة وهو مُمْتَشِطٌ مُخْتَضِبٌ . فقال له أعوانه : هذا ابن نُغاش المخنَّث . فقال له : ما أحسِبُك تقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ شيئاً ، اقْرأْ أُمَّ القرآن . فقال : يا أبانا لو عرفت أُمّهنّ عرفتُ البناتِ . فقال له : أتَتَهزَّأ بالقرآن لا أُمَّ لك ! وأمر به فضُرِبت عُنُقه . وصاح في المخنَّثين : مَنْ جاء بواحدٍ منهم فله ثلاثمائة درهم . قال زَرَجون المخنَّث : فخرجتُ بعد ذلك أريد العالية ، فإذا بصوت دُفٍّ أعجبني ، فدنوتُ من الباب حتى فَهِمْتُ نَغَماتِ قومٍ آنسُ بهم ، ففتحتُه ودخلتُ ، فإذا بطُوَيْسٍ قائمٌ في يده الدُّفُّ يتغنّى ؛ فلمّا رآني قال لي : إيه يا زَرَجون ! قَتَل يحيى بنُ الحَكَم ابن نُغاش ؟ قلت نعم . قال : وجَعَل في المخنَّثين ثلاثمائة درهم ؟ قلت نعم . فاندفع يغنّي : [من مجزوء الكامل]

ما بـالُ أهلكِ يـا ربـابُ خُـزْراً كأنّهـمُ غِضـابُ
إن زرتُ أهلـكِ أوعـدوا وتَهـرّ دونهـمُ كِـلابُ

ثم قال لي : ويحك ! أفمَا جعل فيّ زيادةً ولا فَضّلني عليهم في الجُعل بفضلي شيئاً .

---

1 الدبار : الهلاك .

2 هذا الخبر ممّا كرّره أبو الفرج .

[مالك بن أنس وحسين بن دحمان الأشقر]

أخبرني محمد بن عمرو العتّابيّ قال حدّثنا محمد بن خَلَف بن المرزبان ، ولم أسمعه أنا من محمد بن خلف ، قال حدّثني إسحاق بن محمد بن أبان الكوفيّ قال حدّثني حسين بن دَحمان الأشقر قال : كنتُ بالمدينة ، فخَلا لي الطريق وسطَ النهار ، فجعلتُ أتغنّى : [من مجزوء الكامل]

ما بـــالُ أهلكِ يا رَبابُ خُـزْراً كأنّهـمُ غِضابُ

قال : فإذا خَوْخَةٌ[1] قد فُتحت ، وإذا وجهٌ قد بدا تَتْبَعُه لحيةٌ حمراء ، فقال : يا فاسق أسأتَ التأدية ، ومنعتَ القائلة ، وأذعتَ الفاحشة ؛ ثم اندفع يغنّيه ، فظننتُ أنّ طويساً قد نُشِر بعينه ؛ فقلت له : أصلحكَ الله ! من أين لك هذا الغناء ؟ فقال : نشأتُ وأنا غلامٌ حَدَثٌ أتبَع المغنّين وآخُذ عنهم ، فقالت لي أُمّي : يا بُنيّ إنّ المُغنّي إذا كان قبيح الوجه لم يُلتَفت إلى غنائه ، فدَعِ الغِناء واطلب الفقه ؛ فإنّه لا يضرّ معه قُبح الوجه . فتركت المغنّين واتّبعتُ الفقهاء ، فبلغ الله بي عزّ وجلّ ما ترى . فقلت له : فأعِد جُعِلتُ فداءك ! قال : لا ولا كرامةَ ! أتريد أن تقول : أخذتُه عن مالك بن أَنَسٍ ؟ وإذا هو مالك بن أنس ولم أعلم .

صوت
من المائة المختارة

[من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ ـشِ أمْسى دارساً خَلَقا
وقفـتُ بـه أُسائلُـــه ومَـرّتْ عِيسُهمْ حِزَقا
عَلَـوْا بـك ظاهرَ البَيْدا ءِ والمحـزونُ قــد قَلِقا

[حديث انخساف الأرض بجيش يغزو الكعبة]

ذات الجيش : موضع . ذكر النبي ﷺ أنّ جيشاً يغزو الكعبة ، فيُخسَف بهم إلاّ رجلاً واحداً يُقلَب وجهُه إلى قَفاه ، فيرجع إلى قومه كذلك ، فيخبرهم الخبر . حدّثني بهذا الحديث أحمد بن محمد الجعديّ قال حدّثنا محمد بن بكّار قال حدّثنا إسماعيل بن زكريّا عن محمد بن سُوقة قال سمعتُ نافعَ بن جُبَيْر بن مُطعِم يقول حدّثتني عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «يغزو جيشٌ الكعبة حتى إذا كانوا ببَيداء من الأرض خُسِفَ بأوّلهم وآخرهم» . قالت عائشة : فقلت يا رسول الله ، كيف يُخسف بأوّلهم وآخرهم وفيهم سواهم ومَن ليس

1 الخوخة : باب صغير في باب كبير .

منهم ؟ قال : «يُخسَفُ بأوّلهم وآخِرِهم ثم يُبْعثون على قَدْرِ نيّاتهم» ، الشعر للأحوص[1] ، والغناء في هذا اللحن المختار للدّلال المخنَّث وهو أحد مَن خَصاه ابن حَزْم ، بأمر الوليد بن عبد الملك ، مع المخنَّثين . والخبر في ذلك يُذكَرُ بعد . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر في الأوّل والثالث . وإلاسحاق فيه ثقيل أوّل آخر . وفيه لمالك لحنٌ من خفيف الرمل عن يونس والهشاميّ وغيرهما . وفيه رمل يُنسب إلى ابن سريج ، وهو ممّا يُشَكُّ في نسبته إليه . وقيل : إنّ خفيف الرمل لابن سريج ، والرمل لمالك . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للدّلال خفيف ثقيل بالبِنصر أيضاً .

1 شعر الأحوص : 162 عن الأغاني .

[50] ـ ذكر الأحوص وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو الأحوص ، وقيل : إنّ اسمه عبد الله ، وإنّه لُقّب الأحوص لحوَصٍ[2] كان في عينيه . وهو ابن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأَقلَح ، واسم أبي الأقلح قيس ، بن عُصَيمة بن النعمان بن أُميَّة بن ضُبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عَمْرو بن عَوف بن مالك بن الأَوس . وكان يقال لبني ضُبيعة بن زيدٍ في الجاهلية : بنو كِسَرِ الذَّهب . وقال الأحوص حين نُفي إلى اليمن[3] : [من الخفيف]

بَدّل الدّهْرُ من ضُبَيْعَةَ عَكّاً جِيرةً وهـو يُعْقِبُ الأَبْدالا

[سبب تسمية جدّه عاصم حميّ الدبر]

وكان جدّه عاصمٌ يقال له حَمِيّ الدَّبْر ؛ وكان رسول الله ﷺ بعثَه بَعْثاً ، فقتله المشركون ؛ وأرادوا أن يصلبوه فحمتْه الدَّبْر ، وهي النَّحل ، فلم يقدروا عليه ، حتى بعثَ الله عزّ وجلّ الواديَ في الليل فاحتمله فذهب به . وفي ذلك يقول الأحوص مفتخراً[4] : [من الخفيف]

وأنا ابنُ الذي حَمَتْ لحمَه الدَّبْـ ـرُ قتِيلِ اللَّحْيانِ يومَ الرّجيعِ

[قصّة وفد عضل والقارة وقتل البعث الذي أرسل معهم]

حدّثنا بالخبر في ذلك محمد بن جرير الطَّبريّ قال حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة بن الفضل قال حدّثنا محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة قال : قَدِم على رسول الله ﷺ بعد أُحُدٍ رهطٌ من عَضَل والقارة ، فقالوا : يا رسول الله ، إنّ فينا إسلاماً وخَيْراً ، فابعَثْ معنا نفراً من أصحابك ، يُفَقّهونا في الدِّين ، ويُقْرِئونا القرآن ، ويُعلّمونا شرائع الإسلام[5] ، فبعث رسول

---

1 ترجمة الأحوص في الشعر والشعراء (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 424–426 والمؤتلف : 48 والخزانة 2 : 15–20 ، 52–55 والسمط : 73 وطبقات ابن سلام : 534 والموشح : 187 وانظر بروكلمان 1 : 196 وقد نقل ابن حمدون من شعره وأخباره 27 فقرة في مواضع متفرّقة من التذكرة الحمدونية . وقد جمع شعره د . إبراهيم السامرائي وأعاد جمعه عادل سليمان جمال (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، 1970) وعليه نعتمد .

2 الحوص : ضيق في مؤخّر العينين أو في إحداهما .

3 شعر الأحوص : 177 .

4 شعر الأحوص : 157 .

5 ل : شعائر .

الله ﷺ معهم نفراً ستّةً من أصحابه : مَرْثَد بن أبي مرْثَدٍ الغَنَويّ حليفَ حمزة بن عبد المطّلب ، وخالد بن البُكَير حليفَ بني عَدِيّ بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الأَقلح أخا بني عمرو بن عوف ، وخُبَيب بن عديّ أخا بني جَحجَبى بن كُلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارقٍ حليفاً لبني ظَفَر من بَلِيّ ، وأمّر رسول الله ﷺ عليهم مَرْثَدَ بن أبي مَرْثَدٍ ، فخرجوا مع القوم ، حتّى إذا كانوا على الرَّجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدر الهَدْأة) غدروا بهم ، واستصرخوا عليهم هُذَيلاً ، فلم يُرَعِ القوم وهم في رحالهم إلاّ بالرِّجال في أيديهم السيوف قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم ؛ فقالوا : [إنّا] والله ما نُريد قَتلكم ، ولكنّا نريد أن نُصيب بكم شيئاً من أهل مكّة ، ولكم عهدُ اللهِ وميثاقه ألاّ نقتلكم . فأمّا مَرْثَدُ بن أبي مَرْثَد ، وخالدُ بن البُكَيْر ، وعاصمُ بن ثابت بن أبي الأَقلح فقالوا : إنّا والله لا نقبل من مُشركٍ عهداً ولا عقداً أبداً ! فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً . وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة ، وخُبَيْب بن عديّ ، وعبد الله بن طارق فلانُوا ورَقُّوا ورغِبوا في الحياة وأعطَوْا بأيديهم ؛ فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكّة ليَبيعوهم بها ؛ حتى إذا كانوا بالظَّهران انتزع عبدالله بن طارق يده من القِرانِ ، ثم أخذ سيفَه واستأخر عن القوم ، فرَمَوه بالحجارة حتى قتلوه ، فقَبرُه بالظَّهران . وأمّا خُبَيب بن عَدِيّ وزيد بن الدَّثِنَّة ، فقَدِموا بهما مكّة فباعوهما . فابتاع خُبَيباً حُجَيْر بن أبي إهابٍ التَّميميّ حليفُ بني نوفل لعُقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان حُجَيْرٌ أخا الحارث بن عامر بن نوفل لأمّه ، ليقتله بأبيه . وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة فابتاعه صَفوان بن أُميَّة ليقتله بأُميّة بن خَلَف أبيه . وقد كانت هُذَيْل حين قُتِل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه من سُلافةَ بنت سَعد بن شُهَيد ، وكانت قد نَذَرتْ حين قَتَل عاصمٌ ابنَها يومَ أُحُدٍ لئن قَدَرتْ على رأس عاصمٍ لتَشْرَبَنَّ في قِحفه الخَمر ، فمنعته الدَّبْر . فلمّا حالت بينهم وبينه قالوا : دعوه حتى يُمْسِي ، فتذهب عنه فنأخذه . فبعث الله عزّ وجلّ الوادي فاحتمل عاصماً فذهب به . وكان عاصم قد أعطى الله عزّ وجلّ عهداً لا يَمَسُّه مشركٌ أبداً ولا يَمَسّ مشركاً أبداً تَنَجُّساً منه . فكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول حين بلغه أنّ الدَّبْرَ منعته : «عجباً لحفظ الله عزّ وجلّ العبدَ المؤمن ! كان عاصم نَذَر ألاّ يَمَسَّه مشركٌ ولا يَمَسُّ مشركاً أبداً في حياته ، فمنَعَه الله بعد مماته كما امتنع منه في حياته !» .

[رواية أُخرى عن البعث ومصيره]

قال محمد بن جرير : وأمّا غير ابن إسحاق ، فإنّه قصّ من خبر هذه السَّرِيَّة غير الذي قصّه غيره : من ذلك ما حدّثنا أبو كُرَيْبٌ قال حدّثنا جعفر بن عَون العمريّ قال حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل عن عُمَرَ أو عمرو بن أُسيدٍ عن أبي هُرَيرة : أنّ رسول الله ﷺ بعث عشرة رهطٍ ،

وأَمَّر عليهم عاصم بن ثابت بن أبي الأَقلح ، فخرجوا ، حتى إذا كانوا بالهَدْأة ذُكِروا لِحَيٍّ من هذيل يقال لهم بنو لَحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجلٍ رامياً ، فوجدوا مأْكَلَهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : نَوى يَثْرِب ! ثم اتَّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أَحَسَّ بهم عاصم وأصحابه التجؤوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون فاستنزلوهم ، وأعطوهم العهد . فقال عاصم : والله لا أنزِل على عهد كافرٍ ، اللهمَّ أَخبِرْ نبيَّك عنَّا . ونَزَل إليهم ابن الدَّثِنَة البَياضيّ ، وخُبَيبٌ ، ورجلٌ آخر ؛ فأطلق القوم أوتار قسِيِّهم ، ثم أَوثَقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّلُ الغَدر ، والله لا أَتبَعُكم ، فضربوه وقتلوه ؛ وانطلقوا بخُبَيْبٍ وابن الدَّثِنَة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيباً إلى بني الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد منافٍ ، وكان خبيبٌ هو الذي قتل الحارث بأُحُدٍ . فبينما خُبَيْبٌ عند بنات الحارث ، استعار من إحدى بنات الحارث موسى ليَستَحِدّ بها للقتل ، فما راع المرأة ولها صبيٌّ يدرُج إلاّ خُبَيب قد أجلس الصبيَّ على فخذه والموسى بيده ، فصاحت المرأة ؛ فقال خبيب : أتحسبين أنّي أقتُله ! إنّ الغَدْرَ ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعدُ : ما رأيتُ أسيراً قطُّ خيراً من خبيبٍ ، لقد رأيته وما بمكّة من ثمرةٍ وإنّ في يده لقِطْفاً من عِنَبٍ يأكله ، إنْ كان إلاّ رزقاً رزقَه الله خبيباً . وبعثَ حيٌّ من قيس إلى عاصم ليُؤتَوْا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصمٍ فيهم آثار[1] بأُحُدٍ ، فبعَث الله عليه دَبراً فحمَتْ لحمَه فلم يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً . فلمّا خرجوا بخُبَيب من الحَرَم ليقتلوه ، قال : ذَرُوني أُصَلِّ ركعتين ، فتركوه فصلّى ركعتين ، فجرتْ سُنّةً لمن قُتِل صَبْراً أن يُصلِّي ركعتين ، ثم قال : لولا أن يقال جَزِعَ لَزِدْتُ ، وما أُبالي[2] :

عَلى أيِّ شِقٍّ كان لله مَصْرَعي

ثم قال : [من الطويل]

وذلك في ذاتِ الإلهِ وإنْ يَشَأْ يُبارِكْ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

اللّهمّ أَحْصِهم عدداً[3] ، وخُذهُم بِدَداً . ثم خرج به أبو سَروعة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف فضربه فقتله .

حدّثنا محمد قال حدّثنا أبو كُرَيبٍ قال حدّثنا جعفر بن عون عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال

---

1 ل : أوتار وهي جمع وتر ، وآثار : جمع ثأر .

2 من قصيدة نسبها ابن هشام إلى خبيب مطلعها :

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا قبائلهم واستجمعوا كل مجمع

3 أحصهم عدداً : أهلكهم فلا يبقى من عددهم أحد .

وأخبرني جعفر بن عمرو بن أُميَّة عن أبيه عن جدّه : أنّ رسول الله ﷺ بعثه وحده عيناً إلى قريش . قال : فجئتُ إلى خشبة خُبَيْب وأنا أتخوّف العيون ، فرَقِيتُ فيها ، فحللتُ خُبَيباً فوقع إلى الأرض ، فانتبذتُ[1] غير بعيدٍ ، ثم التفتُّ فلم أَرَ لخُبَيْبٍ أثراً ، فكأنّما الأرض ابتلعته ، فلم تَظهرُ لخبيب رِمّةٌ حتى الساعة .

قال محمد بن جرير : وأمّا زيد بن الدَّثِنَّة ، فإنّ صفوان بن أُميّة بعثَ به ، فيما حدّثنا ابن حُمَيد قال حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق ، مع مولًى له يقال له نسطاس إلى التَّنْعيم ، فأخرجه من الحَرَم ليقتله ؛ واجتمع إليه رهطٌ من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قُدِّم لِيُقتَل : أَنشُدُكَ الله يا زيد ، أتُحِبُّ أنّ محمداً عندنا الآن مكانك فنضرب عُنُقه وأنَّك في أهلك ؟ فقال : والله ما أُحِبُّ أنّ محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكةٌ تُؤذيه وأنا جالسٌ في أهلي ! قال يقول أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحداً يُحِبُّ أحداً كحُبِّ أصحاب محمدٍ محمداً ؛ ثم قتله نِسْطاس .

[نزول عبد الله وأبي أحمد ابني جحش على عاصم بن ثابت]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثنا محمد بن إسحاق المُسَيَّبيّ قال حدّثنا محمد بن فُلَيْح عن موسى بن عقبة عن ابن شهابٍ قال : نزل عبد الله وأبو أحمد ابنا جحشٍ ، حين قدِما مهاجرين ، على عاصم بن ثابت ، وكنيته أبو سليمان .

[شعر لعاصم بن ثابت وكنيته]

وقال عاصم : [من الرجز]

أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَـدِ ومُجْنَـأ من جلدِ ثورٍ أَجْرَدِ[2]

وذكر لنا الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير أنّ عاصماً ، فيما قيل ، كان يُكنى أبا سفيان . قال : وقال في يوم الرَّجيع : [من الرجز]

أنـا أبـو سُفيانَ مِثْلي راما أَضْرِبُ كَبْشَ العارِضِ القَدَّاما[3]

[كنية الأحوص واسم أمّه وبعض صفاته]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسماعيل بن عبد الله عن إسماعيل بن إبراهيم بن عُقبة عن عمِّه قال : كُنية الأحوص أبو محمد . وأُمُّه أُثَيْلَة بنت عُمَيْر بن مَخْشيٍّ ؛ وكان أحمر أحوص العينين .

---

1 ل : فاستدرت .

2 المقعد : فرخ النسر وقيل اسم رجل كان يريش السهام . المجنأ : الترس ليس فيه حديد .

3 كبش : رئيس . والعارض : الجيش . والقدّام : الذي يتقدّم في الشرف .

[رأي الفرزدق في شعره]

قال الزُّبير فحدّثني محمد بن يحيى قال : قَدِم الفرزدق المدينة ، ثم خرج منها ، فسُئل عن شُعرائها ، فقال : رأيتُ بها شاعرَيْن وعَجِبتُ لهما : أحدُهما أَخْضَرُ يسكن خارجاً من بُطحان[1] (يريد ابن هرمة) ؛ والآخر أحمرُ كأنّه وَحَرَةٌ على بُرودةٍ في شعره (يريد الأحوص) . والوَحَرةُ : يَعْسُوبٌ أحمر ينزل الأنبار[2] .

[هجاؤه لابنه]

وقال الأحوص يهجو نفسه ويذكر حَوَصَه[3] : [من الرجز]

أَقْبِحْ بـه مـن وَلَـدٍ وأَشْقِحِ مِثْـلِ جُـرَيٍّ الكلب لم يُفَقِّحِ
إنْ يَـرَ سُوءًا لم يَقُمْ فيَنْبَحِ بالبابِ عند حاجةِ المُسْتَفْتِحِ[4]

قال الزُّبير : ولم يبقَ للأحوص من وَلَدِه غيرُ رجلين .

[طبقته في الشعر عند ابن سلام]

قال الزُّبير : وجعل محمد بن سلاّم الأحوص ، وابن قيس الرُّقيّات ، ونُصَيباً ، وجميل بن معمَرٍ طبقةً سادسةً من شعراء الإسلام[5] ، وجعله بعد ابن قَيس ، وبعد نُصَيْب . قال أبو الفرج : والأحوص ، لولا ما وضع به نفسَه من دَنِيء الأخلاق والأفعال ، أَشَدُّ تقدُّماً منهم عند جماعة أهل الحجاز وأكثر الرُّواة ؛ وهو أَسمحُ طبعاً ، وأسهل كلاماً ، وأَصَحُّ معنًى منهم ؛ ولشِعرِه رونقٌ وديباجةٌ صافية وحلاوة وعذوبةُ ألفاظٍ ليست لواحدٍ منهم . وكان قليلَ المروءة والدِّين ، هجّاءً للناس ، مأْبوناً فيما يُروى عنه .

[جلده سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة أنّ جماعةً من أهل المدينة أخبروه : أنّ السبب في جَلْدِ سليمان بن عبد الملك ، أو الوليد بن عبد الملك إيّاه ونفيه له ، أنّ شهوداً شهِدوا عليه عنده أنّه قال : إذا أخذتُ جريري[6] لم أُبالِ أيَّ الثلاثة لَقِيتُ ناكحاً أو منكوحاً أو زانياً . قالوا : وانضاف إلى ذلك أنّ سُكَيْنة بنت الحسين رضي الله عنهما فَخَرتْ يوماً برسول الله ﷺ ففاخرها بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

---

1 بطحان : واد بالمدينة .

2 ل : يلزم البئار .

3 البيتان في مجموع شعره : 90 وفي الحيوان للجاحظ 1 : 254–255 أنّهما لأبي الأحوص يهجو فيهما ابنه .

4 هذه رواية الجاحظ ، والشطر الثاني في الديوان «بالبابِ عند خلقه المستقبح» .

5 شعراء الطبقة السادسة عند ابن سلام هم : عبيد الله بن قيس الرقيات والأحوص وجميل ونصيب .

6 الجرير : الزمام .

ليس جهـــلٌ أَتَيْتِهِ ببَديعِ

فزاده ذلك حَنَقاً عليه وغيظاً حتّى نفاه .

[فخرت سكينة بالنبيّ ففاخرها بجدّه وخاله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة : أنّ الأحوص كان يوماً عند سُكينة ، فأَذّن المؤذّن ، فلمّا قال : أَشهَدُ أنْ لا إله إلاّ الله ، أَشهد أنّ محمداً رسول الله ، فخَرَتْ سُكينةُ بما سمعت ؛ فقال الأحوص[1] : [من الخفيف]

فخَرتْ وانتمتْ فقلتُ ذَرِيني ... ليس جهـلٌ أَتيتِـه بِبَديعِ
فأنا ابنُ الذي حَمَتْ لَحْمَه الدَّبْـ ... ـرُ قتيلِ اللَّحْيانِ يومَ الرَّجيعِ
غَسَّلتْ خالَيَ الملائكـةُ الأبْـ ... ـرارُ مَيْتاً طُوبَى له مِن صَرِيعِ

قال أبو زيد : وقد لَعَمري فَخَر بفَخْرٍ لو على غيرِ سُكَينة فخَر به ؛ وبأبي سُكينة ﷺ حمتْ أباه الدَّبرُ وغسَّلتْ خالَه الملائكة .

[هجاؤه لابن حزم عامل المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن أيُّوب بن عُمَر عن أبيه قال : لمّا جاء ابن حَزْمٍ عملَه من قِبَل سليمان بن عبد الملك على المدينة والحجّ ، جاءه ابن أبي جَهم بن حذيفة وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وسُراقة ، فدخلوا عليه فقالوا له : إيه يا ابن حَزْم ! ما الذي جاء بك ؟ قال : استعملني والله أمير المؤمنين على المدينة على رغم أَنْفِ من رَغِمَ أنفُه . فقال له ابن أبي جهم : يا ابن حزم ، فإنّي أوّلُ مَنْ يَرْغَمُ من ذلك أنفُه . قال فقال ابن حزم : صادقٌ ، واللهُ يُحِبّ الصادقين . فقال الأحوص[2] : [من الطويل]

سليمانُ إذْ وَلاَّكَ رَبُّك حُكْمَنا ... وسُلطانَنا فاحْكُمْ إذا قلتَ واعْدِلِ
يَـــؤُمُّ حَجيجَ المسلمين ابنُ فَرْتَنى ... فهَبْ ذاكَ حَجّـاً ليس بالمُتَقَبَّلِ

فقال ابن أبي عتيق للأحوص : الحمد لله يا أحوص ، إذْ لم أَحُجَّ ذلك العامَ بنعمة ربّي وشُكره . قال : الحمدُ لله الذي صَرَف ذلك عنك يا ابن أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، فلم يُضْلِلْ دِينَك ، ولم تُعنِّ نَفسك ، وترَ ما يَغِيظُك ويَغِيظ المسلمين معك .

[تعرّض لخبازيّ الوليد فأمر عامل المدينة بجلده]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عمّه موسى بن

1 شعر الأحوص : 157 .
2 شعر الأحوص : 178 .

عبد العزيز قال : وَفَد الأحوص على الوليد بن عبد الملك وامتدحه ، فأنزله منزلاً ، وأمر بمَطْبَخِه أن يُمال عليه ؛ ونزل على الوليد بن عبد الملك شُعَيب بن عبد الله بن عمرو بن العاصي ، فكان الأَحوص يُراود وُصَفاءَ للوليد خَبَّازين عن أنفسهم ويُريدهم أن يفعلوا به . وكان شُعَيبٌ قد غَضِب على مولًى له ونحاه . فلمّا خاف الأَحوص أن يفتضح بمُراودته الغلمان ، اندسَّ لمولى شُعَيب ذلك فقال : ادخُلْ على أمير المؤمنين فاذْكُرْ له أنّ شُعيباً أزادك عن نفسك ، ففعل المولى ذلك . فالتفت الوليد إلى شُعَيب فقال : ما يقول هذا ؟ فقال : لكلامه غَوْرٌ يا أمير المؤمنين ، فاشْدُد به يَدَك يصدُقْك . فشدد عليه ، فقال : أَمَرني بذلك الأَحوص . فقال قَيِّم الخبّازين : أصلحك الله ! إنَّ الأَحوص يُراود الخبّازين[1] عن أنفسهم . فأرسل به الوليد إلى ابن حَزْمٍ بالمدينة ، وأمره أن يجلده مائةً ، ويَصُبَّ على رأسه زيتاً ، ويُقيمَه على البُلُسِ[2] ؛ ففعل ذلك به . فقال وهو على البُلُس أبياتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

ما مِنْ مُصِيبةِ نَكْبَةٍ أمْنى بها إلاّ تُشَرِّفُني وتَرْفَعُ شاني

[شعره الذي أنشده حين شهر به]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثني أيُّوب بن عمر قال أخبرني عبد الله بن عمران بن أبي فَرْوَةَ قال : رأيتُ الأَحوص حين وَقَفه ابنُ حَزْمٍ على البُلُس في سوق المدينة وإنّه لَيَصيح ويقول[3] : [من الكامل]

ما مِنْ مُصِيبةِ نَكْبَةٍ أمْنَى بها إلاّ تُعَظِّمُني وترفَعُ شاني
وتَزولُ حين تزولُ عن مُتَخَمِّطٍ تُخْشى بَوادِرُه على الأَقرانِ[4]
إنّي إذا خَفِيَ اللِّئامُ رأيتَني كالشمسِ لا تَخفى بكلِّ مكانِ

[شعره في هجو ابن حزم]

قال : وهجا الأَحوصُ ابن حزمٍ بشعرٍ كثيرٍ ، منه[5] : [من الطويل]

أقولُ وأبصرت ابنَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنى وُقُوفاً لَه بالمأزِمَيْنِ القبائلُ

---

1 ل : غلمانك .
2 البلس : غرائر كبار تُحشى بالتبن ويجعل عليها من يراد التنكيل والتشهير به .
3 شعره : 203 . وقد وردت الأبيات في مصادر عديدة بروايات مختلفة . انظر مثل الحماسية رقم 54 في شرح المرزوقي .
4 متخمط : متكبّر .
5 شعر الأحوص : 165 .

تُرى فَرْتَنى كانتْ بما بَلغَ ابنُها مُصَدِّقَةً لو قال ذلك قائلُ

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير عن أبي عبيدة قال : كلُّ أَمَةٍ يقال لها فَرْتَنى . وأخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم قال : فَرْتَنى : الأَمَةُ بنت الأَمَة ، قال الزُّبير : فقال ابن حَزْمٍ حين سمع قولَ الأَحوص فيه «ابن فَرْتَنى» لرجلٍ من قومه له علمٌ : أنحنُ من ولد فَرْتَنى ؟ أَوتَعرِفُها ؟ فقال : لا والله ؛ قال : ولا أنا أعلَمُ والله ذلك ! ولقد عَضَهني به ، ولو كانت ولدَتْني لم أَجْهَل ذلك .

قال الزُّبير : وحدّثني عَمّي مُصْعَبٌ عن عبد الله بن محمد بن عُمارة قال : فَرْتَنى : أُمٌّ لهم في الجاهلية من بَلْقَيْنٍ ، كانوا يُسَبُّون بها ، لا أدري ما أَمْرُها ، قد طرحوها من كتاب النَّسب ، وهي أُمّ خالد بنت خالد بن سِنان بن وَهْب بن لَوْذانَ السَّاعِدِيّة أُمّ بني حَزْم .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشون : أنّ الأحوص قال لابن حزمٍ[1] : [من الطويل]

لَعَمْري لقد أجرى ابنُ حَزْمِ بنِ فَرْتَنى إلى غايةٍ فيها السِّمامُ المُثَمَّلُ[2]

وقد قلتُ مهلاً آلَ حَزْمِ بنِ فَرْتَنى ففي ظُلْمِنا صابٌ مُمِرٌّ وحَنْظَلُ

وهي طويلة . وقال أيضاً[3] : [من البسيط]

أَهْوى أُمَيَّةَ إنْ شَطَّتْ وإنْ قَرُبتْ يوماً وأُهْدِي لها نُصْحِي وأَشْعارِي

ولو وردتُ عليها الفَيضَ ما حَفَلتْ ولا شَفَتْ عَطَشي من مائه الجارِي

لا تَـأْوِيَنَّ لِحَزْمِـيٍّ رأيتَ به ضُرّاً ولو طُرِحَ الحَزْمِـيُّ في النّارِ

الناخِسِينَ بمَرْوانٍ بذِي خُشُب والمُقْحِمِينَ على عثمانَ في الدَّارِ

[دفع عنه بنو زريق فمدحهم]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني جماعةٌ من مشايخ الأنصار : أنّ ابن حَزْمٍ لمّا جلَد الأحوص ووقَفَه على البُلُس يضربه ، جاءه بنو زُرَيق فدفعوا عنه ، واحتملوه من أعلى البُلُس . فقال في ذلك ، قال ابن الزُّبير : أنشدنيه عبد الملك بن الماجِشون عن يوسف بن أبي سلمة الماجشون[4] : [من البسيط]

إمّا تُصِبْني المَنايـا وهْـيَ لاحقةٌ وكلُّ جَنْبٍ لـه قد حُمَّ مُضْطَجعُ

---

1 شعر الأحوص : 172 .

2 السمام المثمل : السم المقوّى بالسلع أو الذي طال نقعه .

3 شعر الأحوص : 131–132 .

4 شعر الأحوص : 143 عن الأغاني .

فقد جَزَيْتُ بني حَـزْمٍ بظُلْمِهِمُ وقد جزيتُ زُرَيْقاً بالذي صنعوا
قـومٌ أبى طَبَعَ الأخلاق أوّلُهمْ فهُمْ على ذاك من أخلاقهم طُبِعوا[1]
وإنْ أُناسٌ وَنَوْا عن كلِّ مَكْرُمَـةٍ وضاقَ باعُهُمُ عن وُسْعِهِمْ وَسِعوا
إنّي رأيتُ غداةَ السُّوق مَحضَرَهُمْ إذْ نحـنُ ننظر مـا يُتْلى ونَسْتَمِعُ

[نفاه ابن حزم إلى دَهْلك وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عُمَر بن أبي بكر المؤمّليّ قال حدّثني غيرُ واحدٍ من أهل العلم : أنّ أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم جَلَد الأحوصَ في الخُنْثِ ، وطاف به وغرَّبه إلى دَهْلَكَ في محْمِلٍ عُرْياناً . فقال الأحْوَصُ وهو يُطافُ به : [من الكامل]

مـا مِنْ مُصيبةِ نَكْبةٍ أُبْلى بها

الأبيات . وزاد فيها : [من الكامل]

إنّي على مـا قد تَرَوْن محسَّد أنْمي عـلى البَغضاءِ والشَّنَآنِ
أصبحتُ للأنصارِ فيما نابَهم خَلَفـاً وللشُّعَراء مـن حَسّانِ

قال الزُّبير : وممّا ضُرِب فيه أيضاً قولُه[2] : [من الطويل]

شَرُّ الحِزامِيِّينَ ذو السِّنّ منهـمُ وخيرُ الحِزامِيِّـين يَعْدِلُـه الكَلْبُ
فإنْ جئتَ شيخاً من حِزامٍ وجدتَه من النَّوْكِ والتقصير ليس له قلبُ
فلَـوْ سَبَّنـي عَـوْنٌ إذاً لَسَبَبْتُه بشِعْرِيَ أو بعضُ الأولَى جَدُّهُمْ كَعْبُ

عون ، يعني عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه رضوان الله . وكعب ، يعني كَعب بن لؤَيّ : [من الطويل]

أولئـك أكفـاءٌ لبيتـي بُيوتُهُـمْ ولا تستوي الأعْلاثُ والأقْدُحُ القُضْبُ

[أعانه فتى من بني جحجبى فدعا عليه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن ثابتٍ الأنصاريّ عن محمد بن فَضالة قال : كان الأحوص بن محمد الأنصاريّ قد أوسع قومه هِجاء فملأهم شرّاً ، فلم يبقَ له فيهم صديقٌ ، إلاّ فتًى من بني جَحجَبى . فلمّا أراد الأحوص الخروج إلى يزيد بن عبد الملك ، نهض الفتى في جَهازه وقام بحوائجه وشَيَّعه ؛ فلمّا كان بسقاية سليمان وركب الأحوص

1 طبع : الدنس والعيب ، وكل شين في دين أو دنيا فهو طبع .
2 شعر الأحوص : 73 .

مَحمِلَه ، أقبل على الفتى فقال : لا أَخلَفَ الله عليك بخير ؛ فقال : مَهْ ! غفر الله لك ! قال الأحوص : لا والله أو أُعَلِّقها حرباً ! يعني قُباءً وبني عمرو بن عوف .

[هجا معن بن حميد الأنصاريّ فعفا عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن يحيى قال قال غسّان بن عبد الحميد : أقبل الأحوص حتى وقف على مَعن بن حميد الأنصاريّ ، أحد بني عمرو بن عوف بن جَحْجَبى ، فقال[1] : [من الطويل]

رأيتُـــك مَزْهُـــوّاً كأنّ أباكُـــــمُ صُهَيْبَةَ أَمْسى خيرَ عَـــوْفٍ مُرَكّبا
تُقِـــرُّ بكـــم كُوثـــى إذا مـــا نُسِبْتُمُ وتُنكركم عَمْرُو بن عَوْفِ بن جَحْجَبى[2]
عليكَ بأدنى الخَطْبِ إنْ أنت نِلْتَـهُ وأَقْصِرْ فلا يَذْهَبْ بك التِّيهُ مَذْهَبا[3]

فقام إليه بنوه ومواليه ؛ فقال : دَعوا الكلب ، خَلُّوا عنه ، لا يمَسَّه أحدٌ منكم ؛ فانصرف . حتى إذا كان عند أحجار المِراء بقُباءٍ[4] لَقِيه ابن أبي جرير أحد بني العَجلان ، وكان شديداً ضابطاً ؛ فقال له الأحوصُ : [من الطويل]

إنّ بقـــومٍ سَوَّدُوكَ لَحاجـــةً إلى سَيِّد لـــو يَظْفَرون بسَيِّدِ[5]

فألقى ثيابه وأخذ بحَلق الأحوص ، ومع الأحوص راويته ، وجاء الناس ليخلِّصوه ، فحلف لئن خلَّصه أحدٌ من يديه ليأخُذَنَّه ولَيَدَعَنّ الأحوص ؛ فخنقه حتى استرخى ، وتركه حتى أفاق ؛ ثم قال له : كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ ، لئن سُمِع أو سَمِعتُ هذا البيت من أحدٍ من الناس لأضربنّك ضربةً بسيفي أُريد بها نفسَك ولو كنتَ تحت أستار الكعبة . فأقبل الأحوص على راويته فقال : إنّ هذا مجنون ، ولم يسمع هذا البيت غيرُك ؛ فإيّاك أن يسمعه منك خَلْق .

[لقي عباد بن حمزة ومحمد بن مصعب فتهدّداه إن هجاهما]

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني بعض أصحابنا : أنّ الأحوص مرّ بعبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير ومحمد بن مصعب بن الزُّبير بخَيمَتَي[6] أُمِّ

1 شعر الأحوص : 81 .
2 كوثى : محلة بمكّة لبني عبد الدار .
3 التيه في ل : اللؤم .
4 ل : المزيقيا .
5 لحاجة في ل : لفاقة . هذا البيت في القسم المنسوب إلى الأحوص : 219 ، وهو في الخزانة 1 : 165 لأبي نخيلة .
6 خيمة أمّ معبد (ويقال بئر أم معبد) : موضع بين مكّة والمدينة نزل الرسول ﷺ وأبو بكر أثناء هجرتهما .

معبد ، وهما يريدان الحجَّ مَرجعه من عند يزيد بن عبد الملك ، وهو على نجيبٍ له فارهٍ ورَحْل فاخرٍ وبِزة مرتفعة ، فحدّثهما أنّه قَدِم على يزيد بن عبد الملك ، فأجازه وكساه وأخدَمه ؛ فلم يَرَهما يَهَشَّان لذلك . فجعل يقول : خَيْمَتي أُمِّ معبد ، عبّاد ومحمد ، كأنّه يَرُوض القوافي للشعر يريد قوله . فقال له محمد بن مصعب : إنّي أراك في تهيئة شعر وقَوافٍ وأراكَ تُريد أن تهجوَنا ؛ وكلُّ مملوك لي حُرٌّ لئن هجوتَنا بشيء إنْ لم أضربْك بالسيف مجتهداً على نفسك . فقال الأحوصُ : جعلني الله فداك ! إنّي أخاف أن تُسمِعَ هذا فيّ عدوّاً فيقول شعراً يهجوكما به فيَنْحَلُنِيه ، وأنا أبرئكما الساعة ، كلُّ مملوكٍ لي حُرٌّ إن هجوتُكما ببيت شعرٍ أبداً .

[رفض محمد بن عباد صحبته في طريقه إلى مكّة]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب قال حدّثنا الزُّبير بن خُبَيب عن أبيه خُبيب بن ثابت قال : خرجنا مع محمد بن عبّاد بن عبد الله بن الزُّبير إلى العُمرة ، فإنّا لَبِقُرب قُدَيد إذ لحِقنا الأحوص الشاعر على جملٍ برَحل ؛ فقال : الحمدُ لله الذي وفّقكم لي ، ما أُحِبُّ أنّكم غيرُكم ، وما زلت أُحَرِّكُ في آثاركم مذ رُفِعتم لي ؛ فقد ازددت بكم غبطةً . فأقبل عليه محمد ، وكان صاحب جدٍّ يكره الباطل وأهلَه ، فقال : لكنّا والله ما اغتبطنا بك ولا نُحِبُّ مسايرتك ، فتقدّم عنّا أو تأخّر . فقال : والله ما رأيتُ كاليوم جواباً ! قال : هو ذاك . قال : وكان محمد صاحب جدّ يكره الباطل وأهله ، فأشفقنا ممّا صنع ، ومعه عدّة من آل الزُّبير ، فلم يقدِر أحدٌ منهم أن يرُدَّ عليه . قال : وتقدّم الأحوص ، ولم يكن لي شأنٌ غير أن أعتذر إليه . فلمّا هبطنا من المُشَلَّل[1] على خيمتَي أم معبد سمعتُ الأحوص يُهَمْهِم بشيء ، فتفهَّمتُه فإذا هو يقول : خيمتَيْ أمّ معبد ، محمد ، كأنّه يُهيّيء القوافي ، فأمسكتُ راحلتي حتى جاءني محمد ، فقلت : إنّي سمعتُ هذا يُهيّيء لك القوافي ، فإمّا أذِنتَ لنا أن نعتذر إليه ونُرضِيه ، وإمّا خَلَّيتَ بيننا وبينه فنضربه ؛ فإنّا لا نُصادفه في أخلى من هذا المكان . قال : كلاَّ ! إنّ سعد بن مصعب قد أخذ عليه ألاّ يهجو زبيريّاً أبداً ، فإن فعل رجوتُ أن يُخزِيَه الله ، دَعه .

[هجا سعد بن مصعب فلمّا أراد ضربه حلف له ألاّ يهجو زبيريّاً]

قال الزُّبير : وأمّا خبره مع سعد بن مصعب ، فحدّثني به عمّي مصعب قال أخبرني يحيى بن الزُّبير بن عبّاد أو مصعب بن عثمان ، شَكَّ : أيُّهما حدّثه ، قال : كانت أَمَةُ الملك بنت حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، تحت سعد بن مُصعب بن الزُّبير ، وكان فيهم مأتمٌ ، فاتّهمته بامرأةٍ ، فغارت عليه وفضحته . فقال الأحوص يُمازحه[2] : [من الطويل]

---

1 جبل يهبط منه إلى قديد .

2 شعر الأحوص : 84–85 عن الأغاني .

وليس بسَعْدِ النّارِ مَــنْ تزعُمونه ولكنّ سَعْدَ النارِ سعدُ بن مُصْعَبِ
ألم تَــرَ أنّ القومَ ليلــةَ نَوْحِهِمْ بَغَــوْهُ فألفَــوْهُ على شَرِّ مَرْكَبِ
فمــا يَبتغــــي بالغَــيِّ لا دَرَّ دَرُّه وفي بيتِــه مثــلُ الغَــزالِ المُرَبَّبِ

قال : وسعدُ النار رجلٌ يقال له سعد حضنة ، وهو الذي جدّد لزياد بن عبيد الله الحارثيّ الكتابَ الذي في جدار المسجد ، وهو آياتٌ من القرآن أحسَبُ أنّ منها ﴿إنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذِي القُرْبى ويَنْهى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ﴾ . فلمّا فرغ منه قال لزياد : أعطِني أجْري . فقال له زياد : انتظِر ، فإذا رأيتَنا نعمل بما كتبتَ ، فخُذْ أجرك .

قال : فعمِلَ سعد بن مصعبٍ سُفرةً ، وقال للأحوص : اذْهَب بنا إلى سَدّ عبيد الله بن عمر نَتَغَدَّ عليه ، ونشرب من مائه ، ونستَنقِع فيه ؛ فذهب معه . فلمّا صارا إلى الماء ، أمر غلمانه أن يربطوه وأراد ضربه ، وقال : ما جَزِعتُ من هجائك إيّايَ ، ولكن ما ذكرْتَ زوجتي ؟ فقال له : يا سعدُ ، إنّك لتَعلم أنّك إن ضربتني لم أَكفُفْ عن الهجاء ، ولكن خيرٌ لك من ذلك : أُحلِفُ لك بما يُرضيك ألاّ أهجوكَ ولا أحداً من آل الزُّبير أبداً ؛ فأحلَفه وتركه .

[هجا مجمع بن يزيد فسبّه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني مصعبٌ عمّي عن مصعب بن عثمان قال : قال الأحوص لمُجَمِّع بن يزيد بن جارية[1] : [من الطويل]

وجُمِّعْتَ من أشياءَ شَتَّى خبيثةٍ فسُمِّيتَ لمّا جئتَ منها مُجَمِّعا

فقال له مجمِّع : إنّي لا أُحسن الشعر ، ثم أخذ كُرْنافةً[2] فغَمَسها في ماءٍ فغاصتْ ، ثم رفع يده عنها فطفتْ ، فقال : هكذا والله كانت تصنَع خالاتُك السَّواحِرُ .

[طلب من أمّ ليث أن تدخله إلى جارة لها فأبت فعرّض بها في شعره]

أخبرني الحِرْميّ قال وحدّثنا الزُّبير قال : كانت امرأةٌ يقال لها أُمُّ لَيْث امرأة صِدقٍ ، فكانت قد فتحت بينها وبين جارةٍ لها من الأنصار خَوخة ، وكانت الأنصاريّة من أجملِ أنصاريّةٍ خُلِقَتْ . فكلَّم الأحوص أمَّ ليثٍ أن تُدخله في بيتها يكلِّم الأنصاريّة من الخوخة التي فتحت بينها وبينها ، فأبت ؛ فقال : أما لأُكافِئَنَّك ، ثم قال[3] : [من البسيط]

1 شعر الأحوص : 151 .
2 الكرنافة : ما يتبقّى في جذع النخلة بعد قطع السعف .
3 شعر الأحوص : 82 .

هيهاتَ منكَ بنو عَمْرٍو ومَساكنُهمْ إذا تَشَتَّيْتَ قِنَّسْرِيـنَ أو حَلَبـا
قامتْ تراءى وقد جَدّ الرحيلُ بنا بـين السَّقِيفةِ والبابِ الذي نُقِبا
إنّـي لَمانِحُهـا ودِّي ومُتَّخِـذٌ بـأُمّ لَيْـثٍ إلى معروفِهـا سَبَبا

فلمّا بلغتِ الأبياتُ زوجَ المرأة ، سَدّ الخوخة ؛ فاعتذرت إليه أُمّ ليث ، فأبى أن يقبَل ويُصدّقها . فكانت أُمّ ليث تدعو على الأحوص .

[وعده مخزوميّ أن يعينه عند الوليد ثم أخلف]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عُمَر بن شبَّة قال حدّثني أبي قال : ركِب الأحوص إلى الوليد بن عبد الملك قبل ضرب ابن حَزْمٍ إيّاه ، فلقِيَه رجلٌ من بني مخزوم يقال له محمد بن عُتبة ، فوعَده أن يُعينه . فلمّا دخل على الوليد قال ويحك ؛ ما هذا الذي رُمِيتَ به يا أحوص ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، لو كان الذي رماني به ابن حزمٍ من أمر الدِّين لاجتنبتُه ، فكيف وهو من أكبر مَعاصي الله ؛ فقال ابن عتبة : يا أمير المؤمنين ، إنّ من فضل ابن حزمٍ وعَدْلِه كذا وكذا وأثنى عليه . فقال الأحوص : هذا والله كما قال الشاعر : [من الطويل]

وكنتَ كذئبِ السَّوْءِ لمّا رأى دَماً بصاحبه يومـاً أحـالَ على الدَّمِ

[شكاه أهل المدينة فنفي إلى دَهْلك ثم استعطف عمر بن عبد العزيز فلم يعطف عليه]

فأمّا خبره في بقيّة أيّام سليمان بن عبد الملك وعُمَر بن عبد العزيز ، فأخبرني به أبو خليفة الفضلُ بن الحُباب [الجُمَحيّ] قال حدّثنا عون بن محمد بن سلاّم قال حدّثني أبي عمّن حدّثه عن الزُّهريّ ، وأخبرني به الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عَمّي مُصعب عن مصعب بن عثمان قال : كان الأحوص يَنْسُب بنساءٍ ذواتِ أخطار من أهل المدينة ، ويتغنّى في شعره معبد ومالك . ويَشِيع ذلك في الناس ، فنُهي فلم يَنْتَهِ ؛ فشُكي إلى عامل سليمان بن عبد الملك على المدينة وسألوه الكتاب فيه إليه ، ففعل ذلك . فكتب سليمان إلى عامله يأمره أن يضربه مائة سوطٍ ويُقيمَه على البُلُس للناس . ثم يُصيِّره إلى دَهْلك ففعل ذلك به ؛ فثوى هناك سلطان سليمان بن عبد الملك . ثم وَلِي عمر بن عبد العزيز ؛ فكتب إليه يستأذنه في القدوم ويمدحه ؛ فأبى أن يأذَن له . وكتب فيما كتب إليه به[1] : [من الطويل]

أيـا راكبـاً إمّا عَرَضْتَ فبلِّغَنْ هُدِيـتَ أميرَ المؤمنـين رسائـلي

1 شعر الأحوص : 180 .

وقُـلْ لأبـي حَفْصٍ إذا مـا لَقِيتَهُ لقـد كنـت نَفّاعـاً قليلَ الغوائلِ
وكيف تـرى للعيشِ طِيباً ولَـذّةً وخالُك أمسَى مُوثَقاً في الحبائلِ !

هذه الأبيات من رواية الزُّبير وحده ، ولم يذكرها ابن سَلاَّم ، قال : فأتى رجالٌ من الأنصار عُمَرَ بن عبد العزيز ، فكلَّموه فيه وسألوه أن يُقْدِمَه ، وقالوا له : قد عرفتَ نَسَبَه وموضعَه وقديمَه ، وقد أُخْرِجَ إلى أرض الشِّرْك ، فنطلب إليك أن تردَّه إلى حَرَم رسول الله ﷺ ودارِ قومه . فقال لهم عمر : فمَنِ الذي يقول[1] : [من الطويل]

فمـا هُـوَ إلاّ أن أراها فُجاءَةً فأُبْهَتَ حتّى مـا أكادُ أُجيبُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول[2] : [من الطويل]

أَدُورُ ولولا أنْ أرى أمَّ جَعْفَرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيثُ أدورُ
وما كنتُ زَوَّاراً ولكِنَّ ذا الهوى إذا لم يـزرْ لا بُـدَّ أنْ سَيَزُورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول[3] : [من المنسرح]

كأنّ لُـبْنَـى صَبِيرُ غاديـةٍ أو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ
اللهُ بيني وبين قَـيِّمِهـا يَفِـرُّ منِّـي بها وأَتَّبِعُ

قالوا : الأحوص . قال : بَلِ اللهُ بين قَـيِّمها وبينه . قال : فمن الذي يقول[4] : [من الطويل]

ستَبْقى لها في مُضْمَرِ القلبِ والحَشا سريرةُ حُبٍّ يـومَ تُبْلَـى السَّرائرُ

قالوا : الأحوص . قال : إنّ الفاسق عنها يومئذٍ لمشغولٌ ، والله لا أرُدُّه ما كان لي سلطان . قال : فمكث هناك بقيّة ولاية عُمَرَ وصَدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك .

[غنّت حبابة يزيد بن عبد الملك بشعر فلما علم أنّه للأحوص أطلقه وأجازه]

قال : فبينا يزيد وجاريته حبابة ذاتَ ليلةٍ على سطح تُغَنِّيه بشعر الأحوص ، قال لها : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا وعينيك ما أدري ! قال : وقد كان ذهب من الليل شَطْرُه ، فقال : ابعثوا إلى ابن شِهابٍ الزُّهريّ ، فعسى أن يكون عنده علمٌ من ذلك . فأُتِي الزهريّ فقُرِع عليه بابُه فخرج مُرَوَّعاً إلى يزيد . فلمّا صعِد إليه قال له يزيد : لا تُرَعْ ، لم نَدْعُك إلاّ لخير ، اجلِس ، مَن يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص بن محمد يا أمير المؤمنين . قال : ما فَعَل ؟ قال : قد طال حبسُه

1 شعر الأحوص (القسم الثاني) : 213 وينسب إلى كثيرين غير الأحوص .
2 شعر الأحوص : 125 .
3 شعر الأحوص : 143–144 .
4 شعر الأحوص : 118 .

بدَهْلك . قال : قد عَجِبْتُ لعُمَر كيف أغفلَه . ثم أمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربعمائة دينار . فأقبل الزُّهريّ من ليلته إلى قومه من الأنصار فبَشَّرهم بذلك .

[عتابه لعمر بن عبد العزيز]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن إسماعيل ومحمد بن زيد الأنصاريّ قالا : لمّا وَلِي عمر بن عبد العزيز الخلافة أدنى زيد بن أسلم ، وجفا الأحوص . فقال له الأحوص[1] : [من الطويل]

ألستَ أبا حَفْصٍ هُدِيتَ مُخَبِّري ... أفي الحَقِّ أنْ أُقْصَى ويُدْنى ابنُ أَسْلَما

فقال عمر : ذلك هو الحقّ .

قال الزُّبير : وأنشدنيها عبد الملك بن الماجِشون عن يوسف بن الماجِشون : [من الطويل]

أَلا صِلَةُ الأرحامِ أدنى إلى التُّقَى ... وأظهرُ في أكفائه لو تكَرَّما
فما تركَ الصُّنْعُ الذي قد صنعتَه ... ولا الغيظُ منِّي ليس جِلْداً وأَعْظُما
وكنّا ذَوِي قُرْبَى لديك فأصبحتْ ... قرابتُنا ثَدْياً أَجَدَّ مُصَرَّما[2]
وكنتَ وما أمَّلْتُ منك كَبارِقٍ ... لَوى قَطْرَه من بعد ما كان غَيَّما
وقد كنتَ أَرْجى الناسِ عندي مَوَدّةً ... ليالِيَ كان الظنُّ غَيْباً مُرَجَّما
أَعُدُّك حِرْزاً إن جَنيتُ ظُلامةً ... ومالاً ثَرِيّاً حين أحمِلُ مَغْرَما
تَدارَكْ بعُتْبَى عاتباً ذا قَرابَةٍ ... طَوى الغيظَ لم يَفْتَحْ بسُخْطٍ له فَما

[قيل إنّه دسّ إلى حبابة الشعر الذي غنّت يزيد به]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال : كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم أنّ أبا عبيدة حدّثه : أنّ الأحوص لم يَزَلْ مقيماً بدَهْلَك حتى مات عمر بن عبد العزيز ، فدَسّ إلى حبابة فغنّت يزيد بأبيات له ، قال أبو عبيدة : أظنّها قوله[3] : [من الخفيف]

صوت

أيُّهذا المُخَبِّري عن يزيدٍ ... بصَلاحٍ فِداكَ أهلي ومالي
ما أُبالي إذا يزيدُ بَقِي لي ... مَنْ تَوَلَّتْ به صُروفُ الليالي

1 شعر الأحوص : 197 .
2 الثدي الأجد : لا لبن فيه .
3 شعر الأحوص : 184 .

لم يجنِّسه . كذا جاء في الخبر أنّها غنَّته به ، ولم يذكر طريقته . قال أبو عبيدة : أُراه عَرّض بعمر بن عبد العزيز ولم يَقدِر أن يصرِّح مع بني مروان ، فقال : مَنْ يقول هذا ؟ قالت : الأحوص ، وهوّنتْ أمره ، وكلَّمته في أمانه فأمَّنه . فلمّا أصبح حضر فاستأذنت له ، ثمّ أعطاه مائة ألف درهم .

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسّان : أنّ الأحوص دَسَّ إلى حبابة ، فغنَّت يزيد قوله[1] : [من الطويل]

كريمُ قُرَيْشٍ حين يُنْسَبُ والذي ... أقرَّتْ لـه بالمُلْكِ كَهْلاً وأَمْرَدا
وليس وإن أعطاك في اليوم مانِعاً ... إذا عُدْتَ من أضعاف أضعافِه غَدا[2]
أهان تِلادَ المـالِ في الحمدِ إنَّه ... إمامُ هُدًى يجري على مـا تَعَوَّدا
تَشرَّفَ مجـداً مـن أبيه وجَدّه ... وقـد وَرِثـا بُنْيانَ مجدٍ تَشَيَّدا[3]

فقال يزيد : ويلك يا حبابة ! مَن هذا من قريش ؟ قالت : ومَنْ يكون ؟ أنت هو يا أمير المؤمنين . فقال : ومن قال هذا الشعر ؟ قالت : الأحوص يمدح به أميرَ المؤمنين ؛ فأمر به أمير المؤمنين أن يُقْدَمَ عليه من دَهْلَكَ ، وأمر له بمالٍ وكُسْوة .

[أخبره يزيد بن عبد الملك بأنّه معجب بشعر له في مدحهم]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني بعض أهل العلم قال : دخل الأحوص على يزيد بن عبد الملك وهو خليفةٌ ؛ فقال له يزيد : والله لو لم تَمُتَّ إلينا بحُرمة ، ولا تَوَسَّلتَ بدالَّة ، ولا جَدَّدْتَ لنا مَدحاً ، غيرَ أنّك مُقتصِرٌ على البيتين اللذين قلتَهما فينا ، لكنتَ مُستوجباً لجزيل الصِّلَةِ منّي حيث تقول[4] : [من الطويل]

وإنّي لأستحيِيكُمُ أنْ يقودَني ... إلى غيرِكم من سائرِ الناس مَطْمَعُ
وأنْ أجْتَدي للنفعِ غيرَك منهمُ ... وأنت إمـامٌ للرعيّـةِ مَقْنَـعُ

قال : وهذه قصيدةٌ مدَح بها عمر بن عبد العزيز .

[لمّا ولي يزيد بعث إليه فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ قال حدّثني

---

1 من قصيدة ضمّت 31 بيتاً ؛ شعره : 98– 104 .

2 الشطر الأول في رواية الديوان : «وليس عطاء كان منه بمانع» .

3 تشرف مجداً في الديوان : «تردى بمجد» .

4 شعر الأحوص : 141 .

عمر بن موسى بن عبد العزيز قال : لمّا وَلِي يزيد بن عبد الملك بعث إلى الأحوص ، فأُقْدِم عليه ، فأكرمه وأجازه بثلاثين ألفَ درهم . فلمّا قَدِم قُباء صَبّ المالَ على نِطْعٍ ودعا جماعةً من قومه ، وقال : إنّي قد عَمِلتُ لكم طعاماً . فلمّا دخلوا عليه كشَف لهم عن ذلك المال ، وقال : ﴿أَفَسِحْرٌ هذا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُون﴾ .

قال الزُّبير : وقال في يزيد بن عبد الملك يمدحه حينئذٍ بهذه القصيدة[1] : [من الخفيف]

صَرَمتْ حَبْلَك الغداةَ نَوارُ إنّ صَرْماً لكلِّ حبلٍ قُصارُ

وهي طويلة ، يقول فيها :

مَنْ يَكُنْ سائلاً فإنّ يزيداً مَلِكٌ مِنْ عَطائه الإكثارُ
عمَّ معروفُه فعَزَّ به الدِّيـ ـنُ وذَلَّتْ لِمُلْكِه الكُفّارُ
وأقامَ الصِّراطَ فابتهجَ الحَـ ـقُّ منيراً كما أنارَ النَّهارُ

ومن هذه القصيدة بيتان يُغنَّى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

بَشَرٌ لو يَدِبُّ ذَرٌّ عليه كان فيه من مَشْيِه آثارُ
إنّ أَرْوى إذا تذكَّر أَرْوى قَلْبُه كاد قلبُه يُسْتَطارُ

غنَّت فيه عَرِيبُ لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وذكر ابنُ المكّي أنّه لجدّه يحيى .

[أراد أن يكيد عند يزيد لابن حزم فلم يقبل منه وأهانه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب عن مُصعب بن عثمان قال : حَجّ يزيد بن عبد الملك فتزوّج بنت عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأَصدَقها مالاً كثيراً ؛ فكتب الوليد بن عبد الملك إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزْم : إنّه بلغ أميرَ المؤمنين أنّ يزيدَ بن عبد الملك قد تزوّج بنتَ عون بن محمد بن عليّ بن أبي طالب وأَصدَقها مالاً كثيراً ، ولا أُراه فعل ذلك إلاّ وهو يراها خيراً منه ، قَبَّح الله رأيَه ؛ فإذا جاءك كتابي هذا فادْعُ عوناً فاقبِض المال منه ؛ فإنْ لم يدفعه إليك فاضربه بالسِّياط حتى تستَوفيه منه ثم افسَخْ نِكاحه . فأرسل أبو بكر بن محمد بن عمرو إلى عون بن محمد وطالبه بالمال . فقال له : ليس عندي شيءٌ وقد فرّقتُه . فقال له أبو بكر : إنّ أمير المؤمنين أمرَني إن لم تدفعه إليّ كلَّه أن أضربَك بالسِّياط ثم لا أرفَعها عنك حتى أستوفِيَه منك . فصاح به يزيد : تعال إليّ ،

1 شعر الأحوص : 123 .

فجاءه ؛ فقال له فيما بينه وبينه : كأنّك خَشِيتَ أن أُسْلِمَك إليه ، ادفَع إليه المال ولا تُعَرِّض له نفسك ؛ فإنّه إنْ دفعه إليّ رددتُه عليك ، وإن لم يَرُدَّه عليّ أخلفتُه عليك ، ففعل . فلمّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك ، كتب في أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم وفي الأحوص ، فحُملا إليه ، لِما بين أبي بكر والأحوص من العداوة ؛ وكان أبو بكر قد ضرب الأحوص وغرَّبَه إلى دَهْلك وأبو بكر مع عمر بن عبد العزيز ، وعمر إذ ذاك على المدينة . فلمّا صارا بباب يزيد أُذِن للأحوص ، فرفع أبو بكر يديه يدعو ، فلم يَخفِضهُما حتى خرج الغِلمان بالأحوص مُلَبَّباً مكسور الأنف ، وإذ هو لمّا دخل على يزيد قال له : أصلحك الله ؛ هذا ابن حَزمٍ الذي سفَّه رأيَك وردّ نِكاحك . فقال يزيد : كذبتَ ! عليك لعنةُ الله وعلى مَن يقول ذلك ! اكسِروا أنفَه ، وأمر به فأُخرج مُلَبَّباً .

[قصّته مع عبد الحكم بن عمرٍو الجمحيّ]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عمرو الجُمحيّ قال : كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله بن صفوان الجُمحيّ قد اتّخذ بيتاً فجعل فيه شِطْرَنْجاتٍ ونَرْداتٍ وقِرقاتٍ ودفاتر فيها من كلّ علم ، وجعل في الجدار أوتاداً ، فمَن جاء علَّق ثيابه على وتِدٍ منها ، ثم جرَّ دفتراً فقرأه ، وأخذ بعض ما يُلعَب به فلعِب به مع بعضهم . قال : فإنّ عبد الحكم يوماً لَفي المسجد الحرام إذا فتًى داخلٌ من باب الحَنَّاطين إلى باب بني جُمَحَ ، عليه ثوبان مُعَصفران مَدلُوكان وعلى أُذنه ضِغْثُ ريحانٍ وعليه رَدعُ الخَلوق ، فأقبل يَشُقّ الناس حتى جلس إلى عبد الحَكَم بن عمرو بن عبد الله ؛ فجعل مَن رآه يقول : ماذا صُبَّ عليه من هذا ؟ ألم يَجِدْ أحداً يجلس إليه غيرَه ؛ ويقول بعضهم : فأيّ شيء يقوله له عبد الحكم وهو أكرمُ من أن يَجْبَه مَن يقعُد إليه ! فتحدّث إليه ساعةً ثم أهوى فشَبَّك يده في يد عبد الحَكَم وقام يَشُقّ المسجد حتّى خرج من باب الحَنَّاطين ، قال عبد الحكم : فقلت في نفسي : ماذا سَلَّط الله عليّ منك ! رآني معك نصْفُ الناس في المسجد ونِصفُهم في الحنَّاطين ، حتّى دخل مع عبد الحكم بيتَه ، فعلَّق رداءه على وَتِدٍ وحَلَّ أزرارَه واجْتَرَّ الشِّطْرَنْجَ وقال : مَن يلعب ؟ فبينا هو كذلك إذ دخل الأبْجَرُ المغنّي ، فقال له : أي زِنديق ما جاء بك إلى هاهنا ؟ وجعل يشتُمه ويُمازحه . فقال له عبد الحكم : أتشتُم رجلاً في منزلي ! فقال : أتعرِفه ؟ هذا الأحوص . فاعتنقه عبد الحكم وحيّاه . وقال له : أمّا إذ كنت الأحوص فقد هان عليّ ما فعلتَ .

[خطب عبد الملك بن مروان أهل المدينة وتمثّل بشعر له]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حميد بن عبد العزيز عن

أبيه قال : لمّا قَدِم عبد الملك بن مَروان حاجاً سنة خمس وسبعين ، وذلك بعد ما اجتمع الناس عليه بعامين ، جلس على المِنبر فشَتَم أهلَ المدينة ووبَّخهم ، ثم قال : إنّي والله يا أهلَ المدينة قد بلوتُكم فوجدتكم تَنْفَسُون القليلَ وتحسُدون على الكثير ، وما وجدتُ لكم مثلاً إلاّ ما قال مُخَنَّثكُم وأخوكم الأحوص[1] : [من الطويل]

وكَمْ نزلتْ بي من خُطُوبٍ مُهِمّةٍ ... خَذَلتُمْ عليها ثمّ لم أَتَخَشَّعِ
فأَدْبَرَ عنّي شَرُّها لم أُبَلْ بها ... ولم أَدْعُكُمْ في كَرْبِها المُتَطَلِّعِ

فقام إليه نوفل بن مُساحِق فقال : يا أمير المؤمنين ، أقررنا بالذَّنب وطلبنا المعذرة ؛ فعُدْ بحِلْمِك ، فذلك ما يُشْبِهُنا منك ويُشْبِهُك منّا ؛ فقد قال مَنْ ذكرتَ من بعد بيتيه الأوّلين : [من الطويل]

وإنّي لَمُسْتَأْنٍ ومُنْتَظِرٌ بكم ... وإنْ لم تقولوا في المُلِمّاتِ دَعْ دَعِ[2]
أُؤَمِّلُ منكم أنْ تَرَوْا غيرَ رأيكم ... وشيكاً وكيما تَنْزِعُوا خيرَ مَنْزَعِ

[أثر أهل دهلك عنه الشعر وعن عراك بن مالك الفقه]

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير قال حدّثني محمد بن الضحّاك عن المُنذر بن عبد الله الحِزاميّ : أنّ عِراك بن مالك كان من أشدّ أصحاب عمر بن عبد العزيز على بني مروان في انتزاع ما حازوا من الفَيْء والمَظالم من أيديهم . فلمّا وَلِيَ يزيد بن عبد الملك وَلّى عبد الواحد بن عبد الله النَّصْريّ المدينة ، فقرّبَ عِراك بن مالك وقال : صاحبُ الرجل الصالح ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وكان يجلس معه على سريره . فبينا هو معه إذ أتاه كتابُ يزيد بن عبد الملك : أنِ ابعَثْ مع عِراك بن مالك حَرَسيّاً حتى يُنزِله أرض دَهلَكَ وخُذْ من عِراكٍ حمولتَه . فقال لحَرَسيٍّ بين يديه وعِراكٌ معه على السرير : خُذْ بيد عِراكٍ فابتَعْ من ماله راحلةً ثم تَوَجَّهْ به نحو دَهْلَكَ حتى تُقِرَّه فيها ؛ ففعل ذلك الحرسيّ . قال : وأَقْدَم الأحوص ؛ فمدحه الأحوصُ ؛ فأكرمه وأعطاه . قال : فأهلُ دَهْلَكَ يأثُرون الشعرَ عن الأحوص ، والفِقْه عن عِراك بن مالك .

[كاد له الجراح الحكميّ بأذربيجان لهجائه يزيد بن المهلّب]

أخبرني أبو خليفة الفَضْلُ بن الحُباب عن محمد بن سَلاّم عن أبي الغَرَّاف عمّن يَثِق به قال : بعثَ يزيد بن عبد الملك حين قُتِل يزيد بن المهلّب في الشعراء ، فأمر بهجاء يزيد بن المهلّب ،

1 شعر الأحوص : 154 مع اختلاف طفيف في الرواية .
2 بكم في ل : معاً .

منهم الفرزدق وكُثَيِّرٌ والأحوص . فقال الفرزدق : لقدِ امتدحتُ[1] بني المهلَّب بمدائح ما امتدحتُ بمثلها أحداً ، وإنّه لقبيحٌ بمثلي أن يُكذِّب نفسه على كِبر السِّنّ ، فَلْيُعفِني أمير المؤمنين ؛ قال : فأعفاه . وقال كُثَيِّرٌ : إنّي أكره أن أُعَرِّضَ نفسي لشعراء أهل العراق إن هجوتُ بني المهلَّب . وأمّا الأحوص فإنّه هجاهم . ثم بعث به يزيد بن عبد الملك إلى الجرّاح بن عبد الله الحَكَميّ وهو بأذربيجان ، وقد كان بلغ الجرّاح هجاءُ الأحوص بني المهلّب ، فبعث إليه بِزِقٍّ من خمرٍ فأُدخِل منزل الأحوص ، ثم بعث إليه خيلاً فدخلتْ منزلَه فصَبُّوا الخمر على رأسه ثم أخرجوه على رؤوس الناس فأتو به الجرّاح ، فأمر بحَلقِ رأسه ولِحيته ، وضربه الحَدَّ بين أوجُه الرجال ، وهو يقول : ليس هكذا تُضرَب الحدود ؛ فجعل الجرّاح يقول : أجَلْ ! ولكن لِما تعلَم . ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يعتذر فأغضى له عليها .

[رأي أبي الفرج فيه]

قال أبو الفرج الأصبهانيّ[2] : وليس ما جرى من ذكر الأحوص إرادةً للغَضِّ منه في شعره ، ولكنّا ذكرنا من كلِّ ما يُؤْثَرُ عنه ما تُعْرَفُ به حاله من تقدُّمٍ وتأخُّرٍ ، وفضيلةٍ ونقصٍ ؛ فأمّا تفضيلُه وتقدُّمه في الشعر فمُتَعالَم مشهور ، وشِعرُه يُنبِيء عن نفسه ويدُلّ على فضله فيه وتقدُّمه وحُسنِ رونقه وتَهَذُّبِه وصَفائه .

[رأى الفرزدق وجرير في نسيبه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الملك بن عبد العزيز قال حدّثني عبد الله بن مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ قال حدّثنا شيخٌ لنا من هُذَيل كان خالاً للفرزدق من بعض أطرافه قال : سمعتُ بالفرزدق وجرير على باب الحجّاج ، فقلتُ : لو تَعرّضتُ ابن أُختِنا ! فامتطيتُ إليه بعيراً ، حتى وجدتُهما قبل أن يَخلُصا ، ولكلٍّ واحدٍ منهما شيعةٌ ؛ فكنتُ في شيعة الفرزدق ؛ فقام الآذن يوماً فقال : أين جرير ؟ فقال جرير : هذا أبو فراس ؛ فأظهرتْ شيعتُه لَوْمَه وأسَرَّتْه . فقال الآذِن : أين الفرزدق ؟ فقام فدخل . فقالوا لجرير : أتُناوِئه وتُهاجيه وتُشاخِصُه ، ثم تُبَدَّى عليه فتأبى وتُبَدِّيه ؟ ! قضيتَ له على نفسك ؛ فقال لهم : إنّه نَزْرُ القول ، ولم يَنْشَب أن يَنفَد ما عنده وما قال فيه فيُفاخره ويرفَع نفسه عليه ؛ فما جئتُ به بعدُ حُمِدْتُ عليه واستُحسِن . فقال قائلُهم : لقد نظرتَ نَظَراً بعيداً . قال : فما نَشِبوا أنْ خرج الآذِن فصاح : أين جرير ؟ فقام جرير فدخل . قال : فدخلتُ ، فإذا ما مدحه به الفرزدق قد نفِد ، وإذا هو يقول : [من الكامل]

---

1 ل : مدحت .

2 ل : مؤلّف هذا الكتاب .

أينَ الذين بِهِمْ تُسامي دارِمـاً أَمْ مَنْ إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تجعلُ

قال : وعِمامته على رأسه مثل المِنْسَف ، فصِحتُ من ورائه[1] : [من الكامل]

هذا ابنُ يوسُفَ فاعْلَموا وتَفَهَّموا بَرِحَ الخَفاءُ فليس حـين تَناجِي
مَـنْ سَدّ مُطَّلَـعَ النِّفاقِ عليكُمُ أَمْ مَنْ يَصُولُ كصَوْلـة الحجَّاجِ
أم مَنْ يَغـارُ على النِّساء حفيظةً إذ لا يَثِقْـنَ بغَيْـرةِ الأزواجِ
قُـلْ لِلْجَبَانِ إذا تأخَّـر سَرْجُـهُ هل أنـتَ من شَرَكِ المَنِيَّةِ ناجي

قال : وما تشبيبها ؟ وطرِب : فقال جرير : [من الكامل]

لَـجَّ الهَـوى بفُؤادِك المِلْجاجِ فاحْبِسْ بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ

وأَمَّرها ، أو قال : أمضاها . فقال : أَعْطُوه كذا وكذا ؛ فاستقللت ذلك . فقال الهُذَليّ : وكان جريرٌ عربيّاً قَرَوِيّاً ، فقال للحجّاج : قد أمر لي الأمير بما لم يُفهَم عنه ، فلو دعا كاتباً وكتب بما أمَر به الأمير ؛ فدعا كاتباً واحتاط فيه بأكثر من ضِعفه ، وأعطى الفرزدق أيضاً . قال الهُذليّ : فجئتُ الفرزدق فأمر لي بستّين ديناراً وعبدٍ ، ودخلتُ على رُواته فوجدتُهم يُعَدِّلون ما انحرف من شِعره ، فأخذتُ من شعره ما أردتُ . ثم قلتُ له : يا أبا فِراس ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أشعرُ الناس بعدي ابنُ المَراغة . قلت : فمَنْ أنْسبُ الناس ؟ قال الذي يقول[2] : [من الكامل]

لِي ليلتـانِ فليلـةٌ مَعْسُولةٌ أَلْقَى الحبيبَ بها بِنَجْمِ الأَسْعُدِ
ومُرِيحـةٌ هَمِّـي عـليَّ كأنَّني حتـى الصَّباحِ مُعَلَّـقٌ بالفَرْقَدِ

قلت : ذاك الأحوص . قال : ذاك هو . قال الهذليّ : ثم أتيتُ جريراً فجعلتُ أستقلّ عنده ما أعطاني صاحبي أَسْتَخرِج به منه ؛ فقال : كم أعطاك ابنُ أُخْتِك ؟ فأخبرته . فقال : ولك

---

1 انظر ديوان جرير (طبعة صادر ، 1964) : 73–74 هناك اختلاف كبير في الرواية والترتيب ويبدو أنّ البيت الأوّل قد لُفّق من بيتين في هذه القصيدة :

إنّ ابن يوسف فاعلموا وتيقّنوا ماضي البصيرة واضح المنهـاج
فاستوسقوا وتبيّنوا سبل الهدى ودعوا النجيّ فليس حين تناجي

ومطلع القصيدة في الديوان :

هاج الهـوى بفـؤادك المهتاج فانظر بتوضح باكـر الأحداج

2 شعر الأحوص : 109 وهما من أبيات سترد فيما بعد مطلعها :

يـا للرجـال لوجدك المتجـدّد ولما تؤمـل من عقيلة في غـد

مثله ؛ فأعطاني ستّين ديناراً وعبداً . قال : وجئتُ رُواتَه وهم يُقَوِّمون ما انحرف من شعره وما فيه من السِّناد ، فأخذتُ منه ما أردت ، ثم قلتُ : يا أبا حَزْرةَ ، مَن أنْسَبُ الناس ؟ قال الذي يقول[1] : [من المنسرح]

يا ليتَ شِعْرِي عَمَّنْ كَلِفْتُ به ... من خَثْعَمٍ إذ نأَيْتُ ما صَنَعوا
قومٌ يَحُلُّون بالسَّدِير وبالـ ... ـحِيرَةِ منهم مَرْأىً ومُسْتَمَعُ
أنْ شَطَّتِ الدارُ عن دِيارِهِمُ ... أأمسكوا بالوِصال أم قَطَعُوا
بل هُمْ على خَيْرِ ما عَهِدْتُ وما ... ذلِكَ إلاّ التأميلُ والطَّمَعُ

قلت : ومَن هو ؟ قال : الأحوص . فاجتمعا على أن الأحوص أنسبُ الناس .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

منها الأبيات التي يقول فيها الأحوص : [من الكامل]

لي ليلتـان فليلةٌ معسولةٌ

وأوّل ما يُغنَّى به فيها : [من الكامل]

صوت

يـا لَلرِّجالِ لِوَجْدِكَ المُتَجَدِّدِ ... ولِمَا تُؤَمِّلُ مـن عَقِيلةَ في غَدِ
ترجو مَواعِدَ بَعْثُ آدمَ دونها ... كانتْ خَبالاً للفـؤادِ المُقصَدِ
هل تذكُرين عَقِيلُ أو أنْساكِهِ ... بَعْدِي تَقَلُّبُ ذا الزَّمانِ المُفْسِدِ
يومي ويَوْمَكِ بالعَقِيقِ إذِ الهَوى ... منّا جَمِيعُ الشَّمْلِ لم يَتَبَدَّدِ
لي ليلتـانِ فليلـةٌ معسولـةٌ ... ألقَى الحبيبَ بها بنَجْمِ الأَسْعُدِ
ومُرِيحـةٌ هَمِّـي عـليّ كأنَّني ... حتَّى الصباحِ مُعَلَّـقٌ بالفَرْقَدِ

عروضه من الكامل . يقال : يا لِلرِّجال ويا لَلرجال بالكسر والفتح وفي الحديث أنّ عمر رضي الله عنه صاح لَمّا طُعِن : يا لله يا للمسلمين . وقوله «في غد» ، يريد فيما بعد وفي باقي الدهر ؛ قال الله سبحانه : ﴿سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الكَذَّابُ الأَشِرُ﴾ . والخَبَل والخَبالُ : النُّقصان من الشيء . والمُخَبَّل ، أصلُه مأخوذ من النقص لأنّه ناقص العقل . والمعسولة : الحُلْوة المشتهاة .

الشعر للأحوص . والغناء في البيت الأوّل والثاني لمالك خفيف رمل بالبنصر عن الهشاميّ

1 شعر الأحوص : 144 عن الأغاني .

وحَبَش . وفي الثالث والرابع لسليمان أخي بابَوَيْهِ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما وفي الخامس والسادس لحن لابن سُرَيج ذكره يونس ولم يجنسه . وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ لَمعبدٍ في الأبيات كلّها لحناً وأنّه من صحيح غنائه ، ولم يُجَنِّسه .

[سألت امرأة ابناً للأحوص عن شعر له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : بلغني أنّ ابناً للأحوص بن محمد الشاعر دخل على امرأةٍ شريفةٍ ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بَكّار قال حدّثني إبراهيم بن زيد عن عَنْبَسَة بن سعيد بن العاصي قال أخبرني أَشْعَبُ بن جُبَيْر قال : حضرتِ امرأةٌ شريفةٌ ودخل عليها ابن الأحوص بن محمد الشاعر ؛ فقالت له : أتروي قولَ أبيك : [من الكامل]

لي ليلتـــانِ فليلـةٌ معسولـةٌ ألقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُريحـةٌ هَمِّـي عــليّ كأنّني حتّى الصباحِ معلَّــقٌ بالفَرْقَدِ

قال نعم . قالت : أتدري أيّ الليلتين التي يبيت فيها معلّقا بالفَرقد ؟ قال : لا والله . قالت : هي ليلة أُمِّك التي يبيت معها فيها . قال إبراهيم في خبره : فقلتُ لأشعب : يا أبا العلاء ، فأيُّ ليلتيه المعسولة ؟ فقال[1] : [من الطويل]

سَتُبْدِي لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتِيـكَ بالأخبارِ مَـنْ لم تُزَوِّدِ

هي ليلة الإسراف[2] ، ولا تسأل عمّا بعدها .

[ما قاله ابن جندب حين أنشد شعر الأحوص]

أخبرني عبد العزيز ابن بنت الماجِشون قال : أُنشِدَ ابن جُندبٍ قول الأحوص : [من الكامل]

لي ليلتـانِ فليلـــةٌ معسولـةٌ أَلْقَى الحبيبَ بها بنجم الأَسْعُدِ
ومُرِيحـــةٌ هَمِّـــي عليّ كأنّني حتّى الصباحِ معلَّـقٌ بالفَرْقَدِ

فقال : أمَا إنّ الله يعلم أنّ الليلة المريحة هَمِّي لأَلَذُّ الليلتين عندي . قال الحِرْميّ بن أبي العلاء : وذلك لِكَلَفِه بالغَزَل والشَّوق والحنين وتَمَنِّي اللقاء .

[من هي عقيلة التي شغف بها الأحوص]

وللأحوص مع عقيلة هذه أخبارٌ قد ذُكِرت في مواضع أُخَرَ . وعقيلة امرأة من وَلَد عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه . وقد ذكر الزُّبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أنّ عقيلة هذه هي سُكَينة بنت الحسين عليهما السلام ، كَنى عنها بعقيلة .

---

1 هذا البيت من معلّقة طرفة .

2 ل : الأشراف .

[أعجب أبو عبيدة بن محمد بن عمّار بيت له]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّلي : أنّ إنساناً أنشد عند إبراهيم بن هشام وهو والي المدينة قول الأحوص : [من البسيط]

إذْ أنتِ فينا لِمَنْ يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذْ أُجُرُّ إليكم سادراً رَسَني

فوثب أبو عبيدة بن عمّار بن ياسِرٍ قائماً ثم أرخى رِداءه ومضى يمشي على تلك الحال ويَجُرّه حتى بلغ العِرض ثم رجع . فقال له إبراهيم بن هشام حين جلس : ما شأنُك ؟ فقال : أيّها الأمير ، إنّي سمعتُ هذا البيتَ مرّةً فأعجبني ، فحلفتُ لا أسمَعُه إلاّ جَرَرْتُ رَسَني [1] .

نسبة هذا البيت وما غُنّي [2] فيه من الشعر

صوت

[من البسيط]

سَقْياً لِرَبْعِك من رَبْعٍ بذِي سَلَمٍ وللزَّمانِ به إذ ذاكَ من زَمَنِ
إذْ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذ أُجُرُّ إليكم سادِراً رَسَني

عروضه من البسيط . غنّى ابن سُريج في هذين البيتين لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر إسحاق فيه لحناً من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر حَبَشٌ أنّه للغريض .

[كان حمّاد الراوية يفضّله على الشعراء في النسيب]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلاّم عن سالم بن أبي السَّحماء [3] وكان صاحب حمّادٍ الراوية : أنّ حمّاداً كان يقدِّم الأحوص في النَّسيب .

[هجا رجلاً فاستعدى عليه الفرزدق وجريراً فلم ينصراه فعاد فصالحه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عمر بن أبي سليمان عن يوسف بن أبي سليمان بن عُنيزة قال : هجا الأحوص رجلاً من الأنصار من بني حرامٍ يقال له ابن بشير ، وكان كثير المال ؛ فغضِب من ذلك ، فخرج حتّى قدِم على الفرزدق بالبصرة وأهدى إليه وألطفه ، فقبِل منه ، ثم جلسا يتحدّثان ؛ فقال الفرزدق : ممّن أنت ؟ قال : من الأنصار .

---

1 شعر الأحوص : 203 .
2 ل : ومن غنّى .
3 ل : السمحاء .

قال : ما أقدمك ؟ قال : جئتُ مستجيراً بالله عزّ وجلّ ثم بك من رجلٍ هجاني . قال : قد أجارك الله منه وكفاك مُؤنته ، فأين أنت عن الأحوص ؟ قال : هو الذي هجاني . فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول[1] : [من الطويل]

ألا قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فاسْتَنْطِقِ الرَّسْما فقَـدْ هـاجَ أحزاني وذَكَّرَني نُعْما

قال بلى . قال : فلا والله لا أهجو رجلاً هذا شِعره أبداً . فخرج ابن بشير فاشترى أفضَل من الشِّراء الأوّل من الهدايا ، فقدِم بها على جرير ؛ فأخذها وقال له : ما أقدَمَك ؟ قال : جئت مستجيراً بالله وبك من رجلٍ هجاني . فقال : قد أجارك الله عزّ وجلّ منه وكفاكَ ، أين أنت عن ابن عَمِّك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو الذي هجاني . قال : فأطرق ساعةً ثم قال : أليس هو الذي يقول[2] : [من الطويل]

تَمَشَّى بشَتْمِي في أكارِيسِ مالكٍ تُشِيدُ به كالكَلْبِ إذ يَنْبَحُ النَّجْما[3]
فما أنا بالمخْسُوسِ في جِذْمِ مالكٍ ولا بالمُسَمَّى ثم يَلْتَزِمُ الإسْما
ولكـنّ بيتي إنْ سألتَ وجدتَـه تَوَسَّط منها العِزَّ والحَسَبَ الضَّخْما[4]

قال : بلى والله . قال : فلا والله لا أهجو شاعراً هذا شعره . قال : فاشترى أفضل من تلك الهدايا وقَدِم على الأحوص فأهداها إليه وصالحَه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الطويل]

ألا قِفْ بِرَسْمِ الدَّارِ فاستنْطِقِ الرَّسْما فقد هاجَ أحزاني وذكَّرني نُعْمَى
فبِتُّ كأنّي شاربٌ من مُدامَـةٍ إذا أذهبتْ هَمّاً أتاحتْ لـه هَمَّا

غنّاه إبراهيم الموصليّ خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ أنّه له .

---

1 شعر الأحوص : 194 .
2 شعرالأحوص : 193–194 .
3 رواية الديوان :
وكنت وشتمي في أرومة مالك بسبي به كالكلب إذ ينبح النجما
والأكاريس : جمع كرس وهو الجماعة من الناس .
4 بيتي في الديوان : أبي .

[أنشد أبو السائب المخزوميّ شعراً له فطرِب]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قال لي أبو السائب المخزوميّ : أنشِدني للأحوص ؛ فأنشدته قوله[1] : [من الكامل]

قالتْ وقلتُ تَحَرَّجِي وصِلِي ... حَبْلَ امْرِىءٍ بوصالكم صَبٌّ
واصِلْ إذاً بَعْـلي فقُلْتُ لها ... الغَدرُ شيءٌ ليس مـن ضَرْبي

صوت

[من الكامل]

ثِنْتانِ لا أدنـو لِوَصْلِهمـا ... عِرْسُ الخليلِ وجارةُ الجَنْبِ
أمّا الخليـلُ فلستُ فاجعَـه ... والجـارُ أوصـاني بـه رَبِّي
عُوجُـوا كـذا نَذْكُرْ لغانِيةٍ ... بعضَ الحديثِ مَطِيَّكم صَحْبِي
ونَقُلْ لها فِيـمَ الصُّدودُ ولَمْ ... نُذْنِبْ بَلَ انْتِ بَدَأْتِ بالذَّنْـبِ
إنْ تُقْبِـلي نُقْبِـلْ ونُنزِلكم ... مِنّا بـدار السَّهْـلِ والرُّحْبِ
أو تُدْبِـري تكـدُرْ مَعِيشَتُنـا ... وتُصَدِّعـي مُتَلائـمَ الشَّعْبِ

غنَّى في «ثِنتان لا أدنو» والذي بعده ابنُ جامع ثقيلاً أوّل بالوسطى . وغنَّى في «عُوجُوا كذا نذكر لغانيةٍ» والأبيات التي بعده ابنُ مُحرز لحناً من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلقاً في مجرى البِنصر ، قال : فأقبل عليّ أبو السائب فقال : يا ابن أخي ، هذا والله المُحِبُّ عَيْناً لا الذي يقول : [من الوافر]

وكنتُ إذا خليلٌ رامَ صُرْمِي ... وجدتُ ورايَ مُنْفَسَحاً عَرِيضاً

اذهَب فلا صَحِبك[2] الله ولا وسَّع عليك (يعني قائل هذا البيت) .

[سأل المهديّ عن أنسب بيت فأجاب رجل من شعره فأجازه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثنا خالد بن وضّاح قال حدّثني عبد الأعلى بن عبد الله بن محمد بن صفوان الجُمَحيّ قال : حملتُ دَيْنا بعسكر المهديّ ، فركب المهديّ بين أبي عبيد الله وعمر بن بَزِيع ، وأنا وراءه في موكبه على بِرذَوْنٍ قَطُوف ؛ فقال : ما أنْسَبُ بيتٍ قالته العرب ؟ فقال له أبو عبيد الله : قولُ امرىء القيس : [من الطويل]

---

1 شعر الأحوص : 82– 84 .

2 ل : أصبحك .

وما ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلاّ لِتَضْرِبي بسَهْمَيْكِ في أعشارِ قَلبٍ مُقَتَّلِ[1]

فقال : هذا أعرابيٌّ قُحٌّ . فقال عمر بن بزيع : قول كُثَيِّر يا أمير المؤمنين : [من الطويل]

أُريدُ لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلى بكلِّ سَبيلِ

فقال : ما هذا بشيءٍ ، ومالَه يريد أن يَنْسى ذِكرها حتى تَمَثَّل له ؟ فقلتُ : عندي حاجتُك يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ! قال : الحَقْ بي . قلتُ : لا لَحاقَ بي ، ليس ذلك في دابَّتي . قال : احمِلوه على دابَّة . قلت : هذا أوّلُ الفَتح ؛ فحُمِلت على دابّة ، فلَحِقت . فقال : ما عندك ؟ فقلت : قول الأحوص : [من الطويل]

إذا قلتُ إنِّي مُشْتَفٍ بِلِقائها فحُمّ التلاقي بيننا زادَني سُقْما

فقال : أحسنَ والله ! اقْضُوا عنه دَينَه ؛ فقُضِي عنّي دَيْني .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

منها الشعر الذي هو : [من الطويل]

أريد لأَنْسى ذِكرَها فكأَنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ

وقال[2] : [من الطويل]

صوت

ألا حَيِّيا لَيْلَى أجَدّ رَحِيلي وآذَنَ أصحابي غَداً بِقُفُولِ
ولم أَرَ من لَيْلَى نَوالاً أَعُدُّهُ ألا رُبَّما طالبتُ غيرَ مُنِيلِ
أُريد لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى بكلِّ سبيلِ
وليس خَلِيلي بالمَلولِ ولا الذي إذا غِبْتُ عنه باعَني بخليلِ
ولكنْ خَليلي مَنْ يَدومُ وِصالُهُ ويَحْفَظُ سِرِّي عند كلِّ دَخِيلِ

عروضه من الطويل ، الشعر لكُثَيِّر . والغناء في ثلاثة الأبيات الأوَل لإبراهيم ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . ولابنه إسحاق في :

وليس خليلي بالمَلُول ولا الذي

ثقيلٌ آخرُ بالوسطى .

---

1 لتضربي في ل : لتقدحي . والبيت من معلّقة امرىء القيس .

2 ديوان كثير : 108 .

[حديث ابن سلام عن كثير وجميل]

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمد بن سلاّم ، وأخبرني الحِرْمِيّ قال حدّثنا الزُّبير عن محمد بن سَلاَّم قال : كان لِكُثَيِّرٍ في النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّمٌ عليه وعلى أصحاب النسيب جميعاً ، ولكثيِّر من فنون الشِّعر ما ليس لجميل . وكان كثيِّر راوية جميل ، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعِشق ، ولم يكن كثيِّر بعاشق ، وكان يتقوّل . قال : وكان الناس يستحسنون بيت كثيِّر في النسيب : [من الطويل]

أُريد لأنْسى ذِكْرَها فكأنّما تَمَثَّـلُ لي لَيْـلَى بكـلِّ سبيلِ

قال : وقد رأيتُ مَنْ يُفضِّل عليه بيتَ جميلٍ[1] : [من الطويل]

خليلَيّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما قَتِيلاً بَكى من حُبِّ قاتِلِه قَبلي

[حديث ابن مصعب الزبيريّ عن كثير]

قرأت في كتابٍ منسوبٍ إلى أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ : وذكر إسحاق بن إبراهيم الموصليّ أنّ عبد الله بن مُصعب الزُّبيريّ كان يوماً يذكُر شعرَ كُثَيِّرٍ ويَصِف تفضيل أهل الحجاز إيّاه ، إلى أن انتهى إلى هذا البيت . قال إسحاق : فقلتُ له : إنّ الناس يَعِيبُون عليه هذا المعنى ويقولون : ما لَه يُريد أن ينساها ؟ فتبسَّم ابن مُصعَبٍ ثم قال : إنَّكم يا أهلَ العراق لَتقولون ذلك .

[سئل كثيّر عن أنسب بيت قاله فأجاب]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو يحيى الزُّهريّ قال حدّثني الهِزَبْريّ قال : قيل لكثيِّر : ما أنسب بيتٍ قلتَه ؟ قال : الناس يقولون : [من الطويل]

أُريـد لأَنْسى ذِكْرَها فكأنَّما تَمَثَّـلُ لي لَيْـلَى بكلِّ سبيلِ

وأنسبُ عندي منه قولي : [من الطويل]

وقُـلْ أُمُّ عَمْـرٍ داؤه وشفاؤه لديها وريَّاها الشِّفاءُ مِنَ الخَبلِ[2]

وقد قيل : إنّ بعض هذه الأبيات للمتوكِّل اللَّيْثيّ .

[قال محرز بن جعفر إنّ الشعر في الأنصار]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عثمان ، قال الحرميّ : أحْسِبَه ابن عبد الرحمن

---

1 ديوان جميل : 99 .

2 «لديها وريّاها الشفاء من الخبل» في ل : «لديها ورياها إليه طبيب» .

المخزوميّ ، قال حدّثنا إبراهيم بن أبي عبد الله قال : قيل لمُحرز بن جعفر : أنت صاحبُ شِعْرٍ ، ونَراك تَلزَم الأنصار ، وليس هناك منه شيء ؛ قال : بلى والله ، إنّ هناك لَلشعرَ عين الشِّعر ، وكيف لا يكون الشعر هناك وصاحبهم الأحوص الذي يقول[1] : [من الطويل]

يقولون لو ماتتْ لقد غاض حُبُّهُ ... وذلك حِينُ الفاجِعاتِ وحِيني
لَعَمْرُك إنِّي إنْ تُحَـمَّ وفاتُها ... بصُحْبةِ مَنْ يَبقَى لَغَيْرُ ضَنِينِ

وهو الذي يقول[2] : [من الطويل]

وإنِّي لِمكْرامٌ لسادات مالكٍ ... وإنِّي لِنَوْكى مالكٍ لَسَبُوبُ
وإنِّي على الحِلْمِ الذي من سَجِيَّتي ... لَحَمَّالُ أضْغانٍ لَـهُـنّ طَلُوبُ

[ما قاله الأحوص من الشعر في مرض موته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني عمّي مُصعب قال حدّثني يحيى بن الزبير بن عبّاد بن حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ، قال الزُّبير وحدّثني عليُّ بن صالح عن عامر بن صالح : أنّ الأحوص قال في مرضه الذي مات فيه ، وقال عامر بن صالح : حين هرب من عبد الواحد النَّصْريّ إلى البصرة[3] : [من البسيط]

يا بِشْرُ يا رُبَّ مَحْزونٍ بمَصْرَعنا ... وشامِتٍ جَذِلٍ مـا مَسَّه الحَزَنُ
وما شَماتُ امْرىءٍ إن ماتَ صاحبُه ... وقـد يَـرى أنَّه بالموتِ مُرْتَهَنُ
يا بشْرُ هُبِّـي فـإنّ النَّوْمَ أرّقَهُ ... نأْيٌ مُشِتٌّ وأرضٌ غيرُها الوَطَنُ

1 شعر الأحوص : 205 .
2 شعر الأحوص : 80 .
3 شعر الأحوص : 202 .

[51] ـ ذكر خبر الدَّلال وقصّته حين خُصِيَ ومَن خُصِيَ معه والسبب في ذلك وسائر أخباره

[اسمه وكنيته]

الدَّلال اسمه ناقِد[1] ، وكُنيته أبو زيد[2] ، وهو مدنيٌّ مولى بني فَهْم .

وأخبرني عليٌّ بن عبد العزيز عن ابن خُرداذْبهْ قال : قال إسحاق : لم يكنْ في المخنَّثين أحسن وجهاً ولا أنظفُ ثوباً ولا أظرفُ من الدَّلال . قال : وهو أحد مَن خَصاه ابنُ حَزْمٍ . فلمّا فُعِل ذلك به قال : الآن تَمَّ الخُنْث .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله مصعب الزُّبيريّ قال : الدَّلال مولى عائشة بنت سعيد بن العاص .

[كان ظريفاً صاحب نوادر]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبد الله مصعَب الزُّبيريّ قال : كان الدَّلال من أهل المدينة ، ولم يكن أهلُها يَعُدُّون في الظُّرفاء وأصحاب النوادر من المخنَّثين بها إلاّ ثلاثةً : طُوَيْسٌ ، والدَّلال ، وهِنبٌ[3] ؛ فكان هِنب أقدمهم ، والدلال أصغرهم . ولم يكن بعد طُوَيس أظرفُ من الدَّلال ولا أكثرُ مُلَحاً .

قال إسحاق : وحدّثني هشام بن المُرِّيّة عن جرير ، وكانا نديمين مدنيَّين ، قال : ما ذكرتُ الدَّلالَ قطُّ إلاّ ضحكتُ لكثرة نوادره . قال : وكان نَزرَ الحديث ، فإذا تكلَّم أضحك الثَّكلى ، وكان ضاحك السنّ ، وصنعَته نَزرةٌ جيِّدة ، ولم يكن يغنّي إلاّ غناءً مُضْعَفاً ، يعني كثيرَ العمل .

[كان أهل المدينة يفخرون به]

قال إسحاق : وحدّثني أيُّوب بن عَباية قال : شَهِدتُ أهلَ المدينة إذا ذكروا الدَّلالَ وأحاديثَه ، طوّلوا رقابَهم وفَخَروا به ؛ فعلمتُ أنّ ذلك لفضيلةٍ كانت فيه .

[كان يلازم النساء]

قال وحدّثني ابن جامع عن يونس قال : كان الدَّلال مُبْتَلًى بالنساء والكَوْن معهنّ ، وكان

---

1 ل : نافذ .

2 ل : يزيد .

3 ل : وهيت .

يُطلَبُ فلا يُقْدَرُ عليه ، وكان بديعَ الغِناء صحيحَه حَسَن الجِرم[1] .

[سبب لقبه ، وتوسّطه بين الرجال والنساء]

قال إسحاق وحدّثني الزُّبيريّ قال : إنّما لُقِّبَ بالدَّلال لشَكله وحُسن دَلِّه وظَرفه وحلاوة مَنطِقه وحُسن وجهه وإشارته . وكان مشغوفاً بمخالطة النساء يكثر وَصْفِهنّ للرجال . وكان[2] مَن أراد خِطبةَ امرأةٍ سأله عنها وعن غيرها ، فلا يزال يصف له النساء واحدةً فواحدةً حتى ينتهي إلى وصف ما يُعجبه ؛ ثم يتوسَّط بينه وبين من يُعجِبه منهنّ حتى يتزوّجها ؛ فكان يُشاغِل كلَّ مَن جالسه عن الغِناء بتلك الأحاديث كراهةً منه للغناء .

قال إسحاق وحدّثني مُصعب الزُّبيريّ قال : أنا أعلمُ خَلقِ الله بالسبب الذي من أجله خُصِي الدَّلال ؛ وذلك أنّه كان القادم يَقدَمُ المدينة ، فيسأل عن المرأة يتزوّجها فيُدَلُّ على الدَّلال ؛ فإذا جاءه قال له : صِفْ لي مَن تعرف من النساء للتزويج ؛ فلا يزال يصِف له واحدةً بعد واحدة حتى ينتهي إلى ما يُوافق هواه ؛ فيقول : كيف لي بهذه ؟ فيقول : مَهْرُها كذا وكذا ؛ فإذا رضي بذلك أتاها الدَّلال ، فقال لها : إنّي قد أَصبتُ لكِ رجلاً من حالِه وقِصّته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء ، وإنّما قَدِم بلدَنا آنفاً ؛ فلا يزال بذلك يُشوِّقها ويُحَرِّكها حتى تُطيعه ؛ فيأتي الرجل فيُعلمه أنّه قد أَحكم له ما أراد . فإذا سُوِّيَ الأمر وتزوّجته المرأة ، قال لها : قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك ، والليلة موعده ، وأنت مُغتلمةٌ شَبِقة جامَّة ؛ فساعة يدخل عليك[3] قد دَفَقت عليه مثلَ سَيْل العَرِم ، فيقذَرُكِ ولا يُعاوِدُك ، وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك . فتقول : فكيف أصنع ؟ فيقول : أنتِ أعلمُ بدواء حِرِكِ[4] ودائه وما يُسَكِّن غُلْمتَك . فتقول : أنت أعرَف . فيقول : ما أجِد له شيئاً أشفى من النَّيْك . فيقول لها : إن لم تَخافي الفضيحة فابعثي إلى بعض الزُّنوج حتى يقضي بعض وَطَرِك ويَكُفَّ عاديةَ حِرِك ؛ فتقول له : ويلك ؛ ولا كلَّ هذا ! فلا تزال المُحاورة بينهما حتى يقول لها : فكما جاء[5] عليَّ أقوم ، فأُخَفِّفك وأنا والله إلى التخفيف أحوجُ . فتفرَح المرأة فتقول : هذا أمرٌ مستور ، فيَنِيكها ؛ حتى إذا قضى لَذَّتَه منها ، قال لها : أمّا أنتِ فقد استرحتِ وأمِنْتِ العيبَ ، وبَقِيتُ أنا . ثم يجيء إلى الزوج فيقول له : قد واعدتُها أن تدخل عليك الليلة ، وأنت رجلٌ

1 الجرم هنا : الصوت أو جهارته .

2 ل : وكل .

3 ل : يجامعك .

4 ل : فرجك .

5 ل : حكم .

عَزَبٌ ، ونساءُ المدينة خاصّة يُرِدن المُطاولة في الجِماع[1] ، وكأنّي بك كما تُدخله عليها تُفرغ وتقوم ، فتُبغِضُك وتَمْقُتُك ولا تُعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا ، ولا تنظر في وجهك بعدها . فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنّه قد هاجتْ شهوته ؛ فيقول له : كيف أعمل ؟ قال : تطلُب زَنْجيّةً فتَنيكها مرّتين أو ثلاثاً حتى تَسكن غُلْمتُك ؛ فإذا دخلتَ الليلة إلى أهلك لم تجد[2] أمرُك إلاّ جميلاً . فيقول له ذاك : أعوذُ بالله من هذه الحال ، أزِناً وزنجيّة ؟ لا والله لا أفعل ! فإذا أكثر محاورته قال له : فكما جاء عليّ قُمْ فنِكْني أنا حتى تَسْكُن غُلمتك وشَبَقُك ؛ فيفرَح فيَنيكه مرّةً أو مرّتين . فيقول له : قد استوى أمرُك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتَنيكها نَيْكاً يملؤها سروراً ولَذّة . فيَنِيكُ المرأةَ قبل زوجها ، ويَنِيكُه الرجل قبل امرأته . فكان ذلك دأبَه ، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك ، وكان غَيُوراً شديد الغَيرة ، فكتب بأن يُخصى هو وسائرُ المخنَّثين [بالمدينة ومكّة] ، وقال : إنّ هؤلاء يدخلون على نساء قريش ويُفسِدونهنّ . فورد الكتاب على ابن حَزْمٍ فخصاهم . هذه رواية إسحاق عن الزُّبيريّ . والسبب في هذا أيضاً مختلفٌ فيه ، وليس كلُّ الرواة يَرْوون ذلك كما رواه مُصعب[3] .

[رواية أُخرى في السبب الذي خُصي من أجله الدلال وسائر المخنّثين بالمدينة]

فممّا رُوِي من أمرهم ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ، وهذا الخبر أصحُّ ما رُوِي في ذلك إسناداً ، قال أخبرنا أبو زيد عمر بن شَبَّة عن مَعْن بن عيسى ، هكذا رواه الجوهريّ ، وأخبرنا به إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال : قال ابن جَناح حدّثني مَعْنُ بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبي الزِّناد عن أبيه وعن محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ قالا : كان سبب ما خُصِي له المخنَّثون بالمدينة أنّ سليمان بن عبد الملك كان في نادية له يَسمر ليلةً على ظهر سطح ، فتفرّق عنه جلساؤه ، فدعا بوضُوء فجاءت به جاريةٌ له . فبينا هي تصبّ عليه إذ أومأ بيده وأشار بها مرّتين أو ثلاثاً ، فلم تَصُبَّ عليه ؛ فأنكر ذلك فرفع رأسه ، فإذا هي مُصغية بسمعها إلى ناحية العسكر ، وإذا صوت رجل يغنّي ، فأنصتَ له حتى سمع جميعَ ما تَغَنَّى به . فلمّا أصبح أذِن للناس ، ثم أجرى ذِكْرَ الغِناء فلَيّن فيه حتى ظنّ القوم أنّه يشتهيه ويريده ، فأفاضُوا فيه بالتّسهيل وذِكْرِ مَن كان يسمعه . فقال سليمان : فهل بقي أحد يُسمَع منه الغناء ؟ فقال رجل من القوم : عندي يا أمير المؤمنين

---

1 ل : النيك .

2 ل : يجيء .

3 ل : مصعب الزبيري .

رجلانِ من أهل أُيْلَة مُجيدان مُحكِمان . قال : وأين منزلُك ؟ فأومأ إلى الناحية التي كان الغناء منها . قال : فابعَثْ إليهما ، ففعل . فوجد الرسول أحدهما ، فأدخله على سليمان ؛ فقال : ما اسمُك ؟ قال : سُمَير ؛ فسأله عن الغِناء ، فاعترف به . فقال : متى عهدُك به ؟ قال : الليلة الماضية . قال : وأين كنتَ ؟ فأشار إلى الناحية التي سَمِع سليمان منها الغناء . قال : فما غنَّيت به ؟ فأخبره بالشعرَ الذي سمعه سليمان . فأقبل على القوم فقال : هَدَر الجملُ فضَبِعَتِ الناقة ، ونَبَّ التيسُ فشَكِرَتِ الشاةُ ، وهدَر الحمام فزافت الحمامة ، وغنَّى الرجل فطَرِبتِ المرأة ، ثم أمر به فخُصِي . وسأل عن الغناء أين أصلُه ؟ فقيل : بالمدينة في المخنَّثين ، وهم أئمّتُه والحُذَّاق فيه . فكتب إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم الأنصاريّ ، وكان عامِلَه عليها ، أن اخْصِ مَن قِبَلَك من المخنّثين المغنّين ، فزعمَ موسى بن جعفر بن أبي كَثِير قال أخبرني بعض الكُتَّاب قال : قرأت كتابَ سليمان في الديوان ، فرأيتُ على الخاء نقطةً كتمرة العَجوة . قال : ومَن لا يعلم يقول : إنّه صَحَّف القارىء ، وكانت أَحْصِ ، قال : فتتبَّعهم ابن حزم فخَصى منهم تسعةً ؛ فمنهم الدَّلال ، وطَرِيفٌ ، وحَبِيبٌ نَوْمةُ الضُّحى . وقال بعضهم حين خُصِي : سَلِم الخاتن والمختون . وهذا كلام يقوله الصبيّ إذا خُتِن .

قال : فزعم ابن أبي ثابت الأعرج قال أخبرني حمّاد بن نَشِيط الحَسَنيّ قال : أقبلْنا من مكّة ومعنا بَدَراقُس وهو الذي ختَنَهم ، وكان غلامُه قد أعانه على خِصائهم ، فنزلنا على حبيبٍ نومةِ الضُّحى ، فاحتفل لنا وأكرمنا . فقال له ثابت : مَن أنت ؟ قال : يا ابن أخي أتجهلُني وأنت وَلِيتَ خِتاني ! أو قال : وأنت ختنتني . قال : واسوءتاه ! وأيُّهم أنت ؟ قال أنا حبيب . قال ثابت : فاجتنبت طعامه وخِفتُ أن يسمني[1] . قال : وجعلتْ لحيةُ الدّلال بعد سنة أو سنتين تتناثر . وأمّا ابن الكلبيّ فإنّه ذكر عن أبي مِسْكِين ولَقِيطٍ أن أيمَن كتب بإحصاء مَن في المدينة من المخنَّثين ليعرفهم ، فيُوفِد عليه مَن يختاره للوِفادة ؛ فظَنّ الوالي أنّه يُريد الخصاء ، فخصاهم .

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم قال حدّثني ابن جُعْدُبة ، ونسختُ أنا من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدِينيّ عن ابن جُعْدُبة واللفظُ له : أنّ الذي هاج سليمان بن عبد الملك على ما صنعه بمن كان بالمدينة من المخنَّثين ، أنّه كان مستلقياً على فراشه في الليل ، وجاريةٌ له إلى جنبه ، وعليها غِلالةٌ ورِداءٌ مُعَصْفَران ، وعليها وِشاحان من ذهب ، وفي عُنُقها فصلانِ من لؤلؤ وزَبَرجد وياقوت ، وكان سليمان بها

1 ل : فاجتنب طعامه وخاف أن يسمّه .

مشغوفاً ، وفي عسكره رجلٌ يقال له سُمَير الأَيْلِيّ يغنّي ، فلم يفكّر سليمان في غنائِه شُغْلاً بها وإقبالاً عليها ، وهي لاهيةٌ عنه لا تُجيبه مُصغيةٌ إلى الرجل ، حتى طال ذلك عليه ، فحوّل وجهه عنها مُغضَباً ، ثم عاد إلى ما كان مشغولاً عن فهمه بها ، فسمِع سُمَيْراً يغنّي بأحسن صوت وأطيب نغمة : [من البسيط]

صوت

محجوبةٌ سَمِعتْ صوتي فأَرّقَها ... من آخر اللّيل حتى شَفَّها السَّهَرُ
تُدْني على جِيدِها ثِنْيَيْ مُعَصْفَرةٍ ... والحَلْيُ منها على لبّاتها خَصِرُ
في ليلة النصفِ ما يدري مُضاجِعُها ... أوجهُها عنده أبهى أمِ القمرُ

ويروى : أوجهُها ما يَرى أم وجهُها القمرُ

لَوْ خُلِّيَتْ لَمَشتْ نَحْوي على قَدَمٍ ... تكاد من رِقّةٍ للمشي تَنْفَطِرُ

الغناء لسُمَيْر الأَيْلِيّ ، رمل مطلق بالبنصر عن حَبَش . وأخبرني ذُكاء وجه الرُّزّة أنّه سمِع فيه لحناً للدّلال من الثقيل الأوّل ، فلم يَشكُك سليمان أنّ الذي بها ممّا سمعتْ ، وأنّها تهوى سُمَيراً ؛ فوجّه من وقته مَن أحضره وحبسه ، ودعا لها بسيف ونِطْع ، وقال : واللهِ لَتَصْدُقِنّي أو لأضرِبَنّ عنقِك ! قالت : سَلني عمّا تريد . قال : أخبريني عمّا بينك وبين هذا الرجل . قالت : والله ما أعرفه ولا رأيته قطّ ، وأنا جاريةٌ مَنْشَئي الحجاز ، ومن هناك حُمِلتُ إليك ، ووالله ما أعرف بهذه البلاد أحداً سواك . فرقّ لها ، وأحضر الرجلَ فسأله ، وتلطّف له في المسألة ، فلم يجد بينه وبينها سبيلاً ، ولم تَطِبْ نفسه بتخليته سَوِيّاً فخصاه ؛ وكتب في المخنّثين بمثل ذلك . هذه الرواية الصحيحة .

[أسف ابن أبي عتيق لخصاء الدلال]

وقد أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : قيل للوليد بن عبد الملك : إنّ نساء قريش يدخل عليهنّ المخنّثون بالمدينة ، وقد قال رسول الله ﷺ : «لا يدخل عليكنّ هؤلاء» . فكتب إلى ابن حَزْم الأنصاريّ أنِ اخْصِهم ، فخصاهم . فمرّ ابن أبي عتيق فقال : أَخَصَيتم الدَّلال ! أما والله لقد كان يُحسن : [من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْـ ... ـشِ أمسَى دارساً خَلَقا
تأبَّد بعد ساكنه ... فأصبح أهلُه فِرَقا
وقفتُ به أُسائلُه ... ومَرّتْ عِيسُهم حِزَقا

ثم ذهب ثم رجع ، فقال : إنّما أعني خفيفَه ، لستُ أعني ثقيلَه .

[أسف الماجشون لذلك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقديّ عن ابن الماجشون : أنّ خليفةَ صاحبَ الشُّرطة لمّا خُصي المخنَّثون مرّ بأبيه الماجِشون وهو في حلقته ؛ فصاح به : تعالَ ، فجاءه ؛ فقال : أَخَصَيتم الدَّلال ؟ قال نعم . قال : أما إنّه كان يُجيد : [من الهزج]

لِمَنْ ربـعٌ بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خَلَقا

ثم مضى غيرَ بعيد فردّه ، ثم قال : أستغفر الله ؛ إنّما أعني هزجه لا ثقيلَه .

[أضحك الناس في الصلاة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني حمزة النَّوفليّ قال : صلّى الدَّلال المخنَّث إلى جانبي في المسجد ، فضَرَطَ ضرطةً هائلةً سمعها مَن في المسجد ، فرفعنا رؤوسنا وهو ساجد ، وهو يقول في سجوده رافعاً بذلك صوته : سَبَّح لك أعلايَ وأسفلي ؛ فلم يبقَ في المسجد أحدٌ إلاّ فُتِن وقطع صلاتَه بالضحك .

[طرب شيخ في مجلس ابن جعفر للغناء]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن أشياخه : أنّ عبد الله بن جعفر قال لصديق له : لو غَنَّتْك جاريتي فلانة : [من الهزج]

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجيـ ـش أمسى دارساً خَلَقا

لَمَا أدركتَ دُكّانك . فقال : جُعِلتُ فِداك ، قد وجبتْ جُنوبُها فكُلوا منها وأَطعِموا البائس الفقير . فقال عبد الله : يا غلام ، مُرْ فلانة أن تخرج ؛ فخرجتْ معها عُودُها . فقال عبد الله : إنّ هذا الشيخ يكره السماع . فقالت : وَيحه ! لو كَرِهَ الطعام والشرابَ كان أقرب له إلى الصواب ! فقال الشيخ : فكيف ذاك وبهما الحياة ؟ فقالت : إنّهما ربّما قتلا وهذا لا يقتُل . فقال عبد الله غنّي : [من الهزج]

لِمَنْ ربعٌ بذات الجيـ ـش أمسَى دارساً خَلَقا

فغنَّت ؛ فجعل الشيخ يصفّق ويرقُص ويقول :

هذا أوانُ الشَّدِّ فاشْتَدِّي زِيَمْ

ويحرِّك رأسه ويدور حتى وقع[1] مغشيّاً عليه ، وعبد الله بن جعفر يضحك منه .

[غنّى الدلال الغمر بن يزيد فطرب]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال حدّثني أبو غسّان قال : مرّ

1 ل : سقط .

الغَمر بن يزيد بن عبد الملك حاجّاً ، فغنّاه الدَّلال : [من البسيط]

بانتْ سُعادُ وأمسى حَبْلُها انصرَما واحْتَلَّت الغَمْرَ فالأجراعَ من إضما

فقال له الغمر : أحسنتَ والله ، وغلبتَ فيه ابن سريج ! فقال له الدَّلال : نعمةُ الله عليّ فيه أعظمُ من ذلك . قال : وما هي ؟ قال : السُّمعة ، لا يسمَعه أحدٌ إلاّ عَلِم أنّه غناء مُخنَّثٍ حقّاً .

نسبة هذا الصوت[1] : [من البسيط]

صوت

بانتْ سعادُ وأمسى حبلُها انصرما واحتلّتِ الغَمْرَ فالأجراعَ من إضَما[2]

إحْدى بَلِيّ ومـا هامَ الفؤادُ بها إلاّ السَّفاهَ وإلاّ ذِكْـرةً حُلُما

هَلاَّ سألتِ بني ذُبْيانَ ما حَسَبي إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأشمط البَرَما

الشعر للنابغة الذبيانيّ ، والغناء للدَّلال خفيف ثقيل أوّلَ بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيلٍ بالبِنصر لمعبد عن عمرو بن بانة . وفيه لابن سريج ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن حبش . وفيه لنَشِيطٍ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عنه . وذكر الهِشاميّ أنّ لحن مَعبَدٍ ثقيلٌ أوّل ، وذكر حمّاد أنّه للغَريض . وفيه لجَمِيلَة ودَحمان لحنانِ ، ويقال : إنّهما جميعاً من الثقيل الأوّل .

[احتكم إليه شيعي ومرجىء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق إجازةً عن أبيه عن المَدائنيّ قال : اختصم شيعيٌّ ومُرجِىء ، فجعلا بينهما أوّل مَن يطلُع ، فطلَع الدَّلال . فقالا له : أبا زَيد ، أيُّهما خيرٌ : الشِّيعيّ أمِ المُرجِىء ؟ فقال : لا أدري إلاّ أنّ أعلايَ شيعيّ وأسفلي مُرجِىء !

[هرب من المدينة إلى مكّة]

قال إسحاق قال المدائنيّ وأخبرني أبو مسكينٍ عن فَلَيْح بن سليمان قال : كان الدَّلال ملازماً لأُمِّ سعيد الأسلميّة وبنتٍ ليحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي ، وكانتا من أَمْجَن النساء ، كانتا تخرُجان فتركبان الفرسين فتستبقان عليهما حتى تبدوَ خَلاخِيلُهما . فقال معاوية لمروان بن الحَكَم : اكْفِني بنتَ أخيك ؛ فقال : أفعل . فاستزارها ، وأمر ببئر فحُفِرَتْ في طريقها ، وغُطِّيتْ بحَصِيرٍ ، فلمّا مشتْ عليه سقطتْ في البئر فكانت قبرَها . وطُلِب الدَّلال

1 ديوان النابغة (تحقيق أبو الفضل إبراهيم) : 61–62 .

2 انصرما في الديوان : انجذما . الغمر في الديوان : الشرع .

فهرَب إلى مكّة . فقال له نساء أهلِ مكّة : قتلتَ نساء أهل المدينة وجئتَ لتقتلنا ! فقال : واللهِ ما قَتَلهنّ إلاّ الحُكاك . فقلن : اعزُبْ أخزاك الله ، ولا أدنى بك [دارا ، ولا آذانا بك] ! قال : فمَنْ لَكُنّ بعدي يدلّ على دائكنّ ويعلَم موضع شِفائكنّ ؟ والله ما زنيتُ قطّ ولا زُني بي ، وإنّي لأشتهي ما تشتهي نساؤكم ورجالكم .

[كان الماجشون يقرّب الدلال ويستحسن غناءه]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن ابن الماجشون قال : كان أبي يُعجبه الدَّلال ويستحسن غناءه ويُدنيه ويُقرّبه ، ولم أرَه أنا ، فسمعتُ أبي يقول : غنّاني الدَّلال يوماً بشعر مجنون بني عامر ، فلقد خفْتُ الفتنة على نفسي . فقلت : يا أبتِ ، وأيَّ شعر تَغَنّى ؟ قال قوله[1] : [من الطويل]

صوت

عَسى اللهُ أنْ يُجْري المَوَدّةَ بيننا ... ويُوصِلَ حبلاً منكمُ بحِبالِيا
فكَمْ من خَلِيلَيْ جَفْوةٍ قد تَقاطَعا ... على الدَّهْرِ لَمّا أنْ أطالا التَّلاقِيا[2]
وإنّي لفي كَرْبٍ وأنتِ خَلِيّةٌ ... لقد فارقتْ في الوصفِ حالُكِ حالِيا
عتبتُ فما أعتبتِني بمودّةٍ ... ورُمْتُ فما أسعفتني بسؤالِيا

الغناء في هذا الشعر للغريض ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، ولا أعرف فيه لحناً غيره . وذكر حمّاد في أخبار الدَّلال أنّه للدّلال ، ولم يجنسه .

[غرر بمخّة المخنّث فعابت خثيم بن عراك صاحب الشرطة]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم الحاطبيّ قال : قَدِم مخنَّث من مكّة يقال له مُخّة ، فجاء إلى الدَّلال فقال : يا أبا زيد ، دُلَّني على بعض مُخَنَّثي أهل المدينة أُكايدْه وأُمازِحْه ثم أُجاذِبْه . قال : قد وجدته لك ، وكان خُثيم بن عِراك بن مالكٍ صاحبِ شُرطة زِياد بن عبيد الله الحارثيّ جارَه ، وقد خرج في ذلك الوقت ليصلّي في المسجد ، فأومأ إلى خُثَيم فقال : الْحَقْه في المسجد ؛ فإنّه يقوم فيه فيُصلّي لِيُرائيَ الناس ، فإنّك ستظفر بما تريد منه . فدخل المسجد وجلس إلى جنب ابن عِراك ، فقال : عَجِّلي بصلاتك لا صلّى اللهُ عليكِ ! فقال خُثَيم : سبحانَ الله ! فقال المخنَّث : سبَّحتِ في جامعةٍ قرّاصةٍ ، انصرفي حتى أتحدّث معكِ . فانصرف خُثيم من صلاته ، ودعا بالشُّرَط والسِّياط فقال : خُذُوه فأخذوه ، فضربه مائةً وحبسه .

---

1 ديوان مجنون ليلى ، 311 عن الأغاني .

2 تقاطعا في ل : تواصلا ، ولا معنى له .

[أضحك الناس في الصلاة فتهدّده الوالي]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال : صلّى الدَّلال يوماً خلْفَ الإمام بمكّة ، فقرأ : ﴿وما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ؛ فقال الدَّلال : لا أدري والله ؛ فضَحِك أكثرُ الناس وقطعوا الصلاة . فلمّا قضى الوالي صلاتَه دعا به وقال له : ويلك ! ألا تَدَعُ هذا المجونَ والسَّفَهَ ! فقال له : قد كان عندي أنّك تعبد الله ، فلمّا سمعتُك تستفهم ، ظننتُ أنّك قد تشكّكت في ربِّك فثَبَّتُّك . فقال له : أنا شككت في ربِّي وأنت ثَبَّتَّني ! اذهَبْ لعنك الله ؛ ولا تُعاوِد فأُبالغَ والله في عقوبتك !

[قصّته مع رجل زوّجه امرأة لم يدخل بها]

قال إسحاق وحدّثني الواقديّ عن عثمان بن إبراهيم قال[1] : سأل رجلٌ الدَّلال أنْ يزوّجه امرأةً فزوّجه . فلمّا أعطاها صَداقَها وجاء بها إليه فدخلت عليه ، قام إليها فَواقَعها ، فضَرَطتْ قبل أن يطأها ، فكَسِل عنها الرجل ومَقَتها وأَمَر بها فأُخرجَتْ ، وبعث إلى الدَّلال ، فعرّفه ما جرى عليه . فقال له الدَّلال : فديتُك ! هذا كلُّه من عِزّة نفسها . قال : دعني منك ؛ فإنّي قد أبغضتها ، فاردد عليّ دراهمي ، فرَدّ بعضها . فقال له : لِمَ رددتَ بعضها وقد خرجتْ كما دخلت ؟ قال : للرَّوعة التي أدخلتَها على استِها . فضحِك وقال له : اذهَب فأنت أقضى الناس وأفقَهُهم .

[سكر مع فتية من قريش فأراد الأمير أن يحدّه ثم عفا عنه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أبو أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمد بن سلاّم عن أبيه قال وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلاّم عن أبيه قال : إنّ الدّلال خرج يوماً مع فِتيةٍ من قريش في نزهةٍ لهم ، وكان معهم غلامٌ جميلُ الوجه ، فأعجبه ؛ وعلِم القوم بذلك ، فقالوا : قد ظَفِرنا به بقيّة يومنا ، وكان لا يصبِر في مجلس حتّى ينقضي ، وينصرف عنه استثقالاً لمحادثة الرجال ومحبّةً في محادثة النساء . فغَمزوا الغلام عليه ؛ وفَطِن لذلك فغضِب ، وقام لينصرف ؛ فأقسم الغلام عليه والقوم جميعاً فجلس . وكان معهم شرابٌ فشرِبوا ، وسَقَوْه وحَمَلوا عليه لئلاّ يبرَح[2] ، ثم سألوه أن يُغنّيهم فغنّاهم : [من الطويل]

صوت

زُبَيْرِيّــةٌ بالعَــرْجِ منهــا منــازلٌ وبالخَيْفِ من أدنــى مَنازِلها رَسْمُ

1 نقل ابن حمدون هذه الحكاية في التذكرة 9 : 423 (رقم 1007) .

2 ل : يخرج .

أُسائـلُ عنهـا كلَّ رَكْـبٍ لَقِيتُه ومالي بهـا مـن بعد مَكَّتِنا عِلْمُ
أيا صاحب الخَيْماتِ من بَطْنِ أَرْثَد إلى النخلِ من وَدّانَ ما فعلتْ نُعْمُ[1]
فإنْ تَكُ حَرْبٌ بين قومي وقومِها فإنّـي لهـا في كلِّ نائـرةٍ سَلْمُ[2]

ذكر يحيى المكّيّ وعمرو بن بانة أنّ الغِناء في هذا الشعر لمعبد ثاني ثقيل بالوسطى ، وذكر غيرهما أنّه للدّلال . وفيه لُمخارق رملٌ . وذكر إسحاق هذا اللحن في طريقة الثقيل الثاني ولم ينسبه إلى أحد ، قال : فاسْتُطِير القومُ فرحاً وسروراً وعلا نَعِيرُهم ؛ فنَذِر بهم السُّلطان ، وتعادتِ الأشراط[3] ، فأحسُّوا بالطَّلَب فهربوا ؛ وبقي الغلام والدَّلال ما يُطيقان بَراحاً من السُّكْر ؛ فأُخِذا فأُتِيَ بهما أمير المدينة . فقال للدَّلال : يا فاسق ؛ فقال له : مِن فمِك إلى السماء . قال : جَوُّوا فَكَّه ؛ قال : وعُنُقَه أيضاً . قال : يا عدوّ الله ! أما وَسِعَك بيتُك حتى خرجتَ بهذا الغلام إلى الصحراء تفسُق به ! فقال : لو علمتُ أنّك تغارُ علينا وتشتهي أن نفسُق سِرّاً ما خرجتُ من بيتي . قال : جَرِّدوه واضربوه حدّاً . قال : وما ينفعك من ذلك ؛ وأنا والله أُضْرَب في كلّ يوم حدوداً . قال : ومَن يتولّى ذلك منك ؟ قال : أُيُورُ المسلمين . قال : ابطَحوه على وجهه واجلسوا على ظهره . قال : أحسِب أنّ الأمير قد اشتهى أن يرى كيف أُناك . قال : أقيموه لعنه الله واشهَروه في المدينة مع الغلام . فأُخرِجا يُدار بهما في السِّكَك . فقيل له : ما هذا يا دلالُ ؟ قال : اشتهى الأمير أن يجمع بين الرأسين ، فجمع بيني وبين هذا الغلام ونادى علينا ، ولو قيل له الآن : إنّك قوّاد غضِب ! فبلغ قولُه الوالي فقال : خَلُّوا سبيلَهما ، لعنة الله عليهما !

[شهادة معبد في غناء الدلال]

قال إسحاق في خبره خاصّةً ، ولم يذكره أبو أيُّوب ، فحدّثني أبي عن ابن جامِع عن سِياطٍ قال : سمعت يونسَ يقول قال لي معبدٌ : ما ذكرت غناء الدَّلال في هذا الشعر : [من الطويل]

زُبَيْرِيَّةٌ بالعَـرْج منهـا مَنازِلٌ

إلاّ جدّد لي سروراً ، ولَوَدِدْتُ أنّي كنت سبقتُه إليه لحُسنه عندي . قال يونس : فقلت له : ما بلغَ من حُسنه عندك ؟ قال : يكفيك أنّي لم أسمعْ أحسنَ منه قطُّ .

[ما كان بينه مع بعض المخنَّثين وبين عبد الرحمن بن حسّان]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عَدِيّ عن صالح بن حسّان قال : كان

1 أرثد في ل : أربد .
2 نائرة : عداوة .
3 تعادت الأشراط : أخذ رجال الشرطة يعدون .

بالمدينة عُرس ، فاتَّفق فيه الدَّلال وطُوَيْس والوليد المخنَّث ، فدخل عبد الرحمن بن حسَّان ، فلمّا رآهم قال : ما كنتُ لأجلسَ في مجلس فيه هؤلاء . فقال له طُوَيْس : قد علمتَ يا عبد الرحمن نِكايتي فيك وأنّ جَرْحي إيّاك لم يندمل ؛ يعني خبرَه معه بحضرة عبد الله بن جعفر ، وذِكْرَه لعَمّته الفارِعة ، فاربَح نفسَك وأَقبِلْ على شأنك ؛ فإنّه لا قيامَ لك بمن يَفْهَمك فَهْمي . وقال له الدَّلال : يا أخا الأنصار ! إنّ أبا عبد النَّعيم أعلَمُ بك منّي ، وسأُعْلِمك بعض ما أعلم به . ثم اندفع ونَقَر بالدُّفّ ، وكلُّهم ينقُر بدُفِّه معه ، فتغنّى : [من الطويل]

صوت

أتهجُر يـا إنسانُ مَنْ أنتَ عاشقُهْ ... ومَـنْ أنت مشتاقٌ إليـه وشائقُهْ
ورِيـمٍ أحَـمَّ المقلتـين مُـوَشَّحٍ ... زَرابِيُّـه مبثوثـةٌ ونَمارِقُـهْ
ترى الرَّقْمَ والدِّيباجَ في بيته معاً ... كما زيَّن الروضَ الأنيـق حدائقُهْ[1]
وسِرب ظباء تَرْتَعِي جانبَ الحِمى ... إلى الجوّ فالخَبْتَيْنِ بِيضٌ عَقائقُهْ
وما مِنْ حِمًى في الناسِ إلاّ لنا حِمًى ... وإلاَّ لـنـا غَرْبِيُّـهُ ومَشارقُـهْ

فاستضحك عبد الرحمن وقال : اللّهمَّ غَفْراً ، وجلس .

لحن الدَّلال في هذه الأبيات هزج بالبنصر عن يحيى المكيّ وحمّاد .

[استدعاه سليمان بن عبد الملك سرّاً فغنّاه ثم أعاده إلى الحجاز مكرّماً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبد الله الجُمَحيّ عن محمد بن عثمان عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال : سمعتُ عَمّي عُتْبة يقول حدّثني مولًى للوليد بن عبد الملك قال : كان الدَّلالُ ظريفاً جميلاً حسنَ البيان ، مِن أَحْضَر الناس جواباً وأَحَجِّهم ؛ وكان سليمان بن عبد الملك قد رقّ له حين خُصِي غَلَطاً ، فوجَّه إليه مولًى له وقال له : جئني به سِرّاً ، وكانت تبلُغه نوادرُه وطِيبُه ، وحذَّر رسولَه أن يعلَم بذلك أحدٌ . فنَفَذ المولى إليه وأعلمه ما أُمِرَه به ، وأمَر بالكِتْمان وحَذَّره أن يَقِفَ على مقصده أحد ، ففعل . وخرج به إلى الشام ، فلمّا قَدِم أنزله المولى منزلَه وأعلم سليمان بمكانه ؛ فدعا به ليلاً فقال : ويلَكَ ما خبَرُك ؟ فقال : جُبِيْتُ من القُبُل مرّةً أُخرى يا أمير المؤمنين ، فهل تريد أن تَجُبَّني المرّة من الدُّبُر ! فضحك وقال : اعزُب أخزاك الله ؛ ثم قال له : غَنِّ . فقال : لا أُحسِن إلاّ بالدُّفّ . فأمر فأُتي له بدُفّ ؛ فغنّى في شعر العَرْجيّ[2] : [من الطويل]

---

1 الأنيق في ل : الأثيث .

2 ديوان العرجيّ : 89–92 .

أفي رسْمِ دارٍ دَمْعُـكَ المُتَحَـدِّرُ سَفاهاً وما استنطاقُ ما ليس يُخْبِرُ
تغيَّر ذاك الربعُ مـن بعـد جِـدَّةٍ وكلُّ جديـــدٍ مَـــرّةً متغيِّرُ
لأسماءَ إذ قلبـــي بأسمـاءَ مُغْـرَمٌ ومـا ذِكْرُ أسمـاءَ الجميلةِ مُهْجَرُ
ومَمْشى ثَلاثٍ بعد هَدْءٍ كَواعبٍ كمثل الدُّمَى بل هُنَّ من ذاك أنضَرُ
فَسلَّمْنَ تسليمـاً خفيّاً وسَقَّطَتْ مَصاعِبةٌ ظُلْعٌ مِـنَ السيرِ حُسَّرُ
لها أَرَجٌ من زاهـرِ البَقْلِ والثَّرى وبُرْدٌ إذا مـا باشر الجِلْدَ يَخْصَرُ
فقالـتْ لِتِرْبَيْها الغـداةَ تَبَقَّيا بعـينٍ ولا تَسْتبعِدا حـين أُبْصِرُ
ولا تُظْهِـرا بُرْدَيْكمـا وعليكمـا كِساءان من خَـزٍّ بنَقْشٍ وأخضرُ
فعَدِّي فمـا هـذا العتابُ بنافعٍ هوايَ ولا مُرْجِي الهوى حين يُقْصِرُ

فقال له سليمان : حُقَّ لك يا دَلالُ أن يقال لك الدّلال ! أحسنتَ وأجملتَ ! فوالله ما أدري أيّ أمرَيْك أعجب : أسُرْعة جوابك وجودة فهمك أم حُسن غِنائك ، بل جميعاً عَجَب ؛ وأمر له بصِلة سنيّة . فأقام عنده شهراً يشرب على غِنائه ، ثم سرَّحه إلى الحجاز مُكرّماً .

[قصّته مع شامي من قوّاد هشام أراد أن يتزوّج من المدينة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الأصمعيّ قال : حَجّ هشام بن عبد الملك ، فلمّا قدِم المدينة نزل رجل من أشراف أهل الشام وقوّادهم بجنب دار الدلال ، فكان الشاميّ يسمع غِناء الدّلال ويُصغي إليه ويصعد فوق السطح ليقرُب من الصوت ؛ ثم بعث إلى الدلال : إمّا أن تزورنا وإمّا أن نزورك ؛ فبعث إليه الدّلال : بل تزورنا . فتهيّأ الشامي ومضى إليه ، وكان للشامي غِلمان رُوقَةٌ ، فمضى معه بغلامين منهم كأنّهما دُرّتان . فغنّاه الدّلال : [من منهوك الكامل]

قـد كنتُ آمُلُ فيكـمُ أمَـلاً والمـرءُ ليس بمُـدْرِكٍ أَمَلَـهْ
حتى بـدا لي منكـم خُلُفٌ فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَـهْ[1]
ليس الفتـى بمُخَلَّـدٍ أبـداً حَقّـاً وليس بفائـتٍ أَجَلَـهْ
حَـيٌّ العمُـودَ ومَن بِعَقْوتِه وقَفا العمُودِ وإن جَـلا أهلُـهْ

قال : فاستحسن الشاميّ غِناءه ، وقال له : زدني ؛ فقال : أومَا يكفيك ما سمعت ؟ قال :

1 عن هوى في ل : فارعوى .

لا والله ما يكفيني . قال : فإنّ لي إليك حاجةً . قال : وما هي ؟ قال : تبيعني أحد هذين الغلامين أو كليهما . قال : اختَرْ أيُّهما شئت ؛ فاختار أحدهما . فقال الشامي : هو لك ؛ فقبِله الدلال ، ثم غنّاه : [من الطويل]

دَعَتْني دَواعٍ من أُرَيَّا فهيَّجتْ هوًى كان قِدْماً من فؤادٍ طَروبِ
لعلَّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي فتَغْفِرَ أَرْوَى عند ذاك ذُنوبي
سَبَتْني أُرَيّا يوم نَعْف مُحَسِّرٍ بوجهٍ جميلٍ للقلوبِ سَلُوبِ

فقال له الشاميّ : أحسنتَ ! ثم قال له : أيّها الرجل الجميل ، إن لي إليك حاجة . قال : وما هي ؟ قال : أريد وصيفةً وُلِدتْ في حِجْرٍ صالح ، ونشأت في خير ، جميلة الوجه مجدولة ، وضيئةً ، جَعدةً ، في بياض مُشْرَبَةً حمرةً ، حسنة القامة ، سَبطةً ، أسيلةَ الخدّ ، عَذبة اللسان ، لها شِكْلٌ ودَلٌّ[1] ، تملأ العين والنفس . فقال له الدّلال : قد أصبتُها لك ، فما لي عليك إن دَلَلْتُك ؟ قال : غلامي هذا . قال : إذا رأيتَها وقَبِلتَها[2] فالغلام لي ؟ قال نعم . فأتى امرأةً كَنى عن اسمها ، فقال لها : جُعِلتُ فِداك ! إنّه نزل بقُرْبي رجلٌ من أهل الشام من قوّاد هشام له ظرفٌ وسخاء ، وجاءني زائراً فأكرمتُه ، ورأيت معه غلامين كأنّهما الشمس الطالعة والقمر المنير والكواكب الزاهرة ، ما وقعتْ عيني على مثلهما ولا ينطلق لساني بوصفهما ، فوَهَب لي أحدهما والآخر عنده ؛ وإن لم يَصِل إليّ فنفسي خارجة . قالت : فتُريد ماذا ؟ قال : طَلَب منّي وصيفةً يشتريها على صِفةٍ لا أعلمها في أحدٍ إلاّ في فلانة بنْتِك ، فهل لك أن تُريها له ؟ قالت : وكيف لك بأن يدفع الغلام إليك إذا رآها ؟ قال : فإنّي قد شرطتُ عليه ذلك عند النظر لا عند البيع . قالت : فشأنك ولا يعلم أحدٌ بذلك . فمضى الدّلال فجاء الشاميّ معه . فلمّا صار إلى المرأة أدخلته ، فإذا هو بحَجَلةٍ وفيها امرأة على سرير مُشْرِفٍ بَرْزةٌ جميلةٌ ، فوُضع له كرسيٌّ فجلس . فقالت له : أمِن العرب أنت ؟ قال نعم . قالت : من أيِّهم ؟ قال : من خُزاعة . قالت : مرحباً بك وأهلاً ، أيَّ شيء طلبتَ ؟ فوصَف الصفة ؛ فقالت : أصبتها ، وأصغَتْ إلى جاريةٍ لها فدخلت فمكثت هنيهةً ثم خرجت ؛ فنظرتْ إليها المرأة فقالت لها : أيْ حبيبتي ، اخرُجي ؛ فخرجتْ وصيفةٌ ما رأى الرّاؤون مثلَها . فقالت لها : أقبلي فأقبلت ، ثم قالت لها : أدبِري ، فأدبرت تملأ العين والنفس ؛ فما بقي منها شيء إلاّ وضع يده عليه . فقالت : أتُحِبُّ أن نؤزِّرها لك ؟ قال نعم . قالت : أي حبيبتي ائتزِري ، فضَمَّها الإزار

1 ل : متكلّم ودلال .
2 ل : وقلبتها .

وظهرت محاسنها الخفيّة ، وضرب بيده على عجيزتها وصَدرها . ثم قالت : أتُحِبّ أن نُجَرِّدها لك ؟ قال نعم . أي حبيبتي وَضِّحي ؛ فألقت إزارها فإذا أحسن خلق الله كأنّها سبيكة . فقالت : يا أخا أهل الشام كيف رأيتَ ؟ قال : مُنْية المتمنِّي[1] . قال : بكم تقولين ؟ قالت : ليس يوم النظر يوم البيع ، ولكن تعود غداً حتى نبايعك ولا تنصرف إلاّ على الرِّضى ، فانصرف من عندها . فقال له الدّلال : أرَضِيتَ ؟ قال : نعم ، ما كنت أحسب أنّ مثل هذه في الدنيا ؛ فإن الصفة لَتَقْصُر دونها . ثم دفع إليه الغلام الثاني . فلمّا كان من الغد قال له الشاميّ : امْضِ بنا ، فمَضَيا حتى قَرَعا الباب ؛ فأُذِن لهما ، فدخلا وسلَّما ، ورحَّبت المرأة بهما ، ثم قالت للشاميّ : اعطِنا ما تبذُل ؛ قال : ما لها عندي ثمنٌ إلاّ وهي أكبر منه ، فقولي يا أَمَة الله . قالت : بل قُلْ ؛ فإنّا لم نُوطئك أعقابنا ونحن نريد خِلافَك وأنت لها رِضاً . قال : ثلاثة آلاف دينار . فقالت : والله لَقُبْلةٌ من هذه خيرٌ من ثلاثة آلاف دينار . قال : بأربعة آلاف دينار . قالت : غَفَر الله لك ! أعطِنا أيُّها الرجل . قال : والله ما معي غيرها ، ولو كان لزدتُك ، إلاّ رقيقٌ ودوابٌ وخُرْثِيٌّ[2] أحمله إليك . قالت : ما أراك إلاّ صادقاً ، أتدري مَن هذه ؟ قال : تُخبريني . قالت : هذه ابنتي فلانة بنت فلان ، وأنا فلانة بنت فلان ، وقد كنتُ أردتُ أن أعرض عليك وصيفةً عندي ، فأحببتُ إذا رأيتَ غداً غلظ أهل الشام وجفاءهم ، ذكرتَ ابنتي فعلمت أنّكم في غير شيء ، قُمْ راشداً . فقال للدّلال : خدعتَني ! قال : أوَلا تَرضى أن ترى ما رأيتَ من مثلها وتَهَبَ مائة غلام مثل غلامك ؟ قال : أمّا هذا فنعم . وخرجا من عندها .

نسبة ما عَرَفتُ نسبته من الغناء المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الكامل]

قد كنتُ آمُلُ فيكمُ أَمَلاً ... والمرءُ ليس بمُدْرِكٍ أَمَلَهْ

حتى بدا لي منكمُ خُلُفٌ ... فزجرتُ قلبي عن هوًى جَهِلَهْ[3]

الشعر للمُغيرة بن عمرو بن عثمان ، والغناء للدّلال ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها ؛ وجدتُه في بعض كتب إسحاق بخطّ يده هكذا .

---

1 ل : منتهى المتمنى .

2 خرثى : متاع البيت وأثاثه .

3 عن هوى في ل : فارعوى .

وذكر عليّ بن يحيى المنجِّم أنّ هذا اللحن في هذه الطريقة لابن سُرَيج ، وأنّ لحن الدَّلال خفيف ثاني ثقيلٍ نَشِيد . وذكر أحمد بن المكّيّ أنّ لحن الدَّلال ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولحنَ ابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل . وفيه لُمَيَّمَ وعَرِيبَ خفيفاً ثقيلٍ ، المُطلَق المُسْجَحُ منهما لعَرِيب .

ومنها : [من الطويل]

صوت

دعتْني دَواعٍ من أُرَيَّا فهيَّجَتْ هوًى كان قِدْماً من فُؤادِ طَرُوبِ
سبتْني أُرَيَّا يومَ نَعْفِ مُحَسِّرٍ بوجهٍ صبيح للقلوبِ سَلُوبِ
لعلّ زماناً قد مضى أن يعودَ لي وتَغْفِرَ أَرْوَى عندَ ذاك ذُنوبي

الغناء للدَّلال خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى في مجراها من رواية حمّاد عن أبيه ، وذكر يحيى المكيّ أنّه لابن سُرَيج .

[غنّى نائلة بنت عمّار الكلبيّ فأجازته]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي قَبِيصة قال : جاء الدَّلال يوماً إلى منزل نائلة بنت عمّار الكلبيّ ، وكانت عند معاوية فطلَّقها ، فقَرَع الباب فلم يُفتح له ؛ فغنّى في شعر مجنون بن عامرٍ ونَقَر بدُفّه : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ لا واللهِ ما أَمْلِكُ البُكا إذا عَلَمٌ من أرضِ لَيْلَى بَدا لِيا
خليلَيَّ إنْ بانُوا بلَيْلَى فهَيِّئا لِيَ النَّعْشَ والأكفانَ واسْتَغْفِرا لِيا

فخرج حَشَمُها فزجروه وقالوا : تَنَحَّ عن الباب . وسمِعَت الجَلَبة[1] فقالت : ما هذه الضجّة بالباب ؟ فقالوا : الدَّلال . فقالت : ائذَنوا له . فلمّا دخل عليها شقّ ثيابه وطرح التراب على رأسه وصاح بوَيْلِه وحَرَبِه ؛ فقالت له : الويل ويلك ! ما دَهاك ؟ وما أَمْرُك ؟ قال : ضربني حَشَمُكِ . قالت : ولِمَ ؟ قال : غنَّيْتُ صوتاً أُريد أن أُسْمِعَكِ إيّاه ، لأدخل إليكِ ؛ فقالت : أُفٍّ لهم وتُفّ ! نحن نبلُغ لك ما تُحِبُّ ونُحسن تأديبهم . يا جارية هاتي ثياباً مقطوعة . فلمّا طُرِحت عليه جلس . فقالت : ما حاجتك ؟ قال : لا أسألُك حاجةً حتّى أُغنِّيَك . قالت : فذاك إليك ؛ فاندفع يُغنّي شعرَ جميل[2] : [من الخفيف]

ارْحَمِيني فقد بَلِيتُ فحَسْبِي بعضُ ذا الدَّاءِ يا بُثَيْنةُ حَسْبِي

---

1 ل : الضجّة .

2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 22 .

لامَني فيكِ يـا بثينةُ صَحْبي لا تَـلُوموا قد أقْرح الحُبُّ قلبي
زعَـم الناس أنّ دائـيَ طِبِّي أنـتِ واللهِ يـا بثينـةُ طِبِّي[1]

ثم جلس فقال : هل من طعام ؟ قالت : عليَّ بالمائدة ؛ فأُتي بها كأنّها كانت مهيَّأة عليها أنواع الأطعمة ، فأكل ، ثم قال : هل من شرابٍ ؟ قالت : أمّا نبيذٌ فلا ، ولكن غيره . فأُتي بأنواع الأشربة ، فشَرِب من جميعها . ثم قال : هل من فاكهة ؟ فأُتي بأنواع الفواكه فتفكَّه ، ثم قال : حاجتي خمسةُ آلاف درهمٍ ، وخمسُ حُللٍ من حلل معاوية ، وخمس حلل من حلل حبيب بن مسلمة ، وخمس حلل من حلل النعمان بن بشير . فقالت : وما أردت بهذا ؟ قال : هو ذاك ، والله ما أرضى ببعضٍ دون بعضٍ ، فإمّا الحاجة وإمّا الردّ . فدعت له بما سأل ، فقبضه وقام . فلمّا توسَّط الدار غنَّى ونَقَر بدُفِّه[2] : [من الخفيف]

ليتَ شِعْرِي أَجَفْوةٌ أم دَلالٌ أمْ عَـدُوٌّ أتـى بُثَيْنـةَ بعدِي
فمُرِينـي أُطِعْـكِ في كلِّ أمرٍ أنت واللهِ أوجـهُ الناسِ عندي

وكانت نائلة عند معاوية ، فقال لفاختة بنت قَرَظة : اذهبي فانظُري إليها ، فذهبت فنظرتْ إليها ، فقالت له : ما رأيت مثلها ، ولكنّي رأيت تحت سُرَّتها خالاً لَيُوضَعَنّ منه رأس زوجها في حجرها . فطلّقها معاوية ؛ فتزوّجها بعده رجلان : أحدهما حبيب بن مسلمة ، والآخر النعمان بن بشير ؛ فقُتِل أحدهما فوُضِع رأسه في حجرها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت[3]

[من الطويل]

خليلَيَّ لا واللهِ ما أَمْلكُ البُكا إذا عَلَمٌ من أرضِ لَيْلَى بَدا لِيا
خليلَيَّ إنْ بانُـوا بلَيْلَى فَهَيِّئا لي النَّعْشَ والأكفانَ واستغفِرا لِيا[4]
أمضروبةٌ لَيْلَى على أنْ أزورها ومتَّخَـذ ذنبـاً لهـا أنْ تَرانِيا
خليلَيَّ لا واللهِ ما أملكُ الذي قضى اللهُ في لَيْلَى ولا ما قضَى لِيا

1 يا بثينة في ل : يا حميتك .
2 ديوان جميل (طبعة دار صادر) : 49 .
3 الأبيات من مواضع متفرّقة من اليائية المنسوبة للمجنون في ديوانه : 297 .
4 فهيّئا في ل : فقربا .

قَضاها لغيري وابتلاني بحُبِّها فهَلاَّ بشيءٍ غير لَيْلَى ابتلانِيا

الشعر للمجنون ، والغناء لابن محرز ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر الهشاميّ أنّ فيه لحناً لمعبد ثقيلاً أوّل لا يشكّ فيه . قال : وقد قال قوم : إنّه منحول يحيى المكيّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل عن الهشاميّ أيضاً . وفيه ليحيى المكيّ رملٌ من رواية ابنه أحمد . وفيه خفيف رملٍ عن أحمد بن عبيد لا يُعرَف صانعه .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

ليتَ شِعْرِي أَجَفْـوةٌ أم دَلالٌ أم عَـــدُوٌّ أتـــى بشينةَ بعدي
فمُرِينـــي أُطِعْـــكِ في كلِّ أمرٍ أنتِ واللهِ أوجُه الناسِ عندي

الشعر لجميل ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل بالسّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لعَلُّويَه خفيف ثقيل آخر . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه خفيف ثقيل بالوسطى لمعبد . وذكر إسحاق أن فيه رملاً بالبنصر في مجراها ولم ينسُبه إلى أحد ، وذكر الهشاميّ أنّه لمالك . وفيه لمُتَيَّم خفيف رملٍ . وفيه لعريب ثقيل أوّل [بالبنصر] . وذكر حبش أنّ فيه للغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر . ولمعبد فيه ثقيل أوّل بالوسطى . وذكر ابن المكيّ أنّ فيه خفيف ثقيلٍ لمالك وعَلُّويَهْ .

[غنّى في زفاف ابنة عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن عَوانة بن الحَكَم قال : لمّا أراد عبد الله بن جعفر إهداء بنته إلى الحَجّاج ، كان ابن أبي عتيق عنده ، فجاءه الدَّلال متعرِّضاً فاستأذن . فقال له ابن جعفر : لقد جئتنا يا دلال في وقت حاجتنا إليك . قال : ذلك قصدتُ . فقال له ابن أبي عتيق : غَنِّنا ؛ فقال ابن جعفر : ليس وقتَ ذلك ، نحن في شغل عن هذا . فقال ابن أبي عتيق : وربِّ الكعبة لَيُغَنِّيَنَّ . فقال له ابن جعفر : هات . فغَنَّى ونَقَر بالدُّفِّ ، والهوادج والرَّواحل[1] قد هُيِّئت ، وصُيِّرَت بنت ابن جعفر فيها مع جَواريها والمشيِّعين لها : [من المنسرح]

يا صاحِ لو كنتَ عالِماً خَبِراً بمـا يُلاقِـي المُحِبُّ لم تَلُمْهْ
لا ذنبَ لي في مُقَرَّطٍ حَسَنٍ أعجبنـــي دَلُّـــهُ ومُبْتَسَمُهْ[2]
شيمتُـه البُخْـلُ والبِعـادُ لنا يا حَبَّذا هُـــوْ وحَبَّـذا شِيَمُهْ
مُضَمَّـــخٌ بـــالعَبِيرِ عارِضُـــهْ طُوبَى لِمَنْ شَمَّه ومَنْ لَثَمُهْ

1 ل : الرمائل .
2 مقرط في ل : مقرطق .

قال : ولابن محرز في هذا الشعر لحن أجود من لحن الدّلال ، فطَرِب ابن جعفر وابن أبي عتيق . وقال له ابن جعفر : زِدني وطَرِب . فأعاد اللحن ثلاثاً ثم غنّى[1] : [من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العواذِلُ في الصَّبا ... حِ يَلُمْنَنِي وأَلُومُهُنَّهْ
ويَقُلْنَ شيبٌ قد عَلا ... كَ وقد كَبِرْتَ فقُلْتُ إنَّهْ

ومضتْ بنتُ ابن جعفر ، فاتَّبعها يُغنِّيها بهذا الشعر ، ولعبد آل الهذليّ فيه لحن وهو أحسنها[2] : [من الكامل]

إنّ الخَلِيطَ أَجَدّ فاحتملا ... وأراد غَيْظَكَ بالذي فَعَلا[3]
فوقفتُ أنظرُ بعضَ شأنِهمُ ... والنَّفْسُ ممّا تأمُلُ الأَمَلا
وإذا البِغالُ تُشَدُّ صافِنةً ... وإذا الحُداةُ قَدَ ازمَعُوا الرِّحَلا
فهناك كاد الشَّوْقُ يقتُلني ... لَوْ أنَّ شوقاً قبلَه قَتلا

فدَمَعت عينا عبد الله بن جعفر ، وقال للدَّلال : حسبُك ؛ فقد أوجعت قلبي ؛ وقال لهم : امضوا في حفظ الله على خير طائر وأيمَن نَقيبة .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من مجزوء الكامل]

بَكَرَ العواذلُ في الصَّبا ... حِ يَلُمْنَني وأَلُومُهُنَّهْ
ويقلنَ شيبٌ قد علا ... كَ وقد كَبِرْتَ فقلتُ إنَّهْ
لا بُدَّ من شيبٍ فدَعْـ ... ـنَ ولا تُطِلْنَ مَلامَكُنَّهْ
يَمْشِينَ كالبَقَرِ الثِّقا ... لِ عَمَدْنَ نحو مُراحِهِنَّهْ
يَحْفَيْنَ في المَمْشَى القَريـ ... ـبِ إذا يُرِدْنَ صَدِيقَهُنَّهْ

الشعر لابن قيس الرقيّات ، والغناء لابن مِسجَح خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ثقيل أوّل للغريض عن الهشاميّ . وفيه خفيف ثقيلٍ آخر بالوسطى ليعقوب بن هَبَّار عن الهشاميّ ودَنانيرَ ، وذكر حَبَشٌ أنّه ليعقوب .

ومنها : [من الطويل]

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 66–67 .

2 ديوان عمر (طبعة دار صادر) : 326 مع اختلاف كبير في الرواية .

3 وأراد في ل : وازداد .

صوت

إنّ الخليطَ أجدّ فاحتملا وأراد غيظَك بالذي فعلا[1]

الأبيات الأربعة .

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالسبّابة عن يحيى المكيّ . وفيه ليحيى أيضاً ثقيلٌ أوّل بالوسطى من رواية أحمد ابنه ، وذكر حبشٌ أنّ هذا اللحن لبسباسة بنت معبدٍ .

[سأله ابن أبي ربيعة الغناء في شعر له فغنّاه فأجازه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفصٍ الثَّقفيّ قال : كان للدَّلال صوتٌ يُغَنِّي به ويُجيده ، وكان عُمَر بن أبي ربيعة سأله الغناء فيه وأعطاه مائة دينار ففعل ، وهو قول عمر[2] : [من الطويل]

صوت

ألم تَسْأَلِ الأَطـلالَ والمتَرَبَّعـا ببطـنِ حُـلَيَّـاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا
إلى السَّرْحِ من وادي المُغَمَّسِ بُدِّلَتْ مَعالِمُه وَبْـلاً ونَكْبـاءَ زَعْزَعا
وقَرَّبْـنَ أسبابَ الهَـوى لِمُتَيَّمٍ يقِيس ذِراعـاً كُلَّما قِسْنَ إصْبَعا
فقلتُ لِمُطْرِيهِـنّ في الحُسْنِ إنّما ضَرَرْتَ فهل تَسْطِيعُ نَفْعاً فتَنْفَعا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة ، والغناء للغريض فيه لحنان : أحدهما في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، والآخر في الثالث والرابع ثاني ثقيل بالبنصر . وفي هذين البيتين الآخرين لابن سريج ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفي الأوّل والثاني للهُذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيهما لابن جامع رملٌ بالوسطى عنه أيضاً . وقال يونس : لمالكٍ فيه لحنانِ ، ولمعبدٍ لحنٌ واحد .

[روى هشام بن المريّة عن جرير صوتين له]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال حدّثني هشام بن المريَّة قال : كنّا نعرف للدَّلال صوتين عجيبين ، وكان جريرٌ يُغنِّي بهما فأعجَبُ من حُسنِهما ، فأخذتُهما عنه وأنا أُغنِّي بهما . فأمّا أحدُهما فإنّه يُفرِح القلب . والآخر يُرقِص كلَّ مَن سمِعَه . فأمّا الذي يُفرِح القلب فلابن سريج فيه أيضاً لحنٌ حسنٌ وهو : [من الكامل]

---

1 وأراد في ل : وازداد .

2 تقدّم هذا الشعر في الجزء الأوّل ، ص 103 ، 130 .

ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ مالكٍ ... ممّا تَعَيَّفُ سانحٌ وبَريحُ
أَحْوى القَوادِمِ بالبياض مُلَمَّعٌ ... قَلِقُ المَواقِعِ بالفِراقِ يَصِيحُ
الحُبُّ أبغضُه إليَّ أقَلُّه ... صَرِّحْ بذاك فراحَتي التَّصْرِيحُ
بانتْ عُوَيْمةُ فالفؤادُ قَريحُ ... ودموعُ عينِك في الرِّداءِ سُفُوحُ

والآخر : [من مجزوء الرمل]

كلَّما أبصرتُ وجهاً ... حَسَناً قلتُ خَليلي
فإذا ما لم يَكُنْهُ ... صِحْتُ وَيْلي وعَوِيلي
فصِلي حبلَ مُحِبٍّ ... لكُمُ جِدٌّ وَصُولِ
وانظُري لا تَخْذُلِيهِ ... إنّه غيرُ خَذُولِ

نسبة هذين الصوتين

للدَّلال في الشعر الأوّل الذي أوّله : [من الكامل]

ولقد جرى لك يومَ سَرْحةِ مالكٍ

خفيف ثقيل بالوسطى . وفيه لابن سريج ثقيل أوّلُ عن الهشاميّ . وقال حبشٌ : إنّ للدَّلال فيه لحنين : خفيف ثقيل أوّل وخفيف رملٍ . وأوّلُ خفيف الرَّمَل : [من الكامل]

بانتْ عويمةُ فالفؤادُ قَريحُ

وذكر أنّ لحن ابن سريج ثاني ثقيل ، وأنّ لابن مسجح فيه أيضاً خفيف ثقيلٍ .

والصوت الثاني الذي أوّله : [من مجزوء الرمل]

كلّما أبصرتُ وجهاً ... حَسَناً قلتُ خليلي

الغناء فيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل بالوسطى عن حبش ، ويقال إنّه للدَّلال . وفيه ليونس خفيف رملٍ . وفيه لإبراهيم الموصليّ خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو .

[شرب النبيذ وكان لا يشربه فسكر حتى خلع ثيابه]

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه عن مصعب بن عبد الله الزّبيريّ قال : كان الدَّلال لا يشرب النبيذ ، فخرج مع قومٍ إلى منتزهٍ لهم ومعهم نبيذٌ ، فشربوا ولم يشرب منه ، وسَقَوه عَسَلاً مجدوحاً ، وكان كلَّما تغافل صيَّروا في شرابه النبيذ فلا يُنكره ، وكثُر ذلك حتى سَكِر وطَرِب ، وقال : اسقوني من شرابكم ، فسَقوه حتى ثمِل ، وغنّاهم في شعر الأحوص[1] : [من البسيط]

1 شعر الأحوص : 128 .

طاف الخيالُ وطاف الهَمُّ فاعتكَرا عنـد الفراشِ فباتَ الهَمُّ مُحْتَضِرا
أُراقِـبُ النَّجْـمَ كالحَيْرانِ مُرْتَقِباً وقَلَّصَ النـومُ عن عينيّ فانْشَمرا
من لوعةٍ أورثتْ قَرْحاً على كَبِدي يوماً فأصبَح منها القلبُ مُنْفَطِرا
ومَنْ يَبِتْ مُضْمِراً هَمّاً كما ضَمِنَتْ منّي الضُّلوعُ يَبِتْ مُسْتَبْطِناً غِيرا

فاستحسنه القوم وطَرِبوا وشَرِبوا . ثم غنّاهم : [من المتقارب]

طَرِبْتَ وهاجَـك مَنْ تَذَّكِرْ ومَـنْ لستَ من حُبِّـه تَعْتَذِرْ
فإنْ نِلتُ منهـا الذي أَرتجي فـذاك لَعَمْـري الذي أَنْـتَظِرْ
وإلاّ صبرتُ فـــلا مُفْحِشاً عليهـــا بِسوءٍ ولا مُبْتَهِـرْ[1]

لحن الدّلال في هذا الشعر خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حبش . قال : وذكر قوم أنّه للغريض ، قال : وسَكِر حتى خلع ثيابه ونام عرياناً ، فغطّاه القوم بثيابهم وحملوه إلى منزله ليلاً فنوّموه وانصرفوا عنه . فأصبح وقد تقيّأ ولوّث ثيابه بقَيئه ، فأنكر نفسه ، وحلف ألاّ يُغنّي أبداً ولا يُعاشر مَن يشرب النبيذ ؛ فوفى بذلك إلى أن مات . وكان يُجالس المَشْيَخةَ والأشراف فيُفيض معهم في أخبار الناس وأيّامهم حتى قضى نَحبَه .

[انقضت أخبار الدّلال] .

وممّا في شعر الأحوص من المائة المختارة

صوت من المائة المختارة[2]

[من البسيط]

يا دِينَ قَلْبِك منها لستَ ذاكِرَها إلاّ تَرَقْرَقَ مـاءُ العينِ أو دَمَعا[3]
أدعـو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني حتى إذا قلتُ هـذا صادقٌ نَزَعا
لا أستطيعُ نُزوعـاً عن مَحَبَّتِها أو يَصْنَعَ الحُبُّ بي فوق الذي صنَعا
كَمْ مِنْ دَنِيٍّ لها قـد صرتُ أَتْبَعُه ولو سلا القلبُ عنها صارَ لي تَبَعا
وزادَني كَلَفاً في الحُبِّ أنْ مُنِعَتْ وحَبُّ شيء إلى الإنسانِ ما مُنِعا

1 مبتهر في ل : منتهر .
2 هذه الأبيات ممّا ينسب إلى الأحوص (انظر ديوانه : 152–153) وللمجنون (انظر ديوانه : 200–201) .
3 دين هنا : داء .

الشعر للأحوص ، والغناء ليحيى بن واصلٍ المكيّ ، وهو رجلٌ قليل الصنعة غير مشهور ، ولا وجدتُ له خبراً فأذكره . ولحنه المختار ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه .

[محبوبة الأحوص في كبرها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا مُطَرِّف بن عبد الله المدنيّ[1] [قال] حدّثني أبي عن جدّي قال : بينا أطوفُ بالبيت ومعي أبي ، إذا بعجوزٍ كبيرة يضرب أحد لَحْيَيْها الآخر .

فقال لي أبي : أتعرف هذه ؟ قلت : لا ، ومَن هي ؟ قال : هذه التي يقول فيها الأحوص : [من البسيط]

يا سَلْمَ ليت لساناً تَنْطِقين به ... قبلَ الذي نالني من حُبِّكم قُطِعا
يلومني فيكِ أقــوامٌ أُجالسهم ... فما أُبالي أطارَ اللــومُ أم وَقَعا
أدعو إلى هَجْرِها قلبي فيَتْبَعُني ... حتَّى إذا قلتُ هذا صادقٌ نَزَعا

قال : فقلت له : يا أبتِ ، ما أرى أنّه كان في هذه خيرٌ قطُّ . فضحك ثم قال : يا بُنَيّ هكذا يصنَع الدهرُ بأهله .

حدّثنا به وكيع قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا أبو خُوَيلد مُطرِّف بن عبد الله المدنيّ[1] عن أبيه ، ولم يقل عن جدّه ، وذكر الخبر مثل الذي قبله .

صوت
من المائة المختارة

[من الكامل]

كالبَيْضِ بالأُدْحِيّ يلمَعُ في الضُّحى ... فالحُسْنُ حسنٌ والنَّعيــمُ نعيــمُ
حُلِّينَ من دُرِّ البُحــورِ كأنَّــه ... فــوق النُّحورِ إذا يلــوحُ نُجومُ

الأُدحِيّ : المواضع التي يبيض فيها النَّعام ، واحدتها أُدْحِيّة . وذكر أبو عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأدحيّ البَيْضُ نفسه . ويقال فيه أُدْحِيٌّ وأَداحٍ أيضاً .

الشعر لطُرَيْح بن إسماعيل الثَّقفيّ ، والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه للهُذليّ خفيف ثقيلٍ من رواية الهشاميّ . وقد سمعنا مَن يغنّي فيه لحناً من خفيف الرَّمَل ، ولستُ أعرف لمن هو .

---

1 ل : الهذلي .

[52] ـ ذكر طريح وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن عمّه عن ابن الكلبيّ في كتاب النسب إجازةً ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبي أيّوب المَدِينيّ عن ابن عائشة ومحمد بن سَلاَّم ومُصْعب الزّبيريّ ، قال : طُرَيْح بن إسماعيل بن عبيد بن أَسِيد بن عِلاج بن أبي سَلَمة بن عبد العُزَّى بن عَنَزة بن عَوف بن قَسيّ ، وهو ثَقِيف ، بن مُنَبِّه بن بَكْر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَةَ بن قَيس بن عَيْلان بن مُضَر .

[ثقيف والخلاف في نسبه]

قال ابن الكلبيّ : ومن النسّابين مَنْ يذكُر أنّ ثقيفاً هو قَسيّ بن مُنَبِّه بن النَّبِيت بن منصور بن يَقدُمَ بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن إيّاد بن نِزار . ويقال : إنّ ثقيفاً كان عبداً لأبي رِغال ، وكان أصلُه من قوم نَجَوا من ثَمود ، فانتمى بعد ذلك إلى قيس . ورُوِي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكرَّم وجهَه : أنّه مرّ بثَقِيف ، فتغامزوا به ؛ فرجَع إليهم فقال لهم : يا عَبيد أبي رِغال ، إنّما كان أبوكم عبداً له فهرَب منه ، فثَقِفَه بعد ذلك ، ثم انتمى إلى قيس .

وقال الحجّاج في خُطبة خَطَبها بالكوفة : بَلَغني أنّكم تقولون إنّ ثقيفاً من بقيّة ثمود ويلكم ! وهل نجا من ثَمود إلاّ خِيارُهم ومَن آمن بصالح فبَقِيَ معه عليه السلام ! ثم قال : قال الله تعالى : ﴿وثَمُودَ فَما أَبْقى﴾ . فبلغ ذلك الحسنَ البصريّ : فتضاحك ثم قال : حَكَم لُكَعُ لنفسه ، إنّما قال عزّ وجلّ : ﴿فما أبقى﴾ أي لم يُبْقِهم بل أهلكهم . فرُفِع ذلك إلى الحجّاج فطلبَه ، فتوارى عنه حتى هلك الحجّاج . وهذا كان سبب تَواريه منه . ذكر ابن الكلبيُّ أنّه بلغه عن الحسن .

وكان حمّادٌ الراوية يذكر أنّ أبا رِغالٍ أبو ثَقيف كلِّها ، وأنّه من بقيّة ثمود ، وأنّه كان مَلِكاً بالطائف ، فكان يَظْلِم رعيّته . فمرّ بامرأةٍ تُرضع صبيّاً يتيماً بلَبَنِ عَنْزٍ لها ، فأخذها منها ، وكانت سنة مُجْدِبة ؛ فبَقِي الصبيُّ بلا مُرْضِعة فمات ، فرماه الله بقارِعةٍ فأهلكه ، فرجمتِ

1 ترجمة طريح في الشعر والشعراء : (طبعة دار الثقافة ، بيروت) : 568 ومعجم الأدباء (تحقيق احسان عبّاس ، طبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت) : 1458 وابن عساكر 8 : 506 والوافي 16 : 432 وأورد ابن حمدون مختارات من شعره وبعض أخباره في مواضع متفرّقة من التذكرة (انظر الفهرس) . وقد جمع د . نوري حمودي القيسي شعره في الجزء الثالث من «شعراء أمويون» مطبعة المجمع العلمي العراقي ، 1982 .

العربُ قبرَه ، وهو بين مكّة والطائف . وقيل : بل كان قائدَ الفيل ودليلَ الحبشة لمّا غزَوا الكعبة ، فهلك فيمن هلكَ منهم ، فدُفن بين مكّة والطائف ؛ فمرّ النبيّ ﷺ بقبره ، فأمَر برَجْمه فرُجِم ؛ فكان ذلك سُنّةً .

قال ابن الكلبيّ وأخبرني أبي عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال : كان ثقيف والنَّخَع من إياد ؛ فثَقيفٌ قَسيّ بن مُنَبِّه بن النَّبيت بن يَقْدُمَ بن أَقصى بن دعْميّ بن إيّاد . والنَّخَع ابن عمرو بن الطمنان[1] بن عبد مَناةَ بن يَقدُم بن أَقصى ، فخرجا ومعهما عَنْزٌ لهما لَبون يشربا لبنها ، فعرَض لها مُصَدِّقٌ[2] لملك اليمن فأراد أخذَها ؛ فقالا له : إنّما نعيش بدَرِّها ؛ فأبى أن يدَعها ؛ فرماه أحدُهما فقتله . ثم قال لصاحبه : إنّه لا يحملني وإيّاك أرض . فأمّا النَّخعُ فمضى إلى بِيشَةَ فأقام بها ونزل القَسيُّ موضعاً قريباً من الطائف ؛ فرأى جاريةً ترعى غنماً لعامر بن الظَّرِب العَدوانيّ ، فطَمِع فيها ، وقال : أقتل الجارية ثم أَحْوي الغنم : فأنكرتِ الجارية مَنظَره ، فقالت له : إنّي أراك تُريد قتلي وأَخْذَ الغنم ، وهذا شيءٌ إن فعلتَه قتِلتَ وأُخِذَتِ الغنم منك ، وأظنّك غريباً جائعاً ؛ فدلّته على مولاها . فأتاه واستجار به فزوّجه بنته ، وأقام بالطائف . فقيل : للهِ دَرُّه ما أَثقَفَه حين ثَقِف عامراً فأجاره . وكان قد مرَّ بيهوديّة بوادي القُرى حين قُتل المصدّق ، فأعطتْه قُضبان كَرْمٍ فغَرَسها بالطائف فأطعمتْه ونفعته .

قال ابن الكلبيّ في خبرٍ طويل ذكرَه : كان قَسِيٌّ مقيماً باليمن ، فضاق عليه موضعه ونبا به ، فأتى الطائف ، وهو يومئذٍ منازلُ فَهْمٍ وعَدوان ابني عمرو بن قيس بن عيلان ، فانتهى إلى الظَّرِب العدوانيّ ، وهو أبو عامر بن الظَّرِب ، فوجده نائماً تحت شجرة[3] ، فأيقظه وقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا الظَّرِب . قال : عليَّ أَلِيَّةٌ إن لم أقتُلْك أو تُحالِفني وتُزَوِّجْني[4] ابنتَك ، ففعل . وانصرف الظَّرِب وقَسيٌّ معه ، فلقِيه ابنه عامر بن الظَّرِب فقال : مَنْ هذا معك يا أبتِ ؟ فقصَّ قِصتَّه . قال عامرٌ : للهِ أبوه ! لقد ثَقِفَ أمرَه ؛ فسُمِّي يومئذٍ ثَقيفاً . قال : وعُيِّر الظَّرِبُ تزويجَه قَسِيّاً ، وقيل : زوّجتَ عبداً . فسار إلى الكُهّان يسألهم ، فانتهى إلى شِقٍّ ابن صَعْب البَجَليّ وكان أقربهم منه . فلمّا انتهى إليه قال : إنّا قد جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قَسيّ ، وقَسيٌّ عبد إيّاد ، أَبَقَ ليلةَ الواد ، في وَجٍّ ذاتِ الأنداد ، فوَالى سَعْداً ليُفاد ، ثم لَوَى بغير مَعاد . (يعني سعد بن قيس بن عيلان بن مُضَر) . قال : ثم توجّه إلى سَطِيح الذِّئبيّ (حَيٌّ

1 ل : الظبيان .
2 المصدق : جامع الزكاة والصدقة .
3 ل : صخرة .
4 تحلف لي لتزوجني .

من غسان ، ويقال : إنّهم حَيٌّ من قُضاعة نُزولٌ في غسّان) ، فقال : إنّا جئناك في أمر فما هو ؟ قال : جئتم في قَسيٍّ ، وقَسيٌّ من وَلَد ثَمود القديم ، ولدتْه أُمُّه بصَحراء بريم ، فالتقطه إيادٌ وهو عديم ، فاستعبده وهو مليم . فرجع الظَّرِب وهو لا يدري ما يصنع[1] في أمره ، وقد وَكَّد عليه في الحِلْف والتزويج ؛ وكانوا على كُفْرهم يُوفُون بالقول . فلهذا يقول مَن قال : إنّ ثقيفاً من ثمود ؛ لأنّ إيّاداً من ثَمود .

قال : وقد قيل : إنّ حرباً كانت بين إيّادٍ وبين قيس ، وكان رئيسُهم عامر بن الظَّرب ، فظَفِرتْ بهم قيس ، فنفتهم إلى ثمود وأنكروا أن يكونوا من نِزار .

قال : وقال عامر بن الظَّرِب في ذلك : [من الرجز]

قالتْ إيادٌ قــد رأينا نَسَبا في ابْنَيْ نِزارٍ ورأينا غلَبا
سيرِي إيادُ قــد رأينا عَجَبا لا أصلُكم منّا فسامِي الطَّلَبا
دارَ ثَمُودٍ إذْ رأيتِ السَّبَبا

قال : وقد رُوي عن الأعمش أنّ عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قال على المِنبر بالكوفة وذكر ثقيفاً : لقد هممتُ أن أَضَعَ على ثقيفٍ الجِزية ؛ لأنّ ثقيفاً كان عبداً لصالح نبيّ الله عليه السلام ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصدقة ، فبعث العاملُ معه بها ، فهرَب واستوطن الحَرَمَ ، وإنّ أَوْلى الناس بصالح محمد ﷺ ، وإنّي أُشْهِدُكم أنّي قد رددتهم إلى الرِّقّ .

قال : وبلغنا أنّ ابن عبّاس قال ، وذُكِر عنده ثقيف ، فقال : هو قَسيّ بن مُنبِّه ، وكان عبداً لامرأةِ صالح نبيّ الله ﷺ ، وهي الهَيْجُمانة بنت سعد ، فوَهَبتْه لصالح ، وإنّه سرّحه إلى عاملٍ له على الصَّدقة ؛ ثم ذكر باقيَ خبره مثلَ ما قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . وقال فيه : إنّه مرّ برجل معه غنمٌ ومعه ابن له صغير ماتت أُمّه فهو يرضع من شاةٍ ليست في الغنم لَبُونٌ غيرُها ، فأخذ الشاة ؛ فناشده الله ، وأعطاه عَشْراً فأبى ، فأعطاه جميعَ الغنم فأبى . فلمّا رأى ذلك تَنَحَّى ، ثم نَثَل كنانَته فرماه ففلق قلبَه ؛ فقيل له : قتلتَ رسولَ رسولِ الله صالح . فأتى صالحاً فقصَّ عليه قِصَّته ؛ فقال : أبعده الله ؛ فقد كنتُ أنتظر هذا منه ؛ فرُجِم قبرُه ، فإلى اليوم والليلة يُرْجَم ، وهو أبو رِغال .

قال : وبلغنا عن عبد الله بن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ حين انصرف من الطائف مرّ بقبر أبي رِغال فقال : «هذا قبر أبي رِغال وهو أبو ثقيف كان في الحَرَم فمنعه الله عزّ وجلّ ، فلمّا خرج منه رماه الله وفيه عمودٌ من ذهب» ، فابتدره المسلمون فأخرجوه .

---

1 ل : يأتي .

قال : وروى عمرو بن عبيد عن الحسن أنّه سُئل عن جُرْهُم : هل بقي منهم أحد ؟ قال : ما أدري ، غير أنّه لم يبقَ من ثمودَ إلاّ ثقيف في قَيْس عَيلان ، وبنو لَجأ في طَيِّىء ، والطُّفاوة في بني أَعْصُرَ .

قال عمرو بن عبيد وقال الحسن : ذُكِرت القبائل عند النبيّ ﷺ ، فقال : «قبائل تنتمي إلى العرب وليسوا من العرب حِمْيَر من تُبَّع وجُرْهُمٌ من عاد وثقيف من ثمود» .

قال : ورُوِي عن قَتادةَ أنّ رجلين جاءا إلى عمران بن حُصين . فقال لهما : ممّن أنتما ؟ قالا : من ثقيف . فقال لهما : أتزعمان أنّ ثقيفاً من إياد» قالا نعم . قال : فإن إيّاداً من ثمود ؛ فشقّ ذلك عليهما . فقال لهما : أساءكما قَولي ؟ قالا : نعم والله . قال : فإنّ الله أنجى من ثمود صالحاً والذين آمنوا معه ؛ فأنتم إنْ شاء الله من ذُرِّيّة مَن آمن ، وإنْ كان أبو رِغالٍ قد أتى ما بلغكما . قالا له : فما اسمُ أبي رِغال ؛ فإن الناس قد اختلفوا علينا في اسمه : ؟ قال : قَسيّ بن مُنبّه .

قال : وروى الزُّهريّ أنّ النبيّ ﷺ قال : «مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُحِبّ ثقيفاً ، ومَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يُبغِض الأنصار» .

قال : وبلَغَنا عنه عليه الصلاة والسلام أنّه قال : «بنو هاشمٍ والأنصار حِلْفان وبنو أُميّة وثَقيف حِلْفان» .

قال : وفي ثقيف يقول حسّان بن ثابت رضي الله تعالى عنه[1] : [من الوافر]

إذا الثَّقَفيُّ فاخركم فقولوا هَلُمَّ نَعُدّ شأنَ أبي رِغالِ
أبوكم أخبثُ الآباءِ قِدْماً وأنتم مُشْبِهوه على مثالِ
عَبيد الفِزر أورثهم بَنيه وولّى عنهمُ أُخْرى الليالي

[أم طريح ونسبها]

وأُمُّ طُرَيح بنت عبد الله بن سِباع بن عبد العُزَّى بن نَضْلة بن غُبْشان من خُزاعة ، وهم خُلفاء بني زُهرة بن كِلاب بن مُرَّة بن كعب بن لُؤيّ . وسِباع بن عبد العُزّى هو الذي قتله حَمزة بن عبد المطّلب يوم أُحد . ولمّا بَرَز إليه سِباع قال له حمزة : هَلُمَّ إليّ يا ابنَ مُقَطِّعة البُظور ، وكانت أُمّه تَفعَل ذلك وتَقْبَلُ[2] نساءَ قريش بمكّة ، فحَمِيَ وَحْشِيٌّ لقوله وغضِب لسباع ، فرمى حمزة بحربته فقتله ، رحمةُ الله عليه ، وقد كُتب ذلك في خبر غَزاة أُحُدٍ في بعض هذا الكتاب .

---

1 ديوان حسان 1 : 167 مع اختلاف كبير في الرواية .

2 تقبل : تولّد ، ومنه القابلة .

[كنيته]

ويُكنى طُرَيح أبا الصَّلْت ؛ كُني بذلك لابنٍ كان له اسمه صَلْتٌ . وله يقول[1] : [من الكامل]

يا صَلْتُ إنّ أباكَ رَهْنُ مَنِيّةٍ ... مكتوبةٍ لا بُدّ أنْ يلقاها
سَلَفتْ سَوالِفُها بأَنْفُسِ مَنْ مَضى ... وكذاك يَتْبَعُ باقياً أُخْراها
والدّهرُ يُوشِك أن يُفَرِّقَ رَيْبُه ... بالموتِ أو رِحَلٍ تَشِتُّ نَواها[2]
لا بُدَّ بينكما فتُسْمِع دَعْوةً ... أو تَستجيب لدعوةٍ تُدْعاها

[طرح ابنه الصلت إلى أخواله بعد موت أمّه]

وأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال أخبرني أبو الحسن الكاتب : أنّ أُمّ الصَّلْت بن طُرَيح ماتت وهو صغير ، فطَرَحه طريح إلى أخواله بعد موت أُمّه . وفيه يقول[3] : [من الكامل]

باتَ الخيالُ من الصُّلَيْتِ مُؤَرِّقي ... يَفْرِي السَّراةَ مع الرَّبابِ المُلْثِقِ[4]
ما راعني إلاّ بياضُ وُجَيْهِهِ ... تحتَ الدُّجُنَّةِ كالسِّراجِ المُشْرِقِ

[نشأ في دولة بني أميّة وأدرك دولة بني العبّاس]

ونشأ طُرَيح في دولة بني أُميّة ، واستفرغ شعرَه في الوليد بن يزيد ، وأدرك دولة بني العبّاس ، ومات في أيّام المهديّ[5] ؛ وكان الوليد له مُكرماً مُقَدِّماً ؛ لانقطاعه إليه ولخؤولته في ثقيف .

فأخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أحمد بن حمّاد بن الجَميل عن العُتْبيّ عن سَهْم بن عبد الحميد قال أخبرني طُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ قال : خُصِصْت بالوليد بن يزيد حتى صِرتُ أُخلو معه . فقلت له ذات يومٍ وأنا معه في مَشْرَبةٍ : يا أمير المؤمنين ، خالك يُحِبُّ أن تعلم شيئاً من خُلُقه . قال : وما هو ؟ قلتُ : لم أشرب شراباً قطُّ ممزوجاً إلاّ من لبن أو عسل . قال : قد عرفتُ ذاك ولم يباعِدك من قلبي . قال : ودخلتُ يوماً إليه وعنده الأُمويّون ، فقال لي : إليّ يا خالي ، وأقعدني إلى جانبه ، ثم أُتي بشراب فشَرب . ثم ناولني القَدَحَ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين قد أعلمتك رأيي في الشراب . قال : ليس لذلك أعطيتك ، إنّما دفعته إليك لتُناوله الغلام ، وغضِب . فرفع القوم

---

1 شعر طريح : 314 .
2 ريبه في ل : بينهم .
3 شعر طريح : 308 .
4 الملثق : الذي يسبب البلل .
5 ل : الهادي وهو خطأ .

أيديهم كأنّ صاعقةً نزلتْ على الخِوان ؛ فذهبتُ أقوم ، فقال : اقعُد . فلمّا خلا البيت افترى عليّ ، ثم قال : يا عاضَّ كذا وكذا ! أردتَ أن تفضَحني ، ولولا أنّك خالي لضربتُك ألفَ سَوْط ! ثم نهى الحاجب عن إدخالي ، وقَطَع عنّي أرزاقي . فمكثتُ ما شاء الله . ثم دخلت عليه يوماً متنكّراً ، فلم يشعُرْ إلاّ وأنا بين يديه وأنا أقول[1] : [من البسيط]

يا ابنَ الخلائفِ ما لي بعدَ تَقْرِبةٍ ... إليك أقْصَى وفي حالَيْكَ لي عَجَبُ
ما لي أُذادُ وأُقصى حينَ أَقْصِدُكم ... كما توقّيَ من ذي الغرّة الجَرَبُ[2]
كأنّني لم يكــن بينــي وبينكم ... إلٌّ ولا خُلّـةٌ تُرعــى ولا نَسبُ
لــو كان بالوُدّ يدني منك أزلفَني ... بقربــك الودُّ والإشفاقُ والحَدَبُ
وكنتُ دون رجالٍ قــد جعلتهم ... دوني إذ مــا رأوني مقبلاً قَطَبوا
إنْ يَسْمَعوا الخيرَ يُخْفُوهُ وإنْ سَمِعوا ... شَرّاً أذاعُوا وإن لم يَسمعوا كَذَبوا[3]
رأَوْا صُدودَك عنّي في اللّقاءِ فقد ... تحدَّثوا أنَّ حبــلي منكَ مُنْقَضِبُ
فــذو الشَّماتــةِ مسرورٌ بهَيْضَتِنا ... وذو النَّصيحةِ والإشفاقِ مكتئبُ[4]

قال : فتبسّم وأمرني بالجلوس فجلست . ورجع إليّ وقال : إيّاك أن تُعاوِد . وتمام هذه القصيدة : [من البسيط]

أين الذِّمامــةُ والحَقُّ الذي نزلتْ ... بحِفْظــــه وبتعظيــمٍ لــه الكُتُبُ
وحَوْكِــيَ الشِّعْرَ أُصْفِيهِ وأَنْظِمُه ... نظمَ القلائدِ فيهــا الدُّرُّ والذهبُ
وإنَّ سُخْطَكَ شيءٌ لم أُنــاجِ بــه ... نفسي ولم يك ممّا كنتُ أكتسِبُ
لكــن أتــاك بقَــوْلٍ كاذبٍ أَثِمٍ ... قــومٌ بَغَوْني فنالوا فيّ ما طلبوا
وما عَهِدْتُــك فيمــا زَلَّ تَقْطَعُ ذا ... قُرْبَي ولا تدفَع الحقَّ الذي يجبُ
ولا تَوَجَّــعُ مــن حَــقٍّ تَحَمَّلُــه ... ولا تَتَبَّعُ بالتكديرِ مــا تَهَبُ
فقد تقرّبتُ جهداً من رِضاك بما ... كانت تُنالُ بــه من مثلك القُرَبُ
فغيرَ دَفْعِكَ حَقّي وارتفاضِكَ لي ... وَطيِّكَ الكَشْحَ عنّي كنت أحتسبُ

1 شعر طريح : 293–295 .
2 وأقصى في ل : وأنهى .
3 أذاعو في ل : أذيع .
4 بهيضتنا في ل : بفعلهم .

أُمُشْمِتٌ بـيَ أقوامـاً صُدُورُهُمُ ... عليّ فيـك إلى الأذقانِ تَلْتَهِبُ
قد كنتُ أحسَب أنّي قد لجأتُ إلى ... حِـرْزٍ وألاّ يَضُرُّوني وإنْ أَلَبُوا
إنّ التي صُنْتُها عن مَعْشَرٍ طَلَبوا ... منّي إليّ الذي لم يُنْجحِ الطَّلَبُ
أخلصتُها لك إخلاصَ امرىءٍ علمِ الأ ... قوامُ أنْ ليس إلاّ فيـك يَرْتَغبُ
أصبحتَ تدفَعهـا منّـي وأُعْطِفُها ... عليكَ وَهْيَ لمن يُحْبَى بها رَغَبُ
فإنْ وصلتَ فأهلُ العُرْفِ أنت وإن ... تَدْفَعْ يَدَيَّ فـلي بُقْيـا ومُنْقَلَبُ
إنّي كريمُ كِرامٍ عِشْتُ في أَدَبٍ ... نَفى العيوبَ ومَلْكُ الشِّيمةِ الأَدَبُ[1]
قـد يعلَمـون بأنَّ العُسْرَ منقطعٌ ... يومـاً وأنَّ الغِنى لا بـدّ منقلبُ
فمالُهُمْ حُبُسٌ في الحـقِّ مُرْتَهَنٌ ... مثل الغنائم تُحْوى ثم تُنْتَهَبُ
ومـا على جارِهـمْ ألاّ يكونَ لـه ... إذا تَكَنَّفَـه أبياتُهـم نَشَبُ
لا يَفرحون إذا ما الدَّهْرُ طاوعَهم ... يوماً بيُسرٍ ولا يَشْكونَ إنْ نُكِبوا
فارقتُ قومي فلم أعتَضْ بهم عِوَضاً ... والدَّهرُ يُحْدِثُ أحداثاً لها نُوَبُ

[رواية المدائنيّ في ذلك]

وأمّا المدائنيّ فقال : كان الوليد بن يزيد يُكرم طُرَيحاً ، وكانت له منه منزلةٌ قريبةٌ ومكانةٌ ، وكان يُدْني مجلسه ، وجعله أوّلَ داخلٍ وآخِرَ خارج ، ولم يكن يَصْدُر إلاّ عن رأيه . فاستفرغ مديحَه كلَّه وعامّة شعره فيه ؛ فحسده ناسٌ من أهل بيت الوليد . وقَدِم حمّاد الراوية على التَّفِئة[2] الشامَ ، فشَكَوْا ذلك إليه وقالوا : واللهِ لقد ذهب طُرَيح بالأمير ، فما نالنا منه ليلٌ ولا نهار . فقال حمّاد : ابغُوني مَن يُنشِد الأمير بيتين من شعر ، فأُسقِط منزلتَه . فطلبوا إلى الخَصِيّ الذي كان يقوم على رأس الوليد ، وجعلوا له عشرة آلاف درهم على أن يُنْشِدَهما الأمير في خَلْوة ، فإذا سأله مِن قولِ مَن ذا ؟ قال : مِن قولِ طُرَيح ؛ فأجابهم الخَصِيّ إلى ذلك ، وعَلَّموه البيتين . فلمّا كان ذاتَ يوم دخل طُرَيح على الوليد وفُتح البابُ وأُذِن للناس فجلسوا طويلاً ثم نهضوا ، وبَقِي طُرَيح مع الوليد وهو وليّ عهد ؛ ثم دعا بغدائه فتَغَدّيا جميعاً . ثم إنّ طُرَيحاً خرج وركب إلى منزله ، وترك الوليد في مجلسه ليس معه أحدٌ ، فاستلقى على فراشه . واغتنم الخَصِيّ خَلْوَته فاندفع يُنشِد : [من البسيط]

1 ملك الشيمة : قوامها .
2 التفئة : الحين والزمان .

سِيرِي رِكابي إلى مَنْ تَسْعَدِين به فقد أقمتِ بدار الهُونِ مـا صَلَحا
سِيري إلى سَيِّـدٍ سَمْحٍ خلائقُه ضخمِ الدَّسِيعةِ قَرْمٍ يحمِل المِدَحا

فأصغى الوليدُ إلى الخصِيّ بسَمْعه وأعاد الخَصيّ غيرَ مرّة ؛ ثم قال الوليد : ويحك يا غلام ؛ مِن قول مَن هذا ؟ قال : من قول طُرَيح . فغضِب الوليد حتى امتلأ غيظاً ، ثم قال : وَالَهْفا على أُمٍّ لم تَلِدني ! قد جعلتُه أوَّل داخلٍ وآخرَ خارجٍ ، ثم يزعمُ أنّ هشاماً يحمل المِدَحَ ولا أَحمِلها ! ثم قال : عليّ بالحاجب ، فأتاه . فقال : لا أعلم ما أَذِنتُ لطُرَيح ولا رأيتُه على وجه الأرض ؛ فإن حاوَلَك فاخْطَفْه بالسيف . فلمّا كان العَشيُّ وصُلِّيتِ العصرُ ، جاء طُريح للساعة التي كان يؤْذَن له فيها ، فدنا من الباب ليدخل . فقال له الحاجبُ : وراءَك ! فقال : ما لكَ ! هل دخل على وليّ العهد أحدٌ بعدي ؟ قال : لا ! ولكن ساعةَ ولَّيْتَ من عنده دعاني فأمرَني ألاَّ آذَنَ لك ، وإنْ حاوَلتني في ذلك[1] خطِفْتُك بالسيف . فقال : لك عشرةُ آلاف درهم وأْذَنْ لي في الدخول عليه . فقال له الحاجب : والله لو أَعطيتَني خَراجَ العِراق ما أذِنتُ لك في ذلك ، وليس لك من خير في الدخول عليه فارجع . فقال : ويحك ! هل تعلم مَن دَهاني عنده ؟ قال الحاجب : لا والله ! لقد دخلتُ عليه وما عنده أحدٌ ، ولكنّ الله يُحْدِث ما يشاء في الليل والنهار . قال : فرجع طُرَيح وأقام بباب الوليد سنةً لا يخلُص إليه ولا يقدر على الدخول عليه . وأراد الرجوع إلى بلده وقومه فقال : والله إنّ هذا لعجزٌ بي أن أرجعَ من غير أن ألقى وليَّ العهد فأعلَمَ مَنْ دَهاني عنده . ورأى أُناساً كانوا له أعداءً قد فرِحوا بما كان من أمره ، فكانوا يدخلون على الوليد ويحدِّثونه ويصدُرُ عن رأيهم . فلم يَزَل يَلْطُف بالحاجب ويُمَنِّيه ؛ حتى قال له الحاجب : أمّا إذْ أطلتَ المُقامَ فإنّي أكره أن تنصرف على حالك هذه ، ولكنّ الأمير إذا كان يوم كذا وكذا دخل الحَمَّامَ ، ثم أَمَر بسريره فأُبرِز ، وليس عليه يومئذٍ حِجابٌ ؛ فإذا كان ذلك اليوم أعلمتُك فتكون قد دخلتَ عليه وظَفِرتَ بحاجتك وأكونُ أنا على حالِ عُذْرٍ . فلمّا كان ذلك اليومُ ، دخل الحَمَّام وأَمَر بسريره فأُبْرِز وجلس عليه ، وأَذِن للناس فدخلوا عليه ، والوليدُ ينظر إلى مَنْ أقبل . وبعث الحاجبُ إلى طُرَيح ، فأقبَلَ وقد تَتَامَّ الناس . فلمّا نظر الوليد إليه من بعيدٍ صرَف عنه وجهَه ، واستحيا أن يردَّه من بين الناس ؛ فدنا فسلَّم فلم يَرُدَّ عليه السلام . فقال طُرَيح يستعطفه ويتضرَّع إليه[2] : [من الكامل]

نام الخَلِيُّ مـن الهُمومِ وبات لي ليـلٌ أُكابِـدُه وهَـمٌّ مُضْلِعُ

1 ل : الاذن .
2 شعر طريح : 304–305 .

وسَهِرتُ لا أَسْرِي ولا في لَـذّةٍ أَرَقـي وأَغْفَـل مـا لَقِيتُ الهُجَّعُ
أَبغِي وجوه مَخارِجي مـن تُهْمةٍ أَزَمـتْ عليّ وسُدَّ منهـا المَطْلَعُ
جزعـاً لِمَعْتَبةِ الوَلِيـدِ ولم أَكُنْ من قبلِ ذاك من الحوادثِ أَجْزَعُ
يا ابنَ الخلائفِ إنّ سُخْطَك لامرىءٍ أمسيتَ عِصْمَتَـه بـلاءٌ مُفْظِعُ
فَلانْزِعـنّ عـن الذي لم تَهْـوَه إنْ كان لي ورأيـتُ ذلك مَنْزِعُ
فاعْطِفْ فِـداك أبي عليّ تَوَسُّعاً وفضيلـةً فعـلى الفضيلـةِ تتبُع
فلقـد كفـاكَ وزاد ما قد نالني إن كنتَ لي ببلاء ضُـرٍّ تَـقْنَعُ
سِمَةٌ لذاك عليَّ جِسْمٌ شاحبٌ بـادٍ تَحَسُّرُه ولـونٌ أَسْفَعُ
إنْ كنتَ في ذنبٍ عتبتَ فإنّني عمّـا كَرِهـتَ لنازعٌ متصرِّعُ
ويئستُ منك فكلُّ عُسْرٍ باسطٌ كفّـاً إليّ وكلُّ يُسْرٍ أَقْطَعُ
من بعد أُخْذِي من حِبالك بالذي قـد كنتُ أحسَبُ أنّه لا يُقْطَعُ
فاربُبْ صنيعَك بـي فإنّ بأعينٍ للكاشحين وسَمْعِهم ما تصنَعُ
أدَفعتَني حتى انقطعتُ وسُدِّدتْ عنّي الوجوهُ ولم يكن لي مَدْفَعُ
ورُجِيتُ واتُّقِيَتْ يدايَ وقيل قد أمسَى يَضُـرُّ إذا أحـبَّ وينفَعُ
ودخلتُ في حَرَم الذِّمام وحاطَني خَفَـرٌ أخـذتُ بـه وعهدٌ مُولِعُ
أفهادِمٌ مـا قـد بنيتَ وخافضٌ شَرَفي وأنـتَ لِغيرِ ذلك أوسَعُ
أفلا خَشِيتَ شَماتَ قومٍ فُتَّهم سَبْقاً وأنفسُهم عليـك تَقَطَّعُ
وفَضَلتَ في الحَسبِ الأَشَمِّ عليهم وصنعتَ في الأقوامِ ما لم يصنعوا
فكـأنَّ آنُفَهـمْ بكـلِّ صنيعةٍ أسديتها وجميل فِعْلٍ تُجْدَعُ
وَدُّوا لَـوَ آنَّهـمُ ينـال أُكُفَّهمْ شَلَلٌ وأنَّكَ عـن صَنِيعِك تَنْزَعُ
أو تَسْتليـمُ فيجعلونـك أُسْوةً وأبى المَـلامَ لك النَّدى والمَوْضِعُ[1]

قال : فقرّبه وأدناه ، وضحك إليه ، وعاد له إلى ما كان عليه .

[عاتبه المنصور في شعر مدح به الوليد فأحسن الاعتذار]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن حمزة بن عُتبة اللَّهبيّ عن أبيه[2] : أنّ طُرَيحاً دخل على أبي جعفر المنصور وهو في الشُّعراء ؛ فقال

1 تستليم : تفعل ما تستحقّ عليه اللوم .

2 هذا الخبر ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 8 : الفقرة 485 .

له : لا حَيّاك الله ولا بيّاك ! أمَا اتّقيت الله ، ويلك ! حيث تقول للوليد بن يزيد : [من المنسرح]

لو قلتَ للسيلِ دَعْ طريقَك والـ ـموجُ عليـه كالهَضْبِ يَعْتَلِجُ
لساخَ وارتـدّ أو لكانَ لـه في سائـرِ الأرضِ عنك مُنْعَرَجُ[1]

فقال له طُرَيح : قد علم الله عزّ وجلّ أنّي قلتُ ذاك ويدي ممدودة إليه عزّ وجلّ ، وإيّاه تبارك وتعالى عَنَيتُ . فقال المنصور : يا ربيع ، أما ترى هذا التخلُّص !

[دخل على الوليد فمدحه فطرب وأجازه]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث ممّا أجاز لي أبو أحمد الجريريّ روايته عنه : حدّثنا المَدائنيّ : أنّ الوليد جلَس يوماً في مجلس له عامٍّ ، ودخل إليه أهلُ بيته ومَواليه والشعراء وأصحابُ الحوائج فقضاها ، وكان أشرفَ يومٍ رُئي له ؛ فقام بعض الشعراء فأنشد ، ثم وثب طريح ، وهو عن يسار الوليد ، وكان أهلُ بيته عن يمينه ، وأخواله عن شِماله وهو فيهم ، فأنشده[2] : [من المنسرح]

صوت

أنـتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تُطْرِقْ عليـك الحِنـيُّ والوُلُجُ
طوبَى لفَرْعَيْكَ مـن هنا وهنا طُوبَـى لأعراقـك التي تَشِجُ
لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك والـ ـموجُ عليـه كالهَضْبِ يعتلِجُ
لساخَ وارتـدَّ أو لكان لـه في سائـرِ الأرضِ عنـك مُنْعَرَجُ

فطرِب الوليد بن يزيد حتّى رُئي الارتياح فيه ، وأمر له بخمسين ألف درهم .

[ولاؤه ، وكان مغنّياً وشاعراً]

وقال : ما أرى أحداً منكم يجيئني اليوم بمثل ما قال خالي ، فلا يُنْشِدني أحدٌ بعده شيئاً ؛ وأمر لسائر الشعراء بصلات وانصرفوا ، واحتبس طُرَيحاً عنده ، وأمر ابنَ عائشة فغنّى في هذا الشعر .

نسبة هذا الصوت

[من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِحِ البِطاحِ ولم تُطْرِقْ عليـك الحِنُيُّ والوُلُجُ

الأبيات الأربعة . عروضه من المنسرح ، غنّاه ابن عائشة ، ولحنُه رمل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق .

---

1 سائر في ل : ساحة .

2 شعر طريح : 296 .

[طلب إليه المهدي أن يغنّيه صوتاً له فغنّاه غيره واعتذر عنه]

المسلنطح من البطاح : ما اتّسع واستوى سطحُه منها . وتُطْرِق عليك : تُطْبِق عليك وتغطّيك وتضيّق مكانك ؛ يقال : طرقتِ الحادثةُ بكذا وكذا إذا أتتْ بأمر ضيِّق مُعْضِل . والوشيج : أصول النبت ؛ يقال : أعراقك واشجةٌ في الكرم ، أي نابتة فيه . قال الشاعر[1] : [من الطويل]

وهل يُنْبِتُ الخَطِّيَّ إلاّ وَشِيجُه وتَنْبُت إلاّ في مَغارسها النَّخْلُ

يعني أنّه كريم الأبوين من قريش وثقيف . وقد ردّد طُرَيح هذا المعنى في الوليد ، فقال في كلمة له[2] : [من الكامل]

واعتامَ كَهْلُك من ثَقِيفٍ كُفْأَه فتنازعاكَ فأنت جَوْهَرُ جوهرِ[3]
فنَمَتْ فروعُ القَرْيَتَيْن قُصَيُّها وقَسِيُّها بك في الأشمّ الأكبرِ

والحُنيّ : ما انخفض من الأرض ، والواحدة حَناً ، والجمع حُنِيّ مثل عَصاً وعُصِيّ . والوُلج : كلّ متّسع في الوادي ، الواحدةُ ولَجةٌ . ويقال : الوَلَجات بين الجبال مثل الرِّحاب . أي لم تكن بين الحُنِيِّ ولا الوُلج فيخفى مكانُك ، أي لستَ في موضع خفيٍّ من الحسب . وقال أبو عبيدة : سمع عمر بن الخطّاب رضي الله عنه رجلاً يقول لآخر يفخَر عليه : أنا ابن مُسْلَنْطِح البِطاح ، وابن كذا وكذا ؛ فقال له عمر : إنْ كان لك عقلٌ فلك أصلٌ ، وإن كان لك خُلُقٌ فلك شَرَفٌ ، وإن كان لك تقوى فلكَ كَرَمٌ ، وإلاّ فذاك الحِمار خيرٌ منك . أحَبُّكم إلينا قبل أن نراكم أَحْسَنُكم سَمْتاً ، فإذا تكلّمتم فأبْيَنُكم مَنْطقاً ، فإذا اختبرناكم فأحسنُكم فعْلاً .

وقوله : «لو قلتَ للسيل دَعْ طريقَك» ، يقول : أنت مَلِكُ هذا الأبْطح والمُطاع فيه . فكلُّ مَن تأمُره يُطيعك فيه ، حتى لو أمرتَ السَّيْلَ بالانصراف عنه لفَعَل لنفوذ أمرك . وإنّما ضَرب هذا مثلاً وجعله مبالغةً ؛ لأنّه لا شيءَ أشدّ تعذُّراً من هذا وشبهه ، فإذا صَرَفه كان على كلّ شيء سواه أقدر . وقوله : «لساخ» أي لغاض[4] في الأرض . «وارتد» أي عدل عن طريقه ، وإن لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً كان له منعرجٌ عنك إلى سائر الأرض .

1 هو زهير بن أبي سلمى .
2 شعر طريح : 303 .
3 اعتام : اختار .
4 ل : لغاب .

[غضب الوليد على ابن عائشة فلمّا غنّاه في شعره طرب ورضي عنه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّادٍ عن أبيه قال إسحاق وحدّثني به الواقِديّ عن أبي الزِّناد عن إبراهيم بن عطيّة : أنّ الوليد بن يزيد لمّا وَلِي الخلافةَ بعث إلى المغنِّين بالمدينة ومكّة فأشخصهم إليه ، وأمَرهم أن يتفرّقوا ولا يدخلوا نهاراً لئلاّ يُعْرَفوا ، وكان إذ ذاك يتستَّر في أمره ولا يُظهره . فسبقهم ابنُ عائشة فدخل نهاراً وشُهِر أَمْرُه ، فحبسه الوليد وأَمَر به فقُيِّد ، وأَذِن للمغنِّين وفيهم مَعبدٌ ، فدخلوا عليه دَخَلات . ثم إنّه جمعهم ليلةً فغنَّوا له حتى طَرِب وطابت نفسه . فلمّا رأى ذلك منه مَعبدٌ قال لهم : أخوكم ابن عائشة فيما قد علِمتم ، فاطلُبوا فيه . ثم قال : يا أمير المؤمنين ، كيف ترى مَجْلِسَنا هذا ؟ قال : حَسَناً لذيذا . قال : فكيف لو رأيتَ ابنَ عائشة وسَمِعتَ ما عنده ؟ قال : فعليَّ به . فطلع ابنُ عائشة يرسُف في قَيْده . فلمّا نظر إليه الوليد ، اندفع ابن عائشة فغنّاه في شعر طُرَيح ، والصنعةُ فيه له : [من المنسرح]

أنتَ ابنُ مُسْلَنْطِح البِطاحِ ولم تُطْـرِقْ عليـك الحُنِـيُّ والوُلُجُ

فصاح الوليد : اكسِروا قَيْدَه وفُكُّوا عنه ؛ فلم يَزَلْ عنده أثيراً مَكرماً .

[غنّى مسلمة بن محمد بن هشام من شعره فتذكّر قومه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدّثنا ابن أبي سَعد عن الحِزاميّ عن عثمان بن حَفص عن إبراهيم بن عبد السَّلام بن أبي الحارث الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يا أبـا الحارث قلبـي طائرٌ فأْتَمِـرْ أمْـرَ رَشِيـدٍ مُؤْتَمَنْ[1]

قال : واللهِ إنّي لقاعدٌ مع مسلمة بن محمد بن هشام إذ مرّ به ابن جُوان بن عُمَر بن أبي ربيعة ، وكان يغنّي ؛ فقال له : اجْلِس يا ابن أخي غنِّنا . فجلس فغنّى : [من المنسرح]

أنتَ ابن مُسْلَنْطِح البِطاحِ ولم تطْرِقْ عليـك الحُنِـيُّ والوُلُجُ

فقال له : يا ابن أخي ، ما أنت وهذا حين تَغَنَّاه ، ولا حَظَّ لك فيه ! هذا قاله طُرَيح فينا :

إذِ النَّاسُ ناسٌ والزَّمانُ زمانُ

وممّا في المائة الصوت المختارة من الأغاني من أشعار طُرَيح بن إسماعيل التي مدح بها الوليد بن يزيد[2] :

1 فأتمر في ل : فاستمع .

2 شعر طريح : 298 .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

وَيْحِي غَــداً إنْ غَدا عليَّ بما أَحْذَرُ من لَوْعــةِ الفِراقِ غَدُ
وكيف صَبْرِي وقد تجاوبَ بالـ ـفُرْقَةِ مِنْها الغُــراب والصُّرَدُ

الشعر لطُرَيح بن إسماعيل ، والغناء لابن مِشْعَب الطائفيّ ، ولحنُه المختار من الرّمَل بالوسطى .

[53] ـ ذكر ابن مِشعبٍ وأخباره[1]

[أصله]

هو رجلٌ من أهل الطائف مولًى لثَقيف ، وقيل : إنّه من أنفُسهم ، وانتقل إلى مكّة فكان بها . وإيّاه يعني العَرجيّ بقوله[2] : [من الكامل]

بِفناءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامـرٍ عَطِرٍ وليـلٍ مُقْمِرِ
فتَلازَمـا عنـد الفِراقِ صبابةً أَخْذَ الغَرِيمِ بفضلِ ثوبِ المُعْسِرِ

[كان عامة الغناء الذي ينسب إلى أهل مكّة له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ابن مِشْعب مُغَنٍّ من أهل الطائف ، وكان من أحسن الناس غِناءً ، وكان في زمن ابن سُرَيج والأَعرَج ؛ وعامّةُ الغِناء الذي يُنسَب إلى أهل مكّة له ، وقد تفرّق غِناؤه ، فنُسِب بعضه إلى ابن سُريج ، وبعضُه إلى الهُذَليّين ، وبعضه إلى ابن مُحرِز . قال : ومن غنائه الذي يُنسب إلى ابن مُحرِزٍ : [من الكامل]

يـا دارَ عاتِكـةَ التي بالأَبْرَهِ

ومنه أيضاً[3] : [من المنسرح]

أقفـرَ ممّـن يَحُلُّـه السَّنَدُ فالمُنْحَنى فالعَقِيقُ فالجُمُدُ[4]

[اشتهى مريض أن يغنّي في شعر العرجي الذي ورد فيه اسمه]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد وحدّثني أبي قال : مَرِض رجلٌ من أهل المدينة بالشام ، فعاده جيرانُه وقالوا له : ما تشتهي ؟ قال : أشتهي إنساناً يَضَع فمه على أُذُني ويُغَنّيني في بيتَيْ العرجيّ : [من الكامل]

بفِناءِ بَيْتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامـرٍ عَطِرٍ وليـلٍ مُقْمِرِ
فتَلازَمـا عنـد الفِراقِ صبابةً أَخْذَ الغريمِ بفضل ثوبِ المُعْسِرِ

1 أقحم أبو الفرج هذه الترجمة الموجزة لابن مشعب في وسط ترجمة طريح .
2 ديوان العرجي : 177 .
3 شعر طريح : 297–300 .
4 الجمد : جبل بنجد والسند : ماء بتهامة .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

[من الكامل]

يـا دارَ عاتِكـةَ التـي بالأَبْرَهَـرِ أو فوقَـه بقَفـا الكَثِيبِ الأحمرِ
بفِناءِ بيتِك وابنُ مِشْعَبَ حاضرٌ في سامـرٍ عَطِـرٍ وليـلٍ مُقْمِرِ
فتلازمـا عنـدَ الفـراقِ صبابةً أَخْذَ الغريمِ بفضلِ ثـوبِ المُعْسِرِ

الشعر للعرجيّ ، والغناء لابن محرزٍ خفيف ثقيل أوّل بالبنصر ، وذكر إسحاق أنّه لابن مِشعَب . وذكر حبشٌ أنّ فيه لابن المكيّ هَزَجاً خفيفاً بالبنصر .

وأمّا الصوت الآخَر الذي أوّلُه :

أَقفـرَ ممّـن يَحُـلُّـه السَّنَدُ

فإنّه الصوت الذي ذكرناه الذي فيه اللحن المختار ، وهو أوّلُ قصيدة طُرَيح التي منها : [من المنسرح]

وَيْحي غداً إنْ غَدا عـليّ بما أكره مـن لَوْعـةِ الفِراقِ غدُ

وليس يُغَنَّى فيه في زماننا هذا . وهذه القصيدة طويلة يمدَح فيها طُرَيح الوليد بن يزيد ، يقول فيها : [من المنسرح]

لم يَبْقَ فيها من المَعارِفِ بعـ ـد الحَـيّ إلاّ الرَّمادُ والوَتَدُ
وعَرصةٌ نَكَّرتْ مَعالِمَها الـ ـريحُ بها مَسْجِدٌ ومُنْتَضَدُ[1]

[أنشد المنصور قصيدة طريح الدالية فمدحها]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني محمد بن خَلَفٍ القارىء قال أخبرنا هارون بن محمد ، وأخبرنا به وكيع ، وأظنّه هو الذي كَنى عنه يحيى بن عليّ ، فقال : محمد بن خَلَفٍ القارىء ، قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني عليّ بن عبد الله اللّهبيّ قال حدّثنا أبي عن أبيه قال : أُنشِد المنصور هذه القصيدة ، فقال للربيع : أسمعت أحداً من الشعراء ذكر في باقي مَعالم الحَيِّ المسجد غير طُرَيح ؟ . وهذه القصيدة من جيّد قصائد طُرَيح ، يقول فيها : [من المنسرح]

1 معالمها في ل : معارفها . منتضد : مجتمع ومقام .

لم أَنْسَ سلمى ولا لَيالِيَنا ... بالحَزْنِ إذْ عيشُنا بها رَغَدُ
إذْ نحنُ في مَيْعة الشَّبابِ وإذْ ... أيّامُنا تلك غَضّةٌ جُدُدُ
في عيشةٍ كالفِرِندِ عازِبةِ الشّـ ... ـقوةِ خَضْراءَ غُصْنُها خَضَدُ
نُحْسَدُ فيها على النَّعيم وما ... يُولَعُ إلاّ بالنِّعْمةِ الحَسَدُ
أيّامَ سَلْمى غَريرةٌ أُنُفٌ ... كأنَّها خُوطُ بانةٍ رُؤُدُ[1]
وَيْحِي غَداً إنْ غَدا عليّ بما ... أكره من لَوْعةِ الفِراق غَدُ
قد كنتُ أبكي من الفراقِ وحَيَّـ ... ـانا جميعٌ ودارُنا صَدَدُ
فكيف صَبْرِي وقد تَجاوَبَ بالـ ... ـفُرقةِ منها الغُرابُ والصُّرَدُ
دَعْ عنك سَلْمى لغير مَقْلِيَةٍ ... وعُدَّ مَدْحاً بُيوتُه شُرُدُ
للأَفْضَل الأَفْضَل الخليفةِ عبـ ... ـد الله من دون شَأْوِه صُعُدُ
في وجهه النُّورُ يُسْتبانُ كما ... لاح سِراجُ النَّهارِ إذ يَقِدُ
يمضي على خير ما يقول ولا ... يُخلِف ميعادَه إذا يَعِدُ
من مَعْشَرٍ لا يَشَمُّ مَنْ خَذَلُوا ... عِزّاً ولا يُسْتَذَلُّ مَنْ رَفَدُوا
بِيضٌ عظامُ الحلومِ حَدُّهُمُ ... ماضٍ حُسامٌ وخيرُهم عَتَدُ[2]
أنت إمامُ الهدى الذي أصلَحَ الـ ... ـله به الناسَ بعدما فَسَدوا
لمّا أتى الناسَ أنّ مُلْكَهُمُ ... إليكَ قد صار أمره سجَدوا
واستبشروا بالرضا تَباشُرَهم ... بالخُلْدِ لو قيل إنّكم خُلُدُ
وعَجَّ بالحمدِ أهلُ أرضِك حتـ ... ـى كاد يَهْتَزّ فرحةً أُحُدُ
واستقبل الناسُ عِيشةً أُنُفاً ... إنْ تبقَ فيها لهم فقد سَعِدوا
رُزِقتَ من ودِّهم وطاعتهم ... ما لم يَجِدْه لِوالدٍ وَلَدُ
أَثْلَجَهمْ منك أنّهم عَلِموا ... أنّك فيما وَلِيتَ مُجتهِدُ
وأنّ ما قد صنعتَ من حَسَنٍ ... مِصْداقُ ما كنتَ مَرّةً تَعِدُ
أَلَّفْتَ أهواءَهمْ فأصبحتِ الأَ ... ضغانُ سِلْماً وماتتِ الحِقَدُ

1 غريرة : قليلة التجربة . أنف : عذراء . خوط : غصن . رؤد : الغصن الرطب الرخص .
2 عتد : حاضر معد .

كنتُ أرى أنّ ما وجدتُ من الـ ـفَرْحةِ لم يلـــقَ مثلَـــه أَحَدُ
حتـــى رأيـــتُ العبادَ كلَّهـــمُ قد وجدُوا من هواك ما أَجِدُ

صوت

قـد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقـد جَهَدوا
يرفَعُـــك اللهُ بالتَّكَرُّمِ والـــ ـتَّقوى فتعلو وأنـــت مُقْتَصِدُ
حَسْبُ امرىءٍ من غِنًى تَقَرُّبُهُ منك وإن لم يكن لـــه سَبَدُ
فأنت أَمْنٌ لمن يخـاف ولل ـمَخْذولِ أودى نصيرُه عَضُدُ

غنّى في هذه الأبيات الأربعة إبراهيم خفيف ثقيل بالبنصر .

كلُّ امرىءٍ ذي يدٍ تُعَـدّ عليـ ـــه منك معلومـة يَـدٌ ويدُ
فهم ملوكٌ مـا لم يَرَوْكَ فإنْ داناهُمُ منـكَ منزلٌ خَمَدوا
تعروهـم رِعْـدةٌ لديـكَ كما قَفْقَفَ تحـت الدُّجُنَّةِ الصَّرِدُ
لا خوفَ ظُلْمٍ ولا قِلَى خُلُقٍ إلاّ جَـلالاً كَساكَـهُ الصَّمَدُ
وأنت غَمْرُ النَّدى إذا هَبَط الـ ـزُوّارُ أرضاً تَحُلُّهـــا حَمِدُوا
فهـم رِفاقٌ فرُفقـةٌ صَدَرتْ عنـكَ بغُنْـمٍ ورُفْقـةٌ تَرِدُ
إنْ حالَ دهرٌ بهم فإنّك لا تَنْفَكُّ عن حالِك التي عَهِدُوا
قـد صدّق اللهُ مادِحِيك فما في قولهـم فِرْيـةٌ ولا فَنَدُ

[ذكاء جعفر بن يحيى وعلمه بالأشعار والألحان]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاق بن إبراهيم الموصليّ يحلف بالله الذي لا إله إلاّ هو إنّه ما رأى أذكى من جعفر بن يحيى قطُّ ، ولا أفطنَ ، ولا أعلمَ بكلِّ شيء ، ولا أفصحَ لساناً ، ولا أبلغَ في مكاتبةٍ . قال : ولقد كنّا يوماً عند الرشيد ، فغنّى أبي لحناً في شعر طُرَيح بن إسماعيل ، وهو : [من المنسرح]

قـد طلب الناسُ ما بلغتَ فما نالوا ولا قاربوا وقـد جَهَدُوا

فاستحسن الرشيد اللحنَ والشعرَ واستعاده ووصَل أبي عليه . وكان اللحن في طريقة خَفيف الثقيل الأوّل . فقال جعفر بن يحيى : قد والله يا سيِّدي أحسنَ ، ولكنّ اللحنَ مأخوذٌ من لحن الدَّلال الذي غنّاه في شعر أبي زُبَيد : [من الخفيف]

مَنْ يَرَ العِيرَ لابن أَروَى على ظَهْـ ـرِ المَروى حُداتُهُـنَّ عَجالُ[1]

وأمّا الشعر فنقله طُرَيح من قول[2] زُهير : [من الطويل]

سعى بعدَهم قومٌ لكي يُدركوهُمُ فلـم يَبْـلُغُوا ولم يُلاموا ولم يألُـوا

قال إسحاق : فعجبتُ والله من عِلْمه بالألحان والأشعار ، وإذا اللحن يُشْبِه لحنَ الدَّلال ، قال : وكذلك الشعر ؛ فاغتممت أنّي لم أكن فَهِمتُ اللحن ، وكان ذلك أشدّ عليّ من ذَهاب أمر الشعر عليّ ، وأنا والله مع ذلك أُغَنّي الصوتين وأحفَظ الشعرين . قال الحسين : ولحنُ الدَّلال في شعر أبي زُبَـيْد هذا من خَفيف الثقيل أيضاً .

[صادف طريح أبا ورقاء في سفر فأنس به وذكر له قصّته مع أعرابيّ عاشق]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً قال حدّثني أبو الحسن البَلاذُريّ أحمد بن يحيى وأبو أيُّوب المَدِينيّ ؛ قال البَلاذُريّ وحدّثني الحِرمازِيّ ، وقال أبو أيّوب وحدّثونا عن الحِرْمازيّ قال حدّثني أبو القَعقاع سهل بن عبد الحميد عن أبي وَرْقاء الحَنَفيّ قال : خرجتُ من الكوفة أُريد بغداد ، فلمّا صِرْتُ إلى أوّل خانٍ نزلتُه ، بَسط غِلماننا وهيّؤوا غَداءهم ، ولم يجيء أحدٌ بعدُ ، إذ رمانا البابُ برجل فاره البِرْذَون حَسَنِ الهيئة ، فصِحْتُ بالغلمان ، فأخذوا دابّته فدَفعها إليهم ، ودعوتُ بالغَداء ، فبسط يدَه غير محتشم ، وجعلتُ لا أُكرمه بشيء إلاّ قَبِلَه . ثم جاء غلمانُه بعد ساعة في ثَقَلٍ سَرِيّ وهيئة حسنة . فتناسَبْنا فإذا الرجلُ طُرَيحُ بن إسماعيل الثَّقفيّ . فلمّا ارتحلنا ارتحلنا في قافلة غَنّاء لا يُدْرِكُ طَرَفاها . قال : فقال لي : ما حاجتُنا إلى زِحام الناس وليستْ بنا إليهم وحْشة[3] ولا علينا خوف ! نتقدّمهم بيوم فيخلو لنا الطريق ونُصادف الخاناتِ فارغةً ونُودِعُ أنفسَنا إلى أن يُوافُوا . قلتُ : ذلك إليك . قال : فأصبحنا الغَدَ فنزلنا الخان فتغدّينا وإلى جانبنا نهرٌ ظَليل ؛ فقال : هلْ لك أن نستنقع فيه ؟ فقلتُ له : شأنَك . فلمّا سَرا ثيابَه[4] إذا ما بين عُصْعُصِه إلى عُنُقه ذاهبٌ ، وفي جنبيه أمثالُ الجِرذان ، فوقَع في نفسي منه شيءٌ . فنظر إليّ ففَطِن وتبسَّم ، ثم قال : قد رأيتُ ذُعرَك ممّا رأيتَ ؛ وحديثُ هـذا إذا سِرْنـا العَشِيَّة إن شاء الله تعالى أُحدّثك بـه . قال : فلمّا ركبنا قلت : الحديثَ ! قال : نعم ! قَدِمتُ من عند الوليد بن يزيد بالدُّنيا ، وكتب إلى يوسف بن عُمر مع فَرّاش فملأ يَدَيْ أصحابي ، فخرجتُ أُبادِر الطائف . فلمّا امتدّ لي الطريقُ وليس يصحَبني فيه

1 المروى : جمع مروراة وهي الفلاة المستوية .

2 ل : شعر .

3 ل : حاجة .

4 سرا ثيابه : ألقاها .

خَلْقٌ ، عَنّ لي أعرابيٌّ على بعير له ، فحدّثني ، فإذا هو حسنُ الحديث ، وروى لي الشِّعْرَ فإذا هو راوية ، وأنشدني لنفسه فإذا هو شاعر . فقلت له : من أين أقبلتَ ؟ قال : لا أدري . قلت : فأين تُريد ؟ فذكر قِصّةً يُخبِر فيها أنّه عاشق لمُرَيئَةٍ قد أفسدتْ عليه عقلَه ، وستَرها عنه أهلُها وجفاه أهلُه ، فإنّما يستريح إلى الطريق ينحدر مع مُنْحَدِريه ويُصْعِد مع مُصْعِديه . قلت : فأين هي ؟ قال : غداً ننزل بإزائها . فلمّا نزلنا أراني ظَرِباً[1] على يسار الطريق ، فقال لي : أترى ذلك الظَّرِبَ ؟ قلت : أراه . قال : فإنّها في مَسقطه . قال : فأدركتني أريحيّةُ الشباب ، فقلتُ : أنا والله آتِيها برسالتك . قال : فخرجت وأتيت الظَّرِبَ ، وإذا بيتٌ حَرِيدٌ[2] ، وإذا فيه امرأةٌ جميلةٌ ظريفةٌ ؛ فذكرتُه لها ، فزَفَرتْ زفرةً كادت أضلاعُها تَساقَطُ . ثم قالت : أوحَيٌّ هو ؟ قلت : نعم ، تركتُه في رَحْلي وراء هذا الظَّرِب ، ونحن بائتون ومُصْبِحون . فقالت : يا أَبِي أرى لك وجهاً يدلُّ على خير ، فهل لك في الأَجْر ؟ فقلت : فقيرٌ والله إليه . قالت : فالبَسْ ثيابي وكُنْ مكاني ودَعْني حتى آتِيَه ، وذلك مُغَيْرِبانَ الشمس . قلت : أفعلُ . قالت : إنّك إذا أظلمتَ أتاك زوجي في هَجْمةٍ من إبله ، فإذا بركتْ أتاك وقال : يا فاجرة يا هَنتاه ، فيُوسِعُكَ شتماً فأَوْسِعْه صمتاً ، ثم يقول : اقْمَعي سِقاءَك ، فضَعِ القِمَعَ في هذا السِّقاء حتّى يُحْقَنَ فيه ، وإيّاكَ وهذا الآخَرَ فإنّه واهي الأسفلِ . قال : فجاء ففعلتُ ما أمرتْني به ، ثم قال : اقمَعي سِقاءَك ، فحيَّنني[3] اللهُ ، فتركتُ الصحيحَ وقَمَعتُ الواهيَ ، فما شعرَ إلاّ باللبن بين رجليه ، فعَمَد إلى رِشاءٍ من قِدٍّ مَرْبوعٍ ، فثَناه باثنين فصار على ثَمانِ قُوًى ، ثم جعلَ لا يتّقي منّي رأساً ولا رِجلاً ولا جَنْباً ، فخَشِيتُ أنْ يبدوَ له وجهي ، فتكون الأُخْرى ، فألزمتُ وجهي الأرض ، فعمِل بظَهْري ما ترى .

1 الظرب : الرابية الصغيرة .

2 حريد : معتزل .

3 حيَّنني الله : لم يوفقني إلى الصواب .

[54] ـ ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه

[ولاؤه ، وكان مغنّياً وشاعراً]

أبو سَعيد مولى فائد . وفائدٌ مولى عَمْرو بن عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه . وذكر ابن خُرْداذْبَه أنّ اسم أبي سعيد إبراهيم . وهو يُعْرَف في الشعراء بابن أبي سِنّة مولى بني أُميّة ، وفي المغنّين بأبي سعيد مولى فائد . وكان شاعراً مُجيداً ومُغَنِّياً ، وناسكاً بعد ذلك ، فاضلاً مقبولَ الشهادة بالمدينة مُعَدَّلا . وعُمِّر إلى خلافة الرشيد ، ولقِيه إبراهيم بن المَهْديّ وإسحاقُ الموصليّ وذووهما . وله قصائد جِياد في مَراثي بني أُميّةٍ الذين قتلهم عبدُ الله وداوُد ابنا عليّ بن عبد الله بن العبّاس ، يُذْكر هاهنا في موضعه منها ما تسوق الأحاديث ذِكْره .

[طلب إليه المهديّ أن يغنّيه صوتاً له فغنّاه غيره واعتذر عنه]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عُبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن ابن أبي الأَزْهَر عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أخيه أحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب عن أبي جعفر الأَسَديّ عن إسحاق ، قال يحيى خاصّةً في خبره : قال إسحاق : حَجَجْتُ مع الرشيد ، فلمّا قَرُبتُ من مكّة استأذنتُه في التقدُّم فأذِنَ لي ، فدخلتُ مكّة ، فسألتُ عن أبي سعيد مولى فائد ، فقيل لي : هو في المسجد الحَرام . فأتيتُ المسجد فسألتُ عنه ، فدُلِلْتُ عليه ، فإذا هو قائمٌ يصلّي ، فجئتُ فجلستُ قريباً منه . فلمّا فَرِغ قال لي : يا فتى ، ألكَ حاجةً ؟ قلتُ : نعم ، تُغنّيني : «لقد طفتُ سبعاً» . هذه رواية يحيى بن عليّ . وأمّا الباقون فإنّهم ذكروا عن إسحاق أنّ المَهْديّ قال هذا لأبي سعيد وأَمَره أن يُغَنّيَ له : [من الطويل]

لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... أَلا ليتَ هذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

ورفَق به وأدنى مجلسَه ، وقد كان نَسَك ؛ فقال : أَوَ أغَنّيك يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ؟ قال : أنتَ وذاك . فغَنّى : [من الخفيف]

إنّ هذا الطويلَ من آلِ حَفْصٍ ... نَشَرَ المَجْدَ بعد ما كان ماتا

وبَناهُ على أَساسٍ وَثيقٍ ... وعِمادٍ قد أُثْبِتَتْ إثباتا

مثلَ ما قد بنى له أوّلُوه ... وكذا يُشْبِهُ البُناةُ البُناتا

الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، فأحسن . فقال له المهديّ : أحسنتَ يا أبا سعيد !

فغَنِّني «لقد طفتُ سبعاً» . قال : أَوَ أغنِّيك أحسن[1] منه ؟ قال : أنت وذاك . فغنّاه : [من الكامل]

قَدِم الطويلُ فأشرقتْ واستبشرتْ أرضُ الحجـازِ وبانَ في الأشجارِ
إنّ الطويلَ مِن آل حَفْصٍ فاعلموا سادَ الحضورَ وسادَ في الأسفارِ

فأحسنَ فيه . فقال : غَنِّني «لقد طفتُ سبعا» . قال : أَوَ أغنِّيك أحسنَ منه ؟ قال : فغَنِّني . فغنّاه : [من الخفيف]

أيُّها السائلُ الذي يَخْبِـطُ الأر ضَ دعِ النـاسَ أجمعـين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ مِـنْ آل حَفْصٍ إنْ تخوّفـــتَ عَيْلـــةً أو هلاكا

فأحسن فيه . فقال له : غَنِّني «لقد طفت سبعاً» ، فقد أحسنت فيما غنَّيت ، ولكنّا نُحِبّ أن تُغَنِّي[2] ما دعوناك إليه . فقال : لا سبيلَ إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ لأنّي رأيت رسولَ الله ﷺ في مَنامي وفي يده شيءٌ لا أدري ما هو ، وقد رفعه ليضربَني به وهو يقول : يا أبا سعيد ، لقد طفتُ سبعاً ، لقد طفتُ سبعاً ، سبعاً طُفْتَ ! ما صنعت بأُمّتي في هذا الصوت ! فقلت له : بأبي أنت وأُمّي اغْفر لي ، فوالذي بَعَثك بالحقّ واصطفاك بالنبوّة لا غَنَّيتُ هذا الصوت أبداً ؛ فردّ يدَه ثم قال : عفا الله عنك إذاً ! ثم انتبهتُ . وما كنتُ لأُعْطِيَ رسولَ الله ﷺ شيئاً في مَنامي فأرجعَ عنه في يَقظَتي . فبكى المهديّ وقال : أحسنتَ يا أبا سعيدٍ أحسن الله إليك ! لا تَعُدْ في غنائه ، وحَباه وكساه وأَمَر بردّه إلى الحجاز . فقال له أبو سعيد : ولكن اسمَعْه يا أميرَ المؤمنين من مَنَّةَ جاريةِ البرامكة . وأظُنّ حكايةَ مَنْ حكى ذلك عن المهديّ غلطاً ؛ لأنّ مَنَّةَ جاريةَ البرامكة لم تكن في أيّام المهديّ ، وإنما نشأتْ وعُرِفتْ في أيّام الرشيد .

وقد حدّثني أحمد بن جعفر جَحظةُ قال حدّثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بنِ المهديّ عن أبيه أنّه هو الذي لَقِي أبا سعيد مولى فائد وجاراه هذه القِصّة . وذكر ذلك أيضاً حَمّاد بنُ إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ . وقد يجوز أن يكون إبراهيم بن المهديّ وإسحاق سألاه عن هذا الصوت فأجابهما فيه بمثل ما أجاب المهديّ . وأمّا خبرُ إبراهيم بن المهديّ خاصّةً فله مَعانٍ غيرُ هذه ، والصوت الذي سأله عنه غيرُ هذا ؛ وسيُذْكر بعد انقضاء هذه الأخبار لئلاّ تنقطع .

---

1 ل : خيراً .

2 ل : تغنينا .

[أراده إبراهيم بن المهديّ على الذهاب إلى بغداد فأبى]

وأخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة : أنّ إبراهيم بنَ المهديّ لَقي أبا سعيد مولى فائدٍ ؛ وذكر الخبرَ بمثل الذي قبله ، وزاد فيه : فقال له : اشْخَصْ معي إلى بغداد ، فلم يفعل . فقال : ما كنت لآخذُكَ بما لا تُحِبّ ، ولو كان غيرُك لأكرهتُه على ما أحِبُّ ، ولكن دُلَّني على مَنْ ينوب عنك . فدَلَّه على ابن جامِع ، وقال له : عليكَ بغلامٍ من بني سَهْمٍ قد أخذ عنّي وعن نُظَرائي وتخرّج ، وهو كما تُحِبّ . فأخذه إبراهيم معه فأقدمه بغداد ؛ فهو الذي كان سبب وروده إيّاها .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

لقد طُفْتُ سبعاً قلتُ لمّا قَضَيْتُها ... أَلا ليتَ هـذا لا عَلَيَّ ولا لِيا

يُسائلني صَحْبي فما أَعقِلُ الذي ... يقولون من ذِكْرٍ لليلى اعترانِيا

عروضه من الطويل . ذكر يحيى بن عليّ أنّ الشعر والغِناء لأبي سعيد مولى فائد ، وذكر غيرُه أنّ الشعر للمجنون . ولحنُه خفيف رَمَلٍ بالبنصر وهو المختار . وذكر حبشٌ أنّ فيه لإبراهيم خفيفَ رَمَلٍ آخَر . والذي ذكر يحيى بن عليّ من أنّ الشعر لأبي سعيد مولى فائد هو الصحيح .

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ أنّه أنشده لأبي سعيدٍ مولى فائد . قال عمّي : وأنشدني هذا الشعر أيضاً أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامة لأبي سعيد . وبعد هذين البيتين اللَّذين مَضَيا هذه الأبيات : [من الطويل]

إذا جئتَ بابَ الشِّعْبِ شِعْبِ ابن عامرٍ ... فأَقْرِىء غـزالَ الشِّعْبِ مِنّي سَلامِيا

وقُلْ لغزالِ الشِّعْب هـل أنتَ نازلٌ ... بشِعْبِكَ أم هل يُصْبِحُ القلبَ ثاويا

لقـد زادني الحُجَّـاجُ شوقـاً إليكمُ ... وقـد كنتُ قبل اليـومِ لِلْحَجِّ قالِيا

ومـا نظرتْ عيني إلى وجـه قـادمٍ ... مـن الحَـجِّ إلاّ بَـلَّ دَمْعي ردائيا

في البيت الأوّل من هذه الأبيات ، وهو :

إذا جئت باب الشعب شعب ابن عامر

[لحن] لابن جامع خفيفُ رَمَلٍ عن الهشاميّ .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

إنّ هذا الطويلَ مِنْ آل حَفْصٍ نَشَر المجدَ بعد مـا كان ماتا
وبنـاه على أساسٍ وَثِيـقٍ وعِمادٍ قـد أُثْبِتَتْ إثباتا
مثلَ مـا قـد بنى لـه أوّلُوه وكـذا يُشْبِـه البُنـاةُ البُناتا

عروضه من الخفيف ، الشعر والغناء لأبي سعيد مولى فائد ، ولحنُه رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من الكامل]

صوت

قَـدِم الطويلُ فأشرقتْ لقدومه أرضُ الحجاز وَبـانَ في الأشجارِ
إنّ الطويلَ مـن ال حفصٍ فاعلموا سادَ الحُضـورَ وسادَ في الأسفارِ

الشعر والغناء لأبي سعيد .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

أيُّها الطالـبُ الذي يَخْبِطُ الأرْ ضَ دَعِ الناسَ أجمعـين وراكا
وأتِ هذا الطويلَ من آل حَفصٍ إن تخوّفـتَ عَيْلـةً أو هلاكا

عروضه من الخفيف ، الشعر لأبي سعيدٍ مولى فائد ؛ وقيل : إنّه للدّارميّ . والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ . وفيه للدّارميّ ثاني ثقيل .

الطويل من آل حفص الذي عناه الشعراءُ في هذه الأشعار ، هو عبد الله بن عبد الحميد بن حفص ، وقيل : ابن أبي حفص بن المُغيرة المَخزوميّ ، وكان مُمدَّحاً .

[مدحه لعبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ]

فأخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى إجازةً عن أبي أيُّوب المَدِينيّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه : أنّ عبد الله بن عبد الحميد المخزوميّ ، كان يُعطي الشعراءَ فيُجزِل ، وكان مُوسراً ، وكان سبب يَساره ما صار إليه من أُمّ سَلَمَة المخزوميّة امرأةِ أبي العبّاس السفّاح ؛ فإنّه تزوّجها بعده ، فصار إليه منها مالٌ عظيم ، فكان يتسمّح به ويَتَفَتى[1] ويتّسع في العطايا . وكانت أُمّ سلَمة مائلةً إليه ، فأعطتْه ما لا يُدرى ما هو ، ثم إنّها اتّهمته

1 يتفتى : يتسخّى .

بجاريةٍ لها فاحتجبتْ عنه ، فلم تَعُدْ إليه حتَّى مات . وكان جميلَ الوجه طويلاً . وفيه يقول أبو سعيدٍ مولى فائد : [من الخفيف]

إنّ هذا الطويلَ من آل حفصٍ نشر المجدَ بعد ما كان ماتا

وفيه يقول الدَّارميّ : [من الخفيف]

أيُّها السائلُ الذي يَخْبِطُ الأر ضَ دَعِ الناسَ أجمعين وراكا
وأْتِ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ إنّ تخوّفتَ عَيْلةً أو هلاكا

وفيه يقول الدّارميّ أيضاً : [من منهوك الكامل]

صوت

إنّ الطويلَ إذا حَلَلْتَ بـه يوماً كفاك مَؤونة الثِّقْلِ

ويروى : ابن الطويل إذا حللت به

وحللتَ في دَعَةٍ وفي كَنَفٍ رَحْبِ الفِناء ومنزلٍ سَهلِ

غنّاه ابن عبّاد الكاتب ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن ابن المكيّ .

[غنّى إبراهيم بن المهديّ في المسجد]

فأمّا خبرُ إبراهيم بن المهديّ مع أبي سعيدٍ مولى فائد الذي قلنا إنّه يُذْكَر هاهنا ، فأخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني القَطِرانيّ المغنّي قال حدّثني ابن جَبْر قال : سمعتُ إبراهيم بن المهديّ يقول : كنت بمكّة في المسجد الحرام ، فإذا شيخٌ قد طلع وقد قَلَب إحدى نعليه على الأُخرى وقام يصلّي ؛ فسألتُ عنه فقيل لي : هذا أبو سعيد مولى فائد . فقلتُ لبعض الغِلْمان : احْصِبْه فحصَبَه ؛ فأقبل عليه وقال : ما يظنّ أحدُكم إذا دخل المسجدَ إلاّ أنّه له . فقلت للغلام : قُلْ له : يقول لك مولاي : ابْلُغْني ؛ فقال ذلك له . فقال له أبو سعيد : مَنْ مولاك حفظه الله ؟ قال : مولاي إبراهيم بن المهديّ ، فمن أنت ؟ قال : أنا أبو سعيد مولى فائد ؛ وقام فجلس بين يديّ ، وقال : لا والله ، بأبي أنت وأُمّي ، ما عرفتُك ! فقلت : لا عليك ! أخبِرْني عن هذا الصوت : [من المتقارب]

أفاضَ المدامعَ قَتْلى كُدىً وقَتْلَى بكُثْوةَ لم تُرْمَسِ[1]

قال : هو لي . قلت : وربّ هذه البَنِيَّةِ لا تَبْرحُ حتى تغنّيه . قال : ورَبّ هذه البنيّة لا

---

1 كدى : (بضم الكاف) موضع بأسفل مكّة ، وبفتحها : ثنية بالطائف . وكداء : اسم لعرفات أو جبل بمكّة . ولعلّ المقصود إذ سترد أبيات أخرى بهذا اللفظ «كداء» . كُثوة : موضع .

تبرح حتى تسمَعَه . قال : ثم قَلَب إحدى نعليه وأخذ بِعَقب الأُخرى ، وجعل يقرع بحرفها على الأُخرى ويُغَنِّيه حتّى أتى عليه ، فأخذتُه منه . قال ابن جَبْر : وأخذتُه أنا من إبراهيم بن المهديّ .

[ردّ محمد بن عمران القاضي شهادته ثم قبلها]

أخبرني رِضوان بن أحمد الصَّيْدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني دنية المَدَنيّ صاحب العبّاسة بنت المهديّ ، وكان آدبَ مَنْ قَدِم علينا من أهل الحجاز : أنّ أبا سعيدٍ مولى فائد حضَر مجلسَ محمد بن عِمران التَّيْميّ قاضي المدينة لأبي جعفر ، وكان مقدّماً لأبي سعيد . فقال له ابن عمران التيميّ : يا أبا سعيد أنت القائل : [من الطويل]

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ألا ليتَ هـذا لا عَلَـيَّ ولا لِيا

فقال : إي لَعَمْرُ أبيك . وإنّي لأُدْمِجه إدماجاً من لؤلؤ . فردّ محمد بن عمران شهادته في ذلك المجلس . وقام أبو سعيد من مجلسه مُغضَباً وحلَف ألاّ يشهَدَ عنده أبداً . فأنكر أهل المدينة على ابن عمْران ردَّه شهادتـه ، وقالوا : عَرَّضتَ حقوقَنا للتَّوى[1] وأموالنا للتلف ؛ لأنا كنّا نُشْهِد هذا الرجلَ لعِلْمِنا بما كنت عليه والقضاةُ قبلك من الثقة به وتقديمه وتعديله . فنَدِم ابنُ عمران بعد ذلك على ردّ شهادته ، ووَجَّه إليه يسأله حضور مجلسه والشهادة عنده ليقضي بشهادته ؛ فامتنع ، وذكر أنّه لا يقدِر على حضور مجلسه ليمينٍ لزمتْه إن حضرَه حَنِثَ . قال : فكان ابنُ عمران بعد ذلك ، إذا ادّعى أحدٌ عنده شهادةَ أبي سعيدٍ ، صار إليه إلى منزله أو مكانه من المسجد حتى يسمَع منه ويسأله عمّا يَشهد به فيُخبره . وكان محمد بن عمران كثير اللَّحمْ ، عظيم البطن ، كبيرَ العجيزة ، صغير القدمين ، دقيق الساقين ، يشتدّ عليه المشي ، فكان كثيراً ما يقول : لقد أتعبني هذا الصوت «لقد طفتُ سبعاً» وأضرَّ بي ضرراً طويلاً شديداً . وأنا رجلٌ ثَقالٌ ، بتردّدي إلى أبي سعيد لأسمعَ شهادتَه .

[ردّ المطّلب بن حنطب شهادته فقال له شعراً فقبلها]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا النَّضْر بن عمرو عن الهيثم بن عديٍّ قال : كان المُطَّلب بن عبد الله بن حنطب قاضياً على مكّة ، فشَهِد عنده أبو سعيد مولى فائد بشهادة ؛ فقال له المطَّلب : [ويحك !] ألستَ الذي يقول : [من الطويل]

لقد طفتُ سبعاً قلتُ لمّا قضيتُها ألا ليـت هـذا لا عـليَّ ولا ليا

1 التوى : الهلاك .

لا قَبِلتُ لك شهادةً أبداً . فقال له أبو سعيد : أنا والله الذي أقول : [من الطويل]

كأنّ وُجوهَ الحَنْطَبِيِّين في الدُّجَى قناديلُ تَسْقيها السَّلِيطَ الهياكلُ

فقال الحنطبيّ : إنّك ما علمتك إلاّ دَبّاباً حول البيت في الظُّلم ، مُدْمناً للطَّواف به في الليل والنهار ؛ وقَبِل شهادته .

نسبة الصوت المذكور قبل هذا ، الذي في حديث إبراهيم بن المهديّ وخبره

صوت

[من المتقارب]

أفاضَ المدامِعَ قَتْلَى كُدىً وقَتْلى بكُثْوةَ لم تُرْمَسِ
وقَتْلى بِوَجٍّ وباللاّبَتَيـ ـن من يَثْرِبٍ خيرُ ما أَنْفُسِ[1]
وبالزَّابِيَيْنِ نفوسٌ ثَوَتْ وأُخْرى بنهرِ أبي فُطْرُسِ[2]
أولئك قومي أناختْ بهم نوائبُ من زَمَنٍ مُتْعِسِ
إذا رَكِبوا زيَّنوا المَوْكَبَيْنِ وإن جَلَسوا الزَّيْنُ في المجلسِ
همُ أضرعوني لريبِ الزَّمانِ وهُمْ أَلصَقوا الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ

عروضه من المتقارب ، الشعر للعَبَليّ ، واسمه عبد الله بن عُمَر ، ويُكْنى أبا عدِيّ ، وله أخبار تُذْكر مفردةً في موضعها إن شاء الله . والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد ، ولحنه من الثقيل الثاني بالسبّابة في مجرى البِنصر . وقصيدةُ العبليّ أوّلُها :

تقولُ أُمامةُ لمّا رأتْ نُشُوزى عن المَضْجَعِ الأَنفَسِ

[أنشد العبليّ عبد الله بن حسن شعره في رثاء قومه فبكى]

نسختُ من كتاب الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار ، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغيرة بن محمد المُهَلَّبيّ عن الزُّبير عن سليمان بن عيّاش السَّعديّ قال : جاء عبد الله بن عُمَر العَبَليّ إلى سُوَيقة[3] وهو طريدُ بني العبّاس ؛ وذلك بعَقِب أيّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلكهم إلى بني العبّاس ، فقصد عبد الله وحسناً ابنَيْ الحسن بن

1 وجّ : واد بالطائف . اللابتان : حرتا المدينة .
2 الزابيان : لعلّهما الزاب الأعلى والزاب الأسفل في العراق . نهر أبي فطرس : قرب الرملة بفلسطين .
3 سويقة : موضع بالمدينة .

حَسنٍ بسُويقة ؛ فاستنشده عبد الله بن حسنٍ شيئاً من شعره فأنشده ؛ فقال له : أُريد أن تُنْشِدني شيئاً ممّا رثيت به قومك ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

تقــول أمامـــةُ لَمّــا رأتْ نُشُوزي عن المَضْجَعِ الأَنْفَسِ
وقِلَّــةَ نَوْمــي على مضجعي لــدى هَجْمةِ الأَعيُنِ النُّعَّسِ
أبي مــا عَراكَ ؟ فقلتُ الهُمومَ عَــرَوْنَ أباكِ فــلا تُبْلِسي
عَــرَوْنَ أبــاكِ فحبَّسْنَه من الــذُّلِّ في شرِّ مــا مَحْبِسِ
لِفَقْــدِ الأَحِبَّــةِ إذ نالهــا سِهامٌ مــن الحَــدَثِ المُبْئِسِ
رمتْهــا المَنُــونُ بــلا نُكَّلٍ ولا طــائشاتٍ ولا نُــكَّسِ
بأَسْهُمِها المُتْلِفــاتِ النفــوسِ متى ما تُصِبْ مُهْجةً تَخْلِسِ
فصَرَّعْنَهمْ في نَواحــي البلادِ مُلَقًّــى بــأَرْضٍ ولم يُرْسَسِ[1]
تَقِــيٌّ أُصِيــبَ وأثوابُــه مــن العَيْبِ والعارِ لم تَدْنَسِ[2]
وآخَــرُ قــد دُسَّ في حُفْرةٍ وآخَــر قــد طــار لم يُحْسَسِ
إذا عَــنّ ذِكْرُهُــمُ لم يَنَــمْ أبــوكِ وأَوْحَشَ في المَجْلِسِ
فــذاكَ الذي غالنــي فاعلمي ولا تسألي بامــرىءٍ مُتْعَسِ
أذلُّــوا قَناتــي لِمــن رامَها وقــد أَلْصَقُوا الرَّغَمَ بالمَعْطِسِ

قال : فرأيتُ عبد الله بن حسنٍ وإنّ دموعه لتجري على خَدّه .

[غنّى الرشيد وكان مغضباً فسكن غضبه]

وقد أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ عن إبراهيم بن رباح قال : عُمِّر أبو سعيد بن أبي سِنّة مولى بني أُميّة وهو مولى فائد مولى عمرو بن عثمان إلى أيّام الرشيد ؛ فلمّا حجّ أحضرَه فقال : أَنْشِدني قصيدتك :

تقــولُ أُمامــةُ لَمّــا رأتْ

فاندفع فغنّاه قبل أن يُنْشِده الشعرَ لحنه في أبيات منها ، أوّلها :

أفــاضَ المدامــعَ قَتْلى كُدًى

1 يرسس في ل : يرمس .
2 تقي يروى أيضاً : نقي .

وكان الرشيد مُغضباً فسكنَ غَضَبُه وطَرِب ، فقال : أنشِدني القصيدة . فقال : يا أمير المؤمنين ، كان القومُ مَوالِيّ وأنعموا عليّ ، فرثيتُهم[1] ولم أَهْجُ أحداً ؛ فتركه .

[كان ابن الأعرابيّ ينشد شعر العبليّ فصحّفه فردّه أبو هفان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثنا الحَزَنْبَل قال : كنّا عند ابن الأعرابيّ وحضَر معنا أبو هِفان ، فأنشدنا ابن الأعرابيّ عمّن أنشده قال : قال ابن أبي سبة العَبَليّ : [من المتقارب]

أفاضَ المدامـعَ قَتْلى كذا وقَتْـلى بكبـوة لم تُرْمَسِ

فغَمَز أبو هفّان رجلاً وقال له : قُل له : ما معنى «كذا» ؟ قال : يريد كثرتهم فلمّا قُمنا قـال لي أبو هِفّان : أسمِعتَ إلى هذا المُعجب الرَّقِيع ! صَحَّفَ اسم الرجل . هو ابن أبي سنّة ، فقال : ابن أبي سبَّة ؛ وصحَّف في بيت واحدٍ موضعين ، فقال : «قَتْلى كذا» وهو كُدَى ، و«قتلى بكبوة» وهو بكُثْوَة . وأغلظُ عليّ من هذا أنّه يفسِّر تصحيفَه بوجهٍ وَقـاحٍ . وهذا الشعر الذي غنّاه أبو سعيد يقوله أبو عَدِيّ عبد الله بن عُمَر العَبَليّ فيمن قَتَله عبد الله بن عليّ بنهر أبي فُطْرُس وأبو العبّاس السفّاح أمير المؤمنين بعدهم من بني أُميّة . وخبرُهم والوقائع التي كانت بينهم مشهورةٌ يطول ذكرُها جدّاً . ونذكر هاهنا ما يُسْتَحسَنُ منها .

1 هنا ينسب أبو الفرج القصيدة إلى أبي سعيد وكان قبل قليل قد نسبها إلى عبد الله بن عمر العبلي .

[55] ـ ذكر مَنْ قتل أبو العبّاس السفّاح من بني أميّة

[مقتل مروان بن محمد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدّثني مُسَبِّح بن حاتم العُكْليّ قال حدّثني الجَهْم بن السَّبَّاق عن صالح بن ميمون مولى عبد الصمد بن عليّ ، قال : لمّا استمرّت الهزيمةُ بمروان ، أقام عبد الله بن عليّ بالرَّقّة ، وأنفذ أخاه عبدَ الصمد في طلبه فصار إلى دمشق ، وأتبعه جيشاً عليهم أبو إسماعيل عامرٌ الطويل من قوّاد خُراسان ، فلحِقه وقد جاز مصرَ في قرية تُدعى بُوصِيرَ ، فقتله ، وذلك يومَ الأحد لثلاث بَقين من ذي الحجّة ، ووجّه برأسه إلى عبد الله بن عليّ ، فأنفذه عبد الله بن عليّ إلى أبي العبّاس . فلمّا وُضِع بين يديه خرّ لله ساجداً ، ثم رفع رأسه وقال : الحمد لله الذي أظهرني عليك وأظفرني بك ولم يُبْقِ ثأري قِبلَكَ وقِبَلَ رَهْطِك أعداءِ الدّين ؛ ثم تمثّل قول ذي الإصبع العدوانيّ[1] : [من البسيط]

لو يَشربون دَمي لم يُرْوِ شاربَهم ولا دِماؤهمُ للغَيْظِ تُرْوِيني

[أمّن عبد الله بن علي ابن مسلمة بن عبد الملك فأبى وقاتل حتى قتل]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكِيعٌ قال حدّثني محمد بن يزيد قال : نظر عبدُ الله بن عليّ إلى فتًى عليه أُبَّهةُ الشَّرَف وهو يُقاتل مُسْتَنْتِلاً[2] ، فناداه : يا فتى ، لك الأمانُ ولو كنتَ مروان بن محمد . فقال : إلاّ أكُنْه فلستُ بدونه . قال : فلك الأمانُ مَن كنتَ . فأطرق ثم قال : [من المتقارب]

أَذُلَّ الحياةِ وكُرْهَ المَماتِ وكُلاًّ أرى لك شَرّاً وَبيلا[3]

ويروى :

وكلاًّ أراه طعاماً وَبِيلا

فإنْ لم يكن غيرُ إحداهما فسَيْراً إلى الموتِ سَيْراً جَميلا

ثم قاتل حتى قُتل . قال : فإذا هو ابن مسلمة بن عبد الملك بن مروان .

[اجتمع عند السفّاح جماعة من بني أميّة فأنشده سديف شعراً يغريه بهم فقتلهم]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني النَّضْر بن عمرو عن المُعَيطيّ ، وأخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال قال أبو السائب سَلْم بن جُنادَةَ السُّوائيّ سمعتُ أبا

1 البيت من المفضلية رقم 31 وقد ورد في المفضليات وأمالي القالي بضمير المخاطب .

2 ل : مستقتلاً .

3 لك في ل : ذاك .

نُعَيْم الفضلَ بن دُكَيْن يقول : دخل سُدَيْفٌ ، وهو مولًى لآل أبي لَهَبٍ ، على أبي العبّاس بالحِيرة . هكذا قال وَكيع . وقال الكُرانيّ في خبره واللفظ له : كان أبو العبّاس جالساً في مجلسه على سريره وبنو هاشم دونه على الكراسي ، وبنو أُميّة على الوسائد قد ثُنِيتْ لهم ، وكانوا في أيّام دَولتهم يجلِسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي ؛ فدخل الحاجبُ فقال : يا أمير المؤمنين ، بالباب رجلٌ حِجازيّ أسود راكبٌ على نَجيبٍ متلثِّمٌ يستأذن ولا يُخبِر باسمه ، ويحلِف ألاّ يَحْسِرَ اللِّثام عن وجهه حتى يراك . قال : هذا مولاي سُدَيف ، يدخل ، فدخل . فلمّا نظر إلى أبي العبّاس وبنو أُميّة حولَه ، حَدَر اللِّثام عن وجهه وأنشأ يقول[1] : [من الخفيف]

أصبح المُلْكُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهاليل من بني العبّاسِ
بالصدورِ المُقَدَّمين قديماً ... والرُّؤوسِ القَماقِم الرُّؤَّاسِ
يا أميرَ المُطَهَّرِينَ مِنَ الذَّ ... مّ ويا رأسَ منتهى كلِّ راسِ
أنت مَهْدِيُّ هاشمٍ وهُداها ... كم أُناسٍ رَجَوْكَ بعد إياسِ[2]
لا تُقِيلَنّ عبدَ شَمْسٍ عِثاراً ... واقطَعَنْ كلَّ رَقْلةٍ وغِراسِ
أَنْزِلُوها بحيث أنزلَها اللـ ... ـهُ بدارِ الهَوانِ والإتْعاسِ
خَوفُهم أظهرَ التَّوَدُّدَ منهمْ ... وبهم منكمُ كَحَزِّ المَواسي
أَقْصِهم أيُّها الخليفةُ واحْسِمْ ... عنك بالسَّيف شَأْفةَ الأَرْجاسِ
واذْكُرَنْ مَصْرَعَ الحُسَيْنِ وزَيْدٍ ... وقَتِيلٍ بجانبِ المِهْراسِ[3]
والإمامِ الذي بَحرّان أَمْسَى ... رَهْنَ قبرٍ في غُرْبةٍ وتَناسي[4]

---

1 في الكامل للمبرد (3 : 1367) والعقد الفريد (4 : 486) أنّ الذي أنشد هذه الأبيات هو شبل بن عبد الله مولى بني هاشم ، وأنّ شعر سديف :

لا يغرنك ما ترى من أناس ... إن تحت البطون داء دوياً

غير أنّ المخاطب عند المبرد هو عبد الله بن علي (عمّ السفاح) وفي العقد أبو العباس السفاح . وقد نقل ابن حمدون هذا الخبر والشعر .

2 إياس في ل : أناس .

3 القتيل بجانب المهراس ، هو حمزة بن عبد المطّلب ، ونسب قتله إلى بني أميّة ، كما قال المبرّد ، لأنّ أبا سفيان كان قائد قريش يوم أُحد . والمهراس ماء قريب من أُحد .

4 والأمام الذي بحران : هو إبراهيم الإمام قُتل في أيام مروان بن محمد وكان رأس الدعوة العباسية .

فلقـــد ساءني وساءَ سَوائـي قُرْبُـهمْ من نَمارِقٍ وكَراسِي
نِعْمَ كَلْبُ الهِراشِ مولاك لولا أَوَدٌ مـــن حبائـــلِ الإفلاسِ[1]

فتغيّر لونُ أبي العبّاس وأخذه زَمَعٌ[2] ورِعْدة ؛ فالتفتَ بعضُ وَلَد سليمانَ بن عبد الملك إلى رجلٍ منهم ، وكان إلى جَنْبه ، فقال : قَتَلَنا والله العبدُ . ثم أقبل أبو العبّاس عليهم فقال : يا بَني الفَواعل ، أرى قَتْلاكم من أهلي قد سَلَفوا وأنتم أحياءٌ تتلذَّذون في الدنيا ؟ خُذُوهم ! فأخذتْهم الخُراسانيّة بالكافر كوبات ، فأُهْمِدوا ، إلاّ ما كان من عبد العزيز بن عُمَر بن عبد العزيز فإنّه استجار بداود بن عليّ وقال له : إنّ أبي لم يكن كآبائهم وقد علِمتَ صنيعتَه إليكم ، فأجارَه واستوهبه من السّفاح ، وقال له : قد علمتَ يا أمير المؤمنين صنيعَ أبيه إلينا . فوَهَبه له وقال له : لا تُريني وجهَه ، وليكن بحيث تأمَنُه ؛ وكتب إلى عُمّاله في النواحي بقَتْل بني أُمَيّة .

[سبب قتل السفاح لبني أميّة وتشفّيه فيهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني أحمد بن سعيد الدِّمشقيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار عن عمِّه : أنّ سبب قَتْل بني أُميّة : أنّ السفاح أُنْشِد قصيدةً مُدِح بها ، فأقبل على بعضهم فقال : أين هذا ممّا مُدحْتم به ؟ فقال : هيهاتَ ! لا يقول واللهِ أحدٌ فيكم مثل قول ابن قيس الرُّقيات فينا[3] : [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُميَّة إلاَّ أنَّـهمْ يَحْلُمـون إنْ غَضِبوا
وأنَّـهُم مَعْدِنُ المُلـوكِ ولا تَصْلُـحُ إلاّ عليهـمُ العَرَبُ

فقال له : يا ماصَّ كذا من أُمّه ، أوَ إنّ الخلافة لَفي نفسِك بعدُ ؟ خُذُوهم ! فأُخِذُوا فقُتِلوا .

[بسط السفاح على قتلاهم بساطاً تغدّى عليه]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن المُعَيْطيّ : أنّ أبا العبّاس دعا بالغداء حين قُتِلوا ، وأمَر ببساطٍ فبُسِط عليهم ، وجلس فوقه يأكل وهم يضطربون تحته . فلمّا فرغ من الأكل قال : ما أعلَمُني أكلتُ أكلةً قطُّ أهْنأَ ولا أطيَبَ لنفسي منها . فلمّا فرغ قال : جُرُّوا بأرجلهم ؛ فالْقُوا في الطريق يلعَنُهم الناس أمواتاً كما لعنوهم أحياء . قال : فرأيت الكِلاب تجرّ بأرْجُلِهم وعليهم سَراويلاتُ الوَشْي حتى أَنْتَنوا ؛ ثم حُفِرتْ لهم بئر فأُلْقُوا فيها .

---

1 يروى أيضاً «نعم شبل الهراش مولاك شبل» ممّا يقوي نسبة الأبيات إلى شبل بن عبد الله .

2 زمع : رعدة شديدة .

3 ديوان ابن قيس الرقيات (طبعة دار صادر) : 4 .

[أوغر ابن هرمة صدر داود بن عليّ على بعض الأمويين في مجلسه]

أخبرني عُمَر بن عبد الله بن جميل العَتَكيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن مَعْنٍ الغِفاريّ عن أبيه قال : لمّا أقبلَ داود بن عليّ من مكّة أقبل معه بنو حسنٍ جميعاً وحسينُ بن عليٍّ بن حسين وعليُّ بن عُمَر بن عليٍّ بن حسين وجعفرُ بن محمد والأرْقَطُ محمد بن عبد الله وحسين بن زيد ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الله بن عنبسة بن سعيد بن العاصي وعُروة وسعيد ابنا خالد بن سعيد بن عمرو بن عثمان ، فعُمِل لداود مجلسٌ بالرُّوَيْثة[1] ، فجلس عليه هو والهاشميّون ، وجلس الأُمويُّون تحتهم ؛ فأنشده إبراهيم بن هَرْمة قصيدةً يقول فيها : [من البسيط]

فَلا عَفا اللهُ عن مَرْوانَ مَظْلِمةً ولا أُميَّة بئس المجلسُ النّادي
كانوا كعادٍ فأمسَى اللهُ أهلكهم بمثلِ ما أهلكَ الغاوين من عادِ
فلن يُكَذِّبَني مـن هاشمٍ أحدٌ فيما أقول ولو أكثرتُ تَعدادِي

قال : فنبَذ داود نحو ابن عنبسة ضحكةً كالكِشرة . فلمّا قام قال عبد الله [بن حسن] لأخيه حسن : أما رأيتَ ضَحْكَتَه إلى ابن عَنْبسةَ ! الحمد لله الذي صَرَفها عن أخي (يعني العثمانيّ) . قال : فما هو إلاّ أنْ قَدِم المدينة حتّى قتل ابنَ عَنْبسة .

[استحلف عبد الله بن حسن داود بن عليّ ألاّ يقتل أخويه محمداً والقاسم]

قال محمد بن مَعنٍ حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال : استحلف أخي عبدُ الله بن حسنٍ داودَ بن عليٍّ ، وقد حجّ معه سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، بطلاق امرأتِه مُلَيْكة بنتِ داود بن حسنٍ ألاّ يقتل أخَويه محمداً والقاسم ابنَيْ عبدِ الله . قال : فكنتُ أختلف إليه آمناً وهو يقتل بني أُميّة ، وكان يكره أن يراني أهلُ خُراسان ولا يستطيع إليَّ سبيلاً ليمينه . فاستدناني يوماً فدنوتُ منه ، فقال : ما أكثرَ الغَفَلَةَ وأقلَّ الحَزَمَةَ ! فأخبرتُ بها عبدَ الله بن حسن ؛ فقال : يا ابنَ أمّ ، تَغَيَّبْ عن الرجل ؛ فتغيَّبت عنه حتى مات .

[أنشد سديف السفّاح شعراً وعنده رجال من بني أُميّة فأمر بقتلهم]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى قالا حدّثنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدّثني إسماعيل بن إبراهيم عن الهيثم بن بِشْر مولى محمد بن عليّ قال : أَنْشَدَ سُدَيْفٌ أبا العبّاس ، وعنده رجالٌ من بني أُمَيَّة ، قوله : [من الخفيف]

يا ابنَ عَمّ النبيّ أنت ضِياءٌ إسْتَبَنَّا بـك اليقينَ الجَلِيّا

1 الرويثة : موضع على ليلة من المدينة .

فلَّما بلغ قوله :

جَرِّدِ السَّيْفَ وارْفَعِ العَفْوَ حتَّى ... لا تـرى فـوق ظهرها أُمَوِيا
لا يَغُرَّنْكَ ما ترى من رجالٍ ... إنّ تحـت الضُّلوع داء دَوِيَّا
بَطَن البُغْضُ في القديمِ فأضحَى ... ثاويـاً في قلوبهِـم مَطْـوِيَّا

وهي طويلة ، قال : يا سُدَيف ، خُلِق الإنسان من عَجَلٍ ، ثم قال : [من البسيط]

أحيا الضغائنَ آباءٌ لنا سَلَفُوا ... فلـنْ تَبِيـدَ وللآبـاءِ أبنـاءُ

ثم أُمَر بمن عنده منهم فقُتِلوا .

[حضر سليمان بن عليّ جماعة من بني أميّة فأمر بقتلهم]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمد بن سليمان النَّوْفليّ عن أبيه عن عمومته : أنّهم حضروا سليمانَ بن عليّ بالبَصرة ، وقد حضره جماعةٌ من بني أُميّة عليهم الثِّياب المَوْشِيّة المرتفعة ، فكأنّي أنظر إلى أحدهم وقد اسودّ شيبٌ في عارضَيْه من الغالِية ، فأَمَر بهم فقُتِلوا وجُرُّوا بأرْجُلِهم ، فأُلْقُوا على الطريق ، وإنّ عليهم لسَراويلات الوَشْي والكِلاب تجرّ بأرجلِهم .

[وفد عمرو بن معاوية على سليمان بن عليّ يسأله الأمان فأجابه إليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عمرو قال أخبرني طارق بن المبارك عن أبيه قال : جاءني رسولُ عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة ، فقال لي : يقول لك عمرو : قد جاءتْ هذه الدولة وأنا حديث السنّ كثيرُ العِيال منتشر المال ، فما أكون في قبيلة إلاّ شُهِرَ أَمْري وعُرِفتُ ، وقد اعتزمتُ على أن أَفْدِيَ حُرَمي بنفسي ؛ وأنا صائرٌ إلى باب الأمير سليمان بن عليّ ، فصِرْ إليّ . فوافيتُه فإذا عليه طَيْلَسانٌ مُطْبَقٌ أبيضُ وسَراويلُ وَشْي مسدول ، فقلت : يا سبحان الله ! ما تصنع الحداثة بأهلها ! أبهذا اللباس تلقى هؤلاء القوم لِما تُريد لقاءهم فيه ! فقال : لا والله ، ولكنّه ليس عندي ثوبٌ إلاّ أَشْهَر ممّا ترى . فأعطيتُه طَيلساني وأخذتُ طيلسانَه ولَوَيْتُ سَراويلَه إلى رُكبتيه ؛ فدخل ثم خرج مسروراً . فقلت له : حَدِّثني ما جرى بينك وبين الأمير . قال : دخلتُ عليه ولم نَتَراءَ قطُّ ، فقلت : أصلح الله الأمير ! لفظتْني البلاد إليك ، ودَلَّني فضلُك عليك ؛ فإمّا قتلتني غانِماً ، وإمّا رَدَدْتَني سالِماً . فقال : ومَنْ أنت ؟ ما أعرِفك ؛ فانتسبتُ له . فقال : مرحباً بك ، اقْعُد فتكلَّم آمناً غانِماً ؛ ثم أقبل عليّ فقال : ما حاجتك يا ابن أخي ؟ فقلت : إنّ الحُرَمَ اللواتي أنت أقرب الناس إليهنّ معنا وأولى الناس بهنّ بعدَنا ، قد خِفْنَ لخوفنا ، ومَن خاف خِيفَ عليه . فوالله ما أجابني إلاّ بدموعه على خَدَّيْه ؛ ثم قال : يا ابن أخي ، يَحْقِن اللهُ دَمَك ، ويحفظك

في حُرَمك ، ويُوَفِّر عليك مالَك . ووالله لو أمكنني ذلك في جميع قومك لفعلتُ ، فكُنْ مُتوارياً كظاهر ، وآمِناً كخائف ، ولتَأْتِني رِقاعُك . قال : فكنتُ والله أكتب إليه كما يكتب الرجل إلى أبيه وعمّه . قال : فلمّا فرَغ من الحديث رددتُ عليه طيلسانه ؛ فقال : مَهلاً ، فإنّ ثيابنا إذ فارقتْنا لن ترجع إلينا .

[شعر لسديف في تحريض السفاح على بني أميّة]

أخبرني أحمد بن عبد الله قال حدّثنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال : قال سديفٌ لأبي العبّاس يَحُضُّه على بني أُميّة ويذكر مَن قَتَل مروانُ وبنو أُميّة من قومه : [من الخفيف]

كيف بالعفو عنهمُ وقَدِيماً ... قتلوكم وهَتَّكُوا الحُرُماتِ
أين زيدٌ وأين يحيى بنُ زيدٍ ... يا لَها من مُصِيبةٍ وتِراتِ
والإمامُ الذي أُصِيبَ بَحرّا ... نَ إمامُ الهُدى ورأسُ الثِّقاتِ
قتلوا آلَ أحمدٍ لا عفا الذَّنْـ ... ـبَ لمروانَ غافرُ السَّيِّئاتِ[1]

[شعر لرجل من شيعة بني العبّاس في التحريض على بني أميّة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أنشدني محمد بن يزيد لرجلٍ من شيعة بني العبّاس يُحرِّضهم على بني أُميّة : [من البسيط]

إيّاكُم أنْ تَلينوا لاعتذارهُم ... فليس ذلك إلاّ الخَوْفُ والطَّمَعُ
لو أنّهم أمِنوا أبْدَوْا عداوَتهمْ ... لكنّهم قُمِعوا بالذلِّ فانْقَمَعُوا
أليس في ألفِ شهرٍ قد مضتْ لهمُ ... سقَوْكُمُ جُرَعاً من بعدها جُرَعُ
حتى إذا ما انقضتْ أيّامُ مُدّتِهمُ ... مَتُّوا إليكم بالارحامِ التي قَطَعوا
هيهاتَ لا بدّ أن يُسْقَوْا بكأسهمُ ... ريًّا وأن يَحْصُدوا الزَّرْعَ الذي زَرَعوا
إنّا وإخوانَنا الأنصارَ شيعتُكمُ ... إذا تفرّقت الأهواءُ والشِّيَعُ
إيَّاكمُ أن يقولَ الناسُ إنَّهمُ ... قد مُلِّكوا ثم ما ضَرُّوا ولا نَفَعُوا

[رواية أخرى في تحريض سديف للسفاح]

وذكر ابن المعتزّ : أنّ جعفر بن إبراهيم حدّثه عن إسحاق بن منصور عن أبي الخَصيب في قصّة سُدَيف بمثل ما ذكره الكُرانيّ عن النضر بن عمرو عن المُعَيطيّ ، إلاّ أنّه قال فيها : فلمّا أنشده ذلك التفتَ إليه أبو الغَمْر سليمان بن هشام فقال : يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ! أتَجْبَهُنا بهذا

1 الذنب في ل : الله .

ونحن سَرواتُ الناس ! فغَضِب أبو العبّاس ؛ وكان سليمان بن هشام صديقه قديماً وحديثاً يقضي حوائجه في أيّامهم ويَبَرُّه ؛ فلم يلتفت إلى ذلك ، وصاح بالخُراسانيّة : خُذُوهم ؛ فقُتِلوا جميعاً إلاّ سليمان بن هشام . فأقبل عليه السفّاح فقال : يا أبا الغَمْر ، ما أرى لك في الحياة بعد هؤلاء خيراً . قال : لا والله . فقال : اقتُلوه ، وكان إلى جَنبه ، فقُتِل ؛ وصُلبوا في بُستانه ، حتى تأذّى جلساؤه بروائحهم ، فكلّموه في ذلك ، فقال : والله لهذا ألَذُّ عندي من شَمّ المسْك والعنبر ، غيظاً عليهم وحَنَقاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من الخفيف]

أصبح الدِّينُ ثابتَ الآساسِ ... بالبَهالِيلِ من بني العبَّاسِ[1]
بالصُّدُورِ المُقَدَّمِين قديماً ... والرُّؤوسُ القَماقِمِ الرُّؤاسِ

عروضه من الخفيف ، الشعر لسُدَيف . والغناء لعَطَرَّد رَمل بالبنصر عن حَبَشٍ . قال : وفيه لَحَكَمٍ الواديّ ثاني ثقيلٌ . وفيه ثقيلٌ أوّل مجهول .

وممّا قاله أبو سعيد مولى فائد ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وإسحاق وغيرهما في قَتلى بني أُميّة وغَنّى فيه : [من المتقارب]

صوت

بكيتُ وماذا يَرُدّ البُكاءْ ... وقَلَّ البُكاءُ لقَتْلَى كُداءْ
أُصيبوا معاً فَتَولَّوْا معاً ... كذلك كانوا معاً في رَخاءْ
بكتْ لهمُ الأرضُ من بعدهم ... وناحَتْ عليهم نجومُ السماءْ
وكانوا الضياءَ فلمّا انقضى الـ ... ـزَّمانُ بقومي تولّى الضِياءْ

عروضه من المتقارب ، الشعر والغناء لأبي سعيدٍ مولى فائد .

وممّا قاله فيهم وغَنّى فيه على أنّه قد نُسِب إلى غيره : [من الخفيف]

صوت

أثَّر الدهر في رجالي فقَلُّوا ... بعد جَمْعٍ فراحَ عَظْمي مَهِيضا[2]

---

1 الدين تقدم برواية «الملك» ، ص 241 .

2 رجالي في ل : الرجال .

مـــا تذكَّرتُهـــم فتَمْلِـــك عَيْنِي فَيْضَ غَرْبٍ وحُـقَّ لي أن تَفِيضا

الشعر والغناء لأبي سعيد خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ والهشاميّ . وروى الشّيعيّ عن عمر بن شبّة عن إسحاق أنّ الشعر لسُدَيف والغناء للغريض ، ولعلّه وَهَمٌ .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أولئك قَوْمـي بعدَ عِـزٍّ ومَنْعةٍ تَفانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

كأنَّهمُ لا نـاسَ للموتِ غيرُهم وإن كان فيهم مُنصِفاً غيرَ مُعْتَدي

الشعر والغناء لأبي سعيد . وفيه لحن لُمُتَيَّمَ .

[ركب المأمون إلى جبل الثلج فغنّاه علويه بشعر تدب فيه بني أميّة]

أخبرني عبد الله بن الربيع قال حدّثنا أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثني عمّي طَيّاب بن إبراهيم قال : رَكِب المأمون بدمشق يتصيَّد حتى بلغ جبلَ الثلج ، فوقف في بعض الطريق على بركة عظيمة في جوانبها أربعُ سَرَواتٍ لم يُرَ أحسن منها ولا أعظم ، فنزل المأمون وجعل ينظر إلى آثار بني أميّة ويَعْجَب منها ويذكُرهم ، ثم دعا بطَبَقٍ عليه بَزْماوَرد[1] ورِطل نبيذ ؛ فقام عَلُويَه فغنّى : [من الطويل]

أولئك قَوْمي بعدَ عِـزٍّ ومَنْعةٍ تَفانَوْا فإلاَّ تَذْرِفِ العينُ أَكْمَدِ

قال : فغَضِب المأمون وأَمَر برفع الطبق ، وقال : يا ابن الزانية ! ألم يكن لك وقتٌ تبكي فيه على قومك إلاّ هذا الوقت ! قال : نعم أبكي عليهم ! مولاكم زِرْياب يركب معهم في مائة غُلامٍ ، وأنا مولاهم معكم أموت جوعاً ! فقام المأمون فركِب وانصرف الناس ، وغَضِب على عَلُويَه عشرين يوماً ؛ فكلَّمه فيه عبّاس أخو بَحر ؛ فرَضِي عنه ، ووَصله بعشرين ألفَ درهم .

صوت
من المائة المختارة[2]

[من الطويل]

مَهاةٌ لَوَ انَّ الذَّرَّ تَمْشي ضِعافُه على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما[3]

---

1 بزماورد : طعام من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 ديوان حميد (طبعة دار صادر ، بيروت) : 90–105 وهي من قصيدة تتألّف من مائة وثلاثين بيتاً .

3 رواية الديوان مطابقة لرواية الأصمعي .

فقُلْنَ لها قُومي فديْناكِ فارْكَبِي فأومَتْ بَلا لا غيرَ أنْ تَتَكَلَّما[1]

عروضه من الطويل . بَضَّتْ : سالتْ . يقول : لو مَشى الذرُّ على جِلْدها لجرى منه الدمّ من رِقَّته . وروى الأصمعيّ : [من الطويل]

مُنَعَّمَةٌ لـو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارياً على مَتْنِها بَضَّتْ مَدارِجُه دَما

الشعر لحُمَيْد بن ثَورٍ الهلاليّ ، والغناء في اللحن المختار لفُلَيْح بن أبي العَوراء ، ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى . وذكر عمرو بن بانة أنّ لحن فُلَيْح من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى ، وأنّ الثقيل الأوّل للهُذليّ .

وممّا يُغَنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

إذا شئتُ غَنَّتْنِي بأجزاع بِيشَةٍ أوِ النَّخْلِ من تَثْلِيثَ أو مِنْ يَلَمْلَما[2]
مُطَوَّقَـةٌ طَوْقـاً وليس بحِلْيـةٍ ولا ضَرْبِ صَوّاغٍ بكَفَّيْهِ دِرْهَما[3]
تُبَكّي على فَرْخٍ لهـا ثمّ تَغْتَدي مُوَلَّهةً تبغـي لـه الدَّهْرَ مَطْعَما[4]
تُؤَمِّـل منـه مُؤْنِساً لانفرادهـا وتَبْكي عليـه إنْ زَقـا أو تَرَنَّما

غنَّاه محمد الرَّفّ خفيفَ رملٍ بالوسطى .

1 الشطر الثاني في الديوان : «فقالت ألا لا غير أمّاً تكلما» وفي عيون الأخبار «فأومت بلا لا غير ما أن تكلما» .
2 بيشة وتثليث ويلملم : أسماء مواضع والأخيرة ميقات أهل اليمن . ويروى بأجراع بدلاً من بأجزاع ، وبالرزن بدلاً من النخل ، ويبنبم أو يبمبم بدلاً من يلملم .
3 مطوقة في الديوان : تطوق .
4 لم يرد هذان البيتان في الديوان ولا في الزيادات .

[56] ـ ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره[1]

[نسبه]

هو حُمَيد بن ثَور بن عبد الله بن عامر بن أبي ربيعة بن نَهيك بن هِلال بن عامِر بن صَعصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هوازِن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان بن مُضَر بن نِزار . وهو من شعراء الإسلام . وقَرَنه ابن سَلاَّم بِنَهشل ابن حَرِّيّ وأَوس[2] بن مَغراء .

[هو مخضرم أدرك عمر بن الخطاب]

وقد أدرك حُمَيد بن ثور عُمَر بن الخطّاب رضي الله عنه ، وقال الشعر في أيّامه . وقد أدرك الجاهليّة أيضاً .

[نهى عمر الشعراء عن التشبيب فقال شعراً]

أخبرنا وكيع قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد وعبد الله بن شَبيب قالا حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ قال حدّثني محمد بن فَضالة النحويّ قال : تقدّم عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى الشعراء ألاَّ يُشَبِّب أحدٌ بامرأة إلاّ جَلَده . فقال حُمَيد بن ثور ، وكانت له صحبة ، فذكر شعراً فيه : [من الطويل]

أَبَــى اللهُ إلاَّ أنَّ سَرْحــةَ مالكٍ على كُلِّ أفنــانِ العِضاهِ تَرُوقُ[3]
فقد ذهبتْ عَرضاً وما فوق طُولها مــن السَّرْحِ إلاَّ عَشَّةٌ وسَحُوقُ

العَشَّة : القليلة الأغصان والورق . والسَّحوق : الطويلة المفرطة .

---

1 ترجمة حميد بن ثور الهلالي في كتب الصحابة وطبقات ابن سلام 2 : 583 والشعر والشعراء 306–310 وشرح شواهد المغني : 73 والوافي 13 : 193 ومعجم الأدباء (تحقيق إحسان عبّاس) : 1222–1225 وسمط اللآلي : 376 وتهذيب ابن عساكر 4 : 456 . وقد صنع الميمني ديوانه ثم نشرته دار صادر ، بيروت بإشراف د . محمد يوسف نجم وإلى هذه الطبعة نشير . وقد تضمّنت التذكرة الحمدونية عدّة مختارات من شعره في مواضع متفرّقة ، وتجد مختارات أخرى في الكامل للمبرد وأمالي القالي وغيرهما .

2 عدّ ابن سلام في طبقاته أوس بن مغراء في الطبقة الثالثة وعدّ حميد بن ثور ونهشل بن حريّ والأشهب بن رميلة وعمر بن لجأ في الطبقة الرابعة (انظر طبقات فحول الشعراء ، تحقيق العلاّمة الأستاذ محمود محمد شاكر : 570 و583) .

3 السرحة : الشجرة الطويلة ويكنى بها الشعراء عن المرأة . والأبيات من مواضع متفرّقة من قصيدة تتألّف من 46 بيتاً (الديوان : 65–71) .

فلا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحى تستَطِيعُه ولا الفَيْءَ من بَرْدِ العَشِيِّ تَذُوقُ[1]
فهَلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ مِنَ السَّرْحِ موجـودٌ عليَّ طريقُ

وهي قصيدة طويلة أوّلها : [من الطويل]

نـأتْ أُمُّ عَمْرٍ فالفُـؤادُ مَشُوقُ يَحِـنُّ إليهـا والهـاً ويَتُـوقُ

صوت

وفيها ممّا يُغنَّى فيه :

سَقى السَّرْحةَ المحْلالَ والأَبْرَقَ الذي بـه السَّرْحُ غيـثٌ دائـمٌ وبُروقُ
وهلْ أنا إنْ عَلَّلْتُ نَفسي بِسَرْحةٍ مِـنَ السَّرْح موجودٌ عـليّ طريقُ[2]

غنّاه إسحاق ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[وفد على بعض خلفاء بني أُميّة بشعر فوصله]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير عن عَمِّه قال[3] : وَفَد حُمَيْد بن ثَور على بعض خُلفاء بني أُميّة ؛ فقال له : ما جاء بك ؟ فقال : [من الطويل]

أتاكَ بِيَ اللهُ الذي فوق مَنْ تَرى وخيرٌ ومعـروفٌ عليـك دليلُ
ومَطْوِيَّـةُ الأَقْـرابِ أمّا نهارُهـا فنَـصٌّ وأمّـا ليلُهـا فذَمِيـلُ[4]
ويَطْوِي عليَّ اللَّيْلُ حِضْنَيْهِ إنَّني لذاك إذا هاب الرجالُ فَعُولُ[5]

فوصله وصرفه شاكراً .

1 الظل : ما كان من أوّل النهار إلى الزوال . الفيء : ما كان من الزوال إلى الليل .
2 موجود في الديوان : مسدود .
3 ديوان حميد : 78 وفي الحاشية أنّ الصواب نسبتها إلى حميد الأرقط .
4 الأقراب : جمع قُرب وهو الخاصرة . فنص في ل : فرقل . ويروى : فسبت ، وكلها أنواع من السير .
5 لذاك في ل : أراك .

[57] ـ أخبار فليح بن أبي العوراء

[هو مولى بني مخزوم وأحد مغنّي الدولة العبّاسية]

فُلَيْحٌ رجل من أهل مكّة ، مولًى لبني مخزوم ، ولم يقع إلينا اسمُ أبيه . وهو أحد مغنّي الدولة العبّاسية ، له محلٌّ كبير من صناعته ، وموضع جليل . وكان إسحاق إذا عدّ مَنْ سَمِع من المُحْسنين ذكَره فيهم وبدأ به . وهو أحد الثلاثة الذين اختاروا المائةَ الصوتِ للرشيد .

[مدح إسحاق الموصليّ غناءه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني ابن المكّيّ عن أبيه عن إسحاق قال : ما سمعتُ أحسنَ غناءٍ من فُلَيْح بن أبي العوراء وابن جامع : فقلتُ له : فأبو إسحاق ؟ (يعني أباه) ؛ فقال : كان هذان لا يُحسنان غير الغناء ، وكان أبو إسحاق فيه مثلهما ، ويزيد عليهما فنوناً من الأدب والرواية لا يُداخِلانه فيها .

[كان يحكي الأوائل فيصيب ويحسن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد[1] المُهلَّبيّ قال : قال لي إسحاق : أحسنُ مَنْ سمعتُ غناءٍ عَطَرَّد وفُلَيح .

وكان فليح أحد الموصوفين بحسن الغناء المسموع في أيّامه ، وهو أحدُ مَن كان يَحكي الأوائلَ فيُصيب ويُحسن .

[أمره الرشيد بتعليم ابن صدقة صوتاً له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني محمد بن محمد العَنْبسيّ قال حدّثني محمد بن الوليد الزُّبيريّ قال : سمعتُ كَثِيرَ بن المُحَوَّل يقول : كان مُغَنِّيان بالمدينة يقال لأحدهما فُلَيح بن أبي العوراء ، والآخر سليمان بن سُلَيم ؛ فخرج إليهما رسول الرشيد يقول لفُليح غِناؤك من حَلق أبي صدقة[2] أحسن منه من حَلقك ، فعَلِّمْه إيّاه ، قال : وكان يغنّي صوتا يُجيده ، وهو :

خيرُ ما نَشْرَبُها بالبُكَرْ

قال : فقال فُليح للرسول : قُلْ له : حَسْبُك . قال : فسمعنا ضَحِكَه من وراء الستارة .

---

1 ل : محمد بن يزيد .

2 سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

[كانت ترفع الستارة بينه وبين المهديّ دون سائر المغنّين]

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلانيّ قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدّثنا الفضل بن الربيع : أنّ المهديّ كان يسمع المغنّين جميعاً ، ويحضُرون مجلسَه ، فيُغنُّونه من وراء الستارة لا يرون له وجهاً إلاّ فُلَيْح بن أبي العَوراء ؛ فإنّ عبد الله بن مُصعَب الزُّبيريّ كان يُرَوِّيه شعرَه ويغنّي فيه في مدائحه للمهديّ ؛ فدسَّ في أضعافها بيتين يسأله فيهما أن ينادمه ، وسأل فليحاً أن يغنّيهما في أضعاف أغانيه ، وهما : [من الخفيف]

صوت

يا أمينَ الإلـــهِ في الشَّرْقِ والغَرْ ... ـبِ على الخَلْقِ وابنَ عَمِّ الرَّسُولِ
مجلساً بالعَشِيِّ عنـدك في المَيْـ ... ـدانِ أبغِي والإذْنَ لي في الوُصُولِ

فغنّاه فُلَيْح إيّاهما . فقال المهديّ : يا فضلُ ، أَجِبْ عبدَ الله إلى ما سأل ، وأحْضِرْه مجلسي إذا حَضَره أهلي ومَوالِيّ وجلستُ لهم ، وزِدْه على ذلك أن ترفع بيني وبين راويته فُلَيْح الستّارة ؛ فكان فُلَيْح أوّل مُغنٍّ عاين وجهَه في مجلسهم .

[دعاه محمد بن سليمان بن عليّ أوّل دخوله بغداد ووصله]

أخبرني رضوان قال حدّثني يوسف بن إبراهيم قال حدّثني بعد قُدومي فُسْطاط مِصْر زيادُ بن أبي الخطّاب كاتب مسرورٍ خادمِ الرشيد ، قال : سمعتُ محبوبَ بن الهَفْتِيّ يحدّث أبي ، قال : دعاني محمد بن سليمان بن عليٍّ ، فقال لي : قد قَدِم فُلَيْحٌ من الحجاز ونزل عند مسجد ابن رَغبان ، فصِرْ إليه ، فأَعْلِمْه أنّه إن جاءني قبلَ أن يدخلَ إلى الرشيد ، خلعتُ عليه خِلعةً سريَّة من ثيابي ووهبتُ له خمسة آلاف درهم . فمضيتُ إليه فخبَّرته بذلك ؛ فأجابني إليه إجابة مسرورٍ به نشيطٍ له . وخرج معي ، فعَدَل إلى حَمّامٍ كان بقُربه ، فدعا القَيِّمَ فأعطاه درهمين وسأله أن يجيئه بشيءٍ يأكله ونبيذٍ يشربه ؛ فجاءه برأسٍ كأنّه رأسُ عِجلٍ ونبيذٍ دُوشابيّ[1] غليظ مسحوريّ رديء . فقلت له : لا تفعل ، وجَهَدتُ به ألاّ يأكل ولا يشرب إلاّ عند محمد بن سليمان ؛ فلم يلتفت إليّ ، وأكل من ذلك الرأسَ وشرب من ذلك النبيذِ الغليظ حتّى طابت نفسه ، وغنّى وغنّى القيِّم معه مَلِيّاً ؛ ثم خاطب القيِّمَ بما أغضبه ، وتَلاحَيا وتَواثَبا ؛ فأخذ القيِّم شيئاً فضربه به على رأسه فشجّه حتّى جرى دمُه . فلمّا رأى الدمَ على وجهه اضطرب وجَزِع وقام يغسِل جُرحه ،

1 الدوشاب : نبيذ التمر . والمسحوري : الفاسد .

ودعا بصوفة مُحرَقة وزيت ، وعَصَبه وتعمَّم وقام معي . فلمّا دخلنا دارَ محمد بن سليمان ، ورأى الفرشَ والآلةَ وحضر الطعام فرأى سَرْوَه وطِيبَه ، وحضر النبيذ وآلته ، ومدّتِ الستائرُ وغنَّى الجواري ، أقبل عليّ وقال : يا مجنون ! سألتك بالله أيّما أحقُّ بالعربدة وأوْلى : مجلِسُ القَيِّم أم مجلس[1] الأمير ؟ فقلت : وكأنّه لا بُدَّ من عربدة ؟ قال : لا ، والله مالي منها بُدٌّ ، فأخرجتُها من رأسي هناك . فقلت : أمّا على هذا الشرط فالذي فعلتَ أجودُ . فسألني محمد عمّا كنّا فيه فأخبرته ؛ فضَحِك ضحكاً كثيراً ، وقال : هذا الحديث والله أظرفُ وأطيب من كلِّ غِناء ، وخلَع عليه وأعطاه خمسة آلاف درهم .

[اتّفق مع حكم الوادي على إسقاط ابن جامع عند يحيى بن خالد]

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبو إسحاق القرمطي قال حدّثنا مُدرِكةُ بن يزيد قال : قال لي فُلَيْح بن أبي العوراء : بعث يحيى بن خالد إليّ وإلى حَكَمٍ الواديّ وإلى ابن جامع ، فأتيناه . فقلت لحكمَ : إنْ قَعَد ابنُ جامع معنا فعاوِنّي عليه لنكسره . فلمّا صرْنا إلى الغِناء غنَّى حكم ؛ فصِحتُ وقلتُ : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنَّيت ، ففعل لي حكم مثلَ ذلك . وغنَّى ابن جامع فما كنّا معه في شيء . فلمّا كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دنانير : إنّ أصحابك عندنا ، فهل لك أن تخرُجي إلينا ؟ فخرجتْ وخرج معها وصائف ؛ فأقبل عليها يقول لها من حيث يَظُنّ أنّا لا نسمع : ليس في القوم أَنْزَهُ نفساً من فُلَيْح . ثم أشار إلى غلام لـه : أنِ ائْتِ كلَّ إنسان بألفَيْ درهم ، فجاء بها ؛ فدفع إلى ابن جامع ألفَيْ درهم فأخذها فطرحها في كُمِّه ، وفعل بحكم الوادِيّ مثلَ ذلك فطرحها في كُمِّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذ ، فاحبِسيها لي عندك[2] حتى تَبعَثي بها إليّ ؛ فأخذت الدراهم منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها ؛ وأرسلت إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتك وبشيء أحببتُ أن تفرِّقه على أخواتي (تعني جَوارِيّ) .

[غنّى الفضل بن الربيع وهو مريض ثم مات في علّته]

قال هارون بن محمد وحدّثني حمّاد قال حدّثني أبي قال : كنّا عند الفضل بن الربيع ، فقال : هَل لك في فُلَيْح بن أبي العوراء ؟ قلت نعم . فأرسل إليه ، فجاء الرسول فقال : هو عليلٌ ؛ فعاد إليه فقال الرسول : لا بدّ من أن تجيء ؛ فجاء به محمولاً في مِحَفّة ؛ فحدّثنا ساعةً ثم غنَّى . فكان فيما غنَّى : [من السريع]

---

1 ل : منزل (في الحالين) .

2 ل : عند نفسك .

تقول عِرْسي إذ نبا المَضْجَعُ ما بالك الليلةَ لا تَهْجَعُ

فاستحسنّاه منه واستعَدْناه منه مراراً ؛ ثم انصرف ومات في علّته تلك ؛ وكان آخر العهد به ذلك المجلس .

[قصة عاشق غنّاه هو وعشيقته فبعثت إليه مهرها ليخطبها إلى أبيها]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّيّ قال حدّثني أبي عن فُلَيْح بن أبي العوراء قال : كان بالمدينة فتًى يعشَق ابنة عمّ له ، فوعدتْه أن تزوره . وشكا إليّ أنّها تأتيه ولا شيء عنده ، فأعطيته ديناراً للنفقة . فلمّا زارته قالت له : مَن يُلَهِّينا ؟ قال : صديق لي ، ووصفني لها ، ودعاني فأتيته ؛ فكان أوّل ما غَنَّيته : [من الوافر]

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها ولم تَرْفَعْ لِوالدها شَنارا

فقامت إلى ثوبها فلبسته لتنصرف ؛ فعَلِق بها وجهَد بها كلَّ الجَهد في أن تَقيم ، فلم تُقِم وانصرفتْ . فأقبل عليّ يلومني في أن غَنَّيتها ذلك الصوت . فقلت : والله ما هو شيءٌ اعتمدتُ به مساءَتك ، ولكنّه شيء اتَّفق . قال : فلم نبرَح حتى عاد رسولها بعدها ومعه صرّة فيها ألف دينار ، ودفعها إلى الفتى وقال له : تقول لك ابنة عمِّك : هذا مهري ادفَعه إلى أبي ، واخطُبني ؛ ففعل فتزوّجها .

نسبة هذا الصوت

صوت

وقال[1] : [من الوافر]

مِنَ الخَفِراتِ لم تَفْضَحْ أخاها ولم ترفَعْ لوالدها شَنارا
كأنّ مَجامِعَ الأردافِ منها نَقاً درجتْ عليه الريحُ هارا
يعافُ وِصالَ ذاتِ البَذلِ قلبي وأتْبَعَ المُمَنَّعةَ النَّوارا

الشعر لسُلَيك بن السُّلَكة السَّعديّ . والغناء لابن سريج رملٌ بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لابن الهِرْبِذ لحنٌ من رواية بَذْل ، أوّلُه :

يعافُ وِصالَ ذاتِ البذلِ قلبي

1 شعر السليك بن السلكة (جمع حميد آدم تويني وكامل سعيد عواد (مطبعة العاني ، بغداد) : 55 .

وبعده . [من الوافر]

غَذاهـا قارِصٌ يغدو عليها ومَحضٌ حين تنتظرُ العِشارا

[ورد دمشق على إبراهيم بن المهديّ فأخذ عنه جواريه غناء]

أخبرني رضوان بن أحمد قال حدّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال : كتب إليّ جعفر بن يحيى وأنا عاملٌ للرشيد على جُنْد دِمشق : قد قَدِم علينا فُلَيْح بن أبي العوراء ، فأفسد علينا بأهزاجه وخفيفه كلَّ غناء سمِعناه قبله . وأنا محتالٌ لك في تخليصه إليك ، لتستمتع به كما استمتعنا . فلم ألبَثْ أنْ ورد عليّ فُلَيْح بكتاب الرشيد يأمر له بثلاثة آلافِ دينار . فورد عليَّ رجل أذكَرني لقاؤه الناس ، وأخبرني أنّه قد ناهز المائة ، فأقام عندي ثلاث سنين ، فأخذ عنه جواريّ كلَّ ما كان معه من الغناء ، وانتشرت أغانيه بدمشق .

[غنى مونق ألحان فليح بفسطاط مصر]

قال يوسف : ثم قَدِم علينا شابٌّ من المغنِّين مع عليّ بن زيد بن الفَرَج الحَرّانيّ ، عند مَقْدَم عَنْبسة بن إسحاق فُسْطاط مصر ، يقال له مُونِق ؛ فغنّاني من غناء فُلَيْح : [من المنسرح]

[صوت]

يـا قُـرّةَ العينِ اقْبَلي عُـذري ضـاقَ بهِجرانكُـمُ صدري

لو هَلَكَ الهجرُ استراح الهوى مـا لَقِـيَ الوصلُ مـن الهجرِ

ولحنه خفيف رمل ، فلم أَرَ بين ما غنّاه وبين ما سمعته في دار أبي إسحاق فرقاً ؛ فسألته من أين أخذه ؟ فقال : أخذتُه بدمشق ؛ فعلمتُ أنّه ممّا أخذه أهلُ دمشق عن فُلَيْح .

صوت

من المائة المختارة[1]

[من الطويل]

أفاطمَ إنّ النأْيَ يسلي ذوي الهوى ونأيُكِ عنّي زاد قلبي بكم وَجْدا

أَرى حَرَجاً ما نِلتُ من وُدّ غيركم ونافلةً مـا نلتُ من ودّكم رُشْدا

1 ديوان ابن هرمة : 95–96 عن الأغاني .

وما نلتقي من بعدِ نـــأْيٍ وفرْقةٍ وشَحْطِ نَوًى إلاّ وجدتُ لـه بَرْدا
على كَبدٍ قـد كاد يُبْدي بها الهوى نُدوباً وبعضُ القوم يحسَبُني جَلْدا

عروضه من الطويل . النأي : البُعْد ، ومثله الشَّحْط . والحَرَج : الضِّيق ؛ قال الله تعالى : ﴿يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾ . والنُّدوب : آثار الجِراح ، واحدها نَدَبٌ .

الشعر لإبراهيم بن هرمةَ ، والغِناء في اللحن المختار ، على ما ذكره إسحاق ، ليونس الكاتب ، وهو من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه مثل ذلك . وذكر حبش بن موسى أنّ الغِناء لمرزوق الصرَّاف أو ليحيى بن واصِل . وفي هذه الأبيات للهُذَليّ لحنٌ من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة ، ومن الناس من ينسُب اللحنين جميعاً إليه .

[58] ـ ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن هرمة بن هُذَيل . هكذا ذكر يعقوب بن السّكّيت . وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه مُصعَب ، وذكر ذلك العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه هشام بن محمد بن السائب ، قالوا جميعاً : هو إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر بن هرمة بن الهُذَيل بن ربيع بن عامر بن صُبَيح بن كِنانة بن عَدِيّ بن قَيس بن الحارث بن فهْر ، وفهرٌ أصلُ قريش ، فمن لم يكن من ولده لم يُعَدّ من قريش ، وقد قيل ذلك في النَّضْر بن كنانة ، وفهر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر . قال مَنْ ذكرْنا من النسّابين : قَيس بن الحارث هو الخُلُجُ ، وكانوا في عدوان ثم انتقلوا إلى بني نَصر بن معاوية بن بَكْر بن هَوازِن . فلمّا استُخلِف عمر بن الخطّاب رضي الله عنه أَتَوْه لِيَفرِض لهم ، فأنكر نَسَبَهم . فلمّا استُخلف عثمان أَتَوْه فأثبتهم في بني الحارث بن فِهْرٍ وجعل لهم معهم ديواناً . وسُمُّوا الخُلُج لأنّهم اختلجوا ممّن كانوا معه من عَدوان ومن بني نصر بن معاوية . وأهل المدينة يقولون : إنّما سُمُّوا الخُلُج لأنّهم نزلوا بالمدينة على خُلُجٍ (وواحدُها خليج) فسُمُّوا بذلك . ولهم بالمدينة عدد . قال مُصعب : كان لإبراهيم بن هَرمة عمٌّ يقال له هرمة[2] الأعور ، فأرادت الخُلُجُ نَفْيَه منهم ؛ فقال : أمسيتُ ألأَمَ العرب دَعِيَّ أدعياء . ثم قال يهجوهم[3] : [من الطويل]

رأيتُ بني فِهْرٍ سِباطاً أَكُفُّهُمْ ... فما بالُ ، أَنْبُوني ، أَكُفِّكُم قُفْدا[4]

ولم تُدْرِكوا ما أدرك القومُ قبلَكم ... من المجدِ إلاّ دَعْوةً ألحقتْ كَدّا

على ذي أيادِي الدّهرِ أفلح جَدُّهم ... وخِبْتُم فلَم يَصْرَع لكم جَدُّكم جَدّا[5]

---

1 ترجمة إبراهيم بن هرمة في الخزانة 1 : 224–226 والسمط : 398 وطبقات ابن المعتزّ : 20 والموشح : 223 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وقد أورد ابن حمدون كثيراً من أخباره وشعره في مواضع متفرّقة من التذكرة الحمدونية (انظر الفهرس) وقد جمع شعره محمد عبد الجبار المعيبد (النجف ، 1969) وهو الذي نعتمده هنا .

2 ل : أبو هرمة .

3 لم ترد هذه الأبيات في ديوان ابن هرمة ولا في الشعر المنسوب له .

4 سباط الأكف : أكفّهم طويلة معتدلة كناية عن الكرم . القفد : ميل في الكف كناية عن البخل .

5 وحبتم في ل : وخفتم .

[نفاه بنو الحارث بن فهر عنهم فعاتبهم]

وقال يحيى بن عليّ حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن المدائنيّ عن أبي سَلَمة الغِفاريّ قال : نَفى بنو الحارث بن فهرٍ ابنَ هَرمة ، فقال[1] : [من الطويل]

أحـارِ بنَ فِهْـرٍ كيف تَطَّرِحونني وجاء العِدا من غيرِكم تبتغي نَصْرِي[2]

قال : فصار من وَلَد فِهْرٍ في ساعته .

[كان يقول : أنا ألأم العرب]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أحمد بن يحيى الكاتب قال حدّثني العبّاس بن هشام الكلبيّ عن أبيه قال : كان ابن هرمة يقول : أنا ألأمُ العرب ، دَعِيٌّ أدعياء : هَرْمةُ دَعِيٌّ في الخُلُج ، والخُلُج أدعياء في قريش .

[قصّته مع أسلميّ ضافه]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمّليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر قال : زرتُ عبد الله بن حسن ببابديته وزاره ابنُ هرمة ، فجاءه رجلٌ من أَسْلَمَ ؛ فقال ابن هرمة لعبد الله بن حسن : أصلحك الله ! سَلِ الأَسْلَمِيّ أنْ يأذَنَ لي أن أُخبرك خبري وخبره . فقال له عبد الله بن حسن : ائذَنْ له ، فأذِنَ له الأسلميّ . فقال له إبراهيم بن هَرمة : إنّي خرجتُ ، أصلحك الله ، أبغِي ذَوْداً لي ، فأَوحشتُ[3] وضِفتُ هذا الأَسْلَمِيّ ، فذَبحَ لي شاةً وخبَزَ لي خبزاً وأكرمني ، ثم غدوتُ من عنده ، فأقمتُ ما شاء الله . ثم خرجتُ أيضاً في بُغاءِ ذَوْدٍ لي ، فأوحشتُ فضِفتُه فَقراني بلبن وتَمْر ، ثم غدوتُ من عنده فأقمت ما شاء الله . ثم خرجتُ في بُغاء ذَوْدٍ لي ، فأوحشتُ ، فقلت : لو ضِفْتُ الأَسلميّ ! فاللَّبن والتمر خيرٌ من الطَّوى ؛ فضِفته فجاءني بلبن حامض . فقال : قد أجبتُه ، أصلحك الله ، إلى ما سأل ، فسَلْه أنْ يأذَنَ لي أن أخبرك لِمَ فعلتُ . فقال له : ائذَن له ؛ فأذِن له . فقال الأَسْلَمِيّ : ضافَني ، فسألته مَن هو ؟ فقال : رجلٌ من قريش ، فذبحتُ له الشاة التي ذكَر ، ووالله لو كان غيرُها عندي لذبحتُه له حين ذكَر أنّه من قريش . ثم غَدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا : مَنْ كان ضيفَك البارحة ؟ قلتُ : رجلٌ من قريش ؛ فقالوا : لا والله ما هو من قريش ، ولكنّه دَعِيٌّ فيها . ثم ضافني الثانية على أنّه دَعِيٌّ في قريش ، فجئتُه بلبن وتمر وقلت : دَعِيٌّ قريش خيرٌ من غيره .

---

1 ديوان ابن هرمة : 126 عن الأغاني .

2 وجاء في ل : وجاني .

3 أوحش الرجل : إذا نفد زاده وجاع .

ثم غدا من عندي وغدا عليّ الحَيُّ فقالوا : مَن كان ضيفَك البارحة ؟ قلت الرجل الذي زعمتم أنّه دَعِيٌّ في قريش فجئته بلبن وتمر ؛ فقالوا : لا والله ما هو بدَعِيٍّ في قريش ، ولكنّه دَعِيٌّ أَدْعِياءِ قريش . ثم جاءني الثالثة ، فقريتُه لبناً حامضاً ، ووالله لو كان عندي شرٌّ منه لَقَرَيْتُه إيّاه . قال : فانخذل ابنُ هرمة ، وضَحِك عبد الله وضَحِكنا معه .

[لقيه ابن ميّادة وطلب مهاجاته ثم تبيّن أنّه يمزح]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال : لَقِي ابنُ ميّادة ابنَ هرمة ، فقال ابن ميّادة : واللهِ لقد كنتُ أُحِبُّ أنْ ألقاك ، لا بدّ من أن نتهاجى ، وقد فعل الناس ذلك قبلنا . فقال ابن هرمة : بئس والله ما دعوتَ إليه وأحببته ، وهو يظنّه جادّاً . ثم قال له ابن هرمة : أما والله إنّني للذي أقول[1] : [من الطويل]

إنّـي لَميمونٌ جـِواراً وإنّني إذا زَجَـر الطَّيْرَ العِـدا لَمَشُومُ
وإنّي لَـملآنُ العِنـانِ مُناقِـلٌ إذا ما وَنى يومـاً أَلفٌّ سَؤُومُ[2]
فوَدَّ رجـالٌ أنَّ أُمّي تَقَنَّعتْ بشيبٍ يُغَشّي الرأسَ وهي عقيمُ

فقال ابن ميّادة : وهل عندك جَراء[3] ؟ ثَكلَتْك أُمُّك ! أنت ألأم من ذلك ! ما قلتُ إلاّ مازحاً .

أخبرنا به وكيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل قال قال عبد العزيز بن عمران : اجتمع ابن هرمة وابن ميّادة عند جُمَيع بن عمر بن الوليد ، فقال ابن ميّادة لابن هرمة : قد كنتُ أُحِبُّ أن ألقاك . ثم ذكر نحوه .

[أنكر عليه أن تتمضغ الناطف مع قدوم وزير فحمله وتلقّى به الموكب]

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثنا عليّ بن محمّد بن سليمان النَّوفليّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن أبيه قال : وفدتُ على المهديّ في جماعة من أهل المدينة ، وكان فيمن وَفَد يُوسُفُ بن موهب وكان في رجال بني هاشم من بني نَوفلٍ ، وكان معنا ابن هرمة ؛ فجلسنا يوماً على دكّان قد هُيِّىء لمسجد ولم يُسَقَّف ، في عسكر المهديّ ؛ وقد كنّا نلقى الوزراء وكُبَراء السلطان ، وكانوا قد عرفونا ؛ وإذا حِيالَ الدكّان رجلٌ بين يديه ناطِف يبيعه في يوم شات شديد البرد ، فأقبل إذ ضربه بفأسه فتطاير جُفُوفاً ؛ فأقبل ابن هرمة علينا ، فقال ليوسف : يا ابن عمّ رسول الله ، ﷺ ، أما معك درهمٌ نأكل به من هذا الناطف ؟ فقال له : متى عهِدتَني أحمل

1 ديوان ابن هرمة : 204–205 عن الأغاني .
2 ملآن العنان : سريع العدو . مناقل : ينقل قوائمه بسرعة . الألفّ : الثقيل البطيء .
3 الجراء : االفتوة ومثلها الجراية والجري .

الدراهم ! قال : فقلت له : لكنّي أنا معي ، فأعطيتُه درهماً خفيفاً ، فاشترى به ناطفاً على طَبَق للناطفيّ فجاء بشيء كثير ، فأقبل يتمضَّغه وحدَه ويحدّثنا ويضحك . فما راعَنا إلاّ موكب أحد الوزيرين : أبي عبيد الله أو يعقوب بن داود . ثم أقبلتِ المُطَرِّقة[1] ؛ فقلنا : مالك قاتلك الله ! يهجُم علينا هذا وأصحابه ، فيَرون الناطف بين أيدينا فيظنُّون أنّا كنّا نأكل معك . قال : فوالله ما أحدٌ أولى بالسَّتر على أصحابه وتَقَلُّد البليّة منك يا ابن عمّ رسول الله ! فضَعْه بين يديك . قال : اعزُب قَبَحك الله ! قال : فأنت يا ابن أبي ذَرّ ، فزَبَرْته .

قال : فقال : قد علمتُ أنّه لا يُبتلى بهذا إلاّ دَعِيٌّ أدعياءِ عاضٌّ كذا من أمّه . ثم أخذ الطبق في يده فحمله وتلقّى به الموكب ، فما مرَّ به أحدٌ له نباهةٌ إلاّ مازحه ، حتى مضى القومُ جميعاً .

[مدح عبد الله حسن فأكرمه]

وقال هارون حدّثني أبو حُذافة السَّهميّ قال حدّثنا إسحاق بن نِسطاس قال : كان ابن هَرمة مشتهراً[2] بالنبيذ ، فأتى عبد الله بن حسن بن حسن وهو بالسَّيالة[3] ، فأنشده مديحاً له . فقام عبد الله إلى غنم كانت له ، فرمى بساجةٍ[4] عليها فافترقت فرقتين ، فقال : اختَرْ أيَّهما شئت ، قال : فإمّا أن تكون زادت بواحدة أو نقصت بواحدة على الأُخرى . قال : وكانت ثلاثمائة ، وكتب له إلى المدينة بدنانير . فقال له : يا ابنَ هرمة ، انقُل عيالك إلينا يكونوا مع عيالنا . فقال : أفعلُ يا ابن رسول الله ﷺ .

[دعاه صديق وهو يزمع السفر إلى النبيذ فشرب حتى حُمل سكران]

ثم قدِم ابن هرمة المدينة وجَهَّز عيالَه لينقلهم إلى عبد الله بن حسن ، واكترى من رجلٍ من مُزَينة . فبينا هو قد شَدّ متاعه وحمله والكريُّ[5] ينتظره أن يتحمَّل ، إذ أتاه صديق له ، فقال : أي أبا إسحاق ، عندي والله نبيذٌ يُسقِط لحمَ الوجه . فقال : ويحك ! أما ترانا على مثل هذه الحال ! أعليها يمكن الشراب ! فقال : إنّما هي ثلاثة لا تَزِدْ عليهنّ شيئاً . فمضى معه وهم وقوف ينظرون ؛ فلم يزل يشرب حتى مضى من الليل صدرٌ صالح ؛ ثم أُتي به وهو سكران ، فطُرِح في شِقِّ المَحمِل وعادلته امرأته ومضَوْا .

[لامته امرأته على ذلك فأجابها بشعر]

فلمَّا أسْحَروا رفع رأسه فقال : أين أنا ؟ فأقبلت عليه امرأته تلومه وتعذُله ، وقالت :

---

1 المطرقة : الذين يتقدّمون الموكب ويفسحون له الطريق .

2 ل : مستهتراً .

3 السيالة : موضع قرب المدينة .

4 الساجة : هنا واحدة الساج وهو نوع من الخشب .

5 الكري : المكاري .

قد أفسد عليك هذا النبيذُ دِينَك ودنياك ، فلو تعلَّلت عنه بهذه الألبان ! فرفع رأسه إليها وقال[1] : [من الكامل]

لا نبتغي لبـنَ البعيرِ وعندنـا ماءَ الزَّبيبِ وناطفُ المِعْصارِ

[هو أحد من ختم بهم الشعراء في رأي الأصمعيّ]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا زكريّا بن يحيى بن خلاَّد قال : كان الأصمعيّ يقول : خُتِم الشعراءُ بابن هرمة ، والحَكَم الخُضريّ ، وابن ميّادة ، وطُفَيلٍ الكِنانيّ ، ومَكِينٍ العُذْريّ .

[رهن رداءه في النبيذ]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك حدّثني أبو حُذافة السَّهْميّ أحمد بن إسماعيل قال : كان ابن هرمة مُدمناً للشراب مُغرَماً به ؛ فأتى أبا عمرو بن أبي راشد مولى عدوان ؛ فأكرمه وسقاه أيّاماً ثلاثة . فدعا ابن هرمة بالنبيذ ؛ فقال له غلامٌ لأبي عمرو بن أبي راشد : قد نَفد نبيذُنا . فنزع ابن هرمة رداءه عن ظهره فقال للغلام : اذهَبْ به إلى ابن حونك[2] (نبَّاذ كان بالمدينة) ، فارهنه عنده وأْتِنا بنبيذٍ ، ففعل . وجاء ابن أبي راشد ، فجعل يشرب معه من ذلك النبيذ . فقال له : أين رِداؤك يا أبا إسحاق ؟ فقال : نصفٌ في القدح ونصفٌ في بطنك .

[مدح محمد بن عمران الطلحيّ فاحتجب عنه]

قال هارون حدّثني محمد بن عمر بن إسماعيل بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف الزُّهريّ قال حدّثني عمّي عبد العزيز بن إسماعيل قال : مدح ابن هرمة محمد بن عِمران الطَّلحيّ ، وبعث إليه بالمديح مع ابن رُبَيح[3] ، فاحتجب عنه ؛ فمدح محمد بن عبد العزيز ، وكان ابن هرمة مريضاً ، فقال قصيدته التي يقول فيها[4] : [من الكامل]

إنّي دعوتُكَ إذْ جُفِيتُ وشَفَّني مرضٌ تَضاعفني شديدُ المُشْتَكى
وحُبِسْتُ عن طلب المَعِيشةِ وارتقتْ دوني الحوائجُ في وُعـورِ المُرْتَقى
فأَجِبْ أخاك فقد أنـافَ بصوته يا ذا الإخاء ويا كريمَ المُرْتَجى
ولقد حُفِيتَ صَبيبَ عُكَّـةِ بَيْتِنا ذَوباً ومِزْتُ بصَفْوِه عنك القَذى[5]

1 ديوان ابن هرمة : 130 عن الأغاني

2 ل : ابن حوقل .

3 هو راوية ابن هرمة .

4 ديوان ابن هرمة : 54 عن الأغاني .

5 حفيت في ل : حبيت . وحبيت وحفت بمعنى أعطيت . ذوباً : عسلاً .

فخُـذِ الغَنيمـةَ واغتنمني إنَّنـي غُـنْـمٌ لمثلـك والمكـارمُ تُشْتَرى
لا تَرْمِيَـنَّ بحاجتـي وقضائهـا ضَرْحَ الحجاب كما رَمى بي مَنْ رَمَى

فركِب إلى جعفر بن سليمان نصف النَّهار ؛ فقال : ما نَزَعك[1] يا أبا عبد الله في هذا الوقت ؟ قال : حاجةٌ لم أَرَ فيها أحداً أكفى منِّي . قال : وما هي ؟ قال : قد مَدحني ابن هرمة بهذه الأبيات ، فأردتُ من أرزاقي مائةَ دينار . قال : ومِنْ عندي مثلُها قال : ومن الأمير أيضاً ! قال : فجاءتِ المائتا الدينار إلى ابن هرمة ، فما أنفق منها إلاّ ديناراً واحداً حتى مات . وورِث الباقي أهله .

[طلب من أبي جعفر أن يحتال له في إباحة الشراب]

وقال أحمد بن أبي خَيثَمة عن أبي الحسن المدائنيّ قال : امتدح ابن هرمة أبا جعفر فوصَله بعشرة آلاف درهم . فقال : لا تَقَع منِّي هذه . قال : ويحك ! إنّها كثيرة . قال : إنْ أردتَ أن تَهْنِئني فأَبِح لي الشراب فإنِّي مُغرمٌ به . فقال : ويحك ! هذا حدٌّ من حدود الله . قال : احتَل لي يا أمير المؤمنين . قال نعم . فكتب إلى والي المدينة : مَن أتاك بابن هرمة سكرانَ فاضربه مائةً واضرب ابن هرمة ثمانين . قال : فجعل الجِلواز[2] إذا مرّ بابن هرمة سكران ، قال : مَن يشتري الثمانين بالمائة ! .

[امتدح الحسن بن زيد وعرض بعبد الله بن حسن وأخويه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني أبو زيد عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو سلمة الغِفاريّ قال أخبرنا ابن رُبَيح راوية ابن هرمة قال : أصابت ابن هرمة أَزمةٌ ؛ فقال لي في يوم حارٍّ : اذهب فتَكارَ حمارَين إلى ستّة أميال ، ولم يُسَمِّ موضعاً . فركِب واحداً وركبتُ واحداً ، ثم سِرنا حتى صِرنا إلى قصور الحسن بن زيد ببَطحاء ابن أَزهر ، فدخلنا مسجده . فلمّا مالت الشمس خرج علينا مُشتملاً على قميصه ، فقال لمولًى له : أَذِّنْ فأذّن ، ولم يكلِّمنا كلمةً . ثم قال له : أقِم فأقام ، فصلّى بنا ، ثم أقبل على ابن هرمة فقال : مرحباً بك يا أبا إسحاق ، حاجَتك ؟ قال : نعم ، بأبي أنت وأُمّي ، أبياتٌ قلتُها ، وقد كان عبد الله وحسنٌ وإبراهيم بنو حسن بن حسن وعدُوه شيئاً فأخلفوه ، فقال : هاتِها . فقال[3] : [من البسيط]

أمّا بَنو هاشمٍ حوْلِي فقـد قَرَعُوا نَـبْلَ الضِّبابِ التي جَمَّعتُ في قَرَنِ[4]

---

1 ما نزعك : ما حرّكك من مكانك .
2 الجلواز : الشرطي .
3 ديوان ابن هرمة : 230–233 .
4 الضباب هنا : الأحقاد . أي أنّهم أظهروا حقدهم وعداوتهم وأنا كتمتها .

فما بِيَثْرِبَ منهم مَنْ أُعاتِبُه إلاّ عَوائدَ أرجوهنّ من حَسَنِ
اللهُ أعطاك فضلاً مِنْ عَطِيَّتِه على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضى وهَنِ[1]

قال : حاجتك ! قال : لابن أبي مُضَرِّسٍ عليّ خمسون ومائة دينار . قال : فقال لمولى له : يا هيثم ، اركب هذه البغلة فأْتِني بابن أبي مُضَرِّس وذِكر حَقّه[2] . قال : فما صَلَّينا العصر حتى جاء به . فقال له : مرحباً بك يا ابن أبي مُضَرِّس ، أمعك ذِكرُ حَقِّك على ابن هرمة ؟ قال نعم . قال : فامحُه ، فمحاه . ثم قال : يا هيثم ، بعِ ابن أبي مُضَرِّس من تمر الخانقين[3] بمائة وخمسين ديناراً وزِده على كلِّ دينار ربع دينار ، وكِلِ ابن هرمة بخمسين ومائة دينارٍ تمراً ، وكِلِ ابن رُبيح بثلاثين ديناراً تمراً . قال : فانصرفنا من عنده ؛ فلقِيَه محمد بن عبد الله بن حسن بالسَّيالة ، وقد بلغه الشعر ، فغَضِب لأبيه وعُمومته فقال : أيْ ماصَّ بَظْرِ أُمّه ! أنت القائل :

على هَنٍ وهَنٍ فيما مَضَى وهَنِ

فقال : لا والله ! ولكنّي الذي أقول لك[4] : [من البسيط]

لا والذي أنتَ منه نِعمةٌ سَلَفتْ نرجو عَواقِبَها في آخِرِ الزَّمَنِ
لقد أُتِيتُ بأمرٍ ما عَمَدتُ له ولا تعمَّده قولي ولا سَنَني
فكيف أمشي مع الأقوام معتدلاً وقد رَمَيتُ بَرِيءَ العُودِ بالأُبَنِ[5]
ما غيَّرتْ وجهَه أُمٌّ مُهَجِّنةٌ إذا القَتامُ تَغَشَّى أوجُهَ الهُجُنِ

قال : وأمّ الحسن أمّ ولد .

[لمّا عرض بعبد الله بن حسن وإخوته قطع عنه ما كان يجريه عليه]

قال هارون : فحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبايةَ قال : لمّا قال ابنُ هرمة هذا الشعر في حسن بن زيد ، قال عبد الله بن حسن : والله ما أراد الفاسق غيري وغير أخَوَيّ : حسنٍ وإبراهيم . وكان عبد الله يُجرِي على ابن هرمة رزقاً فقطعه عنه وغَضِب عليه . فأتاه يعتذر ، فنُحِّي وطُرِدَ ؛ فسأل رجالاً أن يكلِّموه ، فردَّهم ؛ فيئس من رضاه واجتنبه وخافه . فمكث ما شاء الله ، ثم مرّ عشيّةً وعبد الله على زَرْبِيَّة في ممرّ المِنبر ، ولم تكن تُبسَطُ

1 هن : كلمة يكني بها عن الاسم . وكررها ثلاثاً لأنّه أراد ثلاثة أشخاص .
2 ذكر الحق : الصك الذي يكتب فيه الدَّين .
3 الخانقان : موضع بالمدينة .
4 ديوان ابن هرمة : 234–235 .
5 الأبن : جمع أبنة وهي العقدة في العود تفسده . ويقال : ليس في حسب فلان أبنة أي عيب .

لأحدٍ غيره في ذلك المكان . فلمّا رأى عبد الله تضاءل وتَقَنْفَذَ وتصاغر وأسرع المشيَ . فكأنّ عبد الله رقَّ له ، فأمر به فرُدَّ عليه ، فقال : يا فاسقُ ، يا شاربَ الخمر ، على هَنٍ وهَنٍ ! أتُفَضِّل الحسنَ عليّ وعلى أخويّ ! فقال : بأبي أنت وأُمِّي ! ورَبِّ هذا القبر ما عَنَيتُ إلاّ فرعونَ وهامانَ وقارونَ ، أفتغضَب لهم ! فضحِك وقال : واللهِ ما أحسَبُك إلاّ كاذباً . قال : والله ما كذَبْتُك . فأمَر بأن تُرَدَّ عليه جرايتُه .

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال أخبرني أبو أيُّوبَ المدينيّ عن مُصعب قال : إنّما اعتذر ابن هرمة بهذا إلى محمد بن عبد الله بن حسن .

[قصيدة له خالية من الحروف المعجمة]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوب عن عليّ بن صالح قال[1] : أنشدني عامر بن صالح قصيدةً لابن هرمة نحواً من أربعين بيتاً ، ليس فيها حرف يُعجم ؛ وذكر هذه الأبيات منها . ولم أجد هذه القصيدة في شعر ابن هرمة ، ولا كنتُ أظنّ أنّ أحداً تقدَّم رُزَيناً العَروضيّ إلى هذا الباب . وأوّلها : [من البسيط]

أرَسْمُ سَوْدةَ أمسى دارسَ الطَّلَلِ مُعَطَّلاً ردّه الأحوالُ كالحُلَلِ

هكذا ذكر يحيى بن عليّ في خبره أنّ القصيدة نحوٌ من أربعين بيتاً ؛ ووجدتها في رواية الأصمعيّ ويعقوب بن السِّكِّيت اثني عشر بيتاً ، فنسختُها هاهنا للحاجة إلى ذلك . وليس فيها حرف يُعجم إلاّ ما اصطلح عليه الكُتّاب من تصييرهم مكانَ ألفٍ ياءٍ مِثل «أَعْلى» فإنّها في اللفظ بالألف وهي تكتب بالياء ، ومثل «رَأى» ونحو هذا ، وهو في التحقيق في اللفظ بالألف ، وإنّما اصطلح الكُتّاب على كتابته بالياء كما ذكرناه . والقصيدة : [من البسيط]

أرَسْمُ سَوْدةَ مَحْلٌ دارسُ الطَّلَلِ مُعَطَّلٌ رَدَّه الأحوالُ كالحُلَلِ
لمّا رأى أهلَها سَدّوا مَطالِعَها رام الصُّدودَ وعاد الوُدُّ كالمُهُلِ
وعاد وُدُّك داءٌ لا دواءَ له ولو دعاك طَوالَ الدّهرِ للرِّحَلِ
ما وَصْلُ سَوْدةَ إلاّ وَصْلُ صارمةٍ أحلها الدهرُ داراً مأْكَلَ الوَعِلِ
وعاد أمواهُها سُدْماً[2] وطارَ لها سَهْمٌ دعا أهلَها لِلصُّرْم والعِلَلِ
صَدُّوا وصدّ وساء المرءَ صَدُّهُمُ وحام للوِرْدِ رَدْهاً حَوْمةَ العَلَلِ

حومة الماء ، كَثرته وغمرته . والعلل : الشُّرْب الثاني . والرَّدْهُ : مستنقَع الماء .

1 ديوان ابن هرمة : 179–181 عن الأغاني .
2 سُدْماً : متغيرة .

وحَلَّـؤُوهُ رِداهـاً ماؤُهـا عَسَلٌ ... مـا مـاءُ رَدْهٍ لَعَمْرُ اللهِ كالعَسَلِ
دعـا الحَمامُ حَماماً سَدَّ مَسْمَعَه ... لَمّـا دعـاه رآه طامـحَ الأَمَلِ
طُمُوحَ سارحـةٍ حَـوْمٍ مُلَمَّعَةٍ ... ومُمْرِعُ السرِّ سهلٌ ماكِدُ السَّهَلِ[1]
وحاولوا رَدَّ أمـرٍ لا مَرَدَّ لـه ... والصُّرْمُ داءٌ لأهلِ اللَّوْعةِ الوُصُلِ
أحَلَّـكَ اللهُ أعْـلى كلِّ مَكْرُمـةٍ ... واللهُ أعطاك أعـلى صـالحِ العَمَلِ
سهـلٌ مَـوارِدُهُ سَمْحٌ مَواعِـدُهُ ... مُسَوَّدٌ لِكِـرامٍ سادةٍ حُمُـلِ

[عاب المسوّر بن عبد الملك شعره]

قال يحيى بن عليّ وحدّثني أبو أيُّوب المدينيّ عن أبي حُذَيفة قال : كان المُسَوَّر بن عبد الملك المخزوميّ يَعيب شعرَ ابن هرمة ، وكان المُسَوَّرُ هذا عالِماً بالشعر والنَّسب ؛ فقال ابن هرمة فيه[2] : [من البسيط]

إيّاكَ لا أُلْزِمَنْ لَحْيَيْكَ من لُجُمِي ... نِكْلاً يُنَكِّلُ قَرَّاصاً مـن اللُّجُمِ
يَـدُقُّ لَحْيَيْكَ أو تنقـادَ مُتَّبِعاً ... مَشْيَ المُقَيَّدِ ذي القِرْدانِ والحَلَمِ
إنّي إذا ما امـرؤٌ خَفَّتْ نَعامَتُهُ ... إليّ واسْتَحْصَدَتْ منه قُوى الوَذَمِ[3]
عقـدتُ في مُلْتَقى أوداج لَبَّتِه ... طَوقَ الحمامةِ لا يَبْلى على القِدَمِ
إنّي امرؤٌ لا أصوغ الحَلْيَ تَعْمَلُه ... كَفَّايَ لكن لِساني صائـغُ الكَلِمِ
إنَّ الأَديمَ الذي أمسيتَ تَقْرِظُه ... جَهْلاً لذو نَغَلٍ بـادٍ وذو حَلَمِ[4]
ولا يَغِـطُّ بأيـدي الخالقِينَ ولا ... أيـدي الخوالِقِ إلاّ جَيِّـدُ الأَدَمِ

[عاتب عبد الله بن مصعب في تفضيله ابن أذينة عليه]

قال يحيى وحدّثني أبو أيُّوب عن مُصعب بن عبد الله عن أبيه قال : لَقِيَني ابن هَرْمةَ فقال لي : يا ابن مُصعب ، أتُفَضِّل عليّ قولَ ابن أُذَيْنةَ ! أما شكرتَ قولي[5] : [من الطويل]

فما لَـكَ مُخْتَـلاً عليـك خَصاصةٌ ... كأنّك لم تَـنْبُت ببعض المَنابِتِ

---

1 السارحـة : الماشية . الحوم : القطيع الضخم . الملمع : الذي في جسده بقع تخالف لونه . السر هنا : بطن الوادي . الماكد : الدائم غير المنقطع .

2 ديوان ابن هرمة : 214 .

3 استحصدت قواها : أحكم فتلها . الوذم : سيور مستطيلة .

4 نغل : فساد ، والحلم : فساد في الجلد .

5 ديوان ابن هرمة : 74 .

كأنَّك لم تَصْحَبْ شُعَيْبَ بنَ جَعْفَرٍ ولا مُصْعباً ذا المَكْرُماتِ ابنَ ثابتِ

يعني مُصعب بن عبد الله ، قال : فقلت : يا أبا إسحاق ، أقِلْني ورَوِّني من شعرك ما شئتَ ؛ فإنِّي لم أَروِ لك شيئاً . فروِّاني عَبَّاسِيَّاتِه تلك .

[ثناؤه على إبراهيم بن عبد الله وإبراهيم بن طلحة لإكرامهما له]

قال يحيى : وأخبرني أبو أيُّوب المدينيّ عن مُصعب بن عبد الله عن مُصعَب بن عثمان قال : قال ابن هرمة[1] : ما رأيتُ أحداً قطُّ أسخى ولا أكرم من رجلين : إبراهيم بن عبد الله بن مُطيع ، وإبراهيم بن طلحة بن عمرو بن عبد الله بن مَعْمَر . أمّا إبراهيم بن طلحة فأتيتُه فقال : أَحْسِنوا ضِيافةَ أبي إسحاق ، فأتيتُ بكلِّ شيء من الطعام ، فأردت أن أُنشِدَه ؛ فقال : ليس هذا وقتَ الشعر . ثم أخرج الغلام إليّ رُقعة فقال : ائتِ بها الوكيل . فأتيتُه بها ، فقال : إنْ شئتَ أخذتُ لك جميع ما كتب به ، وإن شئتَ أعطيتُك القيمة . قلت : وما أَمَر لي به ؟ فقال : مائتا شاةٍ برعائها وأربعة أجمالٍ وغلامٌ جَمَّالٌ ومِظَلَّة وما تحتاج إليه ، وقُوتُك وقوتُ عِيالِك سنةً . قلت : فأَعْطِني القيمة ؛ فأعطاني مائتي دينار . وأمّا إبراهيم بن عبد الله فأتيتُه في منزله بمُشاش[2] على بئر ابن الوليد بن عثمان بن عَفّان ؛ فدخل إلى منزله ثم خرج إليّ برُزمة من ثياب وصُرَّةٍ من دراهم ودنانير وحُليّ ، ثم قال : لا واللهِ ما بَقِّينا في منزلنا ثوباً إلاّ ثوباً نُوارِي به امرأةً ، ولا حَلياً ولا ديناراً ولا درهماً . وقال يمدح إبراهيم[3] : [من الخفيف]

أَرَّقَتْني تَلُومُني أُمُّ بكرٍ بعد هَدْءٍ[4] واللَّوْمُ قد يُؤْذِيني
حَذَّرَتْني الزمانَ ثُمَّتَ قالتْ ليس هذا الزمانُ بالمأمونِ
قلتُ لمّا هَبَّتْ تُحَذِّرني الدَّهْـ ـرَ دَعِي اللَّوْمَ عنكِ واسْتَبقِيني
إنّ ذا الجُودِ والمَكارِمِ إبرا هيمَ يَعْنيه كلُّ ما يَعْنِيني
قد خَبَرْناه في القديم فألفَيْـ ـنا مَواعِيدَه كعَيْنِ اليقينِ
قلتُ ما قلتُ للّذي هو حقٌّ مستبينٌ لا لِلَّذي يُعْطِيني
نَضَحتْ أرضَنا سماؤك بعد الـ ـجَدْبِ منها وبعد سُوء الظُّنونِ
فرَعَيْنا آثارَ غَيْثٍ هَراقَتْـ ـهُ يَدا مُحْكَم القُوى ميمونِ

1 هذا الخبر ممّا أورده ابن حمدون في التذكرة 2 : 296 (رقم 770) .
2 مشاش : موضع .
3 ديوان ابن هرمة : 239–240 .
4 ل : فتر .

[طلب من محمد بن عمران علفاً فأعطاه كلّ ما ورده]

وقال هارون حدّثنا حمّاد عن عبد الله بن إبراهيم الحَجَبيّ : أنّ إبلاً لمحمد بن عِمران تحمل علفاً مرّتْ بمحمد بن عبد العزيز الزُّهريّ ومعه ابن هرمة ، فقال : يا أبا إسحاق ، ألا تستعلف محمدَ بن عِمران ! وهو يريد أن يُعَرّضه لمَنْعِه فيهجوه . فأرسل ابن هرمة في أثر الحَمُولة رسولاً حتى وقف على ابن عِمران ، فأبلغه رسالتَه ؛ فردّ إليه الإبل بما عليها ، وقال : إن احتجتَ إلى غيرها زِدناك . فأقبل ابن هرمة على محمد بن عبد العزيز فقال له : اغْسِلْها عنّي ، فإنّه إنْ علِم أنّي استعلفته ولا دابّةَ لي وقعتُ منه في سَوْأة . قال : بماذا ؟ قال : تُعْطيني حمارَك . قال : هو لك بسَرْجه ولِجامه . فقال ابن هرمة : مَن حَفَر حفرةَ سوءٍ وقَع فيها[1] .

[وفد على السريّ بن عبد الله باليمامة ومدحه فأكرمه وكان يحبّ أن يفد عليه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا أبو يحيى هارون بن عبد الله الزُّهريّ عن ابن زُرَيق ، وكان منقطعاً إلى أبي العبّاس بن محمد وكان من أرْوى الناس ، قال : كنتُ مع السَّريّ بن عبد الله باليمامة ، وكان يتشوّق إلى إبراهيم بن عليّ بن هرمة ويُحِبُّ أن يَفِدَ عليه ؛ فأقول : ما يمنعك أن تكتب إليه ؟ فيقول : أخاف أن يكلّفني من المؤونة ما لا أُطيق . فكنت[2] أكتب بذلك إلى ابن هرمة ، فكَره أن يَقدَم عليه إلاّ بكتاب منه ؛ ثم طُلب فشخَص إليه ، فنزل عليّ ومعه راويته ابن رُبَيح . فقلت له : ما مَنعك من القدوم على الأمير وهو من الحِرص على قدومك على ما كتبتُ به إليك ؟ قال : الذي منعه من الكتاب إليّ . فدخلتُ على السَّرِيّ فأخبرته بقدومه ؛ فسُرَّ بذلك وجلس للناس مجلساً عامّاً ، ثم أذِن لابن هرمة فدخل عليه ومعه راويته ابن رُبَيح . وكان ابن هرمة قصيراً دَميماً أَرْيَمِص[3] ، وكان ابنُ رُبَيْح طويلاً جسيماً نقيّ الثياب . فسلّم على السَّرِيّ ثم قال له : أصلحك الله ! إنّي قد قلتُ شعراً أثنيتُ فيه عليك . فقال : أَنْشِد ؛ فقال : هذا يُنشد فجلس . فأنشده ابن رُبَيح قصيدتَه التي أوّلها[4] : [من البسيط]

عُوجا على رَبْعِ ليلى أُمِّ محمودِ كيما نُسائلَه من دون عَبُّودِ[5]

---

1 المثل رقم 4002 في مجمع الميداني : «من حفر مغوّاة وقع فيها» والمغواة حفر تغطّى للضبع والذئب وفي مستقصى الزمخشري 2 : 354 «من حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً» .

2 ل : فقلت .

3 أريمص : تصغير أرمص والرمص : ما يسيل من العين .

4 ديوان ابن هرمة : 101–103 .

5 عبود : جبل قريب من المدينة .

عن أُمِّ محمودَ إذ شَطَّ المَـزارُ بها ... لعـلّ ذلـك يَشْفِي داءَ مَعمودِ
فعَرَّجا بعد تغويرٍ وقـد وقفـتْ ... شمسُ النهارِ ولاذ الظِّـلُّ بالعُودِ[1]
شيئاً فمـا رَجَعـتْ أطلالُ منزلةٍ ... قَفْرٍ جواباً لمحزونِ الجَوى مُودِي[2]

ثم قال فيها يمدح السريّ :

ذاك السَّرِيُّ الذي لـولا تَدَفُّقُـهُ ... بالعُرْفِ مُتْنا حليفُ المجدِ والجودِ
مَنْ يَعْتَمِدْكَ ابنَ عبدِ الله مجتدياً ... لِسَيْبِ عُرْفِـك يَعْمِدْ خيرَ معمودِ
يا ابنَ الأُساةِ الشُّفاةِ المُسْتَغاثِ بهمْ ... والمُطْعِمِينَ ذُرى الكُـومِ المَقاحِيدِ[3]
والسَّابقين إلى الخيراتِ قومَهُـمُ ... سَبْقَ الجِيـاد إلى غاياتهـا القُودِ[4]
أنت ابنُ مُسْلَـنْطِحِ البطحاء مَنْبِتُكُمْ ... بطحاءُ مكّـةَ لا روسُ القَرادِيدِ[5]
لَكُمْ سِقايَتُهـا قِدْمـاً ونَدْوَتُها ... قـد حازهـا والدٌ منكـمُ لمولودِ
لـولا رجاؤك لم تَعْسِفْ بنا قُلُصٌ ... أجوازَ مهْمَهةٍ قَفْـرِ الصُّوى بيدِ
لكنْ دعاني وميضٌ لاح معترضاً ... من نحو أرضِك في دُهمٍ مَناضِيدِ[6]

وأنشده أيضاً قصيدةً مدحه فيها ، أوّلُها[7] : [من الطويل]

أفي طَلَـلٍ قَفْـرٍ تَحَمَّـلَ آهِلُـهْ ... وقفتَ وماءُ العـينِ يَنْهَلُّ هامِلُهْ
تُسائل عن سَلْمى سَفاهاً وقد نأتْ ... بسلمى نَوًى شَحْطٌ فكيف تُسائلُهْ
وترجـو ولم يَنْطِـقْ وليس بناطقٍ ... جوابـاً مُحِيلٌ قـد تَحَمَّل آهِلُهْ
ونُؤْيٌ كخَطِّ النُّونِ مـا إن تَبِينُه ... عَفَتْـه ذيـول مـن شَمالٍ تُذايِلُهْ

ثم قال فيها يمدح السَّرِيّ : [من الطويل]

فقُلْ للسَّرِيّ الواصِلِ البَرِّ ذي النَّدى ... مديحـاً إذا مـا بُثَّ صُدِّقَ قائلُهْ

---

1 تغوير في ل : تعويق .
2 مودي : هالك .
3 المقاحيد : النوق العظيمة السنام .
4 القود : الخيل الطويلة العنق .
5 القراديد : الأراضي الغليظة المرتفعة .
6 الدهم المناضيد : السحاب الأسود المتراكب .
7 ديوان ابن هرمة 174–175 عن الأغاني .

جوادٌ على العِـلاَّتِ يَهْتَزُّ للنَّدى ... كما اهتزَّ عَضْبٌ أخلصتْـه صَياقِلُهْ
نَفى الظُّلْمَ عن أهل اليَمامـةِ عدلُه ... فعاشُوا وزاحَ الظُّلْمُ عنهم وباطلُهْ
وناموا بأَمْنٍ بعـد خوفٍ وشِدَّةٍ ... بسيرةِ عَـدْلٍ مـا تخافُ غوائلُهْ
وقـد عَلِم المعروفُ أنَّك خِدْنُه ... ويعلَم هـذا الجوعُ أنَّك قاتِلُهْ
بك اللهُ أحيا أرضَ حَجْرٍ وغيرَها ... من الأرضِ حتَّى عاشَ بالبَقْلِ آكلُهْ
وأنـت تُرَجَّى للَّذي أنـت أهلُه ... وتنفَـع ذا القُرْبى لديك وسائِلُهْ

وأنشده أيضاً ممّا مدحه به قوله :

عُوجا نُحَيِّ الطُّلولَ بالكَثَب[1]

يقول فيها يمدحه[2] : [من المنسرح]

دَعْ عنك سَلْمى وقُلْ مُحَبَّرةً ... لِماجِـدِ الجَدِّ طَيِّبِ النَّسَبِ
مَحْضٍ مُصَفَّى العُروقِ يحمَده ... في العُسْرِ واليُسْرِ كُلُّ مُرْتَغِبِ
الواهـبِ الخَيْـلِ في أَعِنَّتِها ... والوُصَفـاءِ الحِسانَ كالذَّهَبِ
مجداً وحمداً يُفِيـدُه كَرَمـاً ... والحمدُ في الناسِ خيرُ مُكْتَسَبِ

قال : فلمّا فرغ ابن رُبيح ، قال السَّريّ لابن هرمة : مرحباً بك يا أبا إسحاق ! ما حاجتك ؟ قال : جئتك عبداً مملوكاً . قال : لا ! بل حُرّاً كريماً وابن عمّ ، فما ذاك ؟ قال : ما تركتُ لي مالاً إلاَّ رهنتُه ، ولا صديقاً إلاّ كلَّفته ، قال أبو يحيى : يقول لي ابن زُرَيق : حتّى كأنّ له دَيَّاناً وعليه مالاً ، فقال له السَّريّ : وما دَيْنُك ؟ قال : سبعمائة دينار . قال : قد قضاها الله عزّ وجلّ عنك . قال : فأقام أيّاماً ، ثم قال لي : قد اشتقتُ . فقلت له : قل شِعراً تَشَوَّقُ فيه . فقال قصيدته التي يقول فيها[3] : [من البسيط]

أألحمامةُ في نخـلِ ابن هَدّاجِ ... هاجَتْ صَبابةَ عانِي القلب مُهْتاجِ
أمِ المُخَبِّرُ أنّ الغَيْثَ قد وَضَعتْ ... منه العِشارُ تماماً غيرَ إخْداجِ
شَقَّتْ سَوائِفُها بالفَرشِ من مَلَلٍ ... إلى الأَعارِفِ من حَزْنٍ وأولاجِ[4]

1 الكثب : موضع بديار طيّىء .
2 ديوانه : 68 .
3 ديوان ابن هرمة : 76–78 .
4 الفرش : اسم واد . ملل : موضع . الأعارف : جبال باليمامة . أولاج : جمع ولجة وهي ما غمض من الأرض .

حتى كأنّ وُجوهَ الأرض مُلْبَسةٌ طرائفاً من سَدى عَصْبٍ ودِيباجِ

وهي طويلة مختارة من شعره ، يقول فيها يمدح السَّريّ : [من البسيط]

أمَّا السَّرِيُّ فإنِّي سوفَ أمدَحُه ما المادحُ الذاكرُ الإحسانَ كالهاجي
ذاك الذي هو بعد اللهِ أنقذني فلستُ أنساه إنقاذي وإخراجي
لَيْثٌ بَحَجْرٍ إذا ما هاجَه فَزَعٌ هاجَ إليه بإلْجامٍ وإسْراجِ
لأَحْبُوَنَّكَ ممّا أَصْطَفِي مِدَحاً مُصاحِباتٍ لعُمَّارٍ وحُجَّاجِ
أَسْدى الصنيعةَ من بِرٍّ ومن لَطَفٍ إلى قَروعٍ لباب المُلْكِ وَلاَّجِ
كَمْ من يَدٍ لكَ في الأقوامِ قد سَلَفتْ عند امرىءٍ ذي غِنًى أو عند مُحْتاجِ

فأمر له بسبعمائة دينار في قضاء دَيْنه ، ومائة دينارٍ يتجهَّز بها ، ومائة دينار يُعَرِّض بها أهله ، ومائة دينارٍ إذا قَدِم على أهله .

قوله : «يُعَرِّض بها أهلَه» أي يُهدي لهم بها هديّة ، والعُراضة : الهَدِيّة . قال الفرزدق يهجو هشامَ بن عبد الملك[1] : [من الكامل]

كانتْ عُراضَتُكَ التي عَرَّضْتَنا يومَ المدينةِ زَكْمةً وسُعالا

[أنكر شعراً له في بني فاطمة خوفاً من العباسيين]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني نوفل بن ميمون قال أخبرني أبو مالك محمد بن عليّ بن هرمة قال : قال ابن هرمة[2] : [من المتقارب]

ومهما أُلامُ على حُبِّهمْ فإنِّي أُحِبُّ بني فاطمهْ
بني بنت مَنْ جاء بالمُحْكَما تِ والدِّينِ والسُّنّةِ القائمهْ

فلَقيه بعد ذلك رجلٌ فسأله : مَن قائلها ؟ فقال : مَن عَضَّ بَظرَ أُمِّه . فقال له ابنه : يا أبتِ ، ألستَ قائلها ؟ قال بلى . قال : فلِمَ شتمتَ نفسَك ؟ قال : أليس أنْ يَعَضَّ المرءُ بَظْرَ أُمِّه خيراً من أن يأخذه ابن قَحطبة !

[خبره مع رجل يتجر بعرض ابنتيه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا جعفر بن مُدرِك الجَعديّ قال : جاء ابن هرمة إلى رجل كان بسوق النَّبَط ، معه زوجةٌ له وابنتان كأنَّهما ظَبْيَتان يقود عليهما ، بمال فدفعه إليه ،

1 لم نعثر على هذا البيت في ديوان الفرزدق .
2 ديوان ابن هرمة : 203–204 .

فكان يشتري لهم طعاماً وشراباً . فأقام ابن هرمة مع ابنتيه حتّى خَفَّ ذلك المال ، وجاء قومٌ آخرون معهم مالٌ ؛ فأخبرهم بمكان ابن هرمة ؛ فاستثقلوه وكَرِهوا أن يعلَم بهم ؛ فأمر ابنتيه ، فقالتا له : يا أبا إسحاق ، أما دَرَيتَ ما الناسُ فيه ؟ قال : وما هم فيه ؟ قالتا : زُلْزِلَ بالرَّوضة ، فتغافلهما . ثم جاء أبوهما مُتفازِعاً فقال : أي أبا إسحاق ، ألا تفزَع لِما الناس فيه ! قال : وما هم فيه ؟ قال : زُلْزِلَ بالرَّوضة . قال : قد جاءكم الآنَ إنسانٌ معه مال ، وقد نَفَضْتُ ما جئتكم به وثَقُلتُ عليكم ؛ فأردتَ إدخاله وإخراجي . أيُزَلزَلُ بروضةٍ من رياض الجنّة ويُترَك منزلُك وأنت تجمَع فيه الرجال على ابنتيك ! والله لا عدتُ إليه ! وخرج من عنده .

وروى هذا الخبر عن الزُّبير هارون بن محمد الزيّات فزاد فيه ، قال : ثم خرج من عندهم ، فأتى عبد الله بن حسن فقال : إنّي قد مدحتُك فاستَمِع منّي . قال : لا حاجة لي بذلك ، أنا أُعطيك ما تريد ولا أسمع . قال : إذاً أسقُط ويكسُد سوقي . فسمِع منه وأَمَر له بمائتي دينارٍ ؛ فأخذها وعاد إلى الرجل ، وقال : قد جئتك بما تُنفقه كيف شئتَ . ولم يزل مقيماً عنده حتى نَفِدتْ .

[قصّته مع محمد بن عبد العزيز ومحمد بن عمران وغيرهما]

قال الزُّبير : وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز قال حدّثني عمّي عِمران بن عبد العزيز بن عُمَر بن عبد الرحمن بن عوف قال : وافَينا الحَجَّ في عامٍ من الأعوام الخالية ، فأصبحتُ بالسَّيالة ، فإذا إبراهيم بن عليّ بن هرمة يأتينا ؛ فاستأذن على أخي محمد بن عبد العزيز فأَذِن له ؛ فدخل عليه فقال : يا أبا عبد الله ، ألا أُخبِرك ببعض ما تَسْتَظْرِف ؟ قال : بلى ، وربّما فعلتَ يا أبا إسحاق . قال : فإنّه أصبح عندنا هاهنا منذ أيّام محمد بن عِمران وإسماعيل بن عبد الله بن جُبَير ، وأصبح ابن عمران بجملين له ظالعين ، فإذا رسوله يأتيني أنْ أجبْ ؛ فخرجتُ حتى أتيتُه ؛ فأخبرني بظَلَع جمليه ، وقال لي : أردتُ أن أبعث إلى ناضحَيْن لي بعَمْقٍ[1] لعلّي أُوتى بهما إلى هاهنا لأمضي عليهما ، ويصير هذان الظالعان إلى مكانهما . ففرِّغ لنا دارك واشترِ لنا علَفاً واسْتلِفْه بجهدك ؛ فإنّا مُقيمون هاهنا حتى تأتينا جِمالُنا . فقلتُ : في الرُّحب والقُرب ، والدار فارغةٌ ، وزوجته طالقٌ إن اشتريتُ عُود عَلَفٍ ، عندي حاجتك منه . فأنزلتُه ودخلت إلى السوق ، فما أبقيت فيه شيئاً من رِسْلٍ[2] ولا جِداءٍ ولا طُرفةٍ ولا غيرِ ذلك إلاّ ابتعتُ منه فاخِره ، وبعثتُ به إليه مع دَجاجٍ كان عندنا . قال : فبينا أنا أدور في السوق إذ وقف عليَّ عبدٌ لإسماعيل بن عبد الله يُساوِمني بحِمْلِ عَلَفٍ لي ، فلم أَزَل أنا وهو

1 عمق : اسم ماء في الحجاز .

2 الرِّسل : اللبن .

حتى أخذه منّي بعشرة دراهم ، وذهب به فطرَحه لظَهره . وخرجتُ عند الرَّواح أتقاضى العبد ثَمَنَ حِملي ، فإذا هو لإسماعيل بن عبد الله ولم أكن دَرَيتُ . فلمّا رآني مولاه حيَّاني ورحَّبَ بي ، وقال : هل من حاجةٍ يا أبا إسحاق ؟ فأعلمه العبد أنّ العَلَفَ لي . فأجلسني فتغدّيت عنده ، ثم أمرَ لي مكانَ كلِّ درهم منها بدينار ، وكانت معه زوجته فاطمة بنت عبَّاد ، فبعثت إليّ بخمسة دنانير . قال : وراحوا ، وخرجتُ بالدنانير ففرّقتها على غُرمائي ، وقلت : عند ابن عِمران عِوَضٌ منها . قال : فأقام عندي ثلاثاً ، وأتاه جملاه ، فما فَعَل بي شيئاً . فبينا هو يترحّل وفي نفسه منّي ما لا أدري به ، إذ كَلَّم غلاماً له بشيءٍ فلم يفهَم . فأقبل عليّ فقال : ما أَقدِر على إفهامه مع قُعودك عندي ، قد والله آذيتَني ومنعتَني ما أردتُ . فقمتُ مُغْتَمّاً بالذي قال ؛ حتى إذا كنتُ على باب الدار لَقِيَني إنسانٌ فسألني : هل فَعَل إليك شيئاً ؟ فقلتُ : أنا والله بخيرٍ إذْ تَلِفَ مالي ورَبِحتُ بَدَني . قال : وطَلَع عليّ وأنا أقولُها ، فشتمني والله يا أبا عبد الله حتّى ما أبقى لي ، وزَعَم أنّه لولا إحرامه لضربني ؛ وراح وما أعطاني درهماً . فقلت[1] : [من البسيط]

يا مَنْ يُعِينُ على ضَيْفٍ أَلَمَّ بنا ... ليس بِذِي كَرَمٍ يُرْجى ولا دِينِ
أقام عندي ثلاثاً سُنَّةً سَلَفتْ ... أغضيتُ منها على الأقذاء والهُونِ
مسافةُ البيت عَشْرٌ غيرُ مُشْكِلةٍ ... وأنت تأتيه في شَهْرٍ وعشرينِ
لستَ تُبالي فَواتَ الحَجِّ إن نَصِبتْ ... ذاتُ الكَلالِ وأسمنتَ ابنَ حِرقينِ
تحدّث النَّاسُ عمّا فيك من كَرَمٍ ... هيهاتَ ذاك لضِيفانِ المَساكينِ
أصبحتَ تَخْزُنُ ما تَحْوِي وتجمَعُه ... أبا سُلَيمانَ من أشلاءِ قارونِ
مثلُ ابنِ عِمْرانَ آباءٌ له سَلَفُوا ... يَجْزُونَ فِعْلَ ذوي الإحسان بالدُّونِ
ألا تكون كإسماعيلَ إنّ له ... رأياً أَصِيلاً وفِعْلاً غيرَ ممنونِ
أو مِثْلَ زوجتِه فيما أَلَمَّ بها ... هيهاتَ مَنْ أُمُّها ذاتُ النِّطاقَيْنِ

فلمّا أنشدها قال له محمد بن عبد العزيز : نحن نُعِينُك يا أبا إسحاق ؛ لقوله : «يا من يعين» . قال : قد رَفَعك الله عن العَون الذي أُريده ، ما أردتُ إلاَّ رجلاً مثل عبد الله بن خِنْزيرة وطلحةَ أَطْباء الكَلْبة يُمسِكونه لي وآخذ خُوطَ سَلَمٍ فأُوجع به خَواصِرَه وجَواعِره . قال : ولمَّا بلغ في إنشاده إلى قوله :

1 ديوان ابن هرمة : 240–241 عن الأغاني .

مثلُ ابن عمرانَ آباءٌ لـه سلفوا

أقبل عليّ فقال : عذراً إلى الله تعالى وإليكم ! إنّي لم أَعْنِ من آبائه طلحة بن عبيد الله . قال : ونزل إليه إسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان عندنا ، فلم يكلّمه حتّى ضرب أنفه ، وقال له : فَعَنَيْتَ من آبائه أبا سليمان محمد بن طلحة يا دَعِيّ ! قال : فدخلنا بينهما . وجاء رسول محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصِّدّيق رضي الله عنه إلى ابن هرمة يدعوه ، فذهب إليه . فقال له : ما الذي بلغني من هجائك أبا سليمان ! والله لا أرضى حتى تَحْلِفَ ألاَّ تقولَ له أبداً إلاّ خيراً ، وحتى تلقاه فتترضّاه إذا رجع ، وتحتمل كلَّ ما أَزَلّ إليك وتمدحه . قال : أفعلُ ، بالحُبِّ والكرامة . قال : وإسماعيل بن جعفر لا تَعرِضْ له إلاّ بخير ؛ قال نعم . قال : فأخذ عليه الأيمانَ فيهما وأعطاه ثلاثين ديناراً ، وأعطاه محمد بن عبد العزيز مثلَها . قال : واندفع ابن هرمة يمدح محمد بن عِمران[1] : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ أنّ القولَ يَخْلُص صِدْقُه ... وتأبَـى فمـا تزكو لباغٍ بَواطِلُهْ

ذَمَمْتُ امـرءاً لم يَطْبَعِ الذَّمُّ عِرْضَه ... قليلاً لدى تحصيلِه مَنْ يُشاكِلُهْ[2]

فما بالحجاز من فَتًى ذي إمارةٍ ... ولا شَرَفٍ إلاّ ابنُ عِمْرانَ فاضِلُهْ

فَتًـى لا يَطُـورُ الذَّمُّ ساحةَ بيتِه ... وتشقَى بـه ليـلَ التِّمامِ عَواذِلُهْ[3]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا أحمد بن عمر الزُّهريّ قال حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن جعفر المِسْوَريّ قال : مدح إبراهيم بن هرمة محمد بن عمران الطَّلحيّ ، فألفاه راويته وقد جاءته عِيرٌ له تحمِل غَلَّةً قد جاءته من الفُرعِ أو خيبر . فقال له رجل كان عنده : أعلَمُ واللهِ أنّ أبا ثابت بن عمران بن عبد العزيز أغراه بك وأنا حاضر عنده وأخبره بِعيرِك هذه . فقال : إنّما أراد أبو ثابت أن يُعَرِّضَني للسانه ، قُودوا[4] إليه القِطارَ ، فقِيدَ إليه .

[طلب من عمر بن القاسم تمراً على ألاّ يعمل منه نبيذاً]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني يحيى بن محمد بن عبد الله بن عمر بن القاسم قال : جاء أبي تمرٌ من صدقة عُمر ؛ فجاءه ابن هرمة فقال : أَمْتَع الله بك ! أعطِني من هذا التَّمر . قال : يا أبا إسحاق ، لولا أنّي أخاف أن تعمَل منه نبيذاً لأعطيتك . قال : فإذا علمتَ

1 ديوان ابن هرمة : 176 .

2 يطبع : يدنس .

3 يطور : يقرب .

4 ل : فردوا .

أنّي أعمَل منه نبيذاً لا تُعطيني ؟ قال : فخافه فأعطاه . فلَقِيه بعد ذلك ؛ فقال له : ما في الدنيا أجود من نبيذ يجيء من صدقة عمر ؛ فأخجله .

[سمع جرير شعره فمدحه]

أخبرنا الحِرْميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : قَدِم جرير المدينة ، فأتاه ابن هرمة وابنُ أُذَينة فأنشداه ؛ فقال جرير : القُرَشيّ أشعرُهما ، والعربيّ أفصحُهما .

[مدح المطّلب بن عبد الله فليم لمدحه غلاماً حديث السن]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني عبد الله بن محمد : أنّ ابن هرمة قال يمدح أبا الحكم المطّلب بن عبد الله[1] : [من الكامل]

لّما رأيــتُ الحادثاتِ كَنَفْنَني ... وأَوْرَثْنَني بُؤْسَى ذكرتُ أبا الحَكَمْ

سليلُ مُلوكٍ سبعةٍ قد تتابعوا ... همُ المُصْطَفونَ والمُصَفَّوْنَ بالكَرَمْ

فلاموه وقالوا : أتمدح غلاماً حديث السنّ بمثل هذا ! قال نعم ! وكانت له ابنةٌ يُلقّبها «عُيَيْنة» ، وقال الزُّبير : كان يلقّبها «عينة» ، فقال[2] : [من البسيط]

كانتْ عُيَيْنَةُ فينا وهي عاطلةٌ ... بين الجَوارِي فحَلاَّها أبو الحَكَمِ

فمَنْ لَحانا على حُسْنِ المَقالِ له ... كان المُلِيمَ وكنَّا نحن لم نُلِمِ

[شكا حاله لعبد العزيز بن المطّلب فأكرمه]

قال يحيى وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبيريّ عن نوفَل بن ميمون قال : أرسل ابن هرمة إلى عبد العزيز بن المطّلب بكتاب يشكو فيه بعض حاله ؛ فبعث إليه بخمسة عشر ديناراً . فمكث شهراً ثم بعث يطلب منه شيئاً آخر بعد ذلك ؛ فقال : إنّا والله ما نقوى على ما كان يقوى عليه الحَكَمُ بن المطّلب . وكان عبد العزيز قد خطب إلى امرأة من ولد عُمر فردّته ، فخطب إلى امرأة من بني عامر بن لُؤَيّ فزوّجوه . فقال ابن هرمة[3] : [من الطويل]

خطبتَ إلى كَعْبٍ فرَدُّوكَ صاغراً ... فحوّلتَ من كعبٍ إلى جِذْمِ عامرِ

وفي عامِرٍ عِزٌّ قديمٌ وإنّما ... أجازك فيهم هزلُ أهل المقابرِ

وقال فيه أيضاً[4] : [من المتقارب]

1 ديوان ابن هرمة : 200 .

2 ديوان ابن هرمة : 217 .

3 ديوان ابن هرمة : 128 .

4 ديوان ابن هرمة : 199 .

أبالبُخْـلِ تطلبُ مـا قَدَّمتْ عرانـينُ جـادتْ بأموالهـا
فهيهاتَ ! خالفتَ فعلَ الكرامِ خـلافَ الجِمـالِ بأبوالهـا

[خبره مع امرأة تزوّجها]

وقال هارون بن محمد حدّثني مُغيرة بن محمد قال حدّثني أبو محمد السّهْميّ قال حدّثني أبو كاسب قال : تزوّج ابن هرمة بامرأة ؛ فقالت له : أعطِني شيئاً ؛ فقال : والله ما معي إلاّ نَعلاي ، فدفعهما إليها ، ومضى معها فتورّكها مراراً . فقالت له : أحْفَيْتَني ؛ فقال لها : الذي أحفى صاحبَه منّا يَعَضُّ بَظْرَ أُمّه .

[أغراه قوم بالحكم بن المطّلب بأن يطلب منه شاة كانت عزيزة عليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويَه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني المُسَيَّبيّ محمد بن إسحاق قال حدّثني إبراهيم بن سكرة جارُ أبي ضَمرة قال : جلس ابن هرمة مع قومٍ على شراب ، فذكر الحَكَمَ بن المطّلب فأطنب في مدحه . فقالوا له : إنّك لتُكثِر ذكرَ رجلٍ لو طرقتَه الساعة في شاةٍ يقال لها «غَرّاء» تسأله إيّاها لردّك عنها . فقال : أهو يفعل هذا ؟ قالوا : إي والله . وكانوا قد عرفوا أنّ الحكم بها مُعجَبٌ ، وكانت في داره سبعون شاةً تُحلب . فخرج وفي رأسه ما فيه ، فدقّ الباب فخرج إليه غلامه . فقال له : أعلِم أبا مروان بمكاني ، وكان قد أَمَر ألاّ يُحجَبَ إبراهيم بن هرمة عنه ، فأعلمه به ، فخرج إليه مُتَّشحاً فقال : أفي مثل هذه الساعة يا أبا إسحاق ! فقال : نعم جُعِلتُ فداك ، وُلِد لأخ لي مولود فلم تَدرّ عليه أمّه ، فطلبوا له شاةً حلوبةً فلم يجدوها ، فذكروا له شاةً عندك يقال لها «غَرّاء» ، فسألني أن أسألكها . فقال : أتجيء في هذه الساعة ثم تنصرف بشاة واحدة ! والله لا تبقى في الدار شاةٌ إلاّ انصرفتَ بها ، سُقْهنّ معه يا غلام ، فساقهنّ . فخرج بهنّ إلى القوم ، فقالوا : ويحك ! أيَّ شيء صنعت ! فقصّ عليهم القصّة . قال : وكان فيهنّ والله ما ثمنه عشرة دنانير وأكثر من عشرة .

[لمّا سمع بقتل الوليد أنشد شعراً في مدحه]

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق قال ذكر أبي عن أيّوب بن عباية عن عمر بن أيُّوب الليثيّ قال : شرِب ابن هرمة عندنا يوماً فسكِر فنام . فلمّا حضرتِ الصلاة تحرّك أو حرّكته . فقال لي وهو يتوضّأ : ما كان حديثكم اليوم ؟ قلت يزعمُون أنّ الوليد قُتِل ؛ فرفع رأسَه إليّ وقال[1] : [من الطويل]

1 ديوان ابن هرمة : 211–212 .

وكانت أُمورُ الناس مُنْبَتَّةَ القُوى فشدَّ الوليدُ حين قام نِظامَها
خليفةُ حقٍّ لا خليفةُ باطلٍ رمَى عن قناة الدِّين حتى أقامَها

ثم قال لي : إيّاك أن تذكر من هذا شيئاً ؛ فإنّي لا أدري ما يكون .

[كان ابن الأعرابيّ يقول : ختم الشعراء بابن هرمة]

أخبرني عليّ بن سليمان النحويّ قال حدّثنا أبو العبّاس الأحول عن ابن الأعرابيّ : أنّه كان يقول : خُتِم الشعراء بابن هرمة .

[سكر مرّة سِكراً شديداً فعتب عليه جيرانه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أحمد بن يحيى البَلاذُرِيّ : أنّ ابن هرمة كان مُغرَماً بالنبيذ ، فمرّ على جيرانه وهو شديد السُّكر حتى دخل منزله . فلمّا كان من الغد دخلوا عليه فعاتبوه على الحال التي رأوه عليها ؛ فقال لهم : أنا في طلب مثلها منذ دهر ، أمَا سمعتم قولي[1] : [من الخفيف]

أسألُ اللهَ سكرةً قبل موتي وصِياحَ الصِّبيان يا سكرانُ

قال : فنفضوا ثيابهم وخرجوا ، وقالوا : ليس يُفلِح والله هذا أبداً .

[لم يحمل جنازته إلاّ أربعة نفر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : أنشدني عمّي لابن هرمة[2] : [من الخفيف]

ما أظنُّ الزمانَ يا أُمَّ عَمْرٍ تارِكاً إن هلكتُ من يَبْكِيني[3]

قال : فكان والله كذلك ؛ لقد مات فأُخبرني مَن رأى جنازته ما يحملها إلاّ أربعةُ نفر ، حتى دُفِن بالبقيع .

[ولد سنة 90هـ ومدح المنصور وعمره خمسون سنة]

قال يحيى بن عليّ ، أُراه عن البَلاذُريّ : وُلِد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور في سنة أربعين ومائة قصيدته التي يقول فيها[4] : [من البسيط]

إنّ الغَـوانيَ قـد أعرضن مَقْلِيَةً لمّا رمَى هَدَفَ الخمسين ميلادي

قال : ثم عُمِّر بعدها مدّة طويلة .

---

1 ديوان ابن هرمة : 229 .
2 ديوان ابن هرمة : 243 .
3 عَمْر في ل : سعد .
4 ديوان ابن هرمة : 107 .

[59] ـ ذكر أخبار يونس الكاتب

[نسبه]

هو يونس بن سليمان بن كُرْد بن شِهريار ، من ولد هُرْمُز . وقيل : إنّه مولًى لعمرو بن الزُّبير . ومنشؤه ومنزله بالمدينة . وكان أبوه فقيهاً ، فأسلمه في الديوان فكان من كُتَّابه . وأخذ الغِناء عن معبدٍ وابن سُرَيج وابن مُحرِز والغريض ، وكان أكثر روايته عن معبد ؛ ولم يكن في أصحاب معبد أحذقُ ولا أقوَمُ بما أُخذ عنه منه . وله غِناء حسن ، وصنعة كثيرة ، وشعرٌ جيِّد . وكتابه في الأغاني ونسبها إلى مَن غنَّى فيها هو الأصلُ الذي يُعمَل عليه ويُرجَع إليه . وهو أوّل مَن دوّن الغناء .

[شعر مسعود بن خالد في مدحه]

أخبرنا محمد بن خلف وكيعٌ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال أنشدني مسعود بن خالد المُورِيانيّ لنفسه في يونس : [من السريع]

يا يونسُ الكاتبُ يا يونسُ ... طابَ لنا اليومَ بك المجلسُ
إنّ المغنِّينَ إذا ما هُمُ ... جارَوْكَ أَخْنى بهمُ المقبسُ
تنشُر دِيباجاً وأشباهَه ... وهم إذا ما نشروا كَرْبَسُوا[1]

[خرج مع بعض فتيان المدينة إلى دومة فتغنّوا ثم غنّى ابن عائشة ففرّق جمعهم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : ذكر إبراهيم بن قُدامة الجُمَحيّ قال : اجتمع فِتيانٌ من فتيان أهل المدينة فيهم يونس الكاتب وجماعة ممّن يُغنّي فخرجوا إلى وادٍ يقال له دومة من بطن العقيق ، في أصحاب لهم فتَغنَّوا ، واجتمع إليهم نساء أهل الوادي ، قال بعض مَن كان معهم : فرأيتُ حولَنا مثلَ مُراح الضأن ، وأقبل محمد بن عائشة ومعه صاحب له ؛ فلمّا رأى جماعة النساء عندهم حسَدهم ، فالتفتَ إلى صاحبه فقال : أما والله لأُفَرِّقَنَّ هذه الجماعة ! فأتى قصراً من قصور العقيق ؛ فعَلا سطحَه وألقى رداءه واتّكأ عليه وتغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

هــذا مُقــامُ مُطَـرَّدٍ ... هُدِمتْ منازلُـه ودُورُهْ

1 كربسوا : أتوا بالكرابيس وهي الثياب الخشنة .

رَقَّـى عليــه عُداتُــه ظلماً فعاقبــه أميرُهْ[1]

الغناء لابن عائشة رمل بالوسطى . والشعر لعبيد بن حُنَين مولى آل زيد بن الخَطَّاب ، وقيل : إنّه لعبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم ، قال : فوالله ما قضى صوتَه حتى ما بَقِيتِ امرأةٌ منهنّ إلاّ جلستْ تحت القصر الذي هو عليه وتفرّق عامّة أصحابهم . فقال يونس وأصحابه : هذا عملُ ابنِ عائشة وحسَدُه .

[صاحب الشعر الذي تغنّى به ابن عائشة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى عن أبيه قال : تزوّج عبد الله بن أبي كثير مولى بني مخزوم بالعراق في ولاية مُصعَب بن الزُّبير امرأةً من بني عبد بن بَغِيض بن عامر بن لُؤَيّ ، ففرّق مصعبٌ بينهما . فخرج حتى قَدِم على عبد الله بن الزُّبير بمكّة فقال : [من مجزوء الكامل]

هــذا مُقــامُ مُطــرَّدٍ هُدِمــتْ منازلــهُ ودورُهْ
رَقَّــتْ عليــه عُداتُــه كَذِبــاً فعاقبــه أميرُهْ
في أنْ شَرِبتُ بجــمِّ مــا ءٍ كان حِــلاًّ لي غَدِيرُهْ
فلقــد قطعتُ الخَــرْقَ بعـ ـد الخرقِ مُعْتَسِفاً أسِيرُهْ
حتّى أتيــتُ خليفــةَ الـ ـرَّحمن ممهــوداً سريرُهْ
حَيَّيْتُــه بتَحِيّــةٍ في مجلسٍ حضرتْ صُقُورُهْ

فكتب عبد الله إلى مصعب : أن ارْدُدْ عليه امرأته ؛ فإنّي لا أُحَرِّم ما أحلَّ الله عزّ وجلّ ؛ فردّها عليه . هذه رواية عُمر بن شبّة .

وأخبرني الحسن بن عليّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ عن سُحَيم بن حفص : أنَّ المتزوّج بهذه المرأة عبيد بن حُنين مولى آل زيد بن الخطّاب ، وأنّ المفرِّق بينهما الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الذي يقال له القُباع ؛ وذكر باقيَ الخبر مثل الأوّل .

[ذهب إلى الشام فبعث إليه الوليد بن يزيد ليغنّيه ثم وصله]

أخبرني عمّي قال حدّثني طلحة بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدّثني أحمد بن الهيثم قال : خرج يونس الكاتب من المدينة إلى الشام في تجارة ؛ فبلغ الوليد بن يزيد مكانه ؛ فلم يشعر يونس إلاّ برسله قد دخلوا عليه الخان ، فقالوا له : أجِبِ الأمير ، والوليد إذ ذاك أمير ، قال :

1 رقى عليه عداته : تقوّلوا عليه ما لم يقل .

فنهضتُ معهم حتى أدخلوني على الأمير ، لا أدري مَن هو ، إلاّ أنّه من أحسن الناس وجهاً وأنبلِهم ، فسلّمت عليه ، فأمرني بالجلوس ، ثم دعا بالشراب والجواري ؛ فكنّا يومنا وليلتنا في أمر عجيب . وغنَّيته فأُعجِب بغنائي إلى أن غنَّيته : [من الخفيف]

إنْ يَعِشْ مُصعَبٌ فنحن بخيرٍ قد أتانا مِنْ عيشنا مـا نُرَجِّي

ثم تنبَّهتُ فقطعتُ الصوت . فقال : مالَكَ ؟ فأخذتُ أعتذر من غنائي بشعرٍ في مُصعب . فضحِك وقال : إنّ مُصعباً قد مضى وانقطع أثره ولا عداوة بيني وبينه ، وإنّما أريد الغناء ، فأَمْض الصوت ؛ فعُدتُ فيه فغنَّيته . فلم يَزَل يَستَعِيدُنيه حتى أصبح ، فشرِب مُصطَبِحاً وهو يستعيدني هذا الصوت ما يتجاوزه حتى مضت ثلاثة أيّام . ثم قلتُ له : جعلني الله فداءَ الأمير ! أنا رجلٌ تاجرٌ خرجتُ مع تجّار وأخاف أن يرتحلوا فيَضيع مالي . فقال لي : أنت تغدو غداً ؛ وشَرِب باقي ليلته ، وأمر لي بثلاثة آلاف دينار فحُمِلتْ إليّ ، وغدوتُ إلى أصحابي . فلمّا خرجتُ من عنده سألتُ عنه ، فقيل لي : هذا الأمير الوليد بن يزيد وليّ عهد أمير المؤمنين هشام . فلمّا استُخلِفَ بعث إليّ فأتيته ، فلم أَزل معه حتى قُتِل .

[أصواته المعروفة بالزيانب]

صوت
من المائة المختارة

[من الرمل]

أقصدتْ زينبُ قلبـي بعدما ذهَب الباطـلُ عنّـي والغَزَلْ
وعَلا المَفْـرِقَ شيبٌ شامِـلٌ واضِحٌ في الرأس منّي واشْتَعلْ

الشعر لابن رُهَيمة المَدَنيّ ، والغناء في اللحن المختار لعُمَر الوادي ثاني ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه ليونس الكاتب لحنان : أحدُهما خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر رمل بالسبابة في مجرى البنصر عنه أيضاً . وفيه رَمَلان بالوسطى والبنصر : أحدُهما لابن المكّيّ ، والآخرُ لحَكَم ، وقيل : إنّه لإسحاق من رواية الهشاميّ . ولحنُ يونس في هذا الشعر من أصواته المعروفة بالزيانب ، والشعر فيها كلِّها لابن رُهَيمة في زينب بنت عِكرِمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ؛ وهي سبعة : أحدُها قد مضى . والآخرُ : [من مجزوء الرمل]

صوت

أقصدتْ زينبُ قلبي وسَبَتْ عقلي ولُبِّـي
تركتْنـي مُستهامـاً أستغيثُ اللهَ رَبِّـي
ليس لي ذنبٌ إليها فتُجازينـي بذَنْبـي
ولهـا عنـدي ذنوبٌ في تَنائيهـا وقُربـي

غنّاه يونس رملاً بالبنصر . وفيه لحَكم هَزَجٌ خفيف بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

وَجَـد الفؤادُ بزينبـا وَجْـداً شديـداً مُتْعبا
أصبحتُ من وَجْدِي بها أُدْعـى سقيماً مُسْهَبا[1]
وجعلتُ زينـبَ سُتْرةً وَأتيـتُ أمـراً مُعجِبا

غنّاه يونس ثقيلاً أوّل مطلقاً في مجرى البنصر عن عمرو وإسحاق ، وهو ممّا يُشَكّ فيه من غناء يونس . ولعُلَيَّة بنت المهديّ فيه ثقيلٌ أوّلُ آخَر لا يُشكُّ فيه أنّه لها ، كَنَتْ فيه عن رشأ الخادم ، وذكر أحمد بن عبيد أنّ فيه من الغناء لحنين هما جميعاً من الثقيل الأوّل ليونس ، ومن لا يعلم يزعمُ أنّ الشِّعر لها .

ومنها : [من مجزوء الخفيف]

صوت

إنّمـا زينـبُ المُنَـى وهِـي الهـمُّ والهَـوى
ذاتُ دَلٍّ تُضْني الصَّحِيـ ـحَ وتُبْرِي من الجَوى[2]
لا يُغَرَّنْكِ أنْ دعَـوْ تِ فُؤادي فما الْتَوى[3]
واحْذَرِي هِجْـرةَ الحبيـ ـبِ إذا مَـلَّ وانْزَوى

غنّاه يونس رملاً بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

---

1 مسهب : ذهب عقله .

2 تضني الصحيح في ل : تصبي الحليم .

3 فما التوى في ل : إلى الثوى ، وهو الهلال .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّمـا زينـبُ هَمِّـي بأبـي تلـك وأُمِّـي
بأبـي زينبُ لا أَكْـ ـنـي ولكنِّـي أُسَمّي
بأبي زينبُ مِـنْ قا ضٍ قَضَى عمداً بظُلْمي
بأبـي مَنْ ليس لـي في قلبـه قيـراطُ رُحْمِ[1]

غنّاه يونس رملاً بالبنصر عن عمرو ، وله فيه لحنٌ آخر .

ومنها : [من السريع]

صوت

يـا زينبُ الحسناءُ يا زينبُ يـا أكـرمَ النَّاسِ إذا تُنْسَبُ
تَقِيكِ نفسي حادثاتِ الرَّدى والأُمُّ تَفْدِيـك معـاً والأبُ
هَلْ لكِ في وُدّ امرىءٍ صادقٍ لا يَمْـذُق الـوُدَّ ولا يَكْذِبُ
لا يـبتغـي في وُدّه مَحْرَمـاً هيهاتَ منكِ العمـلُ الأَرِيبُ

غنَّاه يونس ثاني ثقيلٍ بالسّبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فليتَ الذي يلحَى على زينبَ المُنَى تَعَلَّقَـهُ ممّـا لَقِيـتُ عَشيرُ[2]
فحَسْبي لـه بالعُشْرِ ممّـا لَقِيتُه وذلك فيمـا قـد تَـراه يسيرُ

غنّاه يونس ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن الهشاميّ .

هذه سبعة أصوات قد مضتْ وهي المعروفة بالزيانب . ومن الناس من يجعلها ثمانية ، ويزيد فيها لحن يونس في :

تَصابَيْتَ أم هاجتْ لك الشوقَ زينبُ

---

1 رحم : مصدر رحم كالرحمة .

2 العشير : العشر .

وليس هذا منها ؛ وإن كان ليونس لحنُه ، فإنّ شِعره لِحُجَيَّةَ بن المُضرَّب الكِنديّ ، وقد كُتب في موضع آخر ؛ وإنّما الزيانب في شعر ابن رُهَيمة . ومنهم من يَعُدّها تسعةً ويُضيف إليها : [من مجزوء الكامل]

قُـولاَ لزينبَ لـو رأيـ ـتِ تَشَوُّقي لكِ واشترافي

وهذا اللحن لحَكَم . والشعر لمحمد بن أبي العبّاس السفّاح في زينب بنت سليمان بن عليّ ، وقد كُتِب في موضع آخر .

انقضت أخبار يونس الكاتب .

[60] ـ أخبار ابن رُهيمة

[شبب بزينب بنت عكرمة فأمر هشام بضربه فتوارى]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم قال حدّثني أبو هفّان عن إسحاق قال : كان ابن رهيمة يُشبِّب بزينب بنت عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، ويغنّي يونس بشعره ، فافتضحت بذلك . فاستعدى عليه أخوها هشام بن عبد الملك ، فأمَر بضربه خمسمائة سوط ، وأن يُباح دمُه إنْ وُجِد قد عاد لذكرها ، وأن يُفعل ذلك بكلِّ مَنْ غنَّى في شيء من شعره . فهرب هو ويونس فلم يُقدَر عليهما . فلمّا وَلِي الوليد بن يزيد ظَهَرا . وقال ابن رُهيمة : [من المتقارب]

لئن كنتَ أطردتَني ظالماً ... لقد كَشَف اللهُ ما أَرْهَبُ
ولو نِلْتَ مِنِّيَ ما تشتهي ... لَقَلَّ إذا رَضِيتْ زينبُ
وما شئتَ فاصنَعْه بي بعد ذا ... فحُبِّي لزينبَ لا يذهبُ

وفي الأصوات المعروفة بالزيانب يقول أبان بن عبد الحميد اللاَّحِقيّ : [من مجزوء الوافر]

أحِبُّ من الغِناء خَفِيـ ... ـفَه إنْ فاتني الهَزَجُ
وأَشْنأُ «ضوءَ برقٍ» مثـ ... ـلَ ما أَشْنا «عَفا مُزُجُ»
وأبْغِضُ «يوم تنأى» و«الزَّ ... يانبُ» كلُّها سُمُجُ
ويُعْجِبُني لإبراهـ ... ـيمَ والأوتارُ تَخْتَلِجُ
«أُدِيرُ مُدامَةً صِرْفاً ... كأنَّ صبيبَها وَدَجُ»

يعني أبانٌ لحنَ إبراهيم . والشعر لأبان أيضاً ، وهو : [من مجزوء الكامل]

صوت

أُدِيرُ مدامةً صِرْفاً ... كأنَّ صَبِيبَها وَدَجُ
فظَلَّ تخالُه مَلِكاً ... يُصَرِّفُها ويَمتزجُ

الشعر لأبانٍ ، والغِناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً .

وممّا في غناء يونس من المائة المختارة المذكورة في هذا الكتاب : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

أَلا يـــا لَقَوْمـي لِلرُّقـــادِ المُسَهَّـدِ وللماءِ ممنوعاً مِنَ الحائمِ الصَّدي
ولِلحالِ بعدَ الحالِ يركَبُها الفتى وللحُـــبِّ بعـــد السَّلْـوة المُتَمَرِّدِ

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائي من قصيدة مدحَ بها عبد الملك بن مروان ؛ وذكر يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق : أنَّها للغول بن عبد الله بن صَيفيّ الطَّائيّ . والصحيح أنَّها لإسماعيل . وأنا أذكُر خبره مع عبد الملك بن مروان ومدحَه إيّاه بها ليُعلَم صحّة ذلك . والغناء ليونس ، ولحنه المختار من القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر ، وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

ولِلمَرءِ لا عَمّنْ يُحِبُّ بِمُرْعَوٍ ولا لِسبيلِ الرُّشْدِ يوماً بمُهتدي[1]
وقـد قـال أقوامٌ وهم يعذُلونه لقد طالَ تعذيبُ الفؤادِ المُصَيَّدِ

1 الشطر الأول في ل : ولا المرء عمّا قد يحب بمرعوٍ .

[61] ـ أخبار إسماعيل بن يَسار ونسبه

[كان منقطعاً إلى آل الزبير ثم اتّصل بعبد الملك بن مروان]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله الزُّبيريّ قال : كان إسماعيل بن يَسارٍ النِّسائيّ مولى بني تَيْمِ بن مُرّة : تيم قريش ، وكان منقطعاً إلى آل الزبير . فلمّا أفضتِ الخلافةُ إلى عبد الملك بن مروان ، وَفَد إليه مع عُروة بن الزُّبير ، ومدحه ومدحَ الخلفاء من ولده بعده . وعاش عمراً طويلاً إلى أن أدرك آخر سُلطان بني أُميّة ، ولم يُدرِك الدولة العبّاسية . وكان طَيِّباً مليحاً مُندِراً بَطّالاً ، مليح الشِّعر ، وكان كالمنقطع إلى عُروةَ بن الزُّبير .

[سبب تلقيبه بالنسائيّ]

وإنّما سُمِّي إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ[1] ، لأنّ أباه كان يصنع طعام العُرس ويبيعه ، فيشتريه منه مَن أراد التعريس من المتجمِّلين وممّن لم تبلُغ حالُه اصطناع ذلك .

وأخبرني الأَسديّ قال حدّثنا أبو الحسن محمد بن صالح بن النطّاح قال : إنّما سُمِّي إسماعيل بن يسار النسائيّ لأنّه كان يبيع النَّجْدَ والفُرُش التي تُتَّخذُ للعرائس ؛ فقيل له إسماعيل بن يَسارٍ النسائيّ .

وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليلُ بن أَسَدٍ عن ابن عائشة : أنّ إسماعيل بن يسار النسائيّ إنّما لُقِّب بذلك لأنّ أباه كان يكون عنده طعامُ العُرُسات مُصْلَحاً أبداً ؛ فمَن طَرَقَه وجده عنده مُعَدّاً .

[نادرة له مع عروة بن الزبير أثناء سفرهما للشام]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدّثني الزبير بن بكّار قال قال مُصعب بن عثمان : لمّا خرج عُروة بن الزُّبير إلى الشام يريد الوليد بن عبد الملك ، أخرج معه إسماعيل بن يسار النسائيّ ، وكان منقطعاً إلى آل الزُّبير ، فعادله . فقال عروة ليلةً من الليالي لبعض غلمانه : انظر كيف ترى المَحمِل ؟ قال : أراه معتدلاً . قال إسماعيل : الله أكبر ، ما اعتدل الحَقُّ والباطل قبل الليلة قطُّ ؛ فضحك عروة ، وكان

---

1 نسبة إلى النساء .

يستخفّ إسماعيل ويستطيبه .

[تسابّ هو وآخر يكنى أبا قيس في اسميهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثني عمّي عن أيُّوب بن عَباية المخزوميّ : أنّ إسماعيل بن يسار كان ينزل في موضع يقال له حُدَيلة وكان له جلساء يتحدّثون عنده ، ففقدهم أيّاماً ، وسأل عنهم فقيل : هم عند رجل يتحدّثون إليه طيِّبِ الحديث حُلْوٍ ظريف قدِم عليهم يسمَّى محمداً ويُكنى أبا قيس . فجاء إسماعيل فوقف عليهم ، فسمِع الرجل القومَ يقولون : قد جاء صديقنا إسماعيل بن يسار ؛ فأقبل عليه فقال له : أنت إسماعيل ؟ قال نعم . قال : رحِم الله أبويك فإنّهما سَمَّياك باسم صادق الوعد وأنت أكذب الناس . فقال له إسماعيل : ما اسمك ؟ قال : محمد . قال : أبو مَنْ ؟ قال : أبو قيس . قال : لا ! ولكن لا رحم الله أبويك ؛ فإنّهما سَمّياك باسم نبيٍّ وكَنَّياك بكُنْيةِ قِرْد . فأفْحِم الرجل وضحِك القوم ، ولم يَعُدْ إلى مجالستهم ، فعادوا إلى مجالسة إسماعيل .

[استأذن على الغمر بن يزيد فحجبه ساعة فدخل يبكي لحجبه وادّعى نيته نفاقاً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ عن نُمير العُذْريّ قال : استأذن إسماعيل بن يسار النسائيّ على الغمر بن يزيد بن عبد الملك يوماً ، فحَجَبه ساعةً ثم أذِن له ، فدخل يبكي . فقال له الغمر : مالكَ يا أبا فائد تبكي ؟ قال : وكيف لا أبكي وأنا على مَرْوانيّتي ومَرْوانيّة أبي أحْجَبُ عنك ؟ فجعل الغَمر يعتذر إليه وهو يبكي ؛ فما سكت حتى وصله الغمر بجملة لها قَدْر . وخرج من عنده ، فلَحِقه رجلٌ فقال له : أخبرني ويلك يا إسماعيل ، أيّ مَروانيّة كانت لك أو لأبيك ؟ قال : بُغْضُنا إيّاهم ، امرأتُه طالقٌ إن لم يكن يلعن مروان وآلَه كلَّ يوم مكان التسبيح ، وإن لم يكن أبوه حضره الموت ، فقيل له : قُلْ لا إله إلاّ الله ، فقال : لَعَن الله مروان ، تَقَرُّباً بذلك إلى الله تعالى وإبدالاً له من التوحيد وإقامة له مُقامَه .

[شعره الذي يفخر فيه بالعجم على العرب]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيُّوب المدينيّ قال حدّثني مُصعَب قال : قال إسماعيل بن يسار النسائيّ قصيدته التي أوّلها : [من الخفيف]

مـا على رسمِ منزلٍ بالجَنابِ لـو أبانَ الغداةَ رَجْـعَ الجوابِ[1]

1 الجناب : الغناء ولعلّه هنا اسم موضع بعينه .

غَيَّرتْـه الصَّبـا وكلُّ مُلِـثٍّ دائِـم الوَدْقِ مُكْفَهِـرِّ السَّحابِ
دارَ هنـدٍ وهـل زمـاني بهندٍ عائـدٌ بالهـوى وصَفْوِ الجَنابِ
كالذي كان والصفـاءُ مصـونٌ لم تَشُبْـه بهِجْـرةٍ واجتنابِ
ذاك منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ وهـي رُؤْدٌ كدُمْيـةِ المِحْـرابِ
غـادةٌ تَسْتَبـي العقـولَ بعَذْبٍ طَيِّـبِ الطعـم بـاردِ الأنيـابِ
وأثيثٍ مـن فـوق لـونٍ نَقـيٍّ كبيـاضِ اللُّجَيْـنِ في الزِّرْيـابِ[1]
فأَقِـلَّ المَـلامَ فيهـا وأَقْصِرْ لَجَّ قلبـي من لوعـةٍ واكتئابِ
صاحِ أبصرتَ أو سمِعـتَ بـراعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ ما قَرى في العِلابِ[2]
انقضتْ شِرَّتِـي وأقصَر جهـلي واستراحـتْ عَواذِلي مـن عِتابي

وقال فيها يفخر على العرب بالعجم : [من الخفيف]

رُبَّ خـالٍ مُتَـوَّجٍ لي وعَـمٍّ ماجـدٍ مُجْتَدًى كريـم النِّصابِ
إنّمـا سُمِّـي الفَـوارِسُ بـالفُرْ سِ مُضاهـاةَ رِفْعـةِ الأنسابِ
فاتْرُكـي الفخـرَ يـا أُمـامَ علينا واتركي الجَوْرَ وانْطِقي بالصَّوابِ
واسأَلي إن جَهِلْتِ عنّـا وعنكم كيف كنّـا في سالف الأحقابِ
إذ نُرَبِّـي بَناتَنـا وتَدَسُّو نَ سَفاهـاً بناتِكـم في التُّرابِ

فقال رجل من آل كَثير بن الصَّلت : إنّ حاجتنا إلى بناتنا غير حاجتكم ؛ فأفحمه . يريد : أنّ العجم يربُّون بناتِهم لِيَنْكِحوهنّ ، والعرب لا تفعل ذلك . وفي هذه الأبيات غناءٌ ، نسبتُه : [من الخفيف]

صوت

صاحِ أبصرتَ أو سمعتَ بـراعٍ ردّ في الضَّرْع ما قَرى في العِلابِ
انقضتْ شِرَّتـي وأَقْصَرَ جهـلي واستراحـتْ عـواذلي مـن عِتابي

الشعر لإسماعيل بن يسار النسائيّ ، والغناء لمالك خفيف ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر عمرو بن بانة في نسخته الأولى أنّ فيه للغريض خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر ، وذكر

1 الزرياب : الذهب أو ماؤه .
2 قرى : جَمَعَ . والعلاب : جمع علبه وهي إناء كالقدح الكبير يحلب فيه .

في نسخته الثانية أنّ لابن سريج . وذكر الهِشاميّ أنّ لحن ابن سريج رملٌ بالوسطى ، وأنّ لحن الغريض ثقيلٌ أوّل .

[كان شعوبيّاً شديد التعصّب للعجم]

وحدّثني بهذا الخبر عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن مُصعب قال : إسماعيل بن يسار يُكنى أبا فائد ، وكان أخواه محمد وإبراهيم شاعرين أيضاً ، وهم من سَبْي فارس . وكان إسماعيل شُعُوبيّاً شديد التعصُّب للعجم ، وله شعرٌ كثير يفخَر فيه بالأعاجم . قال : فأنشد يوماً في مجلس فيه أشعب قوله : [من الخفيف]

إذ نُرَبِّـــي بناتِنـــا وتَدُسُّو نُ سَفاهاً بناتِكم في التُّرابِ

فقال له أشعبُ : صدقتَ والله يا أبا فائد ، أراد القوم بناتِهم لغير ما أردتموهنّ له . قال : وما ذاك ؟ قال : دَفَن القومُ بناتهم خوفاً من العار ، وربَّيْتُموهنّ لتنكحوهنّ . قال : فضحِك القومُ حتى استغربوا ، وخَجِل إسماعيل حتّى لو قَدَر أن يَسِيخَ في الأرض لَفَعل .

[رماه عبد الصمد في البركة بثيابه بإيعاز من الوليد بن يزيد]

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا عُمَر بن شبَّة قال أخبرني أبو سلمة الغفاريّ قال أخبرنا أبو عاصم الأسلميّ قال : بينا ابن يَسارٍ النسائيّ مع الوليد بن يزيد جالسٌ على بركة ، إذ أشار الوليد إلى مولًى له يقال له عبد الصمد ، فدفع ابن يسار النسائيّ في البركة بثيابه ؛ فأَمَر به الوليد فأُخرِج . فقال ابن يسار : [من الرمل]

قُـلْ لِوالي العَهْـدِ إنْ لاقَيْتَه ووَلِيِّ العهـدِ أولَـى بالرَّشَدْ
إنّـه واللهِ لـولا أنـتَ لم يَنْجُ منّي سالماً عبدُ الصَّمَدْ
إنّـه قـد رام منّـي خُطَّـةً لم يَرُمْهـا قبلَـه منّـي أحدْ
فهـو ممّـا رامَ منّـي كالذي يَقْنُصُ الدُّرّاجَ من خِيسِ الأَسَدْ[1]

فبعث إليه الوليد بخِلعةٍ سَنِيةٍ وصِلةٍ وترضّاه . وقد رُوي هذا الخبر لسعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت في قصّة أخرى ، وذُكِر هذا الشعر له فيه .

[استنشد أحد ولد جعفر بن أبي طالب الأحوص قصيدة]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي : حدّثني مصعب بن عبد الله قال سمعتُ إبراهيم بن أبي عبد الله يقول : رَكِب فلانٌ من ولد جعفر بن أبي طالب رحمه الله

1 المثل رقم 4724 في مجمع الميداني «يطلب الدراج في حبس الأسد» ، وحبس تحريف عن خيس وهو غابة الأسد أو مكانه . وهناك مثل آخر قريب منه وهو «كمبتغي الصيد في عريسة الأسد» (انظر المثل رقم 3115 في مجمع الميداني وص 363 في فصل المقال) .

بإسماعيل بن يسار النسائيّ حتى أتى به قُباءَ ؛ فاستخرج الأحوصَ فقال له : أَنْشِدني قولك : [من المنسرح]

ما ضَرَّ جِيرانَنا إذ انتجعوا لو أَنَّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا

فأنشده القصيدة . فأُعجِبَ بها ، ثم انصرف . فقال له إسماعيل بن يسار : أما جئتَ إلاّ لِما أرى ؟ قال لا . قال : فاسمع ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الكامل]

ما ضَرّ أهلَكِ لو تَطَوّف عاشقٌ بِفنـاء بيتِـكِ أو أَلَـمَّ فسلَّما

فقال : والله لو كنتُ سمعتُ هذه القصيدة أو علمتُ أنّك قلتَها لَمَا أتيتُه . وفي أبياتٍ من هذا الشعر غناءٌ نسبتَهُ : [من الكامل]

صوت

يا هندُ رُدّي الوصلَ أن يَتَصَرَّما وصِلي آمـرءاً كَلِفاً بحبِّك مُغْرَما
لـو تبذُلـين لنا دَلالكِ مَرّةً لم نَبْغِ منكِ سوى دَلالكِ مَحْرَما
مَنَع الزيارةَ أنَّ أهْلَكِ كلَّهم أبـدَوْا لِزَوْرِك غِلْظـةً وتَجَهُّما
ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفِنـاء بيتِـكِ أو أَلَـمَّ فسَلَّما

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائيّ ، والغناء لابن مِسْجَحٍ خفيف ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإبراهيم المَوصِليّ رملٌ بالبنصر عن حَبَش .

[سمع زبان السوّاق شعره فبكى]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : أنشد رجلٌ زَبّان السوّاق قول إسماعيل بن يَسار : [من الكامل]

ما ضَرَّ أهلَكِ لو تَطَوَّفَ عاشقٌ بفنـاء بيتِكِ أو أَلَـمَّ فسَلَّما

فبكى زبّان ، ثم قال : لا شيء والله إلاّ الضَّجَر وسوء الخلق وضيق الصدر ، وجعل يبكي ويمسَح عينيه .

[شعره الذي تشاجر بسببه أبو المعافى مع زبان السوّاق]

أخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدلانيّ النحويّ صِهْر المُبَرِّد قال حدّثني طلحةُ بن عبد الله بن إسحاق الطَّلْحيّ قال حدّثني الزُّبير بن بكّار قال حدّثني جعفر بن الحسين المهلَّبيّ قال : أنشدتُ زبّان السَّواق قول إسماعيل بن يَسار النِّسائيّ : [من الخفيف]

صوت

إنّ جُمْـلاً وإنْ تَبَيَّنْتُ منها نَكَباً عـن مَوَدّتي وازْوِرارا[1]
شَرَّدتْ بادِّكارها النَّوْمَ عنّي وأُطيرَ العَـزاءُ منّـي فطارا
مـا على أهلها ولم تأتِ سُوءا أن تُحَيَّـا تَحِيَّـةً أو تُزارا
يـوم أَبْـدَوْا لِيَ التَّجَهُّمَ فيها وحَمَوْهـا لَجاجـةً وضِرارا

فقال زبّان : لا شيء وأبيهم إلاّ اللَّحَز[2] وقلّة المعرفة وضِيق العَطَن[3] . فصاح عليه أبو المُعافى وقال : فعلى مَنْ ذاك ويلَك ! أعليك أو على أبيك أو أُمِّك ؟ فقال له زبّان : إنّما أُتيتَ يا أبا المُعافَى من نفسك ، لو كنتَ تفعل هذا ما اختلفتَ أنت وابنُك . فوثب إليه أبو المُعافى يرميه بالتُّراب ويقول له : ويحَك يا سفيه ؛ تُحسن الدِّياثَةَ ! وزبّان يسعى هرباً منه .

الغناء في هذه الأبيات لابن مِسْجَح خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن ابن المكيّ وحمّاد ، وذكر الهشاميّ وحَبَشٌ أنّه لابن مُحرِز ، وأنّ لحن ابن مِسْجَح ثاني ثقيل .

[طلبه الوليد بن يزيد من الحجاز فحضر وأنشده]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عُمَر بن شبّة قال حدّثني إسحاق المَوْصِليّ قال : غنّى الوليد بن يزيد في شِعْرٍ لإسماعيل بن يسار ، وهو : [من السريع]

حتّى إذا الصبحُ بـدا ضوؤُه وغـارتِ الجـوزاءُ والمِرزَمُ
خرجـتُ والوَطْءُ خَفـيٌّ كما ينسابُ مـن مَكْمَنِـه الأرقَمُ

فقال : مَن يقول هذا ؟ قالوا : رجلٌ من أهل الحجاز يقال له إسماعيل بن يسار النسائيّ ؛ فكتب في إشخاصه إليه . فلمّا دخل عليه استنشده القصيدةَ التي هذان البيتان منها ؛ فأنشده : [من السريع]

كَـلْـثَمُ أنتِ الهَـمُّ يـا كلثمُ وأنتُـم دائـي الـذي أكْتُـمُ
أُكاتِـمُ الناسَ هـوًى شَفَّني وبعضُ كِتمـانِ الهـوى أحزمُ
قـد لُمْتِني ظلمـاً بـلا ظِنَّةٍ وأنـتِ فيمـا بيننـا ألـوَمُ
أُبْدي الذي تُخْفِينـه ظاهـراً أرتـدُّ عنـه فيـكِ أو أُقـدِمُ

---

1 وإن في ل : خلي .
2 اللحز : الشح والبخل .
3 ضيق العطن : ضيق الصدر .

إمّـا بـيـأْسٍ منـك أو مَطْمَعٍ يُسْدَى بحسنِ الـودِّ أو يُلْحَمُ
لا تَترُكِينـي هكـذا مَيِّتاً لا أُمْنَحُ الوُدَّ ولا أصْرَمُ
أَوْفِي بما قُلـتِ ولا تَنْدَمِـي إنّ الـوَفِيَّ القـولِ لا يَنْدَمُ
آيـةُ مـا جئـتُ على رِقْبـةٍ بعد الكَرى والحيُّ قـد نَوَّمُوا
أُخافِـتُ المَشْيَ حِذارَ العِدا والليـلُ داجٍ حالـكٌ مظلمُ
ودونَ مـا حاولتُ إذ زرتُكم أخـوكِ والخـالُ معـاً والعَمُ
وليس إلاّ اللهَ لـي صاحـبٌ إليكُـم والصـارمُ اللَّهْـذَمُ
حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ مـن شَفَقٍ عيناكِ لي تَسْجُمُ
ثـم انجلَـى الحـزنُ ورَوْعاتُه وغُيِّـبَ الكاشحُ والمُبْـرِمُ
فبِتُّ فيمـا شئتُ مـن نَعْمةٍ يَمْنَحُنيهـا نحرُهـا والفَـمُ[1]
حتّى إذا الصبحُ بَـدا ضوؤُه وغـارتِ الجـوزاءُ والمِـرْزَمُ
خرجتُ والوطءُ خفـيٌّ كما ينسابُ مـن مَكْمَنِه الأَرْقَمُ

قال : فطرِبَ الوليد حتّى نزل عن فَرْشه وسريره ، وأَمَر المغنِّين فغَنَّوه الصوتَ وشَرِب عليه أقداحاً ، وأَمَر لإسماعيل بِكُسوةٍ وجائزة سنيّة ، وسرّحه إلى المدينة .

نسبة هذا الصوت

الشعر لإسماعيل بن يَسار النسائيّ . والغناءُ لابن سُرَيج رَمَلٌ .

[سمع شيخ قينة تغنّى بشعره فألقى بنفسه في الفرات إعجاباً به]

حدّثنا أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ قال حدّثنا محمد بن كُناسة قال : اصطحبَ شيخ وشبابٌ في سفينة من الكوفة ؛ فقال بعضُ الشباب للشيخ : إنّ معنا قَيْنةً لنا ، ونحن نُجِلُّك ونُحِبُّ أن نسمَع غناءها . قال : اللهُ المستعان ؛ فأنا أرقى على الأطلال وشأنَكم . فغنَّتْ : [من السريع]

حتّـى إذا الصبحُ بَدا ضوؤُه وغـارتِ الجـوزاءُ والمرزمُ
أقبلـتُ والـوطءُ خفـيٌّ كما ينسابُ مِـن مكمنِـه الأَرقمُ

قال : فألقى الشيخ بنفسه في الفُرات ، وجعل يخبِط بيديه ويقول : أنا الأرقم ! أنا

1 النعمة : (بفتح النون) المسرّة والفرح .

الأرقم ! فأدركوه وقد كاد يغرَق ؛ فقالوا : ما صنعت بنفسك ؟ فقال : إنّي واللهِ أعلمُ من معاني الشعر ما لا تعلمون .

[مدح عبد الله بن أنس فلم يكرمه فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفَّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدّثني أبو مُسْلِم المُستَمْليّ عن المدائنيّ قال : مدح إسماعيل بن يسار النسائيّ رجلاً من أهل المدينة يقال له عبدُ الله بن أَنَس ، وكان قد اتّصل ببني مَروان وأصاب منهم خيراً ، وكان إسماعيل صديقاً له ؛ فرحل إلى دمشق إليه ، فأنشده مديحاً له ومتّ إليه بالجِوار والصداقة ؛ فلم يُعطِه شيئاً . فقال يهجوه[1] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما إلى حَسَنٍ رَحَلْنا ولا زُرْنا حُسَيْناً يا ابنَ أَنْسِ

(يعني الحسنَ والحسين رضي الله عنهما)

ولا عبداً لعبدهُما فنَحْظى بحُسْنِ الحَظِّ منهم غيرَ بَخْسِ
ولكن ضَبَّ جَنْدَلةٍ أتينا مُضِبّاً في مَكامِنِه يُفَسِّي
فلمّا أنْ أتيناه وقُلْنا بحاجتنا تلوَّن لَوْنَ وَرْسِ
وأعرضَ غيرَ مُنْبَلِجٍ لِعُرْفٍ وظَلَّ مُقَرْطِباً ضِرِساً بضِرْسِ
فقلتُ لأهله أبِه كُزازٌ وقلتُ لصاحبي أتُراه يُمْسي
فكان الغُنْمُ أن قُمْنا جميعاً مخافَةَ أن نُزَنَّ بقتلِ نَفْسِ

[رثاؤه لمحمد بن عروة]

حدّثني عمّي قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مُصعب بن عبد الله قال : وَفَد عروة بن الزُّبير إلى الوليد بن عبد الملك وأخرج معه إسماعيل بن يسار النِّسائيّ ، فمات في تلك الوفادة محمد بن عروة بن الزُّبير ، وكان مُطَّلِعاً على دوابِّ الوليد بن عبد الملك ، فسقَط من فوق السطح بينها ، فجعلتْ تَرمَحه حتى قطّعته ، وكان جميلَ الوجه جواداً . فقال إسماعيل بن يسار يرثيه : [من الكامل]

صلَّى الإلـهُ على فَتـىً فارقتُـه بالشأم في جَدَثِ الطَّوِيّ المُلْحَدِ[2]

1 ورد بعض هذه الأبيات برواية مختلفة في عيون الأخبار 3 : 154 منسوبة للحارث الكندي .

2 الطوي : (هنا) القبر المعرش بالحجارة والآجر . وألحد القبر : جعل له لحداً .

بوّأتُــه بيــديَّ دارَ إقامــةٍ نائــي المَحَلّــة عن مَـزارِ العُوَّدِ
وغبَرتُ أعْوِلُـه وقـد أسلمتُــه لِصَفا الأماعِزِ والصَّفِيحِ المُسْنَدِ[1]
مُتَخَشِّعاً للدهـر ألبَسُ حُلَّـةً في النائبــاتِ بحَسْرةٍ وتَجَلُّدِ
أعني ابنَ عُــرْوةَ إنَّه قد هَدّني فَقْـدُ ابنِ عُـرْوةَ هَدّةً لم تَقْصِدِ
فإذا ذهبتُ إلى العَــزاء أُرُومُه لِيَرى المُكاشِحُ بالعــزاء تَجَلُّدي
مَنَـع التَّعَــزِّيَ أنَّني لِفراقِــه لَبِس العَـدُوُّ عـليّ جِلْدَ الأَرْبَدِ[2]
ونأى الصديقُ فــلا صديقَ أعُدُّه لدِفاع نائبــةِ الزَّمــانِ المُفْسِدِ
فلئـن تركتُــكَ يــا محمدُ ثاوياً لَبِمَا تروحُ مـع الكرامِ وتغتدي
كان الذي يَــزَع العـدوَّ بدفعـه ويردّ نَخْوةَ ذي المِراحِ الأَصْيَدِ
فمضــى لوجهتــه وكلُّ مُعَمَّــرٍ يومــاً سيُدْرِكُــه حِمــامُ الموعدِ

[دخل على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ومدحه فأكرمه]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خَيثمة قال حدّثنا مُصعَب بن عبد الله عن أبيه : أنّ إسماعيل بن يَسار دخل على عبد الملك بن مَروان لمّا أفضى إليه الأمر بعد مقتل عبد الله بن الزُّبير ، فسلَّم ووقف موقف المُنْشِد واستأذَنَ في الإنشاد . فقال له عبد الملك : الآن يا ابن يسار ! إنّما أنت امرؤ زبيريٌّ ، فبأيّ لسان تُنشِد ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأناً من ذلك ، وقد صفحتَ عنْ من هو أعظمُ جُرْماً وأكثرُ غَناءً لأعدائك منّي ، وإنّما أنا شاعر مُضحِك . فتبسَّم عبد الملك ؛ وأومأ إليه الوليد بأن يُنشد . فابتدأ فأنشد قوله : [من الطويل]

ألا يــا لَقَوْمــي لِلرُّقــاد المُسَهَّدِ وللماء ممنوعاً من الحائم الصَّدِي
وللحالِ بعد الحال يركبها الفتى وللحُــبِّ بعـد السَّلْـوة المُتَمَرِّدِ
وللمرء يُلْحَى في التصابي وقبلَه صَبا بالغواني كُلُّ قَــرْمٍ مُمَجَّدِ
وكيف تَناسي القَلْبِ سَلْمى وحُبُّها كَجمْرِ غَضًى بين الشَّراسيف مُوقَدِ

حتى انتهى إلى قوله :

1 الأماعز : جمع أمعز وهو المكان الصلب الكثير الحصى ، والأرض معزاء .
2 الأربد هنا : الأسد .

إليكَ إمامَ النّاسِ من بطنِ يَثْرِبٍ ونِعْـمَ أخو ذي الحاجـةِ المُتَعَمِّدِ
رَحَلْنا لأنّ الجودَ منـك خليقةٌ وأنّـك لم يَذْمُمْ جنابَـك مُجْتَدِي
ملكتَ فزِدتَ النّاسَ ما لم يَزِدْهُم إمـامٌ مـن المعروفِ غيرِ المُصَرَّدِ[1]
وقُمْتَ فلم تنقُض قضاءَ خليفةٍ ولكن بما ساروا من الفعل تقتدي
ولمّا وَلِيتَ المُلْكَ ضاربتَ دونـه وأسندتـه لا تأتـلي خيرَ مُسْنَدِ[2]
جعلتَ هِشامـاً والوليـدَ ذخيرةً ولِـيَّينِ للعهـدِ الوثيـقِ المؤكَّدِ

قال : فنظر إليهما عبدُ الملك متبسِّماً ، والتفت إلى سليمان فقال : أخرجك إسماعيل من هذا الأمر . فقَطَب سليمانُ ونظر إلى إسماعيل نظر مُغْضَب . فقال إسماعيل : يا أمير المؤمنين ، إنّما وَزْنُ الشعر أخرجه من البيت الأوّل ، وقد قلتُ بعده : [من الطويل]

وأمضيتَ عزماً في سليمانَ راشداً ومَنْ يعتصمْ بالله مثلَـك يَرْشُدِ

فأمر له بألفيْ درهمٍ صلةً ، وزاد في عطائه ، وفرض له ، وقال لولده : أَعْطُوه ؛ فأَعطَوْه ثلاثة آلاف درهم .

[استنشده هشام بن عبد الملك فافتخر فرمى به في بركة ماء ونفاه إلى الحجاز]

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة قال ذكر ابن النَّطّاح عن أبي اليقظان : أنّ إسماعيل بن يسار دخل على هِشام بن عبد الملك في خِلافته وهو بالرُّصافة جالسٌ على بركةٍ له في قصره ، فاستنشده وهو يرى أنّه يُنْشِده مديحاً له ؛ فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم : [من البسيط]

يا رَبْعَ رامـةَ بالعَلْياء من رِيمِ هل تَرْجِعَنّ إذا حَيَّيْتُ تسليمي[3]
ما بالُ حَيٍّ غدتْ بُزْلُ المَطِيِّ بهم تَخْـدِي لغربتهـم سَيْراً بتقحيمِ
كأنّني يوم ساروا شاربٌ سلَبتْ فؤادَه قهـوةٌ مـن خَمْرِ دارُومِ[4]

حتى انتهى إلى قوله : [من البسيط]

إنّي وجَدِّك ما عُودي بذي خَوَرٍ عند الحِفاظِ ولا حَوْضي بمهدومِ

---

1 غير مصرد : غير قليل .
2 وأسندته في ل : وساندته .
3 رامة : اسم هضبة أو جبل . ورئم : واد قرب المدينة .
4 داروم : قلعة بعد غزّة في الطريق إلى مصر .

أُصْلي كريمٌ ومجدي لا يُقاس به ... ولي لسانٌ كحَدِّ السَّيْف مسمومِ
أَحْمِي به مجدَ أقوامٍ ذوي حَسَبٍ ... من كلِّ قَـرْمٍ بتاجِ المُلْكِ معمومِ
جَحاجِـحٍ سادةٍ بُـلْـجٍ مَرازِبـةٍ ... جُـرْدٍ عِتـاقٍ مَسامِيحٍ مَطاعِيمِ
مَنْ مثلُ كِسْرى وسابورِ الجنودِ معاً ... والهُرْمُـزانِ لفخـرٍ أو لتعظيمِ
أُسْدُ الكتائبِ يوم الرَّوْع إن زَحَفُوا ... وهمْ أذلُّـوا ملوكَ التُّركِ والرُّومِ
يمشُون في حَلَق المـاذِيِّ سابغةً ... مَشْيَ الضَّراغِمـةِ الأُسْدِ اللَّهاميمِ
هناك إنْ تسألي تُنْبَيْ بـأنّ لنـا ... جُرْثومـةً قَهَرتْ عِـزَّ الجراثيمِ

قال : فغضِب هشامٌ وقال له : يا عـاضَّ بَظْرِ أمّه ! أعليّ تفخَر وإيَّايَ تُنْشِد قصيدةً تمدح بهـا نفسك وأعلاجَ قومـك ؟ غُطُّوه في المـاء ، فغَطُّوه في البركـة حتى كادت نفسه تخرُج ، ثم أمر بإخراجه وهو بشَرٍّ ونفاه من وقتِه ، فأُخرِج عن الرُّصافة منفِيّاً إلى الحجاز . قال : وكان مبتلًى بالعصبيّة للعجم والفخر بهم ، فكان لا يزال مضروباً محروماً مطروداً .

[مدح الوليد والغمر ابنَيْ يزيد فأكرماه]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي خيثمة قال قال ابن النطّاح وحدّثني أبو اليقظان : أنّ إسماعيل بن يَسار وَفَد إلى الوليد بن يزيد ، وقد أسنّ وضعُف ، فتوسَّل إليه بأخيه الغَمر ومَدحه بقوله : [من الطويل]

نأتْـكَ سُلَيْمى فالهَوى مُتَشاجِرُ ... وفي نَـأْيِهـا للقلـبِ داءٌ مُخامِرُ
نأتْك وهام القلبُ ، نأياً بذكرها ... ولَـجّ كما لـجّ الخليـعُ المُقامِرُ[1]
بواضحةِ الأقرابِ خَفّاقـةِ الحَشا ... بَرَهْرَهـةٍ لا يَجْتَوِيهـا المُعاشِرُ[2]

يقول فيها يمدح الغَمْرَ بن يزيد :

إذا عَـدَّد الناسُ المكـارمَ والعُلا ... فلا يَفْخَرَنْ يوماً على الغَمْرِ فاخرُ
فما مرَّ من يومٍ على الدهرِ واحدٍ ... على الغَمْرِ إلاّ وهو في الناسِ غامِرُ
تراهم خشوعاً حين يبدو مهابةً ... كما خَشَعَتْ يوماً لكِسْرى الأساوِرُ

1 نأياً في ل : جهلاً .
2 الأقراب : جمع قرب وهي الخاصرة . برهرهة : المرأة البيضاء الشابة الناعمة .

أغَـــرُّ بِطاحِـيٌّ كأنّ جبينَـه إذا مـا بـدا بدرٌ إذا لاح باهرُ
وَقَى عِرْضَه بالمـالِ فالمالُ جُنَّـةٌ له وأهانَ المـالَ والعِرْضُ وافرُ
وفي سَيْبِـه للمجتديـن عِمـارةٌ وفي سَيْفِـه للدِّين عِـزٌّ وناصِرُ
نَماه إلى فَرْعَيْ لُـؤَيِّ بن غالبٍ أبوه أبو العاصي وحَرْبٌ وعامِرُ
وخمسةُ آبـاءٍ لـه قـد تتابعـوا خلائـفُ عَـدْلٍ مُلْكُهُمْ مُتواتِرُ
بَهالِيلُ سَبَّاقون في كلِّ غايـةٍ إذا استبقتْ في المَكْرُماتِ المَعاشِرُ
همُ خيرُ مَنْ بين الحَجُون إلى الصَّفا إلى حيثُ أفضتْ بالبِطاح الحَزاوِرُ[1]
وهمْ جمعوا هذا الأنامَ على الهُدى وقـد فرّقتْ بـين الأنامِ البصائرُ

قال : فأعطاه الغَمر ثلاثة آلاف درهم وأخذ له من أخيه الوليد ثلاثة[2] آلاف درهم .

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيثمة عن مُصعب قال : لمّا مات محمد بن يسار ، وكانت وفاته قبل أخيه ، دخل إسماعيل على هشام بن عروة ، فجلس عنده وحدّثه بمصيبته ووفاة أخيه ، ثم أنشده يرثيه : [من الكامل]

عِيلَ العَـزاءُ وخانـني صَبْري لمّـا نَعَـى الناعـي أبـا بَكْرِ
ورأيتُ رَيْبَ الدَّهْـرِ أفردني منـه وأسْلَم للعِـدا ظهري
من طَيِّبِ الأثـوابِ مُقْتَبِلٍ حُلْوِ الشمائـلِ ماجـدٍ غَمْرِ
فمضـى لوِجْهتـه وأدركـه قَـدَرٌ أُتِيـحَ لـه مـن القَدْرِ
وغَبَرتُ مـالي مـن تَذَكُّرِه إلاّ الأَسَى وحـرارةُ الصدرِ[3]
وجَـوًى يُعاوِدُني وقَـلَّ لـه منِّي الجوى ومَحاسِنُ الذِّكْرِ
لمّـا هوتْ أيدي الرِّجالِ بـه في قَعْـرِ ذات جَوانـبٍ غُبْرِ
وعلمـتُ أنّي لـن أُلاقِيَـه في الناسِ حتَّـى ملتقَى الحَشْرِ
كادتْ لِفُرْقتـه ومـا ظلمتْ نَفْسي تموتُ على شَفا القبرِ
ولَعمْرُ مَـنْ حُبِس الهَدِيُّ له بالأَخْشَبَيْنِ صَبِيحـةَ النَّحْرِ[4]

1 الحزاور : جمع حزورة وهي الرابية الصغيرة .
2 ل : خمسة .
3 غبر هنا : مكث وبقي .
4 الأخشبان : جبلان .

لـو كان نيـلُ الخُلْدِ يُدركه بَشَرٌ بطِيـبِ الخيـمِ والنَّجْرِ
لَغَبَرْتَ لا تخشى المَنُونَ ولا أَوْدى بنفسك حادثُ الدَّهرِ
ولِنعْـمَ مـأوى المُرْمِلـينَ إذا قُحِطوا وأَخلفَ صائبُ القَطْرِ
كم قلتُ آونةً وقـد ذَرَفتْ عيني فمـاءُ شؤونها يجري
أنَّى وأيُّ فتًـى يكـون لنا شَرْواكَ عنـد تَفاقُـمِ الأَمرِ
لِدفاع خَصْمٍ ذي مُشاغَبَةٍ ولِعائـلٍ تَـرِبٍ أخـي فَقْرِ
ولقد علمتُ وإنّ ضمنتُ جَوًى ممّـا أجِـنّ كَواهِج الجَمْرِ
مـا لامرىءٍ دون المنيَّةِ مِنْ نَفَـقٍ فيُحْـرِزُه ولا سِتْرِ

قال : وكان بحضرة هشام رجلٌ من آل الزُّبير ، فقال له : أحسنتَ وأسرفتَ في القول ، فلو قلتَ هذا في رجلٍ من ساداتِ قريش لكان كثيراً . فزجره هشام وقال : بئس والله ما واجهتَ به جليسَك ؛ فشكره إسماعيل ، وجزاه خيراً . فلمّا انصرف تناولَ هشامٌ الرجلَ الزُّبيريّ وقال : ما أردتَ إلى رجلٍ شاعر مَلَك قولَه فصرَف أحسنَه إلى أخيه ! ما زدتَ على أن أغريته بعِرْضِك وأعراضِنا لولا أنّي تَلافيتُه . وكان محمد بن يَسار أخو إسماعيل هذا الذي رثاه شاعراً من طبقة أخيه ؛ وله أشعار كثيرة . ولم أَجِد له خبراً فأذكُرَه ، ولكن له أشعار كثيرة يغنّى فيها . منها قوله في قصيدة طويلة : [من الهزج]

صوت

غَشِيتُ الدارَ بالسَّنَدِ دُوَيْنَ الشِّعْبِ من أُحُدِ
عَفَتْ بعدي وغيَّرها تَقادُمُ سالِفِ الأَبَدِ

الغناء لحَكَم الواديّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشاميّ .

ولإسماعيل بن يسار ابنٌ يقال له إبراهيم ، شاعرٌ أيضاً ، وهو القائل : [من المتقارب]

مضى الجهلُ عنكَ إلى طِيَّتِهْ وآبَكَ حِلْمُـك مـن غَيْبَتِهْ
وأصبحتَ تَعْجَـبُ ممّـا رأيـ ـتَ من نَقْضِ دَهْرٍ ومن مِرَّتِهْ

وهي طويلة يفتخر فيها بالعجم كَرِهتُ الإطالةَ بذكرها .

انقضت أخباره .

صوت[1]

[من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً وأَيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رَمَى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ كحاشية البُرْدِ اليَمانيّ المُنَمِمِ[2]

عروضه من الطويل ، الشعر للنابغة الجعديّ . والغناء للهذليّ في اللحن المختار ، وطريقته من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ونذكر هاهنا سائر ما يغنّى به في هذه الأبيات وغيرِها من هذه القصيدة ونَنْسُبه إلى صانعه ، ثم نأتي بعده بما يتبعه من أخباره . فمنها على الوِلاء سوى لَحن الهُذَليّ[3] : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصراً وأيسَر جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرّ بطعنةٍ كحاشيةِ البُرْد اليمانيّ المسهَّمِ
أيا دارَ سَلْمَى بالحَرَورِيّةِ اسْلَمي إلى جانبِ الصَّمَّان فالمُتَثَلِّمِ[4]
أقامتْ بـه البَرْدَيْن ثم تَذكّرتْ منازلَها بين الدَّخُولِ فَجُرْثُمِ
ومسكنَها بين الغُروب إلى اللِّوى إلى شُعَبٍ ترعَى بِهِنّ فَعَيْهَمِ
ليالِيَ تَصطادُ الرجالَ بفاحمٍ وأبيضَ كالإغريض لَم يتَثَلَّمِ

في البيت الأوّل والثاني لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ آخرُ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيهما لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغَريض في الثالث والرابع والأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الثالث والأوّل ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر ذلك أبو العَنْبَس والهِشاميّ . وللغَريض في الرابع ثم الأوّل خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في رواية عمرو بن بانة . ولمعبدٍ فيهما وفي الخامس والسادس خفيف ثقيل من رواية أحمد بن المكيّ . ولابن سريج في الخامس والسادس ثقيل أوّل بالبنصر من رواية عليّ بن يحيى المنجّم ، وذكر غيره أنّه للغريض . ولإبراهيم فيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لمعبد . ولابن مُحرِز في

1 ديوان النابغة الجعدي .
2 المنمم في الديوان : المسهّم .
3 ديوان النابغة الجعدي : 137–147 .
4 الصمان والمتثلم والدّخول وجرثم والغروب وعيهم : كلّها مواضع .

الأوّل والثاني والثالث والرابع هَـزَجَ ، ذكر ذلك أبو العَنْبَس ، وذكر قُمْرِيّ أنّه لأبي عيسى بن المتوكّل لا يشكّ فيه . وللدَّلال في الخامس والسادس ثاني ثقيلٍ عن الهشاميّ ، وذكر أبو العَنْبَس أنّه للهُذَليّ . ولعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في الرابع خفيف رَمَلٍ . ولإسحاق في الثالث والرابع أيضاً ماخُوريّ ، ولمعبد خفيف ثقيلٍ أوّل بالوسطى فيهما ، وقيل : إنّه لحنه الذي ذكرنا متقدّماً ، وإنّه ليس في هذا الشعر غيره . وذكر حبشٌ أنّ في هذه الأبيات التي أوّلها : «كليبٌ لعمري» خفيف رملٍ بالوسطى ، وللهُذليّ خفيف ثقيلٍ بالبنصر ، وللدَّلال رملٌ ؛ فذلك ثمانية عَشَرَ صوتاً[1] . وأخبرني محمد بن إبراهيم قريص أنّ له فيهما (أعني الأوّل والثاني) خفيفاً بالوسطى .

* * * *

1 ل : لحناً .

الفهرس

[43] ـ ذكر نسب أبي العتاهية وأخباره 5
[44] ـ أخبار فريدة 90
[45] ـ ذكر أُميَّة بن أبي الصَّلْت ونسبه وخبره 96
[46] ـ أخبار حسّان بن ثابت ونسبه 105
[47] ـ ذكر الخبر عن غَزاة بدر 127
[48] ـ نسب عَلَس ذي جَدَنٍ وأخباره 156
[49] ـ أخبار طويس ونسبه 157
[50] ـ ذكر الأحوص وأخباره ونسبه 161
[51] ـ ذكر خبر الدَّلال وقصّته حين
خُصِيَ ومَن خُصِيَ معه والسبب في ذلك وسائر أخباره 190
[52] ـ ذكر طريح وأخباره ونسبه 212
[53] ـ ذكر ابن مِشعبٍ وأخباره 225
[54] ـ ذكر أخبار أبي سعيد مولى فائد ونسبه 231
[55] ـ ذكر مَنْ قتل أبو العبّاس السفّاح من بني أميّة 240
[56] ـ ذكر حُمَيد بن ثور ونسبه وأخباره 249
[57] ـ أخبار فليح بن أبي العوراء 251
[58] ـ ذكر ابن هرمة وأخباره ونسبه 257
[59] ـ ذكر أخبار يونس الكاتب 277
[60] ـ أخبار ابن رُهيمة 283
[61] ـ أخبار إسماعيل بن يَسار ونسبه 285

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد الخامس

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

5

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان.

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahāni)

ISBN 9953-13-045-0

[62] ـ ذكر النابغة الجَعْديّ ونسبه وأَخباره[1] والسبب الذي من أَجله قيل هذا الشعر

[نسبه]

هو ، على ما ذكر أَبو عمرو الشَّيبانيّ والقَحْذَميّ ، وهو الصحيح ، حِبّان بن قيس بن عبد الله بن وَحْوَح بن عُدَس ، وقيل ابن عمرو بن عُدَس مكان وحوح ، ابن رَبيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . هذا النسب الذي عليه الناس اليومَ مجتمعون . وقد روى ابن الكَلْبيّ وأَبو اليَقْظان وأَبو عُبيدة وغيرُهم في ذلك رواياتٍ تُخالف هذا ، فمنها أَنّ ابن الكلبيّ ذكر عن أَبيه أَنّ خَصَفة الذي يقول الناس إنّه ابن قيس بن عَيْلان ليس كما قالوا ، وأَنّ عِكْرِمة ابنُ قيس بنِ عَيْلان وخَصَفة أُمّه ، وهي امرأة من أَهل هَجَر . وقيل : بل هي حاضنته ؛ وكان قيس بن عَيْلان قد مات وعِكْرِمة صغير فربّته حتى كبِر ، وكان قومه يقولون : هذا عكرمة بن خَصَفة ، فبقيت عليه ؛ ومَن لا يعلم يقول : عِكرمة بن خَصَفة بن قيس ، كما يُقال خِنْدِف ، وإِنّما هي امرأَة وزوجها إلياس بن مضر . وقالوا في صَعْصَعة بن معاوية : إنّ الناقميّة بنت عامر بن مالك ، وهو الناقم ، سُمِّي بذلك لأَنّه انتقم بلطمةٍ لُطِمها ، وهو ابن سعد بن جَدّان[2] بن جَديلة بن أَسد بن ربيعة بن نِزار ، كانت عند معاوية بن بكر بن هَوازن فمات عنها أَو طلَّقها وهي نسءٌ[3] ، فتزوّجها سعد بن زيد مَناة بن تميم ، فولدتْ على فراشه صعصعةَ بن معاوية ، ثم ولدت هُبَيْرة ونَجْدَة وجُنادة ؛ فلمّا مات سعد اقتسم بنوه الميراثَ وأَخرجوا صعصعةَ منه ، وقالوا : أَنتَ ابن معاوية بن بكر ؛ فلمّا رأَى ذلك أَتى بني معاوية بن بكر فأَقرّوا بنسبه ودفَعوه عن الميراث ؛ فلمّا رأَى ذلك أَتى سعدَ بن الظَّرِب العَدْوانيّ فشكا إليه ما لقِي ، فزوّجه بنتَ أَخيه عَمْرة بنت عامر بن الظَّرِب ، وأَبوها

---

1 ترجمة النابغة الجعدي في طبقات ابن سلام 123–131 والشعر والشعراء : 208–214 ومعجم المرزباني 195 وكتاب المعمرين رقم : 66 والخزانة 3 : 167–173 والموشّح : 64 وأُسد الغابة والإصابة والاستيعاب وانظر بروكلمان 1 : 232 وقد جمعت أشعاره ماريا نلينو ، وقد اعتمدنا هنا طبعة المكتب الإسلاميّ للطباعة والنشر ، بيروت ، 1964 .

2 ل : خندف .

3 النسء : المرأة يظنّ بها الحمل لتأخّر الحيض .

عامر الذي يُقال له : ذو الحِلْم ؛ وعَمْرة ابنته هذه هي التي كانت تَقرَع له العصا إذا سها في الحكم ؛ وله يقول الشاعر[1] :

لذي الحِلْم قبلَ اليوم ما تُقرَع العصا وما عُلِّم الإنسانُ إلاّ ليَعْلَما

قال : وكانت عَمْرَة يوم زوَّجها عمُّها نسئاً من ملك من ملوك اليمَن يُقال له : الغافِق بن العاصي الأَزْدِيّ ، والمُلْك يومئذٍ في الأَزْد ، فولَدت على فراش صعصعة عامرَ بن صعصعة ، فسمّاه صعصعةُ عامراً بجَدِّه عامر بن الظَّرِب . وقال في ذلك حبيب بن وائل بن دُهْمان بن نصر بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن : [من الكامل]

أَزعمتَ أَنَّ الغافقيّ أَبوكم نسبٌ لَعَمْرُ أَبيك غيرُ مُفَنَّدِ
وأَبوكم ملِكٌ يُنتِّفُ باسته هَلْباء عافيةً كعُرف الهُدْهُدِ
جَنَحتْ عجوزُكُمُ إليه فردَّها نسئاً بعامركم ولّما يُويدِ[2]

ويكنى النابغةُ أَبا ليلى .

وأَخبرنا أَبو خَليفة عن محمَّد بن سلاَّم قال : هو قيس بن عبد الله بن عُدَس بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقال ابن الأَعرابيّ : هو قيس بن عبد الله بن عمرو بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة بن كعب بن ربيعة ، ووافق ابنَ سلاّم في باقي نسبه . وهذا وَهْمٌ ممّنْ قال : إنّ اسمه قيس[3] ؛ وليس يُشَكّ في أَنّه كان له أَخ يُقال له وَحْوَح بن قيس ، وهو الذي قتله بنو أَسد ؛ وخبره يُذكر بعد هذا ليصدق نسب النابغة .

وأُمّه فاخرة بنت عمرو بن جابر بن شِحْنة الأَسَديّ .

[سبب لقبه النابغة]

وإنّما سُمِّي النابغةَ لأَنّه أَقام مدّةً لا يقول الشِّعر ثم نبغَ فقاله .

أَخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمَّاد قرأْتُ على القَحْذميّ : قال الجعديّ الشِّعرَ في الجاهليّة ثم أَجْبَلَ[4] دهراً ثم نبَغَ بعدُ في الشِّعر في الإسلام .

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عمَّار عن محمَّد بن حبيب عن ابن الأَعرابيّ قال : أَقام النابغة الجعديّ ثلاثين سنة لا يتكلَّم ، ثم تكلَّم بالشِّعر .

---

1 تقدّم بيت المتلمس هذا في ترجمة ذي الإصبع العدواني . وانظر المثل في مجمع الميداني 1 : 37 ومستقصى الزمخشري 1 : 408 .

2 يُويد في ل : يولد .

3 انظر بشأن اسمه والخلاف فيه (أهو قيس بن عبد الله أم عبد الله بن قيس) مصادر ترجمته .

4 أجبل الشاعر : صعب عليه قول الشعر .

[عمره وشِعره فيه]

قال القَحْذميّ في رواية حمَّاد عنه : كان الجعديّ أسنَّ من نابغة بني ذُبْيان .

قال ابن سلاَّم في رواية أَبي خَليفة عنه : كان الجعديّ النابغةُ قديماً شاعراً طويلاً مُفلِقاً طويل البقاء في الجاهليّة والإسلام ، وكان أكبر من الذُّبياني ؛ ويدُلّ على ذلك قولُه[1] : [من الوافر]

ومَن يـكُ سائلاً عنّي فإنِّي ... مـن الفِتيـان أيّـامَ الخُنانِ[2]

أتت مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه ... وعَشْرٌ بعـد ذاك وحِجَّتـانِ

فقد أبقتْ خطوبُ الدَّهر منِّي ... كما أبقتْ من السيفِ اليَماني

قال وعُمِّر بعد ذلك عُمراً طويلاً . سُئل محمَّد بن حبيب عن أيّام الخُنان ما هي ؟ فقال : وقعةٌ كانت لهم ؛ فقال قائل منهم وقد لقُوا عدوَّهم : خنُّوهم[3] بالرماح ، فسُمِّيَ ذلك العامُ الخُنانَ . ويدلُّ على أنَّه أقدم من النابغة الذُبيانيّ أنَّه عُمِّر مع المُنذر بن المُحرِّق قبل النعمان بن المنذر ، وكان النابغة الذُبيانيّ مع النعمان بن المنذر وفي عصره ، ولم يكن له قِدَمٌ إلاّ أنَّه مات قبل الجَعْديّ ، ولم يُدرِك الإسلام . وقد أدركه الجعديّ الذي يقول[4] : [من الطويل]

تَذكَّرتُ شيئاً قـد مَضى لسبيلِهِ ... ومِنْ عـادةِ المحـزونِ أن يَتَذكَّرا

نَدَامـايَ عند المُنـذر بنِ مُحـرِّقٍ ... أرى اليومَ منهم ظاهرَ الأرض مُقفِرا

كُهـولٌ وفِتيـانٌ كأنَّ وجوهَهـم ... دنانيرُ ممّا شِيفَ في أرضِ قَيصَرا[5]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم عمَّن كان يأخذ العِلمَ عنه ولم يُسمِّ إليَّ أحداً في هذا : أنّ النابغة عُمِّر مائة وثمانين سنة ، وهو القائل[6] : [من المتقارب]

لبِستُ أُنـاساً فأفنيتُهـم ... وأفنيـتُ بعد أُنـاسٍ أُناسا

ثلاثـةَ أهلِـينَ أفنيتُهـم ... وكان الإلـه هُوَ المُستآسَا[7]

وهي قصيدة طويلة ، يقول فيها ، وفيه غناء :

---

1 شعر النابغة الجعدي : 160–163 .

2 رواية الشطر الأول في الشعر والشعراء : «ومن يحرص على كبري فاني» . الخنان : داء يأخذ بالإبل في مناخرها وتموت منه .

3 خنوهم : اقطعوهم .

4 انظر رائية النابغة (رقم 3 أ) في مجموع شعره : 35–59 وهناك بعض اختلاف في الرواية .

5 شيف الدينار أو السيف : جلي .

6 شعره : 77–80 .

7 المستآس : المستعان .

صوت

وكنتُ غُلامـاً أُقاسي الحُرو ... بَ يَلْقى المُقاسون منِّي مِراسَا
فلمّـا دَنَوْنـا لجَرْسِ النُّبـا ... حِ لَم نعرِف الحيَّ إلاّ التماسا
أَضاءتْ لنا النَّـارُ وجهاً أَغَرَّ ... مُلتبساً بالفُـــؤادِ التبـاسا

غنّى في هذه الثلاثة الأبيات فُلَيح بن أَبي العَوْراء خفيفَ ثقيل أَوَّلَ بالوسطى .

رجع الخبر إلى رواية عمرَ بن شبَّة :

قال : وقال أَيضاً : [من الوافر]

أَلا زعمتْ بنُو سعدٍ بأَنِّي ... أَلا كذَبـوا كبيرُ السنِّ فاني
أَتتْ مائةٌ لعامَ وُلدتُ فيه ... وعشرٌ بعـد ذاك وحِجَّتانِ

قال : وأَنشد عمرَ بنَ الخطّاب رضي الله تعالى عنه أَبياتَه التي يقول فيها : [من المتقارب]

ثلاثـةَ أَهلـينَ أَفنيتُهم

فقال له عمر رضي الله تعالى عنه : كم لبِثتَ مع كلّ أَهل ؟ قال : ستِّين سنة .

[شعره مشؤوم]

وأَخبرني بعض أَصحابنا عن أَبي بكر بن دُريد عن عبد الرَّحمن ابن أَخي الأَصمعيّ عن عمِّه قال : أُنشِد رجلٌ من العجم قولَ النابغة الجعديّ : [من المتقارب]

لبِستُ أُناساً فأَفنيتُهم ... وأَفنيتُ بعد أُناسٍ أُناسا

[قيل إنّه عاش 220 سنة]

وفُسِّر له ، فقال : «بدِين شان بود» ، أَي هذا رجل مشؤوم . وأَمّا ابن قُتيبة فإنَّه ذكر ما رواه لنا عنه إبراهيم بن محمَّد أَنَّه عُمِّر مائتين وعشرين سنة ، ومات بأَصْبهان . وما ذاك بمُنكَر ؛ لأَنَّه قال لعمر رضي الله تعالى عنه : إنَّه أَفنى ثلاثةَ قرون كلّ قرن ستّون سنة ، فهذه مائةٌ وثمانون ، ثمّ عُمِّر بعده فمكَث بعد قَتْل عمر خلافةَ عثمان وعليّ ومعاوية ويزيد ، وقدِم على عبد الله بن الزبير بمكّة وقد دَعا لنفسه ، فاستماحه ومدَحه ؛ وبين عبد الله بن الزبير وبين عمر نحوٌ ممّا ذكر ابنُ قتيبة ؛ بل لا أَشكُّ أَنَّه قد بلَغ هذه السنّ . وهاجى أَوْسَ بن مَغْراء بحضرة الأَخطل والعَجّاج وكعب بن جُعَيل فغلبه أَوسٌ ، وكان مُغَلَّباً .

[دعاء النبيّ له]

حدَّثنا أَحمد بن عمر بن موسى القَطّان المعروف بابن زَنْجَوَيْهِ قال حدَّثنا إسماعيل بن عبد الله السكَّريّ قال حدَّثنا يَعْلى بن الأَشْدق العُقَيليّ قال حدَّثني نابغة بني جَعْدة قال :

أنشدتُ النبيَّ ﷺ هذا الشِّعرَ فأعجِب به : [من الطويل]

بلغنا السَّماءَ مَجدُنا وجدودُنا وإنا لنَبْغِي فـوقَ ذلك مَظْهَرا

فقال النبيُّ ﷺ : «فأين المَظْهرُ يا أبا ليلى» ؛ فقلت : الجنَّة ؛ فقال : «قُل إن شاءَ الله» ؛ فقلتُ : إن شاءَ الله . [من الطويل]

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذا لَمْ يكُن لَهُ بَوادِرُ تَحْمِي صَفْوَه أن يُكَدَّرَا

ولا خيرَ في جهلٍ إذا لَمْ يكُن لَهُ حَليمٌ إذا ما أَوْرَدَ الأمرَ أَصْدَرَا

فقال النبيُّ ﷺ : «أَجَدْتَ لا يَفْضُضِ اللهُ فاك» ؛ قال : فلقد رأيته وقد أتت عليه مائة سنة أو نحوُها وما انفضَّ مِن فِيهِ سِنّ .

[تجنّب الخمر والأزلام والأوثان]

أخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني أبو حاتم قال أخبرنا أبو عُبيدة قال : كان النابغة الجَعْديّ ممَّن فكَّر في الجاهليّة وأنكر الخمرَ والسُّكر وما يفعل بالعقل وهَجر الأزلام والأوثان وقال في الجاهليّة كلمتَه التي أوَّلها[1] : [من المنسرح]

الحمدُ للهِ لا شريـكَ لَـهُ مَن لَمْ يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

وكان يذكر دينَ إبراهيم والحنيفيّة ، ويصوم ويستغفِر ، ويتوقَّى أشياء لعواقبها .

[وفد على النبيّ وأسلم]

ووفَد على النبيِّ ﷺ فقال : [من الطويل]

أتيتُ رسولَ الله إذ جـاءَ بالهُدى ويتلـو كتابـاً كالمَجَـرَّةِ نَيِّرَا

وجاهدتُ حتى ما أُحِسّ ومَن معي سُهَيْلاً إذا مـا لاح ثُمَّتَ غَوّرَا

أُقيـم على التَّقوى وأرضى بفعلها وكنتُ مِنَ النَّارِ المَخُوفـةِ أَوْجَرَا[2]

[استأذن عثمان في سكنى البادية]

وحسُن إسلامُه ، وأنشد النبيَّ ﷺ ؛ فقال له : «لا يَفْضُضِ اللهُ فاك» ؛ وشهِد مع عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه صِفِّينَ . وقد ذُكِر خبره مع عمر رضي الله عنه ؛ وأمّا خبره مع عثمان فأخبرنا به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال قال مَسْلَمةُ بن مُحارِب : دخل النابغة الجعديّ على عثمان رضي الله تعالى عنه فقال : أستودعكَ اللهَ يا أمير المؤمنين ؛ قال : وأينَ تريد يا أبا ليلى ؟ قال : أَلْحَقُ بإبلي فأشرَبُ من ألبانها فإنّي مُنكِر لنفسي ؛

1 شعر النابغة : 132 .

2 أوجر : خائف .

فقال : أَتَعَرُّباً[1] بعد الهجرة يا أَبا ليلى ؟ أَما علمتَ أَنّ ذلكَ مكروه ؟! قال : ما علمتُه ، وما كنت لأَخرجَ حتّى أُعلِمَك . قال : فأَذِن له ، وأَجَّل له في ذلك أَجلا ، فدخل على الحسن والحسين ابني عليّ فودّعهما ؛ فقالا له : أَنشِدْنا من شعرك يا أَبا ليلى ؛ فأَنشدهما : [من المنسرح]

الحمدُ لله لا شريكَ لهُ مَن لَمْ يقُلْها فنفسَه ظلَمَا

فقالا : يا أَبا ليلى ، ما كنّا نروي هذا الشعرَ إلاّ لأُميّة بن أَبي الصَّلت ؛ فقال : يا ابنيْ رسول الله ﷺ إنّي لصاحبُ هذا الشعر وأَوّل مَن قاله ، وإنّ عين السروق لَمن سرَق شعرَ أُميّة .

[كان مغلباً في الهجاء]

قال أَبو زيد عمرُ بن شَبَّة في خبره : كان النابغة شاعراً متقدِّماً ، وكان مغلَّباً ما هاجى قطّ إلاّ غُلِب ، هاجى أَوسَ بن مَغْراء وليلى الأَخيليّة وكعبَ بن جُعَيل فغلبوه جميعاً .

[مهاجاته أوس بن مغراء]

وقال أَبو عمرو الشَّيْباني : كان بدءُ حديث النابغة وأَوس بن مغراء أَنّ معاوية لمّا وجَّه بُسْرَ بن أَرْطاة الفِهْريّ لقتل شيعة عليّ بن أَبي طالب رضي الله تعالى عنه ، قام إليه معنُ بن يزيد بن الأَخنَس السُّلَميّ وزياد بن الأَشهب بن وَرْد بن عمرو بن رَبيعة بن جَعْدة ، فقالا : يا أَمير المؤمنين ، نسأَلك بالله وبالرحم أَلاّ تجعل لبُسْر على قيس سلطاناً ، فيقتل قيساً بمَن قتلتْ بنو سُلَيم من بني فِهْر وبني كِنانة يومَ دَخل رسول الله ﷺ مكّة ؛ فقال معاوية : يا بُسر لا أَمْرَ لكَ على قيس ؛ وسارَ بُسْرٌ حتّى أَتى المدينة ، فقتَل ابنَيْ عُبيد الله بن العبّاس ، وفرَّ أَهل المدينة ودخلوا الحرَّة (حرَّةَ بني سُلَيم) . ثم سارَ بُسر حتّى أَتى الطائف ؛ فقالت له ثَقيف : ما لكَ علينا سلطان ، نحن من قيس ؛ فسار حتى أَتى هَمْدان وهم في جبل لهم يُقال له شِبَام ، فتحصَّنت فيه همدان ، ثم نادَوْا : يا بُسر نحن هَمْدان وهذا شِبَام ، فلم يلتفت إليهم ، حتّى إذا اغترّوا ونزلوا إلى قُراهم ، أَغار عليهم فقتل وسبى نساءهم ؛ فكُنَّ أَوّلَ مسلماتٍ سُبينَ في الإسلام . ومرَّ بحيّ من بني سعد نُزُولٍ بين ظَهْرَيْ بني جَعْدة بالفَلج[2] ، فأَغار بُسْر على الحيّ السَّعْديين فقتل منهم وأَسَر ؛ فقال أَوْس بن مَغْراء في ذلك : [من الطويل]

مُشِرِّين ترعَوْن النَّجيل وقد غَدتْ بأَوصال قَتْلاكم كِـــلابُ مُزاحِمِ

المُشِرّ : الذي قد بسَط ثوبه في الشمس . والنجيل : جنس من الحَمْض. فقال النابغة

1 التعرّب : أن يصير المرء أَعرابيّاً بعد أن كان مهاجراً ، وقد عدَّ الرسولُ ذلك من الكبائر .

2 الفلج : موضع أو ماء .

يجيبه[1] : [من الوافر]

متى أَكلتْ لُحومَكُم كِلابي أَكلْتَ يديكَ من جَرَبٍ تَهامِ[2]

أَخبرنا أَبو خليفة الفضل بن الحُباب مِمَّا أَجاز لنا روايتَه عنه من حديثه وأَخباره مِمّا ذكره منها عن محمَّد بن سلاَّم الجُمَحيّ عن أَبي الغَرَّاف ، وأَخبرنا به أَحمد بن عبد العزيز وحَبيب بن نَصر ، قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة عن محمَّد بن سلاَّم عن أَبي الغَرَّاف : أَنّ النابغة هاجى أَوسَ بن مَغْراء ؛ قال : ولَم يكن أَوس مثلَه ولا قريباً منه في الشِّعر ؛ فقال النابغة : إِنِّي وإِيَّاه لَنبتَدِر بيتاً ، أَيُّنا سبَق إِليه غلَب صاحبَه ؛ فلمّا بلَغه قولُ أَوس : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما تَبْلَى سَرابيلُ عامرٍ من اللؤم ما دامتْ عليها جلودُها

قال النابغة : هذا البيت الذي كنّا نَبتدِر إِليه . فغُلِّب أَوسٌ عليه .

قال أَبو زيد : فحدَّثني المدائنيّ أَنّهما اجتمعا في المِرْبَد فتنافرا وتهاجيا ، وحضَرهما العَجَّاجُ والأَخطل وكعب بن جُعَيل ، فقال أَوْس : [من الرجز]

لَمّا رأَتْ جَعدةُ منّا وِرْدَا ولَوْا نَعاماً في البلادِ رُبْدَا

إِنَّ لَنا عليكُمُ مَعَدّا كاهلَها وركنَها الأَشَدَّا

فقال العَجَّاج : [من الرجز]

كلّ امرىءٍ يَعْدو بما استعدّا

وقال الأَخطل يُعين أَوسَ بن مغراء ويحكُم له : [من الطويل]

وإِنّي لقاضٍ بين جَعدةِ عامرٍ وسَعدٍ قضاءً بَيِّنَ الحقِّ فَيْصلا

أَبو جعدةَ الذئبُ الخبيثُ طَعامُه وعَوفُ بن كعبٍ أَكرمُ الناس أَوَّلا

وقال كعب بن جُعَيل : [من البسيط]

إِنّي لقاضٍ قضاءً سوف يتبعه مَنْ أَمَّ قَصْداً ولم يَعدِل إِلى أَوَدِ[3]

فَصْلاً من القولِ تَأْتَمُّ القضاةُ به ولا أَجُور ولا أَبغِي على أَحدِ

ناكت بنو عامرٍ سعداً وشاعرَها كما تَنِيك بنو عَبْس بني أَسدِ

1 شعر النابغة : 201 .

2 تهام : منسوب إلى تهامة . وقارن بالنقائض : 717 .

3 أود : عوج .

[مهاجاته ليلى الأخيليّة]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان سبب المهاجاة بين ليلى الأخيليّة وبين الجعديّ أنَّ رجلاً من قُشَير ، يُقال له ابن الحَيا (وهي أُمّه) واسمه سَوّار بن أَوْفى بن سَبْرة ، هجاه وسبَّ أخوالَه من أَزْد في أمرٍ كان بين قُشير وبين بني جَعْدة وهم بأصبهان متجاورون ، فأجابه النابغة بقصيدته التي يُقال لها الفاضحة[1] ، سُمِّيت بذلك لأنّه ذكر فيها مساويَ قُشير وعُقيل وكلَّ ما كانوا يُسبّون به ، وفخَر بمآثر قومه وبما كان لسائر بطون بني عامر سوى هذين الحيَّين من قُشير وعُقيل : [من الطويل]

جَهِلتَ عليّ ابنَ الحيا وظلمتَني وجَمّعت قولاً جاء بيتاً مُضلّلا

وقال في هذه القصّة أيضاً قصيدتَه التي أوَّلها[2] : [من البسيط]

إمّا تَرَيْ ظُلَلَ الأيّامِ قد حَسَرَتْ عنّي وشَمّرتُ ذَيلاً كانَ ذَيّالا[3]

وهي طويلة ، يقول فيها :

ويــومَ مكّــةَ إذْ ماجَدْتُــمُ نَفَراً حامَوْا على عُقَد الأحسابِ أَزْوالاَ[4]
عند النّجاشيّ إذ تُعطونَ أيديَكم مُقرَّنـــين ولا تَرجُــون إرْسالا
إذ تَستحِبُّونَ عند الخَذْل أنّ لكم مِنْ آلِ جَعْـدة أعمامـاً وأخْوالا
لو تستطيعون أنْ تُلْقــوا جُلودَكُمُ وتجعلــوا جِلْـدَ عبد الله سِرْبالا

يعني عبدَ الله[5] بن جَعدة بن كعب :

إذاً تسرْبلتُــم فيــه ليُنجيَكم مِمّا يقولُ ابنُ ذي الجَدَّينِ إذْ قالا
حتَّى وَهبتم لعبد الله صاحبَه والقولُ فيكم بإذن اللهِ ما فالا[6]
تلك المكارمُ لاقَعْبانِ من لَبنٍ شِيبَا بماءٍ فعادا بعـدُ أبْوالا

يعني بهذا البيت أنّ ابن الحَيا فَخر عليه بأنّهم سَقَوْا رجلاً من جَعدة أدركوه في سفر وقد جهِد عطشاً لبناً وماءٍ فعاش .

---

1 شعر النابغة : 114–122 .
2 شعره : 100–112 .
3 ذيال : طويل .
4 أزوال : جمع زول وهو الفتى الخفيف الظريف والجواد .
5 هو خال النابغة الجعدي .
6 فال : أخطأ .

وقال في هذه القصّة أيضاً يفخر عليهم قصيدتَه التي أوَّلها[1] : [من الكامل]

أبلـغ قُشَيراً والحَرِيشَ فمـا ذا ردّ في أيديكـم شَتْمـي

وفخر عليهم بقتل عَلْقمة الجُعْفيّ يوم وادي نِساح[2] وقتل شَراحِيل بن الأَصْهب الجُعْفيّ ، وبيوم رَحْرَحان أيضاً ، فقال فيه : [من البسيط]

هَلاَّ سألتَ بيومَيْ رَحْرحانَ وقد ظنَّتْ هَوازنُ أنَّ العِزَّ قد زَالا[3]

فلمَّا ذكر ذلك النابغة قال : [من البسيط]

تِلكَ المَكارم لاقَعبانِ من لبن شِيبَا بماءٍ فعـادا بعـدُ أبوالا

ففخر بما لهُ وغَضَّ مِمَّا لهم . ودخلت[4] ليلى الأَخيليّة بينهما فقالت : [من الطويل]

وما كنتُ لو قاذفتُ جلَّ عَشيرتي لأذكرَ قَعْبَيْ حـازِرٍ قـد تَثَمَّلا[5]

وهي كلمة[6] . فلمّا بلغ النابغةَ قولُها قال[7] : [من الطويل]

ألا حَيِّيا ليـلى وقُولا لَهـا هَلاَ فقـد رَكِبتْ أيْـراً أغـرَّ مُحَجَّلا

وقـد أكلتْ بقـلاً وخِيماً نباتُه وقد شَرِبتْ مـن آخر الصيف أيِّلا

يعني ألبان الأيْل .

دَعِي عنكِ تَهْجاءَ الرِّجال وأَقْبِلي على أَذْلَغِيٍّ يمـلأ استَكِ فَيْشَلا

وكيف أُهاجِي شاعراً رُمحه استُه خَضِيبَ البَنانِ لا يـزال مُكَحَّلا

فردَّت عليه ليلى الأَخيليّة فقالت[8] : [من الطويل]

أَنابغُ لَم تَنْبغ ولَم تـكُ أوَّلا وكنتَ صُنَيّاً بين صُدَّيْن مَجْهَلا

الصُنَيُّ : شِعْب صغير يسيل منه الماء . وصُدّان : جبلان .

أَنابغُ إنْ تَنْبغ بلؤمك لا تجدْ للؤمك إلاّ وَسْط جَعْدة مَجْعَلا

---

1 شعر النابغة : 234 .

2 وادي نساح : باليمامة .

3 رحرحان : جبل خلف عرفات كان للعرب فيه يومان سيورد أبو الفرج خبرهما فيما بعد في هذه الترجمة .

4 ل : واعتنت .

5 الحازر : اللبن الحامض .

6 كلمة هنا بمعنى قصيدة .

7 شعر النابغة : 123 .

8 ديوان ليلى الأخيليّة (جمع وتحقيق خليل العطيّة وجليل العطيّة ، الكويت ، 1971) 100–101 .

تُعيِّـرني داءٍ بأمّـك مثلُـه وأيّ حَصانٍ لا يُقال لها هَلا[1]

فغلبتْه . فلمّا أتى بني جعدة قولُها هذا ، اجتمع ناس منهم فقالوا : والله لنأتينَّ صاحبَ المدينة ، أو أمير المؤمنين ، فيأخذَنَّ لنا بحقّنا من هذه الخبيثة ، فإنَّها قد شَتمْت أعراضنا وافترَتْ علينا ، فتهيَّئوا لذلك ؛ وبلَغها أنَّهم يريدون أن يستعدُوا عليها ، فقالت : [من الطويل]

أتـاني مـن الأنبـاء أنّ عشيرةً بشَوْرانَ يُزْجون المطيّ المُذلَّلا[2]

يروح ويغدو وفدُهم بصحيفةٍ ليَستجلِدوا لي ، ساء ذلك مَعْمَلا

وقد أخبرني ببعض هذه القصّة أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شبّة فجاء بها مُختلِطة ، وهذا أوضح وأصحّ .

[يوم وادي نِساح]

قال أبو عمرو : فأمّا ما فَخر به النابغةُ من الأيّام ، فمنها يوم عَلْقمةَ الجُعْفيّ ، فإنّه غَدا في مَذْحِج ومعهُ زُهَير الجعفيّ ، فأتى بني عُقَيل بنِ كعب فأغار عليهم ، وفي بني عقيل بطون من سُلَيم يقال لهم بنو بَجْلة ، فأصاب سَبْياً وإبلاً كثيرة ، ثمّ انصرف راجعاً بما أصاب ، فاتّبعه بنو كعب ، ولم يلحَق به من بني عُقيل إلاّ عِقَالُ بن خُوَيلد بن عامر بن عُقَيل ، فجعل يأخُذ أبعار إبل الجُعفيّين فيبُول عليها حتى يُندِّيَها ، ثم يلحَق ببني كعب فيقول : إيهِ فِـدىً لكم أبَواي ، قد لَحِقتم القومَ ؛ حتى ورَدوا عليهم النخيلَ في يوم قائظ ، ورأسُ زهير في حِجْر جاريـة من سُلَيم من بني بَجْلة سباها يومئذٍ وهي تَفْلِيه ، وهو متوسّد قطيفةً حمراءَ وهي تَضفِر سَعَفاتِه ـ أي أعلى رأسه ـ بهُدْب القطيفة ، فلم يشعُروا إلاّ بالخيل ؛ فكان أوّلُ مَن لَحِق زُهيراً ابنَ النهّاضة ، فضرب وجهَ زهير بقوسه حتى كسَر أنفَه ، ثم لحِقه عِقالُ بنُ خُوَيلد ، فبعَج بطنَه ، فسال من بطنه بَرِيرٌ وحَلَب ، والبرير : ثمر الأراك . والحلب : لبن كان قد اصطبحه . فذلك يـوم يقول أبو حَرْب أخو عقال بن خُوَيلد : والله لا أصطَبِح لبناً[3] حتى آمن من الصِّباح[4] . قال : وهذا اليوم هو يوم وادي نِساح[5] وهو باليمامة .

[يوم شراحيل]

قال : وأمّا يوم شَراحِيلَ بن الأصْهب الجُعْفيّ فإنّه يوم مذكور تفتخر به مُضَرُ كلُّها .

---

1 وأي حصانٍ لا يقال له هلا في ل : وأي نجيب لا يقال له هلا .

2 شوران : جبل في ديار بني جعدة .

3 ل : حلباً .

4 الصباح : الغارة في الصبح .

5 لم يتطرّق أبو عبيدة في النقائض وابن عبد ربّه في العقد الفريد إلى يوم وادي نساح أو يوم شراحيل .

وكان شَراحِيلُ خرج مُغِيراً في جمع عظيم من اليمن ، وكان قد طال عمرُه وكثُر تَبَعُه وبعُد صِيتُه[1] واتّصل ظَفَرُه ، وكان قد صالح بني عامر على أن يَغزُوَ العرب مارّاً بهم في بدأته وعودته لا يَعْرِض أحدٌ منهم لصاحبه ؛ فخرج غازياً في بعض غَزَواته فأبعد ، ثم رجَع إليهم فمرَّ على بني جَعْدة فقَرَتْه ونحرتْ له ؛ فعمَد ناسٌ من أصحابه سفهاءُ فتناولوا إبلاً لبني جعدة فنحروها ؛ فشكَتْ ذلك بنو جعدة إلى شَراحيل ، فقالوا : قَرَيْناك وأحسنّا ضِيافتك ثم لم تمنَع أصحابك ممّا يصنعون ؛ فقال : إنّهم قوم مُغيرون ، وقد أساءوا لعَمْري ؛ وإنّما يُقيمون عندكم يوماً أو يومين ثم يرتحلون عنكم . فقال الرُّقاد بن عمرو بن ربيعة بن جَعْدة لأخيه ورد بن عمرو ، وقيل : بل قال ذلك لابن أخيه الجعد بن وَرْد : دَعْني أذهب إلى بني قُشَير ، قال : وجَعْدة وقُشَير أخوان لأمّ وأب ، أمّهما رَيْطة بنت قُنْفُذ بن مالك بن عوف بن امرىء القيس بن بُهْثة بن سُلَيم بن منصور ، فأدعوهم ، واصنَع أنت يا هذا لشَراحيل طعاماً حسَناً كثيراً ، وادعُه وأدخِله إليك فاقتُله ، فإن احتجت إلينا فدَخِّنْ ، فإنّي إذا رأيتُ الدّخان أتيتك بهم فوضعنا سيوفنا على القوم . فعمَد وردٌ هذا إلى طعام فأصلحه ، ودعا شَراحيلَ وناساً من أصحابه وأهله وبني عمّه ، فجعلوا كلّما دخل البيتَ رجلٌ قتله وردٌ ، حتى انتصف النهار ؛ فجاء أصحاب شَراحيل يُتْبِعُونه ، فقال لهم وردٌ : تَروّحُوا فإنّ صاحبكم قد شَرِب وثمِل وسيرُوح فرجعوا ؛ ودخّن وردٌ ، وجاءت قُشير ، فقتلوا من أدركوا من أصحابه ، وسار سائرُهم ؛ وبلَغهم قتلُ شَراحيل ، فمرّوا على بني عُقَيل ، وهم إخوتهم ، فقالوا : لنقتلَنّ مالكَ بن المُنتفِق ؛ فقال لهم مالك : أنا آتيكم بورد ؛ فركِب ببني عُقيل إلى بني جَعْدة وقُشَير ليُعطوهم ورداً ؛ فامتنعوا من ذلك وساروا بأجمعهم فذبّوا عن عُقَيل ، حتى تفرّق مَن كان مع شَراحيل . فقال في ذلك بَحِيرُ بن عبد الله بن سَلَمة[2] : [من الوافر]

أحَــيٌّ يتبعـون العير نَحْـراً ... أحبُّ إليـك أم حَيَّـا هلالِ
لعلّـك قاتـلٌ وَرْداً ولَـمّـا ... تَساقَ الخيـلُ بالأسَل النِّهالِ
ألا يـا مالُ وَيْحَ سِواك أقصِرْ ... أما ينهاك حلمُكَ عن ضلالِ

[يوما رحرحان]

وأمّا يوما رَحْرحان[3] ، فأحدُهما مشهور قد ذُكر في موضع آخر من هذا الكتاب بعقب أخبار

---

1 ل : صوته

2 له ترجمة في المؤتلف والمختلف للآمدي (76) وقد ضبط بالقلم بضمّ الباء وفي النقائض (ص 70) بفتحها .

3 انظر في خبر يومي رحرحان كتاب النقائض ص 1060 وما بعدها . أمّا ما أورده أبو الفرج عن غارة الطماح الحنفي فغير متّصل بيوميْ رحرحان .

الحارث بن ظالم ، وهـذا اليـوم الثـاني ، فكان الطمّاح الحنفيّ أغار في بني حَنيفة وبني قَيس بن ثَعْلبة على بني الحَريش بن كعب وبني عُبادة بن عُقيل وطوائفَ من بني عَبْس يقال لهم بنو حُذَيفة[1] ؛ فركبت بنو جَعْدة وبنو أبي بكر بن كِلاب ، ولم يشهَد ذلك من بني كِلاب غيرُ بني أبي بكر ، فأدركوا الطمّاحَ من يومهم ، فاستنقذوا ما أخذه وأصابوا ما كان معه ، وقتلوا عدداً من أصحابه وهزموهم .

[كعب الفوارس ومقتله]

قال : وأما ما ذكره[2] من إدراكهم بثأر كعب الفوارس ، فإن كعب الفوارس ، وهو ابن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء ، مرّ على بني نَهْد وعليه سلاحه ، فحمَل عليه رجل من نَهْد يُقال له خُلَيف فقتله وأخذ فرسَه وسلاحه ؛ ثم إنّ خُليفاً بعد ذلك بدَهْرٍ مَرَّ على بني جَعْدة ، فرآه مالك بن عبد الله بن جعدة وعليه جُبّة كعب وفيها أثر الطعنة ، وكان مُحْرِماً فلم يقدِر على قتله ، فقال : يا هذا ! ألا رقَعتَ هذا الخَرْق الذي في جُبّتك ؟ وجعل يترصّده بعد ذلك ، حتى بلَغه بعد دهرٍ أنّه مَرَّ ببني جَعْدة ، فركِب مالكُ بن عبد الله بن جعدة فرساً له وقد أُخبر أنّ خُليفاً مَرَّ بجَنَباتهـم ، فأدركه فقتله ، ثم قال : بُؤْ بكعب . ثم غزا نواحيَهم عبدُ الله بن ثَور بن معاوية بن عُبادة بن البَكّاء : جَرْماً ونَهْداً ، وهم يومئذٍ في بني الحارث ، فناداهم بنو البَكّاء : ليس معنا أحدٌ من قومنا غيرنا وإنّ النهديّ قتل صاحبنا مُحْرِما ؛ فقاتلهم نَهْد وجَرْم جميعاً يومئذٍ ، وكان عبد الله بن ثَوْر يومئذٍ على فرسٍ وَرْدٍ ، فأصابوا من نَهْدٍ يومئذٍ غنيمة عظيمة ، وقتلوا قَتلى كثيرة . فقال عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فسائِلْ بني جَـرْمٍ إذا مـا لقِيتَهم ونَهْداً إذا حَجّتْ عليك بنو نهدِ
فإن يُخبروكَ الحـقَّ عنّا تَجدْهُم يقولون أبلى صاحبُ الفرس الوَرْدِ

[يوم الفلج]

قال : وأمّا يوم الفَلَج[3] ، فإنّ بكر بن وائل بعثتْ عيناً على بني كعب بن رَبيعة حتّى جاءَ الفَلَجَ ـ وهو ماء ـ فوجد النَّعَمَ بعضَه قريباً من بعض ، ووجد النّاسَ قد احتملوا ، فليس في النَّعَم إلاّ من لا طَباخ[4] به من راعٍ أو ضعيف ؛ فجاءهم عينُهم بذلك ، فركبت بكر بن وائل

1 ل : جذيمة .

2 لم يذكر النابغة ثأر كعب الفوارس في القصائد التي أشار إليها أبو الفرج . فهل سها أبو الفرج أو أنّ ثمّة سقط في أصول الأغاني التي وصلتنا ؟ وقد أورد أبو عبيدة خبر الثأر (ص 469) متّصلاً بخبر «يوم فيف الريح» .

3 هذا يوم آخر لم يتطرّق إليه أبو عبيدة وابن عبد ربّه .

4 لا طباخ به : لا قوّة له ولا سمن له .

يريدونهم ، حتى إذا كانوا منهم بحيثُ يسمعون أصواتهم ، سمِعوا الصَّهيل وأصواتَ الرجال ؛ فقالوا لعينهم : ما هذا ويلك ؟ ! قال : والله ما أدري ، وإنّ هذا لمما لم أعهد ، فأرسلوا مَن يعلَم عِلمَهم ؛ فرجَع فأخبرهم أنّ الرجال قد رجَعوا ، ورأى جمعاً عظيماً وخيولاً كثيرة[1] ؛ فكَرّوا راجعين من ليلتهم ؛ وأصبحت بنو كعب فرأوا الأثر فاتّبعوهم ، فأصابوا من أُخرياتهم رجالاً وخيلاً ، فرجعوا بها .

[خداش بن زهير وهبيرة بن عامر]

قال : وأمّا قوله : [من البسيط]

لو تستطيعون أن تُلْقوا جُلودَكم وتجعلـوا جِلد عبدِ الله سِرْبالا

فإنّ السبب في ذلك أنّ هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشير ، لقي خِداش بن زهير البَكّائي ، فتنافرا على مائة من الإبل ، وقال كلٌّ منهما لصاحبه : أنا أكرم وأعزّ منك ؛ فحكّما في ذلك رجلاً من بني ذي الجَدّين ، فقضى بينهما أنّ أعزّهما وأكرَمهما أقربُهما من عبد الله بن جعدةَ نسباً ؛ فقال خِداشُ بن زُهَير : أنا أقرب إليه ، أمّ عبد الله بن جَعدة عمّتي ، وهي أُميمة بنت عمرو بن عامر ، وإنّما أنت أُدني إليه منّي منزلةً بأب ؛ فلم يزالا يختصمان في القرابة لعبد الله دون المُكاثرة بآبائهما إقراراً له بذلك ، حتى فلَج[2] هبيرةُ القُشَيريُّ وظفِر .

[عبد الله بن جعدة]

قال أبو عمرو : وكان عبد الله بن جَعْدة سيِّداً مُطاعاً ، وكانت له إتاوةٌ بعكاظ يُؤتى بها ، يأتيه بها هذا الحيُّ من الأَزْد وغيرُهم ؛ فجاء سُمَيرُ بن سَلَمة القُشَيريّ وعبدُ الله جالسٌ على ثياب قد جُمعت له من إتاوته ، فأنزله عنها وجلسَ مكانَه ؛ فجاءَ رِياح بن عمرو بن رَبيعة بن عُقَيل وهو الخليع ، سُمِّي بذلك لتخلّعه عن الملوك لا يُعطيهم الطاعة فقال للقشيريّ : ما لَكَ ولشيخنا تُنزله عن إتاوته ونحن ها هنا حولَه ! فقال القشيريّ : كذبتَ ، ما هي له ؛ ثم مدّ القشيريّ رجلَه فقال : هذه رجلي فاضربها إن كنتَ عزيزاً ؛ قال : لا ! لعمري لا أضرب رجلَك ؛ فقال له القُشَيريّ : فامدُدْ لي رِجلَك حتى تعلم أأضربها أم لا ؛ فقال : ولا أمدّ لَكَ رِجلي ، ولكن أفعلُ ما لا تُنكره العشيرة وما هو أعزُّ لي وأذَلُّ لكَ ؛ ثم أهْوى إلى رِجل القشيريّ فسحَبه على قفاه ونحّاه ، وأقعد عبدَ الله بنَ جَعْدَة مكانَه .

---

1 ل : وخلقاً كثيراً .

2 فلج : غلب وفاز .

قال : وعبد الله بن جعدة أوّل مَن صنع الدَّبّابة[1] ؛ وكان السبب في ذلك أنّهم انتجعُوا ناحيةَ البحرين ، فهجموا على عبدٍ لرجل يُقال له كَوْدَن في قصر حَصين ، فدخّن العبدُ ودعا النساءَ والصبيانَ ، فظنّوا أنّهُ يُطعمهم ثريداً ، حتى إذا امتلأ القصر منهم أغلقه عليهم ، فصاح النساء والصبيان ، وقام العبد ومَن معه على شُرَف القصر ، فجعل لا يدنو منه أحدٌ إلاّ رماه ؛ فلمّا رأى ذلك عبد الله بن جعدة صنع دَبّابة على جذوع النخل وألبسها جلودَ الإبل ، ثم جاء بها والقومُ يحملونها حتى أسندوها إلى القصر ، ثم حفروا حتى خرقوه ؛ فقتل العبدَ ومَن كان معه واستنقذ صبيانَهم ونساءهم . فذلك قول النابغة[2] : [من الطويل]

ويومَ دعـا وِلدانَكم عبدُ كَوْدَنٍ فخالُوا لدى الدّاعي ثريداً مُفلفلا
وقى ابنَ زِياد وهـو عُقبة خيرِكم هبيرةُ ينـزو في الحديـد مُكَبَّلا

يعنى هبيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قُشير ، وكان عبد الله بن مالك بن عُدَس بن ربيعة بن جَعْدة خرج ومعه مالك بن عبد الله بن جعدة ، حتى مرّوا على بني زياد العبسيّين والرجالُ غَيَبٌ ، فأخذوا ابناً لأَنَس[3] بن زياد وانطلقوا به يرجون الفِداء ؛ وانطلق عمُّه عُمارة بن زِياد حتّى أتى بني كعب ، فلقي هُبَيرةَ بن عامر بن سَلَمة بن قشير ، فقال له : يا هبيرة إنّ الناسَ يقولون : إنّك بخيل ؛ قال : مَعاذَ اللهِ ! قال : فهَبْ لي جُبّتكَ هذه ؛ فأَهْوَى ليخلَعها ، فلمّا وقَعتْ في رأسه وثَب عليه فأسَره ، ثم بعث إلى بني قُشير : عليّ وعليّ إن قبلتُ من هُبَيْرة أقلّ من فِدية حاجبٍ[4] إلاّ أن يأتوني بابن أخي الذي في أيدي بني جَعْدة ؛ فمشتْ بنو قُشير إلى بني جعدة ، فاستوهبوه منهم فوهبوه لهم ، فافتدَوْا به هُبَيْرةَ .

[وحوح أخو النابغة]

وأمّا خبرُ وحوح أخي النابغة الذي تقدّم ذكره مع نسب أخيه النابغة ، فإنّ أبا عمرو ذكر أنّ بني كعب أغارت على بني أسد فأصابوا سَبْياً وأَسْرى ، فركبتْ بنو أسد في آثارهم حتى لحِقوهم بالشُّرَيْف[5] ، فعطفت بنو عُدَس بن ربيعة بن جعدة ، فذادوا بني أسد حتى قتلوا منهم ثلاثين رجلاً وردّوهم ؛ ولم يظفَروا منهم بشيء . وتعلّقت امرأة من بني أسد بالحَكَم بن عمرو بن عبد الله بن جعدة وقد أردفها خلفَه ، فأخذت بضفيرته ومالت به فصرعته ، فعطَف

1 الدبابة : آلة من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقرّبونها من الحصن المحاصر لينقبوه .
2 شعر النابغة : 129 عن الأغاني .
3 ل : لأوس .
4 هو حاجب بن زرارة .
5 ل : السديف وهو تحريف . والشريف واد بنجد .

عليه عبدُ الله بن مالك بن عُدَس وهو أبو صَفْوان ، فضرب يدها بالسيف فقطعها وتَخَلّصه . وطُعِن يومئذٍ وحوح بن قيس أخو النابغة الجعديّ ، فارتُثّ[1] في معركة القوم ، فأخذه خالد بن نَضْلة الأسدي ؛ وعطَف عليه يومئذٍ أخوه النابغة ، فقال له خالد بن نَضْلة : هَلُمَّ إليّ وأنت آمن ؛ فقال له النابغة : لا حاجةَ لي في أمانك ، أنا على فرسي ومعي سلاحي وأصحابي قريب ، ولكنّي أوصيك بما في العَوْسجة (يعني أخاه وحوح بن قيس) ؛ فعدَل إليه خالد فأخذه وضمّه إليه ومنَع مِنْ قتله ودَاواه حتى فُدِي بعد ذلك . قال : ففي ذلك يقول مُدْرِك العَبْسيّ[2] : [من الوافر]

أقمتُ على الحِفاظِ وغاب فَرْجٌ ... وفي فَرْجٍ عن الحسب انفراجُ
كذلك فِعْلُنا وحِبالُ عمّي ... وردْنَ بوحوح فَلَجَ الفِلاجِ

[مزيد من مفاخرة النابغة الجعدي]

وممّا قاله النابغة في هذه المفاخرة وغُنّي فيه قولُه وقد جُمِع معه كلّ ما يغنّى فيه من القصيدة[3] : [من المنسرح]

صوت

هل بالدّيارِ الغداةَ من صَمَمِ ... أم هَلْ برَبْع الأنيس من قِدَمِ
أم ما تُنادِي من ماثلٍ دَرَج السّـ ... ـيلُ عليه كالحوض مُنهدِمِ
غرّاءُ كالليلة المباركة القمـ ... ـراء تَهدِي أوائلَ الظُّلَمِ
أكْني بغير اسمها وقد علِم الله ... خَفِيّاتِ كلّ مُكتَتَمِ
كأنّ فاها إذا تبسّم من ... طِيبِ مَشَمٍّ وطيبِ مُبْتَسَمِ[4]
يُسَنّ بالضّرْوِ من بَراقِشَ أو ... هَيْلانَ أو ضامرٍ من العُتُمِ[5]

عروضه من المنسرح . وفي الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، ذكره إسحاق ولم ينسبه إلى أحد ، وذكر ابن المكّيّ والهشاميّ أنّه لمعبد ، وأظنّه من منحول يحيى ، وذكر حبش أنّه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده لابن سريج رمل

1 أرتث : أصابته جراح وبه رمق .
2 ل : الفقعسيّ .
3 شعر النابغة الجعدي : 148 .
4 وطيب مبتسم في الديوان : وحسن مبتسم .
5 يسنّ : يسوّك . الضرو : شجر طيب الرائحة يتسوّك به . براقش وهيلان : مدينتان كانتا في اليمن ثم خربتا . العتم : شجر الزيتون البرّي .

بالبنصر ، وذكر حبش أنّ فيها لإسحاق رملاً آخر ؛ ولابن مِسْجَح فيها ثقيل أوّل بالبنصر .

[سبقه إلى الكناية عمّن يعني]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال : أوّلُ مَن سبقَ إلى الكناية عن اسم من يَعْنِي بغيره في الشعر الجعديُّ ، فإنّه قال : [من المنسرح]

أَكْنِي بغير اسمها وقد علم الله خَفِيّاتِ كلِّ مكتتمِ

فسبَق الناسُ جميعاً إليه واتّبعوه فيه . وأحسنُ مَن أخذه وألطفهُ فيه أبو نُواس حيث يقول[1] : [من الخفيف]

أسأَلُ القادمين من حَكَمانِ كيف خلّفتُمُ أبا عثمانِ
فيقولون لي جِنانٌ كما سرَّ ك في حالها فسَلْ عن جنانِ
ما لهمْ لا يُبارك اللهُ فيهمْ كيف لم يُغْنِ عندهم كِتماني

[رأي الفرزدق في شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو بكر الباهليّ قال حدّثني الأصمعيّ قال : ذكر الفرزدقُ نابغةَ بني جعدة فقال : كان صاحبَ خُلْقان عنده مُطْرَفٌ بألفٍ ، وخِمارٌ[2] بَوافٍ ، يعني درهما .

[مدح ابن الزبير]

وحدّثني خبرَه مع ابن الزبير جماعةٌ ، منهم حبيبُ بن نصر المهلّبيّ وعمر بن عبد العزيز بن أحمد والحِرْميّ بن أبي العلاء ووَكيع ومحمّد بن جرير الطبريّ حدّثنيه مِنْ حِفْظه ، قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا أخي هارون بن أبي بكر عن يحيى بن إبراهيم عن سليمان بن محمّد بن يحيى بن عُروة عن أبيه عن عمّه عبد الله بن عُروة قال : أقْحمت السنةُ[3] نابغةَ بني جعدة ، فدخل على ابن الزبير المسجدَ الحرامَ ، فأنشده[4] : [من الطويل]

حَكَيتَ لنا الصدِّيقَ لمّا وَلِيتَنا وعثمانَ والفاروقَ فارتاح مُعدمُ
أتاك أبو ليلى يَجُوب به الدُّجى دُجى الليلِ جوّابُ الفلاةِ عَثَمْثَمُ[5]

1 ديوان أبي نُواس (الغزالي) : 252 .
2 الخمار : النصيف تغطّي به المرأة رأسها ، وقد يطلق على العمامة لأنّ الرجل يغطّي بها رأسه .
3 أقحمت السنة : اضطر بسبب الجدب إلى الخروج من البادية إلى الريف حيث الخضرة والماء .
4 شعر النابغة الجعدي : 204–205 .
5 العثمثم : الجمل الشديد الطويل .

لتجبرُ منـه جانبـاً زَعْزَعت بـه صُروفُ الليالي والزمـانُ المُصمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هوِّن عليك أبا ليلى ، فإنَّ الشعر أهونُ وسائِلك عندنا ، أمّا صفوةُ مالنا فلآل الزبير ، وأمّا عَفوته[1] فإنّ بني أسد بن عبد العزّى تشغلُها عنك وتَيْماً معها ، ولكن لك في مال الله حقّان : حقّ برؤيتك رسولَ الله ﷺ ، وحقّ بشِرْكتك أهلَ الإسلام في فيْئهم ؛ ثم أخذ بيده فدخل به دارَ النَّعَم ، فأعطاه قلائصَ سبعاً وجَملاً رَجيلاً[2] ؛ وأوْقر له الإبلَ بُرّاً وتمراً وثياباً ، فجعل النابغة يستعجل فيأكل الحبَّ صِرْفا ؛ فقال ابن الزبير : ويح أبي ليلى ! لقد بلغ به الجَهْدُ ؛ فقال النابغة : أشهد أنّي سمِعت رسولُ الله ﷺ يقول : «ما وَلِيتْ قريش فعدَلت واسترحمت فرَحِمتْ وحَدَّثت فصَدَقتْ ووعدت خيراً فأنجزت فأنا والنبيّون فُرّاطُ القاصفين»[3] وقال الحِرْميّ : «فُرّاطٌ لها ضُمُنٌ» . قال الزُّبَيريّ : كتب يحيى بن مَعين هذا الحديث عن أخي .

[هجاؤه أبا موسى الأشعري]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ أحمد بن محمّد بن عبد الله بن صالح وهاشم بن محمّد الخُزاعيّ أبو دُلَف قالا حدّثنا الرِّياشيّ قال قال أبو سليمان عن الهَيْثم بن عديّ قال : رَعَتْ بنو عامر بالبَصرة في الزرع ، فبعث أبو موسى الأشعريّ في طلبهم ، فتصارخوا : يا آلَ عامر ، يا آل عامر ! فخرج النابغة الجعديّ ومعهُ عُصبة له ؛ فأُتيَ به إلى أبي موسى الأشعريّ ، فقال له : ما أخرجك ؟ قال : سمعتُ داعيةَ قومي ؛ قال : فضربه أسواطاً ؛ فقال النابغة[4] : [من الوافر]

رأيتُ البَكْرَ بَكْرَ بني ثمودٍ وأنتَ أراك بكرَ الأشعَرينا
فإن يكُـنِ ابنُ عَفّانٍ أميناً فلم يَبْعَثْ بك البَرَّ الأمينا
فيـا قبرَ النبـيّ وصاحِبَيْهِ ألا يـا غَوْثَنا لـو تسمَعُونا
ألا صَلَّى إلهكـمُ عليكـم ولا صلَّى على الأُمراء فِينا

[مع عليّ ومعاوية]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا بعض أصحابنا عن ابن دَأْب قال : لمّا خرج عليٌّ رضي الله تعالى عنه إلى صِفِّين خرج معه نابغةُ بني جَعْدة ؛ فساق به يوماً فقال[5] : [من الرجز]

1 عفوته : عفوة أيّ ما فضل عن النفقة .
2 القلائص : جمع قلوص وهي الناقة الشابة . والجمل الرجيل أو الرحيل : القوي على السير .
3 فراط القاصفين : المتقدّمون إلى الشفاعة أو الحوض في تزاحم . ضمن : ضامنون .
4 شعر النابغة الجعدي : 210 .
5 شعره : 192–193 .

قد علِم المِصْرانِ والعِراقُ أنَّ عليّاً فحلُها العُتاقُ[1]
أبيضُ جَحْجاحٌ لـه رِواقُ وأُمّه غالَى بها الصَّداقُ
أكرمُ من شُدَّ به نِطاقُ إنّ الأُلى جارَوْكَ لا أفاقوا
لهم سِباقٌ ولكم سباقُ قد علمتْ ذلكمُ الرِّفاقُ
سُقتم إلى نَهْج الهُدى وساقُوا إلى التي ليس لها عِراقُ[2]
في مِلّةٍ عادتُها النِّفاقُ

فلمّا قَدِم معاويةُ بن أَبي سفيان الكوفةَ ، قام النابغةُ بين يديه فقال[3] : [من الطويل]

أَلَم تأْتِ أَهلَ المَشْرِقَينِ رسالتي وأَيُّ نصيح لا يَبيتُ على عَتْبِ[4]
مَلَكتمْ[5] فكان الشرُّ آخرَ عَهدِكمْ لئن لَم تَداركْكُمْ حُلُومُ بني حَرْبِ

وقد كان معاوية كتب إلى مروان فأَخذ أَهلَ النابغة ومالَه ؛ فدخل النَّابغةُ على معاوية ، وعنده عبدُ الله بن عامر ومروان ، فأَنشده[6] : [من الطويل]

مَنْ راكِبٌ يأتي ابنَ هندٍ بحاجتي على النَّأي والأَنباءِ تُنْمَى وتُجلَبُ
ويُخبر عنّي ما أَقول ابنَ عامر ونعم الفتى يأوِي إليه المُعصَّبُ[7]
فإنْ تأخذوا أَهلي ومالي بِظنّةٍ فإنّي لَحَرّابُ الرجالِ مُحرِّبُ
صَبورٌ على ما يكره المرءُ كلِّه سِوى الظلم إنّي إن ظُلمت سأَغضَبُ

فالتفت معاويةُ إلى مروان فقال : ما ترى ؟ قال : أَرى أَلاّ تردّ عليه شيئاً ؛ فقال : ما أَهونَ والله عليك أَن ينجحر هذا في غار ثم يقطع عرضي عليّ ثم تأخذه العربُ فتَرويه ، أَما والله إن كنتَ لِمَن يرويه ! أُردُد عليه كلّ شيء أَخذتَه منه . وهذا الشِّعر يقوله النّابغة الجعديُّ لعِقال بن خُوَيلد العُقَيليّ يُحذّره غِبَّ الظلم لمّا أَجار بني وائل بن مَعْن ، وكانوا قتلوا رجلاً من جَعْدة ، فحذّرهم مثلَ حرب البَسوس إن أَقاموا على ذلك فيهم .

---

1 المِصران : البصرة والكوفة .
2 ليس لها عراق : ليس لها نهاية أَو غاية .
3 شعر النابغة الجعدي : 214 .
4 وأي في ل : برأي . وفي أَنساب الأَشراف : وإنّي نصيح .
5 ملكتم في أَنساب الأَشراف : هلكتم .
6 شعره : 7–8 .
7 المعصب : الذي أَكلت ماله السنون أَو الذي يُعصب بطنه من الجوع .

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : كان السببُ في قول الجعديّ هذه القصيدةَ أنّ المُنتشِر الباهليّ خرج فأغار على اليمن ثم رجع مُظفَّرا . فوجد بني جعدة قد قتلوا ابناً له يُقال له سِيدان ، وكانت باهلة في بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعة ثم في بني جعدة ، فلمّا أن علم ذلك المُنتشر وأتاه الخبرُ أغار على بني جعدة ثم على بني سُبيع في وَجْهه ذلك ، فقتل منهم ثلاثةَ نفَر ؛ فلمّا فعل ذلك تصدّعت باهلةُ ، فلحِقتْ فرقة منهم يُقال لهم بنو وائل بعِقال بن خويلد العقيليّ ، ولحِقتْ فرقة أُخرى يُقال لهم بنو قُتيبة وعليهم حَجْلٌ الباهليّ بيزيد بن عمرو بن الصَّعِق الكلابيّ ، فأجارهم يزيد ، وأجار عِقالٌ وائلاً . فلمّا رأت ذلك بنو جَعدة أرادوا قِتالهم ، فقال لهم عقال : لا تقاتلوهم فقد أجرتُهم ؛ فأمّا أحدُ الثلاثة القَتلى منكم فهو بالمقتول ، وأمّا الآخران فعليّ عَقْلُهما[1] ؛ فقالوا : لا نقبل إلاّ القتالَ ولا نُريد من وائل غِيَراً (يعني الدية) ؛ فقال : لا تفعلوا فقد أجرتُ القومَ ؛ فلم يزل بهم حتى قبِلوا الدية . وانتقلت وائل إلى قومهم . فقال النابغة في ذلك قصيدتَه التي ذكر فيها عِقالا[2] : [من الطويل]

فأبلِغْ عِقالاً أنّ غايةَ داحسٍ ... بكفّيكَ فاستأخرْ لها أو تَقدّمِ
تُجيرُ علينا وائلاً في دمائنا ... كأنّك عمّا نابَ أشياعَنا عَمِ
كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أكثَر ناصراً ... وأيسرَ جُرماً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمى ضَرْعَ نابٍ فاستمرَّ بطَعنةٍ ... كحاشية البُردِ اليَمَاني المسَهَّمِ[3]
وما يَشْعُر الرمحُ الأصمُّ كعوبُه ... بثَرْوَةِ رَهــطِ الأبلخ المتظلِّمِ[4]
وقال لجَسّاسٍ أغِثْني بشَرْبــةٍ ... تفَضَّلْ بها طَــولاً عليّ وأنعِمِ
فقال تَجاوزتَ الأحَصّ وماءَه ... وبطنَ شُبَيثٍ وهو ذو مُترسمِ[5]

1 العقل : الدية .
2 شعر النابغة الجعدي : 142–144 .
3 المسهم : المخطّط .
4 في رواية «بنزوة رهط الأبلج المتوسم» . والأصمّ : الصلب . والثروة كثرة العدد . والأبلخ : المتكبّر الذي لا يرعوي عن الفجور . المتظلّم : الظالم .
5 الأحص وشبيث : ماءان أو موضعان . والمثل «تخطّى إلي شبيثاً والأحصّ» (مجمع الميداني : 1 : 145 وجمهرة العسكريّ 1 : 155) .

63 ـ [حرب بكر وتغلب][1]

[مقتل كليب بن ربيعة ونشوب حرب البَسوس]

وكان السببُ في قتل كُليبِ[2] بن رَبيعة ، فيما ذكره أبو عُبيدةَ عن مُقاتل الأحول بن سِنان بن مَرْثَد بن عبد بن عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد أخي بني قيس بن ثَعْلبةَ ، ونسختُ بعضَه من رواية الكَلْبيّ ، وأخبرنا به محمّدُ بن العبّاس اليَزيديّ عن عمّه عبيدِ الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل ، فجمعتُ من روايتهم ما احْتِيجَ إلى ذكره مختصرَ اللفظ كاملَ المعنى ، أنَّ كُلَيباً كان قد عَزَّ وسادَ في رَبيعة فبَغى بَغياً شديداً ، وكان هو الذي يُنزِلُهم منازلَهم ويُرحِّلُهم ، ولا يَنزِلُون ولا يَرحَلون إلاّ بأمره . فبلغ من عِزِّه وبغيه أنّه اتّخذ جِرْوَ كلبٍ ، فكان إذا نزل منزلاً به كَلأٌ قذف ذلك الجرْوَ فيه فيَعْوِي ، فلا يَرعَى أحدٌ ذلك الكلأَ إلاّ بإذنه ، وكان يَفعل هذا بحِياض الماء ، فلا يَرِدُها أحدٌ إلاّ بإذنه أو مَنْ آذَنَ بحَرْبٍ ؛ فضُرِب به المثلُ في العزّ ، فقيل : «أعزُّ من كُلَيبِ وائلٍ»[3] . وكان يَحمي الصيدَ ، ويقولُ : صيدُ ناحية كذا وكذا في جِوارِي ؛ فلا يَصيدُ أحدٌ منه شيئاً ؛ وكان لا يمرُّ بين يديه أحدٌ إذا جلس ، ولا يحتبي أحدٌ في مجلسه غيرُهُ ؛ فقتله جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ .

وقال أبو عُبيدةَ : قال أبو بَرْزَةَ القَيْسيّ وهو من ولد عمرو بن مَرْثَد : وكان كليبٌ بنُ ربيعة ليس على الأرض بَكْريّ ولا تَغْلَبيّ أجار رجلاً ولا بعيراً إلاّ بإذنه ، ولا يَحمي حِمىً إلا بأمره ، وكان إذا حَمى حِمىً لا يُقْرَبُ ؛ وكان لُمَّةَ بن ذُهْلِ بنِ شَيْبان بن ثَعْلَبَة عشرةُ بنينَ جَسَّاسٌ أصغرُهم ، وكانت أختُهم عند كليب . وقال مُقاتِلٌ وفِراسٌ : وأُمُّ جسَّاسٍ هَيْلَةُ بنتُ مُنقِذِ بن سليمان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مَناةَ ، ثم خلَف عليها سعدُ بن ضُبيعةَ بنِ قيس بن ثَعْلبةَ بعد مرّة بنِ ذُهْل ، فولدتْ له مالكاً وعَوْفاً وثعلبةَ . قال فِراسُ بن خَنْدَق البَسُوسيّ[4] : فهي

---

1 انظر حول هذه الحرب النقائض : 905 وما بعدها والعقد الفريد 5 : 213 وما بعدها ونهاية الأرب 15 : 396–406 و21 : 473 وما بعدها وابن الأثير 1 : 523 وسرح العيون : 92 والشريشي 2 : 371 وأيّام العرب في الجاهلية (محمد أحمد جاد المولى وعلي محمّد البجاوي وأبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربيّة ، ط2 ، 1953) 142–168 وبعض كتب الأمثال عند الحديث على المثل «أعزّ من كليب وائل» والمثل «أشأم من البسوس» . وقد جمع أبو الفرج روايات أبي عبيدة والكلبيّ والمفضل واختصر اللفظ .

2 اسمه وائل ، وكليب لقب غلب عليه بسبب جروه الذي سيرد الحديث عنه بعد قليل .

3 المثل 2594 مجمع الميداني 2 : 42 وأمثال العرب ؛ للضبّي : 129 وجمهرة العسكري 1 : 132 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 246 .

4 النقائض : القيسيّ .

أُمّنا . وخالة جَسَّاس البَسُوس ـ وقال أَبو بَرْزَة : البَسُوسِيَّةُ ـ وهي التي يُقال لها : «أَشأَمُ من البَسُوس»[1] فجاءت فنزلتْ على ابن أختها جَسَّاس فكانت جارةً لبني مُرّة ، ومعها ابنٌ لها ، ولهم ناقةٌ خَوّارةٌ[2] من نَعَم بني سعد ومعها فَصيل .

أَخبرني عليّ بنُ سليمان قال ، قال أَبو بَرْزَة : وقد كان كُليب قبل ذلك قال لصاحبته أُختِ جَسّاس : هل تَعْلَمِينَ على الأَرض عربيّاً أَمنعَ مِنّي ذِمّةً ؟ فسكتت ثم أَعاد عليها الثانية فسكتَتْ ثم أَعاد عليها الثالثة ، فقالت : نعم أَخي جسَّاسٌ ونَدْمانُهُ ابن عمِّه عمرو المُزْدَلِفُ بنُ أَبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان . وزعم مقاتِل : أن امرأَته كانت أُختَ جَسَّاسٍ ، فبينا هي تَغسِلُ رأسَ كليب وتُسَرِّحُه ذاتَ يوم إذ قال : مَنْ أَعزُّ وائل ؟ فصمَتَتْ ، فأَعاد عليها ؛ فلمّا أَكثر عليها قالت : أَخَوايَ جَسَّاسٌ وهَمَّامٌ ؛ فنزَع رأسَه من يدها وأَخذ القوسَ فرمى فصيلَ ناقةِ البَسُوس خالةِ جَسَّاس وجارةِ بني مُرّة فقتله ؛ فأَغمضُوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لَقِيَ كُليبٌ بنَ البَسُوس فقال : ما فعل فصيلُ ناقتِكم ؟ قال : قتلتَه وأَخليتَ لنا لبنَ أُمّه ؛ فأَغمضوا على هذه أَيضاً . ثم إنّ كليباً أَعاد على امرأَته فقال : مَنْ أَعزّ وائل ؟ فقالت : أَخواي ؛ فأَضمرَها وأَسرّها في نفسه وسكت ، حتى مَرَّتْ به إبلُ جَسَّاس ، فرأَى الناقةَ فأَنكرها ، فقال : ما هذه الناقةُ ؟ قالوا : لخالة جَسَّاسٍ ؛ قال : أَوَ قد بلغ من أَمر ابنَ السَّعْديّة أَن يُجيرَ عليّ بغير إذني ! ارْمِ ضَرْعَها يا غلامُ . قال فِراسٌ : فأَخذ القوسَ فرمى ضرعَ الناقة فاختلط دمُها بلبنها ؛ وراحت الرُّعاةُ على جَسَّاس فأَخبروه بالأَمر ؛ فقال : احلُبوا لها مِكيالَيْ لبنٍ بمِحلَبها ولا تَذكُروا لها من هذا شيئاً ؛ ثم أَغمضوا عليها أيضاً . قال مُقاتِلٌ : حتى أَصابتهم سَماءٌ ، فغدا في غِبِّها يَتمطّر[3] ، وركِب جَسَّاسُ بن مُرّةَ وابنُ عمّه عمرُو بن الحارث بن ذُهْل ، وقال أَبو بَرْزَةَ : بل عمرو بن أَبي رَبيعة ، وطعن عمرٌو كليباً فحطّم صُلبَه ؛ وقال أَبو بَرْزَةَ : فسكت جَسَّاسٌ ، حتى ظعَن ابنا وائل ؛ فمرَّتْ بَكْرُ بن وائل على نِهْيٍ[4] يقال له شُبَيثٌ فنفاهم كُليبٌ عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ، ثم مرُّوا على نِهْيٍ آخر يُقال له الأَحَصُّ فنفاهم عنه وقال : لا يذوقون منه قطرةً ؛ ثم مرّوا على بطن الجَريب[5] فمنعهم إيّاه ؛ فمضَوْا حتى نزلوا الذَّنائب[6] ، واتّبعهم كليبٌ وحَيُّه حتى نزلوا عليه ؛ ثم

1 مجمع الميداني 1 : 374 وفصل المقال : 504 ومستقصى الزمخشريّ 1 : 176 وجمهرة العسكري 1 : 556 .

2 ناقة خوارة : رقيقة حسنة .

3 يتمطّر : يتنزّه .

4 نهي : غدير .

5 الجريب : اسم لواد كبير في نجد .

6 الذنائب : موضع بنجد .

مرَّ عليه جَسَّاس وهو واقفٌ على غدير الذنائب فقال . طردتَ أَهلَنا عن المياه حتى كِدتَ تقتلُهم عطشاً ؛ فقال كليبٌ : ما منعناهم من ماءٍ إلاّ ونحن له شاغلون ؛ فمضى جَسَّاسٌ ومعه ابنُ عمّه المزدلِفُ . وقال بعضُهم : بل جَسَّاسٌ ناداه فقال : هذا كفِعلكَ بناقة خالتي ؛ فقال له : أَوَ قد ذكرتَها ؟ أما إنّي لو وجدتُها في غير إبل مُرّة لاستحللتُ تلك الإبلَ بها . فعطف عليه جَسَّاسٌ فرسَه فطعنه برمح فأَنفذَ حِضْنَيه[1] ؛ فلمّا تَداءمَه[2] الموتُ قال : يا جَسَّاس اسقِني من الماءِ ؛ قال : ما عَقَلْتَ استسقاءكَ الماءَ منذُ ولَدتْكَ أُمُّكَ إلاّ ساعتَك هذه ! . قال أبو بَرْزة : فعطَف عليه المُزدلف عمرو بن أَبي ربيعةَ فاحْتزّ رأسَه . وأَمّا مقاتلٌ فزعم أَنّ عمرو بن الحارث بن ذُهل الذي طعنه فقصَم صُلبَه . قال : وفيه يقول مُهلهِلٌ : [من الوافر]

قتيلٌ ما قتيلُ المرءِ عمرٍو وجَسَّاسِ بنِ مُرّة ذو ضَريرِ[3]

وقال العبّاسُ بن مِرْداسٍ السُّلَميّ يُحَذّرُ كُلَيبَ بن عَهْمةَ السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ لمّا مات حربُ بنُ أُميّةَ وخَنَقتِ الجنُّ مِرداساً وكانوا شركاءَ في القرية فجحَدهم كُليبٌ حظَّهم منها ، وسنذكر خبرَ ذلك في آخر هذه الأَخبار إن شاء الله تعالى ، فحذَّره غِبَّ الظلم فقال[4] : [من الكامل]

أَكليبُ ما لكَ كلَّ يومٍ ظالماً والظلمُ أَنكدُ وجهُه مَلعونُ
فافعَلْ بقومك ما أَرادَ بوائلٍ يومَ الغَديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ

وقال رجل من بني بكر بن وائل في الإسلام وهي تُنحَلُ للأَعشى : [من الطويل]

ونحن قهَرنا تَغلِبَ ابنةَ وائلٍ بقتلِ كُلَيبٍ إذ طغى وتَخيّلا
أَبأْناه بالنابِ التي شَقَّ ضَرْعَها فأَصبح مَوْطُوءَ الحِمى مُتذلِّلا[5]

قال : ومَقتلُ كُلَيب بالذّنائب عن يسار فَلْجَةَ[6] مُصعِداً إلى مكّة ، وقبرُه بالذنائب . وفيه يقول المهلهلُ : [من الوافر]

ولو نُبِشَ المقابرُ عن كُلَيبٍ فيُخْبَرَ بالذنائبِ أَيُّ زِيرِ

قال أَبو بَرْزةَ : فلمّا قتله أَمال يَدَه بالفرس حتى انتهى إلى أَهله . قال : وتقول أُخته

---

1 الحضن : ما دون الإبط إلى الكشح .
2 تداءمه الموت : تزاحم عليه .
3 الضرير : الشدّة ، وذو ضرير : ذو صبر على الشرّ .
4 في النقائض أربعة أبيات . وسيورد أبو الفرج خبر القرية وموتٌ حرب بن أُميّة والعبّاس بن مرداس السلمي والشعر في ترجمة أبي سفيان فيما بعد .
5 أَباء بالقتيل : قتل قتيلاً به .
6 فلجة : منزل على طريق مكّة .

حين رأته لأبيها : إنَّ ذا لجَسَّاسٌ أتى خارجاً ركبتاه ؛ قال : والله ما خرجت ركبتاه إلاّ لأمرٍ عظيم ! . قال : فلمّا جاء قال : ما وراءكَ يا بُنَيَّ ؟ قال : ورائي أنّي قد طعنتُ طعنةً لتُشغلَنَّ بها شيوخُ وائل زمناً ؛ قال : أقتلتَ كليباً ؟ قال نعم ؛ قال : وَدِدتُ أنَّكَ وإخوتَكَ كنتم مُتّم قبل هذا ، ما بي إلاّ أن تتشاءمَ بي أبناءُ وائل . وزعم مُقاتلٌ أنّ جَسّاساً قال لأخيه نَضْلَة بن مرّة ، وكان يُقال له عَضُدُ الحمار : [من الوافر]

وإنّي قد جَنيتُ عليكَ حرباً تُغِصُّ الشيخَ بالمـــاءِ القَراحِ
مُذَكَّرةً متى مـــا يَصْحُ عنها فَتىً نَشِبَتْ بآخرَ غيرِ صاحِ[1]
تُنَكِّلُ عن ذُبـــاب الغيّ قوماً وتدعُـــو آخرينَ إلى الصَّلاحِ[2]

فأجابه نَضْلَةُ : [من الوافر]

فإن تَكُ قد جَنَيتَ عليَّ حرباً فـــلا وَانٍ ولا رَثُّ السِّلاحِ

قال أبو بَرْزَةَ : وكان همّامُ بن مُرّة آخى مُهَلْهِلاً وعاقدَه ألاّ يَكْتُمَه شيئاً ؛ فجاءت إليه أَمَةٌ له فأسرّت إليه قتلَ جَسّاس كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما قالت ؟ فلم يُخبره ؛ فذكّره العهدَ بينهما ؛ فقال : أخبرَتْ أنّ جَسّاساً قتلَ كليباً ؛ فقال : استُ أخيكَ أضيق من ذلك[3] . وزعم مُقاتلٌ : أنّ همّاماً كان آخى مُهَلْهِلاً وكان عاقده ألاّ يكتمَه شيئاً ؛ فكانا جالسَيْن ، فمرَّ جَسّاسٌ يَركُضُ به فرسُه مُخرِجاً فَخذيهِ ؛ فقال همّام : إنّ له لأمراً ، والله ما رأيتُه كاشفاً فَخذيه قطُّ في رَكْضٍ ؛ فلم يلبَثْ إلاّ قليلاً حتّى جاءته الخادم فسارّتْه أنّ جَسّاساً قتلَ كليباً ؛ فقال له مُهلهلٌ : ما أخبرَتْكَ ؟ قال : أخبرتْني أنّ أخي قتلَ أخاك ؛ قال : هو أضيقُ استاً من ذلك[4] . وتحمّل القومُ ، وغدا مُهلهلٌ بالخيل .

وقال المفضَّلُ في خبره[5] : فلمّا قُتِلَ كليبٌ قالت بنو تَغلِبَ بعضُهم لبعض : لا تَعجَلُوا على إخوتكم حتّى تُعْذِرُوا بينكم وبينهم ؛ فانطلق رهطٌ من أشرافهم وذوي أسنانهم حتى أتَوْا مُرّةَ بنَ ذُهْل ، فعظَّمُوا ما بينهم وبينه ، وقالوا له : اختَرْ منّا خِصالاً : إمّا أن تَدْفَع إلينا جَسّاساً فنقتلَه بصاحبنا فلم يَظْلِمْ مَنْ قَتل قاتلَه ، وإمّا أن تدفعَ إلينا همّاماً ، وإمّا أن تُقِيدَنا من نفسك ؛ فسكتَ ، وقد حضرتْه وجُوه بني بكر بن وائل فقالوا : تكلَّمْ غيرَ مخذول ؛ فقال : أمّا جَسّاسٌ فغلامٌ حديثُ

1 مذكرة : شديدة .
2 ذباب الغي : الجنون أو الشرّ .
3 المثل رقم 1781 عند الميداني .
4 المثل رقم 1781 عند الميداني .
5 انظر أمثال العرب للمفضل الضبي (تقديم وتعليق إحسان عبّاس ، دار الرائد العربي ، 1981 : 129–137) .

السنّ ركب رأسَه فهرَب حين خاف فلا عِلمَ لي به ، وأمّا همّامٌ فأبو عَشَرةٍ وأخو عشرة[1] ، ولو دفعتُه إليكم لصَيَّحَ بنوه في وجهي وقالوا : دفعتَ أبانا للقتل بجَرِيرة غيره ؛ وأمّا أنا فلا أتعَجَّلُ الموتَ ، وهل تَزيدُ الخيلُ على أن تجولَ جولَةً فأكونَ أوّلَ قتيل ! ولكن هل لكم في غير ذلك ؟ هؤلاء بنيّ ، فدُونكم أحدَهم فاقتلُوه بـه ، وإن شئتمُ فلكـم ألفُ ناقةٍ تَضمَنُها لكم بكرُ بنُ وائل ؛ فغَضِبوا وقالوا : إنّا لم نأتك لتُرذِلَ[2] لنا بنيكَ ولا لِتَسُومَنا اللبن ؛ فتفرَّقوا ووقعت الحربُ . وتُكُلِّمَ في ذلك عند الحارث بن عُبَادٍ ، فقال : «لا ناقة لي في هذا ولا جمل»[3] ، وهو أوّل مَن قالها وأرسلها مثلاً . قالوا جميعاً : كانت حربهم أربعين سنة ، فيهنَّ خمسُ وقَعاتٍ مُزاحَفات ، وكانت تكون بينهم مُغاورات ، وكان الرجلُ يلقى الرجلَ والرجلانِ الرجلين ونحو هذا .

[يوم عنيزة]

وكان أوّلُ تلك الأيّام يوم عُنَيزةَ ، وهي عند فلجةَ ، فتكافؤوا فيه لا لبكر ولا لِتَغْلِبَ ؛ وتصديق ذلك قولُ مُهَلْهِلٍ : [من الوافر]

كأنّا غُـدوةً وبَنـي أبينـا بجَنْـب عُنَيزةٍ رَحَيـا مُدِيـرِ
ولـولا الريحُ أُسمِع مَـنْ بَحَجْرٍ صليلَ البَيض تُقـرَع بالذُّكورِ

[يوم واردات]

فتفرَّقوا ، ثم غبروا زماناً . ثم التقَوْا يوم وارِدات[4] ، وكان لتغلِبَ على بكر ، وقتلوا بكراً أشدَّ القتل ، وقتلوا بُجيراً ؛ وذلك قولُ مُهلهِلٍ : [من الوافر]

فإنّي قـد تركـتُ بِوارِداتٍ بُجيـراً في دَمٍ مثـلِ العَبيرِ
هتكتُ بـه بيوتَ بني عُبادٍ وبعضُ الغَشْم أشفى للصدورِ[5]

قال مُقاتلٌ : إنّه إنّما التُقِطَ تَوّاً . وسيجيء حديثُه أسفلَ من هذا . التوّ : الفرد ، يُقال : وجدته تَوّاً ، أي وحده .

قال أبو بَرْزَةَ : ثم انصرفوا بعد يوم واردات غيرَ بني ثَعْلبة بن عُكابةَ ورَأسُوا على أنفسهم الحارثَ بن عُبَادٍ ، فاتّبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة ، حتى التقوْا بالحِنْوِ ، فظهرت بنو ثعلبة على تَغْلِب .

---

1 أضاف المفضل : وعم عشرة .
2 ل : لتؤدي . وترذل بنيك . تعطينا رذال بنيك (المفضل) .
3 جمهرة العسكري 2 : 391 وأمثال العرب 1 : 131 .
4 واردات : موضع عن يسار طريق مكّة .
5 الغشم : الظلم .

[يوم القصيبات]

قال مقاتل : ثم التقَوْا يومَ بطن السَّرْو ، وهو يوم القُصَيبات ، وربّما قيل يوم القُصَيبة ، وكان لبني تَغْلِب على بَكْر ، حتى ظنّت بكرٌ أن سيقتلونها قال مقاتل :

[يوم قضة]

وقتلوا يومئذٍ همّامَ بن مرّة . ثم التقَوْا يومَ قِضَةَ وهو يومُ التحالُقِ ويومُ الثَّنِيّة . ويومُ قِضَة ويومُ الفَصيل لبَكْر على تَغْلِب . قال أبو برزة : اتَّبعتْ تغلب بكراً فقطعوا رِمَلاتِ خَزازى والرَّغامَ ثم مالوا لبطنِ الحِمارة ؛ فوردت بكرٌ قِضَةَ فسقتْ وأَسقتْ ثم صدَرتْ وحلأوا[1] تغلِبَ ، ونهضوا في نُجْعةٍ يُقال لها مُوَيية لا يجوز فيها إلاّ بعير بعير ، فلحِق رجل من الأَوْس بن تغلب بغُلَيِّم من بني تَيْم اللاّت بن ثَعْلبة يطردُ ذَوْداً له ، فطعَن في بطنه بالرمح ثم رفَعه فقال : تَحَدَّبي أُمَّ البَوِّ على بوِّك . فرآه عَوْف بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة ، فقال : أَنفِذوا جملَ أَسماءَ (ابنته) فإنّه أَمضى جِمالِكم وأَجودُها منفذاً ، فإذا نَفِذ تبِعتْه النَّعَمُ ؛ فوثب الجمل في المُوَيية ، حتى إذا نهض على يديه وارتفعت رجلاه ضرب عُرْقوبيه وقطع بِطانَ الظَّعِينة فوقع فسَدَّ الثنيةَ ، ثم قال عوف : أَنا البُرَكُ أَبرُك حيث أُدرِك ، فسُمِّي البُرَك ، ووقع الناس إلى الأَرض لا يرون مَجازاً ، وتحالقوا لتعرفهم النساء ؛ فقال جَحْدر بن ضُبيعة بن قيس أَبو المَسامِعة ، واسمه رَبيعة ؛ قال : وإنّما سُمِّي جحدراً لقِصَرِه : لا تحلقوا رأسي فإنّي رجلٌ قصير ، لا تَشِينوني ، ولكنِّي أَشتريه منكم بأَوّلِ فارس يطلعُ عليكم من القوم ؛ فطلع ابنُ عَناق فشَدّ عليه فقتله . فقال رجلٌ من بكر بن وائل يمدحُ مِسْمَع بن مالك بذلك : [من الرجز]

يا ابنَ الذي لمّا حلقنا اللِّمَمَا ابتاع منّا رأسَه تَكَرُّما[2]

بفارسٍ أوّلِ مَنْ تقدّما

وقال البكريّ : [من الطويل]

ومنّا الذي فادى من القوم رأسَه بمستلئمٍ من جَمْعهم غيرِ أَعزلا[3]

فأدّى إلينا بَزَّه وسِلاحَه ومُنْفصِلاً من عُنْقه قد تزيَّلا

قال : وكان جَحْدَرٌ يرتجِز يومئذٍ ويقول : [من الرجز]

رُدّوا عليَّ الخيلَ إن أَلَمّتِ إن لَم أُقاتِلْهم فجُزُّوا لِمَّتي

وزعم عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ أنّه لم يقلها ، وأَن صخر بن عمرو السُّلَميّ قائلُها ؛ فقال

1 حلأوا تغلب : منعوها الماء .

2 لمّا في ل : يوم .

3 مستلئم : لابس السلاح كلّه .

مِسْمَع : كَرْدِين (كذب) عامر . وقال البكريّ : [من الطويل]

ومِنّـــا الذي سَدَّ الثنيةَ غُدْوةً على حَلْفةٍ لَم يُبقِ فيها تَحَلُّلا
بجَهْدِ يمينِ الله لا يطلُعونهـا ولَمّا نُقاتِلْ جَمْعَهم حين أَسْهَلا

وأَمّا مقاتل فزعم أَنّهم قالوا : اتّخِذوا عَلَماً يعرِف به بعضُكم بعضاً ، فتحالقوا . وفيه يقول طَرَفة[1] : [من الرمل]

صوت

سائلـوا عنّـا الذي يَعرفنـا بقُوَانا يـومَ تَحْـلاَق اللِّمَمْ
يومَ تُبْدِي البِيضُ عن أَسوُقها وتَلُفُّ الخيـلُ أَعْراجَ النَّعَمْ[2]

غنّى في هذين البيتين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أَوّل بالوسطى عن الهِشاميّ ، وذكر أَحمد بن المكّيّ أَنّه لمعبد .

[همام بن مرّة ومقتله]

وزعم مقاتل أَنّ هَمّام بن مُرّة بنِ ذُهْل بنِ شَيبان ، لم يزلْ قائدَ بكر حتّى قُتل يوم القُصَيبات ، وهو قبل يوم قِضَة ، ويوم قِضَة على أَثَره . وكان من حديث مقتل هَمّام أَنّه وجَد غلاماً مطروحاً ، فالتقطه وربّاه وسمّاه ناشِرةَ فكان عنده لَقِيطاً ؛ فلمّا شَبَّ تَبَيَّنَ أَنّه من بني تَغْلِب ؛ فلمّا التقَوْا يومَ القُصَيبات جعل هَمّام يقاتل ، فإذا عطِش رجع إلى قِرْبة فشرِب منها ثم وضع سلاحَه ؛ فوجد ناشرةُ من هَمّام غفلةً ، فشَدّ عليه بالعَنَزة[3] فأَقْصده فقتله ، ولحِق بقومه تغلِبَ . فقال باكي هَمّام : [من الطويل]

لقـــد عَيّل الأَقوامَ طعنةُ ناشِرَهْ أَناشِرُ لا زالتْ يَمينُك آشِرَهْ[4]

[الحارث بن عباد أُخذ بثأر ابنه بجير]

ثم قتل ناشِرةَ رجلٌ من بني يَشْكُر . فلمّا كان يومُ قِضَة وتجمّعتْ إليهم بكر ، جاء إليهم الفِنْد الزِّمّانِيّ أَحد بني زِمّان بن مالك بن صَعْب بن عليّ بن بَكْر بن وائل من اليمامة ، قال عامر بن عبد الملك المِسْمَعيّ : فرأسوه عليهم ؛ فقلت أَنا لِفراس بن خَنْدَق : إنّ عامراً يزعم أَنّ الفِنْد كان رئيس بكر يوم قِضَة ؛ فقال : رحِم الله أَبا عبد الله[5] ! كان أَقلَّ الناس حظّاً في عِلم

1 ديوان طرفة (صادر ، بيروت) : 90 وزعم الأَصمعيّ أَنّها مصنوعة .
2 أَسوُق : جمع ساق . أَعراج النعم : قطعان من الإبل .
3 العنزة : شبه العكازة ولها زج من أَسفلها .
4 يروى : «الأَيتام» بدل الأَقوام . وعيّلهم : أَفقرهم وجعلهم عالة على الآخرين .
5 ل : عبد الملك .

قومه . وقال فِراس : كان رئيسَ بكر بعد هَمّام الحارثُ بن عُباد . قال مقاتل : وكان الحارث بن عُباد قد اعتزل يوم قتل كُلَيب ، وقال : لا أنا من هذا ولا ناقتي ولا جملي ولا عِدْلي ، وربّما قال : لست من هذا ولا جملي ولا رَحْلي ، وخذل بكراً عن تَغلِبَ ، واستعظم قتلَ كُلَيب لسؤدده في ناقة . فقال سعد بن مالك يحضض الحارثَ بن عُباد : [من مجزوء الكامل]

يـا بـؤسَ للحرب التـي وضعتْ أَراهطَ فاستراحوا
والحربُ لا يَبْقى لصا حبها التَّخَيُّـلُ والمِـراحُ[1]
إلاّ الفتى الصبّارُ في النَّـ ـجَداتِ والفرسُ الوَقاحُ

فلمّا أُخذ بُجَيْر بن الحارث بن عُبّاد تَوّاً بوارِدات ، وإنّما سُلَّ ولَم يؤخذ في مُزاحَفة ، قال له مُهَلْهِل : مَن خالُك يا غلام ؟ قال امرؤ القيس بن أَبان التَّغْلَبيّ لمهلهل : إنّي أرى غلاماً لَيُقْتَلَنّ به رجل لا يُسأل عن خاله ، وربّما قال عن حاله ، قال : فكان والله امرؤ القيس هو المقتول به ، قتله الحارث بن عُباد يوم قِضَة بيده ، فقتله مهلهل . قال : فلمّا قتَل مهلهل بُجَيْراً قال : بؤ[2] بِشِسْعِ نعلِ كُلَيب ؛ فقال له الغلام : إن رَضِيتْ بذلك بنو ضُبَيعة بن قيس رضيتُ . فلمّا بلغ الحارثَ قتلُ بُجَيْر ابنِ أَخيه ، وقال أبو بَرْزة : بل بجير ابن الحارث بن عُباد نفسِه ، قال : نِعْمَ الغلامُ غلامٌ أَصلح بين ابنيْ وائلٍ وباء بكُلَيب . فلمّا سمعوا قول الحارث : قالوا له : إنّ مهلهلاً لَمّا قتله قال له : بُؤ بشِسْع نعل كليب[3] ، وقال مهلهل : [من الرجز]

كُلُّ قتيلٍ في كُلَيْبٍ حُلاَّمْ[4] حتى ينـالَ القتلُ آلَ هَمَّامْ

وقال أيضاً : [من الرجز]

كُلُّ قتيـلٍ في كُلَيبٍ غُـرَّهْ حتى ينـالَ القتـلُ آل مُرَّهْ

فغضِب الحارث عند ذلك فنادى بالرَّحيل . قال مقاتل : وقال الحارث بن عُبـاد : [من الخفيف]

قَرِّبـا مَرْبِـطَ النَّعامـةِ مِنِّي لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ[5]

---

1 لصاحبها في رواية : «لجاحمها» أي مثيرها .

2 باء بدمه : عادله وكافأه .

3 جمهرة العسكري 1 : 266 وأمثال العرب : 132 .

4 قتيل حُلام : ذهب باطلاً .

5 النعامة : فرس الحارث بن عباد . لقحت : حملت . حيال : انعدام الحمل . والمعنى أنّ الحرب هاجت بعد سكون .

لا بُجَيْرٌ أغنى قتيلاً ولا رهـ ـطُ كُلَيبٍ تَزاجروا عن ضَلالِ
لم أكُن من جُناتها علم اللـ ـهُ وإنّي بحَرّها اليومَ صالِ

قال : ولم يصحّح عامر ولا مِسْمَع غير هذه الثلاثة الأبيات . وزعم أبو بَرْزة قال : كان أوّل فارس لقي مهلهلاً يوم وارِدات بُجَير بن الحارث بن عُباد ، فقال : مَنْ خالُك يا غلام ، وبوّأ[1] نحوه الرمحَ ؛ فقال له امرؤ القيس بن أبان التَّغْلَبيّ ، وكان على مقدّمتهم في حروبهم : مهلاً يا مهلهل ! فإنّ عمّ هذا وأهلَ بيته قد اعتزلوا حربَنا ولم يدخلوا في شيء ممّا نكرْه ، ووالله لئن قتلتَه ليُقتلنّ به رجلٌ لا يُسأل عن نسبه ؛ فلم يَلتفِتْ مهلهلٌ إلى قوله وشَدّ عليه فقتله ، وقال : بُؤْ بشِسْع نعل كليب ؛ فقال الغلام : إن رَضيتْ بهذا بنو ثَعْلبة فقد رضيتُه . قال : ثم غَبروا زماناً ، ثم لقي هَمّامَ بن مرّة فقتله أيضاً . فأتى الحارثَ بن عُباد فقيل له : قتل مهلهل هماماً ؛ فغضِب وقال : رُدُّوا الجِمالَ على عكَرها[2] «الأمرُ مخلوجةٌ ليس بسُلْكَى»[3] ؛ وجَدّ في قتالهم . قال مقاتل : فكان حَكَمَ بكر بن وائل يومَ قِضّةَ الحارثُ بن عُبَاد ؛ وكان الرئيسَ الفِنْدُ ، وكان فارسَهم جَحْدَرٌ ، وكان شاعرَهم سعدُ بن مالك بن ضُبَيعة ، وكان الذي سَدّ الثنيَّةَ عوفُ بن مالك بن ضُبَيعة ؛ وكان عوفٌ أنْبهَ من أخيه سعد .

[أسر مهلهل ونجاته]

وقال فِراس بن خَنْدَق : بل كان رئيسَهم يوم قِضّةَ الحارثُ بن عُباد . قال مقاتل : فأسَر الحارثُ بن عباد عَدِيّاً ، وهو مهلهل ، بعد انهزام الناس وهو لا يعرفه ؛ فقال له : دُلّني على المهلهل ؛ قال : ولي دَمِي ؟ قال : ولك دَمُك ؛ قال : ولي ذِمّتُك وذمّةُ أبيك ؟ قال : نعم ، ذلك لك ؛ قال : فأنا مُهَلْهِل . قال : دُلّني على كُفءٍ لبُجَيْر ؛ قال : لا أعلمه إلاّ امرأ القيس بن أبان ، هذاك عَلَمُه ؛ فجزّ ناصِيتَه[4] وقصَد قَصْدَ امرىء القيس فشَدّ عليه فقتله . فقال الحارث في ذلك : [من الخفيف]

لَهْفَ نفسي على عَدِيٍّ ولَمْ أعـ ـرِفْ عَدِيّاً إذ أمكنتْني اليدانِ
طُلَّ مَنْ طُلَّ في الحروب ولَمْ أُو تِـرْ بُجَيراً أبأتُـه ابنَ أبانِ[5]

---

1 بوّأ الرمح : سدده .

2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل أي ردوا الإبل إلى بعضها .

3 انظر المثل رقم 139 عند الميداني وص 305 في فصل المقال . والمخلوجة : الطعنة المعوجة ، والسلكى : الطعنة المستقيمة .

4 كانوا يجزون ناصية الأسير قبل إطلاق سراحه للافتخار بفعلهم .

5 طُل : دم القتيل لم يؤخذ بثأره .

فارسٌ يَضرِب الكتيبةَ بالسيـ ـف وتسمو أمامَـه العيْنانِ

وزعم حُجْر[1] أنّ مُهَلْهِلا قال : لا والله أوْ يَعْهَدَ لي غيرُك ؛ قال الحارث : اخترْ مَنْ شئت ؛ قال : أختار الشيخَ القاعد عَوْفَ بن مُحَلِّم ؛ قال الحارث : يا عوفُ أجِرْه ؛ قال : لا حتى يقعدَ خَلْفي ؛ فأمره فقعد خلفه ؛ فقال : أنا مُهَلهِل . وأمّا مقاتل فقال : إنّما أخذه في دَوْرِ الرَّحى وحَوْمة القتال ولَمْ يقعد أحدٌ بعدُ ، فكيف يقول الشيخَ القاعدَ ! . قال مقاتل : وشدّ عليهم جَحْدَرٌ ، فاعتوره عمرو وعامر ، فطعن عمراً بعالية الرمح وطعن عامراً بسافِلته فقتلهما عِداءً[2] وجاء ببَزّهما . قال عامر بن عبد الملك المِسْمعي : فحدّثني رجلٌ عالِم قال : سألني الوليدُ بن يزيد : مَنْ قتلَ عمراً وأخاه عامراً ؟ قلت : جَحْدَر ؛ قال : صدقتَ ، فهل تدري كيف قتلهما ؟ قلت : نعم ، قتل عمراً بسِنان[3] الرمح ، وقتل عامراً بزُجّهِ . قال : وقتل جحدرٌ أيضاً أبا مِكْنَفٍ . قال مقاتل : فلمّا رجع مُهلهِل بعد الوَقْعَة والأَسْرِ إلى أهله ، جعل النساء والولدانُ يستخبرونه : تسأل المرأة عن زوجها وابنها وأخيها ، والغلامُ عن أبيه وأخيه ؛ فقال : [من الخفيف]

ليس مثلي يُخبِّر النّاسَ عـن آ بائهـم قُتِّلـوا ويَنْسى القِتالاَ
لَم أَرِمْ عَرْصةَ الكتيبةِ حتّى انـ ـتعل الوَرْدُ من دمـاءٍ نِعالا[4]
عَرَفَتْه رمـاحُ بكـرٍ فما يأ خُـذن إلاّ لَبانَـه والقَذالا
غلبونـا ، ولا محالـةَ يومـاً يَقلِبُ الدَّهرُ ذاك حالاً فحالا

ثم خرج حتّى لحِق بأرض اليمن ، فكان في جَنْبٍ[5] ، فخطب إليه أحدُهم ابنتَه فأبى أن يفعل ، فأكرهوه فأنكحها إيّاه ؛ فقال في ذلك مهلهِل : [من المنسرح]

أنكحَها فقدُهـا الأراقِمَ في جَنْبٍ وكان الحَباءُ مـن أدَمِ[6]
لـو بأبانَيْنِ جـاءَ يخطبُها ضُرِّج مـا أنفُ خاطبٍ بدَمِ[7]
أصبحتُ لا مُنْفِساً أصبتُ ولا أُبْتُ كريماً حـرّاً من النَّدَمِ[8]

1 ل : جحذر .
2 عالية الرمح : سنانه . وسافلته : زجه . وقتلهما عداء : قتلهما بطعنتين متواليتين .
3 ل : بعالية .
4 لم أرم : لم أبرح . الورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة .
5 جنب : حمى باليمن .
6 الأراقم : حي بن تغلب . الحباء : المهر .
7 أبانان : جبلان يقال لأحدهما أبان الأبيض وللآخر أبان الأسود .
8 المنفس : الكثير من المال .

هـان على تَغْلِـبٍ بما لَقِيتْ أختُ بني المالِكِين من جُشَمِ
ليسوا بأكفائنـا الكـرام ولا يُغْنون مـن عَيْلـةٍ ولا عَـدَمِ

ثمّ إنّ مهلهلاً انحدر ، فأخذه عمرو بن مالك بن ضُبيعة ، فطلب إليه أخوالُه بنو يَشْكُر ، وأُمّ مهلهلٍ المرادة[1] بنت ثَعْلبة بن جُشَم بن غُبَر اليَشْكُريّة ، وأُختها مَنَّة بنت ثَعْلبة أُمّ حُيَيّ بن وائلٍ ، وكان المُحَلّل بن ثعلبة خالَهما ، فطلب إلى عمرو أن يدفعه إليه فيكونَ عنده ففعل ؛ فسقاه خمراً ، فلمّا طابت نفسُه تَغَنَّى : [من الخفيف]

طَفْلةٌ مـا ابنـةُ المُحلّل بيضا ءُ لَعُـوبٌ لذيـذةٌ في العِناقِ

حتى فرغ من القصيدة ، فأدّى ذلك مَنْ سَمِعه من المُهلهِل إلى عمرٍو ، فحوّله إليه وأقسم ألاّ يذوق عنده خمراً ولا ماء ولا لبناً حتى يَرِدَ رَبِيبٌ الهِضابَ (جمل له كان أقلُّ ورودِه في الصيف الخِمْسَ) ؛ فقالوا له : يا خير الفتيان ، أرسِلْ إلى ربيبٍ فلْتُؤتَ به قبل وروده ، ففعل فأوْجره ذَنُوباً[2] من ماء ؛ فلمّا تَحَلَّل من يمينه سقاه من ماء الحاضرة ، وهو أوبأُ ماءٍ رأيته قطّ ، فمات . فتلك الهِضاب التي كان يرعاها ربيبٌ يُقال لها هِضاب ربيب ، طالما رعيتُهنّ ورأيتهنّ .

[القبائل التي انضمّت إلى بكر]

قال مقاتل : ولم يُقاتل معنا من بني يَشْكُرَ ولا من بني لُجَيْم ولا ذُهْل بنِ ثَعْلبة غيرُ ناس من بني يَشْكر وذُهْلٍ قاتلتْ بأخرَةٍ ، ثم جاء ناس من بني لُجَيم يوم قِضَةَ مع الفِنْدِ . وفي ذلك يقول سَعْد بن مالك : [من السريع]

إنّ لُجَيماً قـد أبـتْ كلُّها أن يُرْفِدونـا رجـلاً واحدَا
ويَشْكُرٌ أضْحـتْ على نأيهـا لَـم تَسْمَـعِ الآن لهـا حامدا
ولا بنو ذُهْـلٍ وقـد أصبحوا بهـا حُلـولا خَلَفـاً ماجدا
القائِدي الخيـلِ لأرض العِدَا والضاربين الكوكـبَ الوافِدا[3]

وقال البَكْريّ : [من الطويل]

وصَدّتْ لُجَيمٌ للبراءة إذ رأتْ أهاضيبَ موتٍ تُمطِرُ الموتَ مُعْضِلاَ[4]

1 ل : المرتادة .
2 أوجره ذنوباً : جعل في فيه دلواً من الماء .
3 الكوكب الوافد : سيد القوم القادم .
4 أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر . ل : يوم بدلاً من موت .

ويَشْكُرُ قـد مالـتْ قديماً وأرْتعتْ ومَنّتْ بقُرْباهـا إليهـم لِتُوصَلا

وقالوا جميعاً : مات جَسَّاسٌ حَتْفَ أَنفه ولَم يُقْتَل .

[عدد القتلى من بكر وتغلب]

قال عامر بن عبد الملك : لم يكن بينهم مِن قَتْلى تُعَدُّ ولا تذكر إلاّ ثمانيةَ نفرٍ من تَغْلِب وأَربعةً من بَكْر عدّدهم مُهلهلُ في شِعرَيْهِ ، يعني قصيدتيْهِ : [من الوافر]

أليلَتَنا بـذي حُسُمٍ أَنيـرِي إذا أَنتِ انْقضَيتِ فلا تَحُورِي[1]

فإن يَكُ بالذَّنائب طال ليلي فقـد أَبكي مـن الليلِ القِصيرِ

فلـو نُبِش المقابـرُ عن كُلَيب فيَعْلَـمَ بالذنائـب أَيُّ زِيرِ

بيـوم الشَّعْثَمَـينِ أُقِـرّ عيناً وكيف لِقاءُ من تحت القُبورِ[2]

وإنّي قـد تركـتُ بِوارِداتٍ بُجَيـراً في دمٍ مثـلِ العَبيرِ

هتكتُ بـه بيوتَ بنـي عُبَادٍ وبعضُ الغَشْم أُشفى للصّدورِ

على أَنْ ليس يُوفِي من كُلَيْبٍ إذا بـرزتْ مخبّأةُ الخُدورِ[3]

وهمّامَ بـن مُـرَّةَ قـد تركنا عليه القَشْعمانِ مـن النسورِ

يَنُـوء بصدره والرمحُ فيـه ويَخْلِجُـه خِـدَبٌّ كالبعيرِ[4]

فلولا الريحُ أُسْمِعَ مَنْ بِحَجْرٍ صليلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذكورِ

فِدىً لبني شَقيقَةَ يوم جاؤوا كأُسْدِ الغابِ لَجّتْ في الزَّئيرِ

كأنّ رماحَهـم أَشطـانُ بئرٍ بعيـدٍ بـين جَالَيْهـا جَرُورِ[5]

غـداةَ كأنّنـا وبنـي أَبينا بجَنْـب عُنَيْزةٍ رَحَيـا مُديرِ

تَظَلّ الخيـلُ عاكفـةً عليهم كأنّ الخيلَ تُرْحَضُ في غديرِ[6]

فهؤلاء أَربعة من بني بكر بن وائل . وقال أيضاً : [من الخفيف]

طَفْلةٌ مـا ابنـةُ المحلّلِ بَيضا ءُ لَعُـوبٌ لذيـذةٌ في العِناقِ

---

1 ذو حسم : موضع بالبادية . لا تحوري : لا ترجعي .

2 يوم الشعثمين : يوم وارادت . وفي شعر الأَخطل ما يشير إلى أنّه يوم الذنائب .

3 يُوفي في ل : يشفي .

4 يخلجه : يجذبه . والخدب : الضخم .

5 أَشطان : حبال شديدة الفتل . جال البئر : ناحيتها .

6 ترحض : تغسل .

فاذْهَبي مـا إليكِ غيرَ بعيدٍ لا يُؤاتي العِناقُ مَنْ في الوَثاقِ
ضربـتْ نحرَهـا إليّ وقالتْ يا عَدِيّـاً لقد وَقَتْك الأَواقي
ما أُرَجِّي في العيش بعد نَداما يَ أَراهم سُقُوا بكأسِ حَلاَقِ[1]
بعـد عمـرٍو وعامرٍ وحُبَيٍّ وربيعِ الصَّدُوفِ وابْني عَناقِ
وامرىء القيس مَيِّت يوم أَوْدى ثم خَلّى عليّ ذاتَ العَراقي[2]
وكليبٍ سُمّ الفوارس إذ حُمَّ رمـاه الكمـاةُ بالإيفاقِ[3]
إنّ تحت الأَحجار حَدّاً ولِيناً وخَصيماً ألـدَّ ذا مِعْلاقِ[4]
حيّةٌ في الوِجـار أَربـدُ لا تَنـ ـفَعُ منـه السليمَ نَفْثةُ راقِ

فهؤلاء ثمانية من تغلب . قال عامر : والدليل على أَنّ القَتْلى كانوا قليلاً أَنّ آباء القبائل هم الذين شهِدوا تلك الحروبَ ، فعُدُّوهم وعُدُّوا بنيهم وبني بنيهم ، فإن كانوا خمسمائةٍ فقد صدَقوا ، فكم عسى أَن يبلغ عددُ القتلى والقبائل . قال مِسْمَع : إنّ أَخي مجنون ، وكيف يحتجّ بشعْر المُهَلهِل ، وقد قتل جَحْدرٌ أَبا مِكْنَف يوم قِضَة فلم يذكره في شعره ، وقَتل اليشكريُّ ناشِرةَ فلم يذكره في الشعر ، وقُتِل حَبيبٌ يومَ وارِدات ، وقَتل سعدُ بن مالك يوم قِضَةَ ابنَ القَبيحة فلم يُذْكر ، فهؤلاء أَربعة . وقال البَكْريّ : [من الطويل]

تركنا حَبيباً يوم أَرْجفَ جمعُه صريعاً بأَعلى وارداتٍ مُجَدَّلا

وقال مُهَلهِل أيضاً : [من الخفيف]

لستُ أَرجو لَـذَّةَ العيش مـا أَزَمَتْ أَجـلادُ قِـدٍّ بساقِي
جَلَّلوني جلـدَ حَـوْبٍ فقـد جعلـوا نَفْسيَ عنـد التَّراقي[5]

وقال آخر يَفْخَر بيوم واردات : [من الوافر]

ومُهْـراقُ الدمـاء بـواردات تَبِيـد المُخْزِيـاتُ ومـا تَبِيدُ

فقلتُ لعامر : ما بالُ مسْمَع وما احتجّ به من هؤلاء الأَربعة ؟ فقال عامر : وما أَربعةٌ إن كنتُ أَغفلتهم فيما يقولون ؟ إنّهم قتلوا يوم كذا ثلاثةَ آلاف ، ويوم كذا أَربعةَ آلاف ، والله ما

1 كأس حلاق : كأس المنية .
2 ذات العراقي : الداهية .
3 الإيفاق : توتير القوس للرمي .
4 حد : حدّة . ذو معلاق : لسان بليغ يسدّ الحجّة على خصمه . ويروى «مغلاق» أي يغلقها على خصمه .
5 الحوب : الضخم من الجمال .

أظنّ جميع القوم كانوا يومئذٍ ألفاً ! فهاتوا فعُدُّوا أسماءَ القبائل وأبناءهم وانْزِلوا معهم إلى أبناء أبنائهم ، فكم عسى أن يكونوا ؟

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

صوت

[من الخفيف]

أزْجُرِ العين أنْ تُبَكِّي الطُّلولا ... إنّ في الصَّدرِ من كُلَيبٍ غليلاَ
إنّ في الصدرِ حاجةً لن تَقَضَّى ... ما دعا في الغصون داعٍ هَدِيلا
كيف أنساكَ يا كُلَيبُ ولمّا ... أقضِ حزناً يَنُوبُني وغَليلا
أيّها القلبُ أنْجزِ اليومَ نَحْباً ... من بني الحِصْنِ إذ غَدَوْا وذُحولا[1]
كيف يَبكي الطلولَ مَنْ هو رهنٌ ... بطِعانِ الأنامِ جِيلاً فجِيلاَ
أنبَضُوا مَعْجِسَ القِسِيِّ وأبرقْـ ... ـنا كما تُوعِدُ الفحولُ الفحولا[2]
وصبَرْنا تحت البَوارِقِ حتّى ... رَكَدتْ فيهمُ السيوفُ طويلا
لَمْ يُطيقوا أن يَنزِلوا ونزلنا ... وأخو الحربِ مَنْ أطاق النّزولا

الشعر لمُهلهِل[3] ، قال أبو عُبَيدة : اسمه عَدِيّ ، وقال يعقوب بن السِّكِّيت : اسمه امرؤ القيس ، وهو ابن رَبيعة بن الحارث بن زُهير بن جُشَم بن بَكْر بن حَبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب ؛ وإنّما لُقِّب مُهَلهِلاً لِطيب شعره[4] ورِقّته ، وكان أحدَ مَن غُنِّيَ من العرب في شعره . وقيل : إنّه أوّلُ مَن قَصَّد القصائدَ وقال الغزلَ ؛ فقيل : قد هَلْهَلَ الشعرَ ، أي أرَقّه . وهو أوّلُ مَنْ كذَب في شعره[5] . وهو خال امرىء القيس بن حُجْر الكِنْديّ . وكان فيه خُنْثٌ ولِين ، وكان كثيرَ المحادثة للنّساء ، فكان كُلَيب يسمّيه «زِيرَ النِّساء» ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

ولو نُبِش المقابرُ عن كُلَيبٍ ... فيَعلَمَ بالذنائب أيُّ زيرِ

الغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني من الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

---

1 النحب : النذر . بنو الحصن : ثعلبة بن عكابة . الذحول : جمع ذحل وهو الثأر .

2 أنبض القوس : جذب وترها لتصوّت . معجس : مقبض .

3 ترجمة مهلهل في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 215–217 والخزانة 2 : 164–174 ومعجم المرزباني : 79 .

4 ل : صوت .

5 لقوله : «ولولا الريح أسمع من بحجر . . .» نظراً لبُعد المسافة بين مكان الموقعة وحجر . وقد حمل ذلك عليه القالي وأبو الفرج وابن قتيبة ، على أنّها من أيسر المبالغات في الشعر العربي .

وللغَريض فيهما لحنٌ في هذه الطريقة والإصبع والمجرى ، والذي فيه سَجْحةٌ منها لابن مُحرز . ولمَعْبَد لحنان أحدهما في الأوّل والسادس ثقيل أوّل مُطلق في مجرى البنصر ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولإبراهيم في الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى . ولإسحاق في الأوّل والثالث ماخُورِيّ . ولعَلُّويَه في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر ، ولمالك فيهما خفيف رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى . ولابن سُرَيج في السادس والسابع خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى البنصر . ولابن سُرَيج أيضاً في الأوّل والثامن خفيفُ ثقيل أوّل بالبنصر . وللغَريض في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . وللهُذَليّ في الأوّل والثاني والسابع خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى من رواية حماد عن أبيه . ولمالك في الأوّل والثاني والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو بن بانة .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

ثَكِلتْني عنـد الثَّنِيَّـة أُمِّـي وأَتاهـا نَعـيُّ عمِّـي وخالِـي
إنْ لَمَ آشْفِ النفوسَ من حَيِّ بكرٍ وعَـدِيّ تَطـاهُ بُـزْلُ الجِمالِ[1]

الشعر مجهول[2] ؛ غنّاه ابن سُرَيجٍ ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من رواية إسحاق ، وغنّاه الغريض ثقيلاً أوّل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

قَرِّبـا مَرْبِـطَ النَّعامـة مِنِّي لَقِحتْ حربُ وائلٍ عن حِيالِ
قَرِّباهـا في مُقْرَبـاتٍ عِجَـالٍ عابساتٍ يَثِبْنَ وَثْبَ السَّعالي[3]
لَم أَكن من جُناتهـا علم اللهُ وإنِّـي بحَرِّهـا اليـوم صالِ

الشعر للحارث بن عُباد . والغناء للغَريض ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه لحن آخر يُقال إنّه لابن سُرَيج .

---

1 لهذا البيت رواية أخرى :

إن لم اشف النفوس من تغلب الغد ر بيوم تـذلّ فيـه بـزل الجمـال

2 إضافة من ل ، ولعلّ البيتين ملحقان بشعر الحارث بن عباد .

3 مقربات : خيل يقرب مربطها لكرامتها .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

يـــا لَبَكْـرٍ أَنْشِروا لي كُلَيباً يا لَبَكْـــرٍ أَيـنَ أَيـــنَ الفِرارُ
يالَبَكْـرٍ فاظْعَنـوا أو فحُلُّـوا صَرَّح الشرُّ وبـــان السِّرارُ

الشعر لمُهَلهِل . والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وغنّاه الأبجر خفيف رملٍ بالوسطى من رواية عمرو .

ومنها : [من الوافر]

صوت

أَليلَتنـا بـذي حُسُمٍ أَنِيري إذا أَنتِ انقضيتِ فلا تَحُوري
فإن يَـكُ بالذَّنائب طال ليلي فقد أَبكي من الليـل القصيرِ
كأَنّ الجَدْيَ جَدْيَ بناتِ نَعْشٍ يُكِبّ على اليديـن بمستديرِ[1]
وتَحْبُو الشِّعْرَيـانِ إلى سُهَيلٍ يَلُـوح كقِمَّةِ الجمـل الكبيرِ[2]
فلولا الريحُ أُسمِعَ أَهـلُ حَجْرٍ صَلِيلَ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذُّكورِ

الشعر لمُهَلْهِل . والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّل بالبنصر ، وله في الأبيات كلّها خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى الوسطى ، عن إسحاق جميعاً . وفي الأبيات كلِّها على الوِلاء للأبْجر ثاني ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو . ويُقال : إنّ فيها لحناً للغَريض أيضاً .

[مقتل جَسّاس]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال حدّثنا محمد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل عن أبي عُبَيدة : أنّ آخِرَ مَنْ قُتِل في حرب بكر وتغلِب جَسّاسُ بن مُرّة بن ذُهْل بن شَيْبان ، وهو قاتلُ كُلَيب بن رَبيعة ، وكانت أُخته تحت كُلَيب ، فقتله جَسّاس وهي حامل ، فرجعتْ إلى أهلها ووقعت الحربُ ، فكان من الفريقين ما كان ؛ ثم صاروا إلى الموادعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان ؛ فولدت أُختُ جَسّاس غلاماً فسمّته الهِجْرِسَ وربّاه جسّاس ، فكان لا يعرف أَباً غيره ، وزوّجه ابنتَه . فوقع بين الهِجْرِس

1 الجدي : نجم يدور مع بنات نعش أو أحد البروج . يكب : ينكس .

2 تحبو : تدنو . الشعريان : الشعرى اليمانية أو العبور والشعرى : الغميصاء . وهما اللتان تبكيان لأخيهما سهيل في شعر المعرّي .

وبين رجل من بني بكر بن وائل كلامٌ ؛ فقال له البكريّ : ما أَنت بمنتهٍ حتى نُلْحقك بأَبيك ؛ فأَمسك عنه ودخل إلى أُمّه كئيباً ، فسألَتْه عمّا به فأَخبرها الخبر ؛ فلمّا أَوى إلى فراشِه ونام إلى جنب امرأته وضع أَنفَه بين ثدييها ، فتنفّس تَنَفُّسةً تَنَفَّط ما بين ثدييها من حرارتها ؛ فقامت الجارية فَزِعةً قد أَقلّتها رِعدةٌ حتّى دخلتْ على أَبيها ، فقصّت عليه قصّةَ الهِجْرِس ؛ فقال جَسّاس : ثائرٌ وربِّ الكَعْبة ! وبات جَسّاسٍ على مثل الرَّضْف حتى أَصبح ؛ فأَرسل إلى الهِجْرِس فأَتاه ، فقال له : إنّما أَنتَ ولدي ومني بالمكان الذي قد علمتَ ، وقد زوّجتك ابنتي وأَنتَ معي ، وقد كانت الحرب في أَبيك زماناً طويلاً حتّى كِدْنا نتفانى ، وقد اصطلحْنا وتحاجزْنا ، وقد رأَيتُ أَن تدخل فيما دخل فيه الناسُ من الصّلح ، وأَن تنطلقَ حتّى نأخذَ عليك مثلَ ما أُخذ علينا وعلى قومنا ؛ فقال الهِجْرِس : أَنا فاعل ، ولكنّ مثلِي لا يأتِي قومَه إلاّ بلأْمته وفرسه ؛ فحمله جَسّاس على فرس وأَعطاه لأْمةً ودِرْعاً ؛ فخرجا حتى أَتَيا جماعةً من قومهما ، فقَصّ عليهم جَسّاس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ، ثم قال : وهذا الفتى ابن أُختي قد جاء ليدخلَ فيما دخلتم فيه ويَعْقِد ما عَقَدتم ؛ فلمّا قَرّبوا[1] الدمَ وقاموا إلى العَقْد أَخذ الهِجْرِس بوَسَط رُمحه ، ثم قال : وفَرَسي وأُذُنَيْه ، ورُمْحي ونَصْلَيْه ، وسيفي وغِرارَيْه ، لا يترك الرجل قاتلَ أَبيه وهو ينظر إليه ؛ ثم طعن جَسّاساً فقتله ، ثم لحِقَ بقومه ؛ فكان آخرَ قتيلٍ في بكر بن وائل .

[ترحيل امرأة كليب عن مأتم زوجها]

قال أَبو الفرج : أَخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أَبيه عن الشَّرْقِيّ بن القُطاميّ قال : لمّا قَتل جَسّاس بن مُرّة كُلَيبَ بنَ ربيعة ، وكانت جليلةُ بنت مُرّة أُختُ جَسّاس تحت كليب ، اجتمع نساء الحيّ للمأتم ، فقلن لأُخت كُليب : رَحِّلي جَليلةَ عن مأتمك ، فإنّ قيامها فيه شماتةٌ وعارٌ علينا عند العرب ؛ فقالت لها : يا هذه اخرُجي عن مأتمنا ، فأَنتِ أُختُ واترِنا وشقيقةُ قاتِلنا ؛ فخرجت وهي تَجُرّ أَعطافَها ؛ فلقيها أَبوها مُرّة ، فقال لها : ما وراءكِ يا جليلة ؟ فقالت : ثُكْلُ العَدَد ، وحزنُ الأَبد ؛ وفَقْدُ حليل ، وقتلُ أَخٍ عن قليل ؛ وبين ذينِ غرسُ الأَحقاد ، وتَفَتُّتُ الأَكباد ؛ فقال لها : أَوَ يَكُفُّ ذلك كرمُ الصَّفْح وإغلاءُ الدِّيات ؟ فقالت جليلة . أُمْنِيَّةُ مخدوعٍ وربِّ الكعبة ! أَبالبُدْنِ تَدَعُ لك تَغْلِب دمَ ربِّها ؟ . قال : ولّما رَحَلت جليلةُ قالت أُخت كُلَيب : رِحلةُ المعتدي وفِراقُ الشامت ، ويلٌ غداً لآل مُرّة ، من الكَرّة بعد الكرّة ! . فبلغ قولُها جليلةَ ، فقالت : وكيف تَشْمَتُ الحُرّة بهَتْك سِتْرِها وتَرَقُّبِ وِتْرها ! أَسعد اللهُ جَدَّ أُختي ، أَفَلا قالت : نَفْرة الحياء ، وخوف الاعتداء ! .

1 كان من عادة العرب أَن يغمسوا عند التحالف أَيديهم في طيب أَو دم أَو رماد .

[رثاء جليلة لكليب]

ثم أنشأتْ تقول[1] : [من الرمل]

يـا ابنةَ الأقوامِ إنْ شئتِ فلا تَعْجَلي باللَّوْم حتّى تسأَلي
فإذا أنتِ تَبَيَّنْتِ الذي يُوجِبُ اللَّومَ فلُومي واعذُلي
إن تكن أُختُ امرىء لِيمتْ على شَفَقٍ منها عليه فافعلي
جَلَّ عندي فعلُ جَسّاسٍ فيا حَسْرتي عمّا انجلتْ أو تنجلي
فعلُ جَسّاسٍ على وَجْدي به قاطعٌ ظَهْري ومُدْنٍ أَجَلي
لَوْ بِعَينٍ فُقِئتْ عيني سوى أُختِها فانفقأتْ لَم أَحْفِلِ
تَحمِلُ العينُ قَذى العينِ كما تَحمِلُ الأُمّ أذى ما تَفتَلي
يا قتيلاً قَوّض الدَّهرُ به سَقفَ بيتيّ جميعاً من عَلِ
هدمَ البيتَ الذي استحدثتُه وانثنى في هدمِ بيتي الأوّلِ
ورماني قتلهُ من كَثَبٍ رميةَ المُصْمي به المُستأصِلِ
يا نِسائي دونكنّ اليومَ قد خَصَّني الدَّهرُ برُزْءٍ مُعْضِلِ
خَصَّني قتلُ كُلَيب بلَظىً مِن ورائي ولَظىً مُستقبلي
ليس مَن يَبكي ليومين كمن إنّما يبكي ليومٍ ينجلي
يشتفِي المدركُ بالثأرِ وفي دَرَكي ثأريَ ثُكْلُ المُثكِلِ
ليته كان دَمي فاحتلبوا بَدَلاً منه دَماً من أَكْحلي[2]
إنّني قاتلةٌ مقتولةٌ ولعلّ الله أن يرتاحَ لِي

1 ذكر المرزباني في أشعار النساء عن الحرمي بن أبي العلاء نسبة هذه الأبيات عن محمّد بن خلف المرزبان إلى فاطمة أخت كليب ومهلهل ترثي بها أخاها . على أن في الأبيات ما لا يتّفق منطقيّاً مع هذه النسبة .

2 بدلاً في ل : دررا .

[64] ـ ذكر الهذلي وأخباره

[نسب الهذلي وصناعته]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : الهُذَليان أَخَوانِ يُقال لهما سعيد وعبد آل ابنا مسعود ؛ فالأكبر منهما يُقال له سَعيد ، ويُكنى أبا مسعود ، وأُمّه امرأة يُقال لها أُمّ فَيْعل ، وكان كثيراً ما يُنسب إليها ، وكان ينقش الحجارة بأبي قُبَيس ، وكان فتيانٌ من قريش يَرُوحون إليه كلَّ عشيّة فيأتون بَطْحاء يُقال لها بطحاء قريش فيجلسون عليها ، ويأتيهم فيُغنّي لهم ويكون معهم . وقد قيل : إنّ الأكبر هو عبد آل ، والأصغر سعيد .

[يغنّي وهو يزاول نقش الحجارة]

قال هارون وحدّثني الزبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عُتْبة اللهبيّ : أنّ الهذليّ كان نَقّاشاً يعمل البُرَمَ من حجارة الجبل ، وكان يُكنى أبا عبد الرحمن ، وكان إذا أَمْسى[1] راح فأَشْرف على المسجد ثم غنّى ، فلا يلبث أن يُرى الجبل كقُرْص الخَبيص صُفْرةً وحُمرة من أَرْدِية قريش ؛ فيقولون : يا أبا عبد الرحمن ، أَعِد ؛ فيقول : أمّا والله وهاهنا حجر أحتاج إليه لم يَرِد الأبطحَ فلا ؛ فيضعون أيديهم في الحجارة حتى يقطعوها له ويَحْدُروها إلى الأبطح ، وينزل معهم حتّى يجلس على أعظمها حجراً ويغنّي لهم .

قال هارون وحدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبي مسعود بن أبي جَناح قال أخبرني أبو لَطِيف وعُمارة قالا : تغنّى الهذليُّ الأكبرُ ، وكان من أنفسِهم ، وكان فِتْيانُ قريش يَرُوحون كلّ عشيّةٍ حتّى يأتوا بَطْحاءَ يُقال لها بطحاءُ قريش قريباً من داره ، فيجلِسون عليها ويأتيهم فيُغنّيهم .

[أجازه الحارث بن خالد لمّا سمع غناءه]

قال : وأخبرني ابن أبي طَرَفة عن الحسن بن عَبّاد الكاتِب مولى آل الزُّبَير قال : هجم الحارثُ بن خالد ، وهو يومئذٍ أمير مكّة ، على الهذليّ وهو مع فتيان قريش بالمفجَر[2] يغنّيهم وعليه جُبّةُ صوف ، فطرح عليه مُقطّعاتِ خَزّ ، فكانت هذه أوّلَ ما تحرّك لها .

[تزوّج بنت ابن سريج وأخذ عنها غناء أبيها]

قال هارون : وحدّثني حماد عن أبيه قال : ذكر ابن جامع عن ابن عَبّاد أنّ ابن سُرَيج لمّا

---

1 ل : مشى .

2 المفجر : موضع بمكّة . وفي ل : المفخر .

حضَرته الوفاةُ نظر إلى ابنته فبكى ، فقالت له : ما يُبكِيك ؟ قال : أَخشى عليكِ الضيعةَ بعدي ؛ فقالت له : لا تخف فما من غنائك شيء إلاّ وقد أَخذتُه ؛ قال : فغنِّيني فغنَّته ، فقال : قد طابت نفسي ، ثم دعا بالهذليّ فزوّجها منه ؛ فأَخذ الهذليّ غناء أَبيها كلَّه عنها فانتحل أَكثَره ؛ فعامّة غناء الهذليّ لابن سُرَيج ممّا أَخذه عن ابنته وهي زوجتُه .

[حذره الحارث بن خالد من منى]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني محمّد بن يحيى أَبو غَسّان قال : كان الهذليّ منزلُه بمِنىً ، وكان فِتيان قريش يأتونه فيُغنِّيهم هناك ، ثم أَقبل مرّة حتى جلس على جمرة العقبة فغنّى هناك ، فحذَره الحارثُ من مِنىً ، وكان عاملاً على مكّة ، ثم أَذِن له فرجع إلى منى[1] .

[غنَّى لفتية من قريش]

قال هارون : وحدّثني عليّ بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أَبي قال : كان الهذليّ النقَّاشُ يغدو إليه فتيان قريش وقد عَمِل عملَه بالليل ، ومعهم الطعامُ والشراب والدراهم . فيقولون له : غنِّنا ؛ فيقول لهم : الوظيفةَ ، فيقولون : قد جئنا بها ؛ فيقول : الوظيفةَ الأُخرى ، أَنزلُوا أَحجاري ، فيُلقون ثيابهم ويأتزِرون بأُزُرهم وينقلُون الحجارة ويُنزِلونها ، ثم يجلِس[2] على شُنْخُوبٍ[3] من شَناخيب الجبل فيجلسون تحته في السَّهْل فيشربون وهو يُغنِّيهم حتّى المساء ، وكانوا كذلك مدّة ؛ فقال له يوماً ثلاثةُ فتيةٍ من قريش : قد جاءك كلّ واحد منّا بمثل وظيفتك على الجماعة من غير أَن تُنقَص وظيفتُك عليهم ، وقد اختار كلّ واحد منّا صوتاً من غنائك ليجعلَه حظَّه اليومَ ، فإن وافقتِ الجماعةُ هوانَا كان ذلك مشتركاً بيننا ، وإن أَبَوْا غنّيتَ لهم ما أَرادوا وجعلتَ هذه الثلاثةَ الأَصواتِ لنا بقيةَ يومنا ؛ قال : هاتوا فاختار أَحدُهم : [من الطويل]

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمصايفُ من هندِ

واختار الآخرُ : [من الطويل]

أَلمَّ بنا طيفُ الخيال المهجِّدُ[4]

واختار الآخر : [من المنسرح]

هجَرْتُ سُعدى فزادني كَلَفا

---

1 ل : مكّة .

2 ل : ينزلون .

3 الشنخوب : رأس الجبل .

4 المهجّد : الموقظ .

فغنّاهم إيّاها ، فما سمع السامعون شيئاً كان أحسنَ من ذلك ؛ فلمّا أرادوا الانصراف قال لهم : إنّي قد صنعت صوتاً البارحة ما سمعه أحد ، فهل لكم فيه ؟ قالوا : هاتِه مُنْعِماً بذلك ؛ فاندفع فغنّاهم : [من الطويل]

أَإِنْ هتَفتْ وَرْقاءُ ظَلْتَ سفاهةً تُبكّي على جُمْلٍ لِوَرْقاءَ تَهْتِفُ

فقالوا : أحسنتَ والله ، لا جرمَ لا يكون صَبُوحُنا في غدٍ إلاّ عليه ، فعادوا وغنّاهم إيّاه وأعطَوْه وظيفتَه ؛ ولم يزالوا يستعيدونه إيّاه باقيَ يومهم .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

من ذلك[1] : [من الطويل]

صوت

عَفَتْ عَرَفاتٌ فالمَصايف من هندِ فَأَوْحشَ ما بين الجَرِيبينِ فالنَّهْدِ[2]

وغَيَّرها طولُ التقادُمِ والبِلى فليستْ كما كانتْ تكونُ على العَهْدِ

الشعر للأَحْوص ، وقيل : إنّه لعمر . والغناء للهذليّ ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

أَلَمّ بنا طَيْفُ الخيال المهجِّدُ وقد كادت الجوزاءُ في الجوِّ تَصْعَدُ

أَلَمّ يُحيّينا ومِن دون أهلها فَيافٍ تَغُورُ الريحُ فيها وتُنجِدُ

عروضه من الطويل . لم يقع لنا اسم شاعره ونسبه . والغناء للهُذَلِيّ ثقيل أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو اللحن المختار ، وفيه ليحيى المَكّيّ هَزَجٌ . ولحنُ الهذليّ هذا ممّا اختير للرشيد والواثقِ بعده من المائة الصوت المذكورة .

ومنها : [من المنسرح]

---

1 البيتان في ديوان الأحوص : 75 وفي ديوان عمر بن أبي ربيعة (صادر) : 116 .

2 الجريبان والنهد : أسماء مواضع .

صوت

هجرتُ سُعْدى فزادني كَلَفَا هِجرانُ سُعْدى وأزمعتْ خُلُفَا
وقَـدْ على حُبّهـا حلفتُ لهـا لـو أنَّ سُعْدَى تُصدِّق الحِلَفا
مـا عَلِقَ القلبُ غيرَهـا بَشَراً ولا سواهـا مِـن مَعْلَقٍ عَرَفا
فلَم تُجبنـي وأعرضتْ صَلَفاً وغادرتْنـي بحبّهـا كَلِفـا

الغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى .

[ابن مزامير داود]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : زوّج ابنُ سريج لما حضرتْه الوفاةُ الهذليّ الأكبر بابنته ، فأخذ عنها أكثرَ غناء أبيها ، وادّعاه فغلَب عليه . قال : وولدتْ منه ابناً ؛ فلمّا أيْفع جاز يوماً بأشعبَ وهو جالس في فِتْيةٍ من قريش ، فوثَب فحمله على كتفه وجعل يرقّصه ويقول : هذا ابن دفّتي المصحف وهذا ابنُ مزامير داود ؛ فقيل له : ويلك ؛ ما تقول ومَن هذا الصبيّ ؟ فقال : أوَ ما تعرفونه ! هذا ابن الهذليّ من ابنة ابن سُريج ، وُلِد على عُود ، واستهلّ[1] بغناء ، وحُنّك بملوي[2] ، وقُطعت سرّته بوتر ، وخُتِن بمِضْراب .

[إسحاق الموصلي يأخذ بغنائه مطرفاً من إبراهيم بن المهدي]

وذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عبد الله بن عيسى الماهانيّ قال : دخلت يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصليّ في حاجة ، فرأيت عليه مُطْرَفَ خَزّ أسود ما رأيت قطّ أحسن منه ؛ فتحدّثنا إلى أن أخذْنا في أمر المِطرف ، فقال : لقد كان لكم أيّامٌ حسنة ودولة عجيبة ؛ فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه ؛ فقال : إنّ قيمته مائة ألف درهم ، وله حديث عجيب ؛ فقلت : ما أقوّمه إلاّ بنحو مائة دينار ؛ فقال إسحاق : شَربنا يوماً من الأيّام فبِتُّ وأنا مُثْخَن[3] ، فانتبهت لرسول محمّد الأمين ، فدخل عليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : عجِّل ؛ وكان بخيلاً على الطعام ، فكنتُ آكل قبل أن أذهب إليه ؛ فقمت فتسوّكت وأصلحت شأني ، وأعجلني الرسولُ عن الغداء فقمت معه فدخلت عليه ، وإبراهيم بن المهديّ قاعد عن يمينه وعليه هذا المِطرف وجُبّة خَزٍّ دَكْناء ؛ فقال لي محمّد :

---

1 استهلّ : رفع صوته بالبكاء عند الولادة .
2 حنّك : دلك حنكاه . والملوي : من أجزاء العود .
3 مثخن : أوهنه السكر ، كما تقول أثخنته الجراح .

يا إسحاق ، أتغدّيت ؟ قلت : نعم يا سيِّدي ؛ قال : إنّك لنَهِم ، أهذا وقتُ غداء ! فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمار فكان ذلك ممّا حداني على الأكل ؛ فقال له : كم شربنا ؟ فقالوا : ثلاثةَ أرطال ، فقال : اسقُوه إيّاها ؛ فقلت : إن رأيتَ أن تُفرّق عليّ ! فقال : يُسقَى رِطلين ورِطلاً ؛ فدُفِع إليّ رِطلان فجعلت أشربهما وأنا أتوهّم أنّ نفسي تسيل معهما ، ثم دُفِع إليَّ رِطل آخر فشربته ، فكأنَّ شيئاً انجلى عنّي ؛ فقال غنّني : [من الطويل]

كُليبٌ لعمْرِي كان أكثرَ ناصراً

فغنَّيته ، فقال : أحسنتَ وطرِب ، ثم قام فدخل ، وكان كثيراً ما يدخل إلى النساء ويَدَعُنا ، فقمت في إثْر قيامه ، فدعوت غلاماً لي ، فقلت : اذهب إلى بيتي وجِئني ببِزْماوَرْدَتَيْن[1] ولُفَّهما في مِنديل واذهب رَكْضاً وعجِّل ، فمضى الغلام وجاءني بهما ، فلمّا وافى البابَ ونزل عن دابّته انقطع فنفَق[2] من شدّة ما ركض عليه ، وأدخل إليَّ البِزْماوَرْدَتَيْن ، فأكلتُهما ورجَعتْ نفسي إليَّ وعدتُ إلى مجلسي ؛ فقال لي إبراهيم : لي إليك حاجة أُحِبّ أن تقضيَها لي ؛ فقلت : إنّما أنا عبدك وابن عبدك[3] ، فقل ما شئت ؛ قال : تُردّد عليّ : «كليب لعمري» وهذا المِطْرَف لك ؛ فقلت : أنا لا آخذ منك مطرفاً على هذا ، ولكنّني أصير إلى منزلك فألقيه على الجواري وأردّده عليك مِراراً ؛ فقال : أُحبّ أن تردّده عليّ الساعةَ وأن تأخذَ هذا فإنّه من لُبْسك وهو من حاله كذا وكذا ؛ فردّدت عليه الصوت مراراً حتّى أخذه ، ثم سمعنا حركة محمّد فقمنا حتّى جاء وجلس ، ثم قعدنا فشرب وتحدّثنا ؛ فغنّاه إبراهيم : «كليب لعمري» ، فكأنّي والله لم أسمعه قبلَ ذلك حُسْناً ؛ وطرِب محمّد طرَباً شديداً وقال : أحسنتَ والله يا غلام ، عَشْرَ بِدَر لعَمّي الساعةَ ! فجاؤوا بها ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لي فيها شريكاً ؛ قال : مَن هو ؟ قال : إسحاق ؛ قال : وكيف ؟ فقال : إنّما أخذتُه منه لمّا قمتَ ؛ فقلت أنا : ولِمَ أضاقت الأموالُ على أمير المؤمنين حتى تُريد أن تُشْرِك فيما يُعطي ؛ قال : أمّا أنا فأُشْرِكك وأمير المؤمنين أعلم ؛ فلمّا انصرفنا من المجلس أعطاني ثمانين ألفاً ، وأعطاني هذا المِطْرَف ، فهذا أُخِذ به مائةُ ألف درهم ، وهي قيمتُه .

---

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

2 نفق : مات والضمير يعود إلى الدابة .

3 ل : عبد من عبيدك .

صوت
من المائة المختارة

من رواية جَحْظةَ عن أصحابه[1] : [من مجزوء الخفيف]

عَلِّلِ القومَ يشربُوا كي يَلَذُّوا ويَطْرَبُوا
إنّما ضلَّل الفؤا دَ غزالٌ مُرَبَّبُ[2]
فرشتْه على النَّما رِقِ سُعْدَى وزينبُ
حالَ دون الهوى ودو ن سُرى الليلِ مُصعَبُ[3]
وسِياطٌ على أكـ ـفٍّ رجالٍ تقلَّبُ

الشِّعر لعُبَيد الله بن قيس الرُّقيّات . والغناء في اللحن المختار لمالك بن أبي السَّمْح ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لإسحاقَ ثقيلٌ أوّل مطلق في مجرى البنصر . ولابن سُرَيج في الرابع والخامس والأوّل ثاني ثقيل في مجرى الوسطى . ولمعبد في الثاني وما بعده خفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 177 .
2 مربّب في الديوان : مربرب .
3 هو مصعب بن عبد الرحمن بن عوف كما سيأتي في الترجمة ويروى : «منع اللهو والهوى وسرى الليل مصعب» .

[65] ـ ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره[1]

[نسب عبيد الله بن قيس الرقيّات]

هو عُبَيد الله بن قيس بن شُرَيح بن مالك بن رَبيعة بن أُهَيب بن ضِباب بن حُجير بن عبد بن مَعيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب . وأمّه قتيلة بنت وَهْب بن عبد الله بن ربيعة بن طَرِيف بن عَدِيّ بن سَعْد بن لَيْث بن بَكْر بن عبد مَناة بن كِنانة .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني محمّد بن محمّد بن أبي قُلامة[2] العُمَريّ قال حدّثني محمّد بن طَلْحة ، قال الزبير وحدّثنيه أيضاً محمّد بن الحسن المخزوميّ ، قالا جميعاً : كان يُقال لبني مَعِيص بن عامر بن لؤيّ وبني مُحارِب بن فِهْر : الأَجْرَبان من أهل تِهامة ، وكانا متحالفين ، وإنّما قيل لهما الأجربان من شدّة بأسِهما وعَرِّهما[3] مَن ناوأهما كما يُعرّ الجرب .

[سبب لقبه بالرقيات]

وإنّما لُقّب عبيدُ الله بنُ قيسٍ الرُّقَيّاتِ لأنّه شَبّب بثلاث نسوة سُمِّين جميعاً رُقَيَّةَ ، منهنّ رقيّة بنت عبد الواحد بن أبي سعد بن قيس بن وهب بن أُهْبان بن ضِباب بن حُجَير بن عبد بن مَعِيص بن عامر بن لُؤَيّ ، وابنة عمّ لها يقال لها رُقَيّة ، وامرأة من بني أُميّة يُقال لها رقيّة . وكان هواه في رقيّة بنت عبد الواحد ؛ وكان عبد الواحد ، فيما أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء عن الزبير ، ينزل الرَّقّة . وإيّاه عَنى ابنُ قيس بقوله : [من الكامل]

ما خيرُ عيشٍ بالجزيرة بعد ما عثَر الزمانُ ومات عبدُ الواحِدِ

وله في الرقيّات عدّة أشعار يُغنّى فيها تُذكر بعقب هذا الخبر . والأبيات الثانية التي فيها اللحن المختار يقولها في مُصْعَب بن عبد الرحمن بن عَوْف الزُّهْريّ ، وكان صاحبَ شُرْطة مروانَ بنِ الحَكَم بالمدينة .

---

1 ترجمة عبيد الله بن قيس الرقيات في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 450–452 وشرح شواهد المغني : 47 والموشّح : 187 والخزانة 7 : 281–289 وطبقات ابن سلام : 648–655 والسمط : 294 وحقّق ديوانه الدكتور محمد يوسف نجم (بيروت) وعلى هذه الطبعة نعتمد .

2 ل : قُدامة .

3 عرّه بمكروه : أصابه به .

[مصعب بن عبد الرحمن على شرطة المدينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال[1] : لمّا وَلِي مروانُ بن الحكم المدينة وَلّى مصعبَ بنَ عبد الرحمن بن عوف شُرْطَته ؛ فقال : إنّي لا أضبط المدينةَ بحَرَس المدينة ، فابْغِني رجالاً من غيرها ، فأعانه[2] بمائتي رجل من أهل أَيْلَةَ[3] ، فضبطها ضبطاً شديداً . فدخل المِسْوَرُ بنُ مَخْرمةَ على مروانَ فقال : أما ترى ما يشكوه الناسُ من مصعَب ! فقال : [من الرجز]

ليس بهـذا مـن سِياقٍ عَتْبُ يمشي القَطُوفُ وينامُ الركبُ[4]

وقال غيرُ مصعَب في هذا الخبر وليس من رواية الحِرْميّ : إنّه بقي إلى أن وَلِي عمرُو بن سعيد المدينةَ وخرج الحسينُ رضي الله تعالى عنه وعبد الله بن الزبير ؛ فقال له عمرو : اهدِمْ دورَ بني هاشم وآلِ الزبير ؛ فقال : لا أفعل ؛ فقال : انتفَخَ سَحْرُك[5] يا ابنَ أُمّ حُرَيْثٍ ! ألْقِ سيفَنا ! فألقاه ولحِق بابن الزبير . وولّى عمرُو بن سعيد شُرْطَته عمرَو بن الزبير بن العوّام وأمره بهدم دُور بني هاشم وآل الزبير ، ففعل وبلغ منهم كلَّ مبلغ ، وهدَم دار ابن مُطِيع التي يُقال لها العَنْقاءُ ، وضرَب محمّد بن المنذر بن الزبير مائةَ سوط ؛ ثم دعا بعُروة بنِ الزبير ليضربَه ؛ فقال له محمّد : أتضرِب عُروة ؟ فقال : نعم يا سَبَلان إلاّ أن تحتمِل ذلك عنه ؛ فقال : أنا أحتمِله ، فضربه مائةَ سوط أخرى ، ولحِق عُرْوةُ بأخيه . وضرب عمرٌو الناسَ ضرباً شديداً ، فهَربوا منه إلى ابن الزبير ، وكان المِسْور بنُ مَخْرَمة أحدَ مَن هرَب منه ؛ ولمّا أفْضى الأمرُ إلى ابن الزُّبَير أقاد منْه وضرَبه بالسوط[6] ضرباً مُبرِّحاً فمات فدفنه في غير مقابر المسلمين ، وقال للناس ، فيما ذُكر عنه ، إنّ عمراً مات مرتدّاً عن الإسلام .

[شاعر قريش]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبَيْر قال : سألتُ عمّي مُصعباً ومحمّد بن الضحّاك ومحمّد بن حسن عن شاعر قريش في الإسلام ، فكلّهم قالوا : ابنُ قيس الرقيّات ؛ وحُكِي ذلك عن عديّ وعن الضحّاك بن عثمان ؛ وحكاه محمّد بن الحسن عن عثمان بن عبد الرحمن اليَرْبُوعيّ . قال

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 79 .
2 ل : فدعا له .
3 أيلة : هي اليوم مدينة العقبة .
4 السياق : السوق . القطوف من الدواب : البطيء .
5 انتفخ سحره : تجاوز قدره . والسحر : الرئة .
6 ل : مائة سوط .

الزبير : وحدّثني بمثله غَمامةُ بن عمرو السَّهْميّ عن مِسْوَر بن عبد الملك اليَرْبوعيّ .

[ثناء طلحة الزهريّ على شعره]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ والحِرْميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن عمِّه محمّد بن عبد العزيز : أنّ ابن قيس الرقيّات أتى إلى طلحة بن عبد الله بن عوف الزهريّ فقال له : يا عمِّي ، إنّي قد قلتُ شعراً فاسمعه فإنّك ناصحٌ لقومك ، فإن كان جيِّداً قلتُ ، وإن كان رديئاً كففتُ ؛ فقال له : أنشِد ، فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من مجزوء الخفيف]

منَع اللهــوَ والهــوى وسُرى الليلِ مُصْعَبُ
وسِيــاطٌ عــلى أكــ ــفِّ رجــالٍ تقلَّبُ

فقال : قل يا ابنَ أخي فإنّك شاعر .

[خرج مع مصعب على عبد الملك ثم شفع له ابن جعفر]

وكان عُبيد الله بن قيس الرقيّات زُبيريَّ الهوى ، وخرج مع مُصعَب بن الزبير على عبد الملك ؛ فلمّا قُتِل مصعب وقُتِل عبدُ الله هرَب فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فسأل[1] عبدَ الملك في أمره فأمّنه .

وأخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ والحِرْميّ بن أبي العلاء وغيرهما قالوا حدّثنا الزُّبيريّ قال حدّثني عبد الله بن البصير البربريّ[2] مولى قيس بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال : قال عبيدُ الله بن قيس الرقيّات : خرجتُ مع مصعب بن الزبير حين بلغه شُخوصُ عبد الملك بن مروان إليه ، فلمّا نزل مصعب بن الزبير بمَسكِنٍ[3] ، ورأى معالمَ الغَدْر ممّن معه ، دعاني ودعا بمالٍ ومناطقَ ، فملأ المناطقَ من ذلك المال وألبسني منها ، وقال لي : انطلِق حيثُ شئت فإنّي مقتول ؛ فقلت له : لا والله لا أرِيمُ حتّى أرى سبيلَك ؛ فأقمتُ معه حتى قُتل ؛ ثم مضيتُ إلى الكوفة ، فأوّلُ بيتٍ صِرتُ إليه دخلته ، فإذا فيه امرأةٌ لها ابنتانِ كأنّهما ظَبيتانِ ، فَرِقيتُ في درجةٍ لها إلى مَشربة فقعدتُ فيها ، فأمرتْ لي المرأةُ بما أحتاجُ إليه من الطعام والشراب والفَرْش والماءِ للوُضوء ، فأقمتُ كذلك عندها أكثرَ من حول ، تقيم لي ما يُصلحني وتغدو عليّ في كلّ صباح فتسألني بالصباح والحاجة[4] ، ولا تسألني مَنْ أنا ولا أسألُها مَن هي ، وأنا في

1 ل : فكلم .

2 ل : النضر اليزيدي .

3 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير .

4 أي كيف أصبحت وما حاجتك ؟

ذلك أَسمَع الصِّياحَ فِيّ والجُعْلَ ؛ فلمّا طال بي المُقام وفقدتُ الصياح فيّ وغَرِضتُ[1] بمكاني غدتْ عليّ تسألني بالصباح والحاجة ، فعرّفتها أنّي قد غَرِضت وأحببت الشُّخوصَ إلى أهلي ؛ فقالت لي : نأتيك بما تحتاج إليه إن شاء الله تعالى ؛ فلمّا أمسيتُ وضرَب الليل بأرواقِه رَقِيتْ إليّ وقالت : إذا شئتَ ! فنزلتُ وقد أَعدّتْ راحلتين عليهما ما أَحتاج إليه ومعهما عبد ، وأَعطتِ العبدَ نفقةَ الطريق ، وقالت : العبدُ والراحلتان لك ؛ فركِبتُ وركب العبدُ معي حتى طَرَقتُ أَهلَ مكّة ، فدقَقتُ منزلي ؛ فقالوا لي : مَن هذا ؟ فقلت : عُبيد الله بن قيس الرقيّات ؛ فَوَلْوَلوا وبَكَوْا ، وقالوا : ما فارقَنا طلبُك إلاّ في هذا الوقت ؛ فأَقمتُ عندهم حتّى أَسْحَرتُ ، ثم نهضتُ ومعي العبدُ حتى قَدِمتُ المدينةَ ، فجئتُ عبدَ الله بن جعفر بن أَبي طالب عند المساء وهو يُعشّي أَصحابَه ، فجلستُ معهم وجعلتُ أَتعاجَمُ وأَقول : يار[2] يار ابن طيّار ؛ فلمّا خرج أَصحابُهُ كشفتُ له عن وجهي ، فقال : ابنُ قيس ؟ فقلت : ابنُ قيس ، جئتك عائذاً بك ؛ قال : وَيْحَك ؛ ما أَجدَّهم في طلبك وأَحرصَهم على الظَّفَر بك ! ولكنّي سأكتب إلى أمّ البنين بنتِ عبد العزيز بن مروان ، فهي زوجةُ الوليد بنِ عبد الملك ، وعبدُ الملك أَرقُّ شيءٍ عليها . فكتب إليها يَسأَلُها أَن تشفع له إلى عمّها ، وكتب إلى أَبيها يسأَله أَن يكتب إليها كتاباً يسأَلها الشفاعةَ ؛ فدخل عليها عبد الملك كما كان يفعل وسأَلها : هل من حاجة ؟ فقالت : نعم لي حاجةٌ ؛ فقال : قد قضيتُ كلّ حاجةٍ لك إلاّ ابنَ قيس الرقيّات ؛ فقالت : لا تَسْتَثْنِ عليّ شيئاً ! فنفَح بيده فأَصاب خدّها[3] ، فوضعتْ يدَها على خدّها ؛ فقال لها : يأبنتي ارفعي يدَكِ ، فقد قضيتُ كلّ حاجة لكِ وإن كانت ابنَ قيس الرقيّات ؛ فقالت : إنّ حاجتي ابنُ قيس الرقيات تُؤمّنه ، فقد كتب إليّ أَبي يسأَلني أَن أَسأَلك ذلك ؛ قال : فهو آمِن ، فمُرِيهِ يحضُر مجلسي العَشِيّة ؛ فحضر ابنُ قيس وحضر الناسُ حين بلغهم مجلسُ عبد الملك ، فأَخّر الإذنَ ، ثم أَذِن للناس ، وأَخّر إذنَ ابن قيس الرقيّات حتى أَخذوا مجالسهم ، ثم أَذِن له ؛ فلمّا دخل عليه قال عبد الملك : يا أَهلَ الشام ، أَتعرفون هذا ؟ قالوا : لا ؛ فقال : هذا عُبَيدُ الله بنُ قيس الرقيّات الذي يقول[4] : [من الخفيف]

كيف نومِي على الفِراش ولَمّا تَشْمَلِ الشأمَ غارةٌ شَعْواءُ

---

1 غرض : ضجر .

2 يار : كلمة فارسية معناها الصاحب والمعين .

3 ل : وجهها .

4 ديوان ابن قيس الرقيات : 95– 96 .

تُذهِل الشيخَ عن بَنيه وتُبدي عــن خِـدام العقيلةُ العذراءِ[1]

[مدح عبد الملك فلم يرض مدحه]

فقالوا : يا أمير المؤمنين اسقِنا دَمَ هذا المنافق ؛ قال : الآن وقد أمّنتُه وصار في منزلي وعلى بِساطي ! قد أخّرتُ الإذن له لتقتلوه فلم تفعلوا . فاستأذنه ابنُ قيس الرقيّات أن يُنشده مديحَه فأذِن له ، فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها[2] : [من المنسرح]

عـاد لـه مـن كَثِيرةَ الطربُ فعينُـه بالدّمـوع تنسكِبُ
كُوفيَّـةٌ نـازحٌ مَحَلَّتُهـا لا أَمَمٌ دارُهـا ولا صَقَبُ
والله مـا إن صَبَتْ إليّ ولا إن كان بيني وبينهـا سببُ[3]
إلاّ الذي أورثتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحـبّ سَوْرةٌ عجبُ

حتى قال فيها :

إنّ الأغرَّ الذي أبـوه أبو الـ ـعاصي عليه الوقارُ والحُجُبُ[4]
يعتـدِل التّاجُ فـوق مَفْرِقِـه عـلى جَبـينٍ كأنّـه الذهبُ

فقال له عبد الملك : يا ابن قيس تمدحني بالتّاج كأنّي من العجم وتقول في مُصعَب : [من الخفيف]

إنّما مُصعَبٌ شِهابٌ مـن الله تجلّت عـن وجهـه الظلماءِ
ملكُـه ملك عِـزّةٍ ليس فيـه جبـروتٌ منـه ولا كِبرياءِ

أمّا الأمان فقد سبَق لك ، ولكن والله لا تأخذُ مع المسلمين عطاء أبداً ! .

قال : وقال ابن قيس الرقيّات لعبد الله بن جعفر : ما نفعني أماني ، تُرِكت حيّاً كميتٍ لا آخذُ مع الناس عطاءً أبداً ؛ فقال له عبد الله بن جعفر : كم بلغت من السنّ ؟ قال : ستّين سنة ؛ قال : فعَمِّر نفسَك ؛ قال : عشرين سنة من ذي قَبَلٍ[5] ؛ فذلك ثمانون سنة ؛ قال : كم عطاؤك ؟ قال : ألفا درهم ؛ فأمر له بأربعين ألف درهم ، وقال : ذلك لك عليّ إلى أن تموت على تعميرك نفسَك ؛ فعند ذلك قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح عبد الله بن جعفر[6] : [من الطويل]

---

1 العذراء في ل : الحسناء ؛ الخدام : الخلخال . وفي الديوان : براها وهي أيضاً الخلاخيل واحدتها برة .

2 ديوان ابن قيس الرقيات : 1–6 .

3 الديوان : «يعلم بيني وبينها سببُ» .

4 الديوان : «إن الفنيق الذي . . .» .

5 يقال افعل ذلك من ذي قبل أي في المستقبل .

6 ديوان ابن قيس الرّقيات : 82–83 مع بعض اختلاف في الترتيب .

تَقَدّتْ بِيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفرٍ سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها
تزُور امرأً قد يعلمُ اللهُ أنّه تَجُودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها
أَتيناكَ نُثْنِي بالذي أَنْتَ أَهلُه عليك كما يُثْني على الروض جارُها
فوالله لولا أَن تزورَ ابنَ جعفر لكان قليلاً في دِمَشقَ قَرارُها
إذا مُتَّ لم يُوصَلْ صديقٌ ولَم تُقَمْ طريقٌ من المعروف أَنتَ مَنارُها
ذكرتُكَ أَن فاض الفراتُ بأَرضنا وفاض بأَعلى الرَّقَّتَيْن بِحارُها
وعنديَ مِمّا خوَّل اللهُ هَجْمَةٌ عَطاؤُكَ منها شَوْلُها وعِشارُها
مباركةٌ كانت عطاءَ مُبارِكٍ تُمانِحُ كُبراها وتَنْمي صِغارُها

أَخبرنا الحِرْميّ بن أَبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا مُصْعَب بن عبد الملك قال : قال عبد الملك بن مروان لعُبيد الله بن قيس الرقيّات : وَيْحَك يا ابنَ قيس : أَما اتّقيتَ اللهَ حين تقول لابن جعفر : [من الطويل]

تزورُ امرأً قد يعلم اللهُ أَنّه تَجودُ له كفٌّ قليلٌ غِرارُها

أَلا قلتَ : قد يعلم الناسُ ولَم تقل : قد يعلم الله ؛ فقال ابن قيس : قد والله علمه اللهُ وعلمته أَنت وعلمتُه أَنا وعلمه الناسُ .

[رواية أُخرى في شفاعة ابن جعفر له]

أَخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حَمّاد بن إسحاق : قرأْتُ على أَبي أَنّ عُبيدَ الله بن قيس الرقيّات منعه عبدُ الملك بن مروانَ عطاءَه من بيت المال وطلبه ليقتلَه ، فاستجار بعبد الله بن جعفر ، وقصده فأَلفاه نائماً ، وكان صديقاً لسائب خاثر ، فطلب الإذنَ على ابن جعفر فتعذّر ، فجاء سائب خاثر ليستأذنَ له عليه ؛ قال سائبٌ : فجئت من قِبَلِ رِجْلِ عبدِ الله بن جعفر فنَبحتُ نُباحَ الجِرْوِ الصغير ، فانتبه ولم يَفتَح عينيه ، وركَلني برِجْله ، فدُرتُ إلى عند رأسه ، فنبَحتُ نُباح الكلب الهَرِم ، فانتبه وفتح عينيه فرآني ؛ فقال : ما لكَ ؟ ويحكَ ! فقلت : ابنُ قيس الرقيّات بالباب ؛ قال : آئذن له ، فأَذنتُ له ، فدخل إليه فرحّب ابنُ جعفر به وقرّبه ؛ فعرّفه ابن قيس خبرَه ، فدعا بظَبْيةٍ[1] فيها دنانيرُ ، وقال : عُدَّ له منها ؛ فجعلتُ أَعُدُّ وأُترنِّمُ[2] وأُحَسِّنُ صوتي بجُهدي حتى عددتُ ثلثمائةِ دينار ، فسكتُّ ؛ فقال لي عبد الله : ما لكَ ويلكَ سكتّ ! ما هذا وقتُ قطع الصوت الحسنِ ، فجعلتُ أَعُدّ حتى نَفِدَ ما

1 ظبية : جراب .
2 ل : وأطرب .

كان في الظّبية ، وفيها ثمانمائة دينار ، فدفعتُها إليه ؛ فلمّا قبضها قال لابن جعفر : اسأل أميرَ المؤمنين في أمري ؛ قال : نعم ، فإذا دخلتَ إليه معي ودعا بالطعام ، فكُلْ أكلاً فاحشاً . فركب ابنُ جعفر ، فدخل معه إلى عبد الملك ؛ فلمّا قُدّم الطعامُ جعل يُسيِيء الأكلَ ؛ فقال عبدُ الملك لابن جعفر : مَنْ هذا ؟ فقال : هذا إنسان لا يجوز إلاّ أن يكون صادقاً إن استُبقي ، وإن قُتل كان أكذبَ الناس ؛ قال : وكيف ذلك ! قال : لأنّه يقول : [من المنسرح]

مـا نَقموا من بني أُميّةَ إلاّ أنّـهم يَحلُمُـون إن غَضِبُوا

فإن قتلتَه لغضبك عليه أكذبتَه فيما مدحكم به ؛ قال : فهو آمنٌ ، ولكن لا أعطِيه عطاءً من بيت المال ؛ قال : ولِمَ وقد وهبتَه لي ؟ فأُحِبّ أن تَهَب لي عطاءَه أيضاً كما وهبتَ لي دَمَه وعفوتَ لي عن ذنبه ؛ قال : قد فعلتُ ، قال : وتُعطِيه ما فاته من العطاء ؛ قال : قد فعلتُ ، وأمرتُ له بذلك .

[عطاء عبد الله بن جعفر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي قال : كان ابن قيس الرقيّات منقطعاً إلى ابن جعفر ، وكان يَصِلُه ويَقضِي عنه دَينَه ، ثم استأمن له عبدَ الملك فأمّنه ، وحرَمه عطاءَه ؛ فأمره عبدُ الله أن يُقدِّرَ لنفسه ما يَكفيهِ أيّامَ حياته ففعل ذلك ، فأعطاه عبدُ الله ما سأل وعوّضه من عطائه أكثرَ منه ؛ ثم جاءت عبدَ الله صِلةٌ من عبد الملك وابنُ قيسٍ غائبٌ ، فأمر عبدُ الله خازنَه فخبأ له صِلتَه ، فلمّا قدِم دفعَها إليه ؛ وأعطاه جاريةً حسناءَ ؛ فقال ابنُ قيس[1] : [من الطويل]

إذا زرتُ عبدَ الله نفسي فـداؤه رجعتُ بفضلٍ مـن نَـداهُ ونائِلِ
وإن غِبتُ عنـه كان للوُدّ حافظاً ولم يَـكُ عنّي في المَغيبِ بغافِلِ
تداركَني عبدُ الإلـه وقـد بَـدَتْ لذي الحِقدِ والشَّنآنَ منّـي مَقاتِلي
فأنقذني من غَمرة الموت بعد مـا رأيتُ حِياضَ المـوت جَمَّ المَناهِلِ
حَبـانيَ لمّـا جئتُـه بعطيّـةٍ وجاريـةٍ حسناءَ ذاتِ خَلاخِلِ

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها : [من المنسرح]

صوت

عـادَ لـه من كَثِيرةَ الطَّربُ فعينُـه بالدّمـوعِ تنسكبُ

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 189 .

كُوفيّـةٌ نـازحٌ مَحَلَّتُهـا لا أَمَمٌ دارُهـا ولا صَقَبُ
واللهِ مـا إن صَبَتْ إليَّ ولا يُعرَفُ بينـي وبينهـا سَبَبُ[1]
إلاّ الذي أَورثَتْ كثيرةُ في الـ ـقلب وللحبّ سَوْرةٌ عَجَبُ

عروضه من المنسرح ، غنّاه معبدٌ ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . قوله : «لا أَمَمٌ دارُها» يعني أنّها ليست بقريبة . ويُقال : ما كَلَّفْتَني أَمَماً من الأَمر فأَفعلَه : أي قريباً من الإمكان ؛ ويُقال : إنّ فلاناً لأَمَمٌ من أَن يكون فعل كذا وكذا . قال الشاعر : [من المنسرح]

طَرقَتْـه أَسمـاءُ أم حَلَمـا بل لَم تكـن من رِحالنا أَمَما

أي قريبةً . وقال الراجز : [من الرجز]

كلَّفها عمرٌو نِقـال الضَّبْعان مـا كُلِّفَتْ من أَمَمٍ ولا دانْ[2]

وقال آخر : [من الرجز]

إنّـكَ إن سألْتَ شيئـاً أَمَما جـاء بـه الكَرِيّ أو تَجشَّما[3]

والصَّقَبُ : الملاصقة . تقول : واللهِ ما صاقبتُ فلاناً ولا صاقبني ، ودارُ فلانٍ مصاقبةٌ لدار فلان ؛ وفي الحديث : «الجارُ أَحقُّ بصَقَبِه» أي بما لاصقه ، أي إنّه أَحقُّ بشفعته . والسَّورَةُ : شِدّة الأَمر ، ومنه يُقال : ساور فلان فلاناً ، وتَساوَرَ الرجلان إذا تَغالبا وتَشادّا ؛ وقيل إنّ السَّوْرة : البقيَّةُ أيضاً .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

مـا نَقَمُـوا مـن بني أُميَّة إلاّ أنّـهم يَحلُمُـونَ إن غَضِبُـوا
وأنّهـمُ سادةُ الملـوك فمـا تَصلُح إلاّ عليهـمُ العـرَبُ

غنّت في هذين البيتين حَبابةُ ، وهما من القصيدة التي أَوّلُها : [من المنسرح]

عـاد لـه من كَثِيرةَ الطّرَبُ

قال الأَصمعيّ : كَثِيرةُ هذه امرأَة نزل بها بالكوفة فآوتْه . قال ابنُ قيس : فأَقمتُ عندها سنةً تَرُوحُ وتَغْدُو عليّ بما أَحتاج إليه ، ولا تسأَلُني عن حالي ولا نسَبي ؛ فبينا أنا بعد سنةٍ مُشْرِفٌ من

1 مرّ هذا البيت برواية أُخرى .
2 الضبعان : ذكر الضبع .
3 الكري : الذي يكري الدواب .

جَناح[1] إلى الطريق ، إذا أنا بمُنادِي عبدِ الملك يُنادي ببراءة الذمّة ممّن أُصيبتُ عنده ؛ فأعلمتُ المرأةَ أنّي راحلٌ ؛ فقالت : لا يَرُوعَنَّك ما سَمِعتَ ، فإنّ هذا نداءٌ شائعٌ منذُ نزلتَ بنا ، فإن أردتَ المُقام ففي الرُّحْب والسِّعَة ، وإن أردتَ الانصرافَ أعلمتَني ؛ فقلتُ لها : لا بدَّ لي من الانصراف ؛ فلمّا كان الليلُ ، قَدَّمتْ إليَّ راحلةً عليها جميعُ ما أحتاجُ إليه في سفري ؛ فقلتُ لها : مَن أنتِ جُعِلْتُ فِداءَكِ لأُكافِئَكِ ؟ قالت : ما فعلتُ هذا لتُكافِئَني ؛ فانصرفتُ ولا والله ما عرفتُها إلاّ أنّي سمعتُها تُدعى باسمها «كَثِيرة» ، فذكرتُها في شِعري .

[فتك عبد الله بن علي ببني أُميّة]

وذكر الزبيرُ بن بكّار عن عمّه مصعب أنّ عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس صاحِبَ بني أُميَّة بنهر أبي فُطْرُس ، إنّما بعثه على قتلهم أنّه أنشده بعضُ الشعراء ذاتَ يوم مديحاً مدَح به بني هاشم ؛ فقال لبعضهم : أين هذا ممّا كنتم تُمدَحُون به ؛ فقال : هيهات أن يُمدَح أحدٌ بمثل قول ابن قيس فينا : [من المنسرح]

ما نقَمُوا من بني أُميّــة إلاّ أنّـهم يَحلُمُـونَ إن غَضِبُوا

البيتين ؛ فقال له عبدُ الله بن عليّ : ألا أرى المطمعَ في المُلك في نفسك بعدُ يا ماصَّ كذا من أُمه ! ثم أوْقع بهم .

[غنّت قينة الرشيد بشعره فحرّفته]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن جدّي عبد الله بن مُصعَب قال : اعترض هارونُ الرشيد قَيْنةً فغنَّتْ : [من المنسرح]

ما نَقَمُـوا مـن بنـي أُميّة إلاّ أنّـهم يحلُمُون إن غَضِبُوا

فلمّا ابتدأتْ به تغيَّر وجهُ الرشيد ، وعلِمتْ أنّها قد غَلِطتْ وأنّها إن مرَّت فيه قُتِلتْ ، فغنَّت : [من المنسرح]

ما نَقَمُوا من بني أُميّة إلاّ أنّـهم يَجهَلُون إن غَضِبوا
وأنّـهم مَعدِنُ النّفاق فما تَفسُدُ إلاّ عليهـم العـربُ

فقال الرشيد ليحيى بن خالد : أسمعتَ يا أبا عليّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تُبتاعُ وتُسْنَى لها الجائزةُ ويُعجَّلُ لها الإذنُ لِيَسكُن قلبُها ؛ قال : ذلك جزاؤها ، قُومي فأنتِ منّي بحيث تُحِبّين . قال : فأُغْمِيَ على الجارية . فقال يحيى بن خالد : [من الطويل]

1 جناح : كوّة .

جُزِيتَ أميرَ المؤمنين بأَمْنها مِن الله جناتٍ تفوز بِعَدْنها

ومنها : [من الطويل]

صوت

تَقَدَّتْ بيَ الشَّهْباءُ نحوَ ابن جعفرٍ سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها
تَزُور امرءاً قد يَعلمُ اللهُ أنّه تَجودُ له كَفٌّ بطيءٍ غِرارُها
ووالله لولا أن تزورَ ابنَ جعفرٍ لكان قليلاً في دِمَشقَ قرارُها

عَروضُه من الطويل . غنّاه مَعْبدٌ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر . قوله : «تَقدَّتْ» أي سارت سيراً ليس بِعَجِلٍ ولا مُبطِىء ، فيُقال : تَقدَّى فلانٌ إذا سار سيرَ مَنْ لا يخاف فوتَ مَقْصِده فلَم يَعْجَل . وقوله : «بطيءٍ غِرارُها» يعني أن منعَها المعروفَ بطيءٌ . وأصل الغِرار : أن تمنعَ الناقةُ دِرّتَها ، ثم يُستعار في كلّ ما أشبه ذلك ؛ ومنه قول الراجز : [من الرجز]

إنّ لكلّ نَهَلاتٍ شِرَّهْ ثم غِراراً كغِرار الدِّرَّهْ

وقال جَميلٌ في مثل ذلك : [من الكامل]

لاحتْ لعينك من بُثينةَ نارُ فدموعُ عينكَ دِرَّةٌ وغرارُ

[ما عيب عليه في شعره]

قال الزّبيرُ : وهذا البيتُ ممّا عِيبَ على ابن قيسٍ ، لأنّه نَقَضَ صدرَه بعَجزه ، فقال في أوّله : إنّه سار سيراً بغير عَجَل ، ثم قال : [من الطويل]

سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

وهذا غايةُ الدَّأَب في السَّير ، فناقض معناه في بيت واحد .

وممّا عِيبَ على ابن قيس الرّقيّات قولُه وفي هذين البيتين غناء[1] : [من المنسرح]

صوت

تُرضِعُ شِبْلَيْنِ وَسْطَ غِيلِهما قد ناهزا للفِطام أو فُطِما[2]
ما مرَّ يومٌ إلاّ وعندهما لحمُ رجال أو يَوْلَغانِ دَما[3]

غنّاه الغريضُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو بن بانةَ وهي قصيدة مدح بها عبدَ العزيز بن مروانَ ، وفيها يقول : [من المنسرح]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 151–155 .
2 الديوان : «يقوت شبلين عند مطرقة . . .» .
3 الديوان : «لم يأت يوم . . .» .

أَعْنى ابنَ ليلى عبدَ العزيز بِبا بِلْيُـونَ تَغـدُو جِفانُـه رُدُما[1]
الواهبَ النُّجْبَ والولائدَ كالـ ـغِزلانِ والخيلَ تَعْلُك اللُّجُما[2]

وكان قال في قصيدته هذه : «أو يالغان دما» بالألف ، وكذلك رُوِي عنه ، ثم غيّرتْه الرواة .

[يونس يصفه بأنه غير فصيح ولا ثقة]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال : سمعتُ ابن الأعرابيّ يقول : سئل يونس عن قول ابن قيس الرقيّات : [من المنسرح]

ما مرَّ يوم إلاّ وعندهمـا لحم رجال أو يَوْلغان دمَا

فقال يونس : يجوز يولغانِ ولا يجوز يالغان ؛ فقيل له : فقد قال ذلك ابن قيس الرقيّات وهو حِجازيّ فصيح ؛ فقال : ليس بفصيح ولا ثقةٍ ، شَغَل نفسَه بالشرب بتَكرِيتَ .

[انتقد ابن أبي عتيق شعراً له]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي : أوَ بلغك أنّ ابن أبي عتيق أُنشد قولَ ابن قيس : [من الطويل]

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فقال : كانت هذه يا ابنَ أمَّ فيما أرى عَمْياءَ .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مصعب عن جدّي عن هشام بن سليمان المخزوميّ قال : قال ابن أبي عتيق لعُبَيد الله بن قيس وقد مرَّ به فسلَّم عليه فقال : وعليك السلام يا فارسَ العمياء ؛ فقال له : ما هذا الاسم الحادث يا أبا محمد ! بأبي أنتَ ! قال : أنت سَمَّيتَ نفسَك حيث تقول : [من الطويل]

سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

فما يستوي الليلُ والنهارُ إلاّ على عَمْياء ؛ قال : إنّما عنيتُ التعبَ ، قال : فبيتك هذا يحتاج إلى تَرْجُمان يترجم عنه .

ومنها : [من الطويل]

صوت

ذكرتُكَ أنْ فاض الفراتُ بأرضنا وفاضت بأعـلى الرَّقَّتَيْنِ بِحارُها

---

1 ردم : ممتلئة .

2 الديوان : «مَنْ يهب البخت . . .» .

وحَوْلِيَ ممّـا خـوّل اللهُ هَجْمَةٌ عطاؤكَ منهـا شَوْلُهـا وعِشارُها
فجئناك نُثْنـي بالذي أنتَ أهلُه عليك كما أثنى على الروض جارُها
إذا مِتَّ لم يُوصَل صديقٌ ولم تُقَمْ طَريقٌ مـن المعروف أنت منارُها

الشولُ : النُّوق التي شالت بأذنابها وكرِهت الفحل ، وذلك حين تلقح ، واحدتها شائل ، غنّاه حَكَم الوادِي ثقيلاً أوّل بالوسطى .

[حكم الوادي ودنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمرُ بن شبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال قال لي أبي : قال حكم الوادي : دخلت يوماً على يحيى بن خالد فقال لي : يا أبا يحيى ، ما رأيُك في خمسمائة دينار قد حضرتْ ؟ قلت : ومَنْ لي بها ؟ قال : تلقي لحنك في : [من الطويل]

ذكرتُكَ أن فاض الفراتُ بأرضنا

على دنانَير فها هي ذِه ، وهذا سَلامٌ واقف معك ومُخرِجها إليك ، وأنا راكب إلى أمير المؤمنين ، ولست أنصرف من مجلس المظالم إلى وقت الظهر ، فكُدَّها فيه ، فإذا أحكمتْه فلك خمسُمائة ؛ فقالت دنانير : يا سيِّدي ، أبو يحيى يأخذ خمسَمائة دينار وينصرف وأنا أبقى معك أُقاسِيكَ عُمري كلَّه ! فقال لها : إن حِفظِتيهِ فلكِ ألف دينار ، وقام فمضى ؛ فقلت لها : يا سيِّدتي اشغَلي نفسكِ بذا ، فإنّك أنتِ تهبين لي الخمسَمائة الدينار بحفظِك إيّاه وتفوزِين بالألف الدينار ، وإلاّ بطَل هذا ، فلم أزَلْ معها أكُدُّها ونفسي وتُغنّيني حتى انصرف يحيى ، فدعا بماء وطَسْتٍ ، ثم قال : يا أبا يحيى ، غَنّ الصوتَ كما كنتَ تُغنّيه ، فقلتُ : هلكتُ ؛ يسمعُه منّي ، وليس هو بمن يَخْفى عليه ، ثم يَسمعُه منها فلا يرضاه ، فلَم أجِدْ بُدّاً من الغناء ؛ ثم قال : غَنّيه أنتِ الآن ؛ فغنّتْ ؛ فقال : والله ما أرى إلاّ خيراً ؛ فقلتُ : جُعِلتُ فداءَك ؛ أنا أمضُغ هذا منذ أكثرَ من خمسين سنةً كما أمضُغ الخبز ، وهذه أخذتْه الساعةَ وهو يَذِلُّ لها بعدي وتَجترىء عليه ويزدادُ حسناً في صوتها ؛ فقال : صدقتَ ، هاتِ يا سَلامُ خمسمائةِ دينار ولها ألفَ دينار ، ففعل ؛ فقالت له : وحياتِكَ يا سيِّدي لأُشاطِرَنّ أُستاذي الألف الدينار ؛ قال : دلك إليكِ ، ففعلَتْ ؛ فانصرفتُ وقد أخذتُ بهذا الصوتِ ألف دينار .

رجع الحديث إلى عُبيد الله بن قيس الرقيّات

[شعر ابن قيس الرقيّات في كثيرة]

قال الزبير بن بكّار حدّثني عبد الله بن النَّضير عن أبيه : أنّ ابن قيس الرقيّات قال في

الكوفيّة التي نزل عليها[1] : [من مجزوء الكامل]

بانـــت لِتَحْزُنَنَـا كَثِيـرَهْ ولقــد تكـون لنـا أميرَهْ
حَلَّـتْ فَلالِيـــجَ السَّوا د وحَـلَّ أهلي بالجزيرهْ[2]

قال : ولقد رحَل من عندها وما يتعارفان .

قال : وقال فيها أيضاً ، وفيه لحنٌ من خفيف الثقيل لابن المكّيّ : [من المتقارب]

صوت[3]

لَجِجْتَ بحبِّكَ أهـلَ العِراق ولــولا كَثِيرةُ لم تَـلْجَـجِ
فليــتَ كثيــرةَ لم تَلْقَنــي كثيرةَ أُختَ بني الخَزْرجِ

[سعيد بن المسيّب وابن قيس الرقيّات]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني عبد الله بن عاصم القَحْطانيّ قال حدَّثني أبي عن عبد الرحيم بن حَرْمَلةَ قال : كنتُ عند سعيد بن المسيّب ، فجاء ابنُ قيس الرقيّات ، فهَشَّ وقال : مَرْحباً بظُفُر من أظفار العَشِيرة ، ما أحدَثْتَ بعدي ؟ قال : قد قلتُ أبياتاً وأستَفتيكَ في بيت منها فاسمعها ؛ قال : هات ؛ فأنشده[4] : [من الكامل]

هـل للديـار بأهلهـــا عِلْمُ أم هـل تُبِينُ فينطقَ الرسمُ
قالت رُقيّـةُ فِيـمَ تَصرِمُنا أرُقَـيّ ليس لوجهِكِ الصّرمُ[5]
تَخطُـو بخَلْخَالينْ حَشْوُهما ساقـانِ مار عليهما اللحمُ
يا صاحِ هل أبكاكَ موقفُنا أم هـل علينا في البُكا إثمُ

فقال سعيد : لا والله ما أبكاني ؛ قال ابنُ قيس الرقيّات : [من الكامل]

بـل مـا بكاؤك منزلاً خَلَقاً قَفْـراً يَلُـوح كأنّه الوَشْمُ

فقال سعيد : اعتذر الرجل . ثم أنشد[6] : [من الطويل]

---

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 43–44 .
2 فلاليج السواد : قرى سواد العراق .
3 ديوانه : 61 .
4 ديوانه : 55 .
5 الديوان «قالت سكينة . . . أسكين . . .» .
6 ديوان ابن قيس الرقيات : 69 .

أتلبَثُ في تَكْريتَ لا في عَشيرةٍ شهودٍ ولا السلطانُ منكَ قريبُ
وأنتَ امرؤ للحزم عندك منزلٌ وللدِّين والإسلام منك نصيبُ

فقال سعيدٌ : لا مُقامَ على ذلك ، فاخرُجْ منها ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال قد أُصبتَ أصاب اللهُ بكَ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

قامَتْ بخَلْخالينِ حَشْوُهما ساقان مــارَ عليهما اللحمُ
يـا صاحِ هل أبكاك موقفُنا أم هــل علينا في البكا إثمُ

غنّى فيهما ابنُ سُرَيج رملاً بالبنصر .

[ابن قيس الرقيّات وعمر بن أبي ربيعة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثنا محمد بن عبد الله البَكْريّ وهارونُ بن أبي بكر عن عبد الجبّار بن سعيد المُساحِقيّ عن أبيه عن سعيد بنْ مُسْلِم بن وَهْب مولى بني عامر بن لؤيّ عن أبيه قال[1] : دخلتُ مسجدَ رسول الله ﷺ مع نَوْفَل بن مُساحِقٍ وإنّه لمُعتَمِدٌ على يدي إذ مررنا بسعيد بن المسيِّب في مجلسه فسلّمنا عليه فردّ سلامَنا ؛ ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد مَنْ أشعرُ ، أصاحبُنا أم صاحبُكم ؟ يعني : عبيدُ الله بن قيس الرقيّات أو عمرُ بن أبي ربيعة ؛ فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال : حين يقول صاحبنا : [من الطويل]

خليليَّ مــا بــالُ المَطِــيّ كأنّما نَراها على الأدبــارِ بالقومِ تنكُصُ
وقد أَبْعدَ الحادِي سُرَاهنّ وٱنتحَى بهنَّ فما يألُــو عَجُــولٌ مُقلِّصُ
وقــد قُطِّعــتْ أعناقُهُنّ صَبابةً فأنفُسنا ممّــا تُكلّــفُ شُخَّصُ
يَزِدْنَ بنــا قُرْبــاً فيزدادُ شوقُنا إذا زاد طولُ العهد والبعــدُ يَنقُصُ

ويقول صاحبُكم ما شئتَ ؛ قال : فقال له نوفلٌ : صاحبكم أشهر بالقول في الغزل أمتع اللهُ بك ، وصاحبُنا أكثرُ أفانينَ شعرٍ ؛ قال : صدقتَ ؛ فلما ٱنقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيدٌ يستغفرُ اللهَ ويَعْقِد بيده ويَعُدُّه بالخمس كلِّها حتى وفّى مائةً .

قال البكريّ في حديثه عن عبد الجبّار : فقال مُسْلِمُ بن وَهْب : فلما فارقناه قلتُ لنوفل : أتُراه ٱستغفرَ الله من إنشادِه الشعرَ في مسجد رسول الله ﷺ ؟ قال : كلاّ ؛ هو كثيرُ الإنشاد

1 تقدّم هذا الخبر في الجزء الأوّل ، ص 91 .

والاستنشاد للشعر ، ولكنّي أحسَبُه للفخر بصاحبه .

[وفوده على حمزة بن الزُّبير]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا محمد بن الضحاك عن أبيه قال : استأذن عُبيدُ الله بن قيس الرقيّات على حمزة بن عبد الله بن الزُّبير ؛ فقالت له الجاريةُ : ليس عليه إذنٌ الآنَ ؛ فقال : أمَا إنه لو علم بمكاني ما احتجب عنّي ! قال : فدخلتِ الجاريةُ على حمزةَ فأخبرتْه ، فقال : ينبغي أن يكونَ هذا ابنَ قيس الرقيّات ، إئذَني له ، فأذِنتْ له ؛ فقال : مَرْحباً بك يا ابنَ قيس ، هل من حاجةٍ نزَعتْ بك ؟ قال : نعم ، زوَّجتُ بنينَ لي ثلاثةً ببناتِ أخ لي ثلاثٍ ، وزوّجتُ ثلاثة من بني أخ لي بثلاثِ بناتٍ لي ؛ قال : فلبنيكَ الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ ، ولبني أخيك الثلاثةِ أربعُمائةِ دينارٍ أربعُمائةِ دينارٍ ، ولبناتك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ ، ولبنات أخيك الثلاثِ ثلثُمائةِ دينارٍ ثلثُمائةِ دينارٍ ، هل بقيَتْ لك من حاجة يا ابنَ قيس ؟ قال : لا والله إلاّ مؤونة السفر ؛ فأمر له بما يُصلِحُه لسفره حتى رِقاعِ أخْفافِ الإبل .

ذكر ما قاله ابن قيس الرقيّات وغُنّي فيه

صوت

[من الكامل]

أمسَتْ رُقيّـة دونهـا البِشْرُ فالرَّقّـةُ السَّوْداء فالغَمْرُ[1]

غنّاه يونس ثقيلاً أوّلَ بالوسطى ، وفيه لعَزّةَ المَيْلاء ثاني ثقيلٍ .

ومنها : [من الوافر]

صوت[2]

رُقَـيّ بعَيْشكم لا تَهْجُرِينا ومَنّينا المُنـى ثـم امطُلِينا

عِدِينا في غَدٍ مـا شِئتِ إنّا نُحِبُّ وإن مَطَلْتِ الواعدِينا

أغرَّكِ أنّنـي لا صبرَ عندي على هَجْـرٍ وأنَّكِ تَصْبِرِينا

ويومَ تَبِعتُكم وتركتُ أهلي حَنِينَ العَـوْدِ يَتْبعُ القَرِينا[3]

---

1 السَّوداء في ل : البيضاء . والبشر : جبل . الرقّة السوداء : قرية ذات بساتين كثيرة ، والرقة البيضاء : مدينة على الفرات . الغمر : علم على مواضع متعدّدة والبيت في ديوان ابن قيس الرقيات : 182 .

2 ديوانه : 137 .

3 العود : الجمل المسنّ .

عَروضه من الوافر . غنّاه ابنُ مُحرز ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى . ومنها[1] :

صوت

[من مجزوء الوافر]

رُقَيَّـةُ تَيَّمَـتْ قلبِـي فواكَبِـدِي مـن الحبِّ
نهـاني إخوتـي عنهـا وما بالقلـبِ من عَتْبِ[2]

غنّاه مالكٌ ثاني ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وقد ذكرتْ بَذْلُ أنّ فيه لابن المكّي لحناً .

[فضّل ابنُ أبي عتيق شعره على شعر كثير]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثني سعيد بن عمرو بن الزبير قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال : أنْشد كُثيِّرٌ ابنَ أبي عَتيق كلمَته التي يقول فيها : [من الطويل]

ولستُ بِراضٍ من خليلٍ بنائلٍ قليـلٍ ولا أرضى لـه بقليلِ

فقال له : هذا كلامُ مكافئٍ ليس بعاشقٍ ، القُرشيان أقنعُ وأصدقُ منك : ابنُ أبي ربيعة حيث يقول : [من الخفيف]

ليتَ حَظِّي كَلَحْظَةِ العَينِ منها وكثِيرٌ منهـا القليـلُ المُهَنّـا

وقولُه أيضاً[3] : [من الخفيف]

فعِـدِي نائـلاً وإن لم تُنيلي إنّه يُقنِـعُ المحـبَّ الرجـاءُ

وابنُ قيس الرقيّات حيث يقول : [من الوافر]

رُقَـيَّ بعيشكـم لا تَهجُرِينا ومَنّينـا المُنَـى ثـم امطُلِينا
عِدِينا في غَـدٍ مـا شئتِ إنّا نُحِـبّ وإن مَطلتِ الواعِدينا
فإمّا تُنجِـزِي عِدَتِـي وإمّا نَعِيشُ بما نُؤمّـل منك حِينا

قال : فذكرتُ ذلك لأبي السائب المخزوميّ ومعه ابنُ المولى ، فقال : صدق ابن أبي عتيق وفّقه الله ، ألا قال المديون كثيّر كما قال هذا حيث يقول : [من الطويل]

---

1 ديوانه : 169 .
2 الديوان : «وما للقلب من ذنب» .
3 ديوان عمر : 15 .

وأبكي فلا ليلى بَكَتْ من صبابةٍ لِباكٍ ولا ليلى لِذي الودّ تَبذُلُ
وأخنَعُ بالعُتْبى إذا كنتُ مذنباً وإن أذنبَتْ كنتُ الذي أتنصَّلُ

[يشبب برقيّة بنت عبد الواحد في الطواف]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال سمعت عبيدةَ بنَ أَشْعب بن جُبَير قال حدّثني أبي قال حدّثني فِنْدٌ مولى عائشةَ بنت سعد بن أبي وَقّاص قال : حجَّتْ رُقَيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد العامريّةُ ، فكنتُ آتيها وأُحدِّثُها فتَسْتظرِف حديثي وتَضحكُ منّي ؛ فطافتْ ليلةً بالبيت ثم أهوَتْ لِتستلمَ الركنَ الأسودَ وقبّلته ، وقد طفتُ مع عُبَيد الله بن قيس الرقيّات ، فصادف فراغُنا فراغَها ولم أشعرُ بها ، فأهوى ابنُ قيس يستلمُ الركنَ الأسودَ ويُقبّله ، فصادفها قد سبقتْ إليه ، فنفَحَتْه برُدْنِها فارتدَعَ[1] ؛ وقال لي : مَن هذه ؟ فقلتُ : أوَ لا تعرفُها ! هذه رقيّةُ بنتُ عبد الواحد بن أبي سعد ؛ فعند ذلك قال[2] : [من الخفيف]

مَن عذِيري ممّن يَضِنُّ بمبذو لٍ لغيري عليّ عند الطّوافِ

يريد أنّها تُقبِّل الحجرَ الأسودَ وتَضِنّ عنه بقبلتها . وقال في ذلك[3] : [من المديد]

حدِّثوني هل على رجلٍ عاشقٍ في قُبْلةٍ حَرَجُ

وفيه غِناءٌ يُنسب بعد هذا الخبر . قال : ولمّا نفَحتْه برُدْنها فاحت منه رائحةُ المسك حتى عَجِب مَنْ في المسجد ، وكأنّما فُتِحتْ بين أهل المسجد لَطِيمةُ عَطّارٍ ، فسبَّح مَنْ حولَ البيت . قال : وقال فِنْدٌ : فقلتُ بعد انصرافها لابن قيسٍ : هل وجدْتَ رائحةَ رُدْنها لشيءٍ طيباً ؟ فعند ذلك قال أبياتَه التي يقول فيها[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

سائلاً فِنْداً خليلي كيف أَرْدانُ رُقَيّهْ[5]
إنّني عُلِّقت خَوْداً ذاتَ دَلٍّ بَخْتَرِيّهْ[6]

غنّاه فِندٌ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش .

---

1 نفحته : أصابته . وارتدع : أصبح به أثر الطيب .
2 ديوان ابن قيس الرقيات : 36 .
3 ديوانه : 163 .
4 ديوانه : 170 .
5 أردان في الديوان : أرواح .
6 عُلّقت في الديوان : بُدلت . بخترية : متبخترة في مشيها .

نسبة هذا الصوت الذي في الخبر المتقدّم وخبره وهو أيضاً ممّا قاله ابن قيس في رقيّة

صوت [من المديد]

حَبَّ ذاكَ الدَّلُّ والغُنُجُ والتي في عينهـا دَعَجُ
والتي إن حَدّثتْ كذبتْ والتي في وعدها خَلَجُ[1]
وترى في البيت صورتَها مِثْلَما في البِيعَة السُّرُجُ[2]
خبِّروني هـل على رجلٍ عاشقٍ في قُبلـةٍ حَرَجُ

الشعر لابن قيس الرقيّات يقوله في رقيّة بنت عبد الواحد . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ آخر لابن مُحْرِز من رواية عمرو بن بانة ، وقيل : بل هو هذا .

[ابن أبي عتيق يفضله على كثير مرّة أخرى]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني سليمان ابن عَيّاش السَّعْديّ قال حدّثني سائبٌ راويةُ كثيِّر قال : كان كثيِّر مديوناً ، فقال لي يوماً ونحن بالمدينة : اذهب بنا إلى ابن أبي عَتيق نتحدّث عنده ؛ قال : فذهبت إليه معه ؛ فاستنشده ابنُ أبي عَتيق ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

أَبائنةٌ سُعْدَى نعـم ستَبينُ

حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

وأخلفْنَ ميعادي وخُنَّ أمانتي وليس لمـن خان الأمانةَ دِينُ

فقال له ابن أبي عَتيق : أعَلى الأمانة تَبعَتَها ! فانكفّ واستغضب نفسَه وصاح وقال : [من الطويل]

كذبْنَ صفاءَ الودّ يـوم مَحِلّه وأنكدْنَني من وعدهنّ ديونُ[3]

فقال له ابن أبي عَتيق : وَيْلَك ! هذا أملح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ ، سيِّدُك ابن قيس الرقيّات كان أعلمَ منك وأوضعَ للصواب موضعَه فيهنّ ؛ أما سمعتَ قوله : [من المديد]

1 وعدها في الديوان : وصلها . والخلج : عدم الثبات .
2 صورتها في الديوان : سنتها .
3 وأنكدنني في ل : وأدركني .

حَبَّ ذاكَ الدلُّ والغُنُجُ والتي في عينهـا دَعجُ
والتي إن حَدّثتْ كذبتْ والتي في وعدها خَلَجُ
وتَرى في البيت صورتَها مثلما في البِيعَـة السُّرُجُ
خبِّروني هل على رجلٍ عاشقٍ في قُبلـةٍ حَرَجُ

قال : فسكن كُثَيِّر واستحلى ذلك ، وقال : لا ! إن شاء الله ؛ فضحك ابن أَبي عَتيق حتى ذُهِبَ به .

[ثناء أبي السائب على شعره]

أَخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنا عبد الرحمن بن غُرَير الزُّهْريّ قال : أَنشدتُ أَبا السائب المخزوميّ قولَ ابن قيس الرقيّات[1] : [من الخفيف]

صوت

قـد أَتانا من آل سُعْدَى رسولُ حَبَّذا مـا يقـول لي وأَقولُ
مِـنْ فتاةٍ كأَنّها قَرْنُ شمسٍ ضاق عنها دَمالـجٌ وحُجُولُ
حَبَّـذا ليلتي بِمـزَّة كلـبٍ غال عنّي بها الكَوانينَ غُولُ[2]

فقال لي : يا ابنَ الأَمير ما تُراه كان يقول وتقول ؟ فقلت : [من الطويل]

حديثاً كما يسري النَّدى لو سمعتَه شفاك مِـنَ ادواءٍ كثيرٍ وأَسْقَما

فطرِب وقال : بأَبي أَنت وأُمِّي ! ما زلتُ أُحبّك ، ولقد أُضعِف حبِّي إيّاك حين تفهم عنّي هذا الفهم .

غنّى في هذه الأَبيات ابن سُرَيج ثقيلاً أَوّلَ بالوسطى . ولمالكٍ فيها ثاني ثقيلٍ ، كلاهما عن الهِشاميّ .

[علم أشعب بالشعر]

أَخبرني محمد بن جعفر الصَّيْدَلانيّ النحويّ صهرُ المبرّد قال حدَّثني طلحة بن عبد الله أَبو إسحاق الطَّلْحيّ قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان قال : أَنشَد أَشْعبُ بن جُبَير أَبي أَبياتَ عُبيد الله بن قيس الرقيّات التي يقول فيها : [من الخفيف]

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 144 .
2 المزة : في غوطة دمشق .

قد أَتانا من آل سُعْدَى رسولُ حَبّـذا مـا يقـول لي وأَقولُ

فقال أَبي : وَيْحَك يا أَشعب ؛ ما تُراه قال وقالت له ؟ فقال : [من الطويل]

حديثاً لَوَ انَّ اللحمَ يَصْلى بحَرّه غَريضاً أَتى أَصحابَه وهو مُنْضَجُ

ذكَر شوقاً ووصف تَوْقاً ، ووعَد ووفى ، والتقيا بمِزَّة كَلْب فشفى واشتفى ، فذلك قوله : [من الخفيف]

حَبّـذا ليلتـي بمِـزّة كلبٍ غال عنّي بها الكَوانينَ غُولُ

فقال له : إنّك لعلاّمة بهذه الأَحوال ؛ قال أَجلْ ؛ بأَبي أَنت ! فاسأَل عالِماً عن علمه .

وممّا في المائة الصوت المختارة من شعر عبيد الله بن قيس الرقيّات[1]

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا قلبُ وَيْحَك لا تذهبْ بك الحُرَقُ إنّ الأُلَى كنـتَ تهواهم قـد انطلقُوا

وذُكر أَنّه لوَضّاح ، وقد أُخرج في موضع آخر .

1 ديوان ابن قيس الرقيات : 187 وديوان وضاح اليمن (صادر) : 65 .

[66] ـ ذكر مالك بن أَبي السَّمْح
وأَخباره ونسبه

[نسبه]

هو مالك بن أَبي السَّمْح . واسم أَبي السمح جابر بن ثعلبة الطائي أَحد بني ثُعَل ثم أَحدُ بني عمرو بن دَرْماء . ويكنى أَبا الوليد . وأُمّه قرشيّة من بني مخزوم ، وقيل : بل أُمّ أَبيه منهم ، وهو الصحيح .

وقال ابن الكلبيّ : هو مالك بن أَبي السَّمْح بن سليمان بن أَوْس بن سِمَاك بن سعد بن أَوس بن عمرو بن دَرْماء أَحد بني ثُعَل . وأُمّ أَبيه بنت مُدْرِك بن عوف بن عُبَيد بن عمرو بن مخزوم . وكان أَبوه منقطعاً إلى عبد الله بن جعفر بن أَبي طالب ويتيماً في حِجْره أَوصى به أَبوه إليه ، فكان ابن جعفر يكفُله ويَمُونه ، وأَدخله وسائرَ إخوته في دعوة بني هاشم ، فهم معهم إلى اليوم . وكان أَحولَ طويلاً أَحْنى . قال الوليد بن يزيد فيه يعارض الحسينَ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب في قوله فيه : [من المنسرح]

أَبيضُ كالبدر أَو كما يَلْمَع الـ ـبارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

فقال له الوليد : بل أَنت . [من المنسرح]

أَحولُ كالقردِ أَو كما يَرْقُب الـ ـسارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

[أساتذته في الغناء]

وأَخذ الغناءَ عن جَميلة ومَعْبد وعُمَر حتى أَدرك الدولة العبّاسيَة ، وكان منقطعاً إلى بني سليمان بن عليّ ، ومات في خلافة أَبي جعفر المنصور .

[كان أَبوه منقطعاً إلى ابن جعفر]

أَخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حَمّاد : قرأت على أَبي : أَنّ السبب في انقطاع أَبي السَّمْح إلى ابن جعفر أَنّ السَّنَةَ أَقْحَمَتْ طيِّئاً ، فكان ثَعْلبة جدُّ مالك أَحدَهم ، فوُلد أبو السَّمْح بالمدينة ؛ وكان صديقاً للحسين بن عبد الله الهاشميّ ، وكان سببُ ذلك مودّةً كانت بينه وبين آل شُعَيب السَّهْميين ؛ فلمّا تزوّج حسين عابِدة بنت شُعَيب السَّهْميّة خاصمهم بسببها ؛ وكان جدّ مالك معه وعوناً له مع من عاونه ، فنَشِبتْ بذلك حالٌ بينه وبين بني هاشم ، حتى وُلد مالك في دُورهم ، فصارت دعْوَتُه فيهم .

[أدرك الدولة العبّاسية]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد : قرأت على أبي : وعُمِّر مالك حتى أدرك دولةَ بني العبّاس ، وقَدِم على سليمان بن عليّ بالبصرة ، فمَتّ إليه بخُؤولته في قريش ، ودِعْوته لبني هاشم ، وانقطاعِه إلى ابن جعفر ، فعجّل له سليمانُ صلتَه وكساه وكتب له بأَوْساقٍ من تمر .

[لازم باب حمزة بن الزبير وأخذ الغناء عن معبد]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني مَيْمون بن هارون قال حدّثني القاسم بن يوسف قال أخبرني الوَرْدانيّ قال : كان مالك بن أبي السَّمْح المغنّي من طيىء ، فأصابتهم حَطْمةٌ[1] في بلادهم بالجبلين ، فقَدِمتْ به أُمّه وبإخوةٍ له وأَخَواتٍ أيتامٍ لا شيء لهم ؛ فكان يسأل الناسَ على باب حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وكان معبدٌ منقطعاً إلى حمزة يكون عنده في كلّ يوم يغنّيه ؛ فسمع مالك غناءه فأعجبه واشتهاه ، فكان لا يفارق باب حمزة يسمع غناء معبد إلى الليل ، فلا يطوف بالمدينة ولا يطلب من أحد شيئاً ولا يَرِيمُ موضعَه ، فينصرف إلى أُمّه ولم يكتسب شيئاً ، فتضربه ، وهو مع ذلك يترنّم بألحان معبد ويؤدّيها دَوْراً دوراً في مواضع صَيْحاته وإسجاحاته ونَبَراته نَغَماً بغير لفظ ولا روايةٍ[2] شيء من الشعر ؛ وجعل حمزةُ كلّما غدا وراح رآه ملازماً لبابه ؛ فقال لغلامه يوماً : أدخِل هذا الغلامَ الأعرابيّ إليّ ؛ فأدخله ؛ فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا غلام من طيىء أصابتْنا حَطْمةٌ بالجبلين فحطَّتْنا إليكم ومعي أُمّ لي وإخوةٌ ، وإنّي لزِمت بابَك فسمعت من دارك صوتاً أعجبني ، فلزمتُ بابَك من أجله ؛ قال : فهل تعرف منه شيئاً ؟ قال : أعرف لحنَه كلَّه ولا أعرف الشعرَ ؛ فقال : إن كنتَ صادقاً إنّك لفَهِمٌ . ودعا بمَعْبَد فأمره أن يغنّي صوتاً فغنّاه ، ثم قال لمالك . هل تستطيع أن تقوله ؟ قال نعم ؛ قال : هاته ؛ فاندفع فغنّاه فأدّى نَغَمَه بغير شعر ، يؤدّي مَدّاتِه ولَيّاته وعَطَفاته ونَبَراته وتعليقاتِه لا يَخْرِم حرفاً ؛ فقال لمعبد : خذ هذا الغلام إليك وخرِّجه ، فَلَيكونَنّ له شأن ؛ قال معبد : ولِمَ أفعل ذلك ؟ قال : لتكونَ محاسنُه منسوبة إليك ، وإلاّ عدَل إلى غيرك فكانت محاسنُه منسوبة إليه ؛ فقال : صدق الأمير ، وأنا أفعل ما أمرتَني به . ثم قال حمزة لمالكٍ : كيف وجدتَ ملازمتَك لبابنا ؟ قال : أرأيتَ لو قلتُ فيك غيرَ الذي أنت له مستحقٌّ من الباطل أكنتَ ترضى بذلك ؟ قال لا ؛ قال : وكذلك لا يسرُّك أن تُحمدَ بما لم تفعل ؛ قال نعم ؛ قال : فوالله ما شَبِعتُ على بابك شَبْعةً قطُّ ، ولا انقلبتُ منه إلى أهلي بخير ؛ فأمر له ولأُمّه ولإخوته بمنزل ، وأجْرى لهم رزقاً وكسوة ، وأمر لهم بخادم يخدُمهم وعبدٍ يسقيهم الماء ، وأجلس مالكاً معه في مجالسه ، وأمر معبداً أن يطارحه ، فلم

1 الحطمة : السنة المجدبة .

2 ل : ولا روى شيئاً .

يَنْشَبْ أن مهَر وحذَق ، وكان ذلك بعقب مقتل هُدْبُةَ بن خَشْرَم ؛ فخرج مالك يوماً فسمع امرأة تنوح على زِيادةَ الذي قتله هُدْبةُ بن خَشْرَم بشعر أخي زِيادة : [من الطويل]

أَبعد الذي بالنَّعْفِ نَعْفِ كُوَيْكِبٍ ... رهينةَ رَمْسٍ ذي تراب وجَنْدلِ[1]

أُذَكِّرُ بالبُقْيا على من أصابني ... وبُقْياي أنّي جاهدٌ غيرُ مؤْتَلِي

فلا يَدْعُني قومي لزيد بن مالكٍ ... لئن لم أُعجِّلْ ضربةً أو أُعجِّلِ

وإلاّ أَنَلْ ثأْري من اليوم أو غدٍ ... بني عمِّنا فالدهرُ ذو مُتَطَوَّلِ

أَنَخْتُمْ علينا كَلْكَلَ الحرب مرّةً ... فنحن مُنِيخُوها عليكم بكَلْكَلِ

فغنّى في هذا الشعر لَحْنَيْن ؛ أحدهما نحا فيه نحو المرأة في نوحها ورقّقه وأصلحه وزاد فيه ، والآخر نحا فيه نحو معبد في غنائه ؛ ثم دخل على حمزة فقال له : أيّها الأمير ، إنّي قد صنعت غناءً في شعر سمعتُ بعضَ أهل المدينة يُنشده وقد أعجبني ، فإن أَذِن الأميرُ غنّيتُه فيه ؛ قال : هاته ، فغنّاه اللحنَ الذي نحا فيه نحو معبد ؛ فطَرِب حمزة وقال له : أحسنتَ يا غلام ، هذا الغناء غناء معبد وطريقتُه ؛ فقال : لا تَعْجَل أيّها الأمير واسمع منّي شيئاً ليس من غناء معبد ولا طريقتِه ؛ قال : هاتِ ، فغنّاه اللحنَ الذي تشبَّه فيه بنوح المرأة ، فطرِب حمزة حتى أَلقى عليه حُلَّة كانت عليه قيمتها مائتا دينار ؛ ودخل معبد فرأى حُلّة حَمْزة عليه فأنكرها ؛ وعلم حمزةُ بذلك فأخبر معبداً بالسبب ، وأمر مالكاً فغنّاه الصوتين ؛ فغضِب معبد لمّا سمع الصوت الأوّل وقال : قد كرهتُ أن آخذ هذا الغلامَ فيتعلَّمَ غنائي فيدّعيَه لنفسه ؛ فقال له حمزة : لا تَعْجَل واسمع غناءً صَنَعه ليس من شأنك ولا غنائك ، وأمره أن يغنّي الصوت الآخر فغنّاه ؛ فأطرق معبد ؛ فقال له حمزة : والله لو انفرد بهذا لضاهاك ثم يتزايد على الأيّام ، وكلّما كبِر وزاد شِخْتَ أنت ونقصتَ ، فلأن يكون منسوباً إليك أجملُ ؛ فقال له معبد وهو منكسر : صدق الأميرُ . فأمر حمزةُ لمعبدٍ بخِلْعةٍ من ثيابه وجائزةٍ حتى سكَن وطابت نفسُه ؛ فقام مالك على رجله فقبَّل رأس معبد ، وقال له : يا أبا عَبَّاد أساءك ما سمعتَ منّي ؟ والله لا أُغنّي لنفسي شيئاً أبداً ما دمتَ حيّا ، وإن غلبتْني نفسي فغنّيتُ في شعر استحسنتُه لا نسبتُه إلاّ إليك ، فطِبْ نفساً وارضَ عنّي ؛ فقال له معبد : أوَ تفعل هذا وتَفي به ؟ قال : إي والله وأزيد ؛ فكان مالك بعد ذلك إذا غنّى صوتاً وسئل عنه قال : هذا لمعبد ، ما غنّيت لنفسي شيئاً قطّ ، وإنّما آخُذُ غناء معبد فأنقله إلى الأشعار وأحسِّنه وأزيد فيه وأنقُص منه .

1 النعف : ما انحدَر عن غلظ الجبل وارتفع عن مجرى السيل .

[كان يغنّي ليلة الجمعة]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا الحسن بن عُتْبة اللهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عُبيد الله أحدِ بني الحارث بن عبد المطّلب قال : خرجتُ من مكّة أريد العراق ، فحملتُ معي مالكَ بن أبي السَّمْح من المدينة ، وذلك في أيّام أبي العبّاس السّفاح ، فكان إذا كانت عَشيّةُ الخميس قال لنا : يا معشر الرُّفْقة إنّ الليلة ليلةُ الجمعة وأنا أعلم أنّكم تسألوني الغناءَ ، وعليّ وعليّ إن غنّيتُ ليلة الجمعة ، فإن أردتم شيئاً فالساعةَ اقترحوا ما أحببتم ؛ فنسأله فيغنّينا ، حتى إذا كادت الشمس أن تغيب[1] طرِب ثم صاح : الحريق في دار شَلْمَغان ، ثم يمرّ في الغناء فما يكون في ليلة أكثَر غناءً منه في تلك الليلة بعد الأيمان المغلَّظة .

[مالك بن أبي السَّمْح وسليمان بن علي]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان سليمان بن عليّ يسمع من مالك بن أبي السَّمْح بالسَّراةِ ، لأنّه كان إذا قدِم الشام على الوليد بن يزيد ، عدَل إليهم في بَدْأته وعَوْدته لانقطاعه إليهم ، فيَبَرُّونه ويَصِلُونه ؛ فلمّا أفضى إليهم الأمرُ رأى سليمانُ مالكاً على باب ابنه جعفر ؛ فقال له : يا بنيّ ، لقد رأيتُ ببابكَ أشبَه الناس بمالكٍ ؛ فقال له جعفر : ومَنْ مالكٌ ؟ ، يُوهمه أنّه لا يعرفه ، فتغافل عنه سليمانُ لئلاّ ينبهه عليه فيطلبه ، وتوهّم أنّه لم يعرفه ولا سمع غناءه .

قال حمّاد : وحدَّثني أبي عن جدّي إبراهيم أنّه أخبره أنّه رأى مالكاً بالبصرة على باب جعفر بن سليمان ، أوْ أخيه محمد ، ولم يعرفه ، فسأل عنه بعد ذلك فعرفه وقد كان خرج عن البصرة ؛ قال : فمالي حسرةٌ مثل حسرتي بأنّي ما سمعتُ غناءه .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو غسّان محمد بن يحيى قال : كان مالك بن أبي السَّمْح يتيماً في حِجْر عبد الله بن جعفر ، وكان أبوه أبو السَّمْح صار إلى عبد الله بن جعفر وانقطع إليه ، فلمّا احتُضر أوْصى بمالكٍ إليه ، فكفَله وعاله وربّاه ، وأدخله في دِعْوة بني هاشم ، فهو فيهم إلى اليوم . ثم خطب حسينُ بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس العابدةَ بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، فمنعه بعضُ أهلها منها وخطبَها لنفسه ، فعاون مالكٌ حُسَيناً ، وكانت العابدةُ تستنصحه ، وكانت بين أبيها شعيبٍ وبينه مودّةٌ ، فأجابت حُسَيناً وتزوّجته ، فانقطع مالكٌ إلى حسين ؛ فلمّا أفضى الأمرُ إلى بني هاشم قدِم البصرةَ على سليمان بن عليّ ، فلمّا دخل إليه مَتَّ بصحبته عبدَ الله بن جعفر ودعْوتِه في بني هاشم

1 ل : تغرب .

وانقطاعِه إلى حسين ؛ فقال له سليمان : أنا عارفٌ بكلّ ما قلته يا مالك ، ولكنّك كما تعلم ، وأخاف أن تُفسد عليّ أولادي ، وأنا واصلُك ومُعطيك ما تريد وجاعلٌ لك شيئاً أبعث به إليك ما دمتَ حيّاً في كلّ عام ، على أن تخرج عن البصرة وترجع إلى بلدك ؛ قال : أفعلُ جعلني الله فِداك ؛ فأمر له بجائزة وكُسْوة وحمله وزوّده إلى المدينة .

[مالك بن أبي السَّمح في كبره]

أخبرني عمّي الحسن بن محمّد قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون بن جَناح قال أخبرني يعقوب بن إبراهيم الكُوفيّ عمّن أخبره قال : دخلتُ المدينةَ حاجّاً فدخلت الحمّام ، فبينا أنا فيه إذ دخل صاحبُ الحمام فغسله ونظّفه ، ثم دخل شيخ أعمى له هيئةٌ ، مؤتزرٌ بمنديل أبيض ؛ فلمّا جلس خرجتُ إلى صاحب الحمّام فقلت له : من هذا الشيخ ؟ قال : هذا مالك بن أبي السمح المغنّي ، فدخلتُ عليه فقلت له : يا عَمّاه ، مَنْ أحسنُ الناسِ غِناء ؟ فقال : يا ابن أخي ، «على الخَبير سَقَطْتَ»[1] ، أحسنُ الناسِ غناءً أحسنُهم صوتاً .

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوبَ المَدينيّ قال حدّثني أبو يحيى العِبادِيّ عن إسحاق قال : كان فتيةٌ من قريش جلوساً في مجلس ، فمرّ بهم مالك بن أبي السَّمْح ، فقال بعضهم لبعض : لو سألْنا مالكاً فغنّانا صوتاً ! فقام إليه بعضهم فسأله النزولَ عندهم ، فعدَل إليهم ؛ فسألوه أن يغنّيهم ؛ فقال : نعمْ واللهِ بالحُبِّ والكرامةِ ، ثم اندفع يغنّي ، وأوقع بالمِقْرَعة على قَرَبُوس سَرْجه ، فرفع صوتَه فلم يقدِر ، ثم خفَضه فلم يقدر ، فجعل يبكي ويقول : واشباباه .

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمد عن الزُّبير بن بكّار عن عمّه عن جدّه أنّه كان في هؤلاء الفِتْية الذين كانوا سألوه الغناء ؛ وذكر باقي الخبر مثل ما ذكره إسحاق .

[مالك بن أبي السَّمْح وعجاجة المخنث]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو أيّوبَ المَدِينيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال حدّثني صالح بن أبي الصَّقْر قال : قدِم مالك بن أبي السَّمْح المغنّي البصرةَ ، فلقيه عَجاجةُ المخنَّثُ ، وكان أشهرَ مَنْ بها من المخنّثين ، وقال له : فَدَيْتُكَ يا أبا الوليد ، إنّي كنتُ أحبّ أن ألقاك وأنْ أعرض عليك صوتاً من غنائك أخذتُه عن بعض المخنّثين ، فإن رأيتَ أن تنزلَ عندي فعلتَ ؛ فنزل مالك عنده فبسط له المخنّثُ جَرْدَ[2] قطيفةٍ كانت عنده فجلس ، ثم أخذ عَجاجةُ الدفَّ فغنّى : [من الخفيف]

---

1 مجمع الأمثال للميداني 2 : 24 وجمهرة العسكري 2 : 32 والمستقصى للزمخشري 2 : 164 .

2 الجرد : الخلق .

حَـبّ إنّ الخمارَ كان عليها شاهداً يوم زارتِ الجَوْشَنِيَّه[1]
قد سَبَتْه بِدَلّهـا حـين جاءت تَتَهـادَى في مِشْيـةٍ بَخْتَرِيَّه

فجعل مالك يقول له : وَيْلَك ! مَنْ قال هذا ؟ لعنه اللهُ ؛ وَيْحَك مَن غنّى هذا ؟ قبّحه الله ، وَيْحَك مَنْ روى عنّي هذا ؟ أخزاه اللهُ ، ثم قام فركب وهو يضحك عجباً من عَجاجةَ .

[مالك ومعبد وابن عائشة عند يزيد بن عبد الملك]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن ابن جَناح قال حدّثني مصعب بن عثمان قال حدّثني عبد الله بن محمد بن يحيى بن عُرْوة بن الزُّبير قال حدّثني مالك بن أبي السَّمْح قال : قَدِمنا على يزيدَ بن عبد الملك أوّلَ قُدومنا عليه مع معبد وابنِ عائشةَ ، فغنّيناه ليلةً فأطربْناه ، فأمر لكلّ واحد منّا بألف دينار وكتب لنا بها إلى كاتبه ، فغدوْنا عليه بالكتاب ؛ فلمّا رآه أنكره وقال : أيُؤمر لمثلكم بألف دينار بألف دينار ؟ لا والله ولا حُبّاً ولا كرامةَ ! . فرجعنا إلى يزيدَ فأخبرناه بمقالته وكررنا عليه ؛ فقال : كأنّه استنكر[2] ذلك ؟ فقلنا : نعم ؛ فقال : مثله والله يستنكره[3] ودعاه ؛ فلمّا حضر ورآنا عنده استأمره فيها ، فأطرق مُسْتَحيياً ؛ وقال له : إنّي قد قلتها لهم ولا يَجمُلُ أن أرجع عمّا قلت ، ولكن قطّعها عليهم . قال مالك : فمات والله يزيد ، وقد بقي لكلّ واحد منّا أربعُمائة دينار .

[سليمان بن علي يلوم ولديه على استماعهما للغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال قرأت على أبي ، وحدّثنا الحسن بن محمد قال : لمّا انهزم عبد الله بن عليّ من أبي مسلم قَدِم البصرةَ ، وكان عند سليمان بن عليّ ، وكان مالك بن أبي السمح يومئذ بها ، فاستزاره جعفر ومحمّد فزارهما ، وغنّاهما مالك في جَوْف الليل في دار سليمانَ بن عليّ ، وبلغ الخبرُ سليمانَ ، فدخل عليهم فعذَل جعفراً ومحمداً ، وقال : نحن نتوقّعُ الطامّةَ الكبرى وأنتم تسمعون الغناء ! فقالا : ألا تجلس وتسمع ! ففعل ، فغنّاهم مالك : [من البسيط]

صوت

ما كنتُ أوّلَ مَنْ خاسَ الزمانُ به قد كنتُ ذا نَجْدةٍ أُخْشى وذا باسِ
أبْلِـغْ أبـا معبـدٍ عنّي وإخوَتَه شوقي إليهم وأحزاني ووَسْواسي

فخرج وتركهم ولم يُنكِر عليهم شيئاً .

---

1 الجوشنية : نسبة إلى جوشن بطن من غطفان .
2 ل : استكثر .
3 ل : يستكثره .

[مدحه الحسين بن عبد الله]

وفي مالك بن أبي السمح يقول الحسين بن عبد الله بن عُبيد الله بن العبّاس : [من المنسرح]

صوت

لا عيشَ إلاّ بمالكِ بن أبي السَّـ ـمح فلا تَلْحَني ولا تَلُمِ
أبيضُ كالبدرِ أو كما يَلْمَع الـ ـبارقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ
مَنْ ليس يُعصِيكَ إن رَشَدتَ ولا يَهتِكُ حقَّ الإسلام والحُرَم
يُصيبُ مِن لَذّة الكريم ولا يَجهَلُ آيَ الترخيص في اللَّمَم
يا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشية الـ ـبُردِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُم
نَعمتُ فيه ومالكَ بنَ أبي السـ ـمح الكريمَ الأخلاقِ والشّيَم

غنّاه مالكٌ في الأوّل والثاني والثالث رملاً بالبنصر في مجراها ، فيقال : إنّ مالكاً قال له : لا والله ولا إن غَوَيتَ أيضاً أعصِيك ؛ ذكر ذلك الزبير عن عمّه مصعب . ويقال : إنّه قال هذه المقالةَ للوليد بن يزيدَ ، فُسرّ بذلك وأجزل صلتَه .

[غنّى الوليد بن يزيد حتى طرب]

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسخت من كتاب حمّاد قال حدّثني أبي قال قال ابن الكلبيّ : قال الوليد بن يزيد لمَعْبد قد آذَتْني وَلْوَلَتُكَ هذه ، وقال لابن عائشة : قد آذاني استهلالُك هذا ، فانظُرا لي رجلاً يكون مذهبه متوسّطاً بين مذهَبَيْكما ؛ فقالا له : مالكُ بن أبي السّمح ؛ فكتب في إشخاصه إليه وسائر مُغنّي الحجاز المذكورين ؛ فلمّا قَدِم مالكٌ على الوليد بن يزيد فيمن معه من المغنّين نزل على الغَمْر بن يزيد ، فأدخله على الوليد فغنّاه فلم يُعجبه ؛ فلمّا انصرف الغَمْر قال له : إنّ أمير المؤمنين لم يُعجِبه شيءٌ من غنائك ؛ فقال له : جعلني الله فداك ! اطلُب لي الإذنَ عليه مرّةً واحدة ، فإن أعجبه شيء ممّا أُغنّيه وإلاّ انصرفتُ إلى بلادي . فلمّا جلس الوليدُ في مجلس اللهو ذكره الغَمْر وطلب له الإذنَ ، وقال له : إنّه هابك فَحصر ؛ قال : فأُذَنْ له ، فبعث إليه ؛ فأمر مالكٌ الغلامَ فسقاه ثلاثَ صُراحِيّات صِرْفا ؛ فخرج حتى دخل عليه يَخْطِرُ في مِشْيته . وقال غير ابن الكلْبيّ : إنّه قال لفرّاش للوليد : اسْقِني عُسّاً من شراب ولك دينار ، فسقاه إيّاه وأعطاه الدينار ؛ ثم قال له : زِدْني آخرَ فأزيدَك آخرَ ، ففعل حتى شرِب ثلاثة ، ثم دخل على الوليد يخطِر في مِشيته ؛ فلمّا بلغ بابَ المجلس وقف ولم يسلم ، وأخذ بحَلْقةِ الباب فقَعْقَعَها ، ثم رفع صوتَه فغنّى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إلاّ بمالكِ بن أبي السـ ـمْح فلا تَلْحَني ولا تَلُمِ

فطَرِب الوليد ، ورفع يديه ، حتى بدا إبطاه إليه مادّاً لهما ، وقام فاعتنقه قائماً ، وقال له : ادنُ يا ابن أخي ، فدنا حتى اعتنقه ؛ ثم أخذ في صوته ذلك ، فلم يزالوا فيه أيّاماً ، وأجزل صلته حين أراد الانصرافَ . قال : ولمّا أتى مالكٌ على قوله : [من المنسرح]

أبْيضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ ـبارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

قال له الوليد : [من المنسرح]

أحْولُ كالقِرْد أو كما يَرْقُبُ السـ ـارقُ في حالـكٍ مـن الظُّلَمِ

[كان يأخذ أغاني غيره ويغيرها]

وكان مالك طويلاً أجْنى[1] فيه حَوَلٌ . وقد قال قومٌ : إنّ مالكاً لم يصنع لحناً قطُّ غيرَ هذا ، أعني : «لا عيشَ إلاّ بمالك بن أبي السَّمْح» ، وإنّه كان يأخذ غناءَ الناسِ فيزيدُ فيه وينقُصُ منه وينسُبه الناس إليه ، وكان إسحاق يُنكر ذلك غايةَ الإنكار ، ويقول : غناءُ مالكٍ كلُّه مَذْهبٌ واحد لا تَبايُن فيه ، ولو كان كما يقول الناس لاختلف غِناؤه ، وإنّما كان إذا غَنّى ألحانَ مَعْبَدٍ الطِّوالَ خفّفها وحَذَف بعض نَغَمها ، وقال : أطاله مَعْبَد ومطّطَه ، وحذفتُه أنا وحسّنتُه ، فأمّا ألاّ يكونَ صنع شيئاً فلا .

أخبرني الحسين بن يحيى قال نسختُ من كتاب حَماد : قرأتُ على أبي وذكر بكّار بن النبال : أنّ الوليد قال لمالك : هل تصنع الغناء ؟ قال : لا ، ولكنّي أزيدُ فيه وأنقُص منه ؛ فقال له : فأنت المُحَلِّي إذاً .

قال إسحاق وذكر الحسن بن عُتبة اللّهبيّ عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الهاشميّ الحارثي الذي يقال له سَنابِل ، وفيه يقول الشاعر : [من الطويل]

فإن هي ضَنَّتْ عنكَ أو حِيل دونَها فدَعْها وقُلْ في ابن الكرامِ سَنابِلِ

قال : خرجتُ من مكّة أريد أبا العبّاس أميرَ المؤمنين ، فمررت على المدينة فحملت معي مالكَ بن أبي السَّمْح ، فسألته يوماً عن بعض ما يُنْسَب إليه من الغناء ؛ فقال : يا أبا الفضل ، عليه وعليه إن كان غنّى صوتاً قطّ ، ولكنّي آخذُه وأحسّنه وأُهيّئه وأُطيّبه ، فأُصيب ويخطئون فيُنسَبُ إليّ . قال إسحاق : وليس الأمرُ هكذا ، لمالكٍ صنعةٌ كثيرة حسنة ، وصنعته تَجْري في أسلوب واحد ، ويُشبِه بعضُها بعضاً ، ولو كان كما قيل لاختَلَف غناؤه . وقد قيل : إنّ مالكاً كان يَنتفِي من الصنعة لأن أكثر الأشراف هناك كانوا يُنكرون عليه ، فكان يَتَبَذَّل به عند مَن يراه ، ويُنكره عند مَن يذُمّه ، لمحلّه في بني هاشم .

1 الأجنى : الأجنأ وهو الذي أشرف كاهله على صدره . والأحنى : الأحدب .

وأخبرني بخبر سَنابِل هذا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني حمزة بن عُتبة اللّهبيّ عن سَنابل ، فذكر الخبر وخالف ما رواه إسحاق أنّ الحسن بن عتبة حدّثه وحكاه عن حمزةَ بن عُتْبة أخيه .

[أخذ صوتاً من حمّار]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن هشام بن الكلبيّ ؛ عن أبيه عن محمد بن يَزيد اللَّيْثيّ قال : سُئل مالك بن أبي السَّمْح عن صنعته في : [من الخفيف]

لاحَ بالدَّيْر مـن أُمامةَ نارُ

فقال : أخذتُه والله من خَرْبَنْده[1] بالشام يَسُوق أَحْمِرَةً ، فكان يترنَّم بهذا اللَّحن بلا كلام ، فأخذتُه فكسوتُه هذا الشعر .

[أخذ صوتاً من حائك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : نزل مالكُ بن أبي السَّمْح عند رجل بمكّةَ مخزوميٍّ ، وكان له غلامٌ حائك ، فأتاه آتٍ فقال : أما سَمِعتَ غناء غلامك الحائك ؟ قال : لا ! أَوَ يُغنّي ؟ قال : نعم بشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ ؛ فبعث إليه فأتاه ، فقال : تَغَنَّه ؛ فقال : ما أُحسِنُ ذاك إلاّ على حَفِّي ؛ فخرج مولاه ومعه مالكٌ إلى بيته ، فلمّا جلس على حَفِّه تغنّى : [من الطويل]

تطاولَ هذا الليلُ مـا يَتبلَّجُ

فأخذه مالكٌ عنه وغنّاه فنسَبه الناسُ إليه ؛ وكان يقول : والله ما غنّيته قطّ ولا غنّاه إلاّ الحائك .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الخفيف]

لاحَ بالدَّيْـر مـن أُمامةَ نـارُ لمحـبٍّ لـه بيَثْـرِبَ دارُ
قـد تَراها ولو تشاءُ من القُرْ ب لأغناكَ عن نَداها السِّرارُ

الشعر للأحوص[2] ، ويقال : إنّه لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لحن لمعبد ذكره إسحاق .

---

1 خربنده : كلمة فارسية تعني المكاري .
2 شعر الأحوص : 96 عن الأغاني .

صوت

[من الطويل]

تَطاوَلَ هذا الليلُ ما يَتَبَلَّجُ وأعيتْ غَواشِي سَكْرَتي ما تَفَرّجُ
أَبيتُ بِهَمٍّ ما أَنامُ كأَنّما خِلالَ ضُلوعي جمرةٌ تَتَوهّجُ
فَطَوْراً أُمَنّي النفسَ من تُكْتَمَ المُنى وطوراً إذا ما لجّ بي الحبُّ أَنْشِجُ[1]

عروضه من الطويل ، الشعر لأبي دَهْبَل ، والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ثقيل أوّلُ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

[هرب يوم مقتل الوليد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : قال ابن عائشة : حضرتُ الوليدَ بن يزيد يوم قُتل ، وكان معنا مالك بن أبي السَّمْح وكان من أحمقِ الناس ، فلمّا قُتل الوليد قال : اهرُب بنا ؛ فقلت : وما يريدون منّا ؟ قال : وما يؤمّنك أن يأخذوا رأسَيْنا فيجعلوا رأسه بينهما ليُحسِّنوا أمرَهم بذلك ! قال ابن عائشة : فما رأيت منه عقلاً قطّ قبل ذلك اليوم .

[علّم ابنه الغناء]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال قال الزبير بن بكّار حدّثتني ظَبْيَةُ قالت : رأيتُ مالكَ بن أبي السَّمح وهو على مَنامته يُلقي على ابنه وقد كَبِرَ وانقطَع[2] : [من السريع]

صوت

اعتادَ هذا القلبَ بَلْبالُهُ إذ قُرِّبَتْ للبيْنِ أَجمالُهُ
خَوْدٌ إذا قامتْ إلى خِدْرها قامت قَطُوفُ المَشْيِ مِكْسالُهُ
تَفْتَرُّ عن ذي أُشُرٍ بارِدٍ عَذْبٍ إذا ما ذِيقَ سَلْسالُهُ

الشعرُ لعمرَ بن أبي رَبيعة ، ولمالك بن أبي السَّمْح فيه ثلاثة ألحان : خفيفُ ثقيل مطلق في مجرى الوسطى ، وثقيل أوّل بالوسطى في مجراها جميعاً عن إسحاق ، وخفيف رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وقيل : إنّه لابن سُرَيج . وفيه رَمَلٌ يُنسب إلى ابن جامع وابن سريج .

[شعر في رثائه]

أخبرني وَكيع قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبَيدة : سمعتُ مُنشِداً يُنشد لنفسه يَرثي مالكاً بهذه القصيدة : [من البسيط]

---

1 تكتم : اسم المرأة التي يشبب بها .

2 ديوان عمر : 338 .

يا مالُ إنّي قَضَتْ نفسي عليكَ وما بيني وبَينَكَ من قُرْبــى ولا رَحِمِ
إلاّ الذي لك في قَلْبي خُصِصْتَ به مــن المــودّة في سِتْرٍ وفي كَرَمِ

قال إسحاق قال أبو عُبَيدة : هو مالك بن أبي السمح . انقضت أخباره .

صوت

من المائة المختارة

من رواية هارون بن الحسن بن سَهْل وابن المَكّيّ وأبي العَنبس ومَن روى جَحظةُ عنه : [من الطويل]

فإلاّ تَجَلّلْهــا يُعالُــوكَ فوقَهــا وكيف تَوَقّى ظهرَ مــا أنتَ راكبُهْ
هــمُ قتلــوه كي يكونــوا مكانَه كما غدَرتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أُختِكم ولا تَنْهَبُــــوه لا تَحِــلُّ مَناهِبُــهْ

عروضه من الطويل . البيت الأوّل من الشعر لرجلٍ من بني نَهْد جاهليّ ، وباقي الأبيات للوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط . والغناء لابن مُحرِز ، ولحنه من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن يونس وإسحاق ، وهو اللحن المختار . وفيه للغَرِيض ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لَمَعْبد ثقيل أوّلُ آخرُ مطلق في مجرى الوسطى عن عمرو وعن الهشاميّ . وفيه لسَلْسَل في الثاني والثالث ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لعَطَرَّد خفيف ثقيل .

[67] ـ النَّهْديّ في هذا الشعر
وخبر الوليد بن عُقبة وقد مضى نسبه في أوّل الكتاب

[الحارث بن مارية وزهير بن جناب]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيد قال أخبرني عمّي عن ابن الكَلْبيّ عن أبيه عن عبد الرحمن المَدائنيّ ، وكان عالِماً بأخبار قومه ، قال وحدّثنيه أبو مِسْكِين أيضاً ، قالا : كان الحارث بن مارِية الغسّاني الجِفْنيّ مُكرِماً لزُهير بن جَناب الكَلْبيّ يُنادمه ويحادثه . فقَدِم على المِلك رجلان من بني نَهْد بنِ زيد يقال لهما حَزْنٌ وسَهْلٌ ابنا رِزاح ، وكان عندهما حديثٌ من أحاديث العرب ، فاجتباهما الملكُ ونزلا بالمكان الأثير منه ، فحسدهما زُهير بن جَناب ، فقال : أيّها الملك ، هما والله عَيْنٌ لذي القَرْنين عليك (يعني المُنذِرَ الأكبر جدَّ النعمان بن المنذر) ، وهما يكتبان إليه بعَوْرتك وخَلَلِ ما يريان منك ؛ قال : كلاّ ! فلم يزل به زهير حتى أَوْغَر صدرَه ، وكان إذا رِكب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه ، فبعَث إليهما بناقة واحدة ؛ فعرَفا الشرّ فلم يركب أحدهما وتوقّف ؛ فقال له الآخر : [من الطويل]

فإلاّ تَجَلَّلْهـا يُعالُـوكَ فَوْقَهـا وكيف تَوَقَّى ظهرَ ما أنتَ راكِبُهْ

فركبها مع أخيه ، ومَضى بهما فقُتِلا ، ثم بحَث عن أمرهما بعد ذلك فوجده باطلاً فشتَم زُهيراً وطرده ، فانصرف إلى بلاد قومه ؛ وقدِم رِزاحٌ أبو الغلامين إلى الملك ، وكان شيخاً عالِماً مُجرِّباً ، فأكرمه الملك وأعطاه دِيةَ ابنيه ؛ وبلغ زهيراً مكانُه ، فدعا ابناً له يقال له عامر ، وكان من فِتيان العرب لساناً وبياناً ، فقال له : إنّ رِزاحاً قد قدِم على الملك ، فالحَقْ به واحتَلْ في أن تكفِيَنيه ، وقال له : اذْمُمْني عند الملك ونَلْ منّي ، وأثِّر به آثاراً ؛ فخرج الغلام حتى قدِم الشام . فتلطّف للدخول على الملك حتى وصل إليه ؛ فأعجبه ما رأى منه ؛ فقال له : مَن أنت ؟ قال : أنا عامرُ بنُ زُهَير بن جَناب ؛ قال : فلا حيّاك الله ولا حيّا أباك الغادرَ الكذوبَ السّاعيَ ! فقال الغلام : نعم ، فلا حيّاه الله ؛ أُنظُر أيّها الملك ما صنَع بظهري ! وأراه آثارَ الضرب ؛ فقَبِل ذلك منه وأدخله في نُدمائه ؛ فبَيْنا هو يحدّثه يوماً إذ قال له : أيّها الملك ، إنّ أبي وإن كان مُسيئاً فلستُ أدَعُ أن أقولَ الحقّ ، قد والله نصحك أبي ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

فيالكِ نَصْحةً لَمْـا نَذُقْها أراها نصحةً ذهبتْ ضَلالا

ثم تركه أيّاماً ، وقال له بعد ذلك : أيّها الملك ، ما تقول في حيّة قد قُطِع ذَنَبُها وبقيَ رأسُها ؟ قال : ذاك أبوك وصَنِيعُه بالرجُلين ما صَنَع ؛ قال : أبيتَ اللّعنَ ! والله ما قَدِم رِزاحٌ إلاّ ليثأرَ بهما ؛ فقال له : وما آيةُ ذلك ؟ قال : اسقِهِ الخمر ثم ابعَثْ إليه عَيْناً يأتِك بخبره ؛ فلمّا انتشى صرفَه إلى قُبّته ومعه بنتٌ له ، وبعث عليه عيوناً ؛ فلمّا دخل قُبّته قامت إليه ابنته تُسانده فقال : [من الوافر]

دَعِيني من سِنادِكِ إنّ حَزْناً ... وسَهْلاً ليس بعدهما رُقودُ
ألا تَسَلين عن شِبْلَيّ ماذا ... أصابهما إذا اهتَرش الأُسُودُ[1]
فإنّي لو ثأرتُ المرءَ حَزْناً ... وسَهْلاً قد بدا لكِ ما أُريدُ

فرجع القومُ إلى الملك فأخبروه بما سمعوا ، فأمر بقتل النَّهْديّ رِزاحٍ ، وردّ زُهيراً إلى موضعه .

[شعر الوليد بن عقبة]

وقد أنشدني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال : أنشدنا محمد بن حَبِيبَ أبياتَ الوليد هذه على الوِلاء ، وهي : [من الطويل]

ألا مَن لِلَيْلٍ لا تَغُورُ كواكبُهْ ... إذا لاح نجمٌ لاحَ نجم يراقبُهْ[2]
بني هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم ... ولا تَنْهبوه لا تَحِلُّ مناهِبُهْ
بني هاشم لا تَعْجَلوا بإقادةٍ ... سواءٌ علينا قاتِلوه وسالِبُهْ[3]
فقد يُجْبَرَ العظمُ الكسير ويَنْبري ... لذي الحقّ يوماً حقُّه فيطالبُهْ
وإنّا وإيّاكم وما كان منكم ... كصَدْع الصَّفا لا يَرْأَبُ الصَّدعَ شاعبُه
بني هاشم كيف التعاقُد بيننا ... وعند عليٍّ سيفُه وحَرائِبُهْ[4]
لعَمْرُكَ لا أنسى ابنَ أَرْوى وقتلَه ... وهل ينسيَنّ الماءَ ما عاش شارِبُهْ
همُ قتلوه كي يكونوا مكانَه ... كما غَدَرتْ يوماً بكسْرى مَرازِبُهْ
وإنّي لمجتابٌ إليكم بجحفلٍ ... يُصِمُّ السَّميعَ جَرْسُه وجَلائبُهْ

1 شبلي في ل : شبليك .
2 كلمة لاحَ الثانية في ل : غار .
3 المثل : سواء علينا قاتلاه وسالبه في مجمع الميداني 1 : 335 والمستقصى 2 : 123 والجمهرة 1 : 515 .
4 الحرائب : المال أو ما يسلب منه .

وقد أجاب الفضلُ بن عبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَب الوليدَ عن هذه الأبيات ، وقيل : بل أبوه العبّاس بن عُتبة المجيبُ له أيضاً . والجواب : [من الطويل]

صوت

فـلا تسألونـا بالسلاح فإنّـه أُضيع وألقاه لَدى الرَّوْع صاحبُهْ[1]

وشبَّهْتَه كسرى وقـد كان مثلُه شبيهاً بكسرى هَدْيُـه وعصائبُهْ

ذكر أحمد بن المكّيّ أنّ لابن مِسْجَح فيه لحناً وأنّ لحنه من الثقيل الأوّل بالسبابة في مجرى الوسطى ، وقال غيره : إنّه من منحول أبيه يحيى إلى ابن مسجح .

1 تسألونا في ل : تسألوني .

[68] ـ ذكر باقي خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه

[نسب الوليد بن عقبة وولايته الكوفة]

الوليدُ بنُ عقبة بن أَبي مُعَيط ، وقد مضى نسبه مع أَخبار ابنه أَبي قَطِيفة . ويكنى الوليدُ أَبا وَهْب . وهو أَخو عثمان بن عفّان لأُمّه . أَمّهما أَرْوى بنت كُرَيز ، وأُمّها البيضاء بنت عبد المطّلب . وكان من فِتيان قريش وشعرائهم وشُجعانهم وأَجوادِهم ، وكان فاسقاً ؛ ووَلِيَ لعثمان رضي الله عنه الكوفةَ بعد سعد بن أَبي وَقّاص ، فشرِب الخمرَ وشُهِد عليه بذلك ، فحدّه وعزلَه .

[تحريضه معاوية على الأخذ بثأر عثمان]

وهو الذي يقول يَرثي عثمانَ رضي الله عنه ويُحرِّض معاوية : [من الطويل]

والله ما هندٌ بأُمِّك إن مضى النهـ ـارُ ولم يَثْـأر بعثمان ثائرُ
أيقتُل عبـدُ القـوم سيِّدَ أَهلِـه ولم تقتلوه ليت أُمَّـكَ عاقرُ
وإنّا متى نقتلْهمُ لا يُقِـدْ بهم مُقِيدٌ فقد دارت عليك الدوائرُ

[كان يجالس عثمان على سريره]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أَبيه قال : لم يكن يجلس مع عثمان رضي الله عنه على سريره إلاّ العباسُ بن عبد المطّلب وأَبو سفيان بن حَرْب والحَكَم بن أَبي العاصي والوليد بن عُقْبة ، فأَقبل الوليدُ يوماً فجلس ، ثم أَقبل الحكم ، فلمّا رآه عثمان زَحَل له عن مجلسه ، فلمّا قام الحكم قال له الوليد : والله يا أَمير المؤمنين ، لقد تَلَجْلج في صدري بيتان قلتُهما حين رأيتك أَثرت عمّك على ابنِ أُمّك ؛ فقال له عثمان رضي الله تعالى عنه : إنّه شيخ قريش ، فما البيتان اللذان قلتَهما ؟ قال قلت : [من الطويل]

رأَيتُ لعـمِّ المـرء زُلْفى قرابةٍ دُوَيْن أَخيه حادثاً لَم يكن قِدْمَا
فأَمّلتُ عَمْراً أَن يَشِبّ وخالداً لكي يدعُواني يوم مَزْحمةٍ عمّا

يعني عمراً وخالداً ابنَي عثمان . قال : فرَقّ له عثمان ، وقال له : قد ولّيتك العراق (يعني الكوفة) .

[ولايته على الكوفة وخبره مع سعد بن أبي وقاص]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني بعضُ أصحابنا عن ابن دَأْب قال : لمّا ولّى عثمان رضي الله عنه الوليدَ بن عقبة الكوفةَ قدِمها وعليها سعد بن أبي وَقّاص ، فأُخبِر بقدومه ؛ فقال : وما صنع ؟ قال : وقف في السوق فهو يحدّث الناسَ هناك ولسنا نُنكر شيئاً من شأنه ؛ فلم يلبث أن جاءه نصفَ النهار ، فاستأذن على سعد فأذِن له ، فسلّم عليه بالإمرة وجلس معه ؛ فقال له سعد : ما أقدمك أبا وهب ؟ قال : أحببتُ زيارتك ؛ قال : وعلى ذلك أجئتَ بريداً ؟ قال : أنا أرْزَنُ من ذلك ، ولكن القوم احتاجوا إلى عملهم فسرّحوني إليه ، وقد استعملني أمير المؤمنين على الكوفة ؛ فمكث طويلاً ثم قال : لا والله ما أدري أصلَحتَ بعدنا أم فسَدنا بعدك ؟ ثم قال : [من الطويل]

خُذيني فجُرّيني ضبـاعُ وأبْشِري بلحم امرىءٍ لم يَشهد اليوم ناصرُهْ

فقال : أما والله لأنا أقْوَلُ للشعر وأرْوى له منك ، ولو شئتُ لأجبتُك ، ولكنّي أدَعُ ذلك لما تعلم ؛ نعم والله قد أُمِرتُ بمحاسبتك والنظرِ في أمر عُمّالك ؛ ثم بعث إلى عمّاله فحبَسهم وضيَّق عليهم ؛ فكتبوا إلى سعد يستغيثون ، فكلّمه فيهم ؛ فقال له : أوَ للمعروف عندك موضع ؟ قال : نعم والله ؛ فخلّى سبيلَهم .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر قال حدّثنا جَنّاد بن بِشْر قال : حدّثني جَرير عن مُغيرة بنحوه . قال أبو زيد عمر بن شَبّة أخبرنا أبو بكر الباهليّ قال حدّثنا هُشَيم عن العَوّام بن حَوْشَب : أنّه لمّا قدِم على سعد قال له سعد : ما أدري أكِسْتَ بعدنا أم حَمُقْنا بعدك ؟ فقال : لا تَجْزَعنّ أبا إسحاق ، فإنّما هو المُلْك يتغدّاه قومٌ ويتعشّاه آخرون ؛ فقال له سعد : أراكم والله ستجعلونه مُلْكاً .

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المدائنيّ عن بشر بن عاصم عن الأعمش عن شَقِيق بن سَلَمة قال : قدِم الوليد بن عقبة عاملاً لعثمان على الكوفة وعبد الله بن مسعود على بيت المال ، وكان سعد قد أخذ مالاً ، فقال الوليد لعبد الله : خُذْه بالمال ، فكلّمه عبد الله بمحضر من الوليد في ذلك ؛ فقال سعد : آتي أميرَ المؤمنين ، فإن أخذني به أدّيتُه . فغمزَ الوليدُ عبدَ الله ، ونظر إليهما سعد فنهض وقال : فعلتماها ؛ ودعا الله أن يُغرِيَ بينهما وأدّى المال .

[صلّى بالناس الصبح أربع ركعات]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثنا هارون بن مَعروف قال حدّثنا ضَمْرة بن رَبيعة عن ابن شَوْذب قال : صلّى الوليد بن عُقْبة بأهل الكوفة الغداةَ أربعَ ركعات ، ثم التفت إليهم فقال : أأزيدكم ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما زلنا معك في زيادة منذُ اليوم .

[شعر الحطيئة فيه]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن حُمَيد قال حدّثنا جَرير عن الأَجْلح عن الشَّعْبيّ في حديث الوَليد بن عُقْبة حين شهدوا عليه قال : قال الحطيئة[1] : [من الكامل]

شهِد الحطيئةُ يوم يلقى ربَّه ... أنّ الوليدَ أحقُّ بالعُذرِ
نادى وقد تمّت صلاتُهم ... أزيدكم سُكراً وما يدري
فأَبَوْا أبا وَهْب ولو أَذِنوا ... لقَرَنْتَ بين الشفع والوِترِ
كَفُّوا عِنانَك إذ جريتَ ولو ... تركوا عِنانك لم تزل تجري

وقال الحطيئة أيضاً[2] : [من الوافر]

تكلّم في الصلاة وزاد فيها ... عَلانِيَةً وجاهر بالنِّفاقِ
ومجّ الخمرَ في سَنَن المُصلّى ... ونادى والجميعُ إلى افتراقِ
أزيدكُم على أن تحمَدُوني ... وما لكمُ وما لي من خَلاقِ

[شرب الخمر فضرب الحدّ]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال قال حمّاد بن إسحاق حدّثني أبي قال ذكر أبو عُبَيدة وهشام بن الكلبيّ والأصمعيّ قالوا : كان الوليد بن عقبة زانياً شِرِّيب خمر ، فشرب الخمر بالكوفة وقام ليصلّي بهم الصبحَ في المسجد الجامع ، فصلّى بهم أربع رَكَعات ، ثم التفت إليهم وقال لهم : أزِيدكم ؟ وتقيّأ في المحراب ، وقرأ بهم في الصلاة وهو رافع صوته : [من مجزوء الرمل]

عَلِق القلبُ الرَّبابا ... بعد ما شابَتْ وشابا

فشخَص أهلُ الكوفة إلى عثمان ، فأخبروه خبرَه وشهِدوا عليه بشُربه الخمرَ ، فأُتِي به ، فأمر رجلاً بضربه الحدَّ ؛ فلمّا دنا منه قال له : نَشَدْتُك اللهَ وقَرابتي من أمير المؤمنين فتركه ؛ فخاف عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه أن يُعطِّل الحدَّ ، فقام إليه فحده فقال له الوليد نشدتُك بالله وبالقرابة فقال له عليّ : اسكت أبا وَهْب فإنّما هلكتْ بنو إسرائيل بتعطيلهم الحدودَ ، فضربه وقال : لَتدعُوَنّي قريشٌ بعد هذا جلاّدَها . قال إسحاق : فأخبرني مُصْعَب الزُّبيريّ قال : قال الوليد بن عُقْبة بعد ما جُلد : اللهمّ إنّهم شهِدوا عليّ بزور ، فلا تُرْضِهم عن أمير ولا تُرْضِ عنهم أميراً . فقال الحطيئة يكذِّب عنه : [من الكامل]

---

1 ديوان الحطيئة (صادر) : 180 .

2 ديوان الحطيئة : 181 .

شهِد الحُطَيئةُ يومَ يلقى ربَّه أنّ الوليـد أَحـقُّ بالعُـذْرِ
خَلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو تركوا عِنانَك لم تَزَل تَجْري
ورأَوْا شمائـلَ ماجـدٍ أَنِفٍ يُعْطِي على الميسور والعُسْرِ
فنُزِعتَ مكذوباً عليك ولم تَنْزِعْ إلى طمـع ولا فقرِ[1]

فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحطيئة : [من الكامل]

نـادى وقد تَمَّتْ صَلاتُهمُ أَزيـدكم ثَمِلاً ومـا يَدْرِي
لِيزيدَهم خَيْراً ولو قَبِلوا لقَرَنْتَ بـين الشَّفْع والوِتَرِ
فأَبَوْا أَبـا وَهْـب ولـو فعلوا وصلتْ صَلاتُهُم إلى العَشْرِ

وروى العبّاس بن مَيْمون طائع عن ابن عائشةَ قال حدّثني أبي قال : لمّا أحضر عثمانُ رضي الله عنه الوليدَ لأهل الكوفة في شُرْب الخمر ، حضَر الحُطَيئةُ فاستأذن على عثمان وعنده بنو أُميّة متوافِرون ، فطَمِعوا أن يأتيَ الوليدَ بعذر ، فقال : [من الكامل]

شَهِد الحُطَيئةُ يوم يلقى ربَّه أنّ الوليـد أَحـقُّ بالعذرِ
خلعوا عِنانَك إذ جريتَ ولو تركوا عِنانك لم تزل تجري
ورأَوْا شمائل ماجدٍ أَنِـفٍ يُعطي على الميسورِ والعُسرِ
فنُزعتَ مكذوباً عليك ولم تَنزِع إلى طمـع ولا فقرِ

قال : فسُرُّوا بذلك وظنّوا أنّ قد قام بعذره ؛ فقال رجل من بني عِجْل يردّ على الحُطيئَة : [من الكامل]

نادى وقد تَمّتْ صَلاتُهـمُ أَزيدكـم ثَمِـلاً وما يَدْرِي
فأَبَوْا أَبا وَهْـبٍ ولـو فعلوا وصلتْ صلاتُهمُ إلى العَشْرِ

فوجَم القومُ وأَطرقوا ، فأَمر به عثمانُ رضي الله تعالى عنه فحُدّ .

[قصّة رجل معيطيّ شهد عليه عند الأمير]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ[2] قال حدّثني محمّد بن الفَضْل مِنْ حِفْظه قال حدّثنا عمر بن شَبّة من حفظه ، ونسختُ من كتاب هارون ابنِ الزيّات بخطّه عن عمر بن شبّة ، وروايتُه أتمّ ، فحكيتُ لفظه ، قال : شهِد رجل عند أبي العَجّاج ، وكان على البصرة ، على رجل من المُعَيْطيّين

1 طمع في ل : طبع .
2 ل : المكّيّ .

شهادة ، وكان الرجل الشاهد سكرانَ ؛ فقال المشهود عليه وهو المُعَيْطيّ : أعزَّك الله إنّه لا يُحسنُ أن يقرأ من السكر ؛ فقال الشاهد : بلى إنّي لأُحسن ؛ فقال : اقرأْ ؛ فقال : [من مجزوء الرمل]

عَلِق القلبُ الرَّبابـا بعد مـا شابت وشابا

قال : وإنّما تَماجَنَ بذلك على المُعَيْطِيّ ، ليَحكي به ما صنع الوليدُ بن عُقْبة في مِحْراب الكوفة وقد تقدّم للصلاة وهو سكرانُ ، فأنشد في صلاته هذا الشِّعر ؛ وكان أبو العجّاج مُحمَّقاً فظنَّ أنّ هذا قرآن ، فقال : صدق الله ورسوله ، وَيْلَكم ؛ فلم تعلمون ولا تعملون ؟ ولقد رُوي أيضاً في الشهادة على الوليد في السُّكر غيرُ ما ذُكِر من زيادته في الصلاة .

[رواية أُخرى لحكاية سكره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال عرضت على المَدائنيّ عن مبارك بن سَلاّم عن فِطْر بن خَلِيفة عن أبي الضُّحى قال : كان أبو زَيْنب الأَزْدِيّ وأبو مُوَرِّع يطلبان عَثْرة الوليد بن عُقْبة ، فجاءا يوماً فلم يحضُر الصلاة ، فسألا عنه وتلطّفا حتى علِما أنّه يشرب ، فاقتحما عليه الدارَ فوجداه يَقيء ، فاحتملاه وهو سكرانُ فوضعاه على سريره وأخذا خاتَمَه من يده ، فأفاق فافتقد خاتَمَه فسأل عنه ؛ فقالوا : لا ندري وقد رأينا رجلين دخلا الدار فاحتملاك فوضعاك على سريرك ؛ فقال : صِفُوهما لي ؛ فقالوا : أحدهما آدَمُ طويلٌ[1] حسنُ الوجه ، والآخرُ عريض مربوع عليه خَمِيصة[2] ؛ فقال : هذا أبو زَينب وأبو مُوَرِّع . ولقي أبو زينب وصاحبُه عبدَ الله بن حُبَيش[3] الأسديّ وعَلقمة بن يَزيد البَكْريّ وغيرَهما فأخبراهم ، فقالوا : اشخَصوا إلى أمير المؤمنين فأعْلِموه ؛ فقال بعضهم : لا يَقبل قولَنا في أخيه ؛ فشخَصوا إليه وقالوا : إنّا جئناك في أمرٍ ونحن مُخرِجوه إليك من أعناقنا ، وقد قلنا : إنّك لا تقبلُه ، قال : وما هو ؟ قالوا : رأينا الوليدَ وهو سكرانُ من خمر قد شربها وهذا خاتمُه أخذناه وهو لا يَعقِلُ ؛ فأرسل إلى عليّ رضي الله تعالى عنه فشاوره ؛ فقال : أرى أنْ تُشخِصه ، فإن شهدوا عليه بمَحْضَرٍ منه حددْتَه ؛ فكتب عثمان رضي الله تعالى عنه إلى الوليد بن عُقبة فقدِم عليه ، فشهد عليه أبو زينبَ وأبو مُوَرِّع وجُنْدَب الأَسْديّ وسعد بن مالك الأَشْعريّ ، ولم يَشْهَد عليه إلاّ يَمانٍ ؛ فقال عثمان لعليّ : قم فاضربه ؛ فقال عليّ للحسن : قم فاضربه ؛ فقال الحسن : ما لك ولهذا ؛ يكفيك غيرُك ؛ فقال عليّ لعبد الله بن جعفر : قم فاضربه ، فضربه بمِخْصَرة فيها سيرٌ له رأسان ، فلمّا بلغ أربعين قال له عليٌّ : حَسْبُك .

---

1 ل : طوال .

2 الخميصة : كساء أسود مربّع .

3 ل : خنيس .

[عائشة تتدخّل لإقامة الحد على الوليد]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ عن الوَقّاصيّ عن الزُّهريّ قال : خرج رهطٌ من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد ، فقال : أكلّما غضِب رجلٌ منكم على أميره رماه بالباطل ! لئن أصبحتُ لكم لأنكِّلنّ بكم ؛ فاستجاروا بعائشة ؛ وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعضُ الغِلْظة ، فقال : أما يَجِد مُرّاق أهلِ العراق وفُسّاقهم ملجأ إلاّ بيتَ عائشة ؟ فسمعتْ فرفعتْ نعل رسول الله ﷺ وقالت : تركتَ سنّةَ رسول الله ﷺ صاحبِ هذه النعل ؛ فتسامَع الناسُ فجاءوا حتى ملؤوا المسجدَ ، فمن قائل : أحسنْت ، ومن قائل : ما للنساء ولهذا ! حتى تحاصبوا وتَضاربوا بالنّعال ؛ ودخل رهطٌ من أصحاب رسول الله ﷺ على عثمان ؛ فقالوا له : اتّق الله ولا تُعطِّل الحدَّ ؛ واعزِلْ أخاك عنهم ؛ فعزَله عنهم .

[ضرب عثمان رجلاً شهد عليه]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ عن أبي محمد النَّاجِيّ عن مَطَر الوَرّاق قال : قدِم رجل المدينةَ فقال لعثمان رضي الله عنه : إنّي صلّيتُ الغداةَ خَلْف الوليد بن عُقْبة ، فالتفتَ إلينا فقال : أأَزيدكم ؟ إنّي أجِد اليومَ نشاطاً ، وأنا أشَمّ منه رائحةَ الخمر ؛ فضرب عثمانُ الرجل ؛ فقال الناس : عُطّلتِ الحدود وضُربت الشهود .

[الوليد بن عقبة وعديّ بن حاتم]

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمر قال حدّثنا أبو بكر البّاهِليّ عن بعض مَن حدّثه قال : لمّا شُهِد على الوليد عند عثمان بشُرب الخمر كتب إليه يأمره بالشخوص ، فخرج وخرج معه قومٌ يَعْذِرونه ، فيهم عدِيّ بن حاتم ، فنزل الوليدُ يوماً يَسُوق بهم ، فقال يرتجز : [من الرجز]

لا تحسَبنّا قد نَسِينا الإيجافْ والنَّشَوات من عَتيق أو صافْ[1]

وعَزْفَ قَيْناتٍ علينا عُزَّافْ

فقال عَدِيّ : إلى أين تذهب بنا ؟ أقِمْ . . . . . .

[أخبار تتعلّق بجلد الوليد]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عَرَضْتُ على المَدائنيّ عن قَيْس بن الرَّبيع عن الأَجْلَح عن الشَّعْبيّ عن جُنْدَب قال : كنتُ فيمن شهِد على الوليد ، فلمّا استَتْمَمْنا عليه الشهادةَ حبسه عثمان ، ثم ذكر باقيَ خبره وضَرْبَ عليّ عليه السلام إيّاه ، وقولَ الحسن : «ما لَكَ ولهذا !» ، فزاد فيه : فقال له عليّ : لست إذاً مسلماً ، أو من المسلمين .

---

1 الإيجاف : ضرب من سير الإبل .

حدّثنا إبراهيم بن عبد الله المخزوميّ قال حدّثنا سعيد بن محمد المخزوميّ قال حدّثنا ابنُ عُلَيّة قال حدّثنا سَعيد بن أبي عَرُوبة عن عبد الله الدَّاناج قال سمعت الحُضَين بن المُنْذِر أبا ساسانَ يحدِّث ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمّد بن حاتم قال حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عُلَيّة قال حدّثنا سعيد بن أبي عَرُوبة قال حدّثنا عبد الله الدَّاناج عن حُضَين أبي ساسانَ قال : لمّا جيء بالوليد بن عُقْبة إلى عثمان بن عَفّان وقد شَهِدوا عليه بشرب الخمر ، قال لعليّ : دونَك ابنَ عمّك فأَقِمْ عليه الحدَّ ؛ فأَمَر به فجُلِد أربعين . ثم ذكر نحوَ هذا الحديث وقال فيه : فقال عليّ للحسن : بل ضَعُفْتَ ووَهَنْتَ وعَجَزْتَ ، قُمْ يا عبدَ الله بنَ جعفر ، فقام فَجَلده وعليّ يَعُدّ حتى بلَغ أربعين ، فقال عليّ : أمسِكْ ، جلَد رسولُ الله ﷺ أربعين ، وجلد أبو بكر أربعين ، وأتمّها عمرُ ثمانين ، وكُلٌّ سُنّة .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد قال : لمّا ضرب عثمانُ الوليدَ الحدَّ قال : إنّك لتضربني اليومَ بشهادة قوم لَيَقْتُلُنَّكَ عامّاً قابلاً .

[أبو زبيد من ندمائه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمّه عبيد الله قال أخبرني محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عبد الله بن محمد بن حَكيم عن خالد بن سَعيد ، وأخبرني إبراهيم ابن محمّد بن أيّوب قال حدّثنا عبد الله بن مُسْلِم ، قالوا جميعاً : كان أبو زُبَيد الطائي نديماً للوليد بن عُقْبة أيّامَ ولايته الكوفةَ ، فلمّا شُهِد عليه بالسكر من الخمر وخرج من الكوفة قال أبو زُبَيد[1] واللفظ في القصيدة لليَزيديّ لأنّها في روايته أتمّ : [من الخفيف]

مَن يرى العِيرَ لابن أَرْوى على ظهـ ـــر المَـرَوْرَى حُداتُهـنَّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أبي وَهْـ ـبٍ خَـلاءٌ تَحِـنُّ فيـه الشَّمالُ
يعرف الجاهلُ المُضَلّل أنّ الدهـ ـــر فيـه النَّكْـراء والـزَّلْزالُ
ليت شعري كذاكم العهدِ أم كا نـوا أُناساً كمـن يـزول فزالوا
بعـد مـا تَعْلَمين يـا أُمَّ زيـدٍ كان فيهـم عِـزٌّ لنـا وجَمالُ
ووجـوهٌ بوُدِّنـا مشرقـاتٌ ونَـوالٌ إذا أُريـد النَّـوالُ

1 سترد ترجمة لأبي زبيد الطائي فيما بعد . وهذه الأبيات في مجموع شعره (بغداد) : 127–131 .

أَصبح البيتُ قد تبدّل بالحيّ ... وجوهاً كأنّها الأَقْتالُ
كلُّ شيء يَحتال فيه الرجالُ ... غير أَنْ ليس للمنايا احتيالُ
ولَعَمْرُ الإلهِ لو كان للسيـ ... ـف مَصالٌ أو للّسان مَقالُ
ما تناسيتُك الصفاءَ ولا الوُدَّ ... ولا حال دونك الأَشغالُ
ولحرَّمتُ لَحْمَك المُتَعَضَّى ... ضَلَّةً ضَلّ حِلْمُهم ما اغتالوا[1]
قولُهم شُرْبُك الحرامَ وقد كا ... ن شرابٌ سوى الحرامِ حَلالُ
وأَبى الظّاهرُ العداوةِ إلاّ ... شَنآناً وقولَ ما لا يُقالُ
من رجالٍ تَقارضوا مُنْكَراتٍ ... لَيَنالوا الذي أَرادوا فنالوا
غيرَ ما طالبين ذَحْلاً ولكن ... مال دهرٌ على أُناس فمالوا
مَن يَخُنْك الصّفاءَ أَو يتبدَّلْ ... أَو يَزُلْ مثلَ ما تَزُولُ الظِّلالُ
فاعلمَنْ أَنّني أَخوك أَخو الودّ ... حياتي حتى تزولَ الجبالُ
ليس بخلاً عليك عندي بمالٍ ... أَبداً ما أَقَلَّ نعلاً قِبالُ[2]
ولك النّصر باللسان وبالكفّ ... إذا كان لليدين مَصالُ

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء
صوت

[من الخفيف]

مَن يرى العِيرَ لابن أَرْوى على ظهـ ... ـر المَرَوْرى حُداتُهنّ عِجالُ
مُصْعِداتٍ والبيتُ بيتُ أَبي وَهْـ ... ـبٍ خلاءٌ تَحِنّ فيه الشَّمالُ

عروضه من الخفيف . المَرَوْرَى : جمع مَرَوْراة وهي الصحراء . غنّى الدَّلال فيه خفيفَ ثقيل بإطلاق الوتر في مَجرى البِنْصر عن إسحاق وغيرِه .

[لوم الوليد لانزاله أبا زبيد بدار على باب المسجد]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : لمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ قَدم عليه أَبو زُبَيد ، فأَنزله دارَ عَقِيل بن أَبي طالب على باب المسجد وهي دارُ القِبْطِي ، فكان ممّا احْتَجَّ به عليه أَهلُ الكوفة أَنّ أَبا زُبَيد كان يخرج إليه من داره يخترق المسجدَ وهو نصرانيّ

1 المتعضى : المتقطّع والمتفرق .
2 أقل : حمل . القبال : سير النعل بين الأصبعين .

فيجعلُه طريقاً .

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله عن أبي حَبيب بن جَبَلة عن ابن الأعرابيّ : أنّ أبا زُبَيد وفَد على الوليد حين استعمله عثمانُ على الكوفة ، فأنزله الوليد داراً لعَقيل بن أبي طالب على باب المسجد ، فاستَوْهبها منه فوَهَبها له ، فكان ذلك أوّلَ الطَّعْن عليه من أهل الكوفة ؛ لأنّ أبا زُبيد كان يخرج من منزله حتى يَشُقّ الجامعَ إلى الوليد ، فيَسْمُرُ عنده ويشرب معه ويخرج فيَشُقّ المسجدَ وهو سكران ، فذلك نبّههم عليه .

[ولاه عمر صدقات بني تغلب]

قال : وقد كان عمرُ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ولّى الوليدَ بن عُقْبة صَدَقاتِ بني تَغْلِب ، فبَلَغه عنه بيتٌ قاله وهو : [من الطويل]

إذا ما شَدَدْتُ الرأسَ مِنّي بمِشْوَذٍ فغَيَّكِ مِنّي تَغْلِبَ ابنةَ وائلِ[1]

فعزَله .

[مدح أبي زبيد للوليد]

وكان أبو زُبَيد قد استودع بَني كنانةَ بن تَيْم بن أُسامة بنِ مالك بن بَكْر بن حَبيب بن غَنْم بن تَغْلب إبلاً فلم يردّوها عليه حين طلبها ، وكانت بنو تغلب أخوالَ أبي زُبَيد ، فوجد الوليدُ بني تغلبَ ظالمين لأبي زُبَيد ، فأخذ له الوليدُ بحَقّه ؛ فقال يمدح الوليد[2] : [من البسيط]

يـا ليـت شِعري بأَنْباءٍ أُنَبَّؤُها قد كان يَعْيا بها صَدْري وتَقْديري

عن امرِىءٍ ما يَزِدْه اللهُ من شَرَفٍ أَفرَحْ بـه ومُـرَيٌّ غيرُ مسرورِ

(يعني مُرَيّ بن أَوْس بن حارِثة بن لأْم) . وهي طويلة يقول فيها : [من البسيط]

إنّ الوليدَ لـه عنـدي وحُقَّ له وُدُّ الخليلِ ونُصْحٌ غيرُ مَذْخورِ

لقـد رعاني وأَدناني وأَظهَرني على الأَعادي بنصرٍ غيرِ تَعْذيرِ[3]

فشَذَّب القومَ عنّي غيرَ مكترثٍ حتى تناهَوْا على رغم وتَصْغيرِ[4]

نفسي فداءُ أَبي وَهْبٍ وقَلَّ له يا أُمَّ عمرٍو فَحُلِّي اليومَ أَو سِيري

وفي رواية ابن حَبيب : «يا أمّ زيد» ، يعني : يا أمّ أبي زُبَيْد .

---

1 المشوذ : العمامة .

2 شعر أبي زبيد (بغداد) : 78–79 .

3 وأظهَرني في ل : وآثرني .

4 شذب : طرد ودفع .

[أقطع أبا زبيد أرضاً واسعة]

أخبرني محمّد بن العبّاس عن عمّه عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال : كان الوليد بن عُقْبة قد استعمل الرَّبيع بن مُرَيّ بن أَوْس بن حارثة بن لأْم الطائيّ على الحِمى فيما بين الجزيرة وظَهْر الحِيرة ، فأجْدبتِ الجزيرةُ ، وكان أبو زبيد في تَغْلِب ، فخرج بهم ليُرعِيَهم ؛ فأبى عليه الأَوْسيّ وقال : إن شئتَ أن أُرعيَك وحدَك فعلتُ وإلاّ فلا ؛ فأتى أبو زُبَيد الوليدَ بن عُقْبة ، فأعطاه ما بين القصور الحُمْر من الشام إلى القصور الحُمْر من الحِيرة وجعله له حِمىً ، وأخذها من الآخر . هكذا روى ابن حبيب . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال : كانت الجُنَيْنة في يد مُرَيّ بن أَوْس ، فلمّا قدِم الوليدُ بن عُقْبة الكوفةَ انتزعها منه ودفَعها إلى أبي زُبَيْد . والقولُ الأوّل أصحّ ، وشِعْر أبي زُبَيد يدلّ عليه في قوله في الوليد بن عُقْبة يمدحه[1] : [من الوافر]

لَعَمْرُ أَبيك يا ابنَ أَبي مُرَيٍّ ... لَغَيْرُك مَن أَباح لها الدّيارا
أَباح لها أَبارِقَ ذات نَوْر ... تَرَعَّى القَفّ منها والعَرارا[2]
بحمد الله ثم فتى قريشٍ ... أَبي وهبٍ غدتْ بُطُناً غِزارا[3]
أَباح لها ولا يُحْمى عليها ... إذا ما كنتمُ سَنَةً جزارا

يريد جزرا من الجدب والشدّة .

فتىً طالت يداه إلى المعالي ... وطَحْطَحَتا المُقطَّعةِ القِصارا

وهي أبيات .

[شعر أبي زبيد عندما نزع منه سعيد بن العاص هذه الأرض]

قال عمر بن شَبَّة في خبره خاصّة : فلمّا عُزِل الوليدُ ووَلِيَها سعيد انتزعها منه وأخرجها من يده ؛ فقال : [من الخفيف]

ولقد مُتّ غير أنّيَ حيٌّ ... يوم بانت بودّها خنساءُ[4]
من بني عامرٍ لها شِقّ نفسي ... قسمةً مثلَ ما يُشقّ الرداءُ

---

1 شعر أبي زبيد 76–77 .

2 الأبارق : جمع الأبرق وهو الأرض الغليظة الواسعة تنبت البقل والشجر . القف : ما يبس من البقول . العرار : نبت أصفر طيب الرائحة .

3 غزار : إبل كثيرة اللبن .

4 شعر أبي زبيد : 23–26 .

أُشْرِبَتْ لونَ صُفرةٍ في بياضٍ وهي في ذاك لَدْنَةٌ غَيْداءُ
كلُّ عينٍ ممّن يراها من النّا س إليها مُديمةٌ حَوْلاءُ
فانتهُوا إن للشدائد أهلاً وذَرُوا ما تُزَيِّن الأهواءُ
ليتَ شعري وأين مِنّيَ ليتٌ إنّ ليتاً وإنّ لَوّاً عَناءُ
أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِربي حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
واستظلَّ العصفور كَرْها مع الضبِّ وأوفى في عُوده الحِرْباءُ
ونفى الجُنْدُبُ الحصى بكُراعَيـ ـهِ وأَذْكَت نيرانَها المَعْزاءُ[1]
من سَمُوم كأنّها حَرُّ نارٍ سَفَعْتها ظَهيرةٌ غَرّاءُ
وإذا أهلُ بلدةٍ أنكروني عَرَفتْني الدَّوِّيَّةُ المَلْساءُ[2]
عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلاّ بُغامَها خَرْساءُ[3]
عَرَفَتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليل للعيون غِطاءُ

نسبة ما يغنّى فيه من هذا الشعر
صوت

[من الخفيف]

أيُّ ساعٍ سعى ليقطع شِرْبي حين لاحت للصابح الجَوْزاءُ
واستكنّ العصفورُ كَرْهاً مع الضـ ـبّ وأَوْفى في عوده الحِرْباءُ
وإذا الدّارُ أهلُها أنكَروني عَرفتني الدَّوِّيَّة المَلْساءُ
عرفتْ ناقتي الشمائلَ منّي فهي إلاّ بُغامَها خَرْساءُ
عرفتْ ليلَها الطويلَ وليلي إنّ ذا الليلَ للعيون غِطاءُ

عروضه من الخفيف . غنّاه ابنُ سُرَيج خفيفَ رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وغنّى داود بن العبّاس الهاشميّ في الخامس ثم الثالث خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو .

[تشوّق أبي زبيد للكوفة]

قال ابن حبيب في خبره : وقال أبو زُبَيْد يتشوّق إلى الوليد لمّا خرج عن الكوفة[4] : [من الطويل]

1 المعزاء : الأرض الغليظة ذات الحجارة .
2 الدوية : الفلاة .
3 بغام الناقة : صوتها دون مدّ .
4 شعر أبي زبيد : 72–73 .

لعَمْرِي لئن أَمْسى الوليدُ ببلدةٍ سواي لقد أمسيتُ للدَّهرِ مُعْوَرا[1]

[قال ابن حبيب : «ويروى سويّ لقد . . .» وهي لغة طيّىء] .

خـلا أَنّ رزقَ الله غـادٍ ورائحٌ وأنّي لـه راجٍ وإن سِرتُ أَشهرا

وكان هو الحصنَ الذي ليس مُسلِمي إذا أَنـا بالنَّكْراء هيّجتُ معشرا

إذا صادَفـوا دوني الوليدَ كأنّما يرون بوادي ذي حَماسٍ مُزَعْفَرا[2]

خضيبَ بنـان مـا يزال براكب يَخُبّ وضاحي جلدِه قد تقشَّرا[3]

وهي طويلة .

[الوليد يفاخر عليّ بن أبي طالب]

حدَّثني إسحاق بن بَنان الأَنماطيّ قال حدّثنا حُبَيْش بن مُبَشِّر قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا ابن أَبي لَيْلى عن الحَكَم عن سَعيد بن جُبَيْر عن ابن عبّاس قال : قال الوليد بن عُقْبة لعليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه : أَنا أَحَدُّ منك سِناناً ، وأَبسطُ منك لساناً ، وأَملأُ للكتيبة طِعاناً ؛ فقال له عليّ رضي الله تعالى عنه : اسكتْ ! فإنّما أَنت فاسق ؛ فنزَل القرآنُ : ﴿أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَن كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾ 18/32 .

[أرسله النبيّ ﷺ ، على صدقات بني المصطلق فاتهمهم بالردة]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمر بن شَبّة قال حدّثني محمد بن حاتم قال حدّثنا يونس بن محمد قال حدّثنا شَيْبانُ عن قَتادة في قوله تعالى : ﴿إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ قال : هذا ابنُ أَبي مُعَيْط الوليدُ بن عُقْبة ، بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصْطَلِق مُصَدِّقاً ، فلمّا رأَوه أَقبلوا نحوَه فهابَهم ؛ فرجَع إلى النبيّ ﷺ فأَخبره أَنّهم قد ارتدّوا عن الإسلام ؛ فبعث النبيّ ﷺ خالد بن الوليد وأَمَره أَن يتثبّت ولا يعجَل ؛ فانطلق حتّى أَتاهم ليلاً فبعث عيونَه ؛ فلمّا جاؤوه أَخبروه بأَنّهم متمسّكون بالإسلام وسمعوا أَذانَهم وصَلاتَهم ؛ فلمّا أَصبحوا أَتاهم خالد فرأَى ما يُعْجِبه ، فرجع إلى النبيّ ﷺ فأَخبره .

[شكته زوجه إلى النبيّ]

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عُبيد الله بن موسى قال حدّثنا نُعَيْم بن حَكيم عن أَبي مَرْيَم عن عليّ : أَنّ امرأَة الوليد بن عُقْبة جاءَت إلى النبيّ ﷺ ، تَشْتكي الوليدَ وقالت : إنّه يضربها ؛ فقال لها : «ارجعي وقولي إنّ رسول ﷺ ، قد

1 المعور : الذي لا حافظ له . والمعور في ل : مثأراً : أي محلاً للثأر .

2 ذو حماس : موضع وقيل مأسدة . المزعفر : الأسد الورد .

3 ل : خصيب لبان .

أجارني» ، فانطلقتْ فمكثتْ ساعةً ، ثم رجعتْ فقالت : ما أَقْلَع عنِّي ؛ فقطَع رسول الله ﷺ هُدْبَةً من ثوبه ثم قال : «امضي بهذا ثم قولي إنّ رسول الله ﷺ ، أجارني» ؛ فانطلقتْ فمكثتْ ساعة ثم رجعتْ فقالت : يا رسول الله ما زادني إلاّ ضَرْباً ؛ فرفع يديْه وقال : «اللهمّ عليكَ الوليدَ» مرّتين أو ثلاثاً .

[لم يمسح النبيّ على رأسه يوم الفتح]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وحدّثني أبو عُبَيد الصَّيْرفيّ قال حدّثني الفضلُ بن الحسن البصريّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّة قال حدّثنا أيّوب بن عمر قال حدّثنا عمرُ بن أيّوب قال حدّثنا جعفر بن بُرْقان عن ثابت بن الحَجّاج عن أبي موسى عبد الله الهَمْداني : أنّ الوليد بن عُقْبة قال : لمّا فتح رسولُ الله ﷺ ، مكّة ، جعل أهلُ مكّة يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسَحُ على رؤوسهم ، فجيء بي إليه وأنا مُخَلَّق[1] فلم يَمْسَسْني ، وما منعه إلاّ أنّ أُمّي خلّقتني بخَلُوق فلم يمسسني منْ أجل الخلوق .

[قتل جندب بن كعب ساحره خشية الفتنة]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عُمَر قال حدّثنا خَلَف بن الوليد قال حدّثنا المُبارك بن فَضالة عن الحسن : أنّ الوليد بن عُقْبة كان عنده ساحرٌ يُريه كَتِيبتَيْن تَقْتتِلان ، فتحمِل إحداهما على الأُخرى فتهزِمها ؛ فقال له الساحر : أيَسُرُّكَ أن أُريَك هذه المنهزمةَ تغلِب الغالبةَ فتهزمها ؟ قال : نعم ؛ وأُخبِر جُنْدَبٌ بذلك ، فاشتمل على السيف ثم جاء فقال : أفرِجوا ، فضربه حتى قتله ، ففزِع الناسُ وخرجوا ؛ فقال : يا أيّها الناس لا عليكم ، إنّما قتلت هذا الساحر لئلاّ يَفْتِنكم في دينكم ؛ فحبسه قليلاً ثم تركه .

[قتل دينار بن دينار لإطلاقه رجلاً أمر بحبسه]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عمر بن سَعيد الدِّمَشْقيّ ، وحدّثنا سَعيد بن عبد العزيز عن الزُّهْريّ : أنّ رجلاً من الأنصار نظر إلى رجل يَسْتعلِن بالسِّحْر ، فقال : أوَ إنّ السِّحْر ليُعْلَن به في دِين محمّد ؟ فقتله ؛ فأُتِيَ به الوليدَ بن عُقْبة فحبَسه ؛ فقال له دينار بن دينار : فيم حُبِستَ ؟ فأخبره فخلّى سبيلَه ؛ فأرسل الوليد إلى دينار فقتله .

[سيرة جندب بن كعب الأسديّ]

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا موسى بن إسماعيل قال حدّثنا حَمّاد بن سَلَمة قال حدّثنا أبو عِمْران الجَوْنيّ : أنّ ساحراً كان عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل في جوف بقرة ويخرج منه ؛ فرآه جُنْدَبٌ ، فذهب إلى بيته فاشتمل على سيف ، فلمّا دخل الساحرُ في جوف

1 مخلق : مطيّب بالخلوق .

البقرة ، قال : أَتَأْتُونَ السِّحْرَ وأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ، ثم ضرب وَسَطَ البقرة فقطَعها وقطَع الساحرَ في البقرة فانذعر الناسُ ، فسجنه الوليدُ وكتب بذلك إلى عثمان رضي الله عنه ؛ وكان السجّان يفتح له البابَ بالليل فيذهب إلى أهله فإذا أصبح دخل السجنَ .

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا حَجّاج بن نُصَيْر قال حدّثنا قُرّة عن محمّد بن سيرينَ قال : انْطُلِق بجُنْدَب بن كَعْب إلى سجنٍ خارج الكوفة وعلى السجن رجلٌ نصرانيّ ، فلمّا رأى جندبَ بن كعب يصوم النهارَ ويقوم الليلَ ، قال النّصرانيّ : والله إنّ قوماً هذا شرُّهم لقومُ صِدْقٍ ؛ فوكّل بالسجن رجلاً ودخل الكوفةَ فسأل عن أفضل أهل الكوفة ، فقالوا : الأشعث بن قيس ؛ فاستضافه ، فجعل يَرى أبا محمد ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغَدائه ؛ فخرج من عنده فسأل : أيّ أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ؛ فوجده ينام الليل ثم يُصبح فيدعو بغدائه ، فاستقبل القبلةَ ثم قال : ربّي ربُّ جُنْدَب ودِيني على دين جندب ، وأسلم .

حدّثني عمّي الحسن بن محمد قال حدّثنا الخَزّاز عن المَدائنيّ عن عليّ بن مُجاهِد عن محمّد بن إسحاق عن يزيد بن رُومانَ عن الزُّهْريّ وغيره ، قالوا : لمّا انصرف رسولُ الله ﷺ من غزوة بني المُصْطَلِق ، نزل رجلٌ فساق بالقوم ورجَز ، ثم نزل آخرُ فساق بالقوم ورجَز ، ثم بدا لرسول الله ﷺ أن يُواسيَ أصحابَه ، فنزل فجعل يقول : «جُنْدَبٌ وما جُنْدَب والأَقْطَعُ الخير زيد» ؛ فدنا منه أصحابُه وقالوا : يا رسولَ الله ما يَنفعنا مَشْيُك مخافةَ أن تَلْسَعَك دابّةُ الأرض أو تُصيبك نكبةٌ ؛ فركب ودنَوْا منه فقالوا : لقد قلتَ قولاً ما ندري ما هو ؟ قال : «وما ذاك» ؟ : قالوا : قولك «جُنْدَب وما جُنْدَب والأقطع الخير زيد» ؛ فقال : «رجلان يكونان في هذه الأُمّة يضرب أحدُهما ضربةً يفرُق بين الحقّ والباطل وتُقطع يدُ الآخر في سبيل الله فيُتْبع اللهُ آخرَ جسده بأوّله» ؛ فكان زَيْدَ بن صُوحان ، قُطِعت يدُه يوم جَلُولاء وقُتل يومَ الجَمَل مع عليّ . وأمّا جُنْدَب فإنّه رجل دخل على الوليد بن عُقْبة وعنده ساحرٌ يكنى أبا شَيْبان يأخذ أعْيُنَ الناس فيُخرِج مَصارينَ بطنه ثم يُعيدها فيه ؛ فجاء من خلفه فقتَله ، وقال : [من الرجز]

الْعَنْ وليداً وأبا شَيْبانِ وابنَ حُبَيْش راكبَ الشَّيطانِ
رسولَ فِرْعونَ إلى هامانِ

[سعيد بن العاص يخلف الوليد على الكوفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إبراهيم بن المُنْذر الحِزاميّ قال حدّثني ابن وَهْب عن يونس عن الزُّهْريّ قال : نزَع عثمانُ بن عفّان الوليدَ بن عقبة عن الكوفة وأمّر عليها سَعِيد بن العاص . قال أبو زيد : فحدّثني عبد الله بن عبد الرحمن قال حدّثنا سَعيد بن جامِع الهُجَيْميّ قال : لمّا أقبل سعيد من المدينة عامداً للكوفة بعد ما خرج والياً لعثمان جعل

يرتجز في طريقه : [من الرجز]

وَيْـلَ نُسَيّاتِ العِـراق منّي كأنّنـي سَمَعْمَعٌ مـن جِـنّ[1]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر قال حدّثني المَدائنيّ عن أبي عَلْقَمة عن سعيد بن أَشْوع قال قال عديّ بن حاتم : قدِم سعيدُ بن العاص الكوفةَ فقال : اغسِلوا هذا المنبر ، فإنّ الوليد كان رَجِساً نَجِساً ؛ فلم يَصْعَده حتّى غُسِل ، عيباً على الوليد . وكان الوليدُ أسنَّ منه وأَسْخى نفساً وأَلينَ جانباً وأرضى عندهم ، فقال بعضُ شعرائهم : [من الرجز]

يـا وَيْلَنا قـد ذهـب الوليدُ وجاءنـا مـن بعـده سعيدُ
ينقُص في الصّاع ولا يَزيـدُ

وقال آخر : [من الوافر]

فَرَرتُ مـن الوليد إلى سَعيدٍ كأهل الحِجْر إذ جزِعوا فبارُوا
يَلِينـا مـن قريش كلَّ عـامٍ أميـرٌ مُحْـدَثٌ أو مستشـارُ
لنـا نـارٌ تُحرِّقنـا فنَخْشى وليس لهـم فـلا يَخْشَوْن نارُ

[زيارة الوليد الكوفة بعد عزله]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر قال حدّثنا المَدائنيّ قال : قدِم الوليدُ بن عُقبة الكوفةَ زائراً للمُغِيرة بن شُعْبة ، فأتاه أشرافُ أهل الكوفة يسلِّمون عليه ، فقالوا : والله ما رأينا بَعْدَك مثلَك ؛ فقال أخيراً أم شرّاً ؟ فقالوا : بل خيراً ؛ قال : ولكنّي والله ما رأيتُ بعدكم شرّاً منكم ؛ فأعادوا الثناء عليه ؛ فقال : بعضَ ما تُثْنون به ، فوالله إنّ بُغْضَكم لتَلَف ، وإنّ حبّكم لصَلَف .

[قبيصة بن جابر يثني عليه بحضرة معاوية]

قال أبو زيد : وذكروا أنّ قَبِيصة بن جابر كان ممّن كثَّر على الوليد ؛ فقال معاوية يوماً والوليدُ وقبيصةُ عنده : يا قَبِيصة ، ما كان شأنُك وشأنُ الوليد ؟ فقال : خيراً يا أمير المؤمنين ، في أوّلٍ وَصَل الرَّحِمَ وأحسن الكلامَ فلا تسألَنّ عن الشكر وحُسْن الثناء ، ثم غضِب على الناس وغضِبوا عليه وكنّا منهم ، فإمّا ظالمون فنستغفر الله ، وإمّا مظلومون فغفر الله له ، وخُذْ في غير هذا يا أمير المؤمنين ، فإنّ الحديثَ يُنسي القديم ؛ قال : ولِمَ ؟ فوالله لقد أحسن السِّيرةَ وبَسَط الخيرَ وكفَّ الشرّ ؛ قال : فأنت أقدرُ على ذلك يا أمير المؤمنين منه فافعل ؛ قال :

1 نسيات في ل : ويل لشبّان . سمعمع : سريع أو خبيث لبق .

اسكُت لا سَكَتَّ ، فسكَتَ وسكَتَ القومُ ؛ فقال له : مالك لا تتحدّث ؟ قال : نهيتَني عمّا كنتُ أُحِبّ فسكتُّ عمّا أكره .

[دفن هو وأبو زبيد في موضع واحد]

أخبرني أحمد قال حدّثني عُمَر قال حدّثني المَدائنيّ قال : مات الوليد بن عُقْبة فُوَيق الرَّقّة ، ومات أبو زُبَيد ، فدُفِنا جميعاً في موضع واحد . فقال في ذلك أَشْجع السُّلَميّ[1] وقد مرَّ بقبريْهما : [من الوافر]

مررتُ على عظامِ أبي زُبَيْدٍ ... وقد لاحتْ بَلْقَعَةٍ صَلُودِ
وكان له الوليدُ نَدِيمَ صِدْقٍ ... فنادَمَ قبرُه قبرَ الوليدِ
وما أَدْرِي بمَن تَبْدا المنايا ... بأَحمدَ أو بأَشجعَ أو يزيدِ

[خرج غازياً للروم وقال شعراً]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : خرج الوليد بن عُقْبة غازياً للرُّوم وعلى مقدّمته عُتْبة بن فَرْقَد ، فلَقِيه الروم فقاتلوه ؛ فقال له رجلٌ من العرب نصرانيٌّ : لستُ على دِينكم ولكنّي أنصحكم للنَّسَب ، فالقومُ مقاتلوكم إلى نصف النهار ، فإن رَأَوْكم ضعفاءَ أفنَوْكم وإن صَبَرتم هَرَبوا وتركوكم ؛ فقال سَلْمان بن رَبيعة : يا معشرَ المسلمين ، ما عذرُكم عند الله غداً إن أُصيب عُتْبةُ بن فَرْقَد وأصحابُه ولم يُعِنْهم أحدٌ منكم ! ؛ فركب معه ثلاثةُ آلاف رجل على البغال يَجْنُبون[2] الخيلَ ، فلَحِقوا عُتْبةَ وأصحابَه ، فقاتلوا معهم قتالاً شديداً حتى هزم اللهُ الرومَ . فقال الوليد بن عُقْبة : [من الطويل]

أَتاني من الفَجّ الذي كنتُ آمناً ... بقيَّةُ شُذّاذٍ من الخيلِ ظُلَّعِ[3]
عليها العبيدُ يضربون جُنُوبَها ... ونازَلَ منّا كُلُّ خِرْقٍ سَمَيْذَعِ
فإنّي زعيمٌ أن تَصِيحَ نساؤهم ... صياحَ دَجاجِ القريةِ المتوزِّعِ[4]

[مدحه الحطيئة وكذبه الحليس النهديّ]

وقال الحطيئة يمدح الوليدَ بذلك ، وكان قد وصله وكان الوليد جَواداً[5] : [من الطويل]

---

1 سيترجم أبو الفرج لأشجع السلميّ فيما بعد .
2 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .
3 الفجّ : الطريق الواسع بين جبلين . الشذاذ : القلال المتفرقون . ظلّع : جمع ظالع وهو الذي في مشيته عرج خفيف .
4 المتوزّع : المتفرّق .
5 ديوان الحطيئة (صادر) : 77–80 .

أَرى لابن أُرْوى خَلَّتين اصطفاهما قِتالٌ إذا يَلْقى العدوَّ ونائلُهْ
فتىً يملأُ الشِّيزى ويروى بكفّه سِنانُ الرُّدَيْنيّ الأَصمِّ وعاملُهْ[1]
يَؤُمُّ العدوَّ حيث كان بجَحْفَلٍ يُصِمُّ السميعَ جَرْسُه وصواهلُهْ
إذا حان منه مَنزِلُ الليل أُوقِدَتْ لأُخْراه في أعلى اليَفاع أَوائلُهْ
نَفَيْتَ الجِعادَ البِيضَ عن حُرِّ دارهم فلم يَبْقَ إلاّ حيّةٌ أنت قاتلُهْ

فقال الحُلَيس بنُ نُعَيم النَّهديّ يكذِّب الحُطَيئة : [من الطويل]

وأَبلغْ أَبا وهبٍ إذا ما لَقيتَه فقد حاربتك الرومُ فيمن تُحارِبُ
وفي الأَرضِ حَيَّاتٌ وأُسْدٌ كثيرةٌ عدوٌّ ولكنّ الحطيئةَ كاذبُ

[شعره في مقتل عثمان]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا عليّ بن محمّد عن أَبي مِخْنَف عن خالد بن قَطَن عن أَبيه قال : لمّا قُتل عثمان أَرسل عليّ فأَخذ كلّ ما كان في داره من السلاح وإبلاً من إبل الصدقة ، فلذلك قال الوليد بن عُقْبة[2] : [من الطويل]

بني هاشم رُدُّوا سلاحَ ابنِ أُختكم ولا تَنْهَبوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

ويُروى : ولا تَهَبُوه لا تَحِلُّ مواهبُهْ

بني هاشمٍ كيف الهَوادةُ بيننا وعندَ عليٍّ سيفُه ونجائبُهْ
قتلتم أَخي كيما تكونوا مكانَه كما فعلتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ

هكذا في الخبر : ولا تهبوه لا تَحِلُّ مواهبهْ

أَخبرني الطُّوسيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عبد الله بن إسحاق الجَعْفَريّ : أَنّ الوليد بن عُقْبة بن أَبي مُعَيط لقي بِجاداً مولى عثمان ، فأَخبره أَنّ عثمان قد قُتل ؛ فقال : [من الخفيف]

ليتَ أَنّي هَلَكتُ قبلَ حديثٍ سَلَّ جسمي ورِيعَ منه فؤادي
يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجاداً ليت أَنّي هلكتُ قبل بِجادِ[3]

وقد زيد في هذا الشعر بيتٌ ونُقِص منه آخرُ مكانَه وغُنِّيَ فيه ، وهو : [من الخفيف]

---

1 الشيزى : الجفان . الأصم : الصلب . عامل الرمح : صدره .
2 تقدّمت هذه الأبيات بروايات مختلفة ، ص 78 .
3 البلاط : موضع بالمدينة .

صوت

طـال ليـلي وملَّنـي عُوّادي وتَجافى عـن الضلوع مِهادي
من حديثٍ نُمِي إليّ فما يَرْ قَأُ دمعـي ولا أُحِسّ رُقادي
يـوم لاقيتُ بالبَـلاط بِجاداً ليت أنّـي هلكتُ قبـل بِجادِ
وبنفسي التي أُحِـبّ وأَهـلي وبمـالي وطـارفي وتِلادي
قلـتُ لا تَغْضبي فذلك قولي بلساني ومـا يُجِـنُّ فؤادي

غنّى فيه ابن عَبّاد ثانيَ ثقيل مُطْلَق في مجرى البنصر في الأوّل والرابع من الأبيات ، وذكر عمرو بن بانة أنه لابن مُحْرِز ، ومن الناس من يَنْسُبه إلى ابن سُرَيج في هذه الطريقة في الأوّل والثاني ، وذكر ابن المَكّيّ أنّه للغَريض ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر ، ووافقه يونس . وذكر أنّ في هذا الشعر لابن سُرَيج والغريض لَحْنين في الخمسة الأبيات . وذكر حَبَش أنّ فيها لَمَعْبد ثقيلاً أوّل بالوُسطى ، ولعبد الله بن العبّاس الرَّبِيعيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وللغَريض خفيف رَمَلٍ بالوسطى ، ولسُلَيم ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ فيه رَمَلاً لابن جامِع في البيت الأوّل وحده ، وأنّ فيه هَزَجاً لا يُعرَف صانعه .

[تطير الأمين من الغناء بشعره]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني أبي قال : أرسل إليّ محمّد بن زُبَيدة في ليلةٍ من ليالي الصيف مُقْمِرة : يا عمّ إنّ الحرب بيني وبين طاهر بن الحسين قد سكنتْ ، فصرْ إليّ ، فإنّي إليك مشتاقٌ ، فجئتُه وقد بُسِط له على سطح زُبَيدة ، وعنده سليمان بن جعفر عليه كِساءٌ رُوذَبارِيّ[1] وقَلَنْسُوَةٌ طويلة ، وجَواريه بين يديه ، «وضَعْفُ» جاريتُه عنده ، فقال لها : غَنّيني فقد سُرِرتُ بعمومتي ؛ فاندفعتْ تغنّيه : [من الطويل]

هُـمُ قَتَلوه كي يكونوا مكانه كما فَعَلَتْ يوماً بكسرى مَرازِبُهْ
بني هاشمٍ كيف التواصُلُ بيننا وعنـد أخيـه سيفُـه ونجائبُهْ

هكذا غنّت ؛ وإنّما هو :

وعنـد عـليّ سيفُـه ونجائبُهْ

فغضِب وتطيَّر وقال لها : ما قِصّتك وَيْحَك ! انْثَني وانتهِي وغنّيني ما يسُرّني !

فاندفعتْ وغنّت : [من مجزوء الكامل]

1 نسبة إلى روذبار وهو علم على مواضع مختلفة .

هــذا مَقــامُ مُطَـرَّدٍ هُدِمتْ منازلُه ودورُهْ

فازداد تَطَيُّراً ، ثم قال لها : وَيْحَكِ ! انتهي ، غنِّيني غير هذا ؛ فغنَّت : [من الطويل]

كُلَيبٌ لَعَمْرِي كان أَكثرَ ناصراً وأَيسرَ جُرْماً منك ضُرِّج بالدّمِ

فقال لها : قومي إلى لعنة الله ؛ فوثبتْ وكان بين يديه قَدَحُ بَلُّور وكان لحبِّه إيّاه سمّاه باسمه محمّداً ، فأَصابه طَرَفُ ذيلها[1] فسقط على بعض الصواني فانكسر وتفتّت ؛ فأَقبل عليّ وقال : أَرى والله يا عمّ أَنّ هذا آخرُ أيّامنا ؛ فقلت : كلاّ ، بل يُبْقيك الله يا أَمير المؤمنين ويسرّك ؛ قال : ودِجْلةُ والله يا بنيّ هادئة ما فيها صوتُ مجداف ولا أَحدٌ يتحرّك وهي كالطَّسْت هادئة ، فسمِعتُ هاتفاً يهتف : «قُضِيَ الأَمْرُ الذي فيهِ تَسْتَفْتِيانِ» . قال : فقال لي : أَسمعتَ ما سمعتُ يا عمّ ؟ فقلتُ : وما هو ؟ وقد والله سمعتُه فقال : الصوتُ الذي جاء الساعة من دِجْلة ؛ فقلتُ : ما سمعتُ شيئاً ، وما هذا إلاّ تَوَهُّم ؛ فإذا الصوت قد عاد يقول : «قُضِيَ الأَمرُ الذي فيه تَسْتَفْتِيانِ» . فقال : انصرفْ يا عمّ بيَّتك الله بخير ، فمحالٌ أَلاّ تكون الآن قد سَمِعتَ ما سمعتُ ؛ فانصرفتُ ، وكان آخر العهدِ به .

[معاوية يأخذ ماله ويوبخه على الطلب]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمّد بن يحيى الصُّوليّ واللفظ له ، قالا حدّثنا محمد بن زكريا الغَلابيّ قال حدّثنا عبد الله بن الضَّحّاك عن هشام بن محمد عن أَبيه ، قال محمد : وحدّثنا عبد الله بن محمد ومحمد بن عبد الرحمن جميعاً عن مُطَرِّف بن عبد الله بن عيسى بن يزيد ، قال : وفَد الوليدُ بن عُقْبة ، وكان جَواداً ، على معاوية ؛ فقيل له : هذا الوليد بن عُقْبة بالباب ؛ فقال : والله لَيَرْجِعَنّ مُعْطِياً[2] غيرَ مُعْطىً ، فإنّه الآن قد أَتانا يقول : عليّ دَيْن وعليّ كذا وكذا ؛ يا غلام ائذَن له ، فأَذِنَ له ؛ فسأَله وتحدّث معه ، ثم قال : أَما والله إن كنّا لَنُحِبّ إيثارَ[3] مالك بالوادي وقد أَعجب أَميرَ المؤمنين ، فإن رأَيتَ أَن تَهَبه ليزيد فعلتَ ؛ فقال الوليد : هو لِيَزيدَ ، ثم خرج وجعل يختلفُ إلى معاوية أَيّاماً ، فقال له يوماً : أُنظُر يا أَمير المؤمنين في شأني ، فإنّ عليّ مؤونةً وقد أَرهقني دَيْن ؛ فقال له معاوية : أَلا تستحيي لحَسَبك ونَسَبك ! تأْخذ ما تأْخذ فتبذِّره ثم لا تَنْفكّ تشكو دَيْناً ؟ ؛ فقال له الوليد : أَفعل ، ثم انطلق مكانَه فصار إلى الجزيرة ، فقال : [من مجزوء الكامل]

---

1 ل : ردائها .

2 ل : مغيظاً .

3 ل : إتيان .

فـإذا سُئلـتَ تقـــول لا وإذا سألـتَ تقـول هاتِ
تأبـــى فِعـــالَ الخيرِ لا تَرْوى وأنت على الفُراتِ
أَفَلا تَميـل إلى نَعَـــمْ أَو تَرْكِ لا حتى الممات

قال : فبلغ معاويةَ مَقْدَمُه الجزيرةَ ، فخافه وكتب إليه : أن أَقبِلْ إليّ ؛ فكتب إليه : [من الطويل]

أَعِفُّ وأستحْيـي كما قـد أُمرتَني فأَعْطِ سوايَ مـا بدا لك وانْحَلِ[1]
سأَحْدُو ركابي عنك إنّ عزيمتي إذا نابَنـي أَمـــر كسَلّة مُنْصُلِ
وإنّي امـــرؤ للرأي منّـي تَطرّفٌ وليس شَبا قُفْـلٍ عـــليَّ بمُقْفَلِ

ورحَل إلى الحجاز ، فبعث إليه معاوية بجائزة .

[انقضت أخبار الوليد بن عُقبة]

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

ربّمـا نبّهنـي الإخـــ ـــوانُ والليـلُ بَهيمُ
حين غـارتْ وتدلَّتْ في مَهاويهـا النجـومُ
ونُعاسُ الليلِ في عيـ ـنيّ كالثّـاوِي مُقِيمُ
للتـــي تُعْصَـــر لمّـا أَيْنعـتْ منهـا الكُرُومُ
أنـــا بـــالرَّيِّ مقيـمٌ في قُـــرى الرَّيِّ أَهيمُ
ما أُراني عن قُرى الرَّيِّ مَـدى دهـري أَريـمُ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ . ولحنُه المختار ثقيلٌ أَوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . ولإبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لابنه إسحاقَ . وفيه لأَحمد بن يحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وأَحمد بن عُبَيد .

1 أستحيي في ل : وأستغني .

[69] ـ نسب إبراهيم الموصليّ وأخباره[1]

[نسب إبراهيم الموصليّ ونشأته]

هو فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرني به عبدُ الله ابن الرَّبيع عن وَسْواسةَ ، وهو أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه عن جدّه وعن حَمّاد عن أبيه ، إبراهيمُ بن ميمون أو ابن ماهان بن بَهْمَن بن نسك ، وكان سبب نسبه إلى ميمون أنّه كتب إلى صديق له فعَنْوَن كتابَه : من إبراهيم بن ماهان ؛ فقال له بعضُ فتيان الكوفة : أما تَستحيي من هذا الاسم ! فقال : هو اسم أبي ؛ فقال : غيِّره ؛ فقال : وكيف أُغيِّره ! فأخذ الكتابَ فمحا ماهان وكتب ميمونَ ، فبَقي إبراهيمَ بنَ ميمون .

قال إسحاق عن أبيه : وأَصلُنا من فارس ، ولنا بيت شريفٌ في العجم ، وكان جدُّنا ميمون هرَب من جَوْر بعض عُمّال بني أُميّة ، فنزل بالكوفة في بني عبد الله بن دارم ، فكان بين إبراهيم وبين وَلَدِ نَضْلَة بن نُعَيْم رَضاع . وأُمُّ إبراهيم امرأةٌ من بنات الدّهاقِين الذين هرَبوا من فارسَ لما هرب ميمون أبو إبراهيم ، فنزلوا جميعاً بالكوفة في بني عبد الله بن دارِم ، فتزوّجها ماهانُ بالكوفة فولَدتْ إبراهيمَ ومات في الطاعون الجارف[2] ، وخلّف إبراهيمَ طفلاً . وكان مولدُ إبراهيمَ سنةَ خمس وعشرين ومائة بالكوفة ، وتوفّي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، وله ثلاثٌ وستّون سنة .

[كفله بعد موت أبيه آل خزيمة بن خازم]

قال أحمد[3] بن أحمد بن إسماعيل وَسْواسة في خبره : ومات ماهان وخلّف إبراهيمَ طفلاً ، فكفَلَه آلُ خُزَيمة بن خازِم .

وقال يحيى بن عليّ في خبره : إنّه كان لإبراهيم لمّا مات أبوه سنتان أو ثلاث ، وخلّف معه أخوين له من غير أُمّه أكبرَ منه ، فأقام إبراهيم مع أُمّه وأخواله حتى تَرَعْرَع ، فكان مع ولد خُزَيمة بن خازم في الكُتّاب ، فبهذا السبب صار ولاؤُه لبني تَميم . وسأله الرشيدُ فقال : ما السببُ بينك وبين بني تَميم ؟ فاقتصَّ عليهِ قِصَّتَه ، وقال : ربَّوْنا يا أمير المؤمنين فأحسنوا

---

1 لإبراهيم الموصلي النديم ترجمة موجزة في وفيات الأعيان 1 : 42–43 وتاريخ بغداد 6 : 175 وفي الجزء التاسع من التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلاً عن الأغاني .

2 في وفيات الأعيان 1 : 43 أنّه مات بداء القولنج .

3 ورد فيما تقدّم أنّه أحمد بن محمد بن إسماعيل .

تربيتنا ، ونشأتُ فيهم وكان بيننا رَضاعٌ ، فتولّوْنا بهذا السبب ؛ فقال لـه الرشيد : وَيْحَك فما أُراك إذن إلاّ مولاي ؛ فقال : فهذه والله قصّتي يا أمير المؤمنين .

[سبب نسبته إلى الموصل]

قال يحيى بن عليّ في خبره : وكان سببُ قولهم إبراهيمَ الموصليّ أنّه لمّا نشأ واشتدّ وأدرك ، صَحِب الفتيانَ واشتهى الغناءَ فطلبه ، واشتدّ أخوالُه عليه في ذلك وبلغوا منه ، فهرَب منهم إلى المَوْصِل ، فأقام بها نحواً من سنة ، فلمّا رجع إلى الكوفة قال له إخوانُه من الفتيان : مرحباً بالفتى المَوْصِلّي ، فلُقّب به . وقال أحمدُ في خبره : إنّ سبب طلبه الغناءَ أنّه خرج إلى الموصل ، فصَحِب جماعةً من الصعاليك كانوا يُصيبون الطريق ويُصيبه معهم ، ويَجمعون ما يُفيدونه فيَقْصِفون ويشربون ويغنّون ، فتعلّم منهم شيئاً من الغناء وشَدا ، فكان أطيبَهم وأحذقَهم ، فلمّا أحسّ بذلك من نفسه اشتهى الغناءَ وطلبه وسافر إلى المواضع البعيدة فيه . وذكر ابنُ خُرْدَاذْبه ، وهو قليل التحصيل لما يقوله ويضمّنه كتُبَه[1] ، أنّ سببَ نسْبَتِه إلى الموصل أنّه كان إذا سكِر ، كثيراً ما يغنّي على سبيل الوَلَع[2] :

أنا جِتُ مِنْ طُرقِ مَوْصل أحمـلُ قِلـلَ خَمْرِيـا[3]

مَنْ شاربَ الملـوك فـلا بـدَّ مِـنْ سُكْرِيـا

قال الأصفهاني : وما سمعتُ بهذه الحكاية إلاّ عنه ؛ وإنّما ذكرتُها على غَثاثتها لشهرتها عند الناس ، وأنّها عندهم كالصحيح من الرواية في نِسْبة إبراهيم إلى الموصل ، فذكرتُه دالاًّ على عَواره .

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ وابنُ أبي الأزهر قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أُسْلِم أبـي إلى الكُـتّاب فكان لا يتعلّـم شيئاً ، ولا يزال يُضرب ويُحْبَس ولا يَنْجَع ذلك فيـه ، فهرب إلى المَوْصل وهناك تعلّم الغناءَ ، ثم صار إلى الرّي وتعلّم بها أيضاً ، ومهَر وتزوّج هناك امرأتَه دُوشار وتفسير هذا الاسم أسَدان ، وطال مُقامُه هناك ، وأخذ الغناءَ الفارسيَّ والعربيّ ، وتزوّج بها أيضاً شاهَك أمّ إسحاقَ ابنِه وسائرِ ولده . قال : وفي دُوشار هذه يقول إبراهيمُ ، وله فيه غِناءٌ من الهَزَج ، : [من الرجز]

---

1 ربّما كان في طعن أبي الفرج على ابن خرداذبه شيء من الافتئات . فقد اعتمد ياقوت على كتابه «المسالك والممالك» في النقل في «معجم البلدان» وقرظه المسعودي في «التنبيه والاشراف» . وانظر «معجم الأدباء» (تحقيق إحسان عبّاس) : 1575 .

2 ل : الولوع .

3 هذا شعر عامي ينبغي أن يقرأ كذلك .

دُوشارُ يـا سيّدتـي يـا غايتـي ومُنْيتي
ويا سروري من جميـ ـع الناس رُدِّي سِنَتي

[أنفق أوّل مال وصله في تعلّم صنعة الغناء]

قال إسحاقُ وحدّثني أبي قال : أوّلُ شيء أُعْطِيتُه بالغناء أنّي كنتُ بالرَّيّ أُنادم أهلَها بالسَّوِيَّة لا أَرْزَؤُهم شيئاً ، ولا أُنْفِقُ إلاّ من بقيّة مالٍ كان معي انصرفتُ به من الموصل ؛ فمرّ بنا خادم أنفذه أبو جعفر المنصور إلى بعض عمّاله برسالة ، فسمِعَني عند رجل من أهل الرّيّ ، فشُغِف بي وخلَع عليَّ دُوَّاجَ سَمّور[1] ، له قيمة ، ومضى بالرسالة ورجع وقد وصَله العاملُ بسبعة آلاف درهم وكساه كُسوةً كثيرة ، فجاءني إلى منزلي الذي كنتُ أسكنه فأقام عندي ثلاثةَ أيّام ، ووهَب لي نصف الكُسوة التي معه وألفَيْ درهم ، فكان ذلك أوّل ما اكتسبتُه بالغناء . فقلتُ : والله لا أُنفق هذه الدراهم إلاّ على الصناعة التي أفادَتْنِيها ، ووُصف لي رجل بالأُبلّة يقال له جُوانُويه[2] كان حاذقاً ، فخرجتُ إليه وصحِبتُ فتيانَها ، فأخذتُ عنهم وغنّيتهم فشُغِفوا بي .

[اتّصاله بالمهديّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن جدّه قال : لمّا أتيتُ جُوانُويَه لم أُصادفه في منزله ، فانتظرتُه حتّى جاء ، فلمّا رآني احتَشَمَني وكان مَجُوسيّاً ، فأخبرتُه بصناعتي والحالِ التي قصدتُه فيها ؛ فرحَّب بي وأفرد لي جَناحاً في داره ، ووكّل بي أُختَه ، فقدّمتْ إليّ ما أحتاج إليه ؛ فلمّا كان العَشيُّ عاد إلى منزله ومعه جماعةٌ من الفُرْس ممّن يُغنّي ، فنزلتُ إليه ، فجلسنا في مجلس قد صُفّي لنا فيه نبيذٌ وأُعِدّتْ لنا فاكهة ورَياحِينُ ، فجلسنا وأخذوا في شأنهم وضربوا وغنّوْا ، فلم أجد عند أحدٍ منهم فائدةً ؛ وبَلَغتِ النَّوْبَةُ إليّ ، فضربتُ وغنّيتُ ، فقاموا كلُّهم إليّ وقبّلوا رأسي ، وقالوا : سَخِرتَ منّا ، نحن إلى تعليمك لنا أحوجُ منك إلينا ؛ فأقمتُ على تلك الحال أيّاماً ، حتى بلَغ محمّدَ بن سليمان بن عليّ خبري ، فوجّه إليّ فأحضرني وأمَرني بملازمته ؛ فقلتُ له : أيّها الأمير ، إنّي لستُ أتكسّب بالغناء وإنّما أتلذّذ فلذلك تعلّمتُه ، وأُريد العَوْدَ إلى الكوفة ، فلم أنتفع بذلك عنده وأخذَني بملازمته ، وسألني : من أين أنا ؟ فانتسبتُ إلى الموصل ، فلَزِمتني وعُرِفتُ بها ؛ ولم أزلْ عنده أثيراً مكرّماً حتى قدِم عليه خادمٌ من خدَم المهديّ ، فلمّا رآني عنده قال له : أميرُ المؤمنين أحوجُ إلى هذا منك ، فدافَعه عنّي ؛ فلمّا قدِم الرسولُ على المهديّ سأله عمّا رأى في طريقه ومَقْصِده ، فأخبره بذلك حتى انتهى إلى ذكري فوصَفَني له ؛ فأمره المهديّ بالرجوع إلى محمّد وإشخاصي إليه ، ففعل ذلك

1 دواج سمور : نوع من الفراء الثمين .
2 ل : خوالويه .

وجاء فأشخصني إلى المهديّ ، فحَظِيتُ عنده وقَدّمني .

[أوّل هاشميّ صحبه وأوّل خليفة سمعه]

قال وَسْواسة في خبره عن إسحاق فحدّثني أبي قال : كان أوّلَ هاشميّ صَحِبته عليُّ بن سليمان بن عليٍّ أخو جعفر ومحمّد ، وكان فتاهم ظَرْفاً [1] ولهواً وسماحةً ، ووصَفني له جُوانُويَه ومضى بي إليه ، فوقعتُ من قلبه كلَّ مَوْقِع . وأوّلُ خليفة سمِعني المهديّ ، وُصِفتُ له فأخذني من عليّ بن سليمان ، وما سمِع قبلي من المغنّين أحداً سوى فُلَيْح بن أبي العَوْراء وسِياط ، فإنّ الفضل بن الرَّبيع وصلهما به .

[نهاه المهديّ عن الشرب ومصاحبة ابنيه موسى وهارون]

قال إسحاقُ : فحدّثني أبي قال : كان المهديّ [2] لا يَشرب فأرادني على مُلازمتِه وترك الشرب فأبيتُ عليه ، وكنتُ أغيبُ عنه الأيّامَ ، فإذا جئتُه جئتُه مُنْتَشِياً ، فغاظَه ذلك منّي فضرَبني وحبَسني ، فحَذِقتُ الكتابةَ والقراءةَ في الحبس ، ثم دعاني يوماً فعاتبني على شربي في منازل الناس والتَّبذُّل معهم ؛ فقلتُ : يا أمير المؤمنين ، إنّما تعلّمتُ هذه الصناعةَ للذّتي وعِشرتي لإخواني ، ولو أمكنني تركُها لتركتُها وجميعَ ما أنا فيه لله جلّ وعزّ ؛ فغضِب غضباً شديداً وقال : لا تَدْخل على موسى وهارون ألبتّةَ ، فوالله لئن دخلتَ عليهما لأفعلنّ ولأصنعنّ ؛ فقلتُ : نعم ؛ ثم بلغه أنّي دخلتُ عليهما وشرِبتُ معهما ، وكانا مُستهترَيْن بالنبيذ ، فضربني ثلثَمائةِ سوط ، وقيّدني وحبَسني .

قال أحمدُ بن إسماعيل في خبره قال عمّي إسحاق فحدّثني أبي : أنّه كان معهما في نزهة لهما ومعهم أبانُ الخادمُ ، فسَعى بهما وبي إلى المهديّ وحدّثه بما كنّا فيه ، فدعاني فسألني فأنكرتُ ، فأمر بي فجُرّدتُ فضُربتُ ثلثَمائة وستّين سوطاً ؛ فقلتُ له وهو يضربني : إنّ جُرْمي ليس من الأجرام التي يحلّ لك بها سَفْكُ دمي ، والله لو كان سرُّ ابنيك تحت قدميّ ما رفعتُهما عنه ولو قُطِعتا ، ولو فعلتُ ذلك لكنتُ في حالة أبانَ السّاعي العبدِ ؛ فلمّا قلتُ له هذا ضرَبني بالسيف في جَفْنه [3] فشجّني به ، وسقطتُ مغشيّاً عليّ ساعةً ، ثم فتحتُ عينيَّ فوقَعتا على عينَي المهديّ ، فرأيتُهما عَيْنَيْ نادمٍ ؛ وقال لعبد الله بن مالك : خُذْه إليك . قال : وقَبْل ذلك ما تناول عبد الله بن مالك السوطَ من يد سَلاّم الأبرش فضَربني ، فكان ضربُ عبد الله عندي بعد ضرب سَلاّم عافيةً ، ثم أخرجني عبدُ الله إلى داره وأنا أرى الدنيا في عيني صفراءَ

---

1 ل : أكثرهم طرباً .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 32–33 (رقم 52أ) ونهاية الأرب 4 : 330–331 .

3 جفن السيف : غمده .

وخضراء وحمراء من حَرِّ السَّوْط ، وأَمَره أن يتّخذ لي شبيهاً بالقبر فيصيِّرني فيه ؛ فدعا عبدُ الله بكَبْشٍ فذُبح وسُلخ وأُلبسني جلدَه ليسكن الضربُ ، ودفَعني إلى خادم له يقال له أبو عثمان سَعيد التركيّ فصيَّرني في ذلك القبر ، ووكّل بي جاريةً له يقال لها جَشّة ؛ فتأذّيتُ بنَزٍّ كان في ذلك القبر وبالبقّ ، وكان فيه حَلِيٌّ[1] أستريح إليه ، فقلتُ لجشّة : اطلُبي لي آجُرّة عليها فحم وكُنْدُر[2] يذهب عنّي هذا البقّ ، فأتتني بذلك ، فلمّا دخّنْتُ أظلم القبرُ عليّ وكادت نفسي تخرُج من الغمّ ، فاسترحتُ من أذاه إلى النَّزّ فألصقتُ به أنْفِي حتى خَفّ الدُّخان ، فلمّا ظننتُ أنّي قد استرحتُ ممّا كنتُ فيه ، إذا حيّتان مُقْبلتان نحوي من شقّ القبر تَدُوران حولي بخفيفٍ شديدٍ ، فهَمَمْتُ أن آخذ واحدةً بيدي اليمنى والأُخرى بيدي اليسرى فإمّا عليّ وإمّا لي ، ثم كُفِيتُهما ، فدخلَتا من الثَّقْب الذي خرجَتا منه ، فمكثتُ في ذلك القبر ما شاء الله ، ثم أُخرجتُ منه ؛ ووجَّهتُ إلى أبي عثمان الخادمِ أسأله أن يبيعني جَشّةَ لأُكافئها عمّا أولَتْني[3] ففَعل ، فزوّجتُها من حاجبٍ لي ، ولم تزل عندنا . قال إسحاق : مكثتْ عندنا حتى ماتت ، وبقيتْ بنتٌ لها يقال لها جُمعة ، فزوّجتُها من مولىً لي في سنة أربع وثلاثين ومائتين .

قال إبراهيم : وقلتُ في الحبس وأنا مقيَّد : [من المتقارب]

أَلا طـال ليلي أُراعي النجوم ... أُعالـج في السّاق كَبْلاً ثقيلا
بـدارِ الهَـوانِ وشرِّ الديـار ... أُسامُ بها الخسفَ صبراً جميلا
كثيرَ الأَخـلاّء عنـد الرّخاء ... فلمّـا حُبِستُ أراهـم قليلا
لطولِ بلائـيَ مـلَّ الصديقُ ... فـلا يـأمَنَنَّ خليـلٌ خليلا

[صنع وهو في الحبس لحناً في شعر أبي العتاهية]

قال : ثم أخرجني المهديّ وأحْلَفني بالطّلاق والعِتاق وكلِّ يمين لا فُسْحَة لي فيها ألاّ أُدخلَ على ابنيه موسى وهارون أبداً ولا أُغنّيهما ، وخلّى سبيلي . قال : وصنعتُ في الحبس لحناً في شِعر أبي العتاهية لمّا حبسَه المهديّ بسبب عُتْبة ، وهو[4] : [من الطويل]

صوت

أَيا وَيْحَ قَلْبي مـن نَجِيِّ البَلابِلِ ... ويا ويحَ ساقي من قُرُوح السّلاسلِ

1 ل : خلاء . والحلي : كلأ يابس .
2 الكندر : اللبان الذكر .
3 ل : فعلت .
4 ديوان أبي العتاهية : 625–626 .

ويـا ويحَ نفسي وَيْحَها ثم ويحها ... أَلَمْ تَنْجُ يومـاً من شِباك الحبائلِ
ويا ويحَ عَيْني قـد أَضرّ بها البُكا ... فلم يُغْنِ عنها طِبُّ ما في المَكاحِلِ
ذَرِينـي أُعَلِّلْ نفسيَ اليـوم إنّها ... رهينـةُ رَمْسٍ في ثَـرىً وجَنادلِ
ذَريني أُعَلِّل بالشّراب فقـد أرى ... بقيّـةَ عيشي هـذه غيرَ طائـلِ

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر حَمّاد أنّه لجَدّه إبراهيم . والغناء لإبراهيم رَمَلٌ بالوسطى في الثلاثة الأبيات الأوَل ، وله في البيتين الأخيرين ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[استتر من الهادي لمّا ولي الخلافة وكان للمهديّ]

قال حمّاد : فلمّا وَلِيَ موسى الهادي الخلافةَ استتر جَدّي منه ولم يَظهر لهُ بسبب الأيمان التي حلّفه بها المهديّ ، فكانت منازلُنا تُكبَس في كلّ وقت وأهلُنا يُروَّعون بطلبه حتى أصابوه فمضوْا به إليه ، فلمّا عاينه قال : يا سيّدي ، فارقتُ أُمَّ ولدي وأعزَّ خلقِ الله عليّ ، ثم غنّاه لحنَه في شعره : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ خيرِ الملوك لا تَترُكَنّي ... غَرَضاً للعدوّ يرمي حِيالي
فلقد في هواك فارقتُ أهلي ... ثم عرَّضتُ مهجتي للزوالِ
ولقد عِفْتُ في هواك حياتي ... وتغرّبتُ بين أهلي ومالي

الشّعر والغِناء لإبراهيم خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى . قال إسحاق : فموَّلَه والله الهادي وخوَّلَه ، وبحسْبك أنّه أخذ منه في يوم واحد مائةً وخمسين ألفَ دينار ، ولو عاش لنا لبنيْنا حِيطانَ دُورِنا بالذهب والفضّة[1] .

[ما وصل إليه من الأموال وما تركه]

قال حَمّاد قال لي أبي[2] : نظرتُ إلى ما صار إلى جَدّك من الأموال والغَلاّت[3] وثمن ما باع من جواريه ، فوجدتُه أربعةً وعشرين ألفَ ألفِ درهم سوى أرزاقِه الجارية ، وهي عشرة آلاف درهم في كلّ شهر ، وسوى غَلاّت ضِياعه ، وسوى الصِّلات النَّزْرَة التي لم يحفظها ؛ ولا والله ما رأيتُ أكملَ مروءةً منه ، كان له طعامٌ مُعَدّ في كلّ وقت ؛ فقلت لأبي : أكان يُمكنه ذلك ؟ فقال : كان له في كلّ يوم ثلاثُ شِياه : واحدةٌ مقطَّعةٌ في القدور ، وأُخرى مسلوخةٌ ومعلَّقة ، وأُخرى حيّة ، فإذا أتاه قومٌ طَعِمُوا ما في القدور ، فإذا فرغتْ قُطّعت الشاة

1 ل : ذهباً وفضّة .
2 التذكرة الحمدونية 9 : 33 (رقم 52ب) ونهاية الأرب 4 : 331–332 .
3 ل : والصلات .

المعلَّقة ونُصبت القدور وذُبحت الحيّة فعلِّقت وأُتيَ بأُخرى فجُعلت وهي حيّة في المطبخ ؛ وكانت وظيفتُه لطعامه وطِيبِه وما يُتّخذ له في كلّ شهر ثلاثين ألف درهم سوى ما كان يُجرِي وسوى كُسْوته ؛ ولقد اتّفق عندنا مرّةً من الجواري الودائع لإخوانه ثمانون جارية ، ما منهنّ واحدة إلاّ ويُجْرِي عليها من الطعام والكُسوة والطِّيب مثلَ ما يُجرِي لأخصّ جواريه ، فإذا رُدّت الواحدة منهنّ إلى مولاها وصَلها وكساها ، ومات وما في ملكه إلاّ ثلاثة آلاف دينار ، وعليه من الدَّين سبعمائة دينار قُضِيَتْ منها .

[محاطة في ثمن جارية بينه وبين الرشيد]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيعٌ ويحيى بن عليّ بن يحيى وابن المَرْزُبان قالوا أخبرنا حَمّاد بن إسحاق قال : كان أبي يحدِّث أنّ الرشيد اشترى من جَدّي جاريةً بستّة وثلاثين ألفَ دينار ، فأقامت عنده ليلةً ، ثم أرسل إلى الفضل بن الربيع : إنّا اشترينا هذه الجارية من إبراهيم ، ونحن نحسب أنّها من بابَتِنا[1] وليست كما ظننتُها ، وما قَرِبتُها ، وقد ثقُل عليّ الثمنُ وبينك وبينه ما بينكما ، فاذهب إليه فسَلْه أن يَحُطَّنا من ثمنها ستّةَ آلاف دينار ؛ قال : فصار الفضلُ إليه فاستأذن عليه فخرج جدّي فتلقّاه ؛ فقال : دَعْني من هذه الكرامة التي لا مُؤْنة بيننا فيها ، لستُ ممّن يُخدع ، وقد جئتُك في أمرٍ أَصْدُقُك عنه ، ثم أخبره الخبرَ كلّه ؛ فقال له إبراهيم : إنّه أراد أن يبلوَ قَدْرَك عندي ؛ قال : ذاك أراد ! قال : فمالي كلُّه صدقةٌ في المساكين إن لم أُضعِّفه لك ، قد حَطَطْتُك اثني عشر ألف دينار ؛ فرجع الفضلُ إليه بالخبر ؛ فقال : وَيْلَك ؛ ادفعْ إلى هذا مالَه ، فما رأيتُ سُوقةً قطُّ أنبلَ نفساً منه . قال أبي : وكنتُ قد أتيتُ جدَّك فقلتُ : ما كان لخطيطةِ هذا المال معنىً وما هو بقليل ، فتغافَل عنّي وقال : أنت أحمقُ ، أنا أعرَفُ الناسِ به ، والله لو أخذتُ المالَ منه كَمَلاً[2] ما أخذتُه إلاّ وهو كاره ، ويحقِد ذلك عليّ وكنتُ أكون عنده صغيرَ القَدْر ، وقد مَنَنْتُ عليه وعلى الفضل ، وانبسطتْ نفسُه ونَشِط وعظُم قَدْري عنده ، وإنّما اشتريتُ الجاريةَ بأربعين ألف درهم ، وقد أخذتُ بها أربعة وعشرين ألف دينار ، فلمّا حُمل المالُ إليه بلا خَطيطة دعاني فقال لي : كيف رأيتَ يا إسحاقُ ! مَنِ البصيرُ أنا أم أنت ؟ فقلتُ : بل أنت جعلني الله فداءك .

[وفاؤه للفضل بن يحيى والفضل بن الربيع]

حدّثني وَكيع قال حدّثنا حمّاد قال حدّثني أبي قال[3] : لَقِي الفضل بن يحيى أبي وهو خارج

1 من بابتنا : ممّن يصلح لنا .

2 كملاً : كاملاً .

3 التذكرة الحمدونية 3 : 21 .

من عند الفضل بن الرَّبيع ، وكانا متجاورَيْن في الشَّمّاسيّة[1] ، فقال : من أَين يا أَبا إسحاق ؟ أَمِن عند الفضل بن الربيع ؟ قلت : نعم ، غيرَ معتذرٍ من ذلك ؛ فقال : خروجٌ من عند الفضل بن الربيع إلى الفضل بن يحيى ؟ هذان والله أَمران لا يجتمعان لك ؛ فقال : والله لئن لم يكن فيّ ما يتَّسع لكما حتى يكونَ الوفاءُ لكما جميعاً واحداً ما فيّ خيرٌ ، والله لا أَترك واحداً منكما لصاحبه ، فمن قَبِلني على هذا قَبِلَني ، ومَن لم يقبلني فهو أَعلم ؛ فقال له الفضل بن يحيى : أَنت عندي غير متَّهم ، والأَمرُ كما قلتَ ، وقد قَبِلتُك على ذلك .

[من الحبس إلى مجلس الرشيد]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال حدّثني أَبي : أَنّ الرشيد غضِب عليه فقيّده وحبسه بالرَّقّة ، ثم جلس للشرب يوماً في مجلس قد زيّنه وحسّنه ، فقال لعيسى بن جعفر : هل لمجلسنا عيبٌ ؟ قال : نعم ، غَيْبَةُ إبراهيمَ الموصليِّ عنه ؛ فأَمر بإحضاري فأُحضِرتُ في قيودي ، ففُكَّتْ عنّي بين يديه ، وأَمرهم فناولوني عُودا وقال : غنِّني يا إبراهيم ؛ فغنّيته : [من الطويل]

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ ... بــه زينــبٌ في نِسْوةٍ خَفِراتِ[2]

فاستعاده وشرِب وطرِب ، وقال : هَنَأْتَني يومي وسأُهْنِئُك بالصِّلة ، وقد وهبتُ لك الهنيءَ والمَرِيءَ ؛ فانصرفتُ ، فلمّا أَصبحتُ عُوِّضتُ منهما مائتي أَلف درهم .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَضَوَّع مِسكاً بطنُ نَعْمانَ أَنْ مشتْ ... بــه زينــبٌ في نِسْوةٍ خَفِراتِ

مَرَرْنَ بفَــخٍّ رائحــاتٍ عَشِيّةً ... يُلَبِّــين للرّحمــن مُعْتَمِراتِ

يُخَمِّرن أَطرافَ البَنان مــن التُّقى ... ويَقتُلْــنَ بالأَلحــاظ مُقْتَدِراتِ[3]

ولمّا رأَت ركبَ النُّمَيْرِيّ أَعرضتْ ... وكنَّ مِــنَ أن يَلْقَيْنَــه حَذِراتِ

الشعر للنُّمَيْريّ الثَّقَفيّ . والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن

1 الشماسيّة : محلّة ببغداد .

2 بطن نعمان : واد بين مكّة والطائف . ونسوةٍ خَفرات في ل : نسوة عطرات .

3 رواية هذا البيت في الكامل للمبرد (الدالي) : 771

يخبئن أطراف البنان مــن التقى ... ويخرجن شطر الليل مختمرات

إسحاق ويحيى المَكّيّ وعمرو بن بانة . وذكر حبشٌ أن فيه لعَزَّةَ المَيْلاء لحناً من الثقيل الأوّل .
[أنشده يحيى بن خالد بيتاً فتناه وغنى فيه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد وأحمد بن جعفر جَحْظة قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال ، وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمّد جميعاً عن إسحاق عن أبيه قال : رأيت يحيى بن خالد خارجاً من قصره الذي عند باب الشَّماسيّة يريد قصرَه الذي بباب البَرَدان[1] وهو يتمثّل : [من الوافر]

صوت

هَوىً بِتِهامةٍ وهـوىً بنجـدٍ فأبلتْنـي التَّهائِـمُ والنُّجودُ[2]

قال أبي : فزِدْتُه عليه : [من الوافر]

أُقِيم بذا وأَذْكُـر عهـدَ هذا فَلي مـا بين ذَيْن هوىً جديدُ

قال : وصنعت فيه لحناً ، قال الصُّوليّ في خبره : وهو من خفيف الثَّقيل ، ثم صِرتُ إليه فغنّيته إيّاه ، فأمر لي بألف دينار وبدابّته التي كانت تحته يومئذٍ بسَرْجها ولجامها ؛ فقلت له : جزاك الله من سيِّد خيراً ، فإنّك تأتي الأَنفُسَ وهي شواردُ فتُقِرّها ، والأهواءَ وهي سَقيمة فتُصِحّها ؛ فأمر لي بألف دينار أُخرى .

قال إبراهيم : ثم ضرَب الدهرُ من ضَرْبه ، فبينا أنا أسير معه إذ لقِيه العبّاس بن الأحنف ، وكان ساخِطاً عليه لشيء بلغه عنه ، فترجَّل له وأنشده[3] : [من السريع]

صوت

بالله يـا غضبانُ إلاّ رَضِيتْ أذاكـرٌ للعهدِ أم قـد نسِيتْ

فقال : بل ذاكرٌ يا أبا الفضل ؛ فأضفتُ إلى هذا البيت : [من السريع]

لو كنتُ أبغي غيرَ مـا تشتهي دعوتُ أن تُبْلى كما قـد بُلِيتْ

وصنعت فيه لحناً ، قال الصُّولي في خبره : هو ثقيل أوّل ، قال : وغنّيتُه به ، فأمر لي بألفيْ دينار وضحِك ؛ فقلت : من أيّ شيء تَضْحك يا سيّدي ؟ لا زلتَ ضاحكاً مسروراً ! فقال : ذكرتُ ما جرى في الصوت الأوّل وأنّه كان مع الجائزة دابّةٌ بسرجه ولجامه ، ولن تنصرف الليلةَ إلاّ على مثله ، فقمتُ فقبّلت يدَه ؛ فأمر لي بألفيْ دينار آخرين ، وقال : تلك الكَرّة شكَرْتَ على الجائزة بكلام فزِدناك ، والآن شكرتَ بفعلٍ أوجب الزيادة ، ولولا أنّي مُضيقٌ

1 البردان : من قرى بغداد آنئذٍ .
2 فأبلتني في ل : فأبكتني .
3 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 87 .

في هذا الوقت لضاعفتُها ، ولكنّ الدهرَ بيننا مستأنَفٌ جديد .

[غنّى الرشيد بشعره]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال : لمّا نَزل الرشيدُ في طريقه إلى طُوس بشِبْداز[1] جلس يشرب عنده ، فكان إبراهيمُ الموصليّ أوّلَ مَن غنّاه ، فابتدأ بهذا الصوت ، والشعرُ له : [من الهزج]

صوت

رأيتُ الدِّينَ والدُّنيا مُقيمَيْـــن بشِبْـــدازِ
أقامـا بـــين حَجّاجٍ وغـــازٍ أيُّما غـــازِ[2]

وهو من الثقيل الأول ، فأمر له بألف دينار ، ولم يَستحسن الشعرَ ، وقال له : يا إبراهيم صَنْعتُك فيه أحسن من شعرك ؛ فخجِل وقال : يا سيّدي شغَل خاطري الغناءُ فقلت لوقتي ما حضَرني ؛ فضحك الرشيد من قوله وقال له : صدقتَ .

[كثير الأصدقاء]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : كان جدُّك محبّاً للأشراف كثيرَ الأصدقاء منه ، حتى إنْ كان الرشيدُ لَيَقولُ كثيراً : ما أعرف أحداً أكثَر أصدقاءَ من إبراهيم .

[كاتب وشاعر وخطيب]

قال إسحاق : وما سمعتُ أحسنَ غناءٍ من أربعة : أبي ، وحَكَم الوادي ، وفُلَيْح بن أبي العَوْراء ، وسِيَاط ؛ فقلت له : وما بلغ من حِذْقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون غناءَ غيرِهم فيُحسنون ؛ فقلت : فأيّهم كان أحذق ؟ قال : كانوا بمنزلة خطيبٍ أو كاتب أو شاعر يُحسن صناعته ، فإذا انتقل عنها إلى غيرها لم يبلُغ منها ما يبلُغ من صناعته ، وكان جدُّك كرجل مفوَّه ، إن خطب أجْزل ، وإن كتب رسالة أحْسن ، وإن قال شعراً أحْسن ، ولم يكن فيهم مثلُه .

[أوّل مَن علّم الجواري الغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبه ، وأخبرني إسماعيل بن يونس عن عُمر بن شَبّة جميعاً عن إسحاق قال[3] : لم يكن الناس يعلّمون الجاريةَ الحسناء الغناءَ ، وإنّما كانوا يعلّمونه الصُّفْرَ والسُّودَ ؛ وأوّل مَن علّم

1 طوس وشبداز : مدينتان في خراسان ، وفي الأولى دفن الرشيد .

2 حجاج هنا : كثير الحجّ .

3 أورد ابن حمدون هذه الفقرة في التذكرة 9 : 27 (رقم 49) عن الأغاني .

الجواريَ المُثَمَّناتِ أبي ، فإنّه بلغ بالقِيان كلَّ مَبلغ ، ورفَع من أقدارهنّ . وفيه يقول أبو عُيَيْنة بن محمّد بن أبي عُيَيْنة المهلَّبيّ وقد كان هَوِي جارية يقال لها أمان فأغلى بها مولاها السَّوْمَ ، وجعل يردّدها إلى إبراهيم وإسحاق ابنه فتأخذ عنهما ، فكلّما زادت في الغناء زاد في سَوْمِه ، فقال أبو عُيَينة : [من الخفيف]

قلتُ لمّا رأيتُ مولى أمانٍ ... قد طَغى سومُه بها طُغْيانا
لا جَزى الله المَوْصليّ أبا إسـ ... ـحاقَ عنّا خيراً ولا إحسانا
جاءنا مُرسَلاً بوَحْيٍ من الشيـ ... ـطانِ أغلى بـه علينا القِيانا
من غِناءٍ كأنّه سَكَرات الـ ... ـحبّ يُصْبي القُلوبَ والآذانا

[مديح ابن سيابة له]

وقال فيه ابن سيابةَ : [من مجزوء الرمل]

صوت

ما لإبراهيمَ في العِلْـ ... ـم بهذا الشأن ثاني
إنّما عُمْر أبي إسـ ... ـحاق زَيْنٌ للزمانِ
جَنّة الدُّنْيا أبو إسـ ... ـحاق في كلّ مكانِ
فإذا غنّى أبو إسحا ... ق أجابتْه المَثاني
منه يُجْنى ثَمَرُ اللهـ ... ـو وريحانُ الجِنانِ

لإبراهيم في هذا الشعر لحنان : خفيفُ ثقيل بالبنصر ، وخفيفُ رَمَل بالوسطى عن عمرو والهِشاميّ .

[شعر أبي العتاهية فيه وهو محبوس]

أخبرني عمّي عن أحمد بن أبي طاهر عن أبي دِعامةَ قال : كان سَلْم الخاسر عند أبي العتاهية ، فأخبره سلم أنّ الرشيد حبَس إبراهيم الموصليّ في المُطْبِق ؛ فأقبل عليه أبو العتاهية فقال[1] : [من الخفيف]

سَلْمُ يا سَلْمُ ليس دونك سِترُ ... حُبِس المَوْصليُّ فالعيشُ مُرُّ
ما استطابَ اللذّاتِ مُذْ سَكَن المُطْـ ... ـبِقَ رأسُ اللذّات في الناس حُرُّ

1 ديوان أبي العتاهية : 535 عن الأغاني .

تركَ الموصـلـيُّ مَـنْ خَلَـق الـ ـلهُ جميعـاً وعيشُهم مُقْشَعِرُّ
حُبِس اللهوُ والسرور فمـا في الـ ـأرضِ شيءٌ يُلْهـى بـه أو يَسُرُّ

وأنشدني بعضُ أصحابنا عن ابن المَرزُبان عن أحمد بن أبي طاهر عن ابن أبي فَنَن لأبي العتاهية يخاطب إبراهيم الموصليّ لمّا حُبس[1] : [من الوافر]

أيا غَمِّـي لغَمِّك يـا خليلي ويا وَيْـلي عليك ويـا عَوِيلي
يَعِـزُّ عـليّ أنّك لا تـراني وأنّـي لا أراكَ ولا رسولي
وأنّك في محـلٍّ أذىً وضَنْكٍ وليس إلى لقائـك مـن سبيلِ
وأنّي لستُ أملِك عنك دفعاً وقد فُوجئتَ بالخَطْبِ الجليلِ

[إبراهيم بن المهديّ يدّعي لحناً له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَه قال حدّثنا عبد الله بن عمر قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمّد عن القَطرانيّ المغنّي عن محمّد بن جبر ، وكان المهديّ ربّاه ، قال حدّثني إبراهيم بن المهديّ قال[2] : انصرفتُ ليلةً من الشَّمّاسيّة فمررتُ بدار إبراهيمَ الموصليّ ، وإذا هو في رَوْشَن له وقد صنَع لحنه : [من الطويل]

ألا رُبّ نَدمـانٍ عـليّ دموعُـه تَفِيضُ على الخدَّين سَحّاً سُجُومُها

وهو يُعيده ويلعَب به بنَغَمه ويُكرِّره لتَسْتَوي له أجزاؤه ، وجواريه يضربْن عليه ، فوقفتُ تحت الرَّوْشَن حتى أخذتُه ثم انصرفت إلى منزلي ، فما زلتُ أعيده حتى بلغتُ فيه الغايةَ ، وأصبحتُ فغدوتُ إلى الشَّمّاسيّة واجتمعنا عند الرشيد ، فاندفع إبراهيم فغنّاه أوّلَ شيء غنّى ، فلمّا سمعه الرشيد طرِب واستحسنه وشرب عليه ، ثم قال له : لمن هذا يا إبراهيم ؟ قال : لي يا سيِّدي ، صنعتُه البارحة ؛ فقلت : كذَب يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت قديمٌ وأنا أُغنّيه ؛ فقال لي : غنِّه يا حبيبي ، فغنّيتُه كما غنّاه ؛ فبُهِت إبراهيمُ وغضِب الرشيد ، وقال له : يا ابن الفاجرة ! أتكْذِبني وتدّعي ما ليس لك ؟ . قال : فظلَّ إبراهيمُ بأسوأ حال ؛ فلمّا صلّيتُ العصر قلت للرشيد : يا أمير المؤمنين ، الصوتُ وحياتِك له وما كذَب ، ولكنّي مررتُ به البارحةَ وهو يردّده على جارية له فوقفتُ حتى دار لي واستوى فأخذتُه منه ؛ فدعا به الرشيد ورضي عنه ، وأمر له بخمسة آلاف دينار .

---

1 ديوان أبي العتاهية : 626 عن الأغاني .
2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 28 (رقم 50) .

نسبة هذا الصوت
صوت

[من الطويل]

أَلا رُبَّ نَدْمانٍ عليَّ دموعُه تَفِيضُ على الخَدَّيْن سَحّاً سُجومُها
حَلِيمٌ إذا ما الكأسُ دارتْ وهَرَّها رجالٌ لديها قد تَخِفّ حُلومُها[1]

الغناء لإبراهيمَ رَمَلٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

[بينه وبين إبراهيم بن المهديّ وابن جامع]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبي عن طَيّاب بن إبراهيم الموصليّ قال : كان إبراهيم بن المهديّ يُقدِّم ابنَ جامع ولا يُفضِّل عليه أحداً ، فأخبرني إبراهيم بن المهديّ قال : كنّا في مجلس الرشيد وقد غلَب النبيذُ على ابن جامع ، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ فقال : قد خَزِي أُستاذك فيه ! وفهمتُ صدْقَه فيما قال ؛ قال : فقلت له : انتَبه أيّها الشيخ وأعِدِ الصوتَ ، ففَطِن وأعاده وتحفّظ فيه وأصاب ؛ فغضب إبراهيم وأقبل عليّ فقال : [من الوافر]

أُعلِّمُه الرِّمايَةَ كلَّ يومٍ فلمّا استَدّ ساعدُه رماني[2]

وتنكَّر لي وحلَف ألاّ يكلِّمني ؛ فقلت للرشيد بعد أيّام : إن لي حاجةً ؛ قال : وما هي ؟ قلت : تأمر إبراهيمَ الموصليّ أن يرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه ؛ فقال : ومَن إبراهيم حتى يُطلبَ رضاه ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنّ الذي أُريده منه لا يُنال إلاّ برضاه ؛ فقال : قم إليه يا إبراهيم فقبِّلْ رأسه ؛ فقام إليّ ليقبِّل رأسي ، فلمّا أكبَّ عليّ قال : تَعُود ؟ قلت : لا ؛ قال : قد رضيتُ عنك رِضىً صحيحاً ، وعاد إلى ما كان عليه .

[غنّى الرشيد في الحيرة]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن عليّ بن يحيى قال : سمعتُ جدّي عليّاً يحدِّث عن إسحاق قال : قال أبي : خرجتُ مع الرشيد إلى الحيرة ، فساعةَ نَزل بها دعا بالغَداء فتغدّى ثم نام ، فاغتنمتُ قائلتَه فذهبتُ فركبت أدُور في ظهر الحِيرة ، فنظرتُ إلى بستان فقصدته فإذا على بابه شابٌّ حسن الوجه ، فاستأذنته في الدخول فأذِن لي ، فدخلت فإذا جَنّة من الجِنان في أحسن تُرْبة وأغزرِها ماءً ، فخرجتُ فقلت له : لمن هذا البستان ؟ فقال : لبعض الأشاعِثة ؛ فقلت له : أيُباع ؟ فقال : نعم وهو على سَوْم ؛ فقلت : كم بلغ ؟ فقال : أربعةَ عشرَ ألفَ دينار ؛ قلت : وما يُسَمَّى هذا الموضع ؟ قال : شُمارى ؛ فقلت : [من الطويل]

---

1 هرّ الكأس : كرهها .

2 استدّ : استقام . ويُروى اشتدّ .

صوت

جِنانَ شُمارى ليس مثلَك مَنْظَرٌ لذِي رَمَدٍ أعيا عليه طبيبُ
تُرابُكِ كافور ونَوْرُكِ زهرةٌ لها أَرَجٌ بعد الهُدُوِّ يطيبُ[1]

قال : وحَضَرْتني فيه صَنْعةٌ حسنة ؛ فلمّا جلس الرشيد وأمر بالغناء غنّيته إيّاه أوّلَ ما غنَّيتُ ؛ فقال : وَيْلَك ! وأين شُمارَى ؟ فأخبرته القصّة ؛ فأمر لي بأربعةَ عشرَ ألفَ دينار ؛ وغَمَزني جعفر بن يحيى فقال : خذ توقيعَه بها إليّ ؛ وتشاغل الرشيدُ عنّي ، فأعدتُ الصوتَ ، فقال : وَيْلَكم ! أعْطُوا هذا دنانيره ؛ فوثبتُ وقلت : يا سيّدي ، وَقِّع لي بها إلى جعفر بن يحيى ؛ فقال : أفعلُ ، ووقَّع لي بها إليه ؛ فلمّا حصَلَ التوقيعُ عند جعفر أطلق لي المالَ وخمسةَ آلاف دينار من عنده ؛ فلمّا حصَلَ المالُ عندي كان أحبَّ إليّ وأحسنَ في عَيْني من شُمارَى .

[غنّى في أبيات طلب الرشيد إجازتها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال أخبرني أبو العَيْناء قال : خرج الفضلُ بن الرَّبيع يوماً من حضرة الرشيد ومعه رقْعةٌ فيها أربعة أبيات ، فقال : إنّ أمير المؤمنين يأمر كلَّ مَن حضَر ممّن يقول الشعر أن يُجيزها ، وهي : [من الكامل]

أَهْدى الحبيبُ مع الجَنُوب سلامَه فارْدُدْ إليه مع الشَّمال سلاما
واعرِفْ بقلبك ما تَضَمَّن قلبُه وتَداولاَ بهواكما الأيّاما
وإذا بكيتَ له فأيْقِنْ أنّه ستجود أدْمُعه عليك رِهَاما[2]
فاحبِس دموعَك رحمةً لدموعه إن كنتَ تحفظُ أو تَحُوط ذِماما

فلم يوجد مَن يُجيزها ، فأمر إبراهيمَ فغنّى فيها لحناً من خفيف الثقيل .

[تأخّر عن ركب الرشيد ليبقى عند خمّار]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني أبو العبّاس البصريّ قال حدّثني عبد الله بن الفَضْل بن الرَّبيع قال سمعت أبي يقول : لمّا خرج الرشيدُ إلى الرَّقّة أخْرَج معه إبراهيمَ الموصليّ ، وكان به مشغوفاً ، ففقده في بعض المنازل أيّاماً وطلبه فلم يُخبره أحد بقصّته ؛ ثم أتاه ، فقال له : وَيْحَك ؛ ما خبرُك وأين كانت غَيْبتك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، حديثي عجيب ، نزلْنا بموضع كذا وكذا ، فوُصِف لي خَمّارٌ ، من ظَرْفه ومن نظافة منزله كيت وكيت ، فتقدّمتُ

1 ونَوْرُك في ل : ونبتك .
2 الرهام : المطر الضعيف .

أمام ثَقَلي[1] وأتيته مُخِفّاً ، فوافيتُ أطيب منزل وأوسعَ رَحْل وأطيبَ طعام وأسخى نفْسٍ ، من شابٍّ حسن الوجه ظريف العِشْرة ، فأقمت عنده ، فلمّا أردتُ اللِّحاق بأمير المؤمنين أقْسم عليّ وأخرجَ لي من الشراب ما هو أطيبُ وأجود ممّا رأيت ، فأقمت ثلاثاً ، ووهبتُ له دنانير كانت معي وكُسوةً ، وقلت فيه : [من البسيط]

صوت

سَقْياً لمنزل خَمّارٍ قَصَفْتُ به ... وَسْط الرُّصافة يوماً بعد يومينِ
ما زلتُ أرهَنُ أثوابي وأَشْرَبُها ... صفراءَ قد عُتِّقتْ في الدَّنّ حَوْلينِ
حتى إذا نَفِدَت منّي بأجمعها ... عاودتُه بالرِّبا دَنّاً بدَنَّينِ
فقال «إزَلْ بشين» حين ودَّعني ... وقد لَعَمْرُك زُلْنا عنه بالشَّيْنِ

الشعر والغناء لإبراهيم خفيفُ رمل بالبنصر . قوله : «إزَلْ بشين» كلمة سريانية ، تفسيرها : إمْضِ بسلام ، دعا له بها لما ودّعه ، قال إبراهيم : فقال لي الرشيد : غَنِّني هذا الصوتَ ، فغنّيته إيّاه وزمَر عليه بَرْصُوما ، فوهب لي الرشيد مائة ألف درهم وأقطعني ضَيْعة ، وبعث إليّ الخَمّارِ فأُحْضِر ، وأَهْدى إلى الرشيد من ذلك الشراب فوصَله ؛ ووهَب له إبراهيمُ عشرةَ آلاف درهم .

[رؤيا ابن جامع]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمّد بن مَزْيَد ووكيع قالوا جميعاً حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : قال ابن جامع يوماً لأبي : رأيتُ في منامي كأنّي وإيّاك راكبان في مَحْمِل ، فَسَفُلْتَ حتى كِدتَ تَلْصَق بالأرض ، وعلا الشِّقُّ الذي أنا فيه ، فَلأَعْلُونَّك في الغناء ؛ فقال إبراهيم : الرؤيا حقٌّ والتأويل باطل ، إنّي وإيّاك كنّا في ميزان ، فرجحتُ بك وشالتْ كِفَّتُك وعلوتَ فلَصِقتُ بالأرض ، فلأَبْقَيْنّ بعدك ولتموتنّ قبلي : قال إسحاق : فكان كما قال أبي ، علا عليه وأفاد أكثر من فوائده ، ومات ابن جامع قبله وعاش أبي بعده .

[ابن جامع يأخذ لحناً له عن جارية]

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع الرَّبيعيّ قال حدّثْتني خَديجة بنت هارون بن عبد الله بن الرَّبيع قالت حدّثتني خمار جارية أبي ، وكانت قُنْدُهارِيّة[2] ، اشتراها جدّي عبد الله وهي صَبِيّة رَيِّض[3] من آل يحيى بن مُعاذ بمائتي ألف درهم ، قالت : ألقى عليّ إبراهيمُ الموصليّ لحنَه في

1 ثقل المسافر : متاعه .
2 قندهارية : نسبة إلى قندهار مدينة في أفغانستان .
3 ريض : الدابة أوّل ما تراض ، يطلق على الذكر والأنثى .

هذين البيتين : [من الطويل]

صوت

إذا سَرّها أمرٌ وفيه مَساءتي قضيتُ لها فيما تريد على نفسي
وما مَرّ يومٌ أرتجي فيه راحةً فأذكُرَه إلاّ بكيتُ على أمسِ

الشعر لأبي حَفْص الشِّطْرَنْجيّ[1] ، والغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، فسمعني ابن جامع يوماً وأنا أُغنّيه ، فسألني : ممّن أخذتِه ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : أعِيديه ، فأعدتُه مِراراً ، وما زال ابن جامع يتنغّم به معي حتى ظننت أنّه قد أخذه ، ثم كان كلّما جاءنا قال لي : يا صَبِيّةُ ، غنّي ذلك الصوت ، فكان صوتَه عليّ .

[قصّته مع مخارق في أخذه دراهم من يحيى البرمكيّ وأولاده]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبَّة قال قال مخارق : أَذِن لنا أمير المؤمنين الرشيدُ أن نُقيم في منازلنا ثلاثةَ أيّام ، وأعلمنا أنّه مشتغل فيها مع الحُرَم ، فمضى الجلساء أجمعون إلى منازلهم ، وأخبرني وَسْواسة وهو أحمد بن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ[2] بهذا الخبر فقال حدّثني أبي عن أبيه عن مُخارق قال : اشتغل الرشيد يوماً واصطبح مع الحُرَم وقد أصبحتِ السماء مُتغيِّمة ، فانصرفنا إلى منازلنا . ولم يذكر في الخبر ما ذكره عمر بن شَبّة ممّا قدمتُ ذكره ، واتّفقا هاهنا في أكثر الحكايات ، واللفظ فأكثره لرواية ابن الموصليّ ، قال مخارِق : وأصبحت السماء مُتغيِّمة تَطِشّ طَشّاً خفيفاً ، فقلت : والله لأذهبنّ إلى أستاذي إبراهيمَ فأعرف خبره ثم أعود ، فأمرتُ مَنْ عندي أن يُسَوُّوا مجلساً لنا إلى وقت رجوعي ؛ فجئت إلى إبراهيمَ الموصليّ فإذا البابُ مفتوح والدِّهليز قد كُنِس والبوّاب قاعد ؛ فقلت : ما خبر أستاذي ؟ فقال : ادخُل ، فدخلت فإذا هو جالس في رِواق له وبين يديه قُدورٌ تُغَرْغِر وأباريق تَزْهَر ، والستارة منصوبة والجواري خَلْفَها ، وإذا قُدّامَه طَسْتٌ فيه رِطْلِيّة وكوزٌ وكأس ، فدخلت أترنّم ببعض الأصوات ، وقلت له : ما بالُ الستارة لستُ أسمع من ورائها صوتاً ؟ فقال : اقعُد وَيْحَك ! إنّي أصبحت على الذي ظننتَ ؛ فأتاني خبرُ ضَيْعة تجاورني ، قد والله طلبتُها زماناً وتمنّيتها فلم أملكها ، وقد أُعْطِيَ بها مائةُ ألف درهم ؛ فقلت : وما يمنعك منها ؟ فوالله لقد أعطاك الله أضعافَ هذا المال وأكثر ؛ قال : صدقتَ ، ولكن لستُ أطِيب نَفْساً أن أُخرِج هذا المال ؛ فقلت : فمن يُعطيك الساعةَ مائة ألف درهم ؟ والله ما أطمع في ذلك من الرشيد ، فكيف بمن دونه ؟ فقال : اجلس ، خذ هذا الصوت ، ونَقَر بقضيب معه

1 سيترجم أبو الفرج لأبي حفص الشطرنجي في الأغاني فيما بعد .
2 تقدّم هذا الاسم على أنّه أحمد بن أحمد وأحمد بن محمّد وهذه صيغة ثالثة .

على الدواة وألقى عليّ : [من البسيط]

صوت

نام الخَلِيُّون مـن هَمٍّ ومن سَقَمِ وبِتُّ مـن كَثْرة الأَحزان لم أَنمِ
يا طالبَ الجود والمعروفِ مُجتهداً اعْمِدْ ليحيى حليفِ الجود والكرم

الشعر لأبي النضير[1] ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيل أوّل بالبنصر . قال : فأخذتُه فأحكمتُه ؛ ثم قال لي : امضِ الساعةَ إلى باب الوزير يحيى بن خالد ، فإنّك تجد الناس عليه وتجد الباب قد فُتح ولم يجلس بعدُ ، فاستأذِنْ عليه قبل أن يَصِل إليه أحد ، فإنّه سيُنكِر عليك مجيئك ويقول : من أين أقبلتَ في هذا الوقت ؟ فحدِّثْه بقصدك إيّاي وما ألقيتُ إليك من خبر الضَّيْعة ، وأَعْلِمْه أنّي صنعتُ هذا الصوت وأعجبني ، ولَم أَرَ أحداً يستحقّه إلاّ فلانةَ جاريتَه ، وأنّي ألقيتُه عليك حتى أحكمْتَه لتطرحَه عليها ؛ فسيدعو بها ويأمر بالسِّتارة أن تُنْصَب ويُوضع له كرسيّ ويقول لك : اطْرَحْه عليها بحضرتي ، فافعل وأْتِني بالخبر بعد ذلك . قال : فجئتُ بابَ يحيى فوجدتُه كما وَصف ، وسألني فأعلمتُه ما أمرني به ، ففعل كلَّ شيء قاله لي إبراهيم ، واحضَر الجارية فألقيتُه عليها ؛ ثم قال لي : تُقيم عندنا يا أبا المهنّا أو تنصرف ؟ فقلت : أنصرف أطال الله بقاءك فقد علمتَ ما أُذِن لنا فيه ، قال : يا غلام ، احمِلْ مع أبي المهنّا عشرة آلاف درهم ، واحملْ إلى أبي إسحاق مائةَ ألف درهم ثمنَ هذه الضَّيْعة ، فحُمِلَتِ العشرةُ الآلاف الدرهم إليّ ، وأتيتُ منزلي فقلت : أُسَرّ يومي هذا وأُسُرّ من عندي ، ومضى الرسول إليه بالمال ؛ فدخلتُ منزلي ونثرتُ على من عندي من الجواري دراهمَ من تلك البَدْرة ، وتوسّدتُها وأكلتُ وشربت وطربت وسُرِرت يومي كلَّه ؛ فلما أصبحتُ قلتُ : والله لآتِينّ أُستاذي ولأُعرِفنّ خبره ، فأتيتُه فوجدت البابَ كهيئته بالأمس ، ودخلتُ فوجدته على مثل ما كان عليه ، فترنّمت وطَرِبت فلم يتلقَّ ذلك بما يجب ؛ فقلت له : ما الخبر ؟ ألَم يأتك المال ؟ قال : بلى ، فما كان خبرُكَ أنت بالأمس ؟ فأخبرته بما كان وُهب لي وقلت : ما ينتظر من خلف الستارة ، فقال : ارفع السَّجْف فرفعتُه فإذا عشر بِدَر ؛ فقلت : وأيّ شيء بقي عليك في أمر الضيعة ؟ قال : وَيْحَك ! ما هو والله إلاّ أن دخلتْ منزلي حتّى شَحَحْتُ عليها فصارت مثلَ ما حَويتُ قديماً ؛ فقلت : سبحان الله العظيم ؛ فتصنع ماذا ؟ قال : قم حتى أُلقِي عليك صوتاً صنعتُه يفوق ذلك الصوت ؛ فقمتُ وجلستُ بين يديه ، فألقى عليّ : [من الطويل]

1 سيترجم أبو الفرج لأبي النضير فيما بعد .

صوت

ويَفْرَح بالمولـــودِ مـن آلِ بَرْمَـكٍ بُغاةُ النَّدَى والسيفُ والرمحُ ذو النصلِ[1]
وتَنْبسطُ الآمـــالُ فيـــه لفضلـــه ولا سيّما إن كان مـن وَلَدِ الفَضْلِ

الشعرُ لأبي النَّضير . والغناءُ لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن الهِشاميّ ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لإسحاق ، وهو الصحيح . وفيه خفيف ثقيلٍ ، أظنّه لحنَ إبراهيم . أخبرني إسماعيل بن يونس عن عمر بن شَبّة عن إسحاق أنّ أباه صنع هذا الصوت في طريقة خفيف الثقيل وعَرَضه على الفَضْل ، فاستحسنه وأمر مخارِقاً بإلقائه على جواريه فألقاه على مراقش[2] وقَضيبَ فأخذتاه عنه . قال مُخارِق : فلمّا ألقى عليّ الصوتَ سمعتُ ما لم أسمع مثلَه قطُّ ، وصغُر عندي الأوّل فأحكمْتُه ؛ ثم قال : انهض الساعةَ إلى الفَضْل بن يحيى ، فإنّك تَجِدُه لم يأذن لأحد بعدُ ، وهو يريد الخَلْوة مع جواريه اليوم ، فاستأذِنْ عليه وحدِّثه بحديثنا أمس ، وما كان من أبيه إلينا وإليك ، وأعلمه أنّي قد صنعتُ هذا الصوتَ وكان عندي أرفعَ منزلةً من الصوت الذي صنعتُه بالأمس ، وأنّي ألقيته عليك حتى أحكمْتَه ووَجَّهْتُ بك قاصداً لتلقيه على فلانةَ جاريته ؛ فصِرتُ إلى باب الفَضْل فوجدتُ الأمر على ما ذكرَ ، فاستأذنتُ فوصلتُ ؛ وسألني : ما الخبر ؟ فأعلمتُه بخَبَري في اليوم الماضي وما وصل إليّ واليه من المال ؛ فقال : أخزى الله إبراهيمَ فما أبخله على نفسه ! ؛ ثم دعا خادماً فقال : اضرب الستّارة فضربها ، فقال لي : ألْقِه ، فلمّا غَنّيتُه لم أُتِمّه حتى أقبَل يَجُرّ مِطْرَفه ، ثم قعد على وِسادة دون الستّارة ، وقال : أحْسَنَ والله أُستاذُك وأحسنتَ أنتَ يا مخارق ؛ فلم أخرج حتى أخذَتْه الجاريةُ وأحكمْته ، فسُرّ بذلك سروراً شديداً ؛ وقال : أقِم عندي اليوم ؛ فقلت : يا سيّدي إنّما بقي لنا يومٌ واحد ، ولولا أنّي أُحبّ سرورَك لم أخرج من منزلي ؛ فقال : يا غلام احمِلْ مع أبي المهنأ عشرين ألف درهم واحمل إلى إبراهيم مائتي ألف درهم ؛ فانصرفتُ إلى منزلي بالمال ، ففتحتُ بَدْرة فنثرت منها على الجواري وشربت وسُررت أنا ومن عندي يومَنا ؛ فلمّا أصبحتُ بكّرتُ إلى إبراهيمَ أتَعَرَّف خبرَه وأُعرِّفه خبَري ، فوجدتُه على الحال التي كان عليها أوّلاً وآخِراً ، فدخلتُ أترنّم وأُصفّق ؛ فقال لي : ادْنُ ؛ فقلت : ما بقي ؟ فقال : اجلس وارفع سَجْف هذا الباب فرفعته فإذا عشرون بَدْرة مع تلك العشر ؛ فقلت : ماذا تنتظر الآن ؟ فقال : وَيْحَك ، ما هو والله إلاّ أن حصلتْ حتى جرتْ مجرى ما تقدّم ؛ فقلتُ : والله ما أظنّ أحداً نال في هذه الدولة ما نلتَه ، فلِمَ تَبْخل على نفسك بشيء تمنّيتَه دهراً وقد ملّكَكَ اللهُ أضعافَه ؟ ثم قال : اجلس فخُذ هذا الصوتَ ؛

1 ل : والنصل وكذا ورد في نهاية الأرب 4 : 354 وشطر البيت الثاني فيه «ولا سيّما إن كان والده الفضل» .
2 ل : براقش .

وأَلْقى عليّ صوتاً أَنساني واللهِ صوتَيَّ الأَوّلَيْن : [من الطويل]

صوت

أَفي كلّ يومٍ أَنتَ صبٌّ وليلةٍ ... إلى أمّ بكـرٍ لا تُفِيق فَتُقْصِرُ
أُحِبّ على الهِجران أَكنافَ بيتها ... فيا لَكَ من بيتٍ يُحَبُّ ويُهْجَرُ
إلى جعفرٍ سارت بنا كلُّ جَسْرةٍ ... طَواها سُراهـا نحـوَه والتهجُّرُ
إلى واسعٍ للمُجْتَدِيـن فِناؤه ... تَـروحُ عطايـاه عليهم وتَبْكُرُ

الشعر لمروانَ بن أَبي حَفْصَة يمدح به جعفر بن يحيى . والغناء لإبراهيم ، ولم تقع إلينا طريقتُه . قال مُخارِق : ثم قال لي إبراهيم : هل سمعتَ مثلَ هذا ؟ فقلت : ما سمعتُ قطّ مثلَه . فلم يَزَلْ يُرَدِّده عليّ حتّى أَخذتُه ، ثم قال لي : امضِ إلى جعفر فافعل به كما فعلتَ بأَخيه وأَبيه ؛ قال : فمضيتُ ففعلتُ مثل ذلك وخبّرته ما كان منهما وعرَضْتُ عليه الصوت ، فسُر به ودعا خادماً فأَمره بضرب الستارة وأَحضَر الجارية وقعد على كرسيّ ، ثم قال : هاتِ يا مُخارِق ؛ فاندفعتُ فأَلقيتُ الصوتَ عليها حتى أَخذَتْه ؛ فقال : أَحسنتَ والله يا مُخارق وأَحسنَ أُستاذُك ، فهل لك في المُقام عندنا اليومَ ؟ فقلت : يا سيِّدي هذا آخر أَيّامنا ، وإنّما جئتُ لموقع الصوت منّي حتّى أُلقيتـه على الجاريـة ؛ فقال : يا غلام احمِل معه ثلاثين أَلف درهم وإلى المَوصلّي ثلثمائة أَلف درهم ؛ فصرتُ إلى منزلي بالمال ، فأَقمتُ ومَن معي مسرورين نشرَبُ بقيّةَ يومنا ونطرَب ، ثم بكّرتُ إلى إبراهيم فتلقّاني قائمـاً وقـال لي : أَحسنتَ يـا مُخارق ؛ فقلت : ما الخبر ؟ فقال : اجلس فجلستُ ، فقال لمَن خلف الستارة : خذوا فيما أَنتم فيه ، ثم رفع السَّجْف فإذا المال ؛ فقلت : ما خبر الضّيعة ؟ فأَدخل يده تحت مِسورة هو مُتّكىء عليها فقال : هذا صَكُّ الضيعة ، سئل عن صاحبها فوُجد ببغداد ، فاشتراها منه يحيى بن خالد ، وكتب إليّ : قد علمتُ أَنّك لا تسخو نفساً بشراء الضيعة من مـال يحصُل لك ولو حِيزتْ لك الدّنيا كلُّها ، وقد ابتعتُها لك من مالي ووجّهتُ لك بصَكّها ؛ ووجّه إليّ بصكّها وهذا المال كما ترى ؛ ثم بكى وقال لي : يا مخارِق إذا عاشرتَ فعاشر مثل هؤلاء ، وإذا خنكرت فخنكر[1] لمثل هـؤلاء ؛ هذه ستّمائـة أَلف وضَيْعةٌ بمائة أَلف وستّون أَلفَ درهم لك ، حصّلنا ذلك أَجمعَ وأَنا جالس في مجلسي لم أَبرح منه ، فمتى يُدْرَك مثل هؤلاء ! .

[طلب إليه موسى الهادي أن يغنّيه وله حكمه]

أَخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أَخبرني أَبي عن إسحاق قال : كان موسى الهادي شَكِسَ

1 أي إذا غنّيت فغنّ لمثل هؤلاء (أصل الكلمة فارسي) ، المغني المضحك .

الأخلاق صَعْبَ المِزاج ، مَن توقّاه وعرَف أخلاقه أعطاه ما أمَّل ، ومن فتَح فاه فاتّفق له أن يفتحه بغير ما يهواه أقصاه واطّرَحَه ، فكان لا يحتجب عن نُدَمائه ولا عن المغنّين ، وكان يُكثر جوائزَهم وصِلاتِهم ويُواتِرها ؛ فتغنّى أبي عنده يوماً ؛ فقال له : يا إبراهيم غنِّني جِنْساً من الغناء أَلَذّهُ وأَطْرَب له ولك حُكمُك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لم يقابلني زُحَلُ ببَرْده رَجَوْتُ أن أُصيب ما في نفسك . قال : وكنت لا أراه يُصغي إلى شيء من الأغاني إصغاءَه إلى النَّسيب والرَّقيق منه ، وكان مذهبُ ابن سُرَيْج عنده أحمدَ من مذهب مَعْبَد ، فغنّيته : [من الطويل]

وإنّـي لتَعْروني لذِكـراكِ هِزّةٌ كما انتفضَ العصفورُ بلّله القَطْرُ[1]

فضرب بيده إلى جَيْب دُرّاعته فحطّها ذراعا ، ثم قال : أحسنتَ والله ؛ زِدْني ، فغنّيتُ : [من الطويل]

فيا حُبَّها زدني جَوىً كلَّ ليلةٍ ويا سَلوةَ الأيّام موعدُكِ الحشرُ

فضرب بيده إلى دُرّاعته فحطّها ذراعاً آخر أو نحوَه ، وقال : زِدْني وَيْلَك ! أحسنتَ والله ، ووجب حكمُك يا إبراهيم ؛ فغنّيت : [من الطويل]

هجرتُكِ حتى قِيل لا يعرِف الهَوى وزُرتُكِ حتى قيل ليس لـه صَبْرُ

فرفع صوتَه وقال : أحسنتَ ، لله أبوك ؛ هات ما تريد ؛ قلت : يا سيّدي ، عَيْن مرْوان بالمدينة ؛ فدارتْ عيناه في رأسه حتى صارتا كأنّهما جمرتان ، وقال : يا ابن اللَّخْناء أردتَ أن تَشْهَرني بهذا المجلس فيقول الناس : أَطْرَبه فحكّمه ، فتجعلني سَمَراً وحديثاً ! يا إبراهيم الحَرّاني : خُذْ بيد هذا الجاهل إذا قمتُ ، فأَدْخِله في بيت مال الخاصّة ، فإن أخذ كلَّ ما فيه فَخَلِّه وإيّاه ؛ فدخلتُ فأخذت خمسين ألفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

صوت[2]

[من الطويل]

عَجِبتُ لسعي الدَّهرِ بيني وبينها فلمّا انقضى ما بيننا سَكَن الدّهرُ
فيـا حُبَّها زِدْني جَـوىً كلَّ ليلـة ويـا سَلْوةَ الأيّامِ موعـدُك الحَشْرُ
ويا هجَر ليلي قد بلغتَ بي المَدى وزِدْتَ على مـا ليس يبلُغه الهجرُ

---

1 هزة في ل : فترة ، أي ضعف .

2 قارن بما جاء في شرح أشعار الهذليين ص 956–959 ، فهناك اختلاف شديد في الرواية والترتيب ، وبما جاء في أمالي القالي 1 : 148 والرواية فيها أقرب إلى ما في الأغاني . وانظر ديوان مجنون ليلى (فراج) : 130–132 .

وإنّي لتَعْـروني لذكـراكِ هِـزّةٌ كما انتفض العصفورُ بلَّلَـه القَطرُ
هجرتُكِ حتى قيل لا يَعرف الهوى وزُرْتُكِ حتى قيل ليس لـه صبرُ
أَما والذي أَبْكى وأَضحك والذي أَمات وأَحيـا والذي أَمْرُه أَمْرُ
لقد تركتني أَحسُد الوحشَ أَنْ أَرى أَليفيْن منهـا لا يروعهمـا الذُّعرُ[1]

الشعر لأَبي صَخْر الهُذَليّ . والغناء لَمَعْبَد ، وأَوّل لحنه «ويا هجر ليلى» وبعده الثاني ثم الأَوّلُ من الأَبيات ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولابن سُرَيْج في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أَوّلُ عن الهشاميّ . ولعَرِيبَ في السادس والسابع والرابع والخامس ثقيلٌ أَوّلُ أَيضاً ، وللواثق فيها رَمَل ، وهو ممّا صنعه الواثق قبلها فعارضَتْه بلحنها . وقد نَسَب قومٌ لحنَ مَعْبد إلى ابن سُرَيج ولحنَ ابن سريج إلى معبد .

[استكثر جعفرُ بن يحيى ثمن جارية اشتراها له]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : اشترى جدّك إبراهيمُ لجعفر بن يحيى جاريةً مغنّية بمال عظيم ، فقال جعفر : أَيَّ شيء تُحسنُ هذه الجاريةُ حتى بلغتَ بها هذا المالَ كلَّه ؟ قال : لو لم تُحسن شيئاً إلاّ أَنّها تَحْكي قولي : [من الكامل]

لِمَـنِ الدّيـارُ ببُرْقَـة الرَّوْحان[2]

لكانت تساويه وزيادةً ؛ فضحك جعفر وقال : أَفرطتَ !

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الكامل]

لمـنِ الديـارُ ببُرْقَة الرَّوْحانِ إذ لا نبيـعُ زمانَنـا بزمـانِ
صدَع الغوانيَ إذ رَمَيْن فؤادَه صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدانِ
إن زرتُ أَهلَكِ لم أُنَوَّلْ حاجةً وإذا هجرتِكِ شَفَّني هِجْراني

الغناء لمَعْبد ، فيما ذكره الهشاميّ وأَحمد بن المكّيّ ، ثقيلٌ أَوّل بالوسطى ، ونَسَبه غيرُهما إلى حُنَين ، وقال آخرون : إنّه للغَرِيض ، وذكر حَبَش أَنّه ليَزِيد حَوْراء . وفيه لإبراهيمَ خفيفُ رملٍ بالبنصر .

---

1 لا يروعهما الذعرُ في ل : لم يفزعهما ذعر .

2 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[عدد أصواته]

أخبرني الحُسين عن حَمّاد قال قال لي أبي : صنَع جدُّك تِسعَمائةِ صوتٍ ، منها دِينارِيّة ، ومنها دِرْهَميّة ، ومنهما فَلْسِيّة ، وما رأيت أكثرَ من صنعته ؛ فأمّا ثلثُمائةٍ منها فإنّه تقدّم الناسَ جميعاً فيها ، وأمّا ثلثُمائةٍ ، فشاركوه وشاركهم فيها ، وأمّا الثلثُمائة الباقية ، فلَعِبٌ وطَرَب ؛ قال : ثم أسقط أبي الثلثَمائةِ الآخرةَ بعد ذلك من غناء أبيه ، فكان إذا سُئل عن صنعة أبيه قال : هي سِتُّمائةِ صوت .

وقال أحمد بن حَمْدون قال لي إسحاق : من غناء أبي الذي أكرهه وأستزريه صوتُه في شعر العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

أبْكِي ومثلي بكى من حُــبِّ جاريةٍ

فما أعلم له فيه معنىً إلاّ استحسانَه للشعر ، فإنّ العبّاس أحسنَ فيه جدّاً .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من البسيط]

أبكي ومثلي بكى من حُبِّ جاريةٍ لم يَخلُقِ الله لي في قلبهــا لِينَا
هل تذكرين وُقُــوفي عند بابكمُ نصفَ النهار وأهــلُ الدّار لاهُونا

الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

[تعرّضه لابن عائشة]

أخبرني جَحْظة قال أخبرني حَمّاد بن إسحاق قال : قال رجل لأبي : أخْبِرني عنك ، لِمَ طعنتَ على أبيك في صنعته : [من المديد]

قــال لي فيهــا عَتِيــقٌ مقــالاً فجــرتْ ممّــا يقــول الدموعُ

قال : لأنّه تعرّض لابن عائشةَ وله في هذا الشعر صنعةٌ ، وابن عائشة ممّن لا يُعارَض فلم يقارِبه ، وعلى أنّ صنعة أبي من جَيّد الغناء لو كان صنَعها في غير هذا الشعر ، ولكنّها اقترنتْ بصنعة ابن عائشة فلم تقاربْها ، فسقط عندي لذلك .

---

1 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 285–286 ورواية البيت الثاني فيه :
هل تنكرون وقوفي عنــد داركم نصف النهار وأهل البيت هادونا

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المديد]

قال لي فيهـا عَتِيقٌ مقـالاً فجَرتْ ممّا يقول الدموعُ
قال لي وَدِّعْ سُلَيمى ودَعْها فأَجـاب القلبُ لا أَستطيعُ

الشعرُ لعمر بن أبي ربيعة . والغناءُ لَمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ، وقيل : إنّه لابن عائشة . وفيه ثاني ثقيلٍ يُنْسَب إلى الهُذليّ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى ابن عائشة وإلى إبراهيم .

[لقاؤه جارية من تلميذاته في الريّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ الرَّيَّ فكنتُ آلَفُ فِتْياناً من أهل النِّعم بها وهم لا يعرفونني ، فطال ذلك عليّ إلى أن دعاني أحدهم ليلةً إلى منزله فبِتُّ عنده ، فأخرج جاريةً له ومدّ لها ستارةً فتغنّتْ خَلْفها ، فرأيتُها صالحةَ الأداء كثيرةَ الرواية ، فشوّقتْني إلى العراق وذكّرتْني أيّامي بها ، فدعوتُ بعُود ، فلمّا جيء به اندفعتُ فغنّيتُ صوتي في شعري : [من مجزوء الرمل]

أنـا بالـرَّيِّ مُقيـم في قُـرى الرَّيّ أهِيمُ

وقد كنتُ صنعتُ هذا اللحن قديماً بالرَّيّ ؛ فخرجت الجارية من وراء السّتارة مُبادِرةً إليّ ، فأكبّتْ على رأسي وقالت : أُستاذي والله ؛ فقال لها مولاها : أيّ أُستاذِيك هذا ؟ قالت : إبراهيم الموصليّ ؛ فإذا هي إحدى الجواري اللاّتي أخذْن عنّي وطال العهدُ بها ؛ فأكرمني مولاها وبَرّني وخلَع عليّ ، فأقمت مدّة بعد ذلك بالرَّيّ وانتشر خبري بها ، ثم كتب بحَمْلي إلى والي البلد فأشْخِصتُ .

[أطلقه المهديّ لمّا سمع شعره]

أخبرني الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو تَوْبة صالحُ بن محمّد قال حدّثني القَطِرانيّ عن محمّد بن جَبْر عن يحيى المكّيّ قال : كنّا يوماً بين يديّ المهديّ وقد حَبَس إبراهيمَ الموصليّ وضرَبه وأمر بأن يُلْبَسَ جُبّةَ صوفٍ ، وكان يخرج على تلك الحال فيَطْرح على الجواري ؛ فكتب إلينا ذاتَ يوم ، ونحن مُصْطبِحون وقد جادت السماءُ بمطرٍ صَيِّف[1] ، وبحضرتنا شيء من ورد مُبكّر : [من الهزج]

ألا مَـن مُبْلغٌ قوماً من اخواني وجيراني

1 المطر الصيف : الذي يجيء في الصيف .

هنيئاً لكـمُ الشُّربُ عـلى وَرْدٍ وتَهْتـانِ[1]
وأنّي مُفْـرَدٌ وحدي بـأشجاني وأحـزاني
فمَن جَفّ لـه جفنٌ فجَفْنـاي يَسيـلانِ

قال : فوقف المهديُّ على رُقعته وقرأها فرَقّ له وأمر بطلبه في الوقت ، ثم أطلقه بعدُ أيّام .

[شغفه بجارية عليّ اليماني]

أخبرني الحسن قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك قال حدّثني ابن المكّيّ عن أبيه قال : كانت لعليٍّ اليَمانيّ جاريةٌ مغنّية ، فهَوِيَها إبراهيمَ واستُهيم بها زماناً ، وقال فيها : [من الخفيف]

صوت

كنتُ حُرّاً فصرتُ عبدَ اليماني من هوى شادنٍ هواه بَراني
وهو نِصْفان من قضيبٍ ودِعْصٍ زانَ صدرَ القضيب رُمّانتانِ[2]

اللحنُ لإبراهيمَ في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وقد زعَم قوم أنّ الشعر للحسين بن الضّحاك .

[أعجبه أدب النهيكي فعلّمه الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة عن إسحاق قال : كان بعض أهل نَهِيك قد تعاطى الغناء ، فلمّا ظنّ أنّه قد أحكمه شاورني وأبي حاضرٌ ، فقلتُ له : إن قَبِلتَ منّي فلا تُغنّ فلستَ فيه كما أرضى ؛ فصاح أبي عليّ صيحةً شديدةً ثم قال لي : وما يُدريك يا صبيّ ! ثم أقبل على الرجل فقال : أنت يا حبيبي بضدّ ما قال ، وإن لَزِمتَ الصّناعةَ برعتَ فيها ؛ فلمّا خلا بي قال لي : يا أحمق ! ما عليك أن يُخْزي الله مائة ألف مثل هذا ؟ هؤلاء أغنياء ملوك ، وهم يُعيِّروننا بالغناء ، فدعهم يتهتّكوا به ويُعَيِّروا ويَفْتَضحُوا ويحتاجوا إلينا فنَنتفع بهم ، ويَبين فضلُنا لدى الناس بأمثالهم . قال : ولَزِمه النَّهِيكيّ يأخذ عنه ويَبَرُّه فيُجزل ، فكان إذا غَنّى فأحسن قال له : بارك الله فيك ، وإذا أساء قال : بارك الله عليك ؛ وكثُر ذلك منه حتّى عرَف النَّهِيكيّ معناه فيه ، فغنّى يوماً وأبي ساهٍ عنه فسكتَ ولم يقل له شيئاً ؛ فقال له : جُعلت فداك ، يا أُستاذيّ ، أهذا الصوت من أصوات «فيك» أم «عليك» ؟ فضحك أبي ولم يكن علم أنّه قد فَطِن لقوله ، ثم قال له : والله لأُقْبِلنّ عليك حتّى تصيرَ كما تشتهي ، فإنّك ظريفٌ أديب ؛ وعُنِي به حتى حَسُن غناؤه وتقدّم . وفيه يقول أبي : [من مجزوء الرمل]

1 تهتان السماء : انصباب المطر .
2 الدِعص : كثيب الرمل .

أوجب اللهُ لك الحـ ـقَّ على مثلي بظَرْفِكْ
لن تراني بعـد هـذا ناطقـاً إلاّ بوصفكْ
وتـرى القـوّةَ فيما تَشتهيه بعـد ضعفكْ

[حكم لابنه إسحاق على مُخارق]

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عُمر بن شَبّة عن إسحاق ، أخبرني به الصُّوليّ عن عَوْن بن محمّد عن إسحاق قال : غنّى مُخارِقٌ بين يدَيّ الرشيد صوتاً فأخطأ في قِسْمته ؛ فقلت له : أَعِدْ فأعاده ، وكان الخطأ خفيّاً ، فقلت للرشيد : يا سيِّدي ، قد أخطأ فيه ؛ فقال لإبراهيم بن المهديّ : ما تقول فيما ذكره إسحاق ؟ قال : ليس الأمرُ كما قال ، ولا هاهنا خطأ ؛ فقلتُ له : أترضى بأبي ؟ قال : إي والله ، وكان أبي في بقايا عِلّة ؛ فأمر الرشيدُ بإحضاره ولو محمولاً ، فجيء به في مِحَفّة ؛ فقال لمُخارق : أَعِدِ الصوتَ ، فأعاده ؛ فقال : ما عندك يا إبراهيم في هذا الصوت ؟ فقال : قد أخطأ فيه ؛ فقال له : هكذا قال ابنك إسحاق ، وذكر أخي إبراهيم أنّه صحيح ؛ فنظر إليّ ثم قال : هاتُوا دواةً ، فأُتي بها وكتب شيئاً لم يَقف عليه أحد ثم قطعه ووَضعه بين يديّ الرشيد ، وقال لي : اكتُب بذكر الموضع الفاسد من قِسْمة هذا الصوت ، فكتبتَه وألقيتُه فقرأه وسُرّ ، وقام فألقاه بين يديّ الرشيد ، فإذا الذي قلناه جميعاً متّفق ؛ فضحك وعجب ، ولم يَبْقَ أحدٌ في المجلس إلاّ قَرّظ وأثْنى ووصَف ، ولا أحدٌ خالَف إلاّ خَجِل وذَلّ وأذْعن . وقال أبي في ذلك : [من مجزوء الرمل]

ليتَ من لا يُحسن العـ ـلمَ كفانـا شَرَّ عِلْمِهْ
فاخبُرِ الحـقَّ ابتـداءً وقِسِ العلـمَ بفهمـهْ
طيِّبُ الرَّيْحان لا تعـ ـرفُـه إلاّ بشَمِّـهْ

[بين إسحاق والرشيد]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبَةُ الله ، وحدّثني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّى أبي يوماً بحضرة الرشيد : [من الطويل]

سَلي هل قَلاني من عَشيرٍ صَحِبتُه وهل ذمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ

فطرِب واستعاده وأمر له بعشرين ألفَ درهم ، فلمّا كان بعد سنين ، خطر ببالي ذلك الصوتُ وذكرتُ قصّته ، فغنّيتُه إيّاه ؛ فطرب وشرب ، ثم قال لي : يا إسحاق ، كأنّي في نفسك ذكرتَ حديثَ أبيك وأنّي أعطيتُه ألف دينار على هذا الصوت فطمِعتَ في الجائزة ! ؛ فضحكتُ ثم قلت : والله يا سيِّدي ما أخطأتَ ؛ فقال : قد أخذ ثمنَه أبوك مرّةً فلا تطمع ؛ فعجبتُ من

قوله ، ثم قلت : يا سيِّدي ، قد أَخذ أَبي منك أَكثر من مائتيْ أَلفِ دينار ما رأَيتُك ذكرتَ منها غيرَ هذا الأَلف على بختي أَنا ؛ فقال : وَيْحَك أَكثر من مائتي أَلف دينار ! قلت : إي والله ! ؛ فوجَم وقال : أَستغفر الله من ذلك ، وَيْحَك ! فما الذي خلّف منها ؟ قلت : خلّف عليّ ديوناً مبلغها خمسةُ آلاف دينار قضيتُها عنه ؛ فقال : ما أَدري أَيّنا أَشدُّ تضييعاً ! والله المستعان .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

سَلِي هل قلاني مِنْ عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمّ رَحْلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجْتوِي القومُ الكرامُ صَحابتي ... إذا اغبرّ مَخْشِيُّ الفجاج عميقُ[1]
ولو تَعلمين الغيبَ أيقنتِ أَنّني ... لكمُ والهَدايا المُشْعَراتِ صديقُ[2]

الشعر يُنسب إلى مُضَرِّس بن قُرط[3] الهِلاليّ وإلى قيس بن ذَرِيح ، وفيه بيت يقال : إنّه لجَرِير . والغناء مختلطٌ في أَشعار الثلاثة المذكورين ، ونِسْبتُه تأتي في أَخبار قيس بن ذَرِيح ، إلاّ أَنّ الغناء في هذه الثلاثة الأَبيات لَمَعْبَد ثقيلٌ أَوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[سنورتان تغنّيان]

أَخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أَبي سَعْد قال حدّثتني نَشْوة الأُشْنانية[4] قالت أَخبرني أَبو عثمان يحيى المكيّ قال : تشوّق يوماً إبراهيمُ الموصليّ إلى سرداب له ، وكانت فيه بِرْكة ماء تدخل من موضع إليه وتخرج إلى بستان ، فقال : أَشتهي أَن أَشربَ يومي وأَبيتَ ليلتي في هذا السرداب ففعل ذلك ، فبينا هو نائم في نصف الليل فإذا سِنَّوْرَتان قد نزلتا من درجة السِّرْداب ، بيضاء وسوداء ، فقالت إحداهما : أَتراه نائماً ؟ فقالت السوداء : هو نائم ؛ فاندفعت السوداءُ فغنَّت بأَحسن صوت : [من مجزوء الوافر]

عَفا مُزْج إلى لَصَقٍ ... إلى الهَضَباتِ من هَكرِ
إلى قاع النَّقِير إلى ... قرار حِلاَل ذي حَدَرِ[5]

1 عميقُ في ل : سحيق .
2 الهدايا : ما يُهدى إلى البيت الحرام للنحر . والمشعرات : المعلمات .
3 ل : قرظة .
4 ل : نشرة الأشناسية .
5 جميع هذه مواضع .

قال : فمات إبراهيم فرحاً[1] وقال : يا ليتهما أعاداه ! فأعاداه مراراً حتى أخذه ، ثم تحرّك فقامت السِّنَّوْرَتانِ ، وسمع إحداهما تقول للأُخرى : والله لا طَرَحه على أحد إلاّ جُنّ ، فطرحه من غدٍ على جارية له فجُنَّتْ .

نسبة هذا الصوت

الغناء فيه لمالكٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن يحيى المَكّي وعَمْرو بن بانة .

[الفضل بن يحيى يحتال له للحصول على المال]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني أبو محمد إسحاق بن إبراهيم عن أبيه قال : أتيتُ الفضلَ بن يحيى يوماً ، فقلت له : يا أبا العبّاس ، جُعِلتُ فداك ! هَبْ لي دراهمَ فإنّ الخليفة قد حبَس يدَه ؛ فقال : وَيْحَك يا أبا إسحاق ؛ ما عندي مال أرضاه لك ، ثم قال : هَاه ! إلاّ أنّ هاهنا خَصْلةً أتانا رسولُ صاحب اليمن فقضينا حوائجَه ، ووجّه إلينا بخمسين ألف دينار يشتري لنا بها محبَّتنا[2] ؛ فما فعلتْ ضياءُ جاريتُك ؟ قلتُ : عندي ، جُعِلت فداك ؛ قال : فهو ذا ، أقول لهم يشترونها منك فلا تَنْقُصْها من خمسين ألف دينار ؛ فقبّلتُ رأسه ثم انصرفتُ فبكّر عليَّ رسول صاحب اليمن ومعه صديقٌ لي ، فقال : جاريتُك فلانةُ عندَك ؟ فقلت : عندي ؛ فقال : اعرِضْها عليّ ، فأخرجتُها ؛ قال : بكم ؟ قلت : بخمسين ألفَ دينار ولا أَنقُص منها ديناراً واحداً ، وقد أعطاني بها الفضلُ بن يحيى أمس هذه العطيّة ؛ فقال لي : أُريدها له ؛ فقلت له : أنت أعلم ، إذا اشتريتَها فصيِّرها لمن شئت ؛ فقال لي : هل لك في ثلاثين ألفَ دينار مسلَّمةٍ لك ؟ قال : وكان شراء الجارية على أربعمائة دينار ، فلمّا وقع في أذني ذِكْرُ ثلاثين ألفاً أُرْتِج عليّ ولَحقني زَمَعٌ[3] ، وأشار عليّ صديقي الذي معه بالبيع ، وخِفْتُ والله أن يحدُث بالجارية حَدَثٌ أو بي أو بالفَضْل بن يحيى ، فسلّمتُها وأخذتُ المال ؛ ثم بكّرتُ على الفضل بن يحيى ، فإذا هو جالس وحدَه ؛ فلمّا نظر إليّ ضحِك ، ثم قال لي : يا ضَيِّق الحَوْصلة[4] ! حرَمتَ نفسك عشرين ألفَ دينار ؛ فقلت له : جُعِلتُ فداك ، دَعْ ذا عنك ، فوالله لقد دخَلني شيء أعجَز عن وصفه وخِفت أن تَحدُث بي حادثة أو بالجارية أو بالمشتري أو بك ، أعاذكَ الله من كلّ سوء ، فبادرتُ بقَبول الثلاثين ألف دينار ؛ فقال : لا ضَيْر ، يا

1 ل : فزعاً ، وهو أولى بمَن يسمع هرتين تغنّيان .

2 أي ما نحبّ .

3 زمع : رعدة .

4 ضيق الحوصلة : المتسرّع الحريص .

غلام جيء بالجارية ، فجاء بجاريتي بعينها ؛ فقال : خُذْها مباركاً لك فيها ، فإنّما أردنا منفعتك ولم نُرِدِ الجارية ؛ فلمّا نهضتُ ، قال لي : مكانَك ، إنّ صاحب إرْمِينِيَة قد جاءنا فقضيْنا حوائجه ونفّذْنا كُتُبَه ، وذكر أنّه قد جاءنا بثلاثين ألف دينار يشتري لنا بها ما نُحِبّ ، فاعرض عليه جاريتَك هذه ولا تَنْقُصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فانصرفتُ بالجارية ، وبكّر إليّ رسول صاحب إرْمِينية ومعه صديقٌ لي آخر ، فقاوَلَني بالجارية ، فقلتُ : لستُ أنقصها من ثلاثين ألف دينار ؛ فقال لي : معي على الباب عشرون ألفَ دينار تأخذها مُسلَّمة ، بارك الله لك فيها ؛ فدخلني والله مثلُ الذي دخلني في المرّة الأولى وخِفت مثلَ خوفي الأوّل ، فسلّمتُها وأخذتُ المال ؛ وبكّرت على الفضل بن يحيى فإذا هو وحدَه ؛ فلمّا رآني ضحك وضرب برجله الأرض وقال : ويحك ! حَرَمتَ نفسك عشرةَ آلاف دينار ؛ فقلت : أصلحك الله ، خِفتُ والله ما خفتُ في المرّة الأولى ؛ قال : لا ضَيْر ، أخرجْ يا غلام جاريتَه ؛ فجاء بجاريتي بعينها ، فقال : خذها ، ما أردناها ولا أردنا إلاّ منفعتك ؛ فلمّا ولّتِ الجارية صِحْتُ بها : ارجعي فرجعتْ ؛ فقلت : أُشهدكَ ، جُعلت فِداك ، أنّها حُرَّة لوجه الله وأنّي قد تزوّجتها على عشرة آلاف درهم ، كَسَبتْ لي في يومين خمسين ألف دينار ، فما جزاؤها إلاّ هذا ؛ فقال : وُفّقتَ إن شاء الله .

[خمار يبهره الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي : كنت في شبابي ألازِم أصحابَ قُطْرُبُّل وباري وبِنّى[1] وما أشبه هذه المنازل[2] ، فأتّخذ فيهم الخَمّارَ اللطيفَ ، يحسبوني بالشراب الجيّد ويَخْبَؤه لي ، فجئت إلى باري يوماً فلَقِيني خَمّاري ، فقال لي : يا أبا إسحاق عندي شيء من بابَتِك ، وقد كنت عملتُ لَحْني هذا : [من مجزوء الرمل]

صوت

اشرَبِ الرّاح وكُنْ في شُرْبِك الرّاحَ وَقُورا
فاشربِ الرّاح رَواحاً وظلاماً وبُكورا

الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى . وفيه لمنصور زَلْزَل الضاربِ خفيفُ رَمَلٍ عن حَبَش . قال : فدخلتُ بيته وبَزَلْتُ[3] دَنّه وجعلتُ أُرَجِّع الصوتَ ؛

1 قطربل وباري وبنّى : قرى كانت قريبة من بغداد .

2 ل : المواضع .

3 بزل الدن : ثقبه ليسيل منه الخمر .

فبُهِت ينظر إليّ والنبيذُ يجري حتى امتلأ الإناء وفاض ؛ فقلت له : وَيْحَك ! شرابُك قد فاض ؛ فقال : دَعْني من شرابي ، بالله مات لك إنسان في هذه الأيّام ؟ فقلت : لا ؛ قال : فما بالُ حَلْقِك هذا حزيناً ؟ .

[أخذ مخارق عنه صوتاً فبكى]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن عمّه طَيّاب بن إبراهيم قال : دخلتُ على أبي يوماً وعنده مُخارِق وأبي يُلْقِي عليه هذا الصوت[1] : [من الوافر]

طَرِبــتَ وأنت مَعْنِــيٌّ كئيبُ وقد يَشتاق ذو الحَزَنِ الغريبُ
وشاقَك بالمُوَقَّـر أَهــلُ خاخٍ فــلا أَمَــمٌ هناكَ ولا قريبُ[2]
وكَم لكَ دونها من عُرْضِ أَرضٍ كأَنّ سَرابَها الجــاري سَبيبُ
لَعَمْــرُك إنَّنــي برَقِيــم قَيْس وجارةِ أَهلِهــا لأَنا الحَريبُ[3]

الشعر للأحوص ، والغناء لإبراهيمَ ماخُورِيٍّ بالبنصر عن عمرو ، قال : فلمّا أخذه مخارِق جعل أبي يبكي ، ثم قال له : يا مخارق ، نِعمَ وسيلة إبليس أنت في الأرض ، أنت والله بعدي صاحب اللِّواء في هذا الشأن .

[تفاخر الأب وابنه في الغناء]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : لمّا صنع أبي لحنَه في : [من الرمل]

ليــتَ هنــداً أنجزتنا ما تَعِدْ وشَفَــتْ أَنفُسَنا مِمّا تَجِــدْ

خاصَمتُه وعِبْتُه في صنعته ، وقلت له : أما بإزائك مَن ينتقد أنفاسك ويَعيب محاسنك وأنت لا تفكّر ؟ تجيء إلى صوت قد عمل فيه ابنُ سُرَيج لحناً فتُعارضه بلحن لا يقاربه والشعرُ أوسعُ من ذلك ! فدَعْ ما قد اعتوَرَته[4] صناعة القدماء وخُذْ في غيره ؛ فغضِب ، وكنت لا أزال أفاخِره بصنعتي وأعيب ما يُعاب من صنعته ، فإن قَبِل منّي فذلك ، وإن غضِب داريتُه وترضّيتُه ؛ فقال لي : ما يعلم الله أنّي أدعك أو تفاخرني بخير صوتٍ صنعتَه في الثقيل الثاني في طريقة هذا الصوت ؛ فلمّا رأيتُ الجدّ منه اخترت صنعتي في هذا اللّحن : [من مجزوء الخفيف]

1 ديوان الأحوص : طبعة دار صادر ، ص 25 .
2 الموقر : في البلقاء بالأردن . وخاخ : موضع بالحجاز .
3 رقيم قيس : موضع قرب البلقاء .
4 اعتورته : تداولته .

قـل لَمـنْ صَدّ عاتباً ونـأى عنـك جانِبا
قـد بلغتَ الذي أُردْ تَ وإن كنـتَ لاعبا

وكان ما تَجاريْناه ونحن نَتَساير خارجَيْن إلى الصحراء نقطع فَضْلَةَ خُمار كان بِنا ؛ فقال : مَن تُحِبّ أن يحكم بيني وبينك ؟ فقلت : مَن تُرى أن يحكم هاهنا ؟ قال : أوّلُ مَن يطلعُ علينا أُغنّيه لحْنِي وتُغنّيه لحنَك ؛ فطمعتُ فيه وقلت نعم ؛ فأقبلَ شيخ نَبَطِيٌّ يحمل شوكاً على حمار له ، فأقبل عليه أبي فقال : إنّي وصاحبي هذا قد تراضيْنا بك في شيء ؛ قال : وأيّ شيء هو ؟ فقلنا : زعَم كلُّ واحد منّا أنّه أحسنُ غناءً من صاحبه ، فتسمَع منّي ومنه وتحكُم ؛ فقال : على اسم الله ؛ فبدأ أبي فغنّى لحنَه ، وتبِعتُه فغنّيتُ لحني ، فلمّا فرَغتُ أقبل عليّ فقال لي : قد حكمتُ عليك عافاك الله ومضى ؛ فلَطَمني أبي لَطْمةً ما مرَّ بي مثلُها منه قطُّ ، وسكتُّ فما أعدتُ عليه حرفاً ولا راجعتُه بعد ذلك في هذا المعنى حتى افترقْنا .

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الرمل]

ليت هنداً أنْجزتْنا مـا تَعِدْ وشَفَـتْ أنفُسَنـا ممّـا تَجِدْ
واستبـدّتْ مـرّةً واحـدةً إنّما العاجـز مَـن لا يَسْتَبِدّ
زعموهـا سألـتْ جاراتهـا ذاتَ يـومٍ وتعـرّتْ تَبْتَرِدْ
أكَمـا يَنْعَتُنـي تُبْصِرْنَنِـي عَمْرَكُـنّ اللهَ أم لا يقتصِدْ
فتضاحَكْن وقـد قُلْـن لهـا حسَنٌ في كلِّ عـينٍ مَـن تَوَدّ
حسداً حُمِّلْنَـه مـن أجْلِها وقَديماً كان في الناس الحَسدْ[1]

الشعر لعمر بن أبي رَبيعة . ولحنُ إبراهيم فيه ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لابن سُرَيج رَمَلٌ بالخنصر في مجرى البنصر . وفيه لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ بالخنصر والبنصر عن يحيى المَكّي ، وذكره إسحاقُ في هذه الطريقة ولم ينسُبه إلى أحد ، وقال الهشاميّ : أدَلُّ شيء على أنّه لمالكٍ شَبَهُه للحنه :

اسْلَمِي يـا دارُ مِن هندِ

وفيه لُمَيَّم ثقيلٌ أوّل . وأمّا لحن إسحاقَ الذي فاخر به صنعةَ أبيه ، فقد كُتب شعرُه والصنعةُ فيه ، وهما جميعاً لإسحاق ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، في أخبار إسحاق .

1 حملنه في ل : يحملنه .

[يخرج زلزل من الحبس]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ حَمّاد بن إسحاق حدّثه عن أبيه قال : كان الرشيد قد وَجَد على منصور زَلْزَل لشيء بلغه عنه ، فحبسه عشرَ سنين أو نحوَها ؛ فقام الرشيد يوماً لحاجته ، فجعل إبراهيمُ يغنّي صوتاً صنعه في شعر كان قاله في حبس زَلْزَل ، وهو : [من الكامل]

هل دهرُنا بك راجعٌ يا زَلْزَلُ ... أيّـامَ يَبْغِينا العـدوُّ المبطِلُ
أيّامَ أنـتَ مـن المَكاره آمِنٌ ... والخيـرُ مُتَّسِعٌ علينـا مُقْبِلُ
يا بؤسَ مَنْ فقَد الإمامَ وقُرْبَه ... مـاذا بـه مـن ذِلّة لو يَعْقِلُ
ما زلتُ بعدك في الهموم مُرَدَّداً ... أبكـي بأربعـةٍ كأنّي مُثْكِلُ

الشعر والغناء لإبراهيمَ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . قال : ودخل الرشيد وهو في ذلك فجلس في مجلسه ، ثم قال : يا إبراهيم ، أيّ شيء كنتَ تقول ؟ فقال : خيراً يا سيّدي ؛ فقال : هاته فتلكّأ ، فغضب الرشيد وقال : هاته فلا مكروهَ عليك ، فردّ الغناء ؛ فقال له : أتُحِبُّ أن تراه ؟ فقال : وهل يُنْشَر أهلُ القبور ؟ فقال : هاتوا زَلْزَلاً ، فجاءوا به وقد ابيضّ رأسُه ولحيته فسُرّ به إبراهيم ؛ وأمرَه فجلس ، وأمر إبراهيمَ فغنّى وضرب عليه فَزَلْزَلا الدنيا ، وشرب الرشيدُ على ذلك رِطلاً ، وأمر بإطلاق زَلْزَل وأَسْنى جائزتهما ورضي عنه وصرفه إلى منزله . قال : وزَلْزَلٌ أوّلُ مَن أحدث هذه العيدانَ الشَّبابِيط[1] ، وكانت قديماً على عمل عيدان الفُرْس ، فجاءت عَجَباً من العَجَب . قال : وكانت أُختُ زلزل تحت إبراهيمَ ، وقد وَلَدت منه .

[أوّل أستاذ له في الغناء]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أوّلُ مَن تعلّمتُ منه الغناءَ مجنونٌ ، كان إذا صِيح به : يا مُضَر ، يصيح ويهيج ويرجُم ؛ فبلغني أنّه يغنّي أصواتاً فيُجيدها ، أخذها عن قدماء أهل الحجاز ، فكنت أُدْخِله إليّ فأُطْعِمُه وأسقيه وأخدَعه حتى آخذَ عنه ، وكان حاذقاً ؛ فأوّلُ صوت أخذتُه عنه[2] : [من الخفيف]

أرْسِلي بالسّلام يـا سَلْم إنّي ... منـذُ عُلِّقْتُكـم غنـيٌّ فقيرُ
فالغِنى إن ملكتُ أمرَكِ والفقـ ... ـرُ بأنّي أزورُ مَـن لا يزورُ
وَيْحَ نفسي تسلو النفوسُ ونفسي ... في هَوى الرِّيم ذكرُها ما يَحُورُ

1 العيدان الشبابيط : العيدان الشبيهة بالشبوط وهو سمك يعيش في نهر دجلة .

2 شعر الوليد بن يزيد : 44 .

مَنْ لنفسٍ تَتُـوق أنتِ هواها وفـؤادٍ يكـاد فيـكِ يطيرُ

ثم مكثتُ زماناً آخذ عنه ، وكان إذا عاد إليه عقلُه من أحذقِ الناس وأقْوَمِهم على ما يؤدّيه ؛ ثم غاب عنّي فما أعرِف خبره .

وهذا الشعر للوليد بن يَزيد . والغناء ليونس خفيفُ رَمَلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر غيره أنّه لعمرَ الواديّ ، وفيه لوجه القرعة ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

[إحسان الرشيد إليه في الشام]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه قال : خرجتُ مع الرشيد إلى الشام لمّا غزا ، فدعاني يوماً فدخلت إليه إلى مجلس لَم أرَ أحسن منه مفروشٍ بأنواع الرُّخام ، فأكل وأمرني فأكلتُ معه ، وجعلتُ أتولّى خدمتَه إلى العصر ، ثم دعا بالنبيذ فشرِب وسقاني معه ، ثم خلع عليّ خِلعةَ وَشْيٍ من ثيابه وأمر لي بألف دينار ، ثم قال : انظر يا إبراهيم ، كم من يَدٍ أوْليتُك إيّاها اليومَ ! نادمتَني مفرداً ، وآكلتَني ، وخلعتُ عليك ثيابي من بدني ، ووصلتُك ، وأجلستُك في إيوان مَسْلمة بن عبد الملك تشرب معي ؛ فقلت : يا سيِّدي ، ما ذهب عليّ شيء من تفضّلك ، وإنّ نِعَمَك عندي لأكثرُ من أن تُحصى ، وقبّلتُ رِجلَه والأرضَ بين يديه .

[أوّل مَن غنّى الرشيد في خلافته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال قال دِعْبِل بن عليّ : لمّا وَلي الرشيدُ الخلافةَ وجلس للشرب بعد فراغه من إحكام الأُمور ودخل عليه المغنّون ، كان أوّل مَنْ غنّاه إبراهيمُ الموصليّ بشعره فيه ، وهو : [من الوافر]

صوت

إذا ظُلَـمُ البـلادِ تَجَلَّلْتنـا فهـارونُ الإمـامُ لهـا ضِياءُ
بهـارونَ استقام العـدلُ فينا وغاض الجَوْر وانفسح الرجاءُ
رأيـتُ الناسَ قـد سكنوا إليه كما سكنتْ إلى الحَـرَمِ الظِّباءُ
تَبِعْتَ من الرسول سبيلَ حـقٍّ فشأنُك في الأُمورِ بـه اقتداءُ

فقال له الخادم من خَلْفِ الستارة : أحسنتَ يا إبراهيم في شِعرك وغنائك ، وأمر له يومئذٍ بعشرين ألف درهم . لحنُ إبراهيمَ في هذا الصوت ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة والوسطى عن أحمد بن المَكّي .

[دخل على قوم يقصفون في بستان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني يَزِيد بن محمّد المُهَلَّبيّ قال حدّثني أبي قال : كنتُ أنا وأبو

سَعيد النَّهْديّ وهاشم بن سليمان المغنّي يوماً مجتمعين في بُستان لنا ونحن نشرب وهاشم يغنّينا ؛ فلمّا توسّطْنا أُمرَنا إذا نحن برجلٍ قد دخل علينا البستانَ جميل الهيئة حسنِ الزِّيّ ، فلمّا بصُرنا به من بعيد ، وثَب هاشمٌ يعدو حتى لَقِيَه ، فقبّل يدَه وعانقه ، ولم يعرفه أَحدٌ منّا ، فجاء وسلَّم سلامَ الصّديق على صديقه ، ثم قال : خذوا في شأنكم ، فإنّي اجتزتُ بكم فسمعتُ غناء أَبي القاسم فاستخفّني وأَطربني ، فدخلت إليكم واثقاً بأَنّه لا يُعاشر إلاّ فتىً ظريفاً يستحسن هذا الفعلَ ويسرّه ، ولي في هذا إمامٌ وهو عبد الله بن جعفر بن أَبي طالب عليه السلام ، فإنّه سمع غناء عند قوم فدخل بغير إذن ثم قال : إنّما أَدخلني عليكم مغنّيكم لمّا غنّى : [من المنسرح]

قُـلْ لكـرامٍ ببابِنـا يَلِجُوا ما في التَّصابي على الفتى حَرَجُ

وأَنا أَعلم أَنّ نفوسكم متعلّقة بمعرفتي ، فمَن عرفني فقد اكتفى ، ومن جَهِلَني فأَنا إبراهيم الموصليّ ؛ فقُمنا فقبّلنا رأسه وسُرِرنا به أَتمّ سرور ، وانعقدتْ بيننا وبينه يومئذٍ مودّة ، ثم غاب عنّا غيبةً طويلة ، وإذا هاشم قد أَنفذ إلينا منه رُقعةً فيها : [من الطويل]

أَهاشمُ هل لي مِنْ سبيل إلى التي تُفرِّق همَّ النفس في كلّ مَذْهبِ
مُعَتَّقـةً صرْفـاً كأَنّ شُعاعَها تَضَرُّم نـارٍ أَو تَوَقُّدُ كوكبِ
أَلا ربّ يـومٍ قـد لهوتُ وليلةٍ بها والفتى النَّهْدِيُّ وابن المُهَلَّبِ
نُدِيـر مُداماً بيننـا بِتَحِيَّة وتَفْدِيَـةٍ بالنفس والأُمّ والأَبِ

[عقعق يسرق خاتمه]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان لي وأَنا صبيٌّ عَقْعَقٌ قد ربّيته وكان يتكلّم بكلّ شيء سمعه ، فسرق خاتَمَ ياقوتٍ كان لأَبي قد وضعه على تُكَأَته[1] ودخل الخلاءَ ثم خرج ولم يجده ، فطلبه وضرب غلامه الذي كان واقفاً ، فلم يَقِف له على خبر ؛ فبينا أَنا ذاتَ يوم في دارنا إذ أَبصرتُ العقعقَ قد نَبش تراباً فأَخرج الخاتمَ منه ولعب به طويلاً ، ثم ردّه فيه ودفَنه ، فأَخذتُه وجئت به إلى أَبي ، فسُرّ بذلك وقال يهجو العقعق : [من المتقارب]

إذا بـارك اللهُ في طائـرٍ فلا بارك الله في العقعقِ
طويل الذُّنابى قصير الجناح متى مـا يجد غَفْلةً يسرقِ
يُقلِّـب عينـين في رأسه كأَنّهمـا قَطْرتـا زِئْبَـقِ

[بينه وبين ابن جامع بين يديّ الرشيد]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدّثني أَحمد بن المَكّيّ ، قال أَبو

1 ل : بركانه .

الفرج : وذاكرت أبا أحمد بن جعفر جَحْظة بهذا الخبر فقال حدّثني به محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ المرتجل عن أبيه عن جدّه ، ووجدت هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمّد بن نصر عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل فجمعت الرواياتِ كلَّها[1] : أنَّ الرشيد قال يوماً لجعفر بن يحيى : قد طال سماعنا هذه العصابةَ على اختلاط الأمر فيها فهلمَّ أُقاسمْك إيّاها وأُخايرْك ، فاقتسما المغنّين ، على أن جعلا بإزاء كلّ رجل نظيرَه ، وكان ابن جامع في حيّز الرشيد وإبراهيم في حيّز جعفر بن يحيى ، وحضر الندماءُ لمحنة المغنّين ، وأمر الرشيدُ ابنَ جامع فغنّى صوتاً أحسن فيه كلَّ الإحسان وطرِب الرشيد غايةَ الطرب ، فلمّا قطعه قال الرشيد لإبراهيم : هات يا إبراهيم هذا الصوتَ فغنّه ؛ فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما أعرفه ، وظهر الانكسار فيه ؛ فقال الرشيد لجعفر : هذا واحد ، ثم قال لإسماعيل بن جامع : غنّ يا إسماعيل ، فغنّى صوتاً ثانياً أحسن من الأوّل وأرضى في كلّ حال ، فلمّا استوفاه قال الرشيد لإبراهيم : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا ؛ فقال : هذان اثنان ، غنّ يا إسماعيل ، فغنّى ثالثاً يتقدّم الصوتين الأوّلين ويفضُلُهما ، فلمّا أتى على آخره ، قال : هاته يا إبراهيم ، قال : ولا أعرف هذا أيضاً ؛ فقال له جعفر : أخزيتَنا أخزاك الله . قال : وأتمّ ابنُ جامع يومَه والرشيدُ مسرور به ، وأجازه بجوائزَ كثيرةٍ وخلعَ عليه خِلَعاً فاخرة ، ولم يزَل إبراهيمُ مُنخذِلاً مُنكسِراً حتى انصرف . قال : فمضى إلى منزله ، فلم يستقرّ فيه حتّى بعث إلى محمّد المعروف بالزّف ، وكان محمّد من المغنّين المحسنين ، وكان أسرعَ مَن عُرِف في أيّامه في أخْذ صوت يريد أخْذَه ، وكان الرشيد قد وجَد عليه في بعض ما يجده الملوك على أمثاله فألزمه بيتَه وتناساه ؛ فقال إبراهيم للزّف : إنّي اخترتك على مَن هو أحبّ إليّ منك ، لأمرٍ لا يصلحُ له غيرك ، فانظُر كيف تكون ! قال : أبلُغ في ذلك محبَّتك إن شاء الله تعالى ؛ فأدّى إليه الخبر وقال : أُريد أن تمضي الساعة إلى ابن جامع ، فتُعلمه أنّك صِرت إليه مُهَنِّئاً بما تَهَيّأ له عليّ ، وتَتَنقَّصُني وتَثْلِبُني وتَشْتُمُني ، وتحتال في أن تسمع منه الأصوات وتأخذها منه ، ولك ما تُحبُّه من جِهَتي من عَرَض من الأعراض مع رضا الخليفة إن شاء الله . قال : فمضى من عنده واستأذن على ابن جامع فأذِن له ، فدخل وسلّم عليه وقال : جِئْتك مهنِّئاً بما بلغني من خبرك ، والحمد لله الذي أخزى ابنَ الجُرْمُقانيّة[2] على يدك ، وكشف الفضل في محلّك من صناعتك ؛ قال : وهل بلغك خبرُنا ؟ قال : هو أشهر من أن يخفى على مثلي ؛ قال : وَيْحَك ! إنّه يقصُر عن العِيان ؛ قال : أيّها الأستاذ ، سُرَّني بأن أسمعه من فِيك حتى أرْوِيَه عنك ، وأسْقِطْ بيني وبينك الأسانيدَ ؛ قال : أقم عندي حتى أفعلَ ؛ قال : السمع والطّاعة ؛ فدعا له ابن جامع بالطعام

1 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 59 (رقم 51) .

2 الجرمقانية : نسبة إلى الجرامقة ، وهم قوم من العجم صاروا بالموصل في أوائل الإسلام .

فأكلا ودعا بالشراب ، ثم ابتدأ فحدّثه بالخبر حتى انتهى إلى خبر الصوت الأوّل ؛ فقال له الزّف : وما هو أيّها الأُستاذ ؟ فغنّاه ابن جامع إيّاه ، فجعل محمّد يُصفّق وينعَر ويشرب وابن جامع مجتهدٌ في شأنه حتى أخذه عنه . ثم سأله عن الصوت الثاني ، فغنّاه إيّاه ، وفعل مثلَ فعله في الصوت الأوّل ، ثم كذلك في الصوت الثالث ؛ فلمّا أخذ الأصوات الثلاثة كلَّها وأحكمها قال له : يا أستاذ ، قد بلغتُ ما أُحبّ ، فتأذن لي في الانصراف ؟ قال : إذا شئتَ ؛ فانصرف محمّد من وجهه إلى إبراهيم ؛ فلمّا طلع من باب داره قال له : ما وراءك ؟ قال : كلّ ما تحبّ ، أُدع لي بعُود ، فدعا له به ، فضرب وغنّاه الأصوات ؛ قال إبراهيم : وأبيك هي بصُوَرها وأعيانها ، رَدِّدها عليّ الآن ، فلم يزل يُردّدها حتى صحَّتْ لإبراهيم ، وانصرف الزّف إلى منزله ، وغدا إبراهيم إلى الرشيد ، فلمّا دعا بالمغنّين دخل فيهم ، فلمّا بُصر به قال له : أوَقد حضرت ؟ أما كان ينبغي لك أن تجلس في منزلك شهراً بسبب ما لَقِيتَ من ابن جامع ؟ قال : ولِمَ ذلك يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءك ! والله لئن أذِنتَ لي أن أقول لأقولنّ ؛ قال : وما عساك أن تقول ؟ قل ؛ فقال : إنّه ليس ينبغي لي ولا لغيري أن يراك نشيطاً لشيء فيُعارِضَك ، ولا أن تكونُ مُتعصّباً لحيّزٍ وجَنْبَةٍ[1] فيغالبَك ، وإلاّ فما في الأرض صوتٌ لا أعرفه ، قال : دَعْ ذا عنك ، قد أقررتَ أمسِ بالجهالة بما سمعتَ من صاحبنا ، فإن كنتَ أمسكتَ عنه بالأمس على معرفة كما تقول فهاته اليومَ ، فليس هاهنا عصبيّة ولا تمييز ، فاندفع فأمَرّ الأصوات كلّها ، وابن جامع مُصْغٍ يسمع منه ، حتى أتى على آخرها ؛ فاندفع ابن جامع فحلف بالأيمان المُحْرِجة أنّه ما عرفها قطّ ولا سمعها ولا هي إلاّ من صَنْعته ، ولم تخرج إلى أحد غيره ؛ فقال له : وَيْحَك ؛ فما أحدثتَ بعدي ؟ قال : ما أحدثت حدَثاً ؛ فقال : يا إبراهيم بحياتي اصدُقني ! فقال : وحياتِك لأصْدُقنّك ، رميته بحَجَره[2] ، فبعثت له بمحمّد الزّف وضمِنتُ له ضماناتٍ ، أوّلها رضاك عنه ، فمضى فاحتال لي عليه حتى أخذها عنه ونقلها إليّ ، وقد سقط الآن اللّوم عنّي بإقراره ، لأنّه ليس عليّ أن أعرف ما صنعه هو ولم يُخرجه إلى الناس ، وهذا بابٌ من الغيب ، وإنّما يلزمني أن يعرف هو شيئاً من غناء الأوائل وأجهله أنا ، وإلاّ فلو لزمني أن أرويَ صنعته للزمه أن يروي صنعتي ، ولزم كلَّ واحدٍ منّا لسائر طبقته ونظرائه مثلُ ذلك ، فمن قصّر عنه كان مذموماً ساقطاً ؛ فقال له الرشيد : صدقتَ يا إبراهيم ، ونَضَحتَ[3] عن نفسك ، وقمت بحجّتك ؛ ثم أقبل على ابن جامع فقال له : يا

---

1 جنبة : جانب .

2 المثل رمي فلان بحجره (أي بقرنه الذي هو مثله في الصلابة) مجمع الميداني 1 : 287 (رقم 1525) وجمهرة العسكري 1 : 480 ومستقصى الزمخشري 2 : 103 .

3 نضحت : دفعت بالحجّة .

إسماعيل ، أُتِيتَ أُتِيتَ ! دُهِيتَ دُهِيتَ ! أبطل عليكَ الموصليّ ما فعلتَه به أمسِ وانتصف اليومَ منك ؛ ثم دعا بالزَّفّ فرضي عنه .

[الأصوات التي غنّى بها ابن جامع]

قال عليّ بن محمّد : سألت خالي أبا عبد الله بن حَمْدون وقد تجارَيْنا هذا الخبَر : هل تعرف أصوات ابن جامع هذه ؟ فأخبرني أنّه سمع إسحاقَ يحكي هذه القصّة ، وذكر أنّ الصوت الأوّل منها : [من الوافر]

صوت

بكيتُ نعمْ بكيتُ وكلّ إلْفٍ إذا بانتْ قرينتُه بكاها
وما فارقتُ لُبْنى عن تَقالٍ ولكن شِقْوةٌ بلغتْ مَداها[1]

الشعر لقَيْس بن ذَريح . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ آخرُ بالخنصر والبنصر من كتابه . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ .

قال : والثاني منها : [من المتقارب]

صوت

عفت دارَ سَلْمى بمُفْضى الرَّغام رياحٌ تَعاقَبُها كلَّ عامِ
خِلافَ الحلولِ بتلك الطّلول وسَحْبِ الذُّيول بذاك المقامِ[2]
وأُنس الديار وقرب الجِوار وطيب المَزار وردّ السلامِ[3]
ودهر غَرِير وعيش السّرور ونأي الغَيور وحُسن الكلامِ

الشعر لحَمّاد الرّاوية . والغناء لابن جامع ثقيل أوّل بالبنصر ؛ ذكر ذلك الحَزَنْبَلُ عن عمرو بن أبي عمرو . قال ابن حَمْدون : وهذا الصوت عجيب الصنعة ، كثير النَّغَم ، مُحكَم العمل ، من صدور أغاني ابن جامع ومتقدِّم صنعته ، وكان المعتصم مُعجباً به ، وكثيراً ما كان يُسْكِت المغنّين إذا غنّي بحضرته فلا يَسمع سائرَ يومه غيرَه .

قال : والثالث منها[4] : [من الكامل]

---

1 التقالي : التباغض .
2 خلاف في ل : أحب .
3 وأنس الديار وقرب الجوار في ل : وأنس الجوار وقرب الديار .
4 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 138–139 .

صوت

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاستَعِرْ عيناً لغيرك دمعُها مِدْرارُ
مَنْ ذا يُعيرك عينَه تبكي بها أَرأَيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

الشعر للعبّاس بن الأَحنف . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى ؛ وقال ابن حمدون : وعارَضَه إبراهيم بعد ذلك في هذا الشعر ، فصنع فيه لحناً من الرَّمَل بالبنصر في مجراها ، فلَم يَلْحَقه ولا قاربه . قال : وقد صُنع أَيضاً في هذا الشعر لحنٌ خفيف فاسد الصنعة مُحدَث ليس ينبغي أَن يُذكر هاهنا .

حدّثني محمّد بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثني أَبو عبد الله الحَرَنْبَلُ قال حدّثني أَحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أَبيه قال : أُنْشِد بشّارٌ قولَ العبّاس بن الأَحنف : [من الكامل]

نَزَف البكاءُ دموعَ عينك فاستعِرْ عيناً لغيرك دمعُها مِدْرارُ

فقال بشّار : لحِق والله هذا الفتى بالمحسنين ، وما زال يُدخل نفسَه معنا ونحن نُخرجه حتى قال هذا الشعر .

حدّثني محمّد بن يحيى قال حدّثني ميمون بن هارون عن إسحاق قال : أُنشد الرشيدُ قولَ العبّاس : [من الكامل]

مَن ذا يُعيركَ عينَه تبكي بها أَرأَيتَ عيناً للبكاء تُعارُ

فقال : يُعيره مَنْ لا حَاطَه الله ولا حفِظه .

وممّا يُغَنَّى فيه من قصيدة العبّاس بن الأَحنف الرائيّة التي هذا الصوت الأَخير منها قولُه : [من الكامل]

صوت

الحبُّ أَوّلُ ما يكون لَجاجةً تأتي به وتسوقُه الأَقدارُ
حتى إذا سلكَ الفتى لُجَجَ الهوى جاءت أُمورٌ لا تُطاق كِبارُ

غنّاه ابن جامع ثانيَ ثقيل بالبنصر . وفيه لِشاطرةَ امرأَةِ منصورٍ زَلْزَلٍ ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وذكر ابن المكّيّ المرتجِلُ أَنّ هذه الأَصوات الثلاثة المسروقةُ من ابن جامع : [من الكامل]

يا قبرُ بين بيوت آل مُحَرِّقٍ[1]

---

1 آل محرق : هم ملوك الحيرة اللخميين . ومحرق لقب يطلق على امرىء القيس بن عمرو بن عدي (المحرق الأكبر) وعمرو بن هند (المحرق الثاني) من ملوكهم ويطلق أيضاً على الحارث بن عمرو بن أبي شمر من الغساسنة ـ اللسان (حرق) .

و : [من الوافر]

عفا طَرَفُ القُرَيَّةِ فالكثيبُ[1]

وأسقط منها قوله : [من الكامل]

نزف البكاء دموع عينك فاستعر

و : [من الوافر]

بكيتُ نعم بكيتُ وكلُّ إلفٍ

نسبة هذين الصوتين
صوت

[من الكامل]

يا قبرُ بين بيوتِ آل مُحرِّقٍ جادت عليك رَواعِدٌ وبُروقُ

أمّا البكاء فقَلَّ عنك كثيرُه ولئن بكيتُ فالبكاء حقيقُ

الشعر لرجل من بني أسد يَرثي خالد بن نَضْلة[2] ورجلاً آخر[3] من بني أسد كانا نديمين للمنذر بن ماء السماء ، فقتلهما في سُخْطه عليهما ؛ وخبرُ ذلك مشهور في أخبار ابن[4] جامع . والغناء لابن جامع ، وله فيه لحنان : ثقيل أوّل بالوسطى ، ورمل بالبنصر ، وقيل : إنّ الرَّمَل لابن سُرَيج . وذكر حَبَشٌ أنّ لمحمّد صاحب البِرام فيه لحناً من الثقيل الثاني بالوسطى .

ومنها[5] : [من الوافر]

صوت

عفا رَسْمُ القُرَيّة فالكثيبُ إلى مَلْحاء ليس بها عَرِيبُ[6]

تأبّد رسمُها وجرى عليها سَفِيّ الريح والتُّربُ الغريبُ

---

1 القرية : تطلق على عدّة مواضع ، ولعلّ المقصودة هنا قرية اليمامة .

2 هكذا في الشعر والشعراء وسيرة ابن هشام ومعجم البلدان لياقوت : (الغريان) . وفي ديوان عبيد : خالد بن نضلة الفقعسي . وسيورد أبو الفرج في ترجمة عبيد بن الأبرص روايتين لمقتل عبيد ، وفيهما «خالد بن المضلل» .

3 هو عمرو بن مسعود . وفي سيرة ابن هشام أنّ التي رثتهما هي هند بنت معبد بن نضلة ، فيكون خالد بن نضلة عمّها ، ممّا يقوّي الرواية هنا .

4 هذا سهو من أبي الفرج . فقصة النديمين والمنذر بن ماء السماء سترد في ترجمة عبيد بن الأبرص ولم ترد في أخبار ابن جامع .

5 ديوان ابن هرمة : 58–59 .

6 ملحاء : واد في اليمامة . عريب : أحد .

فإنّكَ واطّراحَك وصلَ سُعْدى لأُخــرى في مودّتها نُكوبُ
كثاقبــةٍ لحَلْــيٍ مستعــار بأُذنيْهــا فشانَهمــا الثُّقــوبُ
فردّت حَلْيَ جارتهــا إليهــا وقد بَقيــتْ بأُذنيْهــا نُدوبُ

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . عن إسحاق . وفيه للغريض ثاني ثقيل آخر بالبنصر عن عمرو . وقال عمرو : فيه لحنٌ للهذليّ ، ولم يُجنِّسه .

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني عيسى بن أيّوب القُرَشيّ قال حدّثني غَيْث بن عبد الكريم عن فُلَيْح بن إسماعيل عن إسماعيل بن جعفر الفقيه مولى حَرْب عن أبيه قال : مررتُ بابن هَرْمة وهو جالسٌ على دُكّان[1] في بني زُرَيق ، فقلت له : يا أبا إسحاق ، ما يُجلسك[2] هاهنا ؟ قال : بيت كنت قلته ثم انقطع عليّ الرويّ فيه وتعذّر عليّ ما أشتهيه ، فأبغضته وتركته ؛ قلت : ما هو ؟ قال : [من الوافر]

فإنّك واطّراحَك وصلَ سُعْدى لأُخرى في مودّتهــا نُكوبُ

قال : قلته ثم انقُطِع بي فيه ؛ فمرّت بي جُوَيْريّة صفراء مليحة كنتُ أستحسنها أبداً وأُكلّمها إذا مرّت بي ، فمرّت اليوم فرأيتُها وقد وَرِم وجهها وتغيّر خَلْقُها ، عمّا أعرِف ، فسألتُها عن خبرها فقالت : كان في بني فلان عُرْسٌ أردت حضوره فاستعار لي أهلي حَلْياً وثَقبوا أذني لألبسَه فورِم وجهي وأُذناي كما ترى ، فردّوه ولم أشهد العُرْس ؛ قال ابن هَرْمة : فاطّرَد لي الشعرُ فقلت : [من الوافر]

كثاقبــةٍ لحَلْــيٍ مستعارٍ بأُذنيهــا فشانَهمــا الثقوبُ
فردّت حَلْي جارتها إليها وقد بقيت بأُذنيهــا نُدوبُ

[سرق إبراهيم بن المهديّ شِعره ولحنه]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدّثني العبّاس بن الفَضْل قال حدّثني أبي قال : قال الرشيد لإبراهيم بن المهديّ وإبراهيم الموصليّ وابنِ جامع وابنِ أبي الكَنّات : باكِروني غداً ، وليكن كلّ واحد قد قال شعراً إن كان يقدِر أن يقولَه ، وغنّى فيه لحناً ، وإن لم يكن شاعراً غنّى في شعر غيره . قال إبراهيم بن المهديّ : فقمتُ في السَّحَر وجَهَدت أن أقدِر على شيء أصنعه فلم يتّفق لي ، فلمّا خِفْتُ طلوع الفجر دعوتُ بغلماني وقلت لهم : إنّي أريد أن أمضي

1 دكان : دكة تبنى للجلوس عليها .
2 ل : يحبسك .

إلى موضع ولا يَشعرُ بي أحد حتى أصير إليه ، وكانوا في زبيديات لي يَبيتون فيها على باب داري ، فقمت فركبت في إحداها وقصدتُ دارَ إبراهيمَ الموصليّ ، وكان قد حدّثني أنّه إذا أراد الصنعة لم يَنَمْ حتى يُدبّر ما يحتاج إليه ، وإذا قام لحاجته في السَّحَر اعتمد على خشبة له في المُسْتَراح ، فلم يزل يَقرَع عليها حتى يَفْرُغَ من الصوت ويرسَخَ في قلبه ، فجئت حتى وقفت تحت مُستَراحه ، فإذا هو يُردّد هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

إذا سُكِبتْ في الكأسِ قبل مِزاجها ... تَرى لونَها في جِلدة الكأس مُذْهَبا
وإن مُزِجتْ راعت بلـون تخاله ... إذا ضُمّنتْه الكأسُ في الكأسِ كوكبا
أبوهـا نِجاء المُـزْن والكَرْمُ أُمّها ... فلَم أَرَ زَوْجاً منـه أشهى وأَطيَبا[1]
فجاءتك صَفْرا أشبهت غير جنسها ... ومـا أشبهت في اللون أُمّاً ولا أبا

قال : فما زِلتُ واقفاً أستمع منه الصوتَ حتى أخذتُه ؛ ثم غدَوْنا إلى الرشيد ، فلمّا جلسنا للشّرب خرج الخادمُ إليّ فقال : يقول لك أمير المؤمنين : يا ابنَ أُمّ غنّني ؛ فاندفعتُ فغنّيتُ هذا الصوت والموصليّ في الموت حتى فرَغتُ منه ، فشرب عليه وأمر لي بثلثمائة ألف درهم ؛ فوثب إبراهيم الموصليّ فحلف بالطلاق وحياة الرشيد أنّ الشِّعر له قاله البارحة وغنّى فيه ، ما سبقه إليه أحدٌ ؛ فقال إبراهيم : يا سيِّدي ، فمن أين هو لي أنا لولا كذبُه وبُهْتُه ! وإبراهيم يضطرب ويضِجّ ؛ فلمّا قضيتُ أَرَباً من العَبَث به قلتُ للرشيد : الحقُّ أحقّ أن يُتّبع ، وصَدَقتُه ؛ فقال للموصليّ : أمّا أخي فقد أخذ المال ولا سبيل إلى ردّه ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً ممّا جرى عليه ، فلو بدأتَ أنتَ بالصوت لكان هذا حظَّكَ ؛ فأمر له بها فحُمِلَتْ إليه .

[عند محمد بن يحيى في يوم مهرجان]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن مُخارق قال : أتى إبراهيمُ الموصليّ محمّدَ بن يحيى بن خالد في يوم مِهْرجان ، فسأله محمّدٌ أن يقيمَ عنده ؛ فقال : ليس يمكنني لأنّ رسول أمير المؤمنين قد أتاني ؛ قال : فتمرّ بنا إذا انصرفتَ ولك عندي كلُّ ما يُهْدى إليّ اليومَ ؟ فقال : نعم ، وترك في المجلس صديقاً له يُحصي ما يُبعث به إليه ؛ قال : فجاءت هدايا عجيبةٌ من كلّ ضَرْب ؛ قال : وأُهدِيَ إليه تِمْثالُ فيلٍ من ذهب عَيْناه ياقوتتان ؛ فقال محمّد للرجل : لا تخبره بهذا حتى نبعثَ به إلى فلانة ففعل ؛ وانصرف إبراهيم إليه فقال : أحضِرني ما أُهدي لك ، فأحضره ذلك كلَّه إلاّ التمثالَ ، وقال : لا بدّ من صِدْقك ، كان من الأمر كذا وكذا ؛

1 النجاء : جمع نجو وهو السحاب الذي نزل ماؤه أو السحاب أوّل ما ينشأ .

فقال : لا ! إلاّ على الشّريطة وكما ضَمِنْتَ ، فجيء بالتمثال ؛ فقال إبراهيم : أليس الهديّةَ لي فأعملَ فيها ما أُريد ؟ قال : بلى ، قال : فرُدَّ التمثال على الجارية ؛ وجعل يُفرِّق الهدايا على جلساء محمّد شيئاً شيئاً ، وعلى جميع مَن حضر من إخوانه وغلمانه ، وعلى مَن في دُور الحُرَم من جواريه حتى لم يبقَ منها شيء ، ثم أخذ من المجلس تُفّاحتين لمّا أراد الانصراف وقال : هذا لي ، وانصرفَ ؛ فجعل محمّد يَعْجَب من كِبَر نفسه ونُبْله .

[زاره الرشيد ليلاً وغنّته جواريه]

وقال أحمد بن المَرْزُبان حدّثني بعض كتّاب السلطان[1] : أنّ الرشيد هبَّ ليلةً من نومه ، فدعا بحمار كان يركبه في القَصْر أسودَ قريبٍ من الأرض فركبه ، وخرج في دُرّاعة وَشْيٍ مُتلثّماً بعمامة وشي ملتحفاً بإزارِ وَشْي ، بين يديه أربعُمائة خادم أبيضَ سوى الفرّاشين ، وكان مسرورٌ الفَرْغانيّ جريئاً عليه لمكانه عنده ، فلمّا خرج من باب القصر قال : أين يريد أميرُ المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزل الموصليّ . قال مسرورٌ : فمضى ونحن معه وبين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ؛ فخرج فتلقّاه وقبّل حافرَ حماره وقال له : يا أمير المؤمنين ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ! قال : نعم ، شوقٌ طرَق لك بي ؛ ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلسَ إبراهيم ؛ فقال له إبراهيم : يا سيّدي أتنشَط لشيء تأكله ؟ فقال : نعم ، خامِيز[2] ظبي ، فأُتي به كأنّما كان مُعَدّاً له ، فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشراب حُمِل معه ؛ فقال الموصليّ : يا سيّدي ، أُغنّيك أم تغنّيك إماؤك ؟ فقال : بل الجواري ؛ فخرج جواري إبراهيمَ فأخذْنَ صدرَ الإيوان وجانبيه ؛ فقال : أيضرِبْن كلُّهنّ أم واحدة ؟ فقال : بل تَضرِب اثنتان اثنتان وتُغنّي واحدة فواحدة ، ففعلن ذلك حتى مرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيدُ يسمع ولا ينشَط لشيء من غِنائهنّ ، إلى أن غنّت صبيّةٌ من حاشيته : [من البسيط]

يا مُورِيَ الزَّند قد أعيتْ قوادحُه ... اقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمقباسِ

ما أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم ... إذا نظرتُ فلم أُبصرك في الناس

قال : فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجاريةَ عن صانعه فأمسكتْ ، فاستدناها فتقاعَسَت ، فأمَر بها فأُقيمت حتى وُقِفتْ بين يديه ، فأخبرته بشيء أسرّتْه إليه ؛ فدعا بحماره فركبه وانصرف ، ثم التفت إلى إبراهيم فقال : ما ضَرّك ألاّ تكونَ خليفة ! ؛ فكادت نفسُه تخرج ، حتى دعا به وأدناه بعد ذلك . قال : وكان الذي خبّرتْه به أن

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 31–32 (رقم 52) .

2 خاميز : اسم أعجمي لطعام من اللحم بجلده .

الصنعة في الصوت لأُخته عُلَيّة بنت المهديّ ، وكانت الجارية لها وجّهتْ بها إلى إبراهيم يُطارحها فغار الرشيد . ولحنُ الصوت خفيفُ رَمَل .

[شعره في ابنة خمارة]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان أبي يألف خَمَّارة بالرّقة يقال لها بِشرة تنزِل الهنيءَ والمَريء ، وكانت لها بنت من أحسنِ الناس وجهاً فكان أبي يتحلاّها ، ثم رحل الرشيد عن الرّقة إلى بلاد الروم في بعض غزواته ، فقال أبي فيها : [من المتقارب]

أيا بنتَ بِشْرةَ ما عاقَني عن العهدِ بَعْدَكِ من عائِقِ
نَفى النَّومَ عنّي سنا بارق وأشهقني في ذُرى شاهِقِ[1]

قال : وفيها يقول أيضاً من أبيات له ، وله فيها صنعة من الرَّمَل الأوّل : [من الكامل]

صوت

وزعمتِ أنّي ظالمٌ فهجرتني ورَمَيتِ في قلبي بسهمٍ نافذِ
ونَعَمْ ظلمتُكِ فاغفري وتجاوَزي هذا مَقامُ المستجيرِ العائذِ

ذكر حمّاد في هذا الخبر أنّ لحن جدّه من الرَّمَل . ووجدتُ في كتاب أحمد بن المكّيّ أنّ له فيهما لحنين : أحدهما ثقيل أوّل والآخر ثاني ثقيل .

[أغانيه في السجن]

حدّثني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : حبس الرشيدُ إبراهيمَ الموصليّ عند أبي العبّاس (يعني أباه عبد الله بن مالك) فسمعناه ليلةً وقد صنع هذا اللحن وهو يكرّره حتى يستوي له : [من الخفيف]

يا أخِلاّءِ قد مَلِلْتُ مكاني وتذكّرتُ ما مضى من زماني
شُرْبيَ الراحَ إذ تقوم علينا ذاتُ دَلٍّ كأنّها غصنُ بانِ

قال : وغنّى في الحبس أيضاً : [من المتقارب]

ألا طال ليلي أُراعي النّجوم أُعالج في السّاق كَبْلاً ثَقيلا[2]

[يترنّم أثناء مرضه الذي مات به]

حدّثني عيسى قال حدّثني عبد الله قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني

1 أشهقني في ل : أسهدني .
2 الكبل : القيد .

علّويه الأعسر قال : دخلتُ على إبراهيم الموصليّ في عِلّته التي توفّي فيها وهو في الأَبْزَن[1] وبه القُولَنْج[2] الذي مات فيه ، وهو يترنّم بهذا الصوت : [من الطويل]

صوت

تغيّر منّـي كلُّ حُسْنٍ وجِدّةٍ وعاد على ثَغْري فأصبح أَثْرَما
ومَحّلَ أطرافي فزالتْ فصوصُها وحنّى عظامي عُوجَها والمُقَوَّما

قال محمّد : فحدّثتُ بهذا الحديث إسحاقَ الموصليّ ، فقال : كذَب ابنُ الزانية ! والله ما كان يَجترىء أن يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس للناس إلاّ بعد جَهْد ، فكيف يدخل إلى أبي إسحاق وهو جالس في الأَبْزَن .

نسبة هذا الصوت

الشعر والغناء لإبراهيم ، وله فيه لحنان ماخُورِيّ بالوسطى عن عمرو ، وثاني ثقيلٍ عن ابن المكّيّ .

[غنّت المقتدر إحدى جواريه لحناً له]

حدّثني جَحْظة قال : كان المقتدر يدعونا في الأحايين ، فكان يحضُر من المغنّين إبراهيمُ بن أبي العَنْبَس وكُنَيْز وإبراهيم بن قاسم وأنا ووَصِيف الزّامر ، وكان أكثر ما نُدْعى له أنّ جواريَه كنّ يطالبْنه بإحضارنا ليأخذْن منّا أصواتاً قد عرفْنها ويسمَعْننا ، فنُغنّي فيأخذْنَ ما يستحسِنّه ، فإذا انصرفنا أمر لكلّ واحد من إبراهيم وكُنَيْز دبّة وإبراهيمَ بثلاثمائة دينار ، ولي بمائتَي دينار ، ولوَصيف بمائتي دينار ، ولسائر مَن لعلّه أن يَحْضُر معنا بمائتين إلى المائة الدّينار إلى الألف الدّرهم ، فيكون إذا حضرنا من وراء ستارة وهو جالس مع الجواري ، فإذا أراد اقتراح شيء جاءنا الخدم فأمرونا أن نغنّيَه ، وبين يَدَيْ كلّ واحد منّا قِنّينَةٌ فيها خمسة أرطال نبيذٍ وقدحٌ ومَغْسِلٌ وكوزُ ماءٍ ؛ فغنّتْ يوماً صَلِفَةُ جارية زِرْياب بصنعة إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

تغيَّر منّـي كلُّ حُسن وجِـدّةٍ وعادَ على ثَغْري فأصبح أَثْرَما

فشَرِبتُ عليه ، فاستعاده المقتدر مراراً وأنا أشرب عليه ؛ فأخذ إبراهيم بن أبي العَنْبَس بكَتِفَيْ وقال : يا مجنون ! إنّما دُعيتَ لتُغنّيَ لا لتُغنّى وتَطْرَب وتَشرَبَ ، فلعلّك تسْكَر ، حَسْبُك ! ؛ فأمسكتُ طمعاً أن تردّه بعد ذلك ، فما فعلتْ ولا اجتمعنا بعدها ، وما سمعتُ قبل ذلك ولا بعده أحداً غنّى هذا الصوتَ أحسنَ ممّا غنّته . قال : وكان المقتدر ابتاعها من زِرْياب .

---

1 الأبزن : حوض مستطيل يعالج فيه المريض بالماء الحار والأدوية الساخنة .

2 القولنج : التهاب القولون .

[ردّ زوجاً إلى زوجته]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان بن عليّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ عن أبيه قال : بينا أنا بمكّة أجول في سِكَكِها إذا أنا بسوداءَ قائمةٍ ساهيةٍ باكيةٍ ، فأنكرتُ حالها وأدْمَنْتُ النظر إليها ؛ فبكَتْ وقالت : [من المتقارب]

أعمرُو عَــلامَ تجنَّبتَنــي أخذتَ فــؤادي وعذَّبْتَني
فلو كنتَ يا عمرُو خبّرتَني أخذتُ حِذاري فما نِلْتَني

فقلتُ لها : يا هذه ، مَن عمرٌو ؟ قالت : زوجي ؛ قلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنّه يَهْواني وما زال يطلبني حتّى تزوّجتُه ، فلبِث معي قليلاً ثم مضى إلى جُدَّةَ وتركني ؛ فقلتُ لها : صِفِيه لي ؛ قالت : أحسنُ مَن أنت رائيهِ سُمرةً وأحلاهم حلاوةً وقَدّاً ؛ قال : فركِبتُ رواحلي مع غِلماني وصرتُ إلى جُدَّةَ ، فوقفتُ في موضع المَرْفأ أتبصَّرُ مَن يحمل مِن السفن ، وأمرتُ مَن يُصوِّت : يا عمرُو يا عمرُو ، وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه صَنٌّ[1] فيه طعامٌ ، فعرفتُه بصفتِها ونعتِها إيّاه ، فقلتُ : [من المتقارب]

أعمرُو عَــلامَ تجنَّبتَنــي أخذتَ فــؤادي وعذَّبتَني

فقال : هِيه ! أرأيتَها وسمعتَ منها ؟ فقلتُ : نعم ، فأطرق هُنَيهةً يبكي ، ثم اندفع فغنّى به أملحَ غناء سمعتُه ، وردّده عليّ حتى أخذتُه منه ، وإذا هو أحسنُ الناسِ غناءً ؛ فقلتُ له : ألا ترجع إليها ؟ فقال : طلبُ المعاش يمنعُني ؛ فقلت : كم يكفيكَ معها في كلّ سنةٍ ؟ فقال : ثلثُمائةِ درهم قال إسحاقُ : قال لي أبي : فوالله يا بُنيّ لو قال ثلثمائة دينارٍ لطابتْ نفسي بها فدعوتُ به فأعطيتُه ثلاثةَ آلافِ درهم ، وقلتُ له : هذا لعشر سنين على أنْ تُقيمَ معها ، فلا تَطلب المعاشَ إلاّ حيثُ هي مقيمةٌ معك ، ويكون ذلك فضلاً ؛ ورددتُه معي إليها .

[يغنّي الرشيد على انفراد]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدّثنا صالح بن عليّ (يعني الأَضْجَم) عن إبراهيم الموصليّ ، قال : وكان صالح جارَه ، قال : بينا أنا عَشِيَّةً في منزلي إذ أتاني خادم من خَدَم الرشيد فاستحثّني بالركوب إليه فخرجتُ شبيهاً بالراكِض ، فلمّا صرتُ إلى الدّار عُدِل بي عن المدخل إلى طرق لا أعرفها ، فانتُهِي بي إلى دارٍ حديثةِ البناء ، فدخلتُ صَحْناً واسعاً ، وكان الرشيد يشتهي الصّحونَ الواسعة ، فإذا هو جالسٌ على كرسيّ في وسط ذلك الصَّحْن ، ليس عنده أحد إلاّ خادمٌ يسقيه ، وإذا هو في لِبْستِه التي كان يلبَسُها في الصيف : غِلالةٌ

1 الصن : وعاء يشبه السلّة يوضع فيه الخبز والطعام .

رقيقة مُتَوشِّح عليها بإزار رَشِيديّ عرِيض العَلَم مُضَرَّج ؛ فلمّا رآني هَشَّ لي وسُرّ ، وقال : يا مَوصِلِيّ ، إنّي اشتهيتُ أن أجلس في هذا الصّحن فلم يتّفق لي إلاّ اليوم ، وأحببتُ ألاّ يكونَ معي ومعك أحدٌ ، ثم صاح بالخُدّام ، فوافاه مائةُ وَصِيفٍ ، وإذا هم بالأَروقة مستترون بالأساطين حتّى لا يراهم ، فلمّا ناداهم جاءوا جميعاً ، فقال : مُقطَّعة لإبراهيم ، وكان هو أوّل مَن قطع المُصَلّيات ، فأُتِيتُ بمقعد فأُلقي لي تُجاه وجهه بالقرب منه ؛ ودعا بعود فقال : بحياتي أطرِبني بما قَدَرْتَ ؛ قال : ففعلتُ واجتهدتُ في ذلك ونشطتُ ورجوتُ الجائزةَ في عشيَّتي ؛ فبينا أنا كذلك إذ جاءه مسرورٌ الكبيرُ ، فقام مَقامَه الذي كان إذا قامه علِم الرشيدُ أنّه يريد أن يُسارَّه بشيء ، فأومأ إليه بالدنوّ ، فدنا فألقى في أُذنه كلمةً خفيفةً ثم تنحّى ، فاستشاط غضباً واحمرّتْ عيناه وانتفختْ أوداجُه ، ثم قال : حَتَّامَ أصبِرُ على آل بني أبي طالب ! والله لأقتلنَّهم ولأقتلنَّ شِيعتَهم ولأفعلنّ ولأفعلنّ ! ؛ فقلتُ : إنّا لله ؛ ليس عند هذا أحدٌ يُخرِجُ غضبَه عليه ، أحسِبه والله سيُوقِعُ بي ، فاندفعتُ أغنّي : [من الخفيف]

صوت

نِعـمَ عَوْناً على الهمومِ ثلاثُ ... مُتْرَعاتٌ مـن بعدهنّ ثلاثُ
بعدهـا أربـعٌ تَتِمَّـةُ عشرٍ ... لا بِطـاءٌ لكنّهـنّ حِثـاثُ
فـإذا ناولَتْكَهُـنّ جَـوارٍ ... عَطِراتٌ بيضُ الوجوهِ خِناثُ
تمّ فيها لك السرورُ وما طَيَّـ ... ـبَ عَيْشاً إلاّ الخِناثُ الإناثُ

قال : وَيْلَك ! اسقِني ثلاثاً لا أُمتْ همّاً ؛ فشرب ثلاثاً متتابعة ، ثم قال : غَنِّ فغنّيتُ ، فلمّا قلتُ : [من الخفيف]

ثلاث * مُترعاتٌ مـن بعدهنّ ثلاثُ

قال : هاتِ وَيْلك ثلاثاً ! ، ثم قال لي : غنِّ ، فلمّا غنّيته قال : حُثَّ عليّ بأربع تتمةِ العشر ، ففعل ؛ فوالله ما استوفى آخرَهنّ حتى سَكِر ، فنهض ليدخل ، ثم قال : قم يا موصليّ فانصرِفْ ؛ يا مسرورُ ، أقسمتُ عليك بحياتي وبحقّي إلاّ سَبقتَه إلى منزله بمائة ألف درهم ، لا أستأمَر فيها ولا في شيء منها ؛ فخرجتُ والله وقد أمِنتُ خوفي وأدركتُ ما أمّلتُ ، ووافيتُ منزلي وقد سبَقتني المائةُ الألفِ الدّرهمِ إليه .

[يأخذ صوتاً عن ابن جامع]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل بن الرّبيع قال : خرج رسول الرشيد ذاتَ ليلةٍ إلى

المغنّين فقال : غنّوا[1] : [من الخفيف]

يا خليلـيَّ قـد مَلِلتُ ثَوائِـي بالمُصَلَّى وقـد سَئِمتُ البَقِيعا[2]
بلِّغاني ديـارَ هنـدٍ وسُعْدَى وارجِعاني فقد هَويتُ الرجوعا[3]

قال : فغنّاه ابنُ جامع ، فلمّا فرَغ منه طرِب الرشيدُ وشرِب ؛ فقال له إبراهيم الموصليّ : يا سيِّدي ، فاسمعه من نُبَيْطيِّك فغنّاه ، فجعل ابنُ جامع يزحَف من أوّل البيت إلى آخره ، وطَرِب هارونُ فقال : ارفعُوا الستارةَ ؛ فقال له ابن جامع : مِنّي والله أخذه يا أمير المؤمنين ؛ فأقبل على إبراهيمَ فقال : بحياتي صَدَق ؟ قال : صدق وحياتِك يا سيّدي ؛ قال : وكيف أخذتَه وهو أبخل الناس إذا سُئِل شيئاً ؟ قال : تركتُه يغنّيه وكان إذا سكِرَ يَسترسلُ فيه فيغنّيه مستوياً ولا يتحرّز منّي ، فأخذتُه على هذا منه حتى وفَيتُ به .

[حدّث الرشيد عن جارية زلزل فاشتراها وأعتقها]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[4] : كان بَرْصُوما الزّامرُ وزَلزَلُ الضاربُ من سواد أهل الكوفة من أهل الخُشْنَة والبَذاذَةِ[5] والدناءةِ ، فقدِم بهما أبي معه سنة حجَّ ، ووقَفَهما على الغناء العربيّ وأراهما وجوهَ النَّغَم وثقَّفهما حتى بلغا المبلغَ الذي بلغاه من خدمة الخليفة ، وكانا أطبعَ أهلِ دهرهما في صناعتهما ؛ فحدّثني أبي قال : كان لِزَلزَل جاريةٌ قد ربَّاها وعلَّمها الضربَ وسألني مطارحتَها فطارحتُها ، وكانت مطبوعةً حاذقة ؛ قال : فكان يَصُونُها أن يسمعها أحدٌ ؛ فلمّا مات بلغني أنّها تُعْرَض في ميراثه للبيع ، فصرتُ إليها لأعترِضَها ؛ فغنَّتْ : [من السريع]

أقفـرَ مـن أوتـاره العودُ فالعـودُ للأوتـار معمودُ
وأوحش المزمارُ من صوته فمـا لَـه بعـدكَ تغريدُ
مَـنْ للمزاميـر وعِيدانِهـا وعامـرُ اللَّـذاتِ مفقودُ
الخمرُ تبكـي في أباريقها والقَيْنةُ الخَمْصانـةُ الرُّودُ

قال : وهذا شعر رثاه به صديق له كان بالرقّة[6] ؛ قال : فأبكت والله عيني وأوْجعت قلبي .

1 ديوان عمر بن أبي ربيعة : 249 .
2 سئمتُ في ل : شنيت .
3 وارجعاني في الديوان : وارجعا بي .
4 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 3 : 31 (رقم 52) .
5 الخشنة : الخشونة . ورجل ذو خشنة : لا يطاق . البذاذة : رثاثة الهيئة .
6 ل : يألفه .

فدخلتُ على الرشيد فحدّثته بحديثها ، فأمر بإحضارها فحضرتْ ؛ فقال لها : غنّي الصوتَ الذي حدّثني إبراهيم عنك أنّك غنّيتِه ، فغنّته وهي تبكي ؛ فرقّ الرشيدُ لها وتَغَرْغَرت عيناه ، وقال لها : أتحبّين أن أشتريَك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ، لقد عرَضتَ عليّ ما يقصُر عنه الأملُ ، ولكن ليس من الوفاء أن يملكني أحد بعد سيّدي فينتفعَ بِي ؛ فازداد رِقّةً عليها ، وقال : غنّي صوتاً آخر ، فغنّت : [من البسيط]

العينُ تُظهِر كتماني وتُبديهِ والقلبُ يكتم ما ضَمَّنْه فيهِ
فكيف ينكتم المكتومُ بينهما والعينُ تُظهره والقلبُ يُخفيهِ

فأمر بأن تُباعَ وتُعتَقَ ، ولم يزل يُجْرِي عليها إلى أن ماتت .

[غضب عليه الرشيد لتعريضه بجارية له]

أخبرنا محمّد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال : قال لي الرشيدُ يوماً : يا إبراهيم ، بَكِّرْ عليَّ غداً حتى نَصْطبحَ ؛ فقلتُ له : أنا والصبحُ كَفَرَسَيْ رِهانٍ ؛ فبكَّرْتُ فإذا أنا به خالياً ، وبين يديه جاريةٌ كأنّها خُوطُ بان أو جَدْلُ عِنان ، حُلْوَةُ المنظَر ، دَمِثةُ الشمائل ، وفي يدها عودٌ ؛ فقال لها : غنّي ، فغنّتْ في شعر أبي نُواس وهو[1] : [من الطويل]

تَوَهّمــه قلبــي فأصبح خــدُّه وفيه مكانَ الوَهْم من نظري أُثْرُ[2]
ومرَّ بفكري خاطــراً فجرحتُــه ولم أَرَ جسماً قطُّ يَجرَحُه الفِكرُ
وصافَحــه قلبــي فآلَــم كفَّــه فمِنْ غَمْزِ قلبــي في أناملهِ عَقْرُ[3]

قال إبراهيم : فذهبتْ والله بعقلي حتى كِدتُ أن أفتضحَ ، فقلتُ : مَنْ هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذه التي يقول فيها الشاعر : [من الوافر]

لهــا قلبــي الغداةَ وقلبُهــا لي فنحن كذاك في جَسَدَيْنِ رُوحُ

ثم قال لها : غنّي ، فغنّتْ : [من الطويل]

صوت

تقول غــداةَ البَيْنِ إحدى نسائهم لِيَ الكَبِدُ الحرّى فسِرْ ولكَ الصَّبرُ
وقــد خنَقَتْهــا عَبْرةٌ فدموعُهــا على خدِّها بِيضٌ وفي نحرِها صُفرُ

1 ديوان أبي نواس (الغزالي) : 730 عن الأغاني .
2 أثر : أثر الجرح بعدما يبرأ .
3 قلبي في ل : كفي .

الشعرُ لأبي الشِّيص . والغناء لعمرِو بن بانةَ ، خفيفُ رَمَل بالوسطى من كتابه . وفيه لُمَيَّمَ ثاني ثقيلٍ وخفيفُ رَمَلٍ آخر قال : فشرِب وسقاني ثم سقاها ، ثم قال : غنِّ يا إبراهيم ؛ فغنَّيتُ حسبَ ما في قلبي غيرَ مُتحفِّظٍ من شيءٍ : [من الطويل]

تَشَرَّبَ قلبـي حبَّهـا ومشى به تَمَشِّي حُمَيّا الكأس في جسم شاربِ
ودبَّ هواهـا في عِظامي فشفَّهـا كما دبَّ في المَلْسوع سمُّ العقاربِ

قال : ففَطِن بتعريضي ، وكانت جهالةً منِّي ؛ قال : فأمرني بالانصراف ، ولم يدعُني شهراً ولا حضرتُ مجلسَه ؛ فلمّا كان بعد شهر[1] دَسَّ إليّ خادماً معه رُقعةٌ ، فيها مكتوب : [من الخفيف]

قد تخوّفتُ أن أموتَ من الوَجْـ ـد ولَم يَدْرِ مَنْ هَوِيتُ بما بِي
يا كتابي فاقرَ السَّلامَ على مَنْ لا أُسمِّي وقل لـه يا كتابي
إنَّ كفّـاً إليكَ قـد بعثتني في شَقاءٍ مُواصَـلٍ وعذابِ[2]

فأتاني الخادمُ بالرقعة ؛ فقلت له : ما هذا ؟ قال : رقعة الجارية فلانة التي غنَّتك بين يدَي أمير المؤمنين ؛ فأحسستُ القصَّة فشتمتُ الخادمَ ووثبتُ عليه وضربتُه ضرباً شَفَيْتُ به نفسي وغَيظي ، وركِبتُ إلى الرشيد من فَوْري فأخبرتُه القصَّةَ وأعطيته الرقعةَ ؛ فضحك حتى كاد يستلقي ، ثم قال : على عَمْدٍ فعلتُ ذلك بك لأمتحِنَ مذهبَك وطريقتَك ، ثم دعا بالخادم ؛ فلمّا خرج رآني فقال لي : قطع الله يديك ورجليك ، وَيْحَك ! قتلتَني ؛ فقلت : القتلُ والله كان بعضَ حقّك لِمَا وردت به عليّ ، ولكن رَحِمتُك فأبقيتُ عليك ، وأخبرتُ أمير المؤمنين ليأتيَ في عقوبتك بما تستحقّه . فأمر لي الرشيدُ بِصلةٍ سنيّةٍ ؛ واللهُ يعلم أنّي ما فعلتُ الذي فعلتُ عَفافاً ولكن خوفاً .

[كيفيّة صنعه الألحان]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال : أخبرني أبي أنّه سمع الرشيدَ وقد سأل جَدِّي إبراهيم كيف يصنع إذا أراد أن يصوغَ الألحانَ ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أُخرجُ الهمّ من فكري وأُمثِّل الطربَ بين عينيّ ، فتسوغ لي مسالكُ الألحان التي أريد فأسلكها بدليل الإيقاع ، فأرجع مُصيباً ظافراً بما أُريد ؛ فقال : يَحِقُّ لك يا إبراهيم أن تُصيبَ وتظفَر ، وإنّ حُسْن وصفك لُمشاكِلٌ حُسْنَ صنعتك وغنائك .

---

1 ل : شهرين .

2 بعثتني في ل : كتبتني .

[فراسة يونس الكاتب فيه]

أخبرني ابن المَرْزُبان قال حدّثني حَمّاد عن أبيه عن جدّه قال : أدركتُ يونس الكاتبَ وهو شيخ كبير فعرَضت عليه غنائي ؛ فقال : إن عشتَ كنتَ مُغَنِّيَ دهرِك .

[تصرّفه في مذاهب الغناء]

قال حَمّاد قال لي محمّد بن الحسن : كان لكلّ واحد من المغنِّين مذهب في الخفيف والثقيل ، وكان مَعْبد ينفرد بالثقيل ، وابنُ سُرَيج بالرَّمَل ، وحَكَمٌ بالهَزَج ، ولم يكن في المُغنِّين أحد يتصرّف في كلّ مذهب من الأغاني إلاّ ابنُ سريج وإبراهيمُ جدّك وأبوك إسحاق .

[ثمامة بن أشرس يُعجب بغنائه مع يزيد حوراء]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطَيِّب السَّرْخسيّ قال حدّثني أحمد بن ثابت العَبْديّ عن أبي الهُذَيل العَلاّف رأسِ المعتزلة عن ثُمامة بن أَشْرس قال : مررتُ بإبراهيم الموصليّ ويزيدِ حَوْراء وهما مُصطبِحان ، وقد أخذا بينهما صوتاً يُغنِّيانه : هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وهو : [من الطويل]

صوت

أيا جَبَلَيْ نَعْمان بالله خَلِّيا ... سبيلَ الصَّبا يَخْلُص إليّ نسيمُها

فإنّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمتْ ... على نفس مهمومٍ تجلّت همومُها

قال ثُمامة : فوالله ما خِلْتُ أن شيئاً بقي من لذّات الدنيا بعدما كانا فيه .

أخبرنا محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم قال : سألتُ الرشيد أن يهَب لي يوماً في الجمعة لا يبعث فيه إليّ بوجه ولا بسبب ، لأخلوَ فيه بجَواريّ وإخواني ، فأذن لي في يوم السبت ، وقال لي : هو يوم أستثقله ، فالْهُ فيه بما شئتَ ؛ فأقمتُ يوم السبت بمنزلي وتقدّمتُ في إصلاح طعامي وشرابي بما احتجتُ إليه ، وأمرتُ بوّابي فأغلقَ الأبوابَ وتقدّمتُ إليه ألاّ يأذنَ عليّ لأحد ؛ فبينا أنا في مجلسي والخدمُ قد حَفُّوا بي وجَواريّ يتردَّدن بين يديّ ، إذا أنا بشيخ ذي هيئة وجمال ، عليه خُفّان قصيران وقميصان ناعمان ، وعلى رأسه قَلَنْسُوَةٌ لاطئة[1] ، وبيده عُكّازة مُقَمَّعة بفضّة ، وروائح المسك تفوح منه حتى ملأ البيتَ والدار ؛ فداخلني بدخوله عليّ مع ما تقدّمت فيه غيظٌ ما تداخلني قطُّ مثلُه ، وهممتُ بطرد بوّابي ومَنْ حجبني لأجله ؛ فسلَّمَ عليَّ أحسنَ سلام فرددت عليه ، وأمرته بالجلوس فجلس ، ثم أخذ بي في أحاديث الناس وأيّام العرب وأحاديثها وأشعارها حتّى سَلَّى ما بي من الغضب ، وظننت أنّ غلماني تَحَرَّوْا مَسَرَّتي بإدخالهم مثلَه عليَّ لأدبه وظَرْفه ؛ فقلتُ : هل لك في الطعام ؟ فقال : لا

1 لاطئة : لاصقة بالرأس .

حاجة لي فيه ؛ فقلت : هل لك في الشراب ؟ فقال : ذلك إليك ، فشربتُ رطلاً وسقيتُه مثلَه ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق ، هل لك أن تُغنّي لنا شيئاً من صَنْعتك وما قد نَفَقْتَ به عند الملوك والخاصَ والعامّ ؟ فغاظني قولُه ، ثم سهّلتُ على نفسي أمرَه فأخذتُ العود فجسستُه ثم ضربت فغنّيتُ ؛ فقال : أحسنت يا إبراهيم ؛ فازداد غيظي وقلت : ما رضي بما فعله من دخوله عليّ بغير إذن واقتراحه أن أُغنّيه حتى سمّاني ولم يُكنّني ولم يُجمِل مخاطبتي ! . ثم قال : هل لك أن تزيدنا ؟ فتذمّمتُ فأخذتُ العود فغنّيتُ ؛ فقال : أجدتَ يا أبا إسحاق ! فأتِمَّ [هزازك][1] حتى نكافئك ونُغنّيَك ؛ فأخذت العودَ وتغنّيت وتحفّظتُ وقمتُ بما غنّيته إيّاه قياماً تامّاً ما تحفّظت مثلَه ولا قمتُ بغناء كما قمتُ به له بين يَدَيْ خليفة قطُّ ولا غيره ، لقوله لي : أكافئك ؛ فطرِب وقال : أحسنتَ يا سيّدي ويا أوثَقَ عُدَدي ، ثم قال : أتأذن لعبدك بالغناء ؟ فقلت : شأنَك ، واستضعفتُ عقلَه في أن يغنّيني بحضرتي بعد ما سمعه منّي ؛ فأخذ العود وجسّه وحبسه ، فوالله لخِلْتُه ينطِق بلسانٍ عربيّ لحسن ما سمعتُه من صوته ، ثم تَغَنّى[2] : [من الطويل]

صوت

ولي كَبِدٌ مقروحةٌ مَنْ يبيعني ... بها كِبداً ليستْ بذاتِ قُروحِ
أُباها عليّ الناسُ لا يشترونها ... ومَنْ يشتري ذا عِلّةٍ بصحيحِ[3]
أئِنّ من الشوق الذي في جوانبي ... أنينَ غَصيصٍ بالشراب جَريحِ[4]

قال إبراهيمُ : فوالله لقد ظننتُ الحيطانَ والأبوابَ وكلَّ ما في البيت يجيبه ويُغنّي معه من حسن غنائه ، حتى خِلتُ والله أنّي أسمعُ أعضائي وعظامي وثيابي تجاوبه ، وبقيتُ مبهوتاً لا أستطيعُ الكلامَ ولا الجوابَ ولا الحركةَ لِما خالط قلبي ؛ ثم غنّى[5] : [من الطويل]

صوت

ألا يا حماماتِ اللِّوى عُدْنَ عَوْدةً ... فإنّي إلى أصواتكنّ حزينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَني ... وكدتُ بأسراري لهنّ أُبينُ
دَعَوْنَ بَتَرْداد الهَدير كأنّما ... سُقِينَ حُمَيّا أو بهنّ جُنونُ

---

1 زيادة من ل . وهي كلمة فارسية ومعناها الأنشودة .
2 تنسب هذه الأبيات لابن الدمينة ومجنون ليلى ويزيد بن الطثرية وغيرهم (انظر ديوان المجنون : 95) .
3 علةٍ في ل : عورة .
4 جوانبي في ل : جوانحي .
5 تنسب هذه الأبيات لكثير وابن الدمينة ومجنون ليلى . (انظر ديوان المجنون : 263) .

فلم تَــرَ عينـــي مثلَهنّ حمائمــاً بكــينَ ولم تَدْمَــع لهــنّ عيونُ

لم أعرف في هذه الأبيات لحناً يُنسب إلى إبراهيم ، والذي عرفتُه لمحمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر خفيفُ رمل ، فكاد ، والله أعلم ، عقلي أن يذهب طرباً وارتياحاً لما سمعتُ ؛ ثم غنّى[1] : [من الطويل]

صوت

ألا يا صَبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ لقد زادني مَسْراكِ وَجْداً على وَجدِ
أإنْ هتفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحى على فَنَنٍ غضٍّ النّبــات من الرَّنْدِ
بكيتَ كما يبكي الحزيــنُ صبابةً وذُبْتَ من الحزن المبرِّحِ والجَهْدِ[2]
وقــد زعمــوا أنّ المحبَّ إذا دنا يَمَلُّ وأنّ النأي يَشْفي مِن الوَجْدِ
بكلٍّ تداوينا فلــم يُشْفَ مــا بنا على أنّ قرب الدّار خيرٌ من البعدِ

ثم قال : يا إبراهيم ، هذا الغناء الماخُورِيّ فخذه وانحُ نحوَه في غنائك وعلّمْه جَوارِيَك ؛ فقلتُ : أعِدْه عليّ ، فقال : لست تحتاج ، قد أخذتَه وفرغتَ منه ، ثم غاب من بين يديّ ؛ فارتعتُ وقمت إلى السيف فجرّدته ، وعدوتُ نحو أبواب الحُرَم فوجدتُها مُغْلقةً ، فقلتُ للجواري : أيّ شيء سمعتنّ عندي ؟ فقلن : سمِعنا أحسنَ غناءٍ سُمِع قَطّ ؛ فخرجتُ متحيِّراً إلى باب الدار فوجدتُه مُغلَقاً ، فسألتُ البوّابَ عن الشيخ ؛ فقال لي : أيّ شيخ هو ؟ والله ما دخل إليك اليومَ أحد ؛ فرجَعتُ لأتأمّل أمري ، فإذا هو قد هَتف بي من بعض جوانب البيت : لا بأسَ عليك يا أبا إسحاق ، أنا إبليس وأنا كنت جليسَك ونديمَك اليومَ ، فلا تُرَعْ . فركبت إلى الرشيد وقلت : لا أطرفه أبداً بطُرْفة مثلِ هذه ، فدخلتُ إليه فحدّثته بالحديث ؛ فقال : وَيْحَك ! تأمَّلْ هذه الأصوات[3] ، هل أخذتَها ؟ فأخذت العود أمتحنها ، فإذا هي راسخة في صدري كأنّها لم تزل ؛ فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزَم على الشراب ، وأمر لي بصلةٍ وحُمْلانٍ[4] وقال : الشيخ كان أعلمَ بما قال لك من أنّك أخذتَها وفرغتَ منها ، فليتَه أمتعَنا بنفسه يوماً واحداً كما أمتعك .

---

1 تنسب هذه الأبيات إلى ابن الدمينة ويزيد بن الطثرية والمجنون (انظر ديوان المجنون : 112) .

2 رواية شرح الحماسة لهذا البيت :

بكيت كما يبكي الوليــد ولم تكن جليداً وأبديت الذي لم تكن تبدي

3 ل : الأبيات .

4 الحملان : ما يحمل عليه من الدواب .

نسبة هذه الأصوات

أمّا الصوت الأوّل فالذي أعرفه فيه خفيفُ رَمَلٍ لمحمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ولم يقَع إليّ فيه صنعةٌ لإبراهيم . والصوت الثاني الذي أوّله : [من الطويل]

أَلا يا صبا نجدٍ متى هِجْتِ من نجدِ

فشعرُه ليزيدَ بن الطَّثَرِيَّةِ ، والغناءُ لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمحمّد بن الحسن بن مصعَب ثاني ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ وعمرو . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لدَحْمان ولحناً لابنه الزُّبَير ، ولم يَذْكر في أيّ طريقةٍ هما .

[إرشاد إلى شعر ذي الرمّة في المنام]

هكذا حدّثنا ابن أبي الأزهر بهذا الخبر ؛ وما أدري ما أقول فيه ، ولعلّ إبراهيمَ صنع هذه الحكاية ليتنفّق بها ، أو صُنعتْ وحُكيتْ عنه . إلاّ أنّ للخبر أصلاً الأشبهُ بالحقّ منه ما حدّثني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وأحمد بن عبيد الله بن عَمّار قالا حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن أبيه قال : صنعتُ لحناً فأعجبني ، وجعلت أطلب له شعراً فعَسُر ذلك عليّ ، ورأيتُ في المنام كأنّ رجلاً لَقِيَني فقال : يا إبراهيم ، أأعياك شعرٌ لغنائك هذا الذي تُعْجَب به ؟ قلت نعم ؛ قال : فأين أنت من قول ذي الرُّمَّة حيث قال[1] : [من الطويل]

أَلا يا اسلَمي يـا دار مَيّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلاً بجَرْعائِك القَطْرُ[2]

وإن لم تكـوني غير شام بقَفْرةٍ تَجُرُّ بهـا الأذيـالَ صَيْفِيّة كُدْرُ[3]

قال : فانتبهتُ وأنا فَرِحٌ بالشعر ، فدعوتُ مَنْ ضرب عليّ وغنّيتُه فإذا هو أوفقُ ما خلق الله ، فلمّا علمتُ ذلك ، وعملتُ هذا الغناء في شعر ذي الرمّة ، تنبّهتُ عليه وعلى شعره فصنعتُ فيه ألحاناً ماخُورِيَّةً ، منها[4] : [من الطويل]

صوت

أَمَنْزِلَتَـيْ مَـيٍّ سلامٌ عليكمـا هـل الأزمُـنُ اللائـي مَرَرْنَ رواجعُ

وهل يَرجعُ التسليمَ أو يكشِفُ العَمى ثـلاثُ الأثـافي أو رسومٌ بلاقِعُ[5]

---

1 ديوان ذي الرمة : 206– 207 .

2 الجرعاء : الرملة المستوية لا نبات فيها .

3 شام : جمع شامة . الصيفية : رياح الصيف . الكدر : جمع كدراء وهي التي في لونها غبرة .

4 ديوان ذي الرمّة : 332 .

5 أو رسومٌ بلاقِعٌ في ل والديوان : والرسوم البلاقع .

صنعةُ إبراهيمَ في هذين الشعرين جميعاً من الماخُورِيّ بالوسطى ، وهو خفيف الثقيل الثاني . وأخباره كلّها في هذا المعنى تأتي في أخبار ذي الرُّمّة مشروحةً .

[اختصاصه بالغناء في شعر ذي الرّمّة]

حدّثني محمّد بن مَزْيد قال حدّثني حَمّاد عن أبيه قال قال لي أبي : قال لي جعفر بن يحيى يوماً وقد علم أنّ الرشيد أَذِن لي وللمغنّين في الانصراف يومئذٍ : صِرْ إليّ حتى أَهَبَ لك شيئاً حسناً ؛ فصِرْتُ إليه فقال لي : أيّما أحبُّ إليك : أَهَبُ لك الشيء الحسن الذي وعدتُك به ، أم أُرشدك إلى شيء تَكسِب به أَلفَ أَلفِ درهم ؟ فقلت : بل يرشدني الوزير ، أعزّه الله ، إلى هذا الوجه فإنّه يقوم مقام إعطائه إيّاي هذا الحَسَن ؛ فقال : إنّ أمير المؤمنين يحفَظ شعر ذي الرُّمّة حفظ الصبّا ويُعجبه ويؤثره ، فإذا سَمِع فيه غناءً ، أطربه أكثر ممّا يُطربه غيره ممّا لا يحفظ شعره ؛ فإذا غنَّيتَه فأطربتَه وأمر لك بجائزة ، فقُم على رجليك قائماً وقبِّل الأرض بين يديه وقُل له : لي حاجة غيرُ هذه الجائزة أُريد أن أسأَلها أميرَ المؤمنين ، وهي حاجة تقوم عندي مقامَ كلّ فائدة ولا تَضُرّه ولا تَرْزَؤه ؛ فإنّه سيقول لك : أيّ شيء حاجتُك ؟ فقل : قَطِيعةٌ تُقْطِعُنيها سهلةٌ عليك لا قيمةَ لها ولا منفعةَ فيها لأحد ؛ فإذا أجابك إلى ذلك ، فقل له : تُقْطعني شعرَ ذي الرمّة أُغنّي فيه ما أختاره وتحظُر على المغنّين جميعاً أن يُداخلوني فيه ، فإنّي أُحِبّ شعره وأستحسنه فلا أحبّ أن يُنغّصه عليّ أحدٌ منهم ، وتَوَثَّقْ منه في ذلك ؛ فقبِلتُ ذلك القولَ منه ، وما انصرفت من عنده بعد ذلك إلاّ بجائزة ؛ وتوخّيتُ وقت الكلام في هذا المعنى حتى وجدتُه ، فقمت فسألت كما قال لي ، وتبيّنتُ السرور في وجهه ، وقال : ما سألتَ شَطَطاً ، قد أقطعتك سُؤْلتك ؛ فجعلوا يتضاحكون من قولي ويقولون : لقد استضخمتَ القطيعة وهو ساكت ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي في التوثّق ؟ قال : تَوَثَّقْ كيف شئت ؛ فقلت : بالله وبحقّ رسوله وبتُربة أمير المؤمنين المهديّ إلاّ جعلتَني على ثقَة من ذلك بأنّك تحلف لي أنّك لا تُعطي أحداً من المغنّين جائزة على شيء يُغنّيه في شعر ذي الرُّمّة فإنّ ذلك وثيقتي ؛ فحلف مجتهداً لهم لئن غنّاه أحدٌ منهم في شعر ذي الرُّمّة لا أثابه بشيء ولا بَرّه ولا سمع غناءه ؛ فشكرتُ فعله وقبّلت الأرضَ بين يديه وانصرفنا . فغنّيت مائة صوت وزيادة في شعر ذي الرُّمّة ، فكان إذا سمع منها صوتاً طَرِب وزاد طربُه ووصلني فأجزَل ، ولم ينتفع به أحدٌ منهم غيري ؛ فأخذتُ منه والله بها أَلفَ أَلفِ درهم وأَلفَ أَلفِ درهم .

أخبرني جعفر بن قُدامة بن زِياد الكاتب قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو خالد الأَسْلَميّ قال حدّثني محمّد بن عمر الجُرْجانيّ قال : قال إبراهيم الموصليّ : أُرتج عليّ فلم أجد شعراً أَصُوغ فيه غناءً أُغنّي فيه الرشيدَ ، فدخلتُ إلى بعض حُجَر داري

مغموماً ، فأَسْبلتُ الستورَ عليّ وغلبتْني عيني ، فتمثَّل لي في البيت شيخٌ أَشْوَهُ الخِلْقة ، فقال لي : يا موصليّ ، مالي أَراك مغموماً ؟ قلت : لم أُصِبْ شِعْراً أُغنِّي فيه الرشيدَ الليلةَ ؛ قال : فأَين أَنت عن قول ذي الرُّمّة : [من الطويل]

أَلا يا اسْلَمي يا دارَ مَـيَّ على البِلَى ولا زال مُنْهَلاً بجَرْعائِـك القطرُ
وإن لم تكـوني غيرَ شام بقَفْـرةٍ تَجُرّ بهـا الأَذيـالَ صَيْفيّةٌ كُدْرُ
أَقامت بها حتّى ذَوى العودُ في الثَّرى وساق الثريّـا في مُلاءتـه الفجرُ[1]
وحتّى اعتلى البُهْمى من الصيف نافِضٌ كما نَفَضَتْ خيـلٌ نواصيَهـا شُقْرُ[2]

قال : وغنّاني فيه بلحن وكرّره حتى علِقتُه[3] فانتبهت وأَنا أُدِيره ، فناديت جاريةً لي وأَمرتُها بإحضار عود ، وما زِلتُ أَترنَّم بالصوت وهي تضرب حتى استوى لي ؛ ثم صرتُ إلى هارون فغنَّيته إيّاه ، فأَسكتَ المغنِّين ، ثم قال : أَعِد فأَعدتُ ، فما زال ليلَته يستعيدُنِيه ، فلمّا أَصبح أَمَر لي بثلاثين أَلف درهم وبفرش البيت الذي كنّا فيه . وقال : عليك بشعر ذي الرُّمّة فغنِّ فيه ؛ فصنعتُ فيه غناءً كثيراً ، فكنتُ أُغنِّيه به فيُعجبه ويُجْزل صِلتي .

[غنّى الرشيد ومعه زلزل وبرصوما فأطربوه]

أَخبرني عمّي وابن المَرزُبان والحسن بن عليّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدّثنا محمّد بن عبد الله السُّلَميّ قال حدّثنا أَبو غانم مولى جَبَلة بن يزيد السُّلَميّ قال : اجتمع إبراهيم الموصليّ وزَلْزَلٌ وبَرصوما بين يَدَي الرشيد ، فضرب زلزلٌ وزَمَر بَرْصوما وغنّى إبراهيم[4] : [من الوافر]

صوت

صَحـا قلبـي وراعَ إليّ عقـلي وأَقْصَر باطلي ونَسِيتُ جهلي[5]
رأَيتُ الغانياتِ وكُـنَّ صُورا إليّ صَرَمْننـي وقَطعْـنَ حبلي[6]

فطرِب هارون حتى وثَب على رجليه وصاح : يا آدم ، لو رأَيتَ مَن يحضُرُني من ولدك اليومَ لسرّك ! ، ثم جلس وقال : أَستغفر الله .

---

1 الثرى في ديوان ذي الرمّة : والثوى . ملاءة الفجر : بياضه .
2 اعتلى في الديوان ول : واعترى . البهمى : نبات تحبّه الغنم وهو أَخضر . والنافض : يبس ينفض هذا النبات .
3 ل : عقلته .
4 ديوان أَبي العتاهية : 617 .
5 راع : هنا بمعنى رجع .
6 وكن صوراء : أي يملنَ أَعناقهنّ إليه .

الشعر الذي غنّى فيه إبراهيم لأبي العتاهية . والغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

[الرشيد يترضّى جارية غاضبها]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[1] : كان الرشيد يَجِد بماردةَ وَجْداً شديداً ؛ فغضبت عليه وغضب عليها ، وتمادى بينهما الهجرُ أيّاماً ؛ فأمر جعفرُ بن يحيى العبّاسَ بن الأحنف فقال[2] : [من الكامل]

راجعْ أحبَّتك الذين هجرتَهم ... إنّ المُتَيَّم قلّما يَتجَنّبُ

إنّ التجنُّبَ إن تطاوَل منكما ... دَبَّ السُّلُوُّ لـه فعَزَّ المطلبُ[3]

وأمر إبراهيمَ الموصليّ فغنّى فيه الرشيد ؛ فلمّا سمعه بادر إلى ماردةَ فترضّاها ؛ فسألتْ عن السبب في ذلك فعرفتْه ، فأمرت لكلّ واحد من العبّاس وإبراهيم بعشرة آلاف درهم ، وسألتِ الرشيدَ أن يكافئهما عنها ، فأمر لهما بأربعين ألف درهم .

[نال أوّل جائزة لشاعر من الرشيد]

أخبرني جعفر بن قُدامة عن حَمّاد عن أبيه قال : أوّلُ جائزة خرجتْ لشاعر من الرشيد لمّا وَلِيَ الخلافةَ جائزةٌ لإبراهيم ، فإنّه قال يمدحه لَمّا وَلِي : [من الطويل]

صوت

أَلَم تَرَ أنّ الشمسَ كانت مريضةً ... فلمّا وَلِي هارونُ أشرق نُورُها

فألبستِ الدّنيا جمالاً بوجهه ... فهارونُ وَاليها ويحيى وزيرُها

وغنّى فيه ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وأمر له يحيى بخمسين ألف درهم .

[قامر الرشيد بالنرد]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ : أنّ أباه لَعِب يوماً مع الرشيد بالنَّرْد في الخلْعة التي كانت على الرشيد والخِلعة التي كانت عليه هو ، فتقامَرَ للرشيدِ ، فلمّا قَمَره قام إبراهيم فنزع ثيابه ، ثم قال للرشيد : حُكْمِ النَّرد الوفاءُ به ، وقد قُمِرْتُ ووفَّيتُ لك ، فالبس ما كان عليّ ؛ فقال له الرشيد : وَيْلَك ! أنا ألبس ثيابك ! ؛ فقال : إي والله إذا أنصفتَ ، وإذا لم تُنصف قدَرتَ وأمكنك ؛ قال : ويلك ! أو أفتدي منك ؟ قال : نعم ؛ قال : وما الفداء ؟ قال : قُل أنتَ يا أمير المؤمنين فإنّك أولَى بالقول ؛ فقال : أُعطيك كلّ ما عليّ ؛ قال : فمُرْ به يا أمير المؤمنين وأنا

---

1 وردت هذه الحكاية في التذكرة الحمدونية 6 : 209 (رقم 548) .

2 ديوان العباس بن الأحنف (صادر) : 44 .

3 ل : دب السلو فعز منك المطلبُ .

أستخير الله في ذلك ؛ فدعا بغير ما عليه فلبسه ونزَع ما كان عليه فدفَعه إلى إبراهيم .

[فطنة ابن جامع وإبراهيم في صناعة الموسيقى]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عُمَر بن شَبّة قال حدّثني عليّ بن عبد الكريم قال[1] : زار ابنُ جامع إبراهيمَ الموصليّ ؛ فأخرج إليه ثلاثين جاريةً فضرَبْنَ جميعاً طريقةً واحدة وغنَّيْن ؛ فقال ابن جامع : في الأوتار وَتَرٌ غير مستوٍ ؛ فقال إبراهيم : يا فلانةُ شُدِّي مَثْناكِ ، فشدَّتْه فاستوى ؛ فعجبتُ أوّلاً من فطنة ابن جامع لوتر في مائة وعشرين وتراً غير مستو ، ثم ازداد عَجَبي من فِطْنة إبراهيم له بعينه .

[غناؤه عند خمار بالرقّة]

أخبرني إسماعيل بن يونس وحَبيب بن نَصْر المُهَلَّبي قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي قال[2] : كنّا مع الرشيد بالرّقّة وكان هناك خَمّار أقصِده أشتري منه شراباً حسناً طيّباً ؛ وربّما شربت في حانته ، فأتيته يوماً فبزَل لي دَنّاً في باطِيَة له ، فرأيت لونه حسناً صافياً ، فاندفعتُ أغنّي : [من مجزوء الرمل]

صوت

اسْقِني صَهْباءَ صِرْفاً ... لم تُـدَنَّسْ بِمـزاجِ
اسْقِني والليـلُ داجٍ ... قبلَ أصوات الدَّجاجِ
يـا أبـا وَهْب خليلي ... كلُّ هَـمٍّ لانفراجِ
حـين تَوَّهْـتَ بقلبي ... في أعـاصير الفِجاجِ

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيمَ هَزَجٌ بالوسطى عن عمرو . وفيها لِسياط ثاني ثقيلٍ بالخِنْصر في مجرى البِنْصر عن إسحاق ، قال : فدَهِش الخمّار يسمع صوتي ، فقلت له : وَيْحَك ! قد فاض النبيذ من الباطِيَة ؛ فقال : دَعْني من النبيذ يا أبا إسحاق ، مالي أرى صوتك حزيناً حَرِيقاً ، مات لك بالله إنسان ؟ فلمّا جئتُ إلى الرشيد حدّثته بذلك فجعل يضحك .

[قصّته مع الجواري اللاتي عقنه عن موعد الرشيد]

وذكر أحمد بن أبي طاهر أنّ المدائنيّ حدّث قال : قال إبراهيم الموصليّ قال لي الرشيد يوماً : يا إبراهيم ، إنّي قد جعلت غداً للحَريم ، وجعلت ليلته للشرب مع الرجال ، وأنا مقتصرٌ عليك من المغنّين ، فلا تشْتغل غداً بشيء ، ولا تشرب نبيذاً ، وكُن بحضرتي في وقت العشاء الآخرةِ ؛ فقلت : السمعُ والطاعةُ لأمير المؤمنين ؛ فقال : وحقّ أبي لئن تأخّرتَ أو

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 21 (رقم 41) .

2 قد تقدّم مثل هذا الخبر في هذه الترجمة عن شربه وغنائه عند خمار في باري .

اعتلَلْتَ بشيء لأَضربنّ عنقك ، أفهمتَ ؟ فقلت : نعم ، وخرجتُ فما جاءني أحد من إخواني إلاّ احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لأحد ، حتى إذا صُلِّيتِ المغرب ركبتُ قاصداً إليه ، فلمّا قربت من فِناء داره مررت بفناء قصر ، وإذا زَنْبيلٌ كبير مُستوثَق منه بحبال وأربع عُرى أَدَمٍ وقد دُلِّيَ من القصر ، وجاريةٌ قائمة تنتظر إنساناً قد وُعِد ليجلس فيه ، فنازعتْني نفسي إلى الجلوس فيه ، ثم قلت : هذا خطأ ، ولعلّه أن يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاكُ ، فلم أزل أُنازع نفسي وتنازعني حتى غلبتْني ، فنزلت فجلست فيه ، ومُدّ الزنبيل حتى صار في إلى القصر ، ثم خرجت فنزلت ، فإذا جوارٍ كأنهنّ المَها جلوسٌ ، فضحِكْنَ وطَرِبْنَ ، وقلن : قد جاء والله مَن أردناه ؛ فلمّا رأينني من قريب تبادرْنَ إلى الحِجاب وقُلْن : يا عدوّ الله ، ما أدخلك إلينا ؟ فقلت : يا عدوّاتِ الله ، ومَن الذي أردْتُنّ إدخالَه ؟ ولِمَ صار أولى بهذا منّي ؟ فلم يزَل هذا دَأْبَنا وهنّ يضحكن وأضحك معهنّ ؛ ثم قالت إحداهنّ : أمّا مَن أردناه فقد فات ، وما هذا إلاّ ظريف ، فهلمّ نعاشرْه عشرةً جميلة ؛ فأُخرج إليّ طعام ودُعيت إلى أكله ، فلم يكن فيّ فَضْلٌ إلاّ أنّي كرِهت أن أُنسب إلى سوء العشرة ، فأصبتُ منه إصابة مُعَذِّر ، ثم جيء بالنبيذ فجعلنا نشرب ، وأخْرجن إليّ ثلاث جَوارٍ لهنّ فغنَّين غناءً مليحاً ، فغنَّتْ إحداهنّ صوتاً لَمَعْبد ، فقالت إحدى الثلاث من وراء الستر : أحسنَ إبراهيمُ ، هذا له ؛ فقلت : كَذَبتِ ليس هذا له ، هذا لمعبد ؛ فقالت : يا فاسقُ ، وما يُدْريك الغناءَ ما هو ! ؛ ثم غنّت الأخرى صوتاً للغَريض ، فقالت تلك : أحسن إبراهيم ، هذا له أيضاً ؛ فقلت : كذبتِ يا خبيثةُ ، هذا للغريض ؛ فقالت : اللهمّ أخْزِه ، ويلك ! وما يُدريك ؟ ثم غنّت الجارية صوتاً لي ، فقالت تلك : أحسن ابنُ سُرَيج ، هذا له ؛ فقلت : كذبتِ هذا لإبراهيم ، وأنتِ تَنسُبين غناء الناس إليه وغناءه إليهم ؛ فقالت : وَيْحَك وما يُدريك ! ؛ فقلت : أنا إبراهيم ، فتباشرنَ بذلك جميعاً وطرِبْنَ كلُّهنّ وظهرْنَ كلُّهنّ لي وقُلْنَ : كتمتَنا نفسَك وقد سررتنا ؛ فقلت : أنا الآن أستودعكنّ الله ؛ فقلن : وما السبب ؟ فأخبرتهنّ بقصّتي مع الرشيد ؛ فضحكن وقُلن : الآن والله طاب حبسك ، علينا وعلينا إن خرجتَ أسبوعاً ؛ فقلت : هو والله القتل ؛ قلن : إلى لعنة الله . فأقمت والله عندهنّ أسبوعاً لا أزول ، فلمّا كان بعد الأسبوع ودَّعْنَني وقُلن : إن سلّمك الله فأنت بعد ثلاث عندنا ، قلت نعم ؛ فأجلسنَني في الزنبيل وسُرِّحتُ ؛ فمضيت لوجهي حتى أتيت دارَ الرشيد ، وإذا النداء قد أُشيع ببغدادَ في طلبي وأنّ مَن أحضرني فقد سُوِّغ ملكي وأُقْطِع مالي ؛ فاستأذنتُ فتبادر الخدمُ حتى أدخلوني على الرشيد ؛ فلمّا رآني شتمني وقال : السيف والنِّطْع ! إيهٍ يا إبراهيم ، تهاونتَ بأمري وتشاغلتَ بالعوامّ عمّا أمرتك به وجلستَ مع أشباهك من السفهاء حتى أفسدتَ عليّ لذّتي ! ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنا

بين يديك ، وما أُمرتَ به غيرُ فائت ، ولي حديث عجيب ما سُمع بمثله قطُّ ، وهو الذي قطعني عنك ضرورةً لا اختياراً ، فاسمعْه ، فإن كان عذراً فاقبلْه وإلاّ فأنت أعلم ؛ قال : هاتِه فليس يُنجيك ؛ فحدّثته ، فوجَم ساعةً ثم قال : إنّ هذا لعَجبٌ ، أفتُحْضِرني معك هذا الموضع ؟ قلت : نعم ، وأُجلسك معهنّ إن شئتَ قبلي حتى تحصل عندهنّ ، وإن شئت فعلى موعد ؛ قال : بل على موعد ؛ قلت : أفعل ؛ فقال : انظُر ؛ قلت : ذلك حاصلٌ إليك متى شئت ؛ فعدَل عن رأيه فيّ وأجلسني وشرب وطرِب ؛ فلمّا أصبحتُ أمرني بالانصراف وأن أجيئه من عندهنّ ؛ فمضيت إليهنّ في وقت الوعد ، فلمّا وافيتُ الموضعَ إذا الزنبيل معلّق ، فجلست فيه ومدّه الجواري فصعِدت ، فلمّا رأيْنَني تباشرْنَ وحَمِدْنَ الله على سلامتي ، وأقمتُ ليلتي[1] ، فلمّا أردت الانصراف قلت لهنّ : إن لي أخاً هو عِدْلُ نفسي عندي ، وقد أحَبّ معاشرتكنّ ووعدتُه بذلك ؛ فقلن : إن كنتَ ترضاه فمرحباً به ؛ فوعدتهنّ ليلةَ غدٍ وانصرفتُ وأتيت الرشيدَ وأخبرته ؛ فلمّا كان الوقتُ خرج معي متخفّياً حتى أتينا الموضع ، فصعِدت وصعِد بعدي ونزلْنا جميعاً ، وقد كان الله وفّقني لأن قلتُ لهنّ : إذا جاء صديقي فاستترنَ عنّي وعنه ولا يسمعْ لكُنّ نَطْقة ، وليكن ما تَخْتَرْنَه من غناء أو تَقُلْنَه من قولٍ مُراسَلةً ؛ فلم يتعدّيْنَ ذلك وأقَمْنَ على أتمِّ سِتْرٍ وخَفَر ، وشربنا شرباً كثيراً ، وقد كان أمرني ألاّ أُخاطبَه بأمير المؤمنين ، فلمّا أخذ منّي النبيذُ قلت سهواً : يا أمير المؤمنين ، فتواثَبْنَ من وراء الستارة حتى غابت عنّا حركاتهنّ ؛ فقال لي : يا إبراهيم لقد أفْلَتَّ من أمر عظيم ، والله لو برزتْ إليك واحدة منهنّ لضربتُ عنقك ، قم بنا ، فانصرفنا ؛ وإذا هنّ له ، قد كان غضِب عليهنّ فحبسهنّ في ذلك القصر ؛ ثم وجّه من غد بخَدَم فردّوهنّ إلى قصره ، ووَهب لي مائة ألف درهم ، وكانت الهدايا والألْطاف تأتيني بعد ذلك منهنّ .

[غنّى الرشيد فأجزل صلته]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبي قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : أنا اليوم كسلانُ خاثِر ، فإن غنّيْتَني صوتاً يوقظ نشاطي أحسنت صلتك ؛ فغنّيته : [من الطويل]

ولَم يُـرَ في الدنيـا مُحبّان مثلُنا ... على ما نلاقي من ذَوِي الأعين الخُزْرِ

صَفِيّانِ لا نرضى الوُشاةَ إذا وَشَوْا ... عفِيفانِ لا نَغْشى من الأمر ما يُزْري

فطرِب ، ودعا بالطعام فأكل وشرب ، وأمر لي بخمسين ألف درهم .

---

1 ل : ليلتين .

[امتحانه صوتاً لدنانير]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي أبي قال لي يحيى بن خالد : إنّ ابنتك دَنانِيرَ قد عمِلتْ صوتاً أعجبني وأعجبتْ أيضاً هي به ، فقلتُ لها : لا تُعجَبي به حتّى أعْرِضَه على أبيك أبي إسحاق ؛ فقلتُ له : والله ما في معرفة الوزير ، أعزّه الله ، به ولا بغيره من الصنائع مَطْعَن ، وإنّه لأصحُّ العالَم تمييزاً وأثقبُه فِطْنةً ، وما أعجبه إلاّ وهو صحيحٌ حَسَن ؛ فقال : إن كنتُ كما تقول أيضاً ، فإنّ أهلَ كلّ صناعة يُمارسونها أفهمُ بها ممّن يَعْلَمها عن عُرُض من غير مُمارسة ، ولو كنّا في هذه الصناعة متساويَيْن لكان الاستظهارُ برأيك أجْوَد ، لأنّ مَيْلي إلى صانعة الصوت ربّما حسَّن عندي ما ليس بالحسن ، وإنّما يتمّ سروري به بعد سماعك إيّاه واستحسانك له على الحقيقة ؛ فمضيتُ فوجدتُ ستارةً منصوبة وأمراً قد تُقدّم فيه قبلي ؛ فجلستُ فسلّمت على الجارية ، وقلتُ لها : تغنّيني الصوتَ الذي ذكره لي الوزير أعزّه الله ؛ فقالت : إنّ الوزير قال لي : إنِ استجاده فعرّفيني ليتمّ سروري به ، وإلاّ فاطوِ الخبرَ عنّي لئلاّ تَزول رُتبته عندي ؛ فقلتُ : هاتيه حتى أسمعه ؛ فغنّت تقول : [من الكامل]

نفسي أكنتُ عليكِ مدّعياً أم حين أزْمَعَ بينهُم خُنْتِ
إن كنتِ هائمةً بذكرهمُ فعلى فراقهمُ ألا حُمْتِ[1]

قال : فأحسَنتْ والله وما قصّرتْ ، فاستعدتُه لأطلبَ فيه موضعاً لأُصلحه[2] فيكون لي فيه معنى فما وَجدتُ ؛ قلت : أحسنْتِ والله يا بُنيّة ما شئتِ ؛ ثم عدتُ إلى يحيى فحلفتُ له بأيمان رضيها أنّ كثيراً من حُذّاق المغنّين لا يُحسنون أن يصنعوا مثله ، ولقد استعدتُه لأرى فيه موضعاً يكون لي فيه عملٌ فما وجدت ؛ فقال : وصفُكَ لها من أجله يقومُ مقامَ تعليمك إيّاها ، فقد والله سررتَني وسأسرّك ، فلمّا انصرفتُ أتبعني بخمسين ألف درهم .

[قصّته مع فتاة شاعرة بحضرة الرشيد]

حدّثني عمّي وابن المَرزُبان قالا حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله السُّلَميّ قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق ، ولَم يقُل عن أبيه ، قال : والله إنّي لَفِي منزلي ذاتَ يوم وأنا مفكّرٌ في الرّكوب مرّةً وفي القعود مرّة ، إذا غلامي قد دخل ومعه خادم للرشيد يأمرني بالحضور من وقتي ، فركِبتُ وصرتُ إليه ؛ فقال لي : اجلس يا إبراهيم حتى أُريكَ عجباً ، فجلستُ ؛ فقال : عليَّ بالأعرابيّة وابنتها ؛ فأُخرِجَتْ إليَّ إعرابيّة ومعها بُنَيّة لها عشرٌ أو أرجح ؛ فقال : يا إبراهيم ، إنّ هذه الصَّبِيّة تقول الشعر ؛ فقلتُ لأُمّها : ما يقول أمير المؤمنين ؟ فقالت :

1 حُمت في ل : مت .
2 ل : أصلحه .

هِي هذه قدّامَك فسَلْها ؛ فقلت : يا حبيبة ، أَتقولين الشعر ؟ فقالت نعم ؛ فقلت : أَنشديني بعضَ ما قلتِ ؛ فأَنشدتْني : [من الطويل]

صوت

تقـول لأَتراب لهـا وهـي تَمْتَرِي ... دموعاً على الخدَّيْن من شدّة الوجدِ[1]
أَكلُّ فتـاةٍ لا محالـةَ نـازلٌ ... بهـا مثلُ مابي أَم بُلِيتُ بـه وحدي
بَـراني لـه حـبٌّ تنَشَّبَ في الحشا ... فلم يُبْقِ من جسمي سوى العظمِ والجلدِ
وجَدتُ الهـوى حُلْـواً لذيذاً بَدِيئُه ... وآخـرُه مـرٌّ لصاحبـه مُـرْدِي[2]

قال الشَّبِّيّ[3] في خبره : قال إسحاق : وكان أَبي حاضراً ، فقال : والله لا تَبرَحْ يا أَمير المؤمنين أَوْ نصنعَ في هذه الأَبيات لحناً ؛ فصُغْتُ فيها أَنا وأَبي وجميعُ مَن حضر . وقال الآخرون : قال إبراهيم : فما بَرِحتُ حتّى صنعتُ فيه لحناً وتَغَنّيتُ به وهي حاضرة تسمع . قال ابن المَرزُبان في خبره ، ولم يذكره عمّي ، : فقالت : يا أَمير المؤمنين ، قد أَحسنَ رِوايةَ ما قلتُ ، أفتأذَنُ لي أَن أُكافئه بمدح أَقوله فيه ؟ قال : افعلي ؛ فقالت[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

مـا لإبراهيم في العلـ ... ـم بهذا الشأنِ ثاني
إنّمـا عُمْـرُ أَبي إسـ ... ـحاقَ زيـنٌ للزمانِ
منـه يُجْنـى ثَمَرُ اللّهـ ... ـو ورَيْحـانُ الجِنانِ
جنّـة الدّنيـا أَبو إسـ ... ـحاق في كلّ مكـانِ

قال : فأَمر لها الرشيد بجائزة ، وأَمر لي بعشرة آلاف درهم ، فوهبتُ لها شَطْرَها .

اللحن الذي صنعه إبراهيم في شِعر الاعرابيّة ثقيلٌ أَوّل بالوسطى . وفيه لعلّويه ثاني ثقيل . وأَمّا الشعر الثاني فهو لابن سيابَةَ لا يُشَكّ فيه . ولإبراهيم فيه لحن من خفيف الثقيل .

[الرشيد يجيز المغنّين ويغضب على علّويه]

أَخبرني محمّد بن مَزْيَد عن حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كنت أَخذتُ بالمدينة من مجنونٍ بها هذا الصوتَ ، وغَنّيْتُه الرشيدَ وقلتُ :

---

1 تمتري دموعاً : تستدرها .
2 بديء الشيء : أَوّله .
3 الشبيّ : عمر بن شبّة .
4 تقدّم هذا الشعر منسوباً لابن سيابة ، ص 112 .

صوت

[من البسيط]

هما فتاتانِ لمّا تَعرِفا خُلُقي وبالشَّبابِ على شَيْبي تُدِلاّنِ
رأَيتُ عِرْسَيَّ لمّا ضَمَّني كِبَري وشِخْتُ أَزمعتا صرمي وهِجْراني
كلُّ الفَعال الذي يفعلْنَه حَسَنٌ يُصْبي فؤادي ويُبْدي سِرّ أَشْجاني
بَلِ احذَرا صَوْلةً من صَول شيخكما مَهْلاً على الشيخ مَهْلاً يا فتاتانِ

فطَرِب وأَمر لي بظَبْية كانت مُلْقاةً بين يديه ، فيها أَلفُ دينار مسيَّفة[1] ؛ وكان ابن جامع حاضراً ، فقال : اسمع يا أَمير المؤمنين غناء العقلاء ودع غناء المجانين ، وكان أَشدَّ خَلْقِ الله حسداً ، فغنّاه : [من الرمل]

صوت

ولقد قالت لأَتراب لها كالمَها يَلْعَبْن في حُجْرتها
خُذْن عنّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُني ومَضَتْ سَعْياً إلى قُبّتها[2]

فطَرِب وشَرِب ، وأَمر له بأَلفٍ وخمسمائة دينار . ثم تَبِعه محمّد بن حمزة وَجْهُ القَرْعة فغنّى : [من المنسرح]

صوت

يَمْشُون فيها بكلِّ سابغةٍ أُحكِم فيها القَتِيرُ والحَلَقُ[3]
يُعرَفُ إنصافُهم إذا شهِدوا وصبْرُهم حين تَشْخَص الحَدَقُ

فاستحسنه وشرِب عليه ، وأَمر له بخمسمائة دينار . ثم غنّى علّويه : [من الكامل]

صوت

يَجْحَدْنَ دَيْني بالنّهار وأَقتضي دَيْني إذا وَقَذَ النُّعاسُ الرُّقَّدا[4]
وأَرى الغَوانيَ لا يُواصِلْنَ امرأً فَقَدَ الشَّبابَ وقد يَصِلن الأَمْرَدا

فدعا به الرشيد وقال له : يا عاضَّ بظْرِ أُمّه ! أَتغنّي في مدحِ المُرْد وذمّ الشَّيب وسِتارتي منصوبة وقد شِبْتُ وكأَنّك تعرّض بي ؟ ثم دعا مسروراً فأَمره أَن يأخذ بيده فيضربه ثلاثين

---

1 الدينار المسيف : الذي جوانبه نقيّة من النقش . والظبية : الجراب .
2 ديوان عمر : 75 وفيه «تسعى إلى قبتها» .
3 القتير : رؤوس المسامير في الدرع .
4 وقذه النعاس : غلبه .

دِرّة ويُخرجَه من مجلسه ، ففعل ؛ وما انتفعنا به بقيّة يومنا ولا انتفع بنفسه ، وجفا علّويه شهراً ، ثم سألناه فيه فأذِن له ؛ ولهذه الأغاني نسب قد ذُكرت في موضعها .

قال أبو الفرج لإبراهيم أخبارٌ مع خُنْث المعروفة بذات الخال ، وكان يهواها ، جعلتُها في موضع آخر من هذا الكتاب ، لأنّها منفردة بذاتها مستغنيةٌ عن إدخالها في غمار أخباره . وله في هذه الجارية شعر كثير فيه غناء له ولغيره ؛ وقد شرَطْتُ أنّ الشيءَ من أخبار الشعراء والمغنّين إذا كانت هذه سبيلَه أُفْرِده ، لئلاّ يَقطعَ بين القرائن والنظائر ممّا تُضاف إليه وتدخلُ فيه .

[مرضه وزيارة الرشيد له]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى قال : سمعتُ إسحاقَ الموصليّ يقول : لمّا دخلتْ سنة ثمان وثمانين ومائة اشتدّ أمر القُولَنْج على أبي ولزِمه ، وكان يعتاده أحياناً ، فقعد في الأبزن عن خدمة الخليفة وعن نَوْبته في داره ؛ فقال في ذلك : [من مجزوء الرمل]

صوت

مَـــلَّ والله طبيبـي من مُقاساةِ الذي بي
سوف أنْعى عن قريب لعـــدوٌّ وحبيـــبِ

وغنّى فيه لحناً من الرَّمَل ، فكان آخِرَ شعرٍ قاله وآخِرَ لحنٍ صنعه .

أخبرني الصُّوليّ عن محمّد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ الرشيد ركب حماراً ودخل إلى إبراهيم يعوده وهو في الأبزَن جالس ، فقال له : كيف أنت يا إبراهيم ؟ فقال : أنا والله يا سيِّدي كما قال الشاعر : [من الوافر]

سَقيمٌ مَـلَّ منـه أقربوه وأسْلَمه المُداوي والحميمُ

فقال الرشيد : إنّا لله ، وخرج ، فلم يَبْعُد حتى سمِع الواعية[1] عليه .

[وفاته]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شَبّة قال : مات إبراهيم الموصليّ سنة ثمانٍ وثمانين ومائة ، ومات في ذلك اليوم الكِسائيّ النحويّ والعبّاس بن الأحنف الشاعر وهُشَيمة الخَمّارة ، فرُفع ذلك إلى الرشيد ، فأمر المأمونَ أن يصلّيَ عليهم ، فخرج فصُفُّوا بين يديه ؛ فقال : مَنْ هذا الأوّل ؟ قيل : إبراهيم ؛ فقال : أخِّروه وقدّموا العبّاسَ بن الأحنف ، فقُدّم

1 الواعية : الصراخ على الميت .

فصلّى عليهم ؛ فلمّا فرغ وانصرف ، دنا منه هاشم بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ فقال : يا سيِّدي ، كيف آثرتَ العبّاسَ بالتّقدمة على مَن حضر ؟ قال : لقوله[1] : [من الكامل]

وسَعى بهـا نـاسٌ فقالوا إنّها ... لهـي التي تَشْقى بها وتُكابِدُ[2]
فجحدتُهم ليكونَ غيرَكِ ظنُّهم ... إنّي ليُعجبني المحـبّ الجاحدُ

ثم قال : أتحفظها ؟ قلت نعم ؛ فقال : أنشدني باقيها ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

لمّا رأيـتُ الليـلَ سدّ طَريقَه ... عنّي وعذَّبنـي الظلام الراكدُ
والنَّجم في كَبِد السماء كأنّه ... أعمـى تحيَّر مـا لديـه قائدُ
ناديتُ مَنْ طَرَد الرُّقادَ بصدِّه ... عمّا أُعالج وهـو خِلوٌ هاجدُ
يا ذا الذي صدَع الفؤادَ بهجره ... أنت البَـلاءُ طريفُـه والتّالدُ
ألقيتَ بين جفون عيني حُرْقةً ... فإلى متـى أنا ساهرٌ يـا راقدُ

فقال المأمون : أليس مَن قال هذا الشعر حقيقاً بالتقدمة ؟ فقلتُ : بلى والله يا سيِّدي .

[بكاء برصوما الزامر عليه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني أبي قال : قال لي بَرْصُوما الزامر : أما في حقّي وخدْمتي وميْلي إليكم وشكري لكم ما أستوجِبُ به أن تَهَب لي يوماً من عُمْرك تَفعل فيه ما أُريد ولا تخالفني في شيء ؟ فقلتُ : بلى ووعدتُه بيوم ؛ فأتاني فقال : مُرْ لي بخِلْعة ، ففعلتُ وجعلتُ فيها جبّةَ وَشْي ؛ فلبِسها ظاهرةً وقال : امضِ بنا إلى المجلس الذي كنتُ آتي أباك فيه ؛ فمضينا جميعاً إليه وقد خلّقتُه وطيّبتُه ؛ فلمّا صار على باب المجلس رَمى بنفسه إلى الأرض فتمرّغ في التّراب وبكى وأخرج نايه وجعل ينوحُ في زَمْره ويدور في المجلس ويقبّل المواضع التي كان أبو إسحاق يجلس فيها ويبكي ويَزْمِرُ حتّى قضى من ذلك وَطَرا ، ثم ضرب بيده إلى ثيابه فشقّها ، وجعلت أُسكّتُه وأبكي معه ، فما سَكَنَ إلاّ بعد حين ، ثم دعا بثيابه فلبِسها وقال : إنّما سألتك أن تخلعَ عليّ لئلاّ يقال : إنّ برصوما إنّما خرَق ثيابه ليُخْلَع عليه ما هو خير منها ؛ ثم قال : امضِ بنا إلى منزلك فقد اشتفَيْتُ ممّا أردت ؛ فعُدت إلى منزلي وأقام عندي يومه ، وانصرف بخلعة مجدّدة .

---

1 ديوان العباس بن الأحنف : 102 .

2 «وسعى بها ناسٌ فقالوا إنّها» في الديوان : «سمّاك لي قوم وقالوا إنّها» .

[المراثي التي قيلت فيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني عمر بن شبّة قال حدّثني القاسم بن يزيد قال : لمّا مات إبراهيم الموصليّ دخلت على إبراهيم بن المهديّ وهو يشرب وجواريه يُغنّين ، فذكرنا إبراهيم الموصليّ وحذقه وتقدّمه ، فأفضْنا في ذلك وإبراهيم مُطْرِق ، فلمّا طال كلامنا وقال كلّ واحد منّا مثلَ ما قاله صاحبه ، اندفع إبراهيم بن المهديّ يُغَنّي في شعر لابن سيابة يرثي به إبراهيمَ ، ويقال : إنّ الأبيات لأبي الأسد : [من الوافر]

تولّى الموصليُّ فقد تولّتْ بشاشاتُ المَراهِر والقِيانِ
وأيُّ بشاشةٍ بَقِيَتْ فتبقَى حياةُ الموصليّ على الزمانِ
ستَبْكيه المَراهِر والمَلاهي وتُسْعِدُهنّ عاتقةُ الدّنانِ
وتَبْكيه الغَوِيّة إذ تولّى ولا تبكيه تاليةُ القُرانِ[1]

قال : فأبْكى مَن حضر ؛ وقلت أنا في نفسي : أفتُراه هو إذا مات مَن يبكيه : المحرابُ أم المصحف ؟! قال : وكان كالشامتِ بموته .

أخبرني يحيى بن عليّ قال قال أنشدني حَمّاد قال : أنشدني أبي لنفسه يرثي أباه ، وأنشدها غير يحيى وفيها زيادة على روايته : [من الطويل]

أقول له لمّا وقفتُ بقبره عليك سلامُ الله يا صاحبَ القبرِ
أيا قبرَ إبراهيم حُيِّيتَ حُفْرةً ولا زِلتَ تُسْقى الغيثَ من سَبَل القَطْرِ[2]
لقد عزّني وَجْدي عليكَ فلم يَدَعْ لقلبي نصيباً من عَزاء ولا صبرِ[3]
وقد كنتُ أبكي من فِراقك ليلةً فكيف وقد صار الفِراقُ إلى الحشرِ

أخبرني أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقّب بَوسْواسةَ قال : أنشدني حَمّاد لأبيه إسحاق يرثي أباه إبراهيم الموصلّي : [من الطويل]

سلامٌ على القبرِ الذي لا يُجيبنا ونحن نُحيي تُرْبَه ونخاطبُهْ
ستَبْكيه أشرافُ المُلوك إذا رَأَوْا مَحَلّ التصابي قد خلا منه جانبُهْ
ويَبكِيه أهلُ الظَّرْف طُرّاً كما بكى عليه أمير المؤمنين وحاجبُهْ

---

1 القران : القرآن .
2 سبل القطر : ما سال من المطر .
3 عزّني : غلبني .

ولمّا بـــدا لي اليأسُ منـــه وأُنْزَفت عيـــونُ بواكيـــه ومَلّـــتْ نوادبُهْ[1]
وصار شفاءُ النفس من بعض ما بها إفاضـــةَ دمـــع تَستَهِـــلّ سواكبُهْ
جعلتُ عـــلى عينـــيّ للصبح عَبرةً ولِلّيلِ أُخـــرى مـــا بـدتْ لي كواكبُهْ

قال : وأنشدني أيضاً حَمّاد لأبيه يَرثي أباه : [من الطويل]

عليك سلامُ الله مـــن قبرٍ فاجع وجادك مـــن نَوْء السِّماكين وابلُ
هَلَ انْتَ مُحيِّي القبرِ أم أنت سائل وكيف تُحيَّـــا تُربـــةٌ وجَنادلُ
أظَـــلُّ كأنّي لم تُصبنـــي مصيبةٌ وفي الصَّدْرِ من وَجْدٍ عليك بلابلُ
وهَوَّنَ عنـــدي فَقْدَه أنّ شخصه على كلِّ حال بـــين عينـــيَّ ماثلُ

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ قال أنشدني إبراهيم بن عليّ بن هشام لرجل يرثي إبراهيم الموصليّ : [من الخفيف]

أصبح اللهو تحت عَفْر الترابِ ثاوِيـــاً في مَحَلّـــة الأحبابِ
إذ ثوى الموصليّ فانقرض اللّهـــ ـو بخير الإخوان والأصحابِ
بكـــت المُسْمِعاتُ حُزْناً عليه وبكاه الهوى وصَفْوُ الشرابِ
وبكـــتْ آلـــةُ المجالسِ حتّى رحِم العـــودُ دمعـــةَ المِضرابِ

[لن تفقد من أبيك إلاّ شخصه]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : دخلتُ إلى الرشيد بعَقِب وفاة أبي ، وذلك بعد شهر من يوم وفاته ، فلمّا جلستُ ورأيتُ موضعه الذي كان يجلس فيه خالياً دَمَعتْ عيني ، فكفَفتُها وتصبّرتُ ؛ ولمحني الرشيد فدعاني إليه وأدناني منه ، فقبّلتُ يدَه ورجلَه والأرض بين يديه ، فاستعبر ، وكان رقيقاً ؛ فوثبت قائماً ثم قلت : [من الخفيف]

في بقـــاء الخليفـــة الميمـــون خَلَـــفٌ مـــن مُصيبة المحزونِ
لا يَضير المصابَ رُزْءٌ إذا مـــا كان ذا مَفْـــزَعٍ إلى هـــارونِ

فقال لي : كذاك والله هو ، ولن تَفْقِد من أبيك ما دمتُ حيّاً إلاّ شخصَه ؛ وأمر بإضافة رزقه إلى رزقي ؛ فقلت : بل يأمر أميرُ المؤمنين به إلى ولده ، ففي خدمتي إيّاه ما يُغْنِيني ؛ فقال : اجعلوا رزق إبراهيم لولده وأضْعِفوا رزق إسحاق .

1 أنزفت العين : نفد ماؤها .

صوت
من المائة المختارة

[من المنسرح]

يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَلِ حُيِّيتِ من دِمْنةٍ ومن طَلَلِ[1]
إنّي إذا ما البخيلُ أمَّنها باتت ضَمُوزاً منّي على وَجَلِ[2]
لا أُمتِع العُوذَ بالفِصالِ ولا أبتاعُ إلاّ قَرِيبةَ الأَجَلِ

العوذ : الإبل التي قد نُتجتْ ، واحدتها عائذ . يقول : أَنحرُها وأَولادَها للأَضياف فلا أُمتِّعها ، والضَّمُوز : الممسكة عن أن تَجْتَرّ . ضمَز الجملُ بجِرَّته إذا أمسك عنها ، ودَسَع بها إذا استعملها . يقول : فهذه الناقة من شدّة خوفها على نفسها ممّا رأَت من نَحْر نظائرها قد امتنعتْ من جِرّتها فهي ضامِزَةٌ .

الشعر لابن هَرْمة . والغناء في اللحن المختار لَمَرْزوق الصرّاف[3] ثقيلٌ أَوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، ويقال إنّه ليحيى بن واصِل . وذكر عمرو بن بانةَ أَنّ فيه لدَحْمانَ لحناً من الثقيل الأَوّل بالبنصر ، وأَنّ فيه لابن مُحْرز لحناً من الثقيل الثاني بالبنصر في الثالث ثم الثاني ، ووافقه ابن المكيّ . قال : وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الأَوّل والثالث ؛ وذكر الهِشاميّ أَنّ هذا اللحن بعينه ليونس وأَنّ الثقيل الثاني لإبراهيم ، وأَنّ لَمَعْبد فيه لحناً من الثقيل الأَوّل بالوسطى ، وأَنّ فيه للهُذَليّ خفيفَ ثقيل ، وأَنّ فيه رَمَلاً ينسب إلى ابن مُحْرِز أَيضاً .

1 ديوان ابن هرمة : 182–183 . ملل : منزل على طريق المدينة إلى مكّة .
2 ناقة ضموز : تضمّ فاها لا تسمع لها رغاء .
3 ل : الضرّاب .

[70] ـ شيء من ذكر ابن هَرْمة أيضاً[1]

[جوده أفنى ماله]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزُّهْريّ ونَوْفل بن ميمون عن يحيى بن عُروة بن أُذَينة قال[2] : خرجتُ في حاجة لي ، فلمّا كنت بالسَّيالة[3] وقفتُ على منزل إبراهيم بن عليّ بن هَرْمة ، فصِحتُ : يا أبا إسحاق ، فأجابتني ابنتُه : مَن هذا ؟ فقلت : انظُري ، فخرجتْ إليّ فقلت : أعلمي أبا إسحاق ؛ فقالت : خرج والله آنفاً ؛ قال : فقلت : هل من قِرىً ؟ فإنّي مُقْوٍ من الزاد ؛ قالت : لا والله ، ما صادفتَه حاضراً ؛ قلت : فأين قولُ أبيك : [من المنسرح]

لا أُمْتِع العُوذَ بالفِصال ولا أبتاع إلاّ قريبةَ الأجلِ

قالت : بذاك والله أفناها ، أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبايَة بمثل هذا الخبر سواء ، وزاد فيه : قال : فأخبرت إبراهيم بن هَرْمة بقولها ، فضمّها إليه وقال : بأبي أنت وأمّي ! أنتِ والله ابنتي حقّاً ، الدارُ والمَزْرعةُ لك .

[نهب غنمه الناس وكان بخيلاً]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني نَوْفل بن ميمون قال حدّثني مُرَقَّع قال : كنتُ مع ابن هَرْمة في سَقيفة أُمّ أُذَيْنة ، فجاءه راعٍ بقطعة[4] من غنم يشاوره فيما يبيع منها ، وكان قد أمره ببيع بعضها ؛ قال مُرَقَّع : فقلت : يا أبا إسحاق ، أين عزَب عنك قولك ؟ [من المنسرح]

لا غنمي مُـدّ في الحياة لها إلاّ لدَرْك القِرَى ولا إبـلي

وقولُك فيها أيضاً : [من المنسرح]

لا أمتع العُوذَ بالفصال ولا أبتاع إلاّ قَرِيبةَ الأجـلِ

---

1 لإبراهيم بن هرمة ترجمة في الخزانة 1 : 424–426 والشعر والشعراء 639–640 والسمط : 398 وتهذيب ابن عساكر 2 : 234 وطبقات ابن المعتزّ : 20 والموشح : 223 .

2 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 7 : 199 .

3 السيالة : أوّل مرحلة للذاهب من المدينة إلى مكّة .

4 ل : بقطيعة .

فقال لي : مالك أخزاك الله ؟ مَن أخذ منها شيئاً فهو له ؛ فانتهبناها حتى وقف الراعي وما معه منها شيء .

وحدّثنا بهذا الخبر أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن أبيه : أنّ ابن هَرمة كان اشترى غنماً للربح ، فلقيه رجلٌ فقال له : ألستَ القائل : [من المنسرح]

لا غنمي مُـدّ في الحياة لها إلاّ لدَرْك القِـرى ولا لإبلي

قال : نعم ؛ قال : فوالله إنّي لأحسَبك تدفع عن هذه الغنم المكروهَ بنفسك ، وإنّك لكاذب ؛ فأحفظه ذلك فصاح : مَن أخذ منها شيئاً فهو له ؛ فانتهبها الناسُ جميعاً ؛ وكان ابنُ هَرْمة أحدَ البخلاء .

[أوّل شعر قاله ابن هرمة]

أخبرني الحِرْمِيّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الزُّبير بن بَكّار قال حدّثني نوفل بن ميمون قال حدّثني زُفَر بن محمّد الفِهْري : أنّ هذه القصيدة أوّلُ شعر قاله ابن هرمة .

[مزبد يسخر من كرمه]

أخبرنا محمّد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي : حدّثنا عبد الله بن الوَليد الأَزْدِيّ قال حدّثني جعفر بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين قال[1] : سمع مزبد قول ابن هَرْمة : [من المنسرح]

لا أُمْتِعُ العُوذَ بالفصال ولا أبتاعُ إلاّ قريبةَ الأَجَلِ

قال : صدَق ابن الخبيثة ، إنّما كان يَشتري الشاة للأَضْحَى فيَذْبحها من ساعته .

[يقول ما لا يفعل]

أخبرنا وَكِيع قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه عن عبد الله بن الوليد عن جعفر بن محمّد بن زيد عن أبيه قال : اجتمع قوم من قريش أنا فيهم ، فأحببْنا أن نأتي ابنَ هَرْمة فنعبَثَ به ، فتزوّدنا زاداً كثيراً ثم أتيناه لنقيم عنده ، فلمّا انتهينا إليه خرج إلينا فقال : ما جاء بكم ؟ فقلنا : سمعنا شعرك فدعانا إليك لمّا سمعناك قلت : [من الكامل]

إنّ امرأ جعل الطريقَ لبيته طُنُباً وأنكـرَ حقّـه للَئيم

وسمعناك تقولُ : [من الكامل]

وإذا تنـوَّر طارق مُسْتنبحٌ نَبَحتْ فدلّتـه عليَّ كلابي

1 انظر التذكرة الحمدونية 7 : 250 .

وعَوَينَ يَستعجِلْنه فلقِينّه يَضربْنه بشَراشِرِ الأَذنابِ[1]

وسمعناك تقول : [من المنسرح]

كم ناقةٍ قد وجأْتُ مَنْحَرها بمُستَهَلّ الشُّؤْبُوب أَو جَمَلِ
لا أُمتع العُوذَ بالفِصال ولا أَبتاعُ إلاّ قريبةَ الأَجلِ

قال : فنظَر إلينا طويلاً ثم قال : ما على وجه الأَرض عصابةٌ أَضعفُ عقولاً ولا أَسخفُ دِيناً منكم ؛ فقلنا له : يا عدوَّ الله يا دعيّ ، أَتيناك زائرين وتُسمعُنا هذا الكلام ؟ ؛ فقال : أَما سمعتم الله تعالى يقول للشعراء : ﴿وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ ما لا يَفْعَلُونَ﴾ أَفيُخْبِرُكم الله أَنّي أَقول ما لا أَفعلُ وتريدون منّي أَن أَفعلَ ما أَقول ؟ قال فضحِكنا منه وأَخرجناه معنا ، فأَقام عندنا في نزهتنا يَشْرَكُنا في زادنا حتى انصرفنا إلى المدينة .

[إعجاب الأَصمعيّ به]

أَخبرنا عمّي قال حدّثني محمّد بن سعيد الكُرانيّ عن عبد الرحمن بن أَخي الأَصمعيّ عن عمّه قال : الحَكَم الخُضْريّ ، وابن مَيّادة ، ورُؤْبة ، وابن هَرْمة ، وطُفَيل الكِنانيّ ، ومَكين العُذْرِيّ ، كانوا على ساقة[2] الشعراء ، وتقدّمهم ابن هَرْمة بقوله : [من المنسرح]

لا أُمتع العُوذَ بالفِصالِ ولا أَبتاع إلاّ قريبة الأَجلِ

قال عبد الرحمن : وكان عمّي مُعْجَباً بهذا البيت مُستحسِناً له ، وكان كثيراً ما يقول : أَما تَرَوْن كيف قال ؟ والله لو قال هذا حاتم لما زاد ولكان كثيراً ؛ ثم يقول : ما يؤخّره عن الفحول إلاّ قُرْبُ عهده . انتهى .

[تفضيل مروان بن أَبي حفصة له]

أَخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى ووَكِيع عن حَمّاد عن أَبيه قال : قلت لمروان بن أَبي حَفْصة : مَنْ أَشعر المُحْدَثين من طبقتكم عندك ؟ لا أَعْنيك ؛ قال : الذي يقول : [من المنسرح]

لا أُمتع العوذَ بالفصال ولا أَبتاع إلاّ قريبةَ الأَجلِ

[يصرّ على أَن يؤتى بغريمه مربوطاً]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ عن أَبي حُذافة قال : لمّا قال ابن هَرْمة : [من المنسرح]

1 شراشر الأَذناب : أَطرافها .
2 ساقة الشعراء : مؤخّرتهم .

لا أُمتع العوذَ بالفِصال ولا أَبتــاع إلاّ قريبــةَ الأَجلِ

قال ابن الكَوْسَج مولى آل حُنَين يجيبه : [من المنسرح]

ما يشربُ الباردَ القَراحَ ولا يذبح من جَفْرةٍ ولا حملِ
كأَنّــه قــرْدةٌ يلاعبُهــا قردٌ بأعلى الهِضاب من مَلَلِ

قال : فقال ابن هَرْمة : لئن لم أُوتَ به مربوطاً لأَفعلنّ بآل حُنَين ولأَفعلنّ ؛ فوهبوا لابن الكَوْسَج مائة درهم وربطوه وأَتَوْا به ابن هَرْمة فأَطلقه ؛ فقال ابن الكوسج : والله لئن عاد لمثلها لأَعودنّ[1] .

[إبراهيم يعلّم مخارقاً لحناً يتفوّق به على ابن جامع]

أَخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني هارون بن مُخارِق عن أَبيه قال : كنّا عند الرشيد في بعض أَيّامنا ومعنا ابن جامع ، فغنّاه ابن جامع ونحن يومئذٍ بالرّقّة : [من الخفيف]

هاج شوقاً فِراقُـك الأَحبابـا فتناسيـتَ أَو نَسِيــتَ الرَّبابا
حين صاح الغرابُ بالبَيْن منهم فتصامَمْتَ إذ سمعــتَ الغُرابا
لــو علمنا أَنّ الفِــراق وَشِيكٌ مــا انتهينا حتى نزورَ القِبابا
أَو علمنا حين استقلَّتْ نَواهم مــا أَقمنا حتّى نَــزُمّ الرِّكابا

الغناء لابن جامع رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وله فيه أَيضاً ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو . وذكرتْ دَنانِيرُ عن فُلَيح أَنّ فيه لابن سريج وابن مُحْرِز لَحنَين . قال : فاستحسنه الرشيد وأُعجب به واستعاده مراراً وشرِب عليه أَرطالاً حتى سكر ، وما سَمع غيرَه ولا أَقبل على أَحد ، وأَمر لابن جامع بخمسة آلاف دينار ؛ فلمّا انصرفنا قال لي إبراهيم : لا تَرِمْ[2] منزلَك حتى أَصير إليك ؛ فصرت إلى منزلي ، فلم أُغَيِّر ثيابي حتى أَعلمني الغلام بموافاته ، فتلقّيتُه في دِهْليزي ، فدخل وجلس وأَجلسني بين يديه ثم قال لي : يا مُخارِق ، أَنت فَسِيلةٌ[3] منّي وحَسَني لك وقبيحي عليك ، ومتى تركنا ابنَ جامع على ما ترى غَلَبَنا على الرّشيد ، وقد صنعتُ صوتاً على طريقة صوته الذي غنّاه أَحسنَ صنعةٌ منه وأَجود وأَشجى ، وإنّما يَغلبني عند هذا الرجل بصوته ، ولا مَطْعَنَ على صوتك ، وإذا أَطربتَه وغلبتَه

1 إلى هنا انتهى أبو الفرج من أَخبار ابن هرمة وعاد إلى إبراهيم الموصليّ .
2 لا ترم مكانك : لا تبرحه .
3 فسيلة : شتلة .

عليه بما تأخذه منّي قام ذلك لي مقام الظَّفَر ؛ وسيُصبح أمير المؤمنين غداً فيدخل الحمام ونحضُر ثم يخرج فيدعو بالطعام ويدعو بنا ويأمر ابنَ جامع فيردّ الصوتَ الذي غنّاه ويشرب عليه رِطلاً ويأمر له بجائزة ، فإذا فعل فلا تنتظره أكثر من أن يردّ رَدّته حتى تُغنّي ما أُعلّمك إيّاه الساعةَ ، فإنّه يُقبل عليك ويَصلك ، ولستُ أُبالي ألاّ يصلني بعد أن يكون إقبالُه عليك ؛ فقلت : السمع والطاعة ؛ فألقى عليّ لحنَه : [من المنسرح]

يا دارَ سُعْدَى بالجِزْع من مَلَـل حييتِ مـن دمنـةٍ ومـن طللِ

وردّده حتى أخذتُه وانصرف ؛ ثم بكّر عليّ فاستعاد الصوت فَرَدَّدْتُه حتى رَضِيَه ، ثم ركبنا وأنا أدرسه حتى صِرْنا إلى دار الرشيد ؛ فلمّا دخلنا فعل الرشيد جميع ما وصفه إبراهيم شيئاً فشيئاً ، وكان إبراهيم أعلمَ الناس به ، ثم أمر ابنَ جامع فردّ الصوت ودعا برِطل فشربه ، ولمّا استوفاه واستوفى ابن جامع صوتَه لم أَدَعْه يتنفَّس حتى اندفعتُ فغنَّيت صوتَ إبراهيم ، فلم يَزَلْ يُصغي إليه وهو باهتٌ حتى استوفيتُه ؛ فشرب وقال : أحسنتَ والله ، لمَن هذا الصوت ؟ فقلت : لإبراهيم ؛ فلم يزل يستدنيني حتى صِرتُ قُدّامَ سريره ، وجعل يستعيد الصوت فأعيده ويشرب عليه رِطلاً ، فأمر لإبراهيم بجائزة سنيّة وأمر لي بمثلها ؛ وجعل ابنُ جامع يَشْغَب ويقول : يجيء بالغناء فيَدُسّه في أسْتاه الصّبيان ، إن كان محسناً فليُغنِّه هو ، والرشيد يقول له : دع ذا عنك ، فقد والله استقاد منك وزاد عليك .

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

تَوَلَّـى شبابُـكَ إلاّ قليـلا وحـلَّ المَشِيبُ فصبراً جميلا
كفى حَزَنـاً بفِـراقِ الصِّبـا وإنْ أصبح الشَّيبُ منه بَدِيلا

الشعر والغناء لإسحاق . ولحنه المختار ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق بن عمرو .

[71] ـ أَخبار إسحاقَ بنِ إبراهيم[1]

[نسبه]

قد مضى نسبه مَشروحاً في نسب أبيه ؛ ويُكْنى أَبا محمّد ، وكان الرشيد يُولَع به فَيكْنِيه أَبا صَفْوان ، وهذه كُنية أَوقعها عليه إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب مَزْحاً .

[منزلته في العلوم وتقدير الخلفاء له]

وموضعُه من العِلم ، ومكانُه من الأَدب ، ومَحَلّه من الرواية ، وتقدُّمه في الشعر ، ومنزلته في سائر المحاسن ، أَشهرُ من أَن يُدَلّ عليه فيها بوصف ؛ وأَمّا الغناء فكان أَصغرَ علومه وأَدنى ما يُوسم به وإن كان الغالبَ عليه وعلى ما كان يُحسنه ؛ فإنّه كان له في سائر أَدَواته نُظَراءُ وأَكْفاء ولم يكن له في هذا نظير ؛ فإنّه لَحِق بمَن مضى فيه وسبَق مَن بقي ، ولَحَبَ[2] للناس جميعاً طريقَه فأَوضحها ، وسهّل عليهم سبيلَه وأَنارها ؛ فهو إمامُ أَهل صناعته جميعاً ، ورأسهم ومعلّمهم ؛ يَعْرِف ذلك منه الخاصُّ والعامّ ، ويشهدُ به الموافق والمفارق ؛ على أَنّه كان أَكرهَ الناس للغناء وأَشدَّهم بغضاً لأَن يُدعى إليه أَو يُسمَّى به . وكان يقول : لوَدِدْتُ أَن أُضربَ كلّما أَراد مريدٌ منّي أَن أُغنّيَ وكلّما قال قائل إسحاق الموصليّ المغنّي ، عشرَ مَقارع ، لا أُطِيق أَكثرَ من ذلك ، وأَعفى من الغناء ولا ينسُبني مَن يذكرني إليه . وكان المأمون يقول : لولا ما سبَق على أَلسنة الناس وشُهِر به عندهم من الغناء لولّيتُه القضاءَ بحضرتي ، فإنّه أَولى به وأَعفُّ وأَصدق وأَكثر دِيناً وأَمانةً من هؤلاء القضاة .

[شيوخه]

وقد روى الحديثَ ولقي أَهلَه : مثل مالِك بن أَنس ، وسفيان بن عُيَيْنة ، وهُشَيم بن بَشِير ، وإبراهيم بن سَعْد ، وأَبي معاوية الضَرير ، ورَوْح بن عُبادة ، وغيرِهم من شيوخ العراق والحجاز . وكان مع كراهته الغناءَ أَضنَّ خلق الله وأَشدَّهم بُخلاً به على كلّ أَحد حتى على جواريه وغِلْمانه ومَن يأخذ عنه مُنتسباً إليه مُتَعَصّباً له فضلاً عن غيرهم .

---

1 ترجمة إسحاق الموصلي في معجم الأدباء (تحقيق إحسان عباس) : 594–616 ووفيات الأعيان 1 : 202–205 وتاريخ بغداد 6 : 338 وتهذيب ابن عساكر 2 : 414 ونزهة الألباء : 116 ونور القبس : 316 وطبقات ابن المعتزّ : 260 وفي التذكرة الحمدونية طائفة من أخباره نقلاً عن الأغاني .

2 لحب الطريق : سلكها وأوضحها .

[صحّح أجناس الغناء بطبعه]

وهو الذي صحّح أجناسَ الغناء وطرائقَه وميَّزه تمييزاً لم يقدِر عليه أحد قبله ولا تعلّق به أحد بعده ، ولم يكن قديماً مميّزاً على هـذا الجنس ، إنّما كان يقال الثقيل ، وثقيل الثقيل ، والخفيف ، وخفيف الخفيف . وهذا عمرو بن بانة ، وهو من تلاميذه ، يقول في كتابه : الرمل الأوّل ، والرمل الثاني ؛ ثم لا يزيد في ذكر الأصابع على الوسطى والبنصر ، ولا يعرف المجاريَ التي ذكرها إسحاق في كتابه ، مثلَ ما ميّز الأجناس ، فجعل الثقيل الأوّل أصنافاً ، فبدأ فيه بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، ثم تلاه بما كان منه بالبنصر في مجراها ، ثم بما كان بالسبابة في مجرى البنصر ، ثم فعل هذا بما كان منه بالوسطى على هذه المرتبة ؛ ثم جعل الثقيلَ الأوّل صنفين ، الصنف الأوّل منهما هذا الذي ذكرناه ، والصنف الثاني القَدْر الأوسط من الثقيل الأوّل ، وأجراه المجرى الذي تقدّم من تمييز الأصابع والمجاري ، وألحق جميعَ الطرائق والأجناس بذلك وأجراها على هذا الترتيب . ثمّ لم يتعلّق بفهم ذلك أحدٌ بعده فضلاً عن أن يُصنِّفه في كتابه ؛ فقد ألَّف جماعةٌ من المغنِّين كُتباً ، منهم يحيى المكّي ، وكان شيخَ الجماعة وأُستاذهم ، وكلُّهم كان يفتقر إليه ويأخذ عنه غناء الحجاز ، وله صنعةٌ كثيرة حسنة متقدّمة ، وقد كان إبراهيم الموصليّ وابن جامع يضطرّان إلى الأخذ عنه ، ألَّف كتاباً جمع فيه الغناء القديم ، وألحق فيه ابنهُ الغناءَ المُحدَث إلى آخر أيّامه ، فأتَيا فيه في أمر الأصابع بتخليط عظيم ، حتى جعلا أكثر ما جنّساه من ذلك مختلطاً فاسداً ، وجعلا بعضه ، فيما زعما ، تشترك الأصابع كلّها فيه ؛ وهذا محال ؛ ولو اشتركت الأصابع لَما احتيج إلى تمييز الأغاني وتصييرها مقسومةً على صِنفين : الوسطى والبنصر . والكلام في هذا طويل ليس موضعه هاهنا ؛ وقد ذكرته [في رسالـة عمِلتُهـا لبعض إخـواني][1] ممّن سألني شرحَ هذا ، فأثبتّه واستقصيتُه استقصاءً يُستغنى به عن غيره . وهذا كلّه فعله إسحاق واستخرجه بتمييزه ، حتى أتى على كلّ ما رسمتْه الأوائلُ مثل إقْلِيدس ومَنْ قبلَه ومَنْ بعده من أهل العلم بالموسيقى ، ووافقهم بطبعه وذهنه فيما قد أفنَوْا فيه الدهورَ ، من غير أن يقرأ لهم كتاباً أو يعرفه .

[بين إسحاق الموصليّ وإسحاق المصيبيّ]

فأخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال : كنت عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصْعَب ، فسأل إسحاقَ الموصليّ ، أو سأله محمد بن الحسن بن مُصعب بحضرتي ، فقال له : يا أبا محمّد ، أرأيتَ لو أنّ الناس جعلوا للعود وتراً خامساً للنّغمة الحادّة التي هي العاشرة على مذهبك ، أين كنت تخرج منه ؟ فبقي إسحاق واجماً ساعةً طويلةً مفكّراً ،

1 هذه العبارة سقطت من ل .

واحمرّت أُذُناه وكانتا عظيمتين ، وكان إذا ورد عليه مثل هذا احمرّتا وكثُر وَلُوعه بهما ؛ فقال لمحمّد بن الحسن : الجواب في هذا لا يكون كلاماً إنّما يكون بالضرب ، فإن كنتَ تضرب أُريتُك أين تخرج ! ؛ فخجِل وسكت عنه مُغْضَباً ، لأنّه كان أميراً وقابله من الجواب بما لا يَحْسُن ، فحلُم عنه . قال عليّ بن يحيى : فصار إليّ به وقال لي : يا أبا الحسن ، إنّ هذا الرجل سألني عمّا سمعتَ ، ولم يبلُغ علمُه أن يستنبط مثلَه بقريحته ، وإنّما هو شيء قرأه من كتب الأوائل ، وقد بلغني أنّ التراجمة عندهم يترجمون لهم كتب الموسيقى ، فإذا خرج إليك منها شيء فأعطِنيه ؛ فوعدته بذلك ، ومات قبل أن يخرج إليه شيء منها . وإنّما ذكرتُ هذا بتمام أخباره كلّها ومحاسنه وفضائله ، لأنّه من أعجب شيء يُؤْثَر عنه : أنّه استخرج بطبعه عِلماً رسمتْه الأوائل لا يُوصَل إلى معرفته إلاّ بعد علم كتاب إقليدس الأوّل في الهندسة ثم ما بعده من الكتب الموضوعة في الموسيقى ، ثم تعلّم ذلك وتوصّل إليه واستنبطه بقريحته ، فوافق ما رسمه أولئك ، ولم يَشِذّ عنه شيء يحتاج إليه منه ، وهو لم يقرأه ولا له مدخلٌ إليه ولا عَرفه ، ثم تبيَّنْ بعد هذا ، بما أذكره من أخباره ومعجزاته في صناعته ، فضلَه على أهلها كلِّهم وتميُّزه عنهم ، وكونَه سماءً هم أرضُها ، وبحراً هم جَداوله .

[اسم أمّه وجنسها]

وأمّ إسحاق امرأة من أهلِ الرَّيّ يقال لها شاهك ؛ وذكر قوم أنّها دُوشار التي كانت تُغنّي بالدُّفّ ، فهَوِيَها إبراهيم وتزوّجها . وهذا خطأ ، تلك لم تلِد من إبراهيم إلاّ بنتاً ، وإسحاقُ وسائرُ ولد إبراهيم من شاهكَ هذه .

[برنامج دراسته اليوميّ]

أخبرني يحيى بن عليّ المنجّم قال أخبرني أبي عن إسحاق قال : بقيتُ دهراً من دهري أُغلِّس في كلّ يوم إلى هُشَيم فأسمع منه ، ثم أصير إلى الكِسائيّ أو الفرّاء أو ابن غَزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن ، ثم آتي منصوراً زلزلاً فيضاربني طَرْقين[1] أو ثلاثة ، ثم آتي عاتكةَ بنت شُهْدَة فآخذ منها صوتاً أو صوتين ، ثم آتي الأصمعيّ وأبا عُبَيدة فأناشدهما وأحدّثهما فأستفيد منهما ، ثم أصير إلى أبي فأُعلمه ما صنعتُ ومَنْ لقيت وما أخذتُ وأتغدّى معه ، فإذا كان العشاء رُحت إلى أمير المؤمنين الرشيدِ .

[تعلّم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد بن أبي الأَزْهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أخَذ منّي منصورُ زلزل إلى أن تعلّمتُ مثْلَ ضربه بالعود أكثر من مائة ألف درهم .

---

1 طرق : نغم .

[جاء إلى ابن عائشة فأكرمه]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمة قال : كنت عند ابنِ عائشة فجاءه أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، فرحَّب به وقال : هاهنا يا أبا محمّد إلى جَنْبي ، فلئن بعَّدَتْ بيننا الأنساب ، لقد قرّبتْ بيننا الآداب .

[تقدير المأمون له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا يَزيد بن محمّد المهلَّبيّ قال حدّثنا ابن شَبِيب من جلساء المأمون عنه : أنّه قال يوماً وإسحاق غائبٌ عن مجلسه : لولا ما سَبَق على ألسِنة الناس واشتهر به عندهم من الغناء لَوَلَّيتُه القضاء ، فما أعرف مثلَه ثقةً وصدقاً وعفّةً وفقهاً . هذا مع تحصيل المأمون وعقلِه ومعرفتِه .

[شهادة سفيان بن عيينة فيه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدّثنا الفَضْل بن العبّاس الورّاق قال حدّثنا المُخرِّميّ عن أبيه قال : سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : صِرتُ إلى سُفيان بن عُيَينة لأسمعَ منه ، فتعذَّر ذلك عليّ وصعُب مَرامُه ، فرأيته عند الفضل بن الرَّبيع ، فسألتُه أن يعرّفه موضعي من عنايته ومكاني من الأدب والطلب وأن يتقدّم إليه بحديثي ؛ ففعل وأوصاه بي فقال : إنّ أبا محمّد من أهل العلم وحَمَلتِه . قال : فقلت : تَفرِضُ لي عليه ما يحدّثني به ؛ فسأله في ذلك ، ففرَض لي خمسةَ عشرَ حديثاً في كلّ مجلس ؛ فصِرت إليه فحدّثني بما فرض لي ؛ فقلت له : أعزّك الله ، صحيح كما حدّثتني به ؟ قال : نعم ، وعقَد بيده شيئاً ؛ قلت : أفأرْويه عنك ؟ قال نعم وعقد بيده شيئاً آخر ، ثم قال : هذه خمسة وأربعون حديثاً ، وضحك إليّ وقال : قد سَرّني ما رأيتُ من تَقَصّيك في الحديث وتشدُّدك فيه على نفسك ، فصرْ إليّ متى شئتَ حتى أحدّثك بما شئتَ .

[تقدير أبي معاوية الضرير له]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّولي قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الجُمان وعَوْن بن محمّد الكِنْديّ قالا : سمعنا إسحاق الموصليّ يقول : جئتُ يوماً إلى أبي معاوية الضَّرير ومعي مائة حديث ، فوجدتُ حاجبَه يومئذٍ رجلاً ضريراً ؛ فقال لي : إنّ أبا معاوية قد ولاّني اليوم حِجْبَته لينفعني ؛ فقلت : معي مائةُ حديث وقد جعَلتُ لك مائة درهم إذا قرأتُها ؛ فدخل واستأذن لي فدخلت ؛ فلمّا عرَفني أبو معاوية دعاه فقال له : أخطأتَ ، وإنّما جعلتُ لك مثلَ هذا من ضعفاء أصحاب الحديث فأمّا أبو محمد وأمثاله فلا ؛ ثم أقبل عليّ يُرَغّبني في الإحسان إليه ويذكر ضعفَه وعنايتَه به ؛ فقلتُ له : احتكِمْ في أمره ، فقال : مائة دينار ؛ فأمرتُ بإحضارها الغلامَ ، وقرأتُ عليه ما أردت وانصرفت .

[ثناء ابن الأعرابيّ عليه]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني عليّ بن محمّد الأَسَديّ قال حدّثني أحمد بن يحيى الشَّيْبانيّ ثَعْلَب قال : وقف أبو عبد الله بن الأعرابيّ على المَدائنيّ ، فقال له : إلى أين يا أبا عبد الله ؟ فقال : أمضي إلى رجل هو كما قال الشاعر : [من المنسرح]

نَحمِلُ أشباحَنا إلى مَلِكٍ نأخذُ من ماله ومن أدبهْ

فقال له : ومَنْ ذلك يا أبا عبد الله ؟ قال : أبو محمّد إسحاق بن إبراهيم الموصليّ . قال أبو بكر : والبيت لأبي تَمّام الطائيّ .

وقد أخبرني بهذا الخبر عن ثَعْلَب محمد بن القاسم الأنباريّ فقال فيه : كان إسحاقُ يُجْرِي على ابن الأعرابيّ في كلّ سنة ثلثمائة دينار ، وأهْدى له ابن الأعرابيّ شيئاً من كتاب النوادر كتبه له بخطّه ؛ فمرَّ ابنُ الأعرابيّ يوماً على باب دار الموصليّ ومعه صديق له ؛ فقال له صديقه : هذه دار صديقك أبي محمّد إسحاق ؛ فقال : هذه دارُ الذي نأخذ من ماله ومن أدبه .

[جرير يورثه الشعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المُهلَّبيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : رأيتُ في منامي كأنّ جريراً جالس يُنشد شعرَه وأنا أسمع منه ، فلمّا فرَغ أخذ بيده كُبّة شَعر فألقاها في فمي فابتلعتها ؛ فأوّلَ ذلك بعضُ من ذكرتُه له أنّه ورّثني الشعرَ . قال يزيد ابن محمّد : وكذلك كان ، لقد مات إسحاق وهو أشعر أهل زمانه .

[تعلّم الضرب بالعود من زلزل]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى ومحمّد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : قال لي أبي : أعطيتُ منصوراً زَلْزلاً من مالي خاصّة حتّى تعلّمتُ ضربَه بالعود نحواً من مائة ألف درهم سوى ما أخذْتُه له من الخلفاء ومن أبي . قال : وكانت في زلزل قبل أن يعرف الصوتَ ويَفهَمَه بلادةٌ أوّلَ ما يسمعه ، حتى لو ضَرَب هو وغلامه على صوت لم يعرفاه قبلُ لكان غلامه أقوى منه ؛ فإذا تَفَهّمه جاء فيه من الضرْب بما لا يتعلّق به أحد ألبتّةَ .

[ثناء أبي زياد الكلابي عليه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به الأَخْفَش عن الفضل عن إسحاق ، وأخبرني به يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلَّبيّ عن إسحاق قال : قال لي أبو زياد الكِلابيّ : أوْلَم جارٌ لي يُكنى أبا سُفيان وليمةً ودعاني لها ، فانتظرتُ رسوله حتى تصرَّم يومي فلم يأت ، فقلت لامرأتي : [من الطويل]

إنّ أبـا سفيـان ليس بمُولِمٍ فقُومِي فهاتي فِلْقةً من حُوارِكِ[1]

قال إسحاق : فقلت له : أليس غيرُ هذا ؟ فقال : لا ، إنّما أرسلتُه يتيماً ؛ فقلت أفلا أجيزه ؟ قال : شأنَك ؛ فقلت له : [من الطويل]

فبيتُكِ خيرٌ من بُيوتٍ كثيرةٍ وقِدْرُكِ خيرٌ من وَليمة جارِكِ

قال : فضحك ثم قال : أحسنتَ بأبي أنت وأمّي ، جئتَ والله به قَبَلاً[2] ما انتظرتَ به القَرَبَ ، وما ألوم الخليفةَ أن يجعلك في سُمّاره ويتملّحَ بك ، وإنّك لمن طِراز ما رأيتُ بالعراق مثلَه ، ولو كان الشباب يُشترَى لابتعتُه لكَ بإحدى عينيّ ويُمْنى يديّ ، وعلى أن فيكَ بحمد الله ومَنّه بقيّةً تسرّ الوَدود ، وتُرْغِم الحسود . هذا لفظ يزيد المُهلَّبيّ والأخفش . وأخبرني بهذا الخبر محمّد[3] بن عبد الله بن عَمّار فقال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال قال لي إمّا شَدّاد بن عُقْبة وإمّا أبو مُجيب : قالت امرأةُ القَتّال الكلابيّ له : هل لكَ في فِلْقة من حُوار نطبُخها لك ؟ فقال : لا والله ، نحن على وليمة أبي سُفْيان ودَعْوته ، وكان أبو سفيان رجلاً من الحيّ زُفَّت إليه امرأتُه تلك الليلةَ ؛ فجعل يَنظر دُخاناً فلا يراه ، فقال : [من الطويل]

إنّ أبـا سفيـان ليس بمُولِمٍ فقُومي فهاتي فِلقةً من حُوارِكِ

ثم ذكر باقي الخبر على ما تقدّم من الذي قبله .

[ثناء أعرابيّ على شعره]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال : أنشدتُ أعرابيّاً فَهِماً شِعراً لي ، فقال : أقْفَرْتَ والله يا أبا محمّد ؛ قلتُ : وما أقفرت ؟ قال : رعيتَ قَفْرة لم تُرْعَ قبلك . (يريد : أبْدَعْتَ) .

[يتبيّن خطأ في الغناء لم يفطن إليه أحد حضر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش وعمّي قالا حدّثنا محمد ين يزيد المبرّد قال حدّثني بعض أصحاب السلطان بمدينة السلام قال سمعتُ إسحاق الموصليّ يقول : دخلتُ على المأمون يوماً وعَقِيدٌ يغنّيه ارتجالاً وغيرُه يضرب عليه ؛ فقال : يا إسحاق ، كيف تَسمع مغنّينا هذا ؟ فقلتُ : هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيري ؟ قال : نعم ، سألتَ عمّي إبراهيمَ فوصفه وقرّظه واستحسنه ؛ فقلتُ له : يا أمير المؤمنين ، أدام الله سرورك ، وأطاب عيشك ، إنّ الناس قد أكثروا

---

1 الحوار : ولد الناقة حتى يفصل . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر بنصّه في ترجمة القتال الكلابي ولكن دون إشارة إلى أبي زياد الكلابي .

2 القَبل : الارتجال دون استعداد للقول .

3 ل : أحمد .

في أمري حتى نَسَبَتْني فرقة إلى التَّزَيُّد في علمي ؛ فقال لي : فلا يمنعك ذلك من قول الحقّ إذا لَزِمك ؛ فقلت لعَقيد : أُردُد هذا الصوتَ الذي غنَّيته آنفاً ، وتحفَّظ فيه وضرَب ضاربُه عليه ؛ فقلت لإبراهيم بن المهديّ : كيف رأيتَه ؟ فقال : ما رأيتُ شيئاً يُكره ولا سمعتُه ؛ فأقبلتُ على عَقيد فقلت له حين استوفاه : في أيّ طريقةٍ هذا الصوتُ الذي غنَّيته ؟ قال : في الرَّمَل ؛ فقلت للضارب : في أيّ طريقةٍ ضربتَ أنت ؟ قال : في الهَزَج الثقيل ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما عسَيتُ أن أقول في صوت يغنّي مغنّيه رَمَلاً ويضرب ضاربُه هَزَجاً ، وليس هو صحيحاً في إيقاعه الذي ضرب عليه ! . قال : وتفهّمه إبراهيمُ بن المهديّ بعدي ، فقال : صدَق يا أمير المؤمنين ، الأمرُ فيه الآن بَيِّن ؛ فغاظني ، فقلت له : بأيّ شيء بانَ الآن ما لم يكن بَيِّناً قبلُ ؟ أتُوهِم أنّك استنبطتَ معرفة هذا ؟ وإنّما قلتَه لمّا علمتَه من جهتي كما يقوله الغلمان العُجم وسائر مَن حضر اتّباعاً لي واقتداءً بقولي . فقال له المأمون : صدَق ؛ فأمسك ؛ وجعل يتعجّب من ذهاب ذلك على كلّ مَن حضر ، وكنّاني في ذلك اليوم مرّتين .

[إعجاب الأصمعيّ ببيتين له في الفخر]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال حدّثني أبي : أنّ الأصمعيّ أنشد قول إسحاق يذكر ولاءه لخُزَيْمةَ بنِ خازم : [من الطويل]

إذا كانتِ الأحرارُ أصلي ومَنْصِبي ودافَعَ ضَيْمي خـازِمٌ وابنُ خازمِ
عَطَستُ بأنـفٍ شامخٍ وتناولتْ يـدايَ الثريّـا قاعـداً غيرَ قائمِ

قال : فجعل الأصمعيّ يَعْجَب منهما ويستحسنهما ، وكان بعد ذلك يذكرهما ويُفضِّلهما ويستجيدهما .

[سبب ولائه لخزيمة بن خازم]

قال ابن حَمْدون : وكان السبب في تولِّي إسحاقَ خُزَيمة بن خازم ، أنّ مناظرةً جرت بينه وبين ابن جامع بحضرة الرشيد فتغالظا ، فقال له ابن جامع : يا مَن إذا قلتُ له يا ابنَ زانية لم أخَفْ أن يكذّبني أحد ؛ فمضى إلى خزيمة بنِ خازم ، فتولاّه وانتمى إليه ، فقبِل ذلك منه ، وقال هذين البيتين .

[يميّز صنعة النساء بالسماع]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال : قال إسحاق : كانت عندي صَنّاجة كنت بها مُعجَباً ؛ واشتهاها أبو إسحاق المعتصم في خلافة المأمون ؛ فبينا أنا ذاتَ يوم في منزلي إذا ببابي يُدَقّ دقّاً شديداً ، فقلت : انظروا مَن هذا ؛ قالوا : رسول أمير المؤمنين ؛ فقلت : ذهبتْ صَنّاجتي ، تجده ذَكَرها له ذاكر فبعث إليّ فيها ؛ فلمّا مَضى بي الرسول انتهيتُ

إلى الباب وأنا مُثْخَن[1] ، فدخلتُ فسلّمت ، فردَّ السلام ، ونظر إلى تغيّر وجهي فقال : اسكُن فسكنتُ ؛ وسألني عن صوت وقال : أتدري لَمن هو ؟ فقلت : أَسْمَعُه ثم أُخبر أمير المؤمنين إن شاء الله بذلك ؛ فأمر جاريةً من وراء الستارة فغنّته وضربتْ ، فإذا هي قد شبّهتْه بالقديم ؛ فقلت : زِدْني معها عُوداً آخر فإنّه أثبت لي ، فزادني عوداً آخر ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذا الصوت مُحْدَث لامرأة ضاربة ؛ فقال : من أين قلتَ ذلك ؟ فقلت : لمّا سمعته وسمعتُ لِينَه عرفتُ أنّه من صَنْعة النساء ؛ ولمّا رأيت جودة مَقاطعه علمتُ أنّ صاحبته ضاربة ؛ فقال : من أين قلت ذلك ؟ فقلت : لأنّها قد حَفِظتْ مقاطعه وأجزاءه ، ثم طلبتُ عوداً آخر ليكونَ أثبتَ لي فلم أشكُكْ ؛ فقال : صدقتَ ، الغناء لعَرِيب .

[يميّز اللحن الرومي في الشعر العربي]

نسختُ من كتاب ابن أبي سعيد : حدّثني إسحاق بن إبراهيم الطّاهِريّ[2] قال : حدّثتْني مُخارِقُ مولاتُنا قالت[3] : كان لمولاي الذي علّمني الغناءَ فرّاش رُوميّ ، وكان يغنّي بالروميّة صوتاً مليحَ اللحن ؛ فقال لي مولاي : يا مُخارق ، خُذي هذا اللحنَ الروميّ فانقُليه إلى شعر من أصواتك العربيّة حتى أمتحنَ به إسحاق الموصليّ فأعلمَ أين يقع من معرفته ، ففعلتُ ذلك ؛ وصار إليه إسحاق فاحتبسه مولاي ، فأقام وبعث إليّ أن أدخِلي اللحنَ الروميّ في وسط غنائكِ ؛ فغنّيته إيّاه في دَرْج أصوات مرّتْ قبله ، فأصغى إليه إسحاق ، وجعل يتفهّمه ويُقَسّمه ويتفقّد أوزانَه ومقاطعَه ويُوقع عليه بيده ، ثم أقبل على مولاي فقال : هذا صوت رومي اللحن ، فمن أين وقع إليك ؟ فكان مولاي بعد ذلك يقول : ما رأيتُ شيئاً أحسن من استخراجِه لحناً روميّاً لا يعرفه ولا العلّةَ فيه ، وقد نُقل إلى غناء عربيّ وامتزجتْ نَغَمُه حتى عرَفه ولم يَخْفَ عليه .

[فضّل زلزلاً على ملاحظ فتحدّاه]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمّد بن موسى قال حدّثني عبد الله بن عمرو عن محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني عَلّويه الأعسر ، ووجدتُ هذا الخبر في بعض الكتب عن عليّ بن محمّد بن نصر الشاميّ عن جدّه حَمْدون بن إسماعيل قال[4] : تناظر المغنّون يوماً عند الواثق ، فذكروا الضَّرّاب وحِذقَهم ، فقدّم إسحاقُ زَلْزَلاً على مُلاحِظ ، ولملاحِظ في ذلك الرياسة على

1 مثخن : مهموم محزون .

2 هو إسحاق بن إبراهيم بن مصعب حاكم بغداد أيّام المأمون والمعتصم والواثق ، وهو من قرابة طاهر بن الحسين فنُسب إليه .

3 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 22 (رقم 42أ) .

4 قارن بالتذكرة الحمدونية 9 : 22–24 (رقم 47) .

جميعهم ؛ فقال له الواثق : هذا حَيْف وتَعَدٍّ منك ؛ فقال إسحاق : يا أمير المؤمنين ، اجمع بينهما وامتحنْهما ، فإنّ الأمر سينكشف لكَ فيهما ؛ فأمَر بهما فأُحضِرا ؛ فقال له إسحاق : إنّ للضُّرّاب أصواتاً معروفة ، أفأمتحنهما بشيء منها ؟ قال : أجلْ ، افعلْ ؛ فسمَّى ثلاثة أصوات كان أوّلها : [من السريع]

عُلِّق قلبي ظبيةَ السِّيب[1]

فضربا عليه ، فتقدّم زَلْزَل وقصّر عنه ملاحظ ؛ فعجِب الواثق من كَشْفه عمّا ادّعاه في مجلس واحد . فقال له ملاحظ : فما بالُه يا أمير المؤمنين يُحيلك على الناس ؟ ولِم لا يضرب هو ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه لم يكن أحد في زماني أضربَ منّي إلاّ أنّكم أعفيتموني ، فَتفلَّتَ منّي ؛ وعلى أن معي بقيّةً لا يتعلّق بها أحد من هذه الطبقة ؛ ثم قال : يا مُلاحِظ ، شَوِّشْ عودَك وهاته ، ففعل ذلك ملاحظ ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا يخلّط الأوتار تخليط متعنِّت فهو لا يألو ما أفسدها ، ثم أخذ العودَ فجسّه ساعةً حتى عرف مواقعه ، ثم قال : يا مُلاحِظ ، غنِّ أيّ صوت شئتَ ، فغنّى مُلاحظ صوتاً ، وضرب عليه إسحاقُ بذلك العود الفاسد التسوية فلم يُخرجه عن لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نَقْرة واحدة ، ويَدُه تصعَد وتنحدر على الدَّساتين ؛ فقال له واثق : لا والله ما رأيتُ مثلك ولا سمعت به ؛ إطرحْ هذا على الجواري ؛ فقال : هيهاتَ يا أمير المؤمنين ، هذا شيء لا تعرفه الجواري ولا يصلحُ لهنّ ، إنّما بلغني أنّ الفهليذ ضرب يوماً بين يديْ كِسرى أبرويز فأحسن ، فحسده رجل من حُذّاق أهل صنعته ، فترقّبه حتّى قام لبعض شأنه ، ثم خالفه إلى عوده فشوّش بعضَ أوتاره ، فرجع فضرب وهو لا يدري ، والملوك لا تُصْلَح في مجالسها العيدانُ ، فلم يزل يضرب بذلك العود الفاسد إلى أن فرغ ، ثم قام على رجله فأخبر الملك بالقصّة ، فامتحن العودَ فعرف ما فيه ، ثم قال : «زِهْ وزِهْ وزهَانْ زِهْ» ، ووصَله بالصِّلة التي كان يصِل بها مَن خاطبه هذه المخاطبة ؛ فلمّا تواطأت الروايةُ بهذا أخذتُ نفسي ورُضْتُها عليه وقلت : لا ينبغي أن يكون الفهليذ أقوى على هذا منّي ، فما زلتُ أستنبطه بضعَ عشرةَ سنةً حتى لم يبقَ في الأرض موضع على طبقة من الطبقات إلاّ وأنا أعرف نغمته كيف هي ، والمواضع التي يخرج النغم كلّها منه فيها ، من أعاليها إلى أسافلها ، وكلّ شيء منها يجانس شيئاً غيرَه ، كما أعرف ذلك في مواضع الدَّساتين ؛ وهذا شيء لا تَفي به الجواري . قال له الواثق : صدقتَ ، ولئن متّ لتموتنّ هذه الصناعة معك ؛ وأمر له بثلاثين ألف درهم .

---

1 قلبي في ل : القلب . السيب : كورة من سواد الكوفة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

عُلِّقَ قلبـي ظبيةَ السِّيـبِ جهلاً فقد أُغْرِي بتعذيبي
نَمَّتْ عليها حين مرَّتْ بنا مَجاسِدٌ يَنْفَحْـن بالطِّيبِ[1]
تَصُدّهـا عنّـا عَجُوزٌ لهـا مُنْكـرةٌ ذاتُ أَعاجيـبِ[2]
فكلَّمـا هَمْـتُ بإتيانهـا قالت : تَوَقَّيْ عَدْوةَ الذِّيبِ[3]

الشعر والغناء لإبراهيم ، هَزَجٌ ثقيلٌ بالسبّابة في مجرى البِنصر .

[كان بخيلاً بالغناء]

حدّثني عليّ بن هارون قال حدّثني محمّد بن موسى اليَزيديّ قال حدّثتني دِمْن جاريةُ إسحاقَ الموصليّ ، وكانت من كبار جواريه وأَحْظى مَنْ عنده ، ولقيتُها فقلت لها : أَيَّ شيء أَخذتِ عن مولاكِ من الغناء ؟ فقالت : لا والله ما أَخذت أنا عنه ولا واحدةٌ من جواريه صوتاً قطُّ ؛ كان أَبخلَ بذلك ، وما أَخذتُ منه قطُّ إلاّ صوتاً واحداً ، وذلك أنّه انصرف من دار الخليفة وهو مُثْخَنٌ سكراً ، فدخل إلى بيتٍ كان ينام فيه ، فرأى عوداً معلَّقاً فأَخذه بيده ، وقال لخادمه : يا غلام ، صِحْ لي بدِمْن ؛ فجاءني الغلام فخرجتُ ، فلمّا بلغتُ البابَ إذا هو مُسْتَلْقٍ على فراشه والعودُ في يده وهو يصنع هذا الصوت ويردّده ، وقد اسْحَنْفَرَ[4] في نَغَمِه وتنوق فيها حتى استقام له ، وهو : [من الهزج]

صوت

أَلا ليلُـكِ لا يَذهَـــبْ ونِيـطَ الطَّرْفُ بالكوكبْ
وهـذا الصّبـحُ لا يأتـي ولا يدنـــو ولا يَقـرُبْ

فلمّا سمعتُه علمتُ أنّي إن دخلتُ إليه أَمْسَكَ ، فوقفتُ أَستمعه حتى فرغ منه وأَخذته عنه ؛ فلمّا فرغ منه وضع العودَ من يده ، وذكر أنّه قد طلبني فقال : يا غلام ، أَين دِمْن ؟ فقلت : هأَنَذِي ؛ فقال : مذ كم أَنتِ واقفة ؟ فقلت : منذ ابتدأْتَ بالصوت وقد أَخذته ؛ فنظر إليّ نَظَرَ مُغْضَب أَسِفٍ ، ثم قال : غَنِّيه ، فغنّيته حتى استوفيتُه ؛ فقال لي وقد فَتَر وخجِل : قد

---

1 مجاسد : قمصان .
2 منكرة : مبغضة مكروهة .
3 همت : هممت حذفت الميم للضرورة . وقد أجاز بعضهم ذلك . عدوة في ل : عذرة .
4 اسحنفر في الشيء : مضى فيه . وتنوق في الشيء : جوده وتأنق فيه .

بقِيتْ عليكِ فيه بقيّة أنا أُصلحها لكِ ؛ فقلت : لستُ أحتاج إلى إصلاحكَ إيّاه ، وقد والله أخذتُه على رَغْمِك ؛ فضحك .

لحنُ هذا الصوت من الهَزَج بالبنصر ، والشعر والغناء لإسحاق .

[يبيّن خطأ إبراهيم بن المهديّ في صوت لابن جامع]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال قال لي أبي قال قال لي إسحاق : كنتُ عند المعتصم وعنده إبراهيم بن المهديّ ، فغنّى إبراهيمُ صوتاً لابن جامع أخَلّ ببعضه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ترك ابنُ جامع الناسَ يحجِلُون خلفَه ولا يلحَقونه . وفي هذا الصوت خاصّة ؛ فقلتُ : والله يا أمير المؤمنين ، ما صدَق ، وما هذا الصوت بتامّ الأجزاء ؛ فقال : كذَب والله يا أمير المؤمنين ؛ فقلت : يا سيِّدي ، أنا أوقِفه على نُقصانه ، فمُرْه فليُعِدْ يا أمير المؤمنين ؛ فأعاد البيت الأوّل فأقامه وطمِع في الإصابة ؛ فقلت : آفتُه في البيت الثاني ، فليردُدْه ؛ فردَّه فنقَص من أجزائه وقِسمته ، فعرّفتُه فأقرّ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة آبائي وإبراهيم يكلِّمني فيها ، وأنا أسأله عن ثلاثين مسألة من باب واحد في طريق الغناء لا يعرف منها مسألةً واحدة ؛ فقال : أوَيُعْفيني أمير المؤمنين من كلامه ؟ فأعفاه .

وقد أخبرني بهذا الخبر الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ عن إسحاق ؛ فذكر نحواً ممّا ذكره يحيى ، وذكر أنّ القصّة كانت بين يديّ المعتصم ؛ وزاد فيها فقال : أنا أسأله عن ثلاثين مسألة وأُوقِفه على خطئه فيها ، فإن لم يُقِرّ بذلك أقرّ به مُخارِقٌ وعَلّويه ؛ فقال : أوَيُعْفيني أميرُ المؤمنين من كلامه ؛ فإنّه يَعْدِل عندي البُخْتُج[1] ؛ قلت : يا أميرَ المؤمنين ، وما يفعل البُخْتُج ؟ قال : يُسْلِح ؛ قلت : قد والله فعل ذلك كلامي به ، ومنه هرب ؛ فضحك وغطّى فاه وقام ؛ فظنّ إسحاقُ بن إبراهيم المصعبيّ أنّي قد أغضبته ، فضرب بيده إلى السيف ؛ فقلت له : لا تحسَبْ أنّي أغضبتُه ؛ فما كنت لأكلّم عمّه بين يديه بهُزْء من غير إذنه ، فأمسك ؛ وكان لا يُقْدِم أحد أن يكلّم الخليفةَ بحضرته بما فيه الوَهْن إلاّ بادر إلى سيفه تعظيماً للأمير وإجلالاً له .

[يكشف خطأ في وتر بين ثمانين وتراً]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن القاسم الهاشميّ عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال[2] : دعاني المأمون وعنده إبراهيم بن المهديّ ، وفي مجلسه عشرون جارية قد أجْلس عَشْراً عن يمينه وعشراً عن يساره ومعهنّ العيدانُ يضرِبنَ بها ؛ فلمّا دخلتُ سمعتُ من الناحية اليسرى خطأً فأنكرتُه ؛ فقال المأمون : يا

1 البختج : عصير مطبوخ .

2 أورد ابن حمدون هذا الخبر في التذكرة 9 : 21 (رقم 42) .

إسحاق ، أتسمع خطأ ؟ فقلت : نعم والله يا أمير المؤمنين ؛ فقال لإبراهيم : هل تسمع خطأ ؟ فقال : لا ؛ فأعاد عليّ السؤال ، فقلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وإنّه لفي الجانب الأيسر ؛ فأعاد إبراهيم سَمْعَه إلى الناحية اليسرى ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، ما في هذه الناحية خطأ ؛ فقلت يا أمير المؤمنين : مُرِ الجواريَ اللواتي على اليمين يُمْسِكْنَ ، فأمرهنّ فأمسكْنَ ؛ فقلت لإبراهيم : هل تَسمع خطأ ؟ فتسمّع ثم قال : ما هاهنا خطأ ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، يُمْسِكْنَ وتضرب الثامنةُ . فأمسكْنَ وضربتِ الثامنة ، فعرف إبراهيمُ الخطأ ، فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، هاهنا خطأ ؛ فقال عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم ؛ لا تُمَارِ إسحاقَ بعدها ؛ فإن رجلاً فَهِم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حَلْقاً لجديرٌ ألاّ تمارِيَه ؛ فقال : صدقتَ يا أمير المؤمنين . وقال الحسين بن يحيى في خبره : وكان في الأوتار كلِّها مَثْنىً فاسدُ التسوية . وقال فيه : فطرِب أمير المؤمنين المأمون ، وقال : لله درُّك يا أبا محمّد ؛ فكنّاني يومئذٍ .

[ثناء الواثق عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظَة قال حدّثني أحمد بن حَمْدُون قال : سمعتُ الواثق يقول : ما غنّاني إسحاق قط إلاّ ظننتُ أنّه قد زِيدَ لي في مُلْكي ، ولا سمعته يغنّي غناءَ ابن سُرَيج إلاّ ظننت أنّ ابن سريج قد نُشِر ، وإنّه ليحضُرني غيرُه إذا لم يكن حاضراً ، فيتقدّمه عندي وفي نفسي بطيب الصوت ، حتى إذا اجتمعا عندي رأيت إسحاق يعلو ورأيت من ظننتُه يتقدّمه ينقص ؛ وإنّ إسحاق لنعمةٌ من نِعَم المُلْك لم يُحْظَ بمثلها ؛ ولو أنّ العمر والشباب والنشاط ممّا يُشْتَرى لاشتريتهنّ له بشَطْر ملكي .

[يدخل إلى الخليفة مع العلماء والفقهاء]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجّم قال : سأل إسحاقُ الموصليّ المأمونَ أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرُّواة لا مع المغنّين ، فإذا أراده للغناء غنّاه ؛ فأجابه إلى ذلك ؛ ثم سأله بعد حين أن يأذن له في الدخول مع الفقهاء ؛ فأذن له . قال : فحدّثني محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر أنّه كان هو ومُخارِق وعَلّويه جلوساً في حجرة لهم ينتظرون جلوسَ المأمون وخروجَ الناس من عنده ، إذ دخل يحيى بن أكثم وعليه سَوادُهُ وطَويلتُه ، ويدُه في يد إسحاق يماشيه ، حتى جلس معه بين يدي المأمون ، فكاد عَلّويه أن يُجنّ ، وقال : يا قوم ، أسمعتم بأعجب من هذا ؟ يدخل قاضي القضاة ويدُه في يد مغنٍّ حتى يجلسا بين يدي الخليفة ! . ثم مضت على ذلك مدّة ، فسأل إسحاق المأمونَ أن يأذن له في لُبس السواد يوم الجمعة والصلاة معه في المقصورة ؛ قال : فضحك المأمون وقال : ولا كلّ ذا يا إسحاق ، وقد اشتريت منك هذه المسألة بمائة ألف درهم ؛ وأمر له بها .

[امتيازه في مجلس الواثق]

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني أبو عبد الله بن حَمْدون قال : كان المغنّون جميعاً يحضُرون مجلسَ الواثق وعيدانُهم معهم إلاّ إسحاقَ ، فإنّه كان يحضُر بلا عود للشرب والمجالسة ؛ فإن أَمَرَه الخليفة أن يغنّي أُحضر له عوداً ، فإذا غنّى وفرَغ سُلّ من بين يديه إلى أن يطلبه . وكان الواثق كثيراً ما يكنّيه ، رَفْعاً له من أن يدعوه باسمه ؛ وكان إذا غنّى وفرغ الواثق من شرب قدحه قطع الغناءَ ولم يُعِد منه حرفاً إلاّ أن يكون في بعض بيت فيُتِمّه ، ثم يقطع ويضع العود من يده .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه في خبر ذَكَر إسحاقَ فيه ، فقال : وعارض مَعْبَداً وابن سُرَيج فانتصف منهما ، وكان إبراهيم بن المهديّ يناظره ويجادله في الغناء وينازعه في صناعته ، ولم يَبلُغه ؛ وما رأيت بعد إسحاق مثلَه .

[عابه إبراهيم بن المهديّ بترك التحريك في الغناء]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال قال لي محمّد بن راشد الخَنّاق : سمعتُ عَلّويه يقول لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ : إنّ إبراهيم بن المهديّ يَعِيبك بترككَ تحريكَ الغناء ؛ فقال له إسحاق : ليتنا نَفِي بما علمناه ، فإنّا لا نحتاج إلى الزيادة فيه . ثم قال له : فإنّه يزعم أنّ حلاوة الغناء تحريكه ، وتحريكُه عنده أن يكون كثيرَ النَّغَم ، وليس يفعل ذلك ، إنّما يُسقط بعضَ عمله لعجزه عنه ، فإذا فعل ذلك فهو بالإضافة إلى حاله الأولى بمنزلة الأَسْكدار[1] للكِتاب ، وهو حينئذٍ بأن يُسمَّى المحذوفَ أشبهُ منه بأن يسمّى المحرَّكَ ؛ فضحك عَلّويه ثم قال : فإنّ إبراهيم يسمّي غناءكم هذا الممسك المِدادِيّ ؛ قال إسحاق : هذا من لغات الحاكَة ؛ لأنّهم يسمّون الثوبَ الجافيَ[2] الكثير العرض والطول المداديّ ؛ وعلى هذا القياس فينبغي لنا أن نسمّي غناءه المحرّك الضِّرابيّ ، وهو الخفيف السخيف[3] من الثياب في لغة الحاكة ، حتى نُدخل الغناءَ في جملةِ الحِياكة ونخرجه عن جملة الملاهي ؛ ثم قال لعَلّويه : بحياتي عليك إلاّ ما أعدتَ عليه ما جرى ؛ فقال له : لا وحياتِك لا فعلتُ ؛ فإنّه يعلم مَيْلي إليكم ، ولكن عليك بأبي جعفر محمّد بن راشد الخَنّاق ؛ فكلّمه إسحاق وأقسم عليه أن يُؤدّيه ففعل وسار إلى إبراهيم فأخبره ، فجعل كلّما أخبره شيئاً تغيَّظ وشتم إسحاقَ بأقبحِ شتم ؛ ثم جاءه ابن راشد فأخبره ؛ فجعل كلّما أخبره بشيء من ذلك

1 الأسكدار : كلمة فارسية معناها حامل البريد .

2 الثوب الجافي : الغليظ .

3 الثوب السخيف : القليل الغزل .

ضحك وصفّق سروراً لغيظ إبراهيم من قوله .

[يغايظ إبراهيم بن المهديّ]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال أخبرني محمّد بن راشد الخَنّاق قال : إنّي لفي منزلي يوماً مع الظهر إذ دخل عليّ إسحاقُ بن إبراهيم الموصليّ ، فسُرِرتُ بمكانه ؛ فقال : قد جاءت بي إليك حاجة ؛ قال قلت : قل ما شاء الله ؛ قال : دَعْني في بيتك ، ودَعْ غلامَيْك عندي : بُدَيحاً وسليمانَ ـ وكانا خادمين مغنِّيَين ـ ومُرْهما أن يغنِّياني ، وأتني بفلان ليغنِّيني أيضاً ، بحياتي عليك ، وانطلِقْ إلى إبراهيم بن المهديّ ، فإنّه سيُسَرّ بمكانك ، فاشرب معه أقداحاً ، ثم قل له : يا سيِّدي ، أسألك عن شيء ، فإذا قال : سَلْ ، فقل له : أخبرني عن قولك : [من الوافر]

ذهبتُ مـن الدنيا وقـد ذهبتْ منِّي

أيّ شيء كان معنى صنعتك فيه ؟ وأنت تعلم أنّه لا يجوز في غنائك الذي صنعتَه فيه إلاّ أن تقول : «ذهبتو» بالواو ، فإن قلتَ : «ذهبتُ» ولم تَمُدَّها انقطع اللحن والشعر ، وإن مددتَها قُبّح الكلام وصار على كلام النَّبَط ؛ فقلت له : يا أبا محمّد ، كيف أخاطب إبراهيم بهذا ؟ فقال : هو حاجتي إليك وقد كلّفتك إيّاها ؛ فإن استحسنتَ أن تردّني فأنت أعلم ؛ قال : أفعل ذلك لموضعك على ما فيه عليّ ، ثم أتيتُ إبراهيم ، وجلست عنده مليّاً ، وتجارَيْنا الحديثَ إلى أن خرجْنا إلى ذكر الغناء ، فخاطبته بما قال لي إسحاق ، فتغيَّر لونه وانكسر ، ثم قال : يا محمّد ، ليس هذا من كلامك ، هذا من كلام الجُرْمُقانيّ ابن الزانية ؛ قُل له عنّي : أنتم تصنعون هذا للصناعة ، ونحن نصنعه للّهو واللعب والعبَث . قال : فخرجتُ إلى إسحاق فحدّثته بذلك فقال : الجُرْمَقانيّ والله منّا أشبهُنا بالجَرامِقة لغةً وهو الذي يقول : «ذهبتو» ؛ وأقام عندي يومَه فرِحاً بما بلّغته إبراهيمَ عنه من توقيفه على خطئه .

[نقل عنه محمّد بن راشد حديثاً لابن المهديّ ففسد ما بينهما]

قال عليّ بن محمّد قال لي أبي : كان محمّد بن راشد صديقاً لإسحاق ثم فسد ما بينهما ؛ فإنّه طابق إبراهيمَ بن المهديّ عليه ، وبلغه عنه من توقيعه أنّه يذكره . وكان في محمّد بن راشد رداءة ونقلٌ للأحاديث ؛ فقال فيه إسحاق : [من الطويل]

ونَدْمان صِدْقٍ لا تُخاف أذاتُه ... ولا يلفِظ الأخبارَ لفظَ ابن راشدِ

دعـاني إلى مـا يشتهي فأجبتُه ... إجابـةَ محمود الخلائـق ماجدِ

فـلا خيرَ في اللذّات إلاّ بأهلها ... ولا عيشَ إلاّ بالخليـل المُساعدِ

قال : فجمع ابن راشد عدّة من الشعراء وأمرهم بهجاء إسحاق ؛ فهجَوْه بأشعار لم تبلغ

مرادَه ، فلم يُظهرها . وبلغ ذلك إسحاقَ فقال فيه : [من الطويل]

وأبيات شعر رائعات كأنّها إذا أُنشدت في القوم من حُسنها سِحْرُ
تحفّزَ واقْلَوْلَى لردّ جوابها أبو جعفر يَغْلي كما غَلَتِ القِدْرُ[1]
فلم يستطعها غيرَ أنْ قد أعانه عليها أُناس كي يكون له ذكرُ
فيا ضيعةَ الأشعار إذ يَقْرِضونها وأضيعُ منها مَن يَرى أنّها شعرُ

قال : فعاذ محمد بن راشد بإسحاقَ واستكفّه وصالحه ، فرجع إليه .

[أخذ إبراهيم بن المهديّ صوتاً له فغضب]

أخبرني عمّي قال حدّثني عليّ بن محمد بن نصر الشاميّ قال حدّثني منصور بن محمّد بن واضح : أنّ إبراهيم بن المهديّ طرَح في منزل أبيه : [من المتقارب]

صوت

أمِن آلِ لَيْلى عرفتَ الطُّلولا بذي حُرُضٍ ماثلاتٍ مُثولا[2]
بَلِينَ وتحسَب آياتِهنّ عن فرط حَوْلين رَقّا مُحيلا[3]

الشعر لكعب بن زُهير[4] والغناء لإسحاق ، وله فيه لحنان : ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر ، وماخُوريّ بالوسطى . وفيه للزُّبَير بن دَحْمانَ خفيفُ ثقيل قال : فجاءنا إسحاق يوماً ، وأقام عند أبي ، وأخرجنا إليه جوارينا ، ومرّ الصوت الذي طرحه إبراهيم بن المهديّ من غنائه ؛ فقال إسحاق : من أين لك هذا ؟ قال : طرحه أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ أعزّه الله تعالى ؛ فقال إسحاق : وما لأبي إسحاقَ أعزّه الله ولهذا الصوت ؟ هذا أنا صنعتُه ، وليس هو كما طرَحه . قال : فسأله أبي أن يغنّيه ، فغنّاه وردّده حتى صحّ لمن عنده ؛ فقال لي أبي : اكتب إلى أبي إسحاق أنّ أبا محمّد أعزّه الله صار إليَّ فاحتبستُه ، وأنّه غنّى بحضرتي الصوتَ الذي ألقيتَه في منزلك الذي أسكنه ، فزعَم أنّه صنعه ، وأنّه ليس على ما أخذه الجواري عنك ، فأحببت أن أعلم مَا عندك ، جعلني الله فداك . قال : فكتبت الرُّقعة وأنفذتها إلى إبراهيم . فكتب : نعم ، جُعلت فداك ، صدَق أبو محمّد أعزّه الله ، الصوتُ له ، وهو على ما

---

1 تحفّز واقلولى : تهيّأ للوثوب .

2 ذو حرض : موضع . ماثلات : منتصبات .

3 فرط حولين : مضي سنتين . محيل : أتى عليه حول .

4 هذان البيتان لم يردا في ديوان كعب وإنّما في ديوان زهير أبيه ، وهما من قصيدة في مدح سنان بن أبي حارثة . وفي الديوان (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب) ص 193 : رواها أبو عمرو والمفضل وزعم الأصمعيّ أنّها مولدة . وسيردان في ترجمة زهير منسوبين إليه .

ذكره ، لكنّي لعِبت في وسطه لعباً أعجبني . قال : فقرأ إسحاقُ الرقعة فغَضِب غضباً شديداً ، ثم قال لي : أكتب إليه : «إذا أردت يا هذا أن تلعبَ فالعَبْ في غناء نفسك لا في غناء الناس ، وما حاجتُك إلى هذا الشعر أكثر من ذلك ، فاصنعْ أنت إن كنت تُحسن ، والعبْ في صنعتك كما تشتهي مبتدئاً باللهو واللعب غيرَ مُشارِك في جِدّ الناس بلعبك ومُفْسد له بما لا تعلمه . يا أبا إسحاق ، أيّدك الله ، ليس هذا الصوت ممّا يتهيّأ لك أن تُمَخْرِق فيه وتقول : «جَنْدَرْتُه»[1] . قال : وكان إبراهيم يقول : إنّه يُجَنْدِر صنعةَ القدماء ويحسِّنها .

[مناظرته إبراهيم بن المهديّ عند المعتصم]

قال عليّ بن محمّد حدّثني جدّي حَمْدُون : أنّ إسحاق قال لإبراهيم بن المهديّ بحضرة المعتصِم : ما تقول فيمن يزعُم أنّ ابن سُرَيج وابن مُحْرِز ومَعْبداً ومالكاً وابنَ عائشة لم يكونوا يُحْسنون تَمام الصّنعة ولا استيفاءَ الغناء ، ويعجِزون عمّا به يكمُل ويتِمّ ويحسُن ، وأنّه أقدر على الصنعة منهم ؟ قال : أقول : إنّه جاهل أحمق ؛ قال : فأنت تزعم أنّه قد كانت بَقِيَتْ عليهم أشياءُ لم يهتدوا لها ولم يحسنوها ، فتنبّهتَ عليها أنت وتَمَمْتَها وحسَّنْتَها بجَنْدَرتك ؛ قال : فضحِك المعتصم وبقي إبراهيمُ واجماً مُطْرِقاً ، ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه ؛ وما سمعتُه أنا ولا غيري بعد ذلك اليوم يتبجّح بغناء يُصلحه من غناء المتقدّمين ، حتى يُطنِب في صنعته ويُشتَهى استماعُه منه ، كما كان يَدّعي قديماً . قال : وكان حَمْدون يقول : كان إبراهيم يأكل المغنّين أكلاً ، حتى يحضُر إسحاق ، فيُداريه إبراهيم ويطلب مكافأتَه ، ولا يَدعُ إسحاقُ تبكيتَه ومعارضتَه ؛ وكان إسحاقُ آفتَه ، كما أنّ لكلّ شيء آفة .

[غنّى المأمون بشعر ذي الرمّة]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ يوماً من داري وأنا مَخْمورٌ أتنسّم الهواء ، فمررتُ برجل يُنشد رجلاً معه لذي الرُّمّة[2] : [من الطويل]

صوت

أَلم تعلمي يا ميّ أنّي وبينَنا ... مَهاوٍ لطَرْف العين فيهنّ مَطْرَحُ
ذكرتك أن مرّتْ بنا أمُّ شادنٍ ... أمامَ المَطايا تَشْرئبّ وتَسْنَحُ[3]

---

1 مخرق : موه . وجندر الشيء : أصلحه وصقله .

2 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 79–86 .

3 الشادن : ولد الظبية الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه . وتشرئب : ترفع رأسها لتنظر . وتسنح : تأتي عن الشمال .

مـن المؤلِفاتِ الرمَـلِ أدماءُ حُرّةٌ شُعاعُ الضّحى في مَتْنها يتوضّحُ[1]
هي الشِّبْهُ أعطافـاً وجِيداً ومُقلةً ومَيَّةُ منهـا بَعْـدُ أبهـى وأملَحُ[2]
كأن البُرَى والعاجَ عِيجَتْ مُتُونُه على عُشَرٍ نَهّى بـه السيلَ أبطحُ[3]
لئن كانت الدنيـا عـليّ كما أرى تَبارِيحَ مـن مَـيٍّ فَلَلموتُ أرْوحُ

فأعجبني ، فصنعت فيه لحناً غنّيتُ به المأمونَ ، فأخذتُ به منه مائة ألف درهم . لحنُ إسحاقَ في هذه الأبيات أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر .

[دسّ إليه أبو أحمد غلامين ليعلّمهما]

حدّثني يحيى بن محمّد الطّاهِريّ قال حدّثني ينشو[4] مولى أبي أحمد بن الرشيد قال : اشتراني مولاي أبو أحمد بن الرشيد ، واشترى رَفيقي محموماً[5] ، فدَفعَنا إلى وكيل له أعجميّ خُراسانيّ ، وقال له : انحدرْ بهذين الغلامين إلى بغداد إلى إسحاق الموصليّ ؛ ودفع إليه مائة ألف درهم . وشِهْرِيّاً[6] بسَرْجه ولِجامه ، وثلاثة أدراجٍ[7] من فِضّة مملوءة طِيباً ، وسبعةَ تُخُوتٍ من بَزّ خُراساني ، وعشرةَ أسفاطٍ من بَزّ مصر ، وخمسةَ تخوتِ وَشْي كوفيّ ، وخمسة تخوتِ خَزّ سُوسيّ ، وثلاثين ألف درهم للنفقة ؛ وقال للرسول : عرِّفْ إسحاقَ أنّ هذين الغلامين لرجل من وجوه أهل خُراسان ، وَجّه بهما إليه ليتفضّل ويعلّمهما أصواتاً اختارها ، وكتبها له في دَرْج ، وقال له : كلّما علّمهما صوتاً ادفع إليه ألف درهم ، حتّى يتعلّما بها مائة صوت ، فإذا علّمهما الصوتين اللذين بعد المائة فادفع إليه الشّهْريّ ، ثم إذا علّمهما الثلاثة التي بعد الصوتين ، فادفع إليه بكلّ صوت دُرْجاً من الأدراج ، ثم لكلّ صوت بهد ذلك تَخْتاً وسَفَطاً ، حتّى يَنْفَد ما بعثتُ به معك ؛ ففعل ، وانحدرْنا إلى بغداد ، فأتينا إسحاق ، وغنّينا بحضرته ، وبلّغه الوكيلُ الرسالةَ ؛ فلم يزل يُلقي علينا الأصوات حتى أخذناها كما أمرَنا سيّدُنا . ثم سِرنا إلى سُرّ مَنْ رأى ، فدخلنا إليه وغنّيناه جميعَ ما أخذْناه فسَرّه ذلك . وقدِم إسحاقُ سُرّ مَنْ رأى ، ولقيه مولانا ، فدعا بنا وأوصانا بما أراد ، وغدا بنا إلى الواثق وقال : إنّكما سترَيان

1 أدماء : بيضاء .
2 رواية الديوان : «ومية أبهى بعد منها وأملح» .
3 البرى : الخلاخيل . العاج : اسورة من العاج . عيجت : لويت . العشر : نوع من الشجر . نهى : بلغ نهايته . أبطح : بطن الوادي . أي أنّ ساقيها ومعصميها كشجر العشر الذي يقيه السيل نضراً ريّاناً .
4 ل : بيشق .
5 ل : يحموما .
6 الشهري : ضرب من البراذين .
7 الأدراج : جمع درج وهو صندوق صغير توضع فيه الحلي والطيب .

إسحاقَ بين يديه ، فلا تُسلِّما عليه ولا تُوهِماه أنّكما رأيتماه قطّ ، وألبسَنا أقْبِيةً خُراسانيّة ومضينا معه ؛ فلمّا دخلنا على الواثق قال له : يا سيِّدي ، هذان غلامان اشتُريا لي من خُراسان يغنّيان بالفارسيّة ؛ فقال : غَنِّيا ، فضربنا ضرباً فارسيّاً وغنّينا غناءً فهليذِيّاً ؛ فطَرِب الواثق وقال : أحسنتما ، فهل تغنّيان بالعربيّة ؟ قلنا : نعم ، واندفعنا نغنّي ما أخذناه عن إسحاق وهو ينظر إلينا ونحن نتغافل عنه ، حتى غنّينا أصواتاً من غنائه ؛ فقام إسحاق ثم قال للواثق : وحياتِك يا سيِّدي وبَيْعتِك ، وإلاّ كلّ مِلْكٍ لي صدَقة وكلّ مملوك لي حُرّ إن لم يكن هذان الغلامان من تعليمي ومِن قصّتهما كيت وكيت ؛ فقال له أبو أحمد : ما أدري ما تقول ؛ هذان اشتريتهما من رجل نخّاس خراسانيّ ؛ فقال له : بَلَغ وَلْعُكَ[1] إليّ ! ونخّاس خراسانيّ من أين يحسن [أن] يختار مثلَ تلك الأغاني ! ؛ فضحك أبو أحمد ثم قال للواثق : صدَق ، أنا احتلتُ عليه ، ولو رُمْتُ أن يعلِّمهما ما أخذاه منه إذا علِم أنّهما لي بعشرة أضعاف ما أعطيتُه لَما فعل ؛ فقال له إسحاق : قد تَمَّت عليّ حيلتُه . وقال أبو أحمد للواثق : إن أردتَهما فخذهما ؛ فقال : لا أفجَعُك بهما يا عمّ ، ولكن لا تمنعني حضورَهما ؛ فقال له : قد بذلتُ لك المِلْك فلم تُؤثِرْه ، أفتراني أمنعك الخدمةَ ؟ فكنّا نخدِمُه بنَوْبة .

[لم يكن يحضر عُوده ترفّعاً]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله بن حَمْدون قال حدَّثني ابن فيلا الطُّنْبُوريّ وكان قد دخل على الواثق وغنّاه ، قال : قال الواثق في بعض العَشايا : لا يبرحُ أحدٌ من المغنّين الليلةَ ، فقد عزمتُ على الصَّبُوح في غد ؛ فأمسكوا جميعاً عن معارضته إلاّ إسحاقَ فإنّه قال له : لا وحياتِك ما أبيتُ ؛ قال : فلا والله ما كان له عند الواثق معارضةٌ أكثر من أن قال له : فبحياتي إلاّ بَكَّرتَ يا أبا محمّد . قال : فرأيت مخارقاً وعَلّويه قد تقطّعا غيظاً ؛ وبِتْنا في بعض الحُجَر ، فقالا لي : اجلس على باب الحجرة ، فإذا جاء إسحاق فعرِّفنا حتى ندخل بدخوله ؛ فلم نلبث أن جاء إسحاقُ مع أحمد بن أبي دُواد يماشيه في زِيِّه وسَوادِه وطَويلتُهُ مثل طويلته ، فدخلت عليهما فأعلمتهما ؛ فقامت على عَلّويه القيامة وقال : يا هؤلاء ، خِيناكر[2] يَدخل إلى الخليفة مع قاضي القضاة ؟ أسمعتم بأعجبَ من هذا البَخْت قطّ ؟ فقال له مُخارِق : دَعْ هذا عنك ، فقد والله بلغ ما أراد . ولم نلبث أن خرج ابن أبي دُواد ودُعيَ بنا فدخلنا ، فإذا إسحاق جالسٌ في صف الندماء لا يخرج منه ، فإذا أمره الواثق أن يُغنّي خرج عن صفّهم قليلاً وأتي بعُود فغنّى الصوتَ الذي يأمره به ؛ فإذا فرَغ من القَدَح قطع الصوتَ الذي يأمره به حيث بلغ

1 الولع : الكذب .

2 الخيناكر : المغني .

ولم يُتِمَّه ، ورجع إلى صفّ الجلساء .

[مع إبراهيم بن المهديّ في مجلس الرشيد]

أخبرني محمّد بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ الملقَّب بوَسْواسة قال حدّثني حَمّاد قال : قال لي أبي : كنت عند الرشيد يوماً ، وعنده ندماؤه وخاصّته وفيهم إبراهيم بن المهديّ ، فقال لي الرشيد : يا إسحاق تَغَنَّ : [من الوافر]

شَرِبتُ مُدامةً وسُقِيتُ أُخرى وراحِ المُنتشون ومـا انتشيتُ

فغنّيته ؛ فأقبل عليَّ إبراهيم بن المهديّ فقال لي : ما أصبتَ يا إسحاق ولا أحسنت ؛ فقلت له : ليس هذا ممّا تُحسنه ولا تعرفه ، وإن شئتَ فغنِّه ، فإن لم أجدْك أنّك تُخطىء فيه منذُ ابتدائك إلى انتهائك فدَمي حلال . ثم أقبلت على الرشيد فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه صناعتي وصناعة أبي ، وهي التي قرّبتْنا منك واستخدمتْنا لك وأوطأتنا بساطَك ؛ فإذا نازَعَناها أحدٌ بلا علم لم نجِد بُدّاً من الإيضاح والذبّ ؛ فقال : لا غَرْوَ ولا لومٌ عليك ؛ فقام الرشيد ليبول ؛ فأقبل إبراهيم بن المهديّ عليّ وقال : وَيْلَك يا إسحاق أتجترىء عليّ وتقول ما قلتَ يا ابنَ الفاعلة ؟ لا يَكْني ؛ فداخلني ما لم أملك نفسي معه ؛ فقلت له : أنت تشتِمُني ، وأنا لا أقدِر على إجابتك وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة ، ولولا ذلك كنت أقول لك : يا ابنَ الزّانية ؛ أوَ تُرى أنّي كنت لا أُحسن أن أقول لك : يا ابنَ الزانية ؛ ولكن قولي في ذَمّك ينصرف جميعه إلى خالك الأَعْلَم[1] ، ولولاك لذكرتُ صناعتَه ومذهبه ، قال إسحاق : وكان بَيْطاراً ، قال : ثم سكتُّ ، وعلمتُ أنّ إبراهيم يشكوني وأنّ الرشيد سوف يسأل مَن حضر عمّا جرى فيخبرونه ، فتلافيتُ ذلك ، ثم قلت : أنت تظنّ أنّ الخلافة تصير إليك فلا تزال تهدّدني بذلك وتعاديني كما تُعادِي سائرَ أولياء أخيك حَسَداً له ولولده على الأمر ؛ فأنت تضعُف عنهم وتستخِفّ بأوليائهم تَشَفِّياً ؛ وأرجو ألّا يُخرجها الله عن يَدِ الرشيد وولده ، وأن يقتلك دونها ؛ فإن صارت إليك ، وبالله العِياذ ، فحرامٌ عليّ العيشُ يومئذٍ ، والموت أطيب من الحياة معك ، فاصنع حينئذٍ ما بدا لك . قال : فلمّا خرج الرشيد وثَب إبراهيم فجلس بين يديه فقال : يا أمير المؤمنين ، شتَمني وذكر أُمّي واستخفّ بي ؛ فغضِب وقال : ما تقول ؟ وَيْلَك ؛ قلت : لا أعلم ، فسَلْ مَنْ حضر ؛ فأقبل على مسرورٍ وحُسَين ؛ فسألهما عن القصّة ، فجعلا يُخبرانه ووجهُه يتربّد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة ، فسُرِّي عنه ورجع لونُه ، وقال لإبراهيم : ما له ذنب ، شتمتَه فعرّفك أنّه لا يقدِر على جوابِك ، إرجعْ إلى موضعك وأمْسِك

1 الأعلم : الذي بشفته العليا شق .

عن هذا . فلمّا انقضى المجلسُ وانصرف الناس ، أمر بألاّ أبْرَح ، وخرج كلُّ مَن حضر حتى لم يبقَ غيري ؛ فساءَ ظنّي وأهمّتْني نفسي ؛ فأقبل عليّ وقال : ويلك يا إسحاق ! أتُراني لم أفهم قولك ومرادك ! قد والله زنّيتَه[1] ثلاث مرّات ، أتُراني لا أعرف وقائعك وأقدامَك وأين ذهبت ؟ ويلك ، لا تَعُدْ ؛ حدِّثْني عنك ، لو ضربك إبراهيم ، أكنتُ أقتصّ لك منه فأضربه وهو أخي يا جاهل ؟! أتُراك لو أمر غلمانَه فقتلوك أكنتُ أقتله بك ؟! فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد والله قتلتَني بهذا الكلام ، ولئن بلغه ليقتلنّي ، وما أشكّ في أنّه قد بلغه الآن ؛ فصاح بمسرور الخادم وقال : عليّ بإبراهيم الساعة فأُحضر ، وقال : قم فانصرف ؛ وقلت لجماعة من الخَدَم ، وكلّهم كان لي مُحِبّاً وإليّ مائلاً ولي مُطيعاً : أخبروني بما يجري ، فأخبروني مِن غد أنّه لمّا دخل وبّخه وجهّله وقال له : أتستخفُّ بخادمي وصَنيعتي ونَديمي وابن نديمي وابن خادمي وصنيعتي وصنيعة أبي في مجلسي ، وتُقْدم عليّ وتستخفّ بمجلسي وحضرتي ؟ هاه هاه ! أتُقدِم على هذا وأمثالِه ! وأنت ما لَك وللغِناء ، وما يُدريك ما هو ؛ ومَنْ أخذك به وطارحك إيّاه حتى تتوهّم أنّك تبلُغ منه مبلغَ إسْحاق الذي غُذي به وعُلّمه وهو صناعته ؟ ثم تظنّ أنّك تُخطّئه فيما لا تدريه ، ويدعوك إلى إقامة الحجّة عليك فلا تثبُت لذلك وتعتصم بشَتْمه ؟ أليس هذا ممّا يدُلّ على السقوط وضعفِ العقل وسوء الأدب من دخولك فيما لا يُشبهك وغَلَبةِ لذّتك على مروءتك وشرفك ثم إظهارك إيّاه ولم تُحكمه ، وادّعائك ما لا تعلمه حتى ينسِبك الناسُ إلى الجهل المُفْرط ! ألا تعلم ، وَيْلَك ، أنّ هذا سوءُ أدب وقلّة معرفة وقلّة مُبالاة بالخطأ والتكذيب والردّ القبيح ؟ . ثم قال : والله العظيم وحقّ رسوله ، وإلاّ فأنا نَفيٌّ[2] من المهديّ ، لئن أصابه أحدٌ بسوء ، أو سقط عليه حجرٌ من السماء ، أو سقط من على دابّته ، أو سقط عليه سقفُه ، أو مات فجأة ، لأقتلنّك به ؛ والله ؛ ، والله ، والله ، فلا تعرِض له وأنت أعلم ، قُم الآنَ فاخرج ؛ فخرج وقد كاد أن يموت . فلمّا كان بعد ذلك دخلت إليه وإبراهيم عنده ، فأعرضتُ عن إبراهيم ؛ وجعل ينظر إليه مرّة وإليّ مرّة ويضحك ، ثم قال له : إنّي لأعلم محبّتك في إسحاق وميلَك إليه وإلى الأخذ عنه ، وإنّ هذا لا يجيئك من جهته كما تريد إلاّ بعد أن يرضَى ، والرضى لا يكون بمكروه ، ولكن أحسِن إليه وأكرمه واعرِف حقّه وبِرّه وصِلْه ، فإذا فعلتَ ذلك ثم خالفك فيما تهواه عاقبتَه بيد منبسطة ولسان منطلق ؛ ثم قال لي : قم إلى مولاك وابنِ مولاك فقبِّلْ رأسه ، فقمت إليه وقام إليّ وأصلح الرشيدُ بيننا .

---

1 زناه : نسبه إلى الزنا .

2 ل : بريء .

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

[من الوافر]

أعاذلُ قـد نَهَيْتِ فما انتهيتُ ... وقد طال العتابُ فما ارعويتُ
أعاذلُ مـا كبرتُ وفيّ مَلْهىً ... ولـو أدركتُ غايتكِ انتهيتُ
شَرِبتُ مُدامةً وسُقيت أُخرى ... وراح المنتشون ومـا انتشيتُ
أُبيـتُ مُعذَّبـاً قَلِقـاً كئيباً ... لِما ألقـاه مـن ألَم وفَوْتِ[1]

الغناء لابن مُحْرِزٍ ثقيلٌ عن ابن المَكّيّ . وفيه رَمَلٌ بالوسطى .

[الرشيد يستدعيه ليلاً للمنادمة]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أرسل إليّ الرشيد ذاتَ ليلة ، فدخلتُ إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرَّد وسَراوِيلُ موردَّة وقِناعٌ مورَّد كأنّها ياقوتة على وردة ؛ فلمّا رآني قال لي : اجلس ، فجلستُ ؛ فقال لي : غنّ ، فغنّيت : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجرى لما جَهَدتُه ... وبيَّن لـو يَسطيـعُ أن يتكلّمـا

فقال : لَمن هذا اللحن ؟ فقلت : لي يا أمير المؤمنين ؛ فقال : هاتِ لحنَ ابن سُرَيج ، فغنّيته إيّاه ؛ فطرِب وشرِب رِطْلاً وسقى الجاريةَ رِطلاً وسقاني رِطلاً ؛ ثم قال : غنِّ ، فغنّيته : [من مجزوء الرمل]

صوت

هاجَ شَوْقي بَعْدَ ما أن شاب ... أصداغـي بُـرُوقُ
مَوْهِنـاً والبَـرْقُ ممّـا ... ذا الهـوى قِدْمـاً يَشُوقُ

فقال : لَمن هذا الصوت ؟ فقلت : لي ؛ فقال : قد كنتُ سمعت فيه لحناً آخر ؛ فقلت : نعم ، لحن ابن مُحْرِز ؛ قال : هاته ، فغنّيته فطرب وشرب رطلاً ، ثم سقى الجارية رِطلاً وسقاني رِطلاً ؛ ثم قال : غنِّ ، فغنّيته : [من الطويل]

أفاطـمُ مهـلاً بعضَ هذا التدلُّلِ ... وإن كنتِ قد أزْمَعْتِ صرمي فأجملِي

فقال لي : ليس هذا اللحنَ أريد ، غَنِّ رَمَل ابن سُرَيج ؛ فغنّيته وشرب رطلاً وسقى الجارية

---

1 في هذا البيت إقواء .

رِطلاً ، ثم قال : حدّثني ، فجعلتُ أُحدّثه بأحاديث القِيان والمغنّين طَوْراً ، وأحاديث العرب وأيّامها وأخبارها تارة ، وأُنشِده أشعار القدماء والمحدَثين في خلال ذلك ، إذ دخل الفضلُ بن الرَّبيع ، فحدَّثه حديثَ ثلاث جوارٍ مَلَكَهنّ ووَصفهنّ بالحُسْن والإحسان والظَّرْف والأدب ؛ فقال له : يا عَبّاسيّ ، هل تَسخُو نفسُك بهنّ ؟ وهل لك من سَلْوةٍ عنهنّ ؟ فقال له : والله يا أمير المؤمنين ، إنّي لأسخو بهنّ وبنفسي ، فبها فَداك الله ؛ ثم قام فوجّه بهنّ إليه ، فغَلَبْن على قلبه ، وهنّ سِحْر وضياء وخُنْث ذات الخال ؛ وفيهنّ يقول : [من الرمل]

إنّ سِحْراً وضياء وخُنُثْ هنّ سِحْرٌ وضياءٌ وخُنُثْ
أخذتْ سحرٌ ولا ذنبَ لها ثُلُثَيْ قلبي وتِرْباها الثُّلُثْ

[مع عبيد الله بن محمّد بن عائشة بالبصرة]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني مَيْمون بن هارون عن إسحاق قال : أتيتُ عُبَيد الله بن محمّد بن عائشة بالبصرة ، فلمّا دخلتُ إليه حَصِرْتُ ؛ فقال لي : إنّ الحَصَر رائدُ الحياء ، والحياء عَقيدُ الإيمان ، فانبسِطْ وأزِلِ الوحشة ، فلئن باعدتْ بيننا الأحساب ، لقد قرّبتْ بيننا الآداب ؛ فقلت له : والله لقد سررتَني بخطابك ، وزِدْتَني ببِرّك عجزاً عن جوابك ؛ ولله دَرّ القُطاميّ حيث يقول : [من البسيط]

أمّا قريشٌ فلـن تلقاهمُ أبداً إلاّ وهم خيرُ من يَحْفَى ويَنتعِلُ

[أُهدى له أحمد بن هشام زعفراناً]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدّثني أبو هِفّان قال : وجّه أحمد بن هشام إلى إسحاق الموصليّ بزعفران رَطْب وكتب إليه : [من البسيط]

إشربْ على الزعفرانِ الرَّطْبِ مُتّكئاً وانْعَمْ نَعِمْتَ بطول اللّهو والطّربِ
فحُرْمة الكأس بـين الناس واجبةٌ كحرمـةِ الوُدّ والأرحام والأدبِ

قال : فكتب إليه إسحاق : [من البسيط]

أُذكـرْ أبا جعفرٍ حقّاً أمُتّ به أنّي وإيّاك مَشْغوفان بالأدبِ
وأنّنا قـد رضعنا الكأسَ دِرَّتَها والكأسُ حرمتُها أولى من النَّسبِ

[وداعه الفضل بن يحيى في خروجه إلى خراسان]

حدّثنا الصُّوليّ قال حدّثني محمّد بن موسى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لمّا أراد الفضل بن يحيى الخروجَ إلى خُراسان ودّعتُه ، ثم أنشدته بعد التوديع : [من المتقارب]

فِراقُـك مثـلُ فـراق الحيـاةِ وفقـدُك مثـلُ افتقـاد الدِّيَـمْ
عليك السلامُ فكم مـن وفاء أُفـارقُ فيـك وكم مـن كَرَمْ

قال : فضمّني إليه ، وأمر لي بألف دينار ، وقال لي : يا أبا محمّد ، لو حلّيتَ هذين البيتين بصنعة وأودعتَهما مَن يَصلُح من الخارجين معنا ، لأَهْدَيتَ بذلك إليّ أُنْساً وأذكرتَني بنفسك ؛ ففعلتُ ذلك وطرحتُه على بعض المغنّين فأمر لي بألف دينار ؛ فكان كتابه لا يزال يَرِد عليّ ومعه ألفُ دينار يَصِلُني بذلك كلّما غُنّي بهذا الصوت . قال الصُّوليّ : وهو من طريقة الرَّمَل .

[حمل الأصمعيّ من الكتب إلى الرّقّة]

أخبرني عمّي قال حدّثني عمر بن شبّة عن إسحاق قال : قال لي الأصمعيّ : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى الرّقّة قال لي : هل حملتَ معك شيئاً من كتبك ؟ فقلت : نعم ، حملتُ منها ما خفّ حملُه ؛ فقال : كم ؟ فقلت : ثمانيةَ عشرَ صُندوقاً ؛ فقال : هذا لمّا خفَّفْتَ ، فلو ثَقَّلتَ كم كنتَ تحمل ؟ فقلت : أضعافَها ؛ فجعل يَعْجَب .

[شعر إسحاق في المعتصم حين ولي الخلافة]

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال : لمّا ولي المعتصم دخلتُ إليه في جملة الجلساء والشعراء ؛ فهنّأه القوم نظماً ونثراً وهو ينظر إليّ مُسْتنطِقاً ؛ فأنشدتُه : [من المديد]

صوت

لاحَ بالمَفْـرِق منـك القَتِيرُ وذَوى غصنُ الشّبابِ النَّضِيرُ[1]
هزِئتْ أسمـاءُ منّي وقالتْ أنـت يا ابنَ الموصـليّ كبيرُ
ورأَت شيْباً برأسي فصـدّتْ وابـنُ ستّـين بشَيْب جديرُ
لا يَرُوعَنّـكِ شَيْبـي فإنّـي مع هـذا الشَّيب حُلْوٌ مَزيرُ[2]
قـد يُفَلّ السيفُ وهو جُرازٌ ويَصُول الليـثُ وهـو عَقِيرُ[3]
يـا بنـي العبّاس أنْتم شفاءٌ وضيـاءٌ للقُلـوب ونـورُ
أنتمُ أهـل الخلافـةِ فينـا ولكـم مِنبرُهـا والسريرُ

1 القتير : الشيب أو أوّل ما يظهر منه .
2 مزير : ظريف .
3 يفل : يثلم . جراز : ماضٍ قاطع . عقير : مجروح أو مقطوع القوائم .

لا يزال المُلك فيكم مَدى الدَّهْـ ـرِ مُقيماً ما أَقام ثَبِيرُ[1]
وأَبو إسحاق خير إمامٍ ما له في العالمين نظيرُ
ما له فيما يَرِيش ويَبْري غير توفيق الإله وزيرُ
واضح الغرّة للخير فيه حين يبدو شاهدٌ وبشيرُ
زانه هَديُ تُقىً وجلالٌ وعفافٌ ووقارٌ وخِيرُ
لو تُباري جودَه الريحُ يوماً نَزَعَتْ وهي طَلِيحٌ حَسيرُ[2]

[شعره في المعتصم يوم مقدمه من غزاة]

قال : فأَمر لي بجائزة فضّلني بها على الجماعة . ثم دخلتُ إليه يوم مقدمه من غَزاته ، فأَنشدتُه قولي فيه : [من المتقارب]

صوت

لأَسماءَ رسمٌ عفا باللِّوَى أَقامَ رهيناً لطول البلى
تعاوَرَه الدَّهرُ في صَرْفه بكَرِّ الجديدين حتى عفا
إذ البينُ لم تُخْشَ رَوْعاته ولم يصرِفِ الحيَّ صَرْفُ الرَّدى
وإذ مَيْعة اللهو تجري بنا وحبلُ الوصال متينُ القُوى
فذلك دهرٌ مضى فابْكِهِ ومَنْ ضاق ذَرْعاً بأَمرٍ بكى
وهل يَشْفِينَّك من غُلَّة بكاؤكَ في إثْر ما قد مضى
إلى ابن الرشيد إمامِ الهدى بعثنا المطيَّ تَجُوبُ الفَلا
إلى مَلِك حَلّ من هاشمٍ ذُؤابةَ مجدٍ مُنيفِ الذُّرى
إذا قيل أَيُّ فتى هاشمٍ وسيِّدُها كان ذاك الفتى
به نَعَشَ اللهُ آمالَنا كما نَعَشَ الأَرضَ صَوْبُ الحَيا
إذا ما نوى فِعْلَ أُكْرُومةٍ تجاوز من جُوده ما نَوى
كساه الإلهُ رداءَ الجمال ونورَ الجلال وهَدْيَ التقى

قال : فأَمر لي بجائزة ، وقال : لستُ أَحسُب هذا لك إلاّ بعد أَن تَقْرِن صناعتَك فيه بالأُخرى يعني أَن أُغنّي فيه وفي : «هَزِئتْ أَسماءُ منى» ؛ فصنعتُ في : [من المديد]

1 ثبير : من جبال مكّة .
2 طليح : تعب هزيل .

هزئت أسماء منّي . . . . . .

لحناً ، وفي : [من المتقارب]

لأسمـاء رسم عفـا باللـّوى

لحناً آخر وغنّيته بهما ، فأمر لي بألفَيْ دينار .

نسبة هذين الصوتين

[من المديد]

هزِئتْ أسماءُ منّي وقالت أنت يـا ابنَ الموصليّ كبيرُ

لحنُ إسحاقَ في أربعة أبيات متوالية من الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . والآخر : [من المتقارب]

لأسماءَ رسمٌ عفـا باللِّوى أقـامَ رَهِينـاً لطُولِ البِلَى

الغناء لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[مخارق يصحّح مغنّياً في لحن لإسحاق]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن عُبَيد الله بن أبي العلاء قال : غنّيتُ يوماً بين يدَي الواثق لحنَ إسحاق في : [من المديد]

هَزِئتْ أسماءُ منّي وقالت أنت يـا ابنَ الموصلّي كبيرُ

قال : فنظر إليّ مخارقٌ نظراً شَزْراً وعضّ شَفَته عليّ ؛ فلمّا خرجنا من بين يَدَي الواثق قلت : يا أستاذ ، لِمَ نَظَرتَ إليّ ذلك النظرَ ؟ أأنكرتَ عليّ شيئاً أم أخطأتُ في غنائي ؟ فقال لي : وَيْحَك ! أتدري أيَّ صوت غنّيتَ ! إنّ إسحاق جعل صَيْحة هذا الصوت بمنزلة طريق ضيّق وَعْر صعِب المُرْتَقى ، أحدُ جانبيْ ذلك الطريق حرفُ الجبل ، وعن جانبه الآخر الوادي ؛ فإن مال مُرْتقِيه عن مَحَجّته إلى جانب الوادي هَوى ، وإن مال إلى الجانب الآخر نَطَحه حرفُ الجبل فتكسّر ؛ صِر إليّ غداً حتّى أُصحّحه لك .

[لحن له على الأذان]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد قال حُدّثت من غير وجه : أنّ إسحاق بات ليلةً عند المعتصم وهو أمير ، فسمع لحناً لعبد الوهّاب المؤذّن أذّن به على باب المعتصم ، فأصْغى إليه فأعجبه ، فأعاد المَبيت ليلةً أخرى عنده حتى استقام له اللحن ؛ فبنى عليه لحنَه : [من المديد]

هَزِئـتْ أسمـاءُ منّي وقالتْ

[غلامه يغني إبراهيم بن المهديّ عندما فصد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ : أنّ إبراهيم بن المهديّ فُصِد يوماً ، فكتب إليه إسحاقُ يتعرّف خبرَه ويدعو له بالسلامة وحسن العُقبى ، وكتب إليه : إنّي سأُهدي إليك هديَّةً للفَصْد حسنةً ؛ فوجَّه إليه بُدَيحاً غلامَه ، فغنَّاه لحنَه في : [من المديد]

هَزئتْ أسمـــاءُ منّـي وقالتْ

فاستحسنه إبراهيم وقال له : قد قبِلنا الهديّة ، فإن كان أُذِن لك في طَرْحه على الجواري فافعلْ ؛ فقال له : بذلك أمرني ، وقال لي : إنّك ستقول لي هذا القول ، فقال : إن قاله لك فقُل له : لو لم آمُرْك بطرحه لم يكن هديّة ؛ فضحك إبراهيم ، وألقاه بُدَيح على جواريه . وقد ذكر عليّ بن محمّد بن نصر هذا الخبر ، فذكر أنّه كتب إلى أبيه بهذه الهديّة ؛ وهذا خطأ ، لأنّ الشعر في تهنئة المعتصم بالخلافة ، وإبراهيم الموصليّ مات في حياة الرشيد ، فكيف يُهدى إليه هذا الصوت ! .

[مخارق يخرج ابن بسخنر]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني أحمد بن أبي العلاء قال : اندفع محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً يغنّي هذا الصوت ؛ فالتفتَ إلينا مُخارِق فقال : خرج[1] ابن الزانية ! .

[لماذا استحقّ البرامكة شكره]

حدّثني عمّي قال حدّثني أبو جعفر محمّد بن الدِّهْقانة النَّديم قال حدّثني أحمد بن يحيى المكيّ قال : دعاني الفَضْل بن الرَّبيع ودعا عَلّويه ومُخارِقاً ، وذلك في أيّام المأمون بعد رجوعه ورضاه عنه إلاّ أنّ حاله كانت ناقصة متضعضِعة ؛ فلمّا اجتمعنا عنده كتب إلى إسحاقَ الموصليّ يسأله أن يصير إليه ويُعْلِمَه الحالَ في اجتماعنا عنده ؛ فكتب إليهم : لا تنتظروني بالأكل فقد أكلت ، وأنا أصير إليكم بعد ساعة ؛ فأكلنا وجلسنا نشرب حتى قرُب العصر ، ثم وافى إسحاقُ فجلس ، وجاء غلامه بقَطْرَمِيز[2] نبيذ فوضعه ناحيةً ، وأمر صاحبَ الشراب بإسقائه منه ، وكان عَلّويه يغنّي الفضلَ بن الرَّبيع في لحنٍ لِسياط اقترحه الفضل عليه وأعجبه ، وهو : [من الطويل]

فإن تَعْجَبي أو تُبصري الدَّهرَ طَمَّني بأحداثـه طَـمَّ المقصَّص بالجَلَمْ[3]

1 خرج : نبغ .
2 القطرميز : قُلّةٌ كبيرة من الزجاج ويطلقونها في بعض الأماكن على المرطبان .
3 الجلم : المقصّ الذي يجز به الشعر والصوف .

فقد أترك الأضيافَ تَنْدَى رِحالُهم وأكرمهم بالمَحْض والتَّامِك السَّنِمْ[1]

ولحنه من الثقيل الثاني ، فقال لـه إسحاق : أخطأتَ يا أبا الحسن في أداء هذا الصوت ، وأنا أُصلحه لك ؛ فجُنَّ عَلّويه واغتاظ وقامت قيامته ؛ ثم أقبل إسحاق على عَلّويه فقال له : يا حبيبي ، ما أردتُ الوضعَ منك بما قلتُه لك ، وإنّما أردتُ تهذيبَك وتقويمك ، لأنّك منسوبُ الصواب والخطأ إلى أبي وإليّ ، فإن كرِهتَ ذلك تركتك وقلت لك : أحسنتَ وأجملتَ ؛ فقال له عَلّويه : والله ما هذا أردتَ ، ولا أردتَ إلاّ ما لا تتركه أبداً من سوء عشرتك ؛ أخبِرني عنك حين تجيء هذا الوقتَ لمّا دعاك الأمير وعرَّفك أنّه قد نشِط للاصطباح : ما حملك على الترفّع عن مُباكرته وخدمته مع صنائعه عندك ، وما كان ينبغي أن يَشْغَلك عنه شيء إلاّ الخليفة ! ثم تجيئه ومعك قَطْرَمِيزُ نبيذٍ ترفُّعاً عن شرابه كما ترفّعتَ عن طعامه ومجالسته إلاّ كما تشتهي وحين تَنْشَط ، كما تفعل الأكفاء ، بل تَزيد على فعل الأكفاء ؛ ثم تَعْمِد إلى صوت قد اشتهاه واقترحه وسمعه جميعُ مَن حضر فما عابه منهم أحد فتَعِيبه ليتمّ تنغيصُك إيّاه لذّته ! ؛ أما والله لـو الفضل بن يحيى أو أخوه جعفر دعاك إلى مثل ما دعاك إليه الأمير ، بل بعضُ أتباعهم ، لبادرت وباكرتَ وما تأخّرتَ ولا اعتذرتَ ؛ قال : فأمسك الفضلُ عن الجواب إعجاباً بما خاطب به عَلّويه إسحاق ؛ فقال له إسحاق : أمّا ما ذكرتَه من تأخُّري عنه إلى الوقت الذي حضرتُ فيه ، فهو يعلم أنّي لا أتأخّر عنه إلاّ بعائق قاطع ، إن وثِق بذلك منّي وإلاّ ذكرتُ له الحجّة سرّاً من حيث لا يكون لك ولا لغيرك فيه مدخل . وأمّا ترفّعي عنه ، فكيف أترفّع عنه وأنا أنتسب إلى صنائعه وأستمنحُه وأعيش من فضله مذ كنتُ أنا وأبي ، وهذا تَضْرِيب[2] لا أُبالي به منك . وأمّا حَمْلي النبيذَ معي ، فإنّ لي في النبيذ شرطاً من طعمه وريحه ، وإن لم أجده لم أقدِر على الشرب وتنغّص عليّ يومئذٍ ، وإنّما حملته ليتمّ نشاطي وينتفعَ بي . وأمّا طعني على ما اختاره ، فإنّي لم أطعن على اختياره ، وإنّما أردتُ تقويمَك ، ولست والله تراني مُتتبّعاً لك بعد هذا اليوم ولا مُقَوّماً شيئاً من خطئك ؛ وأنا أُغنّي له ، أعزّه الله ، هذا الصوتَ فيعلم وتعلم ويعلم مَن حضر أنّك أخطأتَ فيه وقصّرت . وأمّا البَرامكة وملازمتي لهم فأشهرُ من أن أجحده ، وإنّي لحقيقٌ فيه بالمعذرة ، وأحرَى أن أشكرهم على صَنِيعهم وبأن أُذيعه وأنشُرَه ، وذلك والله أقلُّ ما يستحقّونه منّي . ثم أقبل على الفضل ، وقد غاظه مدحُه لهم ، فقال : اسمع منّي شيئاً أُخبرك به ممّا فعلوه ليس هو بكبير في صنائعهم عندي ولا عند أبي قبلي ؛ فإن وجدتَ لي عذراً وإلاّ فلُمْ : كنت في ابتداء أمري نازلاً مع أبي في داره ، فكان لا

1 التامك : العظيم السنام من الإبل ، ومثله السنم .

2 التضريب : الاغراء بين القوم .

يزال يجري بين غلماني وغلمانه وجواريَّ وجواريه الخصومة ، كما تجري بين هذه الطبقات ، فيشكونهم إليه ، فأتبيّن الضَّجَر والتنكُّرَ في وجهه ؛ فاستأجرت داراً بقربه وانتقلت إليها أنا وغلماني وجواريّ ، وكانت داراً واسعة ، فلَم أَرْضَ ما معي من الآلةِ لها ولا لمن يدخل إليّ من إخواني أن يَرَوْا مثلَه عندي ؛ ففكّرت في ذلك وكيف أصنع ، وزاد فِكري حتى خَطَر بقلبي قُبْح الأُحْدوثة من نزول مثلي في دار بأُجرة ، وأنّي لا آمَنُ في وقت أن يستأذن عليّ صاحبُ داري ، وعندي من أحتشمه ولا يعلم حالي ، فيُقال صاحبُ دارك ، أو يُوجِّه في وقت فيطلب أجرة الدّار وعندي مَن أحتشمه ؛ فضاق بذلك صدري ضيقاً شديداً حتى جاوز الحدّ ؛ فأمرت غلامي بأن يُسرِجَ لي حماراً كان عندي لأمضيَ إلى الصحراء أتفرّج فيها ممّا دخل على قلبي ، فأسرجَه وركبتُ برداء ونعل ؛ فأفضى بي المسيرُ وأنا مفكّر لا أميّز الطريق التي أسلك فيها حتى هجم بي على باب يحيى بن خالد ؛ فتواثب غلمانُه إليّ : وقالوا : أين هذا الطريق ؟ فقلت : إلى الوزير ؛ فدخلوا فاستأذنوا لي ؛ وخرج الحاجب فأمرني بالدخول ، وبقيتُ خَجِلاً ، قد وقعت في أمرين فاضحين : إن دخلت إليه برداء ونعل وأعلمته أنّي قصدته في تلك الحال كان سوءَ أدب ، وإن قلت له : كنت مجتازاً ولم أقصِدك فجعلتك طريقاً كان قبيحاً ؛ ثم عزمتُ فدخلت ؛ فلمّا رآني تبسّم وقال : ما هذا الزِّيّ يا أبا محمّد ! إحتبسنا لك بالبرّ والقَصْد والتفقّد ثم علمنا أنّك جعلتنا طريقاً ؛ فقلت : لا والله يا سيِّدي ، ولكنّي أَصْدُقك ؛ قال : هاتِ ؛ فأخبرته القصّة من أوّلها إلى آخرها ؛ فقال : هذا حقّ مستورٍ ، أفهذا شغل قلبك ؟ قلت : إي والله ؛ وزاد فقال : لا تَشغَلْ قلبَك بهذا ، يا غلام ، ردّوا حماره وهاتوا له خِلعة ؛ فجاءوني بخِلعة تامّة من ثيابه فلبستها ، ودعا بالطعام فأكلت ووُضِع النبيذ فشربت وشرب فغنّيته ، ودعا في وسط ذلك بدواة ورقعة وكتب أربعَ رِقاع ظننتُ بعضَها توقيعاً لي بجائزة ، فإذا هو قد دعا بعضَ وكلائه فدفع إليه الرِّقاع وسارّه بشيء ، فزاد طمعي في الجائزة ؛ ومضى الرجل وجلسنا نشرب وأنا أنتظر شيئاً فلا أراه إلى العَتَمة ؛ ثم اتّكأ يحيى فنام ، فقمت وأنا مُنكسر خائب فخرجت وقُدّم لي حماري ؛ فلمّا تجاوزت الدّارَ قال لي غلامي : إلى أين تمضي ؟ قلت : إلى البيت ؛ قال : قد والله بِيعتْ دارك ، وأشهِد على صاحبها ، وابتيع الدَّرْبُ كلّه ووُزِن ثمنه ، والمشتري جالس على بابك ينتظرك ليعرّفك ، وأظنّه اشترى ذلك للسلطان ، لأنّي رأيت الأمر في استعجاله واستحثاثه أمراً سلطانيّاً ؛ فوقعت من ذلك فيما لم يكن في حسابي ، وجئت وأنا لا أدري ما أعمل ؛ فلمّا نزلتُ على باب داري إذا أنا بالوكيل الذي سَارَّه يحيى قد قام إليّ فقال لي : ادخُل ، أيّدك الله ، دارَك حتى أدخل إلى مخاطبتك في أمر أحتاج إليك فيه ؛ فطابتْ نفسي بذلك ، ودخلتُ ودخل إليّ فأقرأني توقيعَ يحيى : «يُطلَق لأبي

محمّد إسحاقَ مائةُ ألف درهم يبتاع له بها داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها» . والتوقيع الثاني إلى ابنه الفَضْل : «قد أمرتُ لأبي محمّد إسحاقَ بمائة ألف درهم يبتاع له بها داره ، فأطلِقْ إليه مثلَها ليُنفقها على إصلاح الدّار كما يريد وبنائها على ما يشتهي» . والتوقيع الثالث إلى جعفر : «قد أمرت لأبي محمد إسحاق بمائة ألف درهم يُبتاع له بها منزل يسكنه ، وأمر له أخوك بدفع مائة ألف درهم يُنفقها على بنائها ومَرَمّتها على ما يريد ، فأطلِقْ له أنت مائةَ ألف درهم يَبتاع بها فرشاً لمنزله» . والتوقيع الرابع إلى محمّد : «قد أمرت لأبي محمد إسحاقَ أنا وأخواك بثلثمائة ألف درهم لمنزل يَبتاعه ونفقة يُنفقها عليه وفَرش يَبْتذِلُه ، فمُرْ له أنت بمائة ألف درهم يصرفها في سائر نفقته» . وقال الوكيل : قد حملتُ المالَ واشتريتُ كلَّ شيء جاورك بسبعين ألفَ درهم ، وهذه كتب الابتياعات باسمي والإقرار لك ، وهذا المال بُورِك لك فيه فاقبِضه ؛ فقبضتُه وأصبحت أحسنَ حالاً من أبي في منزلي وفرشي وآلتي ؛ ولا والله ما هذا بأكبرِ شيء فعلوه لي ، أفأُلام على شكر هؤلاء ؟ فبكى الفضل بن الربيع وكلّ مَن حضر ، وقالوا : لا والله لا تُلام على شكر هؤلاء . ثم قال الفضل : بحياتي غنِّ الصوت ولا تبخَل على أبي الحسن عَلّويه بأن تُقوِّمه له ؛ فقال : أفعل ؛ وغنّاه ، فتبيّن عَلّويه أنّه كما قال ، فقام فقبّل رأسَه وقال : أنت أستاذنا وابن أستاذنا وأولى بتقويمنا واحتمالنا من كلّ أحد ؛ وردّه إسحاقُ مَرّاتٍ حتى استوى لعلّويه .

[أكان ذلك عند علي بن هشام]

ولقد رُوي في هذا الخبر بعينه أنّ هذه القصّة كانت عند عليّ بن هشام ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني مَيْمون بن هارون وأبو عبد الله الهاشميّ قالا : دعا عليّ بن هشام إسحاقَ الموصليّ وسأله أن يصطبح عنده ويُبكِّر فأجابه ؛ فلمّا كان الغد وافاه ظهراً وعنده مُخارِق وعَلّويه ؛ فقال له عليّ بن هشام : أين كنتَ الساعةَ يا أبا محمّد ؟ قال : عاقني أمر لم أجد من القيام به بُدّاً ؛ فدعا له بطعام فأصاب منه ، ثم قعدوا على نبيذهم ، وتغنّى عَلّويه صوتاً ، الشعر فيه لابن ياسين ، وهو : [من الطويل]

صوت

إلهي مَنَحتَ الوُدّ منّي بخيلةً ... وأنت على تغيير ذاك قديرُ
شفاءُ الهوى بثُّ الهوى واشتكاؤه ... وإنّ امرءاً أخفى الهوى لصَبورُ

الغناء لسليمان أخي أُحَيْحة ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو ، فقال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَكَ ، فوضع عَلّويه العود وشرب رِطلاً وشرب عليّ بن هشام ؛ ثم تناول العود وغنّى : [من المديد]

صوت

ولقـد أَسْمُو إلى غُـرَفٍ في طريقٍ مُوحِشٍ جُدَدُهْ[1]
حولـه الأَحراسُ تحرُسه ولديـه جاثمـاً أَسَدُهْ

الغناء لَمَعْبد ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو ، فقال له إسحاق : أخطأتَ وَيْلَكَ ؛ فوضع العود من يده ثم أقبل على إسحاق فقال له : دعاك الأمير ، أعزّه الله ، لتُبَكّر إليه ، فجئتَه ظُهْراً ، وغنَّيتُ صوتين يشتهيهما الأمير أعزّه الله عليّ فخطّأتني فيهما ، وزعمتَ أنّك لا تغنّي بين يدي الأمير ، أعزّه الله ، ولا تغنّي إلاّ بين يدي خليفة أو وليّ عهد ، ولو دعاك بعض البَرامكة لكنت تُسرع إليه ثم تغنّي مُنْذُ غُدْوةٍ إلى الليل ؛ فقال إسحاق : إنّي والله ما أردت انتقاصاً منك ، ولا أقول مثلَه لغيرك ولا أريد ازدراءً من أحد ، ولكنّي أردت بك خاصّةً التقويمَ والتأديب ؛ فإن ساءك ذلك تركتُك في خطئك . ثم أقبل على عليّ بن هشام ، فقال له : أعزّك الله ، إنّي أُحدّثك عن البَرامكة بما يُقيم عذري فيما ذكره : دخلت على يحيى بن خالد يوماً ، ولم أكن أردت الدخولَ عليه ، وإنّما ركبت متبذّلاً[2] لهمٍّ أهمَّني ، وكنت نازلاً مع أبي في داره ، فضِقْتُ صدراً بذلك وأحببت النُّقْلة عنه ، ونظرت فإذا يدي تَقْصُر عمّا يُصْلحني ؛ ثم ذكر الخبرَ نحواً ممّا قلته . وزاد فيه : أنّه دخل إلى يحيى بن خالد وهو مُصْطَبِح ، فلمّا رآه نعَر وصفّق ، وأنّه وقّع له بمائتيّ ألف درهم ، ووقّع له كلٌّ من جعفر والفَضْل بمائة وخمسين ألفاً ، وكلٌّ واحد من موسى ومحمّد بمائة ألف مائة ألف . وقال فيه : فبكى عليّ بن هشام ومَن حضر ، وقالوا : لا يُرى والله مثلُ هؤلاء أبداً ؛ وأخذ إسحاقُ العودَ فغنّى الصوتين فأتى فيهما بالعجائب ؛ فقام عَلّويه فقبّل رأسه وقال له : أنت أُستاذنا وابن أُستاذنا ، وما بنا عن تقويمك غِنىً ؛ ثم غنّى بعد ذلك لحنَه : «تشكّى الكميتُ الجريَ» ، ولم يزل يغنّي بقيّةَ يومه كلّما شرب عليّ بن هشام ؛ ثم انصرف فأتبعه عليّ بن هشام بجائزة سنيّة .

[رأي عبد الله بن العبّاس الربيعي في غنائه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا عَوْن بن محمّد قال حدّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : أحضرني إسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب ، فلمّا جلست واطمأننت ، أخرج إليّ خادمُه رقعةً ، فقال : اقرأ ما فيها واعمل بما رسَمه الأمير أعزّه الله ؛ فقرأتها فإذا فيها قوله : [من البسيط]

صوت

يرتاح للدَّجْن قلبي وهو مقتسَمٌ بين الهموم ارتياحَ الأرض للمطرِ[3]

---

1 الجدد : المعالم ، جمع جدة .

2 التبذل : ارتداء الملابس التي تلبس عادة في البيت .

3 الدجن : إلباس الغيم الأرض .

إنّي جعلتُ ليوم الدَّجْن نِحْلَته ألاّ يزولَ ولي في اللهو من وَطَرِ[1]

وتحت هذين البيتين : «تقدّمْ ، جُعِلت فداك ، إلى مَنْ بحضرتك من المغنّين بأن يُغنّوا في هذين البيتين ، وألْقِ جميعَ ما يصنعونه على فلانة ؛ فإذا أخذتْه فأَنفِذْها إليّ مع رسولي» ؛ فقلت : السمعُ والطاعة لأمر الأمير أعزّه الله ، فهل صنع فيهما أحد قبلي ؟ فقال : نعمْ ، إسحاق الموصليّ ؛ فقلت : والله لو كُلِّف إبليسُ أن يصنع فيهما صنعةً يفضُل إسحاقَ فيها بل يساويه بل يقاربه ، ما قدَر على ذلك ولا بلغ مبلغَه ؛ فضحك حتى استلقى ، وقال : صدقتَ والله ؛ وهكذا يقول مَن يعقل لا كما يقول هؤلاء الحَمْقى ، ولكن اصنعْ فيهما على كلّ حال كما أمر ؛ فقلت : أفعل وقد بَرِئْتُ من العُهدة ؛ فانصرفت فصنعت فيهما صنعة كانت والله عند صنعة إسحاق بمنزلة غناء القَرّادين .

[بكى لظهور الشيب في رأسه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني ميمون قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي المعتصِم أو قال لي الواثِق : لقد ضحِك الشَّيْب في عارضَيْك ؛ فقلت : نعم يا سيِّدي ، وبكيت ؛ ثم قلت أبياتاً في الوقت وغنّيت فيها : [من المتقارب]

تولّـى شبابُـك إلاّ قليـلا وحَـلَّ المَشيبُ فصبراً جميلاَ
كفـى حَزَنـاً بفِراقِ الصِّبا وإن أصبح الشيبُ منه بَدِيلا
ولمّـا رأى الغانيـاتُ المَشِيـ ـبَ أغضَيْنَ دونك طَرْفاً كَلِيلا
سأنـدُبُ عهـداً مضى للصِّبا وأبكي الشبابَ بكاء طويلا

فبكى الواثق وحزِن وقال : والله لو قدَرتُ على ردّ شبابك لفعلتُ بشَطْر مُلكي ؛ فلم يكن لكلامه عندي جواب إلاّ تقبيل البساط بين يديه .

[جهد المغنّون أن يأخذوا لحناً له فلم يستطيعوا]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدَّثني حَمْدون بن إسماعيل قال : لمّا صنع أبوك لحنَه في : [من المنسرح]

قِفْ بالديـار التي عَفـا القِدَمُ وغيَّرتْهـا الأرواحُ والدِّيَـمُ[2]

رأيتهم (يعني المغنّين) يأخذونه عنه ويَجْهَدون فيه ؛ فتُوُفّي والله وما أخذوا منه إلاّ رَسْمَه .

---

1 النحلة : المذهب ، ويعني هنا أنّه يجعل ليوم الدجن ما يناسبه من الشراب واللهو .

2 الأرواح : جمع ريح كأرياح ورياح .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

قِفْ بالديـار التي عَفا القِدَمُ وغيَّرتْهـا الأَرواحُ والدِّيَمُ
لَمّـا وقفْنـا بهـا نسائِلُها فاضت من القوم أَعينٌ سُجُمُ
ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذكَروا مـا فـات منـه فإنّـه سَقَمُ
وكلّ عيش دامـت غَضارتُه منقطِـعٌ مـرّةً ومنصَرِمُ

الشعر والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى من جميع أَغانيه .

حدَّثني أَبو أَيّوب المَدينيّ قال حدَّثني هارون اليَتيم قال حدَّثني عُجَيف بن عَنْبَسة قال : كنت عند أَمير المؤمنين المعتصِم وعنده إسحاق الموصليّ ، فغنّاه : [من مجزوء الخفيف]

قُلْ لمَن صَدّ عاتبا ونأَى عنكَ جانِبا

فأَمره بإعادته ، فأَعاده ثلاثاً ، وشرب عليه ثلاثاً ؛ فقال له إبراهيم بن المهديّ : قد استحسنتَ هذا الصوت يا أَمير المؤمنين ، أفنأخذه ؟ قال : نعم ، خذوه فقد أَعجبني ؛ فاجتمع جماعةُ المغنّين : مُخارِقٌ وعَلّويه وعَمْرو بن بانة وغيرهم ، فأَمره المعتصم أَن يُلقيَه عليهم حتى يأخذوه ؛ فقال عُجَيف : فعددتُ خمسين مرّة قد أَعاده فيها عليهم وهم يظنّون أَنّهم قد أَخذوه ولم يكونوا أَخذوه . قال هارون : فنحن في هذا الحديث إذ دخل علينا محمّد بن الحارث بن بُسْخُنّر ، فقال له عُجَيْف : يا أَبا جعفر ، كنت أُحدِّث أَبا موسى بحديثنا البارحةَ مع إسحاقَ في الصوت وأَنّي عددت خمسين مرّة ؛ فقال محمّد : إي والله ؛ أَصلحك الله ، ولقد عددتُ أَنا أَكثرَ من سبعين مرّة وما في القوم أَحد إلاّ وهو يظنّ أَنّه قد أَخذه ، والله ما أَخذه أَحد منهم وأَنا أَوّلهم ما قدَرت ، علم الله ، على أَخذه على الصحّة وأَنا أَسرعُهم أَخذاً ، فلا أَدري : أَلِكثرَة زوائده فيه أَم لشدّة صعوبته ؛ ومَن يقدِر أَن يأخذ من ذلك الشيطان شيئاً ؟ . أَخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال حدّثني عُجَيْف بن عَنْبَسة بهذا الخبر فذكر مثلَه سواءً .

[ينظم شعراً على وزن أعجب المعتصم]

قال أَبو أَيّوب وحدّثني حَمّاد عن أَبيه قال : كنت يوماً عند المعتصم ، فمرّ شعر على هذا الوزن فقال : وَدِدت أَنّه على غير ما هو ؛ فقلت له : أَنا لك به على هذا الوزن في أَحسنَ من هذا الشعر : [من مجزوء الخفيف]

صوت

قُلْ لمـن صدَّ عاتبا ونـأَى عنك جانِبا
قد بلغتَ الذي أَرد ت وإن كنت لاعبا

فأعجبه ، وقال لي : قد والله أحسنت ؛ وأمر لي بألفَيْ دينار ، ووالله ما كانت قيمتهما عندي دَانِقَيْن .

الشعر والغناء في هذين البيتين لإسحاقَ ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[غضب عليه الأمين فتشفّع إليه بالفضل بن الربيع ثم دخل عليه بالأنبار وغناه فأطربه فأجازه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني ابن المَكّيّ عن إسحاق قال : غَضِب عليَّ المخلوع[1] فأقصاني وجفاني ، فاشتدّ ذلك عليّ ، قال : وجفاني وهو يومئذٍ بالأنبار ، فحمَلتُ عليه بالفضل بن الربيع ، فطلب إليه فشَفّعه المخلوعُ ودعاني وهو مُصْطبِح ، فلم أزل متوقّفاً وقد لبستُ قَباءً وخُفّاً احمرَ واعتصبتُ بعِصابة صفراءَ وشدَدت وسطي بشُقّةٍ حمراء من حرير ؛ فلمّا أخذوا في الأهزاج دخلتُ وفي يديَّ صَفّاقتان وأنا أتغنّى : [من المجتث]

صوت

اسمعْ لصوتٍ طريبٍ من صَنْعةِ الأَنْباري[2]
صوتٍ مليح خفيف يطيـرُ في الأَوْتـارِ

الشعر والغناء لإسحاقَ ، هزجٌ بالبنصر ، فسُرّ بذلك محمّد ، وكان صوتهم في يومهم ذلك ، وأمر لي بثلثمائة ألف درهم . وأخبرني جَحْظة بهذا الخبر عن محمّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ قال حدّثني أبي أنّ إسحاق حدّثه بهذا الخبر ، وذكر مثل ما ذكره يحيى ؛ وزاد فيه قال : وكان سبب تسمية محمّد لي بـ«الأنباري» أنّي دخلت عليه يوماً وقد لُثْتُ[3] عمامتي على رأسي لَوْثاً غير مستحسَن ، فقال لي : يا إسحاق ، كأنّ عمامتك من عمائم أهل الأنبار .

[الأصمعيّ يغيّر رأيه في شعرٍ أعجبه]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عمّي الفَضْل عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثني أبي : قال إسحاق : قلت في ليلة من الليالي : [من الخفيف]

صوت

هـل إلى نظـرةٍ إليـكِ سبيلُ يُرْوَ منها الصَّدى ويُشْفى الغليلُ[4]
إنّ مـا قـلّ منك يكثُر عنـدي وكثيرٌ ممّـن تحـبّ القليـلُ

1 المخلوع هو محمد الأمين .
2 طريب في ل : طريف .
3 لاث عمامته : لفّها وعصبها .
4 جزم الفعل لضرورة الشعر .

قال : فلمّا أصبحت أنشدتهما الأصمعيّ ، فقال : هذا الدّيباج الخُسْرُوانيّ ، هذا الوَشْي الإسكندرانيّ ، لَمن هذا ؟ فقلت له : إنّه ابن ليلته ؛ فتبيّنت الحسدَ في وجهه ، وقال : أفسدتَه ، أفسدتَه ، أما إنّ التوليد فيه لبيّن . في هذين البيتين لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال حدّثني إسحاق بهذا الخبر ، فذكر مثل ما ذكره مَن قُدِّمت الرواية عنه ، وزاد فيه : فقال لي عليّ بن يحيى بعَقِب هذا الخبر : كان إسحاق يُعْجَب بهذا المعنى ويكرِّره في شعره ، ويرى أنّه ما سُبِق إليه ؛ فمن ذلك قوله : [من مجزوء الرمل]

صوت

أيُّهـا الظّبـيُ الغَريرُ هل لنـا منك مُجيرُ
إنّ مـا نَوّلتنـي منـ ـكَ وإنْ قـلَّ كثيرُ

لحن إسحاقَ فيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، فقلت : إنّك قد سُبِقت إلى هذا المعنى ، فقال : ما علمتُ أنّ أحداً سبقني إليه ؛ فأنشدته لأعرابيّ من بني عُقَيْل : [من الطويل]

قِفِي وَدِّعينا يـا مليحُ بنظرةٍ فقـد حان منّا يا مليح رحيلُ
أليس قليـلاً نظرةٌ إنْ نظرتُها إليكِ وكَلاَّ ليس منـك قليلُ
عُقَيْلِيّةٌ أمّـا مَـلاثُ إزارها فوَعْثٌ وأمّا خَصْرها فضئيلُ[1]

صوت

[من الطويل]

أيا جنّةَ الدنيا ويـا غايةَ المُنى ويا سُؤْلَ نفسي هل إليكِ سبيلُ
أراجعةٌ نفسي إليّ فأغتـدي مع الرَّكْب لم يُقْتل عليكِ قتيلُ
فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ولا كلَّ يومٍ لي إليكِ رسولُ

قال : فحلف أنّه ما سمع بذلك قطُّ . قال عليّ بن يحيى : وصدق ، ما سمع بها . الغناء في الأبيات الأخيرة من أبيات العُقَيليّ .

[حوار لطيف بينه وبين إبراهيم بن المهديّ]

حدّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الحسين بن محمّد بن أبي طالب الدِّيناريّ بمكّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : عاتبني إبراهيم بن المهديّ في ترك المجيء إليه ، فقال لي : مَنْ جمع لك مع المودّة الصادقة رأياً حازماً ، فاجمعْ له مع المحبّة الخالصة طاعةً لازمة ؛ فقلت له : جعلني الله فداك ، إذا ثبتتِ الأُصول في القلوب ، نطقتِ الألسنُ

1 «فوعث وأمّا خصرها فضئيلُ» في ل : «فدعص وأما خصرها فنحيل» . ملاث الإزار : ما يلفّه الإزار دون الخصر . الوعث : اللين ، والدعص : كثيب الرمل .

بالفروع ، والله يعلم أنّ قلبي لك شاكر ، ولساني بالثناء عليك ناثر[1] ؛ وما يظهر الودّ المستقيم ، إلاّ من القلب السليم ؛ قال : فأبْرِىءْ ساحتَك عندي بكثرة مجيئك إليّ ؛ فقلت : أجعل مجيئي إليك في الليل والنهار نُوَباً أتيقّظ لها كتيقّظي للصلوات الخمس ، وأكون بعد ذلك مقصّراً ؛ فضحك وقال : مَن يقدِر على جواب المغنّين ؟ ؛ فقلت : مَن اتّخذ الغناءَ لنفسه ولم يتّخذه لغيره ؛ فضحك أيضاً ، وأمر لي بخِلَع ودنانير وبِرْذَوْن وخادم . وبلغ الخبرُ المعتصَم ، فضاعف لإبراهيم ما أعطاني ، فرُحتُ[2] وقد رِبحت وأربحتُ .

[عتب عليه الفضل بن الربيع]

حدّثنا الحِرْميّ قال حدّثنا الدِّينارِيّ قال حدّثني إسحاق قال : عتَب عليَّ الفضلُ بن الرَّبيع في شيء بلغه عني ؛ فكتبت إليه : «إنّ لكلّ ذنب عفواً وعقوبة ؛ فذنوب الخاصّة عندك مستورة مغفورة ، فأمّا مثلي من العامّة فذنبه لا يُغفر ، وكسره لا يُجبر ؛ فإن كنتَ لا بدّ معاقِبي فإعراضٌ لا يؤدّي إلى مقت» .

[جواب الأعرابيّ للفضل بن الربيع]

حدّثني الحِرْميّ قال حدّثنا الدِّينارِيّ قال حدّثني إسحاق قال : كان يختلف إليّ رجلٌ من الأعراب ، وكان الفضل بن الربيع يقرِّبه ويستظرف كلامَه ، وكان عندي يوماً وجاء رسول الفضل يطلبه فمضى إليه ؛ فقال له الفضل : فيم كنتم ؟ قال : كنّا في قِدْرٍ تَفُور ، وكأس تَدُور ، وغناء يَصُور[3] ، وحديثٍ لا يَحُور[4] .

[كان يصنع الشعر وينحله الأعراب]

حدّثنا الحِرْميّ قال حدّثنا الحسين بن طالب قال : كان إسحاق يقول الشعر على ألسن الأعراب ، وينشدناه للأعراب ، وكان يُعابي بذلك أصحابَه ويُغْرب عليهم به ؛ فمن ذلك ما أنشدنيه لأعرابيّ : [من الكامل]

لفَظ الخدورُ عليك حُوراً عِينَا أنسَيْن ما جمع الكِناسُ قَطِينا[5]

فإذا بَسَمْنَ فعَنْ كمثل غَمامةٍ أو أقْحُوان الرمل بات مَعِينا[6]

---

1 ل : ناطق .

2 ل : فرجعت .

3 يصور : يصوت .

4 لا يحور : لا يرجع أي أنّه متجدّد طلي .

5 لفظ : أخرج .

6 معين : ريّان .

وأصحُّ من رأتِ العيونُ محاجراً ولهنّ أمرضُ ما رأيت عيونا
وكأنّما تلك الوجوهُ أهِلّةٌ أقْمَرْنَ بين العشْر والعشرينا
وكأنّهنّ إذا نَهَضْنَ لحاجةٍ ينهضن بالعَقِداتِ من يَبْرِينا[1]

قال : وأنشدني أيضاً ممّا كان ينسبُه إلى الأعراب وهو له : [من الطويل]

ومكحولة العينيْن من غير ما كُحْلِ مُهَفْهَفَة الكَشْحَيْن ذات شَوىً خَدْلِ[2]
مُنَعَّمَة الأطراف مُفْعَمة البُرى روادفُها تَحكي الدَّهاس من الرملِ[3]
صَيُود لألباب الرجال ، متى رنتْ إلى ذي نُهىً جَلْد القُوى وافِر العقلِ[4]
تخلّى النُّهى عنه وحالفه الصِّبا وأسلمه الرأيُ الأصيل إلى الجهلِ
شبيبة كُثْبانٍ يَرُوقك تحتها عناقيدُ كرم جادَها غَدَق الوَبْلِ
رمتْني فحلّت نائطيَّ ولم تُصِب لها نائطَيْ قلبٍ ولا مَقتلاً نَبْلي[5]

[رأي الرشيد في شعره]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمّد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثت عن الأصمعيّ قال : دخلت أنا وإسحاق الموصليّ يوماً على الرشيد فرأيناه لَقِسَ[6] النّفْس ؛ فأنشده إسحاق يقول : [من الطويل]

صوت

وآمرةٍ بالبخل قلتُ لها اقْصُرِي فذلِكِ شيءٌ ما إليه سبيلُ
أرى الناسَ خُلاّنَ الكرامِ ولا أرى بَخِيلاً له حتّى المماتِ خليلُ
وإنّي رأيتُ البُخل يُزْرِي بأهله فأكرمتُ نفسي أنْ يُقال بخيلُ
ومن خير حالات الفتى لو علمتِه إذا نال خيراً أن يكونَ يُنيلُ[7]
فعالي فعالُ المُكْثِرين تجمُّلاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخافُ الفقر أو أُحرَمُ الغِنَى ورأيُ أميرِ المؤمنين جميلُ

---

1 العقدات : جمع عقدة وهي ما تراكم من الرمل وتعقّد . ويبرين : جانب من الدهناء .
2 الشوى الخدل : الأطراف الممتلئة .
3 البرى : السوار أو الخلخال . الدهاس : المكان اللين السهل .
4 متى رنتْ في ل : إذا رنت .
5 النائط : العرق المستبطن الصلب تحت المتن .
6 لقست نفسه : غثت وخبثت .
7 رواية ل : ومن خير خلات الفتى لو علمته إذا نال خيراً أن يقالَ نبيلُ

قال : فقال الرشيد : لا تَخَفْ إن شاء الله ؛ ثم قال : لله دَرّ أبيات تأتينا بها ؛ ما أشدَّ أُصولَها ، وأحسنَ فُصولها ، وأقلّ فُضولها ! وأمر له بخمسين ألف درهم ؛ فقال له إسحاق : وصفُك والله يا أمير المؤمنين لشعري أحسن منه ، فعلامَ آخُذ الجائزة ! فضحك الرشيد وقال : اجعلوها لهذا القول مائة ألف درهم . قال الأصمعيّ : فعلمتُ يومئذٍ أنّ إسحاق أحذقُ بصيد الدراهم منّي . وأخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدامة عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق فذكر معنى الخبر قريباً ممّا ذكره الأصمعيّ والألفاظ تختلف .

[يرتجل رجزاً في حقيد الفضل]

أخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأخبرني به جعفر بن قُدامة ووَكيع عن حَمّاد عن أبيه قال : كنتُ عند الفضل بن الرَّبيع يوماً ، فدخل إليه ابن ابنه عبدُ الله بن العبّاس بن الفضل وهو طفل ، وكان يَرِقّ عليه لأنّ أباه مات في حياته ، فأجلسه في حِجْره وضمَّه إليه ودمَعتْ عيناه ؛ فأنشأتُ أقول : [من الرجز]

صوت

مَدَّ لكَ اللهُ الحيـــاةَ مَـدّاً حتى يكونَ ابنُك هذا جَدَّا
مـؤزَّراً بمجـــده مُـردَّى ثـم يُفـدَّى مثلَ ما تُفَـدَّى
أشبـــه منـك سُنّة وخَـــدّا وشِيَماً مَرْضيّة ومجـــدا
كأنّـــه أنـت إذا تَبـــدَّى شمائـــلاً محمـودةً وقَـــدّا

قال : فتبسّم الفضلُ وقال : أمْتعني الله بك يا أبا محمّد ، فقد عُوّضتُ من الحزن سروراً وتسلّيتُ بقولك ، وكذلك يكون إن شاء الله . قال جعفر بن قُدامة : وحدَّثني بهذا الحديث عليّ بن يحيى ، فذكر أنّ إسحاق قال هذه الأبيات للفضل بن يحيى وقد دخل عليه وفي حِجْره ابنٌ له .

غنّى في هذه الأبيات أبو عيسى بن المتوكّل لحناً من الرَّمَل ، يقال : إنّه صنعه وقد وُلد للمعتمد ولدٌ ثم غنّى به . وأخبرني ذُكاء وجه الرزّة عن بِدْعة الكبيرة : أنّ الرمل لعَرِيبَ ، وأنّ لحن أبي عيسى خفيفُ رملٍ .

[عيادته الفضل بن الربيع]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني الفضل بن محمّد اليَزيديّ عن إسحاق قال : أتيتُ الفضل بن الربيع يوماً عائداً وجاءه بنو هاشم يعودونه ؛ فقلت في مجلسي ذلك : [من الطويل]

إذا مـا أبو العبّاس عِيدَ ولم يَعُد رأيتَ مَعُوداً أكرمَ الناسِ عائدا

وجـــاء بنـــو العبّاس يبتدرونه مِراضاً لما يشكوه مَثْنى وواحدا
يُفَدُّونـه عند السلامِ وكلُّهـم مُجِلٌّ لـه يدعـوه عَمّـا ووالدا

قال : وكان الفضل مضطجعاً ، فأمر خادماً له فأجلسه ، ثم قال لي : أَعِد يا أبا محمّد فأعدتُ ، فأمرني فكتبتُها ، وسُرَّ بها وجعل يردّدها حتى حفِظها .

[استرضاؤه الفضل بن الربيع]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني أبي قال قال إسحاق ، وأخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : جاءني الزُّبير بن دَحْمان يوماً مسلِّماً فاحتبسته ؛ فقال لي : أمرني الفضل بن الربيع بالمسير إليه ؛ فقلت له : [من الطويل]

أَقِمْ يـا أبا العوّام وَيْحك نَشْرَبِ ونَلْـهُ مع اللاّهين يوماً ونَطْرَبِ[1]
إذا مـا رأيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخُذْه بشكرٍ واترِك الفضلَ يغضَبِ

فأقام عندي وسُرِرنا يومَنا ؛ ثم صار إلى الفضل ؛ فسأله عن سببِ تأخّره عنه ؛ فحدَّثه الحديثَ وأنشده البيتين ؛ فغضِب[2] وحوّل وجهَه عنّي ، وأمر عوناً حاجبَه بألاّ يُدخلني إليه ولا يستأذنَ لي عليه ولا يُوصِلَ لي رقعةً ؛ فقلت : [من الطويل]

حرامٌ عليّ الكأسُ ما دُمتَ غضبانا ومـا لم يَعُـد عنّي رضاك كما كانا
فأحسِنْ فإنّي قد أسأتُ ولم تَزَلْ تُعـوّدني عنـد الإساءة إحسانـا

قال : وأنشدته إيّاهما ، فضحك ورضي عنّي وعاد إلى ما كان عليه . وقد أخبرني بهذا الخبر محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه ، فذكر مثلَه وزاد فيه : فقلت في عَوْن حاجبه : [من الخفيف]

عَوْنُ يـا عونُ ليس مثلَك عونُ أنت لي عُـدّةٌ إذا كان كَوْنُ
لك عندي والله إن رَضِيَ الفضـ ـل غلامٌ يُرضيك أو بِـرْذَوْنُ

قال : فأتى عَوْنٌ الفضلَ بالشّعرَيْن جميعاً ؛ فقرأهما وضحك وقال : وَيْحَك ! إنّما عرض لك بقوله : «غلام يُرضيك» بالسَّوءة ؛ قال : قد وعدَني ما سمعت ، فإن شئتَ أن تَحْرمنيه فأنت أعلم ! فأمره أن يُرسل إليّ ؛ فأتاني رسولُه فصِرتُ إليه فرضي عنّي ؛ ووفيتُ لعونٍ .

أخبرني جَحْظة قال حدَّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ المرتجِل قال حدَّثني أبي قال

---

1 العوام في : ل : العباس .
2 ل : فعتب عليّ .

حدَّثني الزُّبَير بن دَحْمان قال : دخلتُ يوماً على الفضل بن الرَّبيع مُسلِّماً ؛ فقال لي : قد عزمتُ غداً على الصَّبُوح ، فصِر إليّ بُكْرةً ؛ فكنت أنا والصبحُ كفَرَسَيْ رِهان ؛ فلمّا أصبحتُ من غدٍ جعلتُ طريقي على إسحاقَ بن إبراهيم فدخلت إليه ، فلمّا جلستُ قال لي : أَقِم اليومَ عندي ؛ فعرّفته خبري ؛ فقال : [من الطويل]

أَقِم يـا أَبا العَوّام وَيْحَك نشربِ ونَلْـهُ مـع اللاَّهين يوماً ونطربِ
إذا مـا رأَيتَ اليومَ قد جاء خيرُه فخذه بشكرٍ واترُكِ الفضل يغضبِ

فقلت : إنّي لا آمنُ غضبَه ، وأنا بين يديك ؛ فقال لي : أنت تعلم أنّ صَبوح الفضل أبداً في وقت غَبُوق الناس ، فأَقِمْ وارفُقْ بنفسك ثم امضِ إليه ؛ فأجبته إلى ذلك ؛ فلمّا شربنا طاب لي الموضع ، فأقمتُ حتّى سكِرتُ . وذكر باقيَ الخبر نحواً ممّا ذكر إسحاق . انتهى .

[كان يذّ كلّ المغنّين]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني محمّد بن المكّيّ المُرْتجِل قال : قلت لزُرْزُور الكبير : كيف كان إسحاق يَنْفُق على الخلفاء معكم وأنت وإبراهيمُ بن المهديّ ومُخارِقٌ أطيبُ أصواتاً وأحسنُ نَغَمَةً ؟ قال : كنّا والله يا بنيّ نحضُر معه فنجتهد في الغِناء ونُقيم الوَهَجَ[1] فيه ويُقبل علينا الخلفاء[2] ، حتى نطمعَ فيه ونظنَّ أنا قد غَلَبْناه ، فإذا غنّى عمِل في غنائِه أشياء من مُدَراتِه وحِذْقه ولُطْفه حتى يُسقطنا كلَّنا ويُقْبِلَ عليه الخليفةُ دوننا ويُجيزَه دوننا ويُصغيَ إليه ، ونرى أنفسَنا اضطراراً دونه .

[أوّل مَن أحدث التخنيث في الغناء]

حدَّثنا جَحْظة قال حدّثني محمّد بن أحمد المَكّيّ قال حدَّثني أبي قال : كان المغنُّون يجتمعون مع إسحاق وكلُّهم أحسنُ صوتاً منه ، ولم يكن فيه عيبٌ إلاّ صوتَه فيطمعون فيه ؛ فلا يزال بلُطفه وحِذْقه ومعرفته حتى يغلِبَهم ويُبُذَّهم جميعاً ويفضُلَهم ويتقدَّمهم . قال : وهو أوّلُ مَنْ أحدث التخنيثَ ليوافقَ صوتَه ويشاكلَه ، فجاء معه عجباً من العَجَب ؛ وكان في حَلْقه نبوٌّ عن الوتر . أخبرني علي بن يحيى بن عليّ قال أخبرنا أبو العنبس بن حَمْدون : أنّ إسحاق أوّل مَن جاء بالتخنيث في الغناء ولم يكن يُعرف ، وإنّما احتال بحذقه لمُنافرة حَلْقه الوتر ، حتّى صار يُجيبه ببعض التخنيث فيكون أحسنَ له في السمع .

[كان المغنّون يتهاونون في غيبته فإذا حضر جدّوا]

أخبرنا جَحْظة قال حدَّثني الهِشاميّ عن أبيه قال : كان المغنّون إذا حضروا وليس إسحاقُ

1 ل : الهزج .
2 ل : الخليفة .

معهم غنُّوا هوينا وهم غير مفكِّرين ؛ فإذا حضر إسحاق لم يكن إلاّ الجِدّ .

[قصّته مع نافذ حاجب جعفر بن يحيى]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : قال لي أبي وقد انصرف من دار الرشيد : رأيتُ الأمير جعفر بن يحيى يَستبطِئك ويقول : لستُ أراه ولا يَغشاني ؛ فقلت : إنّي لآتيه كثيراً فأُحْجَب عنه ويصرفني نافذٌ حاجبُه ويقول : هو على شُغْل ؛ قال : فبلِّغه أبي ذلك ؛ فقال له : قُل له : أَنِكْه أُمَّه إذا فعل ؛ فأقمتُ أيّاماً ثم كتبتُ إليه : [من المتقارب]

جُعِلتُ فداءكَ مـن كلّ سوءٍ إلى حُسْن رأيك أشكو أُناسا
يَحُولون بيني وبـين السلام فلستُ أُسلِّم إلاّ اختلاسا
وأنفـذتُ أمـرك في نافـذٍ فمـا زاده ذاك إلاّ شِمـاسَا

وقد أخبرني بهذا الخبرَ محمدُ بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه ، فذكَر مثلَه وقال : كان خادمٌ يحجُبه يقال له : نافِذ ، فقال : إذا حَجبك فَنِكْه ؛ فلمّا كتبتُ إليه بهذه الأبيات بعث فأحضرني ؛ فلمّا دخلتُ إليه أحضر نافِذاً وقرأ الأبيات عليه ، وقال لي : أفعلتَها يا عدوَّ الله ! فغضِب نافذٌ حتّى كاد يبكي ، وجعل جعفرٌ يضحك ويصفّق ؛ ولم يعد بعد ذلك للتعرّض لي .

[غضب المأمون عليه وشكّ أبي الفرج في ذلك]

حدَّثني الحسين بن أبي طالب قال حدَّثني[1] عبيد الله بن المأمون ، وأخبرنا اليَزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن أبيه قال : غضب المأمونُ على إسحاق بن إبراهيم ، ثم كُلِّم فيه فرَضِي عنه ودَعا به ؛ فلمّا وقف بين يديه اعتذر وقبّل الأرضَ بين يديه واستقاله ؛ فأجابه المأمونُ جواباً جميلاً ، ثم قال له في أثناء كلامه : [من المتقارب]

فلا أنتَ أعتبتَ من زَلّـة ولا أنتَ بالغتَ في المَعْذِرهْ
ولا أنتَ ولّيتنـي أمرَهـا فأغفِرَ ذنبـك عن مَقْدِرهْ

هكذا في الخبر ؛ وأظنّه إسحاقَ بن إبراهيم الطاهريّ لا الموصليّ .

[أنشد أبا الأشعث الأعرابيّ شعراً له فأعجب به]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسينُ بن أبي طالب قال حدَّثني إسحاقُ قال : أنشدتُ أبا الأشعث الأعرابيَّ شعراً لي ، فقال : والذي أصوم له مخافتَه ورجاءه ، إنّك لمن طِرازٍ ما رأيت بالعراق شيئاً منه ، ولو كان شبابٌ يُشترى لاشتريتُه لك ولو بإحدى يديّ[2] ، وإنّ في كِبَرك لَما زان الجليسَ وسرّه .

---

1 ل : حدّثني الحرمي قال حدّثنا الدينارى قال حدّثنا . . . . .

2 ل : عينيّ .

[حديث له مع زهراء الكلابيّة]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدّثنا الدِّينارِيّ قال حدّثنا إسحاق قال : قالت لي زَهْراءُ الكِلابيّة : ما فعل عبدُ الله بن خُرْداذْبه ؟ فقلتُ : مات ؛ فقالت : غيرَ ذميم ولا لئيم ، غفر اللهُ لصَدَاه ، لقد كان يُحبّك ويُعجبه ما سرّك . قال : فقلتُ لزَهْراء : حدِّثيني عن قول الشاعر : [من الطويل]

أُحِبُّك أَنْ أُخْبِرتُ أنّكِ فارِكٌ لزوجِك إنّي مُولَعٌ بالفَوارِكِ[1]

ما أعجبَه من بغضها لزوجها ؟ فقالت : عرَّفته أنّ في نفسها فَضْلةً من جمال وشَمْخاً بأنفها وأُبّهةً ، فأعْجَبَتْه .

[غنّى المعتصم وهو لقس النفس فأطربه]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حُدِّثْتُ عن غير واحد : أنّ إسحاق الموصليّ دخل على المعتصم يوماً من الأيّام فرآه لقِسَ النَّفْس ، فقال له : أما تَرى يا أمير المؤمنينَ طِيبَ هذا اليوم وحُسْنَه ؟ ؛ فقال المعتصمُ : ما يدعوني حسْنُه إلى شيءٍ ممّا تريد ولا أنشَطُ له ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّه يومُ أكلٍ وشُربٍ ؛ فاشرب حتى أُنشّطَك ؛ قال : أَوَ تفعل ؟ قال : نعم ؛ قال : يا غِلْمان ، قدِّموا الطعامَ والشرابَ ومُدُّوا الستارةَ ، وأَحْضِروا الندماءَ والمغنّين ؛ فأُتي بالطعام فأكل وبالشرابِ فشرب وحضر الندماءُ والمغنّون ؛ فغنّاه إسحاق : [من الوافر]

صوت

سُقِيتَ الغيثَ يا قصرَ السلامِ فنِعْم محَلّــةُ المَلِــك الهُمَامِ

لقــد نَشَرَ الإلــه عليك نُوراً وخصّك بالسَّلامــة والسلامِ

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ بالسبّابة في مَجْرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَشٌ أنّ فيه للزُّبَير بن دَحْمان لحناً من الرَّمَل بالوسطى . قال : فطرِب المعتصمُ وشرب شرباً كثيراً ، ولم يبقَ أحدٌ بحضرته إلاّ وصَله وخلَع عليه وحمَله ؛ وفَضّل إسحاقَ في ذلك أجمع .

[أول جائزة نالها من الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا ابن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن إسحاق قال : أوّلُ جائزة أخذتُها من الرشيد ألفُ دينار في أوّل يوم دخلتُ إليه فغنّيتُه : [من مجزوء الرمل]

عَلِــق القلــبُ بِزَوْعــا

فاستحسنه واستعاده ثلاثَ مرّات وشرب عليه ثلاثةَ أرطالٍ وأمر لي بألف دينار ؛ فكان أوّل جائزةٍ أجازَنيها .

---

1 لزوجك في ل : لعمرك . والفارك من النساء : هي الكارهة لزوجها .

[أبى القدح من يد غلام قبيح الوجه]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق قال[1] : كان أبي ذاتَ يوم عند إسحاق بن إبراهيم بن مُصعَب ، فلمّا جلسوا للشراب جعل الغِلْمانُ يَسقُون مَنْ حضَر ، وجاء غلامٌ قبيحُ الوجه إلى أبي بقَدَحِ نبيذٍ فلم يأخذه ؛ ورآه إسحاق فقال له : لِمَ لا تشرب ؟ فكتب إليه أبي : [من البسيط]

إصْبَحْ نديمَك أقداحاً يُسَلْسِلُها ... من الشَّمُول وأَتْبِعْها بأقداحِ
من كفِّ رِيم مَليح الدَّلِّ رِيقتُه ... بعد الهُجُوع كمِسْك أو كتُفّاحِ
لا أشربُ الرَّاح إلاّ من يديْ رَشإٍ ... تقبيلُ راحتِه أشهى من الرّاحِ

فضحك وقال : صدَقتَ والله ، ثم دعا بوصيفةٍ كأنّها صورةٌ ، تامّةُ الحُسن لطيفةُ الخَصْر في زِيّ غُلام عليها أقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ ، فقال لها : تَوَلَّيْ سَقْيَ أبي محمّد ؛ فما زالت تَسقِيه حتى سكر ؛ ثم أمر بتوجيهها وكلّ مالَها في دارِه إليه ، فحُمِلتْ معه .

[مودّة بينه وبين زهراء الكلابيّة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال : كانت امرأةٌ من بني كِلاب يُقال لها زَهْراء تحدّث إسحاقَ وتُناشدُه ، وكانت تَميل إليه ، وتَكْني عنه في عشيرتها إذا ذكَرَتْه بجُمْل ؛ قال : فحدّثني إسحاقُ أنّها كتبتْ إليه وقد غابت عنه تقول : [من البسيط]

وَجْدِي بجُمْل على أنّي أُجَمْجِمُه ... وجدُ السَّقيم بِبُرءٍ بعد إدْنافِ[2]
أو وجدُ ثَكْلى أصاب الموتُ واحدَها ... أو وجدُ مُغتربٍ من بين أُلاّفِ

قال : فأجبتُها : [من البسيط]

أقْرِ السلامَ على الزَّهْراء إذ شَحَطَتْ ... وقُلْ لها قد أذَقْتِ القلبَ ما خافا
أما رَثَيْتِ لمن خلّفتِ مكتئباً ... يُذْرِي مدامعَه سَحّاً وتَوْكافا[3]
فما وَجَدْتُ على إلفٍ أُفارقُه ... وجْدِي عليك وقد فارقتُ أُلاّفا[4]

[يوم الماوشان]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبدُ الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال

---

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 9 : 42 (رقم 62) .
2 أجمجِمُه : أكتمه وأخفيه .
3 أما رثيت في ل : أما أويت . توكاف : سيل الدمع قليلاً قليلاً .
4 أفارقه في ل : فجعت به .

أنشدني إسحاقُ لنفسه : [من الطويل]

سقى اللهُ يـوم الماوَشانِ ومَجْلساً به كان أحْلى عندنا من جَنى النَّحلِ[1]
غَداةَ اجتنينا اللَّهـوَ غَضّاً ولم نُبَلْ حِجابَ أبي نصر ولا غَضْبة الفضلِ[2]
غَدَوْنا صِحاحاً ثـم رُحْنا كأنّنا أطاف بنا شرٌّ شديدٌ مـن الخَبْلِ

فسألتُه أن يكتبها ففعل ؛ فقلت له : ما حديث الماوَشان ؟ فضحك وقال : لو لم أكتُبْكَ الأبياتَ لما سألتَ عمّا لا يَعْنيك ؛ ولم يخبرني .

[كان ابن الأعرابيّ يعجب به وبشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني أحمد بن الحارث وأبو مسلم عن ابن الأعرابيّ : أنّه كان يَصِف إسحاق الموصليّ ويُقرّظه ويُثْني عليه ويذكر أدبَه وحِفْظَه وعلمَه وصدقَه ، ويَستحسن قولَه : [من الخفيف]

صوت

هـل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي مَن لا أُسمّي فعيْني كلَّ يـوم وجْـداً عليه تَسيلُ

الشعرُ والغناءُ لإسحاق رَمَلٌ بالوُسْطى ، قال : وكان إسحاقُ إذا غنّاه تَفيض دموعُه على لحيته ويبكي أحرَّ بكاء . وأخبرنا به يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق . وحديثُ ابن موسى عن حَمّاد أتمُّ ، واللفظُ له .

[أوّل صوت وآخر صوت صنعه]

أخبرني الصُّوليّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمّد بن موسى عن حَمّاد بن إسحاق قال : أوّلُ صوت صنعه أبي : [من البسيط]

إنّي لأَكْني بأجبالٍ عَنَ اجبُلِها وباسم أَوْدِيـةٍ عن اسم وادِيها

وآخر صوت صنعه مختاراً : [من مجزوء الخفيف]

قِـفْ نُحَـيِّ المَغانِيـا والطُّلـولَ البواليـا

ثم قطع الصنعةَ حتى أمره الواثقُ بأن يعارضَ صنعته في : [من الطويل]

لقد بَخِلتْ حتى لَوَ انّي سألْتُها

[اتهمه المغنون بانتحال غناء أبيه]

قال حَمّاد وحدّثني أبي قال : كان المغنون يحسدونني مُذْ كنت غلاماً فلما مات أبي

---

1 الماوشان : ناحية وقرى في واد بهمذان .

2 غضبة في ل : غضب .

صنعت هذا الصوت فهو أول صوت صنعته بعد وفاته وهو : [من المتقارب]

أَمِنْ آل ليـلى عَـرَفـتَ الطُّلولا بـذي حُـرُضٍ ماثـلاتٍ مُثُولا

فقالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه فقد انتحله ؛ فقال لي الرشيدُ في ذلك ؛ فقلتُ : هذا ومائةٌ بعده خيرٌ منه لهم ؛ فقال : اصنع في شعر الأخطل : [من الطويل]

أعاذِلتـيّ اليـومَ وَيْحَكما مَهْـلا وكُفّا الأذى عنّي ولا تُكثِرا العَذْلا

فصنعتُ فيه كما أمرني ؛ فلمّا سمعوا بذلك وما جاء بعده أذْعنوا ، وزال عن قلب الرشيد ما كان ظنّه بي . وقد ذكر غيرُ حَمّاد أنّ اللحن الذي اختبره به الرشيدُ قولُه : [من الخفيف]

كنتَ صبّاً وقلبيَ اليومَ سالِ عن حبيبٍ يُسيء في كلّ حالِ

وذكر أنّ الفضل بن الرَّبيع قال الشعرَ في ذلك الوقت ودفعه إليه وأمره الرشيدُ أن يصنع فيه ففعل . وأخبرني بذلك محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال : اوّلُ ما سمعه الرشيد من غناء أبي : [من الوافر]

أَلَـم تسأَلْ فتُخبـرَك المَغـاني وكيف وهنّ مُذْ حجَجٍ ثماني

بَرِئـتُ من المنازل غيرَ شوق إلى الدار التـي بِلَـوى أبـانِ

ديـارٌ للّتـي لَجْلَجْتُ فيهـا ولـو أَعْرَبـتُ لَجَّ بها لساني

فكـادَ يَظَـلّ للعينين غَـرْبٌ بَرَبْعَـــيْ دِمنـــةٍ لا يَنْطِقانِ

قال : فحدّثني أبي أن المغنّين قالوا للرشيد : هذا من صنعة أبيه انتحله بعد وفاته فقلت له : أنا أدَعُ لهم هذا ومائة صوتٍ بعده ؛ ثم نظروا إلى ما جاء به بعد ذلك فأذْعنوا .

نسبة ما في هذه الأخبار من الغناء

صوت

[من مجزوء الخفيف]

قِـفْ نُحَـيِّ المَغانِيا والطُّلـولَ البَوالِيـا

وعلى أهلهـا فنُـحْ وابكِ إن كنتَ باكِيا

الشعر لابن ياسين . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صوت

[من المتقارب]

أمِـن آلِ ليلى عَرفْتَ الطُّلولا بذي حُـرُضٍ ماثِلاتٍ مُثُولا

بَلِـــين وتحسَبُ آياتهـــــ ـنَّ عن فَرْط حولَيْن رَقّاً مُحِيلا

الشعر لكعب بن زُهَير . والغناءُ لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

صوت

[من الطويل]

أعاذِلتـــيَّ اليـومَ وَيْحَكما مَهْلا وكُفّا الأذى عنّي ولا تُكْثرا العَذْلا
دعاني تَجُـدْ كفِّـي بمالي فإنّني سأصبح لا أَسْطِيع جُوداً ولا بُخْلا
إذا وضعوا فوق الصَّفيح جنادلاً عـليّ وخلَّفتُ المَطِيَّـةَ والرَّحلا
فـلا أنـا مجتـازٌ إذا مـا نزلتُه ولا أنا لاق مـا ثَوَيْتُ بـه أهلا

الشعر للأَخطل ، والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

صوت

[من البسيط]

إنّي لأَكْني بأَجبال عَنَ اجْبُلِها وبآسم أُوديةٍ عن اسم وادِيها
عَمْداً ليَحْسَبها الواشون غانيةً أُخرى وتحسَب أنّي لا أُباليها
ولا يُغَيّر وُدِّي أن أُهاجرَهـــا ولا فراقُ نَوىً في الدّار أُنْويها
وللقَلُوص ولي منها إذا بَعُدَت بوارحُ الشَّوق تُنْضِيني وأُنضِيها

الشعر لأعرابيّ ، والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالبِنصر .

[حديثه مع الواثق بشأن الأهزاج]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله أحمد بن حَمْدون قال : قال إسحاق للواثق يوماً : الأهزاج من أَمْلح الغناء ؛ فقال الواثق : إذا كانت مثلَ صوتك : [من البسيط]

إنّي لأَكني بأَجْبال عَنَ اجْبُلِها وباسم أُوديةٍ عن اسم واديها

فهي كذلك .

[غنّى لطلحة بن طاهر مراراً]

قال أحمد بن أبي طاهر حدّثني أحمد بن يحيى الرازيّ عن محمّد بن المُثَنّى عن الحَجّاج بن قُتَيبة بن مُسْلم قال : قال إسحاق : بعث إليّ طَلْحَةُ بن طاهر وقد انصرف من وقعة للشُّراة وقد أصابته ضربة في وجهه ؛ فقال لي الغلام : أجِبْ ؛ فقلت : وما يعمل ؟ قال : يشرب ؛ فمضيت إليه فإذا هو جالسٌ قد عصَب ضربتَه وتَقَلْنس بقَلَنْسُوَة مكّيّة ، فقلت له : سبحانَ الله أيّها الأمير ؛ ما حمَلك على لُبْس هذا ؟ قال : التبرُّم بغَيْره ، ثم قال : غنِّ : [من البسيط]

إنّي لأَكْني بأَجْبال عَنَ اجْبُلها

قال : فغنَّيتُه إيّاه ، فقال : أحسنتَ والله ! أَعِد ! فأعدتُ وهو يشرب حتى صلّى العَتَمة وأنا أُغنّيه ؛ فأقبل على خادم له بالحَضْرة وقال له : كم عندك ؟ قال : مقدارُ سبعين ألفَ درهم ؛ قال : تُحْمَل معه . فلمّا خرجتُ من عنده تبعني جماعةٌ من الغِلْمان يسألوني ، فوزّعتُ المال بينهم ؛ فرُفِع الخبر إليه فأغضبه ولم يوجّه إليّ ثلاثاً ؛ فجلست ليلاً وتناولت الدَّواةَ والقِرْطاسَ فقلت : [من المنسرح]

علَّمني جُودُك السَّماحَ فما ... أبقيتُ شيئاً لديَّ من صِلَتِكْ
لم أُبقِ شيئاً إلاّ سمحتُ به ... كأنَّ لي قُدرةً كمقدرتكْ
تُتلِف في اليوم بالهباتِ وفي السـ ... ـاعة ما تجتنيه في سَنتكْ
فلستُ أدري من أين تُنفق لو ... لا أنّ ربِّي يَجزي على صِلتكْ

فلمّا كان في اليوم الرابع بعث إليّ ، فصِرتُ إليه ودخلت عليه فسلَّمت ؛ فرفع بصرَه إليَّ وقال : اسقُوه رِطلاً فسُقِيتُه ، وأمر لي بآخَرَ وآخَر فشربتُ ثلاثاً ؛ ثم قال لي : غنِّ : [من البسيط]

إنّي لأكني بأجبال عَنَ اجْبُلها

فغنَّيتُه ثم أتبعتُه بالأبيات التي قلتها ، وقد كنتُ غنَّيتُ فيها لحناً في طريقة الصوت ؛ فقال : ادْنُ فدنوت ، وقال : اجلس فجلست ، فاستعاد الصوتَ الذي صنعتُه فأعدتُه . فلمّا فهِمه وعرَف معنى الشعر قال لخادم له : أحضِرني فلاناً فأحضره ؛ فقال : كم قِبلك من مال الضِّياع ؟ قال : ثمانمائة ألفِ درهم ؛ فقال : احضرْنِيها الساعةَ ؛ فجِيء بثمانين بَدْرة ؛ فقال للخادم : جئني بثمانين غلاماً مملوكاً ، فأُحضِروا ؛ فقال : احملوا هذا المال ؛ ثم قال : يا أبا محمّد ، خُذ المال والمماليك حتى لا تحتاج أن تُعطِي لأحد منهم شيئاً .

[مهاجاته محمّد بن راشد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسين بن محمّد بن طالب قال : كان إسحاق بن إبراهيم الموصليّ كثيرَ الغِشْيان لإسحاق بن إبراهيم بن مُصْعب والحضورِ لسَمَره ، وكان إسحاق بن إبراهيم يرى ذلك له ويُسْني جوائزَه ويُواتِر صِلاتِه ويشاوره في بعض أموره ويسمع منه ؛ فأُصيب إسحاقُ ببصره قبل موته بسنتين ، فترك زيارةَ إسحاقَ وغيرِه ممّن كان يغشاهم ولَزِم بيتَه . وخرج إسحاق يوماً إلى بستانٍ له بباب قُطْرُبُّل وخرج معه ندماؤه وفيهم موسى بن صالح بن شَيْخ بن عَمِيرة ومحمّد بن راشِد الخَنّاق والحَرّاني ؛ فجرى ذكرُ إسحاقَ الموصليّ ، فتوجَّع له إسحاق وذكر أُنسَه به وتمنَّى حضورَه ، وذكره القومُ فأطْنبوا في نشر[1] محاسنه وشيّعوا ما ذكره

1 ل : ذكر .

به إسحاقُ بما حَسُن موقعُه لهم عنده ؛ وذكره محمّد بن راشد ذكراً لم يحمَده أصحابه عليه ، وزجره إسحاق ، فأمسك عنه ؛ فلمّا انصرفوا من مجلسهم نُمِي إلى إسحاق الموصليّ ما كان فيه القوم في يومهم وما جرى من ذكره ؛ فكتب إلى موسى بن صالح : [من الطويل]

ألا قُلْ لموسى الخيرِ موسى بنِ صالح ... ومَنْ هو دونَ الخَلْق إلْفي وخُلْصَانِي
ومَنْ لو سألت الناسَ عنه لأجمعوا ... على أنّه أفتى مَعَدٍّ وقَحْطانِ
لعَمْري لئن كان الأميرُ تمنّاني ... بمجلس لـذّاتٍ ونُزْهـةِ بُستانِ
لقد زادني مـا كان منـه صَبابةً ... وجَـدّدَ لي شوقاً إليـه وأبكاني
وما زال ممتنّـاً عـليّ يَخُصّني ... بما لستُ أُحصي من أيادٍ وإحسانِ
هو السيّد القَرْم الذي مـا يُرى لـه ... مـن النّاس إن حصّلته أبـداً ثاني
نَمَتْـه رَوابـي مُصْعَب وبَنى لـه ... كريمُ المساعي في أُرُومتـه باني
يَعِـزّ عـليَّ أن تفوزوا بقُربـه ... ولستُ إليه بالقريب ولا الدّاني
فيا ليتَ شعري هل أُرُوحنَّ مَرّةً ... إليـه فيلقـاني كما كان يلقاني
وهل أُرَيَنْ يومـاً غَضارة مُلْكه ... وسلطانه لا زال في عـزّ سلطانِ
وهل أسمَعْن ذاك المُزاحَ الذي به ... إذا جئتُه سلّيتُ همّـي وأحزاني
إذا قال لي «يا مَرْدَ مَيْ خَرْ» وكَرّها ... عـليّ وكنّـاني مُزاحـاً بصَفْوانِ

(هذا كلام بالفارسية تفسيره : يا رجل آشرب النبيذ)

فيا لكَ من مَلْهىً أنيقٍ ومجلسٍ ... كريـمٍ ومن مَزْح كثيرٍ بألوانِ
وهل يَغْمِزَنْ بي ذو الهَناتِ ابنُ راشد ... وذاك الكريمُ الجدِّ من آل حَرّانِ
وهل أُرَيَنْ موسى الكريم ابنَ صالح ... يُنازعني صوتـاً إذا هـو غنّاني

(يريد الغناء في : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتّجمير مَنْظَـرَ ناظـرٍ ... ولا كليـالي النَّفْرِ أفْتَنَّ ذا هوى)

إذا صاح بالتجمير ثـمّ أعـاده ... بتـبيين إعـراب صحيح وتِبْيانِ
أولئك إخـواني الذين أُحِبّهـم ... وأُوثرهـم بالودّ من بين إخواني
ومـا منهـمُ إلاّ كريـمٌ مهذّبٌ ... حبيبٌ إلى إخوانـه غيرُ خوّانِ

فأجابه محمّد بن راشد : [من الطويل]

بعثـتَ بشعر فيـه أنّ رسالـةً ... أتتك لموسى عن جماعة إخوانِ

بشوق وذكـرٍ للجميل ولم يكن لموسى لعَمْـري في سَلامته ثاني
ولكن نَطَقْنـا بـالذي أنت أهلُه وما تستحقّ مـن صديقٍ ونَدْمانِ
وموسى كريمٌ لم يُحِطْ بك خُبْره كخُبْرِ نَدامَى قـد بلَوْكَ وإخوانِ
ولو قد بلاك قال فيك كقول مَنْ فسَدْتَ عليه من خليل وخُلْصانِ
ولم يَعْرُه شوقٌ إليكَ ولم يَجِدْ لِفَقْدكَ مَسّاً عنـد نُزهـة بستانِ
حَمِدتَ النَّدامى كلَّهم غيرَ إنسان أَلا إنّما يَجْنِي على نفسه الجاني
فلا تَعْتِبُ الإخوانَ من بعدها فما تَنَقُّصُ إخـوانِ المودّة مـن شاني

قال : فأجابه إسحاق : [من الطويل]

عجبتُ لمخـذولٍ تَعرَّض جانيـاً لِلَيْثٍ أبي شِبْلينِ من أُسُدِ خَفّانِ[1]
أتانـا بشعر قالـه مثـلِ وجهـه تَزَخْـرَفَ فيـه واستعانَ بأعوانِ
فجـاء بألفاظ ضِعـافٍ سخيفةٍ ومَضَّغها تمضيغَ أهـوجَ سكرانِ
دَعُوا الشعر للشيخ الذي تعرفونه وإلاّ وُسمتـم أو رُميتـم بشُهبانِ
فإنّكـمُ والشعـرَ إذ تدّعونـه كمُعتسِفٍ في ظلمة الليل حَيْرانِ
صَـهٍ لا تعودوا للجواب فإنّما ترومون صَعْباً من شماريخ ثَهْلانِ
أنـا الأسَد الوَرْد الذي لا يَفُلّه تظاهُـرُ أعـداءٍ عليـه وأقرانِ
ومن قـد أردتم جاهدين سِقاطَه فأعياكُـم في كلّ سرٍّ وإعلانِ
لَعَمْرِي لئن قلتم بمـا أنـا أهلُه ليستنفدنّ القولَ تعظيمُكم شاني
وجَحْدُكُم إيّـايَ مـا تعلمونه وإقرارُكم عنـدي بذلـك سيّانِ
ألا يزجُـرُ الجُهّـالَ عنّـا أميرُنا وموسى وذاك الشيخُ من آل حَرّانِ
ولا سيّما مَنْ بـانَ للناس شرُّه فمـا يَتَمارى في مذاهبـه اثنانِ

[محمد بن عمر الجرجاني يثني عليه]

حدَّثني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قَرْقارَةُ قال : قال لي محمّد بن عمر[2] الجُرْجانيّ وقد تذاكرْنا إسحاقَ يوماً بحضرته : ما تذكرون من إسحاق شيئاً تقاربون به وصفَه . كان والله إسحاق غُرَّةً في زمانه ، وواحداً في دهره عِلماً وفقهاً وأدباً

1 خفان : موضع كان مأسدة .
2 ل : عمران .

ووَقاراً ووفاءً وجودةَ رأي وصحّةَ مودّة . كان والله يُخرِس الناطقَ إذا نطق ، ويُحيّر السامعَ إذا تحدّث ، لا يمَلّ جليسُه مَجلِسَه ، ولا تَمُجّ الآذانُ حديثَه ، ولا تنبو النفوسُ عن مُطاولته . إن حدّثك ألهاك ، وإن ناظرك أفادك ، وإن غنّاك أطربك . وما كنتَ ترى خَصْلة من الأدب ولا جنساً من العلم يتكلّم فيه إسحاقُ فيُقدِم أحدٌ على مُساجلته ومباراته .

[أمره المأمون أن يغنّي في شعر رآه مكتوباً في بساط]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ قال : أمر المأمون يوماً بالفَرْش الصَّيْفيّ أن يُخرَج ؛ فأُخرج فيما أُخرِج منه بِساطٌ طَبَرِيّ أو أصْبَهْبُذانيّ ، مكتوب في حواشيه : [من مجزوء الخفيف]

صوت

لَجّ بالعين واكِفُ ... مِن هَوىً لا يُساعِفُ
كلّما جَفّ دمعُه ... هيّجتْه المعازِفُ
إنّما الموتُ أن تفا ... رقَ مَنْ أنت آلِفُ
لك حُبّان في الفؤا ... دِ تَليدٌ وطارِفُ

قال : فاستحسن المأمون هذه الأبيات ، وبعث إلى إسحاق فأحضره وأمره أن يصنع فيها لحناً ويُعجِّل به ؛ فصنع فيها الهَزَج الذي يُغَنّى به اليومَ . قال أحمد : وسمعها أبي منه فقال : لو كان هذا الهَزَج لِحَكَم الوادي لكان قد أحسن . يريد أنّ حكَماً كان صاحبَ الأهزاج .

[اعجاب يحيى المكّي به]

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمّد قال حدّثني ابن المكّي قال : تذاكرْنا يوماً عند أبي صنعَة إسحاق ، وقد كنّا بالأمس عند المأمون فغنّاه إسحاقُ لحناً صنعه في شعر ابن ياسين : [من مجزوء الخفيف]

صوت

الطُّلول الدَّوارِسُ ... فارقتْها الأوانِسُ
أوْحشت بعد أهلها ... فهي قَفْرٌ بَسابِسُ

الغناء لإسحاقَ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر . قال : فقال أبي : لو لم يكن من بدائع إسحاقَ غيرُ هذا لكفى ، «الطلول الدوارس» كلمتان ، و«فارقتها الأوانس» كلمتان ، وقد غنّى فيهما استهلالاً وبسيطاً وصاح وسَجَح ورجّع النغمةَ واستوفى ذلك كلّه في أربع كلمات وأتى بالباقي مثله ؛ فمَن شاء فليفعل مثلَ هذا أو ليقاربْه . ثم قال : إسحاق والله في زماننا فوق ابن سُرَيْج والغَرِيض ومَعْبَد ، ولو عاشوا حتى يَرَوْه لعَرفوا فضلَه واعترفوا له به . وأخبرني عمّي

عن يزيد بن محمّد المهلّبيّ : أنّه كان عند الواثق فغنّته شَجا هذا الصوتَ ؛ فقال الواثق مثلَ هذا القول . والمذكور أنّ ابن المكّيّ قاله ؛ فلا أدري أهذا وَهْمٌ من يزيد ، أو اتّفق أن قال فيه الواثق كما قال يحيى ، أو اتّفقت عليه قريحتاهما .

[أعجب هو والزبير بن دحمان بغناء خباز]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : أرسل إليّ الفضلُ بن الرَّبيع يوماً وإلى الزُّبَيْر بن دَحْمان ، فوافق مجيئُنا شغلاً كان له ، فصِرْنا إلى بعض حُجَره ، فنَعَستُ فنِمتُ فإذا زُبَير يحرّكني فانتبهتُ فإذا خبّازٌ في مطبخ الفضل يضرب بالشُّوبَق يُغنّي : [من الهزج]

صوت

بِدَيْـر القائم الأَقصَى غـزالٌ شَفَني أَحْوَى
بَرَى حُبِّي له جسمي وما يَدري بمـا أَلقى
وأُخفي حبَّـه جُهْدِي ولا والله مـا يَخْفى

الشعر والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيل بالبنصر . قال : فقال لي الزُّبير : تَضَنّ بهذا وانظرْ مَن يبتذله ! ؛ فقلت : لا أُضَنّ بغناء بعد هذا .

[المأمون يستحسن أصواتاً من مغنّين دون إسحاق]

حدّثني عمّي قال حدّثني أحمد بن الطيّب السَّرَخْسيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال قال لي صالح بن الرشيد : كنّا أمس عند أمير المؤمنين المأمون وعنده جماعة من المغنّين ، فيهم إسحاق وعَلّويه ومُخارِق وعمرو بن بانة ؛ فغنّى مخارق في الثقيل الأوّل : [من الطويل]

صوت

أعـاذلُ لا آلـوكِ إلاّ خَليقتـي فـلا تجعـلي فوقـي لسانَك مِبْرَدا
ذَرِيني أَكنْ للمالِ ربّـاً ولا يكن لِيَ المـالُ ربّاً تَحْمَدِي غِبَّـه غدا
ذَريني يكـن مالي لعِرْضي وقايـةً يَقِي المـالُ عِرْضي قبـل أن يتبدّدا
ألم تعلمـي أنّي إذا الضيفُ نابنـي وعَزَّ القِرَى أَقْرِي السَّدِيفَ المُسَرْهَدا[1]

فقال له المأمون : لَمَن هذا اللحن ؟ قال : لهذا الهِزَبْر الجالس (يعني إسحاق) ؛ فقال المأمون لمخارق : قم فاقعد بين يديّ وأَعِدِ الصوت ؛ فقام فجلس بين يديه وأعاده فأجاده ، وشرب المأمون عليه رِطلاً ؛ ثم التفت إلى إسحاق فقال له : غنِّ هذا الصوت ؛ فغنّاه فلم

1 السديف : السنام ، والمسرهد : المقطع أو السمين .

يستحسنه كما استحسنه من مخارق ؛ ثم دار الدورُ إلى عَلّويه ، فقال له : غنِّ فغنّى في الثقيل الأوّل أيضاً : [من الوافر]

صوت

أُريتُ اليومَ نارَكِ لم أُغَمِّضْ بَواقِصةٍ ومَشْرَبُنا بَرُودُ[1]
فلم أَرَ مثلَ موقِدها ولكن لأَيّة نظرةٍ زَهَر الوَقُودُ
فبِتُّ بليلةٍ لا نومَ فيها أُكابدُها وأَصحابي رُقودُ
كأَنّ نجومَها رُبِطتْ بصَخْرٍ وأَمْراسٍ تدور وتستزيدُ

فقال له المأمون : لمن هذا الصوت ؟ فقال : لهذا الجالس وأشار إلى إسحاق فقال لعَلّويه : أعِدْه فأعاده ، فشرب عليه رطلاً ؛ ثم قال لإسحاق : غَنِّه فغنّاه فلم يطرَب له طَرَبَه لعَلّويه . فالتفتَ إليّ إسحاق ثم قال لي : أيّها الأمير ، لولا أنّه مجلسُ سرور وليس مجلس لَجاجٍ[2] وجِدال لأعلمتُه أنّه طرِب على خطأ ، وأنّ الذي استحسنه إنّما هو تزايدٌ منهما[3] يُفسد قسمةَ اللحن وتجزئتَه ، وأنّ الصوت ما غنّيتُه لا ما زادا . ثم أقبل عليهما فقال : يا مخنّثان ، قد علمتُ أنّكما لم تُريدا بما فعلتماه مدحي ولا رِفعتي ، وأنا على مكافأتكما قادر ؛ فضحك المأمون وقال له : ما كان ما رأيتَه من طَرَبي لهما إلاّ استحساناً لأصواتهما لا تقديماً لهما ولا جهلاً بفضلك .

[غناؤه للمعتصم بعد رحلة صيد]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدَّثني إسحاق قال : دخلتُ يوماً على المعتصم وقد رجع من الصيد وبين يديه ظِباء مذبَّحة[4] وطيرُ ماء وغير ذلك من الصيد وهو يشرب ؛ فأمرني بالجلوس والغناء ؛ فجلستُ وغنّيته : [من الرمل]

صوت

اشتهيْنا في ربيعٍ مرّةً زَهَمَ الوحشِ على لحم الإبِلْ[5]
فغدَونا بطُوالٍ هَيْكَلٍ كَعَسِيب النخل مَيّاد خَضِلْ[6]

1 واقصة منزل بطريق مكّة ، والبرود : البارد . ومشربنا بُرود في ل : ومشرقنا زرود .
2 ل : حجاج .
3 تزايد وتزيد : تكلف زيادة لا داعي لها .
4 ل : مذبوحة .
5 زهم : شحم الوحش دون أن تكون فيه زهومة أي كراهة ريح .
6 هيكل : الضخم من الحيوان .

الشعر يقال : إنّه لأعشى هَمْدان ، والغناء لأحمد النَّصْبِيّ خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ، فتبسّم وقال : وأين رأيت لحم الإبل ؟ فغنّيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

ليس الفتـى فيهم إذا شَرِب الشرابَ مُؤَنَّبا
لكـن يـروحُ مُرَنَّحاً حسنَ الثيـابِ مُطَيَّبا
يسقونـه صِرْفـاً على لحـم الظباءِ مُضَهَّبا[1]

فقال : هذا أشبه ، وشَرِب . ثم غنّيته بشعر وَضّاح اليمن ، قال : والغناء لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ[2] : [من الهزج]

صوت

أَبـى القلـبُ اليمانيّ الـ ـذي تُحْمَـدُ أخلاقُـهْ
ويَرْفَضُّ لـه اللحـنُ فمـا تُفْتَـق أَرْتاقُـهْ
غـزالٌ أَدعـجُ العين رَبيبُ خَدَلَّج ساقُـهْ[3]
رمـاني فسبَى قلبـي وأَرميـه فأَشتاقُـهْ

فطرِب وقال : هذا والله أحسن صيد وألذّه ، وشرِب عليه بقيَّةَ يومه وخلَع عليّ وأمر لي بجائزة . هكذا ذُكِر في هذا الخبر أنّ الثقيل الأوّل لابن مُحْرِز وقد قيل ذلك . وذكر عمرو بن بانة أنّ الثقيل الأوّل بالبنصر لابن طُنْبورة ، وأنّ لحن ابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ .

[دِقّه في الوصف]

حدّثني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ قال : قال لي إسحاق يوماً في عُرْض حديثه : دخلت على المعتصم ذاتَ يوم وعليه قميصٌ دَبِيقيّ[4] كأنّما قُدّ من جِرْم الزُّهَرة[5] ؛ فضحِكتُ ؛ فقال : ما أضحكك . فقلت : من مبالغتك في الوصف ، فتبسّم . قال الفضل : وما سمعتُ محدّثاً قطُّ ولا واصفاً أبلغ منه ولا أحسن لفظاً وتشبيهاً .

[تبرّمه بالغناء وبالتسمية به]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك قال :

---

1 لحم مضهب : مقطّع .
2 ديوان وضّاح اليمن (صادر) : 69 عن الأغاني .
3 خدلّج في ل : مجدل . والخدلّج : الممتلىء .
4 الدبيقي : المنسوب إلى دبيق وهي بلدة كانت بمصر .
5 الزهرة : ثاني الكواكب السيّارة في القرب من الشمس .

قال لي إسحاق : وَدِدتُ أَنّ كلّ يوم قيل لي : غَنّ أو قيل لي عند ذِكْرى : المغنّي ، ضُرِب رأسي خمسةَ عشَر سوطاً ، لا أقوى على أكثر منها ، ولم يُقَلْ لي ذلك .

[صنع لحناً على لحن أذان سمعه]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال : صنع أبي لحنه في : «تَشَكَّى الكُمَيْتُ الجَرْيَ» على لحن أذانٍ سمِعه .

[كثرة حفظه لأهزاج القدماء]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حَمّاد قال : تذاكرنا[1] يوماً الهَزَج عند المأمون ؛ فقال عمرو بن بانة : ما أقلّه في الغناء القديم ! ؛ فقال إسحاق : ما أكثره فيه ! ثم غنّاهم ثلاثين هَزَجاً في إصبع واحدة ومجرى واحد ، ما عرفوا جميعاً منها إلاّ نحو سبعة أصوات .

[تقدير زرزور لقدرته في الغناء]

حدَّثني يحيى قال حدَّثني أخي قال حدَّثني عافية بن شَبيب قال : قلت لزُرْزُور : مالكم تَذِلُّون لإسحاق هذا الذلّ ، وما فيكم أحدٌ إلاّ وهو أطيب صوتاً منه ، وأنا في صنائعكم وَصْمة ! فقال لي : لا تقلْ ذلك ، فوالله لو رأيتنا معه لرحِمتَنا ورأيتنا نذوب كما يذوب الرَّصاص في النار ! .

[غضب عليه الفضل بن الربيع فترضّاه وحاجبه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : لاعَبتُ الفضل بن الربيع بالنَّرْد ، فوقع بيننا خلاف ، فحلف وحلفت ، فغضب عليَّ وهجَرني ، فكتبت إليه : [من الطويل]

يقول أُناسٌ شامتون وقد رأَوْا ... مُقامي وإغبابي الرواحَ إلى الفضلِ
لقد كان هذا خُصَّ بالفضل مرّةً ... فأصبح منه اليومَ مُنصرِمَ الحبلِ
ولو كان لي في ذاك ذنبٌ علِمته ... لَقَطَّعْتُ نفسي بالمَلامة والعذلِ

وعرضتُ الأبيات عليه ؛ فلمّا قرأها ضحِك وقال : أشدّ من ذنبك أنّك لا ترى لنفسك بذلك الفعل ذنباً ؛ والله لولا أنّي أدّبتك أدبَ الرجل ولدَه ، وأنّ حسنَك وقبيحَك مضافان إليّ لأنكرتني ؛ فأصلِح الآن قلبَ عون ، وكان يَحْجُبه ، فخاطبته في ذلك فكلّمني بما كَرِهت ؛ فقلت : أتدخل بيني وبين الأمير أعزّه الله ! ؛ وكان عون يُرْمى بالأُبنة فقلت فيه : [من الطويل]

وذاكر أمرٍ ضاق ذرعاً بذكره ... وناسٍ لداءٍ منه مُتّسِع الخَرْقِ

قال : ثم علِمت أنّه لا يتمّ لي رضى الفَضْل إلاّ بعد أن يرضى عون ، فقلت فيه : [من الخفيف]

---

1 ل : تذاكروا .

عَوْنُ يا عَوْنُ ليس مثلَك عونُ أنت لي عُـدَّةٌ إذا كان كونُ
لك عندي والله إن رَضِيَ الفضـ ـلُ غلامٌ يُرْضيك أو بِرْذَوْنُ

فدخل إلى الفضل فترضّاه لي فرضي ؛ ثم قال له : ويلك يا عون ! إنّه والله إنّما هجاك وأنت ترى أنّه قد مدحك ، ألا ترى إلى قوله : «غلام يرضيك» ؟ هذا تعريض بك ؛ قال : فكيف أصنع به مع محلّه عند الأمير ! .

[شكا إليه المأمون أصحابه]

أخبرني الصُّولِيّ قال حدّثني عَوْن عن إسحاق ، وأخبرني بعضَ الخبر إسماعيلُ بن يونس عن عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، ولفظُ الخبرِ وسِياقتُه للصُّولي ، قال : استدناني المأمونُ يوماً وهو مُسْتَلْقٍ على فِراش حتى صارت ركبتي على الفراش ، ثم قال لي : يا إسحاق ، أشكو إليك أصحابي : فعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ، وفعلتُ بفلان كذا ففعل كذا ؛ حتى عدَّد جماعةً من خواصّه ؛ فقلت له : أنت يا سيِّدي بتفضُّلك عليّ وحسنِ رأيك فيّ ظننتَ أنّي ممّن يُشاوَر في مثل هذا ، فجاوزتَ بي حدِّي ، وهذا رأيٌ يَجِلّ عنّي ولا يبلُغه قدري ؛ فقال : ولِمَ وأنت عندي عالم عاقل ناصح ؟ فقلت : هذه المنزلة عند سيِّدي علّمتني ألاّ أقول إلاّ ما أعرف ولا أطلبَ إلاّ ما أنال ؛ فضحِك وقال : قد بلغني أنّك في هذه الأيّام صنعتَ لحناً في شعر الرّاعي ولم أسمعه منك ؛ فقلتُ : يا سيِّدي ، ما سمعه أحدٌ إلاّ جَواريَّ ، ولا حضرتُ عندك للشرب منذ صنعتُه ؛ فقال : غنِّه ؛ فقلتُ : الهيبةُ والصَّحْو يمنعاني أنْ أُؤدِّيه كما تريد ، فلو آنس أميرُ المؤمنين بشيء يُطربه ويقوّي به طبعه كان أجود ؛ قال : صدقت ، ثم أمر بالغداء فتغدّينا ، ومُدّت الستارةُ فغنّي من ورائها وشربنا أقداحاً ؛ فقال : يا إسحاق ، أما جاء أوانُ ذلك الصوت ؟ فقلت : بلى يا سيِّدي ، وغنّيتُه لحني في شعر الراعي[1] : [من الوافر]

صوت

أَلَـم تسأَلْ بعارِمـةَ الديـارا عن الحيّ المُفارِقِ أين صارا[2]
بـلى ساءلتهـا فأبَـتْ جواباً وكيف تُسائلُ الدِّمَنَ القِفارا

لحنُ إسحاق في هذين البيتين خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى ، قال : فاستحسنه وما زال يشرب عليه سائرَ يومه ، وقال لي : يا إسحاق ، لا طَلَبَ بعد وجود البُغْية ، ما أشرب بقيّةَ يومي هذا إلاّ على هذا الصوت ؛ ثم وصلني وخلَع عليَّ خِلعةً من ثيابه .

---

1 ديوان الراعي النميري (فايبرت) : القصيدة رقم 70 وهي فيه 59 بيتاً والبيت الأوّل هنا أوّلها والثاني هو الثامن والخمسون .

2 عارمة : موضع بنجد . صارا : الديوان : سارا .

[مدح أعرابيّة له]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدّثني إسحاق قال[1] : كانت أعرابيّة تَقْدَم عليّ من البادية فأُفضِل عليها ، وكانت فصيحة ؛ فقالت لي ذات يوم : والذي يعلم مغزى كلّ ناطق لكأنّك في عِلمك وُلدتَ فينا ونشأت معنا . ولقد أَرَيْتَني نجداً بفصاحتك ، وأَحللتَني الرَّبيع بسماحتك ؛ فلا اطّرَدَ لي قولٌ إلاّ شكرتك ، ولا نَسَمتْ لي ريحٌ إلاّ ذكرتك .

[أخل أبا المجيب الربعيّ صداقاً وداعبه بشعر]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني عَوْن بن محمّد قال حدَّثني المُغِيرة بن محمّد المهلَّبيّ عن إسحاق قال : كان أبو المُجيب الرَّبعيّ فصيحاً عالِماً ، فقال لي : يا أبا محمّد ، قد عزمتُ على التزوّج فأَعِنّي وقَوِّني ؛ قال : فأعطيتُه دنانيرَ وثياباً . فغاب عنّي أيّاماً ثم عاد ؛ فقلت : يا أبا مُجيب ، هاهنا أبيات فاسمعها ؛ فقال : هاتها ؛ فقلت : [من الرجز]

يا ليتَ شعري عن أبي مُجيبِ إذ بـات في مَجاسِدٍ وطِيبِ
معانقـاً للـرَّشأ الرَّبيـبِ أأحمـدَ المِحفـارُ في القَليبِ[2]
أم كان رِخْواً ذابـلَ القضيبِ

قال : فقال لي : الأخيرُ والله يا أبا محمّد .

[عتاب صديق]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدّثني عون بن محمّد قال حدَّثني إسحاق قال : كانت بيني وبين الخليل بن هشام صداقة ثم استوحشْنا ، فمررتُ ببابه يوماً ، فتذمَّمت أن أجوزَه ولا أدخل إليه ، فدعوتُ بدَوَاةٍ وقِرطاس وكتبتُ إليه : [من الوافر]

رجعنا بالصفاء إلى الخليلِ فليس إلى التَّهاجُر من سبيلِ
عتـابٌ في مُراجعةٍ وصفحٌ أحـقُّ بنـا وأشبهُ بالجميلِ

قال : ووجّهت بالرُّقعة وقصدت بابَه ، فخرج إليّ حتى تلقّاني ، ورجعنا إلى ما كنّا عليه .

[ثَبَت صدق روايته الأخبار]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ عن الهشاميّ قال : كان أهلُنا يعتبرون على إسحاق ما يقوله في نسبة الغناء وأخباره ، بأن يُجلسوا كاتبتين فَهِمتين خَلْف السِّتارة ، فتكتبان ما يقوله وتضبُطانه ، ثم يتركونه مدّة حتى ينسى ما جرى ، ثم يُعيدون تلك

1 انظر التذكرة الحمدونية 4 : 49 .

2 أحمد : أتى بما يحمد . القليب : البئر .

المسألة عليه ، فلا يزيد فيها ولا ينقص منها حرفاً كأنّه يقرؤها من دفتر ؛ فعلموا حينئذٍ أنّه لا يقول في شيء يُسأل عنه إلاّ الحقّ .

[غنّى عَلّويه لحناً لأبيه فخطأه في مجلس المأمون]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني أحمد بن مَزْيد المهلَّبيّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : كنّا عند المأمون ، فغنّاه عَلّويه : [من الطويل]

صوت

لعَبْـدةَ دارٌ مـــا تكلِّمنـا الدارُ تَلُـوح مَغانيهـا كما لاح أسطارُ
أُسائـلُ أحجاراً ونُـؤْيـاً مُهَدّمـا وكيف يردُّ القولَ نؤيٌ وأحجارُ

الشعر لبشّار ، والغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيل مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، قال : فقال المأمون : لَمن هذا اللحن ؟ فقلت : لعبد أمير المؤمنين أبي ، وقد أخطأ فيه عَلّويه ؛ قال : فغنِّه أنت فغنّيته ، فاستعادنِيه مراراً وشرب عليه أقداحاً ؛ ثم تمثّل قولَ جرير : [من البسيط]

وابنُ اللَّبون إذا ما لُـزَّ في قَرَنٍ لم يستطع صَوْلةَ البُزْلِ القَناعِيسِ[1]

ثم أمر لي بخمسين ألف درهم . ووجدتُ هذا الخبر بخطّ أبي العبّاس ابن ثَوابة ، فكان فيه : حدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبِيعيّ قال : اجتمعنا بين يدي المعتصم ، فغنّى عَلّويه : [من الطويل]

لعبدةَ دارٌ مـــا تكلِّمنا الدار

فقال له إسحاق : أخطأت فيه ، ليس هو هكذا ؛ فقال عَلّويه : أُمّ مَن أخذناه عنه هكذا زانية ؛ فقال إسحاق : شتمنا قبحه الله ، وسكت وبان ذلك فيه ؛ وكان عَلّويه أخذه من إبراهيم .

[حواره مع عَلّويه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو العنبس بن حَمدون عن أبيه عن جدّه قال : كان إسحاق بعد وفاة المأمون لا يُغنّي إلاّ الخليفةَ أو وليَّ عهده أو رجلاً من الطاهِريّة مثلَ إسحاق بن إبراهيم وطبقتِه ؛ فاجتمعنا عند الواثق وهو وليّ عهد المعتصم ، فاشتهى الواثق أن يُضَرِّب[2] بين مخارق وعَلّويه وإسحاق حاضر ، ففعل حتى تهاترا ؛ ثم قال لإسحاق : كيف هما الآن عندك ؟ فقال : أمّا مُخارق فمُنادٍ طيّبُ الصوت ؛ وأمّا عَلّويه فهو خير

1 ابن اللبون : ولد الناقة في عامه الثاني . لزّ : شدّ . القرن : الحبل الذي يقرن به البعيران . البزل : جمع بازل وهو البعير الذي انشقّ نابه ويكون ذلك في السنة الثامنة أو التاسعة . القناعيس : جمع قنعاس وهو الجمل الضخم الشديد .

2 التضريب : الاغراء .

حِمارَي العِباديّ[1] ، وهو على كلّ حال شُبَيْء (يريد تصغيره) ؛ فوثَب عَلّويه مُغْضَباً ، ثم قال للواثق : جواريه حرائرُ ونساؤه طوالقُ ، لئن لم تستحلفه بحياتك وحقّ أبيك ، أن يصدُقَ عمّا أسأله عنه ، لأتوبنّ عن الغناء ما عِشْتُ ؛ فقال له الواثق : لا تُعَرْبِد يا عليّ ، نحن نفعل ما سألت ؛ ثم حَلّف إسحاق أن يصدُق فحلف ؛ فقال له : من أحسن الناس اليومَ صنعةً بعدك ؟ قال : أنت . قال : فمَن أضربُ الناس بعد ثَقيف ؟ قال : أنت . قال فمَن أطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارق ؟ قال : أنت . قال عَلّويه لإسحاق : أهذا قولُك فيّ وأنت تعلم أنّي مُصَلّي[2] كلّ سابق فاضل ، وأنّي ثالثُ ثلاثةٍ أنت أحدهم لم يكن في الدنيا مثلُهم ولا يكون ؟ فما أنت وغناؤك الذي لا يُسمَع انخفاضاً ! ؛ فغضب إسحاقُ ، وانتهر الواثقُ عَلّويه . ثم أخذ إسحاقُ عوداً فنقل مَثْناه إلى موضع البَمّ ، وزِيرَه إلى موضع المَثْلَث ، وجعل البمَّ والمثلثَ مكان الزير والمَثْنى ، وضرب وقال : ليغنّ مَن شاء منكم ؛ فغنّى مُخارق عليه : [من الطويل]

تَقَطّع من ظَلاّمةَ الوصلُ أجمعُ أخيراً على أنْ لم يكن يَتَقَطّعُ

وضرب عليه إسحاقُ فلم يَبِنْ في الأوتار خلافٌ ولا فُقِد من الإيقاع شيء ولا بانَ فيه اختلال ؛ فعظُم عجبُ الواثق من فعله ؛ وقام إسحاق فرقَص طرباً ، فكان والله أحسنَ رقصاً من كُبَيْش وعبد السلام ، وكانا من أرقص الناس ، فقال الواثق : لا يكمُل أحدٌ أبداً في صناعته كمثل كمال إسحاق .

[عبد الله بن طاهر يمدحه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني عَوْن بن محمّد قال حدّثني إسحاق قال : دخلت على عبد الله بن طاهر وهو يُلاعِب إبراهيمَ بن وَهْب بالشِّطْرَنْج ، فغلبه عبد الله ، وأومأ إليّ بأن أُكايده ؛ فقلت : [من الرجز]

قد ذهبتْ منك أبا إسحاقِ مثلَ ذَهابِ الشهرِ بالمُحاقِ[3]

فقال لي عبد الله : إنّ فضائلك يا أبا محمّد لتتكاثر عندنا ، كما قال الشاعر في إبله : [من الرجز]

---

1 المثل : كحماري العبادي ، سئل عبادي : أي حماريك شر ، فقال هذا ثم هذا أو قال هذا هذا . أي لا فضل لأحدهما على الآخر (مجمع الميداني 2 : 161 وجمهرة العسكري 2 : 151 ومستقصى الزمخشري 2 : 215) .

2 المصلي : الذي يلي السابق من الخيل .

3 المحاق : آخر الشهر .

إذا أَتاهـا طالـبٌ يَسْتامُها تكاثـرتْ في عينـهِ كِرامُها

[صنع لحناً في بيتين وغنّاه الواثق]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرزُبان قال ذكر عليّ بن الحسن بن عبد الأعلى عن إسحاق قال : أنشدتْني أمّ محمّد الأعرابيّة لنفسها هذين البيتين وأنا حاجٌّ ، فاستحسنتُهما ، وصنعتُ فيهما لحناً غنَّيته الواثقَ ؛ فاستعاده حتى أخذه ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم ؛ وهما : [من الطويل]

عسى اللهُ يا ظَمْياءُ أن يَعكِسَ الهوى فتَلْقَيْنَ ما قد كنتُ منكِ لَقِيتُ
ثـراء فتحتاجـي إليّ فتعلمي بأنّي قد أَجْزيـكِ حـين غَنِيتُ

[يضرب بعود مشوّش الأوتار]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمّد بن مَرْوان قال لي يحيى بن مُعاذ : كان إسحاق الموصليّ وإبراهيم بن المهديّ إذا خَلَوا فهما أخوانِ ، وإذا التقيا عند خليفة[1] تكاشحا أقبحَ تكاشح ؛ فاجتمعا يوماً عند المعتصم ؛ فقال لإسحاق : يا إسحاق ، إنّ إبراهيم يَثْلُبك ويَغُضّ منك ويقول : إنّك تقول : إنّ مُخارِقاً لا يُحسن شيئاً ويتضاحك منك ؛ فقال إسحاق : لم أَقُل يا أمير المؤمنين : إنّ مُخارقاً لا يُحسن شيئاً ، وكيف أقول ذلك وهو تلميذ أبي وتخريجُه وتخريجي ؟ ولكن قلت : إنّ مُخارِقاً يملِك من صوته ما لا يملِكه أحد ، فيتزايد فيه تزايداً لا يُبقي عليه ويتغيّر في كلّ حال ، فهو أحلى الناس مسموعاً وأقلُّه نفعاً لمَن يأخذ عنه ، لقلّة ثباته على شيء واحد . ولكنّي أفعل الساعةَ فعلاً إن زَعَم إبراهيمُ أنّه يُحسنه فلستُ أُحسن شيئاً ؛ وإلاّ فلا ينبغي لـه أن يدَّعيَ ما ليس يُحسنه . ثم أخذ عوداً فشوّش أوتارَه ، ثم قال لإبراهيم : غَنِّ على هذا أو يُغنّي غيرُك وتضرِبُ عليه ؛ فقال المعتصم : يا إبراهيم ، قد سمعتَ ، فما عندك ؟ قال : ليفعلْه هو إن كان صادقاً ؛ فقال له إسحاق : غَنِّ حتّى أضربَ عليك فأبى ؛ فقال لزُرْزُور : غَنِّ فغنّى وإسحاقُ يضرِب عليه حتّى فُرِغَ من الصوت ما علِم أحد أنّ العود مشوَّش . ثم قال : هاتوا عوداً آخر ؛ فشوّشه وجعل كلَّ وترٍ منه في الشدّة واللِّين على مقدار العود المشوّش الأوّل حتى استوفى[2] ؛ ثم قال لزُرْزور : خُذ أحدَهما فأخذه ، ثم قال : انظر إلى يدي واعمل كما أعمل واضرِب ففعل ؛ وجعل إسحاق يغنّي ويضرِب وزُرْزور ينظر إليه ويفعل كما يفعل ؛ فما ظَنَّ أحدٌ أنّ في العودَين شيئاً من الفساد لصحّة نَغَمهما جميعاً إلى أن فُرِغ من الصوت . ثم قال إبراهيم : خُذ الآن أحد العودَين ، فاضرب به مبدأ أو عَمُودَ طريقةٍ أو كيف

1 ل : الخليفة تكاشفا أقبح تكاشف .

2 ل : استويا .

شئتَ إن كنت تُحسِن شيئاً ؛ فلم يفعل وانكسر انكساراً شديداً ؛ فقال له المعتصم : أرأيتَ مثل هذا قطُّ ؟ قال : لا ، والله ما رأيتُ ولا ظننتُ أنّ مثله يكون .

[أعجبه يوم فتمثل فيه بشعر]

حدّثني أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال : دعاني إسحاقُ يوماً ، فمضيتُ إليه وعنده الزُّبَير بن دَحْمان وعَلّويه وحسين بن الضحّاك ، فمَرَّ لنا أحسنُ يوم ؛ فالتفت إليّ إسحاقُ ثم قال : يومُنا هذا والله يا أبا العبّاس كما قال الشاعر : [من مجزوء الرمل]

أنت والله من الأيّام لَدْنُ الطَّرَفَيْنِ
كلّما قلّبتُ عينيَّ ففي قُرَّةِ عَيْنِ

[غناء عند الواثق]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً على الواثق فقال لي : يا إسحاق ، إنّي أصبحت اليوم قَرِماً[1] إلى غنائك فغنّني ، فغنّيته : [من البسيط]

من الظباءِ ظِباءٌ همُّها السُّخُبُ ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ[2]
لا يَغْتربْنَ ولا يَسْكُنَّ باديةً وليس يَدْرين ما ضَرْعٌ ولا حَلَبُ
إذا يدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها والقطع في سَرَقٍ بالعين لا يَجِبُ

قال : فشرب عليه بقيّةَ يومه وبعضَ ليلته ، وخلع عليَّ خِلْعةً من ثيابه .

[خرج مع الواثق إلى الصالحيّة فحنَّ إلى بغداد]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : خرجتُ مع الواثق إلى الصالحيّة وهو يريد النزهة ، فذكرتُ بغدادَ وعيالي وأهلي وولدي بها فبكيتُ ؛ فقال لي : بحياتي أذَكرتَ بغدادَ فبكيتَ شوقاً إليها ؟ فقلت : نعم ، وغنّيته : [من الطويل]

صوت

وما زلت أبكي في الديار وإنّما بكائي على الأحباب ليس على الدّارِ

قال : فأمر لي بمائة ألف درهم وصرَفني .

وأخبرني محمّد بن مَزْيد بهذا الخبر عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وحدّثني به عليّ بن هارون عن عمّه عن حَمّاد عن أبيه وخبرُه أتمّ ، قال : ما وَصلني أحدٌ من الخلفاء قطُّ بمثل ما وصلني به الواثق . ولقد انحدرتُ معه إلى النَّجَف ، فقلت له : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ في

1 القرم : شدّة الشهوة إلى اللحم . ويقال : قرمت إلى لقائك : تشهيت لقاءك .
2 السخب : جمع سخاب وهو القلادة من الزهر أو الجوهر .

النجف قصيدة ؛ فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه[1] : [من البسيط]

يا راكبَ العِيسِ لا تَعْجَلْ بنا وقِفِ نُحَيِّ داراً لسُعْدَى ثم نَنْصرِفِ

حتى أتيتُ على قولي :

لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جَبَلٍ أَصْفى هواءً ولا أَعْذى من النَّجَفِ[2]

حُفَّتْ ببَرٍّ وبَحْر من جوانبها فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحر في طرَفِ

وما يزالُ نسيمٌ من يَمانِيَةٍ يأتيك منها بريّاً رَوْضَةٍ أُنُفِ[3]

فقال : صدقتَ يا إسحاق ، هي كذلك . ثم أنشدتُه حتى أتيت على قولي في مدحه : [من البسيط]

لا يحسَبُ الجودَ يُفْني مالَه أبداً ولا يرى بذلَ ما يَحْوِي من السَّرَفِ

ومضيت فيها حتّى أتممتُها ؛ فطرِب وقال : أحسنتَ والله يا أبا محمّد ، وكنّاني يومئذٍ ، وأمَر لي بمائة ألف درهم ؛ وانحدر إلى الصالحيّة التي يقول فيها أبو نُوّاس :

بالصالحيّة من أكنافِ كَلْواذِ

فذكرتُ الصبيانَ وبغدادَ فقلت : [من الطويل]

أَتَبْكي على بغدادَ وهي قريبةٌ فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعْدَا

لعَمْرُكَ ما فارقتُ بغدادَ عن قِلىً لَوَ انّا وجدنا عن فِراقٍ لها بُدّا

إذا ذكرتْ بغدادَ نفسي تَقَطَّعتْ من الشَّوق أو كادت تموت بها وَجْدا

كفى حَزَناً أن رُحْتُ لم أستطع لها وَداعاً ولم أُحْدِثْ بساكنها عهدا

قال : فقال لي : يا موصليّ ، أشتقتَ إلى بغداد ؟ فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكن من أجل الصبيان ، وقد حضرني بيتان ؛ فقال : هاتهما ؛ فأنشدتُه : [من الوافر]

حَنَنتَ إلى الأُصَيْبِيَةِ الصِّغار وشاقك منهمُ قربُ المَزارِ

وأبْرحُ ما يكونُ الشوقُ يوماً إذا دَنَتِ الدّيارُ من الديارِ[4]

فقال لي : يا إسحاق ، صِرْ إلى بغداد فأَقِمْ مع عيالك شهراً ثم صِرْ إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

---

1 يتكرّر هذا الخبر والشعر في ترجمة الواثق فيما بعد ، وكذلك كثير من أخباره مع الواثق .

2 أعذى : أطيب هواء .

3 الروضة الأنف : التي لم يرعها أحد .

4 وأبرحُ ما يكون الشوق يوماً في ترجمة الواثق : «وكلّ مفارق يزداد شوقاً» .

[صنع لحناً أحسن من لحن الواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال أخبرني أبي قال : لمّا صنع الواثق لحنَه في : [من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتَى أَقِدْني من التي ... بها نَهِلَتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ انّي سألتُها ... قَذى العين من سافي التراب لضَنَّتِ

أعْجِب به إعجاباً شديداً ؛ فوجّه بالشعر إلى إسحاق الموصليّ وأمره أن يغنّي فيه ؛ فصنع فيه لحنَه الثقيل الأوّلَ ، وهو من أحسن صنعةِ إسحاق ؛ فلمّا سمعه الواثق عَجِبَ منه وصغُر لحنُه في عينه ، وقال : ما كان أغنانا أن نأمر إسحاق بالصنعة في هذا الشعر ، لأنّه قد أفسد علينا لحننا . قال عليّ بن يحيى قال إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بهذا الشأن :

نسبة هذين الصوتين

صوت

[من الطويل]

أيا مُنْشِرَ المَوْتى أَقِدْني من التي ... بها نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلتْ حتى لَوَ أنّي سألتُها ... قَذى العين من سافي التراب لضَنَّتِ

الشعر لأعرابيّ ، والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ في مجرى البنصر . وفيه لمُخارق رَمَلٌ ، ولِعَريبَ رمل . ومن الناس مَن ينسُب هذا الشعر إلى كثيِّر ، وهو خطأ من قائله .

أنشدني هذه الأبياتَ عمّي قال : أنشدني هارون بن عليّ بن يحيى ، وأنشدنيها عليّ بن هارون عن أبيه عن جدّه عن إسحاق أنّه أنشده لأعرابيّ فقال[1] : [من الطويل]

صوت

ألا قاتل اللهُ الحمامةَ غُدْوةً ... على الغصن ماذا هَيّجتْ حين غَنَّتِ
تَغنَّتْ بصوتٍ أعجميٍّ فهَيّجتْ ... من الشوق ما كانت ضلوعي أجَنَّتِ

غنّى في هذين البيتين عمرو بن بانة ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . [من الطويل]

فلو قَطَرتْ عينُ امرىء من صَبابةٍ ... دماً قطرتْ عيني دماً فألَمَّتِ
فما سكتتْ حتى أوَيْتُ لصوتها ... وقلت تُرى هذي الحمامةُ جُنَّتِ[2]

---

1 قارن بديوان مجنون ليلى (فراج) : 85–87 وفيه تخريج كثير . وسترد هذه الأبيات في ترجمة الواثق فيما بعد منسوبة لأعرابيّ برواية محمد بن العبّاس اليزيديّ عن ثعلب . وقد وردت في التذكرة الحمدونية 6 : 57 (رقم 146) منسوبة لأعرابي .

2 ترى في ل : أرى .

ولي زَفَـراتٌ لـو يَدُمْـنَ قتلْنني بشوق إلى نـأي التي قد تولَّتِ
إذا قلت هذي زَفْرةُ اليوم قد مضتْ فمَنْ لي بأُخرى في غدٍ قد أَظلَّتِ
فيا مُحْيِيَ المَوْتى أَقِدْني من التي بهـا نَهِلتْ نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بخِلـتْ حتى لَوَ انّـي سأَلتُها قَذى العينِ من سافي التراب لضَنَّتِ
فقلتُ ارحَـلا يـا صاحبيّ فليتني أَرى كلّ نفسٍ أُعْطِيتْ ما تمنَّتِ
حلفتُ لهـا بالله مـا أُمُّ واحدٍ إذا ذكرتْـه آخِـرَ الليـلِ حَنَّتِ
وما وَجْـدُ أَعرابيّـة قذَفتْ بها صُرُوفُ النَّوى من حيث لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ مـاءَ العِضاهِ وطِيبَه وبَرْد الحِمى من بطن خَبْتٍ أَرَنَّتِ[1]
بأَكثرَ منّـي لوعـةً غيرَ أَنّنـي أُجَمْجِمُ أَحشائـي على مـا أَجَنَّتِ[2]

وأَمّا لحن إسحاقَ فإنّه غنّى في : [من الطويل]

لقد بخِلتْ حتى لَوَ انّي سأَلتُها

وأَضاف إليه شيئاً آخر وليس من ذلك الشعر ، وهو : [من الطويل]

فإن بخِلتْ فالبخلُ منهـا سجيّةٌ وإن بذَلتْ أَعطت قليلاً وأَكْدَتِ

قال : ولحنه ثقيلٌ أَوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

[غضب الواثق على مخارق]

أَخبرني الحسن بن عليّ ومحمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبي ، وحدّثني به عمّي عن أَبي جعفر بن دِهْقانةَ النَّديم عن أَبيه قالا : كان الواثق إذا صنع صوتاً[3] قال لإسحاق : هذا وقع إلينا البارحةَ فاسمعْه ، فكان ربّما أَصلح فيه الشيءَ بعد الشيء . فكاده مخارق عنده وقال له : إنّما يستجيد صنعتَك إذا حضر ليُقارِبَك ويستخرجَ ما عندك ، فإذا فارق حضرتَك قال في صنعتك غيرَ ما تسمع ؛ قال الواثق : فأَنا أُحبُّ أَن أَقِفَ على ذلك ؛ فقال له مخارق : فأَنا أُغنّيه «أَيا منشر الموتى» فإنّه لم يعلم أَنّه لك ولا سمعه من أَحد ؛ قال : فافعلْ . فلمّا دخل إسحاقُ غنّاه مخارق وتعمّد لأَن يفسده بجَهْده ، وفعل ذلك في مواضعَ خفيّة لم يعلمها الواثق من قِسمته ؛ فلمّا غنّاه قال له الواثق : كيف تَرى هذا الصوتَ ؟ قال له : فاسدٌ غير مَرْضيّ ؛ فأَمر

1 العضاه : شجر له شوك . الخبت : الوادي العميق ، ويطلق أيضاً على صحراء بين مكّة والمدينة . أرنت المرأة : صاحت مع البكاء .
2 جمجم : أخفى .
3 ل : صوتاً في غناء .

به فسُحِب من المجلس حتى أُخرج عنه ، وأمر بنفيه إلى بغداد . ثم جرى ذكرهُ يوماً . فقالت له فَرِيدةُ : يا أمير المؤمنين ، إنّما كاده مخارق فأفسد عليه الصوتَ من حيث أوهمك أنّه زاد فيه بحذقه نَغَماً وجودةً ، وإسحاق يأخذ نفسَه بقول الحقّ في كلّ شيء ساءه أو سَرّه ، ويفهم من غامض عِلل الصنعة ما لا يفهمه غيره ؛ فليُحضِرْه أمير المؤمنين ويحلِّفه بغليظ الأيمان أن يَصْدُقَه عمّا يسمع ، وأُغنِّيه إيّاه حتى يقف على حقيقة الصوت ؛ فإن كان فاسداً فصدَق عنه لم يكن عليه عتب ، ووافقناه عليه حتى يستوي ، فليس يجوز أن نتركه فاسداً إذا كان فيه فساد ؛ وإن كان صحيحاً قال فيه ما عنده ؛ فأمر بالكتاب بحمله فحُمِل وأُحضِر ، فأظهر الرضى عنه ولزِمه أيّاماً ؛ ثم أحْلفه ليَصْدُقنّ عمّا يمرّ في مجلسه فحلف له . ثم غنّى الواثقُ أصواتاً يسأله عنها أجمع فيُخبر فيها بما عنده ؛ ثم غنَّتْه فريدةُ هذا الصوتَ وسأله الواثق عنه ، فرضِيه واستجاده ، وقال له : ليس على هذا سمعتُه في المرّة الأولى ، وأبان عن المواضع الفاسدة وأخبر بإفساد مُخارِق إيّاها ؛ فسكن غضبُه ووصَل إسحاقَ وتنكّر لمُخارِقٍ مدّة .

[قصّة له مع الواثق بشأن الغناء والألحان]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال حدّثنا محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدّثني إسحاق الموصليّ : أنّه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطّاهِريّ ، وقد كان تكلّم له في حاجةٍ فقُضيت ، فقال له : أعطاك الله أيّها الأمير ما لم تُحِط به أُمنيّةٌ ولا تبلغُه رغبة . قال : فاشتهى هذا الكلامَ واستعاده منّي فأعدتُه . ثم مكثنا ما شاء الله ، وأرسل الواثق إلى محمّد بن إبراهيم يأمره بإخراجي إليه في الصوت الذي أمرني به بأن أُغنّي فيه ، وهو : [من الطويل]

لقد بَخِلتْ حتّى لَوَ انّي سألْتُها

فغنَّيته إيّاه ، فأمر لي بمائة ألفِ درهم . فخرجتُ وأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر أن يأخذ هذا الغناءَ منّي . فلمّا طال مُقامي قلت له : يا أمير المؤمنين ، ليس أحدٌ من هؤلاء المغنّين يقدِر أن يأخذ هذا الصوت منّي ؛ فقال لي : ولِمَ ؟ وَيْحَك ! فقلت : لأنّي لا أُصَحّحه ولا تسخو نفسي به لهم ؛ فما فعلت الجارية التي أخذتَها منّي ؟ (يعني شجا ، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِل مجرّد أغانيها وجنّسه ونسبه إلى شعرائه ومُغنّيه ، وهو الذي في أيدي الناس إلى اليوم) ؛ فقال : وكيف ؟ قال : لأنّها تأخذه منّي ويأخذونه هم منها ؛ فأمر بها فأُخرجتْ وأخذتْه على المكان ؛ فأمر لي بمائة ألف درهم وأذِن لي في الانصراف ؛ وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهريّ حاضراً ، فقلت للواثق عند وَداعي له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لَم تُحِطْ به أُمْنيّةٌ ولم تبلُغه رغبة ؛ فالتفت إليّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : أيْ إسحاقُ أتُعِيد الدعاء ! فقلت : إي والله أُعيده قاضٍ أنا أو مغنّ . وقدِمتُ بغداد ، فلمّا وافى إسحاقُ جئته

مسَلِّماً عليه ؛ فقال لي : وَيْحَك يا إسحاق ؛ أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا أيّها الأمير ؛ قال لي : ويحك ! كنّا أغنى الناس عن أن نبعث إسحاقَ على لحنِنا حتى أفسده علينا . قال عليّ بن يحيى : فحدّثني إسحاق قال : استأذنْتُ الواثقَ عدّة دَفَعات في الانحدار إلى بغدادَ فلم يأذن لي ، فصنعتُ لحناً في : [من الطويل]

خليليّ عُوجا من صدور الرَّواحلِ

ثم غنَّيتُه الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحّة قِسْمته ومُكْث صوتِه أيّاماً ، ثم قال لي : يا إسحاقُ ، قد صنعتُ لحناً في صوتك في إيقاعه وطريقته ، وأمَر من وراء السّتارة فغنّوه ؛ فقلت : قد والله يا أمير المؤمنين بغَّضتَ إليّ لحني وسمَّجتَه عندي ؛ وقد كنتُ استأذنتُه في الانحدارِ إلى بغداد فلم يأذَن لي ؛ فلمّا صَنَع هذا اللّحنَ وقلتُ له ما قلتُ ، أتبعتُه بأن قلت له : قد والله يا أمير المؤمنين اقتصَصْتَ منّي في «لقد بخِلت» وزدتَ ؛ فأذِن لي بعد ذلك .

نسبة هذا الصوت[1]

صوت

[من الطويل]

خليليّ عُوجا من صدور الرَّواحلِ بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ[2]

لعلّ انحدار الدَّمع يُعقب راحةً من الوَجْدِ أو يَشفي نَجِيَّ البَلابلِ[3]

الشعر لذي الرُّمّة ، والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى في البيتين . وللواثق في البيت الثاني وحدَه رَمَلٌ بالبنصر .

[تأسي ابن عيّاش بشعر ذي الرمّة]

أخبرني أحمد بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدَّثني كَثِير بن أبي جعفر الحِزاميّ الكُوفيّ عن أحمد بن[4] جَوّاس الحَنَفيّ عن أبي بكر بن عَيّاش قال : كنتُ إذا أصابتني المصيبةُ تصبّرتُ وأمسكت عن البكاء ، فأجد ذلك يشتدّ عليّ ، حتّى مررتُ ذات يوم بالكُنّاسة[5] ، فإذا أنا بأعرابيٍّ واقفٍ على ناقةٍ له وهو يُنشِد : [من الطويل]

---

1 ديوان ذي الرمّة (مكارتني) : 492–493 .

2 بجرعاء حُزوى في الديوان : بجمهور حزوى ، ويروى ببرقة حزوى . والجمهور : الرملة العظيمة ، والجرعاء : الأرض ذات الحزونة أو الرملة السهلة المستوية ، وحزوى : موضع بنجد .

3 البلابل : الهموم في الصدور .

4 ل : أحمد بن أبي جواس .

5 الكناسة : محلّة بالكوفة .

خليليّ عُوجا منْ صُدور الرَّواحلِ بجَرْعاءِ حُزْوَى فابكيا في المنازلِ
لعلّ انحـــدار الدَّمع يُعْقِب راحةً من الوجدِ أَو يَشفي نَجِيَّ البَلابلِ

فسألتُ عنه فقيل لي : هذا ذو الرُّمَّة ؛ فكنتُ بعدُ إذا أصابتني مصيبة بكيتُ فأجِد لذلك راحة ؛ فقلت : قاتل الله الأعرابيَّ ! ما كان أعلمَه وأفصَح لهجتَه ! .

[مفاضله بين لحنه ولحن والواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه قال : قلت لإسحاق : أيّما أجودُ ، لحنُك في «خليليّ عوجا» أم لحن الواثق ؟ فقال : لحني أجوَدُ قِسْمةً وأكثر عملاً ، ولحنُه أطرَبُ ، لأنّه جعل رَدّتَه من نفس قِسْمته ، وليس يقدِر على أدائه إلاّ متمكّن من نفسه . قال عليّ بن يحيى : فتأمّلت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان بحضرة[1] الواثق أعلمُ منه بالغناء .

[فضّل ابن المعتزّ لحناً للواثق على لحنه]

أخبرني عليّ بن هارون قال : كان عبد الله بن المعتزّ يحلف أنّ الواثق ظلم نفسَه في تقديمه لحنَ إسحاق على لحنه في «لقد بَخِلَتْ» . قال : ومن الدّليل على ذلك أنّه قلّما غُنّي في صوت واحد بلحنين فسقَط أجودُهما وشُهِر الدُّون ، ولا يُشْهَر من اللحنيْن إلاّ أجودُهما ، ولحنُ الواثق أشهرُهما ، وما يَرْوي لحنَ إسحاقَ إلاّ العجائزُ ومَن كَثُرَتْ[2] روايتُه .

[كان الواثق يعرض عليه صنعته]

حدّثني جَحْظة عن ابن المَكّيّ المرتَجِل عن أبيه أحمد بن يحيى قال : كان الواثق يَعْرِض صنعتَه على إسحاقَ فيُصلِح فيها الشيءَ بعد الشيء .

[آخر صوت صنعه]

أخبرنا حسين بن يحيى عن حَمّاد : أنّ آخر صوت صنعه أبوه : «لقد بَخِلَتْ» ، ثم ما صنع شيئاً حتى مات .

[غنّى المعتصم بشعر أبي القنافذ]

أخبرنا هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثني أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال : دخل أعرابيّ من بني سُلَيْم سُرَّ مَنْ رأى ، وكان يُكْنى أبا القَنافِذ ، فحضر بابَ المعتصم مع الشعراء فأُذِن له ؛ فلمّا مَثَل بين يديه أنشده : [من المتقارب]

مِراضُ العيونِ خِماصُ البطونِ طِـوالُ المتـــونِ قصارُ الخُطَا

1 ل : ما كان يحضر مجلس الواثق .
2 ل : من كثرة .

عِتــاق النّحورِ رِقــاق الثغورِ لِطاف الخصورِ خِدَال الشَّوى[1]
عَطابيــل مــن كلّ رَقْراقــةٍ تَلُــوثُ الإزارَ بــدِعْص النَّقا[2]
إذا هُــنّ مَنّيْنَنــا نائــلاً أَبى البُخلُ منهــنّ ذاك المُنَى
إلى النَّفَر البِيضِ أَهــلِ البِطاح وأَهلِ السَّماحِ طَلَبنا النَّدَى
لهــم سَطَــواتٌ إذا هُيِّجــوا وحلمٌ إذا الجهلُ حَلَّ الحِبا[3]
يَبِين لــك الخيرُ في أَوجهٍ لهم كالمصابيحِ تَجْلُو الدُّجى
سَعى الناسُ كي يُدركوا فضلَهم فقصَّر عــن سعيهم مَنْ سَعى
سعــى للخلافــةِ فاقتادَهــا وبــرَّز في السَّبْق لّمــا جرى

قال : فاستحسنها المعتصم وأَمرني فغنَّيت فيها ، وأَمَر للأَعرابيّ بعشرين أَلفَ درهم ولي بثلاثين أَلفَ درهم ؛ وما خرج الناسُ يومئذٍ إلاّ بهذه الأَبيات .

[طلب من علي بن هشام نبيذاً]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : كتبتُ إلى عليّ بن هشام أَطلب منه نبيذاً ، فبعث إليّ جُمانَ بما التمستُ ، وكتب إليّ : قد بعثتُ إليك بشَرابٍ أَصْلَبَ من الصَخْر ، وأَعْتَقَ من الدَّهر ، وأَصْفى من القَطْر .

[عبد الله بن طاهر يكلّف لميس أن تسرق لحناً له وتذيعه]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أَبو عبد الله الهِشاميّ عن أَحمد المَكّيّ قال : لّما صنَع إسحاقُ لحنَه في الرَّمَل[4] : [من الطويل]

أَمــاوِيَّ إنّ المــالَ غــادٍ ورائحٌ ويبقى من المال الأَحاديثُ والذِّكْرُ
وقــد علــم الأَقوامُ لو أَنّ حاتماً يريــد ثَــراءَ المال كان لــه وَفْرُ

وهو رَمَل نادرٌ ، ابتداؤه صِياح ، ثم لا يزال ينزل على تدريج حتى يقطعه على سَجْحة ، وكان كثيرَ الملازمةِ لعبد الله بن طاهر ، ثم تخلَّف عنه مدّة وذلك في أَيّام المأمون ؛ فقال عبد الله لِلَميسَ جاريته : خُذِي لحنَ إسحاق في : [من الطويل]

أَماوِيَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ

1 عتاق النحور : جميلاتها . خدال الشوى : مستديرات الأطراف .
2 عطابيل : جمع عطبول وهي الفتية الطويلة العنق . والرقراقة : هي التي كأن الماء يجري في وجهها . تلوث : تلف . دِعص النقا : كثيب الرمل .
3 إذا الجهل حلّ الحبا : إذا الجهل استفزّ الرجال فحلوا أثوابهم استعداداً للفعل .
4 هذا الشعر ممّا ينسب لحاتم الطائي وسيرد في ترجمته فيما بعد ، والمخاطب فيه زوجته ماوية .

فاخلعيه علي : [من الطويل]

وهبّتْ شَمالٌ آخِرَ اللّيل قَرّةٌ ولا ثـوبَ إلاّ بُرْدُها ورداثيا[1]

وأَلْقِيه على كلّ جارية تُعلِّمينها واشْهَريه وأَلْقِيه على مَن يختلف إليك من جواري زُبَيدة ، وقولي : أَخذتُه من بعض عجائز المدينة ؛ ففعلتْ ، وشاع أَمْرُه حتّى غُنِّي به بين يديّ المأمون ؛ فقال المأمون للجارية : ممّن أَخذتِ هذا ؟ فقالت : من دار عبد الله بن طاهر من لَمِيسَ جاريته ، وأَخبرتني أنّها أَخذتْه من بعض عجائز المدينة . فقال المأمون لإسحاقَ : وَيْلَك ؛ قد صِرتَ تسرِق الغِناءَ وتدّعيه ، اسمعْ هذا الصوتَ ، فسمعه فقال : هذا وحياتِك لحني ، وقد وقَع عليّ فيه نَقْب من لصٍّ حاذق ، وأنا أَغوص عليه حتّى أَعرفَه ؛ ثم بَكَّرَ إلى عبد الله بن طاهر فقال : أهذا حقّي وحُرْمتي وخدمتي ! تأخذ لَمِيسُ لحني في :

أَماويّ إنّ المال غادٍ ورائحٌ

فتغنّيه في : «وهبَتْ شَمال» ؟ وليس بي ذلك ، ولكن بي أنّها فضحَتْني عند الخليفة وادّعتْ أنّها أَخذتْه من بعض عجائز المدينة ؛ فضحِك عبد الله وقال : لو كنتَ تُكْثِر عندنا كما كنتَ تفعل لم تُقْدِم عليك لَمِيسُ ولا غيرُها ؛ فاعتذَر فقبِل عذرَه ، وقال له : أيّ شيء تريد ؟ قال : أُريد أن تُكَذّب نفسَها عند مَن أَلقتْه عليها حتّى يعلم الخليفة بذلك ؛ قال : أفعل ؛ ومضى إسحاقُ إلى المأمون وأَخبره القصّة ؛ فاستكشفها من لَمِيس حتى وقف عليها ، وجعل يعبَث بإسحاق بذلك مدّة .

[سخاء الأمين]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال حدّثتني شَهَواتُ الصَّنّاجة التي كان إسحاق أَهداها إلى الواثق : أنّ محمّداً الأمين لمّا غنّاه إسحاقُ لحنَه الذي صنعه في شعره وهو الثقيل الأوّل : [من المنسرح]

صوت

يـا أَيُّها القائمُ الأمين فدَتْ نفسَك نفسي بالمـال والوَلَدِ

بَسَطْـتَ للنّاسِ إذ وَلِيتَهُـمُ يـداً من الجود فـوق كلّ يدِ

فأَمر له بألف ألفِ درهم ؛ فرأَيتُها قد وصلتْ إلى داره يحمِلها مائةُ فرّاش .

[فهمه لدقائق الشعر]

حدّثني جَحْظة ومحمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنّيتُ الواثقَ : [من الوافر]

---

1 بُردُها في ل : درعها .

صوت

عَفا طَرَفُ القُرَيّـةِ فالكَثِيبُ إلى مَلْحاءَ ليس بهـا عَرِيبُ
تأبَّد رسمُهـا وجـرى عليهـا سَوافي الريح والتُّـربُ الغريبُ

ولحنه ثقيلٌ ثان قال : فقال لي : يا إسحاق ، قد أَحسن ابنُ هَرْمة في البيتين ، فأَيّ شيء هو أَحسنُ فيهما من جميعهما ؟ قال قلت : قوله : «الترب الغريب» ، يريد أَنّ الريح جاءت إلى الأَرض بتراب ليس منها فهو غريب جاءت به من موضعٍ بعيد ؛ فقال : صدقتَ وأَحسنتَ ؛ وأَمر لي بخمسين أَلفَ درهم .

[ابن المدبر يزيد بيتاً على لحن له]

حدّثني عليّ بن سليمان الأَخْفش قال حدّثني محمّد بن الحسن بن الحَرُون قال : كنّا يوماً عند أَحمد بن المُدَبّر ، فغنّاه مغنٍّ كان عنده لحنَ إسحاقَ : [من الطويل]

صوت

فأَصبحتُ كالحَوْمانِ يَنظرُ حسرةً إلى الماءِ عطشاناً وقد مُنِع الوِرْدَا[1]

وقال أَخوه إبراهيم ابن المُدَبّر : زِد فيه : [من الطويل]

وأَمسيتُ كالمسلوبِ مهجةَ نفسه يرى الموتَ في صدّ الحبيب إذا صَدّا

لحنُ إسحاق في هذا البيت من الثقيل الأَوّل بإطلاقِ الوتر في مجرى البنصر .

[ذهل مروان بن أَبي حفصة لسماع شعره]

حدّثني الأَخفش قال حدّثني محمّد بن يزيد الأَزْديّ قال حدّثني شيخ من وَلَد المهلَّب قال : دخل مَرْوانُ بن أَبي حَفْصة يوماً على إبراهيم الموصليّ ، فجعلا يتحدّثان إلى أَن أَنشد إسحاقُ بن إبراهيم مروانَ بن أَبي حَفْصة لنفسه[2] : [من الطويل]

إذا مُضَرُ الحمراءِ كانت أَرُومَتي وقام بنصري خازمٌ وابنُ خازمِ
عطَستُ بأَنفٍ شامخٍ وتناولتْ يدايَ الثُّريّـا قاعداً غيرَ قائمِ

قال : وجعل إبراهيم يحدّث مروانَ وهو عنه ساهٍ مشغول ، فقال له : ما لَك لا تجيبني ؟ قال : إنّك والله لا تدري ، ما أَفرَغ ابنُك هذا في أُذني .

---

1 الحومان : العطشان .

2 تقدّم هذان البيتان في أَوّل هذه الترجمة ورواية الأَوّل منهما هناك ، ص 179 :

إذا كانت الأَحرار أَصلي ومنصبي ودافع ضيمي خازم وابن خـازم

[طرب لشعر أعرابيّ]

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني موسى بن هارون عن يعقوب بن بِشْر[1] : كنتُ مع إسحاق الموصليّ في نُزْهة ، فمرَّ بنا أعرابيّ ، فوجّه إسحاقُ خَلْفَه بغلامه زِياد الذي يقول فيه : [من الطويل]

وقُولا لساقِينا زِيادٍ يُرِقّها فقد هَدَّ بعضَ القوم سَقْيُ زِيادِ

قال : فوافانا الأعرابيّ ، فلمّا شَرِب وسمِع حَنين الدّواليب قال : [من منهوك الكامل]

صوت

بَكَرتْ تَحِنُّ وما بها وَجْدي وأَحِنُّ من وَجْدٍ إلى نَجْدِ
فدموعُها تَحْيى الرِّياضُ بها ودموعُ عَيْني أَقْرَحَتْ خَدِّي[2]
وبساكِني نجدٍ كَلِفْتُ وما يَعني لهم كَلَفي ولا وَجْدي[3]
لو قِيس وجدُ العاشقين إلى وَجْدي لزاد عليه ما عندي

قال : فما انصرف إسحاق إلى بيته إلاّ محمولاً سُكْراً ، وما شرب إلاّ على هذه الأبيات . والغناء فيها لإسحاق هَزَجٌ بالبِنْصَر .

[بساطُ الفضل بن الربيع]

أخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني به الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْد عن محمّد بن عبد الله عن إسحاق قال : دخلتُ على الفَضْل بن الرَّبيع وهو على بساط سُوسَنْجِردِيّ[4] ستيني مُذهَّب يلمع عليه مكتوب : «ممّا أَمَر بصنعته حَمّاد عَجْرَد» ؛ فقال لي : أتدري مَنْ حَمّاد عَجْرَد ؟ قلت : لا ؛ قال : حَمّاد عجرد قد كان واليَ تلك الناحية ؛ أفرأيتَ مثلَه قطُّ ؟ قلتُ : لا ، فسكتَ ، ثمّ قلتُ : أهكذا يفعل الناس ؟ قال : أيّ شيء يفعلونه ؟ قلت : تَهَبُه لي ؛ قال : لا أفعل ؛ قلت : إذاً أغضَبُ ؛ قال : ما شئتَ إفْعَلْ ؛ فخرجتُ مُتغاضباً ؛ فلمّا وافيتُ منزلي إذا برسوله قد لَحِقني بالبساط ؛ فكتبتُ إليه بيتين لحَمْزة بن مُضَر : [من الكامل]

ولقد عدَدْتُ فلستُ أُحصي كلَّ ما قد نِلْتُ منك من المتاع المُونِقِ

---

1 ل : بشير .
2 أقرحت في ل : أحرقت .
3 يعني في ل : يغني .
4 سوسنجرد : قرية من قرى بغداد .

بخديعتـي فـأراك مُنخدعـاً لهـا وفُكاهتـي وتَغَضُّبـي وتملُّقـي

قال ابن أبي سعد في خبره : فلمّا دخلتُ عليه ضحِك وقال لي : البيتان خير من البساط ، فالفضلُ الآن لك علينا .

[مناظرة مع إبراهيم بن المهديّ]

أخبرني يحيى بن عليّ وأحمد بن جعفر جَحْظة عن أبي العَنبس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال : رأيتُ إبراهيم بن المهديّ يناظر إسحاقَ في الغناء ، فتكلّما بما فهماه ولم أفهم منه شيئاً ؛ فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .

[شعره في الواثق]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني إسحاق قال : قدِمتُ على الواثق في بعض قَدَماتي ، فقال لي : أما اشتقتَ إليّ ؟ فقلتُ : بَلى والله يا أمير المؤمنين ، وأنشدتُه : [من البسيط]

أشكو إلى الله بُعدِي عن خليفته وما أُعالج من سُقْمٍ ومن كِبَرِ
لا أستطيعُ رحيلاً إن هَمَمتُ به يوماً إليه ولا أقوى على السَّفَرِ
أنْوِي الرَّحِيلَ إليه ثمّ يمنعني ما أحدَثَ الدَّهرُ والأيّامُ في بَصَري

قال : وقال وقد أشخصه إليه قصيدتَه الداليّة : [من البسيط]

صوت

ضَنّتْ سعادُ غَداةَ البَيْن بالزادِ وأخلفتْكَ فما تُوفي بميعادِ
ما أنْسَ لا أنْسَ منها إذ تُودِّعُنا والحزنُ منها وإن لم تُبْدِه بادي

لإسحاقَ في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى ، يقول فيها : [من البسيط]

لمّا أمَرتَ بإشخاصي إليك هَفا قلبي حنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمتُ ولم أحْفِل ببَيْنِهِمُ وطابتِ النفسُ عن فضلٍ وحَمّادِ
كَمْ نِعمةٍ لأبيك الخيرِ أفردَني بها وعَمَّ بأُخرى بَعْد إفرادِ
فلو شكرتُ أياديكم وأنعُمَكم لما أحاط بها وَصْفي وتَعْدادي
لأشكرنّكَ ما ناح الحَمامُ وما حَدا على الصبح في إثْرِ الدُّجى حادي

قال عليّ بن يحيى : قال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، لو قال الخليفة لإسحاق : أحْضِرني فَضْلاً وحَمّاداً أليس كان قد افتضح من دَمامة خَلْقهما وتخلُّف شاهِدِهما .

[ابن المهديّ يأسف لفقدان مَن يحكم بينهما]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني هِبة الله بن إبراهيمَ بن المهديّ قال : كتب أبي إلى إسحاق في شيء خالفه فيه من التجزئة والقسمة : «إلى مَن أُحاكمك والنّاس بيننا حَمِير ؟» .

[ذهابه إلى تلّ عزاز]

أخبرني محمّد بن خَلَف وكيع قال حدّثنا سليمان بن أيّوب قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدّثنا إسحاقُ قال : كنتُ مع الرشيد حين خرج إلى الرَّقّة ، فدخل يوماً إلى النساء ، وخرجتُ فمضيتُ إلى تَلّ عَزاز ، فنزلتُ عند خَمّارة هناك فسقتني شَراباً لم أَرَ مثلَه حُسْناً وطيباً وطِيبَ رائحةٍ في بيت مرشوش ورَيْحانٍ غَضّ ، وبرزتْ بنتٌ لها كأنّها خُوط[1] بانٍ أو جَدْل عِنان ، لم أَرَ أحسنَ منها قَدّاً ، ولا أَسْيَلَ خَدّاً ، ولا أَعتقَ وجهاً ، ولا أَبرعَ ظَرْفاً ، ولا أَفْتن طَرْفاً ، ولا أحسن كلاماً ، ولا أتمّ تماماً ؛ فأقمتُ عندها ثلاثاً والرشيد يطلبني فلا يقدِر عليّ ؛ ثم انصرفتُ فذهبتْ بي رُسُله ، فدخلتُ عليه وهو غضبان ؛ فلمّا رأيتُه خطَرْتُ في مِشْيتي ورقَصْتُ ، وكانت فيّ فضلةٌ من السُّكْر كبيرة ، وغنَّيْتُ : [من الخفيف]

صوت

إنّ قلبي بالتَّلِّ تَلِّ عَزازِ ... عند ظبي من الظِّباء الجَوازِي[2]
شادنٍ يَسكُنُ الشّآمُ وفيه ... مع دَلّ العِراق ظَرْفُ الحجازِ
يا لَقومي لِبنت قَسٍّ أصابتْ ... منك صفوَ الهوى وليست تُجازِي
حلفتْ بالمسيح أن تُنجز الوعـ ... ـدَ وليست تجود بالإنجازِ

الغناء لإسحاقَ خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن عمرو بن بانة ، قال إسحاق : فسكَن غضبُه ، ثم قال لي : أين كنتَ ؟ فأخبرتُه ؛ فضحك وقال : إنّ مثلَ هذا إذا اتّفق لَطَيِّبٌ ، أَعِدْ غناءك ، فأعدته ، فأُعجِب به ، وأمرني أن أُعيده ليلةً من أوّلها إلى آخرها ؛ وأخذها[3] المغنُّون منّي جميعاً وشَرِبنا إلى طلوع الفجر ، ثم انصرفنا فصلّيت الصبحَ ونِمْت ؛ فما استقْررنا حتى أتى إليّ[4] رسول الرشيد فأمرني بالحضور ، فركبتُ ومَضَيت ؛ فلمّا دخلتُ وجدت ابنَ جامع قد طرَح نفسَه يتمرّغ على دُكّان في الدار لغَلَبة السُّكْر عليه ، ثم قال : أتدري لِمَ دُعينا ؟ فقلت : لا والله ؛ قال : لكنّي أدري ، دُعينا بسبب نَصْرانيّتك الزانية ، عليكَ وعليها لعنةُ الله ؛ فضحكتُ . فلمّا دخلتُ على الرشيد أخبرتُه بالقصّة ، فضحك وقال : صدَق ، عُودوا فيه فإنّي اشتقتُ إلى ما كنّا فيه لمّا فارقتموني ؛ فعُدْنا فيه يومَنا كلَّه حتى انصرفنا .

---

1 خوط : غصن ناعم .
2 الظباء الجوازي : التي اجتزأت بالرطب من البقل والشجر فاستغنت عن الماء .
3 لعلّها وأخذه ، أي الغناء .
4 ل : وافاني .

[شعره إلى المأمون حين وجد عليه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا يَزيد بن محمّد المُهلَّبيّ قال : كان إسحاق قد أظهر التوبة وغيّر زِيَّه واحتَجَر[1] من حضور دار السلطان . فبلغه أنّ المأمون وَجَد عليه من ذلك وتنكَّر ؛ فكتب إسحاقُ إليه وغنّى فيه بعد ذلك : [من الخفيف]

صوت

يا ابنَ عـمِّ النبيّ سمعاً وطاعهْ قـد خلعنـا الرِّداءَ والدُّرّاعهْ
ورجعنـا إلى الصِّناعـة لمّـا كان سُخْطَ الإمام تركُ الصِّناعهْ

الغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو ، وقد ذكر الغَلابِيّ أنّ هذا الشعر لأبي العَتاهية ، قاله لمّا حبسه الرشيد وأمره بأن يقول الشعر ، وذكر حبش أنّ هذا اللحن لإبراهيم .

[تفضيل لحنين له على لحنَيْ ابن سريج ومعبد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني أبي قال : قال لي محمّد بن الحسن بن مُصعَب ، وكان بصيراً بالغناء والنَّغَم ، : لحنُ إسحاق في «تَشَكَّى الكميتُ الجريَ» أحسنُ من لحن ابن سُرَيج ، ولحنُه في «يوم تُبْدي لنا قُتَيْلة» أحسنُ من لحن مَعْبد ، وذلك من أجود صنعة ابن سُرَيج ، وهذا من أجود صنعة معبد . قال : فأخبرتُ إسحاقَ بقوله ، فقال : قد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وزَعْزعتُهما[2] وأنَخْتُ بهما فما بلغتُهما . فأخبرتُ بذلك محمّد بن الحسن ؛ فقال : هو والله يعلم أنّه بَرّز عليهما ، ولكنّه لا يدعُ تعصُّبه للقدماء .

وأخبرني جَحْظة قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق : أنّ رجلاً سأل أباه فقال له : إنّ الناسَ قد كثَّروا في صوتيك : «تشكَّى الكُمَيتُ الجريَ» و«يوم تُبدي لنا قُتَيْلة» ، وقالوا : إنّهما أجود من لَحْنَي ابن سُريج ومَعْبد ؛ قال أبي : وَيْحَك رُمِيت في هذين الصوتين بمعبد وابن سُريج وهُما هُما ، فقربت ووقع القياسُ بيني وبينهما ، وعلى ذلك فقد والله أخذتُ بزمامَيْ راحلتيهما وانتصفتُ منهما .

[تحليل غنائه]

قرأتُ في بعض الكتب أنّ محمّد بن الحسن ، أظنّه ابن مصعَب ، ذكَر إسحاقَ الموصليّ فقال : كانت صنعتُه مُحكمةَ الأُصول ، ونغمتُه عجيبةَ الترتيب ، وقسمتُه مُعدَّلةَ الأوزان ، وكان يتصرّف في جميع بُسُط الإيقاعات ، فأيّ بِساط منها أراد أن يتغنَّى فيه صوتاً قصد أقوى صوت جاء في ذلك البِساط لحُذّاق القدماء فعارَضَه : وقد كان يذهب مذهبَ الأوائل ،

---

1 احتجر : امتنع .
2 زعزعهما : ساقهما سوقاً عنيفاً .

ويسلُك سبيلَهم ، ويقتحم طُرُقَهم ؛ فيَبْني على الرَّسْم فيصيبه ، ويحتذي على المِثال فيَحْكيه[1] ، فتأتي صنعته قويّة وثيقة يجمع فيها حالتين : القوّةَ في الطَّبْع وسهولةَ المسلك ، وخُنْثاً بين كثرة النَّغَم وترتيبها في الصِّياح والإسجاح ؛ فهي بصنعة الأَوائل أَشبهُ منها بصنعة المتوسّطين من الطبقات ؛ فأمّا المتأخّرون فأَحسَنُ أَحوالهم أَن يَرْوُوها فيردّوها . وكان حسنَ الطبع في صياحه ، حسنَ التلطُّف ، لتنزيله من الصِّياح إلى الإسجاح على ترتيب بنَغَم يشاكله ، حتّى تعتدلَ وتتّزن أَعجازُ الشعر في القسمة بصدوره . وكذلك أَصواتُه كلُّها ، وأَكثرها يبتدىء الصوت فيصيح فيه ، وذلك مذهبه في جُلّ غنائه ؛ حتى كان كثير من المغنّين يلقّبونه الملسوعَ ؛ لأَنّه يبدأ بالصِّياح في أَحسن نغمة فتَح بها أَحدٌ فاه ، ثم يردّ نغمتَه فيرجّحها ترجيحاً وينزّلها تنزيلاً حتى يَحُطّها من تلك الشدّة إلى ما يوازيها من اللين ، ثم يَعُود فيفعل مثل ذلك ، فيخرج من شدّة إلى لين ومن لين إلى شدّة ؛ وهذا أَشدُّ ما يأتي في الغناء وأَعزّ ما يُعرف من الصَّنعة . قال يحيى بن عليّ بن يحيى وقد ذكر إسحاقَ في صدر كتابه الذي أَلّف في أَخباره وزاد في بعض ما صنعه : «وكان إسحاق أَعلمَ أَهل زمانه بالغناء ، وأَنفذَهم في جميع فنونه ، وأَضربَهم بالعود وبأَكثر آلات الغناء ، وأَجودَهم صنعةً ، وقد تشبّه بالقديم وزاد في بعض ما صنعه عليه ، وعارَض ابنَ سُريج ومعبداً فانتصف منهما ؛ وكان إبراهيم بن المهديّ ينازعه في هذه الصناعة ولم يَبْلُغه فيها ، ولم يكن بعدَ إسحاقَ مثلُه» .

[تشبيهه لصوت له]

أَخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ قال حدَّثني إبراهيم بن عليّ بن هشام : قال إسحاق وذكر صوته : [من منهوك الكامل]

صوت

كان افتتاحَ بلائيَ النَّظرُ ... فالحَيْنُ سبَّب ذاك والقَدَرُ

قد كان بابُ الصَّبر مُفْتَتَحاً ... فاليومَ أَغْلَقَ بابَهُ النَّظرُ

الشعر والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أَوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وفيه لأَحمد بن المكّيّ خفيفُ ثقيلٍ ، ولِعَريبَ ثاني ثقيلٍ ، جميعاً عن الهشاميّ ، قال إسحاق : ما شبّهتُ صوتي هذا إلاّ بإنسان أَخذ الكُرَةَ على الطَّبْطابة[2] وأَهلُ الميدان جميعاً خَلْفَه ، فلمّا بلغ أَقصى ضربها أَحجزها[3] .

1 ل : فيحكمه .

2 الطبطابة : خشبة يلعب بها بالكرة .

3 ل : أخرجها .

[مع يحيى بن معاذ والأمين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن يزيد المُهلَّبيّ قال حدّثني إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي أيّوب المَدينيّ عن ابن المَكّيّ عن إسحاق قال : صنعتُ هذا الصوت في آخر أيّام الرشيد وكان إذ ذاك يحيى بن مُعاذ يشرب النبيذ ؛ فلمّا كان في أيّام محمّد الأمين غنّيته ، فاشتهاه واشتَهَر به ، وبعث إليّ يحيى بن مُعاذ وأنا أُغنّيه : [من مجزوء الرمل]

اسقِنـــي وابـنَ نَهيكٍ وابنَ يحيـى بـنِ مُعاذِ

فلمّا حضر يحيى غنّيت : [من مجزوء الرمل]

فاسقِني واسقِ نَهيكـاً واسقِ يحيـى بـنَ مُعاذِ

فبعث إليه محمّد فأحضره فقال : لتشربنّ أو لأُعاقبنّك ؛ فلم يبرح حتى شرب قدحاً ، وغلّفه[1] وأمر له بمال ، وسُرّ بذلك محمّد ووهب لي عليه مالاً ، وانصرفتُ إلى البيت ؛ فجاءني رسول يحيى بن معاذ فصِرتُ إليه ، فلم يزل يستحلفني ألّا أعودَ في هذا الصوت قُدّامَ محمّد أبداً ، وأمر لي من المال بشيء فلم أقبله ، ولم أَعُدْ فيه .

[شعر عليّ بن هشام الذي غنّى فيه]

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الرمل]

يومُنـــا يـــومُ رَذاذٍ واصطبـــاحٍ والتـــذاذِ
فاسقني وابنَ نَهيكٍ وابنَ يحيـى بن مُعاذِ
من كُمَيْتٍ عُتّقت للشـ ـيخِ كسرى بن قُباذِ
ليس للمـرء من الهـ ـمّ سواهـا من مَلاذِ

الشعر لعليّ بن هِشام ، والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو .

أخبرني بقوله عليّ بن هشام والحسن بن عليّ قالا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن القاسم الهاشميّ[2] قال حدّثني أبو عبد الله الهلاليّ قال : كنتُ عند عليّ بن هشام يوماً إذ رَشّت السماءُ رشّاً وطَشّت ؛ فأنشأ عليّ يقول : [من مجزوء الرمل]

يومُنا يـــومُ رذاذٍ واصطبـاحٍ والتذاذِ

1 غلفه : طيّبه بالطيب .

2 ل : الهشاميّ .

وذكر الأبيات الأربعة ، ثم قال لغلامه : اذهب إلى أحمد بن يحيى بن معاذ وقُل له : يقول لك أخوك : هذا يوم طيّب ، فتعالَ أنت وغلاماك بُنَان وعثعث ؛ فجاء إلى بابه الرسولُ وعليه غُرَماءُ له ، فمنعوه الدخولَ عليه ؛ فقال لهم : كم لكم عليه ؟ قالوا : مائتا ألف درهم ؛ فرجع الغلام إلى عليّ بن هشام فأخبره بالخبر ومبلغ ما لهم عليه من الدَّيْن ؛ فقال له : احملْ إليه مائتي ألفِ درهم وجىءْ به وبغلامَيْه الساعةَ فحملها ؛ فجاء أحمدُ بن يحيى ومعه غلاماه ، فقال لعليّ بن هشام : لِمَ تَحمَّلت هذا لي ؟ أنا والله مُنتظر مالاً يجيء فأعطيهم ؛ فقال له : مالي ومالُك واحدٌ . فتغدّيتُ معهما حتى جاءت الحلواء ؛ فقال : أكثِر من الحلواء فلستَ تدخل معنا في ديواننا (يعني الشُّرْبَ) ؛ فأكلتُ وغسلتُ يديّ ؛ فقال لغلامه سِراج : احمِلْ مع أبي عبد الله الهلاليّ ثلاثين ألفَ درهم ؛ فانصرفتُ وهي معي .

[تذكّر في كبره شعراً له فبكى]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا سليمانُ المَدائنيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال حدّثني إسحاق قال : تعشّقتُ جاريةً فقلت فيها : [من الخفيف]

هـل إلى أن تنامَ عيني سبيلُ إنّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ
غاب عنّي مَنْ لا أُسمِّي فعَيْني كلَّ يـوم عليـه حُزْناً تَسِيلُ

الشعر والغناء لإسحاق رَمَلٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ آخر . وفيه لمحمّد بن حمزةَ وَجْه القَرْعة خفيفُ ثقيلٍ ، وقيل : إنّه لابن المَكّي . وفيه رَمَلٌ بالوسطى يُنسب إلى عَلّويه وإلى حسين مُحْرِز ، قال إسحاق : ثم ملكتُها ، فكنت مشغوفاً بها ، حتى كَبِرتُ واعتلَّتْ عليَّ عيناي ، فذكرتُ هذا الصوتَ وأيّامَه المتقدّمة ، فما زلتُ أبكي وأذكر دهري الذي تولّى . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ عن يزيد المُهَلَّبيّ عن إسحاق ؛ وليس هذا على التمام .

[حكم يحيى المكّي على لحن له]

أخبرني جَحْظة عن محمّد بن أحمد بن يحيى المَكّيّ عن أبيه قال : دعا المأمونُ بإسحاق فأحْضِرَه ، فأمره أن يُغنّي في هذا الصوت : [من الخفيف]

هل إلى أن تَنامَ عَيْني سبيلُ

فغنّاه ؛ وكنتُ حاضراً فقلت : أحسنَ والله يا أمير المؤمنين ، وما عدا بلحنه معنى شعره ؛ فقال المأمون : فإنّا نُردّ الحُكمَ إلى مَنْ هو أعلم بذلك منك ؛ فبعث إلى أبي (يعني يحيى المكّيّ) فجيء به ، فخبَّره بما قلتُ وما قال ، وأمَر إسحاقَ بردّ الصوت فردَّه ؛ فقال يحيى : أحسنَ إسحاقُ في غنائه وأحسَنَ ابني في استحسانه ، إلاّ أنّ هذا اللحنَ يحتاج أن يُسمَعَ من غير حَلْق إسحاق ؛ فضحِك المأمون ، وأمر لإسحاقَ بمال وأمر لأبي بمثله ولي بمثله . قال : ولم يكن

في إسحاق شيء يُعاب إلاّ حَلْقُه ، وكان يغلب الناسَ جميعاً بطبعه وحِذْقه .

[سبب ضعف بصره]

قال : وأمّا السبب في علّة عين إسحاق وضعفِ بصره ، فأخبرني به محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني به أبو أيّوب المَدِينيّ قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ : أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصِيف نازَع إسحاقَ في شيء بين يدي الرشيد من الغناء ، فردّ عليه ، فشَتَمه ، فردّ عليه إسحاقُ وأَرْبى في الردّ ؛ فقال له إبراهيم : أتردّ عليّ وأنا مولى أمير المؤمنين ! فقال له : اسكُتْ فإنّك من مَوالي العِيدين[1] ؛ فقال له الرشيد : وأيُّ شيء موالي العيدين ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، يُشْتَرى للخلفاء كلُّ صانع وكلُّ ضربٍ في العبيد للعتق ؛ فيكون فيهم الحَجّامُ والحائك والسائس ؛ فهو أحد هؤلاء الذين ذكرتُ . قال : وخرج إبراهيم فوقف له على طريقه ، فلمّا جاز عليه مُنْصَرِفاً ضرب رأسَه بِمِقْرَعةٍ فيها مِعْوَلٌ ؛ فكان ذلك سببَ ضعف بصر إسحاق . وبلغ الرشيدَ الخبرُ ، فأمر بأن يُحجَبَ عنه إبراهيمُ ، وحلف ألاّ يدخلَ عليه ؛ فدَسّ إلى الرشيدِ من غنّاه : [من الخفيف]

صوت

مَـنْ لعبـدٍ أذلّـــه مـولاهُ ما لـــه شافـعٌ إليه سواهُ

يشتكي مـا به إليه ويخشا هُ ويرجوه مثلَ ما يخشاهُ

الشعر لأبي العتاهية ، والغناء لإبراهيم ابن أخي سَلَمة الوَصيف خفيفُ رَمَلٍ . وفيه لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ . وقيل : إنّ لابن جامع فيه خفيفَ رملٍ آخر ، فلمّا غُنِّي الرشيدُ بهذه الأبياتَ ، سأل عن صاحب لحنها فعُرِّفَه ، فحلف ألاّ يرضى عنه حتى يرضى إسحاقُ ؛ فقام إسحاق فقال : قد رَضِيتُ عنه يا سيّدي رضاءً حسناً ، وقبّل الأرضَ بين يديه شكراً لما كان من قوله ؛ فرضي عنه وأحْضِر وأمره بتَرَضّي إسحاقَ ففعل .

[بينه وبين إبراهيم ابن أخي سلمة]

وأخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : جاء إبراهيم ابن أخي سَلَمة إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّي أحبّ أن تشرّفني بأن تكون نَوْبتي ونوبةُ إسحاقَ الموصليّ في مكان واحد ، وأن يكون دخولي إليك ودخوله في مكان ، فإنْ رأيتَ أن تجعلَ ذلك كما سألتُ فعلتَ ؛ قال : قد فعلتُ ؛ ولم أكن حاضراً لمسألته . فلمّا كان يومُ دخولي عليه جاءني إبراهيم فدقّ بابي دقّاً عنيفاً وعرّفني الغلامُ خبرَه ؛ فقلتُ له : يدخل ؛ فأبى وقال له : قُل له اخرج أنت ؛ فساء ظنّي واغتممتُ ، فخرجتُ إليه فقلت له : ما الخبر ؟ قال : إنّ أمير

1 ل : العيرين .

المؤمنين يأمرك بالحضور ويأمرك ألاّ تدخل الدارَ إلاّ معي بعد أن أُوجِّه إليك فتركب إليّ وتمضي معي ؛ فمضيت معه على رغمي وأنا منكسر ، وكنت بقيّةَ يومي على تلك الحال . ثم ركبت إلى الفضل بن الرَّبيع فشكوتُ ذلك إليه ؛ فقال : ما أرى أميرَ المؤمنين يُحِلُّك هذا المحلَّ ، قم بنا إليه ؛ فقمتُ معه ، فدخل إلى الرشيد فقال له : يا أمير المؤمنين ، إسحاقُ وخدمتُه وحقوقُ أبيه عليك وعلى أمير المؤمنين المهديّ تضع مقدارَه أن تجعله مضموماً إلى إبراهيم ابن أخي سَلَمة ؟ قال : لا والله ما فعلتُ هذا ؛ قال : إنّه قد جاءني يبكي ويحلِف إن جرى عليه هذا تاب من الغِناء وتركَه جملةً ، ثم لو قُتل لم يَعُدْ إليه ؛ فقال : ويحك ؛ والله ما جرى من هذا شيء ، إلاّ أنّ إبراهيم ابن أخي سَلَمة جاء فقال : تشرّفني أن تجعل نوبتي مع نوبة إسحاق ووصولي مع وصوله ففعلت ؛ فقل له : يجيء متى شاء وينفرد عنه ولا يجيء معه ولا كرامةً ؛ فأخبرني فرجعت . فلمّا كانت نوبتي جاء إبراهيم إليّ ففعل مثلَ فعله ؛ فقلت لغلامي : اخرج إليه فقُل له : ولا كرامةَ لك يا زاني يا ابنَ الزانية ، لا أجيء معك ولا أَدَعُك تجيء معي أيضاً ، وشَتَمه أقبحَ شتم ؛ فخرج الغلام فأدّى إليه الرسالة ؛ فعلم أنّ هذا لم يتجرّأ عليه إلاّ بعدَ تَوثُّق فخجِل ، فقال له : قُل له : ومَن أكرهك على هذا ! إنّما أحببتُ أن نصطحبَ ونَتأنَّس في طريقنا ، فإن كَرِهتَ هذا فلا تفعلْه ؛ وانصرَفَ ولم يعاودْني بعدها .

[صوت إذا غنّاه بكى]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال : كان إسحاق إذا غَنّى هذا الصوتَ يأخذ بلِحْيته ويبكي : [من الطويل]

إذا المرءُ قاسى الدهرَ وابيضَّ رأسُه ... وثُلِّم تثليمَ الإناء جوانبُهْ

فلَلْموتُ خيرٌ من حياةٍ خَسيسةٍ ... تُباعده طوراً وطوراً تُقاربهْ

الشعر لزبّان بن سَيَّار الفَزاريّ ، حدّثني بذلك الحِرْميّ بن أبي العَلاء عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه . والغناء لإسحاقَ رَمَلٌ بالوسطى .

[جفاه المأمون فأمر عَلّويه أن يغنّيه بشعرٍ له]

أخبرنا محمّد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق قال[1] : أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهراً لا يسمع حرفاً من الأغاني ، فكان أوّلَ مَن تَغَنّى بحضرته أبو عيسى بن الرشيد ، ثم واظب على السماع متستّراً متشبِّهاً في أوّل أمره بالرشيد ، فأقام كذلك أربعَ حِجَج ، ثم ظهر إلى النُّدماء والمغنّين . وكان حينَ أحبَّ

1 ورد هذا الخبر في التذكرة الحمدونية 5 : 43–44 (رقم 65) .

السماعَ سأَل عنِّي ، فجُرِحتُ بحضرته ، وقال الطاعن عليّ : ما يقول أَمير المؤمنين في رجل يَتيه على الخلافة[1] ؟ قال المأمون : ما أَبقى هذا من التّيه شيئاً إلاّ استعمله . فأَمسك عن ذكري ، وجفاني مَن كان يصلني ، لسوء رأيه الذي ظهر فيّ ؛ فأضرّ ذلك بي ؛ حتّى جاءني عَلّويه يوماً فقال لي : أَتأذَن لي في ذكرك ؟ فإنّا قد دُعينا اليوم ؛ فقلت : لا ولكن غَنِّه بهذا الشعر ، فإنّه سيبعثه على أَن يسأَلك : لَمن هذا ؛ فإذا سأَلك انفتح لك ما تريد ، وكان الجوابُ أَسهلَ عليك من الابتداء ؛ فقال : هات ، فأَلقيتُ عليه لَحْني في شعري : [من البسيط]

صوت

يا سَرْحةَ الماءِ قد سُدَّتْ مواردُه ... أَما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ[2]

لحائمٍ حامَ حتّى لا حِيامَ له ... مُحلَّأٍ عن طريقِ الماء مطرودِ[3]

الغناء لإسحاق رَمَلٌ بالوسطى عنه وعن عمرو قال : فمضى عَلّويه ، فلمّا استقرَّ به المجلس ، غنّاه بالشعر الذي أَمرتُه ؛ فما عدا المأمون أَن يسمع الغناء حتى قال : ويحك يا عَلّويه ، لَمن هذا ؟ قال : يا سيِّدي ، لعبد من عبيدك جفوتَه واطّرحتَه من غير جُرْم ؛ فقال : أَإسحاقَ تَعْني ؟ قال : نعم ؛ قال : يحضر الساعةَ ؛ فجاءني رسوله فصرت إليه . فلمّا دخلتُ عليه قال : ادنُ فدنوت ، فرفع يديه مادًّهما ، فانكببتُ عليه ، واحتضنني بيديه ، وأَظهر من بِرّي وإكرامي ما لو أَظهره صديق مؤانس لصديقه لَبَرَّه .

[المعتضد يثني على غناه بشعره]

أَخبرني محمّد بن إبراهيم الجُرْجانيّ قُرَيْض قال : قال لي أَحمد بن أَبي العَلاء : غنّيت المعتضدَ يوماً وهو أَميرٌ صوتَ إسحاق : [من البسيط]

يا سرحةَ الماء قد سُدَّتْ مواردُه ... أَما إليكِ طريقٌ غيرُ مسدودِ

فطرب واستعاده مراراً ، وقال : هذا والله الغناء الذي يُخالط الرُّوحَ ويُمازِجُ اللحمَ والدم .

[صوته في شعر له كان الناس يتهادونه كالطرف]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أَبو العَنبس بن حَمْدون قال أَخبرني أَبي قال : لمّا غَنّى إسحاقُ في شعره هذا : [من المتقارب]

---

1 ل : الخليفة .

2 سرحة الماء : كنى بها عن امرأة .

3 المحلأ : الممنوع من ورود الماء .

صوت

لأسماءَ رَسْمٌ عفا باللِّوَى أقامَ رَهيناً لطُول البِلَى
تَعاورَه الدَّهرُ في صَرْفِه بكَرٍّ الجديدَيْن حتّى عفا

الشعر لإسحاقَ من قصيدة مدَح بها الرشيدَ ، والغِناء له ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وفيه لسُلَيم ثقيلٌ أوّلُ من رواية الهِشاميّ ، وذكر حَبَشٌ أنّه لإبراهيمَ بنِ المهديّ ، قال : فكان الناس يتهادَوْنه كما يتهادَوْن الطُّرْفةَ والباكورةَ . وقال أبو العَنبس حدّثني ابن مُخارِق[1] : أنّ الواثق بعث إلى أبيه مُخارق لمّا صنع إسحاقُ هذا الصوتَ ليُلقيَه عليه ، فصادفه عليلاً ، ولم يكن أحد يَلْقَنُ عن إسحاق طَرْحَ الغناء كما يَلْقَنُه مُخارِق ، فأعاد إليه الرسولَ ومعه مِحَفّة ، وقال : لا بدّ أن يجيء على كلّ حال ؛ فتحامل وصار إليه حتى أخذ الصوتَ عن إسحاق ورجع .

[يتحلّى الشجاعة والفروسيّة]

وذكر محمّد بن الحسين الكاتب عن أبي حارثَة الباهليّ عن أخيه أبي معاوية[2] : أنّ إسحاق كان يتحلّى بالشجاعة والفُروسيّة ويحبّ أن يُنسَبَ إليهما ، ويركب الخيل ويتعلّم بها آفة من الآفات المعترضة على العقول . وكان قد شهِد بعضَ مشاهد الحروب فأصابه سهم فنكَصَ على عَقِبَيْه ؛ فقال أخوه طَيّاب فيه : [من المتقارب]

وأنت تكلّفتَ ما لا تُطيق وقلتَ أنا الفارسُ المَوْصِلِي
فلمّا أصابتك نُشّابةٌ رجعتَ إلى سنّك الأوّلِ

[حديث حمزة الزيّات معه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : قال لي حمزة الزيّات القارىء[3] : يا موصليّ ، إنّ لي فيك رأياً ، أفترضَى مع فهمك وأدبك ورأيك أن يكون عِوَضُك من الآخرة فضلَ مَطْعَم على مَطْعَم ! .

[شعر الأصمعيّ أو ابن المنذر العروضي فيه]

حدّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال أنشدني أبو سعيد السُّكّريّ قال أنشدني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ لعمّه يقول لإسحاق : [من البسيط]

أئنْ تَغنَّيتَ للشَّربِ الكرامِ «ألا ردّ الخليطُ جمالَ الحيّ فانفرقوا»

---

1 ل : هارون بن مخارق .

2 قارن بالتذكرة الحمدونية 7 : 272 (رقم 1168) .

3 هذا خبر مستغرب . فحمزة القارىء توفّي سنة 156 في خلافة المنصور ، وإسحاق ولد سنة 150 .

وقيل أحسنتَ فاستدعاك ذاك إلى ما قلتَ ويحك لا يَذهَبْ بك الخَرَقُ
وقيل أنت حُسانُ الناسِ كلِّهمُ وابنُ الحُسانِ فقد قالوا وقد صدَقوا
فما بهذا تقوم النادباتُ ولا يُثْنَى عليك إذا ما ضَمَّك الخِرَقُ

قال يحيى بن عليّ : إنّ هذه الأبيات تُرْوَى لابن المُنْذِر العَرُوضيّ وللأصمعيّ .

[فساد ما بينه وبين الأصمعيّ]

قال مؤلّف هذا الكتاب : كان إسحاق يأخذ عن الأصمعيّ ويكثر الرواية عنه ، ثم فسد ما بينهما ، فهجاه إسحاق وثلَبه وكشَف للرشيد معايبَه ، وأخبره بقلّة شكره وبُخْله وضِعَة نفسه وأنّ الصَّنيعة لا تَزْكُو عنده ، ووصف له أبا عُبَيدة مَعْمَر بنَ المُثَنَّى بالثقة والصدق والسماحة والعلم ؛ وفعل مثلَ ذلك للفَضْل بن الربيع واستعان به ؛ ولم يزل حتى وضع مرتبةَ الأصمعيّ وأسقطه عندهم ، وأنفذوا إلى أبي عُبَيدة مَنْ أقدمه .

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أنشدتُ الفضلَ بن الرَّبيع أبياتاً كان الأصمعيّ أنشدنيها في صفة فرس : [من الرجز]

كأنّه في الجُلِّ وهو سامي مُشتمِلٌ جاءَ من الحَمّامِ[1]
يَسُور بين السَّرْج واللِّجامِ سَوْر القَطامِيّ إلى اليَمامِ[2]

قال : ودخل الأصمعيّ فسمعني أُنْشدها ، فقال : هاتِ بقيّتها ؛ فقلت له : ألم تقل إنّه لم يبقَ منها شيء ؟ فقال : ما بقي منها إلاّ عيونها ، ثم أنشد بعد هذه الأبيات ثلاثين بيتاً منها ، فغاظني فعله ؛ فلمّا خرج عرّفت الفضلَ بن الربيع قلّة شكره لعارفة[3] وبخلَه بما عنده ؛ ووصفتُ له فضلَ أبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنَّى وعلمَه ونزاهتَه وبذلَه لما عنده واشتمالَه على جميع علوم العرب ، ورَغَّبتُه فيه ، حتى أنفذَ إليه مالاً جليلاً واستقدمه ؛ فكنتُ سببَ مجيئه به من البصرة .

أخبرني عمّي قال حدّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : جاء عطاءُ المُلْك[4] بجماعة من أهل البَصْرة إلى قُرَيْب أبي الأصمعيّ ، وكان نَذْلاً من الرجال ، فوجده ملتفّاً في كِسائه نائماً في الشمس ، فركَضه برجله وصاح به : يا قُرَيْب ، قُم ويلك ؛ فقال له : هل لقيتَ أحداً من أهل العلم قطُّ أو من أهل اللغة أو من العرب أو من الفقهاء أو من المحدِّثين ؟ قال : لا والله ؛ قال : ولا سمعتَ شيئاً تَرويه لنا أو تُنشدناه أو نكتبه عنك ؟ قال : لا والله ؛ فقال لمن حضر : هذا أبو

1 الجل : غطاء للدابة .
2 يسور : يثب ويثور . القطامي : الصقر .
3 العارفة : المعروف .
4 ل : الملط .

الأصمعيّ ، فاشهدوا لي عليه وعلى ما سمعتم منه ، لا يَقُلْ لكم غداً أو بعده : حدّثني أبي أو أنشدني أبي ؛ ففضَحه . قال الفضل : ثم مرِض الأصمعيّ ، وكان الحال بينه وبين إسحاق الموصليّ انفرجتْ ؛ فعاده أبو رَبيعة ، وكان يرغب في الأدب ويَبَرّ أهلَه ؛ فقال له الأصمعيّ : أقرضْني خمسة آلاف درهم ؛ فقال : أفعل . فقال له أبو ربيعة : فأيّ شيء تشتهي سوى هذا ؟ فقال : أشتهي أن تُهدِي إليّ فصّاً حسناً وسيفاً قاطعاً وبُرْداً[1] حسناً وسرجاً مُحَلًّى ؛ فقال : أفعل ، وبعث بذلك إليه لمّا عاد إلى منزله . وبلغ ذلك إسحاق فقال : [من الوافر]

أليس من العجائب أنّ قِرْداً ... أُصَيْمِعَ باهِليّاً يستطيلُ
ويزعمُ أنّه قد كان يُفْتي ... أبا عمرٍو ويسأله الخليلُ[2]
إذا ما قال قال أبي عجبنا ... لِما يأتي به ولِما يقولُ
وما إن كان يَدْرِي ما دَبيرٌ ... أبوه إن سألتَ وما قَبِيلُ[3]
وجَلَّله عطاءُ المُلْكِ عاراً ... تزول الراسياتُ ولا يزولُ[4]
نصحتُ أبا ربيعةَ فيه جُهْدِي ... وبعضُ النصح أحياناً ثقيلُ
فقُل لأبي رَبيعةَ إذ عصاني ... وجارَ به عن القصد السبيلُ
لقد ضاعتْ برودُك فاحتسبْها ... وضاع الفَصُّ والسيفُ الصقيلُ
وسرجٌ كان للبِرذَوْنِ زَيْناً ... له في إثْره جَزَعاً صهيلُ
وأمّا الخمسةُ الآلافِ فاعلمْ ... بأنّك غَبْنَها لا تستقيلُ
وأنّ قضاءها فتَعَزَّ عنها ... سيأتي دونه زمنٌ طويلُ

[الواثق يهبه وصيفة أعجبته فأنشده شعراً للمرّار وعناه فيه فوهبها له]

حدّثني محمّد بن مَزْيد قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كنت جالساً بين يدي الواثق وهو وليّ عهد ، إذ خرجتْ وصيفةٌ من القصر كأنّها خُوطُ بانٍ ، أحسنُ مَنْ رأتْه عيني قطُّ ، تَقْدُمُ عدّةَ وصائفَ بأيديهنّ المَذابُّ والمناديل ونحوُ ذلك ، فنظرتُ إليها نَظَر دَهِشٍ وهو يَرْمُقُني . فلمّا تبيّن إلحاحَ نظري قال : مالكَ يا أبا محمّد قد انقطع كلامُك وبانت الحيرةُ

1 ل : وبرذوناً .
2 يقصد أبا عمرو بن العلاء إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة والشعر ، والخليل بن أحمد النحوي العروضي .
3 إشارة إلى المثل : ما يعرف قبيلاً من دبير (مجمع الميداني 2 : 269 وجمهرة العسكري 2 : 286 ومستقصى الزمخشري 2 : 337 .
4 الملك في ل : الملط .

فيك ؟ فتلجلجتُ ؛ فقال لي : رمْتك والله هذه الوصيفةُ فأصابت قلبَك ! ؛ فقلت : غيرُ ملوم ؛ فضحك ثم قال : أنشدْني في هذا المعنى ؛ فأنشدتُه قولَ المَرَّار[1] : [من الطويل]

أَلِكْني إليها عَمْرَك اللهَ يا فتى ... بآية ما قالت متى هو رائحُ[2]
وآيةِ ما قالت لهنّ عَشِيَّةً ... وفي السِّتر حُرّاتُ الوجوه مَلائحُ
تَخَيَّرْنَ أَرْماكُنّ فارْمِينَ رميةً ... أخا أَسدٍ إذ طرّحتْه الطوارحُ
فلَبَّسْنَ مِسْلاسَ الوِشاحِ كأنّها ... مَهاةٌ لها طِفْلٌ بِرُمّانَ راشِحُ[3]

فقال له الواثق : أحسنتَ بحياتي وظَرُفتَ ، اصنعْ فيها لحناً ؛ فإن جاء كما نريد وأطربَنا فالوصيفةُ لك ؛ فصنعتُ فيه لحناً وغنّيته إيّاه ، فاصطبح عليه وشرب بقيَّةَ يومه وليلته حتى سكِر ، ولم يقترح عليّ غيرَه ، وانصرفتُ بالجارية .

[غنّى الواثق وهو لقس النفس فأطربه]

حدّثني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : دخلت على الواثق يوماً وهو خاثر النفْس ، فأخذتُ عوداً من الخِزانة ووقفتُ بين يديه فغنّيته : [من البسيط]

من الظباءِ ظبـاءٌ هَمُّها السُّخُبُ ... ترعى القلوبَ وفي قلبي لها عُشُبُ
أهوَى الظباءَ اللواتي لا قُرونَ لها ... وحليُها الدُّرُّ والياقوتُ والذهبُ
لا يَغْتَرِبْـنَ ولا يسكُنَّ باديـةً ... وليس يَعْرِفنَ ما صَرٌّ ولا حَلَبُ
وفي الذين غَدَوْا ، نفسي الفداء لهم ، ... شمسٌ تَبَرقـعُ أحيانـاً وتَنتقبُ
يا حسنَ ما سَرَقتْ عيني وما انتهبتْ ... والعـينُ تَسرِق أحيانـاً وتنتهبُ
إذا يـدٌ سَرَقتْ فالقطعُ يلزمها ... والقطعُ في سَرَق العينين لا يَجبُ

قال : فهَشّ إليّ ونشِط ودعا بطعام خفيف وأكلْنا واصطبح وأمر لي بمائة ألف درهم . وأخبرني به الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرويه عن عليّ بن الحسن عن إبراهيم بن محمّد الكَرْخيّ عن إسحاق ، فذكر مثلَه ؛ وقال فيه : فأمر لي بعشرة آلاف درهم .

[طلب من المأمون أن يدخل المقصورة معه يوم الجمعة]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن أخيه محمّد قال : كان إسحاق الموصليّ يدخل في مُبَطَّنة وطَيْلَسان مثل زِيّ الفقهاء على المأمون ؛ فسأله أن يأذَن له في

1 هو المرّار الفقعسي وستأتي ترجمةٌ له .
2 ألكني : تحمل إليه رسالتي .
3 رمان : قصر بنواحي واسط . والراشح : الصغير الذي أخذ يمشي مع أمّه أو خلفها .

دخول المقصورة يوم الجمعة بدُرّاعة سوداءَ وطَيْلَسان أسود ؛ فتبسّم المأمون وقال له : ولا كلّ هذا بمرّة يا إسحاق ، ولكن قد اشترينا منكَ هذه المسألة بمائة ألف درهم حتى لا تغتمّ ، وأمر بحملها إليه فحُملت .

[أبو خالد الأسلميّ يمدحه ويقدّم شعره]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيَّات عن أبي خالد الأَسْلَميّ : أنّه ذكر إسحاق يوماً وكان يفضّله ويعظّم شأنه ويقدّمه في الشعر تقديماً مُفْرِطاً ، فقال : ما قولكم في رجل محدَث تَشَبَّه بذي الرُّمّة وقال على لسانه شعراً وغنّى فيه ونَسَبه إليه ، فلم يَشكُكْ أحدٌ سمعه أنّه له ولا فَطِن لما فعل أحد إلاّ مَنْ حَصَّل شعرَ ذي الرمّة كلَّه ورواه ؛ فسئل أبو خالد عن هذا الشعر فقال : [من الطويل]

ومَدْرَجةٍ للـريح تَيْهـاءَ لم تكن ... لِيَجْشَمَهـا زُمَّيْلـةٌ غيـرُ حازمِ
يَضِلّ بها الساري وإن كان هادياً ... وتَقْطَعُ أنفـاسَ الريـاح النواسمِ
تَعَسَّفتُ أفْري جَوْزَهـا بشِمِلَّةٍ ... بعيدةِ مـا بـين القَرَا والمَناسمِ[1]
كأنَّ شِرارَ المَرْوِ من نَبْذِها بـه ... نجومٌ هَوَتْ أُخرى الليالي العواتمِ[2]

[غنّى المأمون بشعر في اللذات]

حدَّثني عمّي وأحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : غنَّيتُ المأمونَ يوماً هذين البيتين : [من الطويل]

لأحسنُ مـن قَرْعِ المَثاني ورجعِها ... تَواتُـرُ صوتِ الثغـر يُقـرَعُ بالثغرِ
وسكرُ الهـوى أروَى لعظمي ومَفْصِلي ... من الشُّرب في الكاسات من عاتق الخمرِ

فقال لي المأمون : ألا أخبركَ بأطيبَ من ذلك وأحسن ؟ الفراغُ والشباب والجِدَة .

[أعتق غلامه لحسن جوابه]

حدَّثني الصُّولي قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال : كان لإسحاق غلام يقال له فَتْح ، يستقي الماءَ لأهل داره على بغلين من بغاله دائماً ؛ فقال إسحاق : قلت له يوماً : أيُّ شيء خبرُك يا فَتْح ؟ قال : خبري أنّه ليس في هذه الدار أحدٌ أشقى منّي ومنك ؛ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : أنت تُطعم أهل الدار الخبز وأنا أسقيهم الماء ؛ فاستظرفتُ قولَه وضحكتُ منه ، ثم قلت له : فأيّ شيء تحبُّ ؟ قال : تُعتقني وتَهب لي البغلين أستقي عليهما ؛ فقلت له : قد فعلت .

---

1 جوز الشيء : وسطه ومعظمه . والشملة : الناقة السريعة . والقرا : الظهر ، والمناسم : الأخفاف .

2 المرو : حجارة بيض رقاق .

[شعره في أبي البصير]

أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمّد الأسَديّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : كان لأبي البَصير الشاعر قِيانٌ ، وكان يتكلّم في الغناء بغير علم ولا صواب فيُضْحَك منه ، فقال أبي فيه : [من الوافر]

سكتُّ عن الغناء فما أُماري ... بصيراً لا ولا غيرَ البصيرِ
مخافةَ أن أُجنّن فيه نفسي ... كما قد جُنَّ فيه أبو البصيرِ

[نهاه الرشيد عن الغناء إلاّ له أو لجعفر بن يحيى]

أخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : نهاني الرشيدُ أن أُغنّي أحداً غيرَه ، ثم استوهبني جعفرُ بن يحيى وسأله أن يأذنَ لي في أن أُغنّيه ففعل ، واتّفقنا يوماً عند جعفر بن يحيى وعنده أخوه الفضل ، والرشيدُ يومئذٍ بعَقِب علّة قد عُوفي منها وليس يشرَب ؛ فقال لي الفضل : انصرفْ إليّ الليلة حتى أَهَبَ لك مائة ألف درهم ؛ فقلت له : إنّ الرشيد قد نهاني ألاّ أُغنّي إلاّ له أو لأخيك ، وليس يخفى عليه خبري ، وأنا متّهم عنده بالمَيل إليكم ، ولستُ أتعرّض له ولا أُعرِّضك ، ولم أُجبه . فلمّا نكَبهم الرشيد قال : إيهٍ يا إسحاق ، تركتني بالرَّقّة وجلستَ ببغداد تغنّي للفضل بن يحيى ! فحلفتُ بحياته أنّي ما جالستُه قطُّ إلاّ على المذاكرة والحديث ، وأنّه ما سمعني قطّ أُغنّي إلاّ عند أخيه جعفر ، وحلفت بتربة المهديّ أن يسأل عن هذا جميعَ مَنْ في الدار من نسائه ؛ فسأل عنه فحدّثْنه بمثل ما ذكرتُه له ، وعرف خبر المائة الألف الدرهم التي بذلها لي فرددتُها عليه . فلمّا دخلت عليه ضحِك إليّ ثم قال : قد سألتُ عن أمركَ فعَرفتُ منه مثل ما عرّفتني ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم عوضاً ممّا بذله لك الفضل .

[تحدّث بحديث لا إسناد فيه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون[1] عن إسحاق أنّه كان يقول : الإسناد قيدُ الحديث ؛ فتحدّث مرّةً بحديث لا إسنادَ له ، فسئل عن إسناده ، فقال : هذا من المُرْسَلاتِ عُرْفاً .

[أنشد الفضل شعر نصيب فأجازه]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني ميمون بن هارون عن أبيه ، وحدّثني عمّي عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : أنشدتُ الفضلَ بن يحيى قولَ أبي الجَحْناء نُصَيْبٍ مولى المهديّ فيهم : [من الكامل]

1 ل : حدّثني عمّي قال حدّثنا فضل اليزيدي . . . .

صوت

عنـد الملـوكِ مَضَرَّةٌ ومنافعٌ وأَرى البَرامِـكَ لا تَضُرُّ وتنفعُ
إنْ كان شرٌّ كان غيرُهم لـه أو كان خيرٌ فهو فيهم أجمعُ
إنّ العروقَ إذا استَسرَّ بها الثَّرى أَشِرَ النباتُ بها وطابَ المَزْرَعُ
فإذا جَهِلْتَ من امرىء أَعراقَه وقديمَـه فانظـر إلى مـا يصنعُ

قال فقال : كأنّا والله لم نسمع هذا الشعر قطُّ ، قد كنّا وصلْناه بثلاثين ألف درهم ، وإذاً نُجَدِّد له الساعةَ صلة له ولك معه لحفظك الأَبياتَ ؛ فوصلَنا بثلاثين ألفَ درهم .

[عتب عليه المأمون في شيء فاسترضاه]

وأَخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسن بن يحيى الكاتب أَبو الجَمّاز قال[1] : عتَب المأمونُ على إسحاق في شيء ؛ فكتب إليه رُقعةً وأَوصلها إليه من يده ؛ ففتحها المأمون فإذا فيها قولُه : [من البسيط]

لا شيءَ أَعظمُ من جُرْمي سوى أَملي لحسن عفوكَ عن ذنبي وعن زَلَلي
فإنْ يكن ذا وذا في القَدْر قد عَظُما فأَنت أَعظمُ من جُرْمي ومن أَملي

فضحِك ثم قال : يا إسحاقُ ، عذرُك أَعلى قدراً من جُرمك ، وما جال بفكري ولا أُخْطِرْتُهُ بعد انقضائه على ذكري .

[بينه وبين ابن بانة في مجلس الواثق]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني يزيد بن محمّد المهلَّبي قال : خرجنا مع الواثق إلى القاطُول[2] للصيد ، ومعنا جماعةُ الجلساء والمغنّين وفيهم عمرو بن بانة وعَلّويه ومُخارِق وعَقِيد ، وقدِم إسحاقُ في ذلك الوقت فأَخرجه معه ؛ فتصيّد على القاطُول ثم عاد فأَكل وشرب أَقداحاً ، ثم أَمَر بالبُكور إلى الصَّبُوح فباكرْنا واصطبحْنا . فغنّى عمرُو بن بانة لحنَ إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

صوت

بلوتُ أُمورَ الناس طُرّاً فأَصبحتْ مُذَمَّمةً عندي بَـراءٍ مـن الحمدِ
وأَصبح عندي مـن وَثِقتُ بغَيْبه بَغِيضَ الأَيادِي كلُّ إحسانه نَكْدُ[3]

ولحنه خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى ، فغنّاه على ما أَخذه من إبراهيمَ بن المهديّ وقد غيّره . فقال الواثق لإسحاق : أَتعرف هذا اللحنَ ؟ فقال : نعم ، هذا لحنُ أَبي ولكنّه ممّا زعمَ إبراهيمُ بن

1 هذا الخبر ممّا ورد في التذكرة الحمدونية 4 : 116 (رقم 340) .
2 القاطول : اسم نهر يأخذ من دجلة .
3 في هذا البيت إقواء .

المهديّ أنّه جَنْدَره وأصلحه فأفسده ودَمَر[1] عليه ؛ فقال له : غَنِّه أنت ، فغنّاه فأتى به على حقيقته واستحسنه الواثق جدّاً ؛ فغمّ ذلك عمرَو بن بانة فقال لإسحاق : أفأنت مثلُ إبراهيمَ بن المهديّ حتّى تقول هذا فيه ؟ ؛ قال : لا والله ما أنا مثله ، أمّا على الحقيقة فأنا عبدُه وعبدُ أبيه ، وليس هذا ممّا نحن فيه ؛ وأمّا الغناء فما دخولك أنت بيننا فيه ؟ ما أحسنتَ قطُّ أن تأخذ فضلاً عن أن تغنّي ، ولا قمتَ بأداء غناءٍ عن أن تميّز بين المحسنين ؛ وإلاّ فغنِّ أيَّ صوت شئت ممّا أخذتَه عنه وعن غيره كائناً مَنْ كانَ ، فإن لم أُوضح لك ولمن حضر أنّه لا يَسلَم لك صوت من نقصانِ أجزاءٍ وفساد صنعةٍ فدمي به رهنٌ ؛ فأساء عمرو الجوابَ وأغلظ في القول ؛ فأمضّه الواثق وشتَمه وأمر بإقامته عن مجلسه فأُقيم . فلمّا كان من الغدّ دخل إسحاقُ على الواثق فأنشده : [من الرجز]

ومجلسٍ باكرتُـــه بُكـــورا ... والطيرُ مـــا فارقتِ الوُكُورا
والصبحُ لم يَستنطقِ العُصفورا ... على غَديـرٍ لم يكـــن دُعْثُورا[2]
لم تَـــرَ عينـــي مثلَـه غَديرا ... يجري حَبابُ مائه مَسْجُورا[3]
على حصىً تَحْسَبُه كافـــورا ... تسمع للمـــاء بـــــه خَريرا
يَنْسِجُ أعـــلى مَتْنِـــه سطورا ... نسيمُ ريحٍ قـــد وَنَتْ فُتورا
حتى تخـــالَ متنَـــه حَصيرا ... والشَّربُ قد حَفُّوا به حُضورا
وأمـروا الساقـــيَ أن يُديـرا ... كأسَهـمُ الأصغـــرَ والكبيرا
وأعملوا البَـمَّ معـــاً والزِّيرا ... وجاوبـــتْ عيدانُهـــم زَميرا
وقرّبـــوا المُغَنِّـــيَ النِّحْريـــرا ... مُقَدَّمـــاً في حِذْقـــه مشهورا
فهـــم يطيرون بـــــه سرورا ... ولا تـــرى في شُربهم تقصيرا
ولا لِصفْو عيشهم تكديرا ... ولا لخُلْـــقٍ منهـــمُ نظيرا
إلاّ رُجَيْـلاً منهـــمُ سِكِّيرا ... مُعَرْبِـــداً مُوَضِّحـــاً شِرِّيرا
مُدَّعِيـــــاً للعلـــــم مستعيرا ... يـروم سعيـــاً كاذبـاً مغرورا
وأن يكـــون عالمـــاً بصيرا ... مُفَضَّـــلاً بعلمـــه مذكورا
غَمَزْتُـــه ولم يكـــن صَبـورا ... فعـاذ منّـــي هاربـاً مذعورا
بمَعْشَرٍ تحسَبُهـــم حَميـرا ... أشدَّ منهـــم حُمُقـــاً كثيرا

1 دمر عليه : إذا دخل بغير إذن وهجم هجوم الشرّ .
2 الدعثور : الحوض المثلّم أو الذي لم تُحكم صنعته ولم يوسع .
3 المسجور : المنظوم المسترسل

لا ينطِقون الدهرَ إلاّ زُورا ... حتّى إذا كَسَّرتُه تكسيرا
كالليث لمّا ضَغَم الخِنْزِيرا ... وَلّى انهزاماً خاسئاً مدحورا[1]
معترفاً بذُلّه مقهورا ... وكنتُ قِدْماً ضيغماً هَصُورا
معتلياً لقِرْنِه عَقُورا ... وما أُخاف الزمنَ العَثُورا
إذ كنتُ بالواثق مستجيرا ... قد عَزّ مَنْ كان له نصيرا
إمامُ عدلٍ دَبَّر الأُمورا ... برأيه ولم يُرِدْ مُشيرا
ترى من الحقِّ عليه نورا ... تَقَيَّل المَهْدِيَّ والمنصورا[2]
وَجدَّه الأدنى تُقىً وخِيرا ... وَرَّثه المعتصمُ التدبيرا
فأصبح الملكُ به مُنيرا ... وأصبح العدلُ به منشورا
قد أَمِنَ الناسُ به المحظورا ... إذا علا المِنْبَرَ والسريرا
رأيتُ بدراً طالعاً منيرا ... بحراً ترى الغَنِيَّ والفقيرا
يرجون منه نائلاً غزيرا ... واللهِ لا زلتُ له شَكورا
لا جاحِدَ النُّعْمى ولا كَفُورا ... وكنتُ بالشكر له جديرا

[أنشده الأصمعيّ جملة أشعار في الفروسيّة]

حدَّثني الصُّولِيّ قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : سمعت إسحاقَ يقول : أنشدني الأصمعيّ قولَ الأعشى : [من البسيط]

إن تركبوا فركوبُ الخيلِ عادتُنا ... أو تنزلون فإنّا معشرٌ نُزُلُ

ثم قلت : أيَّ شيء تحفظ في هذا المعنى ؟ وكان مع بخله بالعلم لا يبخَل بمثل هذا ، فأنشدني لرَبيعة بنِ مَقْروم الضَّبّيّ : [من الكامل]

ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرادِها ... بسَلِيم أُوْظِفَةِ القوائم هَيْكَلِ[3]
فدَعَوْا نَزالِ فكنتُ أوّلَ نازل ... وعلامَ أُركبُه إذا لم أُنزِلِ

[سرّه غناء ملاحظ فمدحها]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمّد بن محمَّد بن مروان قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : اجتمعنا يوماً إمّا قال في منزلي أو في منزل

1 ضغم : عضّ ملء فيه .
2 تقيل الرجل أباه : أشبهه .
3 أوظفه : جمع وظيف وهو ما فوق الحافر .

محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ودخلنا ودخل إلينا إسحاق الموصليّ وعندنا ملاحظُ تُغنِّينا وقد قامت الصلاة ، فدخل إسحاق وهي غائبة فقال : فيم كنتم ومَنْ عندكم ؟ فأخبرناه بخبرها ؛ فقال : لا تُعرِّفوها مَن أنا فيُخرِجها التصنُّع لي والتحفُّظ منِّي عن طبعها ، ولكن دعوها وهواها حتّى ننتفعَ بها ؛ وخرجتْ وهي لا تعرفه وجلستْ كما كانت أوّلاً ، وابتدأت وغنَّت والصنعة لفُلَيح بن أبي العَوْراء ، ولحنُه رَمَلٌ . هكذا أخبرنا إسحاق ليلتئذٍ أنّ الغناء لفليح : [من البسيط]

صوت

إنِّي تَعلَّقْتُ ظبياً شادناً خَرِقاً عُلِّقتُه شِقوةً منِّي وما عَلِقَا

قال : فطرب إسحاق وشرب حتى والَى بين خمسة أقداح من نبيذ شديد كان بين يديه وهو يستعيدها ؛ فأخذ إسحاق دواةً وكتب : [من الطويل]

سأشربُ ما دامت تغنِّي ملاحظُ وإن كان لي في الشَّيْبِ عن ذاك واعِظُ
ملاحظُ غنِّينا بعيشكِ وليكن عليك لما استحفظتُه منكِ حافظُ
فأُقسم ما غنَّى غِناءكِ مُحْسِنٌ مُجيدٌ ولم يَلْفِظ كلَفْظك لافظُ
وفي بعض هذا القولِ منِّي مَساءةٌ وغيظٌ شديد للمغنِّين غائظُ

[حدّث الرشيد عن البرامكة فزجره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا يزيد بن محمّد المهلَّبيّ قال حدَّثني إسحاق قال : قال لي الرشيد يوماً : بأيّ شيء يتحدَّث الناس ؟ قلت : يتحدّثون بأنّك تَقْبِضُ على البرامكة وتُولِّي الفضلَ بن الرَّبيع الوزارة ؛ فغضب وصاح بي : وما أنت وذاك وَيْلَك ! فأمسكتُ . فلمّا كان بعدَ أيّامٍ دعا بنا ؛ فكان أوّل شيء غنّيته : [من الهزج]

صوت

إذا نحن صَدَقْناكَ فضَرّ عندك الصدقُ
طلَبنا النفعَ بالباطِـ ـلِ إذ لم يَنفع الحقُّ
فلو قَدَّم صبّاً في هواه الصبرُ والرِّفقُ
لقُدّمتُ على الناس ولكنَّ الهوى رزقُ

في هذه الأبيات خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى يُنسب إلى إسحاق وإلى ابن جامع ، والصحيح أنّه لإسحاق . وقيل : إنّ الشعر لأبي العتاهية . قال : فضحك الرشيد وقال لي : يا إسحاق ، قد صِرتَ حَقُودا .

[المعتصم يجيزه وعلّويه دون مُخارق]

أخبرني الحسن قال حدّثنا يزيد بن محمّد قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ على المعتصم يوماً بسُرَّ مَنْ رأى ، فإذا الواثقُ بين يديه وعنده عَلّويه ومُخارِقٌ ؛ فغنّاه صوتاً فلم يَنشَط له ، ثم غنّاه عَلّويه فأطربه . فلمّا رأيتُ طربَه لغناء عَلّويه دون غناء مُخارق اندفعتُ فغنّيته لحني : [من الطويل]

صوت

تَجَنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بـــك الهوى وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

فأمر لي بألف دينار ولعَلّويه بخمسمائة دينار ، ولم يأمر لمخارق بشيء .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

تَجَنَّبتَ ليـــلى أن يَلِجَّ بك الهوى وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ

ألا إنّمـا غـــادرتِ يـا أُمَّ مالكٍ صَدىً أينما تَذهَبْ به الريحُ يَذْهَبِ

الشعر للمجنون[1] . والغناء لإسحاقَ ثقيلٌ أوّلُ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وغَنّى ابنُ جامع في هذين البيتين وبيتين آخرين أضافهما إليهما ليسا من هذا الشعر ، هَزَجاً بالبنصر . والبيتان المضافان : [من الطويل]

بَرى اللَّحمَ عن أحناءِ عظمي ومَنْكِبي هَـــوىً لسُلَيمى في الفـؤادِ المعذَّبِ

وإنّـي سعيـــدٌ أنْ رأتْ لـــكِ مـــرّةً مـــن الدَّهـــرِ عيني منزلاً في بَني أبي

[الواثق يجيزه على غناء علّويه بلحنه]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال : غَنّى عَلّويه بين يدَي الواثق يوماً : [من مجزوء الوافر]

صوت

خليـــلٌ لي سأهجُرُه لذنـــبٍ لستُ أذكُرُهُ

ولكنّـــي سأرعـــاه وأكتُمـــــه وأستُرُهُ

وأُظهِـــرُ أنّني راضٍ وأسكُـتُ لا أُخبِّرُهُ

لكـي لا يعلمَ الواشي بمـا عنـدي فأكْسِرُهُ

1 ديوان المجنون : 79 .

الشعر والغناء لإسحاق هَزَجٌ بالوسطى ، قال : فطرِب الواثقُ طرباً شديداً ، واستحسن اللحن ، وأمر لعلّويَه بألف دينار ؛ ثم قال : أهذا اللحنُ لك ؟ قال : لا يا أمير المؤمنين ، هو لهذا الهِزَبْرِ[1] (يعني إسحاق) قال : وكان إسحاقُ حاضراً ، فضحِك الواثق وقال : قد ظلمناه إذاً ، وأمر لإسحاق بثلاثين ألف درهم .

[عارض ثقيلاً بهزج]

أخبرنا عليّ بن عبد العزيز الكاتب عن عُبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبِه عن أبيه قال : كان إسحاق عند الفَتْح بن الحَجّاج الكَرْخيّ وعَلّويه حاضرٌ ؛ فغنّاه عَلّويه : [من مجزوء الوافر]

عَلِقتُكِ ناشئاً حتّى رأيتِ الرأسَ مُبْيَضّا
على يُسْرٍ وإعسارٍ وفَيْض نوالِكم فَيْضا
ألا أحبِبْ بأرضٍ كنـ ـتِ تحتَلّينَها أرضا
وأهلُكِ حبّذا ما هم وإن أبدَوْا لِيَ البُغضَا

الشعر لابن أُذينةَ . والغناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيه لإسحاق هَزَجٌ خفيفٌ مطلقٌ في مجرى البنصر ، عن إسحاق أيضاً . وفيه للأبْجَر ثقيلٌ أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لإسحاق الموصليّ هزج خفيف مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق أيضاً ، وفيه للأبجر ثقيل أوّل آخر ، ولإبراهيم الموصليّ رَمَلٌ ، جميعُ ذلك عن الهشاميّ . قال : فغنّاه إيّاه في الثّقيل ، ثم غنّاه هَزَجاً ؛ فقال له الفتحُ : لَمَنِ الثقيلُ ؟ فقال : لابن سُرَيج ، قال : فلِمَنِ الهَزَجُ ؟ قال : لهذا الهِزَبرِ[2] (يعني إسحاقَ) ؛ فقال له الفتحُ : وَيْلَكَ يا إسحاق ! أتُعارِضُ ثقيلَ ابن سُرَيج بهَزَجِكَ ؟ قال : فقبَض إسحاقُ لِحيته ثم قال : على ذلك فوالله ما فاتني إلاّ بتحريكه الذَّقَنَ .

[تصويبه المعتصم في شعر لأبي خراش]

أخبرني الحسن قال حدّثني يزيد بن محمّد قال حدّثني إسحاق قال : دخلتُ يوماً على المعتصم وعنده إسحاقُ بن إبراهيم بن مصعَب ، واستدناني فدنوتُ منه ، واستدناني فتوقّفتُ خوفاً من أن أكون مُوازِياً في المجلس لإسحاق بن إبراهيم ؛ ففَطِنَ المعتصم لذلك فقال : إنّ إسحاق لكريمٌ ، وإنّك لم تَستنزل ما عند الكريم بمثل إكرامه . ثم تحدّثْنا وأفضتْ بنا المذاكرةُ إلى قول أبي خِراش الهُذَليّ[3] : [من الطويل]

---

1 ل : الهربذ وهو أحد خدماء النار عند المجوس أو أحد عظماء الهند أو علمائها (فارسية) .

2 ل : الهربذ .

3 شرح أشعار الهذليين : 1230 والحماسية رقم 262 .

حَمِدتُ إلهي بعــد عُرْوةَ إذ نجا خِراشٌ وبعضُ الشرّ أهونُ من بعض

فأنشدها المعتصمُ إلى آخرها ، وأنشد فيها : [من الطويل]

ولم أَدْرِ مَــنْ أَلْقــى عليــه رِداءَه سوى أنّه قد حُطّ عن ماجدٍ مَحْضِ[1]

والروايةُ «قد بُزّ عن ماجدٍ محض» ؛ فغلِطتُ وأسأتُ الأدبَ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، هذه رواية الكُتّاب وما أُخِذ عن المعلّم ؛ والصحيح «بُزّ عن ماجدٍ محض» ؛ فقال لي : نعم صدقتَ ، وغمَزني بعينه ، يحذّرني من إسحاق ؛ وفَطِنتُ لغَلطي فأمسكتُ ، وعلمتُ أنّه قد أشفق عليّ من بادرة تبدُر من إسحاق ، لأنّه كان لا يحتمل مثلَ هذا في الخلفاء من أحد حتى يُعظِمَ عقوبتَه ويُطيلَ حبسَه ، كائناً مَن كان ؛ فنبّهني ، رحمه الله ، على ذلك حتى أمسكتُ وتَنبّهت .

[غنّى المأمون ثلاثين صوتاً من أهزاج القدماء]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال قال عبيد الله بن معاوية قال عمرو بن بانة : كنّا عند المأمون ، فقال : ما أقلَّ الهَزَج في الغناء القديم ! ؛ وقال إسحاق : ما أكثره ! ثم غنّاه نحوَ ثلاثين صوتاً في الهَزَج القديم . فقلت لأصحابي : هذا الذي تزعمون أنّه قليل الرواية ! .

[أثنى عليه العبّاس بن جرير]

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي عن إسحاق قال : قال لي العبّاس بن جَرير : قاتَلَك الله ! مذكّرُ فِطْنةٍ ، ومؤنّث طبيعة ، ما أمكرك ! .

[أعرابيّ يعجب بشعره]

حدّثنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد عن إسحاق قال : أنشدتُ بعضَ الأعراب شعراً لي أقول فيه : [من الكامل]

أَجَرَتْ سوابقُ دمعِك المُهْراقِ لمّا جرى لــك سائحٌ بفِراقِ

إنّ الظعائنَ يومَ ناصِفةِ اللِّوَى هاجتْ عليك صبابةَ المُشتاقِ[2]

لم أنسَ إذ أَلْمَحْنَنا في رِقْبــةٍ منهــنّ بيضَ ترائــبٍ وتَراقِ

وأشَرْنَ إذ ودَّعْنَنــا بأناملٍ حُمْرٍ كهُدّاب الدِّمَقْسِ رِقاقِ

ورَمَتْك هندٌ يوم ذاك فأقْصَدَت بأغَــرَّ عَــذْبٍ بــاردٍ بَرّاقِ[3]

وتنفّست لمّــا رأتــك صبابــةً نَفَساً تصعَّد في حَشاً خفّاقِ

---

1 في الديوان والحماسة : ولكنه قد سل .

2 الناصفة : الرحبة في الوادي .

3 أقصدت : أصابت .

ولقد حَذِرتُ فما نجوت مُسَلَّما حتى صُرِعتُ مَصارعَ العُشَّاقِ
إنّ الخلافــة أُثبتتْ أَوتادُها لمّا تحمّلهــا أبــو إسحاقِ
مَلِكٌ أَغرُّ يلوحُ فــوق جَبينه نورُ الخلافة ساطعَ الإشراقِ
كُسِي الجلالَ مع الجمال وزانَه هَدْيُ التُّقى ومكارمُ الأَخلاقِ
صَحَّتْ عروقُك في الجِياد وإنّما يجري الجوادُ بصحّة الأعراقِ
ذخَر الملوكُ فكان أفضل ذُخْرهم للمُلك ما جمعوا من الأَوراقِ
وذخَرتَ أبناءَ الحروب كأنّهم أُسْدُ العَرينِ على مُتونِ عِتاقِ
كم من كريمةِ مَعْشَرٍ قد أُنكِحتْ بسيوفهــم قَسْراً بغير صَداقِ
وعزيــزةٍ في أَهلهــا وقَطِينها قد فارقــتْ بَعْلاً بغير طلاقِ

قال فقال لي : أَفْلَيْتَ والله يا أبا محمّد ؛ فقلت له : وما أفليت ؟ قال : رَعَيْت فلاةً لم يرعَها أَحدٌ غيرك .

[كان المغنّون يتلاشون أمامه]

أَخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني أَخي أَحمد بن عليّ عن عافيةَ بن شَبيب قال : قلت لزُرْزور بن سعيد : حدِّثني عن إسحاق كيف كان يصنع إذا حضر معكم عند الخليفة وهو منقطعٌ ذاهِبٌ وحلوقُكم ليس مثلُها في الدنيا ؟ فقال : كان والله لا يزال بحذْقه ورفقه وتأنّيه ولُطفه حتى نصيرَ معه أَقلَّ من التراب .

[شعره للفضل بن الربيع في الشيب]

أَخبرنا يحيى قال حدَّثني أَبي قال حدَّثنا إسحاق قال : دخلتُ على الفضل بن الرَّبيع فقال لي : يا إسحاق ، كثُر والله شَيْبُك ؛ فقلت : أَنا وذاك أَصلحك الله كما قال أَخو ثَقيف : [من الكامل]

الشيبُ إن يَظْهَرْ فإنّ وراءه عمراً يكون خِلالَــه مُتَنَفَّسُ
لم يَنْتَقِصْ منّــي المشيبُ قُلامةً ولَنحْنُ حِين بدا أَلَبُّ وأَكيسُ

قال : هاتِ يا غلام دواةً وقرطاساً ، أُكتُبْهما لي لأَتسلّى بهما .

[قصّته مع الفضل بن يحيى ونافذ حاجبه]

أَخبرنا يحيى قال حدَّثني أَبي قال حدَّثني إسحاق ، وأَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أَبيه ، وأَخبرني الحسن بن عليّ عن يزيد بن محمّد بن عبد الملك عن إسحاق وأَخبرني وكيع عن أَبي أَيّوب المديني عن محمّد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق قال : قال الفضل بن يحيى لأَبي :

مالي لا أرى إسحاقَ ، عرِّفني ما خبرهُ ؟ فقال : خير . ورأى في كلامه شيئاً يُشكِّك ، فقال : أعليلٌ هو ؟ فقال : لا ، ولكنّه جاءك مرّاتٍ فحجَبه نافذٌ الخادم ولحِقتْه جَفْوةٌ ؛ فقال له : فإن حَجَبه بعدها فَلْيَنِكْهُ . فجاءني أبي فقال لي : إلْقَه ، فقد سأل عنك ؛ وخبَّرني لما جرى . وجئتُ فحجبت أيضاً ؛ وخرج الفضل ليركبَ ؛ فوثبتُ إليه برُقْعة وقد كتبتُ فيها : [من المتقارب]

جُعِلتُ فداءَك من كلّ سوءٍ إلى حسن رأيك أشكو أُناسا
يحولون بيني وبين السلام فما إن أُسلِّم إلاّ اختلاسا
وأنفذتُ أمرَك في نافذٍ فما زاده ذاك إلاّ شِماسا

فلمّا قرأها ضحك حتى غُلِب ، ثم قال : أوَقَدْ فعلتَها يا فاسق ؟ فقلت : لا والله يا سيّدي ، وإنّما مَزَحتُ ؛ فخجِل نافذٌ خجلاً شديداً ، ولم يَعُدْ بعد ذلك لمَساءتي .

[سأل المعتصم عن رجل غائب ماذا يعمل]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدَّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني إسحاق قال : ذكر المعتصمُ يوماً بعضَ أصحابه وقد غاب عنه ، فقال : تعالَوْا حتى نقولَ ما يصنع في هذا الوقت ؛ فقال قوم : يلعب بالنَّرْد ، وقال قوم : يغنّي ؛ فبلغتْني النوبةُ ، فقال : قُل يا إسحاق ؛ قلت : إذاً أقول وأُصيب ؛ قال : أتعلم الغيبَ ؟ قلت : لا ، ولكنّي أفهم ما يصنع وأقدِرُ على معرفته ؛ قال : فإن لم تُصِبْ ؟ قلت : فإن أصبتُ ؟ قال : لك حُكمك ، وإن لم تُصِبْ ؟ قلتُ : لك دمي ؛ قال : وجَبَ ؛ قلت : وجَبَ ؛ قال : فقل ؛ قلت : يتنفّس ؛ قال : فإن كان ميتاً ؟ قلت : تُحفظ الساعةُ التي تكلّمتُ فيها ، فإن كان مات فيها أو قبلها فقد قَمَرْتَني ؛ فقال : قد أنْصفتَ ؛ قلت : فالحُكْم ؛ قال : احتكم ما شئتَ ؛ قلت : ما حُكْمي إلاّ رضاك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنّ رضاي لك ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم ، أترى مَزِيداً ؟ فقلت : ما أوْلاكَ بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنّها مائتا ألف درهم ، أترى مزيداً ؟ قلتُ : ما أحوجني إلى ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فإنها ثلثمائة ألف ، أترى مزيداً ؟ قلت : ما أولاك بذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : يا صفيقَ الوجه ، ما نزيدك على هذا شيئاً .

[مدح سفينة للأمين فأجازه]

أخبرنا يحيى قال حدَّثني أبو أيّوب قال حدَّثني محمّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني إسحاق قال : عمِل محمّد المخلوعُ سفينةً فأُعجب بها ، وركِب فيها يريد الأنبارَ . فلمّا أمْعَنَ وأنا مُقبلٌ على بعض أبواب السفينة صاحوا : إسحاق إسحاق ! فوثبتُ فدنوتُ منه ؛ فقال لي : كيف ترى سفينتي ؟ فقلت : حَسَنة يا أمير المؤمنين ، عمّرها الله ببقائك . فقام يريد الخلاءَ وقال لي : قُلْ فيها أبياتاً ، فقلت ، وخرج فقمتُ بالأبيات ؛ فاشتهاها جدّاً وقال لي : أحسنتَ يا

إسحاق ، وحياتِك لأَهَبَنّ لك عشرة آلاف دينار ؛ قلت : متى يا أمير المؤمنين ؟ إذا وسَّع الله عليك ؟ فضحك ودعا بها على المكان . ولم يذكر يحيى في خبره الأبيات هاهنا .

[عرض للواثق بتشوّقه إلى أهله]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غنَّيتُ الواثقَ في شعر قلتُه وأنا عنده بسُرَّ مَنْ رأى وقد طال مُقامي واشتقتُ إلى أهلي ، وهو : [من الكامل]

صوت

يـا حَبّذا ريحُ الجَنوبِ إذا بدَتْ في الصبح وهي ضعيفةُ الأَنفاسِ
قـد حُمِّلتْ بردَ النَّدَى وتَحمَّلَتْ عَبَقـاً مـن الجَثْجاثِ والبَسْباسِ

فشرب عليه واستحسنه وقال لي : يا أبا محمّد ، لو قلتَ مكان «يا حَبّذا ريحُ الجنوب» : «يا حَبّذا ريحُ الشّمال» ، ألَم يكن أرقَّ وأعْذى وأصحَّ للأجساد وأقلَّ وخامةً وأطيبَ للأنفس ؟ فقلت : ما ذهب عليّ ما قاله أميرُ المؤمنين ، ولكن التفسير فيما بعدُ ؛ فقال : قُل ؛ فقلت : [من الكامل]

ماذا تَهيجُ من الصَّبابة والهـوى للصَّبِّ بعـد ذهولـه والياسِ

فقال الواثق : إنّما استطبتَ ما تجيء به الجَنوبُ من نسيم أهل بغداد لا الجنوبَ ، وإليهم اشتقتَ لا إليها ؛ فقلت : أجَلْ يا أمير المؤمنين ؛ وقمتُ فقبّلتُ يده ؛ فضحِك وقال : قد أذِنتُ لك بعد ثلاثة أيّام ، فامضِ راشداً ؛ وأمر لي بمائة ألفِ درهم . لحنُ إسحاقَ هذا من الثقيل الأوّل .

[جعفر بن يحيى البرمكيّ وعبد الملك بن صالح الهاشميّ]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن إسحاق قال : لم أرَ قطُّ مثلَ جعفر بن يحيى ؛ كانت له فُتُوّةٌ وظَرْفٌ وأدَبٌ وحسنُ غِناء وضربٌ بالطبل ، وكان يأخذ بأجزلِ حظٍّ من كلّ فنّ من الأدب والفتوّة . فحضرتُ بابَ أمير المؤمنين الرشيد ، فقيل لي : إنّه نائمٌ ، فانصرفت ؛ فلَقِيَني جعفرُ بن يحيى فقال لي : ما الخبر ؟ فقلت : أمير المؤمنين نائمٌ ؛ فقال : قِفْ مكانَك ؛ ومضى إلى دار أمير المؤمنين فخرج إليه الحاجب فأعلمه أنّه نائم ؛ فخرج إليّ وقال لي : قد نام أمير المؤمنين ، فسِرْ بنا إلى المنزل حتى نخلوَ جميعاً بقيّةَ يومنا وتغنّيني وأُغنّيك ونأخذ في شأننا من وقتنا هذا ؛ قلت نعم ، فصِرْنا إلى منزله فطرحنا ثيابنا ، ودعا بالطعام فطُعِمنا ، وأمر بإخراج الجواري وقال : لِتَبْرُزْنَ ؛ فليس عندنا من تَحْتشِمْنَ منه . فلمّا وُضع الشرابُ دعا بقميص حرير فلَبِسه ودعا بخَلُوق فتخلّق به ، ثم دعا لي بمثل ذلك ، وجعل يغنّيني وأُغنّيه ؛ ثم دعا بالحاجب فتقدّم إليه وأمره بألاّ يأذن لأحدٍ من الناس كلّهم ، وإن جاء رسول أمير المؤمنين أعْلَمَه أنّه مشغول ؛

واحتاط في ذلك وتقدّم فيه إلى جميع الحُجّاب والخَدَم ؛ ثم قال : إن جاء عبدُ الملك فأْذَنوا له يعني رجلاً كان يأنَس به ويمازِحُه ويحضُر خَلَواتِه ثم أَخذْنا في شأننا ؛ فوالله إنّا لعلى حالة سارّة عجيبةٍ إذ رُفع السِّتْر ، وإذا عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ قد أَقبل ، وغلِط الحاجبُ ولم يفرِّق بينه وبين الذي يأنَس به جعفر بن يحيى . وكان عبدُ الملك بن صالح الهاشميّ من جلالة القَدْر والتقشّف وفي الامتناع من منادمة أَمير المؤمنين على أَمرٍ جليل ، وكان أَميرُ المؤمنين قد اجتهد به أَن يشربَ معه أَو عنده قدحاً فلم يفعل ذلك رَفْعاً لنفسه . فلمّا رأَيناه مقبِلاً ، أَقبل كلُّ واحد منّا ينظر إلى صاحبه ، وكاد جعفر أَن ينشقَّ غيظاً . وفهِم الرجلُ حالَنا ، فأَقبل نحوَنا ، حتى إذا صار إلى الرِّواق الذي نحن فيه نزَع قَلَنْسِيَتَه فرمى بها مع طَيْلَسانه جانباً ؛ ثم قال : أَطعِمونا شيئاً ؛ فدعا له جعفر بالطعام وهو منتفخ غضباً وغيظاً فطَعِم ، ثم دعا برِطل فشرِبه ، ثم أَقبل إلى المجلس الذي نحن فيه فأَخذ بعِضادَتي الباب ثم قال : اشركونا فيما أَنتم فيه ؛ فقال له جعفر : ادخل ؛ ثم دعا بقميص حرير وخَلُوق فلبِس وتخلّق ، ثم دعا برِطل ورِطل حتى شرِب عدّة أَرطال ، ثم اندفع ليغنّينا ، فكان والله أَحسنَنا جميعاً غناءً . فلمّا طابت نفسُ جعفر وسُرِّيَ عنه ما كان به التفتَ إليه فقال له : ارفع حوائجَك ؛ فقال : ليس هذا موضعَ جوائجَ ؛ فقال : لَتَفْعلنّ ، ولم يَزل يُلحّ عليه حتى قال له : أَمير المؤمنين عليّ واجدٌ ؛ فأُحِبّ أَن ترضّاه ؛ قال : فإنّ أَمير المؤمنين قد رَضِيَ عنك ، فهاتِ حوائجَك ؛ فقال : هذه كانت حاجتي ؛ قال : ارفع حوائجك كما أَقول لك ؛ قال : عليَّ دَينٌ فادِحٌ ؛ قال : هذه أَربعة آلاف ألف درهم ، فإن أَحببتَ أَن تقبضها فاقبِضها من منزلي الساعة ، فإنّه لم يمنعني من إعطائك إيّاها إلاّ أَنّ قَدْرَك يَجلّ على أَن يصلِك مثلي ، ولكنّي ضامنٌ لها حتى تُحمَل من مال أَمير المؤمنين غداً ؛ فسَلْ أَيضاً ؛ قال : ابني ، تُكَلِّمُ أَميرَ المؤمنين حتى ينوِّه باسمه ؛ قال : قد وَلاَّه أَميرُ المؤمنين مصرَ وزوّجه ابنته العالية ومهرَها عنه أَلفَيْ أَلفِ درهم . قال إسحاق : فقلت في نفسي : قد سَكِر الرجل (أَعني جعفراً) . فلمّا أَصبحتُ لم تكن لي هِمَّةٌ إلاّ حضورَ دار الرشيد ؛ وإذا جعفر بن يحيى قد بَكّر ، ووجدتُ في الدّار جَلَبة ، وإذا أَبو يوسفَ القاضي ونظراؤه قد دُعِي بهم ، ثم دُعي بعبد الملك بن صالح وابنِه فأُدْخِلا على الرشيد ؛ فقال الرشيد لعبد الملك : إنّ أَمير المؤمنين كان واجداً عليك وقد رضِيَ عنك ، وأَمر لك بأَربعة آلاف ألف درهم ، فاقبِضها من جعفر بن يحيى الساعةَ . ثم دعا بابنه فقال : اشهدوا عليَّ أَنّي قد زوّجتُه العاليةَ بنت أَمير المؤمنين وأَمهرتُها عنه ألفيْ ألفِ درهم من مالي وولّيتُه مصرَ . قال : فلمّا خرج جعفر بن يحيى سألتُه عن الخبر ؛ فقال : بَكّرتُ على أَمير المؤمنين فحكيتُ له ما كان منّا وما كنّا فيه حرفاً حرفاً ، ووصفتُ له دخولَ عبد الملك وما صنعَ ؛ فعَجِب لذلك وسُرَّ به ؛ ثم قلتُ له : قد

ضَمِنتُ له عنك يا أمير المؤمنين ضَماناً ؛ فقال : ما هو ؟ فأعلمتُه ؛ قال : أَوْفِ له بضمانك ، وأمر بإحضاره ؛ فكان ما رأيتَ .

[حمل علّويَه لحناً له إلى أبيه فأعجب به]

أخبرني عمّي قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : لمّا صنعتُ لحني في : [من الخفيف]

هـل إلى نظرةٍ إليكِ سبيلُ

أَلقيتُه على عَلّويه ، وجاءني رسول أبي بطَبَق فاكهة باكُورةٍ ؛ فبعثتُ إليه : برّك الله يا أَبَةِ ووصَلَكَ ، الساعة أبعث إليك بأحسنَ من هذه الباكورة ؛ فقال : إنّي أظنّه قد أتى بآبِدةٍ[1] ؛ فلم يلبث أن دخل عليه علّويَه فغنّاه الصوتَ ؛ فعَجِب منه وأعجب به ، وقال : قد أخبرتكم أنّه قد أتى بآبدةٍ . ثم قال لولده : أنتم تلوموننني على تفضيل إسحاق ومحبّتي له ، والله لو كان ابنَ غيري لأحببتُه لفضله فكيف وهو ابني ؛ وستعلمون أنّكم لا تعيشون إلاّ به . وقد ذكر أبو حاتم الباهليّ عن أخيه أبي معاوية بن سعيد بن سَلْم أنّ هذه القصّة كانت لمّا صنع إسحاق لحنَه في :

غَيّضْنَ مـن عَبَراتهن وقلنَ لي

وقد ذكرتُ ذلك مع أخبار هذا الصوت في موضعه .

[رأيه في إبراهيم بن المهديّ]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : سألت إسحاق عن إبراهيم بن المهديّ ، فقال : دَعْنِي منه ، فليست له روايةٌ ولا دِراية ولا حكاية .

[رثاؤه هشيمة الخمارة]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثني فَضْل اليَزيديّ عن إسحاق قال : كانت هُشَيْمةُ الخَمّارة جارتي ، وكانت تَخُصّني بأطيب الشراب وجيِّدِه ؛ فماتت فقلت أرثيها : [من الكامل]

أَضحتْ هُشَيْمةُ في القبور مقيمةً وخلتْ منازلُها مـن الفِتيانِ
كانت إذا هجَرَ المحبَّ حبيبُه دَبّـت لـه في السرّ والإعلانِ
حتى يَلِـينَ لما تُريـد قيادُه ويصيرَ سيِّئُـه إلى الإحسانِ

[قضى حاجة لإدريس بن أبي حفصة]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سألني إدريسُ بن أبي حَفصة حاجة ، فقضيتُها له وزدت فيما سأل ؛ فقال لي : [من الرجز]

1 الآبدة : الغريبة .

إذا الرجـالُ جَهِلُوا المكارمَا كان بهـا ابنُ الموصليّ عالمَا
أبقاك ذو العرش بقـاءً دائماً فقـد جُعِلتَ للكـرام خاتما
إسحاقُ لو كنتَ لقيتَ حاتماً كان نَـداه لنَـداك خادما

قال حَمّاد : وقال لي أبي : كان إدريسُ سخيّاً من بين آل أبي حَفْصة ؛ فنزل به ضيفٌ ، فتنمّرت امرأته عليه ؛ فقال لها : [من البسيط]

مِن شرّ أيّامك اللاّتي خُلِقْتِ لها إذا فقدتِ نَدَى صوتي وزُوّاري[1]

[تشاغل عن دعوة علي بن هشام]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : كان عليّ بن هشام قد دعاني ودعا عبد الله بن محمّد بن أبي عُيَيْنة ، فتأخّرتُ عنه حتى اصطبحنا شديداً ، وتشاغلتُ عنه برجل من الأعراب كان يَجيئني فأكتب عنه وكان فصيحاً ؛ وكان عند عليّ بن هشام بعضُ مَن يُعاديني ؛ فسألوا ابنَ أبي عُيَيْنة أن يُعاتبني بشعر ينسُبني فيه إلى الخُلْفِ ؛ فكتب إليّ : [من الخفيف]

يا مَلِيّاً بالوعد والخُلْف والمَطْـ ـل بَطيئاً عن دعوةِ الأصحابِ
لَهِجـاً بالأعراب إنّ لدينـا بعضَ ما تشتهي من الأعرابِ
قد عرَفنا الذي شُغِلت به عنّا وإن كان غيرَ مـا في الكتابِ

قال : فكتبتُ إلى الذي حمل ابن أبي عيينة على هذه الأبيات ، قال حَمّاد : وأظنّه إبراهيم بن المهديّ : [من الخفيف]

قد فَهِمتُ الكتابَ أصلحك اللّـ ـهُ وعندي عليه رَدُّ الجوابِ
ولعَمْري ما تُنصفون ولا كا ن الذي جاءَ منكمُ في حسابي
لستُ آتِيك فاعلمنّ ولا لي فيك حظٌّ من بعد هذا الكتابِ

[عاتب علي بن هشام لأنّه مرض ولم يعده]

قال حَمّاد : قال أبي : وكتبت إلى عليّ بن هشام وقد اعتللتُ أيّاماً فلم يأتني رسولُه : [من السريع]

أنـا عليلٌ منذُ فارقتَني وأنتَ عمّن غاب لا تسألُ
ما هكذا كنتَ ولا هكذا فيما مضى كنتَ بنا تفعلُ

فلمّا وصلتْ إليه رُقْعتي ركِب إليّ وجاءني عائداً .

1 ندى الصوت : صداه .

[شعره حين عودته من البصرة]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد قال : لمّا خرج أبي إلى البصرة خَرْجتَه الأُولى وعاد ، أنشدني في ذلك لنفسه : [من البسيط]

صوت

ما كنتُ أعرِف ما في البين من حَزَنِ حتى تَنادَوْا بأن قد جِيء بالسُّفُنِ
قامتْ تودّعني والعينُ تَغْلِبها فجَمْجَمتْ بعضَ ما قالت ولم تُبِنِ
مالت عليَّ تُفدِّيني وتَرشُفُني كما يَميل نسيمُ الرِّيح بالغُصُنِ
وأعرضتْ ثم قالت وهي باكيةٌ يا ليت معرفتي إيّاك لم تكُنِ
لمّا افترقنا على كُرهٍ لفُرقتها أيقنتُ أنّي رهينُ الهمِّ والحَزَنِ

[يزيد على شعرٍ لجميل]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : أنشدني شَدّاد بن عُقْبة لِجَميل[1] : [من الطويل]

قِفِي تَسْلُ عنكِ النفسُ بالخُطّةِ التي تُطيلين تخويفي بها ووعيدي[2]
فقد طالما من غير شكوى قبيحةٍ رضِينا بحكمٍ منكِ غيرِ سديدِ

قال : فانشدتُ الزُّبَير بن بَكّار هذين البيتين ، فقال : لو لم أنصرف من العراق إلاّ بهما لرأيتُهما غُنْما . وأنشدني شدّاد لجميل أيضاً[3] : [من الطويل]

بُثَيْن سَلِيني بعضَ مالي فإنّما يُبيَّن عند المال كلُّ بخيلِ
فإنّي وتَكراري الزيارةَ نحوَكم لَبَيْن يَدَيْ هَجْرٍ بُثَيْن طويلِ

قال أبي : فقلت لشَدّاد : فهلا أزيدك فيهما ؟ فقال : بلى ؛ فقلت : [من الطويل]

فيا ليتَ شِعْري هل تقولين بعدنا إذا نحن أزْمَعنا غداً لرَحِيلِ
ألا ليت أيّاماً مَضَيْنَ رواجعٌ وليت النَّوَى قد ساعدتْ بجميلِ

فقال شدّاد : أحسنتَ والله ، وإن هذا الشعر لضائعٌ ؛ فقلت : وكيف ذلك ؟

قال : نفيتَه عن نفسك بتَسْميتك جميلاً فيه ، ولم يَلْحَق بجميل ، فضاع بينكما جميعاً .

---

1 ديوان جميل : 50 .

2 تخويفي في ل : تسويفي .

3 ديوان جميل : 111 .

[عند إسحاق المصعبي]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المُنَجِّم قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : دعاني إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبيّ ، وكان عبد الله بن طاهر عنده يومئذٍ ، فوجّه إليّ فحضرتُ وحضَر عَلّويه ومخارقٌ وغيرُهما من المغنّين ؛ فبينا هم على شرابهم وهم أسرُّ ما كانوا ، إذ وافاه رسولُ المأمون فقال له : أجبْ أمير المأمون فقال : السمع والطاعة ؛ ودعا بثيابه فلبِسها . ثم التفت إلى محمّد بن راشد الخَنّاق فقال له : قد بلغني أنّك أحفظ الناس لِما يدور في المجالس ، فاحفظْ لي كلَّ صوت يمرّ وما يشربه كلُّ إنسان ، حتى إذا عدتُ أعدتَ عليّ الأصوات وشربتُ ما فاتني ؛ فقال : نعم ، أصلح الله الأمير . ومضى إلى المأمون ، فأمره بالشخوص إلى بابك[1] من غدٍ ، وتقدَّم إليه فيما يحتاج إليه ورجع من عنده . فلمّا دخل ووضع ثيابَه قال : يا محمّد ، ما صنعتَ فيما تقدّمتُ به إليك ؟ قال : قد أحكمتُه أعزّك الله ؛ ثم أخبره بما شرِب القومُ وما استحسنوه من الغناء بعده ؛ فأمر أن يُجمعَ له أكثرُ ما شربه واحدٌ منهم في قدح ، وأن يُعاد عليه صوتٌ صوتٌ ممّا حفظه له حتى يَستوفيَ ما فاته القومُ به ، ففعل ذلك وشرب حتى استوفى النبيذَ والأصواتَ . ثم قال لي : يا أبا محمد ، إنّي قد عمِلتُ في مُنْصَرَفي من عند أمير المؤمنين أبياتاً فاسمعها ؛ فقلت : هاتِها أعزّ الله الأمير ؛ فأنشدني : [من الطويل]

صوت

ألا مَنْ لقلبٍ مُسْلَمٍ للنوائبِ ... أحاطت به الأحزانُ من كلّ جانبِ
تَبَيَّن يومَ البين أنّ اعتزامه ... على الصبر من بعض الظنون الكواذبِ

صوت

[من الطويل]

حرامٌ على رامي فؤادِي بسهمه ... دمٌ صبّه بين الحَشا والترائبِ
أراق دماً لولا الهوى ما أراقه ... فهل بدَمي من ثائرٍ أو مُطالِبِ

قال : فقلت له : ما سمعتُ أحسنَ من هذا الشعر قطّ ؛ فقال لي : فاصنعْ فيه لحناً ؛ فصنعت فيه لحناً ؛ وأحْضَرني وصيفةً له ، فألقيتُه عليها حتى أخذَتْه ؛ وقال : إنّما أردتُ أن أتسلّى به في طريقي وتُذكّرني به الجاريةُ أمرَكَ إذا غنّته . فكان كلّما ذكر أتاني برُّه ، إلى أن قَدِم ، عدّةَ دفعات . لم أجد لإسحاق صنعةً في هذا الشعر ، والذي وجدتُ فيه لعبد الله بن طاهر خفيف رَمَلٍ ، ذكره ابنه عُبيد الله عنه . ولمُخارِق لحنٌ من الرمل . ولعمرو بن بانة هَزَجٌ بالوسطى . ولمخارِق والطاهريّة خفيفُ ثقيل .

---

1 هو بابك الخرمي خرج على الدولة العباسية وقتل في أيّام المعتصم .

[سأل عنه المتوكّل عندما كفَّ بصره]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله محمّد بن حَمْدون قال : سأل المتوكّل عن إسحاق الموصليّ ، فعرف أنّه قد كُفَّ وأنّه في منزله ببغداد ؛ فكتب في إحضاره . فلمّا دخل عليه رفعَه حتى أجلسه قُدّامَ السرير ، وأعطاه مِخَدّة ، وقال له : بلغني أنّ المعتصم دفع إليك مخدّة في أوّل يوم جلستَ بين يديه وهو خليفة ، وقال : إنّه لا يُستجلب ما عند حُرّ بمثل الكرامة ؛ ثم سأله : هل أكل ؟ فقال نعم ؛ فأمر أن يُسقى ؛ فلمّا شرب أقداحاً قال : هاتوا لأبي محمّد عوداً فجيء به ؛ فاندفع يغنّي بصوتٍ الشعرُ فيه والغناء له : [من البسيط]

صوت

مـا علّةُ الشيخ عيناه بأربعـةٍ تَغْرَوْرِقان بدَمـع ثم يَنْسكِبُ

قال أبو عبد الله : فوالله ما بقي غلامٌ من الغِلمان الوقوفِ على الحَير[1] إلاّ وجدتُه يرقُص طرباً وهو لا يعلم بما يفعل ، فأمر له بمائة ألف درهم . ثم قال لي المتوكّل : يا ابن حَمْدُون ، أتُحسن أن تغنّيني هذا الصوت ؟ فقلت نعم ؛ قال : غنّه ؛ فترنّمت به ؛ فقال إسحاق : مَن هذا الذي يَحْكيني ؟ فقال : هذا ابنُ صديقك حمدون ؛ فقال : وَدِدتُ أنّه يُحسن أن يَحْكيني ، فقلت له : أنت عرَّضتني له يا أمير المؤمنين . ثم انحدر المتوكّل إلى رَقّةِ بُوصَرا[2] ؛ وكان يَستطيبها لكثرة تغريد الأطيار بها ، فغنّى إسحاقُ : [من الطويل]

صوت

أإن هتَفتْ وَرْقاءُ في رَوْنق الضُّحى على غُصُنٍ غَضِّ الشباب من الرَّنْدِ[3]

بكيـت كما يبكي الحزيـن صبابةً وشوقاً وتابعـتَ الحَنِينَ إلى نجدِ[4]

فضحك المتوكّل وقال له : يا إسحاق ، هذه أختُ فَعْلتك بالواثق لمّا غنّيتَه بالصالحيّة[5] : [من الوافر]

طَرِبـتُ إلى الأُصَيْبِيّة الصِّغار وذكَّرني الهـوى قربُ المَزارِ[6]

---

1 الحير : مشبه الحظيرة للحيوانات البريّة ، والمقصود هنا هو قصر المتوكّل بسامراء والذي كان له مثل تلك الحظيرة .

2 الرقة : أرض إلى جانب الوادي ينبسط فيها الماء . بوصرا : إحدى قرى بغداد .

3 ل : على فنن غض النبات من الرند .

4 رواية ل :

بكيت كما يبكي الوليد ولم تزل وأبديت الذي لم تكـن تبدي

5 الصالحية : إحدى قرى الجزيرة .

6 الأصَيبية في ل : أصيبة .

فكم أعطاك لمّا أذِن لك في الانصراف ؟ قال : مائة ألف درهم ؛ فأمر له بمائة ألف درهم ، وأذِن له بالانصراف إلى بغداد . وكان هذا آخرَ عهدنا به ، لأنّ إسحاق توفّي بعد ذلك بشهرين .

[تطيّر من اقتراح الواثق شعراً للغناء]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلت على الواثق أستأذِنه في الانحدار إلى بغدادَ فوجدته مصطبحاً ؛ فقال : بحياتي غنِّ[1] : [من الطويل]

صوت

ألا إنّ أهلَ الدار قد ودّعوا الدارا وإن كان أهلُ الدّارِ في الحيّ أجْوارا
وقد تركوا قلبي حزيناً متيَّماً بذكرهمُ ، لو يَستطيع لقد طارا

فتطيّرتُ من اقتراحه له وغنّيته إيّاه ؛ فشرب عليه مراراً ، وأمر لي بثلاثين ألفَ درهم وأذِن لي فانصرفت ؛ ثم كان آخرَ عهدي به . الشعر لمُطِيع بن إيّاس . والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو .

[استسقى نبيذاً ولكن الدن انكسر]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا عبد الله بن الفرج قال حدّثنا أحمد بن معاوية قال : كنت في بيتي وعَلّويه يُغنيني : [من البسيط]

صوت

أعْرَضْنَ من شَمَطٍ في الرأس لاح به فهُنّ عنه إذا أبصرْنَه حِيدُ
قد كُنَّ يَعهَدْنَ منّي مَنظَراً حَسَناً وجُمّةً حَسَرتْ عنها العناقيدُ

فوردتْ عليّ رُقعة من إسحاقَ الموصليّ يستسقيني نبيذاً ؛ فبعثت إليه بدَنّ مع غلام لي ؛ فلمّا توسّط الغلامُ به الجَسرَ زُحِم فكُسِر ؛ فرجع الغلام إلى إسحاق فأخبره الخبرَ وسأله مسألتي التجافيَ عنه ؛ فكتب إليّ : [من مجزوء الكامل]

يا أحمدُ بن معاويَهْ إنّي رُميت بداهيَهْ
أشكو إليك فأشْكِني كَسْرَ الغلامِ الخابيَهْ
يا ليتها سلمتْ وكا ن فداءها ابنُ الزانيَهْ

فبعثت إليه بأربعة أدنان ، وأعتقتُ الغلام بشفاعته في أمره .

---

1 ل : غنني .

[صنع صوتاً أعجب به المعتصم والواثق]

أخبرني جعفر بن قُدامة ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق الموصليّ قال قال لي حمدون بن إسماعيل رحمه الله : لمّا صنع أبوك رحمه الله هذا الصوتَ : [من المنسرح]

صوت

قِـفْ بالديار التي عفى القِدَمُ وغيَّرَتْهـا الأَرواحُ والدِّيَـمُ
لمّـا وقَفْنـا بهـا نُسائلهـا فاضتْ من القوم أَعيُنٌ سُجُمُ[1]
ذِكْراً لعيشٍ مضى إذا ذكرت مـا فـات منـه فذكره سَقَمُ
وكلُّ عيشٍ دامَـتْ غَضارتُه مُنقطِـعٌ مـرّةً ومُنْصَرِمُ

ولحنُه ثقيلٌ أوّلُ ، أُعجب به المعتصم والواثق جميعاً ؛ فقال له المعتصم : بحياتي اردُدْه على مُخارِق وعَلّويه والجماعة ليأخذوه عنك ، وانصَحْهم فيه ؛ فإنّهم إن أحسنوا فيه نُسبَ إليك إحسانُهم ، وإن أساءوا بان فضلُك عليهم ؛ فردّه عليهم أكثرَ من مائتي مرّة ، وكانوا يقصِدون إلى منزله ويَرُدّه عليهم ، ومات وما أخذوا منه علم الله إلاّ رَسْمَه . الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه ثقيل أوّل .

[في دير القائم وتلّ عزاز]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال[2] : خرجنا مع أمير المؤمنين الرشيد يريد الرّقّة ؛ فلمّا صِرْنا بالموضع الذي يقال له القائم نزلْنا ، وخرج يتصيّد وخرجنا معه ، فأبعد في طلب الصيد ؛ ولاح لي دَيْر فقصدته وقد تعبتُ ، فأشرفتُ على صاحبه ؛ فقال : هل لك في النزول بنا اليوم ؟ فقلت : إي والله ، وإنّي إلى ذلك لمحتاج ؛ فنزل ففتح لي البابَ وجلس يحدّثني ، وكان شيخاً كبيراً وقد أدرك دولة بني أميّة ، فجعل يحدّثني عمّن نزل به من القوم ومَواليهم وجيوشِهم ؛ وعرَض عليَّ الطعامَ فأجبتُه ؛ فقدَّم إليَّ طعاماً من طعام الدِّيارات نظيفاً طيّباً ، فأكلتُ منه ، وأتاني بشرابٍ وريحان طَرِيّ فشربتُ منه ، ووَكّل بي جاريةً تخدِمُني راهبةً لم أرَ أحسن وجهاً منها ولا أشْكَل ؛ فشربتُ حتى سَكِرتُ ، ونمتُ وانتبهتُ عِشاءً ؛ فقلتُ في ذلك : [من الهزج]

صوت

بدَيْر القائِـم الأَقصَى غـزالٌ شادِنٌ أَحْوَى
بَـرى حُبّي له جِسْمِي ولا يَعْلَـمُ مـا أَلقى

---

1 أعين في ل : أدمع .

2 هذه أخبار مكرّرة .

وأكتُمُ حبَّـه جُهدِي ولا واللهِ مـا يَخْفى

ورَكبتُ فلحِقتُ بالمعسكر والرشيدُ قد جلس للشرب وطلبني فلم أُوجَد . وأُخبرتُ بذلك ، فغنَّيتُ في الأبيات ودخلتُ إليه ؛ فقال لي : أين كنتَ ؟ وَيْحَك ! فأخبرته بالخبر وغنَّيته الصوتَ ؛ فطرِب وشرب عليه حتى سَكِر ، وأَخَّر الرحيلَ في غدٍ ، ومَضَيْنا إلى الدَّيْر ونزله ، فرأى الشيخَ واستنطقه ، ورأى الجارية التي كانت تخدِمُني بالأمس ؛ فدعا بطعام خفيف فأصاب منه ، ودعا بالشراب ، وأمر الجاريةَ التي كانت بالأمس تخدِمُني أن تتولَّى خدمتَه وسَقْيَه ففعلتْ ، وشرب حتى طابت نفسه ؛ ثم أمر للدَّيْر بألف دينار ، وأمر باحتمال خراج مزارع كانت له سَبْعَ سنين ؛ فرحَلْنا .

قال حَمّاد : فحدّثني أبي قال : فلمّا صِرنا بتلّ عَزاز من دابِق[1] خرجتُ أنا وأصحاب لي نتنزّه في قرية من قُراها ، فأقمنا بها أيّاماً ، وطلَبني الرشيدُ فلم يَجدني . فلمّا رجَعتُ أتيتُ الفضلَ بن الربيع ؛ فقال لي : أين كنت ؟ طلَبك أميرُ المؤمنين ؛ فأخبرته بنُزْهتنا فغضِب . وخِفتُ من الرشيد أكثر ممّا لقيتُ من الفضل ؛ فقلت : [من الخفيف]

صوت

إنّ قلبـي بالتَّـلِّ تـلِّ عَزازِ عنـد ظَبْيٍ مـن الظِّباء الجَوازِي
شادِنٍ يسكُـنُ الشآمَ وفيـه مع ظَرْف العراقِ شَكْلُ الحجازِ
يـا لَقَومي لبنت قَسٍّ أصابتْ منك صفوَ الهوى وليست تُجازي
حَلَفتْ بالمسيح أن تُنْجِـزَ الوعـ ـدَ وليستْ تَهُـمُّ بـالإنجازِ

وغنَّيتُ فيه ؛ ثم دخلتُ على الرشيد وهو مُغْضَبٌ ؛ فقال : أين كنت ؟ طلبتُك فلم أجِدْك ؛ فاعتذرتُ إليه وأنشدتُه هذا الشعرَ وغنَّيته إيّاه ؛ فتبسَّم وقال : عذرٌ وأبيك وأيُّ عذر ! وما زالَ يشربُ عليه ويَستعِيدُنيه ليلتَه جَمْعاء حتى انصرفنا مع طلوع الفجر . فلمّا وصلتُ إلى رَحْلي إذا برسول أمير المؤمنين قد أتانا يَدْعونا ؛ فوافَيْتُ فدخلتُ ، وإذا ابنُ جامعٍ يتمرّغ على دُكّان في الدار وهو سَكْرانُ يتململ ؛ فقال لي : يا ابنَ الموصليّ ، أتدري ما جاء بنا ؟ فقلت : لا والله ما أدري ؛ فقال : لكنّي والله أدري دِرايةً صحيحةً ، جاءت بنا نَصرانيَّتُك الزانية ، عليك وعليها لعنة الله . وخرج الآذِنُ فأذِنَ لنا ، فدخلنا . فلمّا رأيتُ الرشيد تبسَّمتُ ؛ فقال لي : ما يُضحكك ؟ فأخبرته بقول ابن جامع ؛ فقال : صَدَق ، ما هو إلاّ أن فقدتُكم فاشتقتُ إلى ما كنّا فيه ، فعُودوا بنا ، فعُدْنا فيه حتى انقضى مجلسنا وانصرفنا .

---

1 دابق : من قرى حلب .

لحن إسحاق الأوّل : [من الهزج]

بدَيـــر القائـــمِ الأقصى

خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى . وفيه للقاسم بن زُرْزُور ثقيلٌ أوّلُ . ولحنه في : [من الخفيف]

إنّ قلبي بالتَّلّ تلّ عَزازِ

خفيفُ رَمَلٍ .

[دخل على الرشيد ضارباً مغنّياً]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثني حَمّاد عن أبيه قال : دخلتُ على الرشيد يوماً في عمامة قد كَوَّرتُها على رأسي ؛ فقال : ما هذه العمامة ! كأنّك من الأنبار . فلمّا كان من غدٍ دعا بنا إليه ، فأمهلتُ حتى دخل المغنُون جميعاً قبلي ، ثم دخلتُ عليه في آخرهم ، وقد شددتُ وسطي بمِشَدّة حرير أحمر ، ولبِستُ لباساً مُشْتَهِراً ، وأخذتُ بيدي صَفَّاقَتَيْن وأقبلتُ أخْطِر وأضرب بالصَّفّاقَتَيْن وأغني : [من المجتث]

إسمعْ لصوتٍ مليـــحٍ مـــن صنعـــة الأنباري

صوتٍ خفيفٍ ظريفٍ يطيـــرُ في الأوتـــارِ

فبسط يده إليَّ حتى كاد يقوم ، وجعل يقول : أحسنتَ وحياتي ! أحسنتَ أحسنتَ ! حتى جلستُ ، ثم شرب عليه بقيَّةَ يومه ، وما استعاد غيرَه ، وأمر لي بعشرين ألف درهم . لحنُ إسحاق في هذا الشعر هَزَج .

[لحن لذلك الشيطان إسحاق]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد قال حدّثني أحمد بن يحيى المَكّيّ قال : كنتُ عند الفضل بن الربيع ، فغنّى بعضُ مَنْ كان عنده : [من الرمل]

صوت

كلُّ شيء منكِ في عيني حَسَنْ ونَصِيبي منـكِ هـمٌّ وحَزَنْ

لا تَظُنّـي أنّـــه غيَّـــرني قِدَمُ العهـــد ولا طولُ الزمنْ

فقال لي : أتدري لمن هذا ؟ فقلت : لبعض الطُّنْبُورِيِّين ؛ فقال : لا ولكنّه لذلك الشيطان إسحاق . لحنُ إسحاق في هذين البيتين رَمَلٌ بالوسطى من مجموع أغانيه .

[شعره في جارية سقته في الطريق إلى طوس]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال : لمّا خرجنا مع الرشيد إلى طُوس كنتُ معه أُسايِرُه ، فاستسقَيتُ ماءً من منزلٍ نزلناه يقال له سَحْنة[1] ، فخرجتْ إلينا جاريةٌ

1 موضع .

كأنّها ظبيةٌ ، فسقَتْني ماءً ؛ فقلتُ هذا الشعر : [من الوافر]

غـزالٌ يَرْتَعِـي جَنَباتِ وادٍ بسَحْنَةَ قـد تمكَّنَ في فؤادِي

سقاني شَرْبَـةً كانـت شِفاءً لِعِلَّةِ حائِـمٍ حَـرّانَ صادِي[1]

وغنَّيته الرشيدَ ؛ فقال لي : أتحبُّ أن أزوِّجكها ؟ فقلتُ : نعم والله يا سيّدي . قال : فاخطُبها والمهرُ عليّ وما يُصلحها ؛ فخطبتُها ، فأبى أهلها أن يُخرجوها من بلدها . لحنُ إسحاقَ في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ . وفيه لعَلّويه خفيفُ رَمَلٍ .

[أحد العامّة يأخذ صوتاً عنه]

أخبرني جعفر بن قُدَامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال لي أبي : ما اغتممتُ بشيء قطّ مثلَ ما اغتممتُ بصوتٍ مليحٍ صنعته في هذا الشعر : [من المديد]

صوت

كان لي قلبٌ أعيشُ بـه فاكتَـوى بالنـارِ فاحتَرَقا

أنـا لم أُرزَقْ مَحَبّتهـا إنّمـا للعبـد مـا رُزِقا

مَنْ يكن ما ذاقَ طعمَ رَدىً ذاقـه لا شكَّ إن عَشِقا

فإنّي صنعتُ فيه لحناً وجعلتُ أُردّده في جَناحٍ لي سَحَراً ؛ فأظنّ أنّ إنساناً من العامّة مرَّ بي فسمعه فأخذه ؛ فبكّرتُ من غدٍ إلى المعتصم لأُغنّيه ، فإذا أنا بسَوّاط يَسُوط[2] الناطِفَ وهو يُغنّي اللحنَ بعينه إلاّ أنّه غناء فاسِدٌ . فعجبتُ وقلتُ : تُرى من أين لهذا السَّوّاط هذا الصوت ! ولعلّي إذا غنّيتُه أن يكون قد مرَّ بي هذا فسمعني أُغنّيه ؛ وبقيتُ مُتحيِّراً ، ثم قلت : يا فتى ، ممّن سمعت هذا الصوت ؟ فلم يجبني والتفتَ إلى شريكه ، وقال : هذا يسألني ممّن سمعته ! هذا غنائي ، والله لو سمِعه إسحاق الموصليّ لَخَرِىء في سَراويله ؛ فبادرتُ والله هارباً خوفَ أن يمرَّ بي إنسانٌ فيسمع ما جرى عليّ فأفتضِح ؛ وما علم الله أنّي نطقت بذلك الصوتِ بعدها .

[جوابه في أُحجية]

حدّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني حمّاد بن إسحاق قال : كتب إبراهيمُ بن المهديّ إلى أبي : أيّ شيء تصحِيفُ : «لا يُرِيحُ مثلُ الأَسِنّة» . فكتب إليه أبي : تصحيفُه : «لا يَرِثُ جمِيلٌ إلاّ بُثَينة» ؛ فكتب إليه : وَيْ منك ! .

[مديحه جعفر بن يحيى]

أخبرنا جعفر قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال : دخلتُ يوماً على جعفر بن يحيى ، فرأى

---

1 حائم : عطشان .

2 يسوط : يخلط .

شَفَتيَّ تتحرّكانِ بشيء كنتُ أعمله ؛ فقال : أتدعو أم تَصنع ماذا ؟ فقلتُ : بل أمدح ؛ قال : قُل ؛ فقلت : [من الطويل]

صوت

وكنتُ إذا إذنٌ عليك جَرى لنا تجلَّـى لنا وجـهٌ أغَرُّ وسِيمُ
علانِيَـةٌ محمـودةٌ وسِريـرةٌ وفِعـلٌ يَسُرُّ المُعْتَفِـينَ كريمُ

فاحتبَسني وأمر لي بمال جليل وكُسوةٍ ، وقال : زِدِ البيتين حُسناً بأن تصنع فيهما لحناً ؛ فصنعتُ لحناً من الثقيل الثاني ؛ فلم يزل يَشربُ عليهما حتى سَكِر .

[طفيلي ومقترح]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه أنّه حدّثه قال : غدوتُ يوماً وأنا ضَجِرٌ من ملازمةِ دار الخلافةِ والخدمةِ فيها ؛ فخرجتُ وركِبتُ بُكرةً ، وعزمتُ على أن أطوفَ الصحراءَ وأتفرَّجَ ؛ فقلتُ لغلماني : إن جاء رسول الخليفة أو غيرُه فعرِّفوه أنّي بكَّرتُ في بعض مُهِمّاتي ، وأنّكم لا تعرِفون أينَ توجّهتُ ؛ ومضيتُ وطُفتُ ما بدا لي ، ثم عُدتُ وقد حَمِي النهارُ ؛ فوقفتُ في الشارع المعروف بالمخرَّمِ في فناءٍ ثَخين الظلّ وجَناحٍ رَحْبٍ على الطريق لأستريحَ . فلم أَلبَثْ أن جاء خادمٌ يقودُ حماراً فارِهاً عليه جاريةٌ راكبة ، تحتها مِنديلٌ دَبِيقيّ وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده ، ورأيتُ لها قَواماً حسناً وطَرْفاً فاتِراً وشمائلَ حسنةً ؛ فَخَرَصْتُ[1] عليها أنّها مُغنّية ، فدخلتِ الدار التي كنتُ واقفاً عليها . ثم لم أَلبث أن جاء رجلانِ شابّانِ جميلانِ ، فاستأذنا فأُذِن لهما فنزلا ونزلتُ معهما ودخلتُ ؛ فظنا أنّ صاحبَ الدار دعاني وظنّ صاحبُ الدار أنّي معهما ؛ فجلسنا ، وأُتي بالطعام فأكلنا وبالشراب فوُضِع ، وخرجتِ الجاريةُ وفي يدها عودٌ فغنَّتْ وشرِبنا ؛ وقمتُ قومةً ، وسأل صاحبُ المنزل الرجلين عنّي فأخبراه أنّهما لا يعرفاني ؛ فقال : هذا طُفَيليٌّ ، ولكنّه ظريفٌ ، فأجْمِلوا عِشْرتَه . وجئتُ فجلستُ ؛ وغنَّتِ الجاريةُ في لحنٍ لي : [من الطويل]

ذَكَرتُكِ أن مرَّتْ بنا أُمُّ شادِنٍ أمامَ المطايـا تَشرئِبُّ وتَسْنَحُ
من المؤلفاتِ الرملِ أدْماءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِها يَتوضَّحُ

فأدّتْه أداء صالحاً وشَرِبت . ثم غنَّت أصواتاً شتّى ، وغنَّتْ في أضعافها من صنعتي : [من مجزوء الخفيف]

1 فخَرصْتُ : قدرتُ .

الطُّلُـــولُ الدوارِسُ فارقَتْهـــــا الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعــد أَهلها فهــي قَفْــرٌ بَسابِسُ

فكان أَمرُها فيه أَصلحَ منه في الأَوّل . ثم غنَّتْ أَصواتاً من القديم والحديث ، وغنَّتْ في أَثنائها من صنعتي : [من مجزوء الخفيف]

قُـل لِمن صَـدَّ عاتِباً ونـأَى عنــكَ جانبَا
قــد بلَغْتَ الذي أَرَد تَ وإن كنــتَ لاعِبا

فكان أَصلحَ ما غنَّته ؛ فاستَعَدْتُه منها لأُصحِّحه لها ؛ فأَقبل عليّ رجل من الرجلين وقال : ما رأيتُ طُفَيليّاً أَصفقَ وجهاً منك ! لم تَرْضَ بالتطفيل حتى اقتَرحْتَ ، وهذا غايةٌ المثل[1] «طُفَيلِيٌّ ومُقْتَرِحٌ» ؛ فأَطرَقْتُ ولم أُجبه ؛ وجعل صاحبُه يَكُفُّه عنّي فلا يَكُفُّ . ثم قاموا للصلاة وتأَخّرتُ قليلاً ، فأَخذتُ العود من الجارية ، ثم شددتُ طبقَه وأَصلحتُه إصلاحاً محكماً ، وعُدتُ إلى موضعي فصلَّيتُ ، وعادوا ؛ ثم أَخذ ذلك الرجلُ في عَرْبَدتِه عليّ وأَنا صامتٌ ؛ ثم أَخذتِ الجاريةُ العودَ فجَسَّتْه وأَنكرتْ حاله وقالت : مَنْ مَسَّ عُودي ؟ قالوا : ما مسَّه أَحدٌ ! قالت : بلى ، والله لقد مسَّه حاذقٌ متقدّم وشَدّ طبقتَه وأَصلحه إصلاحَ مُتَمكّن من صناعته ؛ فقلتُ لها : أَنا أَصلحتُه ؛ قالت : فبالله عليك خُذْه واضرِب به ؛ فأَخذتُه وضربتُ به مَبدَأ صحيحاً ظريفاً عجيباً صَعْباً ، فيه نَقَراتٌ محرّكةٌ ؛ فما بقي أَحدٌ منهم إلاّ وثَبَ على قدميه وجلس بين يديّ ؛ ثم قالوا : بالله يا سيّدَنا أَتُغنّي ؟ فقلتُ : نعم ، وأُعرِّفُكم نفسي ، أَنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الموصليّ ، ووالله إنّي لأَتِيهُ على الخليفة إذا طلبني وأَنتم تُسمِعُونَني ما أَكره منذ اليوم لأَنّي تملَّحتُ معكم ؛ فوالله لا نَطقتُ بحرفٍ ولا جلستُ معكم حتى تُخرِجوا هذا المُعَرْبِدَ المَقِيتَ الغَثَّ ؛ فقال له صاحبه : مِن هذا حَذِرتُ عليك ؛ فأَخذ يَعتذِرُ ؛ فقلتُ : والله لا نطقتُ بحرف ولا جلستُ معكم حتى يُخْرَجَ ؛ فأَخذوا بيده فأَخرجوه وعادوا . فبدأتُ وغنّيتُ الأَصواتَ التي غنَّتها الجاريةُ من صنعتي ؛ فقال لي الرجلُ : هل لك في خَصْلةٍ ؟ قلتُ : ما هي ؟ قال : تُقيمُ عندي شهراً ، والجاريةُ والحِمارُ لك مع ما عليها من حُليّ ؛ قلت : أَفعل ، فأَقمتُ عنده ثلاثين يوماً لا يَدري أَحدٌ أَين أَنا ، والمأمونُ يَطلُبني في كلّ موضع فلا يعرفُ لي خبراً . فلمّا كان بعد ثلاثين يوماً أَسلم إليّ الجاريةَ والحمارَ والخادمَ ؛ فجئتُ بذلك إلى منزلي ، وركِبتُ إلى المأمون من وقتي ؛ فلمّا رآني قال : إسحاقُ ! وَيْحَك ، أَين تكون ؟ فأَخبرتُه بخبري ؛ فقال : عليّ بالرجل الساعةَ ؛ فدللتُهم على بيته فأُحضِر ؛ فسأَله المأمونُ عنِ القصّة فأَخبره ؛ فقال له : أَنت رجلٌ ذو

1 المثل : «طفيلي ومقترح» في مجمع الميداني 1 : 442 .

مروءةٍ وسَبيلُكَ أن تُعاوَنَ عليها ، وأمر له بمائة ألف درهم ، وقال : لا تُعاشِرنّ ذلك المعربدَ النّذْلَ ألبتّةَ ؛ وأمر لي بخمسين ألف درهم ، وقال : أحضِرْني الجاريةَ ، فأحضرتُها فغنّته ؛ فقال لي : قد جعلتُ لها نوبةً في كلّ يوم ثُلاثاء تُغَنّيني وراءَ الستارة مع الجواري ؛ وأمر لها بخمسين ألف درهم . فربحتُ والله بتلك الرَّكْبةِ وأَربَحْتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

ذكرتكِ أن مرّتْ بنا أمّ شادِنٍ أمامَ المطايا تشرئبّ وتَسْنَحُ
من المؤلفاتِ الرمل أدماءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتنِها يَتوضَّحُ

الشعرُ لذي الرُّمّة . والغناءُ لإسحاقَ ثقيل أوّلٌ بالسبابة والوسطى ، عن ابن المكّيّ . ومن أغاني إسحاق : [من مجزوء الخفيف]

صوت

قُل لمَن صَدَّ عاتِباً ونأى عنك جانِبَا
قد بلَغْتَ الذي أرد تَ وإن كنتَ لاعِبا

الشعرُ والغناء لإسحاقَ . وقد تقدَّم خبره قبل هذه الأخبار . [من مجزوء الخفيف]

الطُّلُولُ الدَّوارِسُ فارقَتْها الأَوانِسُ
أَوْحشتْ بعد أهلها فهي قَفْرٌ بَسابِسُ

الشعرُ لابن ياسين ، شاعر مجهول قليل الشعر ، كان صديقاً لإسحاق . والغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ . وهذا الصوت من أوابد إسحاق وبدائعه . وقد ذكرنا ما كان من فعله فيه قبل هذا .

[إعجاب الواثق بصوت له]

أخبرني عمّي قال حدّثني يزيدُ بن محمّد المهلّبيّ قال : كنتُ عند الواثق ؛ فغنّته «شجى» التي وهبها له إسحاقُ هذا الصوتَ ؛ فقال لمخارق وعَلّويه : والله لو عاش مَعْبَدٌ ما شقَّ غبارَ إسحاقَ في هذا الصوتِ ؛ فقالا له : إنّه لحسنٌ يا أمير المؤمنين ؛ فغضب وقال : ليس عندكما فيه إلاّ هذا ! ثم أقبل على أحمدَ بن المكّيّ فقال : دعني من هذين الأحمقين ؛ أوّلُ بيتٍ في هذا الصوت أربعُ كلمات : «الطلول» كلمة ، و«الدوارس» كلمة ، و«فارقتها» كلمة ، و«الأوانس» كلمة ؛ فانظر هل ترك إسحاقُ شيئاً من الصنعة يَتصرَّفُ فيه المغنّي لم يُدخِلْه في هذه الكلمات الأربع ! بدأ بها نشيداً ، وتلاه بالبسيط ، وجعل فيه صِياحاً ، وإسجاحاً ، وترجيحاً للنَّغَم ، واختلاساً

فيها ، وعمِل هذا كلَّه في أربع كلمات ، فهل سمِعتَ أحداً تقدّم أو تأخّر فعل مثل هذا أو قدر عليه ؟ ! فقال : صدق أميرُ المؤمنين ، قد لحِق مَنْ قبله وسبقَ مَنْ بعده .

[شعره في دير مريم]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدّثني ميمونُ بن هارون قال حدّثني إسحاق قال : لمّا خرجتُ مع الواثق إلى النَّجَف دُرْنا بالحِيرة ومرَرْنا بدِياراتِها ؛ فرأيتُ ديرَ مريمَ[1] بالحِيرة ، فأعجبني موقعُه وحسنُ بنائه ؛ فقلتُ : [من البسيط]

نِعمَ المحلُّ لمن يسعَى لِلَذّته ديرٌ لمريمَ فوقَ الظهر معمورُ
ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ غيرُ ذي أَسَنٍ وقاصِراتٌ كأمثال الدُّمى حُورُ

فقال الواثقُ : لا نَصطبِحُ والله غداً إلاّ فيه ؛ وأمر بأن يُعدَّ فيه ما يَصلُحُ من الليل ؛ وباكرناه فاصطبَحْنا فيه على هذا الصوتِ ؛ وأمر بمالٍ ففُرِّق على أهل ذلك الدَّيرِ ، وأمر لي بجائزة . لحنُ إسحاق في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

[غناؤه بشعر على بساط طاهر]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : أخرج إليّ عبدُ الله بن طاهر يوماً بيتَيْ شعرٍ في رُقْعة وقال : هذان البيتان وجدتُهما على بِساطٍ طَبَريّ أصبَهْبُذِيّ أُهدي إليَّ من طَبَرِسْتانَ ، فأُحبُّ أن تُغنّيني فيهما ؛ فقرأتُهما فإذا هما : [من مجزوء الخفيف]

لَجَّ بالعين واكفُ مِن هَوىً لا يُساعِفُ
كُلَّما كفَّ غَرْبُها هَيَّجتْه المعازِفُ

قال : فغنّيت فيهما وغَدَوتُ بهما إليه ، فأُعجِب بالصوت ووصلني بصِلة سنيّةٍ ، وكان يَشتهيه ويَقترحه ، وطرحتُه على جميع جواريه ، وشاع خبر إعجابه به . فبينا المعتصمُ يوماً جالسٌ يُعْرَضُ عليه فرشُ الربيع ، إذ مرَّ به بِساطُ ديباجٍ في نهاية الحسن عليه هذان البيتان ومعهما : [من مجزوء الخفيف]

إنّما المـوتُ أن تفـا رقَ مَـنْ أنت آلِفُ
لـك حُبَّانِ في الفـؤا د تَلِيـدٌ وطـارِفُ

فأمرَ بالبساطِ فحُمِل إلى عبد الله بن طاهر ، وقال للرسول : قل له : إنّي قد عرفتُ شغفك بالغناء في هذا الشعر ، فلمّا وقع هذا البساط أحبَبْتُ أن أُتِمَّ سرورَك به . فشكر عبدُ الله ما تأدّى إليه من هذه الرسالة وأعظمَ مقدارَه ، وقال لي : والله يا أبا محمّد لسَرُوري بتمام الشعرِ أشدُّ من

1 دير مريم : المقصود هنا هو الدير الذي بناه المنذر . وهناك دير آخر بهذا الاسم بالشام .

سروري بكلّ شيء ، فألحِقهما في الغناء بالبيتين الأوّلين ، فألحقتهما .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من مجزوء الخفيف]

لجَّ بـالعين واكـفُ مِن هوىً لا يُساعِفُ
كلّما كـفَّ غَرْبُها هيَّجتْـــه المعـازِفُ
إنّمـا المـوتُ أن تُفا رِقَ مَـنْ أنتَ آلِفُ
لـك حُبَّانِ في الفؤا دِ تَلِيـدٌ وطـارِفُ

ولم أعرف من خبر شاعره غيرَ ما ذكرتُه في هذا الخبر . والغناء لإسحاقَ هَزَجٌ بالوسطى .

[مقدار صنعته]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدِينيّ عن ابن المَكّيّ عن أبيه قال : قلت لإسحاق يوماً : يا أبا محمّد ، كم تكونُ صنعتُك ؟ فقال : ما بلغت مائتين قطُّ .

[مرضه ووفاته]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق قال : قال لي وكيل بن الحَرُونيّ : قلت لأبيك إسحاق : يا أبا محمّد ، كم يكون غناؤك ؟ قال : نحواً من أربعمائة صوت . قال : وقال له رجل بحضرتي : مالك لا تُكثر الصنعةَ كما يُكثر الناس ؟ قال : لأنّي إنّما أنقُر في صخرة .

ولإسحاق أخبار كثيرة قليلة الفائدة كثيرة الحَشْو ، طرحتُها لذلك ؛ وله أخبار أُخَر حسُن ذكرها في مواضع تليق بها فأخّرتها واحتبستها عليها ؛ وفيما ذكرتُه هاهنا منها مقنع .

وتوفّي إسحاق ببغداد في أوّل خلافة المتوكّل . فأخبرني الصُّوليّ قال ذكرَ إبراهيمُ بن محمّد الشّاهِينيّ :

أنّ إسحاق كان يسأل اللهَ ألاّ يبتليه بالقُولَنْج لما رأى من صعوبته على أبيه ؛ فرأى في منامه كأنّ قائلاً يقول له : قد أُجيبت دعوتُك ولستَ تموت بالقولنج ، ولكنّك تموت بضدّه ، فأصابه ذَرَبٌ في شهر رمضان سنةَ خمسٍ وثلاثين ومائتين ؛ فكان يتصدّق في كلّ يوم أمكنه أن يصومه بمائة درهم ؛ ثم ضعُف عن الصوم فلم يُطِقْه ومات في شهر رمضان .

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثني يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال : نُعِي إسحاقُ إلى المتوكّل في وسط خلافته ، فغمّه وحَزِن عليه ، وقال : ذهب صدرٌ عظيمٌ من جمال المُلك وبهائه وزينته ؛ ثم نُعِي إليه بعده أحمدُ بن عيسى بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقال : تكافأت الحالتان ، وقام الفتح بوفاة أحمد وما كنت آمَنُ وَثْبَتَه عليّ مقامَ الفَجيعة بإسحاق ؛

فالحمد لله على ذلك .

حدَّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني رجل من الكتّاب من أهل قُطْرُبُّل قال حدّثني أبي عن أبيه قال : رأيت فيما يرى النائم قائلاً يقول لي : [من مجزوء الكامل]

مات الحُسان ابـن الحُسا نِ ومات إحسانُ الزمانِ

فأصبحت من غد فركبت في بعض حوائجي ، فتلقّاني خبر وفاة إسحاق الموصليّ .

[ما رثاه به الشعراء]

وقال إدريس بن أبي حَفْصة يرثي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : [من الطويل]

سقى اللهُ يـا ابنَ الموصليّ بوابِلٍ مـن الغيث قبراً أنت فيه مقيمُ
ذهبتَ فأوحشتَ الكرامَ فمايَنِي بعَبْرتـه يَبْكـي عليـك كريـمُ
إلى الله أشكو فقدَ إسحاق إنّني وإن كنـت شيخاً بالعراق يَتيمُ

وقال محمّد بن عمرو الجُرجانيّ يرثيه : [من الطويل]

على الجَدَثِ الشرقيّ عُوجا فسلِّما ببغدادَ لمّـا ضَـنّ عنـه عوائدُهْ
وقُولا لـه لـو كان للموت فِدْيةٌ فَداك من الموت الطَّريفُ وتالِدُهْ
أإسحاقُ لا تَبْعَدْ وإن كان قد رمى بك الموتُ وِرْداً ليس يَصْدُر واردُهْ
إذا هزَل اخضرّتْ فنونُ حديثه ورقَّتْ حَواشِيه وطابت مَشاهدُهْ
وإن جَدَّ كان القول جِدّاً وأقسمتْ مَخارجُـه ألاّ تَلـينَ مَعاقِدُهْ
فبَـكٍّ على ابن الموصـليّ بعَبْرةٍ كما ارْفَضَّ من نَظْم الجُمان فرائدُهْ

وقال مصعَب بن عبد الله الزُّبيريّ يرثيه ، نسخت ذلك من كتاب جعفر بن قُدامة ، وذكر أنّ حَمّاد بن إسحاق أنشده إيّاها ، ونسختُه أيضاً من كتاب الحِرْميّ بن أبي العَلاء يذكر فيه عن الزُّبير عن عمّه مصعَب أنّه أنشده لنفسه يرثي إسحاق : [من الطويل]

أتَدْرِي لَمن تَبْكي العيونُ الذَّوارفُ وينهلّ منها واكِفٌ ثـم واكِفُ
نعمْ لامرىء لم يبقَ في الناس مثلُه مفيدٌ لعلم أو صديـقٌ مُلاطِفُ
تجهَّـز إسحاقٌ إلى الله غاديـاً فللّه مـا ضُمَّتْ عليه اللفائفُ
وما حمَـل النعشَ المزجَّـى عشيَّةً إلى القبر إلاّ دامعُ العـين لاهِفُ
صدورهمُ مَرْضى عليـه عَميدةٌ لها أزْمةٌ مـن ذكره وزَفازِفُ

تـــرى كلَّ محزون تَفيض جفونُه ... دموعاً على الخدّين والوجهُ شاسِفُ[1]
جُزِيتَ جـزاءَ المحسنين مضاعفاً ... كما كان جَدْواك النَّدى المتضاعِفُ
فكم لك فينا مـن خلائقَ جَزْلةٍ ... سبَقتَ بها منها حديثٌ وسالفُ
هي الشّهدُ أو أحلى إلينـا حلاوةً ... من الشهد لم يمزُج به الماءَ غارِفُ
ذهبتَ وخلّيتَ الصديـق بعَوْلةٍ ... به أسفٌ مـن حزنـــه مترادِفُ
إذا خَطَراتُ الذكر عـاودْنَ قلبَه ... تتابـع منهـــنّ الشؤونُ النوازفُ
حبيبٌ إلى الإخوان يَرْزُون مالَه ... وآتٍ لما يأتي امرؤ الصدقِ عارفُ
هـو المَـنّ والسَّلْوى لمن يستفيده ... وسمٌّ على من يشرب السمّ زاعِفُ
بكت دارُه مـن بعده وتنكّرتْ ... مَعالمُ مـــن آفاقِهـا ومعارفُ[2]
فما الدار بالدار التي كنت أعترِي ... وإنّي بها لولا افتقادِيك عارفُ
هـــي الدار إلاّ أنّها قد تخشّعتْ ... وأظْلم منها جانبٌ فهو كاسِفُ
وبَـانَ الجمال والفَعال كلاهما ... من الدار واستَنَّتْ عليها العواصفُ[3]
خلت دارُه مـن بعـده فكأنّما ... بعاقبةٍ لم يَغْـنَ في الدار طارفُ
وقـــد كان فيها للصديق مُعَرَّسٌ ... وملتمسٌ إن طاف بالدار طائفُ[4]
كرامـــةُ إخوانِ الصفاء وزُلفـــةٌ ... لمن جـــاء تُزْجيه إليه الرَّواجِفُ
صَحابتُه الغُرّ الكـــرام ولم يكن ... ليَصْحبَه السُّودُ اللئـــام المَقارِفُ[5]
يَؤول إليـه كلّ أبلـجَ شامـخٍ ... ملـــوكٌ وأبناء الملوك الغَطارفُ
فلُقِّيتَ في يمنى يديْك صحيفةً ... إذا نُشرتْ يومَ الحساب الصحائفُ
يَسُرّ الذي فيهـا إذا ما بـــدا له ... ويَفْتَرُّ منهـا ضاحكاً وهو واقفُ
بما كان ميموناً على كلّ صاحب ... يُعـــين على مـا نابـــه ويُكانِفُ[6]
سريـــعٌ إلى إخوانـــه برضائـه ... وعن كلّ ما ساء الأخِلاّءِ صارِفُ

1 شاسف : يابس ضمراً وهزالاً .
2 بعده في ل : فقده . آفاقها في ل : آياتها .
3 استنت : انصبت .
4 المعرس : المكان الذي ينزل فيه المسافر آخر الليل للاستراحة .
5 المقارف : الأنذال .
6 نابه في ل : ناله .

أرى الناسَ كالنَّسْناس لم يبق منهمُ خلافَـــك إلاّ حُشوةٌ وزَعانِفُ[1]

أخبرنا يحيى بن عليّ قال : أنشدني أبو أيّوبَ لأحمد بن إبراهيم يَرْثِي إسحاقَ في قصيدة له : [من الوافر]

لقد طاب الحِمامُ غداةَ ألْوَى بنفس أبـي محمّـــدٍ الحِمـامُ
فلـو قُبِـلَ الفِدَاءُ إذاً فَدَتْهُ ملـوكٌ كان يألفهـا كـرامُ
فلا تَبْعَد فكلُّ فتـىً سيَثْوِي عليـه التُّرْبُ يُحْثى والرِّجامُ

قال وقال أيضاً يرثيه : [من الكامل]

لله أيُّ فتـىً إلى دار البِلَى حمَل الرجالُ ضُحىً على الأعوادِ
كم من كريم ما تَجِفُّ دموعُه من حاضرٍ يبكي عليـه وبادِ
أمسى يؤبِّنـه ويعرف فضلَه من كان يَثْلِبـه مـن الحُسّادِ
فسقتْكَ يا ابنَ الموصليّ روائحٌ تُرْوِي صداكَ بصَوْبها وغَوادِ

قال الأصفهاني : وقد بقيت من أخبار إسحاق بقايا مثلُ أخباره مع بني هاشم ، وأخباره مع إبراهيم بن المهديّ وغيرها ، فإنّها كثيرة ، ولها مواضع ذُكِرت فيها وحسُن ذكرها هنالك ، فأخّرتُها لذلك عن أخباره التي ذُكرت هاهنا ، حَسْبما شرَطنا في أوّل الكتاب .

وممّا في المائة المختارة من صنعة إسحاق بن إبراهيم :

صوت

[من الطويل]

ألا قاتلَ اللهُ اللِّوَى من مَحَلَّةٍ وقاتلَ دُنْيانا بها كيف ذَلّتِ
غَنِينا زماناً باللِّوَى ثم أصبَحتْ عِراصُ اللِّوَى من أهلها قد تخلَّتِ

عَرُوضه من الطويل . الشعرُ للصِّمَّة القُشَيْريّ ، والغِناء لإسحاق ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى في مجراها .

* * * *

1 الحشوة والزعائف : أراذل الناس قليلو القدر .

الفهرس

[62] ـ ذكر النابغة الجَعْديّ ونسبه وأخباره والسبب الذي من أجله قيل هذا الشعر . . 5
63 ـ [حرب بكر وتغلب] 24
[64] ـ ذكر الهذلي وأخباره 42
[65] ـ ذكر عبيد الله بن قيس الرقيّات ونسبه وأخباره 48
[66] ـ ذكر مالك بن أبي السَّمْح وأخباره ونسبه 68
[67] ـ خبر النَّهْديّ في هذا الشعر وخبر الوليد بن عُقبة 79
[68] ـ ذكر باقي خبر الوليد بن عُقْبة ونسبه 82
[69] ـ نسب إبراهيم الموصليّ وأخباره 102
[70] ـ شيء من ذكر ابن هَرْمة أيضاً 168
[71] ـ أخبار إسحاقَ بنِ إبراهيم 173

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد السادس

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

6

جَميع الحُقوق محَفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005 م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008 م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphaḥānī)

ISBN 9953-13-045-0

[72] ـ أَخبار الصِّمَّة القُشيريّ ونسبه[1]

[نسبه]

هو الصِّمَّةُ بن عبد الله بن الطُّفَيْل بن قُرّة بن هُبَيْرة بن عامر بن سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ بن معاوية بن بكر بن هَوازِن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر بن نِزار ، شاعرٌ إسلاميّ بَدَوِيٌّ مُقِلّ ، من شعراء الدولة الأُمويّة .

[هو شاعر مُقل من شعراء الدولة الأُموية]

ولجَدّه قُرّة بن هُبَيرة صحبة بالنبيّ ﷺ ، وهو أَحد وفود العرب الوافدين عليه ﷺ وآله .

[وفد جدّه قُرّة على النبيّ ﷺ]

أَخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرَّازي وعمّي قالا حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أَبي بكر الهُذَليّ وابن دَأْب وغيرِهما من الرُّواة قالوا : وفد قُرّة بن هُبيرة بن عامر بن سَلَمةِ الخير بن قُشَيْر بن كعب بن رَبيعة إلى النبيّ ﷺ فأَسلمَ ، وقال له : يا رسول الله ، إنّا كنّا نعبد الآلهة[2] لا تنفعنا ولا تضرّنا ؛ فقال له رسول الله ﷺ : «نِعْم ذا عقلاً» .

[قصّته في حبّه وزواجه]

وقال ابن دَأْب : وكان من خبر الصِّمَّة أَنّه هَوِي امرأَةً من قومه ثم من بنات عمِّه دِنْيةً[3] يُقال لها العامريّة بنت غُطَيْف بن حَبيب بن قُرّة بن هُبَيرة ؛ فخطبها إلى أَبيها فأَبى أَن يزوّجه إيّاها ؛ وخطبها عامر بن بشر بن أَبي بَراء بن مالك بن مُلاعِب[4] الأَسنّة بن جعفر بن كِلاب ، فزوّجه إيّاها . وكان عامر قصيراً قبيحاً ؛ فقال الصِّمَّة بن عبد الله في ذلك : [من الطويل]

فإنْ تُنْكِحوها عامراً لاطّلاعكم إليــه يُدَهْدِهْكــم برجليه عامرُ

شبّهه بالجُعَل الذي يُدَهْدِهُ البعرةَ برجليه .

قال : فلمّا بَنَى بها زوجُها ، وجَد الصِّمَّةُ بها وَجْداً شديداً وحزِن عليها ؛ فزوّجه أَهلُه امرأَةً

---

1 انظر أَخبار الصِّمَّة القشيريّ في ديوانه جمع وتحقيق د . عبد العزيز محمّد الفيصل ، النادي الأَدبي ـ الرياض 1981 وفي سبائك الذهب 45 وإصلاح المنطق 404 وجنى الجنتيْن 62 ومعجم البلدان 348/3 .

2 ل : آلهة .

3 دنية : أي لاصقة النّسب .

4 مُلاعب الأَسنة : كنية أبو براء ، واسمه عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

منهم يقال لها جَبْرة بنت وَحْشيّ بن الطُّفَيل بن قُرّة بن هُبيرة ؛ فأقام عليها مُقاماً يسيراً ، ثم رحل إلى الشام غضباً على قومه ، وخلّف امرأته فيهم ، وقال لها : [من الطويل]

كُلي التمرَ حتّى تَهْرَمَ النخلُ واضفِري ... خِطامَك ما تدرين ما اليومُ من أمسِ

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

لَعَمْرِي لئن كنتم على النأي والقِلَى ... بكم مثلُ مـا بـي إنّكم لصديقُ
إذا زَفَراتُ الحبّ صَعَّدن في الحَشا ... رُدِدن ولم تُنْهَجْ لهـنّ طريقُ

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

إذا ما أَتتنا الريحُ من نحو أَرضِكم ... أَتتنـا برَيّـاكم فطـاب هُبوبُها
أَتتنـا بريح المسكِ خالَـطَ عنبـراً ... وريحِ الخُزامَـى باكرتْهـا جَنُوبُها

وقال فيها أيضاً : [من الكامل]

هـل تَجْزِينّـي العامريّـةُ موقفي ... على نسوةٍ بين الحِمَى وغَضَى الجمرِ[1]
مَـرَرْنَ بأسباب الصِّبـا فذكَرْنُها ... فأَومأْتُ إذ ما من جوابٍ ولا نُكْرِ

[موته بطبرستان]

وقال ابن دَأْب : وأَخبرني جماعة من بني قُشَير أَنّ الصِّمَّة خرج في غَزِيٍّ من المسلمين إلى بلد الدَّيْلم فمات بطَبَرِسْتان .

قال ابن دَأب : وأَنشدني جماعة من بني قُشَير للصِّمَّة : [من الطويل]

صوت

أَلا تسأَلانِ اللهَ أَن يَسقِيَ الحِمَى ... بَـلى فسَقَى اللهُ الحِمَى والمَطالِيَا[2]
وأَسأَلُ مَن لاقيتُ هل مُطِر الحِمَى ... فهل يسأَلنْ عنّي الحِمَى كيف حاليا

الغناء في هذين البيتين لإسحاق ، ولحنه فيهما من الثقيل الأَوّل بالوسطى ، وهو من مختار الأَغاني ونادرها .

أَخبرني محمّد بن خَلَف وَكِيع وعمّي قالا حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال قال عبد الله بن محمّد بن إسماعيل الجعفريّ حدّثنا عبد الله بن إسحاق الجعفريّ عن

---

1 الجمر : وفي ل : الحجر .

2 المطالي : جمع مطلاة (يمدّ ويقصر) وهو مسيل ضيّق من الأَرض ، أَو هو أَرض سهلة ليّنة تنبت العضاه . وقيل : المطالي روضات ، واحدها مطلى بالقصر لا غير .

عبد العزيز بن أبي ثابت قال حدّثني رجل من أهل طَبَرِسْتانَ كبيرُ السنّ قال : بينا أنا يوماً أمشي في ضَيْعة لي فيها ألوانٌ من الفاكهة والزعفران وغيرِ ذلك من الأشجار ، إذ أنا بإنسان في البستان مطروحٍ عليه أهدامٌ خُلْقانٌ ، فدنوتُ منه فإذا هو يتحرّك ولا يتكلّم ، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خَفِيّ : [من الطويل]

تَعَزَّ بصبرٍ لا وجَـدِّك لا تَـرى بَشامَ الحِمَى أُخْرى الليالي الغَوابرِ[1]
كأنّ فـؤادي من تذكُّـرِه الحِمَى وأهلَ الحِمَى يَهْفُو بـه ريشُ طائرِ

قال : فما زال يردِّد هذين البيتين حتى فاضت نفسُه ؛ فسألت عنه فقيل لي : هذا الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيريّ .

[كان ابن الأعرابي يستحسن شعراً له]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الخَرّاز أحمد بن الحارث قال : كان ابن الأعرابيّ يستحسن قول الصِمَّة : [من الطويل]

صوت

أما وجـلالِ الله لو تذكُرينني كذِكْريكِ ما كَفْكفتِ للعين مَدْمَعا
فقالتْ بَـلى واللهِ ذكراً لَـو آنّه يُصَبُّ على صُـمِّ الصَّفا لتصدّعا

غنّى في هذين البيتين عُبيد الله بن أبي غَسّان ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . وفيهما لِعَريبَ خفيفُ رَمَل : [من الطويل]

ولّما رأيتُ البِشْرَ قـد حـال بيننا وجالتْ بناتُ الشوق في الصدر نُزَّعَا[2]
تَلَفَّتُّ نحـوَ الحـيّ حتـى وجدتُني وَجِعتُ مـن الإصغاء لِيتاً وأَخْدَعا[3]

[مدح إبراهيم بن محمّد بن سليمان في شعره]

أخبرني أبو الطيِّب بن الوَشّاء قال : قال لي إبراهيم بن محمّد بن سليمان الأَزْديّ : لو حلَف حالفٌ أنّ أحسنَ أبياتٍ قِيلت في الجاهليّة والإسلام في الغزل قولُ الصِّمَّة القُشَيريّ ما حَنِث : [من الطويل]

حَنَنتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدتْ مَـزارَك من رَيّـا وشَعْباكُما مَعا

1 البشام : شجر طيّب الريح والطعم يستاك به .
2 البشر : جبل .
3 الليت (بالكسر) : صفحة العنق . والأخدع : عرق في العنق موضع الحجامَة .

فما حَسَنٌ أن تأتـيَ الأمرَ طائِعاً وتجزَعَ أنْ داعي الصبابة أسْمعا
بكتْ عيني اليُمنـى فلمّا زجرتُها عن الجهل بعد الحلم أسْبلتا معا[1]

صوت

[من الطويل]

وأذكُر أيّامَ الحِمَـى ثـم أنثني على كَبِدي من خشيةٍ أن تَصدَّعا
فليست عشيّاتُ الحِمى برَواجع عليكَ ولكن خَلِّ عينيك تَدْمَعا

غنّت في هذين البيتين قُرَشِيَّة الزّرقاءِ لحناً من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ .

وهذه الأبيات التي أوّلها «حننت إلى رَيّا» تُروى لقَيْس بن ذَرِيح في أخباره وشعرِه بأسانيدَ قد ذُكرت في مواضعها ، ويُروى بعضها للمجنون في أخباره بأسانيد قد ذُكرت أيضاً في أخباره . والصحيح في البيتين الأوّلين أنّهما لقَيْس بن ذَريح وروايتهما [له] أثْبت ، وقد تواترت الروايات بأنّهما له من عدّة طرق ؛ والأخَر مشكوك فيها أهي للمجنون أم للصِّمَّة .

[كان أبو حاتم يستجيد بيتين من شعره]

أنشدنا محمّد بن الحسن بن دُرَيد عن أبي حاتم للصِّمَّة القُشَيريّ قال : وكان أبو حاتم يستجيدهما ، وأنشدنيهما عمّي عن الكُرانيّ عن أبي حاتم ، وأنشدنيهما الحسن بن عليّ عن ابن مهرويه عن أبي حاتم : [من البسيط]

إذا نـأتْ لم تُفارِقْنـي عَلاقتُهـا وإن دنتْ فصدود العاتب الزّارِي
فحال عينـيَ من يومَيْكِ واحدةٌ تبكي لفَرْطِ صدودٍ أو نَوَى دارِ

[تذكّر محبوبته وبكى وذكر شعره فيها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عبيد الله بن إسحاق بن سَلاّم قال حدّثني أبي عن شُعيب بن صَخْر عن بعض بني عُقَيل قال : مررتُ بالصِّمَّة بن عبد الله القُشَيريّ يوماً وهو جالس وحدَه يبكي ويخاطب نفسه ويقول : لا والله ما صدَقَتْكَ فيما قالت ؛ فقلت : مَن تَعني بهذا وَيْحك ! أجُننتَ ؟ قال : أعْني التي أقول فيها : [من الطويل]

أمـا وجلالِ اللهِ لـو تذكُرينني كذِكْرِيكِ ما كفكفتِ للعين مدمعا
فقالت بـلى والله ذكراً لَـو انّه يُصَبُّ عـلى صُمِّ الصَّفا لتَصدَّعا

أُسلي نفسي عنها وأُخبرها أنّها لو ذكرتني كما قالت لكانت في مثل حالي .

---

1 اليمنى في الديوان : اليسرى .

[قصّته في خِطبة ابنة عمِّه ورحلته إلى ثغر من الثغور وشعره في ذلك]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني مسعود بن عيسى بن إسماعيل العَبْدي عن موسى بن عبد الله التَّيْميّ قال : خطب الصِّمَّة القُشيريّ بنتَ عمِّه وكان لها مُحِبّاً ، فاشتطّ عليه عمُّه في المهر ؛ فسأل أباه أن يعاونه وكان كثيرَ المال فلم يُعِنْه بشيء ؛ فسأل عَشِيرتَه فأعطَوْه ؛ فأتى بالإبل عمَّه ؛ فقال : لا أقبل هذه في مهر ابنتي ، فاسأل أباك أن يُبْدِلَها لك ، فسأل ذلك أباه فأبى عليه ؛ فلمّا رأى ذلك من فعلهما قطع عُقُلَها وخَلاَّها ، فعاد كلّ بعير منها إلى أُلاّفه . وتحمَّل الصِّمَّةُ راحلاً . فقالت بنت عمِّه حين رأته يتحمَّل : تاللهِ ما رأيت كاليوم رجلاً باعته عشيرته بأبْعِرة . ومضى من وجهه حتى لَحق بالثغر ؛ فقال وقد طال مُقامه واشتاقها ونَدِم على فعله : [من الطويل]

أتبكي على رَيّا ونفسُك باعدتْ ... مَزارَكَ من رَيّـا وشَعْباكُما معا
فما حسنٌ أن تأتـي الأمرَ طائعاً ... وتجزَعَ أنْ داعـي الصبابة أسمعا

وقد أخبرني بهذا الخبر جعفر بن قُدَامة قال حدَّثني حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِيّ : أن الصِّمَّة خطَب ابنة عمِّه هذه إلى أبيها ؛ فقال له : لا أُزوّجكها إلاّ على كذا وكذا من الإبل ؛ فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك وشكا إليه ما يَجِد بها ؛ فساق الإبلَ عنه إلى أخيه ؛ فلمّا جاء بها عدَّها عمُّه فوجدها تنقُص بعيراً ، فقال : لا آخذها إلاّ كاملةً ؛ فغضِب أبوه وحلف لا يَزيده ما جاءَ به شيئاً . ورجع إلى الصِّمَّة ؛ فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ؛ فقال : تاللهِ ما رأيت قطُّ ألأَمَ منكما جميعاً ؛ وإنّي لألأم منكما إن أقمتُ بينكما ؛ ثم ركب ناقتَه ورحل إلى ثغر من الثغور ، فأقام به حتى مات . وقال في ذلك : [من الطويل]

أمِنْ ذكر دارٍ بالرَّقاشيْن أصبحتْ ... بها عاصفاتُ الصيف بَدْءاً ورُجَّعا[1]
حننتَ إلى رَيّا ونفسُك باعدت ... مزارَك من رَيّـا وشعباكُما معا
فما حسنٌ أن تأتي الأمرَ طائعاً ... وتجزَع أن داعـي الصبابة أسمعا
كأنّـك لم نشهَـد وَداعَ مُفارِق ... ولم تَـرَ شَعبَـيْ صاحبين تقطَّعا
بكت عينيَ اليُسرى فلما زجرتُها ... عن الجهل بعـد الحلم أسبَلَتا معا

1 الرقاشان : جبلان بأعلى الشريف في ملتقى دار كعب وكلاب . ورواية البيت في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكريّ وقد نسبه ليزيد بن الطثرية :

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفتْ ... عليها رياح الصّيف بـدءاً ورجّعا

وفي الديوان (أمن أجل) .

تحمَّل أَهلي مـن قنـين وغادروا ... به أَهـلَ ليلى حين جِيدَ وأَمْرعا[1]
أَلا يـا خليـليّ اللذيْن تَواصيا ... بلوميَ إلاّ أَن أُطيـع وأَسمعا
قِفا إنّه لا بـدّ مـن رَجْع نظرة ... يَمانيّة شَتَّى بهـا القـومُ أَو معا
لِمُغتصَبٍ قـد عزّه القومُ أَمرَه ... حياءً يَكُـفّ الدَّمعَ أَن يتطلّعا
تَبرَّضُ عينيـه الصَّبابـةُ كلَّمـا ... دنا الليل أَو أَوْفى من الأَرض مَيْفَعا[2]
فليستْ عشيَّاتُ الحِمَـى برواجعٍ ... إليكَ ولكن خـلِّ عينيْك تَدْمَعا

صوت

من المائة المختارة من رواية يحيى بن عليّ

[من الخفيف]

قُـلْ لأَسماء أَنْجزِي المِيعـادا ... وانظري أَن تُزوِّدي منكِ زادا
إن تكوني حللتِ رَبْعاً من الشأ ... م وجاورتِ حِمْيراً أَو مرَادا
أَو تناءتْ بكِ النَّوَى فلقد قُدْ ... تِ فـؤادي لَحَيْنـه فانقادا
ذاك أنّـي عَلِقتُ منكِ جَوَى الحـ ... ـبّ وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

الشعر لداود بن سَلْم . والغناء لدَحْمان ، ولحنه المختار من الثقيل الأَوّل بالوسطى . وقد كنّا وجدنا هذا الشعر في رواية عليّ بن يحيى عن إسحاق منسوباً إلى المرقِّش ، وطلبناه في أَشعار المرقِّشَيْن[3] جميعاً فلم نجده ، وكنّا نظنّه من شاذّ الروايات حتى وقع إلينا في شعر داود بن سلم ، وفي خبرٍ أَنا ذاكره في أَخبار داود . وإنّما نذكر ما وقع إلينا عن رُواته ؛ فما وقع من غلط فوجدنـاه أَو وقفنا على صحّته أَثبتناه وأَبطلنا ما فَرَط منّا غيرَه ، وما لم يَجْرِ هذا المجرى فلا ينبغي لقارىء هذا الكتاب أَن يُلزمنا لومَ خطأٍ لم نتعمّده ولا اخترعناه ، وإنّما حكيناه عن رواته واجتهدنا في الإصابة . وإن عرف صواباً مخالفاً لما ذكرناه وأَصلحه ، فإنّ ذلك لا يضرّه ولا يخلو به من فضل وذكرٍ جميل إن شاء الله .

---

1 جيد : أَصابه الجود وهو المطر الغزير .
2 تبرّض : أي تأخذ الصّبابة ماء عينيه شيئاً فشيئاً .
3 يعني بالمرقِّشيْن : المرقِّش الأَكبر والمرقِّش الأَصغر .

[73] ـ أخبار داود بن سَلْم ونسبه

[نسبه]

داود بن سَلْم[1] مولى بني تَيْم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ ؛ ثم يقول بعضُ الرواه ؛ إنّه مولى آل أبي بكر ، ويقول بعضهم : إنّه مولى آل طَلْحة . وهو مخضرَم من شعراء الدولتين الأُمويّة والعبّاسيّة ، من ساكني المدينة ، يُقال له داود الآدم[2] وداود الأَرمك .

[رآه والي المدينة يخطِر في مشيته فضربه فمدحه ابن رهيمة لذلك]

وكان من أَقبح الناس وجهاً . وكان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف يستثقله ؛ فرآه ذاتَ يوم يخطِر خَطْرةً منكَرة فدعا به ، وكان يتولّى المدينةَ ، فضربه ضرباً مبرِّحاً ؛ وأَظهر أنّه إنّما فعل ذلك به من أَجل الخَطْرة التي تخايل فيها في مِشيته . فقال بعض الشعراء في ذلك وأَظنّه ابنَ رُهَيمة : [من مجزوء الرمل]

ضربَ العادلُ سعـدٌ ابنَ سلم في السَّماجَهْ
فقضَى اللهُ لسعـدٍ مـن أَميرٍ كلَّ حاجَـهْ

[مدح آل معمر لأَنّ أُمّه من مواليهم]

أَخبرني محمّد بن سليمان الطُّوسيّ قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال : سأَلت محمّدَ بن موسى بن طَلْحة عن داود بن سَلْم ، هل هو مولاهم ؟ فقال : كذلك يقول الناسُ هو مولانا ، أَبوه رجل من النَّبَط ، وأُمّه بنتُ حَوْط مولى عمر بن عبيد الله بن مَعْمر ؛ فانتسب إلى ولاء أُمّه . وفي ذلك يقول ويمدح ابنَ مَعْمَر : [من الكامل]

وإذا دعـا الجاني النصيرَ لنصره وارتْنـيَ الغُـرَرُ النصيرةُ مَعْمَرُ
مُتَخـازِرين كأنّ أُسْدَ خَفِيّـة بمقامهـا مستبسِلاتٌ تَـزْأَرُ[3]
متجاسِرين بحمـل كلّ مُلِمَّـة متجبِّريـن عـلى الـذي يتجبَّرُ

---

1 داود بن سلم : انظر أخباره في ربيع الأبرار 13/2 والمستطرف 1 : 117 ، 1 : 164 وأمالي القالي 1 : 242 ومحاضرات الراغب الأصفهاني 1 : 653 وشرح نهج البلاغة 11 : 223 والكامل 2 : 144–145 وسراج الملوك : 161 ، والتذكرة الحمدونية 199/2 .

2 وفي ل : الأدلم .

3 تخازر الرجل : ضيّق جفنه ليحدّد النظر . الخفية : غيضة ملتفّة يتّخذها الأُسد عرينه ، وهي علم لموضع بعينه .

عُسُلُ الرِّضى فإذا أُردتَ خصامَهم ... خلَط السِّمامَ بفِيك صابٌ مُمْقِرُ[1]
لا يَطْبَعون ولا تَرى أخلاقهم ... إلاَّ تطيبُ كما يطيب العنبرُ
رفَعوا بِنايَ بعِتقِ حَوْطٍ دِنْيَةً ... جدِّي وفضلِهم الذي لا يُنْكَرُ

[كان أسود بخيلاً وله شعر في الكرَمْ كذّبه فيه قوم ضافوه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال : كان داود بن سَلْم مولى بني تَيْم بن مرّة ، وكان يقال له : الآدم[2] لشدّة سواده ، وكان من أبخلِ الناس ؛ فطَرَقه قوم وهو بالعَقِيق ، فصاحوا به : العَشاءَ والقِرَى يا ابنَ سَلْم ؛ فقال لهم : لا عَشاء لكم عندي ولا قِرى ؛ قالوا : فأين قولُك في قصيدتك إذ تقول فيها : [من البسيط]

يا دار هندٍ ألاَ حُيِّيتِ من دارِ ... لم أَقْضِ منكِ لُباناتي وأوطاري
عُوِّدتُ نفسي إذا ما الضيفُ نبَّهني ... عَقْرَ العِشار على يُسْرِي وإعساري

قال : لستم من أولئكَ الذين عنيتُ .

[عزّى السري بن عبد الله عن ابنه]

قال : ودخل على السَّرِيّ بن عبد الله الهاشميّ ، وقد أُصيب بابنٍ له ؛ فوقف بين يديه ثم أنشده : [من البسيط]

يا مَن على الأرض من عُجْم ومن عَرَبٍ ... استرْجِعُوا خاستِ الدنيا بعَبّاسِ[3]
فُجِعت من سبعة قد كنتُ آمُلُهم ... من ضِئْء والدهم بالسيِّد الرّاسِ[4]

قال : وداود بن سلم الذي يقول : [من الخفيف]

قُلْ لأسماءَ أنْجزي الميعادا ... وانظُري أن تزوِّدي منكِ زادَا
إن تكوني حَلَلْتِ ربعاً من الشأ ... م وجاورتِ حِميراً أو مُرادا
أو تناءت بكِ النَّوَى فلقد قُدْ ... تِ فؤادي لحَينه فانقادا
ذاكِ أنّي عَلِقتُ منكِ جَوى الحـ ... ـبّ وَليداً فزدتُ سِنّاً فزادا

قال أبو زيد : أنشدنيها أبو غَسّان محمّد بن يحيى وإبراهيم بن المُنْذِر لداود بن سَلْم .

---

1 عُسُل : جمع عاسل وعسول أي حلو . والممقر : الشديد المرارة .
2 ل : الأدلم .
3 خاست : غدرت .
4 الضئء : الولد ويطلق على الأصل أيضاً .

نسبة ما في هذا الخبر من الشعر الذي فيه غناء
صوت

[من البسيط]

يا دارَ هنـــد أَلاَ حُيِّيـتِ من دارِ لم أقضِ منـكِ لُباناتي وأَوطاري

يُتَم ويُنسب .

[مدح إسحاق بن إبراهيم بن طلحة بولاية القضاء فزجره]

أَخبرنا الطُّوسيّ قال حدَّثنا الزبيرَ قال أَخبرني مُصْعَب بن عثمان قال : دعا الحسن بنُ زيد إسحاقَ بنَ إبراهيم بنِ طلحةَ بنِ عمر بنِ عُبَيد الله بن مَعْمَر التَّيْميّ أَيّامَ كان يلي المدينة إلى ولاية القضاء فأَبى عليه فحبسه ، فدعا مسرقين يسرقون له مغسلاً في السجن ، وجاء بنو طلحة فانسجنوا معه . وبلغ ذلك الحسنَ بن زيد ، فأَرسل إليه فأُتي به ؛ فقال : إنّك تلاجَجْتَ عليّ ، وقد حلفتُ أَلاّ أُرْسِلك حتى تعملَ لي ، فأَبرِرْ يميني ، ففعل ؛ فأَرسل الحسن معه جنداً حتى جلس في المسجد مجلسَ القضاء والجندُ على رأسه ؛ فجاءه داود بن سَلْم فوقف عليه فقال : [من الخفيف]

طلبـــوا الفقـــه والمـــروءةَ والحِلْـ ـمَ وفيـــكَ اجتمعنَ يا إسحاقُ

فقال : ادفعوه ، فدفعوه ، فنُحِّي عنه ؛ فجلس ساعة ثم قام من مجلسه ؛ فأَعفاه الحسن بن زيد من القضاء ؛ فلمّا سار إلى منزله أَرسل إلى داود بن سلم بخمسين ديناراً ، وقال للرسول : قُل له : يقول لك مولاك : ما حملك على أَن تمدحني بشيء أَكرهه ؟ استعن بهذه على أَمرك .

[ضربه سعد بن إبراهيم في المسجد والقصّة في ذلك]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني مُحرِز بن سعيد قال : بينما سعد بن إبراهيم في مسجد النبيّ ﷺ يقضي بين الناس إذ دخل عليه زيد بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ، ومعه داود بن سَلْم مولى التَّيْميِّين ، وعليهما ثياب ملوَّنة يجرّانها ؛ فأَومأَ أَن يُؤتَى بهما فجاءا إليه ، فأَشار إلى زيد أَن اجلس ، فجلس بالقرب منه ، وأَومأَ إلى الآخر أَن يجلس حيث يجلس مثلُه ، ثم قال لعَوْن من أَعوانه : ادعُ لي نوحَ بن إبراهيم بن محمّد بن طلحة بن عُبيد الله ، فدُعي له فجاء أَحسنَ الناس سَمْتاً وتشميراً ونقاءَ ثياب ؛ فأَشار إليه فجلس ؛ ثم أَقبل على زيد فقال له : يا ابنَ أَخي ؛ تَشبه بشيخك هذا وسَمْتِه وتشميره ونقاء ثوبه ، ولا تَعُد إلى هذا اللبس ، قُمْ فانصرف . ثم أَقبل على ابنِ سَلْم وكان قبيحاً ، فقال له : هذا ابنُ جعفر أَحتمل هذا له ، وأَنت لأيِّ شيء أَحتمل هذا لك ؟ أَللؤم أَصلِك ، أَم لسماجة وجهك ؟ جَرِّده يا غلام ؛ فجُرِّد فضرَبه أَسواطاً . فقال ابنُ رُهَيمة : [من مجزوء الرمل]

جلـــد العادلُ سعـدٌ ابنَ سَلْم في السَّماجَهْ
فقَضـــى اللهُ لسعـدٍ من أمير كلَّ حاجَـهْ

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني يعقوب بن حُميد بن كاسِب قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشُون عن يوسف بن الماجِشُون قال : قال لي أبي وقد عُزِل سعد بن إبراهيم عن القضاء يا بنيّ تعجَّلْ بنا عسى أن نروحَ مع سعد بن إبراهيم ، فإنّ القاضي إذا عُزل لم يزل الناسُ ينالون منه ؛ فخرجنا حتى جئنا دارَ سعد بن إبراهيم ، فإذا صوتٌ عالٍ ؛ فقال لي أيُّ شيء هذا ؟ أرى أنّه قد أُعْجِلَ عليّ ؛ ودخلنا فإذا داود بن سَلْم يقول له : أطال الله بقاءك يا أبا إسحاق وفعل بك ؛ وقد كان سعدٌ جلَد داودَ بنَ سلم أربعين سوطاً ، فأقبل عليّ سعدٌ وعلى أبي ، فقال : لم تَرَ مثلَ أربعين سوطاً في ظهر لئيم . قال : وفيه يقول الشاعر : [من مجزوء الرمل]

ضرب العادلُ سعـدٌ ابنَ سَلْم في السماجَهْ
فقضـــى اللهُ لسعـدٍ مـن أميرٍ كلَّ حاجَهْ

[كان يمدح الحسن بن زيد وقد غضب منه لمدحه جعفر بن سليمان]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكِيع قال قال الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني أبو يحيى الزُّهْرِي واسمه هارون بن عبد الله قال حدَّثني عبد الملك بن عبد العزيز عن أبيه قال : كان الحسنُ بن زيد قد عوَّد داودَ بن سَلْم مولى بني تَيْم إذا جاءته غَلَّة من الخانِقِين[1] أن يَصِلَه . فلمّا مدح داودُ بن سلم جعفرَ بن سليمان ، وكان بينه وبين الحسن بن زيد تباعدٌ شديد ، أغضب ذلك الحسنَ ؛ فقدِم من حجٍّ أو عُمْرة ، ودخل عليه داودُ مسلّما ، فقال له الحسن : أنت القائل في جعفر : [من الطويل]

وكنّا حديثاً قبلَ تأمير جعفرٍ وكان المُنَى في جعفر أن يُؤمَّرا
حَوى المِنْبَرَيْنِ الطاهرَيْنِ كليْهما إذا مـا خطا عن مِنبرٍ أُمَّ مِنْبرا
كأن بني حَـوَّاء صُفُّوا أمامَـه فَخُيِّر مـن أنسابهـم فتَخيَّرا ؟

فقال داود : نعم ، جعلني الله فداءكم ، فكنتم خِيرَة اختياره ؛ وأنا الذي أقول : [من الطويل]

لعَمْرِي لئن عاقبتَ أو جُدْتَ مُنعِماً بعفوٍ عن الجاني وإن كان مُعْذِرَا
لأنتَ بما قدّمتَ أولى بمِدْحـةٍ واكرمُ فرعاً إن فخرتَ وعُنْصُرا
هو الغُرَّةُ الزَّهْراءُ من فرع هاشمٍ ويدعو عليّـاً ذا المعالي وجعفرا

1 خانقين : بلدة من نواحي السّواد في طريق همذان من بغداد .

وزيدَ النَّدَى والسِّبْطَ سِبْطَ محمّدٍ وعمَّك بالطَّفِّ الزَّكـيَّ المطهَّرا[1]
وما نال مِن ذا جعفرٌ غيرَ مجلسٍ إذا مـا نفـاه العزلُ عنه تأخّرا
بحقِّكـم نالـوا ذُراهـا فأصبحوا يَرَوْن بـه عـزّاً عليكم ومَفْخَرا

قال : فعاد الحسن بن زيد له إلى ما كان عليه ، ولم يزل يَصِلُه ويُحْسِن إليه حتى مات .
قال أبو يحيى : يعني بقوله : «وإن كان مُعْذِرا» أن جعفراً أعطاه بأبياته الثلاثةِ ألفَ دينار ، فذكر أن له عذراً في مدحه إيّاه بجزالة إعطائه .

[إعجاب أبي السائب المخزوميّ بشعرٍ له]

أخبرني الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال : كنت ليلةً عند الحسن بن زيد ببَطْحاءِ ابنِ أَزْهَر (على ستّة أميال من المدينة ، حِيالَ ذي الحُلَيْفة) نصفَ الليل جلوساً في القمر ، وأبو السائب المخزوميّ معنا ؛ وكان ذا فضل وكان مشغوفاً بالسَّماع والغَزَل ، وبين أيدينا طَبَقٌ عليه فَرِيك[2] فنحن نُصيب منه ، والحسن يومئذٍ عاملُ المنصور على المدينة ؛ فأنشد الحسنُ قولَ داود بن سَلْم وجعل يَمُدّ به صوتَه ويُطَرِّبه : [من الوافر]

صوت

فعرَّسْنا ببطـنِ عُرَيْتِنـاتٍ لِيَجْمَعَنـا وفاطمـةَ المَسِيرُ[3]
أَتَنْسى إذ تَعَـرَّض وهـو بادٍ مُقَلَّدُهـا كما بَـرَق الصَّبِيرُ[4]
ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه وقـد يُنْبيك بالأمـر الخبيرُ
على أنّي زَفَرْتُ غَداةَ هَرْشى فكاد يَريبهـم منّـي الزَّفيرُ[5]

الغناءُ للغَريض ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه للهُذَليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانة ، وأظنُّه هذا اللحنَ . قال : فأخذ أبو السائب الطبَقَ ، فوَحَّش به إلى السماء ، فوقع الفَريكُ على رأس الحسن بن زيد ؛ فقال له : ما لَك ؟ وَيْحَك ! أجُننتَ ؟ فقال له أبو السائب : أسألُك بالله وبقرابتك من رسول الله ﷺ إلاّ ما أعدتَ إنشادَ هذا الصوتِ ومدَدْتَه كما فعلتَ ، قال : فما مَلَك الحسنُ نفسَه ضحكاً ، وردّ الحسنُ الأبيات لاستحلافه إيّاه . قال ابنُ

1 يعني به زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ، والسبط الحسن بن علي ، وعمّه الحسين بن علي .
2 الفريك : طعام يفرك ويلت بسمن وغيره .
3 عريتنات : اسم واد .
4 الصّبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر .
5 هرشى : ثنية قرب الجُحفة في طريق مكّة يُرى منها البحر .

أبي الزِّناد : فلمّا خرج أبو السائب قال لي : يا ابنَ أبي الزِّناد ، أمَا سمعتَ مَدَّه : [من الوافر]

ومَن يُطِعِ الهوى يُعْرَفْ هواه

فقلت نعم ؛ قال : لو علمتُ أنّه يقبل مالي لدفعتُه إليه بهذه الثلاثة الأبيات . أخبرني بخبره عبيدُ الله بن محمّد الرازيّ وعمّي قالا حدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائني عن أبي بكر الهُذَليّ .

[ما وقع بين ضبيعة العبسيّ وظبية جارية فاطمة بنت عمر بن مصعب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثتني ظَبْيةُ مولاةُ فاطمة بنت عمر بن مُصْعَب قالت : أرسلتني مولاتي فاطمةُ في حاجة ، فمررتُ برَحْبة القضاء ، فإذا بضُبَيعةَ العَبسيّ خليفةِ جعفر بن سليمان يَقضي بين الناس ؛ فأرسل إليّ فدعاني ، وقد كنتُ رَطَّلْتُ[1] شَعْري وربطت في أطرافه من ألوان العِهْن ؛ فقال : ما هذا ؛ فقلت شيء أتملَّح به ؛ فقال : يا حَرَسيّ قنِّعْها بالسَّوْط . قالت : فتناولتُ السوط بيدي وقلت : قاتلك الله ! ما أبينَ الفرقَ بينك وبين سعد بن إبراهيم ! سعدٌ يجلِد الناس في السَّماجة ، وأنت تجلِدهم في المَلاحة ؛ وقد قال الشاعر : [من مجزوء الرمل]

جلَـد العادلُ سعـدٌ ابنَ سَلْم في السماجَهْ
فقضـى اللهُ لسعـدٍ من أميرٍ كلَّ حاجَهْ

قالت : فضحك حتى ضرب بيديه ورجليه ، وقال : خَلِّ عنها . قالت : فكان يَسُوم بي ، وكانت مولاتي تقول : لا أبيعها إلاّ أن تهوى ذلك ، وأقول : لا أريد بأهلي بدلاً ؛ إلى أن مررت يوماً بالرَّحْبة وهو في مَنْظَرة دارِ مَرْوان ينظر ؛ فأرسل إليَّ فدعاني ، فوجدتُه من وراء كِلَّة وأنا لا أشعر به ، وحازمٌ وجَرير جالسان ؛ فقال لي حازم : الأمير يريدكِ ؛ فقلت : لا أريد بأهلي بدلاً ؛ وكُشِفتِ الكِلَّة عن جعفر بن سليمان ، فارتعتُ لذلك فقلت : آه ؛ فقال : ما لَكِ ؟ فقلت : [من الطويل]

سمعتُ بذكر الناس هنداً فلم أزَلْ أخا سَقَمٍ حتى نظرتُ إلى هندِ

قال : فأبصرتِ ماذا ؟ وَيْحَكِ ! فقلت : [من الطويل]

فأبصرتُ هنداً حُرَّةً غيرَ أنّها تَصَدَّى لقتل المسلمين على عَمْدِ

قالت : فضحك حتى استلقَى ، وأرسل إلى مولاتي ليبتاعَني ؛ فقالت : لا والله لا أبيعها حتى تَسْتبيعَني ؛ فقلت : والله لا أستبيعُكِ أبداً .

1 رطَّل شعره : ليّنه وكسره ومشّطه وأرسله .

[أرسل شعراً لقثم بن العبّاس يذكّره بجارية كان يهواها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا يونس بن عبد الله عن داود بن سَلْم قال : كنت يوماً جالساً مع قُثَمَ بنِ العبّاس قبل أن يُملَّكوا بفنائه ، فمرَّت بنا جارية ، فأُعْجِب بها قُثَم وتمنَّاها فلم يُمكِنْه ثمنُها . فلمّا وَلِي قُثَم اليمامةَ اشترى الجاريةَ إنسانٌ يُقال له صالح . قال داود بن سَلْم : فكتبتُ إلى قُثَمَ : [من مجزوء البسيط]

يا صاحبَ العِيسِ ثم راكبَها ... أَبلغْ إذا مـا لقيتَـه قُثَما

أَنَّ الغـزال الذي أَجـاز بنا ... مُعارِضـاً إذ توسَّط الحَرَما

حَوَّلـه صالحٌ فصار مـع الإ ... نْسِ وخَلَّى الوحوشَ والسَّلَما

قال : فأرسل قثمٌ في طلب الجارية ليشتريَها ، فوجدها قد ماتت .

[وفد على حرب بن خالد ومدحه فأجازه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عبد الله بن محمّد بن موسى بن طَلْحة قال حدَّثني زُهَير بن حسن مولى آل الرَّبيع بن يونس : أن داود بن سَلْم خرج إلى حَرْب بن خالد بن يزيد بن معاوية ؛ فلمّا نزل به حَطّ غلمانُه متاعَ داودَ وحَلّوا عن راحلتِه ؛ فلمّا دخل عليه أنشأ يقول : [من المتقارب]

ولَمّـا دُفِعْـتُ لأبوابهـم ... ولاقيتُ حَرْباً لَقِيتُ النجاحا

وجدنـاه يَحْمَـده المُجْتدُون ... ويأبى على العسر إلاّ سَماحا

ويُغْشَوْن حتى يُـرَى كلبُهم ... يَهابُ الهَرِيـر ويَنْسى النُّباحا

قال : فأجازه بجائزة عظيمة ، ثم استأذنه في الخروج فأذِن له وأعطاه ألفَ دينار . فلم يُعِنْه أحد من غلمانه ولم يقوموا إليه ؛ فظنَّ أنّ حَرْباً ساخطٌ عليه ، فرجع إليه فأخبره بما رأى من غلمانه ؛ فقال له : سَلْهم لِمَ فعلوا بك ذلك . قال : فسألهم ، فقالوا : إنّا نُنْزِل مَن جاءنا ولا نُرْحِل مَن خرج عنّا . قال : فسمع الغاضِريّ حديثَه فأتاه فحدَّثه فقال : أنا يهوديّ إن لم يكن الذي قال الغلمانُ أحسنَ من شعرك .

وذكر محمّد بن داود بن الجرّاح أنّ عمر بن شَبّة أنشده ابن عائشة لداود بن سَلْم ، فقال : أحسَنَ والله داود حيث يقول : [من الرجز]

لَجِجْتُ من حبِّـيَ في تقريبه ... وعُمِّيتْ عينـايَ عـن عيوبهِ

كذاك صرفُ الدَّهر في تقليبه ... لا يلبَـث الحبيبُ عـن حبيبهِ

أو يغفـرَ الأعظـمَ من ذنوبه

قال : وأنشدني أحمد بن يحيى عن عبد الله بن شَبيب لداود بن سَلْم قال : [من الطويل]

وما ذَرّ قَرْنُ الشمسِ إلاّ ذكرتُها ... وأَذكُرهـا في وقت كلّ غروبِ
وأَذكرها مـا بـين ذاك وهذه ... وبالليـل أَحلامـي وعنـد هُبوبي
وقد شَفَّني شَوْقي وأَبعدني الهوى ... وأَعيا الذي بـي طِبَّ كلّ طبيبِ
وأَعْجَبُ أَنّي لا أَموتُ صَبابةً ... ومـا كَمَدٌ مـن عاشقٍ بعجيبِ
وكلُّ محـبٍّ قـد سلا غيرَ أَنّني ... غريبُ الهوى ، يا وَيْحَ كلّ غريبِ
وكم لام فيها من أَخٍ ذي نصيحةٍ ... فقلـت لـه أَقْصِر فغيرُ مُصيبِ
أَتأمـر إنسانـاً بفُرْقـة قلبـه ... أَتصلُـح أَجسامٌ بغير قلـوبِ

[شعرٌ له في مدح قثم بن العبّاس]

أَخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعي قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني أَبو غَسّان قال : كان داود بن سَلْم منقطعاً إلى قُثَم بن العبّاس ، وفيه يقول : [من السريع]

عَتَقْتِ من حِلّي ومن رِحْلَتِي ... يا نـاقُ إن أَدْنيتِني من قُثَمْ
إنّـك إن أَدْنيتِ منـه غداً ... حالفني اليسر ومـات العدمْ
في وجهـه بـدرٌ وفي كفِّـه ... بحـرٌ وفي العِرْنين منـه شَمَمْ
أَصمُّ عن قِيـل الخَنـا سمعُـه ... وما عن الخير بـه من صَمَمْ
لم يدرِ ما «لا» و«بَلى» قد دَرى ... فعافها واعتاضِ منها «نَعَمْ»

قال أَبو إسحاق إسماعيل بن يونس قال أَبو زيد عمر بن شَبَّة قال لي إسحاق : لنَظْم العَمْياء في هذه الأَبيات صنعةٌ عجيبة ، وكانت تجيدها ما شاءت (إذا غنتها) .

[74] ـ أَخبار دَحْمان ونسبُه[1]

[كان مغنّياً صالحاً مقبول الشهادة ملازماً للحجّ]

دَحْمان لقبٌ لُقِّب به ، واسمه عبد الرحمن بن عمرو ، مَوْلى بني لَيث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنَانة . ويُكنَى أبا عمرو ، ويقال له دَحْمان الأَشقر . قال إسحاق : كان دَحْمان مع شهرته بالغناء رجلاً صالحاً كثير الصلاة معدَّل الشهادة مُدمِناً للحجّ ؛ وكان كثيراً ما يقول : ما رأَيتُ باطلاً أَشبه بحقّ من الغناء .

قال إسحاق : وحدَّثني الزُّبيريّ أَنّ دَحْمان شَهِد لرجلٍ عند عبد العزيز[2] بن المطَّلِب [بن عبد الله] بن حَنْطَب [المَخْزوميّ] ، وهو يَلي القضاءَ لرجلٍ من أَهل المدينة على رجل من أَهل العراق بشهادة ، فأَجازها وعَدّله ؛ فقال له العِراقيّ : إنّه دَحْمان ؛ قال : أَعرفه ، ولو لم أَعرفْه لسأَلتُ عنه ؛ قال : إنّه يغنّي ويعلِّم الجواري الغناء ؛ قال : غفر الله لنا ولك ، وأَيُّنا لا يتغنّى ! اخرُج إلى رجل عن حقّه .

[مدح أَعشى سُلَيم غناءه]

وفي دحمان يقول أَعشى بني سُلَيم : [من الهزج]

إذا مـا هَـزَّج الـوادِ ... يُّ أَو ثَقَّـل دَحْمـانْ
سمعتَ الشَّدْوَ من هـذا ... ومـن هـذا بميـزانْ
فهـذا سيِّـد الإنس ... وهـذا سيِّـد الجانّ

وفيه يقول أَيضاً : [من البسيط]

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لمّا انبرى لهمُ دَحْمانُ خِصْيانا
فأَبْلِغُوه عـن الأَعشى مقالَته ... أَعشى سُلَيم أَبي عمرٍو سليمانا
قولوا يقول أَبـو عمرو لصُحْبته ... يا ليت دَحْمانَ قبل الموت غَنّانا

[كان من تلاميذ معبد وأَحد رواته]

أَخبرني رِضْوان بن أَحمد الصَّيْدلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم عن إبراهيم بن المهديّ أَنّه حدَّثه عن ابن جامع وزُبَير بن دَحْمان جميعاً : أَنّ دَحْمان كان معدَّلاً مقبولَ الشهادة عند

1 انظر أَخبار دحمان في نهاية الأرب 4 : 241–243 وفي التذكرة الحمدونية 9 : 24 .

2 ولي عبد العزيز قضاء المدينة في زمن المنصور ثم المهدي ، وولي قضاء مكّة .

القضاة بالمدينة ، وكان أبو سعيدٍ مولى فائد أيضاً ممّن تُقبل شهادته . وكان دَحْمان من رُواة مَعْبَد وغلمانِه المتقدّمين . قال : وكان معبد في أوّل أمره مقبولَ الشهادة ، فلمّا حضر الوليدَ بن يزيد وعاشره على تلك الهَنَات وغنّى له سقطتْ عدالته ، [لا لأن شيئاً بَانَ عليه من دخول في محظور ، ولكن] ، لأنّه اجتمع مع الوليد على ما كان يستعمله .

[منزلته في الغناء عند إبراهيم الموصليّ]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَدينيّ قال قال إسحاق : كان دحمان يُكنى أبا عمرو ، مولى بني لَيْث ، واسمُه عبد الرحمن ، وكان يَخضِبُ رأسَه ولحيته بالحِنّاء ؛ وهو من غلمان معبد . قال إسحاق : وكان أبي لا يضعه بحيث يضعه الناس ، ويقول : لو كان عبداً ما اشتريته على الغناء بأربعمائة درهم . وأشبهُ الناس به في الغناء ابنُه عبد الله ، وكان يفضّل الزُّبَير ابنَه تفضيلاً شديداً على عبد الله أخيه وعلى دَحْمان [أبيه] .

[كان المهديّ يجزل صلته]

أخبرني يحيى عن أبي أيّوب عن أحمد بن المَكّيّ عن عبد الله بن دَحْمان قال : رجع أبي من عند المَهْديّ وفي حاصِله مائةُ ألفِ دينار . أخبرنا إسماعيل بن يونُس وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : بلغني أنّ المهديَّ أعطى دَحْمان في ليلة واحدة خمسين ألفَ دينار ؛ وذلك أنّه غنّى في شعر الأحْوص : [من الهزج]

قَطُوفُ المَشْي إذ تمشي تَرَى في مشيها خَرَقا[1]

فأعجبه وطرِب ، واستخفّه السرور حتى قال لدَحْمان : سَلْني ما شئت ؛ فقال : ضَيْعتان بالمدينة يقال لهما رَيّان وغالِب ؛ فأقْطعه إيّاهما . فلمّا خرج التوقيع بذلك إلى أبي عبيد[2] الله وعمر بن بَزِيع راجعا المهديَّ فيه وقالا : إنّ هاتين ضيعتان لم يملكهما قطُّ إلاّ خليفة ، وقد استقطعهما ولاةُ العهود في أيّام بني أميّة فلم يُقْطَعُوهما ؛ فقال : والله لا أرجع فيهما إلاّ بعد أن يرضى ؛ فَصُولح عنهما على خمسين ألفَ دينار .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الوافر]

سَرَى ذا الهمُّ بل طَرَقا فَبِتُّ مسهَّداً قَلِقا
كذاك الحُبّ ممّا يُحـ ـدِث التسهيدَ والأرقا

1 قطوف المشي : بطيئته . وخرقاً : تحيّراً ودهشاً .
2 هو أبو عبيد الله بن عبيد الله الأشعريّ الكاتب الوزير .

قَطُوف المشي إذ تمشي تَرى في مشيهـا خَرَقا
وتُثْقِلهـا عَجيزتُهـا إذا ولَّـت لتنطلقـا

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أَوّلُ بالوسطى عن عمرو ؛ وذكر الهِشاميّ أَنّه لابن سُرَيج .

[سئل عن ثمن ردائه فأجاب]

أَخبرني إسماعيل بنُ يُونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : مرَّ دَحْمان المغنّي وعليه رداء جيّد عَدَنيّ ؛ فقال له مَنْ حضر : بكم اشتريتَ هذا يا أَبا عمرو ؟ قال : [من مجزوء البسيط]

بـ * مـا ضَرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا *

نسبة هذا الصوت
صوت

[من مجزوء البسيط]

ما ضَرَّ جيرانَنا إذ انتَجَعُوا لو أَنّهم قبل بَيْنِهم رَبَعُوا[1]
أَحْمَوْا على عاشقٍ زيارتَه فهْو بهِجْران بينهم قُطَعُ[2]
وهْـو كأَنّ الهُيَام خالطه وما بـه غير حبِّها ذَرَعُ[3]
كأَنّ لُبْنَـى صَبِيرُ غادِيـةٍ أَو دُمْيَةٌ زُيِّنَتْ بهـا البِيَعُ[4]
اللهُ بينـي وبـين قيِّمها يَفِـرّ عنّـي بهـا وأَتبعُ

[اشترى منه الوليد جارية وهو لا يعرفه فلمّا عرفه أَرسل إليه وأَكرمه]

أَخبرني وَكيع عن أَبي أَيُّوب المَدينيّ إجازةً عن أَبي محمّد العامريّ الأَوَيْسيّ قال : كان دَحْمان جَمَّالاً يُكْرِي إلى المواضع ويَتَّجرَ ، وكانت له مروءةٌ ؛ فبينا هو ذاتَ يوم قد أَكْرى جِمالَه وأَخَذ مالَه إذ سمع رَنّة ، فقام واتّبع الصوتَ ، فإذا جاريةٌ قد خرجت تَبْكي ؛ فقال لها : أَمملوكةٌ أَنتِ ؟ قالت : نعم ؛ فقال : لَمن ؟ فقالت : لامرأَة من قريش ، وسمّتها له ؛ فقال : أَتبيعك ؟ قالت : نعم ، ودخلتْ إلى مولاتها فقالت : هذا إنسان يشتريني ؛ فقالت : ائذني له ، فدخل ، فساومها حتى استقرّ أَمرُ الثمن بينهما على مائتي دينار ، فنقَدها إيّاها وانصرف بالجارية . قال دَحْمان : فأَقامت عندي مدّةً أَطرَح عليها ويطرَح عليها مَعْبَد والأَبْجَر

1 ربعُوا : تمهّلوا وانتظروا .
2 أَحموا : حظروا ومنعوا . قُطع : في الديوان قَطِع ص 85 .
3 في ل : ردع .
4 صبير : السحاب الأَبيض الذي يصير بعضه فوق بعض درجاً . والغادية السحابة تنشأ غدوة .

ونظراؤهما من المغنّين ؛ ثم خرجتُ بها بعد ذلك إلى الشام وقد حَذِقتْ ، وكنت لا أزال إذا نزلنا أُنْزِل الأَكْرِياء[1] ناحيةً ، وأنزل معتزِلاً بها ناحيةً في مَحْمِل وأُطرَح على المَحْمِل من أَعْبِية[2] الجَمّالين ، وأجلس أنا وهي تحت ظلّها ، فأُخرج شيئاً فنأكله ، ونضع رِكْوة[3] فيها لنا شراب ، فنشرب ونتغنّى حتى نَرحل . ولم نزل كذلك حتى قرُبنا من الشام . فبينا أنا ذاتَ يوم نازلٌ وأنا أُلْقي عليها لحني : [من الكامل]

صوت

لـو رَدّ ذو شَفَـق حِمامَ منيّةٍ لرددتُ عن عبد العزيز حِمامَا
صلّى عليكَ اللهُ من مستودَعٍ جاورتَ بُوماً في القبورِ وهاما[4]

الشعر لكُثيّر[5] يَرثي عبدَ العزيز بن مَرْوان . وزعم بعضُ الرواة أنّ هذا الشعر ليس لكثيّر وأنّه لعبد الصمد بن عليّ الهشاميّ يرثي ابناً له . والغناء لدَحْمان ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البِنصر .

قال : فرددتُه عليها حتى أخذتْه واندفعتْ تغنّيه ، فإذا أنا براكبٍ قد طلَع فسلَّم علينا فردَدْنا عليه السلام ؛ فقال : أتأذنون لي أن أنزل تحت ظلّكم هذا ساعةً ؟ قلنا نعم ، فنزل ؛ وعرضتُ عليه طعامنا وشرابنا فأجاب ، فقدّمْنا إليه السُّفْرةَ فأكل وشرب معنا ، واستعاد الصوت مراراً . ثم قال للجارية : أتغنّين لدَحْمان شيئاً ؟ قالت نعم . قال : فغنّته أصواتاً من صنعتي ، وغمزتُها ألاّ تُعرّفَه أنّي دَحْمان ؛ فطَرِب وامتلأ سروراً وشرب أقداحاً والجاريةُ تُغنّيه حتى قرُب وقتُ الرحيل ؛ فأقبل عليّ وقال : أتبيعني هذه الجاريةَ ؟ فقلت نعم ؛ قال : بكم ؟ قلت كالعابث : بعشرة آلاف دينار ؛ قال : قد أخذتُها بها ، فهلمَّ دواةً وقِرْطاساً ، فجئته بذلك ؛ فكتب : «ادفعْ إلى حامل كتابي هذا حينَ تقرؤه عشرةَ آلافِ دينار ، واستوصِ به خيراً وأعلمني بمكانه» وختَم الكِتابَ ودفعَه إليّ ؛ ثم قال : أتدفَع إليّ الجاريةَ أم تَمضي بها معك حتى تقبضَ مالكَ ؟ فقلت : بل أدفعها إليك ؛ فحملها وقال : إذا جئتَ البَخْراء[6] فسَلْ عن فلان وادفعْ كتابي هذا إليه واقبضْ منه مالكَ ؛ ثم انصرف بالجارية . قال : ومضيتُ ، فلمّا وردتُ البَخْراء سألت عن اسم الرجل ، فدُللتُ عليه ،

---

1 الأكرياء : جمع كرىً وهو المكاري .
2 الأعبية : جمع عباء وهو ضرب من الأكسية .
3 الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء وفي ل : زكرة .
4 الهام : طير الليل وهو الصدى ، واحده هامة .
5 نُسب هذا الشعر في تجريد الأغاني لإسماعيل بن يسار .
6 البخراء : أرضٌ وماءة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

فإذا دارُه دارُ مُلْك ، فدخلتُ عليه ودفعت إليه الكتابَ ، فقبّله ووضعه على عينيه ، ودعا بعشرة آلاف دينار فدفعها إليّ ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين ، وقال لي : اجلس حتى أُعلِم أميرَ المؤمنين بك ؛ فقلتُ له : حيثُ كنتُ فأنا عبدُك وبين يديك ، وقد كان أمر لي بأنزال[1] وكان بخيلاً ، فاغتنمتُ ذلك فارتحلتُ ؛ وقد كنت أُصِبت بجملين ، وكانت عدّةُ أجمالي خمسةَ عشرَ فصارت ثلاثةَ عشرَ . قال : وسأل عنّي الوليدُ ، فلم يَدْرِ القَهْرَمانُ أين يطلُبني ؛ فقال له الوليد : عدّةُ جِماله خمسةَ عشرَ جملاً فاردُدْه إليّ ؛ فلم أُوجَد ، لأنّه لم يكن في الرُّفْقة مَن معه خمسةَ عشرَ جملاً ، ولم يَعْرِف اسمي فيَسأَلَ عنّي . قال : وأقامت الجارية عنده شهراً لا يَسأَل عنها ، ثم دعاها بعد أن استبرئت[2] وأُصلح من شأنها ، فظلَّ معها يومَه ، حتى إذا كان في آخر نهاره قال لها : غنّيني لدَحْمان فغنّت ؛ وقال لها : زيديني فزادت . ثم أقبلت عليه فقالت : يا أمير المؤمنين ، أوَما سمعتَ غناءَ دَحْمان منه ؟ قال لا ؛ قالت : بلى والله ؛ قال : أقول لك لا ، فتقولين بلى والله ؛ فقالت : بلى والله لقد سمعتَه ؛ قال : وما ذاك ؟ وَيْحَكِ ! قالت : إنّ الرجل الذي اشتريتني منه هو دَحْمان ؛ قال : أوَذلكَ هو ؟ قالت : نعم ، هو هو ؛ قال : فكيف لم أعلم ؟ قالت : غمَزني بألاّ أُعلمك . فأمر فكُتب إلى عامل المدينة بأن يُحمل إليه دَحْمان ، فحُمل فلم يزل عنده أثيراً[3] .

[دحمان في مجلس أمير من أمراء المدينة]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنا ابن جامع قال : تذاكروا يوماً كِبَر الأيور بحضرة بعض أمراء المدينة فأطالوا القولَ ؛ ثم قال بعضهم : إنّما يكون كبر أيْر الرجل على قَدْرِ حِر أُمّه ؛ فالتفتَ الأميرُ إلى دَحْمان فقال : يا دَحْمان ، كيف أيرك ؟ فقال له : أيّها الأمير ، أنت لم تُرِد أن تعرف كبر أيري ، وإنّما أردتَ أن تعرف مقدار حِرِ أُمّي . وكان دَحْمان طيّباً ظريفاً .

[ظرفه وفكاهة له مع رجل شتمه]

أخبرني إسماعيل بن يُونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال : أوّل ما عُرف من ظَرْف دَحْمان أنّ رجلاً مرَّ به يوماً ، فقال له : أيْر حماري في حِرِّ أُمّكَ يا دُحَيم ؛ فلم يفهم ما قاله ، وفَهِمه رجل كان حاضراً معه فضحك ؛ فقال : مِمَّ ضحكت ؟ فلم يُخبِره ؛ فقال له : أقسمتُ عليك إلاّ أخبرتَني ؛ قال : إنّه شتمك فلا أُحبّ استقبالك بما قاله لك ؛ فقال : والله لتخبرنّي كائناً ما كان ؛ فقال له : قال : كذا وكذا من حمارِي في جِرِ أُمّك ؛ فضحك ثم قال :

---

1 الأنزال جمع نُزُل ، وهو ما هيىء للضيف أن ينزل عليه .

2 استبراء الرجل الجارية : ألاّ يمسّها بعد ملكها حتى تبرأ رحمها ويتبيّن حالها أهي حامل أم لا .

3 الأثير : المكرَّم .

أعجبُ والله وأغلظ عليّ من شَتْمه كِنايتُك عن أَيْر حمارِه وتصريحُك بحِرِ أُمِّي لا تَكْني .

[جعفر بن سليمان أمير المدينة والمغنُّون]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني أبو خالد يزيد بن محمّد المهلَّبيّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال حدَّثنا عبد الله بن الرَّبيع المَديني قال حدَّثني الرَّبَعِيّ المغنِّي قال : قال لنا جعفر بن سليمان وهو أمير المدينة : اغْدُوا على قصري بالعَقيق غدا ؛ وكنت أنا ودَحْمان وعَطَرَّد ، فغدوتُ للموعد ، فبدأت بمنزل دحمان وهو في جهينة[1] ، فإذا هو وعَطَرّد قد اجتمعا على قِدْرٍ يطبُخانها ، وإذا هما عزما على الصبوح والسماءُ تَبْغَش[2] ، فأذكرتُهما الموعدَ ، فقالا : أما ترى يومَنا هذا ما أطيبَه ! اجلس حتى نأكلَ من هذه القِدْر ونُصيبَ شيئاً ونستمتعَ من هذا اليوم ؛ فقال : ما كنت لأفعلَ مع ما تقدّم الأمير به إليّ ؛ فقالا لي : كأنّا بالأمير قد انحلَّ عزمُه ، وأخذك المطرُ إلى أن تبلغ ، ثم ترجع إلينا مبتلاً فتقرَع الباب وتعود إلى ما سألناك حينئذٍ . قال : فلم أُلتفت إلى قولهما ومضيت ، وإذا جعفرٌ مُشرِف من قصره والمَضارِب تُضرَب ، والقدور تُنصَب ؛ فلمّا كنت بحيث يسمع تغنَّيتُ : [من الطويل]

وأستصحبُ الأصحابَ حتى إذا وَنَوْا ومَلُّوا من الإدْلاج جئتكُم وَحْدِي

قال : وما ذاك ؟ فأخبرتُه ؛ فقال : يا غلام ، هات مائتي دينار أو أربَعمائة دينار الشك من إسحاق الموصلي فانثرها في حِجْر الرَّبَعيّ ، اذهبْ الآن فلا تَحُلّ لها عُقْدةً حتى تُرِيَهما إيّاها ؛ فقلتُ : وما في يدي من ذلك ؟ يأتيانكَ غداً فتُلحِقهما بي ؛ قال : ما كنتُ لأفعل ؛ قلتُ : فلا أمضي حتى تحلَف لي أنّك لا تفعل ، فحلَفَ . فمضيتُ إليهما ، فقرَعتُ الباب فصاحا وقالا : ألم نقل لك إنّ هذه تكون حالَك ؛ فقلت : كلاّ فأَرَيتُهما الدنانيرَ ؛ فقالا : إنّ الأمير لَحييٌّ كريم ، ونأتيه غداً إن شاء الله تعالى فنعتذرُ إليه فيدعوه كرمُه إلى أن يُلْحِقَنا بك ؛ فقلت : كذَّبتكُما أنفُسكما ، والله إنّي قد أحكمتُ الأمر ووكّدتُ عليه الأيمانَ ألاّ يفعل ؛ فقالا : لا وصلتْك رَحِم .

[غنَّى هو وابن جندب بالعقيق.]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن منصور بن أبي مُزاحِم قال أخبرني عبد العزيز بن الماجِشُون قال : صلّينا يوماً الصبحَ بالمدينة ، فقال قوم : قد سال العَقيق ، فخرجنا من المسجد مُبادِرين إلى العقيق ، فانتهينا إلى العَرْصة[3] ، فإذا مِن وراء الوادي قُبالتَنا دَحْمانُ

1 جهينة : قرية من نواحي الموصل على دجلة .

2 بغشت السماء : أمطرت البغشة وهي المطرة الضعيفة .

3 العرصة : بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء .

المغنّي وابن جُنْدَب مع طلوع الشمس قد تماسكا بينهما صوتاً وهو : [من الخفيف]

أَسكُنُ البَدْوَ ما سكنْتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ

وإذا أَطيبُ صوتٍ في الدنيا . قال : وكان أَخي يَكره السَّماع ؛ فلمّا سمعه طرِب طرباً شديداً وتحرّك ؛ وكان لغناء دَحْمانَ أَشدَّ استحساناً وحركة وارتياحاً ؛ فقال لي : يا أَخي ، اسمع إلى غناء دحمان ، والله لكأَنّه يسكُب على الماء زيتاً .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

أَوْحشَ الجُنْبُذانِ فالدَّيْرُ منها فقُرَاهـا فـالمنزلُ المحظـورُ[1]

أَسكنُ البدوَ مـا أَقمتِ ببدوٍ فإذا ما حضرتِ طاب الحضورُ

أَيُّ عيش أَلَـذُّه لستِ فيـه أَوْ تُـرى نَعْمـةٌ بـه وسُرورُ

الشعر لحَسّان بن ثابت . والغناء لابن مِسْجَح رَمَلٌ مطلَق في مجرى البنصر عن إسحاق .

[دحمان والفضل بن يحيى]

أَخبرنا محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أَحمد بن عبد الرحمن عن أَبي عثمانَ البَصْريّ قال : قال دَحْمان : دخلتُ على الفضل بن يحيى ذات يوم ؛ فلمّا جلسنا ، قام وأَومأَ إليَّ فقمتُ ، فأَخذ بيدي ومضى بي إلى مَنْظَرة له على الطريق ، ودعا بالطعام فأَكلنا ، ثم صِرنا إلى الشراب ؛ فبينا نحن كذلك إذ مرَّت بنا جارية سوداء حِجازيّة تغنّي : [من مجزوء الرمل]

اهْجُرينـي أَو صِلِينـي كيفمـا شئتِ فكوني

أَنـتِ والله تُحْبيـ ـني وإن لم تُخبريني

فطَرِب وقال : أَحسنتِ ! أَدخلي فدخلتْ ، فأَمر بطعام فقُدِّم إليها فأَكلتْ ، وسقاها أَقداحاً ، وسأَلها عن مواليها فأَخبرتْه ؛ فبعث فاشتراها ، فوجدها من أَحسن الناس غناءً وأَطيبِهم صوتاً وأَملحِهم[2] طبعاً ؛ فغلبتْني عليه مدّةً وتناساني ؛ فكتبتُ إليه : [من السريع]

أَخرجتِ السَّوداء ما كان في قلبـك لي مـن شدّة الحُبِّ

فإن يدُم ذا منـك لا دام لي متُّ مـن الإعراض والكَرْبِ

قال : فلمّا قرأَ الرُّقعة ضحك ، وبعث فدعاني ووصلني ، وعاد إلى ما كان عليه من الأُنْس .

---

1 الجنبذ : معرَّب كنبذ بالفارسيّة ، ومعناه : الأَزجّ المدوّر كالقبة . وهو مكان بعينه .

2 في ل : وأصلحهم .

قال مؤلّف هذا الكتاب : هكذا أخبرنا ابنُ المَرْزُبان بهذا الخبر ، وأظنّه غلطاً ؛ لأنّ دَحْمان لم يُدرك خلافةَ الرشيد ، وإنّما أدركها ابناهُ زُبَير وعبد الله ؛ فإمّا أن يكون الخبر لأحدهما أو يكون لدحمان مع غير الفضل بن يحيى .

[وممّا في المائة المختارة من صنعة دَحْمان]

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من الطويل]

وإنّي لآتي البيتَ ما إن أُحِبُّه ... وأُكثِرُ هجرَ البيت وهو حَبِيبُ
وأُغْضِي على أشياءَ منكم تَسُوءني ... وأُدْعَى إلى مـا سَرّكم فأجيبُ
وأحبِس عنكِ النّفسَ والنفسُ صَبّةٌ ... بقُرْبِك والمَمْشى إليكِ قريبُ

الشعر للأَحْوَص . والغناء لدَحْمان ثقيلٌ أوّلُ . وقد تقدَّمَتْ أخبارُ الأحوص ودَحْمان فيما مضى من الكتاب .

صوت

من المائة المختارة

[من الرمل]

حَيِّيـا خَوْلـةَ منِّـي بالسلامِ ... دُرّةَ البحرِ ومِصْباحَ الظلامِ[1]
لا يكُن وَعْـدُكِ برقـاً خُلَّباً ... كاذباً يلمع في عُرْض الغمامِ[2]
واذكري الوعـدَ الذي واعدتنا ... ليلةَ النصف من الشّهر الحرامِ

الشعر لأعشى هَمْدان . والغناء لأحمد النَّصْبي ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وعروضه من الرَّمَل . والخُلَّب من البرق : الذي لا غيث معه ولا يُنتفع بسحابه . وتَضرِبُ المثلَ به العربُ لَمن أخلف وعدَه ؛ قال الشاعر : [من الرمل]

لا يكنْ وعـدك برقـاً خُلَّباً ... إنّ خيرَ البرقِ ما الغيثُ مَعَهْ

وعرض السحابة : الناحية منها .

---

1 في الديوان : خولة ، ص 339 .
2 في الديوان «أو تكوني مثل برق . خلّب : خادع ، ص 339 .

[75] ـ أَخبار أَعشى هَمْدان ونسبه[1]

[نسبه]

اسمه عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث بن نِظَام بن جُشَم بن عمرو بن الحارث بن مالك بن عبد الحرّ بن جُشم بن حاشد بن جُشَم بن خَيْران بن نَوْف بن هَمْدان بن مالك بن زيد بن نِزار بن أَوْسِلة بن رَبيعة بن الخِيار بن مالِك بن زيد بن كَهْلان بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان ، ويُكنى أَبا المصَبّح ، شاعرٌ فصيح ، كوفيّ ، من شعراء الدولة الأُمويّة . وكان زوجَ أُخت الشَّعبيّ الفقيه ، والشعبيُّ زوجَ أُخته . وكان أَحَد الفقهاء القُرّاء ، ثم ترك ذلك وقال الشعرَ ، وآخى أَحمد النَّصْبي بالعَشِيريّة[2] والبَلَديّة ، فكان إذا قال شعراً غنَّى فيه أَحمدُ . وخرج مع ابن الأَشْعث ، فأُتِي به الحَجّاجُ أَسيراً في الأَسرى ، فقتله صَبْراً .

[قصّ رؤياه على صهره الشعبيّ]

أَخبرني بما أَذكره من جملة أَخباره الحَسَنُ بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ عن محمّد بن معاوية الأَسَديّ أَنّه أَخذ أَخباره هذه عن ابن كُناسة عن الهَيْثَم ابن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية وعن غيرهم من رُواة الكوفيّين . قال حدَّثنا عمر بن شَبّة وأَبو هِفّان جميعاً عن إسحاقَ الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ . قال العَنزيّ : وأَخذت بعضَها من رواية مسعود بن بشر عن الأَصمعيّ . وما كان من غير رواية هؤلاء ذكرتُه مفرداً .

أَخبرني المهلَّبيّ أَبو أَحمد حبيب بن نصر وعليّ بن صالح قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة وأَبو هِفّان جميعاً عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال : كان الشَّعبيّ عامرُ بنُ شَراحيل زوجَ أُخت أَعشى هَمْدان ، وكان أَعشى هَمْدان زوجَ أُخت الشَّعبيّ ، فأَتاه أَعشى همدان يوماً ، وكان أَحدَ القُرّاء للقرآن ، فقال له : إنّي رأيت كأنّي أُدخلت بيتاً فيه حِنْطة وشعير ، وقيل لي : خُذ أَيّهما شئتَ ، فأَخذتُ الشَّعير ؛ فقال : إن صدقتْ رؤياك تركتَ القرآن وقراءتَه وقلت الشعر ؛ فكان كما قال .

[أُسر في الدَّيلم فأَحبّته ابنة الأَمير وهربت معه]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ عن محمّد بن معاوية الأَسديّ عن

---

1 انظر أخبار أعشى همدان في العقد 3 : 208 وزهر الآداب : 620 وبهجة المجالس 1 : 348 ونهاية الأرب 3 : 83 والتذكرة الحمدونية 3 : 120 ، 4 : 215 ، 231 ، 5 : 203 ، 7 : 373 ، 8 : 179 ، 318 .

2 العشيريّة : نسبة إلى العشير أو العشيرة .

ابن كُنَاسة ، قال العَنزيّ وحدّثني مسعود بن بِشر عن أبي عُبيدة والأصمعيّ قالا ، وافق روايتَهم الهيْثمُ بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال : كان أعشى هَمْدان أبو المُصَبّح ممّن أغزاه الحَجّاجُ بلدَ الدَّيْلم ونواحيَ دَسْتَبى[1] ، فأُسِر ، فلم يزل أسيراً في أيدي الدَّيلم[2] مدّة . ثم إنّ بنتاً للعِلْج الذي أسَره هَوِيتْه ، وصارت إليه ليلاً فمكّنته من نفسها ، فأصبح وقد واقعها ثمانيَ مرّات ؛ فقالت له الدَّيلميّةُ : يا معشرَ[3] المسلمين ، أهكذا تفعلون بنسائكم ؟ فقال لها : هكذا نفعل كلّنا ؛ فقلت له : بهذا العمل نُصرتم ؛ أفرأيتَ إن خلّصتُك ، أتصطفيني لنفسك ؟ فقال لها نعم ، وعاهدها . فلمّا كان الليلُ حَلّت قيودَه وأخذتْ به طُرُقاً تعرفها حتى خلّصتْه[4] وهرَبتْ معه . فقال شاعر من أسْرى المسلمين : [من الطويل]

فمَنْ كانَ يَفْديه مِن الأسْر مالُه فهَمْدانُ تَفْدِيها الغداةَ أُيورُها

وقال الأعشى يذكر ما لحقه من أسْر الدَّيلم : [من الكامل]

صوت

لَمن الظَّعائنُ سيرُهنّ تَرَجُّفُ عَوْمَ السَّفِين إذا تقاعس مِجذَفُ[5]

مرَّتْ بذي خُشُب كأنّ حُمولَها نَخْلٌ بيَثْرِبَ طَلْعُه مُتضعِّفُ[6]

غنّى في هذين البيتين أحمد النَّصْبي ، ولحنه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن عمرو وابن المكّي . وفيهما لمحمّد الزَّفّ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو : [من الرجز]

عُولِينَ ديباجاً وفاخرَ سُنْدُسٍ وبخَزّ أكسية العراق تُحفَّفُ

وغدتْ بهم يومَ الفراقِ عَرامِسٌ فُتْلُ المَرافق بالهوادج دُلَّفُ[7]

بانَ الخليطُ وفاتني برحيله خَوْدٌ إذا ذُكرت لقلبك يُشْغَفُ[8]

تجلو بمِسْواكِ الأرَاك مُنَظَّماً عَذْباً إذا ضحكتْ تهلَّلَ يَنْطُفُ

---

1 دَسْتَبى : كورة كانت مقسومة بين الريّ وهمذان .

2 في ل : بلد .

3 في ل : معاشر .

4 في ل : تخلّصته .

5 الترجّف : الاضطراب الشديد . في ل : يُجذّفُ .

6 ذو خُشُب : وادٍ على مسيرة ليلة في المدينة . متضعّف في ل : متعطّف وفي الديوان أيضاً ص 334 .

7 العرامس : جمع عرمس وهي الناقة الصّلبة . دُلّف : جمع دالف وهو الماشي بالحمل الثقيل مقارباً للخطو .

8 يُشْغَف : في ل : تُشْغَفُ .

وكأنّ ريقتَها على عَلَـلَ الكَرى عَسَلٌ مصفًّى في القِلال وقَرْقَفُ[1]
وكأنّما نظـرتْ بعينـيْ ظبيـةٍ تحنو عـلى خشْف لهـا وتَعَطَّفُ
وإذا تنـوء إلى القيـام تدافعتْ مثلَ النَّزيف ينـوء ثُمّتَ يَضْعُفُ
ثقُلـتْ روادفُها ومال بخَصْرها كَفَلٌ كما مـال النَّقـا المتقصِّفُ
ولهـا ذراعـا بَكْـرةٍ رحبيّـة ولها بَنـانٌ بالخِضاب مُطَرَّفُ[2]
وعـوارضٌ مصقولـةٌ وترائـبٌ بيضٌ وبطنٌ كالسَّبيكـة مُخْطَفُ[3]
ولهـا بَهـاءٌ في النساء وبَهْجةٌ وبها تَحُلّ الشمسُ حـين تُشرِّفُ
تلك التي كانت هوايَ وحاجتي لـو أنّ داراً بالأَحبّـة تُسْعِفُ
وإذا تُصِبْك مـن الحوادث نكبةٌ فاصبر فكـلُّ مصيبةٍ ستَكَشَّفُ
ولئن بكيتُ مـن الفراق صَبابةً إنّ الكبيـر إذا بكـى لَيُعَنَّفُ
عجباً مـن الأَيّام كيف تَصَرَّفَتْ والدّارُ تدنـو مَـرّةً وتقذّفُ
أَصبحتُ رَهْنـاً للعُـداة مكبَّلاً أُمْسي وأُصْبح في الأَداهم أَرْسُفُ
بين القليسم فالقيـول فحامـن فاللهزمين ومضجعـي مُتكنَّفُ[4]

هذه أسماء مواضع من بلد الدَّيلم تكنَّفته الهموم بها .

فجِبَالُ ويمـة مـا تزالُ مُنِيفـةً يـا ليتَ أَنّ جبالَ ويمة تُنسَفُ

ويمة وشلبة : ناحيتان من نواحي الريّ .

ولقـد أُراني قبـل ذلك ناعماً جَـذْلانَ آبـى أن أُضام وآنفُ
واستنكرتْ ساقي الوَثاقَ وساعِدي وأَنا امرؤٌ بادِي الأَشاجع أَعْجَفُ[5]
ولقد تُضرِّسني الحـروبُ . وإنّني أُلفَـى بكـلِّ مخافـة أَتعسَّفُ
أَتسربل الليـلَ البهِيمَ وأَستري في الخَبْت إذ لا يَسْتَرُونَ وأُوجِفُ[6]

1 القلال : جمع قلّة وهي الجرّة العظيمة ، وقيل الكوز الصغير . القرقف : الخمر .
2 طرّفت المرأة بنانها : خضب أطراف أصابعها بالحناء .
3 مخطف : ضامر .
4 فالقيول فحامن في ل : فالقبول فحازر .
5 الأشاجع : أصول الأصابع أو عروق الكفّ .
6 يسترون في الديوان : وأشتدي . . . . يشتدون ص 335 .

مـا إن أزال مقنَّعـاً أو حاسراً سَلَفَ الكتيبة والكتيبةُ وُقَّفُ
فأصابني قـومٌ فكنتُ أُصيبهم فـالآن أصبِر للزمـانِ وأعرفُ
إنِّي لطَـلاّبُ التِّراتِ مطلَّـبٌ وبكـلّ أسباب المنيّـة أُشرِفُ
باقٍ على الحِدْثـان غيرُ مكذَّبٍ لا كاسفٌ بـالي ولا متأسّفُ
إن نلـتُ لم أفـرح بشيء نِلتُه وإذا سُبِقتُ بـه فـلا أتلهّفُ
إنِّي لأَحْمِي في المَضِيق فَوارِسِي وأكُرّ خَلْفَ المُسْتضاف وأعطِفُ[1]
وأشُدّ إذ يكبو الجبـان وأَصْطَلِي حَرَّ الأَسنّـة والأَسنّـةُ تُرْعُفُ[2]

صوت

فلئـن أصابتْنـي الحروبُ فربّما أُدْعَى إذا مُنع الرِّدافُ فأُردِفُ
ولربّمـا يَـرْوَى بِكفِّي لَهْذَمٌ مـاض ومُطَّرِدُ الكُعوب مُثقَّفُ[3]
وأُغير غـاراتٍ وأَشْهَد مَشهداً قلبُ الجبانِ بـه يَطير ويَرجُفُ
وأرى مغانـمَ لـو أشاء حويتُها فيُصدّني عنهـا غِنـىً وتَعفّفُ

غنَّى في هذه الأبيات دَحْمانُ ، ولحنه ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن الهشاميّ . قال الهشاميّ : فيها لمالكٍ خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى ، ووافقه في هذا ابن المكّيّ .

[خرج مع جيش الحجّاج إلى مكران فمرض وقال شعراً]

قالوا جميعاً : ثم ضُرِب البَعْثُ على جيش أهل الكوفة إلى مُكْران[4] ، فأخرجه الحجّاج معهم ، فخرج إليها وطال مُقامه بها ومرِض ، فاجتواها وقال في ذلك ، وأنشدني بعضَ هذه القصيدة اليزيديّ عن سليمان بن أبي شيخ : [من المتقارب]

طلبـتَ الصِّبا إذ علا المَكْبَرُ وشاب القَـذال ومـا تُقصِرُ
وبـانَ الشبـابُ ولذّاتـه ومثلُك في الجهـل لا يُعذَرُ
وقـال العواذلُ هـل يَنْتهي فيَقْدَعَـه الشيـبُ أو يُقصِرُ[5]

---

1 المستضاف : من يفزع إليه غيره ويلتجىء به ، يريد به الكميّ الشجاع وفي الديوان : المستضاق ص336 .
2 يكبو في ل : ينبو .
3 مطرد الكعوب : الرمح ، واطراد كعوبه : تتابعها .
4 مُكْران : ولاية واسعة بين كرمان غرباً وسجستان شمالاً والبحر جنوباً والهند شرقاً .
5 يقدعه : يكفّه .

وفي أربعـــينَ تَوَفّيتُهـــا ... وعَشْرٍ مضـــتْ لِيَ مُستبصَرُ
وموعظـةٌ لامـرىء حـازمٍ ... إذا كان يَسمـع أو يُبْصِـرُ
فـلا تأسفنَّ على مـا مضى ... ولا يَحزُنَنَّـك مـــا يُدْبِرُ
فإنّ الحـوادثَ تُبـلي الفتى ... وإنّ الزمـان بـــه يعثُـرُ
فيَوْمـاً يُساء بمـــا نابَـه ... ويومـــاً يُسَرّ فيَستبشـرُ
ومِـنْ كلّ ذلك يَلْقـى الفتى ... ويُمْنَى لـه منـه مـا يُقّدَرُ
كأنّـــيَ لم أَرْتَحـلُ جَسْرةً ... ولم أُجْفِها بعد مـا تضمرُ[1]
فأُجْشِمَهـا كلَّ دَيْمُومـــةٍ ... ويَعرفهـا البلـــدُ المُقفـرُ[2]
ولم أَشهِد البأسَ يـومَ الوَغى ... عـليّ المُفاضـــةُ والمِغْفَـرُ[3]
ولم أَخرِق الصفَّ حتى تَميـ ... ـل دَارِعـةُ القومِ والحُسَّرُ[4]
وتحتَـي جَـرْداءُ خَيْفانـةٌ ... من الخيـل أو سابحٌ مُجفَرُ
أُطاعِـنُ بـالرمح حتـى اللَّبا ... نُ يَجـري بـه العَلَق الأَحمرُ
وما كنت في الحرب إذ شَمَّرت ... كمَـنْ لا يُذيـب ولا يُخْثِرُ
ولكنَّنـي كنـتُ ذا مـرَّة ... عَطوفـاً إذا هتـفَ المَحْجرُ
أُجيب الصَّرِيخ إذا ما دعا ... وعنـد الهِيـاج أنـا المِسْعَرُ
فإن أُمْسِ قـد لاح فيّ المَشيـ ... ـبُ أُمَّ البنين ، فقـد أَذكُرُ
رَخـاءٍ منَ العيش كُنَّا بِـه ... إذِ الدَّهـرُ خـالٍ لنا مصْحِرُ
وإذ أنـا في عُنفـوان الشبا ... ب يُعجبني اللَّهـو والسُّمَّرُ
أُصيِـد الحسانَ ويَصْطَدْنني ... وتعجبنـي الكاعبُ المُعصِرُ
وبيضاءُ مثـلُ مَهـاة الكَثيـ ... ـب لا عَيْبَ فيهـا لَمن ينظُرُ
كأنّ مُقَلَّدَهـــا إذ بـدا ... بـــه الدُّرّ والشَّذْرُ والجوهرُ[5]

---

1 الجسرة : الناقة العظيمة الطويلة . أجفاها : أتعبها .

2 الدّيمومة : الفلاة الواسعة .

3 المفاضة : الدرع الواسعة ، المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة للوقاية به .

4 الدارعة : الفرقة اللابسة الدّروع .

5 الشّذر : اللؤلؤ الصغير ؛ وقيل خرز يفصل به بين الجواهر في النظم ؛ أو هو قطع من الذهب تلقط من معدنه دون إذابة الحجارة .

مُقَلَّـدُ أَدْمـاءَ نَجْديّـةٍ يَعِـنُّ لهـا شادِنٌ أَحـورُ[1]
كأنّ جَنـى النحل والزنجبيـ ـلَ والفارسيَّـةَ إذ تُعْصَرُ[2]
يُصَـبّ على بَـرْد أنيابهـا مُخالِطُـه المسـكُ والعنبرُ
إذا انصرفـتْ وتَلَـوَّتْ بها رِقـاقُ المَجـاسِد والمِئْزرُ[3]
وغَصَّ السِّوارُ وجـال الوِشاح عـلى عُكَنٍ خَصْرُها مُضْمَرُ
وضاق عـن الساق خَلْخالُها فكـاد مُخَدَّمهـا يَنْدُرُ[4]
فَتُـورُ القيـام رخيـمُ الكلا م يُفْزِعها الصوتُ إذ تُزْجَرُ
وتُنْمَـى إلى حَسَبٍ شامـخ فليستْ تُكـذَّب إذ تَفْخَرُ
فتلـك التـي شَفَّنـي حبُّهـا وحمَّلنـي فـوق مـا أقدِرُ
فـلا تعذُلانِـيَ في حبِّهـا فإنّـي بمعـذرةٍ أَجْـدَرُ

ومن ها هنا رواية اليزيديّ :

وقُولا لـذي طَرب عاشقٍ : أَشطَّ المـزارُ بمَـن تَذْكُرُ ؟
بكوفيّـة أَصلُهـا بالفُـرا ت تبـدو هنالك أو تَحضُرُ
وأنت تسير إلى مُكَّـران فقـد شحَط الوِرْدُ والمَصْدَرُ
ولم تَـكُ من حاجتي مُكَّران ولا الغـزوُ فيهـا ولا المَتْجَرُ
وخُبِّرتُ عنهـا ولم آتِهـا فما زِلتُ مـن ذكرها أُذْعَرُ
بـأنّ الكثيرَ بهـا جائـعٌ وأنّ القليـل بهـا مُقْتِرُ
وأنّ لِحَـى الناسِ مـن حَرِّها تطـولُ فتُجْلَـم أو تُضْفَرُ[5]
ويزعـمُ مَـنْ جاءها قَبْلَنا بأنّـا سَنَسْهَـم أو ننجرُ[6]
أعـوذ بربّـي مـن المُخْزيا ت فيمـا أُسِرّ ومـا أُجهَرُ

1 الأدماء من الظباء : البيضاء تعلوها جدد فيهن غبرة . والشادن : ولد الظبية .
2 الفارسية : الخمر .
3 وتلوّت بها في الديوان : وتلوث بها ص 327 . المجاسد : الأثواب التي تلي البدن . جمع مِجْسَد .
4 المخدم : موضع الخلخال ، ويندر : يسقط .
5 تجلم : تقطع بالجلم ، وهو المقصّ .
6 سَهَم الرجل : تغيّر لونه وبدنه . نَجِرَ الرجل : أصابه عطش شديد .

وحُدِّثْـت أَنْ مالنـا رَجْعَةٌ سِنِينَ ومِـنْ بعدهـا أَشهرُ
إلى ذاك مـا شاب أَبناؤنـا وبـادَ الأَخِـلاّء والمَعْشَرُ
ومـا كان بي مـن نشاطٍ لها وإنّي لـذو عُـدّة مُوسِرُ
ولكـنْ بُعِثتُ لهـا كارهـاً وقيـل انطلـق كالذي يُؤمرُ[1]
فكـان النَّجـاء ولم أَلتفـت إليهـمْ وشرّهـمُ مُنكرُ[2]
هو السيف جُـرِّد من غمده فليس عـن السيف مستأخَرُ
وكم مـن أَخٍ لِيَ مستأنِس يَظلّ بـه الدمـعُ يَسْتحسرُ
يودّعنـي وانتحـتْ عبـرةٌ لـه كالجـداول أَو أَغزرُ
فلستُ بلاقِيـه مـن بعدها يَدَ الدَّهر ما هبّت الصَّرْصَرُ[3]
وقـد قيـل إنّكـمُ عابرو ن نجـراً لهـا لم يكن يُعْبَرُ
إلى السّند والهنـد في أَرضهم هـمُ الجـنّ لكنَّهم أَنْكَرُ
ومـا رام غـزواً لهـا قبلَنا أَكابـرُ عـادٍ ولا حِمْيَرُ
ولا رام سابورُ غـزواً لهـا ولا الشيخُ كِسْرى ولا قيصرُ
ومِـنْ دونهـا مَعْبَـرٌ واسعٌ وأَجـرٌ عظيـم لمـن يؤجَرُ

[قصّته مع جارية خالد بن عتاب الرياحي]

وذكر محمّد بن صالح بن النّطّاح أَنّ هشام بن محمّد الكلبيّ حدَّث عن أَبيه : أَنّ أَعشى هَمْدان كان مع خالد بن عَتّاب بن وَرْقاء الرِّياحِيّ بالرَّيّ ودَسْتبى ، وكان الأَعشى شاعرَ أَهلِ اليمن بالكوفة وفارسَهم ، فلمّا قدِم خالدٌ من مَغزاه خرج جَواريه يتلقَّيْنه وفيهنّ أُمُّ ولدٍ له كانت رفيعةَ القَدْر عنده ، فجعل الناسُ يَمُرّون عليها إلى أَن جاز بها الأَعشى وهو على فرسه يميل يميناً ويساراً[4] من النِّعاس ؛ فقالت أُمُّ ولدَ خالد بنِ عتّاب لجواريها : إنّ امرأَة خالد لَتُفاخرني بأَبيها وعمِّها وأَخيها ، وهل يَزيدون على أَن يكونوا مثلَ هذا الشيخ المرتعش . وسمعها الأَعشى فقال : مَنْ هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هـذه جارية خالد ؛ فضحك وقال لها : إليكِ عنّي يا لَكْعاء ؛ ثم أَنشأَ يقول : [من الطويل]

1 كالذي في الديوان للذي ص 328 .
2 النجاء : السرعة في السير .
3 يد الدهر : كناية عن الأَبد .
4 في ل : وشمالاً .

وما يُدْريكِ مـا فرسٌ جَرُورٌ وما يدريكِ ما حَمْلُ السّلاحِ[1]
وما يدريكِ مـا شيْخٌ كبيرٌ عَـداه الدَّهرُ عن سَنَن المِراحِ
فأُقْسِمُ لـو ركبتِ الوَرْد يوماً وليلتَـه إلى وَضَـح الصَّباحِ
إذاً لنظرتُ منـكِ إلى مكان كسَحْقِ البُرْد أو أثَرِ الجِراحِ[2]

قال : فأصبحت الجاريةُ فدخلَتْ إلى خالد فشكَتْ إليه الأعشى ؛ فقالت : والله ما تُكْرَم ، ولقد اجترىء عليك فقال لها : وما ذاكِ ؟ فأخبرتْه أنّها مرّت برجل في وجه الصبح ، ووصفتْه له وأنّه سبَّها ؛ فقال : ذلك أعشى هَمْدان ؛ فأيّ شيء قال لكِ ؟ فأنشدته الأبيات . فبَعث إلى الأعشى ، فلمّا دخل عليه قال له : ما تقول ؟ هذه زَعَمتْ أنّك هجوْتَها ؛ فقال : أساءت سمعاً ، إنّما قلتُ : [من الوافر]

مـررتُ بنسوة متعطِّـرات كضوء الصبح أو بَيض الأداحي[3]
على شُقْـر البغال فَصِدْنَ قلبي بحسن الـدَّلّ والحَدَق المِلاح
فقلتُ مَنِ الظباءُ فقُلن سِرْبٌ بـدا لـك من ظِباء بَني رِياح

فقالت : لا والله ، ما هكذا قال ، وأعادت الأبياتَ ؛ فقال له خالد : أما إنّها لولا أنّها قد وَلَدتْ منّي لوهبتُها لك ، ولكنّي أفتدي جنايتَها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمتُ عليك يا أبا المصبّح ألاّ تُعيدَ في هذا المعنى شيئاً بعد ما فرَط منك .

وذكر هذا الخبر العَنزيُّ في روايته التي قدّمتُ ذكرَها ، ولم يأتِ به على هذا الشرح .

[خبره مع خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي]

وقال هو وابنُ النَّطّاح جميعاً : وكان خالد يقول للأعشى في بعض ما يمنّيه إيّاه ويَعِدُه به : إن وُلّيتُ عملاً كان لك ما دون الناس جميعاً ، فمتى استُعمِلتُ فخُذ خاتَمي واقْضِ في أمور الناس كيف شئتَ . قال : فاستُعمِل خالدٌ على أصبهان وصار معه الأعشى فلمّا وصل إلى عمله جفاه وتناساه ، ففارقه الأعشى ورجع إلى الكوفة وقال فيه : [من الوافر]

تُمنّيني إمارتَهـا تَميـم وما أُمّي بأُمّ بنـي تَميمِ
وكان أبـو سليمـان أخاً لي ولكنّ الشِّراكَ مـن الأديمِ[4]

---

1 جرور في ل : حرون .
2 السحق : الثوب البالي ، ويضاف للبيان فيقال : سحق برد وسحق عمامة .
3 الأداحي : جمع أُدحية وهي بيض النّعام في الرمل .
4 الشراك : أحد سيور النعل التي تكون على وجهها .

أتينـا أصبهـانَ فهزّلتنـا وكنّا قبـلَ ذلـك في نعيمِ
أتذكرنـا ومُـرّةَ إذ غزونا وأنتَ على بُغَيْلك ذي الوُشُومِ
ويركَب رأسَه في كلِّ وَحْل ويعثُـر في الطريـق المستقيم
وليس عليـك إلاّ طَيْلسانٌ نَصِيبـيٌّ وإلاّ سَحْـقُ نِيمِ[1]
فقد أصبحتَ في خَـزّ وقَـزّ تَبَخْتر مـا تَرى لك من حميمِ
وتحسب أن تلقّاهـا زمانـاً كذبتَ وربِّ مكّـة والحطيمِ

هذه رواية ابن النطّاح ، وزاد العَنزيّ في روايته :

وكانت أصبهانُ كخير أرضٍ لمُغتَـرِب وصُعلـوكٍ عديمِ
ولكنّـا أتيناهـا وفيهـا ذوو الأضغان والحقـد القديمِ
فأنكرتُ الوجـوهَ وأنكرتْني وجوهٌ مـا تُخبِّر عـن كريمِ
وكان سفاهةً منّـي وجهلاً مَسِيري لا أسيـر إلى حميمِ
فلـو كان ابنُ عتابٍ كريماً سما لروايـة الأمـرِ الجسيمِ
وكيف رجاءُ من غلَبتْ عليه تنائـي الدارِ كالرَّحم العقيمِ

قال ابنُ النّطاح : فبعث إليه خالد : مَن مُرّة هذا الذي ادّعيتَ أنّي وأنت غزَوْنا معه على بغل ذي وُشُوم ؟ ومتى كان ذلك ؟ ومتى رأيتَ عليَّ الطَّيْلسان والنِّيمَ اللذيْن وصفتَهما ؟ فأرسل إليه : هذا كلام أردتُ وصفَك بظاهره ، فأمّا تفسيره ، فإنّ مُرّةَ مرارةُ ثمرةِ ما غرسْتَ عندي من القبيح . والبغل المَركَبُ الذي ارتكبتَه منّي لا يزال يعثُر بكَ في كلّ وَعْثٍ وجَدَد ووَعْر وسَهْل . وأمّا الطيلسان فما أُبسك إيّاه من العار والذمّ ؛ وإن شئتَ راجعتَ الجميلَ فراجعتُه لك ؛ فقال : لا ، بل أُراجع الجميلَ وتُراجعه ؛ فوصَله بمالٍ عظيم وترضّاه . هكذا روى من قدّمتُ ذكره .

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : لمّا ولي خالدُ بنُ عَتّاب بن وَرْقاء أصبهانَ ، خرج إليه أعشى هَمْدان ، وكان صديقَه وجارَه بالكوفة ، فلم يَجِد عنده ما يحبّ ؛ وأعطى خالدٌ الناسَ عطايا فجعله في أقلّها وفضّل عليه آلَ عُطارد ؛ فبلغه عنه أنّه ذمّه فحبسه مدّةً ثم أطلقه ؛ فقال يهجوه : [من الطويل]

وما كنتُ ممّن ألجأتْه خَصاصةٌ إليـكَ ولا ممّـن تَغُـرّ المواعدُ

1 النيم : الفرو ، أو هو ثوب يُنام فيه من القطيفة .

ولكنّها الأَطماعُ وهي مُذِلَّـةٌ ... دنتْ بي وأَنت النازح المتباعدُ
أَتَحْبِسُني في غير شيء وتارةً ... تلاحظني شَزْراً وأَنفُك عاقِدُ
فإنّـك لا كَابْنَيْ فَزارة فاعْلَمنْ ... خُلِقْتَ ولم يُشبِههما لك والدُ
ولا مُدْرِكٌ ما قد خلا من نَداهما ... أَبوكَ ولا حوضَيْهمـا أَنت وارد
وإنّك لـو ساميتَ آلَ عُطـاردٍ ... لَبذَّتْـك أَعناقٌ لهم وسواعدُ
ومأثُـرةٌ عاديّـةٌ لـن تنالَهـا ... وبيتٌ رفيـعٌ لم تَخُنْـه القواعدُ
وهل أَنت إلاّ ثعلبٌ في ديارهم ... تُشَلُّ فتَعْساً أَو يقـودُك قـائدُ[1]
أَرى خالداً يختـالُ مشياً كأَنّه ... من الكبرياء نَهْشَلٌ أَو عُطارِدُ[2]
وما كان يَرْبُوعٌ شبيهاً لـدارِمٍ ... وما عَدَلَتْ شمسَ النهار الفَراقدُ

[مدح ابن الأشعث وحرّض أهل الكوفة للقتال معه ضد الحجّاج]

قالوا : ولمّا خرج ابنُ الأَشْعَث على الحَجّاج بن يوسف حشَد معه أَهل الكوفة ، فلم يَبْقَ من وجوههم وقرّائهم أَحدٌ له نَباهة إلاّ خرج معه لِثِقَل وطأَة الحَجّاج عليهم . فكان عامر الشَّعْبيّ وأَعشى هَمْدان ممّن خرج معه ، وخرج أَحمد النَّصْبي أَبو أُسامة الهَمْداني المغنّي مع الأَعشى لإلفته إيّاه ، وجعل الأَعشى يقول الشعر في ابن الأَشعث يمدحه ، ولا يزال يحرِّض أَهلَ الكوفة بأَشعاره على القتال ، وكان ممّا قاله في ابن الأَشعث يمدحه : [من الكامل]

يأبى الإلـهُ وعـزّةُ ابـن محمّـد ... وجـدودُ مَلْك قبـلَ آل ثَمودِ
أَن تأنسوا بمذمَّمـين ، عروقُهـم ... في الناس إنْ نُسبوا عروقُ عَبيدِ
كم من أَبٍ لك كان يعقِد تاجَه ... بجبـين أَبلـجَ مِقْـوَلٍ صِنْديدِ
وإذا سألـتَ : المجـدُ أَين محلُّهُ ... فالمجـدُ بـين محمّـدٍ وسعيدِ
بـين الأَشجّ وبـين قيسٍ باذخٌ ... بَـخٍ بَـخٍ لوالـده وللمولودِ
ما قصَّرَتْ بكَ أَن تَنال مَدى العُلا ... أَخـلاقُ مَكْرُمـةٍ وإرثُ جدودِ
قَـرْم إذا سامى القُرُومَ ترى له ... أَعـراقَ مجـدٍ طـارفٍ وتَليدِ
وإذا دعـا لعظيمةٍ حُشِدَتْ له ... هَمْـدان تحـت لوائـه المعقودِ
يَمْشُون في حَلَق الحديـد كأَنّهم ... أُسْد الإبـاء سمعـنَ زأْرَ أَسودِ

1 تُشَلّ : تُطرَد .
2 نهشل وعطارد : قبيلتان من قبائل العرب .

وإذا دعوتَ بآل كِنْـدةَ أَجْفَلوا بكهــولِ صــدقٍ سيِّد ومَسُودِ
وشبابِ مــأسَدةٍ كأنّ سيوفَهــم في كلِّ مَلْحَمــةٍ بــروقُ رعودِ
ما إن ترى قيساً يقاربُ قيسَكم في المَكْرُمات ولا ترى كسعيدِ

[طلب من ابن الأشعث في سجستان زيادة عطائه فردَّه فقال شعراً]

وقال حَمّاد الراوية في خبره : كانت لأعشى هَمْدان مع ابن الأَشعث مواقفُ محمودةٌ وبلاءٌ حسن وآثارٌ مشهورة ؛ وكان الأَعشى من أَخواله ، لأَنّ أُمَّ عبد الرحمن بن محمّد بن الأَشعث أُمُّ عمرو بنتُ سعيد بن قيس الهَمْداني . قال : فلمّا صار ابنُ الأَشعثِ إلى سجِسْتانَ جَبى مالاً كثيراً ، فسأَله أَعشى همدان أَن يُعطيَه منه زيادةً على عطائه فمنعه ؛ فقال الأَعشى في ذلك : [من السريع]

هل تعــرف الدارَ عفا رسمُها بالحَضْر فالروضــةِ من آمِدِ[1]
دارٌ لخَــــوْدٍ طَفْلــةٍ رُودةٍ بانَتْ فأَمسى حبُّهــا عامِدِي
بيضاءَ مثــلِ الشمس رَقْراقةٍ تَبسِم عــن ذي أُشُر بــاردِ
لم يُخْطِ قلبي سهمُها إذ رمتْ يا عجبــاً من سهمها القاصِدِ
يــا أَيُّها القَرْمُ الهِجانُ الذي يَبْطِش بطشَ الأَسَدِ الــلأَبدِ[2]
والفاعلُ الفعلَ الشريفَ الذي يُنمــى إلى الغائب والشاهدِ
كم قد أُسَدِّي لك من مِدْحةٍ تُــرْوى مع الصادر والواردِ
وكم أَجبنــا لكَ مــن دَعوةٍ فاعرفْ فما العارفُ كالجاحدِ[3]
نحــن حَمَيْناكَ ومــا تَحتمي في الرَّوْع من مَثْنىً ولا واحدِ
يومَ انتصرنا لك مِــن عابد ويــومَ أَنجيناك مــن خالدِ[4]
ووقعــة الرَّيّ التــي نِلْتَهــا بجَحْفَــلٍ مــن جَمْعنا عاقدِ
وكم لَقِينــا لــك مــن واترٍ يصرِف نابَيْ حَنِــق حاردِ[5]

1 الحَضْر : مدينة بالقرب من تكريت بالعراق . آمد : مدينة في ديار بكر .
2 الهجان : الخالص وخيار كلّ شيء .
3 كالجاحد في الديوان الجامد ص 324 .
4 عابد في ل : غامد .
5 الحارد : الغاضب .

ثـــم وَطِئْنـــــاه بأقدامنـــا ... وكان مثـــلَ الحيَّـــةِ الراصدِ
إلى بـــلاء حسنٍ قـــد مضى ... وأنـــتَ في ذلـــك كالزاهدِ
فاذكُـــر أيادينـــا وآلاءنـــا ... بعـــودةٍ من حِلْمك الراشدِ
ويـــومَ الاهـــواز فـــلا تَنْسَه ... ليس النَّثـا والقـــولُ بالبائدِ[1]
إنّـــا لنرجـــوك كما نَرْتجي ... صوبَ الغمام المُبرقِ الراعدِ
فانفَحْ بكفَّيْك ومـــا ضَمَّتا ... وافعـــل فَعـــالَ السَّيِّد الماجدِ
مـــا لكَ لا تُعطي وأنتَ امرؤٌ ... مُثْرٍ مـــنَ الطـــارف والتالدِ
تَجْبي سِجِسْتانَ ومـــا حولها ... مُتّكئـــاً في عيشك الراغدِ[2]
لا ترهـــبُ الدَّهـــرَ وأيّامَـــه ... وتَجْـــرُد الأرضَ مـــع الجاردِ
إن يـــكُ مكـــروهٌ تَهِجْنا له ... وأنتَ في المعـــروفِ كالراقدِ
ثـــم تَـــرى أنّا سنرضى بذا ... كلاَّ وربِّ الراكـــعِ السَّاجدِ
وحُرمـــةِ البيت وأستـــارِه ... ومَنْ بـــه مِـــنْ ناسكٍ عابدِ
تلـــك لكـــم أمنيّـــةٌ باطلٌ ... وغفـــوةٌ مـــن حُلُم الراقدِ
ما أنا إنْ هاجك مِنْ بعدها ... هَيْـــجٌ بآتيـــكَ ولا كابـــدِ
ولا إذا ناطُـــوك في حَلْقـــة ... بحامـــلٍ عنـــك ولا فاقدِ[3]
فأعْطِ مـــا أعطيتَـــه طيِّباً ... لا خيرَ في المَنْكود والناكدِ[4]
نحـــن ولدنـــاك فـــلا تَجْفُنا ... واللهُ قـــد وصَّـــاك بالوالدِ
إن تكُ مـــن كِنْدةَ في بيتهـــا ... فإنّ أخوالـــكَ مـــن حاشدِ[5]
شُمُّ العرانـــين وأهـــلُ النَّدى ... ومُنتَهـــى الضَّيفـــان والرائدِ
كم فيهمُ مـــن فـــارس مُعْلَم ... وسائسٍ للـــجيش أو قـــائدِ
وراكبٍ للهَـــوْل يجتابُـــه ... مثـــلَ شِهـــاب القَبَس الواقدِ

1 النَّثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيىء وفي الديوان : الثنا ص 324 .
2 مُتكئا في ل : ممكناً .
3 فاقد في ل : ذائد . وفي الديوان : ناقد ص 325 .
4 المنكود : الذي يُلحُّ عليه في المسألة . والناكد الملح .
5 حاشد : حيّ من همدان .

أو مـلاءٍ يُشفَـى بأحلامهـم ... مـن سَفَـه الجاهل والماردِ
لم يجعـلِ اللهُ بأحسابنـا ... نقصاً ومـا الناقص كالزائدِ
وربّ خـالٍ لك ، في قومه ... فرعٌ طويـلُ الباع والساعدِ
يَحتضِر البأسَ ومـا يبتغـي ... سوى إسار البَطَل الناجدِ[1]
والطعـنِ بالرايـة مستمكِناً ... في الصفِّ ذي العادِية الناهدِ[2]
فارتَـحْ لأخوالك واذكرهمُ ... وارحمهـمُ للسَّلَـف العائدِ
فإنّ أخوالَـك لم يَبْرحوا ... يُرْبُون بالرِّفـد عـلى الرَّافدِ
لم يَبْخَلوا يومـاً ولم يَجْبُنوا ... في السَّلف الغازِي ولا القاعدِ
ورُبَّ خـالٍ لـكَ في قومه ... حمّـال أثقـال لهـا واجـدِ
مُعْتَرفٍ للـرزء في مالـه ... والحـقِّ للسائـل والعامدِ

[مدح النعمان بن بشير عامل حمص لوساطته له في عطاء]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيْد الأَزْديّ قال حدَّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكَلْبيّ ، وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثم بن عديّ ، وذكره العَنزيّ عن أصحابه ، قالوا جميعاً : خرج أعشى هَمْدان إلى الشام في وِلاية مَرْوان بنِ الحَكَم ، فلم يَنَل فيها حظّاً ؛ فجاء إلى النعمان بن بشير وهو عاملٌ على حِمْص ، فشكا إليه حالَه ؛ فكلَّم له النعمانُ بنُ بشير اليمانية وقال لهم : هذا شاعرُ اليمن ولسانُها ، واستماحَهم له ؛ فقالوا : نعمْ ، يعطيه كلّ رجل منّا دينارين مِنْ عطائه ؛ فقال : لا ، بل أَعْطُوه ديناراً ديناراً واجعلوا ذلك مُعجَّلاً ؛ فقالوا : أعطِه إيّاه من بيت المال واحتسبْها على كلّ رجل من عطائه ؛ ففعل النُّعمان وكانوا عشرين ألفاً فأعطاه عشرين ألف دينار وآرتجعها منهم عند العَطاء . فقال الأعشى يمدح النعمان : [من الطويل]

ولَمْ أَرَ للحاجاتِ عند التماسها ... كنُعْمانَ نُعمانِ النَّدَى ابن بَشيرِ
إذا قال أَوْفَى ما يقولُ ولم يكن ... كمُدْلٍ إلى الأقـوام حبلَ غُرُورِ
متى أكفرِ النعمانَ لم أُلْفَ شاكراً ... ومـا خيرُ من لا يقتدي بشَكُورِ
فلولا أخو الأنصار كنتُ كنازلٍ ... ثَـوى مـا ثَوى لم يَنْقلِبْ بنَقِيرِ

[شعره في حرب نصيبين بين المهلّب ويزيد بن أبي صخر]

وقال الهيثم بن عديّ في خبره : حاصَرَ المُهلَّبُ بن أبي صُفْرَة نَصِيبينَ ، وفيها أبو قارِب

1 إسَار في ل : نزال . وفي الديوان : الماجد بدل الناجد ص 325 .
2 ناهد : الأسد .

يَزيد بن أَبي صَخْر ومعه الخَشَبِيّة[1] ؛ فقال المهلَّب : يا أيّها الناس ، لا يَهُولنّكم هؤلاء القومُ فإنّما هم العَبيد بأيديها العِصيّ . فحمَل عليهم المهلَّبُ وأصحابُه فلَقُوهم بالعِصيّ فهزموهم حتى أزالوهم عن موقفهم . فدَسّ المهلّبُ رجلاً من عبد القيس إلى يزيد بن أَبي صَخْر ليغتالَه ، وجعل له على ذلك جُعْلاً سَنِيّاً ، قال الهيثم : بلغني أنّه أعطاه مائتي ألف درهم قبلَ أن يمضيَ ووعَده بمثلها إذا عاد ، فاندسَّ له العَبْديُّ فاغتاله فقتله وقُتِل بعده . فقال الأعشى هَمْدان في ذلك : [من الطويل]

يُسمَّوْن أصحابَ العِصيّ وما أرى ... مع القوم إلاّ المَشْرفيّةَ مِن عَصا
ألا أيُّها اللّيثُ الذي جاء حاذِراً ... وألقى بنا جرمى الخيامَ وعَرّصا[2]
أتحسَب غزوَ الشأم يوماً وحربَه ... كبِيضٍ يُنَظِّمن الجُمان المفصَّصا
وسيرِك بالأهْواز إذ أنت آمنٌ ... وشربِك ألبانَ الخَلايا المُقَرَّصا[3]
فأقسمتُ لا تَجْبِي لك الدَّهرَ درهماً ... نَصِيبُون حتّى تُبْتَلى وتُمَحَّصا
ولا أنتَ من أثوابها الخُضْرِ لابسٌ ... ولكنَّ خُشباناً شِداداً ومِشْقَصا[4]
فكم ردَّ من ذي حاجةٍ لا ينالُها ... جُدَيْع العَتيك ردّه الله أبْرَصا
وشيّد بنياناً وظاهَر كسوةً ... وطال جُدَيْع بعد ما كان أوقَصا

[تصغير جدع جديع بالدال غير معجمة] . والأبيات التي كان فيها الغناء المذكورُ معه خبر الأعشى في هذا الكتاب يقولها في زوجة له من هَمْدان يقال لها جَزْلة ، هكذا رواه الكوفيّون ، وهو الصحيح . وذكرَ الأصمعيّ أنّها خَوْلة ، هكذا رواه في شعر الأعشى .

[طلّق زوجته أمّ الجلال وتزوّج غيرها وشعره في ذلك]

فذكر العَنزيّ في أخبار الأعشى المتقدّم إسنادُها : أنّها كانت عند الأعشى امرأةٌ من قومه يُقال لها أُمُّ الجَلال ، فطالت مدّتها معه وأبغضها ، ثم خطب امرأةً من قومه يقال لها جَزْلة ، وقال الأصمعيّ : خولة . فقالت له : لا ، حتى تُطلِّق أُمّ الجلال ؛ فطلّقها ؛ وقال في ذلك : [من المتقارب]

---

1 الخشبية : أتباع المختار بن أبي عبيد .

2 حاذراً : متأهّباً مستعدّاً ، وفي الديوان : خادراً ص 333 . بنا جرمى في ل : ببا جرمى وفي الديوان أيضاً ص 333 .

3 الخلايا : الإبل المخلاّة للحلب ، الواحدة خلية . والمقرّص : اللّبن الذي يجعل في المقارص ليصير قارصاً أي حامضاً . والمقارص : الأوعية التي يقرّص فيها اللبن .

4 المشقص : نصل عريض ، وقيل : سهم فيه ذلك يُرمى به الوحش .

تقـادَم وُدِّكِ أُمَّ الجَـلالِ ... فطاشت نبالُكِ عنـد النِّضالِ
وطـال لزومُـك لي حِقْبةً ... فرَثّتْ قُوَى الحبل بعد الوِصالِ
وكان الفـؤاد بهـا مُعجَباً ... فقد أصبح اليومَ عن ذاك سالي
صحا لا مُسيئـاً ولا ظالمـاً ... ولكـنْ سَلا سَلْوةً في جمالِ
ورُضْـتِ خلائقَنـا كلَّهـا ... ورُضْنا خلائقَكـم كلَّ حالِ
فأَعْيَيْتِنـا في الذي بيننـا ... تَسُومِينَنـي كلَّ أمـرٍ عُضالِ
وقـد تأمُرِينَ بقَطع الصديق ... وكان الصديقُ لنـا غيرَ قالي
وإتيـانِ مـا قـد تجنَّبْتُـه ... وليـداً ولُمتُ عليـه رجالي
أَفَالْيَـوْمَ أَركبُـه بعـد مـا ... علاَ الشَّيبُ منِّي صَمِيمَ القَذالِ
لعمـرُ أبيكِ لقـد خِلْتِني ... ضعيفَ القُوى أو شديدَ المِحالِ
هلُمِّـي اسألي نائـلاً فانظُري ... أَأحرِمُكِ الخيرَ عنـد السؤالِ[1]
أَلَـمْ تعلمـي أنّني مُعْرِقٌ ... نَماني إلى المجد عمِّي وخالي
وأنِّـي إذا ساءني منـزلٌ ... عزمتُ فأَوشكْتُ منه ارتحالي
فبعضَ العتـاب ، فـلا تَهْلكي ... فَلا لَكِ في ذاكِ خيرٌ ولا لي
فلمّا بـدا لِيَ منهـا البَذا ... ءُ صبّحتُهـا بثـلاثٍ عِجالِ
ثلاثـاً خرجْـنَ جميعاً بها ... فخلَّيْنهـا ذاتَ بيْـتٍ ومالِ
إلى أهلهـا غيـرَ مخلوعـةٍ ... ومـا مَسَّها عندنا من نَكالِ
فأمستْ تَحِـنُّ حنـينَ اللِّقا ... حِ من جَزَعٍ إثْرَ مَن لا يُبالي
فحِنِّـي حنينَـكِ واستيقني ... بأنّا اطّرَحْناكِ ذاتَ الشمالِ
وأن لا رجـوعَ فـلا تُكْذَبِـ ... ـنَ ما حنَّت النِّيبُ إثْرَ الفِصالِ
ولا تحسبينـي بأنِّـي ندِمـ ... ـتُ كَلاّ وخالِقنا ذي الجَلالِ

فقالت له أُمّ الجلال : بئس والله بعلُ الحُرّة وقرينُ الزوجة المسلمةِ أنت ! وَيْحَك ؛ أَعَدَدْتَ طولَ الصحبة والحرمة ذنباً تسبّني وتهجوني به ! ثم دعتْ عليه أن يُبغِّضه الله إلى زوجته التي اختارها ، وفارقته . فلمّا انتقلت إلى أهلها ؛ وصارت جزلة إليه ، ودخل بها لم

1 أأحرِمُك في ل : هل أُحرمك .

يَحْظَ عندها ، ففَرِكته وتنكّرت له واشتدَّ شغفُه بها ؛ ثم خرج مع ابن الأَشعث فقال فيها : [من الرمل]

حَيِّيا جَزْلَةَ منِّي بالسَّلامِ ... دُرَّةَ البحرِ ومصباحَ الظلامِ
لا تَصُدِّي بعد وُدّ ثابتٍ ... واسمَعي يا أُمَّ عيسى من كلامي
إنْ تَدُومي لي فوَصْلي دائمٌ ... أو تَهُمِّي لي بهَجْرٍ أو صِرامِ
أو تكوني مثلَ برقٍ خُلَّبٍ ... خادعٍ يلمَع في عُرْض الغمامِ
أو كتخييلِ سَرابٍ مُعْرِضٍ ... بفَلاة أو طُروقٍ في المنامِ
فاعلمي إن كنتِ لَمّا تعلمي ... ومتى ما تفعلي ذاك تُلامي
بعد ما كان الذي كان فلا ... تُتْبِعي الإحسانَ إلاّ بالتمامِ
لا تَنَاسَيْ كلَّ ما أعطيْتِني ... مِنْ عهودٍ ومواثيقَ عِظامِ
واذكري الوعدَ الذي واعدْتِني ... ليلةَ النِّصف من الشهر الحرامِ
فلئن بَدّلْتِ أو خِسْتِ بنا ... وتجرَّأتِ على أمِّ صَمامِ[1]

[أُمّ صمام : الغدر والحنث] .

لا تُبالِينَ إذاً مِنْ بعدِها ... أبداً تَركَ صلاةٍ أو صيامِ[2]
راجعي الوصلَ ورُدِّي نظرةً ... لا تَلِجِّي في طِمَاح وأَثامِ
وإذا أنكرتِ منِّي شيمةً ... ولقد يُنكر ما ليس بذامِ[3]
فاذكريها لي أزُلْ عنها ولا ... تُسْفِحي عينيكِ بالدمعِ السِّجامِ
وأرى حبلَك رَثّاً خَلَقاً ... وحبالي جُدُداً غيرَ رِمامِ[4]
عَجِبتْ جزلةُ منِّي أن رأتْ ... لِمّتي حُفَّتْ بشَيْب كالثَّغامِ[5]
ورأت جسمي علاه كَبْرةٌ ... وصروفَ الدَّهرِ قد أبلتْ عظامي
وصَلِيتُ الحربَ حتى تركتْ ... جسدي نِضْواً كأَشْلاء اللِّجامِ[6]

1 أمّ في ل : أمر . صمام : الداهية الشديدة .
2 ترك في ل : أجْرَ .
3 ولقد أنكرتْ في ل : فلقد أنكرت .
4 حبل رمام : بالٍ .
5 الثغام : نبت يكون في الجبل ينبتُ أخضر ثم يبيضّ إذا يبس فيشبه به الشيب .
6 أشلاء اللجام : حدائده بلا سيور .

وهـــي بيضاءُ عـــلى مَنْكِبِها قَطَطٌ جَعْـــدٌ ومَيَّال سُخامُ[1]
وإذا تضحـــكُ تُبـــدي حَبَباً كرُضاب المسك في الرَّاح المُدامِ
كَمَلتْ مـــا بـــين قَرْنٍ فإلى موضعِ الخَلْخالِ منها والخِدامِ[2]
فأراها اليومَ لي قـد أحدثتْ خُلُقاً ليس على العهـدِ القُدَامِ

[تمثّل الشعبيّ بشعرٍ له فخر به على البصريين في حضرة الأحنف]

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمّد بن سعيد الكُراني قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن مُجالِد عن الشَّعْبيّ : أنّه أتى البصرةَ أيّامَ ابن الزُّبير ، فجلس في المسجد إلى قوم من تَميم فيهم الأحنفُ بن قَيْس فتذاكروا أهلَ الكوفة وأهلَ البصرة وفاخروا بينهم ، ولم تزل المفاخرة بينهم إلى أن قال قائل مِنْ أهل البصرة : وهل أهل الكوفة إلاّ خَوَلُنا ؟ استنقذناهم من عَبيدهم ، (يعني الخوارج) . قال الشعبيّ : فهجس في صدري أن تمثّلتُ قولَ أعشى همدان : [من الرمل]

أفخرتـم أنْ قتلتـــمْ أعبُـداً وهزمتـــمْ مَـــرّةً آلَ عُـزَلْ[3]
نحـــن سُقناهمْ إليكم عَنْـوةً وجمعنـــا أمرَكم بعـــد فشلْ
فـــإذا فاخرتمونـــا فاذكروا مـــا فعلنا بكمُ يـــومَ الجَمَلْ
بـــين شيخ خاضبٍ عُثْنونَـــه وفتـــىً أبيضَ وَضّاحٍ رِفَلّ[4]
جاءنـــا يرفُـــلُ في سابغـــةٍ فذبحناه ضحىً ذبـــحَ الحَمَلْ[5]
وعَفَونـــا فنَسِيتـــم عفوَنـــا وكفرتـــم نعمـــةَ الله الأجلّ

قال : فضحك الأحنف ، ثم قال : يا أهل البصرة ، قد فخَر عليكم الشعبيّ وصدق وانتصف ، فأحْسِنوا مجالسته .

[شعر له في هزيمة الزُّبير الخثعميّ بجَلُولاء]

أخبرني محمد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدّثنا العَنزيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن أبي مُحلّم[6]

1 القطط : الشعر القصير . والسخام : الشعر اللّين الحسن .
2 قرن في ل : فرق . الخدام : الخلاخيل ، واحده خدمة . وفي الديوان : الحزام ص 340 .
3 آل في ل : قوماً . العزل : الاعتزال والتنحّي . ويريد بآل عزل الخوارج لاعتزالهم جماعة المسلمين .
4 الرّفل من النّاس : الطويل الذّيل .
5 يرفلُ في الديوان : يهدج ص 337 .
6 أبو محلم الشيباني : واسمه محمّد بن سعد ، ويقال محمّد بن هشام بن عوف السعدي . وكان يسمّي محمّداً وأحمد . أعرابي ، أعلم الناس بالشعر واللغة . توفّي سنة ثمانٍ وأربعين ومائتين . وله من الكتب كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الإنسان .

عن الخليل بن عبد الحميد عن أبيه قال : بعث بِشْرُ بن مروان الزُّبَير بنَ خُزَيمة الخَثْعَميّ إلى الريّ ؛ فلقيه الخوارج بجَلُولاء[1] ، فقتلوا جيشَه وهزموه وأبادوا[2] عسكره ، وكان معه أعشى هَمْدان ، فقال في ذلك : [من الخفيف]

أُمِّرتْ خَثْعَمٌ على غير خَيْرٍ ... ثـم أوصاهمُ الأميرُ بسيرِ
أين مـا كنتـمُ تَعيفون للنا ... س وما تزجُرون من كلّ طيرِ
ضلّت الطيرُ عنكمُ بجَلُولا ... ءَ وغَرّتكـمُ أمـاني الزُّبيرِ
قدرٌ ما أُتيح لي من فلسطيـ ... ـنَ عـلى فالج ثَقال وعَيْرِ[3]
خَثْعمـيّ مغصّص جرجمانـ ... ـيّ محـلّ غزا مع ابن نميرِ[4]

[مدح الأصمعيّ شعره وفضله]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أبو حاتم قال : سألت الأصمعيّ عن أعشى هَمْدان فقال : هو من الفحول وهو إسلاميّ كثير الشعر ؛ ثم قال لي : العَجَبُ من ابن دَأْب حين يزعمُ أنّ أعشى همدان قال : [من مجزوء الخفيف]

مَن دعـا لي غُزَيِّلي ... أربح اللهُ تجارتُـه

ثم قال : سبحان الله ، أمِثلُ هذا يجوز على الأعشى ؟ أن يجزم اسمَ الله عزّ وجلّ ويرفَع تجارتَه وهو نصب . ثم قال لي خَلَفٌ الأحمر : والله لقد طَمِع ابنُ دأب في الخلافة حين ظنّ أنّ هذا يُقبَل منه وأن له من المحلِّ مثلَ أن يجوِّز مثلَ هذا . قال ثم قال : ومع ذلك أيضاً إن قوله : [من مجزوء الخفيف]

مَن دعـا لي غُزَيِّلي

لا يجوز ، إنّما هو : مَن دعا لغزيِّلي ، ومَن دعا لبعيرٍ ضالّ .

[مدح خالد بن عتاب فأجازه]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق ومحمّد بن مَزْيد بن أبي الأزهر قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : أمْلق أعشى هَمْدان فأتى خالدَ بنَ عَتّاب بن وَرْقاء فأنشده : [من الطويل]

---

1 جلولاء : ناحية حدثتْ فيها موقعة بين المسلمين والفرس .
2 في ل : وأباحوا .
3 الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة . الثقال : البطيء من الدواب والناس .
4 مغصص في الديوان : مغضّض ص 331 .

رأيــتُ ثناءَ الناس بالقول طيباً عليكَ وقالوا ماجدٌ وابنُ ماجدِ[1]
بَني الحارثِ السامِين للمجد ، إنّكم بنيتــم بنــاءً ذكــرُه غيرُ بائدِ
هَنيئاً لِمــا أعطاكُم الله واعلموا بأنّي سأُطْرِي خالداً في القصائدِ
فإن يــكُ عَتّــابٌ مضى لسبيله فما مات من يبقى لــه مثلُ خالدِ

فأمر له بخمسة آلاف درهم .

[أنشد سابق البربري من شعره عمر بن عبد العزيز فأبكاه]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثنا أبو غَسّان دماذ عن أبي عبيدة عن يونس [قال] : قال عمر بن عبد العزيز يوماً لسابق البربريّ ، ودخل عليه : أنشدْني يا سابقُ شيئاً من شعرك تذكّرني به ؛ فقال : أوَخيراً من شعري ؟ فقال : هاتِ ؛ قال قال أعشى همدان : [من البسيط]

وبينما المــرءُ أمسى ناعماً جَذِلاً في أهلــه معجَباً بالعيشِ ذا أنَقِ[2]
غِــرّاً ، أُتيح له من حَيْنه عَرَضٌ فما تلبّث حتى مــات كالصَّعقِ[3]
ثُمَّتَ أضحى ضُحيً من غبِّ ثالثةٍ مقنّعــاً غير ذي رُوح ولا رَمَقِ
يُبكــى عليــه وأدْنَوْه لمُظْلِمــةٍ تُعْــلى جوانبُهــا بالتُّربِ والفِلَقِ
فمــا تــزوَّدَ ممّــا كان يَجْمعه إلاّ حَنُوطاً وما واراه من خِرَقِ[4]
وغيرَ نفحــةِ أعــوادٍ تُشَبّ لــه وقَــلَّ ذلــك مــن زادٍ لمُنطلِقِ

قال : فبكى عمر حتى اخضلّتْ لحيتُه .

[هجا شجرة العبسي بشعر أجازه عليه الحجّاج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الحسين بن محمّد بن أبي طالب الدينارِيّ قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية قال : سأل أعشى همدان شَجَرةَ بن سليمان العَبْسيّ حاجةً فردّه عنها ، فقال يهجوه : [من الطويل]

لقد كنتَ خيّاطاً فأصبحتَ فارساً تُعَدّ إذا عُــدَّ الفوارس من مُضَرْ
فإن كنتَ قد أنكرتَ هذا فقُلْ كذا وبيِّن لِيَ الجُرحَ الذي كان قد دَثَرْ

1 بالقول في الديوان : بالغيب ص 322 .
2 الأنق : الفرح والسرور .
3 غِرّا في الديوان : غدا ص 336 .
4 الحنوط : طيب يخلط للميت خاصّة .

وإصبُعكَ الوسطى عليــه شَهيدةٌ وما ذاك إلاّ وَخزُها الثوبَ بالإبرِ

قال وكان يقال : إنّ شجرة كان خيّاطاً ، وقد كان ولي للحجّاج بعضَ أعمال السواد . فلمّا قدم على الحجّاج قال له : يا شجرة ، أَرِني إصبعَك أَنظُرْ إليها ؛ قال : أَصلح الله الأَمير ، وما تصنع بها ؟ قال : أنظر إلى صِفَة الأَعشى ؛ فخجِل شجرة . فقال الحجّاج لحاجبه : مُرِ المُعْطِيَ أن يُعطيَ الأَعشى من عطاء شجرة كذا وكذا . يا شجرة ، إذا أَتاك امرُؤٌ ذو حَسَب ولسان فاشتَرِ عِرضَك منه .

[أسره الحجّاج وذكره بشعر قاله ليبكته ثم قتله]

أَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال حدَّثنا محمّد بن يزيد الأَزْديّ قال حدَّثنا أَحمد بن عمرو الحنفيّ عن جماعة قال المبرّد : أَحسَب أَنّ أَحدهم مؤرِّج بن عمرو السَّدُوسيّ قالوا : لمّا أُتيَ الحجّاجُ بن يوسف الثقفيّ بأَعشى همدان أسيراً ، قال : الحمدُ لله الذي أَمْكَن منك ، أَلستَ القائلَ : [من الرجز]

لمّــا سَمَوْنــا للكَفُور الفَتّانْ بالسيّد الغِطْرِيف عبد الرحمنْ[1]
سار بجَمْع كالقَطا من قَحْطان ومن مَعَدّ قد أَتــى ابن عَدْنانْ[2]
أَمكن ربِّي من ثَقيف هَمْدان يوماً إلى الليل يُسَلّي مــا كانْ
إنّ ثقيفــاً منهــم الكَذّابان كَذّابُها الماضي وكــذّابٌ ثانْ

أَولستَ القائل : [من مجزوء الكامل]

يا ابــنَ الأَشجّ قَريــعِ كِنـ ـدَةَ لا أُبــالي فيــك عَتْبا[3]
أَنــت الرئيسُ ابــنُ الرئيـ ـس وأَنت أَعلى الناس كعبا[4]
نُبِّئــتُ حَجّــاجَ بــن يــو سفَ خَــرّ مِــن زَلَــقٍ فتَبّا
فانهــضْ فُدِيــتَ لعلّــه يجلــو بــك الرحمنُ كَرْبا
وابعــث عطيّــةَ في الخيــو ل يَكُبّهــنّ عليــه كَبّــا[5]

1 سفا : خفّ وأسرع وفي الديوان : إنّا سمونا ص 342 .
2 كالقطا في الديوان : كالدبي ص 342 .
3 الأَشجّ : هو الأَشعث بن قيس الكنديّ جدّ عبد الرحمن بن محمّد المعني في هذا الشعر ، وفي الديوان : لابن الأَشج ص 312 . لا أُبالي في الديوان : لا أبيّن ص 312 . والقريع : السيّد .
4 الناس في الديوان : القوم ص 312 .
5 هو عطيّة بن عمرو العنبري ، وكان على مقدمة جيوش عبد الرحمن بن الأَشعث إلى العراق . وقد بعث إليه الحجاج بالخيل فجعل عطيّة لا يلقى خيلاً إلاّ هزمها .

كلاّ يا عدوَّ الله ، بل عبد الرحمن بن الأشعث هو الذي خرّ من زَلَقٍ فتَبّ ، وحار وانكبّ ، وما لقي ما أحب ؛ ورفع بها صوته واربدّ وجهُه واهتزّ منكباه ، فلم يبقَ أحد في المجلس إلاّ أهمّته نفسُه وارتعدت فرائصُه . فقال له الأعشى : بل أنا القائل أيّها الأمير : [من الطويل]

أبــى اللهُ إلاّ أن يتمــم نــورَه ... ويُطفىء نــارَ الفاسقين فتخمُدَا
ويُنزل ذُلاًّ بالعـــراق وأهلِــه ... كما نقضوا العهـدَ الوَثيق المؤكّدا
ومــا لبث الحجّاجُ أن سَلّ سيفَه ... علينــا فولّــى جمعُنــا وتبدّدا[1]
ومــا زاحَــف الحجّاجُ إلاّ رأيتَه ... حساماً مُلَقًّى للحروب مُعَوَّدا[2]
فكيــف رأيــتَ الله فرّق جمعَهم ... ومزّقهم عُـرْضَ البــلاد وشَرّدا
بما نكَثــوا مــن بَيْعة بعــد بيعة ... إذا ضَمِنوها اليومَ خاسُوا بها غدا[3]
وما أحدثــوا من بِدعة وعَظيمة ... من القول لم تصعَدْ إلى الله مَصْعَدا
ولّمــا دَلَفْنا لابــن يوسفَ ضِلَّةً ... وأبــرق منّــا العارضان وأرعدا[4]
قطعنا إليــه الخندقــين وإنّمــا ... قطعنا وأفضينا إلى الموت مُرْصَدا[5]
فصادَمَنا الحجّــاجُ دون صفوفنا ... كِفاحاً ولم يضرب لذلك موعدا[6]
بجنــدِ أميرِ المؤمنــينَ وخيلِــه ... وسلطانِــهِ أمسى مُعانــاً مؤيَّدا[7]
ليهنــىءْ أميرَ المؤمنــين ظهورُه ... على أُمّةٍ كانــوا بُغــاةً وحُسَّدا[8]
وجدنــا بنــي مــروانَ خيرَ أئمّةٍ ... وأعظمَ هذا الخَلْقِ حلماً وسُؤْدَدا[9]
وخيرَ قــريشٍ في قريشٍ أُرُومَةً ... وأكرَمهــم إلاّ النبــيَّ محمَّــدا
إذا مــا تدبَّرنــا عواقــبَ أمرنا ... وجدنــا أميرَ المؤمنــين المُسَدَّدا
سيغلِبُ قومــاً غالبوا اللهَ جَهْرةً ... وإن كايــدوه كان أقوى وأكيدا

---

1 وتبدّدا في ل : متبدّدا .
2 حساماً في الديوان : معلماً ص 320 .
3 نكثوا في الديوان : وما نكثوا ص 320 . خاس : غدر ونكث .
4 في الديوان : ولّما زحفنا لابن يوسف عذوة ص 320 .
5 مُرْصدا : مُترقّبا .
6 فصادمنا في الديوان : فكافحنا ص 320 .
7 بجند في الديوان : جُنود ص 320 . معانا : في الديوان : عزيزاً ص 320 .
8 ليهنىء في الديوان : فيهني ص 321 .
9 وأعظم في الديوان : أفضل ص 321 . الخلق في الديوان : الناس ص 321 .

كذاك يُضِلُّ اللهُ مَن كان قلبُه ضعيفاً ومن والى النفاقَ وألْحدا[1]
فقد تركوا الأموال والأهلَ خلفَهم وبِيضاً عليهنَّ الجلابيبُ خُرّدا
يناديهم مستعبراتٍ إليهمُ ويُذْرينَ دمعاً في الخدودِ وإثْمِدا
وإلاّ تَناوَلْهُنّ منك برحمة يكنَّ سَبايا والبُعولةُ أعبُدا
تَعطَّفْ أميرَ المؤمنين عليهمُ فقد تركوا أمرَ السفاهةِ والرَّدى
لعلّهمُ أن يُحدثوا العامَ توبةً وتعرفَ نُصحاً منهمُ وتودُّدا
لقد شَمْتَ يا ابن الأشعث العامَ مصرَنا فظلّوا وما لاقوا من الطير أسْعُدا[2]
كما شاءم اللهُ النُّجَيْر وأهلَه بجَدِّك مَنْ قد كان أشقى وأنكدا[3]

فقال مَن حضر من أهل الشام : قد أحسَن أيّها الأمير ، فخلِّ سبيلَه ؛ فقال : أتظنّون أنّه أراد المدح ؟ لا والله ؛ لكنّه قال هذا أسفاً لغلبتكم إيّاه وأراد به أن يحرّض أصحابه . ثم أقبل عليه فقال له : أظننتَ يا عدوَّ الله أنّك تخدَعني بهذا الشعر وتنفلتَ من يدي حتى تنجوَ ؟ ألستَ القائل ، ويحك ! : [من الكامل]

وإذا سألتَ : المجدُ أين محلُّه فالمجدُ بين محمّدٍ وسعيدِ
بين الأغرِّ وبين قيس باذخٍ بَخْ بَخْ لوالدِه وللمولودِ[4]

والله لا تبخبخ بعدها أبداً . أولستَ القائل : [من الكامل]

وأصابني قومٌ وكنتُ أصيبهم فاليوم أصبِر للزمانِ وأعرفُ[5]

كذبتَ والله ، ما كنت صبوراً ولا عروفاً . ثم قلت بعده : [من الكامل]

وإذا تُصبْك من الحوادث نكبةٌ فاصبرْ فكلّ غَيابة ستكشَّفُ[6]

أما والله لتكوننَّ نكبةٌ لا تنكشفُ غَيابتُها عنكَ أبداً ، يا حَرَسيّ ، اضربْ عنقه ؛ فضرب عنقه .

---

1 ضعيفاً في الديوان : مريضاً ص 321 .
2 شمْتَ : من شأمت بتسهيل الهمزة وفي الديوان :
لقد شأم المصرين فرخ محمد بحقّ وما لاقى من الطير أسعدا
3 النُّجير : حصن باليمن قرب حضرموت منيع ، لجأ إليه أهل الردة مع الأشعث بن قيس .
4 الأغرّ في الديوان : الأشجّ ص 323 .
5 فاليوم في الديوان : فالآن ص 335 .
6 غيابة في الديوان : مصيبة ص 335 .

وذكر مُؤَرِّج السَّدُوسيّ أنّ الأعشى كان شديدَ التحريض على الحَجّاج في تلك الحروب ، فجال أهلُ العراق جولةً ثم عادوا ، فنزل عن سرجه ونزَعه عن فرسه ، ونزع درعه فوضعها فوق السرج ، ثم جلس عليها فأحدث والناس يرَوْنه ، ثم أقبل عليهم فقال لهم : لعلّكم أنكَرتم ما صنعتُ ؛ قالوا : أوَليس هذا موضعَ نَكير ؟ قال : لا ، كلُّكم قد سَلَح في سرجه ودِرْعه خوفاً وفَرَقاً ، ولكنّكم سترتموه وأظهرتُه ؛ فحَمِيَ القومُ وقاتلوا أشدَّ قتال يومَهم إلى الليل ، وشاعت فيهم الجِراح والقتلى ، وانهزم أهل الشام يومئذٍ ، ثم عاودوهم من غدٍ وقد نَكأْتهم الحرب ؛ وجاء مَدَدٌ من أهل الشام ، فباكروهم القتالَ وهم مستريحون فكانت الهزيمة وقُتِل ابن الأشعث . وقد حُكِيَتْ هذه الحكاية عن أبي كَلَدة اليَشْكريّ أنّه فعلها في هذه الوقعة ، وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ في أخبار أبي كَلَدة ، وقد ذُكر ما حكاه مع أخباره في موضعه من هذا الكتاب .

[76] ـ أَخبار أَحمد النَّصْبي ونسبه

[نسبه ، وهو مغنٍ طنبوري كان ينادم عبيد الله بن زياد]

النَّصْبيّ هو صاحبُ الأَنصاب . وأَوّلُ مَن غنَّى بها وعنه أُخِذ النَّصْب[1] في الغناء هو أَحمد بن أُسامة الهَمْداني ، من رَهْط الأَعشى الأَدنين . ولم أَجِد نسبَه متّصلاً فأَذكرَه . وكان يغنّي بالطُّنْبور ومرتجلاً ، ويقال إنّه أَوّل مَن غنَّى بالطنبور في الإسلام . وكان ، فيما يُقال ، ينادم عُبَيد الله بن زياد سرّاً ويغنّيه . وله صنعةٌ كثيرةٌ حسنة لم يَلْحَقها أَحد من الطُّنبوريِّين ولا كثير ممّن يغنّي بالعود .

[حديث جحظة عنه]

وذكَره جَحْظة في كتاب الطُّنْبوريِّين فأَتى من ذكره بشيء ليس من جنس أَخباره ولا زمانه ، وثَلَبه فيما ذكره . وكان مذهبُه عفا الله عنّا وعنه ، في هذا الكتاب أَن يَثْلِب جميعَ مَن ذكره من أَهل صناعته بأَقبحِ ما قَدَر عليه ، وكان يجب عليه ضدُّ هذا ، لأَنّ مَن انتسب إلى صناعة ، ثم ذكر متقدِّمي أَهلِها ، كان الأَجملَ به أَن يذكر محاسنَ أَخبارهم وظريفَ قصصهم ومليحَ ما عرفه منهم لا أَن يثلِبهم بما لا يعلم وما يعلم . فكان فيما قرأْتُ عليه من هذا الكتاب أَخبارُ أَحمد النَّصْبيّ ، وبه صَدَّر كتابَه فقال : أَحمد النَّصْبيّ أَوّلُ مَن غنَّى الأَنصاب على الطنبور وأَظهرها وسيَّرها ؛ ولم يخدمُ خليفة ولا كان له شعر ولا أَدب .

[كان بخيلاً مرابياً ومات بفالوذجة حارّة]

وحدَّثني جماعةٌ من الكوفيّين أَنّه لم يكن بالكوفة أَبخلُ منه مع يساره ، وأَنّه كان يُقْرِض الناس بعِينةٍ[2] ، وأَنّه اغتَصّ في دعوة دُعي إليها بفالُوذَجةٍ حارّة فبلعها فجمَعت أَحشاءه فمات . وهذا كلُّه باطل . أَمّا الغناء فله منه صنعة في الثقيل الأَوّل وخفيف الثقيل والثقيل الثاني ، ما ليس لغيره مثلُها . منها الصوت الذي تقدّم ذكره وهو قوله : [من الرمل]

حيِّيا خولةَ منِّي بالسلامِ

ومنها : [من الطويل]

سَلَبتَ الجواري حَلْيَهنّ فلم تَدَعْ سِواراً ولا طَوْقاً على النحرِ مُذْهَبا

---

1 النصب : ضرب من الغناء أرقّ من الحداء .

2 عِينة : الرِّبا .

وهو من الثقيل الثاني ، والشعر للعُدَيْل بن الفُرْخ[1] ، وقد ذكرتُ ذلك في أخباره . ومنها : [من السريع]

يـا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى أنَّى اعتراكَ الطّـربُ النازحُ

وهو أيضاً من الثقيل الثاني ، وأصوات كثيرةٌ نادرة تدلّ على تقدّمه .

وأمّا ما وصَفه من بخله وقَرْضِه للناس بالرِّبا وموتِه من فالوذجة حارّة أكلها ، فلا أدري مَنْ مِنَ الكوفيّين حدَّثه بهذا الحديث ، ليس يخلو من أن يكون كاذباً ، أو نَحَل هو هذه الحكايةَ ووضعها هنا ، لأنّ أحمد النَّصْبيّ خرج مع أعشى هَمْدان وكان قرابته وإلفَه في عسكرِ ابن الأشعث ، فقُتل فيمن قُتل . رَوى ذلك الثِّقاتُ من أهل الكوفة والعلم بأخبار الناس ، وذلك يُذكر في جملة أخباره .

[اتّصاله بأعشى همدان وغناؤه بشعره في سليم بن صالح إذ نزلا عليه]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد بن أبي الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وذكره العَنزيّ في أخبار أعشى هَمْدان المذكورة عنه عن رجاله المُسَمَّيْن قال :

كان أحمد النَّصْبيّ مواخياً لأعشى همدان مواصلاً له ، فأكثرُ غنائه في أشعاره مثلُ صنعته في شعره : [من الرمل]

حيِّيا خولـةَ منِّي بالسلامِ

و : [من الكامل]

لَمن الظّعائن سيرُهنّ ترَجُّفُ

و : [من السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيعُ الهوى

وهذه الأصوات قلائدُ صنعته وغُرَر أغانيه . قال : وكان سبب قوله الشعرَ في سَليم بن صالح بن سعد بن جابر العَنْبريّ ، وكان منزلُ سَلِيم ساباط[2] المدائن ، أن أعشى هَمْدان وأحمدَ النَّصْبيّ خرجا في بعض مغازيهما ، فنزلا على سليم فأحسن قِراهما وأمر لدوابّهما بعُلُوفة وقَضِيم[3] ، وأقسم عليهما أن ينتقلا إلى منزله ففعلا ، فعرض عليهما الشرابَ فأنْعَما به وطلباه

1 العديل بن الفرخ هو العديل بن الفرخ العجليّ ، ولقبه العبّاب ، وكان العبّاب كلباً له ، وهو من رهط أبي النجم (العجليّ) . وكان هجا الحجّاج فطلبه ، فهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 413 ، وفي الاشتقاق 208 والخزانة 2 : 367–368 .

2 ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

3 القضيم : شعير الدابة .

فوضعه بين أيديهما وجلسا يشربان ؛ فقال أحمد النَّصْبيّ للأعشى : قُل في هذا الرجل الكريم شعراً تمدحه به حتى أُغنِّيَ فيه ؛ فقال الأعشى يمدحه : [من السريع]

يـا أيُّها القلبُ المطيع الهوى ... أنّى اعتراك الطَّـرَبُ النازحُ
تذكُـر جُمْـلاً فإذا ما نأتْ ... طـار شَعاعـاً قلبُكَ الطامحُ
هَـلاّ تناهيـتَ وكنتَ امرأً ... يزجُـرك المُـرشِد والنّاصحُ
ما لـك لا تتركُ جهلَ الصِّبا ... وقـد عـلاك الشَّمَط الواضحُ
فصار مَـن ينهاكَ عن حبّها ... لم تَـرَ إلاّ أنّـه كاشحُ
يا جُمْل مـا حُبّي لكم زائلٌ ... عنّي ولا عـن كَبِدي نازحُ[1]
حُمّلـت وُدّاً لكمُ خالصاً ... جِـدّاً إذا مـا هـزَل المازحُ
ثـم لقـد طـال طِلابِيكُـم ... أسعى وخيرُ العمـلِ النّاجحُ
إنّي توسَّمت امرأً ماجـداً ... يصـدُق في مِدْحتـه المادحُ
ذؤابـةَ العنبرِ فاخترتُـه ... والمـرء قـد يُنعِشُه الصالحُ
أبْلَجَ بُهْلولاً وظنّـي بـه ... أنّ ثنائـي عنـده رابحُ[2]
سَلِيمُ مـا أنـتَ بِنِكْسٍ ولا ... ذمـك لي غـادٍ ولا رائحُ
أُعطيـتَ وُدّي وثنائـي معاً ... وخَلّـةً ميزانُهـا راجـحُ
أرعاك بالغيب وأهوى لك الـ ... ـرّشد وجَيْبي فاعلمنْ ناصحُ[3]
إنّي لِمَـن سالمتَ سِلمٌ ومَن ... عاديـتَ أُمْسي ولـه ناطحُ
في الرأس منـه وعـلى أنفه ... مـن نَقَماتـي مِيسَمٌ لائحُ
نِعْـم فتـى الحـيّ إذا ليلةٌ ... لم يُـورِ فيها زَنـدَهُ القادحُ
وراح بـالشَّوْل إلى أهلهـا ... مغبّـرةً أذقانُهـا كالحُ[4]
وهَبّـت الرِّيـحُ شآميّـةً ... فانجَحَـر القابسُ والنابحُ

1 نازح في ل : بارح .
2 أبلج في ل : أبيض . البهلول : السيّد الجامع لكلّ خير .
3 الجيب : القلب والصّدر .
4 الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجفّ لبنها . الكالح : الأمر الشديد .

قد علم الحيّ إذا أَمْحلوا أنّك رَفّادٌ لهم مانحُ
في الليلة القالي قِراها التي لا غابِقٌ فيها ولا صابِحُ
فالضيفُ معروفٌ له حقُّه له على أبوابكم فاتحُ
والخيلُ قد تعلمُ يومَ الوغى أنّكَ من جَمْرتها ناضحُ[1]

قال : فغنّى أحمد النَّصْبيّ في بعض هذه الأبيات ، وجاريةٌ لسَليم في السطح ، فسمعت الغناءَ ، فنزلتْ إلى مولاها وقالت : إنّي سمعتُ من أضيافك شعراً ما سمعتُ أحسنَ منه ؛ فخرج معها مولاها فاستمع حتى فهِم ، ثم نزل فدخل عليهما ، فقال لأحمد : لَمن هذا الشعر والغناء ؟ ومَن أنتما ؟ فقال : الشعر لهذا ، وهو أبو المصبّح أعشى همدان ، والغناء لي ، وأنا أحمد النَّصْبيّ الهَمْداني ، فانكبَّ على رأس أعشى هَمْدان فقبّله وقال : كتمتُماني أنفسَكما ، وكِدْتُما أن تفارقاني ولم أعرفكما ، ولم أعلم خبركما ، واحتبسهما شهراً ثم حملهما على فرسيْن ، وقال : خلِّفا عندي ما كان من دوابّكما ، وارجعا من مَغْزاكما إليّ . فمضيا إلى مغزاهما ، فأقاما حيناً ثم انصرفا ، فلمّا شارفا منزلَه قال أحمد للأعشى : إنّي أرى عجباً ، قال : وما هو ؟ قال : أرى فوق قصر سَليم ثعلباً ؛ قال : لئن كنتَ صادقاً فما بقي في القرية أحد . فدخلا القرية ، فوجدا سَليماً وجميعَ أهل القرية قد أصابهم الطاعون ، فمات أكثرهم وانتقل باقيهم . هكذا ذكر إسحاق ، وذكر غيره : أنّ الحجّاج طالبَ سَليماً بمال عظيم ، فلم يخرجُ منه حتى باع كلَّ ما يملكه ، وخَرِبتْ قريتُه وتفرّق أهلها ؛ ثم باعه الحجّاج عبداً ، فاشتراه بعضُ أشرافِ أهل الكوفة ، إمّا أسْماءُ بنُ خارجةَ وإمّا بعض نظرائه ، فأعتقه .

نسبة هذا الصوت الذي قال الأعشى شعرَه وصنع أحمد النَّصبيُّ لحنَه في سَليم

صوت

[من السريع]

يا أيُّها القلبُ المطيع الهوى أنَّى اعتراك الطربُ النازحُ
تذكرُ جُمْلاً فإذا ما نأت طار شَعاعاً قلبُك الطامحُ

---

1 الجمرة : القبيلة فيها ثلاثمائة فارس وقيل : ألف . أو هي كلّ قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يحالفون أحداً ولا ينضمّون إلى أحد ، تكون القبيلة نفسها جمرة تصبرُ لقراع القبائل . الناضح : المدافع الرامي .

أُعْطِيتَ ودِّي وثنائي معاً وخَلَّـةً ميزانها راجـحُ
إنِّـي تخيَّرت امرأً ماجداً يصدُق في مِدْحته المادحُ
سَلِيم مـا أنت بِنِكسٍ ولا ذَمَّـك لي غادٍ ولا رائحُ
نِعْم فتى الحـيّ إذا ليلةٌ لم يُـورِ فيها زَنْدَه القادحُ
وراح بالشَّوْل إلى أهلها مُغْبَـرَّةً أذقانُها كالِحُ
وهَبَّتِ الرِّيـحُ شآميّـةً فانجَحَـر القابسُ والنابحُ

الشعر لأعشى همدان . والغناء لأحمد النَّصْبيّ ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لمالِكٍ لحناً ولسنان الكاتب لحناً آخر .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

تَنكَّر من سُعْدَى وأقفر مـن هندِ مُقامُهما بـين الرَّغامـين فالفردِ[1]
محلٌّ لسُعْدَى طالمـا سكنتْ بـه فأوحشَ ممّـن كان يسكنه بَعْدي

الشعر لحَمّاد الراوية . والغناء لعَبادِل ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، ذكر الهشاميّ أنّه للهُذَليّ ، وذكر عمرو بن بانة أنّه لعَبادِل بن عطيّة[2] .

1 الرغام : اسم رملة بعينها من نواحي اليمامة بالوشم ، وقد ثناه الشاعر لضرورة الشعر . الفرد : موضعان يطلق عليهما الاسم نفسه .

2 سترد ترجمته في هذا الجزء ص 71 .

[77] ـ أخبار حمّاد الراوية ونسبه[1]

[نسبه وولاؤه وعلمه بأخبار العرب وأيّامها]

هو حَمّاد بن مَيْسرة ، فيما ذكره الهَيْثم بن عَدِيّ ، وكان صاحبَه وراويتَه وأعلمَ الناس به ، وزعم أنّه مولى [بني] شَيْبان . وذكر المَدائنيّ والقَحْذَميّ أنّه حمّاد بن سابور ، وكان من أعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها . وكانت ملوك بني أميّة تقدّمه وتؤثره وتستزيره ، فيَفِد عليهم ويندمهم ويسألونه عن أيّام العرب وعلومها ويُجزلون صلته .

حدّثنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ وعمّي وإسماعيل العَتَكِيّ قالوا حدّثنا الرِّياشيّ قال : قال الأصمعيّ : كان حَمّاد أعلَم الناس إذا نَصَح . قال وقلت لحمّاد : ممّن أنتم ؟ قال : كان أبي من سَبْيِ سَلْمان بن رَبيعة ، فطرَحَتْنا سَلْمانُ لبني شَيْبان ، فولاؤنا لهم . قال : وكان أبوه يُسمَّى مَيْسرة ، ويُكنى أبا ليلى . قال العَتَكيّ في خبره : قال الرِّياشيّ : وكذلك ذكر الهَيثم بن عَدِيّ في أمر حَمّاد .

[سأله الوليد عن سبب تلقيبه بالراوية فأجابه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ ولَقيط[2] قالوا : قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : بِمَ استحققتَ هذا اللقب فقيل لك الراوية ؟ فقال : بأنّي أروي لكلّ شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعتَ به ، ثم أروي لأكثر منهم ممّن تعرف أنّك لم تعرفْه ولم تسمع به ، ثم لا أُنشَد شعراً قديماً ولا محدَثاً إلاّ ميّزتُ القديم منه من المحدَث ؛ فقال : إنّ هذا لعلمٌ وأبيك كثير ! فكم مقدارُ ما تحفظ من الشعر ؟ قال : كثيراً ، ولكنّي أُنشِدك على كلّ حرف من حروف المعجم مائةَ قصيدة كبيرة سوى المقطّعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام ؛ قال : سأمتحنك في هذا ، وأمَره بالإنشاد ؛ فأنشد الوليدَ حتى ضَجِر ، ثم وكّل به مَن استحلفه أن يصدُقه عنه ويستوفيَ عليه ؛ فأنشده ألفين وتسعَمائة

---

1 حمّاد الراوية : انظر أخباره في معجم الأدباء 3 : 1201–1205 وفي التذكرة الحمدونية 3 : 55–56 ، طبقات ابن المعتزّ : 69 والمعارف 451 والفهرست : 104 ومراتب النحويين : 72 وطبقات الزبيدي 209 وأمالي المرتضى 1 : 131 ومصورة ابن عساكر : 5 : 273 وتهذيب ابن عساكر : 4 : 430 ومختصر ابن منظور : 70 : 244 وابن خلكان 2 : 206 وسير الذهبي 7 : 157 والوافي 13 : 137 ولسان الميزان : 2 : 352 وبغية الوعاة : 1 : 549 والخزانة : 4 : 129 .

2 هو أبو هلال لقيط بن بكر المحاربي الكوفي من بني محارب ، من الرواة للعلم المصنفين للكتب . كان شاعراً سيىء الخلق ، عاش إلى سنة تسعين ومائة .

قصيدة للجاهليّين ، وأخبر الوليدَ بذلك ، فأمر له بمائة ألف درهم .

[ما كان بينه وبين مروان بن أبي حفصة في حضرة الوليد]

أخبرني يحيى بن عليّ المنجِّم قال حدَّثني أبي قال حدَّثني إسحاق الموصليّ عن مَرْوانَ بن أبي حَفْصة ، وأخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أبو بكر العامريّ عن الأَثْرَم[1] عن مَروان بن أبي حَفْصة قال : دخلتُ أنا وطُرَيح بن إسماعيل الثَّقَفيّ والحسين بن مُطَير الأَسَديّ في جماعة من الشعراء على الوليد بن يزيد وهو في فُرُش قد غاب فيها ، وإذا رجلٌ عنده ، كلّما أنشد شاعرٌ شعراً ، وقف الوليدَ بن يزيد على بيت بيت من شعره وقال : هذا أخذه من موضع كذا وكذا ، وهذا المعنى نقله من موضع كذا وكذا من شعر فلان ، حتى أتى على أكثر الشعر ؛ فقلت : مَن هذا ؟ فقالوا : حَمّاد الراوية . فلمّا وقفت بين يديّ الوليدِ أنشده قلت : ما كلام هذا في مجلس أمير المؤمنين وهو لُحنَة لَحّانة ؛ فأقبل الشيخ عليّ وقال : يا ابن أخي ، إنّي رجل أكلّم العامّة فأتكلّم بكلامها ، فهل تروي من أشعار العرب شيئاً ؟ فذهب عنّي الشعرُ كلّه إلاّ شعرَ ابن مُقْبِل ؛ فقلت له : نعم ، شعرَ ابن مُقبل ؛ قال : أنشِدْ ، فأنشدتُه قوله : [من الطويل]

سلِ الدارَ من جَنْبيْ حِبرٍّ فواهبٍ إذا ما رأى هَضْبَ القَليب المُضَيَّحُ[2]

ثم جُزْتُ ؛ فقال لي : قف فوقفت ؛ فقال لي : ماذا يقول ؟ فلم أدرِ ما يقول !

فقال لي حمّاد : يا ابن أخي ، أنا أعلَم الناس بكلام العرب . يقال : تراءى الموضعان إذا تقابلا .

[سأل الهيثم بن عديّ عن معنى شعر فعجز]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهيثم بن عديّ قال : قلت لحمّاد الراوية يوماً : ألْقِ عليّ ما شئتَ من الشعر أفسّره لك ؛ فضحك وقال لي : ما معنى قولِ ابن مُزاحِم الثُّماليّ : [من البسيط]

تَخوَّف السيرُ منهـا تامكاً قَرِداً كما تَخوّف عُـودَ النَّبْعةِ السَّفَنُ ؟[3]

فلم أدْرِ ما أقول ؛ فقال : تخوَّف : تنقَّص . قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ﴾ 47/16 أي على تنقُّص .

قال الهيثم : ما رأيتُ رجلاً أعلَمَ بكلام العرب من حَمّاد .

---

1 الأثرم : هو أبو الحسن علي بن المغيرة صاحب الأصمعي وأبي عبيدة ، روى عن جماعة من العلماء وعن فصحاء العرب ، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين .

2 جنبي حِبرّ فواهبٍ في ل : خبتي خبير فذاهب . المُضَيَّح : ماء لبني البكّاء .

3 التامك : السنام . والقرد : المتلبّد الصوف . والسّفن : الحديدة التي تُبرد بها القِسيّ .

[كذب الفرزدق في شعر نسبه لنفسه فأقرّ]

حدَّثني محمّد بن خَلَف وَكِيع قال حدَّثني الكُرانيّ محمّد بن سعد عن النَّضْر بن عمرو عن الوليد بن هشام عن أبيه قال : أنشدني الفرزدق وحمّادٌ الراوية حاضر : [من الطويل]

وكنتَ كذئب السَّوْء لمّا رأى دماً بصاحبه يومـاً أحـال على الدمِ[1]

فقال له حمّاد : آنت تقوله ؟ قال : نعم ؛ قال : ليس الأمر كذلك ، هذا لرجل من أهل اليمن ؛ قال : ومَن يعلم هذا غيرُك ! أفأردت أن أتركه وقد نَحَلنيه الناسُ وروَوْه لي لأنّك تعلمه وحدَك ويجهله الناسُ جميعاً غيرَك ! .

[كان هو وأبو عمرو كلّ منهما يقدم الآخر على نفسه]

حدَّثني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني الفَضْل قال حدَّثني ابن النَّطّاح قال حدَّثني أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال : ما سألت أبا عمرو بنَ العَلاء قطُّ عن حَمّاد الراوية إلاّ قدّمه على نفسه ، ولا سألتُ حَمّاداً عن أبي عمرو إلاّ قدّمه على نفسه .

[هو أحد الحمّادين الثلاثة]

حدَّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم ، وذكر عبد الله بن مسلم عن الثَّقَفيّ عن إبراهيم بن عُمَر [و] العامريّ قالا : كان بالكوفة ثلاثةُ نفر يقال لهم الحَمّادون : حمّاد عَجْرد ، وحمّاد بن الزِّبْرِقان ، وحمّاد الراوية ، يتنادمون على الشراب ويتناشدون الأشعار ويتعاشرون معاشرة جميلة ، وكانوا كأنّهم نفسٌ واحدة ، وكانوا يُرمَوْن بالزندقة جميعاً .

[كان بخيلاً فداعبه مطيع وابن زياد عن سراجه]

أخبرني الحسن بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دخل مُطيع بن إياس ويحيى بن زِياد على حمّاد الراوية ، فإذا سِراجه على ثلاث قَصَبات قد جُمع أعلاهنّ وأسفلهنّ بطين ، فقال له يحيى بن زياد : يا حمّاد ، إنّك لَمُسْرِف مبتذِل لحُرّ المتاع ؛ فقال له مُطيع : ألا تبيعُ هذه المنارة وتشتري أقلَّ ثمناً منها وتنفق علينا وعلى نفسك الباقي وتتّسع به ؟ فقال له يحيى : ما أحسنَ ظنَك به ! ومن أين له مثلُ هذه ؟ إنّما هي وديعة أو عارية ؛ فقال له مطيع : أمَا إنّه لعظيم الأمانة عند الناس ! قال له يحيى : وعلى عظيم أمانته فما أجهل مَن يُخرِج مثلَ هذه من داره ويأمَن عليها غيرَه ! قال مطيع : ما أظنّها عاريةً ولا وديعة ولكنّي أظنّها مرهونة عنده على مال ، وإلاّ فمن يُخرج مثلَ هذه من بيته ! فقال لهما حمّاد : قوما عنّي يا ابنَي الزانيتيْن واخرُجا من منزلي ، فشرٌّ منكما مَن يُدخلكما بيتَه .

---

1 أحال على الدم : أقبل عليه .

[كان منقطعاً ليزيد فجفاه هشام]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن عُبيد أبو عَصيدة قال حدَّثني محمّد بن عبد الرحمن العَبْديّ عن حُميد بن محمّد الكُوفيّ عن إبراهيم بن عبد الرحمن القُرَشيّ عن محمّد بن أُنَس ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَديّ عن حَمّاد الراوية ، وخبر حَمّاد بن إسحاق أتمّ واللفظ له .

قال حمّاد الراوية : كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك ، فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أُميّة في أيّام يزيد ، فلمّا مات يزيد وأفْضَت الخلافةُ إلى هشام خِفْتُه ، فمكثت في بيتي سنةً لا أخرج إلاّ لَمَن أثق به من إخواني سرّاً ؛ فلمّا لم أسمع أحداً يذكرني سنةً أمِنتُ فخرجت فصلّيت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل فإذا شُرَطِيّان قد وقفا عليّ فقالا لي : يا حَمّاد ، أجِب الأمير يوسفَ بن عمر ، فقلت في نفسي : مِنْ هذا كنت أحذَر[1] ، ثم قلت للشُّرَطِيَّيْنِ : هل لكما أن تَدَعاني آتي أهلي فأُودّعهم وداع مَن لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل . فاستسلمتُ في أيديهما وصِرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر ، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلامَ ، ورمى إليّ كتاباً فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أمّا بعد ، فإذا قرأتَ كتابي هذا فابعث إلى حمّاد الراوية مَن يأتيك به غيرَ مُرَوَّع ولا مُتعتَع ، وادفع إليه خمسمائة دينار وجملاً مَهْرِيّاً يسير عليه اثنتي عشرة ليلةً إلى دمشق» . فأخذتُ الخمسمائة الدينار ، ونظرتُ فإذا جمل مَرْحول ، فوضعت رجلي في الغَرْز[2] وسرتُ اثنتي عشرةَ ليلةً حتى وافيتُ بابَ هشام ، فاستأذنتُ فأُذن لي ، فدخلت عليه في دارٍ قَوْراء[3] مفروشة بالرُّخام ، وهو في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كلّ رخامتين قضيبُ ذهب ، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طِنْفِسَةٍ حمراءَ وعليه ثيابَ خَزٍّ حُمْر وقد تضمَّخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلّبه بيده فتفوح روائحه ، فسلّمتُ فردَّ عليّ ، واستدناني فدنوت حتى قبّلتُ رجلَه ، وإذا جاريتان لم أرَ قبلهما مثلَهما ، في أُذُنَيْ كلّ واحدة منهما حَلْقتان من ذهب فيهما لؤلؤلتان تتوقّدان ؛ فقال لي : كيف أنت يا حمّاد وكيف حالك ؟ فقلت بخير يا أمير المؤمنين ؛ قال : أتدري فيم بعثتُ إليك ؟ قلت : لا ؛ قال : بعثت إليك لبيتٍ خطر ببالي لم أدرِ مَنْ قاله ؛ قلت : وما هو ؟ فقال : [من الخفيف]

1 في ل : يرجع .

2 الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .

3 قوراء : واسعة .

فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ

قلت : هذا يقوله عَدِيّ بن زيد في قصيدة له ؛ قال : فأنشدْنيها ، فأنشدتُه :

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولون لي ألا تستفيقُ
ويلومون فيك يا ابنةَ عبدا لله والقلبُ عندكم مَوْهوقُ[1]
لست أدري إذا أكثروا العذلَ عندي أعدوٌّ يلومني أو صديقُ[2]
زانها حسنُها وفَرْعٌ عَمِيم وأثيثٌ صَلْتُ الجبين أنيقُ
وثنايا مُفَلَّجات عذاب لا قِصارٌ تُرى ولا هُنّ رُوقُ[3]
فدعَوْا بالصَّبُوح يوماً فجاءت قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ
قدّمتْه على عُقار كعين الـ ـدِّيك صَفَّى سُلافَها الرَّاووقُ
مُزّة قبل مزجها فإذا ما مُزجت لذّ طعمَها مَن يذوقُ
وطفَت فوقها فقاقيعُ كالد رّ صِغار يُثيرها التَّصْفيقُ[4]
ثم كان المِزاجُ ماءَ سماء غيرَ ما آجنٍ ولا مَطْروقُ

قال : فطرب ، ثم قال : أحسنتَ والله يا حَمّاد ، يا جاريةُ اسقيه ، فسقتني شَرْبة ذهبت بثلث عقلي . وقال : أعِد ، فأعدتُ ، فاستخفّه الطرب حتى نزل عن فرشه ، ثم قال للجارية الأُخرى : اسقيه ، فسقتني شربة ذهبت بثلث عقلي . فقلت : إن سقتني الثالثةَ افتضحت ، فقال : سَلْ حوائجَك ، فقلت : كائنةً ما كانت ؟ قال : نعم ؛ قلت : إحدى الجاريتين ؛ فقال لي : هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما ، ثم قال للأولى : اسقيه ، فسقتْني شَرْبةً[5] سقطتُ معها ، فلم أعقِل حتى أصبحتُ فإذا بالجاريتين عند رأسي ، وإذا عِدّة من الخدم مع كلّ واحد منهم بَدْرة ، فقال لي أحدهم : أميرُ المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك : خذ هذه فانتفع بها ، فأخذتُها والجاريتين وانصرفت . هذا لفظ حَمّاد عن أبيه . ولم يقل أحمد بن عُبيد في خبره أنّه سقاه شيئاً ، ولكنّه ذكر أنّه طرِب لإنشاده ، ووهب له الجاريتين لمّا طلب إحداهما ، وأنزله في دار ، ثم نقله من غدٍ إلى منزل أعدّه له ، فانتقل إليه فوجد فيه الجاريتين وما لَهما وكلَّ ما يحتاج إليه ، وأنّه أقام عنده مدّة فوصل إليه مائةُ ألف درهم ، وهذا هو

1 الموهوق : المشدود بالوهق : وهو الحبل المغار يرمى فيه أنشوطة فتؤخذ فيه الدابة والإنسان .
2 عندي في معجم الأدباء : فيها ، 1203/3 .
3 روق : طوال .
4 فقاقيع في ل : فواقع .
5 في ل : عشرة .

الصحيح ؛ لأنّ هشاماً لم يكن يشرب ولا يسقي أحد بحضرته مسكِراً ، وكان يُنكِر ذلك ويَعيبه ويعاقبُ عليه .

في أبيات عديّ المذكورة في هذا الخبر غناءٌ ، نِسْبته : [من الخفيف]

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولون ما لـــه لا يُفيقُ
ويلومون فيكِ يا ابنـــةَ عبد الله والقلبُ عنـــدكم مَوْهوقُ
ثم نادوا إلى الصَّبُوح فقامتْ قَيْنـــةٌ في يمينهـــا إبريقُ[1]
قدّمتْه على عُقـــار كعين الدِّ ـيـك صفّى سُلافها الراووقُ

في البيتين الأوّلين لحن من الثقيل الأوّل مختلَفٌ في صانعه ، نسَبه يحيى بن المكّي إلى معبد ، ونسبه الهشاميّ إلى حُنين . وفي الثالث وهو «ثم نادوا» والرابع لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ رَمَلٌ ، وفيهما خفيفُ رَمَلٍ يُنسب إلى مالك وخفيف ثقيل ، ذكر حَبَش أنّه لحُنين .

[أجازه يوسف بن عمر بأمر الوليد وأرسله إليه مكرّماً]

أخبرني محمّد بن مَزْيد والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الأصمعيّ قال : قال حمّاد الراوية : كتب الوليدُ بن يزيد وهو خليفة إلى يوسف بن عمر : احمِلْ إليّ حماداً الراويـة على ما أحَبّ من دوابّ البريد ، وأعطِه عشرة آلاف درهم مَعُونة له ؛ فلمّا أتاه الكتاب وأنا عنده نبذه إليّ ، فقلتُ : السمع والطاعة ، فقال : يا دُكَين بن شَجَرة ، أعطه عشرة آلاف درهم ، فأخذتُها . فلمّا كان اليوم الذي أردت الخروج فيه أتيت يوسف مودِّعاً ، فقال : يا حمّاد ، أنا بالموضع الذي قد عرفتَ من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنياً عن ثنائك ، فقلت : أصلح الله الأمير : «إنّ العوانَ لا تعلّم الخِمْرة»[2] . فخرجتُ حتى أتيتُ الوليد بن يزيد وهو بالبَخْراء[3] فاستأذنتُ فأذِن لي ، فإذا هو على سريرٍ ممهَّد وعليه ثوبان : إزار ورداء يقيئان الزعفران قيئاً ، وإذا عنده معبَد ومالكٌ وأبو كامل مولاه ، فتركني حتى سكن جأشي ، ثم قال : أنشدْني : [من الكامل]

أمِـــنَ المنـــونِ ورَيْبِها تتوجّعُ

فأنشدتُه إيّاها حتى أتيتُ على آخرها . فقال لساقيه : اسقه يا سَبْرة أكوُساً ، فسقاني ثلاث أكوُس خدَّرَتْ ما بين الذؤابة والنعل . ثم قال : يا معبد غنِّني : [من الهزج]

---

1 نادوا في ل : ثاروا .

2 مثل .

3 البخراء : ماءة منتنة على ميلين من القليعة في طرف الحجاز .

ألا هـــل جـــاءك الأظعـــا نُ إذ جـــاوزن مُطَّلَحـــا

فغنّاه . ثم قال : غنِّني : [من الوافر]

أتنسى إذ تودَّعنا سُلَيمـــى بفـرع بَشامةٍ ، سُقِيَ البَشامُ[1]

فغنّى . ثم قال : غنِّني : [من البسيط]

جَـلا أُميّـــة عنّـــا كلَّ مَظْلِمـة سهلُ الحجابِ وأَوْفَى بالذي وَعَدا

فغنّاه . ثم قال : اسقني يا غلام بزُبّ فرعونُ ، فأتاه بقدح معوَجٍّ فيهِ طول فسقاه به عشرين قدحاً . ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ، الرجلُ الذي طلبتَ بالباب ؛ فقال : أدخله ، فدخل غلام شابٌّ لم أرَ أحسن منه وجهاً في رجله فَدَع[2] ، فقال : يا سَبْرة اسقه كأساً ، فسقاه ، ثم قال له : غنِّني : [من الرمل]

وهْي إذ ذاك عليها مئزر ولها بيتُ جَوار من لُعَبْ

فغنّاه ، فنبذ إليه أحد ثوبيه ، ثم قال : غنِّني : [من مجزوء الكامل]

طَـرَق الخيـالُ فمرحَبا ألفـــاً برؤيـــة زينبَـــا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا مُقْبلون إليك بأقدارنا وأسناننا ، وإنّك تتركنا بمَزْجر الكلب وأقبلتَ على هذا الصبي ؛ فقال : والله يا أبا عَبَّاد ما جهلتُ قدرَك ولا سِنّك ، ولكن هذا الغلام طرحني على مثل الطَّياجِن من حرارة غنائه . فسألتُ عن الغلام ؟ فإذا هو ابن عائشة .

[كان في حانة فطلبه المنصور فجاءه وأنشده من شعر هفّان بن همام]

حدَّثني الحسن بن محمّد المادَرانيّ الكاتب قال حدَّثني الرياشيّ عن العُتْبيّ ، وأخبرني به هاشم بن محمّد عن الرياشي ، وليس خبره بتمام هذا ، قال : طلب المنصور حمّاداً الراوية ، فطُلب ببغداد فلم يوجد ، وسئل عنه إخوانه فعرّفوا من سألهم عنه أنّه بالبصرة ، فوجّهوا إليه برسول يُشخِصُه . قال الرسول : فوجدته في حانة وهو عُريان يشرب نبيذاً من إجّانة[3] وعلى سوأته رأس دَسْتَجة[4] ، فقلت : أجب أمير المؤمنين . فما رأيتُ رسالةً أرفع ولا حالة أوضع من تلك . فأجاب ، فأشخصتُه إليه . فلمّا مَثَل بين يديه ، قال له : أنشدني شعرَ هِفّان بن هَمّام بن نَضْلة يرثي أباه ؛ فأنشده : [من الطويل]

---

1 البشام : شجر طيّب الريح والطعم يُستاك به .

2 فَدَع : عوج وميل في المفاصل كلّها خلقة أو داء .

3 الإجّانة : آنية تغسل فيها الثياب .

4 الدستجة : الإناء الكبير من الزجاج .

خليليّ عُوجا إنّها حاجةٌ لنا على قبر هَمّامٍ سقتْه الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتَغى جَداه إذا لم يَحمَدِ الأَرضَ رائدُ
كريم النَّثا حلو الشمائل بينه وبين المزجَّى نَفْنفٌ متباعدُ[1]
إذا نازع القومَ الأَحاديثَ لم يكن عَيِيًّا ولا ثِقْلاً على مَن يقاعدُ
صبورٌ على العِلاّت يُصبح بطنُه خَميصاً وآتِيه على الزاد حامدُ
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفِيرة بحُرِّين قد راحتْ عليه العوائدُ[2]
صريعاً كنصل السيف تضرِبُ حوله ترائبَهنّ المُعْوِلاتُ الفواقدُ

قال : فبكى أَبو جعفر حتى اخضلَّت لحيتُه ، ثم قال : هكذا كان أَخي أَبو العبّاس رضي الله عنه .

[ذكره ابن إياس لابن الكرديّة فطلبه واستنشده فأَنشده شعراً أَغضبه فضربه]

أَخبرني الحسين بن يحيى المِرْداسيّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : كان جعفر بنُ أَبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يَستخفُّ مُطيع بن إيّاس ويحبّه ، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلة حسنة ، فذكَر له حمّاداً الراوية ، وكان صديقَه ، وكان مطَّرَحاً مجفوّاً في أَيّامهم ، فقال : ائتنا به لنراه . فأَتى مطيع حمّاداً فأَخبره بذلك وأَمره بالمَسير معه إليه ؛ فقال له حمّاد : دعني فإنّ دولتي كانت مع بني أُميّة ومالي عند هؤلاء خير ، فأَبى مطيعٌ إلاّ الذهابَ إليه ، فاستعار حمّاد سَواداً وسيفاً ثم أَتاه ، ثم مضى به مطيعٌ إلى جعفر . فلمّا دخل عليه سلّم عليه سلاماً حسناً وأَثنى عليه وذكر فضله ؛ فردّ عليه وأَمره بالجلوس فجلس . فقال جعفر : أَنشدْني ؛ فقال : لَمن أَيّها الأَمير ؟ أَلشاعر بعينه أَم لَمن حَضَر ؟ قال : بل أَنشدني لجَرير . قال حَمّاد : فسُلِخ والله شعر جرير كلُّه من قلبي إلاّ قولَه : [من الكامل]

بَانَ الخليطُ برامتيْن فودَّعوا أَو كلَّما اعتزموا لَبَيْنٍ تجزَعُ

فاندفعتُ فأَنشدتُه إيّاه ، حتى انتهيتُ إلى قوله : [من الكامل]

وتقول بَوْزَعُ قد دبَبْتَ على العصا هلاَّ هَزِئتِ بغيرنا يا بَوْزَعُ

قال حمّاد : فقال لي جعفر : أَعِد هذا البيت ، فأَعدته ؛ فقال : بَوْزع ، أَيُّ شيء هو ؟ فقلت : اسم امرأَة ؛ فقال : أَمرأَة اسمها بَوْزع ! هو بريء من الله ورسوله ونفيّ من العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزع إلاّ غُولا من الغِيلان ؛ تركتَني والله يا هذا لا أَنام الليلةَ من فزع

1 المزجّى : الضعيف . النفنف : الهوة بين الجبلَيْن .
2 حُرِّين : بلد قرب آمد .

بَوْزع ؛ يا غلمان ! قَفاه ؛ فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا ، ثم قال : جُرُّوا برجله : فجَرُّوا برجلي حتى أُخرجت من بين يديه مسحوباً ، فتخرّق السواد وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً ممّا جرى عليّ ؛ وكان أغلظَ من ذلك كلّه وأشدّ بلاءً إغرامي ثمنَ السَّواد وجفنِ السيف ؛ فلمّا انصرفتُ أتاني مُطيع يتوجّع لي ؛ فقلت له : ألم أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع بني أُميّة ! .

[حديثه مع مأبون]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أحمد بن أبي طاهر قال : بلغني أنّ رجلاً تحدَّث في مجلس حمّاد الراوية فقال : بلغني أنّ المأبون له رحم كرحم المرأة ، قال : وكان الرجل يُرمى بهذا الداء فقال حمّاد لغلامه : اكتب هذا الخبرَ عن الشيخ ، فإنّ خير العلم ما حُمل[1] عن أهله .

[كتب إلى بعض الأشراف شعراً يسأله جبّة فأرسلها إليه]

قال : وكتب حمّاد الراوية إلى بعض الأشراف الرؤساء قال : [من الخفيف]

إنّ لي حاجـــةً فرأيَك فيهـا ... لك نفسي فِدىً من الأوصابِ
وهي ليست ممّـا يبلِّغها غيـ ... ـري ولا يستطيعها في كتابِ
غيرَ أنّي أقولها حـين ألقا ... ك رُوَيْداً أُسِرُّها في حجابِ

فكتب إليه الرجل : اكتب إليّ بحاجتك ولا تَشْهَرني بشعرك ؛ فكتب إليه حمّاد: [من الخفيف]

إنّني عاشق لجُبّتـك الدَّكْـ ... ـناء عشقاً قد حال دون الشرابِ
فاكسُنِيها فدتْك نفسي وأهلي ... أتباهَى بهـا على الأصحابِ
ولك الله والأمانـة أن أجـ ... ـعلهـا عمرَهـا أميرَ ثيابي

فبعث إليه بها . وقد رُويتْ هذه القصّة لمُطيع بن إياس .

[هو والخزيمي وغلام أمرد]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني أبو يعقوب الخُزَيميّ[2] قال : كنت في مجلس فيه حمّاد عَجْرَد وحمّاد الراوية ومعنا غلام أمردُ ، فنظر إليه حمّاد الراوية نظراً شديداً وقال لي : يا أبا يعقوب ، قد عزمت الليلةَ على أن أُدِبّ على هذا الغلام ؛ فقلت : شأنَك به : ثم نِمْنا ، فلم أشعُر بشيء إلاّ وحمّاد ينيكني ، وإذا أنا قد غَلِطت ونِمْت في موضع الغلام ، فكرهت أن أتكلّم فينتَبه الناس فأفتضحَ وأبطلَ عليه ما أراد ، فأخذت بيده فوضعتها

1 في ل : أُخذ .

2 الخزيمي : هو إسحاق بن حسّان يكنى أبا يعقوب .

على عيني العوراء ليعرفَني ؛ فقال : قد عرفتُ الآن ، فيكون ماذا ؟ وفديناه بذبحٍ عظيم . قال : وما بَرِح علم الله وأنا أُعالجه جهدي فلا ينفعني حتى أنزل .

[أهدى إلى صديق له غلاماً]

قال إسحاق : وأهدى حمّاد إلى صديقٍ له غُلاماً وكتب إليه : قد بعثت إليك غلاماً تتعلّم عليه كَظْم الغيظ .

[استهدى نبيذاً من صديق له فأجابه]

قال : واستهدى من صديق له نبيذاً فأهدى إليه دُسَيتِجة نبيذٍ تمريّ . فكتب إليه : لو عرفتَ في العدد أقلَّ من واحد ، وفي الألوان شرّاً من السواد ، لأهديتَه إليّ .

[ردّ على مغنّيه أخطأت في شعر]

قال : وسمع مغنّيةً تغنّي : [من الخفيف]

عــاد قلبي من الطويلة عاد[1]

فقال : وثمود ، فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفرّق بينهما . والشعر : [من الخفيف]

عــادَ قلبي من الطويلة عِيد

[أنشده رجل شعراً فأنكره عليه وقال اهجني فهجاه]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثني أبو عثمان اللاحِقي ، وأخبرني به محمّد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن محمّد بن سَلاّم عن بشْر بن المفضَّل بن لاحِق قال : جاء رجل إلى حَمّاد الراوية فأنشده شعراً وقال : أنا قلته ؛ فقال له أنت لا تقول مثل هذا ، هذا ليس لك ، وإن كنتَ صادقاً فاهْجُني . فذهب ثم عاد إليه فقال له : قد قلتُ فيك : [من الطويل]

سيعلم حَمّاد إذا ما هجوتُه ... أَأنتحلُ الأَشعــارَ أم أنا شاعرُ

أَلَــم تَــرَ حمّــاداً تقدَّم بطنُه ... وأُخّــر عنــه مــا تُجــنّ المآزرُ

فليس بــراءٍ خُصْيتيْه ولو جَثا ... لركبته ، مــا دام للزيت عاصرُ

فيا ليتــه أَمْسَى قعيــدةَ بيتــه ... له بعــلُ صدقٍ كَوْمــه متواتِرُ[2]

فحمّاد نعم العِرْسُ للمرء يبتغي الـ ... ـنّكاح وبئس المرء فيمن يفاخِرُ

فقال حمّاد : حسبُنا ، عافاك الله ، هذا المقدارُ وحسبُك ؛ قد علمنا أنّك شاعر وأنّك قائل

1 الطويلة : روضة بالصمّان .

2 الكوم : النكاح .

الشعر الأوّل وأجودَ منه ، وأُحبّ أن تكتم هذا الشعر ولا تذيعَه فتفضَحَني ؛ فقال له : قد كنتَ غنيّاً عن هذا . وانصرف الرجل وجعل حمّاد يقول : أسمعتم أعجبَ ممّا جرَرْتُ على نفسي من البلاء ! .

[عاب شعراً لأبي الغول فهجاه]

حدّثني الأسَديّ أبو الحَسَن قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا أبو عبد الله الفَهْميّ قال : عاب حمّاد الراوية شعراً لأبي الغُول فقال يهجوه : [من الكامل]

نِعم الفتى لـو كان يعرف ربَّه ... ويُقيمُ وقتَ صلاتـه حمّادُ

هَدَلتْ مشافرَه الدِّنان فأنفُه ... مثـل القَـدُوم يَسُنّها الحدّادُ

وأبيض من شرب المدامة وجهه ... فبياضه يـومَ الحساب سوادُ

لا يُعجبنّك بَـزّه وثيابُـه ... إن اليهود تُـرى لهـا أجْلادُ

حمّاد يا ضَبُعاً تَجُرّ جِعارَها ... أخْنى لهـا بالقريتـين جِرادُ[1]

سبعاً يلاعبهـا ابنهـا وبناتها ... ولهـا من الخرق الكبار وسادُ

قال معنى قوله : [من الكامل]

أخنى لهـا بالقريتين جرادُ[2]

هو مثل قول العرب للضَّبُعُ : خامِري[3] أُمَّ عامر ، أبْشِري بجرادٍ[4] عِظال وكَمَرِ رجال ؛ فإنّ الضبعَ تجيء إلى القتيل وقد استلقى على قفاه ، وانتفخ غُرْمُوله فكان كالمُنْعِظ ، فتَحْتَكّ به وتَحيض من الشهوة ، فيَثِبُ عليها الذئب حينئذٍ فتلِد منه السِّمْع ، وهو دابة ، لا يولد له مثل البغل . وفي مثل هذا المعنى يقول الشَّنْفَرى الأزْدي . [من الرمل]

تضحَك الضَّبْع لقَتْلى هُذَيْـلٍ ... وتـرى الذئـبَ لها يَسْتهلُّ[5]

تضحَك : تحيض .

[كان لصّاً ثم تاب وطلب الأدب والشعر]

وقال ابنُ النطّاح : كان حمّاد الراوية في أوّل أمره يتشطّر ويصحَب الصعاليكَ واللصوص ، فنقَب ليلةً على رجل فأخَذ مالَه وكان فيه جزءٌ من شِعْر الأنصار ، فقرأه حمّاد

1 الجعار : جمع جَعْر ، والجَعْر : نجو كل ذات مخلب من السِّباع . وجعار : اسم الضبع لكثرة جعرها .

2 أخنى الجراد : كثر بيضه .

3 خامري : استتري .

4 الجراد العظال الذي ركب بعضه بعضاً كثرة .

5 يستهلّ : يصيح ويستغوي الذئاب . اختلف المفسّرون حول تضحك ، وأغلبهم على أنّها تكشّرُ .

فاستحلاه وتحفَّظه ، ثم طلب الأدبَ والشعر وأيّامَ الناس ولغاتِ العرب بعد ذلك ، وترك ما كان عليه فبلغ في العلم ما بلغ .

[استنشده المهديّ أحسن أبيات في السكر ثم أجازه]

حدَّثنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمّي الفضل عن أبيه عن جدِّه عن حَمّاد الراوية قال : دخلتُ على المهديّ فقال : أنشِدْني أحسنَ أبيات قيلت في السُّكْر ، ولك عشرة آلاف درهم وخِلعتان من كُسْوة الشتاء والصيف ؛ فأنشدتُه قولَ الأخطل : [من البسيط]

تَرى الزُّجاجَ ولم يُطْمَث يُطيف به ... كأنّه من دم الأجواف مُختضَبُ[1]

حتى إذا افتَضَّ ماءُ المُزن عُذرتَها ... راحَ الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ

تَنْـزو إذا شجّها بالمـاء مازجُها ... نَزْوَ الجنادب في رَمْضاءَ تلتهبُ

راحوا وهم يحسَبون الأرضَ في فُلُك ... إن صُرِّعوا وقتَ الرّاحاتُ والرُّكَبُ

فقال لي : أحسنتَ وأمر لي بما شَرَطه ووعدني به فأخذتُه .

[مدح بلال بن أبي بردة فأنكر ذو الرمّة أنّه شعره]

حدَّثني اليَزيديّ قال حدَّثني عمّي عبيدُ الله قال حدَّثني سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثني صالح بن سليمان قال : قدم حَمّاد الراوية على بلال بن أبي بُرْدة البصرةَ ، وعند بلال ذو الرُّمَّة ، فأنشده حَمّادٌ شعراً مدحه به ؛ فقال بلال لذي الرُّمَّة : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : جيّداً وليس له ؛ قال : فمَن يقوله ؟ قال : لا أدري إلاّ أنّه لم يقله ؛ فلمّا قضى بلالٌ حوائجَ حَمّاد وأجازه ، قال له : إن لي إليكَ حاجةً ؛ قال : هي مقضيّةٌ ؛ قال : أنت قلت ذلك الشعرَ ؟ قال : لا ؛ قال : فمَن يقوله ؟ قال : بعضُ شعراء الجاهلية ، وهو شعر قديم وما يرويه غيري ؛ قال : فَمن أينَ علم ذو الرمّة أنّه ليس من قولك ؟ قال : عرف كلامَ أهلِ الجاهليّة من كلام أهل الإسلام .

[أنشد بلالاً شعراً في مدح أبي موسى نسبه للحطيئة]

قال صالح : وأنشد حَمّاد الراوية بلالَ بن أبي بُرْدة ذاتَ يوم قصيدةً قالها ونحلها الحطيئةَ يمدح أبا موسى الأشعريّ يقول فيها : [من البسيط]

جَمَعْتَ من عامرٍ فيها ومن جُشَم ... ومن تَميم ومن حَاء ومن حامِ

مُسْتحقِبـات رواياها جحافلَها ... يسمو بها أشْعَرِيٌّ طَرْفُه سامي

فقال له بلال : قد علمتُ أنّ هذا شيء قلتَه أنت ونسبتَه إلى الحطيئة ، وإلاّ فهل كان

1 يطمث هنا : يريد لم يمسّه إنسان .

يجوز أن يمدح الحطيئةُ أبا موسى بشيء لا أعرفه أنا ولا أرويه ! ولكن دَعْها تذهب في الناس وسيِّرها حتى تشتهرَ ، ووصَله .

[يرى المفضل الضَّبِّي أنّه أفسد شعر العرب بتخليطه ونحله شعره للقدماء]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال سمعت أحمد بن الحارث الخَرّاز يقول سمعت ابن الأعرابيّ يقول سمعت المفضَّل الضَّبّي يقول : قد سُلِّط على الشعر من حَمّاد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً . فقيل له : وكيف ذلك ؟ أيخطىء في روايته أم يلحَن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فإنّ أهل العِلم يردّون مَن أخطأ إلى الصواب ، لا ولكنّه رجل عالِم بلغات العرب وأشعارها ، ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يُشبه به مذهبَ رجل ويُدخله في شعره ، ويُحمَل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميّز الصحيح منها إلاّ عند عالِم ناقد ، وأين ذلك ؟

[اجتمع مع المفضل الضَّبّيّ عند المهديّ فأجازه لجودة شعره وأبطل روايته]

أخبرني رِضْوان بن أحمد الصَّيْدَلانيّ قال حدَّثنا يوسف بن إبراهيم قال حدَّثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهديّ قال حدَّثني السَّعِيديّ الراوية وأبو إيّاد[1] المؤدِّب ، وكان مؤدِّبي ثم أدَّب المعتصمَ بعد ذلك وقد تعالت سنُّه ، وحدَّثني بنحوٍ من ذلك عبد الله بن مالك وسَعيد بن سَلْم[2] وحدَّثني به ابن غَزالة أيضاً واتّفقوا عليه : أنّهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهديّ بعِيساباذ[3] ، وقد اجتمع فيها عدّةٌ من الرواة والعلماء بأيّام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها ، إذ خرج بعض أصحاب الحاجب ، فدعا بالمفضَّل الضَّبّيّ الراوية فدخل ، فمكث مليّاً ثم خرج إلينا ومعه حَمّاد والمفضَّل جميعاً وقد بَانَ في وجه حَمّادٍ الانكسارُ والغمّ ، وفي وجه المفضَّل السرور والنشاط ، ثم خرج حُسين الخادم معهما ، فقال يا معشر مَن حضر من أهل العلم : إنّ أمير المؤمنين يُعْلِمكم أنّه قد وصل حَمّاداً الشاعرَ بعشرين ألف درهم لجودة شعره وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها ، ووصل المفضَّلَ بخمسين ألفاً لصدقه وصحّة روايته ، فمَن أراد يسمع شعراً جيِّداً محدثاً فليسمع من حَمّاد ، ومَن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضَّل ؛ فسألْنا عن السبب فأُخبِرنا أنّ المهديّ قال للمفضل لمّا دعا به وحدَه : إنّي رأيتُ زُهَيرَ بن أبي سُلْمَى افتتح قصيدته بأن قال : [من السريع]

دَع ذا وعــدِّ القولَ في هَرِم

ولم يتقدّم له قبل ذلك قول ، فما الذي أمَر نفسَه بتركه ؟ فقال له المفضَّل : ما سمعتُ يا أمير

---

1 في ل : أبان .

2 لعلّه سعيد بن سلم الباهليّ أبو عمرو وقد كان معاصراً لعبد الله بن مالك الخزاعي .

3 محلّة كانت شرقي بغداد كانت إقطاعاً لعيسى بن المهدي .

المؤمنين في هذا شيئاً إلاّ أنّي توهمته كان يفكّر في قول يقوله ، أو يُرَوِّي في أن يقول شعراً فعدل عنه إلى مدح هرم وقال د ع ذا ، أو كان مفكّراً في شيء من شأنه فتركه وقال د ع ذا ، أي د ع ما أنت فيه من الفكر وعَدّ القولَ في هرم ؛ فأمسك عنه . ثم دعا بحمادٍ فسأله عن مثل ما سأل عنه المفضّل ، فقال ليس هكذا قال زهيرٌ يا أمير المؤمنين ؛ قال فكيف قال ؟ فأنشده : [من الكامل]

لمن الديارُ بقُنّة الحَجْر أَقْوَيْنَ مُذْ حجَج ومُذْ دَهْرِ
قفرَ بمُندَفَع النحائث من ضَفْوَى أُولات الضَّالِ والسِّدْرِ[1]
دَعْ ذا وعَدِّ القولَ في هرم خيرِ الكهول وسيِّد الحَضْرِ

قال : فأطرق المهديُّ ساعةً ، ثم أقبل على حمّاد فقال له : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك خبرٌ لا بدّ من استحلافك عليه ، ثم استحلفه بأيمان البَيعة وكلّ يمين مُحْرِجة ليَصْدُقَنّه عن كلّ ما يسأله عنه ، فحلف له بما توثّق منه . قال له : اصدُقني عن حال هذه الأبيات ومَن أضافها إلى زُهير ؛ فأقرّ له حينئذٍ أنّه قائلُها ؛ فأمر فيه وفي المفضّل بما أمر به من شُهرة أمرهما وكَشْفه .

[سأله الوليد عن مقدار روايته واستنشده شعراً في الخمر وأجازه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدّثنا أحمد بن عُبيد قال حدّثنا الأصمعيّ قال : قال حَمّاد الراوية : أرسل إليّ أميرُ الكوفة فقال لي : قد أتاني كتابُ أمير المؤمنين الوليدِ بن يزيد يأمرني بحملك . فحُملت فقَدِمت عليه وهو في الصَّيد . فلّما رجع أذِن لي ، فدخلت عليه وهو في بيت منجَّد[2] بالأَرْمَنيّ[3] أرضُه وحيطانُه ؛ فقال لي : أنت حمّاد الراوية ؟ فقلت له : إنّ الناس ليقولون ذلك ؛ قال : فما بلغ من روايتك ؟ قلت : أروي سبعمائة قصيدة أوّلُ كلٍّ واحدة منها : بانت سعاد ؛ فقال : إنّها لرواية ؛ ثم دعا بشراب فأُتته جارية بكأس وإبريق فصبّت في الكأس ثم مزجتْه حتى رأيتُ له حَبابا ؛ فقال : أنشدْني في مثل هذه ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، هي كما قال عديّ بن زيد : [من الخفيف]

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولـون لي ألا تستفيقُ
ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت قَيْنةٌ في يمينهـا إبريـقُ
قدّمتْه على سُلافٍ كريح الـ ـمسك صفّى سُلافَها الرَّاوُوقُ

1 النحائث : آبار في موضع معروف . ضَفْوَى : مكان دون المدينة .
2 المنجَّد : المزيَّن .
3 لعلّه نوع من الحرير منسوب إلى أرمن بأذربيجان .

فترى فوقَها فقاقيعَ كالياقوت يَجْري خلالَها التصفيقُ[1]

قال : فشربها ولم يزل يستعيدني الأبياتَ ويشرب عليها حتى سكِر ؛ ثم قام فتناول مِرفَقةً من تلك المرافق فجعلها على رأسه ونادى : مَن يَشتري لحومَ البقر ؟ ثم قال لي : يا حمّاد ، دونك ما في البيت فهو لك ؛ فكان أوّلَ مالٍ تأثّلتُه .

[حمقه خلف الأحمر وطعن في روايته]

حدّثني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدّثنا دَماذ[2] عن أبي عُبَيدة قال : قال خَلَف : كنت آخذ من حَمّاد الراوية الصحيحَ من أشعار العرب وأُعطيه المنحول ، فيقبل ذلك منّي ويدخله في أشعارها . وكان فيه حمق .

[أنشد زياداً شعراً للأعشى فيه اسم أمّه فغضب]

أخبرني محمّد بن خلف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال حدّثني المِسْوَر العَنزيّ ، وكان من رُواة العرب وكان أسنَّ من سِماك بن حَرْب ، [عن حمّاد] قال : دخلتُ على زياد فقال لي : أنشدْني ؛ فقلت : مِنْ شعر مَنْ أيّها الأمير ؟ قال : من شعر الأعشى ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

بكَرتْ سُميّةُ غُدْوةً أجمالُها

قال : فما أتممتُ القصيدةَ حتى تبيّنت الغضبَ في وجهه ؛ وقال الحاجب للناس : ارتفعوا ؛ فقاموا ؛ ثم لم أعُد والله بعدها إليه . قال حمّاد : فكنت بعد ذلك إذا استنشدني خليفة أو أمير تنبّهت قبل أن أُنشدَه لئلاّ يكون في القصيدة اسم أمّ له أو ابنة أو أخت أو زوجة .

[سأله الوليد عن سبب تسميته بالراوية فأجابه]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال : قال الوليد بن يزيد لحَمّاد الراوية : لِمَ سُمّيتَ الراوية ؟ وما بلغَ من حفظك حتى استحققتَ هذا الاسم ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ كلام العرب يجري على ثمانية وعشرين حرفاً ، أنا أنشدك على كلّ حرف منها مائةَ قصيدة ؛ فقال : إنّ هذا لحفظ ؛ هاتِ ، فاندفع يُنشد حتى ملَّ الوليد ، ثم استخلف على الاستماع منه خليفةً حتى وفّاه ما قال ؛ فأحسن الوليد صلتَه وصرَفه .

[أمر الوليد يوسف بن عمر بإرساله إليه واستنشده شعراً في الخمر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثني الحُسين بن محمّد بن أبي طالب الدِّينَاريّ قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال : قال حمّاد الراوية : أرسل الوليد بن يزيد إليّ بمائتي دينار ، وأمر يوسفَ بن

---

1 فقاقيع : في ل : فواقع .

2 دماذ : هو أبو غسان رفيع بن سلمة صاحب أبي عبيدة . ودماذ لقب كان يُنبزُ به .

عمر بحملي إليه على البريد . قال فقلت : لا يسألني إلاّ عن طرفَيْه قريش وثَقيف ، فنظرت في كتابَيْ قريش وثقيف . فلمّا قَدِمت عليه سألني عن أشعار بَلِيّ ، فأنشدته منها ما استحسنه ؛ ثم قال : أنشدني في الشراب ، وعنده وجوه من أهل الشام ، فأنشدته : [من مجزوء الخفيف]

اصْبَحِ القـومَ قهوةً في أباريـق تُحتذى
مـن كُميتٍ مُدامـةٍ حبّـذا تلـك حبّـذا
يترك الأُذْنَ شربُهـا أرْجُوانـاً بهـا خُذا

فقال : أعدْها ، فأعدتها ؛ فقال لخدمه : خذوا آذان القوم ، فأُتينا بالشراب فسُقينا حتى ما دَرَيْنا متى نُقلنا ؛ قال : ثم حُملنا وطُرحنا في دار الضِّيفان ، فما أيقظَنا إلاّ حرُّ الشمس . وجعل شيخ من أهل الشام يشتُمني ويقول : فعَل الله بك وفعل ، أنت الذي صنعت بنا هذا . [أنشده الطرماح شعراً فزاد فيه وادّعاه لنفسه]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غَسّان دَماذ قال حدَّثني أبو عُبيدة قال حدَّثني يحيى بن صُبيرة بن الطِّرِمَّاح بن حَكيم عن أبيه عن جدِّه الطِّرِمَّاح قال : أنشدتُ حمّاداً الراوية في مسجد الكوفة ، وكان أذكى الناس وأحفظَهم . قَوْلي : [من الكامل]

بَانَ الخليطُ بسُحْرةٍ فتبدَّدُوا[1]

وهي ستّون بيْتاً ، فسكتَ ساعةً ولا أدري ما يريد ثم أقبل عليّ فقال : أهذه لك ؟ قلت : نعم ؛ قال : ليس الأمر كما تقول ، ثم ردّها عليّ كلَّها وزيادةَ عشرين بيتاً زادها فيها في وقته ؛ فقلت له : وَيْحك ! إنّ هذا الشعر قلتُه منذ أيّام ما اطّلع عليه أحد ؛ قال : قد والله قلتُ أنا هذا الشعر منذ عشرين سنة وإلاّ فَعَليّ وعَلَيّ ؛ فقلتُ : لله عليّ حِجّة حافياً راجِلاً إن جالستُكَ بعد هذا أبداً ؛ فأخذ قبضةً من حَصى المسجد وقال : لله عليّ بكلّ حَصاة من هذا الحصى مائةُ حِجّة إن كنتُ أُبالي ؛ فقلت : أنت رجل ماجنٌ والكلام معك ضائع ثم انصرفتُ . قال دَماذ : وكان أبو عبيدة والأصمعيّ يُنشدان بيتَي الطِّرِمَّاح في هذه القصيدة وهما : [من الكامل]

مُجتاب حُلّـة بُرْجدٍ لسَراته قِدَداً وأخلَفَ ما سواه البُرجدُ[2]
يبـدو وتُضمره البـلاد كأنّـه سَيفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمَدُ

وكانا يقولان : هذا أشعر الناسِ في هذين [البيتين] .

---

1 السُّحْرَة : السّحر الأعلى أيّ أوّل السحر .

2 هذان البيتان في وصف ثور . اجتاب القميص : لبسه . البرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء غليظ ، أو كساء مخطّط يصلح للخباء . سراته : ظهره .

[78] ـ أخبار عبادل ونسبه

[نسبه ومنزلته من الغناء]

هو عَبادِل بن عطيّة مولى قريش ، مَكّيّ ، مغنٍّ مُحسِنٌ متقدّم من الطبقة الثانية التي منها يونُس الكاتب وسِياطٌ ودَحْمان . وكان حسنَ الوجه ، نظيفَ الثياب ظريفاً ، ولم يفارق الحجاز ولا وفَد إلى الملوك من بني أُميّة كما وفد غيرُه من طبقته ومَنْ هو فوقها . ويقال إنّه كان مقبولَ الشهادة .

[صفته ، وكان يغنّي مشيخة قريش وله صنعة كثيرة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثنا حَمّاد عن ابن أبي جَناح قال : كان عَبادِل بن عطيّة سَرِيّاً نبيلاً نظيفاً[1] ساكنَ الطَّرْف حسنَ العشرة ، وكان يعاشر مَشْيخةَ قريش وجِلّة أحداثها ، فإذا أرادوا الغناء منه غنّى فأحسن وأطرب . وكانت له صنعة كثيرة .

منها : [من البسيط]

تقــول يا عَمَّتا كُفِّي جوانبَه وَيْلِي بَلِيتُ وأَبْلى جِيديَ الشَّعَرُ

ومنها : [من المتقارب]

أَمِــن حَـذَرِ البين مـا ترقُدُ ودمعُك يجـري فما يَجمُدُ

ومنها : [من الكامل]

إنِّي استحيتُكَ أن أفوه بحاجتي فإذا قــرأتَ صحيفتي فتفهّمِ

ومنها : [من البسيط]

قُولا لنائلَ ما تَقْضِين في رجلٍ يَهْوَى هواكِ وما جَنّبتِه اجتَنبا

ومنها : [من الطويل]

علامَ تَرَيْنَ اليومَ قَتْلِي لديكمُ حلالاً بلا ذَنبٍ وقتلي محرَّمُ

[قال] : وكانوا يقولون له : ألا تُكثر الصنعة ؟ فيقول : بأبي أنتم ، إنّما أُنحتُه من صخرٍ ، ومَنْ أكثَر أرْذل .

---

1 في ل : ظريفاً .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من المتقارب]

أَمِن حَـذَرِ البَيْن مـا ترقـدُ ودمعُك يجري فمـا يجمُدُ
دعاني إلى الحَيْن فاقتادني فـؤادٌ إلى شِقْوتي يَعْمِدُ
فلـو أَنّ قلبي صحا وارْعَوى لكان لـه عنكـمُ مَقْعَدُ
يَبِيـدُ الزّمـانُ وحُبّي لكم يَزيـد خَبـالاً ومـا يَنفَدُ

الغناء لعَبادل ثقيلٌ أَوّلُ بالسبّابة والوسطى عن ابن المَكّيّ . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيل .

ومنها : [من الكامل]

صوت

إنّي استحيتُكَ أَن أَفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتـي فتفهَّمِ
وعليكَ عهـدُ الله إن أنبأتَـه أَهلَ السَّيالة إن فعلتَ وإن لَمِ

هكذا قال ابن هَرْمة ، والمغنّون يغنّونه : [من الكامل]

وعليكَ عهـدُ الله إن أَخبرتَه أَحـداً وإن أَظهرتـه بتكلُّمِ

الشعر لابن هَرْمة . والغناء لعَبادِل .

[طلب ابن هرمة بشعره من الحسن بن حسن خمراً فوشى به إلى الوالي ففرّ هو وصحبه]

أَخبرني عمّي قال حدَّثني هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني عبد الله بن محمّد بن إسماعيل الجَعْفَريّ عن أَبيه : أَنّ حسن بن حسن بن عليّ كان صاحبَ شراب ، وفيه يقول ابنُ هَرْمة : [من الكامل]

إنّي استحيتُك أَن أَفوه بحاجتي فإذا قرأتَ صحيفتي فتفهَّمِ
وعليك عهـد الله إن أَنبأتَه أَحـداً ولا أَظهرتَـه بتكلُّمِ

قال عبدُ الله بن محمّد الجَعْفَريّ : وكان ابن هرمة كما حدَّثني أَبي يشرب هو وأَصحابٌ له بشَرَف[1] السَّيالة عند سَمُرَةٍ بالشَّرَف يُقال لها سَمُرَةُ جرانة فنفِدَ شرابُهم ؛ فكتب إلى حسن بن حسن بن عليّ يطلب منه نبيذاً ، وكتب إليه بهذين البيتين . فلمّا قرأَ حسنٌ رقعتَه قال : وأَنا عليَّ عهدُ الله إن لم أُخبر به عامل السَّيالة ، أَمِنّي يطلب الدعيُّ الفاعل نبيذاً ؟ وكتب إلى عامل

1 شرف السّيالة : منزل بين ملل والرّوحاء .

السيالة أن يجيء إليه فجاء لوقته ، فقال له : إنّ ابنَ هرمة وأصحابَه السفهاء يشربون عند سَمُرَةِ جرانة ، فاخرج فخُذْهم ؛ فخرج إليه العامل بأهل السيّالة ، وأُنذِرَ بهم ابنُ هرمة فسبَقهم هَرَباً ، وتعلَّق هو وأصحابُه بالجبل ففاتوهم . وقال في حسن : [من الوافر]

كتبتُ إليكَ أَسْتَهدِي نبيذاً وأُدْلي بالجِوار وبالحقوقِ
فخبَّرتَ الأميرَ بذاك غَدْراً وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[1]

ومنها : [من الطويل]

صوت

علامَ تَرَيْن اليومَ قَتْلي لديكمُ حلالاً بلا ذنب وقتلي مُحرَّمُ
لكِ النفسُ ما عاشت وِقاءٌ من الرَّدى ونحن لكم فيما تَجنَّبتِ أظلمُ

وأمّا صنعته في : [من البسيط]

قولا لنائلَ ما تَقْضين في رجلٍ

فإنّ الشعر لَمسْعَدة بن البَخْتَريّ ابن أخي المهلَّب بن أبي صُفْرة . والغناء لعَبادِل . وقد ذكرتُ ذلك في موضع من هذا الكتاب مفرد ، لأنّ نائلة[2] التي عُنِيَتْ بهذا الشعر هي بنت المَيْلاء ، ولها أخبار ذُكرت في موضع منفرد صَلَحت له .

ومنها : [من البسيط]

صوت

تقول يا عَمَّتا كُفِّي جوانبَه وَيْلي بَلِيتُ وأَبْلى جِيدِيَ الشَّعَرُ
مثلُ الأساوِد قد أعيا مَواشطَه تَضِلُّ فيه مَدارِيها وتنكسرُ[3]
فإن نشرْتَ على عَمْدٍ ذوائبَها أبصرتَ منه فَتِيتَ المِسك يَنتثرُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لعَبادل ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف ثقيل يُنسب إلى دَحْمان وإلى الغَرِيض وإلى عَبادل أيضاً .

---

1 الموق : الحمق .

2 نائلة : هي بنت عمر بن يزيد الأسيدي أحد بني أُسيد بن عمرو بن تميم . وكان أبوها سيِّداً شريفاً ، وكان على شرط العراق من قبل الحجّاج .

3 الأساود : الحيّات .

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

ليستْ نَعَمْ منكَ للعافين مُسْجَلةً ... من التخلُّق لكنْ شيمةٌ خُلُقُ[1]
يكاد بابُك من عِلْم بصاحبه ... من دون بَوّابه للناس يَنْدَلِقُ[2]

[شعران متشابهان لابن هرمة وطريح بن إسماعيل الثقفيّ]

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو . وذكر يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاق أنّ الشعر لطُرَيح . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّه لابن هَرْمة . والغناء في اللحن المختار لشهيّة مولاةِ العَبَلاتِ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر في مجراها . فمن روى هذه الأبيات لابن هَرْمة ذكر أنّها من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ؛ ومن ذكر أنّها لطُرَيح ذكر أنّها من قصيدة له يمدح بها الوليدَ بن يزيد . والصحيح من القولين أنّ البيتَ الأوّل من البيتين لطُرَيح والثاني لابن هَرْمة . فبيت طُرَيح من قصيدته التي مدح بها الوليد بن يزيد وهي طويلة ، يقول في تشبيبها : [من البسيط]

تقول والعِيسُ قد شُدّتْ بأرحُلِها ... ألحقَّ أنّكَ منّا اليوم منطلقُ ؟
قلتُ نعمْ فاكظِمي قالت وما جَلَدِي ... ولا أظنّ اجتماعاً حين نفترقُ
فقلت إن أَحْيَ لا أُطْوِل بِعادَكُم ... وكيفَ والقلبُ رهنٌ عندكم غَلَقُ[3]
فارقتُها لا فؤادي من تذكُرها ... سالي الهمومِ ولا حَبْلِي لها خَلَقُ
فاضت على إثْرهم عيناكَ دمعُهما ... كما تَتابع يجري اللؤلؤ النَّسَقُ

صوت

[من البسيط]

فاستبقِ عينك لا يُودِي البكاءُ بها ... واكفُفْ بوادرَ دمعٍ منك تَستبقُ
ليس الشؤونُ وإن جادت بباقيةٍ ... ولا الجفونُ على هذا ولا الحَدَقُ

لإسحاق في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو ، يقول فيها في مدح

1 ليست في ل : وما . مسجّلة : مبذولة أو مرسلة .
2 اندلاق الباب : انفتاحه سريعاً .
3 غَلِقَ الرّهن غلقاً : استحقّه المرتهن .

الوليد : [من البسيط]

وما نَعَمْ منكَ للعافِين مُسْجَلة ... من التخلُّق لكنْ شِيمةٌ خُلُقُ
ساهمتَ فيها وفي لا فاختَصصتَ بها ... وطار قومٌ بلا والذمِّ فانطلَقوا
قوم همُ شَرَف الدنيا وسُودَدُها ... صَفْوٌ على الناس لم يُخْلَط بهم رَنَقُ
إن حاربوا وَضَعوا أو سالموا رَفَعُوا ... أو عاقدوا ضَمِنوا أو حَدَّثوا صدَقوا[1]

وأمّا قصيدة إبراهيم بن هَرْمة التي فيها هذا الشعر فنذكر خبرها ، ثم نذكر موضع الغناء وما قبله وما بعده منها . ومِنْ أبي أحمد[2] رحمه الله سمِعْنا ذلك أجمع . ولكنّه حكى عن إسحاق في الأصوات المختارة ما قاله إسحاق . ولعلّه لم يتفقّد ذلك ، أو لعلّ أحدَ الشاعرين أغار على هذا البيت فانتحله وسرقه من قائله .

[ابنُ هرمة ومدحه عبد الواحد بن سليمان وتعريضه بالعبّاس بن الوليد]

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن رجل من أهل البصرة ، وحدَّثني به وَكيع قال حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك عن حمّاد عن أبيه عن رجل من أهل البصرة وخبره أتم قال : قال العبّاس بن الوليد بن عبد الملك ، وكان بخيلاً لا يحبّ أن يُعطِي أحداً شيئاً ، ما بالُ الشعراء تمدح أهلَ بيتي أجمع ولا تمدحني ؟ . فبلغ ذلك ابنَ هَرْمة ، وكان قد مدحه فلم يُثبه ، فقال يعرّض به ويمدح عبدَ الواحد بن سليمان : [من البسيط]

ومُعجَب بمديح الشِّعر يمنعه ... من المديح ثوابُ المدح والشَّفَقُ
يا آبيَ المدح مِنْ قولٍ يُحبِّره ... ذو نِيقة في حواشي شعره أَنَقُ[3]
إنّك والمدحَ كالعذراء يُعجبها ... مسُّ الرجال ويَثني قلبَها الفَرَقُ
لكنْ بمَدْيَنَ من مفْضى سُوَيمرةٍ ... مَن لا يُذَمّ ولا يُشْنا له خُلُقُ[4]
أهلُ المدائح تأتيه فتمدحه ... والمادحون إذا قالوا له صَدَقوا

يعني عبد الواحد بنَ سليمان :

لا يستقرّ ولا تخفى علامته ... إذا القَنا شالَ في أطرافها الحرَقُ[5]

---

1 ضمنوا في ل : أحكموا .
2 هو أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى المنجّم من شيوخ أبي الفرج .
3 النيقة : اسم من التنوّق . يقال تنوق فلان في منطقه وملبسه وأموره إذا تجوّد وبالغ . الأنق : الروعة والحسن .
4 مدْين : مدينة تجاه تبوك بين المدينة والشام ، وسويمرة : موضع في نواحي المدينة .
5 شال : ارتفع . والحرق : لهب النّار .

في يـومٍ لا مـالَ عند المرء ينفعه إلاّ السِّنانُ وإلاّ الـرمح والدَّرَقُ
يَطعن بـالرمح أحيانـاً ويضربهم بالسيف ثـم يُدانِيهـم فيَعتنقُ

وهذا البيت سرقه ابن هرمة من زُهَير ومن مُهلهل جميعاً ، فإنّهما سبقا إليه . قال مُهلهل وهو أقدمهما : [من الخفيف]

أَنْبَضوا مَعْجِسَ القِسِيّ وأَبرقـ ـنا كما تُوعِد الفُحولُ الفحولاَ[1]

يعني أنّهم لمّا أخذوا القِسِيّ ليرموهم من بعيد انتَضوْا سيوفهم ليخالطوهم ويكافحوهم بها .

وقال زهير وهو أشرح من الأوّل : [من البسيط]

يَطعنُهم مـا ارتَمَوْا حتى إذا اطّعنوا ضارَبَ حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فما ترك في المعنى فضلاً لغيره .

رجع إلى شعر ابن هرمة : [من البسيط]

يكاد بابُك من جود ومن كرم من دون بَوّابه للنـاس يَنْدلقُ

ويُروى : «إذا أطاف به الجادون» . و«العافون» أيضاً . ويروى : «ينبلق» .

إنّي لأَطْوِي رجـالاً أن أَزورَهمُ وفيهمُ عَكَـر الأنعـامِ والوَرَقُ[2]
طيَّ الثياب التي لو كُشِّفت وُجِدتْ فيها المَعاوِز في التفتيش والخِرَقُ[3]
وأترك الثوبَ يوماً وهْو ذو سَعة وأَلْبَس الثوب وهو الضيِّق الخَلَقُ
إكـرامَ نفسي وأنّي لا يوافقني ولو ظَمِئتُ فَحُمتُ المَشْرَبُ الرَّنِقُ[4]

قال هارون[5] بن الزيّات في خبره : فلمّا قال ابن هرمة هذه القصيدةَ أنشدها عبدَ الواحد بن سليمان وهو إذ ذاك أميرُ الحجاز ، فأمر له بثلثمائة دينار وخِلْعة موشّية من ثيابه ، وحَمَله على فرس وأعطاه ثلاثين لَقْحة ومائةَ شاة ، وسأله عمّا يكفيه في كلّ سنة ويكفي عياله من البُرّ والتمر ، فأخبره به ؛ فأمر له بذلك أجمعَ لسَنَةٍ ، وقال له : هذا لك عليّ ما دمتُ ودمتَ في الدنيا ، واقتطعه لنفسه وأنِس به ، وقال له : لستُ بمُحوجك إلى غيري أبداً .

---

1 أنبض الرامي القوس وعن القوس : جذب وترها لتصوّت . المعْجِس : مقبض القوس . أبرق الرجل : لمع بسيفه .
2 العكر : جمع عكرة وهي القطيع الضخم من الإبل ، والورق : المال من الإبل والغنم .
3 المعاوز : خلقان الثياب المبتذلة ، واحدها معوز وفي ل : العواوير .
4 الرنق : الكدر .
5 هو هارون بن محمّد بن عبد الملك .

[مدح والي المدينة بعد عبد الواحد فجفاه ثم رضي عنه بشفاعة عبد الله بن الحسن]

فلمّا عُزل عبد الواحد بن سليمان عن المدينة ، تصدَّى للوالي مكانَه وامتدحه . ولم يلبث أن ولي عبدُ الواحد بعد ذلك وبلغه الخبرُ ، فأمر أن يُحجب عنه ابنُ هرمة وطرده وجفاه ، حتى تحمّل[1] عليه بعبد الله بن الحسن [بن الحسن] ، فاستوهبه منه فعاد له إلى ما أحبّه .

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش عن أحمد بن يحيى ثَعْلب عن الرياشيّ وخبره أتم قال الرياشيّ حدَّثني أبو سَلَمة الغِفّاريّ قال قال ابن رُبَيْح راوية ابن هرمة قال حدَّثني ابن هرمة قال : أوّل مَن رفعني في الشعر عبدُ الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فأخذ عليّ ألاّ أمدح أحداً غيرَه ، وكان والياً على المدينة ، وكان لا يدع برّي وصلتي والقيام بمؤونتي . فلم ينشَب أن عُزل ووُلّي غيرُه مكانَه ، وكان الوالي من بني الحارث بن كعب . فدعتني نفسي إلى مدحه طمعاً أن يَهَب لي كما كان عبد الواحد يهب لي ، فمدحته فلم يصنع بي شيئاً كما ظننت . ثم قَدِم عبد الواحد المدينةَ ، فأُخبرَ أنّي مدحتُ الذي عُزل به ، فأمر بي فَحُجبت عنه ، ورُمْت الدخولَ عليه فمُنِعتُ ، فلم أَدَع بالمدينة وجهاً ولا رجلاً له نباهةٌ وقدر من قريش إلاّ سألته أن يشفعَ لي في أن يُعيدني إلى منزلتي عنده ، فيأبى ذلك فلا يفعله . فلمّا أعوزتني الحيل أتيت عبدَ الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب صلواتُ الله عليه وعليهم فقلت : يا ابن رسول الله ، إنّ هذا الرجل قد كان يُكرمني وأخذ عليّ ألاّ أمدحَ غيرَه ، فأعطيتُه بذلك عهداً ، ثم دعاني الشَّرَه والكَدّ إلى أن مدحت الوالي بعده . وقصصت عليه قصّتي وسألته أن يشفع لي ، فركب معي . فأخبرني الواقف على رأس عبد الواحد أنّ عبد الله بن حسن لمّا دخل إليه قام عبد الواحد فعانقه وأجلسه إلى جنبه ، ثم قال : أحاجةٌ غدت بك أصلحك الله ؟ قال نعم ؛ قال : كلّ حاجة لك مقضيّة إلاّ ابنَ هرمة ؛ فقال له : إن رأيتَ ألاّ تستثني في حاجتي فافعل ؛ قال : قد فعلتُ ؛ قال : فحاجتي ابن هرمة ؛ قال : قد رضيتُ عنه وأعدته إلى منزلته ؛ قال : فتأذن له أن يُنشدك ؛ قال : تُعفيني من هذه ؛ قال : أسألك أن تفعلَ ؛ قال ائتوا به ؛ فدخلتُ عليه وأنشدته قولي فيه : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوكَ قادمةَ الجناحِ

قال فغضب عبد الله بن الحسن حتى انقطع رِزُّه[2] ثم وثب مُغضَباً وتجوّزتُ في الإنشاد ثم لَحِقتُه فقلت له : جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله ؛ فقال : ولكن لا جزاك اللهُ خيراً يا ماصّ

1 تحمّل بفلان على فلان : تشفّع به إليه .

2 الرزّ : الصوت .

بَظْر أمه ، أتقول لابن مروان : [من الوافر]

وكانَ أَبــوك قادمةَ الجَناحِ

بحضرتي وأَنا ابنُ رسول الله ﷺ ، وابن عليّ بن أَبي طالب عليه السلام فقلت : جعلني الله فداك ، إني قلت قولاً أَخدَعُه به طلباً لدنياه ، ووالله ما قِسْت بكم أَحداً قطُّ . أَفلم تسمعني قد قلتُ فيها : [من الوافر]

وبعضُ القول يذهبُ بالرياحِ

فضحك عبد الله وقال : قاتلك الله ، ما أَظرفكَ ! .

[حائية ابن هرمة في مدح عبد الواحد]

وهذه القصيدة الحائية التي مدح بها عبدَ الواحد من فاخر الشعر ونادر الكلام ومن جيّد شعر ابن هرمة خاصةً ، وأَوّلُها : [من الوافر]

صَرَمتَ حبائلاً من حبّ سَلْمَى ... لهندٍ مــا عَمَــدتَ لمُستراحِ

فإنّك إن تُقِم لا تلــقَ هنداً ... وإن ترحل فقلبُك غيرُ صاحي

يظَــلّ نهــارَه يَهْــذِي بهند ... ويــأرَق ليلَــه حتــى الصباحِ

أَعبــدَ الواحــد المحمودَ إنّي ... أَغَصُّ حــذارَ سخطكَ بالقَراحِ

فشَلَّتْ رَاحَتايَ وجال مُهْري ... فأَلقــاني بمُشتجَــر الرماحِ

وأَقعدني الزمــانُ فبِتّ صِفْراً ... مــن المــال المُعــزَّب والمُراحِ

إذا فَخَّمــتُ غيرَك في ثنائي ... ونصحي في المَغيبة وامتداحي

كأَنّ قصائدي لك فاصطنعني ... كرائمُ قد عُضِلن عن النكاحِ

فإن أَكُ قــد هفوتُ إلى أَمير ... فعَــنْ غير التطــوّع والسماحِ

ولكــنْ سَقْطةٌ عِيبتْ علينــا ... وبعضُ القول يذهب في الرياحِ

لعمــرك إنّني وبَنــي عَدِيٍّ ... ومَنْ يهوى رشادي أَو صلاحي[1]

إذا لم تــرضَ عنّي أَو تَصِلْني ... لفــي حَيْــن أُعالجــه مُتاحِ

وإنّي إن حططتُ إليك رحلي ... بغربيّ الشَّراة لــذو ارتياحِ[2]

1 بنو عديّ : هم قوم ابن هرمة .

2 الشراة : صقع بالشام بين دمشق والمدينة .

هششتَ لحاجة ووعدتَ أُخرى ولم تبخل بناجزة السَّراحِ
وجَدنا غالباً خُلقتْ جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ
إذا جعَل البخيلُ البخلَ تُرساً وكان سلاحَه دون السلاحِ
فإنّ سلاحَك المعروفُ حتى تفوزَ بعِرْض ذي شيَمٍ صِحاحِ

[سئل عن سبب مدحه لعبد الواحد فأجاب]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني إبراهيم بن إسحاق العُمريّ قال حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجُمَحيّ قال : قلت لابن هرمة : اتمدح عبدَ الواحد بن سليمان بشعر ما مدحتَ به أحداً غيرَه فتقول فيه هذا البيت : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ[1]

ثم تقول فيها :

أعبدَ الواحد الميمون إنّي أغَصّ حِذَارَ سخطك بالقَراحِ

فبأيّ شيء استوجب ذلك منك ؟ فقال : إنّي أُخبرك بالقصّة لتعذرني : أصابتني أزمة وقحمة[2] بالمدينة ، فاستنهضتني بنتُ عمّي للخروج ؛ فقلت لها : ويحك ! إنّه ليس عندي ما يُقِلّ[3] جناحي ؛ فقالت : أنا أنهضك بما أمكنني ، وكانت عندي نابٌ لي فنهضتُ عليها نُهجِّد النوّام ونؤذي السمّار ، وليس من منزل أنزله إلاّ قال الناس : ابن هرمة ! حتى دَفَعتُ[4] إلى دمشق ، فأويت إلى مسجد عبد الواحد في جوف الليل ، فجلست فيه أنتظره إلى أن نظرت إلى بزوغ الفجر ، فإذا الباب ينفلق عن رجل كأنّه البدر ، فدنا فأذّن ثم صلّى ركعتين ، وتأمّلته فإذا هو عبد الواحد ، فقمتُ فدنوتُ منه وسلّمت عليه ؛ فقال لي : أبو إسحاق ! أهلاً ومرحباً ؛ فقلت لَبّيك ، بأبي أنت وأُمّي ! وحيّاك الله بالسلام وقرّبك من رضوانه ؛ فقال : أمَا آن لك أن تزورنا ؟ فقد طال العهد واشتدّ الشوق ، فما وراءك ؟ قلت : لا تسلني بأبي أنت وأُمّي ، فإنّ الدّهر قد أخنى عليّ فما وجدت مستغاثاً غيرَك ؛ فقال : لا تُرَعْ فقد وردتَ على ما تحبّ إن شاء الله . فوالله إنّي لأُخاطبه فإذا بثلاثة فِتْية قد خرجوا كأنّهم الأَشْطان ، فسلّموا عليه ، فاستدنى الأكبرَ منهم فهَمَس إليه بشيء دوني ودون أخويه ، فمضى إلى البيت ثم

1 كانت في ل : خلفت .
2 القحمة : السنة الشديدة والقحط .
3 في ل : يصل .
4 في ل : أويت .

رجع ، فجلس إليه فكلّمه بشيء دوني ثم ولّى ، فلم يلبَث أن خرج ومعه عبدٌ ضابط[1] يحمل عِبئاً من الثياب حتى ضرب به بين يديّ ؛ ثم همس إليه ثانيةً فعاد ؛ وإذا به قد رجع ومعه مثلُ ذلك ، فضرب به بين يديّ . فقال لي عبد الواحد : ادْنُ يا أبا إسحاق ، فإنّي أعلم أنّك لم تَصِر إلينا حتى تفاقم صَدْعُك ، فخُذ هذا وارجع إلى عيالك ، فوالله ما سَلَلنا لك هذا إلاّ من أشداق عيالنا ؛ ودفع إليّ ألفَ دينار ، وقال لي : قُمْ فارحل فأَغِثْ مَنْ وراءك ؛ فقمت إلى الباب ، فلمّا نظرتُ إلى ناقتي ضِقتُ[2] ؛ فقال لي : تعال ، ما أرى هذه مُبلغتَك ، يا غلامُ ، قَدِّم له جملي فلاناً . فوالله لقد كنتُ بالجمل أشدَّ سروراً منّي بكلّ ما نِلْته ؛ فهل تلومني أن أغَصّ حِذارَ سخط هذا بالقَراح ؟ ووالله ما أنشدتُه ليلتئذ بيتاً واحداً .

[مدح المنصور فعاتبه لمدحه بني أميّة ثم أكرمه]

أخبرني محمّد بن خلف وَكيع قال حدَّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني محمّد بن عمر الجُرْجانيّ قال حدَّثني عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ قال حدَّثني محمّد بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين عليه السلام قال : دخلت مع أبي على المنصور بالمدينة وهو جالس في دار مروان ، فلمّا اجتمع الناس قام ابنُ هَرْمة فقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، شاعرك وصنيعتك إن رأيت أن تأذَنَ لي في الإنشاد ؛ قال هاتِ ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

سَرى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايِلُ[3]

حتى انتهى إلى قوله :

له لَحَظاتٌ عن حِفافَيْ سريره ... إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ
فأُمُّ الذي آمنتَ آمنةُ الرَّدى ... وأُمُّ الذي خوّفتَ بالثُّكل ثاكلُ

فقال له المنصور : أمَا لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشده قولكَ فيه : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جَناحاً ... وكان أبوك قادمةَ الجَناحِ

قال : فقُطع بابنِ هرمة حتى ما قدَر على الاعتذار ؛ فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالبُ خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلثمائة دينار . فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ ابن هرمة رجل مِنْفاق مِتْلاف لا يُليق شيئاً[4] ، فإن رأى أمير المؤمنين

---

1 ضابط : قويّ شديد .
2 في ل : صمتّ .
3 سرى عنه الثوب : كشفه .
4 لا يليق شيئاً : أي ما يمسكه ولا يلصق به .

أن يأمر له بها يُجرى عليه منها ما يكفيه ويكفي عياله ويكتبَ بذلك إلى صاحب الجاري أن يُجريَها عليهم فعل ؛ فقال : افعلوا ذلك به . قال : وإنّما فعل به الحسن بن زيد هذا لأنّه كان مُغضَباً عليه لقوله يمدح عبدَ الله بن حسن : [من البسيط]

ما غَيّرتْ وجهَه أُمُّ مُهجَّنة إذا القتامُ تَغَشَّى أَوْجُهَ الهُجُنِ

حدَّثني يحيى بن عليّ بن يحيى ، وأخبرنا ابن أبي الأزهر وجَحْظة قالا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، قال يحيى بن عليّ في خبره عن الفضل بن يحيى ، ولم يقله الآخران : دخل ابن هرمة على المنصور وقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي قد مدحتك مديحاً لم يمدح أحد أحداً بمثله قال : وما عسى أن تقولَ فيّ بعد قول كعب الأشقريّ[1] في المهلّب : [من الوافر]

براك اللهُ حين براك بحراً وفَجّر منك أنهاراً غِزارا

فقال له : قد قلتُ أحسنَ من هذا ؛ قال : هات ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

له لَحَظات عن حِفافَيْ سَرِيره إذا كَرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

قال : فأمر له بأربعة آلاف درهم . فقال له المهديّ : يا أمير المؤمنين ، قد تكلّف في سفره إليك نحوَها ؛ فقال له المنصور : يا بُنيّ ، إنّي قد وهبت له ما هو أعظم من ذلك ، وهبتُ له نفسَه ، أليس هو القائل لعبد الواحد بن سليمان : [من المتقارب]

إذا قيل مَنْ خيرُ مَنْ يُرتَجى لمُعتَرٍّ فِهْرٍ ومحتاجِها[2]
ومن يُعْجِل الخيلَ يومَ الوغى بإلجامها قبلَ إسراجها
أشارت نساءُ بني غالب إليكَ به قَبْلَ أزواجها

وهذه القصيدة من فاخر شعر ابن هرمة ، وأوّلُها :

أجارتَنا رَوِّحي نَغْمةً على هائم النفس مُهتاجِها
ولا خيرَ في وُدِّ مستكرِهٍ ولا حاجةٍ دون إنضاجها

يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان :

كأنّ قُتودي على خاضبٍ زَفُوفِ العَشِيّاتِ هَدّاجِها[3]

---

1 هو كعب بن معدان ، من الأزد وأمّه من عبد القيس ، شاعر فارس خطيب معدود في الشجعان ، من أصحاب المهلّب .

2 المعترّ : الفقير والمتعرّض للمعروف من غير أنْ يسأل .

3 الخاضب : ذكر النعام . وزفوف حسن المشي سريعه . والهدّاج : الذي في مشيه أو عدْوه أو سعيه ارتعاش .

إلى مَلِـكٍ لا إلى سُوقـة كسَتْـه الملـوك ذُرا تاجها
تَحُـلّ الوفـود بأبوابـه فتَلْقى الغِنـى قَبْـلَ إرتاجها
بقَـرّاعِ أبـوابِ دور الملـو كِ عنـدَ التحيّـة وَلاّجها
إلى دار ذي حسبٍ ماجـدٍ حَمُـول المَغـارم فَرّاجها
رَكُودِ الجِفـان غداةَ الصَّبا ويـومَ الشَّمـال وإرهاجها[1]
وقفتُ بمَدْحِيه عنـد الجِما رِ أُنشده بـين حُجّـاجها[2]

[دسّ المنصور إليه مَن يسمع منه مدحه لعبد الواحد]

أخبرني محمّد بن جعفر النحويّ صهرُ المبرِّد قال حدَّثني أبو إسحاق طلحةُ بن عبد الله الطلحيّ قال حدَّثني محمّد بن سليمان بن المنصور قال : وجّه المنصور رسولاً قاصداً إلى ابن هرمة ودفع إليه ألفَ دينار وخِلعة ، ووصفه له وقال : امض إليه ؛ فإنّك تراه جالساً في موضع كذا من المسجد ، فانتسبْ له إلى بني أُميّة أو مواليهم ، وسَلْه أن يُنشدك قصيدتَه الحائية التي يقول فيها يمدح عبدَ الواحد بن سليمان : [من الوافر]

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةَ الجناحِ

فإذا أنشدكها فأخرجه من المسجد واضرب عنقَه وجئني برأسه ؛ وإن أنشدك قصيدته اللاميّة التي يمدحني بها فادفع إليه الألفَ الدينار والخِلعة ، وما أراه يُنشدك غيرَها ولا يعترف بالحائية . قال : فأتاه الرسول فوجده كما قال المنصور ، فجلس إليه واستنشده قصيدته في عبد الواحد ؛ فقال : ما قلت هذه القصيدةَ قطُّ ولا أعرفها وإنّما نحلها إيّاي مَنْ يُعاديني ، ولكنْ إن شئتَ أنشدتك ما هو أحسنُ منها ؛ قال : قد شئتُ فهات ؛ فأنشده : [من الطويل]

سَرَى ثوبَه عنك الصِّبا المتخايلُ

حتى أتى على آخرها ؛ ثم قال له : هاتِ ما أمرك أمير المؤمنين بدفعه إليّ ؛ فقال : أيّ شيء تقول يا هذا وأيّ شيء دَفع إليّ ؟ فقال : دَعْ ذا عنك ، فوالله ما بعثك إلاّ أميرُ المؤمنين ومعك مالٌ وكسوة إليّ ، وأمرك أن تسألني عن هذه القصيدة فإن أنشدتك إيّاها ضربتَ عنقي وحملتَ رأسي إليه ، وإن أنشدتك هذه اللاميّة دفعتَ إليّ ما حمّلك إيّاه ؛ فضحك الرسول ثم قال : صدقتَ لعمري ، ودفع إليه الألف الدينار والخِلعة . فما سمعنا بشيء أعجب من حديثهما .

---

1 الركود من الجفان : الثقيل المملوء . الإرهاج : الإمطار .

2 الجمار : اسم موضع بمنى .

[استقلّ المهديّ على المنصور جائزته له فأجابه]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثنا عمّي عن جدّي قال : لمّا أنشد ابنُ هرمة المنصورَ قصيدتَه اللاميّة التي مدحه بها أمر له بألف درهم ؛ فكلّمه فيه المهديّ واستقلّها ؛ فقال يا بُنيّ ، لو رأيتَ هذا بحيث رأيتُه وهو واقف بين يدي عبد الواحد بن سليمان يُنشده : [من الوافر]

وجدنـا غالباً كانت جناحاً وكان أبـوكَ قادمةَ الجناحِ

لاستكثرتَ له ما استقللتَه ، ولرأيتَ أنّ حياته بعد ذلك القول رِبح كثير . والله إنّي يا بُنيّ ما هممتُ له منذُ يومئذٍ بخير فذكرتُ قولَه إلاّ زال ما عرض بقلبي إلى ضدّه حتّى أهُمَّ بقتله ثم أعفوَ عنه . فأمسك المهديّ .

[بعض شعره الذي يغنّى فيه]

وممّا يُغنّى فيه من مدائح ابن هرمة في عبد الواحد بن سليمان قولُه من قصيدةٍ أنا ذاكرها بعد فراغي من ذكر الأبيات ، على أنّ المغنّين قد خلطوا مع أبياته أبياتاً لغيره : [من الوافر]

صوت

ولمّـا أنْ دنـا منّـا ارتحالٌ وقُـرِّب ناجياتُ السير كُومُ[1]
تَحاسَر واضحاتُ اللون زُهْـر على ديبـاج أوجهها النعيمُ
أتَيْـنَ مودِّعـاتٍ والمطايـا لدَى أكوارها خوصٌ هُجومُ[2]
فكم من حُـرّة بـين المُنَقَّى إلى أُحُـدٍ إلى مـا حاز رِيمُ[3]

ويروى :

فكـم بـين الأقارع فالمُنَقَّى[4]

وهو أجود .

إلى الجَمّاء مـن خدٍّ أسيل نقيٍّ اللون ليس به كُلُومُ[5]

---

1 الكوم : النوق الضخمة السنام .

2 خوص : جمع أخوص وخوصاء ، والخُوص : ضيّق العيون وصغرها وغؤورها . وهجمت العين هجوماً : غارت ودخلت في موضعها .

3 المنقّى : طريق بين أحد والمدينة . الريم : واد لمزينة قرب المدينة .

4 الأقرع : جبل بين مكّة والمدينة .

5 الجمّاء : جبل من المدينة على ثلاثة أميال من ناحية العقيق . وقيل : هي إحدى هضبتين عن يمين الطريق للخارج من المدينة إلى مكّة ، وقيل : الجمّاوات ثلاث بالمدينة .

كأنّي من تذكُّر ما أُلاقي إذا مـا أظلم الليلُ البهيمُ
سَلِيمٌ مَـلّ منـه أقربوه وأسلمـه المُداوِي والحميمُ

ذكر الزُّبير بن بكّار أنّ هذا الشعر كلّه لأبي المِنْهال نُفَيلة الأشجعي . قال : وسمعتُ بعض أصحابنا يقول : إنّه لمَعْمَر بن العَنْبر الهُذَليّ . والصحيح من القول ، أنّ بعض هذه الأبيات لابن هرمة من قصيدة له يمدح بها عبدَ الواحد بن سليمان مخفوضة الميم ، ولمّا غُنّي فيها وفي أبيات نُفَيْلة وخلط فيه ما أوجب خفض القافية غُيّر إلى ما أوجب رفعها . فأمّا ما لابن هرمة فيها فهو من قصيدته التي أوّلها : [من الوافر]

أجارتَنـا بـذي نَفَـر أقيمِي فما أبكي على الدَّهر الذميمِ[1]
أقيمي وجهَ عامك ثم سِيري بـلا واهي الجِوار ولا مُليمِ
فكم بـين الأقارع فالمُنقَّى إلى أُحُـدٍ إلى أكناف رِيمِ
إلى الجمّاء مِـنْ خـدٍّ أسيلٍ نقـيّ اللون ليس بذي كُلومِ
ومن عـينٍ مكحَّلـة الأماقي بلا كُحْل ومن كَشْح هَضيمِ
أرِقتُ وغـاب عنّي من يلوم ولكـنْ لم أَنَمْ أنا للهمومِ
أرِقـتُ وشفّني وَجَعٌ بقلبي لزينـبَ أو أُميمَـة أو رَعُومِ
أُقاسي ليلـةً كالحَـوْل حتى تبدَّى الصبحُ مُنقطعَ البَرِيمِ[2]
كأنّ الصبح أبلقُ في حُجُول يَشُبّ ويتّقي ضربَ الشَّكيمِ
رأيتُ الشَّيب قد نزلتْ علينا روائعُـه بحجّـة مستقيـمِ
إذا ناكرتُـه ناكـرتُ منـه خصومـةَ لا ألـدَّ ولا ظَلُومِ
وودّعني الشباب فصِرتُ منه كـراض بالصغير من العظيمِ
فدَعْ ما لا يَـرُدّ عليك شيئاً من الجارات أو دِمَن الرسومِ
وقُـلْ قـولاً تُطَبِّق مِفصلَيْه بمِدْحة صاحب الرأي الصَّرومِ[3]
لعبـد الواحـد الفَلْجُ المعلَّى علا خُلقَ النَّفُورة والخُصومِ[4]

1 نفر في ل : بقرٍ .
2 البريم : ضوء الشمس مع بقيّة سواد الليل .
3 تطبّق مفصليه : تصيب فيه الحجّة . الصروم : القاطع .
4 الفلج : الظفر والغلب . نفورة الرجل : نافرته وهي أسرته وفصيلته التي تغضب لغضبه .

دعتـــه المَكْرُمـــاتُ فناولتـــه خِطامَ المجـــد في سِنّ الفَطِيمِ

وهي طويلة . فمن الأبيات التي فيها الغناء أربعةُ أبيات لابن هرمة قد مضت في هذه القصيدة ؛ وإنّما غُيِّرت حتى صارت مرفوعةً ، فاتّفقت الأبياتُ وغُنّي فيها . وأمّا أبيات نُفَيلة فما بقي من الصوت المذكور بعد أبيات ابن هرمة له . ويتلو ذلك من أبيات نُفَيلة قولُه : [من الوافر]

يُضيء دجى الظلام إذا تبدَّى كضوء الفجر منظـرَه وَسيمُ
وقائلـــةٍ ومُثْنيـــةٍ علينـــا تقول ومـــا لهـــا فينـــا حميمُ
وأُخـــرى لُـــبُّها معنـــا ولكنْ تَصَبَّرُ وهـــي واجمةٌ كَظومُ
تَعُـــدّ لنـــا الليـــالي تحتصيها متى هـــو حائنٌ منه قُدومُ[1]
متى تَـــرَ غفلةَ الواشين عنها تَجُدْ بدموعها العينُ السَّجومُ[2]

والغناء في هذه الأبيات المذكورة المختلط فيها شعرُ ابن هرمة ونفيلة لمعبد ، ولحنه الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو ويونس . وفيها لحن من الثقيل الثاني ينسب إلى الوابِصيّ . وفيها خفيف ثقيل ينسب إلى معبد وإلى ابن سريج .

1 منه في ل : منا .
2 عنها في ل : يوماً .

79 ـ [الوابصي وأخباره]

[أخباره وسبب تنصره]

وهذا الوابصيّ هو الصَّلْت بن العاصي بن وابِصة بن خالد بن المُغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم . كان تنصَّر ولحق ببلاد الروم ؛ لأنّ عمر بن عبد العزيز فيما ذُكر حدّه في الخمر ، وهو أمير الحجاز ، فغضب فلحقَ ببلاد الروم وتنصَّر هناك ، ومات هنالك نصرانيّاً .

[رآه رسول عمر بن عبد العزيز الذي ذهب إلى الروم لفكّ الأسرى]

فأخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن زُهير قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عبد الله بن عبد العزيز قال أخبرني ابن العلاء ، أظنّه أبا عمرو أو أخاه ، عن جُوَيريَةَ بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا سعيد بن عامر[1] عن جويرية بن أسماء عن إسماعيل بن أبي حَكيم ، وقد جمعت الروايتين ، قال اليزيديّ في خبره : إنّ إسماعيل حدَّث : أن عمر بن عبد العزيز بَعث به في الفِداء . وقال عمر بن شَبّة : إنّ إسماعيل حدَّث قال : كنت عند عمر بن عبد العزيز فأتاه البريد الذي جاء من القسطنطينيّة فحدّثه قال : بينا أنا أجُول في القسطنطينيّة إذ سمعتُ رجلاً يغنّي بلسان فَصيح وصوت شَجٍ : [من الوافر]

فكـم مـن حُـرَّة بين المُنَقَّى إلى أُحـدٍ إلى جَنَبـاتِ رِيمِ

فسمعتُ غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه . فلمّا سمعت الغناء وحُسنَه ، لم أدرِ أهو كذلك حَسَنٌ ، أم لغربته وغربة العربيّة في ذلك الموضع . فدنوت من الصوت ، فلمّا قَرُبت منه إذا هو في غرفة ، فنزلت عن بغلتي فأوثقتها ثم صَعِدت إليه فقمت على باب الغرفة ، فإذا رجل مُسْتلقٍ على قَفاه يغنّي هذين البيتين لا يزيد عليهما وهو واضعٌ إحدى رجليه على الأخرى ، فإذا فرَغ بكى فيبكي ما شاء الله ثم يعيد الغناء . ففعل ذلك مراراً ؛ فقلت : السلام عليكم ؛ فوثب ورَدّ السلام ؛ فقلت : أبشِر فقد فَكّ الله أسرك ، أنا بريد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز إلى هذا الطاغية في فداء الأسارى . ثم سألته : مَن أنت ؟ فقال : أنا الوابصيّ ، أُخذت فعُذِّبت حتى دخلت في دينهم ؛ فقلت له : أنت والله أحبُّ مَنْ أفتديه إلى أمير المؤمنين وإليّ إن لم تكن دخلتَ في الكفر ؛ فقال : قد والله دخلت فيه ؛ فقلت : أنشُدك اللهَ إلاّ أسلمتَ ؛ فقال : أُسلم وهذان ابناي وقد تزوّجت امرأة منهم وهذان ابناها ، وإذا دخلتُ المدينةَ قيل لي يا نصرانيّ وقيل مثل ذلك لولديّ وأمّهما ؛ لا والله لا أفعل . فقلت له : قد كنتَ قارئاً للقرآن فما بقي معك منه ؟ قال : لا شيء إلاّ هذه الآية ﴿رُبَّما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ

1 في ل : سعد بن عبّاس . وهو سعيد بن عامر الضُّبَعيّ أبو محمّد البصري وهو ابن أخت جويرية بن أسماء .

كانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قال : فعاودته وقلت له : إنّك لا تُعَيَّر بهذا ؛ فقال : وكيف بعبادة الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير ؟ فقلت : سبحانَ الله ! أما تقرأ : ﴿إلاّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ﴾ فجعل يُعيد عليّ قولَه : فكيف بما فعلت ؟ ولم يجبني إلى الرجوع . قال : فرفع عمر يده وقال : اللهمّ لا تُمتني حتى تمكّنني منه . قال : فوالله ما زلتُ راجياً لإجابة دعوة عمَر فيه . قال جويرية في حديثه : وقد رأيت أخا الوابصيّ بالمدينة .

[لقيه رجل بصري فأخبره أنّ سبب تنصّره عشقه لامرأة منهم]

وقال يعقوب بن السّكّيت في هذا الخبر . أخبرني ابن الأزرق عن رجل من أهل البصرة أنسيت اسمَه قال : نزلنا في ظلّ حصن من الحصون التي للروم ، فإذا أنا بقائل يقول من فوق الحصن : [من الوافر]

فكم بين الأقارع فالمُنَقَّى ... إلى أُحُدٍ إلى ميقاتِ رِيمِ[1]
إلى الزَّوْراء من ثغر نَقيٍّ ... عوارضه ومن دَلٍّ رخيمِ
ومن عين مُكَحَّلة الأماقي ... بلا كُحْل ومن كَشْح هضيمِ

وهو يُنشد بلسان فصيح ويبكي ، فناديته : أيّها المنشد ، فأشرف فتىً كأحسن الناس . فقلت : مَن الرجل وما قصّتك ؟ فقال : أنا رجل من الغُزاة من العرب نزلتُ مكانَك هذا ، فأشرفتْ عليّ جارية كأحسن الناس فعشقتُها فكلّمتها ؛ فقالت : إن دخلتَ في ديني لم أُخالفك ؛ فغلبَ عليّ الشيطان فدخلتُ في دينها ، فأنا كما ترى . فقلت : أكنتَ تقرأ القرآن ؟ فقال : إي والله لقد حفظته . قلت : فما تحفظ منه اليوم ؟ قال : لا شيء إلاّ قوله عزّ وجلّ : ﴿رُبَّما يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَو كانُوا مُسْلِمِينَ﴾ . قلت : فهل لك أن نُعطيَهم فداءك وتخرج ؟ قال : ففكّر ساعة ثم قال : انطلقْ صَحِبك اللهُ .

صوت من المائة المختارة

وممّا في الأخبار من شعر ابن هرمة : [من البسيط]

في حاضرٍ لَجِبٍ بالليل سامرُه ... فيه الصواهلُ والرايات والعَكَرُ[2]
وخُرّد كالمَها حُور مدامعُها ... كأنّها بين كُثْبان النَّقا البَقَرُ

الشعر لابن هرمة . والغناء في اللحن المختار لحُنين ، ولحنه من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . قال إسحاق : وفيه لأبي هَمْهَمَة لحن من الثقيل الأوّل أيضاً . وأبو هَمْهَمة هذا مغنٍّ أسودُ من أهل المدينة ، ليس بمشهور ولا ممّن نادم الخلفاء ولا وجدتُ له خبراً فأذكره .

---

1 ميقات في ل : أكناف .

2 في : في ل : من . الحاضر : الحيّ العظيم . والسّامر : المتسامرون .

80 ـ [عودٌ إلى أخبار نصيب]

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

بزينب أَلِمْ قبل أن يرحلَ الركبُ وقُلْ إنّ تَمَلِّينا فما ملَّك القلبُ
وقُل في تَجَنِّيها لكَ الذنبَ : إنّما عتابُكَ مَنْ عاتبتَ فيما لـه عَتْبُ

الشعر لنُصَيب . والغناء في اللحن المختار لكَرْدَم بن معبد ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد لحن آخر من خفيف الثقيل عن يونس والهشاميّ ودَنانِيرَ . وفيه لإبراهيم لحن آخر من الثقيل الأوّل ذكره الهشاميّ .

[بعض أخبار لنصيب]

وقد تقدّم من أخبار نُصيب ما فيه كفاية ، وإنّما تأخّر منها ما له موضع يصلُح إفرادُه فيه ، مثل أخبار هذا الصوت .

[ذكر عن نفسه أنّه قال شعراً فعلِم أنّه شاعر]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا عمّي الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ عن ابن كُناسة قال : قال نصيب : ما توهّمت أنّي أُحسن أن أقول الشعرَ حتى قلت : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

[سمع جميل وجرير من شعره فتمنّيا لو أنّهما سبقاه إليه]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكّار قال حدّثنا إبراهيم بن المنذر الحِزاميّ عن محمّد بن مَعْن الغِفاريّ قال أخبرني ابن الربيح قال : مرّ بنا جَميل ونحن بضَرِيّة[1] ، فاجتمعنا إليه فسمعته يقول : لأن أكونَ سَبقتُ الأسودَ إلى قوله : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يرحل الركبُ

أحبُّ إليّ مِنْ كذا وكذا لشيءٍ قاله عظيم .

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني سعيد بن عمرو عن حَبيب بن شَوذب الأسَديّ قال : مَرَّ بنا جَرير بن الخَطَفى ونحن بِضَرِيّة ، فاجتمعنا إليه فسمعتُه يقول : لأن

1 ضَرِيَّة : قرية في طريق مكّة من البصرة من بلاد نجد . وقيل هي صقع واسع بنجد .

أكونَ سَبقتُ العبدَ إلى هذا البيت أحبُّ إليّ من كذا وكذا ؛ يعني قولَه : [من الطويل]

بزينبَ ألمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

[أنشده الكميت من شعره وبكى]

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل عن إسحاق الموصليّ عن ابن كُناسة قال : اجتمع الكُميت بن زيد ونُصيب في الحمّام ، فقال له الكميت : أنشدني قولك : [من الطويل]

بزينبَ ألمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

فقال : والله ما أحفظها ؛ فقال الكميت : لكنّي أحفظها ، أفأنشدك إيّاها ؟ قال نعم ، فأقبل الكميت يُنشده وهو يبكي .

[كان مع زوجته فمرّ به ابن سريج يتغنّى بشعرٍ له فيها فلامتْهُ]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال ذكر ابن أبي الحُوَيرث عن مولاة لهم ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص عن مولاة لهم قالت : إنّا لِبمنىً إذ نظرتُ إلى أبنية مضروبة وأثاث وأمتعة ، فلم أدْرِ لَمن هي ، حتى أُنيخ بعير ، فنزل عنه أسودُ وسوداء فألقيا أنفسهما على بعض المتاع ، ومَرّ راكب يتغنّى غناء الركبان : [من الطويل]

بزينبَ ألمِمْ قبلَ أن يرحل الركبُ

فرأيت السوداء تخبط الأسود وتقول له : شهّرتني وأذعت في الناس ذكري ؛ فإذا هو نُصيب وزوجته . قال إسحاق في خبره : وكان الذي اجتاز بهم وتغنّى ابن سريج .

[كان ابن سريج يغنّي لنسوة في شعره فلم يشأ أن يتعرّف بهنّ]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمّد بن كُناسة عن أبيه قال : [قال] نُصيب : والله إنّي لأسير على راحلتي إذ أدركت نسوةً ذواتِ جمال يتناشدنَ قولي : [من الطويل]

بزينبَ ألِمْ قبل أن يرحل الركبُ

وإذا معهنّ ابن سُريج ؛ فقلن له : يا أبا يحيى ، غَنِّنا في هذا الشعر ، فغنّاهنّ فأحسن ؛ فقلن : وَدِدْنا والله يا أبا يحيى أنّ نُصيباً معنا فيتمّ سرورنا ؛ فحرّكتُ بعيري لأتعرّف بهنّ وأنشدهنّ ؛ فالتفتت إحداهنّ إليّ فقالت حين رأتني : والله لقد زعموا أنّ نُصيباً يشبه هذا الأسود لا جَرَم ؛ فقلت : والله لا أتعرّف بهنّ سائرَ اليوم ، ومضيتُ وتركتهنّ . قال : وكان الذي تغنّى به ابنُ

سُريج من شعري : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحل الركبُ وقُل إن تَملِّينا فما ملَّك القلبُ
وقُلْ إن تُنَلْ بالحبّ منكِ مودّةٌ فما مثلُ ما لُقّيت من حُبّكم حُبُّ
وقُلْ في تَجَنِّيها لكَ الذنبَ إنّما عتابكَ مَن عاتبتَ فيما لـه عَتْبُ
فمَن شاء رام الوصلَ أَو قال ظالماً لذي ودّه ذنبٌ وليس لـه ذنبُ

[سأله جدّ جمال بنت عون أن ينشده قصيدته في زينب فأنشده]

أَخبرني الحرميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله السَّعْديّ عن جدّته جَمال بنت عَوْن عن جدّها قال : قلت للنُّصَيب : أَنشدني يا أَبا مِحْجَن من شِعرك شيئاً ؛ فقال : أَيَّه تريد ؟ قلت : ما شئتَ ؛ قال : لا أُنشدك أَو تقترحَ ما تريد ؛ فقلت : قولك : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أَن يرحلَ الركبُ

قال : فتبسَّم وقال : هذا شعرٌ قلته وأَنا غلام ؛ ثم أَنشدني القصيدةَ . قال الزُّبَير : وهي أَجود ما قال .

[لامه عمر على تشهيره بالنساء فأخبر أنّه تاب واستجازه فأجازه]

أَخبرني أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أَبي بكر الهُذَليّ قال حدَّثني أَيّوب بن شاس ، ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أَحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ عن أَبي بكر الهذليّ عن أَيّوب بن شاس ، وروايته أَتمّ من رواية عمر بن شَبّة ، قال أَيّوب : حدَّثني عبد الله بن سعيد : أَنّ النصيب دخل على عمر بن عبد العزيز لمّا وَلِي الخلافة ؛ فقال له : هِيه يا أَسوَد : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أَن يرحَل الركبُ وقُلْ إن تَملِّينا فما ملَّكِ القلبُ

أَأنت الذي تَشْهَر النساء وتقول فيهنّ ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد تركت ذلك وتُبْت من قول الشعر ، وكان قد نَسك ؛ فأَثنى عليه القومُ وقالوا فيه قولاً جميلاً ؛ فقال له : أَمّا إذْ أَثنى عليك القوم فسَلْ حاجتكَ ؛ فقال : يا أَمير المؤمنين لي بُنَيّاتٌ سويداوات أَرغَب بهنّ عن السودان ويرغب عنهنّ البِيضان ، فإن رأَيتَ أَن تفرض لهنّ فافعل ؛ ففعل .

[رأى عثمان بن الضحّاك امرأة فتمثّل بشعره في زينب فكانت هي وأخبرته أنّه آت لزيارتها]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن شَبيب عن محمّد بن المؤمّل بن طالوت عن أَبيه عن عثمان بن الضحّاك الحِزاميّ قال : خرجت على بعير لي أُريد الحجّ ، فنزلت في فِناء

خيمة بالأبواء[1] ، فإذا جارية قد خرجت من الخيمة ففتحت الباب بيديها ، فاستلهاني حسنُها ، فتمثَّلتُ قولَ نُصَيب : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يرحلَ الركبُ وقُل إن تملِّينا فما ملّكِ القلبُ

فقالت الجارية : أتعرف قائلَ هذا الشعر ؟ قلت : نعم ، ذاكِ نصيب ؛ قالت : أفتعرف زينبَ هذه ؟ قلت : لا ؛ قالت : فأنا والله زينبُه ، وهو اليومُ الذي وعدني فيه الزيارة ، ولعلّك لا ترحَل حتى تراه . فوقفتُ ساعة فإذا أنا براكب قد طلع فجاء حتى أناخ قريباً منها ، ثم نزل فسلَّم عليها وسلَّمتْ عليه ؛ فقلت : عاشقان التقيا ولا بدّ أن يكون لهما حاجة ، فقمت إلى راحلتي فشددتُ عليها ؛ فقال : على رِسْلك ، أنا معك ؛ فلبث ساعةً ثم رحل ورحلت معه ؛ فقال لي : كأنّك قلت في نفسك كذا وكذا ؛ قلت : قد كان ذاك ؛ فقال لا ، وربِّ الكعبة البَنِيّة المستورة ما جلستُ معها مجلساً قطُّ هو أقربُ من هذا .

[شبَّه حمّاد بن إسحاق قصيدة له بشعر امرىء القيس]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال قال لي أبو ربيعة : لو لم تكن هذه القصيدة : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يرحل الركبُ

لنُصيب ، شِعْرَ مَنْ كانت تُشبه ؟ فقلت : شعر امرىء القيس ، لأنّها جزلة الكلام جيّدة . قال : سبحانَ الله ؛ قلت : ما شأنُك ؟ فقال : سألت أباك عن هذا فقال لي مثلَ ما قلتَ ، فعجبتُ من اتّفاقكما .

[منقذ الهلالي وطربه بشعر نصيب]

قال هارون وحدَّثني حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفْص الثَّقَفيّ عن رجل سمّاه قال : أتاني مُنقذ الهلالي ليلةً وضرب عليّ البابَ ، فقلت : مَن هذا ؟ فقال : منقذ الهلاليّ ؛ فخرجت فزِعاً ، فقلت : فيمَ السُّرَى ، أي ما جاء بك تسري إليّ ليلاً ، في هذه الساعة ؟ قال : خير ، أتاني أهلي بدجاجة مشويّة بين رغيفين ، فتغذّيت بها معهم ، ثم أُتِيتُ بقنّينة نبيذ قد التقى طرفاها ، فشربتُ وذكَرْت قول نُصَيْب : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يَرحَلَ الرّكبُ

فأنشدتُها فأطربَتْني ، وفكّرت في إنسان يفهم حُسْن ذلك ويعرف فضله فلم أجِد غيرَك

1 الأبواء : قرية من أعمال الفُرْع من المدينة ، وقيل هي جبل على الطريق من المدينة إلى مكّة . وبالأبواء قبر آمنة بنت وهب أمّ النبيّ ﷺ .

فأتيتك . فقلت : ما جاءَ بك إلاّ هذا ؟ قال : لا ، وانصرف .

قال حمّاد : معنى قوله «التقى طرفاها» أي قد صَفَت وراقت فأسفلها وأعلاها سواء في الصفاء .

وممّا يُغنّى فيه من قصيدة نُصيب البائيّة المذكورة قولُه : [من الطويل]

صوت

خليليّ مـن كَعْبٍ أَلِمّا هُدِيتُما بزينب لا يَفْقِدْكُما أبداً كعبُ
مِنَ اليومِ زُوراها فإنّ رِكابَنا غداةَ غدٍ عنها وعن أَهلِها نُكْبُ

الغناء لمالك خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانة .

صوت

من المائة المختارة على رواية جحظة عن أصحابه

[من السريع]

النَّشْرُ مِسكٌ والوجوهُ دنا نيرٌ وأَطـرافُ الأَكفّ عَنَمْ
والدَّار وَحْشٌ والرسوم كما رَقَّش في ظهـرِ الأَديمِ قَلَمْ
لستُ كأَقـوام خلائقُهم نَثُّ أَحاديث وهتكُ حُرَمْ[1]

نَثُّ الحديث : إشاعته . والعَنَم : شجر أحمر ، وقيل : بل هو دود أحمر كالأَسَاريع يكون في البقل في أيّام الربيع . والأَديم : الجلد . وجلد كلّ شيء أديمه . ورقَّشَ : زيَّن . الشعر[2] لمرقِّش الأكبر[3] ، والغناء لابن عائشة هزج بالبنصر في مجراها .

1 أحاديث وهتكُ في ل : الأحاديث ونهكة .

2 هذا الشعر من قصيدة المرقِّش يرثي بها ابن عمِّه ثعلبة بن عوف بن مالك بن ضبيعة ، قتله مهلهل ، وكان معه مرقِّش فأفلت ، ثم إنّه طلب بدم ثعلبة فقتل رجلاً من تغلب يُقال له عمرو بن عوف . (انظر ديوان المرقشين ، تحقيق كارين صادر ، دار صادر ، بيروت ، 1998 .

3 في ل : الأصغر .

[81] ـ أخبار المرقِّش الأكبر ونسبه[1]

[نسبه وسبب تسميته بالمرقِّش وقرابته للمرقِّش الأصغر]

المرقِّش لقب غلب عليه بقوله : [من السريع]

الدَّار وَحْشٌ والرسومُ كما رقَّش في ظهر الأديم قَلَمْ

وهو أحد مَن قال شعراً[2] فلُقِّب به . واسمُه ، فيما ذكر أبو عمرو الشَّيْباني ، عمرو . وقال غيره : عَوْف[3] بن سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصن[4] بن عُكابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . وهو أحد المتيَّمين . كان يهوى ابنةَ عمِّه أسماءَ بنت عوف بن مالك بن ضُبَيعة ، وكان المرقِّش الأصغر ابنَ أخي المرقِّش الأكبر . واسمه فيما ذكر أبو عمرو ، ربيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك . وقال غيره : هو عمرو بن حَرْملة بن سعد بن مالك . وهو أيضاً أحد المتيَّمين ، كان يهوى فاطمة بنت المنذِر الملك ويتشبّب بها . وكان للمرقِّشَيْن جميعاً موقع في[5] بكر بن وائل وحروبها مع بني تغلب ، وبأسٌ وشجاعة ونجدة وتَقَدُّم في المَشاهد ونكايةٌ في العدوّ وحسنُ أثره وكان عوف بن مالك بن ضُبَيعة عمُّ المرقِّش الأكبر من فرسان بكر بن وائل .

[عوف بن مالك المعروف بالبرك]

وهو القائل يوم قِضَة : يا لَبكر بن وائل ، أفي كلّ يوم فرار ! أما ومَحْلوفي لا يمرُّ بي رجل من بكر بن وائل منهزماً إلاّ ضربتُه بسيفي . وبَرَك يقاتل ، فسمِّي البُرَكَ يومئذٍ .

[عمرو بن مالك وأسره لمهلهل]

وكان أخوه عَمْرو بنُ مالكٍ أيضاً من فُرسان بكر ، وهو الذي أَسَر مُهلهِلاً ، التقيا في خَيْلين من غير مُزاحفة في بعض الغارات بين بَكْر وتَغْلب ، في موضع يُقال له نَقَا الرَّمْل ، فانهزمتْ خيلُ مهلهل وأدركه عمرو بن مالك فأَسَره فانطلق به إلى قومه ، وهم في نواحي هَجَر[6] ، فأحسَنَ إسارَه . ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قَدِم بها من هجر ، وكان صديقاً لمهلهل

---

1 المرقش الأكبر : انظر أخباره في : في الشعر والشعراء 1 : 210 . وفي الأنباري 457–460 ، 484 .

2 في ل : الشّعر .

3 قيل سُمّي عوفاً باسم عمّه والد أسماء التي كان يهواها ويتشبّب بها .

4 في ل : بن الحصن .

5 في ل : موقف .

6 هجر : اسم يطلق على أكثر من موضع . ولعلّه يقصد به هجر التي قصبتها الصّفا باتّجاه اليمامة والبصرة .

يشتري منه الخمر ، فأُهدى إليه وهُو أَسيرٌ زِقَّ خمر ؛ فاجتمع إليه بنو مالك فنحروا عنده بَكْراً وشرِبوا عند مهلهل في بيته ، وقد أُفرد له عمرٌو بيتاً يكون فيه ، فلمّا أَخَذ فيهم الشّرابُ تغنَّى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر وينوح به على كليب ، فسمع ذلك عمرُو بن مالك فقال[1] : إنّه لريَّانُ ، والله لا يشرب ماءً حتى يَرِد رَبِيبٌ يعني جملاً كان لعمرو بن مالك ، وكان يتناول الدَّهاس[2] من أَجواف هجر فيرعى فيها غِبّاً بعد عشر في حَمّارة القَيْظ فطلبت رُكْبانُ بني مالك ربيباً وهم حِراص على ألاّ يُقتَل مهلهل ، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشاً . ونحر عمرو بن مالك يومئذٍ ناباً فأَشرج جلدها على مهلهل وأَخرج رأسه . وكانت بنتُ خال مهلهل امرأَتُه بنتُ المُحلِّل أَحدِ بني تغلب قد أَرادت أَن تأتيَه وهو أَسير ؛ فقال يذكرها : [من الخفيف]

ظَبْيــةٌ مــا ابنــةُ المحلِّل شَنْبا ءُ لَعُوب لذيــذةٌ في العِناقِ[3]

فلمّا بلغها ما هو فيه لم تأته حتى مات . فكان هَبَنَّقَةُ القيسيّ أَحدُ بني قيس بن ثعلبة واسمه يزيد بن ثَرْوان يقول وكان مُحمَّقاً وهو الذي تَضْرِب به العربُ المثلَ في الحمق : لا يكون لي جمل أَبداً إلاّ سمّيتُه رَبِيباً (يعني أَنّ ربيباً كان مباركاً لقتله مهلهلاً) . ذكر ذلك أَجمعَ ابنُ الكلبيّ وغيرُه من الرواة . والقصيدة الميميَّة التي فيها الغناء المذكورة بذكر أَخبار المرقِّش يقولها في مَرْثِيَة ابن عمٍّ له . وفيها يقول : [من السريع]

بل هل شجَتْك الظُّعْن باكرةً كأَنّهــا النخيــلُ مــن مَلْهَم[4]

[عشق المرقِّش أَسماء بنت عوف]

قال أَبو عمرو ووافقه المفضّل الضبي : وكان من خبر المرقِّش الأَكبر أَنّه عشِق ابنة عمِّه أَسماءَ بنتَ عوف بن مالك ، وهو البُرَك ، عشِقها وهو غلام فخطبها إلى أَبيها ؛ فقال : لا أُزوِّجك حتى تُعرَف بالبأس ، وهذا قبل أَن تخرج ربيعة من أَرض اليمن ، وكان يَعِده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقِّش إلى ملكٍ من الملوك فكان عنده زماناً ومدحه فأَجازه . وأَصاب عوفاً زمانٌ شديد ؛ فأَتاه رجل من مُراد أَحدُ بني غُطَيْف ، فأَرغبه في المال فزوّجه أَسماءَ على مائةٍ من الإبل ، ثم تنحَّى عن بني سعد بن مالك .

---

1 في ل : فلمّا سمع عمرو بن مالك ذلك قال .

2 الدهّاس : المكان السّهل ليس برملٍ ولا تراب .

3 الشّنباء : التي في أَسنانها ماء ورقة وبرد وعذوبة .

4 مَلْهم : أَرض من أَرض اليمامة موصوفة بكثرة النخيل .

[أخبره أهله بموت أسماء ولمّا علم بزواجها من المرادي رحل إليها ومات عندها]

ورجع مرقّش ، فقال إخوته : لا تخبروه إلاّ أنّها ماتت ؛ فذبحوا كبشاً وأكلوا لحمه ودفنوا عظامه ولَفّوها في مِلْحَفة ثم قبَروها . فلمّا قدِم مرقّش عليهم أخبروه أنّها ماتت ، وأتَوْا به موضعَ القبر ؛ فنظر إليه وصار[1] بعد ذلك يعتاده ويزوره . فبينا هو ذات يوم مضطجع وقد تغطّى بثوبه وابنا أخيه يلعبان بكعبين[2] لهما إذ اختصما في كعب ، فقال أحدُهما : هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه وقالوا إذا جاء مرقّش أخبرناه أنّه قبرُ أسماء . فكشَف مرقّشٌ عن رأسه ودعا الغلام ، وكان قد ضَنيَ ضَناً شديداً ، فسأله عن الحديث فأخبره به وبتزويج المرادي أسماء ؛ فدعا مرقّش وليدةً له ولها زوج من غُفَيْلة كان عسيفاً[3] لمرقّش ، فأمرها بأن تدعوَ له زوجَها فدعته ، وكانت له رواحلُ فأمره بإحضارها ليطلب المراديَّ عليها فأحضره إيّاها ، فركبها ومضى في طلبه ، فمرض في الطريق حتى ما يُحمَل إلاّ معروضاً . وإنّهما نزلا كهفاً بأسفل نَجْران ، وهي أرض مراد ، ومع الغُفَليّ امرأتُه وليدةُ مرقّش ؛ فسمع مرقّش زوجَ الوليدة يقول لها : اتركيه فقد هَلك سقماً وهلكنا معه ضُرّاً وجُوعاً . فجعلت الوليدةُ تبكي من ذلك ؛ فقال لها زوجها : أطيعيني[4] ، وإلاّ فإنّي تاركُك وذاهب . قال : وكان مرقّش يكتب ، وكان أبوه دفعه وأخاه حَرْملةَ ، وكانا أحبّ ولده إليه ، إلى نَصرانيّ من أهل الحيرة فعلّمهما الخطّ . فلمّا سمع مرقّش قولَ الغُفَليّ للوليدة كتب مرقّش على مؤخّرة الرحل هذه الأبيات[5] : [من الكامل]

يـــا صاحبيّ تَلَبّثـا لا تعجَـلا ... إنّ الرواح رهـــينُ ألاّ تفعَـلا
فلعـــلّ لُبثكمـــا يُفَـرّط سَيِّئـاً ... أو يَسبِقُ الإسراعُ سَيْباً مُقْبِلا[6]
يـــا راكباً إمّـا عرضتَ فبلِّغَنْ ... أنَسَ بن سعدٍ إن لَقِيتَ وحَرْمَلا[7]
لله دَرُّكمـــا ودَرُّ أبيكمـــا ... إن أفلتَ العَبْـدان حتى يُقتَلا[8]
مَنْ مُبْلِغُ الأقـوامِ أنّ مرقّشاً ... أضحى على الأصحابِ عبئاً مُثْقِلا

1 في ل : وكان .
2 في ل : بكعاب .
3 العسيف : الأجير والعبد والمُستعان به .
4 في ل : إنْ أطعتني .
5 في ل : هذا الشعر .
6 يُفَرّطُ : يُقدّم .
7 أنس بن سعد وحرملة : هما أخوا مرقّش .
8 العبدان : في ل : الغفليّ .

وكأنّما تَـرِدُ السباعُ بشِلْـوه إذْ غـاب جمعُ بني ضُبَيْعَة مَنْهَلا

قال : فانطلق الغُفَليّ وامرأتُه حتى رجعا إلى أهلهما ، فقالا : مات المرقِّش . ونظر حرملةُ إلى الرَّحْل وجعل يُقلّبه فقرأ هذه الأبيات ؛ فدعاهما وخوّفهما وأمرهما بأن يَصدُقاه ففعلا ، فقتلهما . وقد كانا وصفا له الموضعَ ، فركب في طلب المرقِّش حتى أتى المكانَ ، فسأل عن خبره فعَرف أنّ مرقِّشاً كان في الكهف ولم يزل فيه حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه وأقبل راعيها إليها . فلمّا بَصُر به قال له : مَن أنت وما شأنُك ؟ فقال له مرقِّش : أنا رجلٌ من مُراد ، وقال للراعي : مَن أنت ؟ قال : راعي فلان ، وإذا هو راعي زوج أسماءَ . فقال له مرقِّش : أتستطيع أن تكلّم أسماء امرأة صاحبك ؟ قال : لا ، ولا أدنو منها ، ولكن تأتيني جاريتُها كلَّ ليلة فأحلِبُ لها عنزاً فتأتيها بلبنها . فقال له : خُذ خاتمي هذا ، فإذا حلبتَ فألقه في اللبن ، فإنّها ستعرفه ، وإنّك مُصيبٌ به خيراً لم يُصبه راعٍ قطُّ إن أنتَ فعلت ذلك . فأخذ الراعي الخاتم . ولمّا راحت الجارية بالقدح وحلب لها العنزَ طرح الخاتم فيه ، فانطلقتْ الجارية به وتركته بين يديها . فلمّا سكنت الرّغوة أخذته فشربته ، وكذلك كانت تصنع ، فقرع الخاتم ثَنِيّتَها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ؛ فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ قالت : ما لي به علم ؛ فأرسلتْها إلى مولاها وهو في شَرَفٍ[1] بنَجْران ؛ فأقبل فَزِعاً ؛ فقال لها : لِمَ دعوتِني ؟ قالت له : ادْعُ عبدَك راعيَ غنمك فدعاه ؛ فقالت : سَلْه أين وجد هذا الخاتم ! قال : وجدتُه مع رجلٍ في كهف خُبّان[2] : قال : ويقال كهف جبار ، فقال : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنّك مصيبٌ به خيراً ، وما أخبرني مَنْ هو ، ولقد تركته بآخر رَمَق . فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم ؟ قالت : خاتم مرقِّش ، فأعجِل السّاعةَ في طلبه . فركب فرسه وحملها على فرس آخر وسارا حتى طرَقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما ، فمات عند أسماء . وقال قبل أن يموت : [من الوافر]

سَرى ليـلاً خيالٌ من سُلَيْمَى فأرّقنـي وأصحابـي هُجودُ
فبِتّ أُديـر أمـري كلّ حالٍ وأذكر أهلَهـا وهـمُ بعيدُ
على أنْ قـد سمـا طَرْفي لنارٍ يُشَبّ لها بذي الأرْطى وَقودُ[3]
حَوالَيْهـا مَهـاً بِيضُ التَّراقِي وآرامٌ وغِـزلانٌ رُقـودُ
نواعـمُ لا تُعالج بـؤسَ عيش أوانسُ لا تـروح ولا تَرُودُ

1 في ل : شرب .
2 في ل : حيّان .
3 الأرْطَى : شجر ينبت بالرمل وهو شبيه الغضى .

يَرُحْن معـاً بِطاءَ المشي بُدّاً ... عليهـنّ المجـاسد والبُـرُودُ[1]
سَكَـنّ ببلدة وسكنتُ أُخرى ... وقُطِّعـتِ المواثـقُ والعهـودُ
فما بـالي أَفي ويُخان عهدي ... ومـا بـالي أُصاد ولا أُصيدُ
ورُبّ أَسيلـة الخدّين بكرٍ ... مُنَعَّمَـةٍ لهـا فـرعٌ وجِيدُ
وذو أُشُرٍ شَتِيتُ النبتِ عذبٌ ... نقـيُّ اللـون بَـرّاقٌ بَرودُ
لهوتُ بهـا زمانـاً في شبابي ... وزارتهـا النجائـب والقَصيدُ
أُناسٌ كلّمـا أَخلقت وصلاً ... عنـاني منهـمُ وصلٌ جديدُ

ثم مات عند أَسماء ، فدُفِن في أَرض مُراد .

[خرج لقتل زوج أَسماء فردّه أَخواه وعذلاه فمرض وقال شعراً]

وقال غيرُ أَبي عمرو والمفضَّل : أَتى رجل من مُراد يُقال له قرنُ الغَزال ، وكان مُوسِراً ، فخطب أَسماء وخطبها المرقِّش وكان مُمْلِقاً ؛ فزوّجها أَبوها من المراديّ سرّاً ؛ فَظَهر على ذلك مرقِّش فقال : لئن ظفرتُ به لأَقتلنّه . فلمّا أَراد أَن يَهتديها[2] خاف أَهلُها عليها وعلى بعلها من مرقِّش ، فتربّصوا بها حتى عَزَب مرقِّش في إبله ، وبنى المراديُّ بأَسماء واحتملها إلى بلده . فلمّا رجع مرقِّش إلى الحيّ رأَى غلاماً يتعرّق عظماً ؛ فقال له : يا غلام ، ما حدث بعدي في الحيّ ؟ وأَوجس في صدره خيفةً لِمَا كان ؛ فقال الغلام : اهتدى المراديُّ امرأَتَه أَسماء بنت عوف . فرجع المرقِّش إلى حيّه فلبس لأُمته وركب فرسه الأَغرّ ، واتّبع آثارَ القوم يريد قتلَ المراديّ . فلمّا طلع لهم قالوا للمراديّ : هذا مرقِّش ، وإن لقيك فنفسُك دون نفسه . وقالوا لأَسماء : إنّه سيمرّ عليك ، فأَطلعي راسَك إليه واسْفِري ؛ فإنّه لا يرميك ولا يضرّك ، ويلهو بحديثك عن طلب بعلك ، حتى يلحقَه إخوته فيردّوه . وقالوا للمراديّ : تقدّم فتقدّم . وجاءهم مرقِّش . فلمّا حاذاهم أَطْلَعَت أَسماءُ من خِدْرها[3] ونادته ، فغَضّ[4] من فرسه وسار بقربها ، حتى أَدركه أَخواه أُنسٌ وحَرْمَلة فعَذَلاه وردّاه عن القوم . ومضى بها المُراديّ فأَلحقها بحيّه . وضَنِيَ[5] مرقِّش لفراق أَسماء . فقال في ذلك : [من الطويل]

1 بُدّ : جمع أبد والأُنثى بداء وهو كثرة لحم الفخذين حتى تصطكّا .
2 اهتدى الرجل امرأته : إذا جمعها إليه وضمّها .
3 في ل : حدجها .
4 غض من فرسه : إذا نقص من غربه وحدته .
5 ضنى : مرض مرضاً مخامراً كلّما ظنّ برؤه نكس .

أَمِنْ آلِ أَسمـاءَ الرسومُ الدّوارسُ تُخطِّط فيهـا الطيرُ قَفْرٌ بسابسُ

وهي قصيدة طويلة . وقال في أسماء أيضاً : [من الطويل]

أَغالِبُـكَ القلـبُ اللَّجوجُ صبابةً وشوقـاً إلى أَسمـاءَ أَم أَنتَ غالبُهْ
يَهيـم ولا يعيـا بأَسمـاءَ قلبُـه كذاك الهـوى إمـرارُه وعَواقِبُهْ
أَيُلْحَى امرؤ في حبّ أَسماء قد نأى بغَمْزٍ مـن الواشين وازوَرّ جانبُهْ
وأَسماءُ هَمُّ النَّفس إن كنتَ عالِماً وبـادي أَحاديـثِ الفؤادِ وغائبُهْ
إذا ذكرَتْها النفسُ ظَلْـتُ كأَنّني يُزعزعني قَفْقافُ وِرْدٍ وصالبُهْ[1]

[كان مع المجالد بن ريّان في غارته على بني تغلب وقال شعراً]

وقال أبو عمرو : وقع المجالدِ بن رَيّان ببني تَغْلِب بجُمْران[2] فَنَكى فيهم وأَصاب مالاً وأَسرى ، وكان معه المرقِّش الأَكبر ، فقال المرقِّش في ذلك : [من المتقارب]

أتتنـي لسانُ بنـي عامـرٍ فجَلّـى أَحاديثُهـا عـن بَصَرْ[3]
بأَنّ بنـي الوَخْم ساروا معاً بجيشٍ كضوء نجوم السَّحَرْ[4]
بكـلِّ خَبُوبِ السُّرى نَهْدَةٍ وكلّ كُمَيْـتٍ طُـوالٍ أَغرّ
فما شَعَر الحـيُّ حتّـى رأَوْا بريـقَ القَوانِيسِ فوقَ الغُرَرْ[5]
فأَقبلنَهـم ثـم أَدبرنهـم وأَصدرنهم قبلَ حينِ الصَّدَرْ
فيـا رُبَّ شلْـوٍ تَخَطْرفنَـه كريمٍ لَدى مَزْحَف أَو مَكَرّ[6]
وكائن بجُمْرانَ مـن مُزْعَف ومـن رجـلٍ وجهُه قد عُفِرْ[7]

---

1 وقفقافة : اضطراب الحنكين واصطكاك الأسنان منه . الورد : من أسماء الحمى . وصالبه : شدّة حرارته مع رعدة .

2 في ل : بنجران ، وجمران : موضع ببلاد الرباب ، أو هو ماء .

3 اللسان هنا : الرسالة . وجلّى أحاديثها عن بصر : أي كشفت أحاديثها العمى .

4 الوخم في ل : الوجم ، وبنو الوخم : بنو عامر بن ذهل بن ثعلبة .

5 القوانس : جمع قونس وهو أعلى بيضة الحديد . والغرر : السادة من الرجال ، ويقال الغرر : الوجوه .

6 تخطرفنه : استلبنه ، وقيل : جاوزنه وخلّفنه .

7 بجمران في ل : بنجران . مُزْعف : زعفه وأزعفه : رماه أو ضربه فمات مكانه سريعاً .

[82] ـ وأمَّا المرقِّش الأَصغر[1]

[نسبه وعشقه لفاطمة بنت المنذر وأخباره في ذلك وشعره]

فهو على ما ذكر أبو عمرو : رَبيعةُ بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضُبيعة . والمرقِّش الأكبر عمّ الأصغر ، والأصغر عمّ طَرَفة بن العبد . قال أبو عمرو : والمرقِّش الأصغر أشعر المرقِّشَين وأطولهما عُمراً . وهو الذي عشِق فاطمةَ بنت المنذر ، وكانت لها وليدةٌ يقال لها بنت عَجْلان ، وكان لها قَصْر [بكاظمة][2] وعليه حَرَس . وكان الحرس يَجُرّون كلّ ليلة حولَه الثياب فلا يطؤه أحد إلاّ بنت عجلان . وكان لبنت عجلان في كلّ ليلة رجل من أهل الماء يبيت عندها . فقال عمرو بن جَناب بن مالك لمرقِّش : إنّ بنت عَجلان تأخذ كلّ عشيّة رجلاً ممّن يُعجبها فيبيت معها . وكان مرقِّش تَرْعِيةً[3] لا يفارق إبلَه ، فأقام بالماء وترك إبلَه ظمأى ، وكان من أجمل الناس وجهاً وأحسنهم شَعْراً . وكانت فاطمة بنتُ المنذر تقعدُ فوق القصر فتنظر إلى الناس . فجاء مرقِّش فبات عند ابنة عَجْلان ؛ حتى إذا كان من الغد تجرّدت عند مولاتها . فقالت لها : ما هذا بفخذيك ؟ وإذا نُكَتٌ كأنّها التين وكآثار السِّياط من شدّة حَفْزه إيّاها عند الجماع ، قالت : آثار رجل بات معي الليلةَ . وقد كانت فاطمةُ قالت لها : لقد رأيتُ رجلاً جميلاً راح نحوَنا بالعشيّة لم أره قبلَ ذلك ؛ قالت : فإنّه فتىً قعِد عن إبله وكان يرعاها ، وهو الفتى الجميل الذي رأيتِه ، وهو الذي بات معي فأثر فيّ هذه الآثار . قالت لها فاطمة : فإذا كان غدٌ وأتاك فقدِّمي له مِجمَراً ومُريه أن يجلس عليه وأعطيه سواكاً ، فإن استاك به أو ردّه فلا خير فيه ، وإن قعد على المجمر أو ردّه فلا خير فيه . فأتته بالمجمر فقالت له : اقعُد عليه ؛ فأبى وقال : أدنيه منّي ، فدخّن لِحيته وجُمّته وأبى أن يقعد عليه ، وأخذ السواك فقطع رأسه واستاك به . فأتت ابنةُ عجلان فاطمةَ فأخبرتها بما صنع ؛ فازدادت به عجباً وقالت : ائتيني به . فتعلّقتْ به كما كانت تتعلّق ، فمضى معها وانصرف أصحابه . فقال القوم حين انصرفوا : لشَدَّ ما علِقتْ بنتُ عَجْلان المرقِّشَ ! وكان الحرسُ ينثرون الترابَ حول قُبّة فاطمة بنت المنذر ويَجُرُّون عليه ثوباً حين تُمسي ويحرُسونها فلا يدخل عليها إلاّ ابنةُ عجلان ؛ فإذا كان الغد بعث الملكُ بالقافَة فينظرون أثَر مَن دخل إليها ويعودون فيقولون

---

1 المرقِّش الأصغر : انظر ترجمته في : الشعر والشعراء 1 : 214 وفي الأنباري : 498–499 .

2 كاظمة : على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة ، وهي مدينة الكويت الآن .

3 تَرْعية : يجيد رعية الإبل أو صناعته وصناعة آبائه رعاية الإبل .

له : لم نَرَ إلاّ أَثَر بنتِ عجلان . فلمّا كانت تلك الليلة حملتْ بنتُ عجلان مرقّشاً على ظهرها وحزَمته إلى بطنها بثوب ، وأدخلته إليها فبات معها . فلمّا أصبح بعث الملك بالقافة فنظروا وعادوا إليه فقالوا : نظرنا أثر بنت عجلان وهي مُثْقَلة . فلبث بذلك حيناً يدخل إليها . فكان عمرو بن جَناب بن عوف بن مالك يرى ما يُفعل ولا يَعرف مذهبه . فقال له : ألَم تكن عاهدتَني عهداً لا تكتمني شيئاً ولا أكتمك ولا نتكاذب ؟! فأخبره مرقّشٌ الخبرَ ؛ فقال له : لا أرضى عنك ولا أكلّمك أبداً أو تُدخلَني عليها ، وحلف على ذلك . فانطلق المرقّش إلى المكان الذي كان يواعد فيه بنتَ عجلان فأجلسه فيه وانصرف وأخبره كيف يصنع ، وكانا متشابهين غير أنّ عمرو بن جناب كان أشْعر ، فأتته بنت عجلان فاحتملته وأدخلته إليها وصنع ما أمره به مرقّش . فلمّا أراد مباشرتها وجدتْ مسَّ شعرٍ فخذيه فاستنكرته ، وإذا هو يُرْعَد ؛ فدفعته بقدمها في صدره وقالت : قبّح الله سرّاً عند المُعَيْدي . ودعت بنتَ عجلان فذهبت به ، وانطلق إلى موضع صاحبه . فلمّا رآه قد أسرع الكَرَّةَ ولم يلبث إلاّ قليلاً ، علِم أنّه قد افتضح ، فعَضّ على إصبعه فقطعها . ثم انطلق إلى أهله وترك المال الذي كان فيه ، يعني الإبل التي كان مقيماً فيها ، حياءً ممّا صنعَ . وقال مرقّش في ذلك : [من الطويل]

أَلاَ يا اسلَمي لا صُرمَ لي اليوم فاطمَا ... ولا أبداً مـا دام وصلُكِ دائما
رمتكَ ابنةُ البَكْريّ عن فرع ضالَةٍ ... وهُنّ بنـا خُوصٌ يُخَلْن نعائما[1]
تـراءت لنـا يومَ الرحيل بِواردٍ ... وعـذبِ الثنايـا لم يكن متراكما[2]
سقـاه حَبـاب المُزن في متكلل ... من الشمس رَوّاه رباباً سَواجِما
أَرَتْك بذات الضّالِ منها معاصماً ... وخـدّاً أسيـلاً كالوذِيلـة ناعما[3]
صحا قلبُـه عنهـا على أنّ ذِكرةً ... إذا خطَرت دارت به الأرضُ قائما
تَبَصَّرْ خليلي هـل ترى من ظَعائن ... خَرجْن سِراعاً واقتعدنَ المفائما[4]
تحمّلن من جوّ الوَريعـة بعد ما ... تعالى النهـارُ وانتجعن الصَّرائما[5]

1 الخوص : الإبل الغائرة العيون من جهد السفر . والنعائم جمع نعامة .
2 الوارد من الشعر : الطويل . والفمُ المتراكم : المتقارب النبات قد ركب بعض أسنانه بعضاً .
3 الوذيلة : سبيكة الفضّة .
4 المفائم : العظام من الإبل ، وقيل هي المراكب الوافية الواسعة ، واحدها مفأم .
5 الوريعة : حزم لبني فقيم بن جرير بن دارم والحزم : ما غلظ من الأرض وكثرتْ حجارته وأشرف . الصرائم : جمع صريمة وهي قطعة الرمل التي تنقطع من معظم الرمل .

تَحلَّـين ياقوتـاً وشَذْرا وصيغة ... وجَزْعـاً ظَفارِيّـاً ودُرّاً تَوَائما[1]
سلكن القُرى والجزعَ تُحدى جمالها ... وورّكن قَـوّاً واجتزعن المخارما[2]
أَلا حبّذا وجـهٌ تُريـك بياضَه ... ومُنسَدِلاتٌ كالمثـاني فـواحما[3]
وإنّي لأَستحيـي فُطَيْمـةَ جائعـاً ... خميصاً وأستحيي فُطَيمة طاعما
وإنّي لأَستحيـيـك والخَرْق بيننا ... مخافـةَ أَن تَلْقَيْ أَخاً لِيَ صارما[4]
وإنّي وإن كلّـت قَلُوصي لَراجـمٌ ... بهـا وبنفسي يـا فُطَيـمَ المَراجما
أَلا يا اسلمي بالكوكب الطَّلْق فاطما ... وإن لم يكن صَرْفُ النَّوى متلائما[5]
أَلا يا اسلمي ثم اعلمي أَنّ حاجتي ... إليـك فـرُدِّي مـن نوالك فاطما
أَفاطـمَ لـو أَنّ النساء ببلدةٍ ... وأَنـت بأُخـرى لابتغيتك هائما[6]
متى ما يشأْ ذو الودّ يَصرِمْ خليلَه ... ويَغْضَبْ عليـه لا محالـةَ ظالما
وآلى جَنـابٌ حِلفـةً فأَطعتُـه ... فنفسَك ولِّ اللَّوْمَ إن كنتَ نادما
فمَن يَلقَ خيراً يَحمدِ الناسُ أَمرَه ... ومَن يَغْوِ لا يعدَم على الغَيِّ لائما
أَلَم تَـرَ أَنّ المـرءَ يَجْذِمُ كفّـه ... ويَجْشَمُ من لوم الصديق المَجاشما[7]
أَمِن حُلُم أَصبحتَ تَنكُتُ واجماً ... وقد تعتري الأَحلامُ مَن كان نائما[8]

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

إذا قلتُ تَسْلو النفسُ أَو تنتهي المُنى ... أَبى القلـبُ إلاّ حـبَّ أُمِّ حَكيمِ

---

1 الجزع : الخرز .
2 جمالها في ل : جمالهم . ورّكن : عدلن . قوّ : منزل للقاصد من المدينة إلى البصرة ، وثمّة أماكن أُخرى بهذا الاسم . اجتزعن : قطعن . المخارم : جمع مخرم وهو رمل مستطيل فيه طرق .
3 المثاني : الحبال .
4 الخرق : ما اتّسع من الأرض .
5 الطلق في ل : الفرد . والطلق : الذي لا حرّ فيه ولا قرّ ولا شيء يؤذي .
6 لابتغيتك في ل : لاتبعتك .
7 يجشم : يركب المكروه .
8 نكت في الأرض : خطّط فيها بعود .

مُنعَّمــة صَفْـراء حُلْـوٌ دلالُهـا أَبِيـتُ بهـا بعـدَ الهُـدُوء أُهِيمُ[1]
قَطُوفُ الخُطا مَحْطوطةُ المَتْنِ زانها مع الحُسنِ خَلْقٌ في الجَمال عَمِيمِ[2]

الشعر مُختلَف في قائله ، فمن الرواة مَن يرويه لصالح بن عبد الله العَبْشَميّ ، ومنهم مَن يرويه لقَطَرِيّ بن الفُجاءة المازِنيّ ، ومنهم مَن يرويه لعبيدة بن هِلال اليَشْكُريّ . والغناء لسِياط ، وله فيه لحنان : أحدهما ، وهو المختار ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . ولبعض الشُّراة قصيدة في هذا الوزن وعلى هذه القافية ، وفيها ذِكْرٌ لأُمِّ حَكيم هذه أيضاً ، تُنسب إلى هؤلاء الشُّعراء الثلاثة ، ويُختلف في قائلها كالاختلاف في قائل هذه . وفيها أيضاً غناء وهو في هذه الأبيات منها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّـي في الحيــاة لزاهـدٌ وفي العيشِ ما لَم أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ
ولو شهدتني يومَ دُولاب أبصرَتْ طِعانَ فتــىً في الحرب غيرِ ذَميمِ

ذكَر المبرّد أنّ الشعر لقَطَرِيّ بن الفُجاءة ، وذكر الهَيثم بن عَدِيّ أنّه لعَمْرو القَنا ، وذكر وَهْب بن جَرير أنّه لحَبيب بن سهم التَّميميّ ، وذكر أبو مِخْنَف أنّه لعبيدة بن هلال اليَشْكُريّ ، وذكر خالد بن خِداش أنّه لعمرو القنا أيضاً . والغناء لَمَعْبد ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس .

1 الهدوء : الهزيع من الليل . في هذا الشعر إقواء .
2 قطوف الخطا : ضيقتها . محطوطة المتنين : أي ممدودتهما .

[83] ـ خبر الوقعة التي قيل فيها هذان الشعران وهي وقعة دولاب

وشيء من أخبار هؤلاء الشراة وأنسابهم وخبر أُمّ حكيم هذه

[وقعة دولاب وشيء من أخبار الشراة]

هذان الشعران قِيلا في وقعة دُولاب ، وهي قرية من عمل الأهواز ، بينها وبين الأهواز نحوٌ من أربعة فراسخ ، كانت بها حربٌ بين الأزارقة وبين مُسْلم بن عُبَيس بن كُرَيز خليفةِ عبد الله بن الحارث بن نَوْفل بن عبد المطّلب ، وذلك في أيّام ابن الزُّبَير . أخبرني بخبر هذه الحرب أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن المدائنيّ ، وأخبرني بها عُبيد الله بن محمّد الرازِي عن الخَرّاز عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير بن حَرْب عن خالد بن خِداش : أنّ نافعَ بنَ الأزرق ، لمّا تفرّقتْ آراءُ الخوارج ومذاهبُهم في أُصول مقالتهم أقام بسوق الأهواز وأعمالها لا يعترضُ الناسَ ، وقد كان متشكّكاً في ذلك . فقالت له امرأته : إن كنتَ قد كفَرت بعد إيمانك وشككتَ فيه ، فدع نِحْلتك ودَعْوتك ، وإن كنتَ قد خرجتَ من الكفر إلى الإيمان[1] فاقتل الكفّار حيثُ لقيتَهم وأثخن في النساء والصبيان كما قال نوح ﴿لا تَذَرْ عَلى الأَرْضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّاراً﴾ . فقَبِل قولَها واستعرض[2] الناسَ وبَسَط سيفَه ، فقتل الرجالَ والنساء والوِلدان ، وجعل يقول : إنّ هؤلاء إذا كَبِروا كانوا مثلَ آبائهم . وإذا وطيء بلداً فعل مثلَ هذا به إلى أن يُجيبَه أهلُه جميعاً ويدخلوا ملّته ، فيرفع السيفَ ويضع الجباية فيجبي الخراجَ . فعظم أمرُه واشتدّت شوكته وفشا عمّالُه في السواد . فارتاع لذلك أهلُ البصرة ومشَوْا إلى الأحنف بن قيس فشكَوْا إليه أمرَهم وقالوا له : ليس بيننا وبين القوم إلاّ ليلتان ، وسِيرتُهم كما ترى ؛ فقال لهم الأحنف : إنّ سيرتَهم في مصركم إن ظَفِروا به مثلُ سيرتهم في سوادكم ، فخذوا في جهاد عدوّكم . وحرّضهم الأحنفُ ، فاجتمع إليه عشرة آلاف رجل في السلاح . فأتاه عبدُ الله بن الحارث بن نَوْفل ، وسأله أن يؤمِّر عليهم أميراً ، فاختار لهم مُسلم بنَ عُبَيس بن كُرَيز بن رَبيعة ، وكان فارساً شجاعاً دَيِّناً ، فأمَّره عليهم وشيَّعه . فلمّا نَفَذ من جسر البصرة أقبل على الناس وقال : إنّي ما خرجتُ لامتيار ذهب ولا فضّة ، وإنّي

---

1 في ل : الإسلام .

2 استعرض الناس : قتلهم ولم يبالِ من قتل مسلماً أو كافراً من أيّ وجه أمكنه .

لأُحاربُ قوماً إن ظفرتُ بهم فما وراءهم إلاّ سيوفُهم ورماحهم . فمَن كان مِن شأنِه الجهادُ فلينهَض ، ومَن أحبَّ الحياةَ فليرجع . فرجع نفرٌ يسير ومضى الباقون معه ؛ فلمّا صاروا بدُولاب خرج إليهم نافع بن الأزرق ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى تكسّرت الرّماحُ وعُقِرتْ الخيلُ وكثُرت الجراحُ والقتلى ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَد ؛ فقُتل في المعركة ابن عُبيس وهو على أهل البصرة ، وذلك في جُمادى الآخرة سنةَ خمس وستّين ، وقُتِل نافعُ بن الأزرق يومئذٍ أيضاً ؛ فعجب الناسُ من ذلك ، وأنّ الفريقين تصابروا حتى قُتل منهم خلق كثير ، وقُتل رئيسَا العسكرَيْن ، والشُّراةُ يومئذٍ ستُّمائة رجل ، فكانت الحدّة يومئذٍ وبأس الشراة واقعاً ببني تميم وبني سَدُوس . وأتى ابن عُبيس وهو يجود بنفسه فاستخلف على الناس الرَّبيعَ بن عمرو الغُدانيّ ، وكان يقال له الأجْذم ، كانت يده أصيبت بكابلُ مع عبدِ الرحمن بن سَمُرة . واستخلف نافعُ ابن الأزرق عُبيدَ الله بن بَشير بن الماحوز أحدَ بني سَلِيط بن يَرْبوع . فكان رئيسا المسلمين والخوارج جميعاً من بني يَرْبوع ، رئيس المسلمين من بني غُدانة بن يَرْبوع ، ورئيس الشُّراة من بني سليط بن يربوع ، فاتّصَلَتِ الحربُ بينهم عشرين يوماً . قال المدائنيّ في خبره : وادّعى قتلَ نافع بن الأزرق رجلٌ من باهِلة يقال له سَلامة . وتحدَّث بعد ذلك قال : كنتُ لمّا قتلتُه على بِرذون وَرْدٍ فإذا أنا برجلٍ ينادِي ، وأنا واقف في خُمْسٍ من بني تميم ، فإذا به يَعْرِض عليَّ المبارزةَ فتغافلتُ عنه ، وجعل يطلبني وأنا أنتقل من خُمْس إلى خُمْس وليس يُزايلني ، فصِرْتُ إلى رَحْلي ثم رجعت فدعاني إلى المبارزة ، فلمّا أكثر خرجتُ إليه ، فاختلفْنا ضربتين فضربته فصرَعتُه ، ونزلتُ فأخذتُ رأسَه وسلبتُه ، فإذا امرأة قد رأتني حين قتلتُ نافعاً ، فخرجتْ لتثأر به . قالوا : فلمّا قُتل نافع وابن عُبيس وولّي الجيش إلى رَبيع بن عمرو لم يزل يقاتل الشُّراة نيّفاً وعشرين يوماً ، ثم أصبح ذاتَ يوم فقال لأصحابه : إنّي مقتول لا محالة ؛ قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : إنّي رأيت البارحةَ كأنّ يدي التي أصيبتْ بكابلُ انحطّتْ من السماء فاسْتَشْلَتْنِي . فلمّا كان الغد قاتل إلى الليل ثم غاداهم فقُتل يومئذٍ ، قال : استشلاه : أخذه إليه . يقال : استشلاه واشتلاه ، قال : فلمّا قُتل الربيع تدافع أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافوا العَطَب إذ لم يكن لهم رئيس ؛ ثم أجمعوا على الحَجّاج بن باب الحِمْيَريّ . وقد اقتتل النّاسُ يومئذٍ وقبله بيومين قتالاً شديداً لم يقتتلوا مثلَه ، تطاعنوا بالرماحَ حتى تقصّفتْ ، ثم تضاربوا بالسيوف والعَمَد حتى لم يبقَ لأحد منهم قوّة ، وحتى كان الرجل منهم يضرب الرجل فلا يُغني شيئاً من الإعياء ، وحتى كانوا يترامَوْن بالحجارة ويتكادمون[1] بالأفواه . فلمّا تدافع القومُ الراية وأبَوْها

1 تكادموا بالأفواه : تعاضوا .

واتّفقوا على الحَجّاج بن باب امتنع من أخذها . فقال له كُرَيب بن عبد الرحمن : خذها فإنّها مَكْرُمة ؛ فقال : إنّها لرايةٌ مشئومة ، ما أخذها أحد إلاّ قُتل . فقال له كُرَيب : يا أعور ، تقارعتِ العربُ على أمرِها ثم صيّروها إليك فتأبى خوفَ القتل ؛ خُذ اللواء ويحك ! فإن حضر أجلُك قُتلتَ إن كانت معك أو لم تكن . فأخذ اللواء وناهضهم ، فاقتتلوا حتى انتقضتِ الصفوفُ وصاروا كَرادِيس ، والخوارجُ أقوى عُدّة بالدروع والجواشن[1] . وجعل الحجّاجُ يُغمض عينيه ويحمل حتّى يغيبَ في الشُّراة ويطعن فيهم ويقتل حتى يُظَنّ أنّه قد قُتل ، ثم يرفع رأسَه وسيفُه يقطر دماً ، ويفتح عينيه فيَرى الناسَ كراديسَ يقاتل كلُّ قوم في ناحية . ثم التقى الحجّاج بن باب وعِمْران بن الحارث الراسبيّ ، فاختلفا ضربتين كلُّ واحدٍ منهما قتل صاحبه ، وجال الناس بينهما جولة ثم تحاجزوا ؛ وأصبح أهل البصرة ، وقد هرب عامّتُهم ، وولَّوْا حارثةَ بن بدر الغُدَانيّ ، أمْرَهم ليس بهم طِرْق ولا بالخوارج . فقالت امرأة من الشُّراة ، وهي أمّ عِمْران قاتِل الحجّاج بن باب وقَتيلِه ، ترثي ابنَها عِمْران : [من البسيط]

اللهُ أيَّد عِمْرانـاً وطَهَّـره ... وكان عمرانُ يدعو اللهَ في السَّحَرِ
يدعوه سِرّاً وإعلاناً ليرزقَه ... شهادةً بيدَيْ مِلْحادة غُدَرِ[2]
ولّى صحابتُه عن حَرّ مَلْحَمةٍ ... وشدّ عِمْرانُ كالضِّرغامة الذكرِ

قال : فلمّا عَقَدوا لحارثةَ بن بدر الرياسةَ وسلّموا إليه الراية نادى فيهم بأن يثبُتوا ، فإذا فَتَح اللهُ عليهم فللعرب زيادةُ فريضتين وللموالي زيادةُ فريضة ؛ فنَدب الناسَ فالتقَوْا وليس بأحدٍ منهم طِرق ، وقد فَشَت فيهم الجِراحاتُ فلهم أنين ، وما تطأ الخيل إلاّ على القتلى . فبينما هم كذلك إذ أقبل من اليمامة جمعٌ من الشُّراة يقول المُكَثِّر إنّهم مائتان والمقلِّل إنّهم أربعون فاجتمعوا وهم مُريحون مع أصحابهم واجتمعوا كبكبةً[3] واحدة ، فحملوا على المسلمين . فلمّا رآهم حارثة بن بَدْر نكَص برايته فانهزم وقال : [من مجزوء الرجز]

كَرْنِبـوا ... ودَوْلِبـوا ... وحيثُ شئتم فاذهبُوا[4]

وقال : [من الكامل]

أيـرُ الحمـار فريضةٌ لعبيدكم ... والخُصيتان فريضةُ الأعـرابِ

---

1 الجواشن : جمع جوشن وهو زرد يلبسه الصدر .

2 الملحادة : مفعال من الإلحاد والهاء للمبالغة . غُدَر : كثير الغدر .

3 الكبكبة : الجماعة .

4 كَرْنِبوا : انزلوا كرنبى وهي موضع بالأهواز . ودولبوا : انزلوا دولاب .

وتتابع الناسُ على أَثره منهزمين ، وتبعتهم الخوارجُ ، فَألْقوا أَنفسهم في دُجَيْل[1] فغرق منهم خلقٌ كثير وسلمت بقيّتُهم . وكان ممّن غرق دَغْفَل بن حنظلة أحد بني عمرو بن شيبان . ولحقتْ قِطعةٌ من الشُّراة خيلَ عبد القيس فأكبُّوا عليهم ، فعطفت عليهم خيلٌ من بني تَميم فعاونوهم وقاتلوا الشُّراة حتى كشَفوهم وانصرفوا إلى أَصحابهم ، وعبَرتْ بقيّةُ الناسِ ، فصار حارثةُ ومَن معه بنهر تِيرى[2] والشُّراة بالأَهواز ، فأَقاموا ثلاثةَ أَيّام . وكان على الأزد يومئذٍ قَبيصَة بن أَبي صُفْرة أخو المُهلَّب ، وهو جدّ هَزارُمَرْد . قال : وغرِق يومئذٍ من الأَزد عدد كثير . فقال شاعر الأَزارقة : [من الوافر]

يَرى مَنْ جاء ينظر من دُجَيْلٍ شيوخَ الأَزْد طافيةً لحالَها

وقال شاعر آخر منهم : [من الكامل]

شَمِتَ ابنُ بدر ، والحوادثُ جمّةٌ ، والظالمون بنافع بن الأَزرقِ
والموت حَتْمٌ لا محالةَ واقعٌ مَنْ لا يُصَبِّحْهُ نهاراً يَطْرُقِ
فلئن أَميرُ المؤمنين أَصابه ريبُ المنون فمَنْ تُصِبْه يَغْلقِ[3]

قال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة ، فيما ذكر المبرّد ، وقال المدائنيّ في خبره : إنّ صالح بن عبدِ الله العَبْشَمِيّ قائلُ ذلك ؛ وقال خالد بن خِدَاش : بل قائلها عمرو القَنا ؛ قال وهب بن جرير عن أَبيه فيما حدَّثني به أَحمد بن الجَعْد الوَشّاء عن أَحمد بن أَبي خَيْثمة عن أَبيه عن وَهْب بن جَرير عن أَبيه : إنّ حَبيب بن سَهْم قائلُها : [من الطويل]

لعمرُك إنّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم أَلْقَ أُمَّ حَكيمِ[4]
مِنَ الخَفِرات البِيض لم أَرَ مثلَها شِفاءٌ لِذِي بَثٍّ ولا لِسَقِيمِ
لعمرُك إنّي يومَ أَلْطِمُ وجهَها على نائباتِ الدَّهرِ غيرُ حليمِ
ولو شَهِدتْني يوم دُولاب أَبصرتْ طِعانَ فتىً في الحرب غيرِ لئيمِ[5]
غَداةَ طَفَتْ عَلماءِ بكرُ بن وائل وأُلأَفُها مِنْ حِمْيَر وسَليمِ[6]

1 دُجَيْل : نهر بالأَهواز .
2 تيرى : بلد من نواحي الأَهواز .
3 أمير المؤمنين : يريد به نافع بن الأزرق . ويغلق : أي لا ينفلت ولا ينجو من غلق الرهن في يد المرتهن .
4 معجم البلدان ، 2 : 485 .
5 غير لئيم في ل : مليم .
6 علماء : يريد على الماء . وسليم : يريد سُلَيْم .

ومـــالَ الحجازيّـون نحـوَ بلادهم وعُجْنا صدورَ الخيلِ نحـو تَميمِ
وكان لعبـد القَيْس أوّلُ جِدّهـا وولّتْ شيوخُ الأَزْدِ فهـي تَعُومُ[1]
فلَـم أَرَ يومـاً كان أكثرَ مُقْعَصاً يَمُجّ دمـاً مـن فائظٍ وكَليمِ[2]
وضاربـةً خدّاً كريماً على فتـىً أَغـرَّ نجيـبِ الأُمّهـات كريمِ
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تـكُ موطناً له أَرضُ دولابٍ ودَيْـرُ حَمِيمِ[3]
فلـو شَهِدتنا يـومَ ذاك وخيلُنا تُبيح مـن الكُفّـارِ كلَّ حريمِ
رأَت فتيـةً باعـوا الإلهَ نفوسَهم بجنّـاتِ عَـدْنٍ عنـده ونَعيمِ

حدَّثني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا خَلاّد[4] الأَرقط قال : كان الشُّراة والمسلمون يتواقفون ويتساءلون بينهم عن أَمر الدِّين وغير ذلك على أَمان وسكون فلا يَهيج بعضُهم بعضاً . فتواقف يوماً عبيدة بن هلال اليَشْكُريّ وأَبو حُزابَة[5] التَّميمي وهما في الحرب ؛ فقال عبيدة : يا أَبا حُزابة ، إنّي سائلُك عن أَشياء ، أَفتصْدُقني في الجواب عنها ؟ قال : نعم ، إن تَضمّنتْ لي مثلَ ذلك ؛ قال : قد فعلتُ . قال : سل عمّا بدا لك . قال : ما تقول في أئمّتكم ؟ قال : يبيحون الدم الحرام والمال الحرام والفَرْج الحرام . قال : وَيْحَك ؛ فكيف فعلُهم في المال ؟ قال : يَجْبونه من غير حِلّة ، ويُنفقونه في غير حقّه . قال : فكيف فعلُهم في اليتيم ؟ قال : يظلمونه مالَه ، ويمنعونه حقّه ، وينيكون أُمّه . قال : ويلك يا أَبا حُزابة ! أَفمثلَ هؤلاء تتّبع ؟! قال : قد أجبتُ ، فاسمع سؤالي ودع عنكَ عتابي على رأيي ؛ قال : قل . قال : أَيُّ الخمر أَطيبُ : أَخمر السهل أَم خمر الجبل ؟ قال : ويلك ؛ أَتسأَل مثلي عن هذا ؟ قال : قد أَوْجبتَ على نفسك أَن تُجيب ؛ قال : أَمّا إذ أَبَيْتَ فإنّ خمر الجبل أَقوى وأَسكر ، وخمرَ السهل أَحسنُ وأَسلس . قال أَبو حُزابة : فأَيّ الزَّواني أَفْره : أَزواني رامَهُرْمُز[6] أَم زواني أَرَّجان ؟ قال : ويلك ! إنّ مثلي لا يُسأَل عن مثل هذا ؛ قال : لا بدّ من الجواب أَو تغدُر ؛ فقال : أَمّا إذ أَبيتَ فزواني رامَهُرْمُز أَرقّ أَبشاراً ، وزواني أَرَّجَان أَحسن أَبداناً . قال : فأَيّ الرجلَيْن أَشعر : أَجرير أَم الفرزدق ؟ قال : عليك وعليهما لعنة الله ؛ أَيّهما الذي يقول : [من الكامل]

---

1 في هذا البيت إقواء .
2 أكثر في ل : أحسن . ومقعص : يقال أقعصه بالرمح إذا طعنه فمات مكانه . والفائظ : الميت .
3 دير حميم : موضع بالأهواز .
4 هو خلاد بن يزيد الباهلي البصري صهر يونس بن حبيب النحوي .
5 هو الوليد بن حنيفة أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، شاعر من شعراء الدولة الأموية .
6 رامهرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان .

وطَوى الطِّرادُ مـع القِياد بطونَها طـيَّ التِّجـار بحَضْرَمَـوْتَ بُرُودَا

قال : جرير ؛ قال : فهو أشعرهما . قال : وكان الناس قد تجاذبوا في أمر جرير والفرزدق حتى تواثبوا وصاروا إلى المهلَّب محكِّمين له في ذلك ؛ فقال : أردتم أن أحكم بين هذين الكلبين المتهارشين فيمتضغاني ! ما كنتُ لأحكم بينهما ، ولكنّي أدلُّكم على مَن يحكم بينهما ثم يَهون عليه سِبابُهما ، عليكم بالشُّراة فسَلُوهم إذا تواقفتم . فلمّا تواقفوا سأل أبو حُزابة عبيدة بن هلال عن ذلك فأجابه بهذا الجواب .

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : حُدِّثت أنّ امرأةً من الخوارج كانت مع قَطَرِيّ بن الفُجاءة يقال لها أمّ حَكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملِهم وجهاً وأحسنِهم بدينهم تمسُّكاً ، وخَطبها جماعةٌ منهم فردّتهم ولم تُجِب إلى ذلك ؛ فأخبرني من شهدها أنّها كانت تحمل على الناس وترتجز : [من الرجز]

• أحمِلُ رأساً قد سئمتُ حَمْلَهْ وقد مَلِلْـت دَهْنَه وغسلَهْ

ألا فتىً يحملُ عنّي ثِقْلَهْ

قال : وهم يُفَدّونها بالآباء والأُمّهات ، فما رأيت قبلَها ولا بعدها مثلَها .

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثم بن فِراس قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال : كان عبيدة بن هلال إذا تكافَّ الناسُ ناداهم : ليخرجْ إليّ بعضُكم ؛ فيخرج إليه فِتْيان من العسكر ؛ فيقول لهم : أيّما أحبُّ إليكم : أقرأ عليكم القرآن أو أُنشدُكم الشعر ؟ فيقولون له : أمّا القرآن فقد عرفناه مثلَ معرفتك ، فأنشدْنا ؛ فيقول لهم : يا فَسَقةُ ، والله قد علمتُ أنّكم تختارون الشعرَ على القرآن ، ثم لا يزال يُنْشِدهم ويستنشدهم حتى يَمَلّوا ثم يفترقون .

[84] ـ أخبار سياط ونسبه

[نسبه وتلامذته]

سِيَاطٌ لقبٌ غلب عليه ، واسمُه عبد الله بن وهب ، ويُكْنى أبا وهب ، مكيّ مولى خُزاعة . وكانَ مقدَّماً في الغِناء روايةً وصنعةً ، ومقدَّماً في الضرب معدوداً في الضُّرّاب . وهو أُستاذ ابنِ جامع وإبراهيم الموصليّ ، وعنه أخذا ونَقلا ونقل نظراؤهما الغناءَ القديم ، وأخذه هو عن يونس الكاتب . وكان سياط زوجَ أُمِّ ابن جامع . وفيه يقول بعض الشعراء : [من الخفيف]

مـا سمعتُ الغناءَ إلاّ شَجاني ... مِـنْ سياطٍ وزادَ في وَسْواسي
غَنِّني يا سياطُ قد ذهب اللي ... ـل غناءً يَطير منـه نُعاسي
مـا أُبـالي إذا سمعـتُ غناءً ... لسياطٍ مـا فاتنـي للرُّؤاسي

والرؤاسيّ الذي عَناه هو عبّاس بن مِنْقار ، وهو من بني رُؤاس . وفيه يقول محمّد بن أبان الضَّبّيّ : [من الهزج]

إذا واخيـتَ عبّاساً ... فكُن منـه على وَجلِ
فتـىً لا يقبل العـذرَ ... ولا يرغب في الوصلِ
ومـا إن يتغنّى مَـنْ ... يُواخيـه مـن النُّبْلِ

[سبب تلقيبه بسياط]

قال حَمّاد بن إسحاق : لقّب سِيَاطٌ هذا اللقب لأنّه كان كثيراً ما يتغنّى : [من الوافر]

كأنّ مَزاحِـفَ الحيّـاتِ فيه ... قُبَيـلَ الصبح آثـارُ السِّياطِ

[مدح إبراهيم الموصليّ غناءه]

وأخبرني محمّد بن خَلَف قال حدَّثني هارون بن مخارق[1] عن أبيه ، وأخبرني به عبد الله بن عبّاس بن الفضل بن الربيع الربيعي عن وسواسة الموصليّ ، ولم أسمع أنا هذا الخبر من وسواسة ، عن حمّاد عن أبيه ، قالا :

[طلبه المهدي مع حبال وعقاب فظنّ الحاضرون أنّه يريد الإيقاع بهم]

غنّى إبراهيمُ الموصليّ يوماً صوتاً لسِياط ؛ فقال له ابنه إسحاق : لَمن هذا الغناء يا أبتِ ؟ قال : لَمن لو عاش ما وجد أبوك شيئاً يأكله : لسياط . قال : وقال المهديّ يوماً وهو يشرب

1 في ل : مخالف .

لسَلاّم الأَبرش[1] : جئني بسِياط وعقاب وحِبال ؛ فارتاع كلُّ مَن حضر وظنّ جميعهم أنّه يريد الإيقاعَ بهم أو ببعضهم ؛ فجاءه بسياط المغنّي وعقاب المدني ـ وكان الذي يُوقِع عليه ـ وحبال الزامر . فجعل الجلساء يشتمونهم والمهديّ يضحك .

[مرَّ بأبي ريحانة المدنيّ وهو في الشمس من البرد فغنّى له فشقّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني محمد بن خلف قال حدّثني أبو أيوب المدنيّ قال حدّثني حماد ابن إسحاق عن أبيه قال : مرَّ سياط على أبي ريحانة المدنيّ في يوم بارد وهو جالس في الشمس وعليه سَمَلُ ثوبٍ رقيق رَثّ ؛ فوثب إليه أبو ريحانة وقال : بأبي أنت يا أبا وهب ، غنّني صوتَك في شعر ابن جُنْدَب : [من الطويل]

فؤادي رَهينٌ في هواكِ ومهجتي تذوب وأجفاني عليك هُمولُ

فغنّاه إيّاه ، فشقّ قميصَه ورجع إلى موضعه من الشمس وقد ازداد برداً وجَهداً . فقال له رجل : ما أغنى عنك ما غنّاك من شقّ قميصك ! فقال له يا ابن أخي ، إنّ الشعر الحسنَ من المغنّي الحسنِ ذي الصوتِ المُطْرِب أدفأ للمقرور من حَمّام مُحمَّى . فقال له رجل : أنت عندي من الذين قال الله جلّ وعزّ : ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا من الذين قال الله تبارك وتعالى : ﴿الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾ . وقد أخبرني بهذا الخبر عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه فذكر قريباً من هذا ؛ ولفْظُ أبي أيّوب وخبرُه أتمّ .

وأخبرني إسماعيل بن يُونس الشِّيعيّ ، المعروف بابن أبي اليَسَعْ ، قال حدّثنا عمر بن شَبَّة : أنّ سِياطاً مَرَّ بأبي رَيْحانة المَدَنيّ ، فقال له : بحقّ القبر ومَنْ فيه غَنّني بلَحْنك في شعر ابن جُنْدب : [من الطويل]

لكلّ حَمامٍ أنت بـاكٍ إذا بكى ودمعُك منهـلٌّ وقلبـك يخفِـقُ
مخافةَ بُعْـدٍ بَعْـدَ قُرْبٍ وهجرةٍ تكونُ ولمّا تـأتِ والقلبُ مُشْفِقُ
ولي مهجةٌ ترفضُّ من خوف عَتْبها وقلبٌ بنار الحبّ يَصْلَى ويُحْرَقُ
أظلُّ خَلِيعاً بـين أهـلي متيَّمـاً وقلبـي لِما يرجـوه منهـا معلَّقُ

فغنّاه إيّاه ؛ فلمّا استوفاه ضرب بيده على[2] قميصه فشقّه حتى خرج منه وغُشي عليه .

فقال له رجل لمّا أفاق : يا أبا ريحانة ، ما أغنى عنك الغناء ! ثم ذكر باقيَ الخبر مثلَ ما تقدّم .

---

1 سلام الأبرش من النقلة القدماء الذين ترجموا من اللغات إلى اللغة العربية أيّام البرامكة .

2 في ل : إلى .

[سمع أبو ريحانة جارية تغنّي فشقّ قربتها واشترى لها عوضها]

أخبرني إسماعيل قال حدّثني عمر بن شبّة قال : مرّت جارية بأبي ريحانة يوماً على ظهرها قِربةٌ وهي تغنّي وتقول : [من الطويل]

وأبكي فلا ليلى بكتْ من صبابةٍ إليّ ولا ليلى لـذي الودّ تبذُلُ
وأخنع بالعُتْبى إذا كنتُ مُذنِباً وإن أذنبت كنتُ الذي أتنصّلُ

فقام إليها فقال : يا سيِّدتي أعيدي ؛ فقالت : مولاتي تنتظرني والقربة على ظهري ؛ فقال : أنا أحملها عنكِ ؛ فدفعتها إليه فحملها ، وغنّته الصوتَ ، فطرِب فرمى بالقربة فشقّها . فقالت له الجارية : أمِن حقّي أن أُغنّيَك وتشقّ قربتي ؟ فقال لها : لا عليك ، تعالَيْ معي إلى السّوق ؛ فجاءت معه فباع مِلْحَفتَه واشترى لها بثمنها قربةً جديدة . فقال له رجل : يا أبا ريحانة ، أنت والله كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَما رَبِحَتْ تِجارَتُهُمْ وَما كانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ؛ فقال : بل أنا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿الَّذين يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَه﴾ .

[مرَّ بأبي ريحانة المدنيّ وهو في الشمس من البرد فغنّى له فشقّ ثوبه وبقي في البرد]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدّثني أبو العَيْناء قال قال إسحاق الموصليّ : بلغني أنّ أبا رَيْحانة المدنيّ كان جالساً في يوم شديد البرد وعليه قميصٌ خَلَق رَقيق ؛ فمَرَّ به سِيَاط المغنّي فوثب إليه وأخذ بلِجامه وقال له : يا سيِّدي ، بحقّ القبر ومَنْ فيه غنّني صوتَ ابن جُنْدب ، فغنّاه : [من الطويل]

فؤادي رهينٌ في هَواكِ ومُهجتي تَذُوبُ وأجفاني عليك هُمولُ

فشقّ قميصَه حتى خرج منه وبقي عارياً وغُشي عليه ، واجتمع الناسُ حولَه وسِياطٌ واقفٌ متعجِّب ممّا فعل . ثم أفاق وقام إليه ؛ فرحمه سِياط وقال له : ما لك يا أبا مشئوم ؟ أيَّ شيء تريد ؟ قال : غنِّني بالله عليك : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامةَ حـان منكَ رَحِيلُ إنّ الوداع لمـن تحـبّ قليلُ
مثلُ القَضيب تمايلـتْ أعطافُه فالريح تجـذِب مَتْنـه فيَمِيلُ
إنْ كان شأنكُم الدّلال فإنّه حَسَنٌ دلالكِ يـا أُميمَ جَميلُ

فغنّاه إيّاه ؛ فلطَم وجهَه حتى خرج الدم من أنفه ووقع صريعاً . ومضى سياط ، وحمل الناس أبا ريحانة إلى الشمس . فلمّا أفاق قيل له : ويحك ؛ خرقتَ قميصَك وليس لك غيره ؛ فقال : دعوني ، فإنّ الغناء الحسن من المغنّي المطرب أدفأ للمقرور من حَمّام المهديّ إذا أُوقِد سبعةَ أيّام . قال : ووجّه له سِياط بقميص وجُبّة وسَراويلَ وعِمامة .

[زاره إبراهيم الموصليّ وابن جامع في مرضه فأوصى بالمحافظة على غنائه]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني أبو أيُّوب المدنيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله الخُزاعيّ وحَمّاد بن إسحاق جميعاً عن إسحاق قال : كان سياطٌ أُستاذَ أبي وأُستاذَ ابن جامع ومَن كان في ذلك العصر . فاعتلّ علّةً ، فجاءه أبي وابن جامع يعودانه . فقال له أبي : أعْزِز عليّ بعلّتك أبا وهب ! ولو كانت ممّا يُفتدى لفديتُك منها . قال : كيف كنتُ لكم ؟ قلنا : نِعْم الأُستاذ والسيِّد . قال : قد غنَّيتُ لنفسي ستِّين صوتاً فأُحبّ ألاّ تغيّروها ولا تنتحلوها . فقال له أبي : أفعلُ ذلك يا أبا وهب ، ولكن أيّ ذلك كرهتَ : أن يكون في غنائك فضلٌ فأُقصّر عنه فيُعرَف فضلُك عليّ فيه ، أو أن يكونَ فيه نقصٌ فأُحسنه فيُنسب إحساني إليك ويأخذه الناس عنّي لك ؟ [قال] : لقد استعفيتَ من غير مكروه . قال الخزاعيّ في خبره : ثم قال لي إسحاق : كان سياط خُزاعيّاً ، وكان له زامر يقال له حِبال ، وضارب يقال له عقاب . قال حمّاد قال أبي : أدركتُ أربعةً كانوا أحسنَ الناس غناء ، سِياطٌ أحدُهم . قال : وكان موتُه في أوّل أيّام موسى الهادي .

[زاره ابن جامع في مرض موته فأوصاه بالمحافظة على غنائه]

أخبرني يحيى قال حدَّثنا أبو أيّوب عن مصعَب قال : دخل ابن جامع على سِياط وقد نزل به الموتُ ؛ فقال له : ألكَ حاجة ؟ فقال : نعم ، لا تَزِد في غنائي شيئاً ولا تنقُص منه ، دعه رأساً برأس ، فإنّما هو ثمانيةَ عشرَ صوتاً .

[دعاه إخوان له فمات عندهم فجأة]

أخبرنا محمّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حمّاد قال حدَّثني محمَّد بن حَديد أخو النَّضْر بن حديد : أنَّ إخواناً لسياط دعَوْه ، فأقام عندهم وبات ، فأصبحوا فوجدوه ميِّتاً في منزلهم ، فجاءوا إلى أمِّه وقالوا : يا هذه ، إنّا دعونا ابنَك لنُكرمه ونُسَرَّ به ونأنَس بقربه فمات فجأة ، وها نحن بين يديك فاحتكمي ما شئتِ ، ونَشَدْناكِ الله ألاّ تعرّضينا للسلطان أو تَدّعي فيه علينا ما لَم نفعلْه . فقالت : ما كنتُ لأفعل ، وقد صَدَقتم ، وهكذا مات أبوه فجأة . فجاءت معنا فحملته إلى منزلها فأصلحت أمره ودفنته . وقد ذُكرت هذه القصَّةُ بعينها في وفاة نُبَيْه المغنّي ، وخبره في ذلك يُذكر مع أخباره إن شاء الله تعالى .

[غنّى أحمد بن المكّيّ إبراهيم بن المهديّ صوتاً فاستحسنه]

أخبرنا يحيى بن عليّ وعيسى بن الحسين الزيّات ، واللفظ له ، قالا حدَّثنا أبو أيّوب قال حدَّثنا أحمد بن المَكّيّ قال : غَنَّيتُ إبراهيمَ بن المهديّ لسياط : [من الخفيف]

ضافَ قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِي

فاستحسنه جدّاً ، وقال لي : ممّن أخذتَه ؟ قلت : من جارية أبيك قُرَشِيَّةَ الزَّبّاء ؛ فقال : أُشعرتُ أنّه كان لأبي ثلاثُ جوارٍ مُحسنات كلُّهنّ تسمّى قرشيّةً ، منهنّ قرشيّة الزبّاء وقرشيّة السوداء وقرشيّة البيضاء ، وكانت الزبّاء أحسنَهنّ غناء ، يعني التي أخذتُ منها هذا الصوت ، قال : وكنت أسمعها كثيراً تقول : قد سمعت المغنّين وأخذت عنهم وتفقّدتُ أغانيَهم ، فما رأيتُ فيهم مثلَ سِياط قطّ . هذه الحكاية من رواية عيسى بن الحسين خاصّة .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الخفيف]

ضاف قلبي الهوى فأكْثر سَهْوِي وجَوَى الحبِّ مُفظِعٌ غيرُ حُلْوِ
لـو عـلا بعضُ ما علاني ثَبِيراً ظَلَّ ضَعْفاً ثبيرُ مِن ذاك يَهْوِي
مَن يكن من هوى الغواني خَلِيّاً يـا ثِقاتـي فإنّنـي غيرُ خِلْوِ

الغناء لسياط ثاني ثقيل بالوسطى في مجراها عن إسحاق .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يـا أُمَّ عمرو لقد طالبتُ ودّكُم جُهدي وأعْذرتُ فيـه كلَّ إعذارِ
حتى سَقِمتُ ، وقد أصبحتِ سالمةً ممّـا أُعالـج مـن هـمٍّ وتَذكارِ

لم يُسَمَّ قائلُ هذا الشعر . والغناء للرَّطّاب . والرَّطّاب مدنيّ قليل الصنعة ليس بمشهور . وقيل له الرَّطّاب لأنّه كان يبيع الرُّطَب بالمدينة . ولحنُه المختار هزجٌ بالوسطى .

صوت

من المائة المختارة

[من مخلّع البسيط]

تَصَدّع الأُنسُ الجميعُ أمْسى فقلبي به صُدوعُ[1]
في إثرهم وجفونُ عيني مُخْضَلّـةٌ كلّهـا دُموعُ

1 الأُنسُ : الحي المقيمون .

لم يُسمّ لنا قائل هذا الشعر ولا عرَفْناه . والغناء لدُكَين بن يزيد الكُوفيّ . ولحنه المختار من خفيف الثقيل بالوسطى ، وهكذا ذكر إسحاق في الأَلحان المختارة للواثق . وذكر هذا الصوتَ في مُجَرَّد شجا فنسبه إلى دَكين ، وجنّسه في الثقيل الأَوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . وذكر أيضاً فيه لحناً من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالخنصر في مجرى البنصر ، فزعم أنّه ينسب إلى مَعْبد وإلى الغَرِيض . وفيه بيتان آخران وهما :

فالقلبُ إن سِيمَ عنكِ صبراً كُلِّف ما ليس يستطيعُ
عاصٍ لمن لام في هواكمْ وهْوَ لكمْ سامعٌ مطيعُ

ولم أجد لدكين بن يزيد هذا خبراً ولا له شهرة غيره من المغنّين .

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا أيُّها الرجلُ الذي قد زان منطقَه البيانُ
لا تَعتبنّ على الزما نِ فليس يُعْتِبك الزمانُ

الشعر لعبد الله بن هارون العَرُوضيّ . والغناء لنُبَيه المُغَنّي ، ولحنه المختار ثقيل أَوّل بالبنصر .

فأمّا عبد الله بن هارون فما أعلم أنّه وقع إليّ له خبرٌ إلاّ ما شُهر من حاله في نفسه . وهو عبد الله بن هارون بن السَّمَيْدع ، مولى قريش ، من أهل البصرة . وأخذ العروضَ من الخليل بن أحمد ، فكان مقدَّماً فيه . وانقطع إلى آل سليمان بن علي وأدَّب أولادَهم ، وكان يمدحهم كثيراً ، فأكثرُ شعره فيهم . وهو مُقِلّ جدّاً . وكان يقول أوزاناً من العروضِ غريبةً في شعره ، ثم أخذ ذلك عنه ونحا نحوه فيه رُزَين العَرُوضيّ فأتى فيه ببدائعَ جَمّة ، وجعل أكثَر شعره من هذا الجنس . فأمّا عبد الله بن هارون فما عرفت له خبراً ولا وقع إليّ من أمره شيء غير ما ذكرتُه .

[85] ـ ذكر نُبيه وأخباره

[نسبه وأصله وشعره وسبب تعلّمه الغناء]

زعم ابن خُرْدَاذْبه أنّه رجل من بني تَمِيم صَلِيبةٌ ، وأنّ أصلَه من الكوفة ، وأنّه كان في أوّل أمره شاعراً لا يغنّي ، ويقول شعراً صالحاً . فهوِيَ قينة ببغداد فتعلّم الغناء من أجلها وجعله سبباً للدخول عليها ؛ ولم يزل يتزيَّد حتى جَادَ غناؤه وصنَع فأحسن واشتهر ، ودُوِّن غناؤه وعُدّ في المُحسِنين . فممّا قاله في هذه الجارية وغنّى فيه قولُه : [من الكامل]

صوت

يا ربِّ إنّي ما جفوتُ وقد جفتْ ... فإليك أشكو ذاكَ يا ربّاهْ
مولاةُ سَوْءٍ ما تَرِقُّ لعبدها ... نِعْم الغلامُ وبئستِ المولاهْ
يا ربِّ إن كانت حياتي هكذا ... ضرراً عليَّ فما أُريدُ حياهْ

الغناء لنُبَيه ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . ومن الناس مَن يَنسِب الشعر والغناء إلى عُلَيّة بنت المهديّ .

[سمع مخارق مدح إبراهيم الموصليّ لغنائه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : قلت لمخارق ، وقد غنّى هذا الصوت يوماً : [من الطويل]

متى تجمع القلبَ الذكيّ وصارماً ... وأنفاً حَمِيّاً تَجْتنِبْك المظالمُ[1]

فسألته لَمن هو ؛ فقال : هذا لنُبَيه التَّمِيميّ ؛ وكان له أخوان يقال لهما مُنبِّه ونَبْهان ، وكان ينزل شَهارْسُوج[2] الهيثم في درب الرَّيْحان . قال أبو زيد : وسمعتُ مخارقاً يحدِّث إسحاق بن إبراهيم قال سمعتُ أباك إبراهيم بن مَيْمون يقول وقد ذكر نُبَيْهاً : إن عاش هذا الغلام ذهب خَبرُنا . قال : وكنتُ قد غنّيته صوتاً أخذته عنه ، وهو : [من الطويل]

شكوتُ إلى قلبي الفراقَ فقال لي ... مِن الآن فايْأس لا أغُرّك بالصبرِ

---

1 هذا البيت من قصيدة لعمرو بن براق الشّاعر .

2 شهارسوج الهيثم : محلّة من محال بغداد .

إذا صَدَّ مَنْ أَهْوَى وأَسلمني العزا ففُرقة مَن أَهـوى أَحرُّ من الجمرِ

أَخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني ابن أَبي سعد[1] عن محمَّد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني عليّ بن المفضَّل قال : اصطبحنا يوماً أَنا ونُبَيْه عند عبيد الله بن أَبي غسّان ، فغنّانا نُبَيه لحنَه : [من مجزوء الكامل]

يا أَيُّها الرجل الذي قـد زان منطقَه البيانُ

فما سمعت أَحسنَ منه ، وكان صوتُنا عليه بقيّةَ يومنا . ثم أَردنا الانصراف ، فسأَلنا عُبيد الله أَن نَبيتَ عنده ونصطبح من غدٍ فأَجبناه . وقال لنُبَيْه : أَيَّ شيء تشتهي أَن يُصلَح لك ؟ قال : تشتري لي غزالاً فتُطعمني كبدَه كَباباً ، وتجعل سائر ما آكله من لحمه كما تحبّ ؛ فقال : أَفعل . فلمّا أَصبحنا جاءه بغزال فأَصلحه كما أَحبّ . فلمّا استوفى أَكْلَه استلقى لينام ، فحرّكناه فإذا هو ميت ، فجزعْنا من ذلك . وبعث عبيدُ الله إلى أُمّه فجاءت فأَخبرها بخبره . فلمّا رأَته استرجَعَتْ[2] ثم قالت : لا بأس عليكم ؛ هو رابع أَربعة ولدتُهم كانت هذه مِيتَتهم جميعاً ومِيتةَ أَبيهم من قبلهم ؛ فسكنّا إلى ذلك . وغُسِّل في دار عُبيد الله وأُصلح شأنه وصُلِّي عليه ، ومضينا به إلى مقابرهم فدُفن هناك .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وقفتُ على رَبْعٍ لسُعْدَى وعَبْرتي تَرَقْـرَقُ في العينـين ثـم تَسِيلُ

أسائل ربعـاً قـد تعفّـتْ رسومُه عليـــه لأَصنافِ الريـاحِ ذُيولُ[3]

لم يُسمَّ لنا قائل هذا الشعر . والغناء لسُلَيم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

1 هو عبد الله بن أَبي سعد .

2 استرجع في المصيبة : استعاذ وقال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون .

3 الذّيول من الريح : ما تتركه في الرّمل كأثر ذيل مجرور .

[86] ـ أَخبار سُلَيْم

[انقطع إلى إبراهيم الموصليّ وهو أمرد فأحبّه وعلّمه]

هو سُلَيم بن سَلاّم الكُوفيّ ، ويُكنى أبا عبد الله . وكان حسنَ الوجه حسنَ الصوت . وقد انقطع وهو أمردُ إلى إبراهيمَ الموصليّ ، فمال إليه وتعشّقه ، فعلّمه وغنّاه وناصحه ، فبرُع وكثُرت روايتُه ، وصنع فأجاد . وكان إسحاق يهجوه ويطعنُ عليه . واتّفق له اتّفاقٌ سيىء : كان يخدُم الرشيدَ فيتّفق مع ابن جامع وإبراهيم وابنِه إسحاق وفُلَيح بن العَوْراء وحَكَم الواديّ فيكون بالإضافة إليهم كالساقط . وكان من أبخل الناس ، فلمّا مات خلّف جملة عظيمة وافرة من المال ؛ فقبضها السلطان عنه .

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه : أنّ إسحاق قال في سُلَيم : [من الطويل]

سُليمُ بنُ سَلاّم على بَرْدِ خَلْقه أحرُّ غِناءً من حُسينِ بنِ مُحْرِزِ

[سأل الرشيد برصوما عنه وعن أربعة من المغنّين فأجابه]

وأخبرنا إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه عن إسحاق : أنّ الرشيد قال لبَرصُوما الزامر وكانت فيه لُكْنة ما تقولُ في ابن جامع ؟ قال : زِقٌّ من أسَل (يريد من عسل) . قال : فإبراهيم ؟ قال : بستان فيه فاكهة وريحان وشوك . قال : فيَزيد حَوْراء ؟ قال : ما أبْيدَ أسنانه ! (يريد ما أبيض) . قال : فَحُسين بن مُحْرِز ؟ قال : ما أهسن خظامه ! (يريد ما أحسن خضابَه) . قال : فسُلَيم بن سَلاّم ؟ قال : ما أنظف ثيابه !

[نصحه برصوما في موضع غناء فضحك الرشيد]

قال إسماعيل بن يونس في خبره عن عمر بن شَبّة عن إسحاق : وغنّى سُلَيم يوماً وبَرْصُوما يزمِرُ عليه بين يديّ الرشيد ، فقصّر سُلَيم في موضع صيحة ، فأخرج برصوما النايَ من فِيه ثم صاح به وقال له : يا أبا عبد الله ، صَيهة أشدّ من هذا ، صيهة أشدّ من هذا ؛ فضحك الرشيد حتى استلقى . قال : وما أذكر أنّي ضحكت قطُّ أكثرَ من ذلك اليوم .

[كان يجيد الأهزاج فغنّى الرشيد فوصله]

أخبرني محمّد بن مَزيد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال محمّد بن الحسن بن مصعَب : إنّما أخّر سُلَيماً عن أصحابه في الصنعة وَلَعُه بالأهزاج ، فإن ثُلُثَي صنعته هَزَج ، وله من ذلك ما ليس لأحدٍ منهم . قال : ثم قال محمّد : غنّى سُلَيم يوماً بين يديّ الرشيد ثلاثةَ أصواتٍ من الهَزَج ولاءً ، أوّلها : [من الرمل]

مُتْ على مَن غبتَ عنه أَسَفا

والثاني : [من السريع]

أسرفتَ في الإعراض والهَجْر

والثالث : [من مخلّع البسيط]

أصبح قلبـي بـه نُـدوبُ

فأطربه وأمر له بثلاثين ألف درهم ، وقال [له] : لو كنتَ الحَكَم الوادي ما زِدْتَ على هذا الإحسان في أهزاجك . (يعني أنّ الحكم كان منفرداً بالهزج) .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من الرمل]

مُتْ على مَن غبتَ عنه أسفا ... لستَ منـه بمصِيب خَلَفا
لن تَـرى قُـرَّة عينٍ أبداً ... أوْ تـرى نحوَهـمُ مُنْصَرفا
قلتُ لمّا شفَّني وجدي بهم ... حَسْبِيَ اللهُ لِمَا بـي وكفى
بَيّن الدمـعُ لمَـن أبصرني ... ما تضمّنتُ إذا مـا ذَرَفا

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان ، أحدهما في الأوّل والثاني هَزَج بالوسطى ، والآخر في الثالث والرابع خفيفُ رملٍ بالبنصر مطلق . وفيهما لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

أسرفتَ في الإعراض والهجرِ ... وجُزْتَ حـدَّ التِّيـه والكبرِ
الهجرُ والإعراضُ من ذي الهوى ... سُلَّـمُ ذي الغـدر إلى الغدرِ
مالي وللهِجْران حَسْبي الذي ... مـرَّ على رأسي مـن الهجرِ
ودون ما جَرّبتُ فيما مضى ... مـا عرّف الخيرَ مـن الشرِّ

الغناء لسُلَيم هزج بالبنصر .

ومنها : [من مخلّع البسيط]

صوت

أصبح قلبي بـه نُدوبُ أنْدَبـه الشادِنُ الرَّبيبُ
تَمادِياً منـه في التّصابي وقد عـلا رأسيَ المَشِيبُ
أظنّنـي ذائقـاً حِمامي وأنّ إلمامَـه قريـبُ
إذا فؤادٌ شجاه حـبٌّ فقلَّمـا ينفَـعُ الطبيبُ

الشعر لأبي نُواس . والغناء لسُلَيم ، وله فيه لحنان : خفيف رمل بالبنصر عن إسحاق ، وهزج بالوسطى عن الهشاميّ . وزعَمتْ بَذْلُ أنّ الهزج لها .

[كان أبوه من دُعاة أبي مسلم]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا أحمد بن أبي طاهر قال حدَّثني هارون بن مخارق عن أبيه قال : كان سُلَيم بن سَلاّم كوفيّاً ، وكان أبوه من أصحاب أبي مُسلم صاحب الدولة ودُعاتِه وثِقاته ، فكان يكاتبُ أهلَ العراق على يده . وكان سُلَيم حسنَ الصوت جَهيرَه ، وكان بخيلاً .

[دعا صديقين ولمّا جاءا اشتريا طعاماً فأكل معهما]

قال أحمد بن أبي طاهر وحدَّثني أبو الحواجب الأنصاريّ ، واسمه محمَّد ، قال : قال لي سُلَيم يوماً : امضِ إلى موسى بن إسحاق الأزرق فادْعُه وَوافِياني مع الظهر ؛ فجئناه مع الظهر ، فأخرج إلينا ثلاثين جارية مُحْسِنة ونبيذاً ، ولم يُطْعمنا شيئاً ، ولم نكن أكلنا شيئاً . فغمز موسى غلامَه فذهب فاشترى لنا خبزاً وبيضاً ، فأدخله إلى الكنيف وجلسنا نأكل ؛ فدخل علينا ، فلمّا رآنا نأكل غضب وخاصمنا وقال : أهكذا يفعل الناس ؟ تأكلون ولا تُطعموننني ؟ وجلس معنا في الكنيف يأكل كما يأكل واحد منّا حتى فَنِي الخبز والبيض .

[طلب من محمَّد اليزيديّ نظم شعر يغنّي به الخليفة ففعل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني الفضل بن محمَّد اليزيديّ قال حدَّثني أبي قال : كان سُلَيم بن سَلاَّم صديقي وكان كثيراً ما يغشاني . فجاءني يوماً وأعلمني الغلامُ بمجيئه ، فأمرتُ بإدخاله ، فدخل وقال : قد جئتك في حاجة ؛ فقلت : مقضيّة . فقال : إنّ المِهْرجان بعد غد ، وقد أُمرنا بحضور مجلس الخليفة ، وأُريد أن أُغنّيه لحناً أصنعه في شعرٍ لم يعرفه هو ولا مَنْ بحضرته ، فقُلْ أبياتاً أُغنّي فيها مِلاحاً ؛ فقلتُ : على أن تُقيم عندي وتصنع بحضرتي اللحن ؛ قال : أفعل . فردُّوا دابّته وأقام عندي ، وقلت : [من مجزوء الكامل]

أتيتُك عائـذاً بـك مِنْـ ـك لمّـا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هـواك وبـي لِحَيْنـي يُضرب المثلُ

فإن سَلِمتْ لكم نفسي فمـا لاقيتُـه جَلَـلُ
وإنْ قَتل الهـوى رجلاً فإنّـي ذلـك الرجـلُ

فغنَّى فيه وشربنا يومئذٍ عليه ، وغنّانا عدّةَ أصوات من غنائه ، فما رأيته مذ عرفته كان أنشطَ منه يومئذٍ .

[سرق محمَّد اليزيديّ معنيين من شعر مسلم بن الوليد]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني محمَّد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني عبد الله بن محمَّد اليزيديّ قال حدَّثني أخي محمَّد قال : سمعت أبي يقول : ما سَرَقت من الشعر قطُّ إلاّ معنيين : قال مسلم بن الوليد : [من الخفيف]

ذاكَ ظبيٌ تحيَّر الحسنُ في الأر كانِ منـه وجـال كلَّ مكانِ
عرضتْ دونَه الحجالُ فما يَلْـ ـقاك إلاّ في النَّومِ أو في الأَماني

فاستعرت معناه فقلت : [من مجزوء الرمل]

صوت

يـا بعيدَ الدّارِ موصو لاً بقلبـي ولساني[1]
ربّمـا باعَـدَك الدهـ ـرُ فأدنتْـك الأمـاني

الغناء في هذين البيتين لسُلَيم هزج بالبنصر عن الهشاميّ .

قال : وقال مسلم أيضاً : [من الوافر]

متى ما تسمعي بقتيلِ أرضٍ فإنّي ذلـك الرجـل القتيلُ

ويُروى : «أُصيبَ فإنَّني ذاك القتيل» فقلت : [من مجزوء الكامل]

أتيتُكَ عائذاً بـك مِنْـ ـك لمّا ضاقت الحِيَلُ
وصيّرني هـواك وبي لِحَيْنـي يُضـرب المثلُ
فإن سَلِمتْ لكم نفسي فمـا لاقيتُـه جَلَـلُ
وإن قَتـل الهـوى رجلاً فإنّـي ذلـك الرجـلُ

[غنَّى مخارقاً صوتاً ، فلمّا بلغ ابن المهديّ طلبه وغنّاه إيّاه]

وجدت في كتاب عليّ بن محمّد بن نصر عن جدّه حمدون بن إسماعيل ، ولم أسمعه من أحد : أنّ إبراهيمَ بن المهديّ سأل جماعةً من إخوانه أن يصطبحوا عنده ، قال حمدون : وكنتُ فيهم ،

1 نسبت هذه الأبيات ليحيى بن المبارك اليزيديّ في وفيات الأعيان لابن خلّكان 344/2 .

وكان فيمَن دعا مُخارِق ، فسار إليه وهو سكران لا فضلَ فيه لطعام ولا لشراب ، فاغتمَّ لذلك إبراهيم وعاتبه على ما صنع ؛ فقال : لا والله أيّها الأمير ، ما كان آفتي إلاّ سُلَيم بن سلاّم ؛ فإنّه مرَّ بي فدخل عليَّ فغنّاني صوتاً له صنعه قريباً فشربت عليه إلى السَّحَر حتّى لم يبقَ فيَّ فضلٌ وأخذتُه . فقال له إبراهيم : فَغنِّناه إملالاً[1] ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ نَدْماني فباكـرْ مُدامـةً معتَّقةً زُفَّـــت إلى غيرِ خاطبِ
إذا عُتِّقَت في دَنّهـا العامَ أقبلتْ تَردّى رداءَ الحسنِ في عين شاربِ[2]

الغناء لسُلَيم خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر قال فبعث إبراهيم إلى سُلَيم فأحضره ، فغنّاه إيّاه وطرَحه على جواريه وأمر له بجائزة ، وشربنا عليه بقيَّةَ يومنا حتى صِرْنا في حالة مُخارق وصار في مثل أحوالنا .

صوت

من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

عَتَق الفـــؤادُ مـــن الصِّبا ومـــن السَّفاهـة والعلاقِ
وحَطَطتُ رحـــلي عن قَلو ص الحـبّ في قُلُصٍ عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْـ ـمجرور عن قدمي وساقي
وكففتُ غربَ النفسِ حتّى مـــا تَتُـــوق إلى مَتـــاقِ

لم يقع إلينا قائلُ هذا الشعر . والغناء لابن عَبّاد الكاتب ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لغيره ، بل قِيل : إنّه لعمرو .

1 يريد : غنّنا إيّاه كما أخذته عنه من غير زيادة ولا نقص .
2 تردّى فلان : لبس الرداء .

[87] ـ أخبار ابن عبّاد

[نسبه وكنيته وصناعته]

هو محمّد بن عَبّاد ، مولى بني مخزوم ، وقيل : إنّه مولى بني جُمَح ، ويُكْنى أبا جعفر . مكّي ، من كبراء المغنّين من الطبقة الثانية منهم . وقد ذكره يونس الكاتب فيمن أخَذ عنه الغناء ، مُتقِن الصنعة كثيرُها . وكان أبوه من كتّاب الدِّيوان بمكّة ؛ فلذلك قيل ابنُ عبّاد الكاتب .

[قابله مالك وطلب منه الغناء ففعل فذمّه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ عن أبي خالد الكِنانيّ عن ابن عبّاد الكاتب قال : والله إنّي لأمشي بأعلى مكّة في الشِّعب[1] ، إذ أنا بمالك على حمار له ومعه فتيان من أهل المدينة ، فظننتُ أنّهم قالوا له : هذا ابن عبّاد ؛ فمال إليّ فمِلْتُ إليه ؛ فقال لي : أنت ابن عبّاد ؟ قلت : نعم ؛ قال : مِلْ معي هاهنا ، فملت معه ؛ فأدخلني شعبَ ابن عامر ثم أدخلني دِهليز ابن عامر وقال : غنّني ؛ فقلت : أغنّيك هكذا وأنت مالِك ! وقد كان يبلغني أنّه يثلِبُ أهلَ مكّة ويتعصَّب عليهم ، فقال : بالله إلاّ غنَّيتَني صوتاً من صنعتك . فاندفعتُ فغنّيته : [من الوافر]

صوت

ألاَ يـا صاحبـيّ قِفـا قليـلاً عـلى ربـع تقـادمَ بـالمُنيفِ[2]
فأمستْ دورهم شَحِطَت وبانت وأضحى القلبُ يخفِقُ ذا وجيفِ

وما غنَّيته إيّاه إلاّ على احتشام . فلمّا فرغتُ نظر إليَّ وقال لي : قد والله أحسنتَ ! ولكنّ حَلْقكَ كأنّه حلقُ زانية . فقلت : أمّا إذ أفلت منك بهذا فقد أفلتُّ . وهذا اللحنُ من صدور غناء ابنِ عبّاد . ولحنه من الثقيل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

---

1 في ل : العشر .

2 المنيف : موضع وهو ماء ببلاد مزينة من أرض الحجاز وقيل : حصن باليمن .

[وفاته ببغداد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى وعيسى بن الحسين قالا حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال حدّثني جماعة من أهل العلم : أنّ ابنَ عبّاد الكاتب توُفّي ببغداد في الدولة العبّاسيّة ودُفن بباب حرب[1] . وقال أبو أيّوب : أظنّه فيمَن قدِم من مُغنّي الحجاز على المهديّ .

صوت

من المائة المختارة

[من السريع]

يـا طـلاً غيَّره بَعـدِي صوبُ رَبيع صادق الرعدِ
أراكَ بعد الأُنسِ ذا وَحْشَةٍ لستَ كما كنتَ على العهدِ[2]
مـا لي أُبَكّـي طلَلاً كلّما ساءلتُـه عَـيَّ عـن الردِّ
كان بـه ذو غُنُج أهْيَفٌ أحْـورُ مطبـوعٌ على الصَّدِّ

لم يُسمِّ أبو أحمد[3] قائلَ هذا الشعر . والغناء ليحيى المكّيّ ، ولحنه المختار من الهزج بالوسطى .

1 باب حرب : موضع ببغداد .
2 ذا في ل : في .
3 أبو أحمد هو يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم .

[88] ـ أخبار يحيى المكّيّ ونسبه

[اسمه وكنيته وكتمانه ولاءه لبنى أُميّة لخدمته الخلفاء من بني العبّاس]

هو يحيى بن مرزوق ، مولى بني أُميّة ، وكان يَكْتُم ذلك لخدمته الخلفاءَ من بني العبّاس خوفاً من أن يجتنبوه ويحتشموه ؛ فإذا سُئل عن وَلائه انتمى إلى قريش ولم يَذْكر البطنَ الذي ولاؤه لهم ، واستعفى مَن سأله عن ذلك . ويُكنى يحيى أبا عثمان . وذكر ابن خُرْدَاذْبهْ أنّه مولى خُزاعة . وليس قولُه ممّا يحصَّل ، لأنّه لا يَعْتمد فيه على رواية ولا دِرَاية .

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع أبو بكر الرَّبيعي صديقنا رحمه الله قال حدَّثني وَسْواسة بن الموصليّ ، وقد لقيتُ وسواسة هذا ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم وكان معلّماً ، ولم أسمع هذا منه فكتبتُه وأشياءَ أُخَر عن أبي بكر رحمه الله ، قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال قال لي أبي : سألت يحيى المكّيّ عن ولائه ، فانتمى إلى قريش ؛ فاستزدتُه في الشَّرح فسألني أن أعفيَه .

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق ويحيى بن عليّ بن يحيى قالا حدَّثنا أبو أيّوب المدينيّ قال : كان يحيى المكّيّ يُكنى أبا عثمان ، وهو مولى بني أُميّة ، وكان يكتم ذلك ويقول : أنا مولى قريش .

[مدحه أبان اللاحقي وعارض الأعشى في مدح دحمان]

ولمّا قال أعشى بني سُلَيم يمدحُ دَحْمان : [من البسيط]

كانوا فحولاً فصاروا عند حَلْبتهم ... لمّا انبرى لهمُ دَحْمان خِصيانا

فأبلِغوه عن الأعشى مقالتَه ... أعشى سُلَيم أبي عمرو سُليمانا

قولوا يقول أبو عمرو لصُحْبته ... يا ليتَ دحمانَ قبل الموت غنّانا[1]

قال أبان بن عبد الحميد اللاحقيّ ، ويقال إنّ ابنه حَمْدان بن أبان قالها . والأشبه عندي أنّها لأبان ، وما أظنّ ابنه أدرك يحيى : [من البسيط]

يا مَنْ يُفضّل دحماناً ويمدحه ... على المغنّين طُرّاً قلتَ بهتانا

لو كنتَ جالستَ يحيى أو سمعتَ به ... لم تمتدحْ أبداً ما عشتَ إنسانا

1 الموت في ل : اليوم .

ولم تقُل سَفَهاً في مُنيةٍ عَرَضتْ يا ليت دحمانَ قبل المـوت غنّانا
لقـد عجِبـتُ لدحمانٍ ومادِحه لا كان مـادحُ دحمانٍ ولا كانا
مـا كان كابن صغير العين إذ جرَيا بل قام في غاية المجرى وما دانَى
بـذّ الجيـادَ أبو بكـرٍ وصيّرها من بعدِ ما قَرِحتْ جُذْعاً وثُنْيانا[1]

يعني بأبي بكر ابنَ صغير العين ، وهو من مغنّي مكّة . وله أخبار تُذكَر في موضعها إن شاء الله تعالى .

[منزلته في الغناء وتلاميذه]

وعُمّر يحيى المكّي مائةً وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لَم يُصبه أحد من نظرائه ، ومات وهو صحيح السمع والبصر والعقل . وكان قدِم مع الحجازيين الذين قدموا على المهديّ في أوّل خلافته ، فخرج أكثرُهم وبقي يحيى بالعراق هو وولده يَخدِمون الخلفاء إلى أن انقرضوا . وكان آخرهم محمَّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ ، وكان يغنّي مرتجلاً ، ويحضُر مجلسَ المعتمد مع المغنّين فيُوقِع بقضيب على دواة . ولَقِيَه جماعة من أصحابنا ، وأخذ عنه جماعةٌ ممّن أدركنا من عجائز المغنّيات ، منهم قمريّة العَمْريّة ، وكانت أمَّ ولد عمرو بن بانة . وممّن أدركه من أصحابنا جَحْظة ، وكتبنا عنه عن ابن المَكّيّ هذا حكاياتٍ حسنة من أخبار أهله . وكان ابن جامع وإبراهيم الموصليّ وفُلَيْح يفزَعون إليه في الغناء القديم ويأخذونه عنه ، ويعايي بعضُهم بعضاً بما يأخذه منه ويُغرب به على أصحابه ؛ فإذا خرجتْ لهم الجوائز أخذوا منها ووفّروا نصيبَه . وله صنعةٌ عجيبة نادرة متقدّمة . وله كتابٌ في الأغاني ونسَبها وأخبارها وأجناسها كبيرٌ جليل مشهور ، إلاّ أنّه كان كالمطَّرِح عند الرّواة لكثرة تخليطه في رواياته . والعملُ على كتاب ابنه أحمد ، فإنّه صحّح كثيراً ممّا أفسده أبوه ، وأزال ما عرَفه من تخاليط أبيه ، وحقّق ما نسبه من الأغاني إلى صانعه . وهو يشتمل على نحو ثلاثة آلاف صوت .

[عمل كتاباً في الأغاني وأهداه لعبد الله بن طاهر فصحّحه ابنه لمحمّد بن عبد الله]

أخبرني عبد الله بن الرَّبيع قال حدّثني وَسْواسة بن الموصلي قال حدّثني محمد بن أحمد بن يحيى المكّي قال : عَمِل جدّي كتاباً في الأغاني وأهداه إلى عبد الله بن طاهر ، وهو يومئذٍ شابّ حديثُ السنّ ، فاستحسنه وسُرَّ به ؛ ثم عرَضه على إسحاق فعرّفه عواراً كثيراً في نِسَبه ، لأنّ جدّي كان لا يصحّح لأحد نسبه صوت ألبتّة ، وينسِبُ صنعته إلى المتقدّمين ، وينحل بعضَهم صنعةَ بعض ضنّاً بذلك على غيره ، فسقط من عين عبد الله وبقي في خِزانته ؛ ثم وقع إلى

1 قرح الفارس : صار قارحاً وهو الذي شقّ نابه وطلع . الجذع : ما كان في الثانية من سنه . وثنيان جمع ثني وهو ما كان في الثالثة من سنه .

محمَّد بن عبد الله ، فدعا أبي ، وكان إليه محسناً وعليه مُفْضِلاً ، فعَرضه عليه ؛ فقال له : إنّ في هذه النِّسب تخليطاً كَثيراً ، خلّطها أبي لضنّه بهذا الشأن على الناس ، ولكنّي أعمل لك كتاباً أصحّح هذا وغيرَه فيه . فعمل له كتاباً فيه اثنا عشر ألف صوت وأهداه إليه ، فوصله محمَّد بثلاثين ألف درهم . وصحّح له الكتابَ الأوّل أيضاً فهو في أيدي الناس . قال وَسْواسة : وحدَّثني حمّاد أنّ أباه إسحاق كان يقدّم يحيى المكّيّ تقديماً كثيراً ويفضّله ويناضل أباه وابنَ جامع فيه ، ويقول : ليس يخلو يحيى فيما يَرويه من الغناء الذي لا يعرفه أحدٌ منكم من أحد أمرين : إمّا أن يكون مُحقّاً [فيه] كما يقول ، فقد علم ما جهلتم ، أو يكون من صنعته وقد نحله المتقدّمين ، كما تقولون ، فهو أفضل [له] وأوضح لتقدّمه عليكم . قال : وكان أبي يقول : لولا ما أفسد به يحيى المكّيّ نفسَه من تخليطه في رواية الغناء على المتقدّمين وإضافته إليهم ما ليس لهم وقلّة ثَباته على ما يَحكيه من ذلك ، لمّا تقدّمه أحد . وقال محمَّد بن الحسن الكاتب : كان يحيى يخلّط في نِسَب الغناء تخليطاً كثيراً ، ولا يزال يصنع الصوتَ بعد الصوت يتشبّه فيه بالغريض مرّة وبمعبد أخرى وبابن سُريج وابن مُحرز ، ويجتهد في إحكامه وإتقانه حتى يشتبه على سامعه ؛ فإذا حضر مجالس الخلفاء غنّاه على ما أحدث [فيه] من ذلك ، فيأتي بأحسن صنعة وأتقنها ، وليس أحد يعرفها ؛ فيُسأل عن ذلك فيقول : أخذته عن فلان وأخذه فلان عن يونس أو عن نظرائه من رواة الأوائل ، فلا يُشَكّ في قوله ، ولا يَثْبُت لمباراته أحد ، ولا يقوم لمعارضته ولا يفي بها ؛ حتى نشأ إسحاق فضبط الغناء وأخذه من مَظانّه ودوّنه ، وكشف عَوار يحيى في منحولاته وبيّنها للناس .

[أظهر إسحاق غلطه فأرسل له هدايا وعاتبه]

أخبرني عمّي [قال] سمعتُ عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر يذكر عن أحمد بن سعيد المالكيّ ، وكان مغنّياً منقطعاً إلى طاهر وولده وكان من القوّاد ، قال : حضرتُ يحيى المكّيّ يوماً وقد غَنى صوتاً فسُئل عنه فقال : هذا لمالك ، ولم يحفظ أحمد بن سعيد الصوتَ ، ثم غنّى لحناً لمالك فسُئل عن صانعه فقال : هذا لي ؛ فقال له إسحاق : قلتَ ماذا ؟ فديتُك ، وتضاحك به . فسئل عن صانعه فأخبر به ، ثم غنّى الصوتَ . فخجل يحيى حتى أمسك عنه ؛ ثمّ غنّى بعد ساعة في الثقيل الأوّل ، واللحن : [من مخلّع البسيط]

صوت

إنّ الخَليطَ أجَدّ فاحتَملا ... وأراد غيظَك بالذي فعلا

فظَلِلْتَ تأمُل قربَ أوبتهم ... والنفسُ ممّا تأمُل الأملا

فسُئل عنه فنسبه إلى الغَريض ، فقال له إسحاق : يا أَبا عثمان ، ليس هذا من نَمَط الغَريض ولا طريقته في الغناء ، ولو شئتَ لأَخذتَ مالَكَ وتركتَ للغريض مالَه ولم تَتْعَب . فاستحيا يحيى ولم ينتفع بنفسه بقيّةَ يومه . فلمّا انصرف بعثَ إلى إسحاق بألطافٍ كثيرة وبِرٍّ واسع ، وكتب إليه يعاتبه ويستكفُّ شرَّه ويقول له : لستُ من أَقْرانك فتُضادَّني ، ولا أَنا ممّن يتصدّى لمباغضتك ومباراتك فتكايدَني ، ولأَنت إلى أَن أُفيدَك وأُعطيك ما تعلم أَنك لا تجده عند غيري فتَسْمو به على أَكفائك أَحوجُ منك إلى أَن تباغضني ، فأُعطي غيرَك سلاحاً إذا حمَله عليك لم تقم له ، وأَنت أَولى وما تختار . فعرف إسحاقُ صدْقَ يحيى ، فكتب إليه يعتذر ، وردّ الأَلطافَ التي حملها إليه ، وحلَف لا يعارضه بعدها ، وشَرط عليه الوفاءَ بما وعده به من الفوائد ؛ فوفّى له بها ، وأَخذ منه كلَّ ما أَراد من غناء المتقدّمين . وكان إذا حَزَبه أَمرٌ في شيء منها فَزِع إليه فأَفاده وعاونه ونصَحه ؛ وما عاود إسحاق معارضتَه بعد ذلك . وحَذِره يحيى ، فكان إذا سُئل بحضرته عن شيء صَدَق فيه ، وإذا غاب إسحاق خلّط فيما يُسأَل عنه . قال : وكان يحيى إذا صار إليه إسحاق يطلب منه شيئاً أَعطاه إيّاه وأَفاده وناصحه ، ويقول لابنه أَحمد : تعالَ حتى تأخذَ مع أَبي محمّد ما الله يعلم أَنّي كنتُ أَبخَلُ به عليك فضلاً عن غيرك ؛ فيأخذه أَحمد عن أَبيه مع إسحاق . قال : وكان إسحاق بعد ذلك يتعصَّب ليحيى تعصّباً شديداً ، ويَصفه ويقدّمه ويعترف برياسته ، وكذلك كان في وَصْف أَحمدَ ابنِه وتقريظه .

[عدد أَصواته التي صنعها]

قال أَحمد بن سعيد : والاختلاف الواقع في كتب الأَغاني إلى الآن من بقايا تخليط يحيى . قال أَحمد بن سعيد : وكانت صنعةُ يحيى ثلاثةَ آلافِ صوت ، منها زُهاءُ ألف صوت لم يُقاربْه فيها أَحد ، والباقي متوسِّط . وذكر بعضُ أَصحاب أَحمد بن يحيى المكّيّ عنه أَنّه سُئل عن صنعة أَبيه فقال : الذي صحّ عندي منها أَلف وثلثمائة صوت ، منها مائة[1] وسبعون صوتاً غَلَب فيها على الناس جميعاً مَنْ تقدّم منهم ومَن تأخّر ، فلم يُقم له فيها أَحد .

[كان ينسب الأَصوات عمداً لغير أَصحابها فافتضح أَمره]

وقال حمّاد بن إسحاق قال لي أَبي : كان يحيى المكّيّ يُسأَل عن الصوت ، وهو يعلم لَمن هو ، فينسِبُه إلى غير صانعه ، فيُحمل ذلك عنه كذلك ، ثم يسأله آخرون فينسِبُه غيرَ تلك النسبة ؛ حتى طال ذلك وكثُر منه وقلّ تحفّظه ، فظهر عَواره ، ولولا ذلك لما قاومه أَحد .

1 في ل : ثلاثمائة .

[أظهر إسحاق كذبه فيما ينسبه من الغناء أمام الرشيد]

وقال أحمد بن سعيد المالكيّ في خبره : قال إسحاق يوماً للرشيد ، قبل أن تَصْلُح الحال بينه وبين يحيى المكّيّ في ما ينسبه من الغناء : أتحبّ يا أمير المؤمنين أن أريه كذبَ يحيى فيما يدعيه من روايته ؟ قال نعم . قال : أعطني أيَّ شعر شئتَ حتى أصنع فيه ، واسألني بحضرة يحيى عن نِسْبته فإنّي سأنسبه إلى رجل لا أصْلَ له ، واسأل يحيى عنه إذا غنّيته ، فإنّه لا يمتنع من أن يدّعي معرفته . فأعطاه شعراً فصنع فيه لحناً وغنّاه الرشيد ؛ ثم قال له : يسألني أمير المؤمنين عن نِسْبته بين يديه . فلمّا حضر يحيى غنّاه إسحاقُ فسأله الرشيدُ : لَمن هذا اللحن ؟ فقال له إسحاق : لغناديس المديني . فأقبل الرشيد على يحيى فقال له : أكنتَ لقيتَ غناديس المديني ؟ قال : نعم ، لقيتُه وأخذتُ عنه صوتين ؛ ثم غنّى صوتاً وقال : هذا أحدهما . فلمّا خرج يحيى حلف إسحاق بالطلاق [ثلاثاً] وعِتْقِ جواريه : أن الله ما خلق أحداً اسمه غناديس ، ولا سُمع به في المغنّين ولا غيرهم ، وأنّه وضع ذلك الاسم في وقته ذلك لينكشف أمره .

[علم إسحاق صوتاً غنّاه للرشيد فأهدى إليه تخت ثياب وخاتم]

حدّثني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثني محمّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ المرتجل قال : غنّى جدّي يوماً بين يدي الرشيد : [من الطويل]

صوت

هــل هَيّجتكَ مَغاني الحيّ والدُّورُ فاشتقْتَ إنّ الغريبَ الدارِ معذورُ
وهــل يَحِلّ بنــا إذ عيشُنا أَنِقٌ بِيضٌ أوانسُ أمثــالُ الدُّمَى حُورُ

والصنعة له خفيفُ ثقيلٍ ، فسار إليه إسحاق وسأله أن يُعيده إيّاه ؛ فقال : نعم ، حبّاً وكرامةً لك يا ابن أخي ، ولو غيرُك يروم ذلك لبَعُد عليه ؛ وأعاده حتى أخذه إسحاق . فلمّا انصرف بعث إلى جدّي بتَخْتِ[1] ثياب وخاتم ياقوت نَفيس .

[دسّ له إبراهيم بن المهديّ مَن أخذ عنه صوتاً بثمنٍ غالٍ]

حدّثني جَحظة قال حدّثني القاسم بن زُرْزُور عن أبيه عن مولاه عليّ بن المارِقيّ قال : قال لي إبراهيم بن المهديّ : وَيْلَك يا مارقيّ ؛ إنّ يحيى المكّيّ غنّى البارحةَ بحضرة أمير المؤمنين صوتاً فيه ذكرُ زينبَ ، وقد كان النبيذ أخذ منّي فأنسيتُ شعرَه ، واستعدتُه إيّاه فلم يُعده ، فاحتَلْ لي عليه حتى تأخذه لي منه ولك عليّ سَبَق[2] . فقال لي المارقيّ ، وأنا يومئذٍ غلامُه ،

1 التخت : وعاء تصان فيه الثياب .
2 السبق : الخطر يوضع في السّباق مَن سبق أخذه .

اذهب إليه فقل لـه إنّي أسأله أن يكونَ اليومَ عندي ؛ فمضيت إليه فجئته به . فلمّا تغدَّوْا وُضع النبيذ ؛ فقال له المارقيّ : إنّي كنت سمعتك تغنّي صوتاً فيه زينب وأنا أحبّ أن آخذه منك ، وكان يحيى يوفّي هذا الشأنَ حقَّه من الاستقصاء ، فلا يخرج عنه إلاّ بحذر ، ولا يدع الطلبَ والمسألةَ ، ولا يُلقي صوتاً إلاّ بِعَوض . قال لي جحظة في هذا الفصل : هذا فديتُك فعلُ يحيى مع ما أفاده من المال ، ومع كرم مَنْ عاشره وخدَمه من الخلفاء مثلِ الرشيد والبرامكة وسائر الناس ، لا يُلام ولا يعاب ، ونحن مع هؤلاء السُّفّل إن جئناهم نكارمهم[1] تغافلوا عنّا ، وإن أعطَوْنا النَّزْر اليسير مَنُّوا به علينا وعابونا ، فمن يلومني أن أشتِمهم ؟ فقلتُ : ما عليك لوم . قال : فقال له يحيى : وأيّ شيء العِوَض إذا ألقيتُ عليك هذا الصوتَ ؟ قال : ما تريد ؛ قال : هذه الزَّرْبيّة[2] الأرمينيّة ، كم تقعد عليها ! أمَا آن لك أن تَملَّها ؟ قال : بلى ، وهي لك . قال : وهذه الظباء الحرميّة ، وأنا مكّيّ لا أنت ، وأنا أولى بها ؛ قال : هي لك ، وأمر بحملها معه . فلمّا حَصَلت له ، قال المارقيّ : يا غلام ، هات العود ؛ قال يحيى : والميزانَ والدراهم ، وكان لا يغنّي أو يأخذَ خمسين درهماً ، فأعطاه إيّاها ؛ فألقى عليه قولَه : [من الطويل]

بزينبَ أَلِمْ قبلَ أن يَرْحَلَ الركبُ وقُلْ إن تَمَلِّينا فما ملّكِ القلبُ

ولحنه لكَرْدَم ثقيلٌ أوّل ، فلم يشكّ المارقيّ أنّه قد أخذ الصوتَ الذي طلبه إبراهيم وأدرك حاجتَه . فبكّر إلى إبراهيم وقد أخذ الصوتَ ، فقال له : قد جئتك بالحاجة . فدعا بالعود فغنّاه إيّاه ؛ فقال له : لا والله ما هو هذا ، وقد خدعك ، فعاود الاحتيال عليه . فبعثني إليه وبعث معي خمسين درهماً . فلمّا دخل إليه وأكلا وشربا قال له يحيى : قد واليتَ بين دَعَواتك لي ، ولم تكن بَرّاً ولا وَصولاً ، فما هذا ؟ قال : لا شيء والله إلاّ محبّتي للأخذ عنك والاقتباس منك ؛ فقال : سَرّك الله ، فَمَهْ . قال : تذكّرتُ الصوتَ الذي سألتك إيّاه فإذا ليس هو الذي ألقيتَ عليّ . قال : فتريد ماذا ؟ قال : تذكر الصوت . قال : أفعل ، ثم اندفع فغنّاه : [من البسيط]

أَلِمْ بزينبَ إنّ البينَ قد أفِدا قَلّ الثَواءُ لئن كان الرحيلُ غدَا[3]

والغناء لمعبد ثقيل أوّل فقال له : نعم ، فديتُك يا أبا عثمان ، هذا هو ، ألْقِه عليّ ؛ قال : العِوَضَ ؛ قال : ما شئتَ ؟ قال : هذا المِطْرَف الأسود ؛ قال : هو لك . فأخذه وألقى عليه هذا الصوتَ حتى استوى له ، وبكّر إلى إبراهيم ؛ فقال له : ما وراءك ؟ قال : قد قضيتُ

1 في ل : مكارمة .
2 الزربية : واحدة الزرابيّ وهي البُسط .
3 أفد : دنا .

الحاجةَ ؛ فدعا له بعود فغنّاه ؛ فقال : خدعك والله ، ليس هذا هو ؛ فعاودْ الاحتيال عليه ، وكلُّ ما تعطيه إيّاه ففي ذمّتي . فلمّا كان اليومُ الثالث بعث بي إليه ، فدعوتُه وفعلنا مثلَ فعلنا بالأمس . فقال له يحيى : فما لك أيضاً ؟ قال له : يا أبا عثمان ، ليس هذا الصوتُ هو الذي أردتُ ؛ فقال له : لستُ أعلم ما في نفسك فأذكُرَه ، وإنّما عليّ أن أذكر ما فيه زينبُ من الغناء كما التمستَ حتى لا يبقى عندي زينب ألبتّةَ إلاّ أحضرتها ؛ فقال : هاتِ على اسم الله ؛ قال : اذكرِ العِوَضَ ؛ قلت : ما شئتَ ؛ قال : هذه الدُّرّاعة الوَشْيُ التي عليك ؛ قال فخذها والخمسين الدرهم ، فأحضرَها . فألقى عليه والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل : [من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تعترينـي طوارقُـه هدوءاً إذا النجمُ ارجحَنَّت لواحقُهْ[1]

فأخذه منه ومضى إلى إبراهيم ، فصادفه يشرب مع الحُرَم ؛ فقال له حاجبه : هو متشاغل ؛ فقال : قل له : قد جئتك بحاجتك . فدخل فأعلمه ؛ فقال : يدخلُ فيغنّيه في الدار وهو قائم ، فإن كان هو وإلاّ فليخرج ، ففعل ؛ فقال : لا والله ما هو هذا ، ولقد خدعك ، فعاود الاحتيالَ عليه . ففعل مثل ذلك بيحيى ؛ فقال له يحيى وهو يضحك : أما ظَفِرتَ بزينبك بعدُ ؟ فقال : لا والله يا أبا عثمان ، وما أشكّ في أنّك تَعتمدني بالمنع ممّا أريده ، وقد أخذتَ كلّ شيء عندي معابثةً . فضحك يحيى وقال : قد استحييتُ منك الآن ، وأنا ناصحك على شريطة ؛ قال : نعم ، لك الشريطة ؛ قال : لا تَلُمني في أن أعابثك لأنّك أخذت في معابثتي ، والمطلوبُ إليه أقدرُ من الطالب ، فلا تعاود أن تحتال عليّ فإنّك تظفر منّي بما تريد ، إنّما دسّك إبراهيم بن المهديّ عليّ لتأخذ منّي صوتاً غنّيتُه ، فسألني إعادتَه فمنعتُه بخلاً عليه لأنّه لا يلحقني منه خير ولا بركة ، ويريد أن يأخذ غنائي باطلاً ، وطَمِع بموضعك أن تأخذ الصوت بلا ثمن ولا حمد ؛ لا والله إلاّ بأوفر ثمن وبَعْد اعترافك ، وإلاّ فلا تطمع في الصوت . فقال له : أمّا إذ فطنتَ فالأمرُ وَاللهِ على مَا قلتُ ، فتغنّيه الآن بعينه على شرط أنه إن كان هُوَ هُوَ وإلا فعليكَ إعادتُه ، ولو غنّيتَني كلَّ شيء تعرفه لم أحتسب لك إلاّ به ؛ قال : اشتره . فتساوما طويلاً ومَاكَسهُ حتى بلغ الصوتُ ألفَ درهم ، فدفعها إليه ، وألقى عليه : [من الكامل]

صوت

طَرَقَتْـك زينبُ والمَـزار بعيدُ بمنى ونحـن مُعرِّسون هجودُ
فكأنّما طَرَقـتْ بريّـا روضةٍ أُنُـفٍ تُسَحْسِح مُزنَها وتَجُودُ

لحنه خفيف ثقيل . قال : وهو صوت كثير العمل ، حلو النَّغَم ، مُحكم الصَّنْعة ، صحيح

1 ارجحنّت : اهتزّت ومالت .

القسمة ، حسن المقاطع فأخذه وبكّر إلى إبراهيم بن المهديّ ، فقال له : قد أفقرني هذا الصوت وأعراني ، وأبلاني بوجه يحيى المكّيّ وشحّه وطلبه وشَرَهه ، وحدّثه بالقصّة ؛ فضحك إبراهيم . وغنّاه إيّاه ، فقال : هذا وأبيك هو بعينه . فألقاه عليه حتى أخذه ، وأخلف عليه كلّ شيء أخذه يحيى منه وزاده خمسةَ آلاف درهم ، وحمَله على بِرذون أشهبَ فارهٍ بسرجه ولجامه . فقال له : يا سيِّدي ؛ فغلامُك زُرْزُور المسكين قد تردّد عليه حتى ظَلَعَ ، هَبْ له شيئاً ، فأمر له بألف درهم .

[غنّى للأمين لحناً أراد المغنّون أخذه عنه فأبى]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثتني رَيِّق وشارِية جميعاً قالتا : كان مولانا ، تعنيان أبي ، في مجلس محمّد الأمين يوماً والمغنّون حضور ، فغنّى يحيى المكّيّ ، واللحن له خفيف ثقيل : [من مجزوء الوافر]

صوت

خليـلٌ لي أهيـمُ بـه فما كافـا ولا شَكَرا
بلى يُدْعَى لـه باسمي إذا مـا رِيعَ أو عثَرا

فاستردّه سيّدنا وأحبّ أن يأخذه ، فجعل يحيى يُفسده . وفطن الأمينُ بذلك ، فأمر له بعشرين ألف درهم وأمره بردّه وتَرْكِ التخليط فيه ، فدعا له وقبّل الأرضَ بين يديه وردّ الصوت وجوّده ؛ ثم استعاده . فقال له يحيى : ليست تَطيبُ لك نفسي به إلاّ بعوَض من مالك ، ولا أنصحك والله فيه ، فهذا مال مولاي أخذته ، فلِمَ تأخذ أنت غنائي ! فضحك الأمين وحكم على إبراهيم بعشرة آلاف درهم فأحضرها . فقبّل يحيى يدَه وأعاد الصوت وجوّده ، فنظر إلى مُخارق وعَلّويه يتطلّعان لأخذه فقطع الصوت ؛ ثم أقبل عليهما وقال : قطعة من خُصْية الشيخ تغطى أستاه عدّة صبيان ، والله لا أعدتُه بحضرتكما . ثم أقبل على مولانا تعنيان إبراهيم بن المهدي فقال : يا سيِّدي ، إنّي أصير إليك حتى تأخذَه عنّي متمكّناً ولا يَشْرَكَك فيه أحد . فصار إليه فأعاده حتى أخذه عنه ، وأخذناه معه .

[غنّى للرشيد بتل دارا فأكرمه]

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا أبو أيّوب المَديني قال حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه قال : أرسل إليّ هارونُ الرشيد ، فدخلت إليه وهو جالس على كرسيّ بَتَلّ دارَا[1] ، فقال : يا يحيى ، غنّني : [من الطويل]

1 دارا : بلدة من بلاد الجزيرة .

متى تلتقي الأُلاّفُ والعيسُ كلَّما تَصعَّدْنَ مـن وادٍ هَبطنَ إلى وادِ

فلم أَزل أُغنّيه إيّاه ويتناول قدحاً إلى أن أَمْسى . فعددتُ عشرَ مرّات استعاد فيها الصوت ، وشرب عليه عشرةَ أَقداح ، ثم أَمر لي بعشرة آلاف درهم ، وأَمرني بالانصراف .

[مدح إسحاق غناءه وذكر أصواتاً له]

وقال محمّد بن أَحمد بن يحيى المكّيّ في خبره حدَّثني أَبي أَحمدُ بن يحيى قال : قال لي إسحاق : يا أَبا جعفر ، لأَبيك مائةٌ وسبعون صوتاً ، مَنْ أَخذها عنه بمائة وسبعين أَلفَ درهم فهو الرابح . فقلت لأَبي : أَيَّ شيء تعرف منها ؟ فقال : لحنَه في شعر الأَخطل : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منكَ وابتكروا وأَزعجتْهم نَـوىً في صَرْفِها غِيَرُ

كأَنّنـي شاربٌ يـومَ استُبِدّ بهم من قَهْوةٍ عتّقتها حِمْص أَو جَدَرُ[1]

لحن يحيى المكّيّ في هذين البيتين ثقيل أَوّل ، هكذا في الخبر ، ولإبراهيم فيهما ثقيلٌ أَوّل آخر ، ولابن سُرَيج رمل .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

بَـانَ الخليـطُ فمـا أُؤَمِّلـه وعفـا مـن الرَّوْحاء منزلُـهُ[2]

مـا ظَبيـةٌ أَدمـاءُ عاطلـة تحنـو عـلى طِفـل تُطَفِّلـهُ

لحن يحيى في هذا الشعر ثاني ثقيل بالبنصر . قال أَحمد : قال لي إسحاق : وَدِدْتُ أَنّ هذا الصوت لي أَو لأَبي وأَني مُغرَّم عشرة آلاف درهم . ثم قال : هل سمعتم بأَحسن من قوله : «على طفل تطفّله» .

قال : ومنها : [من الطويل]

صوت

وَكّف كُعوّاذ النقا لا يَضيرها إذا برزتْ أَلاّ يكونَ خِضابُ

أَنامل فُتْـخٌ لا تـرى بأَصولها ضُموراً ولم تَظْهَر لهن كِعابُ[3]

ولحنه من الثقيل الثاني .

---

1 جدر قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .

2 الروحاء : قرية قرب المدينة .

3 فتخ : رخصة ليّنة .

قال : ومنها : [من المنسرح]

صوت

صادَتْكَ هنـدٌ وتلك عادتها فالقلـب ممّـا يَشُفّـه كَمِـدُ
كم تشتكي الشوقَ من صبابتها ولا تبـالي هنـدٌ بمـا تَجـدُ

ولحنه من خفيف الثقيل .

قال : ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

أَعَسيتَ مِـن سَلْمى هـوا كَ اليـومَ محتـلاً جديـدا
ومَرابِـطَ الخيـلِ الجِيـا دِ ومنزلاً خَلَقـاً هَمُودا

ولحنه خفيف ثقيل أيضاً .

قال : ومنها : [من المتقارب]

صوت

أَلا مرحبـاً بخيـالٍ أَلـمّ وإن هاج للقلب طـولَ الأَلَمْ
خيـالٌ لأَسمـاءَ يَعتـادني إذا الليـلُ مَـدَّ رُواقَ الظُّلَمْ

ولحنه ثقيل أوّل .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

كم ليلةٍ ظلماءَ فيـكِ سَرَيْتُها أَتْعبتُ فيهـا صُحْبتي وركابي
لا يُبصر الكلبُ السَّرُوق خِباءَها ومواضعَ الأَوتـاد والأَطنابِ

لحنه ثاني ثقيل بالوسطى . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى للغَريض . قال ابن المكّيّ : غنّى أَبي الرشيدَ ليلةً هذا الصوتَ فأَطربه ، ثم قال له : قُم يا يحيى فخُذ ما في ذلك البيت ؛ فظنّه فرشاً أو ثياباً ، فإذا فيه أَكياس فيها عَيْن وورِق ؛ فحُمِلتْ بين يديه فكانت خمسين أَلفَ درهم مع قيمة العَيْن .

قال : ومنها : [من الكامل]

صوت

إنّي امرؤٌ مـا لي يَقي عِرْضي ويَبيت جـاري آمناً جَهْـلي
وأرى الذّمامـة للرَّفيـق إذا أُلقَـى رِحالتَـه إلى رَحْـلي[1]

ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ . قال ابن المكّيّ غنّى ابنُ جامع الرشيدَ يوماً البيتَ الأوّل من هذين البيتين ولم يَزِد عليه شيئاً ؛ فأعجب به الرشيدُ واستردّه مراراً ، وأسْكت لابن جامع المغنّين جميعاً ، وجعل يسمعه ويشرب عليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم وعشرةِ خواتِيمَ وعشر خِلَع ، وانصرف . فمضى إبراهيم من وجهه إلى يحيى المكّيّ فاستأذن عليه ، فأذِن له ، فأخبره بالذي كان من أمر ابن جامع واستغاث به . فقال له يحيى : أفزاد على البيت الأوّل شيئاً ؟ قال لا ؛ قال أفرأيتَ إن زِدْتُك بيتاً ثانياً لم يعرفه إسماعيل أو عرفه ثم أنسيه ، وطرحتُه عليك حتى تأخذَه ما تجعلُ لي ؟ قال : النصف ممّا يصل إليّ بهذا السبب ؛ قال : والله ؟! فأخذ بذلك عليه عهداً وشرطاً واستحلفه عليه أيماناً مؤكّدة ؛ ثم زاده البيتَ الثاني وألقاه عليه حتى أخذه وانصرف . فلمّا حضر المغنّون من غد ودُعي به كان أوّلَ صوت غنّاه إبراهيمُ هذا الصوتُ ، وجاء بالبيت الثاني وتحفّظ فيه فأصاب وأحسن كلَّ الإحسان ، وشرب عليه الرشيدُ واستعاده حتى سكِر ، وأمر لإبراهيم بعشرة آلاف درهم وعشرة خواتيمَ وعشر خِلَع ؛ فحَمَل ذلك كلَّه ، وانصرف من وجهه ذلك إلى يحيى فقاسمه ومضى إلى منزله . وانصرف ابنُ جامع إليه من دار الرشيد ، وكان يحيى في بقايا علّة فاحتجب عنه ؛ فدفَع ابنُ جامع في صدر بوّابه ودخل إليه ، فقال له : إيه يا يحيى ، كيف صنعتَ ! ألقيتَ الصوت على الجُرْمُقاني[2] ! لا رفع الله صَرْعتَك ولا وهب لك العافية . وتشاتما ساعةً ، ثم خرج ابن جامع من عنده وهو مُدَوَّخ .

[مدحه إسحاق الموصليّ في جمع من المغنّين عند الفضل بن الربيع]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني محمَّد بن أحمد بن يحيى المكّيّ عن أبيه قال قال لي إسحاق :كنت أنا وأبوك وابن جامع وفُلَيح بن أبي العَوْراء وزُبَير بن دَحْمان يوماً عند الفضل بن الربيع ؛ فانبرى زُبير بن دحمان لأبيك (يعني يحيى) ، فجعلا يُغنّيان ويُباري كلُّ واحد منهما صاحبَه ، وذلك يعجب الفضل ، وكان يتعصّب لأبيك ويُعجب به . فلمّا طال الأمر بينهما قال له الزبير : أنت تنتحل غناءَ الناس وتدّعيه وتَنحَلهم ما ليس لهم . فأقبل الفضل عليّ وقال : احكم أيّها الحاكم بينهما ، فلم يخفَ عليك ما هما فيه ؛

1 الذّمامة : الحرمة والحقّ .

2 الجرمقاني : واحد الجرامقة من العجم .

فقلتُ : لئن كان ما يرويه يحيى ويغنّيه شيئاً لغيره فلقد روى ما لم يَرْووه وما لم نَرْوِه ، وعَلِم ما جهِلناه وجهلوه ، ولئن كان من صنعته إنّه لأحسن الناس صنعةً ، وما أعرف أحداً أروى منه ولا أصحَّ أداءً للغناء ، كان ما يغنّيه له أو لغيره . فسُرّ بذلك الفضلُ وأعجبه . وما زال أبوك يشكره لي .

صوت

من المائة المختارة

[من الوافر]

أَهاجتْك الظعائنُ يـوم بانوا بذي الزِّيّ الجميلِ من الأَثاثِ
ظعائنُ أُسلِكتْ نَقْـبَ المُنَقَّى تُحَثّ إذا ونتْ أَيَّ احتثاثِ[1]

الشعر للنُّمَيريّ . والغناء للغريض ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

1 نقبَ المنقّى : موضع .

[89] ـ أخبار النُّمَيريّ ونسبه

[نسبه]

هو محمّد بن عبد الله بن نُمَير بن خَرَشة بن رَبيعة بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسِيّ ؛ وقَسِيّ هو ثَقيف . شاعر غَزِل ، مولده ومنشؤه بالطائف ، من شعراء الدولة الأُمويّة ، وكان يهوَى زينبَ بنت يوسف بن الحكم أختَ الحجّاج بن يوسف ، وله فيها أشعار كثيرة يتشبَّب بها[1] .

[كان يهوى زينب أخت الحجّاج بن يوسف ، وسياق أحاديثه مع الحجّاج بشأنها]

حدّثني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثم قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط بن بكر المُحاربيّ ، وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المهلَّبيّ قالوا حدَّثنا عمر بن شبّة : أنّ النميريّ كان يَهوَى زينبَ بنتَ يوسف أختَ الحجّاج بنِ يوسف بن الحكم لأبيه وأُمّه . وأمّهما الفارعة بنت هَمّام بن عُرْوة بن مَسعود الثَّقَفيّ ؛ وكانت عند المغيرة بن شُعْبة ؛ فرآها يوماً بُكْرةً وهي تَتخلَّل ، فقال لها : والله لئن كان من غَداء لقد جشِعت ، ولئن كان من عَشاء لقد أنتنتِ ، وطلقها . فقالت : أبعدك الله ! فبئس بعلُ المرأة الحرّة أنت ؛ والله ما هو إلاّ من شَظيّة من سواكي استمسكتْ بين سِنَّيْن من أسناني . قال حَبيب بن نصر خاصّةً في خبره : قال عمر بن شبّة حدّثنا بذلك أبو عاصم النَّبيل .

أخبرني حَبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شبّة عن يعقوب بن داود الثَّقَفيّ ، وحدّثنا به ابن عَمّار والجوهريّ عن عمر بن شَبّة ، ولم يذكرا فيه يعقوبَ بن داود ، قالوا جميعاً : قال مُسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ وكان قاضي الجماعة بالمدينة : إنّي لمع محمّد بن عبد الله بن نُمَيْر بنَعْمان[2] وغلامٌ يسير خَلْفَه يشتمه أقبح الشتيمة : فقلت : مَن هذا ؟ فقال : هذا الحجّاج بن يوسف ، دَعْه فإنّي ذكرتُ أختَه في شعري ، فأحفظه ذلك .

قال عمر بن شبّة في خبره : وولدت الفارعة أمُّ الحَجّاج من المُغيرة بن شُعْبة بنتاً فماتت ؛ فنازع الحجّاجُ عروةَ بن المُغيرة إلى ابن زياد في ميراثها ؛ فأغلظ الحجّاج لعُروة ، فأمر به ابنُ زياد فضُرب أسواطاً على رأسه وقال : أللأبي عبد الله تقول هذه المَقالة ! وكان الحجّاج حاقداً

---

1 في ل : يُنسب .

2 نعمان : هو نعمان الأراك ، وادٍ بينه وبين مكّة نصف ليلة .

على آل زياد يَنفيهم من آل أبي سفيان ويقول : آل أبي سفيان سُتة[1] حُمْش[2] ، وآل زياد رُسْحٌ حُدْل[3] .

وكان يوسف بن الحَكَم اعتلّ علّة فطالت عليه ؛ فنَذَرت زينب إن عُوفي أن تمشي إلى البيت ؛ فعُوفي فخرجت في نسوة فقطعنَ بطنَ وَجّ[4] ، وهو ثلثمائة ذراع ، في يوم جعلتْه مرحلةً لثِقَل بدنها ، ولم تقطع ما بين مكّة والطائف إلاّ في شهر . فبينا هي تسير [إذ] لقِيها إبراهيم بن عبد الله النُّمَيريّ أخو محمّد بن عبد الله منصرفاً من العمرة . فلمّا قدم الطائفَ أتى محمّداً يسلّم عليه ؛ فقال له : أَلك عِلْمٌ بزينب ؟ قال : نعم ، لقيتها بالهَماء[5] في بطن نَعْمان ؛ فقال : ما أحسبك إلاّ وقد قلت شيئاً ؛ قال : نعم ، قلتُ بيتاً واحداً وتناسيته كراهةَ أن يَنْشَبَ بيننا وبين إخوتنا شرّ . فقال محمّد هذه القصيدةَ وهي أوّل ما قاله : [من الطويل]

صوت

تَضَوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان إذ مشتْ ... بـه زينـبٌ في نسوة عَطِـراتِ
فأصبح مـا بـين الهَماء فحزوة ... إلى الماء ماء الجِزْع ذي العُشَراتِ[6]
لـه أَرَجٌ من مِجْمَر الهند ساطع ... تَطلّـعُ رَيّـاه مـن الكَفِراتِ[7]
تهادَين ما بين المُحَصَّب من مِنىً ... وأقبلـن لا شُعْثـاً ولا غَبِراتِ
أعان الذي فوق السموات عرشُه ... مـواشيَ بالبَطْحـاء مُؤْتجِراتِ
مَرَرْن بفَـخٍّ ثـم رُحْـن عشيّةً ... يُلبِّـين للرحمـن معتمِـراتِ[8]
يُخبِّئن أطـرافَ البنان مـن التُّقى ... ويقتلـن بـالألحاظ مقتدراتِ
تَقَسَّمن لُبّي يـومَ نَعْمانَ إنّني ... رأيتُ فؤادي عـارِم النظراتِ[9]

1 سُتة : عظام الأستاه .
2 حمش : دقاق السوق .
3 الحدل : جمع أحدل وهو الذي أشرف أحد عاتقيه على الآخر .
4 وَجّ : اسم واد بالطائف .
5 الهماء : موضع بنعمان بين الطائف ومكّة .
6 العشرات : جمع عُشَر ، وهو من كبار الشجر وله صمغ حلو .
7 الكفرات جمع كَفِر وهو العظيم من الجبال .
8 فخ : موضع بينه وبين مكّة ثلاثة أميال .
9 لُبّي في ل : قلبي . عارم : شارد النظرات حائرها .

جَلَوْنَ وجوهـاً لم تَلُحْها سمائمٌ حَـرُورٌ ولم يُسْفَعن بالسَّبَراتِ[1]
فقلـتُ يَعافِيرُ الظبـاءِ تناولـتْ نِيـاع غصون المَرْد مُهْتَصِراتِ[2]
ولّمـا رأَتْ ركبَ النُّمَيريّ راعَها وكـنّ مِـنَ آنْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ
فأَدْنَيْن ، حتى جاوز الركبُ ، دونها حجاباً مـن القَسِّيّ والحِبَراتِ[3]
فكـدتُ اشتياقاً نحوَهـا وصَبابةً تَقَطّعُ نفسي إثْرَهـا حَسَراتِ
فراجعتُ نفسي والحفيظةَ بعد ما بَلَلـتُ رداءَ العَصْب بالعَبَراتِ[4]

غنّى ابن سُرَيج في الأوّل وبعده «مررن بفخ» وبعده «يخمرن أطراف البنان» ، ولحنه ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فبلغتْ هذه القصيدةُ عبدَ الملك بنَ مروان ، فكتب إلى الحجّاج : قد بلغني قول الخبيث في زينب ، فالْهُ عنه وأَعْرِض عن ذكره ، فإنّك إن أدنيتَه أو عاتبتَه أطمعته ، وإن عاقبته صدّقته .

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبي قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو سَلَمة الغِفاريّ قال : هَرَب النُّمَيريّ من الحجّاج إلى عبد الملك واستجار به ؛ فقال له عبد الملك : أنشدني ما قلتَ في زينب فأنشده . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الطويل]

ولّما رأَتْ ركبَ النميريّ أعرضتْ وكُـنَّ مِـنَ آنْ يَلْقَيْنه حَـذِراتِ

قال له عبد الملك : وما كان ركبك يا نميريّ ؟ قال : أربعة أَحْمِرة لي كنت أجلُب عليها القَطِران ، وثلاثة أَحْمِرة صحبتي تحمل البعر . فضحك عبد الملك حتى استغرب ضحكاً ، ثم قال : لقد عظَّمتَ أمرَك وأمرَ ركبك ؛ وكتب له إلى الحجّاج أن لا سبيل له عليه . فلمّا أتاه بالكتاب وضعه ولم يقرأه ، ثم أقبل على يزيد بن أبي مسلم فقال له : أنا بريء من بَيْعة أمير المؤمنين ، لئن لم يُنشدني ما قال في زينب لآتينَّ على نفسه ، ولئن أنشدني لأعفونّ عنه ، وهو إذا أنشدني آمن . فقال له يزيد : ويْلَكَ ! أنشده ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعمان إذ مشتْ بـــه زينـــبٌ في نسوة خَفِـراتِ

فقال : كذبت والله ، ما كانت تتعطّر إذا خرجتْ من منزلها . ثم أنشده حتى بلغ إلى

---

1 السّبرات : جمع سبْرة وهي شدّة برد الشتاء .
2 النياع من الغصون : التي تحرّكها الرّياح فتتمايل .
3 القسّيّ : ضرب من الثياب ، وهو منسوب إلى قسّ ، موضع بين العريش والفرما من أرض مصر كانت تصنع فيه ثياب من كتّان مخلوط بالحرير .
4 العصب : ضرب من البرود .

قوله : [من الطويل]

ولّما رأتْ ركبَ النُّمَيْريّ راعها وكنّ مِنَ آنْ يلقينه حَذِراتِ

قال له : حقّ لها أن ترتاع لأنّها من نسوة خَفِرات صالحات . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

مَرَرْن بفَخّ رائحاتٍ عشيّةً يُلبّين للرحمن معتمِراتِ

فقال : صدقتَ ، لقد كانت حَجّاجةً صَوّامة ما علمتُها . ثم أنشده حتى بلغ إلى قوله :

يُخمِّرن أطرافَ البنان من التُّقى ويخرجن جنحَ الليل مُعْتجِراتِ

فقال له : صدقتَ ، هكذا كانت تفعل ، وهكذا المرأة الحرّة المسلمة . ثم قال له : ويحك ! إنّي أرى ارتياعَك ارتياعَ مُريب ، وقولَك قولَ بريء ، وقد أمّنتك ، ولم يَعْرِض له . قال أبو زيد[1] : وقيل : إنّه طالب عريفَه به وأقسم لئن لم يَجِئْه به ليضربنّ عنقَه ، فجاءه به بعد هرب طويل منه ؛ فخاطبه بهذه المخاطبة :

[من شعره في زينب]

قال أبو زيد : وقال النُّميريّ في زينب أيضاً : [من الطويل]

صوت

طَرِبتَ وشاقتك المنازلُ من جَفْن ألاَ ربّما يعتادك الشوقُ بالحُزْنِ[2]

نظرت إلى أظعان زينبَ باللِّوى فأعولْتها لو كان إعوالُها يُغني

فوالله لا أنساكِ زينبُ ما دعتْ مُطوَّقةٌ ورقاءُ شجواً على غُصنِ

فإنّ احتمال الحيّ يومَ تحمّلوا عَناك وهل يَعنيك إلاّ الذي يَعني

ومُرْسِلة في السرّ أن قد فضحتَني وصرّحتَ باسمي في النَّسيبِ فما تَكْني

وأشمتَّ بي أهلي وجُلَّ عشيرتي لَيَهْنِئْك ما تهواه إن كان ذا يَهْني

وقد لامني فيها ابنُ عمّيَ ناصحاً فقلتُ له خُذ لي فؤاديَ أو دَعْني

غنّى ابنُ سُريج في الأوّل والثاني والخامس والسادس من هذه الأبيات لحناً من الرمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، قال أبو زيد : فيقال : إنّه بلغ زينبَ بنت يوسف قولُه هذا فبكتْ ؛ فقالت لها خادمتها : ما يُبكيكِ ؟ فقالت : أخشى أن يسمعَ بقوله هذا

1 أبو زيد : هو أبو زيد بن عمرو بن شبة النميري البصري ، كان شاعراً إخباريّاً فقيهاً .

2 جفن : اسم واد بالطائف لثقيف .

جاهلٌ بي لا يَعرفني ولا يعلم مذهبي فيراه حقّاً .

قال : وقال النميريّ فيها أيضاً : [من الوافر]

أَهاجتْك الظعائنُ يــوم بانوا ... بذي الزِّيّ الجميل من الأُثاثِ
ظعائـنُ أُسلكتْ نَقْبَ المُنَقَّى ... تُحَثّ إذا ونتْ أيَّ احتثاثِ
تُؤَمّل أن تُلاقـيَ أهلَ بُصْرَى ... فيا لك مـن لقـاء مستراثِ[1]
كأنّ على الحدائــج يوم بانوا ... نِعاجاً ترتعي بَقْــل البِراثِ[2]
يُهَيِّجني الحمــامُ إذا تَداعَـى ... كما سجَــع النوائحُ بالمَراثِي[3]
كأن عيونَهــنّ مــن التبكّي ... فصوصُ الجَزْع أو يُنْع الكَباثِ[4]
أَلاَقٍ أنت في الحِجَج البواقي ... كما لاقيتَ في الحِجَجِ الثلاثِ

[طلب أبو الحجّاج إلى عبد الملك ألاّ يجعل للحجّاج عليه سبيلاً فلقيه الحجّاج ولم يعرض له]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي حدّثنا عثمان بن حَفْص وغيره : أنّ يوسف بن الحكم قام إلى عبد الملك بن مَرْوان لمّا بعث بالحجّاج لحرب بن الزبير ، وقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ غلاماً منّا قال في ابنتي زينبَ ما لا يزال الرجلُ يقول مثلَه في بنت عمِّه ، وإنّ هذا (يعني ابنَه الحَجّاج) لم يزل يَتَتَوَّق إليه ويَهُمُّ به ، وأنت الآن تبعثه إلى ما هناك ، وما آمنه عليه . فدعا بالحَجّاج فقال لـه : إنّ محمّداً النُّمَيريّ جارِي ولا سلطانَ لك عليه ، فلا تعرِض له .

قال إسحاق فحدّثني يعقوب بن داود الثَّقَفيّ قال : قال لي مسلم بن جُنْدَب الهُذَليّ : كنتُ مع النُّمَيريّ وقد قتل الحجّاجُ عبدَ الله بن الزبير وجلس يدعو الناس للبَيْعة ، فتأخّر النُّميريّ حتى كان في آخرهم ، فدعا به ثم قال له : إنّ مكانك لم يخفَ عليّ ، ادْنُ فبايعْ . ثم قال له : أنشِدْني ما قلتَ في زينب ؛ قال : ما قلتُ إلاّ خيراً ؛ قال : لَتُنشِدَنّي . فأنشده قولَه : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمانَ إذ مشتْ ... بــــه زينــبٌ في نسوة عَطِراتِ
أُعان الذي فوقَ السموات عرشُه ... مَــواشيَ بالبَطْحــاء مؤتجِـراتِ

1 مستراث : مستبطأ .
2 الحدائج : جمع حديجة . والحديجة من مراكب النساء نحو الهودج والمحفّة . البِراث : الأماكن السهلة الرمل ، واحدها بَرْث .
3 النوائح في ل : النوادب .
4 الكباث : ثمر الأراك .

يخمِّرن أطرافَ الأُكُفّ من التُّقى ويخرُجْن جُنْحَ الليل معتجِراتِ[1]

فما ذكرتُ أيّها الأمير إلاّ كرماً وخيراً وطيباً . قال : فأنشدْ كلمتَكَ كلَّها فأنت آمن ؛ فأنشده حتى بلغ إلى قوله : [من الطويل]

ولمّا رأتْ ركبَ النُّمَيريّ راعها وكُنَّ مِنَ آن يَلْقَيْنه حَذِراتِ

فقال له : وما كان ركبُك ؟ قال : والله ما كان إلاّ أربعة أَحْمِرة تحمل القَطِران . فضحك الحجّاج وأمره بالانصراف ولم يَعْرِض له .

[تهدّده الحجّاج فهرب وقال شعراً]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ عن الخليل بن أسد عن العُمَريّ عن عَطاء عن عاصم بن الحَدَثان قال : كان ابن نُمير الثَّقَفيّ يشبِّب بزينبَ بنتِ يوسف بن الحَكَم ؛ فكان الحَجّاج يتهدّده ويقول : لولا أن يقولَ قائلٌ صدَق لقطعتُ لسانَه . فهرب إلى اليمن ثم ركب بحرَ عَدَن ، وقال في هربه : [من الطويل]

أَتَتْني عن الحَجّاج والبحرُ بيننا عقاربُ تَسْري والعيونُ هواجعُ[2]

فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأجهشتُ خِيفةً ولم آمَنِ الحَجّاجَ والأمرُ فاظعُ

وحلَّ بي الخطبُ الذي جاءني به سميعٌ فليستْ تستقرّ الأضالعُ

فبتُّ أُديرُ الأمرَ والرأيَ ليلتي وقد أخضلتْ خدِّي الدموعُ التوابعُ

ولَم أرَ خيراً لي من الصبر إنّه أعفُّ وخيرٌ إذ عَرَتْني الفواجعُ

وما أمِنتْ نفسي الذي خفتُ شرَّه ولا طاب لي ممّا خَشِيتُ المضاجعُ

إلى أن بدا لي رأس إسْبِيلَ طالعاً وإسبيلُ حصن لم تَنَلْه الأصابعُ[3]

فلي عن ثَقيفٍ إن هممتُ بنَجْوة مَهامِهُ تهوِي بينهنّ الهَجارعُ[4]

وفي الأرض ذاتِ العَرْضِ عنك ابنَ يوسف إذا شئتُ مَنْأىً لا أبا لَكَ واسعُ

فإن نِلْتَني حَجّاجُ فاشتفِ جاهداً فإنّ الذي لا يحفظ اللهُ ضائعُ

فطلبه الحَجّاج فلم يقدِر عليه . وطال على النُّمَيريّ مقامه هارباً واشتاق إلى وطنه ، فجاء حتى وقف على رأس الحَجّاج ؛ فقال له : إيه يا نُميريّ ! أنت القائل : [من الكامل]

---

1 الأُكُفّ في ل : البنان .

2 بيننا في ل : دوننا .

3 إسبيل : جبل في مخلاف ذمار .

4 تهوي في ل : تعمى . الهجارع : جمع هجرع وهو الخفيف من الكلاب السّلوقيّة .

فإن نلتَني حَجَّاجُ فاشْتَفِ جاهداً

فقال : بل أنا الذي أقول : [من الطويل]

أخافُ من الحَجّاج ما لستُ خائفاً ... من الأَسدِ العِرْباض لم يَثْنِه ذُعْرُ[1]

أخافُ يَدَيْه أن تنالا مَقاتلي ... بأبيضَ عَضْبٍ ليس من دونه سِتْرُ

وأنا الذي أقول : [من الطويل]

فهأنذا طَوَّفْتُ شَرْقاً ومَغْرِباً ... وأُبْتُ وقد دوّخت كلَّ مكانِ[2]

فلو كانت العَنْقاء منكَ تَطير بي ... لخِلْتك إلاّ أن تَصُدَّ تراني

قال : فتبسّم الحجّاج وأمّنه ، وقال له : لا تعاود ما تعلم ؛ وخلّى سبيلَه .

ويروى :

فلو كنت بالعنقاء أو بأسومها ... لخلتك إلاّ أن تصدَّ تراني

[زواج زينب أخت الحجّاج وتولية كرّيها شرطة البصرة]

رجع الخبر إلى رواية حماد بن إسحاق

قال حمّاد فحدّثني أبي قال ذكر المدائنيّ وغيره : أنّ الحجّاج عرض على زينبَ أن يزوّجها محمّدَ بن القاسم بن محمّد بن الحكم بن أبي عَقِيل ، وهو ابن سبعَ عشرةَ سنة ، وهو يومئذٍ أشرفُ ثقفيّ في زمانه ، أو الحكم بن أيّوب بن الحكم بن أبي عَقيل ، وهو شيخ كبير ، فاختارت الحكم ، فزوّجها إيّاه ، فأخرجها إلى الشام . وكان محمّد بن رياط كَرِيَّها ، وهو يومئذٍ يُكْرِي . فلمّا ولي الحجّاجُ العراقَ استعمل الحكَم بن أيّوب على البصرة ، فكلّمته زينبُ في محمّد بن رياط فولاّه شرطته بالبصرة . فكتب إليه الحجّاج : إنّك ولّيتَ أعرابيّاً جافياً شرطتَك ، وقد أجزنا ذلك لكلام مَنْ سألك فيه . قال : ثم أنكر الحَكَمُ بعضَ تَعَجْرُفه فعزله . ثم استعمل الحجّاجُ الحكمَ بن سعد العُذْريّ على البصرة وعزل الحكم بن أيّوب عنها واستقدمه لبعضِ الأمر ، ثم ردّه بعد ذلك إلى البصرة ، وجهّزه من ماله . فلمّا قدِم البصرةَ هيّأتْ له زينبُ طعاماً وخرجت متنزّهة إلى بعض البساتين ومعها نسوة . فقيل لها : إنّ فيهن امرأة لم يُرَ أحسن ساقاً منها . فقالت لها زينب : أرِيني ساقَكِ ؛ فقالت : لا ، إلاّ بخلوة ؛ فقالت : ذاك لكِ ، فكشفته لها ، فأعطتها ثلاثين ديناراً وقالت : اتّخذي منها خَلخالاً . قال :

1 العرباض : الأسد الثقيل العظيم .

2 دوّخت في ل : طوّفت .

وكان الحجّاج وجّه بزينب مع حُرَمه إلى الشام لمّا خرج ابنُ الأشعث خوفاً عليهنّ . فلمّا قُتل ابنُ الأشعث كتب إلى عبد الملك بن مروان بالفتح ، وكتب مع الرسول كتاباً إلى زينبَ يُخبرها الخبرَ ، فأعطاها الكتابَ ، وهي راكبة على بغلة في هودج ، فنشرته تقرؤه ، وسمعت البغلة قعقعةَ الكتاب فنفرَت ، وسقطت زينبُ عنها فاندقّ عَضُداها وتَهَرّأ جوفُها فماتت . وعاد إليه الرسول ، الذي نفَذ بالفتح ، بوفاة زينب . فقال النميريّ يرثيها : [من الطويل]

صوت

لزينبَ طيفٌ تَعتريني طوارقُه هُدوءاً إذا النجم ارْجَحنّتْ لواحقُهْ
سيَبكِيكِ مِرْنانُ العشيّ يُجيبه لَطيفُ بنان الكفِّ دُرْمٌ مَرافقُهْ[1]
إذا ما بِساطُ اللهو مُدّ وأُلقيتْ لِلَذّاته أنماطُه ونمارقُهْ

غنّاه معبد ، ولحنه ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وما بقي من شعره من الأغاني في نَسيب النميريّ لم نذكر طريقتَه وصانعَه لنذكر أخباره معه .

[غنّى ابن سريج من شعره لعبد الله بن جعفر]

صوت

[من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أنْ مشتْ بـه زينبٌ في نسوة خَفِراتِ
مَررْن بفَخٍّ رائحاتٍ عشيّةً يُلبِّين للرحمن مُعتمِراتِ

الغناء لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق .

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمّد بن مزيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ[2] عن عبد الله بن مُسْلم الفِهْريّ[3] قال : خرج عبد الله بن جعفر متنزّهاً ، فصادف ابنَ سُرَيج وعَزّة المَيْلاء متنزّهَيْن ، فأناخ ابنُ جعفر راحلتَه وقال لعَزّة : غَنِّيني فغنّته ، ثم قال لابن سُريج : غنِّني يا أبا يحيى ، فغنّاه لحنَه في شعر النميريّ : [من الطويل]

---

1 مرنان العشيّ : كنى به عن الصنج ذي الأوتار . درم : جمع أدرم وهو من لا حجم لعظامه .

2 المدائنيّ : (135–225هـ) : هو أبو الحسن علي بن محمّد بن عبد الله بن أبي سيف المدائنيّ مولى شمس بن عبد مناف ، من رواة الأخبار المشهورين .

3 الفهريّ (125–197هـ) : أبو محمّد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي الفهري راوٍ مشهور وله مصنفات كثيرة .

تَضَوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أَن مشتْ

فأمر براحلته فنُحرت ، وشَقّ حُلّته فألقى نصفَها على عَزّةَ والنصفَ الآخر على ابن سريج . فباع ابنُ سريج النصفَ الذي صار إليه بمائة وخمسين ديناراً . وكانت عزّة إذا جلست في يوم زينة أو مباهاة ألقت النصفَ الآخرَ عليها تتجمّل به .

[سمع سعيد بن المسيّب شعراً له فأعجبه وزاد عليه]

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن عليّ بن منصور قال أخبرني أبو عَتّاب عن إبراهيم بن محمّد بن العبّاس المُطّلبيّ : أنّ سعيد بن المُسيَّب مرّ في بعض أزِقّة مكّة ، فسمع الأخضرَ الحَرْبيّ يتغنّى في دار العاص بن وائل : [من الطويل]

تَضوّعَ مسكاً بطنُ نعمانَ إذ مشت بـــه زينـبٌ في نسوة خَفِـــراتِ

فضرب برجله وقال : هذا والله ممّا يَلَذّ استماعه ، ثم قال : [من الطويل]

وليست كأُخرى أوسعت جيبَ دِرْعِها وأبـدت بنـانَ الكـفّ للجَمَراتِ

وعَلّت بَنـان المسكِ وَحْفـاً مرجّلا على مثـل بَـدْرٍ لاح في الظلماتِ[1]

وقامتْ تَراءى يـومَ جَمْـعٍ فأفْتنتْ برؤيتهـا مَـنْ راح مـن عَرَفاتِ[2]

قال : فكانوا يرون أنّ هذا الشعر لسعيد بن المُسيّب .

[مرّ على عائشة بنت طلحة فاستنشدته شعره في زينب]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله أخي الأصمعيّ عن عبد الله بن عِمْران الهَرَويّ ، وأخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثني المُغيرة بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثني محمّد بن عبد الوهّاب عن عبد الرحمن بن عبد الله عن عبد الله بن عِمْران الهَرَويّ قال : لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكّة سنةً وبالمدينة سنة ، وتخرج إلى مالٍ لها عظيم بالطائف وقصرٍ كان لها هناك فتتنزّه فيه ، وتجلس بالعشيّات ، فيتناضل بين يديها الرُّماة . فمرَّ بها النُّمَيريّ الشاعر ؛ فسألت عنه فنُسب لها ، فقالت : ائتوني به ، فأتَوْها به . فقالت له : أنشِدْني ممّا قلتَ في زينبَ ؛ فامتنع عليها وقال : تلك ابنة عمّي وقد صارت عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ عليك بالله إلاّ فعلتَ ؛ فأنشدها قولَه : [من الطويل]

تضوّعَ مسكاً بطنُ نعمان أنْ مشتْ

الأبيات . فقالت : والله ما قلتَ إلاّ جميلاً ، ولا ذكرتَ إلاّ كرماً وطيباً ، ولا وصفتَ إلاّ

1 الوحف : الشّعر الغزير الأسود .

2 جمع : علم للمزدلفة .

ديناً وتُقىً ، أعطوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعة الأُخرى تعرّض لها ؛ فقالت : عليّ به ، فأُحضِر[1] . فقالت له : أنشِدْني من شعرك في زينبَ ؛ فقال لها : أوَ أُنشِدُك من شعر الحارث بن خالد[2] فيكِ ؟ فوثب مواليها إليه ؛ فقالت : دَعُوه فإنّه أراد أن يَستقيد لبنت عمّه ، هاتِ ممّا قال الحارثُ فيّ ؛ فأنشدها : [من الكامل]

ظَعَـن الأميرُ بأحسن الخَلْـقِ وغَـدَوْا بلبّـك مَطْلَعَ الشَّرْقِ

فقالت : والله ما ذكر إلاّ جميلاً ، ذكر أنّي إذا صبّحتُ زوجاً بوجهي غدا بكواكب الطَّلْق ، وأنّي غدوتُ مع أميرٍ تزوّجني إلى الشرق ، وأنّي أحسن الخَلْق في البيت ذي الحسب الرفيع ؛ أعطوه ألف درهم واكْسُوه حُلّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا بعد هذا يا نُمَيْريّ .

[غنّى إبراهيم الموصليّ للرشيد من شعره وكان غاضباً عليه فرضي عنه]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه : أنّ الرشيد غضب على إبراهيم أبيه بالرقّة فحبسه مدّةً ، ثم اصطبح يوماً ، فبينا هو على حاله إذ تذكّره ، فقال : لو كان الموصليّ حاضراً لانتظم أمرُنا وتَمّ سرورنا . قالوا : يا أمير المؤمنين ، فَجِيء به ، فما له كبيرُ ذنب . فبعث فجِيءَ به . فلمّا دخل أطرق الرشيد فلم ينظر إليه ، وأومأ إليه مَنْ حضر بأن يغنّي ؛ فاندفع فغنّى : [من الطويل]

تَضوَّعَ مسكاً بطنُ نَعْمان أن مشتْ بـــه زينـــبٌ في نِسْوة خَفِراتِ

فما تمالك الرشيد أن حرّك رأسَه مراراً واهتزّ طرباً ، ثم نظر إليه وقال : أحسنتَ والله يا إبراهيم ! حُلّوا قيودَه وغَطّوه بالخِلَع ، ففُعِل ذلك . فقال : يا سيّدي ، رضاك أوّلاً ؛ قال : لو لم أرْضَ ما فعلتُ هذا ، وأمر له بثلاثين ألفَ درهم .

وممّا قاله النُّمَيْريّ في زينبَ وغُنّي فيه : [من مجزوء الكامل]

صوت

تَشْتو بمكّـة نَعْمـــةٌ ومَصِيفُهـا بالطائفِ
أحْبِبْ بتلك مواقفـاً وبزينبٍ مِـنْ واقفِ
وعَزيـزة لم يَغْذُهـا بؤسٌ وجفوةُ حائفِ
غَـرّاء يَحْكيها الغزا لُ بمُقلـةٍ وسَوالفِ

1 في ل : فجاء .
2 الحارث : هو الحارث بن خالد المخزوميّ .

الغناء ليحيى المكّيّ خفيفُ رَمَل عن الهشاميّ ، وذكر عمر بن بانة أنّه لابن سُرَيج وأنّه بالبنصر . وزعم الهشاميّ أنّ فيه لابن المكّيّ أيضاً لحناً من الثقيل الأوّل .

ومن الغناء في أشعاره في زينبَ : [من المتقارب]

صوت

أَلاَ مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَزِلْ ... يُحِبّ المُحِلّةَ أختَ المُحِلّ
تراءتْ لنا يومَ فرع الأرا ... ك بين العِشاء وبين الأُصُلْ
كأنّ القَرَنْفُلَ والزّنْجَبِيلَ ... وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العسلْ
يُعَلّ به بَرْدُ أنْيابِها ... إذا ما صفا الكوكبُ المعتدلْ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر يونس أنّ لمالك فيه لحناً في : [من المتقارب]

كأنّ القرَنْفُلَ والزّنْجبيل

والبيت الذي بعده وبيتين آخرين وهما : [من المتقارب]

وقالت لجارتها هل رأيـ ... ـتِ إذْ أعرَض الركبُ فِعْلَ الرجلْ
وأنّ تَبَسُّمَه ضاحكاً ... أجَدّ اشتياقاً لقلب غَزِلْ

وذكر حمّاد عن أبيه أنّ فيها للهُذَليّ لحناً ، ولم يذكر طريقته .

المُحِلّ الذي عناه النميريّ هاهنا : الحَجّاج بن يوسف ؛ سُمّي بذلك لإحلاله الكعبة ، وكان أهل الحجاز يُسمُّونه بذلك . ويُسمّي أهلُ الشام عبدَ الله بن الزبير المُحلَّ لأنّه أحلَّ الكعبة ، زعموا أنّه بمُقامه فيها ، وكان أصحابه أحرقوها بنار استضاءوا بها .

فأخبرني الحُسين بن يحيى المِرْداسيّ قال قال حَمّاد بن إسحاق : قرأتُ على أبي : وبلغني أنّ إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس تزوّج أسماءَ بنت يعقوب (امرأة من ولد عبد الله بن الزبير) فزفّت إليه من المدينة وهو بفارس ، فمرّتْ بالأهواز على السيّد الحِمْيريّ ؛ فسأل عنها فنُسبت له ؛ فقال فيها قولَه : [من المتقارب]

مَرّتْ تُزَفّ على بغلة ... وفوق رِحالتها قُبّهْ
زُبيريّةٌ من بنات الذي ... أحلّ الحرامَ من الكعبهْ
تُزفُّ إلى ملكٍ ماجدٍ ... فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ

وقد قيل بأنّ الأبيات اللاميّة التي أوّلها : [من المتقارب]

أَلاَ مَنْ لقلبٍ مُعنًّى غَزِلْ

لخالد بن يزيد بن معاوية في زوجته رَمْلَة بنت الزُّبَير ، وقيل : إنّها لأَبي شَجَرة السُّلَميّ .

[استنشد رجل ابن سيرين فأنشده للنميريّ وقام إلى الصلاة]

حدَّثني الحسين بن الطيِّب البَلْخيّ الشاعر قال حدَّثنا قُتَيبةُ بن سَعيد قال حدَّثنا أَبو بكر بن شُعَيب بن الحَبْحاب المَعْوَليّ[1] قال : كنتُ عند ابن سيرينَ ، فجاءه إنسان يسأله عن شيء من الشعر قبل صلاة العصر ، فأنشده ابنُ سيرين : [من المتقارب]

كأنّ المُدامةَ والزنجبيلَ ... وريحَ الخُزامَى وذَوْبَ العَسلْ

يُعَلُّ به بَرْدُ أنيابها ... إذا النجم وَسْطَ السماء اعتدلْ

وقال : اللهُ أكبرُ ، ودخل في الصلاة .

صوت

من المائة المختارة

[من البسيط]

يا قلبُ ويحكَ لا يذهبْ بك الخُرُق ... إنّ الأُلَى كنتَ تَهْواهم قد انطلقوا[2]

[ويُروى : يذهب بك الحُرَق] :

ما بالهم لم يُبالوا إذ هَجَرْتَهمُ ... وأَنت من هجرهم قد كدتَ تحترقُ

الشعر لوضّاح اليمن . والغناء لصَبَّاح الخيّاط ، ولحنه المختار ثقيلٌ أَوّل بالوسطى في مجراها . وفي أَبيات من هذه القصيدة أَلحانٌ عدّة ، فجماعة من المغنّين قد خلطوا معها غيرَها من شعر الحارث بن خالد ومن شعر ابن هَرْمة ؛ فأَخّرتُ ذكرَها إلى أَن تنقضي أَخبارُ وَضّاح ، ثم أَذكرها[3] بعد ذلك إن شاء الله تعالى .

1 المعولي : نسبة إلى بني مَعْولة بن شمس بن عمرو .

2 الخُرُق : نقيض الرِّفق .

3 لم يذكرها أبو الفرج كما وعد هنا .

[90] ـ أخبار وضّاح اليمن[1] ونسبه

[نسبه]

وَضّاح لقبٌ غلب عليه لجماله وبهائه ، واسمه عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كُلال بن داذ بن أبي جَمَد . ثم يُختلف في تحقيق نسبه ، فيقول قوم : إنّه من أولاد الفرس الذين قَدِموا اليمَن مع وَهْرِز لنُصرة سَيْف بن ذي يَزَن على الحبشة . ويزعمُ آخرون أنّه من آل خَولان بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قَطَن بن عَرِيب بن زُهير بن أيْمَن بن الهَمَيْسَع بن العَرَنْجَج[2] وهو حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب وهو المرعث بن قَحْطان . فممّن ذكر أنّه من حمير خالد بن كُلْثوم ، قال : كان وضّاح اليمن من أجمل العرب وكان أبوه إسماعيل بن داذ بن أبي جَمد من آل خَوْلان بن عمرو بن معاوية الحِمْيَري فمات أبوه وهو طفل ، فانتقلت أُمّه إلى أهلها ، وانقضتْ عدّتها فتزوّجت رجلاً من أهلها من أولاد الفرس . وشبّ وضّاح في حجر زوج أُمّه . فجاء عمُّه وجدّته أُمُّ أبيه ، ومعهم جماعة من أهل بيته من حِمْيَر ثم من آل ذي قَيْفان ثم من آل ذي جَدَن يطلبونه ، فادّعى زوج أُمّه أنّه ولده . فحاكموه فيه وأقاموا البيّنة أنّه وُلد على فراش إسماعيل بن عبد كُلال أبيه ، فحكم به الحاكم لهم ، وقد كان اجتمع الحميريّون والأبناء[3] في أمره وحضر معهم . فلمّا حكم به الحاكم للحميريين ، مسح يدَه على رأسه وأعجبه جمالُه وقال له : اذهب فأنت وضّاح اليمن ، لا من أتباع ذي يَزَن (يعني الفُرْس الذين قدم بهم ابنُ ذي يَزَن لنصرته) فعَلِقت به هذه الكلمة منذ يومئذٍ ، فلُقّب وضّاح اليمن . قال خالد : وكانت أُمّ داذ بن أبي جَمَد جدّة وضّاح كِنْديّةً ؛ فذلك حيث يقولُ في بنات عمّه : [من الخفيف]

إنّ قلبـــي مُعَلَّـــق بنساء ... واضحاتِ الخدود لَسْنَ بهُجْنِ

مِنْ بناتِ الكريم دَاذَ وفي كنـ ... ـدةَ يُنسبن مـن أُباة اللَّعْنِ

وقال أيضاً يفتخر بجَدّه أبي جَمَد : [من الخفيف]

بَنـــى لِيَ إسماعيلُ مجداً مُؤثَّلاً ... وعبـــدُ كُـلال بعده وأبو جَمَدْ

---

1 وضاح اليمن ، انظر أخباره في : التذكرة الحمدونية 9 : 232–233 .

2 كان يقال لحمير العرنجج ، والعرنجج في الأصل : العتيق .

3 الأبناء : هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن .

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن العبّاس بن هشام عن أبيه قال : كان وضّاح اليمن والمُقنَّع الكِنْديّ وأبو زُبَيد الطائي يَرِدون مواسمَ العرب مُقنَّعين يسترون وجوهَهم خوفاً من العين وحَذَراً على أنفسهم من النساء لجمالهم . قال خالد بن كلثوم : فحدّثت بهذا الحديث مرّةً وأبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى حاضرٌ ذلك ، وكان يزعم أنّ وضّاحاً من الأبناء ؛ فقال أبو عُبيدة : داذ اسم فارسيّ . فقلت له : عبدكلال اسم يَمانٍ ، وأبو جَمَد كنية يمانية ، والعجم لا تكتني ، وفي اليمن جماعة قد تسمَّوْا بأبْرَهة ، وهو اسم حبشيّ ، فينبغي أن تنسُبهم إلى الحبشة . وأيّ شيء يكون إذا سُمّي عربيّ باسم فارسيّ ! وليس كلّ مَن كُني أبا بكر هو الصدّيق ، ولا مَن سُمّي عُمَراً هو الفاروق ، وإنّما الأسماء علامات ودلالات لا توجب نسباً ولا تدفعه . قال : فوجَم أبو عبيدة وأفحم فما أجاب .

وممّن زعم أنّه من أبناء الفرس ابنُ الكلبيّ ومحمّد بن زِياد الكِلابيّ .

وقال خالد بن كلثوم : إنّ أمّ إسماعيل أبي الوضّاح بنتُ ذي جَدَن ، وأمّ أبيه بنت فُرْعان ذي الدّروع الكِنْديّ من بني الحارث بن عمرو .

[أحبّ روضة ولم يتزوّجها وقال فيها شعراً]

وكان وضّاحٌ يهوى امرأةً من أهل اليمن يُقال لها رَوْضة .

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال : ذكر هشام بن الكلبيّ أنّها رَوْضة بنت عمرو ، من ولد فُرْعانَ ذي الدروع الكِنْديّ .

أخبرني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثني محمّد بن سَعيد الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثَم بن عَدِيّ عن عبد الله بن عَيّاش : أنّ وضّاحاً هَوِي امرأةً من بنات الفرس يقال لها روضة ؛ فذهبت به كلّ مذهب . وخطبها فامتنع قومها من تزويجه إيّاها ؛ وعاتبه أهلُه وعشيرته . فقال في ذلك : [من البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ ما تجِدُ ... قد يعشَق المرءُ ثم يَتَّئِدُ

قد يكتم المرءُ حبَّه حِقَباً ... وهْو عَميدٌ وقلبُه كَمِدُ

ماذا تريدينَ من فتىً غَزِلٍ ... قد شَفّه السُّقْمُ فيكِ والسَّهَدُ

يهدِّدوني كَيْما أخافَهمُ ... هيهاتَ أنّى يُهَدَّد الأسدُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها لحن لابن عَبّاد ، من كتاب إبراهيمَ ، غير مجنّس .

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني سالم بن زيد قال أخبرني التَّوَّزِيّ قال حدّثنا الأصمعيّ عن الخليل بن أحمد قال : كان وَضّاح يهوى امرأةً من كِنْدة يقال لها رَوْضة . فلمّا اشتهر أمرُه معها خطبها فلم يُزوِّجها ، وزُوِّجتْ غيرَه ، فمكثت مدّة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها فأسرّ إليه شيئاً فبكى . فقال له أصحابه : مالك تبكي ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرني هذا أنّ روضةَ قد جُذمت ، وأنّه رآها قد أُلقيت مع المجذومين . ولم نجد لهما خبراً يرويه أهلُ العلم إلاّ لُمَعاً يسيرةً وأشياء تدلّ على ذلك من شعره ، فأمّا خبرٌ متّصل فلم أجده إلاّ في كتاب مصنوع غَثّ الحديث والشعر لا يُذْكَر مثلُه . وأصابها الجُذام بعد ذلك ، فانقطع ما بينهما . ثم شبّب بأُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان زوجةِ الوليد بن عبد الملك ، فقتله الوليد لذلك . وأخبارهما تذكر في موضعها بعقب هذه الحكاية .

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهير بن حَرْب قال حدّثنا مصعَب بن عبد الله قال : كان وَضّاح اليمن يَهوى امرأةً يقال لها روضة ويشبِّب بها في شعره ، وهي امرأة من أهل اليمن . وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا رَوضة الوضّاح قـد ... عَنّيتِ وضّاحَ اليمنْ
فاسقي خليلَك مِنْ شرا ... بٍ لم يُكدِّره الدَّرَنْ
الريحُ ريح سَفَرْجَلٍ ... والطعمُ طعم سُلافِ دَنّ
إنّي تُهيِّجني إليـ ... ـكِ حمامتان على فَنَنْ

قال مُصعَب : فحدّثني بعض أهل العلم ممّن كان يعرف خبر وَضّاح مع روضةَ من أهل اليمن : أنّ وضّاحاً كان في سفر مع أصحابه . فبينا هو يسير إذ استوقفهم وعدَل عنهم ساعةً ، ثم عاد إليهم وهو يبكي . فسألوه عن حاله ؛ فقال : عدلتُ إلى روضة ، وكانت قد جُذمت فجُعِلتْ مع المجذومين ، وأخرجت من بلدها ، فأصلحتُ من شأنها وأعطيتُها صَدْراً[1] من نفقتي . وجعل يبكي غمّاً بها .

الغناء في الأبيات المذكورة في هذا الخبر يُنسب مع تمام الأبيات ؛ فإن في جميعها غناء .

وممّا قاله وضّاح في روضةَ المذكورة وفيه غناء ، وأنشدَنا حِرْمِيٌّ عن الزُّبَير عن عمِّه : [من الطويل]

1 الصّدر : الطائفة من الشيء .

صوت

أيا روضةَ الوَضّاح يا خيرَ رَوضةٍ ... لأهلكِ ، لـو جادوا علينا بمنزلِ
رهينُـك وَضّاحٌ ذهبـتِ بعقلـه ... فإن شئتِ فاحييه وإن شئت فاقتلي
وتُوقـد حِيناً باليَلَنْجُوج نارَهـا ... وتوقِـد أحياناً بمسك ومَنْدَلِ[1]

والأبيات الأُوَل النونيّة فيها زيادة على ما رواه مصعب ، وفي سائرها غناء . وتمامُها بعد قوله : [من مجزوء الكامل]

«إنّـي تُهيّجنـي إليـ ... ـكِ حمامتان على فَنَنْ»
الـزوج يدعـو إلفَـه ... فتطاعمـا حُـبَّ السكنْ
لا خيرَ في نَـثّ الحديـ ... ـث ولا الجليس إذا فَطَنْ
فاعْصِـي الوُشاةَ فإنّمـا ... قـول الوشاة هـو الغَبَنْ
إنّ الـوُشاة إذا أتـو ... كِ تَنصّحوا ونَهَوْكِ عنّ[2]
دَسَّت حُبَيبـةُ مَوْهِنـاً ... إنّي وعيشكِ يـا سَكَنْ
أُبلغـتُ عنـكِ تبـدُّلاً ... وأُتـى بذلـك مُؤتَمَنْ
وظننـتُ أنّكِ قـد فعلـ ... ـتِ فكِدْتُ من حَزَن أُجنّ
ذَرَفتْ دموعـي ثـم قلـ ... ـت بمَـنْ يبادلني بمنْ
اسكُتْ فلستَ مُصدَّقـاً ... مـا كان يفعـل ذا أظنْ
إنّي وجَـدِّكَ لـو رأيـ ... ـت خليلَنـا ذاك الحسنْ
يجفـوه ثـم يحبنـا ... والله مِـتُّ مـن الحَـزَنْ
أخبـرْه إمّـا جئتَـه ... أنّ الفـؤادَ بـه يجَنّ
أبغضتَ فيـه أحبَّتـي ... وقَلَيْت أهـلي والوطنْ
أتركتَنـي حتّـى إذا ... عُلِّقـت أبيـض كالشَّطَنْ
أنشأتَ تطلـب وَصْلَنـا ... في الصيف ضَيَّعتِ اللبنْ

هكذا قال ، وغيره يرويه : «في الصيف ضيحت اللبن» أي مذَقته . قال[3] :

---

1 اليلنجوج : عود البخور .
2 يريد : عنّي .
3 الظاهر أنّ كلمة «قال» من عمل النسّاخ .

لـو قيل يـا وضّاح قـم فاختـر لنفسك أو تَمَنّ
لم أعْـدُ رَوْضـةَ والذي ساق الحجيج لـه البُدُنْ

الغناء في الأوّل من القصيدة وهو «يا روضة الوضّاح» يُنسب إن شاء الله . وله في روضة هذه أشعار كثيرة في أكثرها صنعةٌ ، وبعضها لم يَقَع إليّ أنّه صُنِع فيه . فمن قوله فيها : [من السريع]

صوت

يـا روضُ جيرانكـم الباكرُ فالقلـبُ لا لاهٍ ولا صابـرُ
قالـت ألا لا تَلِجَـنْ دارَنـا إنّ أبانـا رجـلٌ غـائرُ
قلـت فإنّـي طالـبٌ غِرّةً منـه وسَيفـي صارمٌ بـاترُ
قالت فإن القَصْرَ مِـنْ دوننا قلتُ فإنّـي فوقـه ظـاهرُ
قالت فإن البحرَ مِـنْ دوننا قلت فإنّـي سابحٌ مـاهرُ
قالت فحَـوْلي إخـوةٌ سبعةٌ قلت فإنّـي غالـبٌ قـاهرُ
قالت فليـثٌ رابضٌ بيننـا قلت فإنّـي أسدٌ عـاقرُ
قالت فـإن اللهَ مـن فوقنا قلت فربّـي راحـمٌ غـافرُ
قالت لقـد أعييتَنـا حُجّةً فَـأْتِ إذا مـا هَجع السامرُ
فَاسقُط علينا كسقوط النَّدَى ليلـةَ لا نـاهٍ ولا زاجـرُ

الغناء في هذه الأبيات هَزَجٌ يمنيّ ، وذكر يحيى المكّيّ أنّه له .

وقال في روضةَ وهو بالشام : [من الوافر]

أَبَتْ بالشام نفسي أن تطيبا تذكّـرتُ المنـازلَ والحبيبا
تذكّرتُ المنازلَ مـن شَعُوب وحَيّاً أصبحوا قُطِعوا شُعوبا[1]
سَبَوا قلبـي فحَلّ بحيث حَلُّوا ويُعظم إن دَعَـوْا ألاّ يُجيبا
ألا ليت الريـاحَ لنا رسولٌ إليكم إنْ شَمـالاً أو جَنُوبا
فتأتِيَكـم بمـا قلنـا سريعـاً ويبلُغَنـا الذي قلتـم قريبا
ألا يا رَوْض قـد عَذّبتِ قلبي فأصبح مـن تذكّركم كئيبا

1 شعوب : موضع قريب من صنعاء ، وكان به قصر معروف بالارتفاع وحواليه بساتين بظاهر صنعاء .

ورقّقني هـواكِ وكنتُ جَلْداً وأَبْـدى في مَفارِقـيَ المَشيبا
أما يُنسيكَ روضةَ شحطُ دارٍ ولا قـربٌ إذا كانت قريبا

وممّا قال فيها أيضاً : [من الكامل]

طَرِب الفؤاد لطَيْفِ روضةَ غاشِي والقومُ بـين أباطِـح وعِشاشِ[1]
أنّى اهتديتِ ودون أرضِك سَبْسبٌ قَفْرٌ وحَـزْنٌ في دُجىً ورِشاشِ
قالـت تكاليفُ المحـبّ كَلِفتُهـا إنّ المُحبّ إذا أُخيـف لَماشي
أدعـوكِ روضة رحب واسمك غيرُه شَفَقاً وأخشى أن يَشي بكِ واشي
قالت فزُرْنا قلـتُ كيف أزورُكم وأنـا امرؤ لخُروج سرّك خاشي
قالت فكُنْ لعُمومتي سَلماً معـاً والطُفْ لإخوتـيَ الذين تُماشي
فتزورنـا معهـم زيـارةَ آمـنٍ والسرُّ يـا وضّاح ليس بفاشي
ولَقِيتُها تمشي بأبطَـحَ مـرّةً بخلاخـلٍ وبحُلّـةٍ أكْباشِ[2]
فظلِلْتُ معمـوداً وبـتّ مُسَهَّداً ودمـوع عيني في الرداء غَواشي
يا روض حبُّك سَلَّ جسمي وانتحى في العظم حتى قد بلغتِ مُشاشي[3]

وممّا قال فيها أيضاً : [من الكامل]

طرَق الخيـالُ فمرحباً سهلا بخيال مَنْ أهدى لنا الوصْلاَ[4]
وسَرى إليّ ودون منزله خمسٌ دوائمُ تُعمِل الإبْلا
يـا حبّـذا مَنْ زار معتسفاً حَـزْنَ البـلاد إليّ والسَّهْلا
حتى ألـمّ بنـا فبِـتُّ بـه أغْنـى الخلائقِ كلِّهـم شَمْلا
يا حبّذا هي قَدْكَ حسبك قد واللهِ مـا أبقيـتِ لي عقلا
واللهِ مـالي عنـكِ مُنْصَرَفٌ إلاّ إليكِ فأجْمـلي الفِعْلا

[حجّت أمّ البنين ورأته فهويته]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا القاسم بن الحسن المَرْوَزيّ قال حدّثنا

1 العشاش : جمع عَشّة ، وهي الأرض القليلة الشجر ، وقيل هي الأرض الغليظة .
2 الأكباش : من برود اليمن .
3 المشاش : النّفس ، والمشاش أيضاً : رؤوس العظام واحدها مشاشة .
4 طرق في ل : طاف .

العُمَريّ عن لَقيط والهَيْثم بن عَديّ : أنّ أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَروان استأذنت الوليدَ بن عبد الملك في الحجّ فأَذِن لها ، وهو يومئذٍ خليفة وهي زوجته . فقدمت مكّةَ ومعها من الجواري ما لم يُرَ مثلُه حسناً . وكتب الوليدُ يتوعّد الشعراء جميعاً إن ذكرها أحدٌ منهم أو ذكر أحداً ممّن تَبِعها . وقدِمتْ ، فتراءت للناس ، وتصدَّى لها أهلُ الغَزَل والشعر ، ووقعتْ عينُها على وَضّاح اليمن فهَوِيتْه .

فحدَّثنا الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدَّثني إبراهيم بن محمَّد بن عبد العزيز الزُّهري عن محمَّد بن جعفر مولى أبي هُرَيرة عن أبيه عن بُدَيح قال : قَدِمتْ أُمُّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان وهي عند الوليد بن عبد الملك حاجّةً ، والوليدُ يومئذٍ خليفة . فبعثتْ إلى كُثَيِّر وإلى وضّاح اليمن أنِ انسُبا بي . فأمّا وضّاح اليمن فإنّه ذكرها وصرّح بالنَّسيب بها ؛ فوجَد الوليدُ عليه السبيلَ فقتله . وأمّا كُثَيِّر فعدَل عن ذكرها ونَسب بجاريتها غاضِرة فقال[1] : [من الوافر]

صوت

شجا أَظْعـانُ غاضرةَ الغَوادي بغير مَشُورة عَرَضـاً فؤادي
أغاضر لـو شهدتِ غداةَ بِنْتم حُنُـوَّ العائـدات على وِسادي
أَوَيْـتِ لعاشق لم تشكُميـه بواقـدةٍ تلـذّعُ كالزنادِ[2]

الغناء في هذه الأبيات لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشاميّ وحَبَش . قال بُدَيح : فكنتَ لمّا حجّتْ أُمّ البنين لا تشاء أن تَرى وجهاً حسناً إلاّ رايتَه معها . فقلت لعُبيد الله بن قيس الرُّقَيات : بمَن تشبِّب من هذا القَطين ؟ فقال لي : [من الهزج]

ومـا تصنـع بـالسرّ إذا لم تـك مجنـونا
إذا عالجتَ ثِقْـل الحـ ـبّ عالجتَ الأُمَرِّينا[3]
وقـد بُحـتَ بأمرٍ كا ن في قلبـيَ مكنـونا
وقـد هِجْتَ بما حاولْـ ـتَ أمـراً كان مدفونا

قال : ثم خلا بي فقال لي : اكتُم عليّ ، فإنّك موضع للأمانة ؛ وأنشدني :[من مجزوء الكامل]

1 هذا الشعر من قصيدة قالها كثير في رثاء خندف الأسديّ لمّا قتل .
2 أَوَيتِ في ل : رنيت .
3 الأُمرُّون : الدواهي .

صوت

أصحوتَ عـن أُمّ البنيـ ـنَ وذكرِهـا وعَنائها
وهجرتَها هجـرَ امرىء لم يَقْلُ صفـوَ صفائها
قُرشيّـةٌ كالشمس أَشـ ـرق نورُهـا بيهـائها
زادتْ على البِيض الحِسا ن بحسنهـا ونقـائها
لمّـا اسبكرَّتْ للشبـا ب وقُنّعـت بـردائها
لم تلتفـت لِلداتهـا ومضـتْ عـلى غُـلوائها
لولا هَـوى أُمِّ البنيـ ـنَ وحاجتـي للقائها
قـد قرّبـت لي بغلـةً محبـوسةً لنَجـائها

قال بُدَيح : فلمّا قَتل الوليدُ وضّاحَ اليمن ، حجّتْ بعد ذلك أُمُّ البنين محتجبةً لا تكلِّم أحداً ؛ وشخصت كذلك ، فلقيني ابنُ قيس الرُّقيّات ، فقال : يا بديح ،

صوت

[من مجزوء البسيط]

بَانَ الحبيبُ الذي بـه تَثِـقُ واشتـدّ دون الحبيبـة القَلَـقُ
يـا مَـن لصَفْراء في مفاصلها لِينٌ وفي بعض بطشها خُرُقُ

وهي قصيدة قد ذُكرت مع أخبار ابن قيس الرقيّات .

الغناء في الأبيات الأُوَل التي أوّلها : [من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عـن أُمّ البنـين

يُنسب في موضع آخر إن شاء الله .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤَمَّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال حدَّثني كُثَيِّر قال : حججتُ مع أُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، وهي زوجة الوليد بن عبد الملك ، فأرسلت إليّ وإلى وضّاح اليمن أن انسُبا بي ؛ فهِبْتُ ذلك ونسَبت بجاريتها غاضرة ، فقلت : [من الوافر]

شجا أظعانُ غاضرة الغَوادِي بغير مَشُورة عَرَضاً فؤادي
أغاضر لو شهدتِ غداةَ بِنْتم حُنُوّ العائـدات على وسادي
أَوَيْـتِ لعـاشقٍ لم تشكُميه بواقـدةٍ تلـذّع كالـزنادِ

وأمّا وضّاح فنَسب بها ، فبلغ ذلك الوليدَ فطلبه فقتله .

أخبرني عمّي قال حدّثني محمّد بن سعد الكُرانيّ قال حدّثني أبو عمر العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : مدح وضّاحُ اليمن الوليدَ بن عبد الملك ، وهو يومئذٍ خليفة ، ووعدتْه أمّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان أن تُرْفِده عنده وتقوِّيَ أمره . فقَدِم عليه وضّاح وأنشده قولَه فيه : [من الوافر]

صوت

صبا قَلبي ومـال إليكِ مَيْلا ... وأرّقنـي خيالُـكِ يا أُثَيْلا[1]
يَمانِيَـةٌ تُلـمّ بنـا فتُبْدي ... دقيـقَ محاسنٍ وتُكـنّ غَيْلا[2]
دَعِينَا مـا أَمتُ بنـاتِ نَعْشٍ ... من الطَّيْف الذي يَنتاب ليلا[3]
ولكـنْ إن أُردتِ فصَبِّحينا ... إذا أُمَّـتْ ركائبُنـا سُهَيلا
فإنّك لـو رأيتِ الخيلَ تعدو ... سِراعـاً يتّخذن النَّقْعَ ذَيْلا[4]
إذاً لرأيتِ فوقَ الخيـل أُسْداً ... تُفيـد مغانمـاً وتُفيـت نَيْلا
إذا سار الوليـدُ بنـا وسِرْنا ... إلى خيـل نَلُـفّ بهـنّ خَيْلا
ونَدخل بالسرور ديـارَ قـومٍ ... ونُعقِـب آخريـن أذىً ووَيْلا

فأحسن الوليد رِفْدَه وأجزل صلتَه[5] ومدحه بعدّة قصائد . ثم نُمي إليه أنّه شَبّب بأمّ البنين ، فجفاه وأمر بأن يُحجب عنه ، ودبر في قتله .

ومدحه وَضّاح بقوله أيضاً : [من الطويل]

مـا بـال عينكَ لا تَنام كأنّما ... طلب الطبيبُ بها قَذىً فأضلَّهُ
بـل ما لقلبك لا يـزالُ كأنّه ... نَشوانُ أنْهلـه النديـمُ وعَـلَّهُ
ما كنتُ أحسَب أنْ أبيتَ ببلدةٍ ... وأخي بأُخْرى لا أَحُلُّ مَحلَّهُ

---

1 أُثيل : ترخيم أثيلة ، وهو اسم امرأة .

2 وتكنّ في ل : وتُجنّ . الغيل : السّاعد الريّان الممتلىء . وفي شرح الحماسة في التعليق على هذا البيت : «دقيق محاسنها كالعين والأنف والأسنان والفم . وتكنّ غيلا : أي تستر ما جلّ منها كالمعصم والساعد والساق والفخذ» .

3 بنات نعش : من الكواكب الشامية .

4 سراعاً في ل : عوابس .

5 في ل : جائزته .

كنّا لعَمْرُك ناعمين بغبطةٍ ... مع ما نُحبّ مَبيتَه ومَظَلَّهُ
فأرى الذي كنّا وكان بِغرّة ... نلهو بِغرّته ونهوَى دَلَّهُ
كالطيف وافق ذا هوىً فلَها به ... حتى إذا ذهب الرقاد أَضلَّهُ
قُل للذي شعَف البلاءُ فؤادَه ... لا تهلكنّ أخاً فربّ أَخ لهُ
والقَ ابن مَروان الذي قد هزّه ... عِرق المكارم والنّدى فأَقلَّهُ
واشْكُ الذي لاقيته من دونه ... وانشُرْ إليه داءَ قلبك كلَّهُ[1]
فعلى ابن مَرْوانَ السلامُ من امرىء ... أمسى يذوق منَ الرُّقاد أَقلَّهُ
شوقاً إليك فما تنالك حالُه ... وإذا يَحِلّ البابَ لم يُؤذن لهُ
فإليك أَعملتُ المطايا ضُمَّراً ... وقطعتُ أَرْواحَ الشتاء وظِلَّهُ
ولياليا لو أنّ حاضرَ بَثّها ... طرف القضيب أَصابه لأَشلَّهُ

فلم يزل مجفُوّاً حتى وجَد الوليد له غِرّة ، فبعث إليه مَن اختلسه ليلاً فجاءه به ، فقتله ودفنه في داره ، فلم يُوقف له على خبر .

[قتل الوليد له]

وقال خالد بن كلثوم في خبره : كان وضّاح قد شبّب بأُمّ البنين بنت عبد العزيز بن مَرْوان امرأة الوليد بن عبد الملك ، وهي أُمّ ابنه عبد العزيز بن الوليد ، والشرفُ فيهم . فبلغ الوليدَ تشبُّبه بها ، فأَمر بطلبه فأُتي به ، فأَمر بقتله . فقال له ابنه عبد العزيز : لا تفعل يا أَمير المؤمنين فتحقّقَ قولَه ، ولكن افعل به كما فعل معاوية بأَبي دَهْبَل ؛ فإنّه لمّا شبّب بابنته شكاه يزيد وسأَله أَن يقتله ؛ فقال : إذاً تُحقّق قولَه ، ولكن تَبَرُّه وتحسن إليه فيستحيي ويَكُفُّ ويكذّب نفسه . فلم يقبل منه ، وجعله في صندوق ودفنه حيّاً . فوقع بين رجل من زنادقة الشُّعُوبيّة وبين رجل من ولد الوليد فَخارٌ خرجا فيه إلى أَن أَغْلظا المُسابَّةَ ، وذلك في دولة بني العبّاس ؛ فوضع الشُّعُوبيّ عليهم كتاباً زعم فيه أَنّ أُمَّ البنين عشِقتْ وَضّاحاً ، فكانت تُدخله صندوقاً عندها . فوقف على ذلك خادم الوليد فأَنهاه إليه وأَراه الصندوق ، فأَخذه ووضّاح فيه فدفنه . هكذا ذكر خالد بن كلثوم والزُّبَير بن بَكّار جميعاً .

وأَخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش في كتاب المغتالين قال حدّثنا أَبو سَعيد السُّكّريّ قال حدّثنا محمّد بن حَبيب عن ابن الكَلبيّ قال : عَشِقتْ أُمُّ البنين وَضّاحاً ، فكانت تُرسل إليه فيدخل إليها ويُقيم عندها ؛ فإذا خافت وارتْه في صندوق عندها وأَقفلتْ عليه . فأُهدي

1 دونه في ل : جفوة .

للوليد جَوْهر له قيمة فأعجبه واستحسنه ، فدعا خادماً له فبعث به معه إلى أُمّ البنين وقال : قُل لها : إنّ هذا الجوهر أعجبني فآثرتُكِ به . فدخل الخادم عليها مفاجأةً ووضّاح عندها ، فأدخلتْه الصندوقَ وهو يَرى ، فأدّى إليها رسالةَ الوليد ودفع إليها الجوهر ، ثم قال : يا مولاتي ، هَبيني منه حجراً ؛ فقالت : لا ، يا ابنَ اللَّخْناء ولا كرامة . فرجع إلى الوليد فأخبره ؛ فقال : كذبتَ يا ابن اللخناء ، وأمَر به فُوجِئتْ عنقُه . ثم لبس نعليه ودخل على أُمّ البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي أُدخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا أُمّ البنين ، ما أحبَّ إليكِ هذا البيتَ من بين بيوتك ! فلِمَ تختارينه ؟ فقالت : أجلسُ فيه وأختاره لأنّه يجمع حوائجي كلَّها فأتناولها منه كما أُريد من قرب . فقال لها : هَبي لي صندوقاً من هذه الصناديق ؛ قالت : كلُّها لك يا أمير المؤمنين ؛ قال : ما أُريدها كلَّها وإنّما أُريد واحداً منها ؛ فقالت له : خُذ أيَّها شئتَ ؛ قال : هذا الذي جلستُ عليه ؛ قالت : خُذ غيرَه فإن لي فيه أشياءَ أحتاج إليها ؛ قال : ما أُريد غيره ؛ قالت : خُذْه يا أمير المؤمنين . فدعا بالخَدَم وأمرهم بحمله ، فحمله حتى انتهى به إلى مجلسه فوضعه فيه . ثم دعا عَبيداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقةً ، فنُحّي البِساط وحُفرت إلى الماء . ثم دعا بالصندوق فقال : [يا هذا] إنّه بلغنا شيء إن كان حقّاً فقد كفّنّاك ودفنّاك ودفنّا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدّهر ، وإن كان باطلاً فإنّا دفنّا الخشب ، وما أهونَ ذلك ! ثم قُذِف به في البئر وهِيل عليه الترابُ وسُوِّيت الأرض ورُدّ البساط إلى حاله وجلس الوليدُ عليه . ثم ما رُئي بعد ذلك اليوم لوضّاح أثر في الدنيا إلى هذا اليوم . قال : وما رأت أُمّ البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرّق الموت بينهما .

[مرضت أمّ البنين وهو في دمشق فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثني مصعب بن عبد الله قال : مَرِضت أُمّ البنين ووضّاحٌ مُقيم بدمشق ، وكان نازلاً عليها ؛ فقال في علّتها : [من الكامل]

حتّامَ نَكْتُم حزنَنا حتّاما ... وعَلامَ نستبقي الدموعَ علاما
إنّ الذي بي قد تفاقم واغتلى ... ونما وزاد وأوْرَث الأسقاما
قد أصبحت أُمُّ البنين مريضةً ... نَخشى ونُشفق أن يكونَ حِماما
يا ربِّ أمْتِعْني بطول بقائها ... واجبرْ بها الأرمال والأيتاما
واجبر بها الرجلَ الغريبَ بأرضها ... قد فارق الأخوالَ والأعماما
كم راغبين وراهبين وبُؤّسٍ ... عُصموا بقرب جَنابها إعصاما

بجنـاب ظاهـرة الثّنا محمودةٍ لا يُستطـاع كلامُهـا إعظـاما

الغناء في الأوّل والثاني والثالث والرابع والخامس لحَكَمٍ الواديّ خفيفُ رمل بالوسطى ، عن الهشاميّ وعبد الله بن موسى . وممّا وجد في روايتَي هارون بن الزيّات وابن المكّيّ في الرابع ثم الخامس ثم الأوّل والثاني لعمر الواديّ خفيفُ رمل ، من رواية الهشاميّ .

[شبّب بفاطمة بنت عبد الملك فدفنه الوليد في بئر وهو حيّ]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهير قال حدّثنا مصعب قال : بلغ الوليدَ بن عبد الملك تشبُّبُ وَضّاح بأُمّ البنين فهَمّ بقتله . فسأله عبد العزيز ابنُه فيه ، وقال له : إن قتلته فضحتَني وحقّقتَ قولَه ، وتوهّم الناسُ أن بينه وبين أمّي ريبة . فأمسكَ عنه على غيظٍ وحَنَق ، حتى بلغ الوليدَ أنّه قد تعدّى أمّ البنين إلى أُخته فاطمةَ بنت عبد الملك ، وكانت زوجةَ عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله تعالى عنه ، وقال فيها : [من الكامل]

بنتُ الخليفة والخليفة جَدُّها أختُ الخليفة والخليفة بعلُها
فَرِحتْ قوابلُها بها وتباشرتْ وكذاك كانوا في المسرّة أهلُها

فأحْنق واشتدّ غيظه وقال : أمَا لهذا الكلب مُزْدَجَرٌ عن ذكر نسائنا وأخواتنا ، ولا له عنّا مذهب ؛ ثم دعا به فأحضر ، وأمر ببئر فحُفِرتْ ودفَنه فيها حيّاً .

[شعر له]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أخبرني عبد الملك بن عبد العزيز عن يوسف بن الماجِشُون قال : أنشدتُ محمّدَ بن المنكدِر قولَ وَضّاح : [من الطويل]

فمـا نوّلتْ حتى تَضَرَّعتُ عندها وأعلمتُهـا ما رخّص الله في اللَّمَمْ

قال : فضحك وقال : إن كان وضّاح إلاّ مُفْتِياً لنفسه . وتمام هذه الأبيات : [من الطويل]

ترجّـل وَضّاحٌ وأسْبـل بعدمـا تَكَهّل حيناً في الكهول وما احتلَمْ
وعُلِّق بيضاءَ العـوارض طَفْلـةً مُخضّبة الأطـراف طيّبـةَ النَّسَمْ
إذا قلـتُ يومـاً نَوّليني تبسّمتْ وقالت مَعاذَ الله مِن فِعْل ما حَرُمْ
فما نَوّلتْ حتى تضرّعتُ عندها وأعلمتُها مـا رَخّص اللهُ في اللَّمَمْ

[رثى أباه وأخاه بشعر وهو عند أُمّ البنين]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن العُتْبي في خبره الأوّل المذكور من أخبار وَضّاح مع أمّ البنين قال : كان وَضّاح مقيماً عند أُمّ البنين ، فورد عليه نعيُ أخيه وأبيه ؛ فقال يرثيهما : [من الوافر]

أراعك طائرٌ بعد الخُفُوقِ ... بفاجعةٍ مُشنَّعة الطُّروقِ
نعمْ وَلَهاً على رجل عَميد ... أظَلُّ كأنّني شَرِقٌ بريقي
كأنّي إذ علمتُ بها هُدُوّاً ... هوتْ بي عاصفٌ من رأس نِيقِ[1]
أُعَلُّ بزَفْرة من بَعْد أُخرى ... لها في القلب حَرٌّ كالحريقِ
وتَردُف عَبْرةٌ تَهتانَ أُخرى ... كفائض غَرْب نَضّاح فَتيقِ
كأنّي إذ أُكَفْكِفُ دمعَ عيني ... وأنْهاها أقول لها هَريقي
ألاَ تلك الحوادث غِبْتُ عنها ... بأرض الشام كالفرد الغريقِ
فما أنفكُّ أنظر في كتاب ... تُداري النفسُ عنه هوَى زَهوقِ[2]
يُخبِّر عن وفاة أخٍ كريم ... بعيدِ الغور نَفّاع طَليقِ
وقَرْمٍ يُعرِض الخصماءُ عنه ... كما حاد البِكارُ عَنِ الفَنِيقِ[3]
كريم يملأ الشِّيزى ويَقْري ... إذا ما قلّ إيماضُ البُروقِ[4]
وأعظم ما رُميتُ بهِ فَجُوعاً ... كتابٌ جاءَ من فَجٍّ عميقِ
يُخبِّر عن وفاة أخٍ فصبراً ... تَنجَّزْ وعدَ مَنّان صَدوقِ
سأصبر للقضاءِ فكلُّ حيٍّ ... سيلقى سَكرة الموت المَذوقِ
فما الدنيا بقائمةٍ وفيها ... مِن الأحياء ذو عين رَموقِ
وللأحياء أيّامٌ تَقَضَّى ... يَلُفّ ختامُها سُوقاً بسُوقِ
فأغناهم كأعدمهم إذا ما ... تقضّتْ مُدّةُ العيشِ الرقيقِ
كذلك يُبعثون وهم فُرادى ... ليوم فيه تَوْفيةُ الحُقُوقِ
أبعدَ هُمام قومك ذي الأيادي ... أبي الوضّاح رَتّاق الفُتوقِ
وبعد عُبيدةَ المحمودِ فيهم ... وبَعدَ سَماعَة العَوْد العَتيقِ
وبعد ابن المفضَّل وابن كافٍ ... هما أخواك في الزمن الأنيقِ
تؤمِّل أن تعيشَ قريرَ عينٍ ... وأنت أمامَ طَلاّبٍ لَحُوقِ

---

1 النّيق : أعلى موضع في الجبل .
2 الزّهوق : الهالك .
3 البكار : جمع بكر وهو الفتى من الإبل ، والفنيق : الفحل المكرّم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يُركب .
4 الشيزى : خشب أسود تعمل منه القصاع . وقد يطلق على ما صنع من ذلك فيقال للجفان شيزى .

ودنيـاك التـي أمسيتَ فيهـــا مزايلـةُ الشقيـق عـــن الشقيقِ

ومِمّا قاله في مَرْثِيَة أَهله وذكْر الموت وغُنِّي فيه ، وإنّما نذكر منها ما فيه غناء لأنّها طويلة : [من الرجز]

صوت

ما لـكَ وَضّاحُ دائـمَ الغَزَلِ أَلستَ تخشى تَقارُبَ الأَجلِ
صلِّ لذي العرش واتَّخِذْ قَدَماً تُنجيك يـوم العِثـار والزَّلَلِ
يا موتُ ما إن تزال معترضاً لأمـلٍ دون منتهـى الأَمـلِ
لو كان مَـنْ فـرَّ منك منفلتاً إذاً لأُسرعتُ رحلـةَ الجَملِ
لكـنّ كفَّيْك نـال طولُهما مـا كَلَّ عنـه نجائبُ الإبلِ
تنـال كفَّـاك كلَّ مُسْهِلة وحُوتَ بحـر ومَعْقِلَ الوَعِلِ
لولا حِذاري من الحُتُوف فقد أَصبحتُ من خوفها على وَجَلِ
لكنتُ للقلبِ في الهـوى تَبَعاً إنّ هـواه ربائـبُ الحَجَلِ
حِرْميّـة تسكن الحجـازَ لهـا شيخٌ غَيـور يعتـلُّ بالعِللِ[1]
عُلّق قلبـي ربيبَ بيت ملو كٍ ذاتَ قُرطين وَعْثَةَ الكَفَلِ[2]
تَفْتَـرُّ عـن مَنْطِقٍ تَضِنّ بـه يَجري رُضاباً كذائب العسلِ

[قال شعراً يشبّب بحبابة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني سليمان بن أبي أيّوب عن مُصْعب قال : قال وَضّاح اليمن في حَبابة جاريةِ يزيد بن عبد الملك ، وشاهدها بالحجاز قبل أن يشتريها يزيد وتَصير إليه ، وسمع غناءها فأُعجب بها إعجاباً شديداً : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا مَـنْ لقلـبٍ لا يُطيـ ـع الزاجريـن ولا يُفيقْ
تسلو قلوبُ ذوي الهـوى وهـو المكلَّـف والمَشوقْ

1 حِرْميّة : نسبة إلى الحَرَم .
2 امرأة وعثة : كثيرة اللحم .

تَبَلَت حَبابةُ قلبَه ... بالدَّلّ والشكل الأَنيقْ[1]
وبعين أَحورَ يرتعي ... سَقْط الكثيب من العقيقْ[2]
مكحولةٌ بالسَّحر تُنْـ ... ـشي نشوةَ الخمر العَتيقْ
هيفاء إن هِيَ أَقبلتْ ... لاحت كطالعة الشروقْ
والردفُ مثلُ نقاً تلـ ... ـبّد فهْو زُحلوق زَلُوقْ
في درّة الأَصداف معـ ... ـتنقاً بها رَدْع الخَلوقْ[3]
داوِي هوايَ وأَطْفئي ... ما في الفؤاد من الحريقْ
وترفَّقي أَملي فقد ... كلّفتِني ما لا أُطيقْ
في القلب منك جوى المُحـ ... ـبّ وراحةُ الصبِّ الشفيقْ
هذا يقود برُمّتي ... قوداً إليك وذا يسوقْ
يا نفسُ قد كلّفتني ... تَعبَ الهوى منها فذوقْ[4]
إن كنتِ تائقةً لحـ ... ـرّ صبابة منها فَتُوقْ

[شعر له في روضة]

وممّا قال في روضة وفيه عناء قوله : [من الخفيف]

صوت

يا لَقومي لِكثرة العـذّالِ ... ولطَيفٍ سرى مليحِ الدَّلالِ
زائر في قصور صنعاءَ يَسْري ... كلَّ أَرض مخوفةٍ وجبالِ

والغناء لابن عبّاد عن الهشاميّ رمل ، وهذه الأَبيات من قصيدة له في روضة طويلة جيّدة يقول فيها : [من الخفيف]

يقطع الحَزْن والمَهامِهَ والبِيـ ... ـد ومِنْ دونه ثَمانُ ليالي
عاتبٌ في المنام أَحْبِبْ بعُتْبا ... ه إلينا وقولِهِ مِنْ مَقالِ
قلتُ أَهلاً ومرحباً عَددَ القَطْـ ... ـر وسهلاً بطَيف هذا الخَيالِ

1 قلبه في ل : لبّه .
2 سَقْط الكثيب : منقطعه .
3 ردْع : أَثر الطيب في الجسد ، والخلوق : ضرب من الطيب .
4 فذوقِ وتوقِ أَصلهما ذوقي وتوقي .

حبَّذا مَـنْ إذا خلونا نَجِيّـاً ... قال : أهلي لك الفِداء ومالي
وهي الهمّ والمُنى وهوى النفْـ ... ـس إذا اعتلّ ذو هوىً باعتلالِ
قِسْتُ ما كان قبلنا من هوى النا ... س فمـا قِسْتُ حبَّها بمثالِ
لم أَجِـد حبَّها يُشاكله الحـ ... ـبّ ولا وَجْدَنا كوَجْد الرجالِ
كلّ حـبٍّ إذا استطال سيبلَى ... وهوى روضةِ المُنى غيرُ بالي
لم يَـزِدْه تقادُمُ العهـدِ إلاّ ... جِدّةً عندنـا وحسنَ احتلالِ
أيُّها العاذلـون كيف عتابي ... بعـد ما شاب مَفْرِقي وقَذالي
كيف عَذْلي على التي هي منِّي ... بمكان اليَمين أُختِ الشِّمالِ
والذي أَحْرمـوا لـه وأَحلّوا ... بمِنىً صُبْحَ عاشراتِ الليالي
ما ملكتُ الهوى ولا النفسَ منِّي ... مُنـذ عُلِّقتُها فكيـف احتيالي
إن نأتْ كان نأيُها الموتَ صِرْفاً ... أو دنتْ لي فثَمّ يبدو خَبالي
يا ابنةَ المالكيّ يـا بَهْجة النفـ ... ـس أفي حبّكم يَحِلُّ اقتتالي
أيّ ذنب عليّ إن قلتُ إنّي ... لأُحِبّ الحجازَ حـبَّ الزُّلالِ
لأُحِبّ الحجازَ مِنْ حبّ مَنْ فيـ ... ـه وأهوى حِلالَه من حِلالِ[1]

ومِمّا فيه غناء من شعر وضّاح : [من المديد]

صوت

أيُّها النَّاعِـبُ مـاذا تقولُ ... فكِلانـا سائـلٌ ومَسولُ
لا كساك الله ما عشتَ ريشاً ... وبخـوفٍ بـتَّ ثـم تَقيلُ
ثم لا أَنْقَفْتَ في العُشّ فرخاً ... أبـداً إلاّ عليـك دليلُ[2]
حين تُنبـي أنّ هنداً قريبٌ ... يبلُغ الحاجاتِ منهـا الرسولُ
ونـأَت هنـد فَخَبَّرْتَ عنها ... أنّ عهـد الودّ سوف يزولُ

ومنها : [من الكامل]

1 الحلال : جمع حِلّة وهي المحلّة أو القوم النزول فيهم كثرة .
2 أنقف الفرخ : استخرجه من البيضة .

صوت

حـــيِّ التي أَقْصى فؤادِكَ حَلّتِ ... علمـــتْ بأَنّـــك عاشقٌ فأَدلّتِ
وإذا رأَتـــك تقلقلتْ أَحشاؤُها ... شوقـاً إليـــك فأَكثرتْ وأَقَلّتِ
وإذا دخلـــتَ فأُغلِقـــتْ أَبوابُها ... عزم الغيـــورُ حجابَهـــا فاعتلّتِ
وإذا خرجتَ بكتْ عليكَ صبابةً ... حتى تَبَـــلّ دموعُهـــا مـــا بَلّتِ
إن كنتَ يا وضّاح زرتَ فمرحباً ... رَحُبَت عليك بلادُنـــا وأَظلّتِ

الغناء لابن سُرَيج رمل بالوسطى عن عمرو . وفيها خفيف رمل بالوسطى يماني عن عمرو وفيها ليحيى المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، من كتابه . ولابنه أَحمدَ فيها هزج . وذكر حَبَش أَنّ ليحيى فيها أَيضاً خفيفَ ثقيل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَتعـــرف أَطلالاً بمَيْسرة اللِّوَى ... إلى أَرْعب قد حالفتك به الصَّبا[1]
فأَهـــلاً وسهلاً بالتي حـــلّ حبُّها ... فؤادي وحلَّت دارَ شَحْط من النَّوى

الغناء فيه هَزَجٌ يَمنيّ بالبنصر عن ابن المكّيّ ، وهذه أَبيات يقولها لأَخيه سَماعةَ ، وقد عتَب عليه في بعض الأُمور . وفيها يقول : [من الطويل]

أُبـــادر دُرْنـــوكَ الأَمير وقُرْبَه ... لأُذْكَرَ في أَهْل الكرامة والنُّهى[2]
وأَتْبِـع القُصّاصَ كلَّ عشيّـــةٍ ... رجاءَ ثواب الله في عَدد الخُطا
وأَمستْ بقصر يضربُ الماءُ سورَه ... وأَصبحتُ في صنعاءَ ألتمس النَّدى
فمـــن مُبْلِغٌ عنّـــي سماعـــةَ ناهياً ... فإن شئتَ فاقطعنا كما يُقْطَع السَّلَى[3]
وإن شئتَ وصلَ الرَّحْم في غير حيلة ... فعلنـــا وقُلْنا للذي تشتهي بَلى
وإن شئتَ صُرْماً للتفرُّق والنَّوى ... فبُعْـــداً ، أَدام الله تفرقةَ النّوى

ومنها : [من الكامل]

---

1 أرعب : موضع .
2 الدُّرنوك : الطنفسة وضرب من البُسط أو الثياب .
3 السَّلى : الجلدة التي يكون فيها الجنين ، فإن انقطع في البطن هلكت الأُمّ والجنين .

صوت

طـرَق الخيـالُ فمرحباً أَلفَا بالشاغفـاتِ قلوبَنـا شَغْفا
ولقـد يقول لِيَ الطبيبُ ومـا نَبّأتُـه من شأننـا حَرفا :
إنّـي لأحسب أنّ داءَك ذا مِـن ذي دَمالجَ يخضِب الكفّا
إنّـي أنـا الوضّاح إنْ تَصِلِي أُحسِنْ بـك التشبيبَ والوَصْفا
شطّتْ فشفّ القلبَ ذِكْرُكَها ودنتْ فما بذلـتْ لنـا عُرْفا

ومنها :

صوت

ويروى لبشّار : [من مجزوء الكامل]

يـا مرحبـاً ألفـاً وأَلفَا بـالكاسِراتِ إليّ طَرْفا
رُجُـح الرَّوادِف كالظِّبا ء تعرّضت حُـوّاً ووُطْفا
أنكـرنَ مركبـيَ الحِمـا رَ وكنّ لا يُنكرن طِرْفا
وسألننـي أيـنَ الشبا بُ فقلتُ بَانَ وكان حِلْفا
أفْنى شبابـي فانقضـى حِلْفُ النساء تَبِعن حِلْفا
أعطيتهـنّ مودّتـي فجزينَنـي كذبـاً وخُلْفا
وقصائـدٌ مثـلُ الرُّقى أرسلتُهـنّ فكـنّ شَغْفا
أوجعـن كلَّ مُغـازِلٍ وعَصَفْن بالغَيران عَصْفا
مـن كلِّ لـذّاتِ الفتى قـد نلـتُ نائلةً وعُرْفا
صِـدتُ الأوانسَ كالدُّمى وسقيتُهـنّ الخمـرَ صِرْفا

ومنها : وهذه القصيدة تجمع نسيبَه بمَن ذكر وفخرَه بأبيه وجدّه أبي جَمَد : [من الطويل]

صوت

أُغنّي عـلى بيضاءَ تَنْكلّ عـن بَرَدْ وتمشي على هَوْنٍ كمِشْية ذي الحَرَدْ[1]

1 تنكل : تفتر وتبسم . الحَرَد : ثقل الدرع على المدرع أو هو داء يأخذ الإبل في اليدين دون الرجلين فتسترخي أيديها .

وتلبَس مـن بَـزّ العـراق مَناصِفاً ... وأَبـرادَ عَصْبٍ مـن مُهَلْهَلَةِ الجَنَدْ[1]
إذا قلـت يومـاً نَوّليني تبسّمتْ ... وقالـت لعمـرُ الله لـو أنّه اقتصدْ
سمـوتُ إليها بعـدَ مـا نـام بعلُها ... وقد وسّدتْه الكفّ في ليلـة الصَّرَدْ
أشارت بطرف العين أهلاً ومرحباً ... ستُعطى الذي تهوى على رغم مَنْ حسدْ
ألستَ تـرى مَنْ حولنا مِنْ عدوِّنا ... وكلّ غلام شامخ الأنف قـد مَرَدْ
فقلـتُ لهـا إنّـي امرؤ فاعلمِنّه ... إذا ما أخذتُ السيفَ لم أحفِل العَدَدْ
بَنـى لِيَ إسماعيـلُ مجـداً مُؤثّلاً ... وعبـدُ كُلالٍ قبلـه وأبـو جَمَدْ
تُطيـف علينـا قهـوةٌ في زجاجـةٍ ... تُريك جبانَ القوم أمضى من الأسدْ

ومنها : [من مجزوء البسيط]

صوت

يا أيُّها القلبُ بعضَ مـا تجدُ ... قـد يعشَقُ القلبُ ثـم يتَّئِدُ
قـد يكتُـم المرءُ حبَّه حِقَباً ... وهـو عَميـدٌ وقلبُـه كَمِدُ
مـاذا تُراعون من فتىً غَزِلٍ ... قـد تيّمتْـه خَمْصانـةٌ رُؤُدُ
يهـدّدوني كيمـا أُخافَهـمُ ... هيهـاتَ أنّى يُهـدَّد الأسدُ

ومنها : [من الخفيف]

صوت

صدَع البَيْنُ والتفـرُّقُ قلبي ... وتولّـت أُمُّ البنـين بِلُبِّـي
ثَوتِ النفسُ في الحُمول لديها ... وتولّى بالجسم منّيَ صَحْبي
ولقـد قلتُ والمدامعُ تَجري ... بدمـوع كأنّها فَيْضُ غَرْبِ
جزعاً للفراق يـومَ تولّت : ... حَسْبيَ الله ذو المَعارج حسبي

ومنها : [من السريع]

صوت

يا أُمـةَ الواحد جـودي فما ... إن تَصْرِميني فَبِمـا أو لِمَا
جُودِي علينا اليـومَ أو بَيِّني ... فِيمَ قتلـتِ الرجـلَ المُسلِما

1 وأبراد في ل : وأكباش . العصْب : ضرب من برود اليمن ، واحده وجمعه سواء . الجَند : مدينة باليمن .

إنّي وأيـــدِي قُلُصٍ ضُمَّـرٍ وكلٌّ خِـرْق وَرَد المَـوْسما[1]
مـا عُلّـق القلبُ كتعليقها واضعةً كفّـاً علَتْ مِعْصما
رَبَّـةُ محـرابٍ إذا جئتُهـا لم أَلقَهـا أو أرتقـي سُلَّما
إخوتُهـا أربعـة كلُّهـم ينفـون عنهـا الفارسَ المُعلَما
كيـف أُرجِّيها ومِنْ دونها بَوّابُ سَوء يُعجـل المَشْتما
أسودُ هَتّـاك لأعراضِ مَنْ مـرَّ على الأبـواب أو سَلَّما
لا مِنّـةً أعْلَـمُ كانت لهـا عنـدي ولا تطلُب فينـا دما
بل هـي لمّا أن رأت عاشقاً صبّاً رمتْه اليومَ فيمن رَمى
لمّـا ارتمينـا ورأت أنّها قـد أثبتتْ في قلبـه أسهُما
أعجبهـا ذاك فأبْدت لـه سُنَّتَهـا البيضـاءَ والمِعْصَما[2]
قامت تراءى لي على قَصْرها بـين جَـوارٍ خُـرَّد كالدُّمى
وتَعقِـد المِـرْطَ على جَسْرةٍ مثـلِ كَثيب الرمل أو أعْظَما

ومنها : [من مخلّع البسيط]

صوت

دعاكَ من شوقك الدَّواعي وأنـت وضّاحُ ذو اتباعِ
دعتْـك مَيّالـةٌ لَعُوبٌ أسيلـةُ الخـدِّ بـاللّماعِ
دلالُـكِ الحُلْـو والمشهِّي وليس سرِّيـك بالمُضاعِ
لا أمنعُ النفسَ عن هواها وكلُّ شيء إلى انقطـاعِ

ومنها : [من الطويل]

صوت

ألاَ يا لقَومـي أطْلِقوا غُلَّ مرتَهَنْ ومُنّوا على مُستشعِرِ الهمّ والحَزَنْ
تذكَّر سَلْمى وَهْي نازحةٌ فحَنّ وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطنْ
ألَم تَرَهـا صفراءَ رُؤْداً شبابُهـا أسيلةَ مجرى الدمع كالشَّادن الأَغَنّ

1 الخِرق : الفتى الحسن الكريم الخليقة .
2 السُّنة : الوجه ، وقيل الجبهة والجبينان .

وأبصرتُ سَلْمى بين بُرْدَيْ مَراجِلٍ وأبراد عَصْب من مُهلهَلة اليمنْ[1]
فقلتُ لها لا تَرتقي السطحَ إنّني أخاف عليكم كلَّ ذي لِمَّة حَسَنْ

الغناء لابن سُريج ، وله في هذا الشعر لحنان : ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو ، ورمل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وأوّل الرمل قولُه : [من الطويل]

أَلا يــا لَقومي أطلقوا غلَّ مرتهَن

وأوّل الثقيل الأوّل : «تذكَّر سلمى» . وفي هذه الأبيات هَزَج يمنيّ بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أغدوتَ أمْ في الرائحين تَرُوحُ أم أنت من ذِكْر الحسانِ صحيحُ
إذ قالت الحسناءُ مــا لصديقنا رثَّ الثيــاب وإنّــه لمليــحُ
لا تسألِنّ عــن الثياب فإنّنــي يومَ اللقاء على الكُمــاة مُشيحُ
أرْمي وأُطعَــن ثم أُتبِــع ضربةً تَدَعُ النساءَ على الرجــالِ تنوحُ

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الكامل]

يا صاحِ إنّي قد حَججـ ـتُ وزُرت بيتَ المَقْدسِ
وأتيــتُ لُــدّاً عامــداً في عيــد مَرْيـا سَرْجَسِ[2]
فرأيــتُ فيــه نِسوةً مثــلَ الظبــاء الكُنّسِ

الشعر والغناء للمُعَلَّى بن طَريف مولى المَهْديّ . ولحنه المختار خفيف رمل بالبنصر . وكان المُعلّى بن طَريف وأخوه ليث مملوكين مولَّدين من مولَّدي الكوفة لرجل من أهلها ، فاشتراهما عليّ بن سليمان وأهداهما إلى المنصور ، فوهبهما المنصور للمهديّ فأعتقهما . ونهر المعلَّى وربَض المعلَّى ببغداد منسوب إلى المعلَّى هكذا ذكر ذلك ابن خُرْدَاذْبهْ ، وكان ضارباً محسِناً طيّبَ الصوت حسنَ الأداء صالح الصنعة ، أخذ الغناء عن إبراهيم وابن جامع

1 المراجل : ضرب من برود اليمن عليها تصاوير .
2 لُدّ : هي مدينة الله بفلسطين .

وحَكَم الوادي . ووُلّي أخوه ليثٌ السِّنْدَ ، ووُلّي هو الطِّرازَ[1] والبريدَ بخراسان ، وقاتل يوسف البَرْم فهزمه ، ثم وُلّي الأهوازَ بعد ذلك . فقال فيه بعض الشعراء يمدحه ويمدح أخاه اللّيثَ ويهجو عليَّ بن صالح صاحبَ المُصَلَّى : [من الخفيف]

يا عليَّ بنَ صالح ذا المصلَّى أنت تَفْدي لَيْثاً وتفدي المعلَّى
سَدّ ليثٌ ثغراً ووُلّيت فاختَنْـ ـتَ فبئس المَولى وبئس المولَّى

وعليّ بن سليمان هذا الذي أهدى المُعَلَّى وأخاه إلى المهديّ هو الذي يقول فيه أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن الأسَديّ ؛ وكان خرج مع المهديّ إلى الصيد ، فرمى المهديّ وعليّ بن سليمان ظبياً سنَح لهما ، وقد أُرسلت عليه الكلاب ، بسهمين ، فأصاب المهديّ الظبيَ وأصاب عليّ بن سليمان الكلبَ فقتلاهما . فقال أبو دُلامة : [من مجزوء الرمل]

قـد رمى المهديُّ ظبياً شكّ بالسهـم فـؤادَهْ
وعـليٌّ بـنُ سُليمـا نِ رَمـى كَلْباً فصادهْ
فهنيئـاً لهمـا كـ ـلّ امرىء يأكل زادَهْ

حدَّثنا بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهير عن مصعَب ، وعن أحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه .

صوت
من المائة المختارة

[من الوافر]

أَلاَ طَرَد الهوى عنّـي رُقادِي فحسبي ما لَقِيتُ من السُّهادِ
لعبـدةَ إنّ عبـدةَ تَيّمتْنـي وحلّت من فؤادي في السّوادِ

الشعر لبشّار . والغناء المختار في هذين البيتين هزجٌ خفيف بالبنصر ، ذكر يحيى بن عليّ أنّه يمنيّ ، وذكر الهشاميّ أنّه لسُلَيم .

1 الطراز : يريد ديوان الطراز وهو الذي تُنسج فيه الثياب .

[91] ـ أخبار بشّار وعَبْدة خاصة

إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت[1]

[حبّه لعبدة وشعره فيها]

أُحدِّثني محمَّد بن خَلَف وكيع قال حدَّثنا أبو أيّوب المَديني عمَّن حدَّثه عن الأصمعيّ هكذا قال ، وأخبرني به عمّي عن عبد الله بن أبي سعد عن عليّ بن مسرور عن الأصمعيّ قال : كان لبشّار مجلسٌ يجلس فيه يقال له البَرَدان . فبينا هو في مجلسه ذاتَ يوم وكان النساء يحضُرْنه ، إذ سمع كلامَ امرأة يقال لها عَبْدة في المجلس ، فدعا غلامَه فقال : إنّي قد عُلّقت امرأة ، فإذا تكلّمتْ فانظر مَنْ هي واعرفْها ، فإذا انقضى المجلسُ وانصرف أهلُه فاتْبَعها وكلّمها وأعْلمها أنّي لها محبّ وأنْشدْها هذه الأبياتَ وعرِّفْها أنّي قلتُها فيها : [من البسيط]

صوت

قالوا بمَنْ لا ترى تَهْذِي فقلتُ لهم ... الأذْنُ كالعين تُوفي القلبَ ما كانا

مـا كنتُ أوّلَ مشغوفٍ بجارية ... يَلْقَـى بِلُقْيانهـا رَوْحـاً ورَيْحـانا

ويروى : هل من دواء لمشغوف بجارية .

يا قـوم أُذْني لبعض الحيّ عاشقةٌ ... والأُذن تعشقُ قبـلَ العـين أحيانا

غنّى إبراهيم في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، عن إسحاق . وفيها لِسيَاطٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، عن عمرو . وفيها لإسحاق هَزَج من جامع أغانيه ، قال : فأبلَغها الغلامُ الأبياتَ ، فهَشّتْ لها ، وكانت تزوره مع نسوة يَصْحَبنها فيأكلن عنده ويشربن وينصرفن بعد أن يحدّثها ويُنشدَها ولا تُطمعه في نفسها . قال : وقال فيها : [من البسيط]

قالت عُقَيل بنُ كعـب إذ تعلّقها ... قلبي فأضحى بـه من حبّها أَثَر[2]

أنّى ولم ترها تَهذِي ؟ فقلتُ لهم ... إنّ الفؤاد يَرى ما لا يرى البَصر[3]

---

1 تقدّمت أخباره في الجزء الثالث ، ص 94 من هذا الكتاب .

2 عقيل بن كعب : قبيلة كبيرة كان ولاء بشار بن برد لها .

3 تهذي في الديوان : تصبو 3 : 159 .

أصبحتُ كالحائـــم الحَرّان مُجتَنباً لم يَقضِ وِرْداً ولا يُرجى له صَدَر[1]

قال : وقال فيها أيضاً وهو من جيّد ما قال فيها : [من الطويل]

يُزَهِّدني في حـــبّ عبدةَ معشرٌ قلوبُهـــمُ فيهـــا مخالفـــةٌ قلبـــي
فقلتُ دَعُوا قلبي وما اختار وارتضَى فبالقلب لا بالعين يُبصِرَ ذو الحبِّ[2]
فما تُبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمعُ الأُذْنان إلاّ من القلبِ[3]
وما الحسْنُ إلاّ كلّ حُسْنٍ دعا الصِّبا وألّف بين العشق والعاشِق الصبِّ

قال : وقال فيها : [من مجزوء البسيط]

يـــا قلـــبُ مـــا لي أراك لا تَقِرُ إيّـــاكَ أعْنـــي وعنـــدك الخبرُ
أضِعْتَ بـــين الأُلى مَضَوْا حُرَقاً أم ضاع ما استودعوك إذ بَكَروا ؟
فقـــال بعضُ الحديـــث يَشْغَفُني والقلبُ راءٍ ما لا يَـــرى البصرُ

[عابه الحسن البصري وهتف به فهجاه]

وأخبرني بهذا الخبر أبو الحسن أحمد بن محمَّد الأسديّ قال حدَّثنا الحسن بن عُليل العَنزيّ قال حدَّثنا خالد بن يزيد بن وَهْب عن جَرير عن أبيه بمثل هذه القصّة ، وزاد فيها : أنّ عَبْدة جاءت إليه في نسوة خمس قد مات لإحداهنّ قريب فسألنه أن يقول شعراً يَنُحْن عليه به ، فوافَيْنَه وقد احتجم وكان له مجلسان : مجلس يجلس فيه غُدوةً يسمِّيه «البَرَدان» ومجلس يجلس فيه عشيَّةً يسمِّيه «الرَّقيق» وهو جالس في البردان وقد قال لغلامه : أمسِكْ عليّ بابي واطبُخْ لي وهيّىء طعامي وطَيِّبْه وصَفِّ[4] نبيذي . قال : فإنّه لكذلك إذا قُرع الباب عليه قرعاً عنيفاً ؛ فقال : وَيْحَك يا غلام ! انظر مَن يدقّ الباب دقَّ الشُّرَط ؛ فنظر الغلام وجاءه فقال : خمس نسوة بالباب يسألنك أن تقول شعراً يَنُحْن فيه ؛ فقال : أدخلهنّ . فلمّا دخلن نظرنَ إلى النبيذ مُصفًّى في قَنانِيِّه ؛ [في جانب بيته] فقالت إحداهنّ : خمر ؛ [وقالت الأُخرى : زبيب] ؛ وقالت الأُخرى : معسَّل . فقال : لستُ بقائل لكُنّ حرفاً أو تَطْعَمن من طعامي وتشربن من شرابي . فتماسكْنَ ساعةً ، وقالت إحداهنّ : فما عليكنّ من ذلك ! هذا أعمى ، كُلْن من طعامه واشربْنَ من شرابه وخُذْنَ شعرَه ، ففعلن . وبلغ ذلك الحسنَ البصريّ فعابه وهتَف به . فبلغ ذلك بشّاراً ، وكان الحسنُ يُلقَّب القَسّ ، فقال فيه بشّار : [من مجزوء الكامل]

1 مجتنبا في الديوان : محتسباً 3 : 159 .
2 ذو الحبّ في الديوان : ذو اللب 4 : 12 .
3 تبصر في ل : تنظر .
4 في ل : وصبّ .

لَمّا طلعنَ من الرَّقيـ ـق عليّ بالبَرَدان خَمْسا
وكأنّهنّ أهلّـة تحت الثياب زَفَفن شمسا
باكرْنَ طِيبَ لَطيمةٍ وغُمِسْن في الجاديّ غَمسا
فسألنني مَنْ في البيو ت فقلتُ ما يحوين إنْسا
ليت العيونَ الناظرا تِ طُمِسن عنّا اليوم طَمْسا
فأصبن من طَرَف الحديـ ـث لذاذةً وخرجن مُلْسا
لولا تَعَرُّضهنّ لي يا قَسُّ كنتُ كأنت قَسَّا

[لامه مالك بن دينار على تناوله أعراض الناس]

أخبرني الأَسَديّ ويحيى بن عليّ بن يحيى ومحمّد بن عِمْران الصَّيْرفيّ قالوا حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثنا علي بن محمَّد عن جعفر بن محمّد النَّوْفَليّ قال : أتيت بشّاراً ذات يوم ، فقال لي : ما شَعرت منذُ أيّام إلاّ بقارع يقرَع بابي مع الصبح ؛ فقلت : يا جارية ، انظري مَنْ هذا ؛ فقالت : ما لك بن دينار ؛ فقلت : ما لي ولمالك بن دينار ! ما هو من أشكالي ! ائذَني له . فدخل فقال لي : يا أبا معاذ ، أتشتُم أعراضَ الناس وتشبِّب بنسائهم ! فلم يكن عندي إلاّ دفعُه عن نفسي بأن قلت : لا أعاود ؛ فخرج من عندي . وقلت في إثره : [من المتقارب]

غدا مالكٌ بمَلاماته عليّ وما باتَ مِن باليَهْ
[على حبِّ خُود مقيم الحشا من الحور محطوطة عاليهْ]
فقلتُ دَعِ اللوم في حُبِّها فقبلك أعييتُ عُذالِيهْ
وإنّي لأَكتُمهم سِرَّها غداةَ تقولُ لها الجاليهْ
أعبدةَ ما لكِ مَسْلوبةً وكنتِ مُقرطَقةً حاليهْ[1]
فقالت على رِقْبةٍ : إنّني رهنتُ المرعَّث خَلْخاليهْ
بمجلسِ يومٍ سأُوفي به وإن أنكر الناسُ أحواليهْ

[أرسلت له عبدة السلام مع امرأة فردّ عليها بشعر فيها]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني عمرو بن محمّد بن عبد الملك قال حدَّثني الحسن بن جمهور قال حدَّثني هشام بن الأحنف ، راوية بشّار ، قال : إنّي لعند بشّار ذاتَ يوم إذ أتته امرأة فقالت : يا أبا معاذ ، عبدة تُقرئك السلامَ وتقول لك : قد اشتدّ شوقُنا إليك ولم نرك منذُ

1 مقرطقة : لابسة القُرْطق وهو القباء .

أيّام ؛ فقال : عن غير مَقْلِية والله كان ذاك . ثم قال لراويته : يا هشام ، خُذ الرقعةَ واكتب فيها ما أقولُ لك ثم ادفعه للرسول . قال هشام : فأملى عليّ : [من الخفيف]

عبـد إنّـي إليكِ بالأشواقِ لِتَـلاقٍ وكيـف لي بالتلاقي
أنـا والله أشتهي سحـرَ عينيْـ ـك وأخشى مَصارعَ العشّاقِ
وأهاب الحَرْسيّ مُحتسِبَ الجُنْـ ـد يَلُـفّ البريءَ بالفُسّاقِ[1]

وممّا يغنّى فيه من شعر بشّار في عبدة قولُه : [من الطويل]

صوت

لعبـدةَ دارٌ مـا تكلّمنا الدارُ تَلُـوح مَغانيهـا كما لاح أسطارُ
أُسائـل أحجاراً ونُؤْيـاً مُهَدَّماً وكيف يُجيب القولَ نؤيٌ وأحجارُ
ومـا كلّمتْنـي دارُها إذ سألْتُها وفي كبدي كالنِّفْط شُبَّت به النارُ
وعند مَغاني دارهـا لو تكلّمتْ لِمكتئبٍ بـادِي الصَّبابـة أخبارُ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

تحمَّـل جيراني فعينـي لَبَيْنهـم تَفيض بتَهتانٍ إذا لاحتِ الدارُ
بكيتُ على مَن كنتُ أحظى بقربه وحقَّ الذي حاذرتُ بالأمس إذ ساروا[2]

الغناء ليحيى المَكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر .

ومن الأغاني في شعره في عبدةَ : [من الخفيف]

صوت

مَسَّني مـن صدود عبـدةَ ضُرٌّ فبنـاتُ الفـؤادِ مـا تستقرُّ
ذاك شيء في القلب من حبّ عبـ ـدةَ بـادٍ وباطـنٌ يَسْتَسِرُّ

الغناء لإبراهيم ثاني ثقيلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لإسحاق رمَل بالبنصر عن عمرو . وفيه لحَكَم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من جامع غنائه في كتاب إبراهيم . وفيه لفَريدة خفيفُ ثقيلٍ عن إسحاق . وفيه ليحيى المَكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رَمَل عن الهشاميّ .

---

1 الحَرَسي : واحد حرس السّلطان وسُكّن للضرورة .

2 ساروا : في الديوان صاروا ، ص 448 (طبعة دار صادر) .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد إنّي قـد ظلمتُ وإنّني مُبْدٍ مقالةَ راغـبٍ أو راهبِ
وأتـوبُ ممّـا تَكْرَهين لِتَقْبَلي واللهُ يقبـل حُسنَ فعلِ التائبِ

الغناء لحَكَم خفيفُ ثقيل عن إسحاق . وفيه ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ من كتابه . وفيه لحسين بن مُحرِز رمل عن الهشاميّ .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يـا عبـد حبُّـك شفَّني شَفّا والحبُّ داءٌ يُـورث الحَتْفا
والحبُّ يُخفيـه المحبّ ، لكي لا يُستراب بـه ، وما يخفَى

الغناء لِسِيَاط خفيفُ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يـا عبـد بالله فَرِّجـي كُرَبي فقـد بـراني وشفَّني نَصَبي
وضِقْتُ ذَرْعاً بما كَلِفْتُ بـه من حُبّكم والمحبُّ في تعبِ
ففرِّجي كُرْبـةً شَجِيتُ بها وحَرَّ حُزْنٍ في الصدر كاللَّهَبِ
ولا تَظُنِّي مـا أشتكي لَعِبـاً هيهاتَ قد جلّ ذا عن اللعبِ

غنّاه سِيَاطٌ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يـا عبـد زُوريني تَكُنْ مِنَّةً لله عنـدي يـومَ أَلْقـاكِ
واللهِ ثُـمّ اللهِ فاستيقنـي إنّـي لأَرجـوكِ وأَخشاكِ
يـا عبـد إنّي هالكٌ مُدْنَفٌ إنْ لم أَذُقْ بَـرْدَ ثنـاياكِ
فـلا تَـرُدّي عاشقـاً مُدْنَفاً يرضى بهـذا القدر من ذاكِ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ خفيفٌ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد قد طال المِطالُ فأَنْعِمي واشفي فؤادَ فتىً يَهيم مُتَيَّمِ

الغناء ليزيدِ حَوْراءَ غيرُ مجنَّس عن إبراهيم .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

يا عبد هلْ لِلّقاء مِنْ سَبَبِ أَوْلاَ فأَدعو بالويلِ والحَرَبِ

الغناء ليزيد حوراء غير مجنَّس .

ومنها : [من الكامل]

صوت

يا عبد هلْ لي منكمُ مِنْ عائِد أَمْ هل لديكِ صلاحُ قلب فاسدِ

الغناء لابن عَبّاد عن إبراهيم غير مجنّس .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد حيِّي عن قريبِ وتأَمَّلي عينَ الرقيبِ
وارعَيْ وِدادي غائبا فلقد رَعَيتُكِ في المَغيبِ
أَشكو إليكِ وإنّما يشكو المُحبّ إلى الحبيبِ
غَرَضي إليك من الهوى غَرَض المريضِ إلى الطبيبِ

الغناء لحَكَم مطلق في مجرى البنصر .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد بالله ارْحمي عَبْدكِ وعَلِّليه بمُنَى وَعْدِكِ
يُصبح مكروباً ويُمسي به وَليس يَدرِي ما له عندك
ماذا تقولين لربّ العُلا إذا تخلّيتِ به وحدكِ

الغناء لإبراهيمَ ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وفيه لإسحاق هَزَج من جامع أَغانيه . وفيه ليزيدِ حَوْراءَ لحنٌ ذَكَره إبراهيم ولم يجنّسه . وذكر حَبَشٌ أَنّ الثقيل الثاني لِسيَاط .

ومنها : [من المجتث]

صوت

يا عَبْد جَلِّي كروبي وأَسْعِفي وأَثيبي[1]
فقد تَطاول هَمّي وزَفْرتي ونَحيبي

الغناء لابن سُكّرة عن إبراهيم ولم يجنسه .

ومنها : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا عبد أَنتِ ذخيرتي نفسي فَدَتْكِ وجِيرتي
اللهُ يعلم فيكمُ يا عبد حسنَ سريرتي
نفسي لنفسِك خُلَّةٌ وكذاك أَنت أَميرتي[2]

الغناء لحَكَم الوادي خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها : [من السريع]

صوت

يا عبد حُبِّي لكِ مستورُ وكلّ حبّ غيره زُورُ
إنْ كان هجري سَرَّكم فاهجروا إنّي بما سَرّك مسرورُ

الغناء لحَكَم هَزَج[3] بالوسطى عَنْ ابن المكّيّ .

ومنها : [من الرمل]

صوت

لم يَطُلْ لَيْلي ولكنْ لم أَنَمْ ونَفَى عنّي الكَرى طيفٌ أَلَمّ
وإذا قلتُ لها جُودي لنا خرجتْ بالصمت عن لا ونعمْ
رَفِّهي يا عَبْدَ عنّي واعلمي أَنني يا عبد من لحم ودمْ
إن في بُرْديّ جسماً ناحلاً لو تَوَكّأتِ عليه لأنهدمْ
خَتَم الحبُّ لها في عُنقي موضعَ الخاتم من أَهل الذمّ

الغناء لحَكَم هَزَجٌ بالسبّابة والوسطى عن ابن المكيّ . وذكره إسحاق في هذه الطريقة فلم ينسُبه إلى أَحد . وفيه لعَثْعَث الأَسود خفيفُ رمل في الأَوّل والخامس . وكان بشّار يُنكر هذا

1 وأثيبي في الديوان : وأثيبي ، ص 437 ، طبعة دار صادر .
2 خُلَّة : خليلة .
3 في ل : خفيف رمل .

البيتَ الأخير وهو : [من الرمل]

خَتَم الحبّ لهـا في عُنقي

[أنشده رجل بيتاً له فأنكره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثني أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدَّثني مَنْ أنشد بشاراً قولَه : [من الرمل]

لم يَطُل لَيْلي ولكنْ لم أَنم

حتى بلغ إلى قوله : [من الرمل]

ختـم الحـبُّ لهـا في عُنقي موضع الخاتم من أهل الذمْ

فقال بشّار : عَمّن أخذتَ هذا ؟ قلتُ : عَنْ راويتك فلان ؛ فقال : قَبّحه الله ؛ والله ما قلتُ هذا البيتَ قطُّ ، أما ترى إلى أثره فيه ؟ ما أقبحَه وأشدَّ تميُّزَه عن مذهبي ! فقال له بعضُ من حضر : نَعم ، هو ألْحقه بالأبيات .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

عَبْـد إنّي قـد اعترفتُ بذَنْبي فاغفِري واعْرُكي خَطايَ بجَنْبِ[1]
عبـد لا صبر لي ولستُ فمهلاً قائلاً قـد عَتَبتِ في غير عَتْبِ
ولقد قلـتُ حـين أنْصبني الحـ ـبُّ فأبْلى جِسْمي وعذّب قلبي
ربِّ لا صبرَ لي على الهجر حَسْبي فأَقِلْني حَسْبي لكَ الحمدُ حسبي

الغناء لِسِيَاطٍ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لسُلَيم هَزَجٌ من كتاب ابن المكّيّ .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبـد مُنّـي وأنْعمي قـد مَلَكْتـم قِيادَيَـهْ
شابَ رأسي ولم تَشبْ وابْلائـي لِدَاتِيَـهْ

الغناء لِسياط خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ هزج .

ومنها : [من الخفيف]

1 واعركي في ل : واعدلي .

صوت

عبد يـا هِمّتي عليك السلامُ فيـم يُجْفى حبيبُك المستهامُ[1]
نـزل الحبّ منزلاً في فؤادي ولـه فيـه مجـلسٌ ومقامُ

الغناء لأبي زَكّار خفيف رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ[2] .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

صوت

عبـد يـا قُـرّةَ عيني أنصفي ، رُوحي فداكِ
عاشق ليس لـه ذِكـ ـر ولا هـمٌّ سواكِ

الغناء لعَرِيبَ هَزَجٌ . وفيه لحن ليزيدِ حَوْراء غير مجنّس .

ومنها : [من الرمل]

صوت

يا عَبْـد يـا جافيةً قاطعه أَمَا رَحِمتِ المُقْلةَ الدامعهْ
يا عبد خافي اللهَ في عاشقٍ يهـواكِ حتـى تَقَع الواقعهْ

الغناء لأبي زَكّار هَزَجٌ بالبنصر عن عمرو .

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أَرْسَلَتْ أُمُّ جعفـر لا تـزورُ ليتَ شعري بالغيب مَنْ ذا دهاها
أَأَتاهـا محـرِّش بنَميـمٍ كاذبٌ مـا أراد إلاّ رَدَاها

عروضه من الخفيف ، الشعر للأَحوص . والغناء لأُمّ جعفر المدنيّة مولاة عبد الله بن جعفر بن أَبي طالب . ولحنه من الثقيل الأَوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لحناً من الثقيل الأَوّل بالبنصر ، فلا أَعلم أَهذا يعني أم غيره . وفيه لابن سريج ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها عن يحيى المكّيّ وإسحاق . وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو الهشاميّ .

---

1 الهمّة : الهوى .
2 في ل : رمل .

[92] ـ أخبار الأحوص مع أُمّ جعفر

[أمّ جعفر التي كان يشبّب بها الأحوص ونسبها]

وقد ذُكِرتْ أخبارُ الأحوص مُتَقَدِّماً إلاّ أخبارَه مع أُمّ جعفر التي قال فيها هذا الشعر فإنّها أُخِّرت إلى هذا الموضع . وأُمّ جعفر هذه امرأة من الأنصار من بني خَطْمة[1] ، وهي أُمّ جعفر بنت عبد الله بن عُرْفُطة بن قَتادة بن مَعَدّ[2] بن غِياث بن رِزاح بن عامر بن عبد الله بن خَطْمة بن جُشَم بن مالك بن الأَوْس . وله فيها أشعار كثيرة .

[تشبيب الأحوص بأُمّ جعفر وتوعّد أخيها أيمن له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني يعقوب بن القاسم ومحمّد بن يحيى الطَّلْحيّ عن عبد العزيز بن أبي ثابت ، وأخبرني عمّي قال حدَّثني محمّد بن داود بن الجرّاح قال حدَّثني أحمد بن زُهَير عن مصعَب ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن المُحْرِز بن جعفر الدَّوْسيّ ، قالوا جميعاً : لمّا أكثر الأحوصُ التشبيب بأُمّ جعفر وشاع ذكرُه[3] فيها توعّده[4] أخوها أيْمَنُ وهدَّده فلم يَنْته ، فاستعدى عليه والِيَ المدينة ، وقال الزُّبَير في خبره : فاستعدى عليه عمر بن عبد العزيز ، فربَطهما في حبل ودفع إليهما سوطين وقال لهما : تجالدا ؛ فتجالدا فغلَب أخوها . وقال غير الزُّبَير في خبره : وسلَح الأحوصُ في ثيابه وهرَب وتبِعه أخوها حتى فاته الأحوص هرباً . وقد كان الأحوص قال فيها : [من الطويل]

لقد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفرٍ ... وإنّي إلى معروفها لفقيرُ

وقد أنكرتْ بعدَ اعترافٍ زيارتي ... وقد وَغِرتْ فيها عليّ صدورُ

أدُورُ ولولا أنْ أرى أُمَّ جعفرٍ ... بأبياتكم ما درتُ حيث أدورُ

أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ ببيتها ... وقلبي إلى البيت الذي لا أزورُ

وما كنتُ زوّاراً ولكن ذا الهوى ... إذا لم يُزَرْ لا بُدّ أن سيزورُ

---

1 لقب خطمة لأنّه ضرب رجلاً على أنفه فخطمه .

2 في ل : معبد .

3 في ل : شعره .

4 في ل : أوعده .

أَزورُ على أَن لستُ أَنفكُّ كلَّما أَتيتُ عدوّاً بالبنان يُشيرُ

فقال السائب بن عمرو ، أَحد بني عمرو بن عَوْف ، يعارضُ الأَحوصَ في هذه الأَبيات ويعيِّره بفراره : [من الطويل]

لقد منع المعروفَ من أُمّ جعفر أَخو ثقةٍ عند الجلاد صَبورُ
عَلاك بمَتْنِ السوطِ حتى اتّقيتَه بأَصفرَ من ماء الصِّفاق يفورُ[1]

فقال الأَحوص : [من الطويل]

إذا أَنا لم أَغفِر لأَيْمَنَ ذنبَه فمَن ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي
أُريد انتقامَ الذنب ثم تَرُدّني يدٌ لأَدانيه مباركةٌ عندي

وقال الزبير في خبره خاصّة : وإنّما أَعطاهما عمرُ بن عبد العزيز السوطيْن وأَمرهما أَن يتضاربا بهما اقتداءً بعثمان بن عفّان ؛ فإنّه كان لمّا تَهاجى سالم بن دارة ومُرّة بن واقع الغَطَفانيّ الفَزاري لَزّهما عثمان بحبل وأَعطاهما سوطيْن فتجالدا بهما .

وقال عمر بن شَبّة في خبره : وقال الأَحوص فيها أَيضاً ، وقد أَنشدني علي بن سليمان الأَخفش هذه الأَبيات وزاد فيها على رواية عمر بن شَبّة بيتين فأَضفتهما إليها : [من الطويل]

وإنّي ليدعوني هوى أُمِّ جعفر وجاراتها من ساعةٍ فأُجيبُ
وإنّي لآتي البيتَ ما إن أُحبُّه وأَكثر هجرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغْضي على أَشياء منكم تسوءني وأُدعى إلى ما سَرّكم فأُجيبُ
هَبِيني امرأً إمّا بريئاً ظلمتِه وإمّا مُسيئاً مذنباً فيتوبُ
فلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنّها منَ الحزن قد كادت عليك تذوبُ
لك اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتِني ومُثْنٍ بما أَوليتني ومُثيبُ
وآخُذُ ما أُعطيتِ عفواً وإنّني لأَزْوَرُ عمّا تكرهين هَيوبُ

هكذا ذكره الأَخفش في هذه الأَبيات الأَخيرة ، وهي مروية للمجنون في عدّة روايات ؛ وهي بشعره أَشبه . وفي هذه الأَشعار التي مضت أَغانٍ نسبتها : [من الطويل]

صوت

أَدورُ ولولا أَن أَرى أُمَّ جعفر بأَبياتكم ما درتُ حيث أَدورُ

---

1 الصِّفاق : جمع صَفَق وهو الأَديم الجديد الذي يصب عليه الماء فيخرج منه ماء أَصفر يسمّى صَفْق .

أدورُ عـلى أن لستُ أُنفكّ كلّما أتيتُ عـدوّاً بالبَنـانِ يُشيرُ

الغناء لَمعْبد ، وله فيه لحنان : ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق وخفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو ولإسحاقَ فيهما وفي قوله : [من الطويل]

أزور البيوتَ اللاّصقاتِ ببيتها

وبعده : [من الطويل]

أدورُ ولولا أن أرى أُمَّ جعفر

لحن من الرمل . وفي البيتين اللذين فيهما غناء معبد ، للغريض ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ ، ولإبراهيم خفيف ثقيل . وفيه لحن لشارِية عن ابن المعتزّ ولم يذكر طريقتَه .

ومنها : [من الطويل]

صوت

إذا أنـا لم أغفِـر لأيْمَـنَ ذنبَه فمَنْ ذا الذي يعفو له ذنبَه بعدي
أُريـدُ مكافـاةً لـه وتَصُـدّني يـدٌ لأدانيـه مباركـةٌ عنـدي

الغناء لَمعْبد ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن يحيى المكّيّ ، وذكر غيرُه أنّه من منحول يحيى إلى معبد . وفيه ثقيلٌ أوّل ينسب إلى عَرِيب ورَونق .

ومنها وهو : [من الطويل]

صوت
من المائة المختارة

وإنّي لآتـي البيتَ مـا إن أُحِبُّه وأُكثر هجـرَ البيت وهو حبيبُ
وأُغضي على أشياءَ منكم تسوءني وأُدعى إلى مـا سرّكم فأُجيبُ
وما زلتُ من ذكراكِ حتى كأنّني أُمِيم بأفْيـاء الديـار سَلِيبُ[1]
أُبُـثُّك ما ألقَى وفي النفس حاجةٌ لهـا بـين جِلْدي والعظام دَبيبُ
للكِ اللهُ إنّي واصلٌ ما وصلتني ومُثْـنٍ بمـا أوليتنـي ومُثيبُ
وآخُـذ مـا أُعطيتِ عفواً وإنّني لأَزْوَر عمّـا تكرهـين هَيوبُ
فـلا تتركي نفسي شَعاعاً فإنّها من الحزن قد كادت عليك تذوبُ

1 أميم : في ل : لهيم . سليب : مستلب العقل .

الشعر للأحوص . ومن الناس مَن ينسُب البيت الخامسَ وما بعده إلى المجنون . والغناء في اللحن المختار لدَحْمان . وهو ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى البنصر . وذكر الهشاميّ أنّ في الأبيات الأربعة لابن سُرَيج لحناً من الثقيل الأوّل ، فلا أعلم ألحنَ دَحْمانَ عَنَى أم ثقيلاً آخر . وفي : [من الطويل]

لكِ الله إنّي واصلٌ مـا وصلتني ومُثْـنٍ بمـا أوليتنـي ومُثيـبُ

لإسحاق ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيها لإبراهيم خفيفُ رملٍ بالوسطى .

[لمّا أكثر من ذكر أُمّ جعفر عرضت له في أمر فحلفَ أمام الناس أنّه لا يعرفها]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني محمّد بن حسن ؛ قال الزُّبَير وحدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهْريّ عن مُحرِز : أنّ أُمّ جعفر لمّا أكثر الأحوصُ في ذكرها جاءت منتقِبة ، فوقفت عليه في مجلس قومه ولا يعرفها ، وكانت امرأةً عفيفة ؛ فقالت له : اقضِ ثمنَ الغنم التي ابتعتَها منّي ؛ فقال : ما ابتعتُ منكِ شيئاً . فأظهرتْ كتاباً قد وضعتْه عليه وبكتْ وشكت حاجةً وضُرّاً وفاقةً وقالت : يا قوم ، كلِّموه . فلامَه قومُه وقالوا : اقضِ المرأةَ حقَّها ؛ فجعل يحلفُ أنّه ما رآها قطُّ ولا يعرفها . فكشفتْ وجهَها وقالت : ويْحك ! أما تعرفني ؟ فجعل يحلف مجتهداً أنّه ما يعرفها ولا رآها قطُّ . حتى إذا استفاض قولُها وقولُه واجتمع الناسُ وكثُروا وسمعوا ما دار وكثُر لَغَطُهم وأقوالُهم ، قامت ثم قالت : أيّها الناس ، اسكتوا . ثم أقبلت عليه وقالت : يا عدوَّ الله ؛ صدقتَ ، والله ما لي عليك حقّ ولا تعرفني ، وقد حلفتَ على ذلك وأنت صادق ، وأنا أُمّ جعفر وأنت تقول : قلت لأُمّ جعفر وقالت لي أُمّ جعفر في شعرك ! فخجِل الأحوص وانكسر عن ذلك وبرئتْ عندهم .

[سمع أبو السائب المخزوميّ شعراً له فطرب]

أخبرني الحِرْميُّ قال حدّثنا الزُّبَير ، وأخبرني به محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا ثَعْلَب قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الملك بن عبد العزيز قال : أنشدتُ أبا السائب المخزوميّ قولَ الأحوص : [من الطويل]

لقـد منعتْ معروفَها أُمُّ جعفر وإنّـي إلى معروفهـا لفقيرُ

فلمّا انتهيتُ إلى قوله : [من الطويل]

أزورُ على أن لستُ أنفكُّ كلّما أتيـتُ عـدوّاً بالبنان يُشيرُ

أعجبه ذلك وطَرِب وقال : أتدري يا ابنَ أخي كيف كانوا يقولون ! الساعةَ دخل ، الساعةَ خرج ، الساعةَ مرّ ، الساعةَ رَجع ، وجعل يُومىء بإبهاميه إلى وراء منكبيه وبسَبّابته إلى حِيال وجهه ويقلبها ، يحكي ذهابَه ورجوعَه .

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الخفيف]

صاحِ قـد لُمْتَ ظالماً فانظرِ آنْ كنتَ لائمَا
هل تـرى مثلَ ظَبْيةٍ قَلَّدوهـــا التمائما

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء في اللحن المختار لمالكٍ خفيفُ ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وأخبرني ذُكَاء وجه الرزّة أن فيه لِعَريبَ رملاً بالبنصر ، وهو الذي فيه سَجْحة . وفيه لابن المَكّيّ خفيفُ ثقيل آخرُ بالوسطى . وزعم الهشاميّ أن فيه خفيفَ رمل بالوسطى لابن سُرَيج ، وقد سمعها ممّن يغنّيه . وذكر حَبَش أنّ فيه رمَلاً آخر للغَريض . ولعاتكة بنت شُهْدة فيه خفيفُ ثقيل ، وهو من جيِّد صنعتها ، وذكر جَحْظة عن أصحابه أن لحنها الرمَلَ وهو اللحن المختار ، وأنّ إسحاق كان يقدّمها ويستجيده ، ويزعم أنّه أخذه عنها . وقال ابن المعتزّ : حدّثني أبو عبد الله الهشاميّ : أنّ عَرِيب صنعتْ فيه لحنها الرمَل بعد أن أفضت الخلافةُ إلى المعتصم ، فأعجبه وأمرها أن تطرحه على جواريه ، ولم أسمع بَشَراً قطُّ غنّاه أحسنَ من خِشْف الواضحيّة .

وكلّ أخبار هؤلاء المغنّين قد ذُكِرتْ ، أوْ لها موضع تُذكر فيه ، إلاّ عاتكة بنت شُهْدة فإنّ أخبارَها تذكر هاهنا ؛ لأنّه ليس لها شيء أعرفه من الصنعة فأذكرَه غير هذا . وقد ذكر جَحْظة عن أصحابه أنّ لحنَها هو المختار فوجب أن نذكر أخبارها معه أسوةَ غيرها .

[93] ـ [عاتكة بنت شُهدة]

[عاتكة بنت شُهدة وشيء من أخبارها]

كانت عاتكة بنت شُهدة مدنيّة . وأُمُّها شُهْدة جارية الوليد بن يزيد ، وهو الصحيح . وكانت شُهدة مغنِّية أيضاً .

[غنّى ابن داود الرشيد صوتاً لأمها فطرب]

حدَّثني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا العَلاء[1] قال حدَّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن بعض المغنِّين قال : كنّا ليلةً عند الرشيد ومعنا ابنُ جامع والموصليّ وغيرُهما ، وعنده في تلك الليلة محمّد بن داود بن إسماعيل بن عليّ ؛ فتغنَّى المغنّون ، ثم اندفع محمّد بن داود فغنّاه بين أضعافهم : [من الرمل]

صوت

أمَّ الوليـد سَلَبْتِني حِلْمِـي ... وقتلتِنـي فتخـوّفي إثمـي
بـاللهِ يـا أُمّ الوليـد أمَـا ... تخشَيْنَ فيّ عواقـبَ الظلـمِ
وتركتنـي أبغـي الطبيبَ وما ... لطبيبنـا بالـداء مـن عِلْـمِ
خافي إلهكِ في ابن عمِّكِ قد ... زوّدتِـه سُقْمـاً عـلى سُقمِ

قال : فاستحسن الرشيد الصوتَ واستحسنه جميعُ مَن حضره وطرِبوا له . فقال له الرشيد : يا حبيبي ، لمَن هذا الصوت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، سَلْ هؤلاء المغنِّين لمَن هو . فقالوا : والله ما ندري ، وإنّه لغَريبٌ . فقال : بحياتي لمَن هو ؟ فقال : وحياتِك ما أدري إلاّ أنّي أخذتُه من شُهْدة جاريةِ الوليد أُمِّ عاتكة بنت شُهْدة . هذا الشعر المذكور لابن قيس الرُّقَيَّات ، والغناء لابن مُحْرِز ، وله فيه لحنان ، أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، والآخر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه لمالك ثاني

1 في ل : الغلابي .

ثقيل بالوسطى عن عمرو وفيه لسُليم خفيف رمل بالبنصر . ولحُسين بن مُحْرز ثقيل أوّل عن الهشاميّ وحَبَش .

[كانت ضاربة مجيدة وعنها أخذ إسحاق الموصليّ]

أخبرني محمّد بن مَزْيد عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّه ذكر عاتكة بنت شُهْدة يوماً فقال : كانت أضربَ مَنْ رأيتُ بالعود ؛ ولقد مكثتُ سبعَ سنين أختلفُ إليها في كلّ يوم فتُضاربني ضرباً أو ضربين[1] ، ووصل إليها منّي ومن أبي بسببي أكثرُ من ثلاثين ألف درهم : دراهمَ وهدايا .

[ماتت بالبصرة ، وقصّتها مع ابن جامع عند الرشيد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن إسحاق قال : كانت عاتكة بنت شُهْدة أحسنَ خَلْق الله غناءً وأرْواهم ، وماتت بالبصرة . وأمّها شُهْدة نائحة من أهل مكّة . وكان ابن جامع يَلُوذ منها بكثرة الترجيع . فكان إذا أخذ يتزايد في غنائه قالت له : إلى أين يا أبا القاسم ! ما هذا الترجيع الذي لا معنى له ! عُدْ بنا إلى معظم الغناء ودعنا من جنونك . فأضجرتْه يوماً بين يديّ الرشيد فقال لها : أي أُمّ العبّاس : إنّي أشتهي ، عَلِم الله ، أنْ تحتكّ شِعْرتي بشعرتك . فقالت : اخسَأْ ، قطع الله ظهرَك ! ولم تَعُد لأذاه بعدها .

[غنّت جارية بشعر فعارضتها هي وذمّت بندارا الزيّات]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال : قال لي عليّ بن جعفر بن محمّد : دخلت على جواري المروانيّ المغنّيات بمكّة ، وعاتكة بنت شُهْدة تطارحهنّ لحنَها : [من الكامل]

يا صاحبيّ دَعا الملامةَ واعلَما أنّ الهوى يَدَع الكِرامَ عَبيدا

فجعلتْ واحدةٌ منهنّ تقول : «يدعُ الرجالَ عَبيداً» . فصاحت بها عاتكةُ بنت شُهْدة : ويلكِ ! بُنْدارٌ الزيات العاضُّ بظرَ أُمّه رجل ! أفمِنَ الكرام هو ؟ . قال : فكنتُ إذا مرَّ بي بُندار أو رأيتُه غلبني الضحك فأستحيي منه وآخُذ بيده وأجعل ذلك بشاشةً ؛ حتى أوْرث هذا بيني وبينه مقاربةً ؛ فكان يقول : أبو الحسن عليٌّ بن جعفر صديقٌ لي .

[علّمت مخارقاً الغناء وهو مولى لها]

وكان مخارق مملوكاً لعاتكة ، وهي علّمتْه الغناء ووضعت يده على العود ، ثم باعته ؛ فانتقل من مِلْك رجل إلى مِلك آخر حتى صار إلى الرشيد . وقد ذُكر ذلك في أخباره .

---

1 في ل : طرقاً أو طرقين .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

ولو أنّ ما عندَ ابنِ بُجْرةَ عندها من الخمر لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطِلِ
لعمري لأنتَ البيتُ أُكرِمُ أهلَه وأقعُد في أفيائه بالأصائلِ[1]

عروضه من الطويل . الشعر لأبي ذُؤَيب الهُذليّ . والغناء لحَكَم الواديّ ، ولحنه المختار من الثقيل الأوّل بالبنصر في مجراها . ابن بُجْرة هذا ، فيما ذكره الأصمعيّ ، رجل كان يَبِيع الخمرَ بالطائف ، وزعم أنّ الناطل كوزٌ تُكال به الخمر . وقال ابن الأعرابيّ : ليس هذا بشيء ، وزعم أنّ الناطل : الشيء ؛ يقال : ما في هذا الإناء ناطل ، أي ليس فيه شيء . وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : سمعتُ الأعراب يقولون : الناطل : الجُرْعة من الماء واللبن والنبيذ . انتهى .

1 لأنت في ل : لآتي .

[94] ـ ذكر أبي ذُؤَيب[1] وخبره ونسبه

[نسبه]

هو خُوَيْلِد بن خالد بن مُحرِّث[2] بن زُبَيد بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تميم[3] بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن الياس بن مضَر بن نِزار . وهو أحد المخضرَمين ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام ، وأسلم فحسُن إسلامُه . ومات في غَزاة إفْرِيقية .

[رأي ابن سلام فيه وشهادة حسّان له]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال : كان أبو ذُؤَيب شاعراً فَحْلاً لا غَميزة[4] فيه ولا وَهْن .

وقال ابن سَلاّم : قال أبو عمرو بن العلاء : سُئل حسّان بن ثابت : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أحَيّاً أم رجلاً ؟ قالوا : حيّاً ؛ قال : اشعرُ الناسِ حيّاً هُذَيل ، وأشعر هذيل غيرَ مُدافع أبو ذُؤَيب . قال ابن سلاّم : ليس هذا من قول أبي عمرو ونحن نقوله .

[اسمه بالسريانية مؤلف زورا]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمّد بن سَلاّم قال أخبرني محمّد بن مُعاذ العُمَريّ قال : في التّوراة : أبو ذؤيب مؤلّف زوراً ، وكان اسم الشاعر بالسريانية «مؤلف زورا» . فأخبرتُ بذلك بعضَ أصحاب العربيّة ، وهو كثير بن إسحاق ، فعجب منه وقال : قد بلغني ذاك . وكان فصيحاً كثيرَ الغريب متمكّناً في الشعر .

[تقدّم شعراء هذيل بقصيدته العينية]

قال أبو زيد عمر بن شَبّة : تقدّم أبو ذؤيب جميعَ شعراء هُذيل بقصيدته العينيّة التي يَرثي فيها بَنِيه . يعني قولَه : [من الكامل]

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 457 وطبقات ابن سلام : 131 والمؤتلف : 173 ومصورة ابن عساكر 5 : 690 ومختصر ابن منظور 8 : 92 وتهذيب ابن عساكر 5 : 182 وأسد الغابة 5 : 188 والإصابة 7 : 63 والوافي 13 : 437 . والخزانة 1 : 203 وشرح شواهد المغني : 10 والعيني 1 : 295 ومعاهد التنصيص 2 : 165 والدميري 2 : 47 ومعجم الأدباء : 3 : 1275–1277 والتذكرة الحمدونية 8 : 28–29 .

2 في ل : محرز .

3 في ل : غنم .

4 غميزة : مطعن .

أمِـن المَنـون وريْبـه تتوجّـعُ والدَّهرُ ليسَ بمُعْتِب مَن يَجْزَعُ[1]

وهذه يقولها في بنينَ له خمسة أُصيبوا في عام واحد بالطاعون ورثاهم فيها . وسنذكر جميع ما يُغَنَّى فيه منها على أثر أخباره هذه .

[خرج مع عبد الله بن سعد لغزو إفريقية وعاد مع ابن الزُّبَير فمات في مصر]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن مصعَب الزُّبَيريّ ، وأخبرني حِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمّي قال : كان أبو ذؤيب الهُذَليّ خرج في جُند عبد الله بن سَعْد بن أبي سَرْح أحد بني عامر بن لؤيّ إلى إفريقية سنة ستّ وعشرين غازياً إفْرِنْجَةَ في زمن عثمان . فلمّا فتح عبد الله بن سعد إفريقية وما والاها بعث عبدَ الله بن الزُّبَير وكان في جنده بشيراً إلى عثمان بن عفّان ، وبعث معه نفراً فيهم أبو ذؤيب . ففي عبد الله يقول أبو ذؤيب : [من المتقارب]

فصاحبَ صدقٍ كسِيدِ الضَّرا ء يَنْهض في الغزو نهضاً نَجيحا[2]

في قصيدة له . فلمّا قدِموا مصرَ مات أبو ذؤيب بها . وقدِم ابنُ الزُّبَير على عثمان ، وهو يومئذٍ ، في قول ابن الزُّبَير ، ابنُ ستّ وعشرين سنة ؛ وفي قول الواقِديّ ابن أربع وعشرين سنة . وبُشّر عبد الله عند مَقْدَمه بخُبَيْب بن عبد الله بن الزُّبَير وبأخيه عُرْوة بن الزُّبَير ، وكانا وُلدا في ذلك العام ، وخُبيب أكبرهما .

[وصف ابن الزبير لحرب إفريقية]

قال مصعب : فسمعتُ أبي والزُّبَيرَ بن خُبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزُّبَير يقولان : قال عبد الله بن الزُّبَير : أحاط بنا جُرْجِير صاحبُ إفريقية وهو ملك إفْرِنْجة في عشرين ألفاً ومائة ألف ونحن في عشرين ألفاً ؛ فضاق بالمسلمين أمرُهم واختلفوا في الرأي ، فدخل عبد الله بن سعد فُسْطاطه يخلو ويفكّر . قال عبد الله بن الزبير : فرأيتُ عَوْرة من جُرْجِير والناسُ على مَصافّهم ، رأيته على بِرْذَوْن أشهبَ خَلْفَ أصحابه مُنقطِعاً منهم ، معه جاريتان له تُظِلّانه من الشمس بريش الطَّواويس . فجئت فُسطاطَ عبد الله فطلبت الإذنَ عليه من حاجبه ؛ فقال : إنّه في شأنكم وإنّه قد أمرني أن أُمسك الناسَ عنه . قال : فدُرتُ فأتيت مؤخَّر فُسطاطه فرفعتُه ودخلتُ عليه ، فإذا هو مُستلْقٍ على فراشه ؛ ففزِع وقال : ما الذي أدخلك عليّ يا ابن الزُّبَير ؟ فقلت : إيه وإيه ! كلُّ أزَبَّ[3] نَفورٌ ! إنّي رأيت عورةً من عدوّنا فرجوت الفرصةَ فيه وخَشِيتُ فواتَها ، فاخرُجْ فانْدُب

1 وريه في ل : وريها .

2 الضَّرا في ل : الغضا .

3 الأزب من الإبل : الذي يكثر شعر حاجبيه .

الناسَ إليّ . قال : وما هي ؟ فأخبرته ؛ فقال : عورةٌ لعمري ! ثم خرج فرأى ما رأيت ؛ فقال : أيّها الناس ، انتدِبوا مع ابن الزُّبَير إلى عدوّكم . فاخترتُ ثلاثين فارساً ، وقلت : إنّي حاملٌ فاضربوا عن ظهري فإنّي سأكفيكم مَنْ ألقى إن شاء الله تعالى . فحملتُ في الوجه الذي هو فيه وحملوا فذبّوا عنّي حتى خرَقتُهم إلى أرض خالية ، وتبيّنته فصمَدْتُ[1] صَمْدَه ؛ فوالله ما حسِب إلاّ أنّي رسول ولا ظنّ أكثرُ أصحابه إلاّ ذاك ، حتى رأى ما بي من أثر السلاح ، فثنَى بِرْذَوْنَه هارباً ، فأدركتُه فطعنته فسقط ، ورميتُ بنفسي عليه ، واتّقتْ جاريتاه عنه السيفَ فقُطعت يد إحداهما . وأجهزتُ عليه ثم رفعتُ رأسَه في رُمحي ، وجال أصحابُه وحمَل المسلمون في ناحيتي وكبّروا فقتلوهم كيف[2] شاؤوا ، وكانت الهزيمة . فقال لي عبد الله بن سعد : ما أحدٌ أحقّ بالبشارة منك ، فبعثني إلى عثمان .

[اشترى مروان خُمس فيْء إفريقية بمال فوضعه عنه عثمان]

وقَدِم مروانُ[3] بعدي على عثمان حين اطمأنّوا وباعوا المَغنم وقسّموه . وكان مروان قد صفَق[4] على الخُمس بخمسمائة ألف ، فوضعها عنه عثمان ، فكان ذلك ممّا تُكلِّم فيه بسببه . فقال عبد الرحمن بن حَنْبل[5] بن مُلَيل وكان هو وأخوه كَلَدة أخوي صَفْوان بن أُميّة بن خَلَف لأُمّه ، وهي صَفيّة بنت مَعْمَر بن حبيب بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح ، وكان أبوهما ممّن سقط من اليمن إلى مكّة : [من المتقارب]

أحْلِـف بالله جهد اليميـ ـن ما ترك الله أمراً سُدَى
ولكنْ خُلقـتَ لنـا فتنةً لكـي نُبتلى فيكَ أو تُبتلى
دعـوتَ الطَّريدَ فأدنيتَه خلافاً لسنّة مَنْ قد مضى[6]
وأعطيتَ مَرْوان خُمسَ العبا د ظلماً لهم وحَمَيْتَ الحمى
ومالاً أتاكَ بـه الأشعريّ من الفيء أعطيتَه مَنْ دنا
وإنّ الأُمينَيْنِ قـد بَيّنـا منـارَ الطريق عليه الهُدى

1 صمد صمد الأمر : قصد قصده .
2 في ل : حيث .
3 هو الخليفة مروان بن الحكم .
4 الصفق : التبايع ، وهو من صفق اليد على اليد عند وجوب البيع .
5 في ل : حسان .
6 الطريد : الحكم بن العاص بن أُميّة .

فمـــا أخـــذا درهماً غِيلةً ولا قسّما درهماً في هوى

قال : والمال الذي ذكر أنّ الأشعريّ جاء به مالٌ كان أبو موسى قَدِم به على عثمان من العراق ، فأعطى عبدَ الله بن أُسيد بن أبي العِيص منه مائة ألف درهم ، وقيل : ثلثمائة ألف درهم ؛ فأنكر الناسُ ذلك .

[ذكر ابن بُجرة وخمره في قصيدة غنّى في أبيات منها]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن محمّد بن يحيى عن عبد العزيز ، أظنّه ابن الدّراوَرْدي ، قال : ابن بُجرة الذي ذكره أبو ذؤيب رجل من بني عُبيد بن عُويج بن عَدِيّ بن كعب من قُرَيش ، ولم يسكنوا مكّة ولا المدينة قَطّ ، وبالمدينة منهم امرأة ، ولهم موالٍ أشهرُ منهم ، يقال لهم بنو سجفان . وكان ابن بُجرة هذا خَمّاراً . وهذا الصوت الذي ذكرناه من لحن حَكَم الواديّ المختار من قصيدة لأبي ذؤيب طويلة . فممّا يغنّى فيه منها : [من الطويل]

صوت

أساءلتَ رَسْمَ الدار أم لم تُسائل عن الحيّ أم عن عهده بالأوائلِ
عفا غيرَ رسم الدار مـــا إن تُبينُه وعفْرِ ظباءٍ قد ثَوَتْ في المنازلِ[1]
فلو أنّ مـــا عند ابن بُجْرةَ عندها من الخمر لم تَبْلُل لَهاتـي بناطلِ
فتلك التي لا يَذهبُ الدَّهرَ حُبُّها ولا ذِكرُها مـا أَرْزَمَتْ أُمُّ حائلِ

غنّاه الغَريض ثقيلاً أوّلَ بالوسطى . ويقال : إن لَمْعبد فيه أيضاً لحناً .

قوله : «أساءلتَ» يخاطب نفسه . ويروى : «عن السُّكْن أو عن أهله» . والسُّكْن . الذي كانوا فيه . وقال الأصمعيّ : السكن : سكن الدار . والسكن : المنزل أيضاً . ويروى : «عفا غير نُؤْي الدار» . والنُّؤْي : حاجز يُجعل حول بيوت الأعراب لئلاّ يَصِل المطر إليها . ويروى وهو الصحيح :

وأقطاع طُفْي قـــد عَفَتْ في المعاقلِ[2]

والطُّفْي : خُوص المُقْل . والمعاقل : حيث نزلوا فامتنعوا ، واحدها مَعْقِل . وواحد الطُّفْي : طُفْية . وأَرْزمتْ : حَنّت . والحائل : الأُنثى . والسَّقْب : الذكر .

ومنها : [من الطويل]

---

1 تبينُه في ل : أُبينه .

2 أقطاع : جمع قِطع وهو كالقطيع الغصن تقطعه من الشجرة .

صوت

وإنّ حديثـاً منكِ لـو تَبْذُلينه جَنى النحلِ في أَلبان عُوذٍ مَطافلِ
مَطافل أَبْكـار حَدِيـث نِتاجهـا تُشاب بماءٍ مثـلِ مـاء المفاصلِ

غنّاه ابن سُريج رملاً بالوسطى . جنى النحل : العسل . والعُوذ : جمع عائذ ، الناقة حين تضع فهي عائذ ، فإذا تَبِعها ولدُها قيل لها مُطْفِل . والمَفاصل : مُنْفَصل السهل من الجبل حيث يكون الرَّضْراض[1] ، والماء الذي يَسْتنقِع[2] فيها أَطيبُ المياه . وتُشاب : تُخلط .

وأَخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأَصمعيّ : أَن أَبا ذؤيب إنّما عَنى بقوله : «مَطافل أَبْكار» أَنّ لبن الأَبكار أَطيبُ الألبان ، وهو لبنُها لأوّل بَطْن وضعتْ . قال : وكذلك العسل فإنّ أَطيبَه ما كان من بِكر النحل . قال : وحدَّثني كُرْدين قال : كتب الحجّاج إلى عامله على فارس : إبعثْ إليّ بعَسل من عسل خُلاَّر[3] ، من النحل الأَبكار ، من الدستفشار[4] ، الذي لم تمسَّه النار .

[صوت من قصيدته العينية]

فأَمّا قصيدته العينية التي فُضِّل بها ، فممّا يغنّى به منها : [من الكامل]

صوت

أَمِـنَ المَنـون ورَيْبهـا تتوجّعُ والدَّهرُ ليس بمُعْتبٍ مـن يَجْزَعُ
قالت أُمامة مـا لجسمكَ شاحباً منـذُ ابتُذلتَ ومثـلُ مالك يَنْفعُ
أَم مـا لجنبك لا يُلائم مضجعاً إلاّ أَقضَّ عليـك ذاك المضجَعُ
فأَجبتُهـا أَنْ مـا لجسمي أَنّه أَودى بَنـيّ مِـن البلاد فودّعوا

عروضه من الكامل . غنّاه ابن مُحرِز ولحنه من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالبنصر في مجراها . قال الأَصمعيّ : سُمِّيت المَنون منوناً لأَنّها تذهب بمُنَّة كلّ شيء وهي قوّته . ورَوى الأَصمعيّ : «ورَيْبه» فذَكَّر المَنون . والشاحب : المُغيَّر المهزول . يقال : شَحُبَ يشحُب . ابتُذِلتَ : امتَهَنْتَ نفسَك وكَرِهتَ الدعةَ والزينة ولَزِمت العملَ والسفر ومثلُ مالك يُغْنيك عن هذا ، فاشْتَرِ لنفسكَ مَنْ يكفيك ذلك ويقوم لك به . ويلائم : يوافق . أَقضّ عليك أَي

1 الرضراض : ما دقّ من الحصى .
2 يستنقع : يجتمع .
3 خلار (كرمان) موضع بفارس ينسب إليه العسل الجيّد .
4 الدستفشار : لفظة فارسية ، معناها : ما عصرته الأيدي وعالجته .

خشُن فلم تستطع أن تضطجع عليه . والقَضَض : الرمل والحصى . قال الراجز : [من الرجز]

إنّ أُحَيحاً مـات من غير مَرَضْ ووُجْدَ في مَرْمَضه حيث ارتمضْ[1]

عَساقلٌ وجبـأٌ فيهـا قَضَضْ[2]

وودّعوا : ذهبوا . استُعمل ذلك في الذهاب لأنّ من عادة المفارق أن يودّع .

[طلب المنصور قصيدته العينيّة فلم يعرفها أحد من أهله وعرفها مؤدّب فأجازه]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أحمد بن عمر النحويّ قال حدّثني أبي عن الهَيْثم بن عَدِيّ عن ابن عياش قال : لمّا مات جعفرُ بن المنصور الأكبرُ مشى المنصور في جنازته من المدينة[3] إلى مقابر قريش ، ومشى الناسُ أجمعون معه حتى دَفَنه ، ثم انصرف إلى قصره . ثم أقبل على الربيع[4] فقال : يا ربيع انظُر مَنْ في أهلي يُنشدني : [من الكامل]

أمِـنَ المنـون ورَيْبهـا تتوجّع

حتى أتسلّى بها عن مُصيبتي . قال الربيع : فخرجتُ إلى بني هاشم وهم بأجمعهم حُضور ، فسألتُهم عنها ، فلم يكن فيهم أحدٌ يحفظها ، فرجعتُ فأخبرته ، فقال : والله لمصيبتي بأهل بيتي ألاّ يكون فيهم أحدٌ يحفظ هذا لِقِلّة رغبتهم في الأدب أعظمُ وأشدّ عليّ من مُصيبتي بابني . ثم قال : انظُر هل في القوّاد والعَوامّ من الجند مَنْ يعرفها ، فإنّي أحبّ أن أسمعها من إنسانٍ يُنشدها . فخرجتُ فاعترضت الناسَ فلم أجد أحداً يُنشدها إلاّ شيخاً كبيراً مؤدِّباً قد انصرف من موضع تأديبه ، فسألته : هل تحفظ شيئاً من الشعر ؟ فقال : نعم ، شِعْر أبي ذُؤَيب . فقلت : أنْشِدْني . فابتدأ هذه القصيدةَ العينيّة . فقلت له : أنت بُغْيتي . ثم أوصلته إلى المنصور فاستنشده إيّاها . فلمّا قال : [من الكامل]

والدَّهرُ ليس بمُعتِـب مَـنْ يَجْزَعُ[5]

قال : صدق والله ، فأنْشِدْني هذا البيتَ مائة مرّة ليتردّد هذا المصراعُ عليّ ؛ فأنشدَه ، ثم مرّ فيها . فلمّا انتهى إلى قوله : [من الكامل]

والدَّهرُ لا يَبْقى على حَدَثانه جَـوْنُ السَّراة له جدائدُ أربعُ[6]

---

1 ارتمض الرجل من كذا : أي اشتدّ عليه وأقلقه .

2 العساقل : ضرب من الكمأة . والجبء : الكمأة السّود .

3 يريد بغداد .

4 هو الربيع بن يونس مولى المنصور .

5 أعتبه : رجع إلى ما يُرضيه وترك ما يُسخطه .

6 جون السّراة يقصد الحمار . والجدائد : الأتن التي لا لبن لها .

قال : سلا أبو ذؤيب عند هذا القول . ثم أمَر الشيخَ بالانصراف . فاتّبعتُه فقلت له : أمَرَ لك أميرُ المؤمنين بشيء ؟ فأراني صُرّةً في يده فيها مائةُ درهم .

[خانه خالد بن زهير في امرأة يهواها كان خان هو فيها عويم بن مالك]

حدّثنا محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال : كان أبو ذؤيب الهُذَليّ يهوَى امرأةً يقال لها أمّ عمرو ، وكان يُرسِل إليها خالد[1] بن زُهير فخانه فيها ، وكذلك كان أبو ذُؤَيب فعل برجلٍ يقال له عُوَيم بن مالك بن عويمر وكان رسولَه إليها . فلمّا علِم أبو ذؤيب بما فعل خالد صرَمها . فأرسلتْ تترضّاه ، فلم يفعلْ ، وقال فيها : [من الطويل]

تُريديـن كيمـا تجمعيني وخالداً ... وهل يُجمَع السيفانِ وَيْحكِ في غِمْدِ
أخالـدُ مـا راعيْتَ مِنـي قرابـةً ... فتحفَظَني بالغيب أو بعضِ ما تُبدي[2]
دعـاكَ إليها مُقْلتاهـا وجيدُها ... فمِلتَ كما مال المُحبّ على عَمْدِ
وكنتَ كرَقْراق السَّراب إذا بـدا ... لقوم وقد باتَ المطيُّ بهم يَخْدي[3]
فآليـتُ لا أنفـكّ أحْدو قصيدةً ... تكون وإيّاهـا بهـا مثـلاً بعدي

غنّاه ابن سريج خفيفَ رمل بالبنصر . الغيب : السرّ . والرقراق : الجاري . ويروى : «أحذو قصيدة» . فمن قال : «أحذو» بالذال المعجمة أراد أصنع ، ومن قال : «أحدو» أراد أُغنّي .

وقال أبو ذؤيب في ذلك : [من الطويل]

ومـا حُمِّـل البُخْتيُّ عامَ غِياره ... عليـه الوُسوقُ بُرُّهـا وشَعيرُها[4]
أتـى قريـةً كانـت كثيراً طعامُها ... كَرَفْغ التراب كلُّ شيءٍ يَميرها[5]

الرفغ من التراب : الكثير اللين .

فقيل تَحَمَّلْ فـوق طوقك إنّها ... مُطَبَّعـة مَـنْ يأتهـا لا يَضِيرُها

1 خالد بن زهير الهذلي ، ابن أخت أبي ذؤيب .
2 مني في ل : من ذي .
3 خدى البعير : أسرع وزج بقوائمه .
4 الغِيار : مصدر غارهم يُغيرهم إذا مارهم أي أتاهم بالميرة . الوسوق : جمع وسَق : وهو حمل البعير ، وقيل الحمل عامة .
5 أتى قرية في ل : إلى قرية .

بأعظمَ ممّا كنتُ حَمَّلتُ خالداً وبعضُ أمانات الرجال غُرورها
ولو أنّني حَمّلتُه البُزْلَ ما مشتْ به البزلُ حتى تَتْلَئِبَّ صدورها

تتلئب : تستقيم وتنتصب وتمتدّ وتتتابع .

خليلي الذي دلى لغَيٍّ خليلتي جِهاراً فكلٌّ قد أصابَ عُرورها[1]

يقال : عَرّه بكذا أي أصابه [به] .

فشأنَكها ، إنّي أمينٌ وإنّني إذا ما تَحالَى مثلُها لا أُطُورها

تَحالى : من الحلاوة . أُطورها : أَقْرَبُها :

أُحاذر يوماً أن تَبِين قَرينتي ويُسْلمها أَحْرازُها ونَصيرها

الأَحراز : الحصون . قرينتي : نفسي .

وما أَنفُس الفتيانِ إلاّ قرائنٌ تَبينُ ويبقى هامُها وقُبورها
فنفسَك فاحفظْها ولا تُفشِ للعِدا من الشرّ ما يُطوى عليه ضَميرُها
وما يُحْفظُ المكتومُ من سرّ أَهله إذا عُقَدُ الأَسرار ضاع كبيرُها
مِنَ القوم إلاّ ذو عَفاف يُعينه على ذاك منهُ صِدْقُ نفس وخِيرُها
رَعى خالدٌ سرّي ليالِيَ نفسُه تَوالى على قَصْد السبيل أُمورُها
فلمّا تراماه الشبابُ وغَيُّه وفي النفس منه فِتْنةٌ وفُجورها[2]
لوى رأسَه عنّي ومال بودّه أَغانيجُ خَوْد كان فينا يَزُورها[3]
تَعلّقه منها دَلالٌ ومُقلة تَظَلّ لأَصحاب الشَّقاء تُديرها
فإنّ حراماً أَنْ أَخون أَمانةً وآمَنَ نفساً ليس عندي ضميرها

فأجابه خالد بن زهير :

لا يُبعدنّ الله لُبَّك إذ غَزا وسافرَ والأَحلامُ جَمٌّ عُثُورُها

غزا وسافر لبّك : ذهب عنك . والعثور : من العثار وهو الخطأ .

وكنتَ إماماً للعشيرة تنتهي إليك إذا ضاقتْ بأَمرٍ صُدورها

---

1 دلّى فلان فلاناً في الشر : أوقعه وصيّره فيه . العُرور : المعرّة والعيب .
2 تراماه الشباب : أي تم شبابه فقذف به إلى الغي كما تترامى الفلاة براكبها .
3 الأغانيج : جمع أغنوجة .

لعلّــك إمّا أمُّ عمــرو تبدّلــت سِواكَ خليــلاً شاتمي تَسْتخيرها

الاستخارة : الاستعطاف .

فإنّ التي فينــا زعمــتَ ومثلَها لَفِيــكَ ولكنّــي أراك تَجُورها

تجورها : تُعرض[1] عنها .

ألم تَنْتقذهــا من عويم بن مالك وأنت صفــيُّ نفسِه وسَجيرها[2]

فلا تَجْزَعَنْ من سُنّةٍ أنت سِرْتَها فــأوّلُ راضٍ سُنّــةً مَنْ يسيرها

ويروى [قد] أسرتَها ، أي جعلتها سائرة . ومن رواه هكذا روى «يُسيرها» لأنّ مستقبل أفعل أسارها يسيرها . و«يَسِيرها» مستقبل سار السيرة يسيرها .

فإن كنتَ تشكو من خليلٍ مخانَــةً فتلك الجَوازِي عَقْبها ونُصُورها

عَقْبها : يريد عاقبتها . ونُصورها أي تُنصر عليك ، الواحد نصر .

وإن كنتَ تَبْغــي للظُّلامة مَرْكباً ذَلُولاً فإنّــي ليس عندي بَعيرها

نشأتُ عَسيراً لا تَلِين عَريكتي ولم يَعْلُ يوماً فوق ظهري كُورها[3]

متى ما تشأْ أحمِلْك والرأسُ مائلٌ على صَعْبةٍ حَرْفٍ وَشِيكٍ طُمورها[4]

فــلا تَكُ كالثور الذي دُفنتْ له حديدةُ حَتْفٍ ثــم أمسى يُثيرها

يُطيــل ثَــواءً عندهــا ليَرُدَّهــا وهيهاتَ منــه دارهــا وقُصورها

وقاسمهــا بــالله جَهْــداً لأنتــمُ ألَذُّ مــن السَّلْوى إذا ما نَشُورها

نشورها : نجتنيها . السلوى هاهنا : العسل .

فلم يُغن عنــه خَدْعُه يوم أزْمَعتْ صَريمتَها والنفسُ مُرٌّ ضميرُها[5]

ولم يُلْفَ جَلْداً حازماً ذا عَزيمة وذا قــوّة يَنفي بهــا من يَزورها

فأقْصِرْ ولم تأخــذْك منّي سحابةٌ يُنَفِّــر شاءَ المُقْلِعــين خَرِيــرُها

المقلعين : الذين أصابهم القَلَع وهو السحاب .

---

1 في ل : تعدل .

2 السّجير : الخليل الصفيّ .

3 الكور : الرّحل .

4 الرأس : مائل من المرح والنشاط . والحرف : الضامرة . ووشيك طمورها : سريع وثوبها .

5 مُرٌّ ضميرها : أي نفسها خبيثة كارهة .

ولا تَسْبِقَنّ الناسَ منّـــي بخَمْطةٍ مِنَ السمّ مَذْرُورٍ عليها ذَرُورها[1]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثنا السَّكَن بن سَعيد قال حدّثنا العبّاس بن هشام قال حدّثني أبو عمرو عبد الله بن الحارث الهُذَليّ من أهل المدينة قال : خرج أبو ذؤيب مع ابنه وابن أخ له يقال له أبو عُبيد[2] ، حتى قَدِموا على عمر بن الخَطّاب رضي الله عنه . فقال له : أيُّ العمل أفضلُ يا أمير المؤمنين ؟ قال : الإيمان بالله ورسوله . قال : قد فعلتُ ، فأيُّه أفضلُ بعده ؟ قال : الجهادُ في سبيل الله . قال : ذلك كان عليّ وإنّي لا أرجو جنّة ولا أخاف ناراً . ثم خرج فغزا أرضَ الروم مع المسلمين . فلمّا قَفَلوا أخذه الموت ؛ فأراد ابنُه وابنُ أخيه أن يتخلّفا عليه جميعاً ؛ فمنعهما صاحبُ الساقة وقال : ليتخلّفْ عليه أحدُكما وليعلمْ أنّه مقتول . فقال لهما أبو ذؤيب : اقترِعا ، فطارت القُرعة لأبي عُبيد ، فتخلّف عليه ومضى ابنُه مع الناس . فكان أبو عُبيد يُحدّث قال قال لي أبو ذؤيب : يا أبا عُبيد ، احفِر ذلك الجُرُف برمحك ثم اعضِد[3] من الشجر بسيفك ثم اجرُرْني إلى هذا النهر فإنّك لا تفرُغ حتى أفرُغ ، فاغسِلْني وكفّني ثم اجعلني في حَفيري وانثِلْ[4] عليّ الجُرُف برمحك ، وألقِ عليّ الغصونَ والشجر ، ثم اتبَع الناس فإن لهم رَهْجةً[5] تراها في الأُفق إذا مشيتَ كأنّها جَهامة . قال : فما أخطأ ممّا قال شيئاً ، ولولا نَعْتُه لم أهتدِ لأثر الجيش . وقال وهو يجود بنفسه : [من الرجز]

أبـا عُبَيـد رُفـع الكتابُ واقترب الموعدُ والحسابُ
وعند رَحْلي جملٌ نُجاب أحمـرُ في حاركه انصباب[6]

ثم مضيتُ حتى لحقتُ الناسَ . فكان يُقال : إنّ أهلَ الإسلام أبعدوا الأثرَ في بلد الروم ، فما كان وراء قبر أبي ذُؤيب قبر يُعرف لأحد من المسلمين .

---

1 الخمطة : الطرية التي أخذت طعماً ولم تستحكم ، أو هي التي أخذت ريح الإدراك كريح التفاح ولم تدرك بعد .
2 في ل : عقيل .
3 عضد الشجر : قطعه .
4 نثل الركبة ينثلها : أخرج ترابها .
5 الرهجة : ما أثير من غبار .
6 الحارك : أعلى الكاهل .

[95] ـ ذكر حَكَم الواديّ وخبره ونسبه

[نسبه وأصله وصناعته]

هو الحَكَم بن مَيْمون مولى الوليد بن عبد الملك . وكان أبوه حَلاّقاً يحلِقُ رأس الوليد ، فاشتراه فأعتقه . وكان حَكَمٌ طويلاً أَحْوَلَ ، يُكْرِي الجِمالَ ينقُل عليها الزيت من الشام إلى المدينة . ويُكنى أبا يحيى . وقال مصعَب بن عبد الله بن الزُّبَير : هو حكم بن يحيى بن ميمون ، وكان أصله من الفُرْس ، وكان جَمّالاً ينقلُ الزيتَ من وادي[1] القُرَى إلى المدينة .

[غنَّى الوليد بن عبد الملك وعاش إلى زمن الرشيد]

وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّه كان شيخاً طويلاً أحولَ أَجْنأ[2] يخضِب بالحِنّاء ، وكان جَمّالاً يحمل الزيتَ من جُدّة إلى المدينة ، وكان واحدَ دهره في الحِذْق ، وكان ينقُر بالدفّ ويغنّي مرتجِلاً ، وعُمّر عمراً طويلاً ، غنَّى الوليدَ بن عبد الملك ، وغنَّى الرشيدَ ومات في الشَّطْر من خلافته ، وذكر أنّه أخذ الغناء من عُمَر الوادي . قال : وكان بوادي القُرَى جماعةٌ من المغنّين فيهم عمر بن زاذان ، وقيل : ابن داود بن زاذان ، وهو الذي كان يسمّيه الوليد جامعَ لذّتي ، وحكم بن يحيى ، وسليمان ، وخُلَيْد بن عَتِيك ، وقيل : ابن عبيد ، ويعقوب الوادي . وكلّ هؤلاء كان يصنع فيُحسن .

[مدح إسحاق الموصليّ غناءه]

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدَّثني حمّاد قال قال لي أبي : أحذقُ من رأيتُ من المغنّين أربعة : جدّك وحَكَم وفُليح بن العوراء وسِيَاط . قلت : وما بلغ من حذقهم ؟ قال : كانوا يصنعون فيُحسنون ، ويؤدّون غناء غيرهم فيحسنون . قال إسحاق : وقال لي أبي : ما في هؤلاء الذين تراهم من المغنّين أَطْبع من حَكَم وابن جامع ، وفُليحٌ أدرى منهما بما يخرج من رأسه .

[غنَّى الوليد بن يزيد بشعر مطيع بن إياس فأجازه]

وذكر هارون بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات أنّ أحمد بن المكّيّ حدّثه عن أبيه قال حدَّثني حكم الواديّ ، وأخبرني به محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا الغَلابيّ عن حمّاد بن إسحاق عن أحمد بن المكّيّ عن أبيه عن حكم الواديّ قال : أدخلني عمر الوادي على الوليد بن يزيد ، وهو

---

1 وادي القُرى : وادٍ بين الشام والمدينة .

2 أجنأ : أحدب .

على حمار ، وعليه جُبّة وَشْي ورداء وشي وخُفّ وشي ، وفي يده عِقْد جوهر ، وفي كُمِّه شيء لا أدري ما هو . فقال : مَنْ غنّاني ما أشتهي فله ما في كُمِّي وما عليّ وما معي وما تحتي ؛ فغنّوْه كلُّهم فلم يَطْرَب ؛ فقال لي : غَنِّ يا غلام ، فغنَّيتُ : [من مجزوء الرجز]

صوت

إكليلُها ألوانُ ووجهُها فَتّانُ
وخالُها فريدٌ ليس له جيرانُ
إذا مشتْ تَثنّتْ كأنّها ثعبانُ

الشعر لمُطيع بن إيّاس . والغناء لحَكَم الوادي هَزَجٌ بالوسطى . وفيه لإبراهيم رَمَلٌ خفيف بالوسطى فطرب وأخرج ما كان في كمّه ، وإذا كيسٌ فيه ألفُ دينار ، فرمى به إليّ مع عقد الجوهر ؛ فلمّا دخل بعث إليّ بالحمار وجميع ما كان عليه . وهذا الخبر يذكر من عدّة وجوه في أخبار مُطيع بن إيّاس .

[مدحه رجل من قريش بشعر صنع هو فيه صوتاً]

وفي حكم الوادي يقول رجل من قريش : [من الوافر]

صوت

أبو يحيى أخو الغَزَلِ المغنّي بَصيرٌ بالثّقال وبالخِفافِ
على العيدان يُحسِنُ ما يُغنّي ويُحسنُ ما يقول على الدِّفافِ

غنّاه حكم الوادي هزجاً بالبنصر .

قال هارون بن محمد بن عبد الملك قال أبو يحيى العِبَادِيّ قال حدّثني أحمد البارد قال : دخلتُ على حَكَم يوماً فقال لي : يا قِصَافيّ[1] ، إنّ رجلاً من قريش قال فيّ هذا الشعرَ : [من الوافر]

أبو يحيى أخو الغَزَل المغنّي

وقد غنّيتُ فيه ، فخُذ العودَ حتى تسمعه منّي ؛ فأخذتُ العود فطربتُ عليه وغنّانيه ، فكنتُ أوّلَ مَن أخذ من حَكَم الواديّ هذا الصوت .

[سئل عن صوت فقال ما يكون إلاّ لي]

قال أبو يحيى قال إسحاق : سمعتُ حكماً الواديّ يغنّي صوتاً فأعجبني ، فسألتُه لَمن هو ؟ فقال : ولَمن يكون هذا إلاّ لي .

1 بنو قصاف : بطن من العرب .

[فغضب من شيخ قال له أحسنت]

وقال مُصْعَب : حدَّثني شيخ أنّه سمع حَكَماً الواديَّ يغنّي ، فقال له : أحسنتَ ؛ فألقى الدُّفّ وقال للرجل : قبّحكَ اللهُ ، تراني مع المغنّين منذ ستّين سنةً وتقول لي أحسنتَ ! .

[قصّته هو وفليح مع ابن جامع عند يحيى بن خالد]

وقال لي هارون حدّثني مُدْرِك بن يزيد قال قال لي فُلَيح : بعث إليّ يحيى بنُ خالد وإلى حَكَم الواديّ ، وابنُ جامع معنا ، فأتيناه . فقلت لحكم الواديّ أو قال لي إنّ ابنَ جامع معنا ، فعاوِنّي عليه لنكسِرَه . فلمّا صرنا إلى الغِناء غنّى حَكَمٌ ، فصِحْتُ وقلت : هكذا والله يكون الغناء ! ثم غنّيت ففعل بي حَكَمٌ مثلَ ذلك ، وغنّى ابنُ جامع فما كنّا معه في شيء . فلمّا كان العَشيُّ أرسل إلى جاريته دَنانيرَ : إن أصحابَكِ عندنا ، فهل لكِ أن تخرجي إلينا ؟! فخرَجتْ وخرج معها وصائفُ لَها ، فأقبل عليها يقول لها من حيث يظنّ أنّا لا نسمع : ليس في القوم أنزهُ نفساً من فُلَيح ، ثم أشار إلى غلام له : أنِ ائت كلَّ إنسان بألفيْ درهم ، فجاء بها . فدفع إلى ابن جامع ألفين فأخذها فطرحها في كمّه ، ولحَكَم مثلَ ذلك فطرحها في كمّه ، ودفع إليّ ألفين . فقلت لدنانير : قد بلغ منّي النبيذُ فاحتبسيها لي عندك ، فأخذت الدراهمَ منّي وبعثتْ بها إليّ من الغد ، وقد زادت عليها مثلَها ، وأرسلتْ إليّ : قد بعثتُ إليك بوديعتكَ وبشيء أحببتُ أن تفرّقه على أخَواتي (تعني جواريّ) .

[بلغ في الهزج مبلغاً قصّر عنه غيره]

قال هارون بن محمّد قال حَمّاد بن إسحاق قال أبي : أربعةٌ بلغوا في أربعة أجناسٍ من الغناء مبلغاً قصَّر عنه غيرُهم : معبد في الثقيل ، وابن سُرَيج في الرَّمَل ، وحَكَمٌ في الهَزَج ، وإبراهيمُ في الماخُوريّ .

[كتب له الرشيد بصلة إلى إبراهيم بن المهديّ فوصله هو أيضاً وأخذ عنه ثلثمائة صوت]

قال هارون وحدَّثني أبي قال حدَّثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهديّ عن أبيه قال : زار حَكَمٌ الوادي الرشيد ، فبَرّه ووصَله بثلثمائة ألف درهم ، وسأله عمّن يختار أن يكتب له بها إليه ؛ فقال : اكتب لي بها إلى إبراهيم بن المهديّ ، وكان عاملاً له بالشام ، قال إبراهيم : فقدِم عليّ حَكَمٌ بكتاب الرشيد ، فدفعتُ إليه ما كتب به ووصلتُه بمثل ما وصله ، إلاّ أنّي نقصته ألفاً من الثلثمائة وقلت له : لا أصِلُكَ بمثل صلة أمير المؤمنين . فأقام عندي ثلاثين يوماً أخذتُ منه فيها ثلثمائة صوت ، كلُّ صوت منها أحبُّ إليّ من الثلثمائة الألف التي وهبتُها له .

[أهانه ابن شقران ولمّا عرفه اعتذر]

وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن عبيد الله بن خُرْدَاذْبه قال قال مصعَب بن عبد الله : بينا حَكَمٌ الواديّ بالمدينة إذ سمع قوماً يقولون : لو ذهبنا إلى جارية ابن شُقران ، فإنّها حسنة

الغناء ! فمضوا إليها ، وتبِعهم حكم وعليه فروة ، فدخلوا ودخل معهم ، وصاحبُ المنزلِ يظنّ أنّه معهم وهم يظنّون أنّه من قِبَل صاحب المنزل ولا يعرفونه . فغنّتِ الجارية أصواتاً ثم غنّت صوتاً ثم صوتاً . فقال حَكَمٌ الوادي : أحسنتِ والله ! وصاح . فقال له ربُّ البيت : يا ماصَّ كذا وكذا من أُمّه ؛ وما يُدريك ما الغناء ؟ فوثَب عليه يُتعتِعه وأراد ضربَه . فقال له حَكَمٌ : يا عبد الله ، دخلتُ بسَلام وأخْرجُ كما دخلت ، وقام ليخرج . فقال له ربُّ البيت : لا أو أضربَك . فقال حَكَم : على رِسْلك ، أنا أعلم بالغناء منك ومنها ، وقال : شُدِّي موضع كذا وأصلحي موضع كذا ، واندفع يغنّي . فقالت الجارية : إنّه والله أبو يحيى ؛ فقال ربُّ المنزل : جُعلتُ فداك ! المعذرةُ إلى الله وإليك ؛ لم أعرفك ! فقام حَكَمٌ ليخرج فأبى الرجلُ ؛ فقال : والله لأخرجنّ ، فسأعود إليها لكرامتها لا لكرامتك .

[لامَه ابنه على غنائه الأهزاج فأجابه]

وذكر أحمد بن المكّيّ عن أبيه : أنّ حكماً لم يُشْهَر بالغناء ويذهب له الصَّوْتُ[1] به حتى صار الأمر إلى بني العبّاس ؛ فانقطع إلى محمّد بن أبي العبّاس أمير المؤمنين وذلك في خلافة المنصور ؛ فأعجب به واختاره على المغنّين وأعجبتْه أهزاجهُ . وكان يقال : إنّه من أهْزج الناس . ويقال : إنّه غنّى الأهزاجَ في آخر عمره ، وإنّ ابنه لامَه على ذلك ، وقال له : أبعدَ الكِبر تغنّي غناء المخنّثين ! فقال له : اسكت فإنّك جاهلٌ ، غنّيتُ الثقيلَ ستّين سنةً فلم أَنَلْ إلاّ القوت ، وغنّيت الأهزاج منذ سُنَيّات[2] فأكسبتُك[3] ما لم تَرَ مثلَه قطُّ .

[شهد له يحيى بن خالد بجودة الأداء]

قال هارون بن محمّد وقال يحيى بن خالد : ما رأينا فيمن يأتينا من المغنّين أحداً أجود أداءً من حَكَم . وليس أحد يسمع منه غناء ثم يغنّيه بعد ذلك إلاّ وهو يغيّره ويَزيد فيه ويَنقُص إلاّ حَكَماً . فقيل لحكم ذلك فقال : إنّي لست أشرب ، وغيري يشرب ، فإذا شرب تغيَّر غناؤه .

[استكثر المنصور ما كان يعطاه من هدايا ثم عدل عن رأيه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : كان خبرُ حَكَم الوادي يتناهى إلى المنصور ويَبْلُغه ما يصله به بنو سليمان بن عليّ ، فيَعْجَب لذلك ويستسرفه ويقول : هل هو إلاّ أنْ حسَّن شعراً بصوته وطرَّب مستمعيه ، فماذا يكون ؟ وعَلامَ يُعطونه هذه العَطايا المُسْرِفة ؟ إلى أن جلس يوماً في مُسْتشرَف له ، وقد كان حَكَمٌ دخل إلى رجل من قوّاده ،

---

1 والصوت والصيت الحسن : الذكر الحسن الذي ينتشر بين الناس .

2 في ل : سنتين .

3 في ل : فاكتسبت ما لم تره .

أراه قال : عليُّ بن[1] يَقْطين أو أبوه ، وهو يراه ؛ ثم خرج عشيّاً وقد حَمله على بغلة له يعرفها المنصور ، وخلع عليه ثياباً يعرفها لـه . فلمّـا رآه المنصور قال : مَن هذا ؟ فقيل : حَكَمٌ الوادي . فحرّك رأسَه مَلِيّاً ثم قال : الآنَ علمتُ أنّ هذا يستحقّ ما يُعطاه . قيل : وكيف ذلك يا أمير المؤمنين وأنت تنكر ما يبلغك منه ؟ قال : لأنّ فلاناً لا يعطي شيئاً من ماله باطلاً ولا يَضعه إلاّ في حقّه .

[اعترض المهديّ في الطريق وغنّاه فأجازه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن أبي سعد قال حدَّثنا قَعْنب بن المُحْرِز الباهليّ عن الأصمعيّ قال : رأيت حَكَماً الوادي حين مضى المهديّ إلى بيت المَقْدِس ، وقد عارضه في الطريق وأخرج دُفّه ونَقَر فيه وله شُعَيْرات على رأسه وقال : أنا والله يا أمير المؤمنين القائل : [من مجزوء الخفيف]

ومتـى تَخـرجُ العرو سُ فقد طـال حبسُها

فتسرَّع إليه الحَرَسُ ؛ فقال : دعوه وسأل عنه فأُخبر أنّه حَكَم الوادي ؛ فوصَله وأحسن إليه .

لحنُ حَكَمٍ في هذا الشعر المذكور هَزَجٌ بالبنصر . وفيه ألحان لغيره ، وقد ذُكِرتْ في أخبار الوليد بن يزيد .

[أطرب الهادي دون غيره من المغنّين فأعطاه ثلاث بدر]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن صالح[2] الأضجَم عن حَكَمٍ الوادي قال : كان الهادي يشتهي من الغناء ما توسَّط وقلّ ترجيعُه ولم يبلغ أن يُستَخَفّ جدّاً ؛ فأخرج ليلةً ثلاثَ بِدَر وقال : مَن أطربني فهي له . فغنّاه ابن جامع وإبراهيم الموصليّ والزُّبَير بن دَحْمان فلم يصنعوا شيئاً ، وعرفتُ ما أراد فغنّيته لابن سرَيج : [من المنسرح]

صوت

غَـرّاءُ كالليلة المباركـة الْـ ـقَمْراء تَهْـدي أوائلَ الظُّلَمِ
أكْني بغير اسمها وقد علم اللّـ ـه خَفِيّـاتِ كلِّ مُكتتـمِ
كأنّ فاهـا إذا تُنسِّم عـن طَيـب مَشَمٍّ وحسن مُبْتَسَمِ

1 علي بن يقطين ولد بالكوفة سنة أربع وعشرين ومائة وكان والده يقطين بن موسى البغدادي من وجوه الدّعاة ، وطلبه مروان فهرب .

2 هو صالح بن علي بن عطيّة الأضجم الراوي .

يُسَنُّ بالضَّرْو من بَراقِشَ أو هَيْلانَ أو يانعٍ من العُتُمِ[1]

الشعر في هذا الغناء للنابغة الجَعْديّ ؛ والصنعة لابن سُريج رمل بالبنصر ، فوثَب عن فراشه طرباً وقال : أحسنتَ أحسنتَ أحسنتَ والله ! إسْقُوني فسُقي . ووثِقتُ بأنّ البدَرَ لي ، فقمتُ فجلستُ عليها . فأحسن ابنُ جامع المَحْضَر وقال : أحسن والله كما قال أمير المؤمنين ، وإنّه لمُحْسِن مُجْمِل . فلمّا سكن[2] أمَرَ الفرّاشين بحملها معي . فقلت لابن جامع : مثلُك يفعل ما فعلتَ في شَرَفك ونسبِك ! فإن رأيتَ أن تشرِّفني بقبول إحداها فعلتَ . فقال : لا والله لا فعلتُ ، والله لوَددْتُ أنّ الله زادك ، وأسأل الله أن يُهنِّيَك ما رزقك . ولحقني المَوْصليّ فقال : آخذُ يا حكَمَ من هذا ؟ فقلت : لا والله ولا درهماً واحداً لأنّك لم تُحْسِن المَحْضَر .

[موته وشعر الدارميّ فيه]

ومات حَكَمٌ الوادي من قُرحة أصابته في صدره . فقال الدارميّ فيه قبلَ وفاته : [من السريع]

صوت

إنّ أبـا يحيـى اشتكى عِلّـةً أصْبَحَ منهـا بـين عُوّادِ
فقلـتُ والقلبُ بـه مُوجَعٌ يا رَبّ عـافِ الحَكَمَ الوادي
فـرُبَّ بِيضٍ قـادةٍ سادةٍ كأنصُلٍ سُلّـت مِـنَ اغْماد
نادمَهـم في مجلس لاهيـاً فأَصْمَـتَ المُنشِدَ والشادي

غنّى فيه حَكَمٌ الوادي هَزَجاً بالبنصر .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

أمعـارِفَ الدِّمَـنِ القِفَار تَوَهّمُ ولقـد مضى حـولٌ لهنّ مُجَرَّمُ[3]
ولقـد وقفتُ على الديـار لعلّها بجـواب رَجْـع تحيّـةٍ تتكلّمُ

---

1 يُسنُّ في ل : يستنّ . الضّرو : شجرة الكمكام . هيلان في ل : هَمْلان . العتم : شجر الزيتون .
2 في ل : سكر .
3 مجرم : منقطع ومنصرم .

عن عِلْم ما فعل الخليطُ ، فما دَرَتْ أَنَّى توجّــهَ بالخَليــط المَوْسِمُ
ولقــد عهِدتُ بهــا سُعادَ وإنّها بــالله جاهــدةَ اليمين لتُقسِمُ
إنّي لأَوْجَــهُ مَــنْ تكلّم عندها بأَلِيّــةٍ ومخالــفٌ مَــن يَزْعُمُ
فلها لدينــا بــالذي بذَلتْ لنا وُدٌّ يطــول لــه العَنــاء ويَعْظُمُ

عروضه من الكامل . الشعر لنصيْب من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان . والغناء لابن جامع . له فيه لحنان ذكرهما إسحاق ، أحدهما ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى والآخر خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولإبراهيم في البيتين الأوّلين ثقيل أوّل مطلق في مجرى الوسطى . ولإسحاقَ وسِيَاطٍ فيهما ثقيل بالبنصر عن عمرو .

[96] ـ ذكر ابن جامع وخبره ونسبه

[نسبه]

هو إسماعيل بن جامع بن إسماعيل بن عبد الله بن المطَّلِب بن أَبي[1] وَداعة بن ضُبَيرة [بن سُعَيد] بن سعد بن سَهْم [بن عمرو] بن هُصَيْص بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب .

[ضبيرة السهمى جدّ ابن جامع وشيء من أخباره]

أخبرني الطُّوسيّ عن الزُّبَير بن بَكّار عن عمّه مصعَب ، وأخبرنا محمّد بن جَرير الطَّبَريّ قال حدَّثنا محمّد بن حُمَيد عن سَلَمة عن ابن إسحاق قالا جميعاً : مات ضُبيرة السَّهْميّ وله مائة سنة ولم يظهر في رأسه ولا لِحْيته شَيْب . فقال بعض شعراء قريش يَرثيه : [من مجزوء الكامل]

حُجّــاجَ بيــتِ الله إ نّ ضُبَيرة السَّهْمِـيّ ماتَا
سبَقــتْ منيّتُــه المَشيـ ـبَ وكان مِيتتُهُ افتلاتا
فتــزوّدوا لا تَهْلِكــوا من دون أَهلكُم خُفاتا[2]

قال : وأُسِر أَبو وَداعة كافراً يوم بَدْر ففَداه ابنُه المطَّلِب ، وكان المطَّلب رجلَ صدق . وقد روى عن النبيّ ﷺ الحديث .

[كنية ابن جامع وشيء من أخبار أمّه]

ويُكنى ابنُ جامع أَبا القاسم . وأُمّه امرأَة من بني سَهم ، وتزوّجَتْ بعد أَبيه رجلاً من أَهل اليمن . فذكر هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أَبيه عن بعض أَصحابه عن عَوْن حاجب مَعْن بن زائدة قال : رأَيتُ[3] أُمّ ابن جامع مَعْن بن زائدة وابن جامع معها وهو صغير وهو ضعيف[4] . يَتْبعُها ويَطَأُ ذيلَها وكانت من قريش ، ومَعْن يومئذٍ على اليمن . فقالت : أَصْلَحَ الله الأَميرَ ، إنّ عمّي زَوّجني زوجاً ليس بكُفْء ففرِّقْ بيني وبينه . قال : مَن هو ؟ قالت : ابنُ ذي مناجب . قال : عليَّ به . قال : فدخل أَقبحُ مَنْ خلق اللهُ وأَشوهُه خَلْقاً . قال : مَنْ هذه منكَ ؟ قال : امرأَتي . قال : خلِّ سبيلَها ، ففعل . فأَطرق مَعْنٌ ساعةً ثم رفع رأسه فقال : [من الطويل]

---

1 اسم أبي وداعة : الحارث .
2 خفت الرجل خفاتاً : مات فجأة .
3 في ل : أنت .
4 في ل : صغير .

لعمري لقد أصبحتَ غيرَ محبَّب ولا حَسَنٍ في عينها ذا مناجِبِ
فما لمتُها لمّا تبيّنتُ وجهَه وعيناً له حَوْصاءَ من تحت حاجبِ
وأنفاً كأنفِ البَكْرِ يقطُر دائباً على لِحية عَصْلاءَ شابتْ وشارِبِ[1]
أتيتَ بها مثلَ المَهاةِ تسوقها فيا حُسْنَ مجلوب ويا قُبح جالبِ

وأَمَر لها بمائتي دينار وقال لها : تجهزي بها إلى بلادك .

[سأله الرشيد عن نسبه فأحاله على إسحاق الموصليّ]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال أخبرني حَمّاد عن أبيه : أنّ الرشيد سأل ابنَ جامع يوماً عن نسبه وقال له : أيُّ بَنِي الإنسِ وَلَدَك يا إسماعيل ؟ قال : لا أدري ، ولكن سَلِ ابنَ أخي (يعني إسحاق) ، وكان يُماظّ[2] إبراهيمَ الموصليّ ويَميل إلى ابنه إسحاق ، قال إسحاق : ثم التفتَ إليّ ابنُ جامع فقال : أخبرْه يا ابنَ أخي بنسب عمّك . فقال له الرشيد : قبّحك الله شيخاً من قريش ! تَجْهل نسبك حتى يخبرك به غيرُك وهو رجل من العجم ! .

[شيء من ورعه وتقواه]

قال هارون حدّثني عبد الله بن عمرو قال حدّثني أبو هشام محمّد بن عبد الملك المخزوميّ قال أخبرني محمّد بن عبد الله بن أبي فَرْوة بن[3] أبي قُراد المخزوميّ قال : كان ابن جامع من أحفظ خَلْقِ الله لكتاب الله وأعلمِه بما يحتاجُ إليه ، كان يخرج من منزله يوم الجمعة مع الفجر فيصلّي الصبحَ ثم يَصُفّ قدميه حتى تَطلع الشمس ، ولا يصلّي الناسُ الجمعة حتى يختم القرآن ثم ينصرف إلى منزله .

[وقف معه أبو يوسف القاضي بباب الرشيد ولم يعرفه]

قال هارون وحدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدّثني صالح بن عليّ بن عطيّة وغيرُه من رجال أهل العسكر قالوا : قدِم ابنُ جامع قَدْمةً له من مكّة على الرشيد ، وكان ابنُ جامع حسنَ السَّمْت كثيرَ الصلاة قد أخذ السجودُ جبهتَه ، وكان يَعْتَمُّ بعمامة سوداء على قَلَنْسُوة طويلة ، ويلبس لباسَ الفقهاء ، ويركبُ حماراً مِرِّيسيّاً[4] في زيّ أهل الحجاز . فبينا هو واقف على باب يحيى بن خالد يلتمس الإذنَ عليه ، فوقف على ما كان يقفُ الناسُ عليه في القديم حتى يأذَنَ لهم أو يَصرفَهم ، أقبل أبو يوسف القاضي بأصحابه أهلِ القَلانِس ؛ فلمّا هجم على

1 عصلاء : معوجة .
2 ماظظتُ فلاناً : شاررته ونازعته .
3 في ل : عن .
4 مريسي : نسبة إلى مريسة : قرية بمصر من ناحية الصعيد .

الباب نظر إلى رجل يقف إلى جانبه ويحادثه ، فوقعتْ عينُه على ابن جامع فرأى سَمْتَه وحلاوةَ هيئته ، فجاء فوقف إلى جانبه ثم قال لـه : أَمْتع الله بك ، توسَّمتُ فيك الحِجازيّة والقُرَشيّة ؛ قال : أَصبتَ . قال : فمن أيّ قريش أنت ؟ قال : من بني سَهْم . قال : فأيُّ الحرمين منزلُك ؟ قال : مكّة : قال : ومن لقيتَ من فقهائهم ؟ قال : سَلْ عمّن شئت . ففاتحه الفقهَ والحديثَ فوجد عنده ما أحبّ فأعجب به . ونظر الناسُ إليهما فقالوا : هذا القاضي قد أقبل على المغنّي ، وأبو يوسف لا يعلم أنّه ابنُ جامع . فقال أصحابه : لو أخبرناه عنه ؛ ثم قالوا : لا ، لعلّه لا يعود إلى مواقفته بعد اليوم ، فلِمَ نَغُمّه . فلمّا كان الإذنُ الثاني ليحيى غَدا عليه الناسُ وغدا عليه أبو يوسف ، فنظر يطلبُ ابنَ جامع فرآه ، فذهب فوقف إلى جانبه فحادثه طويلاً كما فعل في المرّة الأولى . فلمّا انصرف قال له بعضُ أصحابه : أيّها القاضي ، أتعرف هذا الذي تُواقِف وتحادث ؟ قال : نعم ، رجلٌ من قريش من أهل مكّة من الفقهاء . قالوا : هذا ابن جامع المغنّي ؛ قال : إنّا لله ! . قالوا : إنّ الناس قد شَهَروك بمواقفته وأنكروا ذلك من فعلك . فلمّا كان الإذنُ الثالث جاء أبو يوسف ونظر إليه فتنكّبه ، وعرف ابنُ جامع أنّه قد أُنذِر به ، فجاء فوقف فسلّم عليه ، فردّ السلامَ عليه أبو يوسف بغير ذلك الوجه الذي كان يلقاه به ثم انحرف عنه . فدنا منه ابنُ جامع ، وعرف الناسُ القصّة ، وكان ابنُ جامع جَهيراً فرفع صوتَه ثم قال : يا أبا يوسف ، ما لك تنحرف عنّي ؟ أيَّ شيءٍ أنكرتَ ؟ قالوا لك : إنّي ابنُ جامع المغنّي فكرِهتَ مواقفتي لك ! أسألُك عن مسألة ثم اصنع ما شئتَ ؛ ومال الناس فأقبلوا نحوَهما يستمعون . فقال : يا أبا يوسف ، لو أنّ أعرابيّاً جِلْفاً وقفَ بين يديك فأنشدك بجفاء وغلظة من لسانه وقال : [من البسيط]

يـا دار مَيّـة بالعَلْيـاء فالسَّنَـد أَقْوَتْ وطالَ عليها سالفُ الأَبدِ

أكنتَ ترى بذلك بأساً ؟ قال : لا ، قد رُوي عن النبيّ ﷺ في الشعر قولٌ ، وروي في الحديث . قال ابن جامع : فإن قلتُ أنا هكذا ، ثم اندفع يتغنّى فيه حتى أتى عليه ؛ ثم قال : يا أبا يوسف ، رأيتَني زِدْتُ فيه أو نقصتُ منه ؟ قال : عافاك الله ، أعْفِنا من ذلك . قال : يا أبا يوسف ، أنت صاحب فُتْيا ، ما زدتُه على أن حسّنتُه بألفاظي فحسُنَ في السماع ووصل إلى القلب . ثم تنحّى عنه ابن جامع .

[سأل سفيان بن عيينة عن السبب الذي أصاب به مالاً فأجيب]

قال : وحدّثني عبد الله بنَ شبيب قال حدّثني إبراهيم بن المُنْذِر عن سُفْيان بن عُيَينة ، ومرّ به ابنُ جامع يسحَب الخَزّ ، فقال لبعض أصحابه : بلغني أنّ هذا القرشيّ أصاب مالاً من بعض الخلفاء ، فبأيّ شيء أصابه ؟ قالوا : بالغناء . قال : فمن منكم يذكر بعضَ ذلك ؟ فأنشد بعضُ

أصحابه ما يغنّي فيه : [من المتقارب]

وأَصحَبُ بالليل أهلَ الطَّوافِ وأرفع من مِئزَرِي المُسبَلِ

قال : أَحْسنَ ، هيه ! قال :

وأسجدُ بالليل حتى الصباح وأتلو من المُحْكَم المُنْزَلِ

قال : أحسن ، هيه ! قال :

عَسى فارجُ الكرب عن يوسفٍ يُسخِّر لي رَبّة المَحْمِلِ

قال : أمّا هذا فدعْه .

[كان يعدّ صيحة الصوت قبل أن يصنع عمود اللحن]

وحدَّثني محمَّد بن الحسن العَتّابيّ قال حدَّثني جعفر بن محمّد الكاتب قال حدَّثني طيّب بن عبد الرحمن قال : كان ابن جامع يُعِدّ صيحةَ الصوت قبل أن يصنع عمودَ اللحن .

[اشتغاله بالقمار وحبّ الكلاب]

وحدَّث محمَّد بن الحسن قال حدَّثني أبو حارثة بن عبد الرحمن بن سعيد بن سَلْم عن أخيه أبي معاوية بن عبد الرحمن قال : قال لي ابن جامع : لولا أنّ القِمار وحبَّ الكِلاب قد شغلاني لتركتُ المغنّين لا يأكلون الخبز .

[دعا كلباً أهدى إليه باسم من دفتر فيه أسماء الكلاب]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبه قال : أهدى رجل إلى ابن جامع كلباً فقال : ما اسمُه ؟ فقال : لا أدري ، فدعا بدفتر فيه أسماءُ الكلاب فجعل يدعوه بكلّ اسم فيه حتى أجابه الكلب .

[ألقى على ابنه هشام صوتاً سمعه من الجنّ]

قال هارون بن محمّد حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني محمَّد بن أحمد المَكّيّ قال حدَّثتني حَوْلاءُ مولاةُ ابن جامع قالت : انتبه مولاي يوماً من قائلته فقال : عليَّ بهشام (بعني ابنَه) ادعُوه لي عجِّلوه ، فجاء مسرِعاً . فقال : أَيْ بُنَيّ ، خذ العودَ ، فإنّ رجلاً من الجنّ ألقى عليَّ في قائلتي صوتاً فأخاف أن أنساه . فأخذ هشام العود وتغنّى ابنُ جامع عليه رملاً لم أسمع له رملاً أحسن منه ، وهو : [من المنسرح]

صوت

أمستْ رُسوم الديار غيَّرها هوجُ الرِّياح الزَّعازعِ العُصُفِ

وكلُّ حَنّانة لها زَجَلٌ مثلُ حَنين الرَّوائم الشُّغُفِ

فأخذه عنه هشام ، فكان بعد ذلك يتغنّاه وينسُبه إلى الجنّ . وفي هذا الصوت للهُذَليّ لحنٌ من الثقيل الثاني بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه للغَريض ثاني ثقيل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو ، وقيل : إنّ هذا اللحن لعَبادِلَ . وفيه لابن جامع الرمل المذكور .

[أخذ ببيتين غنّى بهما الرشيد عشرة آلاف دينار]

قال هارون وحدَّثني أحمد بن بِشْر بن عبد الوهاب قال حدَّثني محمَّد بن موسى[1] بن فُلَيح الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد المكّيّ قال : قال لي ابن جامع : أخذتُ من هارون ببيتَيْن غنّيتُهْ بهما عشرةَ آلاف دينار : [من مجزوء البسيط]

صوت

لا بـدَّ للعاشقِ مـن وَقْفةٍ تكون بـين الوَصْل والصّرمِ
يَعْتِـب أحيانـاً وفي عَتْبـه إظهارُ مـا يُخْفي مـن السُّقْمِ
إشفاقُـه داعٍ إلى ظَنّـه وظنُّـه داعٍ إلى الظلـمِ
حتى إذا مـا مَضّه هجـره راجَع مَنْ يَهْـوَى على رَغْمِ[2]

هكذا رُوِّيتُه . الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى . وذكر ابن بانة أنّ هذا اللحن لسُلَيم . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، قال : ثم قال لي ابنُ جامع : فمتى تُصيب أنت بالمروءة شيئاً !

[صادفه جماعة من القرشيين بفخّ وهو يغنّي]

وقال هارون حدَّثني أحمد بن زُهَير قال حدَّثني مُصْعَب بن عبد الله قال : خرج ابنُ أبي عمرو الغِفاريّ وعبد الرحمن بن أبي قباحة وغيرُهما من القرشيّين عُمّاراً يريدون مكّة ؛ فلمّا كانوا بفَخّ[3] نزلوا على البئر التي هناك ليغتسلوا فيها : قال : فبينا نحن نغتسل إذ سمعنا صوتَ غناء ؛ فقلنا : لو ذهبنا إلى هؤلاء فسمعنا غناءهم ! فأتيناهم ، فإذا ابنُ جامع وأصحاب له يغنّون وعندهم فَضِيخ[4] لهم يشربون منه ؛ فقالوا[5] : تقدّموا يا فِتْيان ، فتقدّم ابنُ أبي عمرو فجلس مع القوم وكان رأسَهم ، فجلسنا نشرب ؛ وطرِب ابن أبي قباحة فغنّى . فقال ابن جامع : وأبي وأُمّي ! ابنُ أبي قباحة وإلاّ فهو ابن الفاعلة . فقام ابنُ أبي

1 في ل : عيسى .
2 مضّه هجره في ل : تمادى به .
3 فخّ : وادٍ بمكّة .
4 فضيخ : عصير العنب ، وشراب يُتّخذ من بسر مفضوخ (مطبوخ) .
5 في ل : فقال ابن جامع .

عمرو فأخرج من وسطه هِمياناً فيه ثلثمائة درهم فنثرها على ابنِ أبي قباحة . فقال ابنُ جامع : امضوا بنا إلى المنزل ، فمضينا فأقمنا عنده شهراً ما نبرحُ ونحن على إحرامنا ذلك .

[غنّت جاريته الحولاء صوتاً له في جارية سوداء يحبّها]

قال هارون بن محمّد بن عبد الملك حدّثني عليّ بن سليمان عن محمّد بن أحمد النَّوْفليّ عن جارية ابن جامع الحولاء قال : وكانت تَتَبنّاني فتغنّت يوماً وطربتْ وقالت : يا بُنيّ ، ألا أُغنّيك هزجاً لسيِّدي في عَشيقة له سوداء ؟ قلت : بلى . فتغنّت هزجاً ما سمعتُ أحسنَ منه ، وهو : [من السريع]

صوت

أشْبَهــك المسكُ وأشبهتِــه قائمــةً في لونــه قاعــدهْ
لا شكّ إذ لونُكما واحــدٌ أنّكمــا مــن طينــةٍ واحدهْ

وقد رُوِي هذا الشعر لأبي حَفْصٍ[1] الشِّطْرَنْجيّ يقوله في دَنانيرَ[2] مولاةِ البَرامكة . ونُسب هذا الهَزَج إلى إبراهيم وابن جامع وغيرِهما .

[شبّهه برصوما الزامر بزق عسل]

قال عبد الله بن عمرو حدّثنا أحمد بن عمر بن إسماعيل الزُّهْريّ قال حدّثني محمّد بن جعفر بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وكان يلقّب الأَبْلَه ، قال : قال بَرْصوما الزَّامِر ، وذكر إبراهيمَ الموصليّ وابنَ جامع ، فقال : الموصليّ بستانٌ تَجِدُ فيه الحُلوَ والحامضَ وطريّاً لم يَنْضَج ، فتأكل منه مِن ذا وذا . وابن جامع زِقّ عسلٍ ، إن فتحتَ فمَه خرج عسل حلو ، وإن خرَقتَ جَنْبه خرج عسلٌ حلو ، وإن فتحتَ يدَه خرج عسل حلو ، كلُّه جيّد .

[غنّى عند الرشيد وهو سكران فأخطأ]

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبيه وحَمّاد عن إبراهيم بن المهديّ ، وكان إبراهيم يفضّل ابن جامع ولا يقدّم عليه أحداً ، وابنُ جامع يَميل إليه ، قال : كنّا في مجلس الرشيد وقد غلب على ابن جامع النبيذُ ، فغنّى صوتاً فأخطأ في أقسامه ؛ فالتفتَ إليّ إبراهيمُ الموصليّ فقال : قد خَرِيَ فيه ؛ وفهمتُ صِدقه قال : فقلت لابن جامع : يا أبا القاسم ، أعِدِ الصوتَ وتَحفَّظْ فيه ؛ فانتبه وأعاده فأصاب . فقال إبراهيم : [من الوافر]

---

1 أبو حفص : عمر بن عبد العزيز مولى بني العباس . وكان أبو حفص لاعباً بالشطرنج مشغوفاً به ، فلقّب به لغلبته عليه .

2 دنانير : مولاة يحيى بن خالد البرمكيّ .

أُعلِّمُه الرِّمايـةَ كلَّ يومٍ فلمّا اسْتَدّ ساعده رماني

وتنكَّر لي لَيْلي مع ابن جامع عليه . فقلتُ للرَّشِيد بعد أيّام : إن لي حاجةً إليك . قال : وما هي ؟ قلت : تسألُ إبراهيمَ الموصليّ أن يَرضى عنّي ويعودَ إلى ما كان عليه . فقال : إنّما هو عبدُك ، وقال له : قُم إليه فقبِّلْ رأسَه . فقلتُ : لا ينفعني رِضاه في الظاهرِ دون الباطن ، فسَلْه أن يصحِّح الرِّضا . فقام إليَّ ليُقبِّل رأسي كما أُمِر ، فقال لي وقد أكبَّ عليَّ ليقبِّل رأسي : أتعود ؟ قلتُ لا . قال : قد رضِيتُ عنك رِضاً صحيحاً . وعاد إلى ما كان عليه .

[غنّى بعد إبراهيم الموصليّ عند الرشيد فأجاد]

وقال حمّاد عن أبي يحيى العِبَاديّ قال : قدِم حَوْراءُ غلام حَمّاد الشّعْراني وكان أحَد المغنِّين المُجيدين قال حدَّثني بعض أصحابنا قال : كنّا في دار أمير المؤمنين الرشيد فصاح بالمغنِّين : من فيكم يعرف : [من المتقارب]

وكَعْبَـةُ نَجْـرانَ حَتـمٌ عليـ ـكِ حتـى تُناخِي بأبوابها ؟

الشعر للأعشى ، فبدَرهم إبراهيمُ الموصليّ فقال : أنا أُغنِّيه ، وغنّاه فجاء بشيء عجيب . فغضِب ابنُ جامع وقال لزَلْزَل : دَع العودَ ، أنا من جِحاش وَجْرة[1] لا أحتاج إلى بَيْطار ؛ ثم غنّى الصوتَ ؛ فصاح إليه مسرورٌ[2] : أحسنتَ يا أبا القاسم ؛ ثلاث مرّات .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المتقارب]

وكعبةُ نَجْرانَ حتمٌ عليـ ـكِ حتى تُناخِي بأبوابِها
نَزور يزيـدَ وعبدَ المَسيح وقيساً هُـمُ خيرُ أربابها
وشاهدُنا الجُلّ والياسِميـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصّابها[3]
وبَرْبَطنـا دائـمٌ مُعْمَـل فـأيُّ الثلاثـةِ أزْرى بها
تنازِعني إذ خَلَتْ بُرْدَها معطَّـرَةً غيـرَ جِلْبابِها
فلمّـا التقينـا على آلـةٍ ومَـدّتْ إليّ بـأسبابها

1 وجرة : على بعد نحو أربعين ميلاً من البصرة في طريق مكّة .
2 مسرور : أبو هاشم خادم الرشيد ، وكان أوثق رجاله عنده وقد تولّى له قتل جعفر بن يحيى البرمكيّ .
3 الجُلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره واحده جلّة . القصابة : المزمار والجمع القُصّاب وأراد الأعشى الأوتار .

الشعر للأعشى أعشى بني قَيْس بن ثَعْلبة . وهؤلاء الذين ذكرهم أساقِفةُ نَجْران ، وكان يزورهم ويمدحهم ، ويمدح العاقبَ والسيِّد ، وهما ملكا نجران ، ويقيم عندهما ما شاء ، يَسْقونه الخمرَ ويُسمِعونه الغناءَ الرُّوميّ ، فإذا انصرف أَجْزَلوا صلتَه .

أخبرنا بذلك محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن محمَّد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ ، وله أخبار كثيرة معهم تُذكَر في مواضعها إن شاء الله . والغناء لحُنَين الحِيريّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى في مَجْراها عن إسحاق في الأربعة الأُوَل . وذكر عمرو أنّه لابن مُحرِز . وذكر يونُس أن فيها لحناً لمالك ولم يُجنِّسه . وذكر الهشاميّ أن في الخامس والسادس ثم الأوّل والثاني خفيفَ رمل بالوسطى ليحيى المكّيّ .

[استحضره الفضل بن الربيع لمّا ولّى الهادي]

وقال حَمّاد عن مصعَب بن عبد الله قال حدَّثني الطرّاز وكان بَريدَ الفضل بن الرَّبيع قال : لمّا مات المهديّ ومُلِّك موسى الهادي أعطاني الفضلُ دنانيرَ وقال : الْحَقْ بمكّةَ فأْتني بابن جامع واحْمِلْه في قبّة ولا تُعلِمَنّ بذا أحداً ؛ ففعلت فأنزلتُه عندي واشتريت له جاريةً ، وكان ابنُ جامع صاحبَ نَساء . فذكره موسى ذاتَ ليلة ، وكان هو والحَرَّاني[1] منقطعَيْن إلى موسى أيّام المهديّ فضربهما المهديّ وطردهما ، فقال لجلسائه : أما فيكم أحدٌ يرسل إلى ابن جامع وقد علمتم موقعَه منّي ! فقال له الفضل بن الربيع : هو والله عندي يا أمير المؤمنين وقد فعلتُ الذي أردتَ . وبعَثَ إليه فأُتي به في الليل . فوصَل الفضلَ تلك الليلةَ بعشرة آلاف دينار وولاّه حِجابتَه .

[غنّى هو وإبراهيم الموصليّ الرشيد بشعر السَّعْديفمدحه وذم الموصلي]

قال إسحاق عن بعض أصحابه : كنّا عند أمير المؤمنين الرشيد يوماً فقال الغلام الذي على الستارة : يا ابنَ جامع ، تغنَّ ببيتَ السَّعْديّ[2] : [من الوافر]

فلو سألتْ سَراةَ الحيِّ سَلْمى ... على أن قد تَلوّن بي زماني
لخبَّرها ذوو الأحساب عنّي ... وأعدائي فكلٌّ قد بَلاني
بذبِّي الذمَّ عن حسبي بمالي ... وزُبونات أشْوسَ تَيّحانِ[3]

1 الحراني : هو إبراهيم الحراني من ندماء الهادي وكان قيماً على خزائن الأموال في أيّامه .

2 هو سؤار بن المضرب السّعدي .

3 زبونات : دفوعات ، واحدها زبونة ، يعني بذلك أحسابه ومفاخره أي أنّها تدفع غيرها . تيّحان : الذي يتعرّض لكلّ مكرمة وأمر شديد .

وأنّي لا أزالُ أخا حُروبٍ إذا لم أُجْنِ كنتُ مِجَنَّ جاني

قال : فحرّك ابنُ جامع رأسه ، وكان إذا اقترح عليه الخليفةُ شيئاً قد أحسنه وأكمله طار فرحاً ، فغنّى به ؛ فأربدّ وجهُ إبراهيم لمّا سمعه منه ، وكذا كان ابن جامع أيضاً يفعل ؛ فقال له صاحبُ الستارة : أحسنتَ والله يا أميري ! أعِدْ فأعاد ؛ فقال : أنت في حَلْبة لا يَلْحَقُكَ أحدٌ فيها أبداً . ثم قال صاحب الستارة لإبراهيم : تغنَّ بهذا الشعر فتغنّى ؛ فلمّا فرَغ قال : «مَرْعىً ولا كالسَّعْدان»[1] ! أخطأتَ في موضع كذا وفي موضع كذا . فقال : نُفي إبراهيمُ من أبيه إن كان يا أمير المؤمنين أخطأ حرفاً ، وقد علمتُ أنّي أغفلتُ في هذين الموضعين .

قال إبراهيم : فلمّا انصرفنا قلت لابن جامع : والله ما أعلم أنّ أحداً بقي في الأرض يعرف هذا الغناءَ معرفةَ أمير المؤمنين . قال : حقٌّ والله ، لهو إنسانَ يَسمع الغناءَ منذ عشرين سنةً مع هذا الذكاء الذي فيه .

[صوت كان إذا غنّاه في مجلس لم يتغنّ بغيره]

قال إسحاق : كان ابن جامع إذا تغنّى في هذا الشعر : [من المجتث]

صوت

مَنْ كان يَبْكي لِما بي مِنْ طول سُقمٍ رَسِيسِ[2]
فالآنَ من قبلِ موتي لا عِطْرَ بعد عَرُوسِ[3]
بَنَيْتُم في فؤادي أوكارَ طيرِ النّحوسِ
قلبي فَريسُ المَنايا يا ويحه من فَرِيسِ

الشعر لرجل من قريش ، والغناء لابن جامع في طريقة الرمل ، لم يتغنَّ في ذلك المجلس بغيره . وكان إذا أراد أن يتغنّى سأل أن يَزْمُر عليه بَرْصوما .

[سئل عن تفضيله برصوما فأجاب]

فلمّا كَثُر ذلك سألوه إن كان يعلّمه ما يريد أن يغنّيه قبل ذلك فقال : لا والله ، ولكنّي إذا ابتدأتُ فغنّيتُ في الشعر عرف الغرضَ الذي يصلُح فما يجاوزه ، وكنتُ معه في راحة ؛ وذلك أنّ المغنّي إذا تغنّى بزَمْر زامرٍ فأكثرُ العمل على الزامر لأنّه لا يقفو الأثر ؛ فإذا زَمَر بَرْصوما فأنا في راحة وهو في تعب ، وإذا زَمَر عليّ غيره فهو في راحة وأنا في تعب . فإن

1 مَثَل يُضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله .
2 الرسيس : الثابت الذي قد لزم مكانه .
3 هذا مَثَل يُضرب لمَن لا يدّخر عنه نفيس .

شككتم فاسألوا برصوما ومنصور زَلْزَل . فسألوهما عمّا قال ، فقالا : صدق .

[همَّ المهديُّ بضربه لاتّصاله بالهادي]

قال وحدَّثني عليّ بن أحمد الباهليّ قال : سمعت مُصعب بن عبد الله يقول : بلغ المهديَّ أنّ ابن جامع والموصليّ يأتيان موسى[1] ، فبعث إليهما فجيء بهما ، فضرب الموصليّ ضرباً مبرّحاً ، وقال له ابن جامع : ارحم أمّي ! فرقَّ له وقال له : قبّحك الله ! رجل من قريش يغنّي ! وطرده . فلمّا قام موسى ، وجّه الفضلُ خلفَه بريداً حتى جاء به ؛ فقال له موسى : ما كان ليفعلَ هذا غيرك .

[غنّى عند الهادي فأعطاه ثلاثين ألف دينار]

قال وحدَّثني الزُّبَير بن بكّار قال قال لي فلفلة : تمنّى يوماً موسى أميرُ المؤمنين ابنَ جامع ، فدفع إليّ الفضلُ بن الربيع خَمْسَمائة دينار وقال : امض حتى تحملَ ابنَ جامع ، وبعث إليه بما يُصلحه ، فمضيتُ فحملتُه . فلمّا دخلنا أدخله الفضلُ الحمّامَ وأصلح من شأنه . ودخل على موسى فغنّاه فلم يُعجبْه . فلمّا خرج قال له الفضلُ : تركتَ الخفيفَ وغنّيتَ الثقيل ، قال : فأَدْخِلْني عليه أخرى ؛ فأدخله فغنّى الخفيفَ ؛ فقال : حاجتك فأعطاه ثلاثين ألفَ دينار .

[غنّى عند الرشيد بين برصوما وزلزل بعد إبراهيم الموصليّ فأجاد]

قال وحدَّثني عبد الرحمن بن أيّوب قال حدَّثنا أبو يحيى العِبَاديّ قال حدَّثني ابن أبي الرجال قال حدَّثني زَلْزَل قال : أبطأ إبراهيم الموصليّ عن الرشيد ، فأمَر مسروراً الخادمَ يسأل عنه ، وكان أمير المؤمنين قد صيّر أمْرَ المغنّين إليه ، فقيل له : لم يأت بعدُ . ثم جاء في آخر النهار ، فقعد بيني وبين بَرْصوما ، فغنّى صوتاً له فأطربه وأطرب واللهِ كلَّ مَن كان في المجلس . قال : فقام ابنُ جامع من مجلسه فقعد بيني وبين برصوما ثم قال : أمَا والله يا نَبَطيّ ما أحسن إبراهيمُ وما أحسن غيرُكما . قال : ثم غنّى فنسينا أنفسَنا ، والله لكأنّ العودَ كان في يده .

[شهد له إبراهيم الموصليّ بجودة الإيقاع]

قال وحدَّثني عمر بن شبّة قال حدَّثني يحيى بن إبراهيم بن عثمان بن نَهيك قال : دعا أبي الرشيدُ يوماً ، فأتاه ومعه جعفر بن يحيى ، فأقاما عنده ، وأتاهما ابنُ جامع فغنّاهما يومَهما . فلمّا كان الغدُ انصرف الرشيدُ وأقام جعفر . قال : فدخل عليهم إبراهيم الموصليّ فسأل جعفراً عن يومهم ؛ فأخبره وقال له : لم يزل ابن جامع يغنّينا إلاّ أنّه كان يخرج من الإيقاع ، وهو في قوله يريد أن يطيّب نفسَ إبراهيم الموصليّ ، قال : فقال له إبراهيم : أتريد أن تطيّب نفسي بما لا تَطِيب به ؟ لا والله ، ما ضَرِط ابنُ جامع منذ ثلاثين سنة إلاّ بإيقاع ، فكيف يخرج من الإيقاع ؟ .

---

1 هو موسى الهادي بن المهدي .

[احتال في عزل العثماني عن مكّة أيّام الرشيد]

قال وحدّثني يحيى بن الحسن بن عبد الخالق قال حدّثني أبي قال : كان سبب عزل العثمانيّ[1] أنّ ابن جامع سأل الرشيدَ أن يأذَنَ له في المُهارشة بالدِّيوك والكلاب ولا يُحَدّ في النبيذ ، فأذن له وكتب له بذلك كتاباً إلى العثمانيّ . فلمّا وصل الكتاب قال : كذَبتَ ؛ أميرُ المؤمنين لا يُحِلّ ما حَرَّم اللهُ ، وهذا كتاب مزوّر . والله لئن ثَقِفْتك على حال من هذه الأحوال لأؤدِّبَنَّك أدبَك . قال : فحذِره ابنُ جامع . ووقع بين العثمانيّ وحمّاد اليزيديّ ، وهو على البريد ، ما يقع بين العمّال . فلمّا حجّ هارون ، قال حمّاد لابن جامع : أعِنّي عليه حتى أعزِله ؛ قال : أفعل . قال : فابدأ أنت وقُل : إنّه ظالم فاجر واستشهدْني . فقال له ابن جامع : هذا لا يُقبل في العثمانيّ ، ويفهم أميرُ المؤمنين كذبَنا ، ولكنّي أحتال من جهة ألطفَ من هذه . قال : فسأله هارون ابتداءً . فقال له : يا ابن جامع ، كيف أميركم العثمانيّ ؟ قال : خيرُ أميرٍ وأعدلُه وأفضلُه وأقومه بحقّ لولا ضعفٌ في عقله . قال : وما ضعفه ؟ قال : قد أفنى الكلاب . قال : وما دعاه إلى إفنائها ؟ قال : زعم أنّ كلباً دنا من عثمان بن عفّان يوم أُلقي على الكناس فأكل وجهَه ، فغَضِب على الكلاب فهو يقتلها . فقال : هذا ضعيف ، اعزلوه ! فكان سببَ عزله .

[أخبره إبراهيم بن المهديّ بموت أمّه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون بن محمّد وحدّثني الحسن بن محمّد الغِياثي[2] قال حدّثني أبي عن القَطِرانيّ قال : كان ابن جامع باراً بوالدته ، وكانت مقيمةً بالمدينة وبمكّة . فدعاه إبراهيم بن المهديّ وأظهر له كتاباً إلى أمير المؤمنين فيه نَعْيُ والدته . قال : فجزِع لذلك جزعاً شديداً ، وجعل أصحابُه يُعزّونه ويؤنسونه ؛ ثم جاءوا بالطعام فلم يتركوه حتى طَعِم وشرب ، وسألوه الغناءَ فامتنع . فقال له إبراهيم بن المهديّ : إنّك ستبذل هذا لأمير المؤمنين ، فابذُله لإخوانك ؛ فاندفع يُغنّي : [من البسيط]

صوت

كم بالدُّروب وأرض الروم مِنْ قَدَم ... ومِنْ جماجم صَرْعى ما هم قُبِرُوا
بقُنْدُهَارَ ومَنْ تُقْدَر منيّتُه ... بقُنْدُهَار يُرَجَّم دونه الخبرُ[3]

الشعر ليزيد بن مُفَرِّغ الحِمْيريّ . والغناء لابن جامع رمل . وفيه لابن سريج خفيفُ رمل جميعاً عن الهشاميّ قال : وجعل إبراهيم يستردّه حتى صلح له . ثم قال : لا والله ما كان ممّا

1 العثماني : هو محمد بن عبد الله بن سعيد بن المغيرة بن عمرو بن عثمان بن عفّان .
2 في ل : العتابي .
3 قندهار : مدينة في أفغانستان الآن .

خبّرناك شيء إنّما مزحْنا بك . قال : ثم قال له : رُدّ الصوتَ ؛ فغنّاه فلم يكن من الغناء الأوّل في شيء . فقال له إبراهيم : خذه الآن عليّ ، فأدّاه إبراهيم على السماع الأوّل . فقال له ابن جامع : أحبّ أن تطرحه أنت على كذا .

[هوّم في مجلس الرشيد ثم انتبه من نومه وغنّاه فأعجب به]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليّ بن الحسن الشَّيْبانيّ عن أحمد بن يحيى المكّيّ قال : كان أبي بين يديّ الرشيد وابنُ جامع معه يغنّي بين يديّ الرشيد . فغنّاه : [من مجزوء البسيط]

خليفـةٌ لا يَخيبُ سائلُـه عليـه تـاجُ الوقارِ مُعْتَدلُ

قال : وغنّى مَن يتلوه . وهَوَّم[1] ابنُ جامع سكراً ونُعاساً . فلمّا دار الغناءُ على أصحابه وصارت النوبةُ إليه ، حرّكه مَنْ بجنبه لنوبته فانتبه وهو يغنّي : [من مجزوء البسيط]

إسْلَمْ وحُيِّيتَ أيُّها الطَّلَلُ وإن عَفَتْك الرياحُ والسَّبَلُ[2]

قال : وهو يتلو البيت الأوّل ، فعجِب أهلُ المجلس من ذكائه وفَهْمه ، وأعجب ذلك الرشيد .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من المنسرح]

إسلمْ وحُيِّيـت أيُّها الطَّلَلُ وإن عَفَتْك الرياحُ والسَّبَلُ
خليفـةٌ لا يَخيـبُ سائلُـه عليه تـاجُ الوقـارِ مُعْتَدلُ

الشعر لأشجع أو لسَلْم الخاسر يمدح به موسى الهادي . والغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى ، من روايَة الهشاميّ وأحمد بن يحيى المكّيّ .

[أخبره الرشيد بموت أمّه كذباً ليحسن غناؤه]

قال هارون وقد حدّثني بهذا الخبر عبد الرحمن بن أيّوب قال حدّثني أحمد بن يحيى المكّيّ قال : كان ابن جامع أحسنَ ما يكون غناءً إذا حَزِن حَسُنَ صوتُه . فأحبّ الرشيدُ أن يسمع ذلك على تلك الحال ، فقال للفضل بن الربيع : ابعَثْ خريطةً فيها نَعْيُ أمّ ابن جامع وكان بارّاً بأمّه ففعل . فوردت الخريطة على أمير المؤمنين وهو في مجلس لهوه ،

1 هوّم : هزّ رأسه من النعاس ، وقيل : نام قليلاً .
2 السَّبَل : المطر .

فقال : يا ابنَ جامع ، جاء في هذه الخريطة نعيُ أُمِّك . فاندفع ابن جامع يغنّي بتلك الحُرْقة والحزن الذي في قلبه : [من البسيط]

كم بالدّروب وأرض السِّند من قَدَم ومن جماجم صَرْعى ما بها قُبِروا
بقُنْدُهَار ومن تُكتب مَنِيّته بقُنْدُهَار يُرَجَّم دونه الخبرُ

قال : فوالله ما ملكنا أنفسنا ، ورأيتُ الغِلْمانَ يضربون برؤوسهم الحيطانَ والأساطين ، قال هارون : لا أشكُّ أنّ ابن المكّيّ قد حدَّث به عن رجل حضر ذلك فأغفله عبد الرحمن بن أيّوب ، قال : ثم غنّى بعد ذلك : [من مجزوء الرجز]

يا صاحب القبر الغريب

وهو لحنٌ قديم . وفيه لحن لابن المكّيّ ، فقال له الرشيد : أحسنتَ ! وأمر له بعشرة آلاف دينار .

نسبة هذا الصوت الأخير

صوت

[من مجزوء الكامل]

يا صاحبَ القبر الغريبِ بالشام في طَرَف الكَثِيبِ
بالحِجْرِ بين صفائح صُمٍّ تُرَصَّف بالجَبُوبِ[1]
رَصْفاً ولحدٍ مُمْكِنٍ تحت العَجاجة في القليبِ
فإذا ذكرتُ أَنِينَهُ ومغيبَه تحت المغيبِ
هاجتْ لواعجُ عَبْرةٍ في الصدرِ دائمة الدَّبيبِ
أسفاً لحسن بلائه ولمصرع الشيخ الغريبِ
أقبلتُ أطلب طِبَّه والموت يُعْضِل بالطبيبِ[2]

الشعر لمَكِين العُذريّ يرثي أباه ، وقيل : إنّه لرجل خرج بابنه إلى الشام هرباً به من جارية هَوِيها فمات هناك . والغناء لحكم الوادي ، رمل في مجرى البنصر . وقيل : إنّ هذا الشعر لسَلاَّمة[3] ترثي الوليدَ بن يزيد .

---

1 الحِجر : قرية صغيرة كانت بين الشام والحجاز . الجَبُوب : الطّوب المفتّت .

2 أعضل به : أعياه وأعجزه .

3 هي سلامة القس .

[سمعته أُمّ جعفر مع الرشيد فأُمرت له بمائة ألف درهم لكلّ بيت غنّى فيه وعوضها الرشيد بكل درهم ديناراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مَهْرويه قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني الحسن بن محمَّد قال حدَّثنا أحمد بن الخليل بن مالك قال حدَّثني عبد الله بن عليّ بن عيسى بن ماهان قال سمعت يزيد يحدِّث : أنّ أُمّ جعفر بلغها أنّ الرشيد جالسٌ وحدَه ليس معه أحد من الندماء ولا المسامرين ؛ فأرسلت إليه : يا أمير المؤمنين ، إنّي لم أرَك منذُ ثلاث وهذا اليومُ الرابع . فأرسل إليها : عندي ابنُ جامع . فأرسلت إليه : أنت تعلم أنّي لا أتهنّأ بشرب ولا سماع ولا غيرهما إلاّ أن تَشْرَكَني فيه ، فما كان عليك أن أُشْرَكك في الذي أنت فيه ! فأرسل إليها : إنّي سائر إليكِ الساعةَ . ثم قام وأخذ بيد ابن جامع ، وقال لحسين الخادم : امضِ إليها فأعلمها أنّي قد جئت . وأقبل الرشيد ، فلمّا نظر إلى الخدم والوصائف قد استقبلوه علم أنّها قد قامت تستقبله ، فوجَّه إليها : إن معي ابنَ جامع ؛ فعدلتْ إلى بعض المقاصير . وجاء الرشيد وصيَّر ابنَ جامع في بعض المواضع التي يُسمع منه فيها ولا يكون حاضراً معهم . وجاءت أُمّ جعفر فدخلت على الرشيد وأهوَتْ لتنكَبَّ على يده[1] ؛ فأجلسها إلى جانبه فاعتنقها واعتنقتْه . ثم أمر ابنَ جامع أن يغنّي فاندفع فغنّى : [من المنسرح]

صوت

ما رَعَدَتْ رَعْدةً ولا بَرَقَتْ ... لكنّها أنشئت لنا خَلِقهْ[2]
الماء يجري على نظامٍ له ... لو يَجِدُ الماءُ مَخْرِقاً خَرَقَهْ
بتنا وباتتْ على نَمارقها ... حتى بدا الصبحُ عَيْنُها أَرِقَهْ
أنْ قيل إنّ الرحيلَ بعدَ غدٍ ... والدارُ بعدَ الجميع مُفترِقَهْ

الشعر لعَبيد بن الأبرص . والغناء لابن جامع[3] ثاني ثقيل من أصوات قليلات الأشباه ، عن إسحاق . وفيه لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه . وفيه لحَكَم هزج بالوسطى عن عمرو والهشاميّ . ولمخارق في هذه الأبيات رَمَل بالبنصر عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ الثقيل الأوّل للغريض . وذكر الهشاميّ أن لمُتَيَّم فيها ثاني ثقيل بالوسطى ، قال : فقالت أُمّ جعفر للرشيد : ما أحسنَ ما اشتهيت والله يا أمير المؤمنين ! . ثم قالت لمُسلم خادمها : ادفع إلى ابن جامع لكلّ بيت مائةَ ألف درهم . فقال

1 على يده في ل : عليه .
2 يقال : نشأت لهم سحابة خلقة وخليقة أي فيها أثر المطر .
3 في ل : عائشة .

الرشيد : غلبتِنا يا بنتَ أبي الفضل وسبقتِنا إلى برّ ضيفنا وجليسنا . فلمّا خرج ، حمل إليها مكان كلّ درهم ديناراً .

[أخذ صوتاً من جارية بثلاثة دراهم فأخذ به من الرشيد ثلاثة آلاف دينار]

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال أخبرني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثني محمَّد بن ضُوين الصَّلْصال التَّيْميّ قال حدَّثني إسماعيل بن جامع السَّهْميّ قال : ضَمّني الدَّهر[1] ضمّاً شديداً بمكّة ، فانتقلتُ منها بعيالي إلى المدينة ، فأصبحتُ يوماً وما أملك إلاّ ثلاثةَ دراهم . فهي في كُمّي إذا أنا بجارية حُمَيْراء على رقبتها جَرَّة تريد الرَّكِيّ[2] تسعى بين يديّ وتُرَنِّم بصوت شَجِيّ تقول : [من الطويل]

شكونا إلى أحبابنا طولَ ليلنا ... فقالوا لنا ما أقصرَ الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النوم يَغْشى عيونَهم ... سِراعاً وما يغشى لنا النومُ أعْيُنا
إذا ما دنا الليلُ المُضِرّ لذي الهوى ... جَزِعْنا وهم يَستبشرون إذا دنا
فلو أنّهم كانوا يلاقون مثلَ ما ... نلاقي لكانوا في المضاجع مثلَنا

قال : فأخذ الغناءُ بقلبي ولم يَدُرْ لي منه حرف . فقلت : يا جارية ، ما أدري أوَجهُكِ أحسن أم غناؤك ! فلو شئتِ أعدتِ ؛ قالت : حُبّاً وكرامةً . ثم أسندتْ ظهرَها إلى جدار قَرُب[3] منها ورفعت إحدى رجليها فوضعتْها على الأُخرى ، ووضعت الجَرّة على ساقيها ثم انبعثتْ تغنّيه ؛ فوالله ما دار لي منه حرف ؛ فقلتُ : أحسنتِ ! فلو شئتِ أعدتيه مرّةً أُخرى ؛ ففَطِنَتْ وكَلَحتْ وقالت : ما أعجب أمرَكم ! أحدُكم لا يزال يجيء إلى الجارية عليها الضَّريبة فيشغلها ! فضربتُ بيدي إلى الثلاثة الدراهم فدفعتُها إليها ، وقلت : أقيمي بها وجهَكِ اليومَ إلى أن نلتقي . قال : فأخذَتْها كالكارهة وقالت : أنت الآن تريد أن تأخذ منّي صوتاً أحسبك ستأخذ به ألف دينار وألفَ دينار وألفَ دينار . قال : وانبعثتْ تغنّي ؛ فأعملتُ فكري في غنائها حتى دار لي الصوتُ وفهمتُه ، وانصرفتُ مسروراً إلى منزلي أردِّده حتى خفَّ على لساني . ثم إنّي خرجتُ أريد بغداد فدخلتها ، فنزل بي المكاري على باب مُحَوَّل[4] ، فبقيتُ لا أدري أين أتوجَّه ولا مَنْ أقصِد . فذهبتُ أمشي مع الناس ، حتى أتيت الجسر فعبرتُ معهم ، ثم انتهيت إلى شارع المدينة ، فرأيت مسجداً بالقرب من دار الفضل بن الربيع مرتفعاً ؛

1 يريد ضغطني واشتدّ عليّ ، من شدّة الفقر والحاجة .
2 الركي : جنس للركية وهي البئر .
3 في ل : قريب .
4 باب محوّل : محلّة كبيرة من محال بغداد كانت متّصلة بالكرخ .

فقلت : مسجد قوم سَراة ؛ فدخلتُه وحضرتُ صلاةَ المغرب وأقمتُ بمكاني حتى صَلّيتُ العشاء الآخرة على جوع وتعب . وانصرف أهلُ المسجد وبقي رجل يصلّي ، خلفه جماعة خدم وخَوَل ينتظرون فراغَه ؛ فصلّى مليّاً ثم انصرف ؛ فرآني فقال : أحسبك غريباً ؟ قلت : أجل . قال : فمتى كنتَ في هذه المدينة ؟ قلت : دخلتها آنفاً ، وليس لي بها منزل ولا معرفة ، وليستْ صناعتي من الصنائع التي يُمَتّ بها إلى أهل الخير . قال : وما صناعتك ؟ قلت : أتَغَنّى . قال : فوثب مبادراً ووكّل بي بعضَ مَن معه . فسألتُ الموكّل بي عنه فقال : هذا سَلام[1] الأبرش . قال : وإذا رسولٌ قد جاء في طلبي فانتهى بي إلى قصر من قصور الخلافة ، وجاوز بي مقصورةً إلى مقصورة ، ثم أُدخلت مقصورة في آخر الدهليز ؛ ودعا بطعام فأُتيت بمائدة عليها من طعام الملوك ، فأكلتُ حتى امتلأت . فإنّي لكذلك إذ سمعتُ رَكْضاً في الدهليز وقائلاً يقول : أين الرجل ؟ قيل : هو هذا . قال : ادعوا له بغَسول[2] وخِلْعة وطِيب ، ففُعل ذلك بي . فحُملت على دابّة إلى دار الخلافة ، وعرفتُها بالحرس والتكبير والنيران ، فجاوزتُ مقاصيرَ عدّة ، حتى صِرتُ إلى دارٍ قَوْراء[3] فيها أسِرّة في وسطها قد أُضيف بعضها إلى بعض . فأمرني الرجل بالصعود فصعدتُ ، وإذا رجل جالس عن يمينه ثلاثُ جوار في حجورهنّ العيدان ، وفي حجر الرجل عود . فرحّب الرجل بي ، وإذا مجالسُ حِيالَه كان فيها قوم قد قاموا عنها . فلم أَلبث أن خرج خادم من وراء الستر فقال للرجل : تَغَنَّ ؛ فانبعث يغني بصوت لي وهو : [من البسيط]

لم تَمشِ مِيلاً ولم تركب على قَتَب ولم تَرَ الشمسَ إلاّ دونها الكِلَلُ
تمشي الهُوَيْنَى كأن الريحَ تَرْجِعها مَشْيَ اليَعافير في جيآتها الوَهَلُ[4]

فغنّى بغير إصابة وأوتار مختلفة ودَساتِينَ[5] مختلفة . ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تلي الرجل فقال لها : تَغَنَّيْ ، فغنّتْ أيضاً بصوت لي كانت فيه أحسن حالاً من الرجل ، وهو قوله : [من البسيط]

يا دار أَضْحتْ خلاءً لا أَنيسَ بها إلاّ الظباءُ وإلاّ النّاشطُ الفَرِدُ[6]

---

1 سلاّم الأبرش : خدم المنصور وتولّى المظالم للمهديّ وعاصر الهادي والرشيد .
2 الغسول : الماء يغتسل به .
3 الدار القوراء : الواسعة الجوف .
4 اليعافير : الظباء . والوهل : الفزع .
5 الدساتين : هي الرباطات التي توضع الأصابع عليها ، واحدها دستان .
6 الناشط : الثور الوحشي وكذلك الحمار الوحشي . والفرد : المنفرد .

أين الذين إذا مـا زرتُهم جَذِلوا وطار عن قلبـيَ التَّشْواقُ والكَمَدُ

[ثم عاد إلى الثانية وأحسبه أغفلها وما تغنَّت به] ثم عاد الخادم إلى الجارية التي تليها فانبعثتْ تغنِّي بصوت لحَكَم الوادي وهو : [من الطويل]

فواللهِ مـا أدري أيَغلبني الهـوى إذا جـدَّ وَشْكُ البَيْن أم أنا غالبُهْ

فإن أستطع أغلِبْ وإن يغلب الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبهْ

قال : ثم عاد الخادم إلى الجارية الثالثة فغنَّت بصوتٍ لحُنَيْن وهو قوله : [من الطويل]

مَرَرْنـا عـلى قَيْسيّةٍ عامريّـة لها بَشَرٌ صافي الأديـم هِجانِ[1]

فقالت وألقتْ جانبَ السِّتر دونها مِـنَ آيّة أرضٍ أو مَـنِ الرُجلانِ

فقلـتُ لهـا أمّا تميـمٌ فأسرتي هُديـتِ وأمّا صاحبـي فيَمانِ

رفيقان ضَمّ السَّفْرُ بيني وبينـه وقـد يَلْتقـي الشتَّـى فيأتلفانِ

ثم عاد إلى الرجل فغنّى صوتاً فشبّه[2] فيه . والشعر لعمر بن أبي ربيعة وهو قوله : [من البسيط]

أمسى بأسماءَ هـذا القلبُ معمودا إذا أقـول صحـا يعتاده عِيدا

كأنّ أحـورَ من غِزْلان ذي بَقَر أعارهـا شَبَهَ العينـين والجيدا[3]

بمُشْرِقٍ كشُعاع الشمس بهجتُه ومُسْبَكِرٍّ عـلى لَبّاتهـا سودا[4]

ثم عاد إلى الجارية فتغنَّت بصوت لحكم الوادي : [من الطويل]

تُعيِّرنـا أنّا قليـلٌ عَدِيدُنـا فقلتُ لهـا إنّ الكـرام قليلُ

ومـا ضَرّنا أنّا قليـلٌ وجارُنا عزيـزٌ وجـارُ الأكثريـن ذليلُ

وإنّا لقومٌ مـا نـرى القتلَ سُبَّةً إذا مـا رأتـه عامـرٌ وسَلولُ

يُقرّب حـبُّ المـوتِ آجالَنا لنا وتَكرهُـهُ آجالُهـم فتطولُ

وتغنَّت الثانية : [من الطويل]

وَدِدْتُكِ لمـا كان وُدُّك خالصاً وأعرضتُ لما صِرْتِ نهباً مُقَسَّما

---

1 الهجان : الأبيض الخالص في كلّ شيء .

2 يريد : خلط فيه ولم يحسن أداءه .

3 ذو بقر : وادٍ بين أُخيلة الحِمى حمى الربذة ، وقرية في ديار بني أسد .

4 بمُشرق في ل : وشرقاً . ومسبكرّ في ل : ومسبطرا .

ولا يَلبث الحوضُ الجديدُ بناؤُه إذا كَثُر الـــوُرّاد أن يَتهدَّمـــا

وتغنّت الثالثة بشعر الخَنْساء : [من الطويل]

وما كَـرَّ إلاّ كان أوّلَ طاعنٍ ولا أبصرتْه الخيلُ إلاّ اقشعرّتِ
فيُدركُ ثأراً وهو لم يُخْطِه الغنى فمثلُ أخي يوماً بـه العين قَرّتِ
فلستُ أُرَزّا بعـــده برزيّـــة فأذكـرَه إلاّ سَلَـــتْ وتجلّتِ

وغنّى الرجل في الدور الثالث : [من الطويل]

لَحى الله صُعلوكاً مُناه وهمّـه من الدَّهرِ أن يلقى لَبُوساً ومطعمَا
يَنام الضُّحى حتى إذا ليلُه انتهى تنبّـــه مثلوجَ الفـؤاد مُوَرّما
ولكنّ صعلوكاً يساور همّـــه ويمضي على الهيجاء ليثاً مقدّما
فذلك إن يَـلْقَ الكريهة يَلْقَها كريماً وإن يَستغن يوماً فربّما

قال : وتغنّت الجارية : [من الطويل]

إذا كنتَ رَبّاً للقَلوصِ فـلا يكن رفيقُك يمشي خلفَها غيرَ راكبِ
أَنِخْها فأَردفـــه فـــإن حملتكما فذاك وإن كان العِقابُ فعاقِبِ[1]

قال : وتغنّت الجارية بشعر عمرو بن معد يكرب : [من الطويل]

أَلَم تَـرَ لَمّـا ضمّني البلدُ القَفْرُ سمعتُ نداءً يصدَع القلبَ يا عمرُو
أَغِثْنـــا فإنّـــا عُصْبَـــةٌ مَذْحِجيّـــة نُزار على وَفْـــر وليس لنـــا وَفْرُ

قال : وتغنّت الثالثة بشعر عمرَ بنِ أبي ربيعة : [من الطويل]

فلمّـــا تَواقفْنـــا وسلّمتُ أَسْفرتْ وجـــوهٌ زَهاها الحسنُ أن تَتقنّعا
تَبالَهْـــنَ بالعرفـــانِ لمّـــا عرفْنني وقُلْنَ امـــرؤٌ باغٍ أَكلّ وأَوْضعا[2]
ولمّـــا تنازعن الأحاديثَ قُلْنَ لي أَخِفْتَ علينـــا أن نُغَـرّ ونُخدَعا

قال : وتوقّعتُ مجيءَ الخادم إليّ ، فقلت للرجل : بأبي أنت ! خُذِ العود فشُدَّ وتر كذا وارفع الطبقة وحُطَّ دُسْتانَ كذا ؛ ففعل ما أمرتُه . وخرج الخادم فقال لي : تَغَنَّ عافاك الله ؛ فتغنّيتُ بصوت الرجل الأوّل على غير ما غنّاه ، فإذا جماعةٌ من الخدم يحضُرون حتى استندوا إلى الأسِرَّة وقالوا : وَيْحَك ؛ لَمَن هذا الغناء ؟ قلت : لي ؛ فانصرفوا عنّي بتلك السرعة ، وخرج إليّ

1 العقاب : أن تركب الدابة مرّة ويركبها صاحبك مرّة .
2 أكل : أعيا . وأوضع : أسرع .

الخادم وقال : كذبتَ ؛ هذا الغناء لابن جامع . ودار الدورُ ؛ فلمّا انتهى الغناءُ إليّ قلتُ للجارية التي تَلي الرجلَ : خذي العود ، فعلمْت ما أُريد فسَوّتِ العود على غنائها للصوت الثاني فتغنَّيتُ به . فخرجتْ إليّ الجماعة الأولى من الخدم فقالوا : ويحك ؛ لَمن هذا ؟ قلت : لي ؛ فرجعوا وخرج الخادم . فقال كذبتَ ، هذا لابن جامع ، ودار الدورُ ، فلمّا انتهى الغناء إليَّ قلت للجارية الأُخرى سوِّي العود على كذا وكذا ، فعلمت ما أُردت ، وخرج الخادم فقال لي : تغنَّ فتغنَّيتُ بصوت لي فلا يُعرف إلاّ بي ، وسقَوْني ، فتزيّدت ، وهو : [من الكامل]

عُوجي عليّ فسلِّمي جَبْرُ فيـــمَ الصدود وأنتمُ سَفْرُ
ما نلتقي إلاّ ثلاثَ مِنـىً حتى يُفـرِّقَ بيننا الدَّهرُ

قال : فتزلزلتْ والله الدار عليهم . وخرج الخادمُ فقال : وَيْحَك ! لَمن هذا الغناء ؟ قلت : لي . فرجع ثم خرج فقال : كذبتَ ! هذا غناء ابن جامع . فقلت : فأنا إسماعيل بن جامع . فما شَعَرتُ إلاّ وأمير المؤمنين وجعفر بن يحيى قد أقبلا من وراء الستر الذي كان يخرج منه الخادم . فقال لي الفضلُ بن الربيع : هذا أمير المؤمنين قد أقبل إليكَ . فلمّا صَعِد السريرَ وثَبتُ قائماً . فقال لي : أبنُ جامع ؟ قلت : ابن جامع ، جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين . قال : وَيْحَك ؛ متى كنتَ في هذه البلدة ؟ قلت : آنِفاً ، دخلتُها في الوقت الذي علِم بي أمير المؤمنين . قال : اجلس وَيْحَك يا ابنَ جامع ؛ ومضى هو وجعفر فجلسا في بعض تلك المجالس ، وقال لي : أبْشِر وابسُط أمَلَك ؛ فدعوتُ له . ثم قال : غنِّني يا ابنَ جامع . فخطر بقلبي صوتُ الجارية الحُمَيراء فأمرت الرجلَ بإصلاح العود على ما أُردتُ من الطبقة ، فعرف ما أُردتُ ، فوَزَن العودَ وزناً وتعاهده حتى استقامت الأوتار وأخذت الدساتينُ مواضعَها ، وانبعثتُ أُغنّي بصوت الجارية الحُمَيْراء . فنظر الرشيد إلى جعفر وقال : أسمعتَ كذا قطُّ ؟ فقال : لا والله ما خرَق مسامعي قطُّ مثلُه . فرفع الرشيد رأسَه إلى خادم بالقرب منه فدعا بكيس فيه ألفُ دينار فجاء به فرمى به إليّ ، فصيّرتُه تحت فخذي ودعوت لأمير المؤمنين . فقال : يا ابنَ جامع ، رُدّ على أمير المؤمنين هذا الصوتَ ، فرددتُه وتزيّدت فيه . فقال له جعفر : يا سيِّدي ، أمَا تراه كيف يتزيّد في الغناء ؟ هذا خلاف ما سمعناه أوّلاً وإن كان الأمر في اللحن واحداً . قال : فرفع الرشيدُ رأسَه إلى ذلك الخادم فدعا بكيس آخر فيه ألفُ دينار ، فجاءني به فصيّرته تحت فخذي . وقال : تغنَّ يا إسماعيل ما حَضَرك . فجعلتُ أقْصِد الصوتَ بعد الصوت ممّا كان يبلغني أنّه يشتري عليه الجواري فأُغنّيه ؛ فلم أزَلْ أفعل ذلك إلى أن عَسْعَس الليلُ . فقال : أتعبناك يا إسماعيل هذه الليلةَ بغنائك ، فأعِدْ على أمير المؤمنين الصوتَ (يعني صوتَ الجارية) فتغنَّيتُ . فدعا الخادمَ وأمره فأحضر كيساً ثالثاً فيه ألفُ دينار . قال :

فذكرت ما كانت الجارية قالت لي فتبسَّمتُ ، ولَحَظني فقال : يا ابن الفاعلة ، ممّ تبسّمتَ ؟ فجثوتُ على ركبتيّ وقلت : يا أمير المؤمنين ، الصدقُ مَنْجاة . فقال لي بانتهار : قُل . فقصصتُ عليه خبرَ الجارية . فلمّا استوعبه قال : صدَقَتْ ، قد يكونُ هذا وقام . ونزلتُ من السرير ولا أدري أين أقْصِد . فابتدرني فرّاشان فصارا بي إلى دار قد أمر بها أميرُ المؤمنين ؛ ففُرِشتْ وأُعِدَّ فيها جميعُ ما يكونُ في مثلها من آلة جلساء الملوك وندمائهم من الخدم ، ومن كلّ آلة وخَوَل إلى جوارٍ ووُصَفاء . فدخلتها[1] فقيراً وأصبحت من جِلّة أهلها ومياسيرهم .

وذكر لي هذا الخبرَ عبدُ الله بن الرَّبيع عن أبي حَفْص الشَّيْبانيّ عن محمَّد بن القاسم عن إسماعيل بن جامع قال : ضمّني الدَّهرُ بمكّة ضَمّاً شديداً فانتقلت إلى المدينة . فبينا أنا يوماً جالس مع بعض أهلها نتحدّث ، إذ قال لي رجل حَضَرَنا : والله لقد بلغَنا يا ابن جامع أنّ الخليفة قد ذكرك ، وأنت في هذا البلد ضائع ! فقلت : والله ما بي نهوض . قال بعضهم : فنحن نُنهضك . فاحتلتُ في شيء وشَخَصت إلى العراق ، فقدِمتُ بغدادَ ، ونزلت عن بغل كنت اكتريتُه . ثم ذكر باقي الحديث نحوَ الذي قبله في المعاني ، ولم يذكر خبر السوداء التي أخذ الصوتَ عنها . وأحسِبَه غَلِط[2] في إدخاله هذه الحكاية هاهنا ، ولتلك خبر آخر نذكره هاهنا . قال في هذا الخبر : إنّ الدَّوْر دار مرّةً أخرى حتى صار إليّ ؛ فخرج الخادم فقال : غنِّ أيُّها الرجل ؛ فقلت : ما أنتظر الآن ؟! ثم اندفعتُ أغني بصوت لي وهو : [من الطويل]

فلـو كان لي قلبـانِ عِشْتُ بواحدٍ ... وخَلّفْـتُ قلبـاً في هـواكِ يُعذَّبُ
ولكنّمـا أحيـا بقلـب مُـروَّعٍ ... فلا العيشُ يصفو لي ولا الموتُ يقرُبُ
تعلّمْتُ أسبابَ الرضا خوفَ سُخْطها ... وعلّمها حبّـي لهـا كيـف تغضبُ
ولي ألف وجـهٍ قـد عرفتُ مكانه ... ولكـن بـلا قلـب إلى أين أذهبُ

فخرج الرشيد حينئذٍ .

نسبة ما في هذه الأصوات من الأغاني

صوت

[من الطويل]

شكونـا إلى أحبابنا طـولَ ليلنا ... فقالوا لنا مـا أقصر الليلَ عندنا
وذاك لأنّ النـومَ يَغْشى عيونَهم ... سِراعاً وما يغشى لنا النـومُ أعينا

---

1 يريد بغداد .

2 يريد به محمد بن ضوين الصلصال التميمي .

إذا ما دنا الليلُ المضرّ بذي الهوى جَزِعْنا وهم يستبشرون إذا دنا
فلـو أنّهـم كانوا يُلاقون مثلَ ما نُلاقي لكانـوا في المضاجع مثلَنا

عروضه من الطويل . وذكر الهشاميّ أنّ الغناء لابن جامع هزج بالوسطى ، وفي الخبر أنّه أخذه عن سوداء لقيها بمكّة .

ومنها : [من البسيط]

صوت

يا دار أضحت خلاءً لا أُنيسَ بهـا إلاّ الظبـاءُ وإلاّ النّاشطُ الفَرِدُ
أين الذين إذا مـا زرتُهم جَذِلوا وطار عن قلبـيَ التشواقُ والكمدُ

في هذا الصوت لحنٌ لابن سريج خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية حبش . ولحن ابن جامع رمل .

ومنها : [من البسيط]

صوت

لم تَمْشِ مِيلاً ولم تركب على جَمل ولم تـرَ الشمسَ إلاّ دونهـا الكِلَلُ
أقـولُ للركب في دُرْنا وقد ثَمِلوا شِيموا وكيف يَشيم الشاربُ الثَّمِلُ[1]

الشعر للأعشى . والغناء لابن سُريج رَمَلٌ بالبنصر ، وقد كُتب فيما يُغنّى فيه من قصيدة الأعشى التي أوّلها : [من البسيط]

وَدِّعْ هُرَيْرةَ إن الركبَ مُرْتحلُ

ومنها : [من الطويل]

صوت

مَرَرْنـا عـلى قَيْسيّةٍ عامريّـةٍ لهـا بَشَرٌ صافي الأديمِ هِجانِ
فقالت وألقت جانبَ السترِ دونها مِنَ آيّة أرض أو مَـنِ الرجلان
فقلتُ لهـا أمّا تميـمٌ فأسرتي هُديـتِ وأمّا صاحبـي فَيَماني
رفيقان ضمّ السَّفْرُ بيني وبينـه وقـد يَلْتقـي الشتّـى فيـأتلفانِ

غنّاه ابنُ سريج خفيف رمل بالبنصر .

ومنها : [من البسيط]

---

1 درنا : ناحية باليمامة وكانت تسمّى هكذا في الجاهلية .

صوت

أُمسي بأسماءَ هذا القلبُ معمودا إذا أقــول صحــا يعتاده عِيدا
أَجْرِي على موعــد منها فتُخلفني فمــا أمَــلّ ولا تُــوفي المواعيدا
كأنّني حــين أُمْسي لا تكلّمني ذو بُغْية يَبتغي ما ليس موجودا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ، وله فيه ثقيل أوّل [بالبنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوّل] بالوسطى على مذهب إسحاق .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فواللهِ مــا أدرى أيغلِبني الهوى إذا جدَّ وَشْكُ البين أم أنا غالبُهْ
فإن أستطع أَغْلِبْ وإن يَغْلِبِ الهوى فمثلُ الذي لاقيتُ يُغْلَب صاحبهْ

عروضه من الطويل . الشعر لابن مَيّادة ، والغناء للحَجَبيّ خفيف ثقيل بالبنصر من رواية حبش .

ومنها : [من الطويل]

صوت

تُعيِّرنــا أنــا قليــلٌ عديدُنــا فقلتُ لهــا إنّ الكرامَ قليلُ
وما ضَرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا عزيــزٌ وجــارُ الأكثرين ذليلُ
وإنّا لقومٌ مــا نرى القتلَ سُبّةً إذا مــا رأَتْه عامــرٌ وسَلُولُ
يقرِّب حبُّ الموت آجالَنا لنا وتكرهــه آجالُهــم فتطــولُ

عروضه من مقبوض الطويل . والشعر للسَّموأل بن عَادِياء اليهوديّ . والغناء لحَكَم الوادي .

ومنها : [من الطويل]

صوت

وَدِدْتُكِ لمّــا كان ودُّك خالصاً وأعرضتُ لمــا صار نَهْباً مقسَّمَا
ولن يلبَثَ الحوضُ الجديــدُ بناؤه عــلى كثــرة الورّادِ أن يتهدّما

عروضه من الطويل . وفيه خفيفٌ ثقيل قديم لأهل مكّة . وفيه لِعَرِيب ثقيلٌ أوّل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

وما كَبِرَّ إلاّ كان أوّلَ طاعن ... ولا أبْصرتْه الخيلُ إلاّ اقشعرّتِ
فيُدرِكَ ثأراً ثم لم يُخْطِهِ الغِنى ... فمثلُ أخي يوماً بـه العين قرّتِ
فإن طلبوا وِتراً بَدا بِتِراتِهم ... ويَصبر يحميهم إذا الخيل وَلّتِ

عروضه من الطويل . الشعر للخَنْساء ، والغناء لابن سُريج ثقيل أوّل بالبنصر وذكر علي بن يحيى أنّه لَمَعْبد في هذه الطريقة .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لحا الله صُعلوكاً مُناه وهَمُّه ... من الدَّهرِ أن يلقى لَبوساً ومَطْعما
ينام الضُّحى حتى إذا ليلُه انتهى ... تنبّه مثلوجَ الفؤاد مُوَرَّما[1]
ولكنَّ صعلوكاً يُساور هَمَّه ... ويَمضي على الهَيْجاء ليثاً مصمِّما
فذلك إن يلقَ الكريهةَ يلقَها ... كريماً وإن يَستغنِ يوماً فربَّما

عروضه من الطويل . الشعر يقال إنّه لعُرْوة بن الوَرْد ، ويقال : إنّه لحاتم الطائيّ وهو الصحيح . والغناء لطُوَيس خفيفُ رملٍ بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

إذا كنتَ ربّاً للقَلوص فلا يكن ... رفيقُك يَمْشي خلفَها غيرَ راكبِ
أَنِخْها فأَردفه فإنْ حملتْكما ... فذاك وإن كان العِقابُ فعاقبِ

عروضه من الطويل . والشعر لحاتم طيىء .

ومنها : [من الطويل]

صوت

ألَم تَرَ لمّا ضَمَّني البلد القَفْرُ ... سمعتُ نداءً يصدع القلبَ يا عمرُو
أَغِثنا فإنّا عُصْبةٌ مَذْحِجيّة ... نُزار على وَفْر وليس لنا وَفْرُ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو بن معد يكرب . والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن حَبَش .

ومنها : [من الطويل]

---

1 مثلوج في ل : مسلوب .

صوت

فلمّـا تواقفْنـا وسلّمتُ أقبلـتْ وجوهٌ زهاهـا الحسنُ أن تتقنّعا
تَبالَهْنَ بالعِرفـانِ لمـا رأيْنَني وقُلْنَ امـرؤ باغٍ أكَلّ وأوْضعا
ولمـا تَنازعن الأحاديـثَ قلن لي أخِفْـتَ علينا أن نُغَـرّ ونُخْدَعا
وقرّبـن أسبابَ الهـوى لمتيَّم يَقيسُ ذراعاً كلّمـا قِسْن إصبعا

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج والغريض ومالك ومعبد وابن جامع في عدّة ألحان ، قد كُتبتْ مع الخبر في موضع غير هذا .

ومنها : [من الكامل]

صوت

عُوجـي عـليَّ فسلّمي جَبْرُ فيـمَ الصـدودُ وأنتـم سَفْرُ
مـا نلتقـي إلاّ ثـلاثَ مِنىً حتى يُفـرّق بيننـا النَّفْرُ[1]
الحـول ثـم الحـول يتبعـه ما الدهـر إلاّ الحول والشهرُ

الشعر للعَرْجيّ . والغناء للأبجر ثقيل أوّل عن الهشاميّ ، ويقال إنّه لابن محرز ، ويقال بل لحنه فيه غير لحن الأبجر . وفيه رمل يقال إنّه لابن جامع ، وهو القول الصحيح ، وذكر حبش أنّه لابن سريج ، وأن لحن ابن جامع خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

فلـو كان لي قلبان عشتُ بواحـد وخلّفـتُ قلبـاً في هـواك يعـذَّبُ
ولكنّمـا أحْيـا بقلـب مُـروّع فلا العيش يصفو لي ولا الموت يقرُبُ[2]
تعلّمتُ أسباب الرِّضا خوفَ هجرها وعلّمها حبِّـي لهـا كيـف تغضبُ
ولي ألـف وجه قـد عرفتُ مكانَه ولكن بـلا قلـب إلى أيـن أذهبُ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرو الورّاق . والغناء لابن جامع خفيف رمل ، ويقال إنّه لعبد الله بن العبّاس . وفيه لعَريب ثقيلٌ أوّل . وفيه لرَذاذ خفيفٌ ثقيل . وفيه هَزَجٌ يقال إنّه لعَريب ، ويقال إنّه لنمرة ، ويُقال إنّه لأبي فارة ، ويقال إنّه لابن جامع .

---

1 النَّفر في ل : الدَّهر .
2 مروّع في ل : معذّب .

[سمعه مصعب الزُّبَيريّ يغنّي في بساتين المدينة فمدحه]

حدَّثني مصعب الزُّبَيريّ قال : قَدِم علينا ابنُ جامع المدينةَ قَدْمةً في أيّام الرشيد ؛ فسمعته يوماً يغنّي في بعض بساتين المدينة : [من الطويل]

وما لِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنتُ إذا ما اشتدّ شوقي رَحَلْتُها فسارت بمحزون كثير البَلابلِ[1]

وكان رجلاً صيِّتاً[2] ، فكاد صوته يذهب بي كلَّ مذهب ، وما سمعتُ قبله ولا بعده مثله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

وما لي لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صَدَر الرُّعيانُ وِرْدَ المناهلِ
وكنتُ إذا ما اشتدَّ شوقي ركبتها فسارتْ بمحزون كثير البلابلِ

الغناء لابن جامع خفيف ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن الهشاميّ وابن المكّيّ .

[أهدى الربيع للمنصور فكان يستخفّه وأعتقه]

أخبرني وكيع قال حدَّثني هارون بن محمَّد الزيّات قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كنتُ في خمسين وصيفاً أهدوا للمنصور ، ففُرِّقْنا في خدمته ، فصرت إلى ياسر صاحب وضوئه . فكنتُ أراه يفعل شيئاً أعلم أنّه خطأ : يعطيه الإبريق في آخر المستراح ويقف مكانه لا يبرح . وقال لي يوماً : كُن مكاني في آخر المستراح . فكنت أعطيه الإبريق وأخرج مبادراً ، فإذا سمعتُ حركته بادرت إليه . فقال لي : ما أخفّك على قلبي يا غلام ؛ ويحك ؛ ثم دخل قصراً من تلك القصور فرأى حيطانه مملوءة من الشعر المكتوب عليها . فبينا هو يقرأ ما فيه إذا هو بكتاب مفرد ، فقرأه فإذا هو : [من الطويل]

وما لِيَ لا أبكي وأندُب ناقتي إذا صدَر الرّعيانُ نحوَ المَناهِلِ
وكنتُ إذا ما اشتدَّ شوقي رَحَلْتُها فسارتْ بمحزون طويل البلابلِ

وتحته مكتوب : آه آه ، فلم يَدْرِ ما هو . وفطَنتُ له فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد عرفتُ ما هو . فقال : قُل ؛ فقلت : قال الشعر ثم تأوّه فقال : آه آه ، فكتب تأوُّهَه وتنفُّسه وتأسُّفه . فقال : ما لك قاتلك الله ؛ قد أعتقتُكَ وولّيتكَ مكانَ ياسر .

---

1 كثير في ل : طويل . البلابل : جمع بلبال : شدّة الهمّ والوسواس في الصدر وحديث النفس .

2 الصّيت : الجهير الصوت .

ذكر أخبار هذه الأصوات المتفرّقة [في] الأخبار وإنّما افردتها عنها لئلاّ تنقطع خبر

[من البسيط]

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا

[خرج الغريض مع نسوة فتبعه الحارث بن خالد مع ابن أبي ربيعة]

أخبرني الحُسين بن يحيى قال حمّاد : قرأت على أبي ، وذكر جعفر بن سعيد عن عبد الرحمن بن سليمان المكّيّ قال حدَّثني المخزوميّ (يعني الحارثَ بن خالد) قال : بلغني أنّ الغريضَ خرج مع نِسْوة من أهل مكّة من أهل الشَّرَف ليلاً إلى بعض المتحدَّثات من نواحي مكّة ، وكانت ليلة مقمرة ؛ فاشتقتُ إليهنّ وإلى مجالستهنّ وإلى حديثهنّ ، وخِفتُ على نفسي لجنايةٍ كنت أُطالَب بها ، وكان عمر مَهيباً معظَّماً لا يُقدِم عليه سلطان ولا غيره ، وكان منّي قريباً ؛ فأتيتُه فقلت له : إنّ فلانة وفلانة وفلانة حتى سمّيتهنّ كُلَّهنّ قد بعثْنني ، وهنّ يَقرأْنَ عليك السلامَ ، وقُلن : تشوّقن إليك في ليلتنا هذه لصوتٍ أنشَدَناه فُوَيسِقُك الغريض وكان الغريض يغنّي هذا الصوتَ فيُجيده ، وكان ابن أبي رَبيعة به مُعْجَباً ، وكان كثيراً ما يسأل الغريضَ أن يُغنّيه ، وهو قولُه : [من البسيط]

أَمْسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا ... إذا أقول صَحا يعتاده عِيدَا
كأنّ أحورَ من غِزْلانِ ذي نفر ... أهدى لها شَبَه العينين والجِيدا
قامت تراءى وقد جَدَّ الرَّحيلُ بنا ... لتنكأَ القرحَ من قلب قد اصطيدا
كأنّني يومَ أمسي لا تكلّمني ... ذو بُغْيةٍ يبتغي ما ليس مَوْجودا
أجري على موعدٍ منها فتُخلفني ... فما أَمَلُّ وما تُوفي المواعيدا
قد طال مَطْلي ، لَوَ انَّ اليأسَ يَنفعني ... أوْ أن أُصادِفَ من تِلْقائها جُودَا
فليس تَبْذُل لي عفواً وأُكرمُها ... من أن ترى عندنا في الحرص تشديدا

فلمّا أخبرتُه الخبرَ قال : لقد أزعجتَني في وقت كانت الدَّعَةُ أحبَّ فيه إليَّ ؛ ولكنّ صوتَ الغريض وحديثَ النِّسوة ليس له مُتَرَك ولا عنه مَحِيص . فدعا بثيابه فلبسها ، وقال : امضِ ؛ فمضينا نمشي العجلَ حتى قَرُبنا منهنّ . فقال لي عمر : خَفِّضْ عليك مَشْيَك ففعلتُ ، حتى وقفنا عليهنَّ وهنّ في أطيب حديث وأحسن مجلس ؛ فسلّمنا ، فتهيّبْننا وتخفَّرن منّا . فقال الغريض : لا عليكنَّ ! هذا ابن أبي ربيعة والحارثُ بن خالد جاءا متشوّقيْن إلى حديثكنّ

وغنائي . فقالت فلانة : وعليك السلامُ يا ابنَ أبي ربيعة ، والله ما تمّ مجلسُنا إلاّ بك ، إجلِسا . فجلسنا غيرَ بعيدٍ ، وأخذْنَ عليهنّ جلابيبَهنّ وتقنّعن بأخمِرتهنّ وأقبلن علينا بوجوههنّ وقُلْن لعمر : كيف أحْسَسْتَ بنا وقد أخفينا أمرَنا ؟ فقال : هذا الفاسقُ جاءني برسالتكنّ وكنتُ وَقيذاً[1] من علّة وجدتُها ، فأسرعت الإجابةَ ، ورجوتُ منكنّ على ذلك حسنَ الإثابة . فردَدْن عليه : قد وجب أجْرُك ، ولم يَخِبْ سعيُك ، ووافقَ منّا الحارثُ إرادةً . فحدَّثهنّ بما قلتُ له من قصّة غناء الغريض ؛ فقال النِّسوة : والله ما كان ذلك كذلك ، ولقد نبّهتنا على صوت حسن ، يا غريضُ هاتِه . فاندفع الغريضُ يغنّي ويقول : [من البسيط]

أمسى بأسْماءَ هذا القلبُ مَعْمودَا إذا أقولُ صَحا يَعْتاده عِيدَا

حتى أتى على الشعر كلّه إلى آخره ، فكلٌّ استحسنه . وأقبل عليَّ ابنُ أبي ربيعة فجَزاني الخيرَ ، وكذلك النِّسوة . فلم نَزَلْ بأنعمِ ليلةٍ وأطيبِها حتى بدأ القمرُ يغيب ، فقُمنا جميعاً ، وأخذ النّسوة طريقاً ونحن طريقاً وأخذ الغريضُ معنا .

وقال عمر في ذلك : [من المنسرح]

صوت

هل عند رَسْم برامةٍ خبرُ أم لا فأيَّ الأشياء تَنتظرُ
قد ذكَّرتْني الديارُ إذ دَرَستْ والشوقُ ممّا يَهيجه الذِّكَرُ
مَمْشى رسولٍ إليّ يُخبرني عنهم عِشاءً ببعض ما ائتمروا[2]
ومجلسَ النِّسوة الثلاث لدى الـ ـخَيْمات حتى تبَلَّج السَّحَرُ
فيهنّ هِنْدٌ والهَمُّ ذِكْرتُها تلك التي لا يُرى لها خَطَرُ
ثم انطلقنا وعندنا ولنا فيهنّ لو طال ليلُنا وطرُ
وقولَها للفتاة إذ أزِف الـ ـبينُ أغادٍ أم رائحٌ عُمَرُ
عَجْلانَ لم يَقْضِ بعضَ حاجته هلا تأنَّى يوماً فينتظرُ
اللهُ جارٌ له وإن نَزَحَتْ دارٌ به أو بدا له سفرُ

غنَّاه الغريض ثقيلاً أوّلَ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لابن سُرَيج رمل بالوسطى . وفيه لعبد الرحيم الدَّفّاف ثقيلٌ أوّل بالبنصر في البيتين الأوّلين . وبعدهما : [من مجزوء البسيط]

1 الوقيذ : المريض .
2 رسول في ل : فتاة .

هل من رَسول إليّ يُخبرني بعد عشاءٍ ببعض ما ائتمروا
يـومَ ظَلِلْنا وعندنـا ولنا فيهنَّ لـو طـال يومُنا وَطَرُ

فلمّا كانت الليلةُ القابلةُ بعث إليّ عمر فأتيتُه وإذا الغريضُ عنده . فقال له عمر : هاتِ ؛ فاندفع يغنّي : [من المنسرح]

هـل عنـد رَسْمٍ برامـةٍ خبرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاءِ تنتظرُ
ومجلسَ النّسوة الثلاثِ لدى الْـ ـخيمات حتـى تبلّج السحرُ

فقلتُ في نفسي : هذا والله صفةُ ما كنّا فيه ، فسكتُّ حتى فرَغ الغريضُ من الشعر كلّه ؛ فقلت : يا أبا الخَطّاب ، جُعِلتُ فِداك ؛ هذا والله صفةُ ما كنّا فيه البارحةَ مع النّسوة . فقال : إنّ ذلك ليُقال .

[أغلظ موسى بن مصعب أمير الموصل الكلام لبعض عمّاله فأجابه بالمثل وفرّ]

وذكر أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن عليّ بن مجاهد قال : إنّ موسى بن مُصْعَب كان على المَوْصل ، فاستعمل رجلاً من أهل حَرّان على كُورة باهُذْرا ، وهي أجلّ كُوَرِ الموصل ، فأبطأ عليه الخراجُ ؛ فكتب إليه : [من المنسرح]

هـل عنـد رسمٍ برامةٍ خبرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاء تنتظرُ

إحْمِلْ ما عندك يا ماصَّ بَظْرِ أُمّه ، وإلاّ فقد أمرتُ رسولي بشدّك وَثاقاً ويأتي بك . فخرج الرجل وأخذ ما كان معه من الخراج فلَحِق بحَرّان ، وكتب إليه : يا عاضّ بَظْرِ أُمّه ! إليّ تكتب بمثل هذا ! [من الخفيف]

وإذا أهـلُ بلـدةٍ أنكروني عرفتْنـي الدَّويَّـةُ المَلْساءُ

فلمّا قرأ موسى كتابه ضَحِك وقال : أحسنَ يعلم الله الجوابَ ، ولا والله لا أطلبه أبداً . وفي غير هذه الرواية أنّه كتب إليه في آخر رقعة : [من البسيط]

إنّ الخليطَ الأُلَى تهوى قد ائتمروا للبَيْن ثم أجَدّوا السيرَ فانشمروا

يا ابن الزّانية ؛ والسلام . ثم هرب ، فلم يَطْلُبه .

[إسحاق الموصليّ ولحن للغريض]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد قال قال أبي : غنّاني رجلٌ من أهل المدينة لحنَ الغريض : [من المنسرح]

هـل عنـد رَسْمٍ برامـةٍ خبرُ أم لا فـأيَّ الأشيـاء تنتظـرُ

فسألتُه أن يُلْقيه عليّ ، فقال : لا إلاّ بألف درهم ؛ فلم أسمح له بذلك . ومضى فلم ألْقَه .

فوالله يا بنيّ ما نَدِمْتُ على شيء قطُّ نَدَمي على ذلك ، ولَوَدِدْت أنّي وجدتُه الآن فأخذتُه منه كما سمعتُه وأخذَ منّي ألفَ دينار مكانَ الألف الدرهم .

خبر

[من الطويل]

تُعيّرنـا أنّا قليـلٌ عديدُنـا

الشعر لشُرَيْح بن السَّمَوْأل بن عَادِياء . ويقال : إنّه للسموأل . وكان من يهود يَثربَ ؛ وهو الذي يُضرب به المثلُ في الوفاء فيقال : «أوفى من السّموأل» .

وكان السببُ في ذلك فيما ذكر ابن الكلبيّ وأبو عُبيدة وحدّثني به محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد الأُمويّ عن محمّد بن السائب الكَلْبيّ قال : كان امرؤ القيس بن حُجْر أَوْدع السموألَ بن عَادِياء أدراعاً ؛ فأتاه الحارثُ بن ظالم ، ويقال : الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيّ ، ليأخذَها منه ؛ فتحصّن منه السموألُ ؛ فأخذ ابناً له غلاماً وناداه : إمّا أن تُسلّم الأدراع وإمّا أن قتلتُ ابنَك ؛ فأبى السموألُ أن يُسلّم الأدراعَ إليه ؛ فضرب الحارثُ وسَطَ الغلام بالسيف فقَطَعه اثنين . فقال السموألُ : [من الوافر]

وفَيْتُ بأَدْرُع الكِنْديّ إنّي ... إذا مـا خان أقوامٌ وَفَيْتُ
وأوصى عَادِيـا يومـاً بألاّ ... تُهدِّمَ يـا سموألُ مـا بنيتُ
بَنى لي عادِيا حصناً حصيناً ... وماءً كلّما شئتُ استقيتُ

وفي هذه القصيدة يقول : [من الوافر]

صوت

أعاذِلتـــي ألاَ لا تَعذُلِينـــي ... فكَمْ مِنْ أمْر عاذلةٍ عَصَيْتُ
دَعيني وارْشُدِي إن كنتُ أغْوى ... ولا تَغْوَيْ زعمتِ كما غَوَيْتُ
أعاذلَ قـد طلبتِ اللَّومَ حتى ... لَـوَ انّي مُنْتَهٍ لقـد انتهيتُ
وصفـــراء المعاصم قد دَعَتْني ... إلى وَصْلٍ فقلتُ لهـا أَبَيْتُ
وزِقٌّ قـد جَرَرْتُ إلى النَّدامَى ... وزقٌّ قـد شربتُ وقد سقيتُ
وحتى لـــو يكونُ فتى أُنـاسٍ ... بكى مـن عذل عاذلة بكيتُ

عروضُه من الوافر . والشعرُ للسَّمَوْأل بن عادِياء . والغناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني

والرابع والخامس خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وغنّى فيها مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر في الأوّل والثاني . وغنّى دَحْمانُ أيضاً في الأوّل والثاني والرابع والخامس رملاً بالوسطى . وغنّى عبد الرحيم الدَّفّاف في الأوّل والثاني رملاً بالبنصر . وفي هذه الأبيات لابن سُرَيْج لحنٌ في الرابع وما بعده . ثم في سائر الأبيات لحنٌ ذكره يونس ولم يَنْسُبه[1] . ولإبراهيم الموصليّ فيها لحن غيرُ منسوب أيضاً .

[أسر الأعشى رجل من كلب وهو لا يعرفه]

حدّثني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سَعيد الأمويّ قال حدّثني محمّد بن السائب الكلبيّ قال : هجا الأعشى رجلاً من كلب فقال : [من الوافر]

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ... ولستَ من الكرام بنـي عُبَيْدِ
ولا من رهط جبّـار بن قُرْط ... ولا من رهط حارثةَ بن زيدِ

قال : وهؤلاء كلّهم من كلب ، فقال الكلبيّ : أنا ، لا أبا لك ، أشرفُ من هؤلاء . قال : فسَبّه الناسُ بعدُ بهجاء الأعشى ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار الكلبيّ على قوم قد بات بهم الأعشى فأسَرَ منهم نفراً وأسر الأعشى وهو لا يعرفه ؛ فجاء حتى نزل بشُرَيح بن السموأل بن عَادِياء الغَسّانيّ صاحب تَيْماء[2] بحصنه الذي يقال له الأبلَق[3] . فمرَّ شريح بالأعشى ، فنادى به الأعشى بقوله : [من البسيط]

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بعد ما عَلِقتْ ... حبالَك اليومَ بعد القِـدّ أظْفارِي[4]
قد جُلْتُ مـا بين بانِقيا إلى عَدَنٍ ... فطال في العُجْمِ تَرْدادي وتَسياري[5]
فكان أكرمَهـم عهداً وأوثقَهم ... عَقْـداً أبوك بعُـرف غير إنكارِ
كالغيث مـا استمطروه جادَ وابلُه ... وفي الشدائد كالمستأسِد الضّاري
كُنْ كالسموأل إذ طاف الهمامُ به ... في جَحْفَل كسواد الليـل جَرّارِ
إذ سامه خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قُـلْ مـا تشاء فإنّي سامعٌ حارِ

1 في ل : يجنسه .
2 تيماء : بليدة في أطراف الشام على طريق حاج الشام ودمشق .
3 قيل له الأبلق لأنه كان في بنائه بياض وحمرة ، وقيل : لأنه بُني من حجارة مختلفة الألوان .
4 القدّ : القيد .
5 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . ترادي في ل : تكراري .

فقال غَدْرٌ وثُكْلٌ أنت بينهما فاختَرْ وما فيهما حظٌّ لمختارِ
فشَكَّ غيرَ طويلٍ ثم قال له أُقْتُلْ أسيرَك إنّي مانعٌ جاري
وسوف يُعْقِبُنيه إن ظفِرتَ به ربٌّ كريمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهارِ
لا سِرَّهُنّ لدينا ذاهبٌ هَدَراً وحافظات إذا استُوْدِعن أسراري
فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها ولم يكن وعدُه فيها بَختَّارِ[1]

قال : فجاء شُرَيح إلى الكَلْبيّ فقال له : هَبْ لي هذا الأسيرَ المَضْرورَ ؛ فقال : هو لك ، فأطلَقه . وقال له : أقِمْ عندي حتى أُكرمَك وأَحْبُوَك ؛ فقال له الأعشى : إن من تمام صنيعك إليّ أن تُعْطِيني ناقةً ناجِية وتُخْلِيَني الساعةَ . قال : فأعطاه ناقةً ، فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أن الذي وَهَب لشُريح هو الأعشى ، فأرسل إلى شُريح : ابعث إليّ بالأسير الذي وهبتُ لك حتى أحبوَه وأُعْطيَهُ ؛ فقال قد مضى . فأرسل الكلبيُّ في أثرَه فلم يَلْحَقه .

وأمّا خبر : [من الطويل]

وما كرَّ إلاّ كان أوّلَ طاعنٍ

والشعر للخنساء ، فإنّه خبر يطول لذكر ما فيه من الوقائع ؛ وهو يأتي فيما بعد هذا مُفْرداً عن المائة الصوتِ المختارةِ في أخبار الخنساء ، إن شاء الله تعالى .

رجع الخبر إلى قصّة ابن جامع

[دفع في صوت أخذه عن سوداء أربعة دراهم وغناه الخليفة فأعطاه أربعة آلاف دينار]

وأمّا خبرُ الجارية التي أخذ عنها ابنُ جامع الصوتَ وما حكيناه من أنّه وقع في حكاية محمّد بن ضوين الصَّلْصال فيها خطأٌ ، فأخبرنا بخبرها الحسين بن يحيى عن حمّاد ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي محمَّد العامريّ قال حدَّثني عُكّاشة اليزيديّ بجُرْجان قال حدَّثني إسماعيل بن جامع قال : بَيْنا أنا في غُرْفة لي باليمن وأنا مُشْرِف على مَشْرَعةٍ[2] ، إذ أقبلت أَمَةٌ سوداء على ظهرها قِربةٌ ، فملأتْها ووضعتْها على المَشْرعة لتستريح ، وجلستْ فغنَّتْ : [من الطويل]

صوت

فَرُدِّي مُصابَ القلب أنتِ قَتَلتِه ولا تُبعِدي فيما تجشّمتِ كُلْثُما

ويُروى «ولا تَتْركيه هائمَ القلب مُغرما» .

---

1 الختّار : الغادر .

2 المشرعة : مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون .

إلى الله أشكو بخلَها وسماحتي لها عسلٌ منِّي وتبذُل عَلْقَما
أَبى اللهُ أن أُمسي ولا تذكُرينَني وعَيْناي من ذكراكَ قد ذَرَفَتْ دَما
أَبيتُ فما تنفَكّ لي منكِ حاجةٌ رمى الله بالحبِّ الذي كان أَظْلَما

غنّاه سِيَاطٌ خفيفَ ثقيل أَوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة قال : ثم أَخذتْ قِرْبَتَها لتمضيَ . فاستفزّني من شهوة الصوت ما لا قِوامَ لي به ، فنزلتُ إليها فقلتُ لها : أَعِيدِيه . فقالت : أنا عنك في شغل بخَراجي . قلتُ : وكم هو ؟ قالت : درهمان في كلّ يوم . قلتُ : فهذان درهمان ، ورُدِّيه عليّ حتى آخذه منك ، وأَعطيتُها درهمين ؛ فقالت : أمّا الآن فنعم . فجلستْ ، فلم تَبْرح حتى أَخذتُه منها وانصرفت ؛ فلهوتُ يومي به ، وأَصبحتُ من غدٍ لا أَذكر منه حرفاً ، فإذا أنا بالسوداء قد طلعتْ ففعلتْ كفعلها بالأَمس . فلمّا وضعتِ القِربةَ تغنَّت غيرَه ، فَعَدَوْتُ في أَثرها وقلت : يا جارية ، بحقّي عليك رُدِّي عليَّ الصوتَ فقد ذهبتْ عنّي منه نَغَمةٌ . فقالت : لا والله ، ما مثلُك تذهب عنه نغمةٌ ، أنتَ تَقيسُ أَوّلَه على آخره ، ولكنّك قد أُنْسِيتَه ، ولستُ أَفعل إلاّ بدرهمين آخرين . فدفعتُهما إليها وأَعادتْه عليَّ حتى أَخذتُه ثانيةً . ثم قالت : إنّك تَسْتكثر فيه أَربعةَ دراهم ، وكأَنّي بك قد أَصبتَ به أَربعة آلاف دينار . فكنتُ عند هارون يوماً وهو على سريره ؛ فقال : مَن غنّاني فأَطربني فله أَلفُ دينار ، وقدّامَه أَكياسٌ في كلّ كيس أَلفُ دينار . فغنّى القوم وغنّيتُ فلم يطرَبْ ، حتى دار الغِناء إليَّ ثانيةً فغنّيتُ صوتَ السوداء ؛ فرمى إليّ بكيس فيه أَلفُ دينار ، ثم قال : أَعِدْه فغنّيتُه ؛ فرمى إليّ بثانٍ ثم قال : أَعِدْه فرمى إليَّ بثالث وأَمسك . فضحِكتُ ؛ فقال : ما يُضحكك ؟ فقلت : لهذا الصوت حديثٌ عجيبٌ يا أَمير المؤمنين . فقال : وما هو ؟ فحدّثتُه به وقصصتُ عليه القصّةَ ؛ فرمى إليّ برابع وقال : لا نكذّب قولَها .

خبر

[من الكامل]

عُوجِي عليَّ فسلِّمي جَبْرُ

الشعر للعَرْجيّ وقد ذكرنا نسبة الصوت .

[قصّة عمر بن عبد العزيز مع مخنث بلغه عنه أنّه أفسد نساء المدينة]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الواقِديّ عن ابن أَبي الزِّناد قال حدّثني محمّد بن إسحاق قال : قيل لعمر بن عبد العزيز : إنّ بالمدينة مُخنَّثاً قد أَفسد نساءَها . فكتب إلى عامله بالمدينة أَن يحملَه . فأُدخِل عليه ، فإذا شيخٌ خضيبُ اللّحية والأَطرافِ مُعْتَجِرٌ بِسَبَنِيّة[1] قد

1 السبنية : منسوبة إلى سَبَن : بلدة ببغداد ، وهي إزار أسود متّخذ من الحرير يلبسه النّساء .

حمل دُفّاً في خريطته . فلمّا وقف بين يَديّ عمر صعّد بصرَه فيه وصوَّبه وقال : سوأةً لهذه الشَّيْبةِ وهذه القامةِ ! أتحفظُ[1] القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا ؛ قال : قبّحك اللهُ ! وأشار إليه مَنْ حضَره فقالوا : اسكُتْ فسكتَ . فقال له عمر : أتقرأ[2] من المفصَّل شيئاً ؟ قال : وما المُفصَّل ؟ قال : ويلك ؛ أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم ، أقرأ ﴿الحمد لله﴾ وأُخطىء فيها في موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ ﴿قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاس﴾ وأُخطىء فيها ، وأقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ﴾ مثلَ الماء الجاري . قال : ضَعوه في الحبس ووكّلوا به مُعَلِّماً يعلّمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطَّهارة والصلاة وأجْرُوا عليه في كلّ يوم ثلاثةَ دراهم وعلى معلّمه ثلاثة دراهمَ أُخَر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظَ القرآن أجمعَ . فكان كلَّما عُلِّم سورةً نَسي التي قبلها . فبعث رسولاً إلى عمر : يا أمير المؤمنين ، وجِّه إليَّ مَن يحمل إليك ما أتعلّمه أوّلاً فأوّلاً ، فإنّي لا أقدِر على حمله جملةً واحدةً . فيئس عمرُ من فلاحه وقال : ما أرى هذه الدّراهمَ إلاّ ضائعةً ، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عُرْياناً لكان أصلحَ . ثم دعا به ، فلمّا وقف بين يديه قال له : اقرأ ﴿قُلْ يَا أيُّها الكافِرونَ﴾ . قال : أسأل اللهَ العافيةَ ! أدخلتَ يَدك في الجراب فأخرجتَ شرّ ما فيه وأصعبَه . فأمر به فُوجِئَتْ عنقُه ونفاه . فاندفع يغنّي وقد توجّهوا به : [من الكامل]

عُوجِي عليَّ فَسَلِّمي جَبْرُ ... فيمَ الوقوفُ وأنتُم سَفْرُ
ما نَلْتقي إلاّ ثلاثَ منىً ... حتى يفرِّق بيننا النَّفْرُ

فلمّا سمِع المُوكَّلون به حسنَ ترنّمه خلَّوْه وقالوا له : اذهب حيث شئتَ مُصاحَباً بعد استماعهم منه طرائفَ غنائه سائرَ يومهم وليلتهم .

[حجّ محمّد بن خالد بن عبد الله وسمع جارية محمّد بن عمران فطرب وأراد شراءها فردّه]

أخبرني الحسين قال قال حمّاد قرأتُ على أبي عن المدائنيّ قال : أحَجّ خالد بن عبد الله ابنَه محمّداً وأصحبه رِزاماً[3] مولاه وأعطاه مالاً ، وقال : إذا دخلتَ المدينةَ فاصرفه فيما أحبَبْتَ . فلمّا صِرْنا بالمدينة سأل محمّد عن جاريةٍ حاذقةٍ ؛ فقيل : عند محمّد بن عِمْران التَّيْميّ القاضي . فصلّينا الظهرَ في المسجد ثم مِلنا إليه فاستأذنّا عليه فأذِن لنا وقد انصرف من المسجد وهو قاعدٌ على لِبْد[4] ونعلاه في آخر اللِّبْد ؛ فسلّمنا عليه فردَّ ؛ ونَسَب محمّداً فانتسب له ، فقال : خيراً . ثم قال : هل من حاجة ؟ فلَجْلَج الفتى . فقال : كأنّك ذكرتَ فلانة ! يا جاريةُ اخْرُجي ؛

1 في ل : أتقرأ .
2 في ل : أتحفظ .
3 رزام : هو رزام بن مسلم أدرك أبا جعفر المنصور .
4 اللبد : بساط من صوف .

فخرجتْ فإذا أحسنُ الناس ، ثم تغنَّت فإذا أحذقُ الناس ؛ فجعل الشيخُ يذهب مع حركاتها ويجيء ، إلى أن غنَّت قوله : [من الكامل]

عوجِـي عـليّ فسلِّمي جَبْرُ

فلمّا بلغتْ : [من الكامل]

حتـى يفـرّق بيننـا النَّفْر

وثبَ الشيخُ إلى نعله فعلَّقها في أُذنه وجثا على ركبتيه وأخذ بطرف أُذنه والنّعل فيها وجعل يقول : أهدوني أنا بَدَنَةٌ ، أهدوني أنا بَدَنَةٌ . ثم أقبل عليهم فقال : كم قيل لكم إنّها تساوي ؟ قالوا : ستّمائة دينار . قال : هي وحقّ القبر خيرٌ من ستّة آلاف دينار ، ووالله لا يملِكها عليّ أحدٌ أبداً ، فانصرِفوا إذا شئتم .

[كان ابن جريج في حلقة يحدِّث فمرّ به ابن تيزن فسأله أن يغنّيه بغناء ابن سريج]

أخبرنا وَسْواسةُ بن الموصليّ ، وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الموصليّ قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : وجدتُ في كتب أبي عن عثمان بن حَفص الثَّقَفيّ عن ابن عمّ لعمارة بن حمزة قال حدَّثني سُلَيْم الحساب عن داود المكّيّ قال : كنّا في حَلْقة ابن جُرَيْج وهو يحدِّثنا وعنده ابنُ المبارَك وجماعةٌ من العراقيّين ، إذ مرَّ به ابن تَيْزن قال حمّاد : ويقال ابن بيرن[1] ، وقد ائتزر بمئْزرة على صدره ، وهي إزْرَةُ الشُّطّار عندنا . فدعاه ابن جُرَيج ؛ فقال له : إنّي مستعجِل ، وقد وعدتُ أصحاباً لي فلا أقدِر أن أحتبس عنهم . فأقْسم عليه حتّى أتاه ، فجلس وقال له : ما تريد ؟ قال : أُحبّ أن تُسمعني . قال : أنا أجيئك إلى المنزل ، فلِمَ تُجْلِسني مَع هؤلاء الثقلاء ! . قال : أسألك أن تفعل ؛ قال : امرأتُه طالقٌ إن غنّاك فوق ثلاثة أصوات . قال : ويحك ؛ ما أعجلَكَ باليمين ؟! قال : أكره أن أحتبس عن أصحابي . فالتفت ابن جريج إلى أصحابه فقال : اعْقِلوا رحمكم الله . ثم قال له : غنِّني الصوتَ الذي أخبرتني أنّ ابنَ سريج غنّاه في اليوم الثالث من أيّام مِنىً على جمرة العَقَبة فقطع الطريقَ على الذاهب والجائي حتى تكسّرت المحاملُ . فغنّاه: [من الكامل]

عوجـي عـليّ فسلِّمي جبرُ

فقال ابن جُرَيج : أحسنتَ والله ؛ ثلاثَ مرّات ، ويحك أعِدْه . قال : أمِن الثلاثة ؟ فإنّي قد حَلفتُ . قال : أعِدْه فأعاده ؛ فقال : أحسنت ؛ أعِده من الثلاثة ؛ فأعاده وقام فمضى . فقال ابن جريج لأصحابه : لعلّكم أنكرتم ما فعلتُ ! قالوا : إنّا لنُنْكِره بالعراق . قال : فما تقولون في الرَّجَز ؟ (يعني الحُداء) قالوا : لا بأس به . قال : فما الفرق بينهما ؟ .

---

1 في ل : تيزن .

[أحسن الناس حلوقاً في الغناء]

وذكر هارون بن محمَّد بن عبد الملك عن أَبي أَيّوب المَدينيّ قال : ثلاثةٌ من المُغنِّين كانوا أَحسنَ الناس حُلُوقاً : ابن تَيْزن ، وابن عائشة ، وابن أَبي الكَنّات .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

سَقاني فرَوَّاني كُمَيْتاً مُدامـةً على ظمأٍ منِّي سَلامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُـه أَهـلَ المدينة واحداً سِواهمْ فلم أُغْبَن ولم أَتَندّمِ

عروضُه من الطويل . والشعر لأَبي سفيان بن حرب . والغناء لسليمان أَخي بابويه الكوفيّ مولى الأَشاعثة[1] ، خفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى .

1 الأشاعثة : منسوبون إلى الأشعث بن قيس الكندي الصحابي .

[97] ـ ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه

[نسبه]

هو صخر بن حرب بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مَناف . وأُمُّ حَرب بن أُميّة بنتُ أبي هَمْهَمةَ بن عبد العُزّى بن عامر بن عميرة بن وديعة بن الحارث بن فهْر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة . وأُمّ أبي سفيان صفيّة بنت حَزْن بن بُجَيْر بن الهُزم[1] بن رُوَيْبة[2] بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صَعْصَعة ، وهي عمّة ميمونة أُمّ المؤمنين وأُمِّ الفضل بنت الحارث بن حَزْن أُمّ بني العبّاس بن عبد المطّلب . وقد مضى ذكرُ أكثر أخبارِ ولد أُميّة والفَرْقُ بين الأعياص والعَنابس منهم وجُمَلٌ من أخبارهم في أوّل هذا الكتاب .

وكان حربُ بن أُميّة قائدَ بني أُميّة ومَن مالأهم في يوم عُكاظ . ويقال : إنّ سبب وفاته أنّ الجنّ قتلته وقتلت مِرْداسَ بن أبي عامر السُّلَميّ لإحراقهما شجرَ القُرَيّة[3] وازدراعِهما إيّاهما . وهذا شيءٌ قد ذكرته العربُ في أشعارها وتواترت الرّوايات بذكره فذكرتُه ، والله أعلم .

[أراد حرب بن أُميّة ومرداس بن أبي عامر ازدراع القرية فخرجت عليهما منها حيّات فماتا]

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العلاء قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مُصْعَب ، وأخبرنا محمَّد بن الحسين بن دُرَيْد عن عمِّه عن العبّاس بن هشام عن أبيه ، وذكره أبو عُبيدة وأبو عمرو الشيبانيّ : أنّ حربَ بن أُميّة لمّا انصرف من حرب عكاظ هو إخوتُه مرَّ بالقُرَيّة ، وهي إذ ذاك غَيضةُ شجرٍ ملتَف لا يُرام . فقال له مرداسُ بن أبي عامر : أما ترى هذا الموضع ؟ قال بلى . قال : نِعْم المُزْدَرَعُ هو ، فهل لك أن نكونَ شريكين فيه ونُحَرِّق هذه الغَيْضةَ ثم نَزْدَرِعه بعد ذلك ؟ قال نعم . فأضرما النّار في الغَيْضة . فلمّا استطارت وعلا لَهبُها سُمِع من الغَيْضة أنينٌ وضجيجٌ كثيرٌ ، ثم ظهرت منها حيّاتٌ بِيضٌ تطير حتى قَطَعتْها وخرجت منها . وقال مرداس بن أبي عامر في ذلك : [من البسيط]

إنّي انتخبتُ لها حربـاً وإخوتَه ... إنّي بحَبْـلٍ وثيقِ العَقْـد دسّاسُ

---

1 في ل : الهرم .

2 في ل : رويثة .

3 القُرَيّة : موضع في ديار بني سليم .

إنّي أُقَـوِّمُ قبل الأمر حُجَّتَه كيما يقالَ ولِيُّ الأمرِ مِرداسُ

قال : فسمِعوا هاتفاً يقول لمّا احترقت الغَيْضةُ : [من مجزوء الرجز]

ويــلٌ لحـربٍ فارسا مُطاعِنـــاً مُخالِسا
ويــل لعمـرو فارساً إذ لبسـوا القَوانِسا[1]
لَنَقْتُلَـــنْ بقتلـــه جَحاجحـــاً عنـابِسا

ولم يلبث حربُ بن أُميّة ومرداسُ بن أبي عامر أن ماتا . فأمّا مرداسٌ فدُفن بالقُرَيّة . ثم ادّعاها بعد ذلك كليبُ بن أبي عَهْمة السُّلَميّ ثم الظَّفَريّ . فقال في ذلك عبّاس بن مرداس : [من الكامل]

أكليبُ مـا لكَ كلَّ يوم ظالماً والظلمُ أنكـدُ وجهُه ملعونُ
قد كان قومُك يحسبونك سيِّداً وإخـال أنّـك سيِّدٌ معيونُ

المعيونُ : الذي أصابته العين ، وقيل : المعيون : الحسن المنظر فيما تراه العينُ ولا عقلَ له .

فإذا رجَعتَ إلى نسائك فادَّهِنْ إن المُسالِـمَ رأسُه مـدهونُ
وافعـل بقومك ما أراد بوائلٍ يومَ الغديـر سميُّك المطعونُ[2]
وإخال أنّك سوف تلقى مثلَها في صَفْحَتَيْك سِنانُهـا المسنونُ
إن القُرَيَّـةَ قـد تبيَّن أمرُهـا إن كان ينفـع عنـدك التَّبيينُ
حيث انطلقتَ تخطُّها لي ظالمـاً وأبـو يزيـدَ بجوِّها مدفونُ

أبو يزيد : مرداس بن أبي عامر .

[منزلته في قريش وفقء عينيه]

وكان أبو سفيان سيِّداً من سادات قريش في الجاهليّة ورأساً من رؤوس الأحزاب على رسول الله ﷺ في حياته وكَهْفاً للمنافقين في أيّامه ، وأسلم يوم الفَتْح . وله في إسلامه أخبارٌ نذكرها هنا . وكان تاجراً يجهِّز التجار بماله وأموالِ قريش إلى أرض العجم . وشهِد مع رسول الله ﷺ مُشاهَدةَ الفتح ، وفُقِئَتْ عينُه يومَ الطائف[3] ، فلم يزل أعْورَ إلى يوم اليَرْموك ، ففُقِئَت عينُه الأخرى يومئذٍ فعَمِي .

1 القوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .
2 يشير إلى تحكّم كليب في الماء .
3 يعني غزوة الطائف وفيها رماه سعيد بن عبيد الثقفي فأصاب عينه .

[مازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أمّ حبيبة]

أخبرنا الطُّوسيّ والحِرْميّ قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عليّ بن صالح عن جدِّي عبد الله بن مصعب عن إسحاق بن يحيى المكيّ عن أبي الهيثم عمّن أخبره : أنّه سمع أبا سفيان يُمازح رسول الله ﷺ في بيت بنته أمّ حبيبة ويقول : والله إنْ هو إلاّ أن تركتُكَ فتركتْك العربُ فما انتطحت جمّاءُ[1] ولا ذاتُ قَرْنٍ ، ورسول الله ﷺ يضحك ويقول : «أنت تقول ذاك يا أبا حَنْظَلة[2] !» .

[سئل وهو مشرك عن زواج بنته برسول الله ﷺ فمدحه]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمّي مصعب : أنّ رسول الله ﷺ تزوّج أمّ حَبِيبة بنت أبي سفيان وأبو سفيان يومئذٍ مُشركٌ يحارب رسولَ الله ﷺ ، وقيل له : إنّ محمّداً قد نكح ابنتَك ؛ فقال : ذلك الفحلُ لا يُقْدَع[3] أنفُه . واسم أمّ حبيبة رملة ، وقيل : هند[4] ، والصحيح رملة .

[أبطأ رسول الله ﷺ بإذنه فعاتبه فأرضاه]

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخزّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن مَسْلَمة بن محارب عن عثمان بن عبد الرحمن بن جَوْشَن قال : أذِن رسولُ الله ﷺ يوماً للناس ، فأبْطأ بإذن أبي سفيان ، فلمّا دخل قال : يا رسولَ الله ، ما أذِنْتَ لي حتى كِدْتَ تأذَنُ للحجارة . فقال له : يا أبا سفيان «كلُّ الصيد في جوف الفَرا» .

حدَّثنا محمَّد بن العبّاس قال حدَّثنا الخليل بن أسد النَّوشَجاني قال حدَّثنا عطاءُ بن مُصْعَب قال حدَّثني سفيان بن عُيَيْنة عن جعفر بن[5] يحيى البرمكيّ قال : أذِن رسول الله ﷺ للناس ، فكان آخِرُ مَن دخل عليه أبا سفيان بن حرب . فقال : يا رسول الله ، لقد أذِنْتَ للناس قبلي حتى ظننتُ أنّ حجارةَ الخَنْدَمةِ[6] لَيؤذن لها قبلي . فقال رسول الله ﷺ : «أما والله إنّك والناسَ لكما قال الأوّلُ : «كلُّ الصيدِ في بطن الفَرَا» . أيّ كلّ شيء لهؤلاء من المنزلة فإن لكَ وحدك مثل مالهم كلّهم .

[خرج إلى الشام في تجارة ، فسأله هرقل عن أحوال النبيّ ﷺ فأجابه وصدقه]

حدَّثني عمر بن إسماعيل بن أبي غَيْلان الثَّقفيّ قال حدَّثنا داود بن عمرو الضَّبيّ قال حدَّثنا

---

1 الجماء : الشاة التي لا قرن لها .

2 حنظلة : ابن كان لأبي سفيان قتله علي بن أبي طالب يوم بدر .

3 يقدع : يضرب .

4 في ل : صفيّة .

5 في ل : عند .

6 الخندمة : جبل بمكّة .

المثنَّى بن زُرْعَة أبو راشد عن محمَّد بن إسحاق قال حدَّثني الزُّهْريّ عن عبد الله بن عبد الله عن عُتْبة عن ابن عبّاس قال حدَّثني أبو سفيان بن حرب قال : كُنّا قوماً تِجاراً ، وكانت الحربُ بيننا وبين رسول الله ﷺ قد حصَرتْنا حتى نَهكتْ[1] أموالَنا . فلمّا كانت الهدنةُ [هدنة الحُدَيْبِيَة] بيننا وبين رسول الله ﷺ ، خرجتُ في نفر من قريش إلى الشام ، وكان وجهُ مَتْجَرنا منه غَزّة ، فقدِمناها حين ظهَر هِرَقْلُ على مَن كان بأرضه من الفرس ، فأخرجهم منها وانتزع منهم صليبَه الأعظمَ وكانوا قد استلبوه إيّاه . فلمّا بَلغه ذلك منهم وبلَغه أنّ صليبَه قد استُنْقِذ منهم ، وكانت حمص منزلَه ، خرج منها يمشي على قدميه شكراً لله حين رَدّ عليه ما ردَّ ليصلّيَ في بيت المقدس تُبسَط له البُسُطُ وتُلْقى عليها الرّياحين . فلمّا انتهى إلى إيليا فقضى فيها صلاتَه وكان معه بطارقتُه وأشرافُ الروم ، أصبح ذاتَ غُدْوة مهموماً يقلِّب طرفَه إلى السماء . فقال له بطارقتُه : والله لكأنّك أصبحتَ الغداةَ مهموماً . فقال : أجل ؛ رأيتُ البارحةَ أن مُلْك الختان ظاهر . فقالوا : أيّها الملك ، ما نعلَم أمّةً تَختتِن إلاّ اليهود ، وهم في سلطانك وتحت يدك ، فابعث إلى كلّ مَن لك عليه سلطانٌ في بلادك فمُره فليضرب أعناقَ مَنْ تحت يدِك منهم من يَهُود واستَرِح من هذا الهمّ . فوالله إنّهم لفي ذلك من رأيهم يدبِّرونه إذ أتاه رسولُ صاحبِ بُصْرَى برجلٍ من العرب يقوده ، وكانت الملوك تتهادى الأخبار بينهم ، فقال : أيّها الملك ، إنّ هذا رجلٌ من العرب من أهلِ الشّاء والإبل يحدِّث عن أمر حدَث فاسأله . فلمّا انتهى به إلى هرقل رسولُ صاحب بُصرى ، قال هرقلُ لَمن جاء به : سَلْه عن هذا الحديث الذي كان ببلده ؛ فسأله : فقال : خرج بين أظْهُرنا رجلٌ يزعمُ أنّه نبيٌّ ، وقد اتّبعه ناسٌ فصدّقوه ، وخالفَه آخَرون ، وقد كانت بينهم مَلاحِمُ في مواطنَ كثيرةٍ ، وتركتُهم على ذلك . فلمّا أخبره الخبرَ قال : جرِّدوه فإذا هو مختونٌ ؛ فقال : هذا والله النبيّ الذي رأيت لا ما تقولون ، أعطوه ثيابه وينْطلق . ثم دعا صاحبَ شُرْطته فقال له : اقلبِ الشامَ ظهراً لبطن حتى تأتيني برجل من قوم هذا الرجل . فإنّا لَبِغَزّةَ إذ هجم علينا صاحبُ شُرْطته فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : انطلِقوا إلى الملك ، فانطلقوا بنا . فلمّا انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجلِ الذي بالحجاز ؟ قلنا نعم . قال : فأيُّكم أمَسُّ به رَحِماً ؛ قال : قلت أنا . قال أبو سفيان : وايمُ الله ما رأيتُ رجلاً أرى أنّه أنكر من ذلك الأغلِف (يعني هِرَقل) ثم قال : أدْنِه ، فأقعدني بين يديه وأقعد أصحابي خلفي ، وقال : إنّي سأسأله ، فإن كذَب فرُدّوا عليه . قال : فوالله لقد علِمتُ أن لو كذَبتُ ما ردّوا عليّ ، ولكنّي كنتُ امرأً سيِّداً أتبرَّم عن الكذب ؛ وعرفت أنّ أيسر ما في ذلك إن أنا كذَبْتُه أن يَحفظوه عليّ ثم يحدِّثوا به

1 في ل : تهتكت .

عنّي ، فلم أكْذِبه قال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم يَدّعي ما يَدّعي . فجعلتُ أُزَهِّد له شأنَه وأُصغِّر له أُمورَه ، وأقول له : أيّها الملك ، ما يهمّك من شأنه ! إنّ أمرَه ما بلغَك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك منّي . ثم قال : أنْبِئْني فيما أسألُك عنه من شأنه . قال : قلت : سَلْ عمّا بدا لك . قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محضٌ ، هو أوْسَطنا[1] نسباً . قال : أخبرني هل كان أحدٌ في أهل بيته يقول ما يقول فهو يتشبّه به ؟ قال : قلت لا . قال : هل كان له فيكمُ مُلك فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث لتَردّوا عليه مُلكَه ؟ قال : قلت لا . قال : أخبِرْني عن أتباعه منكم من هُمْ ؟ قال : قلت : الضعفاءُ والمساكينُ والأحداثُ من الغِلْمان والنساء ، فأمّا ذوو الأسنان من الأشراف من قومه فلم يَتْبعه منهم أحدٌ ؛ قال : فأخبرني عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه ؟ قال : قلت : قلّما يتبعه أحدٌ[2] فيفارقه . قال : فأخبرني كيف الحربُ بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سجالٌ يُدال علينا ونُدال عليه . قال : فأخبرني هل يَغْدِر ؟ فلم أجِد شيئاً سألني عنه أغتمِز فيه غيرَها . قال : قلت : لا ، ونحن منه في مُدّة[3] ولا نأمَن غدرَه . قال : فوالله ما التفت إليها منّي . ثم كرَّر عليّ الحديث فقال : سألتُك عن نسبه فيكم ، فزعمتَ أنّه محضٌ من أوسطكم نسباً ؛ فكذلك يأخذ اللهُ النبيَّ لا يأخذه إلاّ من أوسط قومه نسباً . وسألتُك هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول مثلَ قوله فهو يتشبّه به ، فزعمتَ أن لا . وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فيكم فسلبتموه إيّاه فجاء بهذا الحديث يطلب ملكَه ، فزعمتَ أنْ لا . وسألتُك عن أتباعه ، فزعمتَ أنّهم الضعفاء والأحداث والمساكين والنّساء ، وكذلك أتباعُ الأنبياء في كلّ زمان . وسألتُك عمّن يتبعه أيُحِبّه ويَلْزمه أم يَقْلِيه ويفارقه ، فزعمتَ أنّه لا يتبعه أحدٌ فيفارقه ، فكذلك حلاوةُ الإيمان لا تدخل قلبَ رجل فتخرجُ منه . وسألتُك عن الحرب بينكم وبينه فزعمتَ أنّها سِجالٌ تُدَالون عليه ويُدلّ عليكم ، وكذلك حربُ الأنبياء ، ولهم تكون العاقِبةُ . وسألتُك هل يَغْدِر ، فزعمتَ أن لا . فلئن كنتَ صَدَقتَني عنه فَلَيغْلِبَنَّ على ما تحت قَدَميّ هاتين ، ولَوَدِدْتُ أنّي عنده فأغسِلُ قدميه ؛ إنطلِقْ لشأنك . فقمتُ من عنده وأنا أضرب بإحدى يَديّ على الأُخرى وأقول : يا لعبادِ الله ! لقد أَمِرَ[4] أمْرُ ابن أبي كَبْشة[5] ! أصبحتْ ملوكُ بني الأصفر يَهابُونه في ملكهم وسلطانِهم .

---

1 أي خيرنا وأفضلنا نسباً .

2 في ل : رجل .

3 أي مدّة صلح الحديبية .

4 أمر : عظم .

5 أبو كبشة رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان وعبد الشعرى العبور وسمّى المشركون الرسول ﷺ بابن أبي كبشة .

[كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل وما كان بين هرقل وبطارقته]

قال ابن إسحاق : فقدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ مع دِحْيَةَ[1] بن خليفة الكلبيّ ، فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم . من محمَّد رسول الله ﷺ إلى هِرَقْل عظيم الروم . السلامُ على مَن اتّبع الهُدى . أمّا بعد ، فأَسْلِم تَسْلَم يُؤْتِك الله أجرَك مرَّتين ، وإن تتولّ فإنّ إثمَ الأكابر عليك» .

قال ابن شهاب : فأخبرني أُسْقُفُّ النصارى في زمن عبد الملك زعمَ أنّه أدرك ذلك من أمر رسول الله ﷺ وأمرِ هرقل وعَقَله ، قال : فلمّا قَدِم عليه كتابُ رسول الله ﷺ من قِبَل دِحْيَة بن خليفة ، أخذه هرقلُ فجعله بين فخذيه وخاصِرته ، ثم كتب إلى رجل برُومِيَة[2] كان يقرأ العبرانيّة ما تقرؤونه ، فذكر له أمرَه ووصفَ له شأنه وأخبره بما جاء منه . فكتب إليه صاحبُ رُومِيَة : إنّه النبيّ الذي كنّا ننتظره لا شكّ فيه ، فاتّبعْه وصدِّقه . قال : فأمر هرقلُ ببطارِقة الرّوم فجُمِعُوا له في دَسْكَرَة[3] ملكه ، وأمر بها فأغلِقت[4] عليهم أبوابُها ، ثم اطّلع عليهم من عِلِّيّةٍ وخافهم على نفسه فقال : يا معشر الرّوم ، قد جمعتُكم لخبر[5] ، أتاني كتابُ هذا الرجل يدعو إلى دينه ، فوالله إنّه النبيُّ الذي كنّا ننتظره ، ونجده في كتابنا ، فهلمّ فلنبايعه ولنصدِّقه فتسلم لنا دنيانا وآخِرتُنا . قال : فنخَرَتِ الرّومُ نَخْرَةَ رجلٍ واحد وابتدروا أبوابَ الدَّسْكَرة ليخرجوا فوجدوها قد أُغْلِقَت دونهم . فقال : كُرّوهم عليّ وخافهم على نفسه ؛ فكرُّوهم عليه . فقال : يا معشَر الرّوم ، إنّما قلتُ لكم المقالةَ التي قلتُ لأنظُرَ كيف صلابتكم في دينكم في هذا الأمر الذي قد حدَث ؛ فقد رأيتُ منكم الذي أُسَرُّ به ؛ فَخَرّوا سُجَّداً . وأمر بأبواب الدَّسْكرة ففُتحت لهم فانطلقوا .

[حديثه مع العبّاس حين بلغتهما بعثة النبيّ ﷺ وهما باليمن وحديث الحبر اليهوديّ معهما]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثني أبو بكر الهُذَليّ عن عِكْرِمة عن ابن عبّاس قال قال لي العبّاس : خرجتُ في تِجارة إلى اليمن في رَكْب منهم أبو سفيان بن حرب ، فقدِمتُ اليمن . فكنتُ أصنع يوماً طعاماً وأنصرف بأبي سفيان وبالنَّفَر ، ويصنع أبو سفيان يوماً فيفعل مثل ذلك . فقال لي في يومي الذي كنتُ أصنع فيه : هل لك يا أبا الفضل أن تنصرفَ إلى بيتي وتُرسلَ إلى غدائك ؟ فقلتُ : نعم . فانصرفتُ أنا والنَّفَرُ إلى بيته

1 دحية : صحابي مشهور كان من أجمل الناس وأحسنهم صورة .
2 رومية : أي روما .
3 الدسكرة : بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم .
4 في ل : فأسريت .
5 في ل : لخير .

وأرسلت إلى الغداء . فلمّا تغدّى القومُ قاموا واحتبسني فقال لي : هل علمتَ يا أبا الفضل أن ابنَ أخيك يزعمُ أنّه رسول الله ؟ قلت : وأيُّ بني أخي ؟ قال أبو سفيان : إيّاي تكتُم ؟ وأيُّ بني أخيك ينبغي له أن يقول هذا إلاّ رجلٌ واحد ! قلت : وأيُّهم هو على ذلك ؟ قال : محمَّد بن عبد الله . قلتُ : ما فَعل ؟ قال : بلى قد فعل . ثم أخرج إليّ كتاباً من ابنه حَنْظلة بن أبي سفيان : إنّي أُخبرك أنّ محمّداً قام بالأبطح[1] غُدْوةً فقال : أنا رسول الله أدعوكم إلى الله . قال : قلت : يا أبا حنظلة ، لعلّه صادق . قال : مهلاً يا أبا الفضل ، فوالله ما أُحِبّ أن تقولَ مثلَ هذا ، وإنّي لأخشى أن تكون على بَصَر من هذا الأمر ، وقال الحسن بن عليّ في روايته : على بصيرة من هذا الحديث ثم قال : يا بَني عبد المطّلب ، إنّه والله ما بَرِحتْ قريشٌ تزعمُ أن لكم يُمْنةً وشؤمةً كلّ واحدة منهما عامّةٌ ، فنشدتُك اللهَ يا أبا الفضل هل سمِعتَ ذلك ؟ قلت نعم . قال : فهذه والله إذاً شُؤْمتُكم . قلت : فلعلّها يُمْنتنا . فما كان بعد ذلك إلاّ ليالٍ حتى قدِم عبد الله بن حُذافة السَّهْميّ بالخبر وهو مؤمِنٌ ، ففشا ذلك في مجالس أهل اليمن يُتحدّث به فيها . وكان أبو سفيان يجلس إلى حَبْر من أحبار اليمن ؛ فقال له اليهوديّ : ما هذا الخبر الذي بلغني ؟ قال : هو ما سمعتَ . قال : أين فيكم عَمُّ هذا الرجل الذي قال ما قال ؟ قال أبو سفيان : صَدَقوا وأنا عمّه . قال اليهوديّ : أأخو أبيه ؟ قال نعم . قال : حَدِّثني عنه . قال : لا تسألْني ، فما كنتُ أحسبُ أن يَدّعي هذا الأمر أبداً ، وما أُحِبُّ أن أعيبَه ، وغيرُه خيرٌ منه . قال اليهوديّ : فليس به أذىً ، ولا بأس على يهودَ وتوراة موسى منه . قال العبّاس : فتأدّى إليّ الخبرُ فحَمِيتُ ، وخرجتُ حتى أجلسَ إلى ذلك المجلس من غَدٍ وفيه أبو سفيان والحبرُ . فقلت للحبر : بلَغني أنّك سألتَ ابن عمّي هذا عن رجل منّا يزعمُ أنّه رسول الله ، فأخبرَك أنّه عمُّه ، وليس بعمِّه ولكنّه ابن عمّه ، وأنا عمّه أخو أبيه . فقال : أأخو أبيه ؟ قلتُ : أخو أبيه . فأقبل على أبي سفيان فقال : أصَدَق ؟ قال : نعم صدَق . قال فقلت : سلْني عنه ، فإن كذَبتُ فليردد عليّ . فأقبل عليّ فقال : أنشُدُك الله ، هل فشَتْ لابن أخيك صَبْوة أو سَفْهةٌ ؟ قال قلت : لا وإله عبد المطّلب ولا كذَب ولا خان ، وإن كان اسمُه عند قريش الأمينَ . قال : فهل كتب بيده ؟ قال عبّاس : فظننتُ أنّه خيرٌ له أن يكتب بيده ، فأردتُ أن أقولها ، ثم ذكرتُ مكانَ أبي سفيان وأنّه مُكَذِّبي ورادٌّ عليّ ، فقلت : لا يكتب . فذهب الحبرُ وترك رداءه وجعل يَصيح : ذُبِحتْ يهود ! قُتِلت يهود !

قال العبّاس : فلمّا رجعنا إلى منزلنا قال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، إنّ اليهوديّ لفَزِعٌ من ابن أخيك . قال قلت : قد رأيتَ ما رأيتَ ، فهل لك يا أبا سفيان أن تؤمِن به ، فإن

1 أبطح مكّة : مسيل واديها .

كان حقّاً كنتَ قد سَبَقت ، وإن كان باطلاً فمعك غيرُك من أكفائك ؟ قال : لا والله ما أُومِن به حتى أرى الخيلَ تطلعُ من كَداء (وهو جبل بمكّة) . قال قلت : ما تقول ؟ ! قال : كلمةٌ والله جاءت على فمي ما أُلقيتُ لها بالاً ، إلاّ أنّي أعلم أنّ الله لا يترك خيلاً تطلعُ من كَداء . قال العبّاس : فلمّا فتح رسول الله ﷺ مكّةَ ونظرنا إلى الخيل قد طَلعت من كَداء ، قلتُ : يا أبا سفيان ، أتذكر الكلمةَ ؟ قال لي : واللهِ إنّي لذاكرُها ، فالحمدُ لله الذي هداني للإسلام .

[حديث استئمان العبّاس له وإسلامه في غزاة الفتح]

حدَّثنا محمَّد بن جرير الطَّبَريّ قال حدَّثنا البَغَويّ قال حدَّثنا الغَلابيّ أبو كُرَيْب محمَّد بن العلاء قال حدَّثنا يونس بن بُكَير عن محمَّد بن إسحاق قال حدَّثني الحسين بن عبيد الله بن العبّاس عن عِكرمة عن ابن عبّاس قال : لمّا نزل رسول الله ﷺ مَرّ[1] الظَّهْرانِ (يعني في غَزاة الفتح) قال العبّاس بن عبد المطّلب وقد خرج رسول الله ﷺ من المدينة : يا صَباحَ قريش ! والله لئن بَغَتَها رسولُ الله ﷺ إنّها لهلاكُ قريش آخر الدَّهر . فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وقال : أخْرُج إلى الأراك[2] ، لعلّي أرى حطّاباً أو صاحبَ لَبَن أو داخلاً يدخل مكّةَ فيُخبرهم بمكان رسول الله ﷺ فيَستأمِنونه . فوالله إنّي لأطوفُ في الأراك ألتمس ما خرجتُ له إذ سمِعتُ صوتَ أبي سفيان وحَكيم[3] بن حِزام وبُدَيْل[4] بن وَرْقاء يتجسّسون الخبرَ عن رسول الله ﷺ ؛ فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيتُ كالليلة قطُّ نِيراناً . فقال بُدَيْل بن ورقاء : هذه والله نيرانُ خُزاعة حَمَشَتها[5] الحربُ . فقال أبو سفيان : خزاعةُ ألأَمُ من ذلك وأذَلّ . فعرَفتُ صوتَه فقلت : أبا حنظلَة ! فقال : أبا الفضل ! قلت نعم ؛ فقال : لبَّيْك ، فِداؤك أبي وأُمّي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسولُ الله ﷺ قد دلف[6] إليكم بما لا قِبَل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركب عَجُزَ هذه البغلة فأستأمِنُ لك رسولَ الله ﷺ ، فوالله لئن ظفِر بك ليَضْرِبنّ عنقُك . فرَدِفَني فخرجتُ به أرْكُض بغلةَ رسول الله ﷺ نحو رسول الله ﷺ . فكلّما مررتُ بنار من نِيران المسلمين فنظَروا إليّ قالوا : عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله ﷺ ؛ حتى مَرَرْنا بنار عمر بن الخطّاب

---

1 مرّ الظهران : واد قرب مكّة .

2 الأراك : واد قرب مكّة .

3 هو حكيم بن خويلد ابن أخي خديجة زوج الرسول ﷺ .

4 رجل من خزاعة .

5 حمش الشيء : جمعه وفلاناً هيّجه .

6 دلف : تقدّم .

رضي الله تعالى عنه فقال : أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ؛ ثم اشتدّ نحو النبيّ ﷺ ، وركَضتُ البغلةَ وقد أردفتُ أبا سفيان قال العبّاس : حتى اقتحمتُ على باب القبّة وسبَقتُ عمر بما تَسْبِقُ به الدَّابةُ البطيئةُ الرجلَ البطيء . فدخل عمرُ على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن اللهُ منه بغير عهد ولا عقد ، فدعني أَضْرِبْ عنقَه . قلت : يا رسول الله ، إنّي قد أجَرْتُه . ثم جلستُ إلى رسول الله ﷺ وأخذتُ برأسه وقلت : والله لا يُناجِيه اليومَ أحدٌ دوني . فلمّا أكثر فيه عمرُ قلت : مَهْلاً يا عمر ؛ فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنّه رجل من عبد مَناف ، ولو كان من بني عَدِيّ بن كعب ما قلتَ هذا ؛ قال : مهلاً يا عبّاسُ ؛ فوالله لإسلامُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلام الخطّاب لو أسلَم ؛ وذلك لأنّي أعلم أنّ إسلامَك أحبّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطّاب لو أسلَم . فقال رسول الله ﷺ : «إذهبْ فقد أمَّنّاه حتى تَغْدُوَ به عليّ الغَداةَ» فرجَع به إلى منزله . فلمّا أصبح غدا به رسول الله ﷺ . فلمّا رآه قال : «ويحك يا أبا سفيان ألَم يَأْنِ لك أن تعلم أن لا إله إلاّ الله» ! فقال : بأبي أنتَ وأُمّي ! ما أوْصَلَك وأحلَمَك وأكْرَمَك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيرُه لقد أغنى عنّي شيئاً . فقال : «ويحك تشهّد بشهادة الحقّ قبلَ والله [أن] تُضْرَب عنقُك» . قال : فتشهّد . فقال رسول الله ﷺ للعبّاس من حين تشهّد أبو سفيان : «إنصرفْ يا عبّاس فاحْتَبِسْه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي حتى يمرّ عليه جنود الله» . فقلت : يا رسول الله ، إنّ أبا سفيان رجلٌ يحبُّ الفخر ، فاجعلْ له شيئاً يكون في قومه . فقال : «نعم من دخل دار أبي سفيان فهو آمنٌ ومَن دخل المسجد فهو آمنٌ ومَن أغلَق عليه بابَه فهو آمنٌ» . فخرجتُ به حتى أجلستُه عند خَطْم الجبل بمَضِيق الوادي ، فمرَّت عليه القبائل ، فجعل يقول : مَنْ هؤلاء يا عبّاس ؟ فأقول : سُلَيْمٌ ، فيقول : ما لي ولسُلَيْم ! ثم تمرّ به قبيلة فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : أسْلَم ، فيقول : ما لي ولأسْلَم ! وتمرّ به جُهَيْنة فيقول : مَن هؤلاء ؟ فأقول : جهينة ، فيقول : ما لي ولجهينة ! حتى مرَّ رسول الله ﷺ في الخَضْراء ، كَتِيبَةِ رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار في الحديد لا يُرى منهم إلاّ الحَدَقُ ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلتُ : هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح مُلْك ابنِ أخيك عظيماً . فقلت : ويحك ! إنّها النبوّة ؛ قال : نعم إذاً . فقلتُ : إلْحَقْ الآن بقومك فحذِّرْهم . فخرج سريعاً حتى أتى مكّةَ فصَرخ في المسجد : يا معشَر قريش ، هذا محمّدٌ قد جاءكم بما لا قِبَل لكم به . قالوا : فَمَهْ ! قال : مَنْ دخل داري فهو آمن . فقالوا : ويحك ما تُغْنى عنّا دارُك ؟ قال : ومَن دخل المسجدَ فهو آمن ومَن أغلق عليه بابَه فهو آمن .

[بعض ما أُسند إليه من أخبار تدلّ على عدم إخلاصه]

حدَّثنا محمَّد بن جرير وأحمد بن الجَعْد قالا حدَّثنا محمد بن حُمَيد قال حدَّثنا سلَمةُ بن الفضل عن محمَّد بن إسحاق عن يحيى بن عبّاد عن عبد الله بن الزُّبَير قال : لمّا كان يومُ اليَرْموك خلّفني أبي ، فأخذتُ فرساً له وخرجتُ ، فرأيتُ جماعةً من الخلفاء فيهم أبو سفيان بن حرب فوقفتُ معهم ، فكانت الرّومُ إذا هزَمَتِ المسلمين قال أبو سفيان : إيه بَني الأَصْفَر ، فإذا كشفَهم المسلمون قال أبو سفيان : [من الخفيف]

وبَنُو الأَصفر الكرامُ ملوكُ الرّ ... وم لم يبــقَ منهـمُ مَذْكُـورُ

فلمّا فتح الله على المسلمين حدّثتُ أبي فقال : قاتله الله ؛ يأبَى إلاّ نِفاقاً ؛ أوَلَسْنا خيراً له من بني الأَصفر ؟ ثم كان يأخذ بيدي فيطوف على أصحاب رسول الله ﷺ يقول : حدِّثهم ، فأُحدِّثَهم فيَعْجبون من نفاقه .

حدَّثني أحمد بن الجَعْد قال حدَّثني ابن حميد قال حدَّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كُفَّ بصرُه ، فقال : هلْ غلينا من عَيْن ؟ فقال له عثمانُ : لا . فقال : يا عثمان ، إنّ الأمر أمرُ عالَميّة ، والملكَ ملكُ جاهليّة ، فاجعل أوتاد الأرض بَني أُميّة .

حدَّثني محمَّد بن حَيّان الباهليّ قال حدَّثنا عمر بن عليّ الفَلاّس قال حدَّثنا سهل بن يوسف عن مالك بن مِغْوَل عن أشعث بن أبي الشَّعْثاء عن مَيْسَرة الهَمْدانيّ عن أبي الأبجَر الأكبر قال : جاء أبو سفيان إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال : يا أبا الحسن ، ما بال هذا الأمر في أضعف قريش وأقلّها ! فوالله لئن شئتَ لأملأنّها عليهم خيلاً ورَجْلاً . فقال له عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا أبا سفيان ، طالما عادَيْتَ اللهَ ورسولَه ﷺ والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئاً ، إنّا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال أنشدني ابن عائشة لأبي سفيان بن حرب لمّا ولي أبو بكر قال : [من الطويل]

وأضحت قريش بعـد عـزّ ومَنْعةٍ ... خُضُوعاً لتَيْمٍ لا بضربِ القَواضبِ[1]

فيا لهفَ نفسي للذي ظَفِرتْ به ... ومـا زال منهـا فائزاً بالرّغائبِ

وحدَّثني أحمد بن الجعد قال حدَّثني محمَّد بن حُمَيد قال حدَّثنا جرير عن عمرو بن ثابت عن الحسن قال : لمّا ولي عثمانُ الخلافةَ ، دخل عليه أبو سفيان فقال : يا معشر بني

1 هو تيم بن مرّة بن كعب ، وبه سُمّيتْ القبيلة التي ينتسب إليها أبو بكر الصديق .

أُميّة ، إنّ الخلافةَ صارت في تَيْم وعَدِيّ[1] حتى طمِعَتْ فيها ، وقد صارت إليكم فتلقّفوها بينكم تَلَقُّفَ الكُرَةِ ، فوالله ما من جنّة ولا نار هذا أو نحوه فصاح به عثمان : قُمْ عنّي فعل الله بك وفعل . ولأبي سفيان أخبارٌ من هذا الجنس ونحوه كثيرةٌ يطول ذكرُها ، وفيما ذكرتُ منها مَقْنَع .

[شعره في ابن مشكم حين نزل عليه في غزوة السويق]

والأبياتُ التي فيها الغِناء يقولها في سَلام بن مِشْكَم اليهوديّ ويُكنى أبا غُنْم ، وكان نزل عليه في غزوة السَّويق ، فقَرَاه وأحسنَ ضيافتَه . فقال أبو سفيان فيه : [من الطويل]

سقـــاني فرَوَّاني كُمَيْتاً مُدامـــةً ... على ظمـــأ منّي سَلامُ بن مِشْكَمِ
تخيّرتُه أهـــلَ المدينـــة واحـــداً ... سواهم فلـــم أُغْبَـــن ولم أَتَندَّمِ
فلمّا تقضّى الليلُ قلتُ ولم أكن ... لأُفْرِحَـــه أَبْشِرْ بعُـــرف ومَغْنَمِ
وإنّ أبـــا غُنْـــم يجـــود ودارُه ... بِيَثْرِبَ مأوى كلّ أبيضَ خِضْرَمِ[2]

1 هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، وبه سُمّيتْ القبيلة التي ينتسب إليها عمر بن الخطّاب .

2 الخضرم : الجواد الكثير العطيّة وأصله البحر الكثير الماء .

[98] ـ ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق
ونزول أبي سفيان على سَلام بن مِشْكَم

[خبر غزوة السويق ونزوله على ابن مشكم]

كانت هذه الغَزاةُ بعد وقعة بَدْر . وذلك أَنّ أَبا سفيان نَذَر أَلاّ يَمَسَّ رأسَه ماء من جَنابة ولا يشربَ خمراً حتى يغزو رسولَ الله ﷺ . فخرج في عِدّة من قومه ولم يصنع شيئاً ؛ فعيّرته قريشٌ بذلك وقالوا : إنّما خرجتم تشربون السَّوِيقَ ؛ فسُمِّيت غزوةَ السَّوِيق[1] .

حدَّثنا محمَّد بن جرير ، قرأتُه عليه ، قال حدَّثنا محمَّد بن حُمَيْد قال حدَّثنا سَلَمة بن الفضل عن محمَّد بن إسحاق عن محمَّد بن جعفر بن الزُّبَير ويزيد بن رُومان عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أَعلَم الأَنصار ، قال : كان أَبو سفيان حين رجَع إلى مكّة ورجَع قبل قريش من بَدْر ، نذر أَلاّ يمسَّ ماءً من جنابة حتى يغزوَ محمَّداً ﷺ . فخرج في مائتي راكب من قريش ليُبِرّ يمينه ، فسلَك النَّجديّةَ حتى نزل بصدر قَناةٍ إلى جبل يقال له تيت (من المدينة على بريد أَو نحوه) ثم خرج من الليل حتى أَتى بَني النَّضير تحت الليل ، فأَتى حُيَيّ بن أَخْطَب بيَثْرب فدقّ عليه بابَه فأَبى أَن يفتح له وخافه ؛ وانصرف إلى سَلاَم بن مِشْكم وكان سيّدَ بني النَّضِير في زمانه ذلك وصاحبَ كَنْزهم فاستأذن عليه فأَذِن له ، فقَراه وسقاه ونظر له خبرَ الناس . ثم خرج في عِقب ليلته حتى جاء أَصحابه ؛ فبعث رجالاً من قريش إلى المدينة ، فأَتَوْا ناحيةً منها يقال لها العُرَيْض ، فحرّقوا في أَصْوارٍ[2] من نخل لها ، وأَتوا رجلاً من الأَنصار وحليفاً له في حَرْث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فنذِر[3] بهم الناسُ ؛ فخرج رسول الله ﷺ في طلبهم حتى بلغ قَرْقَرة[4] الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً وقد فاته أَبو سفيان وأَصحابُه ، وقد رأَوْا من مَزاوِد القوم ما قد طرحوه في الحرث يتخفَّفُون منه للنَّجاء . فقال المسلمون حين رجَع بهم رسول الله ﷺ : أَنطمَع أَن تكون غزوةً ، قال «نعم» . وقد كان أَبو سفيان قال وهو يتجهّز خارجاً من مكّة إلى المدينة أَبياتاً من شعر يحرِّض فيها قريشاً فقال : [من مجزوء الرجز]

---

1 السّويق : شراب يُتّخذ من الحنطة والشعير .

2 الصور : الجماعة من النخل .

3 نذر : علم .

4 قرقرة الكدر : موضع على ستّة أميال من خيبر .

كُـرّوا على يَثْرِب وجمعِهِمُ ... فإنّ مـا جمَّعـوا لكم نَفَلُ
إن يكُ يـومُ القَلِيب كان لهم ... فإن مـا بعـده لكـم دَوَلُ
آليتُ لا أقـرَبُ النساءَ ولا ... يَمسّ رأسي وجلديَ الغُسُلُ
حتى تُبيدوا قبائلَ الأَوْسِ والـ ... ـخَزْرَج إن الفـؤادَ مُشْتعِلُ[1]

فأجابه كَعْبُ بن مالك :

يـا لَهْفَ أُمّ المسبِّحِين على ... جيش ابن حرب بالحَرّة الفَشِلِ[2]
أتَطرحون الرجال من سَنَم الظَّهـ ... ـر تَرَقَّـى في قُنّـة الجبلِ
جاءوا بجَمْعٍ لـو قِيس منزلُه ... مـا كان إلاّ كمُعْرَس الدُّئِلِ[3]
عارٍ مـن النصر والثراء ومِنْ ... نَجْدة أهـل البَطْحاء والأَسَلِ

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال أخبرنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدَّثنا سليمان[4] بن سعد عن الواقِديّ : أن غَزْوة السَّوِيق كانت في ذي القعدة من سنة ثِنْتين من الهجرة .

[اشتدّ قيس بن الخطيم على حسّان وهم يشربون عند ابن مشكم فانتصر ابن مشكم لحسّان]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا الحارث بن أبي أُسامة قال حدَّثنا ابن سعد عن الواقِدِيّ عن أبي الزِّناد عن عبد الله بن الحارث قال : شرِب حسّان بن ثابت يوماً مع سَلام بن مِشْكم ، وكان له نديماً ، معهم كعبُ بن أسد وعبد الله بن أُبيّ وقيسُ بن الخَطيم ؛ فأُسرع الشرابُ فيهم وكانوا في مُوادَعةٍ وقد وضعت الحربُ أوزارَها بينهم . فقال قيس بن الخطيم لحسّان : تَعالَ أُشارِبْك ؛ فتشارَبا في إناء عظيم فأبقى حسّانُ من الإناء شيئاً ؛ فقال له قيس : اشرب . فقال حَسّان وعرَف الشرّ في وجهه : أوَخَيْراً من ذلك أجعلُ لك الغَلَبَة . قال : لا ، إلاّ أن تشربه ؛ فأبى حسّان . وقال له سَلاَم بن مِشْكم : يا أبا يزيد ، لا تُكْرِهه على ما لا يَشتَهي ، إنّما دعوتَه لإكرامه ولم تَدْعُه لتَسْتخِفَّ به وتُسيىءَ مجالستَه . فقال له قيس : أفتدعوني أنت على أن تُسيىء مجالستي ؟ فقال له سَلام : ما في هذا سوء مجالسة ، وما حملتُ عليك إلاّ لأنّك منّي وأنّي حليفك ، وليست عليك غضاضةٌ في هذا ، وهذا رجلٌ من الخَزْرَج قد أكرمتُه وأدخلتُه منزلي ؛ فيجب أن تُكرم لي مَن أكرمتُه . ولعمري إن في الصحو لَمّا تَكْتَفُون به من حروبكم ؛

1 تبيدوا في ل : تبيروا .
2 الفَشِل : الضعيف الجبان .
3 المعرس : الموضع الذي يعرس فيه أيّ ينزل القوم . الدئل : دويبة كالثعلب ، وقيل : هي شبيهة بابن عرس .
4 في ل : محمّد .

فافترقوا . وآلى سَلامُ بن مِشْكم على نفسه ألاّ يشرب سنةً ؛ وقد بلغ هذا من نديمه وكان كريماً .

صوت
من المائة المختارة

[من السريع]

مَـنْ مُبلغ عنّي أبـا كاملِ أنّي إذا ما غـاب كالهامِلِ
قـد زادني شوقاً إلى قربه مَعْ ما بدا من رأيه الفاضِلِ

الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لأبي كامل . ولحنُه المختار من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أنّ لأبي كامل فيه أيضاً لحناً من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى .

* * * *

الفهرس

[72] ـ أخبار الصِّمَّة القُشَيْرِيّ ونَسَبُه 5
[73] ـ أخبار داود بن سَلْم ونسبه 11
[74] ـ أخبار دَحْمان ونسبُه 19
[75] ـ أخبار أعشى هَمْدان ونسبُه 27
[76] ـ أخبار أحمد النَّصْبي ونسبه 50
[77] ـ أخبار حمّاد الراوية ونسبه 55
[78] ـ أخبار عَبادل ونسبه 71
79 ـ [الوابصي وأخباره] 86
80 ـ [عود إلى أخبار نصيب] 88
[81] ـ أخبار المرقِّش الأكبر ونسبه 93
[82] ـ المرقِّش الأصغر 99
[83] ـ وقعة دولاب وأخبار الشراة 103
[84] ـ أخبار سياط ونسبه 109
[85] ـ ذكر نُبيه وأخباره 115
[86] ـ أخبار سُلَيْم 117
[87] ـ أخبار ابن عبَّاد 122
[88] ـ أخبار يحيى المكِّيّ ونسبه 124
[89] ـ أخبار النُّميري ونسبه 136
[90] ـ أخبار وضّاح اليمن ونسبه 148
[91] ـ أخبار بشّار وعَبْدة خاصة إذ كانت أخباره سوى هذه تقدّمت 170
[92] ـ أخبار الأحوص مع أُمّ جعفر 179
93 ـ [عاتكة بنت شُهدة] 184
[94] ـ ذكر أبي ذُؤَيب وخبره ونسبه 187
[95] ـ ذكر حَكَم الواديّ وخبره ونسبه 197
[96] ـ ذكر ابن جامع وخبره ونسبه 204
[97] ـ ذكر أبي سفيان وأخباره ونسبه 239
[98] ـ ذكر الخبر عن غزوة السَّوِيق ونزول أبي سفيان على سَلام بن مِشْكَم 250

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين

الأستاذ بكر عبّاس

المجلد السابع

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

7

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

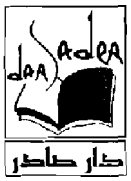

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[99] ـ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه[1]

[نسبه]

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أُميَّة بن عبد شمس بن عبد مَنَاف ، ويُكْنَى أبا العبّاس . وأُمّه أُمّ الحَجَّاج بنت محمد بن يوسف بن الحَكَم بن أبي عَقيل الثَّقَفِيّ ، وهي بنت أخي الحَجَّاج . وفيه يقول أبو نُخَيلة[2] : [من الرجز]

بين أبي العاصي وبين الحَجَّاجْ يا لَكُمَا نُــورَا سَراجٍ وَهَّاجْ

عليه بعــد عَمِّه عُقِد التَّاجْ

وأُمّ يزيدَ بن عبد الملك عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حَربْ بن أُميّة . وأُمّها أُمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر . وأُمّ عبد الله بن عامر أُمّ حَكيم البَيْضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ؛ ولذلك قال الوليد بن يزيد[3] : [من الطويل]

نَبِيُّ الهُدَى خالي ومن يَكُ خالُه نبيَّ الهُدى يَقْهَرْ بــه من يُفاخرُ

[كان شاعراً خليعاً مرميّاً بالزندقة]

وكان الوليد بن يزيد من فِتْيان بني أُميَّة وظرفائهم وشعرائهم وأجوادهم وأَشِدَّائهم ، وكان فاسقاً خليعاً متَّهماً في دينه مرميّاً بالزندقة ؛ وشاع ذلك من أمره وظهر حتى أنكره الناس فقُتل . وله أشعار كثيرة تدلّ على خبثه وكفره . ومن الناس من ينفي ذلك عنه وينكره ، ويقول : إنّه نُحِلَه وأُلْصِقَ إليه . والأغلب الأشهر غير ذلك .

[ولاية العهد بعد هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ وأحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيُّوب القُرَشيّ وجُوَيْرِيةَ بن أسماء وعامر بن الأسود والمِنْهالِ بن عبد الملك وأبي عمرو بن المبارك وسُحَيْم بن حَفْص وغيرهم : أن يزيد بن عبد الملك لما وجّه الجيوشَ إلى يزيد بن المهلَّب

---

1 ترجمة الوليد بن يزيد في المصادر التاريخية التي تتناول فترة الدولة الأموية : تاريخ الطبري (7 : 209–262) ، والكامل لابن الأثير (5 : 287–298) ، والمسعودي (مروج الذهب : 2236–2253) ، والتنبيه والإشراف (325–333) ، ونهاية الأرب (21 : 473–487) . وقد جمع شعره غابريلي ، دار الكتاب الجديد ؛ وأيضاً جمع د . واضح الصمد ، طبعة دار صادر ، بيروت ، ومنه نشير .

2 سيترجم أبو الفرج لأبي نخيلة فيما بعد .

3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 45 .

وعقَد لَمسْلَمةَ بن عبد الملك على الجيش وبعث العبّاسَ بن الوليد بن عبد الملك وعقَد له على أهل دمَشْق ، قال له العباس : يا أمير المؤمنين ، إنّ أهل العراق أهلُ غَدْرٍ وإرْجَافٍ ، وقد وجهتَنا محارِبين والأحداثُ تحدُث ، ولا آمَنُ أن يُرْجِفَ أهلُ العراق ويقولوا : مات أمير المؤمنين ولم يعهَد ، فيَفُتُّ ذلك في أعضاد أهل الشام ؛ فلو عهِدت عهداً لعبد العزيز بن الوليد ! قال : غداً . وبلغ ذلك مَسْلَمَةَ بن عبد الملك ، فأتى يزيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، أيُّما أحبُّ إليك : ولدُ عبد الملك أو ولد الوليد ؟ فقال : بل ولدُ عبد الملك . قال : أفأخوك أحقُّ بالخلافة أم ابنُ أخيك ؟ قال : إذا لم تكن في ولدي فأخي أحقُّ بها من ابن أخي . قال : فابنُكَ لم يَبْلُغ ، فبايعْ لهشام ثم لابنك بعد هشام ، قال : والوليدُ يومئذ ابن إحْدَى عشرةَ سنة ، قال : غداً أبايعُ له . فلما أصبح فعل ذلك وبايعَ لهشام ، وأخذ العهدَ عليه ألاّ يَخلَعَ الوليدَ بعده ولا يغيِّر عهدَه ولا يحتالَ عليه . فلما أدرك الوليدُ نَدِم أبوه ، فكان ينظر إليه ويقول : اللهُ بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك . وتُوفّي يزيد سنةَ خمسٍ ومائةٍ وابنُه الوليد ابنُ خمسَ عشرةَ سنة . قالوا : فلم يزل الوليد مكرَّماً عند هشام رفيعَ المنزلة مدّة ، ثم طمِع في خَلْعه وعقدِ العهدِ بعده لابنه مَسْلَمة بن هشام ، فجعل يذكر الوليدَ بن يزيد وتهتُّكَه وإدمانَه على الشراب ، ويذكر ذلك في مجلسه ويقوم ويقعد به ، وولاّه الحَجَّ ليظهَرَ ذلك منه بالحرمين فيسقُطَ ؛ فحجَّ وظهر منه فعلٌ كثير مذموم ، وتشاغَل بالمغنّين وبالشَّرَاب ، وأمر مولىً له فحجَّ بالناس . فلمّا حجَّ طالبه هشامٌ بأن يخلع نفسَه فأبى ذلك ؛ فحرمه العطاء وحَرم سائرَ مَوَاليه وأسبابَه وجفاه جفاءً شديداً . فخرج مُتبدِّياً[1] وخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبه ، وكان يُرمَى بالزندقة . ودعا هشامٌ الناسَ إلى خلعه والبَيْعةِ لَمسْلمة بن هشام ، وأُمُّه أُمّ حكيم بنت يحيى بن الحَكَم بن أبي العاصي . وكان مَسْلَمةُ يُكْنى أبا شاكر ؛ كُني بذلك لمولًى كان لمروان يُكْنى أبا شاكر ، كان ذا رأيٍ وفضلٍ وكانوا يعظِّمونه ويتبركون به ، فأجابه إلى خَلْع الوليد والبيعة لَمسْلمة بن هشام محمدٌ وإبراهيمُ ابنا هِشام بن إسماعيل المَخْزوميّ والوليدُ وعبد العزيز وخالد بن القَعقاع بن خُوَيْلد العَبْسيّ وغيرُهم من خاصّة هشام . وكتب إلى الوليد : ما تَدَع شيئاً من المنكر إلا أتيتَه وارتكبتَه غيرَ مُتْحاشٍ ولا مستترٍ ، فليت شعري ما دِينُك ؟ أعلى الإسلام أنت أم لا ؟ فكتب إليه الوليد بن يزيد ، ويقال : بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعْلى ونَحَله إيّاه : [من السريع]

1 التبدي : سكنى البادية بعد الحاضرة وقد عدّه النبيّ من الكبائر .

صوت

يـا أَيُّها السائلُ عن دِيننا نحن على ديـن أبي شاكرِ
نشرَبُها صِرْفـاً وممزوجةً بالسُّخْـنِ أحياناً وبالفاتِرِ

غنّاه عمرُ الوادِي رَمَلاً بالبنصر ، فغضب هشام على ابنه مسلمة ، وقال : يعيِّرني بك الوليدُ وأنا أرشِّحك للخلافة ! فالْزَم الأَدبَ ، وأحضُر الصلوات . وولاّه المَوْسَم سنةَ سبع عشرةَ ومائة ، فأظهر النُّسْكَ وقسَم بمكَّة والمدينة أموالاً . فقال رجل من موالي أهل المدينة : [من السريع]

يـا أَيُّها السائلُ عن دِيننا نحن على ديـن أبـي شاكرِ
الواهـب البُـزْلَ بـأَرْسانِها ليس بزنديـــقٍ ولا كافرِ

قال المدائنيّ : وبلغ خالداً القَسْريَّ ما عزمَ عليه هشام ، فقال : أنا بريء من خليفة يُكْنَى أبا شاكر ؛ فبلغتْ هشاماً عنه هذه ، فكان ذلك سببَ إيقاعه به .

[تساب هو والعباس بن الوليد في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيُّ المؤدِّب قال حدّثني أبي عن العباس بن هشام قال : دخل الوليد بن يزيد يوماً مجلسَ هشام بن عبد الملك وقد كان في ذِكْره قبل أن يدخل ، فحمَّقَه من حضَر من بني أُميَّة . فلما جلس قال له العباس بن الوليد وعمر بن الوليد : كيف حبُّك يا وليد للروميّات ، فإنّ أباك كان بهنّ مشغوفاً ؟ قال : إني لأُحِبهنّ ؛ وكيف لا أحبهنّ ولن تزال الواحدة منهن قد جاءت بالهَجين مثلك ، وكانت أُمّ العباس روميّة ، قال : اسكتْ فليس الفحلُ يأتي عَسْبُهُ بمثلي ؛ فقال له الوليد : اسكتْ يا ابنَ البَظْراء ! قال : أتفخَر عليّ بما قُطِع من بَظْر أمك . وأقبل هشام على الوليد فقال له : ما شَرَابُك ؟ قال : شَرَابُك يا أمير المؤمنين ؛ وقام مغضَباً فخرج . فقال هشام : أهذا الذي تزعمون أنّه أحمقُ ! ما هو أحمق ، ولكني لا أظنّه على المِلّة .

[عبثه بوجوه بني أمية في مجلس هشام]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدَائنيّ قال : دخل الوليد بن يزيد مجلسَ هشام بن عبد الملك وفيه سعيد بن هشام بن عبد الملك وأبو الزُّبير مولى مَرْوان وليس هشام حاضراً ؛ فجلس الوليدُ مجلسَ هشامٍ ، ثم أقبل على سعيد بن هشام فقال له : من أنت ؟ وهو به عارف ؛ قال : سعيد ابن أمير المؤمنين ؛ قال : مرحباً بك . ثم نظر إلى أبي الزبير فقال : من أنت ؟ قال : أبو الزبير مولاك أيها الأمير ؛ قال : أَنِسْطَاسٌ أنت ؟ مرحباً بك . ثم قال لإبراهيم بن هشام : مـن أنـت ؟ قال : إبراهيم بن هشام . قال : مَنْ إبراهيم بن هشام ؟ وهو

يعرفه ؛ قال : إبراهيم بن هشام بن إسماعيل . قال : مَنْ إسماعيل ؟ وهو يعرفه ؛ قال : إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المُغِيرة . قال : مَنْ الوليد بن المغيرة ؟ قال : الذي لم يكن جدُّك يُرَى أنه في شيء حتى زوَّجه أبي وهو بعضُ ولدِ ابنته . قال : يا ابن اللَّخْناء ! أتقول هذا ! وائتخذا[1] . وأقبل هشامٌ ؛ فقيل لهما : قد جاء أميرُ المؤمنين ، فجلسا وكفَّا . ودخل هشامٌ ؛ فما كاد الوليد يتنحَّى له عن صدر مجلسه ، إلاّ أنّه زحَل له قليلاً ؛ فجلس هشام وقال له : كيف أنت يا وليد ؟ قال : صالحٌ . قال : ما فعلتْ بَرَابِطُك ؟ قال : مُعْمَلة أو مُسْتعملة . قال : فما فعل ندماؤك ؟ قال : صالحون ، ولعنَهم اللهُ إن كانوا شرّاً ممّن حضَرك ؛ وقام ؛ فقال له هشام : يا ابن اللَّخْناء ! جئوا عنقَه ؛ فلم يفعلوا ودفَعوه رُوَيْداً . فقال الوليد[2] : [من الطويل]

أنا ابنُ أبي العاصي وعثمانُ والدي ... ومروانُ جَـدِّي ذو الفَعَال وعامرُ
أنا ابنُ عظيـم القريتـين وعِزُّها ... ثَقِيـفٌ وفِهْـرٌ والعُصَاةُ الأكابرُ[3]
نَبِيُّ الهُدى خالي ومن يَكُ خالُـه ... نبيَّ الهُـدَى يَقْهَر بـه من يُفاخرُ

[رثاء مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : كان هشام بن عبد الملك يُكْثِر تَنَقُّصَ الوليد بن يزيد ؛ فكان مَسْلمةُ يعاتب هشاماً ويَكُفّه ؛ فمات مَسْلمةُ ؛ فغُمَّ الوليدُ ورثاه فقال[4] : [من المتقارب]

صوت

أتانـا بَرِيـدانِ من واسِطٍ ... يَخُبَّـانِ بـالكُتُب المُعْجَمَهْ
أقولُ ومـا البعدُ إلاّ الرَّدَى ... أَمَسْلَـمُ لا تَبْعَـدَنْ مَسْلَمَهْ
فقد كنتَ نوراً لنا في البلاد ... تُضِيء فقد أصبحتْ مُظْلِمَهْ
كتَمْنا نَعِيَّك نَخْشَى اليقينَ ... فجَلَّى اليقينُ عن الجَمْجَمَهْ
وكم مـن يَتيـم تلافيتَـه ... بأرضِ العـدوّ وكم أيِّمَـهْ
وكنتَ إذا الحربُ دَرَّتْ دَماً ... نصَبْتَ لهـا رايةً مُعْلَمَـهْ

غنَّى في هذه الأبيات التي أوّلها :

---

1 ائتخذا : تصارعا .
2 ديوان الوليد : ص 46 ، رقم 45 .
3 القريتان : مكّة والطائف .
4 ديوان الوليد : ص 78 ، رقم 87 .

أقـول ومـا البعدُ إلاّ الرَّدَى

يونسُ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشاميّ أنّ فيه ثقيلاً أوّلَ يُنسَب إلى أبي كامل وعمر الوادِي . وذكر حَبَش أن ليونُسَ فيه رَمَلاً بالبِنْصَر .

أخبرني الطُّوسيّ والحِرْميّ بن أبي العَلاَء قالا حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني موسى بن زُهير بن مُضَرِّس بن مَنْظُور بن زَبَّان بن سَيَّار عن أبيه قال : رأيت هشام بن عبد الملك وأنا في عسكره يوم تُوفِّي مسلمةُ بن عبد الملك وهشامٌ في شُرطَته ، إذ طلع الوليدُ بن يَزيد على الناس وهو نَشْوَانُ يَجُرُّ مِطْرَفَ خَزٍّ عليه ؛ فوقف على هشام فقال : يا أمير المؤمنين ، إن عُقْبَى من بقِي لحوقٌ من مضَى ؛ وقد أَقْفَر بعد مَسْلمةَ الصيدُ لمن يرى ، واختلَّ الثغرُ فَوَهَى ، وعلى أَثَرِ مَنْ سَلَف يمضي من خَلَف ؛ فتزوّدوا ، فإنّ خير الزاد التَّقْوى . فأعرض عنه هشامٌ ولم يَرُدّ[1] جواباً ؛ ووجَمَ الناسُ فما همَس أحدٌ بشيء . قال : فمضى الوليد وهو يقول[2] : [من الوافر]

أَهيْنَمَةٌ حَديثُ القومِ أم هُمْ سُكُوتٌ بعدَ ما مَتَع النهارُ[3]
عَزيـزٌ كان بَينَهـمُ نبيّـاً فقَولُ القومِ وَحْيٌ لا يُحارُ
كأنّا بعـد مَسْلَمَةَ المُرجَّى شُرُوبٌ طوَّحتْ بهمُ عُقَارُ
أَوُ آلأَفٌ هِجَانٌ في قيـودٍ تَلفَّـتُ كلّما حَنّتْ ظُؤارُ[4]
فليتَك لم تَمُتْ وفَدَاك قومٌ تُرِيح غبيَّهم عنّـا الدِّيَـارُ
سَقيمُ الصَّدْرِ أو شَكِسٌ نَكِيدٌ وآخـرُ لا يَزورُ ولا يُـزَارُ

يَعني بالسَّقِيم الصدر يزيدَ بن الوَليد ، ويعني بالشَّكِس هشاماً ، والذي لا يزور ولا يُزار مروان بن محمد .

[هشام يحاول خلعه من ولاية العهد]

قال الزُّبَير وحدّثني محمد بن الضَّحّاك عن أبيه قال : أراد هشام أن يخلَع الوليد ويجعل العهدَ لولده ؛ فقال الوليد[5] : [من الطويل]

كفرتَ يداً من مُنْعِمٍ لو شكرتَها جَزَاك بها الرحمنُ ذو الفَضْل والمَنِّ

1 ل : يحر .
2 ديوان الوليد : ص 44 ، رقم 43 .
3 الهينمة : الكلام الخفيّ غير المفهوم . ومتع النهار : طال وامتدّ .
4 ظؤار : جمع ظئر وهي الناقة التي تعطف على غير ولدها .
5 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 98 بترتيب مختلف .

رأيتُك تَبْنـي جاهـداً في قَطِيعتي ولو كنتَ ذا حَزْم لهدّمتَ ما تَبْنِي
أراك على الباقـين تَجْنـي ضَغِينةً فيا وَيْحَهم إن مُتَّ من شَرِّ ما تَجْنِي[1]
كأنّي بهـم يومـاً وأكثرُ قولِهم أيا ليتَ أنّا ، حين ، يا ليت ، لا تُغْنِي[2]

[أمر هشام بطرد عبد الصمد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المَدَائنيّ قال : عَتب هشام على الوليد وخاصَّته . فخرج الوليد ومعه قوم من خاصَّته ومواليه فنزل بالأَبْرَق بين أرض بُلْقَيْن وفَزَارة على ماء يقال له الأَغْدَف ، وخلّف بالرصافة كاتبَه عِياضَ بن مُسْلِم مولى عبد الملك ليكاتبه بما يحدُث ، وأخرج معه عبدَ الصمد بن عبد الأعلى . فشربوا يوماً ، فقال له الوليد : يا أبا وَهْب ، قل أبياتاً نُغَنّي فيها ؛ فقال أبياتاً ، وأمَر عمرَ الوادي فغَنَّى فيها وهي : [من المتقارب]

صوت

أَلَمْ تَـرَ للنَّجْـم إذ سَبَّعـا يُبَـادِر في بُـرْجِـه المَرْجِعَا
تحيَّـر عـن قَصْد مَجْراتِـه إلى الغَـوْرِ والتمس المَطْلَعَا
فقلـتُ وأعجبنـي شأنُـه وقـد لاح إذ لاح لي مُطمِعا
لعـلَّ الوليـدَ دنا ملكُـه فأمسى إليـه قـد استجمَعا
وكنّـا نؤمِّـل في مُلْكـه كتأميل ذي الجَدْب أن يُمْرِعا
عَقَدْنا لـه مُحْكَماتِ الأمـو رِ طَوْعـاً وكان لهـا مَوْضِعا

فرُوِي هذا الشعرُ ، وبلغ هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يُجْرِي عليه وعلى أصحابه وحرَمهم ؛ وكتب إلى الوليد : قد بلَغني أنك اتّخذتَ عبدَ الصمد خِدْناً ومحدِّثاً ونديماً ؛ وقد حقَّق ذلك ما بلغني عنك ، ولن أُبرّئكَ من سوء ؛ فأخْرِج عبدَ الصمد مذموماً . قال : فأخرجه الوليدُ وقال[3] : [من الوافر]

لقد قذَفوا أبا وَهْبٍ بأمرٍ كبيرٍ بل يزيد على الكبيرِ
وأشهَدُ أنهم كذَبـوا عليه شهادةَ عالـمٍ بهـمُ خبيرِ

فكتب الوليد إلى هشام بأنه قد أخرج عبد الصمد ، واعتذر إليه من منادمته ، وسأله أن

1 الشطر الأول في الديوان : تثير على الباقين مجنى ضغينة .
2 الشطر الثاني في الديوان : ألا ليتنا والليت إذ ذاك لا يغني .
3 ديوان الوليد : ص 47 ، رقم 46 .

يأذَن لابن سُهَيْل في الخروج إليه ، وكان من خاصّة الوليد ، فضرب هشامٌ ابنَ سهيل ونفاه وسيَّره . وكان ابنُ سهيلٍ من أهل النَّباهةِ ، وقد وَلِي الولاياتِ ، ولي دمَشْقَ مراراً وولِي غيرَها ، وأخذ عِيَاضَ بن مُسْلِم كاتبَ الوليد فضربه ضرباً مبرِّحاً وألبسه المُسُوحَ وقيَّده وحبسه ، فغَمّ ذلك الوليدَ فقال : من يثق بالناس ؟ ومن يصنع المعروف ؟ هذا الأحول المشؤوم قدّمه أبي على ولده وأهل بيته وولاّه وهو يصنَع بي ما تَرَوْن ، ولا يعلم أنّ لي في أحدٍ هَوًى إلاّ أضَرّ به ؛ كتب إليّ بأن أخْرِجَ عبدَ الصمد فأخرجتُه ، وكتبتُ إليه في أن يأذَن لابن سُهَيل في الخروج إليّ فضرَبه وطَرده وقد علم رأيي فيه ؛ وعرَف مكانَ عِياضٍ منّي وانقطاعَه إليّ فضربَه وحبَسه ، يُضارُّني بذلك ؛ اللهمّ أجِرْني منه . ثم قال الوليد[1] : [من البسيط]

صوت

أنا النَّذِيـرُ لمُسْدِي نعمـةٍ أبداً ... إلى المَقارِيـفِ لَمّا يَخْبُرِ الدَّخَلاَ[2]

إن أنتَ أكرمتَهـم ألفيتَهم بَطِروا ... وإن أهنتَهمُ ألفيتهـم ذُلُـلا

أتشمَخُون ومنّـا رأسُ نعمتكـم ... ستعلَمـون إذا أبصرتُـمُ الدُّوَلا

انْظُـرْ فإن أنت لم تقـدِر على مَثَلٍ ... لهم سِوَى الكلبِ فاضربْه لهم مَثَلا

بَيْنَـا يسمِّنـه للصيـد صاحبُه ... حتى إذا ما استوى من بعد ما هُزِلا

عـدا عليـه فلـم تَضْرُره عَدْوتُه ... ولو أطـاق لـه أكلاً لقد أكلا

غنّاه مالكٌ خفيفَ ثقيلٍ من رواية الهشاميّ :

[فخره على هشام]

قال : وقال الوليدُ أيضاً يفتخر على هشام[3] : [من البسيط]

صوت

أنا الوليدُ أبو العباس قـد علِمتْ ... عُلْيـا مَعَـدٍّ مَدَى كَرِّي وإقْدامي

إني لَفـي الذِّروةِ العُليا إذا انتسبوا ... مُقَابَـلٌ بـين أخـوالي وأعمامي

بَنى لِيَ المجدَ بانٍ لم يكن وكِلاً ... على مَنـارٍ مُضِيئـاتٍ وأعـلامِ

حللتُ من جوهر الأعْياص قد علِموا ... في باذخ مشمخرٍّ العـزّ قَمْقامِ

---

1 ديوان الوليد : ص 66 ، رقم 70 .

2 المقاريف : الأنذال . لما في الديوان : ما لم .

3 ديوان الوليد : ص 81 ، رقم 92 عن الأغاني .

صَعْبِ المَرام يُسامي النَّجمَ مطلعُه يسمو إلى فرع طودٍ شامخ سامي

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ ثقيلٍ بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

وأخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حرب قال حدّثني مصعَب الزُّبَيريّ قال : بعث الوليد بن يزيد إلى هشام بن عبد الملك راويتَه فأنشده قوله : [من البسيط]

أنا الوليد أبو العباس قد علِمتْ عُليا مَعَدّ مَدَى كَرّي وإقدامي

فقال هشام : والله ما علِمتْ له مَعَدٌّ كرّاً ولا إقداماً ، إلاّ أنّه شرِب مرّة مع عمّه بَكّار بن عبد الملك فعَرْبَد عليه وعلى جواريه ؛ فإن كان يَعْني ذلك بكرّه وإقدامه فعسى .

[عابه هشام والزهري فحقد عليهما]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حُدِّثت أنّ أبا الزِّنَاد قال : دخلتُ على هشام بن عبد الملك وعنده الزُّهْرِيّ وهما يَعيبانِ الوليدَ ، فأعرضتُ ولم أدخل في شيء من ذكره . فلم أَلبَثْ أن استُؤْذن للوليد فأُذِن له ، فدخل وهو مُغْضَبٌ فجلس قليلاً ثم نهض . فلما مات هشام وولِي الوليدُ كتب إلى المدينة فحُمِلتُ فدخلتُ عليه ؛ فقال : أتذكر قولَ الأحول والزهريّ ؟ قلتُ : نعم ، وما عَرَضتُ في شيء من أمرك ؛ قال : صدقتَ ؛ أتدري من أبلغني ذلك ؟ قلت لا ؛ قال : الخادم الواقف على رأسه ، وايم اللهِ لو بَقِي الفاسقُ الزهريّ لقتلتُه . ثم قال : ذهب هشام بعمري ؛ فقلت : بل يُبْقيك اللهُ يا أمير المؤمنين ، وقام وصلّى العصر . ثم جلس يتحدّث إلى المغرب ثم صلّى المغرب ودعا بالعشاء فتعشّيت معه ثم جلس يتحدّث حتى صلّى العَتَمةَ ، ثم تحدّثْنا قليلاً ثم قال : اسقِيني فأتيته بإناء مغطًّى ، وجاء جَوَار فقُمْنَ بيني وبينه فشرب وانصرفن ؛ ومكث قليلاً ثم قال : اسقِيني ففعلن مثلَ ذلك . وما زال والله ذلك دأبَه حتى طلع الفجرُ ، فأحصيتُ له سبعين قدحاً .

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاَء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مصعَب عن أبي الزِّناد قال : أجمع الزُّهْريُّ على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فمات الزهريّ قبل ذلك .

قال المدائنيّ : وبلغ الوليدَ أنّ العباس بن الوليد وغيرَه من بني مروان يَعيبونه بالشَّراب ؛ فلعنهم وقال : إنّهم ليَعيبون عليّ ما لو كانت لهم فيه لذّةٌ ما تركوه ، وقال هذا الشعر ، وأمر عمرَ الوادي أن يغنّي فيه ، وهو من جيّد شعره ومُختاره . وفيه غناء قديم ذكره يونس لعمر الوادي غيرَ مجنَّسٍ : [من الكامل]

صوتٌ

ولقد قضيتُ وإن تَجَلَّل لِمّتي ... شيب على رغم العِدَا ، لذَّاتي[1]
مـن كاعباتٍ كالدُّمَى ومَناصِفٍ ... ومراكـبٍ للصيد والنَّشَواتِ[2]
في فِتيةٍ تأبـى الهـوانَ وجوهُهم ... شُمٌّ الأنوف جحاجح ساداتِ
إن يَطلبوا بِتراتِهم يُعْطَوْا بهـا ... أو يُطلَبـوا لا يُدْرَكـوا بتراتِ

[بينه وبين هشام]

حدّثني[3] المِنْهال بن عبد الملك قال : كتب الوليد إلى هشام : «قد بلغني ما أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنّي ومَحْو من محا من أصحابي ، وأنّه حَرَمني وأهلي . ولم أكن أخاف أن يبتلي اللهُ أمير المؤمنين بذلك فيّ ولا ينالني مثلُه منه ، ولم يبلغ استصحابي لابن سُهيل ومسألتي في أمره أن يَجْري عليّ ما جرى . وإن كان ابن سهيل على ما ذكره أمير المؤمنين ، فبحَسْب العَيْر أن يقرُب من الذئب . وعلى ذلك فقد عقد الله لي من العهد وكتب لي من العمر وسبّب لي من الرزق ما لا يقدِر أحد دونه تبارك وتعالى على قطعه عنّي دون مدّته ولا صَرْفِه عن مواقعه المحتومة له . فقدَرُ الله يجري على ما قدّره فيما أحبّ الناسُ وكرِهوا ، لا تعجيلَ لآجلِه ولا تأخير لعاجله ؛ والناسُ بعد ذلك يحتسبون الأوزار ويقترفون الآثام على أنفسهم من الله بما يَستوجبون العقوبة عليه . وأمير المؤمنين أحقُّ بالنظر في ذلك والحفظِ له . والله يوفِّق أميرَ المؤمنين لطاعته ، ويُحسن القضاءَ له في الأمور بقدرته . وكتب إليه الوليد في آخر كتابه[4] : [من الطويل]

أليس عظيماً أن أرى كلَّ واردٍ ... حِياضَك يوماً صادراً بالنّوافلِ
فأرْجِعَ محمودَ الرَّجاء مصرَّداً ... بتحلِئةٍ عـن وِرْد تلك المناهلِ
فأصبحتُ مما كنتُ آمُلُ منكُم ... وليس بلاقٍ مـا رجا كلُّ آملِ
كمُقْتَبِضٍ يوماً على عُرْض هَبْوةٍ ... يَشُدُّ عليهـا كفَّه بالأناملِ[5]

فكتب إليه هشام : «قد فهم أمير المؤمنين ما كتبتَ به من قطْع ما قطع وغير ذلك . وأميرُ المؤمنين يستغفر اللهَ من إجرائه ما كان يُجري عليك ، ولا يتخوّف على نفسه اقترافَ

1 ديوان الوليد : ص 24 ، رقم 14 .
2 الديوان : ونواصف (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 قارن نصّ الكتابين بما جاء في الطبريّ .
4 ديوان الوليد : ص 69 ، رقم 73 عن الأغاني .
5 الهبوة : الغبرة .

المآثم في الذي أحدث مِنْ قطع ما قطع ومحو مَنْ محا مِنْ صحابتِك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإنّ أمير المؤمنين يعلم مواضعَك التي كنتَ تصرِف إليها ما يُجْريه عليك . وأما الآخرُ فإثبات صحابتك وأرزاقُهم دارَّةٌ عليهم لا ينالهم ما نال المسلمين عند قطع البُعوثِ عليهم وهم معك تَجولُ بهم في سَفَهك . وأميرُ المؤمنين يرجو أن يكفِّر اللهُ عنه ما سلَف من إعطائه إيّاك باستئنافه قَطْعَه عنك . وأما ابنُ سُهَيل ، فلعمري لئن كان نزل منك بحيث يسوءك ما جرى عليه لما جعله الله لذلك أهلاً . وهل زاد ابنُ سُهَيل ، لله أبوك ، على أن كان زَفَّاناً[1] مغنّياً قد بلغ في السَّفَه غايته ! وليس مع ذلك ابنُ سهيل بشَرٌّ ممّن كنتَ تستصحبُه في الأمور التي ينزّه أميرُ المؤمنين نفسَه عنها مما كنتَ لعَمْري أهلاً للتوبيخ فيه . وأما ما ذكرتَ ممّا سبَّبه الله لك ، فإن الله قد ابتدأ أميرَ المؤمنين بذلك واصطفاه له ، والله بالغ أمره . ولقد أصبح أمير المؤمنين وهو على يقين من رأيه إلاّ أنه لا يملِك لنفسه مما أعطاه الله من كرامته ضُرّاً ولا نفعاً ، وإنّ الله وَليّ ذلك منه وإنه لا بدّ له من مفارقته ، وإنّ الله أرأفُ بعباده وأرحمُ من أن يولّي أمْرَهم غيرَ من يَرْتضِيه لهم منهم . وإنّ أمير المؤمنين مع حسن ظنّه بربّه لعلى أحسنِ الرجاء لأن يولّيه بسبب ذلك لمن هو أهله في الرِّضا به لهم ؛ فإنّ بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يبلغَه ذكرُه أو يوازيَه شكره إلاّ بعونٍ منه . ولئن كان قد قَدّر الله لأمير المؤمنين وفاةَ تعجيلٍ ، فإن في الذي هو مُفْضٍ وصائرٌ إليه من كرامة الله لَخَلَفاً من الدنيا . ولعمري إن كتابك لأمير المؤمنين بما كتبتَ به لغيرُ مُسْتنكَرٍ من سَفَهك وحُمْقك ، فأبْقِ على نفسك وقصِّر من غُلَوائها وارْبَعْ على ظَلْعِك[2] ؛ فإنّ لله سَطَواتٍ وغِيَراً يصيبُ بها من يشاء من عباده . وأميرُ المؤمنين يسأل اللهَ العصمةَ والتوفيقَ لأحبِّ الأمور إليه وأرضاها له . وكتب في أسفل الكتاب : [من الطويل]

إذا أنتَ سامحتَ الهوى قادك الهوى إلى بعض مـا فيـه عليـك مقالُ

والسلام» .

[تبشيره بالخلافة بعد موت هشام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز ؛ وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائني عن جُوَيريةَ بن أسماء عن المِنْهال بن عبد الملك عن إسحاق بن أيّوب كلّهم عن أبي الزُّبَير المنذِر بن عمرو ، قال : وكان كاتباً للوليد بن يزيد ، قال : أرسل إليّ الوليدُ صَبيحةَ اليوم الذي أتته فيه الخلافةُ فأتيتُه ؛ فقال لي : يا أبا الزُّبَير ، ما

1 الزفان : الراقص .

2 المثل اربع على ظلعك ويروى «ارق على ظلعك»في مجمع الميداني 1 : 293 ، وفصل المقال : 456 ومستقصى الزمخشري 1 : 142 .

أتت عليّ ليلةٌ أطولُ من هذه الليلة ، عَرَضتْني أمورٌ وحدّثتُ نفسي فيها بأمور ، وهذا الرجل قد أُولِع بي ، فاركبْ بنا نتنفَّس . فركِب وسرتُ معه ، فسار ميلين ووقف على تَلّ فجعل يشكو هشاماً ، إذ نظر إلى رَهْج[1] قد أقبل ، قال عمر بن شَبّة في حديثه ، وسمع قَعْقعةَ البَريد ، فتعوّذ بالله من شرّ هشام ، وقال : إن هذا البريد قد أقبل بموتٍ وحيٍّ[2] أو بمُلك عاجل . فقلتُ : لا يسوءك اللهُ أيها الأمير بل يسرُّك ويُقيك ، إذ بدا رجلانِ على البريد يُقبِلان ، أحدُهما مولًى لآل أبي سفيان بن حَرْب ؛ فلما قربا رأيا الوليدَ فنزلا يَعْدُوان حتى دَنوَا فسلَّما عليه بالخلافة فوجَم ، وجعلا يكرران عليه التسليمَ بالخلافة ؛ فقال : وَيْحكم ! ما الخبر ؟ أمات هشام ؟ قالا نعم ؛ قال : فمرحباً بكما ! ما معكما ؟ قالا : كتاب مولاك سالم بن عبد الرحمن ؛ فقرأ الكتابَ وانصرفنا . وسأل عن عِيَاض بن مُسْلِم كاتِبه الذي كان هشام ضربه وحبسه ، فقالا : يا أمير المؤمنين ، لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمرُ الله ، فلمّا صار إلى حالٍ لا تُرْجَى الحياةُ لمثله معها ، أرسل عياضٌ إلى الخُزّان : احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلَنّ أحدٌ إلى شيء . وأفاق هشام إفاقةً فطلب شيئاً فمُنِعَه ، فقال : أرانا كنّا خُزّاناً للوليد ؛ وقضى من ساعته . فخرج عياضٌ من السجن ساعةَ قَضَى هشامٌ ، فختم الأبوابَ والخزائن ؛ وأمر بهشام فأُنزل عن فراشه ومنعهم أن يكفّنوه من الخزائن ، فكفّنه غالبٌ مولى هشام ، ولم يجدوا قُمْقُماً[3] حتى استعاروه . وأمر الوليدُ بأخذ ابني هشام بن إسماعيل المخزوميّ ، فأُخذا بعد أن عاذ إبراهيم بن هشام بقبر يزيد بن عبد الملك ؛ فقال الوليد : ما أُراه إلاّ قد نجا ؛ فقال له يحيى بن عُرْوة بن الزُّبَير وأخوه عبد الله : إن الله لم يجعل قبر أبيك مَعَاذاً للظالمين ، فخُذْه بردِّ ما في يده من مال الله ؛ فقال : صدقتَ ، وأخذهما فبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وكتب إليه أن يَبْسُط عليهما العذابَ حتى يَتْلَفا ففعل ذلك بهما وماتا جميعاً في العذاب بعد أن أُقيم إبراهيم بن هشام للناس حتى اقتضَوْا منه المظالمَ .

وقال عمر بن شَبّة في خبره : إنّه لمّا نعي له هشام قال : والله لأتلقّينَ هذه النعمةَ بسَكْرة قبل الظهر ؛ ثم أنشأ يقول[4] : [من الخفيف]

طاب يومي ولذَّ شربُ السُّلاَفه إذ أتاني نَعِيُّ من بالرُّصَافَـــهْ

---

1 رهج : غبار .

2 الوحي : السريع .

3 القمقم : وعاء من نحاس يسخن فيه الماء .

4 ديوان الوليد : ص 58 ، رقم 61 .

وأتانـــا البريدُ ينعَـــى هشامـــاً وأتانـــا بخاتَـــم للخلافـــهْ
فاصطبحنا من خمر عانَةَ صِرْفاً وَلَهَوْنـــا بقَيْنـــةٍ عَزّافـــــهْ

ثم حلَف ألاّ يبرحَ موضعَه حتى يُغنَّى في هذا الشعر ويشربَ عليه ؛ فغُنِّي له فيه وشرب وسكر ، ثم دخل فبويع له بالخلافة .

قال : وسَمِع صياحاً ، فسأل عنه ، فقيل له : هذا من دار هشام يبكيه بناتُه ؛ فقال[1] : [من المجتث]

إني سمعـــتُ بليـــلٍ وَرَا المُصلَّى برَنَّـــهْ[2]
إذا بنـــاتُ هشامٍ يندُبْـــنَ والدَهْنَـــهْ
يندُبْنَ قَرْمـاً جَليلاً قـد كان يَعْضُدُهُنّهْ[3]
أنـا المخنَّث حقّاً إن لم أَنِيكَنَّهُنَّـــهْ

وقال المدائنيّ في خبر أحمد بن الحارث : وشرِب الوليد يوماً ، فلمّا طابت نفسُه تذكّر هشاماً ، فقال لعمر الوادي غنِّني :

إنّي سمعـــتُ بليـــلٍ وَرَا المصلَّـــى برَنّـــهْ

فغنّاه فيه ، فشرب عليه ثلاثةَ أرطال ، ثم قال : والله لئن سمعه منك أحد أبداً لأقتلنّك . قال : فما سُمع منه بعدها ولا عُرف .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

طاب يومي ولَـذَّ شُرْبُ السُّلاَفه إذ أتانا نَعِـيٌّ مـن في الرُّصافَـــهْ

غنّاه عمرُ الوادي خفيفَ رَمَلٍ بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو غَسّان قال قال حَكَم الوادي كنّا عند الوليد بن يزيد وهو يشرب ، إذ جاءنا خَصِيٌّ فشَقَّ جيبَه وعزّاه عن عمّه هشام وهنّأه بالخلافة وفي يده قضيب وخاتَم وطُومار[4] ؛ فأمسكنا ساعةً ونظرنا إليه بعين الخلافة ؛ فقال : غنُّوني ، غنّياني : قد طاب شربُ السلافه . . . البيتين ؛ فلم نزل نغنّيه بهما الليلَ كلّه .

---

1 ديوان الوليد : ص 84 ، رقم 96 .
2 صدر البيت الأول في الديوان : إنّي سمعت خليلي (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 صدر البيت في الديوان : يندبن شيخاً كبيراً (طبعة دار الكتاب الجديد) .
4 طومار : صحيفة .

[سؤال الرشيد عنه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلت على الرشيد أمير المؤمنين فسألني عن الوليد بن يزيد فذهبتُ أتزحزح ، فقال : إنّ أمير المؤمنين لا يُنكر ما تقول فقُلْ ؛ قلت : كان من أصبح الناس وأظرف الناس وأشعر الناس . فقال : أتَرْوي من شعره شيئاً ؟ قلتُ : نعم ، دخلت عليه مع عُمومتي وفي يده قَضيب ولي جُمّةٌ فَيْنانة فجعل يُدخل القضيبَ في جُمّتي وجعل يقول : يا غلام ، ولدتْك سُكّر (وهي أُمّ ولد كانت لمروان بن الحكم فزوّجها أبا حفصة) قال : فسمعته يومئذ يُنشد[1] : [من السريع]

ليتَ هشاماً عاش حتى يرى ... مكيالَه الأوفرَ قـد أُتْرِعا[2]
كِلْنا له الصاعَ التي كالَها ... فما ظلمناه بهـا أصْوُعا
لم نأتِ ما نأتيه عن بدعـة ... أحلّه القرآن لي أجمعا[3]

قال : فأمر الرشيد بكتابتها فكتبت .

وللوليد أشعار جِيادٌ فوق هذا الشعر الذي اختاره مروان . فمنها ، وهو ما برّز فيه وجوده وتبِعه الناس جميعاً فيه وأخذوه منه ، قوله في صفة الخمر ، أنشدنيه الحسن بن علي قال أنشدني الحسين بن فَهْم قال أنشدني عمر بن شَبّة قال أنشدني أبو غَسّان محمد بن يحيى وغيره للوليد . قال : وكان أبو غَسّان يكاد يرقص إذا أُنْشدها[4] : [من المنسرح]

إصدَعْ نجـيَّ الهموم بالطربِ ... وانعَـمْ على الدهر بابنة العنبِ
واستقبلِ العيشَ في غَضارته ... لا تَقْفُ منـه آثـارَ معتقِبِ
مـن قهـوةٍ زانهـا تقادُمها ... فهـي عجوز تعلو على الحِقبِ
أشهى إلى الشَّرْب يوم جَلْوتها ... مـن الفتاة الكريمـة النّسبِ
فقـد تجلّـت ورَقَّ جوهرها ... حتـى تبدّت في منظَر عجَبِ
فهـي بغيرِ المِـزاج من شَرَر ... وهي لدى المزج سائلُ الذهبِ

1 ديوان الوليد : ص 53 ، رقم 54 .
2 مكياله في الديوان : محلبه .
3 لم نأتِ ما نأتيه في الديوان : وما أتينا ذاك .
4 ديوان الوليد : ص 18 ، رقم 7 .

كأنّهـا في زجاجهـا قَبَسٌ تذكو ضياءً في عين مرتقِبِ
في فتيـةٍ مـن بني أميّة أهـ ـلِ المجدِ والمأثُرات والحسبِ
ما في الورى مثلُهم ولا فيهم مثـلي ولا مُنْتَمٍ لمثـل أبـي

قال المدائني في خبره : وقال الوليد حين أتاه نَعْي هشام[1] : [من الخفيف]

طـال ليلي فبتُّ أُسقَى المداما إذ أتـاني البريد ينعَى هشاما
وأتـاني بحُلّـة وقضيـب وأتـاني بخاتـم ثـم قاما
فجعلتُ الوليّ من بعد فقدي يفضُـل الناسَ ناشئـاً وغلاما
ذلك ابنـي وذاك قَرْم قريشٍ خيرُ قَـرْمٍ وخيرُهـم أعماما

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني عن جرير قال قال لي عمر الوادي : كنت يوماً أغنّي الوليدَ إذ ذَكر هشاماً ؛ فقال لي : غنّني بهذه الأبيات ؛ قلت : وما هي يا أمير المؤمنين ؟ فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

هلَك الأحـول المَشُو مُ فقـد أُرسل المطرْ
ثُمّتَ استُخْلِف الوليـ ـد فقد أَوْرق الشجرْ

[أخذ الشعراء معانيه]

وللوليد في ذكر الخمر وصفتها أشعار كثيرة قد أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم ، سلَخوا معانيها ، وأبو نواس خاصّة فإنّه سلخ معانيه كلَّها وجعلها في شعره فكرّرها في عدّة مواضع منه . ولولا كراهةُ التطويل لذكرتُها ها هنا ، على أنّها تنبيء عن نفسها .

وله أبيات أنشدنيها الحسن بن عليّ قال أنشدني الحسين بن فهم قال أنشدني عمر بن شَبَّة قال أنشدني أبو غَسّان وغيرُه للوليد ، وكان أبو غسّان يكاد أن يرقص إذا أُنشدها : [من المنسرح]

إصْدَعْ نجيَّ الهموم بالطرب وانعَمْ على الدهر بابنة العنبِ

الأبيات التي مضت متقدّماً . وهذا من بديع الكلام ونادره ؛ وقد جوّد فيه منذ ابتدأ إلى أن ختم . وقد نقلها أبو نواس والحسين بن الضحاك في أشعارهما .

ومن جيّد معانيه قوله : [من الطويل]

---

1 ديوان الوليد : ص 77 ، رقم 85 .

2 ديوان الوليد : ص 40 ، رقم 36 .

رأيتُك تَبنـــي جاهــداً في قطيعتي ولو كنتَ ذا حزم لهدَّمتَ ما تبني

وقد مضت في أخباره مع هشام .

وأنشدني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فهم قال أنشدني عمرو بن أبي عمر وللوليد بن يزيد وكان يستجيده فقال : [من الطويل]

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرّ لم تَجِدْ نصيحاً ولا ذا حاجَةٍ حين تفزَعُ

وكانوا إذا هَمُّوا بإحدى هَنَاتِهم حسَرتُ لهـم رأسي فلا أتقنّعُ

ومن نادر شعره قوله لهشام[1] : [من الوافر]

فإن تـــك قـد مَلِلتَ القربَ منّي فسوف تَـرى مُجانبتي وبعدي

وسوف تَلـوم نفسَك إن بقِينا وتبلـو الناسَ والأحـوالَ بعدي

فتنـــدَمُ في الذي فرّطـتَ فيـه إذا قايستَ في ذمّـــي وحمدي

أخبرني الحسين بن يحيى قال حدّثنا ابن مَهْرويه وعبد الله بن عمرو بن أبي سعد قالا حدّثنا عبد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا محمد بن عائذ قال حدّثني الهَيْثم بن عمران قال سمعتُه يقول : لما بويع الوليد سمعته على المنبر يقول بدمشق : [من الطويل]

ضمِنتُ لكم إن لم تَرُعْنِي منيَّتي بـأنّ سمـاء الضرّ عنكـم ستُقلِعُ

[رسالة إلى أهل المدينة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال : لمّا ولي الوليد بن يزيد كتب إلى أهل المدينة والشعر له[2] : [من الطويل]

مُحَرَّمُكُم ديوانُكم وعطاؤكـــم بـه يكتب الكتّاب والكُتْب تُطبَعُ

ضمِنتُ لكم إن لم تصابوا بمهجتي بأنّ سمـاء الضـرّ عنكم ستُقلِعُ[3]

وأوّل هذه الأبيات : [من الطويل]

ألاَ أيّها الركـب المُخِبّون أبلِغوا سلامـيَ سُكّانَ البـلاد فأسمِعوا

وقولـوا أتاكم أشبهُ الناس سنّةً بوالـده فاستبشِروا وتوقّعـوا

---

1 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 30 .

2 ديوان الوليد : ص 54–55 ، رقم 56 .

3 . . . تصابوا بمهجتي في الديوان : ضمنت لكم إن لم تَعُقْني عوائق .

سيُوشِك إلحاقٌ بكم وزيادة وأعطِيةٌ تأتي تِباعاً فتُشْفَعُ

وكان سبب مكاتبته أهلَ الحرمين بذلك أنّ هشاماً لمّا خرج عليه زيد بن عليّ رضي الله عنه منع أهلَ مكّة وأهل المدينة أعْطِياتِهم سنةً . فقال حمزة بن بَيْض يردّ على الوليد لمّا فعل خلافَ ما قال : [من الطويل]

وصلتَ سماءَ الضرّ بالضرّ بعد ما زَعمتَ سماء الضرّ عنّا ستُقلِعُ
فليت هشاماً كان حيّاً يسوسنا وكنّا كما كنّا نُرجِّي ونطمعُ

[اجتماعه مع أهله يوم بيعته]

أخبرني أحمد قال حدّثني عمر بن شَبّة قال روى جَرير بن حازم عن الفضل بن سُويد قال : بعث الوليد بن يزيد إلى جماعة من أهله لمّا ولِي الخلافة فقال : أتدرون لِمَ دعوتكم ؟ قالوا لا ؛ قال : ليَقُلْ قائلُكم ؛ فقال رجل منهم : أردتَ يا أمير المؤمنين أن تُرِيَنا ما جدَّد الله لك من نعمته وإحسانِه ؛ فقال : نعم ، ولكني[1] : [من الخفيف]

أُشهِد اللهَ والملائكةَ الأبـ ـرار والعابدين أهلَ الصلاحِ
أنني أشتهي السَّماعَ وشربَ الـ ـكأس والعضَّ للخدود الملاحِ
والنديمَ الكريم والخادمَ الفا رِهَ يسعى عليّ بالأقداحِ

قوموا إذا شئتم .

[اشترى جارية غنته]

أخبرني إسماعيل بن يونس وأحمد بن عبد العزيز قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق قال : عُرضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ صفراء كوفيّة مولّدة يقال لها سعاد ، فقال لها : أيّ شيء تُحسنين ؟ فقالت : أنا مغنّية ؛ فقال لها : غنّيني ، فغنّت : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمّلتُ من حبّكم لكان في إظهاره مَخْرَجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ أجَلْ ومن حَجَّت له مَذْحِجُ
لكن سباني منكم شادنٌ مُرَبَّبٌ ذو غُنّة أدعجُ
أغرُّ مَمكورٌ هَضِيمُ الحَشَى قد ضاق عنه الحِجْل والدُّمْلُجُ

الشعر للحارث بن خالد . والغناء لابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وفيه لدَحْمانَ

1 ديوان الوليد : ص 30 ، رقم 22 .

هَزَج بالوسطى ؛ وذكر الهشاميّ أن الهزج ليحيى المكّيّ ، فطرب طرباً شديداً وقال : يا غلام اسقني ، فسقاه عشرين قدحاً وهو يَستعيدها . ثم قال لها : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للحارث بن خالد . قال : وممَّن أخذتيه ؟ قالت : من حُنَيْن . قال : وأين لقِيتِه ؟ قالت : رُبِيتُ بالعراق وكان أهلي يَجيئون به فيُطارحني . فدعا صاحبَه فقال : اذهب فابتعْها بما بلغتْ ولا تُراجعني في ثمنها ففعل ؛ ولم تزل عنده حَظِيَّةً .

[شرب مع محمد بن سليمان بجرن]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عبيد الله بن أحمد بن الحارث القرشيّ قال حدّثنا العبّاس بن الوليد قال حدّثنا ضَمْره قال : خرج عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام يوماً إلى بعض الدِّيارات فنزل فيه وهو والٍ على الرّملة ؛ فسأل صاحبَ الدَّيْر : هل نزل بك أحدٌ من بني أميّة ؟ قال : نعم ، نزل بي الوليد ابن يزيد ومحمد بن سليمان بن عبد الملك . قال : فأيّ شيء صنعا ؟ قال : شربا في ذلك الموضع ، ولقد رأيتهما شربا في آنيتهما ، ثم قال أحدهما لصاحبه : هلمَّ نشرب بهذا الجُرْن ، وأومأ إلى جرنٍ عظيم من رخام ، قال : أفعَلُ ؛ فلم يزالا يتعاطيانه بينهما ويشربان به حتى ثمِلا . فقال عبد الوهاب لمولًى له أسود : هاتِه . قال ضمرة : وقد رأيتُه وكان يوصف بالشدَّة ، فذهب يحرِّكه فلم يقدر . فقال الراهب : والله لقد رأيتهما يتعاطيانِه وكلُّ واحد منهما يملؤه لصاحبه فيرفعه ويشربه غيرَ مكترث .

[سعد بن مرة يمدحه]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسَّان محمد بن يحيى قال : وفَد سعد بن مُرَّة بن جُبَيْر مولى آل كَثير بن الصَّلْت ، وكان شاعراً ، على الوليد بن يزيد ، فعرَض له في يوم من أيام الربيع وقد خرج إلى متنزَّه له ، فصاح به ، يا أمير المؤمنين ، وافدُك وزائرك ومؤمِّلُك ؛ فتبادر الحرسُ إليه ليصدّوه عنه ، فقال : دَعوه ، أُدْنُ إليّ فدنا إليه ؛ فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز شاعر ؛ قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع منّي أربعة أبياتٍ ؛ قال : هاتِ .

صوت

[من الكامل]

شِمْنَ المَخَايِلَ نحوَ أرضِك بالحيَا ولَقِين ركباناً بعُرْفك قُفّلا

قال : ثم مَهْ ؛ قال :

فعمَدن نحوَك لم يُنَخْن لحاجة إلاّ وقوعَ الطير حتى ترْحلا

قال : إن هذا السير حثيث ؛ ثم ماذا ؟ قال :

يعمِدن نحو مُوطِّىءٍ حجراتِـه كَرَمـاً ولم تعدِل بذلك مَعْدِلا

قال : فقد وصلتَ إليه ، فَمَهْ ؛ قال :

لاحت لهـا نيرانُ حَيَّـيْ قَسْطلٍ فاخترن نـارَك في المنازلِ منزلا[1]

قال : فهل غيرُ هذا ؟ قال لا ؛ قال : أَنْجحتْ وِفادتُك ، ووجبتْ ضيافتك ؛ أعطوه أربعة آلاف دينار ؛ فقبضها ورحل .

الغناء لابن عائشة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

[مسلمة بن هشام وزوجته]

رجعتِ الرواية إلى حديث المدائنيّ قال : لمّا قدِم العباس بن الوليد لإحصاء ما في خزائن هِشَام وولدِه سوى مَسْلَمة بن هشام فإنه كان كثيراً ما يَكُفّ أباه عن الوليد ويكلّمه فيه ألاّ يعرضَ له ولا يدخل منزله . وكانت عند مسلمة أمُّ سَلَمة بنت يعقوب المَخْزوميّة ، وكان مَسْلمة يشرب . فلمّا قدم العبّاسُ لإحصاء ما كتب إليه الوليدُ ، كتبتْ إليه أُمّ سَلَمة : ما يُفِيق من الشّراب ولا يهتمّ بشيءٍ مما فيه إخوتُه ولا بموت أبيه . فلمّا راح مسلمة بن هشام إلى العباس قال له : يا مسلمة ، كان أبوك يرشّحك للخلافة ونحن نرجوك لما بلغني عنك ، وأنّبه وعاتبه على الشراب ، فأنكر مسلمة ذلك وقال : من أخبرك بهذا ؟ قال : كتبتْ إليّ به أُمّ سَلَمة ؛ فطلّقها في ذلك المجلس ، فخرجت إلى فِلَسطين ، وبها كانت تنزل ، وتزوّجها أبو العبّاس السفّاح هناك .

[طلق زوجته سعدة وهام بأختها سلمى]

وسَلْمى التي عناها الوليدُ هناك هي سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفّان ؛ وأُمّها أُمُّ عمرو بنت مروان بن الحَكَم ، وأُمّها بنت عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ .

فأخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاّم وعن المدائنيّ عن جُويرية بن أسماء : أنّ يزيد بن عبد الملك كان خرج إلى قُرَيْن[2] مُتَبدِّياً به ، وكان هناك قصر لسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ؛ وكانت بنته أُمّ عبد الملك ، واسمها سَعْدة ، تحت الوليد بن يَزيد . فمرض سعيدٌ في ذلك الوقت ، وجاءه الوليدُ عائداً ، فدخل فلمَح سَلْمى بنت سعيد أختَ زوجته ، وسترها حواضِنُها وأختها فقامت ففرَعتْهنّ طولاً ، فوقعت بقلب الوليد . فلما مات أبوه طلّق أُمَّ عبد الملك زوجتَه وخطب سلمى إلى أبيها .

---

1 قسطل في ل : فاصطلى . قسطل : قرية في البلقاء .

2 قرين : موضع باليمامة .

وكانت لها أخت يقال لها أُمّ عثمان تحت هشام بن عبد الملك ؛ فبعثتْ إلى أبيها ، وقيل : بعث إليه هشام : أتريد أن تستفحلَ الوليدَ لبناتك يطلّق هذه وينكِح هذه ؟ فلم يزوِّجه سعيد وردّه أقبحَ ردّ . وهوِيها الوليد ورام السلوَّ عنها فلم يَسْلُ ؛ وكان يقول : العجب لسعيد ، خطبتُ إليه فردّني ، ولو قد مات هشام ووَلِيتُ لزوّجني ؛ وهي طالق ثلاثاً إن تزوّجتها حينئذ وإن كنت أهواها . فيقال : إنّه لما طلّق سَعْدة ندِم على ذلك وغَمّه . وكان لها من قلبه محلٌّ ولم تحصُل له سَلْمَى ؛ فاهتمّ لذلك وجزِع . وراسل سَعْدة ، وقد كانت زُوِّجت غيرَه فلم ينتفع بذلك .

[توسط أشعب عند سعدة]

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ والحسن بن عليّ قالا حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثنا أبو مسلم عبد الرحمن بن الجَهْم قال حدّثنا المدائني قال : بعث الوليد بن يزيد إلى أشعب بعد ما طلّق امرأته ، فقال : يا أشعب ، لك عندي عشرة آلاف درهم على أن تبلّغَ رسالتي سَعْدَةَ ؛ فقال : أحضِر العشرةَ الآلاف الدرهم حتى أنظر إليها ؛ فأحضرها الوليد ؛ فوضعها أشعبُ على عنقه وقال : هات رسالتك ؛ قال : قل لها يقول لك أمير المؤمنين[1] : [من الوافر]

أسَعْدةُ هل إليكِ لنا سبيلٌ ... وهل حتى القيامةِ من تَلاَقي
بَلَى ولعلَّ دهراً أن يُؤاتي ... بموت من حَليلك أو طلاقِ
فأُصبِحَ شامتاً وتَقَرَّ عيني ... ويُجمعَ شملُنا بعد افتراقِ

فأتى أشعبُ البابَ فأُخبِرتْ بمكانه ، فأمرت بفُرُش لها ففُرشت وجلست وأذِنتْ له . فلما دخل أنشدها ما أمره ؛ فقالت لخَدمها : خذوا الفاسقَ ! فقال : يا سيّدتي إنّها بعشرة آلاف درهم . قالت : والله لأقتلنك أو تبلّغه كما بلّغتني ؛ قال : وما تَهَبين لي ؟ قالت : بساطي الذي تحتي ؛ قال : قومي عنه ؛ فقامت فطواه وجعله إلى جانبه ، ثم قال : هات رسالتك جُعِلتُ فِداك ؛ قالت : قل له[2] : [من الطويل]

أتبكي على لُبْنَى وأنت تركتَها ... فقد ذهبتْ لبنى فما أنت صانعُ

فأقبل أشعب فدخل على الوليد ؛ فقال : هِيه ، فأنشده البيت : فقال : أُوَّهْ قتلتني يا ابن الزانية ! ما أنا صانع ، فاختر أنت الآن ما أنت صانع يا ابن الزانية ، إمّا أن أُدَلِّيَكَ على رأسك

1 ديوان الوليد : ص 108 ، رقم 7 وفيه أنّها تنسب أيضاً إلى غيره .
2 سيأتي هذا البيت في ترجمة قيس بن ذريح برواية مختلفة ، 9 : 151–152 .

منكَّساً في بئر أو أرمي بك منكَّساً من فوق القصر أو أضربَ رأسكَ بعمودي هذا ضربةً ، هذا الذي أنا صانع ، فاختَرْ أنت الآن ما أنت صانع ؛ فقال : ما كنتَ لتفعلَ شيئاً من ذلك ؛ قال : ولِمَ يا ابن الزانية ؟ قال : لم تكن لتعذّب عينين نظرتا إلى سَعْدة . قال : أُوَّهْ ! أفلتَّ والله بهذا يا ابن الزانية ! أُخرجْ عنّي . وقال الحسن في روايته : إنها قالت له أنشِدْه : [من الطويل]

أتبكـي على لُبْنى وأنت تركتها ... وأنت عليهـا بالمَـلاَ كنتَ أقدرُ[1]

وفي هذه الأبيات غناءٌ هذه نسبتُه :

صوت

أرى بيت لُبْنَى أصبح اليومَ يُهجرُ ... وهِجرانُ لبنى يا لكَ الخيرُ مُنْكَرُ
فـإن تكـن الدنيـا بلُبْنى تغيّرت ... فلِلدّهـر والدنيـا بطـونٌ وَأَظْهُرُ
أتبكـي على لُبْنَى وأنـت تركتَها ... وأنت عليهـا بالحَـرَا كنتَ أقدرُ

عروضُه من الطويل . والشعر لقَيْس بن ذَرِيح . والغناء في الثاني والثالث للغريض ثقيل أوّلُ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ . وفيهما لعَريب رملٌ بالبنصر . وفيه لشاريةَ خفيفُ رمل بالوسطى عن الهِشاميّ . وفي الأوّل خفيفُ ثقيلٍ مجهول .

[تزيا بزي زيات ليرى سلمى]

قال ابن سَلاَّم والمدائنيّ في خبرهما : وخرج الوليد بن يزيد يريد فَرْتَنَى لعلّه يراها ؛ فلقِيه زيّات معه حمار عليه زيت ؛ فقال له : هل لك أن تأخذ فرسي هذا وتُعطيني حمارك هذا بما عليه وتأخذ ثيابي وتعطيني ثيابك ؟ ففعل الزيّات ذلك . وجاء الوليد وعليه الثياب وبين يديه الحمار يسوقه متنكّراً حتى دخل قصرَ سعيد ، فنادى : من يشتري الزيت ؛ فاطّلع بعضُ الجواري فرأينه فدخلن إلى سَلْمى وقُلْنَ : إنّ بالباب زيّاتاً أشبهَ الناس بالوليد ، فاخرجي فانظري إليه ؛ فخرجت فرأته ورآها ، فرجعت القَهْقَرى وقالت : هو والله الفاسق الوليد ! وقد رآني ! فقلن له : لا حاجةَ بنا إلى زيتك ؛ فانصرف وقال[2] : [من مجزوء الرمل]

إننـي أبصرتُ شيخاً ... حسنَ الوجـه مليحْ
ولِباسي ثوب شيخٍ ... مـن عباءٍ ومُسوحْ[3]

---

1 الملا : اسم موضع .
2 ديوان الوليد : ص 28 ، رقم 19 .
3 ديوان الوليد : لابساً أثواب سوء (طبعة دار الكتاب الجديد) .

وأبيعُ الزيت بيعاً خاسراً غيرَ رَبيحْ

وقال أيضاً[1] : [من الوافر]

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأشهى من مُجاجة ريقِ سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراحِ
ولا والله لا أنسى حياتي وَثَاقَ الباب دوني واطِّراحي

قال : فلما ولي الخلافةَ أشْخص إلى المغنّين : فحضَروه وفيهم معبدٌ وابن عائشة وذووهما . فقال لابن عائشة : يا محمد ، إن غنّيتني صوتين في نفسي فلك عندي مائة ألف درهم ؛ فغنّاه قولَه :

إنني أبصرتُ شيخاً

وغنّاه :

فما مسكٌ يُعلُّ بزنجبيل

الأبياتَ ، فقال الوليد : ما عدوتَ ما في نفسي ؛ وأمر له بمائة ألف درهم وألطاف وخِلَع ، وأمر لسائر المغنّين بدون ذلك .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الوافر]

فما مسكٌ يُعَلُّ بزنجبيلٍ ولا عسلٌ بألبان اللِّقاحِ
بأطيبَ من مُجاجة ريق سلمى ولا ما في الزِّقاق من القَراحِ

غنّاه ابن عائشة ، ولحنُه ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ وحماد بن إسحاق .

[تزوج سلمى بعد ولايته الخلافة]

قال المدائني وابن سَلاَّم : فلمّا طال بالوليد ما به كتب إلى أبيها سعيد : [من الوافر]

أبا عثمان هل لك في صنيع تُصيبُ الرشدَ في صلتي هُدِيتا
فأشكرَ منك ما تُسدي وتُحيي أبا عثمان مَيِّتةً ومَيْتا[2]

قالوا : فلم يُجبه إلى ذلك حتى ولي الخلافةَ ، فلما وليها زوّجه إياها ؛ فلم يلبث إلاّ مدّة يسيرةً حتى ماتت . وقال فيها ليلةَ زُفّت إليه[3] : [من مجزوء الخفيف]

---

1 ديوان الوليد : ص 31 ، رقم 23 .

2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 11 . الديوان : فأشكر منك ذا المسدى وتحيي .

3 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

خـفَّ من دار جيرتي يـا ابـن داود أُنْسُهـا

وهي طويلة . وفيها ممّا يغنّى به :

أَوَ لا تخـرج العـرو سُ فقد طـال حبسُها
قـد دنا الصبح أو بَدا وهـي لم يُقْضَ لُبْسُها
بـرزت كالهـلال في ليلـةٍ غـاب نحسُها[1]
بـين خمس كواعبٍ أكرمُ الخمسِ جنسُها

غناءُ ابنِ سُريج ، فيما ذكره حَبَش ، رملٌ بالبنصر ، أوّله :

خَـفَّ من دار جيرتي

وغناء معبد فيه خفيفُ ثقيلٍ ، أوّله :

ومتى تخرج العرو سُ

في رواية الهشاميّ وابن المكيّ . وغناء عمر الواديّ في الأربعة الأبيات الأخَر خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وذكر في النسخة الثانية ووافقه الهشاميّ أنّ فيه هَزَجاً بالوسطى ينسب إلى حَكَم وإلى أبي كامل وإلى عمر .

[غنى حكم الوادي بشعره للمهدي]

وقد أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال : رأيت حَكَماً الوادي قد تعرّض للمهديّ وهو يريد الحجّ ، فوقف له في الطريق وكانت له شهرة ، فأخرج دفّاً له فنقر فيه وقال : أنا ، أطال الله بقاءك ، القائل[2] : [من مجزوء الخفيف]

ومتـى تخـرج العـرو سُ فقد طـال حبسُها
قد دنا الصبحُ أو بـدا وهـي لم يُقْضَ لُبْسُها

قال : فتسرّع إليه الحرس ، فصِيحَ بهم ، وإذا هو حكم الوادي ؛ فأُدخل إليه المَضْرِبَ فوصله وانصرف .

نسبة أَوَلا تخرج العروس . قال : الشعر للوليد بن يزيد . والغناء لعمر الواديّ . وفيه لحنان هزجٌ خفيف بالخنصر في مجرى البنصر وخفيفُ رملٍ بالخنصر في مجرى البنصر جميعاً عن إسحاق ؛ وذكر حكم الواديّ أنّ الهزج له ؛ وذكر إسحاق أن لحن حَكَم خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى . وقال في كتاب يحيى : إنّ هذا اللحن لعمر الواديّ .

---

1 برزت كالهلال في الديوان : خرجت كالمهاة (طبعة دار الكتاب الجديد) .

2 ديوان الوليد : ص 51 ، رقم 50 .

وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمعبد ورملاً لابن سريج . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه للدَّلال خفيفَ ثقيل أوّل بالبنصر .

[رثاؤه سلمى]

وقال المدائني : مكثتْ عنده سَلْمَى أربعين يوماً ثم ماتت ؛ فقال : [من الوافر]

أَلَمّا تعلَمـا سَلْمى أقامت مُضَمَّنَةً مـن الصحراء لحدا
لعمرك يا وليدُ لقـد أجَنّـوا بها حَسَباً ومَكرُمةً ومجدا
ووجهاً كان يقصرُ عن مداه شعاعُ الشمس أَهْلٌ أن يُفدَّى
فلـم أَرَ ميّتـاً أَبْكَى لعـينٍ وأكثر جازعـاً وأجلَّ فقدا
وأجدرَ أن تكونَ لديه مِلْكاً يُريك جَـلاَدةً ويُسِرّ وَجْدا

[شعره في سلمى]

ذكر أشعار الوليد التي قالها في سلمى وغنّى المغنّون فيها منها[1] : [من الهزج]

صوت

عرفـتُ المنزلَ الخالي عفـا من بعد أحوالِ
عفَـاه كلُّ حَنّـانٍ عَسُوفِ الوَبْـل هَطّالِ
لسلمـى قـرّةِ العين وبنـتِ العـمّ والخالِ
بذلـتُ اليومَ في سلمى خِطاراً أتلفـتْ مالي[2]
كأنّ الريـق من فِيها سَحيـقٌ بين جِرْيالِ[3]

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالوسطى عن عمرو . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ هذا اللحن للوليد بن يزيد . وفيه رَمَلٌ ذكر الهشاميّ أنّه لابن سريج .

ومنها وهو الصوت الذي غنّاه أبو كامل فأعطاه الوليدُ قَلَنْسِيتَه[4] : [من الوافر]

صوت

منازلُ قد تَحُلّ بها سليمى دوارسُ قد أضرّ بها السِّنونُ

1 ديوان الوليد : ص 71 ، رقم 76 عن الأغاني .
2 الخطار : جمع خَطَر وهو ما يتراهن عليه .
3 السحيق : المسك . والجريال : صفوة الخمر .
4 ديوان الوليد : ص 85 ، رقم 97 .

أُمِيتُ السرَّ حفظاً يا سليمى إذا ما السرّ باح به الحَزُونُ[1]

غنّاه أبو كامل من الثقيل الأوّل . وفيه لابن سريج ، ويقال للغريض ، خفِيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ ، وقيل : إنّه لحكم أو لعمر الوادي .

ومنها[2] : [من الهزج]

صوت

أراني قد تصابيتُ وقد كنت تناهيتُ
ولو يترُكني الحبُّ لقد صمت وصلّيتُ
إذا شئتُ تصبّرتُ ولا أصبر إن شيتُ
ولا والله لا يصبـ ـر في الدَّيْمومة الحُوتُ[3]
سليمى ليس لي صبر وإن رخَّصتِ لي جِيتُ
فقبّلتُك ألفين وفدَّيت وحيَّيْتُ
ألا أحْبِبْ بزَوْرٍ زا ر من سلمى ببيروتِ[4]
غزالٌ أدْعَجُ العين نقيُّ الجيدِ واللِّيتِ

غنّاه ابنَ جامع في البيتين الأوّلين هزجاً بالوسطى ، وغنَّاه أبو كامل في الأبيات كلّها على ما ذكرت بَذْلُ ولم تجنِّسه . وغنّى حَكَم الوادي في الثالث والرابع والسابع والثامن خفيفَ رملٍ بالوسطى عن عمرو والهشاميّ .

ومنها[5] : [من المديد]

صوت

عتَبتْ سَلْمى علينا سَفاها أن سَبَبْتُ اليوم فيها أباها
كان حقُّ العتب يا قومُ منّي ليس منها كان قلبي فِداها
فلئن كنتُ أردتُ بقلبي لأبي سلمى خلافَ هواها
فثكِلتُ اليومَ سلمى فسلمى ملأت أرضي معاً وسماها

1 الحزون : الكثير الحزن .
2 ديوان الوليد : ص 21 ، رقم 12 عن الأغاني .
3 الديمومة : الصحراء البعيدة .
4 في هذا البيت والبيت الذي يليه إقواء . رواية معجم البلدان (1 : 525) :
ألا يا حبّذا شخص حمت لقياه بيروتُ
5 ديوان الوليد : ص 91 ، رقم 105 عن الأغاني .

غير أني لا أظـــن عـــدوّاً قـــد أتاهـــا كاشحاً بأذاها
فلها العُتْبَـــى لدينـــا وقَلّتْ أبـــداً حتـــى أنـــال رضاها

غنّاه أبو كامل خفيفَ رملٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه ليحيى المكيّ ثقيل أوّل من رواية عليّ بن يحيى . وفيه رمل يقال : إنّه لابن جامع ، ويقال : بل لحن ابن جامع خفيف رمل أيضاً .

[خطب سلمى إلى أبيها وهو سكران]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني محمد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال : لقي سعيد بن خالد الوليدَ بن يزيد وهو ثَمِلٌ ؛ فقال له : يا أبا عثمان ؛ أتَرُدُّني على سلمى ! وكأني بك لو قد وَلِيتُ الخلافة خطبتَني فلم أجِبْك ؛ وإن تزوّجتُها حينئذ فهي طالق ثلاثاً . فقال له سعيد : إن المرء يجعل كريمته عند مثلك لحقيقٌ بأكثر مما قلت ؛ فأمصَّه الوليد وشتمه وتسامعا وافترقا . وبلغ الوليدَ أنّ سلمى جزِعت لِما جرى وبكتْ وسبّت الوليد ونالت منه ؛ فقال : [من المديد]

عتبتْ سلمى علينا سفاهـا أن هجوتُ اليوم فيها أباها

وذكر الأبيات . وقال أيضاً في ذلك[1] : [من الوافر]

صوت

على الدُّور التي بَلِيتْ سَفَاهـا قِفَـا يـا صاحبـيّ فسائِلاها
دعتك صبابةٌ ودعاك شوقٌ وأخضل دمـعُ عينك مأْقِياها
وقالـت عند هجوتنـا أباهـا أردتَ الصُّرمَ فانتَـدِه انتِداها
أردتَ بعادَنَا بهجـاء شيخي وعندك خُلّـةٌ تبغـي هواها
فإن رضيتْ فذاك وإن تمادتْ فهَبْها خُطّـةً بلغـت مَداها

غنّاه مالك بن أبي السَّمْح خفيفَ رمل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وللهُذَلي فيه ثاني ثقيل بالوسطى عن يونس والهشاميّ ؛ وذكر حبش : أنّ الثقيل الثاني لإسحاق ، يعني بقوله : [من الوافر]

أردتَ بعادنـا بهجـاء شيخي

أنّه كان هجا سعيد بن خالد ، فقال[2] : [من الطويل]

1 ديوان الوليد : ص 90 ، رقم 104 .
2 ديوان الوليد : ص 36 ، رقم 31 .

ومن يك مفتاحاً لخير يريده فإنّك قُفْلٌ يا سعيد بن خالدِ

قال المدائني : لمّا غضِبَت سلمى من هجائه أباها قال يعتذر إليه بقوله[1] : [من مجزوء الوافر]

ألا أَبْلِغْ أبا عثما ن عِذْرةَ مُعْتِبٍ أسفا
فلستُ كمن يودّك بالـ ـلسان ويُكثر الحَلِفا
عَتبتَ عليّ في أشيا ء كانت بيننا سَرفَا
فلا تُشمِتْ بي الأعدا ءَ والجيرانَ ملتهِفا
تودّ لَوَ انّني لحمٌ رأته الطير فاختُطفا
ولا ترفعْ به رأسا عفا الرحمن ما سَلَفا

ومنها وهو من سخيف شعره[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

خبَّروني أن سلمى خرجتْ يومَ المُصَلَّى
فإذا طيرٌ مليحٌ فوق غصن يتفلّى
قلتُ من يعرف سلمى قال ها ثم تعلّى
قلتُ يا طير ادْنُ منّي قال ها ثم تدلّى
قلتُ هل أبصرتَ سلمى قال لا ثم تولّى
فنكا في القلب كَلْماً باطناً ثم تعلّى[3]

فيه ثقيل أوّل بالبنصر مطلق ، ذكر الهشاميّ أنه لأبي كامل ولعمر الوادي ، وذكر حبش أنه لدَحْمان .

ومنها[4] : [من الخفيف]

صوت

اسقِني يا ابن سالم قد أنارا كوكبُ الصبح وانجلى واستنارا
اسقِني من سُلاف ريق سليمى واسق هذا النديمَ كأساً عُقارا

---

1 ديوان الوليد : 58 ، رقم 60 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : ص 67 ، رقم 71 .
3 نكا : مسهل نكأ . ونكأ : قشر مكان الجرح قبل التئامه .
4 ديوان الوليد : ص 42 ، 39 .

غنّاه ابن قندح ثانيَ ثقيل بالوسطى من رواية حبش .

[شعر ملك]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثني عمّي عبيد الله قال حدّثني أبي : أنّ المأمون قال لمن حضره من جلسائه : أنشدوني بيتاً لملك يدلّ البيتُ وإن لم يُعرف قائلُه أنه شعر مَلِكٍ ؛ فأنشده بعضهم قولَ امرىء القيس :

أمِن أجل أعرابيّة حــلَّ أهلُها جَنُوبَ المَلاَ عيناكَ تَبْتدِرانِ

قال : وما في هذا مما يدلّ على مُلْكه ! قد يجوز أن يقول هذا سُوقةٌ من أهل الحَضَر ، فكأنه يؤنّب نفسه على التعلّق بأعرابيّة ؛ ثم قال : الشعر الذي يدُلّ على أنّ قائله مَلِكٌ قولُ الوليد : [من الخفيف]

اسقِني من سُلاف ريق سليمى واسقِ هذا النديمَ كأساً عقارا

أمَا ترى إلى إشارته في قوله هذا النديم وأنها إشارة ملك . ومثل قوله : [من مجزوء المتقارب]

لِيَ المحضُ من ودّهم ويغمُرهم نائلي

وهذا قول من يقدِر بالمُلْك على طَوِيَّات الرجال ، يبذل المعروف لهم ويُمكنه استخلاصُها لنفسه .

وفي هذا البيت مع أبيات قبلِه غناءٌ وهو قوله[1] : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سقَيْتُ أبا كامـلٍ من الأصفـر البابلي
وسقَّيتُهـا معبـداً وكلَّ فتـى بـازلِ
لي المحضُ من ودّهم ويغمُرهـم نائـلي
فمـا لامنـي فيهـمُ سوى حاسدٍ جاهلِ

غنّاه أبو كامل ثقيلاً أوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

ومنها وهو من مُلَح شعره[2] : [من الوافر]

صوت

أراني اللهُ يـا سلمى حياتـي وفي يـوم الحساب كما أراكِ

1 ديوان الوليد : ص 72 ، رقم 78 .

2 ديوان الوليد : ص 62 ، رقم 66 .

ألاَ تَجْزِين مَنْ تيّمتِ عصراً ... ومـــن لو تطلبين لقد قضاكِ[1]
ومَنْ لو مِتُّ مات ولا تموتي ... ولـو أُنسي لـــه أجـلّ بكاكِ[2]
ومَنْ حَقّاً لَوُ اعْطِي ما تمنّى ... مـن الدنيا العريضة مـا عداكِ
ومَنْ لَوْ قُلْتِ مُتْ فأطاق موتاً ... إذاً ذاق الممات ومـا عصاكِ
أُثيبـــي عاشقـاً كَلِفـاً مُعنًّى ... إذا خدِرت لـــه رِجلٌ دعاكِ

كانت العرب تقول : إنّ الإنسان إذا خدِرتْ قدمه دعا باسم أحبِّ الناس إليه فسكنتْ . في الخبر أنّ رِجْل عبد الله بن عمر خدِرتْ ؛ فقيل له : ادع باسم أحبّ الناس إليك ؛ فقال : يا رسولَ الله ، صلّى الله على رسول الله وعلى آله وسلم . ذكر يونس أنّ في هذه الأبيات لحناً لسِنَان الكاتب ، وذكرت دَنَانِيرُ أنّه لحكم ولم تجنّسه .

ومنها[3] : [من مجزوء الرمل]

صوت

وَيْحَ سَلْمى لـــو تَراني ... لَعَنَاهـا مـــا عَنـاني
مُتلِفاً في اللهـــو ما لي ... عاشقاً حُـــورَ القِيانِ
إنّمـا أحـــزن قلبـــي ... قـــولُ سلمى إذ أتاني
ولقـد كنـتُ زمانـــاً ... خـالِيَ الذّرعِ لشاني
شاق قلبـــي وعنـاني ... حبُّ سلمـى وبراني
ولَكَـــمْ لام نصيحٌ ... في سليمـى ونهـاني

غنّته فَريدة خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيل أوّل ينسب إلى معبد ؛ وهو فيما يذكُر إسحاق يُشْبه غناءه وليس تُعرف صحّتُه له ، وذكر كَثير[4] الكبير أنّه له ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن المكيّ . وفيه لحكَم هَزَجٌ صحيح .

ومنها[5] : [من مجزوء الرمل]

---

1 عصراً في الديوان : عمراً (طبعة دار الكتاب الجديد) .
2 أُنسي في الديوان : وإن ينسأ (طبعة دار الكتاب الجديد) .
3 ديوان الوليد : ص 86 ، رقم 99 .
4 ل : كنيز .
5 ديوانه : ص 77 ، رقم 86 عن الأغاني .

صوت

بلِّغا عنِّـــي سليمى وسلاهـــا لِيَ عمّـــا
فعلتْ في شأن صبٍّ دَنِـــفٍ أُشْعِرَ هَمّـــا
ولقد قلـــت لسلمى إذ قتلتُ البـــينَ علما
أنتِ همِّي يـــا سليمى قد قضاه الربُّ حتما
نزلت في القلب قَسْراً منزلاً قد كان يُحمى

غنّاه حَكَمٌ خفيفَ ثقيلٍ . ولعمرَ الوادي فيه خفيفُ رمل بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنها[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

يا سُلَيْمَى يـا سليمى كنـتِ للقلبِ عذابا
يا سليمـــى ابنةَ عمّي بَـــرد الليـــلُ وطابا
أيُّما واشٍ وشَى بي فاملَكـــي فـــاهُ ترابا
ريقُها في الصبح مسك باشَر العـــذْب الرُّضابا

غنّاه عمر الوادي هَزَجاً بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر ابن المكيّ أنّه لمعان . وفي كتاب إبراهيم أنه لعَطَرَّد .

ومنها[2] : [من الهزج]

صوت

أسَلْمَى تلـــك حُيِّيتِ قِفِي نُخبِرْكِ إن شِيتِ
وقِيلِـــي ساعـــةً نَشْكُ إليك الحـــبَّ أو بِيتي
فمـــا صهباءُ لم تُكْسَ قَذًى من خمر بيروتِ
ثـــوَتْ في الدَّنّ أعواماً خَتيمـــاً عنـــد حانوتِ

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

ومنها[3] : [من الكامل]

---

1 ديوان الوليد : ص 14–15 ، رقم 3 عن الأغاني .
2 ديوانه : ص 24–25 ، رقم 15 عن الأغاني .
3 ديوانه : ص 37 ، رقم 32 .

صوت

يا مَن لقلب في الهوى مُتشعِّبِ بل مَنْ لقلب بالحبيب عميدِ
سَلْمَى هواه ليس يعرف غيرَها دون الطَّريف ودون كلِّ تليدِ
إنّ القرابــة والسعادة ألَّفـا بين الوليــد وبين بنت سعيدِ[1]
يا قلب كم كلِف الفؤادُ بغادةٍ مَمْكورةٍ رَيّــا العظام خَريدِ

غنّاه عمر الوادي رملاً بالبنصر عن عمرو .

ومنها[2] : [من الرمل]

صوت

قــد تمنَّى معشرٌ إذ أُطرِبوا مــن عُقَــار وسَوَامٍ وذَهَبْ
ثــم قالــوا لي تَمَنَّ واستمِعْ كيف ننحو في الأماني والطلبْ
فتمنّيــتُ سليمــى إنهــــا بنت عمّي من لَهَامِيم العربْ[3]

فيه للهذليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وذكر الهشاميّ أنّ هذا الخفيف الثقيل لخالد صامَةَ . وذكر ابن المكيّ أن فيه لمالك ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها[4] : [من مجزوء الرمل]

صوت

هــل إلى أمِّ سعيــدٍ مــن رسول أو سبيلِ
ناصحٍ يُخبــر أنّــي حافــظٌ وُدَّ خليــلِ
يَبــذُل الــودَّ لغيري وأُكافــي بالجَميــلِ
لستُ أرضى لخليلي مــن وصالي بالقليلِ

غنّاه عمر الوادي هزجاً خفيفاً بالسبّابة في مجرى الوسطى .

ومنها[5] : [من مجزوء الرمل]

---

1 السعادة في الديوان : والمودّة (طبعة دار الكتاب الجديد) .
2 ديوان الوليد : ص 14 ، رقم 2 عن الأغاني .
3 اللهاميم : جمع لهموم وهو الجواد من الناس والخيل .
4 ديوانه : ص 72 ، رقم 77 عن الأغاني .
5 ديوان الوليد : ص 26–27 ، رقم 18 عن الأغاني .

صوت

طاف من سلمى خيالٌ بعد مـا نِمتُ فهاجا
قلت عُجْ نحوي أُسائِلْـ ـك عن الحبّ فعاجا
يا خليلي يـا نديمي قم فأُنفُثْ لي سراجا[1]
بفلاةٍ ليس تُرعَـى أنبتَتْ شِيحاً وحاجا[2]

غنّاه عمر الوادي ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . ولابن سريج فيه خفيفُ رمل بالوسطى عن حَبَش . ولأبي سلمى المدنيّ ثقيل أوّل عن ابن خُرْدَاذْبه .

ومنها[3] : [من الرمل]

صوت

أُمَّ سَلاَّمٍ أثيبـي عاشقاً يعلـم اللهُ يقيناً ربُّـه
أنّكم من عَيْشه في نفسه يا سليمى فاعلَميه حَسْبُه
فارحميه إنه يَهْذي بكم هائمٌ صبٌّ قَدَ آوْدَى قلبه
أنتِ لو كنتِ له راحمةً لم يُكدَّر يا سليمى شِرْبُه

غنّاه حَكَمٌ رملاً بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لابن سريج رملاً بالوسطى .

ومنها[4] : [من الخفيف]

صوت

ربّ بيتٍ كأنّه متـن سهم سوف نأتيه من قُرى بيروتِ
مـن بلادٍ ليست لنا ببلاد كلمـا جئت نحوهـا حُييتِ
أمَّ سلاّمَ لا بَرِحْـتِ بخيرٍ ثم لا زلتِ جنّتي مـا حَيِيتِ
طربـاً نحوَكم وتَوْقاً وشوقاً لأدّكَارِيكُمُ وطيبِ المبيتِ
حيثما كنتِ من بلادٍ وسرتم فوقاك الإله ما قد خَشِيتِ

في البيت الأول والثاني لابن عائشة ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن الهشاميّ ،

1 أنفث : قطع همزة الوصل للضرورة .
2 الحاج : نبت من الحمض .
3 ديوانه : ص 18 ، رقم 6 عن الأغاني .
4 ديوانه : ص 25 ، رقم 16 عن الأغاني .

وذكر غيره أنّه لإبراهيم . وفي الثالث وما بعده والثاني لابن عائشة أيضاً رمل بالوسطى ، ولابن سريج خفيفُ رمل بالبنصر . وقيل : إنّ الرّمل لعمر الوادي ، وهو أن يكونَ له أشبه .

ومنها[1] : [من المديد]

صوت

طرَقَتْني وصِحابـي هُجُـوعٌ ظبيةٌ أدْمـاءُ مثـلُ الهـلالِ
مثلُ قرن الشمس لمـا تبدّت واستقلّـت في رؤوس الجبالِ
تقطع الأهوالَ نحوي وكانت عندنـا سلمى أُلُوفَ الحِجالِ
كم أجازت نحوَنـا من بـلاد وَحْشةٍ قَتّالـةٍ للـرجالِ

لابن محرز فيه ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق في الثاني والثالث . ولابن سريج في الأوّل وما بعده خفيفُ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لابن عائشة ذكر الهشاميّ أنه رمل بالوسطى . وفيه خفيف رملٍ يُنسب إلى ابن سريج وعمر الوادي .

ومنها[2] : [من المنسرح]

صوت

أنـا الوليـدُ الإمـامُ مفتخِراً أُنْعِم بـالي وأتبَـع الغَـزَلا
أهوَى سُلَيمى وهي تصرِمني وليس حَقّـاً جَفاء من وصلا
أسحَب بُـرْدي إلى منازلهـا ولا أُبـالي مقـالَ من عذَلا[3]

غنّى فيه أبو كامل رملاً بالبنصر . وغنّى عمر الوادي فيه خفيفَ رملٍ بالوسطى ، ويقال إنّ هذا اللحن للوليد .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال : قال الوليد على لسان سلمى[4] : [من الخفيف]

صوت

إقْـرَ منّـي على الوليد السلاما عـددَ النجم قـلَّ ذا للوليدِ
حسداً ما حسَدتُ أختي عليه ربُّنـا بيننـا وبـين سعيدِ

غنّاه الهذليّ خفيفَ ثقيل أوّلَ بالوسطى عن ابن المكيّ .

---

1 ديوان الوليد : ص 73 ، رقم 79 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : 68 ، رقم 72 .
3 أسحب بُردي إلى منازلها في الديوان : أنقلُ رجلي إلى مجالسها (طبعة دار الكتاب الجديد) .
4 ديوانه : ص 37 ، رقم 33 .

[غضب على جاريته صدوف ثم صالحها]

حدّثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدّثنا خالد بن النَّضْر القُرَشيّ بالبصرة قال حدّثنا أبو حاتم السِّجِسْتانيّ قال حدّثنا العتبيّ قال : كانت للوليد بن يزيد جارية يقال لها صَدُوف ؛ فغَاضَبها ، ثم لم يُطِعه قلبه فجعل يتسبّب لصلحها ، فدخل عليه رجل قرشيّ من أهل المدينة فكلّمه في حاجة وقد عرف خبرَه ، فَبرِم به ؛ فأنشده : [من الكامل]

أعَتَبْتَ أن عتبتْ عليك صَدُوفُ ... وعتابُ مثلِك مثلَها تشريفُ
لا تَقعُدَنَّ تلوم نفسك دائماً ... فيها وأنت بحبّها مَشغوفُ
إن القَطيعةَ لا يقوم لمثلها ... إلا القويّ ، ومن يحبّ ضعيفُ
الحبّ أملَكُ بالفتى من نفسه ... والذلّ فيه مَسْلَكٌ مألوفُ

قال : فضحِك وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وأمر بقضاء حوائج القرشيّ كلّها .

[استقدم حمادا الراوية ليسأله عن شعر]

أخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال قال حمّاد الرَّاوِيةُ : إستدعاني الوليد بن يزيد وأمر لي بألفيْن لنفقتي وألفين لعيالي ، فقدِمتُ عليه ، فلما دخلتُ داره قال لي الخدم : أميرُ المؤمنين من خلف الستارة الحمراء ، فسلّمت بالخلافة ؛ فقال لي : يا حَمّاد ؛ قلت : لَبَّيْك يا أمير المؤمنين ؛ قال : «ثم ثاروا» ؛ فلم أدر ما يَعْني فقال : وَيْحَك يا حَمّاد ! «ثم ثاروا» ؛ فقلتُ في نفسي : راوِية أهل العراق لا يدري عمّا يُسأل ! ثم انتبهتُ فقلت : [من الخفيف]

ثم ثاروا إلى الصَّبُوح فقامت ... قَيْنةٌ في يمينها إبريقُ
قدّمتْه على عُقارٍ كعين الـ ... ـدّيك صفّى سُلافَها الرَّاوُوقُ
ثمّ فُضَّ الخِتامُ عن حاجب الدَّ ... نّ وقامت لَدَى اليهوديّ سُوقُ
فسباها منه أشمُّ عزيز ... أريحيٌّ غذَاه عيش رقيقُ

الشعر لعديّ بن زيد . والغناء لحُنَين خفيف ثقيل أوّل بالبنصر . وفيه لمالك خفيف رمل . ولعبد الله بن العباس الرَّبيعيّ رمل ، كل ذلك عن الهشاميّ . قال : فإذا جارية قد أخرجتْ كفّاً لطيفة من تحت الستر في يدها قدح ، والله ما أدري أيُّهما أحسن الكفُّ أم القدح ؛ فقال : رُدِّيه فما أنصفناه ! تغدّينا ولم نُغَدِّه ! فأتِيتُ بالغداء ، وحضر أبو كامل مولاه فغنّاه[1] : [من مجزوء الرمل]

1 ديوان الوليد : ص 48–49 ، رقم 48 .

صوت

أَدِرِ الكـأسَ يمينـا لا تُدِرْهـا ليَسارِ
إسْقِ هـذا ثـم هذا صاحبَ العُود النُّضارِ
مـن كُمَيْت عتَّقوهـا منـذُ دهـر في جـرَارِ
ختَموهـا بالأَفاوِيـ ـه وكافـورٍ وقـارِ
فلقـد أيقنـتُ أنّـي غيرُ مبعـوث لنـارِ
سأروضُ الناسَ حتـى يركبوا أَيْـرَ الحمارِ[1]
وذَرُوا من يطلب الجـ ـنة يَسعـى لِتَبَارِ[2]

فيه هزجانِ بالوسطى والبنصر لعمر الوادي وأبي كامل ، فطرِب وبرَز إلينا وعليه غِلالة موردَّةٌ ، وشرب حتى سكر . فأقمت عنده مدّة ثم أذِن بالانصراف ؛ وكتب لي إلى عامله بالعراق بعشرة آلاف درهم .

[حكايات تروى عن تهتكه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال : لما ولي الوليدُ بن يزيد لَهِج بالغِناء والشَّراب والصيد ، وحمَل المغنّين من المدينة وغيرها إليه وأرسل إلى أشْعب فجاء به ، فألْبَسه سراويلَ من جلد قرد له ذَنب ، وقال له : ارقُصْ وغنّني شعراً يُعجبني ؛ فإن فعلتَ فلك ألفُ درهم ؛ فغنّاه فأعجبه فأعطاه ألف درهم .

ودخل إليه يوماً ، فلمّا رآه الوليد كشف عن أيْره وهو مُنعِظٌ ، قال أشعب : فرأيتُه كأنّه مزمار أبنُوس مدهون ، فقال لي : أرأيتَ مثلَه قطّ ؟ قلت : لا يا سيّدي ؛ قال : فاسجُدْ له ، فسجدت ثلاثاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قلت : واحدةً لأيْرك وثِنْتيْن لخُصْيتيك . قال : فضحك وأمر لي بجائزة .

قال : وتكلم بعضُ جلسائه والمغنية تغنّي ، فكرِه ذلك وأضجَره ؛ فقال لبعض جلسائه : قُمْ فَنِكْهُ ، فقام فناكه والناس حضورٌ وهو يضحك .

وذكرت جاريةٌ أنّه واقعها يوماً وهو سكرانُ ، فلمّا تنحَّى عنها آذنه المؤذِّنُ بالصلاة ، فحلف ألاّ يصلّيَ بالناس غيرُها ؛ فخرجت متلثِّمةً فصلّت بالناس .

---

1 أير في ل والديوان : دين الحمار .

2 رواية الديوان : واتركا من طلب الجـ ـنّة يسعى في خسار
(طبعة دار الكتاب الجديد) .

قال : ونزل على غدير ماء فاستحسنه . فلمّا سكِر حلف ألاّ يبرحَ حتى يشربَ ذلك الغدير كلَّه ونام ، فأمر العلاءِ بن البُنْدار بالقِرَب والرَّوَايا فأُحضرت ، فجعل ينزَحه ويصبّه على الأرض والكُثُبِ التي حولهم حتى لم يبق فيه شيء ؛ فلمّا أصبح الوليد رآه قد نشِف فطرِب وقال : أنا أبو العباس ! ارتحِلوا . فارتحل الناس .

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال النَّضْر بن حديد حدَّثني ابن أبي جَنَاح قال أخبرني عمر بن جَبَلة : أنّ الوليد بن يزيد بات عند امرأة وعدتْه المبيتَ ؛ فقال حين انصرف[1] : [من البسيط]

قامـــت إليّ بتقبيـــل تعانِقنـــي ... رَيَّـا العظامِ كأن المسك في فِيها
أُدْخُل فديتُك لا يشعُرْ بنـا أحدٌ ... نفسي لنفسك مـــن داء تُفدِّيها
بتنـــا كذلك لا نـــومٌ على سُرُرٍ ... من شدّة الوجـد تُدْنيني وأُدنِيها
حتى إذا ما بدا الخَيْطان قلت لها ... حان الفِراقُ فكاد الحزن يُشجيها
ثم انصرفتُ ولم يشعر بنـا أحدٌ ... واللهُ عنّـــي بحسن الفعل يَجْزِيها

[استسقى من بني كلب]

وحدّثني النَّضْر بن حَديد قال حدّثنا هشام بن الكلبيّ عن خالد بن سعيد قال : مرَّ الوليد بن يزيد وهو متصيّدٌ بنسوة من بني كلب من بني المِنْجاب ، فوقف عليهن واستسقاهنّ وحدّثهنّ وأمر لهنّ بصلة ، ثم مضى وهو يقول[2] : [من الكامل]

ولقـــد مـــررتُ بِنِسْوة أعشيْنَنِي ... حُورِ المدامعِ مـــن بنـــي المِنْجابِ
فيهـــنّ خَرْعبـــةٌ مليـــحٌ دلُّها ... غَرْثَـــى الوِشاح دقيقـــة الأنيابِ[3]
زَيْنُ الحواضر ما ثَوَتْ في حَضْرها ... وتَزيـــنُ باديَهـــا مـــن الأعرابِ

[أطلق غزالاً صاده]

قال النَّضْر وحدّثني ابن الكلبيّ عن أبيه : أنّ الوليد خرج يتصيّد ذات يوم ، فصادت كلابه غزالاً ، فأُتِي به فقال : خلُّوه ، فما رأيت أشبهَ منه جيداً وعينين بسَلْمَى . ثم أنشأ يقول[4] : [من الرمل]

---

1 ديوان الوليد : ص 92 ، رقم 108 عن الأغاني .
2 ديوان الوليد : ص 20 ، رقم 9 عن الأغاني .
3 الخرعبة : اللينة الرخصة الحسنة الخلق . وغرثى الوشاح : دقيقة الخصر .
4 ديوانه : ص 29 ، رقم 20 .

ولقـد صِدْنَـا غـزالاً سانحاً قـد أردنـا ذبحَـه لما سَنَحْ
فـإذا شِبْهُـك مـا نُنكره حين أزجى طَرْفَـه ثم لَمَحْ[1]
فتركنـاه ولـولا حبُّكـم فاعلمي ذاك لقد كان انذبحْ
أنـتَ يـا ظبيُ طليقٌ آمِن فاغْدُ في الغِزْلانِ مسروراً وَرُحْ

[مماجنته شراعة بن الزندبوذ]

نسختُ من كتاب الحسين بن فهم قال أخبرني عمرو عن أبيه عن عمرو بن واقد الدمشقي قال : بعث الوليد بن يزيد إلى شُراعة[2] بن الزَّنْدَبُوذ ؛ فلمّا قدم عليه قال : يا شُرَاعة ، إني لم أستحضِرك لأسألك عن العلم ولا لأستفتيَك في الفقه ولا لتحدّثني ولا لتقرئني القرآن ؛ قال : لو سألتني عن هذا لوجدتني فيه حماراً . قال : فكيف علمُك بالفتوّة ؟ قال : ابنُ بَجْدَتها ، وعلى الخبير بها سقطت ، فسَلْ عما شئتَ . قال : فكيف علمك بالأَشْرِبة ؟ قال : ليسألني أمير المؤمنين عمّا أحبّ . قال : ما قولُك في الماء ؟ قال : هو الحياة ، ويَشْرَكني فيه الحمار . قال : فاللّبن ؟ قال : ما رأيته قطّ إلاّ ذكرت أمّي فاستحييتُ . قال : فالخمر ؟ قال : تلك السارّة البارّة وشرابُ أهل الجنة . قال : لله درّك ! فأيّ شيء أحسن ما يُشرب عليه ؟ قال : عجبتُ لمن قدَر أن يشرب على وجه السماء في كِنّ من الحرّ والقُرّ كيف يختار عليها شيئاً !

[الوليد وحادثة المصحف]

قال وأخبرنا عمرو عن أبيه عن يحيى بن سُليم قال : دعا الوليد بن يزيد ذات ليلة بمصحف ؛ فلمّا فتحه وافق ورقةً فيها : ﴿واسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ . فقال : أسْجَعاً سَجْعا ! علّقوه ؛ ثم أخذ القوس والنّبل فرماه حتى مزّقه ؛ ثم قال[3] : [من الوافر]

أتُوعِـد كلَّ جَبّـارٍ عنيدٍ فهـا أنا ذاك جبار عنيدُ
إذا لاقيتَ ربَّك يوم حشرٍ فقـل لله مزّقنـي الوليدُ[4]

قال : فما لبِث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتى قتل .

1 أزجى لعلّها أرخى .
2 كان أحد المجان الندماء وسيتكرّر ذكره في الأغاني .
3 ديوان الوليد : ص 35 ، رقم 29 .
4 مزقني في ل والديوان : خرقني .

[غضب على جارية لم تغن كما أمرها]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني معاوية بن بكر عن يعقوب بن عيّاش المَرْوزيّ (من أهل ذي المَرْوة) أنّ أباه حمل عدّةَ جَوارٍ إلى الوليد بن يزيد ؛ فدخل إليه وعنده أخوه عبد الجبار وكان حسنَ الوجه والشّعَرة وفيّها ؛ فأمر الوليد جاريةً منهنّ أن تغنّي[1] : [من البسيط]

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أَوَ آصحاب اللِّوا الصِّيدِ

وأمرها أخوه أن تغنّي[2] : [من الوافر]

أتعجَبُ أن طربتُ لصوت حادِ حـدا بُـزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ

فغنّت ما أمرها به الغمر[3] ؛ فغضب الوليد واحمرّ وجهه ، وظنّ أنّها فعلت ذلك ميلاً إلى أخيه ، وعرفت الشرَّ في وجهه ، فاندفعتْ فغنّت[4] : [من الخفيف]

صوت

أيُّها العاتبُ الذي خاف هجري وبِعـادي ومـا عَمَـدْتُ لذاكا
أتُـرَى أنّنـي بغيـرك صـبٌّ جعـل الله مـن تظـنُّ فداكا
أنت كنتَ الملـولَ في غير شيء بئس مـا قلت ليس ذاك كذاكا
ولَـوَ آنّ الذي عتبـتَ عليـه خُيّر الناسَ واحـداً مـا عداكا
فارْضَ عنّـي جُعلتُ نعليك إنّي والعظيم الجليل أهـوى رضاكا

الشعر لعمر . والغناء لمعبد من روايتي يونس وإسحاق ، ولحنُه من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وذكر حماد في أخبار ابن عائشة أن له فيه لحناً . قال : فسُرّي عن الوليد وقال لها : ما منعك أن تغنّي ما دعوتك إليه ؟ قالت : لم أكن أُحْسِنه ، وكنتُ أحسن الصوتَ الذي سألنيه ، أخذتُه من ابن عائشة ؛ فلمّا تبيّنتُ غضبَك غنّيتُ هذا الصوتَ وكنت أخذته من معبد . تعني الذي اعتذرت به إليه .

1 البيت لحسّان بن ثابت في ديوانه : 349 .
2 البيت لجميل بن معمر . ديوانه : 49 .
3 ذكر أبو الفرج في الخبر أنّ أخاه الذي كان عنده هو عبد الجبّار .
4 أبيات عمر في ديوانه : 288 مع اختلاف في اللفظ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء
صوت

[من البسيط]

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد ... أو عبد شمس أوَ آصحاب اللِّوا الصِّيدِ
أو من بنـي نوفَلٍ أو آل مُطَّلِبٍ ... أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاَعِيدِ
أو من بني زُهْرَةَ الأبطالِ قد عُرِفوا ... للهِ دَرُّك لم تَهْمُـمْ بتهـديدِ

الشعر لحسّان بن ثابت ، يقوله لمُسافِع بن عِياض أحدِ بني تَيْم بن مُرّة ، وخبرُه يذكر بعد هذا . والغناء لابن سريج خفيف رمل بالخنصر ، وقيل : إنّه لمالك .

ومنها : [من البسيط]

صوت

أتعجَب أن طرِبتُ لصوت حادِ ... حـدا بُزْلاً يَسِرْنَ ببطن وادِ
فـلا تعجَبْ فإن الحبّ أمسى ... لبُثْـة في السّواد من الفؤادِ

الشعر لجميل . والغناء لابن عائشة رمل بالبنصر .

[يشتري جارية غنته بشعر المخزومي]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم قال : عُرضتْ على الوليد بن يزيد جاريةٌ مغنّية ، فقال لها : غنِّي ، فغنَّتْ[1] : [من السريع]

صوت

لولا الذي حُمِّلتُ من حُبّكم ... لكـان من إظهـاره مَخْرجُ
أو مذهبٌ في الأرض ذو فسحةٍ ... أجَلْ ومن حَجّتْ له مَذْحِجُ
لكـن سباني منهـمُ شادنٌ ... مربَّـبٌ بينهـمُ أدْعَـجُ
أغـرُّ ممكـورٌ هَضِيمُ الحَشَى ... قد ضاق عنه الحَجْل والدُّمْلُجُ

فقال لها الوليد : لمن هذا الشعر ؟ قالت : للوليد بن يزيد المَخْزوميّ . قال : فمِمَّن أخذتِ الغناء ؟ قالت : من حُنَيْن . فقال : أعِيدِيه ، فأعادته فأجادت ؛ فطرِب الوليد ونعَر وقال : أحسنتِ وأبي وجمعتِ كلَّ ما يُحتاج إليه في غنائك ، وأمر بابتياعها ، وحَظِيَتْ عنده .

غنّى في هذا الصوت ابن سريج ، ولحنُه رمل بالبنصر . وغنّى فيه إسحاق فيما ذكر

1 تقدّم هذا الخبر في هذه الترجمة ، وهناك نسب الشعر إلى الحارث بن خالد المخزوميّ (صفحة 20) .

الهشاميّ خفيفَ ثقيلٍ .

ومِمّا يغنّى به من هذه القصيدة : [من السريع]

صوت

قد صـــرّح القوم وما لَجْلَجُوا لَجُّوا علينا ليـــت لم يَلْجَجُوا

باتـــوا وفيهـــم كالمَهَـــا طَفْلَةٌ قد زانهـــا الخلخـــال والدُّمْلُجُ

غنّاه صباح الخَيّاط خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر . وغنّى فيه ابن أبي الكَنّات خفيفَ ثقيل بالوسطى .

[حسان بن ثابت وهجوه مسافع بن عياض]

فأمّا خبر الشعر الذي قاله حَسّان بن ثابت لمُسَافِع بن عِيَاض أحد بني تَيْم بن مُرّة ، فأخبرني به الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنا عثمان بن عبد الرحمن : أنّ عبيد الله بن مَعْمَر وعبد الله بن عامر بن كُرَيْز اشتريَا من عمر بن الخطاب رضي الله عنه رقيقاً ممّن سُبِي ، ففضل عليهما ثمانون ألف درهم ؛ فأمر بهما عمر أن يُلْزَما . فمرّ بهما طلحة بن عُبيد الله وهو يريدُ الصلاةَ في مسجد رسولِ الله ﷺ فقال : ما لابن مَعْمَرٍ يُلاَزَم ؟ فأُخْبر خبرَه ؛ فأمر له بالأربعين ألفاً التي عليه تُقضى عنه . فقال ابن معمر لابن عامر : إنّها إن قُضيتْ عنّي بقِيتَ مُلازَماً ، وإن قضيتْ عنك لم يتركني طلحة حتى يقضيَ عنّي ؛ فدفع إليه الأربعين ألفاً درهم فقضاها ابن عامر عن نفسه وخُلّيت سبيلُه . فمرّ طلحة منصرفاً من الصلاة فوجد ابنَ معمر يلازَم فقال : ما لابن معمر ؟ ألم آمُرْ بالقضاء عنه ! فأُخْبر بما صنع ؛ فقال : أمّا ابن معمر فعلم أنّ له ابن عمّ لا يُسْلِمه ، إحمِلوا عنه أربعين ألف درهم فاقضوها عنه ، ففعلوا وخُلّي سبيلُه . فقال حَسّان بن ثابت لمُسافِع بن عِيَاض بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة : [من البسيط]

يـــا آلَ تَيْـــم ألاَ تَنْهَوْن جاهلَكم قبـــلَ القِـذاف بصُـــمٍّ كالجلاميدِ

فنَهْنِهُـــوه فإنّـي غيـرُ تاركِكم[1] إن عاد ما اهتزّ ماءٌ في ثَرَى عودِ

لو كنتَ من هاشم أو من بني أسد أو عبد شمس أَوَ آصحاب اللِّوا الصِّيدِ

أو مـــن بنـــي نوفل أو آل مُطَّلِبٍ أو من بني جُمَحَ الخُضْرِ الجَلاعيدِ[2]

1 نهنهوه : ازجروه وكفوه .

2 الجلاعيد : الشداد الصلاب .

أو من بني زُهْرةَ الأبطال قد عُرِفوا ... لله دَرُّك لـم تَهْمُـمْ بتهديدِ
أو في الذُّؤابـة من تَيْم إذا انتَسبوا ... أو من بني الحارث البيض الأماجيدِ
لكـن سأصرفها عنكم وأعدِلُها ... لطلحةَ بـن عبيد الله ذي الجودِ

رجع الخبر إلى سِياقة أخبار الوليد

[الوليد وأبو الأقرع]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن مَهْرويه قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال قال الهَيْثم حدّثني ابن عَيّاش قال : دخل أبو الأَقرع[1] على الوليد بن يزيد ؛ فقال له : أنشِدْني قولَك في الخمر ؛ فأنشده قولَه : [من الطويل]

كُميْتٌ إذا شُجَّتْ وفي الكأس وَرْدةٌ ... لهـا في عظام الشاربـين دبيبُ
تُرِيك القَذَى من دونها وهي دونَه ... لوجـه أخيهـا في الإناء قُطوبُ

فقال الوليد : شربتَها يا أبا الأقرع وربِّ الكعبة ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لئن كان نَعْتي لها رابك لقد رابني معرفتُك بها .

[إعجابه بأم حبيب]

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن عمرو قال قال المدائنيّ : نظر الوليد بن يزيد إلى أم حبيب بنت عبد الرحمن بن مصعب بن عبد الرحمن بن عَوْف وقد مرّوا بين يديها بالشمع ليلاً ، فلمّا رآها أعجبتْه وراعه جمالُها وحسنها ؛ فسأل عنها فقيل له : إن لها زوجاً ؛ فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّمـا هـاج لقلبي ... شَجْوَه بعـد المَشِيبِ
نظرةٌ قد وقَرَتْ في الـ ... ـقلب مـن أمّ حبيبِ
فـإذا مـا ذقتُ فاها ... ذقت عذباً ذا غُروبِ[3]
خالـط الراحَ بمسك ... خالـصٍ غير مشوبِ

غنّاه ابن محرز خفيفَ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ ؛ وذكر عمرو بن بانة أنّه للأبجر ، وهو الصحيح .

---

1 سيترجمُ له أبو الفرج فيما بعدُ .

2 ديوان الوليد : ص 19–20 ، رقم 8 عن الأغاني .

3 الغروب : جمع غرب وهو كثرة ريق الفم وبلله . وغروب الأسنان : مناقع ريقها .

[الوليد بن يزيد في آخر دولته]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرَانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن العُتْبيّ قال : لمّا ظهرت المُسوِّدَةُ[1] بخُرَاسان كتب نصر بن سَيَّار إلى الوليد[2] يستمدّه ، فتشاغَل عنه ؛ فكتب إليه كتاباً وكتب في أسفله يقول : [من الوافر]

أَرى خَلَلَ الرَّماد وَمِيضَ جمرٍ وأَحْرِ بأن يكونَ لـــه ضِرامُ
فإن النـــار بالعوديـــن تُذْكَى وإنّ الحـــرب مبدؤها الكلامُ
فقلتُ من التعجّب ليتَ شعري أَأيقـــاظٌ أُميّـــةُ أم نِيـــامُ

فكتب إليه الوليد : قد أقطعتُك خراسانَ ، فاعمل لنفسك أو دَعْ ، فإنّي مشغول عنك بابن سريج ومعبد والغريض .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابنُ مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن ابن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن حَمّاد الراوية قال : دخلتُ يوماً على الوليد وكان آخرَ يوم لقِيتُه فيه ، فاستنشدني فأنشدتُه كلَّ ضرب من شعر أهل الجاهليّة والإسلام ؛ فما هَشّ لشيء منه حتى أخذتُ في السُّخف فأنشدته لعَمّار ذي كناز[3] مجنبذا[4] : [من مجزوء الخفيف]

أشتهي مِنْكِ منك منـ ـــك مكانـاً مُجَنْبذا
فأجَـا فيـه فيـه فيـ ـــه بأيْـر كمثـل ذا
ليت أَيْري وحِرَك يو مـاً جميعـاً تَجابَذَا
فأخـــذ ذا بشعر ذا وأخـــذ ذا بقعـــر ذا

فضحك حتى استلقى وطرب ، ودعا بالشراب فشرب ؛ وجعل يَستعيدني الأبياتَ فأُعيدها حتى سكِر وأمر لي بجائزة ؛ فعلمتُ أنّ أمره قد أدبر . ثم أُدخلتُ على أبي مُسْلمٍ فاستنشدني فأنشدتُه ، قولَ الأفوَه[5] :

لنـا معاشرُ لم يـبنوا لقومهمُ

---

1 المسودة : دعاة بني العبّاس .

2 في الطبري (أحداث سنة 129) وغيره من كتب التاريخ أنّه بعث بهذه الأبيات إلى مروان بن محمّد آخر خلفاء بني أُميّة .

3 شاعر ماجن سيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

4 لعلّ المقصود الأبيات التي ترِد هذه الكلمة في مطلعها والمجنبذ : المرتفع .

5 هو الأفوه الأودي صلاءة بن عمرو وسيترجم له أبو الفرج فيما بعد .

فلمّا بلغتُ إلى قوله : [من البسيط]

تُهدَى الأمورُ بأهلِ الرشد ما صَلَحَتْ وإن تولّت فبالأشرار تَنقادُ

قال : أنا ذلك الذي تنقاد به الناس ؛ فأيقنت حينئذ أنّ أمره مُقْبِل .

[خطب يوماً خطبة الجمعة بشعر]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال : وجدتُ في كتاب عن عبيد الله بن سعيد الزُّهْريّ عن عمر عن أبيه قال : خرج الوليد بن يزيد وكان مع أصحابه على شراب ؛ فقيل له : إنّ اليوم الجمعة ؛ فقال : والله لأخطبنّهم اليوم بشعر ؛ فصعِد المِنبَر فخطب فقال[1] : [من الرجز]

الحمد لله وليِّ الحمدِ أحمَدُه في يُسْرنا والجَهْدِ
وهو الذي في الكرب أستعينُ وهو الذي ليس له قرينُ
أشهد في الدنيا وما سواها أن لا إله غيره إلها
ما إن له في خَلْقه شَريكُ قد خضَعتْ لملكه الملوكُ
أشهد أنّ الدّين دينُ أحمدِ فليس من خالَفه بمهتدِي
وأنّه رسولُ ربِّ العرشِ القادرِ الفردِ الشديدِ البطشِ
أرسله في خَلْقه نذيرا وبالكتاب واعظاً بشيرا
ليُظهِرَ اللهُ بذاك الدّينا وقد جُعِلْنا قبلُ مُشركِينا
من يُطِع اللهَ فقد أصابا أو يَعْصِه أو الرسولَ خابا
ثم القُرانُ والهدى السبيلُ قد بقِيا لمّا مضى الرسولُ
كأنّه لما بقي لديكُم حيٌّ صحيحٌ لا يزال فيكم
إنّكم من بعدُ إن تَزِلُّوا عن قصده أو نَهْجِه تَضِلُّوا
لا تَتْركنْ نصحي فإنّي ناصحُ إنّ الطريق فاعلمنّ واضحُ
من يَتّق الله يَجِد غِبَّ التّقى يوم الحساب صائراً إلى الهدى
إن التُّقى أفضلُ شيءٍ في العمل أرَى جِمَاعَ البرّ فيه قد دخلْ
خافوا الجحيمَ إخوتي لعلّكم يومَ اللقاء تعرِفوا ما سرَّكمْ
قد قيل في الأمثال لو علمتُم فانتفِعوا بذاك إن عَقَلْتُم

1 ديوان الوليد : ص 99 –100 ، رقم 115 .

ما يزرعُ الزارعُ يوماً يحصدُهْ وما يقدِّم من صلاح يَحمَدُهْ
فاستغفِروا ربَّكُم وتوبوا فالموتُ منكم فاعلموا قريبُ

ثم نزل .

[الوليد بن يزيد والوليد البندار]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمد النَّوفليّ عن أبيه عن الوليد البُنْدار[1] قال : حَججتُ مع الوليد بن يزيد ؛ فقلت له لما أراد أن يخطبَ الناسَ : أيها الأمير ؛ إنّ اليومَ يومٌ يشهَدُهُ الناسُ من جميع الآفاق ، وأريد أن تشرّفني بشيء .

قال : وما هو ؟ قلتُ : إذا علوتَ المنبر دعوتَ بي فيتحدّث الناس بذلك وبأنك أَسْرَرْتَ إليّ شيئاً ؛ فقال : أَفْعلُ . فلما جلس على المنبر قال : الوليد البُنْدار ؛ فقمتُ إليه ، فقال : ادْنُ منّي فدنوتُ ؛ فأخذ بأُذُني ثم قال : البُندار ولدُ زنا ، والوليدُ ولدُ زنا ، وكلٌّ من ترى حولنا ولدُ زِنا ، أفهمتَ ؟ قلتُ : نعم ؛ قال : انزل الآن ، فنزلتُ .

[نادرة مع أشعب]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن أشْعَب قال : دخلتُ على الوليد بن يزيد الخاسر وقد تناول نبيذاً ، فقال لي : تَمَنّ ؛ فقلت : يتمنّى أميرُ المؤمنين ثم أتمنّى ؛ قال : فإنما أردتَ أن تَغلِبَني ، فإنّي لأتمنّى ضعفَ ما تتمنّى به كائناً ما كان ؛ قلت : فإنّي أتمنّى كِفْلَيْن[2] من العذاب ؛ فضحك ثم قال : إذاً نوفّرهما عليك . ثم قال لي : ما أشياءُ تبلُغُني عنك ؟ قلتُ : يكذبون عليّ . قال : متى عهدُك بالأصمّ ؟ قلتُ : لا عهدَ لي به . فأخرج أيرَه كأنّه نايٌ مدهون ، فسجدتُ له ثلاثَ سجدات ؛ فقال : وَيْلَكَ إنّما يسجُد الناسُ سَجدةً واحدةً ؛ فقلت : واحدةً للأصمّ واثنتين لخُصْيتيك .

[يغالي بالجوهر]

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدّثنا محمد بن عليّ بن حمزة قال حدّثني عبد الصمد بن موسى الهاشميّ قال : إنّما أَغْلَى الجوهرَ بنو أميَّة ؛ ولقد كان الوليد بن يزيد يلبَس منه العقودَ ويغيّرها في اليوم مراراً كما تُغيِّر الثياب شغفاً ؛ فكان يجمعه من كلّ وجه ويُغَالِي به .

[برز للناس راكباً فرساً]

قال : وكان يوماً في داره على فرس له وجاريةٌ تضرِب بطبل قدّامَه ؛ فأخذه منها ووضعه على رقبته ، ونفَر الفرسُ من صوت الطبل فخرج به على أصحابه في هذه الهيئة ، وكان خليعاً .

---

1 البندار : الخازن .

2 الكفل : النصيب .

[قدم المدينة وبعث لابن يسار بخمر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن جُوَيرية بن أسماء قال : قدِم الوليد بن يزيد المدينةَ ؛ فقلتُ لإسماعيل بن يَسار : أَحْذِنا[1] ممّا أعطاك الله ؛ فقال : هَلُمّ أُقاسِمْك إن قبلتَ ، بعَث إليّ براويةٍ[2] من خمر .

[أمر بإسكار حاجبه وكان لا يشرب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصعَب قال حدّثني رجل قال : كان الوليد بن يزيد إذا أصبح يومَ الاثنين تغدّى وشرِب رِطْلين ثم جلس للناس . قال : فحدّثني عمر الوادي قال : دخلتُ عليه وعنده أصحابُه وقد تغدّى وهو يشرب ؛ فقال لي : اشرب فشرِبت ، وطرب ، وغنّى صوتاً واحداً وأخذ دَفّافة فدفف بها ، فأخذ كلٌّ واحد منا دفافة فدفف بها ، وقام وقمنا حتى بلغنا إلى الحاجبِ ؛ فلمّا رآنا الحاجب صاح بالناس : الحُرَم الحُرَم ؛ اخرُجوا . ودخل الحاجب فقال : جعلني الله فداءَك ، اليومَ يحضُر فيه الناس ؛ فقال له : اجلس واشرب ؛ فقال : إنّما أنا حاجب فلا تحمِلْني على الشّراب فما شربته قطّ ؛ قال : اجلس فاشرب ، فامتنع ؛ فما فارقناه حتى صببنا في حلقه بالقِمع وقام وهو سكران .

[افتري عليه افتراعه ابنته]

أخبرني أحمد بن عُبيد بن عَمّار قال حدّثني يعقوب بن شَريك قال حدّثني عمّي علي بن عمرو قَرْقارة قال حدّثني أُنَيْف بن هشام بن الكلبيّ ومات قبل أبيه قال حدّثني أبي قال : خرج الوليد بن يزيد من مقصورةٍ له إلى مقصورةٍ ؛ فإذا هو ببنت له معها حاضِنتُها ، فوثب عليها فافترعها ؛ فقالت له الحاضِنة ؛ إنها المجوسيّة ؛ قال : اسكتي ! ثم قال : [من مخلع البسيط]

مَن رَاقب الناسَ مات غَمّاً وفــازَ باللــذّةِ الجَسورُ

وأحسب أنا أنّ هذا الخبر باطلٌ ؛ لأنّ هذا الشعر لسَلْم الخاسر ، ولم يُدرك زمن الوليد .

[تمنى غلاء الخمر وعزة النساء]

أخبرنا أحمد بن عبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق الموصليّ قال أخبرني مَسْلَمة بن سَلْم الكاتب قال : قال الوليد بن يزيد : ودِدْتُ أن كل كأس تُشْرَبُ من خمر بدينار ، وأن كلّ حِرٍ في جبهة أسد ، فلا يَشرب إلاّ سخيّ ، ولا ينكِح إلاّ شجاعٌ .

[شرب شرب الفرس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال :

---

1 أحذنا : أعطنا .

2 الراوية : القربة .

سمعتُ رجلاً يحدّث أبي بالكوفة قال : أرسلت إلى الوليد جَفْنةٌ مملوءةٌ قواريرَ فِرْعَوْنيّة لم يُرَ مثلُها قطّ . فلما أمسينا صبَبْنا فيها الشراب في ليلة أربعَ عشرةَ ، حتى إذا استوى القمر على رؤوسنا وصار في الجفنة قال الوليد : في أيّ منزلةٍ القمرُ الليلةَ ؟ فقال بعضهم : في الحَمَل ، وقال بعضهم : في منزلة كذا وكذا من منازل القمر ؛ فقال بعض جلسائه : القمرُ في الجفنة ؛ قال : قاتَلك الله ! أصبتَ ما في نفسي ! لتَشْربنَّ الهفتجنّة[1] . فقال مصعب : فسأل أبي عن الهفتجنّة فقال : شُرْب كانت الفرسُ تشربه سبعةَ أسابيع . فشرب تسعةً وأربعين يوماً .

[رثاء ابن أذينة لأخيه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير قال حدّثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهريّ عن عبد الله بن عِمْران بن أبي فَرْوة قال أخبرني خالد صامة المغنّي وكان من أحسن الناس غناءً على عودٍ قال : بعث إليّ الوليد بن يزيد ، فقدِمتُ عليه ، فوجدتُ عنده معبداً ومالكاً والهُذليّ وعمر الوادي وأبا كامل ؛ فغنّى القوم ونحن في مجلس يا لَه من مجلس ! وغلامٌ للوليد يقال له سَبْرة يَسقي القومَ الطِّلاءَ ، إذ جاءت نَوْبةُ الغناء إليّ ، فأخذتُ عودي فغنّيت بأبيات قالها عُروة بن أُذينة يرثي أخاه بكراً : [من الوافر]

صوت

سَرَى همّي وهمُّ المرء يَسري ... وغـار النجـمُ إلاّ قِيـدَ فِتْرِ
أُرَاقب في المَجَـرّة كلّ نجم ... تعرّض في المجرّة كيف يَجري
بحُـزْن مـا أزال لـه مُديماً ... كأنّ القلب أُسعر حـرَّ جمرِ
على بكـر أخـي ولّـى حميداً ... وأيُّ العيش يحسُن بعـد بكرِ

غنّاه ابن سريج ثانيَ ثقيل بالوسطى . وغنّى فيه ابن عَبّاد الكاتب ولحنه رمل بالوسطى عن الهشاميّ ، قال خالد : فقال لي الوليد : أعِدْ يا صَامُ فأعدتُ ؛ فقال : من يقوله ويحك ؟ قلتُ : ابن أذينة ؛ قال : هذا والله العيشُ الذي نحن فيه على رغم أنفه ، لقد تحجَّر[2] واسعاً . قال عبد الرحمن بن عبد الله قال عبد الله بن أبي فَرْوة : وأنشدها ابنُ أذينة ابنَ أبي عتيق ؛ فضحك ابن أبي عتيق وقال : كلّ العيش يحسُن حتى الخبز والزيت ؛ فحلَف ابنُ أذينة لا يكلّمه أبداً ؛ فمات ابن أبي عَتيق وابنُ أذينة مهاجِرٌ له .

1 الهفتجنة : كلمة فارسية مركّبة من «هفت» : سبعة و«جنة» : مرح .
2 تحجر واسعاً : ضيقه .

[أنشدت سكينة بنت الحسين شعر ابن أذينة فاعترضت عليه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد قال : بلغني أنّ سكينة بنت الحسين رضي الله عنها أُنْشِدَتْ ، وأخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزبير عن مصعب قال : أُنشدتُ سكينةُ ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن عبّاد عن أبيه عن أبي يحيى العِباديّ : أنّ سكينة أنشدت أبياتَ عروة بن أذينة في أخيه بكر ؛ فلما انتهت إلى قوله : [من الوافر]

على بكر أخـي ولّـى حميداً وأيُّ العيش يحسُن بعد بكر

قالت سكينة : ومن أخوة بكر ! أليس الدَّحْدَاحَ الأُسيِّدَ القصير الذي كان يمرّ بنا صباحاً ومساءً ؟ قالوا : نعم ؛ قالت : كلّ العيش والله يصلح ويحسن بعد بكر حتى الخبز والزيت .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا يزيد بن محمد المهلّبيّ عن إسحاق قال : قدِم سليمان بن عبد الملك المدينةَ ، فجمع المغنّين وسَبَّق بينهم بِبَدْرة ، وقال : أيُّكم كان أحسن غناءً فهي له ؛ فاجتمعوا . فبلغ الخبرُ ابنَ سريج ، فجاء وقد أُغْلِق الباب ؛ فقال للحاجب : استأذِن لي ؛ قال : لا يُمكن وقد أُغلق الباب ، ولو كنتَ جئت قبل أن يُغلقَ الباب لاستأذنتُ لك . قال : فدعني أغنّ من شقّ الباب ؛ قال نعم . فسكتَ حتى فرغ جميعُ المغنّين من غنائهم ثم اندفع فغنّى :

سرى همّي وهمُّ المرء يسري

فنظر المغنُّون بعضُهم إلى بعض وعرفوه ؛ فلما فرغ قال سليمان : أحسن والله ! هذا والله أحسنُ منكم غناءً ، أُخرج يا غلام إليه بالبَدْرة ، فأخرجها إليه .

[الوليد بن يزيد وفرسه السندي]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ عن ابن جُعْدُبَة : أنّ رجلاً أهدى إلى هشام بن عبد الملك خيلاً ، فكان فيها فرس مرْبُوعٌ قريبُ الرِّكاب ؛ فعرف الوليد منه ما لم يعرف هشام ، فنهَر الرجلَ وشتَمه وقال : أتَجيء بمثل هذا إلى أمير المؤمنين ! رُدّوه عليه ، فردّوه . فلما خرج وجّه إليه بثلاثين ألف درهم وأخذه منه ؛ فهو فرسه الذي يسمّيه السِّنْديّ .

فأخبرني بعض أصحابي أن الوليد خرج يوماً يتصيّد وحده ؛ فانتدَب إليه مولًى لهشام يريد الفتك به . فلمّا بَصُر به الوليد حاوَله فقهره بفرسه الذي كان تحته فقتله . وقال في ذلك[1] : [من الطويل]

ألم تَـرَ أنّي بـين ما أنا آمِنٌ يَخُبّ بـي السِّنْديُّ قفراً فَيَافِيَا
تطلّعتُ من غَوْرٍ فأبصرتُ فارساً فأوجستُ منه خِيفـةً أن يرانيا

1 ديوان الوليد : ص 94–95 ، رقم 111 عن الأغاني .

ولما بـــدا لي أنما هـــو فارسٌ وقفتُ لـــه حتى أتى فرمانيا
رمـــاني ثلاثـــاً ثم إنّي طعنتُه فروَّيْتُ منـــه صَعْدتي وسِنانيا

غنّاه أبو كامل لحناً من الماخُوريّ بالبنصر . ولإبراهيم فيه ثقيل أوّل ، وقيل : إن له فيه ماخُورِيّاً آخر . وفيه لعمر الوادي ثاني ثقيل . ولمالك رَمَلٌ من رواية الهشاميّ .

قال : وقال الوليد أيضاً في فرسه السِّنْديّ[1] : [من الرجز]

قد أَغْتدِي بذي سَبِيبٍ هَيْكلِ مُشَرَّب مثـلِ الغرابِ أرْجَلِ[2]
أعددتـــه لحَلَبـــاتِ الأحـــولِ وكلِّ نَقْـــع ثائـــرٍ لجَحْفَلِ
وكلِّ خَطْب ذي شؤون مُعْضِلِ

فقال هشام : لكنّا أعددنا له ما يسوءه ، نخلَعه ونُقْصِيه ، فيكون مهاناً مدحوراً مُطَّرَحاً .

[رثاؤه سلمى]

نسختُ من كتاب أحمد بن أبي طاهر حدّثني أبو الحسن العَقِيليّ : أنّ الوليد لمّا ولي الخلافةَ خطَب سَلْمَى التي كان يَنْسِبُ بها ، فزوَّجها لمّا مضى صدرٌ من خلافته ؛ فقامت عنده سبعةَ أيّام فماتت ؛ فقال يرثيها[3] : [من الكامل]

يا سلم كنتِ كجنّةٍ قد أَطْعَمتْ أفنانُهـــا دانٍ جَناهـا مُوَضَّعُ
أربابُهـــا شَفَقاً عليها نومُهم تحليـل موضعها ولَمّـا يَهْجَعوا
حتى إذا فسح الربيعُ ظنونَهم نَثَر الخريفُ ثمارَها فتصدّعوا

[أمر بقتل نديمه القاسم ثم ندم ورثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن أبي العالِية ، وأخبرني الحسن بن علي عن أحمد بن سَعيد عن الزُّبَير بن بكّار عن عمّه : أنّ الوليد بن يزيد لمّا انهمك على شربه ولذّاته ورفَض الآخرةَ وراء ظهره وأقبل على القَصْف والعسف[4] مع المغنّين مثل مالك ومعبد وابن عائشة وذويهم ، كان نديمُه القاسمَ بن الطويل العباديّ ، وكان أديباً ظريفاً شاعراً ، فكان لا يصبر عنه ؛ فغنّاه معبد ذات يوم شعر عديّ بن زيد العَباديّ : [من الخفيف]

---

1 ديوان الوليد : ص 73–74 ، رقم 80 .
2 السبيب من الفرس : شعر الذنب والعُرف والناصية . الهيكل من الخيل : الكثيف العبل اللين . مشرب : امتزج لونه بحمرة . الأرجل : الذي في إحدى رجليه بياض .
3 ديوان الوليد : ص 56 ، رقم 58 عن الأغاني .
4 ل : والعصف .

صوت

بكَر العاذلون في وَضَح الصبـ ـح يقولـون لي ألا تَستفيقُ
لستُ أدْري وقد جفاني خليلي أعـدوٌّ يلومنـي أم صديـقُ
ثـم قالـوا ألا اصْبَحونا فقامت قينـةٌ في يمِينهـا إبريـقُ
قدّمتْه على عُقـار كعين الـ ـدّيـكِ صَفّى سُلاَفَها الرّاووقُ

فيه لمعبد ثقيل أوّل ويقال إنّه لحُنَين . وفيه لمالك خفيف رمل . وفيه لعبد الله بن العبّاس رَمَلٌ كلٌّ ذلك عن الهشاميّ قال : فاستحسنه الوليد وأُعْجِبَ به وطرب عليه وجعل يشرب إلى أن غلب عليه السكر فنام في موضعه ، فانصرف ابن الطويل . فلما أفاق الوليد سأل عنه ، فعُرِّف حين انصرافه ؛ فغضب وقال وهو سكران لغلام كان واقفاً على رأسه يقال له سَبْرة : ائتني برأسه ، فمضى الغلام حتى ضرب عنقَه وأتاه برأسه فجعله في طَسْت بين يديه ؛ فلما رآه أنكره وسأل عن الخبر فعُرِّفَه فاسترجَع وندم على ما فرط منه ، وجعل يقلِّب الرأسَ بيده . ثم قال يرثيه[1] : [من مجزوء الكامل]

صوت

عَيْنَيّ للحَـدَث الجليل جُـودَا بأَرْبعـةٍ هُمُولِ
جـودا بدمـع إنّه يشفي الفؤادَ من الغَليلِ
لله قبـرٌ ضُمِّنـت فيـه عظامُ ابن الطويلِ
مـاذا تضمَّن إذ ثَوَى فيـه مـن اللّبّ الأصيلِ
قـد كنتُ آوِي من هوا ك إلى ذَرى كَهْفٍ ظَليلِ[2]
أصبحتُ بعدك واحـداً فرداً بمَدْرَجـة السيولِ

غنّاه الغَريض ثانيَ ثقيل بالوسطى عن عمرو . وغنّى فيه سُلَيم لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر غيره أنّ لحن الغريض لدَحْمَان ، وذكر حبشٌ أنّه لأبي كامل ، وذكر غيرُه أنّ لحن الغريض لدَحمان . قال : ثم دخل إلى جواريه فقال : والله ما أبالي متى جاءني الموت بعد الخليل ابن الطويل . فيقال : إنّه لم يَعِشْ بعده إلاّ مُدَيدةً حتى قُتل . والله أعلم .

[أجاز حماداً الراوية على إنشاده]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال رَوى الهيثم بن عديّ عن ابن عَيَّاش عن

---

1 ديوان الوليد : ص 70–71 ، رقم 75 عن الأغاني .

2 الذرى : كلّ ما استتر به . يقال أنا في ظلّ فلان وذراه ، أي في كنفه وستره .

حَمَّاد الراوية قال : دعاني الوليد يوماً من الأيّام في السَّحَر والقمر طالعٌ وعنده جماعةٌ من ندمائه وقد اصطبح ؛ فقال : أنشدني في النَّسيب ؛ فأنشدته أشعاراً كثيرة ، فلم يَهَشَّ لشيء منها ، حتى أنشدته قولَ عمّار ذي كناز : [من مجزوء الخفيف]

إصْبَحِ القـومَ قهـوةً في الأباريـق تُحْتَـذَى
مـن كُمَيْت مُدامـةٍ حَبّـذا تلـك حبّـذا

فطرب . ثم رفع رأسَه إلى خادم وكان قائماً كأنّه الشمس ، فأومأ إليه فكشف سِتْراً خلفَ ظهره ، فطلع منه أربعون وصيفاً ووصيفةً كأنّهم اللؤلؤ المنثور في أيديهم الأباريقُ والمناديل ؛ فقال : اسْقُوهم ، فما بَقي أحد إلاّ أُسْقِي ، وأنا في خلال ذلك أُنْشِده الشعر ؛ فما زال يشرب ويسقي إلى طلوع الفجر . ثم لم نخرج عن حضرته حتى حَملنا الفرّاشون في البُسُط فألقَوْنا في دار الضيافة ، فما أفَقْنا حتى طلعت الشمس . قال حَمّاد : ثم أحضرني فخلَع عليّ خِلعاً من فاخر ثيابه وأمر لي بعشرة آلاف درهم وحمَلني على فرس .

[خاصم وكيله في أرض لدى هشام فلم ينصفه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنيّ عن أبي بكر الهُذَلِيّ قال : كان بين الحَكَم بن الزُّبَير أخي أبي بكر بن كلاب وبين بكر بن نَوْفل أحدِ بني جعفر بن كلاب شيءٌ في وَكالة للوليد بن يزيد يخاصم الجعفريّ في الرَّحبة[1] من أرض دمشق ، وكان الجعفريُّ قد استولى عليها فقطع شَفْرَه الأعلى ، فاستعدى عليه هشاماً فلم يُعْدِه ؛ فقال الوليد في ذلك[2] : [من الطويل]

صوت

أيَا حَكَمُ المَتْبولُ لو كنتَ تَعْتَزي إلى أُسرةٍ ليسوا بسُود زعانِـفِ[3]
لأيقنتَ قد أدركتَ وَتْرَك عَنْوةً بلا حُكْم قاضٍ بل بضرب السوالفِ

غنّاه الهُذَلِيّ ثقيلاً أوّل عن الهشاميّ ويونس . قال : فلما استُخلِف الوليد بعث إلى بكر بن نوفل الجَعْفَريّ فقال : ألا تعطي حَكَمَ بن الزُّبَيْر حقَّه ! قال : لا ؛ فأمر به فشُترت[4] عينُه . ثم قال[5] : [من الرجز]

1 الرحبة : قرية قرب دمشق .
2 ديوان الوليد : ص 59 ، رقم 62 عن الأغاني .
3 المتبول : الذي به تبل ، وهو الذحل والعداوة . تعتزي : تنتسب .
4 شتر عينه : شقّها وقلب جفنها .
5 ديوانه : ص 73 ، رقم 80 .

يا ربَّ أمرٍ ذي شؤون جَحْفلِ قاسيتُ فيه جَلَباتِ الأحْوَلِ[1]

[مات ابنه مؤمن ونعاه إليه سنان الكاتب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : خرج الوليد إلى متصيَّد له فأقام به ، ومات له ابنٌ يقال له مؤمِن بن الوليد ، فلم يقدر أحدٌ أن يَنعاه إليه ، حتى ثَمِل فنعاه إليه سِنانٌ الكاتب وكان مغنّياً ؛ فقال الوليد وفي هذا الشعر غناء من الأصوات التي اختيرت للواثق والرشيد قبله[2] : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

أتاني سِنَانٌ بالوَدَاع لمؤمنٍ فقلتُ له إني إلى الله راجِعُ
ألاَ أيّها الحائِي عليه ترابَه هُبِلْتَ وشَلَّتْ من يديك الأصابعُ
يقولون لا تجزَعْ وأظهِرْ جَلادةً فكيفَ بما تُحْنَى عليه الأضالعُ

عروضُه من الطويل . غنّاه سِنان الكاتب ، ولحنُه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لأبي كامل خفيفُ ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وقيل : إنّ فيه لحناً لعبد الله بن يونس صاحب أيْلَة .

[كتب له مؤدبه شعراً ينصحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبَّة قال حدّثني عَقيل بن عمرو قال : قال يزيد بن أبي مُساحِق السُّلَميّ مؤدِّب الوليد شعراً وبعث به إلى النَّوَار جارية الوليد ، فغنّته به ، وهو : [من الوافر]

مَضى الخلفاءُ بالأمر الحميدِ وأصبحت المذَمَّةُ للوليدِ
تشاغل عن رعيَّته بلهو وخالف فعلَ ذي الرأي الرشيدِ

فكتب إليه الوليد[3] : [من مجزوء الرمل]

ليت حظِّي اليومَ من كـ ـلّ مَعاشٍ لي وزادِ
قهوةٌ أبذُل فيها طارفي ثم تِلادي

1 الجلبات : جمع جلبة ، وهي الشدّة والجهد . والأحول : هو هشام بن عبد الملك .
2 ديوان الوليد : ص 54 ، رقم 55 .
3 ديوان الوليد : ص 38 ، رقم 34 .

فيَظَـلّ القلـب منهـا هائمـاً في كلّ وادِ
إن في ذاك صلاحـي وفلاحـي ورشادي

[نهى بني أمية عن الغناء]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إبراهيم بن الوليد الحِمْصيّ قال حدّثنا هارون بن الحسن العَنْبَريّ قال : قال الوليد بن يزيد : يا بني أُميّة ، إيّاكم والغناءَ فإنّه ينقُص الحياءَ ويَزيدُ في الشهوة ويهدِم المروءةَ ويُثَوِّر على الخمر ويفعل ما يفعل السكر ، فإن كنتم لا بدّ فاعلين ، فجنِّبوه النساء فإنّ الغناء رُقْيةُ الزِّنا . وإنّي لأقول ذلك فيه على أنّه أحبُّ إليّ من كل لذّة وأشهى إليّ من الماء البارد إلى ذي الغُلّة ، ولكن الحقُّ أحقُّ أن يقال .

[أنكر الناس عليه البيعة لابنيه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال حدّثني بعضُ موالي الوليد قال : دخلتُ إليه وقد عقد لأبنيه بعده وقدَّم عثمان ؛ فقلت له : يا أمير المؤمنين ، أقول قولَ الموثوقِ بنصيحته أو يَسَعُني السكوت ؟ قال : بل قُلْ قولَ الموثوق به ؛ فقلت : إنّ الناس قد أنكروا ما فعلتَ وقالوا : يُبايع لمن لم يَحْتلِمْ ؛ وقد سمعتُ ما أكره فيك ؛ فقال : عَضُّوا ببظور أُمّهاتكم ، أفأُدْخِل بيني وبين ابني غيري ؛ فيَلْقَى منه كما لَقِيتُ من الأحول بعد أبي ! ثم أنشأ يقول[1] : [من المتقارب]

صوت

سَرَى طيفُ ذا الظبي بالعاقِدا ن ليلاً فهيَّج قلبـاً عميدا
وأرّق عينـي عـلى غِـرّة فباتت بحزنٍ تقاسي السُّهودا
نؤمـل عثمان بعـد الوليـ ـد للعهد فينا ونرجو سعيدا[2]
كما كان إذ كان في دهـره يزيـدُ يرجِّـي لتلك الوليدا
على أنّهـا شَسَعتْ شَسْعَةً فنحن نرجِّـي لهـا أن تعودا[3]
فإن هـي عادت فعاصِ القريـ ـبَ منها لتؤيِسَ منها البعيدا[4]

1 ديوانه : ص 104 ، رقم 3 . وقد ذكر المحقّق أنّ الأبيات منسوبة في الطبري لشاعر مجهول وفي تهذيب ابن عساكر 6 : 177 لشاعر اسمه أبو معدان .

2 رواية هذا البيت في الطبري : نبايع عثمان بعد الوليد أو حكماً ونرجو يزيدا

3 شسعت : بعدت .

4 عاص القريب : أي جافه ولا توص بولاية العهد له . وفي الديوان : فأوص القريب .

غنّاه أبو كامل ثانيَ ثقيل بالبنصر من أصوات قليلة الأشباه . وذكر عمرو بن بانة أنّ فيه لعمر الوادي لحناً من الماخوريّ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أنّ فيه خفيفَ رمل لحَكَم ، وذكرت دنانيرُ عن حكم أنّه لعمر الوادي ، وذكر حبش أنّ الثقيل الثاني لمالك وأنّ فيه لفَضْل النجّار رَمَلاً بالبنصر ، أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبَير بن بَكّار قال : هو

سرى طيفُ ظبي بأعلى الغُوَيْر

ولكن هذا تصحيف سليمان السَّوَادي أو قال : خُلَيد .

[حبس يزيد الناقص ولدي الوليد وقتلهما]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثني إسحاق قال : كان الوليد قد بايع لابنيه الحَكَم وعثمان ، وهو أوّل من بايع لابن سُرِّيَّةٍ أَمَةٍ ، ولم يكونوا يفعلون ذلك ، وأخذهما يزيد بن الوليد الناقص ، فحبَسهما ثم قتلهما ؛ وفيهما يقول ابنُ أبي عَقِب : [من الطويل]

إذا قُتِل الخَلْف المُديمُ لسُكره ... بقَفْر من البَخْراء أُسِّس في الرَّملِ[1]

وسِيق بلا جُرْم إلى الحَتْف والرَّدَى ... بُنيَّاه حتى يُذْبحا مَذْبحَ السَّخْلِ

فويلُ بني مروان ماذا أصابهم ... بأيدي بني العباس بالأسْر والقتلِ

[تبع الكلبي الزنديق في القول بالمثنوية]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني علي بن محمد النَّوْفليّ قال حدّثني أبي عن العَلاَء البندار قال : كان الوليد زِنديقاً ، وكان رجلٌ من كَلْب يقول بمقالته مقالةِ الثَّنويّة ؛ فدخلتُ على الوليد يوماً وذلك الكلبيُّ عنده ، وإذا بينهما سَفَطٌ قد رُفع رأسه عنه فإذا ما يبدو لي منه حريرٌ أخضرُ ؛ فقال : ادْنُ يا عَلاَء فدنوتُ ، فرفع الحريرةَ فإذا في السَّفَط صورة إنسان وإذا الزئبقُ والنوشادِر قد جُعلا في جفنه فجفنُه يَطْرِف كأنّه يتحرّك ؛ فقال : يا عَلاء ، هذا مانِي[2] ، لم يَبْتَعِثِ اللهُ نبيّاً قبله ولا يبتعثُ نبيّاً بعده . فقلت : يا أمير المؤمنين ، اتَّقِ الله ولا يَغُرَّنّك هذا الذي ترى عن دينك . فقال له الكلبيّ : يا أمير المؤمنين ، ألم أَقُلْ لك : إن العلاء لا يَحتمل هذا الحديث . قال العلاء : ومَكثتُ أيّاماً ، ثم جلستُ مع الوليد على بناء كان بناه في عسكره يُشرف به والكلبيّ عنده ، إذ نزل من عنده وقد كان الوليدُ حمَله على بِرذَوْن هِمْلاج[3]

1 البخراء : أرض بالشام شديدة النتن والعفونة .

2 هو ماني بن فاتك الحكيم اتّخذ ديناً بين المجوسيّة والنصرانية .

3 الهملاج : الحسن السير في سرعة وبخترة .

أشقرَ من أفْرَهِ ما سُخِّر ، فخرج على بِرْذَوْنه ذلك فمضى به في الصحراء حتى غاب عن العسكر ؛ فما شَعَر إلاّ وأعرابٌ قد جاؤوا به يحملونه منفسِخةً عنقُه ميِّتاً وبِرذونُه يُقاد حتى أسلموه . فبلغني ذلك ، فخرجتُ متعمِّداً حتى أتيتُ أولئك الأعرابَ ، وقد كانت لهم أبياتٌ بالقرب منه في أرض البَخْراء لا حجرَ فيها ولا مَدَر فقلت لهم : كيف كانت قصّة هذا الرجل ؟ قالوا : أقبل علينا على برذون فوالله لكأنّه دُهْنٌ يسيل على صَفَاة من فَراهته ، فعجِبنا لذلك ؛ إذ انقضّ رجلٌ من السماء عليه ثيابٌ بيض فأخذ بضَبْعَيْه فاحتمله ثم نكَسه وضرب برأسه الأرضَ فدَقَّ عنقَه ثم غاب عن عيوننا ؛ فاحتملناه فجئنا به .

[قصة الخارجين عليه ومقتله]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الخَرّاز عن المدائنيّ قال : لما أكثر الوليد بن يزيد التهتّكَ وآنهمك في اللّذّات وشُرْب الخمر وبسَطَ المكروهَ على ولَد هشام والوليد وأفرط في أمره وغيِّه ، ملّ الناسُ أيّامَه وكرِهوه . وكان قد عقَد لأبنيه بعده ولم يكونا بلَغا ؛ فمشى الناسُ بعضُهم إلى بعض في خَلْعه ، وكان أقواهم في ذلك يزيدَ الناقصَ بن الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فمشى إلى أخيه العباس ، وكان امرأً صدقٍ ولم يكن في بني أميّة مثلُه ، كان يتشبّه بعمر بن عبد العزيز ، فشكا إليه ما يَجري على الناس من الوليد ؛ فقال له : يا أخي ، إن الناس قد ملّوا بني مروان ، وإنْ مَشَى بعضُكم في أمر بعض أُكِلْتم ، ولله أجَلٌ لا بدّ أن يَبْلُغه فانتظِرْه . فخرج من عنده ومشى إلى غيره ، فبايعه جماعةٌ من اليمانيّة الوجوه ؛ فعاد إلى أخيه ومعه مولًى له وأعاد عليه القولَ وعرَّض له بأنّه قد دُعِي إلى الخلافة فقال له : والله لولا أني لا آمَنُه عليك من تحامُله لوجّهتُ بك إليه مشدوداً ؛ فنشَدتُك الله ألاّ تَسعى في شيء من هذا . فانصرف من عنده وجعل يدعو الناسَ إلى نفسه . وبلغ الوليدَ ذلك فقال يذكر قومَه ومَشْيَ بعضهم إلى بعض في خلعه[1] : [من مجزوء الرمل]

صوت

سَلَّ همَّ النفس عنها ... بعَلَنْداةٍ عَلاَةِ[2]
تتّقي الأرضَ وتَهوِي ... بِخفَافٍ مُدْمَجَاتِ
ذاك أمْ ما بال قومي ... كسَروا سِنَّ قَناتي
واستخفّوا بي وصاروا ... كقُرودٍ خاسئاتِ

الشعر للوليد بن يزيد بن عبد الملك . والغناء لأبي كامل غُزَيِّل الدِّمَشْقيّ ماخُورِيّ

1 ديوان الوليد : ص 23 ، رقم 13 .

2 العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة ، ومثلها العلاة .

بالبنصر . وفي هذه القصيدة يقول الوليد بن يزيد : [من مجزوء الرمل]

أصبح اليـومَ وليدٌ هائمـاً بالفَتَياتِ
عنـده راح وإبريـ ـقٌ وكأسٌ بالفَلاةِ
ابعثوا خيـلاً لخيل ورُمـاةً لرُمـاةِ

وأخبرني بالسبب في مقتله الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن الحارث قال حدّثني المدائنيّ عن جُوَيريةَ بن أسماء ، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن جُويرِيّة بن أسماء قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : لمّا أظهر الوليد بن يزيد أمره وأدمن على اللهو والصيد واحتجب عن الناس ووالَى بين الشرب وانهمك في اللذّات ، سئمه الناس ووَعظه من أشفق عليه من أهله ؛ فلمّا لم يُقلِع دَبُّوا في خَلْعه . فدخل أبي بشر بن الوليد على عمّي العباس بن الوليد وأنا معه ، فجعل يكلّم عمّي في أن يخلع الوليدَ بن يزيد ومعه عمي يزيدُ بن الوليد ، فكان العبّاسُ يَنْهاه وأبي يردّ عليه ؛ فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترىء أن يكلّم عمّي ويردّ عليه ؛ فقال العباس : يا بني مروان ، أظنّ أنّ الله قد أذِن في هلاككم . ثم قال العبّاس : [من البسيط]

إني أُعِيذكُـم بالله مـن فِتَـنٍ مثلِ الجبـال تَسَامَى ثـم تندفعُ
إنّ البريّة قـد ملّـت سياسَتكم فاستَمسِكوا بعمود الدّين وارتَدِعوا
لا تُلْحِمُنّ ذئابَ الناس أنْفُسَكم إنّ الذئابَ إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعوا
لا تَبْقُـرُنّ بأيديكم بطونكـمُ فَثَمَّ لا فِدْيَـةٌ تُغْنِي ولا جَزَعُ

قال المدائنيّ عن رجاله : فلمّا استجمع ليزيد أمرُه وهو مُتَبَدٍّ أقبل إلى دمشق ، وبين مكانه الذي كان مُتَبَدِّياً فيه وبين دمشق أربعُ ليالٍ ، فأقبل إلى دمشق متنكِّراً في سبعة أنفس على حُمُر وقد بايع لـه أكثرُ أهـلِ دمشق وبايع لهُ أكثرُ أهلِ المِزَّةِ . فقال مولًى لعَبّاد بن زيَاد : إنّي لَبِجَرُودَ ، وبين جَرُودَ ودمشق مرحلةٌ ، إذ طلع علينا سبعةٌ مُعْتَمُّون على حُمُر فنزلوا ، وفيهم رجل طويل جسيم ، فرمَى بنفسه فنام وألقَوْا عليه ثوباً ، وقالوا لي : هل عندك شيء نَشتريه من طعام ؟ فقلت : أمّا بيعٌ فلا ، وعندي من قِرَاكم ما يُشْبِعكم ؛ فقالوا : فعجِّله ؛ فذبحتُ لهم دجاجاً وفراخاً وأتيتُهم بما حضر من عسل وسمن وشَوَانِيز[1] ، وقلت : أيقظوا صاحبَكم للغداء ؛ فقالوا : هو محمومٌ لا يأكل ؛ فسفَروا للغداء فعرَفتُ بعضَهم ، وسفَر النائم فإذا هو يزيد بن الوليد ، فعرَفته فلم يكلمني . ومضَوْا ليدخلوا دمشق ليلاً في نفر من أصحابه مُشاةٍ إلى

1 الشوانيز : التوابل .

معاوية بن مَصَاد وهو بالمِزَّة ، وبينها وبين دمشق ميل ، فأصابهم مطر شديد ، فأتوْا منزلَ معاوية فضربوا بابَه وقالوا : يزيد بن الوليد ؛ فقال له معاويةُ : الفِراشَ ، ادخل أصلحك اللهُ ؛ قال : في رجلي طين وأكره أن أفسدَ عليك بساطَك ؛ فقال : ما تُريدني عليه أفْسَدُ . فمشى على البِساط وجلس على الفراش ، ثم كلّم معاوية فبايَعه . وخرج إلى دمشق فنزل دارَ ثابت بن سليمان الحَسَنِيّ مستخفياً ، وعلى دمشق عبدُ الملك بن محمد بن الحَجّاج بن يوسف ، فخاف عبدُ الملك الوَباءَ فخرج فنزل قَطَنا ، واستخلف ابنَه على دمشق وعلى شُرْطته أبو العاج كَثِيرُ بن عبد الله السُّلَميّ . وتَمّ ليزيد أمرُه فأجمع على الظهور . وقيل لعامل دمشق : إنّ يزيد خارجٌ فلم يصدّق . وأرسل يزيدُ إلى أصحابه بين المغرب والعِشاء في ليلة الجمعة من جُمادَى الآخرة سنةَ سبع[1] وعشرين ومائة ، فكمَنوا في مِيضَأةٍ عند باب الفراديس[2] ؛ حتى إذا أُذِّنوا العَتَمَةَ دخلوا المسجد مع الناس فصلّوْا . وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل ؛ فإذا خرج الناسُ خرج الحرسُ وأغلق صاحبُ المسجد الأبوابَ ، ودخل الدارَ من باب المقصورة فيَدْفعُ المفاتيحَ إلى من يحفظها ويخرُج . فلما صلّى الناسُ العَتَمَةَ صاح الحرسُ بالناس فخرجوا ، وتَباطأ أصحاب يزيد الناقص ، فجعلوا يخرجونهم من باب ويَدخلون من باب ، حتى لم يَبْق في المسجد إلاّ الحرسُ وأصحابُ يزيد ، فأخذوا الحرسَ . ومضى يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيّ إلى يزيد فأخبره وأخذ بيده وقال : قُمْ يا أمير المؤمنين وأبْشِرْ بعون الله ونصره ؛ فأقبل وأقبلنا ونحن اثنا عشر رجلاً . فلما كنّا عند سوق القمح لَقِيهم فيها مائتا رجل من أصحابهم ، فمضَوْا حتى دخلوا المسجدَ وأتَوْا بابَ المقصورة ، وقالوا : نحن رسل الوليد ، ففتح لهم خادمٌ البابَ ، ودخلوا فأخذوا الخادم ، وإذا أبو العاج سكران فأخذوه وأخذوا خُزّان البيت[3] وصاحبَ البريد ؛ وأرسل إلى كلّ من كان يحذَرُه فأخذه . وأرسل من ليلته إلى محمد بن عُبيدة مولى سعيد بن العاص وهو على بَعْلَبَكّ ، وإلى عبد الملك بن محمد بن الحَجّاج فأخذهما . وبعث أصحابَه إلى الخَشَبِيّة[4] فأتَوْه ؛ وقال للبوّابين : لا تفتحوا الأبوابَ غُدْوةً إلاّ لمن أخبركم بشِعار كذا وكذا . قال : فتركوا الأبواب في السلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدِم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، فلم يكن الخُزّان قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً فأخذوه وأصبحوا ، وجاء أهلُ المِزَّة مع حُرَيْث بن أبي

1 في كتب التاريخ ستّة وعشرين ومائة .

2 باب الفراديس : أحد أبواب دمشق .

3 أي بيت المال .

4 الخشبية : أصحاب المختار بن أبي عبيد كما سيأتي .

الجَهْم . فما انتصف النهارُ حتى بايع الناسُ يزيدَ وهو يتمثّل قولَ النابغة : [من الطويل]

إذا استُنْزِلـوا عنهنّ للطعن أَرْقَلوا إلى الموتِ إرقَال الجمال المَصاعبِ

فجعل أصحابُه يتعجّبون ويقولون : انظروا إلى هذا ! كان قُبَيْلَ الصبح يسبِّح وهو الآن يُنشد الشعر . قال : وأمر يزيدُ عبدَ العزيز بن الحَجّاج بن عبد الملك بن مَرْوان فوقف بباب الجابية فنادَى : من كان له عطاءٌ فلْيأتِ إلى عطائه ، ومن لم يكن له عَطَاء فله ألف درهم مَعُونةً ؛ فبايع له الناسُ وأمَر بالعطاء . قال : وندَب يزيدُ بن الوليد الناسَ إلى قتال الوليد بن يزيد مع عبد العزيز ، وقال : من انتَدب معه فله ألفانِ ، فانتدب ألفا رجلٍ ؛ فأعطاهم وقال : موعدُكم ذَنَبةُ[1] ؛ فوافى ذَنَبَةَ ألف ومائتا رجل ؛ فقال : ميعادُكم مَصْنعةٌ بالبَرّيّة وهي لبني عبد العزيز بن الوليد ؛ فوافاه ثَمانُمائة رجـل ، فسار فوافاهم[2] ثَقَلُ[3] الوليد فأخذوه ومع عبد العزيز فُرسانٌ منهم منصور بن جُمْهور ويعقوب بن عبد الرحمن السُّلَميّ والأَصْبَغُ بن ذُؤالةَ وشَبيبُ بن أبي مالك الغَسَّانيّ وحُمَيْد بن نصر اللَّخْميّ ، فأقبلوا فنزلوا قريباً من الوليد . فقال الوليد : أخرجوا لي سريراً فأخرجوه فصعِد عليه . وأتاه خبرُ العباس بن الوليد : إنّي أجيئك . وأُتِي الوليدُ بفرسين الذائد والسِّنْديّ ؛ وقال : أعليّ يتَواثَبُ الرجال وأنا أثبُ على الأسد وأتخَصّر[4] الأفاعي ! . وهم ينتظرون العباس أن يأتيَهم ولم يكن بينهم كبيرُ قتالٍ ، فقُتل عثمان الخَشَبيّ ، وكان من أولاد الخَشَبيّة الذين كانوا مع المختارِ . وبلغ عبدَ العزيز بن الحَجّاج أنّ العبّاسَ بن الوليد يأتي الوليدَ ؛ فأرسل منصورَ بن جُمْهور في جَريدة خيل وقال : إنّكم تَلْقَوْن العبّاس بن الوليد ومعه بنوه في الشِّعْب فخُذُوه . وخرج منصور في تلك الخيل وتقدّموا إلى الشِّعْب ، وإذا العبّاسُ ومعه ثلاثون قد تقدّموا أصحابَه ؛ فقال له : اعْدِل إلى عبد العزيز ، فشتَمهم ؛ فقال له منصور : والله لئن تقدّمتَ لأَنْفُـذَنّ حِضْنَيْك بالرّمح ؛ فقال : إنا لله ! فأقبلوا به يسوقونه إلى عبد العزيز . فقال له عبد العزيز : بايِعْ ليزيد ؛ فبايَعَ ووقف ؛ ونصبوا رايةً وقالوا : هذا العباس قد بايَعَ . ونادى منادي عبد العزيز ؛ من لَحِق بالعباس بن الوليد فهو آمِنٌ ؛ فقال العباس : إنا لله ! خُدْعَةٌ من خُدَع الشيطان ! هلك والله بنو مـروان ! . فتفرّق الناسُ عن الوليـد وأتوا العباسَ . وظَاهَر الوليدُ في درعين وقاتلهم . وقال الوليد : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، فجاء جماعةٌ بعدّة رؤوس ، فقال : اكتبوا أسماءهم ؛ فقال له رجل من مواليه : ليس هذا يا أمير المؤمنين يوماً يعامَل فيه بالنَّسيئة .

---

1 ذنبة : موضع من أعمال دمشق .

2 ل : فتلقاهم .

3 الثقل : المتاع .

4 ل : وأعض .

ونادَاهم رجالٌ : اقْتلُوا اللُّوطِيَّ قِتلةَ قوم لوط ، فرمَوْه بالحجارة فلما سمع ذلك دخل القصر وأغلق الباب وقال[1] : [من الطويل]

صوت

دَعُوا لي سُلَيْمَى والطِّلاَء وقَيْنةً ... وكأساً ألا حَسْبي بذلك مالا
إذا ما صفا عيش برَمْلةِ عالجٍ ... وعانقتُ سلمى لا أُريد بِدالا
خذوا مُلْككم لا ثبّت الله ملككم ... ثباتاً يساوي ما حَيِيتُ عِقالا
وخلُّوا عِناني قبل عَيْرٍ وما جَرَى ... ولا تَحسُدوني أن أموتَ هُزالا[2]

غنّاه عمرُ الوادي رملاً بالوسطى عن حَبَش ، ثم قال لعمر الوادي : يا جامع لذتي ، غنِّني بهذا الشعر . وقد أحاط الجندُ بالقصر ؛ فقال لهم الوليد من وراء الباب : أمَا فيكم رجل شريف له حسب وحياءٌ أكلِّمه ؟ فقال له يزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكْسَكِيّ : كلِّمني ؛ فقال له الوليد : يا أخا السَّكَاسِك ، ما تنقِمُون منّي ؟! ألم أَزِد في أعْطِياتِكم وأعْطِية فقرائكم وأخدَمْتُ زَمْناكم ودفعتُ عنكم المؤنَ ؟ فقال : ما نَنْقِمُ عليك في أنفسنا شيئاً ، ولكن نَنْقِمُ عليك انتهاكَ ما حرّم الله وشُرْبَ الخمور ونِكاحَ أمّهات أولاد أبيك واستخفافَك بأمر الله . قال : حَسْبُك يا أخا السَّكَاسِك ! فلعمري لقد أغرقتَ[3] فأكثرتَ ، وإنّ فيما أحلَّ الله لسَعَةً عمّا ذكرتَ . ورجَع إلى الدار فجلس وأخذ المصحف وقال : يومٌ كيوم عثمان ، ونشر المصحفَ يقرأ ؛ فَعَلَوُا الحائطَ ؛ فكان أوّلُ من علا الحائطَ يزيدَ بن عنبسة ، فنزل وسيفُ الوليد إلى جنبه ؛ فقال له يزيد : نَحِّ سيفَك ، فقال الوليد : لو أردتُ السيفَ لكانت لي ولك حالةٌ غيرُ هذه . فأخذ بيده وهو يريد أن يُدخِله بيتاً ويُؤامِرَ فيه ، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصورُ بن جُمْهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسَّرِيّ بن زياد بن أبي كَبْشة ، فضربه عبد الرحمن السُّلَميّ على رأسه ضربةً وضربه السَّرِيّ بن زياد على وجهه ، وجَرُّوه بين خمسة ليُخرجوه ؛ فصاحت امرأةٌ كانت معه في الدار فكفّوا عنه فلم يُخرجوه ، واحتزّ رأسَه أبو عِلاَقة القُضَاعيّ وخاط الضربةَ التي في وجهه بالعَقَب[4] ، وقُدِم بالرأس على يزيد ، قَدِم به

1 ديوان الوليد : ص 64–65 ، رقم 69 .

2 المثل : جاء فلان قبل عير وما جرى . قالوا : خصّ العير لأنّه أحذر ما يقنص وأسرع جرياً ، فضرب به المثل في السرعة . وقيل العير : إنسان العين . فيكون معناه قبل لحظة عين . فصل المقال : 300 . ومجمع الميداني 1 : 350 و2 : 96 ومستقصى الزمخشري 2 : 187 .

3 أغرقت : تجاوزت الحدّ في القول .

4 العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

رَوْح بن مُقْبِل ، وقال : أبْشِر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق ، فاستتمّ الأمرُ له وأحسن صِلَتَه . ثم كان من خلع يزيد بعد ذلك ما ليس هذا موضعَ ذكره .

قال : ولما قُتل الوليد بن يزيد جعل أبو مِحْجَن مولى خالد القَسْريّ يُدخل سيفه في آست الوليد وهو مقتول . فقال الأَصْبَغ بن ذُؤالة الكلبيّ في قتل الوليد وأخذهم ابنيه : [من الطويل]

مـن مُبْلِـغٌ قيساً وخِنْدِفَ كلَّها وساداتِهم من عبد شمس وهاشمِ
قتلنـا أميـرَ المؤمنـين بخالد[1] وبِعْنـا وليّـيْ عهـدِهِ بالدراهِمِ

وقال أبو مِحْجَن مولى خالد : [من البسيط]

لو شاهدوا حدَّ سيفي حين أُدخله في آستِ الوليد لماتوا عنده كَمَدا

[كان عمر الوادي يغنّيه حين قتل]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن هشام بن الكَلْبيّ عن جرير قال : قال لي عمر الوادي : كنت أغنّي الوليدَ أقول : [من الكامل]

صوت

كَذَبَتْكَ نفسُكَ أم رأيتَ بواسِطٍ غَلَسَ الظلامِ من الرَّبـابِ خيالا

قال : فما أتممتُ الصوتَ حتى رأيتُ رأسَه قد فارق بدنَه ورأيتُه يتشحَّط في دمه . يقال : إنّ اللحن في هذا الشعر لعمر الوادي ، ويقال : لابن جامع .

[حبس يزيد الحكم وعثمان ولبي عهد الوليد]

قالوا : وكان عثمان والحَكَم ابنا الوليد قد بايَعَهما بالعهد بعده ، فتغيّبا فأخذهما يزيد بعد ذلك فحبَسهما في الخَضْراء[2] ودخل عليهما يزيدُ الأفقَمُ بن هشام فجعل يشتمُ أباهما الوليدَ وكان قد ضرَبه وحلَقه ، فبكى الحَكَم ، فقال عثمان أخوه : اسكت يا أخي ؛ وأقبل على يزيد فقال : أتشتُم أبي ! قال : نعم ؛ قال : لكني لا أشتُم عمّي هشاماً ، ووالله لو كنتَ من بني مروان ما شتمتَ أحداً منهم ، فانظر إلى وجهك فإن كنتَ رأيتَ حَكَمِيّاً[3] يُشْبِهك أو له مِثلُ وجهك فأنت منهم ، لا والله ما في الأرض حَكَمِيّ يشبهك .

[ندم أيوب السختياني لقتله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المَدَائنيّ عن مَسْلمة بن مُحارِب

1 المقصود خالد بن عبد الله القسري كان الوليد قد سلّمه إلى يوسف بن عمر فبسط عليه العذاب حتى قتله .
2 الخضراء : يطلق على أكثر من موضع .
3 حكمي : نسبة إلى الحكم بن أبي العاص والد مروان .

قال : لما قُتل الوليدُ قال أيّوب السِّخِتيانيّ : ليت القوم تركوا لنا خليفتَنا لم يقتلوه . قال : وإنّما قال ذلك تخوُّفاً من الفتنة .

[لعن الرشيد قاتليه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ ابناً للغَمْر بن يزيد بن عبد الملك دخل على الرشيد ، فقال : ممَّن أنت ؟ قال : من قريش ، قال : من أيِّها ؟ فأمسكَ قال : قُلْ وأنت آمن ، ولو أنّك مَرْواني ، قال : أنا ابن الغَمْر بن يزيد . قال : رحم الله عمّك ولعن يزيدَ الناقص وقَتَلَةَ عمّك جميعاً ، فإنّهم قتلوا خليفةً مُجْمَعاً عليه ، إرفع إليّ حوائجكَ ، فقضاها .

[رمي عند المهدي بالزندقة فدافع عنه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا الغَلاَبِيّ قال حدّثنا العَلاَء بن سُوَيْد المِنْقَرِيّ قال : ذكر ليلةً المهديُّ أميرُ المؤمنين الوليدَ بن يزيد فقال : كان ظريفاً أديباً . فقال له شَبيب بن شَيْبة : يا أمير المؤمنين إن رأيتَ ألاّ تُجرِيَ ذكْرَه على سمعك ولسانك فافعلْ فإنّه كان زنديقاً ؛ فقال : اسكت ، فما كان الله ليضعَ خلافته عند من يكفر به . هكذا رواه الصُّوليّ .

[دافع عنه ابن علاثة الفقيه لدى المهدي]

وقد أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال أخبرنا عَقيل بن عمرو قال أخبرني شَبيب بن شَيْبة عن أبيه قال : كنّا جلوساً عند المهديّ فذكروا الوليد بن يزيد ، فقال المهديّ : أحسَبه كان زنديقاً ، فقام ابن عُلاَثة الفقيه فقال : يا أمير المؤمنين ، اللهُ عزّ وجلّ أعظمُ من أن يولِّي خلافةَ النبوّة وأمرَ الأُمَّة من لا يؤمن بالله ، لقد أخبرني من كان يشهده في ملاعبه وشربه عنه بمروءة في طهارته وصَلاته ، وحدّثني أنّه كان إذا حضرت الصلاة يطرح ثياباً كانت عليه من مُطيَّبةٍ ومصبَّغةٍ ثم يتوضّأ فيُحسن الوضوء ويُؤْتَى بثيابٍ بيضٍ نظافٍ من ثياب الخلافة فيصلّي فيها أحسن صلاة بأحسن قراءة وأحسن سكوت وسكون وركوع وسجود ، فإذا فرغ عاد إلى تلك الثياب التي كانت عليه قبل ذلك ، ثم يعود إلى شربه ولهوه ؛ أفهذه أفعال من لا يؤمن بالله ؟ فقال له المهديّ : صدقتَ باركَ اللهُ عليك يا ابنَ عُلاَثة .

وفي جملة المائة الصوت المختارة عدّةُ أصواتٍ من شعر الوليد نذكرها هاهنا مع أخباره ، والله أعلم .

صوت[1]
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أُمّ سَلاّمَ مـــا ذكرتُكِ إلاّ شَرِقَتْ بالدموع منّي المآقي
أُمَّ سَلاَّمَ ذِكْرُكُمْ حيث كنتم أنتِ دائي وفي لسانِك راقي
ما لقلبي يَجُول بـين التَّرَاقي مُسْتَخِفّـاً يَتُـوق كلَّ مَتَـاقِ[2]
حَـذَراً أن تَبـين دارُ سُلَيْمَى أو يصيحَ الداعي لها بِفـراقِ[3]

غنّاه عمر الوادي ، ولحْنُه المختارُ خفيف رملٍ مطلَقٌ في مجرى البنصر . وذكر عمرو بن بانة أنّ لسَلاّمةِ القَسِّ فيه خفيفَ رمل بالوسطى ، ولعلّه بمعنى هذا . ومن الناس من يروي هذه الأبيات لعبد الرحمن بن أبي عَمّار الجُشَمِيّ في سَلاَّمةِ القَسّ ، وليس ذلك له ، هو للوليد صحيح ، وهو كثيراً ما يذكر سَلْمى هذه في شعره بأُمّ سَلاّم وبسَلْمى ، لأنّه لم يكن يتصنّع في شعره ولا يُبالي بما يقوله منه . ومن ذلك قوله فيها[4] : [من الخفيف]

صوت

أُمَّ سَلاَّمَ لو لقِيتِ من الوجـ ـد عَشِيرَ الذي لَقِيتُ كفاكِ
فأُثِيبي بالوصل صَبّـاً عميداً وشفيقاً شجاه مـا قد شجاكِ

غنّاه مالكٌ خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ .

---

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 60 ، رقم 63 .

2 رواية هذا البيت في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :
من لقلب أمسى كئيباً حزيناً مستهاماً بين اللها والتراقي

3 في مجموع شعره (طبعة دار الكتاب الجديد) :
وتجيء الدنيا لها بفراق

4 ديوان الوليد : ص 63 ، رقم 67 .

[100] ـ ذكر أخبار عمر الواديّ ونسبُه

[نسبه وإعجاب الوليد به]

هو عمر بن داود بن زَاذَان . وجَدُّه زاذان مولى عمرو بن عثمان بن عَفّان . وكان عمر مهندساً . وأخذ الغناء عنه حَكَمٌ وذووه من أهل وادي القُرَى . وكان قدِم إلى الحَرَم فأخذ من غناء أهله فحذِق وصنَع فأجاد وأتقن . وكان طيّبَ الصوت شجيَّه مُطرِباً . وكان أوّلَ مَن غنّى من أهل وادي القُرى ؛ واتّصل بالوليد بن يزيد في أيّام إمارته فتقدَّم عنده جدّاً ، وكان يسمِّيه جامع لَذّاتي ومُحْيِي طربي ، وقُتل الوليد وهو يغنّيه ، وكان آخرَ عهده به من الناس . وفي عمر يقول الوليد بن يزيد وفيه غناء[1] : [من المديد]

صوت

إنّني فكّـرتُ في عمـرٍ حين قال القولَ فاختَلجا
إنّـه للمُستَنِير بـه قمر قـد طمّس السُّرُجا
ويغنّـي الشعـر يَنْظِمُـه سيّدُ القـوم الذي فلَجا
أكمَـل الواديُّ صنعتَـه في لُباب الشعر فاندمجا

الشعر للوليد بن يزيد . والغناءُ لعمر الوادي هَزَج خفيفٌ بالبنصر في مَجْراها .

[الوليد يقدّمه على المغنّين]

أخبرني الحسين بن يحيى ومحمَّد بن مَزْيد قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان عمر الوادي يجتمع مع معبد ومالك وغيرهما من المغنّين عند الوليد بن يزيد ، فلا يمنعه حضورُهم من تقديمه والإصغاءِ إليه والاختصاصِ له . وبلغني أنّه كان لا يضرِب وإنّما كان مرتَجِلاً ، وكان الوليد يسمِّيه جامعَ لذّاتي . قال : وبلغني أن حَكَماً الواديّ وغيرَه من مُغَنّي وادي القُرى أخذوا عنه الغناء وانتحلوا أكثَر أغانيه .

[استرضى الوليد على أبي رقية]

قال إسحاق وحدَّثني عبد السلام بن الرَّبيع : أنّ الوليد بن يزيد كان يوماً جالساً وعنده عمر الوادي وأبو رُقَيّة ، وكان ضعيفَ العقل وكان يُمسك المصحفَ على أمّ الوليد ؛ فقال الوليد لعمر الوادي وقد غنّاه صوتاً : أحسنتَ والله ، أنت جامع لذّاتي ، وأبو رقيّة مضطجعٌ

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 26 ، رقم 17 عن الأغاني .

وهم يحسَبونه نائماً ، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له : وأنا جامع لذّات أُمّكَ ، فغضب الوليد وهَمّ به ؛ فقال له عمر الوادي : جعلني الله فِداك ؛ ما يَعْقِل أبو رقيّة وهو صاح ، فكيف يعقل وهو سكران ؟ فأمسك عنه .

[يأخذ غناء من راعٍ]

قال إسحاق : وحُدِّثتُ عن عمر الوادي قال : بينا أنا أسير ليلةً بين العَرْج[1] والسُّقْيا سمعت إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع قطُّ أحسنَ منه وهو[2] : [من الطويل]

صوت

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعْدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويدنو بعيدُها
من الخَفِراتِ البِيضِ وَدّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحْدوثةٌ لو تُعيدها

فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً ؛ فقلت : والله لأَلتمسنَّ الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضوٍ من أعضائي حتى هبَطتُ من الشَّرَف[3] ، فإذا أنا برجل يرعى غنماً وإذا هو صاحب الصوت ، فأعلمتُه الذي أقْصَدني إليه وسألتُه إعادتَه عليّ ؛ فقال : والله لو كان عندي قِرىً ما فعلتُ ، ولكنّي أجعله قِراك ، فربَّما ترنَّمتُ به وأنا جائعٌ فأشبَع ، وكسلانُ فأنْشَط ومستوحِشٌ فآنَسُ ؛ فأعاده عليَّ مراراً حتى أخذته ، فوالله ما كان لي كلام غيرُه حتى دخلتُ المدينة ، ولقد وجدتُه كما قال . حدَّثني بهذا الخبر الحَرَميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثني الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني المؤمَّل بن طالوت الواديّ قال حدَّثني مَكِين العُذْريّ قال : سمعت عمر الواديّ يقول : بينا أنا أسير بين الرَّوْحاء والعَرْج ، ثم ذكر مثله ، وقال فيه : فربَّما ترنّمْتُ به وأنا غَرْثانُ فيُشْبِعني ، ومستوحِشٌ فيؤنسني ، وكسلانُ فينشِّطني . قال : فما كان زادي حتى ولَجْتُ المدينةَ غيره ، وجرَّبْتُ ما وصفه الراعي فيه فوجدته كما قال .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

لقد هَجَرتْ سُعْدى وطال صدودُها وعـاوَد عَيْنـي دمْعُهـا وسهودُها
وكنتُ إذا ما زرتُ سُعْدى بأرضها أرى الأرضَ تُطْوى لي ويدنو بعيدُها
منعَّمَـةٌ لم تَلْـقَ بـؤسَ مَعيشةٍ هي الخُلْد في الدنيا لَمن يَستفيدُها

---

1 العرج : عقبة بين مكّة والمدينة .

2 ديوان كثير (تحقيق إحسان عبّاس) 200–202 .

3 الشرف : المكان العالي .

هي الخلدُ مـــا دامتْ لأهلك جارةً وهل دام في الدنيا لنفس خلودُها

الشعر لكثيِّر . والعناءُ لابن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ مطلَق بالبنصر عن يحيى المكّيّ . وذكرَ الهشاميُّ أنّ فيه ليزيدِ حَوْراء ثانيَ ثقيل . وفيه خفيفُ رَمَل يُنْسَب إلى عمر الوادي ، وهو بعضُ هذا اللحن الذي حكاه عن الرّاعي ولا أعلم لَمن هو . وهذه الأبياتُ من قصيدةٍ لكثيِّر سائرُها في الغزل وهي من جيّد غزَلِه ومختاره . وتمامُ الأبيات بعد ما مضى منها : [من الطويل]

فتلـكَ التـــي أصفيتُهـــا بمودَّتي وليداً ولّـــا يَسْتَبِنْ لي نهودُها
وقـد قتلـتْ نفساً بغير جَريـرة وليس لهـا عَقْـل ولا من يُقِيدُها
فكيف يَـودُّ القلبُ مـن لا يودّه بلى قد تُريد النفسُ من لا يُريدها
ألا ليت شِعري بعدنا هل تغيَّرتْ عن العهد أم أمست كعهدي عهودُها
إذا ذكرتْها النفسُ جُنّتْ بذكرها ورِيعَتْ وحَنَّتْ واستُخِفّ جَلِيدها
فلو كان مـــا بي بالجبال لَهدَّها وإن كان في الدنيا شديداً هُدُودُها
ولستُ وإن أُوعِدْتُ فيها بمُنْتَهٍ وإن أُوقِدَتْ نـارٌ فشَبَّ وَقُودُها
أَبِيتُ نجيّـاً للهمـــوم مُسَهَّـداً إذا أُوقدتْ نحـوي بليل وَقُودُها
فأصبحتُ ذا نفسيْن نفسٌ مريضةٌ من اليأسِ مـا ينفكُّ همٌّ يعودُها
ونفسٌ إذا ما كنتُ وحدي تقطّعتْ كما انسَلّ من ذات النّظام فريدُها
فلم تُبْدِ لي يأساً ففي اليأس راحة ولم تُبْدِ لي جُوداً فينفعَ جودُها

[طلب منه الوليد أن يصنع لحناً في شعر له]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : قال عمر الوادي : خرج إليّ الوليد بن يزيد يوماً وفي يده خاتم ياقوتٍ أحمر قد كاد البيت يلتمع من شُعاعه ؛ فقال لي : يا جامع لذّتي ، أتحِبّ أن أهَبَه لك ؟ قلت : نعم والله يا مولاي ؛ فقال : غنّ في هذه الأبيات التي أُنشِدك فيها واجْهَدْ نفسَك ، فإن أصبتَ إرادتي وهبتُه لك ؛ فقلت : أجتهد وأرجو التوفيق . [من مجزوء الوافر]

صوت[1]

ألا يُسلِيكَ عـن سَلْمى قَتِيرُ الشَّيـــب والحِلْمُ[2]

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 80 ، رقم 90 .
2 قتير الشيب : أوّل ما يظهر منه .

وأنّ الشـــكّ ملتبِسٌ فـــلا وصلٌ ولا صُـرْمُ
فـــلا والله ربِّ النـا س ما لـك عندنـا ظُلْمُ
وكيف بظلـــم جاريـةٍ ومنهـا اللِّـين والرُّحْمُ

فخلوتُ في بعض المجالس ، فما زلتُ أُديره حتى استقام ، ثم خرجتُ إليه وعلى رأسه وصيفةٌ ، بيدها كأسٌ وهو يروم أن يشربها فلا يقدِر خُماراً ؛ فقال : ما صنعتَ ؟ فقلتُ : فرَغْتُ ممّا أمرتَني به ؛ وغنّيته ، فصاح : أحسنتَ والله ؛ ووثَب قائماً على رجليه وأخذ الكأس واستدناني فوضع يده اليسرى عليّ متّكئاً والكأسُ في يده اليمنى ؛ ثم قال لي : أعِدْ بأبي أنت وأمّي ! فأعدتُه عليه فشرب ودعا بثانية وثالثة ورابعة وهو على حاله يشرب قائماً حتى كاد أن يسقط تعباً ؛ ثم جلس ونزع الخاتم والحُلّة التي كانت عليه ، فقال : والله العظيم لا تبرح هكذا حتى أسكَر ؛ فما زلت أُعيده عليه ويشرب حتى مال على جنبه سكراً فنام .

[عبد المطّلب بن عبد الله يسبق بين المغنّين]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن غُرَيْر بن طَلْحة الأَرْقَمي عن أبي الحَكَم عبد المطّلب بن عبد الله بن يزيد بن عبد الملك قال : والله إنّي لبالعَقِيق في قصر القاسم بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان وعندي أَشْعَبُ وعمر الوادي وأبو رقيّة ، إذ دعوتُ بدينار فوضعتُه بين يَدَيّ وسبَّقْتُهُمُوه في رَجَزٍ فكان أوّلَ مَن خسَقَ[1] عمرُ الوادي فقال : [من الرجز]

أنـــا ابن داود أنا ابن زَاذَانْ أنا ابن مولى عمرو بن عثمان[2]

ثم خسَق أبو رقيّة فقال : [من الرجز]

أنـــا ابـــن عامـــر القـــاري أنـــا ابـــن أوّل أعجمـــي

تقدّم في مسجد رسول الله ﷺ . ثم خسَق أشعبُ فقال : [من الرجز]

أنـــا ابـــن أُمّ الخلنـــداج أنا ابـن المحرِّشة بـين أزواجِ

النبيّ ﷺ . قال أبو الحَكَم . فقلت له : أي أخزاك الله ، هل سمعتَ أحداً قطُّ فَخر بهذا ؟ فقال : وهل فخر أحدٌ بمثل فخري ! لولا أنّ أُمّي كانت عندهنّ ثقةً ما قَبِلْنَ منها حتى يغضَب بعضُهنّ على بعض .

---

1 الخسق : الرمي بالسهم .

2 الأرجاز الثلاثة غير متّزنة عروضيّاً ، وليس بين الثلاثة من كان شاعراً .

[101] ـ أخبار أبي كامل

[مغنّ محسن ومضحك]

اسمُه الغُزَيِّل ، وهو مولى الوليد بن يزيد ، وقيل : بل كان مولى أبيه ، وقيل : بل كان أبوه مولى عبد الملك . وكان مغنِّياً محسناً وطيِّباً مضحكاً . ولم أسمع له بخبر بعد أيّام بني أُميّة ؛ ولعلّه مات في أيّامهم أو قُتل معهم .

[غنّى الوليد فأطربه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ : أنّ أبا كامل غنّى الوليدَ بن يزيد ذات يوم فقال[1] : [من الرمل]

صوت

نـام مَن كان خليّاً مِن أَلَمْ ... وبدائـي بـتُّ ليـلي لم أَنَمْ
أَرقُـب الصبحَ كأنّي مُسْنَدٌ ... في أكفّ القوم تَغْشاني الظُّلَمْ
إنّ سلمـى ولنا مـن حبّهـا ... دَيْدَنٌ في القلب ما اخضرّ السَّلَمْ
قـد سَبَتْني بشَتِيتٍ نَبْتُـه ... وثنايـا لم يَعِبْهـنَّ قَضَـمْ[2]

قال فطرِب الوليد وخلَع عليه حتى قَلَنْسِيةَ وَشْيٍ مُذْهَبة كانت على رأسه . فكان أبو كامل يصونها ولا يلبَسها إلاّ من عيد إلى عيد ويمسَحها بكمّه ويرفعها ويبكي ويقول : إنّما أرفعها لأنّي أجِدُ منها ريح سيِّدي (يعني الوليد) .

الغِناء في هذا الصوت هَزَج بالوسطى ، نسبه عمرو بن بانة إلى عمر الوادي ، ونسبه غيرُه إلى أبي كامل ، وزعَم آخرون أنّه لحَكَم ، هكذا نسبه ابنُ المكّي إلى حكم وزعم أنّه بالبنصر .

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني الأصمعيّ عن صفوان ابن الوليد المُعَيْطيّ قال : غنّى أبو كامل ذات يوم الوليدَ بن يزيد في لحنٍ لابن عائشة ، وهو : [من الخفيف]

جنّبـاني أذاةَ كلّ لئيـم ... إنّه ما علمتُ شرُّ نديمِ[3]

---

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 76 ، رقم 84 .

2 القضم : انصداع في السنّ أو تكسّر وتثلّم في أطراف الأسنان .

3 ديوان الوليد : ص 83 ، رقم 95 . جنباني في الديوان : جنّبوني .

[للوليد فيه أشعار كثيرة]

فخلَع عليه ثيابه كلَّها حتى قَلَنْسِيَتَه . ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه ؛ وزاد فيه أنّه أوصى أن تُجعل في أكفانه . وللوليد في أبي كامل أشعار كثيرة . فمنها ممّا يغنّى به : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سقَيْتُ أبا كامـلٍ مـن الأصفـر البابِلي
وسقَّيتُهـا معبـداً وكلَّ فتـىً فاضـلِ

وقال أيضاً فيه[1] : [من الهزج]

وزِقٌّ وافـر الجنبيـ ـن مثل الجمل البازلْ
بـه رُحْتُ إلى صَحْبي ونَدمـاني أبـي كامـلْ
شرِبنـاه وقـد بِتْنـا بأعلى الدَّيْـر بالساحِلْ
ولم نَقْبَل مـن الواشي قبولَ الجاهل الخاطلْ[2]

الغناءُ لأبي كامل خفيفُ رملٍ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أنّه ليحيى المكّيّ وأنّه نُحِلَه أبو كامل . وذكر أنّ لعمر الواديّ أو لحَكَم فيه رَمَلاً بالوسطى وهو القائم .

وأخبرني أبو الحسن محمَّد بن إبراهيم قريش ، رحمه الله ، أنّ لَيْنْشُو فيه خفيفَ رملٍ . ومنها في قول الوليد : [من مجزوء المتقارب]

صوت

سَقَيْـتُ أبـا كامِـل مـن الأصفر البابلي
وسقّيتُهـا معبـداً وكلّ فتـىً فاضلِ
لِيَ المحضُ من ودّهم ويَغْمُرهـم نائـلي
ومـا لامنـي فيهـمُ سوى حاسدٍ جاهـلِ

فيه هَزَجٌ يُنسب إلى أبي كامل وإلى حكم . وفيه لَيْنْشُو ثقيلٌ أوّل . أخبرني بذلك قريشٌ ووجّه الرُّزّة جميعاً .

[كان المعتضد يمدح شعر الوليد]

وأخبرني قريش عن أحمد بن أبي العلاء قال : كان للمعتضد علَيَّ صوتانِ من شعر الوليد ،

1 ديوان الوليد بن يزيد : ص 64 ، رقم 68 من الأغاني .
2 الجاهل في ل : العاجل .

أحدهما : [من مجزوء المتقارب]

سقَيْتُ أبا كاملٍ من الأصفر البابلي

والآخر[1] : [من مجزوء الرمل]

إن في الكأس لمسكاً أو بكَفّيْ مَن سقاني

وكان يُعْجَب بهما ويقول لجلسائه : أما ترَوْن شمائلَ الملوك في شعره ، ما أبْيَنها : [من مجزوء المتقارب]

ليَ المَحضُ من ودّهم ويغمُرهم نائلي

وحين يقول : [من مجزوء الرمل]

كلّلاني توّجاني وبشعري غنّياني

وقد نُسِب إلى الوليد بن يزيد في هذه المائة الصوت المختارة شعرُ صوتين ؛ لأن ذكر سُلَيْمى في أحدهما ، ولأنّ الصنعة في الآخر لأبي كامل ؛ فذكرتُ من ذلك هاهنا صوتين ، أحدهما :

صوت
من المائة المختارة

[من الهزج]

سُلَيْمى تلك في العِيرِ قِفي نُخْبِرْكِ أو سيري
إذا ما أنتِ لم تَرْثي لصَبّ القلب مغمورِ
فلمّا أن دنا الصبحُ بأصواتِ العصافيرِ
خرجنا نُتْبِع الشمسَ عيوناً كالقَواريرِ
وفينا شادنٌ أحْوَ رُ من حُورِ اليَعافِيرِ

الشعر ليزيد بن ضَبّة . والغناء في اللحن المختار لإسماعيل بن الهِرْبذ ، ولحنه رَمَلٌ مطلَق في مجرى الوسطى . هكذا ذكر إسحاق في كتاب شجا لابن الهربذ ؛ وذكَر في موضع آخر أن فيه لحناً لابن زُرْزُور الطائفي رملاً آخر بالسبّابة في مجرى البنصر . وذكر إبراهيم أنّ فيه لحناً لأبي كامل ولم يجنّسه . وذكر حبش أنّ فيه لعَطَرَّد هَزَجاً بالوسطى .

1 شعر الوليد بن يزيد : ص 87 ، رقم 100 .

[102] ـ أخبار يزيد بن ضبّة ونسبُه

[نسبه وولاؤه]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهَيْثم قال حدَّثني أحمد بن الهَيثم عن الحسن بن إبراهيم بن سَعْدان عن عبد العظيم بن عبد الله بن يَزيد بن ضَبّة الثَّقَفيّ قال : كان جدِّي يزيد بن ضَبّة مولىً لثَّقيف . واسم أبيه مِقْسم ؛ وضَبَّةُ أُمّه غلبَتْ على نسبه ؛ لأنّ أباه مات وخلّفه صغيراً ، فكانت أُمّه تحضُن أولاد المُغِيرة بن شُعْبة ثم أولاد ابنه عُرْوة بن المغيرة ، فكان جَدّي يُنسب إليها لشهرتها . قال : وولاؤه لبني مالك بن حُطَيْط ثم لبني عامر بن يَسار . قال عبد العظيم : وكان جدّي يزيد بن ضَبّة منقطعاً إلى الوليد بن يزيد في حياة أبيه متّصلاً به لا يفارقه .

[لم يقبل هشام تهنئته بالخلافة]

فلمّا أفضت الخلافة إلى هشام أتاه جدّي مهنّئاً بالخلافة . فلمّا استقرّ به المجلس ووصلت إليه الوفود وقامت الخطباء تُثني عليه والشعراء تمدحه ، مثَل جدّي بين السِّماطين فاستاذنه في الإنشاد ، فلم يأذَن له ، وقال : عليك بالوليد فامدحه وأنشِدْه ، وأمَر بإخراجه . وبلغَ الوليدَ خبرُه ، فبعث إليه بخمسمائة دينار ، وقال له : لو أمِنتُ عليك هشاماً لما فارقتَني ، ولكن اخرج إلى الطائف ، وعليك بمالي هناك ؛ فقد سوّغتُك جميعَ غلّته ، ومهما احتجتَ إليه من شيء بعد ذلك فالتمِسْه منّي . فخرج إلى الطائف ، وقال يذكر ما فعله هشام به : [من الوافر]

أرى سلمى تَصُدّ وما صدَدْنا ... وغيرَ صدودِها كنّا أرَدْنا

لقد بخِلتْ بنائلها علينا ... ولو جادت بنائلها حَمِدنا

وقد ضنَّتْ بما وعدتْ وأمستْ ... تغيِّر عهدَها عمّا عهِدنا

ولو علمتْ بما لاقيتُ سلمى ... فتُخبرني وتعلم ما وجدنا

تُلِمّ على تنائي الدّار منّا ... فيُسهرنا الخيالُ إذا رقَدْنا

ألَم تَرَ أنّنا لمّا وَلِينا ... أموراً خُرّقَت فوهَتْ سَدَدنا

رأينا الفَتْقَ حين وهَى عليهم ... وكم من مثله صَدْع رَفَأْنا

إذا هـاب الكريهةَ من يَليها ... وأعظَمها الهَيُوبُ لهـا عمَدنا
وجبّـارٍ تركنـاه كَليـلا ... وقائـدِ فتنـةٍ طـاغٍ أزَلْنا
فـلا تنسَوْا مواطِنَنا فإنّـا ... إذا مـا عـاد أهل الجُرم عُدْنا
وما هِيضتْ مَكاسِرُ من جبَرْنا ... ولا جُبِرتْ مصيبةُ من هدَدْنا
ألا مـن مُبلِغٌ عنّـي هشاماً ... فمـا منّـا البَلاءُ ولا بَعُدْنا
وما كنّا إلى الخلفاء نُفْضي ... ولا كنّـا نؤخَّـر إن شَهِدنا
ألَم يـكُ بالبلاء لنـا جَزاءٌ ... فنُجْـزى بالمحاسن أم حُسِدنا
وقد كان الملوك يرَوْن حقّـاً ... لوافِدنـا فنُكْـرَمُ إن وفَدْنا
ولِينـا الناسَ أزمانـاً طِـوالا ... وسُسْناهـم ودُسْناهـم وقُدْنا
ألَـم تَرَ من ولَدْنا كيف أشْبَى ... وأشبَيْنا ومـا بهـمُ قعَدْنا[1]
نكون لمَـن ولدْنـاه سمـاءً ... إذا شِيمتْ مَخايِلُنـا رعَدنا
وكان أبوك قـد أسدى إلينا ... جسيمةَ أمـره وبـه سَعِدنا
كذلك أوّلُ الخلفـاء كانوا ... بنا جَـدّوا كما بهـم جدَدْنا
هُـمُ آباؤنـا وهُـمُ بنونـا ... لنـا جُبِلـوا كما لهـم جُبِلنا
ونَكْوِي بالعداوة مَـن بَغانـا ... ونُسْعِـد بالمـودّة مـن وَدِدْنا
نـرى حقّـاً لسائلنـا علينا ... فنحبوه ونُجـزِل إن وعَدنا
ونضمَن جارَنـا ونـراه منّا ... فنَرفِـدُه فنُجـزل إن رفَدْنا
وما نعتـدّ دون المجـد مالاً ... إذا يُغْـلَى بمكرُمـةٍ أفَدْنا
وأتلَـدُ مجدِنـا أنّا كِـرامٌ ... بحـدّ المَشْرِفِيّـة عنـه ذُدْنا

[هنّأ الوليد بالخلافة فأعطاه لكلّ بيت ألف درهم]

قال : فلم يزل مقيماً بالطائف إلى أن ولي الوليدُ بن يزيد الخلافةَ ، فوفَد إليه . فلمّا دخل عليه والناسُ بين يديه جلوس ووقوف على مراتبهم هنّأه بالخلافة ؛ فأدناه الوليد وضمَّه إليه ، وقبَّل يزيدُ بن ضَبّة رجليه والأرضَ بين يديه ؛ فقال الوليد لأصحابه : هذا طريدُ الأحول لصُحْبته إيّاي وانقطاعِه إليّ . فاستاذنه يزيد في الإنشاد وقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا اليومُ الذي نهاني عمُّك هشام عن الإنشاد فيه قد بلغتُه بعد يأس ، والحمد لله على ذلك . فأذِن له ،

1 أشبى الرجل : إذا ولد له ولد ذكي .

فأنشده : [من الهزج]

سُلَيْمى تلــك في العِيرِ قِفي أَسأَلْك أَو سيري
إذا مــا بنتِ لم تأوي لصَــبّ القلــبِ مَغْمورِ
وقــد بانــت ولم تَعْهَد مهــاةٌ في مَهــاً حُورِ
وفي الآل حُمُــولُ الحــ ـيّ تُزْهَــى كالقَراقيرِ[1]
يُواريهــا وتبــدو منـ ـــه آلٌ كالسَّماديرِ[2]
وتطفو حــين تطفو فيـ ـــه كالنَّخــل المَواقِيرِ[3]
لقد لاقيتُ مــن سَلْمى تباريــحَ التّنــاكِيرِ[4]
دعتْ عيني لهــا قلبي وأَسبــابُ المقــادِيرِ
وما إنْ مَنْ بــه شيبٌ إذا يصبــو بمعــذورِ
لسلمــى رسمُ أَطــلالٍ عفَتْهــا الرِّيحُ بــالمُورِ[5]
خَرِيــقٌ تنخُــل التُّربَ بأذيــالِ الأَعــاصيرِ[6]
فأَوْحِشْ إذ نأتْ سلمى بتلك الدُّورِ مــن دُورِ
سأَرمي قانصاتِ البِيـ ـــد إن عِشْتُ بعُسْبورِ[7]
مــن العِيسِ شَجَوْجاةٍ طواها النِّسْعُ بالكُورِ[8]
إذا مــا حَقَــبٌ منها قرَنَّـــاه بتَصْدِيــرِ[9]

1 الآل : السراب ، وقيل إنّه من الضحى إلى زوال الشمس والسراب من الزوال إلى العصر . القراقير : جمع قرقور ، وهي السفينة الطويلة .
2 الآل هنا : الشخوص التي تظهر في الآل . السماديرِ : الأشياء التي تتراءى للإنسان في ضعف بصره من السكر أو النعاس أو الدوار .
3 المواقير : جمع ميقار ، والنخلة الميقار : التي عليها حمل ثقيل .
4 التباريح : الشدائد . التناكير : الأمور المنكرة .
5 المور : الغبار تثيره الريح .
6 الخريق : الريح الشديدة الهبوب .
7 العسبور : الناقة الشديدة .
8 الشجوجاة : الطويلة جدّاً أو طويلة الرجلين أو طويلة الظهر .
9 الحقب : حبل يشدّ به الرحل . والتصدير : الحزام .

زجرْنا العِيسَ فارقَدّتْ بإعصـــافٍ وتَشْميرِ[1]
تُقاسِيهـا عـلى أيْـنٍ بـــإدلاجٍ وتَهْجِيـــرِ
إذا مـا اعْصَوْصَب الآلُ ومـــال الظِّلُّ بالقُورِ[2]
وراحت تَتَّقي الشمسَ مطايـا القــوم كالعُورِ
إلى أن يُفْضِـح الصبحُ بأَصـــوات العصافيرِ[3]
لِتَعْتـامَ الوليـدَ القَـرْ مَ أهلَ الجود والخِيرِ[4]
كريـمٌ يَهَـبُ البُـزْلَ مــع الخُورِ الجَراجِيرِ[5]
تُراعِـي حين تُزْجيها هَويّـــاً كالمـــزاميرِ[6]
كما جاوبَـــتِ النِّيبُ رِبـاعَ الخُلُج الخُورِ[7]
ويُعطي الذهـبَ الأحمـ ـــر وَزْنـــاً بالقناطيرِ
بلَوْنـــاه فأحمدنـــا ه في عُسْـر وميسورِ
كريـمُ العُودِ والعُنْصـ ـــر غَمْـرٌ غير منزورِ
لـه السَّبْق إلى الغايـا ت في ضَـمّ المَضاميرِ
إمـامٌ يُوضِـح الحـقَّ لـه نـور عـلى نورِ
مقـالٌ مـن أخي ودّ بحفـظ الصدق مأثورِ
بإحكـام وإخـلاص وتفهيـم وتَحْبِيـرِ

قال : فأمر الوليدُ بأن تُعَدّ أبيات القصيدة ويُعطَى لكلّ بيت ألفَ درهم ؛ فعُدَّتْ فكانت خمسين بيتاً فأُعْطِيَ خمسين ألفاً . فكان أوّلَ خليفة عَدّ أبياتَ الشعر وأعطى على عددها لكلّ بيت ألفَ درهم ؛ ثم لم يفعل ذلك إلاّ هارون الرشيد ، فإنّه بلغه خبر جدِّي مع الوليد فأعطى مروانَ بن أبي حَفْصة ومنصوراً النَّمَرِيّ لمّا مدحاه وهَجَوا آلَ أبي طالب

1 أرقدت : أسرعت . الإعصاف : السرعة في السير . التشمير : الجدّ في الأمر .
2 اعصوصب : اشتدّ . القور : جمع قارة ، وهي الجبل الصغير المنقطع عن الجبال أو الصخرة العظيمة .
3 أفضح الصبح : بدا .
4 اعتام : اختار واصطفى ، أي تقصده مختارة له .
5 الخور : النوق الغزيرة اللبن . الجراجير : الكرام من الإبل .
6 الهوي : الدوي في الأذن .
7 رباع : ما ولد من الإبل في أوّل النتاج . الخلج : جمع خلوج وهي الناقة الكثيرة اللبن .

لكلّ بيت ألفَ درهم .

[أمره الوليد بمدح فرسه السندي وكانا قد خرجا إلى الصيد]

قال عبد العظيم وحدّثني أبي وجماعةٌ من أصحاب الوليد : أنّ الوليد خرج إلى الصيد ومعه جَدّي يزيد بن ضَبّة ، فاصطاد على فرسه السِّنْديّ صيداً حسناً ، ولحِق عليه حماراً فصرَعه ؛ فقال لجدّي : صِفْ فرسي هذا وصيدَنا اليوم ؛ فقال في ذلك : [من الهزج]

وأحْـوَى سَلِسُ المَرْسِـ ـنِ مثلُ الصَّدَع الشَّعْبِ[1]
سمـا فـوق مُنِيفـاتٍ طـوالٍ كالقَنـا سُلْبِ[2]
طويـلُ الساق عُنْجُوجٌ أَشقُّ أَصمـعُ الكَعْبِ[3]
على لأْمٍ أَصـمَّ مُضَمَّـ ـرِ الأَشْعَـر كالقَعْبِ[4]
تَـرى بـين حَوامِيـه نُسُوراً كنَـوَى القَسْبِ[5]
مُعَالـىً شَنِـجُ الأَنْسا ءِ سامٍ جُـرْشُعُ الجَنْبِ[6]
طَـوى بـين الشَّراسِيفِ إلى المَنْقَـب فالقُنْبِ[7]
يغـوص الملحـمَ القائِـ ـمَ ذو حَـدّ وذو شَغْبِ
عَتِيـدُ الشَّدّ والتَّقْرِيـ ـب والإحضار والعَقْبِ[8]
صليـبُ الأُذْن والكاهـ ـل والمَوْقِف والعَجْبِ[9]
عريضُ الخـدّ والجَبْهـ ـة والبِرْكَـةِ والهُلْبِ[10]

1 الصدع : الفتيّ القوي من الأوعال . والشعب : تباعد ما بين القرنين . وسكن العين للضرورة .
2 القنا السلب : الرماح الطويلة ومفرده «سَلِب» .
3 العنجوج : الرائع من الخيل . الأشق : الطويل . الكعب الأصمع : اللطيف المستوي .
4 اللأم : الشديد من كلّ شيء . الأشعر : ما استدار بالحافر من الشعر . القعب : القدح الصغير .
5 الحوامي : ميامن الفرس ومياسره . لحمة النسر : لحمة صلبة في باطن الحافر . القسب : تمر يابس صلب النواة .
6 الأنساء : جمع نسا وهو عِرق يخرج من الورك حتى يبلغ الحافر . وفرس شنج النسا : منقبضه . جرشع الجنب : منتفخه .
7 الشراسيف : أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن . المنقب : الموضع الذي ينقبه البيطار من بطن الدابة . القنب : جراب قضيب الدابة .
8 عتيد الشدّ : شديد الخلق مُعدّ للجري . التقريب والاحضار والعقب : أنواع من العدو .
9 الموقف : نقرة الخاصرة . العجب : أصل الذنب .
10 البركة : الصدر . الهلب : شعر الذنب .

إذا مـا حَثَّـه حـاثٌ يُبـاري الرِّيحَ في غَرْبِ[1]
وإن وجَّهَـــــه أَسْر ع كالخُذْرُوفِ في الثَّقْبِ[2]
وقَفَّاهـــنّ كالأَجْـدَ ل لمـا انضـمّ للضَّرْبِ
ووالى الطعـــنَ يَختـار جَواشِنَ بُـدَّنٍ قُـبِّ[3]
تَـرى كلَّ مُـدِلٍّ قـا ئماً يَلْهَـثُ كالكلبِ[4]
كأنّ المـاء في الأعطا ف منـه قِطَعُ العُطْبِ[5]
كأن الـدَّمَ في النَّحْـرِ قَـذالٌ عُـلّ بالخَضْبِ
يَزيـنُ الدَّارَ موقوفـاً ويَشْفـي قَـرَمَ الرَّكْبِ

قال : فقال له الوليد : أحسنت يا يزيد الوصفَ وأجدته ، فاجعل لقصيدتك تشبيباً وأعْطِه الغُزَيِّلَ وعمر الوادي حتى يغنّيا فيه ؛ فقال : [من الهزج]

صوت

إلى هنـدٍ صبا قلبـي وهنـدٌ مثلُهـا يُصْبِي
وهنـدٌ غـادةٌ غَيْـدا ءُ مـن جُرْثومةٍ غُلْبِ
ومـا إنْ وجَـد الناسُ مـن الأدواء كالحبِّ
لقد لَـجَّ بهـا الإعرا ضُ والهجـرُ بلا ذنبِ
ولمّـا أَقْضِ مـن هندٍ ومـن جاراتهـا نَحْبِي[6]
أرى وجـدِي بهنـدٍ دا ئماً يَـزْدادُ عـن غِبِّ
وقـد أطْوَلْتُ إعراضاً ومـا بغضُهـمُ طِبِّي[7]
ولكـن رِقْبَـةُ الأعـ ـيُن قـد تحجُز ذا اللُّبِّ

1 غرب الفرس : حدّته ونشاطه .
2 الخذروف : شيء يدوره الصبي فيسمع له دوي .
3 الجوشن : الصدر .
4 المدل : الجريء .
5 العُطب : القطن .
6 النحب : الحاجة .
7 الطب هنا : العادة .

ورَغْـمُ الكاشح الراغـ ـم فيهـا أَيْسَرُ الخَطْبِ

قال : ودفَع هذه الأَبيات إلى المغنِّين فغنّوْه فيها .

[فصيح يطلبُ الحُوشيّ من الشعر]

أَخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن الأَصمعيّ ، وحدَّثني به محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدَّثنا أَبو حاتم قال حدَّثنا الأَصمعيّ قال : كان يزيد بن ضَبّة مولى ثَقيف ، ولكنّه كان فصيحاً ، وقد أَدركتُه بالطائف ، وقد كان يَطلب القوافيَ المعتاصةَ والحُوشيّ من الشعر .

[قيل له ألف قصيدة انتحلتها الشعراء]

قال أَبو حاتم في خبره خاصّة وحدَّثني غسّان بن عبد الله بن عبد الوهّاب الثقفيّ ، عن جماعة من مشايخ الطائفيِّين وعلمائهم قالوا : قال يزيد بن ضبّة أَلفَ قصيدة ، فاقتسمتها شعراء العرب وانتحلتها ، فدخلتْ في أَشعارها .

[103] ـ أخبار إسماعيل بن الهِرْبِـذ

[ولاؤه]

إسماعيل بن الهِرْبِذ مكيٌّ مولىً لآل الزُّبَير بن العَوّام ، وقيل : بل هو مولى بني كِنانة . أدرك آخرَ أيّام بني أُميّة وغنّى للوليد بن يزيد ، وعُمِّر إلى آخر أيّام الرشيد .

[يطرب الرشيد دون كبار المغنّين]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه عن عبد الله بن أبي سعد عن محمّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ عن أبيه : أنّ إسماعيل بن الهِرْبِذ قدِم على الرشيد من مكّة ، فدخل إليه وعنده ابنُ جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وفُلَيْح وغيرُهم والرشيد يومئذٍ خاثِرٌ به خُمار شديد ؛ فغنّى ابنُ جامع ثم فُلَيْح ثم إبراهيم ثم إسحاق ، فما حرّكه أحد منهم ولا أطربه ؛ فاندفع ابن الهِرْبِذ يغني ، فعَجِبوا من إقدامه في تلك الحال على الرشيد ، فغنّى : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا راكبَ العيس التي ... وفدَت من البلد الحَرامِ[1]
قُـل للإمـام ابن الإما ... م أخي الإمام أبي الإمامِ
زيـنِ البريّـة إذ بدا ... فيهـم كمصباح الظلامِ
جعل الإلـهُ الهِرْبِـذيَّ ... فِداك مـن بـين الأنامِ

الغناء لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . قال : فكاد الرشيد يرقص ، واستخفّه الطرب حتى ضرب بيديه ورجليه ، ثم أمر له بعشرة آلاف درهم . فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ لهذا الصوت حديثاً ، فإن أذِن مولاي حدّثته به ؛ فقال : حدِّث . قال : كنت مملوكاً لرجل من ولد الزُّبَير ، فدَفَع إليّ درهمين أبتاع له بهما لحماً ، فرُحْتُ فلقِيتُ جاريةً على رأسها جَرّةٌ مملوءةٌ من ماء العَقيق وهي تغنّي هذا اللحنَ في شعر غير هذا الشعر على وزنه ورويِّه ؛ فسألتها أن تُعلِّمَنيه ؛ فقالت : لا وحقّ القبرِ[2] إلاّ بدرهمين ؛ فدفعتُ إليها الدرهمين وعَلّمَتْنيه ؛ فرجَعتُ إلى مولاي بغير لحم فضربني ضرباً مبرِّحاً شُغِلتُ معه بنفسي فأُنْسِيتُ الصوت . ثم دفع إليّ درهمين آخرين بعد أيّام أبتاع له بهما لحماً ؛ فلقِيَتْني الجاريةُ فسألتُها أن تُعيد الصوتَ عليّ ؛

1 وفدَت في ل : وخدت .

2 تقصد قبر النبيّ .

فقالت : لا والله إلاّ بدرهمين ؛ فدفعتُهما إليها وأعادته عليَّ مراراً حتى أخذتُه . فلمّا رجَعتُ إلى مولاي أيضاً ولا لحمَ معي قال : ما القصّة في هذين الدرهمين ؟ فصدَقتُه القصّة وأعَدْتُ عليه الصوت ، فقبّل بين عينيّ وأعتقني . فرحلتُ إليك بهذا الصوت ، وقد جعلتُ ذلك اللحن في هذا الشعر ؛ فقال : دَع الأوّلَ وتَناسَه ، وأقِمْ على الغناء بهذا اللحن في هذا الشعر ؛ فأمّا مولاك فسأدفع إليه بدل كلّ درهم ألفَ دينار ؛ ثم أمر له بذلك فحُمِل إليه .

[شعر نسب الوليد وليس له]

وممّا نُسب إلى الوليد بن يزيد من الشعر وليس له[1] : [من الرمل]

صوت
من المائة المختارة

امدَحِ الكأسَ ومـــن أعْمَلها واهْجُ قومـاً قتلونا بالعطشْ
إنّمـا الكـأس ربيـعٌ باكـرٌ فإذا مـا غـاب عنّـا لم نَعِشْ

الشعر لنابغة بني شَيْبان . والغناء لأبي كامل ، ولحنُه المختار من خفيف الثقيل الثاني بالوسطى ، وهو الذي تسمّيه الناسُ اليومَ الماخوريّ . وفيه لأبي كامل أيضاً خفيفُ رمل بالبنصر عن عمرو . وذكر الهشاميّ أن فيه لمالك لحناً من الثقيل الأوّل بالوسطى ، ولعمر الوادي ثاني ثقيل بالبنصر .

1 البيتان من قصيدة طويلة في ديوان نابغة بني شيبان : 83–89 .

[104] ـ نسب نابغة بني شَيْبان

[نسبه]

النابغة اسمه عبد الله بن المُخارِق بن سُلَيْم بن حصرة[1] بن قَيْس بن سِنَان بن حَمّاد بن حارثة بن عمرو بن أبي رَبيعة بن ذُهْل بن شَيْبان بن ثَعْلبةَ بن عُكابة بن صَعْبِ بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أسد بن رَبيعة بن نِزار . شاعرٌ بدويّ من شعراء الدولة الأُمويّة . وكان يفِد إلى الشام إلى خلفاء بني أُميّة فيمدحهم ويُجْزلون عطاءه . وكان فيما أرى[2] نَصْرانيّاً لأنّي وجدته في شعره يَحلِف بالإنجيل والرُّهْبان وبالأيمان التي يحلِف بها النّصارى . ومدَح عبدَ الملك بن مروان ومَنْ بعده مِنْ ولَده ؛ وله في الوليد مدائحٌ كثيرة .

[مدح عبد الملك لما هم بخلع أخيه]

أخبرني عمّي قال حدَّثني محمَّد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثني العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : لمّا همّ عبد الملك بخلع عبد العزيز أخيه وتَوْلِية الوليدِ ابنِه العهدَ ، كان نابغة بني شيبان منقطِعاً إلى عبد الملك مَدّاحاً له ؛ فدخل إليه في يوم حَفْل والناسُ حواليه وولدُه قُدّامَه ، فمَثل بين يديه وأنشده قوله[3] : [من المنسرح]

أشتقتَ وانهلَّ دمعُ عينك أنْ ... أضحى قِفاراً من أهلـه طَلَحُ[4]

حتى انتهى إلى قوله :

أزَحْتَ عنّـا آلَ الزُّبَير ولـو ... كانوا هُمُ المالكين ما صَلَحوا[5]

---

1 ل : حضيرة وفي الديوان : خصيرة .

2 لقول أبي الفرج هذا ما يبرّره في شعر النابغة ، كقوله مثلاً :

يظـلّ يتلـو الإنجيـل يـدرسه ... مـن خشيـة الله قلبـه طفـحُ

غير أنّ في شعره نفساً إسلاميّاً لا يخطئه القارىء ، بل إنّه يصرّح بإسلامه كقوله :

وتعجبني اللـذات ثـم يعوجني ... ويسترني عنهـا مـن الله ساتـرُ

ويزجرني الإسلامُ والشيب والتُّقى ... وفي الشيب والإسلام للمرء زاجرُ

فهل كان النابغة نصرانيّاً في مبدئه ثم أسلم ؟ .

3 ديوان نابغة بني شيبان (دار الكتب) : 101–108 .

4 طلح : اسم موضع مختلف على تعيينه .

5 الشطر الثاني في رواية الديوان : كان إمام سواك ما صلحوا .

إن تَلْـقَ بَلْوَى فأنت مُصْطَبِرٌ ... وإن تـُلاقِ النُّعْمَى فـلا فرحُ
ترمي بعينَيْ أَقْنى على شَرَف ... لم يـــؤذه عائـرٌ ولا لَحَحُ[1]
آلُ أبـــي العـاصِ آلُ مَـأْثُرةٍ ... غُـرٌّ عِتَاقٌ بالخير قـد نفَحوا
خيرُ قـريشٍ وهـــم أفاضلُها ... في الجِدّ جِـدٌّ وإن هُمُ مَزَحوا
أَرْحَبُهـــا أَذْرُعـــاً وأَصبَرُهـا ... أنتم إذا القوم في الوَغى كلَحوا[2]
أمّـــا قريشٌ فأنـتَ وارثُهـا ... تكُفّ من صعبهم إذا طمَحوا
حفِظْتَ مـــا ضيّعوا وزَنْدَهم ... أَورَيْتَ إذ أصلدوا وقد قدحوا
آليتُ جَهْداً ، وصادقٌ قسمي ، ... بربِّ عبـــدٍ تجُنُّـــه الكُرحُ[3]
يَظلّ يتلـــو الإنجيـلَ يدرسُه ... مـــن خَشْية الله قلبُه طَفحُ[4]
لابنُـــك أولَى بمُلـك والده ... ونجمُ من قـد عصاك مُطَّرِحُ
داود عَـــدْلٌ فاحكم بسيرته ... ثم ابنُ حَرْب فإنّهم نصَحوا[5]
وهم خيـــارٌ فاعمل بسنّتهم ... واحْيَ بخير واكْدَحْ كما كدَحوا

قال : فتبسّم عبد الملك ولم يتكلّم في ذلك بإنذار[6] ولا دفع ؛ فعلم الناس أنّ رأيه خلعُ عبد العزيز . وبلغ ذلك من قول النابغة عبدَ العزيز ، فقال : لقد أدْخل ابنُ النّصرانيّة نفسه مُدْخَلاً ضيِّقاً فأوردها مورداً خطراً ؛ وبالله عليّ لئن ظفِرتُ به لأَخْضِبنّ قدمَه بدمه .

[هنأ يزيد بن عبد الملك بعد قتل يزيد بن المهلّب]

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : لمّا قُتل يزيد بن المهلّب دخل النابغة الشَّيْبانيّ على يزيد بن عبد الملك بن مروان ، فأنشده قولَه في تهنئته بالفتح[7] : [من الوافر]

ألا طـال التنظُّـــر والثَّـــوَاءُ ... وجاء الصيف وانكشف الغِطاءُ
وليس يُقيـم ذو شَجَنٍ مُقِيـمٍ ... ولا يَمْضِي إذا ابتُغي المَضاءُ

1 والأقنى : الصقر . والعائر : الرمد . واللحح : لصوق الأجفان بوسخ أبيض جامد . ولا لَحح في ل : ولا لمحوا .
2 كلحوا : تغيّرت وجوههم .
3 تجنّه الكرح في ل : لله ينتصح . والكرح والأكيراح : بيوت صغار بأرض الكوفة كان يسكنها الرهبان .
4 الديوان : قفح : أي وجع .
5 نصحوا في ل : نُصُح .
6 في ل : بإقرار .
7 ديوان النابغة : 40–51 .

طَـوالَ الدَّهـر إلاّ في كتابٍ ومقـــدارٍ يُوافِقــه القضــاءُ
فما يُعطى الحريصُ غنىً لحِرْصٍ وقد يَنْمــي لذي الجود الثَّراءُ
وكلُّ شديـدةٍ نزلـتْ بحــيٍّ سيتبعُهـا إذا انتهـت الرَّخاءُ

يقول فيها : [من الوافر]

أؤمُّ فتىً مـن الأعياصِ مَلْكاً أغـــرَّ كأن غُرّتــه ضياءُ
لأُسْمِعــه غريبَ الشعرِ مدحاً وأُثْنِــي حيــث يتّصِل الثناءُ
يزيد الخيرِ فهـو يزيــد خيراً وينمــي كلّمــا ابتُغــي النَّماءُ
فضَضتَ كتائبَ «الأزديّ» فَضّاً بكبشك حـين لَفّهمــا اللقاءُ
سَمكْتَ المُلْكَ مقتبَلاً جديداً كما سُمِكَتْ على الأرض السماءُ[1]
نرجّــي أن تــدومَ لنـا إماماً وفي مُلك الوليـد لنــا رَجاءُ
«هشامٌ» و«الوليد» وكلُّ نفسٍ تُريــد لك الفناءَ لك الفِداءُ

وهي قصيدة طويلة . فأمر له بمائة ناقة من نَعَم كَلْب وأن تُوقَر له بُرّاً وزَبيباً ، وكساه وأجزل صلته .

[وفد على هشام مادحاً فطرده]

قال : ووفَد إلى هشام لمّا وَلِي الخلافة ؛ فلمّا رآه قال له : يا ماصَّ ما أُبْقتِ المَواسي من بَظْر أُمّه ! ألستَ القائلَ : [من الوافر]

هشامٌ والوليــــدُ وكلُّ نفسٍ تريدُ لك الفنــاءَ لك الفِداء

أخْرِجوه عنّي ! والله لا يَرْزَؤُني شيئاً أبداً وحَرمه . ولم يزل طولَ أيّامه طريداً ؛ حتى ولي الوليدُ بن يزيد ؛ فوفد إليه ومدحه مدائح كثيرة ، فأجزل صلته .

[الخمر ومدحها]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني عُبيد الله بن محمَّد الكوفيّ عن العُمَريّ الخَصّاف عن الهَيثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية أنّه أنشده لنابغة بني شَيْبان : [من الرمل]

أيُّهــا الساقــي سقتْكَ مُزْنَــةٌ من رَبيعٍ ذي أهاضيبَ وطَشّ[2]

---

1 رواية الديوان : سمكت لهم بإذن الله ملكاً . وسمك الشيء : رفعه .

2 الطش : المطر الضعيف . والأهاضيب : المطر المتوالي .

امدحِ الكأس ومـن أعملهـا واهْجُ قومـاً قتلونا بالعطشْ
إنّمـا الكأسُ ربيـعٌ باكـرٌ فإذا مـا غاب عنّـا لم نَعِشْ
وكأنّ الشَّرْبَ قـوم مُوِّتوا من يَقُمْ منهـم لأمر يَرْتَعِشْ
خُـرُس الألسُن ممّـا نالهـم بين مصروع وصاحٍ منتعشْ
مـن حُميّـا قَرْقَفٍ حُصِّيَّـةٍ قهـوةٍ حَوْليّـةٍ لم تُمْتَحَشْ[1]
ينفع المزكـومَ منهـا ريحُها ثـم تَنفـي داءه إن لم تُنشّ[2]
كلّ مـن يشربهـا يألفُهـا يُنفق الأموالَ فيهـا كلَّ هَشّ

[أنشد الوليد شعراً في الفخر]

أخبرني محمَّد بن مزيد بن أبي الأَزْهر قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الجُمَحِيّ ، قال ابن أبي الأزهر : وهو محمَّد بن سَلاّم : غنَّى أبو كامل مولى الوليد بن يزيد يوماً بحضرة الوليد بن يزيد : [من الرمل]

امـدَحِ الكأسَ ومـن أعملها واهْـجُ قومـاً قتلونـا بالعطشْ

فسأل عن قائلِ هذا الشعر فقيل : نابغة بني شيبان ؛ فأمر بإحضاره فأُحْضِر ؛ فاستنشده القصيدةَ فأنشده إيّاها ؛ وظنَّ أن فيها مدحاً له فإذا هو يفتخر بقومه ويمدحهم ؛ فقال له الوليد : لو سَعِد جَدُّك لكانت مديحاً فينا لا في بني شَيْبان ، ولسنا نُخْليك على ذلك من حظّ ؛ ووصله وانصرف . أوّل هذه القصيدة قوله[3] : [من الرمل]

خَـلَّ قلبي مـن سُلَيمى نبلُها إذ رمتنـي بسهـام لم تَطِشْ[4]
طَفْلةُ الأعطافِ رُؤْدٌ دُمْيةٌ وشَواهـا بَخْتَرِيّ لم يُحَشْ
وكأنّ الـدُّرّ في أخْراصهـا بَيْضُ كَحْـلاء أقرّتـه بعُشّ[5]
ولها عينـا مَهـاةٍ في مهـاً تَرْتعي نبـتَ خُزامى ونَتَشْ[6]
حُـرّةُ الوجـه رخيمٌ صوتُها رُطَبٌ تَجْنيه كـفُّ المُنْتقِشْ[7]

---

1 الحميا : سَورة الخمر وشدّتها . والقرقف : الخمر ، سمّيت كذلك لأنّها تصيب شاربها بالرعدة .
2 لم تنش : النشوة أي لم تُسكرْ .
3 ديوان بني شيبان 83–89 .
4 خل : نفذ وثقب .
5 الأخراص : جمع خرص وهو القرط . والكحلاء : طائر .
6 النتش : أوّل ما يظهر من النبات .
7 المنتقش : المتخيّر .

وهي في الليل إذا ما عُونِقَتْ مُنْيةُ البعل وهمُّ المُفْترِشْ

وفيها يقول مفتخراً : [من الرمل]

وبنو شَيْبان حولي عُصَبٌ منهمُ غُلْبٌ وليست بالقَمِشْ[1]
ورَدوا المجدَ وكانوا أهلَه فرَوُوا والجودُ عافٍ لم يَنِشّ[2]
وترى الجُرْدَ لدى أبياتهم أُرِناتٍ بين صَلْصال وجُشّ[3]
ليس في الألوان منها هُجْنَةٌ وَضَحُ البُلْقِ ولا عيبُ البَرَشْ[4]
فبها يَحْوُون أموالَ العِدَا ويَصيدون عليها كلَّ وحشْ
دَمِيَتْ أكفالُها من طعنهم بالرُّدَيْنيّات والخيلِ النُّجُشْ[5]
نُنْهِل الخَطِّيّ من أعدائنا ثم نَفْرِي الهامَ إن لم نَفْترِشْ[6]
فإذا العِيسُ من المحل غَدَتْ وهي في أعينها مثلُ العَمَشْ
حُسَّرَ الأوبار ممّا لَقِيتْ من سَحاب حاد عنها لم يُرِشّ[7]
خُسَّفَ الأعين تَرْعى جُوفةً هَمَدتْ أوبارُها لم تَنْتفِشْ[8]
نَنْعَشُ العافي ومن لاذ بنا بسجال الخير من أيْدٍ نُعُشْ[9]
ذاك قولي وثنائي وهُمُ أهْلُ ودِّي خالصاً في غير غِشّ
فسَلُوا شَيْبانَ إن فارقتُهم يومَ يمشون إلى قبري بنعشْ
هل غَشِينا مَحْرَماً في قومنا أو جَزَينا جازياً فُحْشاً بفُحْشْ

[بعض شعره الذي غُني به]

وممّا يُغنّى فيه من شعر نابغة بني شيبان : [من مجزوء الرمل]

---

1 القمش : زعانف الناس وأرذالهم .
2 العافي : الوافي .
3 أرنات : نشيطات . الصلصال : الحمار المصوّت . جش : جمع أجشّ وهو الغليظ الصوت .
4 الهجنة : العيب . البرش : البرص .
5 النجش : المستثارة المسرعة .
6 نفترش : نصرع .
7 لم يرش : لم ينزل ما به من مطر .
8 خسف الأعين : غائرتها . الجوفة : النبتة الفارغة الجوف .
9 العافي في ل : العاني . نعش : تنتعش للكرم وفعل الخير .

صوت

ذَرَفتْ عينـي دموعاً ... مـن رسوم بحَفيرِ
مُوحِشاتٍ طامساتٍ ... مثلِ آيـاتِ الزَّبُورِ
وزِقـاقٍ مُتْرَعـاتٍ ... من سُلافات العَصيرِ[1]
مُجْلَخِـدّات مِـلاءٍ ... بطّنوهـنّ بِقِيـرِ[2]
فإذا صارت إليهـم ... صُيِّرتْ خيـرَ مَصيرِ[3]
من شبابٍ وكُهـولٍ ... حكَّمـوا كأسَ المُديرِ
كم تـرى فيهم نديماً ... مـن رئيس وأَميـرِ

ذكر يونس أنّ فيه لمالك لحناً ولابن عائشة آخر ، ولم يذكر طريقتهما ؛ وفيه خفيفُ رملٍ معروف لا أدري لحن أيّهما هو .

صوت
من المائة المختارة[4]

[من الكامل]

يـا عَمْـرُ حُـمّ فراقُكـم عَمْرا ... وعَزَمْـتِ منّـا النـأيَ والهجرا
إحـدى بنـي أَوْدٍ كَلِفتُ بهـا ... حَمَلت بـلا تِـرَةٍ لنـا وتْرا
وتَـرى لهـا دَلاًّ إذا نطقـتْ ... تركـت بنـاتِ فـؤاده صُعْرا[5]
كتساقط الرُّطَبِ الجَنيِّ من الأَفنا ... ن لا بَثْـراً ولا نَـزْرا[6]

الشعر لأبي دَهْبَل الجُمَحِيّ . والغناء لفَزار المَكّي ، ولحنه المختار ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن الهشاميّ .

---

1 رواية هذا البيت في الديوان :

في زقاق كلّ حجليـ ... ـن أضـرّا ببعيـر

والحجل : هو السقاء العظيم .

2 مجلخدات : مستلقيات . بطنوهن في ل : طينوهن .

3 رواية هذا البيت والذي بعده في الديوان :

فـإذا صرتَ إليهـم ... صرت في خيرِ مصير
عنـد شبان وشيـب ... أعملـوا كأس المدير

4 ديوان أبي دهبل : 109–110 .

5 صعر : مائلة .

6 رواية الديوان : كتساقط الرطب الجنيّ من الاقناء لا نشراً ولا نزرا

الاقناء : جمع قنو وهو العذق بما فيه من رطب . والبثر : الكثير وكذلك النشر .

[105] ـ أَخبار أَبي دَهْبَل ونسبه[1]

[نسبه]

نسبه ـ فيما ذكر الزُّبَير بن بَكّار وغيره ، وَهْب بن زَمْعة[2] بن أُسَيْد بن أُحَيْحَةَ بن خَلَف بن وَهْب بن حُذافة بن جُمَح بن عمرو بن هُصَيْص بن كعب بن لؤيّ بن غالب . ولخلف بن وَهْب يقول عبد الله بن الزِّبَعْرَى أو غيرُه : [من الكامل]

خَلَفُ بن وَهْب كلَّ آخرِ ليلةٍ أبداً يكثِّر أهلَه بعيالِ
سَقْياً لوَهْب كَهْلِها ووليدها ما دام في أبياتها الذيّالِ
نعم الشبابُ شبابُهم وكهولُهم صُيّابة ليسوا من الجُهَّالِ[3]

وأمّ أبي دَهْبل امرأة من هُذَيل . وإيّاها يَعْني بقوله : [من المتقارب]

أنا ابن الفروعِ الكرامِ التي هُذَيلٌ لأبياتها سائِلَهْ
هُمُ ولدوني وأشبَهتُهم كما تُشْبِه الليلة القابلَهْ

واسمها ، فيما ذكر ابن الأعرابيّ ، هذيلة بنت سَلَمة .

[كان شاعراً جميلاً عفيفاً]

قال المدائني : كان أبو دهبل رجلاً جميلاً شاعراً ، وكانت له جُمّة يُرسلها فتضرِب مَنْكِبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومدَح معاويةَ ، وعبدَ الله بن الزُّبَير ، وقد كان ابنُ الزُّبَير ولاّه بعضَ أعمال اليمن .

[عدّه راهب أشعر الناس]

حدَّثنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسد قال حدَّثنا العُمَريّ عن الكَلْبيّ عن أبي مِسْكين ، وأخبرني به محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن الهيْثم بن فِراس قال حدَّثني العبّاس بن هشام عن أبيه عن أبي مِسْكِين : أنّ قوماً مَرّوا براهب ، فقالوا له : يا راهب ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : مكانَكم حتى أنظرَ في كتاب

---

1 لأبي دهبل الجمحيّ ترجمة في الشعر والشعراء : 512–514 والمؤتلف : 168 وانظر بروكلمان 1 : 198 . وقد جمع كرنكو شعره سنة 1910 ثم عثر الأستاذ عبد العظيم عبد المحسن على مخطوطة له في النجف فنشرها عام 1972 ، وإليه نشير .

2 ل : ربيعة وهو تحريف .

3 الصيابة : الخيار من كلّ شيء .

عندي ، فنظر في رَقّ له عَتيق ثم قال : وَهْبٌ من وَهْبين ، من جُمَح أو جُمَحين .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا عليّ بن صالح عن عبد الله بن عُرْوة قال : قال أبو دَهْبل يفخَر بقومه[1] : [من البسيط]

قومي بنو جُمَح قوم إذا انحدرَتْ شَهْباءُ تُبصر في حافاتها الزَّغَفا[2]
أهلُ الخلافة والمُوفُون إن وعَدوا والشاهِدو الروع لا عُزْلاً ولا كُشُفا[3]

قال الزُّبَير وأنشدني عمّي قال أنشدني مصعَب لأبي دَهْبل يفخَر بقومه بقوله[4] : [من الرجز]

أنا أبو دَهْبلَ وَهْبٌ لِوَهَبْ من جُمَحٍ في العزّ منها والحَسَبْ
والأُسرةِ الخَضْراء والعِيصِ الأَشِبْ ومن هُذَيل والدي عالي النَّسَبْ[5]
أورثني المجدَ أبٌ من بعد أبْ رمحي رُدَيْنيّ وسيفي المستلبْ
وبَيْضتي قَوْنَسُها من الذَّهبْ دِرْعي دِلاصٌ سَرْدُها سردٌ عَجَبْ[6]
والقوس فَجّاءُ لها نَبْلٌ ذَرِبْ محشورةٌ أُحْكِم منهن القُطَبْ[7]
ليوم هَيْجاءَ أُعِدّت للرَّهَبْ

[كادوا له عند من كان يهواها]

أخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثنا محمَّد بن زُهَير قال حدَّثنا المدائنيّ : أنّ أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة ، وكانت امرأةً جَزْلة[8] يجتمع إليها الرجال للمحادثة وإنشادِ الشعر والأخبار ، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسَها مع كلّ من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً مُحبَّة له . وكان أبو دهبل رجلاً سيِّداً من أشراف بني جَمح ، وكان يحمل الحَمالات ويُعطي الفقراء ويَقْري الضيف . وزعمتْ بنو جمح أنّه تزوّج عمرةَ هذه بعد ذلك ، وزعم غيرُهم أنّه لم يصل إليها . وكانت عمرةُ تُوصيه بحفظ ما بينهما وكتمانه ، فضمِنَ لها ذلك واتّصل ما بينهما . فوقفت عليه زوجتُه فدسَّتْ إلى عمرة امرأةً داهيةً من عجائز أهلها ؛

1 ديوان أبي دهبل : 64–65 .
2 الشهباء : الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح . والزغف : الدروع .
3 كشف : جمع أكشف ، وهو من لا ترس له في الحرب . وقيل من ينهزم في الحرب .
4 ديوانه : 47–48 .
5 العيص : الأصل . والأشب : الملتفّ .
6 قونسها : أعلاها . والدرع الدلاص : اللينة الملساء . وسردها سرد في الديوان : شكّها شكّ .
7 القوس الفجاء : ارتفعت سيتها فبان وترها عن مقبضها . والقطب : النصال .
8 الجزلة : الأصيلة الرأي .

فجاءتها فحادثتها طويلاً ثم قالت لها في عُرْض حديثها : إنّي لأَعْجَبُ لك كيف لا تتزوّجين أبا دهبل مع ما بينكما ! قالت : وأيُّ شيء يكون بيني وبين أبي دهبل ؟ قال : فتضاحكت وقالت : أتستُرين عنّي شيئاً قد تحدّثتْ به أشرافُ قريش في مجالسها وسُوقةُ أهل الحجاز في أسواقها والسُّقاةُ في مواردها ! فما يتدافع اثنان أنّه يهواكِ وتَهْوَيْنه ؛ فوثَبتْ عن مجلسها فاحتجبتْ ومنعت كلَّ من كان يجالسها من المصير إليها . وجاء أبو دهبل على عادته فحجَبْته وأرسلت إليه بما كرِه . ففي ذلك يقول[1] : [من الطويل]

صوت

تطاوَلَ هذا الليل ما يتبلّجُ وأعيَتْ غَواشي عَبْرتي ما تَفَرّجُ
وبتُّ كئيباً ما أنام كأنّما خِلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهّجُ
فطوْراً أُمَنّي النفسَ من عَمْرةَ المُنى وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزنُ أنْشِجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ

الغناء في البيت الأوّل وبعده بيت في آخر القصيدة : [من الطويل]

أُخَطِّط في ظهر الحصير كأنّني أسيرٌ يَخاف القتلَ ولهان مُلْفَجُ

لمعبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وذكر حَمّاد عن أبيه في أخبار مالك أنّه لحائد بن جَرْهَد وأنّ مالكاً أخذه عنه فنسَبه الناسُ إليه ، فكان إذا غنّاه وسُئل عنه يقول : هذا والله لحائد بن جَرْهَد لا لي . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفي «لقد قطع الواشون» وقبله «فطوراً أُمَنّي النفس» لمالك ثقيلٌ أوّل بالسبّابة . في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيل بالوسطى عن حبش : [من الطويل]

رأوا غِرّةً فاستقبلوها بألْبِهم فراحوا على ما لا نُحِبّ وأدْلجوا[2]
وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غَيْبَهم فلم يَنْهَهم حلمي ولم يتحرّجوا
فليت كوانِيناً مِنَ آهلي وأهلها بأجمعهم في قعر دِجْلة لَجَّجُوا[3]
همُ منعونا ما نحبّ وأوقدوا علينا وشَبّوا نار صُرم تَأَجَّجُ

1 ديوان أبي دهبل : 52–57 .
2 ألبهم : جمعهم .
3 الكوانين : الثقلاء أو الذين يتقصّون الأخبار لنقلها . ولججوا : وقعوا في اللجة . وفي الديوان : بأجمعهم في لجة البحر لججوا

ولو تركونـا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ولم يُلْحِموا قولاً من الشرّ يُنْسَجُ
لأوشك صرفُ الدَّهر يفرُق بيننا ولا يَسْتقيم الدَّهر والدَّهرُ أعوجُ[1]
عسى كُرْبةٌ أمسيتِ فيهـا مقيمةً يكونُ لنـا منهـا نجـاةٌ ومَخْرجُ
فيُكْبَتَ أعـداءٌ ويَجْـذَل آلِـفٌ لـه كَبِدٌ من لوعـة الحبّ تُلْعَجُ[2]
وقلـت لعَبّـاد وجـاء كتابُهـا لهـذا وربِّي كانت العـين تَخلُجُ
وإنّـي لمحـزونٌ عشيّـةَ زرتُهـا وكنتُ إذا مـا جئتُهـا لا أُعرِّجُ
أُخطِّط في ظهـر الحصير كأنّنـي أسيرٌ يخاف القتل وَلْهـان مُلْفجُ

الملفج : الفقير المحتاج .

وأشفَقَ قلبي مـن فـراق خليلةٍ لهـا نَسبٌ في فـرَع فِهرٍ متوَّجُ
وكـفٌّ كهُـدّاب الدِّمَقْسِ لطيفةٌ بها دَوْسُ حِنّاء حديثٌ مُضَرَّجُ[3]
يَجُول وشاحاها ويَغتَصّ حَجْلها ويَشْبَع منها وَقْفُ عاج ودُمْلُجُ[4]
فلمّـا التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَجُ

[شعره في عمرة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال أنشدني عمّي ومحمَّد بن الضحّاك عن أبيه محمَّد بن خَشْرم ومن شئتَ من قريش لأبي دهبل في عَمْرة : [من الكامل]

يا عَمْـر حُـمّ فراقُكم عمرا وعزَمْـتِ منّـا النأيَ والهجرا
يا عمر شيخُك وهو ذو كـرم يَحْمي الذِّمار ويُكـرم الصِّهرا
إن كان هذا السحرُ منكِ فلا تُرْعِي عليّ وجدِّدي السِّحرا[5]
إحـدى بنـي أَوْد كلِفتُ بها حمَلتْ بـلا وِتْـر لنا وترا[6]
وتَـرى لهـا دَلاًّ إذا نطقتْ تركـتْ بنـاتِ فؤاده صُعْرا

1 لا يستقيمُ في الديوان : ولا يستتم . . .
2 الديوان : له كبد من لوعة الحزن تنضج .
3 الدوس : التزيين . مضرج : مصبوغ .
4 يغتصّ : يمتلىء . الوقف : سوار من عاج .
5 لا ترعي علي : لا تبقي علي .
6 تقدّم هذا البيت (صفحة 86) برواية «بلا ترة» وهي رواية الديوان .

كتساقُطِ الرُّطَب الجَنيّ من الأَفـ ـنـان لا بَثْـرا ولا نَـزْرا
أَقسمتُ مـا أَحببتُ حبَّكـم لا ثَيِّباً خُلقـتْ ولا بِكْرا
ومقالـةٌ فيكـم عرَكْـتُ بهـا جَنْبي أُرِيـد بهـا لـك العذرا[1]
ومُريـد سرّكم عدَلـتُ بـه فيمـا يحـاول مَعْـدِلاً وَعْرا
قالـت يُقيـم بنـا لنَجْزِيَـه يومـاً فَخيَّـم عندهـا شهرا
مـا إن أُقيم لحاجـةٍ عرَضَتْ إلاّ لأُبْـلَي فيكـمُ العـذرا

قالوا : وفيها يقول[2] : [من الطويل]

صوت

يلومونني في غير ذنـب جنيتُـه وغيريَ في الذنب الذي كان أَلومُ
أمِنّـا أُناساً كنـتِ تأتمنينهـم فزادوا علينا في الحديث وأَوهموا[3]
وقالوا لنا مـا لم يُقَلْ ثم كثَّروا علينا وباحـوا بالذي كنت أَكتُمُ

غنّى في هذه الأَبيات أَبو كامل مولى الوليد رملاً بالبنصر . [من الطويل]

وقد مُنِحتْ عيني القَذَى لفراقهم وعاد لهـا تَهْتانُها فهي تَسْجُمُ
وصافيتُ نِسْواناً فلـم أَرَ فيهـمُ هوايَ ولا الوُدَّ الذي كنتُ أَعلمُ
أَليس عظيمـاً أَن نكـون ببلدة كلانـا بهـا ثـاوٍ ولا نتكلّمُ

[أبو السائب المخزوميّ يطرب لشعره]

أَخبرني حبيب بن نصر قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أَبو غسّان قال : سمع أَبو السائب المخزوميّ رجلاً ينشد قول أَبي دهبل : [من الطويل]

أَليس عجيباً أَن نكـون ببلدة كلانـا بهـا ثـاوٍ ولا نتكلّمْ

فقال له أَبو السائب : قف يا حبيبي فوقف ؛ فصاح بجارية : يا سلامة اخرجي فخرجت ؛ فقال له : أَعِدْ بأَبي أَنتَ البيت فأَعاده ؛ فقال : بلى والله إنّه لعجيبٌ عظيم وإلاّ فسلامة حرّة لوجه الله ؛ اذهبْ فدَيْتُك مُصاحَباً . ثم دخل ودخلت الجاريةُ تقول له : ما لَقِيتُ منك ! لا تزال تقطعني عن شغلي فيما لا ينفعك ولا ينفعني ! .

---

1 عركت بها جنبي : احتملتها . والمثل : عركت ذلك بجنبي في مجمع الميداني 2 : 8 ومستقصى الزمخشري 2 : 160 .

2 ديوان أَبي دهبل : 112–114 .

3 أَوهموا : نقصوا .

[تمثل متحابين بشعره]

وحدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : كنّا نختلف إلى أبي العبّاس المبرّد ونحن أحداثٌ نكتب عن الرُّواة ما يروُونه من الآداب والأخبار ، وكان يصحبنا فتىً من أحسن الناس وجهاً وأنظفِهم ثوباً وأجملِهم زِيّاً ولا نعرف باطنَ أمره ؛ فانصرفنا يوماً من مجلس أبي العبّاس المبرّد وجلسنا في مجلس نتقابل بما كتبناه ونصحّح المجلسَ الذي شهِدناه ؛ فإذا بجارية قد اطّلَعَتْ فطرحتْ في حَجْر الفتى رقعةً ما رأيتُ أحسنَ من شكلها مختومةً بعنبر ؛ فقرأها منفرِداً بها ثم أجاب عنها ورمى بها إلى الجارية . فلم نَلْبَثْ أن خرج خادمٌ من الدار في يده كَرِش ، فدخل إلينا فصفع الفتى به حتى رحِمناه وخلّصناه من يده وقمنا أسوأ الناس حالاً . فلمّا تباعَدْنا سألناه عن الرقعة ، فإذا فيها مكتوب : [من الطويل]

كفى حَزَناً أنّا جميعاً ببلدةٍ كلانا بها ثاوٍ ولا نتكلّمُ

فقلنا له : هذا ابتداءٌ ظريف ، فبأيّ شيء أجبْتَ أنت ؟ قال : هذا صوت سمعته يُغنَّى فيه ، فلمّا قرأته في الرقعة أجبتُ عنه بصوت مثله . فسألناه ما هو ؟ فقال : كتبتُ في الجواب :

أراعك بالخابُور نُوقٌ وأجمال

فقلنا له : ما وفّاك القومُ حقّك قطّ ، وقد كان ينبغي أن يُدْخلونا معك في القصّة لدخولك في جُملتنا ، ولكنّا نحن نُوَفّيك حقّك ؛ ثم تناولناه فصفعناه حتى لم يَدْرِ أيَّ طريق يأخذ ؛ وكان آخر عهده بالاجتماع معنا .

رجع الخبر إلى سياقة أخبار أبي دَهْبَل

[أبو دهبل وعاتكة بنت معاوية]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثم بن عَديّ قال حدَّثنا صالح بن حَسّان قال ، وأخبرني بهذا الخبر محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني محمَّد بن عمر قال حدَّثني محمَّد بن السَّريّ قال حدَّثنا هشام بن الكلبيّ عن أبيه ، يزيد أحدُهما على الآخر في خبره ، واللفظُ لصالح بن حسّان وخبرُه أتمّ ، قال : حجّتْ عاتِكةُ بنت معاوية بن أبي سفيان ، فنزلت من مكّة بذي طُوىً . فبينا هي ذات يوم جالسة وقد اشتدّ الحرّ وانقطع الطريق ، وذلك في وقت الهاجرة ، إذ أمرتْ جواريها فرفعن السّترَ وهي جالسةٌ في مجلسها عليها شُفُوفٌ لها تنظر إلى الطريق ، إذ مرَّ بها أبو دهبل الجمحيّ ، وكان من أجمل الناس وأحسنهم منظراً ؛ فوقف طويلاً ينظر إليها وإلى جمالها وهي غافلة عنه ؛ فلمّا فطِنت له سترَتْ وجهها وأمرت بطرح الستّر وشتَمتْه . فقال أبو دهبل[1] : [من السريع]

1 ديوان أبي دهبل : 90–91 .

إنّي دعـاني الحَيْـن فاقتادني حتـى رأيتُ الظبـيَ بالبابِ
يـا حسنَه إذ سبّني مُدْبِـراً مستَتِـراً عنّـي بجِلْبابِ
سبحان مـن وقّفهـا حسرةً صُبّت على القلـب بأوصابِ
يـذود عنهـا إن تطلّبتُها أبٌ لهـا ليس بـوهّابِ
أحلّهـا قصراً منيـعَ الذُّرَى يُحْمى بأبـواب وحُجّابِ

قال : وأنشد أبو دهبل هذه الأبيات بعضَ إخوانه ، فشاعت بمكّة وشُهرتْ وغنّى فيها المُغنّون ، حتى سمعتها عاتكةُ إنشاداً وغناءً ؛ فضحكت وأعجبتها وبعثتْ إليه بكُسوةٍ ، وجَرَتِ الرسلُ بينهما . فلمّا صدَرت عن مكّة خرج معها إلى الشام ونزل قريباً منها ، فكانت تَعاهَدُه بالبرّ واللُّطَفِ حتى وردتْ دمشقَ وورد معها ، فانقطعتْ عن لقائه وبَعُد من أن يراها ، ومرِض بدمشق مرضاً طويلاً . فقال في ذلك[1] : [من الخفيف]

طـال ليـلي وبِـتّ كالمحزون ومَلِلـتُ الثَّـواءَ في جَيْرونِ[2]
وأطلتُ المُقـام بالشام حتى ظنَّ أهلي مُرَجَّماتِ الظّنونِ[3]
فبكتْ خشيةَ التفـرّق جُمْلٌ كبكاء القريـن إثْـرَ القرينِ[4]
وهي زهراءُ مثلُ لؤلؤة الغَوّا صٍ مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا مـا نسبْتَها لم تَجِدْهـا في سَناء مـن المكارم دونِ
ثم خاصرتُها إلى القُبّة الخَضْـ ـراء تمشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ[5]
قُبّـةٌ مـن مَراجـل ضربوها عند بَـرْد الشتاء في قَيْطونِ[6]
عن يَساري إذا دخلتُ من البا ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمي وتَقَلّبـتُ ليلتـي في فنـونِ

1 ديوان أبي دهبل : 68–72 مع اختلاف في الترتيب واللفظ . وسيرد هذا الشعر منسوباً إلى عبد الرحمن بن حسّان (في خبر الأخطل وعبد الرحمن بن حسّان وعبد الرحمن بن الحكم) . وقد ورد في الكامل للمبرد (الدالي) 1 : 387 منسوباً إلى أبي دهبل ثم أضاف : «والذي كأنّه إجماع أنّه لعبد الرحمن بن حسّان في بنت معاوية» .

2 جيرون في الديوان : بالماطرون .

3 الديوان : فلتلك اغتربت في الشام حتى . . .

4 ورواية الديوان :

فبكت خشية التفرق للبين بكـاء الحزين نحو الحزين

5 مسنون : مصبوب على استواء .

6 المراجل : ضرب من برود اليمن . القيطون : المخدع .

ليت شعري أَمِنْ هوىً طار نومي أَم بَراني الباري قصيرَ الجفونِ[1]

قال : وشاع هذا الشعر حتى بلغ معاويةَ فأَمسك عنه ؛ حتى إذا كان في يوم الجمعة دخل عليه الناسُ وفيهم أَبو دهبل ؛ فقال معاوية لحاجبه : إذا أَراد أَبو دهبل الخروجَ فامنعه واردُده إليّ ؛ وجعل الناس يسلِّمون وينصرفون ، فقام أَبو دهبل لينصرفَ ؛ فناداه معاوية : يا أَبا دهبل إليّ ؛ فلمّا دنا إليه أَجلسه حتى خلا به ، ثم قال له : ما كنتُ ظننتُ أَنّ في قريش أَشعر منك حيث تقول . [من الخفيف]

ولقد قلتُ إذ تطاول سُقْمِي وتقلّبتُ ليلتي في فنونِ
ليت شعري أَمن هوىً طار نومي أَم براني الباري قصيرَ الجفونِ

غير أَنّك قلتَ :

وهي زهراءُ مثل لؤلؤةِ الغَوّا صِ مِيزتْ من جوهر مكنونِ
وإذا ما نسبْتَها لم تَجدْها في سَناء من المكارم دُونِ

ووالله إنّ فتاةً أَبوها معاويةُ وجَدُّها أَبو سفيان وجدّتها هند بنت عُتْبة لكما ذكرتَ ؛ وأَيُّ شيء زدتَ في قَدْرها ! ولقد أَسأتَ في قولك :

ثم خاصرتُها إلى القبّة الخضـ ـراء تَمشي في مَرْمَرٍ مَسْنونِ

فقال : والله يا أَمير المؤمنين ما قلتُ هذا ، وإنّما قيل على لساني . فقال له : أَمّا من جهتي فلا خوف عليك ، لأَنّي أَعلم صيانةَ ابنتي نفسَها ، وأَعرف أَنّ فتيان الشعر لم يتركوا أَن يقولوا النسيبَ في كلّ من جاز أَن يقولوه فيه وكلٌّ مَن لم يَجُز ، وإنّما أَكره لكَ جِوارَ يزيد ، وأَخاف عليك وثَباته ، فإن له سَوْرَةَ الشباب وأَنَفَةَ الملوك . وإنّما أَراد معاويةُ أَن يهرُبَ أَبو دهبل فتنقضي المقالةُ عن ابنته ؛ فحذِر أَبو دهبل فخرج إلى مكّة هارباً على وجهه ، فكان يكاتب عاتكةَ . فبينا معاويةُ ذاتَ يوم في مجلسه إذ جاءه خَصيٌّ له فقال : يا أَمير المؤمنين ، والله لقد سقَط إلى عاتكة اليوم كتاب ، فلمّا قرأَته بكَت ثم أَخذتْه فوضعتْه تحت مُصَلاّها ، وما زالت خاثرةَ النفس منذ اليوم . فقال له : اذهب فالطُفْ لهذا الكتاب حتى تأتيني به . فانطلق الخَصيّ ، فلم يزل يَلْطُف حتى أَصاب منها غِرّةً فأَخذ الكتابَ وأَقبل به إلى معاوية ، فإذا فيه : [من الطويل]

أَعاتِكُ هـلاّ إذ بخِلْتِ فلا تَرَيْ لذي صَبْوة زُلْفى لديك ولا حَقّا

1 الباري في ل : ربي .

رَدَدْتِ فؤاداً قـد تولّى به الهوى ... وسكّنْتِ عيناً لا تَمَلّ ولا تَرْقا[1]
ولكن خلعتِ القلبَ بالوعد والمُنى ... ولم أَرَ يوماً منكِ جُوداً ولا صدقا
أَتَنْسَيْن أيّامـي برَبْعـك مُدْنَفـاً ... صريعاً بأرض الشام ذا سَقَم مُلْقَى
وليس صديـقٌ يُرتَضى لوصيّةٍ ... وأدعو لدائي بالشَّراب فما أُسْقَى
وأكبرُ همّـي أن أرى لك مُرْسَلاً ... فطولَ نهاري جالسٌ أَرْقُبُ الطُّرقا
فواكبِدي إذ ليس لي منك مجلسٌ ... فأشكو الذي بي من هواك وما أَلقَى
رأيتُـك تزدادين للصَبِّ غِلظةً ... ويزداد قلبي كلَّ يـوم لكم عشقا

قال : فلمّا قرأ معاوية هذا الشعر بعث إلى يزيد بن معاوية ، فأتاه فدخل عليه فوجد معاويةَ مطرِقاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما هذا الأمرُ الذي شجاك ؟ قال : أمر أمْرَضَني وأقلقني منذ اليوم ، وما أدري ما أعمَل في شأنه . قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الفاسق أبو دَهْبل كتب بهذه الأبيات إلى أختك عاتكة ، فلم تزل باكيةً منذ اليوم ، وقد أفسدها ، فما تَرى فيه ؟ فقال : والله إنّ الرأي لهيِّنٌ[2] . قال : وما هو ؟ قال : عبدٌ من عبيدك يكمُن له في أزِقّة مكّة فيُريحنا منه . قال معاوية : أُفٌّ لك ! والله إنّ امرءاً يُريد بك ما يُريد ويسمو بك إلى ما يسمو لغيرُ ذي رأيٍ ، وأنتَ قد ضاق ذَرْعُك بكلمة وقَصُر فيها باعك حتى أردتَ أن تقتل رجلاً من قريش ؟ أو ما تعلم أنّك إذا فعلتَ ذلك صدّقتَ قولَه وجعلتنا أُحدوثةً أبداً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنّه قال قصيدة أُخرى تَناشَدَها أهلُ مكّة وسارت حتى بلغتْني وأوجعتْني وحملتْني على ما أشرتُ به فيه . قال : وما هي ؟ قال قال[3] : [من الطويل]

ألا لا تَقُـلْ مهلاً فقد ذهب المَهْلُ ... وما كلّ من يَلْحى محبّـاً له عقلُ
لقـد كان في حولَيْن حالا ولم أَزُرْ ... هواي وإن خُوِّفتُ عن حبّها شغلُ
حمـى الملكُ الجبّار عنّي لقاءها ... فمن دونها تُخْشَى المتالِفُ والقتلُ
فـلا خيرَ في حبٍّ يُخاف وبالُه ... ولا في حبيبٍ لا يكون له وصلُ
فواكَبِـدي إنّي شُهِـرتُ بحبّها ... ولم يـك فيما بيننا ساعـةً بَذْلُ
ويـا عجبـاً إنّي أُكاتـم حبَّهـا ... وقد شاع حتى قُطّعت دونها السُّبْلُ

1 ترقى : تجفّ .
2 ل : لبيّن .
3 ديوان أبي دهبل : 99–100 .

قال : فقال معاوية : قد والله رفّهتَ عنّي ، فما كنتُ آمَنُ أنّه قد وصل إليها ؛ فأمّا الآن وهو يشكو أنّه لم يكن بينهما وصل ولا بذلٌ فالخطبُ فيه يسير ، قُمْ عنّي ؛ فقام يزيد فانصرف . وحجّ معاويةُ في تلك السنة ؛ فلمّا انقضت أيّام الحجّ كتب أسماء وجوه قريش وأشرافهم وشعرائِهم وكتب فيهم اسم أبي دهبل ، ثم دعا بهم ففرّق في جميعهم صِلاتٍ سنيّةً وأجازهم جوائز كثيرةً . فلمّا قبض أبو دَهْبَل جائزته وقام لينصرفَ دعا به معاويةُ فرجَع إليه ؛ فقال له : يا أبا دهبل ، مالي رأيتُ أبا خالد يزيدَ ابن أمير المؤمنين عليك ساخطاً في قَوارصَ تأتيه عنك وشعرٍ لا تزال قد نطقتَ به وأنفذتَه إلى خُصَمائنا ومواليا ، لا تَعْرِضْ لأبي خالد . فجعل يعتذِر إليه ويحلِف له أنّه مكذوبٌ عليه . فقال له معاويةُ : لا بأسَ عليك ، وما يضرّك ذلك عندنا ؛ هل تأهّلتَ ؟ قال : لا . قال : فأيّ بنات عمّك أحبُّ إليك ؟ قال : فلانة ؛ قال : قد زوّجتُكها وأصدقتُها ألفي دينار وأمرتُ لك بألف دينار . فلمّا قبضها قال : إن رأى أمير المؤمنين أن يعفو لي عمّا مضى ؛ فإن نطقتُ ببيت في معنى ما سبَق منّي فقد أبحتُ به دمي وفلانةُ التي زوّجتَنيها طالقٌ ألبتّةَ . فسُرَّ بذلك معاويةُ وضمِن له رضا يزيدَ عنه ووعده بإدْرار ما وصله به في كلّ سنة ؛ وانصرف إلى دمشق . ولم يَحْجُجْ معاويةُ في تلك السنة إلاّ من أجل أبي دهبل .

[قصّته مع شامية تزوّجها وشعره فيها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي مصعب قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله قال : خرج أبو دهبل يريد الغزو ، وكان رجلاً صالحاً وكان جميلاً . فلمّا كان بجَيْرون جاءته امرأةٌ فأعطتْه كتاباً فقالت : اقرأ لي هذا الكتاب فقرأه لها ، ثم ذهبتْ فدخلت قصراً ثم خرجتْ إليه فقالت : لو بلغتَ القصر فقرأتَ الكتاب على امرأة كان لك فيه أجرٌ إن شاء الله ، فإنّه من غائب لها يَعْنيها أمرُه ؛ فبلغ معها القصر ؛ فلمّا دخلا إذا فيه جَوارٍ كثيرة ، فأغلقن القصرَ عليه ، وإذا فيه امرأة وضيئة ، فدعَتْه إلى نفسها فأبى ، فأمرتْ به فحُبس في بيت في القصر وأُطْعِم وسُقي قليلاً حتى ضَعُف وكاد يموت ، ثم دعَتْه إلى نفسها فقال : لا يكون ذلك أبداً ، ولكنّي أتزوَّجُك ؛ قالت : نعم ، فتزوّجها ؛ فأمرتْ به فأُحْسِن إليه حتى رجَعتْ إليه نفسُه ، فأقام معها زماناً طويلاً لا تدَعُه يخرج ، حتى يَئس منه أهلُه وولدُه ، وتزوّج بنوه وبناتُه واقتسموا ماله ، وأقامت زوجتُه تبكي عليه حتى عَمِشتْ ولم تقاسمهم مالَه . ثم إنّه قال لامرأته : إنّك قد أثِمْتِ فيّ وفي ولدي وأهلي ؛ فأْذَني لي أطالِعهم وأعود إليك ؛ فأخذتْ عليه أيماناً ألاّ يقيم إلاّ سنةً حتى يعودَ إليها . فخرج من عندها يجرّ الدنيا[1] حتى قدِم على أهله ،

1 أي أنّه خرج بخير كثير .

فرأى حالَ زوجته وما صار إليه ولدُه . وجاء إليه ولدُه ؛ فقال لهم : لا والله ما بيني وبينكم عمل ، أنتم قد ورِثتموني وأنا حيّ فهو حظّكم ؛ والله لا يَشْرَك زوجتي فيما قدِمتُ به أحد ؛ ثم قال لها : شأنَك به فهو لك كلّه . وقال في الشاميّة : [من الخفيف]

صاحِ حيّا الإلـهُ حيّـاً ودُوراً ... عنـد أصل القناة مـن جَيْرونِ
عن يَساري إذا دخلت من البا ... ب وإن كنتُ خارجاً عن يميني
فبذاك اغتربتُ في الشام حتى ... ظنّ أهلي مُرَجَّمـاتِ الظُّنونِ
وهي زهـراءُ مثـلُ لؤلؤة الغـ ... ـوّاص مِيزتْ من جوهرٍ مكنونِ
وإذا مـا نسبتَهـا لم تَجدْهـا ... في سَنـاء مـن المكارم دونِ
تجعل المسك واليَلَنْجُوجَ والنَّـ ... ـدَّ صِلاءً لهـا عـلى الكانونِ[1]
ثـم ماشيتُها إلى القبّة الخضـ ... ـراء تمشي في مَرْمَـرٍ مَسْنونِ
وقبابٍ قـد أُسْرِجَتْ وبيوت ... نُظِّمتْ بالرَّيْحان والزَّرَجُونِ
قبّة مـن مراجـل ضربوهـا ... عنـد حـدّ الشتاء في قَيْطونِ
ثـم فارقتُها على خير مـا كا ... ن قريـنٌ مُفـارِقٌ لقرينِ
فبكـتْ خَشيةَ التفـرّق للبيـ ... ـن بكـاءَ الحزين إثْـرَ الحزينِ
واسأَلي عن تذكّري واطمئنّي ... لأُناسي إذا هُـمُ عذلـوني

فلمّا حلّ الأَجلُ أراد الخروج إليها ، فجاءه موتها فأقام .

[وفوده على ابن الأزرق]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مصعب قال : وفد أبو دهبل الجُمَحيّ على ابن الأزرق عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق والهِبْرِزيّ ، وكان عاملاً لعبد الله بن الزُّبَير على اليمن ؛ فأنكره ورأى منه جفوةً ، فمضى إلى عمارة بن عمرو بن حزم ، وهو عامل لعبد الله بن الزُّبَير على حَضْرَمَوْت ، فقال يمدحه ويعرِّض بابن الأزرق[2] : [من مجزوء الكامل]

يـا رَبِّ حيٍّ بخير ما ... حيَّيْتَ إنسانـاً عمارَهْ

1 اليلنجوج : عود البخور .
2 ديوان أبي دهبل : 49–50 .

أعطـــى فأسْنانـــا ولم يك من عطيّته الصَّغارَهْ
ومـن العطيّة مـا تُرى جَذْماءَ ليس لهـا نَزارَهْ[1]
حجـــراً تقلّبـــه وهـل تُعْطِي على المدح الحجارَهْ
كالبغـــل يُحمد قائمـاً وتَـذُمّ مِشْيَته المُصَارَهْ

ثم رجع من عند عمارة بن عمرو بن حزم فقدِم ؛ فقال لـه حُنَيْن مولى ابن الأَزرق في السرّ : أرى أنّك عَجِلتَ على ابن عمّك وهو أجودُ الناس وأكرمُهم ، فعُدْ إليه فإنّه غيرُ تاركك ، واعلم أنّا نخاف أن يكون قد عُزل فلازِمْه ولا يفقدك ؛ فإنّي أخاف أن ينساك ؛ ففعل وأعطاه وأرضاه . فقال في ذلك[2] : [من البسيط]

يـــا حُنَيّ إنّي لِمَا حدّثتني أُصُلاً مُرَنَّح مـــن صميم الوجد معمودُ
نخاف عزلَ امرىء كنّا نعيش به معروفُه إن طلبنا الجودَ موجودُ
اعلمْ بأنّي لَمـــن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ضَبّاً وأنّـي عليك اليـــوم محسودُ[3]
وأنَّ شكرَك عندي لا انقضاءَ له ما دام بالهَضْب من لُبْنانَ جُلْمودُ
أنـــتَ الممدَّح والمُغْلي بـــه ثمنـاً إذ لا تُمدَّح صُمُّ الجندل السُّودُ
إنْ تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مُرْتحِلاً يَرْحَلْ من اليمن المعروفُ والجودُ[4]
مـــا زلتَ في دَفَعات الخيرِ تفعلها لمّا اعترى النـــاسَ لأْواءٌ ومجهودُ
حتى الذي بين عُسْفانٍ إلى عَدَنٍ لَحْبٌ لَمن يطلب المعروفَ أُخْدودُ[5]

قال : وأنشدنيها محمّد بن الضحّاك بن عثمان قال سمعتُها من أبي .

[تعسّر نظم بيت]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال أخبرني الزُّبَير بن بكّار ، وحدّثني حمزة بن عُتْبة قال : قال أبو دهبل الجُمَحيّ : لما قلت أبياتي التي قلت فيها : [من البسيط]

اعْلَـــمْ بأنّي لَمن عاديتَ مُضْطَغِنٌ ضَبّاً وأنّي عليك اليـــوم محسود

قلتُ فيها نصف بيت ، وأنّ شكرك عندي لا انقضاءَ له ، ثم أُرْتِجَ عليّ ، فأقمتُ حولين

1 الجذماء : المقطوعة . والنزارة : القلّة .
2 ديوان أبي دهبل : 104– 105 .
3 الضب : الحقد والغيظ .
4 المنقل : الطريق في الجبل .
5 اللحب : الواضح . والأخدود : الشق في الأرض .

لا أَقَعُ على تمامه ، حتى سمعتُ رجلاً من الحاجّ في الموسم يذكر لبنان ، فقلت : ما لُبنان ؟ فقال : جبل بالشام ؛ فأتممتُ نصف البيت : [من البسيط]

ما دام بالهَضْب من لبنانَ جُلْمودُ

[تفضيل شعره على شعر نصيب]

قال الزُّبَير وحدَّثني محمَّد بن حَبَش المخزوميّ قال : دخل نُصَيْبٌ على إبراهيم بن هشام وهو والٍ على المدينة فأنشده قصيدةً مدحه فيها ؛ فقال إبراهيم بن هشام : ما هذا بشيء ، أين هذا من قول أبي دهبل لصاحبنا ابن الأزرق حيث قال : [من البسيط]

إن تَغْدُ من مَنْقَلَيْ نَجْرانَ مرتحِلاً يَبِنْ من اليمن المعروفُ والجودُ

فغضِب نُصَيْبٌ فحَمي فنزع عمامتَه وطرَحها وبرَك عليها ؛ ثم قال : إن تأتونا برجال مثل ابن الأزرق نأتِكم بمديح أجود من مديح أبي دهبل .

قال الزُّبَير وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد العزيز الزّهريّ قال حدَّثني إسماعيل بن يعقوب بن مُجَمِّع التَّيْميّ قال : كان إبراهيم بن هشام جبّاراً وكان يُقيم بلا إذنٍ إذ كان على المدينة الأشهَر . فإذا أَذِن للناس أَذِن معهم لشاعر ، فيُنشد قصيدةَ مديحٍ لهشام بن عبد الملك وقصيدةَ مديح لإبراهيم بن هشام . فأَذِن لهم يوماً ، وكان الشاعرُ الذي أَذِن له معهم نصَيْباً وعليه جُبَّةُ وَشْي ؛ فاستأذنه في الإنشاد فأَذِن له ؛ فأنشده قصيدةً لهشام بن عبد الملك ثم قطعها وأنشد قصيدة مديح لإبراهيم بن هشام ، وقصيدةُ هشام أشعرُ ، فأراد الناسُ مُعالجةَ نُصَيْب فقالوا : ما أحسنَ هذا يا أبا مِحْجَن ! أَعِدْ هذا البيت . فقال : إبراهيم : أكثرتم ، إنّه لشاعرٌ ، وأشعرُ منه الذي يقول في ابن الأزرق : [من البسيط]

إن تُمْسِ من مَنْقَلَيْ نَجْران مرتحِلاً يَبِن من اليمن المعروفُ والجودُ

ما زلتَ في دَفَعات الخير تفعلها لما آعترى الناسَ لأْوَاءٌ ومجهودُ

وحَمي نصيبٌ فقال : إنّا والله ما نصنع المديحَ إلاّ على قَدْر الرجال ، كما يكون الرجلُ يُمدح . فعمَّ الناسَ الضّحِكُ وحَلُم عنه ، وقال الحاجب : ارتفعوا ، فلمّا صاروا في السَّقيفة ضَحِكوا وقالوا : أرأيتم مثلَ شجاعة هذا الأسود على هذا الجبّار ! وحَلُم من غير حلم .

[مدح ابن الأزرق بعد عزله]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمّي مصعب قال : خرج أبو دهبل يريد ابن الأزرق فلَقِيه معزولاً ، فشقَّ ذلك عليه واسترجَع ، فقال له ابن الأزرق : هوِّن عليك ؛ لم يَفُتْك شيءٌ ، فأعطاه مائتي دينار . فقال في ذلك أبو دهبل : [من البسيط]

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنه المكارمُ تَغْشاه وما نَزَعا

وحدَّثني محمَّد بن الضحّاك مثلَ ذلك وأنشدني البيت .

وأخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثني أبو تَوْبة صالح بن محمَّد بن دُرّاج قال حدَّثنا أبو عمرو الشَّيْبانيّ قال : ولّى عبدُ الله بن الزُّبَير ابْناً لسعد بن أبي وقّاص يقال له إبراهيم مكانَ الثَّبَت بن عبد الرحمن بن الوليد الذي يقال له ابن الأزرق ، فخرج حتى نزل بزَبِيد ، فقال لابن الأزرق : هَلُمّ حسابَك ؛ فقال : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينَك عملٌ ، وخرج متوجِّهاً إلى مكّة . فاستأذنه أبو دهبل في صحبة الوَقّاصيّ فأذِن له فرجع معه ، حتى إذا دخلوا صنعاء لَقيَهم بَحِير بن رَيْسان في نفرٍ كثير من الفُرْس وغيرِهم ، ومضى ابنُ الأزرق ومعه ما احتمله من أموال اليمن ؛ فسار يوماً ثم نزل فضرب رِواقَه ودعا الناسَ فأعطاهم ذلك المالَ حتى لم يَبْقَ منه درهم . فقال أبو دهبل : [من البسيط]

أعطى أميراً ومنزوعاً وما نَزَعَتْ عنه المكارمُ تَغشاه وما نَزَعا

وأقام أبو دهبل مع الوَقّاصيّ ، فلم يَصنع به خيراً . فقال أبو دهبل[1] : [من البسيط]

ماذا رُزِئْنا غَداةَ الخَلّ من رِمَعٍ عند التفرّق من خِيم ومن كرمِ[2]

ظلَّ لنا واقفاً يُعطي فأكثر ما سمّى وقال لنا في قولِهِ نعمِ

نعم حرف موقوف فإذا حُرِّك أُجْرِيَتْ حركتُه إلى الخَفْض لأنّه أولى بالساكن :

ثم انتحى غيرَ مذمومٍ وأعيُنُنا لما تولّى بدمع واكفٍ سَجِمِ

تَحْمِلُه الناقةُ الأدماءُ مُعْتَجِراً بالبُرد كالبدر جَلّى ليلةَ الظُّلَمِ

وكيف أنساك لا أيديك واحدةٌ عندي ولا بالذي أوليتَ من قِدَمِ

حتى لقينا بَحِيراً عند مَقْدَمِنا في موكب كضِياع الجِزْع مُرْتَكِمِ

لما رأيتُ مُقامي عند بابهمُ وَدِدْت أنّي بذاك الباب لم أُقِمِ

[مدحه بحير بن ريسان]

وبحير بن ريسان الذي يقول فيه أبو دهبل : [من الطويل]

صوت

بَحِير بن ريسان الذي سكن الجَنَدْ يقول له الناسُ الجوادُ ومن وَلَدْ[3]

---

1 ديوان أبي دهبل : 101–103 .

2 الخل ورمع : موضعان باليمن .

3 الجند : موضع باليمن .

لـــه نفحاتٌ حـين يُذكر فضلُه كسيل ربيع في ضَحاضِحَةِ السَّنَدْ[1]

في هذين البيتين هزج بالبنصر ذكر عمرو بن بانة أنّه ليمان ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن جامع .

[مدائحه في ابن الأزرق]

أخبرني محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال : كان ابن الزُّبَير بعث عبد الله بن عبد الرحمن على بعض أعمال اليمن ، فمدّ يدَه إلى أموالها وأعطى أعطيةً سنيّة وبثّ في قريش منها أشياء جزيلةً فأثْنَتْ عليه قريش ووفدوا إليه فأسْنى لهم العطايا . وبلغ ذلك عبدَ الله بن الزُّبَير فحسَده وعزَله بإبراهيم بن سعد بن أبي وَقّاص . فلمّا قدِم عليه أراد أن يحاسبَه ، فقال له : ما لك عندي حساب ولا بيني وبينك عمل ، وقدِم مكّةَ ؛ فخافت قريشٌ ابنَ الزُّبَير عليه أن يفتّشه أو يَكشِفَه فلبست السلاح وخرجت إليه لتمنعه ؛ فلمّا لَقِيَهم نزلتْ إليه قريشٌ فسلّمتْ عليه وبسَطتْ له أَرْدِيتَها وتلقّتْه إماؤهم وولائدهم بمجامر الأُلُوّة[2] والعود المَنْدَليّ يبخّرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد وطاف بالبيت ، ثم جاء إلى ابن الزُّبَير فسلّم عليه وهم معه مُطِيفون به . فعلِم ابنُ الزُّبَير أنّه لا سبيل له إليه فما عرّض ولا صرّح له بشيء . ومَضى إلى منزله . فقال أبو دهبل[3] : [من الطويل]

فمن يك شان العزلُ أو هدّ ركنَه لأعدائه يوماً فما شانكَ العزلُ

وما أصبحتْ من نعمة مُستفادةٍ ولا رَحِمٍ إلاّ عليها لك الفضلُ

وقال أبو دهبل أيضاً فيه ، أخبرني بذلك ابن المَرْزُبان عن أبي تَوْبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ ؛ وأخبرني به الحِرْميّ عن الزُّبَير عن عمّه[4] : [من الكامل]

عَقم النساءُ فلم يَلِدْنَ شبيهَه إن النساء بمثله عُقْمُ

متهلِّلٌ بنَعَمْ بلا مُتَباعِدٌ سيّانِ منه الوفر والعُدْمُ

نَزْرُ الكلام من الحياء تخاله ضَمِنا وليس بجسمه سُقْمُ[5]

[وفد على سليمان بن سليمان فلم يحسن وفادته]

أخبرني محمّد بن خلف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو قال : قال أبو دهبل يمدح ابن

1 الضحضاح : الماء القليل . والسند : ما ارتفع عن سفح الجبل .

2 الألوة : العود يتبخّر به .

3 ديوان أبي دهبل : 75 .

4 ديوانه : 66–67 .

5 الضمن : المريض .

الأزرق[1] : [من الكامل]

بأبـي وأُمّـي غيرَ قول الباطلِ الكاملُ ابن الكامل ابن الكاملِ
والحازمُ الأمر الكريمُ برأيـه والواصلُ الأرحام وابنُ الواصلِ
جمع الرياسَة والسماحَ كليهما جَمْعَ الجَفِير قِداحَ نبل النابلِ

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثني محمَّد بن عمر قال حدَّثني سليمان بن عَبّاد قال حدَّثني أبو جعفر الشُّوَيْفِعي (رجل من أهل مكّة) قال : قدِم سليمان بن عبد الملك مكّة في حرّ شديد ، فكان يُنَقَّلُ سريره بفِناء الكعبة وأعطى الناسَ العطاء . فلمّا بلغ بني جُمَح نُودي بأبي دهبل ؛ فقال سليمان : أين أبو دهبل الشاعر ؟ عليّ به ؛ فأُتي به ؛ فقال سليمان : أنت أبو دهبل الشاعر ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنت القائل[2] : [من الرمل]

فِتنـةٌ يُشْعلهـا وُرَّادُهـا حطبَ النار فدعها تَشْتَعِلْ
فـإذا مـا كان أمنٌ فأْتهمْ وإذا ما كان خوفٌ فاعتزلْ

قال : نعم . قال : وأنت القائل[3] :

يدعون مروانَ كيما يَستجيبَ لهم وعند مروانَ خار القومُ أو رقدوا[4]
قد كان في قوم موسى قبلهم جَسَد عجلٌ إذا خار فيهم خَوْرةً سجدوا[5]

قال : نعم . قال : أنت القائل هذا ثم تطلب ما عندنا ، لا والله ولا كرامةَ ! فقال : يا أمير المؤمنين ، إن قوماً فُتِنوا فكافحوكم بأسيافهم وأجْلَبوا عليكم بخيلهم ورَجْلهم ثم أدالكم اللهُ منهم فعفوتم عنهم ، وإنّما فُتِنْتُ فقلت بلساني ، فلِمَ لا يُعْفى عنّي ! فقال سليمان : قد عفونا عنك وأقطعه قطيعةً بحاذان باليمن . فقيل لسليمان : كيف أقطعتَه هذه القطيعةَ ! قال : أردتُ أنّ أُميتَه واميتَ ذكرَه بها .

[أبو دهبل وعمرة]

أخبرني محمَّد بن خلف قال حدَّثنا أحمد بن زهير قال حدَّثنا المدائنيّ عن جماعة من الرّواة : أن أبا دهبل كان يهوى امرأةً من قومه يقال لها عَمْرة وكانت امرأةً جَزْلةً يجتمع الرجالُ عندها

1 ديوانه : 106 .
2 ديوانه : 83 .
3 ديوانه : 80 .
4 خار في ل : حار .
5 الجسد : الذي لا يعقل . والبيت إشارة إلى الآية : ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾ .

لإنشاد الشعر والمحادثة ، وكان أبو دهبل لا يُفارق مجلسها مع كلّ من يجتمع إليها ، وكانت هي أيضاً محبّةً له . وكان أبو دهبل من أشراف بني جُمَح ، وكان يحمل الحَمالة وكان مُسوَّدا ؛ وزعمتْ بنو جمح أنّه تزوّجها بعد ، وزعم غيرُهم من الرّواة أنّه لم يصل إليها ولم يَجْر بينهما حلال ولا حرام . قال : وكانت عمرة تتقدّم إلى أبي دهبل في حفظ ما بينهما وكتمانه ، فضمن ذلك لها . فجاء نسوةٌ كنّ يتحدّثن إليها فذكرن لها شيئاً من أبي دهبل وقُلْنَ : قد علِق امرأةً ؛ قالت : وما ذاك ؟ قلن : ذكر أنّه عاشق لكِ وأنّك عاشقة له . فرفعتْ مجلسَها ومُجالسةَ الرجال ظاهرةً وضربتْ حجاباً بينهم وبينها ، وكتبتْ إلى أبي دهبل تَعْذِلُه وتخبره بما بلغها من سوء صَنيعه . فعند ذلك يقول : [من الطويل]

تطاوَل هذا الليلَ ما يتبلّج ... وأعْيَتْ غواشي عَبْرتي ما تَفَرّجُ
وبتُّ كئيباً ما أنام كأنّما ... خلالَ ضلوعي جمرةٌ تتوهّجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرةَ المنى ... وطوراً إذا ما لَجّ بي الحزن أنْشِجُ
لقد قطع الواشون ما كان بيننا ... ونحن إلى أن يُوصل الحبلُ أحوجُ
رأوْا غِرّةً فاستقبلوها بألْبهم ... فراحوا على ما لا نُحبّ وأدْلجوا
وكانوا أُناساً كنتُ آمَنُ غيَهم ... فلم يَنْهَهم حلم ولم يتحرّجوا
همُ منعونا ما نحبُّ وأوقدوا ... علينا وشبُّوا نار صُرْم تَأجّجُ
ولو تركونا لا هَدَى اللهُ سعيَهم ... ولم يُلْحِموا قولاً من الشرّ يُنْسَجُ
لأوشك صرفُ الدّهر يفرُق بيننا ... وهل يَستقيم الدَّهرُ والدَّهرُ أعوجُ
عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً ... يكون لنا منها نجاة ومَخْرجُ
فيُكْبَت أعداءٌ ويَجْذَل آلِفٌ ... له كبد من لوعة الحبّ تَنْضَجُ
وقلتُ لعَبّادٍ وجاء كتابُها ... لهذا وربِّي كانت العين تخلجُ
وخطّطتُ في ظهر الحَصير كأنّني ... أسيرٌ يَخاف القتلَ وَلْهان مُلْفجُ
فلمّا التقينا لَجْلَجَتْ في حديثها ... ومن آية الصُّرم الحديثُ المُلَجْلَجُ
وإنّي لمحجوبٌ عشيّةَ زرتُها ... وكنتُ إذا ما جئتُها لا أُعرِّجُ
وأعيا عليَّ القولُ والقولُ واسعٌ ... وفي القول مُسْتَنٌّ كثيرٌ ومَخْرَجُ

[جارية تغنّي أبا السائب وأبا جندب بشعره]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني خالد بن بكر الصوّاف قال : أتيتُ ابنَ أبي العراقيب فسألتُه أن يُدْخِلني على جارية مغنّية لم يَر أحدٌ مثلَها

قطّ ؛ فقال لي : إنّ في البيت والله شيخين كريمين عليّ ، لا أدري ما يوافقهما من دخول أحد عليهما ، فلو أقمتَ حتى أطّلِعَ رأيَهما في ذلك ، فدخل ثم خرج إليّ فقال : ادخل فدخلتُ ، فإذا أبو السائب المخزوميّ وأبو جُنْدَب الهُذَليّ ؛ وخرجتْ علينا الجاريةُ قاطبةً عابسةً ؛ فلمّا وُضع العودُ في حجرها اندفعتْ تغنّي وتقول : [من الطويل]

عسى كربةٌ أمسيتِ فيها مقيمةً يكون لنا منها نَجاة ومَخْرَجُ
وإنّي لمحجوبٌ غداةَ أزورها وكنتُ إذا ما زرتُها لا أُعرَّجُ

قال : ثم بكت ؛ فوثبا عليه جميعاً فقالا له : لعلّك أرَبْتها بشيء ، عليك وعلينا إن لم تَقُمْ إليها حتى تقبّل رأسَها وترضّاها ، ففعل .

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء

صوت

[من الطويل]

تطاوَل هذا الليلُ ما يتبلّج وأُعْيَتْ غواشي عَبرتي ما تَفَرَّجُ
أُخطِّط في ظهر الحصير كأنّني أسيرٌ يَخاف القتل وَلْهان مُلْفَجُ

الغناء لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو . وفيه لحن لمالك ذكره حمّاد عن أبيه في أخبار مالك ولم يُجنّسه . وحُكي أنّ مالكاً كان إذا سُئِل عنه يذكر أنّه أخذه من حائد بن جَرْهَد فقوّمه وأصلحه . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ثاني ثقيل بالوسطى عن حَبَش والهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

لقد قطع الواشون ما كان بيننا ونحن إلى أن يُوصَل الحبلُ أحوجُ
فطوراً أُمنّي النفسَ من عَمْرَة المنى وطوراً إذا ما لَجَّ بي الهمّ أنْشِجُ

الغناء لمالك ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أنّ فيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى .

[شعره في رثاء الحسين بن علي]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب قال : قال أبو دهبل في قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه وزكواته[1] : [من الطويل]

1 ل : ورضوانه . الأبيات في ديوان أبي دهبل : 86–87 .

تَبِيتُ سُكارى مــن أُميّة نُـوَّماً وبالطَّفّ قتلى مــا يَنام حَميمُها
ومــا أفسد الإسلامَ إلاّ عصابــةٌ تأمّـــر نَوْكاهــا ودام نعيمُهــا[1]
فصارت قناةُ الدِّين في كــفّ ظالمٍ إذا اعوجَّ منهــا جانبٌ لا يُقيمها

[قصيدته الدالية]

قال الزُّبَير وحدَّثني يحيى بن مِقْداد بن عِمْران بن يعقوب الزَّمْعي قال حدَّثني عمِّي موسى بن يعقوب قال أنشدني أبو دهبل قصيدته التي يقول فيها[2] : [من الطويل]

سقى اللهُ جازانــاً فمن حــلَّ وَلْيَه فكــلَّ فَسِيلٍ مــن سَهام وسُرْدُدِ[3]
ومحصولَه الدارَ التــي خيَّمَتْ بها سقاها فأَرْوى كلَّ ربــع وفَدْفدِ[4]
فأنتِ التــي كلَّفتِني البِرْكَ شاتياً وأَوْرَدْتِنيــه فانظــري أيّ مَوْردِ[5]

صوت

فوانَدَمــي أن لم أَعُجْ إذ تقول لي تقــدَّمْ فشيِّعنا إلى ضَحــوة الغَدِ
تكن سكناً أو تقدرُ العــين أنّها ستبكي مراراً فاسْلُ من بعد واحْمَدِ
فأصبحتُ ممّــا كان بينــي وبينها سوى ذكرهــا كالقابض الماء باليدِ

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لبَذْل الكبير رملٌ عن الهشاميّ : [من الطويل]

لعلّك أن تلقــى محبّاً فتشتفي برؤيــة رِيــم بَضَّةِ المُتجَــرِّدِ
بلاد العــدا لم تأتها غيرَ أنّها بها همُّ نفسي من تَهامٍ ومُنْجِدِ
وما جعلت ما بين مكّة ناقتي إلى البِرْك إلاّ نومــةَ المتهجِّدِ
وكانت قُبَيلَ الصبح تَنْبِذ رحلَها بدُومَة من لَغْـط القَطَا المتبدِّدِ

قال فقلت : يا عمّي فما يمنعك أن تكتري دابّةً بدرهمين فتشيِّعها وتصبحُ معك ؛

1 وما أفسدَ في الديوان : وما ضيّع .
2 ديوانه : 114 .
3 جازان : هي اليوم مدينة في جنوب المملكة العربية السعودية . ووليه : قربه . وسهام : موضع باليمامة . وسردد : واد بتهامة اليمن .
4 الفدفد : الفلاة .
5 البرك : ناحية باليمن .

فضحك وقال : نفَع الله بك يا ابن أَخي ، أَما علمتَ أَنّ النّدم توبةٌ ، وعمّك كان أَشغل ممّا تحسب .

[أنشد أبو السائب شعراً له فتهكّم به]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمّي مصعب بن عبد الله قال : أَنشد رجل أَبا السائب المخزوميّ قصيدةَ أَبي دهبل : [من الطويل]

سقى الله جازاناً فمن حلّ وَلْيَه فكلَّ فسيلٍ من سَهام وسُرْدُدِ

فلمّا بلغ قولَه :

فواندمي أَن لم أَعُجْ إذ تقول لي تقدّم فشيِّعنا إلى ضحوة الغدِ

قال أَبو السائب : ما صنع شيئاً ! أَلا اكترى حماراً بدرهمين فشيَّعهم ولم يقل «فواندمي» أَو اعتذر ! وإِنّي أَظنّ أَنّه قد كان له عذرٌ . قال : وما هو ؟ قال : أَظنّه كان مثلي لا يجد شيئاً .

[قصيدته الميمية]

فقال الزُّبَير وحدَّثني ابنُ مِقْداد قال حدَّثني عمّي موسى بن يعقوب قال أَنشدني أَبو دَهْبَل قولَه[1] : [من الطويل]

صوت

أَلا عَلِـق القلـبُ المتيَّمُ كُلْثُما لَجاجاً ولم يَلْزَم من الحبِّ مَلْزَما
خرجتُ بها من بطنِ مكّةَ بعدما أَصات المنـادي بالصلاة فأَعْتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامـرٌ من الحيّ حتى جاوزتْ بي يَلَمْلَما[2]
ومرّتْ ببطن اللِّيثِ تَهْوِي كأَنّما تُبـادِر بالإدلاج نَهْبـاً مقسَّما[3]

غنّى في هذه الأَبيات ابنُ سريج خفيفَ رمل بالبنصر عن الهشاميّ . قال : وفيه هزجٌ يمانٍ بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أَنّ خفيفَ الثقيل هو اليمانيّ . وفيه لِقيل مولى العَبَلات رَمَلٌ صحيح عن حمّاد عن أَبيه عن الهشاميّ . وقال الهشاميّ : فيه لَحَكم ثقيلٌ أَوّلُ . وذكر أَبو أَيّوب المَدِينيّ في أَغاني ابن جامع أَنّ فيه لحناً ولم يجنِّسه : [من الطويل]

---

1 ديوان أَبي دهبل : 106–109 . وقد تقدّم هذا الخبر وشعر أَبي دهبل وبشامة بن الغدير في ترجمة قيل مولى العبلات .

2 يلملم : موضع ميقات أَهل اليمن .

3 الليث : موضع بالحجاز .

وجازَتْ على البَزْواء والليلُ كاسرٌ جناحيْن بـالبَزْواء وَرْداً وأَدْهَما[1]
فمـا ذَرّ قرنُ الشمس حتى تبيَّنَتْ بعُلْيَبَ نخـلاً مشرفاً أو مخيِّما[2]
ومرّت على أشطانِ رَوْنق بالضُّحى فما خَزَّرت للماء عيناً ولا فما[3]
ومـا شربتْ حتـى ثنيتُ زمامَها وخِفـتُ عليهـا أن تَخِرّ وتُكْلما
فقلت لهـا قـد بنتِ غيرَ ذميمةٍ وأصبح وادي البِرْك غَيثاً مُدَيِّما

قال : فقلت له : ما كنتَ إلاّ على الرِّيح ؟ ؛ فقال : يا ابن أخي ، إنّ عمَّك كان إذا همَّ فعلَ ، وهي الحاجةُ . أما سمعتَ قولَ أخي بني مُرّة[4] : [من المتقارب]

إذا أقبلتْ قلـتَ مشحونةٌ أطاعَتْ لها الرِّيحُ قِلْعاً جَفُولا[5]
وإن أدبرتْ قلـتَ مذعـورةٌ من الرُّبْد تتبع هَيْقـاً ذَمُولا[6]
وإن أعرضتْ خال فيها البصيـ ـر مـا لا تكلّفـه أن يَميلا
يـدا سُرُحٍ مائـلٍ ضَبْعُهـا تسوم وتُقْدم رجـلاً زَحُولا[7]
فمـرَّتْ على خُشُب غُـدْوةً ومرَّتْ فُوَيق أُرَيْـكٍ أَصِيلا[8]
تخبِّـط بالليـل حُزَّانَـه كَخَبْطِ القويِّ العزيزِ الذليلا[9]

[استحسن ريّان السوّاق شعره وقال ليس بعده شيء.]

وأخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني جعفر بن الحسن اللّهبيّ قال : أنشدت رَيّان السوّاق قولَ أبي دهبل : [من الطويل]

أليس عجيباً أن نكـون ببلدة كلانا بهـا ثـاوٍ ولا نتكلَّمُ
ولا تَصْرِميني أن تَرَيْني أحبّكم أبـوء بذنـبٍ إنّني أنـا أُظْلَمُ

1 البزواء : موضع في طريق مكّة .
2 عليب : واد بتهامة . وفي الديوان : نخلاً مشرفاً ومخيما . وفي ل: جاء هذا البيت ثالثاً .
3 خزرت عيناً : ضيّقتها .
4 هو بشامة بن الغدير .
5 أطاعت في ل : أقلت .
6 الربد : النعام فيه سواد وغبره . والهيق : ذكر النعام . والذمول : السريع .
7 وتقدم في ل : وتقحم .
8 ذو خشب : موضع قرب المدينة . وأريك : واد .
9 حزان : ما غلظ من الأرض مع ارتفاع قليل .

فقال : أُحسن ، أُحسن اللهُ إليه ؛ ما بعد هذا شيءٌ .

وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

صوت

أمِنّـا أُناساً كنتِ قـد تأْمَنِينَهم ... فزادوا علينا في الحديث وأَوْهَموا
وقالوا لنا مـا لم يُقَل ثم كثّروا ... علينا وباحوا بالذي كنتُ أكتمُ
لقد كُحِلتْ عيني القَذَى لفراقكم ... وعاودهـا تَهْتانها فهـي تَسْجُمُ
وأنكرتُ طيبَ العيش منّي وكُدِّرتْ ... عـليَّ حياتـي والهـوى متقسَّمُ

الغناء لابن سريج رملٌ بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن زُرْزور الطائفيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه خفيفا رملٍ أحدُهما بالوسطى لمتيَّمَ والآخر بالبنصر لعَرِيب .

[بين القاسم بن المعتمر وأبو السائب]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمّي قال حدَّثني القاسِمَ بن المعتمِر الزُّهْرِيّ قال : قلتُ لأبي السائب المخزوميّ : يا أبا السائب ، أما أحسن أبو دهبل حيث يقول[1] : [من الطويل]

صوت

أأتْرُك ليـلى ليس بيني وبينهـا ... سوى ليلـةٍ إنّـي إذاً لصبورُ
هَبُوني امـرءاً منكم أضَلَّ بعيرَه ... لـه ذمّـة إن الذِّمـام كبيرُ
ولَلصَّاحبُ المتروكُ أفضلُ ذمّـةً ... على صاحبٍ مـن أن يَضِلّ بعيرُ

قال : فقال لي : وبأبي أنت ! كنتُ والله لا أحبّك وتَثْقُل عليَّ ، فأنا الآن أُحبّك وتخِفّ عليَّ .

وفي هذه الأبيات غناءٌ لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لعَلّويه رملٌ بالوسطى من جامع أغانيه . وفيه للمازنيّ خفيفُ ثقيلٍ آخر من رواية الهشاميّ وذُكاء وغيرِهما . وأوّلُ هذا الصوت بيت لم يُذكر في الخبر ، وهو : [من الطويل]

عفا اللهُ عن ليـلى الغَداةَ فإنّها ... إذا وَلِيَتْ حُكْماً عـليَّ تجورُ

1 ديوان أبي دهبل : 77–78 . وقد تقدّمت هذه الأبيات في ترجمة مجنون بني عامر منسوبة إليه 2 : 49 .

[ردّه على توعّد عبد الله بن صفوان لعمّه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثني الزُّبَير قال حدّثني عمّي مصعب ومحمّد بن الضحّاك عن أبيه : أنّ أبا رَيْحانة عمّ أبي دهبل كان شديدَ الخلاف على عبد الله بن الزُّبَير ، فتوعّده عبد الله بن صفوان ، فلحِق بعبد الملك بن مروان ، فاستمدّه الحَجّاجُ فأمدّه عبد الملك بطارق مولى عثمان في أربعة آلاف ؛ فأشرف أبو رَيْحانة على أبي قُبَيْسَ فصاح أبو ريحانة : أليس قد أخزاكم الله يا أهل مكّة ! فقال له ابن أبي عتيق : بلى والله قد أخزانا الله . فقال له ابن الزُّبَير : مهلاً يا ابن أخي ؛ فقال : قلنا لك ائذَن لنا فيهم وهم قليل فأبيتَ حتى صاروا إلى ما ترى من الكَثْرة . قال : وقال أبو دهبل في وعيد عبد الله بن صفوان عمّه أبا ريحانة ، واسمه عليّ بن أسيد بن أُحَيْحَة[1] : [من الوافر]

ولا تُوعِد لتقتله عليّاً ... فإن وعيدَه كلاً وَبِيلُ
ونحن ببطن مكّةَ إذ تَداعى ... لرهطك من بني عمرو رَعِيلُ
أُولُو الجمعِ المقدّم حين ثابوا ... إليك ومن يودّعهم قليلُ
فلمّا أن تفانَيْنا وأَوْدَى ... بثروتنا الترحّلُ والرَّحيلُ
جعلتَ لحومَنا غرضاً كأنا ... لتهلكنا عروبَةُ أو سَلُولُ

[رثى ابن الأزرق وأوصى أن يُدفن بجانبه]

أخبرني محمّد بن خَلَف قال حدّثنا أبو توبة عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ قال : مات ابنُ الأزرق وأبو دهبل حيّ فدُفن بعُلْيَب ، فلمّا احتُضِر أبو دهبل أيضاً أوصى أن يُدْفن عنده . وفيه يقول أبو دهبل يَرثيه ، عن أبي عمرو الشيبانيّ[2] : [من الطويل]

لقد غال هذا اللحدُ من بطن عُلْيَبٍ ... فتىً كان من أهل الندى والتكرّمِ
فتى كان فيما ناب يوماً هو الفتى ... ونعم الفتى للطارق المتيمّمِ
أَلَحَقَّ أنّي لا أزال على مِنىً ... إذا صدَر الحُجّاجُ عن كلّ مَوْسِمِ[3]
سقى اللهُ أرضاً أنتَ ساكنُ قبرها ... سِجالَ الغَوادِي من سَحِيلٍ ومُبْرَمِ[4]

---

1 ديوان أبي دهبل : 98 مع بعض اختلاف .

2 ديوانه : 65 .

3 أزال في ل : أراك .

4 السحيل : الخيط غير المفتول . والمبرم : الخيط المفتول . وهذا كناية عن التعميم ، أي مهما يكن السحاب المار بها .

[خرج إلى مصر لطلب ميراث]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمِّي قال حدَّثني إبراهيم بن أبي عبد الله قال : وقع لأبي دهبل مِيراثٌ بمصر فخرج يُريده ؛ ثم رجع من الطريق فقال[1] : [من الخفيف]

اسْلَمِي أُمَّ دهبلٍ بعد هَجْرِ ... وتقَضٍّ من الزمان وعُمْرِ
واذكُرِي كرّيَ المطيَّ إليكم ... بعد ما قد توجّهتْ نحو مصرِ
لا تَخالي أنّي نسيتُك لمّا ... حال بِيشٌ ومن به خلف ظهري
إن تكوني أنت المقدّم قبلي ... وأُطِعْ يَثْوِ عند قبرك قبري

قال إبراهيم : فوقفتُ على قبره إلى جانب قبرها بعُلَيْبٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من المتقارب]

ألا أيُّها الشادنُ الأكحلُ ... إلى كم تقول ولا تفعلُ
إلى كم تجود بما لا نريـ ... ـد منك وتمنع ما نَسألُ

الشعر للحسين بن الضحّاك . والغناء لأبي زَكّارٍ الأعمى ، ولحنُه المختار هَزَجٌ بالبنصر .

1 ديوان أبي دهبل : 116 .

[106] ـ أخبار حسين بن الضَّحَّاك ونسبه[1]

[منشؤه وشعره]

الحسين بن الضَّحَّاك باهليٌّ صَلِيبةٌ[2] ، فيما ذكر محمَّد بن داود بن الجَرّاح ، والصحيح أنّه مولى لباهِلة . وهو بَصريّ المولد والمَنْشأ ، من شعراء الدولة العبّاسيّة ، وأحد ندماء الخلفاء من بني هاشم . ويقال : إنّه أوّلُ مَن جالس منهم محمّدٌ الأمين . شاعرٌ أديبٌ ظريف مطبوعٌ حسنُ التصرّف في الشعر حلو المَذْهب ، لشعره قبول ورونق صافٍ . وكان أبو نُواس يأخذ معانيَه في الخمر فيُغير عليها . وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسَبه الناس إلى أبي نواس . وله معانٍ في صفتها أبدع فيها وسبَق إليها ، فاستعارها أبو نواس ، وأخبارُهما في هذا المعنى وغيرِه تُذكر في أماكنها . وكان يلقّب الخليعَ والأشقرَ ، وهاجى مُسْلِمَ بن الوليد فانتصف منه . وله غزل كثير جيّد . وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارُهم ومذاهبهم جملةً من التكلّف . وعُمِّرَ عمراً طويلاً حتى قارب المائة السنة ، ومات في خلافة المُستعين أو المنتصر .

وحدَّثني جعفر بن قُدَامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان حسين بن الضحّاك بن ياسِر مولىً لباهلة ، وأصلُه من خُراسان ؛ فكان ربَّما اعترف بهذا الولاء وربَّما جَحَده ، وكان يلقّب بالأشقر ، وهو ومحمَّد بن حازم الباهليّ ابنا خالة .

وحدَّثني الصُّوليّ عن إبراهيم بن المعلَّى الباهليّ : أنّه سأله عن نسب حسين بن الضحّاك فقال : هو حسين بن الضحّاك بن ياسر ، من موالي سليمان بن ربيعة الباهليّ . قال الصوليّ : وسألتُ الطيِّبَ بن محمَّد الباهليّ عنه فقال لي : هو الحسين بن الضَّحَّاك بن فلان بن فلان بن ياسر ، قديم الولاء ، ودارُه في بني مُجاشِع وفيها وُلِد الحسين ، أرانِيها صاحبُنا سعيد بن مسلم .

[قصيدة له نُسبت إلى أبي نواس]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة الكاتب ومحمَّد بن يحيى الصُّوليّ قالا : حدَّثنا المُغيرة بن محمَّد المهلَّبيّ قال حدَّثنا حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نواس لمّا حَجَجْتُ قصيدتي التي

---

1 ترجمة حسين بن الضحاك في وفيات الأعيان 2 : 162–168 وتاريخ بغداد 8 : 54 وطبقات ابن المعتز : 268–271 ومعجم الأدباء (إحسان عبّاس) : 1063–1070 وتاريخ ابن عساكر 4 : 672 وتهذيب 4 : 300 وشذرات الذهب : 2 : 123 والوافي 12 : 379 . وقد جمع ديوانه الأستاذ عبد الستّار فراج (دار الثقافة ـ بيروت 1960) وإذا تعدّدت المصادر واختلفت الروايات فإنّه يعتمد رواية الأغاني .

2 صليبة : خالص النسب .

قلتُها في الخمر وهي[1] : [من البسيط]

بُدِّلْتَ من نَفَحات الورد بالآء ومن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاء[2]

فلمّا انتهيتُ منها إلى قولي :

حتى إذا أُسنِدَتْ في البيت واحتُضِرَتْ عندَ الصَّبُوح ببسّامين أَكْفاء

فُضَّتْ خواتمُها في نَعْت واصفها عن مثل رَقْراقةٍ في جفن مَرْهاء[3]

قال : فصَعِقَ صعقةً أفزعني ، وقال : أحسنتَ والله يا أشقر ؛ فقلتُ : ويلك يا حسن ؛ إنّك أفزعْتني والله فقال : بلى والله أفزعتَني ورُعْتَني ، هذا معنى من المعاني التي كان فكري لا بُدّ أن ينتهي إليها وأغوص عليها وأقولَها فسبَقْتَني إليه واختلستَه منّي ، وستعلم لَمن يُروَى أَلي أم لك ؛ فكان والله كما قال ، سمعتُ من لا يعلم يَرويها له .

أخبرني بهذا الخبر الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله مولى بني هاشم أبو جعفر قال : سمعت الحسينَ بن الضحّاك يقول : لما قلت قصيدتي : [من البسيط]

بُدِّلتَ من نفحات الورد بالآء

أنشدتُها أبا نواس ؛ فقال : ستعلم لَمن يَرويها الناسُ أَلي أم لك ؛ فكان الأمرُ كما قال ، رأيتُها في دفاتر الناس في أوّل أشعاره .

أخبرني جعفر بن قُدامة عن أحمد بن أبي طاهر عن أحمد بن صالح عن الحسين بن الضحّاك ، فذكر نحواً منه .

[حجبه المأمون لشعره في الأمين]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن محمّد الفارسيّ عن ثُمامة بن أشْرس ، قال الصّوليّ وحدَّثنيه عَوْن بن محمَّد عن عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الربيع قال : لمّا قدِم المأمونُ من خُراسان وصار إلى بغداد ، أمر بأن يُسمَّى له قومٌ من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه ، فذُكر له جماعةٌ فيهم الحسين بن الضحّاك ، وكان من جلساء محمَّد المخلوع ؛ فقرأ أسماءهم حتى بلغَ إلى اسم حسين ، فقال : أليس هو الذي يقول في محمَّد[4] : [من الكامل]

---

1 انظر أشعار الخليع : 19–21 .

2 الآء : الدفلى .

3 الرقراقة : الدمعة التي ترقرق في العين دون أن تسيل . والمرهاء : التي لم تكتحل .

4 انظر أشعار الخليع : 79 ورواية البيت الثاني فيها :

قد كان فيك لَمن مضى خلف ولسوف يعوز بعدك الخلف

هــلاّ بَقِيــتَ لسَدّ فاقَتِنا أَبــداً وكان لغيـرك التَّلَفُ
فلقد خلَفتَ خلائفاً سَلفوا ولَسَوْفَ يُعْوِز بعدك الخَلَفُ

لا حاجةَ لي فيه ، والله لا يراني أبداً إلاّ في الطريق . ولم يعاقب الحسين على ما كان من هِجائه له وتعريضِه به . قال : وانحدر حسينٌ إلى البصرة فأقام بها طولَ أيّام المأمون .

أخبرني عمّي والكوكبيّ بهذا قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن الحارث المَرْوَزِيّ عن إبراهيم بن عبد الله ابن أخي السِّنديّ بن شاهك ، فذكر مثلَه سواء .

قال ابن أبي طاهر فحدَّثني محمَّد بن عبد الله صاحب المراكب قال أخبرني أبي عن صالح بن الرشيد قال : دخلتُ يوماً على المأمون ومعي بيتان للحسين بن الضحّاك ، فقلت يا أمير المؤمنين ، أُحبّ أن تَسمعَ منّي بيتين ؛ فقال : أَنْشِدْهما فأنشدتُه[1] : [من الوافر]

حَمِدنــا اللهَ شكْرا إذ حبانا بنصـرك يــا أميـر المؤمنينا
فأنــت خليفــةُ الرَّحمن حقّــاً جمعتَ سماحــةً وجمعتَ دِينا

فقال : لَمَن هذان البيتان يا صالح ؟ فقلتُ : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحّاك ؛ قال : قد أحسن . فقلتُ : وله يا أمير المؤمنين أجودُ من هذا ؛ فقال : وما هو ؟ فأنشدتُه قوله[2] : [من الطويل]

أيَبْخَل فرْدُ الحسن فَرْدُ صفاتِه عليَّ وقــد أفردتُه بهــوىً فَردِ
رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عبــاده فملّكــه واللهُ أعلــمُ بــالعبدِ

قال : فأطرق ساعةً ثم قال : ما تَطِيبُ نفسي له بخير بعدما قال في أخي محمَّد وقال .

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات تُروى لابن البوّاب ، وستُذكر في أبوابه إن شاء اللهُ تعالى ، وعلى أنّ الذي رواها غلِط في روايته غلَطاً بيّناً ، لأنّها مشهورةٌ من شعر حسين بن الضحّاك . وقد رُوي أيضاً في أخباره أنّه دفعها إلى ابن البوّاب فأوصلها إلى ابن المأمون ، وكان له صديقاً . ولعلَّ الغَلَط وقع من هذه الجهة .

الغناء في الأبيات المذكورةِ المنسوبةِ إلى حسين بن الضحّاك وإلى ابن البوّاب الدّاليّة لإبراهيم بن المهديّ خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر . وفيها لعبيد الله بن موسى الطائفيّ رمل بالبنصر .

1 أشعار الخليع : 119 .
2 أشعار الخليع : 46 .

[أمر المأمون عمرو بن بانة بالغناء في شعره في الأمين]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدّثنا أحمد بن يزيد المهلّبيّ عن أبيه عن عمرو بن بانة أنّهم كانوا عند صالح بن الرشيد ، فقال : لستَ تطرَح على جَواريّ وغلْماني ما أستجيده ! فقال له : ويلك ! ما أبغضك ابعثْ إلى منزلي فجِيء بالدفاتر واختَرْ منها ما شئتَ حتى أُلقيَه عليهم ؛ فبعث إلى منزلي فجيء إليه بدفاتر الغِناء فأخذ منها دفتراً ليتخيّر ممّا فيه ، فمرَّ به شعر الحسين بن الضّحّاك يرثي الأمينَ ويهجو المأمون وهو[1] : [من الطويل]

أَطِلْ حَزَناً وابْكِ الإمامَ محمّداً بحزن وإن خِفتَ الحُسامَ المهنّدا
فـلا تَمّتِ الأشياءُ بعد محمّدٍ ولا زال شملُ الملك منها مُبَدَّدا
ولا فرِح المأمونُ بالملك بعده ولا زال في الدنيا طريداً مشرَّدا

فقال لي صالح : أنت تعلم أنّ المأمونَ يَجيء إليّ في كلّ ساعة ، فإذا قرأ هذا ما تُراهُ يكون فاعلاً ! ثم دعا بسِكّين فجعل يحُكّه ؛ وصعِد المأمونُ من الدَّرَجَة ورمى صالح الدفترَ . فقال المأمون : يا غلام الدفترَ ، فأُتي به ، فنظَر فيه ووقف على الحَكّ فقال : إن قلت لكم : ما كنتم فيه تَصْدُقُوني ؟ قلنا : نعم . قال : ينبغي أن يكون أخي قال لك : ابعثْ فجِيء بدفاترك ليتخيّر ما تطرح ، فوقف على هذا الشعر فكرِه أن أراه فأمر بحكّه ؛ قلنا كذا كان . فقال : غنّه يا عمرو ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، الشعر لحسين بن الضّحّاك والغناء لسعيد بن جابر ؛ فقال : وما يكون ! غنّه فغنّيته ؛ فقال : ارْدُده فرددتُه ثلاث مرّات ؛ فأمر لي بثلاثين ألف درهم ، قال : حتى تعلم أنّه لم يَضُرُّكَ عندي .

قال : وسعيد بن جابر الذي يقول فيه حسين بن الضحّاك ، وكان نديمَه وصديقَه :

يـا سَعيد وأين منّي سعيد

[مراثيه في الأمين]

ولحسين بن الضّحّاك في محمّد الأمين مَراثٍ كثيرةٌ جياد ، وكان كثيرَ التحقّق[2] به والمُوالاةِ له لكثرة أفضاله عليه وميْلِه إليه وتقديمه إيّاه . وبلغ من جَزعه عليه أنّه خُولِط ؛ فكان يُنكر قتلَه لمّا بلغه ويدفعه ويقول : إنّه مُستَتِر وإنّه قد وقف على تفرّق دُعاته في الأمصار يدعون إلى مُراجَعة أمره والوفاء ببيْعته ضنّاً به وشفقةً عليه . ومن جيّد مراثيه إيّاه قولُه[3] : [من الخفيف]

1 أشعار الخليع : 50 .
2 لعلّها التعلّق .
3 أشعار الخليع : 150 .

صوت

سألونا أن كيف نحن فقلنا مَنْ هَوَى نجمُه فكيف يكونُ
نحن قومٌ أصابنا حَدَثُ الدَّهـ ـر فظَلْنا لرَيْبه نَستكينُ
نتمنّى من الأمين إياباً لَهْفَ نفسي وأين منّي الأمينُ

في هذه الأبيات لسعيد بن جابر ثاني ثقيل بالوسطى . وفيها لعَرِيبَ خفيف ثقيل .

ومن جيّد قوله في مراثيه إيّاه[1] : [من الوافر]

أعزّي يا محمَّد عنك نفسي مَعاذَ الله والأيدي الجِسامِ
فهلاّ مات قوم لم يموتوا ودُوفع عنك لي يوم الحِمامِ
كأن الموتَ صادف منك غُنْما أو استشفى بقُربك من سَقامِ

[إعجاب المأمون بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثنا عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ قال قال لي محمد بن عبّاد : قال لي المأمون وقد قدِمت من البصرة : كيف ظريف شعرائكم وواحد مِصْركم ؟ قلتُ : ما أعرفه ؛ قال : ذاك الحسين بن الضّحّاك ، أشعرُ شعرائكم وأظرفُ ظرفائكم . أليس هو الذي يقول : [من الطويل]

رأى اللهُ عبدَ الله خيرَ عباده فملّكه والله أعلم بالعبدِ

قال : ثم قال لي المأمون : ما قال فيّ أحد من شعراء زماننا بيتاً أبلغَ من بيته هذا ؛ فاكتب إليه فاستَقْدِمْه ؛ وكان حسين عليلاً وكان يَخاف بوادرَ المأمون لما فرَط منه ؛ فقلت للمأمون : إنّه عليل يا أمير المؤمنين ، علّته تمنعه من الحركة والسفر . قال : فَخُذْ كتاباً إلى عامل خراجكم بالبصرة حتى يُعطيَه ثلاثين ألف درهم ؛ فأخذتُ الكتاب بذلك وأنفذتُه إليه فقبض المال .

[أشعر المحدَثين]

حدَّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة الكاتب قال سمعتُ أبا العبّاس محمَّد بن يزيد الأزديّ يقول : حسين بن الضّحّاك أشعرُ المُحْدَثين حيث يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

أيُّ ديباجةِ حُسْنٍ هيَّجَتْ لوعةَ حزني

1 أشعار الخليع : 103–104 .
2 أشعار الخليع : 152 .

إذ رماني القمر الزا هر عن فترة جفنِ
بأبي شمسُ نهارٍ برزَتْ في يوم دَجْنِ
قرّبتني بالمنى حـ ـتى إذا ما أخلفَتْني
تركتني بين ميعا د وخُلْفٍ وتَجَنّي
ما أراني لي من الصبـ ـوة إلاّ حسنُ ظنّي
إنّما دامت على الغـ ـرِ لِمَا تعرِف منّي
أستعيذُ اللهَ من إعـ ـراض من أعْرض عنّي

[استقدمه المعتصم من البصرة]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني أبو الفيض بن سوادة عن جدّي قال : لمّا ولي المعتصمُ الخلافةَ سألني عن حسين بن الضّحّاك ، فأخبرتُه بإقامته بالبصرة لانحراف المأمون عنه ؛ فأمر بمكاتبته بالقدوم عليه فقدِم . فلمّا دخل وسلّم استاذن في الإنشاد فأُذِن له ؛ فأنشده قولَه[1] : [من الكامل]

هلاّ سألت تلذُّذَ المُشتاقِ ومَنَنْت قبل فراقه بتَلاقِ[2]
إنّ الرقيب ليَسْترِيب تنفُّساً صُعُداً إليك وظاهرَ الإقلاقِ
ولئن أُرِبْتُ لقد نظرتُ بمقلةٍ عَبْرى عليك سخينةِ الآماقِ
نفسي الفِداءُ لخائفٍ مترقّبٍ جعل الوَداعَ إشارةً بعِناقِ
إذ لا جوابَ لمُفْحَمٍ متحيّرٍ إلاّ الدموعُ تُصان بالإطراقِ

حتى انتهى إلى قوله :

خيرُ الوُفودِ مبشّرٌ بخلافةٍ خَصَّتْ ببهجتها أبا إسحاقِ
وَافتْه في الشهرِ الحرام سليمةً من كلّ مُشْكلة وكلّ شِقاقِ
أعطته صفقتَها الضمائرُ طاعةً قبل الأكُفّ بأوكد الميثاقِ
سكن الأنامُ إلى إمام سلامةٍ عفٌ الضّمير مهذّبِ الأخلاقِ
فحمى رعيّتَه ودافع دونها وأجار مُمْلِقَها من الإملاقِ

حتى أتمّها . فقال له المعتصم : أُدْن منّي فدنا منه ؛ فملأ فَمه جوهراً من جوهر كان بين

1 أشعار الخليع : 83–84 مع بعض اختلاف .
2 الشطر الأول في أشعار الخليع : هلاّ رحمت تلدد المشتاق . والتلدد : الحيرة والدهش .

يديه ، ثم أمره بأن يخرجه من فيه فأخرجه ، وأمر بأن يُنْظَمَ ويُدفَعَ إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلموا موقعه من رأيه ويعرفوا فعلَه . فكان أحسنَ ما مُدح به يومئذٍ .

وممّا قدّمه أهلُ العِلم على سائر ما قالته الشعراء قولُ حسين بن الضّحّاك حيث قال : [من الكامل]

قل للألى صرَفوا الوجوه عن الهدى ... متعسِّفين تعسّفَ المُرّاقِ
إنّي أُحذِّركم بوادرَ ضَيْغَمٍ ... دَرِبٍ بحَطْم مَوائِل الأعناقِ
متأهّبٍ لا يستفِزّ جَنانَه ... زَجَلُ الرُّعُود ولامعُ الإبراقِ
لم يَبْقَ من متعرِّمين توثّبوا ... بالشام غيرُ جماجمٍ أفْلاقِ[1]
من بين مُنْجَدِل تمُجّ عروقُه ... عَلَقَ الأخادع أو أسيرٍ وَثاقِ[2]
وثَنى الخيولَ إلى معاقل قيصرٍ ... تختال بين أحِزّةٍ ورِقاقِ
يحمِلن كلَّ مُشمِّر مُتَغَشِّمٍ ... ليثٍ هِزَبْرٍ أهْرَت الأشداقِ
حتى إذا أمَّ الحصونَ مُنازِلاً ... والموتُ بين ترائبٍ وتَراقِ
هَرّت بطارقُها هريرَ قَساوِرٍ ... بُدِهَتْ بأكْرَهِ منظَر ومَذاقِ
ثم استكانت للحصار ملوكُها ... ذُلاً ونـاط حلوقها بخِناقِ
هرَبتْ وأسلمتِ الصليبَ عشيّةً ... لم يَبْقَ غيرُ حُشاشَةِ الأرْماقِ

قال : فأمر له المعتصم لكلّ بيت بألف درهم ، وقال له : أنت تعلم يا حسين أنّ هذا أكثر ما مدحني به مادحٌ في دولتنا . فقبّل الأرض بين يديه وشكره وحمل المال معه .

[أعجب الرياشي لبيتين له في الخمر]

حدّثني عليّ قال حدّثني عثمان بن عمر الآجُرّي قال : سمعت الرِّياشيّ ينشد هذين البيتين ويستحسنهما ويستظرفهما جدّاً وهما[3] : [من مجزوء الوافر]

إذا مـا الماءُ أمكنني ... وصفوُ سُلافةِ العِنَبِ
صبَبتُ الفضّةَ البيضا ... ءَ فوق قُراضةِ الذّهبِ

فقلت له : من يقولهما يا أبا الفضل ؟ قال : أرَقُّ الناس طبعاً وأكثرهم مُلَحاً وأكملُهم ظَرْفاً حسين بن الضحّاك .

---

1 المتعرّم : ذو العرامة وهي الشراسة والحدّة في الخُلق .
2 العلق : الدم . والأخادع : عروق في العنق .
3 أشعار الخليع : 30 .

[أخذ أبو نواس معنى له في الخمر]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً قال حدّثني أبي عن حسين بن الضحّاك قال : أنشدتُ أبا نُواس قصيدتي[1] : [من المنسرح]

وشاطِـريّ اللسان مختلِق التكـ ـريه شاب المُجُـونَ بالنُّسُكِ[2]

حتى بلغتُ إلى قولي : [من المنسرح]

كأنّمـا نُصْـبَ كأسِه قمـرٌ يكـرَعُ في بعض أنْجُمِ الفلكِ[3]

قال : فأنشدني أبو نواس بعد أيّام لنفسه : [من الطويل]

إذا عَبّ فيها شاربُ القومِ خِلتَه يُقبِّـل في داجٍ من الليـل كوكبا

قال : فقلت له : يا أبا عليّ هذه مُصالَتةٌ[4] . فقال لي : أتظنّ أنّه يُروى لك في الخمر معنى جيِّد وأنا حيّ ! . أخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن محمّد بن نصر عن أحمد بن حمدون عن حسين بن الضّحّاك فذكر مثله .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال : أنشدتُ إبراهيم بن المدبّر قولَ حسين بن الضحّاك : [من المنسرح]

كأنّما نُصْبَ كأسِه قمـرٌ حاسده بعض أنْجُم الفلكِ

حتـى إذا رنّحتْـه سوْرتها وأبدلتْـه السكونَ بالحَرَكِ

كشفتُ عـن وَزَّة مسنّمة في لـين صِينيّة من الفَلَكِ[5]

فقال لي إبراهيم بن المدبِّر : إنّ الحسين كان يزعم أنّ أبا نواس سرَق منه هذا المعنى حين يقول : يقبِّل في داج من الليل كوكبا . فإن كان سرَقه منه فهو أحقُّ به لأنّه قد برَّز عليه ، وإن كان حسين سرقه منه فقد قصَّر عنه .

[مدح الواثق حين ولي الخلافة]

أخبرني محمّد بن يحيى الخُرَاسانيّ قال حدّثني محمّد بن مُخارِق قال : لمّا بُويع الواثقُ

---

1 أشعار الخليع : 87–88 .

2 الشاطري : نسبة إلى الشاطر وهو الذي أعيا أهله ومؤدّبه خبثاً . وكان هذا الاسم يُطلق في الدولة العبّاسية على أهل البطالة والفساد .

3 كأنما . . . . . قمرٌ في ل : تخالها . . . كاسها قمراً .

4 المصالتة : أخذ البيت لفظاً ومعنى . والصلت : اللص .

5 الفلك : التلّ من الرمل .

بالخلافة دخل عليه الحسين بن الضحّاك فأنشده قصيدتَه التي أوّلها[1] : [من الطويل]

صوت

أَلَم يَرُع الإسلامَ موتُ نصيرِه ... بَلَى حَقّ أن يرتاعَ مَن مات ناصرُهْ
سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُـــه محمـــودةٌ وأواخـــرُهْ
ثنـــى اللهُ عِطْفَيْه وألّف شخصَه ... على البِرِّ مُـذْ شُدّت عليه مآزِرُهْ
يَصَبُّ ببَذْلِ المـــالِ حتـــى كأنّمـــا ... يرى بذلَـه للمال نَهْبـاً يُبادرُهْ[2]
ومـا قـــدّم الرحمـــنُ إلاّ مقدَّماً ... مـــواردُه محمـــودةٌ ومصـــادرُهْ

فقال الواثق : إن كان الحسين ليَنطِق عن حسن طويّة ويمدح بخُلوص نيّة . ثم أمر بأن يُعطى لكلّ بيت قاله من هذه القصيدة ألفَ درهم . فأعجبته الأبيات ، حتى أمر فصُنعت فيها عدّة ألحان ، منها لعَرِيبَ في طريقة الثقيل الأوّل .

[سرق من شعر أبي العتاهية في الرشيد]

وأخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثني عَوْن بن محمَّد قال حدَّثني محمَّد بن عمرو الرُّوميّ قال : لمّا ولي الواثقُ الخلافةَ أنشده حسين بن الضحّاك قصيدةً منها : [من الطويل]

سيُسْلِيك عمّا فات دولةُ مُفْضِـل ... أوائلُـــه محمـــودةٌ وأواخـــرُهْ
ومـا قـدّم الرحمـنُ إلاّ مقدَّمـا ... مـــواردُه محمـــودةٌ ومصـادرُهْ

قال : فأنشدتُ إسحاقَ الموصليّ هذا الشعر ؛ فقال لي : نقل حسين كلامَ أبي العتاهية في الرشيد حتى جاء بألفاظه بعينها حيث يقول[3] : [من الطويل]

جَرى لك من هارونَ بالسعد طائرُه ... إمـــامُ اعتزام لا تُخـافُ بوادرُهْ
إمـامٌ لـــه رأيٌ حميـدٌ ورحمـــةٌ ... مـــواردُه محمـــودةٌ ومصـــادرُهْ

قال : فعجبتُ من رواية إسحاق شعرَ المُحدَثين ، وإنّما كان يروي للأوائل ويتعصَّب على المحدَثين وعلى أبي العتاهية خاصّةً .

في هذين الشعرين أغاني نسبتها :

---

1 أشعار الخليع : 58 .
2 صبّ بالشيء : كلف به وولع .
3 ديوان أبي العتاهية : 540 .

صوت

[من الطويل]

جرى لك من هارون بالسعد طائرُه ... إمامُ اعتزامٍ لا تخاف بوادرُهْ
إمامٌ لـه رأي حميدٌ ورحمةٌ ... مواردُه محمودة ومصادرُهْ
هو الملكُ المجبولُ نفساً على التُّقَى ... مُسَلَّمةٌ من كلّ سوء عساكرُهْ
لِتُغْمَدْ سيوفُ الحرب فاللهُ وحده ... وليُّ أميرِ المؤمنين وناصرُهْ

الشعر لأبي العتاهية ، على ما ذكره الصُّوليّ . وقد وجدتُ هذه القصيدة بعينها في بعض النسخ لسَلْمٍ الخاسِر . والغناءُ لإبراهيم ، وله فيه لحنان خفيفُ ثقيل بالبنصر عن عمرو وثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ .

صوت

[من الطويل]

سَيُسْلِيكَ عمّا فات دولةُ مُفْضِلٍ ... أوائلُه محمودةٌ وأواخرُهْ
ثنى الله عِطْفَيْه وألّف شخصَه ... على البِرّ مُذ شُدَّت عليه مآزِرُهْ

الشعر لحسين بن الضّحّاك . والغناء لعَريبَ ثقيل أوّل مطلق . وفيه لقَلَم الصالحيّة خفيفُ رمل ، وهو أغرب اللحنين ولَحن عَريبَ المشهور .

[مدح الواثق وهو في الصيد فأجازه]

أخبرني محمّد بن يحيى قال حدّثني محمّد بن يحيى قال حدّثني عليّ بن الصبّاح قال حدّثني عليّ بن صالح كاتب الحسن بن رَجاء قال حدّثني إبراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنّا مع الواثِق بالقاطُولِ[1] وهو يتصيّد ؛ فصاد صيداً حسناً وهو في الزّوّ[2] من الإوَزّ والدُّرّاج وطيرِ الماء وغير ذلك ؛ ثم رجع فتغدّى ، ودعا بالجلساء والمغنّين وطرِب ، وقال : من يُنشدنا ؟ فقام الحسين بن الضّحّاك فأنشده[3] : [من الطويل]

سقى اللهُ بالقاطُول مَسْرَحَ طرفكا ... وخَصَّ بسُقْياه مناكبَ قصرِكا

حتى انتهى إلى قوله : [من الطويل]

تَحيَّن للدُّرّاج في جَنباته ... وللغُرّ آجالٌ قُدِرْن بكفِّكا

1 القاطول : نهر حفره الرشيد متفرّعاً من دجلة وبنى عليه قصراً سمّاه أبا الجند .
2 الزوّ : نوع من السفن .
3 أشعار الخليع : 89 .

حُتُوفــاً إذا وجَّهْتَهــنَّ قواضِيــاً عِجَــالاً إذا أغريتهــنَّ بزجركا
أبحتَ حَمامــاً مُصْعِـداً ومُصوِّباً وما رِمْتَ في حاليك مجلسَ لهوكا[1]
تصرّفُ فيــه بين نــايٍ ومُسْمِعٍ ومشمولةٍ من كفِّ ظبي لسَقْيكا[2]
قضيتَ لُبَانــاتٍ وأنــت مخيِّمٌ مُرِيحٌ وإن شَطَّتْ مسافــة عَزْمكا
ومــا نال طِيبَ العيشِ إلاّ مُودَّعٌ وما طاب عيشٌ نال مجهودَ كدِّكا[3]

فقال الواثق : ما يعدِل الراحةَ ولذَّةَ الدَّعَة شيء . فلمّا انتهى إلى قوله :

خُلِقــتَ أمينَ الله للخَلْـق عصْمةً وأمْنــاً فكــلٌّ في ذَرَاك وظِلِّكا
وثِقْــتَ بمَن سمَّاك بالغيبِ واثِقاً وثَبَّــت بالتأييــد أركانَ مُلْككا
فأعطاك مُعْطيك الخلافةَ شكرَها وأسْعَــد بالتَّقوى سريــرةَ قلبكا
وزادك مــن أعمارنا ، غيرَ مِنَّــةٍ عليك بها ، أضعافَ أضعافِ عمركا
ولا زالت الأقدارُ في كلّ حالــةٍ عُداةً لمَــن عاداك سَلْما لسلمكا
إذا كنتُ من جَدْواك في كلِّ نعمةٍ فلا كنتُ إن لَم أُفْنِ عمري بشكركا

فطرِب الواثق فضرب الأرضَ بمِخْصَرةٍ كانت في يده ، وقال : لله درّك يا حسين ! ما أقربَ قلبَك من لسانك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، جودُك يُنطِق المُفْحَمَ بالشعر والجاحدَ بالشكر . فقال له : لن تنصرفَ إلاّ مسروراً ؛ ثم أمر له بخمسين ألف درهم .

[الواثق يشرب في يوم غيم]

حدَّثنا عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدَّثنا أبو العبّاس الرِّياشيّ قال حدَّثنا الحسين بن الضحّاك قال : دخلت على الواثق ذات يوم وفي السماء لَطْخ[4] غيم ، فقال لي : ما الرأي عندك في هذا اليوم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما حَكَم به وأشار إليه قبلي أحمد بن يوسف ؛ فإنّه أشار بصواب لا يردّ وجعله في شعرٍ لا يُعارَض . فقال : وما قال ؟ فقلت قال : [من الوافر]

أرى غيماً تؤلِّفه جَنُوبٌ وأحسَبه سيأتينا بهَطْلِ
فعينُ الرأي أن تدعو بِرِطلٍ فتشربه وتدعو لي برِطلِ

فقال : أصبتما ؛ ودعا بالطّعام وبالشراب والمغنّين والجلساء واصطبحنا .

1 رام المكان : زال عنه وفارقه .
2 مشمولة : الخمر الباردة .
3 المودع : المرفه .
4 لطخ غيم : قليل غيم .

[وصف ليلة للواثق]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني الحسين بن عُلْوان قال حدَّثني العبّاس بن عُبيد الله الكاتب قال : كان حسين بن الضّحّاك ليلةً عند الواثق وقد شربوا إلى أن مضى ثُلُثٌ من الليل ، فأمر بأن يبيتَ مكانَه . فلمّا أصبح خرج إلى الندماء وهم مقيمون ، فقال لحسين : هل وصفتَ ليلتنا الماضية وطيبَها ؟ فقال : لم يمضِ شيء وأنا أقول الساعة ؛ وفكّر هنيهةً ثم قال[1] : [من المنسرح]

حَثّتْ صَبُوحِي فكاهةُ اللاّهي ... وطـاب يومي بقرب أشباهي
فاسْتَثِر اللهـوَ مـن مكامنه ... مـن قبل يـومٍ منغّصٍ ناهي
بابنة كِـرمٍ مـن كفّ مُنْتَطِقٍ ... مـؤزَّر بالمُجُـون تَيّـاهِ
يَسقيكَ من طرفـه ومن يده ... سقيَ لطيف مجـرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربهـا ... حيرانُ بـين الذّكور والساهي

قال : فأمر الواثق بردّ مجلسه كهيئته ، واصطبح يومَه ذلك معهم ؛ وقال : نحقّق قولك يا حسين ونقضي لك كلَّ أَرَب وحاجة .

[غضبت جارية للواثق عليه]

أخبرني محمّد بن يحيى الصُّولي قال حدَّثني محمّد بن مُغِيرة المهلَّبي قال حدَّثنا حُسين بن الضّحّاك قال : كانت لي نَوْبةٌ في دار الواثق أحضُرها جَلَس أو لم يجلس . فبينا أنا نائم ذاتَ ليلةٍ في حُجرتي ، إذ جاء خادم من خَدَم الحُرَم فقال : قُمْ فإنّ أمير المؤمنين يدعوك . فقلت له : وما الخبر ؟ قال : كان نائماً وإلى جَنْبه حَظِيَّةٌ له فقام وهو يظنّها نائمةً ، فألمّ بجارية له أُخرى ولم تكن ليلةَ نوبتها وعاد إلى فراشه ؛ فغضِبتْ حَظِيَّتُه وتركتْه حتى نام ، ثم قامت ودخلت حجرتَها ؛ فانتبه وهو يرى أنّها عنده فلم يجدها ، فقال : اختُلِستْ عزيزتي ، ويحكم أين هي ! فأُخْبِر أنّها قامت غَضْبَى ومضتْ إلى حجرتها ، فدعا بك . فقلت في طريقي[2] : [من الرمل]

غضِبَتْ أنْ زُرْتُ أُخرى خِلْسةً ... فلهـا العُتْبَـى لدَيْنـا والرِّضا
يـا فَدَتْك النفسُ كانت هفوةً ... فاغفِريها واصفَحي عمّا مضى
واتركي العـذلَ على من قاله ... وانسُبي جَوْرِي إلى حكم القضا

1 أشعار الخليع : 122–123 .
2 أشعار الخليع : 70 .

فلقـد نَبَّهتِنـــي مـــن رَقْدتي وعلى قلبـــي كنيـــرانِ الغَضا

قال : فلمّا جئتُه خبَّرني القصّة وقال لي : قُلْ في هذا شيئاً ؛ ففكَّرتُ هنيهةً كأنّي أقول شعراً ثم أنشدتُه الأبيات . فقال : أحسنتَ وحياتي ! أعِدْها يا حسين ؛ فأعدتُها عليه حتى حفِظها ، وأمر لي بخمسمائة دينار ، وقام فمضى إلى الجارية وخرجتُ أنا إلى حجرتي .

[شعره في لقاء الواثق جاريته في النوم]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدَّثني الغلابيّ قال حدَّثني مهديّ بن سابِق قال قال لي حسين بن الضّحّاك : كان الواثق يتحظَّى جاريةً له فماتت فجزِع عليها وترك الشربَ أيّاماً ثم سَلاها وعاد إلى حاله ؛ فدعاني ليلة فقال لي : يا حسين ، رأيتُ فلانة في النوم ؛ فليت نومي كان طال قليلاً لأتمتّع بلقائها ؛ فقل في هذا شيئاً . فقلت[1] : [من الرمل]

ليتَ عينَ الدَّهر عنّا غَفَلتْ ورقيبَ الليل عنّـــا رَقَـدا
وأقـــام النَّومُ في مدّتـــه كالـذي كان وكنّـــا أبدا
بأبـــي زَوْرٌ تَلَفَّـتُّ لـــه فتنفَّسْتُ إليـــه الصُّعَـدا[2]
بينما أضحكُ مسروراً بـه إذ تقطَّعـــتُ عليـــه كَمَدا

قال : فقال لي الواثق : أحسنتَ ، ولكنّك وصفتَ رقيبَ الليل فشكوتَه ولا ذنبَ للّيل وإنّما رأيتُ الرؤيا نهاراً . ثم عاد إلى منامه فرقَد .

[سرق منه أبو نواس معنى في الخمر]

أخبرني جَحْظة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك ، وأخبرني به جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى عن حسين بن الضّحّاك قال : لقيني أبو نُواس ذاتَ يوم عند باب أمّ جعفر من الجانب الغربيّ ، فأنشدته[3] : [من الكامل]

أخَوَيَّ حـيّ على الصَّبوح صباحا هُبَّا ولا تَعِـدا الصباحَ رَواحا
هـــذا الشَّمِيط كأنّـــه متحيـــرٌ في الأُفْـق سُدّ طريقُـــه فألاحا[4]
مـــا تأمـــرانِ بسكْرة قَرَويّـــة قَرَنَـتْ إلى درك النجاح نجاحا

هكذا قال جَحْظة . والذي أحفظه :

1 أشعار الخليع : 50 .
2 الزور : الخيال يرى في النوم .
3 أشعار الخليع : 38 وانظر قصيدة أبي نواس : 39 .
4 الشميط : الصبح .

مـا تأمـران بقهوة قَرَوِيّـة

قال : فلمّا كان بعد أيّام لقيني في ذلك الموضع فأنشدني يقول : [من الكامل]

ذكر الصَّبُوحَ بسُحْرة فارتاحا وأمَلّه ديـكُ الصَّباح صِياحا

فقلت له : حسنٌ يا ابن الزانية ؛ أفعلتها ؟ فقال : دع هذا عنك ، فوالله لا قلتَ في الخمر شيئاً أبداً وأنا حيٌّ إلاّ نُسِب لي .

[إبراهيم بن المهديّ يعربد عليه]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد قال حدَّثني أبو أُمامة الباهليّ عن الحسين بن الضّحّاك ، قال محمَّد بن يحيى وحدَّثني المغيرة بن محمَّد المهلَّبيّ : أنّ الحسين بن الضّحّاك شرب يوماً عند إبراهيم بن المهديّ ، فجرت بينهما مُلاحاةٌ في أمر الدِّين والمذهب ؛ فدعا له إبراهيمُ بِنطْع وسيف وقد أخذ منه الشّرابُ ؛ فانصرف وهو غضبان . فكتب إليه إبراهيم يعتذر إليه ويسأله أن يجيئه . فكتب إليه[1] : [من الهزج]

نديمـــي غيــرُ منسوب إلى شيء مــن الحَيْفِ

سقــاني مثلَ مـــا يشر ب فعلَ الضَّيفِ بالضيفِ

فلمّـــا دارت الكــأسُ دعـا بالنِّطْـع والسيفِ

كذا مــن يشربُ الخمرَ مـع التِّنِّينِ في الصيفِ

قال : ولم يعد إلى منادمته مدّة . ثم إنّ إبراهيم تحمّل عليه ووصله فعاد إلى منادمته .

[نشأته واتّصاله بالأمين]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كنت أنا وأبو نواس تربين ، نشأنا في مكان واحد وتأدّبنا بالبصرة ، وكنّا نحضُر مجالسَ الأُدباء متصاحبَيْن ، ثم خرج قبلي عن البصرة وأقام مدّة ، واتّصل بي ما آل إليه أمرُه ، وبلغني إيثارُ السلطان وخاصّتِه له ؛ فخرجتُ عن البصرة إلى بغداد ولَقِيتُ الناسَ ومدحتُهم وأخذتُ جوائزَهم وعُدِدْتُ في الشعراء ، وهذا كلُّه في أيّام الرشيد ، إلاّ أنّي لم أصِل إليه واتّصلتُ بابنه صالح فكنتُ في خدمته . فغنّي يوماً بهذا الصوت : [من الطويل]

أإن زُمّ أجمالٌ وفـارق جيرةٌ وصاح غرابُ البين أنت حزينُ

فقال لي صالح : قُل أنت في هذا المعنى شيئاً ؛ فقلت[2] : [من الطويل]

---

1 أشعار الخليع : 81 .

2 أشعار الخليع : 26 .

أإن دَبَّ حُسَّادٌ ومـلّ حبيب وأورق عودُ الهجر أنت حبيبُ[1]
لِيَبْلُغْ بنا هجرُ الحبيب مرامَه هلِ الحبُّ إلاّ عَبْرةٌ ونحيبُ
كأنّـك لم تسمع بفرقة أُلْفةٍ وغَيْبةِ وَصْلٍ لا تـراه يؤوبُ

فأمر بأن يُغَنَّى فيه . واتّصلتُ بمحمَّد ابن زُبيدة في أيّام أبيه وخدمتُه ، ثم اتّصلَتْ خدمتي له في أيّام خلافته .

[ترضّى صالح بن الرشيد]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أبو العَيْناء عن الحسين بن الضّحّاك قال : كنتُ يوماً عند صالح بن الرشيد ، فجرى بيننا كلامٌ على النّبيذ وقد أخذ منّي الشّرابُ مأْخَذاً قويّاً ، فرَددْتُ عليه ردّاً أنكره وتأوّله على غير ما أردتُ ، فهاجَرني ؛ فكتبتُ إليه[2] : [من الكامل]

صوت

يـا ابنَ الإمـام تركتني هَمَلا أبكي الحيـاةَ وأنـدُب الأملا
مـا بالُ عينِك حـين تلحَظُني مـا إن تُقِـلُّ جُفُونَهـا ثِقَلا
لـو كان لي ذنبٌ لبُحْتُ به كي لا يقـال هجرتَني مَلَلا
إن كنتُ أعرف زَلَّةً سَلَفَتْ فرأيتُ مِيتَـةَ واحدي عجَلا[3]

فيه خفيفُ ثقيل يُنسب إلى عبد الله بن العَلاء وإلى عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ . قال : فكتب إليّ : قد تلافى لسانُك بشعرك ، ما جناه في وقت سكرك . وقد رَضِيتُ عنك رِضاً صحيحاً ؛ فصِرْ إليّ على أتمّ نشاطِك ، وأكمِلْ بِساطك . فعُدْتُ إلى خدمته فما سكِرتُ عنده بعدها . قال : وكانت في حسين عربدةٌ .

[أنشد ابن البوّاب شعره للمأمون]

وأخبرني ببعضه محمَّد بن مزيد بن أبي الأزهر ومحمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان ، وألفاظهما تزيد وتنقص . وأخبرني ببعضه محمَّد بن خَلَف وَكيع عن آخره وقصّةِ وصولِه إلى المأمون ولم يذكر ما قبل ذلك . قال : وحدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، ولم يقل وَكيع : عن أبيه ، واللفظ في الخبر لابن أبي الأزهر وحديثُه أتمّ ، قال : كنت بين يديّ المأمون واقفاً ، فأدخل إليه ابنُ البوّاب رقعةً فيها أبيات وقال : إن رأى أمير المؤمنين أن يأذَنَ لي في إنشادها ؛ فظَنّها له

1 حبيب في الديوان : جنيب .
2 أشعار الخليع : 94 .
3 يدعو على ولده الواحد بالموت العاجل إذا كان يعرف له زلّة سلفت .

فقال : هاتِ ؛ فأنشده[1] : [من الطويل]

أَجِرْني فإنّي قد ظَمِئْتُ إلى الوعدِ ... متى تُنجزُ الوعدَ المؤكَّـدَ بالعهدِ
أُعِيذُك مـن خُلْف الملوكِ وقد بدا ... تقطُّعُ أنفاسي عليك من الوجدِ[2]
أَيَبْخَلُ فَـرْدُ الحسن عنّي بنائـلٍ ... قليـلٍ وقـد أفردتُـه بهـوىً فردِ

إلى أن بلغ إلى قوله :

رأى اللهُ عبـدَ الله خيرَ عبـاده ... فملّكـه والله أعلـمُ بالعبـدِ
ألا إنّمـا المأمـونُ للناس عصمةٌ ... مميِّزةٌ بـين الضَّلالـة والرُّشْدِ

فقال المأمون : أحسنتَ يا عبد الله ! فقال : يا أمير المؤمنين ، أحسن قائلُها ؛ قال : ومن هو ؟ فقال : عبدُك حسين بن الضّحّاك ؛ فغضِب ثم قال : لا حيّا الله من ذكرتَ ولا بيّاه ولا قرّبه ولا أنْعَمَ به عيناً ! أليس القائلَ[3] : [من الطويل]

أعينيَّ جُـودا وابكيا لي محمَّدا ... ولا تَذْخَرا دمعـاً عليه وأَسْعِدا
فـلا تَمَّتِ الأشياءُ بعد محمَّد ... ولا زال شملُ الملك فيه مبدَّدا
ولا فـرِح المأمونُ بالمُلك بعده ... ولا زال في الدّنيا طريداً مشرَّدا

هذا بذاك ؛ ولا شيء له عندنا . فقال له ابن البوّاب : فأين فضلُ إحسان أمير المؤمنين وسَعَةُ حلمه وعادتُه في العفو ؟ فأمره بإحضاره . فلمّا حضَر سلّم ، فردَّ عليه السلام ردّاً جافياً ؛ ثم أقبل عليه فقال : أخبِرْني عنك : هل عرفتَ يومَ قُتل أخي محمَّد هاشميّةً قُتلت أو هُتكت ؟ قال لا . قال : فما معنى قولك[4] : [من الطويل]

وسِرْب ظباءٍ من ذُؤابةِ هاشمٍ ... هَتَفْنَ بدعوى خير حيٍّ ومَيِّتِ
أُرُدّ يداً منّـي إذا مـا ذكرتُه ... على كبـدٍ حَرَّى وقلبٍ مفتَّتِ
فلا بـات ليلُ الشامتين بغِبْطةٍ ... ولا بلَغتْ آمالُهـم مـا تمنَّتِ

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعةٌ غلَبتني ، وروعةٌ فاجأتني ، ونعمةٌ فقدتُها بعد أن غمرتْني ؛ وإحسانٌ شكرتُه فأنطقني ، وسيّد فقدتُه فأقلقني . فإن عاقبتَ فبحقّك ، وإن عفوتَ فبفضلك .

---

1 أشعار الخليع : 46 .
2 وقد بدا في ل : وقد ترى .
3 تقدّم هذا الخبر والأبيات برواية أخرى (ص 114) ، وانظر أشعار الخليع : 50 .
4 أشعار الخليع : 32 .

فدَمَعتْ عينا المأمون وقال : قد عفوتُ عنك وأَمرتُ بإدرار أرزاقك وإعطائك ما فات منها ، وجعلتُ عقوبةَ ذنبك امتناعي من استخدامك .

[يشفع عمرو بن مسعدة لدى المأمون]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : لمّا أعيتْ حسينَ بنَ الضحّاك الحيلةُ في رضا المأمون عنه ، رمى بأمره إلى عمرو بن مَسْعَدة وكتب إليه[1] : [من الخفيف]

أنتَ طَوْدي من بين هذي الهِضابِ ... وشِهابـي مـن دون كلّ شِهابِ
أنتَ يـا عمرو قوّتـي وحياتي ... ولساني وأنـت ظُفْـري ونـابي
أتُـراني أنسى أياديَـكَ البيـ ... ـضَ إذ اسودَّ نائـلُ الأصحابِ
أين عطف الكرام في مأقِطِ الحا ... جـة يَحْمُـون حَـوْزَةَ الاداب[2]
أيـن أخلاقُـك الرضيّة حالت ... فيّ أم أيـن رِقّـة الكُتّـابِ[3]
أنـا في ذمّـة السَّحاب وأظما ! ... إنّ هـذا لوصمـةٌ في السّحابِ
قُـمْ إلى سيِّد البريّـة عنّـي ... قومـةً تَسْتَجِـرُّ حسنَ خطـابِ
فلعـلَّ الإلـهَ يُطفـيء عنّـي ... بـك نـاراً عليّ ذاتَ الْتِهابِ

قال : فلم يزل عمرو يَلْطُفُ للمأمون حتى أوصله إليه وأدرّ أرزاقه .

[غضب عليه المعتصم]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عَوْن بن محمَّد قال حدَّثني الحسين بن الضّحّاك قال : غضب المعتصم عليّ في شيء جرى على النبيذ ، فقال : والله لأؤدِّبَنّه ؛ وحجَبني أيّاماً . فكتبت إليه[4] : [من الكامل]

غَضَبُ الإمام أشَدُّ من أدَبِـهْ ... وقد استجرْتُ وعُذْتُ من غَضَبِهْ
أصبحـتُ معتصِماً بمعتصِمٍ ... أثْنـى الإلـهُ عليـه في كُتُبِهْ
لا والـذي لم يُبْـقِ لي سبباً ... أرجـو النجاةَ بـه سوى سببهْ

1 أشعار الخليع : 27 .
2 المأقط : المضيق في الحرب .
3 حالت : تحوّلت من حال إلى حال .
4 أشعار الخليع : 31 .

مـا لي شفيـعٌ غيرُ حُرْمتِـه ولكلٌ مـن أَشْفـى على عَطَبِهْ

قال : فلمّا قُرِىء عليه التفت إلى الواثق ثم قال : بمثلِ هذا الكلام يُستَعْطَف الكرام ؛ ما هو إلاّ أن سمعتُ أبياتَ حسين هذه حتى أزالتْ ما في نفسي عليه . فقال له الواثق : هو حقيقٌ بأن يُوهَب له ذنبه ويُتجاوَز عنه . فرضي عنّي وأمر بإحضاري .

[هجا العبّاس بن المأمون]

قال الصُّوليّ فحدّثني الحسين بن يحيى أنّ هذه الأبيات إنّما كتب بها إلى المعتصم ؛ لأنّه بلَغه عنه أنّه مدَح العبّاسَ بن المأمون وتمنّى له الخلافةَ ، فطلبه فاستتر وكتب بها إلى المعتصم على يَدَي الواثق فأوصلها وشفَع له فرضي عنه وأمّنه فظهر إليه ، وهجا العبّاسَ بن المأمون فقال[1] : [من مجزوء الكامل]

خَلِّ اللِّعِينَ ومـا اكتَسَبْ لا زال منقطـعَ السَّبَبْ
يـا عُـرَّةَ الثَّقَلَيْـن لا دِينـاً رَعَيتَ ولا حَسَبْ
حَسَدُ الإمـام مكانَـه جهلاً حَذاكَ على العَطَبْ[2]
وأبـوك قدّمـه لهـا لمـا تخيَّـر وانتخبْ
مـا تستطيع سوى التنـ ـفّس والتجرُّع للكربْ
مـا زلتَ عنـد أبيك مُنْـ ـتَقَصَ المـروءة والأدَبْ

[شعره في مجلس صالح بن الرشيد]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك الزيّات وابن مهرويه قالا : كنّا عند صالح بن الرشيد ليلةً ومعنا حسين بن الضّحّاك وذلك في خلافة المأمون ، وكان صالح يهوَى خادماً له ؛ فغاضبه في تلك الليلة فتنحّى عنه ، وكان جالساً في صَحْنٍ حولـه نَرْجِس في قمر طالـع حسنٍ ؛ فقـال للحسين : قُلْ في مجلسنا هذا وما نحن فيه أبياتاً يُغنّي فيها عمرو بن بانة . فقال الحسين[3] : [من الخفيف]

صوت

وصف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلْـتُ أنّـي ومـا أراكَ أراكا
وإذا مـا تنفَّس النـرجسُ الغَـ ـضّ توهَّمتُـه نسيـمَ شَذاكا

1 أشعار الخليع : 25 .
2 حذاك على العطب : قادك إليه وأوقعك فيه .
3 أشعار الخليع : 88–89 مع بعض اختلاف .

خُـدَعٌ للمُنـى تعلّلنـي فيـ ـك بإشراق ذا ونفحـة ذاكا
لأَدُومـنّ يـا حبيبي على العـ ـهد لهـذا وذاك إذ حَكَيـاكا

قال عمرو : فقال لي صالح : تغنَّ فيها ، فتغنَّيتُ فيها من ساعتي .

لحنُ عمرو في هذه الأَبيات ثقيلٌ بالبنصر من روايته .

[شعره في خادم أَبي عيسى بن الرشيد]

وقد حدَّثني بهذا الخبر عليّ بن العبّاس بن أَبي طلحة قال حدَّثني عُبيد الله بن زكريا الضَّرير قال حدَّثنا الجَمّاز عن أَبي نُواس قال : كنت أَتعشَّق ابناً للعلاء يقال له محمَّد ، وكان حُسين يتعشَّق خادماً لأَبي عيسى بن الرشيد يقال له يُسْر ؛ فزارني يوماً فسألتُه عنه فقال : قد كاد قلبي أَن يسلُوَ عنه وعن حبّه . قال : وجاءني ابنُ العلاء صاحبي فدخل عليَّ وفي يده نرجسٌ ، فجلسنا نشرب وطلع القمر ؛ فقلت له : يا حسين أَيّما أَحسن القمر أَم محمَّد ؟ فأَطرق ساعةً ثم قال : اسمع جوابَ الذي سألتَ عنه : [من الخفيف]

وصَف البدرُ حسنَ وجهك حتى خِلْـتُ أنّـي ومـا أَراك أَراكا
وإذا مـا تنفّس النّـرجِسُ الغـ ـضّ توهّمتُـه نَسِيـمَ شَذاكا
وإخـال الذي لثَمـتَ أَنيسي وجليسي مـا باشرَتْـه يـداكا
فـإذا مـا لثَمتُ لَثْمَك فيـه فكأنّي بـذاك قبّلـتُ فـاكا
خُـدَعٌ للمُنـى تعلّلنـي فيـ ـك بإشراق ذا ونَفْحـة ذاكا
لأُقِيمنَّ مـا حَيِيـتُ على الشكـ ـر لهـذا وذاك إذ حَكَيـاكا

قال : فقلت له : أَحسنتَ والله ما شئتَ ؛ ولكنّك يا كَشْخان[1] هو ذا تَقْدِر أَن تقطع الطريق في عملي ؟ فقال : يا كشخان أَوَ شعري الذي سمعتَه في حاضرٍ أَمْ بذكر غائبٍ ! واللهِ لَلنَّعْلُ التي يطأ عليها يُسْرٌ أَحسنُ عندي من صاحبك ومن القمر ومن كلّ ما أَنتم فيه .

[مدح المتوكّل شعره]

أَخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أَحمد بن سعيد بن عَنْبَسَة القُرَشيّ الأُمويّ قال حدَّثني عليّ بن الجَهْم قال : دخلتُ يوماً على المتوكّل وهو جالس في صحن خُلْده[2] وفي يده غصنُ آسٍ وهو يتمثَّل بهذا الشعر[3] : [من البسيط]

1 كشخان : ديوث .
2 الخلد : قصر بناه المنصور على شاطىء دجلة .
3 أَشعار الخليع : 114–115 .

بالشَّطّ لي سَكَنٌ أَفْدِيه من سَكَنِ أَهْدى من الآسِ لي غصنين في غُصُنِ
فقلتُ إذ نُظما إلفين والتَبسا سَقْياً ورَعْياً لفألٍ فيكما حسنِ
فالآسُ لا شَكَّ آسٍ من تشوّقنا شافٍ وآسٍ لنا يبقى على الزمنِ
أَبْشَرتُماني بأسبابٍ ستجمعنا إن شاء ربِّي ومهما يَقْضِه يَكُنِ

قال : فلمّا فرغ من إنشادها قال لي وكدتُ أَنْشَقّ حسداً : لَمن هذا الشعر يا عليّ ؟ فقلت : للحسين بن الضّحّاك يا سيِّدي . فقال لي : هو عندي أشعر أهل زماننا وأملحُهم مذهباً وأظرفُهم نَمَطاً . فقلت وقد زاد غيظي : في الغزل يا مولاي . قال : وفي غيره وإن رَغِم أَنفُك ومتَّ حسداً . وكنتُ قد مدحتُه بقصيدة وأردت إنشادَها يومئذٍ فلم أفعل ، وعلمتُ أنّي لا أنتفع مع ما جرى بيننا بشيء لا به ولا بالقصيدة ، فأخّرتُها إلى وقت آخر .

[مع شفيع خادم المتوكّل]

أخبرني محمّد بن يحيى قال حدّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدّثني أبي قال : أَحَبّ المتوكّل على الله أن يُنادمه حسينُ بن الضّحّاك وأن يرى ما بَقِي من شهوته لما كان عليه ؛ فأحضره وقد كبِر وضَعُف ، فسقاه حتى سكِر ، وقال لخادمه شَفيع : اسْقِه ، فسقاه وحيّاه بوردةٍ ، وكانت على شفيع ثيابٌ موردّة ؛ فمدَّ الحسينُ يدَه إلى ذراع شَفيع . فقال له المتوكّل : يا حسين ، أَتُجَمِّشُ أخصَّ خَدَمي عندي بحَضْرتي ؟ فكيف لو خلوتَ ؟ ما أحوجك إلى أدب ! وقد كان المتوكّل غمَز شفيعاً على العَبَث به . فقال الحسين : يا سيِّدي ، أُريد دواةً وقرطاساً ، فأمر له بذلك ، فكتب بخطّه[1] : [من الطويل]

وكالوردةِ الحَمْراء حيّا بأحمرٍ من الورد يمشي في قَراطِقَ كالوردِ[2]
له عَبَثاتٌ عند كلّ تحيّة بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجدِ
تمنَّيتُ أن أُسقى بكفَّيه شَرْبةً تذكّرني ما قد نَسِيتُ من العهدِ
سقى الله دهراً لم أَبِتْ فيه ليلةً خَلِيّاً ولكن من حبيب على وعدِ

ثم دفع الرقعةَ إلى شفيع وقال له : ادفَعْها إلى مولاك . فلمّا قرأها استملحها وقال : أحسنتَ والله يا حُسين ؛ لو كان شفيع ممّن تجوز هبتُه لوهبتُه لك ، ولكن بحياتي إلاّ كنتَ ساقيه باقيَ يومه هذا واخدُمْه كما تخدُمني ؛ وأمر له بمال كثير حُمِل معه لمّا انصرف . قال

1 أشعار الخليع : 43 .

2 في مجموع أشعاره :

وكالدرّة البيضاء حيّا بعنبرٍ وكالورد يسعى في قراطقَ كالورد

أحمد بن يَزيد فحدَّثني أبي قال : صِرتُ إلى الحسين بعد انصرافه من عند المتوكّل بأيّام ، فقلت له : وَيْلَك ! أتدري ما صنعتَ ؟! قال : نعم أدري ، وما كنتُ لأَدَعَ عادتي بشيء ؛ وقد قلتُ بعدك[1] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

لا رأى عَطْفَةَ الأحبّـ ـة مـن لا يُصَرِّحُ
أصغرُ الساقِيَيْنِ أشـ ـكلُ عندي وأَمْلَحُ
لو تراه كالظَّبْي يَسـ ـنَح حيناً ويبرَحُ
خِلْتَ غصناً على كَثِيـ ـبٍ بنَوْرٍ يوشِّحُ

غنّى عمرو بن بانة في هذه الأبيات ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر .

[حيّاه شفيع بتفّاحة عنبر]

وقد أخبرني بهذا الخبر محمّد بن العبّاس اليَزيديّ وقال حدَّثني محمّد بن أبي عَوْن قال : حضرتُ المتوكّل وعنده محمّد بن عبد الله بن طاهر وقد أحضر حسينَ بن الضّحّاك للمنادمة ، فأمر خادماً كان واقفاً على رأسه ، فسقاه وحيّاه بتفّاحة عنبر . وقال لحسين : قُل في هذا شيئاً ؛ فقال[2] : [من الطويل]

وكالدُّرّةِ البيضاءِ حيّا بعنبرٍ وكالورد يَسْعى في قَراطِقَ كالوَرْدِ
له عَبَثاتٌ عند كلّ تحيّةٍ بعينيه تَستدعي الحليمَ إلى الوجدِ[3]
تمنّيتُ أن أُسقَى بكفّيه شربةً تُذكِّرني ما قد نسيتُ من العهدِ[4]
سقى الله عيشاً لم أَبِتْ فيه ليلةً من الدَّهرِ إلاّ من حبيب على وعدِ

فقال المتوكّل : يُحمل إلى حسين لكلّ بيت مائةُ دينار . فالتفتَ إليه محمّد بن عبد الله بن طاهر كالمتعجّب وقال : لِم ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله لقد أجاب فأسرع ، وذكّر فأوجع ، وأطرَب فأمتع ؛ ولولا أنّ يدَ أمير المؤمنين لا تطاولها يدٌ لأجزلتُ له العطاءَ ولو أحاط بالطارف والتالد . فخجِل المتوكّل وقال : يُعطى حسين بكلّ بيت ألفَ دينار . وقد أخبرني بهذا الخبر ابن قاسم الكَوْكَبيّ قال حدَّثنا بِشْر بن محمّد قال وحدَّثني علي بن الجَهْم : أنّه حضر المتوكّلَ وقد أمر شفيعاً أن يسقيَ حسينَ بن الضّحّاك ؛ وذكر باقيَ الخبر نحوَ ما مضى من رواية غيره .

---

1 أشعار الخليع : 35 .

2 رواية الأبيات هنا كما وردت في مجموع أشعار الخليع ص 43 وفيه تخريجها .

3 بعينيه في ل : بكفّيه .

4 بكفيه في ل : بعينيه .

[شعره في مقحم خادم ابن شغوف]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمَّد بن يزيد المبرّد ، وحدَّثني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمّد بن مروان عن محمَّد بن عمرو الرُّوميّ قال : اجتمع حسين بن الضّحّاك وعمرو بن بانة يوماً عند ابن شغوف الهاشميّ فاحتبسهما عنده . وكان لابن شغوف خادم حسنٌ يقال له مُقْحم ، وكان عمرو بن بانة يتعشَّقه ويُسِرّ ذلك من ابن شغوف . فلمّا أكلوا ووُضع النبيذُ قال عمرو بن بانة للحسين : قُل في مُقْحمٍ[1] أبياتاً أُغَنّ فيها الساعةَ . فقال الحسين[2] : [من المنسرح]

صوت

وأبأبي مُقْحمٌ لعزَّته ... قلتُ له إذ خلوتُ مُكْتَتِما
تحبّ بالله من يخصّك بالودّ ... فما قال لا ولا نَعَما

[تعريض إسحاق الموصليّ بعمرو بن بانة]

وغنَّى فيه عمرو . قال : فبيناهم كذلك إذ جاء الحاجب فقال : إسحاق الموصليّ بالباب ؛ فقال له عمرو : أَعْفِنا من دخوله ولا تنغِّص علينا بِبُغْضِه وصَلَفه وثِقَلِه ففعل ؛ وخرج الحاجب فاعتلّ على إسحاق حتى انصرف ، وأقاموا يومَهم وباتوا ليلَتهم عند ابن شغوف . فلمّا أصبحوا مضى الحسينُ بن الضّحّاك إلى إسحاق فحدَّثه الحديثَ بنصّه . فقال إسحاق : [من المنسرح]

يا ابنَ شغوفٍ أما علمتَ بما ... قد صار في الناس كلِّهم عَلَما
دعوتَ عمراً فبات ليلتَه ... في كلّ ما يَشتهي كما زعما
حتى إذا ما الظلامُ ألبسه ... سَرى دَبِيباً فضاجَع الخَدَما
ثَمّتَ لم يَرْضَ أن يُضاجِعهم ... سِرّاً ولكن أبْدى الذي كتما
ثم تغنَّى لفرط صَبْوته ... صوتاً شفى من غَليله السَّقَما
«وأبأبي مُقْحم لعزّته ... قلتُ له إذ خلوت مكتتما»
«تحبّ بالله من يخصّك بالودّ فما قال لا ولا نَعَما»

قال : وشاعت الأبياتُ في الناس وغنَّى فيها إسحاق أيضاً فيما أظنّ ؛ فبلغت ابنَ شغوف

---

1 ويروى أيضاً «مفحم» بالفاء .

2 مجموع شعره : 107 .

فحلَف ألاّ يُدخلَ عمراً دارَه أبداً ولا يكلِّمه ، وقال : فضَحني وشهَرني وعرّضني للسان إسحاق ؛ فمات مهاجراً له . وقال ابن أبي سعد في خبره : إنّ إسحاق غنّى فيها للمعتصم ، فسأله عن خبرها فحدّثه بالحديث ، فضحك وطرِب وصفّق ؛ ولم يزل يَستعيد الصوتَ والحديثَ وابنُ شغوف يكاد أن يموت إلى أن سكر ونام .

لحن عمرو بن بانة في البيتين اللذين قالهما حسين في مُقْحم من الثقيل الثاني بالوسطى .

[رأي أبي نواس في غزله]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة قال حدّثني محمّد بن موسى بن حَمّاد قال سمعت مَهْدِيَّ بن سابِق يقول : التقى أبو نواس وحسين بن الضّحّاك ، فقال أبو نواس : أنت أشعر أهل زمانك في الغزل ؛ قال : وفي أيّ ذلك ؟ قال : ألا تعلم يا حسين ؟ قال لا ؛ قال : في قولك : [من المنسرح]

وأبأبي مُقْحم لعزّته ... قلت له إذ خلوتُ مكتتما
تحبّ بالله مَن يَخُصّك بالو ... دّ فما قال لا ولا نعما
ثم تولّى بمقلتَيْ خَجِلٍ ... أراد رَجْعَ الجوابِ فاحتشما
فكنتُ كالمبتغي بحيلته ... بُرءاً من السُّقْم فابتدا سَقَما

فقال الحسين : وَيْحَكَ يا أبا نواس ؛ فأنت لا تفارق مذهبَك في الخمر ألبتّةَ ؛ قال : لا والله ، وبذلك فضَلْتُك وفضَلْتُ الناسَ جميعاً .

[ثعلبٌ يثني على شعره]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال أنشدنا أبو العبّاس ثَعْلَب قال أنشدني حَمّاد بن المبارَك صاحبُ حسين بن الضّحّاك قال أنشدني حسين لنفسه[1] : [من مجزوء الخفيف]

لا وحُبِّيكَ لا أُصا ... فِح بالدَّمْع مَدمَعا
مَن بَكى شَجْوَه استرا ... ح وإن كان مُوجَعا
كَبِدي من هواكَ أسـ ... ـقمُ من أن تَقَطّعا
لم تَدَعْ سَوْرةُ الضَّنى ... فيَّ للسُّقْم مَوْضِعا

قال : ثم قال لنا ثَعْلَب : ما بَقي من يُحسن أن يقول مثل هذا .

[رأي ابن الرومي في غزله]

أخبرني عليّ قال حدّثني محمّد بن الفَضْل الأهْوازيّ قال سمعت عليّ بن العبّاس الروميّ

1 شعره : 76–77 .

يقول : حسين بن الضّحّاك أغزلُ الناس وأظرفُهم . فقلت : حين يقول ماذا ؟ فقال : حين يقول[1] : [من الكامل]

يا مستعِيرَ سَوالـفِ الخِشْفِ اسْمَعْ لحَلْفـة صـادقِ الحَلْفِ
إنْ لم أَصِحْ ليلي ويـا حَرَبِي مـن وجنتيكَ وفَتْرةِ الطَّرْفِ
فجَحدتُ ربِّـي فضلَ نعمته وعبدتُـه أبـداً عـلى حَرْفِ

[شعره في فتن]

أخبرني عليّ بن العبّاس الرومي قال حدَّثني قتيبة عن عمرو السّكونيّ بالكوفة قال حدَّثني أبي قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كانت تألفني مغنّية ، وتجيئني دائماً ، وكنت أميل إليها وأستملحها ، وكان يقال لها فِتَنُ . فكان يجيء معها خادم لمولاتها يحفظها يسمّى نُجْحا ، وكان بغيضاً شَرِسَ الخُلُق ، فإذا جاء معها توقّيْتُه ؛ فمرض ، فجاءتني ومعها غيره ، فبلغتُ منها مُرادي وتفرَّجتُ يومي وليلتي ؛ فقلت[2] : [من مجزوء الخفيف]

لا تَلُمْنـي على فِتَنْ إنّهـا كـاسمِهـا فِتَـنْ
فـإذا لم أَهِـمْ بهـا فبمَـن ، لا بمَـن إذَنْ
أيـن ، لا أيـن ، مثلُها في جميع الوَرى سَكَنْ
طِيب نَشْرٍ إذا لثَمْـ ـتَ وغُنْج ومُحتَضَنْ
وَالِ عَشْراً مـن الصَّبُو ح على وجهِها الحسنْ
وعلى لفظهـا المُنَـوِّ ن لـلاّم بـالغُنَنْ
لست أنسى من الغَرِيـ ـرة إذ بُحت بالشَّجَنْ
قولَهـا إذ سلبتُهـا عن كَثيبٍ وعن عُكَنْ
ليس يُرضيكَ يـا فتى من هوىً دون أن تَهِنْ
فامتزجنـا معـاً مُمـا زَجـةَ الرُّوح للبدنْ
وكُفِينـا مـن أن نُرا قِـبَ نُجْحاً إذا فَطَنْ
وأَمِنّـاه أن يَنِـ ـمّ ومـا كان مؤتَمَنْ
كلّ مـا كان من حبيـ ـبك مستظْرفٌ حسنْ

1 شعره : 80 .
2 شعره : 108 عن الأغاني .

[مناظرته مخارق في أبي نواس وأبي العتاهية]

حدَّثني جَحْظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ : أنّ مُخارقاً وحسين بن الضّحّاك تَلاحَيا في أبي العتاهية وأبي نُواس أيُّهما أشعر ؛ فاتّفقا على اختيار شعرٍ من شعريهما يتخايران فيه ، فاختار الحسينُ بن الضّحّاك شيئاً من شعر أبي نواس جيّداً قويّاً لمعرفته بذلك ، واختار مخارقٌ شيئاً من شعر أبي العتاهية ضعيفاً سخيفاً غزَلاً كان يُغَنّى فيه لا لشيء عرَفه منه إلاّ لأنّه استملحه وغنّى فيه ، فخايَر به لقلّة علمه ولما كان بينه وبين أبي العَتاهية من المودّة ؛ وتخاطَرا[1] على مالٍ ، وتحاكَما إلى مَن يَرْتضيه الواثقُ بالله ويختاره لهما ؛ فاختار الواثقُ لذلك أبا مُحَلِّم ؛ وبعث فأحضره وتحاكما إليه بالشعرين فحكَم لحسين بن الضّحّاك . فتَلَكّأ مخارق وقال : لم أُحْسِن الاختيارَ للشعر ولَحُسَيْنٌ أعلم منّي بذلك ، ولأبي العتاهية خيرٌ ممّا اخترتُ ، وقد اختار حسينٌ أجودَ ما قدَر عليه لأبي نُواس لأنّه أعلم منّي بالشعر ، ولكنّا نتخاير بالشاعرين ففيهما وقع الجدالُ ؛ فتحاكما فحَكَم لأبي نواس ، وقال : هو أشعرُ وأذهبُ في فنون الشعر وأكثرُ إحساناً في جميع تصرّفه . فأمر الواثقُ بدفع الخَطَر إلى حسين ، وانكسر مخارق فما انْتفع به بقيَّةَ يومه .

[شعره في الحسن بن سهل]

أخبرني ابنُ أبي طَلْحَة قال حدَّثني سَوادةُ بن الفَيْض قال حدَّثني أبي قال : لمّا اطّرح المأمونُ حسينَ بن الضّحّاك لهواه ، كان ، في أخيه محمَّد وجفاه ، لاذ الحسينُ بن الضّحّاك بالحسن بن سَهْل وطمع أن يُصْلحه له ؛ فقال يمدحه[2] : [من الوافر]

أرى الآمـالَ غيرَ مُعرِّجـاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سَهْلِ
يُبارِي يومَـه غـدُه سَماحاً ... كِلا اليومين بـانَ بكلّ فضلِ
أرى حَسَنـاً تقـدّم مستبِدّاً ... ببَعْـدٍ مـن رياستـه وقَبْلِ
فإن حضَرتْك مشكلةٌ بشَكٍّ ... شفاكَ بحِكْمةٍ وخطابِ فَصْلِ
سليلُ مَرازبٍ بَرَعُـوا حلومـاً ... وراع صغيرُهـم بسداد كهلِ
ملوكٌ إن جريتَ بهـم أبَرّوا ... وعَـزّوا أن تُوازِنَهـم بعِدْلِ
ليَهْنِك أنّ مـا أرجأتَ رشدٌ ... وما أمضيتَ من قـول وفعلِ

1 تخاطرا : تراهنا .

2 شعره : 93 .

وأنّك مؤثِـرٌ للحـقّ فينـا أراك الله مـن قطـع ووصلِ
وأنّك للجميـع حَيـا ربيـعٍ يَصُوب على قَرارة كلّ مَحْلِ

قال : فاستحسنها الحسن بن سهل ، ودعا بالحسين فقرّبه وآنسه ووصَله وخلَع عليه ووعَده إصلاحَ المأمون له ، فلم يُمكنه ذلك لسوء رأي المأمون فيه وَلِما عاجل الحسنَ من العلّة .

[سؤال الحسن بن سهل وجوابه]

قال عليّ بن العبّاس بن أبي طَلْحة وحدّثني أبو العبّاس أحمد بن الفضل المَرْوَزِيّ قال : سمعت الحسن بن سهل يقول لحسين بن الضّحّاك : ما عنَيْتَ بقولك[1] : [من المديد]

يـا خَلِيّ الذَّرْع من شَجَنِي إنّمـا أشكـو لترحمَنـي

قال : قد بيّنتُه ؛ قال : بأيّ شيء ؟ قال : قلت :

منعُـك الميسورَ يُـؤْيِسُني وقليـلُ اليـأس يقتلنـي

فقال له أبو محمّد : إنّك لتُضيِع بالخلاعة ، ما أُعطِيتَه من البَراعة .

[الحسن بن سهل يهبه غلاماً]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني أحمد بن القاسم المُرّيّ قال حدّثنا أبو هفّان قال : سألت حسينَ بن الضّحّاك عن خبره المشهور مع الحسن بن سهل في اليوم الذي شرب معه فيه وبات عنده وكيف كان ابتداؤه ، فقلت له : إنّي أشتهي أن أسمعَه منك . فقال لي : دخلتُ على الحسن بن سهل في فصل الخَريف وقد جاء وَسْميٌّ من المطر فَرَشّ رَشّاً حسناً ، واليومُ في أحسن منظَر وأطيبِه ، وهو جالس على سرير آبنُوس وعليه قُبّةٌ فوقها طارِمة[2] ديباجٍ أصفر وهو يُشْرِف على بستان في داره ، وبين يديه وصائفُ يتردّدن في خدمته وعلى رأسه غلامٌ كالدِّينار ؛ فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام ، ونظر إليّ كالمستنطِق ؛ فأنشأتُ أقول[3] : [من المتقارب]

ألستَ تـرى ديمةً تَهْطِلُ وهذا صباحُـك مُسْتَقبَلُ

فقال : بَلى . فقلت :

وتلك المُدامُ وقـد شاقنا برؤيتـه الشادنُ الأكحـلُ

فقال : صدقت فمَهْ ؛ فقلتُ :

---

1 شعره : 115 .

2 الطارمة في الأصل : بيت من خشب كالقبّة ، والمراد هنا ستر رقيق من الديباج كأنّه طارمة .

3 شعره : 91–92 ورواية الخبر والأبيات فيه عن الأغاني .

فعـاد بـــه وبنـــا سَكْرةٌ تُهوِّن مكـروهَ مـا نَسألُ

فسكت . فقلت :

فإنّي رأيـت لـــه نظـرةً تُخبِّـــرني أنّـــه يفعـلُ

ثم قال : مَهْ ؛ فقلت :

وقد أَشْكل العيشُ في يومنا فيـــا حبّذا عيشُنا المُشْكِلُ

فقال : العيش مشكِل ، فما ترى ؟ فقلت : مبادَرَةُ القَصْف وتقريبُ الإلْف . قال : على أن تقيم معنا وتبيتَ عندنا . فقلت له : لك الوفاءُ وعليك مثلُه لي من الشرط . قال : وما هو ؟ قلت : يكون هذا الواقف على رأسك يسقيني . فضحك ثم قال : ذلك لك على ما فيه . ودعا بالطعام فأكلنا وبالشراب فشربنا أقداحاً . ولَمْ أَرَ الغلامَ ، فسألتُ عنه فقال لي : الساعةَ يَجيء ، فلم نلبث أن وافاني ؛ فسألتُه أين كان ؟ فقال : كنت في الحَمّام وهو الذي حبسني عنك . فقلتُ لوقتي[1] : [من السريع]

وبأبي أبيضُ في صُفرةٍ كأنّـه تِبْـرٌ على فضّهْ
جرّده الحمّامُ عن دُرّةٍ تلوح فيهـــا عُكَنٌ بَضّهْ
غصنٌ تبدَّى يتثنّى على مَـأكَمة مُثْقَلةِ النَّهْضَهْ[2]
كأنّما الرَّشُّ على خدّه طَـلٌّ على تُفّاحةٍ غَضّهْ
صفاتُـــه فاتنـة كلُّهـــا فبعضُه يُذْكِـرُني بعضَهْ
يـــا ليتني زوّدني قُبْلةً أو لا فمِنْ وَجْنته عَضّهْ[3]

فقال لي الحسن : قد عمِل فيك النبيذُ ؛ فقلتُ : لا وحياتِك ؛ فقال : هذا شرٌّ من ذلك . فقلت[4] : [من مجزوء الخفيف]

اسْقِيـــاني وصرِّفـــا بنـتَ حولـين قَرْقَفا[5]
واسْقِيا المُرْهَـفَ الغَريـ ـــر سقَـى اللهُ مُرْهَفا

1 شعره : 180 .
2 المأكمة : العجيزة .
3 يا ليتني ، لعلّها يا ليته ، وكذا هي في شرح المقامات .
4 شعره : 81–82 .
5 القرقف : الخمر لأنّها ترعد شاربها .

لا تقولا نراه أكـ ـلَفَ نِضْواً مخفّفا[1]
نِعْم ريحانةُ النديـ ـم وإن كان مُخْطَفا[2]
إن يكن أكلفاً فإ نّي أرى البدرَ أكْلَفا
بأبي ماجنُ السريـ ـرة يُبْدي تَعَفُّفا
حَفَّ أصداغَه وعَقْـ ـربها ثم صفَّفا
وحَشا مَدْرَجَ القُصا ص بمسك ورصّفا[3]
فإذا رُمتَ منه ذا ك تأبّى وعنَّفا
ليس إلاّ بأنْ يُنـ ـحّه السُّكْرُ مُسْعِفا
باكِرا لا تسوِّفا نِي عدِمتُ المُسوِّفا
أعْجِلاه وبالفُضا ضةِ في السَّقْي فاعْنُفا[4]
واحمِلا شَغْبَه وإن هو زنّى وأفَّفا[5]
فإذا هَمَّ للمنا مِ فقُوما وخَفِّفا

فتغاضَب الغلامُ وقام فذهب ، ثم عاد فقال لي : أَقْبِلْ على شرابك ودَعِ الهَذَيان . وناوَلَني قدحاً . وقام أبو محمَّد ليبولَ ، فشربتُ وأعطاني نُقْلا فقلتُ : اجعلْ بدلَه قبلةً ؛ فضحك وقال : أَفْعلُ ، هذا وقتُه فبَدا له وقال : لا أفعل ؛ فعاودتُه فانتهرني . فقال له خادم للحسن يقال له فَرَج : بحياتي يا بنيّ أَسْعِفْه بما طلب ؛ فضحك ثم دنا منّي كأنّه يناولني نُقْلا وتغافل فاختلستُ منه قبلةً ؛ فقال لي : هي حرام عليك فقلت[6] : [من الرمل]

وبديع الدَّلّ قَصْرِيّ الغَنَجْ مَرِه العين كَحِيلٍ بالدَّعَجْ[7]
سُمْتُه شيئاً وأَصْغيتُ له بعد ما صرَّف كأساً ومَزَجْ
واستخفّتْه على نَشْوتِه نَبَراتٌ من خفيفٍ وهَزَجْ

1 الكلف : شيء يعلو الوجه كالسمسم .
2 المخطف : قليل لحم الجنب .
3 القصاص : منبت الشعر .
4 الفضاضة : آخر الشيء .
5 زنّى : قذف وسبّ .
6 شعره : 34 .
7 مره العين : لم يكتحل .

فتأبَّـــى وتثنَّـــى خَجَـــلاً وذَرا الدَّمـــعَ فنونـــاً ونَشَجْ
لجَّ في «لولا» وفي «سوف تَرى» وكـــذا كَفْكَـــفَ عنِّي وخَلَجْ[1]
ذهـــب الليـــلُ ومـــا نَـوَّلَني دون أَن أَسْفَـرَ صبـحٌ وانْبَلَجْ
هـــوّن الأَمـــرَ عليـــه فـــرجٌ بتأتِّيـــــه فَسقْيـــاً لفَـــرَجْ
خَمِـــرُ النَّكهـــة لا مـــن قهـــوةٍ أَرَّجَ الأَصـــداغَ بالمسك أَرِجْ[2]
وبنفسي نفسُ مَن قـــال ، وقـــد كان مـــا كان ، حـــرامٌ وحَرَجْ

قال : ثم أَسفر الصبح . فانصرفتُ وعُدْت من غدٍ إلى الحسن ؛ فقال لي : كيف كنت في ليلتك وكيف كنت عند نومك ؟ فقلت له : أَأَصِفُ ذلك نثراً أَم نظماً ؟ فقال : بل نظماً فهو أَحسن عندي ، فقلت[3] : [من المتقارب]

تألّفتُ طيـفَ غـزال الحَرَم فواصَلَني بعـد مـا قـد صَرَمْ
ومـا زلـتُ أَقنَع مـن نَيْله بمـا تَجْتنيـــه بَنـانُ الحُلُمْ
بنفسي خيـــالٌ عـلى رِقْبَـــةٍ أَلَمّ بـــه الشوقُ فيمـــا زَعَمْ
أَتـــاني يُجـــاذب أَردافـــه من البُهْر تحت كسوف الظُّلَمْ
تمُـــجّ سوالفُـــه مِسْكـــةً وعنبـــرةً ريقُـــــه والنَّسَمْ
تضمّخ مـن بعـد تجميره فطاب من القَرْن حتى القَدَمْ[4]
يقـــول ونازعتُـــــه ثوبَـــه على أَن يقـــولَ لشيء نعمْ
فغَضّ الجفـونَ عـلى خَجْلَـةٍ وأَعـــرضَ إعراضـة المُحْتَشِمْ
فشبّكتُ كفِّـــــي على كفّـه وأَصغيـتُ أَلْثِـمُ دُرّاً بفَـمْ
فَنَهْنَهني دَفْـعَ لا مـؤيسٍ بجِـــدّ ولا مُطْمِـعٍ مُعْتزمْ
إذا مـا هَممْـــتُ فأَدنيتُـــه تَثنّـى وقـــال لي الوَيْـلُ لِمْ
فمـــا زلـــتُ أَبسُطه مازحـاً وأُفْرِط في اللهـو حتى ابتسمْ
وحكّمنـــي الرِّيـــمُ في نفسه بشيء ولكنّـــــه مُـكْتَتَمْ

1 كفكف : كفّ وأَعرض . خلج : جذب وانتزع ، أَي دفعه وانتزع نفسه منه .
2 في رواية : المسك الأَرج أَي الذي تفوح منه رائحة طيّبة .
3 شعره : 94–96 .
4 التجمير : التبخير بالطيب .

فواهــاً لذلك مــن طــارقٍ على أن مــا كان أبقــى سَقَمْ

قال : فقال لي الحسن : يا حسين يا فاسق ؛ أظنّ ما ادّعيتَه على الطَّيْف في النوم كان في اليَقَظَة مع الشَّخص نفسه ، وأصلحُ الأشياء لنا بعد ما جرى أن نَرْحَض[1] العارَ عن أنفسنا بهبة الغلام لك ، فخذه لا بُورك لك فيه ؛ فأخذته وانصرفت .

[شعره في غلام للحسن بن سهل]

حدَّثني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني أبو العَيْناء قال : أنشدني الحسين بن الضّحّاك لنفسه في غلام للحسن بن سهل كان اجتمع معه في دار الحسن ، ثم لقيه بعد ذلك فسلّم عليه فلم يكلّمه الغلام ؛ فقال[2] : [من الوافر]

فديتُك ما لوجهك صدَّ عنّي وأبديــتَ التّنــدُّم بالسَّلامِ
أحينَ خلبتني وقَرَنْتَ قلبــي بطَرْفِـك والصَّبابــةَ في نِظامِ
تَنكَّـر مــا عهِدتُ لِغبّ يوم فيا قربَ الرَّضاع من الفِطامِ
لأَسْرعَ مــا نهيتَ إلى همومي سروري بالزيــارة واللِّمــامِ

[اختلاط جبتين]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك الخليع قال : كنت في المسجد الجامع بالبصرة ، فدخل علينا أبو نُواس وعليه جُبّةُ خَزّ جديدة . فقلت له : من أين هذه يا أبا نواس ؟ فلم يخبرني ، فتوهّمت أنّه أخذها من موسى بن عِمْران لأنّه دخل من باب بني تميم ؛ فقُمت فوجدتُ موسى قد لبس جُبّة خَزّ أخرى ؛ فقلت له[3] : [من الخفيف]

كيف أصبحتَ يا أبا عمران

فقال : بخير صبّحك الله به . فقلت :

يــا كريــم الإخاء والإخوان

فقال : أسمعك الله خيراً . فقلت :

إن لي حاجــةً فرأيك فيهــا إنّنــا في قضائهــا سيّــان

فقال : هاتِها على اسم الله وبركته . فقلت :

---

1 نرحض : نغسل .
2 شعره : 104 .
3 شعره : 111 .

جُبّـةٌ مـن جِبابك الخَزّ حتى لا يَـراني الشتاءُ حيث يراني

قال : خذها على بركة الله ، ومَدَّ كمَّه فنزعتُها[1] وجئتُ وأبو نواس جالس ؛ فقال : من أين لك هذه ؟ فقلت : من حيث جاءتك تلك .

[المعتصم يجيز محمّد بن عمرو لأنّه جاء مع الحسين]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثني محمّد بن موسى بن حمّاد قال أخبرني عبد الله بن الحارث عن إبراهيم بن عبد السلام عن الحسين بن الضّحّاك قال : دخلت أنا ومحمّد بن عمرو الروميّ دارَ المعتصم ، فخرج علينا كالحاً . قال : فتوهّمنا أنّه أراد النِّكاح فعجز عنه . قال : وجاء إيتاخُ فقال : مخارِقٌ وعلويه وفلان وفلان من أشباههما بالباب ؛ فقال : اعْزُبْ عنّي ، عليك وعليهم لعنة الله ! . قال : فتبسَّمتُ إلى محمّد بن عمرو ؛ وفهم المعتصم تبسّمي فقال لي : ممّ تبسّمتَ ؟ فقلت : من شيء حضَرني ؛ فقال : هاتِه ؛ فأنشدتُه[2] : [من مجزوء الخفيف]

صوت

انْـفِ عـن قلبك الحَزَنْ بـاقترابٍ مـن السَّكَنْ
وتمتَّـعْ بكَـرٍّ طَـرْ فـك في وجهـه الحَسَنْ
إنّ فيـه شفـاءَ صـد رك مـن لاعِـجِ الحَزَنْ

قال : فدعا بألفي دينار : ألفٍ لي وألفٍ لمحمّد ، فقلتُ : الشعر لي ، فما معنى الألف لمحمّد بن عمرو ؟ قال : لأنّه جاءنا معك . ثم أذِن لمُخارِقٍ وعَلّويه فدخلا ، فأمرهما بأن يغنّيا فيه ففعلا ، فما زال يعيد هذا الشعر ، ولقد قام ليبولَ فسمعتُه يردّده .

الغناء في هذا الشعر اشترك فيه مخارق وعَلّويه وهو من الثقيل الأوّل بالبنصر .

[أحبُّ غلام أبي كامل المهنّد]

أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمّد بن محمّد بن مروان قال : كان الحسين بن الضّحّاك عند أبي كامل المهندس وأنا معهم حاضر ، فرأى خادماً فاستحسنه وأعجبه . فقال له بعض أصحابه : أتحبّه ؟ قال : نعم والله ؛ قال : فأعلِمْه ؛ قال : هو أعلم بحبّي له منّي به . ثم قال[3] : [من المقتضب]

1 ل : فتدرعتها .
2 شعره : 109 .
3 شعره 123 عن الأغاني .

عالـــمٌ بحبِّيـــهِ مُطْرِقٌ مـــن التِّيـــهِ
يوسفُ الجمالِ وفـر عـــونُ في تَعَدِّيـــهِ
لا وحقِّ مـا أنا مِنْ عَطْفِـــه أُرَجِّيـــهِ
مـــا الحيـــاة نافعـةٌ لي عـــلى تأبِّيـــهِ
النعيـــمُ يشغَلُـــه والجمـــالُ يُطْغِيـــهِ
فهـــو غير مُكتـــرثٍ للـــذي أُلاقِيـــهِ
تائـــهٌ تُزهِّـــدُه فيَّ رغبتـــي فيـــهِ

قال محمَّد بن محمَّد : وغنَّى في هذا الشعر عمرو بن بانة وعَريبٌ وسُلَيمٌ وجماعةٌ من المغنِّين .

[شعره في أمرىء ينتف لحيته]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضَّحّاك صديق وكان يتعشَّق جاريةً مغنِّيةً ، فزاحمَه فيها غلامٌ كان في مُرُودته حسنَ الوجه ؛ فلمّا خرجتْ لحيتُه جعل ينتِف ما يَخْرج منها ؛ ومالت القَيْنةُ إليه لشَبابه ؛ فشكا ذلك إلى الحسين بن الضَّحّاك وسأله أن يقول فيها شعراً فقال[1] : [من البسيط]

خَلِّ الذي عنكَ لا تَسْطيعُ تدفعُه يا مَن يُصارِع من لا شكَّ يَصْرَعُه
جاءت طرائقُ شَعْرٍ أنت ناتفُها فكيف تَصْنَع لو قد جاء أَجْمعُه[2]
اللهُ أكبرُ لا أَنْفَـكُّ مـن عَجَبٍ أأنت تحصُد ما ذو العرشِ يزرعه
تَبّاً لسعيك بـل تَبّاً لأُمِّك إذ تَرْعى حِمىً خالقُ الأَحْماء يَمنعُه

وقال فيه أيضاً[3] : [من مجزوء الكامل]

ثَكِلَتْكَ أُمّكَ يـا ابن يوسفْ حَتَّامَ وَيْحَـك أنـت تَنْتِفْ
لـــو قـــد أتـــى الصيفُ الذي فيـه رؤوس النـــاس تُكْشَفْ
فكشفـــتَ عـــن خدَّيـكَ لي لكشفتَ عن مثـلِ المُفَوَّفْ[4]

1 شعره : 72 .
2 ناتفها في مجموع شعره : تنتفها .
3 شعره : 78 .
4 المفوف : الذي فيه خطوط بيض على الطول .

أو مثـــلِ زَرْعٍ نالــه الـــ ـــيَرَقانُ أو نَكْبـاءُ حَرْجَفْ[1]
فغـــدا عليـــــه الزارعـو ن ليَحْصُدوه وقــد تقصَّفْ
فظَلِلْـتَ تـأسَف كالأُلـــى أسِفـوا ولم يُغْـــنِ التاسُّفْ

[صالح بن الرشيد يشتري غلاماً]

حدَّثني عليّ بن العبّاس قال حدَّثني عُمَيْر بن أحمد بن نَصْر الكُوفيّ قال حدَّثني زيد بن محمَّد شيخنا قال : قلت لحسين بن الضّحّاك وقد قدِم إلينا الكوفةَ : يا أبا عليّ شهَّرتَ نَفسَك وفضحتها في خادم ، فألاّ اشتريتَه ! فقال : فديتُك ؛ إنّ الحبَّ لَجاجٌ كلّه ، وكنتُ أحببتُ هذا الخادم ووافقني على أن يَسْتبيع لأشتريَه . فعارضني فيه صالح بن الرشيد فاختلسه منّي ولم أقدِر على الانْتصاف منه ، وآثَره الخادمُ واختاره ، وكِلانا يحبُّه إلاّ أنّ صالحاً يُناك ولا أُناك والخادمُ في الوسط بلا شغل . فضحكتُ من قوله ، ثم سألتُه أن يُنْشدَني شيئاً من شعره ، فأنشدني[2] : [من الخفيف]

إنّ مــن لا أرى وليس يَراني نُصْبَ عينـي مُمَثَّـلٌ بالأماني
بأبي مــن ضميرُه وضميري أبــداً بالمَغِيــبِ يَنْتجِيــانِ
نحن شخصانِ إن نظرتَ ورُوحا نِ إذا مـا اختبرتَ يمتزجانِ
فإذا مـا هَمَمتُ بالأمر أو هَمّ بشيء بدأتُـــه وبَـــداني
كان وَفْقاً مـا كان منه ومنّي فكأنّـي حَكَيتُـــه وحكاني
خطراتُ الجفون منّـا سَواءٌ وسواءٌ تحــرُّكُ الأبـــدانِ

فسألته أن يحدِّثني بأسرِّ يومٍ مرَّ له معه ، فقال : نعم اجتمعنا يوماً فغنَّى مغنٍّ لنا بشعر قلتُه فيه فاستحسنه كلُّ مَن حضر ، ثم تغنَّى بغيره ؛ فقال لي : عارِضْه ؛ فقلتُ : بقُبلةٍ فقال : هي لك ، فقبّلتُه قبلة وقلت[3] : [من المنسرح]

فدّيتُ من قــال لي على خَفَرِهْ وغضَّ مــن جَفْنِه على حَوَرِهْ :
سمِّـع بـي شعرُك المَليحُ فما ينفكُّ شادٍ بـــه على وَتَرِهْ
حسبُك بعضُ الذي أذعتَ ولا حَسْبَ لصَبٍّ لم يَقْضِ من وَطَرِهْ

1 النكباء الحرجف : الريح الباردة .
2 شعره : 112 .
3 شعره : 63 من الأغاني .

وقلتُ يا مستعيرَ سالفةِ الخِشْـ ـفِ وحسنِ الفُتُورِ من نَظَرِهْ
لا تُنكِرنّ الحَنِينَ من طَرِبٍ عـاودَ فيكَ الصِّبا على كِبَرِهْ

[ملاطفة غلام أبي عيسى]

حدَّثني الصُّوليّ وعليّ بن العبّاس قالا حدَّثنا المغيرة بن محمَّد المهلّبيّ قال : كان حسين بن الضّحّاك يتعشَّق خادماً لأبي عيسى أو لصالح بن الرشيد أخيه ؛ فاجتمعا يوماً عند أخي مولى الخادم ، فجعل حسينٌ يشكو إليه ما به فلا يسمع به[1] ويكذِّبه ؛ ثم سكَن نِفارُه وضحك إليه وتحدّثا ساعة . فأنشدنا حسين قولَه فيه[2] : [من البسيط]

سائلْ بطَيْفِكَ عن ليلى وعن سَهَري وعن تَتابُعِ أنفاسي وعن فِكَري
لم يَخْلُ قلبي من ذِكراكَ إذ نظرتْ عيني إليكَ على صَحْوي ولا سَكَرِي
سَقْياً ليـوم سروري إذ تُنازِعني صفوَ المدامةِ بـين الأُنْسِ والخَفَرِ
وفضـلُ كأسك يأتينـي فأشربُه جَهْراً وتشربُ كأسي غيرَ مستترِ
وكيف أُشْمِلُـه لَثْمـي وأُلْزِمـه نحري وترفَعـه كفِّي إلى بصري
فليتَ مدّةَ يومي إذ مضى سلَفـاً كانت ومـدّةَ أيّامي عـلى قَدَرِ
حتى إذا مـا انطوتْ عنّا بشاشتُه صِرْنا جميعاً كذا جارَيْن في الحُفَرِ

[صالح بن الرشيد وغلام أخيه]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كان صالح بن الرشيد يتعشَّق غلاماً يسمَّى يُسْراً خادمَ أخيه أبي عيسى ، فكان يُراوده عن نفسه فيَعِدُه ولا يَفي له . فأرسله أبو عيسى ذاتَ يومٍ إلى صالحٍ أخيه في السَّحَر يقول له : يا أخي إنّي قد اشتهيتُ أن أصْطَبِحَ اليوم ، فبحياتي لَما ساعدتَني وصرْتَ إليّ لنصطبحَ اليوم جميعاً . فسار يُسْرٌ إلى صالح أخيه في السَّحَر وهو مُنْتَشٍ قد شرب في السَّحَر ، فأبلغه الرسالةَ ؛ فقال : نعم وكَرامة ، اجلسْ أوّلاً فجلس ؛ فقال : يا غلام أحضِرني عشرة آلاف درهم فأحضرها ؛ فقال له : يا يُسْر دَعْني من مواعيدك ومَطْلك ، هذه عشرةُ آلاف درهم فخُذْها واقْضِ حاجتي ، وإلاّ فليس هاهنا إلاّ الغَصْب ؛ فقال له : يا سيِّدي ؛ إنّي أقضي الحاجةَ ولا آخذ المال . ثم فعل ما أراد وطاوَعه ، فقضى حاجتَه ، وأمر صالحٌ بحمل العشرة الآلاف الدرهم معه . قال الحسين :

1 لعلّها : له .
2 شعره : 62–63 عن الأغاني .

ثم خرج إليّ صالح من خَلْوته فقال : يا حسين ، قد رأيتَ ما كنّا فيه ، فإن حضرك شيءٌ فقُل ؛ فقلت[1] : [من الهزج]

صوت

أيا مَنْ طَرْفُه سِحْرُ ... ومَنْ ريقتُه خمرُ
تجاسرتُ فكاشفتُـ ... ـك لمّا غُلِب الصبرُ
وما أحْسنَ في مثلـ ... ـك أن يَنْهتك السِّتْرُ
وإنْ لامنيَ النَّاسُ ... ففي وجهك لي عذرُ
فدَعْني من مَواعِيدِ ... ك إذ حيَّنك الدَّهرُ
فلا واللهِ لا تبر ... حُ أو ينقضيَ الأمرُ
فإمّا الغصْبُ والذمّ ... وإمّا البذلُ والشكرُ
ولو شئتَ تيسَّرتَ ... كما سُمِّيتَ يا يُسْرُ
وكن كاسمك لا تَمْنـ ... ـعُكَ النَّخْوةُ والكِبْرُ
فلا فُزْتُ بحَظِّي منـ ... ـك إن ذاع له ذكرُ

قال الحسين : فضحك ثم قال : قد لعَمْري تيسَّر يُسْرٌ كما ذكرتَ . فقلت : نعم ومَنْ لا يتيسَّر بعد أخذه الدِّيَةَ ؟ لو أردتَني أيضاً بهذا لتيسَّرتُ . فضحك ثم قال : نُعطيك يا حسين الدِّيَةَ لحضورك ومساعدتِك ، ولا نُريدك لما أردنا له يُسْراً ، فبئستِ المطيّةُ أنت ؛ وأمر لي بها . ثم أمر عَرِيبَ بعد ذلك فغنَّتْ في بعض هذا الشعر .

[شعره في غلام عبد الله بن العبّاس الربيعيّ]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مَرْوان قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مصطبحٌ وخادمٌ له يَسْقِيه ؛ فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سَقْيَ هذا الغلام ، فإن حضرك شيءٌ في قصّتنا هذه فقُل ؛ فقلتُ[2] : [من المنسرح]

أحْيَتْ صَبُوحي فُكاهةُ اللاَّهي ... وطاب يومي لقرب أشباهي

---

1 شعره : 54–55 عن الأغاني وتنسب هذه الأبيات مع بعض اختلاف وزيادات إلى أبي نواس ، ديوانه (الغزالي) : 336 .

2 شعره : 122–123 وسترِد هذه الأبيات فيما بعد من الأغاني في قصّة مع الواثق ثم في ترجمة عبد الله بن العبّاس الربيعيّ .

فاستَثِر اللهوَ من مَكامِنه ... من قبل يومٍ منغِّصٍ ناهي
بابنةِ كَرْمٍ من كفّ مُنْتطِق ... مؤتزرٍ بالمُجُون تَيَّاهِ[1]
يَسْقيكَ من طَرْفِه ومن يده ... سَقْيَ لطيفٍ مجرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربَها ... حيرانُ بين الذُّكُور والساهي

قال : فاستحسنه عبد الله ، وغنّى فيه لحناً مليحاً ، وشربنا عليه بقيّةَ يومنا .

[سكر فجمش يسراً فهدّده بخنجره فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المَخْزوميّ قال حدّثني أبي قال : خرج حسين بن الضّحّاك إلى القُفْص[2] متنزّهاً ومعه جماعةٌ من إخوانه ظرفاءِ . وبلَغ يُسْراً الخادمَ خروجُه ، فشدَّ في وسَطه خِنْجَراً وخرج إليه فجاءه وهو على شرابه على غَفْلة ؛ فسُرَّ به حسين وتلقّاه وأقام معه إلى آخر النهار يشربان . فلمّا سكِرا جمَّشَه حسين ؛ فأخرج خَنجَره عليه وعَرْبَد ؛ فأمسك حسينٌ وعاد إلى شرابه ، وقال في ذلك[3] : [من المنسرح]

جَمّشتُ يُسْراً على تسكُّرِه ... وقد دَهاني بحُسْن منظَرِه
فهَمَّ بالفَتْك بي فناشَده ... فيَّ كريمٌ من خيرِ مَعْشَرِه
يا مَنْ رأى مثلَ شادِنٍ خَنِثٍ ... يَصُول في خِدْره بزُوَّرِه
يسحَب ذيلَ القميص صَعْتَرَه ... وواردات من هُدْب مِئْزَرِه[4]
ولا يُعاطي نديمَه قدحاً ... إلاّ بإبهامِه وخِنْصَرِه
أخاف من كِبْره بوادرَه ... أدالني اللهُ من تكَبُّرِه
قد قلتُ للشَّرْب إذ بَدا فُضُلا ... في رَيْطَتَيْه وفي مُمَصَّرِه[5]
وَيْلي على شادنٍ توعَّدني ... بسَلِّ سِكِّينِهِ وخَنْجَرِه
أما كفاه ما حَزّ في كبدي ... بسِحْر أجفانِه ومَحْجِرِه
إذا نسيمُ الرِّياح قابَلَنا ... بالطِّيبِ من مسكه وعنبرِه
هَزَّ قَواماً كأنّه غُصُنٌ ... وارتَجَّ ما انحطَّ من مُخَصَّرِه

1 بالمجون في ل : بالسكون .
2 القفص : إحدى قرى بغداد .
3 شعره : 63–64 عن الأغاني .
4 صعتره : زينته . واردات : متدلّيات .
5 الريطة : الملاءة . الممصر : مصبوغ بحمرة خفيفة .

[شعر له في يسر مرّة أخرى]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض قال حدّثني أبي قال : حضرتُ حسينَ بن الضّحّاك يوماً وقد جاءه يسرٌ فجلس عنده وأخذنا نتحدّث مَلِيّاً ثم غازله حسينٌ ، فقال له يسر : إيّاك والتعرّضَ لي ، واربُحْ نفسَك ؛ فقال حسين[1] : [من المديد]

صوت

أيُّها النَّفّاثُ في العُقَدِ ... أنا مَطْوِيٌّ على الكَمَدِ
إنّما زَخْرَفْتَ لي خُدَعاً ... قدَحتْ في الرُّوحِ والجَسَدِ
هاتِ يا خَدَّاعُ واحدةً ... من كثيرٍ قلتَه وقَدِي[2]
ليت شِعري بعد حَلْفك لي ... بوفاء العهد بعد غدِ
ما الذي بالله صيَّره ... بعد قربٍ في مَدى الأبدِ
ما لأُنْسٍ كان مُبْتَذَلاً ... منك لي بالأمس لم يَعُدِ
إيهِ قُلْ لي غيرَ مُحتَشِمٍ ... هل دَهاني فيك من أحدِ
حبَّذا والكأسُ دائرةٌ ... لَهْوُنا والصَّيْدُ بالطَّرَدِ
وحديثٌ في القلوب له ... أُخَذٌ يَصْدَعْنَ في الكبدِ[3]
يومَ تُعْطِيني وتأخذها ... دون نَدْماني يداً بيدِ
فإذا أُلويت هيَّجني ... تَلَعٌ من ظبية البلدِ
وإذا أُصغيتُ ذكَّرني ... نَشْرَ كافورٍ على بَرَدِ
ذاك يومٌ كان حاسدُنا ... فيه معذوراً على الحَسَدِ

[المعتصم يسكر على شعره]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد المهلّبيّ قال حدّثنا عمرو بن بانة قال : خرجنا مع المعتصم إلى الشام لمّا غزا ؛ فنزلنا في طريقنا بدَيْر مُران[4] ، وهو دير على تَلْعةٍ مُشْرِفة عالية تحتها مُروجٌ ومياهٌ حسنة ، فنزل فيه المعتصم فأكل ونشِط للشرب ودعا بنا ؛ فلمّا شربنا أقداحاً قال لحسين بن الضّحّاك : أين هذا المكان من ظهر بغداد ؟ فقال : لا أين يا أمير المؤمنين ؛ والله

1 شعره : 48–49 .
2 قدي : حسبي .
3 أخذ : جمع أخذه وهي الرقية .
4 دير مران : قرب دمشق .

لبعضُ الغِياض والآجام هناك أحسنُ من هنا ؛ قال : صدقتَ والله ، وعلى ذلك فقل أبياتاً يُغَنّ فيها عمرٌو ؛ فقال : أمّا أن أقول شيئاً في وصف هذه الناحية بخير فلا أحسَب لساني ينطِق به ، ولكنّي أقول متشوّقاً إلى بغداد ، فضحك وقال قلْ ما شئتَ[1] : [من البسيط]

صوت

يا دَيْرَ مِدْيانَ لا عُرِّيتَ من سَكَنٍ ... هيَّجْتَ لي سَقَماً يا دَيْرَ مِدْيانا[2]

هـل عند قَسٍّك من علم فيخبرَنا ... أم كيف يُسْعِفُ وجهُ الصبر من بانا

حُثَّ المُدامَ فإنّ الكأسَ مُتْرَعةً ... ممّـا يَهِيجُ دَواعي الشوقِ أحيانا

سَقْياً ورَعْياً لكَرْخايـا وساكِنها ... وللجُنينة بالرَّوْحـاء مَـنْ كانا[3]

فاستحسنها المعتصم ، وأمرني ومخارِقاً فغنّينا فيها وشرِب على ذلك حتى سكِر ، وأمر للجماعة بجوائز .

لحن عمرو بن بانة في هذه الأبيات رَمَل ، ولحن مُخارِق هَزَجٌ ، ويقال : إنّه لغيره .

[مع خادم أبي عيسى]

أخبرني الصُّوليّ قال حدّثنا يزيد بن محمّد قال : كان حسين بن الضّحّاك يميل إلى خادم لأبي عيسى بن الرشيد ؛ فعبِث به يوماً على سكر ؛ فأخذ قِنّينةً فضرب بها رأسه فشَجَّه شَجَّةً مُنْكَرَةً ؛ وشاع خبرُه وتوجَّع له إخوانه وعُولج منها مدّةً ، فجفا الخادمَ واطّرحه وأبغضه ولم يَعْرِض له بعدها . فرآه بعد ذلك في مجلس مولاه فعبِث به الخادمُ وغازَله . فلمّا أكثر ذلك قال له الحسين[4] : [من الطويل]

صوت

تَعَزَّ بيـأسٍ عـن هـواي فإنّني ... إذا انصرفتْ نفسي فهيهات عن رَدّي

إذا خُنْتُمُ بالغيب ودِّي فما لكم ... تُدِلُّـون إدْلالَ المُقِيـم على العهدِ

ولي منك بُـدٌّ فاجتنِبْني مُذَمَّماً ... وإن خلتَ أنّي ليس لي منك من بُدّ

الغناء في هذه الأبيات لعمرو بن بانة ، وله فيه لحنان رملٌ وخفيف رمل .

---

1 شعره : 185–186 مع أبيات أخرى لم ترد هنا .

2 مديان في ل : مران . سكن في ل : سقم . وإن قرأت «سقم» كان الخطاب منصرفاً إلى دير مران ، وإلاّ فإنّ الخطاب تشوق إلى دير مديان قرب بغداد على نهر كرخايا الذي كان يصبّ في دجلة قبل جفافه .

3 الروحاء : من قرى بغداد .

4 شعره : 45–46 وهي قصيدة طويلة (عن الموشى) اجتزأ منها أبو الفرج هذه الأبيات الثلاثة .

[هنّأ الواثق بالخلافة فأجازه]

حدَّثني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثني عبد الله بن المؤمّل العسكريّ قال : لمّا ولِيَ الواثقُ الخلافةَ جلس للناس ودخل إليه المهنّئون والشُّعراءُ فمدحوه وهنّأوه ؛ ثم استأذن حسينُ بن الضّحّاك بعدهم في الإنشاد ، وكان[1] من الجُلَساء فترفَّع عن الإنشاد مع الشعراء ، فأُذِن له ؛ فأنشده قوله[2] : [من المتقارب]

أُكاتِم وَجْـدِي فما يَنْكَتِمْ ... بِمَنْ لـو شكوتُ إليه رَحِمْ
وإنّـي على حسن ظنّـي بـه ... لأَحْذَر إن بُحْتُ أن يَحْتَشِمْ
ولي عنـد لَحْظتـه رَوْعـةٌ ... تُحَقّـق مـا ظَنّـه المُتّهِمْ
وقـد علِـم الناسُ أنّي لـه ... مُحِـبٌّ وأحسَبه قـد عَلِمْ

وفي هذا رَمَلٌ لعبد الله بن العبّاس بن الرَّبيع .

وإنّـي لَمُغْضٍ عـلى لوعـةٍ ... من الشَّوقِ في كَبِدي تضْطَرِمْ
عشيّةَ ودَّعـتُ عـن مقلـةٍ ... سَفُوحٍ وزفرةِ قلـبٍ سَدِمْ[3]
فمـا كان عند النّوى مُسْعِدٌ ... سوى العينِ تمزُج دمعاً بدَمْ[4]
سيذكر مَـنْ بَـان أوطانَـه ... ويَبْكي المقيمـين مـن لم يُقِمْ

وقال فيها يصف السفينة :

إلى خـازنِ الله في خَلْقـه ... سراج النَّهـار وبَـدْرِ الظُّلَمْ
رحلنـا غَرابيـبَ زفَّافـةً ... بدِجْلـةَ في مَوْجهـا المُلْتَطِمْ[5]
إذا مـا قصدْنـا لقاطُولِها ... ودُهْـمُ قَراقِيرهـا تَصْطَدِمْ[6]
سكنـاً إلى خير مسكونـةٍ ... تيمَّمهـا راغـبٌ مـن أُمَمْ[7]

1 ل : وكأنّه .
2 شعره : 96–98 وانظر معجم الأدباء (عباس) 3 : 1068–1069 .
3 السدم : الندم والحزن .
4 شعره : «سوى الدمع يغسل طرفاً قد كلم» وكذا في معجم الأدباء .
5 الغرابيب : نوع من القوارب السوداء . زفافة : مسرعة .
6 القراقير : السفن الطويلة .
7 من أمم : من قرب . وفي معجم الأدباء «يتممها راغب أو ملمّ» .

مباركـــةٌ شاد بنيانَهـــا بخير المواطـــنِ خيرُ الأُمَمْ
كأنّ بهـا نَشْرَ كافـــورةٍ لبَرْد نَداهـا وطِيـبِ النَّسَمْ
كظهر الأَديم إذا مـا السحا بُ صاب على مَتْنِها وانسَجَمْ
مُبَرَّأة مـن وُحُـول الشتـاء إذا مـا طَمى وحلُـه وارتَكَمْ
فمـا إنْ يـزال بهـا راجـلٌ يمـرّ الهُوَيْنـى ولا يلتطِـمْ
ويَمشي عـلى رِسْلـه آمنـاً سليـمَ الشِّراك نقـيَّ القدمْ
وللنُّـون والضَّبّ في بطنها مراتـعُ مسكونـةٌ والنَّعَـمْ[1]
غـدوتُ على الوَحْش مغترّةً رواتـعَ في نَوْرهـا المنتظمْ
ورُحـتُ عليهـا وأَسرابُهـا تَحُـوم بأكنافهـا تَبْتَسِمْ

ثم قال يمدح الواثق :

يَضيق الفضاءُ بـه إن غدا بطَوْدَيْ أَعاريبـه والعجمْ
تـرى النصرَ يقـدُم راياتِـه إذا مـا خفَقْن أَمـام العلمْ
وفي الله دوخ أعـــداءه وجـرّد فيهـم سيوفَ النِّقَمْ
وفي الله يكظِم مـن غيظـه وفي الله يصفَح عمَّن جَرَمْ[2]
رأى شِيَمَ الجـودِ محمودةً ومـا شِيَمُ الجود إلاّ قِسَمْ
فـراح على «نَعَمٍ» واغتدى كأنْ ليس يُحسن إلاّ نَعَمْ

قال : فأمر له الواثق بثلاثين ألف درهم ، واتّصلت أيّامُه بعد ذلك ، ولم يزل من نُدَمائه .

[أرتج عليه عند الواثق ثم قال]

حدَّثني أحمد بن العبّاس قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثني مهديّ بن سابق قال : قال الواثق لحسين بن الضّحّاك : قُل الساعةَ أبياتاً مِلاحاً حتى أَهَبَ لك شيئاً مليحاً ؛ فقال : في أيّ معنى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : امْدُدْ طَرْفك وقُل فيما شئت ممّا ترى بين يديك وصِفْه . فالتفتُّ فإذا ببساط زهرُه قد تفتّحتْ أنواره وأشرق في نُور الصبح ؛ فأُرْتِج عَليّ ساعةً حتى خجِلْتُ وضِقْتُ ذَرْعاً . فقال لي الواثقُ : ما لك وَيْحَك ! ألستَ ترى نُورَ صَباح ، ونَوْر

1 النون والضب : كناية عن حاصلات البحر والبرّ .
2 معجم الأُدباء : عمن ظلم .

أقاح ! فانفتح القولُ فقلت[1] : [من المتقارب]

ألستَ ترى الصبحَ قد أسْفرا ومُبْتكِرَ الغيث قد أمْطرا
وأسفرتِ الأرضُ عن حُلّة تُضاحِكُ بالأحمر الأصفرا
ووافاكَ نَيْسانُ في ورده وحَثَّك في الشُّرْب كي تَسْكَرا
وتُعْمِل كأسين في فِتْيةٍ تُطارِد بالأصغر الأكبرا
يَحُثُّ كؤوسَهمُ مُخْطَفٌ تُجاذِبُ أردافُه المِئْزَرا
ترجَّل بالبانِ حتى إذا أدار غدائرَه وفَّرا[2]
وفضَّضَ في الجُلَّنارِ البَها رَ والآبُوسَةَ والعَبْهرا
فلمّا تمازَج ما شَذَّرتْ مَقاريضُ أطرافِه شذّرا
فكلٌّ يُنافِس في بِرِّه ليفعل في ذاتِه المُنْكَرا

قال : فضحك الواثقُ وقال : سنستعمل كلَّ ما قلتَ يا حُسَين إلاّ الفِسقَ الذي ذكرتَه فلا ولا كرامةَ . ثم أمر بإحضار الطعام فأكل وأكلوا معه . ثم قال : قوموا بنا إلى حانَة الشَّطّ فقاموا إليها ، فشرب وطرِب ، وما ترك يومئذٍ أحداً من الجلساء والمغنّين والحَشَم إلاّ أمر له بصلة . وكانت من الأيّام التي سارت أخبارها وذُكرت في الآفاق .

[شعره في حانة الشط]

قال حسين : فلمّا كان من الغد غدوتُ إليه ؛ فقال : أنشدني يا حسين شيئاً إن كنت قلتَه في يومنا الماضي ، فقد كان حسناً ؛ فأنشدته[3] : [من البسيط]

صوت

يا حانةَ الشَّطِّ قد أكرَمْتِ مَثْوانا عُودِي بيومِ سرورٍ كالذي كانا
لا تُفْقِدينا دُعاباتِ الإمام ولا طِيبَ البَطالةِ إسراراً وإعلانا
ولا تَخالُعَنا في غير فاحشةٍ إذا يطرِّبنا الطُّنْبورُ أحيانا
وهاج زَمْرُ زُنامٍ بين ذاك لنا شَجْواً فأهْدى لنا رَوْحا ورَيْحانا[4]

1 شعره : 65-66 .
2 ترجل : تمشط . وفّر : أرسل شعره على أُذنيه .
3 شعره : 167 .
4 زنام : اسم زمار حاذق خدم كلاًّ من الرشيد والمعتصم والواثق .

وسَلْسَلَ الرّطلَ عمرٌو ثـم عـمَّ بـه السُّـــقْيَـــا فألْحَقَ أُولانـــا بـأُخرانا
سَقْياً لشكلِك من شكل خُصِصتِ به دون الدَّساكر مـن لَـذّات دنيانا
حَفَّـتْ رياضَك جَنّـاتٌ مجـاوِرةٌ في كلِّ مُخْتَـرَقٍ نهـراً وبستانا
لا زلـتِ آهلـةَ الأوطـان عامـرةً بأكـرم النـاس أعْراقـاً وأغصانا

قال : فأمر له الواثق بصلة سنيّة مجدَّدَة ، واستحسن الصوتَ ، وأمر فَغُنِّي في عدّة أبيات منها . غنّت فَريدة في البيتين الأوّلين من هذه الأبيات ، ولحنُها هَزَج مطلَقٌ .

[مخاصمته أبا شهاب]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : اجتمعتُ أنا وحسين بن الضّحّاك وأبو شهاب الشاعر وهو الذي يقول : [من المتقارب]

لقـد كنـتُ ريحانةً في النَّدِيّ وتُفّاحـةً في يـد الكاعِـبِ

وعمرو بن بانة يُغَنِّيها . فتذاكرْنا الدَّوابَّ ، واتّصل الحديثُ إلى أن تلاحى حسين وأبو شهاب في دابّتيهما وتراهنا على المسابقة بهما ، فتسابقا فسبَقَه أبو شهاب . فقال حسين في ذلك[1] : [من المديد]

كُلُـوا واشربوا هُنِّئتُم وتمتَّعوا وعيشوا وذُمّوا الكَودَنين جميعاً
فأقسم ما كان الذي نال منهما مَدى السبق إذ جَدّ الجِراءُ سريعا

وهي قصيدة معروفة في شعره . فقال أبو شهاب يجيبه : [من المديد]

أيا شاعر الخُصْيانِ حاولتَ خُطَّةً سُبِقْتَ إليهـا وانكفـأتَ سريعا
تُحـاول سبقي بالقَريض سَفاهـةً لقد رمتَ ، جهلاً ، من حِمايَ مَنيعا

وهي أيضاً قصيدة . فكان ذلك سبَب التباعد بينهما . وكنّا إذا أردنا العبثَ بحسين نقول له : أيا شاعر الخُصْيان ، فيُجَنّ ويشتُمنا .

[يفسد بين أحد جند الشام وعشيقته]

حدَّثني جعفر قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : كان يألفني إنسانٌ من جُنْد الشام عجيب الخِلْقة والزِّيّ والشكل غليظٌ جِلْفٌ جافٍ ، فكنتُ أحتمل ذلك كلّه له ويكون حظّي التعجّبَ به ، وكان يأتيني بكتب من عشيقة له ما رأيتُ كتباً أحلى منها ولا أظرف ولا أبلغَ ولا أشْكَلَ من معانيها ، ويسألني أن أُجيبَ عنها ؛

1 شعره : 77 وفيه أيضاً بيتا أبي شهاب عن الأغاني .

فأَجْهَد نفسي في الجوابات وأَصرفُ عنايتي إليها على علمي بأَنّ الشاميَّ بجهله لا يميّز بين الخطأ والصواب ، ولا يفرّق بين الابتداء والجواب . فلمّا طال ذلك عليّ حسدتُه وتنبّهتُ إلى إفساد حاله عندها . فسألتُه عن اسمها فقال : «بَصْبَص» . فكتبت إليها عنه في جواب كتابٍ منها جاءني به[1] : [من السريع]

أَرْقَصني حبُّك يا بَصْبَصُ والحبُّ يا سيِّدتي يُرْقِصُ
أَرْمَصْتِ أَجفاني بطول البكا فما لأَجفانك لا تَرْمَصُ[2]
وأَبي وجهُك ذاك الذي كأَنّه من حسنه عُصْعُصُ

فجاءني بعد ذلك فقال لي : يا أَبا عليّ ، جعلني الله فداءك ، ما كان ذنبي إليك وما أَردتَ بما صنعتَ بي ؟ فقلت له : وما ذاك عافاك الله ؟ فقال : ما هو إلاّ أَن وصل ذلك الكتاب إليها حتى بعثتْ إليّ : إنّي مشتاقة إليك ، والكتابُ لا ينوب عن الرؤية ، فتعالَ إلى الرَّوْشن[3] الذي بالقرب من بابنا فقِفْ بحياله حتى أَراك ؛ فتزيّنتُ بأَحسن ما قدَرتُ عليه وصرتُ إلى الموضع . فبينا أَنا واقفٌ أَنتظر مكلِّماً أَو مشيراً إليَّ إذا شيء قد صُبَّ عليّ فملأَني من قَرْني إلى قدمي وأَفسد ثيابي وسَرْجي وصيَّرني وجميعَ ما عليّ ودابَّتي في نهاية السَّواد والنَّتْن والقَذَر ، وإذا به ماءٌ قد خُلط ببول وسواد سِرْجين[4] ، فانصرفتُ بخِزْي . وكان ما مرَّ بي من الصبيان وسائرِ من مررتُ به من الضحك والطَّنْز[5] والصّياح بي أَغلظَ ممّا مرَّ بي ؛ ولحقني من أَهلي ومَنْ في منزلي شرٌّ من ذلك وأَوجعُ . وأَعظَمُ من ذلك أَنّ رُسُلَها انقطعتْ عنّي جملةً . قال : فجعلتُ أَعتذر إليه وأَقول له : إنّ الآفةَ أَنّها لم تفهم معنى الشعر لجودته وفصاحته ، وأَنا أَحمد الله على ما ناله وأُسِرُّ الشَّماتةَ به .

[يفضّل الذهاب إلى ابن بسخنر على الحسن بن رجاء]

أَخبرني أَحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون عن حسين بن الضّحّاك قال : كتب إليَّ الحسن بن رَجاء في يوم شَكّ وقد أَمر الواثقُ بالإفطار ، فقال : [من الوافر]

هَزَزْتك للصَّبوح وقد نهاني أَميرُ المؤمنين عن الصّيامِ

---

1 شعره : 69 .
2 أرمص العين : جعل فيها قذى أبيض .
3 الروشن : النافذة .
4 السرجين : الزبل .
5 الطنز : السخرية .

وعندي من قِيان المصر عَشْرٌ تَطِيب بهنّ عاتقةُ المُدامِ
ومن أمثالهنّ إذا انتشينا تَرانا نجتني ثمرَ الغرامِ
فكُن أنتَ الجوابَ فليس شيءٌ أحبَّ إليَّ من حذف الكلامِ

قال : فوردت عليَّ رقعتُه وقد سبقه إليَّ محمَّد بن الحارث بن بُسْخُنّر ووجَّه إليَّ بغلام نظيف الوجه كان يَتحظَّاه ، ومعه ثلاثة غلمة أقران حسان الوجوه ومعهم رقعةٌ قد كتبها إليّ كما تُكْتب المناشير ، وختَمها في أسفلها وكتب فيها يقول[1] : [من مجزوء الرمل]

سِرْ على اسم الله يا أشـ ـكلَ من غصن لُجَينِ
في ثلاثٍ من بني الرو م إلى دار حسينِ
فاشْخِصِ الكهلَ إلى مو لاك يا قُرّةَ عيني
أَرِه العُنْفَ إذا استعـ ـصى وطالِبْه بدَيْنِ
ودَعِ اللفظَ وخاطِبْـ ـه بغمز الحاجبَيْنِ
واحْذَرِ الرَّجعة من وجـ ـهك في خُفَّيْ حُنَيْنِ

قال : فمضيت معهم ، وكتبتُ إلى الحسن بن رَجاء جواب رقعته[2] : [من الوافر]

دعوتَ إلى مماحكة الصّيامِ وإعمالِ المَلاهي والمُدامِ
ولو سبق الرسولُ لكان سعيي إليكَ ينوب عن طول الكلامِ
وما شوْقي إليك بدون شوقي إلى ثَمر التَّصابي والغرامِ
ولكن حلَّ في نفر عَسُوفٌ بمنشورٍ محلَّ المستهامِ
حسينٍ ، فاستباحَ له حريماً بطَرْف باعثٍ سبَب الحِمامِ
وأظهر نخوةً وسَطاً وأبْدى فَظاظتَه بتركٍ للسلامِ
وأزعجني بألفاظ غِلاظٍ وقد أعطيتُه طَرَفَيْ زِمامي
ولو خالفتُه لم يَخْشَ قتلي وقنّعني سريعاً بالحُسامِ

[لاعب الواثق بالنّرد وغازل خاقان خادمه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبيّ قال حدَّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدَّثني أبي قال : كان الواثق يلاعب حسين بن الضّحّاك بالنَّرْد وخاقانُ غلامُ الواثق واقفٌ على رأسه ،

1 انظر شعره : 102–103 .
2 شعره : 103 .

وكان الواثق يتحظّاه ، فجعل يلعبُ وينظر إليه . ثم قال للحسين بن الضّحّاك : إن قلتَ الساعةَ شعراً يُشبه ما في نفسي وهبتُ لك ما تفرَح به . فقال الحسين[1] : [من الطويل]

صوت

أُحبُّـك حبّـاً شابه بنصيحةٍ أبٌ لك مأمونٌ عليك شفيقُ
وأُقسم مـا بيني وبينك قُرْبةٌ ولكـنّ قلبـي بالحسان عَلُوقُ

فضحك الواثق وقال : أصبتَ ما في نفسي وأحسنت . وصنع الواثق فيه لحناً ، وأمر لحسين بألفَي دينار . لحن الواثق في هذين البيتين من الثقيل الأوّل بالوسطى .

[فضل نفسه على أبي نواس]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خَلاّد قال : أنشدني حسين بن الضّحّاك لنفسه[2] : [من البسيط]

بُدِّلتَ من نفحـات الورد بالآء ومن صَبُوحك دَرَّ الإبلِ والشاء[3]

حتى أتى على آخرها ، وقال لي : ما قال أحد من المُحْدَثين مثلَها . فقلت : أنت تحوم حول أبي نُواس في قوله : [من البسيط]

دَعْ عنك لومي فإنّ اللوم إغراءُ وداوِني بالتـي كانت هي الدّاءُ[4]

وهي أشعر من قصيدتك . فغضِب وقال : أَلي تقول هذا ! عليَّ وعليَّ إن لم أكن نِكْتُ أبا نواس ! فقلت له : دع ذا عنك ، فإنّه كلام في الشعر لا قَدْحٌ في نسب ، لو نِكتَ أبا نواس وأُمَّه وأباه لم تكن أشعَر منه . وأُحِبّ أن تقول لي : هل لك في قصيدتك بيتٌ نادر غيرُ قولك : [من البسيط]

فُضّت خَواتِمُها في نعـت واصفها عن مثل رَقْراقـةٍ في عين مَرْهاء

وهذه قصيدة أبي نواس يقول فيها : [من البسيط]

دارتْ على فِتْيةٍ ذَلّ الزمـانُ لهم فمـا أصابهـمُ إلاّ بمـا شاءوا

---

1 شعره : 83 .

2 انظر القصيدة في شعره : 19–23 وفيه تخريج لها .

3 الآء : نبات .

4 القصيدة في ديوانه .

صفراءُ لا تَنْزِل الأَحزانُ ساحتَها لـو مَسَّها حَجَـرٌ مسَّـه سَرَّاءُ
فأُرسِلتْ من فـم الإبريق صافيةً كأَنّمـا أَخذُهـا بالعقـل إغفاءُ

والله ما قدرت على هذا ولا تقدِر عليه ؛ فقام وهو مغضَب كالمُقِرّ بقولي .

[ابن مناذر يحكم له على أبي نواس]

حدَّثني الحسن قال حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني إبراهيم بن المدبّر قال حدَّثني أَحمد بن المعتصم قال : حجَّ أَبو نواس وحسين بن الضّحّاك فجمعهما الموسم ، فتناشدا قصيدتيهما : قولَ أَبي نواس : [من البسيط]

دَعْ عنك لومي فإنّ اللّومَ إغراءُ وداوِنـي بالتي كانت هـي الدّاءُ

وقصيدةَ حسين : [من البسيط]

بُدِّلتَ من نَفَحات الورد بالآء

فتنازعا أَيُّهما أَشعر في قصيدته ؛ فقال أَبو نواس : هذا ابن مُناذر حاضرٌ الموسمَ وهو بيني وبينك . فأَنشده قصيدته حتى فرغ منها ؛ فقال ابن مناذر : ما أَحسب أَنّ أَحداً يجيء بمثل هذه وهَمَّ بتفضيله ؛ فقال له الحسين : لا تَعْجَلْ حتى تسمع ؛ فقال : هات ؛ فأَنشده قوله : [من البسيط]

بُدِّلتَ مـن نَفَحات الورد بالآء ومـن صَبُوحك دَرَّ الإبل والشاء

حتى انتهى إلى قوله :

فُضَّتْ خواتمُها في نعت واصفها عن مثل رَقْراقةٍ في عـين مَرْهاء

فقال له ابن مناذر : حَسْبُك ، قد استغنيتَ عن أَن تزيد شيئاً ، والله لو لم تقل في دهرك كلِّه غيرَ هذا البيت لفضّلتُك به على سائر من وصف الخمر ؛ قم فأَنت أَشعر وقصيدتُك أَفضلُ . فحكم له وقام أَبو نواس منكسِراً .

[كثير بن إسماعيل يسترضي المعتصم بشعره]

أَخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد قال حدَّثني كثير بن إسماعيل التّحتكار قال : لمّا قدِم المعتصم بغداد ، سأَل عن ندماء صالح بن الرشيد وهم أَبو الواسع وقِنّينة وحسين بن الضّحّاك وحاتم الرّيش وأَنا ، فأُدخلنا عليه . فلشُؤْمي وشقائي كتبت بين عينيّ : «سيِّدي هَبْ لي شيئاً» . فلمّا رآني قال : ما هذا على جبينك ؟! فقال حمدون بن إسماعيل : يا سيّدي تطايَبَ بأَن كتب على جبينه : «سيِّدي هب لي شيئاً» ! . فلم يَسْتطِبْ لي ذلك ولا استملحه ، ودعا بأَصحابي من غد ولم يَدْعُ بي . ففزِعتُ إلى حسين بن

الضّحّاك ؛ فقال لي : إنّي لم أَحْلُلْ من أنسه بعدُ بالمحلّ الموجِبِ أن أشفع إليه فيك ، ولكنّي أقول لك بيتين من شعر وادفعهما إلى حمدون بن إسماعيل يوصلهما ، فإنّ ذلك أبلغُ . فقلتُ : أفْعَلُ . فقال حسين[1] : [من الرمل]

قُلْ لدنيا أصبحتْ تلعب بـي سلَّـط الله عليـك الآخـرهْ
إن أكـن أبـردَ مـن قِنّينةٍ ومـنْ الرِّيش فأُمّي فاجـرهْ

قال : فأخذتهما وعرَّفتُ حمدون أنّهما لي وسألته إيصالَهما ففعل ؛ فضحك المعتصم وأمر لي بألفيْ دينار واستحضرني وألحقني بأصحابي .

[ابن بسخنر والصبوح]

أخبرني عمّي قال حدّثني هارون بن محمّد بن عبد الملك قال قال لي أحمد بن حمدون : كان محمّد بن الحارث بن بُسْخُنَّر لا يرى الصَّبُوحَ ولا يُؤْثِر على الغَبُوق شيئاً ، ويحتجّ بأن من خدم الخلفاء كان اصطباحُه استخفافاً بالخدمة ، لأنّه لا يأمن أن يُدعى على غفلة والغبوقُ يُؤمِّنه من ذلك ، وكان المعتصم يحبُّ الصبوح ؛ فكان يُلقّب ابنَ بُسْخُنَّر الغَبُوقيَّ . فإذا حضر مجلسَ المعتصم مع المغنّين منعه الصَّبُوح وجمع له مثلَ ما يشرب نظراؤه ، فإذا كان الغبوقُ سقاه إيّاه جملةً غيظاً عليه ؛ فيَضِجُّ من ذلك ويَسأل أن يُترك حتى يشرب مع النّدماء إذا حضروا فيمنعه ذلك . فقال فيه حسين بنِ الضّحّاك وفي حاتم الرِّيش الضَّرّاط وكان من المضحكين[2] : [من المتقارب]

حُـبّ أبـي جعفر للغَبُوق كقُبْحِـك يـا حاتِمٌ مُقْبِلا
فـلا ذاك يُعْـذَر في فعلـه وحقُّـك في النـاس أن تُقتلا
وأشبـه شيء بمـا اختاره ضُراطُك دونَ الخَلا في المَلا

[يستعطف أبا أحمد بن الرشيد]

حدّثني محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا محمّد بن عليّ بن حمزة قال : مزَح أبو أحمد بن الرشيد مع حسين بن الضّحّاك مُزاحاً أغضبه ، فجاوبَه حسين جواباً غضِب منه أبو أحمد أيضاً . فمضى إليه حسين من غَدٍ فاعتذر إليه وتنصّل وحلف ؛ فأظهر له قبولاً لعذره . ورأى ثِقَلاً في طَرْفه وانقباضاً عمّا كان يعهده منه ؛ فقال في ذلك[3] : [من الكامل]

---

1 شعره : 68 .
2 شعره : 94 عن الأغاني .
3 شعره : 57 .

لا تَعْجَبَنّ لَمَلّةٍ صرَفتْ وجـهَ الأمير فإنّـه بشرُ
وإذا نبا بـك في سَريرته عَقْدُ الضمير نبا بـك البصرُ

[صحبته للأمين وإكرامه له]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو محمَّد بن النشار قال : كان أبي صديقاً للحسين بن الضّحّاك وكان يعاشره ؛ فحمَلني معه يوماً إليه ، وجعل أبي يحادثه إلى أن قال له : يا أبا عليّ ، قد تأخّرتْ أرزاقُك ، وانقطعت موادّك ونفقتُك كثيرة ، فكيف يمشي أمرك ؟ فقال له : بلى والله يا أخي ، ما قِوامُ أمري إلاّ ببقايا هِباتِ الأمين محمَّد بن زُبَيدة وذخائره وهِباتِ جاريةٍ له ، لم يُسمِّها ، أغنتني للأبد لشيءٍ ظريف جرى على غير تعمُّد ؛ وذلك أنّ الأمين دعاني يوماً فقال لي : يا حسين ، إنّ جليسَ الرجل عشيرُه وثقتُه وموضعُ سرّه وأَمْنِه ، وإنّ جاريتي فلانةَ أحسنُ الناس وجهاً وغناء ، وهي منّي بمحل نفسي ، وقد كدّرتْ عليّ صفوَها ونغّصت عليّ النعمةَ فيها بعُجْبها بنفسها وتجنيها عليّ وإدلالِها بما تعلم من حبّي إيّاها . وإنّي مُحْضِرُها ومحضرٌ صاحبةً لها ليست منها في شيء لتغنّي معها . فإذا غنّتْ وأومأتُ لك إليها ، على أنّ أمرها أبيَنُ من أن يخفى عليك ، فلا تَسْتحسِنِ الغناءَ ولا تشرب عليه ؛ وإذا غنّت الأخرى فاشرب واطرَب واستحسن واشقُق ثيابك ، وعليّ مكانَ كلّ ثوب مائةُ ثوب . فقلت : السمعُ والطاعة . فجلس في حُجْرة الخَلْوة وأحضرني وسقاني وخلع عليّ ، وغنّت المحسنةُ وقد أخذ الشرابُ منّي ، فما تمالكتُ أن استحسنتُ وطربتُ وشربتُ ، فأومأ إليّ وقطّب في وجهي . ثم غنّتِ الأخرى فجعلتُ أتكلّف ما أقوله وأفعله . ثم غنّتِ المحسنةُ ثانيةً فأتت بما لم أسمع مثلَه قطّ حُسْناً ، فما ملكتُ نفسي أن صِحتُ وشربت وطربت ، وهو ينظر إليّ ويَعَضُّ شفَتَيْه غيظاً ، وقد زال عقلي فما أفكّر فيه ، حتى فعلتُ ذلك مراراً ؛ وكلّما ازداد شربي ذهب عقلي وزدتُ ممّا يكره ؛ فغضِب فأمضّني وأمر بجَرّ رجلي من بين يديه وصَرْفي فجُرِرْتُ وصُرِفتُ ، فأمر بأن أُحْجَب . وجاءني الناس يتوجّعون لي ويسألونني عن قصّتي فأقول لهم : حمل عليّ النبيذُ فأسأتُ أدبي ، فقوّمني أمير المؤمنين بصَرْفي وعاقَبَني بمنعي من الوصول إليه . ومضى لِما أنا فيه شهرٌ ، ثم جاءتني البِشارةُ أنّه قد رضي عنّي ، وأمر بإحضاري فحضَرتُ وأنا خائف . فلمّا وصلتُ أعطاني الأمين يدَه فقبّلتُها ، وضحك إليّ وقام وقال : اتبعني ، ودخل إلى تلك الحجرة بعينها ولم يحضر غيري . وغنّتِ المحسنةُ التي نالني من أجلها ما نالني فسكتُّ فقال لي : قُلْ ما شئتَ ولا تَخَفْ ؛ فشربتُ واستحسنتُ . ثم قال لي : يا حسين ، لقد خار اللهُ لك بخِلافي وجرى القدرُ بما تحبّ فيه . إنّ هذه الجاريةَ عادت إلى الحال التي أُريد منها ورضِيتُ كلَّ أفعالها ؛ فأذكرتْني بك وسألتني الرّضا عنك والاختصاص لك ؛ وقد فعلتُ

ووصلتُك بعشرة آلاف دينار ، ووصلَتْك هي بدون ذلك . والله لو كنتَ فعلتَ ما قلتُ لك حتى تعودَ إلى مثل هذه الحال ثم تحقِدَ ذلك عليك فتسألني ألاّ تَصِلَ إليّ لأجبتُها . فدعوتُ له وشكرتُه وحمِدت الله على توفيقه ، وزِدتُ في الاستحسان والسرورِ إلى أن سكِرتُ وانصرفتُ وقد حُمِل معي المال . فما كان يمضي أسبوع إلاّ وصِلاتُها وألطافُها تصل إليّ من الجوهر والثياب والمال بغير علم الأمين ؛ وما جالسته مجلساً بعد ذلك إلاّ سألتْه أن يصلَني . فكلُّ شيء أنفقتُه بعده إلى هذه الغاية فمن فضل مالِها وما ذَخَرتُ من صِلاتها . قال ابن النشّار : فقال له أبي : ما سمعتُ بأحسن من هذا الحديث ولا أعجب ممّا وفّقه الله لك فيه .

[هنّأ الأمين بظفر جيشه بطاهر بن الحسين]

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبي قال : دخل حسين بن الضّحّاك على محمّد الأمين بعَقِبِ وقعةٍ أوقعها أهلُ بغداد بأصحاب طاهر فهزموهم وفضحوهم ؛ فهنّأه بالظَّفَر ثم استأذنه في الإنشاد ، فأذِن له فأنشده[1] : [من الهزج]

أمـينَ الله ثِـقْ باللـ ـهِ تُعْطَ العزَّ والنُّصْرهْ
كِـلِ الأمـرَ إلى الله كَـلاكَ الله ذو القُدْرهْ
لنـا النصرُ بإذنِ اللـ ـهِ والكَـرّةُ لا الفَرّهْ
وللمُـرّاق أعدائـ ـك يومُ السَّوْء والدَّبْرهْ[2]
وكأسٌ تُـورِد المـوت كريـهٌ طعمُهـا مُـرّهْ
سَقَوْنـا وسَقيناهـم فكانت بهـمُ الحَرّهْ[3]
كذاك الحـربُ أحياناً علينـا ولنـا مَـرّهْ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، ولم يزل يتبسّم وهو يُنشِده .

[عابثه الأمين وركب ظهره]

حدّثني الصُّوليّ قال حدّثني الحسين بن يحيى أبو الحمار قال : قال لي الحسين بن الضّحّاك : شرِبنا يوماً مع الأمين في بستانٍ ، فسقانا على الرِّيق ، وجدّ بنا في الشرب ، وتحرَّزَ من أن نذوقَ شيئاً . فاشتدّ الأمرُ عليّ ، وقمتُ لأبول ، فأعطيتُ خادماً من الخدم ألفَ درهم على أن يجعلَ لي تحت شجرةٍ أومأتُ إليها رُقاقَةً فيها لحمٌ ، فأخذ الألف وفعل ذلك . ووثب محمّد فقال : من

1 شعره : 66–67 .
2 الدبرة : الهزيمة .
3 الحرة : العذاب الموجع . وبكسر الحاء : العطش .

يكون منكم حِماري ؟ فكلٌّ واحد منهم قال له : أنا ، لأنّه كان يركب الواحدَ منّا عَبَثاً ثم يصله ؛ ثم قال : يا حسين ، أنت أضْلَعُ[1] القوم . فركِبني وجعل يطوف وأنا أعْدِل به عن الشجرة وهو يمرّ بي إليها حتى صار تحتها ، فرأى الرُّقاقةَ فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري ، وقال : هذه جُعِلَتْ لبعضكم ؛ ثم رجع إلى مجلسه وما وصلني بشيء . فقلت لأصحابي : أنا أشقى الناس ، ركِب ظهري وذهب ألفُ درهمٍ منّي وفاتني ما يُمسك رَمَقي ولم يَصِلْني كعادتي ، ما أنا إلاّ كما قال الشاعر : [من البسيط]

ومُطْعِم الصيدِ يومَ الصيد مَطْعَمَه أنّى توجَّــه والمحرومُ محرومُ

[يستوهب جارية لأُمّ جعفر]

حدَّثني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمَّد بن يزيد النحويّ المبرّد قال : كان حسين بن الضّحّاك الأشقر ، وهو الخليع ، يهوى جاريةً لأُمّ جعفر ، وكانت من أجمل الجواري ، وكان لها صُدْغانِ مُعَقْرَبان ، وكانت تخرج إليه إذا جاء فتقول له : ما قلتَ فينا ؟ أنْشِدنا منه شيئاً ؛ فيُخرج إليها الصحيفةَ ، فتقول له : اقرأ معي ، فيقرأ معها حتى تحفظه ثم تدخل وتأخذ الصحيفةَ . فشكا ذلك إلى عاصم الغَسّانيّ الذي كان يمدحه سَلْم الخاسر وكان مَكِيناً عند أُمّ جعفر ، وسأله أن يستوهبها له فاستوهبها ، فأبتْ عليه أُمّ جعفر ؛ فوجَّه إلى الخليع بألف دينار وقال : خُذْ هذا الألفَ ؛ فقد جَهَدتُ الجَهْدَ كلَّه فيها فلم تُمكِّني حيلة . فقال الحسين في ذلك[2] : [من الطويل]

رمَتْك غَداةَ السبت شمسٌ من الخُلْدِ بسهم الهوى عَمْداً وموتُك في العَمْدِ[3]
مــؤزَّرةُ السِّرْبــالِ مهضومةُ الحَشا غُلامِيّــةُ التقطيــع شاطــرة القَدّ[4]
مُحَنَّــأة الأطــراف رُؤْدٌ شَبابُها مُعَقْرَبــةُ الصُّدْغــين كاذبــة الوعدِ
أقــولُ ونفسي بــين شَوْقٍ وزَفْــرةٍ وقد شخَصتْ عيني ودمعي على الخدِّ
أجيزي على مَــن قــد تركتِ فؤادَه بلحظتــــه بــين التــأسُّف والجهدِ
فقالت عــذابٌ بالهــوى مع قربكم وموتٌ إذا أقرحــتُ قلبــكَ بالبعدِ
لقــد فَطِنَــت للجوْر فطنــةَ عاصمٍ لصُنْع الأيادي الغُـرّ في طلب الحمدِ

1 أضلع القوم : أشدّهم .
2 شعره : 44 .
3 الخلد : قصر للمنصور على دجلة .
4 الشاطر : هو الذي أعيا أهله ومؤدّبه خبثاً .

سأشكوك في الأشعـــار غيرَ مُقَصِّرٍ إلى عاصمٍ ذي المَكْرُمات وذي المجدِ
لعــلّ فتـــى غَسّان يَجمــع بيننـا فيأمـنَ قلبـي منكُـم رَوْعـة الصَّدِّ

[يستقطع المعتصم داراً]

حدَّثني محمَّد بن خَلَف وَكيع قال حدَّثني هارون بن مُخارِق قال : أقطع المعتصمُ الناسَ الدُّورَ بسُرَّ من رأى وأعطاهم النفقاتِ لبنائها ، ولم يُقْطِع الحسين بن الضّحّاك شيئاً . فدخل عليه فأنشده قوله[1] : [من الرمل]

يـا أَمـينَ الله لا خِطَّـةَ لي ولقـد أفردتَ صَحْبي بخِطَطْ
أنا في دَهْيـاءَ مـن مُظْلِمـةٍ تحمِـل الشيخَ على كلّ غلَطْ
صعبـةِ المَسْلَك يرتاع لهـا كلُّ من أَصْعَد فيهـا وهَبطْ
بَوِّنـــي منـــك كما بوَّأتَـهم عَرْصةً تبسُط طَرْفي ما انبسطْ
أَبتنـي فيهـا لنفسي موطِناً ولعَقْبِـــي فَرَطـاً بعـد فَرَطْ
لم يـزَل منكَ قريباً مسكني فأَعِدْ لي عـادةَ القربِ فقطْ
كلُّ مَـن قرّبتَـه مُغْتَبِـطٌ ولمن أبعـدتَ خِـزْيٌ وسَخَطْ

قال : فأَقطعهُ داراً وأعطاه ألفَ دينار لنفقته عليها .

[أجاز شعراً لأبي العتاهية]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال أخبرني عمّي الفضل عن الحسين بن الضحّاك قال : كنتُ أمشي مع أبي العتاهية ، فمررت بمقبرة وفيها باكيةٌ تبكي بصوتٍ شَجٍ على ابنٍ لها . فقال أبو العتاهية[2] : [من الوافر]

أمـا تنفَـكّ باكيـةً بعـين غَزِيـرٌ دمعُهـا كَمِـدٌ حشاها

أَجِزْ يا حسين ؛ فقلت[3] : [من الوافر]

تُنـادي حفـرةً أَعْيَتْ جواباً فقد وَلِهَتْ وصَمَّ بها صَداها[4]

[نصحه أبو العتاهية بألاّ يرثي الأمين]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى قال حدَّثني الحسين بن الضّحّاك قال :

1 شعره : 71 عن الأغاني .
2 ديوان أبو العتاهية : 67 عن الأغاني .
3 شعره : 124 .
4 صم الصدى : كناية عن الهلاك .

كنتُ عازماً على أن أرثي الأمين بلساني كلّه وأشفي لوعتي . فلقيني أبو العتاهية فقال لي : يا حسين ، أنا إليك مائلٌ ولك محبٌّ ، وقد علمتُ مكانك من الأمين ، وإنّه لحقيقٌ بأن ترثيه ، إلاّ أنّك قد أطلقتَ لسانك من التلهُّف عليه والتوجُّع له بما صار هجاءً لغيره وثَلْباً له وتحريضاً عليه ، وهذا المأمون مُنْصَبٌّ إلى العراق قد أقبل عليك ؛ فأبْقِ على نفسك ؛ يا وَيْحَك ؛ أتجسُر على أن تقول[1] : [من الكامل]

تركـوا حريـمَ أبيهمُ نَفَـلاً والمُحْصَنـاتُ صـوارخٌ هُتُفُ
هيهاتَ بعـدَك أن يدومَ لهـم عـزٌّ وأن يـبقى لهـم شَرَفُ

أكْفُفْ غَرْبَ لسانك واطوِ ما انتشر عنك وتلافَ ما فرَط منك . فعلِمتُ أنّه قد نَصحني فجزيتُه الخيرَ ، وقطعتُ القولَ فنجوتُ برأيه وما كِدْتُ أن أنجو .

[شعره في فتى جميل أعرض عنه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أبو العَيْناء قال : وقف علينا حسين بن الضّحّاك ومعنا فتىً جالسٌ من أولاد الموالي جميلُ الوجه ، فحادثنا طويلاً وجعل يُقبِل على الفتى بحديثه والفتى مُعْرِضٌ عنه حتى طال ذلك ؛ ثم أقبل عليه الحسين فقال[2] : [من الطويل]

تَتِيـه علينا أن رُزِقْتَ ملاحةً فمَهْلاً علينا بعضَ تِيهك يا بدرُ
لقد طالما كنّا مِلاحـاً وربّما صَدَدْنا وتِهْنا ثم غيّرنا الدَّهرُ

وقام فانصرف .

[عربدته في مجلس الأمين]

أخبرني الحسن بن القاسم الكوفيّ[3] قال حدَّثني ابن عَجْلان قال : غنّى بعضُ المغنّين في مجلس محمَّدٍ المخلوع بشعر حسين بن الضّحّاك ، وهو : [من المتقارب]

صوت

أَلستَ تَرى دِيمـةً تَهْطِلُ وهـذا صباحُك مُسْتقبَلُ
وهذي العُقار وقـد راعنا بطلعتـه الشادنُ الأكحـلُ

---

1 البيتان من قصيدة طويلة في رثاء الأمين . انظر مجموع شعره : 78–80 وفيه ثبت بمصادر القصيدة . وفي البيت الثاني : «لنا» بدلاً من «لهم» .

2 شعره : 53 وينسب البيتان أيضاً لأبي نواس .

3 لعلّ المقصود الحسين بن القاسم الكوكبيّ الذي يروي عنه أبو الفرج كثيراً .

فعـادَ بـه وبنـا سكرةٌ تُهَـوِّن مكروهَ مـا نسألُ
فإنّـي رأيـتُ لـه نظرةً تخبِّرنـا أنّـه يفعـلُ

قال : فأمر بإحضار حسين فأُحْضِر ، وقد كان محمَّد شرِب أرطالاً . فلمّا مَثل بين يديه أمر فسُقي ثلاثةَ أرطالٍ ، فلم يَستوفِها الحسينُ حتى غَلَبه السكر وقَذَف ، فأمر بحمله إلى منزله فحُمل . فلمّا أفاق كتب إليه[1] : [من المتقارب]

إذا كنـتُ في عُصْبـةٍ مـن المَعْشرِ الأَخْيـبِ
ولم يَـكُ لي مُسْعـدٌ نديـمٌ سوى جُعْـدُبِ
فأَشْرَبُ مـن رَمْلـةٍ وأُسهـرُ مـن قُطْرُبِ[2]
ولمّـا حبـاني الزمـا ن من حيث لم أُحسبِ
ونادمـتُ بـدرَ السما ءِ في فَلَـك الكوكبِ
أبَـتْ لي غُضُوضيَّتي ولـؤمٌ مـن المَنْصِبِ[3]
فأسكـرني مسرعـاً قـويٌّ مـن المَشْربِ
كذا النـذلُ يَنْبو بـه منادمـةُ المُنْجـبِ

قال : فردّه إلى منادمته وأحسن جائزته وصلَته .

[شعره في غلام أبي أحمد بن الرشيد]

أخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر عن خالد بن حَمْدون : أنّ الحسين بن الضحّاك أنشده ، وقد عاتبه خادم من خُدّام أبي أحمد بن الرشيد كان حسين يتعشَّقه ولامه في أن قال فيه شعراً وغنّى فيه عمرو بن بانة ؛ فقال حسين فيه[4] : [من المنسرح]

صوت

فَدّيـتُ مَن قـال لي على خَفَرِهْ وغَضَّ جفنـاً لـه عـلى حَوَرِهْ
سمَّـع بـي شعرُك المليـح فمـا ينفـكّ شادٍ بـه عـلى وَتَـرِهْ

1 شعره : 30 عن الأغاني .

2 المثل : أشرب من عقد الرمل : الميداني 1 : 391 والزمخشري 1 : 195 والعسكري 1 : 538 . المثل : أسهر من قطرب : الميداني 1 : 355 والزمخشريّ 1 : 175 والعسكريّ 1 : 509 . وقُطربُ : طائر يجول الليل كلّه لا ينام .

3 الغضوضية : غضاضة الشباب ونضارته والمقصود هنا طيش الشباب .

4 شعره : 63 عن الأغاني .

فقلتُ يـا مستعيرَ سالفـةِ الـ ـخِشفِ وحسنِ الفتور من نَظَرِهْ
لا تُنْكـرنّ الحنـينَ مـن طَرِبٍ عـاود فيـك الصِّبـا على كِبَرِهْ

وغنّى فيه عمرو بن بانة هزجاً مطلقاً .

[شعره على قبر أبي نواس]

أخبرني الكوكبيّ قال حدَّثني أبو سَهْل بن نُوبَخْت عن عمرو بن بانة قال : لمّا مات أبو نواس كتب حسين بن الضحّاك على قبره[1] : [من المنسرح]

كابَرَنِيكَ الزمـانُ يـا حسنُ فخـاب سَهْمي وأفلَح الزمنُ
ليتك إذ لم تكن بقيـتَ لنـا لم تَبْقَ روحٌ يَحُوطُها بدنُ

[هجا جراحاً مخنّثاً اسمه نصير]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثني محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبي قال : كان في جوار الحسين بن الضّحّاك طبيب يُداوي الجِراحات يقال له نُصَير ، وكان مُخنَّثاً ؛ فإذا كانت وليمة دخل مع المخنَّثين ، وإذا لم تكن عالج الجِراحاتِ . فقال فيه الحسين بن الضّحّاك[2] : [من السريع]

نُصَيرُ ليس المُـرْدُ مـن شأنه نصيـرُ طَـبٌّ بـالنَّكارِيش[3]
يقـول للنِّكْرِيش في خَلوة مقـالَ ذي لُـطْف وتَجْمِيش
هـل لك أن نلعبَ في فرشنا تقلُّـبَ الطيـرِ المَـراعِيش[4]

يعني المبادلة . فكان نصيرٌ بعد ذلك يصيح به الصبيان : «يا نصير نلعب تقلُّبَ الطير المراعيش» فيشتُمهم ويرميهم بالحجارة .

[عبث ابن مناذر بشعر له]

حدَّثني جعفر قال حدَّثني عليّ بن يحيى عن حسين بن الضّحّاك قال : أنشدتُ ابنَ مُناذر قصيدتي التي أقول فيها :

لفَقْـدِك ريحانـةَ العسكر

وكانت من أوّل ما قلتُه من الشعر ؛ فأخذ رداءه ورمى به إلى السقف وتلقّاه برجله وجعل

1 شعره : 109 عن الأغاني .
2 شعره : 68–69 عن الأغاني .
3 النكاريش : جمع نكريش وهو الملتحي .
4 المراعيش : نوع من الحمام .

يردّد هذا البيت . فقلنا لحسين : أتُراه فعل ذلك استحساناً لما قلت ؟ فقال لا ؛ فقلنا : فإنّما فعله طَنْزاً بك ؛ فشتَمه وشتمنا . وكنّا بعد ذلك نسأله إعادةَ هذا البيت فيرمي بالحجارة ويجدِّد شتمَ ابن مناذر بأقبح ما يقدِر عليه .

[اجتماع اللؤم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أحمد بن أبي كامل قال : مررتُ بباب حسين بن الضّحّاك ، وإذا أبو يزيد السَّلُوليّ وأبو حَرْزةَ الغَنَويّ وهما ينتظرانِ المُحاربيّ وقد استُؤذن لهم على ابن الضّحّاك ؛ فقلت لهما : لِمَ لا تدخلان ؟ فقال أبو يزيد : ننتظر اللؤم أن يجتمع ، فليس في الدنيا أعجبُ ممّا اجتمع منّا ، الغَنويّ والسَّلُوليّ ينتظران المُحارِبيّ ليدخلوا على باهليّ .

[دعوة الفتح بن خاقان للصبوح]

أخبرني محمَّد بن مزيد بن أبي الأزهر البُوشَنْجِيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني حسين بن الضّحّاك قال : كان الواثق يميل إلى الفتح بن خاقان ويأنَس به وهو يومئذٍ غلام ، وكان الفتح ذكيّاً جيِّد[1] الطبع والفِطنة . فقال له المعتصم يوماً وقد دخل على أبيه خاقان عُرْطُوج : يا فتح أيّما أحسن : داري أو دار أبيك ؟ فقال له وهو غير متوقِّفٍ وهو صبيّ له سبع سنين أو نحوها : دار أبي إذا كنتَ فيها ؛ فعجِب منه وتبنّاه . وكان الواثق له بهذه المنزلة ، وزاد المتوكّل عليهما . فاعتلَّ الفتح في أيّام الواثق علّةً صعبة ثم أفاق وعُوفي ، فعزَم الواثقُ على الصَّبوح ، فقال لي : يا حسين ، اكتب بأبيات عنّي إلى الفتح تدعوه إلى الصَّبوح ؛ فكتبتُ إليه[2] : [من البسيط]

لمّا اصطبحتُ وعينُ اللهو ترمُقُني ... قد لاح لي باكراً في ثوب بِذْلَتِهِ

ناديتُ فتحاً وبَشَّرتُ المدامَ به ... لمّا تخلَّص من مكروه عِلَّتِهِ

ذبُّ الفتى عن حريم الراح مَكْرُمةٌ ... إذا رآه امرؤٌ ضِدّاً لنِحْلَتِهِ

فاعْجَلْ إلينا وعَجِّل بالسرور لنا ... وخالِس الدَّهر في أوقات غَفْلَتِهِ

فلمّا قرأها الفتح صار إليه فاصطبح معه .

[غزله في غلام عبد الله بن العبّاس بن الربيعي]

أخبرني عمّي[3] قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيْم وعبد الله بن أبي سعد قالا حدَّثنا محمَّد بن محمَّد

---

1 ل : حاد .

2 شعره : 33 .

3 تقدّم هذا الخبر بنصّه في هذه الترجمة .

الأنباريّ قال حدّثني حسين بن الضحّاك قال : كنتُ عند عبد الله بن العبّاس بن الفضل بن الرَّبيع وهو مُصْطَبِحٌ وخادم له يسقيه ؛ فقال لي : يا أبا عليّ ، قد استحسنتُ سقيَ هذا الخادم ؛ فإن حضرك شيء في قصّتنا هذه فقُل ؛ فقلت : [من المنسرح]

أحيَتْ صَبُوحي فكاهةُ اللاهي وطاب يومي بقرب أشباهي
فاستَثِر اللهوَ من مكامِنه من قبل يوم منغّص ناهي
بابنةِ كَرْم من كفِّ مُنْتَطِقٍ مؤتَزِر بالمُجون تيّاهِ
يَسْقِيك من طَرْفه ومن يده سَقْيَ لطيفٍ مُجرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربَها حيرانُ بين الذّكُور والسّاهي

قال : فاستحسنه عبد الله وغنّى فيه لحناً مليحاً وشربنا عليه بقيّةَ يومنا .

[يستنجز وعداً بالسكر قبل رمضان]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادة بن الفَيْض عن أبيه قال : اتّفق حسين بن الضحّاك ويُسْرٌ مرّةً عند بعض إخوانهما وشربا وذلك في العشر الأواخر من شعبان . فقال حسين ليُسْرٍ : يا سيِّدي ، قد هجم الصوْمُ علينا ، فتفضَّل بمجلس نجتمع فيه قبل هجومه فوعده بذلك ؛ فقال له : قد سكرتَ وأخشى أن يبدوَ لك ؛ فحلَف له يسرٌ أنّه يَفِي . فلمّا كان من الغد كتب إليه حسين وسأله الوفاء ، فجحَد الوعدَ وأنكره . فكتب إليه يقول[1] : [من الهزج]

تجاسرتَ على الغدر كعاداتك في الهجرِ
فأخلفتَ وما استخلفـ ـتَ من إخوانك الزُّهْرِ
لئن خِسْتَ لَمَا ذلـ ـكَ من فعلك بالنُّكْرِ
وما أقنعني فعلُـ ـك يا مختلِقَ العذرِ
بنفسي أنت إن سُؤْتَ فلا بُدَّ من الصبرِ
وإن جرّعني الغيظَ وإن خَشّن بالصدرِ
ولولا فَرَقي منك لسمَّيتُك في الشعرِ
وعنّفتُك لا آلُو وإن جُزْتُ مدى العُذْرِ
أمَا تخرج مِن إخلاف ميعادك في العَشْرِ

1 شعره : 60–61 عن الأغاني .

غـداً يفطِمنـا الصومُ عـن الـرّاح إلى الفِطْرِ

قال : فسألتُ الحسينَ بن الضحّاك عمّا أثّر له هذا الشعرُ وما كان الجواب ؛ فقال : كان أحسنَ جواب وأجملَ فعل ، كان اجتماعُنا قبل الصوم في بستان لمولاه ، وتَمَّمْنا سرورَنا وقضيْنا أوطارَنا إلى الليل ، وقلتُ في ذلك[1] : [من الطويل]

سقى اللهُ بطنَ الدَّيْرِ من مستوى السَّفْح إلى ملتقـى النَّهريـن فالأَثْلِ فالطَّلْحِ
مَلاعِبُ قُدْن القلبَ قَسْراً إلى الهوى ويَسَّرْنَ مـا أَمّلتُ مـن دَرَك النُجْحِ
أتنْسى فـلا أنسى عتابَـك بينهـا حبيبَك حتـى انقاد عفواً إلى الصلحِ
سمحتُ لَمـن أَهْـوى بصفو مودَّتـي ولكنّ مـن أَهواه صِيـغ على الشُّحّ

[يصف أيّامه مع يسر في البصرة والقنص]

قال عليّ بن العبّاس : وأنشدني سَوادةُ بن الفَيْض عن أبيه لحسين بن الضّحّاك يصف أيّاماً مضَتْ له بالبصرة ويومَه بالقُفْص ومجيء يُسْرٍ إليه ، وكان يسرٌ سأله أن يقول في ذلك شعراً[2] : [من المنسرح]

تَيَسَّرِي للِّمـام مـن أَمَـمِ ولا تُراعِـي حمامـةَ الحَـرَمِ
قـد غـاب لا آب من يُراقبنا ونـام لا قـام سامـرُ الخَدَمِ
فاستَصْحِبـي مُسْعِـداً يفاوضُنا إذا خَلَوْنـا في كلِّ مُكْتَتَـمِ
تَبَدَّلي بِدْلـةً تَقَـرُّ بهـا الـ ـعينُ ولا تَخْصَري وتحتشمي
ليـت نجومَ السماء راكـدةٌ عـلى دُجـى ليلِنـا فلم تَرِمِ
مـا لسروري بالشكِّ ممتزجاً حتـى كأنّـي أراه في حُلُمِ
فَرِحْتُ حتى استخفّني فرحي وشُبْتُ عـين اليقـين بالتُهَمِ
أمسحُ عيني مُسْتَثبِتاً نظـري أخالُنـي نائمـاً ولم أَنَـمِ
سَقْيـاً لليـلٍ أفنيتُ مدّتَـه ببـارد الرِّيـق طيِّـبِ النَّسَمِ
أبيضَ مُرْتَجَّـةٍ روادفُـه مـا عِيب من قَرنِه إلى القدمِ
إذ قَصَبـاتُ العَريش تجمعنا حتى تجلَّـت أواخـرُ الظُّلَمِ

1 شعره : 35 عن الأغاني .
2 شعره : 104–105 .

وليلـــةٍ بتّهـــــا محسَّدَةٍ محفوفـةٍ بالظنـون والتُّهَـمِ
أبَـثَّ عَبْراتـــه على غَصَصٍ يَـرُدّ أنفـاسَه إلى الكَظَمِ[1]
سَقْيـاً لقَيْطُونهـا ومُخْدَعِها كم مـن لِمام بـه ومن لَمَمِ[2]
لا أكفُـر السَّيْلَحِين أزْمِنـةً مطيعـةً بالنَّعيـم والنِّعـمِ[3]
وليلة القُفْص إن سألتَ بهـا كانت شفاءً لعلّـة السَّقَـمِ
بـات أنيسي صريـعَ خمرتِه وتلك إحدى مصارع الكرم
وبتّ عـن مَوْعِدٍ سبَقتُ بـه ألثَـمِ دُرّاً مُفَلَّجـاً بفَـمِ
وابأبي مـــن بدا برَوْعةِ «لا» وعاد مـن بعدها إلى «نَعَمِ»
أباحنـــي نفسَه ووسَّـدني يُمْنى يديـه وبات مُلْتزِمي
حتى إذا اهتاجت النوافسُ في سُحْرةِ أحْـوى أحَمّ كالحُمَمِ
وقلتُ هُبَّـا يا صاحبيَّ ونَبَّـ ـــهتُ أبانـاً فهَـبَّ كالزَّلَمِ
فاستنّها كالشّهـاب ضاحكةً عن بارقٍ في الإنـاء مُبْتَسِمِ
صفـراءَ زيْتيّـةً موشَّحـةً بأُرْجـوانٍ مُلَمَّـع ضَـرِمِ
أخـذتُ ريحانـةً أراحُ لهـا دبَّ سروري بها دبيبَ دَمي[4]
فراجعِ العذرَ إن بدا لك في الـ ـعُذر وإن عُـدْتَ لائماً فَلُمِ

[احتجاب يسر]

أخبرني عليّ بن العبّاس قال حدّثني سَوادةُ بن الفَيْض المخزوميّ قال حدّثني المُعْتَمِر بن الوليد المخزوميّ قال : قال لي الحسين بن الضّحّاك وهو على شراب له : ويحكم أُحدّثكم عن يُسْرٍ بأعجوبة ؟ قلنا : هات . قال : بلغ مولاه أنّه جَرى له مع أخيه سببٌ ، فحجَبه كما تُحْجَب النساء ، وأمر بالحَجْر عليه ، وأمره ألّا يخرجَ عن داره إلّا ومعه حافظٌ له موكّل به . فقلتُ في ذلك[5] : [من مجزوء الرمل]

1 الكظم : مخرج النفس من الحلق .
2 القيطون : البيت أو المخدع .
3 السيلحين : موضع قرب الحيرة .
4 دب سروري في ل : دب فنومي .
5 شعره : 122 .

ظنّ مَـن لا كان ظنّاً بحبيبـــي فحَمـــاهُ
أَرْصَد البـابَ رقِيبـــ ـــن لـــه فـاكتَنَفاهُ
فإذا مـا اشتاق قربي ولقائـــي مَنَعـــاهُ
جعـــل الله رقيبـــ ـــه مـن السوء فِداهْ
والذي أَقرح في الشا دن قلبـــي ولَـواهْ
كلُّ مشتـاق إليـــه فمـــن السوء فِـداهْ
سِيَّما من حالت الأَحـ ـــراسُ من دون مُناهْ

[سأل أبا نواس إصلاح أمره مع يسر]

أَخبرني عليّ بن العبّاس قال حدَّثنا أَحمد بن العبّاس الكاتب قال حدَّثني عبد الله بن زكريّا الضَّرير قال : قال أَبو نواس : قال لي حسين بن الضّحّاك يوماً : يا أَبا عليّ ، أَما ترى غضبَ يُسْرٍ عليّ ؟ فقلت له : وما كان سبب ذلك ؟ قال : حالٌ أَردتُها منه فمَنَعنِيها فغضِبتُ ؛ فأَسألك أَنْ تُصلِحَ بيني وبينه . فقلت : وما تحبّ أَن أُبْلِغه عنك ؟ قال : تقول له[1] : [من السريع]

بحُرْمـــة السُّكْرِ ومـا كانا عزَمْتَ أَن تقتل إنسانا !
أَخاف أَن تهجُرني صاحياً بعد سروري بك سكرانا
إنّ بقلبـي روعـةً كلّمـا أَضمر لي قلبُـك هِجرانا
يـا ليت ظنّي أَبداً كاذبٌ فإنّـــه يصـدُق أَحيـانا

قال : فقلت له : وَيْحَك ! أَتجتنبه وتريد أَن تترضّاه وترسل إليه بمثل هذه الرسالة ! فقال لي : أَنا أَعْرَف به ، وهو كثير التبذّل ، فأَبْلِغه ما سألتُك ؛ فأَبلغتُه فرضي عنه وأَصلحتُ بينهما .

[زائرة على غفلة]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى قال : جاءني يوماً حسين بن الضّحّاك ، فقلت له : أَيّ شيء كان خبرُك أَمسِ ؟ فقال لي : اسمعه شعراً ولا أَزيدك على ذلك وهو أَحسن ؛ فقلت : هات يا سيّدي ؛ فقال[2] : [من السريع]

زائـرةٌ زارت عـلى غفلـةٍ يـا حبّـذا الزَّوْرةُ والزائرهْ
فلـم أَزَلْ أَخدَعُهـا ليلتي خديعـــةَ السَّاحـرِ للسَّاحِرهْ

1 شعره : 116 عن الأغاني .
2 شعره : 67 .

حتى إذا مـا أَذعَنَتْ بالرِّضا وأَنعَمَتْ دارتْ بهـا الدائرهْ
بتُّ إلى الصُّبح بهـا ساهراً وباتـت الجوزاءُ بي ساهرهْ
أَفعـل مـا شئتُ بهـا ليلتي وملءُ عينـي نعمـةٌ ظاهرهْ
فلـم ننـم إلاّ على تسعـة مـن غُلْمة بـي وبهـا ثائرهْ
سَقْياً لها لا لأُخي شِعْـرة شِعْرتُـه كالشّعـرة الوافِرهْ
وبـين رجليـه لـه حَرْبـةٌ مشهـورةٌ في حَقْـوه شاهرهْ
وفي غَـدٍ يتبعهـا لحيـةٌ تُلحقـه بالكَـرَّة الخاسرهْ

قال : فقلت له : زنيتَ يعلم الله إن كنتَ صادقاً . فقال : قُل أَنت ما شئتَ .

[أغرى الواثق بالصبوح]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أَبو العَيْناء قال : دخل حسين بن الضّحّاك على الواثق في خلافة المعتصم في يوم طيّب ، فحثّه على الصَّبُوح فلم ينشَط له . فقال : اسمع ما قلتُ ؛ قال : هات ؛ فأَنشده[1] : [من المنسرح]

إسْتِرِ اللهـوَ مـن مكامنـه من قبل يـومٍ منغّصٍ ناهي
بابنـة كرْم من كفّ مُنْتطِقٍ مُؤْتَـزِرٍ بالمُجـون تيّـاهِ
يَسقيك مـن لحظه ومن يده سقيَ لطيفٍ مجـرِّب داهي
كأساً فكأساً كأنّ شاربهـا حيرانُ بين الذّكور والسّاهي

قال : فنشِط الواثق وقال : إنّ فرصةَ العيش لحقيقةٌ أَن تُنْتَهز ؛ واصطبح ووصَل الحسين .

[ضيعة الاثنين]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أَبو الشِّبْل عاصمُ بن وَهْب البُرْجُميّ قال : حجّ الحسين بن الضّحّاك ، فمرَّ في مُنْصَرَفه على موضع يعرف بالقَرْيَتيْن ، فإذا جارية تَطَّلع في ثيابها وتنظُر في حِرِها ثم تضربه بيدها وتقول : ما أَضيعني وأَضيعك ! فأَنشأ يقول[2] : [من المنسرح]

مـررتُ بالقريتـين مُنصرِفـاً من حيث يقضي ذوو النُّهَى النُّسُكا
إذا فتـاةٌ كأَنّهـا قمـرٌ للتَّـمّ لَمّـا تـوسَّط الفَلَـكا

1 تقدّمت هذه الأبيات في خبر مختلف مع الواثق مرّتين .
2 شعره : 91 عن الأغاني .

واضعـــةٌ كفَّهـــا عـــلى حِرهـــا تقـــول يـــا ضَيْعتـــي وضَيْعَتكا

قال : فلمّا سمعتْ قولَه ضحكتْ وغطَّتْ وجهَها وقالتْ : وافضِيحتاه ! أَوَقد سمعتَ ما قلتُ ؟ .

[في شفيع خادم المتوكّل]

حدَّثني محمَّد الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كان الحسين بن الضّحّاك صديقاً لأبي ، وكنت ألقاه معه كثيراً ، وكانت نفسه قد تتبّعتْ شَفيعاً بعد انصرافه من مجلس المتوكّل ؛ فأنشَدنا لنفسه فيه[1] : [من الطويل]

وأبيض في حُمْـــر الثيـــاب كأنّه إذا مـــا بـــدا نِسْرينَةٌ في شقائقِ
سقاني بكفَّيْـــه رحيقـــاً وسامَني فسُوقاً بعينيـــه ولستُ بِفاسقِ
وأُقسم لولا خشيةُ الله وحـــدَه ومـــن لا أُسمِّي كنتُ أوّلَ عاشقِ
وإنّـــي لمعـــذورٌ عـــلى وَجَناته وإن وسَمَتْنـــي شيبةٌ في المَفارقِ
ولا عِشْقَ لي أو يُحْدِثَ الدَّهرُ شِرّةً تعـــود بعاداتِ الشبـــاب المُفارقِ
ولـــو كنتُ شكلاً للصِّبا لاتّبعتُه ولكن سنّـــي بالصِّبـــا غيرُ لائقِ

[طلب من المتوكّل إجراء أرزاق ابنه على زوجته وأولاده]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال : كان للحسين بن الضّحّاك ابن يسمَّى محمَّداً ، له أرزاق ، فمات فقُطِعتْ أرزاقه . فقال يخاطب المتوكِّل ويسأله أن يجعلَ أرزاقَ ابنه المتوفَّى لزوجته وأولاده[2] : [من مجزوء الكامل]

إنّـــي أتيتُـــك شافعـــاً بـــوليِّ عهـــد المسلمينا
وشبيهِـــك المعتـــزّ أو جـــهِ شافـــعٍ في العالَمينا
يا ابن الخَلائـــف الأوّلي ـــن ويـــا أبـــا المتأخّرينا
إنّ ابن عبدك مـــات والأ يّـــامُ تختَـــرِم القَرينا
ومضـــى وخلّـــف صبيةً بعِراصِـــه مُتَلَـــدّدينا[3]
ومُهَيْرةً عَبْـــرى خِـــلا فَ أقـــاربٍ مُسْتَعْبِرينا

1 شعره : 85- 86 .
2 شعره : 120 .
3 المتلدّد : المتحيّر .

أصبحنَ في رَيب الحوا دث يُحسنون بك الظُّنونا
قطَع الوُلاةُ جِرايةً كانوا بها مُسْتَمْسِكينا
فامنُنْ بردّ جميع ما قطعوه غيرَ مراقِبينا
أعطاك أفضلَ ما تؤمِّـ ـل أفضلُ المتفضِّلينا

قال : فأمر المتوكّل له بما سأل . فقال يشكره[1] : [من البسيط]

يا خيرَ مُسْتَخْلَفٍ من آلِ عبّاسِ اسْلَمْ وليس على الأيّام من باسِ
أحييْتَ من أملي نِضْواً تعاوَرَه تَعاقُبُ اليأسِ حتى مات بالياسِ

[هجا مغنية فهربت وانقطع خبرها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن مالك قال : كنّا في مجلس ومعنا حسين بن الضّحّاك ونحن على نبيذ ؛ فعبِث بالمغنِّية وجَمَّشها ؛ فصاحت عليه واستخفّتْ به . فأنشأ يقول[2] : [من مجزوء الوافر]

لها في وجهِها عُكَنٌ وثُلْثا وجهها ذَقَنُ
وأسنانٌ كرِيشِ البَـ ـطّ بين أصولها عَفَنُ

قال : فضحكنا وبكت المغنِّيةُ حتى قلتُ قد عَمِيَتْ ؛ وما انتفعنا بها بقيَّة يومنا . وشاع هذان البيتان فكَسَدَتْ من أجلهما . وكانت إذا حضرتْ في موضع أُنشدوا البيتين فتُجَنّ . ثم هربتْ من سُرَّ من رأى ، فما عرفنا لها بعد ذلك خبراً .

قال جعفر وحدَّثنا أبو العَيْناء أنّه حضر هذا المجلس ، وحكى مثلَ ما حكاه محمَّد .

[سنّه]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني يزيد بن محمَّد المهلَّبيّ قال : سألتُ حسين بن الضّحّاك ونحن في مجلس المتوكّل عن سنّه ؛ فقال : لستُ أحفظ السنةَ التي وُلِدتُ فيها بعينها ، ولكنّي أذكر وأنا بالبصرة موتَ شُعْبَة بن الحجّاج سنة ستّين ومائة .

[اعتذاره للمتوكّل بكبر السنّ]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي (يعني أحمد بن حمدون) قال : أمر المتوكّل أن يُنادمه حسين بن الضّحّاك ويلازمَه ؛ فلم يُطِقْ ذلك لكِبَر

1 شعره : 68 .
2 شعره : 109 عن الأغاني .

سنّه . فقال للمتوكّل بعضُ مَن حضر عنده : هو يُطيق الذَّهابَ إلى القُرَى والمَواخيرِ والسكرَ فيها ويعجز عن خدمتك ؛ فبلغه ذلك ، فدفع إليّ أبياتاً قالها وسألني إيصالها ؛ فأوصلتُها إلى المتوكّل ، وهي[1] : [من المتقارب]

أَمَـا في ثمانـين وفّيتُهـا ... عَذِيـرٌ وإن أنـا لم أَعْتَـذِرْ
فكيف وقـد جُزتُها صاعداً ... مع الصّاعديـن بتِسْع أُخَرْ
وقـد رفـع الله أقلامَـه ... عن ابـن ثمانين دون البشرْ
سوى مـن أصرّ على فتنـةٍ ... وألْحَـد في دينـه أو كفـرْ
وإنّـي لَمـن أُسَراء الإلـ ... ـه في الأرض نُصْبَ صروفِ القدرْ
فإن يَقْضِ لي عمـلاً صالحاً ... أُثـاب وإن يَقضِ شرّاً غَفَرْ
فـلا تَلْـحَ في كِبَرٍ هـدَّني ... فلا ذنبَ لي أنْ بَلَغتُ الكِبَرْ
هو الشيبُ حلّ بعَقْب الشباب ... فأعقبنـي خَـوَراً مـن أَشَرْ
وقـد بسَط اللهُ لي عـذرَه ... فمـن ذا يلوم إذا مـا عذَرْ
وإنّـي لَفـي كَنَفٍ مُغْـدِقٍ ... وعـزٍّ بنصر أبـي المنتَصِرْ
يُباري الريـاحَ بفضل السما ... ح حتـى تَبَلَّدَ أو تَنْحسِرْ
لـه أكّـد الوحـيُ ميراثَه ... ومن ذا يُخالف وَحْيَ السُّوَرْ
ومـا للحسود وأشياعِـه ... ومَنْ كذَّب الحـقَّ إلاّ الحَجَرْ

قال ابن حمدون : فلمّا أوصلتُها شيّعتُها بكلامي أعذِره ، وقلت : لو أُطاق خدمةَ أمير المؤمنين لكان أسعدَ بها . فقال المتوكّل : صدَقتَ ، خُذْ له عشرين ألف درهم واحملْها إليه ؛ فأخذتُها فحملتُها إليه .

[ضربه الخلفاء من الرشيد إلى الواثق]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي عن حسين بن الضّحّاك قال : ضربني الرشيد في خلافته لصُحْبتي ولدَه ، ثم ضربني الأمينُ لُمايَلة ابنه عبد الله ، ثم ضربني المأمون لميلي إلى محمَّد ، ثم ضربني المعتصم لمودّة كانت بيني وبين العبّاس بن المأمون ، ثم ضربني الواثق لشيء بلغه من ذهابي إلى المتوكّل ، وكلّ ذلك يَجري مجرى الوَلَع بي والتحذير لي . ثم أحضرني المتوكّل وأمَر شفيعاً بالوَلَع بي ، فتغاضب المتوكّل عليّ . فقلت له :

1 شعره : 52–53 .

يا أمير المؤمنين ، إن كنتَ تريد أن تضربني كما ضربني آباؤك ، فاعلم أنّ آخر ضَرْب ضُرِبتُه بسببك . فضحك وقال : بل أُحسن إليك يا حسين وأُصونك وأُكرمك .

[حاله في أواخر أيّامه]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني محمَّد بن محمَّد بن مروان الأبزاريّ[1] قال : دخلت على حسين بن الضّحّاك ، فقلت له : كيف أنت ؟ جعلني الله فداءك ! فبكى ثم أنشأ يقول[2] : [من البسيط]

أصبحتُ من أُسَراء الله مُحتَبَساً ... في الأرض نحو قضاء الله والقَدَرِ

إنّ الثمانين إذ وفّيْتُ عِدّتها ... لم تُبْقِ باقيةً منّي ولم تَذَرِ

1 نسبة إلى الأبزار وهي قرية قريبة من نيسابور وقد تقدّم «الأنباري» .

2 شعره : 62 .

[107] ـ أخبار أبي زكّار الأعمى[1]

[مغنٍّ بغداديّ قديم انقطع لآل برمك]

قال أبو الفرج : أبو زكّار هذا رجلٌ من أهل بغداد من قدماء المُغنِّين ، وكان منقطِعاً إلى آل برمك ، وكانوا يُؤْثِرونه ويُفْضِلون عليه إفضالاً .

[قتل جعفر البرمكيّ وهو يغنّيه]

فحدَّثني محمَّد بن جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال : سمعت مسروراً يحدِّث أبي قال : لمّا أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى ، دخلتُ عليه وعنده أبو زكّار الأعمى وهو يغنّيه بصوت لم أسمع بمثله : [من الوافر]

فـلا تَبْعَدْ فكـلُّ فتىً سيأتي ... عليه الموتُ يَطرُق أو يُغادي[2]

وكلّ ذخيرةٍ لا بـدّ يومـاً ... وإن بَقِيَـتْ تصير إلى نَفادِ

ولو يُفْدَى من الحدثان شيءٌ ... فديتُـك بالطَّريـف وبالتِّلادِ

فقلت له : في هذا والله أتيتُك ! فأخذت بيده فأقمتُه وأمرت بضرب عنقه .

[طلب أن يقتل مع جعفر]

فقال لي أبو زكّار : نَشَدتُك اللهَ إلاّ ألحقتَني به . فقلتُ : وما رغبتُك في ذلك ؟ قال : إنّه أغناني عمَّن سواه بإحسانه ، فما أُحبُّ أن أبقى بعده . فقلت : أستأمِرُ أميرَ المؤمنين في ذلك . فلمّا أتيتُ الرشيدَ برأس جعفر أخبرته بقصّة أبي زكّار ؛ فقال لي : هذا رجل فيه مُصْطَنَعٌ ، فاضْمُمْه إليك وانظر ما كان يُجريه عليه فأتْممْه له .

[صوت معرق في العمى]

حدَّثني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق قال : غنَّى عَلّويه يوماً بحضرة أبي ؛ فقال أبي : مَهْ ! هذا الصوت مُعْرِقٌ في العَمَى . الشِّعر لبشّار الأعمى ، والغناء لأبي زكّار الأعمى ، وأوّلُ الصوت «عميت أمري» .

---

1 يذكر أبو زكار الأعمى في جميع كتب التاريخ التي تتحدّث عن نكبة البرامكة . أنظر الطبري (أبو الفضل إبراهيم 8 : 295) ، ووفيات الأعيان 1 : 338 .

2 فلا تبعد : هذا دعاء .

صوت
من المائة المختارة
من رواية جحظة عن أصحابه[1]

[من الخفيف]

ما جَرَتْ خَطْرَةٌ على القلب منّي ... فيكِ إلاّ استَتَرْتُ عن أصحابي
من دموعٍ تجري، فإن كنتُ وحدي ... خالياً أسعدتْ دموعي انتحابي
إن حبِّي إيّاكِ قد سَلّ جسمي ... ورماني بالشيب قبل الشبابِ
لو مَنَحْتِ اللقا شَفى بك صبّاً ... هائمَ القلب قد ثَوى في الترابِ

الشعر في الأبيات للسيّد الحِمْيَريّ. والغناء لمحمَّد نَعْجة الكوفيّ، مُغَنّ غير مشهور ولا ممّن خدم الخلفاء وليس له خبر. ولحنه المختارُ ثاني ثقيل مطلَق في مجرى البنصر. وذكر حبش أنّ لمحمَّد نعجة فيه أيضاً خفيفَ رمل بالبنصر.

1 ديوانه: 118–119 عن الأغاني.

[108] ـ أَخبار السيّد الحِمْيَرِيّ[1]

[نسبه]

السيّد لقبُه . واسمه إسماعيل بن محمَّد بن يزيد بن رَبيعة بن مُفَرِّغ الحِمْيَريّ . ويكنى أبا هاشم . وأُمّه امرأة من الأَزْد ثم من بني الحُدّان . وجدُّه يزيد بن رَبيعة ، شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً[2] وبنيه ونفاهم عن آل حرب ؛ وحبسه عُبَيْد الله بن زياد لذلك وعذَّبه ، ثم أطلقه معاوية . وخبرُه في هذا طويل يُذكر في موضعه مع سائر أخباره ؛ إذ كان الغرض هاهنا ذكرَ أخبارِ السيّد .

ووجدتُ في بعض الكتب عن إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ قال : سمعتُ ابن عائشة والقَحْذَميّ يقولان : هو يزيد بن مُفَرِّغ ، ومَن قال : إنّه يزيد بن معاوية فقد أخطأ . ومفرِّغ لقب ربيعة ؛ لأنّه راهن أن يشرب عُسّاً من لبن فشربه حتى فرَّغه ؛ فلُقِّب مفرِّغاً . وكان شَعَّاباً بسَيالة[3] ، ثم صار إلى البصرة .

[ترك شعره لذمّه الصحابة]

وكان شاعراً متقدِّماً مطبوعاً . يقال : إنّ أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشّار ، وأبو العتاهية ، والسيِّد ؛ فإنّه لا يُعْلم أنّ أحداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع .

وإنّما مات ذكرُه وهجَر الناسُ شعرَه لما كان يُفْرِط فيه من سَبّ أصحاب رسول الله ﷺ وأزواجِه في شعره ويستعمله من قذفِهم والطعنِ عليهم ، فتُحُومي شعرُه من هذا الجنس وغيرِه لذلك ، وهجره الناس تخوُّفاً وتراقُباً . وله طِراز من الشعر ومذهبٌ قلَّما يُلْحَقُ فيه أو يُقَاربه . ولا يُعرف له من الشعر كثيرٌ وليس يخلو من مدح بني هاشم أو ذمّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم . ولولا أنّ أخباره كلّها تجري هذا المَجْرى ولا تَخرج عنه لوجب ألّا نذكر منها شيئاً ؛ ولكنّا شَرَطنا أن نأتي بأخبار مَنْ نذكره من الشعراء ؛ فلم نجد بُدّاً من ذكر أسلمِ ما وجدناه له وأخلاها من سيّىء اختياره على قلّة ذلك .

---

1 للسيد الحميري ترجمة في طبقات ابن المعتزّ : 32 وابن خلكان 6 : 343 وفوات الوفيات 1 : 188–193 والوافي 9 رقم 5003 وقد جمع ديوانه شاكر هادي شكر (منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت) .

2 المقصود زياد بن أبيه والي معاوية على العراق .

3 الشعاب : الذي يصلح شعب الإناء أي صدعه . والسيالة : أوّل مرحلة بعد المدينة في طريق الذاهب إلى مكّة .

[كان أبواه إباضيين ولما تشيّع هَمّا بقتله]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيِّد ، قال ابن عمّار وحدّثني أحمد بن سليمان بن أبي شَيْخ عن أبيه : أنّ أبَوَي السيّد كانا إباضِيّين ، وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضَبّة ، وكان السيّد يقول : طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة . فإذا سُئِلَ عن التشيُّع من أين وقع له ، قال : غاصَتْ عليّ الرحمةُ غَوْصاً .

ورُوي عن السيِّد أنّ أبويه لمّا علِما بمذهبه هَمّا بقتله ؛ فأتى عُقْبَةَ بن سَلْم الهُنائيّ فأخبره بذلك ، فأجاره وبَوّأه منزلاً وهَبه له ، فكان فيه حتى ماتا فورِثهما .

[على مذهب الكيسانية]

وقد أخبرني الحسن بن علي البُرّيّ عن محمّد بن عامر عن القاسم بن الرَّبيع عن أبي داود سليمان بن سفيان المعروف بالحنزق راوية السيّد الحِمْيريّ قال : ما مضى والله إلاّ على مذهب الكَيسانية . وهذه القصائدُ التي يقولها[1] الناس مثل : [من الطويل]

تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبرُ
و تجعفرتُ باسم الله فيمَن تجعفرا

وقوله[2] : [من الطويل]

أيــا راكبــاً نحو المدينة جَسْرةً عُذافِرةً تهوِي بها كلَّ سَبْسَبِ[3]
إذا ما هداك اللهُ لاقيتَ جعفراً فقل يا أمينَ الله وابنَ المهذَّبِ[4]

لغلام للسيّد يقال له قاسم الخيّاط ، قالها ونَحَلها للسيّد ، وجازت على كثير من الناس ممَّن لم يعرف خبرَها ، بمحل قاسم منه وخدمتِه إيّاه .

[أوصافه ومواهبه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوفليّ قال حدّثني أبو جعفر الأعرج ابن بنت الفُضَيل بن بَشّار قال : كان السيِّدُ أسمَر ، تامَّ القامة ، أشنَب[5] ، ذا وَفْرةٍ ،

---

1 ل : ينشدها .

2 ديوانه : 114–117 ولم يشر إلى كونها لغلامه قاسم الخيّاط .

3 تهوي في الديوان : يطوي .

4 رواية هذا البيت في الديوان :

إذا ما هداك الله عاينت جعفراً فقــل لــولي الله وابن المهذّب

5 الشنب : بياض الأسنان وبريقها .

حسنَ الألفاظ ، جميلَ الخطاب ، إذا تحدّث في مجلس قومٍ أعطى كلَّ رجل في المجلس نصيبَه من حديثه .

[رأي الفرزدق فيه وفي عمران بن حطّان]

أخبرني أحمد قال حدّثني محمّد بن عَبّاد عن أبي عمرو الشّيْبانيّ عن لَبْطة بن الفرزدق قال : تذاكرنا الشعراءَ عند أبي ، فقال : إنّ هاهنا لرجلين لو أخَذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء . فسألناه من هما ؟ فقال : السيّد الحميريّ وعِمْران بن حِطّان السَّدوسيّ ، ولكنّ الله عزّ وجلّ قد شغَل كلَّ واحد منهما بالقول في مذهبه .

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرّاق قال حدّثني عليّ بن محمّد النَّوْفليّ قال حدّثني أبو جعفر ابن بنت الفضيل بن بشّار قال : كان السيّد أسمَر ، تامَّ الخلقة ، أشْنَب ، ذا وَفْرة ، حسنَ الألفاظ ، وكان مع ذلك أنتَن الناس إبطين ، لا يقدِر أحدٌ على الجلوس معه لنَتْن رائحتهما .

[رأي الأصمعيّ]

قال حدّثني التَّوَّزيّ قال : رأى الأصمعيّ جزءاً فيه من شعر السيّد ، فقال : لمَن هذا ؟ فسترتُه عنه لعلمي بما عنده فيه ؛ فأقسم عليّ أن أخبِره فأخبرتُه ؛ فقال : أنْشِدْني قصيدةً منه ؛ فأنشدتُه قصيدةً ثم أخرى وهو يَسْتزيدني ، ثم قال : قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول ! لولا مذهبُه ولولا ما في شعره ما قدّمتُ عليه أحداً من طبقته .

[رأي أبي عبيدة]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم قال : سمعتُ أبا عبيدة يقول : أشعر المُحْدَثين السيّد الحميريّ وبشّار .

[مذهبه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ عن أبي شُراعة القَيْسيّ عن مسعود بن بِشر : أنّ جماعةً تذاكروا أمرَ السيّد ، وأنّه رجَع عن مذهبه في ابن الحَنَفيّة وقال بإمامة جعفر بن محمّد[1] . فقال ابنُ الساحر راوِيتُه : والله ما رجع عن ذلك ولا القصائدُ الجَعْفريّات إلاّ منحولةٌ له قيلتْ بعده . وآخرُ عهدي به قبل موته بثلاث وقد سمِع رجلاً يروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال لعليّ عليه السلام : «إنّه سيُولد لك بعدي ولدٌ وقد نَحَلتُه اسمي وكُنْيتي» فقال في ذلك وهي آخر قصيدة قالها[2] : [من الوافر]

1 أي أنّه تحول عن الكيسانية إلى مذهب الإمامية .

2 ديوانه : 181–184 .

أشاقَتْكَ المنازلُ بعد هند ... وتِرْبيها وذاتِ الدَّلّ دَعْدِ
منازل أقفرتْ منهنّ مَحّتْ ... معالمُهنّ من سَبَلٍ ورَعْدِ[1]
وريح حَرْجَفٍ تَسْتَنُّ فيها ... بسافي التُّرْب تُلْحِم ما تُسَدِّي[2]
ألَم يَبْلُغك والأنباءُ تَنْمِي ... مقالُ محمَّدٍ فيما يؤدِّي
إلى ذي علمه الهادي علي ... وخَوْلَةُ خادمٌ في البيت تَرْدِي[3]
ألَمْ تَرَ أنّ خولَةَ سوف تأتي ... بوارِي الزَّند صافي الخِيم نَجْدِ[4]
يفوز بكنيتي واسمي لأنّي ... نَحَلْتُهماهُ والمهديّ بعدي
يُغَيِّب عنهمُ حتى يقولوا ... تضمَّنه بطَيْبةَ بطنُ لَحْدِ
سنينَ وأشهراً ويُرى برَضْوى ... بشِعْب بين أنْمار وأُسْدِ
مقيم بين آرامٍ وعِينٍ ... وحَفَّانٍ تروح خِلالَ رُبْدِ[5]
تُراعيها السِّباع وليس منها ... ملاقيهنّ مفترساً بحَدِّ
أمِنّ به الرَّدى فرتَعْن طوراً ... بلا خوف لدى مَرْعىً ووِرْدِ
حلَفْتُ بربّ مكّةَ والمُصَلَّى ... وبيتٍ طاهرِ الأركان فَرْدِ
يطوفُ به الحَجيجُ وكلّ عامٍ ... يَحُلّ لديه وفدٌ بعد وفدِ[6]
لقد كان ابنُ خَوْلَةَ غيرَ شكٍّ ... صَفاءَ ولايتي وخُلُوصَ وُدِّي
فما أحدٌ أحبّ إليّ فيما ... أُسِرّ وما أبوح به وأُبدي
سوى ذي الوحي أحمد أو عليٍّ ... ولا أزكى وأطيب منه عندي
ومن ذا يا ابنَ خولة إذ رمتني ... باسْهُمها المنيّةُ حين وعدي
يُذَبِّبُ عنكمُ ويَسُدّ ممّا ... تَثَلّم من حصونكم كسَدِّي
وما لي أن أمُرَّ به ولكن ... أؤمِّل أن يؤخَّر يومُ فقدي

1 محّت : عفت . السبل : المطر .
2 الريح الحرجف : الريح الباردة . تستن : تسرع . بسافي في ل : بهاري .
3 تردي : تلعب .
4 الخيم : الطبيعة والسجية .
5 حفان : صغار النعام .
6 يطوف في ل : يطيف .

فأُدرك دولةً لك لستَ فيها بجبَّـار فتُوصَـفَ بـالتَّعَدِّي
على قـوم بَغَوْا فيكم علينا لتُعْدِي منكـم يـا خيرَ مُعْدِ[1]
لِتَعْـلُ بنـا عليهم حيث كانوا بغَـوْرٍ مـن تِهامـة أو بنجدِ
إذا مـا سِرتَ مـن بلد حرامٍ إلى مَـن بالمدينـة مـن مَعَدِّ
وماذا غرَّهـم والخيرُ منهـم بأشْوَسَ أعْصَلِ الأنيابِ وَرْدِ[2]
وأنت لَمن بغى وعَدا وأذكى عليك الحربَ واستراك مُرْدِ

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة غناء ؛ نسبته : [من الوافر]

صوت

أشاقتـك المنـازلُ بعـد هندٍ وتِرْبُـيْها وذاتِ الـدَّلّ دعدِ
منازلُ أقفـرت منهـنّ مَحَّتْ معالمهُـنّ مـن سَبَـل ورعدِ

عروضُه من الوافر . الشعر للسيّد الحِميريّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن يحيى المكّيّ . وذكر الهشاميّ أنّه لكَرْدَم . وذكر عمرو بن بانة أنّ اللّحن لمالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

وقال إسماعيل بن الساحر راوية السيّد : كنتُ عنده يوماً في جَناح له ، فأجال بصرَه فيه ثم قال : يا إسماعيل ، طال والله ما شُتِم أميرُ المؤمنين عليٌّ في هذا الجناح . قلت : ومَن كان يفعل ؟ قال : أبواي . وكان يذهب مذهبَ الكَيْسانيّة ويقول بإمامة محمَّد بن الحنفيّة ، وله في ذلك شعر كثير . وقد روى بعضُ مَن لم تَصِحَّ روايتُه أنّه رجع عن مذهبه وقال بمذهب الإماميّة ، وله في ذلك[3] : [من الطويل]

تجعفرتُ باسم الله واللهُ أكبر وأيقنـتُ أنّ الله يعفـو ويغفِرُ

وما وجدنا ذلك في رواية مُحَصِّل ، ولا شعرُه أيضاً من هذا الجنس ولا في هذا المذهب ، لأنّ هذا شعر ضعيفٌ يتبيّن التوليدُ فيه ، وشعرُه في قصائده الكيسانيّة مُباينٌ لهذا جزالةً ومتانةً ،

---

1 المعدي : الناصر .

2 أعصل الأنياب : معوجها .

3 هكذا رواية البيت في طبقات ابن المعتزّ وفي الديوان :

ولما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا
وناديـتُ بـاسم الله والله أكبـرُ وأيقنـتُ أنّ الله يعفـو ويغفـر

ولم يُشر جامعه إلى الأغاني مع أنّه من مصادره .

وله رونق ومعنى ليسا لِما يُذكر عنه في غيره .

[رأي الأصمعيّ مرّة أُخرى]

أخبرني[1] عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد الثُّماليّ قال حدّثني التَّوَّزيّ قال قال لي الأصمعيّ : أُحِبّ أن تأتيني بشيء من شعر هذا الحميريّ فَعَل الله به وفعل ؛ فأتيته بشيء منه ؛ فقرأه فقال : قاتله الله ! ما أطْبَعه وأسلكه لسبيل الشعراء ! والله لولا ما في شعره من سبّ السَّلَف لَما تقدّمه من طبقته أحد .

[رأي أبي عبيدة مرّة أُخرى]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : أتيتُ أبا عبيدة مَعْمَر بن المُثَنّى يوماً وعنده رجلٌ من بني هاشم يقرأ عليه كتاباً ؛ فلمّا رآني أطبقه . فقال له أبو عبيدة : إنّ أبا زيد ليس ممّن يُحْتشم منه ، فاقرأ . فأخذ الكتاب وجعل يقرؤه ، فإذا هو شعر السيّد . فجعل أبو عبيدة يَعجَبُ منه ويستحسنه . قال أبو زيد : وكان أبو عبيدة يَرويه . قال : وسمعتُ محمّد بن أبي بكر المُقَدَّميّ يقول : سمعت جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ يُنشد شعر السيّد .

أخبرني ابن دُرَيْد قال : سُئل أبو عبيدة مَنْ أشعرُ المولَّدِين ؟ قال : السيّد وبشّار .

[عدم الإحاطة بشعره]

وقال الموصليّ حدّثني عمّي قال : جمعتُ للسيّد في بني هاشم ألفين وثلثمائة قصيدة ؛ فخِلْتُ أنْ قد استوعبتُ شعرَه ، حتى جلس إليّ يوماً رجلٌ ذو أطمارٍ رَثَّةٍ ، فسمعني أُنشد شيئاً من شعره ، فأنشدني له ثلاثَ قصائد لم تكن عندي . فقلت في نفسي : لو كان هذا يعلم ما عندي كلّه ثم أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجيباً ، فكيف وهو لا يعلم وإنّما أنشد ما حَضَره ؛ وعرفتُ حينئذٍ أنّ شعره ليس ممّا يُدرك ولا يُمكن جمعُه كلّه .

[رأي بشّار فيه]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ عن ابن عائشة قال : وقف السيّد على بشّار وهو يُنشد الشعر ؛ فأقبل عليه وقال[2] : [من الخفيف]

أيّها المادحُ العبادَ ليُعْطى ... إنّ لله ما بأيدي العبادِ

فاسأل اللهَ ما طلبتَ إليهم ... وارْجُ نفعَ المُنزِّل العَوّادِ

---

1 تقدّم الكلام على رأي الأصمعيّ وأبي عبيدة في شعره .

2 ديوان السيّد الحميري : 180 وسترد هذه الأبيات في ترجمة عمران بن حطّان مع الفرزدق ، وانظر ديوان شعر الخوارج ، القطعة (203) .

لا تَقُلْ في الجَواد ما ليس فيه وتُسَمِّي البخيـلَ باسم الجَوادِ

قال بَشّار : مَن هذا ؟ فعُرِّفَه ؛ فقال : لولا أنّ هذا الرجلَ قد شُغِل عنّا بمدح بني هاشم لشغلَنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا . ورُوي في هذا الخبر أنّ عِمران بن حطّان الشّارِي[1] خاطب الفرزدَق بهذه المخاطبة وأجابه بهذا الجواب .

[سبه السلف]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن سعيد بن المسيّب عن أبي سعيد السكّريّ عن الطُّوسيّ قال : إذا رأيتَ في شعر السيّد «دَعْ ذا» فدعه ؛ فإنّه لا يأتي بعده إلاّ سَبٌّ السّلف أو بَلِيَّةٌ من بَلاياه .

[تفسير ابن سيرين لرؤياه]

وروى الحسن بن علي بن المعتزّ الكوفيّ عن أبيه عن السيّد قال : رأيتُ النبيَّ ﷺ في النوم وكأنّه في حديقةٍ سَبِخةٍ فيها نخل طِوالٌ وإلى جانبها أرض كأنّها الكافورُ ليس فيها شيء ؛ فقال : أتَدْري لَمن هذا النخل ؟ قلت : لا يا رسول الله ؛ قال : لامرىء القيس بن حُجْر ، فاقلَعْها واغْرِسها في هذه الأرض ففعلتُ . وأتيْتُ ابنَ سِيرينَ فقَصَصْتُ رؤيايَ عليه ؛ فقال : أتقول الشعر ؟ قلت : لا ؛ قال : أما إنّك ستقول شعراً مثلَ شعر امرىء القيس إلاّ أنّك تقوله في قوم بَرَرة أطهار . قال : فما انصرفتُ إلاّ وأنا أقولُ الشعر .

[شهد جماعة بأنّه مطبوع]

قال الحسن وحدّثني غانم الورّاق قال : خرجت إلى بادية البصرة فصِرتُ إلى عمرو بن تميم ، فأثبتني بعضُهم فقال : هذا الشيخُ والله راوية . فجلسوا إليّ وأنِسوا بي ، وأنشدتُهم ، وبدأتُ بشعر ذي الرمّة فعَرفوه ، وبشعر جرير والفرزدق فعرفوهما ؛ ثم أنشدتُهم للسيّد[2] : [من الطويل]

أتعرِف رسماً بالسّوَيْن قد دَثَرْ عَفَتْه أهاضِيبُ السحائب والمطرْ[3]
وجرَّتْ به الأذيالَ ريحان خِلْفةً صَباً ودَبُورٌ بالعَشِيَّاتِ والبُكَرْ
منازلُ قد كانت تكونُ بجوّها هضيمُ الحشا ريّا الشَّوى سِحرُها النظرْ

1 الشاري : أحد الشُّراة وهم طائفة من الخوارج باعوا أنفسهم لله . إشارة إلى الآية ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أموالهم وأنفسهم بأن لهم الجنّة﴾ .

2 ديوانه : 253 .

3 السّوَيْن في بعض المصادر ونسخ الأغاني : الثوين . أهاضيب : جمع أهضوبة وهي الدفعة من المطر .

قَطُـوفُ الخُطَـا خَمْصانـةٌ بَخْتَريّةٌ كأنّ مُحيّاهـا سَنـا دارة القمرْ
رمَتْني ببُعْد بعـد قـرب بها النَّوى فبانت ولَمّـا أَقْضِ مـن عَبْدةَ الوَطَرْ
ولمّا رأتنـي خشيةَ البـين مُوجَعـاً أُكَفْكِف منّـي أَدمُعـاً فَيْضُها دِرَرْ
أُشارتْ بأَطـرافٍ إليّ ودمعُهـا كنَظْـم جُمانٍ خانـه السِّلكُ فانتثرْ
وقـد كنتُ ممّا أَحدث البينُ حاذِراً فلم يُغْنِ عنّي منـه خـوفيَ والحذرْ

قال : فجعلوا يُمرِّقون[1] لإنشادي ويطرَبون ، وقالوا : لَمَن هذا ؟ فأَعلمتهم ؛ فقالوا : هو والله أَحدُ المطبوعين ، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثلُه .

[شعر تجوز قراءته على المنابر]

أَخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أَحمد بن سَعيد الدِّمَشقيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال : سمعتُ عمّي يقول : لو أَنّ قصيدةَ السيّد التي يقول فيها[2] : [من الخفيف]

إنَّ يـومَ التطهيرِ يـومٌ عظيم خُصَّ بالفضل فيه أَهلُ الكِساءِ[3]

قُرِئَتْ على مِنبر ما كان فيها بأسٌ ، ولو أَنّ شعره كلَّه كان مثْلَه لرويناه وما عيَّبناه .

وأَخبرني أَبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا العبّاس بن ميمون طائع قال حدّثنا نافع عن التَّوَّزِيّ بهذه الحكاية بعينها فإنّه قالها في : [من الخفيف]

إنّ يـوم التّطْهير يـوم عظيم

[أعرابيّ يفضّله على جرير]

قال : ولم يكن التوَّزّيّ متشيّعاً . قال عليّ بن المغيرة حدَّثني الحسين بن ثابت قال : قدِم علينا رجل بدويٌّ وكان أَروى الناسِ لجرير ، فكان يُنشدني الشيءَ من شعره ، فأُنْشِد في معناه للسيّد حتى أَكثرتُ . فقال لي : ويحك ؛ مَن هذا ؟ هو والله أَشعر من صاحبنا .

[مدح السفاح]

أَخبرني أَبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثني الحسن بن عُلَيْل العنَزيّ عن ابن عائشة قال : لمّا استقام الأَمر لبني العبّاس قام السيِّد إلى أَبي العبّاس السفّاح حين نزل عن المِنبر فقال[4] : [من السريع]

دُونكُموهـا يـا بنـي هاشمٍ فجَدِّدوا مـن عهدها الدَّارسا

---

1 يمرقون : يغنون .
2 لم يرد هذا البيت في ديوانه المطبوع .
3 أهل الكساء : هم علي وفاطمة والحسن والحسين كما في بعض الروايات .
4 ديوانه : 258–259 مع بعض اختلاف في بعض الأبيات .

دُونَكُموها لا عـلا كعبُ مَنْ كان عليكـم مُلكَهـا نافسا
دونَكُموهـا فالْبَسوا تاجَها لا تَعْدَمـوا منكم لـه لابسا
لـو خُيِّـر المِنبـرُ فُرسانَـه مـا اختار إلاّ منكُـم فارسا
قـد ساسها قبلكُـم ساسةٌ لم يتركـوا رَطْبـاً ولا يابسا
ولستُ من أن تَمْلِكوهـا إلى مَهْبِـط عيسى فيكـمُ آيسا

فسُرّ أبو العبّاس بذلك ، وقال له : أحسنتَ يا إسماعيل ! سَلْني حاجتَك ؛ قال : تُوَلِّي سليمان بن حبيب الأهواز ، ففعل .

[جعفر بن محمّد يبكي لسماع شعره]

وذكر التّميميّ ، وهو علي بن إسماعيل ، عن أبيه قال : كنتُ عند أبي عبد الله جعفر بن محمّد إذ استأذن آذِنُه للسيّد ، فأمره بإيصاله ، وأقعد حُرَمَه خلف سترٍ . ودخل فسلّم وجلس . فاستنشده فأنشده قولَه[1] : [من مجزوء الكامل]

أُمْرُرْ على جَدَث الحسيـ ـن فَقُل لأَعْظُمِه الزكيّهْ[2]
آأعْظُما لا زِلْـتِ مـن وَطْفـاءَ ساكبـةٍ رَوِيّـهْ[3]
وإذا مـررتَ بقبـره فأَطِلْ بـه وَقْـفَ المطِيّهْ
وابْـكِ المُطَهَّـرَ للمطهَّـ ـر والمطهَّـرة النّقيّـهْ[4]
كبُكـاء مُعْوِلـةٍ أتـت يومـاً لواحدهـا المنيّـهْ[5]

قال : فرأيتُ دموعَ جعفر بن محمّد تتحدّر على خدّيه ، وارتفع الصُّراخ والبكاء من داره ، حتى أمره بالإمساك فأمسك . قال : فحدّثت أبي بذلك لمّا انصرفت ؛ فقال لي : ويلي على الكَيْساني الفاعل ابن الفاعل ! يقول : [من مجزوء الكامل]

فـإذا مـررتَ بقبـره فأَطِل بـه وقْـفَ المطيَّهْ

فقلت : يا أبتِ ، وماذا يصنع ؟ قال : أوَلا يَنْحر ! أوَلا يقتُل نفسَه ! فثكِلَتْه أُمُّه ! .

---

1 ديوانه : 470 .
2 فَقُل في الديوان : وقل .
3 آأعظما في الديوان : يا أعظماً . وطفاء : ثقيلة لكثرة مائها .
4 النقية في الديوان : الزكيّة .
5 أتت في الديوان : غدت .

[من أفضل الناس بعد النبيّ !]

حدّثني أبو جعفر الأعرج ، وهو ابن بنت الفُضَيل بن بَشّار ، عن إسماعيل بن الساحر راويةِ السيّد ، وهو الذي يقول فيه السيّد في بعض قصائده[1] : [من الوافر]

وإسماعيلُ يَبْرُز من فلانٍ ويزعمُ أنّه للنَّارِ صالي

قال : تلاحى رجلانِ من بني عبد الله بن دارِم في المُفاضلة بعد رسول الله ﷺ وآله ؛ فرضِيا بحكم أوّل من يطلُع . فطلع السيّدُ ، فقاما إليه وهما لا يعرفانه ، فقال له مُفضِّل عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه منهما : إنّي وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقلت : عليّ بن أبي طالب . فقطع السيّدُ كلامَه ثم قال : وأيّ شيء قال هذا الآخَرُ ابنُ الزانية ؟ فضحك مَنْ حضر ووجَم الرجلُ ولم يُحِرْ جواباً .

[ما يغفره الله لحبّ علي !]

وقال التَّميميّ وحدّثني أبي قال قال لي فُضَيل الرسان : أنْشِد جعفرُ بن محمّد قصيدةَ السيِّد[2] : [من السريع]

لأُمِّ عمرو باللِّوَى مَرْبَعُ دارسةٌ أعلامُه بَلْقَعُ

فسمِعتُ النَّحيبَ من داره . فسألني لَمن هي ، فأخبرتُه أنّها للسيِّد ، وسألني عنه فعرَّفتُه وفاتَه ؛ فقال : رحمه الله . قلت : إنّي رأيتُه يشرب النبيذَ في الرُّسْتاق[3] ؛ قال : أتعني الخمر ؟ قلت نعم . قال : وما خطرُ ذنْبٍ عند الله أن يغفِره لمُحِبِّ عليٍّ ! .

[قوله بالرجعة]

وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن موسى قال : جاء رجلٌ إلى السيِّد فقال : بلغني أنّك تقول بالرَّجْعة[4] ؛ فقال : صدق الذي أخبرك ، وهذا دِيني . قال : أفتعطيني ديناراً بمائة دينار إلى الرَّجْعة ؟ قال السيِّد : نعم وأكثر من ذلك إن وثَقْتَ لي بأنّك تَرْجع إنساناً . قال : وأيَّ شيء أرجع ؟ قال : أخشى أن تَرجع كلباً أو خِنْزِيراً فيذهب مالي ؛ فأفحمه .

[جعفر بن عفان الطائي ومهره]

أخبرني[5] الحسن بن عليّ قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال قال جعفر بن عفّان الطائيّ

---

1 لم يرِد هذا البيت في ديوانه .

2 ديوانه : 261 .

3 الرستاق : كلّ موضع فيه مزدرع وقرى .

4 الرجعة : مذهب من يقول بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت .

5 هذه حكاية مقحمة على ترجمة السيّد الحميري . ولعلّ الذي دعا أبا الفرج إلى إدراجها هنا هو النيل من عمر في الأبيات الأربعة الأخيرة من الشعر جرياً على طريقة الحميري في سبّ السلف .

الشاعر : أهدى إليّ سليمان بن عليّ مُهْراً أعجبني وعزَمْتُ تربيتَه . فلمّا مضت عليّ أشهرٌ عزَمتُ على الحجّ ، ففكّرت في صديق لي أودِعه المهرَ ليقومَ عليه ، فأجمع رأيي على رجل من أهلي يقال له عمر بن حَفْص ، فصِرْتُ إليه فسألته أن يأمر سائسَه بالقيام عليه وخبّرتُه بمكانه من قلبي ؛ ودعا بسائسه فتقدّم إليه في ذلك ؛ ووهبتُ للسائس دراهمَ وأوصيتُه به ، ومضيتُ إلى الحجّ . ثم انصرفتُ وقلبي متعلّق به ، فبدأتُ بمنزل عمر بن حفص قبل منزلي لأعرف حالَ المهر ، فإذا هو قد رُكِبَ حتى دَبِرَ ظهرُه وعَجِفَ من قلّة القيام عليه . فقلت له : يا أبا حفص ، أهكذا أوصيتُك في هذا المهر ! فقال : وما ذنبي ! لم يَنْجَع فيه العَلَفُ . فانصرفتُ به وقلت : [من البسيط]

مَنْ عاذري من أبي حفص وثِقْتُ به ... وكان عندي لـه في نفسه خطرُ
فلـم يكن عند ظنّـي في أمانته ... والظنّ يُخْلَـف والإنسانُ يُختَبَرُ
أضاع مهري ولم يُحسن ولايتَه ... حتى تبيّن فيـه الجَهْدُ والضَّرَرُ
عاتبتُه فيـه في رفق فقلتُ لـه ... يا صاحِ هل لكَ من عذر فتعتذِرُ
فقال داءٌ بـه قِدْمـاً أضَرّ بـه ... وداؤه الجوعُ والإتعابُ والسفرُ
قد كان لي في اسمه عنـه وكُنْيتِـه ... لـو كنـتُ مُعْتَبِراً نـاهٍ ومُعْتَبَرُ
فكيف ينصحني أو كيف يحفظني ... يوماً إذا غِبتُ عنـه واسمه عمرُ
لـو كان لي وَلَدٌ شتّى لهم عددٌ ... فيهم سميُّوه إن قَلُّوا وإن كثُروا
لم ينصحوا لي ولم يُبْقُوا عليّ ولو ... ساوى عديدَهمُ الحَصْباءُ والشجرُ

[هجاء بني عدي وبني تيم]

قال وحدَّثني أبو سليمان النّاجي قال : جلس المهديّ يوماً يعطي قريشاً صِلات لهم وهو وليُّ عهدٍ ، فبدأ ببني هاشم ثم بسائر قُريش . فجاء السيّد فرفع إلى الرَّبيع[1] رقعةً مختومة وقال : إن فيها نصيحة للأمير فأوْصِلْها إليه ، فأوصلها ، فإذا فيها[2] : [من الكامل]

قُـل لابـن عَبّاسٍ سَمِيِّ محمَّدٍ ... لا تُعْطِينَّ بني عَـدِيّ درهما[3]
احْرِمْ بني تَيْم بـن مُـرّةَ إنّهم ... شرُّ البريّـة آخـراً ومُقَدَّما[4]

1 هو الربيع بن يونس حاجب المنصور .
2 ديوانه : 377–378 .
3 بنو عدي : رهط عمر بن الخطّاب .
4 بنو تيم : رهط أبي بكر الصديق .

إن تُعْطِهِمْ لا يشكروا لك نعمةً ويكافئوك بـأن تُـذَمّ وتُشْتما
وإن ائتمنتهـــمُ أو استعملتَهم خانوك واتّخذوا خَراجك مَغْنما
ولئـــن منعتَهمُ لقد بَدَءوكُم بالمَنْع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تُـراثَ محمّـدٍ أعمامَه وابْنَيْـهِ وابنتَـه عَدِيلـةَ مَرْيما
وتأمّروا مـــن غير أن يُسْتَخْلَفوا وكفى بما فعلوا هنالك مَأْثَما
لم يشكروا لمحمّـد إنعامَـه أفيشكـرون لغيره إن أنْعما
واللهُ مـــنّ عليهـــمُ بمحمَّد وهداهمُ وكَسا الجُنوبَ وأطْعما
ثـــم انبرَوْا لوصيِّـه ووليّـه بالمُنْكَرات فجرَّعـــوه العلْقَما

وهي قصيدةٌ طويلة حُذف باقيها لقبح ما فيه . قال : فرمى بها إلى أبي عُبيد الله[1] ثم قال : اقطع العطاءَ فقطَعه ؛ وانصرف الناس ؛ ودخل السيّد إليه ، فلمّا رآه ضحك وقال : قد قبِلنا نصيحتَك يا إسماعيل ، ولم يُعطهم شيئاً . أخبرني به عمّي عن محمَّد بن داود بن الجرّاح عن إسحاق النَّخَعيّ عن أبي سليمان الرِّياحيّ مثلَه .

[مناظرة شيطان الطاق له في الإمامة]

أخبرني الحسن بن محمَّد بن الجمهور القُمِّيّ قال حدَّثني أبي قال حدَّثني أبو داود المسترِق راويةُ السيّد : أنّه حضر يوماً وقد ناظره محمَّد بن عليّ بن النعمان المعروف بشيطان الطَّاق في الإمامة ، فغلبَه محمَّد في دفع ابن الحنفيّة عن الإمامة ؛ فقال السيّد[2] : [من الوافر]

ألا يـا أيّها الجَـدِل المعنِّي لنا ، ما نحن وَيْحَك والعَناءُ[3]
أتُبْصِر مـا تقول وأنت كهلٌ تُراك عليك مـن وَرَع رِداءُ
ألا إنّ الأئمّـةَ مـن قريشٍ ولاةُ الحـقِّ أربعـةٌ سَواءُ
عـليٌّ والثلاثـةُ مـن بَنِيه هـمُ أسْباطُـه والأوصيـاءُ
فأنّى في وصيّتـه إليهـم يكـونُ الشكّ منّـا والمِـراءُ
بهـم أوصاهُـم ودعـا إليه جميعَ الخلق لو سُمِع الدّعاءُ
فسِبْطٌ سِبْطُ إيمـانٍ وحِلْـمٍ وسبـطٌ غيّبتْـه كَـــرْبَلاءُ

1 هو أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله الأشعري كاتب المهدي .
2 ديوانه : 50–51 وانظر أبيات منسوبة لكثير في ديوانه (جمع إحسان عباس) : 521–522 .
3 الجدل : الشديد الخصومة .

سقـى جَدَثـاً تضمّنه مُلِثٌّ هَتُوفُ الرَّعـدِ مُرْتَجِزٌ رِواءُ[1]
تَظَـلُّ مُظِلَّـةً منهـا عَـزالٍ عليه وتَغْتَدي أُخـرى مِلاءُ[2]
وسِبْط لا يذوق الموتَ حتى يقودَ الخيلَ يَقْدُمهـا اللواءُ
مـن البيت المحجَّبِ في سَراةٍ شُراةٍ لَـفّ بينهـمُ الإخاءُ
عصائبُ ليس دونَ أغرَّ أجلى بمكّـةَ قائـمٍ لهـمُ انتهاءُ

[رؤيا العبديّ]

وهذه الأبيات بعينها تُروى لكثيِّر ، ذكر ذلك ابنُ أبي سعد فقال وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عليّ بن محمَّد النَّوْفَليُّ قال حدَّثني إبراهيم بن هاشم العَبْديّ البصريّ قال : رأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه السيّدُ الشاعر وهو يُنشد[3] : [من الوافر]

أجَدّ بآل فاطمـةَ البُكورُ فدمـعُ العين مُنْهَمِرٌ غزيرُ

حتى أنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع . قال : فحدّثتُ هذا الحديثَ رجلاً جمعتْني وإيّاه طُوسُ عند قبر عليّ بن موسى الرِّضا ، فقال لي : والله لقد كنتُ على خلافٍ فرأيت النبيّ ﷺ في المنام وبين يديه رجل يُنشد : [من الوافر]

أجَـدّ بـآل فاطمـة البُكورُ

إلى آخرها ؛ فاستيقظتُ من نومي وقد رسَخ في قلبي من حبّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنتُ أعتقِدُه .

أخبرني وَكيع قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد قال حدَّثنا أبو سليمان النَّاجي ومحمَّد بن حَليم الأعرج قالا : كان السيّد إذا استُنْشِد شيئاً من شعره لم يَبْدأ بشيء إلاّ بقوله : [من الوافر]

أجَدّ بآل فاطمـةَ البُكُورُ فدمعُ العين مُنْهمـر غزيرُ

[رأي العتبيّ في شعره]

قال إسحاق : وسمعتُ العُتْبيَّ يقول : ليس في عصرنا هنا أحسنُ مذهباً في شعره ولا أنقى ألفاظاً من السيّد ، ثم قال لبعض مَن حضر : أنْشِدْنا قصيدتَه اللاّميّة التي أنْشَدْتَناها اليوم ؛ فأنشدَه قولَه[4] : [من السريع]

---

1 الملث : المطر الذي يدوم أيّاماً . ارتجاز الرعد : تتابع صوته . رواء : كثير يروي .

2 العزالي : مصبّ الماء من القربة . ويعني هنا المطر الكثير .

3 ديوانه : 197 .

4 ديوانه : 321–322 .

هـل عنـد مَن أحببتَ تَنْوِيلُ أم لا فـإنّ اللّـومَ تَضْليلُ
أم في الحشى منك جوىً باطِنٌ ليس تُداويـــه الأَبـاطيلُ
عُلِّقتَ يـا مغرورُ خَدّاعـةً بالوعـد منهـا لـك تَخْيِيلُ
رَيَّـا رَداح النوم خَمْصانـة كأنّهـا أدْمـاءُ عُطْبـولُ[1]
يَشفيك منهـا حينَ تخلو بها ضـمٌّ إلى النحـر وتَقْبيـلُ
وذوْقُ ريـقٍ طيّبٍ طعمُـه كأنّـه بـالمسك مَعْلـولُ
في نِسوةٍ مثـلِ المَهَـا خُـرَّدٍ تَضِيـقُ عنهـنَّ الخـلاخيلُ

يقول فيها :

أُقسم بـــالله وآلائِـــه والمرءِ عمّـا قـال مسؤولُ
إنّ عـليّ بـن أبـي طالب على التُّقـى والبِـرِّ مَجْبـولُ

فقال العتبيّ : أحسن والله ما شاء ، هذا والله الشعرُ الذي يهجُم على القلب بلا حجاب .

في البيتين الأوّلين من هذه القصيدة لُمخارِق رَمَلٌ بالبنصر عن الهشاميّ ، وذكر حَبَش أنّه للغَريض . وفيه لحنٌ لسليمان من كتب بَذْل غيرُ مجنّس .

[لا يستعمل الغريب في شعره]

أخبرني عمّي قال حدّثني محمّد بن داود بن الجرّاح قال حدّثني إسحاق بن محمّد النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن إسحاق بن ثابت العطّار قال : كنّا كثيراً ما نقول للسيّد : ما لك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء ؟ قال : لأَنْ أقول شعراً قريباً من القلوب يَلَذُّه مَنْ سمِعه خيرٌ من أن أقول شيئاً متعقّداً تَضِلّ فيه الأوهام .

[سب محارب بن دثار وترحم على أبي الأسود]

أخبرني أحمد بن عَمّار قال أخبرنا يعقوب بن نُعيم قال حدّثني إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ راويةُ الشعراء[2] بالكوفة قال حدّثنا أبو مسعود عمرو بن عيسى الرَّباح ومحمّد بن سَلَمة ، يزيد بعضُهم على بعض : أنّ السيّد لمّا قَدِم الكوفةَ أتاه محمّد بن سهل راويةُ الكميت ؛ فأقبل عليه السيّد فقال : مَن الذي يقول : [من الوافر]

يَعِيـبُ عـليَّ أقـوامٌ سَفاهاً بأن أُرْجِـي أبا حسن عليّا

1 الأدماء : كالظبية . العطبول : الطويلة العنق .

2 ل : الشعر .

وإرجائي أبـا حسن صوابٌ عن العُمَرَيْنِ بَـرّاً أو شَقِيّا[1]
فإن قدَّستُ قوماً قـال قومٌ أسأتَ وكنتَ كذّابـاً رَدِيّا
إذا أيقنـتُ أنّ الله ربّـي وأرْسل أحمـداً حقّـاً نَبِيّا
وأنّ الرُّسْلَ قـد بُعِثوا بحـقّ وأنّ الله كان لهـم وليّـا
فليس عـليّ في الإرجاء بأسٌ ولا لَبْسٌ ولست أخاف شيّا ؟

فقال محمَّد بن سهل : هذا يقوله مُحارِب بن دِثار الذُّهْليّ . فقال السيّد : لا كان الله وليّاً للعاضّ بَظْرَ أمّه ! مَن يُنشدنا قصيدة أبي الأسود : [من الوافر]

أُحِبّ محمَّـداً حبّـاً شديـداً وعبّـاساً وحمـزَةَ والوصيّـا

فأنشده القصيدة بعض مَن كان حاضراً ؛ فطفِق يَسُبّ محارب بن دِثار ويترحّم على أبي الأسود . فبلغ الخبرُ منصوراً النَّمريّ فقال : ما كان على أبي هاشم لو هجاه بقصيدة يعارض بها أبياته ، ثم قال : [من الوافر]

يَوَدُّ محارِبٌ لـو قـد رآها وأبصرهـم حَوالَيْهـا جُثِيّا
وأنّ لسانَه مـن ناب أفعـى ومـا أرْجا أبـا حسن عليًّا
وأنَّ عَجُوزَه مَصَعَتْ بكلب وكان دمـاءُ ساقَيْها جَرِيّا[2]
متـى تُرْجِىء أبا حسن عليّاً فقـد أرجَيْـتَ يا لُكَـعُ نبيًّا

[كان جعفر بن سليمان ينشد شعره]

أخبرني محمَّد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن الباهليّ قال : دخلتُ على جعفر بن سليمان الضُّبَعيّ ومعي أحاديثُ لأسأله عنها وعنده قومٌ لم أعرفهم ، وكان كثيراً ما يُنشد شعرَ السيّد ، فمن أنكره عليه لم يحدّثه ؛ فسمعتُه يُنشدهم[3] : [من الكامل]

مـا تعدِلُ الدُّنيا جميعاً كلُّها من حوض أحمدَ شَرْبَةً من ماء

ثم جاءه خبر فقام . فقلت للذين كانوا عنده : مَن يقول هذا الشعر ؟ قالوا : السيّد الحميريّ .

---

1 الإرجاء : التأخير . وهو هنا تأخير الإمام علي إلى الدرجة الرابعة .
2 مصعت : رمت .
3 ديوانه : 52 .

[هجاء زبيرية]

حدَّثني عمِّي والكُرانيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد عن عبد الله بن الحسين عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن الحارث بن صَفْوان ، وأخبرني به الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه : أنّ السيّد كان بالأهواز ؛ فمرَّت به امرأة من آل الزُّبَير تُزَفّ إلى إسماعيل بن عبد الله بن العبّاس ، وسمِع الجَلَبَة فسأل عنها فأُخبر بها ؛ فقال[1] : [من المتقارب]

أتتنا تُـزَفّ على بغلة وفوق رحالتهـا قُبّـهْ
زُبَيْريّةٌ من بنـات الذي أحلَّ الحرامَ مـن الكعبهْ
تُزَفّ إلى ملك ماجـد فلا اجتمعا وبها الوَجْبهْ[2]

روى هذا الخبرَ إسماعيلُ بن الساحر فقال فيه : فدخلتْ في طريقها إلى خَرِبَةٍ للخَلاء ، فنَهشَتْها أفعى فماتت ؛ فكان السيّد يقول : لَحِقَتْها دعوتي .

[يدعو على الذين خرجوا للاستسقاء]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل عن أبي طالب الجَعْفَريّ ، وهو محمَّد بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن جعفر ، قال أخبرني أبي قال : خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيّدُ وعليه ثيابُ خَزّ وجُبّةٌ ومِطْرَفٌ وعِمامة ؛ فجعل يَجُرّ مِطْرَفه ويقول[3] : [من السريع]

اهْبِطْ إلى الأرض فخُذْ جَلْمداً ثـم ارْمِهم يـا مُزْنُ بالجَلْمَدِ
لا تَسْقِهم مـن سَبَلٍ قطـرةً فإنّهـم حَـرْبُ بنـي أحمـدِ

[تعريضه برواة الحديث]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا محمَّد بن إسحاق البَغَويّ قال حدَّثنا الحِرْمازِيّ قال حدَّثني رجل قال : كنت أختلفُ إلى ابني قيس ، وكانا يرويان عن الحسن ؛ فلقيني السيّد يوماً وأنا منصرف من عندهما ، فقال : أرِني ألواحَك أكتب فيها شيئاً وإلاّ أخذتُها فمحوت ما فيها . فأعطيتُه ألواحي فكتب فيها[4] : [من البسيط]

لَشَرْبَـةٌ من سَوِيقٍ عند مَسْغَبَـةٍ وأَكْلَةٌ من ثَرِيـدٍ لحمُـه وارِي

---

1 ديوانه : 137 .
2 الوجبة : الوقعة أو صوت السقوط . وفي المثل : بجنبه فلتكن الوجبة .
3 ديوانه : 180 .
4 ديوانه : 234 .

أَشَدُّ ممّـا روى حُبّـاً إليّ بنـو قيس وممّا رَوى صَلْتُ بن دِينارِ[1]
مِمّـا رواه فـلانٌ عـن فلانِهمُ ذاك الذي كان يدعوهم إلى النارِ

[إنشاده في النبي شعراً في المنام مرة أخرى]

أخبرني أحمد بن عليّ الخفّاف قال حدّثني أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن طَباطَبا قال : سمعت زيدَ بن موسى بن جعفر يقول : رأيتُ رسولَ الله ﷺ في النوم وقُدّامَه رجلٌ جالسٌ عليه ثيابٌ بيضٌ ؛ فنظرتُ إليه فلم أَعْرِفْه ، إذ التفتَ إليه رسول الله ﷺ فقال : يا سيّد ، أنشدني قولَك : [من السريع]

لأُمِّ عمـرو في اللِّـوَى مَرْبَـعُ

فأنشده إيّاها كلَّها ما غادر منها بيتاً واحداً ، فحفظتُها عنه كلَّها في النوم . قال أبو إسماعيل : وكان زيد بن موسى لَحّانَةً رديء الإنشاد ، فكان إذا أنشد هذه القصيدةَ لم يَتَتَعْتَعْ فيها ولم يَلْحَن .

[تزل قدم وتثبت أخرى]

وقال[2] محمّد بن داود بن الجرّاح في روايته عن إسحاق النَّخَعيّ حدّثني عبد الرحمن بن محمّد الكُوفيّ عن عليّ بن إسماعيل الهَيْثَميّ عن فُضَيْل الرسان قال : دخلت على جعفر بن محمّدٍ أُعَزِّيه عن عَمّه زيد ، ثم قلت له : ألا أُنشِدُك شعرَ السيّد ؟ فقال : أَنْشِد ؛ فأنشدتُه قصيدةً يقول فيها : [من السريع]

فالناسُ يـومَ البعْث راياتُهم خمسٌ فمنهـا هالكٌ أَرْبَعُ
قائدُهـا العجل وفِرعَونهم وسامِـريّ الأُمّـةِ المُفْظِعُ
ومـارِقٌ مـن دينـه مُخْرَج أسودُ عبـدٌ لُكَعٌ أَوْكَعُ[3]
ورايـةٌ قائدُهـا وجهُـه كأنّـه الشمسُ إذا تطلُـعُ

فسمعتُ مُجيباً من وراء الستور فقال : من قائل هذا الشعر ؟ فقلت : السيّد ! فقال : رحمه الله . فقلت : جُعِلت فِداك ! إنّي رأيتُه يشرب الخمر . فقال : رحمه الله ؛ فما ذنبٌ على الله أن يغفِره لآل عليّ ! إنّ محبَّ عليّ لا تَزِلّ له قَدَمٌ إلاّ تَثْبُتُ له أُخرى .

حدّثني الأَخْفَش عن أبي العَيْناء عن عليّ بن الحسن بن عليّ بن الحسين عن أبيه عن جعفر بن

1 كان ضعيف ، متهم الرواية وينتقص الإمام علي .
2 تقدّم بمثل هذا الخبر عن فضيل الرسان .
3 أوكع : لئيم .

محمَّد أنّه ذكر السيّد فترحّم عليه وقال : إن زلّتْ له قَدَمٌ فقد ثَبَتَتِ الأُخرى .

[غرّق رجلاً ماراه في تفضيل علي]

نسختُ من كتاب الشّاهِيني حدَّثني محمَّد بن سهل الحِمْيَريّ عن أبيه قال : انحدر السيّد الحميريّ في سفينة إلى الأهواز ، فماراه رجلٌ في تفضيل عليّ وباهلَه[1] على ذلك . فلمّا كان الليل قام الرجل ليبولَ على حرف السفينة ، فدفَعه السيّد فغرّقه ؛ فصاح الملاّحون : غرِق والله الرجلُ ؛ فقال السيّد : دعوه فإنّه باهلني .

[هجا قوماً لم ينصتوا لشعره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَش قال حدَّثني محمَّد بن يزيد المبرّد قال حدَّثني التّوّزِيّ قال : جلس السيّدُ يوماً إلى قوم ، فجعل يُنشدهم وهم يَلْغَطُون ؛ فقال[2] : [من البسيط]

قد ضيّع اللهُ ما جمّعتُ من أدب ... بين الحَمير وبين الشّاءِ والبقرِ
لا يَسمعون إلى قول أُجيءُ به ... وكيف تَستَمِعُ الأنعامُ للبَشَرِ
أقول ما سكتوا إنْسٌ فإن نطقوا ... قلتُ الضفادعُ بين الماء والشجرِ

[اغتابه رجل فهجاه]

أخبرني محمَّد بن جعفر النّحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم البَزّيّ قال حدَّثنا إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ عن محمَّد بن الرَّبيع عن سُوَيد بن حَمْدان بن الحُصَيْن قال : كان السيّدُ يختلفُ إلينا ويَغْشانا ، فقام من عندنا ذاتَ يومٍ ، فخلفه[3] رجل وقال : لكم شرفٌ وقَدْر عند السلطان ، فلا تجالسوا هذا فإنّه مشهور بشرب الخمر وشتمِ السلف . فبلغ ذلك السيّدَ فكتب إليه[4] : [من المتقارب]

وصَفْتُ لك الحوضَ يا ابنَ الحُصَيْن ... على صِفَةِ الحارث الأَعْوَرِ[5]
فإن تُسْقَ منه غداً شَرْبَةً ... تَفُزْ من نصيبك بالأوفرِ
فما لِيَ ذنبٌ سوى أنّني ... ذكرتُ الذي فرَّ عن خيبرِ[6]

---

1 باهله : لاعنه .
2 ديوانه : 237 .
3 ل : فتخلّفه .
4 ديوانه : 229 .
5 الحارث الأعور بن عبد الله بن كعب من مقدمي أصحاب الإمام علي مات بالكوفة سنة 65هـ .
6 إشارة إلى عمر بن الخطّاب الذي تقول الرواية إنّه لم يستطع فتح خيبر وفتحها علي .

ذكرتُ امْـرءاً فـرَّ عـن مِرْحَبٍ فِـرارَ الحمـار مـن القَسْوَرِ[1]
فأنكـر ذاك جليسٌ لكـم زَنيـمٌ أخـو خُلُـقٍ أعـورِ
لَحـاني بحـبِّ إمـام الهـدى وفـاروقِ أُمَّتنـا الأكبـرِ
سأحلِـق لحيتَـه إنّهـا شهـودٌ على الـزّور والمُنْكـرِ

قال : فهجر والله مشايخُنا جميعاً ذلك الرجلَ ولزِموا محبَّة السيّد ومجالستَه .

[ردّ سوّار بن عبد الله شهادته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ قال حدَّثنا مهديّ بن سابق . أنّ السيّد تقدّم إلى سَوّار القاضي ليشهدَ عنده ، وقد كان دافع المشهودَ له بذلك وقال : أعفني من الشهادة عند سوّار ، وبذَل له مالاً فلم يُعْفِه . فلمّا تقدّم إلى سوّار فشهد قال : ألستَ المعروفَ بالسيّد ؟ قال : بلى ؛ قال : استغفر اللهَ من ذنب تجرَّأتَ به على الشهادة عندي ، قُمْ لا أرضى بك . فقام مُغْضَباً من مجلَسه وكتب إلى سوّار رقعةً فيها يقول[2] : [من مجزوء الرمل]

إنّ سوّار بن عبد الله من شرِّ القضاة

فلمّا قرأها سوّار وثب عن مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور وهو يومئذٍ نازل بالجسر ، فسبقه السيّد إليه فأنشده[3] : [من البسيط]

قُـل للإمام الذي يُنْجي بطاعته يومَ القيامة مـن بُحْبُوحة النارِ[4]
لا تَسْتَعِينَنْ جـزاك الله صالحـةً يـا خيرَ من دَبّ في حكمٍ بسَوّارِ
لا تَسْتَعِنْ بخبيث الرأي ذي صَلَفٍ جَمّ العيوب عظيـمِ الكِبْر جبّارِ
تُضْحِي الخصومُ لديه من تجبّره لا يَرفعـون إليـه لحـظَ أبصارِ
تِيهـاً وكِبْراً ولـولا ما رفعتَ لـه من ضَبْعه كان عينَ الجائعِ العاري[5]

ودخل سوّارٌ ؛ فلمّا رآه المنصور تبسّم وقال : أما بلغكَ خبرُ إيّاس بن معاوية حيث قَبِل شهادةَ الفرزدق واستزاد في الشهود[6] ! فما أحوجكَ للتعريض للسيّد ولسانه ؟ ثم أمر السيّدَ بمصالحته .

---

1 مرحب هو اليهودي صاحب حصن خيبر قتله محمّد بن مسلمة في رواية أو علي بن أبي طالب في رواية أخرى . القسور : الأسد . وهنا إشارة إلى الآية : ﴿كأنّهم حُمرٌ مستنفرة . فرّتْ مِن قسْورة﴾ (المدثر : 50–51) .

2 ديوانه : 139 وهي فيه مقطوعة من 13 بيتاً .

3 ديوانه : 232–233 .

4 بحبوحة المكان : وسطه .

5 الضبع : وسط العضد ويُطلق أيضاً على الإبط .

6 سيرد خبر إياس مع الفرزدق في ترجمة الثاني .

[مدح المنصور لمّا ولّى ابنيه العهد]

وقال إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ حدَّثني عبد الله بن محمَّد الجَعْفَريّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله الحِمْيَريّ قال[1] : دخل السيّد على المهديّ لمّا بايع لابنَيْه موسى وهارون ، فأنشأ يقول : [من السريع]

ما بالُ مَجْرَى دمْعِكَ الساجِمِ ... أَمِنْ قَذىً بات بها لازِمِ
أَمْ مِن هوىً أنتَ له ساهر ... صبابةً من قلبك الهائمِ
آليتُ لا أمدحُ ذا نائلٍ ... من مَعْشرٍ غيرَ بني هاشمِ
أَوْلَتْهُمُ عندي يدُ المصطفى ... ذي الفضل والمَنّ أبي القاسمِ
فإنّها بيضاءُ محمودةٌ ... جزاؤها الشّكرُ على العالَمِ
جزاؤها حفظُ أبي جعفرٍ ... خليفةِ الرحمن والقائمِ
وطاعةُ المهديّ ثم ابنِه ... موسى على ذي الإرْبةِ الحازمِ
وللرشيد الرّابع المُرْتَضى ... مُفْتَرَضٌ من حقّه اللاّزمِ
ملكُهمُ خمسون معدودةً ... برَغْم أنف الحاسدِ الرّاغمِ
ليس علينا ما بَقُوا غيرَهم ... في هذه الأمّة من حاكمِ
حتى يَردّوها إلى هابط ... عليه عيسى منهمُ ناجمِ

[الأعمش يكتب عنه فضائل عليّ بن أبي طالب]

وقال عليّ بن المُغيرة حدَّثني عليّ بن عبد الله السَّدُوسيّ عن المَدائنيّ قال : كان السيّد يأتي الأعمش فيكتب عنه فضائلَ عليّ رضي الله عنه ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً . فخرج ذاتَ يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمَله على فرس وخلَع عليه ؛ فوقف بالكُنَاسة ثم قال : يا معشرَ الكوفيّين ، مَن جاءني منكم بفضيلة لعليّ بن أبي طالب لم أَقُل فيها شعراً أعطيتُه فرسي هذا وما عَلَيّ . فجعلوا يُحدّثونه ويُنشدهم ؛ حتى أتاه رجل منهم وقال : إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه عزم على الركوب ؛ فلبِس ثيابَه وأراد لُبْسَ الخُفّ فلبِس أحدَ خُفّيْه ، ثم أهوى إلى الآخَر ليأخذه فانقضّ عُقَابٌ من السماء فحلّق به ثم ألقاه فسقط منه أسْوَدُ[2] وانساب فدخل جُحْراً ؛ فلبس عليٌّ رضي الله عنه الخُفّ . قال : ولم يكن قال في ذلك شيئاً ؛ ففكّر هنيهةً ثم قال[3] : [من الوافر]

1 ديوانه : 406–407 عن الأغاني .
2 الأسود : العظيم من الحيّات .
3 من قصيدة في ديوانه : 120– 127 تتألّف من 27 بيتاً .

ألا يـا قومِ للعَجَبِ العُجابِ لخُفّ أبي الحسين وللحُبابِ[1]
أتـى خُفّـاً لـه وآنساب فيـه لِيَنْهشَ رِجلَـه منـه بنـابِ
فخَـرّ مـن السماء لـه عُقابٌ من العِقْبـان أو شِبْهُ العُقابِ
فطار بـه فحلّق ثـم أهْوى به للأرض من دون السّحابِ
إلى جُحْـرٍ لـه فانساب فيـه بعيـدِ القَعْرِ لم يُرْتَـجْ بابِ
كريهُ الوجه أسودُ ذو بَصيصٍ حديدُ النَّـابِ أزْرقُ ذو لُعابِ
ودُوفِع عـن أبي حسن عليٍّ نَقِيعُ سِمامـه بعـد آنسيابِ

ثم حرّك فرسَه ومضى وجعل تَشْبيبها بعد ذلك : [من الوافر]

صبوتُ إلى سُلَيْمى والرَّبـاب وما لأخي المَشيبِ وللتَّصابي

أخبرني أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن سعيد قال حدَّثني عبد الله بن أحمد بن مُسْتورد قال : وقف السيّد يوماً بالكوفة ، فقال : مَن أتاني بفضيلة لعليّ بن أبي طالب ما قلتُ فيها شعراً فلَهُ دينارٌ ، وذكر باقي الحديث . فأمّا العُقاب الذي انقضّ على خفٍّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فحدَّثني بخبره أحمد بن محمَّد بن سعيد الهَمْدانيّ قال حدَّثني جعفر بن عليّ بن نجيح قال حدَّثنا أبو عبد الرحمن المسعوديّ عن أبي داود الطَّهَويّ عن أبي الزِّعْل المُراديّ قال : قام عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فتطهّر للصلاة ، ثم نزع خُفّه فانساب فيه أفعى ، فلمّا عاد ليَلْبسَه انقضّتْ عقابٌ فأخذته فحلّقت به ثم ألقته فخرج الأفعى منه . وقد رُوي مثل هذا لرسول الله ﷺ .

حدَّثني به أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن سعيد قال حدَّثني محمَّد بن عبيد بن عُقْبة قال حدَّثنا محمَّد بن الصَّلْت قال حدَّثنا حيّان بن عليّ عن أبي سعيد عن عِكْرمة عن ابن عبّاس قال : كان النبيّ ﷺ إذا أراد حاجةً تَباعَد حتى لا يَراه أحدٌ ، فنَزَع خُفّه فإذا عُقابٌ قد تدلّى فرفعه فسقط منه أسودُ سالخ . فكان النبيّ ﷺ يقول : «اللهمّ إنّي أعوذ بك من شرّ ما يمشي على بطنه ومن شرّ ما يمشي على رجليه ومن شرّ ما يمشي على أربع ومن شرّ الجنّ والإنس» .

قال أبو سعيد وحدَّثنا محمَّد بن إسماعيل الرَّاشِديّ قال حدَّثنا عثمان بن سعيد قال حدَّثنا حَيّان بن عليّ عن سعد بن طَريف عن عِكرمة عن ابن عبّاس مثلَه .

[نعم المطي والراكبان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا حاتم بن قَبيصة قال : سمِع السيّد محدِّثاً يحدِّث أنّ النبيّ ﷺ كان ساجداً ، فركِب الحسنُ والحسينُ على ظهره ؛

1 الحباب : الحيّة .

فقال عمرُ رضي الله عنه : نِعْمَ المطيُّ مطيُّكُما ! فقال النبيّ ﷺ : «ونِعْمَ الراكبانِ هما» . فانصرف السيّد من فَوره فقال في ذلك[1] : [من المتقارب]

أتـــى حسناً والحسينَ النبيُّ وقـــد جلسا حَجْـــرةً يلعبانِ
ففَدّاهمـــا ثـــم حَيّاهمـــا وكانا لديـــه بـــذاك المكانِ
فرَاحَـــا وتحتَهمـــا عاتِقـــاه فنعـــم المَطِيَّـــةُ والـــراكبانِ
وليـــدان أمُّهمـــا بَـــرّةٌ حَصانٌ مُطَهَّـــرةٌ للحَصانِ
وشيخُهما ابـــنُ أبي طالـــب فنِعْـــمَ الوَليـــدانِ والـــوالدانِ
خليـــليّ لا تُرْجِيـــا واعلمـــا بأنّ الهُـــدى غيرُ مـــا تزعُمانِ
وأنّ عَمى الشكِّ بعـــدَ اليقين وضَعْفَ البَصيرة بعـــد العِيانِ
ضلالٌ فـــلا تَلْجَجا فيهمـــا فبئستْ لعَمْـــرُكما الخَصْلتانِ
أيُرْجَـــى عـــليٌّ إمـــامُ الهُدَى وعثمانُ مـــا أعنـــد المُرْجِيانِ
ويُرْجى ابنُ حَـــرْبٍ وأشياعُه وهُـــوجُ الخَوارج بالنَّهْروانِ
يكـــون إمامَهـــمُ في المَعـــاد خبيثُ الهوى مؤمن الشَّيْصَبانِ[2]

[مدح المنصور وعنده سوّار فعارضه فهجاه]

وذكر إسماعيل بن السَّاحر قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ قال حدَّثني محمَّد عن أبيه قال حدَّثني أبي وعمّي عن أحمد بن إبراهيم بن سليمان بن يعقوب بن سعيد بن عمرو قال حدَّثنا الحارث بن عبد المطَّلب قال : كنتُ جالساً في مجلس أبي جعفر المنصور وهو بالجسر وهو قاعدٌ مع جماعة على دِجْلة بالبصرة وسَوّار بن عبد الله العَنْبَريّ قاضي البصرة جالسٌ عنده والسيّد بن محمّد بين يديه يُنْشد قولَه[3] : [من البسيط]

إنّ الإلـــه الذي لا شيءَ يُشْبهه أعطاكم الملـــكَ للدّنيـــا وللدِّينِ
أعطاكمُ اللهُ مُلكـــاً لا زوالَ لـــه حتى يُقادَ إليكم صاحبُ الصِّينِ
وصاحـــبُ الهنـــد مأخوذاً برُمَّته وصاحبُ التُّرْك محبوساً على هُونِ

والمنصورُ يضحك سروراً بما يُنشده ؛ فحانت منه التفاتةٌ فرأى وجهَ سَوّارٍ يتربَّد غيظاً

1 ديوانه : 451-452 .
2 الشيصبان : الشيطان .
3 ديوانه : 444 .

ويَسْوَدّ حَنَقاً ويدلُك إحدى يديه بالأُخرى ويتحرّق ؛ فقال له المنصور : ما لك ؟ أرابَك شيء ؟ قال : نعم ، هذا الرجلُ يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه ، واللهِ يا أمير المؤمنين ما صَدَقك ما في نفسه ، وإنّ الذين يواليهم لغَيرُكم . فقال المنصور : مهلاً ! هذا شاعرُنا ووليُّنا ، وما عرفتُ منه إلاّ صدقَ محبَّة وإخلاصَ نيّة . فقال له السيّد : يا أمير المؤمنين ، والله ما تحمَّلتُ غَضَّكم لأحد ، وما وجدتُ أَبْوَيّ عليه فافتتنتُ بهما ، وما زلتُ مشهوراً بموالاتكم في أيّام عدوّكم . فقال له : صدقت . قال : ولكن هذا وأَهْلُوه أعداءُ الله ورسوله قديماً والذين نادَوْا رسولَ الله ﷺ من وراء الحُجُرات[1] ، فنزلت فيهم آيةٌ من القرآن ﴿أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُون﴾ (الحجرات : 4) . وجرى بينهما خطابٌ طويل . فقال السيّدُ قصيدتَه التي أوّلُها : [من مجزوء الرمل]

قِفْ بنا يا صاحِ وارْبَعْ بالمَغـاني المُـوحِشاتِ

أنشدها أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار عن النَّوْفليّ . وأخبرنا محمَّد بخبره مع سَوّار بالقصّة من هاهنا إلى آخرها ؛ وقال فيها : [من مجزوء الرمل]

يـا أمينَ اللهِ يـا منـ ـصورُ يـا خيرَ الوُلاةِ
إنّ سوّار بـن عبد الله مـن شرّ القُضـاةِ
نَعْثَـلِيٌّ جَمَـلِيٌّ لكـمُ غيرُ مُـواتِ[2]
جَـدُّه سارقُ عَنْزٍ فَجْرَةً مـن فَجَراتِ
لـرسول الله والقـا ذِفـه بالمُنْكَـراتِ
وابنُ مَـن كان ينادي مـن وراء الحُجُـراتِ
يـا هَناةُ اخرُج إلينا إنّنـا أهـلُ هَنـاتِ
مَدْحُنا المدحُ ومَنْ نَرْ مِ يُصَـبْ بالزَّفَـراتِ
فاكْفِنِيـه لا كفـاه الـ ـله شَرَّ الطارِقـاتِ[3]

[اعتذر إلى سوّار فلم يعذره]

فشكاه سَوّار إلى أبي جعفر ، فأمرَه بأن يصير إليه معتذراً ؛ ففعل فلم يَعْذِره ؛ فقال[4] : [من المتقارب]

---

1 يعني وفد بني تميم المعني في سورة الحجرات .

2 نعثلي : يهودي من أهل المدينة وقيل رجل من مصر كان يشبه به عثمان من قبيل النيل منه . جملي : نسبة إلى وقعة الجمل .

3 فاكفنيه في ل : فاكفناه .

4 ديوانه : 233–234 .

أَتيتُ دعِيَّ بني العَنْبر ... أروم اعتذاراً فلم أُعْذَرِ
فقلتُ لنفسي وعاتبتُها ... على اللؤم في فعلها أَقْصِرِي
أَيَعْتذر الحرُّ ممّا أتى ... إلى رجل من بَني العَنْبرِ
أبوك ابنُ سارق عَنْز النبيّ ... وأُمُّك بنت أبي جَحْدَرِ
ونحن على رَغْمِك الرَّافضو ... ن لأهل الضَّلالة والمُنْكَرِ

[شكا سوّاراً إلى المنصور]

قال : وبلغ السيّدَ أنّ سَوّاراً قد أَعدَّ[1] جماعةً يشهدون عليه بسرقة ليَقْطَعه ؛ فشكاه إلى أبي جعفر ؛ فدعا بسوّارٍ وقال له : قد عزلتُك عن الحكم للسيّد أو عليه . فما تعرّض له بسوء حتى مات .

[بينه وبين أبي الخلال]

ورَوى عبد الله بن أبي بكر العَتَكيّ أن أبا الخَلاّل العَتَكيّ دخل على عُقْبة بن سَلْم والسيّدُ عنده وقد أُمر له بجائزة ، وكان أبو الخَلاّل شيخَ العَشيرة وكبيرَها ، فقال له : أيّها الأمير ، أتُعْطي هذه العطايا رجلاً ما يَفْتُرُ عن سَبّ أبي بكر وعمر ؟ فقال له عُقْبة : ما علمتُ ذاك ولا أعطيتُه إلاّ على العشرة والمودّة القديمة وما يُوجبه حقُّه وجوارُه مع ما هو عليه من مُوالاة قومٍ يَلْزَمنا حَقُّهم ورعايتُهم . فقال له أبو الخَلاّل : فمُرْه إن كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمرَ حتى نعرفَ براءتَه ممّا يُنْسَب إليه من الرَّفْض . فقال : قد سمِعك ، فإن شاء فعل . فقال السيّد[2] : [من الطويل]

إذا أنا لم أحفَظ وَصاةَ محمَّدٍ ... ولا عهدَه يومَ الغديرِ المؤكّدا
فإنّي كمن يَشْرِي الضَّلالةَ بالهُدَى ... تنصَّر من بعد التُّقى وتَهَوّدا[3]
وما لي وتَيْمَ أو عَدِيَّ وإنّما ... أُولو نعمتي في الله من آل أحمدا[4]
تَتِمّ صلاتي بالصلاة عليهمُ ... وليستْ صلاتي بعد أن أتشهّدا
بكاملةٍ إن لم أُصَلِّ عليهمُ ... وأَدْعُ لهم ربّاً كريماً ممجَّدا
بذلتُ لهم وُدّي ونُصحي ونُصرتي ... مدى الدَّهر ما سُمِّيتُ يا صاح سيّدا

1 ل : لقن .
2 ديوانه : 164–165 .
3 عجز البيت في الديوان : من بعد الهدى أو تهودا .
4 وتيمَ أو عديَّ في الديوان : تيماً أو عدياً .

وإنّ امرءاً يَلْحى على صدق وُدّهم أحـقٌّ وأَولَـى فيهـمُ أن يُفَنَّدا
فإن شئتَ فاخْتَرْ عاجلَ الغَمّ ضِلّةً وإلاّ فأَمْسِك كـي تُصانَ وتُحْمدا

ثم نهض مُغْضَباً . فقام أبو الخَلاّل إلى عُقْبة فقال : أَعِذْني من شرِّه أعاذك الله من السوء أيّها الأمير ؛ قال : قد فعلتُ على ألاّ تَعْرضَ له بعدها .

[تزوّج تميميّة إباضيّة]

وممّا يحكى أنّه اجتمع في طريقه بامرأة تميميّة إباضيّة ، فأعجبها وقالت : أُريد أن أتزوّج بك ونحن على ظهر الطريق . قال : يكون كنِكاح أُمِّ خارجةَ[1] قبل حضور وَلِيٍّ وشهودٍ . فاستَضْحَكتْ وقالت : ننظر في هذا ؛ وعلى ذلك فمَن أنت ؟ فقال[2] : [من البسيط]

إن تَسأليني بقومـي تسألي رجـلاً في ذِرْوة العزّ مـن أحياء ذي يمنِ
حَـوْلي بهـا ذو كَلاعٍ في منازلهـا وذو رُعَيْـنٍ وهَمْـدانٌ وذو يَزَنِ
والأَزْدُ أَزْدُ عُمَـانَ الأكْرَمون إذا عُدَّت مآثِرُهـم في سالـف الزمنِ
بانـت كريمتُهـم عنّـي فدارُهمُ داري وفي الرَّحْب من أوطانهم وطني
لي منـزلان بلَحْـجٍ منزلٌ وَسَطٌ منهـا ولي منـزلٌ للعـزّ في عدنِ
ثـمَّ الوَلاء الذي أرجو النجاة بـه مـن كَبَّة النار للهـادي أبي حسنِ

فقالت : قد عرفناك ، ولا شيءَ أعجبُ من هذا : يمانٍ وتميميّةٌ ، ورافِضـيٌّ وإباضيّة ، فكيف يجتمعان ؟ . فقال : بحسن رأيك فيّ تسخو نفسُك ، ولا يذكر أحدُنا سَلَفاً ولا مذهباً . قالت : أفليس التزويجُ إذا عُلِم انكشف معه المستور ، وظهرت خَفِيّاتُ الأمور ؟ . قال : فأنا أعْرِضُ عليك أخرى . قالت : ما هي ؟ قال : المُتْعة التي لا يعلم بها أحد . قالت : تلك أختُ الزِّنا . قال : أعيذك بالله أن تكفُري بالقرآن بعد الإيمان ! . قالت : فكيف ؟ قال : قال الله تعالى : ﴿فَما اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ فِيما تَراضَيْتُم بِهِ مِنْ بَعْدِ الفَريضَةِ﴾ . فقالت : أستخير اللهَ وأُقلِّدك أن كنتَ صاحبَ قِياس . ففعلت . فانْصَرفتْ معه وبات مُعْرِساً بها . وبلغ أهلَها من الخوارج أمرُها ، فتوعَّدوها بالقتل وقالوا : تزوّجتِ بكافر ! فجَحَدَتْ ذلك ولم يعلموا بالمُتْعة . فكانت مدّةً تختلف إليه على هذه السبيل من المُتْعة وتُواصِله حتى افترقا .

---

1 المثل : أسرع من نكاح أمّ خارجة في الميداني 1 : 348 والدرة الفاخرة 1 : 224 وفصل المقال : 500 والضبي : 58 .

2 ديوانه : 439–440 .

[بينه وبين ابن لسليمان بن علي]

وقال الحسن بن عليّ بن المُغيرة حدَّثني أبي قال : كنتُ مع السيّد على باب عُقْبة بن سَلْم ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ[1] ننتظره وقد أُسْرج له ليَرْكَبَ ، إذ قال ابنُ سليمان بن عليّ يعرِّض بالسيّد : أشعرُ الناسِ والله الذي يقول : [من البسيط]

محمَّدٌ خيرُ مَن يمشي على قَدمٍ وصاحِباه وعثمانُ بن عفَّانا

فوثَب السيّد وقال : أشعرُ والله منه الذي يقول[2] : [من البسيط]

سائِلْ قريشاً إذا ما كنتَ ذا عَمَهٍ مَنْ كان أثبتَها في الدِّين أوتادا
مَن كان أعلَمها عِلماً وأحلَمها حلماً وأصدقَها قولاً ومِيعادا
إن يَصْدُقُوك فلن يَعْدُوا أبا حسنٍ إن أنتَ لم تَلْقَ للأبرار حُسّادا

ثم أقبل عليّ الهاشميّ فقال : يا فتى ، نعمَ الخَلَفُ أنت لشرف سَلَفِك ! أراك تَهْدِم شرفَك ، وتَثْلِب سَلَفك ، وتَسعى بالعداوة على أهلك ، وتُفضِّل من ليس أصلُك من أصله على مَنْ فضلُك من فضله ؛ وسأخبر أميرَ المؤمنين عنك بذا حتى يَضَعَك . فوثب الفتى خَجِلاً ولم ينتظر عُقْبةَ بن سَلْم . وكتب إليه صاحبُ خبره بما جرى عند الرَّكُوبةِ حتى خرجت الجائزةُ للسيّد .

[يكره إطالة الجلوس إذا لم يمدح آل محمَّد]

أخبرني محمَّد بن جعفر النَّحويّ قال حدَّثنا ابن القاسم البَزِّيّ عن إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ عن عقبة بن مالك الدِّيلي عن الحسن بن عليّ بن أبي حرب بن أبي الأسود الدُّؤَليّ قال : كنّا جلوساً عند أبي عمرو بن العلاء ، فتذاكرنا السيّدَ ، فجاء فجلس ، وخُضْنا في ذكر الزرع والنخل ساعةً فنَهض . فقلنا : يا أبا هاشم ، مِمّ القيامُ ؟ فقال[3] : [من الكامل]

إنّي لأكره أن أطيل بمجلس لا ذكرَ فيه لفضل آل محمَّد
لا ذكرَ فيه لأحمد ووصيّه وبَنِيه ذلك مجلسٌ نَطِفٌ ردِي[4]
إنّ الذي ينساهُمُ في مجلس حتّى يفارقَه لغيرُ مسدَّد

---

1 عم أبي جعفر المنصور .

2 من أبيات في ديوانه : 160–162 والبيت الثاني فيه :

مَن كان أقدمها سلماً وأكثرها علماً وأطهرها أهلاً وأولادا

3 ديوانه : 177–178 .

4 النطف : السيّىء الفاسد والمتّهم بريبة .

[سكره بالأهواز وحبسه]

وروى أبو سليمان النَّاجي : أنّ السيّد قدِم الأهوازَ وأبو بُجير بن سِماك الأسديّ يتولاّهما ، وكان له صديقاً . وكان لأبي بجير مولىً يقال له يزيد بن مَذعور يحفَظ شعرَ السيّد يُنشده أبا بجير ، وكان أبو بجير يتشيَّع . فذهب السيّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرِب عندهم ؛ فلمّا أمسى انصرف ، فأخذه العَسَس فحُبِس . فكتب مِن غده بهذه الأبيات وبَعث بها إلى يزيد بن مَذعور . فدخل على أبي بُجير وقال : قد جَنى عليك صاحبُ عَسَسك ما لا قِوامَ لك به . قال : وما ذلك ؟ قال : اسمع هذه الأبيات ، كتبها السيّدُ من الحبس ؛ فأنشده يقول[1] : [من الكامل]

قِف بالدِّيار وحيِّها يا مَرْبَعُ ... واسأل وكيف يُجيبُ من لا يَسمعُ
إنّ الدِّيارَ خلَتْ وليس بجوِّها ... إلاّ الضَّوابحُ والحَمامُ الوُقَّعُ[2]
ولقد تكونُ بها أُوانسُ كالدُّمى ... جُمْلٌ وعَزَّةُ والرَّبابُ وبَوْزَعُ
حورٌ نواعمُ لا تُرى في مثلها ... أمثالُهنّ من الصيانة أربَعُ
فَعَرِينَ بعد تألُّفٍ وتَجمُّع ... والدَّهْرُ ، صاحٍ ، مُشَتِّتٌ ما تَجمعُ
فاسلَم فإنّك قد نزلتَ بمنزل ... عند الأمير تَضُرُّ فيه وتَنْفَعُ
تُؤْتى هواك إذا نطقتَ بحاجةٍ ... فيه وتَشْفَع عنده فيُشَفَّعُ
قُلْ للأمير إذا ظفِرتَ بخَلْوة ... منه ولم يكُ عنده مَن يَسمعُ
هَبْ لي الذي أحببته في أحمد ... وبَنِيه إنّك حاصدٌ ما تَزْرَعُ
يَختصّ آلَ محمّد بمحبّة ... في الصَّدر قد طُوِيَتْ عليها الأضْلُعُ

في هذا الغناءِ لسعيد[3] .

[يهجو سوار القاضي بعد موته]

وحَكى ابن الساحر : أنّ السيّد دُعِي لشهادة عند سَوّار القاضي ؛ فقال لصاحب الدَّعوى : أعْفِني من الشهادة عند سوّارٍ ؛ فلم يُعْفِه صاحبُها منها وطالَبه بإقامتها عند سَوّار . فلمّا حضر عنده وشهِد قال له : ألَمْ أعْرِفْك وتعرِفني ؟ وكيف مع معرفتك بي تُقْدِم على الشهادة عندي ؟

1 ديوانه : 268–272 وقد ضمّ إليها الأبيات العينية التي سترد فيما بعد .
2 الضوابح : الثعالب .
3 يبدو أنّ الخبر لم يتمّ ، وسيأتي تمامه مع بقيّة القصيدة بعد قليل . وقوله «في هذا الغناء لسعيد» ناقص أيضاً ولم يكمله .

فقال له : إنّي تخوّفتُ إكراهَه ، ولقد افتديتُ شهادتي عندك بمال فلم يقبل منّي فأقمتُها ؛ فلا يَقْبَل الله لك صَرْفاً ولا عَدْلاً إن قبِلْتَها ، وقام من عنده ؛ ولم يقدِر سوّارٌ له على شيء لِما تقدَّم به المنصورُ إليه في أمره ، واغتاظ غيظاً شديداً وانصرف من مجلسه فلم يَقضِ يومئذٍ بين اثنين . ثم إنّ سوّاراً اعتلّ علّته التي مات فيها فلم يقدِر السيّدُ على هجائه في حياته لِنَهْي المنصور إيّاه عن ذلك . ومات سوّار فأُخرج عَشِيّاً وحُفِر له . فوقع الحفر في موضع كَنِيف . وكان بين الأَزْد وبين تَمِيم عداوةٌ ، فمات عَقِب موته عبّادُ بن حبيب بن المهلَّب ؛ فهجا السيّدُ سوّاراً في قصيدة رثى بها عبّاداً ودفعها إلى نوائح الأزد لِما بينهم وبين تميم من العداوة ولقربهم من دار سوّار يَنُحْنَ بها ، وأوّلُها[1] : [من البسيط]

يا مَنْ غدا حاملاً جُثمانَ سوّارِ ... من داره ظاعناً منها إلى النارِ
لا قدّس اللهُ رُوحاً كان هيكلَها ... فقد مضتْ بعظيم الخِزْي والعارِ
حتى هوَتْ قَعْرَ بُرْهُوتٍ مُعَذَّبةً ... وجسمُه في كنيف بين أقذارِ[2]
لقد رأيتُ من الرحمن مُعْجِبةً ... فيه وأحكامُه تجري بمقدارِ
فاذهَبْ عليك من الرحمن بَهْلَتُه ... يا شرَّ حيٍّ براه الخالقُ الباري[3]

[مازح صديقاً زنجياً]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد البقّال قال حدَّثنا شَيْبان بن محمَّد الحَرَّانيّ ، وكان يُلَقَّب بَعُوضةَ وصار من سادات الأَزد . قال : كان السيّد جاري ، وكان أَدْلَم[4] ، وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحيّ فيهم فتىً مثلُه أَدْلَمُ غليظُ الأَنف والشَّفتين مُزَنَّج الخلْقة . وكان السيّد من أَنتَن الناسِ إبطين . وكانا يتمازحان ، فيقول له السيّد : أنت زِنجيّ الأَنفِ والشّفتين ، ويقول الفتى للسيّد : أنت زَنجيّ اللون والإبطين . فقال السيّد[5] : [من الوافر]

أعارِكَ يومَ بِعْناه رَباحٌ ... مشافرَه وأَنفَك ذا القبيحا[6]

---

1 ديوانه : 230–232 مع بعض اختلاف وخمسة أبيات أُخرى .
2 برهوت : بئر في حضرموت قيل إنّ فيها أرواح الكافرين .
3 البهلة : اللعنة .
4 أدلم : شديد السواد .
5 ديوانه : 148 .
6 رباح : من أسماء العبيد .

وكانت حِصّتي إبطَـيَّ منـه ولونـاً حالكاً أمسى فَضُوحا
فهـل لك في مُبادَلَتِيكَ إبْطِي بأنفـك تَحمـدُ البيعَ الرَّبيحا
فإنّـك أقبـحُ الفتيانِ أنْفاً وإبطـي أنتـنُ الآبـاط رِيحا

[هجا امرأة صديقه]

أخبرني أحمد قال حدَّثني شَيْبان قال : مات منّا رجلٌ موسِرٌ وخلَف ابناً له فورِث مالَه وأتلفه بالإسراف ، وأقبل على الفَساد واللهو ، وقد تزوّج امرأةً تسمَّى ليلى ، واجتمع على السيّد وكان من أظرف الناس ، وكان الفتى لا يصبر عنه ، وأنفق عليه مالاً كثيراً ؛ وكانت ليلى تعذِلُه على إسرافه وتقول له : كأنّي بك قد افتقرت فلم يُغنِ عنك شيئاً . فهجاها السيّد . وكان ممّا قال فيها[1] : [من البسيط]

أقولُ يا ليتَ ليلى في يَدَيْ حَنِقٍ من العداوة منْ أعـدى أعاديها
يعلو بها فوق رَعْنٍ ثم يَحْدِرها في هُـوّة فَتَدهْدى يومَهـا فيها
أوْ ليتَها في عِمار البحر قد عصفت فيه الرِّياح فهاجت مـن أواذِيها[2]
أوْ ليتَها قُرِنَت يومـاً إلى فرسي قـد شُدَّ منها إلى هادِيـه هادِيها
حتى يُرى لحمُها من حُضْرِه زِيَماً وقد أتى القومَ بعد الموتِ ناعيها[3]
فمَنْ بكاها فـلا جفَّتْ مدامعُه لا أسْخن اللهُ إلاّ عـينَ باكيها

[يشكر والي الكوفة على رداء أهداه له]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد النَّخَعيّ وعبد الحميد بن عُقْبة قالا حدَّثنا الحسن بن عليّ بن المغيرة الكسلان عن محمَّد بن كُنَاسة قال : أهدى بعضُ ولاة الكوفة إلى السيّد رداءً عَدَنيّاً ؛ فكتب إليه السيّد فقال[4] : [من البسيط]

وقـد أتانـا رداءٌ مـن هَدِيّتكم فلا عَدِمتُك طولَ الدَّهر مِنْ والِ
هـو الجمالُ جزاكَ الله صالحـةً لـو أنّه كان موصولاً بسِرْبالِ

فبعث إليه بخِلعة تامّةٍ وفرسٍ جواد وقال : يُقطع عتابُ أبي هاشمٍ واستزادتُه إيّانا .

1 ديوانه : 467 .
2 الأواذي : الأمواج واحدها آذيّ .
3 الزيم : القطع المتفرّقة .
4 ديوانه : 343 .

[يسبّ الشيخين عندما سمع قاصّاً يمدحهما]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ عن بعض البَصريّين عن سليمان بن أَرْقَم قال : كنتُ مع السيّد ، فمرَّ بقاصٍّ على باب أبي سفيان بن العَلاء وهو يقول : يُوزَن رسولُ الله ﷺ يومَ القيامة في كِفّة بأُمّته أجمع فيَرْجَحُ بهم ، ثم يُؤْتى بفلان فيوزن بهم فيَرجَح ، ثم يُؤتى بفلان فيُوزن بهم فيرجح . فأقبل على أبي سفيان فقال : لَعَمْري إنّ رسول الله ﷺ ليَرجَح على أمّته في الفضل ، والحديث حقّ : وإنّما رجَح الآخَران الناسَ في سيّئاتهم ؛ لأنّ مَن سَنّ سُنَّة سيّئة فعُمِل بها بعده كان عليه وِزْرُها ووِزر مَن عَمِل بها . قال : فما أجابه أحدٌ . فمضى فلَم يَبقَ أحدٌ من القوم إلاّ سَبّه .

[يتغزّل ببنت الفجاءة]

وقال أبو جعفر الأعرج حدَّثني إسماعيل بن السّاحر قال : خرجتُ من منزل نصر بن مسعود أنا وكاتب عقبة بن سَلْم والسيّد ونحن سكارى . فلمّا كنّا بزَهْران لَقِيَتْنا بنتُ الفُجاءة بن عمرو بن قَطَرِيّ بن الفُجاءة ، وكانت امرأةً بَرْزةً حسناءَ فصيحةً ، فواقَفها السيّد وتخاطب عليها وأنشدها من شعره بتجميش ، فأعجب كلٌّ واحد منهما صاحبَه . فقال السيّد[1] : [من الكامل]

. . . . . من ناكِثين وقاسطين الأَرْوَعُ
. . . . . حول الأمين وقال هاتِ ليَسمعوا
قم يا ابن مَذْعورٍ فأَنْشِد نكّسوا خُضُعَ الرّقاب بأَعين لا تُرْفعُ
لولا حِذارُ أبي بجير أظهروا شنآنهم وتفرّقوا وتصدّعوا
لا تجزَعوا فلقد صبَرْنا فاصبروا سبعين عاماً والأُنوفُ تُجدَّعُ
إذ لا يزال يقوم كلَّ عَرُوبةٍ منكم بصاحبنا خطيبٌ مِصْقَعُ[2]
مُسحَنْفِرٌ في غيّه مُتَتايعٌ في الشَّتم مثلَه بخيل يسجعُ[3]
ليَسُرَّ مخلوقاً ويُسْخِط خالقاً إنّ الشقيّ بكلّ شرٍّ مُولَعُ

فلمّا سمِعها أبو بجير دعا صاحبَ عَسَسِه فشتَمه وقال : جنيتَ عليّ ما لا يَد لي به ؛ اذهبْ صاغراً إلى الحبس وقل : أيّكم أبو هاشم ؛ فإذا أجابك فأخرِجه واحمِله على دابّتك وامشِ معه

1 لا ارتباط بين هذا الخبر والشعر . ويبدو أنّ الأبيات التالية وما بعدها تتمّة لخبر حبسه على السكر في الأهواز .
2 عروبة : يوم الجمعة .
3 مسحنفر : سريع . متتايع : متهافت .

صاغراً حتى تأتيني به ففعل . فأبى السيّدُ ولم يُجبه إلى الخروج إلاّ بعد أن يُطْلِق له كلَّ مَن أخذ معه . فرجع إلى أبي بُجَير فأخبره ، فقال : الحمدُ لله الذي لم يَقُل أَخْرِجْهم وأَعْطِ كلَّ واحدٍ منهم مالاً ، فما كنّا نقدِر على خلافه ؛ افعلْ ما أَحَبَّ برغم أنفك الآن . فمضى فخلّى سبيلَه وسبيلَ كلّ مَن كان معه ممّن أُخِذ في تلك الليلة ، وأُتي به إلى أبي بجير . فتناوله بلسانه وقال : قدِمتَ علينا فلم تأتِنا وأتيتَ بعض أصحابك الفسّاق وشرِبتَ ما حُرّم عليك حتى جرى ما جرى ؛ فاعتذر من ذلك إليه ؛ فأمر له أبو بجير بجائزة سنيّة وحمَله وأقام عنده مدّةً .

[أبو بجير والتشيّع]

قال النَّوْفليّ وحدَّثني أبي : أنّ جماعة من أهل الثغور قدِموا على أبي بجير بتسبيب بهم فأطلقهم ، ثم جاءوه فعاتَبوه على التشيّع وسألوه الرجوعَ ؛ فغضِب من ذلك ودعا بمولاه يزيد بن مذعور فقال : أنشِدْني وَيْلَك لأبي هاشم . فأنشده قولَه[1] : [من الكامل]

يـا صاحبيّ لدِمْنَتَيْن عفاهما مَـرُّ الرّيـاحِ عليهما فمحاهما

حتى فرغ . ثم قال : هاتِ النُّونيّة ؛ فأنشده[2] : [من الكامل]

يـا صاحبيَّ تَرَوَّحـا وذَراني ليس الخليُّ كمُسْعَر الأحزانِ

فلمّا فرغ قال : أنشدني الدمّاغةَ الرائيّة ، فأنشده إيّاها . فلمّا فرغ أقبل عليه الثَّغْريُّون فقالوا له : ما أَعْتَبْنَا فيما عاتَبناك عليه . فقال : يا حَمِير ! هل في الجواب أكثر ممّا سمِعتم ؟ والله لولا أنّي لا أعلم كيفَ يَقع فعلي من أمير المؤمنين لضربتُ أعناقَكم ! قوموا إلى غير حفظ الله فقاموا . وبلغ السيّدَ الخبرُ فقال[3] : [من الوافر]

إذا قـال الأميـر أبـو بجيرٍ أخـو أسدٍ لمنشده يَزيـدا

طَرِبتُ إلى الكرام فهاتِ فيهم مديحـاً من مديحـك أو نشيدا

رأيتَ لَمَـن بحضرته وجُوهـاً مـن الشُّكّاك والمُرْجين سُودا

كأنّ يزيـد يُنْشِد بامتـداح أبـا حسنٍ نَصـارى أو يهودا

[أشعر الناس أبو العبدي]

ورَوى أبو داود المسترِق : أنّ السيّد والعبديّ اجتمعا ؛ فأنشد السيّد[4] : [من البسيط]

---

1 ديوانه : 385 .

2 ديوانه : 445 .

3 ديوانه : 163 عن الأغاني .

4 ديوانه : 418 ورواية صدر البيت الثاني فيه : وما به دان يوم النهر دنت به

إنّي أَدِين بما دان الوَصِيّ بــه يوم الخُرَيْبةِ من قتل المُحلِّينا[1]
وبالذي دان يومَ النهروان بــه وشاركت كفَّــه كفِّــي بصِفِّينا

فقال له العَبْديّ : أخطأت ، لو شاركتْ كفُّك كفّه كنتَ مثله ؛ ولكن قُل : تابعت كفّي كفّه لتكونَ تابعاً لا شريكاً . فكان السيّد بعد ذلك يقول : أنا أشعر الناس إلاّ العبديّ .

[سكر وسبّ الشيخين]

وقال إسحاق النَّخَعيّ عن عبد الحميد بن عُقْبة عن أبي جعفر الأعرج عن إسماعيل بن الساحر قال : كنتُ مع السيّد وقد اكترينا سفينة إلى الأهواز ؛ فجلس فيها معنا قومٌ شُراةٌ ، فجعلوا يَنالون من عثمان . فأخرج السيّد رأسه إليهم وقال[2] : [من البسيط]

شَفَيْتَ مــن نَعْثلٍ في نَحْت أَثْلتــه فاعْمِد هُدِيتَ إلى نَحْتِ الغَوِيَّيْنِ[3]
اعمِدْ هُدِيتَ إلى نحت اللّذيْن هما كانا عــن الشرّ لــو شاءا غنيَّيْنِ

قال إسماعيل : فلمّا قَدِمنا الأهوازَ قدِم السيّد وقد سكِر ، فأُتي به أبا بجير بن سمّاك الأَسَديّ ؛ وكان ابنُ النّجاشيّ عند ابن سمّاك بعد العِشاء الآخِرة ، وكان يعرفه باسمه ولم يعرِفه . فقال له : يا شيخ السّوء ، تخرج سكرانَ في هذا الوقت ! لأُحْسِنَنَّ أَدَبَكَ . فقال له : والله لا فعلتَ ، ولتُكْرِمني ولتَخْلَعنّ عليّ وتَحْمِلَني وتُجيزَني . قال : أَوَتَهْزَأ أيضاً ! قال : لا والله ؛ ثم اندفع يُنشده فقال[4] : [من البسيط]

مَن كان معتذِراً مــن شَتْمه عمراً فابــنُ النَّجاشيّ منــه غيرُ مُعْتذِرِ
وابنُ النجاشي بَراءٌ ، غيرَ محتشم ، في دينه مــن أبي بكر ومن عمرِ

ثم أنشده قوله[5] : [من الكامل]

إحداهما نَمَّتْ عليــه حديثَــه وبَغَــتْ عليــه نفسه إحداهما[6]
فهما اللتان سمِعتُ ربَّ محمَّد في الذكر قصَّ على العباد نَباهما[7]

فقال : أبو هاشم ؟ فقال نعم . قال : ارتَفِعْ . فحمَله وأجازه ، وقال : والله لأُصَدِّقنّ قولك في جميع ما حلَفتَ عليه .

---

1 الخريبة : موضع ، بالبصرة كانت به وقعة الجمل .
2 ديوانه : 441 عن الأغاني .
3 نحت أثلته : ذمه وتنقصه .
4 ديوانه : 238 عن الأغاني .
5 أنظر ديوانه : 386 .
6 يقصد حفصة وعائشة .
7 إشارة إلى ما جاء في سورة التحريم : ﴿وإذْ اسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجِهِ حديثاً . . .﴾ .

[أباح له أبو بجير شرب النبيذ]

قال إسماعيل : رأى أبو بجير السيّدَ متغيِّر اللّونِ ، فسأله عن حاله ؛ فقال : فقَدْتُ الشرابَ الذي أَلِفتُه لكراهةَ الأمير إيّاه ؛ قال : فاشرَبْه ، فإنّنا نحتمله لك . قال : ليس عندي . قال لكاتبه : اكتُب له بمائتي دَوْرق مِيبخْتج[1] . فقال له السيّد : ليس هذا من البلاغة . قال : وما هي ؟ قال : البلاغة أن تأتي من الكلام بما يُحتاج إليه وتَدَعَ ما يُستغنى عنه . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اكتب بمائتي دَوْرق «مِي» ولا تكتب «بَخْتج» ، فإنّك تَستغني عنه . فضحك ، ثم أمر فكُتِبَ له بذلك . قال : والمِي : النبيذ .

[شماتة المرجئة بأبي بجير]

قال إسماعيل : وبلغ السيّدَ وهو بالأهواز أنّ أبا بجير قد أشرف على الموت ، فأظهرت المُرْجئةُ الشّماتةَ به . فخرج السيّد متحرِّقاً حتى اكترى سفينةً وخرج إليها ، وأنشأ يقول[2] : [من الوافر]

تَباشَر أهلُ تَدْمُرَ إذ أتاهم ... بأمر أميرنا لهمُ بَشيرُ
ولا لأميرِنا ذنبٌ إليهم ... صغيرٌ في الحياة ولا كبيرُ
سوى حبِّ النبيّ وأَقْرَبيه ... ومولاهم بحبِّهمُ جديرُ
وقالوا لي لكَيما يُحزِنوني ... ولكن قولهم إفْكٌ وزورُ
لقد أمسى أخوك أبو بجير ... بمنزله يُزار ولا يَزورُ
وظلّت شيعةُ الهادي عليٍّ ... كأنّ الأرضَ تحتهمُ تَمورُ
فبِتُّ كأنّني ممّا رَمَوْني ... به في قِدّ ذي حَلَقٍ أسيرُ
كأنّ مدامعي وجفونَ عيني ... تُوَخَّز بالقَتاد فهنّ عُورُ
أقولُ عَليَّ للرحمن نَذْرٌ ... صحيحٌ حيث تُحْتَبَسُ النّذورُ
بمكّةَ ، إن لقِيتُ أبا بُجَيْرٍ ... صحيحاً واللّواءُ له يسيرُ

وهي قصيدة طويلة .

[أنشد النبيّ في النوم قصيدته العينية]

وروى محمَّد بن عاصم عن أبي داود المسترِق عن السيّد : أنه رأى النبي ﷺ في النوم ، فاستنشده فأنشده قوله : [من السريع]

---

1 ميبختج : كلمة فارسية مركّبة من «مي» ومعناها النبيذ و«بختج» ومعناها المطبوخ .

2 ديوانه : 207–208 عن الأغاني .

لأُمّ عمرو باللّـوى مَرْبَعُ طامِسةٌ أعلامُـــه بَلْقَـعُ

حتى انتهى إلى قوله :

قالوا لـه لو شئتَ أَعْلَمْتنا إلى مَـنِ الغايَـةُ والمَفْزعُ

فقال : حسبُك ! ثم نفَض يدَه وقال : قد واللهِ أَعلمتُهم .

[مرضه ووفاته]

وروى أَبو داود وإسماعيل بن السّاحر : أَنّهما حَضَرا السيّدَ عند وفاته بواسِط وقد أَصابه شَرىً وكربٌ ؛ فجلس ثم قال : اللهمّ أَهكذا جَزائي في حبّ آل محمَّد ! قال : فكأَنّها كانت ناراً فطَفِئتْ عنه .

[يتبرّأ من عثمان والشيخين وهو يحتضر]

وأَخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ بإسنادٍ له لم يحضُرني وأَنا أُخَرِّجه إن شاء الله تعالى قال : حدَّثني مَن حضر السيِّد وقد احتُضِر فقال[1] : [من السريع]

بَرئتُ إلى الإله من ابـــنِ أَرْوَى ومن دِين الخوارج أَجمعينا[2]

ومـــن فُعَـلٍ بَرِئتُ ومن فُعَيْلٍ غـــداةَ دُعِـــي أَميرَ المؤمنينا[3]

ثم كأن نفسه كانت حَصاةً فسقطتْ .

[أهل واسط لا يدفنونه]

أَخبرنا أَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن أَبي الهُذَيْل العَلاّف عن أَبي جعفر المنصور قال : بلَغني أَنّ السيِّد مات بواسط فلم يَدفِنوه . والله لئن تحقَّق عندي لأُحرِقنَّها ! .

[محبو آل محمَّد لا يموتون إلاّ تائبين]

ووجدتُ في بعض الكتب : حدَّثني محمَّد بن يحيى اللّؤلئيّ قال حدَّثني محمَّد بن عباد بن صُهَيْب عن أَبيه قال : كنتُ عند جعفر بن محمَّد ، فأَتاه نعْيُ السيّد ، فدعا له وترحَّم عليه . فقال رجلٌ : يابنَ رسول الله ، تدعو له وهو يشرب الخمر ويؤمِن بالرَّجْعة ؟ فقال : حدَّثني أَبي عن جَدّي أَنّ مُحِبّي آلِ محمَّد لا يموتون إلاّ تائبين وقد تاب ، ورفَع مُصَلًّى كانت تحته ، فأَخرج كتاباً من السيّد يعرِّفه فيه أَنّه قد تاب ويسأله الدعاء له .

---

1 ديوانه : 427 .

2 ابن أروى : عثمان بن عفّان .

3 يعني أَبا بكر وعمر .

[عاش إلى خلافة الرشيد ومدحه]

وذكر محمَّد بن إدريس العُتْبيّ أنّ مُعاذ بن يزيد الحِمْيَريّ حدَّثه أنّ السيّد عاش إلى خلافة هارون الرشيد وفي أيّامه مات ، وأنّه مدَحه بقصيدتين فأمر له بِبَدْرتيْن ففرَّقهما . فبلغ ذلك الرشيدَ فقال : أحسب أبا هاشم تورَّع عن قبولِ جوائزنا .

[لمّا مات أُحضر له سبعون كفناً]

أخبرني ابن عمَّار قال حدَّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدَّثنا إبراهيم بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدَّثني إسحاق بن محمَّد بن بَشير بن عَمّار الصَّيْرفيّ عن جدّه بشير بن عمّار قال : حضرت وفاة السيّد في الرُّميلة ببغداد ، فوجّه رسولاً إلى صفّ الجَزّارين الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته ؛ فغلِط الرسولُ فذهب إلى صفّ السموسين ، فشتموه ولعنوه ؛ فعلِم أنّه قد غَلِط ، فعاد إلى الكوفيّين يُعْلمهم بحاله ووفاته ؛ فوافاه سبعون كفناً . قال : وحضرناه جميعاً وإنّه ليتحسَّر تحسّراً شديداً[1] وإن وجهه لأسودُ كالقار وما يتكلّم ، إلى أن أفاق إفاقةً وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القِبلة ثم قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعلُ هذا بوليّك ؟ قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد أخرى . قال : فتجلّى والله في جبينه عِرْقُ بياض ، فما زال يتّسع ويَلْبَس وجهَه حتى صار كلُّه كالبدر[2] ، وتوفّي فأخذنا في جِهازه ودفنّاه في الجُنينة ببغداد ، وذلك في خلافة الرشيد .

1 ل : لينخر نخيراً .

2 ل : كالبرد .

109 ـ [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

صوت من المائة المختارة[1]

[من الطويل]

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها ... إلى بلدٍ نـاءٍ قليـلِ الأَصادقِ
ولا ذَنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ ... أُتِيبي بـوُدٍّ قبـل إحدى البوائقِ

عروضُه من الطويل .

قوله : «فلا زلن حسرى» : دعاء على الإبل التي ظعَنتْ بها وأبعدتْها عنه . وحسرى : قد حَسِرن أي بَلَغ منهن الجَهْدُ فلم يُبْقِ فيهنّ بقيَّةً ، يقال : حسَر ناقتَه فهو يَحسِرُها ، وهي حَسْرى ، والذَّكر حسير[2] ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وهُوَ حَسِيرٌ﴾ . وفي الحديث «فإن أَتْعبتها حسَرْتها» . والظَّلْعُ في كلّ شيء : أن تألم رجلُه فلا يقدر أن يمشي عليها فيَغْمِز في مَشْيه كالأعرج إذا مشى ، ويقال : ظلَع فهو ظالِعٌ . والنائي : البعيد ، والنيّة : الناحية التي تنوي إليها ، والنَّوى : البعد ، والتنائي : التباعد . والبوائق : الحوادث التي تأتي بما يُحْذَر بغتَةً ، وهي مثل المصائب والنوائب .

البيت الأوّل من الشعر لكُثيِّر ، ويقال : إنّه لأبي جُنْدَب الهذليّ . والبيت الثاني لرجل من كِنانة ثم من بني جَذِيمة ، وزعم ابن دَأَبٍ أنّه عبد الله بن عَلْقَمة أحدُ بني عامر بن عبد مَناةِ بن كِنانة ، وقيل أيضاً : إنّه يقال له عمرو الذي قتله خالد بن الوليد في بعض مَغازِيه التي وجّهه رسول الله ﷺ فيها .

الغناء في اللحن المختار لُمَتيَّمَ مولاةِ عليّ بن هشام وأُمِّ أولاده . ولحنُها رمل بالبنصر ، من رواية إسحاق وعمرو ؛ وهو من الأرمال النادرةِ المختارةِ . وفيه خفيفُ ثقيلٍ ، يقال : إنّه لحسين بن مُحْرِز ، ويقال : إنّه قديم من غِناء أهل مكّة .

---

1 انظر ديوان كثير عزّة (جمع إحسان عبّاس) : 533 .

2 في اللسان (حسر) : الذكر والأنثى سواء والجمع حسرى مثل قتيل قتلى .

[أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريا الغَلابيّ قال حدَّثنا العباس بن بكّار قال حدَّثنا ابن دَأْب قال : كان من حديث عبد الله بن عَلْقَمة أحدِ بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة أنّه خرج مع أُمّه وهو مع ذلك غلامٌ يَفَعَةٌ دون المُحْتَلِم لتزورَ جارةً لها ، وكان لها بنت يقال لها حُبَيْشة بنت حُبَيْش أحدِ بني عامر بن عبد مناة بن كِنانة . فلمّا رآها عبد الله بن علقمة أعجبته ووقعت في نفسه ، وانصرف وترك أُمَّه عند جارتها ، فلبِثتْ عندها يومين . ثم أتاها عبد الله بن علقمة ليَرْجِعها إلى منزلها ، فوجد حُبَيشة قد زُيِّنت لأمرٍ كان في الحَيّ ، فازداد بها عَجَباً ، وانصرف بأُمّه في غَداةٍ تُمطر ، فمشى معها شيئاً ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

وما أدري بَلى إنّي لأدري أصَوْبُ القَطْر أحسنُ أم حُبَيْشُ
حُبَيْشَةُ والذي خلق الهَدايا وما عن بُعْدها للصَّبّ عيشُ

فسمِعتْ ذلك أُمُّه فتغافَلَتْ عنه وكرِهت قولَه . ثم مَشَيا مَلِيّاً ، فإذا هو بظبي على رَبْوةٍ من الأرض ، فقال : [من البسيط]

يا أُمَّتا أخْبريني غيرَ كاذبةٍ وما يُريد مَسُولُ الحقِّ بالكذبِ
أتلك أحسنُ أم طبيٌ برابيةٍ لا بل حُبَيْشةُ في عيني وفي أرَبي

فزجرتْه أُمُّه وقالت له : ما أنتَ وهذا ؟ نُزوّجك بنتَ عمّك فهي أجملُ من تلك . وأتت امرأةَ عمّه فأخبرتْها خبرَه ، وقالت : زيّني ابنتَك له ، ففعلتْ وأدخلتْها عليه . فلمّا رآها أطرق . فقالت له أُمّه : أيُّهما الآن أحسن ؟ فقال : [من الطويل]

إذا غُيِّبتْ عنّي حُبيشةُ مرّةً من الدَّهر لم أَمْلِك عزاءً ولا صبرا
كأنّ الحشى حَرُّ السَّعير يَحُشّه وَقود الغَضى والقلبُ مستعِرٌ [جمرا][1]

وجعل يُراسل الجاريةَ وتُراسله حتى علِقَتْه كما علِقها ، وكثُر قولُه للشعر فيها . فمن ذلك قال : [من الطويل]

حُبَيشةُ هل جَدّي وجَدُّك جامعٌ بشَمْلِكُمُ شَمْلي وأهلِكُمُ أهلي
وهل أنا ملتفٌّ بثوبك مَرّةً بصَحْراء بين الأُلَيْتَيْن إلى النخلِ

1 يحشه : يوقده .

وهل أَشْتفي من رِيق ثغرِكِ مَرّةً كراحٍ ومسكٍ خالطا ضَرَبَ النَّحْلِ

فلمّا بلغ أَهلَها خبرُهما حجبوها عنه مُدّة ، وهو يزيد غراماً بها ويُكثر قولَ الشعر فيها . فأَتَوْها فقالوا لها : عِدِيهِ السَّرْحةَ ، فإذا أَتاك فقولي له : نَشَدتُك اللهَ إن كنتَ أحببتني فوالله ما على الأَرض شيءٌ أَبغض إليّ منك ، ونحن قريبٌ نستمع ما تقولين . فوعدتْه وجلسوا قريباً يستمعون ، وجلستْ عند السَّرْحة ، وأَقبل عبد الله لوعدها . فلمّا دنا منها دَمَعتْ عينُها والتفتت إلى حيث أَهلُها جلوسٌ ، فعرَف أَنّهم قريب فرجَع . وبلَغه ما قالوا لها أَن تقولَه فأَنشأَ يقول : [من الطويل]

لو قلتِ ما قالوا لَزِدتُ جَوىً بكم على أَنّه لم يَبْقَ سِتر ولا صبرُ
ولم يـكُ حبِّـي عن نوالٍ بذلتِه فيُسْلِيَني عنـه التجهُّـمُ والهجـرُ
وما أَنسَ مِ الأَشياء لا أَنس دمعَها ونظرتَهـا حتـى يُغَيِّبنـي القبرُ

[سرية خالد بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مناة]

وبعث النبيّ ﷺ على أَثَر ذلك خالدَ بن الوليد إلى بني عامر بن عبد مَناة بن كِنانة وأَمره أَن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أَجابوه وإلاّ قاتَلَهم . فصبَحَهم[1] خالد بن الوليد بالغُمَيْصاء[2] وقد سمِعوا به فخافوه فظَعَنوا ، وكانوا قتلوا أَخاه الفاكهَ بن الوليد وعمَّه الفاكه بن المغيرة في الجاهلية ، وكانوا من أَشدّ حيّ في كنانة بأْساً يُسمَّوْن «لَعَقَة الدَم» . فلمّا صبَحَهم خالدٌ ومعه بنو سُلَيْم ، وكانت بنو سليم طَلَبتْهم بمالك بن خالد بن صخر بن الشَّرِيد وإخوتِه كُرْز وعمرو والحارث ، وكانوا قتلوهم في موطن واحد . فلمّا صبَحَهم خالدٌ في ذلك اليوم ورأَوْا معه بني سُلَيْم زادهم ذلك نفوراً . فقال لهم خالد : أَسْلِموا تَسْلَموا . قالوا : نحن قومٌ مسلمون . قال : فأَلْقُوا سلاحَكم وانْزِلوا . قالوا : لا والله . فقال جَذِيمةُ بن الحارث أَحدُ بني أَقْرَم : يا قوم ، لا تَضعوا سلاحَكم ، والله ما بعد وضعِ السلاح إلاّ القتل . قالوا : لا والله لا نُلْقي سلاحنا ولا نَنْزل ، ما نحن منك ولا لَمَن معك بآمِنين . قال خالدٌ : فلا أَمانَ لكم إن لم تَنزلوا . فنزلتْ فرقةٌ منهم فأَسَرهم ، وتفرَّق بقيّةُ القوم فرقتين ، فأَصعَدتْ فرقةٌ وسفَلَتْ فرقةٌ أُخرى .

[رواية أُخرى]

قال ابنُ دَأْب : فأَخبرني مَن لا أَتّهم عن عبد الله بن أَبي حَدْرَد الأَسْلميّ قال : كنتُ

1 قارن بسيرة ابن هشام 2 : 429 وما بعدها وفي الشعر والرواية اختلاف غير يسير ، والرواية هنالك هي أيضاً عن عبد الله بن أَبي حدرد الأَسلميّ .

2 الغميصاء : موضع قرب مكّة .

يومئذٍ في جند خالد ، فبَعَثنا في أثَر ظُعُن[1] مُصْعدةٍ يسوقُ بهنَّ فِتيةٌ ، فقال : أدْرِكوا أولئك . قال : فخرجنا في أثرهم حتى أدركناهم وقد مضَوْا ، ووقف لنا غلام شابٌّ على الطريق . فلمّا انتهينا إليه جعل يقاتلنا وهو يقول : [من الرجز]

بَيِّنَّ أطرافَ الذُّيول وارْبَعْنْ مَشْيَ حَيِيَّاتٍ كأن لم يَفْزَعْنْ
إن يُمْنَعِ اليومَ نساءٌ تُمْنَعْنْ

فقاتَلنا طويلاً فقتلناه ، ومضينا حتى لحِقْنا الظُّعنَ ، فخرج إلينا غلام كأنّه الأوّل ، فجعل يقاتلنا ويقول : [من الرجز]

أُقسم مـا إن خادِرٌ ذو لِبْدَه يـزأر بـين أيْكةٍ ووَهْدَهْ[2]
يفرِس شُبّانَ الرجـالِ وَحْدَه بأصدقَ الغـداةَ منّـي نَجْدَهْ

فقاتَلنا حتى قتلناه ، وأدركنا الظُّعْن فأخذناهنّ ، فإذا فيهن غلامٌ وضيءٌ به صفرةٌ وفي لونه كالمنهوك ، فرَبَطْناه بحبل وقدّمناه لنقتله ؛ فقال لنا : هل لكم فيّ خير ؟ قلنا : وما هو ؟ قال : تُدركون بي الظُّعنَ أسفلَ الوادي ثم تقتلونني ؛ قلنا : نفعل . فخرجنا حتى نُعارضَ الظُّعُنَ أسفلَ الوادي . فلمّا كان بحيث يَسْمعن الصوتَ ، نادى بأعلى صوته : اسْلَمي حُبَيش ، عند نَفاد العيش . فأقبلت إليه جاريةٌ بيضاء حُسّانة فقالت : وأنتَ فاسلم على كثرة الأعداء ، وشدّة البلاء . فقال : سلامٌ عليكم دهراً ، وإن بقيت عصراً . قالت : وأنت سلامٌ عليك عشراً ، وشَفْعاً تَتْرى ، وثلاثاً وِتْرا . فقال : [من الطويل]

إن يَقْتلوني يا حبيشُ فلم يَدَعْ هواك لهم منّي سوى غُلّة الصدرِ
وأنتِ التي أحليتِ لحميَ من دمي وعظمي وأسبلتِ الدموعَ على نحري

فقالت له : [من الطويل]

ونحن بكينا من فراقـك مـرّةً وأُخرى وآسيْناك في العسر واليسرِ
وأنت ، فلا تَبْعَدْ فنعم فتى الهوى ، جميلُ العفافِ في المودّة والسّترِ

فقال لها : [من الطويل]

أرَيْتَكِ إن طالبتُكـم فوجدتُكم بحَلْيـةَ أو أدركتُكـم بالخَوانِقِ[3]

---

1 ظُعن : جمع ظعينة وهي المرأة في الهودج .
2 الأسد الخادر : المقيم في عرينه .
3 الخوانق : جمع خانق وهو موضع بتهامة . حلية : واد بتهامة أعلاه لهذيل وأسفله لكنانة .

أَلَمْ يكُ حقّـاً أن يُنَـوَّل عاشقٌ تكلّف إدلاجَ السُّرَى والودائقِ[1]

فقالت : بَلى والله . فقال :

فلا ذنبَ لي إذ قلتُ إذ نحن جيرةٌ أَثِيبي بودٍّ قبـل إحـدى البوائقِ

أَثِيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النّوى ويَنـأى خليـطٌ بالحبيبِ المفارقِ

قال ابن أَبي حَدْرَد : فضربنا عُنقَه ، فتقحّمت الجاريةُ من خِدْرِها حتى أَتت نحوَه فالتقمتْ فاه ، فنزعنا منها رأسَه وإنّها لتَكْسَع[2] بنفسها حتى ماتت مكانَها . وأُفلت من القوم غلامٌ من بني أَقْرَم يقال له السَّمَيْدع حتى اقتحم على رسول الله ﷺ فأخبره بما صنع خالد وشكاه .

[علي يصلح خطأ خالد]

قال ابنُ دأب : فأخبرني صالح بن كَيْسان أنّ رسول الله ﷺ سأله «هل أنكر عليه أحدٌ ما صنع» ؟ فقال : نعم ، رجلٌ أصفرُ رَبْعةٌ ورجل أحمرُ طويلٌ . فقال عمر : أنا والله يا رسول الله أعرفهما ، أمّا الأوّل فهو ابني وصفتُه ، وأمّا الثاني فهو سالم مولى أبي حُذَيْفة . وكان خالد قد أمر كلَّ من أسَر أسيراً أن يضربَ عنقه ، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حُذيفة أسيرين كانا معهما . فبعث رسول الله ﷺ عليّاً رضي الله عنه بعد فَراغه من حُنَيْن وبعث معه بإبلٍ ووَرِقٍ وأمره أن يَدِيَهم فوادَهم ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ ، فسأله فقال عليّ : قدِمتُ عليهم فقلتُ لهم : هل لكم أن تَقْبَلوا هذا الجملَ بما أُصيب منكم من القَتْلى والجَرْحى وتُحَلِّلوا رسولَ الله ﷺ ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أن تقبَلوا الثاني بما دخلكم من الرَّوْع والفَزَع ؟ قالوا نعم . فقلتُ لهم : فهل لكم أن تقبَلوا الثالثَ وتُحَلِّلوا رسولَ الله ﷺ ممّا عَلِمَ وممّا لَم يَعْلَم ؟ قالوا نعم . قال : فدفعتُه إليهم ، وجعلتُ أَدِيهم ، حتى إنّي لأَدِي ميلغةَ الكلب ، وفضَلَتْ فَضْلَةٌ فدفعتُها إليهم . فقال رسول الله ﷺ : «أَفَقَبِلوها ؟» قال نعم . قال : «فوالذي أنا عبده لهي أحبُّ إليّ من حُمْر النَّعَم» .

وقالت سَلْمى بنت عُمَيْس[3] : [من الطويل]

وكم غادروا يومَ الغُمَيْصاء من فتىً أُصِيب فلم يَجْرَح وقد كان جارحا

ومـن سيّـدٍ كهل عليـه مَهابةٌ أُصيب ولَمّـا يَعْلُه الشيبُ واضحا

---

1 الودائق : جمع وديقة وهي شدّة الحرّ في الهاجرة .

2 تكسع : تضرب .

3 انظر سيرة ابن هشام 2 : 432 وفي الشعر اختلاف كبير .

أحاطت بخُطّابِ الأيامى وطلّقت غَداتَئذٍ من كان منهنّ ناكحا
ولولا مقالُ القومِ للقوم أسلِموا للاقَتْ سُلَيْمٌ يوم ذلك ناطحا

[إيقاع بني عامرِ بن عبد مناة برجال قريش في الجاهلية]

قال ابنُ دِأب : وأمّا سببُ قتلهم القرشيّين ، فإنّه كان نَفرٌ من قريش بضعةَ عشرَ أقبلوا من اليمن حتى نزلوا على ماء من مياه بني عامر بن عبد مَناة بن كنانة ، وكان يقال لهم «لَعَقَهُ الدّم» وكانوا ذوي بأسٍ شديد . فجاءت إليهم بنو عامر فقالوا للقرشيّين : إيّاكم أن يكونَ معكم رجل من فَهْم ؛ لأنّه كان له عندهم ذَحْل . قالوا : لا والله ما هو معنا ، وهو معهم . فلمّا راحوا أدركهم العامِريّون ففتّشوهم فوجدوا الفَهْميّ معهم في رِحالهم ، فقتلوه وقتلوهم وأخذوا أموالَهم . فقال راجزهم : [من الرجز]

إنّ قريشاً غَدَرتْ وعادَهْ نحن قتلنا منهمُ بِغادَهْ[1]
عشرينَ كهلاً ما لهم زيادَهْ

وكان فيمن قُتل يومئذٍ عفّان بن أبي العاصي أبو عثمان بن عفّان ، وعوف بن عوف أبو عبد الرحمن بن عوف ، والفاكه بن المُغيرة ، والفاكه بن الوليد بن المُغيرة . فأرادت قريشٌ قتالَهم حتى خَذَلَتْهم بنو الحارث بن عبد مَناة فلم يفعلوا شيئاً . وكان خالد بن عبيد الله أحد بني الحارث بن عبد مَناة فيمن حضر الوَقْعةَ هو وضِرار . فأشار إلى ذلك ضرار بن الخطّاب[2] بقوله : [من المتقارب]

دعوتُ إلى خُطَّةٍ خالداً من المجد ضيَّعها خالدُ
فوالله أدري أضاهى بها بَني العَمّ أم صدرُه باردُ
ولو خالدٌ عاد في مثلها لتابعه عُنُقٌ وارِدُ[3]

وقال ضِرارٌ أيضاً : [من الطويل]

أرى ابنَيْ لُؤَيٍّ أسرَعا أن تَسالما وقد سلكت أبناؤها كلَّ مَسْلَكِ
فإن أنتم لم تَثْأَروا برجالكم فَدُوكوا الذي أنتم عليه بِمدْوَكِ[4]

1 غادة : موضع في ديار كنانة .
2 هو ضرار بن الخطاب الفهري من الأشراف والشعراء المعدودين من مسلمة الفتح .
3 عنق وارد : أي متدلٍّ ، كناية عن موته .
4 دوكوا : اسحقوا .

فإنّ أداةَ الحرب ما قــد جمعتُم ومــن يَـتَّـقِ الأقوامَ بالشرّ يُتْرَكِ

[سرايا النبيّ إلى قبائل كنانة]

فلمّا كان يومُ فتح مكّة بعث رسولُ الله ﷺ بالجيوش إلى قبائل بني كنانة حولَه ، فبعث إلى بني ضَمْرة نُمَيْلةَ بن عبد الله اللَّيثيّ ، وإلى بني الدُّئِل عمرو بن أُميّة الضَّمْريّ ، وبعث إلى بني مُدْلِج عيّاشَ بن أبي رَبيعة المخزوميّ ، وبعث إلى بني بَغِيض ومحارب بن فهر عبدَ الله بن نَهيك أحدَ بني مالك بن حِسْل ، وبعث إلى بني عامر بني عبد مَناة خالداً . فوافاهم خالدٌ بماء يقال له الغُمَيْصاء ؛ وقد كان خبرُه سقط إليهم ، فمضى منهم سَلَفٌ قتله بقوم منهم ، يقال لهم بنو قيس بن عامر وبنو قُعَيْن بن عامر وهم خيرُ القوم وأشرفُهم ، فأُصيب مَن أُصيب . فلمّا أقبل خالد ودخل المدينةَ قال له النبيّ ﷺ : «يا خالدُ ما دعاك إلى هذا» ! قال : يا رسول الله آيات سَمِعتُهنّ أُنزلت عليك . قال : «وما هي» ؟ قال : قولُ الله عزّ ذكرُه : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ . وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ وجاءني ابنُ أمّ أصْرَمَ فقال لي : إنّ رسول الله ﷺ يأمرك أن تقاتِلَ . فحينئذٍ بعث رسول الله ﷺ فوَداهم .

أخبرنا محمّد بن خَلَف وَكيع قال حدّثنا سعد بن أبي نصر قال حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحِق عن رجل من مُزَيْنة يقال له ابن عاصم عن أبيه قال : بعَثَنا رسول الله ﷺ في سَرِيّةٍ وأمَرَنا ألاّ نقتلَ أحداً إن رأينا مسجداً أو سمِعنا أذاناً ، قال وَكيع وأخبرني أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدّثنا إبراهيم بن بَشّار الرَّماديّ قال حدّثنا سفيان بن عُيينة عن عبد الملك بن نَوْفل عن ابن عاصم هذا عن أبيه بهذا الحديث قال : فبينا نحن نسير إذا بفتىً يسوق ظعائنَ ؛ فعرَضْنا عليه الإسلامَ فإذا هو لا يعرِفه ؛ فقال : ما أنتم صانعون بي إن لم أُسْلِم ؟ قلنا : نحن قاتِلُوك . قال : فدَعُوني أَلْحَقْ هذه الظعائنَ ، فتركناه ؛ فأتى هودجاً منها وأدخل رأسه فيه وقال : اسْلَمي حُبَيْش ، قبل نَفاد العيش . فقالت : وأنتَ فاسلم تِسْعاً وترا ، وثمانياً تَتْرى ، وعشراً أُخرى . فقال لها : [من الطويل]

فلا ذنبَ لي قد قلتُ إذ نحن جيرةٌ أُثيبي بـودٍّ قبل إحـدى البوائقِ
أُثيبي بودّ قبل أن تَشْحَط النَّوى ويَنْـأى أميرٌ بـالحبيبِ المُفارقِ

قال : ثم جاء فضربنا عنقَه . فخرجَتْ من ذلك الهودج جاريةٌ جميلة فَجَنَأتْ[1] عليه ، فما زالت تبكي حتى ماتت .

1 جنأت : أكبت .

[حديث خالد للنبيّ عن غزوته بني جذيمة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ وعمرو بن عبد الله العَتكيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : يُروى أنّ خالد بن الوليد كان جالساً عند النبيّ ﷺ ، فسُئل عن غزوته بَني جَذِيمة فقال : إنْ أَذِن رسولُ الله ﷺ تحدّثتُ . فقال : «تحدّثْ» . فقال : لقِيناهم بالغُمَيْصاء عند وجه الصبح ، فقاتلناهم حتى كاد قرنُ الشمس يَغِيبُ ، فمنَحَنا اللهُ أكتافَهم فتبِعْناهم نطلبهم ، فإذا بغلام له ذوائبُ على فرس ذَنُوب[1] في أُخرَيات القوم ، فبوّأتُ[2] له الرمح فوضعتُه بين كتفيه ؛ فقال : لا إله ، فقبضتُ عنه الرّمَح ؛ فقال : إلاّ اللاّت أحسنتْ أو أساءتْ . فهمَسْتُه[3] هَمْسةً أذْرَيْتُه وَقِيذاً[4] ؛ ثم أخذتُه أسيراً فشددتُه وَثاقاً ؛ ثم كلّمته فلم يكلّمني ، واستخبرتُه فلم يُخبرني . فلمّا كان ببعض الطريق رأى نِسوةً من بني جَذيمة يسوقُ بهنّ المسلمون ، فقال : أيا خالد ، قلتُ : ما تشاء ؟ قال : هل أنت واقِفي على هؤلاء النِّسوة ؟! فأتيتُ على أصحابي ففعلتُ ، وفيهن جارية تُدْعى حُبَيْشة ؛ فقال لها : ناوليني يدَك فناولتْه يدَها في ثوبها ؛ فقال : اسلمي حبيش ، قبل نَفاد العيش . فقالت : حُيِّيتَ عشراً ، وتسعاً وتراً ، وثمانياً تَتْرى . فقال : [من الطويل]

أَرَيْتكِ إن طالبتُكم فوجدتكم ... بِحَلْيَةَ أو أدركتُكم بالخَوانِقِ
أَلَم يَكُ حقّاً أن يُنَوَّل عاشقٌ ... تكلّف إدلاجَ السُّرى والودائِقِ
وقد قلتُ إذ أهلي لأهلِك جيرةٌ ... أَثِيبي بودٍّ قبل إحدى الصّعائقِ
أَثِيبي بوُدٍّ قبل أن تَشْحَط النَّوى ... وينأى أميرٌ بالحبيب المفارقِ
فإنّيَ لا ضيّعتُ سرَّ أمانتي ... ولا راقَ عيني بعد عينك رائقُ[5]
[سوى أنّ ما نال العشيرةَ شاغلٌ ... عن الوُدّ إلاّ أن يكونَ التَّوامُقُ]

فلمّا جاءَ على حاله تلك قدّمتُه فضربتُ عنقه . فأقبلت الجاريةُ ووضعتْ رأسَه في حِجْرها وجعلت تَرْشُفُه وتقول : [من الطويل]

لا تَبْعَدنْ يا عمرو حيّاً وهالكاً ... فحقّ بحسن المدح مثلُك من مثلي

1 ذنوب : وافر الذنب .
2 بوأ الرمح : سدّده .
3 همسه : عصره .
4 الوقيذ : المشرف على الموت .
5 في هذا البيت والذي يليه إقواء فلعلّهما أضيفا إلى الأبيات المتقدّمة .

لا تَبْعَدن يا عمرو حيّاً وهالكاً فقد عشتَ محمودَ الثّنا ماجدَ الفعلِ
فمَنْ لِطِرَاد الخيلِ تُشْجَر بالقَنا وللفخرِ يوماً عند قَرْقَرة البُزْلِ

وجعلت تبكي وتُردّد هذه الأبيات حتى ماتت وإن رأسَه لفي حِجْرها . فقال رسول الله ﷺ : «لقد رُفِعتَ لي يا خالد وإن سبعين مَلَكاً لَمُطِيفون بك يحضُّونك على قتل عمرو حتى قتلتَه» .

[طرب أبي السائب المخزوميّ]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني عبد الله بن المُنْذِر عن صفيّة بنت الزُّبَير بن هشام قالت : كان أبو السائب المخزوميّ رجلاً صالحاً زاهداً متقلِّلاً يصوم الدَّهرَ ، وكان أرقَّ خلق الله وأشدَّهم غَزَلاً . فوجَّه ابنَه يوماً يأتيه بما يُفْطر عليه ، فأبطأ الغلامُ إلى العَتَمَة . فلمّا جاءَ قال له : يا عدوَّ نفسه ، ما أخَّرك إلى هذا الوقت ؟ قال : جُزْتُ بباب بني فلان فسمِعتُ منه غناءً فوقفتُ حتى أخذتُه . فقال : هاتِ يا بُنيّ ، فوالله لئن كنتَ أحسنتَ لأحبُونّك ، ولئن كنتَ أسأتَ لأضْربنّك . فاندفع يغنّي بشعر كثيّر : [من الطويل]

ولمّا عَلَوْا شَغْباً تبيّنتُ أنّه تقطَّع من أهل الحجازِ علائقي
فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأصادِقِ

فلم يَزَل يغنّيه إلى نصف الليل . فقالت له زوجتُه : يا هذا ، قد انتصف الليلُ وما أفْطَرنا . قال لها : أنتِ طالقٌ إن كان فَطُورُنا غيرَه . فلم يزل يغنّيه إلى السَّحَر . فلمّا كان السَّحَرُ قالت له زوجتُه : هذا السَّحرُ وما أفْطَرْنا ؛ فقال : أنتِ طالقٌ إنْ كان سَحُورُنا غيرَه . فلمّا أصبح قال لابنه : خُذْ جُبّتي هذه وأعْطِني خَلَقَك ليكون الحِباءُ فَضْلَ ما بينهما . فقال له : يا أبَتِ ، أنت شيخٌ وأنا شابٌّ وأنا أقوى على البرد منك . قال : يا بنيّ ، ما ترك صوتك هذا للبرد عليَّ سبيلاً ما حَيِيتُ .

[شعر لسليمان بن أبي دباكِل]

أخبرني وَكيع قال أنشدنا أحمد بن يَزيد الشَّيبانيّ عن مصعَب الزُّبَيريّ لسليمان بن أبي دُباكِل قال : [من الطويل]

فهَلاّ نظرتَ الصبحَ يا بَعْلَ زينبٍ فتقْضَي لُباناتُ الحبيب المفارقِ
يَروح إذا يُمسي حنيناً ويَغْتدي وتهجيرُه عند احتدام الودائقِ
فَطِرْ جاهداً أو كُن حليفاً لصخرةٍ مُمَنَّعةٍ في رأس أرْعَنَ شاهِقِ

فما زال هذا الدَّهرُ من شؤم صَرْفِه يُفرِّق بين العاشقين الأَوامِقِ
فَيُبْعِدنا ممَّن نُريد اقترابَه ويُدْني إلينا من نُحبّ نُفارِقُ[1]
ولمّا عَلَوْا شَغْباً تبيَّنتُ أنّه تقطَّع من أَهل الحجازِ علائِقي
فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها إلى بلدٍ ناءٍ قليلِ الأَصادِقِ

1 في هذا البيت إقواء .

[110] ـ ذكر مُتَيَّم الهشاميّة وبعض أخبارها

كانت متيَّمُ صفراءَ مولَّدةً من مُولَّدات البصرة ، وبها نشأتْ وتأدَّبتْ وغنَّتْ . وأخذتْ عن إسحاق وعن أبيه من قَبْله وعن طبقتهما منَ المغنِّين .

[مغنِّية شاعرة]

وكانت من تخريج بَذْل وتعليمها . وعلى ما أخذتْ عنها كانت تَعْتَمد . فاشتراها عليّ بن هشام بعد ذلك ، فازدادتْ أخْذاً ممّن كان يغشاه من أكابر المغنِّين . وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً وأدباً . وكانت تقول الشعر ليس ممّا يُستجاد ، ولكنّه يُستحسن من مثلها . وحَظِيَتْ عند عليّ بن هشام حُظوةً شديدة ، وتقدّمتْ على جَواريه جُمَعَ عنده ، وهي أُمّ وَلَدِه كلِّهم .

وقال عبد الله بن المعتزّ فيما أخبرني عنه محمَّد بن إبراهيم قُرَيْش قال أخبرني الحسن بن أحمد المعروف بأبي عبد الله الهشاميّ قال :

[كانت مولاة للبانة]

كانت مُتَيَّمُ لِلُبانةَ بنت عبد الله بن إسماعيل المَراكِبيّ مولى عَريب ، فاشتراها عليّ بن هشام منها بعشرين ألف درهم وهي إذ ذاك جُوَيْريّة ، فوَلَدَت له صفيَّة وتُكْنى أُمَّ العبّاس ، ثم ولَدت محمَّداً ويُعرف بأبي عبد الله ، ثم ولَدتْ بعده ابناً يقال له هارون ويُعرف بأبي جعفر ، سمّاه المأمونُ وكنّاه لمّا وُلِد بهذا الاسم والكُنْية . قال : ولمّا تُوفِّي عليّ بن هشام عَتَقَتْ .

[كانت تغنّي المأمون والمعتصم]

وكان المأمونُ يبعث إليها فتَجيئه فتُغنِّيه . فلمّا خرج المعتصمُ إلى سُرَّ مَنْ رأى أرسل إليها فأشخصها وأنزلها داخلَ الجَوْسَق في دار كانت تُسمّى الدِّمشْقيّ وأقطعَها غيرَها . وكانت تستأذن المعتصمَ في الدخول إلى بغداد إلى ولدها فتزورُهم وترجع ، ثم ضمَّها لمّا خرجتْ قَلَمُ . وقَلَمُ جاريةٌ كانت لعليّ بن هشام . وكانت متيَّمُ صفراءَ حلوةَ الوجه .

[فضلها عبد الله بن العبّاس على نفسه]

فذكر محمَّد بن الحسن الكاتب أنّ الحسين بن يحيى بن أكثَم حدَّثه عن الحسن بن إبراهيم بن رِياح قال : سألتُ عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ : مَنْ أحسنُ من أدركتَ صَنْعَةً ؟

قال : إسحاق . قلت : ثم من ؟ قال : عَلّويَه . قلت : ثم مَن ؟ قال : متيَّم . قلت : ثم مَن ؟ قال : ثم أنا . فعجِبتُ من تقديمه متيَّمَ على نفسه ؛ فقال : الحقُّ أحقُّ أن يُتَّبَع .

أخبرني محمَّد بن الحسن قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : سُئِل عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ عن أحسن الناس غناءً . فذكر مثل هذه الحكاية ، وزاد فيها أن قال له : ما أُحْسِن أن أصنع كما صنعتْ متيَّم في قوله : [من الطويل]

فـلا زِلْن حَسْرى ظُلّعا لِمْ حَمَلْنَها

ولا كما صنع عَلّويه في قول الصِّمّة : [من الطويل]

فواحَسْرتي لم أَقْضِ منكِ لُبانـةً ولم أَتمتَّـع بالجِـوارِ وبالقُرْبِ

قال : فأين عمرو بن بانةَ ؟ قال : عمرو لا يَضَع نفسه في الصنعة هذا الموضع ، ولكنّه صنع لحناً في هذا الغناء .

نسبة صوت عَلّويه

صوت

[من الطويل]

فواحسرتي لم أَقْضِ منـكِ لُبانـةً ولم أَتمتَّـع بالجـوارِ وبالقربِ
يقولون هـذا آخـرُ العهـد منهم فقلت وهذا آخر العهـد من قلبي
أَلا يا حمامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مراهق سقتك الغوادي من حمامٍ ومن شِعْبِ

الشعر للصِّمَّة بن عبد الله القُشَيْريّ . والغناء فيه لعلّويَه ، ثقيل أوّل مطلَق في مجرى الوسطى . وفيه لمخارق خفيفُ رمل بالوسطى ، أوّله : «ألا يا حمامَ الشعب» ثم الثاني ثم الأوّل . وذكر حبشٌ أنّ فيه لإسحاق ثاني ثقيل بالبنصر .

[أخذ إبراهيم بن المهديّ منها صوتاً]

وقال ابن المعتزّ أخبرني الهشاميّ قال : كانت متيّمُ ذاتَ يوم جالسةً بين أيدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهديّ حاضرٌ ؛ فغنّت متيّمُ في الثقيل الأوّل : [من الطويل]

لزينـب طيـفٌ تَعْتريني طوارقُـهْ هُدُوّاً إذا ما النّجمُ لاحتْ لواحقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تعيده ؛ فقالت متيّم للمعتصم : يا سيّدي ، إبراهيم يَستعيدني الصوتَ وكأنّه[1] يُريد أن يأخذه ؛ فقال لها : لا تُعيديه . فلمّا كان بعد أيّام كان إبراهيم حاضراً

1 ل : وأظنّه .

مجلسَ المعتصم ومتيّمُ غائبةً ، فانصرف إبراهيم بعد حين إلى منزله ومتيَّم في منزلها بالمَيْدان[1] وطريقه عليها وهي في مَنْظَرة لها مشرفةٍ على الطريق وهي تغنّي هذا الصوت وتَطْرَحُه على جواري عليّ بن هشام ؛ فتقدّم إلى المَنْظَرة وهو على دابّته فتطاول حتى أخذ الصوت ، ثم ضرب بابَ المنظَرة بمِقْرعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدِكِ .

[طلبها المأمون من عليّ بن هشام فلم يرض]

وقال ابن المعتزّ : وحُدِّثتُ أنّ المأمون سأل عليّ بن هشام أن يهَبَها له وكان بغنائها مُعْجَباً ؛ فدافعه بذلك ولم يكن له منها ولدٌ . فلمّا ألحَّ المأمونُ في طلبها حَرَص عليٌّ على أن تَعْلَق منه حتى حبِلتْ ويئس المأمونُ منها . فيقال إنّ ذلك كان سبباً لغضبه عليه حتى قتله .

وحدّثني سليمان الطَّبّال أنّه رأى متيَّمَ في بعض مجالس المعتصم يُمازحها ويَجْبِذ بردائها .

[أراد إسحاق انتحال صوت لها]

وحكى عليُّ بن محمَّد الهِشاميُّ قال : أُهْدِيَ إلى عليّ بن هشام بِرْذَوْنٌ أشْهبُ قِرْطاسيّ[2] وكان في النهاية من الحسن والفَراهة ، وكان عليٌّ به مُعْجَباً ، وكان إسحاقُ يَشتهيه شهوةً شديدة ، وعَرّض لعليّ بطلبه مراراً فلم يَرضَ أن يُعطيَه له . فسار إسحاقُ إلى عليّ يوماً بعَقِب صنعة مُتَيّم «فلا زِلْن حَسْرَى» فاحتبسه عليٌّ وبعث إلى متيّم أن تجعل صوتَها هذا في صدر غِنائها ففعلتْ ، فأطربَ إسحاقَ إطراباً شديداً ، وجعل يَستردّه ، فتَردُّه وتَسْتوفيه ليزيدَ في إطرابه إسحاقَ وهو يُصغي إليها ويتفهّمه حتى صحَّ له . ثم قال لعليّ : ما فعل البِرْذَونُ الأشهب ؟ قال : على ما عهِدتَ من حسنه وفراهته . قال : فاختر الآن منّي خَلّةً من اثنتين : إمّا أنْ طِبْتَ لي نفساً به وحملتَني عليه ، وإمّا أن أبيْتَ فأدَّعي والله هذا الصوتَ لي وقد أخذتُه ، أفتُراك تقول : إنّه لمتيَّم وأقول : إنّه لي ويُؤْخذ قولُك ويُترك قولي ؟ ! قال : لا والله ما أظنّ هذا ولا أراه ؛ يا غلام قُدِ[3] البرذونَ إلى منزل أبي محمَّد بِسَرْجه ولجامه ، لا بارك اللهُ له فيه ! .

قال عليّ بن محمَّد وحدّثني أحمد بن حمدون : أنّ إسحاق قال لمتيَّم لمّا سمِع هذا الصوتَ منها : أنتِ أنا فأنا مَنْ يريد أنّها قد حلّت محلّه وساوَته .

---

1 الميدان : محلّة ببغداد .

2 قرطاسي : خالص البياض .

3 ل : قدّم .

قال عليّ بن محمَّد وقال جدِّي أبو جعفر : كانت متيّمُ تقول : [من الطويل]

صوت

فــلا زِلْن حسرى ظُلّعــاً لم حملنها

الرّمل كلّه .

[علي بن هشام وعتابه بذل جاريته]

وحدَّثني الهشاميّ قال مدّ عليٌّ بن هشام يده إلى بَذْل جاريته في عتابٍ يعاتبها ؛ ثم ندِم على فعله ذلك ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

فليتَ يدي بانت غَداةَ مدَدْتُها إليكِ ولم تَرْجع بكفٍّ وساعدِ

وغنَّت متيّمُ جاريتُه فيه في الثقيل الأوّل ؛ فكان يقال لبذل جاريةِ عليٍّ بذل الصغيرة .

[ضرب موسوس بذل بالعود فكان سبب موتها]

وحدَّثني الهشاميّ قال : كان سببُ موت بذل هذه أنّها كانت ذاتَ يوم جالسةً عند المأمون فغنَّته ، وكان حاضراً في ذلك المجلس مُوَسْوِسٌ يُكْنى بأبي الكَرْكَدَنّ من أهل طَبَرِسْتان يضحك منه المأمونُ ، فعبِثوا به فوثَب عليهم وهرَب الناسُ من بين يديه فلم يَبْقَ أحدٌ حتى هرب المأمونُ ، وبقيت بذلُ جالسةً والعودُ في حِجْرها ، فأخذ العودَ من يدها وضرب به رأسَها فشَجّها في شابورتها اليمنى ؛ فانصرفتْ وحُمّت ، وكان سببَ موتها .

[تزوّج المعتصم بذل الصغيرة]

وحدَّثني الهشاميّ قال : لمّا مات عليّ بن هشام ومات المأمونُ ، أخذ المعتصمُ جَواريَ عليّ بن هشام كلَّهنّ فأدخلهنّ القصر ، فتزوّج ببَذْل المغنِّية وبقيتْ عنده إلى أن مات ؛ فخرجت بذلُ الكبيرة والباقون إلاّ بذلَ الصغيرة لأنّها كانت حُرْمَتَه فلم يُخرجوها .

ويقال : إنّه لم يكن في المغنِّين أحسن صنعةً من عَلّويه وعبد الله بن العبّاس ومتيَّم .

[شعر ابن الجهم في متيّم الهشامية وأولادها]

وفي أولادها يقول عليّ بن الجهم : [من البسيط]

بَني مُتيَّمَ هــل تَدْرون مــا الخبرُ وكيف يُسْتَرُ أمــرٌ ليس يَسْتَتِرُ

حاجيْتُكم مَنْ أبوكم يا بَني عُصَبٍ شتَّى ولكنّمــا للعاهِــر الحَجَرُ[1]

1 إشارة إلى الحديث : «الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحَجر» .

[غضبت من علي بن هشام وصالحها بشعر]

قال : وحدَّثني جدِّي قال : كلّم عليُّ بن هشام متيَّمَ فأجابته جواباً لم يَرْضَه ، فدفع يدَه في صدرها ، فغضِبتْ ونهضتْ ، فتَثاقلتْ عن الخروج إليه . فكتب إليها : [من الطويل]

صوت

فليتَ يدي بانتْ غداةَ مَدَدْتُها إليك ولم تَرْجع بكـفٍّ وساعدِ
فإن يَرْجعِ الرحمنُ مـا كان بيننا فلستُ إلى يـومِ التَّنادي بعائدِ

غنَّته متيَّمُ خفيفَ رملٍ بالبنصر .

[خصام بينها وبين عليّ بن هشام]

قال : وعَتَبت عليه مرّةً فتَمادى عَتْبُها ، وترضَّاها فلَم تَرْضَ ؛ فكتب إليها : الإدلال يدعو إلى الإملال ، وربّ هجرٍ دعا إلى صبر ، وإنّما سُمِّي القلبُ قلباً لتقلُّبه . ولقد صدق العبّاسُ بن الأحنف حيث يقول[1] : [من الخفيف]

مـا أُراني إلاّ سأهجُر مـن ليـ ـسَ يَراني أَقْوَى على الهِجرانِ
قـد حَـدَا بي إلى الجفاء وفائي مـا أَضرَّ الوفـاءَ بالإنسانِ[2]

قال : فخرجتْ إليه من وقْتها ورضيتْ .

[تهدي للهشاميّ نبقاً يحبّه]

وحدَّثني الهشاميّ قال : كانت متيَّمُ تُحبّني حبّاً شديداً يَتجاوز محبّةَ الأُخت لأخيها ، وكانت تعلم أنّي أُحِبّ النَّبِق ، فكانت لا تزال تبعث إليّ منه . فإنّي لأَذكرُ في ليلة من الليالي في وقت السَّحَر إذا أنا ببابي يُدَقّ . فقيل : مَن هذا ؟ فقالوا : خادمُ متيَّم يريد أن يدخل إلى أبي عبد الله . فقلتُ : يَدْخل . فدخل ومعه إليّ صِينيّة فيها نَبِقٌ ؛ فقال لي : تُقْرئك السلام وتقول لك : كنتُ عند أمير المؤمنين المعتصم بالله فجاءوه بِنَبِقٍ من أحسن ما يكون ؛ فقلتُ له : يا سيِّدي ، أَطلُب من أمير المؤمنين شيئاً ؟ فقال لي : تَطْلُبين ما شئتِ . قالت : يُطْعمني أميرُ المؤمنين من هذا النَّبِق . فقال لسمانة[3] : اجعل من هذا النَّبِق في صينيّة واجعلوها قدّام مُتيَّم ؛ فأخذتْه وذلَّلتْه لك وقد بعثتْ به إليك معي ، ثمّ دفعتْ إليّ دراهم وقالت : هَبْ للحُرّاس هذه الدّراهمَ لكي يَفتَحوا الدُّروبَ لك حتى تصيرَ به إليه .

---

1 ديوان العبّاس بن الأحنف (صادر) : 298 .

2 رواية صدر البيت في الديوان : * ملّني واثقاً بحسن وفائي *

3 هو سمانة الخادم ويدعى مسرور سمانة كما في الطبري .

ثم حدَّثنا الهشاميّ قال[1] : بعث عليّ بن هشام إلى إسحاق فجاء ، فأخرج مُتيَّمَ جاريتَه إليه ؛ فغنَّتْ بين يديه : [من الطويل]

فلا زِلْنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنَها إلى بلـدٍ نـاءٍ قليـل الأصادقِ

فاستعاده إسحاق واستحسنه ، ثم قال له : بكم تَشْتري منّي هذا الصوتَ ؟ فقال له عليّ بن هشام : جاريتي تَصنع هذا الصوتَ وأشتريه منك ؟ قال : قد أخذتُه الساعةَ وادَّعيه ، فقول مَن يُصَدَّق ، قولي أو قولُك ! فافتداه منه ببِرْذَوْن اختاره له .

[صوت بمائة ألف دينار]

وحدَّثني الهشاميّ قال : سمع عليّ بن هشام قُدّامَ المأمون من قَلَم جاريةِ زُبَيْدة صوتاً عجيباً ، فرشا لَمَن أخرجه من دار زبيدة بمائة ألف دينار حتى صار إلى داره وطُرِح الصوتُ على جَواريه . ولو علمت بذلك زُبَيْدة لاشتدّ عليها ، ولو سألها أن توجِّهَ به ما فعلتْ .

[متيَّم في كتاب إسحاق]

وحدَّثني يحيى بن عليّ بن يحيى المنجِّم عن أبيه قال : لّما صنعت متيَّمُ اللّحنَ في قوله : [من الطويل]

فـلا زلن حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنها

أُعجب به عليّ بن هشام ، وأسمعه إسحاق فاستحسنه وقال : من أين لك هذا ؟ فقال : من بعض الجواري . فقال : إنّه لِعريبَ ؛ ولم يَزَلْ يَستعيده حتى قال : إنّه لمتيَّمَ ؛ فأطرق . وكان متحاملاً على المغنِّين شديدَ النَّفاسة عليهم كثيرَ الظلم لهم مُسْرِفاً في حَطّ درجاتِهم ، وما رأيته في غِنائه ذكر لعَلّويه ولا مخارِق ولا عمرو بن بانة ولا عبد الله بن عبّاس ولا محمَّد بن الحارث صوتاً واحداً ترفُّعاً عن ذكرهم مُنْتَصِباً[2] لهم ، وذكر في آخر الكتاب قولَه : [من الطويل]

فلا زلنَ حَسْرى ظُلَّعاً لِمْ حَمَلْنَها إلى بلـدٍ نـاءٍ قليـل الأصادقِ

ووقَّع تحته «لمُتيَّم» . وذكر آخر كلّ صوت في الكتاب ونسَب إلى كلّ مغنٍّ صوتَه غير مُخارِقٍ وعَلّويه وعمرو بن بانة وعبد الله بن عبّاس فما ذكرهم بشيء .

[أعجبت بها شاهك جدّة عليّ بن هشام]

أخبرنا أحمد بن جعفر جحْظة قال حدَّثني ابن المكيّ عن أبيه قال قال لي عليّ ابن هشام :

---

1 تقدّم هذا الخبر مفصّلاً برواية الهشامي أيضاً .

2 منتصباً لهم : مظهراً العداوة .

لّما قدِمتْ عليّ شاهِك جَدّتي من خَراسان ، قالت : اعْرِض جَواريَك عليّ ، فعَرضْتُهنّ عليها . ثم جلسنا على الشَّراب ، وغنّتْنا مُتَيَّمُ . وأطالت جدّتي الجلوسَ فلم أَنْبَسِط إلى جَواريّ كما كنتُ أفعل ؛ فقلت هذين البيتين : [من الطويل]

صوت

أَنَبْقَـى على هذا وأَنتِ قريبةٌ وقـد مَنَع الزُّوّارُ بعضَ التَّكلُّمِ
سلامٌ عليكـم لا سلامَ مُودِّعٍ ولكـن سلامٌ من حبيبٍ متيَّمِ

وكتبتُهما في رُقْعة ورميتُ بها إلى متيَّم ؛ فأخذْتها ونهضتْ إلى الصلاة ، ثم عادت وقد صنعتْ فيه اللحنَ الذي يُغَنَّى فيه اليوم ، فغنَّتْ . فقالت شاهك : ما أُرانا إلاّ قد ثَقَّلنا عليكم اليوم ؛ وأمرت الجواريَ فحمَلْنَ مِحَفَّتها ، وأمرتْ بجوائز للجَواري وساوت بينهنّ ، وأمرتْ لمتيَّمَ بمائة ألف درهم .

[أوّل مَن عقد زناراً]

وأخبرني قال : أوّلُ مَن عقَد من النساء في طَرَف الإزار زُنّاراً وخَيْطَ إبْرَيْسَم[1] ثم تجعله في رأسها فيثبُت الإزارُ ولا يتحرّك ولا يزول متيّمُ .

[رثاؤها مولاها]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : مرّت متيَّمُ في نسوة وهي مُسْتَخْفيةٌ بقصر عليّ بن هشام بعد أن قُتِل ، فلمّا رأت بابَه مُغْلَقاً لا أنيسَ عليه ، وقد علاه الترابُ والغُبْرةُ ، وطُرِحتْ في أفْنِيته المَزابِلُ ، وقفتْ عليه وتمثّلتْ : [من السريع]

صوت

يا منزلاً لم تَبْلَ أطلالُـهُ حاشا لأطلالِكَ أن تَبْلَى
لم أَبْكِ أطلالَك لكنّني بكيتُ عيشي فيك إذ وَلّى
قد كان لي فيك هوىً مرّةً غيّبـه التربُ ومـا مُلاّ
فصرتُ أَبْكِي جاهداً فقدَه عنـد آذكاري حيثما حلاّ
فالعيشُ أَولَى ما بكاه الفتى لا بدّ للمحزون أن يَسْلَى

1 الابريسم : الحرير .

فيه رمل بالوسطى لابن جامع . قال : ثم بكتْ حتى سقطتْ من قامتها ، وجعل النِّسوةُ يُناشِدْنها ويَقُلْنَ : اللهَ اللهَ في نفسكِ ! فإنّكِ تُؤْخذينَ الآن ، فبعد لأْيٍ ما حُمِلت تَتهادى بين امرأتين حتى تجاوزت الموضِعَ .

[أمرها المعتصم بالغناء فعرّضت بمولاها]

نسختُ من كتاب أبي سعيد السُّكَّريّ : حدَّثني الحارث بن أبي أُسامة قال حدَّثني محمَّد بن الحسن عن عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ قال : قالت لي متيَّمُ : بعث إليّ المعتصمُ بعد قدومه بغدادَ ، فذهبتُ إليه ، فأمرني بالغناء فغنَّيتُ : [من المجتث]

هل مُسعدٌ لبكاء بعَبْرة أو دمـاء

فقال : اعْدِلي عن هذا البيت إلى غيره ؛ فغنَّيْته غيرَه من معناه ؛ فدَمَعتْ عيناه وقال : غَنِّي غيرَ هذا . فغنَّيتُ في لحني : [من الطويل]

أولئكَ قومـي بعـد عـزٍّ ومَنْعَةٍ تفانَوْا وإلاّ تَذْرِف العـينُ أكْمَدِ

فبكى وقال : وَيْحِك لا تُغَنِّيني في هذا المعنى شيئاً ألبتّة . فغنَّيتُ في لحني[1] : [من البسيط]

لا تأمَن الموتَ في حِلٍّ وفي حَرَمٍ إنّ المنايـا تَغَشّى كلَّ إنسانِ

واسلُكْ طريقَكَ هوناً غيرَ مكترِثٍ فسوفَ يأتيكَ ما يَمْني لك الماني[2]

فقال : والله لولا أنّي أعلم أنّك إنّما غنَّيْتِ بما في قلبك لصاحبك وأنّك لم تُرِيديني لَمَثّلْتُ بك ؛ ولكن خذوا بيدها فأخْرِجوها ، فأخذوا بيدي فأُخْرِجتُ .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من المجتث]

هـل مُسعِـدٌ لبكاءٍ بعَبْـرة أو دمـاء

وذا لفقـد خليـلٍ لسادةٍ نُجَبـاء

الشعر لمُرادَ شاعرةِ عليّ بن هشام تَرْثيه لمّا قتله المأمونُ . والغناء لمتيَّم . ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى .

---

1 رواية البيتين في اللسان :

لا تأمن الموت في حلّ وفي حَـرمٍ إن المنايـا توافي كلّ إنسان

واسلك طريقك فيها غير محتشم حتى تلاقي ما يمني لك الماني

2 يمني لك الماني : يقدر لك المقدّر .

منها :

* ذهبتُ من الدّنيا وقد ذهبتْ منّي[1] *

وقد أخرج في أخبار إبراهيم بن المهديّ لأنّه من غنائه وشعره ، وشُرِحَتْ أخبارُه فيه . ولحنه رملٌ بالوسطى .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أُولئكَ قومـــي بعد عـزّ ومَنْعةٍ تفانَوْا وإلاّ تَذْرِفِ العـينُ أكْمَدِ

وقد أُخرج في أخبار أبي سعيد مولى فائد والعَبْليّ وغنّيا فيه من مراثيهما في بني أُميّة . ولحنُ متيَّم هذا الذي غَنّت فيه المعتصمَ ثاني ثقيل بالوسطى .

ومنها : [من البسيط]

صوت

* لا تأمَنِ الموتَ في حلٍّ وفي حَرَمٍ *

ذكر الهشاميُّ أنّه ممّا وجدَه من غناء متيَّم ، غير أنّ لها لحناً فيه يُذكر في موضع غير هذا على شرحٍ إن شاء الله تعالى ، وإنّما وَلهتْ صوتاً تولّعتْ به وغنَّته فنسبه إليها .

[. . . . . أحمد بن هشام يقال لها عواذل اشتراها من إنسان مدني . . . ، . . . فيه صوتيْن فآشتهيهما منهما فأخذتهما بحضرتي ، ثم سمعتُ . . . بيتين هما لها أحدهما : [من السريع]

يا منـــزلاً لم تبـــلَ أطلالُه حاشا لأطلالِكَ أن تبـــلَى
لم أبـــكِ أطلالـــك لكنّني بكيتُ عيشي فيك إذ ولّى

والآخر :

أمسح الربـــع بخدّي إذ مشى فيـــه الخليلُ
وعلى مثلـك يبكي أيُّها الربـــعُ المحيـــلُ
عرفـــتْ عينـــي الطلول فلهـــا دمعـــي يسيلُ
وبكـــتْ لي إذ رأتني خاليـــاً فيهـــا أجولُ][2]

---

1 لم يذكر هذا الصوت فيما تقدّم .

2 ما بين معكوفين زيادة من ل . وما زال الخبر ناقصاً من أوّله .

[تغنّي لنفسها]

وأخبرني قال : كنّا في مجلسنا نِياماً . فلمّا كان مع الفجر إذا متيّمُ قد دخلت علينا وقالت : أطْعموني شيئاً ؛ فأخرجوا إليها شيئاً تأكله ، فأكلتْ ، ودعَتْ بنبيذٍ وابتدأتِ الشّربَ ، ودعَتْ بعودٍ فاندفعت تغنّي لنفسها وتشرب . وكان ممّا غنّتْ : [من البسيط]

كيف الثّواءُ بأرض لا أراك بها يا أكثرَ الناس عندي مِنَّةً ويدا

خفيف رمل . وقال : ما رأيتُ أحداً من المُغَنّين والمغنّيات إذا غنّوْا لأنفسهم يكادون يغنّون إلاّ خفيفَ رمل .

[نوحها على سيِّدها]

وأخبرني قال حدّثني بعضُ أهلِها قال : لمّا أُصيبنا بعليّ بن هشام ، جاء النوائحُ ، فطرح بعضُ مَن حضر من مُغنّياته عليهنّ نوحاً من نَوح متيَّم ، وكان حسناً جيِّداً ، فأبطأ نَوحُ النوائح اللاّتي جئن لحسنه وجَوْدته . وكانت زين حاضرةً فاستحسنتْه جدّاً ، وقالت : رضي اللهُ عنكِ يا متيَّم ! كنتِ علَماً في السرور ، وأنت علم في المصائبِ .

وأخبرني قال : إنّي لأذكر من بعض نَوْحها : [من الخفيف]

لعـليٍّ وأحمـد وحسينٍ ثم نصر وقبلَه للخليلِ

هزَجٌ .

[أرسلت لها مؤنسة هديّة يوم حجامتها]

قال ابنُ المعتزّ : وأخبرني الهشاميُّ قال : وجّهتْ مؤنِسةُ جاريةُ المأمون إلى متيَّم جاريةِ عليّ بن هشام في يومٍ احتجمتْ فيه مِخْنَقةً[1] في وسطها حبّةٌ[2] لها قيمة جليلة كبيرة وعن يمين الحبّة ويسارها أربعُ يواقيتَ وأربع زُمُرّدات وما بينها من شُذُور الذّهب ، وباقي المِخْنقة قد طُيِّب بغاليةٍ .

وأخبرني قال : كانت متيَّمُ يُعْجِبها البَنَفْسَج جدّاً ، وكان عندها آثَرَ من كلّ ريْحان وطِيبٍ ، حتى إنّها من شدّة إعجابها به لا يكاد يخلو من كُمِّها الرّيحان ولا نراه إلاّ كما قُطِف من البستان .

[عرس في الجنّة]

وقد أخبرني رحمه الله قال حدّثنا أبو جعفر بن الدّهْقانة : أنّ جاريةً للمعتصم قالت له لمّا ماتت متيَّمُ وإبراهيمُ بن المهديّ وبَذْلُ :يا سيِّدي ، أظنّ أنّ في الجنّة عُرْساً ، فطلبوا هؤلاء إليه . فنهاها المعتصمُ عن هذا القول وأنكرَه . فلمّا كان بعد أيّام ، وقع حريقٌ في حجرة هذه القائلة

1 المخنقة : القلادة .

2 ل : حبةٌ حندارةٌ ، والحندارة : الحدقة .

فاحترق كلُّ ما تَمْلِكه . وسمِع المعتصمُ الجَلَبةَ فقال : ما هذا ؟ فأُخبِر عنه ؛ فدعا بها فقال : ما قصَّتُك ؟ فبكت وقالت : يا سيِّدي ، آحترق كلُّ ما أملِكه . فقال : لا تَجْزَعي ، فإنّ هذا لم يحترق وإنّما استعاره أصحابُ ذلك العرس .

[أمرها المأمون بأن تجيز شعراً]

وقد ذكرتُ في متقدَّم أخبار متيَّم أنّها كانت تقول الشعرَ ولم أذكر شيئاً . فمن ذلك ما أخبرنا به الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الحسن بن أحمد بن أبي طالب الدِّينارِيّ قال حدَّثني الفضل بن العبّاس بن يعقوب قال حدَّثني أبي قال : قال المأمون لمتيَّم جارية عليّ بن هشام : أجِيزي لي هذين البيتين : [من الطويل]

تعالَيْ تكون الكُتْبُ بيني وبينكم ... ملاحَظَةً نُومي بها ونُشيرُ
ورُسْلي بحاجاتي وهنّ كثيرةٌ ... إليكِ إشاراتٌ بها وزَفيرُ

صوت
من المائة المختارة[1]

[من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها مرضَ ... قَتَلْنا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا
يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حتى لا حَراكَ له ... وهنّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أرْكانا

عروضه من البسيط . والشعر لجرير . والغِناء لابن مُحْرِز . ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل . وفي هذه القصيدة أبياتٌ أُخَر تُغَنَّى فيها ألحانٌ سوى هذا اللحن ، منها قوله :

صوت
من المائة المختارة

[من البسيط]

أتْبَعْتُهم مقلةً إنسانُها غَرِقٌ ... هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا
إنّ العيونَ التي في طرفِها مَرَضٌ ... قتلننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

[الغناء في هذين البيتين ثقيلٌ] أوّلُ مطلَق بإطلاق الوتر في مجرى البنصر .

---

1 من قصيدة جرير التي مطلعها (ديوان جرير ص 490 ط . صادر) :

بَانَ الخليط ولو طوعتَ ما بانا ... وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

ومنها أيضاً : [من البسيط]

صوت

بَانَ الأَخِلاّ وما ودَّعتُ مَنْ بانا وقطّعوا من حبال الوصلِ أركانا
أصبحتُ لا أبتغي من بعدهم بَدَلاً بـالدّار داراً ولا الجِيران جيرانا
وصرتُ مذ ودَّع الأَظعانُ ذا طَرَبٍ مروَّعاً من حِـذارِ البـين مِحْزانا

في الأوّل والثاني والثالث من الأبيات خفيفُ رمل بالبنصر . وفيها للغَريض ثاني ثقيل بالبنصر ، من رواية عمرو بن بانة والهشاميّ . وذكر حبشٌ أنّ فيه لمالك خفيفَ رملٍ بالوسطى ، ولابن سرجس في الأوّل والثاني وبعدهما : [من البسيط]

أتبعتُهم مقلةً إنسانُها غَـرِقٌ

رمَلٌ بالوسطى . وذكر الهشاميّ أنّ لابن محرز في الأوّل والثاني بعدهما «أتبعتُهم مقلة» لحناً من الثقيل الأوّل بالبنصر ، وذكر المكّيّ أنّه لمعبد .

* * * *

الفهرس

[99] ـ أخبار الوليد بن يزيد ونسبه 5
[100] ـ ذكر أخبار عمر الواديّ ونسبُه 65
[101] ـ أخبار أبي كامل 69
[102] ـ أخبار يزيد بن ضبّة ونسبُه 72
[103] ـ أخبار إسماعيل بن الهِرْبِذ 79
[104] ـ نسب نابغة بني شَيْبان 81
[105] ـ أخبار أبي دَهْبَل ونسبه 87
[106] ـ أخبار حسين بن الضَّحَّاك ونسبه 111
[107] ـ أخبار أبي زكّار الأعمى 175
[108] ـ أخبار السيّد الحِمْيَرِيّ 177
109 ـ [أخبار عبد الله بن علقمة وحبيشة] 212
[110] ـ ذكر مُتَيَّم الهشاميّة وبعض أخبارها 222

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عبّاس

المجلد الثامن

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

8

جَميع الحُقوق محَفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

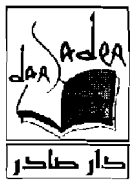

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*
P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270
e-mail: dsp@darsader.com
http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25
(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[111] ـ نسب جرير[1] وأخباره

[نسبه]

جَرير بن عطيّة بن الخَطَفَى . والخَطَفَى لقبٌ ، واسمه حُذَيفة بن بَدْر بن سَلَمة بن عَوْف بن كُليب بن يَرْبوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تَميم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ويُكنى أبا حَزْرة . ولُقّب الخَطَفَى لقوله : [من الرجز]

يَرْفَعْنَ لليل إذا مـا أَسْدَفا أعناقَ جِنّانٍ وهامـاً رُجَّفا[2]

وعَنَقاً بعـد الكَلال خَيْطَفا

ويُروى : خَطَفَى .

وهو والفَرَزْدَقُ والأَخْطل المقدَّمون على شعراء الإسلام الذين لم يُدْركوا الجاهلية جميعاً . ومختلَفٌ في أَيُّهم المتقدّمُ ؛ ولم يَبْقَ أحد من شعراء عصرهم إلاّ تعرَّض لهم فافتَضح وسقَط وبَقُوا يتصاولون ؛ على أنّ الأَخطل إنّما دخل بين جرير والفرزدق في آخر أمرهما وقد أَسَنّ ونفِد أكثرُ عمره . وهو وإن كان له فضلُه وتقدُّمه فليس نَجْره[3] من نِجَار هذين في شيء ؛ وله أخبار مفردة عنهما[4] ستُذكر بعد هذا مع ما يُغَنَّى من شعره .

أخبرني أبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب الجُمَحيّ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم الجُمَحيّ ، وأخبرني محمَّد بن العبّاس اليزيديّ وعليّ بن سليمان الأَخفش قالا حدَّثنا أبو سَعيد السُّكّريّ عن محمَّد بن حَبِيبَ وأبي غَسّان دَماذ وإبراهيم بن سَعْدان عن أبيه جميعاً عن أبي عُبَيدة مَعْمَر بن المثنَّى ، بنسب جرير على ما ذكرتُه وسائِر ما أذكره في الكتاب من أخباره فأَحكِيه عن أبي عبيدة أو عن محمَّد بن سَلاّم . قالوا جميعاً : وأُمّ جَرير أُمّ قَيْس بنتُ مُعَيْد بن عُمَير بن مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيب بن يَرْبوع . وأُمّ عطيّة النَّوار بنت يَزيد بن عبد العُزّى بن

---

1 انظر أخباره في : طبقات ابن سلام 75/1 والمحبر 146 ، 340 والشعر والشعراء 464/1–470 ، والطبري ومعجم البلدان وابن الأثير 164/1 ، 165 ، 155/5 ووفيات الأعيان 321/1 وتاريخ الإسلام 95/4 ومرآة الجنان 334/1 والنجوم الزاهرة 211/1 وشرح شواهد المغني 45/1 ؛ 762/2 ومعاهد التنصيص 262/2 والشذرات 140/1 وخزانة الأدب 75/1 وبروكلمان 215/1 والأعلام 11/2 .

2 أسدف الليل : أظلم . الجنان : جنس من الحيات .

3 النجر والنجار : الأصل والحسب .

4 في ل : معهما .

مسعود بن حارِثة بن عَوْف بن كُلَيْب .

قال أبو عُبَيدة ومحمّد بن سَلاّم ووافقهما الأَصمعيّ فيما أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة عنه : اتّفقت العرب على أنّ أشعر أهلِ الإسلام ثلاثة : جريرٌ والفرزدق والأَخطل ، واختلفوا في تقديم بعضهم على بعض . قال محمّد بن سَلاّم : والراعي معهم في طبقتهم ولكنّه آخرهم ، والمخالِف في ذلك قليل . وقد سمعتُ يونسَ يقول : ما شهدتُ مَشْهَداً قطّ قد ذُكر فيه جرير والفرزدق فاجتمع أهلُ المجلس على أحدهما . وكان يونس فَرَزْدقيّاً .

قال ابن سَلاّم : وقال ابنُ دأْب : الفرزدق أشعرُ عامّةً وجرير أشعرُ خاصّةً . وقال أبو عُبيدة : كان أبو عمرو يشبِّه جريراً بالأَعشى ، والفرزدقَ بزُهَير ، والأَخطلَ بالنابغة . قال أبو عبيدة : يحتجُّ مَنْ قدّم جريراً بأنّه كان أكثرَهم فنونَ شعر ، وأسهلَهم ألفاظاً ، وأقلَّهم تكلّفاً ، وأرقَّهم نَسيباً ، وكان ديِّناً عفيفاً . وقال عامر بن عبد الملك : جرير كان أشْبَههما وأنسَبهما .

ونسختُ من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ : قال خالد بن كُلْثوم : ما رأيت أشعرَ من جرير والفرزدق ؛ قال الفرزدق بيتاً مدح فيه قبيلتين وهجا قبيلتين ، قال : [من الطويل]

عجبتُ لعِجْلٍ إذ تُهاجِي عبيدَها كما آلُ يَرْبُـوعٍ هَجَـوْا آلَ دارِمِ

يَعْني بعبيدها بني حَنيفة . وقال جرير بيتاً هجا فيه أربعة : [من الكامل]

إنّ الفـرزدقَ والبَعيـثَ وأُمَّه وأَبـا البَعيث لشَرُّ مـا إسْتارِ[1]

قال : وقال جرير : لقد هجوتُ التَّيْمَ في ثلاث كلمات ما هجا فيهنَّ شاعر شاعراً قبلي ، قلتُ : [من الوافر]

من الأَصلاب يَنْزِل لـؤمُ تَيْمٍ وفي الأَرحام يُخلـقُ والمَشِيم

وقال محمّد بن سَلاّم : قال العلاء بن جرير العَنْبريّ وكان شيخاً قد جالس الناس : إذا لم يجيء الأَخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ[2] ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكّيتاً ، وجرير يجيء سابقاً ومُصلِّياً وسكّيتا . قال محمّد بن سلاّم : ورأيت أعرابيّاً من بني أَسَد أعجبني ظَرْفُه وروايته ، فقلت له : أيُّهما عندكم أشعرُ ؟ قال : بيوت الشعر أربعة : فخرٌ ومديح وهجاء ونَسيب ، وفي كلِّها غلَب جرير ؛ قال في الفخر : [من الوافر]

إذا غضِبتْ عليـكَ بنو تَميمٍ حسِبتَ الناسَ كلَّهـمُ غِضابا

والمديح : [من الوافر]

---

1 الإستار : من العدد : الأربعة .

2 سكيت : الذي يجيء آخر الخيل في السباق .

أَلَستُم خيرَ من ركب المطايا وأَنْدَى العالَمين بطونَ راحِ

والهِجاء : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

والنَّسيب : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ قتلْننا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا[1]

قال أبو عبد الله محمّد بن سَلاّم : وبيتُ النَّسيب عندي : [من الطويل]

فلمّا التقى الحَيَّانِ أُلْقيتِ العصا ومات الهوى لمّا أُصيبتْ مَقاتِلُهْ

[جرير وطبقته من الشعراء]

قال كَيْسان : أَمَا والله لقد أوجعكم (يعني في الهجاء) . فقال : يا أحمق ! أَوَذاك يمنعه أن يكون شاعراً ! .

[فضّله عبيدة بن هلال على الفرزدق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال قال أبو عُبَيدة ، وأخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم الجُمَحيّ قال حدَّثني أبانُ بن عثمان البَلْخِيّ قال : تنازع في جرير والفرزدق رجلان في عسكر المهلَّب ، فارتفعا إليه وسألاه ؛ فقال : لا أقول بينهما شيئاً ولكنّي أدلُّكما على مَن يَهُون عليه سُخْطُهما : عُبَيدةَ[2] بنِ هِلال اليَشْكُريّ ، وكان بإزائه مع قَطَريّ[3] وبينهما نهر . وقال عمر بن شَبّة : في هؤلاء الخوارج من تَهُون عليه سِبَالُ كلّ واحد منهما ، فأمّا أنا فما كنتُ لأُعرِّض نفسي لهما . فخرج أحد الرجلين وقد تراضَيا بحكم الخوارج ؛ فبدَر من الصفّ ثم دعا بعُبيدة بن هلال للمبارزة فخرج إليه . فقال : إنّي أسألكَ عن شيء تحاكمنا إليك فيه ؛ فقال : وما هو ؟ عليكما لعنة الله . قال : فأيّ الرجلين عندك أشعرُ : أجريرٌ أم الفرزدق ؟ فقال : لعنكما الله ولعن جريراً والفرزدق ؛ أمثلي يُسأل عن هذين الكلبين ! قالا : لا بدّ من حكمك . قال : فإنّي أسائلُكم قبل ذلك عن ثلاث . قالوا : سَلْ . قال : ما تقولون في إمامكم إذا فجَر ؟ قالوا : نُطيعه وإن عصى الله عزّ وجلّ . قال : قَبحكم الله ؛ فما تقولون في كتاب الله وأحكامه ؟ قالوا : نَنبِذه وراء ظهورنا ونُعطّل أحكامه . قال : لعنكم الله إذاً ؛ فما تقولون في اليتيم ؟ قالوا : نأكل ماله وننيك أُمّه . قال : أخزاكم الله إذاً ؛ والله لقد زِدْتُموني فيكم بَصيرةً . ثم ذهب لينصرف ؛ فقالوا له : إنّ الوفاء يَلْزَمكَ ، وقد

1 في الديوان : مرض 163/1 .

2 أحد زعماء الخوارج .

3 هو قطريّ بن الفجاءة .

سألتَنا فأخبرناك ولم تُخبرنا ، فرجع فقال : مَن الذي يقول : [من الكامل]

إنَّا لنَذْعَر يا قُفَيْرُ عدوَّنا ... بالخيل لاحقةَ الأَياطِلِ قُودا
وتَحُوطُ حَوْزَتَنا وتَحْمي سَرْحَنا ... جُرْدٌ تَرى لُمَغارِها أُخْدُودا[1]
أَجْرَى قلائدَها وقدَّد لحمَها ... أَلاّ يَذُقْنَ مع الشّكائم عُودا
وطَوى القِيادُ مع الطِّراد مُتونَها ... طَيَّ التِّجار بحَضْرَمَوْتَ بُرودا[2]

قالا : جريرٌ ؛ قال : فهو ذاك ، فانصرفا .

[حديث الأصمعيّ وغيره عنه]

أخبرني عمّ أبي عبدُ العزيز بن أحمد قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال قال الأَصمعيّ وذكر جريراً فقال : كان يَنْهَشُه ثلاثةٌ وأربعون شاعراً فيَنْبِذُهم وراء ظهره ويرمي بهم واحداً واحداً ، ومنهم من كان يَنْفَحه[3] فيرمي به ، وثبَت له الفرزدقُ والأَخطل . وقال جرير : والله ما يهجوني الأَخطل وحدَه وإنّه ليهجوني معه خمسون شاعراً كلُّهم عزيزٌ ليس بدون الأَخطل ، وذلك أنّه كان إذا أراد هجائي جَمعهم على شراب ، فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً ، وينتحل هو القصيدةَ بعد أن يُتَمِّموها .

قال ابن سَلاّم : وحدَّثني أبو البَيْداء الرِّياحيّ قال قال الفرزدق : إنّي وإيّاه لنغترفُ من بحر واحد وتضطرب دِلاؤه عند طول النهر .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدَّثني زيرك بن هُبَيرة المنانيّ قال : كان جريرٌ مَيدانَ الشعر ، مَن لَم يَجْرِ فيه لم يَرْوِ شيئاً ، وكان مَنْ هاجى جريراً فغلَبه جرير أُرجحَ عندهم ممّن هاجى شاعراً آخر غير جرير فغلَب .

أخبرنا أبو خليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : تذاكروا جريراً والفرزدق في حَلْقة يونس بن معاوية بن أبي عمرو بن العَلاء وخَلَف الأَحمر ومِسْمَع وعامر ابنا عبد الملك المِسْمَعِيّان ، فسمعتُ عامراً وهو شيخ بكر بن وائل يقول : كان جرير والله أنسَبهما وأسبَّهما وأَشبَههما .

[سمع الراعي شعره فأقرّ بأنّه جدير بالسبق]

قال ابن سَلاَّم : وحدَّثني أبو البَيْداء قال : مرّ راكبٌ بالراعي وهو يغنّي بيتين لجرير ، وهما : [من الطويل]

---

1 المغار : الإغارة .

2 القياد في الديوان : الطراد 339/1 .

3 نفحه بالسيف أي ضربه ضربة خفيفة .

وعاوٍ عَوى من غير شيء رميتُه بقارعةٍ أَنْفاذُها تَقْطُرُ الدَّما
خَرُوجٍ بأَفواه الرُّواةِ كأنَّها قَرا هُنْدوانِيٍّ إذا هُزَّ صَمَّما

فأَتْبَعه الراعي رسولاً يسأله لَمَن البيتان ؟ قال : لجرير . قال : لو اجتمع على هذا جميعُ الجنّ والإنس ما أَغنَوْا فيه شيئاً . ثم قال لَمَن حضر : وَيْحَكم أَأُلام على أَن يغلبني مثلُ هذا ! .

[رأي بشّار فيه وفي صاحبيه ورثاؤه ابنه]

قال ابن سَلاّم : وسأَلت بَشّاراً المرعَّث : أَيُّ الثلاثةِ أَشعرُ ؟ فقال : لم يكن الأَخطل مثلهما ولكنَّ رَبيعةَ تعصَّبتْ له وأَفْرطتْ فيه . قلت : فهذان ؟ قال : كانت لجرير ضُروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق ، ولقد ماتت النَّوار فقاموا يَنوحون عليها بشعر جرير . فقلتُ لبَشّار : وأَيُّ شيء لجريرٍ من المَراثي إلاّ التي رَثَى بها امرأَته ! فأَنشدني لجرير يَرْثي ابنَه سَوادةَ ومات بالشام : [من البسيط]

قالوا نَصِيبَك من أَجرٍ فقلتُ لهم كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أَشبالي
فارقتَني حين كَفّ الدَّهرُ من بصري وحين صِرْتُ كعظم الرِّمّة البالي
أَمْسَى سَوادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبإِ العالي[1]
قد كنتُ أَعرفه منِّي إذا غَلِقتْ رُهْنُ الجِياد ومَدّ الغايةَ الغالي[2]
إنّ الثَّوِيّ بذِي الزَّيْتُون فاحتسبي قد أَسرعَ اليوم في عقلي وفي حالي
إلاّ تَكُنْ لكَ بالدَّيْرَيْن مُعْوِلَةٌ فرُبَّ باكيةٍ بالرَّمْلِ مِعْوالِ[3]
كأُمّ بَوٍّ عَجُولٍ عند مَعْهَدِه حَنَّتْ إلى جَلَدٍ منه وأَوْصالِ
حتى إذا عرَفتْ أَن لا حياةَ به رَدّتْ هَماهِم حَرَّى الجوفِ مِثْكالِ
زادتْ على وَجْدِها وَجْداً وإن رجَعتْ في الصدر منها خُطوبٌ ذاتُ بَلْبالِ[4]

أَخبرني عبد الواحد بن عُبيد عن قَعْنَب بن المُحْرِز الباهليّ عن المُغيرة بن حَجْناء وعمارة بن عُقَيل قالا : خرج جرير إلى دِمَشْقَ يَومُ الوَليدَ ، فمرضَ ابنٌ له يقال له سَوَادة ، وكان به مُعْجَباً ، فمات بالشام ، فجزِع عليه ورثاه جرير فقال : [من البسيط]

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْبإِ العالي

1 أمسى في الديوان : لكن 2 : 584 . اللحم : البازي الذي يأكل اللحم أو يشتهيها .
2 الغالي : الرامي بالسهام .
3 معولة في الديوان باكية 584/2 .
4 زادت في الديوان : زدنا 584/2 .

[حديث الفرزدق عنه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن معاوية قال حدّثني رجل من أصحاب الحديث يقال له الحسن قال حدّثني أبو نصر اليَشْكُريّ عن مولىً لبني هاشم قال : امْتَرى أهلُ المجلس في جرير والفرزدق أيُّهما أشعرُ ، فدخلتُ على الفرزدق فما سألني عن شيء حتى قال : يا نَوار ، أدركتْ بَرْنِيّتُكِ ؟ قالت : قد فعلتْ أو كادتْ . قال : فابعثي بدرهم فاشتري لحماً ، ففعلتْ وجعلت تشرِّحه وتُلْقِيه على النار ويأكل . ثم قال : هاتي بَرْنِيّتَكِ ، فشرب قَدَحاً ثم ناولني ، وشرب آخرَ ثم ناولني . ثم قال : هاتِ حاجتَكَ يا ابنَ أخي ، فأخبرتُه ؛ قال : أعَنِ ابنِ الخَطَفى تَسألني ؟ ثم تنفَّس حتى قلْتُ : انشقَّتْ حَيازِيمُه[1] ، ثم قال : قاتلَه الله ! فما أخْشنَ ناحيتَه وأشْرَدَ قافيتَه ! والله لو تركوه لأبْكى العجوزَ على شبابها ، والشابَّةَ على أحبابها ، ولكنّهم هَرُوه فوجدوه عند الهِراش نابحاً وعند الجِراء قارِحاً ، وقد قال بيتاً لأنْ أكونَ قلتُه أحبُّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس : [من الوافر]

إذا غضِبتْ عليكَ بنو تَميم حسِبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضابا

[أثنى عليه الفرزدق أمام الأحوص]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه عن أبي عُبَيدة ، قالا : نزل الفرزدق على الأحوص حين قدِم المدينةَ . فقال الأحوص : ما تَشتهي ؟ قال : شِواء وطِلاء[2] وغِناء . قال : ذلك لك ؛ ومضى به إلى قَيْنة بالمدينة ؛ فغنّته : [من الوافر]

صوت

أَلاَ حَيِّ الديارَ بسُعْدَ إنّي أُحِبُّ لحبِّ فاطمةَ الدّيارا[3]
إذا ما حَلَّ أهلُكِ يا سُلَيْمَى بدارةِ صُلْصلٍ شحَطوا مَزارا[4]
أَرادَ الظاعنون ليَحْزُنُوني فهاجُوا صَدْعَ قلبي فاستطارا

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . فقال الفرزدق : ما أرَقَّ أشعارَكم يا أهلَ الحجاز وأمْلَحَها ! قال : أو ما تَدْرِي لَمن هذا الشعر ؟ قال : لا والله . قال : فهو والله لجريرٍ يَهْجُوك به .

---

1 الحيازيم : جمع حيزوم وهو الصدر أو وسطه أو ما استدار بالظهر والبطن .
2 الطلاء : من أسماء الخمر .
3 سُعْد : موضع بنجد .
4 دارة صلصل : لعمرو بن كلاب وهي بأعلى دارها بنجد .

فقال : وَيْلُ ابنِ المَراغة ! ما كان أَحْوجَه مع عفافه إلى صلابة شعري ، وأَحْوَجَني مع شَهَواتي إلى رِقَّة شعره ! .

[قدم المدينة وتحدّث مع الأحوص حتى أخزاه وأقبل على أشعب وأجازه]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر بن شبّة عن إسحاقَ المَوْصليّ ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد عن حَمّاد عن أبيه قال [قال] إسحاق بن يحيى بن طلحة : قدِم علينا جريرٌ المدينةَ فحشَدْنا له . فبَيْنا نحن عنده ذاتَ يوم إذ قام لحاجته ، وجاء الأحوص فقال : أين هذا ؟ فقلنا : قام آنفاً ، ما تريد منه ؟ قال : أُخزِيه ، والله إنّ الفرزدق لأشعر منه وأشرفُ . فأقبل جريرٌ علينا وقال : مَنِ الرجلُ ؟ قلنا : الأحوصُ بن محمَّد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقْلَح . قال : هذا الخَبيث ابنُ الطيِّب . ثم أقبل عليه فقال : قد قلتَ : [من الطويل]

يَقَـرُّ بعَيْنـي مـا يَقَـرُّ بعينهـا وأحسنُ شيءٍ ما به العينُ قَرَّتِ

فإنّه يَقَرُّ بعينها أن يدخُل فيها مثلُ ذراع البَكْر ، أفيَقَرُّ ذلك بعينك ؟ قال : وكان الأحوصُ يُرمى بالأُبنة ، فانصرف وأرسل إليه بتمرٍ وفاكهة . وأقبلنا نسأل جريراً وهو في مؤخَّر البيت وأشْعبُ عند الباب ؛ فأقبل أشعبُ يسأله ؛ فقال له جرير : والله إنّك لأقبَحُهم وجهاً ولكنّي أراك أطولَهم حَسَباً ، وقد أبْرمتَني . فقال : أنا والله أنفعُهم لك . فانتبه جريرٌ فقال : كيف ؟ قال : إنّي لأملّح شعرَك ؛ واندفع يغنيه قولَه : [من الكامل]

صوت

يا أختَ ناجيـةَ السَّلامُ عليكمُ قبلَ الفراقِ وقبل لَـوْم العُذّلِ[1]
لـو كنـتُ أعلم أنّ آخرَ عهدكم يـوم الفراقِ فعلتُ مـا لم أفعلِ[2]

قال : فأدناه جريرٌ منه حتى ألْصق رُكبتَه بركبتِه وجعله قريباً منه ؛ ثم قال : أَجَلْ ! والله إنّك لأنفعُهم لي وأحسنُهم تزييناً لشعري ، أعِدْ ؛ فأعاده عليه وجرير يبكي حتى اخضلَّت لِحْيته ، ثم وهَب لأشعبَ دراهمَ كانت معه وكَساهُ حُلَّةً من حُلَلِ الملوك . وكان يُرسِل إليه طولَ مُقامه بالمدينة فيغنّيه أشعبُ ويُعْطيه جريرٌ شعرَه فيغنّي فيه . قال : وكان أشعبُ من أحسنِ الناسِ صوتاً . قال حمّاد : والغناء الذي غنّاه فيه أشعبُ لابن سُرَيج .

[وفد على الحكم بن أيّوب فبعث به إلى الحجّاج فحدّثه عن معارضيه من الشعراء]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأصمعيّ قال وذكر

1 أخت في الديوان : أم 939/2 . الفراق في الديوان : الرواح 939/2 .
2 الفراق في الديوان : الرحيل 939/2 .

المغيرةُ بن حَجْناء قال حدَّثني أبي عن أبيه عن جدّه يحيى بن أَعْيَن ، وذكر ذلك هشامُ بن الكَلْبيّ قال حدَّثني النَّهْشَليّ من بني مسعود بن خالد بن مالك بن رِبْعِيّ بن سَلْمَى بن جَنْدَل قال حدَّثني مِسْحَل بن كُسَيب بن عِمْران بن عَطاء بن الخَطَفَى ، وأُمّه الرَّبْداءُ بنتُ جرير . وهذا الخبر وإن كان فيه طولٌ مُحْتَوٍ على سائر أخبار مَنْ ناقَض جريراً أو اعْتَنَّ[1] بينه وبين الفرزدق وغيرِه ، فذكرتُه هاهنا لاشتماله على ذلك في بلاغ واختصار : أنّ جريراً قدِم الكوفة على الحَكَم بن أيّوب بن يحيى بن الحَكَم بن أبي عُقَيل ، وهو خليفة للحَجّاج يومئذٍ ، فمدحه جرير فقال : [من الرجز]

أَقْبلتُ من ثَهْلانَ أو جَنْبَيْ خِيَمْ على قِلاَصٍ مثلِ خِيطانِ السَّلَمْ[2]

ثَهْلانُ : جبلٌ كان لباهِلةَ ثم غلَبتْ عليه نُمَيْرٌ . وخِيَم : جبلٌ يُناوِحُه من طَرَفِه الأَقْصى فيما بين رُكْنِه الأقصى وبين مَطْلِع الشمس ، به ماء ونخل :

قد طُوِيتْ بطونُها طَيَّ الأدَمْ يَبْحثْنَ بحثاً كمُضلاَّتِ الخَدَمْ
إذا قَطعْنَ عَلَماً بَدا عَلَمْ حتى تناهَيْنَ إلى باب الحَكَمْ
خليفةِ الحَجّاج غيرِ المُتَّهَمْ في مَعْقِدِ العِزّ وبُؤْبُوء الكَرَمْ[3]
بعد انفِضاجِ البُدْنِ واللحمُ زِيَمْ[4]

فلمّا قدِم عليه استنطقه فأعجبه ظَرْفُه وشعره ؛ فكتَب إلى الحَجّاج : إنّه قدِم عليَّ أعرابيٌّ شيطانٌ من الشياطين . فكتب إليه أن ابعثْ به إليّ ، ففعل . فقدِم عليه فأكرمه الحَجّاج وكَساه جُبّة صَبَرِيَّةً[5] وأنزله فمكَث أيّاماً . ثم أرسل إليه بعد نومه فقالوا : أَجِبِ الأمير ؛ فقال : ألبَس ثيابي ؟ فقالوا : لا ، والله لقد أمرَنا أن نأتيه بك على الحالِ التي نجدُك عليها ؛ ففزِع جرير وعليه قميصٌ غليظ ومُلاءة صَفْراء . فلمّا رأى ما به رجلٌ من الرُّسُلِ دنا منه وقال : لا بأسَ عليك ، إنّما دَعاك للحديث . قال جرير : فلمّا دخلتُ عليه قال : إيه يا عدوَّ الله ؛ عَلامَ تشتُم الناسَ وتظلِمُهم ؟ فقلتُ : جعلني الله فداءَ الأمير ، والله إنّي ما أظلِمهم ولكنّهم يظلِمُونني فأنتصر . ما لي ولابنِ أُمّ غَسّان ؟ وما لي وللبَعِيث ؟ وما لي وللفرزدق ؟ وما لي وللأَخْطَل ! وما لي وللتَّيْمِيّ ! حتى عَدّدهم واحداً واحداً . فقال الحجّاج : ما أدْرِي مالك

1 اعتنّ بينه وبينه : اعترض .
2 الشطر الأول في الديوان : أقبلن من جَنبي فتاخ وإضمْ ، 512/1 .
3 معقد : موضع العقد .
4 الانفضاج : السّمن والضخم ، والزيم : المتفرّق على رؤوس الأعضاء .
5 صبرية : نسبة إلى صبر وهو الجبل الشامخ المطلّ على قلعة تعز .

ولهم ؟ قال : أُخبِرُ الأَميرَ أَعزّه الله : أَمّا غَسَّانُ بن ذُهَيْل فإنّه رجلٌ من قومي هجاني وهجا عَشيرتي وكان شاعراً . قال : فقال لك ماذا ؟ قال : قال لي : [من الطويل]

لعَمْرِي لئن كانت بَجيلةُ زانَها ... جَريرٌ لقد أَخْزى كُلَيْباً جَرِيرُها[1]
رميتَ نِضالاً عن كُلَيبٍ فقَصَّرتْ ... مَراميكَ حتى عاد صِفراً جَفِيرُها[2]
ولا يَذْبَحون الشاةَ إلاّ بمَيْسِرٍ ... طويلٌ تَناجِيها صِغارٌ قُدُورُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

أَلا ليتَ شِعْرِي عن سليطٍ أَلم تَجِدْ ... سَليطٌ سِوى غَسّانَ جاراً يُجِيرُها[3]
فقد ضمَّنوا الأَحسابَ صاحبَ سَوْءَةٍ ... يُناجِي بها نفساً خبيثاً ضميرُها
كأَنَّ سَليطاً في جَواشِنِها الخُصَى ... إذا حَلَّ بينَ الأَمْلَحَيْنِ وَقِيرُها[4]
أَضِجُّوا الرَّوايا بالمَزادِ فإنّكم ... ستُكْفَوْنَ رَكْضَ الخيلِ تَدْمَى نحورُها
كأنّ السَّليطِيَّاتِ مَجْنَاةُ كَمْأَةٍ ... لأَوّلِ جانٍ بالعَصا يَسْتثِيرها[5]
عَضارِيطُ يَشْوُون الفَراسِنَ بالضُّحَى ... إذا ما السَّرايا حَثّ رَكْضاً مُغِيرها[6]
فما في سَليطٍ فارسٌ ذو حَفيظةٍ ... ومَعْقِلُها يومَ الهِياجِ جُعُورِها
عجِبتُ من الدّاعي جُحَيشاً وصائداً ... وعَيْساءُ يسعَى بالعِلاب نَفِيرُها[7]

قال : ثم مَنْ ؟ قال : البَعيث . قال : ما لك وله ؟ قال : اعترض دونَ ابنِ أمّ غَسّان يفضّله عليّ ويُعِينه . قال : فما قال لك ؟ قال قال لي : [من الطويل]

كُلَيبٌ لئامُ الناسِ قد تَعْلمونه ... وأَنتَ إذا عُدَّتْ كُلَيْبٌ لئيمُها
أَترجو كُلَيبٌ أَن يجيء حديثُها ... بخيرٍ وقد أَعيا كُلَيباً قديمُها

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

---

1 جرير بن عبد الله البجلي كان من أفاضل الكوفة ، توفّي سنة 51 هجرية .
2 الجفير : جعبة السهام .
3 سليط : قبيلة غسّان بن ذهيل .
4 الجواشن : الصدور . وفي جواشنها الخُصى أي هي عظام الصدور . والأملحان : ماءان ، ويقال هما جبلان لبني سليط . والوقير : الغنم فيها حماران أو أحمرة ولا تسمّى الغنم وقيراً إلاّ بحمرها .
5 السليطيّات مجناة في الديوان : السليطيين أنقاض ، 893/2 .
6 العضاريط : الأتباع ، والواحد عضروط ، والفراسن : أخفاف الإبل واحدها فرسن .
7 يسعى بالعلاب نفيرُها في ل : يدعي بالفلاة نصيرها .

أَلَم تَرَ أَنِّي قـد رميتُ ابنَ فَرْتنى بصَمَّاءَ لا يرجـو الحياةَ أَمِيمُها[1]
لـه أُمّ سَوْءٍ بئس مـا قَدَّمتْ له إذا فَرَطُ الأَحسابِ عُدّ قديمُها[2]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الفَرَزْدقُ . قال : وما لك وله ؟ قلتُ : أَعانَ البعيثَ عليّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

تمنَّى رجالٌ من تَمِيمٍ لِيَ الرَّدَى وما ذادَ عن أَحسابِهم ذائدٌ مِثْلي
كأَنَّهـمُ لا يعلمـونَ مَواطنـي وقـد جرَّبوا أَنِّي أَنا السابقُ المُبْلي
فلو شاء قومي كان حِلْمِيَ فيهمُ وكان على جُهّالِ أعدائهم جَهْلي
وقـد زعَمـوا أَنّ الفرزدقَ حَيَّةٌ ومـا قَتَل الحيّاتِ مـن أَحدٍ قَبْلي[3]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الأَخْطَل . قال : ما لك وله ؟ قلتُ : رَشاه محمَّد بن عُمَير بن عُطارِدٍ زِقّاً من خمر وكَساه حُلّةً على أَن يفضِّل عليَّ الفَرَزْدَقَ ويَهْجُوني . قال : فما قال لك ؟ قال قال : [من الكامل]

إخسَأْ إليكَ كُلَيبُ إنّ مُجاشِعاً وأَبـا الفَـوارسِ نَهْشَلاً أَخَوانِ
وإذا وردْتَ المـاءَ كان لدارمٍ جُمَّاتُـه وسُهُولـةُ الأَعْطانِ
وإذا قذَفْتَ أَبـاك في ميزانِهمْ رجَحُوا وشالَ أَبوك في الميزانِ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يا ذا العَباءَةِ إنّ بِشْراً قد قضَى ألاّ تَجُـوزَ حكـومةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لَسْتُمُ من أَهلِها إنَّ الحكومةَ في بنـي شَيْبانِ
قَتلوا كُلَيبَكُمُ بِلِقْحةِ جارِهـم يـا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بهِجانِ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عمر بن لَجَأ التَّيْميّ . قال : ما لك وله ؟ قال : قلت بيتاً من شعر فقبَّحه وقاله على غيرِ ما قلتُه ؛ قلت : [من الطويل]

لَقَوْمِيَ أَحْمَى للحقيقةِ منكـمُ وأَضْرَبُ للجَبّار والنَّقْعُ ساطِعُ[5]

---

1 الفرتنى : الزانية . والأميم : المشجوج الرأس .
2 فرط الأحساب : يعني أوائلها . فرَط في الديوان : فارط ، 987/2 .
3 قبلي في ل : قتلي .
4 الهجان : البيض الكرام . يشير إلى كليب بن ربيعة ومقتله .
5 للحقيقة في الديوان : في الحقيقة ، 924/2 .

وأَوثقُ عند المُرْهَفاتِ عشيّةً لَحاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ[1]

فزعَم أنّي قلتُ : [من الطويل]

وأَوْثَقُ عند المُرْدَفات عشيّةً لَحَاقاً إذا ما جرَّد السيفَ لامعُ

فقال : لحِقتُهنّ عند العَشيّ وقد أُخِذْنَ غُدوَةً ، والله ما يُمْسِينَ حتى يُفْضَحْنَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلت : [من البسيط]

يا تَيْمُ تَيْمَ عَدِيّ لا أَبا لكمُ لا يُوقِعنَّكُمُ في سَوءةٍ عُمَرُ

خَلِّ الطريقَ لمَن يَبني المنارَ بهِ وابرُزْ ببَرْزةَ حيثُ اضطرَّك القَدَرُ[2]

حتى أَتى على الشعر . قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : سُراقةُ بن مِرْداس البارِقيّ . قال : ما لك وله ؟ قال قلتُ : لا شيء ، حمَله بِشْر بن مَرْوان وأَكرهه على هجائي ، ثم بَعث إليّ رسولاً وأَمرني أَن أُجيبَه . قال : فما قال لك ؟ قال قال : [من الكامل]

إنّ الفَرَزْدَقَ بَرَّزتْ أَعراقُه عَفْواً وغُودِر في الغُبارِ جريرُ

ما كنتَ أَوَّلَ مِحْمَرٍ قعدتْ به مسْعاتُه إنّ اللئيم عَثُورُ[3]

هذا قضاءُ البارِقيّ وإنّه بالمَيْلِ في ميزانكم لَبَصِيرُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يا بِشْرُ حَقَّ لوجهك التبشيرُ هَلاّ غضِبتَ لنا وأَنت أَميرُ

بِشْرٌ أَبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَه عَسِرٌ وعند يَساره مَيْسورُ

إنّ الكريمةَ ينصُر الكرمَ ابنُها وابنُ اللئيمةِ للّئام نَصُورُ

قد كان حقُّك أَن تقولَ لبارِقٍ يا آلَ بارقَ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ

وكسَحْتَ باستِك للفَخَارِ وبارِقٌ شَيْخانِ أَعْمَى مُقْعَسٌ وكَسِيرُ[4]

قال : ثم مَن ؟ قلتُ : البَلْتَع وهو المُسْتنيرُ بن سَبْرةَ العَنْبرِيّ . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أَعان عليّ ابنَ لَجَأ . قال : فما قال لك ؟ قلت قال : [من الكامل]

إنّ التي رَبَّتْكَ لمّا طُلِّقتْ قعَدتْ على جَحْشِ المَراغةِ تَمْرَغُ

---

1 اللامع : المشير بالسيف منذراً .

2 برزة : اسم أمّ عمرو بن لجأ .

3 محمر : اللئيم .

4 وكسحت في الديوان : أكسحت . كسير في الديوان : فقير ، 368/1 .

[أَتَعِيبُ مَنْ رضيتْ قريشٌ صِهْرَه وأَبــوك عبــدٌ بالخَوَرْنَقِ أَذْلَغُ][1]

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

فما مستنيرُ الخُبْثِ إلاّ فَراشةٌ هَوَتْ بين مُؤْتَجّ الحَرِيقَيْن ساطِعِ

نهيتُ بناتِ المستنيرِ عن الرُّقَى وعن مشيهنّ الليلَ بين المَزارعِ

ويروى :

. . . بين مؤتجٍّ من النارِ ساطِعِ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : راعِي الإبل . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : قدِمْتُ البصرةَ وكان بلغني أنّه قال لي : [من الكامل]

يا صاحبيَّ دنــا الرَّواحُ فسِيرا غَلَب الفَرَزْدقُ في الهجاءِ جَرِيرا

وقال أيضاً : [من الوافر]

رأيتُ الجَحْشَ جحشَ بني كُليبٍ تَيَمَّــم حوضَ دِجْلَــةَ ثــم هابا

فقلت : يا أبا جَنْدل ، إنّك شيخُ مُضَرَ وشاعرُها ، وقد بلغني أنّك تُفضِّل عليّ الفرزدقَ ، وأنت يُسمع قولُك ، وهو ابنُ عمِّي دونك ؛ فإن كان لا بدّ من تفضيلٍ فأنا أحقُّ به لمدحي قومَك وذكرِي إيّاهم . قال : وابنه جَنْدَلٌ على فرسٍ له ، فأقبل يسيرُ بفرسه حتى ضربَ عَجُزَ دابّتي وأنا قائم فكاد يقطَع أصبعَ رِجْلي وقال : لا أراك واقفاً على هذا الكلب من بني كُلَيب ؛ فمضى ، وناديته : أنا ابن يربُوع ! إنّ أهلَك بعثوك مائراً من هَبُّود[2] وبئس المائرُ ، وإنّما بعثني أهلي لأقعدَ على قارِعة هذا المِرْبَدِ فلا يَسُبُّهم أحدٌ إلاّ سَبَبْتُه ، وإنّ عليّ نذراً إن جعلتُ في عيني غُمْضاً حتى أُخزِيَك . قال : فما أصبحتُ حتى هجوتُه فقلت : [من الوافر]

فغُضّ الطَّــرْفَ إنّك من نُمَيرٍ فــلا كعباً بلغــتَ ولا كِلابا

قال فَغَدوْتُ عليه من الغَدِ فأخذتُ بعِنانه ، فما فارقتُه حتى أنشدتُه إيّاها . فلمّا مررتُ على قولي : [من الوافر]

أَجَنْــدَلُ ما تقول بنو نُمَيرٍ إذا ما الأَيْرُ في اسْتِ أبيك غابا

قال : فأرسَل يَدِي وقال : يقولون والله شرّاً .

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : العبّاس بن يَزيد الكِنْديّ قال : ما لك وله ؟ قال لمّا قلتُ : [من الوافر]

---

1 الأذلغ : غليظ الشفتين وهو أيضاً الأقلف .

2 هبود : اسم موضع ببلاد بني نمير .

إذا غَضِبتْ عليكَ بنــو تَميم حسِبتَ الناسَ كلَّهــمُ غِضابا

قال : [من الوافر]

أَلا رَغِمَتْ أُنوفُ بنــي تَميمٍ فُساةِ التمرِ إن كانــوا غضابا
لقد غضِبتْ عليك بنــو تميم فمــا نَكَــأَتْ بغَضْبتِها ذُبابا
لــو اطَّلع الغــرابُ على تَمِيم وما فيها مــن السَّوْءات شابا

قال : فتركتُه خمسَ سِنينَ لا أهجوه ، ثم قدِمتُ الكوفةَ فأَتيتُ مجلسَ كِنْدةَ ، فطلبتُ إليهم أن يكفُّوه عنِّي ؛ فقالوا : ما نَكُفُّه وإنّه لشاعرٌ وأَوْعدوني ؛ فقلت : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ بني حُجْرِ بن وَهْــبٍ بــأنّ التمــرَ حُلْوٌ في الشتاءِ
فَعُــودُوا للنَّخِيــل فأَبِّرُوهــا وعِيشُــوا بالمُشَقَّــر فالصَّفاءِ[1]

قال : فمكثتُ قليلاً ، ثم بعثوا إليّ راكباً فأَخبروني بمَثالِبه وجِوارِه في طَيِّىءٍ حيث جاور عَتّاباً ، وحَبَّل أُختَه هُضَيْبةَ حيث حَبِلتْ . قال : فقلتَ ماذا ؟ قال قلتُ : [من الوافر]

إذا جهِــل الشَّقيُّ ولم يُقَدِّرْ لبعضِ الأَمرِ أَوْشَكَ أَن يُصابا[2]
أَعبْداً حَــلَّ في شُعَبَــى غريباً أَلُــؤمــاً لا أَبالــكَ واغترابا[3]
فما خفِيتْ هُضَيبة حين جُرّتْ ولا إطعــامُ سَخْلَتِها الكِلابا[4]
تُخَــرِّقُ بالمَشاقِصِ حالِبَيْهــا وقــد بَلَّتْ مَشِيمَتُها التُّرابا[5]
فقــد حمَلــتْ ثمانيــةً وأَوْفتْ بتاسعِهــــا وتَحْسَبُهــا كَعابا

قال : ثم من ؟ قلت : جَفْنة الهِزّانيّ بن جعفر بن عَبايةَ بن شَكْس من عَنزة . قال : وما لكَ وله ؟ قال : أَقْبلَ سائلاً حتى أَتاني وأَنا أَمدرُ[6] حوضاً لي ، فقال : يا جَرير ، قُمْ إليّ هاهنا ؛ قلت نعم . ثم أَتيتُه فقلتُ : ما حاجتُك ؟ قال : مدحتُك فاستمعْ منّي . قلتُ : أَنشِدْني فأَنْشَد ؛ فقلتُ : قد واللهِ أحسنتَ وأجملتَ ؛ فما حاجتُك ؟ قال : تَكْسُوني الحُلَّةَ التي كَساكَها الوليدُ بن عبد الملك العامَ . فقلت : إنّي لم أَقِفْ فيها بالموسم ، ولا بدّ من أَن أَقفَ فيها العامَ ، ولكنّي أَكْسُوك حلّة خيراً منها كان كَسانيها الوليدُ عاماً أَوّلَ . فقال : ما أَقْبَلُ غيرَها بعينها .

---

1 المشقر : حصن بالبحرين لعبد القيس .
2 الشقي في الديوان : اللئيم 650/2 .
3 شعبى : موضع في جبل طيىء .
4 خفيت في ل : تخفى . جرت في ل : تمسي .
5 المشقص من النصال ما طال وعرض .
6 المدر : تطيين وجه الحوض بالطين المتماسك لئلاّ يخرج منه الماء .

فقلت : بَلى ، فاقبَلْ وأَزِيدُك معها دنانيرَ نفقةً . فقال : ما أَفعَل ؛ ومضَى فأَتى المَرَّارَ بنَ مُنْقِذ أَحَدَ بني العَدَوِيَّة ، فحمَله على ناقةٍ له يقال لها القَصْواءُ . فقال جَفْنة : [من الطويل]

لَعَمْرُك لَلْمرَّارُ يومَ لَقِيتُهُ ... على الشَّحْطِ خيرٌ من جريرٍ وأَكرمُ

قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقد بَعثتْ هِزّانُ جَفْنةَ مائراً ... فآب وأَحْذَى قومَه شرَّ مَغْنَمِ[1]

فيا راكبَ القَصْواء ما أَنت قائلٌ ... لِهِزَّانَ إذ أَسْلَمْتَها شرَّ مُسْلَمِ[2]

أَظنُّ عِجانَ التَّيْسِ هِزَّانَ طالباً ... عُلالةَ سَبّاقِ الأَضامِيم مِرْجَمِ[3]

كأنّ بني هِزَّانَ حينَ رَدَيتُهم ... وِبتتارٌ تَضاغَتْ تحتَ غارٍ مهدَّمِ[4]

بَني عَبْدِ عمروٍ قد فَرَغْتُ إليكمُ ... وقد طال زَجْرِي لو نَهاكُمْ تقدُّمي

ورَصْعاءَ هِزَّانِيَّةٍ قد تَحَفَّشَتْ ... على مِثْلِ حِرْباءِ الفَلاةِ المعمَّمِ[5]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : المَرَّارُ بن مُنْقِذ . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أَعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

بَني مُنْقِذٍ لا صُلْحَ حتى تَضُمَّكُمْ ... من الحربِ صَمَّاءُ القَناةِ زَبُونُ[6]

وحتى تَذُوقوا كأْسَ مَنْ كان قبلَكم ... ويَسْلَح منكم في الحِبال قَرِينُ

فإن كنتُم كَلْبى فعندي شفاؤكم ... وللجنِّ إن كان اعتراكَ جنونُ[7]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : حَكيم بن مُعَيَّةَ من بني رَبيعة بنِ مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم . قال : وما لك وله ؟ قلتُ : بلغني أَنّه أَعان عليّ غَسَّانَ السَّلِيطيّ . قال : فما قلتَ له ؟ قال وقلتُ : [من الطويل]

إذا طلَعَ الرُّكْبانُ نَجْداً وغَوَّرُوا ... بها فارْجُزا يا ابنَيْ مُعَيَّةَ أَو دَعا[8]

---

1 مائراً في الديوان : وافداً 271/1 .

2 قائل في الديوان : صانع 271/1 .

3 العلالة : الجري بعد الجري . والأضاميم : الجماعات ، واحده إضمامة . والمرجم : الشديد .

4 الوبار : مفرده وبره ، وهي دويبة . تضاغت : صوّتت .

5 ثمّة اختلاف عن الديوان وتغيير في الأشطار 271/1 .

6 حرب زبون : يدفع بعضها بعضاً من الكثرة .

7 الكلبى : جمع كَلِب .

8 في هذا الشطر الأوّل اختلاف شديد عمّا في الديوان 458/1 .

أَتَسْمَنُ أَسْتاهُ المَجَرِّ وقد رأَوْا مَجَرّاً بوَعْساوَيْ رُماحَ وَمَصْرَعا[1]
أَلا إنّما كانت غَضُوبُ مُحامِياً غَداةَ اللِّوى لم تَدْفَعِ الضَّيْمَ مَدْفَعا[2]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ [ثَوْر بن] الأَشْهَب بن رمَيلة النَّهْشَلِيّ . قال : وما لكَ وله ؟ قلتُ : أُعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

سيَخْزى إذا ضَنَّتْ حَلائبُ مالكٍ ثُوَيرٌ ويَخْزَى عاصِمٌ وجَمِيعُ[3]
وقَبْلَك ما أَعْيا الرُّماةَ إذا رَمَوْا صَفاً ليس في قاراتهنّ صُدُوعُ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الدَّلَهْمَسُ أَحدُ بني رَبِيعةَ بنِ مالك بن زيد مَناة . قال : ما لكَ وله ؟ قلتُ : أُعان عليّ الفرزدقَ . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقد نَفَخَتْ منكَ الوَرِيدَيْنِ عِلْجَةٌ خَبِيثةُ رِيحِ المَنْكِبَيْنِ قَبوعُ[5]
ولو أَنْجَبَتْ أُمُّ الدَّلَهْمَسِ لم يَعِبْ فَوارِسَنا لا عاش وهو جميعُ[6]
أَليس ابنَ حَمْراء العِجانِ كأَنَّما ثلاثةُ غِرْبانٍ عليه وُقُوعُ
فلا تُدْنِيا رَحْلَ الدَّلَهْمَسِ إنّه بصيرٌ بما يأتي اللئامُ سَمِيعُ[7]
هو النَّخْبَةُ الخَوّارُ ما دونَ قلبِه حِجابٌ ولا حولَ الحجابِ ضُلُوعُ[8]

قال : ثم مررتُ على مجلسٍ لهم فاعتذرتُ إليهم فلم يقبلوا عذري ، وأَنشدوني شعراً لم يُخْبروني مَن قاله : [من الطويل]

غضِبتَ علينا أَن عَلاكَ ابنُ غالبٍ فهَلاّ على جَدّيْكَ في ذاكَ تغضَبُ[9]
هُما إذْ عَلا بالمرءِ مَسْعاةُ قومِه أَناخا فشَدَّاكَ العِقالُ المؤرَّبُ[10]

---

1 بنو المجرّ : من ربيعة من بني مالك بن زيد مناة . الوعساء : الأرض اللينة ذات الرمل .
2 غضوب : امرأة من بني المجرّ كانت شاعرة بذية ، قتلها بنو طهية في هجاء لها هجتهم به .
3 عاصم وجميع : رجلان من بني عامر .
4 القارة : الصخرة العظيمة . قاراتهن في الديوان : عاديهن 596/1 .
5 القبوع في الديوان : المنكبين 596/1 والقبوع : التي تقبع السقاء وهو أن تثني رأس الشقاء إلى داخله ثم تشدّه فيكون أحفظ لما فيه .
6 عاش في ل : مات .
7 سميع : يريد أنّه محكم في اللؤم .
8 النّخبة : الجبان .
9 ابن غالب : الفرزدق .
10 المؤرب : المحكم .

قال : فعلمتُ أنّه شِعْر قَبْضة الكلب . قال : فجمعتُهم في شعري فقلت : [من الطويل]

[و] أكثرُ ما كانت رَبِيعةُ أنّهـــا خِبـاءانِ شَتّى لا أَنِيسٌ ولا قَفْرُ
مُحالِفُهم فَقْـرٌ شديـدٌ وذِلّـــةٌ وبئس الحَلِيفـــانِ المَذَلّـــةُ والفَقْرُ
فصَبْراً على ذُلٍّ رِبيعَ بنَ مـالكٍ وكلُّ ذليـلٍ خيرُ عادتِـــه الصبرُ

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : هُبيرَةُ بن الصَّلْتِ الرَّبَعِيّ من رِبيعةَ بن مالكٍ أيضاً ، كان يَرْوِي شعرَ الفرزدق . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الكامل]

يَمْشي هُبَيرةُ بعـــد مَقْتَل شَيْخِه مَشْيَ المُراسِلِ أُوذنَـــتْ بطَلاقِ[1]
مـــاذا أردتَ إليَّ حينَ تَحَرَّقتْ نارِي وشُمِّر مِئْزَرِي عن ساقِي[2]
إنّ القِـــرافَ بمَنْخَرَيْـكَ لَبيِّـنٌ وسواد وجهِك يـا ابن أُمِّ عِفاقِ[3]
سِيرُوا فـــرُبَّ مُسَبِّحِـينَ وقائلٍ هـــذا شَقـــاً لِبَنـــي رَبيعةَ باقي
أَبَنِي رَبِيعـــةَ قـد أَحَسّ بحَظِّكُـمْ لؤمُ الجُدودِ ودِقّـــة الأَخلاقِ[4]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عِلْقَةُ والسَّرَنْدى من بني الرِّبابِ كانا يُعِينان ابنَ لَجَأَ . قال : فما قلتَ لهما ؟ قال قلتُ : [من البسيط]

عَضَّ السَّرَنْدى على تَثْليـم ناجذه من أُمِّ عِلْقَةَ بَظْراً غَمَّـــه الشَّعَرُ[5]
وعَضَّ عِلْقَـــةُ لا يَأْلُو بعُرْعُـرَةٍ من بَظْرِ أُمّ السَّرَنْدى وهو منتصِرُ[6]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : الطُّهَوِيّ ، كان يَرْوي شعر الفرزدق . قال : ما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

أَتَنْسَوْنَ وَهْباً يـا بَني زَبَدِ اسْتِها وقد كنتُم جِيرانَ وَهْب بنِ أَبْجَرا[7]

---

1 المراسل : التي أحسّت من زوجها أنّه يريد تطليقها فهي تزيّن لآخر ، وهي التي مات عنها زوجها ، وهي التي طلقتْ مرّات فقد اعتادت الطلاق لا تباليه .

2 تحرّقت في الديوان : تسعّرت 434/1 .

3 القراف : المخاط اليابس الذي يلزق بالأنف . عفاق : اسم لرجل .

4 الدقة : الخسة وفي البيت في الديوان اختلاف شديد 434/1 .

5 غمّه : غطّاه .

6 عرعرة : رأس كلّ شيء وأعلاه .

7 أتنسون في الديوان : أتنعون 475/1 . أبجر : هو وهب بن أبجر بن جابر العجليّ ، وكان خرج مع يزيد بن المهلّب ، فلمّا هزم آل المهلّب لحق بأخوال بني طهية ، فبعث مسلمة بن عبد الملك قميراً المازنيّ فأخذ وهباً فقتله .

فمـا تَتَّقُونَ الشرَّ حتّى يُصِيبَكم ولا تَعْرِفـونَ الأَمـرَ إلاّ تدبُّرا
أَلا رُبَّ أَعْشى ظـالمٍ متخمِّطٍ جعلتُ لعينيـه جِـلاءً فأَبْصرا[1]

قال : ثم مَنْ ؟ قلتُ : عُقْبة بن السُّنَيع الطُّهَوِيّ وكان نذَر دَمي . قال : فما قلتَ له ؟ قال قلتُ : [من البسيط]

يا عُقْب يا ابنَ سُنَيْع ليس عندكُمُ مَأْوى الرِّفاقِ ولا ذو الرايةِ الغادِي
يا عُقْب يا ابنَ سُنَيْعٍ بعضَ قولِكمُ إنّ الوِثابَ لكم عندي بمِرْصادِ
مـا ظَنُّكم ببَني مَيْثاءَ إن فَزِعُوا ليـلاً وشَدّ عليهم حَيّـةُ الوادي
يَغْـدُو عـلـيّ أَبـو لَيْلَى ليقتلَني جَهْـلاً عـليّ ولم يَثْأَر بشَدّادِ[2]
إرْوُوا عليَّ وأَرْضُوا بي صديقَكمُ واسْتسمِعُوا يا بَني مَيْثاءَ إنشادِي

مَيْثاءُ هي بنت زُهَير بن شَدّاد الطُّهَويّ وهي أُمّ عَوْف بن أَبي سُود بن مالك بن حَنْظلة . وقال أيضاً لبني مَيْثاء : [من البسيط]

نُبِّئتُ عُقْبـةَ خَصّافـاً تَوَعَّـدَني يـا رُبَّ آدَرَ من مَيْثاءَ مَأْفُونِ[3]
لَـوْ في طُهَيَّةَ أَحلامٌ لما اعترضُوا دونَ الذي كنتُ أَرْمِيه ويَرْمِيني

قال : ثم مَنْ ؟ قلت : سُحْمةُ[4] الأَعْورُ النَّبْهانِيّ ، كانت له امرأَة من طيّىء وُلِدتْ في بَني سَلِيط فأعطَوْه وحَمَلُوه عليّ . فسألني فاشْتَطَّ ، ولم يكن عندي فحرَمْتُه ، فقال : [من الطويل]

أَقـولُ لأَصحابـي النَّجـاءَ فإنّه كَفى الذَّم أَن يأتي الضيوفَ جَريرُ
جَرِيرُ ابنَ ذاتِ البَظْرِ هل أَنت زائلٌ لِقـدْرِك دونَ النازلـين سُتُورُ
وهل يُكْرِم الأَضيافَ كلبٌ لكلبةٍ لهـا عنـد أَطْنابِ البيوت هَرِيرُ
فلو عندَ غَسَّانَ السَّلِيطيّ عَرَّسَتْ رَغـا قَرَنٌ منهـا وكاسَ عَقِيرُ[5]
فَتىً هـو خيرٌ منكَ نفساً ووالداً عليـكَ إذا كان الجِـوار يُجِيرُ

---

1 المتخمّط : المتكبّر الشديد الغضب والجلبة . الجلاء : الكحل .

2 يغدو في الديوان : يعدو 433/1 . بشدّاد : هو شدّاد الميثاوي ، كان يتحدّث إلى امرأة من ربيعة بن مالك بن زيد مناة ، فألقاه أهلها في بئر .

3 توعدّني في الديوان : تعيبني 559/2 . الخصاف : الكذاب . والآدر : الذي أصابه فتق في إحدى خصيتيه .

4 قال ابن الكلبيّ : اسمه سحمة بن نعيم بن الأخنس بن هوذة ، وقال أبو عبيدة في النقائض : يُقال له العناب واسمه سحيم بن شريك .

5 القرن : البعير المقرون بآخر . وكأس عقير ، يريد أنّه عقر له بعير فقام على ثلاث .

فقال جرير : [من الطويل]

وجَدْنا بَنـي نَبْهانَ أَذنابَ طيّىء ... وللناسِ أَذنـابٌ تُـرى وصُدورُ
تغنَّـى ابنُ نَبْهانِيَّةٍ طـال بَظْرُها ... وبـاعُ ابنِها عنـد الهِياج قَصيرُ[1]
وأَعْـورَ مـن نَبْهانَ أَمّا نَهـارُه ... فأَعْمـى وأَمّا ليلُـه فبَصِيرُ
ستأتي بَني نَبْهـانَ منّـي قصائدٌ ... تَطَالَعُ مـن سَلْمَى وهنَّ وُعُورُ[2]
تَـرى قَزَمَ المِعْزَى مُهُـورَ نسائهم ... وفي قَـزَمِ المِعْـزى لهـنَّ مُهُورُ[3]

قال : وطلع الصبحُ فنهَض ونهَضتُ . قال : فأَخبرني مَن كان قاعداً معه أنّه قال : قاتله الله أَعرابيّاً ! إنّه لِجرْوُ هِراش .

[قصّته مع الراعي وابنه جندل]

أَخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أَبو سعيد السُّكّريّ عن الرِّياشيّ عن الأَصمعيّ قال وذكر المُغِيرة بن حَجْناء قال حدَّثني أَبي عن أَبيه قال : كان راعي[4] الإبل يَقْضي للفرزدق على جرير ويفضِّله ، وكان راعي الإبل قد ضخُم أَمرُه وكان من شعراء الناس . فلمّا أَكثر من ذلك خرج جرير إلى رجال من قومه فقال : هَلاّ تَعْجَبون لهذا الرجل الذي يقضي للفرزدق عليّ وهو يهجو قومَه وأَنا أَمدحهم ؟ قال جرير : فضرَبتُ رأْيي فيه . ثم خرج جرير ذاتَ يومٍ يمشي ولم يركب دابّتَه ، وقال : والله ما يسرُّني أَن يعلم أَحد . وكان لراعي الإبل والفرزدقِ وجلسائهما حَلْقةٌ بأَعلى المِرْبَد بالبصرة يجلسون فيها . قال : فخرجتُ أَتعرّضُ له لأَلقاه من حِيالِ حيثُ كنت أَراه يمرُّ إذا انصرف من مجلسه ، وما يسُرُّني أَن يعلم أَحد ، حتى إذا هو قد مَرّ على بغلة له وابنُه جَنْدَلٌ يَسير وراءه على مُهْرٍ له أَحْوَى محذوفِ[5] الذَّنَبِ وإنسانٌ يمشي معه يسأَله عن بعض السَّبَب ، فلمّا استقبلتُه قلتُ : مَرْحباً بك يا أَبا جَنْدل ؛ وضربتُ بشِمالي على مَعْرفة بغلتِه ، ثم قلت : يا أَبا جَنْدل ! إنّ قولَك يُستمع وإنّك تُفضِّل الفرزدقَ عليّ تفضيلاً قبيحاً وأَنا أَمدح قومَك وهو يهجوهم وهو ابن عمّي ، ويَكْفِيكَ من ذاك هيِّنٌ : إذا ذُكِرنا أَن تقولَ كِلاهما شاعرٌ كريم ، ولا تحتملُ منّي ولا منه لائمةً . قال : فبَيْنا أَنا وهو كذاكَ واقفاً عليّ ، وما رَدّ عليّ بذلك شيئاً حتى لَحِق ابنُه جَنْدلٌ ، فرفَع كَرْمانيّةً معه فضرَب بها عَجُزَ بغلتِه

1 الهياج في الديوان : الفضال 877/2 .
2 سلمى : اسم جبل لطيىء ، وهو لبني نبهان خاصة .
3 القزم : الصغار العليلة واحدتها قزمة .
4 الراعي : عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل ، ويكنى أبا جندل .
5 الحذف : قطف الشيء من الطرف ، يقال : حذف شعره وذنب فرسه إذا قطع طرفه .

ثم قال : لا أراك واقفاً على كلب من بني كُلَيب كأنّك تَخْشى منه شَرّاً أو ترجو منه خيراً ! وضرَب البغلةَ ضربةً ، فَرَمَحَتْني رَمْحةً وقعتْ منها قَلَنْسُوتي ، فوالله لو يعرِّج عليّ الراعي لقلتُ سَفِيهٌ غَوَى ، يَعْني جَنْدَلاً ابنَه ، ولكن لا واللهِ ما عاجَ عليّ ، فأخذتُ قَلَنْسُوَتي فمسَحْتُها ثم أَعَدْتُها على رأسي ثم قلتُ : [من الوافر]

أَجَنْـدلُ مـا تقـول بنـو نُمَيْرٍ إذا مـا الأَيْر في استِ أَبيك غابا

فسمعتُ الرّاعيَ قال لابنه : أما واللهِ لقد طرحتَ قَلَنْسُوَتَه طَرْحةً مشؤومة . قال جريرٌ : ولا واللهِ ما القلنسوةُ بأَغْيظِ أمرِه إليّ لو كان عاجَ عليّ . فانصرف جريرُ غضبانَ حتى إذا صلّى العِشاءَ بمنزله في عِلِّيَّةٍ له قال : ارفَعوا إليّ باطِيَةً من نبيذ وأَسْرِجُوا لي ، فأَسْرَجُوا له وأَتَوْه بباطيةٍ من نبيذ . قال : فجعَل يُهَمْهِمُ ؛ فسمعتْ صوتَه عجوزٌ في الدّار فاطَّلَعَتْ في الدَّرَجة حتى نظرتْ إليه ، فإذا هو يَحْبُو على الفراش عُرْياناً لما هو فيه ، فانحدرتْ فقالت : ضيفُكم مجنون ! رأيت منه كذا وكذا ؛ فقالوا لها : اذهبي لطيَّتِك ، نحن أعلم به وبما يُمارِس . فما زال كذلك حتى كان السَّحَرُ ، ثم إذا هو يكبِّرُ قد قالها ثمانين بيتاً في بني نُمَير . فلمّا ختمها بقوله : [من الوافر]

فغُضّ الطَّـرْفَ إنّـكَ من نُمَيرٍ فـلا كَعْباً بلغـتَ ولا كِلابا

كبَّر ثم قال : أَخْزيتُه وربِّ الكَعْبة . ثم أَصْبح ، حتى إذا عرَف أنّ الناس قد جلسوا في مجالسهم بالمِرْبَد ، وكان يعرِف مجلسَه ومجلسَ الفرزْدَق ، دعا بدُهْنٍ فادَّهَنَ وكَفَّ[1] رأسَه ، وكان حسنَ الشَّعر ، ثم قال : يا غلام ، أَسْرِجْ لي ، فأَسْرجَ له حِصاناً ، ثم قصد مجلسَهم ؛ حتى إذا كان بمَوْضِع السلام قال : يا غلامُ ، ولم يسلِّم ، قل لعَبِيدٍ : أَبعَثك نِسْوَتُك تَكْسِبهُنّ المالَ بالعراق ؟ أما والذي نفسُ جريرٍ بيده لتَرْجِعَنّ إليهنّ بمَيْرٍ يَسُوءهنّ ولا يَسُرّهنّ ؛ ثم اندفع فيها فأنشدها . قال : فنكَس الفرزدقُ وراعي الإبلِ وأَرَمّ[2] القومُ ، حتى إذا فرَغ منها سار ، وثبَت راعي الإبلِ ساعةً ثم ركب بغلتَه بشَرٌّ وعُرٌّ وخَلّى المجلسَ حتى ترقّى[3] إلى منزله الذي ينزله ، ثم قال لأصحابه : رِكابَكم رِكابَكم ، فليس لكم هاهنا مُقام ، فضَحَكم واللهِ جريرٌ ؛ فقال له بعضُ القوم : ذاك شؤمُك وشؤمُ ابنِك . قال : فما كان إلاّ ترحُّلُهم . قال فسِرْنا إلى أهلنا سيراً ما ساره أحد ، وهُمْ بالشُّرَيْفِ وهو أعلى دارِ بني نُمَيرٍ . فيحلفُ باللهِ راعي الإبل إنّا وجَدْنا في أهلنا : [من الوافر]

1 كفّ شعره : جمعه وضمّ أطرافه .

2 وأرّم القوم : سكتوا .

3 ترقّى في ل : أتى .

فغُضّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيرٍ

وأقْسَم بالله ما بلَّغَه إنْسيٌّ قَطّ ، وإنّ لجريرٍ لأشياعاً من الجِنّ . فتشاءمتْ به بنو نُمَير وسَبُّوه وابنَه ، فهم يتشاءمون به إلى الآن .

[قال قصيدته في هجو الراعي عند رجل من أنصاره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عليّ بن محمَّد النَّوْفليّ عن أبيه قال حدَّثني مَوْلىً لبني كُلَيب بن يَرْبوع كان يبيع الرُّطَبَ بالبصرة أُنْسِيتُ اسمَه قال : كنت أجمع شعر جرير وأشتهي أن أحفظه وأرْوِيَه . فجاءني ليلةً فقال : إنّ راعي الإبلِ النُّمَيريَّ قد هجاني ، وإنّي آتيك الليلةَ فأَعِدَّ لي شَواءً[1] رَشْراشاً ونبيذاً مُخْفِساً[2] ؛ فأَعْددتُ له ذلك . فلمّا أَعْتَمَ جاءني فقال : هَلُمَّ عَشاءَك ، فأَتيتُه به ، فأكل ثم قال : هَلُمّ نبيذَك ، فأَتيتُه به ، فشرب أقداحاً ثم قال : هات دَواةً وكَتِفاً[3] ؛ فأَتيتُه بهما ، فجعل يُمْلي عليَّ قولَه : [من الوافر]

أَقِلّي اللومَ عاذِلَ والعتابا وقُولي إن أَصَبْتُ لقد أَصابا

حتى بلغَ إلى قولِه : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ

فجعل يردِّده ولا يَزيد عليه حتى حَمَلتْني عيني ، فضربتُ بذَقَني صَدْري نائماً ، فإذا به قد وثَب حتى أصاب السَّقْفَ رأسُه وكبَّر ثم صاح : أخزيتُه والله ! اكتُبْ : [من الوافر]

فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلاَبا

غَضَضْتُه وقدَّمتُ إخوتَه عليه ؛ والله لا يُفْلِح بعدها [أبداً] . فكان والله كما قال ما أفلح هو ولا نُمَيْرِيّ بعدها .

[أنشد الفرزدق أشطار شعر له فأخبر بتواليها]

أخبرني هاشم بن محمّد الخُزاعي قال حدّثنا أبو غَسّان دَماذ عن أبي عُبيدة قال : أَقْبل راكبٌ من اليَمامة ؛ فمرَّ بالفرزدق وهو جالس في المِرْبَد ؛ فقال له : من أين أَقبلتَ ؟ قال : من اليمامة . فقال : هل رأيت ابنَ المَراغة ؟ قال نعمْ . قال : فأيَّ شيء أَحْدث بعدي ؟ فأنشده : [من الكامل]

هاجَ الهوى لفؤادك المُهتاجِ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

---

1 شواء رشراش : خضل ندٍ يقطر سُمّاً .

2 المخفس : السريع الإسكار .

3 كانوا يكتبون في عظم الكتف لقلّة القراطيس .

فانظُر بتُوضِحَ باكِرَ الأَحْداجِ

فأنشده الرجل : [من الكامل]

هـذا هَـوىً شغَف الفؤادَ مبرِّحٌ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

ونَوىً تَقاذَفُ غيرُ ذاتِ خِلاجِ[1]

فأنشده الرجل : [من الكامل]

إنّ الغـرابَ بما كرهتَ لَمُولَعٌ

فقال الفرزدق : [من الكامل]

بِنَـوَى الأَحبّـةِ دائـمُ التَّشْحاجِ[2]

فقال الرجل : هكذا واللهِ ، قال أَفسمعتَها من غيري ؟ قال : لا ؛ ولكن هكذا ينبغي أَن يقال ؛ أَوَ ما علمتَ أَنّ شيطاننا واحد ؟ ثم قال : أَمَدَح بها الحَجّاجَ ؟ قال نعمْ . قال : إيّاه أَراد .

[أَجاب الفرزدق في الحجّ جواباً حسناً]

أَخبرني محمَّد بن خَلَفٍ وَكِيع قال حدَّثنا محمَّد بن إسحاق بن عبد الرحمن قال : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلِيّ قال حدَّثني أَبو عُبَيدة قال : التقى جريرٌ والفرزدقُ بمِنىً وهما حاجّانِ ؛ فقال الفرزدقُ لجرير : [من الطويل]

فإنّـك لاقٍ بالمنـازلِ من مِنىً فَخاراً فخبِّرْني بمَن أَنت فاخرُ

فقال له جريرٌ : بلَبَّيْكَ اللهم لبيك . قال إسحاق : فكان أَصحابُنا يستحسنون هذا الجوابَ من جرير ويَعْجَبون منه .

[هجا التَّيْم فلم يؤثر فيهم من لؤم أَصلهم]

أَخبرني أَبو خَلِيفةَ عن محمَّد بن سَلاّم ، وأَخبرني وَكِيعٌ عن محمَّد بن إسماعيل [عن ابن سَلاّم] قال حدَّثنا أَبو الخَطّاب عن أَبيه عن حَجْناء بنِ جَرير قال : قلتُ لأَبي : يا أَبتِ ، ما هجوتَ قوماً قطُّ إلاّ أَفسدتَهم سِوَى التَّيْمِ . فقال : إنّي لم أَجِد حَسَباً أَضَعُه ، ولا بناء أَهدمُه .

[حديثه مع ابنه عن درجات الشعراء]

قال ابن سَلاّم أَخبرني أَبو قيس عن عِكْرِمةَ بن جَرير قال : قلت لأَبي : يا أَبَتِ ، مَن أَشعرُ الناس ؟ فقال : الجاهليّةَ تريد أَم الإسلامَ ؟ قلتُ : أَخْبِرني عن الجاهليّة . قال : شاعرُ الجاهليّة

1 غير ذات خلاج : أي نوى مقطوع بها لا يخالج فيها الشكّ والريب .

2 تشحاج الغراب : صومه .

زُهَيْر . قلت : فالإسلام ؟ قال : نَبْعة الشعر الفرزدق . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد صفةَ الملوك ويُصيبُ نَعْتَ الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : دَعْني فإنّي نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .

[سمعه الفرزدق ينشد بائيته فتوقّع فيها نصف بيت فيه هجو له فكان كما ظنّ]

أخبرني هاشم بن محمّد قال حدَّثني الحَسَن بن عُلَيل قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله العَبْديّ عن عُمارة بن عُقَيل عن جدِّه قال : وقف الفرزدقُ على أبي بِمربَد البصرة وهو يُنشد قصيدته التي هجا بها الرّاعي ؛ فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الوافر]

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُمَيرٍ فــلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

أقبل الفرزدقُ على روايتِه فقال : غَضَّه واللهِ فلا يُجيبه أبداً ولا يُفلِحُ بعدها . فلمّا بلَغ إلى قوله : [من الوافر]

بهــا بَرَصٌ بجانــبِ إسْكَتَيْها

وضع الفرزدقُ يدَه على فيه وغطَّى عَنْفَقَتَه[1] ؛ فقال أبي : [من الوافر]

كعَنْفَقَةِ الفرزدقِ حــين شابا

فانصرف الفرزدقُ وهو يقول : اللهمّ أخْزِه ؛ والله لقد علمتُ حين بدأ بالبيت أنّه لا يقولُ غيرَ هذا ، ولكن طَمِعتُ ألاَّ يَأْبَهَ فغطَّيتُ وجهي ، فما أغناني ذلك شيئاً . قال العَنزيّ حدَّثني مسعود بن بِشْر عن أبي عُبَيدة قال قال يونُس : ما أُرَى جَريراً قال هذا المِصْراعَ إلاّ حينَ غطَّى الفرزدقُ عَنفقتَه ، فإنّه نبَّهه عليه بتغطيته إيّاها .

[سئل الفرزدق عمّن يجاريه في الشعر فلم يَعترفُ إلاّ به]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أبي بَكْر الهُذَليّ قال : قال رجل من بني دارِم للفرزدق وهو بالبصرة : يا أبا فِراس ، هل تعلم اليومَ أحداً يَرْمي معك ؟ فقال : لا ؛ والله ما أعرف نابحاً إلاّ وقد استكان ولا ناهشاً إلاّ وقد انْجَحَر إلاّ القائلَ : [من الطويل]

فإنْ لم أجِدْ في القُرْب والبعدِ حاجتي تَشأَّمتُ أو حَوّلتُ وجهي يمانيا

فــرُدّي جِمالَ الحيِّ ثــم تَحَمَّلِي فما لَكِ فيهم مــن مُقامٍ ولا لِيا[2]

---

1 العنفقة : شعيرات بين الشفّة السّفلى والذقن .

2 الحي في الديوان : البين 35/1 .

فإنّـي لمغـرورٌ أُعلّـل بالمُنـى ... ليـاليَ أرجـو أنّ مـا لَـكَ مالِيا
وقائلـةٍ والدمـعُ يَحْـدِرُ كَحْلَها ... أبعـدَ جريـرٍ تُكرِمـون المَوَالِيا
بأيِّ نِجـادٍ تحمِـل السيفَ بعدما ... قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا
بـأيِّ سنانٍ تطعُنُ القَـرْمَ بعدما ... نزَعْتَ سِنانـاً مـن قَناتِك ماضيا
لساني وسيفي صارمـانِ كلاهما ... ولَلسَّيْفُ أَشْوَى وَقْعةً من لسانيا[1]

قال : وهذا الشعر لجرير .

[وفد على يزيد بن معاوية وأخذ جائزته]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفش قال حدَّثني محمَّد بن يَزِيد عن عُمارةَ بنِ عُقَيل عن أبيه قال : قال جرير : وفدتُ إلى يزيدَ بنِ معاوية وأنا شابٌّ [يومئذٍ] ؛ فاستُؤذن لي عليه في جملة الشعراء ؛ فخرج الحاجبُ إليّ وقال : يقول لك أمير المؤمنين : إنّه لا يَصِلُ إلينا شاعر لا نعرِفه ولا نسمع بشيء من شعره ، وما سمعنا لك بشيء فنأذَن لك على بَصِيرة . فقلت له : تقولُ لأمير المؤمنين : أنا القائل : [من الطويل]

وإنّـي لَعَفُّ الفقـر مُشْتَرَكُ الغِنى ... سريعٌ إذا لم أرضَ داري انتقاليا
جريءُ الجَنانِ لا أُهاب مِن الردى ... إذا ما جعلتُ السيفَ قَبْضَ بَنانِيا[2]
وليس لسيفـي في العظـامِ بَقِيّـةٌ ... ولَلسَّيْفُ أَشْوى وقعـةً من لسانيا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبياتَ ؛ ثم خرج إليّ وأَذِن لي ، فدخلت وأنشدته وأخذتُ الجائزةَ مع الشعراء ؛ فكانت أوّلَ جائزة أخذتُها من خليفة ، وقال لي : لقد فارق أبي الدنيا وما يظنّ أبياتَك التي توسَّلْتَ بها إليّ إلاّ لي .

[موازنة حمّاد الراوية بينه وبين الفرزدق]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرّانيّ قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ عن حَمّادٍ الراوية قال : أتيتُ الفرزدق فأنشدني ، ثم قال لي : هل أتيتَ الكلبَ جريراً ؟ قلت نعم . قال : فأنا أشعر أو هو ؟ فقلت : أنت في بعض الأمر وهو في بعض . فقال : لم تُناصِحْني . فقلت : هو أشعرُ إذا أرْخى في خِناقه ، وأنت أشعر منه إذا خِفْتَ أو رجوتَ . فقال : وهل الشعر إلاّ في الخوف والرجاء وعند الخير والشرّ ؟ .

---

1 يقال : رماه فأشواه إذا أصاب شواه ولم يصب مقتله . والشّوى : الأطراف .

2 أهاب في الديوان : أُهال 36/1 .

[حكم له بشر بن مروان وقد تفاخر هو والفرزدق بحضرته]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ عن يحيى بن عَنْبَسة القُرَشيّ وعَوانةَ بنِ الحَكَم : أنّ جريراً والفرزدق اجتمعا عند بِشْر بن مَرْوان ؛ فقال لهما بشر : إنّكما قد تقارضتُما الأشعارَ وتطالبتُما الآثار وتقاولتُما الفخار وتهاجيتُما . فأمّا الهجاء فليست بي إليه حاجة ، فجدِّدا بين يَدَيّ فخراً ودَعاني ممّا مضى . فقال الفرزدق : [من الطويل]

نحـن السَّنَـامُ والمَنَـاسِمُ غيرُنَـا فمَنْ ذا يُساوي بالسَّنامِ المناسما !

فقال جرير : [من الطويل]

على موضع الأَسْتاهِ أنتـم زعمتُمُ وكلُّ سَنَـامٍ تابـعٌ للغَلاصِمِ[1]

فقال الفرزدق : [من الطويل]

على مَحْرَثٍ للفَـرْثِ أنتم زعمتُمُ ألا إنّ فوق الغَلْصَمات الجَماجِما

فقال جرير : [من الطويل]

وأنبأتُمونا أنّكـم هـامُ قومِكم ولا هـامَ إلاّ تابـعٌ للخَراطِمِ

فقال الفرزدق : [من الطويل]

فنحن الزِّمامُ القائـدُ المقتدَى بـه من الناسِ ، ما زِلنا ولسنا لَهازِما[2]

فقال جرير : [من الطويل]

فنحن بَنـي زيـد قطعنـا زِمامَها فتاهت كسارٍ طائِشِ الرأسِ عارِمِ[3]

فقال بشر : غلبتَه يا جريرُ بقطعِك الزِّمام وذَهابِك بالناقة . وأحسن الجائزةَ لهما وفضَّل جريراً .

[جرير وسكينة بنت الحسين]

قال المدائنيّ وحدّثني عَوانة بن الحَكَم قال : جاء جرير إلى باب سُكَينة بنت الحسين عليه السلام ، يستأذن عليها فلم تأذن له ، وخرجت إليه جاريةٌ لها فقالت : تقول لك سيِّدتي : أنت القائل : [من الكامل]

طَرَقْتِـكَ صائدةُ القلوب وليس ذا حـينَ الزيـارةِ فارْجِعي بسلامِ

1 الغلصمة : رأس الحلقوم .

2 اللهازم : جمع لهزمة ، واللهزمتان ما تحت الأذنين من أعلى اللحيين والخدّين .

3 العرام : الشدّة والقوّة والشراسة .

قال نعم . قالت : فألاّ أخذتَ بيدها فرحّبتَ بها وأدنيتَ مجلسَها وقلتَ لها ما يقال لمثلها ؟ أنت عفيفٌ وفيك ضعف ، فخُذ هذين الألفيْ الدرهم فالحَقْ بأهلِك .

[تفضيل سكينة بنت الحسين له على الفرزدق]

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدَّثني أبو يعقوب الثَّقفيّ عن الشَّعْبيّ : أنّ الفرزدق خرج حاجّاً ؛ فلمّا قضى حجَّه عدَل إلى المدينة فدخل إلى سُكينة بنتِ الحسين عليهما السلام فسلَّم . فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناسِ ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ! أشعرُ منك الذي يقول : [من الوافر]

بنفسي مَنْ تَجَنُّبُه عزيزٌ عليّ ومَنْ زِيارتُه لِمَامُ
ومَنْ أُمسي وأُصبحُ لا أراه ويَطْرُقُني إذا هجَع النِّيامُ

فقال : والله لو أذنتِ لي لأسمعتُكِ أحسنَ منه . قالت : أقيموه فأُخرج . ثم عاد إليها من الغد فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ؛ صاحبُك جرير أشعرُ منك حيث يقول : [من الكامل]

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولَزُرْتُ قبرِك والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجَر الضَّجيعُ فِراشَها كُتِمَ الحديثُ وعَفّتِ الأسرارُ[1]
لا يَلْبَثُ القُرَناءُ أنْ يتفرّقوا ليلٌ يَكُرّ عليهمُ ونهارُ

فقال : والله لئن أذنتِ لي لأسمعنَّك أحسنَ منه ، فأمرتْ به فأُخرج . ثم عاد إليها في اليوم الثالث وحَوْلَها مولَّداتٌ لها كأنّهنّ التماثيل ؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهنّ فأُعْجِب بها وبُهِت ينظرُ إليها . فقالت له سُكَينة : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أنا . قالت : كذبتَ ؛ صاحبُك أشعر منك حيث يقول : [من البسيط]

إنّ العيونَ التي في طَرْفِها مَرَضٌ قتلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانا
يَصْرَعْنَ ذا اللُّبِّ حتى لا حَرَاكَ به وهنّ أضعفُ خَلْقِ الله أركانا
أتْبعتُهم مُقْلةً إنسانُها غَرِقٌ هل ما تَرى تاركٌ للعين إنسانا

فقال : والله لئن تركتني لأسمعنَّك أحسنَ منه ؛ فأمرت بإخراجه . فالتفت إليها وقال : يا بنتَ رسول الله ، ﷺ ، إنّ لي عليكِ حقّاً عظيماً . [قالت : وما هو ؟ قال :] ضربتُ إليكِ [آباطَ الإبلِ] من مكّةَ إرادةَ التسليم عليكِ ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطَرْدِي

1 الضجيع في الديوان : الخليل ؛ كتم في الديوان : خُزِن 865/2 .

وتفضيلَ جرير عليّ ومنعَكِ إيّاي أن أُنْشِدَكِ شيئاً من شعري ، وبي ما قد عِيلَ منه صبري ، وهذه المَنايا تَغدُو وتَرُوح ، ولعلّي لا أُفارق المدينةَ حتى أموتَ ؛ فإذا أنا مِتُّ فمُرِي بي أن أُدْرَج في كَفَنِي وأُدْفَنَ في حِرِ هذه (يَعْني الجاريةَ التي أعجبتْه) . فضحكتْ سكينة وأمرتْ له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برَيْطَتِها[1] ؛ وأمرتْ الجواريَ فدَفَعْن في أَقْفِيتهما ، ونادتْه . يا فرزدقُ احتفظ بها وأَحْسِن صحبتَها فإنّي آثرتُك بها على نفسي .

[حضر أعرابي مائدة عبد الملك بن مروان ووصف له طعاماً أشهى من طعامه]

قال المدائنيّ في خبره هذا وحدَّثني أبو عِمْرانَ بنُ عبد الملك بن عُمَير عن أبيه ، وحدّثنيه عَوانَةُ أيضاً قالا : صنع عبدُ الملك بن مروان طعاماً فأَكْثر وأَطاب ودعا إليه الناسَ فأكلوا . فقال بعضهم : ما أَطيبَ هذا الطعامَ ! ما نَرى أنّ أحداً رأى أكثرَ منه ولا أكل أطيَبَ منه . فقال أعرابيّ من ناحية القوم : أمّا أكثرُ فلا ، وأمّا أطيبُ فقد واللهِ أكلتُ أطيبَ منه ، فطفِقوا يضحكون من قوله . فأشار إليه عبد الملك فأُدْنِيَ منه ؛ فقال : ما أنت بِمُحِقٍّ فيما تقول إلاّ أن تُخْبرني بما يَبِينُ به صدقُك . فقال : نعمْ يا أميرَ المؤمنين ؛ بَيْنا أنا بهَجَر في بَرْثٍ[2] أحمر في أَقْصَى حَجر[3] ، إذ تُوُفِّي أبي وترك كَلاًّ[4] وعِيالاً ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلةٌ لم ينظُر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أَخْفافُ الرِّباع[5] لم يُرَ تمرٌ قطُّ أغلظُ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نَوىً ولا أحْلى حلوةً منه . وكانت تَطْرُقها أتانٌ وَحشيّةٌ قد أَلِفتْها تأوي الليلَ تحتها ، فكانت تُثبت رجليها في أصلها وترفع يديها وتَعْطُو[6] بِفِيها فلا تترك فيها إلاّ النَّبِيذَ[7] والمتفرِّقَ ؛ فأعظَمَني ذلك ووقَع منّي كلَّ موقع ، فانطلقتُ بقوسي وأسهُمي وأنا أظنّ أنّي أرجع من ساعتي ؛ فمكثتُ يوماً وليلةً لا أراها ، حتى إذا كان السَّحَرُ أقبلتْ ، فتهيّأتُ لها فرشَقْتُها فأصبتُها وأجْهزتُ عليها ، ثم عَمَدْتُ إلى سُرَّتها فاقْتَدْتُها ، ثم عمَدْتُ إلى حطب جَزْل فجمعتُه إلى رَضْفٍ[8] وعَمدْتُ إلى زَنْدِي فقدَحْتُ وأضرمتُ النارَ في ذلك الحطب ، وألقيتُ سُرَّتَها فيه ؛ وأدركني نومُ الشَّباب فلم يُوقِظْني إلاّ حَرُّ الشمس في ظهري ؛ فانطلقتُ إليها

1 الريطة : الملاءة .
2 في ل : ترب .
3 أي في أبعد ناحية .
4 الكلّ : الثقل .
5 الرباع : جمع رُبّع وهو الفصيل ينتج في الربيع وهو أوّل النتاج .
6 تعطو : تتناول .
7 النبيذ : المنبوذ .
8 الرضف : الحجارة المحماة بالشمس أو النار .

فكشفتُها وألقيتُ ما عليها من قَذىً وسواد ورَماد ، ثم قلبتُ [منها] مثلَ المُلاءة البَيْضاء ، فألقيتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلةِ المُجَزّعةَ[1] والمُنَصّفةَ ، فسمعتُ لها أَطِيطاً[2] كتَداعي عامرٍ وغَطَفانَ ، ثم أقبلتُ أتناول الشَّحْمة واللحمةَ فأضعُها بين التمرتين وأَهْوي إلى فَمي ، فبما أَحلِف إنّي ما أكلتُ طعاماً مثلَه قَطُّ . فقال له عبد الملك : لقد أكلتَ طعاماً طيِّباً ، فمَن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتْني عَنْعنةُ تَميمٍ وأَسَدٍ وكَشْكَشة رَبِيعةَ وحُوشِيُّ أهلِ اليمن وإن كنتُ منهم . فقال : من أيِّهم أنت ؟ قال : من أَخوالِك من عُذْرةَ . قال : أولئك فصحاءُ الناس ؛ فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سلْني عمّا بدا لكَ يا أمير المؤمنين . قال : أيُّ بيتٍ قالته العربُ أمدح ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

ألستم خيرَ مَنْ ركِب المطايا وأَنْدَى العالمين بطونَ راحِ

قال : وكان جرير في القوم ، فرفع رأسَه وتَطاول لها . ثم قال : فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أفخر ؟ قال : قولُ جرير : [من الوافر]

إذا غضبتْ عليك بنو تَميم حسبتَ الناسَ كلَّهمُ غِضَابا

قال : فتحرّك [لها جريرٌ] . ثم قال له : فأيُّ بيتٍ أَهْجى ؟ قال : قولُ جرير : [من الوافر]

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّك من نُمَيرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كِلابا

قال : فاستَشْرَف لها جريرٌ . قال : فأيُّ بيتٍ أَغْزَل ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

إنَّ العيونَ التي في طَرفِها مَرَضٌ قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِين قَتْلانا

قال : فاهتزَّ جريرٌ وطرِب ، ثم قال له : فأيُّ بيتٍ قالته العربُ أحسنُ تشبيهاً ؟ قال : قولُ جرير : [من الطويل]

سَرَى نحوَهم ليلٌ كأنّ نجومَه قَنادِيلُ فيهنّ الذُّبَالَ المفتَّلُ

فقال جرير : جائزتي للعِذْرِيّ يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : وله مثلُها من بيت المال ، ولكَ جائزتك يا جرير لا تُنْتَقَصُ منها شيئاً . وكانت جائزةُ جريرٍ أربعةَ آلاف درهم وتوابعَها من الحُمْلان والكُسْوة . فخرَج العُذْرِيّ وفي يده اليمنى ثَمانية آلاف درهم وفي اليسرى رِزْمةُ ثياب .

---

1 جزع البسر : بلغ الإرطاب نصفه ، وقيل : بلغ الإرطاب من أسفله إلى نصفه وقيل : إلى ثلثيه وقيل : بلغ بعضه من غير أن يحد .

2 أطيط كلّ شيء : صوته .

[تفضيل عبيدة بن هلال لجرير على الفرزدق]

أخبرنا هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا المَدائنيّ عن أبي عبد الرحمن[1] عن عبد الله بن عَيّاش الهَمْدانيّ قال : بَيْنا المهلَّبُ ذاتَ يوم [أو ليلةٍ] بفارسَ وهو يقاتل الأزارِقةَ إذ سمع في عسكره جَلَبَةً وصِياحاً ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : جماعةٌ من العرب تَحاكموا إليكَ في شيء . فأَذِن لهم فقالوا : إنّا اختلفنا في جرير والفرزدق ؛ فكلّ فريق منّا يزعمُ أنّ أحدهما أشعرُ من الآخر ، وقد رَضِينا بحكم الأمير . فقال : كأنّكم أردتم [أن] تُعَرِّضُوني لهذين الكلبين فيمزّقا جِلْدتي ! لا أحكمُ بينهما ، ولكنّي أدلُّكم على مَن يَهُون عليه سِبالُ جرير وسِبالُ[2] الفرزدق ، عليكم بالأزارقة ، فإنّهم قومٌ عربٌ يَبْصِرُون بالشعر ويقولون فيه بالحقّ . فلمّا كان الغدُ خرج عُبيدةُ بن هِلال اليَشْكُريّ ودعا إلى المبارزةِ ، فخرج إليه رجل من عسكر المهلَّب كان لقَطَرِيٍّ صديقاً ؛ فقال له : يا عُبيدة ، سألتُك اللهَ إلاّ أخبرتَني عن شيء أسألُك عنه . قال : سَلْ . قال : أَوَ تُخْبِرُني ؟ قال : نعم إن كنتُ أعلمه . قال : أجريرٌ أشعرُ أم الفرزدقُ ؟ قال : قبحك الله ؛ أتركتَ القرآنَ والفقه وسألتَني عن الشعر ! قال : إنّا تشاجرْنا في ذلك ورَضِينا بك . فقال من الذي يقول : [من الكامل]

وطَوَى الطِّرادُ مــع القِيادِ بطونَها طَــيَّ التِّجــارِ بحَضْرَمَوتَ بُرُودا

فقال : جرير . قال : هذا أشعرُ الرجلَيْن .

[لم ينزع في شعره إلى الغزل ولا إلى الرجز]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن العُتْبيّ قال : قال جرير : ما عشِقتُ قَطُّ ، ولو عشقتُ لنَسَبْتُ نَسِيباً تَسْمَعه العجوز فتَبكي على ما فاتها من شبابها ، وإنّي لأري من الرَّجَزِ أمثالَ آثارِ الخيلِ في الثَّرَى ، ولولا أنّي أخاف أن يَسْتفرِغَني لأكثرتُ منه .

[جرير في ضيافة عبد العزيز بن الوليد]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ وعمّي قالا حدَّثنا ابن الأعرابيّ قال حدَّثنا عبد الرحمن بن سعيد بن بَيْهَس بن صُهَيْب الجَرْميّ [عن عامر بن شِبْل الجَرْميّ] قال : قدِم جرير على عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك وهو نازلٌ بدَيْر مُرّانَ[3] ؛ فكنّا نغدو إليه بَكَراً ، فيخرج إلينا ويجلس في بُرْنُس خَزٍّ له لا يكلِّمنا كلمةً حتى يجيءَ طَبّاخُ عبد العزيز إليه بقَدَحٍ من طِلاءٍ مسخَّن يَفُور ، وبكُتْلةٍ من سمن كأنّها هامةُ رجل فيَخُوضها فيه ، ثم يدفعه إليه فيأتي عليه ،

1 أبو عبد الرحمن كنية الهيثم بن عديّ .

2 السِّبال : الشوارب .

3 دير مرّان : قرب دمشق .

ويُقْبِل علينا ويحدّثنا في كلّ فنّ ، ويُنشدنا لنفسه ولغيره ، حتى يحضرَ غَداء عبد العزيز فنقومَ إليه جميعاً . وكان يختِم مجلسَه بالتسبيح فيُطيل . فقال له رجل : ما يُغْني عنك هذا التسبيحُ مع قَذْفك للمُحْصَنات ! فتبسّم وقال : يا ابنَ أخي ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وآخَرَ سَيِّئاً عَسى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِم﴾ إنّهم والله يا ابنَ أخي يَبْدَءونني ثم لا أَحْلُم .

[وفد رجل من قبيلة الفرزدق على امرأة من بني حنيفة]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن أبي سَعْد قال حدّثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن سعيد بن جعفر بن يوسف بن محمّد بن موسى قال حدّثني الأَخْفَش عن أبي مَحْذُورةَ الوَرّاق عن أبي مالكٍ الراويةِ قال سمعت الفرزدقَ يقول ، وأخبرني بهذا الخبر محمّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثني إبراهيم بن محمّد الطائفيّ قال حدّثني محمّد بن مَسْعَدةَ[1] الأَخْفش عن أبي مَحْذُورةَ الورّاق عن أبي مالك الراوية قال : سمعتُ الفرزدقَ يقول : أَبَقَ غلامان لرجلٍ منّا يقال له الخَضِرُ ، فحدّثني قال : خرجتُ في طلبهما وأنا على ناقةٍ لي عَيْساءَ[2] كَوْماءَ[3] أُريد اليمامةَ ؛ فلمّا صِرْتُ في ماءٍ لبني حَنِيفةَ يقال له الصَّرْصَرانُ ارتفعتْ سحابةٌ فرعَدتْ وبرَقتْ وأَرْخَتْ عَزالِيَها[4] ؛ فعدَلتُ إلى بعض ديارهم وسألتُ القِرَى فأجابوا ؛ فدخلتُ داراً لهم وأَنَخْتُ الناقةَ وجلستُ تحت ظُلَّة لهم من جَريد النخل ، وفي الدار جُوَيريَّةٌ لهم سَوْداءُ ، إذ دخلتْ جاريةٌ كأنّها سَبِيكةُ فضّة وكأنّ عينيها كوكبان دُرِّيَّانِ ؛ فسألتِ الجاريةَ : لَمَن هذه العَيْساءُ ؟ (تَعْني ناقتي) فقالت : لضيفِكم هذا . فعدَلتْ إليّ فقالت : السلام عليكم ، فرددتُ عليها السلام . فقالت لي : ممّن الرجل ؟ فقلت : من بني حَنْظَلَةَ . فقالت : من أيِّهم ؟ فقلت : من بني نَهْشَل . فتبسَّمَتْ وقالت : أنت إذاً ممّن عَناه الفرزدقُ بقولـه : [من الكامل]

إنّ الذي سَمَك السماءَ بَنى لنا ... بيتاً دعائمُـه أَعـزُّ وأَطولُ
بيتاً بناه لنـا المليكُ ومـا بَنَى ... مَلِـكُ السماءِ فإنّـه لا يُنْقَلُ
بيتـاً زُرارةُ مُحْتَـبٍ بفِنائـه ... ومُجاشِعٌ وأَبو الفَوارسِ نَهْشَلُ

قال : فقلت نعم جُعِلتُ فِداكِ ؛ وأَعْجبني ما سمعتُ منها . فضحكتْ وقالت : فإن ابنَ الخَطَفَى قد هدَم عليكم بيتَكم هذا الذي فخَرتم به حيث يقول : [من الكامل]

---

1 ليس من الأخافش المعروفين .

2 العيساء : التي يضرب لونها إلى الأدمة ، وقيل : هي التي يخالط بياضها شيء من الشقرة .

3 كوماء : عظيمة السنام طويلة .

4 العزالي : جمع عزلاء ، والعزلاء في الأصل : مصبّ الماء من الراوية والقربة .

أَخزى الذي رفَع السماءَ مُجاشِعاً وبَنـى بِناءَك بالحَضيضِ الأسفلِ[1]
بيتـاً يُحَمِّـمُ قَيْنُكـم بفِنائـه دَنِساً مَقاعِـدُه خبيثَ المَدْخَلِ[2]

قال : فوجَمْتُ . فلمّا رأتْ ذلك في وجهي قالت : لا عليكَ ؛ فإنّ الناس يُقال فيهم ويقولون . ثم قالت : أَين تَؤُمُّ ؟ قلت : اليمامةَ . فتنفَّستِ الصُّعَداءَ ثم قالت : ها هي تلك أَمامَك ؛ ثم أَنشأت تقول : [من الوافر]

تُذكِّـرُني بـلاداً خيرُ أَهـلي بهـا أَهـلُ المروءةِ والكَرامهْ
أَلا فَسقى الإلهُ أَجَشَّ صَوْباً يَسُحُّ بـدَرِّه بلـدَ اليَمـامهْ
وحَيّـا بـالسَّلام أَبا نُجَيدٍ فأَهـلٌ للتحيّـة والسلامهْ

قال : فأَنِسْتُ بها وقلت لها : أَذاتُ خِدْنٍ أَم ذاتُ بَعْلٍ ؟ فأَنشأَتْ تقول : [من الوافر]

إذا رقَـد النِّيامُ فـإنّ عمراً تؤرِّقـه الهمـومُ إلى الصباحِ
تُقطِّع قلبَـه الذِّكْرَى وقلبي فـلا هـو بالخَـلِيّ ولا بِصاحِ
سَقَى اللهُ اليمامـةَ دار قـوم بهـا عمرٌو يَحِنُّ إلى الرَّواحِ

فقلتُ لها : مَن عمرو هذا ؟ فأَنشأَتْ تقول : [من الوافر]

سألتَ ولو علمتَ كَفَفْتَ عنه ومن لكَ بالجوابِ سِوَى الخبيرِ
فـإن تَـكُ ذا قَبولٍ إن عَمْراً هـو القَمَـرُ المُضيءُ المستنيرُ[3]
ومـا لي بالتبعُّـلِ مُسْتَراحٌ ولـو رَدّ التبعُّـلُ لي أَسِيري

قال : ثم سكتتْ سكتةً كأَنّها تتسمَّع إلى كلامٍ ، ثم تهافتتْ وأَنشأَتْ تقول : [من الوافر]

يخيَّل لي هَيَا عمرُو بنَ كَعْبٍ كأَنّك قـد حُمِلْتَ على سريرِ
يَسير بـك الهُوَيْنَـى القومُ لما رَمـاك الحبُّ بالعَلَق العَسيرِ[4]
فإن تَكُ هكذا يـا عَمْرُو إنّي مُبكِّـرةٌ عليـك إلى القبورِ

ثم شَهَقتْ شَهْقة فخَرَّتْ ميّتةً . فقلتُ لهم : مَن هذه ؟ فقالوا : هذه عَقِيلةَ بنتُ الضحّاك بن عمرو بن مُحرِّق بن النُّعْمان بن المُنْذِر بن ماء السماء . فقلت لهم : فمن عمرٌو هذا ؟ قالوا : ابنُ عمّها عمرو بن كعب بن محرِّق بن النعمان بن المنذر ؛ فارتحلتُ من عندهم . فلمّا دخلتُ اليمامةَ سألتُ عن عمرو هذا فإذا هو قد دُفن في ذلك الوقت الذي قالت فيه ما قالت .

---

1 رفع في الديوان : سمك 940/2 .
2 يُحمّم : يسخن .
3 في هذا البيت إقواء .
4 العَلَق : الهوى يكون للرجل في المرأة .

[قصّته مع عمر بن عبد العزيز حين وفد عليه]

أخبرني محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدَّثنا محمَّد بن الحَكَم ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجَوْهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو الهَيْثم بدر بن سعيد العَطّار قال حدَّثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز قال : لمّا استُخْلف عمرُ بن عبد العزيز جاءه الشعراء فجعلوا لا يَصِلُون إليه ؛ فجاء عَوْن بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود وعليه عِمامةٌ قد أَرْخى طرَفَيْها فدخل ؛ فصاح به جرير : [من البسيط]

يا أيُّها القارئ المُرخي عِمامتَه هذا زمانُك إنّي قد مَضى زَمَني
أبلِغ خليفتَنا إن كنتَ لاقيَه أنّي لَدَى البابِ كالمَصْفودِ في قَرَنِ[1]

قال : فدخل على عمر فاستأذن له ، فأدخله عليه . وقد كان هيّأ له شعراً ، فلمّا دخل عليه غيَّره وقال : [من البسيط]

إنا لنرجو إذا ما الغيثُ أَخْلفَنا من الخليفةِ ما نرجو من المطرِ
نال الخلافةَ إذ كانت له قَدَراً كما أتى ربَّه موسى على قَدَرِ
أَأذكر الجَهْدَ والبَلْوَى التي نزلتْ أم تَكْتفي بالذي بُلِّغْتَ من خَبَري
ما زِلْتُ بعدكَ في دارٍ تَعَرَّفُني قد طالَ بعدك إصعادي ومُنحدَري[2]
لا ينفَع الحاضرُ المجهودُ بادِيَنا ولا يجود لنا بادٍ على حَضَرِ
كم بالمواسمِ من شَعْثاءَ أَرْمَلةٍ ومن يَتيمٍ ضعيفِ الصوتِ والبصرِ
يدعوك دعوةَ ملهوفٍ كأنّ به خَبْلاً من الجِنّ أو مَسّاً من النُّشَرِ[3]
ممّن يَعُدُّك تَكْفي فَقْدَ والدِه كالفَرْخ في العُشِّ لم يَنْهَضْ ولم يَطِرِ[4]

قال : فبكى عمرُ ثم قال : يا ابنَ الخَطَفَى ، أَمِنْ أبناء المهاجرين أنت فنعرفَ لك حقَّهم ، أم من أبناء الأنصار فيَجِبَ لكَ ما يجبُ لهم ، أم من فقراء المسلمين فنأمَر صاحبَ صدقاتِ قومِك فيَصِلَكَ بمثل ما يَصِلُ به قومَك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، ما أنا بواحدٍ من هؤلاء ، وإنّي لَمن أكثِر قومي مالاً ، وأحسنِهم حالاً ، ولكنّي أسألك ما عَوَّدَتْنِيه الخلفاءُ : أربعةَ آلافِ درهم وما يَتْبعها من كُسْوةٍ وحُمْلانٍ . فقال له عمر : كلُّ امرىء يَلْقَى فعلَه ، وأمّا أنا فما أرى

1 أبلغ خليفتنا في الديوان : قل للخليفة إمّا 738/2 .
2 أصل معنى التعرّق أخذ ما على العظم من اللحم نهشاً بالأسنان .
3 النشر : جمع نشرة وهي رقية يعالج بها المجنون والمريض .
4 ينهض في الديوان : يدرج 415/1 .

لك في مال حقّاً ، ولكن انتظرْ ، يَخْرُجُ عَطائي ، فأَنظُرُ ما يَكْفي عيالي سنةً منه فأَدَّخِرُه لهم ، ثم إن فضَل فَضْلٌ صرَفناه إليك . فقال جرير : لا ، بل يوفِّر أميرُ المؤمنين ويُحمَد وأخرُج راضياً ؛ قال : فذلك أحبُّ إليّ ؛ فخرج . فلمّا ولّى قال عمر : إنّ شَرّ هذا ليُتَّقى ، رُدّوه إليّ ، فردّوه . فقال : إنّ عندي أربعين ديناراً وخِلْعتين إذا غُسِلتْ إحداهما لبِستُ الأُخرى ، وأنا مُقاسِمُك ذلك ، على أنّ الله جَلّ وعزّ يعلم أنّ عمر أَحْوجُ إلى ذلك منك . فقال له : قد وَفّرك الله يا أمير المؤمنين وأنا واللهِ راضٍ . قال : أمّا وقد حلَفْتَ فإن ما وَفَّرْتَه عليّ ولم تضيِّق به معيشتَنا آثرُ في نفسي من المدح ، فامْضِ مُصاحَبا ؛ فخرج . فقال له أصحابه وفيهم الفرزدقُ : ما صَنع بك أميرُ المؤمنين يا أبا حَزْرةَ ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرِّب الفقراءَ ويُباعِدُ الشعراء وأنا مع ذلك عنه راضٍ ؛ ثم وضع رِجْلَه في غَرْزِ راحلتِه وأتى قومَه . فقالوا له : ما صنع بك أميرُ المؤمنين أبا حَزْرة ؟ فقال : [من الطويل]

تركتُ لكم بالشام حَبْلَ جماعةٍ أَمِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ العَقْدِ باقيا
وجدتُ رُقى الشيطانِ لا تستفِزُّه وقد كان شيطاني من الجِنّ راقيا

هذه رواية عمر بن شَبّة . وأمّا اليَزيديّ فإنّه قال في خبره : فقال له جريرٌ يا أميرَ المؤمنين ، فإنّي ابنُ سَبيل . قال : لك ما لأبناء السبيل ، زادُكَ ونفعةٌ تبلِّغكَ وتُبَدَّل راحلتُك إن لم تحملْك . فألَحَّ عليه ؛ فقالت له بنو أُميّة : يا أبا حَزْرَة ، مَهْلاً عن أمير المؤمنين ، ونحن نُرْضِيكَ من أموالنا عنه ، فخرج . وجَمعتْ له بنو أُميّة مالاً عظيماً ؛ فما خرج من عند خليفةٍ بأكثَر ممّا خرج من عند عمر .

[رؤيا أمّه وهي حامل به]

أخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عُبيدة قال : رأَتْ أُمُّ جَريرٍ وهي حاملٌ به كأنّها ولدتْ حَبْلاً من شَعَرٍ أسود ، فلمّا سقَط منها جعَل يَنْزُو فيقع في عُنُقِ هذا فيخنُقه حتى فعل ذلك برجالٍ كثيرٍ ، فانتبهتْ فَزِعةً فأوّلتِ الرُّؤيا فقيل لها : تَلِدينَ غلاماً شاعراً ذا شَرٍّ وشدّةٍ شَكيمة وبلاءٍ على الناس . فلمّا ولدتْه سمّتْه جَريراً باسم الحبل الذي رأت أنّه خرج منها . قال : والجرير : الحبل .

[قال إنّه أشعر الناس لأنّه فاخر بأبيه وهو دنيء]

قال إسحاق وقال الأصمعيّ حدّثني بِلال بن جرير ، أو حُدِّثتُ عنه : أنّ رجلاً قال لجرير : مَن أشعرُ الناس ؟ قال له : قُمْ حتى أعرِّفكَ الجواب ؛ فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطيّةَ وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها وجعل يَمَصُّ ضَرْعَها ، فصاح به : اخرجْ يا أَبَتِ ؛ فخرج شيخٌ دَمِيمٌ رَثُّ الهيئة وقد سال لبنُ العَنز على لِحْيته ؛ فقال : ألا ترى هذا ؟ قال نعم . قال : أوَ

تعرفُه ؟ قال لا . قال : هذا أبي ، أفتَدْري لِمَ كان يشرب من ضَرْع العَنْز ؟ قلت لا . قال : مَخافةَ أن يُسمع صوتُ الحَلْب فيُطلبَ منه لبن . ثم قال : أشعرُ الناس مَنْ فاخَر بمثلِ هذا الأَبِ ثمانينَ شاعراً وقارَعهم به فغلبَهم جميعاً .

[إخوته]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عبد الله بن محمَّد بن موسى مولى بني هاشم قال حدَّثني عُمارة بن عُقَيل عن المُغِيرة بن حَجْناءَ عن أبيه قال : وُلد جريرٌ لسبعةِ أشهر ؛ فكان الفرزدقُ يعيِّره ذلك ، وفيه يقول : [من الطويل]

وأنــت ابنُ صُغْرى لم تَتمَّ شهورُها

قال وولَد عطيّةُ جريراً ، وأُمّه أُمُّ قَيْس بنتُ مُعيد من بني كُلَيب ، وعَمْراً وأبا الوَرْد . فأمّا أبو الورد فكان يحسُد جريراً ؛ فذهبتْ لجرير إبلٌ فشَمِتَ به أبو الورد فقال له جريرٌ : [من الطويل]

أبا الورْدِ أبْقَى اللهُ منهــا بَقِيَّةً كَفَتْ كلَّ لَوّامٍ خَذولٍ وحاسِدِ

وأمّا عمرٌو فكان أكبَر من جرير ، وكان يُقارِضُه الشعر . فقال له جريرٌ : [من الوافر]

وعمرو قد كرِهتُ عتابَ عمرٍو وقــد كثُر المَعاتِبُ والذُّنوبُ
وقد صَدّعتُ صخرةَ مَنْ رماكم وقد يُرْمَى بيَ الحجرُ الصَّليبُ
وقــد قطَع الحديدَ فلا تُمارُوا فِرِنْــدٌ لا يُفَــلّ ولا يَـذُوبُ

[شعر قاله ليزيد بن معاوية يعاتب به أباه]

قال : وأوّل شعر قاله جرير في زمن معاوية ، قاله لابنه : [من الطويل]

فــرُدِّي جِمالَ البَينِ ثم تَحَمَّلي فَما لكِ فيهــم من مُقامٍ ولا لِيا
لقد قــادَني الجِيرانُ يوماً وقُدْتُهم وفارقتُ حتّى ما تَصُبُّ جِمَاليا[1]
وإنّــي لمغــرورٌ أُعلَّــلُ بالمُنَــى ليــالِيَ أرجــو أن مالــكَ ماليا
بــأيّ سِنانٍ تَطْعُــنُ القَــرْمَ بعدَما نَزَعْتَ سِنانــاً مــن قَناتِك ماضيا
بأيّ نِجادٍ تحمِــل السيفَ بعدَما قطعتَ القُوَى من مِحْمَلٍ كان باقيا

قال : وكان يزيد بن معاوية عاتَب أباه بهذه الأبيات ونسَبها إلى نفسه ؛ لأنّ جريراً لم يكن شعرُه شُهر حينئذٍ ؛ فقدم جرير على يزيد في خلافته فاستُؤْذِن له مع الشعراء ، فأمَر يزيدُ ألاّ يدخلَ

1 يقال : صبّ في الوادي إذا انحدر .

عليه شاعر إلاّ مَن عَرَف شعرَه ؛ فقال جرير : قولوا له : أنا القائل : [من الطويل]

فـرُدِّي جِمالَ الحـيِّ ثـم تَحَمَّلي فما لكِ فيهـم من مُقامٍ ولا لِيا

فأمر بإدخاله . فلمّا أنْشده قال يَزيد : لقد فارق أبي الدنيا وما يحسب إلاّ أنّي قائلها ، وأمَر له بجائزة وكُسْوة .

[استعار من أبيه فحلاً ولمّا استردّه منه عرّض به]

أخبرني أبو الحسن الأَسَدِيّ قال حدَّثنا محمَّد بن صالح بن النطّاح قال قال أبو عُبيدة قال أبو عمرو : استعار جرير من أبيه فحلاً يُطْرِقه في إبِله ، فلمّا استغنى عنه جاءه أبوه في بَتٍّ[1] خَلَقٍ يَستردُّه ؛ فدفَعَه إليه وقال : يا أبتِ ، هذا «تُرَدّ إلى عطيّةَ تُعْتَلُ» . يعرِّض بقول الفرزدق فيه : [من الكامل]

ليسَ الكـرامُ بناحِلِيكَ أباهمُ حتى تُـرَدَّ إلى عَطِيّـةَ تُعْتَلُ[2]

[اتّعاظه بجنازة مرّت عليه]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ وعمر بن شَبّة قالا حدَّثنا الأَصمعيّ قال أخبرنا أبو عَمْرو بن العلاء قال : جلس جرير يُملي على رجل قوله : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامةَ حـانَ منكَ رحيلُ إنّ الوَداعَ لَمن تحـبّ قليـلُ[3]

فمرّوا عليه بجنازة ؛ فقطع الإنشادَ وجعل يَبْكي ، ثم قال : شيّبْتني هذه الجنازة . قال أبو عمرو : فقلت له : فَعَلامَ تَقْذِف المُحْصَناتِ منذ كذا وكذا ؟ فقال : إنّهم يَبْدءونَني ثم لا أعْفو .

[قيل إنّه فضل لمقاومته الفرزدق]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا يزيد بن محمَّد المهلّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن المُعَذّل قال : كان أبي وجماعةٌ من علمائنا يقولون : إنّما فُضِّل جريرٌ لمقاومته الفرزدقَ ، وأفضل شعرٍ قاله جرير : [من البسيط]

حَـيِّ الهِدَمْلَـةَ مـن ذات المَواعِيسِ[4]

---

1 البتّ : كساء غليظ مهلهل مربّع أخضر ، قيل : هو من وبر وصوف .

2 تعتل : تساق قسراً .

3 لمن تحب في الديوان : إلى الحبيب 91/1 .

4 الهدملة : موضع بعينه . والمواعيس : موضع .

[هجا بني الهجيم لأنهم منعوه الإنشاد في مسجدهم]

أخبرني أبو خليفة قال حدّثنا محمّد بن سَلاّم قال حدّثنا أبو الغَرّاف قال : أتى الفرزدقُ مجلسَ بني الهُجيم[1] في مسجدهم فأنشدهم ؛ وبلغ ذلك جريراً فأتاهم من الغدِ ليُنْشِدَهم كما أنشدهم الفرزدق . فقال له شيخ منهم : يا هذا اتّقِ الله ! فإنّ هذا المسجد إنّما بُني لذكرِ الله والصلاة . فقال جرير : أقررتُم للفرزدق ومنعتموني ؟ وخرج مُغْضَباً وهو يقول : [من الكامل]

إنّ الهُجَيْـمَ قبيلـةٌ ملعونـةٌ حُصُّ اللِّحَى متشابهو الألوانِ[2]

هـم يتركون بَنِيهـمُ وبناتهم صُعْرَ الأُنوفِ لريح كلّ دُخَانِ[3]

لـو يَسمعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمانَ أصبح جَمْعُهم بعُمَانِ

قال : وخفّة اللِّحَى في بني هُجَيم ظاهرة . وقيل لرجل منهم : ما بالكم يا بني الهُجَيم حُصُّ اللحى ؟ قال : إنّ الفحل واحد .

[حديثه مع عبد الملك أو الوليد ابنه عن الشعراء وعن نفسه]

أخبرني محمّد بن عِمْرانَ الصَّيْرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنزيّ قال حدّثني محمّد بن عبد الله بن آدم قال سمعتُ عُمارةَ بن عُقَيل يحدّث عن أبيه عن جدّه قال : قال عبد الملك أو الوليد ابنه لجرير : مَنْ أشعر الناسِ ؟ قال فقال : ابنُ العِشْرين[4] . قال : فما رأيك في ابْنَيْ[5] أبي سُلْمَى ؟ قال : كان شعرهما نَيِّرا يا أمير المؤمنين . قال : فما تقول في امرىء القيس ؟ قال : اتّخذ[6] الخبيثُ الشعر نَعْلين ، وأُقسم بالله لو أدركته لرفعتُ ذَلاذِلَه[7] . قال : فما تقول في ذي الرُّمّة ؟ قال : قَدَر من ظريفِ الشعر وغريبه وحَسَنِه [على] ما لم يقدِر عليه أحد . قال : فما تقول في الأَخْطل ؟ قال : ما أخرج لسانُ ابنِ النَّصْرانيّة ما في صدره من الشعر حتى مات . قال : فما تقول في الفرزدق ؟ قال : في يده والله يا أمير المؤمنين نَبْعةٌ من الشعر قد قَبض عليها . قال : فما أراك أبقيتَ لنفسك شيئاً ! قال : بلى واللهِ يا أمير المؤمنين ! إنّي لَمدينة الشعر التي منها يخرج وإليها يعود ،

---

1 بنو الهجيم : بطنان من العرب .

2 ملعونة في الديوان : مخسوسة 439/1 . حص : جمع أحصى وأحصى اللحية : قليل شعرها . وفي الديوان : ثط 91/1 .

3 هم يتركون في الديوان : متورّكين 439/1 .

4 ابن العشرين : يعني طرفة بن العبد .

5 يعني زهيراً وابنه كعباً .

6 في ل : جعل امرؤ القيس .

7 ذلاذل القميص : ما يلي الأرض من أسافله .

نسبتُ فأطربتُ ، وهجوتُ فأرديتُ ، ومدحتُ فسنَّيت[1] ، وأَرْملتُ فأغْزرت ، ورجَزتُ فأبْحرت ؛ فأنا قلت ضروبَ الشعر كلَّها ، وكلٌّ واحد منهم قال نوعاً منها . قال : صدقتَ .

[طلبت جارية له أن يبيعها فعيره الفرزدق ذلك]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ قال : كانت لجرير أَمَةٌ وكان بها معجَباً ، فاستخفَّتِ المَطْعَم والمَلْبس والغِشْيانَ واستقلَّتْ ما عنده ، وكانت قبله عند قوم يقال لهم بنو زيد ، أهلُ خِصْب ونَعْمة ، فسامتْه أن يبيعها وألَحَّتْ[2] في ذلك ؛ فقال فيها : [من الوافر]

تكلِّفُنـــي معيشةَ آلِ زيـــدٍ ومَـنْ لي بالمُرَقَّـقِ والصِّنابِ[3]
تقـول ألا تَضُمّ كضَمِّ زيـدٍ وما ضَمِّي وليس معي شَبابِي

فقال الفرزدق يعيِّره ذلك : [من الوافر]

فإن تُفْقِـرْك عِلْجةُ آلِ زيـدٍ ويُعْجِزْك المرقّـقُ والصِّنابُ[4]
فقِدْمـاً كان عيشُ أبيك مُـرّاً يَعيشُ بما تعيشُ بـه الكلابُ

[قصّته مع ذي الرمّة عند المهاجر بن عبد الله]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا العبّاس بن مَيْمون قال حدَّثنا التَّوَّزِيّ عن أبي عُبيدة عن أيُّوب بن كُسَيب قال : دخل جرير على المهاجِر بن عبد الله وهو والي اليَمامة وعنده ذو الرُّمَّة يُنْشِده . فقال المهاجِر بن عبد الله لجرير : كيف تَرى ؟ قال : لقد قال وما أنْعم . فغضب ذو الرُّمَّة ونَهض وهو يقول : [من الرجز]

أنا أبـو الحارثِ واسْمي غَيْلانْ

فنَهض جرير وقال : [من الرجز]

إنّي امـرؤٌ خُلِقتُ شَكْساً أشْوَسا إن تَضْرِساني تَضْرِسا مُضَرَّسا[5]

---

1 سنّى الشيء : سهّله وفتحه .
2 في ل : ولجت .
3 المرقّق : الأرغفة الواسعة الرقيقة . وفي الديوان بالصلائق 812/2 . والصناب : أدم يتّخذ من الخردل والزبيب .
4 ويعجزك في ل : ويعوزك .
5 الشكس : الصعب الخلق : والأشوس : الجريء القتال الشديد والمتكبّر . وضرسه : عضّه وعجمه ليختبره . وثمّة اختلاف بين في رواية هذا الرجز في الديوان 564/2 .

قــد لبِس الدَّهــرَ وأَبْقى مَلْبَسا من شاء من نــارِ الجحيم اقتبَسا

قال : فجَلس ذو الرُّمَّة وحاد عنه فلم يُجِبْه .

أخبرني أبو الحَسَن الأَسَدِيّ قال حدَّثنا ابن النَّطَّاح عن أبي عُبَيدة قال : كان ذو الرُّمَّة ممّن أعان على جرير ولم يُصْحِرْ[1] له ؛ فقال جرير فيه : [من الوافر]

أَقولُ نَصاحةً لبَنِــي عَدِيٍّ ثيابَكُــمُ ونَضْحَ دمِ القَتِيلِ

وهي قصيدة . قال : وكانوا يتعاونون عليه ولا يُصْحِرُون له .

[حديثه مع ذي الرمّة وهشام المرئيّ]

أخبرنا أبو خليفةَ الفَضْلِ بن الحُباب قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو الغَرّاف قال : قال الفرزدق لذي الرُّمَّة : أَلْهاكَ البكاءُ في الديار وهذا العبد يَرْجُز بك (يَعْني هشاماً المَرَئِيَّ) بمَقْبرةِ بَني حِصْن . قال : وكان السبب في الهجاء بين ذي الرّمة وهشام أن ذا الرمّة نزل بقرية لبني امرىء القيس يقال لها : مَرْأَة[2] ، فلم يَقْرُوه ولم يَعْلِفُوا له ، فارتحل وهو يقول : [من الطويل]

نزلنا وقــد طــال النهارُ وأَوْقدتْ علينــا حَصَى المِعْزاءِ شمسٌ تَنالُها

أَنَخْنــا فظَلَّلْنــا بأَبْــرادِ يُمْنَــةٍ رِقــاقٍ وأَسيافٍ قديــمٍ صِقالُها[3]

فلمّــا رآنــا أَهــلُ مَــرْأَةَ أَغْلَقُوا مَخــادِعَ لم تُرْفَــع لخيرٍ ظِلالُها

وقد سُمِّيتْ باسم امرىء القَيْس قَرْيةٌ كِرامٌ صَوادِيهــا لئــامٌ رجالُها[4]

يَظَــلُّ الكِــرامُ المُرْمِلُونَ بجَوّها سواءٌ عليهــم حَمْلُهــا وحِيالُها[5]

ولو وُضِعتْ أَكوارُها عند بَيْهَسٍ على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّسْ رِحالُها

فقال جرير لهشام ، وكان يتَّهم ذا الرُّمّة بهجائه التَّيْمَ وهم إخوة عَدِيّ : عليك العبدَ (يعني ذا الرمّة) . قال : فما أَصنع يا أَبا حَزْرة وهو يقول القَصيدَ وأَنا أَقول الرَّجَزْ ، والرجز لا يقوم للقصيد ؟ فلو رَفَدْتَني ! قال : قل له : [من الطويل]

عَجِبتَ لِرَحْلٍ من عَدِيٍّ مُشَمَّسٍ وفي أَيّ يــومٍ لم تُشَمَّسْ رحالُها[6]

---

1 لم يصحر له : لم يبرز له ، من قولهم : أصحر الرجل إذا برز إلى الصحراء .

2 مرأة : قرية بني امرىء القيس بن زيد مناة بن تميم وهي باليمامة .

3 اليمنة : ضرب من برود اليمن .

4 الصّوادي : النخل التي لا تُسقى وإنّما تشرب بعروقها ، الواحدة صادية .

5 أرملَ القوم : فني زادهم .

6 في الديوان اختلاف بيّن 1034/2 .

وفِيمَ عَدِيٌّ عنـد تَيْم مـن العُلاَ وأَيّامِنـا اللاّتـي يُعَـدّ فَعالُها
مدَدْتَ بكفٍّ من عـديٍّ قصيرةٍ لِتُدْرِكَ مـن زيد يـداً لا تنالُها
وضَبّةُ عَمِّي يا ابنَ جَلٍّ فلا تَرُمْ مساعيَ قومٍ ليس منك سِجالُها[1]
يُماشي عَدِيّـاً لؤمُهـا مـا تُجِنُّه من الناس ما ماشَتْ عَدِيّاً ظِلالُها
فقـل لعَـدِيٍّ تَستعِـنْ بنسائهـا عليَّ فقـد أَعْيَـا عَدِيّـاً رجالُها
إذا الرُّمِّ قـد قَلَّدتُ قومَك رُمَّةً بطيئاً بأيـدي المُطلِقـين انحلالُها
تَرَى اللُّؤم ما عاشتْ عديٌّ مُخلَّداً سَرابيلُهـا منـه ومنـه نِعالُها

قال : فلَجَّ الهجاءُ بين ذي الرمّة وهشام . فلما أَنْشد المَرَئِيُّ هذه الأَبيات وسمعها ذو الرّمّة قال : كذبَ العَبدُ السَّوْءِ ؛ ليس هذا الكلام له ، هذا كلامٌ نَجْدِيٌّ حَنْظَلِيّ ، هذا كلام ابنِ الأَتان[2] . قال : ولم يزل ذو الرمّة مستعلياً على هشام حتى لقيه جرير فرفَده هذه الأَبياتَ .

أَخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن أَبي عدْنانَ قال حدَّثني أَبو صَخْر من ولد حَجْناءَ بنِ نُوح بن جرير قال : سمعت أَبي يحدّث عن أَبيه قال : أَتى هشامُ بن قيس المَرَئِيّ أَبي (يعني جريراً) فاسترفَده على ذي الرمّة ، وقد كانا تهاجَيا دهراً ، وكان سبب ذلك أَنّ ذا الرُّمّة نزل على أَهل قرية لبني امرىء القيس فلم يُدْخِلوا رحله ، فذمَّهم في القِرَى ، ومدح بَيْهَساً صاحبَ ذات غِسْل ، وهو مَرَئِيّ . وذات غِسْل : قرية لـه . فقال ذو الرُّمَّة : [من الطويل]

ولّـما وردْنا مَرْأَةَ اللُّؤمِ أُغلِقتْ دَساكِـرُ لم تُفْتَحْ لخيرٍ ظِلالُها
ولـو عُرِّيتْ أَصلابُها عند بَيْهَسٍ على ذاتِ غِسْلٍ لم تُشَمَّس رِحالُها[3]
إذا ما امرؤ القيس ابنُ لؤمٍ تَطَعَّمتْ بكأسِ الندامَـى خَبَّثَتْهـا سِبالُها

فقال جرير للمَرَئِيّ : قل له : [من الطويل]

غَضِبتَ لرَحْلٍ من عديٍّ مُشَمَّسٍ وفي أَيِّ يـومٍ لم تُشمَّس رحالُها

وذكر الأَبياتَ الماضية المذكورة في رواية أَبي خَليفة . قال : فلقي ذو الرُّمّة جريراً فقال له : تعصّبتَ للمَرَئِيّ وأَنا خالُك ! . قال : حين قلتُ ماذا ؟ قال : حين قلتَ له أَن يقولَ

1 هو جلّ بن عدي بن مضر رهط ذي الرمّة العدويّ .
2 ابن الأَتان : لقب كان ينبز به جرير .
3 الأَصلاب : جمع صلب وهو عظم من لدن الكاهل إلى العجب .

لي : [من الطويل]

عجبتَ لرَحْـلٍ مـن عَدِيٍّ مشمَّسٍ

فقال له جرير : لا ! بل أَلْهاك البكاءُ في دارمَيّة حتى أُبيحت مَحارمُك . قال : وكان قد بلغ جريراً مِيلُ ذي الرُّمّة عليه ، فجعل يعتذر إليه ويحلِف له . فقال له جرير : اذهب الآن فقُل للمَرَئيّ : [من الوافر]

يَعُـدّ الناسبـون إلى تَميـم بيـوتَ المجـدِ أربعـةً كِبارا
يَعُـدُّون الرِّبـابَ وآلَ سَعْدٍ وعَمْـراً ثـم حَنْظلـةَ الخِيارا
ويَهْلِـكُ بينهـا المَرَئيُّ لَـغْواً كما أَلغيتَ في الديَّـةِ الحُوَارا[1]

فقال ذو الرمّة قصيدتَه التي أَوّلها : [من الوافر]

نَبَتْ عينـاكَ عن طَلَلٍ بحُزْوَى عَفَتْهُ الرّيحُ وامتُنِـحَ القِطارا[2]

وأَلحقَ فيها هذه الأَبياتَ . فلمّا أَنشدها وسمعها المَرَئيّ جعل يلطِم رأسَه ووجهه ويدعو بوَيْلِه وحَرَبِه ويقول : ما لي ولجَرير ؟ فقيل له : وأَين جريرٌ منك ؟ هذا رجل يُهاجِيك وتُهاجِيه ؛ فقال : هيهاتَ ؛ لا واللهِ ما يُحْسِن ذو الرُّمّة أَن يقول : [من الوافر]

ويذهَب بينهـا المَرَئـيُّ لَـغْواً كما أَلغيـتَ في الدِّيَّـة الحُـوارا

هـذا والله كلام جريـر ما تعدّاه قطّ . قال : ومرَّ الفرزدق بذي الرُّمّة وهو يُنشد هذه القصيدة ؛ فلمّا أَنْشد الأَبياتَ الثلاثة فيها قال له الفرزدق : أَعِدْ يا غَيْلان ، فأَعاد ؛ فقال له : أَأَنت تقول هذا ؟ قال : نعم يا أَبا فِراس . قال : كذَب فُوكَ ! والله لقد نَحَلَكَها أَشدُّ لَحْيَيْنِ منك ، هذا شعر ابن الأَتان . قال : وجاء المَرَئيُّون إلى جرير فقالوا : يا أَبا حَزْرة ، قد استعلى علينا ذو الرمّة ، فأَعنّا على عادتك الجميلة . فقال : هيهات ؛ قد والله ظلمتُ خالي لكم مرّةً وجاءني فاعتذر وحلَف ، وما كنتُ لأُعِينكم عليه بعدها . قال : ومات ذو الرُّمّة في تلك الأَيّام .

[أقرّ له نصيب بالسبق عليه وعلى جميل]

أَخبرني عمّي قال حدَّثني الكراني قال حدَّثني العُمَريّ عن لَقِيط قال حدَّثني أَبو بكر بن نَوْفَل قال حدَّثني مَن سأَل النُّصَيْبَ قال : قلت له : يا أَبا مِحْجَن ، بيتٌ قلتَه نازعك فيه جريرٌ وجميلٌ ، فأُحِبّ أَن تخبرني أَيُّكم فيه أَشعرُ ؟ قال : وما هو ؟ قلتُ قولُك : [من الطويل]

1 الحوار : ولد الناقة ، وقيل : هو الفصيل أوّل ما ينتج .
2 حزوى : موضع في ديار تميم .

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنّها أَكَبّ عليها جازِرٌ مُتَعَرِّقُ

وقال جميل : [من الطويل]

أَضَرَّ بها التهجيرُ حتى كأنّها بقايا سُلاَلٍ لم يَدَعْها سُلالُها[1]

وقال جرير : [من الوافر]

إذا بلغوا المنازلَ لم تُقَيَّدْ وفي طُول الكَلالِ لها قيودُ

فقال نُصَيْب : قاتل الله ابنَ الخَطَفَى ما أَشعرَه ! . قال . فقال له الرجل : أَمّا أَنتَ فقد فضلتَه ؛ فقال : هو ما أَقول لك .

[قال عنه ابن مناذر هو أشعر الناس]

أَخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني عبد الرحمن ابن القاسم العِجْليّ قال حدَّثني الحسن بن عليّ المِنْقَريّ قال قال مسعود بن بِشْر : قلت لابن مُناذِر بمكّة : مَنْ أَشعرُ الناس ؟ قال : من إذا شئت لَعِب ، وإذا شئتَ جَدّ ؛ فإذا لعب أطمعك لَعِبُه فيه ، وإذا رُمْتَه بَعُد عليك ؛ وإذا جدَّ فيما قصَد له أيأسَك من نفسه . قلتُ : مثلُ مَنْ ؟ قال : مثل جرير حين يقول إذا لَعِب : [من الكامل]

إنّ الذين غَدَوْا بلُبِّك غادروا وَشَلاً بعينكَ ما يزالُ مَعينا

ثم قال حين جَدّ : [من الكامل]

إنّ الذي حَرَم المكارِم تَغْلِباً جعل الخلافةَ والنبوّةَ فينا

مُضَرٌ أَبي وأَبو الملوكِ فهل لكم يا آلَ تَغْلِبَ من أَبٍ كأَبينا[2]

هذا ابنُ عمِّي في دِمَشْقَ خليفةً لو شئتُ ساقكُم إليَّ قَطينا[3]

[اعترض عليه عبد الملك بن مروان في هذا الشعر]

أَخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثني الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأَصمعيّ عن أَبي عمرو قال : لمّا بلغ عبدَ الملك قولُ جرير : [من الكامل]

هذا ابن عمِّي في دمشق خليفةً لو شئتُ ساقكُم إليّ قَطينا

قال : ما زاد ابنُ المراغة على أن جعلني شُرْطيّاً ! أَما لَوْ أنّه قال :

لو شاء ساقكم إليّ قطينا

لسقتُهم إليه كما قال .

---

1 السلال : مثل السل ، وهو داء معروف .

2 يا آل في ل : خزر . وفي الديوان 388/1 .

3 القطين : الخدم والحشم .

[فضّله بشّار على الأخطل وعلى الفرزدق]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال : سألت بَشّاراً العُقَيْليّ عن الثلاثة فقال : لم يكن الأخطلُ مثلَهما ، ولكنّ رَبيعةَ تعصّبتْ له وأفرطتْ فيه . قلت : فجريرٌ والفرزدقُ ؟ قال : كان جريرٌ يُحْسِن ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق ، وفضَّل جريراً عليه .

[مقارنة بينه وبين الأخطل والفرزدق]

وقال ابن سَلاّم : قال العَلاء بن جَرير ، وكان قد أدرك الناسَ وسمع : كان يقال : الأخطلُ إذا لم يَجِيءْ سابقاً فهو سُكَّيْت ، والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً فهو بمنزلة المصلِّي أبداً ، وجرير يجيء سابقاً ومصلِّياً وسُكَّيتاً . قال ابن سَلاّم : وتأويل قوله : إنّ للأخْطل خمساً أو ستّاً أو سبعاً طِوالاً روائعَ غُرَراً جِياداً هو بهنّ سابق ، وسائرُ شعره دون أشعارهما ، فهو فيما بقي بمنزلة السُّكَّيت ، والسكَّيت : آخر الخيل في الرِّهان ، والفرزدق دونه في هذه الروائع وفوقَه في بقيّة شعره ، فهو كالمصلِّي أبداً ؛ وهو الذي يجيء بعد السابق وقبل السكّيت . وجرير له روائعُ هو بهنّ سابق ، وأوساطٌ هو بهنّ مصلٍّ ، وسَفسَافاتٌ هو بهنّ سُكَّيت .

[مناقضة بينه وبين الفرزدق]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني حاجِب بن زيد بن شَيْبان بن عَلْقَمة بن زُرارة قال : قال جرير بالكوفة : [من الطويل]

لقد قادَني من حُبِّ ماوِيَّةَ الهَوَى ... وما كنتُ تَلْقانِي الجَنِيبةُ أَقْوَدا[1]

أُحِبُّ ثَرى نَجْدٍ وبالغَوْرِ حاجةٌ ... فغارَ الهَوى يا عبدَ قَيْسٍ وأَنْجَدا

أقول له يا عبدَ قَيْسٍ صَبابةً ... بأيٍّ تَرى مستوقِد النارِ أَوْقدا

فقال أَرى ناراً يُشَبُّ وُقُودها ... بحيثُ استفاض الجِزع شِيحاً وغَرْقَدا[2]

فأعجبتِ الناسَ وتناشدوها . قال : فحدّثني جابر بن جَنْدل قال : فقال لنا جريرٌ : أعجبتْكم هذه الأبياتُ ؟ قالوا : نعم . قال : كأنّكم بابنِ القَيْن[3] وقد قال : [من الطويل]

أَعِدْ نَظَراً يا عبدَ قَيْسٍ لعلَّما ... أَضاءتْ لكَ النارُ الحِمارَ المقيَّدا[4]

قال : فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق هذا البيتَ وبعده : [من الطويل]

---

1 في الديوان اختلاف 848/2 . والجنيبة : التي تجنب معه . والأقود : المنقاد المطيع .

2 الغرقد : كبار العوسج .

3 ابن القين : لقب كان ينبز به الفرزدق .

4 لعلّما في ل : فإنّما .

حمـــارٌ بمَرُّوتِ السُّحامَةِ قاربتْ وَظِيفيْه حَوْلَ البيتِ حتى تَردَّدا[1]
كُلَيْبِيَّـــة لم يجعـــلَ اللهُ وجهَهـــا كريماً ولم يَسْنَحْ بها الطيرُ أَسْعُدا

قال : فتناشدها الناسُ . فقال الفرزدق : كأنّكم بابنِ المَراغةِ قد قال : [من الطويل]

وما عِبْتَ مـــن نارٍ أَضاء وُقُودُها فِراساً وبِسْطامَ بـــنَ قَيْسٍ مقيَّدا[2]

قال فإذا بالبيت قد جاء لجريرٍ ومعه : [من الطويل]

وأَوْقـــدتَ بـــالسيِّدّانِ ناراً ذَليلةً وأُشْهِدْتَ من سَوْءاتِ جِعْثِنَ مَشْهَدا[3]

[جرير والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

أخبرني محمَّد بن عِمْران الصَّيْرَفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنزيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن آدَم بن جُشَم عن عمارة بن عُقَيل عن أبيه قال : وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأخطلُ داخلٌ عنده ، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَرَ أحدٌ منهما صاحبَه ، فلمّا استاذنوا عليه لجرير أُذِن له فدخل فسلَّم ثم جلس وقد عرفه الأخطل ، فطمَح طَرْفُ جريرٍ إلى الأخطل وقد رآه ينظر إليه نظراً شديداً فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومَك وتهضَّمتُ قومَك . فقال له جرير : ذلك أشْقى لك كائناً من كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك بن مروان فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ جعلني الله فداءَك ؛ فضحك ثم قال : هذا الأخطلُ يا أبا حَزْرة . فردَّ عليه بصرَه ثم قال : فلا حَيّاك الله يا ابنَ النصرانيّة ! أمّا منعُك نومي فلو نمتُ عنك لكان خيراً لك . وأمّا تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممّن ضُربتْ عليه الذِّلّة وباء بغضبٍ من الله وأدّى الجزيةَ عن يدٍ وهو صاغِرٌ . وكيف تتهضَّم لا أُمّ لكَ قوماً فيهم النبوّة والخلافةُ وأنت لهم عبدٌ مأمور ومحكومٌ عليه لا حاكم . ثم أقبل على عبد الملك فقال : ائذنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ابنِ النَّصْرانيّة ؛ فقال : لا يجوز أن يكونَ ذلك بحَضْرتي .

[تحاكم هو وبنو حمان إلى إبراهيم بن عدي في بئر فحكم له]

أخبرني أبو خليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال : نازَع جريرٌ بَنِي حِمَّانَ[4] في رَكِيَّةٍ لهم ؛ فصاروا إلى إبراهيم بن عربي باليَمامة يتحاكمون إليه ؛

1 المروت : موضع لبني حمان بن عبد العزى بن كعب بن سعد . والسحامة : ماءة لبني كليب باليمامة . والقينان : الوظيفان أو موضع القيد منهما .

2 يريد فراس بن عبد الله بن عامر بن سلمة بن قشير وكان أسيراً مع بسطام بن قيس بن مسعود .

3 السيدان : موضع . وأشهدت في الديوان : وعُرّفت 851/2 .

4 بنو حمان : حي من تميم أحد حي بني سعد بن زيد مناة .

فقال جرير[1] : [من الرجز]

أَعُـوذ بـالأَمير غيرِ الجَبّـارْ مـن ظُلْمِ حِمَّان وتحويـلِ الدارْ
مـا كان قبلَ حَفْرِنا من مِحْفارْ وضَرْبِـيَ المِنْقـار بعـد المِنْقارْ[2]
في جَبَـلٍ أَصـمَّ غيرِ خَـوَّارْ يَصِيحُ بالجُبِّ صيـاحَ الصَّرَّارْ
لـه صَهيـلٌ كصَهيـلِ الأَمْهارْ فاسأل بني صَحْبٍ ورَهْطَ الجَرّارْ[3]
والسَّلَميّـينَ العِظـامَ الأَخْطارْ والجارُ قـد يُخبِر عن دار الجارْ[4]

فقال الحِمَّانيّ : [من الرجز]

ما لِكُلَيْبٍ منْ حِمىً ولا دارْ غيرُ مُقـام أُتُنٍ وأَعْيـارْ
قُعْسِ الظهورِ داميات الأَثْفارْ[5]

قال فقال جرير : فعن مُقامِهنّ ، جُعِلتُ فِدَاك ، أُجادِل . فقال ابن عربي للحِمّانيّ : قد أَقْررتَ لخَصْمك ؛ وحكم بها لجرير .

[نزل ببني مازن وبني هلال فمدحهم بعد أن هجاهم]

قال ابن سَلاّم وأَخبرني أَبو يحيى الضَّبِّيّ قال : بينا جريرٌ يسير على راحلته إذ هجَم على أَبياتٍ من مازِن وهِلال ، وهما بطنان من ضَبّة ، فخافهم ، لسوء أَثَرِه في ضَبّة ، فقال : [من الوافر]

فلا خوفٌ عليكِ ولن تُراعِي بعَقْوةِ مـازِنٍ وبنـي هِلالِ[6]
همـا الحَيّانِ إن فَزِعـا يَطِيرا إلى جُـرْدٍ كأَمثـال السَّعالي
أَمازِنُ يـا ابنَ كعبٍ إنّ قلبي لكم طـولَ الحيـاةِ لغيرُ قالي
غَطارِيفٌ يَبِيتُ الجـارُ فيهم قريـرَ العـينِ في أَهلٍ ومالِ

قال : أَجَلْ يا أَبا حَزْرة فلا خوف عليك .

---

1 في الديوان اختلاف بيّن في الأشطار 1/445-446 .
2 المنقار : حديدة يحفر بها .
3 بني صحب في ل : أبا عصم .
4 السلميون : أولاد سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .
5 القعس : جمع أقعس وقعساء . والقعس : خروج الصدر ودخول الظهر خلقة . والثفر لجميع ضروب السباع ولكلّ ذات مخلب : كالحياء للناقة .
6 العقوة : ساحة الدار .

[وفد على عبد الملك في دمشق فالتفّ الناس حوله في المسجد دون الفرزدق]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال قال شُعَيب بن صخر حدَّثني هارون بن إبراهيم قال : رأيت جريراً والفرزدقَ في مسجد دمشق وقد قَدِماها على الوليد بن عبد الملك والناسُ عُنُقٌ[1] واحد على جرير : [قيس وموالي بني أُميّة] يسلّمون عليه ويسألونه كيف كنت يا أبا حَزْرة في مَسيرك ، وكيف أهلُك وأسبابُك . وما يُطِيف بالفرزدق إلاّ نَفَرٌ من خِنْدِف جلوسٌ معه . قال شُعيبٌ : فقلت لهارون : ولِمَ ذلك ؟ قال : لمدحه قَيْساً وقولِه في العجم : [من الطويل]

فيجمعُنا والغُرَّ أولادَ سَارَةٍ أَبٌ لا نُبالي بعدَه مَن تعذَّرا

قال شُعيب : بلغني أنّه أُهْدِيتْ له يومئذٍ مائةُ حُلَّة ، أهداها إليه الموالي سوى غيرهم . وأخبرني بهذا الخبر أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم عن شُعيب بن صَخْر ، فذكر نحواً من حكاية أبي زيد ، إلاّ أنّها أتمُّ من حكاية ابن سَلاّم . وقال أبو خَليفة في خبره : سمعت عُمارة بن عُقَيل بن بِلال يقول : وافتْه في يومه ذلك مائةُ حُلّة من بني الأحرار[2] .

[رأى الأحوص في قباء فعرّض به لئلاّ يعين عليه]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني أحمد بن الهَيْثم الفِراسيّ قال : بينا جريرٌ بقُباءَ إذ طلع الأحوصُ وجريرٌ يُنْشِد قولَه : [من الكامل]

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ولَزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

فلمّا نظر إلى الأحوص قطع الشعرَ ورفع صوتَه يقول : [من الوافر]

عَوَى الشعراءُ بعضُهمُ لبعضٍ عليّ فقد أصابهمُ انتقامُ
إذا أرسلتُ قافيةً شَرُوداً رأوْا أُخرى تحرِّق فاستداموا[3]
فمُصْطَلَمُ المَسامعِ أو خَصِيٌّ وآخرُ عظمُ هامتِه حُطامُ[4]

ثم عاد من حيث قطَع . فلمّا فرَغ قيل له : ولِمَ قلتَ هذا ؟ قال : قد نهيتُ الأحوصَ أن يُعِين عليّ الفرزدقَ ، فأنا والله يا بني عمرو بنَ عَوْف ما تعوّذتُ من شاعر قطُّ ، ولولا حقُّكم ما تعوّذت منه .

1 العنق : الجماعة الكثيرة .
2 بنو الأحرار : أبناء الموالي من الفرس .
3 ثمّة اختلاف كبير في الديوان 1/280–281 .
4 الاصطلام : القطع .

[أوفده الحجّاج على عبد الملك مع ابنه محمّد وأوصاه به]

أخبرنا علي بن سليمان الأَخْفش قال حدَّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّريّ قال قال عُمارة بن عُقَيل حدَّثني أبي عن أبيه : أنّ الحَجّاج أوفد ابنَه محمّد بن الحجّاج إلى عبد الملك وأوفد إليه جريراً معه ووصّاه به وأمره بمسئلة عبد الملك في الاستماع منه ومعاونته عليه . فلمّا وردوا استأذن له محمَّد على عبد الملك ، فلم يأذَنْ له ، وكان لا يسمع من شعراء مُضَر ولا ياذنُ لهم ، لأنّهم كانوا زُبَيْرِيّةً . فلمّا استاذن له محمَّد على عبد الملك ولم ياذَن له أعلمه أنّ أباه الحجّاج يسأله في أمره ويقول : إنّه لم يكن ممَّن والَى[1] ابنَ الزُّبَير ولا نصَره بيده ولا لسانه ، وقال له محمَّد : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ العربَ تتحدّث أنّ عبدَك وسيفَك الحَجّاجَ شفَع في شاعر قد لاذ به وجعله وسيلَته ثم ردَدْتَه ؛ فأذِن له فدخل فاستأذن في الإنشاد ؛ فقال له : وما عساكَ أن تقولَ فينا بعد قولك في الحجّاج ! ألستَ القائلَ : [من الكامل]

من سَدَّ مُطَّلَعَ النِّفاقِ عليكـم أم من يَصُول كصوْلةِ الحجاجِ

إنّ الله لم ينصرني بالحجّاج وإنّما نصر دينه وخليفته . أولستَ القائل : [من الكامل]

أم مَنْ يَغارُ على النساء حَفِيظةً إذ لا يَثِقْـنَ بغَيْـرةِ الأزواجِ

يا عـاضَّ كذا وكذا مـن أُمّه ؛ والله لَهَمَمْتُ أن أُطِير بـك طَيْرةً بطيئاً سُقوطُها ، اخرُجْ عنّي ، فأُخْرِج بشَرٍّ . فلمّا كان بعدَ ثلاثٍ شفَع إليه محمَّدٌ لجريـر وقـال له : يا أميرَ المؤمنين ، إنّي أدَّيت رسالةَ عبدِك الحَجّاج وشفاعتَه في جرير ، فلمّا أذِنْتَ له خاطبتَه بما أطار لُبَّه منه وأشْمتَّ به عدوَّه ، ولو لم تأذن له لكان خيراً له ممّا سمع . فإن رأيتَ أن تَهَـب كلَّ ذنب له لعبدك الحجّاج وَلِي فافعـلْ ، فـأْذِن لـه . فاستأذنـه في الإنشاد ؛ فقـال : لا تُنشِدني إلاّ في الحجّـاج ، فإنّما أنت للحجّاج خاصّةً . فسأله أن يُنْشِدَه مديحَه فيه ، فأبى وأقسم ألاّ يُنْشِده إلاّ من قوله في الحجّاج ؛ فأنشده وخرج بغير جائزة . فلمّا أزِف الرَّحِيلُ قال جرير لمحمَّد : إن رحَلتُ عن أمير المؤمنين ولم يَسْمَع منّي ولم آخذ له جائزة سقطتُ آخرَ الدَّهر ، ولستُ بارحاً بابَه أو يأذنَ لي في الإنشاد . وأمسك عبد الملك عن الإذن له . فقال جرير : ارحَلْ أنت وأقيم أنـا . فدخل محمَّد على عبد الملك فأخبره بقول جرير واستأذنه له وسأله أن يسمعَ منه وقبَّل يدَه ورجلَه ، فأذِن له . فدخل فاستأذن في الإنشاد ، فأمسك عبد الملك . فقال له محمَّد : أنْشِدْ وَيحَك ؛ فأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الوافر]

---

1 في ل : ملأ .

أَلستُم خيرَ مَـنْ ركبَ المطايا وأَنْدَى العالَمينَ بطـــونَ راحِ

فتبسَّم عبد الملك وقال : كذلك نحن وما زِلْنا كذلك . ثم اعتمد على ابنِ الزُّبَير فقال : [من الوافر]

دعوتَ المُلْحِدِيـنَ أبـا خُبَيْب جِماحاً هل شُفِيتَ من الجِماحِ[1]
وقـد وجـدوا الخليفةَ هِبْرِزِيّاً أَلفَّ العِيصِ ليس من النَّواحي[2]
وما شجراتُ عِيصِكَ في قريش بعَشّاتِ الفُروع ولا ضَواحي[3]

قال : ثم أَنشده إيّاها حتى أَتى على ذكر زوجته فيها فقال : [من الوافر]

تَعَـزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثـم قالت رأَيتُ المُوردِيـن ذوي لِقاحِ
تُعَلِّـل وهـي ساغبـةٌ بَنِيها بأَنفـاسٍ مـن الشَّبِـمِ القَراحِ[4]

فقال عبد الملك : هل تُرْويها مائة لِقْحة ؟ فقال : إن لم يُرْوِها ذلك فلا أَرْواها الله ! فهل إليها ، جعلني الله فِداكَ يا أَمير المؤمنين ، من سبيل ؟ فأَمر له بمائة لِقْحة وثمانيةٍ من الرِّعاء . وكانت بين يديه جاماتٌ من ذهب ؛ فقال له جرير : يا أَميرَ المؤمنين ، تأمرُ لي بواحدة منهنّ تكون مِحْلَبا ؟ فضحك ونَدس[5] إليه واحدةً منهنّ بالقضيب وقال : خذها لا نفعتْك ؛ فأَخذها وقال : بَلى والله يا أَمير المؤمنين لَينفعنّي كلُّ ما منحْتَنِيه ، وخرج من عنده . قال : وقد ذكر ذلك جريرٌ في شعره فقال يمدح يزيدَ بنَ عبد الملك : [من الكامل]

أَعطَوْا هُنَيْـدةَ يَحْدُوها ثمانيةٌ ما في عطائهمُ مَنٌّ ولا سَرَفُ[6]

[هجا سراقة البارقي بأمر بشر بن مروان لأنّه فضّل الفرزدق عليه]

أَخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذُ أَبو غَسّانَ عن أَبي عُبيدة قال : بذل محمَّد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجِب بن زُرارة أَربعةَ آلافِ درهم وفرساً لَمن فضّل من الشعراء الفرزدقَ على جرير ، فلم يُقْدِم عليه أَحد منهم إلاسُراقة البارِقيّ فإنّه قال يفضّل الفرزدق : [من الكامل]

---

1 أبو خبيب : هو عبد الله بن الزُّبَير .
2 الهبرزيّ : الخالص . الألف : الملتفّ . العيص : الأصل ، وهو أيضاً الشجر .
3 العشّة : الشجرة الدقيقة القضبان اللئيمة المنبت . والضواحي : البادية العيدان لا ورق عليها .
4 الأنفاس : جمع نَفَس وهو جرعة الماء . والشبم : البارد .
5 الندس : في الأصل : الطعن الخفيف .
6 هنيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها .

أَبْلِغ تَمِيمـاً غثَّها وسَمِينَها والحكم يَقصِد مـرّةً ويَجُورُ
أَنّ الفرزدقَ بَـرّزَتْ أَعراقُـه سَبْقاً وخُلِّـف في الغُبار جَريرُ
ذهبَ الفرزدقُ بالفضائل والعُلا وابن المَراغـةِ مُخْلَفٌ محسورُ[1]
هـذا قضاءُ البارِقـيّ وإنّنـي بالمَيْـل في ميزانهـم لَبَصِيرُ

قال أبو عُبَيدة فحدَّثني أيّوب بن كُسَيب قال حدَّثني أبي قال : كنتُ مع جرير ، فأتاه رسول بِشْر بن مَرْوان فدفع إليه كتابَه ، وقال له : إنّه قد أمرني أن أوصلَه إليك ولا أَبْرَحَ حتى تُجيبَ عن الشعر في يومك إن لقيتُك نهاراً أو ليلتِك إن لقِيتُك ليلاً ، وأخْرج إليه كتابَ بشْر وقد نسَخ له القصيدة وأمره بأن يُجيب عنها . فأخذها ومكث ليلَته يجتهد أن يقول شيئاً فلا يمكنه ؛ فهتَف به صاحبُه من الجنّ من زاوية البيت فقال له : أزعمتَ أنّك تقول الشعر ؟ ما هو إلاّ أن غبتُ عنك ليلةً حتى لم تُحْسِن أن تقول شيئاً ! فهَلاّ قلتَ : [من الكامل]

يـا بِشْرُ حَقّ لوجهِك التبشيرُ هَـلاّ قضيتَ لنـا وأنت أميرُ[2]

فقال له جرير : حَسْبُك كُفِيتَك . قال : وسمع قائلاً يقول لآخر : قد أنار الصبحُ ؛ فقال جرير : [من الكامل]

يـا صاحبيَّ هـل الصباحُ مُنِيرُ أم هـل للـومِ عواذلي تَفْتِيرُ

إلى أن فرَغ منها . وفيها يقول :

قـد كان حَقُّكَ أن تقول لبارقٍ يـا آلَ بارِقَ فِيمَ سُبَّ جرِيرُ
يُعْطـى النساءُ مهورَهنّ كَرامةً ونساءُ بـارقَ مالهـنَّ مُهورُ[3]

فأخذها الرسول ومضى بها إلى بِشْر ، فقُرئتْ بالعراق وأُفْحِم سُراقةُ فلم ينطق بعدها بشيء من مُناقضتِه .

[مناقضته عمر بن لجأ وسبب ذلك]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثني محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبِّيّ قال : كان الذي هاج الهجاءَ بين جرير وعمرَ بنِ لَجَأ أنّ عمر كان يُنشِدُ أُرْجوزةً له يصف فيها إبلَه وجريرٌ حاضرٌ ، فقال فيها : [من الرجز]

1 بالفضائل في ل : بالقصائد .
2 قضيت في ل : غضبت .
3 ثمّة اختلاف بيّن في الديوان 367/1 .

قـد ورَدتْ قبل إنَا ضَحائِها تُفَرِّسُ الحَيّـاتِ في خِرْشائِها[1]

[جَـرّ العَجُـوزِ الثِّنْيَ من رِدائِها]

فقال له جرير : أَخْفقتَ . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول : [من الرجز]

جَـرّ العَرُوسِ الثِّنْـيَ مـن رِدائِهـا

فقال له التَّيميّ أنت أسوأ قولاً منّي حيث تقول : [من الطويل]

وأَوْثـقُ عند المُرْدَفاتِ عَشِيَّـةً لَحاقاً إذا ما جَرّد السيفَ لامِعُ

فجعلتهنّ مُرْدَفاتِ غُدْوةً ثم تَدارَكْتهنّ عَشيّةً . فقال : كيف أقول ؟ قال تقول : [من الطويل]

وأَوثَـقُ عند المُرْهَفاتِ عَشِيّةً

فقال جرير : والله لهذا البيتُ أحبُّ إليّ من بِكْرِي حَزْرَةَ ، ولكنّك مُجْلِبٌ للفرزدق . وقال فيه جرير : [من البسيط]

هَلاّ سِوانا ادَّرأْتم يـا بَني لَجَإٍ شيئاً يُقارَبُ أو وَحشاً لها غِرَرُ[2]

أحينَ كنتُ سِماماً يـا بَني لَجَإٍ وخاطرتْ بيَ عن أحسابها مُضَرُ !

خَلِّ الطريقَ لَمن يَبْنِـي المَنارَ به وابرُزْ ببَرْزَةَ حيث اضطرَّكَ القَدَرُ[3]

أنت ابنُ بَرْزةَ منسوباً إلى لجإٍ عند العُصارةِ والعيـدانُ تُعْتصَرُ[4]

ويروى : [من البسيط]

ألستَ نَزْوةَ خَـوّارٍ عـلى أَمَـةٍ عنـد العُصارةِ والعِيـدانُ تُعْتَصَرُ

فقال ابن لَجَأ يردّ عليه : [من البسيط]

لقـد كذَبْتَ وشَرُّ القولِ أَكْذَبُه ما خاطرتْ بكَ عن أحسابها مُضَرُ

بـل أنـتَ نَزْوةُ خَـوّارٍ على أَمَةٍ لا يَسبِقُ الحَلَباتِ اللـؤمُ والخَوَرُ

مـا قلتَ مِـن هذه إلاّ سأنقُضُها يا ابنَ الأُتـانِ بمثلي تُنْقَضُ المِرَرُ

وقال عمر بن لجأ : [من الطويل]

عجبتُ لما لاقتْ رِياحٌ من الأَذَى وما اقتَبَسُوا منّـي وللشرِّ قابِسُ[5]

---

1 الأنا : الوقت في الديوان : تقرّش 151 . والخرشاء : جلد الحيّة .

2 شيئاً في الديوان : أمراً 210/1 . ادرأتم : ختلتم . وغرر : غفلات ، واحدها غرّة .

3 برزة : أم عمر بن لجأ .

4 عند في الديوان : عبد 213/1 .

5 رياح : هو ابن يربوع وهو أحد أجداد جرير .

غِضاباً لكلبٍ من كُلَيْبٍ فَرَسْتُه هَـوَى ولشَدَّاتِ الأُسُودِ فَرائِسُ
إذا مـا ابنُ يَرْبُوعٍ أتاكَ لمأكَلٍ على مجلسٍ إن الأَكِيلَ مُجالِسُ[1]
فقـل لابنِ يَرْبوعٍ ألستَ براحضٍ سِبالَـكَ عنّـا إنّهـنّ نَجائِسُ
تُمَسِّحُ يَرْبـوعٌ سِبـالاً لئيمـةً بها من مَنـيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابِسُ

قال : ثم اجتمع جرير وابن لَجَإ بالمدينة وقد وردها الوليدُ بن عبد الملك ، وكان يتألّه[2] في نفسه ، فقال : أتَقْذِفان المُحْصَناتِ وتُغْضِبانهنّ ؟ ثم أمر أبا بكر محمَّد بن حَزْم الأنصاريّ ، وكان والياً له بالمدينة ، بضربهما فضربهما وأقامهما على البُلُسِ[3] مقرونيْن ، والتَّيْميُّ يومئذٍ أشَبُّ من جرير ، فجعل يَشُولُ[4] بجريرٍ وجريرٌ يقول وهو المَشُولُ به : [من الوافر]

فلستُ مُفارِقاً قَرَنـيَّ حتـى يَطُولَ تصعُّدي بكَ وانحداري

فقال ابن لَجَأ : [من الوافر]

ولّمـا أن قُرِنـتُ إلى جريـرٍ أبى ذو بَطْنـه إلاّ انحـدارا[5]

فقال له قُدامةُ بنُ إبراهيمَ الجُمَحِيّ : وبِئسَما قلتَ ! جعلتَ نفسَك المقرونَ إليه ! قال : فكيف أقول ؟ قال تقول : [من الوافر]

ولَمّا لُـزَّ في قَرَني جريرٌ

فقال : جُزيتَ خيراً ، لا أقوله والله أبداً إلاّ هكذا .

[هو والأخطل في حضرة عبد الملك بن مروان]

حدَّثني محمَّد بن عِمْرانَ الصَّيْرَفيّ قال حدَّثنا العَنزيّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله العَبْديّ قال حدَّثني عُمارة بن عُقَيل عن أبيه قال : وقف جريرٌ على باب عبد الملك بن مروان والأَخْطل داخلٌ عنده ، وقد كانا تَهاجَيا ولم يَلْقَ أحدُهما صاحبَه . فلمّا استأذنوا لجرير أذِن له فسلَّم وجلس ، وقد عرَفه الأَخطل ، فطمَح بصرُ جرير إليه فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا الذي منعتُ نومَك وهضَمتُ قومك . فقال له جريرٌ : ذاك أشْقى لك كائناً مَن كنتَ . ثم أقبل على عبد الملك فقال : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فضحِك وقال : هذا الأَخطلُ يا أبا حَزْرةَ . فرَدّ بصرَه إليه وقال :

1 في الديوان اختلاف بيّن ص 113 .
2 التألّه : المتنسّك .
3 البلس : غرائر كبار من مسوح يجعل فيها التبن ويشهر عليها من ينكل به وينادى عليه .
4 يشول به : يرتفع به .
5 ذو البطن : الرجيع .

فلا حَيّاك الله يا ابنَ النصرانية ؛ أمّا منعُك نومي فلو نِمْتُ عنك لكان خيراً لك . وأمّا تهضُّمُك قومي فكيف تَهَضَّمُهم وأنت ممّن ضُرِبتْ عليهم الذِّلّةُ والمَسْكنة وباءوا بغضب من الله ؛ إيذَنْ لي يا أميرَ المؤمنين في ابن النصرانيّة . فقال : لا يكون ذلك بين يديّ . فوثَب جريرٌ مُغْضَباً . فقال عبد الملك : قُم يا أخْطَل واتبَعْ صاحبَك ؛ فإنّما قام غضباً علينا فيك ؛ فنَهض الأخطلُ . فقال عبد الملك لخادم له : انظر ما يَصْنَعان إذا برَز له الأخطل . فخرج جرير فدعا بغلام له فقدّم إليه حِصاناً له أدْهَم فركبه وهدَر والفرسُ يهتزُّ من تحته ، وخرج الأخطل فلاذ بالباب وتوارَى خَلْفَه ، ولم يزل واقفاً حتى مضى جرير . فدخل الخادم إلى عبد الملك فأخبره ؛ فضحك وقال : قاتل الله جريراً ! ما أفْحله ! أمَا والله لو كان النصرانيّ برَزَ إليه لأكله .

[سئل عن نفسه وعن الفرزدق والأخطل فأجاب]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ عن أبي عمرو قال : سُئل جرير أيُّ الثلاثةِ أشعرُ ؟ فقال : أمّا الفرزدق فيتكلَّف منّي ما لا يُطِيقه ؛ وأمّا الأخطلُ فأشدُّنا اجتراءً وأرْمانا للغرض[1] ؛ وأمّا أنا فمدينةُ الشعر . وقد حدَّثني بهذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شَبَّة عن الأصمعيّ فذكر نحو ما ذكره الرِّياشيّ ، وقال في خبره : وأمّا الأخطل فأنْعتُنا للخمر وأمْدحُنا للملوك .

[فضّله أبو مهديّ على جميع الشعراء]

أخبرنا عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن عَطاء بن مُصْعَب قال : قلت لأبي مَهْدِيّ الباهليّ وكان من علماء العرب : أيّما أشعرُ أجريرٌ أم الفرزدقُ ؟ فغضب ثم قال : جريرٌ أشعرُ العربِ كلِّها ؛ ثم قال : لا يزالُ الشعراءُ موقوفين يومَ القيامة حتى يجيء جريرٌ فيحكمَ بينهم .

[لم يحفل بنو طهية بهجائه حتى هجاهم في قصيدة الراعي فجزعوا]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثني العبّاس بن مَيْمون قال سمعت أبا عثمان المازنيّ يقول : قال جرير : هجوتُ بني طُهيَّة أنواعَ الهجاء ، فلم يَحْفِلُوا بقولي حتى قلتُ في قصيدة الراعي : [من الوافر]

كأنّ بني طُهَيَّـةَ رهطَ سَلْمَى حجـارةُ خارىءٍ يَرمِي كلابا

فجزِعوا حينئذٍ ولاذُوا بي .

[كان عاقاً لأبيه وابنه عاق له]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز قال حدَّثنا المَدائنيّ قال :

---

1 في ل : للفرائض .

كان جرير من أَعَقِّ الناس بأبيه ، وكان بلالٌ ابنُه أَعقَّ الناسِ به . فراجع جريرٌ بلالاً الكلامَ يوماً ؛ فقال له بلال : الكاذبُ منِّي ومنكَ ناك أُمَّه . فأَقبلتْ أُمّه عليه وقالت له : يا عدوّ الله ! أتقول هذا لأبيك ؟ فقال جرير : دَعِيه ، فوالله لكأنّه سمِعها منِّي وأنا أقولها لأبي .

[هجا عمر بن يزيد لتعصّبه للفرزدق عليه]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم قال حدَّثنا العُمَريّ عن لَقِيط قال : كان عمر بن يزيد بن عُمَير الأَسَديّ يتعصَّب للفرزدق على جرير . فتزوّج امرأةً من بني عُدُس بن زيد بن عبد الله بن دارِم ؛ فقال جرير : [من الوافر]

نكحتَ إلى بني عُدُسِ بن زيدٍ فقد هَجَّنْتَ خيلَهمُ العِرابا
أَتَنْسَى يومَ مَسْكِنَ إذ تُنادِي وقد أخطأْتَ بالقَدَمِ الرِّكابا[1]

وهي قصيدة ، فاجتمعوا على عمر بنِ يزيد . ولم يزالوا به حتى خلَعوا المرأةَ منه .

[استشفع عنبسة بن سعيد إلى الحجّاج ثم أنشده فأجازه]

أخبرني محمَّد بن خَلَف قال حدَّثني محمَّد بن الهَيْثم قال حدَّثني عمِّي أبو فراس قال حدَّثني وَدْقَةُ بنُ معروف قال : نزل جريرٌ على عَنْبَسةَ[2] بن سَعِيد بواسِط ، ولم يكن أحدٌ يدخلها إلاّ بإذن الحَجّاج . فلمّا دخل على عَنْبَسةَ ، قال له : وَيْحَك ؛ لقد غَرَّرتَ بنفسك ؛ فما حَمَلك على ما فعلتَ ؟ قال : شعرٌ قلتُه اعتَلَجَ في صدري وجاشتْ به نفسي وأحببتُ أن يسمعه الأمير . قال : فعنَّفه وأدخله بيتاً في جانب داره وقال : لا تُطْلعنّ رأسَك حتى ننظرَ كيف تكونُ الحِيلة لك . قال : فأتاه رسول الحَجّاج من ساعته يدعوه في يوم قائظٍ ، وهو قاعدٌ في الخَضْراء[3] وقد صُبّ فيها ماء استنْقَع[4] في أسفلها وهو قاعد على سرير وكرسيٍّ موضوعٌ ناحيةً . قال عَنْبَسة : فقعدتُ على الكرسيّ ، وأقبل عليّ الحجّاج يحدِّثني . فلمّا رأيتُ تَطَلُّقَه وطِيبَ نفسِه قلتُ : أصلح الله الأميرَ ؛ رجل من شعراء العرب قال فيك شعراً أجاد فيه ، فاستخفّه عَجَبُه به حتى دعاه إلى أن رحَل إليك ودخل مدينتَك من غير أن يُسْتأذنَ له . قال : ومَن هو ؟ قلتُ : ابن الخَطَفَى . قال : وأين هو ؟ قلت : في المنزل . قال : يا غلام ؛ فأقبل الغِلْمانُ يتسارَعون . قال : صِفْ لهم موضعَه من دارك ؛ فوصفتُ لهم البيتَ الذي هو فيه ،

---

1 مسكن : موضع كانت به الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة 71هـ ، وفيها قتل مُصعب .

2 هو عنبسة بن سعيد بن العاص أحد أشراف بني أميّة ، حبسه عبد الملك بن مروان يوم قتل أخيه عمرو بن سعيد الأشدق .

3 المراد بها خضراء واسط ، وتعرف بالقبّة الخضراء ، بناها الحجّاج مع قصره والمسجد الجامع بهذه المدينة .

4 استنقع الماء : اجتمع .

فانطلقوا حتى جاؤوا به ، فأُدخل عليه وهو مأخوذٌ بِضَبْعَيهِ حتى رُمِي به في الخضراء ، فوقع على وجهه في الماء ثم قام يتنفّش كما يتنفّش الفَرْخ . فقال له : هِيه ؛ ما أقدمَك علينا بغير إذننا لا أمّ لك ؟ قال : اصلح الله الأمير ! قلت في الأمير شعراً لم يقل مثلَه أحدٌ ، فجاش به صدري وأحببتُ أن يسمعه منّي الأمير ، فأقبلت به إليه . قال : فتطلّق الحَجّاجُ وسكن ، واستنشده فأنشده . ثم قال : يا غلام ؛ فجاؤوا يسعَوْن . فقال : عليَّ بالجارية التي بعَث بها إلينا عاملُ اليَمامة ؛ فأُتي بجارية بيضاءَ مَدِيدةِ القامةِ . فقال : إنْ أصبتَ صفتَها فهي لك . فقال : ما اسمُها ؟ قال : أُمامَة ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

وَدِّعْ أُمامةَ حـانَ منك رحيلُ إنّ الوَداعَ لَمـن تُحِـبّ قليلُ
مثـلُ الكَثِيبِ تهيَّلتْ أعطافُه فـالريحُ تَجْبِـرُ مَتْنَـه وتَهِيلُ
تلكَ القلوبُ صواديًا تيَّمْتِها وأَرَى الشفاءَ ومـا إليه سبيلُ

فقال : خُذ بيدها . فبكت الجارية وانتَحَبَتْ . فقال : ادفعوها إليه بمتاعها وبغلها ورِحالها .

[أمره الحجّاج وأمر الفرزدق بأن يدخلا عليه بلباس آبائهما في الجاهلية]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو الغَرّاف قال : قال الحَجّاج لجرير والفرزدق وهو في قصره بحَزِيز[1] البصرة : ائتِياني في لباس آبائكما في الجاهليّة . فلبِس الفرزدقُ الدِّيباجَ والخَزَّ وقعد في قُبّة . وشاور جريرٌ دهاة بني يَرْبوع فقالوا له : ما لباسُ آبائنا إلاّ الحديد ؛ فلبس جرير دِرْعاً وتقلّد سيفاً وأخذ رُمْحاً وركِب فرساً لعَبّاد بن الحُصَين يقال له المِنْحازُ وأقبل في أربعين فارساً من بني يَرْبوع ، وجاء الفرزدقُ في هيئته ؛ فقال جرير : [من الطويل]

لَبِستُ سلاحي والفرزدقُ لُعْبَةٌ عليه وِشاحَا كُـرَّجٍ وجَلاجِلُهْ[2]
أَعِدُّوا مع الحَلْي المَلابَ فإنّما جريرٌ لكم بَعْلٌ وأنتـم حَلائِلُهْ

ثم رجعا ، فوقف جرير في مَقْبُرة بني حِصْن ووقف الفرزدق في المِربَد . قال : فأخبرني أبي عن محمَّد بن زِياد قال : كنتُ أختلف إلى جرير والفرزدق ، وكان جريرٌ يومئذٍ كأنّه أصغرُهما في عيني .

[هجا الفرزدق حين نوى أن ينال جائزة المهاجر فثناه عن ذلك]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثنا أبو اليَقْظان عن جُوَيْرِيَةَ بنِ أسماء

1 حزيز : موضع بالبصرة بين العقيق وأعلى المربد .
2 سلاحي في الديوان : أداتي 969/2 . الكرج : شيء يتّخذ بهيئة المهر يلعب عليه .

قال : قدِم الفرزدقُ اليمامةَ وعليها المهاجرُ بنُ عبد الله الكِلابيّ فقال : لو دخلتُ على هذا فأصبتُ منه شيئاً ولم يعلمْ بي جرير ؛ فلم تستقرَّ به الدارُ حتى قال جرير : [من الطويل]

رأيتُـك إذ لم يُغْنِـكَ اللهُ بالغِنَى رجعتَ إلى قيسٍ وخَـدُّك ضارِعُ
وما ذاك إن أعْطَى الفرزدقُ باسْتِه بـأوّل ثَغْـرٍ ضيّعَتْـه مُجاشِعُ

فلمّا بلغَ ذلك الفرزدقَ قال : لا جَرَمَ واللهِ لا أدخل عليه ولا أُرْزَؤُه شيئاً ولا أُقيم باليَمامة ، ثم رحَل .

[انتصار الفرزدق له على التيميّ ثم صلحه مع التيميّ]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال قال أبو البَيْداء : لقي الفرزدقُ عمر بن عطيّة أخا جرير ، وهو حينئذٍ يُهاجِي ابنَ لَجَأ ، فقال له : وَيْلَك ؛ قُل لأخيك : ثَكِلَتْك أُمُّك ! إيتِ التَّيْمِيَّ مِنْ عَلُ كما أُصنَع أنا بك . وكان الفرزدقُ قد أَنِفَ لجريرٍ وحَمِيَ من أن يتعلَّق به التيميُّ . قال ابن سَلاّم : فأنشدني له خَلَفٌ الأحمرُ يقوله للتَّيْمِيّ : [من الطويل]

ومـا أنت إن قَرْمـا تَميمٍ تَسامَيا أخا التَّيْمِ إلاّ كالوَشِيظةِ في العَظْمِ[1]
فلـو كنتَ مَـوْلى العِزّ أو في ظلالِه ظُلِمْتَ ولكن لا يَدَيْ لك بالظلمِ

فقال له التَّيميّ : [من الطويل]

كذَبْتَ أنا القَرْمُ الذي دَقّ مالكاً وأفْنـاءَ يَرْبُوعٍ ومـا أنتَ بالقَرمِ

قال ابن سَلاّم فحدَّثني أبو الغَرّاف : أنّ رجال تَمِيم مشتْ بين جريرٍ والتَّيْمِيّ وقالوا : والله ما شعراؤنا إلاّ بَلاءٌ علينا ينشُرون مساوينا ويَهْجُون أحياءَنا ومَوْتانا ؛ فلم يزالوا بهما حتى أصلحوا بينهما بالعهود والمواثيق المغلَّظة ألاّ يَعُودا في هجاء . فكَفّ التَّيْمِيّ ، وكان جريرٌ لا يزال يَسُلُّ الواحدةَ بعد الواحدة فيه ؛ فيقول التَّيْمِيّ : والله ما نَقَضْتُ هذه ولا سمعتُها ؛ فيقول جرير : هذه كانت قبل الصلح .

قال ابن سَلاّم فحدَّثني عثمان بن عثمان عن عبد الرحمن بن حَرْملةَ قال : لمّا وردَ علينا هجاءُ جرير والتَّيْميّ ، قال [لي] سَعيد بن المُسَيَّب تَرَوَّ شيئاً ممّا قالا ؛ فأتيتُه وقد استقبل القبلةَ يريد أن يكبِّر ، فقال لي : أرَوَيْتَ ؟ قلتُ نعم . فأقبل عليّ بوجهه فأنشدتُه للتَّيْميّ وهو يقول : هِيهِ هِيهِ ؛ ثم أنْشدتُه لجرير ، فقال : أكَلَه أكَلَه ! .

[لم يؤثر هجاؤه في التَّيْم للؤمهم]

قال ابن سَلاّم وحدَّثني الرازِيّ عن حَجْناء بنِ جرير قال : قلتُ لأبي : يا أبتِ ، ما

1 الوشيظة : قطعة عظم تكون زيادة في العظم الصميم .

هجوتَ قوماً قَطُّ إلاّ فضحتَهم إلاّ التَّيْمَ . فقال : يا بُنَيّ ، لم أَجِد بناءً أَهْدِمُه ولا شرفاً أَضَعُه . وكانت تَيْمٌ رِعاءَ غنم يَغْدُون في غنمِهم ثم يَرُوحون ، وقد جاء كلُّ رجل منهم بأبيات فينتحلُها ابنُ لَجَأ . فقيل لجرير : ما صنعتَ في التَّيْم شيئاً ؛ فقال : إنّهم شعراءُ لِئامٌ .

[هو أشعر عند العامّة والفرزدق عند الخاصّة]

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثنا عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني ابن النطّاح قال حدَّثني أبو اليَقْظان قال : قال جرير لرجل من بني طُهَيَّةَ : أيُّما أشعرُ أنا أم الفرزدقُ ؟ فقال له : أنت عند العامّة والفرزدقُ عند العلماء . فصاح جرير : أنا أبو حَزْرةَ ! غلَبتُه وربِّ الكعبة ! والله ما في كلّ مائة رجل عالِمٌ واحد .

[هو وعديّ بن الرقاع في حضرة الوليد بن عبد الملك]

حدَّثنا أحمد بن عمّار قال حدَّثني عمر بن محمَّد بن عبد الملك قال حدَّثني ابن النطّاح قال ، وحدَّثني أبو الأَخْضَر المُخارِق بن الأَخضَر القَيْسيّ قال : إنّي كنتُ والله الذي لا إله إلاّ هو أخصَّ الناسِ بجرير ، وكان ينزل إذا قدِم على الوليد بن عبد الملك عند سَعيد بن عبدالله بن خالد بن أَسيد ، وكان عَدِيّ بن الرقاع خاصّاً بالوليد مَدّاحاً له ، فكان جرير يجيء إلى باب الوليد فلا يُجالس أحداً من النِّزارِيّة ولا يجلس إلاّ إلى رجل من اليَمَنِ بحيثُ يقرُب من مجلس بنِ الرِّقاع إلى أن ياذَن الوليدُ للناس فيدخلَ . فقلت له : يا أبا حَزْرة ، اختصصْتَ عدوَّك بمجلسك ؛ فقال : إنّي والله ما أجلس إليه إلاّ لأُنْشِدَه أشعاراً تُخْزِيه وتُخْزِي قومَه . قال : ولم يكن يُنشِده شيئاً من شعره ، وإنّما كان يُنْشِدُه شعرَ غيره ليُذِلَّه ويخوّفَه نفسَه . فأَذِن الوليدُ للناس ذاتَ عشيّة فدخلوا ودخلْنا ، فأخذ الناسُ مجالسَهم ، وتخلَّف جريرٌ فلم يدخل حتى دخل الناسُ وأخذوا مجالسَهم واطمأنُّوا فيها . فبينما هم كذلك إذا بجرير قد مثَل بين السِّماطَيْن يقول : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله ، إن رأى أميرُ المؤمنين أن يأذَن لي في ابن الرِّقاع المتفرِّقةِ أُؤلِّفُ بعضَها إلى بعض ! قال : وأنا جالسٌ أسمع . فقال الوليد : والله لهمَمْتُ أن أُخرِجَه على ظهرك إلى الناس .

فقال جرير وهو قائم كما هو : [من الطويل]

فإن تَنْهَني عنه فسمعاً وطاعةً وإلاّ فإنّي عُرْضَةٌ للمَراجِمِ[1]

قال فقال له الوليد : لا كثَّر اللهُ في الناس أمثالَك . فقال له جرير : يا أمير المؤمنين ، إنّما أنا واحدٌ قد سعرْتُ الأُمّةَ[2] ، فلو كثُر أمثالي لأكلوا الناسَ أكلاً . قال : فنظرتُ والله إلى الوليد

1 المراجم : الكلم القبيحة .

2 سعرت الأمّة ، يريد أوقدت فيها الشرّ .

تبسَّم حتى بدتْ ثَناياه تعجُّباً من جرير وجَلَدِه . قال : ثم أمره فجلس .

أخبرني ابن عمّار قال حدَّثني عمر بن محمَّد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثنا ابن النطّاح عن أبي عُبَيدة قال : كان جرير عند الوَليد وعَدِيُّ بن الرِّقاع يُنْشِده . فقال الوليد لجرير : كيف تَسمع ؟ قال : ومن هو يا أميرَ المؤمنين ؟ قال : عَدِيُّ بنُ الرِّقاع . قال : فإن شرّ الثيابِ الرِّقاعُ ، ثم قال جرير : (عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصْلَى ناراً حامِيَةً)[1] ؛ فغضِب الوليدُ وقال : يا ابنَ اللَّخْناء ؛ ما بقي لك إلاّ أن تتناول كتابَ الله ! والله لَيَرْكبنّك ! يا غلام أَوْكِفْه[2] حتى يركبَه . فغمَز عمرُ بن الوليد الغلامَ الذي أمره الوليدُ فأبطأ بالإكاف . فلمّا سكَن غضبُ الوليد قام إليه عمرُ فكلَّمه وطلَب إليه وقال : هذا شاعرُ مُضَر ولسانُها ، فإن رأى أميرُ المؤمنين ألاّ يَغضّ منه ؛ ولم يزل به حتى أعْفاه ، وقال له : والله لئن هجوتَه أو عرّضتَ به لأفعلنَّ بك ولأفعلنَّ ! . فقال فيه تلك القصيدة التي يقول فيها : [من الطويل]

أَقْصِرْ فإن نزاراً لن يفاخرها فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروسِ

وذكر وقائعَ نِزارٍ في اليمن ؛ فعلِمنا أنّه عَنَاه . ولم يُجِبْه الآخر بشيء .

[وصف شبّة بن عقال وخالد بن صفوان له وللفرزدق والأخطل]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : قال هشام بن عبد الملك لشَبَّةَ بن عِقَال وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذٍ أميرٌ : ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضَهم وهتَكوا أستارَهم وأغْرَوْا بين عَشائرهم في غير خير ولا بِرّ ولا نفع أيُّهم أشعرُ ؟ فقال شَبّة : أما جرير فيَغْرِف من بحر ، وأمّا الفرزدق فيَنْحَت من صخر ، وأمّا الأخطل فيُجيد المدح والفخر . فقال هشام : ما فسَّرْتَ لنا شيئاً نحصِّله . فقال ما عندي غيرُ ما قلت . فقال لخالد بن صَفْوان : صِفْهم لنا يا ابنَ الأهْتَم ؛ فقال : أما أعظمُهم فخراً ، وأبعدُهم ذكراً ، وأحسنُهم عذراً ؛ وأسْيَرهُم مَثَلاً ، وأقلُّهم غَزَلاً ، وأحْلاهم عِلَلاً ؛ الطامي إذا زخَر ، والحامي إذا زأر ، والسامي إذا خطَر ؛ الذي إن هدَر قال ، وإن خطَر صال ؛ الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العِنان ؛ فالفرزدق . وأمّا أحسنُهم نَعْتاً ، وأمدحُهم بَيْتاً ، وأقلُّهم فَوْتاً ؛ الذي إن هجا وضَع ، وإن مدح رفَع ، فالأخْطَل . وأمّا أغزرهُم بَحْراً ، وأرقُّهم شِعْراً ، وأهْتَكُهم لعدوِّه سِتْراً ؛ الأغرُّ الأبْلَق ، الذي إن طَلَب لم يُسْبق ، وإن طُلِب لم يُلْحَق ؛ فجَرير . وكلُّهم ذَكيّ الفؤاد ، رَفيع العِماد ، وارِي الزِّناد . فقال له مَسْلَمةُ بن عبد الملك : ما سمعنا بمثلك يا خالدُ في الأوّلين ولا رأينا في الآخرين ؛ وأشهَد أنّك أحسنُهم وصفاً ، وألينُهم عِطْفاً ؛ وأعفُّهم مَقالاً ، وأكرمُهم فَعالاً .

---

1 يريد التعريض بعاملة قبيلة عدي بن الرقاع .

2 أوكف الدابة : وضع عليها الإكاف ، وهو البرذعة .

فقال خالد : أَتَمَّ اللهُ عليكم نِعَمَه ، وأَجْزَل لديْكم قِسَمَه ؛ وآنسَ بكم الغُرْبة ، وفرَّج بكم الكُرْبة . وأنت ، واللهِ ما علمتُ أيّها الأَميرُ ، كريمُ الغِراس ، عالمٌ بالناس ؛ جَوادٌ في المَحْل ، بَسّامٌ عند البَذْل ؛ حَلِيمٌ عند الطَّيْش ، في ذِرْوة قُرَيش ؛ ولُبابِ عبد شَمس ، ويومُك خيرٌ من أَمْس . فضحك هشامٌ وقال : ما رأيت كتخلُّصِكَ يا ابنَ صَفْوان في مدح هؤلاء ووصفِهم حتى أرضيتَهم جميعاً وسلِمْتَ منهم .

[جرير وابن لجأ وقد قرنهما عمر بن عبد العزيز حين تقاذفا]

أَخبرني محمَّد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدَّثنا أَبو أَيّوب المَدينيّ قال حدَّثني مصْعَب الزُّبَيْريّ قال حدَّثني إبراهيم بن عبد الله مَوْلَى بني زُهْرَةَ قال : حضرتُ عمرَ بن لَجَأ وجرير بن الخَطَفَي موقوفين للناس بسوق المدينة لمّا تَهاجَيا وتَقاذَفا وقد أَمَر بهما عمرُ بن عبد العزيز فقُرِنا وأُقِيما . قال : وعمرُ بن لَجأ شابٌّ كأَنّه حِصان ، وجريرٌ شيخٌ قد أَسَنَّ وضعُف . قال فيقول ابنُ لَجَأ : [من الوافر]

رأَوْا قَمَـراً بساحتهـم مُنِيراً وكيف يُقـارِنُ القمرُ الحِمارا

قال : ثم يَنْزُو به وهما مقرونانِ في حبْلٍ فيسقُطان إلى الأَرض ، فأَمّا ابن لَجَأ فيقع قائماً ، وأَمّا جرير فَيخِرُّ لركبتيه ووجهه ، فإذا قام نفَض الغُبارَ عنه . ثم قال بُغَنَّتِه قولاً يُخْرِج الكلامَ به من أَنفه ، وكان كلامُه كأَنّ فيه نُوناً : [من الوافر]

فلستُ مفارِقـاً قَرَنِيّ حتّـى يَطُولَ تصعُّدي بـكَ وانحدارِي

قال فقال رجـل من جُلساء عمرَ له حين حضَر غَداؤه : لو دعا الأَميرُ بأَسيريْه فغدّاهما معه ؛ ففعل ذلك عمر . وإنّما فعله بهما لأَنّهما تَقاذَفا ، وكان جريرٌ قال له : [من البسيط]

تقول والعبـدُ مِسْكِـينٌ يُجَرِّرُها ارْفُقْ فَدَيْتُك أَنت الناكحُ الذَّكَرُ[1]

قال : وهذه قصيدتُه التي يقول فيها : [من البسيط]

يـا تَيْـمُ تَيْـمَ عَـدِيّ لا أَبا لكمُ لا يُوقِعَنَّكُـمُ في سوْءةٍ عمـرُ

[قال ابنه : أجود شعره قصيدته الداليّة]

أَخبرني أَحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني علي بن محمَّد النَّوْفليّ قال حدَّثني أَبي قال : كنت باليَمامة وأَنا وَالِيها فكان ابنٌ لجريرٍ يُكْثِر عندي [الدخول] وكنت أُوثِرُه فلم أَقل له قَطُّ أنشدْني أَجودَ شعرٍ لأَبيك إلاّ أَنشدني الداليّة : [من الكامل]

1 يجرّرها في ل : يزحرها .

أَهَــوىً أَراكَ بَرامَتَيْنِ وُقُــودا أَم بالجُنَيْنَةِ مــن مَدافِعِ أُودا[1]

فأقولُ له : وَيْحَكَ ؛ لا تَزِيدُني على هذه !؟ فيقولُ : سألتَني عن أجود شعر أبي وهذه أجودُ شعره ، وقد كان يقدّمها على جميعه .

[ذهب إلى الشام ونزل على نميريّ فأكرمه]

حدَّثني ابن عَمّار قال حدَّثني النَّوْفليّ قال حدَّثني علي بن عبد الملك الكَعْبيّ من ولد كَعْب مَوْلى الحَجّاج قال حدَّثني فلانٌ العَلاّمةُ التَّمِيميّ يَرْوِيه عن جَرِير قال : ما ندِمْتُ على هجائي بني نُمَيرٍ قَطُّ إلاّ مرّةً واحدة ، فإنّي خرجتُ إلى الشام فنزلت بقوم نُزُولٍ في قَصْرٍ لهم في ضَيْعة من ضِياعهم ، وقد نظرتُ إليه من بين القصور مشيَّداً حَسَناً ، وسألتُ عن صاحبه فقيل لي : هو رجل من بني نُمَير . فقلت : هذا شَآمٍ وأنا بَدَوِيٌّ لا يعرفُني ، فجئت فاستضفتُ . فلمّا أُذِن لي ودخلتُ عليه عرَفني فقَراني أحسنَ القِرَى ليلتين ، فلمّا أصبحتُ جلستُ ، ودعا بُنَيّةً له فضمّها إليه وتَرَشَّفَها ، فإذا هي أحسنُ الناسِ وجهاً ولها نَشْرٌ أشَمُّ أطيبَ منه . فنظرتُ إلى عينيها فقلتُ : تاللهِ ما رأيتُ أحسنَ من عينيْ هذه الصبيّة ولا من حَوَرِها قَطّ ، وعَوَّذْتُها : فقال لي : يا أبا حَزْرَة ، أَسَوْداءُ المَحاجِرِ[2] هي ؟ فذهبتُ أصِفُ طِيبَ[3] رائحتها . فقال : أَصَنٌّ وَبْرٍ[4] هيَ ؟ فقلت : يَرْحَمُك الله ؛ إنّ الشاعر ليقولُ ، ووالله لقد ساءني ما قلتُه ، ولكن صاحبكم بَدَأني فانتصرتُ ، وذهبتُ أعتذر . فقال : دَعْ ذا عنك أبا حَزْرة ، فوالله ما لك عندي إلاّ ما تحبّ . قال : وأحسنَ واللهِ إليّ وزوَّدَني وكَساني ، فانصرفتُ وأنا أندمُ الناسِ على ما سلَف منّي إلى قومه .

[كان المفضل من أنصار الفرزدق فحاجه محاج بقصيدته السينية]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله بن يعقوب بن داود قال حدَّثني ابنُ أبي عَلْقَمَةَ الثَّقَفيّ قال : كان المفضَّل يقدِّم الفرزدقَ ، فأنشدتُه قولَ جرير : [من البسيط]

حَيِّ الهِدَمْلَةَ من ذاتِ المَواعِيسِ فالحِنْوُ أصبَح قَفْراً غيرَ مأنوسِ[5]

---

1 الجنينة : روضة نجديّة بين ضرية وحزن بني يربوع . والمدافع : مجاري السّيول . وأود : موضع في ديار تميم ثم لبني يربوع منهم بنجد في أرض الحزن .

2 يشير إلى قول جرير في القصيدة البائيّة التي هجا بها الراعي وذكر فيها نساء بني نمير :

وخضراء المغابــن من نمير يشين سواد محجرها النقابا

3 في ل : رائحة طيبها .

4 وبر : دويبة صنة بوله منتن جداً ،

5 الهدملة والمواعيس والحنو : مواضع .

وقلتُ أَنْشدْني لغيرِه مثلَها فسكَت . قال : وكان الفرزدق إذا أُنْشِدَها يقول : مِثْلَها فلْيَقُلِ ابنُ اللَّخْناء .

[رثاء الفرزدق ابن أخيه وجرير ابنه]

أَخبرنا أَبو خَليفة الفَضْل بن الحُباب قال حدَّثنا محمَّد بن سَلام قال حدَّثني عبد الجَبّار بن سَعيد بن سليمان المُساحِقيّ عن المُحَرَّر[1] بن أَبي هُرَيرة قال : إنِّي لفي عسكرِ سليمانَ بن عبد الملك وفيه جريرٌ والفرزدقُ في غَزاةٍ ، إذ أَتانا الفرزدقُ في غَداةٍ ، ثم قال ، اشهدوا أَنّ محمَّد ابن أَخي ، ثم أَنشأ يقول : [من الطويل]

فبِتُّ بدَيْـرَيْ أَرَيحـاءَ بلَيْلـةٍ خُدارِيَّةٍ يزدادُ طُولاً تَمامُها[2]
أُكابِدُ فيها نفسَ أَقْربِ مَنْ مَشى أَبوه بأُمٍّ غـاب عنهـا نِيامُها
وكنّا نَرى من غالبٍ في محمَّد شمائلَ تَعْلُو الفاعلـين كِرامُها
وكان إذا ما حَلَّ أَرضاً تزيَّنَتْ بزينتِهـا صحراؤهـا وإكامُها
سَقى أَرَيْحاءَ الغيثُ وهي بَغِيضةٌ إلينا ولكن بي لتُسْقاه هامُها

قال : ثم انصرف . وجاء جرير فقال : قد رأَيتُ هذا وسمعت ما قال في ابن أَخيه ؛ وما ابنُ أَخيه ، فعَل اللهُ به وفعَل ! قال : ومضى جرير ، فوالله ما لبثْنا إلاّ جُمَعاً حتى جاءنا جريرٌ فقام مقامَه ونعى ابنَه سَوادةَ فقال : [من البسيط]

أَوْدَى سَوادةُ يَجْلُـو مُقلتـيْ لَحِم بازٍ يُصَرْصِرُ فـوقَ المَرْبـأ العالي[3]
فارقتَني حين كَفَّ الدَّهرُ من بَصَري وحينَ صِرْتُ كعَظْم الرِّمَّة البالي
إلاّ تكُـنْ لـكَ بالدَّيْرَيْـن باكيةٌ فـرُبَّ باكيـةٍ بالرَّمْـل مِعْوالِ
قالوا نَصِيبَك مـن أَجر فقلتُ لهم كيف العَزاءُ وقد فارقتُ أَشْبالي[4]

[هجا الفرزدق لزواجه حدراء بنت زيق وجواب الفرزدق له]

أَخبرنا أَبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني حاجب بن زيد وأَبو الغَرّاف قالا : تزوّج الفرزدقُ حَدْراءَ بنتَ زِيق بن بِسْطام بن قَيْس على حُكْم أَبيها ، فاحتَكم مائةً من الإبل . فدخل على الحَجّاج يسأله ذلك ؛ فعذله وقال له : أَتتزوّج امرأةً على حكمها ؟ . فقال

1 هو المحرر بن أَبي هريرة الدوسيّ ، تابعي .
2 أَريحاء هي أَريحا بفلسطين . وخدارية : شديدة الظلمة .
3 المربأ في الديوان : المرقب 2/548 .
4 كيف العزاء في الديوان : من للعرين 2/584 .

عَنْبَسةُ بن سَعيد وأَراد نفعَه : إنّما هي من حَواشي إبل الصَّدَقة ، فأَمر له الحجَّاج بها . فوثَبَ جريرٌ فقال : [من البسيط]

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيْبانَ في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ مَنْ أَنْكحتَ يا زِيقُ[1]

أَنكحتَ وَيْحَكَ قَيْناً باستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيْحَكَ هل بارتْ بك السُّوقُ

غابَ المُثَنّى فلم يَشْهَدْ نَجِيَّكُما ... والحَوْفَزانُ ولم يَشْهَدْكَ مَفْروقُ[2]

يا رُبَّ قائلةٍ بعد البِناء بها ... لا الصِّهْرُ راضٍ ولا ابنُ القَيْنِ معشوقُ

أَين الأُلَى استنزَلُوا النُّعْمانَ ضاحيةً ... أم أَين أَبناءُ شَيْبانَ الغَرانِيقُ[3]

قال : فلم يُجِبْه الفرزدقُ عنها . فقال جريرٌ أَيضاً : [من الطويل]

فلا أَنا مُعْطِي الحكمِ عن شِفٍّ مَنْصِبٍ ... ولا عن بَناتِ الحَنْظَلِيِّين راغبُ[4]

وهُنّ كماءِ المُزْنِ يُشْفى به الصَّدى ... وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ[5]

فلو كنتَ حُرّاً كان عَشْراً سِياقُكم ... إلى آل زِيقٍ والوصيفُ المُقارِبُ[6]

فقال الفرزدق : [من الطويل]

فَنَلْ مثلَها من مثلِهم ثم لُمْهُمُ ... على دارِميٍّ بين لَيْلى وغالِبِ

همُ زوَّجوا قبلي لَقِيطاً وأَنْكَحُوا ... ضِراراً وهم أَكفاؤنا في المَناسِبِ

ولو قبِلوا منّي عَطِيَّةَ سُقْتُه ... إلى آل زِيقٍ من وَصِيفٍ مُقارِبِ

ولو تُنْكِحُ الشمسُ النجومَ بَناتِها ... إذاً لنكحناهنّ قبل الكواكبِ

قال ابن سلاّم فحدَّثني الرّازيّ عن أَبيه قال : ما كانت امرأة من بني حَنْظلةَ إلاّ ترفَعُ لجريرٍ اللَّوِيّة في عظمِها لتُطْرِفَه بها لقوله : [من الطويل]

وهُنّ كماءِ المُزْنِ يَشْفى به الصَّدَى ... وكانت مِلاحاً غيرَهنّ المَشارِبُ

---

1 في الديوان اختلاف بيّن في الشطر الأوّل وما يليه من الأبيات 191/1 .

2 يريد المثنى بن حارثة الشيباني . الحوفزان : اسم الحارث بن شريك الشيباني . مفروق : هو النعمان بن عمرو الشيباني .

3 الغرانيق : جمع غرنوق وهو الشاب الناعم الجميل .

4 فلا أنا معطي في الديوان : لست بمعطي 809/2 . الشف هاهنا : النقصان ، وقد يكون الشفّ الفضل والزيادة .

5 وهن في الديوان : أراهن 809/2 . ملاح : جمع ملح وهو ضد العذب .

6 السياق : المهر . المقارب : الدون ، وقيل هو الوسط بين الجيّد والرديء .

فقلتُ للرّازي : ما اللَّوِيّة ؟ قال : الشَّرِيحة من اللحم ، أو الفِدْرة[1] من التمر ، أو الكُبَّة من الشحم ، أو الحَفْنة من الأَقِط ؛ فإذا ذهب الأَلبانُ وضاقتْ المعيشةُ كانت طُرْفةً عندهم .

قال : وقال جرير أيضاً في شأن حَدْراء : [من الطويل]

أَثائـرةٌ حَدْراءُ مَنْ جُـرَّ بالنَّقا وهل لأبي حَدْراءَ في الوِتْرِ طالبُ
أَتَثْأَرُ بِسْطاماً إذا ابتلَّـتِ استُهـا وقـد بَوّلتْ في مِسْمَعَيْه الثعالبُ[2]

قال ابن سلاّم : والنَّقا الذي عَناه جريرٌ هو الموضع الذي قَتَلتْ فيه بنو ضَبّة بِسْطاماً ، وهو بِسْطام بن قَيْس . قال : فكرهتْ بنو شَيْبان أن يَهْتِكَ جريرٌ أعراضَهم . فلمّا أراد الفرزدقُ نقلَ حَدْراء اعتلُّوا عليه وقالوا له إنّها ماتت . فقال جرير : [من الطويل]

فأُقْسِمُ مـا ماتتْ ولكنّما الثَّوَى بحَدْراءَ قـومٌ لم يروْك لهـا أَهْلا
رأَوْا أنّ صهر القَيْنِ عـارٌ عليهـم وأنّ لِبِسْطامٍ على غالـبٍ فضْلا

[مدح قوماً عادوه في مرضه]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدَّثنا ابن أبي سَعْد قال حدَّثنا محمَّد بن إدريسَ اليَماميّ قال حدَّثنا عليّ بن عبد الله بن محمَّد بن مهاجِر عن أبيه عن جدّه قال : دخلنا على جرير في نَفَرٍ من قريش نَعُوده في عِلّته التي مات فيها ، فالتفتَ إلينا فقال : [من البسيط]

أهـلاً وسهلاً بقوم زيّنوا حَسَبي وإن مَرِضْتُ فهم أهلي وعُوّادي[3]
إن تَجْـرِ طَيْرٌ بأمر فيـه عافيةٌ أو بالفـراق فقـد أحسنتمُ زادي
لـو أنّ ليثاً أبـا شِبْلَيْن أَوْعَدَني لم يُسْلِمُوني لليثِ الغابة العادي[4]

[نعي الفرزدق إليه فشمت به ثم رثاه]

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثنا محمَّد بن صالح بن النطّاح قال حدَّثني أبو جَناح أحد بني كَعْب بن عمرو بن تميم قال : نُعِي الفرزدقُ إلى المهاجِر بن عبد الله وجريرٌ عنده فقال : [من الكامل]

مات الفرزدقُ بعد مـا جدَّعتُه ليتَ الفرزدقَ كان عاش قليلا

فقال له المهاجر : بئسَ لعَمْرُ اللهِ ما قلتَ في ابن عمّك ؛ أتهجو ميتاً ! أَمَا واللهِ لو رَثَيْتَه

---

1 الفدرة : القطعة .
2 كناية عن أنّه قتل ورمى به فالثعالب تبول عليه .
3 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .
4 في الديوان اختلاف كبير 806/2 .

لكنتَ أكرمَ العرب وأشعرَها . فقال : إن رأى الأمير أن يكتُمَها عليّ فإنّها سَوْءة ؛ ثم قال من وقتِه : [من الطويل]

فلا وضَعَتْ بعد الفرزدقِ حامـلٌ ولا ذاتُ بَعْلٍ من نِفاسٍ تَعَـلّتِ[1]
هــو الوافدُ الميمونُ والراتِقُ الثأى إذا النعل يومـاً بالعَشيرة زَلّتِ[2]

قال : ثم بكى ثم قال : أمَا واللهِ إنّي لأعلم أنّي قليلُ البقاء بعده ، ولقد كان نجمُنا واحداً ، وكلّ واحد منّا مشغول بصاحبه ، وقلّما مات ضدّ أو صديق إلاّ تبعه صاحبه . فكان كذلك ، مات بعد سنة . وقد زاد الناس في بيتيْ جريرٍ هذين أبياتاً أُخَر ، ولم يقل غيرَهما وإنّما أضيف إلى ما قاله .

صوت

من المائة المختارة من رواية علي بن يحيى

[من الكامل]

رحَـل الخَليطُ جِمالَهم بسَوادِ وحَدا على إثْـرِ البخيلة حادي
ما إن شَعَرْتُ ولا علِمتُ بِبَيْنهم حتى سمعتُ بـه الغرابَ يُنادي

الشعر لجميل . والغناء لإبراهيمَ ، ولحنُه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوُسْطَى .

1 تعلّت المرأة من نفاسها : برئت منه وخرجت .
2 الثأى : الفتق والفساد .

[112] ـ نسب جميل وأخباره[1]

[نسبه]

هو جَميل بن عبد الله بن مَعْمَر بن الحارث بن ظَبْيانَ وقيل ابن مَعْمَر بن حُنّ[2] بن ظَبْيان بن قَيْس بن جَزْء بن رَبيعة بن حَرام بن ضِنَّةَ بن عَبْد بن كَثِير بن عُذْرة بن سعْد ، وهو هُذَيم ، وسمِّي بذلك إضافة لاسمِه إلى عبدٍ لأبيه يقال له هُذَيم كان يحضُنه فغلَب عليه ، ابن زيد بن سُود بن أَسْلَم بن الحاف بن قُضاعة . والنسّابون مختلفون في قُضاعة ، فمنهم مَن يزعمُ أَنّ قُضاعة ابن مَعَدّ وهو أخو نِزار بن مَعَدّ لأبيه وأُمّه ، وهي مُعانة بنت جَوْسَم بن جُلْهُمة بن عامر بن عَوْف بن عَدِيّ بن دُبّ بن جُرْهُم ؛ ومنهم مَن يزعمُ أنّهم من حِمْيَر . وقد ذكر جميل ذلك في شعره فانتسب مَعَدِّياً فقال : [من الرجز]

أنــا جميــلٌ في السَّنامِ من مَعَدّ ... في الأُسْرَةِ الحَصْداءِ والعِيصِ الأَشَدْ[3]

وقال راجز من قُضاعة ينسُبهم إلى حِمْيَر : [من الرجز]

قُضاعةُ الأَثْـرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ ... قضاعةُ بنُ مالــكِ بن حِمْيَرِ

ولهم في هذا أراجيزُ كثيرةٌ . إلاَّ أنّ قُضاعة اليومَ تُنسب كلُّها في حِمْيَرَ ، فتزعمُ أَنّ قُضاعةَ ابنُ مالك بن مُرّة بن زيد بن مالك بن حِمْيَر بن سَبَأ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطان . وقال القَحْذَميّ : اسم سَبَأ عامر ؛ وإنّما قيل له سَبَأ لأنّه أوّلُ مَن سَبَى النساءَ . وكان يقال له عَبُ[4] الشمس ، أي عَديل الشمس ؛ سُمِّي بذلك لحسنه . ومَنْ زعم مِنْ هؤلاء أَنّ قُضاعة ليس ابن مَعَدّ ذكرَ أَنّ أُمّه عُكْبُرة (امرأة من سبأ) كانت تحت مالك بن عمر فمات عنها وهي حامل ، فخلَفه عليها مَعَدُّ بن عَدْنانَ ، فولَدت قُضاعةَ على فراشه . وقال : مُؤَرِّج بن عمرو : هذا قولٌ أحدثوه بعدُ وصنعوا شعراً ألصقوه به ليصحِّحوا هذا القول ، وهو : [من السريع]

يا أَيُّها الدّاعِــي ادْعُنا وأَبشِرِ ... وكُــنْ قُضاعِيّــاً ولا تَنـزَّرِ

قضاعةُ الأَثْـرَوْنَ خيرُ مَعْشَرِ ... قضاعةُ بــنُ مالــك بنِ حميرِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 434–444 ، والمؤتلف 72 واللآلي 29–30 وابن خلكان 1 : 143–146 والخزانة 1 : 190–192 .

2 في ل : ابن خيبري .

3 الحصداء : القوية وفي البيت اختلاف بيّن في الديوان 56 .

4 عب الشمس : ضوءها .

النسبُ المعـروفُ غير المُنْكَرِ

قال مؤرِّج : وهذا شيء قيل في آخر أيّام بني أُميّة . وشعراءُ قُضاعة في الجاهليّة والإسلام كلّها تنتمي إلى مَعَدّ . قال جميل : [من الطويل]

وأيُّ مَعَـدٍّ كان فَـيْءُ رِماحِهِـمْ كما قـد أفأنـا والمُفاخِرُ مُنْصِفُ

وقال زيادة بن زيد يهجو بني عمّه عامر رَهْطَ هُدْبَةَ بن خَشْرَم : [من الكامل]

وإذا مَعَـدٌّ أَوْقـدتْ نِيرانَهـا للمجدِ أغْضَتْ عامرٌ وتضعضعوا

[كان راوية هدبة بن خشرم وكان كثير راويته]

وجميل شاعرٌ فصيح مقدَّم جامع للشعر والرواية ، كان راويةَ هُدْبةَ بنِ خَشْرَم ، وكان هُدْبَةُ شاعراً راويةً للحُطَيْئة ، وكان الحطيئةُ شاعراً راوية لزُهَيْر وابنه . وقال أبو مُحَلِّم : آخِرُ مَن اجتمع له الشعر والرواية كُثَيِّر ، وكان راويةَ جَميل ، وجميلٌ راويةَ هُدْبة ، وهُدْبةُ راوية الحطيئة ، والحطيئة راوية زهير .

[نسب بثينة عشيقته]

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القَحْذَميّ قال : كان جميلٌ يهوى بُثَيْنة بنت حَبَأ بن ثعلبة بن الهَوْذ بن عمرو بن الأَحَبِّ بن حُنّ بن رَبيعة [تلتقي هي وجميل في حنّ من ربيعة[1]] في النسب .

[كان كثير راويته يقدّمه على نفسه]

حدَّثني أبو الحَسَن أحمد بن محمَّد الأَسَدِيّ وهاشم بن محمَّد أبو دُلَف الخُزاعيّ قالا حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ عن ابن أبي الزِّناد قال : كان كُثَيِّر راويةَ جميل ، وكان يقدّمه على نفسه ويتّخذه إماماً ، وإذا سئل عنه قال : وهل عَلّم اللهُ عزّ وجلّ ما تَسمعون إلاّ منه ! .

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد عن حَمّاد عن أبيه عن صَبّاح بن خاقان عن عبد الله بن معاوية الزُّبَيريّ قال : كان كُثَيِّر إذا ذُكِر له جميلٌ قال : وهل علَّم الله ما تسمعون إلاّ منه ؟ .

[مرّ على جماعة بشعب سلع فاستنشدوه من شعره فأنشدهم فمدحوه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني محمَّد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن المِسْوَر بن عبد الملك عن نُصَيْب مَوْلَى عبد العزيز بن مَرْوان قال : قَدِمتُ المدينةَ فسألتُ عن أعلم أهلها بالشعر ، فقيل لي : الوليد بن سعيد بن أبي سِنان الأَسْلَميّ ، فوجدتُه بشِعْب سَلْع[2] مع عبد الرحمن بن حَسّان وعبد الرحمن بن أَزْهَر . فإنّا لجلوسٌ إذ طلَع

1 التكملة عن تجريد الأغاني .

2 سلع : موضع بقرب المدينة .

علينا رجلٌ طويلُ بين المَنْكِبَيْنِ طُوالٌ يقود راحلةً عليها بِزّةٌ حسنة . فقال عبد الرحمن بن حسّان لعبد الرحمن بن أَزْهر : يا أَبا جُبَيْر ، هذا جميلٌ ، فادعُه لعلَّه أَن يُنشِدَنا . فصاح به عبد الرحمن : هَيا جميلُ هَيا جميل ! فالتفت فقال : مَنْ هذا ؟ فقال : أَنا عبد الرحمن بن أَزهر . فقال : قد علمتُ أَنّه لا يجترىء عليّ إلاّ مثلُك . فأَتاه فقال له أَنشِدْنا ، فأَنشدهم : [من الطويل]

نحـنُ مَنَعْنا يـومَ أَوْلٍ نساءَنـا ... ويـومَ أُفَـيٍّ والأَسِنّـةُ تَرْعُفُ[1]

ويومَ رَكايا ذِي الجِذاةِ ووقعةٍ ... بِبَنْيانَ كانت بعضَ ما قد تَسَلَّفُوا[2]

يُحِبّ الغَـواني البِيضُ ظِلَّ لِوائنا ... إذا مـا أَتانـا الصارخُ المُتَلَهِّفُ

نَسيرُ أَمـامَ الناس والناسُ خَلْفَنا ... فإن نحن أَوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا[3]

فأَيُّ مَعَـدٍّ كان فَـيْءُ رِماحِهِ ... كما قـد أَفَأْنـا والمُفاخِرُ يُنْصِفُ

وكنّا إذا مـا مَعْشَرٌ نَصَبُوا لنـا ... ومرَّتْ جَوارِي طَيْرِهم وتَعَيَّفوا[4]

وضَعْنا لهم صاعَ القِصَاصِ رهينةً ... بما سوف نُوفِيها إذا الناسُ طَفَّفُوا

إذا استبق الأَقوامُ مجـداً وجدتَنا ... لنا مِغْرَفـا مَجْـدٍ وللناسِ مِغْرَفُ

قال : ثم قال له : أَنْشِدْنا هَزَجاً . قال : وما الهَزَج ؟ لعلّه هذا القصير ؟ قال نعم ، فأَنشده ، قال الزُّبَير : لم يُذكر في هذا الخبر من هذه القصيدة الهَزَج سوى بيتين ، وأَنشدَنا باقِيَها بُهْلُول بن سليمان بن قِرضاب البَلَوِيّ : [من الخفيف]

صوت

رَسْمِ دارٍ وقفـتُ في طَلَلِهْ ... كِدتُ أَقضي الغَداة من جَلَلِهْ[5]

مُوحِشاً ما تَرَى بـه أَحداً تَنْـ ... ـسَجُ الريحُ تُـرْبَ مُعْتَدِلِهْ

وصَرِيعـاً مـن الثُّمامِ تَـرَى ... عارِمـاتِ المَـدَبِّ في أَسَلِهْ[6]

1 أول : واد بين الغيل وأكمة على طريق اليمامة . أُفيّ : موضع في شعر نصيب .

2 ذو الجذاة : موضع . وركايا : جمع ركية ، وهي البئر ذات الماء . بنيان : موضع .

3 في الديوان اختلاف بيّن 138 .

4 نصبوا في الديوان : أجحفوا 138 .

5 من جلله : من أجله ، أو من عظمه في عيني .

6 التمام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص . والعارمات : القوية الشديدة . والمدب : مجرى السيل . والأسل : نبات له أغصان كثيرة ، واحده أسلة .

بين عَلْياء وابِشٍ فبُلَيٍّ ... فالغَمِيم الذي إلى جَبَلِهْ[1]
واقفاً في ديار أُمِّ جُسَيرٍ ... من ضُحَى يَومِه إلى أُصُلِهْ[2]
يا خليلَيَّ إن أُمَّ جُسَيرٍ ... حين يدنو الضجيعُ من غَلَلِهْ[3]
روضةٌ ذاتُ حَنْوَةٍ وخُزامَى ... جاد فيها الربيعُ من سَبَلِهْ[4]
بينما هنّ بالأراكِ معاً ... إذ بدا راكبٌ على جَمَلِهْ
فتأطَّرْنَ ثم قلن لها ... أَكْرِمِيهِ حُيِّيتِ في نُزُلِهْ[5]
فظَلِلْنا بنَعْمةٍ واتّكأنا ... وشَرِبنا الحلالَ من قُلَلِهْ[6]
قد أَصُون الحديثَ دونَ خليلٍ ... لا أُخاف الأذاة من قِبَلِهْ
غيرَ ما بِغْضَةٍ ولا لاجتنابٍ ... غير أنّي أَلَحْتُ من وَجَلِهْ
وخليلٍ صاقَبْتُ مُرْتضِياً ... وخليلٍ فارقتُ من مَلَلِهْ[7]

قال : فأنشده إيّاها حتى فرغ منها ثم اقتاد راحلتَه موليّاً . فقال ابن الأَزْهر : هذا أَشعرُ أهلِ الإسلام . فقال ابن حَسّان : نعمْ واللهِ وأَشعرُ أهلِ الجاهليّة ، والله ما لأحد منهم مثلُ هجائه ولا نَسيبه . فقال عبد الرحمن بن الأزهر : صدقتَ . قال نُصَيب : وأنشدتُ الوليدَ فقال لي : أنت أَشعرُ أهلِ جِلْدتك ، والله ما زاد عليها . فقلت : يا أبا مِحْجَن ، أَفَرَضِيتَ منه بأن تكونَ أَشعرَ السُّودان ؟ قال : وَدِدْتُ والله يا ابنَ أخي أنّه أعطاني أكثرَ من هذا ، ولكنّه لم يفعل ، ولستُ بكاذِبك .

[كان صادق الصبابة وكان كثيّر يتقوّل]

أخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاَّم قال : كان لكثيِّر في النَّسيب حظٌّ وافر ، وجميلٌ مقدَّم عليه وعلى أصحاب النسيب في النسيب ؛ وكان كثيِّر راويةَ جميل ، وكان جميل صادقَ الصَّبابة والعشق ، ولم يكن كثيِّر بعاشق ولكنّه كان يتقوّل . وكان الناس يستحسنون بيتَ

1 وابش : واد أو جبل بين وادي القرى والشام . بلي : تل قصير أسفل حاذَة بينها وبين ذات عرق . الغميم : موضع بالحجاز .
2 أم جسير : أخت بثينة صاحبة جميل .
3 الغلل : داء وقيل هو الماء بين الأشجار ، وقيل من معاني الغلل العطش وحرارته .
4 الحنوة : نبات سهلي طيّب الريح . والسبل : المطر .
5 التأطّر : التثنّي : والنُّزُل : ما يهيّأ للضيف أن ينزل عليه .
6 اتّكأنا : معناه طعمنا وأكلنا .
7 صاقبته : قاربته .

كثيِّر في النسيب : [من الطويل]

أُريد لأَنْسَى ذكرَهـا فكأنَّما تمَثَّلُ لي لَيْلَـى بكـلِّ سبيلِ

قال : ورأَيتُ مَن يفضِّل عليه بيتَ جميل : [من الطويل]

خليليّ فيما عِشْتُما هل رأَيتُما قَتِيلاً بَكى من حبِّ قاتِله قَبْلي

قال ابن سَلاّم : وهذا البيت الذي لكثيِّر أَخذه من جميل حيث يقول : [من الطويل]

أُريـد لأَنْسَى ذكرَها فكأنّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَى على كلِّ مَرْقَبِ

[عرض الفرزدق لكثيّر بأنّه سرق منه فردّ عليه بمثله]

أَخبرني الحِرْميّ بن أَبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار عن محمَّد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمْران عن محمَّد بن عبد العزيز عن أَبي شِهاب عن طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف قال : لقي الفرزدقُ كثيِّراً بقارعة البَلاط[1] وأَنا وهو نمشي نريد المسجد ؛ فقال له الفرزدق : يا أَبا صَخْر ، أَنت أَنْسَبُ العرب حين تقول : [من الطويل]

أُريد لأَنْسَى ذكرَهـا فكأنّما تَمَثَّلُ لي لَيْلَـى بكـلِّ سبيلِ

يعرِّض له بسرقته من جميل . فقال له كثيِّر : وأَنت يا أَبا فِراس أَفخرُ[2] الناس حين تقول : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرْنا يَسيرون خَلْفَنا وإن نحـن أَوْمَأْنا إلى الناس وَقَّفُوا

قال عبد العزيز : وهذا البيت أَيضاً لجميل سرقَه الفرزدقُ . فقال الفرزدق لكثيِّر : هل كانت أُمُّك مَرَّتْ بالبصرة ؟ قال : لا ؛ ولكن أَبي ، فكان نَزِيلاً لأُمِّك . قال طَلْحَةُ بن عبد الله : فوالذي نَفْسي بيده لَعَجِبْتُ من كثيِّر وجوابه ، وما رأَيتُ أَحداً قَطُّ أَحمقَ منه ، رأَيتُني دخلتُ عليه يوماً في نَفَرٍ من قريش وكنّا كثيراً ما نتهزَّأُ به ، فقلنا : كيف تَجِدُك يا أَبا صَخْر ؟ قال : بخيرٍ ، أَما سمعتم الناسَ يقولون شيئاً ؟ قلنا : نعمْ ، يتحدّثون أَنّك الدجّال . فقال : والله لئن قلتم ذاك إنّي لأَجد في عيني هذه ضَعْفاً منذ أَيّام .

[كان كثيِّر يفضّله على نفسه ويبدأ بإنشاد شعره]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال كتب إليّ أَبو محمَّد إسحاقُ بن إبراهيم يقول حدَّثني أَبو عُبيدة عن جُوَيْرِيةَ بنِ أَسْماء قال : كان أَبو صَخْر كثيِّر صديقاً لي ؛ وكان يأْتيني كثيراً ، فقلَّما استنشدتُه إلاّ بدأ بجَميل وأَنْشد له ثم أَنْشد لنفسه ، وكان يفضِّله ويتَّخذه إماماً .

---

1 موضع معروف بالمدينة .

2 في ل : أشعر .

قال الزُّبَير وكتب إليّ إسحاقُ يقول حدَّثني صَبَاح بن خاقانَ عن عبد الله بن معاوية بن عاصم بن المُنْذِر بن الزُّبَير قال : ذُكِر جميلٌ لكثيِّر ، فقالوا : ما تقول فيه ؟ فقال : منه علَّم اللهُ عزّ وجلّ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ وحبيب بن نصر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدَّثني أبو يحيى الزُّهْرِيّ عن إسحاق بن قَبِيصَةَ الكُوفيّ عن رجل سمّاه قال : سألت نُصَيباً : أَجَمِيلٌ أَنْسَبُ أم كثيِّر ؟ فقال : أنا سألتُ كثيِّراً عن ذاك فقال : وهل وَطّأ لنا النَّسِيبَ إلاّ جَميل ! .

قال عمر بن شَبّة وقال إسحاق حدَّثني السَّعِيديّ عن أبي مالك النَّهْدِيّ قال : جلَس إلينا نُصَيب فذكرنا جميلاً ، فقال : ذاك إمامُ المحبِّين ، وهل هَدَى اللهُ عزّ وجلّ لما تَرى إلاّ بجميل .

أخبرني هاشم بن محمَّد قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عُبَيدة عن جُوَيْرِيَةَ بن أسماء قال : ما استنشدتُ كثيِّراً قَطّ إلاّ بدأ بجَميل وأنشدني له ثم أنشدني بعده لنفسه ، وكان يفضِّله ويتّخذه إماماً .

[أوّل عشقه بثينة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني بُهْلُول بن سليمان بن قِرْضاب البَلَوِيّ قال : كان جميل يَنْسُب بأُمّ الجُسَير ، وكان أوَّلَ ما علِق بُثَيْنةَ أنّه أقبل يوماً بإبِلِهِ حتى أَوْردها وادياً يقال له بَغيض ، فاضطجع وأرسل إبلَه مُصْعِدةً ، وأهلُ بثينة بذَنَبِ الوادي ؛ فأقبلتْ بثينةُ وجارةٌ لها واردتَيْن الماءَ ، فمَرّتا على فِصالٍ له بُرُوكٍ فعَرَمتْهنّ[1] بثينةُ ، يقول : نَفَّرَتْهنّ ، وهي إذ ذاك جُوَيْرِيَةٌ صغيرة ؛ فسبّها جميلٌ ، فافترتْ عليه ، فملُح إليه سِبابُها فقال : [من الطويل]

وأوّلُ مـا قـادَ المـودّةَ بيننا بِوادِي بَغيضٍ يـا بُثَيْنَ سِبابُ
وقلنا لها قَـوْلاً فجاءت بمثله لكـلٍّ كـلامٍ يـا بُثَيْنَ جوابُ

قال الزُّبَير وحدَّثني محمَّد بن إسماعيل بن جعفر عن سعيد بن نُبَيه بن الأسود العُذْرِيّ وكانت بثينةُ عند أبيه نُبَيه بن الأسْود ، وإيّاه يَعْني جَميلٌ بقوله : [من الطويل]

لقـد أَنْكَحُـوا جَهْـلاً نُبَيهـاً ظَعِينةً لَطِيفةَ طَيِّ الكَشْحِ ذاتَ شَوىً خَدْلِ[2]

قال الزُّبَير وحدَّثني أيضاً الأسْباطُ بن عيسى بن عبد الجَبّار العُذْرِيّ أنّ جميلَ بنَ مَعْمَر

1 عرمتهن : أصابتهن بشرّ وأذى .
2 الخدل : الممتلىء .

خرج في يوم عيدٍ والنساء إذ ذاك يتزيَّنَّ ويَبْدُو بعضُهنّ لبعضٍ ويَبْدُونَ للرجال ، وأنّ جميلاً وقف على بُثينة وأختها أُمِّ الجُسَير في نساء من بني الأَحَبّ وهنّ بناتُ عمّ عُبيد الله بن قُطْبة أخي أبيه لَحّاً ، فرأى منهنّ منظراً وأعْجبنه وعشِق بُثَينة وقعد معهنّ ، ثم راح وقد كان معه فِتْيانٌ من بني الأَحَبّ ، فعلِم أنّ القوم قد عَرفوا في نظره حبَّ بُثَينة ووجَدوا عليه ، فراح وهو يقول : [من الكامل]

عَجِـل الفِـراقُ ولَيْتَـه لم يَعْجَلِ ... وجـرتْ بوادرُ دَمْعِـك المُتهَلِّلِ
طَرَباً وشاقكَ ما لَقِيتَ ولم تَخَفْ ... بَيْنَ الحبيبِ غـداةَ بُرْقـةِ مِجْوَلِ
وعرفتَ أنّك حين رُحْتَ ولم يكن ... بعـدُ اليقينُ وليس ذاك بمُشْكِلِ
لـن تَستطيـعَ إلى بثينـة رَجْعَةً ... بعـد التفـرُّق دون عـامٍ مُقبِلِ

قال : وإنّ بُثَينة لمّا أُخبرتْ أنّ جميلاً قد نسَب بها حَلَفَتْ بالله لا يأتيها على خَلاءٍ إلاّ خَرَجتْ إليه ولا تَتوارى منه ، فكان يأتيها عند غَفَلاتِ الرجال فيتحدّث إليها ومع أخواتها ، حتى نُمِيَ إلى رجالها أنّه يتحدّث إليها إذا خلا منهم ، وكانوا أصْلافاً غُيُراً ، أو قال غَيارى ، فرصَدوه بجماعةٍ نحوٍ من بِضعةَ عَشَرَ رجلاً وجاء على الصَّهباء ناقتِه حتى وقف على بُثَينةَ وأُمّ الجُسَير وهما يحدِّثانه وهو يُنْشِدُهما يومئذٍ : [من الطويل]

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنىً ... هُـوِيَّ القَطا يَجْتَزْنَ بطنَ دَفِينِ[1]
لقد ظَنّ هذا القلبُ أن ليس لاقياً ... سُلَيْمَـى ولا أُمَّ الجُسَيْرِ لحِـينِ
فليتَ رجالاً فيك قد نذَرُوا دَمي ... وهَمُّـوا بقَتْـلي يـا بُثَينَ لَقُوني

فبينا هو على تلك الحال إذ وثَب عليه القومُ فرماهم بها فسبَقَتْ به وهو يقول : [من الطويل]

إذا جمع الإثنـان جمعـاً رميتُهم ... بأَركانهـا حتـى تُخَلَّـى سبيلُها

فكان هذا أوّلَ سببِ المُهاجاةِ بينه وبين عُبيد الله بن قُطْبة .

[واعدته بثينة فمنعها أهلها فقرّعه نساء الحيّ ، وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال : حدّثني بهلول بن سليمان عن مشيخة من عذرة وبلي : أن رهط بثينة نذروا دمَ جميل وسمعوا أنه أمسى بوادي القرى ، وهو يريد طريق مكة ، فخرج منهم ركبان فتقدموا فوجدوه على مضيق من الطريق بسند الوادي ، فأخذوا جانبي القرى يأخذه السيل ، وهو جهد ما تخرج منه الراحلة ، فعرفوا أنه جميل وصاحباه فحرسوا

1 دفين : اسم موضع .

بثينة ومنعوها من الوفاء بوعده ، فلما أسفر له الصبح انصرف كئيباً سيىء الظن بها ، ورجع إلى أهله ، فجعل نساء الحي يُقرِّعنه بذلك ، ويقلن له : إنما حصلت منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرُها أولى بوَصْلك منها ، كما أنَّ غيرَك يحظَى بها . فقال في ذلك : [من الكامل]

صوت

أَبُثَيْن إنّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِي ... وخُذِي بِحَظكِ من كريمٍ واصلِ
فأجبتُهـا في القـول بعـد تَستُّرٍ ... حُبِّـي بثينةَ عـن وِصالِكِ شاغِلِي
فلـربَّ عارضـةٍ علينـا وَصْلَها ... بالجِـدّ تَخْلِطـه بقـولِ الهازلِ
لـو كان في صدري كقَـدْرِ قُلامةٍ ... فَضْلاً وصلتُـكِ أو أتتكِ رسائلي

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيل أوّل بالوسطى من رواية ابنه أحمد عنه : [من الكامل]

صوت

ويَقُلْنَ إنّكَ قـد رَضِيتَ بباطلٍ ... منها فهل لكَ في اجتنابِ الباطلِ
ولَباطِـلٌ ممّـا أُحِـبُّ حديثَه ... أشهَـى إليّ مـن البَغيضِ الباذلِ
لِيُزِلْنَ عنـك هـوايَ ثم يَصِلْنَنِي ... وإذا هَوِيـتُ فما هـوايَ بزائلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو ، وذكر في نسخته الثانية أنّه ليزيد حَوْراء . وروى حَماد عن أبيه في أخبار ابن سُرَيج أنّ لابن سُرَيج فيه لحناً ولم يجنّسه : [من الكامل]

صادتْ فؤادي يا بُثَيْنَ حِبالكُـم ... يـومَ الحَجُونِ وأخطأَتْكِ حبائلي
مَنَّيْتِنـي فلَوَيْـتِ مـا مَنَّيْتني ... وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجلِ
وتثاقلتْ لمّـا رأت كَلَفِـي بهـا ... أَحْبِبْ إليّ بـذاكَ مـن متثاقلِ
وأطعتِ فيَّ عـواذِلاً فهجرتني ... وعَصَيْتُ فيكِ وقد جَهَدْنَ عواذلي
حاولنَني لأَبُتَّ حبـلَ وِصالكم ... منّي ، ولستُ وإن جَهَدْنَ بفاعلِ
فرددتُهن وقـد سَعَيْنَ بهجـرِكم ... لمّـا سَعَيْنَ لـه بأفْـوَقَ ناصِلِ[1]
يَعْضَضْنَ مـن غيظٍ عـليّ أناملاً ... ووَدِدْتُ لو يَعْضَضْنَ صُمَّ جَنادِلِ
ويقلـن إنّـكِ يـا بُثَيْن بخيلةٌ ... نفسي فـداؤكِ من ضَنِينٍ باخلِ

قالوا : وقال جميل في وَعْد بثينةَ بالتَّلاقي وتأخُّرِها قصيدةً أوّلها : [من الكامل]

---

1 السهم الأفوق : الذي به ميل في فوقه أو انكسار في إحدى زنمتيه . والفُوق : مشتقّ رأس السهم حيث يقع الوتر . وحرفاه : زنمتاه . وناصل : لا نصل له .

يا صاحِ عن بعض المَلامةِ أَقْصِرِ إنّ المُنَـى لَلِقـاءُ أُمِّ المِسْوَرِ

فممّا يغنّى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

وكأنّ طارقَها على عَلَل الكَرى والنجمُ وَهْناً قـد دنـا لتَغَوُّرِ

يَسْتافُ ريحَ مُدامـةٍ معجونـةٍ بذَكيِّ مِسْكٍ أَو سَحيقِ العَنْبَرِ[1]

الغناء لابن جامع ثقيلٌ أوّل بالبنصر من رواية الهِشاميّ . وذكر عمرو بن بانةَ أنّه لابن المكّيّ .

وممّا يغنّى فيه منها قوله : [من الكامل]

صوت

إنّي لأَحفظُ غَيْبَكـم ويسرُّني إذ تَذْكُرِينَ بصالح أَن تَذْكُري

ويكون يومٌ لا أَرى لكِ مُرْسَلاً أَو نَلْتَقِي فيـه عـليّ كأَشْهُرِ

يـا ليتنـي أُلقَـى المنيَّةَ بغتةً إن كان يـومُ لقائكم لم يُقْدَرِ

أَو أَستطيعُ تَجَلُّداً عـن ذكرِكم فيُفِيقَ بعضُ صبابتـي وتَفكُّري

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى عن الهِشاميّ . وفيه يقول : [من الكامل]

لو قـد تُجِنّ كما أُجِنّ مِنَ الهوى لَعَذَرْتَ أَو لظلمتَ إن لم تَعْذِرِ

واللهِ مـا للقلبِ من علمٍ بها غيرُ الظنـونِ وغير قول المُخْبِرِ

لا تحسَبي أَنّي هجرتُكِ طائعاً حَدَثٌ لعمرُكِ رائعٌ أَن تُهْجَري

فَلْتَبْكِيَنَّ الباكيـاتُ وإن أَبُحْ يومـاً بسرِّكِ مُعْلِناً لم أُعْذَرِ

يهواكِ ما عشتُ الفؤادُ فإن أَمُتْ يَتْبَعْ صَداي صداكِ بين الأَقْبُرِ

صوت

[من الكامل]

إنّي إليكِ بما وعـدتِ لناظرٌ نظـرَ الفقيرِ إلى الغَنيِّ المُكْثِرِ

يَعِدُ الديونَ وليس يُنْجِزُ موعداً هذا الغريـمُ لنا وليس بمُعْسِرِ

ما أَنتِ والوَعْدَ الذي تَعِدِينَني إلاّ كبرق سحابـةٍ لم تُمْطِرِ[2]

1 يستاف : يشمّ . معجونة في ل : معلولة .

2 سحابة في ل : سحائب .

قلبي نصحتُ له فرَدّ نصيحتي فمَتى هَجَرْتِيهِ فمنــه تَكَثَّرِي[1]

الغناء في هذه الأبيات لسُلَيم رَمَلٌ عن الهِشاميّ . وفيه قدحٌ طُنْبوريّ أظنّه لِجَحْظة أو لعليّ بن مودة . قالوا : وقال في إخلافها إيّاه هذا الموعدَ : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ رَيْعانَ الشبابِ جديدُ ودهراً تولّى يــا بُثَيْنَ يَعُودُ[2]

فنَغْنَــى كما كنّا نكــونُ وأنتمُ قريبٌ وإذ مــا تَبْذُلِينَ زَهِيدُ[3]

ويروى :

وممّــا لا يَزيــد بعيدُ

وهكذا يغنَّى فيه : الغناء لسُلَيم خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وممّا يغنَّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ شعري هل أَبِيتنّ ليلةً بوادِي القُرَى إنّي إذاً لسَعِيدُ

وهــل أَلْقَيَنْ فَـرْداً بثينةَ مرّةً تَجُـود لنا مــن ودّها ونَجُودُ[4]

عَلِقْتُ الهَوى منها وليداً فلم يَزَلْ إلى اليــوم يَنْمِـي حُبُّها ويَزيدُ

وأَفنيْتُ عُمْرِي بانتظاريَ وَعْدَها وأَبْلَيتُ فيها الدَّهرَ وهــو جديدُ

فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حبُّهـا فيمـا يَبِيــدُ يَبِيدُ

الغناء لَمَعْبدٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى . وممّا يغنَّى فيه منها : [من الطويل]

صوت

وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ قولَها وقــد قُرِّبَتْ نضوي أَمصرَ تُرِيدُ

ولا قولَها لولا العيونُ التي تَرى لزُرْتُكَ فاعذِرْنِي فَدَتْـك جُدُودُ[5]

خليليّ مـا أَلْقى مـن الوجد قاتلي ودَمْعي بمــا قلتُ الغَداةَ شَهِيدُ[6]

يقولون جاهــدْ يــا جميلُ بغَزْوةٍ وأيَّ جهــادٍ غيرَهــنّ أُرِيــدُ

1 هجرتيه فمنه تكثّري في ل : اسمه هجرة فتكثّري .

2 ريعان الشباب في الديوان أيّام الصفا 61 .

3 قريبٌ في الديوان صديق 62 .

4 في البيت اختلاف بيّن في الديوان 65 .

5 لزرتك في الديوان : أتيتك 62 .

6 ثمّة اختلاف بيّن في الديوان في هذا الشطر 62 .

لكلِّ حديثٍ بينهنّ بَشاشةٌ وكلُّ قَتيلٍ عندهنّ شَهِيدُ

الغناء للغَريض خفيفُ ثقيلٍ من رواية حَمّاد عن أبيه . وفي هذه القصيدة يقول :

إذا قلتُ ما بي يا بثينةُ قاتلي من الحبّ قالت ثابتٌ ويَزِيدُ
وإن قلتُ رُدِّي بعضَ عقلي أَعِشْ به مع الناسِ قالت ذاكَ منكَ بعيدُ
ألا قد أرى واللهِ أن رُبَّ عَبْرةٍ إذا الدّارُ شَطَّتْ بينَنا ستَرُودُ[1]
إذا فكَّرتْ قالت قد ادركتُ ودَّه وما ضَرَّني بُخْلي فكيف أَجُودُ
فلو تُكْشَفُ الأَحْشاءُ صُودِفَ تحتَها لبَثْنَةَ حبٌّ طارِفٌ وتَلِيدُ
تُذَكِّرُنِيها كلُّ ريحٍ مَريضةٍ لها بالتِّلاعِ القاوياتِ وَئِيدُ[2]
وقد تَلْتقِي الأَشْتاتُ بعد تفرُّقٍ وقد تُدْرَكُ الحاجاتُ وهي بعيدُ[3]

[عاتبته بثينة لشعر قاله فيها]

أخبرني عليّ بن صالح قال حدَّثني عمر بن شَبّة عن إسحاق قال : لقي جميلٌ بثينةَ بعد تهاجُرٍ كان بينهما طالت مدّتُه ، فتعاتبا طويلاً فقالت له : وَيْحَكَ يا جميل ! أتزعم أنّك تَهْواني وأنت الذي تقول : [من الطويل]

رَمى اللهُ في عينيْ بُثَينةَ بالقَذَى وفي الغُرِّ من أنْيابِها بالقَوادِحِ !

فأَطْرق طويلاً يبكي ثم قال : بل أنا القائلُ : [من الطويل]

ألا ليتَني أَعْمَى أَصمُّ تَقُودُني بثينةُ لا يَخْفَى عليّ كلامُها

فقالت له : وَيْحك ؛ ما حملك على هذه المُنى ! أوليس في سعةِ العافية ما كفانا جميعاً ! .

[تجسّس أبوها وأخوها كلامه مع بثينة فلم يريا ريبة]

قال إسحاق وحدَّثني أيُّوب بن عَباية قال : سَعَتْ أَمَةٌ لبُثَيْنةَ بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما : إنّ جميلاً عندها الليلةَ ؛ فأتياها مشتملين على سيفين ، فرأياه جالساً حَجْرةً منها يحدّثها ويشكو إليها بَثّه ، ثم قال لها : يا بُثَيْنة ، أرأيتِ وُدّي إيّاكِ وشَغَفي بكِ ألا تَجْزِينِيه ؟ قالت : بماذا ؟ قال : بما يكون بين المتحابّين . فقالت له : يا جميل ، أهذا تَبْغي ! والله لقد كنتَ عندي بعيداً منه ، ولئن عاودْتَ تعريضاً برِيبةٍ لا رأيتَ وجهي أبداً . فضحك وقال : والله ما قلتُ لكِ هذا إلاّ لأعلمَ ما عندَك فيه ، ولو علمتُ أنّك تُجِيبيننَي إليه لعلمتُ أنّك

1 ترود أي تذهب وتجيء .
2 القاويات : الخاليات . والوئيد : الصوت العالي الشديد .
3 الأشتات في ل : الأسباب بعد إياسها . وفي الديوان اختلاف بيّن 65 .

تُجيبين غيري ، ولو رأيتُ منك مساعدةً عليه لضربتُك بسيفي هذا ما استَمْسَكَ في يدي ، ولو أطاعتْني نفسي لهجرتُكِ هِجْرَةَ الأَبَدِ ؛ أَوَ ما سمعتِ قولي : [من الطويل]

وإنّـي لأَرْضَى مـن بُثَيْنةَ بالذي ... لـو أبْصَرَه الواشي لقرّتْ بَلابِلُهْ
بَـلا وبـأن لا أستطيعَ وبالمُنَى ... وبالأَملِ المرجوِّ قـد خاب آمِلُهْ
وبالنَّظْرةِ العَجْلَى وبالحَوْل تَنْقضي ... أواخـرُه لا نَلْتَقـي وأوائلُهْ

قال فقال أبوها لأخيها : قُمْ بنا ، فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها ، فانصرفا وتركاهما .

[قابلها مرّة بسعي صديق له]

أخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عَبايةَ عن رجل من عُذْرة قال : كنتُ تِرْباً لجميل وكان يَأْلَفُني ، فقال لي ذاتَ يوم : هل تساعدني على لقاء بُثينة ؟ فمضيتُ معه ، فكَمن لي في الوادي وبعَث بي إلى راعي بُثينة بخاتَمِه ، فدفعتُه إليه ، فمضى به إليها ثم عاد بمَوْعِد منها إليه . فلمّا كان الليلُ جاءته فتحدّثا طويلاً حتى أَصْبحا ثم ودّعها وركب ناقته . فلمّا استوَى في غَرْزِها[1] وهي باركةٌ قالت له : ادْنُ منّي يا جميل .

صوت

[من الكامل]

إنّ المنـازلَ هيَّجـتْ أَطْرابـي ... واستَعْجَمَـتْ آياتُهـا بجَوابـي
قَفْراً تَلُوحُ بـذي اللُّجَين كأنّها ... أَنْضاءُ رَسْمٍ أو سُطورُ كتابِ
لمـا وَقَفْتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ ... منّـي الدموعُ لفُرْقـة الأَحبابِ
وذكرتُ عصراً يـا بثينةُ شاقَني ... وذكرتُ أيّامـي وشَرْخَ شبابي[2]

الغناء في هذه الأبيات للهُذَليّ ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[أرسل كثيِّراً إلى بثينة ليستجدّ منها موعداً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق الموصليّ عن السَّعِيديّ ، وأخبرني محمّد بن مَزْيد قال حدّثنا حَمّاد عن أبيه قال حدّثنا أبو مالكٍ النَّهْدِيّ قال : جلس إلينا كثيِّر ذاتَ يوم فتذاكرْنا جميلاً ؛ فقال : لقيني مرّةً فقال لي : من أين أقبلت ؟ قلتُ : من عند أبي الحبيبة (أعني بثينة) . فقال : وإلى أين تمضي ؟ قلت : إلى

1 الغرز : ركاب الرحل من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب .
2 في الديوان اختلاف بيّن 32 .

الحبيبة (أعني عَزّة) . فقال : لا بدّ من أن ترجع عَوْدك على بَدْئك فتستجدّ لي موعداً من بُثَينة . فقلت : عهدي بها الساعةَ وأنا أستحيي أن أرجِع . فقال : لا بدّ من ذلك . فقلت له : فمتى عَهْدُك ببُثينة ؟ فقال : في أوّل الصيد وقد وقعتْ سحابةٌ بأسفل وادي[1] الدَّوْم فخرجتْ ومعها جاريةٌ لها تَغْسِل ثيابَها ؛ فلمّا أبصرتْني أنكرتْني ، فضربتْ بيديها إلى ثوب في الماء فالتَحفتْ به ، وعرَفتْني الجاريةُ ، فأعادت الثوب في الماء ، وتحدّثْنا حتى غابت الشمس . وسألتُها الموعد فقالت : أهلي سائرون ؛ وما وجدتُ أحداً آمَنُه فأُرسلَه إليها . فقال له كُثيِّر : فهل لك في أن آتيَ الحيّ فأَنْزِعَ[2] بأبياتٍ من شعرٍ أذكرُ فيها هذه العَلامة إن لم أقدِر على الخَلْوة بها ؟ . قال : ذلك الصوابُ ، فأرسله إليها ؛ فقال له : انتظرْني . ثم خرج كثيِّر حتى أناخ بهم . فقال له أبوها : ما رَدّكَ ؟ قال : ثلاثةُ أبياتٍ عرَضتْ لي فأحببتُ أن أعْرِضها عليكَ . قال : هاتِها . قال كثيِّر : فأنشدته وبُثَيْنةُ تسمَع : [من الطويل]

فقلتُ لها يا عزَّ أُرْسِلُ صاحبي ... إليكِ رسولاً والمُوَكَّلُ مُرْسَلُ
بأن تجعَلي بَيْني وبَيْنَكِ موعِداً ... وأنْ تأمُريني ما الذي فيه أفعلُ
وآخِرُ عهدي منكِ يومَ لقيتني ... باسفلِ وادي الدَّوْمِ والثوبُ يُغْسَلُ

قال : فضربتْ بُثَينة جانبَ خِدْرها وقالت : إخْسَأ إخْسَأ ! فقال أبوها : مَهْيَمْ[3] يا بُثَينة ؟ قالت : كلبٌ يأتينا إذا نَوّم الناسُ من وراء الرّابية . ثم قالت للجارية : ابْغِينا من الدَّوْماتِ حطباً لنذبحَ لكثيِّر شاةً ونشويَها له . فقال كثيِّر : أنا أعجَلُ من ذلك . وراح إلى جميلٍ فأخبره . فقال له جميل : الموعدُ الدَّوْماتُ . وقالت لأُمّ الحسين ولَيْلَى ونُجَيّا بناتِ خالتها وكانت قد أنِسَتْ إليهنّ واطمأنّتْ بهنّ : إنّي قد رأيتُ في نحو نشيدِ كثيِّر أنّ جميلاً معه . وخرج كثيِّر وجميلٌ حتى أتَيا الدَّوْماتِ ، وجاءت بُثَيْنة ومَن معها ، فما برِحوا حتى بَرَق الصبحُ . فكان كثيِّر يقول : ما رأيتُ مجلساً قطُّ أحسنَ من ذلك ولا مثل علمِ أحدهما بضمير الآخر ! ما أدْري أيُّهما كان أفْهمَ !

[وصف صالح بن حسّان بيتاً من شعره]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا الخَليل بن أسَد قال حدّثنا العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ ، وأخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال قال لي

1 وادي الدوم : واد معترض من شمال خيبر إلى قبليها ، وهو يفصل بين خيبر والعوارض .
2 نزع الشعر : تمثّل به .
3 مهيم : كلمة يمانية معناها : ما أمرك ، وما شأنك ، وما الذي أرى بك ؟ ونحو هذا من الكلام .

صالح بن حَسّان : هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخرُه مخنَّثٌ من أهل العَقيق يتقصَّف تقصُّفاً ؟ قلتُ : لا . قال : قد أجَّلْتُك حَوْلاً . قلتُ : لا أدْرِي ما هو ؛ فقال قولُ جميل : [من الطويل]

أَلاَ أَيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

كأنّه أعرابيّ في شَمْلة . ثم أدركه ما يدرك العاشقَ فقال : [من الطويل]

أُسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحبُّ

كأنّه من كلام مُخنَّثي العَقيق .

[أهدر السلطان لأهل بثينة دمه إن لقيها وما كان منه بعد ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال أخبرنا عبد الله بن أبي كَريم عن أبي عمرو وإسحاقَ بن مَروان قال : عشق جميلٌ بثينة وهو غلام ، فلمّا بلغ خطبَها فمُنع منها ، فكان يقول فيها الأشعارَ ، حتى اشتهَر وطُرد ، فكان يأتيها سِرّاً ثم تزوّجت فكان يزورها في بيت زوجها في الحين خُفْية إلى أن استُعمل دَجاجةُ بن رِبعِيّ على وادي القُرَى فشكوْه إليه فتقدّم إليه ألاّ يُلِمَّ بأبياتها وأهْدَر دمَه لهم إن عاود زيارتَها ، فاحتَبس حينئذٍ .

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدَّثنا أحمد بن أبي العَلاء قال حدَّثني إبراهيم الرّمّاح قال حدَّثنا جابر أبو العَلاء التَّنُوخيّ قال : لمّا نذَر أهلُ بُثَينة دمَ جميل وأهدَره لهم السلطان ضاقتْ الدنيا بجميل ، فكان يَصْعَد بالليل على قُورٍ[1] رملٍ يتنسَّم الريحَ من نحو حَيّ بُثينة ويقول : [من الوافر]

أَيـا ريحَ الشَّمالِ أما تَرَيْني ... أَهِيمُ وأَنّني بادِي النُّحُولِ

هَبي لي نَسْمةً من ريح بَثْنٍ ... ومُنّي بالهُبُوبِ إلى جَميلِ

وقولي يا بُثَينةُ حَسْبُ نَفْسي ... قليلُكِ أو أقـلُّ من القليلِ

فإذا بدا وَضَحُ الصبح انصرف . وكانت بثينة تقول لجَوارٍ من الحيّ عندها : وَيْحَكنّ ! إنّي لأسمع أنِينَ جميل من بعض القِيرانِ ؛ فيقلن لها : اتّقي الله ؛ فهذا شيء يخيِّله لك الشيطانُ لا حقيقةَ له .

[تذاكر هو وكثيِّر شعريهما في العشق وبكيا]

حدَّثني أحمد بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن نُعَيم قال حدَّثني أحمد بن يَعْلَى قال حدَّثني سُوَيد بن عِصام قال حدَّثني رَوْح أبو نعيم قال : التقى جميلٌ وكثيِّر فتَذاكرا النَّسيبَ ؛ فقال

1 القور : الآكام العظيمة ، واحدها قارة .

كثيِّر : يا جميل ، أترى بُثَينة لم تسمع بقولك : [من الطويل]

يقِيكِ جميل كلَّ سُوءٍ ، أمـا لـه لديكِ حديـثٌ أو إليكِ رسولُ
وقد قلـتُ في حبِّي لكم وصَبابتي مَحاسِنَ شعـرٍ ذِكْرُهـنّ يَطُولُ
فـإن لم يكـن قولي رضاكِ فعَلِّمِي هُبوبَ الصَّبا يـا بَثْن كيف أقولُ
فما غاب عن عيني خيالُكِ لحظةً ولا زال عنهـا ، والخيالُ يَزُولُ

فقال جميل : أترى عَزَّة يا كثيِّر لم تسمع بقولك : [من الطويل]

يقول العِدا يا عَزّ قـد حال دونكم شجاعٌ على ظهر الطريق مصَمِّمُ
فقلتُ لهـا واللهِ لـو كان دونكم جهنّمُ مـا راعـتْ فؤادِي جهنَّمُ
وكيف يَرُوع القلبَ يا عـزّ رائعٌ ووجهكِ في الظَّلْماء للسَّفْر مَعْلَمُ
وما ظلمتْكِ النفسُ يا عَزّ في الهوى فـلا تَنْقِمِي حُبِّي فما فيه مَنْقَمُ

قال : فبكيا قطعةً من الليل ثم انصرفا .

[واعد بثينة وعرف ذلك أهلُها فلم تذهب]

وقال الهيثم بن عديّ ومن ذكَر روايتَه معه من أصحابه : زار جميلٌ بُثَنَةَ ذاتَ يومٍ ، فنزل قريباً من الماء يترصّد أَمَةً لها أو راعية ، فلم يكن نزولُه بعيداً من ورود أَمَة حبشيّة معها قِربةٌ ، وكانت به عارفةً وبما بينها وبينه . فسلَّمتْ عليه وجلست معه ، وجعل يحدِّثها ويسالها عن أخبار بُثَينة ويحدِّثها بخبره بعدها ويُحمِّلُها رسائلَه . ثم أعطاها خاتَمه وسألها دَفْعَه إلى بُثَينة وأَخْذَ موعدٍ عليها ، ففعلتْ وانصرفتْ إلى أهلها وقد أبطأتْ عليهم . فلقيها أبو بُثَينة وزوجُها وأخوها فسألوها عمّا أبْطأ بها ، فالتوتْ عليهم ولم تُخبرهم وتعلَّلتْ ؛ فضربوها ضرباً مبرِّحاً ؛ فأعلمتْهم حالَها مع جميل ودفعتْ إليه خاتَمه . ومرَّ بها في تلك الحال فَتَيان من بني عُذْرة فسمعا القصّة كلَّها وعرَفا الموضعَ الذي فيه جميل ، فأحبّا أن يُثبِّطا عنه فقالا للقوم : إنّكم إن لقيتُم جميلاً وليستْ بُثَينةُ معه ثم قتلتُموه لزمكم في ذلك كلُّ مكروه ؛ وأهلُ بُثَينة أعزُّ عُذْرةَ ، فدَعُوا الأَمَةَ تُوَصِّل خاتَمه إلى بُثَينة ، فإذا زارها بيَّتُوهما جميعاً ؛ قالوا : صدَقتما لعَمْري إنّ هذا الرأيُ . فدفعوا الخاتم إلى الأَمَةَ وأمروها بإيصاله وحذَّرُوها أن تُخبر بثينةَ بأنّهم علِموا القِصّة ، ففعلتْ . ولم تُعلم بثينةُ بما جَرى . ومضى الفَتَيانِ فأنذرا جميلاً ؛ فقال : واللهِ ما أرْهَبهم ، وإن في كِنانتي ثلاثين سهماً واللهِ لا أخطأ كلُّ واحد منها رجلاً منهم ، وهذا سيفي واللهِ ما أنا به رَعِشُ اليد ولا جَبانُ الجَنان . فناشداه اللهَ وقالا : البقيَّة[1] أصلح ، فتُقيم

1 البقية كالبقيا وهي أن تبقي على عدوٍ له ولا تستأصله .

عندنا في بيوتنا حتى يَهْدأ الطلب ، ثم نبعثُ إليها فتزورُك وتَقْضي من لقائها وَطَراً وتنصرفُ سليماً غير مُؤَبَّن[1] . فقال أمّا الآنَ فابعثا إليها مَن يُنذرها ؛ فأتياه براعيةٍ لهما وقالا له : قُلْ بحاجتك ؛ فقال : ادخلي إليها وقُولي لها : إنّي أُردتُ اقتناصَ ظبي فحذره ذلك جماعةٌ اعْتَوَرُوه من القُناص ففاتَني الليلةَ . فمضتْ فأعلمتْها ما قال لها ؛ فعرَفتْ قصّته وبحثتْ عنها فعرفتْها ؛ فلم تخرج لزيارته تلك الليلة ورصَدوها فلم تَبْرَحْ مكانَها ومَضَوْا يَقْتَصُّون أثَره فرأوْا بعرَ ناقته فعرفوا أنّه قد فاتهم ، فقال جميل في ذلك : [من الطويل]

خليليّ عُوجا اليـومَ حتى تسلِّما ... على عَذْبـةِ الأنيـابِ طيِّبة النَّشْرِ
أُلِمَّا بهـا ثـم اشفَعا لي وسلِّما ... عليها سقاها اللهُ من سَبَلِ القَطْرِ[2]

* * *

إذا ما دَنَتْ زِدْتُ اشتياقاً وإن نأت ... جَزِعْتُ لنأْي الدار منها وللبُعْدِ[3]
أبى القلبُ إلاّ حـبَّ بَثْنةَ لم يُـرِدْ ... سِواها وحبُّ القلبِ بَثْنَةَ لا يُجْدِي

قال : وقال أيضاً : ومن الناس من يُضيف هذه الأبيات إلى هذه القصيدة ؛ وفيها أبياتٌ معادةُ القَوافي تدلّ على أنّها مفردةٌ عنها ، وهي : [من الطويل]

ألم تَسْألِ الدارَ القديمةَ هل لها ... بأُمِّ جُسَيْرٍ بعد عهدكَ من عهدِ

وفيها يقول : [من الطويل]

صوت

سَلي الرَّكْبَ هل عُجْنا لِمَغْناكِ مَرّةً ... صدورَ المطايـا وهـي مُوقَرَةٌ تَخْدِي
وهـل فاضتِ العينُ الشَّرُوقُ بمائها ... مِنَ آجْلِكِ حتى أخْضَلَّ من دمعها بُرْدِي

الغناء لأحمد بن المكّيّ ثاني ثقيلٍ بالوسطى :

وإنّي لأَسْتَجْرِي لكِ الطيرَ جاهـداً ... لتجرِي بيُمْنٍ مـن لقائكِ من سعدِ
وإنّي لأَسْتَبْكي إذا الركبُ غَرَّدُوا ... بذكراكِ أن يحيا بكِ الركبُ إذ يَخْدِي
فهـل تَجْزِيَنّـي أُمُّ عمـرٍو بودِّهـا ... فإنّ الذي أُخْفِي بهـا فوقَ ما أُبْدِي
وكلُّ محـبٍّ لم يَـزِدْ فـوقَ جَهْـدِه ... وقد زدتُها في الحبّ منّـي على الجَهْدِ

1 غير مؤبن : غير معيب . يريد لم تصب بمكروه .
2 سبل في الديوان : سائغ 103 .
3 دنت في الديوان : صقبت 74 .

[قصّته مع أُمّ منظور وقد أبت عليه أن تريه إيّاها]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم وغيره وبُهْلول بن سليمان البَلَويّ : أنّ رهط بُثَينة ائتمنوا عليها عجوزاً منهم يَثِقُون بها يقال لها أُمّ منظور . فجاءها جميل فقال لها : يا أُمّ منظور ، أَرِيني بثينةَ . فقالت : لا ؛ واللهِ لا أفعل ، قد ائتمنوني عليها . فقال : أما واللهِ لأُضُرَّنَّكِ ؛ فقالت : المَضَرَّةُ واللهِ في أن أُرِيكَها . فخرج من عندها وهو يقول : [من الطويل]

ما أَنْسَ لا أَنْسَ منها نظرةً سَلَفَتْ بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمُّ منظورِ[1]

ولا انسِلابتَها خُرْساً جبائرُها إليَّ من ساقِط الأَرْواقِ مستورِ[2]

قال : فما كان إلاّ قليلٌ حتى انتهى إليهم هذان البيتان . قال : فتعلَّقوا بأُمّ منظور فحلَفتْ لهم بكلِّ يمينٍ فلم يقبلوا منها ؛ هكذا ذكَر الزُّبَير بن بَكّار في خبر أُمّ منظور ، وقد ذُكر فيه غير ذلك .

[استدعى مصعب أمّ منظور وسألها عن قصّتها مع جميل وبثينة]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المرزُبان قال حدَّثنا أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدَّثني العُمَريّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ ، وأخبرني به ابنُ أبي الأزهر عن حَمّاد عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ : أنّ رجلاً أنْشد مُصْعَبَ بنَ الزُّبَير قولَ جميل : [من الطويل]

ما أَنْسَ لا أَنسَ منها نظرةً سلَفتْ بالحِجْر يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

فقال : لودِدْتُ أنّي عرفتُ كيف جَلَتها . فقيل له : إنّ أُمّ منظور هذه حَيّة . فكتب في حَمْلِها إليه مكرَّمة فحُمِلتْ إليه . فقال لها : أخبريني عن قول جميل : [من الطويل]

ما أَنْس لا أَنْس منها نظرةً سلَفتْ بالحِجْرِ يومَ جَلَتْها أُمّ منظورِ

كيف كانت هذه الجَلْوة ؟ قالت : ألبستُها قِلادَةَ بَلَح ومِخْنَقةَ بَلَح واسطتُها تفّاحةٌ ، وضفَرتُ شعرَها وجعلت في فَرْقِها شيئاً من الخَلُوق . ومَرّ بنا جميلٌ راكباً ناقته فجعل ينظر إليها بمُؤْخِر عينه ويلتفت إليها حتى غاب عنّا . فقال لها مُصْعَب : فإنّي أُقْسِم عليكِ إلاّ جَلَوْتِ عائشةَ بنت طَلْحة مثلَ ما جَلَوْتِ بثينةَ ، ففعلتْ . وركب مُصْعَبٌ ناقتَه وأقبل عليهما وجعل ينظُر إلى عائشةَ بمُؤْخِر عينِه ويسير حتى غاب عنهما ثم رجع .

---

1 الحجر : اسم موضع .

2 انسلب في الأصل : أسرع ، كأنّه لسرعته يخرج من جلده ، وهو في الأصل أكثر ما يستعمل في الناقة . الجبائر : الأساور . الأرواق : الفساطيط .

[زارها مرّة متنكّراً في زيّ سائل]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني بُهْلول عن بعض مشايخه : أنّ جميلاً جاء إلى بُثينة ليلةً وقد أُخذ ثيابَ راعٍ لبعض الحَيّ ، فوجد عندها ضيفاناً لها ، فانتبَذ ناحيةً ، فسألَتْه : مَن أنت ؛ فقال : مسكينٌ مُكاتَب ، فجلس وحدَه ، فعَشَّتْ ضيفانَها وعشّتْه وحدَه . ثم جَلَسَتْ هي وجاريةٌ لها على صِلائهما واضطَجع القومُ مُنْتَحِين . فقال جميلٌ : [من البسيط]

هـل البائسُ المَقْرورُ دانٍ فمُصْطَلٍ مِـنَ النارِ أو مُعْطىً لِحافاً فلابسُ

[واعدته مرّة وأحسّ أهلها فمنعوها فقال في ذلك شعراً]

فقالت لجاريتها : صوتُ جميلٍ والله ؛ اذهبي فانظري ! . فرجعتْ إليها فقالت : هو والله جميل ! فشهَقت شَهْقةً سمعها القومُ فأقبلوا يَجُرُّون وقالوا ما لكِ ؟ فطرحتْ بُرْداً لها من حِبَرَةٍ في النار وقالت : احترق بُرْدِي ، فرجع القومُ . وأرسلتْ جاريتَها إلى جميل ، فجاءتها به ، فحبسته عندها ثلاثَ ليالٍ ، ثم سلَّم عليها وخرج .

وقال الهَيْثَم وأصحابه في أخبارهم : كانت بُثَينةُ قد واعدتْ جميلاً للالتقاء في بعض المواضع ، فأتى لوَعْدها . وجاء أعرابيٌّ يَسْتضيف القومَ فأَنْزلُوه وقَرَوْه ، فقال لهم : إنّي قد رأيتُ في بطن هذا الوادي ثلاثةَ نَفَرٍ متفرّقين مُتَوارِينَ في الشجر وأنا خائفٌ عليكم أن يَسُلّوا بعضَ إبلِكم . فعرفوا أنّه جميلٌ وصاحباه ، فحرَسوا بثينةَ ومنعوها من الوفاء بوعده . فلمّا أَسْفَرَ له الصبحُ انصرف كئيباً سيِّىء الظنّ بها ورجَع إلى أهله ، فجعل نساءُ الحيِّ يُقَرِّعْنَه بذلك ويقلن له : إنّما حصَلتَ منها على الباطل والكذب والغدر ، وغيرُها أولى بوَصْلِك منها ، كما أنّ غيرك يَحْظى بها . فقال في ذلك : [من الكامل]

أبُثَين إنّكِ قد مَلَكْتِ فأَسْجِحِي وخُذِي بحظّكِ مـن كريم واصلِ

صوت

فلـرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَهـا بالجِـدّ تَخْلِطُـه بقـول الهـازلِ
فأجبتُهـا بالقـول بعـد تستُّرٍ حُبِّـي بثينةَ عن وصالكِ شاغلي
لـو كان في قلبـي كقَدْر قُلامـةٍ فضلاً وصلتُك أو أتَتْـكِ رسائلي

الغناء ليحيى المكّيّ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى من رواية أحمد .

ويَقُلْنَ أنّكَ قـد رضيتَ بباطلٍ منها فهل لك في اجتناب الباطلِ
ولباطـلٌ ممّـن أحـبُّ حديثَـه أشْهَـى إليّ مـن البَغِيضِ الباذلِ

الغناء لسُلَيم رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر عمر أنّه ليَزيد حَوراء .

[قصّته مع بثينة وقد علم زوجها بمقامه معها وما قيل في ذلك من الشعر]

وذكر الهَيْثَم بن عَدِيّ وأصحابُه أنّ جماعةً من بني عُذْرةَ حَدّثوا أنّ جميلاً رصد بثينةَ ذاتَ ليلةٍ في نُجْعةٍ لهم ، حتى إذا صادف منها خَلْوةً سكِر ودنا منها وذلك في ليلةٍ ظَلماءِ ذاتِ غَيْم وريح ورعد ، فحذَفها بحَصاةٍ فأصابتْ بعضَ أترابها ، ففزِعتْ وقالت : والله ما حذَفَني في هذا الوقت بحصاةٍ إلاّ الجنُّ ! فقالت لها بثينةُ وقد فطِنتْ : إنّ جميلاً فعل ذلك فانصرفي ناحيةً إلى منزلكِ حتى ننام ، فانصرفتْ وبقيتْ مع بُثَينةَ أُمُّ الجُسَيْر وأُمُّ منظور ، فقامت إلى جميل فأدخلتْه الخِباءَ معها وتحدّثا طويلاً ، ثم اضطَجع واضطجعتْ إلى جَنْبه فذهبَ النومُ بهما حتى أصْبحا وجاءها غلامُ زوجِها بصَبُوح من اللبن بعث به إليها ، فرآها نائمةً مع جَميل ، فمَضى لوجهِه حتى خبَّر سيِّدَه . ورأتْه لَيْلى والصَّبُوحُ معه وقد عَرفتْ خبرَ جميلٍ وبُثينة فاستوقفتْه كأنّها تسأله عن حاله وبعَثتْ بجارية لها وقالت حَذِّري بثينةَ وجميلاً ، فجاءت الجاريةُ فنبّهَتْهما . فلمّا تبيَّنَتْ بثينةُ الصبحَ قد أضاءَ والناسَ منتشرين ارتاعتْ وقالت : يا جميلُ ! نفسَك نفسَك ! فقد جاءني غلام نُبَيْهٍ بصَبُوحِي من اللبن فرآنا نائمَيْن ؛ فقال لها جميل وهو غير مكترثٍ لما خوّفَتْه منه : [من الطويل]

لعَمْرُكِ مـا خوَّفْتِني مـن مَخافةٍ ... بُثَيْن ولا حَذَّرْتِني موضعَ الحَذَرْ
فأُقْسِمُ لا يُلْفَـى لِيَ اليومَ غِـرَّةٌ ... وفي الكَفِّ منّي صارمٌ قاطِعٌ ذَكَرْ

فأقسمتْ عليه أن يُلْقيَ نفسَه تحت النَّضَدِ[1] وقالت : إنّما أسألك ذلك خوفاً على نفسي من الفضيحة لا خوفاً عليك ، ففعل ذلك ونامت كما كانت ، واضطَجعتْ أُمّ الجُسَير إلى جانبها وذهبتْ خادمُ لَيْلَى إليها فأخبرتْها الخبرَ فتركتِ العبدَ يمضي إلى سيِّده فمضَى والصَّبُوح معه وقال له : إنّي رأيتُ بثينة مُضْطَجعةً وجميلٌ إلى جَنبها . فجاءَ نُبَيه إلى أخيها وأبيها فأخذ بأيديهما وعرَّفهما الخبرَ وجاءوا بأجمعهم إلى بُثينة وهي نائمة فكشَفوا عنها الثوبَ فإذا أُمُّ الجُسَير إلى جانبها نائمة . فخجِل زوجُها وسَبّ عبدَه وقالت لَيْلَى لأخيها وأبيها : قبّحكما اللهُ ! أفي كلِّ يوم تَفْضَحان فَتاتَكما ويَلْقاكما هذا الأعور فيها بكلِّ قبيح ؛ قبّحه اللهُ وإيّاكما ! وجعَلا يَسُبّان زوجَها ويقولان له كلَّ قول قبيح . وأقام جميلٌ عند بثينةَ حتى أجَنَّه الليلُ ثم ودَّعها وانصرف . وحَذِرَتْهم بُثَيْنةُ لِمَا جَرى من لقائه إيّاها فَتحامَتْه[2] مدّةً ، فقال في ذلك : [من الطويل]

---

1 النضد : متاع البيت المنضود بعضه فوق بعض .

2 في ل : وحذرته عدة .

صوت

أإن هتفتْ وَرْقـاءُ ظَلْتَ سَفاهةً تُبَكّي على جُمْلٍ لوَرْقـاءَ تَهْتِفُ
فلو كان لي بالصرم يا صاحِ طاقةٌ صرَمتُ ولكنّي عن الصرم أضعُفُ[1]

للهُذَليّ في هذين البيتين لحنانِ أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة في مجرى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وذكَر غيرُه أنّه لابن جامع . وفيه لبَذْل الكُبْرى خفيف ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن أحمد بن المَكّيّ . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدةِ قولُه : [من الطويل]

صوت

لهـا في سَواد القلبِ بالحُـبِّ مَيْعةٌ هي الموتُ أو كادتْ على الموت تُشْرِفُ
وما ذكرتْكِ النفسُ يـا بَثْنَ مـرّةً مـن الدَّهـرِ إلاّ كادتِ النفسُ تَتْلَفُ
وإلاّ اعترتْنـي زَفْـرةٌ واستكانـةٌ وجاد لهـا سَجْلٌ من الدَّمعِ يَذْرِفُ[2]
ومـا استَظْرفتْ نفسي حديثاً لخُلَّةٍ أُسَرُّ بـه إلاّ حديثُـكِ أَطْـرَفُ

الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطى عن الهِشاميّ . وأوّل هذه القصيدة :

أمِـنْ منزلٍ قَفْـرٍ تَعَفَّـتْ رُسُومَـه شَمالٌ تُغادِيـه ونَكْبـاءُ حَرْجَفُ[3]
فأصبح قَفْـراً بعـد مـا كان آهِلاً وجُمْـلُ المُنَـى تَشْتُو بـه وتُصَيِّفُ
ظَلِلتُ ومُسْتَنٌّ مـن الدَّمعِ هامِلٌ مـن العينِ لما عُجْتُ بالدّارِ يَنْزِفُ[4]
أمُنْصِفَتـي جُمْـلٌ فتَعْـدِلَ بيننـا إذا حكمتْ والحاكمُ العَدْلُ يُنْصِفُ
تعلَّقْتُهـا والجسمُ منّـي مصحَّحٌ فما زال يَنْمي حُبُّ جُمْلٍ وأَضْعُفُ[5]
إلى اليومِ حتى سَلَّ جسمِي وشَفني وأنكرتُ من نفسي الذي كنت أعرِفُ
قَناةٌ مـن المُرّانِ مـا فـوقَ حَقْوِها ومـا تحتَـه منهـا نَقـاً يتقصَّفُ

1 يا صاح في الديوان يا بثنُ 132 .
2 زفرة في الديوان : عبرة ، في الديوان اختلاف 132 .
3 الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب .
4 مستنّ : منصب .
5 في الديوان اختلاف 133 .

لها مُقْلَتا رِيم وجِيدُ جِدايةٍ ... وكَشْحٌ كطَيِّ السابِرِيَّةِ أَهْيَفُ[1]
ولستُ بناسٍ أَهلَها حينَ أَقْبَلُوا ... وجالُوا علينا بالسيوفِ وطَوَّفُوا
وقالوا جَمِيلٌ باتَ في الحَيِّ عندها ... وقد جَرّدوا أَسيافَهم ثم وَقَّفُوا
وفي البيت لَيْثُ الغابِ لولا مَخافةٌ ... على نفس جُمْلٍ والإلهِ لأُرْعِفُوا[2]
هَمَمْتُ وقد كادتْ مِراراً تطلَّعتْ ... إلى حَرْبِهم نفسي وفي الكفِّ مُرْهَفُ
وما سَرَّني غيرُ الذي كان منهمُ ... ومنِّي وقد جاءوا إليّ وأَوْجَفُوا
فكم مُرْتَجٍ أَمراً أُتِيحَ له الرَّدَى ... ومن خائفٍ لم يَنْتَقِصْه التخوُّفُ

[له بيت نصفه أعرابيّ ونصفه مخنث]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَرِيّ ، وأخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخَليل بن أَسَد قال حدَّثنا العُمَرِيّ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال ، قال لي صالح بن حَسّان : هل تعرف بيتاً نصفُه أعرابيٌّ في شَمْلة وآخِرُه مخنَّث يتفكَّك من مخنَّثي العَقِيق . فقلتُ : لا أَدْري . قال : قد أَجَّلْتُك فيه حَوْلاً . فقلت : لو أَجَّلْتَني حولَيْن ما علمتُ . قال : قولُ جميل : [من الطويل]

أَلاَ أَيُّها النُّوّامُ وَيْحَكُمُ هُبُّوا

هذا أعرابيٌّ في شَمْلة . ثم قال : [من الطويل]

نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ

كأنّه واللهِ من مخنَّثي العَقيق . في هذا الشعر غناء ؛ نسبتُه وشَرحُه : [من الطويل]

صوت

أَلاَ أَيُّها النُّوّام وَيْحَكُمُ هُبُّوا ... نسائلُكم هل يقتُل الرجلَ الحُبُّ
أَلا رُبَّ رَكْبٍ قد دفَعتُ وَجِيفَهم ... إليكِ ولولا أَنتِ لم يُوجِفِ الرَّكْبُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة والوُسْطى عن يحيى المكّيّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبه إلى أَحد . وفيه لسُلَيم ماخُورِيٌّ عن الهِشاميّ . وفيه لمالك ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مَجْرى الوسطى عن إسحاق ، وقيل : إنّه لمَعْبَد . وفيه لعَرِيبَ هَزَجٌ من رواية ابن

1 الجداية : الذكر والأنثى من أولاد الظباء إذا بلغت ستّة أشهر . السابري : الرقيق من الثياب ، وهو أيضاً الدرع الدقيقة النسج .
2 أرعفه : أعجله .

المعتزّ . وذكر عبد الله بن موسى أنّ لحن مالك من الثقيل الأوّل وأنّ خفيف الرَّمَل لابن سُرَيج وأنّ الهزج لحَمْدونةَ بنتِ الرَّشِيد .

[جفا بثينة لما علقت حجنة الهلالي]

أخبرنا الحُسَين بن يحيى المِرْداسيّ قال أخبرنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب بن عَباية المُحْرِزيّ عن شيخ من رَهْطِ جميلٍ من عُذْرةَ : أنّ بُثينة لما علِقَتْ حُجْنة الهِلاليّ جَفاها جميلٌ . قال : وانشدني لجميلٍ في ذلك : [من الطويل]

صوت

بَيْنــا حِبــالٌ ذاتُ عَقْدٍ لبَثْنةٍ أُتِيحَ لهـا بعضُ الغـواةِ فحلَّها
فعُدْنا كأنّا لم يكن بيننا هَوىً وصار الذي حَلّ الحبالَ هَوىً لها
وقالوا نَراها يـا جميلُ تبدَّلتْ وغيَّرهـا الواشي فقلتُ لعلَّها

الغناء للهُذليّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وذكره إسحاق في هذه الطريقة والإصبَع ولم ينسُبْه إلى أحد ؛ وفيه لسليمٍ ماخوريّ .

[تمثّل إفريقيّ بشعر له يعرّض فيه بفتى من آل عثمان]

أخبرني محمَّد بن مَزْيد قال حدَّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا أبو عَوْف عن عبد الرحمن بن مُقَرِّن قال : بعَثني المنصور لأبتاعَ له جاريةً من المدينة وقال لي : اعمَلْ برأي ابن نُفَيْس ؛ فكنت أفعل ذلك ، وأغشى ابنَه ، وكانت له جارية مغنِّيَة قد كَلِفَ بها فتىً من آل عثمانَ بنِ عَفّان ، فكان يبيع عُقْدةً[1] عقدة من ماله وينفق ثمنَها عليها . وابتُلي برجل من أهل إفْريقيَّةَ ومعه ابن له ، فغَشِيَ ابنُ الإفْريقيّ بيتَ ابن نُفَيْس فجعل يَكسو الجاريةَ وأهلَها ويَبَرُّهم حتى حَظِيَ عندهم وغلَب عليهم وتثاقلوا العثمانيّ . فقُضِيَ أن اجتمعْنا عشيّةً عندها وحضر ابنُ الإفريقيّ والعثمانيُّ ؛ فنزع ابنُ الإفريقيّ خُفَّه فتناثر المسْكُ منه ، وأراد العثمانيُّ أن يَكِيدَه بفعله . فجلسا ساعةً ؛ فقال لها ابن الإفريقيّ : غنِّي : [من الطويل]

بَيْنــا حِبــالٌ ذاتُ عَقْــدٍ لبَثْنــةٍ أُتِيــح لهـا بعضُ الغُــواةِ فَحَلَّها

يعرِّض بالعثمانيّ . فقال لها العثمانيّ : لا حاجة لنا في هذا ، ولكن غنِّي : [من الطويل]

ومن يَرْعَ نَجْداً يُلْفِنِي قــد رَعَيْته بجَنْيَتِه الأولى ويُـورِدْ على وِرْدِي

قال : فنكَس ابنُ الإفريقيّ رأسَه وخرج العثمانيُّ فذهب ، وخَمِد أهلُ البيت فما انتفعوا بقيَّة يومهم .

---

1 العقدة : الضيعة .

[شعره حين زوّجت بثينة نبيهاً]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ وبُهْلُول بن سليمانَ البَلَويّ : أنّ جميلاً قال لما زُوِّجتْ بُثَيْنةُ نُبَيهاً : [من الطويل]

صوت

أَلا نـادِ عِيراً مـن بُثَينـةَ تَرْتَعي نودِّعْ على شَحْطِ النَّوَى ونُوَدَّعِ[1]
وحَثُّوا على جمْع الرِّكابِ وقَرَّبُوا جِمالاً ونُوقـاً جِلّـةً لم تَضَعْضَعِ

في هذين البيتين رَمَلٌ لابن سُرَيج عن الهِشاميّ . وممّا يغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

أُعِيذُكِ بالرحمن من عَيْشِ شِقْوةٍ وأن تَطْمَعي يومـاً إلى غير مَطْمَعِ
إذا مـا ابنُ ملعونٍ تَحَدَّرَ رَشْحُهُ عليكِ فمُوتي بعد ذلك أو دَعِي
مَلِلْنَ ولم أَمْلَلْ ومـا كنتُ سائماً لأجمال سُعْدَى ما أَنَخْنَ بجَعْجَعِ[2]
وحَثُّوا على جَمْعِ الرِّكابِ وقَرّبوا جِمـالاً ونُوقـاً جِلّـةً لم تَضَعْضَعِ
أَلا قـد أرى إلاّ بُثَينـةَ هاهنـا لنـا بعـد ذا المُصْطافِ والمتربَّعِ

لَمَعْبد في الثالث والرابع من هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخِنصَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن سُرَيج في الأوّل والثاني والخامس خفيفُ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وللأَبْجَر في الأوّل والخامس والثالث والرابع رَمَلٌ بالبِنْصَر . وفي الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ يُنْسَب إلى معبد وغيره ، ولم تُعْرَف صحّتُه من جهةٍ يُوثَقُ بها .

[شعره لما أبعده السلطان عن بثينة]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال أنشدنا بُهْلُول بن سليمان لجَميل لما بعُد عن بُثَينةَ وخاف السلطانَ ، وكان بُهْلُولٌ يُعْجَب به : [من الطويل]

أَلا قـد أرى إلاّ بُثَينـةَ للقلبِ بَوادِي بَداً لا بحِسْمَى ولا الشَّغْبِ[3]
ولا ببُصاقٍ قد تَيمَّمْتَ فاعترفْ لما أنت لاقٍ أو تَنكَّبْ عن الرَّكْبِ[4]

1 العير : القافلة .
2 جعجع : موضع بعينه ، وهو في الأصل المتطامن من الأرض ، وهو أيضاً المكان الخشن الغليظ .
3 بدا : موضع بوادي عذرة قرب الشام . وحِسمى : موضع وراء وادي القرى ممّا يلي بلاد فلسطين من أرض الشام . وشغب : ضيعة خلف وادي القرى .
4 بصاق : موضع قريب من مكّة ، وقيل : هو جبل بين أيلة والتّيه .

أفي كلِّ يـومٍ أنت مُحْدِثُ صَبْوةٍ تموت لها بُدِّلْتُ غيرَك من قلبِ

[حديث عبد الملك معها عن عشق جميل لها]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا أبي عن يعقوب بن محمَّد الزُّهْرِيّ عن سليمانَ بن صَخْر الحَرَشيّ قال حدَّثنا سليمان بن زِياد الثَّقَفيّ : أنّ بُثَينة دخلتْ على عبد الملك بن مَرْوان . فرأى امرأةً خَلْفاءَ[1] مولّية ؛ فقال لها : ما الذي رأى فيكِ جميلٌ ؟ قالت : الذي رأى فيكَ الناسُ حين استخلفوك . فضحك عبد الملك حتى بَدَتْ له سِنٌّ سَوْداءُ كان يستُرها .

[شعره في جمله «جديل»]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم العُوَيْثيّ : أنّ جَمَل جميلٍ الذي كان يزور عليه بثينةَ يقال له «جَديل» وفيه يقول : [من الطويل]

أنَخْتَ جَدِيلاً عنـد بَثْنةَ ليلةً ويوماً أطال اللهُ رَغْـمَ جَدِيلِ
أليس مُناخُ النِّضْوِ يومـاً وليلةً لبَثْنةَ فيمـا بيننـا بقليـلِ ؟

[مهاجاته قومها بني الأحب وإهدار السلطان لهم دمه]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني أبو غَسّان محمَّد بن يحيى المَكّيّ : أنّ جميلاً لمّا اشتَهَرَتْ بثينةُ بحبّه إيّاها اعترضه عُبَيد الله بن قُطْبة أحد بني الأَحَبّ وهو من رَهْطِها الأَدْنَيْنَ فهجاه ؛ وبلغ ذلك جَميلاً فأجابه ، وتطاولا فغلبَه جميل وكَفّ عنه ابن قُطْبة ، واعترضه عُمَير بن رَمْل (رجلٌ من بَني الأَحَبّ) فهجاه . وإيّاه عَنى جميلٌ بقوله : [من الطويل]

إذا الناسُ هابُوا خِزْيَةً ذهبتْ بها أَحَـبُّ المَخازِي كَهْلُهـا ووَلِيدُها
لعَمْرُ عَجُـوزٍ طَرّقَتْ بـكَ إنّني عُمَير بنَ رَمْلٍ لابنُ حَرْبٍ أَقُودُها[2]
بنَفْسي فـلا تَقْطَعْ فؤادك ضَـلّةً كذلك حَزْنـي وعْثُهـا وصَعُودُها

قال : فاستعدوْا عليه عامرَ بن رِبْعِيّ بن دَجاجة ، وكانت إليه بلادُ عُذْرة ، وقالوا : يهجونا ويَغْشى بيوتَنا وينسُب بنسائنا ؟ فأباحهم دمَه ، وطُلِب فهرَب منه . وغضبتْ بُثَيْنةُ لهجائه أهلَها جميعاً . فقال جميل : [من الطويل]

ومـا صائبٌ من نابلٍ قذَفتْ بـه يـدٌ ومُمَـرُّ العُقْدتيْـن وَثِيـقُ[3]

1 الخلفاء : الحمقاء .
2 طرقت بك : حملت بك .
3 ممر العقدتين يعني وتراً . والممر : الشديد الفتل .

لـــه من خَوافي النَّسْرِ حُمٌّ نَظائِرٌ ونَصْـــلٌ كنَصْـــلِ الزَّاعِبيّ فَتِيقُ[1]
على نَبعـــةٍ زَوْراءَ أمّـــا خِطامُها فمَتْـــنٌ وأمّا عُودُهـــا فَعَتِيقُ[2]
بأوشَكَ قتلاً منك يـــوم رَميتِني نَوافِـــذَ لم تَظْهَـــرْ لهـــنّ خُـــروقُ
تَفَـــرَّقَ أهْلانـــا بُثَيْن فمنهـــمُ فريـــقٌ أقامـــوا واستَمـــرّ فـــريقُ
فلو كنتُ خوّاراً لقد باح مضمَري ولكنّنـــي صُلْـــبُ القَنـــاةِ عَريقُ[3]
كأنْ لم نُحـــارِبْ يا بُثَيْنَ لو آنّه تَكَشَّفُ غُمَّاهـــا وأنـــتِ صديقُ

قال ويدلّ على طلب عامر بني رِبْعِيّ إيّاه قوله : [من الطويل]

أضَرّ بأخْفـــافِ البُغَيْلـــةِ أنَّها حِذارَ ابنِ رِبْعِيّ بهنّ رُجومُ[4]

[لمّا أهدر دمه هرب إلى اليمن ثم رجع بعد عزل عامر إلى الشام]

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا محمَّد بن عبد الله الحَزَنْبَل الأصبهانيّ قال حدَّثني عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن أبيه قال حدَّثني بعضُ رُواة عُذْرة : أنّ السلطان أهدر دمَ جَميلٍ لرَهْط بُثَينة إن وجدوه قد غَشِي دُورَهم . فحذِرهم مدّة ، ثم وجدوه عندها ، فأعْذَروا إليه وتوعَّدوه وكرِهوا أن يَنْشَب بينهم وبين قومه حربٌ في دمِه ؛ وكان قومُه أعزَّ من قومها ، فأعادوا شكواه إلى السلطان ، فطلبه طلباً شديداً ، فهرب إلى اليمن فأقام بها مدّة . وأنشدني له في ذلك : [من الطويل]

ألَـــمَّ خَيـــالٌ مـــن بُثَينـــةَ طارقُ عـــلى النَّـــأي مُشْتـــاقٌ إليّ وشائقُ
سَرَتْ من تِلاعِ الحِجرِ حتى تخلَّصتْ إليّ ودُوني الأشْعَـــرُون وغـــافِقُ[5]
كأنّ فَتِيتَ المِسك خالـــط نَشْرَها تُغَـــلُّ بـــه أرْدانُهـــا والمَـــرافِقُ[6]
تقوم إذا قامـــت بـــه عـــن فِراشها ويَغْدُو بـــه مـــن حِضْنِها من تُعانِقُ

قال أبو عمرو وحدَّثني هذا العُذريّ : أنّ جميلاً لم يزلْ باليمن حتى عُزل ذلك الوالي عنهم ، وانتجعوا ناحيةَ الشام فرحَل إليهم . قال : فلَقِيتُه فسألتُه عمّا أحْدث بعدي ؛

1 الفتيق : الحاد الرقيق .
2 خطام القوس : وترها .
3 مضمري في ل : ميسمي .
4 الرجوم : اضطرام العدو أي شدّة السّير .
5 الأشعرون : جمع أشعري ، نسبة إلى الأشعر بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان . غافق : قبيلة .
6 غلّ الدهن في رأسه وفي ثوبه : أدخله فيه .

فأنشدني : [من الطويل]

سقَـى منزلَيْنا يـا بُثَينَ بحاجـرٍ على الهَجْـرِ منّـا صَيِّـفٌ ورَبِيعُ
ودُورَكِ يا لَيْلَى وإن كُـنّ بَعْدنا بَلِـينَ بِـلىً لم تَبْلَهُـنّ رُبُـوعُ
وخَيْماتِك اللاّتي بمُنْعَرَجِ اللِّوَى لقُمْرِيِّهـا بـالمَشْرِقَيْـن سجيـعُ
تُزَعْـزِعُ منهـا الريحُ كلَّ عشيَّةٍ هَزِيـمٌ بسُلافِ الريـاح رَجِيعُ
وإنِّيَ أن يَعْلى بِك اللَّوْمُ أو تُرى بـدارِ أذىً مـن شامتٍ لَجَزُوعُ
وإنِّي على الشيء الذي يُلْتَوَى به وإن زَجَرَتْنـي زَجْـرَةً لَوَرِيعُ[1]
فَقَدْتُكِ مـن نَفْسٍ شَعاعٍ فإنّني نَهيتُكِ عن هـذا وأنتِ جميعُ
فقَرَّبتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ هنـاكَ ثَنايـا مـا لهـنّ طُلُوعُ
يقولـون صَبٌّ بالغَواني مُوَكَّلٌ وهـل ذاك من فعل الرجالِ بَديعُ
وقالوا رعيتَ اللَّهْـوَ والمالُ ضائعٌ فكالناسِ فيهـم صالحٌ ومُضِيعُ

الغناء لصالح بن الرشيد رمل بالوسطى عن الهشاميّ وابن خُرْداذبهْ وإبراهيم . وذكر حَبَشٌ أنّ في هذه الأبيات لإسحاقَ لحناً من الثقيل بالوسطى ؛ ولم يذكر هذا أحد غيره ولا سمعناه ولا قرأناه إلاّ في كتابه . ومن الناس مَن يُدخل هذه الأبيات في قصيدة المجنون التي على رَوِيِّ وقافيةِ هذه القصيدة ، وليست له .

[أنشد كثيّر من شعره وقال هو أشعر الناس]

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ عن أبي عُبيدة عن أبيه قال : دخل علينا كُثَيِّر يوماً وقد أخذ بطَرَف رَيْطَته وألقى طرَفَها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول : [من الطويل]

وخَبَّرْتُمـاني أنّ تَيْمـاء منـزلٌ لليلَى إذا ما الصَّيْفُ ألقى المَراسِيا[2]
فهذِي شهورُ الصيفِ عنّي قد انقضتْ فما للنَّـوَى ترمي بليـلى المَرامِيا

ويَجُرّ رَيْطَته حتى يبلُغَ إلينا ، ثم يولِّي عنّا ويَجُرّها ويقول : هو والله أشعر الناس حيث يقول :

وأنتِ التي إن شئتِ كَدَّرْتِ عِيشتي وإن شئتِ بعـد الله أنْعمتِ بالِيا

1 وريع : كاف .
2 في الديوان اختلاف 220 .

وأنتِ التي ما مِنْ صديقٍ ولا عِداً يَرى نِضْوَ مـا أبْقيتِ إلاَّ رَثى لِيا

ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس . فقلنا : مَنْ تَعْني يا أبا صَخْر ؟ فقال : ومَنْ أعني سِوَى جميل ؟ هو والله أشعر الناس حيث يقول هذا ؟ . وتَيْماءُ خاصّةً : منزلٌ لبني عُذْرة ، وليس من منازل عامر ؛ وإنّما يَرْويه عن المجنون مَنْ لا يعلمه .

وفي هذه القصيدة يقول جميل : [من الطويل]

وما زِلْتُمُ يـا بَثْنَ حتّى لَوَ انّني من الشوق أستبكي الحمامَ بَكَى ليا[1]
إذا خَدِرتْ رجـلي وقيل شفاؤها دعـاءُ حبيبٍ كنتِ أنـتِ دُعائيا
ومـا زادني النّـأْيُ المُفرِّق بعدَكم سُلُوّاً ولا طـولُ التلاقـي تَقالِيا
ولا زادني الواشون إلاّ صَبابـةً ولا كثـرةُ الناهـين إلاّ تَمادِيا
ألم تعلمي يـا عَذْبـةَ الرّيقِ أنّني أظَلُّ إذا لم أَلْـقَ وجهَكِ صادِيا
لقد خِفـتُ أنْ ألقـى المنيَّةَ بَغْتةً وفي النفس حاجاتٌ إليكِ كما هيا

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثني بعض أصحابنا عن محمَّد بن مَعْن الغِفاريّ عن الأصْبَغ بن عبد العزيز قال : كنت عند طَلْحة بن عبد الله بن عَوْف ؛ فدخل عليه كُثَيِّر ؛ فلمّا دخل من الباب أخذ برِجْله فثناها ثم حجَل حتى بلَغ الفِراشَ وهو يقول : جميلٌ والله أشعر العرب حيث يقول : [من الطويل]

وخبَّرْتُماني أنّ تَيْمـاءَ منزلٌ

ثم ذكر باقيَ الخبر الذي رواه محمَّد بن مَزْيَد .

[يوم ذي ضال]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثني الزُّبَير قال حدَّثني عمر بن إبراهيم السَّعْديّ . أنّ رهط بُثينة قالوا إنّما يَتْبَعُ جميلٌ أمَةً لنا . فواعد جميلٌ بُثينةَ حين لقيها ببَرْقاء ذِي ضال ، فتحادثا ليلاً طويلاً حتى أسْحرا . ثم قال لها : هل لكِ أن ترقُدي ؟ قالت : ما شئتَ ، وأنا خائفةٌ أن نكون قد أصبحْنا . فوسَّدها جانبَه ثم اضطجعا ونامت ؛ فانسلَّ واستوى على راحلته فذهب ، وأصبحتْ في مَضْجَعها ، فلم يُرَع الحيُّ إلاّ بها راقدةً عند مُناخ راحلة جميل . فقال جميل في ذلك : [من الطويل]

فَمَنْ يَكُ في حُبِّي بُثَيْنةَ يَمْتَرِي فبَرْقـاءُ ذي ضالٍ عليَّ شهيدُ

1 وما زلتم في الديوان : وما زلت بي 221 .

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن شَبيب عن الحِزاميّ عن فُلَيْح بن إسماعيل بمثل هذه القصّة ، وزاد فيها : فلمّا انتبهتْ بثينةُ علمت ما أراده جميل بها ، فهجرتْه وآلتْ ألاّ تَظْهَر له ، فقال : [من الطويل]

أَلا هـل إلى إلمامـةٍ أن أُلِمَّها ... بُثَيْنةُ يومـاً في الحيـاةِ سَبيـلُ ؟
فإن هـي قالتْ لا سبيلَ فقُلْ لها ... عَنـاءٌ على العُذْرِيّ منـكِ طويلُ
على حين يسلو الناسُ عن طَلَب الصِّبا ... وينسَى اتّباعَ الوصلِ منـه خليلُ

[شكاه أهلها إلى قومه فلاموه ، وشعره في ذلك]

وقال الهَيْثَمُ وأصحابُه في أخبارهم : تَشَكَّى زوج بُثينةَ إلى أبيها وأخيها إلمامَ جميل بها . فوجّهوا إلى جميل وأعذروا إليه وشَكَوْه إلى عَشيرته وأعذروا إليهم فيه وتوعَّدوه ، وأتاهم فلامه أهلُه وعنّفوه وقالوا : إنّا نَسْتحلِفُ إليهم ونتبرّأ منك ومن جَرِيرتك . فأقام مدّة لا يُلِمّ بها ، ثم لقي ابنَيْ عمِّه رَوْقاً ومسعوداً ، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قولَه : [من الطويل]

وإنّي على الشيءِ الذي يُلْتوَى بـه ... وإنْ زَجَرَتْنـي زَجْـرةً لوَريـعُ
فَقَدْتُكِ مـن نَفْسٍ شَعـاعٍ فإنّني ... نهيتُكِ عن هـذا وأنـتِ جميعُ
فقَرّبْتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفتْ ... هنـاك ثَنايـا مـا لهـنّ طُلُوعُ
يقولونَ صَـبٌّ بـالغَواني مُوَكَّلٌ ... وهلْ ذاكَ من فعلِ الرجالِ بديعُ
وقالوا رَعَيْتَ اللَّهْـوَ والمالُ ضائعٌ ... فكالنّاسِ فيهـم صالحٌ ومُضِيعُ

[تمثّل محمّد بن عبد الله بن حسن بشعره لزوجته]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثني مُصْعَب بن عبد الله قال : كانت تحت محمّد بن عبد الله بن حسن امرأة من ولد الزُّبَير يقال لها فُلَيْحة ، وكانت لها صبيّةٌ يقال لها رخيّة ، قد رَبَّتْها لغير رِشْدة ، وكانت من أجمل النساء وجهاً . فرأتْ محمّداً وقد نظر إليها ذاتَ يوم نظراً شديداً ، ثم تمثّل قولَ جميل : [من الطويل]

بُثَيْنةُ مـن صِنْفٍ يُقَلِّبْنَ أيديَ الرُّ ... ماة ومـا يَحْمِلْنَ قوساً ولا نَبْلا
ولكنّما يَظْفَـرْنَ بـالصيد كلّمـا ... جَلَوْنَ الثّنايا الغُرَّ والأَعيُنَ النُّجْلا
يُخالسْنَ مِيعـاداً يُرَعْـنَ لقولهـا ... إذا نطقـتْ كانت مقالتُها فَصْلا
يَرَيْنَ قريبـاً بيتَها وهـي لا تَرى ... سَوى بيتها بيتاً قريبـاً ولا سَهْلا

فقالت له فُلَيْحة : كأنّك تريد رخيّة ؛ قال : إي والله ؛ قالت : إنّي أخشى أن تجيء منك بولد وهي لغير رِشْدة . فقال لها : إنّ الدَّنَس لا يَلْحَق الأعقاب ولا يضرُّ الأحساب . فقالت

له : فما يضرُّ إذاً ؟ والله ما يضرّ إلاّ الأعقاب والأحساب ، وقد وهبتُها لك . فسُرّ بذلك وقال : أَمَا والله لقد أعطيتُكِ خيراً منها . قالت : وما هو ؟ قال : أبيات جميلٍ التي أنشدتُكِ إيّاها ؛ لقد مكثتُ أسعَى في طلبها حَوْلَيْن . فضَحِكتْ وقالت : ما لي ولأبياتِ جميلٍ ؟ والله ما ابتغيتُ إلاّ مَسَرَّتك . قال : فولدتْ منه غلاماً . وكانت فُلَيحةُ تدعو الله ألاّ يُبقيَه . فبينا محمَّدٌ في بعض هَرَبِهِ من المنصور والجاريةُ وابنُها معه إذ رَهِقهما الطلبُ ، فسقط الصبيّ من الجبل فتقطَّع . فكان محمَّد بعد ذلك يقول : أُجيب في هذا الصبيّ دعاءَ فُلَيحة .

[نصح أبوه له فردّ عليه ردّاً أبكاه وأبكى الحاضرين وشعره في ذلك]

وقال الهيثم بن عَدِيّ وأصحابُه في أخبارهم : لمّا نذَر بُثَيْنة دمَ جميل وأباحهم السلطانُ قَتْلَه ، أعْذَروا إلى أهله . وكانت منازلهم متجاورة ، إنّما هم بُيُوتاتٌ يفترقون كما يفترق البطونُ والأفخاذ والقبائل غيرَ متباعدين ؛ ألَم تَرَ قول جميل : [من الطويل]

أَبِيتُ مـع الهُـلاَّكِ ضَيْفاً لأهلها وأَهْلِي قريبٌ مُوسِعونَ أُولُو فَضْلِ[1]

فمشتْ مَشْيَخةُ الحيّ إلى أبيه ، وكان يُلَقَّب صُباحاً وكان ذا مالٍ وفضل وقَدْر في أهله ، فشكَوه إليه وناشدوه اللهَ والرَّحِمَ وسألوه كَفَّ ابنِه عمَّا يتعرَّض له ويفضَحهم به في فَتاتهم ؛ فوعدهم كَفَّه ومَنْعَه ما استطاع ، ثم انصرفوا . فدعا به فقال له : يا بُنَيّ ! حتى متى أنت عَمِهٌ في ضلالك ، لا تأنَف من أن تتعلّق بذات بَعْل يخلو بها ويَنْكِحها وأنت عنها بمَعْزِل ثم تقوم من تحته إليك فتَغُرُّك بخِداعها وتُريك الصفاءَ والمودّة وهي مُضْمِرةٌ لبعلها ما تُضمره الحُرّة لمَن مَلَكها ، فيكون قولُها لك تعليلاً وغروراً ، فإذا انصرفتَ عنها عادتْ إلى بَعْلها على حالتها المبذولة ؛ إنّ هذا لَذُلٌّ وضَيْمٌ ؛ ما أعرِف أخْيَبَ سَهْماً ولا أضْيَعَ عُمْراً منك . فأنشُدُك اللهَ إلاّ كفَفْتَ وتأمّلتَ أمرَك ؛ فإنّك تعلم أنّ ما قلتُه حقٌّ ، ولو كان إليها سبيلٌ لبذلتُ ما أملِكه فيها ، ولكنَّ هذا أمر قد فات واستَبَدَّ به مَنْ قُدِّر له ، وفي النساء عِوَضٌ . فقال له جميل : الرأيُ ما رأيتَ ، والقولُ كما قلتَ ؛ فهل رأيتَ قبلي أحداً قدَر أن يدفع عن قلبه هَواه ، أو مَلَك أن يُسْلِيَ نفسَه ، أو استطاع أن يَدْفَعَ ما قُضِي عليه ؟ والله لو قَدَرتُ أن أمْحُو ذكرَها من قلبي أو أُزِيلَ شخصَها عن عيني لفعلتُ ، ولكن لا سبيلَ إلى ذلك ، وإنّما هو بلاءٌ بُلِيتُ به لحَيْنٍ قد أُتيح لي ، وأنا أمتنع من طُروق هذا الحيّ والإلمام بهم ولو متّ كَمَداً ؛ وهذا جَهْدي ومبلغُ ما أقدِر عليه . وقام وهو يبكي ؛ فبكى أبوه ومَنْ حضر جَزَعاً لما رأوْا منه . فذلك حين يقول جميل : [من الطويل]

---

1 الهلاّك : الصعاليك .

صوت

أَلا مَـنْ لقَلْبٍ لا يَمَـلُّ فَيَذْهَلُ أفِـقْ فالتَّعَزِّي عـن بُثَيْنةَ أَجمَلُ
سَلا كلُّ ذي ودٍّ علمتُ مكانَه وأَنتَ بهـا حتى الممـاتِ مُوَكَّلُ
فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها ولا هكذا فيما مضى كنتَ تفعلُ

الغناء لمالك ثقيلٌ أَوّلُ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

فيـا قلبُ دَعْ ذِكْرى بُثَيْنةَ إنّها وإن كنتَ تَهْواهـا تَضَنّ وتبخلُ
وقد أَيأستْ من نَيْلِهـا وتجهَّمتْ وللَيأسُ إن لم يُقْـدَرِ النَّيْـلُ أَمثَلُ
وإلاّ فسَلْهـا نائـلاً قبـلَ بَيْنِها وأَبْخِلْ بها مسؤولةً حـين تُسْأَلُ
وكيف تُرَجِّي وصلَها بعد بُعْدِها وقـد جُذَّ حبلُ الوصلِ ممَّن تؤمِّلُ
وإنّ التي أحببتَ قـد حِيل دونها فكُـنْ حازمـاً ، والحازِمُ المُتَحَوِّلُ
ففي اليأسِ ما يُسْلي وفي الناسِ خُلَّةٌ وفي الأَرض عمّن لا يُواتِيكَ مَعْزِلُ
بـدا كَلَـفٌ منّي بهـا فتثاقلتْ وما لا يُرَى من غائب الوجد أَفضَلُ
هَبِينـي بريئـاً نِلْتِـهِ بظُلامَةٍ عَفاهـا لكـم أَو مُذْنِبـاً يتنصَّلُ
قَناةٌ من المُرَّانِ مـا فوق حَقْوِها ومـا تحتـه منهـا نَقـاً يتهيَّلُ

قال وقال أيضاً في هذه الحال : [من الطويل]

صوت

أَعَنْ ظُعُنِ الحيّ الأُلَى كنتَ تَسأَلُ بليـلٍ فـرَدُّوا عِيرهـم وتحمَّلوا
فأَمسَوْا وهم أَهلُ الديار وأَصبحوا ومن أَهلها الغِربانُ بالدارِ تَحْجُلُ

في هذين البيتين لِسِياطٍ خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو :

على حينَ ولَّى الأَمرُ عنّا وأَسْمحتْ عَصا البَيْنِ وانبَتَّ الرجـاءُ المؤمَّلُ
فما هـو إلاّ أَن أُهِيمَ بذكرِها ويحظَى بجَدْواهـا سوايَ ويَجْذَلُ
وقد أَبقتِ الأَيّامُ منّـي على العِدا حُساماً إذا مَسّ الضريبةَ يَفصِلُ
ولستُ كمَن إن سِيمَ ضَيْماً أَطاعَه ولا كامرىءٍ إن عضّه الدَّهرُ يَنْكُلُ
لعمري لقد أَبْدى لِيَ البينُ صَفْحَه وبَيّن لي ما شئتُ لو كنت أَعقلُ

وآخـرُ عهـدي من بُثَينة نظـرةٌ ... على موقفٍ كادت من البين تَقتُلُ
فلِلّـه عَيْنا مَنْ رأى مثـلَ حاجةٍ ... كَتَمْتُكِهـا والنفسُ منهـا تَمَلْمَلُ
وإنّي لأَسْتبكي إذا ذُكِـر الهَـوَى ... إليكِ وإنّي مـن هـواكِ لأَوجَلُ
نظرتِ ببِشْرٍ نظرةً ظَلْتُ أَمْتَرِي ... بها عَبْرةً والعينُ بالدَّمع تُكْحَلُ
إذا ما كرَرْتُ الطَّرْفَ نَحْوَكِ ردّه ... من البعد فيّاضٌ من الدَّمع يَهْمِلُ

[ودع بثينة حين خروجه إلى الشام]

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَبايةَ قال : لمّا أراد جميلٌ الخروج إلى الشام ، هجم ليلاً على بُثَينة وقد وجد غفلةً . فقالت له : أهلكتَني والله وأهلكتَ نفسك ؛ وَيْحَكَ ! أما تخاف ؟ فقال لها : هذا وجهي إلى الشام ، إنّما جئتكِ مودِّعاً . فحادثها طويلاً ثم ودّعها ، وقال : يا بُثينة ، ما أُرانا نلتقي بعد هذا ، وبكيا طويلاً . ثم قال لها وهو يبكي : [من الطويل]

ألاَ لا أُبالي جفوةَ الناسِ مـا بَدا ... لنـا منـك رأيٌ يا بُثَيْنَ جميلُ
ومـا لم تُطيعي كاشحاً أو تَبَدَّلي ... بنـا بَـدَلاً أو كان منك ذُهولُ
وإنّي وتَكْـرارِي الزيـارةَ نحوَكم ... بُثَيْن بـذي هجـر بُثَـين يطولُ
وإن صَباباتـي بكـم لكثيـرةٌ ... بُثَيْـن ونِسْيانِيكـمُ لقليـلُ

[أمره مروان وأمر جواس بن قطبة بالحداء لمدحه فقالا شعراً في الفخر]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدَّثني شيوخٌ من عُذْرة : أنّ مَرْوان بن الحَكَم خرج مسافراً في نفرٍ من قريش ومعه جميلُ بن مَعْمَر وجَوّاسُ بن قُطْبة أخو عُبيد الله بن قُطبة . فقال مروان لجَوّاس : انزل فارْجُزْ بنا ، وهو يريد أن يمدحه . فنزل جوّاس وقال : [من الطويل]

يقول أميرِي هـل تَسُوق رِكابَنا ... فقلت لـه حـادٍ لهـنّ سَوائِيا
تَكَرّمتُ عن سَوْقِ المَطِيِّ ولم يكن ... سِيـاقُ المطـيِّ همّتـي ورَجائيا
جعلتَ أبي رَهْناً وعِرْضِيَ سادراً ... إلى أهـل بيت لم يكونوا كِفائيا
إلى شرِّ بيتٍ مـن قُضاعةَ مَنْصِبا ... وفي شرِّ قـومٍ منهمُ قـد بَدَا لِيا

فقال مروان : اركَبْ لا ركِبْتَ ؛ . ثم قال لجميل : انزل فارجُزْ بنا ، وهو يريد أن يمدحه . فنزل جميل فقال : [من الرجز]

أنـا جميـلٌ في السَّنامِ الأعظمِ الفـارِع الناسَ الأعـزِّ الأكرمِ
أحْمي ذِمارِي ووجدتُ أقْرُمي كانوا على غـاربِ طَوْدٍ خِضْرِمِ
أعيا على الناس فلم يُهَدَّمِ

فقال : عَدِّ عن هذا . فقال جميل : [من الرجز]

لَهْفـا على البيت المَعَـدِّي لهفا من بعدِ مـا كان قد استكَفّا
ولـو دعـا اللهَ ومَـدّ الكَفّا لَرَجَفَتْ منـه الجبـالُ رَجْفا

فقال له اركَبْ لا ركبتَ .

[أمره الوليد بالحداء ليمدحه فقال شعراً في الفخر ، ولم يمدح أحداً قطّ]

قال الزُّبَير وحدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمِّليّ قال : كان جميلٌ مع الوليد بن عبد الملك في سفر والوليدُ على نجيب ؛ فرجَز به مَكِين العُذْرِيّ فقال : [من الرجز]

يـا بَكْـرُ هل تعلَم مَنْ عَلاكا خليفـةُ الله عـلى ذُراكا

فقال الوليد لجميل : انزل فارْجُز ، وظنَّ الوليد أنّه يمدَحه . فنزل فقال : [من الرجز]

أنـا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ في الذِّرْوةِ العَلْياء والرُّكْنِ الأشَدّ
والبيتِ من سَعْدِ بن زيد والعَدَدْ مـا يَبْتغي الأعداءُ منّي ولقدْ
أُضْرِيَ بالشَّتْـمِ لِساني ومَـرَدْ أقودُ مَنْ شِئتُ وصَعْبٌ لم أُقَدْ[1]

فقال له الوليد : اركب لا حَمَلك الله ؛ . قال : وما مدَح جميل أحداً قطّ .

[هدّده الحزين الديلي فهجاه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا يونس بن عبد الله بن سالم قال : وقف جميلٌ على الحَزِين الدِّيلِيّ والحزينُ يُنشد الناسَ . فقال له الحزين وهو لا يعرفه : كيف تَسْمع شعري ؟ قال : صالحٌ وَسَط . فغضب الحزين وقال له : ممّن أنت ؟ فوالله لأهجونَّك وعشيرتَك ! . فقال جميل : إذاً تَنْدَم . فأقبل الحزين يُهَمْهِم يريد هجاءه . فقال جميل : [من البسيط]

الدِّيلُ أذنابُ بَكْرٍ حـين تنسُبهم وكلُّ قومٍ لهـم من قومِهم ذَنَبُ

فقامت له بنو الدِّيل وناشدوه اللهَ إلاّ كَفّ عنهم ، ولم يزالوا به حتى أمْسك وانصرف .

[راجز جوّاس بن قطبة حين ذكر أخته فغلبه]

أخبرني الحِرْميّ ومحمَّد بن مَزْيَد ، واللفظ له ، قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني محمَّد بن

1 ضرى بالشيء : لهج به ، وأضراه بالشيء ألهجه به .

الضحّاك عن أبيه قال : لمّا هاجى عُبَيدُ الله بن قُطْبة جميلاً واستعلَى عليه جميلٌ ، أعرض[1] عنه ، واعترضه أخوه جَوّاس بن قُطْبة فهجاه وذكر أختاً لجميل . وكان جميل قبل ذلك يحتقره ولا يَنْصِب له ، حتى هجا أُختَه فقال فيما ذكرها به من شعره : [من الطويل]

إلى فَخذيْهـا العَبْلَتَيْنِ وكانتـا بعَهْدِيَ لَفّاوَيْنِ أُرْدِفتـا ثِقْـلا

فغضِب جميلٌ حينئذٍ فواعده للمراجزة . قال الزُّبَير فحدَّثني بعضُ آلِ العبّاس بن سَهْل بن سعد عن عبّاس قال : قَدِمتُ من عند عبد الملك بن مَرْوان وقد أجازني وكساني بُرْداً ، كان ذلك البردُ أفضلَ جائزتي ، فنزلتُ واديَ القُرَى فوافقتُ الجمعةَ بها فاستخرجتُ بردِي الذي من عند عبد الملك وقُمْتُ أُصلِّي مع الناس ؛ فلقيني جميلٌ ، وكان صديقاً لي ، فسلَّم بعضُنا على بعضٍ وتساءلْنا ثم افترقنا . فلمّا أمسيتُ إذا هو قد أتاني في رَحْلي فقال : البُرْد الذي رأيتُه عليك تُعيرُنِيهِ حتى أتجمّل به ؛ فإنّ بيني وبين جَوّاس مُرَاجَزَةً ، وتحضُر فتسمعُ . قال قلت : لا ؛ بل هو لكَ كُسْوة ، فكسوتُه إيّاه ، وقلت لأصحابي : ما من شيء أحَبُّ إليّ من أن أسمع مُراجزتهما . فلمّا أصبحْنا جعل الأعاريبُ يأتون أرْسالاً حتى اجتمع منهم بَشَرٌ كثيرٌ ، وحضرتُ وأصحابي ، فإذا بجميل قد جاء وعليه حُلّتان ما رأيت مثلَهما على أحد قطّ ، وإذا بُرْدِي الذي كسوتُه إيّاه قد جعله جُلاًّ لجمله ؛ فتراجَزا فرجَز جميل ، وكانت بُثَينة تُكْنَى أُمّ عبد الملك ، فقال : [من الرجز]

يـا أُمّ عبـد الملك اصْرِمِيني فبَيِّنِـي صرمِـيَ أو صِلِيني
أبْكِي وما يُدْرِيكِ ما يُبْكيني أبِكِـي حِـذارَ أنْ تُفارقيني
وتجعـلي أبعَـدَ منِّـي دُوني إنّ بنـي عَمِّـكِ أوْعدوني
أن يقطعوا رأسِي إذا لَقُوني ويقتلـوني ثـم لا يَدُوني[2]
كلاّ وربِّ البيتِ لـو لَقُونِي شَفْعـاً ووَتْـراً لَتواكَلُوني[3]
قـد علِـم الأعداءُ أنّ دُوني ضَرْباً كإيزاغ المخاضِ الجُونِ[4]
ألا أُسَبُّ القـومَ إذ سَبُّوني بَلَـى ومـا مَـرَّ على دَفِينِ[5]

1 في ل : عرّد .
2 وداه بديه : دفع ديته .
3 أي وكلني بعضهم إلى بعض خوفاً منّي وجبناً .
4 الإيزاغ : إخراج البول دفعة واحدة .
5 دفين : موضع .

وسابحـاتٍ بِلِـوى الحَجُـونِ قـد جَرَّبُوني ثـم جرّبوني[1]
حتـى إذا شابـوا وشيّبوني أخزاهـمُ الله ولا يُخْـزِيني
أشباهُ أعْيـارٍ عـلى مَعِـينِ أحْسَسْنَ حِسَّ أسَدٍ حَـرُونِ[2]
فهـنّ يَضْرِطْـنَ مـن اليقينِ أنـا جميـلٌ فتعَرّفـوني
ومـا تَقَنّعـتُ فتُنْكِـروني ومـا أُغَنّيكـم لتَسْألـوني
أُنْمـى إلى عاديّـةٍ طَحُـونِ يَنشقّ عنها السَّيلُ ذو الشؤونِ
غَمْـرٌ يَـدُقّ رُجُـحَ السَّفِينِ ذو حَدَبٍ إذا يُـرى حَجُونِ[3]
تَنْحلّ أحقـادُ الرجـالِ دُوني

قال : ورجَز جميل أيضاً : [من الرجز]

أنـا جميلٌ في السَّنام من مَعَدّ

وقد تقدّمت هذه الأُرْجوزة . ثم رجَز بعده جَوّاسٌ فلم يصنع شيئاً . قال : فما رأيتُ غَلَبةً مثلَها قطُّ .

[هجا خوّاتاً العذريّ وبنى الأحب]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا بُهْلول بن سليمان عن العَلاء بن سعيد البَلَوِيّ وجماعةٍ غيره من قومه : أنّ رجلاً من بني عُذْرة كان يقال له خَوّاتٌ ، أُمّه بَلَوِيّة ، وكان شاعراً ، وكان جميل ابنَ جُذامِيّة . فخرج جميل إلى أخواله بجُذام وهو يقول : [من الطويل]

جُذامُ سيوفُ الله في كلِّ موطنٍ إذا أزَمَـتْ يـومَ اللِّقـاء أزامِ[4]
هُمُ منعوا ما بينَ مِصْرَ فذي القُرَى إلى الشام مِـنْ حِلٍّ بـه وحَرامِ
بضربٍ يُزيل الهـامَ عن سَكِناتِه وطَعْـنٍ كإيـزاغِ المَخاضِ تُؤامِ[5]
إذا قَصُرتْ يومـاً أكُـفُّ قبيلـةٍ عـن المجـدِ نالتـه أكُفُّ جُذامِ

فأعطَوْه مائة بَكْرة . قال : وخرج خَوّاتٌ إلى أخواله من بَلِيّ وهو يقول : [من الطويل]

إنّ بَلِيّـاً غُـرّةٌ يُهْتَـدَى بهـا كما يَهْتدِي السارِي بمُطَّلَعِ النجمِ

1 الحجون : جبل بأعلى مكّة .
2 الأعيار : الحمر .
3 الرجح من السفن : الثقيلة الموقرة . حدب السيل : ارتفاعه . حجون : بعيد .
4 أزام : شدّة .
5 السَّكِنة : مقرّ الرأس من العنق .

هُمُ ولدوا أُمِّي وكنتُ ابنَ أُختهم ولم أَتَخوَّلْ جِذْمَ قــومٍ بلا علمِ[1]

قال : فأعطَوْه مائة غُرَّة ما بين فرس إلى وَليدة ؛ ففخَر على صاحبه ، وذكر أَن الغُرّة الواحدةَ ممّا أُتي به ممّا معه تَعْدِل كلَّ شيء أُتي به جميل . فقال عُبَيْد الله بن قُطْبة : [من الوافر]

ستَقْضِي بيننا حكماءُ سَعْـدٍ أَقُطْبـةُ كان خيراً أَم صُبـاحُ

قال : وكان عبد الله بن مَعْمَر أَبو جميلٍ يلقَّب صُباحاً . وكان عُبَيد الله بن قُطْبة يلقَّب حماظا . فقال النَّخّار العُذْريّ أَحد بني الحارث بن سعد : قُطْبةُ كان خيراً من صُباح . فقال جميل يهجو بني الأَحَبّ رهطَ قُطْبة ويهجو النَّخّار : [من الرجز]

إنّ أَحــبَّ سُفَّــلٌ أَشرارُ حُثالــةٌ عُودُهــمُ خَــوّارُ[2]
أَذَلُّ قومٍ حـين يُدْعَى الجارُ كما أَذَلَّ الحـارِثَ النَّخّــارُ

وقال الأُبَيْرِق العُتْبي : قُطْبة كان خيراً من صُباح . فقال جميل : [من البسيط]

يا ابنَ الأُبَيْرِق وَطْبٌ بِتَّ مُسْنِدَه إلى وِسادِك من حُمّ الذُّرى جُونِ
وأكلتان إذا مــا شئت مرتفقــاً بالسير مــن نغـل الدَّفين مدهونِ
اذكُــرْ وأُمِّك منّي حـين تَنْكُبني جِنِّــي فيَغْلِب جِنِّــي كلَّ مجنونِ

وقال جماعةٌ من شعراء سَعْد في تفضيل قُطْبة على صُباح أَقوالاً أَجابهم عنها جميل فأفحمهم ؛ حتى قال له جعفر بن سُراقة أَحدُ بني قُرّة : [من الطويل]

نحن مَنَعْنا ذا القُرَى مــن عَدُوّنا وعُذْرةَ إذ نلقَــى يَهُوداً ويعشرا
مَنَعْنــاه مــن عُلْيــا مَعَدٍّ وأَنتمُ سَفاسِيفُ رَوْحٍ بين قُرْحَ وخَيْبَرا[3]
فريقانِ رُهْبانٌ بأَسفَلِ ذي القُرَى وبالشام عَرَّافــون فيمــن تَنَصَّرا

فلمّا بلغتْ جميلاً اتّقاه وعلِم أَنّه سيعلو عليه ؛ فقال جميل : [من الطويل]

بَنــي عامــرٍ أَنَّى انتجعتمْ وكنتمُ إذا حُصِّل الأَقوامُ كالخُصْية الفَرْدِ
فأنتم ولأَيٌّ موضعَ الذُّلّ حَجْرةً وقُــرّةُ أَوْلى بالعَــلاء وبالمجدِ

فأَعرض عنه جعفر . قال الزُّبَير : بنو عامر بن ثَعْلَبةَ بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سعد رهطُ هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم بن كُرْز بن أَبي حَيّة بن الكاهن وهو سَلَمة بن أَسْحَم بن عامر بن ثَعْلبة بن

1 تخوّل : اتّخذ خالاً .
2 سفل في ل : قزم .
3 السفساف : التراب الدقيق . والروّح : الريح . وقرح : سوق وادي القرى وقصبتها .

عبد الله بن ذُبْيان بن سعد هُذَيم بن زيد . وزِيادَةُ بن زيد بن مالك بن عامر بن قُرّة بن خِنْبِس بن عمرو بن ثَعْلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث بن سَعْد هُذَيم . ولأُي ابن عبد مَناة بن الحارث بن سعد هُذَيم . قال : فدخل جميل على هُدْبَةَ بنِ خَشْرَم السجنَ وهو محبوسٌ بدم زِيادةَ بن زيد ، وأُهدى له بُرْدين من ثياب كساه إيّاهما سعيد بن العاصي ، وجاءه بنفقةٍ ؛ فلمّا دخل عليه عرَض ذلك عليه ؛ فقال هُدْبة : أنت يا ابنَ قَمِيئة الذي تقول : [من الطويل]

بنـي عامـرٍ أنّى انتجعتم وكنتـمُ إذا عُدِّد الأقوامُ كالخصْية الفَرْدِ

أَمَا والله لئن خلّص الله لي ساقيَّ لأُمُدّنّ لك مضمارَك ؛ خذ بُرْدَيْكَ ونفقتَك . فخرج جميل ؛ فلمّا بلغ بابَ السجن خارجاً قال : اللهمّ أغْنِ عنّي أجْدَعَ بني عامر ! . وكانت بنو عامر قد قَلُّوا فحالفوا لأْياً .

[لقي عمر بن أبي ربيعة وتناشدا الشعر وفضّله على نفسه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء ومحمَّد بن مَزْيَد بن أبي الأَزْهر قالا حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم المَخْزُوميّ قال حدَّثني شيخ من أهلي عن أبيه عن الحارث مولى هشام بن المُغِيرة الذي يقول له عمر بن أبي ربيعة : [من الرمل]

يـا أبـا الحارثِ قلبي طائرٌ

قال : شهدتُ عمرَ بن أبي رَبيعة وجميلَ بن عبد الله بن مَعْمَر وقد اجتمعا بالأَبْطَح ؛ فأنشد جميلٌ قصيدته : [من الطويل]

لقـد فَرِح الواشون أن صَرَمتْ حَبْلي بُثَيْنةُ أو أبدتْ لنـا جانـبَ البُخْلِ
يقولـون مَهْـلاً يـا جميلُ وإنّني لأُقسم مـا بـي عن بُثَيْنة من مَهْلِ
أحِلْماً فقبـل اليـوم كان أوانُه أَمَ اخْشَى فقبل اليومِ أُوعِدتُ بالقتلِ
لقـد أنْكَحُوا حَرْبِـي نُبَيْهاً ظَعِينةً لطيفةَ طَيِّ البَطْنِ ذاتَ شَوىً خَدْلِ
وكم قـد رأينـا ساعيـاً بنَميمـةٍ لآخـرَ لم يَعْمِـدْ بكـفٍّ ولا رجلِ
إذا مـا تراجعْنـا الذي كان بيننـا جَرى الدمعُ من عَيْنَيْ بُثَيْنةَ بالكحلِ

صوت

[من الطويل]

كلانا بكـى أو كاد يَبْكِـي صَبابةً إلى إلْفِـهِ واستعجلـتْ عَبْـرةً قبلي
فلو تركـتْ عَقْلي معي مـا طلبتُها ولكنْ طِلابِيها لِما فات مـن عقلي
فيا وَيْحَ نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها ويا وَيْحَ أهلي مـا أُصيب بـه أهلي

وقالـــت لأتْرابٍ لهـــا لا زَعانِـفٍ قصـــارٍ ولا كُسٍّ الثَّنايـــا ولا ثُعْـلِ[1]
إذا حَمِيـــتْ شمسُ النّهـــارِ اتَّقَيْنَها بأكسية الديباج والخَزِّ ذي الخَمْلِ
تَداعَيْنَ فاستَعْجَمْنَ مَشْياً بذي الغَضا دَبِيبَ القَطا الكُدْرِيّ في الدَّمِثِ السَّهْلِ
إذا ارْتَعْـنَ أو فُزِّعْـنَ قُمْنَ حَوالَها قيامَ بناتِ الماءِ في جانب الضَّحْلِ[2]
أَجَـدِّيَ لا أَلْقَـى بُثَيْنَـةَ مـرّةً من الدَّهرِ إلاّ خائفاً أو على رِجْلِ[3]
خليـليّ فيمـا عِشْتُما هـل رأيتُما قتيلاً بكى مـن حـبٍّ قاتِله قبلي

قال : وأنشده عمرُ قوله : [من الطويل]

جـرى ناصحٌ بالـودِّ بيني وبينَها فقرَّبَنـي يـوم الحِصـاب إلى قتلي
فما أَنْسَ م الأشياءِ لا أَنْسَ مَوْقِفِـي وموقفَهـا وَهْنـاً بقارعـةِ النخـلِ
فلمّـا توافَقْنـا عرفـتُ الذي بهـا كمثل الذي بي حَذْوَكَ النعلَ بالنعلِ
فقُلْـنَ لهـا هـذا عِشاءٌ وأهلُنـا قَرِيبٌ أَلَمّا تَسْأَمي مَرْكَـبَ البغلِ[4]
فقالت فمـا شِئتُنّ قُلْـنَ لها انزِلي فللأَرْضُ خيرٌ من وقوفٍ على رَحْلِ
فأَقبَلْـنَ أَمثـالَ الدُّمَـى فاكتَنَفْنَها وكُـلٌّ يُفَـدِّي بالمَـودّةِ والأهلِ
نُجـومٌ دَرارِيٌّ تكنَّفْـنَ صـورةً من البدرِ وافتْ غيرَ هُوجٍ ولا ثُجْلِ[5]
فسلَّمْتُ واستأنستُ خِيفةَ أن يَـرَى عـدوٌّ مكاني أو يـرى كاشِحٌ فعلي
فقالـت وأَلْقَتْ جانـبَ السِّتْرِ إنّما معـي فتحدَّثْ غيرَ ذي رِقْبَـةٍ أهلي
فقلتُ لهـا مـا بي لهم من ترقُّبٍ ولكـنَّ سِرِّي ليس يحملُـه مِثلي
فلمّـا اقتصرْنـا دونَهـنّ حديثَنـا وهُـنّ طَبِيباتٌ بحاجـة ذي التَّبْلِ
عرَفْـنَ الذي نَهْوَى فقُلْنَ ائذَني لنا نَطُفْ ساعةً في بَـرْدِ ليلٍ وفي سَهْلِ
فقالـت فـلا تَلْبَثْنَ قُلْـنَ تحدَّثي أتيناكِ وانسَبْنَ انسيابَ مَهـا الرملِ

---

1 الزعانف : جمع زعنفة وهي القصيرة . والكسّ : جمع كساء ، والكسّ : قصر الأسنان وصغرها . والثعل : جمع ثعلاء ، والثعل : زيادة سنّ أو دخول سن تحت أخرى .

2 بنات الماء : الطيور التي تلازم الماء .

3 الرِّجل : الخوف أو الفزع من فوت الشيء .

4 مركب في ل : موقف .

5 ثجل : جمع ثجلاء ، وصف من الثّجل وهو عظم البطن واسترخاؤه .

وقُمْـنَ وقـد أَفْهَمْنَ ذا اللُّبِّ أنّما أَتَيْنَ الذي يأْتِينَ مـن ذاك من أَجْلي

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أَبا الخَطّاب : لا أَقولُ واللهِ مثلَ هذا سَجِيسَ[1] الليالي ؛ وما خاطب النساءَ مخاطبتَك أَحد ؛ وقام مشمِّراً .

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

صوت

[من الطويل]

خليـلَيَّ فيمـا عشتُما هل رأَيتُما قتيلاً بَكى مـن حبّ قاتله قبلي
أَبِيتُ مـع الهُلاّك ضيفـاً لأَهلِها وأَهلي قريبٌ مُوسِعُون ذوو فَضْلِ
فلو تركـتْ عقلي معي ما طلبتُها ولكن طِلابِيها لِمَا فات من عقلي

الغناء للغَرِيض ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وذكر حمّاد والهشاميّ أَنّ فيه لنافع الخير مولى عبد الله بن جعفر لحناً من الثقيل الأَوّل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَلا أَيّها البيتُ الذي حِيلَ دونَه بنا أَنت من بيتٍ وأَهْلُكَ من أَهلِ
ثلاثـةُ أَبيـاتٍ فبَيْتٌ أُحِبُّـه وبيتانِ ليسا من هوايَ ولا شكلي
كِلانا بَكى أَو كاد يَبْكِي صَبابةً إلى إلْفِـه واستَعْجَلتْ عَبْرةً قبلي

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلِ الثاني بالبنصر .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لقد فرِح الواشُونَ أَن صَرَمَتْ حبلِي بثينةُ أَو أَبْدَتْ لنا جانبَ البخلِ
يقولـون مَهْـلاً يـا جميلُ وإنّني لأُقْسِمُ ما بي عن بُثَينةَ من مَهْلِ

الغناء لابن مُحْرِز من كتاب يونُسَ ولم يجنِّسْه ، وذكر إسحاقُ أَنّه ممّا ينسَب إلى ابن مُحْرِز وابن مِسْجَح ، ولم يصحَّ عنده لأَيِّهما هو ولا ذكر طريقتَه .

[غنّى نافع الخير يزيد بن معاوية من شعره]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أَبيه قال حدَّثني غير واحد من الرواة عن صالح بن حَسّان قال أَخبرني نافعٌ مولى عبد الله بن جعفر ، وما رأَيتُ أَحداً قطُّ كان أَشكلَ ظَرْفاً ولا

1 سجيس الليالي : طول اللّيالي .

أزينَ في مجلسٍ ولا أحسنَ غناءً منه . قال : قدِمْنا مع عبد الله بن جعفر مرّة على معاوية ؛ فأرسل إليّ يزيدُ يَدْعوني ليلاً ؛ فقلت : أكرَه أن يعلم أمير المؤمنين مكاني عندك فيشكُوَني إلى ابن جعفر . قال فامْهَلْ حتى إذا سَمَر أميرُ المؤمنين فإنّ ابن جعفر يكون معه فلا يَفْتَقِدُكَ ونَخْلُو نحن بما نريد قبل قيامِهما . فأتيتُه فغنَّيْتُه ؛ فواللهِ ما رأيتُ فتىً أشرفَ أريحيّةً منه ؛ والله لأُلْقى عليّ من الكُسا الخَزّ والوَشْي وغيرِه ما لم أستطعْ حملَه ، ثم أمر لي بخمسمائة دينار . قال : وذهب بنا الحديث وما كنّا فيه ، حتى قام معاويةُ ونهَض ابنُ جعفر معه ، وكان باب يزيدَ في سَقيفة معاوية ؛ فسمع صوتي ، فقال لابن جعفر : ما هذا يا ابنَ جعفر ؟ قال : هذا والله صوتُ نافع . فدخل علينا ؛ فلمّا أحسّ به يزيدُ تَناوم . فقال له معاوية : ما لك يا بُنيّ ؟ قال : صُدِعْتُ فرجوتُ أن يَسْكُنَ عنّي بصوتِ هذا . قال : فتبسّم معاويةُ وقال : يا نافع ، ما كان أغْنانا عن قُدومِك ! . فقال له ابن جعفر : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ هذا في بعض الأحايين يُذْكي القلبَ . قال : فضحك معاويةُ وانصرف . فقال لي ابن جعفر : وَيْلَك ؛ هل شرِب شيئاً ؟ قلت : لا والله . قال : والله إنّي لأرجو أن يكونَ من فِتْيانِ بني عبد مَناف الذين يُنتفع بهم . قال نافع : ثم قدِمْنا على يزيدَ مع عبد الله بن جعفر بعد ما استُخْلِف ، فأجلسه معه على سريره ودخلتْ حاشيتُه تسلِّم عليه ودخلتُ معهم . فلمّا نظَر إليّ تبسّم . ثم نهَض ابنُ جعفر وتبِعْناه . فقيل له : نظَر إلى نافعٍ وتبسّم . فقال ابنُ جعفر : هذا تأويلُ تلك الليلة . فقضى حوائجَ ابن جعفر وأضْعف ما كان يَصِلُه به معاويةُ . فلمّا أراد الانصراف أتاه يودّعه ونحن معه ؛ فأرسل إليّ يزيدُ فدخلتُ عليه . قال : وَيْحَك يا نافع ؛ ما أخَّرْتُك إلاّ لأتفرّغ لك . هاتِ لَحْنَك : [من الطويل]

خليليَّ فيما عشتُما هـل رأيتُما قتيلاً بَكَى من حبِّ قاتلِه قبلي

فأسمعتُه ؛ فقال : أعِدْ وَيْلَك ؛ فأعدتُه ، ثم قال : أعِدْ فأعدْتُه ثلاثاً . فقال : أحسنتَ ؛ فسَلْ حاجتَك . فما سألتُه في ذلك اليوم شيئاً إلاّ أعْطانِيه . ثم قال : إن يَصْلُحْ لنا هذا الأمرُ من قِبَل ابن الزُّبَير فلعلّنا أن نَحُجّ فنَلْقانا بالمدينة ؛ فإنّ هذا الأمرَ لا يصلُح إلاّ هناك . قال نافع : فمَنَعَنا والله من ذلك شُؤْمُ ابن الزُّبَير .

[سأله عمر بن أبي ربيعة عن بثينة فذهب إليها وحدّثها]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم الجَعْفَرِيّ قال حدَّثنا القاسم بن أبي الزِّناد قال : خرج عمرُ بن أبي رَبيعة يريد الشامَ ، فلمّا كان بالجَناب[1] لقيه جميلٌ ؛ فقال له عمرُ : أنشدْني ، فأنشده : [من الطويل]

1 الجناب : موضع في أرض كلب في السماوة بين العراق والشام .

خليليّ فيما عشتُما هل رأيتُما قتيلاً بَكى من حبٍّ قاتله قبلي

ثم قال جميل : أنشِدْني يا أبا الخَطّاب ، فأنشده : [من الطويل]

ألم تَسْألِ الأطـلالَ والمُتربَّعا ببطنِ حُلَيّاتٍ دَوارِسَ بَلْقَعا

فلمّا بلغ إلى قوله :

فلمّا تواقَفْنا وسلّمتُ أشْرقتْ وجوهٌ زَهاها الحسنُ أن تتقنَّعا

تَبالَهْنَ بالعِرْفانِ لمّا عرفْنني وقُلْنَ امرؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوْضَعا

وقرّبْنَ أسبابَ الهوى لمتيَّم يقيسُ ذِراعاً كلّما قِسْنَ إصْبَعا

قال : فصاح جميلٌ واستَخْذى وقال : ألا إنّ النَّسيب أُخذ من هذا ، وما أنشده حرفاً . فقال له عمر : اذهبْ بنا إلى بُثينة حتى نسلِّم عليها . فقال له جميل : قد أهْدر لهم السلطانُ دَمي إن وجدوني عندها ، وهاتِيكَ أبياتُها . فأتاها عمرُ حتى وقف على أبياتها وتأنَّس حتى كُلِّم ؛ فقال : يا جارية ، أنا عمرُ بن أبي ربيعة ، فأعْلِمي بثينة مكاني . فخرجتْ إليه بثينةُ في مَباذِلِها وقالت : والله يا عمرُ لا أكونُ من نسائك اللاّتي يزعُمْنَ أن قد قتلهنّ الوجدُ بك ؛ فانكسر عمر ؛ قال وإذا امرأةٌ أدْماءُ طُوالَةٌ .

وأخبرني بهذا الخبر عليّ بن صالح عن أبي هِفّان عن إسحاق عن المسيَّبيّ والزُّبَير فذكر مثلَ ما ذكره الزُّبَير وزاد فيه قال : فقال له قولَ جميل : [من الخفيف]

وهُما قالتا لَوَ انّ جميلاً عرَض اليومَ نَظرةً فرآنا

بَيْنَما ذاك منهما وإذا بي أُعْمِلُ النَّصَّ سَيْرةً زَفَيانا[1]

نظرتْ نحوَ تِرْبها ثم قالت قد أتانا ، وما علمنا ، مُنانا

فقالت : إنّه استَمْلَى منك فما أفْلح ؛ وقد قيل : اربِط الحمار مع الفرس ، فإن لم يتعلَّم من جَرْيه تعلّم من خُلُقه .

[لقى بثينة ورصده أهلها فهدّدهم ثم هجرته بثينة وشعره في ذلك]

وذكر الهَيثم بن عَدِيّ وأصحابه في أخبارهم : أنّ جميلاً طال مُقامُه بالشام ثم قدِم ، وبلغ بثينةَ خبرُه فراسلتْه مع بعض نساء الحيّ تذكُر شوقَها إليه ووَجْدَها به وطلبَها للحيلة في لقائه ، وواعدتْه لموضع يلتقيان فيه ؛ فسار إليها وحدّثها طويلاً وأخبرها خبره بعدها . وقد كان أهلُها رصَدوها ، فلمّا فَقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليهما ، فوثب جميلٌ فانْتضَى سيفَه وشَدّ عليهما فاتّقياه بالهرب ؛ وناشدتْه بثينةُ اللهَ إلاّ انصرف ، وقالت له : إن أقمتَ فضَحْتَني ،

1 النصّ : السّير الشّديد . وزفياناً : سريعاً .

ولعلّ الحَيّ أن يَلْحقوك . فأَبى وقال : أنا مقيمٌ وامْضِي أنتِ ولْيَصْنَعوا ما أَحبُّوا . فلم تزل تُناشده حتى انصرف . وقال في ذلك وقد هجرتْه وانقطع التلاقي بينهما مدّة : [من الطويل]

أَلَم تَسْأَلِ الربعَ الخَلاء فينطقُ ... وهل تُخبِرنْكَ اليومَ بَيْداءُ سَمْلَقُ[1]

وقفتُ بها حتى تجلَّتْ عَمايتي ... ومَلَّ الوقوفَ الأَرْحَبيُّ المنوَّقُ[2]

تَعَزَّ وإن كانت عليكَ كريمةً ... لعلّك من رِقٍّ لبَثْنَةَ تُعْتَقُ

لعَمْرُكُم إنّ البِعاد لشائقي ... وبعضُ بِعاد البَيْنِ والنأيِ أَشْوَقُ[3]

لعلّكَ محزونٌ ومُبْدٍ صَبابةً ... ومُظْهِرُ شكوى من أُناسٍ تفرَّقوا[4]

وبيضٍ غَريراتٍ تُثَنّي خُصورَها ... إذا قُمْنَ أَعجازٌ ثِقال وأَسْوُقُ[5]

غَرائرَ لم يَلْقَيْنَ بؤسَ معيشةٍ ... يُجنّ بهنّ الناظرُ المتنوِّقُ[6]

وغَلْغَلْتُ من وَجْدٍ إليهنّ بعدما ... سَرَيْتُ وأَحْشائي من الخوف تَخفِقُ[7]

معي صارِمٌ قد أَخْلص القَيْنُ صقْله ... له حين أُغْشِيه الضَّرِيبةَ رَوْنَقُ

فلولا احتيالي ضِقْن ذرْعاً بِزائرٍ ... به من صَباباتٍ إليهنّ أَوْلَقُ[8]

تَسُوكُ بقُضْبانِ الأَراكِ مفلَّجاً ... يُشَعْشِعُ فيه الفارِسيُّ المروَّقُ[9]

أَبثنةُ لَلْوَصْلُ الذي كان بيننا ... نَضا مثلَ ما يَنْضُو الخِضابُ فيَخْلُقُ

أَبَثْنةُ ما تَنْأَيْنَ إلاّ كأنّني ... بنجم الثُّرَيّا ما نأيتِ مُعَلَّقُ

[أنشد إسحاق الرشيد أحسن شعره في العتاب]

أخبرني محمَّد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أَبيه قال : دخلت على الرشيد يوماً فقال لي : يا إسحاق ، أَنْشِدني أَحسنَ ما تعرِف في عِتاب محبٍّ وهو ظالم مُتَعَتِّب[10] . فقلت : يا أَمير المؤمنين قول جميل : [من الطويل]

---

1 سملق : مقفرة لا نبات فيها .

2 الأرحبيّ : النجيب من الإبل ، ينسب إلى قبيلة بني أرحب . والمنّوق : الذلول .

3 لشائقي في الديوان : يشوقني 145 .

4 محزون في الديوان : مشتاق 145 .

5 غريرات في الديوان : رعابيب 147 .

6 تنوّق في أموره : جوّد وبالغ .

7 غلغل الرجل : دخل في تعب وشدّة ، وفي الديوان تنضّيت 148 .

8 احتيالي في الديوان : جدالي 148 وفي البيت اختلاف بيّن . الأولق : الجنون .

9 الفارسيّ : من أسماء الخمر .

10 متعتّب : متجن .

رِدِ الماءَ مـا جاءتْ بصَفْوٍ ذَنائبُهْ ودَعْهُ إذا خِيضَتْ بطَرْقٍ مَشارِبُهْ[1]
أُعاتِبُ مَـنْ يحلو لـديَّ عتابُـه وأترك مَـنْ لا أَشتهي وأُجانِبُهْ
ومن لذّة الدنيا وإن كنتَ ظالماً عِناقُـكَ مظلومـاً وأنـت تُعاتِبُهْ

فقال : أَحْسنَ والله ؛ أَعِدْها عليَّ ؛ فأَعدتُها حتى حفظها ، وأَمر لي بثلاثين أَلف درهم وتركني وقام فدخل إلى دار الحُرَم .

[ذهب معه صديق له إلى بثينة فطارده أهلها فرجع]

أَخبرني محمَّد بن مَزْيَد قال حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه عن السَّعِيديّ قال : حدَّثني رجلٌ كان يصحَب جميلاً من أَهل تَيْماء قال : كنتُ يوماً جالساً مع جميل وهو يحدِّثني وأُحدِّثه ، إذ ثار وتربّد وجهُه ، فأَنكرتُه ورأَيتُ منه غيرَ ما كنتُ أَرى ، ووثب نافراً مُقْشَعِرًّا الشعر متغيِّر اللون ، حتى أُتي بناقةٍ له قريبةٍ من الأَرض مُجْتَمِعةٍ مُوَثَّقةِ الخَلْق فشَدّ عليها رَحْلَه ، ثم أُتي بمِحْلَب فيه لبنٌ فشرِبه ، ثم ثنّى فشرِبت حتى رَوِيت ؛ ثم قال لي : اشْدُد أَداةَ رَحْلِكَ واشرَبْ واسْقِ جَمَلك فإنّي ذاهبٌ بك إلى بعض مَذاهِبي ، ففعلتُ . فجال في ظهر ناقته وركِبتُ ناقتي ، فسِرْنا بياضَ يومنا وسوادَ ليلتنا ، ثم أَصبحنا فسِرْنا يومَنا كلَّه ، لا والله ما نزلنا إلاّ للصَّلاة ، فلمّا كان اليومُ الثالثُ دَفَعْنا إلى نسوةٍ فمال إليهنَّ ، ووجدنا الرجالَ خُلُوفاً[2] ، وإذا قِدْرُ لبن ثَمَّ وقد جُهِدتُ جوعاً وعَطَشاً . فلمّا رأَيتُ القِدْرَ اقتحمتُ عن بعيري وتركتُه جانباً ، ثم أَدخلتُ رأسي في القِدْر ما يَثْنِيني حَرُّها حتى رَوِيت ؛ فذهبتُ أُخْرِجُ رأسي من القِدْر فضاقت عليّ وإذا هي على رأسي قَلَنْسِية ، فضَحِكْن منّي وغَسَلْنَ ما أَصابني . وأُتِي جميلٌ بقِرىً فوالله ما التفتَ إليه . فبينا هو يحدِّثهنّ إذا رَواعِي الإبلِ ، وقد كان السلطان أَحلَّ لهم دمَه إن وجدوه في بلادهم ؛ وجاء الناسُ فقالوا له : وَيْحَكَ ! انْجُ وتَقَدَّمْ ؛ فوالله ما أَكبَرَهم كلَّ الإكبار . وغَشِيه الرجالُ فجعلوا يرمُونه ويطرُدونه ، فإذا قَرُبوا منه قاتلهم ورمَى فيهم . وهامَ بِي جَمَلي ، فقال لي يَسِّرْ لنفسك مَرْكَباً خلفي ، فأَرْدَفَنِي خَلْفَه . ولا والله ما انكسر ولا انحلَّ عن فِرْصَته[3] حتى رجع إلى أَهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستّة أَيّام وما التفت إلى طعام .

[لامه فيها روق ابن عمّه ولمّا رأى ما به احتال في زيارته لها وشعره في ذلك]

وشكا زوجُ بُثَينة إلى أَبيها وأَخيها إلْمامَ جميلٍ بها ؛ فوجّهوا إلى جميلٍ فأَعْذروا إليه وشكَوْه إلى عَشيرته وأَعْذروا إليهم وتوعّدوه وإيّاهم . فلامه أَهلُه وعنَّفوه وقالوا : اسْتَخْلِصْ

1 الطَّرق : أَن تبول الإبل في الماء وتبعّر فتكدره .
2 خُلُوفاً : غُيّباً .
3 الفِرصة : القطعة من الصوف والقطن .

إليهم ونبرأ منك ومن جَريرتك . فأقام مدّةً لا يُلِمّ بها . ثم لقي ابنَيْ عمِّه رَوْقاً ومسعدةَ ، فشكا إليهما ما به وأنشدهما قوله : [من الكامل]

صوت

زُورَا بُثَيْنَـةَ فالحبيبُ مَـزُورُ إنّ الزيـارةَ للمحبِّ يسيرُ
إنّ الترحُّلَ ، إن تلبَّس أمرُنـا واعتاقَنا قَـدَرٌ أُحِمَّ ، بكورُ

الغناءُ لعَرِيبَ رَمَلٌ بالوسطى .

صوت

[من الكامل]

إنّي عشيّةَ رُحْتُ وهي حزينةٌ تشكـو إليّ صَبابـةً لَصَبُورُ
وتقول بِتْ عندي فَدَيْتُكَ ليلةً أشكو إليـكَ فإنّ ذاك يسيرُ

الغناء لسُلَيْم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه ثقيلٌ أوّل بالبنصر ذكر الهِشاميّ أنّه لمُخارِق ، وذكر حبش أنّه لإبراهيم . وذكر حبش أنّ لحن مخارق خفيفُ رملٍ .

غَـرّاءُ مبْسامٌ كأنّ حديثَها دُرٌّ تَحَـدّرَ نَظْمُـه منثـورُ
محطوطةُ المَتْنَيْنِ مُضْمَرةُ الحَشَى رَيَّا الرّوادِف خَلْقُهـا ممكورُ
لا حُسْنِها حُسْنٌ ولا كَدَلالِها دَلٌّ ولا كَوقارِهـا تـوقيرُ
إنّ اللسانَ بذكرهـا لَمُوَكَّلٌ والقلبُ صادٍ والخواطِرُ صُورُ[1]
ولئـن جَزَيْتِ الودَّ منّي مثلَه إنّي بذلـكَ يـا بُثَيْنَ جديرُ

فقال له رَوْق : إنّك لعاجزٌ ضعيف في استكانتكَ لهذه المرأة وتَرْكِكَ الاستبدالَ بها مع كثرة النساء ووجود مَنْ هو أجملُ منها ، وإنّك منها بين فجورٍ أرفَعُك عنه ، أو ذُلٍّ لا أُحِبّه لك ، أو كَمَدٍ يُؤَدِّيك إلى التّلَف ، أو مخاطرةٍ بنفسك لقومها إن تَعَرّضتَ لها بعد إعذارهم إليك . وإن صرفتَ نفسَك عنها وغلبتَ هواك فيها وتجرّعتَ مرارةَ الحَزْم حتى تألَفَها وتَصْبِر نفسك عليها طائعةً أو كارهة أَلِفْتَ ذلك وسَلَوْتَ . فبكى جميل وقال : يا أخي ، لو ملكتُ اختياري لكان ما قلت صواباً ، ولكنّي لا أملك الاختيار ولا أنا إلاّ كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ، وقد جئتُك لأمرٍ أسألك ألاّ تكدر ما رجوتُه عندك فيه بلَوْم ، وأن تَحْمِلَ على نفسك في مساعدتي . فقال له : فإن كنتَ لا بدّ مُهْلِكاً نفسَك فاعمَلْ على زيارتها ليلاً ؛ فإنّها تخرج مع بنات عمٍّ لها إلى مَلْعَب لهنّ ، فأجيءُ معك حينئذٍ سرّاً ، ولي أخٌ من رَهْط بُثَيْنة من بني

1 صور : مائلات .

الأَحَبّ ، نَأوِي عنده نهاراً ، وأسأله مساعدتكَ على هذا ، فتقيم عنده أيّاماً نهارَك وتجتمع معها بالليل إلى أن تَقضِيَ أَرَبَك ؛ فشكره . ومضى رَوْق إلى الرجل الذي من رهط بُثَينة ، فأخبره الخبرَ واستعهده كتمانَه وسأله مساعدتَه فيه . فقال له : لقد جئتَني بإحدى العظائم ؛ وَيْحَك ؛ إنّ في هذا مُعاداتي الحيَّ جميعاً إن فُطِن به . فقال : أنا أتحرّز في أمره من أن يَظهر ، فواعَدَه في ذلك ؛ ومضى إلى جميلٍ فأخبره بالقصّة ، فأتَيا الرجلَ ليلاً فأقاما عنده . وأرسل إلى بُثينة بوليدةٍ له بخاتم جميل فدفعتْه إليها ؛ فلمّا رأته عرفتْ ، فتبِعتْها وجاءته فتحدّثا ليلَتهما . وأقام بموضعه ثلاثة أيّام ثم ودّعها ، وقال لها : عن غيرِ قِلى والله ولا مَلَلٍ يا بُثينةَ كان وَداعي لكِ ، ولكنّي قد تذمّمت من هذا الرجل الكريم وتعريضِه نفسَه لقومه ، وأقمتُ عنده ثلاثاً ولا مزيدَ على ذلك ، ثم انصرف . وقال في عَذْل رَوْقٍ ابنِ عمّه إيّاه : [من الطويل]

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ ... حبيبٌ إليه في مَلامتِه رُشْدِي[1]
وقال أَفِقْ حتى متى أنت هائمٌ ... ببَثْنَةَ فيها قد تُعِيدُ وقد تُبْدِي
فقلتُ له فيها قضَى اللهُ ما ترى ... عليّ وهلْ فيما قضَى اللهُ من رَدِّ
فإن يكُ رُشْداً حُبُّها أو غَوايةً ... فقد جئتُه ما كان منّي على عَمْدِ

صوت

[من الطويل]

لقد لَجَّ ميثاقٌ من الله بيننا ... وليس لَمَن لم يُوفِ لله من عَهْدِ
فلا وأبيها الخيرِ ما خُنْتُ عهدَها ... ولا لِيَ عِلمٌ بالذي فعلتْ بعدي
وما زادها الواشون إلاّ كرامةً ... عليّ وما زالت مودّتُها عندي

الغناء لمتيَّمَ ثَقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ ، وذكر ابن المعتزّ أنّه لشاريةَ ، وذكر ابن خُرْداذبه أنّه لقَلَم الصالحيّة .

أفي الناسِ أمثالي أَحَبَّ فحالُهم ... كحالِيَ أمْ أحببتُ من بينهم وحدي[2]
وهل هكذا يلقى المحبُّون مثلَ ما ... لَقِيتُ بها أم لم يَجِدْ أحدٌ وَجْدِي[3]

وقال جميل فيها : [من الطويل]

1 ملامته في الديوان : نصيحته 73 .
2 كحالي في الديوان : فحبّهم كحبّي 74 .
3 في البيت اختلاف بيّن في الديوان 74 .

خليليّ عُوجـا اليـومَ حتى تُسَلِّما ... على عَذْبـةِ الأنياب طَيِّبة النَّشْرِ
أَلِمَّا بهـا ثـم اشفَعا لي وسَلِّما ... عليها سَقاها الله من سائغ القطرِ
وبُوحا بذكري عنـد بَثْنَةَ وانظُرا ... أترتاح يوماً أم تَهَشُّ إلى ذكري
فإن لم تَكُنْ تَقْطَعْ قُوى الودِّ بيننا ... ولم تَنْسَ ما أسلفتُ في سالف الدَّهرِ
فسوف يُرى منها اشتياقٌ ولَوْعةٌ ... ببَيْنٍ وغَرْبٌ مـن مدامِعها يجري
وإن تكُ قد حالتْ عن العهد بَعْدَنا ... وأَصغتْ إلى قول المُؤَنِّبِ والمُزْري
فسوف يُرى منها صدودٌ ولم تكن ... بنَفْسِيَ من أهـل الخِيانة والغَدْرِ
أعوذُ بك اللَّهمَّ أن تَشْحَطَ النَّوَى ... ببثنةَ في أدنى حياتي ولا حَشْرِي
وجاوِرْ إذا مـا مِتُّ بيني وبينها ... فيا حَبَّذا موتِي إذا جاورتْ قبرِي
عَدِمتُكَ مـن حبٍّ أما منك راحةٌ ... وما بـك عنِّي من تَوانٍ ولا فَتْرِ
أَلاَ أيُّها الحبُّ المبرِّح هل ترى ... أخا كَلَفٍ يُغْرِي بحبٍّ كما أُغْرِي
أَجِدَّكَ لا تَبْلى وقـد بَلِي الهوى ... ولا ينتهـي حبِّـي بُثَيْنَةَ للزَّجْرِ

صوت

هي البدرُ حسناً والنساءُ كواكبٌ ... وشَتّانَ ما بين الكواكبِ والبدرِ
لقد فُضِّلتْ حسناً على الناسِ مثلَما ... على ألفِ شهر فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ

غَنَّتْ شاريةُ في هذين البيتين خفيفَ رملٍ من رواية ابن المعتزّ .

[تهاجرا مدّة ثم اصطلحا]

أخبرني محمَّد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال أخبرنا إسحاق بن محمَّد بن أبان قال حدَّثني الرحّال بن سعد المازنيّ قال : وقع بين جميل وبُثَيْنةَ هجرٌ في غَيْرةٍ كان غارها عليها من فتىً كان يتحدَّث إليها من بني عمّها ، فكان جميل يتحدّث إلى غيرها ، فيَشُقُّ ذلك على بُثَينةَ وعلى جميل ، وجعل كلُّ واحدٍ منهما يَكْرَه أن يُبْدِيَ لصاحبه شأنَه . فدخل جميلٌ يوماً وقد غلَبه الأمرُ إلى البيت الذي كان يجتمع فيه مع بُثينة . فلمّا رأته بُثينة جاءت إلى البيت ولم تبرُز له ؛ فجزِع لذلك جميل ؛ وجعل كلُّ واحد منهما يُطالع صاحبَه ؛ وقد بلَغ الأمر من جميل كلَّ مبلغ ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

لقد خِفتُ أن يغتالني الموتُ غَنْوةً ... وفي النَّفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هِيا[1]

1 في الديوان اختلاف بيّن 220 .

وإنّـي لتَثْنِينـي الحَفِيظـةُ كلَّمـا لَقِيتُكِ يوماً أن أُبُثَّـكِ ما بِيا[1]
أَلَم تعلمي يـا عذبـةَ الرِّيقِ أنّني أَظَلّ إذا لم أُسْقَ رِيقَـكِ صادِيا

قال : فرَقَّتْ له بُثينة ، وقالت لمولاةٍ لها كانت معها : ما أحسنَ الصدقَ بأهله ! ثم اصطلحا . فقالت له بُثينة : أنشِدْنِي قولَك : [من الطويل]

تَظَلُّ وراء السِّتْرِ تَرْنُو بلَحْظِها إذا مـرَّ من أترابها مَن يَرُوقُها

فأنشدها إيّاها ؛ فبكت وقالت : كلاَّ يا جميل ! ومَنْ ترى أنّه يَرُوقُني غيرُك ! .

[نعي جميل وحزن بثينة عليه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصْر المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال ذكرَ أيّوب بن عَباية قال : خرجتُ من تَيْماء في أغْباش السَّحَر ، فرأيت عجوزاً على أتان ، فتكلّمتْ فإذا أعرابيّةٌ فصيحة . فقلت : ممّن أنتِ ؟ فقالت : عُذْريّة . فأجريتُ ذكر جميلٍ وبُثينة ؛ فقالت : والله إنّا لعلى ماءٍ لنا بالجَناب وقد تنكّبْنا الجادّةَ لجيوشٍ كانت تأتينا من قِبَل الشام تُريدُ الحجازَ ، وقد خرج رجالُنا لسَفَرٍ وخلَّفوا معنا أحداثاً ؛ فانحدروا ذاتَ عشيَّة إلى صِرمٍ[2] قريبٍ منّا يتحدّثون إلى جَوارٍ منهم ، فلم يبقَ غيري وغيرُ بثينة ، إذ انحدر علينا منحدرٌ من هَضْبةٍ تلْقاءنا ، فسلَّم ونحن مُستوحشون وَجِلون . فتأمّلتُه ورددتُ السلامَ فإذا جميلٌ . فقلت : أجميل ؟ قال : إي والله ؛ وإذا به لا يتماسك جوعاً ، فقمت إلى قَعْبٍ لنا فيه أَقِطٌ[3] مطحون وإلى عُكَّةٍ[4] فيها سَمْن ورُبٌّ[5] فعَصَرْتها على الأَقِط ثم أدنيتُها منه وقلت : أصِبْ من هذا ، فأصاب منه ؛ وقمتُ إلى سِقاءٍ فيه لبنٌ فصَبَبْتُ عليه ماءً بارداً فشرِب منه وتراجعتْ نفسُه . فقلت له : لقد بلغتَ ولقِيتَ شَرّاً ، فما أمرُك ؟ قال : أنا والله في هذه الهَضْبةِ التي تَرَيْن منذ ثلاثٍ ما أُرِيمُها أنتظر أن أرى فُرْجةً ، فلمّا رايتُ مُنْحَدَرَ فتيانكم أتيتُكم لأُوَدِّعكم وأنا عامدٌ إلى مِصْر , فتحدّثنا ثم ودّعَنا وشخَص ؛ فلم تَطُلْ غيبتُه أن جاءنا نَعْيُه . فزعموا أنّه قال حين حضرتْه الوفاة : [من الكامل]

صَدَعَ النَّعيُّ وما كنى بجميلِ وثَوَى بمِصْرَ ثَواءَ غيرِ قُفولِ

1 لتثنيني في الديوان : لتنسيني 221 .
2 الصِّرم : الجماعة من الناس ليسوا بالكثير .
3 الأَقِط : لبن مجفّف يابس مستحجر يُطبخ به .
4 العُكّة : زقيق صغير للسّمن .
5 الرُبّ : ما يُطبخ من التمر .

ولقد أَجُرّ الذَّيْلَ في وادي القُرَى نَشْوانَ بين مزارعٍ ونخيلِ
قُومِي بُثَينةُ فاندبي بعَوِيل وابكي خليلَكِ دون كلّ خليلِ

أخبرني أبو الحسن الأَسَديّ قال حدَّثني محمَّد بن القاسم عن الأَصمعيّ قال : حدَّثني رجلٌ شهِد جميلاً لمّا حضرتْه الوفاة بمِصْر أنّه دعاه فقال : هل لك في أن أُعطيَك كلَّ ما أُخلِّفه على أن تفعل شيئاً أَعهَده إليك ؟ فقال قلت : اللهمّ نعم . قال : إذا أنا متُّ فخُذْ حُلَّتي هذه التي في عَيْبَتي فاعْزِلها جانباً ثم كلُّ شيء سواها لك ، وارْحَلْ إلى رَهْط بني الأَحَبّ من عُذْرة ، وهم رَهْط بُثينة ، فإذا صرتَ إليهم فارتحلْ ناقتي هذه واركَبْها ، ثم البَسْ حُلَّتي هذه واشقُقْها ثم اعْلُ على شَرَفٍ وصِحْ بهذه الأَبيات وخَلاك ذَمٌّ . ثم أنشدني هذه الأَبيات : [من الكامل]

صَدَع النَّعِيُّ وما كَنَى بجميلِ وثوى بمِصْرَ ثَواء غيرِ قُفولِ

وذكر الأَبيات المتقدِّمة . فلمّا قَضَى وواريتُه أَتيتُ رَهْطَ بُثينةَ ففعلتُ ما أَمرني به جميل ، فما استتممْتُ الأَبيات حتى بَرَزتْ إليَّ امرأةٌ يتبعها نسوةٌ قد فَرَعَتْهُنّ طُولاً وبَرَزتْ أَمامهنّ كأنّها بدرٌ قد بَرز في دُجُنَّةٍ وهي تتعثَّر في مِرْطِها حتى أَتتني ، فقالت : يا هذا ، والله لئن كنتَ صادقاً لقد قتلتَني ، ولئن كنتَ كاذباً لقد فَضَحْتَني . قلت : والله ما أنا إلاّ صادق ، وأَخرجتُ حُلَّته . فلمّا رأَتها صاحت بأَعلى صوتها وصَكَّتْ وجهَها ، واجتمع نساءُ الحيِّ يبكين معها ويَنْدُبْنَه حتى صَعِقتْ فمكثتْ مَغشيّاً عليها ساعةً ، ثم قامت وهي تقول : [من الطويل]

وإنّ سُلُوِّي عن جميلٍ لَساعةٌ من الدَّهْرِ ما حانتْ ولا حانَ حِينُها
سواءٌ علينا يا جميلُ بن مَعْمَرٍ إذا مُتَّ بأساءُ الحياةِ ولِينُها

قالَ : فلم أَرَ يوماً كان أَكثر باكياً وباكيةً منه يومئذٍ .

صوت

من المائة المختارة من رواية جَحْظة عن أَصحابه

[من الكامل]

أَمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا والشيبُ مُؤْتَنِفَ المحلِّ جديدا[1]
وتغيَّر البِيضُ الأَوانسُ بعدما حَمَّلْتُهُنّ مَواثِقاً وعُهودا

عروضه من الكامل . الشعر ليزيد بن الطَّثْرِيّة ، والغناء لإسحاق ، ولحنه المختار من الثقيل الأَوّل بالبنصر . وفيه لبابويه خفيف ثقيلٍ بالوسطى ، كلاهما من رواية عمرو بن بانة .

1 ائتنف الشيء واستأنفه : استقبله ، أو أخذ أوّله وابتدأه .

[113] ـ ذكر يزيد بن الطَّثْريّة[1] وأخباره ونسبه

[نسبه ونسب أمّه]

ذكر ابن الكَلْبيّ أنّ اسمه يزيد بن الصِّمَّة أحد بني سَلَمةِ الخَيْر بن قُشَيْر . وذكر البصريّون أنّه من ولد الأَعْوَر بن قُشَير . وقال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : اسمه يزيد بن سَلَمة بن سَمُرَة بن سَلَمةِ الخير بن قُشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعة . وإنّما قيل له سَلَمةُ الخَيْر لأنّه كان لقُشَير ابنٌ آخر يقال له سَلَمةُ الشَّرِّ . قال : وقد قيل : إنّه يزيد بن المنتشِر بن سَلَمة .

والطَّثْريّة أمّه ، فيما أخبرني به عليّ بن سليمان الأَخفش عن السُّكَّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ ، امرأةٌ من طَثْر ، وهم حيٌّ من اليمن عِدادُهم في جَرْم . وقال غيره : إنّ طَثْراً من عَنْز بن وائل إخوةِ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن أَسَد بن رَبِيعة بن نِزار . وكان أبو جَراد أحدُ بني المنتفِق بن عامر بن عُقَيْل أَسَر طَثْراً فمكث عنده زماناً ثم خَلاّه وأخذ عليه إصْراً لَيَبْعَثنَّ إليه بفدائه أو لَيَأتينّه بنفسه وأهله فلم يجد فِداءً ، فاحتمل بأهله حتى دخل على أبي جَراد فوسَمه سِمَةَ إبله ، فهم حُلَفاء لبني المُنتَفِق إلى اليوم نَحْوٌ من خمسمائة رجلٍ متفرّقين في بني عُقَيْل يُوالُون بني المنتفق ، وهم يُعَيِّرون ذلك الوَسْمَ . وقال بعضُ مَنْ يهجوهم : [من الوافر]

عليــه الوَسْمُ وسمُ أبي جَرادِ

وفيهم يقول يزيد بن الطَّثْريّة : [من الطويل]

ألا بئسما أن تَجْرِمُـوني وتغضَبوا عليّ إذا عاتبتُكم يـا بنـي طَثْرِ[2]

وزعم بعض البصريين : أنّ الطَّثْرِيّة أُمَّ يزيدَ كانت مُولَعةً بإخراج زُبْد اللَّبن ، فسُمِّيت الطَّثْريّة . وطَثْرةُ اللبن : زبدته .

[كان يلقّب مودّقاً لجماله ، وكان كثير التحدّث إلى النساء]

ويُكْنى يزيدُ أبا المَكْشوح[3] . وكان يلقَّب مِوَدِّقاً ؛ سُمِّي بذلك لحسن وجهه وحسن شعره وحلاوة حديثه ، فكانوا يقولون : إنّه إذا جلس بين النساء ودّقهنّ[4] .

---

1 انظر أخباره في : الجمحي 150–152 والشعر والشعراء 1 : 427–428 واللآلي 103–104 وابن خلكان 2 : 395–399 ومعجم الأدباء 7 : 299–300 والحيوان 6 : 137 .

2 الجرم : القطع والصّرم .

3 كنّي بذلك لأنّه كان على كشحه كيّ نار .

4 يقال : ودقت المرأة واستودقت وأودقت إذا مالت إلى الفحل . والأصل فيه لذوات الحوافر ثم نقل إلى الإنسان .

أخبرني محمّد بن خَلَف عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يقول : مَن أُفْحِم عند النساء فيُنْشِد من شعري . قال : وكان كثيراً ما يتحدّث إلى النساء ، وكان يقال : إنّه عِنِين .

[ما جرى بين جرم وقشير وما كان من ميّاد الجرمي ويزيد بن الطثرية]

وروى عنه عبد الله بن عمر عن يحيى بن جابر أحدِ بني عمرو بن كِلاَب عن سُعاد بنت يزيد بن زُرَيْق امرأةٍ منهم : أنّ يزيد بن الطَّثْرِيّة كان من أحسن مَنْ مضَى وجهاً وأَطْيَبِهْ حديثاً ، وأنّ النساء كانت مفتونةً به ، وذكر الناسُ أنّه كان عِنِيناً ، وذلك أنّه لا عَقِبَ له ، وأنّ الناس أَمْحَلُوا حتى ذهبت الدقيقةُ من المال ونُهكت الجليلةُ ؛ فأقبل صِرِمٌ من جَرْم ساقته السَّنَةُ والجَدْبُ من بلاده إلى بلاد بني قُشَيْر ، وكان بينهم وبين بني قُشَير حربٌ عظيمة ؛ فلم يجدوا بُدّاً من رَمْي قشيرٍ بأنفسهم لِمَا قد ساقهم من الجَدْب والمَجَاعة ودِقّة الأموال وما أَشْرفوا عليه من الهَلَكة . ووقع الربيعُ في بلاد بني قُشَيْرٍ فانتجعها الناسُ وطلبوها ؛ فلم يَعْدُ أنْ لقيتْ جَرْمٌ قُشيراً ، فنَصَبَتْ قشيرٌ لهم الحربَ . فقالت جَرْم : إنّما جئنا مُستجيرين غيرَ محاربين . قالوا : ممّا ذا ؟ قالوا : من السَّنَة والجَدْب والهَلَكة التي لا باقيةَ لها . فأجارتْهم قشيرٌ وسالمتْهم وأرْعَتْهم طَرَفاً من بلادها . وكان في جَرْمٍ فتىً يقال له مَيّاد ، وكان غَزِلاً حسنَ الوجه تامَّ القامةِ آخِذاً بقلوب النساء . والغزلُ في جَرْمٍ جائزٌ حسن ، وهو في قُشَيْرٍ نائرة . فلمّا نازلتْ جَرْمٌ قشيراً وجاورتْها أصبح مَيّادٌ الجَرْميّ فغدا إلى القُشَيْرِيّات يطلبُ منهنَّ الغَزَل والصِّبا والحديثَ واستبرازَ الفَتَيات عند غَيْبة الرّجال واشتغالِهم بالسَّقْي والرِّعْية وما أشبه ذلك ؛ فدفَعْنَه عنهنّ وأسمعنَه ما يكره . وراحت رجالُهنّ عليهنّ وهنّ مُغْضَبات ؛ فقال عجائزُ منهنّ : والله ما ندري أَرْعَيْتُم جَرْماً المَرْعى أم أَرْعيتموهم نساءَكم ! فاشتدّ ذلك عليهم فقالوا : وما أَدْراكُنَّه ؟ قُلْنَ : رجلٌ منذُ اليومِ ظلّ مجحراً[1] لنا ما يطلعُ منّا رأسُ واحدةٍ ، يَدُور بين بيوتنا . فقال بعضهم : بَيِّتُوا جَرْماً فاصْطَلِموها . وقال بعضهم : قبيح ؛ قومٌ قد سَقَيتُموهم مِياهَكم وأرعيتُموهم مَراعِيَكم وخَلَطتموهم بأنفسكم وأَجَرْتُموهم من القَحْط والسَّنَة تفتاتون عليهم هذا الافتيات ؟ لا تفعلوا ، ولكن تُصْبِحوا[2] وتَقَدَّموا إلى هؤلاء القوم في هذا الرجل ، فإنّه سفيهٌ من سُفَهائهم فليأخذوا على يَدَيْه . فإن يفعلوا فأَتِمُّوا لهم إحسانَكم ، وإن يمتنعوا ويُقِرّوا ما كان منه يَحِلَّ لكم البَسْطُ عليهم وتَخْرُجوا من ذِمَّتهم ؛ فأَجْمعوا على ذلك . فلمّا أصبحوا غدا نفرٌ منهم إلى جَرْمٍ فقالوا : ما هذه البِدْعة التي قد جاورتُمونا بها ؟ إن

1 مجاحر القوم : أماكنهم .

2 أي لتصبحوا ، فالفعل مجزوم بلام محذوفة .

كانت هذه البدعة سجيّةً لكم فليس لكم عندنا إرعاءٌ ولا إسقاء ، فبَرِّزُوا عنّا أنفسَكم وأْذَنوا بحرب . وإن كان افتئاناً فغيِّروا على مَنْ فعله . وإنّهم لم يَعْدُوا أن قالوا لجَرْمٍ ذلك . فقام رجالٌ مِنْ جَرْمٍ وقالوا : ما هذا الذي نالَكم ؟ قالوا : رجلٌ مِنكم أمسِ ظلَّ يَجُرُّ أذيالَه بين أبياتنا ما ندري عَلامَ كان أمرُه ؛ فقَهْقهتْ جرمٌ من جَفاء القُشَيريّين وعَجْرَفِيَّتِها وقالوا : إنّكم لَتُحِسُّون من نسائكم ببلاءٍ ؛ ألاَ فابعَثوا إلى بيوتنا رجلاً ورجلاً . فقالوا : والله ما نُحِسُّ من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهنَّ إلاّ العفّة والكرم ، ولكن فيكم الذي قلتم . قالوا : فإنّا نبعثُ رجلاً إلىٰ بيوتكم يا بني قُشَيْر إذا غدتِ الرجالُ وأُخْلِف النساء ، وتبعثون رجلاً إلى البيوت ، ونتحالف أنّهِ لا يتقدّم رجلٌ منّا إلى زوجةٍ ولا أخت ولا بنت ولا يُعْلمها بشيء ممّا دار بين القوم ؛ فيَظَلُّ كلاهما في بيوت أصحابه حتى يَرِدَا علينا عَشِيّاً الماءَ وتُخْلى لهما البيوت ، ولا تبرُز عليهما امرأةٌ ولا تُصادِق منهما واحداً فيُقْبَلُ منهما صَرْفٌ ولا عَدْلٌ إلاّ بمَوْثِقٍ يأخذه عليها وعلامةٍ تكون معه منها . قالوا : اللهمّ نعمْ . فظَلّوا يومَهم ذلك وباتوا ليلتَهم ، حتى إذا كان من الغد غَدَوْا[1] إلى الماء وتحالفوا أنّه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل . وغدا مَيّاد الجَرْميّ إلى القُشَيْريّات ، وغدا يزيد بن الطَّثْريّة القُشَيريّ إلى الجَرْميّات ؛ فظلّ عندهنّ بأكرم مَظَلٍّ لا يصير إلى واحدةٍ منهنّ إلاّ افْتَتَنَتْ به وتابعتْه إلى المودّة والإخاء وقَبَض منها رَهْناً وسألتْه ألاّ يدخلَ من بيوت جَرْمٍ إلاّ بيتَها ، فيقول لها : وأيُّ شيء تخافين وقد أخذْتِ منّي المواثيقَ والعهود وليس لأحد في قلبي نصيبٌ غيرِكِ ؛ حتى صُلِّيت العصرُ . فانصرف يزيد بفَتَخٍ[2] كثيرٍ [وذَبْلٍ][3] وبَراقِعَ وانصرف مَكحولاً مدهوناً شبعانَ رَيّانَ مُرَجَّلَ اللِّمَّة[4] . وظلّ مَيّادٌ الجَرْميّ يدور بين بيوت القُشَيْريّات مرجوماً مُقْصىً لا يتقرّب إلى بيت إلاّ استقبلتْه الولائدُ بالعَمَد والجَنْدَل ، فتهالك لهنّ وظنَّ أنّه ارتيادٌ منهنّ له ، حتى أخذه ضربٌ كثير بالجندل ورأى البأسَ منهنّ وجَهَده العطشُ ، فانصرف حتى جاء إلى سَمُرَةٍ[5] قريباً إلى نصف النهار ، فتوسَّد يدَه ونام تحتها نُوَيْمةً حتى أفْرجتْ عنه الظَّهيرةُ وفاءت الأظلالُ وسكن بعضُ ما به من ألَم الضرب وبَرد عطشُه قليلاً ، ثم قَرُب إلى الماء حتى ورد على القوم قبلَ يزيد ، فوجد أَمَةً تَذُود

1 في ل : تواعدوا .

2 الفتخ : واحده فتخة ، وهي حلقة من فضّة لا فصّ لها ، فإذا كان فيها فصّ فهي الخاتم .

3 الذبل : جلد السلحفاة البرية ، وقيل البحرية ، وقيل عظام ظهر دابة من دواب البحر تتّخذ النساء منه الإسورة والأمشاط .

4 اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فإذا بلغ المنكبين فهو الجمّة .

5 السمرة : شجرة من العضاه .

غَنماً في بعض الظَّعْن[1] ، فأخذ بُرْقُعَها فقال : هذا برقُع واحدةٍ من نسائكم ، فطرَحه بين يديّ القوم ؛ وجاءت الأَمَةُ تَعْدو فتعلّقتْ ببُرْقعها فرُدّ عليها وخجل مَيّادٌ خَجلاً شديداً . وجاء يزيد مُمْسياً وقد كاد القوم أن يتفرّقوا ، فنثَر كُمَّه بين أيديهم ملآنَ براقِع [وذَبْلاً] وفَتَخاً ، وقد حلَف القومُ ألاّ يعرِفَ رجلٌ شيئاً إلاّ رفعه . فلمّا نثَر ما معه اسودّتْ وجوهُ جَرْمٍ وأمْسكوا بأيديهم إمساكةً . فقالت قُشَيْر : أنتم تعرِفون ما كان بيننا أمسِ من العهود والمواثيق وتحرُّج الأموال والأهل ، فمَن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده ؛ فبسط كلُّ رجل يده إلى ما عرف فأخذه . وتفرّقوا عن حرب ؛ وقالوا : هذه مَكِيدةٌ يا قُشَير . فقال في ذلك يزيد بن الطَّثْرِيّة : [من الطويل]

فإنْ شئتَ يا مَيَّادُ زُرْنا وزُرْتُمُ ... ولم ننفَسْ الدنيا على مَن يُصيبُها[2]
أيذهبُ مَيّادٌ بألْبابِ نِسْوتي ... ونسوةُ مَيَّـادٍ صحيحٌ قُلوبها

وقال مَيّاد الجَرْميّ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ إنّ جَمْعَ بني قُشَيْرٍ ... لِجَـرْمٍ في يزيدَ لظالمونا
أليس الظلمُ أنّ أبـاك مِنّـا ... وأنّـك في كَتيبـةِ آخرينا
أحالفـةٌ عليك بنـو قُشَيْرٍ ... يمينَ الصَّبْرِ أمْ مُتَحَرِّجونا[3]

[أحبّ وحشيّة ومرض لبعدها فأعانه ابن عمّه على رؤيتها فبرىء]

قال : وبُلِي يزيدُ بعشق جاريةٍ من جَرْم في ذلك اليوم يقال لها وَحْشيّة ، وكانت من أحسن النساء . ونافرتْهم جَرْمٌ فلم يجد إليها سبيلاً ، فصار من العشق إلى أن أشْرف على الموت واشتَدَّ به الجَهْد ؛ فجاء إلى ابن عمّ له يقال له خَليفة بن بوزل ، بعد اختلاف الأطبّاء إليه ويأسهم منه ، فقال [له] : يا ابنَ عمّ ، قد تَعْلم أنّه ليس إلى هذه المرأة سبيل ، وأنّ التعزِّيَ أجمل ، فما أرَبُك في أن تقتل نفسَك وتأثَم بربِّك ؟ . قال : وما هَمّي يا ابنَ عَمّ بنفسي وما لي فيها أمر ولا نهيٌ ، ولا هَمّي إلاّ نفسُ الجَرْميّة ؛ فإن كنتَ تريد حياتي فأرِنيها . قال : كيف الحيلة ؟ قال : تحملني إليها . فحمله إليها وهو لا يطمع في الجرميّة ، إلاّ أنّهم كانوا إذا قالوا له نذهب بك إلى وَحْشيّة أبَلّ قليلاً وراجعَ وطَمِع ، وإذا أيِس منها اشتدَّ به الوجع . فخرج به خليفة بن بوزل فحمله فتخلَّل به اليمنَ ، حتى إذا دخل في قبيلةٍ انتسب إلى أخرى ويخبر أنّه

1 في ل : العطن ، والعطن : المناخ حول الورد ، فأمّا في مكان آخر فمراح ومأوى .
2 نَفِس عليه الشيء : لم يره أهلاً له .
3 يمين الصبر : هي التي يحبس المرء حتى يحلفها .

طالبُ حاجة . وأَبَلَّ حتى صلَح بعضَ الصَّلاح ، وطَمِع فيه ابنُ عمّه ، وصارا بعد زمانٍ إلى حيّ وَحْشيّة فلقيا الرُّعْيان وكَمَنا في جبل من الجبال . فجعل خليفةُ ينزل فيتعرّض لرُعيان الشَّاء فيسألهم عن راعي وحشيّة ، حتى لقي غلامَها وغنمَها ؛ فواعدهم موعداً وسألهم ما حالُ وحشيّة ؟ فقال غلامها : هي والله بشرٌّ ؛ لا حفِظ الله بني قُشَيْر ولا يوماً رأيناهم فيه ؛ فما زالت عَليلةً منذ رأيناهم ، وكان بها طَرَفٌ ممّا بابن الطَّثْرِيّة ، فقال : وَيْحك ؛ فإنّ هاهنا إنساناً يداويها ، فلا تقل لأحدٍ غيرِها . قال : نعم إن شاء الله تعالى . فأعلمها الراعي ما قال له الرجل حين صار إليها . فقالت له : وَيْحَك ؛ فجيءْ به . ثم إنّه خرج فلقيه بالغدّ فأعلمه ، وظلّ عنده يرعَى غنمَه ، وتأخّر عن الشاء حتى تقدمتْه الشاء وجَنح الليلُ ، وانحدر بين يديْ غَنَمِه حتى أراحها . ومشى فيها يزيد حتى قَرُبتْ من البيت على أربع وتجلّل شَمْلةً سوداءَ بلون شاةٍ من الغنم ؛ فصار إلى وَحْشيّة ، فسُرّتْ به سروراً شديداً ، وأدخلته سِتْراً لها وجمعتْ عليه من الغد مَنْ تَثِق به من صَواحِباتها وأترابها . وقد كان عَهِد إلى ابن عمّه أن يُقيم في الجبل ثلاثَ ليال ، فإن لم يَرَه فلينصرِفْ . فأقام يزيدُ عندها ثلاثَ ليال ورجع إلى أصحِّ ما كان عليه ، ثم انصرف فصار إلى صاحبه . فقال : ما وراءك يا يزيد ؟ ورأى من سروره وطيب نفسه ما سرّه . فقال : [من الطويل]

لَوَ انَّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بَوْزَلٍ بفَرْع الغَضَى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ[1]
لشاهدتَ لهواً بعد شَحْطٍ من النَّوَى على سَخَطِ الأعداء حُلْواً شَمائلُهْ[2]

صوت

ويومـاً كإبهـامِ القَطاةِ مُزَيَّناً لِعيني ضُحاهُ غالباً ليَ باطلُهْ[3]

غنّى في البيت الثالث وبعده البيت الثاني ، وروايته : [من الطويل]

تُشاهد لهواً بعد شحطٍ من النَّوى

مُخارِقٌ ثانيَ ثقيل بالوسطى عن حَبَش .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني عليّ بن الصبَّاح قال : قال أبو محضة الأعرابيّ وأنشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْرِيّة ، فلمّا بُلِغ إلى قوله : [من الطويل]

1 الغياطل : جمع غيطلة وهي الظلمة المتراكمة .
2 في الديوان اختلاف 54 .
3 يضرب المثل في القصر بإبهام القطا .

بِنَفْسِي منْ لو مَرّ بَرْدُ بنانِهِ على كبِدي كانت شِفاءً أُنامِلُهْ
ومَنْ هابني في كلّ أمرٍ وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

طَرِب لذلك وقال : هذا والله من مغنج الكلام .

[كتب إلى وحشية شعراً فأجابته]

ونسختُ من كتاب الحسن بن عليّ : حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني هشام بن محمّد بن موسى قال حدَّثنا عبد الله بن إبراهيم الطائيّ قال حدَّثني عبد الله ابن رَوْح الغَنَويّ قال حدَّثتني ظَبْية بنت وزير الباهيّة قالت : كتب يزيد بن الطَّثْريّة إلى وحشيّة : [من الطويل]

أُحِبُّكِ أطرافَ النهارِ بشاشةً وباللّيلِ يدعوني الهوى فأُجيبُ
لئن أصبحتْ ريحُ المودّةِ بيننا شَمالاً لَقِدْماً كنتِ وهي جَنُوبُ

فأجابته بقولها : [من الطويل]

أُحِبّكَ حبَّ اليأس إن نفع الحيا وإن لم يكن لي من هواك طبيبُ

[يزيد بن الطَّثريّة وابن بوزل برملة حائل]

أخبرني يحيى بن عليّ إجازةً عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني هانىء بن سعد : أنّ ابن الطَّثْريّة وابن بَوْزَل ، وهو قَطَرِيّ بن بوزل ، خرجا يسيران حتى نزلا برَمْلة حائل[1] بين قِفار المِلْح ؛ فقال يزيد لابن بوزل : اذهَبْ فاسقِ راحلتَك واسْقِنا . فلمّا جاوز أَوْفى يزيدُ على أَجْرَعَ[2] ، فرأى أشباحاً فأتاها . فقيل له : هذه والله فلانة وأهلها عجيبةٌ بها (أي مُعْجَبون بها) . فأتاها فظَلّ عشيَّتَه وبات ليلتَه وأقام الغدَ حتى راح عَشِيّاً وقد لَقِيَ ابنَ بوزل كلَّ شرٍّ ومات غيظاً . فلمّا دنا منه قال : [من الطويل]

لَوَ انَّكَ شاهدتَ الصِّبا يا ابنَ بوزلٍ بجِزْع الغَضَى إذ راجعتْني غَياطِلُهْ
بأسفَل خَلِّ المِلْح إذ دَيْنُ ذِي الهَوى مُؤَدًّى وإذ خيرُ الوصال أوائلُهْ
لشاهدْتَ يوماً بعد شَحْطٍ من النَّوى وبعد تَنائي الدّارِ حُلْواً شَمائلُهْ

وقد رُوِي :

وغَيْمَ الصِّبا إذ راجعتْني غَياطِلُهْ

1 حائل : موضع .
2 الأجرع : الكثيب جانب منه رمل وجانب حجارة .

فاخترط[1] سيفَه ابنُ بَوْزَل ، وحاوَطه[2] يزيدُ بعَصاه ، ثم اعتذر إليه وأخبره خبرَه فقَبِل منه . وقد رَوى هذه الأبياتَ أبو عمرو الشَّيْبانيّ وغيرُه فزاد فيها على إسحاقَ هذه الأبياتَ: [من الطويل]

أَلا حَبَّذا عيناكِ يا أُمَّ شَنْبَلٍ ... إذا الكُحْلُ في جَفْنَيْهما جال جائلُهْ

فَداكِ من الخُلاَّنِ كلُّ مُمَزِّجٍ ... تكون لأَدنى مَنْ يُلاقي وسائلُهْ[3]

فَرُحْنا تَلَقَّانا به أُمُّ شَنْبَلٍ ... ضُحَيّاً وأَبكتْنا عَشِيّاً أَصائلُهْ

وكنتُ كأَنِّي حينَ كان كلامُها ... وَداعاً وخَلَّى مَوْثِقَ العهدِ حاملُهْ

رَهِينٌ بنفسٍ لم تُفَكَّ كُبُولُه ... عن السّاقِ حتى جَرد السيفَ قاتلُهْ

فقال دَعُوني سَجْدَتَيْنِ وأُرْعِدَتْ ... حِذارَ الرَّدى أَحشاؤه ومَفاصِلُهْ[4]

[بنو سدرة ويزيد بن الطثريّة]

قال إسحاق وقال أبو عثمان سَعيد بن طارق : نزلتْ ساريةٌ[5] من بني سِدْرَةَ على بني قُشير بمالهم ؛ فجعلتْ فِتْيانُ قُشير تترجَّل وتتزيَّن وتزور بيوتَ سِدْرة . فاستَنْهَوْهم ؛ فقال يزيد بن الطَّثْريّة : وما في هذا عليكم ! زُوروا بيوتنا كما نزور بيوتَكم ، وقال : [من الطويل]

دعوهنَّ يَتْبَعْنَ الصِّبا وتبادلوا ... بِنا ليس بأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ[6]

ثم إنّ بني سِدْرة قالوا لنسائهم : وَيْحَكُنّ فضَحْتُنّنا ! نأتي نساءَ هؤلاء فلا نقدِر عليهنّ ويأتونكنّ فلا تَحْتَجِبْنَ عنهم . فقالت كَهْلَةٌ منهنّ : مُرُوا نساءَكم يجتمعْنَ إلى بيتي ، فإذا جاءوا لم يجدوا امرأة إلاّ عندي ، فإنْ يزيدُ أتاني لم يَعُدْ في بيوتكم ففعلوا . فجاء يزيدُ فقال : [من الطويل]

سلامٌ عليكنّ الغَداةَ فمالنا ... إليكنّ إلاّ أن تَشَأْنَ سبيلُ

فقالت الكهلةُ : ومَن أنت ؟ فقال : [من الطويل]

أَنا الهائم الصَّبُّ الذي قاده الهوى ... إليكِ فأَمْسى في حبالِكِ مُسْلَما

بَرَتْهُ دَواعي الحبّ حتى تركْنَه ... سقيماً ولم يَتْرُكْنَ لحماً ولا دَما

فقالت : اختَرْ إحدى ثلاثِ خِصال : إمّا أن تمضي ثم ترجعَ علينا فإنّا نرقُب عيونَ الرجال

---

1 اخترط السيف : سلّه من غمده .

2 حاوطه : داوره .

3 الممزّج : الكذّاب المخلط ، والذي لا يثبت على خلق .

4 مفاصله في ل : وخصائله . والخصيلة كلّ لحمة استطالت وخالطت عصباً ، أو كلّ عصبة فيها لحم غليظ .

5 السارية : الجماعة تسري .

6 الصبا في الديوان : الهوى 52 .

فإنّهم قد سَبُّونا فيك ؛ وإمّا أن تختار أحَبَّنا إليك ، وأن تطلبَ امرأةً واحدةً خيرٌ من أن يَشْهَرَك الناسُ ، ونسي الثالثة . فقال : سآخذ إحداهنّ ، فاختاري أنت إحدى ثلاثِ خصال . قالت : وما هنّ ؟ قال : إمّا أن أحمِلَكِ على مَرْضُوفٍ من أمري فتركبيه ، وإمّا أن تحمِليني على مَشْروج[1] من أمرِكِ فأركبَه ، وإما أن تَلُزّي بَكْرِي بين قَلُوصَيْك . قالت : لو وقع بَكْرُك بين قَلُوصيّ لَطَمَرَتا به طَمْرةً يتطامن عنقُه منها . قال : كلاّ ! إنّه شديد الوَجِيف ، عارِمُ الوَظيف[2] ، فغلَبها . فلمّا أتاها القوم قالت لهم : إنّه أتاني رجلٌ لا تمتنع عليه امرأةٌ . فإمّا أن تُغْمِضوا له ، وإمّا أن تَرْحَلوا عن مكانكم هذا ؛ فرحَلوا وذهبوا . فقال حَكيم بن أبي الخِلاف السَّدْريّ في قصيدة له يذكر أنّه إنّما ارتحلوا عنهم لأنّهم آذوْهم بكثرة ما يصنعون بهم : [من الطويل]

فكان الذي تُهْدُون للجار منكم بخاتج حبّاتٍ كثيراً سُعالُها[3]

[يزيد بن الطَّثريّة وأسماء الجعفريّة]

قال إسحاق فأخبرني الفَزاريّ : أنّ قوماً من بني نُمَيْرٍ وقوماً من بني جَعْفَر تزاوروا ؛ فزار شُبّانٌ من بني جعفر بيوتَ بني نُمَير ، فقُبِلوا وحُدِّثُوا ، وزار بنو نُمَير بني جعفر فلم يُقْبَلوا ؛ فاستَنجدوا ابنَ الطَّثْريّة فزار معهم بيوتَ بني جعفر ، فأنشدهنّ وحدَّثهنّ فأعْجِبْنَ به واجتمعْنَ إليه من البيوت . فتوعَّد بنو جعفر ابنَ الطَّثْريّة فتتاركُوا وأمسكَ بعضُهم عن بعض . فأرسلتْ أسماءُ الجَعْفَريّة إلى ابنِ الطثريّة أن لا تَقْطَعْني ، وإن مُنِعتُ فإنّي سأتخلّص إلى لقائك . فأنشأ يقول : [من الطويل]

خَلِيلَيَّ بين المُنْحَنى من مُخَمّرٍ وبين اللِّوَى من عَرْفَجاءِ المُقابِلِ[4]

قِفَا بين أعناقِ اللِّوَى لُمْرَيَّةٍ جَنُوبٍ تُداوِي غُلَّ شَوْقٍ مُماطِلِ

لكَيْما أرى أسماءَ أو لِتَمَسَّني رياحٌ بريّاها لِذاذُ الشَّمائلِ

لقد حادَلتْ أسماءُ دونَك باللِّوَى عيونَ العِدا سَقْياً لها من مُحادِلِ[5]

ودسَّتْ رسولاً أنّ حَوْلي عِصابةً هُمُ الحَرْبُ فاسْتَبْطِنْ سلاحَ المُقاتِلِ

عشيّةَ ما لي من نصيرٍ بأرضها سوى السَّيْفِ ضَمّتْهُ إليَّ حَمائلي

---

1 المشروج : المشقوق .

2 الوظيف لكلّ ذي أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق .

3 البخاتج : جمع بُخْتُج : العصير المطبوخ .

4 مُخَمِّر : واد لبني قشير . عرفجاء : ماء لبني قشير أو لبني جعفر بن كلاب مطوية في غرب الحمى .

5 حادل : راوغ .

فيـــا أيُّها الواشون بـالغِشِّ بيننا ... فُرادى ومَثْنى مـن عـدوٌّ وعاذلِ
دَعُوهنّ يَتْبَعْـنَ الهـوى وتبادَلوا ... بنـا ، ليس بـأسٌ بيننا بالتَّبادُلِ
تَرَوْا حـينَ نأتيهنّ نحـنُ وأنْتُمُ ... لِمَنْ وعلى مَـنْ وَطـأةُ المُتَثاقِلِ
ومَنْ عُرِّيـتْ للّهو قِدْمـاً رِكابُه ... وشاعت قَـوافي شعرِه في القبائلِ
تُبرِّزْ وجـوهُ السابقـين ويَخْتَلِطْ ... على المُقْرِفِ الكافي غبارُ القنابلِ[1]
فإنْ تمنَعوا أسماءَ أو يَـكُ نَفْعُها ... لكـم أو تَدِبُّـوا بيننا بالغوائلِ
فلن تمنعوني أنْ أُعَلِّـل صُحْبَتي ... على كلّ شيء من مدى العينِ قابلِ

[حبسه لديون لزمته وما وقع في ذلك بينه وبين عقبة بن شريك]

قال إسحاق وحدّثني أبو زِياد الكِلابيّ : أنّ يزيد بن الطَّثْريّة كان شريفاً مِتْلافاً يغشاه الدَّيْن ؛ فإذا أُخِذ به قضاه عنه أخ له يقال له ثَوْر ؛ ثم إنّه كَثُر عليه دَيْنٌ لمولىً لعُقْبَةَ بن شَرِيك الحَرَسيّ يقال لـه البربريّ فحبسه له عُقْبة بالعَقِيق من بلاد بني عُقَيْل ، وعُقْبة عليها يومئذٍ أميرٌ . وقال المُفَضَّل بن سَلَمة قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : كان يزيد قد هَرَب منه ، فرجع إليه من حبِّ أسماء ، وكانت جارةَ البربريّ ، فأخذه البربريّ . ويقال : إنّه أعطاه بعيراً من إبل ثَوْر أخيه . فقال يزيد في السجن : [من الطويل]

قضى غُرَمائي حبُّ أسماءَ بعد ما ... تَخَوّنـني ظلمٌ لهـم وفجورُ[2]
فلو قَلَّ دَيْـنُ البربريّ قضيْتُه ... ولكـنّ دَيْنَ البربريّ كثيرُ
وكنتُ إذا حَلّتْ عليَّ ديونُهم ... أُضُمّ جَناحـي منهـمُ فأطيرُ
عليّ لهـم في كلّ شهرٍ أُدِيَّـةٌ ... ثمانون وافٍ نَقْدُها وجَزورُ[3]
نَجِيءُ إلى ثَـوْرٍ ففِيمَ رحيلُنا ... وثَوْرٌ علينا في الحيـاةِ صَبُورُ
أَشُدّ على ثَوْرٍ وثورٌ إذا رأى ... بنا خَلَّـةً جَزْلُ العطاء غفورُ
فذلك دَأْبي ما بَقِيتُ وما مَشَى ... لِثَـوْرٍ على ظهـر البِلاد بعيرُ

ويُروى : «فهذا له ما دمتُ حيّاً» ثم إنّ عُقْبة حَجّ على جمل له يقال له ابن الكُمَيْت أنْجب ما ركِب الناسُ ، وثبَت ابنُ الطَّثْريّة في السجن حتى انصرف عُقْبة بن شَرِيك من

1 المقرف : النذل ، والكافي : الخادم . والقنابل : جمع قنبلة وهي الطائفة من الناس أو الخيل .
2 الشطر الثاني في ل : تجردتْ مِن مطلٍ لهم وغرورُ .
3 أدِيَّة : المال القليل .

مكّة ، فأرسل ابنَ الكميت في مخاضه[1] مستقبِلةَ الرَّبيع وهي حاضرة العَقيق ، تأكل الغَضَى وتشرب بأَحْسائه[2] ، وانحدر عُقْبة نحو اليَمامة وعليها المُهاجِر بن عبد الله الكِلابيّ . فلمّا ضاقت بابن الطَّثْريّة المَخارِج قال له صاحبٌ له : لا أعلم لك أنجَى إن قَدَرتَ على الخروج من السجن إلاّ أن تركَب ابنَ الكُمَيْت فيُنْجيَك نحو بلد من البلاد . فلم يزل حتى جعل للحَدّاد[3] ، على أن يُرسله ليلةً إلى ابن عمّه ، جُعْلا ؛ فشكا إليه وَجْدَه بها فأرسله . فمضى يزيدُ نحوَ الإبل عشاءً فاحتكم ابنَ الكُمَيْت حتى جلس عليه فوجّهه قَصْدَ اليَمامة يريد عُقْبةَ بن شَريك ؛ وقال في طريقه : [من الطويل]

لَعَمْريَ إن ابنَ الكُمَيْتِ على الوَجا ... وسَيْريَ خَمْساً بعد خَمْسٍ مُكَمَّلُ
لَطَلْقُ الهَوادِي بالوَجيف إذا وَنَى ... ذواتُ البَقايا والعَتِيقُ الهَمَرْجَلُ[4]

فورد اليَمامةَ فأناخ بابنِ الكُمَيت على باب المهاجر ، فكان أوّل مَن خرج عليه عُقْبة بن شريك . فلمّا نظر إليه عرفه وعرف الجمل فقال : وَيْحَك ؛ أيزيدُ أنت ؟ قال نعم . وهذا ابن الكُمَيت ؟ قال نعم . قال : ويحك ؛ فما شأنك ؟ قال : يا عقبة ، فارٌّ منك إليك ؛ وأنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

يا عُقْب قد شُذِبَ اللِّحاءُ عن العصا ... عنّي وكنتُ مُؤَزَّراً محمودا
صِلْ لي جَناحي واتَّخِذْني عُدَّة ... ترمي بيَ المُتَعاشِيَ الصِّنْدِيدا

فقال له عقبة ، وكانت من خير فَعْلةٍ علمناه فعلَها ، أُشهِدكم إنّي قد أبرأته من دَيْن البربريّ وأن له ابنَ الكُمَيْت ؛ وأمره أن يحتكم فيما سوى ذلك من ماله . وهذان البيتان من القصيدة التي أوّلها : [من الكامل]

أمسى الشبابُ مُوَدَّعاً محمودا

وهي من جيِّد شعره ، يقول فيها : [من الكامل]

ومُدِلَّةٍ عند التبذُّل يَفْتَرِي ... منها الوِشاحُ مُخَصَّراً أُملودا[5]
نازعتُها غُنْمَ الصِّبا إنَّ الصِّبا ... قد كان منّي للكواعبِ عِيدا

---

1 المخاض : الحوامل من النوق .
2 الأحساء : جمع الحسى وهو سهل من الأرض يستنقع فيه الماء .
3 الحداد : السجان .
4 ذوات البقايا من الخيل : التي يبقى جريها بعد انقطاع جري الخيل . والعتيق : الرائع . والهمرجل : السريع .
5 التبذّل : ترك التزيّن . يفتري : يكسو وأصلها من لبس الفروة . الأملود : النّاعم الغضّ .

يا لَلرِّجالِ وإنّما يشكو الفتى مَــرَّ الحوادثِ أو يكونَ جليدا
بَكَرتْ نَوارُ تَجُذُّ باقيةَ القُوى يومَ الفِراق وتُخْلِف الموعودا[1]
ولَرُبَّ أمرِ هَوىً يكون نَدامةً وسبيلِ مَكْرَهَةٍ يكون رشيدا

ثم قال يفخَر :

لا أَتَّقي حَسَكَ الضَّغائنِ بالرُّقى فِعْلَ الذَّليلِ وإن بَقِيتُ وحيدا[2]
لكنْ أُجَــرِّد للضغائن مثلَها حتى تموتَ وللحُقودِ حُقودا

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدَّثنا عليّ بن الصَّبّاح قال : قال أبو محضة الأعرابيّ وأنْشِد هذه الأبياتَ ليزيد بن الطَّثْريّة : هي والله من مغنج الكلام : [من الطويل]

بِنَفْسِيَ مَنْ لو مَــرّ بَرْدُ بَنانِهِ على كبدي كانت شفاءً أنامِلُهْ
ومَنْ هابَني في كلّ شيء وهِبْتُه فلا هو يُعطيني ولا أنا سائلُهْ

وهذه الأبيات من قصيدته التي قالها في وَحْشيّةَ الجَرْمِيّة التي مضى ذكرها .

[تبعه أعداء له فترك راحلته وفرّ ، وشعره في ذلك]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثتني ظَبْية قال : مرّ يزيد بن الطَّثْريّة بأعداء له ؛ فأرادوه وهو على راحلته فركَضها وركَضوا الإبلَ على أثره ؛ فخشي أن يُدركوه وكانت نفسُه عنده أوثقَ من الراحلة ، فنزل فسَبقهم عَدْواً ، وأدركوا الراحلةَ فعقَروها . فقال في ذلك : [من الطويل]

ألا هل أتى لَيْلَى على نَأْي دارِها بأن لم أُقاتِلْ يومَ صَخْرٍ مُذَوَّدا[3]
وأنّيَ أسلمتُ الرِّكابَ فعُقِّرتْ وقــد كنتُ مِقْداماً بسيفيَ مُفْرَدا
[أثرتُ فلم أَسْطِعْ قتالاً ولا ترى أخا شِيعةٍ يومــاً كآخر أَوْحَدا]
فهــل تَصْرِمَــنّ الغانياتُ مودّتي إذا قيل قــد هــاب المنونَ فعَرَّدا

[هاجى فديكاً الجرميّ لأنّه عذب وحشيّة بالنار ليصدّها عنه]

أخبرني يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي زِياد قال : كان يزيد بن الطَّثْريّة

1 تجذّ : تقطع .
2 حَسَك الضغائن : الحقد والعداوة .
3 مُذوَّد : ذائد .

يتحدّث إلى نساء فُدَيْك بن حَنْظَلة الجَرْميّ ، ومنزلهما بالفلج[1] . فبلغ ذلك فُدَيْكاً فشَقّ عليه فزجَر نساءه عن ذلك ، فأَبَيْنَ إلاّ أن يدخل عليهنّ يزيد . فدخل عليهنّ فُدَيْك ذاتَ يوم وقد جمعهنّ جميعاً أَخواتِه وبناتِ عمّه وغيرَهنّ من حُرَمه ، ثم قال لهنّ : قد بلغني أنّ يزيد دخل عليكنّ وقد نهيتُكنّ عنه ، وإنّ لله عليّ نَذْراً واجباً ، واختَرط سيفَه ، إن لم أَضرب أعناقكنّ به . فلمّا ملأهنّ رُعْباً ضرب عنقَ غلامٍ له مُوَلَّدٍ يقال له عِصام فقتله ، ثم أَنشأ يقول : [من الطويل]

جعلتُ عصاماً عِبْرةً حين رأيتني ... أُناسِيُّ مـن أَهلي مِراضٌ قلوبُها

ثم إنّ فُدَيكاً رأى يزيدَ قائماً عند باب أَهله ، فظنّ أنّه يُواعد بعضَ نسائه ، فارتَصده على طريقه وأَمر بزُبْيَةٍ[2] فحُفِرتْ على الطريق ثم أَوْقد فيها ناراً ليِّنةً ثم اختبأَ في مكان ومعه عبدان له وقال لهما : تَبصَّرا هل تَرَيانِ أحداً ؛ فلم يَلبَثا إلاّ قليلاً حتى خرجتْ بنت أَخي فُدَيْك ، وكان يقال لها وَحْشِيّة ، تتهادى في بُرودها لميعاد يزيد ؛ فأَيقظه العبدان ؛ ومضت حتى وقعتْ على الزبية فاحترق بعضُها ، وأَمَر بها فأُخرجتْ ، واحتملها العبدان فانطلقا بها إلى داره . فقال فُدَيْك : [من الطويل]

شفى النفسَ من وَحْشِيّةَ اليومَ أنّها ... تَهادَى وقد كانت سريعاً عَنِيقُها[3]
فإلاّ تَدَعْ خَبْطَ المَوارِدِ في الدُّجَى ... تَكُنْ قَمَناً مـن غَشْيةٍ لا تُفِيقُها
دواءُ طبيبٍ كان يعلـمُ أنّـه ... يُـداوي المجانـينَ المُخلَّى طريقُها

فبلغ ذلك يزيدَ فقال : [من الطويل]

سَتَبْرَأُ من بعدِ الضَّمانةِ رجلُها ... وتأتي الذي تَهْوى مُخَلًّى طريقُها[4]
عليّ هَدايـا البُدْنِ إن لم أُلاقِها ... وإن لم يكـن إلاّ فُدَيْكٌ يسوقها
يُحَصِّنها منّـي فديـكٌ سَفاهـةً ... وقد ذهبتْ فيها الكُباسُ وحُوقُها[5]
تُذيقونهـا شيئاً مـن النّـار كلَّما ... رأَتْ من بني كعبٍ غلاماً يَرُوقها

قال : وإنّما كانت وضعت رجلَها فأَحرقتْها النار .

وقال يزيد أيضاً : [من البسيط]

---

1 الفلج : موضع .
2 الزُّبية : الحفرة التي يُصاد بها الأسد والذئب .
3 العنيق : السّير المنبسط .
4 الضمانة : الزمانة والعاهة .
5 الكُباس : الكمرة الضخمة . والحوق : ما استدار من حروفها .

يا سُخْنَةَ العينِ لِلجَرْميّ إذ جمعَتْ بيني وبين نَوارٍ وحشةُ الدارِ
خُبِّرتُهمْ عذَّبوا بالنار جارتَهم ومَنْ يُعَذِّبُ غيرَ الله بالنارِ

فبلغ ذلك فُدَيْكاً فقال : [من الوافر]

أحالفةٌ عليك بنو قُشَيْرٍ يمينَ الصَّبرِ أم متحرِّجونا

ويروى : يمين الله .

فإنْ تَنْكُلْ قُشَيرٌ تَقْضِ جَرْمٌ وتقض لها مع الشبه اليقينا
أليس الجَوْرُ أنّ أباك منّا وأنّك في قبيلةِ آخرينا
لَعَمْرُ اللهِ إنّ بني قُشَيْرٍ لِجَرْم في يزيدَ لظالمونا
فإلاّ يحلِفوا فعليك شَكْلٌ ونَجْرٌ ليس ممّا يعرفونا[1]
وأعرِفُ فيكَ سِيَما آلِ صَقْرٍ ومِشْيَتَهم إذا يتخيَّلونا

قال : وكانت جَرْمٌ تدَّعيه ، وقُشَيرٌ تدّعيه ؛ فأراد أن يُخبر أنّه دَعِيّ .

وقال فُدَيْك بن حَنْظلة يهجوه : [من الطويل]

وإنّا لسيّارون بالسُّنّة التي أُحِلّتْ وفينا جَفْوةٌ حين نُظْلَمُ
ومنّا الذي لاقتْه أُمُّك خالياً فلم تدرِ ما أيّ الشهورِ المحرَّمُ

قال يزيد يهجو فُدَيْكاً : [من الرجز]

أنعَتُ عَيْراً من عُيُورِ القَهْرِ أَقْمَرَ من شرِّ حَمِيرٍ قُمْرِ[2]
صبّح أبياتَ فُدَيْكٍ يجري منزلةَ اللُّؤم ودارَ الغَدْرِ
فلَقيتْهُ عند باب العَقْرِ يَنْشِطها والدِّرْعُ عند الصَّدرِ[3]
نَشْطَكَ بالدَّلْوِ قَراحَ الجَفْرِ[4]

[حاور حسناء عرفته من حديثه]

أخبرنا يحيى بن عليّ إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثنا أبو الحارث هانىء بن سَعْد الخَفاجيّ قال : ذُكرتْ ليزيد بن الطَّثْريّة امرأةٌ حَدَثةٌ جميلةٌ ؛ فخرج حتى يَدْفَعَ إليها ،

1 النّجر : اللون .
2 القَمْر : موضع ، والقُمْر : لون إلى الخضرة أو بياض فيه كدرة .
3 العَقْر : موضع . وينشطها : يرفعها .
4 الجفر : البئر .

فوجد عندها رجلين قاعدين يتحدّثان ، فسلّم عليهم ؛ فأَوْجستْ أنّه يزيد ولم تَتَثَبَّتْ ، ورأَتْ عليه مَسْحة . فقالت : أيُّ ريح جاءت بك يا رجل ؟ قال : الجَنُوبُ . قالت : فأيّ طيرٍ جرتْ لكَ الغَداة ؟ قال : عنزٌ[1] زَنِمةٌ رأَيتُها يُداوِرُها ثَعْلَبانِ ؛ فانقضَّ عليها سِرْحانٌ فراغ الثعلبانِ . قال : فطَفَرَتْ وراء سِتْرِها ، وعرفتْ أنّه يزيد .

[ذهب معه قطريّ لرؤية نساء يحتجبن عنه ، وشعره في ذلك]

قال إسحاق وحدّثني عَطَرَّد قال : قال قَطَرِيّ بن بَوْزَل ليزيد بن الطَّثْرِيّة : انْطَلِقْ معي إلى فلانةَ وفلانة فانهنّ يَبْرُزْنَ لك ويستترْنَ عنّي ، عسى أن أراهنّ اليومَ على وجهك . فذهب به معه ، فخرج عليهما النِّسوةُ وظَلاًّ يتحدّثان عندهنّ حتى تَرَوّحا . وقال يزيد في ذلك : [من الطويل]

على قَطَرِيٍّ نعمةٌ إن جزى بها ... يزيدَ وإلاّ يَجْزِهِ اللهُ لي أَجْرا

دنوتُ به حتّى رَمى الوحشَ بعدما ... رأى قَطَرِيٌّ من أوائلها نَفْرا

[قصّته مع رجل من صداء أحبّ خثعمية فأعانه عليها]

أخبرنا يحيى إجازةً عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عَطَرَّد قال : نزل نَفَرٌ من صُداء[2] بناحية العَقِيق ، وهو منزلُ ابن الطَّثْرِيّة ، نصفَ النهار فلم يأتهم أحد ؛ فأبصرهم ابن الطَّثْرِيّة فمرّ عليهم وهو منصرفٌ وليسوا قريباً من أهله . فلمّا رآهم مُرْمِلِين أَنْفَذ إليهم هديّةً ومضَى على حِياله ولم يراجعْهم . فسألوا عنه بعدُ حتى عرفوه ، فَحَلا عندهم وأعجبهم . ثم إنّ فتىً منهم وادَّه فآخاه فأهدى له بُرْداً وجُبَّة ونَعْلَين . ثم أغار المقدَّمُ بن عمرو بن هَمَّام بن مُطَرِّف بن الأعلم بن رَبيعة ابن عُقَيْل على ناس من خَثْعَم . وفي ذلك يقول الشاعر : [من الطويل]

مُغار ابنِ هَمَّامٍ على حَيّ خَثْعَما

فأخذ منهم إبلاً ورَقيقاً ، وكانت فيهنّ جاريةٌ من حِسان الوجوه ، وكان يهواها الذي آخى يزيدَ ، فأصابه عليها بلاءٌ عظيم حتى نَحِل جسمُه وتغيرتْ حالُه ؛ فأقبل الفتى حتى نزل العَقِيقَ متنكّراً ؛ فشكا إلى يزيدَ ما أصابه في تلك الجارية . فقال : أفيك خير ؟ قال نعم . قال : فإنّي أدفعها إليك . فَخَبأه في عَرِيشٍ له أيّاماً حتى خَطِف الجاريةَ فدفعها إليه . فبعث إليها قَطَرِيّ بن بَوْزَل ، فاعترض لها بين أهلها وبين السوق فذهب بها حتى دفعها إليه وقد وَطّن له ناقةً مُفاجّةً[3]

1 عنز زنمة : لها لحمتان متدليتان من حلقها .

2 صُداء : مخلاف باليمن وفي ل : كداء .

3 المفاجة : التي تفرّج في المشي بين رجليها .

فقال : النَّجاةَ فإنّك لن تُصْبح حتى تخرجَ من بلاد قُشَيْر وتصيرَ إلى دار نَهْد فقد نجوتَ ؛ وأنا أُخْفي أثرَك فعفَّى أثرَه ، وقال لابنة خَمّارة كان يشرب عندها : اسْحَبي ذيلَكِ على أثره ففعلتْ . ثم بُحِث على ذلك حتى قيل : قد كان قَطَرِيٌّ أَحْدَثَ الناسِ بها عهداً ؛ فاستُعْدِيَ عليه فظُفر بيزيد فأُخذ مكانه فحُبِس بحُجْر[1] ، حبسه المُهاجِر . ففي ذلك يقول يزيد : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي إن نجا لي ابنُ بَوْزَلٍ ... ثَوائـي وتَقْيِيدِي بِحُجْرٍ لَيالِيا
إذا حُـمَّ أمرٌ فهـو لا بـدَّ واقعٌ ... لـه لا أُبـالي مـا عليّ ولا لِيا
هـو العَسَلُ الماذِيُّ طوراً وتارةً ... هو السّمُّ والذّيفان واللَّيْث عاديا[2]

[نحر ناقة من إبل أخيه لنسوة فسبّه فقال شعراً]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب عن محمّد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال حدَّثني أبو الغَرّاف قال : كان يزيد بن الطَّثْريّة صاحب غَزَلٍ ومُحادثةٍ للنساء ، وكان ظريفاً جميلاً من أحسن الناس كلِّهم شعراً ، وكان أخوه ثَوْرٌ سيِّداً كثيرَ المال والنَّخْل والرَّقيق ، وكان متنسِّكاً كثير الحجّ والصَّدَقة كثيرَ المُلازمة لإبله ونخله ، فلا يكاد يُلِمُّ بالحيّ إلاّ الفَلْتة[3] والوَقْعة ، وكانت إبلُه تَرِدُ مع الرِّعاء على أخيه يزيد بن الطَّثْريّة فتُسْقَى على عَيْنه . فبينا يزيدُ مارٌّ في الإبل وقد صدَر عن الماء إذ مرّ بخِباءٍ فيه نسوةٌ من الحاضر ؛ فلمّا رأَيْنه قلن : يا يزيد ، أطعِمْنا لحماً . فقال : أعطينَني سِكّيناً فأعطينه ، ونحرَ لهنّ ناقةً من إبل أخيه . وبلغ الخبرُ أخاه ؛ فلمّا جاءه أخذ بشَعْره وفسَّقه وشتَمه . فأنشأ يزيد يقول : [من البسيط]

يا ثَوْرُ لا تشتُمَنْ عِرْضي فداكَ أبي ... فإنّمـا الشتمُ للقـوم العَواويرِ[4]
ما عَقْرُ نابٍ لأمثال الدُّمَى خُرُدٍ ... عِـينٍ كِـرامٍ وأبكارٍ مَعاصِيرِ
عَطَفْنَ حَوْلِيَ يسألْنَ القِرَى أُصُلاً ... وليس يَرْضَيْـنَ منّـي بالمَعاذيرِ
هَبْهُنّ ضيفاً عَراكم بعد هَجْعَتِكم ... في قِطْقِطٍ من سَقِيطِ اللّيلِ منثورِ[5]
وليس قُرْبُكُـمُ شاءٌ ولا لبنٌ ... أيرحَلُ الضيفُ عنكم غيرَ مجبورِ

1 حُجْر : قرية باليمن .
2 الماذيّ : العسل الأبيض ، والذّيفان : السمّ الناقع .
3 يريد الوقت بعد الوقت .
4 العواوير : الجبناء .
5 القطقط : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر ، وقيل : هو دون الرذاذ . السقيط : الندى والثلج ، وفي ل : سواد .

مـــا خيرُ واردةٍ للمـــاء صادرةٍ لا تنجلي عن عَقِيرِ الرِّجْل منحورِ[1]

[أحبّ امرأة وعلم أنّ سبعة يحبونها فقال شعراً]

أخبرني أبو خَليفة قال قال ابن سَلاّم : كان يزيد بن الطَّثْرِيّة يتحدّث إلى امرأة ويُعجَبُ بها . فبينما هو عندها إذ حدَث لها شابٌّ سِواه قد طلع عليه ، ثم جاء آخرُ ثم آخر ، فلم يزالوا كذلك حتى تَمُّوا سبعةً وهو الثامن ؛ فقال : [من الطويل]

أرى سبعةً يَسْعَوْنَ للوصلِ كلُّهـــم لـــه عنـــد ليـــلَى دِينـــةٌ يستدينُها
فألقَيْتُ سهمي وسْطَهم حين أَوْخَشُوا فمـــا صار لي من ذاك إلاّ ثَمِينُها[2]
وكنتُ عَزُوفَ النَّفْسِ أَشْنأُ أن أرَى على الشِّرْك من وَرْهاء طَوْعٌ قَرِينُها[3]
فيومـــاً تراهـــا بالعهـــود وَفِيّـــةً ويوماً على دِيـــن ابن خاقانَ دينُها
يَـــداً بِيَـــدٍ مَـــنْ جـــاء بالعَين منهمُ ومَنْ لم يجيء بالعين حِيزَتْ رُهونُها

وقال فيها وقد صارَمها : [من الطويل]

أَلا بأَبِي مَـــنْ قـــد بَرى الجسمَ حُبُّهُ ومَـــنْ هـــو مومـــوقٌ إليّ حبيبُ
ومـــن هـــو لا يـــزداد إلاّ تَشَوُّقاً وليس يُـــــرى إلاّ عليـــــه رقيبُ
وإنّـــي وإن أَحْمَـــوْا عليَّ كلامَها وحالت أعـــادٍ دونهـــا وحُروبُ[4]
لَمُثْـــنٍ عـــلى ليـــلى ثنـــاءٍ يزيدها قَـــوافٍ بأَفـــواهِ الـــرُّواةِ تَطِيبُ
أَليلَى احْذَري نَقْضَ القُوى لا يَزَلْ لنا على النـــأْي والهِجرانِ منكِ نصيبُ
وكُـــوني على الواشين لَـــدّاءَ شَغْبَةً كما أنـــا للواشي ألـــدُّ شَغُـــوبُ
فإنْ خِفْتِ أَلا تُحْكِمي مِرَّةَ القُوى فـــرُدِّي فـــؤادي والمَـــزارُ قريبُ

[كتب والي اليمامة إلى أخيه ليؤدّبه فحلق لمته فقال شعراً]

أخبرنا محمّد بن الحسن بم دُرَيْد قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه عن رجل من بني عامر ثم من بني خَفاجةَ قال : استعدت جَرْمٌ على ابن الطَّثْرِيّة في وَحْشِيّة (امرأةٍ منهم كان يشبِّب بها) فكتب بها صاحبُ اليمامة إلى ثَوْر أخي يزيد بن الطَّثْرِيّة وأمره بأدبه ، فجعل عقوبتَه حَلْق لِمّته فحلَّقها ، فقال يزيد : [من الطويل]

---

1 عقير في ل : عقيل .
2 أوخشوا : خلطوا وصاروا إلى الوخاشة أي الرذالة .
3 الورهاء : الحمقاء .
4 أحمى : حرّم ومنع .

أَقولُ لِثَوْرٍ وهــوَ يَحْلِـقُ لِمّتي بِحَجْنـاءَ مـردودٍ عليهـا نِصابُها

قال عبد الرحمن : كان عمّي يحتجّ في تأنيث المُوسَى بهذا البيت .

تَرَفَّقْ بهـا يـا ثورُ ليس ثوابُها بهــذا ولكــن غيرُ هـذا ثوابُها
أَلا ربَّما يا ثَوْرُ قـد غَلّ وَسْطَها أَنامِلُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابُها[1]
وتَسْلُك مِدْرى العاج في مُدْلَهِمّةٍ إذا لم تُفَرَّجْ مـات غَمّاً صُؤابُها
فــراح بهـا ثَــوْرٌ تَرِفٌ كأنّها سلاسلُ دِرْع خِيرُها وانسكابُها[2]
مُنَعَّمةٌ كالشَّرْيَةِ الفَــرْدِ جادَهـا نِجاءُ الثُّرَيّـا هَطْلُهـا وذِهابُها[3]
فأصبحَ رأسي كالصُّخَيْرة أَشْرفتْ عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها[4]

[أخبار من حلقهم رؤوسهم]

ونظير هذا الخبر أَخبار مَنْ حُلِقَتْ جُمَّتُه فرثاها ، وليس من هذا الباب ، ولكن يُذكر الشيء بمثله : أَخبرني محمَّد بن الحسن بن دُرَيد قال أَخبرني عبد الرحمن عن عمّه قال : شَرِب طُخَيْمٌ الأَسَدِيّ بالحِيرة ، فأَخذه العبّاس بن مَعْبَد المُرِّيّ ، وكان على شُرَط يوسف بن عمر ، فحلَق رأسَه ؛ فقال : [من الطويل]

وبالحِيرةِ البَيْضاء شيـخٌ مُسَلَّطٌ إذا حَلَـف الأَيمـانَ بالله بَرّتِ
لقـد حَلَقُوا مِنّـا غُدافـاً كأنّها عَناقيـدُ كَـرْمٍ أَيْنعتْ فاسْبَطَرَّتِ[5]
يَظَـلّ العَذارى حـين تُحْلَقُ لِمّتِي على عَجَلٍ يَلْقُطْنَها حـين جُزّتِ

أَخبرني محمَّد عن عبد الرحمن عن عمّه عن بعض بني كِلاب قال : أُخِذَ فتىً منّا مع بعض فَتَياتِ الحيّ ، فحُلِق رأسُه فقال : [من الكامل]

يـا لِمّتِي ولقد خُلِقْـتِ جَميلـةً وكرُمْتِ حين أَصابـكِ الجَلَمانِ
أمستْ تَرُوق الناظرين وأَصبحتْ قَصَصاً تكـون فواصلَ المَرْجانِ[6]

1 غلّ شعره بالطيب : أي أدخله في أصوله .
2 الخِير : الهيئة وفي البيت اختلاف في الديوان .
3 كالشريّة في الديوان : خدارية ص 26 . الشَّرْية : شجرة الحنظل ، والنِّجاء : جمع نجو كبحر وبحار ، وهو السحاب الذي هراق ماءه . والذهاب : جمع ذِهبة وهي المطرة الضعيفة .
4 رأسي في الديوان : ورحت برأس 26 .
5 اسبطرت : طالت وامتدت .
6 القصص : ما قصّ من الشّعر .

[شعره في أخيه ثور]

أخبرني وَكيع قال حدَّثني عليّ بن الحسين بن عبد الأَعْلى قال حدَّثنا أبو مُحَلِّم قال : كان ليزيد بن الطَّثْريّة أخٌ يقال له ثَوْر أكبرُ منه ، فكان يزيد يُغير على ماله ويُتْلفه ، فيتحمّله ثَوْر لمحبّته إيّاه . فقال يزيد في ذلك : [من الطويل]

نُغِيرُ على ثَـوْرٍ وثَـورٌ يَسُرُّنا وثَـورٌ علينا في الحياةِ صَبُورُ
وذلك دَأْبِي ما حَيِيتُ وما مَشَى لثَـورٍ على عَفْرِ التُّرابِ بعيرُ

[الحرب بين عقيل وبني حنيفة ومقتل يزيد وما رثاه به الشعراء]

وقُتِل يزيد بن الطَّثْريّة في خلافة بني العبّاس ، قتلتْه بنو حَنيفة .

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل بن سَلَمة عن أبي عُبيدة وابن الكَلْبيّ ، وأخبرنا يحيى بن عليّ عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي الجَرّاح العُقَيليّ قال : أغارتْ بنو حَنيفة على طائفة من بني عُقَيْل ومعهم رجلٌ من بني قُشَيْر جارٌ لهم ؛ فقُتِل القُشَيريّ ورجلٌ من بني عُقَيْل واطَّردتْ إبلٌ من العُقَيْليّين ؛ فأتى الصَّرِيخُ عُقَيلاً فلحِقوا القومَ فقاتلوهم فقتَلوا من بني حَنِيفةَ رجلاً وعقَروا أفراساً ثلاثةً من خيل حنيفة وانصرفوا ، فلبِثوا سنةً . ثم إنّ عُقَيْلاً انحدرتْ منتجعةً من بلادها إلى بلاد بني تَميم ، فذُكِر لحَنيفةَ وهم بالكوكَبةِ والقيضاف ، فغزتْهم حَنيفةُ ، وحَذِر العُقَيْليّون وأتتْهم النُّذُرُ من نُمَير فانكشفوا فلم يقدِروا عليهم ؛ فبلغَ ذلك من بني عُقَيْل وتلهّفوا على بني حنيفة ، فجمعوا جمعاً ليَغْزُوا حنيفةَ ، ثم تشاوروا : فقال بعضهم : لا تغزوا قوماً في مَنازلهم ودُورهم فيتحصَّنُوا دونكم ويمتنعوا منكم ، ولا نأمنُ أن يفضحوكم ، فأقاموا بالعَقيق . وجاءت حنيفةُ غازيةً كَعْباً لا تتعدّاها حتى وقعت بالفَلَج ، فتطاير الناسُ ، ورأسُ حَنِيفة يومئذٍ المُنْدَلِفُ ، وجاء صَرِيخُ كَعْب إلى أبي لَطِيفةَ بنِ مُسْلم العُقَيْليّ وهو بالعَقيق أميرٌ عليها ؛ فضاق بالرسول ذَرْعاً وأتاه هولٌ شديد ، فأرسل في عُقَيْل يستمدّها ؛ فأتته ربيعةُ بن عُقَيْل وقُشَيْر بن كعب والحَرِيشُ بن كعب وأفناءٌ خَفاجةَ ، وجاش[1] إليه الناسُ ؛ فقال : إنّي قد أرسلتُ طَليعةً فانتظروها حتى تجيء ونعلمَ ما تُشير به . قال أبو الجَرّاح : فأصبح صُبْح ثالثةٍ على فرس له يَهْتِف : أعزّ الله نصرَكم وأمتعَنا بكم ؛ انصرِفوا راشدين فلم يكن بأسٌ ؛ فانصرف الناسُ ؛ وصار في بني عمِّه ورَهْطِه دِنْيةً . وإنّما فعل ذلك لتكونَ له السُّمْعةُ والذِّكر . فكان فيمن سار معه

1 جاش إليه الناس : ساروا إليه ليلاً .

القُحَيْف بن خُمَيْر ويزيد بن الطَّثْريّة الشاعران ؛ فساروا حتى واجهوا القومَ ، فواقعوهم فقتلوا المُنْدَلِفَ ، رَمَوْه في عينه ، وسَبَوْا وأَسَروْا ومَثَّلوا بهم وقطعوا أيديَ اثنين منهم وأرسلوهما إلى اليَمامة وصَنعوا ما أرادوا . ولم يُقتل ممّن كان مع أبي لَطِيفةَ غيرُ يزيدَ بنِ الطَّثْريّة ، نَشِب ثوبُه في جِذْلٍ[1] من عُشَرَةٍ[2] فانقلب ، وخبَطه القومُ فقُتل . فقال القُحَيْف يرثيه : [من الوافر]

أَلا تَبْكي سَراةُ بني قُشَيْرٍ على صِنْدِيدِها وعلى فَتاها
فإنْ يُقْتَلْ يزيدُ فقد قَتَلْنا سَراتَهُمُ الكهولَ على لِحاها
أَبا المَكْشوحِ بَعْدَك مَنْ يُحامي ومَنْ يُزْجِي المَطِيَّ على وَجاها

وقال القُحَيْف أيضاً يرثيه : [من الرجز]

إن تقتُلوا منّا شهيداً صابرا فقد تركنا منكُمُ مَجازِرا
عشرين لَمّا يدخُلوا المقابرا قَتْلَى أُصيبتْ قَعَصاً نَحائرا[3]
نعجا تَرى أَرجُلَها شَواغِرا[4]

وهذه من رواية ابن حَبِيبَ وحدَه . وقال القُحَيْف أيضاً ولم يَرْوِها إلاّ ابن حبيبَ : [من الرجز]

يا عينُ بَكِّي هَمَلاً على هَمَلْ على يَزيد ويزيدَ بنِ حَمَلْ
قَتّال أبطالٍ وجَرّار حُلَلْ

قال : ويزيد بن حَمَل قُشَيْريّ قُتِل يومئذٍ أيضاً . وقالت زينب بنت الطَّثْريّة ترثي أخاها يزيد . وعن أبي عمرو الشَّيْبانيّ أنّ الأبيات لأُمّ يزيد ، قال : وهي من الأَزْد . ويقال : إنّها لوَحْشِيّة الجَرْمِيّة : [من الطويل]

أَرى الأَثْلَ من بطن العَقِيق مُجاوِرِي مُقِيماً وقد غالت يزيدَ غوائلُهْ
فَتىً قُدَّ قَدَّ السَّيْفِ لا مُتَضائلٌ ولا رَهِلٌ لَبّاتُه وبآدِلُهْ[5]

1 الجِذل : أصل الشجرة .
2 العُشَرَة : شجرة من العضاه وهي من كبار الشجر ذات صمغ حلو وورق عريض .
3 القعص : القتل المعجل والموت الوحيّ .
4 نعج الرجل : ربا وانتفخ . شواغر : مرفوعات .
5 البآدل : جمع بأدلة وهي اللحمة بين العنق والتّرقوة .

فتىً لا تَرى قَـدَّ القميص بخَصْره ولكنّما تُوهِـي القميصَ كواهلُهْ
إذا نـزل الضِّيفانُ كان عَـذَوَّراً على الحـيّ حتى تَسْتَقِلَّ مَراجِلُهْ[1]
يَسُرُّك مظلوماً ويُرضيك ظالماً وكلُّ الذي حَمَّلتَـه فهـو حامِلُهْ
إذا جَـدّ عند الجِدّ أرضاك جِدُّه وذو باطلٍ إن شئت أَلْهاكَ باطلُهْ
إذا القومُ أَمُّوا بيتَه فهـو عامِـدٌ لأفضلِ مـا أَمُّوا لـه فهو فاعِلُهْ
مضَى ووَرِثْنـاه دَرِيسَ مُفاضَةٍ وأبيضَ هِنْدِيّـاً طويـلاً حمائلُهْ[2]
وقد كان يَحْمي المَحْجِرين بسيفه ويبلغُ أَقْصَى حَجْـرةِ الحيِّ نائلُهْ[3]
فتىً ليس لابن العمّ كالذئب إن رأى بصاحبه يومـاً دمـاً فهـو آكِلُهْ
سيَبْكِيه مـولاه إذا مـا ترفَّعتْ عن الساقِ عند الرَّوْع يوماً ذَلاذِلُهْ

الذَّلْذَل : هُدْب الثياب .

وقد أَخبرنا الحِرْميّ عن الزُّبَير عن عمر بن إبراهيم السَّعْديّ عن عبّاس بن عبد الصمد قال : قال هشام بن عبد الملك للعُجَيْر السَّلُوليّ : أصدقتَ فيما قلتَ في ابن عمّك ؟ قال : نعم يا أَمير المؤمنين ، ألا إنّي قلتُ : [من الطويل]

فتىً قُدّ قَدّ السيفِ لا متضائِلٌ ولا رَهِـلٌ لَبّاتُـه وأَباجِلُهْ[4]

فذكر هذا البيتَ وحدَه ونسبه إلى العُجَيْر السَّلُوليّ من الأَبيات المنسوبة إلى أُخت يزيد بن الطَّثْريّة أو إلى أُمّه وأَتى بأَبياتٍ أُخَر ليست منها ، وسيُذكر ذلك في أَخبار العُجَيْر مشروحاً إن شاء الله تعالى .

وممّا يُغنَّى فيه من شعر يزيد بن الطَّثْريّة قولُه : [من الطويل]

صوت

بنفسيَ مَـنْ لا بـدّ أنّيَ هاجِرُهْ ومن أَنا في الميسور والعُسْرِ ذاكِرُهْ
ومن قـد رماه الناسُ بي فاتّقاهمُ ببغضيَ إلاّ مـا تُجِـنُّ ضمائرُهْ

عروضُه من الطويل . غنّى في هذين البيتين عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ لحناً من خفيف

1 العذّور : السيء الخُلق القليل الصبر .
2 الدريس : الخلق من الدروع وغيرها ، المفاضة : الدراع الواسعة .
3 المَحْجِر : الحرم وما يمنعه القوم . الحَجْرة : الناحية .
4 الأباجل : جمع أبجل ، وهو عرق غليظ في الرجل ، وقيل في باطن الذراع .

الثقيل بالبنصر . وغنّتْ فيه عَرِيبُ وفي أبيات أضافتْها إليها لحناً من خفيف الثقيل الأوّل آخرَ . وغنّت عُلَيَّةُ بنت المهديّ فيها خفيفَ رَمَلٍ . وذكر الهِشاميّ أنّ لإبراهيم فيها لحناً ماخُورِيّاً . والأبياتُ المُضافةُ : [من الطويل]

بنفسيَ مـن لا أُخْبِرُ الناسَ باسمه وإن حَمَلتْ حِقْداً عليّ عشائرُهْ
بأهلي ومالي مـن جلَبتُ له الأذى ومَنْ ذكرُه منّـي قريبٌ أسامرُهْ
ومَنْ لو جرت شَحْناءُ بيني وبينه وحـاوَرَني لم أَدْرِ كيـف أُحاوِرُهْ

صوت

من المائة المختارة

[من المتقارب]

شأتْـكَ المنـازلُ بالأَبْـرَقِ دوارسَ كالعـين في المُهْرَقِ
لآلِ جَميلـةَ قـد أَخْلَقتْ ومهما يَطُـلْ عهـدُه يُخْلِقِ
فـإن يُقِـلِ الناسُ لي عاشِقٌ فأَيـن الذي هـو لم يَعْشَقِ
ولم يَبْـكِ نُؤْيـاً على عَبْرةٍ بـداء الصَّبابـة والمَعْـلَقِ

شأتْك : بعُدتْ عنك . والشأو : البعد . يقال : جرى الفرسُ شَأواً ، يريد طَلَقاً . والمُهْرَق : الصحيفة ، والجمع المَهارق . يريد أنّ الدّار قد بَقِيتْ منها طرائقُ كالصّحف وما فيها .

الشعر للأحوص . والغناءُ لجَميلة ، ولحنُها المختار خفيفُ رملٍ بالوسطى عن إسحاق . وفيه لعَطَرَّد ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ عن حَبَش : وفيه رمل يقال : إنّه لفَريدة ، ويقال : إنّه لمالك . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لابن عائشة . وذكر عمرو بن بانة أنّ خفيف الرمل لعَطَرّد أيضاً .

[114] ـ ذكر جميلة وأخبارها[1]

[ولاء جميلة وشعر عبد الرحمن بن أرطاة فيها]

هي جميلة مولاةُ بني سُلَيْم ثم مولاةُ بطن منهم يقال لهم بنو بَهْز ، وكان لها زوج من موالي بني الحارث بن الخَزْرج ، وكانت تنزِل فيهم ، فغلَب عليها ولاءُ زوجها ، فقيل : إنّها مولاة للأنصار ، تَنْزِل بالسُّنْح[2] وهو الموضع الذي كان ينزله أبو بكر الصِّدّيق ؛ ذكر ذلك إبراهيم بن زِياد الأنصاريّ الأَمَويّ السَّعِيديّ . وذكر عبد العزيز بن عِمْران أنّها مولاةٌ للحَجّاج بن عِلاط السُّلَميّ . وهي أصل من أُصول الغناء ، وعنها أخذ معبدٌ وابن عائشة وحَبابةُ وسَلاّمة وعقيلة العَقِيقيّة والشَّماسيَّتان خُلَيْدة ورُبَيْحة . وفيها يقول عبد الرحمن بن أَرْطاة : [من المتقارب]

صوت

إنّ الـدَّلالَ وحسنَ الغنا ء وَسْطَ بيوت بني الخَزْرجِ
وتلكـم جميلةُ زينُ النساء إذا هـي تَـزْدان للمَخْرجِ
إذا جئتَها بذَلـتْ وُدَّهـا بوجـــه مُنيرٍ لهـا أَبْلَجِ

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاة . والغناء لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى الوسطى ، ويقال : فيه للدَّلال وجَميلة لحنانِ .

[كانت أعلم خلق الله بالغناء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي جعفر القُرَشيّ عن المُحْرِزيّ قال : كانت جميلة أعلمَ خلق الله بالغناء ؛ وكان معبد يقول : أصلُ الغناء جميلة وفرعُه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مُغنّين .

[كيف تعلّمت الغناء]

قال إسحاق وحدَّثني أيُّوب بن عَباية قال حدَّثني رجل من الأنصار قال : سُئِلت جميلة : أنّى لكِ هذا الغناء ؟ قالت : والله ما هو إلهامٌ ولا تعليم ولكنّ أبا جعفر سائب خاثر كان لنا جاراً وكنتُ أسمعه يغنّي ويضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذتُ تلك النَّغمات فبنيتُ عليها

1 انظر خبراً عنها في التذكرة الحمدونية 9 : 36 ، 37 .
2 السُّنْح : موضع قرب المدينة .

غِنائي ، فجاءت أجودَ من تأليف ذلك الغناء ، فعلِمتُ وألقيتُ ، فسمعني مَوالِياتي يوماً وأنا أُغنّي سرّاً ففهِمْنَني ودخلْنَ عليّ وقُلْنَ : قد علِمنا فما تَكْتُمينا . فأقسمْنَ عليّ ، فرفعتُ صوتي وغنّيتهُنّ بشعر زُهير بن أبي سُلْمَى : [من البسيط]

وما ذكرتُكِ إلاّ هِجْتِ لي طَرَباً إنّ المحبَّ ببعضِ الأمرِ معذورُ
ليس المحبّ بمَن إن شَطَّ غيَّره هجرُ الحبيب وفي الهِجران تغييرُ

صوت

[من البسيط]

نامَ الخليّ فنومُ العين تَعْذِيرُ ممّا ادَّكرتُ وهمُّ النفسِ مذكورُ[1]
ذكرتُ سَلْمَى وما ذِكْرِي براجِعها ودونها سَبْسَبٌ يَهْوِي بـه المُورُ[2]

الشعر لزُهَير . والغناء في هذين البيتين لجَميلة فقط رملٌ بالوسطى عن حَبَش . فحينئذٍ ظهَر أمري وشاع ذكري ، فقَصَدني الناسُ وجلستُ للتعليم ؛ فكان الجواري يتكاوَسْنَني[3] ، فربّما انصرف أكثرُهنّ ولم يأخُذْنَ شيئاً سوى ما سمِعْنَني أُطارِحُ لغيرهنّ ، ولقد كَسبتُ لَموالِيَّ ما لم يخطُرِ لهنّ ببال ، وأهلُ ذلك كانوا وكنتُ .

[إجماع الناس على تقدّمها في الغناء]

وحدَّثني أبو خليفة قال حدَّثني ابن سَلاّم قال حدَّثني مَسْلَمة بن محمّد بن مَسْلَمة الثَّقَفيّ قال : كانت جميلةُ ممّن لا يُشَكُّ في فَضيلتها في الغناء ، ولم يَدَّعِ أحدٌ مقارَبَتَها[4] في ذلك ، وكلّ مدنيّ ومكّيّ يشهد لها بالفضل .

[وصف مجلس من مجالسها غنّت فيه وغنّى فيه مغنّو مكّة والمدينة]

قال إسحاق وحدَّثني هشام بن المُرِّيّة المدنيّ قال حدَّثني جرير المدنيّ . قال إسحاق : وكانا جميعاً مغنِّيَيْن حاذقَين شيخَين جليلَين عالِمَين ظريفَين ، وكانا قد أسنّا ، فأمّا هشام فبلغ الثمانين ، وأمّا جرير فلا أدري . قال جرير : وفَد ابنُ سُرَيج والغريض وسَعيد بن مِسْجَح ومُسْلِم بن مُحرِز المدينةَ لبعض من وفَدوا عليه ، فأجمع رأيُهم على النزول على جَميلة مولاةِ بَهْزٍ ، فنزلوا عليها . فخرجوا يوماً إلى العَقِيق متنزّهين ، فوردوا على مَعْبَد وابن عائشة فجلسوا إليهما فتحدّثوا ساعةً ؛ ثم سأل معبدٌ ابنَ سُريج وأصحابَه أن يَعْرِضوا عليهم بعضَ ما ألّفوا . فقال ابن عائشة : إنّ للقوم

1 تعذير : قليل .
2 المور : الغبار المتردّد ، وقيل : التراب تثيره الريح .
3 يتكاوسنني : يتكنفنني ويتزاحمن حولي .
4 في ل : مقارنتها .

أعمالاً كثيرةً حسنةً ولك أيضاً يا أبا عَبّاد ، ولكن قد اجتمع علماء مكّة ، وأنا وأنت[1] من أهل المدينة ، فلْيَعْمَل كلُّ واحد منّا صوتاً ساعتَه ثم يغنِّ به . قال معبد : يا ابنَ عائشة ، قد أعجبتْك نفسُك حتى بلَّغتْك هذه المرتبةَ ؛ قال ابن عائشة : أَوَ غَضِبْتَ يا أبا عَبّاد ! إنّي لم أَقُل هذا وأنا أُريد أن أتنقَّصك فإنّك لأنت المُفادُ منه . قال معبدٌ : أمّا إذ قد اختلفْنا وأصحابُنا المَكّيّون سكوتٌ فلنجعل بيننا حَكَماً . قال ابن عائشة : إنّ أصحابنا شركاءُ في الحكومة . قال ابن سُرَيج : على شَريطةٍ ؛ قال : على أن يكونَ ما نُغنّي به من الشعر ما حُكِّمت فيه امرأةٌ . قال ابن عائشة ومَعْبَد : رَضِينا ، وهي أُمّ جُنْدَب . فأجمع رأيهُم على الاجتماع في منزل جَميلة من غَدٍ . فلمّا حضروا قال ابن عائشة : ما تَرى يا أبا عبّاد ؟ قال : أرى أن يبتدىء أصحابُنا أو أحدُهم . قال ابن سُرَيج : بل أنتما أَوْلى . قالا : لم نكن لنفعلَ . فأقبل ابن سُرَيج على سَعيد بن مِسْجَح فسأله أن يبتدىء فأبَى . فأَجْمع رأيُ المكّيّين على أن يبتدىء ابنُ سُرَيج . فغنّى ابن سريج : [من الطويل]

صوت

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهبِ ولم يَكُ حقّاً كلُّ هذا التجنُّبِ
خليليّ مُرّا بي على أُمّ جُنْدَب أُقَضِّ لُباناتِ الفؤاد المُعَذَّبِ
فإنّكما إن تُنْظِراني ساعةً من الدَّهرِ تَنْفَعْني لدى أُمّ جُنْدَبِ
أَلم تَرَياني كلَّما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

الشعر لامرىء القيس . ولابن سُرَيج فيه لحنان ثاني ثقيلٍ بالسّبّابة في مجرى الوسطى ، وخفيفُ رملٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى جميعاً عن إسحاق . وغنّى مَعْبَد : [من الطويل]

صوت

فَلِلَّهِ عينا مَنْ رأى مِنْ تَفَرُّقٍ أَشَتَّ وأَنْأَى من فِراق المُحَصَّبِ[2]
عَلَوْنَ بأنطاكيّةٍ فوق عِقْمَةٍ كجِرْمَةِ نخلٍ أو كجَنّة يَثْرِبِ[3]
فريقانِ منهم سالكٌ بطنَ نَخْلَةٍ وآخَرُ منهم جازِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ[4]

---

1 في ل : وإيّاك .

2 المحصب : موضع رمي الجمار بمنى .

3 العقمة : ضرب من الوشي . والجرمة : ما جرم من البسر ، والجنة : البستان . يريد نخل المدينة .

4 في البيت اختلاف في الديوان 43 . بطن نخلة : موضع . والجازع : القاطع . نجد في ل : قصد . كبكب : هو الجبل الأحمر الذي تجعله خلف ظهرك إذا وقفت مع الإمام بعرفة .

فَعَيْناكَ غَرْبــا جَدْوَلٍ في مُفاضَةٍ كمَــرٍّ خَلِيجٍ في سَنِيحٍ مُثَقَّبِ[1]

وغنّى ابن مِسْجَح : [من الطويل]

صوت

وقالت فإن يُبْخَــلْ عليكَ ويُعْتَلَلْ يَسُؤْكَ وإن يُكْشَفْ غرامُك تَدْرَبِ[2]

وإنّــك لم يَفْخَــرْ عليك كفاخِرٍ ضعيفٍ ولم يَغْلِبك مثــلُ مُغَلَّبِ

وإنّــك لم تَقْطَــعْ لُبانــةَ عاشقٍ بمثلِ بُكُــور أو رَواحٍ مُؤَوَّبِ[3]

بأَدْمــاءَ حُرْجُــوجٍ كأنّ قُتُودَها على أَبْلَقِ الكَشْحَيْن ليس بمُغْرَبِ[4]

يغرِّد بــالأَسْحارِ في كلّ سُدْفــةٍ تَغَرُّدَ مَيَّــاحِ النَّدامَى المُطَرِّبِ[5]

وغنّى ابنُ عائشة :

صوت

وقــد أَغْتَدِي والطيرُ في وُكُناتِها وماءُ النَّدَى يَجْرِي على كلّ مِذْنَبِ[6]

بمُنْجَرِدٍ قَيْــدِ الأَوابدِ لاحَــهُ طِرادُ الهَــوادِي كلَّ شَأْوٍ مُغَرِّبِ[7]

إذا ما جَرَى شَأْوَيْنِ وابتَلَّ عِطْفُه تقولُ هَزِيــزُ الرِّيح مَرّتْ بأَثْأَبِ[8]

لــه أَيْطَــلا ظَبْــيٍ وساقا نَعامةٍ وصَهْوَةُ عَيْرٍ قائــم فوقَ مَرْقَبِ[9]

وغنّى ابن مُحْرِز : [من الطويل]

صوت

فلِلسَّوْطِ أَلْهُــوبٌ وللساق دِرَّةٌ وللزَّجْرِ منه وَقْعُ أَخْرَجَ مُهْذِبِ[10]

---

1 الخليج : الخيط الذي يتناثر منه اللؤلؤ ، والسنيح : اللؤلؤ . وفي الديوان : صفيح ص 44 . مثقّب في ل : مصوّب .

2 تدرب : من الدربة وهي التجربة .

3 المؤوب : المردّد المتكرّر .

4 الأدماء : الناقة البيضاء . والحرجوج : الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . القتود : جمع قتد وهو أداة الرحل . وأبلق الكشحين : أبيض الخاصرتين . والإغراب : بياض الأشفار والوجه .

5 يغرّد : يطرّب . وسدفة الليل : طائفة من الليل ، ومياح : متبختر .

6 المِذْنَب : مسيل الماء إلى الروضة .

7 المنجرد : قصير الشعر . الهوادي : السوابق المتقدّمات . المغرّب : البعيد المدى .

8 أثأب : شجر تصدر الريح فيه حفيفاً عظيماً وشدّة صوت .

9 الأيطل : الخاصرة والعَيْر : حمار الوحش .

10 الإلهاب واللهوب : شدّة العدو الذي يثير اللهب وهو الغبار . الدرّة : زيادة في العدو . والأخرج : الذكر من النعام الذي اختلف ريشه في لونه . المهذِب : الشديد العدو ، وفي البيت اختلاف في الديوان ص 51 .

فـأَدْرك لم يَجْهَـدْ ولم يُبْلِ شَدَّه يَمُـرُّ كخُذْرُوفِ الوَليدِ المُثَقَّبِ[1]
تَـذُبُّ لـه طَـوْراً وطَوْراً تُمِرُّه كَذَبِّ البَشيرِ بـالرِّداء المُهَدَّبِ[2]
إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أو صُلْتُ صَوْلَةً تَرَقَّـبُ منِّـي غيرَ أَدْنى تَرَقُّبِ[3]

وغنّى الغريض :

صوت

أخاثقـةٍ لا يَلْعَـنُ الحيُّ شخصَه صبوراً على العِلاّتِ غيرَ مُسَبَّبِ[4]
رأينـا شِياهـاً يَرْتَعِـينَ خَمِيلـةً كَمَشْيِ العَذارَى في المُلاءِ المُجَوَّبِ[5]
ومـا أنت أَمْ مـا ذِكْرُهـا رَبَعِيَّةً تَحُلّ بإيـرٍ أو بأكناف شُرْبُـبِ[6]
أطعـتُ الوُشاةَ والمُشاةَ بصُرْمِها فقـد أَنْهَجَتْ حِبالُهـا للتقضُّبِ[7]

فقالت جميلةُ : كلُّكم مُحسِنٌ وكلّكم مُجيد في معناه ومذهبه . قال ابن عائشة : ليس هذا بمُقْنِع دون التفضيل . فقالت : أَمّا أنت يا أبا يحيى[8] فتُضْحِك الثَّكْلى بحُسْن صوتك ومشاكلتِه للنفوس . وأَمّا أنت يا أبا عَبّاد فنَسِيجُ وَحْدِك بجودة تأليفك وحسن نَظْمك مع عذوبة غِنائك . وأمّا أنت يا أبا عثمان فلك أوّليَّةُ هذا الأمر وفضيلتُه . وأمّا أنت يا أبا جعفر فمع الخُلفاء تصلُح . وأمّا أنت يا أبا الخَطّاب فلو قَدّمتُ أحداً على نفسي لقدّمتُك . وأمّا أنت يا مَوْلى العَبَلاتِ فلو ابتدأتَ لقدّمتُك عليهم . ثم سألوها جميعاً أن تغنّيهم لحناً كما غَنَّوْا ؛ فغنّتْهم بيتاً لامرىء القيس وأربعةَ أبيات لعَلْقَمة وهي : [من الطويل]

خَلِيليّ مُرّا بـي على أُمِّ جُنْدَبِ أَقَضِّ لُبانـاتِ الفؤادِ المُعَذَّبِ
لَيـاليَ لا تَبْلَـى نصيحةُ بَيْنِنـا لياليَ حَلُّـوا بالسِّتارِ فغُرَّبِ[9]

---

1 الخذروف : الدوّارة التي يلعب بها الصبيان .
2 تمرّه في ل : تبزّه . المهدّب : ذو الهدب .
3 الدفّ : الجنب .
4 غير مسبب : غير مسبوب .
5 شياه : بقر من الوحش . المجوّب : المصنوع له جيب .
6 إير : جبل لبني غطفان غربيّ جبل طيىء . شربب : واد في ديار بني ربيعة بن مالك بن يزيد بن مناة بن تميم في شمال اليمامة .
7 أنهجت : خلقت وبليت . التقضّب : التقطّع .
8 أبو يحيى : كنية ابن سريج ، وأبو عباد كنية معبد ، وأبو عثمان كنية سعيد بن مسجح ، وأبو جعفر كنية ابن عائشة ، وأبو الخطاب كنية ابن محرز ، ومولى العبلات لقب الغريض .
9 السِّتار : جبل بعالية الحجاز ، وغرب جبل تلقاءه .

مُبَتَّلَـةٌ كأنّ أنْضاءَ حَلْيِهـا على شادنٍ من صاحَةٍ مُتَرَبَّبِ[1]
مَحـالٌ كأَجْواز الجَراد ولؤلؤٌ من القَلَقـيِّ والكَبِيسِ المُلَوَّبِ[2]
إذا أَلْحم الواشون للشرّ بيننا تبلَّغ رَسُّ الحبّ غيرُ المُكَذَّبِ[3]

فكلُّهم أقرُّوا لها وفضَّلوها . فقالت لهم : أَلا أُحدِّثكم بحديث يتمُّ به حسنُ غِنائكم وتَمامُ اختياركم ؟ قالوا : بَلى والله . قال الغريض : قد والله فهمتُه يا سيِّدتي . قالت : لعنك الله يا مخنَّث ؛ ما أَجودَ فهمَك وأحسنَ وجهَك ، وما يُلام فيك أَبو يحيى إذ عرفتَه ؛ فهاته حدِّثنا . قال : يا سيّدتي وسيّدةَ مَنْ حضر ، والله لا نطقتُ بحرف منه وأنت حاضرةٌ ، ولكِ الفضلُ والعُتْبى . قالت : نازع امرؤ القيس عَلْقَمَةَ بنَ عَبَدَةَ الفحلَ الشعرَ ؛ فقال له : قد حَكَّمتُ بيني وبينك امرأتَك أُمَّ جُنْدَب ؛ قال : قد رَضِيتُ . فقالت لهما : قُولا شعراً على رَوِيٍّ واحد وقافيةٍ واحدةٍ صِفا فيه الخيلَ . فقال امرؤ القيس : [من الطويل]

خَليليّ مُرَّا بي على أُمِّ جُنْدَبِ أُقَضِّ لُبانـاتِ الفـؤادِ المُعَذَّبِ

وقال عَلْقمة : [من الطويل]

ذهبتَ من الهِجْرانِ في غير مَذْهبِ ولم يَـكُ حقّـاً كلُّ هـذا التجنُّبِ

وأَنشداها ، فغلَّبتْ عَلْقمةَ . فقال لها زوجُها : بأيّ شيء غلَّبتِه ؟ قالت : لأنّك قلت : [من الطويل]

فللسَّوْطِ أُلْهـوبٌ وللساق دِرَّةٌ وللزَّجْـرِ منـه وَقْعُ أَهْوجَ مِنْعَبِ[4]

فجَهَـدْتَ فرسَك بسَوْطِك ، ومَرَيْتَـه[5] بساقِك وزَجْرك ، وأَتْعبتَه بجَهْدك . وقال علقمةُ : [من الطويل]

فولَّـى على آثارهـنَّ بحاصِبٍ وغَبْيَةِ شُؤْبُوبٍ من الشَّدِّ مُلْهِبِ[6]

---

1 المبتلّة : المكتنزة اللحم الضامرة الكشح . وأنضاء الحَلْي : ما دقّ منه ولطف . وصاحة : جبل أحمر بين الركاء والدخول وقيل هضبتان .

2 المحال : ضرب من الحلي يصاغ مُفقّراً . الجوز : وسط الشيء . القَلَقيّ : ضرب من القلائد المنظومة من اللؤلؤ . الكبيس : حلى يصاغ مجوّفاً ثم يُحشى طيباً ثم يكبس . الملوّب : المعطّر بالملاب .

3 ألحم : أدخل . الرسّ : الثابت الراسخ . غير المكذّب : غير المنقطع الزّائل .

4 المنعب : الأحمق المصوّت ، والذي يمدّ عنقه في العدو .

5 مرى الفرس : استخرج جريه .

6 الغبية : المطرة التي تجيء شديدة .

فأدركهنّ ثانياً من عِنانه يَمُرّ كمَرّ الرائح المُتَحلِّبِ[1]

فلم يضرب فرسَه بسوط ، ولم يَمْرِه بساق ، ولم يُتعبْه بزَجْر . فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فِداكِ ؛ أتأذَنِينَ أن أُحدِّث ؟ قالت : هِيه . قال : إنّما تزوّج أُمَّ جُنْدَب حين هرَب من المُنْذِر بن ماء السماء فأتى جَبَلِيْ طيِّىء ، وكان مُفَرَّكاً[2] . فبينا هو معها ذاتَ ليلةٍ إذ قالت له : قُمْ يا خيرَ الفِتيان فقد أصبحتَ ، فلم يقم ؛ فكرّرتْ عليه فقام فوجد الفجرَ لم يطلُع ، فرجع فقال لها : ما حملكِ على ما صَنَعتِ ؟ فأمسكتْ . وألحّ عليها فقالت : حملني أنّك ثقيلُ الصدر ، خفيفُ العَجيزة ، سريعُ الإراقة ، بطيءُ الإفاقة . فعرف تصديقَ قولها وسكتَ . فلمّا أصْبح أتى علقمةَ وهو في خَيْمته وخَلْفَه أمّ جُنْدَب ، فتذاكروا الشعر ، فقال امرؤ القيس : أنا أشعر منك ، وقال عَلْقمة مثلَ ذلك ، فتحاكما إلى أُمّ جُنْدَب ، ففضّلت أُمُّ جندب عَلْقمةَ على امرىء القيس . فقال لها : بِم فَضَّلتِه عليّ ؟ قالت : فرسُ ابن عَبَدَةَ أجودُ من فرسك . زجرتَ وضربتَ وحرّكتَ ساقيْك ، وابنُ عَبَدَةَ جامدٌ لا مقتدر . فغضب من قولها وطلّقها ، وخلَف عليها عَلْقمةُ . فقالت جميلة : ما أحسنَ مجلسَنا لو دام اجتماعُنا ! ثم دعتْ بالغَداء فأتي بألوان الأطعمة وأنواع من الفاكهة . ثم قالت : لولا شَناعةُ مجلسنا لكان الشراب مُعَدّاً ولكنّ الليل بيننا . فلم يزالوا يومَهم ذلك بأطيب مجلس وأحسنِ حديث . فلمّا جَنّهم الليلُ دعتْ بالشراب ودعت لكلِّ رجلٍ منهم بعود ، وأخذتْ هي عُوداً فضربتْ ، ثم قالت : اضربوا فضربوا عليها بضربٍ واحد ، وغنّتْ بشعر امرىء القيس : [من المتقارب]

أأذْكَرْتَ نفسَكَ ما لن يَعُودا فهاج التَذَكُّرُ قلباً عَمِيدا
تَذَكَّرتَ هنداً وأترابَها وأيّامَ كنتَ لها مُستقيدا[3]
ويُعجبك اللَّهْوُ والمُسْمِعاتُ فأصبحتَ أزمعتَ منها صُدودا
ونادمتُ قَيْصَرَ في مُلكه فأوجهني وركِبتُ البَريدا[4]

فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك . ثم قالت : تَغَنَّوا جميعاً بلحنٍ واحد ؛ فغنَّوْها هذا الشعر والصوتَ بعينه كما غنّته . وعلِم القوم ما أُرادتْ بهذا الشعر ؛ فقال ابن عائشة : جُعِلتُ فِداكِ ؛ نرجو أن يدوم مجلسنا ، ويُؤثِرَ أصحابنا المُقامَ بالمدينة فنُواسيَهم من كلّ ما نَملكه . قال أبو عَبّاد : وكيف بذاك ؟ . فباتوا بأنعمِ ليلة وأحسنها . قال إسحاق قال أبي قال

1 الرائح : يعني السحاب الذي يأتي بالعشيّ ، والسحاب أغزر ما يكون بالعشيّ . المتحلّب : المتساقط المتتابع .
2 المفرّك : الذي تبغضه النساء .
3 استقاد له : أعطاه مقادته أي أطاعه وذلّ له .
4 أوجهه : شرفه وجعله وجيهاً .

لي يونس : قال أبو عبّاد : لا أعرف يوماً واحداً منذُ عقلتُ ولا ليلةً عند خليفة ولا غيرِه مثلَ ذلك اليوم ، ولا أحسبَه يكون بعدُ . قال يونس : ولا أدركْنا نحن مثلَ ذلك اليوم ولا بلَغْنا . قال إسحاق : ولا أنا ، ولا أحسب ذلك اليومَ يكون بعُد .

[زارها عبد الله بن جعفر فصرفت من عندها وأقبلت عليه تلاطفه]

وحدَّثني أبي قال حدَّثنا يونس قال قال لي أبو عَبّاد : أتيتُ جميلةَ يوماً وكان لي موعدٌ ظننتُ أنّي سبَقْتُ الناسَ إليها ، فإذا مجلسُها غاصٌّ ؛ فسألتُها أن تُعلّمني شيئاً ؛ فقالت لي : إنّ غيرَك قد سبقَك ولا يجمُلُ تقديمُك على مَن سواك . فقلتُ : جُعِلتُ فِداكِ ؛ إلى متى تَفرُغِينَ مِمّن سبقَني ؟ قالت : هو ذاك ، الحقُّ يَسعَك ويَسَعُهم . فبينا نحن كذلك إذ أقبل عبدُ الله بن جعفر ، وإنّه لأوّل يومٍ رأيتُه وآخرُه وكنتُ صغيراً كَيِّساً ، وكانت جميلةُ شديدةَ الفرح ، فقامت وقام الناس ، فتلقّتْه وقبّلتْ رجليْه ويديْه ، وجلس في صدر المجلس على كَوْمٍ لها وتحوَّق أصحابُه حَوْلَه ، وأشارت إلى مَن عندها بالانصراف ، وتفرَّق الناسُ ، وغمَزتْني أن لا أبرحُ فأقمتُ . وقالت : يا سيِّدي وسيِّدَ آبائي ومَوالِيَّ ، كيف نَشِطْتَ إلى أن تنقل قدميك إلى أَمَتِك ؟ قال : يا جَميلة ، قد علمتُ ما آليتِ على نفسِكِ ألّا تغنّي أحداً إلّا في منزلكِ ، وأحببتُ الاستماع وكان ذلك طريقاً مادّاً فَسيحاً . قالت : جُعِلتُ فداكَ ؛ فأنا أصيرُ إليكَ وأُكفِّر . قال : لا أُكلِّفك ذلك ، وبلغني أنّكِ تُغنّين بيتين لامرىء القيس تُجيدين الغناءَ فيهما ، وكان اللهُ أنقذَ بهما جماعة من المسلمين من الموت . قالت : يا سيّدي نعم ؛ فاندفعتْ تغنّي فغنَّتْ بعُودها ، فما سمعتُ منها قبلَ ذلك ولا بعدُ إلى أن ماتت مثلَ ذلك الغناء ؛ فسبَّح عبدُ الله بن جعفر والقوم معه . وهما : [من الطويل]

ولَمّا رأتْ أنَّ الشَّريعةَ هَمُّها ... وأنّ البَياضَ من فَرائِصها دامِي[1]

تَيَمَّمَتِ العينَ التي عند ضارِجٍ ... يَفِيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي[2]

[حديث عبد الله بن جعفر عن جماعة ضلّوا الطريق]

ولابنِ مِسْجَحٍ في هذا الشعر صوتٌ وهذا أحسنُهما ، فلمّا فرغتْ قالت جميلة : أيْ سيِّدي أَزِيدُكَ ؟ قال : حَسْبي . فقال بعضُ مَن كان معه : بأبي جُعلت فداكَ ؛ وكيف أنقذ اللهُ من المسلمين جماعةً بهذين البيتين ؟ قال : نعمْ ، أقبل قومٌ من أهل اليمن يريدون النبيَّ ﷺ فضَلُّوا الطريقَ ووقعوا على غيرها ومكَثوا ثلاثاً لا يقدِرون على الماء ، وجعَل الرجلُ منهم

1 الشريعة : مورد الماء الذي تشرع فيه الدواب .

2 ضارج : موضع في بلاد بني عبس . العرمض : الطحلب .

يَسْتَذْري[1] بفَيْءِ السَّمُر والطَّلْح يائساً من الحياة ، إذ أقبل راكبٌ على بعيرٍ له ، وأنشد بعضُ القوم هذين البيتين فقال : [من الطويل]

ولّما رأتْ أنّ الشَّريعةَ همُّها وأنّ البياضَ من فَرائِصها دامي
تَيَمَّمَتِ العينَ التي عند ضارِج يَفيءُ عليها الظِّلُّ عَرْمَضُها طامي

فقال الراكبُ : مَنْ يقول هذا ؟ قال : امرؤُ القَيْس . قال : والله ما كذَب ؛ هذا ضارِجٌ عندكم ، وأشار لهم إليه ؛ فحَبَوْا على الرُّكَب فإذا ماءٌ عَذْبٌ وإذا عليه العَرْمَضُ والظلُّ يَفيءُ عليه ، فشربوا منه رِيَّهم وحَملوا ما اكتفَوْا به حتى بلَغوا الماءَ ، فأتوا النبيّ ﷺ فأخبروه وقالوا : يا رسول الله ، أحيانا الله عزّ وجلّ ببيتين من شعر امرىء القيس ، وأنشدوه الشعرَ . فقال رسول الله ﷺ : «ذلك رجلٌ مذكور في الدنيا شريفٌ فيها ، منسيٌّ في الآخرة خاملٌ فيها ، يجيءُ يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار» . فكلٌّ استحسن الحديثَ . ونَهض عبدُ الله بن جعفر ونَهض القومُ معه . فما رأيتُ مجلساً كان أحسنَ منه .

[سئل عمر بن الخطّاب عن الشعراء فقدّم امرأ القيس]

قال إسحاق : حدَّثني بعض أهل العلم عن ابن عَيّاش عن الشَّعْبيّ قال : رأيت دَغْفَلاً النسّابةَ يحدِّث أنّه رأى العبّاس بنَ عبد المطَّلب سأل عمرَ بنَ الخَطّاب عن الشعراء ، فقال : امرؤ القيس سابقُهم خسَف لهم عينَ الشعر فافتَقر عن معانٍ عُورٍ أصحَّ بَصَراً . قال إسحاق : معنى خسَف : احتفَر . وهو من كِنْدةَ من اليمن ، وليست لهم فصاحةُ مُضَر ، ولا شعرُهم بجيِّد . فجعَل معانيَ اليمن معانيَ عُوراً وما قاله : أصحَّ بصراً أي أجودَ شعراً . ومعنى افتقَر : احتفر . والفَقِيرة : الحَفيرة تُحفر للفَسِيلة لتُغْرَس . وكلّ ما ابتدأتَ حَفْرَه فهو فَقِير . والمعنى أنّه قال شعراً جيّداً وليس هو في معنى شعر مُضَر .

[حديث جرير عن طرفة وامرىء القيس وزهير وذي الرمّة]

وقال عُمارة بن عُقيل بن بِلال بن جَرير بن الخَطَفَى : سمعتُ أبي يقول : دخل جدِّي على بعض ملوك بني أُميّة ؛ فقال : ألا تخبرُني عن الشعراء ؟ قال بَلَى . قال : مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : ابنُ العشرين (يعني طَرَفة) . قال : فما تقول في امرىء القَيْس ؟ قال : اتّخذ الخبيثُ الشعرَ نعلين ، فأُقْسِم بالله لو أدركتُه لرفعتُ له ذَلاذِلَه[2] . قال : فما رأيُك في ابن أبي سُلْمَى ؟ قال : كان يَبْرِي الشعرَ . قال : فما رأيُك في ذي الرُّمّة ؟ قال : قدَر من طريف الكلام وغَريبِه وحَسَنِه على ما

1 يستذري : يستظلّ .
2 الذلاذل : أسافل القميص الطويل ، الواحد ذلذل .

لم يقدِر عليه أحد حتى صنَّف الشعر[1] .

[زيارة معبد ومالك لجميلة وغناء معبد وجميلة على طريقة واحدة]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدَّثني أيّوب بن عَباية عن رجل من الأنصار قال : زار معبدٌ مالكَ بنَ أبي السَّمْح ؛ فقال له : هل لك أن نصير إلى جَميلة ؟ فمضيا جميعاً فقصداها ؛ فأذِنتْ لهما فدخلا ، فأخرجتْ إليهما رُقْعة فيها أبيات ، فقالت لمعبد : بَعث بهذه الرقعة إليّ فلان أُغنّي فيها . فقال مَعْبد : فابتدئي ؛ فابتدأتْ جميلةُ فغنَّت : [من مجزوء الرمل]

صوت

إنّمـا الذَّلْفاءُ همِّـي فلْيَدَعْني مـن يَلُومُ

فغنّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أحسنُ الناسِ جميعاً حـين تمشي وتقوم

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حبّب الذَّلْفاءَ عندي مَنْطِـقٌ منهـا رَخِيمُ

فغنَّى معبد : [من مجزوء الرمل]

أَصِلُ الحبـلَ لترضى وهي للحبـل صَرُومُ

فغنَّت جميلة : [من مجزوء الرمل]

حبُّهـا في القلب داءٌ مستكـنٌّ لا يَـرِيمُ

طريقـة واحـدة . الشعر للأَحْوَص . وذكر ابنُ النّطاح أنّه للبَخْتَرِيّ العِبادِيّ . والغِناء لَمَعْبـد ، وله فيه لحنانِ خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسبّابة في مجرى البِنْصَر عن ابن المكّيّ ، وثقيل أوّل بالوسطى عن عَمْرو . وذكر أحمدُ بن سَعيد المالكـيّ أنّ لـه فيـه خفيفَ ثقيـلٍ آخَـر . وذكر حَمّـاد بن إسحـاق أنّ فيـه لمالـكٍ وجَميلـةَ لحنين . وقالت لَمَعْبد ولمالك : يغنّي كلُّ واحد منكما لحناً ممّا عمله . فغنّاها مَعْبَد بشعر قاله فيها الأحوصُ يصفها به ، وكان مُعْجَباً بها ، وكانت هي له مُكْرِمة ، وهو قوله : [من المتقارب]

شَأَتْـكَ المنـازلُ بالأَبْـرَقِ دوارسَ كالعـين في المُهْـرَقِ

لآلِ جَمِيلـةَ قـد أَخْلقـتْ وَمهما يَطُـلْ عهـدُه يُخْلِقِ

فإن يقـلِ النـاسُ لي عاشقٌ فأيـن الذي هـو لم يَعْشَقِ

1 في ل : الشعراء .

ولم يَبْكِ نُؤْيـاً على عَبْـرةٍ بـــداء الصَّبابـــةِ والمَعْلَـقِ

في هذه الأبيات ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر في مجرى الوسطى ، ذكر إسحاق أنّه لعَطَرَّد ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لجَميلة . وفيها خفيفُ رملٍ بالوسطى في مَجْراها ، ذكر إسحاق أنّه لعَطرَّد أيضاً وعمرو ، وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الأوّل لابن عائشة . وذكر حَبَش أنّ فيه خفيفَ ثقيلٍ لمَعْبد وأنّ خفيفَ الرَّمَل لمالك . قال معبد : فسُرَّتْ جميلةُ بما غنّيتُها به وتبسَّمتْ وقالت : حَسْبُك يا أبا عَبَّاد ! ولم تَكْنِني قبلها ولا بعدها . ثم قالت لمالك : يا أخا طيىء هاتِ ما عندك وجنِّبْنا مثلَ قول عَبْدِ آبن قَطَن[1] ؛ فاندفع وغنّى بلحنٍ لها ، وقد تغنّى به أيضاً معبدٌ لها . واللحنُ : [من الطويل]

ألا مَـنْ لقلبٍ لا يَمَـلُّ فيذْهَلُ أَفِقْ فالتعـزِّي عـن بُثينةَ أجملُ

فما هكذا أحببتَ مَنْ كان قبلها ولا هكذا فيما مضى كنت تفعلُ

فإنّ التي أَحْبَبتَ قـد حيلَ دونها فكُـن حازمـاً والحازم المتحوِّلُ

لحنُ جَميلة هكذا ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ألحان عِدّةٌ مع أبيات أُخَرَ من القصيدة ، وهي لجميل . فقالت جميلة : أحسنتَ والله في غنائك وفي الأداء عنّي . أمّا قوله : «شَأَتْك» فأراد بَعُدتْ عنك . والشَّأْوُ : البعد ، يقال : جرى الفرس شَأْواً أو شأوين أي طَلَقاً أو طَلَقين . والمُهْرَق : الصحيفة بما فيها من الكتاب ، والجمع مَهارِق ؛ قال ذو الرمّة : [من الطويل]

كمُسْتَعْبِـرٍ في رَسْم دارٍ كأنّهـا بَوْعساءَ تَنْضُوها الجماهيرُ مُهْرَقُ[2]

[الذلفاء التي شبّب بها الأحوصُ]

والعين أن تتعيَّن الإداوة أو القِرْبةُ التي تُخْرَز ويَسِيل الماء عن عيون الخَرْز . فشبَّه ما بقي من الدّار بتعيُّن القربة وطرائق خروقها التي ينزل منها الماء شيئاً بعد شيء . فأمّا الذَّلْفاء التي ذُكرت فيها فهي التي فُتن بها أهلُ المدينة . وقال بعض مَن كانت عنده بعد ما طلّقها : [من البسيط]

لا بارَك اللهُ في دار عـدَدْتُ بها طلاقَ ذَلْفاءَ مـن دارٍ ومن بلدِ

فـلا يقولَنْ ثلاثـاً قائـلٌ أبداً إنّي وجـدتُ ثلاثـاً أنكَد العددِ

فكان إذا عَدّ شيئاً يقول : واحدٌ اثنان أربعةٌ ولا يقول ثلاثة .

[حديث بثينة لها عن عفّة جميل وعن حالها لمّا سمعت نعيه]

وقالت جميلة : حدَّثتْني بُثَينة ، وكانت صَدُوقةَ اللسان جملةَ الوجه حسنةَ البيان عفيفة البطن والفرج ؛ قالت : والله ما أرادني جَميلٌ رحمةُ الله عليه بريبةٍ قطّ ولا حَدّثت أنا نفسي بذلك

1 تعني معبداً ، إذ هو مولى ابن قطن .

2 الوعساء : الرملة اللينة . الجمهور : الرمل الكثير المتراكم الواسع .

منه . وإنّ الحيّ انتجعوا موضعاً ، وإنّي لفي هَوْدج لي أَسيرُ إذا أنا بهاتفٍ يُنْشِد أبياتاً ، فلم أتمالكْ أن رميتُ بنفسي وأهلُ الحيّ ينظرون ، فبقيت أطلب المُنْشِدَ فلم أَقِف عليه ، فناديتُ : أيّها الهاتفِ بشعر جميل ما وراءك منه ؟ وأنا أحسَبه قد قضَى نَحْبَه ومضى لسبيله ، فلم يُجِبْني مُجيب ؛ فناديت ثلاثاً ، وفي كلّ ذلك لا يردُّ عليّ أحدٌ شيئاً . فقال صَواحِباتي : أصابكِ يا بُثَينة طائفٌ من الشيطان ؟ فقلت : كَلاّ ! لقد سمعتُ قائلاً يقول ؛ قُلْنَ : نحن معكِ ولم نسمعْ ؛ فرجعتُ فركبت مطيّتي وأنا حَيْرى والهةُ العقل كاسفةُ البال ، ثم سرْنا . فلمّا كان في الليل إذا ذلك الهاتفُ يَهْتِف بذلك الشعر بعينه ، فرميتُ بنفسي وسعيتُ إلى الصوت ، فلمّا قَرُبت منه انقطع ؛ فقلت : أيّها الهاتف ، ارحمْ حَيْرتي وسكِّن عَبْرتي بخبر هذه الأبيات ؛ فإن لها شأناً ! فلم يردّ عليّ شيئاً . فرجعتُ إلى رَحْلي فركبت وسِرْتُ وأنا ذاهبة العقل ؛ وفي كلّ ذلك لا يُخْبرني صَواحِباتي أنّهنّ سمِعْنَ شيئاً . فلمّا كانت الليلةُ القابلةُ نزلنا وأخذ الحيُّ مضاجعَهم ونامت كلُّ عين ، فإذا الهاتف يهتِف بي ويقول : يا بُثَينة ، أقْبلي إليّ أُنبِئْك عمّا تريدين . فأقبلتُ نحوَ الصوت ، فإذا شيخٌ كأنّه من رجال الحيّ ، فسألتُه عن اسمه وبَيْته . فقال : دَعي هذا وخُذِي فيما هو أهمُّ عليك[1] . فقلتُ له : وإن هذا لَمِمَّا يَهُمُّني . قال : اقنَعي بما قلتُ لكِ . قلت له : أنت المنشدُ الأبيات ؟ قال نعمْ . قلتُ : فما خبرُ جميل ؟ قال : نعمْ فارقتُه وقد قَضى نَحْبَه وصار إلى حُفْرته رحمة الله عليه . فصَرختُ صَرْخةً آذنتُ منها الحيَّ ، وسقطتُ لوجهي فأُغْمي عليّ ، فكأنّ صوتي لم يسمَعْه أحد ، وبقيتُ سائرَ ليلتي ، ثم أَفَقْتُ عند طلوع الفجر وأهلي يطلبونني فلا يقفون على موضعي ، ورفعتُ صوتي بالعَويل والبكاء ورجعتُ إلى مكاني . فقال لي أهلي : ما خبرُكِ وما شأنُكِ ؟ فقصَصْتُ عليهم القصّة . فقالوا : يَرْحَم الله جميلاً . واجتمع نساءُ الحيّ وأنشدتُهنّ الأبياتَ فأسْعدنَني بالبكاء ، فأقمنَ كذلك لا يفارقْنَني ثلاثاً ، وتحزَّن الرجالُ أيضاً وبَكَوْا ورَثَوْه وقالوا كلُّهم : يَرْحَمُه الله ، فإنّه كان عفيفاً صَدُوقاً ! فلم أكتحلْ بعده بإثْمِدٍ ولا فرَقتُ رأسي بمَخيط ولا مُشْط ولا دهَنْتُه إلاّ من صُداع خِفْتُ على بصَري منه ولا لبِستُ خِماراً مصبوغاً ولا إزاراً ولا أزال أبْكِيه إلى الممات . قالت جميلة : فأنشدتْني الشعرَ كلَّه وهذا الغناءُ بعضُه ، وهو : [من الطويل]

أَلا مَنْ لقلبٍ لا يَمَـلُّ فيَذْهَلُ أَفِقْ فالتعزِّي عن بُثَينةَ أجملُ

[مدحها ابن سريج فردّت عليه مدحه]

قال ابن سَلاّم حدَّثني جرير قال : زار ابنُ سُرَيج جميلةَ ليسمعَ منها ويأخذَ عنها .

1 أي فيما هو أجدى عليك .

فلمّا قدِم عليها أنزلتْه وأكرمتْه وسألتْه عن أخبار مكّة فأخبرها . وبلغ معبداً الخبرُ . [وكانت تُطارِحه وتسأله عن أخبار مكّة فيخبرها] . وكانت عندها جاريةٌ مُحْسِنةٌ لَبِقةٌ ظريفةٌ ، فابتدأتْ تُطارِحها . فقال ابن سُرَيج : سبحانَ الله ؛ نحن كنّا أحقَّ بالابتداء . قالت جميلة : كلُّ إنسانٍ في بيته أمير وليس للداخل أن يتأمّر عليه . فقال ابنُ سُرَيج : صدقتِ جُعلت فداءكِ ؛ وما أدْرِي أيُّهما أحسنُ أدبُكِ أم غناؤكِ ! . فقالت له : كُفَّ يا عُبَيد ، فإنّ النبيّ ﷺ قال : «احْثُوا في وجوه المَدّاحينَ الترابَ» . فسكت ابنُ سُرَيج . وطارحت الجاريةَ بشعر حاتم الطائيّ : [من الطويل]

أتعرفُ آثارَ الديار توهُّما ... كَخَطِّك في رَقٍّ كتاباً مُنَمنَما
أُذاعتْ به الأرواحُ بعد أنيسها ... شهوراً وأيّاماً وحَوْلاً مجرَّما[1]
فأصبَحْنَ قد غَيَّرْنَ ظاهرَ تُرْبِه ... وغيَّرتِ الأنواءُ ما كان مَعْلَما
وغيَّرها طولُ التقادُم والبِلَى ... فما أعرفُ الأطلالَ إلاّ توهُّما

قال : فحُدِّثْتُ أنّه حضر ذلك المجلسَ جماعةٌ من حُذّاق أهل الغناء ، فكلُّهم قال : مَزامِيرُ داود ! . قال ابنُ سُرَيج لها : أفأُسْمِعُكِ صوتاً لي في هذا الشعر ؟ قالت : هاتِه ؛ فغنّى : [من الطويل]

ديار التي قامت تُرِيكَ وقد عَفَتْ ... وأقْوتْ من الزُّوّار كَفّاً ومِعْصَما
تَهادَى عليها حَلْيُها ذاتَ بهجةٍ ... وكَشْحاً كطَيِّ السابريَّة أهْضَما[2]
فبانتْ لِطَيَّاتٍ لها وتبدَّلتْ ... به بَدَلاً مَرَّتْ به الطيرُ أشْؤُما[3]
وعاذلتانِ هَبّتا بعد هَجْعةٍ ... تَلُومانِ مِتْلافاً مُفِيداً ملوَّما

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا عُبيد ، وقد غفرْنا لك زَلّتَك لحسنِ غنائك . قال مَعْبد : جُعلت فداءكِ ؛ أفلا أُسْمِعُكِ أنا أيضاً لَحْناً عملتُه في هذا الشعر ؟ قالت : هاتِ وإنّي لأعلم أنّك تُحْسِن . فاندفع فغنّى : [من الطويل]

فقلتُ وقد طال العتابُ عليهما ... وأوْعَدتاني أن تَبِينا وتَصْرِما
ألا لا تَلُوماني على ما تَقَدَّما ... كَفى بصُرُوف الدَّهرِ للمرء مُحكِما
تَلُومانِ لما غَوّر النجمُ ضَلَّةً ... فَتىً لا يَرى الإنفاقَ في الحقّ مَغْرَما

1 حولاً مجرّماً : تامّاً كاملاً .
2 السابرية : الثياب الرقيقة . الأهضم : اللطيف الكشح .
3 لطيّات في ل : لآيات .

قالت جميلةُ : ما عدوتَ الظنَّ بك ولا تجاوزتَ الطريقةَ التي أنت عليها . قال مالكٌ : أفلا أُغنّيكَ أنا أيضاً ؟ قالت : ما علمتُكَ إلاّ تُجِيد الغناء وتُحْسِن ، فهات . فاندفع فغنّى في هذا الشعر : [من الطويل]

يضيء لنا البيتُ الظَّلِيلَ خَصاصُه ... إذا هي ليلاً حاولتْ أن تَبَسَّما[1]
إذا انقلبتْ فوقَ الحَشِيّة مَرّةً ... تَرَنَّمَ وَسْواسُ الحُليِّ ترنُّما[2]
ونَحْراً كفاثُورِ اللُّجَيْنِ يزِينه ... توقُّدُ ياقوتٍ وشَذْرٍ منظَّما[3]
كجَمْرِ الغَضى هَبَّتْ به بعد هَجْعةٍ ... من الليل أرْواحُ الصَّبا فتنسَّما

فقالت : جميلٌ ما قلتَ وحَسَنٌ ما نظَمْتَ ، وإنّ صوتَك يا مالكُ لِمّا يَزيد العقلَ قوّةً والنفسَ طِيباً والطبيعةَ سُهولة ، وما أحسَبُ أنّ مجلسَنا هذا إلاّ سيكون عَلَماً وفي آخر الزمان متواصَفاً ؛ والخبرُ ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعايِن وخاصّة في الغناء .

[زارها ابن أبي عتيق وابن أبي ربيعة والأحوص فغنّتهم]

وحدَّثني الحسن بن عُتْبة اللَّهَبيّ قال حدّثني مَن رأى ابنَ أبي عَتيق وابنَ أبي ربيعة والأحوصَ بنَ محمّد الأنصاريّ ، وقد أتَوْا منزلَ جميلة فاستأذنوا عليها فأذِنتْ لهم ، فلمّا جلسوا سألت عمرَ وأحْفتْ ؛ فقال لها : إنّي قصدتُكِ من مكّة للسلام عليكِ . فقالت له : أهلُ الفضل أنتَ . قال : وقد أحببتُ أن تُفرّغي لنا نفسَكِ اليومَ وتُخْلي لنا مجلسَكِ ؛ قالت : أفعل . قال لها الأحوص : أحبُّ ألاّ تُغنّي إلاّ ما أسألكِ . قالت : ليس المجلس لكَ ، والقومُ شركاؤكَ فيه . قال : أجَلْ . قال عمر : إن تُرِدْ أن تفعل ذلك بك يكُنْ . قال الأحوص : كَلاّ . قال عمر : فإنّي أرى أن نجعل الخيارَ إليها . قال ابنُ أبي عَتيق : وفّقَك الله . فدعتْ بالعود وغنّتْ : [من البسيط]

تَمْشي الهُوَيْنَى إذا مشتْ فُضُلاً ... مَشيَ النَّزِيفِ المخمور في الصُّعُدِ[4]
تَظَلُّ من زَوْرِ بيت جارتِها ... واضعةً كفَّها على الكَبِدِ
يا مَن لقلبٍ متيَّمٍ سَدِمٍ ... عانٍ رهينٍ مكلَّمٍ كَمِدِ[5]

---

1 الخصاص : المنافذ .

2 انقلبت في ل : انصرفت .

3 الفاثور : الخوان الذي يتّخذ من فضة ، وبه يشبّه الصدر الواسع . الشذر : اللؤلؤ الصغير والخرز يفصل بين الجواهر في النظم .

4 تمشي فضلاً : أي تمشي متبذلة في ثوب واحد . النزيف : السكران .

5 السدم : الشديد العشق المهموم الحزين . والمكلّم : المجرّح .

أزجُـــرُه وهـــو غيرُ مُزْدَجِـرٍ عنهـــا وطَـــرْفي مكحَّـلُ السَّهَدِ

فلقد سُمِعتْ للبيت زَلْزلةٌ وللدار هَمْهمةٌ . فقال عمر : لله دَرُّكِ يا جَميلة ! ماذا أُعْطِيتِ ؟ أنت أوّلُ الغناء وآخره ؛ ثم سكتتْ ساعة وأخذوا في الحديث ، ثم أخذت العودَ وغنَّتْ : [من البسيط]

شَطَّتْ سُعادُ وأَمْسى البَيْنُ قد أَفِدا وأَوْرثوكَ سَقامـاً يَصْدَع الكَبدا

لا أستطيع لهـا هَجْـراً ولا تِـرَةً ولا تَـــزال أحاديثي بهـا جُدُدا

الغناء فيه لسِياطٍ خفيفُ رَمَلٍ مطلقٌ في مجرى الوسطَى عن إسحاق . ولم يذكر حبش لحن جَميلة . وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحناً لحكَم الوادي . وذكر الهِشاميّ وابن خُرْداذبه أنّه من ألحان عمرَ بن عبد العزيز بن مَرْوان في سُعاد وأنّ طريقتَه من الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر إبراهيمُ أنّ لابن جامع فيه أيضاً صَنْعةً ، فاستخَفَّ القومَ أجمعين ، وصفَّقُوا بأيديهم وفحَصوا بأرجلهم وحرَّكوا رؤوسَهم ، وقالوا : نحن فِداؤُكِ من السوء ووِقاؤُكِ من المكروه ، ما أحسنَ ما غنَّيتِ وأجملَ ما قلتِ ! . وأُحْضِر الغَداءُ فتغدَّى القومُ بأنواع من الأطعمة الحارّة والباردة ومن الفاكهة الرَّطْبةِ واليابسة ، ثم دعتْ بأنواعٍ من الأشربة . فقال عمر : لا أشرب ، وقال ابن أبي عَتيق مثلَ ذلك ؛ فقال الأحوص : لكنّني أشرب ؛ وما جزاءُ جَميلة أن يُمتَنع من شرابها ؛ . قال عمر : ليس ذلك كما ظننتَه . قالت جميلة : مَن شاء أن يَحْمِلَني بنفسه ويَخْلِطَ رُوحي بروحه شكرناه ، ومن أبى ذلك عذرناه ، ولم يمنعْه ذلك عندنا ما يريد من قضاء حوائجه والأُنس بمحادثته . قال ابن أبي عَتيق : ما يحسُن بنا إلا مساعدتُكِ . قال عُمر : لا أكون أخسَّكم ، افعلوا ما شئتم تجدوني سميعاً مطيعاً . فشرب القوم أجمعون . فغنَّت صوتاً بشعر لعُمَر : [من الرمل]

ولقـــد قالـــت لجاراتٍ لها كالمَهـــا يلعبْـــنَ في حُجْرَتِها

خـــذْنَ عنّي الظِّـــلَّ لا يتبعُني ومضـــتْ تَسْعـــى إلى قُبَّتِها

لم تُعانِقْ رجـــلاً فيما مضى طَفْلـــةٌ غَيْـــداءُ في حُلَّتِها[1]

لم يَطِشْ قَطُّ لهـــا سَهْمٌ ومَنْ تَرْمِـــه لا يَنْـــجُ مـــن رَمْيَتِها

لم يذكر طريقة لحنها في هذا الصوت . وذكر الهِشاميّ أنّ فيه لابن المكّيّ رَمَلاً بالبنصر . وذكر علي بن يحيى أنّ فيه لابن سُرَيج رَمَلاً بالوسطى . فصاح عمر : وَيْلاه ! ويلاه ! ثلاثاً ثم عمَد إلى جَيْب قميصِه فشقَّه إلى أسفلِه فصار قَباءً ، ثم آب إليه عقلُه فندِم واعتذر وقال : لم أملكْ من نفسي شيئاً . قال القوم : قد أصابنا كالذي أصابَك وأغمي علينا ، غير أنّا فارقْناك في

1 تعانق في ل : تعاين .

تخريق الثياب . فدعت جميلةُ بثياب فخلَعتْها على عمرَ ، فقبِلها ولبسها ، وانصرف القومُ إلى منازلهم . وكان عمر نازلاً على ابن أبي عَتيق ، فوجّه عمر إلى جَميلة بعشرة آلاف درهم وبعشرة أثواب كانت معه ، فقبِلتْها جميلةُ . وانصرف عمرُ إلى مكّة جَذْلانَ مَسْروراً .

[حجّت ومعها الشعراء والمغنّون والمغنّيات]

قال إسحاقُ وحدّثني أبي عن سِياط وابنُ جامع عن يونس قالا : حجَتْ جميلةُ ، وأخبرني إسماعيلُ بن يونس قال حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال حدّثنا إسحاق بن إبراهيم قال حدّثني أبي عن سِياطٍ وابنُ جامع عن يونُسَ الكاتِب ، وأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن سَعيد الدِّمَشْقيّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب قالوا جميعاً : إنّ جَميلة حَجَّتْ ، وقد جمعتُ رواياتِهم لتقارُبها ، وأحسَب الخبر كلَّه مصنوعاً وذلك بيِّنٌ فيه ، فخرج معها من المغنّين مشيِّعين حتى وافَوْا مكّةَ ورجعوا معها من الرجال المشهورين الحُذّاقِ بالغناء هِيتٌ وطُوَيْسٌ والدَّلال وبَرْدُ الفؤاد ونَوْمةُ الضُّحَى وفِنْدٌ ورَحْمةُ وهِبَةُ الله ، هؤلاء مَشايخُ وكلُّهم طيِّب الغناء ، ومَعْبَدٌ ومالِكٌ وابنُ عائشة ونافِعُ بن طُنْبورَةَ وبُدَيحٌ المَليح ونافعُ الخير ، ومن المغنّيات الفَرِهَةُ [و] عَزَّةُ المَيْلاء وحَبابَةُ وسَلاَّمةُ وخُلَيدة وعُقَيلة والشَّمَّاسِيَّة وفَرْعةُ وبُلْبُلة ولَذّةُ العيشِ وسُعَيدة والزَّرْقاء ، ومن غير المغنّين ابنُ أبي عَتِيق والأَحْوَص وكثيِّر عَزّةَ ونُصَيب وجماعةٌ من الأشراف ، وكذلك من النساء من مَواليها وغيرِهنّ . وأمّا سِياطٌ فذكَر أنّه حَجّ معها من القِيانِ مشيِّعاتٍ لها ومعظِّماتٍ لقَدْرها ولحقِّها زُهاءُ خمسين قَيْنةً ، وجّه بهنّ مَواليهنّ معها فأعطَوْهنّ النفقاتِ وحمَلوهنّ على الإبل في الهوادج والقِبابِ وغير ذلك ؛ فأبتْ جميلةُ أن تنفق واحدةٌ منهنّ درهماً فما فوقَه حتى رجَعْنَ . وأمّا يونُس فذكر أنّه حَجّ معها من الرجال المغنّين مع من سَمَّينا زُهاءُ ثلاثين رجلاً ، وتخايروا في اتّخاذ أنواع اللِّباس العَجيب الظَّريف وكذلك في الهوادج والقِباب . وقيل ، فيما قال أهلُ المدينة : إنّهم ما رأوْا مثلَ ذلك الجَمْع سَفْراً طِيباً وحُسْناً ومَلاحةً . قالوا : ولَمّا قارَبُوا مكّةَ تلقّاهم سَعِيدُ بن مِسْجَح وابنُ سُرَيج والغَريض وابنُ مُحْرِز والهُذَلِيُّون وجماعةٌ من المغنّين من أهل مكّة وقِيانٌ كثيرٌ لم يُسَمَّيْن لنا ، ومن غير المغنّين عمرُ بن أبي رَبيعة والحارثُ بن خالدٍ المَخْزُوميّ والعَرْجِيّ وجماعةٌ من الأشراف . فدخلتْ جَميلةُ مكّةَ وما بالحجاز مُغَنٍّ حاذقٌ ولا مغنّيةٌ إلاّ وهو معها وجماعةٌ من الأشراف ممّن سمَّينا وغيرهم من الرجال والنساء . وخرج أبناء أهلِ مكّةَ من الرجال والنساء ينظُرون إلى جَمْعِها وحُسْنِ هيئتهم . فلمّا قضتْ حجَّها سألها المكيّون أن تجعل لهم مجلساً . فقالت : للغناء أم للحديثِ ؟ قالوا : لهما جميعاً . قالت : ما كنت لأخلِطَ جِدّاً بهَزْل ، وأبتْ أن تجلسَ للغناء . فقال عمرُ بن أبي ربيعة :

أقسمْتُ على من كان في قلبه حبٌّ لاستماع غنائها إلاّ خرج معها إلى المدينة ، فإنّي خارج . فعزَم القومُ الذين سمَّيناهم كلّهم على الخروج ومعهم جماعةٌ ممّن نشِط ، فخرجتْ في جَمْع أكثرَ من جَمْعِها بالمدينة . فلمّا قَدِمتِ المدينةَ تلقّاها أهلُها وأشرافُهم من الرجال والنساء ، فدخلتْ أحسنَ ممّا خرجتْ به منها ، وخرج الرجالُ والنساء من بيوتهم فوقفوا على أبواب دُورِهم ينظرون إلى جمعها وإلى القادمين معها . فلمّا دخلتْ منزلَها وتفرّق الجمعُ إلى منازلهم ونزل أهلُ مكّة على أقاربهم وإخوانهم أتاها الناس مسلِّمين ، وما استَنْكَف من ذلك كبيرٌ ولا صغير .

[وصف مجلس غنائها بالمدينة بعد عودها من الحجّ]

فلمّا مضى لمَقْدَمِها عشرةُ أيّام جلستْ للغناء ؛ فقالت لعمرَ بنِ أبي رَبيعة : إنّي جالسةٌ لك ولأصحابك ، وإذا شئتَ فعِدِ الناسَ لذلك اليوم ، فغَصَّتِ الدارُ بالأشراف من الرجال والنساء . فابتدأتْ جميلةُ فغنَّتْ صوتاً بشعر عمر : [من البسيط]

هيهاتَ مـن أَمَةِ الوَهّابِ منزلُنا ... إذا حَلَلْنا بسِيفِ البحر من عَدَنِ
واحتلَّ أهْلُكِ أجْيـاداً فليس لنا ... إلاّ التذكُّر أو حَظٌّ مـن الحَزَنِ[1]
لو أنّها أبْصرتْ بالجِزْع عَبْرَتَه ... وقـد تَغَـرّد قُمْـريٌّ على فَنَنِ
إذاً رأتْ غيرَ مـا ظَنّتْ بصاحبها ... وأيْقَنتْ أنّ عَكّاً ليس من وَطَني[2]
ما أنْسَ لا أنْسَ يومَ الخَيْفِ موقفَها ... ومَوْقِفِي وكِلاَنا ثَـمّ ذو شَجَنِ
وقولَهـا للثُّريّـا وهـي باكيـةٌ ... والدَّمعُ منها على الخدّين ذو سُنَنِ
بـالله قُـولي لـه في غير مَعْتَبَةٍ ... ماذا أردتَ بطول المُكْثِ في اليَمَنِ
إن كنتَ حاولتَ دنيا أو نَعِمْتَ بها ... فما أصبْتَ بتركِ الحجّ من ثَمَنِ[3]

فكلُّهم استحسن الغناءَ ، وضَجّ القومُ من حُسْنِ ما سمعوا . ويقال : إنّهم ما سمعوا غناءً قَطّ أحسنَ من غنائها ذلك الصوتَ في ذلك اليوم . ودمَعتْ عينُ عمرَ حتى جرَى الدَّمعُ على ثيابه ولِحْيتِه . وإنّه ما رُئيَ عمرُ كذلك في مَحْفِل غيره قَطُّ .

[غنّى ابن سريج في مجلسها بشعر عمر]

ثم أقبلتْ على ابن سُرَيج فقالت : هاتِ ؛ فاندفع يغنّي ورفع صوتَه بشعر

1 أجياد : موضع بمكّة يلي الصّفا .
2 عكّا في ل : لحجاً ، ولحج مخلاف باليمن .
3 نعمت في ل : ظفرت .

عمر : [من مجزوء الوافر]

أَليستْ بالتي قالت لَوْلاةٍ لها ظُهُرا
أَشِيري بالسلام له إذا هو نحونا نظَرا
وقُولي في مُلاطفةٍ لزينبَ نَوِّلي عُمَرا
وهذا سِحْرُكَ النَّشْوا نَ قد خبَّرْنَني الخبَرا

فسُمِع من ابن سُرَيج في هذا اللَّحْن من الحُسْن ما يقال إنّه ما سُمع مثلُه .

[غناء ابن مسجح]

ثم قالت لسَعِيد بن مِسْجَح : هاتِ يا أَبا عثمان ؛ فاندفع فغنَّى : [من الطويل]

قد قلتُ قبل البَيْنِ لمّا خَشِيتُه لتُعْقِبَ وُدّاً أو لتعلمَ ما عندي
لكِ الخيرُ هل من مَصْدَرٍ تَصْدُرينَهُ يُرِيحُ كما سَهَّلْتِ لي سُبُلَ الوِرْدِ
فلمّا شكوتُ الحبَّ صَدَّتْ كأَنّما شَكوتُ الذي أَلْقى إلى حَجَرٍ صَلْدِ
تولَّتْ فأَبْدَتْ غُلَّةً دونَ نَقْعِها كما أَرْصدتْ من بُخْلِها إذ بَدا وَجْدي

[غناء معبد]

فاستُحْسِن ذلك منه وبرَع فيه . ثم قالت : يا مَعْبَد هاتِ ؛ فغنَّى : [من الطويل]

أُحارِبُ مَنْ حاربتَ من ذي عَداوةٍ وأَحْبِس مالي إن غرِمتَ فأَعْقِلُ[1]
وإِنِّي أَخوكَ الدائمُ العهدِ لم أَحُلْ إنَ ابْزاكَ خَصْمٌ أو نبابكَ منزلُ[2]
ستقطَع في الدنيا إذا ما قطعتَني يمينَك فانظُرْ أيَّ كفٍّ تَبَدَّلُ

قالت جميلةُ : أحسنتَ يا مَعْبَد اختيارَ الشعر والغناء ، هذا الشعر لمَعْن بن أَوْس . ثم قالت : هاتِ يا ابنَ مُحْرِز ؛ فإِنّي لم أُؤخِّرْك لخَساسةٍ بك ولا جهلاً بالذي يجب في الصناعة ، ولكنّني رأَيتُك تحبّ من الأُمور كلِّها أَوسطَها وأَعدلَها ، فجعلتُك حيث تحبُّ واسطةً بين المكيِّين والمدنيِّين . فغنَّى : [من الطويل]

وقفتُ برَبْع قد تحمَّل آهلُه فأَذْرَيْتُ دمعاً يسبِق الطَّرْفَ هامِلُهْ
بسائلة الرَّوْحاء أَو بَطْنِ مَثْغَرٍ لها الضاحكاتُ الرابياتُ سواهِلُهْ[3]

1 يريد فأعقل عنه : يقال : عقل عنه إذا عزم ما لزمه من دية . وأمّا عقلته فمعناه دفعت ديته .
2 ابزاك خصم : يحتمل أن يكون معناه قهرك وغلبك .
3 مَثْغر : ماء لجهينة .

هـو الموتُ إلاّ أن للموتِ مـدّةً متى يَلْـقَ يوماً فارِغاً فهو شاغلُهْ

فقالت جميلة : يا أبا الخَطّاب ، كيف بَدا لك في ثلاثةٍ وأنت لا ترى ذلك ؟ قال : أحببتُ أن أُواسيَ مَعْبداً . قال معبدٌ : والله ما عَدَوت ما أردت .

[غناء الغريض]

ثم قالت للغَرِيض : هاتِ يا مَوْلى العَبَلاتِ فاندفع يغنّي : [من الطويل]

فـوا نَدَمـي على الشَّبابِ ووا نَدَمْ نَدِمتُ وبانَ اليومَ منّي بغيرِ ذَمّ
وإذ إخوتي حَوْلي وإذ أنا شائخٌ وإذ لا أُجيبُ العاذلاتِ من الصَّمَمْ
أرادتْ عراراً بالهَـوانِ ومن يُرِدْ عراراً لعَمْرِي بالهَوانِ فقد ظَلَمْ[1]

قالت جميلة : أَحْسنَ عمرو بن شأْس ولم تُحْسِنِ إذ أفسدتَ غناءَك بالتعريض . والله ما وَضَعْناك إلاّ موضعَك ولا نقَصْنا من حظِّك ؛ فبماذا أَهنّاكَ ! . ثم أقبلتْ على الجماعة فقالت : يا هؤلاء ، اصدُقوه وعرِّفوه نفسَه ليَقْنَع بمكانه . فأقبل القومُ عليه وقالوا له : يا يزيد قد أخطأتَ إن كنت عَرَّضْتَ . فقال : قد كان ذلك ، ولستُ بعائدٍ . وقام إلى جميلة فقبَّل طَرَفَ ثوبها واعتذر فقبِلتْ عذرَه وقالت له : لا تَعُدْ .

[غناء ابن عائشة]

ثم أقبلتْ على ابن عائشة فقالت : يا أبا جَعْفر هاتِ ؛ فتغنّى بشعر النابغة : [من الطويل]

سقَى الغيثُ قبراً بين بُصْرَى وجاسِمٍ عليـه من الوَسْميّ جَوْدٌ ووابِلُ[2]
وأنْبـتَ حَـوْذاناً وعَوْفـاً مُنـوِّراً سأتْبِعُه مـن خيرِ مـا قال قائلُ[3]
بكَى حارثُ الجَوْلانِ من هُلْكِ ربِّه فحَـوْرانُ منـه خـاشعٌ مُتضائلُ
ومـا كان بَيْني لو لَقِيتُك سالماً وبـين الغِنَـى إلاّ ليـالٍ قلائلُ[4]

[غناء نافع وبديح]

قالت جميلةُ : حَسَنٌ ما قلتَ يا أبا جَعْفر . ثم أقبلتْ على نافع وبُدَيح فقالت : أُحِبُّ أن تغنّياني صوتاً واحداً ؛ فغنّيا جميعاً بصوتٍ واحد ولَحْنٍ واحد : [من الوافر]

ألا يـا مَنْ يَلُومُ على التصابي أَفِـقْ شيئاً لتسمعَ من جوابي

---

1 عِرار بن عمرو بن شأس .
2 الشطر الأول في ل : فلا زال قبر بين بثنى وجلّقٍ . بصرى وجلق : موضعان .
3 الحوذان : نبت . العوف : نبت طيّب الرائحة .
4 هذا البيت من قصيدة للحطيئة يرثي بها علقمة بن علاثة والي حوران من قبل عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

بَكَرْتَ تَلُومُني في الحبِّ جَهْلاً وما في حبٍّ مثلي من مَعابِ
أَليسَ منَ السعادةِ غيرَ شَكٍّ هَوى متواصلين على اقترابِ
كريمٌ نال وُدّاً في عَفافٍ وسترٍ من مُنعَّمةٍ كَعابِ

فقالت جميلة : هواكما والله واحد وغناؤكما واحد ، وأنتما نُحِتّما من بقيَّة الكرم وواحدِ الشرف : عبدِ الله بن جعفر بنِ أبي طالب .

[غناء الهذليين الثلاثة]

ثم أَقْبلتْ على الهذليِّين الثلاثة فقالت : غَنُّوا صوتاً واحداً ؛ فاندفعوا فغنَّوْا بشعر عَنْترةَ العَبْسِيّ : [من الكامل]

حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقادم عهدُه أَقْوى وأَقْفَر بعد أُمِّ الهَيْثَمِ
كيف المَزارُ وقد تربَّع أَهلُها بعُنَيْزَتَيْن وأَهلُنا بالغَيْلَمِ[1]
إن كنتِ أَزْمعتِ الفِراقَ فإنّما زُمَّتْ رِكابُكُم بلَيْلٍ مُظْلِمِ
شَرِبتْ بماء الدُّحْرُضَيْنِ فأَصْبحتْ زَوْراءَ تَنْفِر عن حِياضِ الدَّيْلَمِ[2]

[غناء نافع بن طنبورة]

قالت : ما رأَيتُ شيئاً أشبهَ بغنائكم من اتّفاق أَرواحكم . ثم أَقبلتْ على نافع بن طُنْبورةَ فقالت : هاتِ يا نَقْشَ الغَضار[3] ويا حَسَن اللسان ؛ فاندفع يغنّي : [من مجزوء البسيط]

يا طُولَ ليلي وبتُّ لم أَنمِ وسادِيَ الهَمُّ مُبْطِنٌ سَقَمِي
أَنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ فأَبْـ ـصرتُ رَقاشاً وليت لم أَقُمِ

[غناء مالك بن أبي السمح]

فقالت جميلة : حَسَنٌ والله ، ولابن سُرَيج في هذا اللحن أَربعةُ أَبياتٍ في صَوْت ، ثم قالت : يا مالكُ هاتِ ؛ فإنّي لم أُؤخِّرْك لأَنّك في طبقة آخرِهم ، ولكنّي أَردتُ أَن أَختِمَ بك يومَنا تبرُّكاً بك وَكَيْ يكون أَوّلُ مجلسنا كآخره ووَسَطُه كطَرَفِهِ ، وإنّك عندي ومَعْبداً لفي طريقة واحدة ومذهبٍ واحد ، لا يدفع ذلك إلاّ ظالمٌ ولا ينكره إلاّ عاضِل . الحقَّ أَقولُ ، فمَن شاء فَلْيُنكِر ؛ فسكتَ القومُ كلُّهم إقراراً لما قالت . واندفع يغنّي : [من الطويل]

---

1 الغيلم : موضع في ديار بني عبس .
2 الدحرضان : اسم موضع . وقيل هما وسيع ودحرض ، ماءان . الديلم : الأعداء .
3 الغضار : الطين اللازج الأخضر ، وهو لقب له .

عَـدُوٌّ لَمَـن عادَتْ وسِلْمٌ لسَلْمِها ومن قرَّبَـتْ سَلْمَى أحبَّ وقَرَّبا
هَبِيني امـرءاً إمّـا بريئـاً ظلمتِه وإمّـا مُسيئاً تـاب بعـد وأعْتبا
أقول التماسَ العُذْرِ لمّـا ظلَمْتني وحمَّلْتني ذنبـاً ومـا كنتُ مُذْنِبا
ليَهْنِئْكِ إشماتُ العـدوّ بهَجْرِنـا وقَطْعُك حبلَ الوصلِ حتى تقضَّبا

قالت جميلة : ليت صوتَك يا مالك قد دام لنا ودمنا له . وقطعت المجلسَ وانصرف عامّةُ الناس وبقي خواصُّهم .

[اليوم الثاني من أيّام المدينة وغناء طويس]

فلمّا كان اليومُ الثاني حضَر القومُ جميعاً . فقالت لطُوَيس : هـاتِ يا أبا عَبْد النّعيم . قال : فأنْكر ما فعلتْ جميلةُ في اليوم الأوّل ؛ لأنّ طُوَيساً لم يكن يرضَى بذلك . فأخبرني ابني جامع أنّ جميلةَ صَنَّفَتْهم طويساً وأصحابَه وابنَ سُرَيج وأصحابَه ، ثم أقْرعتْ بينهم ؛ فخرجت القرعةُ الأُولى لابن سُرَيج وأصحابِه والثانيةُ لطُوَيسٍ وأصحابه . فابتدأ طويسٌ فغنَّى : [من الرجز]

قـدْ طالَ لَيْلي وعـادَ لي طَرَبي منْ حـبِّ خَوْدٍ كريمةِ الحَسَبِ
غَـرّاءَ مثـلِ الهـلال آنسةٍ أو مثـلِ تِمْثالِ صُورة الذَّهبِ
صادت فـؤادي بجِيـد مُغْزِلةٍ تَرْعـى رِياضـاً ملتفَّةَ العُشُبِ[1]

[غناء الدلال]

فقالت جميلة : حسنٌ والله يا أبا عبد النَّعِيم . ثم قالت للدَّلال : هات يا أبا يَزيد ؛ فاندفع فغنَّى : [من الكامل]

قـد كنتُ آمُـلُ فيكمُ أملاً والمـرء ليس بمـدرَكٍ أمَلُهْ
حتى بَـدا لي منكمُ خُلُـفٌ فزجَرْتُ قلبي فارْعَوَى جَهَلُهْ
ليس الفتـى بمخلَّـد أبـداً حَيّـاً وليس بفائـتٍ أجلُهْ
حَـيٌّ البَغُومَ ومَنْ بعَقْوتها وقَفا العَمُودِ وإن خَلا أهلُهْ[2]

[غناء برد الفؤاد ونومة الضحى]

قالت : حسن والله يا أبا يزيد . ثم قالت لهِيتٍ : إنّا نُجلُّك اليومَ لكِبَر سِنِّك ورِقّة عَظْمِك . قال : أجل يا ماما . ثم قالت لبَرْدِ الفؤاد ونَوْمةِ الضُّحَى : هاتيا جميعاً لَحْناً واحداً ؛ فغنَّيا : [من المتقارب]

1 المغزلة : الظبية ذات الغزال .

2 العقوة : ساحة الدار . العمود : هضبة مستطيلة عندها ماء لبني جعفر .

إنّـي تذكّـرتُ فـلا تَلْحَني لؤلـؤةً مكنونـةً تَنطِقُ
مسكنُهـا طَيْبـةُ لم يَغْذُهـا بـؤسٌ ولا والٍ بهـا يَخْرُقُ
قـد قلت والعِيسُ سِراعٌ بنا تُرْقِـلُ إرقـالاً ومـا تُعْنِقُ[1]
يا صاحبِي شَوْقي أرى قاتلي ومُورِدِي منهـا جَـوىً يُقْلِقُ

[غناء فند ورحمة وهبة الله]

قالت جميلة : أحسنتُما . ثم قالت لفِنْد ورَحْمة وهبة الله : هاتُوا جميعاً صوتاً واحداً فإنّكم متّفقون في الأصوات والألحان ؛ فاندفعوا فغنَّوْا : [من الطويل]

أشاقكَ من نحـو العَقيق بُروقُ لوامعُ تَخْفَى تـارةً وتَشُوقُ
وما لِيَ لا أَهْوَى جواريَ بَرْبَرٍ ورُوحي إلى أرْواحِهنّ تَتُوقُ
لهـنّ جمـالٌ فائقٌ ومَلاحةٌ ودَلٌّ على دَلِّ النساء يَفوقُ

وكان بَرْبَرٌ حاضراً ، فقال : جواريّ والله على ما وصَفْتم ، فمَن شاء أقرّ ومَن شاء أنكر .

[غناء جميلة]

فقالت جميلة : صدَق . ثم غنّت جميلة بشعر الأعشى . ولمعبد فيه صوتٌ أخذه عنها : [من البسيط]

بانت سُعادُ وأمْسى حبلها انقطعا واحتلّتِ الغَوْر فالجَدَّيْنِ فالفَرَعا[2]
واستنكرتْني وما كان الذي نَكِرَتْ من الحوادثِ إلاّ الشَّيْبَ والصَّلَعا
تقول بِنْتِي وقـد قَرَّبْتُ مرتحلاً يا ربِّ جَنِّبْ أبي الأوْصابَ والوَجَعا
وكان شيءٌ إلى شيء فغيَّـره دهـرٌ مُلِحٌّ على تفريقِ مـا جَمعا

فلم يُسْمَعْ شيءٌ أحسنُ من ابتدائها بالأمس وخَتْمِها في اليوم الثاني . وقطعت المجلسَ فانصرف القومُ وأقام آخرون .

[اليوم الثالث من أيّام المدينة]

فلمّا كان اليومُ الثالث اجتمع الناسُ ، فضربتْ سِتارة وأجلست الجواريَ كلَّهنّ فضَرَبْنَ وضَرَبتْ فضرَبْنَ على خمسين وتراً فتزلزلتِ الدارُ ؛ ثم غنّت على عُودها وهنّ يضربْنَ على ضربها بهذا الشعر : [من الطويل]

1 الإرقال : السّير السريع . الإعناق : السير المنبسط .
2 الجدان : موضع . الفرع : موضع بين الكوفة والبصرة .

فـإن خَفِيَتْ كانت لعينكَ قُـرّةً وإن تَبْدُ يومـاً لم يُعمِّمْك عارُها
من الخَفِراتِ البِيضِ لم تَرَ غِلْظَةً وفي الحَسَبِ الضَّخْم الرَّفِيعِ نِجارُها
فما رَوْضةٌ بالحَزْنِ طيّبـةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّـدا جَثْجاثُها وعَرارُها[1]
بأَطيبَ من فيها إذا جئتَ طارقاً وقد أوقِدتْ بالمَنْدَل الرَّطْبِ نارُها

[غناء عزّة الميلاء]

فدمَعت أَعينُ كثير منهم حتى بَلّ ثوبَه وتنفَّس الصُعَداءَ وقال : بنفسي أنتِ يا جميلةُ ! . ثم قالت للجواري : اكفُفْنَ فكفَفْنَ ؛ وقالت : يا عَزّ غنّي ؛ فغنّت بشعر لعمَر : [من المتقارب]

تذكَّـرتَ هنـداً وأَعْصارَها ولم تَقـضِ نفسُك أَوطارَها[2]
تذكَّرتِ النفسُ مـا قد مضى وهاجـتْ على العينِ عُوَّارَها[3]
لتمنـحَ رامـةَ منّـا الهوى وتَرْعَـى لرامـةَ أسرارَها
إذا لم نَـزُرْهـا حِـذارَ العِدا حسَدْنـا على الزَّوْرِ زُوّارَها

فقالت جميلة : يا عَزّ ، إنّكِ لباقيةٌ على الدَّهر ، فهنيئاً لكِ حسنُ هذا الصوت مع جَوْدة هذا الغناء .

[غناء حبابة وسلامة]

ثم قالت لحَبابةَ وسَلاّمةَ : هاتِيا لَحْناً واحداً ؛ فغنَّتا :

كفَـى حَزَنـاً أنّي أُغِيبُ وتَشْهَدُ وما نَلْتَقي والقلبُ حَرّانُ مُقْصَدُ
ومن عَجَبٍ أنّي إذا الليلُ جَنّني أَقومُ مـنَ الشوق الشديدِ وأقعُدُ
أَحِنُّ إليكم مثلَ مـا حَـنَّ تائقٌ إلى الوِرْد عَطْشانُ الفؤادِ مصرَّدُ[4]
ولي كَبِـدٌ حَرّى يعذِّبهـا الهَوَى ولي جسدٌ يَبْـلَـى ولا يتجـدَّدُ

[غناء خليدة]

فاستُحْسِن غناؤهما . ثم أقبلتْ على خُلَيدةَ فقالت لها : بنفسي أنت ! غنّي ؛ فغنّتْ : [من الوافر]

1 الجثجاث : من أحرار الشجر ينبت بالقيظ تأكله الإبل إذ لم تجد غيره .
2 الأعصار : جمع عصر .
3 العوّار : ما عار في العين من القذى والرمد فأوجعها .
4 التّصريد : سقي دون الريّ .

أَلاَ يا مَنْ يَلُوم على التَّصابي أَفِـقْ شيئاً لتسمعَ من جوابي
بَكَرْتَ تَلُومُني في الحبّ جَهْلاً ومـا في حبٍّ مثلي من مَعابِ
أليس مـن السعادة غيرَ شَكٍّ هَـوى مُتواصلين على اقترابِ
كريـمٌ نـالَ وُدّاً في عَفافٍ وسَتْـرٍ مـن منعَّمـةٍ كَعابِ

[غناء عقيلة والشماسية]

فاستُحْسِن منها ما غنَّتْ ، وهو بلَحْنِها حسنٌ جدّاً . ثم قالت لعُقَيلة والشَّماسيّة : هاتِيا ، فغَنَّتا : [من الطويل]

هجرتِ الحبيبَ اليومَ في غير ما اجترَمْ وقطَّعْتِ من ذي وُدّكِ الحبلَ فانصرمْ
أطعت الوُشاةَ الكاشحين ومن يُطِعْ مقالةَ واشٍ يَقْرَع السنَّ من نَدَمْ

[غناء فرعة وبلبلة ولذّة العيش]

ثم قالت لفَرْعة وبُلْبُلةَ ولذّةِ العَيْش : هاتِينَ فغنّينَ ؛ فاندفَعْنَ بصوتٍ واحد : [من الطويل]

لعَمْرِي لئن كان الفؤادُ من الهوى بَغَـى سَقَمـاً إنّـي إذاً لسَقِيمُ
عليّ دِماءُ البُدْنِ إن كان حبُّها على النأيِ في طول الزمان يَرِيمُ
تُلِـمُّ مُلِمَّاتٌ فيُنْسَيْنَ بَعْدَهـا ويُذْكَر منها العهـدُ وهـو قديمُ
فأُقْسِمُ مـا صافيتُ بعدِك خُلَّةً ولا لكِ عنـدي في الفؤاد قَسِيمُ

[غناء سعدة والزرقاء]

قالت : أحسنتُنّ ؛ وهو لعَمْرِي حَسَنٌ . وقالت لسُعْدَة والزَّرْقاء : غنِّيا ؛ فغنَّتا : [من الطويل]

قـد أرسلوني يُعَزُّونـي فقلتُ لهم كيف العَزاءُ وقد سارتْ بها الرُّفَقُ
اسْتَهْدَتِ الرِّيـمَ عينيـه فجادلها بمُقْلَتَيْـه ولم تُتْـرَكْ لـه عُنُقُ

فاستُحْسِن ذلك . ثم قالت للجماعة فغنَّوْا ، وانقضى المجلسُ وعاد كلُّ إنسانٍ إلى وطنه . فما رُئي مجلسٌ ولا جَمْعٌ أحسنُ من اليوم الأوّل ثم الثاني ثم الثالث .

[طلب إبراهيم الموصليّ الغناء لسماعه صوتاً لها]

وحدَّثْتني[1] عمّتي ، وكانت أسنَّ من أبي وعُمِّرتْ بعده ، قالت : كان السبب في طلب أبيك الغناءَ والمواظبةِ عليه لحناً سمعه لجميلةَ في منزل يونُسَ بن محمّد الكاتب ، فانصرف وهو كئيبٌ حَزين مغمومٌ لم يَطْعَم ولم يُقْبِلْ علينا بوجهه كما كان يفعل . فسألته عن السبب

1 المتحدّث : هو إسحق بن إبراهيم الموصلّي .

فأمسك ، فألححتُ عليه فانتهرني ، وكان لي مُكْرِماً ، فغضبتُ وقمتُ من ذلك المجلس إلى بيت آخر ، فتبِعَني وترضّاني وقال لي : أُحدِّثكِ ولا كتمانَ منكِ : عَشِقْتُ صوتاً لامرأة قد ماتت ، فأنا بها وبصوتها هائمٌ إن لم يتداركْني اللهُ منه برحمته . فقالت : أتظنُّ أنّ الله يُحْيي لك ميِّتاً ! قال : بل لا أشُكّ . قالت : فما تعليقُك قلبَك بما لا يُعْطاه إلاّ نبيٌّ ولا نبيٌّ بعد محمّد ﷺ . وأمّا عشقُك الصوتَ فهو أن تَحْذِقَه وتُغَنِّيَه عشرَ مِرارٍ ، فتَمَلَّه ويذهبَ عشقُك له ؛ فكأنه ارْعَوى ورجعَ إلى نفسه ، وقام فقبّل رأسي ويدي ورجْلي وقال لي : فرَّجْتِ عنّي ما كنتُ فيه من الكَرْب والغَمّ ، ثم تمثَّل : «حبُّكَ الشيءَ يُعْمي ويُصِمّ» ولزِم بيتَ يونُسَ حتى حذَق الصوتَ ، ولم يمكث إلاّ زمناً يسيراً حتى مات يونُس وانضمّ إلى سِياطٍ ، وكان من أحذقِ أهلِ زمانه بالغناء وأحسنِهم أداءً عمّن مضَى . قالت عمّتي : فقلت لإبراهيم : وما الصوتُ ؟ فأنشدني الشعرَ ولم يُحسِن أداءَ الغناء : [من المتقارب]

مـن البَكَـراتِ عِراقيّـةٌ تُسَمّـى سُبَيعـةَ أطْـرِيْتُها
مـن الِ أبي بَكْرَةَ الأكرمين خَصَصْتُ بـودِّي فـأصْفيتُها
ومن حبّها زرتُ أهلَ العراق وأسْخطْـتُ أهـلي وأرضيْتُها
أمـوتُ إذا شَحَطَتْ دارُهـا وأحْيـا إذا أنـا لاقيتُها
فأُقْسِم لـو أنّ مـا بـي بها وكنـتُ الطبيـبَ لداويتُها

قالت عمّتي : هذا شعرٌ حَسَنٌ ، فكيف به إذا قُطِّع ومُدِّد تمديدَ الأطْرِبة وضُرب عليها بقُضْبان الدِّفْلى على بطون المِعْزَى ؟ فما مضت الأيّامُ والليالي حتى سمعتُ اللحنَ مؤدًّى ، فما خَرق مسامعي شيءٌ قطُّ أحسنُ منه ؛ ولقد أذكرني بما يُؤْثَر من حسن صوت داودَ وجمالِ يوسفَ . فبَيْنا أنا يوماً جالسةٌ إذ طَلع عليّ إبراهيمُ ضاحكاً مستبشراً ؛ فقال لي : ألا أُحدِّثكِ بعَجَبٍ ؟ قلت : وما هو ؟ قال : إنّ لي شريكاً في عشق صوت جميلة . قلت : وكيف ذلك ؟ قال : كنت عند سِياطٍ في يومنا هذا وأنا أُغنّيه الصوتَ وقد وقَّفني فيه على شيءٍ لم أكن أحكمتُه عن يونسُ ، وحضر عند سِياطٍ شيْخٌ نبيلٌ فسبَّح على الصوت تسبيحاً طويلاً ، فظننتُ أنّه فعل ذلك لاستحسانه الصوت . فلمّا فرغتُ أنا وسِياطٌ من اللحن قال الشيخ : ما أعْجب أمرَ هذا الشعر وأحْسَنَ ما غُنّي به وأحسن ما قال قائله ! . فقلت له دون القوم : وما بلغَ من العَجَب به ؟ قال : نعم .

[قال ابن أبي ربيعة شعراً في سبيعة فلحّنته وعلّمته جارية من جواريه]

حَجّتْ سُبَيعةُ من ولد عبد الرحمن بن أبي بَكْرَةَ ، وكانت من أجملِ النساء ، فأبصرها عمرُ بن أبي رَبيعة ، فلمّا انحدرتْ إلى العراق اتّبعها يُشيِّعها حتى بلغَ معها موضعاً يقال له

الخَوَرْنَقُ . فقالت له : لو بلغتَ إلى أهلي وخطبتَني لزوّجوك . فقال لها : ما كنتُ لأُخْلِطَ تشييعي إيّاكِ بخِطْبةٍ ، ولكن أرجعُ ثم آتيكم خاطباً ؛ فرجع ومَرّ بالمدينة فقال فيها : [من المتقارب]

من البَكَراتِ عِراقيّـةٌ تُسمَّى سُبَيعةَ أُطريْتُها

ثم أتى بيتَ جميلة فسألها أن تُغنّيَ بهذا الشعر ففعلتْ . فأعجبه ما سمع من حسن غنائها وجَوْدة تأليفها ، فحسُن موقعُ ذلك منه ، فوجَّه إلى بعض مَوالِياتِه ممّن كانت تطلبُ الغناء أن تأتيَ جميلةَ وتأخذَ الصوت منها ؛ فطارحْتها إيّاه أيّاماً حتى حذَقَت ومهَرتْ به . فلمّا رأى ذلك عمر قال : أرى أن تَخرُجي إلى سُبَيعة وتغنّيها هذا الصوتَ وتُبلّغيها رسالتي ؛ قالت : نعم جعلني الله فداكَ . فأتتها فرحَّبتْ بها ، وأعلمتْها الرسالةَ ، فَحيَّتْ وأكْرمتْ ، ثم غنَّتْها فكادت أن تموتَ فرحاً وسروراً لحسن الغناء والشعر .

[حجّ سبيعة ثانية وسؤالها جميلة أن تغنّيها بشعر عمر فيها]

ثم عادت رسولُ عمر فأعلمتْه ما كان وقالت له : إنّها خارجة في تلك السنة . فلمّا كان أوانُ الحجّ استأذنتْ سُبَيعةُ أباها في الحجّ ، فأبى عليها وقال لها : قد حَجَجْتِ حِجّةَ الإسلامِ . قالت له : تلك الحِجّةُ هي التي أسْهرتْ ليلي وأطالت نهاري وتوّقتْني إلى أن أعود وأزُور البيتَ وذلك القبرَ ؛ وإن أنت لم تـأذَنْ لي متُّ كَمَداً وغَمّاً ؛ وذلك أنّ بقائي إنّما كان لحضور الوقت ، فإن يئستُ فالموتُ لا شكَّ نازلٌ بي . فلمّا رأى ذلك أبوها رَقّ لها وقال : ليس يَسَعُني منعُها مع ما أرى بها ، فأذِن لها . ووافَى عمرُ المدينةَ ليعرفَ خبرَها ؛ فلمّا قدِمتْ علم بذلك . وسألها أن تأتيَ منزلَ جميلة ، وقد سبقَ إليه عمرُ ، فأكرمتْها جميلةُ وسُرَّتْ بمكانها . فقالت لها سُبَيعة : جعلني الله فِداكِ ! أقْلقني وأسْهرني صوتُكِ بشعرِ عمرَ فيّ ، فأسْمعيني إيّاه . قالت جميلةُ : وعَزازةً لوجهِك الجميل ؛ فغنَّتْها الصوتَ ، فأُغْميَ عليها ساعةً حتى رُشَّ على وجهها الماءُ وثاب إليها عقلُها . ثم قالت : أعيدي عليّ ، فأعادت الصوتَ مراراً في كلّ مرّة يُغْشى عليها . ثم خرجتْ إلى مكّة وخرج معها . فلمّا رجعتْ مَرّتْ بالمدينة وعمرُ معها ، فأتت جميلةَ فقالت لها : أعيدي عليّ الصوتَ ففعلتْ ، وأقامتْ عليها ثلاثاً تسألها أن تُعيدَ الصوتَ . فقالت لها جميلة : إنّي أُريد أن أُغنّيكِ صوتاً فاسمعيه . قالت : هاتِيه يا سيّدتي ؛ فغنّتْها : [من الكامل]

أبـتِ المليحةُ أن تُواصلَنـي وأظـنُّ أنّـي زائـرٌ رَمْسي
لا خيرَ في الدنيـا وزِينتِها مـا لم تُوافِقْ نفسُها نفسي
لا صبرَ لي عنها إذا حسَرتْ كالبدر أو قَرْنِ من الشمسِ

ورمتْ فؤادَك عند نظرتها بمَلاحـــةِ الإيثارِ والأنسِ

قالت سُبَيعة : لولا أنّ الأوّل شعر عمرَ لقدّمتُ هذا على كلّ شيء سمعتُه . فقال عمر : فإنّه والله أحسنُ من ذلك ، فأمّا الشعرُ فلا . قالت جميلةُ : صدقتَ والله . قالت عمّتي قال لها أبي : لعَمْرِي إنّ ذلك على ما قالا .

ولابن سريج في هذا الشعر لَحْنٌ عن جَميلة وربّما حُكي بزيادةٍ أو نقصانٍ أو مثلاً بمثل .

[جمعتْ الناسَ في دارها وقصّتْ عليهم رؤياها واعتزامها ترك الغناء]

أخبرني من يفهم الغناء قال : بلغني أنّ جميلة قعدتْ يوماً على كرسيٍّ لها وقالت لآذنتِها : لا تحجُبي عنّا أحداً اليوم ، واقعدي بالباب ، فكلّ مَن يمرّ بالباب فاعْرِضي عليه مجلسي ؛ ففعلتْ ذلك حتى غَصّتِ الدّارُ بالناس ؛ فقالت جميلةُ : اصعَدوا إلى العَلالِيّ ؛ فصعِدتْ جماعةٌ حتى امتلأتِ السطوحُ . فجاءتها بعض جواريها فقالت لها : يا سيّدتي ، إن تمادَى أمرُكِ على ما أرى لم يَبْقَ في دارِك حائطٌ إلاّ سقط ، فأظْهِري ما تريدين . قالت : اجلسي . فلمّا تعالى النهارُ واشتدّ الحرّ استسقى الناسُ الماءَ فدَعَتْ لهم بالسَّوِيق ، فشرب مَن أراد ؛ فقالت : أقسمتُ على كلّ رجل وامرأة دخل منزلي إلاّ شرب ، فلم يبق في سُفْلِ الدار ولا عُلْوِها أحد إلاّ شرب ، وقام على رؤوسهم الجواري بالمناديل والمَراوح الكبار ، وأمرتْ جواريَها فقُمْنَ على كراسيّ صِغارٍ فيما بين كلّ عشرةِ نَفَرٍ جاريةٌ تروِّح . ثم قالت لهم : إنّي قد رأيتُ في منامي شيئاً أفْزَعني وأرْعَبني ، ولستُ أعرف ما سببُ ذلك ، وقد خِفتُ أن يكونَ قَرُبَ أجَلي ، وليس ينفعني إلاّ صالحُ عملي ، وقد رأيتُ أن أترك الغناء كراهةَ أن يَلْحَقني منه شيء عند ربّي . فقال قوم منهم : وفّقكِ الله وثبّت عَزْمكِ ؛ وقال آخرون : بل لا حَرَجَ عليكِ في الغناء . وقال شيخ منهم ذو سنّ وعلم وفقة وتجربة : قد تكلّمت الجماعةُ ، وكلّ حزبٍ بما لديهم فَرِحُون ، ولم أعترض عليهم في قولهم ولا شَرِكْتُهم في رأيهم ، فاستمِعوا الآن لقولي وأنْصِتُوا ولا تَشْغَبُوا إلى وقت انقضاء كلامي ؛ فمن قَبِل قولي فالله موفّقُه ، ومن خالفني فلا بأس عليه إذ كنتُ في طاعة ربّي . فسكت القومُ جميعاً . فتكلّم الشيخ فحمِد اللهَ وأثْنى عليه وصلّى على محمّد النبيّ ﷺ ثم قال : يا معشرَ أهلِ الحجاز ، إنّكم متى تخاذلتم فَشِلتم ووثَب عليكم عدوّكُم وظفِر بكم ولا تُفْلِحوا بعدها أبداً . إنّكم قد انقلبتُم على أعقابكم لأهل العِراق وغيرِهم ممّن لا يزالُ يُنْكِر عليكم ما هو وارثُه عنكم ، لا ينكره عالمكم ولا يدفَعه عابدُكم بشهادة شريفكم ووَضيعكم يندب إليه كما يندب جموعكم وشرفكم وعزّكم . فأكثرُ ما يكونُ عند عابدكم فيه الجلوس عنه لا للتحريم له لكن للزهدِ في الدنيا ؛ لأنّ الغناء من أكبر اللذات وأسَرُّ للنفوس من جميع الشهوات ، يُحْيي القلبَ ويزيد في العقل ويَسُرّ النفسَ ويَفْسَحُ في

الرأي ويتيسَّر به العَسير وتفتح به الجيوش ويذلَّل به الجبّارون حتى يمتهنوا أنفسَهم عند استماعه ، ويُبْرِىءُ المَرضى ومن مات قلبُه وعقله وبصره ، ويزيد أهلَ الثروة غِنىً وأهل الفقر قناعةً ورِضاً باستماعه فيَعْزِفون عن طلب الأموالِ . من تمسَّك به كان عالِماً ومن فارقه كان جاهلاً ؛ لأنّه لا منزلةَ أرفعُ ولا شيءَ أحسنُ منه ؛ فكيف يُستصوب تركه ولا يُستعان به على النشاط في عبادة ربّنا عزّ وجلّ . وكلامٌ كثيرٌ غيرُ هذا ذهب عن المحدِّث به ، فما رَدَّ عليه أحد ولا أنكر ذلك منهم بَشَرٌ ، وكلٌّ عاد بالخطأ على نفسه وأقرّ بالحقّ له . ثم قال لجميلة : أوَعَيْتِ ما قلتُ ووقع من نفسِك ما ذكرتُ ؟ قالت : أجلْ وأنا أستغفر اللهَ . قال لها : فاختِمي مجلَسنا وفرِّقي جماعتَنا بصوت فقط ؛ فغنَّتْ : [من الطويل]

أفي رسمِ دارٍ دمعُك المترقرِقُ ... سَفاهاً ! وما استنطاقُ ما ليس يَنْطِقُ
بحيثُ التقى جَمْعٌ وأقْصَى مُحَسِّرٍ ... مَغانِيه قد كادتْ عن العهد تَخْلُقُ[1]
مُقامٌ لنا بعد العِشاء ومنزلٌ ... به لم يكدِّرْه علينا مُعَوِّقُ
فأحسنُ شيء كان أوّلُ ليلنا ... وآخرُه حزنٌ إذا نتفرَّقُ

فقال الشيخ : حَسَنٌ واللهِ ؛ أمثلُ هذا يترك ؟ فيمَ تَتَشاهدُ الرجالُ ؟ لا واللهِ ولا كرامةَ لَمن خالف الحقّ . ثم قام وقام الناس معه ، وقال : الحمد لله الذي لم يفرّق جماعتَنا على اليأس من الغناء ولا جحودِ فَضيلته ، وسلامٌ عليكِ ورحمةُ الله يا جميلة .

[وصف مجلس لها غنّت فيه ورقصت وغنّى المغنّون ورقصوا]

وقال أبو عبد الله : جلستْ جميلة يوماً ولبست بُرْنُساً طويلاً ، وألبستْ مَن كان عندها برانسَ دون ذلك ، وكان في القوم ابنُ سُرَيج ، وكان قَبيحَ الصَّلَع قد اتّخذ وَفْرَةَ شعر يضعها على رأسه ، وأحبَّتْ جميلةُ أن ترى صَلْعتَه . فلمّا بلَغ البرنُس إلى ابن سُرَيج قال : دبَّرْتِ عليّ وربِّ الكعبة ! وكشَف صَلْعتَه ووضع القَلَنْسِيةَ على رأسه ، وضحك القومُ من قُبْح صَلْعتِه ؛ ثم قامت جميلةُ ورقَصتْ وضربتْ بالعود وعلى رأسها البُرْنُس الطويل وعلى عاتقها بُرْدَةٌ يَمانِيَةٌ وعلى القوم أمثالُها ، وقام ابنُ سُرَيج يرقُص ومَعْبَد والغَريض وابنُ عائشة ومالكٌ وفي يد كلّ واحد منهم عود يضرِب به على ضرب جميلة ورَقْصِها ؛ فغنَّت وغنَّى القومُ على غنائها : [من الكامل]

ذهب الشبابُ وليتَه لم يَذْهبِ ... وعَلا المَفارِقَ وَقْعُ شيبٍ مُغْرَبِ[2]

1 جمع : علم للمزدلفة . وادي محسر : موضع بين منى والمزدلفة .
2 مغرب : أبيض .

والغانياتُ يُـرِدْنَ غيرَك صاحبـاً ويَعِدْنَكَ الهِجْـرانَ بعـد تقرُّبِ
إنِّـي أقـولُ مقالـةً بتجارِبٍ حقّـاً ولم يُخْبِرْكَ مثـلُ مجرِّبِ
صافِ الكريمَ وكُنْ لعرْضِكَ صائناً وعـن اللّئيـمِ ومِثْلِـه فتنكَّبِ

ثم دعتْ بثياب مُصَبَّغة ووَفْرة شعر مثل وفرة ابن سُرَيج فوضعتْها على رأسها ، ودعت للقوم بمثل ذلك فلبسوا ، ثم ضربتْ بالعود وتمشّتْ وتمشّى القوم خَلْفَها ، وغنّتْ وغنَّوْا بغنائها بصوتٍ واحد : [من الطويل]

يَمْشِينَ مَشْيَ قَطا البِطاحِ تَـأَوُّداً قُبَّ البطـون رواجـحَ الأكفالِ
فيهـنّ آنسةُ الحديـثِ حَيِيّـةٌ ليستْ بفـاحشةٍ ولا مِتْفـالِ[1]
وتكـون رِيقتُهـا إذا نَبّهْتَهـا كالمسكِ فوقَ سُلافـة الجِرْيالِ[2]

ثم نعَرتْ ونعَر القوم طرباً ، ثم جلستْ وجلسوا وخلعوا ثيابَهم ورجعوا إلى زِيِّهم ، وأذِنتْ لَمن كان ببابها فدخلوا ؛ وانصرف المغنّون وبقي عندها من يُطارحها من الجواري .

[استزارت عبد الله بن جعفر لمجلس غناء هيّأته له فزارها]

وحدَّثتني عمّتي قالت : سمعت سِياطاً يحدّث أباك يوماً بأحاديثِ جميلةَ فقال : بنفسي هي وأُمّي ! فما كان أحسن وجهَها وخَلْقَها وغناءَها ! ما خلّفتِ النساءُ مثلَها شبيهاً ؛ فأعجبني ذلك . ثم قال سياط : جلستْ جميلةُ يوماً للوِفادة عليها ، وجعلت على رؤوس جواريها شعوراً مُسْدَلةً كالعناقيد إلى أعجازهنّ ، وألبستهنّ أنواع الثيابِ المصبَّغة ووضعتْ فوق الشعور التيجانَ ، وزيّنتهنّ بأنواع الحليّ ، ووجّهتْ إلى عبد الله بن جعفر تستزيره ، وقالت لكاتب أَمْلتْ عليه : «بأبي أنت وأُمّي ! قَدْرُك يَجِلّ عن رسالتي وكَرَمُك يحتمل زَلّتي ؛ وذنبي لا تُقال عَثْرتُه ولا تُغفَر حَوْبتُه . فإن صَفَحْتَ فالصفحُ لكم مَعْشَرَ أهلِ البيت يُؤثر ، والخيرُ والفضلُ كلّه فيكم مُدَّخر ، ونحن العبيد وأنتم المَوالي . فطُوبى لَمن كان لكم مُقارِباً وإلى وجوهكم ناظراً ! وطُوبى لَمن كان لكم مُجاوراً ، وبعِزّكم قاهراً ، وبضيائكم مبصراً ! والويل لَمن جهِل قَدْرَكم ولم يعرِف ما أوجبه الله على هذا الخَلْق لكم ! فصغيركُم كبير بل لا صغيرَ فيكم ، وكبيركُم جليلٌ بل الجلالةُ التي وَهَبها الله عزّ وجلّ للخلق هي لكم ومقصورةٌ عليكم . وبالكتاب نسألُك وبحقّ الرسولِ ندعوك إن كنتَ نشيطاً لمجلس هَيّأتُه لك لا يحسُن إلاّ بك ولا يتمّ إلاّ معك ، ولا يصلُح أن يُنْقَل عن موضعه ، ولا يُسْلَكُ به غيرُ

1 المتفال : المتغيّرة الريح لترك التطيّب والادّهان .
2 الجريال : من أسماء الخمر .

طريقه» . فلمّا قرأ عبد الله الكتاب قال : إنّا لنعرفُ تعظيمَها لنا وإكرامَها لصغيرنا وكبيرنا . وقد علمتُ أنّها قد آلتْ أليّةً ألاّ تغنّيَ أحداً إلاّ في منزلها . وقال للرسول : والله قد كنتُ على الركوب إلى موضع كذا وكان في عَزمي المرورُ بها . فأمّا إذ وافق ذلك مُرادَها فإنّي جاعلٌ بعد رجوعي طريقي عليها . فلمّا صار إلى بابها أدخل بعضَ مَنْ كان معه إليها وصرَف بعضَهم . فنظر إلى ذلك الحُسنِ البارع والهيئة الباذّة[1] ، فأعجبه ووقع من نفسه ؛ فقال : يا جميلةُ ؛ لقد أُوتِيتِ خيراً كثيراً ، ما أحسنَ ما صنعتِ ! . فقالت : يا سيِّدي ، إنّ الجميل للجميل يصلُح ، ولك هيّأتُ هذا المجلس . فجلس عبد الله بن جعفر وقامتْ على رأسه وقامت الجَوارِي صَفَّيْنِ ؛ فأقسم عليها فجلستْ غيرَ بعيد . ثم قالت : يا سيِّدي ، ألا أُغنّيك ؟ قال : بلى ! فَغَنَّتْ : [من الطويل]

بَنِي شَيْبةِ الحمدِ الذي كان وجهُه ... يُضيء ظلامَ اللّيلِ كالقمر البَدْرِ[2]
كُهُولُهُمُ خيرُ الكهولِ ونَسْلُهم ... كنسل الملوكِ لا يَبُورُ ولا يحري[3]
أبو عُتْبةَ المُلْقي إليك جَمالَه ... أغرُّ هِجانُ اللَّوْن من نَفَر زُهْرِ
لساقي الحجيج ثم للخَيْرِ هاشمٍ ... وعبدِ منافٍ ذلك السيِّدِ الغَمْرِ[4]
أبوكم قُصَيٌّ كان يُدْعى مُجَمِّعاً ... به جمَّع اللهُ القبائلَ من فِهْرِ

فقال عبد الله : أحسنتِ يا جميلةُ وأحسنَ حُذافةُ ما قال ! بالله أعِيديه عليّ فأعادته ، فجاء الصوت أحسنَ من الارتجال . ثم دعت لكلِّ جاريةٍ بعودٍ وأمرتْهنّ بالجلوس على كراسيّ صغارٍ قد أعدّتها لهنّ ، فضربن وغنّتْ عليهنّ هذا الصوتَ وغنّى جواريها على غِنائها . فلمّا ضربنَ جميعاً قال عبد الله : ما ظننتُ أنّ مثلَ هذا يكون ! وإنّه لَمّا يَفْتن القلبَ ؛ ولذلك كَرِهه كثيرٌ من الناس لِما علموا فيه . ثم دعا ببَغْلته فركبها وانصرف إلى منزله . وقد كانت جميلةُ أعدّتْ طعاماً كثيراً ، وكان أراد المُقام ، فقال لأصحابه : تَخلَّفوا للغداء ، فتَغدَّوْا وانصرفوا مسرورين . وهذا الشعر لحُذافة بن غانم بن عُبَيد الله بن عُوَيْج بن عَدِيّ بن كَعْب يمدح به عبد المطّلب .

[أراد العرجيّ أن ينزل عليها حين فرّ من مكّة]

قال وحدّثني بعض المكيّين قال : كان العَرْجِيّ (وهو عبد الله بن عمرو بن عثمان) شاعراً

1 الهيئة الباذّة : الغالبة الفائقة .
2 شيبة الحمد : لقب عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف .
3 يبور : يهلك . يحري : ينقص .
4 ساقي الحجيج : عبد المطّلب الذي حفر زمزم .

سَخِيّاً أديباً ظريفاً . ويشبّه شعرُه بشعر عُمَر بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن هشام وإن كانا قُدِّما عليه ؛ وقد نُسِبَ كثيرٌ من شعره إلى شعرهما ، وكان صاحبَ صَيْد . فخرج يوماً متنزّهاً من مكّة ومعه جماعةٌ من غِلْمانه ومَواليه ومعه كِلابُه وفُهوده وصُقُوره وبوازيه نحوَ الطائف إلى مالٍ له بالعَرْج ، وبهذا الموضع سُمّي العَرْجيّ ، فجرى بينه وبين مولىً لبني أُميّة كلامٌ ، فأمضّه المولَى فكفَّ عنه العرجيّ حتى أوَى إلى منزله ، ثم هجَم عليه ومعه غِلْمانه فأمَرهم أن يُوثِقوه ، ثم أمرهم أن ينكِحوا امرأتَه وهو يراهم ففعلوا ، ثم أخرجه فقتله . فبلغ أميرَ مكّة ما فعل فطلَبه ، فخرج من منزله وأخرج معه غِلمانه ومَوالِيَه وآلة الصَّيْد وتوجّه نحو المدينة وقد ركِب أفراسَه وأعدّ عُدّتَه . فلم يزل يتصيَّد ويَقْصِف في طريقه حتى دخل المدينةَ ليلاً ، وأراد المُقام في منزل جميلة ، وكانت آلت ألاّ تغنّي بشعره ، ولا تُدخلَه منزلَها لكثرة عَبَثه وسَفَهه وحَداثةِ سِنّه . فلمّا أُعْلِمتْ بمكانه ليلاً قالت : طارقٌ ! إن له لشأناً ! فاستخبرت خبرَه فقيل لها : إنّه قدِم مُسْتَخْفِياً ، ولم يرَ بالمدينة موضعاً هو أطيبُ له من منزلك ، والأيمانُ تكفّر ، والأشرافُ لا يُرَدُّون . فقالت لرسولها إليه : منزلي منزلُ جَوارٍ ، ولا يمكن مثلَك الاستخفاءُ فيه ، فعليك بالأحوص ، وكان الأحوص مُجانباً له لشيء جرى بينه وبينه في منزل جميلة ، فقال : أنّى لي بالأحوص مع الذي كان بيننا ؟ قالت : ائتِه عنّي وقُل له : قد غنّينا بذلك الشعر ؛ فإنْ أحببتَ أن تظهر وتبقى مودّتنا لك ، فأصلح ما بينك وبين عبد الله ، إذ أُصْلِح ما بيننا ، وأنْزِلْه منزلك . قال لها : ليس هذا بمُقْنعي ؛ أمّا إذ أبَيْتِ أن أُقيم بمنزلك فوَجّهي معي رسولاً إلى الأحْوَص ؛ فإنّ منزله أحبُّ المنازل إليّ بعد منزلك . فوجّهت معه إلى الأحوص بعضَ مَوْلَياتها ؛ فأنزله الأحوص وأكرمه وأحسن جِوارَه وستَر أمرَه . فقال شعراً ووَجَّه به إلى جميلة : [من الطويل]

ألا قاتَـلَ اللهُ الهَوى كيـف أخلَقا ... فلـم تُـلْفِـهِ إلاّ مَشُوبـاً مُمَذّقا[1]

ومـا مـن حبيبٍ يستزير حبيبه ... يُعاتبـــه في الـودّ إلاّ تَفَـرَّقا

أمَـرّ وصالُ الغانِياتِ فأصبحت ... مَضاضتُه يشجَى بها مَنْ تَمَطَّقا[2]

تعلّـق هـذا القلبُ للحَيْن مَعْلَقاً ... غَـزالاً تحلّـى عقْدَ دُرٍّ ويارَقا[3]

إذا قلتُ مهـلاً للفـؤاد عن التي ... دعتْك إليها العينُ أغضَى وأطْرَقا

---

1 ممذّقاً : مخلوطاً .

2 تمطّق : تذوّق وتمضّغ .

3 اليارق : السوار .

دعانا فلم نَسْتَبْقِ حُبّاً بما نَرى فما منك هذا العذلُ إلاّ تَخَرُّقا
فقد سنَّ هذا الحبَّ مَنْ كان قَبلَنا وقاد الصِّبا المرءَ الكريمَ فأعنقا

فلمّا قرأتْ شعرَه رقّتْ له وقالت : كيف لي بإيلائي ألاّ يدخل منزلي ولا أُغَنِّيه بشعره ؟! فقيل لها : يدخل منزلك وتغنِّين وتكفِّرين عن يمينك . فوجّهتْ إليه أنْ صِرْ إلينا والأَحْوَصَ في تلك الليلة فجاءاها ؛ وعرّفت الأَحوصَ تكفير اليمين ؛ فقال لها : وأنا والله شفيعُه إليكِ ؛ ففرِّجي ما به من غَمٍّ فقد فارق من يحبّ ويهوى ، فتُؤْنسينه وتَسُرِّينه وتغنينه بشعره . فغنَّت : [من الطويل]

ألا قاتَلَ اللهُ الهَوى كيف أَخلَقا فلم تُلْفِهِ إلاّ مشوباً مُمَذَّقا

[كان الأحوص معجباً بها وملازماً لها فصار إليها بغلام له جميل فأخرجته خوف الفتنة]

وحدَّثني بعض أهلنا قال قال يونس بن محمَّد : كان الأَحوصُ مُعْجَباً بجميلة ، ولم يكن يكاد يُفارق منزلها إذا جلستْ . فصار إليها يوماً بغلام جميل الوجه يفتِن مَنْ رآه ، فشغَل أهلَ المجلس ، وذهبت اللحونُ عن الجواري وخلَطن في غنائهنّ . فأشارت جميلةٌ إلى الأحوص أن أَخْرِج الغلام ؛ فالخَلَلُ قد عمّ مجلسي وأفسد عليّ أمري . فأبى الأَحوصُ وتغافل ، وكان بالغلام مُعْجَباً ، فآثر لَذّته بالنظر إلى الغلام مع السماع . ونظر الغلامُ إلى الوجوه الحِسان من الجواري ونظرن إليه ، وكان مجلساً عامّاً . فلمّا خافت عاقبةَ المجلس وظهورَ أمره أمرتْ بعضَ مَنْ حضر بإخراج الغلام فأخْرِج ؛ وغضب الأَحوصُ وخرج مع الغلام ولم يقلّ شيئاً ؛ فأحمد أهلُ المجلس ما كان من جميلة ، وقال لها بعضهم : هذا كان الظنَّ بك ، أكرمكِ الله ! فقالت : إنّه والله ما استأذنني في المجيء به ولا علمتُ به حتى رأيته في داري ، ولا رأيتُ له وجهاً قبل ذلك ؛ وإنّه لَيعِزّ عليّ غضبُ الأَحوص ، ولكن الحقّ أولى ، وكان ينبغي له ألاّ يُعَرِّض نفسَه وإيّايَ لما نكَره مثلَه . فلمّا تفرّق أهلُ المجلس بعثتْ إليه : الذنبُ لك ونحن منه بُرءَاءُ ؛ إذ كنتَ قد عرفتَ مذهبي ، فلِمَ عَرّضتَني للذي كان ؛ فقد ساءني ذلك وبلَغ منّي ؛ ولكن لم أَجِد بُدّاً من الذي رأيت ما إمّا حياءٍ وإمّا تصنُّعاً . فردّ عليها : ليس هذا لك بعذر إن لم تجعلي لي وله مجلساً نخلو فيه جميعاً تَمْحِينَ به ما كان منك . قالت : أفعلُ ذلك سرّاً ؛ قال الأَحوص : قد رَضِيتُ . فجاءاها ليلاً فأكرمتهما ، ولم تُظهر واحدةً من جواريها على ذلك إلاّ عجائزَ من مواليها . وسألها الأَحوص وأقسم عليها أن تغنّيه من شعره : [من الطويل]

وبالقَفْرِ دارٌ من جميلةَ هيجتْ سوالفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِبِ

وكانت إذا تنأى نَوىً أو تفرّقتْ شِدادُ الهَوَى لم تدرِ ما قولُ مِشْغَبِ[1]
أسِيلةُ مَجْرى الدَّمْعِ خُمْصانةُ الحَشا بَرُودُ الثَّنايا ذاتُ خَلْقٍ مُشَرْعَبِ[2]
ترى العينُ ما تَهوى وفيها زيادةٌ من الحسنِ إذ تبدو ومَلْهىً لُمْلِعِبِ[3]

قال يونس : ما لها صوتٌ أحسنُ منه ، وابنُ مُحْرِزٍ يغنّيه وعنها أخذه ، وأنا أُغنّيه فتُعجبني نفسي ويدخلني شيء لا أعرفه من النَّخْوة والتِّيه . وقال المحدِّث لي بهذا الحديث عن يونس : إنّ هذا للأحوص في جميلة . والذي عندي أنّه لطُفَيْل الغَنَويّ قاله في ابن زيد الخيل ، وهو زيد بن المُهلْهِل بن المُخْتَلِس بن عبد رُضاً أحدُ بني نَبْهان ، ونَبْهان لقبٌ له ، ولكنّه سُودان بن عمرو بن الغَوْث بن طيىء ، أغار على بني عامر فأصاب بني كِلاب وبني كَعْب ، واستحرّ القتل في غَنِيّ بن أَعْصُر ومالك بن أَعْصُر ؛ وأعصر هو الدخان ، ولذلك قيل لهما ابنا دخان ، وأخوهما الحارث وهو الطُّفاوةُ وهو مالك بن سعد بن قيس بن عَيْلان ، وغَطفان بن سعد عمُّهم . وكانت غَنيّ مع بني عامرٍ في دارهم موالي لنمير ، وكان فيهم فرسانٌ وشعراء . ثم إنّ غَنِيّاً أغارتْ على طيِّىء وعليهم سيار بن هريم ؛ فقال في ذلك قصيدته الطويلة : [من الطويل]

وبالقفرِ دارٌ من جميلةَ هيّجتْ سوالفَ شوقٍ في فؤادكَ مُنْصِبِ

[لحّنت قصيدة لعمرو بن أحمر بن العمرد في عمر بن الخطّاب لحناً جميلاً]

وحدّثني أيّوب بن عَباية قال : كان عمرو بن أحمر بن العَمَرّد بن عامر بن عبد شمس بن فَرّاص بن مَعْن بن مالك بن أعْصُر بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر من شعراء الجاهليّة المعدودين ، وكان ينزل الشام ، وقد أدرك الإسلامَ وأسلم ، وقال في الجاهليّة والإسلام شعراً كثيراً وفي الخلفاء الذين أدركهم : عمرَ بنِ الخطّاب فمن دونه إلى عبد الملك بن مروان ، وكان في خيل خالد بن الوليد حين وجّه أبو بكر خالداً إلى الشام ؛ ولم يأتِ أبا بكر . وقال في خالد رحمه الله : [من الطويل]

إذا قال سيفُ الله كُرُّوا عليهمُ كَرَرْتُ بقلبٍ رابطِ الجأش صارمِ

وقال في عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قصيدة له طويلة جيِّدة : [من البسيط]

أدركتُ آل أبي حَفْصٍ وأُسْرتَه وقبلَ ذاك ودهراً بعده كَلِبا
قد ترتمي بقوافٍ بيننا دُوَلٌ بين الهناتينِ لا جِدّاً ولا لَعِبا

1 المِشْغَب : المشاغب والمعاند عن الحقّ .
2 المشرعب : الطويل .
3 ألعب المرأة : جعلها تلعب أو جاءها بما تلعب به .

اللهُ يعلـمُ مـا قـولي وقولُهـمُ إذ يركبـون جَناناً مُسْهَباً وَرِبا[1]

وقال في عثمان بن عفّان رضي الله عنه : [من البسيط]

حُثّـي فليس إلى عثمـانَ مُرْتَجَعٌ إلاّ العـداء وإلاّ مُكْنِـعٌ ضررُ[2]

إخالُها سَمِعت عَزْفاً فتحسَبَـه إهابـةَ القَسْرِ ليلاً حين تنتشرُ[3]

وقال في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : [من البسيط]

مَـنْ مُبْلِغٌ مَـألُكاً عنّي أبا حَسَنٍ فارتَحْ لخَصْمٍ هـداكَ اللهُ مظلومِ

فلمّا أُنشدتْ جميلةُ قصيدتَه في عمر بن الخطّاب ، قالت : واللهِ لأعملنّ فيها لحناً لا يسمعه أحدٌ أبداً إلاّ بكى . قال إبراهيم : وصدَقتْ ؛ واللهِ ما سمعتُه قَطُّ إلاّ أبكاني ؛ لأنّي أجد حين أسمعه شيئاً يضغَط قلبي ويَحْرِقه فلا أملك عيني ، وما رأيتُ أحداً قطُّ سمعه إلاّ كانت هذه حالَه .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

يـا دارَ عَبْلةَ من مَشارِقِ مَأْسَلِ دَرَس الشؤونُ وعهدُهـا لم يَنجلِ

فاستبدلـتْ عُفْـرَ الظِّباء كأنّما أبعارُها في الصَّيفِ حَـبُّ الفُلْفُلِ

تمشي النَّعامُ بـه خـلاءً حولَـه مَشْيَ النَّصارى حولَ بيت الهيكلِ

احذَرْ مَحَلَّ السّوءِ لا تَحْلُـلْ بـه وإذا نَبَـا بـكَ منـزلٌ فتَحَوَّلِ

الشعر ، فيما ذكر يحيى بن عليّ عن إسحاق ، لعَنْترة بن شَدّاد العَبْسيّ . وما رأيت هذا الشعر في شيء من دواوين شعر عنترة ، ولعلّه من رواية لم تقع إلينا ؛ فذكر غير أبي أحمد أنّ الشعر لعبد قيس بن خُفاف البُرْجُميّ ، إلاّ أنّ البيت الأخير لعنترة صحيح لا يُشَكّ فيه . والغناء لأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْليّ ، ولحنه المختار ، على ما ذكره أبو أحمد ، من الثقيل الأوّل . وذكر ابن خُرْداذبه أنّ لحن أبي دُلَف خفيفُ ثقيل بالوسطى . وذكر إسحاق أنّ فيه لمعبد لحناً من الثقيلِ الأوّل المطلق في مجرى الوسطى ، وأن فيه لأبي دُلَف لحناً ولم يجنّسه . وذكر حبش أن فيه لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأن لابن سُرَيج في البيت الثاني ثقيلاً أوّل ، وذكر ابن خرداذبه أنّ خفيف الثقيل لمالك ، وليس ممّن يعتمد على قوله . وقد ذكر يونس أيضاً أنّ فيه غناء لمالك ولم يذكر جنسه ولا طريقته .

---

1 الجَنان : الأمر الخفيّ . الوَرِب : الفاسد .

2 المكنع : الذليل الحقير .

3 العزف : الصوت . القَسر : اسم راعي لابن أحمر .

[115] ـ ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره[1]

[نسبه]

هو عَنْتَرةُ بن شَدّاد ، وقيل : ابن عمرو بن شدّاد ، وقيل : عنترة بر شدّاد بن عمرو بن معاوية بن قُراد بن مخزوم بن ربيعة ، وقيل : مخزوم بن عوف بن مالك بن غالب بن قُطَيْعة بن عَبْس بن بَغِيض بن الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر . وله لقبٌ يقال له عنترة الفَلْحاء ؛ وذلك لتشقّق شَفتيه .

[أُمّه أَمَة حبشيّة ، وكان أبوه نفاه ثم ألحقه بنسبه]

وأُمّه أَمَةٌ حبشيّة يقال لها زَبِيبة ، وكان لها ولدٌ عَبِيدٌ من غير شدّاد ، وكانوا إخوته لأُمّه . وقد كان شدّاد نفاه مرّةً ثم اعترف به فأُلحق بنسبه . وكانت العرب تفعل ذلك ، تستعبد بني الإماء ، فإن أَنجب اعترفتْ به وإلاّ بقي عبداً .

[حرشت عليه امرأة أبيه فضربه أبوه فكفته عنه فقال فيها شعراً]

فأخبرني عليّ بن سليمان النحويّ الأخفش قال أخبرنا أبو سَعيد الحسن بن الحسين السكّريّ عن محمّد بن حَبيبَ ، قال أبو سعيد وذكر ذلك أبو عمرو الشَّيْبانيّ ، قالا : كان عنترة قبل أن يدّعيه أبوه حرّشتْ عليه امرأة أبيه وقالت : إنّه يُراودني عن نفسي ؛ فغضِب من ذلك شدّاد غضباً شديداً وضربه ضرباً مبرِّحاً وضربه بالسيف ؛ فوقعت عليه امرأة أبيه وكفّته عنه . فلمّا رأتْ ما به من الجِراح بكتْ ، وكان اسمها سُمَيّة وقيل : سُهَيّة ، فقال عَنْترة : [من البسيط]

صوت

أَمِـنْ سُمَيَّةَ دمعُ العين مذروفُ ... لو أنّ ذا منكِ قبل اليوم معروفُ[2]

كأنّها يـوم صدَّتْ ما تكلِّمني ... ظَبْيٌ بعُسْفانَ ساجي العَين مطروفُ[3]

تَجَلّلتنيَ إذ أهـوى العَصا قِبَلي ... كأنّها صَنَـمٌ يُعتـادُ معكـوفُ

العبـدُ عبدُكُـم والمـالُ مالُكُـم ... فهـل عذابُك عنّي اليوم مصروفُ

تنسَى بلائي إذا ما غارةٌ لَحِقتْ ... تخرُج منهـا الطُّوالاتُ السَّراعِيفُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1 : 250–254 والخزانة 1 : 59–62 .

2 مذروف في الديوان : تذريف 270 .

3 عسفان : منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكّة . مطروف في الديوان : الطرف 270 .

يخرُجن منها وقـد بُلّتْ رَحائلها بالماء تركِضهـا الشُّمُّ الغطاريفُ[1]
قد أطعُن الطعنةَ النَجْلاء عن عُرُضٍ تَصْفَرُّ كَـفُّ أخيها وهـو منزوفُ

غنّى في البيت الأوّل والثاني عَلّويه ، ولحنه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى البنصر ، وقيل : إنّه لإبراهيم . وفيهما رَمَلٌ بالوسطى يقال : إنّه لابن سُرَيج ، وهو من منحول ابن المكيّ .

قوله «مذروف» : من ذَرَفت عينُه ، يقال : ذَرَفت تَذْرِفُ ذَرِيفاً وذَرْفاً ، وهو قَطْرٌ يكاد يتّصل . وقوله : «لو أنّ ذا منك قيل اليوم معروف» . أيّ قد أنكرتُ هذا الحنوّ والإشفاقَ منك ، لأنّه لو كان معروفاً قبل ذلك لم يُنكره . «ساجي العين» : ساكنها . والساجي : الساكن من كلّ شيء . «مطروف» : أصابت عينَه طَرْفةٌ ، وإذا كان كذلك فهو أسكن لعينه . «تجللتني» : ألقت نفسها عليّ . و«أهوى» : اعتمد . «صنم يعتاد» أي يُؤتى مرّةً بعد مرّة . و«معكوف» : يُعْكَفُ عليه . و«السَّراعيف» : السِّراع ، واحدتها سُرْعوفة . و«الطُّوالات» : الخيل . والرحائل : السروج . والشمم : ارتفاع في الأنف . و«الغطاريف» : الكرام والسادة أيضاً . والغطرفة : ضرب من السير والمشي يُختال فيه . و«النجلاء» : الواسعة ، يقال : سِنانٌ مِنْجَلٌ : واسع الطعنة : «عن عُرُض» أي عن شِقٍّ وحَرْف . وقال غيره : أعْتَرِضه اعتراضاً حين أقتُله .

[سبب ادّعاء أبيه إيّاه]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيد قال حدّثني عمّي عن ابن الكلبيّ ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن الكلبيّ : شَدّادٌ جَدُّ عنترةَ غلَب على نَسَبه ، وهو عنترة بن عمرو بن شدّاد ؛ وقد سمعتُ مَن يقول : إنّ شدّاداً عمُّه ، كان نشأ في حِجْرِه فنُسب إليه دون أبيه . قال : وإنّما ادّعاه أبوه بعد الكِبَر ؛ وذلك لأنّ أُمّه كانت أَمَةً سوداء يقال لها زَبِيبة . وكانت العربُ في الجاهليّة إذا كان للرجل منهم ولدٌ من أَمَةٍ استعبدوه . وكان لعنترة إخوةٌ من أُمّه عبيدٌ . وكان سببُ ادّعاء أبي عنترةَ إيّاه أنّ بعضَ أحياء العرب أغاروا على بني عَبْس فأصابوا منهم واستاقوا إبلاً ، فتبِعهم العَبْسيّون فلَحِقُوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترةُ يومئذٍ فيهم ؛ فقال له أبوه : كُرَّ يا عنترةُ . فقال عنترة : العبدُ لا يُحْسِنُ الكَرّ ، إنّما يُحْسِن الحِلابَ والصّرّ . فقال : كرّ وأنت حرّ . فكَرّ وهو يقول : [من الرجز]

أنـا الهجـينُ عَنْتَرَهْ كلُّ امرىء يحمِي حِرَهْ
أسودَه وأحمـــرَه والشَّعَراتِ [المُشْعَره]

1 تركضها في ل : يقدمها . الشمّ في الديوان : المرد 271 .

الواردات مِشْفَـــره

وقاتلَ يومئذٍ قتالاً حسناً ، فادّعاه أبوه بعد ذلك وألحَقَ به نسبَه .

وحكى غير ابن الكلبيّ أنّ السببَ في هذا أنّ عبساً أغاروا على طيّىء ، فأصابوا نَعَماً ، فلمّا أرادوا القِسْمة قالوا لعنترة : لا نَقسِم لك نصيباً مثلَ أنصبائنا لأنّك عبد . فلمّا طال الخَطْبُ بينهم كرّتْ عليهم طيّىء ؛ فاعتزلهم عنترة وقال : دُونَكم القومَ ، فإنّكم عَدَدُهم . واستنقذت طيّىء الإبل . فقال له أبوه : كرّ يا عنترةُ . فقال : أَوَ يُحْسِنُ العبد الكَرّ ؟ فقال له أبوه : العبدُ غيرُك ، فاعترف به ، فكّر واستنقذ النَّعَم ، وجعل يقول : [من الرجز]

أنـــا الهجـــينُ عَنْتَرهْ كلُّ امرىء يحمِي حِرَهْ

الأبياتَ .

قال ابنُ الكلبيّ : وعنترةُ أحدُ أغْرِبة العرب ، وهم ثلاثة : عنترة وأُمّه زَبِيبة ، وخُفاف بن عُمَيْر الشَّرِيديّ وأُمّه نُدْبة ، والسُّلَيْك بن عُمَيْر السَّعْديّ وأُمّه السُّلَكةُ ، وإليهنّ يُنسبون . وفي ذلك يقول عنترة : [من الكامل]

إنّـــي امـــرؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْرِي وأحمـــي سائري بالمُنْصُلِ

وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحظت أُلفِيـــتُ خيراً مـــن مُعَـــمٍّ مُخْوَلِ

يقول : إنّ أبي من أكرم عَبْس بشطري ، والشطرُ الآخر ينوب عن كرم أُمّي فيه ضَرْبي بالسيف ، فأنا خيرٌ في قومي ممّن عَمُّه وخالُه منهم وهو لا يُغني غَنائي . وأحسب أنّ هذه القصيدة هي التي يُضاف إليها البيتان اللذان يُغَنَّى فيهما ، وهذه الأبيات قالها في حرب داحِس والغَبْراء .

[حامى عن بني عبس حين انهزمت أمام تميم ، فسبّه قيس بن زهير فهجاه]

قال أبو عمرو الشَّيْبانيّ : غزتْ بنو عَبْس بني تميم وعليهم قَيْس بن زُهَيْر ، فانهزمت بنو عَبْس وطلبتْهم بنو تميم ، فوقف لهم عنترة ، ولحِقتهم كَبْكَبةٌ من الخيل ، فحامَى عنترةُ عن الناس فلم يُصَبْ مُدْبِرٌ . وكان قيس بن زُهَير سيِّدَهم ، فساءه ما صنع عنترةُ يومئذٍ ، فقال حين رجع : والله ما حَمى الناسَ إلاّ ابنُ السوداء . وكان قيس أكولاً . فبلغ عنترةَ ما قال ؛ فقال يعرّض به قصيدتَه التي يقول فيها : [من الكامل]

صوت

بَكَرتُ تُخَوِّفُني الحُتوفَ كأنّني أصبحتُ عن عَرَض الحُتوف بمَعْزِلِ

فأجبتُهـــا أنّ المنيّـــةَ مَنْهَـــلٌ لا بـــدّ أن أُسْقى بكـــأسِ المنهلِ

فاقْنَيْ حياءكِ لا أبالكِ واعلمي ... أنّي امرؤ سأموت إن لم أُقْتَلِ
إنّ المنيّة لو تُمَثَّلُ مُثّلتْ ... مِثْلي إذا نزلوا بضَنْكِ المنزلِ
إنّي امرؤ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً ... شَطْرِي وأحمي سائري بالمُنْصُلِ
وإذا الكتيبةُ أُحْجمتْ وتلاحظتْ ... أُلْفِيتُ خيراً من مُعَمٍّ مُخْوَلِ
والخيلُ تعلم والفوارسُ أنّني ... فرّقتُ جَمْعَهمُ بضربةِ فيصلِ[1]
إذ لا أُبادِر في المَضِيقِ فوارسي ... أو لا أُوَكَّلُ بالرَّعِيلِ الأوّلِ
إن يُلْحَقُوا أَكْرُرْ وإن يُستَلْحَمُوا ... أَشْدُدْ وإن يُلْفَوْا بضَنْكٍ أنزلِ[2]
حين النزولُ يكون غايةَ مثلنا ... ويَفِرّ كلُّ مُضلَّلٍ مُسْتَوْهِلِ[3]
والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنّما ... تُسْقَى فوارسُها نقيعَ الحنظلِ
ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظَلُّه ... حتى أُنالَ به كريمَ المأكلِ

عَرُوضه من الكامل . غنّت في الأربعة الأبيات الأُوَل والبيت الثاني عَرِيبُ خفيفَ رمل بالبنصر من رواية الهشاميّ وابن المعتزّ وأبي العَنْبس .

«الحتوف» : ما عرض للإنسان من المكاره والمتالف . «عن عَرَض» أي ما يعرض منها . «بمعزل» أي في ناحية معتزلة عن ذلك . و«منهل» : مورد . وقوله : «فَاقني حياءك» أي احفظيه ولا تضيّعيه . و«الضَّنْك» : الضيق . يقول : إنّ المنيّة لو خُلِقتْ مِثالاً لكانت في مثل صورتي . و«المَنْصِب» : الأصل . و«المُنْصُل» : السيف ، ويقال مُنْصَل أيضاً بفتح الصاد . وأحجمت : كَعَّتْ[4] . و«الكتيبة» : الجماعة إذا اجتمعت ولم تنتشر . و«تلاحظت» : نظرتْ مَنْ يُقْدِم على العدوّ . وأصل التلاحظ النظر من القوم بعضهم إلى بعض بمُؤْخِر العين . و«الفيصل» : الذي يفصِل بين الناس . وقوله : «لا أُبادر في المضيق فوارسي» أيّ لا أكون أوّل منهزم ولكنّي أكون حاميتهم . و«الرعيل» : القطعة من كلّ شيء . و«يُسْتَلْحَموا» : يُدْرَكوا . والمُسْتَلْحَم : المُدْرَكِ ؛ وأنشد الأصمعيّ : [من البسيط]

نَجّى علاجاً وبِشْراً كلُّ سَلْهَبَةٍ ... واستلحم الموتُ أصحابَ البَراذِينِ[5]

---

1 بضربة : في الديوان بطعنة 250 .
2 استُلْحِمَ : روهق في القتال ، واستلحم الرجل : إذا احتوشه العدو في القتال .
3 المستوهل : الضعيف الفزع .
4 كَعَّ : جبن وضعف .
5 السلهبة : الفرس الطويل الذكر والأنثى .

و«ساهمة» : ضامرة متغيّرة ، قد كَلَحَ فوارسُها لشدّة الحرب وهَوْلها . وقوله : «ولقد أبيت على الطوى وأظلّه» . قال الأصمعيّ : أبيت بالليل على الطَّوى وأَظَلّ بالنهار كذلك حتى أَنالَ به كريمَ المأكلِ أي ما لا عيبَ فيه عليّ ، ومثله قوله : إنّه ليأتي عليّ اليومان لا أذوقُهما طعاماً ولا شراباً أي لا أذوق فيهما . والطَّوى : خَمَصُ البطن ، يقال : رجل طَيّان وطاوِي البطن .

[أنشد النبيّ ﷺ بيتاً من شعره فود لو رآه]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال : أنشِد النبيُّ ﷺ قولَ عَنْترةَ : [من الكامل]

ولقد أَبِيتُ على الطَّوَى وأظَلُّه حتّى أَنــالَ بــه كريمَ المأكلِ

فقال ﷺ : «ما وُصِف لي أعرابيٌّ قَطُّ فأَحببتُ أن أراه إلاَّ عنترةَ» .

[كيف ألحق إخوته لأمّه بنسب قومه]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمّد بن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة : أنّ عنترة كان له إخوة من أُمّه ، فأحبّ عنترةُ أن يدّعيَهم قومه ؛ فأمر أخاً له كان خيرَهم في نفسه يقال له «حنبل» ، فقال له : أرْوِ مُهْرَك من اللَّبن ثم مُرَّ به عليَّ عشاءً . فإذا قلت لكم : ما شأنُ مُهْرِكم مُتَخَدِّداً[1] مهزولاً ضامراً ، فاضرب بطنَه بالسيف كأنّك تُرِيهم أنّك قد غَضِبتَ ممّا قلتُ . فمَرّ عليهم ، فقال له : يا حنبل ، ما شأنُ مهركم متخدّداً أعجرَ[2] من اللبن ؟ فأهوَى أخوه بالسيف إلى بطن مُهْره فضربه فظهر اللبن . فقال في ذلك عَنْترةُ : [من الكامل]

أَبَنــي زَبِيبةَ مــا لِمُهْرِكُــمُ مُتَخَــدِّداً وبطونُكــم عُجْــرُ
أَلكم بإيغــال الوليــدِ عــلى أَثَــرِ الشِّيــاه بشدّةٍ خُبُرُ[3]

وهي قصيدة . قال : فاستلاطه[4] نفرٌ من قومه ونفاه آخرون . ففي ذلك يقول عنترة : [من الكامل]

أَلا يــا دارَ عَبْلــةَ بالطَّوِيِّ كرَجْعِ الوَشْمِ في كَفّ الهَدِيّ[5]

وهي طويلة يُعدِّد فيها بلاءَه وآثاره عند قومَه .

---

1 المتخدّد : المهزول .
2 بطن أعجر : ملآن .
3 في الديوان اختلاف كبير في رواية البيت 316 .
4 استلاطه قومه : ألصقوه بهم وادّعوه .
5 الطَّوِيّ : موضع ، والهديّ : العروس .

[جوابه حين سئل أنت أشجع العرب]

أخبرني عمّي قال أخبرني الكُرانيّ عن النَّضْر بن عمرو عن الهَيْثم بن عَدِيّ قال : قيل لعنترة : أنت أشجَعُ العربِ وأشدُّها ؟ قال لا . قيل : فبما ذا[1] شاع لك هذا في الناس ؟ قال : كنت أُقْدمُ إذا رأيتُ الإقدام عَزْماً ، وأُحجِمُ إذا رأيتُ الإحجام حَزْماً ، ولا أدخلُ إلاّ موضعاً أرى لي منه مَخْرَجاً ، وكنتُ أعتمِد الضعيفَ الجبانَ فأضربُه الضربةَ الهائلةَ يطير لها قلبُ الشُّجاع فأُثنّي عليه فأقتله .

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قال عمر بن الخطّاب للحُطَيْئة : كيف كنتم في حربكم ؟ قال : كنّا ألفَ فارس حازمٍ . قال : وكيف يكون ذلك ؟ قال : كان قيس بن زُهَيْر فينا وكان حازماً فكنّا لا نعصيه . وكان فارسنا عنترةَ فكنّا نحمِل إذا حمل ونُحْجِم إذا أحجم . وكان فينا الرَّبيع بن زِياد وكان ذا رَأْي فكنّا نستشيره ولا نُخالِفه . وكان فينا عُرْوة بن الوَرْد فكنّا نأتمّ بشعره ، فكنّا كما وصفتُ لك . فقال عمر : صدَقتَ .

[موته واختلاف الروايات في سببه]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثنا أبو سعيد السكريّ قال قال محمّد بن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل عن أبي عبيدة وابن الكلبيّ قالا : أغار عنترةُ على بني نَبْهان من طيّىء فطَرَد لهم طريدةً وهو شيخ كبير ، فجعل يرتجز وهو يطرُدها ويقول : [من الرجز]

آثارُ ظُلْمانٍ بقاعٍ مُحْرِب

قال : وكان زِرّ[2] بن جابر النَّبْهانيّ في فُتُوّة ، فرماه وقال : خذها وأنا ابن سَلْمَى ، فقطع مَطاه[3] ؛ فتحامَل بالرَّمْيَة حتى أتى أهلَه ؛ فقال وهو مجروح : [من الطويل]

وإنّ ابنَ سَلْمَى عنده فاعلموا دَمي ... وهيهاتَ لا يُرْجَى ابن سلمى ولا دَمِي
يحلُّ بأكناف الشِّعاب وينتمي ... مكانَ الثُّرَيّا ليس بالمُتَهَضَّمِ[4]
رماني ولم يَدْهَشْ بأزرقَ لَهْذَمٍ ... عشيّة حلُّوا بين نَعْفٍ ومَخْرِمِ[5]

1 في ل : فيم إذن .
2 في ل : وزر .
3 مطاه : ظهره .
4 يحلُّ بأكنافِ الشعاب ينتمي في ل : إذا ما تمشّى بين أجبال طيّىء .
5 النعف : ما انحدر من السّفح وغلظ . المخرم : منقطع أنف الجبل .

قال ابن الكلبيّ : وكان الذي قتله يلقّب بالأسد الرهيص[1] . وأمّا أبو عمرو الشَّيْبانيّ فذكر أنّه غزا طيّئاً مع قومه ، فانهزمت عَبْسُ ، فخرّ عن فرسه ولم يَقْدِرْ من الكِبَرِ أن يعود فيركبَ ؛ فدخل دَغَلاً ، وأبصره ربيئة[2] طيّىء فنزل إليه ، وهاب أن يأخذه أسيراً فرماه وقتله .

وذكر أبو عبيدة أنّه كان قد أسنَّ واحتاج وعجز بِكِبَر سِنِّه عن الغارات ، وكان له على رجل من غَطَفان بَكْرٌ ، فخرج يتقاضاه إيّاه ؛ فهاجت عليه ريحٌ من صَيْف وهو بين شَرَجٍ[3] وناظرة ، فأصابته فقتلتْه .

[كان أحد الذين يباليهم عمرو بن معد يكرب]

قال أخبرني أبو خليفة عن محمّد بن سلاّم قال : كان عمرو بن معد يكرب يقول : ما أُبالي مَنْ لَقِيتُ من فُرْسان العرب ما لم يلقَني حُرَّاها وهَجِيناها . يعني بالحُرَّيْنِ عامرَ بن الطُّفَيْل وعُتَيْبة بن الحارث بن شِهاب ، وبالعَبْدَيْن عنترةَ والسُّلَيْكَ بن السُّلَكة .

هذه أخبار عنترة قد ذكرتُ فيها ما حضَر .

1 الأسد الرهيص : الذي لا يبرح مكانه .

2 الربيئة : الطليعة .

3 شرج وناظرة : ماءان لبني عبس .

116 ـ [ذكر عبد قيس بن خفاف البرجميّ]

[نبذة عن عبد قيس بن خفاف البرجميّ]

وأمّا عبد قَيْس بن خُفاف البُرْجُميّ فإنّي لم أَجِد له خبراً أَذكره إلاّ ما أَخبرني به جعفر بن قُدامة قال : قرأت في كتاب لأبي عثمان المازنيّ : كان عبد قَيْس بن خُفاف البُرْجُميّ أَتى حاتمَ طيّىء في دِماء حمَلها عن قومه فأسلموه فيها وعجزَ عنها ، فقال : والله لآتينّ مَنْ يحمِلها عنّي ، وكان شريفاً شاعراً شُجاعاً ؛ فقدِم على حاتم وقال له : إنّه قد وقعت بيني وبين قومي دماءٌ فتواكلوها ، وإنّي حملتها في مالي وأَهلي ، فقدّمتُ مالي وأخّرتُ أَهلي ، وكنتَ أوثقَ الناس في نفسي . فإن تحمّلتَها فكَمْ من حَقٍّ قَضَيْتَه وهَمٍّ كَفَيْتَه ، وإن حال دون ذلك حائلٌ لم أذمُمْ يومَك ولم أنسَ غدَك ؛ ثم أنشأَ يقول : [من الطويل]

حملتُ دماءً للبَراجِمِ جَمَّةً ... فجئتُك لمّا أسلمتْني البراجِمُ

وقالوا سَفاهاً لِمْ حَمَلتَ دماءَنا ... فقلتُ لهم يكفي الحَمالةَ حاتمُ

متى آته فيها يَقُلْ لِيَ مرحباً ... وأهلاً وسهلاً أخطأتْكَ الأَشائمُ

فيحملها عنّي وإن شئتُ زادَني ... زيادةَ مَنْ حِيزَتْ إليه المكارمُ

يعيش النَّدى ما عاش حاتمُ طَيّىءٍ ... وإن مات قامت للسخاء مآتِمُ

يُنادِينَ مات الجودُ مَعْك فلا نَرَى ... مُجِيباً له ما حامَ في الجوِّ حائِمُ

وقال رجال أنهبَ العامَ مالَه ... فقلتُ لهم إنّي بذلك عالِمُ

ولكنّه يُعطي مِنَ اموال طيِّءٍ ... إذا حلَق المالَ الحقوقُ اللّوازِمُ

فيُعْطِي التي فيها الغِنَى وكأنّه ... لتصغيره تلك العطيّةَ جارمُ

بذلك أوصاه عَدِيٌّ وحَشْرَجٌ ... وسَعْدٌ وعبدُ اللهِ تلكَ القَماقِمُ

فقال له حاتم : إنّي كنتُ لأُحِبّ أن يأتيني مثلُك من قومك ، وهذا مِرْباعي[1] من الغارة على بني تميم فخذه وافراً ، فإنْ وَفَى بالحَمالة وإلاّ أكملتُها لك ، وهي مائتا بعير سوى نيبِها

1 المرباع : ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة .

وفِصالها ، مع أنّي لا أُحِبّ أن تُؤَبِّس[1] قومَك بأموالهم . فضحِك أبو جُبَيْل[2] وقال : [لكم ما أخذتم منّا ولنا ما أخذنا منكم] ، وأيّ بعير دفعتَه إليّ وليس ذَنَبُه في يد صاحبه فأنت منه بريء . فأخذها وزاده مائةَ بعير ، وانصرف راجعاً إلى قومه . فقال حاتم : [من الوافر]

أتاني البُرْجُمـيّ أبو جُبَيْلٍ ... لِهَـمٌّ في حَمالتِـه طويلِ
فقلتُ لـه خُذِ المرباعَ منها ... فإنّي لستُ أرضَى بالقليلِ
على حالٍ ولا عوّدتُ نفسي ... على عِلاّتهـا عِلَلَ البخيلِ
فخُذْهـا إنّهـا مائتا بعيرٍ ... سوى النابِ الرذِيَّة والفصيلِ
ولا مَـنٌّ عليك بها فإنّي ... رأيتُ المَنَّ يُزْرِي بالجميلِ
فآبَ البُرْجُميُّ وما عليه ... مِنَ اعْباء الحَمالةِ من فتيلِ
يَجُرّ الذّيْلَ ينفُضُ مِذْرَوَيْهِ ... خفيفَ الظهر من حملٍ ثقيلِ[3]

1 تؤبِّس : توبّخ وتؤنّب .
2 أبو جبيل : كنية عبد قيس بن خفاف .
3 جاء فلان ينفض مِذْرويه : إذا جاء باغياً يتهدّد . المذرى : طرف الأليَة .

[117] ـ ذكر أبي دُلَفَ ونسبه وأخباره

[نسبه ومكانته]

هو القاسم بن عيسى بن إدريس ، أحد بني عِجْل بن لُجَيْم بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . ومَحَلُّه في الشجاعة وعُلُوِّ المحلّ عند الخلفاء وعِظَم الغَناء في المَشاهد وحُسْنِ الأدب وجودة الشعر محلٌّ ليس لكبير أحد من نُظَرائه . وذكرُ ذلك أجمع ممّا لا معنى له لطُوله ؛ وفي هذا القدر من أخباره مَقْنَع . وله أشعارٌ جِيادٌ ، وصنعةٌ كثيرة حسنة . فمن جيِّد شعره وله فيه صنعة قولُه : [من الوافر]

صوت

بنفسي يـا جِنانُ وأنتِ منّي ... محلَّ الروح من جَسَد الجَبانِ
ولـو أنّـي أقولُ مكانَ نفسي ... خَشِيتُ عليكِ بـادرةَ الزمانِ
لإقدامي إذا مـا الخيلُ حامتْ ... وهـابَ كُمَاتُها حَـرَّ الطِّعانِ

وله فيه لحن . وهذا البيت الأوّل أخذه من كلام إبراهيم النَّظّام .

[أخذ معنى من محاورة إبراهيم النظام لغلام]

أخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمّد بن الحسن بن الحَرُون قال : لقي إبراهيم النظّام غلاماً حسنَ الوجه ، فاستحسنه وأراد كلامَه فعارضه ، ثم قال له : يا غلام ، إنّك لولا ما سَبَق من قول الحكماء ممّا جعلوا به السبيل لمثلي إلى مثلك في قولهم : لا ينبغي لأحد أن يكبُر عن أن يَسأل ، كما إنّه لا ينبغي لأحدٍ أن يصغُر عن أن يقول ، لمَا أَنَبْتُ[1] إلى مُخاطبتك ولا انشرح صدري لمحادثتك ، لكنّه سببُ الإخاء وعَقْد المودّة ، ومحلُّك من قلبي محلّ الروح من جسد الجبان . فقال له الغلام وهو لا يعرفه : لئن قلتَ ذلك أيّها الرجل لقد قال أستاذنا إبراهيم النظّام : الطبائع تُجاذب ما شاكلها بالمجانسة ، وتميل إلى ما قاربها بالموافقة ؛ وكِياني مائلٌ إلى كِيانك بكُلِّيّتي . ولو كان الذي انطوى عليه عَرَضاً لم أعتَد به وُدّاً ، ولكنّه جوهر جسمي ؛ فبقاؤه ببقاء النفس ، وعَدَمُه بعَدَمها ؛ وأقول كما قال الهذليّ : [من الكامل]

فَتَيقَّني أنْ قـد كَلِفتُ بكـم ... ثـم افْعَلي مـا شئتِ عن علِمِ

1 أَنَبْتُ : رجعتُ .

فقال له النظّام : إنّما كلّمتك بما سمعتَ وأنت عندي غلام مُسْتَحْسَن ؛ ولو علمتُ أنّ محلّك مثلُ محلّ مَعْمَرٍ[1] وطَبَقتِه في الجَدَل لَمَا تعرّضتُ لك . قال أبو الحسن : ومن هذا أخذ أبو دُلَفَ قولَه : [من الوافر]

أُحِبُّكِ يا جِنـــانُ وأنتِ منّي محـلَّ الرُّوح من جسد الجبانِ

ومن جيِّد شعره وله فيه صنعة قوله : [من البسيط]

صوت

في كلّ يـــومٍ أرى بيضاءَ طالعةً كأنّمـــا أُنبِتتْ في ناظـــر البَصَرِ
لئن قَصَصْتُكِ بالمِقْراضِ عن بَصَرِي لَمَا قطعتُكِ عن هَمّي وعن فِكَري

[بلغه طروق الشراة وهو بالسرادن مع جارية له]

أخبرني عليّ بن عبد العزيز الكاتب قال حدّثني أبي قال سمعت عبد العزيز بن دُلَف بن أبي دُلَف يقول : حدّثتني ظَبْية جارية أبي قالت : إنّي لَمَعَهُ ليلةً بالسَّرادِنِ[2] وهو جالسٌ يشرَب معي وعليه ثيابٌ ممسَّكة ، إذ أتاه الصريخ بطروق الشُّراة أطرافَ عسكره ؛ فلبس الجَوْشَنَ ومضى فقتَل وأسَر وانصرف إليّ في آخر الليل وهو يغنّي ، قالت : والشعر له : [من مجزوء الخفيف]

صوت

ليلتـــي بـــالسَّرادِنِ كُلِّلـــتْ بـــالمحاسنِ
وجَـــوارٍ أوانسٍ كالظِّبـــاءِ الشَّوادِنِ
بُدِّلـــتْ بـــالمُمَسَّكا تِ ادِّراعَ الجَـواشِنِ

الشعر لأبي دُلَفَ . والغناء له رملٌ بالسبّابة في مجرى البنصر .

[خرج مع الإفشين لحرب بابك]

وقال أحمد بن أبي طاهر : كان أبو دُلَف القاسم بن عيسى في جملة مَنْ كان مع الإفْشين خَيْذَر بن كاوُوس لمّا خرج لمحاربة بابَك[3] ، ثم تنكَّر له ؛ فوجّه يوماً بمن جاء به ليقتله . وبلَغ المعتصمَ الخبرُ ، فبعث إليه بأحمد بن أبي دُواد وقال له : أدْرِكْه ، وما أراك تلحَقه ، فاحتَلْ في خَلاصه منه كيف شئتَ . قال ابنُ أبي دُواد : فمضيتُ رَكْضاً حتى وافيتُه ، فإذا أبو دُلَفَ واقفٌ بين يديه وقد أخَذ بيديه غلامان له تركيّان ، فرميتُ بنفسي على البِساط ، وكنت إذا

1 هو أبو عبيدة معمر بن المثنى .
2 السردان : موضع ببلاد فارس .
3 هو بابك الخرمي .

جئته دعا لي بمُصَلًّى ، فقال لي : سبحانَ الله ما حملك على هذا ؟ قلت : أنت أجلستني هذا المجلسَ . ثم كلّمتُه في القاسم وسألته فيه وخضعتُ له ، فجعل لا يزداد إلاّ غِلظةً . فلمّا رأيتُ ذلك قلت : هذا عبدٌ وقد أغرقتُ في الرِّفْق به فلم ينفع ، وليس إلاّ أخْذُه بالرَّهْبة والصِّدْق ؛ فقمتُ فقلت : كم تُراك قدَرتَ ! تقتُل أولياء أمير المؤمنين واحداً بعد واحد ، وتُخالف أمره في قائد بعد قائد ؟ قد حملتُ إليكَ هذه الرسالة عن أمير المؤمنين ، فهاتِ الجوابَ ! . قال : فذلَّ حتى لصِق بالأرض وبانَ لي الاضطِرابُ فيه . فلمّا رأيتُ ذلك نهضتُ إلى أبي دُلَفَ وأخذتُ بيده ، وقلت له : قد أخذتُه بأمر أمير المؤمنين . فقال : لا تفعلْ يا أبا عبد الله . فقلت : قد فعلتُ . وأخرجتُ القاسم فحملتُه على دابّة ووافيتُ المعتصمَ . فلمّا بَصُر بي قال : بك يا أبا عبد الله وَرِيَتْ زِنادِي ، ثم ردّ عليّ خبري مع الإفشين حَدْساً بظَنّه ما أخطأ فيه حرفاً ؛ ثم سألني عمّا ذكره لي وهو كما قال ، فأخبرتُه أنّه لم يخطىء حرفاً .

[أنكر عليه أحمد بن أبي دواد الغناء]

وقال عليّ بن محمّد حدّثني جَدّي قال : كان أحمد بن أبي دواد يُنكر أمرَ الغناء إنكاراً شديداً . فأعلمه المعتصم أن صديقه أبا دُلَفَ يغنّي ؛ فقال : ما أراه مع عقله يفعل ذلك . فستر أحمدَ بن أبي دُواد في موضع وأحضر أبا دُلَفَ وأمره أن يغنّي ، ففعل ذلك وأطال ؛ ثم أخرج أحمدَ بن أبي دُواد عليه من موضعه والكراهةُ ظاهرةٌ في وجهه . فلمّا رآه أحمد قال له : سَوْءةً لهذا من فِعل ! بعد هذه السِّنّ وهذا المحلّ تضع نفسَك كما أرى ؟ فخجِل أبو دُلَفَ وتشوّر[1] ، وقال : إنّهم أكرهوني على ذلك . فقال : هَبْهُم أكرهوك على الغِناء أفاكرهوك على الإحسان والإصابة ! .

[سمع المعتصم غناءه عند الواثق فمدحه]

قال عليّ وحدّثني جَدّي : أنّ سبب مُنادمته للمعتصم أنّه كان نديماً للواثق ، وكان أبو دُلَفَ قد وُصِف للمعتصم فأحبّ أن يسمعه ، وسأل الواثقَ عنه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا على الفَصْد غداً وهم عندي . فقال له المعتصم : أُحِبّ ألاّ تُخفي عليّ شيئاً من خبركم . وفُصِد الواثق ، فأتاه أبو دُلَفَ وأتته رسل الخليفة بالهدايا ، وأعلمهم الواثق حضورَ أبي دُلَفَ عنده ؛ فلم يلبث أن أقبل الخَدَمُ يقولون : قد جاء الخليفة . فقام الواثق وكلّ مَنْ عنده حتى تَلَقَّوْه حين برَز من الدِّهْليز إلى الصَّحْن ؛ فجاء حتى جلس ، وأمَر بندماء الواثق فرُدُّوا إلى مجالسهم . قال حَمْدون[2] : وخَنَستُ عن مجلسي الذي كنتُ فيه لحَداثتي ؛ فنظر المعتصم

---

1 تشوّر : خجل .

2 هو حمدون بن إسماعيل بن داود الكاتب ، أوّل مَن نادم الخلفاء من أهله .

إلى مكاني خالياً ، فسأل عن صاحبه فسُمِّيتُ له ، فأمَر بإحضاري فرجعت إلى مكاني ، وأمَر بأن يُؤتَى بِرَطْلٍ من شرابه فأُتِي به ؛ فأقبل على أبي دُلَفَ فقال له : يا قاسم ، غَنِّ أميرَ المؤمنين صوتاً ؛ فما حَصِر ولا تثاقلَ وقال : أُغنِّي أميرَ المؤمنينَ صوتاً بعينه أو ما اخترته ؟ قال : بل غَنِّ صنعتَك في شعر جرير : [من الكامل]

بـانَ الخليطُ برامَتَيْنِ فودَّعوا

فغنّاه إيّاه . فقال المعتصم : أحسن ، أحسن ، ثلاثاً ، وشرب الرّطل ، ولم يزل يستعيده ويشرب عليه حتى وَالَى بين سبعة أرطال ،ثم دعا بحمار فركِبه ، وأمَر أبا دُلَفَ أن ينصرف معه ، وأمرني بالانصراف معهما ، فخرجتُ أسعَى مع رِكابه ، فثُبِّتُّ في نُدَمائه من ذلك اليوم ، وأمَر لأبي دُلَفَ بعشرين ألف دينار .

نسبة الصوت الذي غنّاه أبو دلف

صوت

[من الكامل]

بـانَ الخليطُ برامتَيْنِ فودّعوا أوَ كُلَّما اعتزموا لبينٍ تَجْزَعُ
كيف العَزاءُ ولم أَجِدْ مذ غِبْتُمُ قلباً يَقَرُّ ولا شرابـاً يَنْقَـعُ

عَروضه من الكامل . الشعر لجرير ، والغناء لأبي دُلَفَ ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشاميّ وعمرو بن بانة .

[ما كان من جعفر بن أبي جعفر مع حماد الراوية]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان جعفر بن أبي جعفر المنصور المعروف بابن الكُرْديّة يستخفّ مُطِيعَ بن إيّاس ، وكان منقطعاً إليه وله منه منزلةٌ حسنة . فذكر له مُطِيع بن إياس حمّاداً الراوية ، وكان مُطَّرَحاً مَجْفُوّاً في أيّامهم . فقال له : دَعْني ، فإنّ دولتي كانت في بني أُميّة وما لي عنـد هـؤلاء خير . فأبى مُطيع إلاّ الذهابَ به إليه . فاستعار سواداً وسيفاً ؛ ثم أتاه فدخل على جعفر فسلّم عليه وجلس . فقال له جعفر : أَنْشِدْني . فقال : لَمن أيُّها الأمير ؟ قال : لجرير . قال حمّاد : فسلخ الله شعرَه أجمع من قلبي إلاّ قولَه : [من الكامل]

بـانَ الخليطُ برامتيْن فودّعوا

فاندفعتُ أُنْشِده إيّاه حتى بلغتُ إلى قوله : [من الكامل]

وتقول بَوْزَعُ قد دَبَبْتَ على العَصَا هَـلاَّ هَزِئـتِ بغيرنـا يـا بَوْزَعُ

قال حمّاد فقال لي جعفر : أعِدْ هذا البيتَ فأعدتُه ؛ فقال : إيش هو بَوْزع ؟ قلتُ : اسم

امرأة . قال : امرأة اسمُها بَوْزَع ! هو بريءٌ من الله ورسوله ومن العبّاس بن عبد المطّلب إن كانت بَوْزَع إلاّ غُولاً من الغِيلان ! تركتَني والله يا هذا لا أنام اللّيل من فزع بَوْزَع ! يا غِلمان ، قَفاه . قال : فصُفِعتُ والله حتى لم أدرِ أين أنا . ثم قال : جُرُّوا برجله ، فجرُّوا برجلي حتى أُخرِجتُ من بين يديه وقد تَخَرَّق السوادُ وانكسر جفنُ السيف ولقيتُ شرّاً عظيماً ممّا جرى من ذلك . وكان أغلظَ من ذلك عليّ غَرامتي السوادَ والسيف . فلمّا انصرف إليّ مُطِيع جعل يتوجّع لي . فقلت له : أَلَم أُخبرك أنّي لا أُصيب منهم خيراً وأنّ حظّي قد مضى مع مَن مضى من بني أُميّة ! .

رجع الحديث إلى أخبار أبي دُلَف .

[كان جواداً ممدّحاً وشعر علي بن جبلة فيه]

وكان أبو دُلَفَ جواداً ممدَّحاً ؛ وفيه يقول عليّ بن جَبَلة : [من الرمل]

إنّمـا الدُّنيـا أبـو دُلَفٍ ... بـين مَغْـزاهُ ومُحْتَضَرِهْ
وإذا وَلَّـى أبـو دُلَفٍ ... وَلَّـتِ الدُّنيـا على أَثَرِهْ

وهي من جيِّد شعره وحَسَن مدائحه . وفيها يقول :

ذادَ وِرْدَ الغَيّ عن صَدَرِهْ ... وارعوَى واللَّهوُ من وَطَرِهْ
نَدَمي أنّ الشَّبابَ مضَى ... لم أُبَلِّغْـهُ مَـدى أَشَرِهْ
حَسَرتْ عنّـي بَشاشتُه ... وذوَى المحمـودُ من ثَمرِهْ
ودَمٍ أَهْـدرتُ من رَشَإٍ ... لم يُرِدْ عَقْلاً على هَدَرِهْ
فأَتَـتْ دونَ الصِّبا هَنَةٌ ... قلبتْ فُوقـي على وَتَرِهْ[1]
دَعْ جَدا قَحْطانَ أو مُضَرٍ ... في يَمانِيـه وفي مُضَرِهْ
وامْتدِحْ من وائـلٍ رجلاً ... عُصُرُ الآفـاقِ من عُصُرِهْ
المنايـا في مَقانِبِـه ... والعطايـا في ذَرا حُجَرِهْ
مَلِـكٌ تنـدَى أنامِلُـه ... كانبلاج النَّوْء عن مَطَرِهْ
مستهلٌّ عـن مَواهِبِـه ... كابتسام الرَّوْض عن زَهَرِهْ
جَبَـلٌ عـزّتْ مَناكِبُـه ... أمِنتْ عَدْنـانُ في نَفَرِهْ

1 الفوق من السهم : موضع الوتر .

إنّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ بين مَغْزاهُ ومُحتَضَرِهْ
فإذا ولَّى أبو دُلَفٍ وَلّتِ الدنيا على أثَرِهْ
كلُّ مَنْ في الأرض من عَرَبٍ بين بادِيه إلى حَضَرِهْ
مستعيرٌ منه مَكرُمةً يكتسيها يومَ مُفْتَخَرِهْ

وهذان البيتان هما اللذان أحفظا المأمونَ على عليّ بن جَبَلة حتى سلَّ لسانَه من قَفاه ، وقولُه في أبي دُلَف أيضاً : [من البسيط]

أنت الذي تُنزل الأيّامَ منزلَها وتَنْقُلُ الدَّهرَ من حالٍ إلى حالِ
وما مددتَ مَدى طَرْفٍ إلى أحدٍ إلاّ قضيتَ بأرزاقٍ وآجالِ

وسنذكر ذلك في موضعه من أخبار عليّ بن جبلة إن شاء الله تعالى ؛ إذ كان القصد هاهنا أمرَ أبي دُلَف .

[ذكرت قصّة له في الكرم وأُخرى لأبي البختريّ]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال : كنّا عند أبي العبّاس المبرّد يوماً وعنده فتىً من ولد أبي البَخْتَرِيّ وهْب بن وهب القاضي أمردُ حسنُ الوجه ، وفتىً من ولد أبي دُلَفَ العِجْليّ شبيه به في الجمال . فقال المبرّد لابن أبي البختريّ : أعرف لجدّك قصّةً ظريفة من الكرم حسنةً لم يُسْبَقْ إليها . قال : وما هي ؟ قال : دُعِي رجلٌ من أهل الأدب إلى بعض المواضع ، فسقَوْه نبيذاً غير الذي كانوا يشربون منه ؛ فقال فيهم : [من المتقارب]

نَبِيذانِ في مجلسٍ واحدٍ لإيثارِ مُثْرٍ على مُقْتِرِ
فلو كان فعلُك ذا في الطعامِ لَزِمْتَ قياسَك في المُسْكِرِ
ولو كنتَ تطلبُ شأوَ الكرام صنعتَ صنيعَ أبي البَخْتَرِي
تتبَّعَ إخوانَه في البلاد فأغنى المُقِلَّ عن المُكْثِرِ

فبلغت الأبياتُ أبا البَخْتَريّ فبعث إليه بثلثمائة دينار . قال ابن عمّار : فقلت : قد فعل جَدُّ هذا الفتى في هذا المعنى ما هو أحسنُ من هذا . قال : وما فعل ؟ قلت : بلغه أنّ رجلاً افتقر بعد ثروة ، فقالت له امرأته : افترِضْ في الجند ؛ فقال : [من البسيط]

إليكِ عنّي فقد كَلَّفْتِني شَطَطاً حَمْلَ السلاحِ وقِيلَ الدَّارعين قِفِ
تمشي المنايا إلى غيري فأكْرَهُها فكيف أمشي إليها عاريَ الكَتِفِ
حَسِبتِ أنّ نفادَ المال غيّرني وأنّ رُوحِيَ في جَنْبَيْ أبي دُلَفِ

فأحضره أبو دُلَف ثم قال له : كم أمّلتِ امرأتُك أن يكون رزقُك ؟ قال : مائة دينار . قال : وكم أمّلتَ أن تعيش ؟ قال : عشرين سنة . قال : فذلك لك عليّ على ما أمّلت امرأتُك في مالنا دون مال السلطان ؛ وأمر باعطائه إيّاه . قال : فرأيتُ وجهَ ابن أبي دلف يتهلّل ، وانكسر ابن أبي البَخْتَرِيّ انكساراً شديداً .

[عاتب ابن جبلة على انقطاعه عنه فأجابه وردّ عليه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمّد بن يزيد المبرّد قال أخبرني عليّ بن القاسم قال : قال عليّ بن جَبَلة : زرتُ أبا دُلَفَ بالجَبَل[1] ، فكان يُظهر من إكرامي وبِرّي والتّحفّي بي أمراً مُفْرِطاً ، حتى تأخّرتُ عنه حيناً حياءً . فبعث إليّ مَعْقِلَ بن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعتَ عنّي ، وأحسبك استقللتَ بِرّي بك ، فلا يُغضبنك ذلك ، فسأزيد فيه حتى ترضَى . فقلت : والله ما قطعني إلاّ إفراطه في البِرّ وكتبت إليه : [من الطويل]

هجرتُكَ لم أهجُرْكَ من كفرِ نعمةٍ ... وهل يُرْتَجَى نَيْلُ الزيادة بالكفرِ
ولكنّني لمّا أتيتُك زائراً ... فأفرطتَ في بِرّي عجزتُ عن الشكرِ
فَمِ الانَ لا آتيك إلاّ مُسَلِّماً ... أزورُك في الشهرينِ يوماً أو الشهرِ
فإن زدْتَني بِرّاً تزايدتُ جفوةً ... ولم تلقَني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ

فلمّا قرأها مَعْقِل استحسنها جدّاً وقال : أحسنتَ والله ؛ أمَا إنّ الأمير لتُعْجبه هذه المعاني . فلمّا أوصلها إلى أبي دُلَف قال : قاتله الله . ما أشعره وأدقّ معانيه ! فأعجبتْه فأجابني لوقته ، وكان حسنَ البديهة حاضر الجواب : [من الطويل]

ألا رُبَّ ضيفٍ طارقٍ قد بَسَطتُه ... وآنسته قبل الضِّيافة بالبِشْرِ
أتاني يرجّيني فما حال دونه ... ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلي سِتْري
وجدتُ له فضلاً عليَّ بقَصْدِه ... إليَّ وبِرّاً زاد فيه على بِرّي
فزوّدته مالاً يَقِلّ بقاؤه ... وزوّدني مدحاً يدومُ على الدَّهرِ

قال : وبعث إليّ بالأبيات مع وصيفٍ له وبعث معه إليّ بألف دينار ؛ فقلت حينئذٍ : إنّما الدّنيا أبو دُلَفٍ . الأبيات .

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا المبرّد قال أخبرني إبراهيم بن خَلَف قال : بينا أبو دُلَفَ

1 بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم .

يسير مع مَعْقِل ، وهما إذ ذاك بالعراق ، إذ مَرَّا بقَصْر ، فأشرفتْ منه جاريتان ؛ فقالت إحداهما للأُخرى : هذا أبو دُلَفَ الذي يقول فيه الشاعر : [من الرمل]

إنّمـا الدنيـا أبـو دُلَفِ

فقالت الأُخرى : أَوَ هذا ؟ قد والله كنتُ أُحِبّ أن أراه منذ سمعتُ ما قيل فيه . فالتفت أبو دُلَفَ إلى مَعْقِل فقال : ما أنصفْنا عليَّ بن جَبَلة ولا وفيناه حقّه ، وإنّ ذلك لمن كبير همّي . قال : وكان أعطاه ألفَ دينار .

صوت
من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

[من البسيط]

أمّا القَطاةُ فإنّي سوف أنعَتُها نعتاً يُوافق منها بعضَ ما فيها
سَكّاءُ مخطوبةٌ في رِيشها طَرَقٌ صُهْبٌ قَوادِمُها كُدْرٌ خَوافِيها[1]

عروضه من البسيط . والشعر مختلَف في قائله ، ينسب إلى أَوْس بن غَلْفاءَ الهُجَيْميّ والي مُزاحِم العُقَيْليّ إلى العبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وإلى العُجَيْر السَّلُوليّ وإلى عمرو بن عُقَيل بن الحَجّاج الهُجَيْميّ وهو أصحّ الأقوال ؛ رواه ثعلب عن أبي نَصْر عن الأصمعيّ . وعلى أنّ في هذه الروايات أبياتاً ليست ممّا يُغَنّى فيه وأبياتاً ليست في الرواية . وقد رُوِي أيضاً أنّ الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبياتَ فقال كلّ واحد منهم بعضاً . وأخبارُ ذلك وما يُحتاج إليه في شرح غريبه يُذْكَر بعد هذا . والغناء في اللحن المختار لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وفي هذين البيتين مع أبيات أُخَر من القصيدة اشتراكٌ كثيرٌ بين المغنّين يتقدّم بعضُ الأبياتِ فيه بعضاً ويتأخّر بعضها عن بعض على اختلاف تقديم ذلك وتأخيره . والأبياتُ تُكْتَب هاهنا ثم تُنْسَب صنعةُ كلّ صانع في شيء منها إليه ؛ وهي بعد البيتين الأوّلين ، إذ كانا قد مضيا واستُغْني عن إعادتهما : [من البسيط]

لمّا تبدّى لها طارت وقد علمتْ أنْ قد أظلّ وأنّ الحيّ غاشيها
تَشْتَقّ في حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدةً ولم تُصَوِّبْ إلى أدنى مَهاويها[2]

---

1 السّكّك : صغر الأُذن ولصوقها بالرأس . المخطوبة : التي على لون الحنظلة إذا أخطبت أي اصفرّت وصارت فيها خطوط خضر . والطرق في الريش : أن يكون بعضه فوق بعض كأنّ الأعلى يلبس الأسفل .

2 تشتقّ : تقطع .

تَنْتاشُ صفــراءَ مطروقــاً بقيّتُها قد كاد يأزِي عن الدُّعْموصِ آزِيها
ما هاج عينَك أَمْ قــد كاد يُبكيها من رَسْمِ دارٍ كسَحْقِ البُرْدِ باقيها[1]
فلا غنيمة تُوفي بالذي وَعَدتْ ولا فــؤادُك حتى الموتِ ناسِيها

لنشيط مولى عبد الله بن جعفر خفيفٌ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر من رواية إسحاق في «أمّا القطاة» والذي بعده ، و«تنتاش صفراء» خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو . ولإبراهيم الموصليّ في «لما تبدّى لها» و«أمّا القطاة» خفيف رمل عن الهشاميّ . ولعمرَ الواديّ في «أمّا القطاة» ثقيلٌ بالوسطى . ولابن جامع «لما تبدّى لها» وبعده «أمّا القطاة» خفيفُ رمل . ولسِياط في الأوّل والثاني بعدهما «تشتقّ في حيث لم تبعد» خفيفُ ثقيل بالبنصر ، ومن الناس من ينسُب لحنَه إلى عمر الواديّ وينسب لحن عمر إليه . ولعَلّويه في «أمّا القطاة» والذي بعده رَمَلٌ هو من صدور أغانيه ومُقَدَّمها . فجميع ما وجدتُه في هذه الأبيات من الصنعة أَحَدَ عشرَ لحناً .

[تفاخر جماعة من الشعراء فتسابقوا في وصف القطاة]

فأمّا خبر هذا الشعر ، فإن ابن الكلبيّ زعم أنّ السبب فيه أنّ العُجَيْر السَّلُوليّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ ومُزاحِماً العقَيْليّ والعبّاس بن يزيد بن الأسود الكِنْديّ وحُمَيْد بن ثَوْر الهلاليّ اجتمعوا فتفاخروا بأشعارهم وتناشدوا وادّعى كلّ واحد منهم أنّه أشعر من صاحبه . ومرَّ بهم سِرْبُ قطاً ؛ فقال أحدهم : تعالَوْا حتى نَصِفَ القَطا ثم نتحاكم إلى مَن نتراضى به ، فأيُّنا كان أحسنَ وصفاً لها غلَب أصحابَه ؛ فتراهنوا على ذلك . فقال أَوْس بن غَلْفاء الأبيات المذكورة وهي «أمّا القطاة» . وقال حُميد أبياتاً وصف ناقتَه فيها ، ثم خرج إلى صفة القطاة فقال : [من الطويل]

كما انصَلتتْ كَدْراءُ تسقي فِراخَها بشَمْظةَ رِفْهــاً والميــاهُ شُعُوبُ[2]
غدتْ لم تُباعِدْ في السماء ودونَها إذا مــا علــتْ أُهْوِيَّــةٌ وصَبُوبُ[3]
قرينــةُ سَبْــعٍ إنْ تَواتَــرن مَــرّةً ضَرَبْــن فصَفّتْ أَرؤس وجُنوبُ
فجاءتْ وما جاء القطا ثم قَلّصت بمَفْحَصِهــا والوارداتُ تَنوبُ[4]

1 السحق : الثوب البالي .
2 انصلتت : أسرعت في السّير . شمظة : موضع بعكاظ ، وهو الذي نزلت فيه قريش وحلفاؤها أوّل يوم اقتتلوا فيه من أيّام الفجار . الرّفه : أقصر الورد ، وهو أن ترد الإبل الماء كلّ يوم أو متى شاءت . الشعوب : البعيدة .
3 الأهوية : الهاوية . الصبوب : منحدر الوادي .
4 قلصت : انضمّت وانزوت . المفحص : مجثم القطاة . الواردات تنوب : أي الواردات للماء ترجع .

وجاءت ومَسْقاها الذي وردتْ به ... إلى الصَّدْرِ مشدودُ العِصامِ كَتِيبُ[1]
تُبادر أُطفالاً مساكينَ دونها ... فَلاً لا تَخَطّاه العيونُ رَعِيبُ[2]
وصَفْنَ لها مُزْناً بأرضٍ تَنُوفةٍ ... فما هي إلاّ نَهْلةٌ وتؤوبُ

وقال العبّاس بن يزيد بن الأسود ، هكذا ذكر ابن الكلبيّ ، وغيره يرويها لبعض بني مُرَّةَ : [من البسيط]

حَذّاءُ مُدْبِرةً سَكّاءُ مقبلةً ... للماء في النحر منها نَوْطةٌ عَجَبُ[3]
تسقي أُزَيْغِبَ تُرويه مُجاجتها ... وذاك من ظَمْأةٍ من ظِمْئها شَرَبُ[4]
مُنْهَرِت الشِّدقِ لم تَنْبُتْ قَوادِمُه ... في حاجب العين من تسبيده زَبَبُ[5]
تدعو القَطا بقصير الخطوِ ليس له ... قُدّامَ مَنْحَرِها ريشٌ ولا زَغَبُ
تدعو القَطا وبه تُدْعى إذا انتسبتْ ... يا صِدْقَها حين تدعوه وتنتسبُ

وقال مُزاحِم العُقَيليّ : [من الطويل]

أذلكَ أم كُدْرِيّةٌ هاجَ وِرْدَها ... من القيظ يومٌ واقِدٌ وسَمُومُ
غدتْ كَنواةِ القَسْب لا مُضْمحِلّةٌ ... وَناةٌ ولا عَجْلَى الفُتور سئومُ[6]
تُواشِكُ رَجْعَ المَنْكِبين وترتمي ... إلى كَلْكَل ، للهادياتِ قَدُومُ[7]
فما انخفضتْ حتى رأَتْ ما يسرُّها ... وفَيْءُ الضُّحَى قد مال فهو ذميمُ
أباطِح وانتصَّتْ على حيث تستقي ... بها شَرَكٌ للواردات مُقِيمُ[8]
سقتْها سيولُ المُدْجِناتِ فأصبحتْ ... عَلاجِيم تَجْري مرّةً وتدومُ[9]
فلمّا استقتْ من بارد الماء وانجلَى ... عن النفس منها لَوْحةٌ وهمومُ[10]

---

1 العصام : حبل تشدّ به القربة . كتيب : مخروز .
2 رغيب : واسع .
3 الحذّاء : القصيرة الذنب . النوطة : الحوصلة .
4 الظمء : ما بين الشربين والوردين .
5 التسبيد : أوّل ظهور ريش الفرخ . الزبب : كثرة الزغب .
6 القسب : تمر يابس يتفتّت في الفم صلب ونواه شديد قوي . الوناة : البطيئة القيام والقعود .
7 الهادية : المتقدّمة .
8 انتصّت العروس إذا جلست على المنصّة لترى .
9 العلاجيم : جمع علجوم وهو الماء الغمر الكثير . وتدوم : تسكن .
10 اللوحة : العطشة .

دعتْ باسمها حين استقتْ فاستقلّها قَـوادِمُ حُجْـنٌ رِيشُهنّ مليمُ[1]
بجَـوزٍ كحُـقّ الهاجريّـة زانَـه بأطراف عـود الفارسيّ وُشُومُ[2]

يعني حُقّ الطيب . شبّه حوصلتها به . والوشوم يعني الشّيّة التي في صدرها :

لتسقيَ زُغْبـاً بالتّنوفةِ لم يكن خِـلافَ مُوَلاَّهـا لهـنّ حميمُ
تَرائكَ بالأرضِ الفَلاة ومن يَدَعْ بمنزلهـا الأولادَ فهـوَ مُليمُ
إذا استقبلتْها الريحُ طَمّتْ رفيقةً وهُنّ بمهْـوىً كالكُراتِ جُثُومُ[3]
يُراطِنّ وَقْصاءَ القَفا وَحشة الشَّوَى بدعـوى القَطا لَحْنٌ لهنّ قديمُ[4]
فبِتْنَ قريراتِ العيونِ وقـد جرى عليهـنّ شِرْبٌ فاستقيْـن مُنِيمُ[5]
صَبِيبُ سِقاءٍ نِيطَ قد بَرَكتْ بـه مُعاوِدةٌ سَقْـيَ الفِـراخِ رَؤُومُ

وقال العُجَيْر ، فيما روى ابن الكلبيّ ، وقد تروى لغيره : [من الوافر]

سأَغلِـبُ والسماءِ ومَـنْ بناهـا قَطـاةَ مُزاحِـمٍ ومَـنِ انتحاها
قَطـاةُ مُزاحـمٍ وأَبـي المُثَنّى عـلى حُوزيّـةٍ صُلْـبٍ شَواها
غـدتْ كالقَطْرةِ السَّفْواء تَهْـوِي أمـام مُجَلْجِـلٍ زَجِـلٍ نَفاها[6]
تَكَفّـأ كالجُمانـةِ لا تُبـالي أبالومـاةِ أُضحـتْ أم سِواها
نبتْ منهـا العَجيزةُ فـاحزألّتْ ونَبّسَ للتقتُّـل مَنْكِبـاها[7]
كـأنّ كعوبهـا أطـرافُ نَبْـلٍ كساهـا الرَّازقيّـةَ مَـنْ بَراها[8]

قال : واحتكموا إلى ليلى الأخيليّة ، فحكمت لأَوْس بن غَلْفاء .

وأخبرني أحمد بن عُبيد بن عَمّار قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن مُحْرِز

---

1 حجن : عوج .
2 الهاجرية : المرأة الحضرية .
3 طَمّت : أسرعت . وهن بمهوىً كالكُراتِ جُثُوم في ل : وإن نكبتها الريح فهي سقوم .
4 الوقصاء : القصيرة . وحشة في ل : حمشة .
5 في ل :

دعتهن عجلاً فانتحَين لصوتها وهنّ بمهوى كالكرات جثـوم

6 السفواء في ل : السجراء . والسفواء : السريعة . المجلجل من السحاب : الذي فيه صوت الرعد . وغيث زجل : لرعده صوت .
7 احزألت : ارتفعت . نبس : تحرك . التقتّل : التثنّي والتبختر .
8 الرازقية : ثياب كتّان أبيض .

الباهليّ قال حدَّثني رجل عن أبي عبيدة قال أخبرنا حُمَيْد بن ثور والعُجَير السَّلُولِيّ ومُزاحِم العُقَيْليّ وأَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ أنّهم تحاكموا إلى ليلى الأَخيليّة لمّا وصفوا القطاة أيُّهم أحسنُ وصفاً لها : فقالت : [من الطويل]

أَلا كلُّ مـا قال الرُّواة وأنشدوا بها غيرَ مـا قـال السَّلُولِيُّ بَهْرَجُ

وحكمتْ له . فقال حُمَيْد بن ثَوْر يهجوها : [من الطويل]

كأنّكِ وَرْهـاءُ العِنانَيْنِ بغلـةٌ رأَت حُصُنـاً فعارضتْهنّ تَشْحَجُ

ووجدت هذه الحكاية عن أبي عُبيدة مذكورةً عن دَماذ عنه وأنّه سأله عن أبيات العُجَير فأنشده : [من الطويل]

تجوبُ الدُّجَى سَكّاءُ من دون فَرْخِها بمَطْلَى أَرِيـكٍ نَفْنَفٌ وسُهوبُ[1]

فجاءت وقَرْنُ الشمسِ بادٍ كأنّه هِجانٌ بصحراءِ الخُبَيْبِ شَبُوبُ[2]

لِتسقيَ أفراخاً لهـا قـد تبلّلتْ حلاقيـمُ أَسمـاطٌ لهـا وقلوبُ[3]

قِصارُ الخُطا زُغْبُ الرؤوسِ كأنّها كُـراتٌ تَلَظَّـى مـرّةً وتَلوبُ[4]

فأمّا ما ذكرتُ من رواية ثَعْلب في الأبيات التي فيها الغناء فإنّه أنشدها عن أبي حاتم عن الأصمعيّ أنّ أبا الحُضَيْر أنشده لعمرو بن عُقَيْل بن الحَجّاج الهُجيميّ : [من البسيط]

أمّـا القطـاةُ فإنّي سوف أنعَتُها نعتاً يُوافِـقُ نعتي بعضَ ما فيها

صفراءُ مطروقةٌ في رِيشها خَطَبٌ صُفْـرٌ قوادمُهـا سُودٌ خَوافِيها

مِنْقارُها كنَـواة القَسْبِ قَلَّمَهـا بمِبرَد حـاذقُ الكفَّـين يَبْرِيها

تمشي كمَشْيِ فتاةِ الحيّ مسرعةً حـذارَ قـومٍ إلى سِتْرٍ يُواريها

قال الأصمعيّ : مطروقة يعني أنّ ريشها بعضه فوق بعض . والخَطَب : لون الرماد ، يقال للمشبَّه به أخطب : [من البسيط]

تَنْتاشُ صفـراءَ مطروقـاً بقيَّتُها قد كاد يَأْزِي عن الدُّعْموص آزِيها

---

1 المَطْلى : مسيل ضيّق من الأرض . أريك : واد بديار بني مرّة . النفنف : المفازة . السّهوب : الفلوات .

2 هجان : أبيض . الخبيب : موضع . وشبوب : تجاوز رجلاه يديه في العدْو

3 حلاقيم : أسماط أي لا سمة فيها .

4 تلوب : تعطش .

تنتاش : تتناول بقيّة من الماء . والمطروق : الماء الذي قد خالطه البول . وقوله : يأزي أي يَقِلّ عن الدّعموص فيخرج منه لقلّته . والدّعموص : الصغير من الضفادع وجمعه دعاميص :

تسقي رَذِيَّيْنِ بالمَوْماةِ قُوتُهما ... في ثُغْرةِ النَّحْرِ من أعلى تَراقِيها

الرذيّ : الساقط من الضعف . يعني فرخيها .

كأنّ هَيْدَبةً من فوق جُؤْجِئِها ... أو جِرْوُ حَنْظلةٍ لم يعدُ راميها[1]

جرو الحنظل : صغاره . وقوله : لم يعدُ من العَداء ، أي لم يعد عليها فيكسِرها .

تَشْتَقّ من حيث لم تُبْعِدْ مُصَعِّدة ... ولم تُصَوِّبْ إلى أدنى مَهاويها

حتى إذا استأنسا للوقت واحتَضرت ... تَوَجَّسا الوَحْيَ منها عند غاشِيها[2]

ويروى : حتى إذا استأنسا للصوت . وتوجّسا : تسمّعا . وَحْيها أي سُرْعة طيرانها . وغاشيها أي حين تغشاهما وتنتهي إليهما .

تَرَفَّعا عن شؤون غير ذاكيةٍ ... على لَدِيدَيْ أعالي المَهْدِ أُدْحِيها[3]

الذاكية : الشديدة الحركة . والمهد : أفحوصها . ولديداه : جانباه .

مَدَّا إليها بأفواهٍ مُزَيَّنةٍ ... صُعْداً ليستنزلا الأرزاقَ مِنْ فِيها

كأنّها حين مَدّاها لجَنْأتها ... طَلى بَواطنَها بالوَرْسِ طالِيها

جَنْأتها أي جنأت عليهما بصدرها لتَزُقّهما .

حِثْلَيْن رَضّا رُفاضَ البَيْضِ عن زَغَبٍ ... ورْقٌ أسافلُها بيضٌ أعالِيها[4]

حِثْلَيْنِ : دقيقين ضاويين . رَضّا : كسرا . والرُّفاض : ما ارفضّ وتفرّق .

تَرأدا حين قاما ثُمّتَ احتطبا ... على نَحائفَ مُنْآدٍ مَحانيها

ترأّدا : تثنّيا . واحتطبا . دَنَوا . والمنآد : المنعطف . ومَحانيها : حيث انحنت .

تكاد من لِينها تنآد أسْوُقُها ... تَأوُّدَ الرَّبْل لم تَعرِمْ نواميها[5]

---

1 الهيدبة : خمل الثوب .

2 احتضرت : حضرت .

3 الأدحي : موضع البيض الذي يفرخ فيه .

4 الورقة : سواد في غبرة .

5 الربل : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطّرت بورق أخضر من غير مطر .

تعرم : تشتدّ . ونواميها : أعاليها :

لا أشتكي نَوْشةَ الأيّام من وَرَقٍ ... إلاَّ إلى مَنْ أرى أن سوف يُشْكِيها
لِدِلْهِمٍ مأثُراتٌ قد عُدِدْن له ... إن المآثِرَ معدودٌ مَساعيها
تَنْمِي به في بني لأيٍ دَعائمُها ... ومن جُمانة لم تخضَعْ سَوارِيها
بنَى له في بيوت المجد والدُه ... وليس مَنْ ليس يَبْنِيها كبانيها

وأنشدني هذه الأبيات الحسن بن محمّد الضُّبعيّ الشاعر المعروف بابن الحدّاد قال : وجدتها بخطّ محمّد بن داود بن الجرّاح عن إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ شيخنا رحمه الله عن أخيه عن أبي محلّم مثل رواية ثعلب وزاد فيها : قال أبو محلّم : جُمانة ابن جرير بن عبد ثَعْلبة بن سَعْد بن الهُجَيْم ، وهم أخوال دِلْهِم هذا الممدوح . ودلهم من بني لأي ثم من بني يَزيد بن هِلال بن بَذْل بن عَمْرو بن الهَيْثَم ، وكان أحدَ الشُّجعان ، وهو قتَل الضحّاك[1] بن قيس الخارجيّ بيده مع مروان بن محمّد ليلة كَفَرْتُوثا[2] .

صوت
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من الخفيف]

أيُّها القلبُ لا أراكَ تُفيق ... طالما قد تعلّقتْك العُلوقُ[3]
مَنْ يكن من هوى حبيبٍ قريباً ... فأنا النازحُ البعيدُ السَّحيقُ
قُدِّرَ الحبُّ بيننا فالتقينا ... وكِلانا إلى اللقاء مَشُوقُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة وقد مضت أخباره . والغناء في اللحن المختار لبابويه الكوفيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُريج ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه أيضاً لمُخارق خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه لعَلّويه رملٌ بالبنصر عنه وعن الهشاميّ . وبابويه رجل من أهل الكوفة قليل الصنعة ، ليس ممّن خدم الخلفاء ولا الأكابر ، ولا أعلم له خبراً فأذكُرَه[4] .

---

1 أي الضحاك بن قيس الشيباني .
2 كفرتوثا : قرية كبيرة من أعمال الجزيرة .
3 العلق : الهوى والحبّ .
4 في ل : ولا مرّ بي في ما أحفظ له خبر فأذكره .

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

مَـنْ لِقَلْبٍ أضحَى بكم مُستهاما خائفـاً للوُشاةِ يُخْفـي الكلاما
إنّ طَـرْفي رسولُ نفسي ونفسي عن فؤادي تقـرا عليك السلاما

لم يقع إلينا قائل الشعر فنذكُرَ خبره . والغناء لرياض جارية أبي حمّاد خفيف ثقيل بالوسطى . وكان أبو حمّاد هذا أحد القوّاد الخُراسانيّة ومن أولاد الدُّعاة ، وكان يُعاشر إسحاق ويَبَرّه ويُهاديه ، فأخذت رياضُ عنه غناء كثيراً ؛ وكانت محسنةً ضاربةً كثيرة الرواية ؛ وأحبّ إسحاق أن ينوّه باسمها ويرفعَ من شأنها ، فذكر صنعتها في هذا الصوت فيما اختاره للواثق قضاء لحقّ مولاها . وليس فيما قلتُه في هذا لأنّ الصوت غير مختار ولكن في الغناء ما هو أفضل منه بكثير ولم يذكره ؛ وقد فعل ذلك بجماعة ممّن كان يودّه ويتعصَّبُ له مثل مُتَيَّمَ وفريدة وأبي دُلَفَ وغيرهم . ومن يعلم هذه الصناعة يعرفْ صحّةَ ما قلناه . وماتت رياض هذه مملوكةً لمولاها لم تخرج من يده ولا شُهِرت ولا رُوِي لها خبر .

صوت
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من الخفيف]

راح صحبي وعاود القلبَ داءٌ مـن حبيبٍ طِلابُـه لي عَناءُ
حَسَنُ الرأي والمواعيدِ لا يُلْـ ـفَى لشيء ممّـا يقولُ وفاءُ
مَـنْ تَعَزّى عمّـن يحبّ فإنّي ليس لي مـا حَيِيتُ عنه عزاءُ
أُمَّ عثمان قـد قتلـتِ قتيلاً عَمْـدَ عَيْنٍ قتلتِـه لا خَطاءُ

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر فنذكرَه . والغناء لنافع بن طُنْبورة ، ولحنه المختار خفيفُ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى . وفي هذا الشعر لحنٌ لعبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ من جيِّد صَنْعته ، وكان نسبه إلى لَمِيسَ جاريته ، وله خبر سنذكره في أخباره إذا انتهينا .

[نبذة عن نافع بن طنبورة]

وكان نافع بن طُنبورة يُكنَى أبا عبد الله ، مُغَنٍّ محسنٌ من أهل المدينة ، حسن الوجه نظيف الثوب ، يلقّب نَقْشَ الغَضار لحسنِ وجهه . وجعلتْه جميلة في المرتبة ، لمّا اجتمع المغنُّون إليها ، بعد نافع وبُدَيح وقبل مالك بن أبي السَّمْح . وغنّاها يومئذٍ : [من مجزوءالبسيط]

يـا طُولَ ليـلي وبِتُّ لم أَنَـمِ وسادِيَ الهَـمُّ مُبطِـنٌ سَقَمِي
أَنْ قمتُ يوماً على البَلاطِ وأَبـ ـصرتُ رَقاشاً فليـتَ لم أَقُمِ

فقالت جميلة : أحسنت والله يا نَقْش الغَضار ويا حلو اللسان ويا حسنَ البيان ! . ولم يفارق ابن طُنبورة الحجاز ولا خدم الخلفاء ولا انتجعهم بصنعة فخمَل ذكره .

صوت
من المائة المختارة عن عليّ بن يحيى

[من مجزوء الكامل]

عَتَق الفـؤادُ مـن الصِّبا ومن السَّفاهـةِ والعَـلاقِ
وحططتُ رحلي عـن قَلُو صِ الغـيّ في قُلُص عِتاقِ
ورفعتُ فضلَ إزاريَ الْـ ـمَجرور عن قدمي وساقي
وكَفَفْتُ غَرْبَ النفسِ حتـ ـى مـا تتوقُ إلى مَتاقِ

الشعر لسَعِيد بن عبد الرحمن بن حَسّان بن ثابت . والغناء لابن عَبّاد الكاتب ، ولحنه المختار من القدر الأوسط من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق وفيه لإبراهيم خفيفُ ثقيل ، وقيل : إنّه لغيره .

[118] ـ أخبار سعيد بن عبد الرحمن

[سعيد بن عبد الرحمن ومنزلته في الشعر]

وقد مضى نسبُه في نسب جَدّه حسّان بن ثابت متقدّماً . وهو شاعر من شعراء الدولة الأُمويّة . متوسِّطٌ في طبقته ليس معدوداً في الفحول . وقد وفد إلى الخلفاء من بني أُميّة فمدحهم ووصَلوه . ولم تكن له نباهةُ أبيه وجدّه .

[وفد على هشام فلم ينل منه ودعاه الوليد فأكرمه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرْزُبان قال حدَّثني أحمد بن الهَيْثَم بن فِراس قال حدَّثني أبو عمرو الخَصّاف عن العُتْبيّ قال : خرج سَعِيدُ بن عبد الرحمن بن حسّان مع جماعة من قريش إلى الشام في خلافة هشام بن عبد الملك ، وسألهم مُعاونتَه ، فلم يُصادفوا من هشام له نشاطاً . وكان الوليد بن يزيد قد طلَّق امرأتَه العثمانيّة ليتزوّج أختَها ، فمنعه هشام عن ذلك ونهى أباها أن يزوِّجه . فمرّ يوماً بالوليد وقد خرج من داره ليركبَ ؛ فلمّا رآه وقف ؛ فأمر به الوليد فدُعي إليه ؛ فلمّا جاءه قال : أنت ابن عبدِ الرحمن بن حسّان ؟ قال : نعمْ أيُّها الأمير . فقال له : ما أقْدَمَكَ ؟ قال : وفدتُ على أمير المؤمنين منتجعاً ومادحاً ومستشفعاً بجماعة صحِبتُهم من أهله ، فلم أَنَلْ منه حُظوةً ولا قبولا . قال : لكنّك تجد عندي ما تُحِبّ ، فأَقِمْ حتى أعود . فأقام ببابه حتى دخل إلى هشامٍ . وخرج من عنده ؛ فنزل ودعا بسعيد ، فدخل إليه ، فأمَر بتغيير هيئته وإصلاح شأنه ؛ ثم قال له : أنشِدْني قصيدةً بلغتْني لك فشوّقتْني إليك ، وغُنِّيتُ في بعضها ، فلم أزَل أتمنّى لقاءك . فقال : أيّ قصيدة أيّها الأمير ؟ قال قولك : [من الطويل]

أبائنـةٌ سُعْدَى ولم تُـوفِ بالعَهْدِ ... ولم تَشْفِ قلبـاً تيّمتْه على عَمْدِ
نَعَمْ أَفمُودٍ أنت إن شَطّتِ النَّوَى ... بسُعْدَى وما من فُرقةِ الدَّهرِ من رَدِّ
كأنْ قد رأيتَ البينَ لا شيءَ دونه ... فَمِ الآنَ أُعْلِنْ ما تُسِرّ من الوجدِ
لعلّك منها بعـد أن تَشْحَطَ النَّوى ... مُلاقٍ كما لاقى ابنُ عَجْلانَ من هندِ[1]
فوَيْلُ آمِّ سَلْمَـى خُلَّـةً غيرَ أنّها ... تُبَلِّغ منّـي وهـي مازحـةٌ جِدِّي

1 ابن عجلان : هو عبد الله بن عجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، جاهلي يضرب به المثل في العشق . وهند هي بنت كعب بن عمرو بن الليث النهديّ .

وتدنو لنـا في القول وهي بعيدةٌ ... فما إنْ بسَلْمَى من دُنُوٍّ ولا بُعْدِ
ومهما أَكُنْ جَلْداً عليـه فإنّنـي ... على هَجْرِها غيرُ الصَّبُورِ ولا الجَلْدِ
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به ... فجانبتُه فيمـا أُسِرّ ومـا أُبْدي[1]
كأنّي أرى في هجرها ، أيَّ ساعةٍ ... هَمَمْتُ به ، موتي وفي وصلها خُلْدي
ومن أجلِها صافَيْتُ مَنْ لا تَرُدّني ... عليه لـه قُرْبَى ولا نعمةٌ عندي
وأغضيتُ عيني من رجالٍ على القَذَى ... يقولون أقوالاً أَمَضُّوا بها جِلْدِي
وأقصَيتُ مَنْ قد كنتُ أُدْني مكانَه ... وأدنيتُ من قد كنتُ أقصيتُه جَهْدِي
فإن يَكُ أمسى وصلُ سَلْمَى خِلابةً ... فمـا أنا بالمفتونِ في مثلِها وحدي
فأَصْبحَ مـا مَنَّتْكَ دَيْنـاً مُسَوَّفاً ... لواه غريمٌ ذو اعتلالٍ وذو جَحْدِ
تجودُ بتقريبِ الذي هـو آجـلٌ ... مـن الوعد ممطولٌ وتبخَل بالنَّقْدِ
وقد قلـت إذ أهدَتْ إلينا تحيّـةً ... عليها سلامُ الله من نازح مُهْدِي
سقى الغيثُ ذاك الغورَ ما سكنتْ به ... ونجداً إذا صارت نَواها إلى نجدِ

قال : فجعل يُنشدها ودموعُ الوليد تنحدر على خَدَّيه حتى فرَغ منها . ثم قال له : لن تحتاجَ إلى رِفْد أحد ولا معونتِه ما بَقيتُ ، وأمر له بخمسمائة درهم ، وقال : ابعَثْ بها إلى أهلك وأقِم عندي ، فلن تعدَم ما تُحِبّه ما بَقيت . فلم يزل معه زماناً ، ثم استأذنه وانصرف . وفي بعض هذه الأبيات غناءٌ نِسْبتُه : [من الطويل]

صوت

أبائنةٌ سُعْدَى ولم تُـوفِ بالعهدِ ... ولم تَشفِ قلباً أقصدتْه على عَمْدِ
ومهما أكـنّ جلـداً عليـه فإنّني ... على هجرها غيرُ الصَّبور ولا الجَلْدِ

الغناء لمالك خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . ومن هذه القصيدة : [من الطويل]

صوت

وأغضيتُ عيني من رجال على القَذَى ... يقولون أقوالاً أَمَضُّوا بهـا جِلْدي
[وَمِنْ أجلِها صافيتُ مَنْ لا تَردَّني ... عليه لـه قُرْبَى ولا نعمـةٍ عَنْدي]
إذا سُمْتُ نفسي هجرَها قُطِعتْ به ... فجانبتـه فيمـا أُسِرّ ومـا أُبـدِي

الغناء لابن مُحْرِز ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو .

1 قُطِعت : كلّت وأعيت .

[قصّته مع عبد الصمد بن عبد الأعلى]

أخبرني الحسن بن عليّ الخَفّاف قال حدَّثنا أحمد بن زهَير قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني عمّي ومحمّد بن الضحّاك بن عثمان قالا : وفَد سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان على هشام بن عبد الملك وكان حسنَ الوجه ؛ فاختلف إلى عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّب الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، فأَراده على نفسه ، وكان لُوطِيّاً زِنْدِيقاً ؛ فدخل سعيد على هشام مُغْضَباً وهو يقول : [من الرمل]

إنّــه واللهِ لــولا أنّــــتْ لم ينجُ منّي سالماً عبــدُ الصَّمَدْ

فقال له هشام : ولماذا ؟ قال :

إنّــه قــد رام منّــي خُطّــةً لم يَرُمْهــا قبلــه منّــي أحدْ

فقال : وما هي ؟ قال :

رامَ جهلاً بــي وجهلاً بأبي يُدْخِلُ الأفعى إلى خِيسِ الأَسَدْ

قال : فضحِك هشامٌ وقال له : لو فعلتَ به شيئاً لم أُنكر عليك .

[سأل أبا بكر بن محمّد حاجة لدى سليمان بن عبد الملك فلم يقضها]

أخبرني أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال أخبرنا ابن عائشة : لا أعلمه إلاّ عن أبيه وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمّد قال حدَّثنا الرياشي عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : سأل سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان صديقاً له حاجةً ، وقال هاشم بن محمّد في خبره : سأل سعيد بن عبد الرحمن أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حَزْم حاجةً ، يكلِّم فيها سليمان بن عبد الملك فلم يَقْضِها له ، ففزِع فيها إلى غيره فقضاها ؛ فقال : [من الطويل]

سُئلتَ فلم تفعلْ وأدركتُ حاجتي تولّى سواكم حَمْدَها واصطناعَها
أبى لك كَسْبَ الحمد رأيٌ مُقَصِّرٌ ونفسٌ أضاق الله بــالخير باعَها
إذا مــا أرادته على الخير مـرّةً عصاها وإن هَمَّــتْ بشرٍّ أطاعها

قال ابن عمّار : وقد أنشَدنا هذه الأبياتَ سليمان بن أبي شَيْخ لسعيد بن عبد الرحمن ولم يذكر لها خبراً .

[مدح عديّ بن الرقاع شعره]

أخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن زكريّا الغَلابيّ عن ابن عائشة قال : قال رجلٌ من الأنصار لعَدِيّ بن الرِّقاع : أكْتِبْني شيئاً من شعرك . قال : ومن أيِّ العرب أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من الأنصار . قال : ومَنْ منكم القائل : [من الكامل]

إنّ الحَمـامَ إلى الحجازِ يَهيجُ لي طَرَبـاً تَرَنُّمُـــهُ إذا يَتَرَنَّـــمُ
والبــرقُ حـــين أَشِيمُه مُتَيامِنـاً وجنائـــبُ الأَرواحِ حـــين تَنَسَّمُ

فقال له : سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت . فقال : عليكم بصاحبكم فاكتُبْ شعره ، فلستَ تحتاج معه إلى غيره .

وفي أوّل هذه القصيدة غناءٌ نِسْبَتُه : [من الكامل]

صوت

بَرِحَ الخفاءُ فأيَّ مـا بك تَكتُمُ والشَّوْقُ يُظْهِـرُ مـا تُسِرّ فيُعْلَمُ[1]
وحملتَ سُقْماً مـن علائِقِ حبِّها والحـبُّ يَعْلَقُـه الصحيحُ فيَسْقَمُ

الغناء لحَكَم خفيفُ رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ ، وذكره إبراهيم له ولم يجنّسه . وفي هذه القصيدة يقول :

علويّـةٌ أمستْ ودون وِصالِهـا مضمارُ مصرَ وعابِـدٌ والقُلْزُمُ[2]
خَوْدٌ تُطِيفُ بهـا نواعمُ كالدُّمَى ممّـا اصطفى ذو النِّيقةِ المتوسِّمُ[3]
حُلِّـينَ مَرْجـانَ البحورِ وجوهراً كالجمرِ فيـه على النحور يُنَظَّمُ
قالت وماءُ العينِ يغسِل كحلَها عنـد الفِـراق بمستهلٍّ يَسْجُمُ
يـا ليتَ أنّك يا سعيدُ بأرضِنا تُلْقـي المَراسِيَ ثاويـاً وتُخَيِّمُ
فتُصِيبَ لـذّةَ عيشِنا ورخـاءَه فنكـون أجـواراً فمـاذا تَنْقِمُ
لا تَرجِعَـنّ إلى الحجـازِ فإنّه بلـدٌ بـه عيشُ الكريـم مذَمَّمُ
وهَلُمَّ جاوِرْنا فقلت لها اقْصِرِي عيشٌ بطَيْبـةَ ويحَ غيـرِكِ أَنعَمُ
أَيُفارَقُ الوطـنُ الحبيبُ لمنـزلٍ نـاءٍ ويُشْرَى بـالحديثِ الأَقدَمُ
إنّ الحمامَ إلى الحجازِ يَهِيجُ لي طَرَبـاً تَرَنُّمُـه إذا يترنَّـمُ
والبرقُ حـين أَشِيمُـه متيامناً وجنائـبُ الأَرواحِ حـين تَنَسَّمُ
لو لَجّ ذو قَسَمٍ على أَنْ لم يكـن في الناسِ مُشْبِهُهـا لَبَرّ المُقْسِمُ
مـن أَجلها تَرْكِي القَرارَ وخَفْضَه وتَجَشُّمي مـا لم أكـن أَتَجَشَّمُ

1 والشوق في ل : ولسوف .
2 عابد : جبل بمصر ، وقيل : موضع أو صقع بها .
3 النيقة : اسم للتفوّق أي التخيّر .

ولقد كتمتُ غداةَ بانتْ حاجةً ... في الصدر لم يعلم بها متكلِّمُ
تَشفي برؤيتها السقيمَ وترتمي ... حَبَّ القلوب ، رَمِيُّها لا يَسْلَمُ
رَقْراقةٌ في عُنْفوان شَبابها ... فيها عن الخُلُق الدَّنِيِّ تَكَرُّمُ
ضَنَّتْ على مُغْرىً بطولِ سؤالها ... صَبٌّ كما يَسَلُ الغَنِيَّ المُعْدِمُ

[سأل عنبسة بن سعيد أن يكلّم له الخليفة فتأخّر فسرق متاعه فقال شعر]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدَّثني أبو مُسْلِم عن الحِرمازيّ قال : خرج سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان إلى عسكر يزيد بن عبد الملك ، فأتى عنبسة بن سَعِيد بن العاصي ، وكان أبوه صديقاً لأبيه ، فسأله أن يرفع أمرَه إلى الخليفة ؛ فوعده أن يفعل ؛ فلم يمكث إلاّ يسيراً حتى طرَقه لِصٌّ فسرَق متاعَه وكلّ شيء كان معه ؛ فأتى عنبسة فتنجَّزه ما وعده ؛ فاعتلَّ عليه ودافَعه ؛ فرجع سعيد من عنده فارتجل وقال : [من المتقارب]

أعَنْبَسُ قد كنت لا تَعْتَزي ... إلى عِدَةٍ منك كانت ضَلالا[1]
وعدتَ عِداتٍ لَوَ انجزتَها ... إذاً لَحُمِدْتُ ولم تُرْزَ مالا[2]
وما كان ضَرَّكَ لو قد شفعتَ ... فأعطى الخليفةُ عفواً نَوالا
وقد يُنْجِزُ الحرُّ موعودَه ... ويفعل ما كان بالأمسِ قالا
فياليتني والمُنى كآسِمِها ... وقد يصرِف الدَّهرُ حالاً فحالا
قعدتُ ولم ألتمسْ ما وعدتَ ... ويا ليت وعدَك كان اعتلالا
وكانت نَعَمْ منكَ مخزونةً ... وقلت مِنَ آوّل يومٍ أُلالا
أرى كذِبَ القولِ من شرِّ ما ... يُعَدّ إذا الناسُ عَدُّوا الخِصالا
فأبقيتَ لي عنكَ مندوحةً ... ونفساً عَزُوفاً تُقِلّ السؤالا
فإن عدتُ أرجوكُمُ بعدَها ... فبُدِّلتُ بعد العَلاء السَّفالا
أأرجوكَ من بعد ما قد عَزَفْتَ ... لَعَمْرِي لقد جئتُ شيئاً عُضالا

[لقي الوليد لمّا حجّ فاستأنس به الوليد]

نسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشَّيْبانيّ يأثُرُه عن أبيه قال : كان سَعِيد بن عبد الرحمن بن حسّان إذا وفَد إلى الشام نزل على الوليد بن يزيد ، فأحسن نُزُلَهُ وأعطاه وكساه

1 تعتزي : تنتسب .
2 تُرْزَ : أصلها ترزأ .

وشفَع له . فلمّا حَجَّ الوليد لَقِيه سعيد بن عبد الرحمن في أوّل مَنْ لقِيه ، فسلّم عليه ، فردّ الوليد عليه السلامَ وحيّاه وقرّبه وأمر بإنزاله معه وبسَطه ، ولم يأنَس بأحد أُنسَه به . وأنشده سعيدٌ قولَه فيه : [من الخفيف]

يا لَقَوْمِي لِلهَجْرِ بعد التَّصافي ... وتَنائـي الجميع بعـد ائتلافِ
ما شجا القلبَ بعد طول اندمال ... غيرُ هـابٍ كالفَرْخ بين أثافي[1]
ونعيبِ الغراب في عَرْصةِ الدا ... رِ ونُؤْيٍ تَسْفِي عليـه السَّوافي

وقد رُوي عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان قال : رأى عَلَيّ ابنُ عمر أوضاحاً[2] فقال : ألقِها عنك فقد كَبِرتَ .

صوت
من المائة المختارة من رواية جَحْظة

[من الخفيف]

مـا جرتْ خَطْرةٌ على القلبِ منّي ... فيـكِ إلاّ استترتُ عن أصحابي
من دموعٍ تجرِي فإن كنتُ وحدي ... خالياً أسعدتْ دموعـي انتحابي
إنّ حُبّي إيّاكِ قـد سَلَّ جِسْمِي ... ورَمـاني بالشيبِ قبل الشَّبابِ
ارْحَمِـي عاشقاً لكِ اليومَ صبّاً ... هائمَ العقلِ قـد ثَوى في التُّرابِ

الشعر للسيِّد الحِمْيَريّ ، والغناء لمحمّد نَعْجة خفيفُ رمل أيضاً . ولم أجد لهذا المغنّي خبراً ولا ذكراً في موضع من المواضع أذكره . وقد مضت أخبار السيِّد متقدّماً .

صوت
من المائة المختارة

[من الخفيف]

أكرَعُ الكَرْعـةَ الرويَّـةَ منهـا ... ثـم أصحو ومـا شَفَيتُ غَلِيلي
كم أتـى دونَ عهـدِ أُمِّ جميلٍ ... من إنًى حاجـةٍ ولُبْثٍ طويلِ[3]
وصياح الغراب أن سِرْ فأَسْرِعْ ... سوفَ تحظَـى بنائـلٍ وقَبُولِ

الشعر للأحوص . والغناء للبُرْدان خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر .

---

1 الهابي : الرماد الدقيق أو التراب المنتشر في الجوّ كالهباء .
2 الأوضاح : حلى من الفضّة .
3 إنى حاجة : إدراكها . والإنْي : التأخير وهو المراد .

[119] ـ أَخبار البُرْدان

[كان متولي السوق بالمدينة وأخذ عن معبد وجميلة وعزّة الميلاء]

البُرْدانُ لقب غلبَ عليه . ومنَ الناس مَن يقول : بُرْدان من أَهل المدينة ، وأَخذ الغناءَ عن معبد وقبلَه عن جميلة وعَزّةَ المَيْلاء . وكان مُعَدَّلاً مقبولَ الشَّهادة ، وكان متولِّيَ السّوق بالمدينة .

قال هارون بن الزيّات حدَّثني أَبو أَيّوب المَدينيّ عن محمّد بن سَلاّم قال : هو بُرْدان بضمّ الباء وتسكين الراء .

أَخبرني محمّد بن مَزْيَد بن أَبي الأَزهر وحُسَين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أَبيه ، وأَخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذْبه قال قال إسحاق : كان بُرْدانُ متولِّيَ السوق بالمدينة . فقَدّم إليه رجل خَصْماً يدّعي عليه حقّاً ؛ فوجب الحكم عليه فأَمر به إلى الحبس . فقال له الرجل : أَنت بغير هذا أَعلمُ منك بهذا . فقال : رُدُّوه فرُدّ ؛ فقال : لعلّك تعني الغناء ! إنّي والله به لعارف ؛ ولو سمعتُ شيئاً جاء البارحةَ لازددت علماً بأَنّي عارف ، ومهما جَهِلتُ فإنّي بوجوب الحقّ عليك عالِم ؛ اذهبوا به إلى الحبس حتى يخرج إلى غريمه من حقّه .

[رآه سياط بالمدينة وأَخذ عنه أَصواتاً]

قال وحدَّثني أَبو أَيّوب عن حَمّاد عن أَبيه عن ابن جامع عن سِياط قال : رأَيتُ البُرْدانَ بالمدينة يتولّى سوقَها وقد أَسنّ ؛ فقلت له : يا عمّ ، إنّي رويت لك صوتاً صنعتَه ، وأَحببتُ أَن تصحّحه لي . فضحِك ثم قال : نَعَمْ يا بُنَيّ وحبّاً وكرامةً . لعلّه : [من الخفيف]

كم أَتـى دونَ عهدِ أُمّ جميل

فقلت نعم . قال : مِل بنا إلى هاهنا ؛ فمال بي إلى دار في السُّوق ، ثم قال : غَنِّه ؛ فقلت : بل تُتمّ إحسانكَ يا عمّ وتغنّيني به فإنّه أَطيب لنفسي ؛ فإن سمعتُه كما أَقول غنّيته وأَنا غير متهيِّب ، وإن كان فيه مُسْتَصْلَحٌ استعدته . فضحك ثم قال : أَنت لستَ تريد أَن تصحّح غِناءك ، إنّما تُريد أَن تقول سمعتني وأَنا شيخ وقد انقطعتُ وأَنت شابّ . فقلت للجماعة : إن رأَيتم أَن تسأَلوه أَن يُشَفِّعني [1] فيما طلبتُ منه ! فسأَلوه ، فاندفع فغنّاه فأَعاد ثلاثَ مرّات ؛ فما رأَيتُ أَحسنَ من غنائه على كِبَر سِنّه ونُقصان صوته . ثم قال : غَنِّه

1 في ل : يسعفني .

الآن فغنَّيته ؛ فطرِب الشيخ حتى بكى ، وقال : اذهب يا بُنَيّ ، فأنت أحسن الناس غناءً ، ولئن عِشْتَ ليكوننّ لك شأن . قال : وكان بُرْدانُ خفيفَ الرُّوح طَيِّبَ الحديثِ مليحَ النادرة مقبولَ الشهادة قد لقي الناسَ ، فكان بعد ذلك إذا رآني يدعوني فيأخذني معه إلى منزله ويسألني أن أُغنِّيه فأفعل ؛ فإذا طابت نفسُه سألته أن يطرَح عليَّ شيئاً من أغاني القدماء فيفعل إلى أن أخذتُ عنه عِدّة أصوات .

صوت

من المائة المختارة

[من الكامل]

لِمَنِ الدِّيارُ بحائِلٍ فوُعالِ ... دَرَستْ وغَيَّرها سِنُونَ خَوالي
دَرَج البَوارِحُ فوقها فتنكّرَتْ ... بعد الأَنيسِ مَعارِفُ الأَطلالِ[1]
دِمَنٌ تُذَعْذِعها الرياحُ وتارةً ... تعفو بمُرْتَجِزِ السَّحابِ ثِقالِ[2]
فكأنّما هي من تَقادُمِ عهدِها ... وَرَقٌ نُشِرنَ من الكتاب بَوالي

الشعر للأَخطل ، والغناء لسائب خاثر ، ولحنه المختار من الثقيل الأَوّل بالبنصر من أصوات قليلة الأَشباه . وذكر عمرو بن بانة أنّ في الثاني والرابع من الأَبيات للأَبجر ثقيلاً أوّل . وذكر حبش أنّ لمعبد فيه ثقيلاً أوّل بالوسطى وأنّه أحد السبعة ، وأن لإسحاق فيه ثانيَ ثقيل ، وذكر الهشاميّ أنّ لحن الأَبجر خفيف ثقيل .

1 البوارح : الرياح الحارّة الشديدة .
2 تذعذعها : تحرّكها .

[120] ـ ذكر الأخطل وأخباره ونسبه[1]

[نسبه]

هو غِياثُ بن غَوْث بن الصَّلْت بن الطَّارِقة ، ويقال ابن سَيْحان بن عَمْرو بن الفَدَوْكَس بن عمرو بن مالك بن جشَمَ بنِ بكر بن حَبِيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب . ويكنى أبا مالك . وقال المدائنيّ : هو غِياث بن غَوْث بن سَلَمة بن طارِقة ، قال : ويقال لسَلَمة سَلَمةُ اللّحام[2] . قال : وبَعث النُّعْمان بن المُنْذِر بأربعة أرماح لفُرسان العرب ، فأخذ أبو بَراء عامر بن مالك رُمْحاً ، وسَلَمةُ بن طارِقة اللّحام رمحاً وهو جدّ الأخطل ، وأنَسُ بن مُدرِك رمحاً ، وعمرُو بن مَعْدِيكرِبَ رمحاً .

[سبب تلقيبه بالأخطل والهجاء بينه وبين كعب بن جعيل]

والأخطل لقبٌ غلبَ عليه . ذكر هارون بن الزيّات عن ابن النطّاح عن أبي عُبَيدة أنّ السبب فيه أنّه هجا رجلاً من قومه ؛ فقال له : يا غلام ، إنّك لأخطل ، فغلبتْ عليه . وذكر يعقوب بن السِّكِّيت أنّ عُتْبة بن الزَّعَل بن عبد الله بن عمر بن عمرو بن حبيب بن الهجرس بن تَيْم بن سَعْد بن جُشَمَ بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غُنْم بن تَغْلِب حَمَل حَمالةً ، فأتى قومَه يسأل فيها ؛ فجعل الأخطلُ يتكلّم وهو يومئذٍ غلام . فقال عُتْبة : مَنْ هذا الغلام الأخطل ؟ فلُقِّب به .

قال يعقوب وقال غير أبي عُبيدة : إنّ كَعْب بن جُعَيْل كان شاعرَ تَغْلِبَ ، وكان لا يأتي منهم قوماً إلاّ أكرموه وضربوا له قُبّة ؛ حتى إنّه كان تُمَدّ له حبالٌ بين وَتِدَين فتُمْلأ له غَنَما . فأتى في مالك بن جُشَمَ ففعلوا ذلك به ؛ فجاء الأخطل وهو غلام فأخرج الغَنَم وطرَدها ؛ فسبّه عُتْبة وردَّ الغنم إلى مواضعها ؛ فعاد وأخرجها وكعبٌ ينظر إليه ؛ فقال : إنّ غلامكم هذا لأخْطَلُ ، والأخطل : السفيه ، فغلَب عليه . ولَجَّ الهجاء بينهما ؛ فقال الأخطل فيه : [من المتقارب]

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 483/1 ، وطبقات فحول الشعراء 451/2 ، 502 ، ونقائض جرير والأخطل : 207 ، 223 والاشتقاق : 180 ، 203 ، وأنساب الأشراف 5 : 319 ، وسمط اللآلىء : 617 ، والموشح : 132–134 ، والجمهرة : 265 ، والمؤتلف والمختلف : 76 ، وشرح شواهد المغني : 46 ، وتفسير البطري : 84/15 ، 96/20 (بولاق) ، تكملة شعر الأخطل : 34 ، 35 ، والمخصص 65/14 .

2 في ل : اللجام .

سُمِّيتَ كعباً بشرّ العظام [وكان أبوك يُسَمَّى الجُعَلْ
وإنّ مَحَلَّك من وائلٍ محلُّ القُراد من است الجمل]

فقال كعب : قد كنتُ أقول لا يقهرني إلاّ رجل له ذكرٌ ونَبَأ ، ولقد أعددتُ هذين البيتين لأن أُهْجى بهما منذ كذا وكذا ، فغلَب عليهما هذا الغلام .

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني قَبيصةُ بن مُعاوية المهلَّبيّ قال حدَّثني عيسى بن إسماعيل قال حدَّثني القَحْذَميّ قال : وقع بين ابنَيْ جُعَيْل وأُمِّهما ذَرْءٌ[1] من كلام ، فأدخلوا الأخطل بينهم ؛ فقال الأخطل : [من الوافر]

لَعَمْرُك إنّني وابْنَيْ جُعَيْلٍ وأُمَّهما لإستارٌ لئيمُ[2]

فقال ابن جُعَيْل : يا غلام ، إنّ هذا لَخَطَلٌ من رأيك ؛ ولولا أنّ أُمّي سَمِيّةُ أُمِّك لتركتُ أُمّك يحدو بها الرُّكبان ؛ فسُمِّي الأخطلَ بذلك . وكان اسم أُمِّهما وأُمّ الأخطل ليلى .

وقال هارون حدَّثني إسماعيل بن مُجَمِّع عن ابن الكلبيّ عن قومٍ من تَغْلِبَ في قصّة كعب بن جُعَيْل والأخطل بمثل ما ذكره يعقوب عن غير أبي عُبَيدة ممّن لم يسمِّه ، وقال فيها : وكان الأخطل يومئذٍ يُقَرْزِم ، والقرزمة : الابتداء بقول الشعر ؛ فقال له أبوه : أبِقَرْزَمتك تُريد أن تُقاوم ابنَ جُعَيل ؟ وضربه . قال وجاء ابن جُعَيل على تَفِئةِ[3] ذلك فقال : مَنْ صاحبُ الكلام ؟ فقال أبوه : لا تَحْفِل به فإنّه غلام أخطل . فقال له كعب : [من الرجز]

شاهِدُ هذا الوجه غِبَّ الحُمَّهْ

فقال الأخطل : [من الرجز]

فناك كعبُ بن جُعَيْلٍ أُمَّهْ

فقال كعب : ما اسم أُمِّك ؟ قال : ليلى . قال : أردتَ أن تُعيذها باسم أُمِّي . قال : لا أعاذها الله إذاً . وكان اسم أُمِّ الأخطل ليلى ، وهي امرأة من إياد ؛ فسُمِّي الأخطلَ يومئذٍ ، وقال : [من الطويل]

هجا الناسُ ليلى أُمَّ كَعْبٍ فمُزِّقتْ فلم يبقَ إلاّ نَفْنَفٌ أنا رافعُهْ[4]

وقال فيه أيضاً : [من الوافر]

---

1 الذّرء : الشيء اليسير من القول .
2 إستار : أربعة .
3 على تفِئة : أي على حينه وزمانه .
4 النفنف : الشيء اليسير .

هجـاني المُنْتِنـانِ ابنـا جُعَيْـلٍ وأيُّ النـاسِ يقتلـه الهجـاءُ[1]
وُلِدتـم بعـد إخوتكم منَ آستٍ فهَـلاّ جئتُمُ مـن حيـث جاؤوا

فانصرف كعب ، ولجّ الهجاء بينهما .

[طبقته في الشعراء والخلاف فيه وفي جرير والفرزدق]

وكان نَصْرانيّاً من أهل الجزيرة . ومحَلُّه في الشعر أكبر من أن يحتاج إلى وصف . وهو وجرير والفرزدق طبقةٌ واحدة ، فجعلها ابن سَلاّم أوّلَ طبقات الإسلام . ولم يقع إجماع على أحدهم أنّه أفضل ، ولكلٍّ واحدٍ منهم طبقةٌ تفضّله عن الجماعة .

أخبرنا محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي الفضل قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن أبي عُبَيدة قال : جاء رجلٌ إلى يونس فقال له : مَنْ أشعرُ الثلاثة ؟ قال : الأخطل . قلنا : مِن الثلاثة ؟ قال : أيّ ثلاثة ذكروا فهو أشعرهم . قلنا : عَمّنْ تروِي هذا ؟ قال : عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق الحَضْرَميّ وأبي عمرو بن العَلاء وعَنْبَسَةَ الفِيل وميمون الأقْرَن الذين ماشُوا[2] الكلامَ وطرَقوه . أخبرنا به أحمد بن عبد العزيز قال قال أبو عُبيدةَ عن يونس ، فذكر مثله وزاد فيه . لا كأصحابك هؤلاء لا بدويّون ولا نحويّون . فقلتُ للرجل : سَلْه وبأيِّ شيء فَضّلوه ؟ قال : بأنّه كان أكثرهم عددَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها سَقَطٌ ولا فُحْش وأشَدّهم تهذيباً للشعر . فقال أبو وَهْب الدقّاق : أما إنّ حَمّاداً[3] وجَنّاداً كانا لا يفضّلانه . فقال : وما حَمّاد وجَنّاد ! لا نحويّان ولا بدويّان ولا يُبْصِران الكسورَ ولا يُفصِحان ، وأنا أُحَدِّثك عن أبناء تسعين أو أكثر أدّوْا إلى أمثالهم ماشُوا الكلام وطرَقوه حتى وضعوا أبنيته فلم تَشِذّ عنهم زِنَةُ كلمة ، وألحقوا السليمَ بالسليمِ والمضاعفَ بالمضاعفِ والمعتلَّ بالمعتلِّ والأجوفَ بالأجوفِ وبناتِ الياء بالياء وبناتِ الواو بالواو ، فلم تَخْفَ عليهم كلمةٌ عربيّة ، وما عِلْمُ حَمّادٍ وجَنّاد ! .

قال هارون حدّثني القاسم بن يوسف عن الأصمعي : أنّ الأخطل كان يقول تسعين بيتاً ثم يختار منها ثلاثين فيُطَيِّرها .

أخبرنا أبو خَليفة الفضل بن الحُباب قال أخبرنا محمّد بن سَلاّم قال سمعت سَلَمة بن عَيّاش وذكر أهلُ المجلس جريراً والفرزدقَ والأخطلَ ففضّله سلمةُ عليهما . قال : وكان إذا ذُكِر الأخطل يقول : ومَنْ مثل الأخطل وله في كلّ [بيتٍ] شعرٍ بيتان ؛ ثم يُنشِد قوله : [من الكامل]

1 المنتنان في الديوان : الألأمان ابنا جعيل 328 .
2 ماش الكلام : خلطه ، وطرقه : إذا ضربه وخلطه ليستخرج أحسنه .
3 يعني حمّاداً الراوية .

ولقد علمتُ إذا العِشارُ تَرَوّحتْ هَـدَجَ الرِّئال تَكُبُّهُنَّ شَمالا[1]
أنّـا نُعَجِّـلُ بالعَبِيطِ لضيفِنا قبل العِيال ونضرب الأبطالا[2]

ثم يقول ولو قال : [من مجزوء الكامل]

ولقـد علمـتُ إذا العِشا رُ تروّحتْ هَـدَجَ الرِّئال

كان شعراً ، وإذا زدتَ فيه تكبهنّ شمالاً ، كان أيضاً شعراً من رَوِيٍّ آخر .

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال : كَعْبُ بن جُعَيْل لَقَّبه الأخطلَ ، سمعه يُنشد هجاءً فقال : يا غلام إنّك لأَخْطَلُ اللِّسان ؛ فلزمتْه .

[سأل نوح بن جرير عنه أباه فمدحه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثني أحمد بن معاوية قال حدَّثنا بعض أصحابنا عن رجل من بني سَعْد قال : كنتُ مع نوح بن جرير في ظِلّ شجرة ، فقلت له : قَبَّحَك الله وقَبَّح أباك ! أمّا أبوكَ فأفنَى عمرَه في مديح عبد ثَقِيف (يعني الحَجّاج) . وأمّا أنت فامتدحتَ قُثَمَ بن العبّاس فلم تهتَدِ لمَناقِبه ومَناقِب آبائه حتى امتدحتَه بقصرِ بناه . فقال : والله لئن كنتَ سُؤتَني في هذا الموضع لقد سُؤتُ فيه أبي : بينا أنا آكل معه يوماً وفي فيه لقمةٌ وفي يده أُخرى ، فقلت : يا أبتِ ، أنت أشعر أم الأخطل ؟ فَجرِض[3] باللُّقْمة التي في فيه ورمى بالتي في يده وقال : يا بُنيَّ ، لقد سَرَرْتَني وسُؤتَني . فأمّا سرورُك إيّاي فلِتَعَهُّدِكَ لي مثلَ هذا وسؤالِك عنه . وأمّا ما سُؤتَني به فلذِكْرِكَ رجلاً قد مات . يا بُنيّ أدركْتُ الأخطلَ وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُهُ وله نابٌ آخر لأكَلني به ، ولكنّي أعانتني عليه خَصْلتان : كِبَرُ سِنّ ، وخُبْثُ دِين .

[آراء الأئمّة والشعراء فيه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد قال : سُئِلَ حَمّاد الراوية عن الأخطل ، فقال : ما تسألوني عن رجلٍ قد حَبَّبَ شعرُه إليّ النَّصْرانيّةَ ! .

قال إسحاق وحدَّثني أبو عُبيدة قال قال أبو عمرو : لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما قدّمتُ عليه أحداً .

قال إسحاق وحدَّثني الأصمعيّ أنّ أبا عمرو أنشد بيتَ شعر ، فاستجاده وقال : لو كان للأخطل ما زاد .

وذكر يعقوب بن السِّكّيت عن الأصمعيّ عن أبي عمرو : أنّ جريراً سُئِل أيّ الثلاثة

1 تروّحت : ذهبت في الرواح . والرئال : أولاد النعام . والهدج : عَدْو متقارب .
2 العبيط من اللحم : الطريّ غير النضيج . ونضرب في الديوان : ونقتل 43 .
3 جرض : غصّ .

أشعر ؟ فقال : أمّا الفرزدق فتكلّف مني ما لا يُطيق . وأمّا الأخطل فأشدُّنا اجتراءً وأرمانا للفرائص . وأمّا أنا فمدينة الشعر .

وقال ابن النطّاح حدّثني الأصمعيّ قال : إنّما أدرك جريرٌ الأخطلَ وهو شيخٌ قد تحطَّم . وكان الأخطل أسَنّ من جرير ، وكان جرير يقول : أدركته وله نابٌ واحد ، ولو أدركتُ له نابين لأكلني . قال : وكان أبو عمرو يقول : لو أدرك الأخطلُ يوماً واحداً من الجاهليّة ما فضّلتُ عليه أحداً .

أخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : قال العَلاء بن جَرير : إذا لم يجيء الأخطلُ سابقاً فهو سُكَّيْتٌ ، والفرزدقُ لا يجيء سابقاً [ولا سُكَّيْتاً ، وجرير يجيء سابقاً] ومُصَلِّياً وسُكَّيْتاً .

وقال يعقوب بن السِّكِّيت قال الأصمعيّ : قيل لجرير : ما تقول في الأخطل ؟ قال : كان أشدَّنا اجتراءً بالقليل وأنعتَنا للحُمُر والخمر .

وروى إسماعيل بن عُبَيد الله عن مؤرِّج عن شُعْبة عن سِمَاك بن حَرْب : أنّ الفرزدق دخل الكوفةَ ، فلقيه ضَوْءُ بن اللَّجْلاج[1] ؛ فقال له : مَنْ أمدَحُ أهل الإسلام ؟ فقال له : وما تُريد إلى ذلك ؟ قال : تَمارَيْنا فيه . قال : الأخطل أمدَحُ العرب .

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني هارون بن مسلم عن حَفْص بن عمر قال : سَمِعتُ شيخاً كان يجلس إلى يونس كان يكنى أبا حَفْص ، فحدّثه أنّه سأل جريراً عن الأخطل فقال : أمدَحُ الناسِ لكريمٍ وأوصَفُه للخَمْرِ . قال : وكان أبو عُبَيدة يقول : شعراء الإسلام الأخطل ثم جرير ثم الفرزدق . قال أبو عبيدة : وكان أبو عمرو يشبِّه الأخطلَ بالنابغة لصحّة شعره .

وقال ابن النطّاح حدَّثني عبد الله بن رؤبة بن العجّاج قال : كان أبو عمرو يفضِّل الأخطل .

وقال ابن النطّاح حدَّثني عبد الرحمن بن بَرْزَخ قال : كان حمّاد يفضِّل الأخطلَ على جرير والفرزدق . فقال له الفرزدق : إنّما تفضِّله لأنّه فاسق مثلك . فقال : لو فضّلتُه بالفسق لفضّلتُك .

قال ابن النطّاح قال لي إسحاق بن مَرَّار الشَّيْبانيّ : الأخطلُ عندنا أشعرُ الثلاثة . فقلت : يقال إنّه أمدحُهم ؛ فقال : لا والله ! ولكن أهجاهم . مَنْ منهما يُحْسِن أن يقول : [من الوافر]

ونحن رفعنا عن سَلُولَ رماحَنا وعَمْداً رَغِبنا عن دماء بني نَصْرِ

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن موسى عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال :

---

1 في ل : الجلاّح .

قال الأخطل : أشعرُ الناس قبيلةً بنو قَيْس بن ثَعْلبَة ، وأشعرُ الناسِ بيتاً آلُ أبي سُلْمَى وأشعر الناس رجل في قميصي .

[أنشد عبد الملك بن مروان مدحه فيه فأجازه]

أخبرني الحسن قال حدَّثني محمَّد قال حدَّثني الخَرّاز عن المدائنيّ عن عليّ بن حمّاد . هكذا قال ؛ وأظنّه عليّ بن مجاهد قال : قال الأخطل لعبد الملك : يا أمير المؤمنين ، زعم ابنُ المَراغة أنّه يبلُغ مِدْحَتك في ثلاثة أيّام وقد أقمتُ في مِدْحتِك : [من البسيط]

خَفّ القَطِينُ فراحوا مِنكَ أو بَكَرُوا

سنةً فما بلغتُ كُلّ ما أردتُ . فقال عبد الملك : فأسْمِعْناها يا أخطلُ ؛ فأنشده إيّاها ؛ فجعلتُ أرى عبد الملك يتطاول لها ؛ ثم قال : وَيْحَك يا أخطل ! أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنّكَ أشعرُ العرب ؟ قال : أكتفي بقول أمير المؤمنين . وأمر له بجَفْنةٍ كانت بين يديه فمُلِئتْ دراهمَ وأُلقي عليه خِلَعاً ، وخرج به مولى لعبد الملك على الناسِ يقول : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

[أنشد عبد الملك شعراً له وازنه بشعر لكثيّر]

وقال ابن الزيّات حدَّثني جعفر بن محمَّد بن عُيَيْنة بن المِنْهال عن هشام عن عَوانةَ قال : أُنشد عبدُ الملك قولَ كُثَيِّر فيه : [من الطويل]

فما تركوها عَنْوةً عن مودّةٍ ولكن بحَدِّ المَشْرَفِيّ استقالَها

فأُعْجِب به . فقال له الأخطل : ما قلتُ لكَ والله يا أمير المؤمنين أحسنُ منه . قال : وما قلتَ ؟ قال قلت : [من الطويل]

أَهَلُّوا من الشهر الحَرامِ فأصبحوا مَوالي مُلْكٍ لا طَريفٍ ولا غَصْبِ[1]

جعلتُه لك حقّاً وجعلك أخذتَه غَصْباً ؛ قال : صدَقتَ .

[حلف باللات أنّه أشعر من جرير والفرزدق]

قال أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال أخبرنا أبو دُقاقة[2] الشاميّ مولى قريش عن شيخ من قريش قال : رأيتُ الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ؛ فلمّا انحدر دنوتُ منه فقلت : يا أبا مالك ، مَنْ أشعرُ العرب ؟ قال : هذان الكلبان المتعاقِران من بني تميم . فقلت : فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللاّتِ أشعرُ منهما . قال : فحلَف باللاّتِ هُزؤا واستخفافاً بدِينه .

---

1 أهَلّوا من الشهر الحرام : خرجوا في استهلاله . وموالي ملك أي يتولونه .

2 في ل : دُفافة .

وروَى هذا الخبرَ أبو أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ عن عاصم بن شِبْل الجَرْميّ أنّه سأل الأخطل عن هذا ، فذكر نحوَه ، وقال : واللاّتِ والعُزّى .

[نصح له شيباني بألاّ يهجو جريراً]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن مَهْرويه قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال ذكَر الحِرْمازيّ : أنّ رجلاً من بني شَيْبان جاء إلى الأخطل فقال له : يا أبا مالك ، إنّا ، وإن كنّا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتّصال الحرب والعداوة ، تجمعنا ربيعةُ ، وإنّ لك عندي نُصْحاً . فقال : هاتِه ، فما كَذَبتَ . فقلت : إنّك قد هجوتَ جريراً ودخلتَ بينه وبين الفرزدق وأنت غنيٌّ عن ذلك ولا سيّما أنّه يبسُط لسانه بما ينقبض عنه لسانُك ويَسُبّ ربيعةَ سبّاً لا تقدِر على سبّ مُضَرَ بمثله والمُلْكُ فيهم والنبوّة قبله ؛ فلو شئتَ أمسكتَ عن مُشارَّته ومُهارَّته . فقال : صدقتَ في نُصْحك وعرفتُ مُرادَك ، وصَلَتْك رَحِمٌ ؛ فَوالصَّليب والقُرْبان لأتخلّصنّ إلى كُلَيْب خاصّةً دون مُضَر بما يَلْبَسُهم خِزيُه ويَشْمَلُهم عارُه . ثم اعلم أنّ العالِمَ بالشعر لا يُبالي وحقّ الصليبِ إذا مَرّ به البيتُ المُعايَر[1] السائر الجيِّد ، أمُسْلِمٌ قاله أم نَصْراني .

[أنشد عبد الملك من شعره وتخيّله في حانوت بدمشق]

أخبرني وَكيع قال حدّثني أبو أيّوب المَدينيّ عن أبي الحسن المدائنيّ قال : أصبح عبد الملك يوماً في غداةٍ باردة ، فتمثّل قولَ الأخطل : [من الوافر]

إذا اصطبح الفتى منها ثلاثاً بغير المـاءِ حاول أن يَطُولا
مَشَى قرشيّةً لا شكّ فيهـا وأرخَـى مـن مآزِرِه الفُضولا

ثم قال : كأنّي أنظر إليه الساعةَ مُجَلَّلَ الإزار مستقبِلَ الشمس في حانوت من حوانيت دِمَشْق ؛ ثم بعث رجلاً يطلبه فوجده كما ذكره .

[قال أبو عمر لأبي حيّة وقد أنشده معجباً بنفسه]

وقال هارون بن الزيّات حدّثني طائع عن الأصمعيّ قال : أنْشد أبو حَيّة النُّمَيْريّ يوماً أبا عمرو : [من الرجز]

يـا لَمَعَدٍّ ويـا لَلنّاسِ كلِّهمُ ويا لَغائبهم يومـاً ومَنْ شَهِدا

كأنّه مُعْجَبٌ بهذا البيت ؛ فجعل أبو عمرو يقول له : إنّك لَتُعْجَبُ بنفسك كأنّك الأخطل .

[عرض عليه عبد الملك الإسلام]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الغَلابيّ عن عبد الرحمن التَّيْميّ عن هشام بن سليمان

1 المعير : المتداول بين الناس .

المخزوميّ : أنّ الأخطل قدِم على عبد الملك ، فنزل على ابن سرحون كاتبه . فقال عبد الملك : على مَنْ نزلتَ ؟ قال : على فلان . قال : قاتلك الله ؛ ما أعلمَكَ بصالح المنازل ! فما تريد أن يُنزِلك[1] ؟ قال : دَرْمَكٌ[2] من دَرْمَككم هذا ولحمٌ وخمر من بيت رأس[3] . فضحك عبد الملك ثم قال له : وَيْلَك ؛ وعلى أيّ شيء اقتتلنا إلاّ على هذا ؟ . ثم قال : ألا تُسْلِمُ فنَفْرِضَ لك في الفَيْء ونُعطيكَ عشرة آلاف ؟ قال : فكيف بالخمر ؟ قال : وما تصنع بها وإنّ أوّلها لَمُرّ وإنّ آخِرَها لَسُكْر ؛ فقال : أمّا إذ قلتَ ذلك فإن فيما بين هاتين لَمنزلةً ما مُلْكُكَ فيها إلاّ كعُلْقة ماء من الفراتِ بالإصبع . فضحِك ثم قال . ألاّ تزور الحَجّاجَ ؟ فإنّه كتب يستزيرك . فقال : أطائعٌ أم كاره ؟ قال : بل طائع . قال : ما كنتُ لأختار نوالَه على نوالك ولا قُرْبَه على قربك ؛ إنّني إذاً لَكَما قال الشاعر : [من الوافر]

كَمُبْتاعٍ ليركبَه حماراً تَخَيَّره من الفرس الكبيرِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وأمره بمدح الحَجّاج ؛ فمدحه بقوله :

صَرَمتْ حِبالَكَ زينبٌ ورَعُومُ وبَدا المُجَمْجَمُ منهما المكتومُ[4]

ووجّه بالقصيدة مع ابنه إليه وليست من جيِّد شعره .

[حاج أبو غسّان بن خاقان ببيتين من شعره]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني محمَّد بن إسماعيل عن أبي غَسّان قال : ذكروا الفرزدقَ وجريراً في حَلْقة المدائنيّ ؛ فقلت لصَباح بن خاقان : أُنْشِدك بيتين للأخطل وتجيء لجرير والفرزدق بمثلهما ؟ قال : هاتِ ؛ فأنشدتُه : [من الكامل]

أَلَمْ يأتِها أنّ الأراقِمَ فَلّقتْ جَماجِمَ قَيْسٍ بين راذانَ والحَضْرِ[5]

جَماجِم قومٍ لم يَعافوا ظُلامةً ولم يعرِفوا أين الوفاءُ من الغَدْرِ

قال : فسكت .

[حديث يونس النحويّ عن الأخطل وسبقه جريراً والفرزدق]

قال إسحاق وحدَّثني أبو عبيدة أنّ يونس سُئل عن جرير والفرزدق والأخطل : أيّهم

---

1 أي يقدّم لله النّزل ، وهو ما يهيّأ للضيف من طعام وغيره .

2 الدرمك : دقيق الحواري .

3 بيت رأس : اسم قرية مشهورة بالخمر موقعها الآن في شمالي الأردن . وقيل هما قريتان .

4 رعوم : اسم امرأة .

5 يأتها في الديوان يخبرنا 135 . الأراقم : حي من تغلب . فلّقت في الديوان : فلقوا 135 . الحضر : مدينة بإزاء تكريت . وراذان : قرية بنواحي نسأ .

أشعر ؟ قال : أجمعتِ العلماء على الأخطل . فقلت لرجل إلى جنبه : سَلْه ومَنْ هم ؟ فقال : مَنْ شئتَ ، ابن أبي إسحاق وأبو عمرو بن العَلاء وعيسى بن عمر وعَنْبَسة الفِيل وميمون الأَقْرَن ، هؤلاء طرَقوا الكلامَ وماشُوه لا كمَن تحكُمون عنه لا بدويِّين ولا نحويِّين . فقلت للرجل : سَلْه . وبأيّ شيء فُضِّل على هؤلاء ؟ قال : بأنّه كان أكثرهم عددَ قصائدَ طِوالٍ جيادٍ ليس فيها فُحْش ولا سَقَط . قال أبو عُبيدة : فنظرنا في ذلك فوجدنا للأخطل عَشْراً بهذه الصفة وإلى جانبها عَشْراً إن لم تكن مثلَها فليست بدونها ؛ ووجدنا لجرير بهذه الصفة ثلاثاً . قال إسحاق : فسألت أبا عُبيدة عن الشعر فقال : [من الطويل]

عَفا واسِطٌ من آل رَضْوَى فنَبْتَلُ[1]

و تأبّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ[2] [من البسيط]

و خَفّ القَطينُ فراحوا منك وابتكَروا [من البسيط]

و كَذَبَتْك عينُك أم رأيتَ بواسِطٍ [من الكامل]

و دَعِ المُعَمَّر لا تسأل بمَصْرَعِه [من البسيط]

و لمن الديارُ بحائلٍ فوُعالِ [من الكامل]

قال إسحاق : ولم أحفظ بقيّة العَشْر . قال : وقصائد جرير : [من البسيط]

حيِّ الهِدَمْلةَ من ذات المَواعِيسِ

و ألاَ طرقتْكَ وأهلي هُجودُ [من المتقارب]

و أهْوى أراكَ برامَتَيْنِ وُقودا [من الكامل]

قال وقال أبو عُبيدة : الأخطل أشبه بالجاهليّة وأشدُّهم أسْرَ شعرٍ وأقلُّهم سَقَطاً . وأخبرنا الجوهريّ عن عمر بن شَبّة عن أبي عُبَيدة مثلَه .

وفي بعض هذه القصائد التي ذُكِرت للأخطل أغانٍ هذا موضع ذكرها .

منها : [من الطويل]

صوت

تأبّد الرَّبْعُ من سَلْمَى بأحفارِ وأقْفرتْ من سُلَيْمى دِمْنةُ الدَّارِ

---

1 واسط : في عدّة مواضع ، ومنها واسط الجزيرة ، وهي التي يعنيها الأخطل منازل تغلب قبيلته . رضوى : اسم امرأته . نبتل : موضع بنجد .

2 أحفار : موضع في بلاد بني تغلب .

وقــد تَحُلُّ بها سَلْمَى تُجاذِبُني تَساقُطَ الحَلْي حاجاتي وأَسراري

غنّاه عمر الواديّ هزجاً بالسبّابة في مجرى الوسطى . وسنذكر خبر هذا الشعر في أخبار عبد الرحمن بن حَسّان لمّا هجاه الأخطل وهجا الأنصار ، إذ كان هذا الشعر قيل في ذلك .

ومنها : [من البسيط]

صوت

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتْهم نَــوىً في صَرْفِهــا غِيَرُ
كأنّني شاربٌ يــوم استُبِــدّ بهــم من قَهْوةٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[1]
جادتْ بها مــن ذواتِ القارِ مُتْرَعةٌ كَلْفاءُ يَنْحَتُّ عــن خُرْطومها المَدَرُ[2]

غنّاه إبراهيم خفيفَ ثقيل بالبنصر . ولابن سُرَيج فيه رمل بالوسطى عن عمرو . وفيه رمل آخر يقال : إنّه لعلّويه ، ويقال : إنّه لإبراهيم . وفيه لعَلّويه خفيفُ ثقيلٍ آخر لا يُشَكّ فيه .

[سأله عمر بن الوليد عن أشعر الناس فأجابه]

وقال هارون بن الزيّات حدّثني ابن النطّاح عن أبي عمرو الشَّيْبانيّ عن رجل من كَلْب يقال له مهوش عن أبيه : أنّ عمر بن الوليد بن عبد الملك سأل الأخطلَ عن أشعر الناس ؛ قال : الذي كان إذا مدَح رفَع ، وإذا هجا وضَع . قال : ومَنْ هو ؟ قال : الأعشى . قال : ثم مَنْ ؟ قال : ابن العشرين (يعني طَرَفه) . قال : ثم مَن ؟ قال : أنا .

[أخّر الراعي في حضرة بشر بن مروان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدّثنا أبو قُحافَةَ المُرِّيّ عن أبيه قال : دخل الأخطل على بِشْر بن مَرْوان وعنده الراعي ؛ فقال له بِشْرٌ : أنت أشعر أم هذا ؟ قال : أنا أشعر منه وأكرم . فقال للراعي : ما تقول ! قال : أمّا أشعر منّي فعسى ، وأمّا أكرم فإن كان في أمّهاته من ولَدتْ مثلَ الأمير فنعم . فلمّا خرج الأخطل قال له رجلٌ : أتقول لخالِ الأمير أنا أكرم منك ؟ . قال : وَيْلَك ؛ إنّ أبا نسطوس وضع في رأسي أكوُساً ثلاثاً ، فوالله ما أعقِل معها .

[استنشده عبد الملك بن مروان فشرب خمراً ثم أنشده]

قال : ودخل الأخطلُ على عبد الملك بن مَرْوان ، فاستنشده ؛ فقال : قد يَبِس حَلْقي ، فمُرْ مَنْ يَسقيني . فقال : اسقُوه ماء . فقال : شراب الحمار ، وهو عندنا كثير . قال : فاسقُوه

1 جدر : قرية بين حمص وسلمية ، تنسب إليها الخمر .
2 الكلف : حمرة كدرة .

لبناً . قال : عن اللبن فُطِمتُ . قال : اسقُوه عسلاً . قال : شراب المريض . قال : فتُرِيد ماذا ؟ قال : خمراً يا أمير المؤمنين . قال : أَوَعَهِدتَني أسقي الخمرَ لا أمَّ لك ! لولا حُرْمتك بنا لفعلتُ بك وفعلت ؛ . فخرج فلقي فَرَّاشاً لعبد الملك فقال : وَيْلَك إنّ أمير المؤمنين استنشدني وقد صَحِل[1] صوتي ، فاسقِني شربةَ خمر فسقاه ؛ فقال : اعْدِلْه بآخر فسقاه آخر . فقال : تركتَهما يعتركان في بطني ، اسقِني ثالثاً فسقاه ثالثاً . فقال : تركتني أمشي على واحدة ، اعدِلْ مَيْلي برابع فسقاه رابعاً ؛ فدخل على عبد الملك فأنشده : [من البسيط]

خَفّ القطينُ فراحوا منك وابتكروا وأزعجتْهم نَـوىً في صرفها غِيَرُ

فقال عبد الملك : خُذْ بيده يا غلام فأَخرِجْه ، ثم ألقِ عليه من الخِلَع ما يغمُره ، وأَحسِن جائزتَه ، وقال : إنّ لكلّ قوم شاعراً وإنّ شاعر بني أُميّة الأَخطل .

[حوار بينه وبين ذهلي في شعره وشعر الفرزدق]

أخبرني أبو خَليفة إجازةً عن محمَّد بن سَلاّم قال قال أَبانُ بن عثمان حدَّثني سِماك بن حَرْب عن ضَوْء بن اللَّجْلاج قال : دخلتُ حمّاماً بالكوفة وفيه الأَخطل ؛ قال فقال : ممّن الرجل ؟ قلت : من بني ذُهْل . أتروِي للفرزدق شيئاً ؟ قلت نعم . قال : ما أَشعرَ خليلي ! على أنّه ما أسرعَ ما رجع في هِبَته . قلت : وما ذاك ؟ قال قوله : [من الكامل]

أبني غُدانَـةَ إنّنـي حَرَّرتكم فوَهبتُكم لعطيّةَ بـن جِعالِ[2]
لولا عَطِيّةُ لاجتدعتُ أُنوفكم من بـين ألأم آنُفٍ وسِبالِ[3]

وهبهم في الأوّل ورجع في الآخر . فقلت : لو أنكر الناس كلُّهم هذا ما كان ينبغي أن تُنكره أنت . قال : كيف ؟ قلتُ : هجوتَ زُفَر[4] بن الحارث ثم خَوّفتَ الخليفةَ منه فقلتَ : [من البسيط]

بنـي أُميّـةَ إنّي ناصحٌ لكمُ فـلا يَبِيتَنَّ فيكـم آمِنـاً زُفَرُ
مفترشاً كافتراش اللّيث كَلْكَلَه لوقعـةٍ كائنٍ فيها لـه جَزَرُ[5]

مدحتَ عِكْرِمةَ بن رِبْعِيّ فقلتَ : [من البسيط]

قـد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأُخْبِرَهُ فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ

---

1 صحل صوته : بح .
2 بنو غدانة : بطن من يربوع . وعطية بن جعال بن مجمع كان من ساداتهم .
3 اسبلة الرجل : الدائرة التي في وسط الشفّة العليا ، وقيل : السبلة : ما على الشارب من الشعر .
4 هو زفر بن الحارث العامري الكلابي .
5 جزر : قتلى .

قال : لو أردتَ المبالغةَ في هجائه ما زدتَ على هذا . [فقال له الأخطل] : والله لولا أنّك من قوم سبَق لي منهم ما سبَق لهجوتُك هجاءً يدخل معك قبرك . ثم قال : [من البسيط]

ما كنتَ هاجِيَ قومٍ بعد مَدحِهِمُ ولا تُكَدَّرُ نُعْمَى بعـد مـا تَجِبُ

اخْرُجْ عنّي .

[هو وزفر بن الحارث في حضرة عبد الملك بن مروان]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْرِيّ عن أحمد بن عبد العزيز بن عليّ بن ميمون عن مَعْن بن خَلاد عن أبيه قال : لمّا استنزَل عبدُ الملك زُفَرَ بن الحارث الكلابيّ من قِرْقِيسِيا[1] ، أقعده معه على سريره ؛ فدخل عليه ابن ذي الكَلاع[2] . فلمّا نظر إليه مع عبد الملك على السرير بكى . فقال له : ما يُبكيك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف لا أبكي وسيفُ هذا يقطُر من دماء قومي في طاعتهم لك وخِلافِه عليك ، ثم هو معك على السرير وأنا على الأرض ! قال : إنّي لم أجلسه معي أن يكونَ أكرمَ عليَّ منك ؛ ولكنّ لسانه لساني وحديثه يُعْجِبُني . فبلغتِ الأخطلَ وهو يشرب فقال : أمَا والله لأقومَنّ في ذلك مقاماً لم يَقُمْه ابن ذي الكَلاع ! ثم خرج حتى دخل على عبد الملك . فلمّا ملأ عينَه منه قال : [من الوافر]

وكأسٍ مثلِ عين الدِّيكِ صِرْفٍ تُنَسِّي الشاربين لهـا العقولا

إذا شَرِبَ الفتَى منهـا ثلاثاً بغير المـاء حـاول أن يَطُولا

مَشَى قُرَشيّـةً لا شكَّ فيهـا وأرخَـى مـن مآزره الفُضولا

فقال له عبد الملك : ما أخرجَ هذا منك يا أبا مالك إلاّ خُطَّةٌ في رأسك . قال : أجَلْ والله يا أمير المؤمنين حين تُجْلِس عدوَّ الله هذا معك على السرير وهو القائل بالأمس : [من الطويل]

وقد يَنْبُتُ المَرْعَى على دِمَنِ الثَّرَى وتبقَـى حزازاتُ النفوسِ كما هيا

قال : فقبض عبد الملك رجلَه ثم ضرب بها صَدْرَ زُفَرَ فقلبه عن السرير وقال : أذْهَبَ الله حزازاتِ تلك الصدور . فقال : أنشُدُك الله يا أمير المؤمنين والعهدَ الذي أعطيتَني ! . فكان زُفَرُ يقول : ما أيقنتُ بالموت قطُّ إلاّ تلك الساعةَ حين قال الأخطل ما قال .

[قال إنّي فضّلتُ الشعراء وأنشد من عيون شعره]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني هارون بن مُسْلِم عن سعيد بن الحارث عن عبد الخالق بن حَنْظَلة الشَّيْبانيّ قال : قال الأخطل : فَضَلتُ الشعراءَ في المديح والهجاء والنَّسيب بما لا يُلْحَق بي

---

1 قرقيسيا : بلدة على الفرات قرب رحبة مالك بن طوق .

2 هو ابن ذي الكلاع الحميري ، شهد صفين مع معاوية ، وكان من رجالاته .

فيه . فأمّا النَّسِيب فقولي : [من الطويل]

ألا يا اسْلَمِي يا هندُ هندَ بني بَدْرِ وإن كان حيّانا عُدىً آخِرَ الدَّهْرِ
من الخَفِراتِ البِيضِ أمّا وِشاحُها فيجري وأمّا القَلْبُ منها فلا يجري[1]
تموتُ وتحيا بالضجيع وتلتوي بمُطَّرِد المَتْنَين مُنْبَتِرِ الخَصْرِ

وقولي في المديح : [من البسيط]

نفسي فداءُ أميرِ المؤمنين إذا أبدى النَّواجِذَ يوماً عارِمٌ ذَكَرُ[2]
الخائضُ الغمرةِ الميمونُ طائرُهُ خليفةُ الله يُسْتَسْقى به المَطَرُ

وقولي في الهجاء : [من الوافر]

وكنتَ إذا لَقِيتَ عبيدَ تَيْمٍ وتيماً قلتَ أيُّهمُ العبيدُ
لئيمُ العالَمين يَسُودُ تَيْماً وسيِّدُهم وإن كَرِهوا مَسُودُ

قال عبد الخالق : وصدَق لعَمْرِي ، لقد فَضَلَهم .

[تزوّج مطلّقة أعرابيّ فتذكّرته ، وكان هو طلّق زوجته وشعره في ذلك]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شَبّة عن أحمد بن معاوية عن محمّد بن داود قال : طَلّق أعرابيٌّ امرأتَه فتزوّجها الأخطل ؛ وكان الأخطل قد طلّق امرأته قبل ذلك . فبينا هي معه إذ ذكرتْ زوجَها الأوّل فتنفّست ؛ فقال الأخطل : [من الطويل]

كِلانا على هَمٍّ يبيتُ كأنّما بجَنْبَيْهِ من مَسِّ الفِراشِ قُروحُ
على زوجِها الماضي تنوحُ وإنّني على زوجتي الأُخْرى كذاك أنوحُ

[حديثه مع عبد الملك بن المهلّب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال أخبرنا أحمد بن زُهَيْر بن حَرْب عن خالد بن خِداش : أنّ الأخطل قال لعبد الملك بن المُهَلَّب : ما نازعتْني نفسي قطُّ إلى مدح أحدٍ ما نازعتني إلى مَدْحِكم ؛ فأعطِني عطيّةً تبسُط بها لساني ؛ فوالله لأُرَدِّينّكم أرديةً لا يذهب صِقالُها إلى يوم القيامة . فقال : أعْلَمُ والله يا أبا مالك أنّك بذلك مليء ، ولكنّي أخاف أن يبلُغ أميرَ المؤمنين أنّي أُسأَلُ في غُرْم وأُعطي الشعراء فأهلِك ويظنّ ذلك منّي حيلةً . فلمّا قدِم على إخوته لامُوه كلّ اللَّوْم فيما فعله . فقال : قد أخبرتُه بعُذْري .

---

1 القلب : السوار .

2 العارم : الشديد الشرس .

[حديث جرير عنه]

أخبرني أبو خليفة عن محمّد بن سَلاّم قال قال أبو الخطّاب حدّثني نوح بن جرير قال : قلت لأبي : أنت أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فنَهَرني وقال : بئس ما قلتَ ! وما أنت وذاك لا أُمَّ لك ! فقلت : وما أنا وغيرَه ! قال : لقد أُعِنتُ عليه بكُفْر وكِبَر سِنّ ، وما رأيتُه إلاّ خَشِيتُ أن يبتلعني .

[حديث أبي عمرو عن منزلة الأخطل]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن دَماذ عن أبي عُبَيْدة قال : قال رجل لأبي عمرو : يا عجباً للأخطل ! نَصْرانيّ كافر يهجو المسلمين ! . فقال أبو عمرو : يا لُكَع ؛ لقد كان الأخطل يجيء وعليه جُبّة خَزّ وحِرْزُ خَزّ ، في عنقه سلسلةُ ذهب فيها صليب ذهب تنفُض لحيتُه خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مَرْوان بغير إذن .

[رأي أبي العسكر فيه وفي جرير والفرزدق]

وقال هارون حدّثني أحمد بن إسماعيل الفِهْريّ عن أحمد بن عبد الله بن عليّ الدَّوْسيّ عن مَعْقِل بن فلان عن أبيه عن أبي العَسْكر قال : كنّا بباب مَسْلَمة بن عبد الملك ، فتذاكرنا الشعراء الثلاثة ؛ فقال أصحابي : حَكّمناك وتراضَيْنا بك . فقلت : نعم ، هم عندي كأفراسٍ ثلاثةٍ أرسلتهنّ في رِهانٍ ، فأحدُها سابقٌ الدَّهرَ كلَّه ، وأحدُها مُصَلٍّ ، وأحدُها يجيء أحياناً سابقَ الريح وأحياناً سُكَّيْتاً وأحياناً متخلِّفاً . فأمّا السابق في كلّ حالاته فالأخطل . وأمّا المصلّي في كلّ حالاته فالفرزدق . وأمّا الذي يسبق الريح أحياناً ويتخلّف أحياناً فجرير ؛ ثم أنشد له : [من الطويل]

سَرى لهمُ ليلٌ كأنّ نجومَه قناديلُ فيهنّ الذُّبالُ المُفَتَّلُ

وقال : أحسن في هذا وسبَق . ثم أنشد : [من الكامل]

التَّغْلَبِيّةُ مَهْرُها فَلْسانِ والتغلَبيّ جِنازةُ الشَّيْطانِ

وقال : تخلّف في هذه . فخرجنا من عنده على هذا .

[حديثه هو والفرزدق مع فتى من أهل اليمامة]

وقال هارون بن الزيّات حدّثني محمّد بن عمرو الجُرْجانيّ عن أبيه : أنّ الفرزدق والأخطل ، بينا هما يشربان وقد اجتمعا بالكوفة في إمارة بِشْر بن مروان إذ دخل عليهما فتىً من أهل اليَمامة ؛ فقالا له : هل تَرْوِي لجرير شيئاً ؟ فأنشدهما : [من الكامل]

لو قد بعثتُ على الفرزدقِ مِيسَمِي وعلى البَعِيثِ لقد نكحتُ الأخطَلا

فأقبل الفرزدق فقال : يا أبا مالك ، أتُراه إنْ وَسَمَني يتورّكك على كِبَر سِنّك ! ففزِع الفتى فقام وقال : أنا عائذٌ بالله من شرّكما . فقالا : اجلس لا بأس عليك ؛ ونادماه بقيّةَ يومهما .

[الفرزدق في ضيافته]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال أخبرنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو يَعْلى قال حدَّثني عبد السلام بن حَرْب قال : نزل الفرزدق على الأخطل ليلاً وهو لا يعرِفه ، فجاءه بعَشاءٍ ثم قال له : إنّي نَصْرانيّ وأنت حَنِيفٌ ، فأيُّ الشرابِ أحبُّ إليك ؟ قال : شرابُك . ثم جعل الأخطل لا يُنْشِد بيتاً إلاّ أتَمَّ الفرزدق القصيدة . فقال الأخطل : لقد نزل بي الليلةَ شَرٌّ ، مَنْ أنت : قال : الفرزدق بن غالب . قال : فسجَد لي وسجدتُ له . فقيل للفرزدق في ذلك ، فقال : كَرِهتُ أن يفضُلني . فنادى الأخطلُ : يا بني تَغْلِبَ هذا الفرزدق . فجمعوا له إبلاً كثيرة . فلمّا أصبح فرّقها ثم شخَص .

[كان خبيث الهجاء في عفّة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال : كان ممّا يُقَدَّم به الأخطل أنّه كان أخبثَهم هجاءً في عَفافٍ عن الفحش . وقال الأخطل : ما هجوتُ أحداً قطُّ بما تستحيي العذراءُ أن تُنْشِده أباها .

[أجاز بيتاً ليزيد بن معاوية]

أخبرني أحمد وحبيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني محمّد بن عَبّاد المَوْصِليّ قال : خرج يزيد بن معاوية معه عامَ حَجَّ بالأخطل . فاشتاق يزيدُ أهلَه فقال : [من الطويل]

بكى كلُّ ذي شَجْوٍ من الشام شاقَهُ تَهامٍ فأنّى يلتقي الشَّجِيانِ

أجِزْ يا أخطل ؛ فقال : [من الطويل]

يغورُ الذي بالشام أو يُنْجِدُ الذي بغَوْرِ تِهاماتٍ فيلتقيانِ

[مدح أبو العبّاس شعراً له في بني أميّة]

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال : قيل لأبي العبّاس أمير المؤمنين : إنّ رجلاً شاعراً قد مدَحك ، فتسمع شعرَه ؟ قال : وما عسى أن يقول فيَّ بعدَ قول ابن النَّصْرانيّة في بني أميّة : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

أخبرني به وَكيع عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِيّ بمثله .

[حادثة له مع أمّه]

قال هارون وحدَّثني هارون بن سليمان عن الحسن بن مروان التَّميميّ عن أبي بُرْدة الفَزاريّ عن رجل من تَغْلِب قال : لَحظ الأخطل شَكْوةً[1] لأمِّه فيها لبن وجِراباً فيه تمر وزبيب ، وكان

1 الشكوة : وعاء من جلد للماء واللبن .

جائعاً وكان يُضَيَّق عليه ؛ فقال لها : يا أُمَّه ، آلُ فلان يزورونكِ ويقضُون حقَّكِ وأنتِ لا تأتينهم وعندهم عليلٌ ، فلو أتيتِهم لكان أجملَ وأولى بِكِ . قالت : جُزيتَ خيراً يا بُنَيّ ! لقد نَبّهتَ على مَكْرُمةٍ . وقامت فلبِست ثيابها ومضت إليهم . فمضى الأخطلُ إلى الشَّكوة ففرَّغ ما فيها وإلى الجراب فأكل التمر والزبيب كلّه . وجاءت فلحَظت موضعَها فرأته فارغاً ، فعلمتْ أنّه قد دهاها ، وعمَدت إلى خَشَبة لتضربَه بها ؛ فهرَب وقال : [من المتقارب]

أَلَـمَّ على عِنَبات العجوزِ وشَكْوَتهـا من غِياثٍ لَمَمْ
فظلّـتْ تُنـادي ألا وَيْلَهـا وتَلْعَـن واللعـنُ منهـا أَمَمْ[1]

وذكر يعقوب بن السِّكِّيت هذه القصّة ، فحكى أنّها كانت مع امرأةٍ لأبيه لها منه بنون ، فكانت تُؤثرهم باللَّبن والتمر والزبيب وتبعَث به يرعَى أعنُزاً لها . وسائرُ القصّة والشعر متّفق . وقال في خبره : وهذا أوّل شعر قاله الأخطل .

[نسب بأمامة ورعوم ابنتَي سعيد بن إيّاس]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهرويه عن عليّ بن فَيْرُوز عن الأصمعيّ عن أُمامةَ ورَعُومَ اللَّتين قال فيهما الأخطل : [من الكامل]

صَرَمتْ أمامةُ حبلَها ورَعومُ

ورَعُومُ وأُمامةُ بنتا سَعيد بن إياس بن هانىء بن قَبِيصة ، وكان الأخطل نزل عليه فأطعمه وسقاه خمراً وخرجتا وهما جُوَيْريتان فخدمتاه . ثم نزل عليه ثانيةً وقد كَبِرتا فحُجِبتا عنه ؛ فسأل عنهما وقال : فأينَ ابنتاي ؟ فأُخْبِر بكبرهما ، فنسَب بهما . قال : والرَّعُوم هي التي كانت عند قُتَيْبة بن مُسْلِم وكان يقال لها أُمّ الأخماس ، تزوّجتْ في أخماس[2] البَصْرة محمَّدَ بن المهلَّب وعامرَ بن مِسْمَع وعَبّادَ بن الحُصَيْن وقتيبةَ بن مُسْلِم ؛ وكان يقال لها الجارُود .

[كان حكم بكر بن وائل]

أخبرنا محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخَرّاز عن المدائنيّ قال قال أبو عبد الملك : كانت بكر بن وائل إذا تشاجرتْ في شيء رَضِيتْ بالأخطل ، وكان يدخل المسجدَ فيَقْدَمون إليه . قال : فرأيته بالجزيرة وقد شُكي إلى القَسّ وقد أخذ بلِحيته وضربه بعصاه وهو يَصيء[3] كما يَصيء الفَرْخ . فقلت له : أين هذا ممّا كنت فيه بالكوفة ؟ فقال : يا ابن أخي ، إذا جاء الدِّين ذَلّلنا .

---

1 أمم : قريب يسير .

2 أخماس البصرة : خمسة . فالخمس الأوّل العالية ، والثاني بكر بن وائل ، والثالث تميم ، والرابع عبد القيس ، والخامس الأزد .

3 يصيء : يصيح .

[استنشده داود بن المساور فأنشده ثم سأله عن أشعر الناس فأجابه]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت زعم غَيْلان عن يحيى بن بِلال عن عمر بن عبد الله عن داود بن المُساوِر قال : دخلتُ إلى الأخطل فسلّمتُ عليه ، فنسبَني فانتسبت ، واستنشدته فقال : أُنْشِدك حبّة قلبي ، ثم أنشدني : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد أَسْريتُ لا ليلَ عاجز بسَلْهَبَةِ الخَدَّيْنِ ضاويـةِ القُرْبِ[1]

إليـكَ أميرَ المؤمنـين رَحَلْتُهـا على الطائرِ الميمونِ والمنزلِ الرَّحْبِ

فقلت : مَنْ أَشعرُ الناسِ ؟ قال : الأعشى . قلت : ثمّ مَنْ ؟ قال : ثم أنا .

[أعطاه هشام فاستقلّ عطاءه وفرّقه في الصبيان]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن أبي أيّوب المَدينيّ عن المدائنيّ قال : امتدح الأخطلُ هشاماً فأعطاه خمسَمائة درهم ، فلم يرضَها وخرج فاشترى بها تُفّاحاً وفرّقه على الصِّبيان . فبلغ ذلك هشاماً فقال : قبّحه الله ؛ ما ضرَّ إلاّ نفسَه .

[تمثّل هشام بشطر بيت في ناقة ، فأتمّه جرير والفرزدق وهو فأخذها]

وقال يعقوب بن السَّكِّيت حدَّثني سَلَمة النُّمَيْريّ ، وتُوُفِّي وله مائةٌ وأربعون سنة ، أنّه حضر هشاماً وله يومئذٍ تسعَ عَشْرةَ سنة وحضر جريرٌ والفرزدق والأخطل عنده ؛ فأحْضر هشامٌ ناقةً فقال متمثّلاً : [من البسيط]

أنِيخها مـا بَـدالي ثـم أَرْحَلُها

ثم قال : أيّكم أتمَّ البيتَ كما أُريد فهي له . فقال جرير : [من البسيط]

كأنّـها نِقْنِـقٌ يَعْدُو بصَحْراء[2]

فقال : لم تصنع شيئاً . فقال الفرزدق : [من البسيط]

كأنّـها كاسِرٌ بـالدَّوّ فَتْخاءُ[3]

فقال : لم تُغنِ شيئاً . فقال الأخطل : [من البسيط]

تُرْخِي المَشافِرَ واللَّحْيينِ إرخاءَ

فقال : اركبها لا حملك الله .

---

1 بسلهبة في الديوان : بساهمة 17 . القرب : الخاصرة .

2 النقنق : الظَّليم وهو ذكر النعام .

3 الكاسر : العقاب . الفتخاء : اللينة الجناح لأنّها إذا انحطّت كسرت جناحيها وغمزتها .

[هجته جارية من قومه فحذر أباها ثم هجاها]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني الخَرّاز عن المدائنيّ قال : هجتِ الأَخطلَ جاريةٌ من قومه ؛ فقال لأبيها : يا أَبا الدُّلْماء ، إنّ ابنتك تعرّضتْ لي فاكْفُفْها . فقال له : هي امرأةٌ مالكةٌ لأمرها . فقال الأَخطل : [من الوافر]

أَلاَ أَبْلِغْ أَبا الدُّلْماء عنّي بأَن سِنانَ شاعرِكم قصيرُ
فإنْ يَطْعَنْ فليسَ بذي غَناءٍ وإن يُطْعَنْ فمَطْعَنُه يسيرُ
متى ما أَلْقَه ومعي سِلاحي يخِرَّ على قفاه فلا يُحِيرُ

فمشى أَبوها في رجال من قومه إلى الأَخطل فكلّموه ؛ فقال : أَمّا ما مضى فقد مضى ولا أزيد .

[وصيّته عند موته]

أَخبرنا أَبو خَلِيفة إجازةً عن محمّد بن سَلاّم قال : لمّا حضرتِ الأَخطلَ الوفاةُ قيل له : يا أَبا مالك ، أَلاَ تُوصِي ؟ فقال : [من المتقارب]

أَوَصِّي الفرزدق عند المماتِ بأُمِّ جريرٍ وأَعيارِها
وزار القبورَ أَبو مالكٍ برغم العُداة وأَوْتارِها

[رأي ابن سَلام في شعر له وشعر لجرير]

أَخبرنا أَبو خليفة إجازةً عن محمّد بن سَلاّم قال قال لي معاوية بن أَبي عمرو بن العَلاء : أيُّ البيتين عندك أَجودُ : قول جرير : [من الوافر]

أَلستم خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا وأَنْدَى العالمين بُطُونَ راحِ

أَم قول الأَخطل : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقادَ لهم وأَعظمُ الناسِ أَحلاماً إذا قَدَرُوا

فقلت : بيتُ جرير أَحلى وأَسْيَر ، وبيتُ الأَخطل أَجْزَل وأَرْزَن . فقال : صَدقتَ ، وهكذا كانا في أَنفسهما عند الخاصّة والعامّة .

[رأي حمّاد الراوية في شعره]

أَخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أَبيه عن الحَلَبيّ وجعفر بن سعيد أَنّ رجلاً سأَل حَمّاداً الراوية عن الأَخطل فقال : وَيْحَكم ؛ ما أَقول في شعر رجلٍ قد والله حَبَّبَ إليّ شعرُه النَّصْرانيّة ! .

[فضّله كثير من العلماء على صاحبيه]

أخبرني محمّد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو عثمان الأشنانديّ عن أبي عُبَيْدة قال : كان يونس بن حَبيب وعيسى بن عُمَر وأبو عَمْرو يفضّلون الأخطل على الثلاثة .

[فضّله عمر بن عبد العزيز على جرير]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني أبو عثمان المازنيّ عن العُتْبيّ عن أبيه : أنّ سليمان بن عبد الملك سأل عمر بن عبد العزيز : أجريرٌ أشعرُ أم الأخطلُ ؟ فقال له : أعْفِني . قال : لا والله لا أعفيك . قال : إنّ الأخطل ضيَّق عليه كفرُه القولَ ، وإنّ جريراً وسّع عليه إسلامُه قولَه ؛ وقد بلغ الأخطلُ منه حيث رأيتَ . فقال له سليمان : فضَّلتَ والله الأخطلَ .

[أثنى عليه الفرزدق]

قال هارون وحدَّثني أبو عثمان عن الأصمعيّ عن خالد بن كُلْثُوم قال : قال عبد الملك للفرزدق : مَنْ أشعرُ الناسِ في الإسلام ؟ قال : كفاك بابن النَّصْرانيّة إذا مدَح .

[مهاجاته جريراً في حضرة عبد الملك وقصّة أبي سواج]

أخبرنا أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : حُدِّثتُ أنّ الحجّاج بن يوسف أوفد وفداً إلى عبد الملك وفيهم جريرٌ . فجلس لهم ثم أمر بالأخطل فدُعِي له ؛ فلمّا دخل عليه قال له : يا أخطل ، هذا سَبَّك ، يعني جريراً ، وجريرٌ جالسٌ ، فأقبل عليه جريرٌ فقال : أين تركتَ خنازير أُمِّك ؟ قال : راعيةً مع أعيارِ أُمِّك ؛ وإن أتيتنا قَرَيْناك منها . فأقبل جريرٌ على عبد الملك فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّ رائحة الخمرِ لتفوحُ منه . قال : صدَق يا أمير المؤمنين ، وما اعتذاري من ذلك ! . [من الوافر]

تَعِيبُ الخمرَ وهي شرابُ كِسْرَى ... ويشرَبُ قومُكَ العَجَبَ العجيبا[1]

مَنِيُّ العبدِ عبدِ أبي سُواج ... أحَقٌّ من المُدامةِ أن تَعِيبا

فقال عبد الملك : دعوا هذا ، وأنْشِدْني يا جرير ، فأنشده ثلاثَ قصائدَ كلُّها في الحجّاج يمدَحه بها ، فأحْفِظ عبدُ الملك ، وقال له : يا جرير ، إنّ الله لم ينصِر الحجّاج وإنّما نَصر خليفته ودينه . ثم أقبل على الأخطل فقال : [من البسيط]

شُمْشُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا

فقال عبد الملك : هذه المُزَمِّرة[2] ؛ والله لو وُضِعتْ على زُبَرَ[3] الحديدِ لأذابتها . ثم أمر له

---

1 في الديوان : الشطر الأوّل : تعيّرني شراب الشيخ كسرى 155 .

2 في ل : المدمرة .

3 الزبرة : القطعة الضخمة من الحديد .

بخِلَعٍ فخُلِعتْ عليه حتى غاب فيها ، وجعل يقول : إنّ لكلّ قومٍ شاعراً ، وإنّ الأَخطل شاعرُ بني أُميّة .

فأمّا قول الأَخطل : [من الوافر]

مَنيّ العبــدِ عبــدِ أَبي سُواجٍ

فأخبرني بخبر أَبي سُواجٍ عليّ بن سليمان الأَخفش ومحمَّد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدّثنا أَبو سعيد السُّكّريّ قال حدَّثنا محمّد بن حَبيبَ وأَبو غَسّان دَماذ عن أَبي عُبَيْدة مَعْمَر بن المُثَنّى أَنّ أَبا سُواجٍ وهو عَبّاد بن خَلَف الضَّبّيّ جاور بني يَرْبوع ، وكانت له فرسٌ يقال لها بَذْوة[1] ، وكان لِصُرَدَ بنِ جَمْرة اليَرْبُوعيّ فرس يقال له القَضيب ، فتراهنا عشرين بعشرين ، فسبقت بَذْوةُ فظلمه ابن جَمْرةَ حقَّه ومنعَه سَبَقَه[2] ، وجعل يفجُر بامرأته . ثم إنّ أَبا سُواج ذهب إلى البَحْرَين يمتارُ ؛ فلمّا أَقبل راجعاً ، وكان رجلاً شديداً مُعْجَباً بنفسه ، جعل يقول وهو يَحْدو : [من الرجز]

يا ليتَ شِعْرِي هل بَغَتْ من بَعْدي

فسمع قائلاً يقول من خَلْفِه : [من الرجز]

نَعَــمْ بمكــويٍّ قَفــاهُ جَعْــدِي

فعاد إلى قوله فأَجابه بمثل ذلك . وقَدِم إلى منزله فأَقام به مدّةً ، فتغاضَبَ صُرَدُ على امرأَة أَبي سُواج وقال : لا أَرضى أَو تَقُدّي من است أَبي سُواج سيراً . فأَخبرتْ زوجَها بذلك فقام إلى نعجةٍ له فذبحها وقَدّ من باطن أَلْيَتَيْها سيراً فدفعه إليها ؛ فجعله صُرَدُ بن جَمْرة في نعله ، فقال لقومه : إذا أَقبلتُ وفيكم أَبو سُواج فسَلُوني من أَين أَقبلت ففعلوا ، فقال : من ذِي بِلِيّان[3] وأُريد ذا بِلِيّان ، وفي نعلي شِراكان ، من اسْتِ إنسان . فقام أَبو سُواج : فطرَح ثوبَه وقال : أَنشُدكم اللّهَ ! هل تروْن بأساً ؟ ثم أَمر أَبو سُواج غلامين له راعيَيْن أَن يأخذا أَمَةً له فَيَتراوَحاها ؛ ودفع إليهما عُسّاً وقال : لئن قطرتْ منكما قطرةٌ في غير العُسِّ لأَقتلَنّكما . فباتا يتراوحانِها ويصُبّان ما جاء منهما في العُسّ ، وأَمَرهما أَن يحلُبا عليه فحلَبا حتى ملأَاه ؛ ثم قال لامرأته : والله لَتَسْقِنّه صُرَدَ أَو لأَقتلنّكِ : واختبأَ وقال : ابعثي إليه حتى يأتيكَ ففعلتْ . وأَتاها لعادتها كما كان يأتيها ، فرحّبَتْ به واستبطأته ثم قامت إلى العُسّ فناولته إيّاه . فلمّا ذاقه رأَى طعماً خبيثاً وجعل يَتَمطَّق[4] من اللَّبن الذي يشرَب وقال : إنّي أَرى لبنكم خاثراً ، أَحسب إبلَكم رعَتِ

1 في ل : ندوة .
2 السَّبَق : الخطي الذي يوضع بين أَهل السباق .
3 ذو بليان : موضع وراء اليمن وقال آخرون : من أَعمال هجر .
4 يتمطّق : يتذوّق .

السَّعْدان . فقالت : إنّ هذا من طُول مُكْثه في الإناء ، أقسمتُ عليكَ إلاّ شربتَه . فلمّا وقع في بطنه وجد الموتَ ، فخرج إلى أهله ولا يعلمَ أصحابُه بشيء من أمره . فلمّا جَنّ على أبي سُواج اللّيل أتى أهلَه وغِلمانَه فانصرفوا إلى قومه وخلّف الفرسَ وكلبَه في الدار ؛ فجعل الكلب ينبَح والفرس يصهِلَ ؛ وذلك ليظنّ القومُ أنّه لم يَرْتَحِل . فساروا ليلتَهم والدارُ ليس فيها غيرُه وكلبِه وفرسِه وعُسِّه . فلمّا أصبح رِكب فرسَه وأخذ العُسَّ فأتى مجلسَ بني يَرْبُوع فقال : جزاكم الله من جيرانٍ خيراً ! فقد أحسنتم الجِوار ، وفعلتم ما كنتم له أهلاً . فقالوا له : يا أبا سُواج ، ما بَدا لك في الانصراف عنّا ؟ قال : إنّ صُرَدَ بن جَمْرة لم يكن فيما بيني وبينه محسناً ، وقد قلتُ في ذلك : [من الكامل]

إنّ المَنـــيَّ إذا سَرَى ... في العبد أصبح مُسْمَغِدًّا[1]
أتُنـــالُ سَلْمَـى باطلاً ... وخُلِقْتُ يوم خُلِقتُ جَلْدا
صُرَدَ بنَ جمرةَ هل لَقِيـ ... ـتَ رثيئةً لبناً وعَصْدا[2]

واعلموا أنّ هذا القَدَح قد أحبَل منكم رجلاً وهو صُرَد بن جَمْرة . ثم رمى بالعُسِّ على صخرةٍ فانكسر وركَضَ فرسَه . وتنادَوْا : عليكم الرجلَ ، فأعجزهم ولَحِق بقومه . وقال في ذلك عمر بن لَجَأ التَّيميّ : [من الطويل]

تُمَسِّحُ يربـوعٌ سِبالاً لئيمـةً ... بها من مَنيِّ العبدِ رَطْبٌ ويابسُ

وإيّاهُ عَنَى الأخطلُ بقوله : [من الوافر]

ويشرَب قومُك العجبَ العجيبا

[حبسه القسّ ثم أطلقه بشفاعة هاشمي]

أخبرنا أبو خَليفةَ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال زعم محمَّد بن حَفْص بن عائشة التَّيْميّ عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نَوْفَل بن الحارث بن عبد المطّلب قال : قَدِمتُ الشامَ وأنا شابٌّ مع أبي ، فكنتُ أطوفُ في كنائسها ومساجدها ؛ فدخلتُ كنيسةَ دِمَشْق ، وإذا الأخطلُ فيها محبوسٌ ، فجعلتُ أنظر إليه . فسأل عَنّي فأُخْبِر بنسبي ، فقال : يا فتى ، إنّك لرَجلٌ شريفٌ ، وإنّي أسألك حاجةً . فقلت : حاجتُك مقضيَّةٌ . قال : إنّ القَسَّ حبسَني هاهنا فتكلّمُه لِيُخَلِّيَ عنّي . فأتيتُ القَسَّ فانتسبت له ، فرحَّب وعظَّم ، قلت : إنّ لي إليك حاجةً . قال : ما حاجتك ؟ قلت : الأخطلُ تُخَلِّي عنه . قال : أُعِيذُك بالله من هذا ؛ مثلُك لا يَتكلّم

1 مُسْمَغِدًا : مرتوياً من اللبن .

2 رثيئة : اللبن الحامض ، والعصد : تحريك العصيدة بالمسواك فتنقلب فلا يبقى في الإناء شيء إلاّ انقلب .

فيه ؛ فاسقٌ يشتُم أعراضَ الناس ويهجوهم ؛ فلم أزَل أطلُب إليه حتى مضَى معي متَّكئاً على عصاه ، فوقف عليه ورفع عصاه وقال : يا عَدُوَّ الله ! أتعود تشتُمُ الناسَ وتهجوهم وتقذِف المُحْصَناتِ ! وهو يقول : لستُ بعائدٍ ولا أفعل ، ويَسْتَخْذي له . قال : فقلت له : يا أبا مالك ، الناسُ يَهابونك والخليفةُ يُكرمك وقَدْرُك في الناس قَدْرُك ، وأنت تخضَع لهذا هذا الخضوعَ وتستخذِي له ! . قال : فجعل يقول لي : إنّه الدِّين ؛ إنّه الدِّين ! .

[مرَّ به أسقف فأمر امرأته أن تتمسح به]

أخبرنا اليزيديّ عن عمِّه عُبيد الله عن ابن حَبِيبَ عن الهَيْثَم بن عَدِيّ قال : كانت امرأة الأخطل حاملاً ، وكان متمسِّكاً بدِينه . فمرَّ به الأُسْقُفّ يوماً . فقال لها : الحَقِيه فتَمَسَّحِي به ؛ فعدَتْ فلم تلحَق إلاّ ذَنَبَ حماره فتمسّحتْ به ورجعتْ . فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

[هنّأه هشام بالإسلام فأجابه]

أخبرنا أبو خَليفة قال حدَّثنا ابن سَلاّم قال حدَّثني يونس قال قال أبو الغَرّاف : سمِع هشامُ بن عبد الملك الأخطلَ وهو يقول : [من الكامل]

وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لم تَجِدْ ذُخْراً يكون كصالح الأعمالِ

فقال : هنيئاً لك أبا مالك هذا الإسلام ؛ . فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما زلتُ مسلماً في ديني .

[وفد على الغضبان بن القبعثري في حمالة فخيره في عطاءين]

أخبرني أبو خَليفة قال حدَّثنا ابن سَلاّم قال حدَّثني يونُس وعبد الملك وأبو الغَرّاف ، فألّفتُ ما قالوا ، قالوا : أتى الأخطلُ الكوفةَ ، فأتى الغَضْبانَ بن القَبَعْثَرِيَ[1] الشَّيْبانيّ فسأله في حَمالةٍ ؛ فقال : إن شئت أعطيتُك ألفين ، وإن شئتَ أعطيتُك درهمين . قال : وما بالُ الألفين وما بال الدرهمين ؟ قال : إن أعطيتُك ألفين لم يُعْطِكَها إلاّ قليلٌ ، وإن أعطيتُك درهمين لم يبقَ في الكوفة بَكْرِيٌّ إلاّ أعطاك درهمين ؛ وكتبنا إلى إخواننا بالبَصْرة فلم يبقَ بكريٌّ بها إلاّ أعطاك درهمين ، فخفَّتْ عليهم المؤونةُ وكَثُر لك النَّيْل . فقال : فهذه إذاً . فقال : نَقْسِمها لك على أن تَرِد علينا . فكتب بالبصرة إلى سُوَيْد بن مَنْجُوف[2] السَّدُوسيّ فقدِم البَصْرَةَ ، فقال يونس في حديثه : فنزل على آل الصَّلْت بن حُرَيْث الحنفيّ ؛ فأخبر مَنْ سمعه يقول : والله لا أزال أفعل ذلك . ثم رجع الحديث الأوّل : فأتى سويداً فأخبره بحاجته . فقال نعم ؛ وأقبل على قومه

1 الغضبان بن القبعثري من أشراف العراق وكان من دُعاة المروانية أيّام حرب عبد الملك بن مروان مصعب بن الزُّبير .

2 سويد بن منجوف : من أشراف البصرة .

فقال : هذا أبو مالكٍ قد أتاكم يسألكم أن تجمعوا له ، وهو الذي يقول : [من الوافر]

إذا ما قلتُ قد صالحتُ بَكْراً أبى البَغْضاءُ والنَّسبُ البعيدُ
وأيّامٌ لنا ولَهُمْ طِوالٌ يَعَضّ الهامَ فيهنّ الحديدُ
ومُهْراقُ الدماءِ بوارِداتٍ تَبِيدُ المُخْزِياتُ ولا تَبِيدُ[1]
هُما أخوانِ يَصْطليانِ ناراً رِداءُ الحربِ بينهما جديدُ[2]

فقالوا : فلا والله لا نُعطيه شيئاً . فقال الأخطلُ : [من الوافر]

فإنْ تَبْخَلْ سَدُوسُ بدِرْهَمَيْها فإنّ الرِّيحَ طَيِّبَةٌ قَبُولُ[3]
تَواكَلَني بنو العَلاَّتِ منهم وغالتْ مالكاً ويزيدَ غُولُ[4]
صَرِيعا وائلٍ هَلَكا جميعاً كأنّ الأرضَ بعدهما مُحُولُ

وقال في سُوَيد بن مَنْجُوف ، وكان رجلاً ليس بذي منظر : [من الطويل]

وما جِذْعُ سَوْءٍ خَرَّب السُّوسُ أصلَه لِمَا حَمّلْتَهُ وائلٌ بمُطِيقِ

[كان مع مهارته وشعره يسقط أحياناً]

أخبرنا أبو خَليفة قال قال محمَّد بن سَلاّم : كان الأخطلُ مع مَهارته وشعره يسقُط أحياناً : كان مدح سِماكاً الأسَديّ ، وهو سِماك الهالكيّ من بني عمرو بن أسد ، وبنو عمرو يلقَّبون القُيُونَ ، ومسجد سِماك بالكوفة معروف ، وكان من أهلها ؛ فخرج أيّامَ عليّ هارباً فلَحِق بالجزيرة ، فمدحه الأخطل فقال : [من البسيط]

نعم المُجيرُ سِماكٌ من بني أسَدٍ بالقاع إذ قتلت جيرانَها مَضَرُ
قد كنتُ أحسَبه قَيْناً وأخْبَرُهُ فاليومَ طُيِّر عن أثوابه الشَّرَرُ
إنّ سِماكاً بنى مجداً لأسرته حتى المماتِ وفِعلُ الخير يُبتدرُ

فقال سِماك : يا أخطلُ ، أردتَ مَدْحي فهجوتَني ، كان الناس يقولون قولاً فحقّقتَه . فلمّا هجا سُويداً قال له سُوَيْد : والله يا أبا مالك ، ما تُحْسِن تهجو ولا تمدح ؛ لقد أردتَ مَدْحَ الأسَديّ فهجوتَه ، يعني قوله : [من البسيط]

---

1 يريد يوم واردات وكان بين بكر وتغلب . المُخْزيات في الديوان : المحزنات 283 .
2 الحرب في الديوان : الموت 283 .
3 القبول : ريح الصّبا .
4 يريد مالك بن شيبان بن الجحدريّ من قيس بن ثعلبة ، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيبانيّ صاحب شرطة الحجّاج .

قـد كنـتُ أحسَبه قيناً وأنْبَؤُه فاليومَ طُيِّر عـن أثوابـه الشَّرَرُ
إنّ سماكاً بنـى مجـداً لأسرته حتى المماتِ وفعلُ الخير يُبتدرُ

وأردتَ هجائي فمدحتَني ، جعلتَ وائلاً حَمّلتْني أُمورَها ، وما طَمِعتُ في بني تَغْلِب فضلاً عن بكر .

[أبى الصلاة في مسجد بني رؤاس وهجاهم]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبانُ البَجَليّ قال : مرَّ الأخطل بالكوفة في بني رُؤاس[1] ومؤذّنهم يُنادي بالصلاة . فقال له بعض فتيانهم : ألاَ تدخل يا أبا مالك فتصلّي ؟ فقال : [من الوافر]

أصَلّي حيثُ تُدركني صَلاتي وليس البِـرُّ عنـد بني رُؤاسِ

[خلا في نزهة مع صديق له فطرأ عليهما ثقيل فهجاه]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاَّم قال حدَّثني أبو الحُصَيْن الأُمَويّ قال : بينا الأخطلُ قد خلا بخُمَيْرة له في نُزْهةٍ مع صاحب له ، وطرأ عليهما طارىء لا يعرِفانِه ولا يَستخِفّانِه ، فشرِب شرابَهما وثَقُل عليهما . فقال الأخطل في ذلك : [من الطويل]

صوت

وليس القَذَى بالعُودِ يسقُط في الإنا ولا بذُبـابٍ خَطْبُـه أيسرُ الأمـرِ
ولكـنّ شخصاً لا نُسَرُّ بقُرْبِـه رمتْنا به الغِيطانُ من حيث لا ندري

ويُرْوَى : [من الطويل]

ولكـن قَذاهـا زائـرٌ لا نُحِبّه

وهو الجيّد . الغناء لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وقد أخبرنا بهذا الخبر محمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أسَد قال حدَّثنا العُمَريّ قال حدَّثنا الهَيْثَم بن عَدِيّ عن ابن عَيّاش قال : بينا الأخطلُ جالسٌ عند امرأةٍ من قومه ، وكان أهلُ البَدْو إذ ذاك يتحدّث رجالُهم إلى النساء لا يروْن بذلك بأساً ، وبين يديه باطِيةُ شَرابٍ والمرأةُ تُحَدّثه وهو يشرب ، إذ دخل رجلٌ فجلس ، فثَقُل على الأخطل وكرِه أن يقول له قُم استحياءً منه . وأطال الرجلُ الجلوسَ إلى أن أقبل ذُبابٌ فوقع في الباطية في شرابه ؛ فقال الرجل : يا أبا مالك ، الذُّبابُ في شَرابك . فقال : [من الطويل]

1 بنو رؤاس : حي من بني عامر بن صعصعة ، وهو رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وليس القَذَى بالعودِ يسقُط في الخمر ولا بذُبـابٍ نَزْعُـه أيْسرُ الأمرِ
ولكـن قَذاهـا زائـرٌ لا نُحِبّـه رمتْنا به الغيطانُ من حيث لا نَدْري

قال : فقام الرجل فانصرف .

وأخبرني عمّي رحمه الله بهذا الحديث عن الكُرانيّ عن الزِّياديّ عن عليّ بن الحفّار أخي أبي الحجّاج : أنّ الأخطل جاء إلى مَعْبَد في قَدْمةٍ قدِمها إلى الشام . فقال له مَعْبَد : إنّي أُحِبّ محادثتَك . فقال له : وأنا أُحِبّ ذلك . وقاما يتصبّحانِ الغُدْرانَ حتى وقفا على غديرٍ فنزلا وأكلا ؛ فتَبِعهما أعرابيّ فجلس معهما . وذكر الخبر مثل الذي قبله .

[لبّى دعوة شابّ من أهل الكوفة وشعره في ذلك]

أخبرنا أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال قال أبان بن عثمان حدَّثني أبي قال : دعا الأخطلَ شابٌّ من شَباب أهل الكوفة إلى منزله . فقال له : يا ابن أخي ، أنت لا تَحْتمِل المؤونةَ وليس عندك مُعْتَمَدٌ ؛ فلم يزل به حتى انتجعه ، فأتى البابَ فقال : يا شَقْراء ، فخرجتْ إليه امرأةٌ ، فقال لأُمِّه : هذا أبو مالك قد أتاني ؛ فباعتْ غَزْلاً لها واشترت له لحماً ونبيذاً وريْحاناً . فدخل خُصّاً لها فأكل معه وشرِب ، وقال في ذلك : [من الطويل]

وبيتٍ كظهر الفِيـل جُـلُّ مَتاعِه أباريقُـــه والشاربُ المُتَقَطِّـرُ[1]
ترى فيــه أثلامَ الأصيصِ كأنّها إذا بال فيها الشيخُ جَفْرٌ مُعَوَّرُ[2]
لَعَمْرُك مـا لاقيتُ يـومَ معيشةٍ من الدَّهرِ إلاّ يومُ شقراءَ أقصَرُ
حَوارِيّـةٌ لا يدخـل الذَّمُّ بيتَها مُطَهَّـرةٌ يـأوِي إليهـا مُطَهَّرُ

وذكر هارون بن الزيّات هذا الخبر عن حمّاد عن أبيه أنّه كان نازلاً على عِكْرِمة الفيّاض وأنّه خرج من عنده يوماً ، فمرَّ بفتيان يشربون ومعهم قَيْنةٌ يقال لها شَقْراء . وذكر الخبرَ مثلَ ما قبله ، وزاد فيه : فأقام عندهم أربعة أيّام . وظنَّ عِكرمةُ أنّه غضِب فانصرف عنه . فلمّا أتاه أخبره بخبره ، فبعث إلى الفتيان بألف درهم وأعطاه خمسة آلاف ، فمضى بها إليهم وقال : استعينوا بهذه على أمركم . ولم يزل ينادمهم حتى رحَل .

[حكم بين جرير والفرزدق بأمر بشر بن مروان]

أخبرني أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني أبو يحيى الضَّبّيّ قال : اجتمع الفرزدق وجرير والأخطل عند بِشْر بن مَرْوان ، وكان بِشْرٌ يُغْرِي بين الشعراء . فقال للأخطل : احكُمْ

1 المتقطّر : المصروع .
2 الأصيص : أسفل الدن كان يوضع ليبال فيه . المعوَّر : المكبوس بالتراب .

بين الفرزدق وجرير . فقال : أَعْفِني أَيّها الأَمير . قال : احكم بينهما ، فاستعفاه بجَهْده فأَبى إلاّ أَن يقولَ ؛ فقال : هذا حكمٌ مشؤومٌ ؛ ثم قال : الفرزدق يَنْحِتُ من صَخْر ، وجريرٌ يغرِف من بحر . فلم يرضَ بذلك جرير ، وكان سببَ الهِجاء بينهما . فقال جرير في حُكومته : [من الكامل]

يا ذا العباءةِ إنّ بِشْراً قد قضَى ... أَلاَّ تجـوزَ حكومـةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومةَ لستُم من أَهلِها ... إنّ الحكومـةَ في بني شَيْبانِ
قتَلوا كُلَيْبَكُم بِلَقْحـةِ جارِهِمْ ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستمُ بِهِجانِ[1]

فقال الأَخطل يردّ على جرير : [من الكامل]

ولقـد تَناسبتمْ إلى أَحسابكم ... وجعلتُم حَكَماً من السُّلطانِ
فإذا كُلَيْبٌ لا تُساوي دارِماً ... حتـى يُساوَى حَزْرَمٌ بأَبانِ[2]
وإذا جعلتَ أَباك في مِيزانهم ... رَجَحُوا وشال أَبوك في المِيزانِ
وإذا وردتَ المـاءَ كان لدارمٍ ... عِفْواتُـه وسهولـةُ الأَعطانِ[3]

ثم استطارا في الهجاء .

[مناقضة بينه وبين جرير]

أَخبرني أَبو خَليفةَ قال حدَّثنا محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثنا أَبو الغَرّاف قال : لمّا قال جرير : [من الطويل]

إذا أَخَذتْ قَيْسٌ عليكَ وخِنْدِفٌ ... بأَقطارِهـا لم تَدْرِ من أَين تَسْرَحُ

قال الأَخطل . لا أَين ؛ سَدّ والله عليَّ الدنيا . فلمّا أُنشد قولَه : [من الطويل]

فما لـك في نَجْدٍ حَصاةٌ تَعُدُّها ... وما لك مـن غَوْرَيْ تهامةَ أَبطَحُ

قال الأَخطل : لا أُبالي والله ألاّ يكونَ فَتُحَ لي والصَّلِيبِ القولُ ؛ ثم قال : [من الطويل]

ولكـنْ لنا بَـرُّ العِـراقِ وبَحْرُه ... وحيثُ تَرَى القُرْقُورَ في الماء يَسْبَحُ[4]

[استشهد تغلبيّ بشعر لجرير في محاورة بينه وبين تميميّ]

أَخبرنا أَبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال حدَّثني محمّد بن الحَجّاج الأُسَيِّديّ قال :

---

1 يشير إلى حادثة كليب وجسّاس بن مرّة الشهيرة . واللقحة : الناقة الحلوب .

2 حزرم : جبيل فوق الهضبة في ديار بني أسد . وأبان : جبل شرقي الحاجز فيه نخل وماء ، ويُعرف بالأبيض ، وهو أيضاً جبل لبني فزارة وهو المعروف بالأسود .

3 عفوة كلّ شيء : صفوته وكثرته . والعطن : مناخ الإبل حول الورد .

4 القرقور : السفينة العظيمة .

خرجتُ إلى الصائفةِ فنزلتُ منزلاً ببني تَغْلِبَ فلم أَجِدْ به طعاماً ولا شراباً ولا عَلَفاً لدوابِّي شِرىً ولا قِرىً ولم أَجِد ظِلاً ؛ فقلت لرجلٍ منهم : ما في داركم هذه مسجد يُستَظَلُّ فيه ؟ فقال : ممّن أنت ؟ قلت : من بني تميم . قال : ما كنتُ أرى عمّك جريراً إلاّ قد أخبرك حين قال : [من الكامل]

فينا المساجدُ والإمامُ ولا ترى في آل تَغْلِبَ مسجداً معمورا

[لقيه جرير حين خرج إلى الشام فتناشدا وتعارفا]

أخبرني أبو خَليفة قال أنبأنا محمَّد بن سَلاَّم قال حدَّثني شيخ من ضُبَيْعة قال : خرج جريرٌ إلى الشام فنزل منزلاً ببني تَغْلِبَ فخرج متلثِّماً عليه ثيابُ سفره ، فلقيه رجلٌ لا يعرفه . فقال : ممّن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : أَمَا سمعتَ ما قلتُ لغاوي بني تميم ؟ فأنشده ممّا قال لجرير . فقال : أما سمعتَ ما قال لك غاوي بني تميم ؟! فأنشده . ثم عاد الأخطل وعاد جريرٌ في نَقْضه حتى كثُر ذلك بينهما . فقال التغلَبيّ : مَن أنت ؟ لا حيّاك الله ؛ والله لكأنّك جرير . قال : فأنا جرير . قال : وأنا الأخطل .

[دخل على عبد الملك وهو سكران فخلط في كلامه وأنشده]

أخبرني عمّي قال أنبأنا الكُرانيّ قال أنبأنا أبو عبد الرحمن عن المدائنيّ قال : دخل الأخطل على عبد الملك وقد شرب ، فكلّمه فخلّط في كلامه . فقال له : ما هذا ؟ فقال : [من الوافر]

إذا شرِب الفتى منها ثلاثاً بغير الماء حاولَ أن يَطُولا
مشى قُرَشِيّةً لا عيبَ فيها وأرخَى من مآزره الفُضولا

[نزل به الفرزدق ضيفاً في طريقه إلى الشام فتناشدا وتعارفا]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قال أخبرني إسماعيل بن أبي محمَّد اليزيديّ قال أخبرني أبو محمَّد اليزيديّ قال : خرج الفرزدق يَؤُمّ بعضَ الملوك من بني أُميّة ، فرُفِع له في طريقه بيتٌ أحمر من أَدَم ، فدنا منه وسأل فقيل له : [بيت] الأخطل . فأتاه فقال : انزل . فلمّا نزل قام إليه الأخطلُ وهو لا يعرفه إلاّ أنّه ضيفٌ ؛ فقعدا يتحدّثان . فقال له الأخطل : ممّن الرجل ؟ قال : من بني تميم . قال : فإنّك إذاً من رَهط أخي الفرزدق . فقال : تحفَظ من شعره شيئاً ؟ قال : نعم كثيراً . فما زالا يتناشدان ويتعجّب الأخطل من حفظه شعرَ الفرزدق إلى أن عمِل فيه الشراب ، وقد كان الأخطلُ قال له قبل ذلك : أنتم معشرَ الحَنِيفيّة لا ترون أن تشربوا من شرابنا . فقال له الفرزدق : خَفِّضْ قليلاً وهاتِ من شرابك فاسْقِنا . فلمّا عمِلت الرّاحُ في أبي فِراس قال : أنا والله الذي أقول في جرير فأنشَده . فقام إليه الأخطل فقبّل رأسه وقال : لا جَزاك الله عنّي خيراً ! لِمَ كتمْتني نفسَك منذ اليوم ؟ وأخذا في شرابهما

وتَناشُدهما ، إلى أن قال له الأخطل : والله إنّك وإيّاي لأشعرُ منه ولكنّه أُوتِي من سَير الشعر ما لم نُؤْتَه ؛ قلت أنا بيتاً ما أعلم أنّ أحداً قال أهجَى منه ، قلت : [من البسيط]

قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ قالــوا لأُمِّهمُ بُولي على النارِ

فلم يَرْوِه إلاّ حُكماء أهل الشعر . وقال هو : [من الكامل]

والتغلبيّ إذا تنحنح للقِــرَى حَكّ اسْتَه وتمثَّلَ الأمثالا

فلم تبقَ سُقاة ولا أمثالُها إلاّ روَوْه . فقَضَيا له أنّه أسْيَرُ شعراً منهما .

[كان له دار ضيافة فمرّ به عكرمة الفياض وهو لا يعرفه فأكرمه]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال قال المدائنيّ : كان للأخطل الشاعر دارُ ضيافة ، فمرَّ به عِكْرِمة الفيّاض وهو لا يعرفه ، فقيل له : هذا رجل شريف قد نزل بنا . فلمّا أمسى بعث إليه فتعشَّى معه ، ثم قال له : أتُصيب من الشراب شيئاً ؟ قال نعم . قال : أيَّه ؟ قال : كلَّه إلاّ شرابَك . فدعا له بشراب يُوافقه ، وإذا عنده قَيْنتانِ هما خلفَه وبينه وبينهما سِتْرٌ ، وإذا الأخطل أشهب اللِّحية له ضفيرتان ؛ فغمز الستر بقضيبٍ في يده وقال : غنِّياني بأردية الشعر ، فغنّتاه بقول عمرو بن شَأْس : [من الطويل]

وبِيضٍ تَطَلَّــى بــالعَبيرِ كأنّمــا يَطَأنَ وإن أعْنقنَ في جُدَدٍ وَحْلا[1]

لَهَوْنا بهــا يومــاً ويومــاً بشاربٍ إذا قلتَ مغلوباً وجدتَ له عقلا

[السبب في مدحه عكرمة بن ربعي الفيّاض]

فأمّا السبب في مدح الأخطل عِكْرِمةَ بن رِبْعيّ الفيّاض فأخبرنا به أبو خَليفة عن محمَّد بن سَلاّم قال : قدِم الأخطل الكوفةَ فأتى حَوْشَبَ بن رُوَيْم الشَّيْبانيّ ، فقال : إنّي تحمّلتُ حَمالتين لأحقِن بهما دماء قومي فنَهَرَه ، فأتى سَيّارَ بن البَزِيعة ، فسأله فاعتذر إليه ، فأتى عِكْرِمة الفيّاض ، وكان كاتباً لبِشْر بن مَرْوان ، فسأله وأخبره بما رَدّ عليه الرجلان ؛ فقال : أمّا إنّي لا أنهرُك ولا أعتذر إليك ، ولكنّي أعطيك إحداهما عيناً والأخرى عَرَضاً . قال : وحدَث أمرٌ بالكوفة فاجتمع له الناسُ في المسجد ، فقيل له : إن أردتَ أن تكافيء عِكرِمة يوماً فاليوم . فلبِس جُبّة خَزٍّ وركب فرساً وتقلّد صليباً من ذهب وأتى بابَ المسجد ونزل عن فرسه . فلمّا رآه حَوْشَب وسيّار نَفِسا عليه ذلك ، وقال له عِكْرِمة : يا أبا مالك ، فجاء فوقف وابتدأ يُنشد قصيدته : [من الكامل]

لِمَنِ الدّيــارُ بحائــلٍ فوُعالِ

حتى انتهى إلى قوله :

---

1 الإعناق : سير فسيح سريع . والجدد : الطرق .

إنّ ابنَ رِبْعِـيٍّ كَفاني سَيْبُه ضِغْنَ العدوِّ وغَدْرةَ المُحتالِ[1]
أَغْلَيْتَ حـين تواكَلَتْني وائلٌ إنّ المكارمَ عنـد ذاك غَوالِ
ولقد مَنَنتَ على ربيعـةَ كلِّها وكَفَيْتَ كلَّ مُواكِلٍ خَذَّالِ
كابن البَزِيعـة أو كآخَرَ مثلِه أَوْلَى لك ابنَ مُسِيمةِ الأَجمالِ[2]
إنّ اللَّئيـم إذا سألتَ بَهَرْتَه وترى الكريمَ يَراحُ كالمختالِ[3]
وإذا عدلتَ بـه رجالاً لم تَجِدْ فيضَ الفُرات كراشحِ الأَوشالِ

قال : فجعل عِكْرِمة يبتهج ويقول : هذه والله أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم .

وممّا في شعر الأَخطل من الأَصوات المختارة :

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

أَراعَكَ بالخابورِ نـوقٌ وأَجمال ودارٌ عَفَتْها الرّيحُ بعدِي بأَذيالِ[4]
ومَبْنى قِبـابِ المالكيّـة حَوْلَنـا وجُرْدٌ تَعادَى بـين سَهْلٍ وأَجبالِ

عروضه من الطويل . الشعر للأَخطل . والغناء لابن محرز ، ولحنه المختار من خفيف الثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيف رمل في هذا الوجه نسبه يحيى المكّيّ إلى ابن محرز ، وذكر الهشاميّ أنّه منحول . وفيه لحُنَين الحِيريّ ثقيلٌ أَوّلُ عن الهشاميّ .

1 وغدرة المحتال في الديوان : وبنوة البخّال ، 159 .
2 كابن البزيعة في الديوان : مثل ابن بزعة ، 159 .
3 راح الإنسان إلى الشيء : إذا نشط له وسرّ به .
4 الخابور : نهر بين رأس عين والفرات ، وهو أيضاً واد بالجزيرة .

[121] ـ ذكر سائب خاثر ونسبه

[نسبه]

كان سائب خاثر مولى بني لَيْث . وأَصلُه من فَيْء كِسْرَى ، واشترى عبدُ الله بن جعفر ولاءَه من مواليه ، وقيل : بل اشتراه فأَعتقه ، وقيل : بل كان على وَلائه لبني لَيْثَ ، وإنما انقطع إلى عبد الله بن جعفر فلزمه وعُرِف به . وكان يبيع الطعام بالمدينة . واسم أَبيه الذي أَعتقه بنو ليث «يشا» .

[هو أوّل من عمل العود بالمدينة وغنّى به وأخذ عنه المغنّون الأوّلون]

قال ابن الكَلْبيّ وأَبو غَسّان وغيرُهما : هو أَوّل مَن عمِل العُود بالمدينة وغنَّى به . وقال ابن خُرْداذْبه : كان عبد الله بن عامر اشترى إماءً صَنّاجاتٍ[1] وأَتى بهنّ المدينة ، فكان لهنّ يومٌ في الجمعة يلعبن فيه ، وسمِع الناسُ منهنّ ، فأَخذ عنهنّ . ثم قدِم رجلٌ فارسيٌّ يسمَّى بِنَشِيطٍ ، فغنَّى فأَعْجِب عبدُ الله بن جعفر به . فقال له سائب خاثر : أَنا أَصنع لك مثلَ غِناء هذا الفارسيّ بالعربيّة ، ثم غدا على عبد الله بن جعفر وقد صنع : [من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ رسومُهـا قَفْـرُ

قال ابن الكلبيّ : وهو أَوّل صوت غُنِّي به في الإسلام من الغناء العربيّ المُتْقَن الصنعة . قال : ثم اشترى عبد الله بن جعفر نَشِيطاً بعد ذلك ، فأَخذ عن سائب خاثر الغناء العربيّ وأَخذ عنه ابنُ سُرَيج وجميلةُ ومَعْبَد وعَزّة المَيْلاءِ وغيرُهم .

[قتل يوم الحرّة]

قال ابن الكلبيّ وحدَّثني أَبو مِسْكين قال : كان سائب خاثر يُكْنى أَبا جعفر ، ولم يكن يضرب بالعود إنّما كان يَقْرَع بقَضِيب ويغنّي مرتجِلاً ، ولم يزل يغنّي . وقُتل يومَ الحَرّة . ومرَّ به بعض القُرَشيِّين وهو قتيل ، فضربه برجله وقال : إنّ هاهنا لحنجرةً حسنةً . وكان سائب من ساكني المدينة .

قال ابن الكلبيّ : وكان سائب تاجراً مُوسِراً يبيع الطعامَ ، وكان تحته أَربعُ نسوة ، وكان انقطاعُه إلى عبد الله بن جعفر ، وكان مع ذلك يُخالط سَرَواتِ الناس وأَشرافَهم لظَرْفه وحلاوته وحسن صوته . وكان قد آلى ألاّ يغنّيَ أحداً سوى عبد الله بن جعفر ، إلاّ أَن يكونَ

1 الصناجات : اللاعبات بالصنج . وفي ل : نائحات .

خليفةً أو وليَّ عهد أو ابنَ خليفة ؛ فكان على ذلك إلى أن قُتِل . قال : وأخَذ معبد عنه غناءً كثيراً فنحَل الناسُ بعضَه إليه ، وأهلُ العِلم بالغناء يعرفون ذلك . وزعم ابن خُرْداذْبه أنّ أُمّ محمَّد بن عمرو الواقديّ القاضي المحدِّث بنتُ عيسى بن جعفر بن سائب خاثر .

[هو أوّل مَن غنّى بالعربيّة الغناء الثقيل]

وقال ابن الكلبيّ : سائب خاثر أوّل مَن غنّى بالعربيّة الغناءَ الثقيل ؛ وأوّل لحنٍ صنعه منه : [من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ رسومُهـا قَفْرُ

قال : فأُلِفتُ هذا الصوتَ الفَرُوحَ .

قال وحدَّثني محمَّد بن يزيد أنّ أوّلَ صوت صنعه في شعر امرىء القيس : [من الكامل]

أفاطِمُ مَهْلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

وأنّ معبداً أخَذ لحنَه فيه فغنّى عليه : [من الطويل]

أَمِـنْ آل ليـلى باللِّـوَى مُتَرَبَّعُ .

[وفد على معاوية مع عبد الله بن جعفر فسمع منه وأجازه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن لَقِيط قال : وفَد عبد الله بن جعفر على معاوية ومعه سائب خاثر فوقّع له في حوائجه ، ثم عرَض عليه حاجةً لسائب خاثر ؛ فقال معاوية : مَنْ سائب خاثر ؟ قال : رجلٌ من أهل المدينة لَيْثيٌّ يَرْوي الشعر . قال : أوَكُلُّ من رَوى الشعر أراد أن نَصِلَه ؟ قال : إنّه حَسَّنه . قال : وإنْ حَسَّنه ! قال : أفأُدْخِله إليك يا أمير المؤمنين ؟ قال نعم . قال : فألبستُه مُمَصَّرتين[1] إزاراً ورِداء . فلمّا دخل قام على الباب ثم رفع صوته يتغنّى : [من الكامل]

لِمَـنِ الديـارُ رُسُومُهـا قَفْرُ

فالتفت معاويةُ إلى عبد الله بن جعفر فقال : أشْهَد لقد حسَّنه ؛ فقضى حوائجه وأحسن إليه .

نسبة هذا الصوت

[من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيـارُ رُسُومُهـا قَفْرُ لَعِبـتْ بهـا الأرواحُ والقَطْرُ

1 الممصّر من الثياب : الذي فيه صفرة خفيفة .

وخَلا لها من بعد ساكنِها حِجَجٌ مَضَيْنَ ثَمانٍ أَوْ عَشْرُ
والزَّعْفرانُ على تَرائِبها شَرِقٌ به اللَّبّاتُ والنَّحْرُ[1]

الشعر يُنسب إلى أَبي بكر بن المِسْوَر بن مَخْرَمة الزُّهْريّ ، وإلى الحارث بن خالد المخزومي ، وإلى بعض القرشيّين من السبعة المعدودين من شعراء العرب . والغِناء لسائب خاثر ثقيلٌ أَوّل بالسبّابة عن المكّيّ وحَبَش ، وذكر أَنّ لحن سائب خاثر ثقيلٌ أَوّل بالوسطى ، ووافق إسحاق في ذلك ، وذكر أَنّ الثقيل الأَوّل لنشيط . وذكر يونس أَنّ فيه لحناً لمعبد ولم يجنّسه ، وذكر الهشاميّ أَنّ لحن معبد خفيفُ ثقيل ، وأَنّ فيه لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل .

[سمعه معاوية عند ابنه يزيد فأعجبه وأمر يزيد بصلته]

أَخبرنا أَحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار وأَحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالوا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني قَبِيصة بن عمرو قال حدَّثنا محمَّد بن المِنْهال عن رجل حدَّثه ، وذكر ذلك أَيضاً ابن الكَلْبيّ عن لَقِيط قال : أَشْرف معاويةُ بن أَبي سفيان ليلاً على منزل يزيدَ ابنِه ، فسمع صوتاً أَعجبه ، واستخفّه السماعُ فاستمع قائماً حتى مَلّ ، ثم دعا بكرسيّ فجلس عليه ، واشتهى الاستزادةَ فاستمع بقيّة ليلته حتى مَلّ . فلمّا أَصبح غدا عليه يزيدُ . فقال له : يا بُنَيّ ! مَنْ كان جليسَك البارحةَ ؟ قال : أَيّ جليس يا أَمير المؤمنين ؟ واستَعْجَم عليه . قال : عَرِّفْني فإنّه لم يخفَ عليّ شيءٌ من أَمرك . قال : سائب خاثر . قال : فأَخْثِرْ[2] له يا بُنَيّ من بِرّك وصِلَتك ، فما رأَيتُ بمجالسته بأساً .

[سمعه معاوية عند ابن جعفر فأعجب به]

قال ابن الكلبيّ : قدم معاويةُ المدينةَ في بعض ما كان يقدَم ؛ فأَمر حاجبَه بالإذن للناس ؛ فخرج الآذِنُ ثم رجع فقال : ما بالباب أَحدٌ . فقال معاوية : وأَين الناس ؟ قال : عند ابن جعفر . فدعا ببغلته فركبها ثم توجَّه إليهم . فلمّا جلس قال بعض القرشيِّين لسائب خاثر : مُطْرَفي هذا لك ، وكان من خَزٍّ ، إن أَنتَ اندفعتَ تُغَنّي ومشيتَ بين السِّماطَيْن وأَنت تُغنّي . فقام ومشى بين السماطين وغنّى : [من الطويل]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحَى وأَسيافُنا يَقْطُرْنَ من نجدةٍ دَما

فسمِع منه معاويةُ وطَرِب وأَصْغى إليه حتى سكَت وهو مُسْتحسِنٌ لذلك ، ثم قام وانصرف إلى منزله . وأَخذ سائب خاثر المُطْرَفَ .

---

1 شرق الجسد بالطيّب : إذا امتلأ .

2 أخثر : أكثر .

[قتله يوم الحرّة وكلام يزيد فيه]

أخبرني حبيب بن نصر عن عمر بن شَبّة عن الزُّبَيريّ ، وأخبرني أبو بكر بن أبي شَيْبة البَزّاز قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ قال : قُتل سائب خاثر يومَ الحَرّة ، وكان خَشِي على نفسه من أهل الشام فخرج إليهم وجعل يحدّثهم ويقول : أنا مُغَنٍّ ، ومن حالي وقصّتي كيتَ وكيتَ ؛ وقد خدَمتُ أمير المؤمنين يزيدَ وأباه قبلَه . قالوا : فغنِّ لنا ، فجعل يغنّي ؛ فقام إليه أحدُهم فقال : أحسنتَ والله ؛ ثم ضربه بالسيف فقتله . وبلغ يزيدَ خبرُه ومرَّ به اسمُه في أسماء من قُتِل يومئذٍ فلم يعرفه وقال : مَنْ سائب خاثر هذا ؟ فقيل له : هو سائب خاثر المغنّي . فعرَفه فقال : وَيْلَه ؛ ماله ولنا ؟ ألم نُحْسِنْ إليه ونَصِلْه ونَخْلِطْه بأنفسنا ! فما الذي حمله على عداوتنا ! لا جَرَمَ أنّ بَغْيَه صرَعه . وقال المدائنيّ في خبره : فقال إنّا لله ؛ أو بلغَ القتلُ إلى سائب خاثر وطبقتِه ؟ ما أرى أنّه بقي بالمدينة أحدٌ . ثم قال : قبّحكم الله يا أهلَ الشام ؛ تَجِدهم صادفوه في حديقة أو حائط مستتراً منهم فقتلوه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال أنبأنا عمر بن شَبّة قال حدّثني قَبِيصةُ بن عمرو قال حدّثني حاتم بن قَبيصة قال حدّثني ابن جُعْدُبة قال حدّثني مُوَيْلِك عن أبيه قال قال لي سائب خاثر يومَ الحَرّة : هل سمعتَ شيئاً صنعتُه ؟ فغنّاني صوتاً : [من الطويل]

صوت

لِمَنْ طَلَلٌ بين الكُراعِ إلى القَصْرِ يُغَيِّب عنّا آيَهُ سَبَلُ القَطْرِ[1]

إلى خالداتٍ ما تَرِيمُ وهامِدٍ وأشعثَ تُرْسِيه الوَليدةُ بالفِهْرِ[2]

قال : فسمعتُ عجباً مُعْجِباً ، ثم ذكر أهلَه وولدَه فبكى . فقلت له : وما يمنعك منهم ؟ فقال : أمّا بعدَ شيء سمعته ورأيتُه من يزيدَ بنِ معاوية فلا ؛ ثم تقدَّم حتى قُتِل .

صوت

من المائة المختارة

[من مخلّع البسيط]

أقْفَرَ من أهلِه مَصِيفُ فبَطْنُ نَخْلَةَ فالعَرِيفُ[3]

---

1 كراع الأرض : ناحيتها وهو أيضاً ما سال من أنف الجبل أو الحرة . وكراع الغميم : موضع بناحية الحجاز بين مكّة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال .

2 الأشعث : الوتد . الفهر : حجر يملأ الكفّ .

3 بطن نخلة : موضع بين مكّة والطائف . مصيف والعريف : يبدو أنهما اسمان لموضعين .

هـل تُبْلِغَنِّـي دِيـارَ قومي مَهْرِيّـةٌ سَيْرُهـا زَفِيفُ[1]
يـا أُمَّ نُعْمـانَ نَوِّلِينـا قـد ينفـعُ النائـلُ الطَّفِيفُ
أعمامُهـا الصِّيدُ من لُـؤَيٍّ حَقّـاً وأخوالُهـا ثَقِيفُ

الشعر لأبي فَرْعَةَ الكِنانيّ ، والغناءُ لجَرادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان ، ولحنُه من خفيف الثقيل . وفيه في الثالث والرابع أوّلُ مطلق .

1 زفيف : سريع .

[122] ـ ذكر جَرادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جُدْعان

[نسبه]

هو عبد الله بن جُدْعان بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تَيْم بن مُرّة بن كَعْب بن لؤيّ بن غالِب .

[كان جواداً فوهب لأُميّة بن أبي الصّلت أمتيه الجرادتين]

قال ابن الكلبيّ : كانت لابن جُدْعانَ أَمَتانِ تُسمَّيانِ الجَرادتين تتغنَّيان في الجاهليّة . سّماهما بجرادَتَيْ عادٍ . ووهبهما عبدُ الله بن جُدْعانَ لأُميّة بن أبي الصَّلْت الثَّقَفِيّ ، وقد كان امتدحه . وكان ابنُ جُدْعانَ سيِّداً جَواداً ، فرأى أُميّةَ ينظر إليهما وهو عنده فأعطاه إيّاهما .

[سؤال عائشة للنبيّ ﷺ عنه]

وأخبرني أبو اللَّيْث نصرُ بن القاسم الفَرائضيّ قال حدّثنا أبو بكر بن أبي شَيْبة قال حدَّثنا حَفْص بن غِياث عن داود عن الشَّعْبيّ عن مسروق عن عائشة قالت : قلتُ : يا رسول الله إنّ ابن جُدْعانَ كان في الجاهليّة يَصِلُ الرَّحِمَ ويُطْعِم المسكينَ فهل ذلك نافعُه ؟ قال «لا لم يقل يوماً اغفِرْ لي خَطيئتي يومَ الدِّين» .

[قدم عليه أُميّة وهو عليل فضمنه قضاء دينه ، فمدحه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثني جعفر بن الحسين قال حدَّثني إبراهيم بن أحمد قال : قدِم أُميّة بن أبي الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ ؛ فلمّا دخل عليه قال له عبد الله : أمرٌ ما أتى بك ! فقال أُميّة : كلابٌ غُرَماءُ نَبَحَتْني ونَهَشَتْني . فقال له عبدُ الله : قدِمتَ عليّ وأنا عليلٌ من حقوق لَزِمتْني ونهشتْني ، فانْظِرْني قليلاً ، ما في يدي ، وقد ضَمِنتُك قضاءَ دينك ولا أَسْأل عن مَبْلَغه . قال : فأقام أُميّةُ أيّاماً ، فأتاه فقال : [من الوافر]

أَأَذكُر حاجتي أم قد كَفاني ... حياؤك إن شيمتَك الحَياءُ

وعِلْمُك بالأُمورِ وأنت قَرْمٌ ... لك الحسبُ المهذَّبُ والسَّناءُ

كريمٌ لا يُغَيِّره صباحٌ ... عن الخُلُق السَّنِيّ ولا مَساءُ

تُباري الرِّيحَ مَكْرُمةً وجوداً ... إذا ما الكلبُ أَجْحره الشتاءُ

إذا أثْنى عليك المرءُ يوماً ... كفاه من تَعَرُّضه الثناءُ

إذا خلّفتَ عبد الله فاعلم بأنّ القوم ليس لهم جَزاءُ
فأرضُك كلُّ مَكْرُمةٍ بناها بنو تَيْمٍ وأنت لهم سماءُ
فأبْرزَ فضلَه حقّاً عليهم كما برَزتْ لناظرها السماءُ
فهل تَخْفى السماءُ على بَصيرٍ وهل بالشمسِ طالعةً خَفاءُ

فلمّا أنْشده أُميّةُ هذا الشعرَ كانت عنده قينتانِ فقال : خُذ أيّتَهما شئتَ ؛ فأخذ إحداهما وانصرف . فمرّ بمجلس من مجالس قريش فلاموه على أخذها وقالوا له : لقد لَقِيتَه عَليلاً ، فلو رددتَها عليه ، فإنّ الشيخ يحتاج إلى خدمتها ، كان ذلك أقربَ لك عنده وأكثرَ من كلّ حقّ ضَمِنه لك ، فوقع الكلامُ من أُميّة موقِعاً وندِم ، ورجع إليه ليردَّها عليه . فلمّا أتاه بها قال له ابن جُدْعانَ : لعلّك إنّما رَدَدتَها لأنّ قريشاً لاموك على أخذها وقالوا كذا وكذا ، فوصف لأُميّة ما قال له القوم . فقال أُميّة : واللهِ ما أخطأتَ يا أبا زُهَير . فقال عبد الله بن جُدْعانَ : فما الذي قلتَ في ذلك ؟ فقال أُميّةُ : [من الطويل]

صوت

عطاؤكَ زيْنٌ لامرىء إن حَبَوْتَه ببَذْلٍ وما كلُّ العطاء يَزِينُ
وليس بشَيْنٍ لامرىء بذلُ وجهه إليكَ كما بعضُ السؤال يَشِينُ

غنّت فيه جرادتا عبد الله بن جُدْعان . فقال عبد الله لأُميّة : خُذِ الأُخرى ؛ فأخذهما جميعاً وخرج . فلمّا صار إلى القوم بهما أنشأ يقول ، وقد أنشدَنا هذه الأبياتَ أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريّ عن عمر بن شَبّة وفيها زيادة : [من الوافر]

وما لي لا أُحيِّيه وعندي مواهِبُ يَطَّلِعنَ من النِّجادِ
لأبيضَ من بني تَيْم بن كَعْبٍ وهم كالمُشْرَفيّاتِ الحِدادِ
لكلّ قبيلةٍ هادٍ ورأسٌ وأنت الرأسُ تَقْدُم كلَّ هادي[1]
له بالخَيْفِ قد علمتْ مَعَدٌّ وإنّ البيت يُرْفَع بالعمادِ
له داعٍ بمكّةَ مُشْمَعِلٌّ وآخرُ فوق دارته يُنادي[2]
إلى رُدُحٍ من الشِّيزى مِلاءٍ لُبابَ البُرّ يُلْبَكُ بالشِّهادِ[3]

1 الهادي : العنق لأنّها تتقدّم على البدن .
2 اشمعلّ القوم في الطلب إذا بادروا فيه وتفرّقوا .
3 ردح : جمع رداح وهي الجفنة العظيمة . الشيزى : خشب أسود تتّخذ منه القصاع .

وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الكامل]

ذُكِـر ابـنُ جُدْعـانٍ بخيـ ـرٍ كلّمـا ذُكِـر الكـرامُ
مـن لا يَخُـون ولا يَعُـقُّ ولا تُغَيِّـره اللئـامُ[1]
نَجْـبُ النَّجيبـة والنجيبـ ـب لـه الرِّحالـةُ والزِّمامُ[2]

[وفد على كسرى وأكل عنده الفالوذ فصنعه بمكّة ودعا الناس إليه]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثنا محمّد بن إسحاق البَغَويّ قال حدّثنا الأَثْرَم عن أبي عُبيدة قال : كان ابنُ جُدْعانَ سيّداً من قريش ؛ فوفَد على كسرى فأكل عنده الفَالُوذَ ، فسأل عنه فقيل له : هذا الفالوذُ . قال : وما الفالوذُ ؟ قالوا : لُبابُ البرّ يُلْبَك مع عسل النحل . قال : ابغُوني غلاماً يصنعه ؛ فأَتَوْه بغلام يصنعه فابتاعه ثم قدِم به مكّةَ معه ، ثم أمره فصنع له الفالوذَ بمكّة ، فوضع الموائدَ بالأَبطَح إلى باب المسجد ، ثم نادى مُنادِيه : ألاَ مَنْ أراد الفالُوذَ فليَحْضُرْ فحضر الناسُ ؛ فكان فيمن حضَر أُميّةُ بن أبي الصَّلْت ؛ فقال فيه : [من الوافر]

ومـا لي لا أُحيِّيـه وعنـدي مواهـبُ يَطَّلِعْنَ مـن النِّجادِ
إليّ وإنّـه للنـاس نِهْـيٌ ولا يَعْتلُّ بالكَلِـمِ الصَّوادِي[3]

وذكر باقيَ الأبيات التي مضت متقدّماً .

[استشهاد سفيان بن عيينة في تفسير حديث بشعر لأُميّة فيه]

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال أخبرنا يعقوب بن إسرائيل مولى المنصور قال حدّثني محمّد بن عِمْران الجُرْجانيّ ، وليس بصاحب إسحاق الموصليّ ؛ قال : وهو شيخ لَقِيتُه بجُرْجان ، قال حدّثنا الحسين بن الحسن المَرْوَزِيّ قال : سألتُ سفيان بن عُيينة فقلت : يا أبا محمّد ، ما تفسيرُ قول النبيّ ﷺ وعلى آله : «كان من أكثر دعاء الأنبياء قبلي لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له لـه المُلك وله الحمد وهو على كلّ شيء قدير» وإنّما هو ذِكْرٌ وليس فيه من الدّعاء شيءٌ ؟ فقال لي : أعَرفتَ حديث مالك بن الحارث : يقول الله جَلّ ثناؤه : «إذا شَغل عبدي ثناؤه عليّ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلين» ؟ قلت : نعمْ أنتَ حدّثْتنيه عن منصور عن مالك بن الحارث . قال : فهذا تفسير ذلك ، ثم قال : أمَا علمتَ ما قال أُميّةُ بن أبي الصَّلْت حين خرج إلى ابن جُدْعانَ يطلب نائلَه وفَضْلَه . قلت : لا أدري ؟ قال قال : [من الوافر]

---

1 تغيّره في ل : تُبخّله .
2 النَّجْب : السخي الكريم كالنجيب . نجب في ل : يهب .
3 النهي : الغدير ، وهو أيضاً كلّ موضع يجتمع فيه الماء . الصوادي : العطاش .

أأذكُر حاجتي أم قد كَفاني حياؤك إنّ شيمتَك الحياءُ
إذا أَثْنَى عليك المرءُ يوماً كفاه من تعرُّضه الثناءُ

ثم قال سفيان : فهذا مخلوقٌ يُنْسَب إلى الجود فقيل له : يكفينا من مسألتك أن نُثْنِيَ عليك ونسكتَ حتى تأتيَ على حاجتنا ، فكيف بالخالق ! .

[زاره أُميّة في احتضاره وقال فيه شعراً]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا حُمَيْد بن حُمَيْد قال حدَّثني جَبّار بن جابر قال : دخل أُميّةُ بن أبي الصَّلْت على عبد الله بن جُدْعانَ وهو يجود بنفسه ؛ فقال له أُميّةُ : كيف تَجِدُك أبا زُهَير ؟ قال : إنّي لُمدابِر (أي ذاهب) . فقال أُميّةُ : [من الوافر]

علِمَ ابنُ جُدْعانَ بنِ عمـ ـرٍو أنّـه يومـاً مُدابِرْ
ومسافـرٌ سفـراً بعيـ ـداً لا يؤوب به المُسافِرْ
فقُـدُورُه بفِنائـه للضيف مُتْرَعَـةٌ زَواخِرْ
تبدو الكسورُ من انْضِرا جِ الغَلْي فيها والكَراكِرْ[1]
فكأنّهـنّ بمـا حَمِيـ ـنَ وما شُحِنَّ بها ضَرائرْ
بَـذَّ المَعـاشِرَ كلَّهـا بالفضل قـد علِم المَعاشِرْ
وعـلا عُلُـوَّ الشمس حـ ـتّى ما يُفاخِـرُه مُفاخِرْ
دانـت لـه أبنـاءُ فِهْـ ـرٍ من بني كعبٍ وعامرْ
أنتَ الجوادُ ابنُ الجوا دِ بكم يُنافِـرُ مَنْ يُنافِرْ

[ترك الخمر قبل موته وذمّها بشعر]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخْفَش قال حدَّثنا أبو سَعيد السُّكّريّ قال أخبرني أبو عبد الرحمن الغَلابيّ عن الواقِديّ عن ابن أبي الزِّناد قال : ما مات أحد من كبراء قُرَيش في الجاهليّة إلاّ ترك الخمرَ استحياءً ممّا فيها من الدَّنَس ، ولقد عابَها ابنُ جُدْعانَ قبل موته فقال : [من الوافر]

شَرِبتُ الخمرَ حتى قال قومي ألستَ عـن السَّفَاه بمُستفيقِ
وحتى مـا أُوسَّدُ في مَبِيتٍ أنام بـه سوى التُّرْبِ السَّحِيقِ

1 الكسور : جمع كسر وهو نصف العظم بما عليه من اللحم . الانضراج : الانفراج . الكركرة : كالقهقهة : ويعني بها صوت الماء في غليانه .

وحتى أَغْلَقَ الحانوتُ رَهْني وآنَسْتُ الهَوانَ من الصديقِ[1]

قال : وكان سببُ تركه الخمرَ أَنّ أُميّةَ بن أَبي الصَّلْت شرِب معه فأَصبحت عين أُميّةَ مُخْضرَّةً يخاف عليها الذَّهاب . فقال له : ما بال عينِك ؟ فسكت . فلمّا أَلحّ عليه قال له : أنت صاحبُها أَصبتَها البارحةَ . فقال : أَو بَلَغ منّي الشَّراب الذي أُبلُغ معه من جليسي هذا ؟ لا جَرَمَ لأُدِينّها لك دِيتَيْن ؛ فأَعطاه عشرةَ آلاف درهم ، وقال : الخمرُ عليّ حرام أذوقها أبداً ، وتركها من يومئذٍ .

صوت
من المائة المختارة

[من مجزوء الرمل]

قد لَعَمْرِي بِتُّ لَيْلي كأَخي الداءِ الوَجيعِ
ونَجِيُّ الهمّ منّي بات أَدنى من ضَجيعي
كلّما أبصرتُ رَبْعاً خالياً فاضت دموعي
لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا أَو هَمَمْنا بالخشوعِ
إذ فقدْنا سيِّداً كا ن لنا غيرَ مُضِيعِ

الشعر للأَحوص . والغناء لسَلاّمةِ القَسّ . ولحنُه المختار من القدر الأَوسط من الثقيل الأَوّل بالوسطى في مَجْراها . وقد قيل : إنّ الشعر والغناء جميعاً لها ، وقد قيل : إنّ الغناء لمعبد وإنّها أَخذتْه عنه .

1 أغلق الرهن : استحقّه . والحانوت : الخمّار .

[123] ـ ذكر سَلاّمةِ القَسّ وخبرها

[نشأة سلامة القسّ ومن أخذت عنه الغناء ، وسبب تسميتها بذلك]

كانت سَلاّمةُ مولَّدة من مولَّدات المدينة وبها نشأت . وأخذت الغناءَ عن معبد وابن عائشة وجميلةَ ومالك بن أبي السَّمْح وذَوِيهم فمهَرت . وإنّما سُمِّيت سَلاّمةَ القَسِّ لأنّ رجلاً يُعرف بعبد الرحمن بن أبي عَمَّار الجُشَميّ من قُرّاء أهل مكّة ، وكان يُلَقَّب بالقَسّ لعبادته ، شُغِف بها وشُهِر ، فغلَب عليه لقبُه . واشتراها يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان ، وعاشت بعده ، وكانت إحدى من اتُّهِم به الوليدُ من جواري أبيه حين قال له قَتَلَتهُ : نَنْقِمُ عليكَ أنّك تَطَأ جواريَ أبيك . وقد ذكرنا ذلك في خبر مقتله .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : كانت حَبابةُ وسَلاّمةُ القَسِّ من قِيان أهل المدينة ، وكانتا حاذقتين ظريفتيْن ضاربتين ؛ وكانت سَلاّمةُ أحسنَهما غناء ، وحَبابةُ أحسنَهما وجهاً ، وكانت سَلاّمةُ تقول الشعر ، وكانت حَبابة تتعاطاه فلا تُحْسِن . وأخبرني بذلك المَدائنيّ عن جَرير .

وحدَّثني الزُّبَيْريّ قال حدَّثني مَنْ رأى سَلاّمة قال : ما رأيتُ من قِيان المدينة فتاةً ولا عجوزاً أحسنَ غناءً من سَلاّمةَ . وعن جميلةَ أخذتِ الغناءَ .

[كانت لسهيل بن عبد الرحمن ، وشعر ابن قيس الرقيّات فيها]

حدَّثني أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار وإسماعيل بن يونُس قالا حدَّثنا أبو زيد عمر بن شَبّة قال حدَّثني المَدائنيّ قال : كانت حَبابةُ وسَلاّمةُ قَيْنتين بالمدينة ؛ أمّا سَلاّمةُ فكانت لسُهَيْل بن عبد الرحمن ، ولها يقول ابنُ قَيْس الرُّقَيّات : [من الطويل]

لقد فَتَنتْ رَيّا وسَلاّمةُ القَسّا ... فلم تتركا للقَسِّ عقلاً ولا نَفْسا

فتاتانِ أمّا منهما فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

وغَنّاه مالكُ بن أبي السَّمْح . وفيها يقول ابن قيس الرُّقيّات :

أُختانِ إحداهما كالشمس طالعةً ... في يوم دَجْنٍ وأُخرى تشبه القمرا

قال : وفُتِن القَسُّ بسَلاّمةَ ، وفيها يقول : [من الوافر]

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ... ولو أنّي أُطيع القلبَ قالا

حياءً منكِ حتى سُلّ جسمي ... وشَقّ عليَّ كتماني وطالا

[سبب افتتان عبد الرحمن بن أبي عمّار القسّ بها وشعره فيها]

قال : والقَسّ هو عبد الرحمن بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وكان منزلُه بمكّة . وكان سببُ افتتانه بها فيما حدَّثني خَلاّد الأَرْقَط قال سمعت من شيوخنا أهل مكّة يقولون : كان القَسُّ من أَعْبَدِ أهل مكّة ، وكان يُشَبَّه بعَطاء بن أبي رَباح ، وأنّه سمع غناءَ سَلاّمةِ القَسِّ على غير تعمُّد منه لذلك . فبلغ غِناؤها منه كلَّ مبلغ ؛ فرآه مولاها فقال له : هل لك أن أُخرِجَها إليكَ أو تدخلَ فتسمع ؟ فأبى . فقال مولاها : أنا أُقْعِدها في موضع تَسمع غناءَها ولا تراها فأبى ؛ فلم يزل به حتى دخل فأسمعه غِناءها فأعجبه . فقال له : هل لك في أن أُخرجها إليك ؟ فأبى . فلم يزل به حتى أخرجها فأقعدها بين يديه ، فتغنّت فشُغِفَ بها وشُغِفت به ، وعرَف ذلك أهلُ مكّة . فقالت له يوماً : أنا والله أُحبّك . قال : وأنا والله أُحِبّك . قالت : وأُحِبّ أن أضَعَ فمي على فمك . قال : وأنا والله أُحِبّ ذاك . قالت : فما يمنعك ! فوالله إنّ الموضع لخالٍ . قال : إنّي سمعتُ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاّ الْمُتَّقِينَ﴾ وأنا أكره أن تكون خُلّةُ ما بيني وبينك تؤول إلى عداوة . ثم قام وانصرف وعاد إلى ما كان عليه من النُّسك ؛ وقال من فَوْره فيها : [من الكامل]

إنّ التي طَرَقَتْكَ بين ركائبٍ ... تَمْشي بِمِزْهَرِها وأنتَ حَرامُ
لِتَصيدَ قلبَك أو جزاءَ مودّةٍ ... إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ
باتت تعلّلنا وتحسب أنّنا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطَع الضّياءُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أحلامُ
قد كنتُ أعذُلُ في السَّفاهة أهلَها ... فاعجَبْ لِما تأتي به الأيّامُ
فاليومَ أعذِرُهم وأعلم أنّما ... سُبُلُ الضَّلالةِ والهُدَى أقسامُ

ومن قوله فيها : [من الطويل]

أَلَم تَرَها لا يُبْعِد الله دارَها ... إذا رَجّعتْ في صوتها كيف تصنعُ
تَمُدّ نظامَ القولِ ثم تَرُدّه ... إلى صَلْصَلٍ في صوتها يترجّعُ

وفيها يقول : [من الطويل]

أَلا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مُبْصِرُ ... وهل أنت عن سَلاّمةَ اليومَ مُقْصِرُ
أَلا ليتَ أنّي حين صارتْ بها النَّوَى ... جليسٌ لسَلْمَى كلّما عَجّ مِزْهَرُ

وقال في قصيدةٍ له : [من البسيط]

سَلاّمُ وَيْحَكِ هل تُحيين مَنْ ماتا ... أو تَرْجعينَ على المحزون ما فاتا

وقال أيضاً : [من السريع]

سَلاَّمُ هـل لي منكـمُ ناصرُ أم هـل لقلبي عنكـمُ زاجرُ
قـد سمِع الناسُ بوجدي بكم فمنهـمُ اللاّئـمُ والعـاذرُ

في أشعار كثيرة يطول ذكرها .

[غنّت هي وأختها ريّا في شعر لابن قيس الرقيات وللأحوص]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال حدّثني الجُمَحيّ قال : كانت سَلاّمة وريّا أختَين ، وكانتا من أجمل النساء وأحسنهنّ غناءً . فاجتمع الأحوَص وابن قَيْس الرقيّات عندهما ؛ فقال لهما ابن قيس الرقيّات : إنّي أُريد أن أمدحكما بأبياتٍ وأصدُقَ فيها ولا أكذبَ ؛ فإن أنتما غنّيتماني بذلك وإلاّ هجوتكما ولا أقرَبكما . قالتا : فما قلتَ ؟ قال قلتُ : [من الطويل]

لقـد فتنتْ رَيَّـا وسَلاّمـة القَسَّا فلم تتركا للقَسِّ عقـلاً ولا نفسا
فتاتـانِ أمّـا منهمـا فشبيهةُ الـ ـهلالِ وأُخْرى منهما تُشبه الشمسا
تَكَنّـانِ أبشاراً رِقاقـاً وأوجُهـاً عِتاقاً وأطرافـاً مُخَضَّبَةً مُلْسا[1]

فغنّته سَلاّمة واستحسنتاه . وقالتا للأحوص : ما قلتَ يا أخا الأنصار ؟ قال قلت : [من الكامل]

صوت

أسَلام هـل لمتيَّـم تنويـلُ أم هل صَرَمْتِ وغالَ ودَّكِ غولُ
لا تَصْرِفي عنّـي دلالَكِ إنّه حَسَنٌ لديّ وإن بَخِلْتِ جميلُ
أزَعمتِ أنّ صَبابتـي أكذوبةٌ يومـاً وأنّ زيارتـي تعليـلُ

الغناء لسَلاّمةِ القَسّ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن الهشاميّ وحَمّاد . وفيه لإبراهيم لحنان ، أحدهما خفيفُ ثقيلٍ بالبنصر في مجراها عن إسحاق وعمرو ، والآخر ثقيل أوّله استهلال عن الهشاميّ ؛ فغنّت الأبياتَ . فقال ابن قيس الرُّقيّات : يا سلاّمة ! أحسنتِ والله ! وأظُنُّكِ عاشقة لهذا الحَلَقيّ[2] ! فقال له الأحوص : ما الذي أخرجكَ إلى هذا ؟ قال : حُسْنُ غِنائها بشعرك ، فلولا أنّ لك في قلبها محبّةً مُفْرِطةً ما جاءها هكذا حَسَناً على هذه البديهة . فقال له الأحوص : على قَدْر حُسْن شعري على شعرك هكذا حَسُن الغناءُ به ، وما هذا منك إلاّ حسد ، ونُبَيِّن لك الآن ما

1 عتاقا : في الديوان : حساناً 35 .
2 أتان حلقيّة : إذا تداولتها الحمر فأصابها داء في رحمها .

حسدتَ عليه . فقالت سَلاّمة : لولا أنّ الدخول بينكما يُوجب بِغْضةً لحكمتُ بينكما حكومةً لا يردّها أحدٌ . قال الأحوص : فأنت من ذلك آمنة . قال ابن قيس الرقيّات : كلاّ ؛ قد أمِنتَ أن تكونَ الحكومة عليك ، فلذلك سبقتَ بالأمان لها . قال الأحوص : فرَأْيُك يدلّك على أن معرفتك بأنّ المحكوم علَيه أنت ؛ وتفرّقا . فلمّا صار الأحوص إلى منزله جاءه ابن قيس الرقيّات فقرَع بابه ، فأذِن له وسلّم عليه واعتذر .

وممّا قاله الأحوص في سَلاّمةِ القَسّ وغُنّي به : [من الكامل]

صوت

أسَلامُ إنّكِ قد ملكتِ فأسْجِحِي ... قد يملِك الحرُّ الكريم فيُسْجِحُ
مُنّي على عانٍ أطَلْتِ عَناءه ... في الغُلِّ عندكِ والعُناةُ تُسَرَّحُ
إنّي لأنصَحُكم وأعلَمُ أنّه ... سيّانِ عندكِ من يَغُشّ ويَنْصَحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامةَ حُبَّها ... قالت أجِدٌّ منك ذا أم تمزَحُ

الشعر للأحوص . والغناء لابن مِسْجَح في الأوّل والثاني ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . ولدَحْمانَ في الأربعة الأبيات ثقيلٌ أوّل بالبنصر فيه استهلال . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يقال : إنّه لمالك ، ويقال : إنّه لسَلاّمةِ القَسّ .

أخبرني الحسين عن حَمّاد عن أبيه قال قال أيّوب بن عَبابة : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وكان فقيهاً عابداً من عُبّاد مكّة ، يسمَّى القَسّ لعبادته ؛ وكانت سَلاّمة بمكّة لسُهَيْل ، وكان يدخل عليها الشعراء فيُنشدونها وتُنشدهم وتغنّي مَنْ أحَبّ الغناء ؛ ففُتن بها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القَسّ ؛ فشاع ذاك وظهر ، فسُمِّيت سَلاّمةَ القَسِّ بذلك .

[سألها القسّ أن تغنّيه بشعرٍ له]

قال إسحاق وحدّثني أيّوب بن عَباية قال : سألها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار القَسّ أن تغنّيه بشعر مَدَحها به ففعلتْ ، وهو : [من الكامل]

ما بالُ قلبِكَ لا يزال يُهِيمُهُ ... ذِكَرٌ عَواقِبُ غَيِّهِنّ سَقامُ
إنّ التي طرقتْك بين ركائبٍ ... تمشي بمِزْهرِها وأنت حَرامُ
لِتَصِيدَ قلبَك أو جزاءَ مَودّةٍ ... إنّ الرفيقَ له عليك ذِمامُ
باتت تعلِّلنا وتحسَب أنّنا ... في ذاك أيقاظٌ ونحن نِيامُ
حتى إذا سطَع الصباحُ لناظرٍ ... فإذا وذلك بيننا أحلامُ

قـد كنتُ أعذِلُ في السَّفاهة أهلَها فاعْجَبْ لِمَـا تأتـي بـه الأيّامُ
فاليـومَ أعذِرهـم وأعلَـمُ أنّما سُبُـلُ الغَوايـةِ والهُـدَى أقسامُ

[أراد يزيد بن عبد الملك شراءها حين قدم مكّة فأمرها أن تغنّي]

قال إسحاق وحدَّثني المدائنيّ قال حدَّثني جَرير قال : لمّا قدِم يزيد بن عبد الملك مكّةَ وأراد شراءَ سَلاّمةِ القَسّ وعُرِضتْ عليه ، أمرَها أن تغنّيه ؛ فكان أوّلَ صوت غنّته : [من الكامل]

إنّ التـي طرقتك بـين ركائـبٍ تمشي بمِزْهَرِهـا وأنـت حرامُ
والبِيضُ تَمْشي كالبُدورِ وكالدُّمَى ونَواعِـمٌ يَمْشِين في الأَرْقـامِ
لِتَصِيدَ قلبَـك أو جـزاءَ مودّةٍ إنّ الرفيـقَ لـه عليـك ذمامُ

فاستحسنه يزيد فاشتراها . فكان أوّلَ صوت غنّته لمّا اشتراها : [من الطويل]

ألا قُلْ لهذا القلبِ هل أنت مبصرُ وهل أنت عن سَلاّمَةَ اليومَ مُقْصِرُ
ألا ليتَ أنّي حين صار بها النَّوى جليسٌ لسَلْمى حيث ما عَجّ مِزْهَرُ
وإنّي إذا مـا الموتُ زالَ بنَفْسها يُزالُ بنفسي قَبلَهـا حـين تُقْبَرُ
إذا أخذتْ في الصوتِ كاد جليسُها يطيرُ إليها قلبُـه حـين ينظرُ
كأنّ حَمامـاً راعِبِيّاً مُؤَدِّيـاً إذا نطقتْ من صدرها يَتَغَشْمَرُ[1]

فقال لها يزيد : يا حبيبتي ، مَنْ قائلُ هذا الشعر ؟ فقصّت عليه القصّة ، فرَقّ له وقال : أحسنَ وأحسنتِ ! .

[قال الأحوص شعراً وبعث به إليها]

قال إسحاق وحدَّثني المدائنيّ قال : لمّا اشترى يزيدُ بن عبد الملك سَلاّمة ، وكان الأحوصُ مُعْجَباً بها وبحُسْن غنائها وبكثرة مجالستها ؛ فلمّا أراد يزيد الرِّحْلة ، قال أبياتاً وبعث بها إلى سَلاّمة . فلمّا جاءها الشعر غَنّتْ به يزيدَ وأخبرتْه الخبر ، وهو : [من الخفيف]

صوت

عاودَ القلبَ من سَلامةَ نَصْبُ فلعينيّ من جَوَى الحُبِّ غَرْبُ[2]
ولقد قلتُ أيّها القلبُ ذُو الشو قِ ، الذي لا يُحبّ حُبَّك حِبُّ

1 حمام راعبي : جنس من الحمام ، والترعيب : شدّة الصوت . يتغشمر : يصوّت .
2 النَّصب : الدّاء والبلاء .

إنّــه قــد دنــا فِراقُ سُلَيْمَى وغَدا مَطْلَبٌ عن الوصل صَعْبُ

غنّاه ابن مُحْرِز ثانيَ ثقيل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن مِسْجَح خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لابن عَبّاد وعَلّويه رَمَلان . وفيه لدَحْمانَ خفيفُ رَمَلٍ . هذه الحكايات الثلاث عن الهشاميّ . وذكر حَبَشٌ أنّ لسَلاّمةِ القَسّ فيه ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى .

[عاتبت حبابة حين استخفّت بها لأثرتها عند يزيد]

قال إسحاق وحدّثني أيّوب عن عَبايةَ قال : كانت سلاّمة ورَيّا لرجل واحد ، وكانت حَبابة لرجل ، وكانت المقدَّمة منهنّ سَلاّمةَ ، حتى صارتا إلى يزيد بن عبد الملك ، فكانت حَبابةُ تنظر إلى سَلاّمةَ بتلك العين الجليلة المتقدّمة وتعرف فضلها عليها . فلمّا رأت أُثْرتها عند يزيد ومحبّةَ يزيد لها استخفّتْ بها . فقالت لها سَلاّمةُ : أيْ أُخيَّه ؛ نَسِيتِ لي فضلي عليكِ ؟ ويلك ؛ أين تأديبُ الغناء وأين حقُّ التعليم ! أنسيتِ قولَ جميلة يوماً وهي تُطارحنا وهي تقول لك : خُذي إحكام ما أُطارحكِ من أُختِك سَلاّمةَ ، ولن تَزالي بخيرٍ ما بقيتْ لكِ وكان أمرُكما مؤتلفاً . قالت : صَدَقتِ خليلتي والله لا عدتُ إلى شيء تكرهينه ؛ فما عادت لها إلى مكروه . وماتت حَبابةُ وعاشت سَلاّمة بعدها دهراً .

[احتال ابن أبي عتيق على والي المدينة حتى جعله يسمع منها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثني عمّي مُصْعَب عن عبد الرحمن بن المُغِيرة الحِزاميّ الأكبر قال : لمّا قدِم عثمانُ بن حَيّانَ المُرّيّ المدينةَ والياً عليها ، قال له قومٌ من وجوه الناس : إنّك قد وَلِيتَ على كثرةٍ من الفساد ؛ فإن كنتَ تُريد أن تُصْلِح فطَهِّرها من الغِناء والزِّنا . فصاح في ذلك وأجّلَ أهلَها ثلاثاً يخرجون فيها من المدينة . وكان ابن أبي عَتِيق غائباً ، وكان من أهل الفضل والعَفاف والصلاح . فلمّا كان آخرُ ليلة من الأجَل قَدِم فقال : لا أدخُل منزلي حتى أدخلَ على سَلاّمةِ القَسّ . فدخل عليها فقال : ما دخلتُ منزلي حتّى جئتُكم أُسَلِّم عليكم . قالوا : ما أغفلَكَ عن أمرنا ! وأخبروه الخبر . فقال : اصبِروا عليّ الليلةَ . فقالوا : نخاف ألاّ يُمْكِنكَ شيءٌ ونُنْكَظَ[1] . قال : إن خفتم شيئاً فاخرُجوا في السَّحَر . ثم خرج فاستأذن على عثمان بن حَيّان فأذِن له ؛ فسلّم عليه وذكر له غَيْبَته وأنّه جاءه ليقضي حَقَّه ، ثم جزاه خيراً على ما فعل من إخراج أهل الغِناء والزِّنا ، وقال : أرجو ألاّ تكونَ عَمِلتَ عملاً هو خيرٌ لك من ذلك . قال عثمان : قد فعلتُ ذلك وأشار به عليّ أصحابُك . فقال : قد أصبتَ ، ولكن ما تقول ، أمتع الله بك ، في امرأةٍ كانت هذه صناعتَها وكانت تُكْرَه على ذلك ثم تركتْه وأقبلتْ على الصَّلاة والصيام والخير ، وأتى رسولُها إليك تقول : أتوجّه إليك وأعوذ بك أن تُخرِجَني من

1 يقال أنكظه : إذا أعجله عن حاجته .

جِوار رسول الله ﷺ ومسجِده ؟ قال : فإنِّي أَدَعُها لك ولكلامِك . قال ابن أبي عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، ولكن تأتيك وتسمع من كلامها وتنظر إليها ، فإنْ رأيتَ أنّ مثلَها ينبغي أن يُترَكَ تركتها ؛ قال نعم . فجاءه بها وقال لها : اجعلي معك سُبْحةً وتَخَشّعي ففعلتْ . فلمّا دخلتْ على عثمان حدّثته ، وإذا هي من أعلمِ الناس بالناس وأعجبَ بها ، وحدّثته عن آبائه وأُمورهم ففكِه لذلك . فقال لها ابن أبي عتيق : اقْرَئي للأمير فقرأَتْ له ؛ فقال لها احْدِي له ففعلتْ ، فكَثُر تَعَجُّبه . فقال : كيف لو سَمِعتَها في صِناعتها ؟ فلم يزلْ يُنزِله شيئاً شيئاً حتى أمرها بالغِناء . فقال لها ابن أبي عَتيق : غَنِّي ، فغنّتْ : [من الطويل]

سَدَدْنَ خَصاصَ الخَيْمِ لمّا دخَلْنَهُ بكلّ لَبانٍ واضحٍ وجبينِ

فغنّته ؛ فقام عثمان من مجلسه فقعد بين يديها ثم قال : لا والله ما مِثْلُ هذه تخرج ؛ . قال ابن أبي عتيق : لا يَدَعُك الناسُ ، يقولون : أَقَرَّ سَلاّمة وأخرج غيرَها . قال : فدَعُوهم جميعاً ؛ فتركوهم جميعاً .

[لمّا اشتراها رسل يزيد ورحلوا بها غنّت مشيّعيها عند سقاية سليمان بن عبد الملك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا عبد الله بن أبي فَرْوة قال : قَدِمتْ رسلُ يزيدَ بنِ عبد الملك المدينةَ فاشتَرَوْا سَلاّمةَ المغنّية من آل رُمّانةَ بعشرين ألفَ دينار . فلمّا خرجتْ من مِلْك أهلِها طلبوا إلى الرُّسُلِ أن يتركوها عندهم أيّاماً ليجهِّزوها بما يُشْبِهها من حُلِيٍّ وثيابٍ وطِيب وصِبْغ . فقالت لهم الرسل : هذا كلُّه معناً لا حاجةَ بنا إلى شيء منه ، وأمروها بالرَّحيل . فخرجتْ حتى نزلَتْ سِقايةَ سليمانَ بنِ عبد الملك وشيَّعها الخَلق من أهل المدينة . فلمّا بلغوا السِّقاية قالت للرسل : قومٌ كانوا يَغْشَوْنَني ويسلِّمون عليّ ، ولا بُدّ لي من وَداعهم والسلام عليهم ، فأُذِن للناس عليها فانقَضُّوا حتى ملؤوا رحبةَ القصر[1] ووراءَ ذلك ؛ فوقفتْ بينهم ومعها العود ، فغنّتْهم : [من الخفيف]

فارَقُوني وقد علمتُ يقيناً ما لِمَنْ ذاقَ مِيتةً من إيابِ
إنّ أهلَ الحِصابِ قد تركوني مُولَعاً مُورَعاً بأهل الحِصابِ
أهلُ بيتٍ تَتايَعُوا للمنايا ما على الدَّهرِ بعدهم من عِتابِ[2]
سكنوا الجِزْعَ جِزْعَ بيتِ أبي مُو سى إلى النخل من صُفَيِّ السِّبابِ[3]

1 لعلّه يريد قصر سعيد بن العاص وهو بجوار المدينة .
2 تتايعوا : تهافتوا .
3 صفيّ السباب : موضع بمكّة .

كم بذاك الحَجُونِ من حَيّ صِدْقٍ وكُهـــولٍ أَعِفَّـــةٍ وشَبـــابِ[1]

قال عيسى : وكنتُ في الناس ، فلم تزلْ تُردِّد هذا الصوت حتى راحت ؛ وانتحب الناسُ بالبكاء عند ركوبها ، فما شئتُ أن أرى باكياً إلاّ رأيتُه .

[كلفت الأحوص أن يحتال لدخول الغريض على يزيد حين قدم معه إلى دمشق]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال : وَجّه يزيد بن عبد الملك إلى الأحوص في القُدوم عليه ، وكان الغَريض معه ، فقال له : اخرُجْ معي حتى آخُذ لك جائزة أمير المؤمنين وتغنّيه ؛ فإنّي لا أحمِل إليه شيئاً هو أحبُّ إليه منك ، فخرجا . فلمّا قدِم الأحوص على يزيد جلس له ودعا به . فأنشده مدائحَ فاستحسنها ، وخرج من عنده ؛ فبعثتْ إليه سَلاّمةُ جاريةُ يَزيدَ بلَطَفٍ . فأرسل إليها : إنّ الغريض عندي قَدِمتُ به هديّةً إليك . فلمّا جاءها الجوابُ اشتاقتْ إلى الغَرِيضَ وإلى الاستماع منه . فلمّا دعاها أميرُ المؤمنين تمارضتْ وبعثتْ إلى الأحوص : إذا دعاكَ أميرُ المؤمنين فاحْتَل له في أنْ تذكر له الغَرِيض . فلمّا دعا يزيدُ الأحوصَ قال له يزيد : وَيْحَك يا أحوص ؛ هل سَمِعْتَ شيئاً في طريقك تُطْرِفنا به ؟ قال : نعم أمير المؤمنين ، مررتُ في بعض الطريق فسمعتُ صوتاً أعجبني حسنُه وجودةُ شعره ؛ فوقفتُ حتى استقصَيْتُ خبرَه ، فإذا هو الغريض ، وإذا هو يغنّي بأحسن صوتٍ وأشجاه : [من الوافر]

أَلاَ هـاجَ التَّذَكُّرُ لي سَقامـا ونُكْسَ الدّاءِ والوجـعَ الغَراما[2]
سَلامـــةُ إنّهـــا هَمّـي ودائي وشَرُّ الدّاءِ مـا بَطَـــن العِظاما
فقلتُ لـــه ودمعُ العينِ يجرِي على الخَدَّيْـنِ أربعـةً سِجاما[3]
عليكَ لها السلامُ فمَنْ لِصَبٍّ يبيتُ الليـلَ يَهْـذِي مُستهاما

قال يزيد : وَيْلَكَ يا أحوص ؛ أنا ذاك في هوَى خليلتي ؛ وما كنتُ أحسَبُ مثل هذا يتّفق ، وإنّ ذاك لممّا يزيد لها في قلبي . فما صنعتَ يا أحوصُ حين سمعت ذاك ؟ قال : سمعتُ ما لم أسمع يا أمير المؤمنين أحسنَ منه ، فما صَبَرتُ حتى أخرجتُ الغريضَ معي وأخفيتُ أمره ، وعلمتُ أنّ أمير المؤمنين يسألني عمّا رأيتُ في طريقي . فقال له يزيد : ائتِني بالغريض ليلاً وأخْفِ أمرَه . فرجع الأحوص إلى منزله وبعث إلى سَلاّمة بالخبر . فقالت للرسول : قل له جُزِيتَ خيراً ، قد

1 الحجون : جبل بأعلى مكّة عند مدافن أهلها .
2 الغرام : الملازم الشديد .
3 أربعة سجام : يريد بها اللحاظين والموقيْن للعينين .

انتهى إليَّ كلُّ ما قلتَ ، وقد تَلَطّفتَ وأحسنتَ . فلمّا وارى الليلُ أهلَه بعث إلى الأحوصِ أن عَجِّل المجيءَ إليَّ مع ضيفك . فجاء الأحوصُ مع الغريض فدخلا عليه . فقال غَنِّني الصوت الذي أخبرني الأحوصُ أنّه سمِعه منك ، وكان الأحوص قد أخبر الغريضَ الخبرَ ؛ وإنّما ذلك شعر قاله الأحوص يُريد يحرِّكه به على سَلاّمةَ ويحتال للغريض في الدخول عليه ، فقال : غَنِّني الصوتَ الذي أخبرني الأحوصُ . فلمّا غنّاه الغريضُ دمعتْ عينُ يزيدَ ثم قال : وَيْحَك ! . هل يمكن أن تصير إلى مجلسي ؟ قيل لـه : هي صالحة . فأرسل إليها فأقبلتْ . فقيل ليزيـد : قـد جاءت ؛ فضُرِب لها حجابٌ فجلستْ ، وأعاد عليه الغريضُ الصوتَ ؛ فقالت : أحسَنَ واللهِ يا أمير المؤمنين ، فاسمَعْه منِّي ؛ فأخذتِ العودَ فضربتْه وغنّت الصوتَ ، فكاد يزيدُ أن يطير فرحاً وسُروراً ، وقال : يا أحوصُ ، إنّك لمبارَك ؛ يا غريض غَنِّني في ليلتي هذا الصوتَ ؛ فلم يزلْ يغنّيه حتى قام يزيد وأمر لهما بمال ، وقال : لا يُصبح الغريضُ في شيء من دِمَشْق . فارتحل الغريض من ليلته ، وأقام الأحوص بعده أيّاماً ثم لَحِق به ؛ وبعثت سَلاّمةُ إليهما بكسوة ولَطَف كثير .

[رثت يزيد وناحت عليه حين مات]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني عليّ بن محمّد النَّوفليّ قال حدَّثني رجل من أهلي من بني نَوْفَل قال : قَدِمتُ في جماعةٍ من قريش على يزيدَ بنِ عبد الملك ، فألفَيْناه في عِلّته التي مات فيها بعد وفاة حَبابة ، فنزلْنا منزلاً لاصقاً بقصر يزيد ، فكنّا إذا أصبحْنا بعثْنا بمولىً لنا يأتينا بخبره ، وربّما أتينا البابَ فسألنا ؛ فكان يَثْقُل في كلّ يوم . فإنّا لفي منزلنا ليلةً إذ سمعنا هَمْساً من بكاء ثم يزيدُ ذلك ، ثم سمِعْنا صوتَ سَلاّمةِ القَسِّ وهي رافعةٌ صوتَها تنوح وتقول : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنـا إنْ خَشَعْنا أوْ هَمَمْنـا بخُشوعِ
قـد لَعَمْرِي بِتُّ ليلي كأخـي الدّاءِ الوجيعِ
كلَّمـا أبصرتُ ربعـاً خالياً فاضتْ دموعي
قد خـلا من سيِّدٍ كا نَ لنـا غيـرَ مُضيعِ

ثم صاحت وا أميرَ المؤمنين ! فعلِمنا وفاتَه ، فأصبحنا فغدَوْنا في جنازته .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبَير قال حدَّثنا إسماعيل بن أبي أُوَيْس عن أبيه قال : قال يزيدُ بن عبد الملك ما يُقِرُّ عيني ما أُوتيتُ من أمر الخلافة حتى أشترِيَ سَلاّمةَ جاريةَ مُصْعَب بن سُهَيْل الزُّهْريّ وحَبابةَ جاريةَ آل لاحِقٍ المكيّة ؛ فأرسل فاشتُرِيتا له . فلمّا اجتمعنا عنده قال : أنا الآن كما قال الشاعر : [من الطويل]

فألقتْ عَصاها واستقرّ بها النَّوَى كما قَرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ

فلمّا تُوُفِّي يزيد رثته سَلاّمةُ فقالت وهي تنوحُ عليه هذا الشعر : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا أو هَمَمْنا بخُشوعِ
إذ فقدْنا سَيِّداً كا نَ لنا غيرَ مُضيعِ
وهو كاللَّيْثِ إذا ما عُدَّ أصحابُ الدروعِ
يَقْنِصُ الأبطالَ ضرباً في مُضِيٍّ ورجوعِ[1]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال حدَّثنا الزُّبَير والمدائنيّ أنّ سَلاّمة كانت لسُهَيل بن عبد الرحمن بن عَوْف ، فاشتراها يزيدُ بن عبد الملك ، وكانت مغنِّيةً حاذقةً جميلةً ظريفةً تقول الشعر ، فما رأيتُ خِصالاً أربعاً اجتمعْنَ في امرأةٍ مثلِها : حُسْن وجهها وحُسن غنائها وحُسن شِعْرها . قال : والشعر الذي كانت تغنِّي به : [من مجزوء الرمل]

لا تَلُمْنا إن خَشَعْنا أو هَمَمْنا بخُشوعِ
للذي حَلَّ بنا اليو مَ من الأمرِ الفظيعِ

وذكر باقيَ الأبيات مثل ما ذكره غيرُه .

قال إسحاق وحدَّثني الجُمَحيّ قال حدَّثنا مَنْ رأى سَلاّمةَ تندُب يزيدَ بن عبد الملك بمَرْثِيَةٍ رثته بها ، فما سمع السامعون بشيء أحسنَ من ذلك ولا أشْجَى ؛ ولقد أبكت العيونَ وأحرقت القلوبَ وأفتنت الأسماعَ ، وهي : [من مجزوء الكامل]

يا صاحبَ القبرِ الغريبِ بالشام في طَرَفِ الكثيبِ
بالشام بين صفائحٍ صُمٍّ تُرَصَّفُ بالجَبُوبِ[2]
لَمّا سمعتُ أنينَه وبكاءه عندَ المَغِيبِ
أقبلتُ أطلُبُ طِبَّه والدّاءُ يُعْضِلُ بالطبيبِ

الشعر لرجل من العرب كان خرج بابن له من الحجاز إلى الشام بسبب امرأةٍ هَوِيها وخاف أن يفسُد بحبّها ، فلمّا فقَدها مرِض بالشام وضَني فمات ودُفن بها . كذا ذكر ابن الكلبيّ ، وخبره يُكْتَب عَقِبَ أخبار سَلاّمةِ القَسّ . والغناء لسَلاّمةَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن حَبَش . وفيه لحَكَم رَمَلٌ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحن لابن غَزْوانَ

1 يقنص في ل : يقعص .
2 الجبوب : المدر المفتّت .

الدِّمَشْقِيّ من كتاب ابن خُرْداذْبه غيرُ مجنَّس .

[سألها الوليد بن يزيد أن تغنّيه فيما رثت به أباه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدَّثني الجُمَحِيّ قال : حدَّثني مَنْ حضر الوليدَ بن يزيد وهو يسأل سَلاّمةَ أن تغنّيه شعرَها في يزيد وهي تتنغّص من ذلك وتدمَع عيناها ؛ فأقسم عليها فغنَّتْه ؛ فما سمعتُ شيئاً أحسنَ من ذلك . فقال لها الوليد : رحم الله أبي وأطال عمري وأمتعني بحسن غنائك يا سلاّمة ! . بِمَ كان أبي يقدِّم عليكِ حَبابة ؟ قالت : لا أدري والله ؛ قال لها ، لكنَّني والله أدْرِي ؛ ذلك بما قسَم الله لها . قالت : يا سيِّدي أجَلْ .

[انتحل إسحاق الموصليّ ما ناحت به على يزيد]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدَّثني عبد الله بن عبد الملك الهَدادِيّ عن بعض رجاله عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : سمعت نائحةً مدنيّةً تنوح بهذا الشعر : [من مجزوء الرمل]

قَدْ لعَمْرِي بِتُّ ليلي ... كأخي الدّاءِ الوَجِيعِ
ونجيُّ الهمّ منّي ... بات أدنى من ضلوعي
كلَّما أبصرتُ رَبْعاً ... دارساً فاضتْ دموعي
مُقْفِراً من سيّدٍ كا ... ن لنا غيرَ مُضِيعِ

والشعر للأحوص . والنَّوْح لمعبد ؛ وكان صنَعه لسَلاّمة وناحت به سَلاّمةُ على يزيد . فلمّا سمعتُه منها استحسنتُه واشتهيتُه ولَهِجتُ به ، فكنتُ أترنّم به كثيراً . فسمع ذلك منّي أبي فقال : ما تصنع بهذا ؟ قلت : شعرٌ قاله الأحوصُ وصنَعه معبدٌ لسَلاّمة وناحت به سَلاّمة على يزيد . ثم ضرَب الدَّهرُ ؛ فلمّا مات الرشيد إذا رسولُ أمِّ جعفر قد وافاني فأمرني بالحضور . فسِرتُ إليها ؛ فبعثتْ إليّ : إنّي قد جمعتُ بناتِ الخلفاء وبنات هاشم لننوحَ على الرشيد في ليلتنا هذه ؛ فقُلِ الساعةَ أبياتاً رقيقةً واصنَعْهنّ صنعةً حسنةً حتى أنوحَ بهنّ . فأردتُ نفسي على أن أقول شيئاً فما حضَرني وجعلتْ تُرسِل إليّ تَحُثُّني ، فذكرتُ هذا النَّوْحَ فأرَيتُ أنّي أصنع شيئاً ، ثم قلت : قد حضَرني القولُ وقد صنعتُ فيه ما أمرتْ ؛ فبعثتْ إليّ بكُنيزَةَ وقالت : طارِحْها حتى تُطارحَنِيه . فأخذتْ كُنيزةُ العود وردَّدَتْه عليها حتى أخذتْه ، ثم دخلتْ فطارحتْه أمَّ جعفر ؛ فبعثتْ إليّ بمائة ألف درهم ومائة ثوب .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأصوات

صوت

[من الطويل]

لقــد فتنَتْ رَيّا وسَلاَّمةُ القَسّا ... فلم تَتْرُكا للقَسّ عقلاً ولا نفسا
فتاتــانِ أمّا منهمــا فشبيهةُ الـ ... ـهلالِ وأُخرى منهما تُشبه الشمسا

الشعر لعبد الله بن قَيْس الرُّقيّات . والغناءُ لمالك خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّل عن الهِشاميّ . وزعم عمرو بن بانة أنّ خفيف الثقيل لحُنَين الحِيري . وقيل : إنّ الثقيلَ الأوّل لدَحْمان .

ومنها الشعرُ الذي أوّلُه : [من الوافر]

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

صوت

أَأَثْلــةُ جَــرّ جيرتُكِ الزِّيالا ... وعــاد ضميرُ ودِّكُم خَبالا[1]
فإنّــي مستقيلُكِ أثْلُ لُبّي ... ولُبُّ المرء أفضلُ مــا استقالا
أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي ... ولــو أنّي أُطيــع القلبَ قالا
حياءٍ منكِ حتى سُلّ جِسْمِي ... وشَقّ عــليَّ كتْمــاني وطالا

الشعر للقَسّ . والغناء لَمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر . وفيه لَمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، أوّله : [من الوافر]

أهابُكِ أن أقولَ بذلتُ نفسي

[كيف تَعلَّقَ القس بها وقصّة لها معه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا هارون بن محمّد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدَّثنا بَكّار بن رَباح قال : كان عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي عَمّار من بني جُشَمَ بنِ معاوية ، وقد كانت أصابتْ جَدَّه مِنّةٌ من صَفْوانَ بنِ أُمَيَّة ، وكان ينزل مكّةَ ، وكان من عُبّاد أهلها ، فسُمِّي القَسَّ من عِبادته . فمرّ ذاتَ يومٍ بسَلاّمةَ وهي تغنّي فوقف فتسمّع غناءها . فرآه مولاها فدعاه إلى أن يُدخله إليها فيسمَع منها ، فأبى عليه . فقال له : فإنّي أُقْعِدك في مكانٍ تَسْمع منها ولا تَراها . فقال : أمّا هذا فنَعَمْ . فأدخله دارَه

1 الزيال : الفراق .

وأجلسه حيث يسمع غناءها ؛ ثم أمرها فخرجت إليه . فلمّا رآها عَلِقتْ بقلبه فهامَ بها ، واشتهَر وشاع خبرُه بالمدينة . قال : وجعل يتردّد إلى منزل مولاها مدّةً طويلة . ثم إنّ مولاها خرج يوماً لبعض شأنه وخلّفه مقيماً عندها ؛ فقالت له : أنا والله أُحِبُّك ! فقال لها : وأنا والله الذي لا إله إلاّ هو . قالت : وأنا والله أشتهي أن أُعانِقَك وأُقبِّلَك ؛ قال : وأنا والله . قالت : وأشتهي والله أن أُضاجِعَك . وأجعلَ بطني على بطنك وصَدْرِي على صدرك ! قال : وأنا والله . قالت : فما يمنعك من ذلك ؟ فوالله إنّ المكان لخال ؛ قال : يمنعني منه قولُ الله عزّ وجلّ ﴿الأَخِلاّءُ يَوْمَئذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إلاّ المُتَّقِين﴾ فأكره أن تَحُولَ مودَّتي لك عداوةً يوم القيامة . ثم خرج من عندها وهو يبكي ؛ فما عاد إليها بعد ذلك .

[لمّا ملكها يزيد وملك حبابة صار لا يبالي بعدهما شيئاً]

وأخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ قال : لمّا مَلَك يزيدُ بن عبد الملك حَبابَةَ وسَلاّمةَ القَسٌّ تمثّل : [من الطويل]

فألقتْ عصاها واستقرّ بها النَّوَى كما قَـرَّ عيناً بالإيـابِ المسافرُ

ثم قال : ما شاء بعدُ من أمر الدنيا فليَفُتْنِي .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

وإنّي لَيُرْضِينـي قليـلُ نَوالِكمْ وإن كنتُ لا أُرضى لكم بقليلِ
بجُرْمةِ مـا قد كان بيني وبينكم مـن الوصلِ إلاّ عُدْتُمُ بجميلِ

الشعر للعبّاس بن الأحنف . والغناء لسليمان الفَزاريّ . ولحنه المختار من الرَّمَل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ أوّله الثاني ثم الأوّل ، ينسب إلى حَكَم الواديّ وإلى سليمانَ أيضاً . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل يقال : إنّه لمُخارِق ، وذكر حَبَش أنّ لحن مُخارِق ثاني ثقيلٍ .

[124] ـ أخبار العبّاس بن الأحنف ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر ابن النطّاح ، العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن طَلْحةَ بن جَدَّانَ بن كَلَدَةَ من بني عَدِيِّ بن حَنِيفةَ .

وأخبرني محمَّد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني القاسم بن إسماعيل قال سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يقول : العبّاس بن الأحنف بن الأسْوَد بن قُدامةَ بن هِمْيانَ من بني هَفان بن الحارث بن الذُّهْل بن الدُّول بن حَنيفة . قال : وكان حاجبُ بن قُدامة عمُّ العبّاس من رجال الدّولة .

قال محمَّد بن يحيى وحدَّثني أبو عبد الله الكِنْدِيّ قال حدَّثني محمَّد بن بكر الحَنَفيّ الشاعر قال حدَّثني أبي قال : سمعتُ العبّاس بن الأحنف يذكر أنّ هَوْذةَ بن عليّ الحنفيّ قد ولَده من قِبَل بعض أمّهاته .

[هو شاعر غزل عفيف لم يهج ولم يمدح]

وكان العبّاس شاعراً غَزِلاً ظريفاً مطبوعاً ، من شعراء الدّولة العبّاسيّة ، وله مذهبٌ حسنٌ ، ولديباجةِ شعره رَوْنَقٌ ، ولمعانيه عُذوبةٌ ولُطْفٌ . ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرّف في شيء من هذه المعاني . وقدّمه أبو العبّاس المبرّد في كتاب الرَّوْضة على نُظَرائه ، وأطنبَ في وصفه ، وقال : رأيتُ جماعةً من الرُّواة للشعر يقدِّمونه . قال : وكان العبّاس من الظُّرفاء ، ولم يكن من الخُلَعاء ؛ وكان غَزِلاً ولم يكن فاسقاً ؛ وكان ظاهرَ النّعمة مُلوكيّ المَذْهبِ شديدَ التَّرَفُّف ، وذلك بَيِّنٌ في شعره . وكان قصدُه الغَزَلَ وشغلُه النسيب ، وكان حلواً مقبولاً غَزِلاً غزيرَ الفكر واسعَ الكلام كثيرَ التصرُّف في الغَزَل وحدَه ، ولم يكن هَجَّاء ولا مَدَّاحاً .

[كان حلو الحديث]

أخبرني محمَّد بن يحيى قال حدَّثنا أبو ذَكْوان قال : سمعتُ إبراهيم بن العبّاس يصفُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 2 : 827–831 واللآلي 313 وطبقات ابن المعتزّ : 269 والسمط : 313 ، 497 والموشح : 290 وتاريخ بغداد 12 : 127 وابن خلكان 3 : 20 وعبر الذهبي 1 : 312 وسير الذهبي : 9 : 98 والوافي 16 : 638 والبداية والنهاية 10 : 209 والشذرات 1 : 334 ومعاهد التنصيص 1 : 54 ومعجم الأدباء 4 : 1481–1482 .

العبّاسَ بن الأحنف ، فقال : كان والله ممّن إذا تكلّم لم يُحِبَّ سامعُه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً ظريفَ اللِّسان ، لو شئتَ أن تقول كلامُه كلّه شعرٌ لقلتَ .

حدّثني محمّد بن يحيى قال حدّثني عُبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : رأيتُ نُسَخاً من شعر العبّاسِ بن الأحنف بخُراسان ، وكان عليها مكتوب : «شعرُ الأمير أبي الفضل العبّاس» .

[هو من عرب خراسان ومنشؤه بغداد]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمّد بن يزيد قال حدّثني صالح بن عبد الوهّاب : أنّ العبّاس بن الأحنف كان من عَرَب خُراسان ، ومنشؤه ببغداد ؛ ولم تزل العلماء تقدّمه على كثير من المُحْدَثين ، ولا تزال قد تَرى له الشيء البارعَ جِدّاً حتى تُلْحِقه بالمحسِنين .

أخبرني محمّد بن يحيى قال حدّثنا يَمُوت بن المُزَرِّع قال : سمعتُ خالي (يعني الجاحظ) يقول : لولا أنّ العبّاسَ بن الأحنف أحذقُ الناس وأشعرُهم وأوسعُهم كلاماً وخاطراً ما قدَر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ؛ لأنّه لا يهجو ولا يمدَح ولا يتكسَّب ولا يتصرَّف ؛ وما نعلم شاعراً لَزِم فنّاً واحداً لزومَه فأحسنَ فيه وأكثر .

حدّثني محمّد بن يحيى قال حدّثنا محمّد بن القاسم بن خَلّاد قال : أنشد الحِرْمازِيّ أبو عليّ وأنا حاضرٌ للعبّاس بن الأحنف : [من الخفيف]

صوت

لا جَزى اللهُ دمعَ عينيَ خيراً ... وجـزى اللهُ كلَّ خيرٍ لساني
نَـمَّ دمعـي فليس يكتُم شيئاً ... ورأيـتُ اللِّسانَ ذا كِتْمـانِ
كنتُ مثلَ الكتابِ أخفاه طَيٌّ ... فاستدلُّـوا عليـه بـالعُنْوانِ

الغناء لعَرِيبَ رَمَلٌ . ثم قال الحِرْمازِيّ : هذا والله طِرازٌ يطلُب الشعراء مثلَه فلا يقدِرون عليه .

[لعنه أبو الهذيل العلاف لشعر قاله فهجاه]

أخبرني محمّد قال حدّثني حسين بن فَهْم قال سمعت العَطَويّ يقول : كان العبّاس بن الأحنف شاعراً مُجيداً غَزِلاً ، وكان أبو الهُذَيْل العَلّاف يُبْغِضه ويلعَنه لقوله : [من البسيط]

إذا أردتُ سُلُـوّاً كان ناصـركم ... قلبي ، ومـا أنا من قلبي بمنتصرِ
فأكْثِروا أو أقِلُّـوا مـن إساءتكم ... فكـلُّ ذلك محمـولٌ على القَدَرِ

قال : فكان أبو الهُذَيْل يلعَنه لهذا ويقول : يعقِد الكفرَ والفجورَ في شِعْره .

قال محمّد بن يحيى : وأنشدني محمّد بن العبّاس اليزيديّ شعراً للعبّاس أظنّه يهجو به أبا

الهُذَيل ، وما سمعتُ للعبّاسِ هجاءَ غيرَه : [من البسيط]

يا مَنْ يُكَذِّبُ أخبارَ الرسولِ لقد أخطأتَ في كلِّ ما تأتي وما تَذَرُ
كَذَّبْتَ بالقَدَرِ الجاري عليك فقد أتاك منّي بما لا تَشْتهي القدرُ

[سئل الأصمعيّ عن أحسن ما يحفظ للمحدثين فأنشد من شعره]

حدَّثني محمّد بن يحيى قال حدَّثني محمَّد بن سعيد عن الرِّياشيّ قال : قيل للأصمعيّ ، أو قلتُ له ، ما أحسنُ ما تحفَظ للمُحْدَثين ؟ قال : قول العبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

صوت

لو كنتِ عاتبةً لَسَكّنَ رَوْعَتي أَمَلي رضاكِ وزرتُ غيرَ مُراقِبِ
لكن مَلِلْتِ فلم تكن لي حيلةٌ صَدُّ المَلُولِ خلافُ صدِّ العاتبِ

الغناء للعبّاس أخي بَحْر رَمَلٌ .

[معابثته الأصمعيّ في مجلس الرشيد]

أخبرني هاشم بن محمَّد الخُزاعيّ ومحمَّد بن العبّاس اليَزيديّ قالا ، واللفظ لهاشم ، قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال : دخل عمّي على الرشيد والعبّاسُ بن الأحنف عنده ؛ فقال العبّاس للرشيد : دَعْني أُعبَث بالأصمعيّ . قال له الرشيد : إنّه ليس ممّن يحتمل العَبَثَ . فقال : لستُ أُعبَثُ به عبثاً يَشُقّ عليه . قال : أنت أعلم . فلمّا دخل عمّي قال له : يا أبا سعيد ، مَنِ الذي يقول : [من الهزج]

إذا أحببتَ أن تصنـ ـع شيئاً يُعجِب الناسا[1]
فصَوِّرْ هاهُنا فَوْزاً وصَوِّرْ ثَمّ عَبّاسا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتّى ترى رأسَيْهما راسا
فكَذِّبْها بما قاستْ وكَذِّبْه بما قاسى

فقال له عمّي يعرِّض بأنّه نَبَطِيٌّ : قاله الذي يقول : [من الهزج]

إذا أحببتَ أن تُبْصِـ ـرَ شيئاً يُعجب الخَلْقا
فصَوِّرْ هاهنا دورا وصَوِّرْ هاهنا فلقا
فإنْ لم يَدْنُوَا حتّى ترى خَلْقَيْهما خَلْقا

1 إذا أحببتَ في الديوان : إذا ما شئت 164 .

فكَذِّبْها بما لاقتْ وكَذِّبْه بما يَلْقَى

قال : فخجِل العبّاس ، وقال له الرشيد : قد نهيتُك فلم تقبَل .

[حديث إبراهيم بن العبّاس مع ابن مهرويه عن شعره]

حدَّثني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمَّد بن القاسم بن مَهْرويه قال أنشدني إبراهيم بن العبّاس للعبّاس بن الأحنف : [من الكامل]

صوت

قالت ظَلُومُ سَمِيّةُ الظُّلْمِ ما لي رأَيتُك ناحلَ الجسمِ

يا مَنْ رَمَى قلبي فأقْصَده أَنت العليمُ بموضع السَّهْمِ[1]

فقلت له : إنّ أبا حاتم السِّجِسْتانيّ حكى عن الأصمعيّ أنّه أنْشِد للعبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

صوت

أَتَأْذَنُونَ لِصَبٍّ في زيارتكم فعندكم شَهَواتُ السمعِ والبَصَرِ

لا يُضْمِرُ السُّوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضمير ولكن فاسقُ النظرِ

فقال الأصمعيّ : ما زال هذا الفتى يُدْخِل يده في جِرابه فلا يُخْرِج شيئاً ، حتى أُدخلها فأخرج هذا ؛ ومَنْ أَدْمَنَ طلب شيء ظفِر ببعضه . فقال إبراهيم بن العبّاس : أنا لا أدري ما قال الأصمعيّ ، ولكن أُنْشِدُك للعبّاس ما لا تدفع أنت ولا غيرُك فضلَه ، ثم أنشدني قولَه : [من الكامل]

واللهِ لو أنّ القلوبَ كقلبها ما رَقّ للولدِ الضعيفِ الوالدُ[2]

وقوله : [من الكامل]

لكن مَلِلْتِ فلم تكن ليَ حيلةٌ صَدُّ المَلُولِ خِلافُ صدّ العاتبِ

وقوله : [من الكامل]

حتى إذا اقتحم الفتى لُجَجَ الهوَى جاءت أُمورٌ لا تُطَاقُ كِبارُ

ثم قال : هذا والله ما لا يقدِر أحدٌ على أن يقول مثلَه أبداً .

[طلب الحسن بن وهب من بنان أن تغنّيه بشعر فتندّرت عليه]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني ميمون بن هارون قال : كنّا عند الحسن بن وهب فقال لِبَنانَ :

---

1 بموضع في الديوان : بموقع 240 .

2 الضعيف في الديوان : الصغير 81 .

غَنّيني : [من البسيط]

أتَـأْذَنون لِصَـبٍّ في زيارتكـم فعندكم شَهَواتُ السَّمْعِ والبصرِ
لا يُضْمِرُ السوءَ إن طال الجلوسُ به عَفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

قال : فضحكتْ ثم قالت : فأيُّ خيرٍ فيه إنْ كان كذا أو أيّ معنىً ؟ فخجِل الحسن من نادِرتها عليه ، وعجبنا من حدّة جوابها وفطنتها .

[مدح سعيد بن جنيد شعره في إخفاء أمره]

حدَّثني الصُّوليّ قال أخبرنا أحمد بن إسماعيل النَّصِيبِيني قال سمعتُ سعيد بن جُنَيْد يقول : ما أعْرِف أحسنَ من شعر العبّاس في إخفاء أمرِه حيث يقول : [من الوافر]

أُرِيـدُكِ بالسلام فأتَّقِيهـم فأَعمِـدُ بالسلام إلى سِواكِ[1]
وأُكثِرُ فيهـمُ ضَحِكِي ليَخْفَى فسِنِّي ضاحـكٌ والقلبُ باكِ

[تمثّل الواثق بشعره إذ كان غضبانَ على بعض جواريه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني عليّ بن محمَّد بن نصر قال حدَّثني خالي أحمد بن حَمْدون قال : كان بين الواثق وبين بعض جَواريه شَرٌّ فخرج كسلانَ ؛ فلم أزَلْ أنا والفتحُ بن خاقَانَ نحتال لنَشاطِه ؛ فرآني أُضاحِك الفتح فقال : قاتل اللهُ ابنَ الأحنف حيث يقول : [من البسيط]

عَدْلٌ مـن الله أبكاني وأضحكها فالحمدُ لله عدلٌ كلُّ ما صنَعا[2]
اليومَ أبْكي على قلبي وأندبُـه قلبٌ ألحّ عليه الحُبُّ فانصدَعا

فقال الفتح : أنت والله يا أمير المؤمنين في وَضْع التَّمثُّل موضعَه أشعرُ منه وأعلمُ وأظرفُ .

[تمثّل بشعره في عتاب جارية له]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلَّبيّ عن أبيه قال : قالت للواثق جاريةٌ له كان يهواها وقد جَرى بينهما عَتْبٌ : إن كنتَ تَستطيلُ بعزّ الخلافة فأنا أدلّ بعِزّ الحُبّ . أتُراكَ لم تَسمع بخليفة عِشق قبلَك قطُّ فاستوفى من معشوقه حقَّه ؛ ولكنّي لا أرى لي نظيراً في طاعتك . فقال الواثق : لله درُّ ابن الأحنف حيث يقول : [من المتقارب]

أمَـا تَحْسَبِيني أرى العاشقينَ بَـلَى ، ثم لستُ أرى لي نظيرا
لعـلّ الذي بيديـه الأمـورُ سيَجعل في الكُـرْه خيراً كثيرا

1 بالسلام في الديوان : بالكلام 357 .
2 وأضحكها في الديوان : وأضحككم 174 .

[مدح الزُّبَير بن بكّار شعره]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني المُغيرةُ بن محمَّد المُهَلَّبيّ قال : سمعتُ الزُّبَير يقول : ابن الأَحنف أَشعرُ الناسِ في قوله : [من البسيط]

تَعْتَــلّ بالشُّغْلِ عَنّا ما تكلِّمنا الشغلُ للقلب ليس الشغلُ للبَدَنِ

ويقول : لا أَعلم شيئاً من أُمور الدنيا خيرِها وشرِّها إلاّ وهو يصلُح أَن يُتَمَثَّلَ فيه بهذا النصف الأَخير .

[استظرف إسحاق الموصلي شعره في مجافاة النوم]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن سعيد عن حمّاد بن إسحاق قال : كان أَبي يقول : لقد ظَرُف ابنُ الأَحنف في قوله يَصِفُ طولَ عهده بالنَّوْم : [من الطويل]

قِفَــا خَبِّراني أَيُّهــا الرجــلانِ عن النوم إنّ الهجــرَ عنــه نَهاني
وكيف يكون النومُ أم كيف طَعْمُـه صِفا النّــومَ لي إن كنتما تَصِفانِ

قال : على قلّة إعجابه بمثل هذه الأَشعار .

[كان سلمة بن عاصم معجباً بشعره حتى كان يحمله معه]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني ميمون بن هارون بن مَخْلَد قال حدَّثنا أَحمد بن إبراهيم قال : رأَيتُ سَلَمة بن عاصم ومعه شعر العبّاس بن الأَحنف ، فعَجِبتُ منه وقلتُ : مثلُك ، أَعزَّك الله ، يحمِلُ هذا ؟ فقال : أَلا أَحْمِل شعرَ مَن يقول : [من السريع]

صوت

أَسأتُ أَنْ أَحسنتُ ظنّي بكم والحَــزْمُ سوءُ الظــنّ بالنّاسِ
يُقلقنـــي الشوقُ فآتِيكـــمُ والقلــبُ مملــوءٌ مــن الياسِ

غنّى هذين البيتين حسين بن مُحْرِز خفيفَ رملٍ بالوسطى . وأَوّلُ الصوت : [من السريع]

يــا فــوزُ يــا مُنيــةَ عبّاسِ واحرَبــا مــن قلبك القاسي

[أعجب أعرابيّ بشعره]

وروى أَحمد بن إبراهيم قال : أَتاني أَعرابيٌّ فصيحٌ ظريف ، فجعلت أَكتب عنه أَشياء حساناً ؛ ثم قال : أَنْشِدْني لأَصحابكم الحَضَرِيّين . فأَنشدتُه للعبّاس بن الأَحْنَف : [من الطويل]

ذكرتُــك بالتُّفّاح لمّــا شَمِمْتُه وبالرَّاح لمّا قابلتْ أَوْجُهَ الشَّرْبِ
تذكّــرتُ بالتفّاح منــكِ سَوالِفاً وبالرّاح طعماً من مُقَبَّلَك العَذبِ

فقال : هذا عندك وأَنت تكتب عنّي ! لا أُنشِدك حرفاً بعد هذا .

[فضّل العبّاس بن الفضل بعض شعره على قول أهل العراق]

وحدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال سمعت عبد الله بن العبّاس بن الفضل يقول : ما أعرف في العراق أحسنَ من قول ابن الأحنف : [من البسيط]

سبحانَ ربِّ العُلا ما كان أغْفَلَني عمّا رمَتْني بـه الأيّـامُ والزمنُ[1]
مَنْ لم يَذُقْ فُرقةَ الأحبابِ ثم يرى آثارَهم بعدهم لم يَدْرِ مـا الحَزَنُ

قال أبو بكر : وقد غنّى عبد الله بن العبّاس فيه صوتاً خفيفَ رملٍ .

[مدح حسين بن الضحاك شعره واستجاده]

حدَّثني الصُّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال : سمعتُ حسين بن الضحّاك يقول : لو جاء العبّاس بن الأحنف بقوله ما قاله في بيتين في أبيات لعُذِر ، وهو قولُه : [من المتقارب]

لَعَمْـرُك مـا يستريح المُحِبُّ حتـى يَبـوحَ بـأسرارِهِ
فقـد يكتُـم المرءُ أسرارَه فتظهـرُ في بعض أشعـارِهِ

ثم قال : أمّا قولُه في هذا المعنى الذي لم يتقدّمه فيه أحدٌ فهو : [من الكامل]

الحُـبُّ أمْلَكُ للفـؤاد بقهره من أن يُرَى للسِّتر فيه نصيبُ[2]
وإذا بَـدا سرُّ اللبيـبِ فإنّـه لم يَبْدُ إلاّ والفتـى مغلوبُ

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني الغَلابيّ قال حدَّثني الزُّبَير بن بَكّار قال قال أبو العتاهية : ما حسَدْتُ أحداً إلا العَبّاس بن الأحنف في قوله : [من الوافر]

إذا امتنع القريبُ فلـم تَنَلْـهُ على قُـرْبٍ فذاك هو البعيدُ

فإنّي كنتُ أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره . فقلت له : صدقت ، هو يُشبه شعرك .

[استجاد الكندي ضروب شعره]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو الحسن الأنصاريّ قال : سمعتُ الكِنْدِيّ يقول : العبّاس بن الأحنف مليحٌ ظريفٌ حكيم جَزْلٌ في شعره ، وكان قليلاً ما يُرضيني الشعرُ . فكان يُنشد له كثيراً : [من المتقارب]

---

1 رمَتني في الديوان : دهتني 273 .
2 للستر في الديوان : الستر 60 .

صوت

أَلاَ تَعْجَبون كما أعجـــبُ حبيبٌ يُسيء ولا يُعْتِبُ
وأبغِـي رضاهُ على سُخْطِهِ فيأبَـى عـليَّ ويستصعِبُ[1]
فياليتَ حَظِّـي إذا ما أَسأْ تَ أنّك ترضَى ولا تَغْضَبُ

[كان إبراهيم الموصليّ مشغوفاً بشعره كثير الغناء فيه]

أخبرني الصوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن الفَضْل قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : كان جَدّي إبراهيم مشغوفاً بشعر العبّاس ، فتَغَنَّى في كثيرٍ من شعره ، فذكر أشعاراً كثيرةً حَفِظتُ منها : [من الطويل]

صوت

وقـد مُلِئتْ مـاءِ الشَّبابِ كأنّها قضيبٌ من الرَّيْحانِ رَيّانُ أخضرُ[2]
همُ كتموني سَيْرَهم حين أزمَعُوا وقالـوا اتَّعَدْنـا للرَّواح وبَكَّرُوا

ذكر الهشاميّ أنّ اللحن في هذين البيتين لعَلّوية رمل ، وفي كتاب ابن المكّيّ أنّه لابن سُرَيْج وهو غَلطٌ .

[قول المأمون لمّا أنشد بيتاً له]

وقد أخبرني الحسن بن عليّ عن الحسين بن فَهْم قال : أُنْشِد المأمون قولَ عبّاس بن الأحنف : [من الطويل]

هم كتموني سَيْرَهم حين أزمعوا وقالوا اتَّعَدْنا للرَّواح وبَكَّرُوا

فقال المأمون : سَخِروا بأبي الفضل .

قال : وحفِظْتُ منها : [من الطويل]

صوت

تمنّـى رجـالٌ مـا أحبُّوا وإنّما تمنّيـتُ أن أشكو إليكَ وتَسْمعا
أرَى كلّ معشوقيْن غيري وغيرها قـد استعذَبا طولَ الهوى وتمتَّعا

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر . وفيه ثقيل أوّلُ بالوسطى يُنْسَب إلى يزيد حوراء وإلى سُلَيْم بن سَلاّم .

---

1 على سخطه في الديوان : على جوره 23 .

2 ماء في الديوان : لين 123 .

قال وحفِظتُ منها : [من الهزج]

بكـتْ عينـي لأنـواعِ مـن الحـزن وأوجاعِ
وأنّـي كلَّ يـوم عنـ ـدكم يَحْظى بيَ السَّاعي
أعيشُ الدَّهرَ إن عشتُ بقلـبٍ منـكِ مُرْتاعِ
وإن حـلَّ بـيَ البعـدُ سيَنْعـاني لـكِ النّاعي

الغناء لإبراهيم المَوْصِليّ ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو . وفي كتاب إبراهيم بن المهديّ الذي رواه الهشاميّ عنه أن لإبراهيمَ بن المهديّ فيه لَحْنَيْن : ثقيلاً أوّل وماخوريّاً . وفيه هَزَجٌ مُحْدَثٌ .

[غنّى إبراهيم الموصليّ في شعره وشعر ذي الرمّة أكثر ممّا غنّى في شعر غيرهما]

أخبرني الصوليّ قال حدَّثنا أصحابُنا عن محمَّد بن الفضل عن حمّاد بن إسحاق قال : ما غنّى جَدّي في شعر أحد من الشعراء أكثرَ ممّا غنّى في شعر ذي الرُّمّة وعبّاس بن الأحنف .

[مدح ابن الأعرابيّ شعراً له غنّى به في حضرة أحد أولاد الرشيد]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن عبد الله التَّميميّ قال : كنّا في مجلس ابن الأعرابيّ ، إذ أقبل رجل من ولد سعيد بن سالم كان يَلْزَم ابنَ الأعرابيّ ، وكان يحبّه ويأنَسُ به ، فقال له : ما أخّرك عنّي ؟ فاعتذر بأشياء ثم قال : كنتُ مع مُخارق عند بعض بني الرّشيد فوهب له مائة ألف درهم على صوت غنّاه به ، فاستكثر ذلك ابنُ الأعرابيّ واستهاله وعجِب منه ، وقال : ما هو ؟ قال : غنّاه بشعر عبّاس بن الأحنف : [من الهزج]

بكـتْ عيْنـي لأنـواعِ مـن الحـزنِ وأوجـاعِ
وأنّـي كلّ يـوم عنـ ـدكم يَحْظَى بيَ السّاعي

فقال ابنُ الأعرابيّ : أمّا الغناء فما أدْري ما هو ، ولكن هذا والله كلامٌ قريبٌ مليحٌ .

[نوّه الواثق بشعره]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثنا محمَّد بن الهيثم قال حدَّثني محمَّد بن عمرو الرّوميّ قال : كنّا عند الواثق فقال : أريد أن أصنَع لحناً في شعرٍ معناه أنّ الإنسان كائناً مَن كان لا يقدِر على الاحتراس من عدوّه ، فهل تعرفون في هذا شيئاً ؟ فأنْشَدْنا ضروباً من الأشعار ؛ فقال : ما جئتُم بشيء مثل قول عبّاس بن الأحنف : [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرَّني داعـي يُكْثِـر أسقامـي وأوجـاعي

كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عـدوّي بـين أضلاعي
أسْلمنـي للحـبِّ أشياعـي لمّا سعى بـي عندها السّاعي[1]
لقلّمـا أبْقـى على كلّ ذا يُوشك أن يَنْعـانيَ النّاعي

قال : فَعَمِل فيه الواثقُ لحنه الثقيلَ الأوّل ، النّشِيد بالوسطى .

[قصّة للمتوكّل وعلى ابن الجهم في صدد شعره]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثني محمَّد بن موسى أو حُدِّثتُ به عنه عن عليّ بن الجَهْم قال : انصرفتُ ليلةً من عند المتوكّل ، فلمّا دخلتُ منزلي جاءني رسولُه يطلبُني ، فراعَني ذلك وقلت : بلاءٌ تُتُبِّعتُ به بعد انصرافي ، فرجعتُ إليه وَجِلاً ، فأُدْخِلتُ عليه وهو في مَرْقَده . فلمّا رآني ضحِك ، فأيقنتُ بالسلامة ؛ فقال : يا عليّ ، أنا مُذْ فارقتُك ساهرٌ ؛ خطَر على قلبي هذا الشعرُ الذي يُغَنِّي فيه أخي ، قولُ الشاعر : [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرَّني داعي

الأبيات . فحَرَصْتُ أن أعمَل مثلَ هذا فلم يَجئْني ، أو أن أعمل مثلَ اللّحن فما أمكنني ؛ فوجدتُ في نفسي نقصاً ، فقلت : يا سيّدي ، كان أخوك خليفةً يغنّي وأنت خليفةٌ لا تغنّي ؛ فقال : قد والله أهديتَ إلى عيْني نوماً ، أعطوه ألفَ دينار ، فأخذتها وانصرفتُ .

[أنشد أبو الحارث جميز من شعره فقال : إنّه قاله في طبّاخة]

وجدتُ في كتاب الشّاهِيني بغير إسناد : أنشِد أبو الحارث جُمَّيْن قول العبّاس بن الأحنف . [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرّني داعي

الأبيات . فبكى ثم قال : هذا شعرُ رجلٍ جائعٍ في جارية طبّاخَةٍ مليحةٍ ؛ فقلت له : من أين قلت ذاك ؟ قال : لأنّه بَدَأ فقال : [من السريع]

قلبي إلى مـا ضرّني داعي

وكذلك الإنسان يدعوه قلبُه وشهوتُه إلى ما يضرُّه من الطَّعام والشَّراب فيأكله ، فتكثر عِلَلُه وأوجاعُه ، وهذا تعريض ؛ ثم صرّح فقال : [من السريع]

كيف احتراسي من عدوّي إذا كان عـدوّي بـين أضلاعي

وليس للإنسان عدوٌّ بين أضلاعه إلاّ مَعِدتُه ، فهي تُتلِف مالَه ، وهي سببُ أسقامِه ، وهي مفتاح كلّ بلاء عليه ، ثم قال : [من السريع]

1 للحب أشياعي في الديوان : للوجد أشياعي 179 .

إن دام لي هجرُك يـا مالِكي أَوْشكَ أَنْ يَنعـــانيَ النَّاعِـي

فعلمتُ أَنّ الطبّاخةَ كانت صديقتَه ، وأنّها هجرتْه ففقَدها وفقد الطَّعامَ ، فلو دام ذلك عليه لَمات جوعاً ونَعاه النّاعي .

[تمثّل الحسن بن وهب بشعره في حادثة له مع بنان]

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني محمّد بن عيسى قال : جاء عبد الله بن العبّاس بن الفَضْل بن الرّبيع إلى الحسن بن وهب ، وعنده بَنان جاريةُ محمّد بن حمّاد ، وهي نائمةٌ سَكْرى وهو يبكي عندها . فقال له : ما لَك ؟ قال : قد كنتُ نائماً فجاءتني فأَنْبَهتْني وقالت : اجلس حتى تشربَ فجلستُ ، فوالله ما غنّتْ عشرةَ أصوات حتى نامت وما شربتُ إلاّ قليلاً ، فذكرتُ قولَ أشعر الناس وأظرفهم ، العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

أَبكـي الذيـــن أَذاقـوني مودَّتَهم حتى إذا أَيقظوني للهـوى رقَدُوا

فأنا أبكي وأُنْشِد هذا البيت .

[كلام ابنه إبراهيم في مدح شعر له وبلاغته وانشاده له]

وحدّثني الصّوليّ قال حدّثني القاسم بن إسماعيل قال : سمعت إبراهيم بن العبّاس يقول : ما رأيتُ كلاماً مُحْدَثاً أجزلَ في رقّةٍ ، ولا أصعبَ في سهولةٍ ، ولا أبلغَ في إيجازٍ ، من قول العبّاس بن الأحنف : [من الطويل]

تعالَيْ نُجَـدِّدْ دارسَ العهــد بيننا كلانـا على طــول الجفاء مَلُومُ[1]

قال الصّوليّ : ووجدتُ بخطّ عبد الله بن الحسن : أنشد أبو محمّد الحسن بن مَخْلَد قال : أنشدني إبراهيم بن العبّاس بن الأحنف : [من السريع]

صوت

إن قـال لم يَفْعَل وإن سِيلَ لم يَبْـذُل وإن عُوتِـبَ لم يُعْتِبِ
صبٌّ بعِصْياني ولـو قـال لي لا تَشْربِ البـاردَ لم أَشْرَبِ
إليك أَشكو ربٌّ مـا حلَّ بي مِن صدِّ هذا المُذْنِب المُغْضَبِ[2]

غنّى في هذه الأبيات أحمد بن صَدَقة هزجاً بالوسطى . وفيها لحنٌ آخر لغيره . قال الحسن بن مَخْلَد : ثم قال لي إبراهيم بن العبّاس : هذا والله الكلامُ الحسنُ المَعْنى ، السهلُ

1 العهد في الديوان : الوصل 252 .

2 من صدّ هذا المذنب في الديوان : من ظلم هذا الظالم 22 .

المَوْرِد ، القريبُ المتناوَل ، المليحُ اللفظ ، العذْب المستَمَع .

[مدح علي بن يحيى شعره وقال على رويه شعراً]

حدَّثني الصّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال : سمعتُ عليّ بن يحيى يقول : من الشعر المرزوق من المغنّين خاصّة [شعر] العبّاس بن الأحنف ، وخاصّة قوله : [من المديد]

نـامَ مـن أَهْـدى لِيَ الأَرَقا مستريحـاً سامَنـي قَلَقـا

فإنّه غنّى فيه جماعةٌ من المغنّين ، منهم إبراهيم الموصليّ وابنه إسحاق وغيرهما . قال : وكان يَسْتحسن هذا الشعر ، وأظنّ استحسانه إيّاه حَمَله على أن قال في رَويّه وقافيتِه : [من المديد]

بأَبـي واللهِ مَـنْ طرَقـا كابتسام البرق إذ خَفَقا

وعمِل فيه لحناً من خفيف الثقيل في الإصْبع الوسطى . هكذا رواه الصُّوليّ . وأخبرني جَحْظة قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال أبي : هذا الصوت . [من المديد]

نـام مَنْ أَهـدى لِيَ الأَرَقا

[مدح إسحاق شعره وقال إنّه محظوظ من المغنّين]

من الأشعار المحظوظة في الغناء لكثرة ما فيه من الصَّنْعة واشتراك المغنّين في ألحانه . وذكر محمَّد بن الحسن الكاتب عن عليّ بن محمد بن نصر عن جدّه حَمْدون أنّه قال ذلك ولم يذكره عن إسحاق .

نسبة هذين الصوتين منهما

صوت

[من المديد]

نام مَـن أَهْدى لِيَ الأَرَقا مستريحـاً زادَني قَلَقـا
لـو يَبيتُ النـاسُ كلُّهم بسهادي بيَّض الحَدَقـا
كان لي قلـبٌ أعيش بـه فاصطلى بـالحبّ فاحترقا
أنـا لم أُرْزَق مودَّتكـم إنّما للعبـد مـا رُزِقـا

لإسحاق في هذا الشعر خفيفٌ بالوسطى في مجراها . ولأبيه إبراهيم أيضاً فيه خفيفُ ثقيل آخرُ . ولابن جامع فيه لحنان : رَمَلٌ مُطْلَق في مجرى الوسطى في الأوّل والثالث ، وخفيفُ رملٍ مطلَق في مجرى الوسطى أيضاً في الأبيات كلّها . وفيه لسُلَيْم هزَجٌ ، وفيه لعَلّويه ثقيلٌ أوّل .

نسبة صوت علي بن يحيى

صوت

[من المديد]

بأبـــي والله مَـــنْ طَرَقا كابتسام البرق إذْ خَفَقا
زادني شوقـــاً بزَوْرَتـه ومـلا قلبـــي بـــه حُرَقا
مَـنْ لقلبٍ هائـمٍ دَنِفٍ كلّمـــا سلّيتُـــه قَلِقـا
زارني طيفُ الحبيب فما زاد أن أغْرى بيَ الأَرَقا

الشعر لعليّ بن يحيى ؛ وذكر الصّوليّ أنّ الغناء له خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى . وذكَر أبو العَنْبَس ابن حمدون أنّ هذا الخفيفَ الثقيلَ من صنعته . وفيه لعَرِيب ثاني ثقيل بالوسطى أيضاً .

[مدح عبد الله بن المعتزّ شعره]

حدّثني الصّوليّ قال : سمعتُ عبد الله بن المعتزّ يقول : لو قيل : ما أحسنُ شيء تعرِفه ؟ لقلتُ : شعرُ العبّاس بن الأحنف : [من البسيط]

صوت

قد سحَّبَ الناسُ أذيالَ الظنونِ بنا وفـرّق الناسُ فينـا قولَهم فِرَقا
فكاذِبٌ قد رَمـى بالحبّ غيرَكُم وصادقٌ ليس يَـدْري أنّه صدَقا[1]

قال : وللمَسْدود[2] في هذا الشعر لحن . قال : ولم يُغَنّ المسدودُ أحسنَ من غنائه في شعر العبّاس بن الأحنف . هكذا ذكر الصّوليّ ، ولم يأت بغير هذا . ولإسحاق في هذين البيتين ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر من نسخة عمرو بن بانة الثانية . ولابن جامع ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ . وليزيد حَوْراء خفيفُ ثقيل عنه . وللمَسْدود رمَلٌ . ولعبد الله بن العبّاس الرّبيعيّ خفيفُ رَمَلٍ .

[شكا الفضل بن الربيع جاريته إلى إبراهيم الموصليّ فأحاله على شعره]

وأخبرني الصُّوليّ قال حدّثني محمّد بن سعيد قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : غَضِب الفضلُ بن الربيع على جارية له كانت أحبَّ الناس إليه ، فتأخّرت عن استرضائه ، فغَمَّه ذلك ، فوجّه إلى أبي يُعْلِمُه ويشكوها إليه . فكتب إليه أبي : لكَ العزّةُ والشرف ، ولأعدائك الذّلّ والرَّغْم . استَعْمِلْ قولَ العبّاسِ بن الأحنف : [من الطويل]

---

1 فكاذب في الديوان : فجاهلٌ 200 .

2 المسدود : اسمه الحسن ، وكنيته أبو علي ، وكان أبوه قصّاباً ، وكان هو مسدود فرد منخر ومفتوح الآخر .

تحمَّلْ عظيمَ الذنب ممّـن تحبّـه وإن كنتَ مظلوماً فقُـل أنا ظالمُ
فإنّكَ إلاّ تَغْفِر الذنبَ في الهوى يُفارِقْك مَنْ تَهوى وأنفُك راغِمُ

فقال : صدقتَ ، وبعث إليها فترضّاها .

[دافع مصعب الزُّبيري عن شعره]

أخبرني الصّوليّ قال حدَّثني أبو بكر بن أبي خَيْثَمةَ قال : قيل لمُصْعَب الزّبيريّ : إنّ الناس يَسْتبرِدُون شعرَ العبّاس بن الأحنف . فقال : لقد ظلموه ، أليس الذي يقول : [من الكامل]

صوت

قالـت ظلـومُ سميّـة الظُّلْم ما لي رأيتُـك ناحـلَ الجسمِ
يـا مَـن رمى قَلبي فأقْصَدَه أنـت العليـمُ بموقـع السَّهْمِ

الغناء لأبي العَنْبَس أو ابنه إبراهيم ، ماخُوريّ .

[قال شعراً في البكاء فأجازته أمّ جعفر]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا ميمون بن هارون قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ الحسن بن أحمد قال حدَّثنا عمرو بن بانَةَ قال : كنّا في دار أمّ جعفر جماعةً من الشعراء والمغنّين ؛ فخرجتْ جاريةٌ لها وكمُّها مملوء دارهم ، فقالت : أيّكم القائل : [من الكامل]

من ذا يُعيرك عينَه تبكـي بهـا أرأيـت عينـاً للبكـاء تُعارُ

فأومىء إلى العبّاس بن الأحنف ؛ فنَثَرَتْ الدراهمَ في حجره فنفضَها فلقَطَها الفرّاشون ؛ ثم دخلتْ ومعها ثلاثةُ نفرٍ من الفرّاشين على عُنُق كلّ فرّاش بَدْرةٌ فيها دراهم ، فمَضَوْا بها إلى منزلِ العبّاس بن الأحنف .

[أنشد الرشيد شعره في البكاء فدعا عليه وسخط]

أخبرني الحسنُ بنُ عليّ قال حدَّثني محمّدُ بن موسى قال : أُنشِد الرشيدُ قولَ العبّاسِ بنِ الأحنف : [من الكامل]

من ذا يُعيرك عينَـه تبكـي بها

فقال : مَنْ لا صَحِبه الله ولا حاطه .

[سرق مخلد الموصليّ من شعره فكشفه عبد الله بن ربيعة الرقي]

حدَّثني الصُّوليُّ قال حدَّثني عَوْنُ بن محمَّد الكِنديّ قال : كنّا مع مَخْلَد المَوْصِليّ في مجلسٍ وكان معنا عبدُ الله بن رَبيعةَ الرِّقيّ ؛ فأنشد مَخْلد المَوْصِليّ قصيدةً له يقولُ فيها : [من الخفيف]

كلُّ شيء أقْوى عليـه ولكـنْ ليس لي بالفِراق منـك يَدانِ

فجعل يستحسِنه ويردِّده ، فقال له عبدُ الله : أنتَ الفِداء لَمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول : [من الخفيف]

سلبتْني مـــن السُّرور ثِيابـا وكسَتني مـن الهمـومِ ثِيابا
كلّما أغْلَقتْ من الوصل بابا فتَحَـتْ لي إلى المنيّـةِ بابا
عذّبيني بكلِّ شيء سوى الصـ ـدّ فما ذقتُ كالصدود عذابا

قال : فضحك المَوْصِليّ . والشعرُ للعبّاس بن الأحنف .

[مدح الرياشي شعره]

وأخبرني الصُّوليّ قال حدَّثني أبو الحسن الأسديُّ قال : سمعت الرِّياشيَّ يقولُ ، وقد ذُكِر عندَه العبّاسُ بنُ الأحنف : والله لو لم يقلْ من الشعر إلاّ هذين البيتين لكَفَيا : [من المنسرح]

صوت

أُحْرَمُ منكـم بما أقـولُ وقد نالَ بـه العاشِقونَ مَن عَشِقُوا
صِرْت كأنّـي ذُبالـةٌ نُصِبَتْ تُضيءُ للنَّاسِ وهـي تحْترقُ

وفي هذين البيتين لحنٌ لعبدِ الله بنِ العبّاس من الثقيل الثاني بالبِنصر . وفيه لخَزْرَج رمَل أوّلُ عن عبد الله بن العبّاس : [من المنسرح]

أنـتِ لا تعلمينَ ما الهمُّ والحُزْ نُ ولا تعلَمـين مـا الأَرَقُ

[اختلف الرشيد وإسحاق الموصليّ في مدحه ومدح أبي العتاهية]

أخبرني عليُّ بنُ سليمان الأخفش قال حدَّثني محمَّد بن يَزيد المبرِّد قال حدَّثني بعضُ مشايخ الأَزْد عن إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : كان الرشيد يقدِّم أبا العتاهية حتى يجوز الحدَّ في تقديمه ، وكنت أُقدِّم العبّاس بن الأحنف ؛ فاغتابني بعضُ الناسِ عند الرشيد وعابني عنده ، وقال عَقِبَ ذلك : وبَحَسْبِك يا أميرَ المؤمنين أنّه يُخالِفُك في العبّاس بن الأحنف على حداثة سنّه وقلّة حِذْقِه وتجريبه ، ويقدِّمُه على أبي العتاهية مع ميْلك إليه . وبلغني الخبرُ فدخلت على الرّشيد ؛ فقال لي ابتداءً : أيّما أشعرُ عندكَ : العبّاسُ بن الأحنف أو أبو العتاهية ؟ فعلِمتُ الذي يريدُ ، فأطرقتُ كأنّي مُسْتَثْبِتٌ ثم قلت : أبو العتاهية أشعرُ . قال : أنشِدني لهذا ولهذا ؛ قلت : فبأيّهما أبدأ ؟ قال : بالعبّاس . قال : فأنشدتُه أجودَ ما أرويه للعبّاس ، وهو قوله : [من المنسرح]

أُحْرَم مِنكم بمـا أقـولُ وقد نال بـه العاشِقونَ مَنْ عَشِقُوا

فقال لي : أَحْسَن ، فأنْشدني لأبي العتاهية ، فأنشدتُه أضعفَ ما أَقدِرُ عليه ، وهو قوله : [من السريع]

كأنَّ عُتَّابَةَ من حُسْنها ... دُمْيَةُ قَسٍّ فتنتْ قَسَّها
يا رَبِّ لو أنسيتَنِيها بما ... في جَنّةِ الفردوسِ لم أَنْسَها
إنّي إذاً مثلُ التي لم تزل ... دائبةً في طحنِها كُدْسَها[1]
حتى إذا لم يبق منها سوى ... حَفْنةِ بُرٍّ قتلتْ نفسَها

قال : أتعيِّره هذا ؟ فأين أنت عن قوله ؟ : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ ما بي ... أتحبُّ الغداةَ عُتبةَ حَقّا
فتنفَّستُ ثُمّ قلت نعم حُبّـ ... ـاً جرى في العروق عِرْقا فعِرْقا

ويحك ، أتعرف لأحدٍ مثلَ هذا ، أو تعرف أحداً سبقه إلى قوله : «فتنفَّسْتُ ثم قلت كذا وكذا» ! اذهبْ ويحَك فاحفَظْها ؛ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ، ولو كنت سمِعتُ بها لحفِظتُها . قال إسحاق : وما أَشُكّ أنّي كنت أحفَظَ لها حينئذٍ من أبي العتاهية ، ولكنّي إنّما أنْشَدتُ ما أُنْشَدتُ تعصُّباً .

[صحب الرشيد إلى خراسان وعرّض للرجوع بشعر فأذن له]

وحُدِّثتُ من غير وجهٍ أنّ الرشيدَ أَلِف العبّاسَ بن الأحنف ؛ فلمّا خرج إلى خُراسان طال مُقامُه بها ، ثم خرج إلى أَرْمينيَةَ والعبّاسُ معه ماشياً إلى بغدادَ ، فعارَضه في طريقه فأنشده : [من البسيط]

قالوا خُراسانُ أقصى ما يُرادُ بنا ... ثم القُفولُ فقد جئنا خراسانا
ما أقدرَ اللهُ أن يُدْني على شَحَط ... سكانَ دَجلَةَ من سُكّان جَيْحانا[2]
متى الذي كنتُ أرجوه وآمُلُه ... أمّا الذي كنتُ أخشاه فقد كانا[3]
عينُ الزمانِ أصابتْنا فلا نَظَرتْ ... وعذَّبتْ بصنوفِ الهجر ألوانا

في هذين البيتين الأخيرين رَمَلٌ بالوسطى يُنسَب إلى مخارق وإلى غيره . قال فقال له الرشيد : قد اشتقتَ يا عبّاسُ وأذِنتُ لك خاصّة ، وأمر له بثلاثين ألف درهم .

---

1 الكدس : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك .
2 في الديوان اختلاف 279 . جيحان : اسم نهر .
3 متى الذي كنتُ في الديوان : متى يكون الذي 279 .

[لم يبتذل هو ولا العراف شعرهما في رغبة ولا رهبة]

أخبرني الصُّوليّ قال حدَّثنا محمَّدُ بن القاسِم قال : سمعتُ مُصْعَباً الزُّبَيريّ يقول : العبّاسُ بن الأحنف وعمرو العرّاف ما ابتذلا شعرَهُما في رَغْبة ولا رهْبَة ، ولكن فيما أحبّاه ، فلَزِما فنّاً واحداً لو لَزِمه غيرُهما ممّن يُكثر إكثارَهما لضعُف فيه .

ذكر الأصوات التي تجمع النَّغم العشر

منها :

صوت

[من المتقارب]

توهَّمتُ بالخَيْف رسماً مُحِيلا لعَـزَّةَ تَعْـرِفُ منـه الطُّلولا
تَبَدَّل بـالحيّ صوتَ الصَّدى ونوحَ الحمامة تدعـو هَدِيلا

عروضُه من المتقاربِ . الخَيْفُ الذي عناهُ كُثَيِّر ليس بخيف مِنىً ، بل هو موضع آخَر في بلاد ضَمْرَة . والطُّلول : جمع طللٍ ، وهو ما كان له شخص وجسم عال من آثار الدّيار . والرَّسم : ما لم يكن له شخص [وجسم] . والصَّدى هاهنا : طائر ، وفي موضع آخر : العطش . ويزعُم أهل الجاهليّة أنّ الصَّدى طائر يخرج من راس المقتول فلا يزال يصيح [أسقوني] حتى يُدرَكَ بثأره . قال طَرَفَةُ : [من الطويل]

كَرِيمٌ يـروِّي نفسَه في حَياتِـه ستعلمُ إن مِتْنا صَدىً أيُّنا الصَّدِي

والحمام : القماريّ ونحوها من الطير . والهديل : أصواتها .

الشعر لكثيِّر والغناء لعُبَيْدِ الله بن عبد الله بن طاهر ، ونَسَبه إلى جاريته وكَنَى عنها ، فذكر أنّ الصَّنعةَ لبعض من كثرت دُربَتُه بالغناء وعظُم علمُه وأتعب نفسَه حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت ، وذكر أنّ طريقتَه من الثقيل الأوّل ، وأنّه ليس يجوز أن يَنسُبَه إلى موضع إصْبع مُفْردة ؛ لأنّ ابتداءه على المَثْنى مُطْلَقاً ، ثم بسبَّابة المَثْنى ، ثم وُسْطى المثنى ، ثم بِنْصر المَثْنى ، ثم خنصر المَثْنى ، ثم سبّابة الزِّير ، ثم وُسْطاه ، ثم بِنصره ، ثم خِنصره ، ثم النَّغمة الحادَّة ، وهي العاشرة . وفيه لابن مُحرِزٍ ثاني ثقيلٍ مطلَق في مجرى البِنْصر . وفيه لابن الهِرْبِذ رَمَلٌ بالوُسطى عن عمرو ، وهذا الصوتُ من الثقيل الثاني ، وهو الذي ذكر إسحاق في كتاب النَّغم وعِلَلِها أن لحنَ ابن محرز فيه يَجمع ثمانياً من النغم العَشر ، وأنّه لا يعرف صوتاً يجمعها غيرُه ، وأنّه يمكن من كان له علمٌ ثاقبٌ بالصناعة أن يأتيَ في صوتٍ واحدٍ بالنَّغم العشر ، بعد تعبٍ طويل ومُعاناةٍ شديدة . وذكَر عُبَيْد الله أنّ صانع هذا الصوتِ الذي كَنَى عنه فعلَ ذلك

وتلطَّف له حتى أتى بالنغم العشر في هذا متواليةً من أوّلها إلى آخرها ، وأتى بها في الصوت الذي بعده متفرّقةً على غير توالٍ إلاّ أنّها كلّها فيه ، وذكر أنّ ذلك الصوتَ أحسنُ مسموعاً وأحلى . وحَكى ذلك أيضاً عنه يحيى بن عليّ بن يحيى في كتاب النَّغَم . وإذ فرغتُ من حكايةِ ما ذكَره وحكاه عُبَيْد الله في نِسبة هذا الصوتِ فقد ينبغِي ألاّ أُجريَ الأمرَ فيه على التقليد دون القول الصحيح فيما ذكره وحكاه . والذي وصفه من جهة النغم العشر متواليةً في صوت واحد محالٌ لا حقيقة له ، ولا يُمكن أحداً بتّةً أن يفعله . وأنا أُبيِّن العلّةَ في ذلك على تقريب ، إذ كانَ استقصاء شرحها طويلاً . وقد ذكرتُه في رسالة إلى بعض إخواني في علل النغم ، وشرحتُ هناك العلَّةَ في أنْ قُسِّم الغناءُ قسمين وجُعِل على مجريَيْن : الوُسطى والبِنْصر دون غيرهما ، حتى لا يُدْخِل واحدةً منهما على صاحبتها في مجراها قُرْبُ مخرج الصوت ، إذا كان على الوُسطى منه [او] إذا كان على البنصر وشبهه به . فإذا أراد مُريدٌ إلحاقَ هذا بهذا لم يُمكنه بَتّةً على وجهٍ ولا سببٍ ؛ ولا يُوجد في استطاعة حيوان أن يتلو إحداهما بالأُخرى . وإذا أُتْبعت إحداهما بالأُخرى في ناي أو آلة من آلات الزمر تَفَصَّلَت إحداهما من الأُخرى . وإنّما قلّت النغمُ في غِناء الأوائل لأنّهم قَسَّموها قسمين بين هاتين الإصْبَعين ، فوجدوهما إذا دخلت إحداهما مع الأُخرى في طريقتها لم يكن ذلك إلاّ بعد أن يُفْصَلَ بينهما بنغم أُخرى للسبَّابة والخنصر يدخل بينهما حتى تتباعد المسافةُ بينهما ، ثم لا يكون لذلك الغناءِ ملاحةٌ ولا طِيبٌ للمضادّة في المَجْرَيَيْن ، فتركوه ولم يستعملوه ؛ فإن كان صحَّ لعُبَيد الله عملٌ في النغم العشر في صوت ، فلعلَّه صحَّ له في الصوت الذي ذكر أنّه فرَّقها فيه ؛ فأمّا المتوالية ، على ما ذكره هاهنا ، فمحالٌ ، ولستُ أقدر في هذا الموضع على شرحٍ أكثرَ من هذا ، وهو في الرسالة التي ذكرتُها مشروح .

* * * *

الفهرس

[111] ـ نسب جرير وأخباره 5
[112] ـ نسب جميل وأخباره 66
[113] ـ ذكر يزيد بن الطَّثْرِيّة وأخباره ونسبه 113
[114] ـ ذكر جميلة وأخبارها 134
[115] ـ ذكر عنترة ونسبه وشيء من أخباره 168
116 ـ [ذكر عبد قيس بن خفاف البرجميّ] 175
[117] ـ ذكر أبي دُلَفَ ونسبه وأخباره 177
[118] ـ أخبار سعيد بن عبد الرحمن 193
[119] ـ أخبار البُرْدان 199
[120] ـ ذكر الأخطل وأخباره ونسبه 201
[121] ـ ذكر سائب خاثر ونسبه 230
[122] ـ ذكر جَرادَتَيْ عبد الله بن جُدْعان وخبرهما وشيء من أخبار ابن جُدْعان . 235
[123] ـ ذكر سَلاّمةِ القَسّ وخبرها 240
[124] ـ أخبار العَبّاس بن الأحنف ونسبه 253

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عبّاس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عبّاس

المجلّد التاسع

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

9

جَميع الحُقوق محفوظَة

الطبعَة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

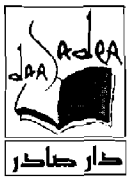

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[125] ـ ذكر أخبار كثير ونسبه[1]

[نسبه]

هو ، فيما أخبرنا به محمد بن العباس اليزيديّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي ، أبو صخر كُثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عُوَيمر بن مَخلَد بن سعيد بن سُبَيع بن جِعثِمَةَ بن سعد بن مُلَيح بن عمرو وهو خُزاعة بن ربيعة وهو يحيى بن حارثة بن عمرو وهو مُزَيْقِيا بن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغِطْريف بن امرىء القيس البِطريق بن ثعلبة البُهلول [ابن مازن] بن الأَزد وهو دِرْء ، وقيل دِراء ممدودا ، بن الغَوث بن نَبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يَشجُب بن يَعرُب بن قَحطان .

وأخبرنا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد بن إسحاق الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدثنا أبو صخر بن أبي الزَّعراء الخُزاعي عن أُمِّه ليلى بنت كُثيِّر قالت : هو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن مَخلَد بن سُبَيع بن سعد بن مُلَيح بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وأمه جُمُعة بنت الأَشيَم بن خالد بن عُبيد بن مُبَشِّر بن رِياح بن سيالة بن عامر بن جِعثِمةَ بن كعب بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر . وكانت كنية الأشيمَ جدِّه أبي أمه أبا جُمُعة ؛ ولذلك قيل له ابن أبي جُمُعة .

وكان له ابن يقال له ثَواب من أشعر أهل زمانه ، مات سنة إحدى وأربعين ومائة ولا ولد له .

ومات كثيِّر سنة خمس ومائة في ولاية يزيد بن عبد الملك . وليس له اليوم ولد إلا من بنته ليلى . ولليلى بنته ابنٌ يكنى أبا سلَمة شاعر ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

صوت

وكان عزيـــزاً أن تَبيتـي وبيننا حجابٌ فقد أمسيتِ منِّي على شهرِ
ففي القربِ تعذيبٌ وفي النأي حَسرةٌ فيا وَيحَ نفسي كيف أصنعُ بالدهرِ

في هذين البيتين غناء لمقاسة . ولحنه من الثقيل الأول بالخنصر عن حَبَش .

---

1 أنظر أخباره في الجمحي 121–125 والاشتقاق 280 والمؤتلف 169 والمرزباني 35 واللآلي ص61–62 وابن خلكان : 1 : 475–550 والمعاهد 241–248 والخزانة 2 : 376–383 والشعر والشعراء 503/1 .

[كنيته وطبقته في الشعراء ونحلته]

ويكنى كثيِّر أبا صخر . وهو من فحول شعراء الإسلام ، وجعله ابن سَلاّم في الطبقة الأولى منهم وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي . وكان غالياً في التشيُّع يذهب مذهب الكَيسانية ، ويقول بالرجعة والتناسخ ، وكان مُحَمَّقاً مشهوراً بذلك . وكان آل مروان يعلمون بمذهبه فلا يغيّرهم ذلك لجلالته في أعينهم ولطف محلّه في أنفسهم وعندهم . وكان من أَتْيهِ الناس وأذهبهم بنفسه على كل أحد .

[الحديث عنه وعلى شعره]

أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني هارون بن عبد الله الزُّهْريّ قال حدّثني سليمان بن فُلَيْح قال : سمعت محمد بن عبد العزيز (يعني ابن عمر بن عبد الرحمن بن عوف) يقول ما قصّد القصيدَ ولا نعت الملوكَ مثلُ كثيِّر .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثني الزُّبير بن بكّار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصلي حدثني إبراهيم بن سعد قال : إني لأروي لكُثيِّر ثلاثين قصيدة لو رُقي بها مجنون لأفاق .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثني بعض أصحاب الحديث قال : كنا نأتي إبراهيم بن سعد وهو خبيث النفس ، فنسأله عن شعر كثير فتطيب نفسه ويحدّثنا .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّلي عن عبد الله بن أبي عُبيدة قال : من لم يجمع من شعر كُثيِّر ثلاثين لاميةً فلم يجمع شعرَه . قال الزُّبير قال المؤمَّلي : وكان ابن أبي عُبيدة يُملي شعر كُثيِّر بثلاثين ديناراً . قال وسئل عمّي مصعب : مَن أشعرُ الناس ؟ فقال : كُثيِّر بن أبي جُمُعة ، وقال : هو أشعر من جرير والفرزدق والراعي وعامتهم (يعني الشعراء) ، ولم يدرك أحد في مديح الملوك ما أدرك كثيِّر .

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحُباب إجازةً قال حدثنا محمد بن سَلاّم الجُمَحِي قال : كان كثيِّر شاعر أهل الحجاز ، وهو شاعر فحل ، ولكنه منقوصٌ حظَّه بالعراق .

أخبرني أبو خليفة قال أخبرنا ابن سَلاّم قال سمعت يونس النحويَّ يقول : كُثيِّر أشعرُ أهل الإسلام . قال ابن سلام : وسمعت ابن أبي حفصة يُعجبه مذهبه في المديح جدّاً ، ويقول : كان يستقصي المديح ، وكان فيه مع جودة شعره خَطَلٌ وعُجب .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري قال أخبرني إبراهيم بن إبراهيم بن حسين بن زيد قال : سمعت المِسْوَر بن عبد الملك يقول : ما ضَرَّ مَن يروي شعرَ كثيِّر وجميلٍ ألاّ تكون عنده مغنِّيتان مُطرِبتان .

أخبرني حبيب بن نصر المُهلَّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوقاصي قال : رأيت كثيِّراً يطوف بالبيت ، فمَن حدّثك أنه يزيد على ثلاثة أشبار فكذِّبه ؛ وكان إذا دخل على عبد العزيز بن مروان يقول : طأطِىء رأسك لا يُصيبْه السقف .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكّار قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني ، وعن ابن حبيب عن أبيه عن جده عن جدّ أبيه عبد العزيز وأُمُّه جُمعة بنت كثيِّر قال : قال [جرير] لكثيِّر : أيُّ رجلٍ أنت لولا دَمامتُك ! فقال كثيِّر : [من الطويل]

إن أك قَصداً في الرجالِ فإنني إذا حـلَّ أمرٌ ساحتي لطويلُ[1]

[ما كان بينه وبين الحزين الديلي]

أخبرني حبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شَبة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن المدائني عن الوَقاصي قال ، وأخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني محمد بن يحيى عن بعض أصحابهم الدِّيليين قال : التقى كثيِّر والحَزِين[2] الدِّيلي بالمدينة في دار ابن أزهر في سوق الغنم ، فضمهما المجلس . فقال كثير للحزين : ما أنت شاعرٌ يا حزين ، إنما تُوصل الشيء إلى الشيء . فقال له الحزين : أتأذن لي أن أهجوَك ؟ قال نعم . وكان كُثيِّر قال قبل ذلك وهو ينتسب إلى بني الصَّلت بن النَّضر بن كِنانة : [من الطويل]

أليس أبي بالنَّضرِ أو ليس إخوتي بكلِّ هِجانٍ من بني الصَّلْت أزهَرا[3]

فإن لم تكونوا من بني الصَّلْت فاتركوا أراكاً بأذيـالِ الخمائـلِ أخضَرا[4]

قال : فلما أذِن كثيِّر للحزين أن يهجوه قال الحزين : [من الطويل]

لقد عَلِقتْ زُبَّ الذُّبابِ كُثيِّراً أساوِدُ لا يُطنينـــــه وأراقمُ[5]

---

1 القصد : الربعة من الرجال ، وفي الديوان قَصراً أي القصير ص 332 .

2 اسمه عمرو بن عبيد بن وهيب بن مالك ، والحزين لقبه ، حجازي من شعراء الدولة الأموية .

3 البيت في الديوان :

أليس أبي بالصّلْت أم ليس أسرتـــي لكل هجانٍ من بني النضر أزهـرا

4 البيت في الديوان :

فإن لم تكونوا من بني النضر فاتركوا أراكاً بأذنـــاب الفوائـج أخضـرا

والخميلة : المنهبط الغامض من الرمل ، وهي مكرمة للرمل .

5 الأساود : الحيات ، ولا يطنينه : لا يبقين عليه . والأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس .

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته يَعَضُّ القُـرادُ باسته وهوَ قائمُ
ومـا أنتُمُ منـا ولكنكم لنا عبيدُ العصا ما ابتلَّ في البحرِ عائمُ
وقد عَلِمَ الأقوامُ أن بني استِها خُزاعـةَ أذنابٌ وأنَّا القَوادِمُ
ووالله لـولا اللهُ ثـم ضِرابُنا بأسيافنا دارتْ عليها المَقاسمُ
ولولا بنو بكر لَذَلَّت وأُهلِكتْ بطعنٍ وأفنتْها السيوفُ الصوارمُ

[تهدده أبو الطفيل واستوهبه خندف الأسدي]

قال : فقام كثيِّر فحمل عليه فلكَزه . وكان الحزين طويلاً أيِّداً . فقال له الحزين : أنت عن هذا أعجز ، واحتمله فكان في يده مثلَ الكُرة ، فضرب به الأرض ، فخلّصه منه الأزهريون . فبلغ ذلك [أبا] الطُّفيل عامر بن واثِلة وهو بالكوفة ؛ فأقسم لئن ملأ عينيه من كثيِّر ليضربنه بالسيف أو ليَطعُنَنه بالرمح . وكان خِندِفٌ الأسدي صديقاً لأبي الطُّفيل ؛ فطلب إلى أبي الطفيل في كثيراً واستوهبه إياه فوهبه له . والتقيا بمكة وجلسا جميعاً مع عمر بن علي بن أبي طالب ، فقال : أمَا والله لولا ما أعطيتُ خِندِفاً من العهد لوَفَيت لك . فذلك قول كثيِّر في قصيدته التي يرثي فيها خِندِفاً : [من الطويل]

ينـالُ رجالاً نفعُه وهـو منهمُ بعيـدٌ كعَيُّـوقِ الثُّريـا المُحَلِّقِ

[أنكر على الأحوص ضراعته في الاستجداء]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال كثيِّر : في أي شعرٍ أعطى هؤلاء الأحوصَ عشرةَ آلافِ دينار ؟ قالوا : في قوله فيهم : [من الطويل]

ومـا كان مالي طارفـاً من تجارةٍ ومـا كان مِيراثاً مـن المالِ مُتلَدا
ولكن عطايـا مـن إمامٍ مُبارَكٍ مَلا الأرضَ معروفاً وجُوداً وسُودَدا

فقال كثيِّر : إنه لَضِرِعٌ قَبَحه الله ! ألا قال كما قلتُ : [من المنسرح]

صوت

دَع عنكَ سَلْمَى إذ فاتَ مَطلَبُها واذكُرْ خليليْكَ من بني الحَكَمِ
مـا أعطيـاني ولا سألتُهمـا إلا وإنِّـي لحاجِـزِي كَرَمي
إني متـى لا يكـن نوالُهمـا عندي بما قـد فعلتُ أحتشمِ

مُبدِي الرِّضا عنهما ومُنصرِفٌ عن بعض ما لـو فعلتُ لم أَلَمِ
لا أنـزُر النائـلَ الخليلَ إذا مـا اعتلَّ نَزْرَ الظَّؤورِ لم تَرَمِ[1]

عروضه من المنسرح . غنى في هذا الشعر يونس ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنى فيه الغريض ثاني ثقيل بالبنصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة . وفيه لحن من الثقيل الأول يُنسب إلى معبد ، وليس بصحيح له . قال الزُّبير بن بكار في تفسير قوله : «لا أنزر النائل الخليل» يقول : لا أُلِحّ عليه بالمسألة ؛ يقال : نَزَرته أنزُره إذا ألححتَ عليه . والظَّؤور : المتعطفة على [غير] أولادها .

[حديثه مع عبد الملك في استقطاعه أرضاً له]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثنا المؤمَّلي عن أبي عبيدة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر قالا حدثنا عبد الله بن محمد بن حكيم عن خالد بن سعيد بن عمرو بن سعيد عن أبيه قال : دخل كثيِّر على عبد الملك بن مروان فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أرضاً لك يقال لها غُرَّب[2] ربما أتيتُها وخرجت إليها بولدي وعِيالي فأصبنا من رُطَبها وتَمرها بشراءٍ مرة وطُعمة مرة . فإن رأى أمير المؤمنين أن يُعَمِّرَنيها فعل . فقال له عبد الملك : ذلك لك . فندَّمه الناس وقالوا له : أنت شاعرُ الخليفة ولك عنده منزلة ، فهَلاّ سألتَ الأرض قَطيعةً ! . فأتى الوليدَ فقال : إن لي إلى أمير المؤمنين حاجةً فأجلِسني قريباً من البِرذَون . فلما استوى عليه عبد الملك قال له : إيهٍ ! وعلم أن له إليه حاجةً . فقال كثيِّر : [من الطويل]

جزَتكَ الجوازِي عن صديقكَ نَضرةً وأدنـاكَ ربِّـي في الرَّفيـقِ المُقَرَّبِ
فإنّـكَ لا يُعطـى عليـكَ ظُلامـةً عـدوٌّ ولا تنـأى عـن المتقـرِّبِ
وإنّـك مـا تَمنَـعْ فإنّـكَ مانـعٌ بحـقٍّ ، ومـا أعطيـتَ لم تَتعقّـبِ

فقال له : أترغبَ غُرَّباً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : اكتبوها له ، ففعلوا .

[هجاء الحزين له في مجلس ابن أبي عتيق]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثنا عمر بن أبي بكر المؤمَّلي قال حدثني عبد الله بن أبي عُبيدة قال : كان الحزين الكِناني قد ضرب على كل رجل من قريش درهمين في كل شهر ، منهم ابنُ أبي عتيق . فجاءه لأخذ درهميه على حمارٍ له أعجف ، قال : وكثيِّر مع ابن أبي عتيق ، فدعا ابنُ أبي عتيق للحزين بدرهمين . فقال الحزين لابن أبي عَتيق : مَن هذا معك ؟ قال : هذا

1 ترم : تحن وتعطف . وأصله «ترأم» سهلت الهمزة .
2 غُرَّب : ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نمير . وهو جبل دون الشام في ديار بني كلب .

أبو صخر كثيِّر بن أبي جمعة ، قال : وكان قصيراً دميماً ، فقال له الحزين : أتأذَن لي أن أهجوه ببيت من شعر ؟ قال : لا ! لعمري لا آذَن لك أن تهجو جليسي ، ولكني أشتري عِرضه منك بدرهمين آخرين ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : لا بدَّ من هجائه ببيت . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين آخرين ، ودعا له بهما . فأخذهما ثم قال : ما أنا بتاركه حتى أهجوه . قال : أو أشتري ذلك منك بدرهمين . فقال له كُثيِّر : ايذَن له ، ما عسى أن يقول في بيت ! فأذِن له ابن أبي عتيق . فقال : [من الطويل]

قصيرُ القميصِ فاحشٌ عند بيته يَعَضُّ القُرادُ باستِهِ وهوَ قائمُ

قال : فوثب كثيِّر إليه فلكزَه ، فسقط هو والحمار ، وخلص ابنُ أبي عتيق بينهما ، وقال لكثيِّر قبحك الله ؛ أتأذَن له وتَسفَهُ عليه ! فقال كثيِّر : أوَ أنا ظننتُه أن يبلغُ بي هذا كلَّه في بيت واحد ! .

[ادعى أنه قرشي فرده الشعراء وسبه الكوفيون]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزه ، وأخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا عبد الرحمن بن الخضر الخُزاعي عن ولد جُمعة بنت كثيِّر أنه وجد في كتب أبيه التي فيها شعر كثيِّر : أن عبد الملك ابن مروان قال له : ويحك ! الحَقْ بقومك من خُزاعة ؛ فأخبرَ أنه من كِنانة قريش ، وأنشد كثيِّر قولَه : [من الطويل]

أليس أبي بالصَّلْتِ أم ليس إخوتي بكل هِجانٍ من بني النَّضر أزهَرا[1]
فإن لم تكونوا من بني النَّضرِ فاتركوا أراكاً بأذنابِ القَوابِل أخضرا[2]
أبَيتُ التي قد سُمتَني ونكِرتُها ولو سُمتَها قبلي قَبيصةَ أنكرا
لَبِسنا ثيابَ العَصبِ فاختلطَ السَّدى بِنا وبهم والحَضرميَّ المُخَصَّرا[3]

فقال له عبد الملك : لا بُدَّ أن تُنشد هذا الشعر على مِنبَرَي الكوفة والبصرة ، وحمَله وكتب إلى العراق في أمره . قال عمر بن شَبة في خبره خاصة : فأجابته خُزاعة الحِجازِ إلى ذلك . وقال فيه الأحوص ، ويقال : بل قاله سُراقة البارقي : [من الطويل]

لَعَمرِي لقد جاء العراقَ كُثيِّرٌ بأحدوثةٍ من وَحيِه المُتكَذِّبِ

1 إخوتي في الديوان : أسرتي .
2 القوابل في الديوان : الفوائج
3 العصب : برود يمنية . الحضرمي : النعال المخصرة التي تضيق من جانبيها كأنها ناقصة الخصرين .

أيزعمُ أنّي من كِنانةَ أوّلي ... وما لِيَ من أُمٍّ هناك ولا أبِ
فإن كنتَ حُراً أو تخاف مَعَرةً ... فخُذْ ما أخذتَ من أميرِكَ واذهبِ

فقال كثيِّر يجيبه ، وفي خبر الزُّبير : قال هذا لأبي علقمة الخُزاعي : [من الطويل]

أيا خُبَثٌ أكرِمْ كِنانةَ إنهم ... مَواليك إن أمرٌ سما بك معلقُ

وفي رواية الزُّبير : «أبا عَلْقَمٍ» .

بنو النَّضرِ تَرمي من ورائك بالحصى ... أُولُو حَسَبٍ فيهم وفاءٌ ومَصدَقُ
يُفِيدونكَ المالَ الكثيرَ ولم تَجِدْ ... لُمْلكهمُ شِبهاً لَوَ انّك تصدُقُ
إذا ركِبوا ثارتْ عليك عَجاجةٌ ... وفي الأرضِ من وقع الأسِنَّةِ أولَقُ[1]

فأجابه الأحوص بقوله : [من الطويل]

دَعِ القومَ ما حَلُّوا ببطن قُراضِمٍ ... وحيثُ تَفشى بيضُهُ المتفلِّقُ[2]
فإنك لو قاربتَ أو قلتَ شُبهةً ... لذي الحقِّ فيها والمخاصمِ مَعْلَقُ
عذَرناك أو قلنا صدقتَ وإنما ... يُصدَّق بالأقوالِ مَنْ كان يصدُقُ
ستأبَى بنو عمرٍو عليك وينتمي ... لهم حسبٌ في جِذمِ غَسّانَ مُعرِقُ[3]
فإنّكَ لا عمراً أباك حَفِظتَه ... ولا النَّضرَ إن ضَيعتَ شيخَك تَلحَقُ
ولم تُدرِك القومَ الذين طلبتَهم ... فكنتَ كما كان السِّقاءُ المعلَّقُ
بجِذمة ساقٍ ليسَ منه لِحاؤُها ... ولم يَكُ عنها قلبُه يتعلَّقُ
فأصبحتَ كالمُهْرِيقِ فضلةَ مائه ... لبادِي سَرابٍ بالمَلا يترقرقُ[4]

قال : فخرج كثيِّر فأتى الكوفةَ ، فرُمي به إلى مسجد بارِق . فقالوا له : أنت من أهل الحجاز ؟ قال نعم . قالوا : فأخبِرنا عن رجل شاعر ولدِ زِناً يُدعى كثيِّراً . قال : سبحان الله ؛ أما تسمعون أيها المشايخ ما يقول الفتيان ! قالوا : هو ما قاله لنفسه . فانسلَّ منهم وجاء إلى والي الكوفة حسان بنِ كَيسان ، فطيّره على البريد . وقال عمر بن شَبة في خبره : إن سُراقة البارقي وهو المُخاطِب له بهذه الشتيمة وإنه عرَفه وقال له : إن قلتَ هذا على المِنبر قتلتك

1 الأولق : الجنون .
2 قراضم : موضع بالمدينة .
3 الجذم : الأصل .
4 الملا : الصحراء .

قحطان وأنا أولُهم ؛ فانصرف إلى منزله ولم يَعُد إلى عبد الملك .

[نبذة عن سراقة البارقي وقصته مع المختار حين أسر]

وكان سُراقةُ هذا شاعراً ظريفاً . فأخبرني عمّي قال حدثني الكُراني عن النَّضر بن عمر عن الهيثم بن عَدِي عن الأعمش عن إبراهيم قال : كان سُراقة البارقي من ظُرفاء أهل العراق ، فأسَره المختار يومَ جَبانة[1] السَّبِيع ؛ وكانت للمختار فيها وقعةٌ مُنكرة ، فجاء به الذي أسرَه إلى المختار فقال له : إني أسرتُ هذا . فقال له سُراقة : كذَب ؛ ما هو الذي أسرني ، إنما أسرَني غلامٌ أسود على بِرذَون أبلَقَ عليه ثيابٌ خضرٌ ، ما أراه في عسكرك الآن ، وسلمني إليه . فقال المختار : أما إن الرجل قد عاين الملائكةَ ؛ خَلُّوا سبيلَه فخَلَّوْه ؛ فهرب فأنشأ يقول : [من الوافر]

ألا أبلِغ أبا إسحاق أنّي ... رأيتُ البُلقَ دُهماً مُصمَتاتِ[2]
أُرِي عَيْنيَّ ما لم تُبصِراه ... كِلانا عالمٌ بالتُّرّهاتِ
كفرتُ بدينِكم وجعلتُ نذراً ... عليَّ قتالَكم حتى المماتِ

[يرى رأي السيّد في أنّ ابن الحنفية لم يمتْ]

أخبرنا الحِرْميّ قال أخبرنا الزُّبير قال أخبرنا عمرو ومحمد بن الضحاك قالا : كان كثيِّر يتشيع تشيُّعاً قبيحاً ، يزعم أن محمد بن الحنفيَّة لم يمت . قال : وكان ذلك رأيَ السيِّد ؛ وقد قال فيه (يعني السيد) شعراً كثيراً ، منه : [من الوافر]

ألا قُلْ للوَصِي فدتْك نفسي ... أطلتَ بذلكَ الجبلِ المُقاما
أضَرَّ بمَعشَرٍ والوكَ منّا ... وسَمَّوْك الخليفةَ والإماما
وعادَوْا فيك أهلَ الأرضِ طُرّاً ... مُقامُك عنهمُ ستّين عاما
وما ذاق ابنُ خَولةَ طعمَ مَوتٍ ... ولا وارتْ له أرضٌ عِظاما[3]
لقد أُوْفَى بمُورِق شِعبِ رَضْوَى ... تُراجِعه الملائكةُ الكلاما
وإنَّ له به لِمَقِيلَ صدقٍ ... وأنديةً تحدِّثه كِراما

1 جبانة السبيع : محلة بالكوفة مضافة إلى السبيع وهي قبيلة ؛ وكانت وقعة المختار بن أبي عبيد الثقفي بها حين خرج للثأر من قتلة الحسين بن علي بن أبي طالب .

2 مصمت : لا يخالط لونه لون آخر .

3 خولة : اسم أم محمد بن الحنفية .

هدانا اللهُ إذ جُرتُم لأمرٍ ... به ولديه نَلتمِسُ التَّماما
تمامَ مَوَدّةِ المهديِّ حتى ... تَرَوْا راياتِنا تَترى نِظاما

وقال كثيِّر في ذلك[1] : [من الوافر]

ألا إنَّ الأئمَّةَ من قُرَيشٍ ... وُلاةَ الحقِّ أربعةٌ سواءُ
عليٌّ والثلاثةُ من بَنِيه ... همُ الأسباطُ ليس بهم خَفاءُ[2]
فسِبطٌ سِبطُ إيمانٍ وبِرٍّ ... وسِبطٌ غَيَّبتْه كَربَلاءُ[3]
وسِبطٌ لا تراه العينُ حتَّى ... يقودَ الخيلَ يقدُمها اللِّواءُ[4]
تغيَّب لا يُرى عنهم زماناً ... برَضْوَى عنده عسلٌ وماءُ

[شعره في ابن الحنفية حين سجنه ابن الزبير في سجن عارم]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الحارث بن محمد عن المدائني عن أبي بكر الهُذَلي قال : كان عبد الله بن الزُّبير قد أُغرِي ببني هاشم يتبعهم بكل مكروه ويُغرِي بهم ويخطُب بهم على المنابر ويصرِّح ويعرِّض بذكرهم . فربما عارضه ابن عباس وغيره منهم . ثم بدا له فيهم فحبس ابنَ الحنفية في سجن عارمٍ[5] ، ثم جمعه وسائرَ من كان بحضرته من بني هاشم ، فجعلهم في مَحبِس وملأه حطباً وأضرم فيه النار . وقد كان بلغه أن أبا عبد الله الجَدَلي وسائر شيعة ابن الحنفية قد وافَوا لنُصرته ومحاربة ابن الزُّبير ؛ فكان ذلك سببَ إيقاعه به . وبلغ أبا عبد الله الخبرُ فوافَى ساعةَ أُضرِمت النار عليهم فأطفأها واستنقذهم ، وأخرج ابن الحنفيةِ عن جِوار ابن الزُّبير منذ يومئذٍ . فأنشدنا محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدنا محمد بن حبيب لكثيِّر يذكر ابن الحنفية وقد حبسه ابن الزُّبير في سجن يقال له سجن عارِم : [من الطويل]

مَن يَرَ هذا الشيخَ بالخَيفِ من مِنىً ... من الناسِ يعلَمْ أنه غيرُ ظالمِ[6]
سَمِيُّ النبيِّ المصطفى وابنُ عمِّه ... وفَكَّاكُ أغلالٍ ونفّاعُ غارمِ[7]

1 تنسب أيضاً إلى السيد الحميري انظر الديوان ص 521 ، وقد وردت في المجلد 7 ، ص 188 .
2 رواية الشطر الثاني في الديوان ص 521 ، هم أسباطه والأوصياء .
3 وبرّ في الديوان : وحلم .
4 الشطر الأول في الديوان : وسبط لا يذوق الموت حتى .
5 سجن عارم : سجن بمكة .
6 مَن في الديوان : ومن .
7 سَمِي في الديوان : وصي . ونفاع غارمٍ في الديوان : وقاضي مغارم .

أبى فهو لا يَشرِي هدىً بضلالةٍ ولا يتَّقـي في الله لومـةَ لائمِ
ونحـنُ بحمـدِ اللهِ نتلـو كتابَـه حُلُولاً بهذا الخَيفِ خَيفِ المحارمِ
بحيث الحمامُ آمِنُ الرَّوعِ ساكنٌ وحيث العدو كالصديـقِ المُسالِمِ
فما فَـرَحُ الدُّنيـا بـبـاقٍ لأهلهِ ولا شِدَّةُ البَلوى بضربـةِ لازِمِ[1]
تُخبِّرُ مَـن لاقيـتَ أنـكَ عائـذٌ بل العائذُ المظلومُ في سجنِ عارمِ[2]

[أنشد عليّ بن عبد الله شعراً له في ابن الحنفية وحديثه معه]

حدثني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمداني قال حدثنا يحيى بن الحسن العَلَوي قال حدثنا الزُّبير بنُ بَكار ، وأخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن سعيد عن عُقبَة الجُهَني عن أبيه قال : سمعت كثيِّراً يُنشد عليَّ بن عبد الله بن جعفر قولَه في محمد بن الحنفية[3] : [من الوافر]

أقَـرَّ اللهُ عينـيَ إذ دعـانـي أمينُ الله يلطُـف في السؤالِ
وأثنَى في هـوايَ عـليَّ خيراً وساءلَ عن بَنيَّ وكيف حالي
وكيف ذكرت حال أبي خُبَيبٍ وزَلَّـةَ فعلِـه عنـدَ السُّؤالِ
هـو المَهـدِي خَبَّرنـاهُ كَعبٌ أخو الأحبارِ في الحِقَبِ الخوالي[4]

فقال له علي بن عبد الله : يا أبا صخر ، ما يُثني عليك في هواك خيراً إلا مَن كان على مثل مذهبك . قال : أجَلْ بأبي أنت وأُمي ! . قال : وكان كثيِّر كَيسانِياً[5] يرى الرَّجعة . قال الزُّبير : أبو خبيب عبد الله بن الزُّبير ، كناه بابنه خُبَيب وهو أكبر ولدِه ، وكان كثيِّر سيِّىء الرأي فيه . قال الزُّبير : فأخبرني عمِّي قال : لما قال كثيِّر : [من الوافر]

هـو المهديُّ خبَّرنـاه كعـبٌ أخو الأحبار في الحِقَبِ الخوالي

فقيل له : ألقِيتَ كعباً ؟ قال : لا . قيل : فلِمَ قلتَ «خبَّرناه كعب» ؟ قال : بالتوهُّم .

[غلوه في التشيع والقول بالرجعة وأخبار له في ذلك]

قال : وكان كثيِّر شِيعِياً غالِياً يزعم أن الأرواح تتناسخ ، ويحتج بقول الله تعالى : ﴿في أيِّ

1 فما فرح في الديوان : فما ورق .
2 يريد عبد الله بن الزبير .
3 وردت في الديوان ص 232 .
4 هو كعب الأحبار .
5 ل : خشبياً ، والخشبية : قوم من الجهمية يقولون إن الله تعالى لا يتكلم وإن القرآن مخلوق .

صورةٍ ما شاء رَكَّبَكَ﴾ ويقول : ألا تَرى أنّه حوّله من صورة في صورة ؟ .

قال : فحدثني عمر بن أبي بكر المؤمَّلي عن عبد الله بن أبي عبيدة قال : خِندِفٌ الأسدي الذي أدخل كثيِّراً في الخَشَبِية .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني إبراهيم بن المُنذِر الحِزامي عن محمد بن مَعن الغِفاري قال : كنا بالسَّيالة[1] في مَشيَخةٍ نتحدث ، إذا بكثيِّر قد طلعَ علينا مُتَّكئاً على عصا . فقال : كنا ببَيداء[2] بأشرافِ السَّيالة وبهذه الناحية ، فما بقي موضع ببيداء إلا وقد جئته ، فإذا هو على حاله ما تغيَّر وما تغيَّرت الجبال ولا الموضع الذي كنا نطوف فيه ، وهذا يكون حتى نَرجع إليه . وكان يُؤمِن بالرَّجعة .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني يحيى بن محمد قال : دخل عبد الله بن حسن على كثيِّر يعوده في مرضه الذي مات فيه . فقال له كثيِّر : أبشِر ! فكأنك بي بعد أربعين ليلة قد طلعتُ عليك على فرس عتيق . فقال له عبد الله بن حسن : ما لك عليك لعنة الله ؛ فوالله لئن متّ لا أشهدُك ولا أعودك ولا أُكلِّمك أبداً .

[كان أبو هاشم يتجسس أخباره]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني يحيى بن محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز أحسبَه عن ابن الماجِشون قال : وكان أبو هاشم عبد الله بن محمد بن علي قد وضع الأرصاد على كثيِّر فلا يزال يؤتى بالخبر من خبره ، فيقول له إذا لَقِيَه : كنتَ في كذا وكنت في كذا ؛ إلى أن جرى بين كثيِّر وبين رجل كلامٌ فأُتي به أبو هاشم . فأقبل به على أدراجه ؛ فقال له أبو هاشم : كنتَ الساعةَ مع فلان فقلتَ له كذا وكذا وقال لك كذا وكذا . فقال له كثيِّر : أشهد أنك رسول الله .

[كان يقول عن الأطفال من آل البيت إنهم الأنبياء الصغار]

أخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد ، وأخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا محمد بن إسماعيل عن موسى بن عبد الله فيما أحسَب قال : نظر كثيِّر إلى بني حسن بن حسن وهم صغار فقال : بأبي أنتم ! هؤلاء الأنبياء الصغار . وكان يرى الرَّجعة . وروى علي بن بشر بن سعيد الرازي عن محمد بن حُمَيد عن أبي زُهير عبد الرحمن بن مَغراء الدَّوسي عن محمد بن عُمارة قال : مرّ كثيِّر بمعاوية بن عبد الله بن جعفر وهو في المكتب ، فأكبّ عليه يقبِّله وقال : أنت من الأنبياء الصغار وربِّ الكعبة ! .

---

1 السيالة : موضع بجوار المدينة .

2 بيداء : يريد موضعاً بعينه .

أخبرنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمار قال حدثنا محمد بن إسماعيل قال حدثنا قَعنَب بن المُحرِز قال حدثني إبراهيم بن داجَة قال : كان كثيِّر شيعياً ، وكان يأتي ولدَ حسن بن حسن إذا أخذ عطاءه ، فيهب لهم الدراهم ويقول : وابأبي الأنبياء الصغار ! . وكان يؤمن بالرَّجعة . فيقول له محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وهو أخوهم لأُمِّهم ، : يا عم هَب لي ؛ فيقول : لا ؛ لستَ من الشجرة .

[كان عمر بن عبد العزيز يعرف بحبه صلاح بني هاشم وفسادهم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى ثَعلَب قال حدثني الزُّبير بن بكار قال حدثني عثمان بن عبد الرحمن عن إبراهيم بن يعقوب بن أبي عُبيد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز : إني لأعرف صُلاَّح بني هاشم من فُسَّادهم بحبِّ كثيِّر : من أحبَّه منهم فهو فاسد ، ومن أبغضه فهو صالح ؛ لأنه كان خَشَبِياً يقول بالرَّجعة .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد العزيز بن محمد الدَّراوَردي عن أبي لَهِيعة عن رَجاء بن حَيوَة قال : سمعتُ عمر بن عبد العزيز يقول : إن مما أعتبر به صُلاح بني هاشم وفُسَّادهم حُبَّ كثيِّر ، ثم ذكر مثلَه .

[قال لعمته إنه يونس بن متّى]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا علي بن صالح عن ابن دَأْب قال : كان كثيِّر يدخل على عَمَّة له بَرزةٍ[1] فتُكرمه وتطرحَ له وسادةً يجلس عليها . فقال لها يوماً : لا والله ما تعرفينني ولا تُكرمينني حقَّ كرامتي ؛ قالت : بَلى والله إني لأعرفك . قال : فمَن أنا ؟ قالت : ابن فلان وابن فلانة ، وجعلت تمدح أباه وأُمه . فقال : قد عرفتُ أنكِ لا تعرفينني . قالت : فمَن أنت ؟ قال : أنا يونس بن مَتَّى .

[كان عاقاً لأبيه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني أبي قال : كان كثيِّر عاقاً لأبيه ، وكان أبوه قد أصابته قُرحَةٌ في إصبع من أصابع يده . فقال له كثيِّر : أتدري لِمَ أصابتك هذه القرحة في إصبعك ؟ قال : لا أدري . قال : مما ترفعها إلى الله في يمين كاذبة .

[ضافه مزني وذمه بأنه لم يقم لصلاة الصبح]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا إبراهيم بن المنذر عن محمد بن معن الغِفاري عن أبيه وغيره قال حدثني رجل من مُزَينة قال : ضِفتُ كثيِّراً ليلةً وبتُّ عنده ثم تحدثنا ونمنا . فلما طلع الفجر تضوَّر ، ثم قمت فتوضأت وصليت وكثيِّر راقد في لِحافه . فلما طلع قَرن الشمس

1 برزة : المرأة الكهلة التي لا تحتجب وهي عفيفة عاقلة تجلس إلى الناس وتحدثهم .

تضوّر ثم قال : يا جارية اسجُري لي ماء . قال قلتُ : تَباً لك سائرَ اليوم ؛ أو هذه الساعة هذا ! وركبتُ راحلتي وتركته . قال الزبير : أسخِني لي ماء .

[كان يهزأ به ويصدّق ما يسمع عن نفسه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طَلحة بن عُبيد الله قال : ما رأيتُ قطُّ أحمقَ من كثيِّر . دخلت عليه يوماً في نفر من قريش وكنا كثيراً ما نتهزأ به ، وكان يتشيع تشيُّعاً قبيحاً . فقلت له : كيف تَجِدُك يا أبا صخر ؟ وهو مريض ؛ فقال : أجدني ذاهباً . فقلت : كَلاَّ ؛ فقال : هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ فقلت : نعم ؛ يتحدثون أنك الدجال . قال : أما لئن قلتَ ذاك إني لأجد في عيني ضعفاً منذ أيام .

[كان تياهاً ويستحمقه فتيان المدينة لذلك]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عِمران : أن ناساً من أهل المدينة كانوا يلعبون بكثيِّر فيقولون وهو يسمع : إن كثيِّراً لا يلتفت من تِيهه . فكان الرجل يأتيه من ورائه فيأخذ رداءه فلا يلتفت من الكبر ويمضي في قميص .

[سأله عبد الملك عن شيء وحلفه بأبي تراب]

أخبرنا إبراهيم بن محمد بن أيوب قال حدثنا عبد الله بن مُسلم بن قُتَيبة قال : بلغني أن كثيِّراً دخل على عبد الملك بن مروان ، فسأله عن شيء فأخبره به . فقال : وحقِّ علي بن أبي طالب إنه كما ذكرتَ ؟ قال كثيِّر : يا أمير المؤمنين ، لو سألتني بحقِّك لصدَقتُك . قال : لا أسألك إلا بحقِّ أبي تُراب[1] . فحلف له به فرضي .

[تمثل عبد الملك بشعر له حين منعته عاتكة من الخروج لحرب مصعب]

أخبرنا الفضل بن الحُباب أبو خَليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال أخبرني عثمان بن عبد الرحمن ، وأخبرنا محمد بن جعفر النحوي قال حدثنا محمد بن يزيد المبرد قال ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحَبيب بن نصر المهلَّبي قالا : حدثنا عمر بن شَبة ، وأخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا المُؤَمَّلي عن ابن أبي عُبَيدة ، قالوا جميعاً : لما أراد عبد الملك الخروجَ إلى مُصعَب لاذتْ به عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية وهي أُمّ ابنه يزيد ، وقالت : يا أمير المؤمنين ، لا تخرج السنةَ لحرب مُصعَب ، فإن آل الزُّبير ذكَروا خروجك ، وابعث إليه الجيوش ، وبكت وبكى جواريها معها . وجلس وقال : قاتل الله ابنَ أبي جُمعة ؛ فأين قوله : [من الطويل]

1 أبو تراب : لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

صوت

إذا ما أراد الغَزوَ لم تَثنِ هَمَّه حصانٌ عليها عِقدُ دُرٍّ يَزينُها[1]
نهتْه فلما لم تَـرَ النَّهـيَ عاقَـه بكت فبكى مما شجاها قَطِينها[2]

غناه ابنُ سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، والله لكأنه يراني ويراكِ يا عاتكة ؛ ثم خرج . قال محمد بن جعفر النحوي في خبره ، ووافقه عليه عمر بن شبة : فلما خرج عبد الملك نظر إلى كثيِّر في ناحية عسكره يسير مُطرِقاً ؛ فدعا به وقال : لأَعلَمُ ما أسكتك وألقى عليك بَثَّك ؛ فإن أخبرتُك عنه أتصدُقني ؟ قال نعم ! قال : قُل وحقِّ أبي تُراب لَتَصدُقَنِّي ؛ قال : والله لأصدُقَنَّكَ . قال : لا أو تحلفَ به ، فحلَف به . فقال تقول : رجلان من قريش يلقى أحدُهما صاحبَه فيحاربُه ، القاتل والمقتول في النار ، فما معنى سيري مع أحدهما إلى الآخر ولا آمَن سهماً عائراً لعله أن يصيبَني فيقتلَني فأكونَ معهما ! قال : والله يا أمير المؤمنين ما أخطأتَ . قال : فارجع من قريب ؛ وأمر له بجائزة .

[بكى لقتل آل المهلب فزجره يزيد وضحك منه]

أخبرنا وَكيع قال حدثني أحمد بن أبي طاهر قال حدثنا أبو تَمام الطائي حَبِيب بن أَوس قال حدثني العَطاف بن هارون عن يحيى بن حمزة قاضي دِمَشق قال حدثني حَفص الأَموي قال : كنت أختلف إلى كثيِّر أتروَّى شعرَه . قال : فوالله إني لعنده يوماً إذ وقف عليه واقف فقال : قُتِل آلُ المُهَلَّب بالعَقر[3] . فقال : ما أجَلَّ الخطبَ ! ضحَّى آلُ أبي سُفيان بالدِّين يوم الطَّفِّ ، وضحَّى بنو مَروان بالكَرَم يوم العَقر ؛ ثم انتضحت عيناه باكياً . فبلغ ذلك يزيدَ بن عبد الملك فدعا به . فلما دخل عليه قال : عليك لعنةُ[4] الله ! أتُرابية[5] وعَصَبية ؟ وجعل يضحك منه .

[سأله عبد الملك عن أشعر الناس فأجابه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد عن أبيه قال : قال عبد الملك بن مروان لكثيِّر : مَن أشعرُ الناس اليومَ يا أبا صخر ؟ قال : مَن يروي أميرُ المؤمنين شعرَه . فقال عبد الملك : أما إنك لمنهم .

---

1 عقد في الديوان : نظم .
2 القطين : الخدم والأتباع والحشم .
3 العقر : عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة .
4 ل : بهلة .
5 يعني أنه من شيعة أبي تراب .

[جواب عبد الملك له وقد سأله عن شعره]

أخبرنا وَكيع قال حدثنا عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثنا حَماد بن إسحاق عن ابن أبي عَوف عن عَوانة قال : قال كثيِّر لعبد الملك : كيف ترى شعري يا أمير المؤمنين ؟ قال أراه يسبِق السحرَ ، ويغلِب الشعر .

[كان عبد الملك يروي أولاده شعره]

أخبرنا عمِّي عن الكُراني عن النَّضر بن عمر قال : كان عبد الملك بن مروان يُخرِج شعرَ كثيِّر إلى مؤدِّب ولده مختوماً يروِّيهم إياه ويردّه .

[نزل مرعى لإبله فضيق عليه أهله فذم جوارهم]

أخبرنا الحِرْميّ قال أخبرنا الزُّبير قال حدثنا عبد الله بن خالد الجُهَني : أن كثيِّراً شب في حِجر عمٍّ له صالح ، فلما بلغ الحُلُم أشفق عليه أن يَسفَه ، وكان غير جيِّدِ الرأي ولا حسن النظر في عواقب الأمور . فاشترى له عمه قطيعاً من الإبل وأنزله فَرش[1] مَلَل فكان به ، ثم ارتفع فنزلَ فَرْعَ المِسوَر بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف من جبل جُهَينة الأصغر ، وكان قبل المسور لبني مالك بن أُفْصَى ، فضيَّقوا على كثيِّر وأساؤوا جِواره ؛ فانتقل عنهم وقال : [من الطويل]

أَبَتْ إبــلي ماءَ الرَّداة وشَفَّهــا ... بنو العَمِّ يحمون النَّضيحَ المُبَرَّدا[2]

ومــا يمنعــونَ الماءَ إلا ضَنانــةً ... بأصلابِ عُسريَ شوكُها قد تخدّدا[3]

فعادتْ فلم تَجهَدْ على فضلِ مائه ... رياحاً ولا سُقيا ابن طَلقِ بنِ أسعدا

قال : ويُروى أنه أوّل شعر قاله .

[روايته عن بدء قوله الشعر]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمِّي قال : قال كثيِّر : ما قلتُ الشعر حتى قُوِّلتُه . قيل له : وكيف ذاك ؟ قال : بينا أنا يوماً نصفَ النهار أسير على بعيرٍ لي بالغَميم[4] أو بقاع حَمدان[5] ، إذا راكبٌ قد دنا منِّي حتى صار إلى جنبي ؛ فتأملته فإذا هو من صُفر وهو يجر نفسه في الأرض جراً . فقال لي : قُل الشعر وألقاه عليّ . قلت : مَن أنت ؟ قال : أنا

---

1 واد قرب المدينة .

2 الرداة : الصخرة . النضيح : الحوض .

3 العسرى : (بفتح العين وضمها) : البقلة إذا يبست .

4 الغميم : موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة .

5 قاع حمدان : موضع بعينه .

قَرِينك من الجن . فقلتُ الشعر .

[عزة عشيقته وأول عشقه لها]

ونُسِب كثيِّر لكثرة تشبيبه بعَزة الضَّمرِية إليها ، وعُرف بها فقيل كثيِّر عَزة . وهي عزة بنت حُمَيل بن وَقاص . أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن الحسن قال : أبو بَصرة الغِفاري المحدث واسمه حُمَيل[1] بن وَقاص هو أبو عَزة التي كان يُنسب بها كثيِّر . وكان ابتداء عشقه إياها ، على أنه قد قيل : إنه كان في ذلك كاذباً ولم يكن بعاشق ، وذلك يُذكر بعد خبره معها ، فيما أخبرني به الحرمي قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عبد الله بن إبراهيم السعدي قال حدثني إبراهيم بن يعقوب بن جَمِيع الخُزاعي : أنه كان أول عشق كثيِّرٍ عَزةَ أن كثيِّراً مرَّ بنسوة من بني ضَمرة ومعه جَلَبُ غنمٍ ، فأرسلن إليه عزة وهي صغيرة ؛ فقالت : يقلن لك نسوة : بِعنا كَبشاً من هذه الغنم وأنسِئنا بثمنه إلى أن ترجع ؛ فأعطاها كبشاً وأعجبته . فلما رجع جاءته امرأة منهن بدراهمه ؛ فقال : وأين الصبية التي أخذت مني الكبش ؟ قالت : وما تصنع بها ! هذه دراهمك . قال : لا آخذ دراهمي إلا ممن دفعتُ الكبش إليها . وخرج وهو يقول : [من الطويل]

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غَرِيمَه وعَـزةُ ممطـولٌ مُعَنَّـى غريمُها

قال : فكان أولَ لقائه إياها .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد الرحمن بن الخضر بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبي جندل عن أبيه عبد العزيز الخزاعي ، وأمُّه جُمعة بنت كثيِّر ، عن أمه جمعة عن أبيها كثيِّر : أن أول علاقته بعزة أنه خرج من منزله يسوقُ خَلْفَ غنمٍ إلى الجار[2] ؛ فلما كان بالخَبت وقف على نسوةٍ من بني ضمرة فسألهن عن الماء ، فقلن لعزة وهي جارية حين كَعَب ثدياها : أرشديه إلى الماء ، فأرشدته وأعجبته . فبينا هو يسقي غنمه إذ جاءته عزة بدراهم ، فقالت : يقلن لك النسوة : بِعنا بهذه الدراهم كبشاً من ضأنك : فأمر الغلام فدفع إليها كبشاً ، وقال : رُدِّي الدراهم وقولي لهن : إذا رحتُ بكنّ اقتضيتُ حقّي . فلما راح مرَّ بهن ؛ فقلن له : هذا حقُّك فخذه . فقال : عزَّةُ غَريمي ، ولست أقتضي حقّي إلا منها . فمزحن معه وقلن : ويحك ؛ عزة جارية صغيرة وليس فيها وفاء لحقِّك فأحِلْه على إحدانا فإنها أملأُ به منها وأسرع له أداء . فقال : ما أنا بمُحيلٍ حقي عنها . ومضى لوجهه ،

1 ل : حميد .

2 الجار : موضع على ثلاث مراحل من المدينة بساحل البحر .

ثم رجع إليهن حين فرغ من بيع جَلَبِه فأنشدهن فيها : [من الطويل]

نظرتُ إليها نظـرةً وهي عاتـقٌ على حـين أن شَبّتْ وبانَ نُهودها
وقد دَرَّعُوها وهـي ذات مُؤَصَّدٍ مَجُوبٍ ولّما يَلبَس الدِّرعَ رِيدُها[1]
منَ الخَفِراتِ البِيض وَدَّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحدوثةٌ لو تُعيدُها

في هذا البيت وأبياتٍ أُخَر معه غناءٌ يذكر بعد تمام هذا الخبر وما يضاف إليه من جنسه .

وأنشدهن أيضاً : [من الطويل]

قضَى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه وعَـزةُ ممطولٌ مُعَنّىً غريمُها

فقلن له : أبيتَ إلا عزَّةَ ! وأبرزنها إليه وهي كارهة . ثم أحبته عزة بعد ذلك أشدَّ من حبِّه إياها . قال الزُّبير : فسألت محمد بن أبي بكر بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الخُزاعي المعروف بأبي جَندَل عن هذا الحديث ، فعرفه وحدثنيه عن أبيه عن جده عبد العزيز بن أبي جندل عن أُمه جمعة بنت كثيِّر عن أبيها .

[سؤال عبد الملك لعزة عن كثير وسبب إعجابه بها]

وأخبرني عمي الحسن بن محمد الأصفهاني رحمه الله قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثنا النَّضر بن عمرو قال حدثني عمر بن عبد الله بن خالد المُعيطي ، وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثني إبراهيم بن إسحاق الطَّلحيّ ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني يعقوب بن عبد الله الأَسدي وغيره ، قال الزبير وحدثني محمد بن صالح الأسلمي قال : دخلت عزة على عبد الملك بن مروان وقد عجُزت ؛ فقال لها أنتِ عزة كثيِّر ! فقالت : أنا عزة بنت حُمَيل . قال : أنت التي يقول لك كثيِّر : [من الطويل]

لِعَزة نـارٌ مـا تَبُـوخُ كأنهـا إذا ما رَمَقناها من البعدِ كوكبُ[2]

فما الذي أعجبه منكِ ؟ قالت : كلاَّ يا أمير المؤمنين ! فوالله لقد كنتُ في عهده أحسن من النار في الليلة القرة . وفي حديث محمد بن صالح الأسلمي : فقالت له : أعجبه مني ما أعجب المسلمين منك حين صيروك خليفة . قال : وكانت له سِنٌّ سوداء يخفيها ؛ فضحك حتى بدت . فقالت له : هذا الذي أردتُ أن أُبديه . فقال لها : هل تروين قول كثيِّر فيك : [من الطويل]

---

1 المؤصد : صدار تلبسه الجارية فإذا أدركت درّعت . المجوب : مقوّر الجيب . وريدها : تربها أي القرين في السن والند .

2 تبوخ : تسكن .

وقـد زعمتْ أنّي تغيَّرتُ بعدَهـا ومَـن ذا الذي يـا عـزُّ لا يَتَغَيرُ
تغيَّرَ جسمـي والخليقـةُ كالتـي عَهِدْتِ ولم يُخبَرْ بسرِّك مُخبَرُ[1]

قالت [لا] ولكني أروي قوله : [من الطويل]

كأنّي أُنادي صخرةً حين أعرضتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصمُ زلّتِ
صَفُوحـاً فمـا تلقـاكَ إلا بخيلةً فمَن مَلَّ منها ذلك الوصلَ مَلّتِ[2]

فأمر بها فأُدخلت على عاتكة بنت يزيد ، وفي غير هذه الرواية : أنها أدخلت على أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت لها : أرأيتِ قول كثيِّر : [من الطويل]

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه وعزةُ ممطـولٌ معنّىً غريمُها

ما هذا الذي ذكره ؟ قالت : قبلةٌ وعدتُه إياها . قالت : أنجزيها وعليّ إثمها .

[قصة غلام له مع عزة وإعتاقه بسبب ذلك]

أخبرنا الحسن بن الطيِّب البَجَلي الشُّجاعي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالوا حدثنا عمر بن شَبة قال روى ابن جُعدُبة عن أشياخه ، وأخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا أبو بكر بن يزيد بن عياض بن جُعْدُبةُ عن أبيه : أن كثيِّراً كان له غلام تاجر ؛ فباع من عزة بعض سِلَعه ومِطَلته مُدّة وهو لا يعرفها . فقال لها يوماً : أنت والله كما قال مولاي : [من الطويل]

قضى كلُّ ذي دَينٍ فوفَّى غريمَه وعـزةُ ممطولٌ معنّىً غريمُها

فانصرفت عنه خَجِلة . فقالت له امرأة : أتعرف عزة ؟ قال : لا والله ؛ قالت فهذه والله عزة . فقال : لا جَرَمَ والله لا آخذ منها شيئاً أبداً ولا أقتضيها . ورجع إلى كثيِّر فأخبره بذلك ؛ فأعتقه ووهب له المال الذي كان في يده .

[لقيت قسيمة بنت عياض عزة ووصفتها]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني يعقوب بن حَكيم السُّلَمي عن قسيمة بنت عِياض بن سعيد الأسلمية ؛ وكنيتها أم البنين ، قالت : سارت علينا عزة في جماعة من قومها بين يدي يربوع وجُهينة ، فسمعنا بها ؛ فاجتمعت جماعة من نساء الحاضر أنا فيهن ؛ فجئناها فرأينا امرأة حلوة حُمَيراء نظيفة ، فتضاءلنا لها ، ومعها نسوة كلهن لها عليهن فضلٌ من الجمال والخَلْق ، إلى أن تحدثت ساعةً فإذا هي أبرع الناس وأحلاهم حديثاً ، فما فارقناها إلا ولها

1 كالتي في الديوان ص 328 : كالذي .

2 صفوح : معرضة صادة هاجرة وفي الديوان ص 98 : صفوحٌ بتنوين الضم .

علينا الفضلُ في أعيننا ، وما نرى في الدنيا امرأةً تروقها جمالاً وحسناً وحلاوة .

[سأل عبد الملك كثيراً عن أعجب خبر له مع عزة]

أخبرني عمي قال حدثني فضل اليزيدي عن إسحاق الموصلي عن أبي نصر (شيخ له) عن الهيثم بن عَدِي : أن عبد الملك سأل كثيِّراً عن أعجب خبر له مع عزة ؛ فقال : حججتُ سنة من السنين وحج زوج عزة بها ، ولم يعلم أحد منا بصاحبه ، فلما كنا ببعض الطريق أمرَها زوجها بابتياع سمن تُصلح به طعاماً لأهل رُفقته ؛ فجعلت تدور الخيام خيمةً خيمةً حتى دخلت إليّ وهي لا تعلم أنها خيمتي ، وكنت أبرِي أسهُماً لي . فلما رأيتها جعلت أبرِي وأنا أنظر إليها ولا أعلم حتى بريتُ عظامي مرات ولا أشعر به والدم يجري . فلما تبينت ذلك دخلتْ إليّ فأمسكت يدي وجعلت تمسح الدم عنها بثوبها ؛ وكان عندي نِحيٌ[1] من سمن ، فحلفتُ لتأخذنَه ، فأخذتْه وجاءت إلى زوجها بالسمن . فلما رأى الدم سألها عن خبره فكاتمته ، حتى حلف لتصدُقنه فصدقته ؛ فضربها وحلف لتشتمني في وجهي ، فوقفت عليّ وهو معها فقالت لي : يا ابنَ الزانية وهي تبكي ، ثم انصرفا . فذلك حين أقول : [من الطويل]

يُكَلِّفها الخِنزيرُ شَتمي وما بها هَواني ولكن للمليك استذلَّتِ

نسبة ما في هذه القصيدة من الغناء
صوت

[من الطويل]

خليليَّ هذا رَسمُ عَزة فاعقِلا قَلُوصَيْكما ثم ابكيا حيثُ حَلّتِ[2]

وما كنتُ أدري قبل عزةَ ما البكا ولا مُوجِعاتِ القلبِ حتى تَولّتِ

فليتَ قَلُوصي عند عزةَ قُيِّدتْ بحبلٍ ضعيفٍ بَانَ منها فضَلَّتِ[3]

وأصبحَ في القومِ المقيمينَ رحلُها وكان لها باغٍ سِوايَ فبَلّتِ[4]

فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطِّنَتْ يوماً لها النفسُ ذلتِ

أَسِيئي بنا أو أَحسِني ، لا ملومةٌ لدينا ولا مَقلِيَّةٌ إن تَقَلَّتِ

هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامِرٍ لِعَزَّةَ من أعراضنا ما استَحَلتِ

---

1 نِحي : زق للسمن .

2 رسم في الديوان ص 95 : ربع .

3 بان في الديوان ص 98 : عُز .

4 وأصبح في القوم في الديوان ص 98 : وغُودر في الحي . بلت مطيته : إذا ذهبت في الأرض ضالة .

تَمَنَّيتُهـــا حتـــى إذا مـــا رأيتُهـــا رأيتُ المنايـــا شُرَّعـــاً قـــد أظلتِ[1]
كأنّـي أُنادي صخرةَ حـين أعرضتْ من الصُّمِّ لو تمشي بها العُصمُ زَلَتِ
صَفوحـــاً فمـــا تلقـــاكَ إلا بخيلـــةً فمَنْ مَـلَّ منهـــا ذلك الوصل مَلَّتِ
أصاب الرَّدى مَن كان يهوى لكِ الرَّدى وجُـنَّ اللواتـــي قلـــن عَـــزَّةُ جُنتِ[1]

عروضه من الطويل . غنى معبد في الخمسة الأُوَل ثقيلاً أول بالوسطى . وغنى إبراهيم في الثالث والرابع ثقيلاً أول بالبنصر عن عمرو ، وغنى في «هنيئاً مريئاً» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالوسطى . وغنى إبراهيم في الخامس وما بعده ثاني ثقيل . وذكر الهشامي أن لابن سُرَيج في «هنيئاً مريئاً» وما بعده ثاني ثقيل بالبنصر . وذكر أحمد بن المكي أن لإبراهيم في «كأني أُنادي» والذي بعده وفي «أسيئي بنا أو أحسني» هزجاً بالسبابة في مجرى البنصر ؛ ولإسحاق فيه هزج آخر به . ولِعَريبَ في «كأني أُنادي» أيضاً رمل . ولإسحاق في «وما كنت أدري» ثقيل أول . وله في «أصاب الردى» ثقيل أول آخر ، وقيل : إن لإبراهيم في «فقلت لها يا عزّ» خفيفَ ثقيل ينسب إلى دَحمان وإلى سِياط .

[صديق يصف اجتماعهما ذات ليلة]

أخبرني الحِرْميّ وحبيب بن نَصر قالا حدثنا الزُّبير قال حدثنا يعقوب بن حكيم عن إبراهيم بن أبي عمرو الجُهَني عن أبيه قال : سارت علينا عزة في جماعة من قومها ، فنزلت حِيالَنا . فجاءني كثيِّر ذات يوم فقال لي : أُريد أن أكون عندك اليوم فأذهبَ إلى عزة ؛ فصرتُ به إلى منزلي . فأقام عندي حتى كان العِشاء ، ثم أرسلني إليها وأعطاني خاتمه وقال : إذا سلَّمتَ فستَخرُج إليك جارية ، فادفع إليها خاتَمي وأعلمها مكاني . فجئت بيتها فسلمتُ فخرجت إليّ الجارية فأعطيتها الخاتَم . فقالت : أين الموعد ؟ قلت : صَخَراتُ أبي عُبَيد الليلة ، فواعدتها هناك ؛ فرجعتُ إليه فأعلمتُه . فلما أمسى قال لي : انهَض بنا ؛ فنهضنا فجلسنا هناك نتحدث حتى جاءت من الليل فجلست فتحدثا فأطالا ، فذهبت لأقوم . فقال لي : إلى أين تذهب ؟ فقلت : أُخَلِّيكما ساعةً لعلكما تتحدثان ببعض ما تكتُمان . فقال لي : اجلس ؛ فوالله ما كان بيننا شيء قطُّ . فجلستُ وهما يتحدثان وإن بينهما لَثُمامةً عظيمة هي من ورائها جالسة حتى أسحَرنا ، ثم قامت فانصرفت ، وقمت أنا وهو ؛ فظل عندي حتى أمسى ثم انطلق .

[سامته سكينة بجمله فلما رأى عزة معها تركه لهم]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الله بن سعيد بن

1 لم يرد هذان البيتان في القصيدة التي أثبتها محقق الديوان إحسان عباس الديوان ص 107 .

أبان بن سعيد بن العاصي قال : خرج كثيِّر في الحاجِّ بجمل له يبيعه ، فمر بسُكينة بنت الحسين ومعها عزة وهو لا يعرفها . فقالت سُكينة : هذا كثيِّر فسُومُوه بالجمل ؛ فساموه فاستام مائتي درهم فقالت : ضَع عنا فأبى . فدعت له بتمر وزُبد فأكل ؛ ثم قالت له : ضع عنا كذا وكذا (لشيء يسير) فأبى . فقالوا: قد أكلتَ يا كثيِّر بأكثر مما نسألك . فقال : ما أنا بواضع شيئاً . فقالت سُكينة : اكشِفوا ، فكشفوا عنها وعن عزة . فلما رآهما استحيا وانصرف وهو يقول : هو لكم هو لكم ! .

[قال بعض الرواة إنه لم يكن صادقاً في عشقه]

مَن ذكر أن كثيِّراً كان يكذِب في عشقه

أخبرنا أبو خليفة قال حدثنا ابن سَلام قال : كان كثيِّر مدَّعياً ولم يكن عاشقاً ، وكان جميلٌ صادقَ الصَّبابة والعشق . أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال زعم إسحاق بن إبراهيم أنه سمع أبا عُبَيدة يقول : كان جميل يصدُق في حبه ، وكان كثيِّر يكذِب . ومما وجدناه في أخباره ولم نسمعه من أحد أنه نظر إلى عزة ذات يوم وهي منتقبة تميس في مِشيتها ؛ فلم يعرِفها كثير ، فاتبعها وقال : يا سيدتي ؛ قِفي حتى أُكلِّمك فإني لم أرَ مثلك قط ، فمَن أنتِ ويحِك ؟ قالت : ويحك ! وهل تركت عزة فيك بقية لأحد ؟ قال : بأبي أنت والله لو أن عزة أمَةٌ لي لوهبتها لك . قالت : فهل لك في المُخالَلة ؟ قال : وكيف لي بذلك ؟ قالت : أنَّى وكيف بما قلتَ في عزة ؟! قال : أقبله فأُحوِّله إليك . فسفَرت عن وجهها ثم قالت : أغدراً يا فاسق وإنك لهكذا ! فأبلَس[1] ولم ينطق وبُهت . فلما مضت أنشأ يقول : [من الطويل]

ألا ليتني قبل الذي قلتُ شِيبَ لي ... من السمّ جَدحاتٌ بماء الذَرارِحِ[2]

فمتُّ ولم تعلم عليَّ خيانة ... وكم طالبٍ للربح ليس برابحِ[3]

أبوءُ بذنبي إنني قد ظلمتُها ... وإني بباقي سِرِّها غيرُ بائحِ

[لقي عزة في طريقه إلى مصر وتعاتبا]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني عمر بن شبة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المقوَّم قال أخبرني سائب راوية كثيِّر قال : خرجتُ معه نريد مصر ، فمررنا بالماء الذي فيه

---

1 أبلس : سكت وتحير .

2 جدحات في الديوان ص 527 : خضخاض .

3 في ابن عساكر (ترجمة كثير) ألا ربّ باغي الربح .

عزة فإذا هي في خِباء ؛ فسلمنا جميعاً ؛ فقالت عزة : وعليك السلام يا سائب . ثم أقبلت على كثيِّر فقالت : ويحك ! ألا تتقي الله ؟ أرأيتَ قولك : [من الوافر]

بآيــة مــا أتيتُـكِ أُمَّ عمرٍو فقمتِ لحاجتي والبيتُ خالي

أخلوتُ معك في بيت أو غير بيت قطُّ ؟ قال : لم أقُله ، ولكنني قلتُ : [من الوافر]

فأُقسم لــو أتيتُ البحرَ يومـاً لأشربَ مــا سقتْني من بِلالِ
وأُقسم إنْ حُبَّـكِ أُمَّ عمـرٍو لَـداءٌ عنــدَ منقطَعِ السُّعالِ[1]

قالت : أما هذا فنَعَم . فأتينا عبدَ العزيز ثم عُدنا ؛ فقال كثيِّر : عليكِ السلامُ يا عزة قالت : عليك السلام يا جملُ . فقال كثيِّر : [من البسيط]

صوت

حَيَّتكَ عزةُ بعد الهجر فانصرفتْ فحَيِّ ويحكَ مَن حياك يــا جملُ
لــو كنتَ حييتَها ما زلتَ ذامِقَةٍ عندي وما مَسك الإدلاج والعملُ
ليتَ التحيــةَ كانت لي فأشكُرَها مكانَ يــا جملٌ حُيِّيتَ يا رجلُ

ذكر يونس أن في هذه الأبيات غناء لِمَعبد . وذكر الهشامي أن فيها لبُثينة[2] خفيف رمل بالبنصر . وذكر حبش أن فيها للغريض خفيفَ ثقيل أول بالوسطى ، ولإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى .

[قصته مع أم الحويرث الخزاعية وحديث عشقه لها]

أخبرني عمِّي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العَنزي قال حدثني علي بن محمد البرمكي قال حدثني إبراهيم بن المهدي قال : قدِم عليَّ هشام بن محمد الكلبي فسألته عن العشاق يوماً فحدثني قال : تعشَّق كثيِّر امرأةً من خُزاعة يقال لها أم الحُوَيرِث فنسب بها ، وكَرِهت أن يُسَمِّع بها ويفضحها كما سمع بعزة ؛ فقالت له : إنك رجلٌ فقير لا مال لك ؛ فابتغِ مالاً يُعفي[3] عليك ثم تعال فاخطُبني كما يُخطب الكرام . قال : فاحلفي لي ووَثِّقي أنك لا تتزوجين حتى أقدَم عليك ؛ فحلفت ووثقت له . فمدح عبدَ الرحمن بن إبريق الأزدي ، فخرج إليه ، فلقيته ظباءٌ سوانح ولقي غراباً يفحص التراب بوجهه ؛ فتطير من ذلك حتى قدِم على حيٍّ من لِهب[4]

1 عند منقطع في الديوان ص 230 : لدى جنْبي .
2 ل : لنبيه .
3 يعفي عليك : أي يُصلحك ويغنيك .
4 لهب : قبيلة يمنية معروفة بالعيافة وزجر الطير .

فقال : أيُّكم يَزجر ؟ فقالوا : كلُّنا ، فمَن تريد ؟ قال : أعلمكم بذاك . قالوا : ذاك الشيخ المنحني الصُّلب . فأتاه فقص عليه القصة ؛ فكره ذلك له وقال له : قد تُوُفِّيت أو تزوجت رجلاً من بني عمها . فأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

تَيَممّتُ لِهبـاً أبتغـي العلـمَ عندَهم وقـد رُدَّ علـمُ العائفين إلى لهـبِ
تيممّتُ شيخـاً منهـمُ ذا بَجالـةٍ بصيراً بزجـر الطيرِ منحنى الصُّلبِ[1]
فقلـت لـه مـاذا تـرى في سَوانحٍ وصوتِ غُرابٍ يفحَص الوجهَ بالتُّربِ
فقـال جـرى الطيرُ السَّنيح ببيْنِها وقـال غرابٌ جَـدَّ مُنهَمِرُ السَّكبِ
فإلا تكـن ماتتْ فقـد حـال دونَها سواكَ خليلٌ باطـنٌ من بني كعبِ

غناه مالك من رواية يونس ولم يجنِّسه ، قال : فمدح الرجلَ الأزدي ثم أتاه فأصاب منه خيراً كثيراً ، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوجت رجلاً من بني كعب ، فأخذه الهُلاس[2] ، فكُشِح[3] جَنباه بالنار . فلما اندمل[4] من علته وضع يده على ظهره فإذا هو برَقمتين ؛ فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنه أخذك الهُلاس وزعم الأطباء أنه لا عِلاجَ لك إلا الكشح بالنار فكُشحت بالنار . فأنشأ يقول : [من الطويل]

صوت

عفا الله عن أُمِّ الحُوَيرِثِ ذنبَها علامَ تُعَنِّيني وتَكمِي دَوائيا[5]
فلو آذنوني قبل أن يرقُموا بها لقلتُ لهـم أُمّ الحُوَيرِث دائيا

في هذين البيتين لمالك ثقيلٌ أول بالوسطى . ولابن سريج رملٌ بالبنصر كلاهما عن عمرو والهشامي . وقيل : إن فيهما لمعبد لحناً ، وقد أخبرني بهذا الخبر أحمد بن عبد العزيز وحبيب بن نصر المهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة ولم يتجاوزاه بالرواية فذكر نحو هذا وقال فيه : إنه قصد ابن الأزرق بن حَفص بن المُغيرة المخزومي الذي كان باليمن ، وإنه فعل ذلك بعد موت عزة . وسائر الخبر متقارب .

---

1 ذا بجالة : يبجله الناس ويعظمونه .
2 الهلاس : داء يصيب الجسم بالهزال وقد يكون السل .
3 الكشح : الكي بالنار .
4 اندمل : تماثل للشفاء .
5 تكمي : تستر .

[سأله ابن جعفر عن سبب هزاله فأجابه]

وأخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل الجعفري عن محمد بن سليمان بن فُلَيح أو فليح بن سليمان ، أنا شككتُ ، عن أبيه عن جده قال : جاء كثيِّر إلى عبد الله بن جعفر وقد نَحِلَ وتغير . فقال له عبد الله : ما لي أراك متغيراً يا أبا صخر ؟ قال : هذا ما عملتْ بي أُم الحويرث ، ثم ألقى قميصه فإذا به قد صار مثل القَش وإذا به آثار من كَيٍّ ؛ ثم أنشده : [من الطويل]

عفا اللهُ عن أُم الحويرثِ ذنبَها

الأبيات .

[أغرت عزة به بثينة لتتبين حاله]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أُبَيٍّ قال حدثني الحِزامي عمن حدثه من أهل قُدَيد[1] : أن عزة قالت لبُثينة : تَصَدّي لكثيِّر وأطمعيه في نفسك حتى أسمع ما يجيبك به . فأقبلت إليه وعزة تمشي وراءها مختفيةً ؛ فعرضت عليه الوصلَ ؛ فقاربها ثم قال : [من الطويل]

رمَتني على عَمدٍ بُثينةُ بعدما تولَّى شَبابيَ وارجَحنَّ شبابُها[2]

وذكر أبياتاً أُخرَ سقط من الكتاب ذكرُها . فكشفت عزةُ عن وجهها ؛ فبادرها الكلام ثم قال : [من الطويل]

ولكنَّما تَرمِينَ نفساً مريضةً لِعَزةَ منها صَفوُها ولُبابُها

فضحِكت ثم قالت : أولى لك بها قد نجوتَ ؛ وانصرفتا تتضاحكان .

[قال لأهله إذ بكوا في مرضه سأرجع بعد أيام]

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني عبد الرحمن بن عبد الله الزُّهري قال : بكى بعضُ أهل كثيِّر عليه حين نزل به الموت . فقال له كثيِّر : لا تبكِ ، فكأنك بي بعد أربعين ليلةً تسمع خَشفةَ نَعلي من تلك الشُّعبة راجعاً إليكم .

[مات هو وعكرمة في يوم واحد سنة 105]

أخبرني الفضل بن الحُباب أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سلام قال حدثني ابن جُعدُبة وأبو اليَقظان عن جُوَيرية بنِ أسماء قال : مات كثيِّر وعِكرِمةُ مولى ابن عباس في يوم واحد ، فاجتمعت قريش في جنازة كثيِّر ، ولم يوجد لعِكرمة مَن يحمله .

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمر بن مُصعب قال حدثني الواقدي قال

---

1 قديد : اسم موضع قرب مكة .

2 ارجحن شبابها : اهتز نضارة وحسناً .

حدثني خالد بن القاسم البَياضي قال : مات عِكرمة مولى ابن عباس وكثيِّر بن عبد الرحمن الخُزاعي صاحبُ عزة في يوم واحد في سنة خمس ومائة ، فرأيتُهما جميعاً صُلِّي عليهما في يومٍ واحد بعد الظهر في موضع الجنائز ، فقال الناس : مات اليوم أفقهُ الناس وأشعرُ الناس .

[ما جرى في جنازته بين أبي جعفر الباقر وزينب بنت معيقب]

وقال ابن أبي سعد الوراق حدثني رَجاء بن سهل أبو نصر الصاغاني قال حدثنا يحيى بن غَيلان قال حدثني المُفَضَّل بن فُضالة عن يزيد بن عُروة قال : مات عكرمة وكثيِّر عزة في يوم واحد ، فأُخرجت جنازتاهما ، فما علمتُ تخلَّفتِ امرأةٌ بالمدينة ولا رجلٌ عن جنازتيهما . قال : وقيل مات اليوم أشعرُ الناس وأعلم الناس . قال : وغلَب النساء على جنازة كثيِّر يَبكينه ويذكُرن عزة في نُدبتهن له . قال : فقال أبو جعفر محمد بن علي : افرِجوا لي عن جنازة كثيِّر لأرفَعها . قال : فجعلنا ندفع عنها النساء وجعل يضربهن محمد بن علي بكُمِّه ويقول : تَنَحَّين يا صَواحِبات يوسف . فانتدبت له امرأة منهن فقالت : يا ابن رسول الله لقد صَدَقتَ ، إنا لصواحبات يوسف وقد كنا له خيراً منكم له . قال : فقال أبو جعفر لبعض مواليه : احتفظ بها حتى تجيئني بها إذا انصرفنا . قال : فلما انصرف أُتي بتلك المرأة كأنها شرارة النار . فقال لها محمد بن علي : أنت القائلة إنكن ليوسف خيرٌ منا ؟ قالت : نعم . تُؤمِنني غضبك يا ابن رسول الله ؟ قال : أنت آمنة من غضبي فأبيني . قالت : نحن يا ابن رسول الله دعوناه إلى اللذات من المطعم والمشرب والتمتُّع والتنعُّم ، وأنتم معاشر الرجال ألقيتموه في الجب وبِعتموه بأبخس الأثمان وحبستموه في السِّجن . فأيُّنا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟! فقال محمد : لله دَرُّكِ ! ولن تُغالَبَ امرأةٌ إلا غلبتْ . ثم قال لها : أَلَكِ بعلٌ ؟ قالت : لي من الرجال مَن أنا بعله . قال : فقال أبو جعفر : صدقتِ مثلُك من تَملِك بعلَها[1] ولا يملكها . قال : فلما انصرفت قال رجل من القوم : هذه زينب بنت مُعَيقِب[2] .

نسبة ما في هذه الأخبار[3] من الغناء

صوت

[من الطويل]

نظـرتُ إليهـا نَظـرةً وهـي عاتـقٌ على حـينِ أن شَبَّتْ وبـانَ نُهودُها

1 ل : زوجها .

2 ل : معيقيب .

3 ل : الأبيات .

نظرتُ إليهـا نظـرة مـا يسُرُّني بهـا حُمـرُ أنعـامِ البلادِ وسُودُها
وكنتُ إذا ما جئتُ سُعدى بأرضِها أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها[1]
مـن الخَفِـراتِ البِيضِ وَدَّ جَليسُها إذا مـا انقضتْ أُحدوثـةٌ لو تُعيدُها

عروضه من الطويل . البيت الأول لكثيِّر ، والثاني والثالث لنُصَيب من قصيدته التي أولها : [من الطويل]

لقد هجرت سُعْدَى وطالَ صدودُها

غنى في البيت الثاني والثالث جَحدَرٌ الراعي خفيفَ رمل بالبنصر . وغنى فيهما الهذلي رملاً بالوسطى . وغنى في الثالث والرابع دِعامة ثقيلاً أول بالبنصر .

[عمر الوادي يأخذ صوتاً عن راعي غنم في شعر له]

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال قال عمر الوادي ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني مَكِينٌ العُذري قال : سمعت عمر الواديَّ يقول : بينا أنا أسيرُ بين الرَّوحاء والعَرج إذ سمعتُ إنساناً يغنّي غناءً لم أسمع قطُّ مثلَه في بيتَيْ كثيِّر : [من الطويل]

وكنتُ إذا ما جئتُ سُعدى بأرضِها أرى الأرضَ تُطوى لي ويدنو بعيدُها[2]
مـن الخَفِـراتِ البِيضِ وَدَّ جليسُها إذا مـا انقضت أحدوثـةٌ لو تُعيدها

قال : فكِدت أسقط عن راحلتي طرباً ، وقلت : والله لألتمسن الوصولَ إلى هذا الصوت ولو بذهاب عضو من أعضائي ، فتيمّمتُ سَمتَه[3] فإذا راعٍ في غنم ، فسألته إعادته علي . قال : نعم ! ولو حضرني قِرىً أَقرِيكَه ما أعدتُه ، ولكنّي أجعله قِراك ، فربما تَرَنمتُ به وأنا غَرثانٌ فأشبَع ، وعطشان فأروى ، ومستوحشٌ فآنَسُ ، وكَسلانٌ فأنشَط . قال : فأعادهما عليَّ حتى أخذتُهما ، فما كان زادي حتى ولَجتُ المدينة غيرَهما .

1 جئتُ في الديوان ص 200 : زُرتُ .
2 جئتُ في الديوان : زُرتُ .
3 سمته : ناحيته وجهته .

[126] ـ أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر[1]

[كان عالماً ومغنياً ونسب غناءه لجاريته شاجي ترفعاً]

هو عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، ويكنى أبا أحمد . وله محلٌّ من الأدب والتصرُّف في فنونه وروايةِ الشعر وقوله والعِلم باللغة وأيام الناس وعلومِ الأوائل من الفلاسفة في الموسيقى والهندسة وغير ذلك مما يَجِلُّ عن الوصف ويكثُر ذكره . وله صنعةٌ في الغناء حسنةٌ مُتقنة عجيبة تدل على ما ذكرناه هاهنا من توصُّله إلى ما عجزَ عنه الأوائل من جمع النَّغَم كلِّها في صوت واحد تتبَّعه هو وأتى به على فضله فيها وطلبه لها . وكان المعتضِد بالله ، رحمة الله عليه ، ربما كان أراد أن يصنع في بعض الأشعار غناءً وبحضرته أكابرُ المغنِّين مثل القاسم بن زُرزُور وأحمد بن المكي ومَن دونهما مثل أحمد بن أبي العلاء وطبقتهم ، فيعدِل عنهم إليه فيصنَع فيها أحسنَ صنعة ، ويترفَّع عن إظهار نفسه بذلك ، ويُومىء إلى أنه من صنعة جاريته شاجِي ، وكانت إحدى المُحسنات المبرِّزات المُقدَّمات ؛ وذلك بتخريجه وتأديبه ، وكان بها مُعجباً ولها مُقدِّماً .

[كان المعتضد يتفقده لما رقت حاله وطلب منه جاريته ليسمع غناءها فأرسلها له]

فأخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال : لما اختلت حال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر كان المعتضد يتفقَّده بالصِّلات الفَينة بعد الفينة . واتفق يوماً كان فيه مصطبحاً أن غُنِّي بصوتٍ الصنعة فيه لشاجي جارية عبيد الله ؛ فكتب إليه كتاباً يُقسم أن يأمرها بزيارته ففعل . قال : فحدثني مَن حضر من المغنيات ذلك المجلس بعد موت المعتضد قالت : دخلت إلينا وما منا إلا من يرفل في الحُليِّ والحُلل وهي في أثواب ليست كثيابنا ، فاحتقرناها ؛ فلما غنت احتقرنا أنفسنا . ولم تزل تلك حالنا حتى صارت في أعيننا كالجبل وصرنا كلا شيء . قال : ولما انصرفت أُمِر لها المعتضد بمال وكسوة . ودخلت إلى مولاها فجعل يسألها عن أمرها وما رأت مما استظرفت وسمعت مما استغربت . فقالت : ما استحسنتُ هناك شيئاً ولا استغربته من غناءٍ ولا غيره إلا عوداً من عود محفور فإني استظرفته . قال جحظة : فما قولك فيمن يدخل دار الخلافة فلا يمد عينه لشيء يستحسنه فيها إلا عوداً ؟ .

---

1 انظر أخباره في الأغاني المجلد 12 : 68–75 والفهرست لابن النديم ص 117 وتاريخ بغداد للخطيب 10 : 340 ، والمنتظم 6 : 117–118 ، ووفيات الأعيان 1 : 386–388 .

[كانت شاجي جاريته تلحن للمعتضد بعض الشعر]

قال محمد بن الحسن الكاتب وحدثني النُّوشجاني قال : كان المعتضد إذا استحسن شعراً بعث به إلى شاجي جارية عبيد الله بن طاهر فتغنى فيه . قال : وكانت صنعتها تسمى في عصره غناء الدار .

[ماتت شاجي فرثاها]

قال محمد بن الحسن : وماتت شاجي في حياة عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وكان عليلاً ، فقال يرثيها ، وله فيه صنعةٌ من خفيف الثقيل الأول بالوسطى : [من الطويل]

يميناً يقينـاً لـو بُليـتُ بفقدها ... وبي نَبضُ عِرقٍ للحياة أو النُّكسِ
لأُوشكتُ قتلَ النفسِ قبـل فِراقها ... ولكنها ماتتْ وقد ذهبتْ نفسي

[له كتاب الآداب الرفيعة في الغناء]

ومن نادر صنعة عبيد الله وجيِّد شعره قوله ، وله فيه لحنان ثقيل أول وهزجٌ ، والثقيل الأول أجودُهما : [من الطويل]

أَنفِـقْ إذا أيسرتَ غيرَ مقتـرٍّ ... وأَنفِقْ على مـا خَيَّلتْ حين تُعسِرُ
فلا الجُودُ يُفني المالَ والمالُ مقبلٌ ... ولا البخلُ يُبقي المالَ والجَدّ مُدبِرُ

وأشعاره كثيرة جيدة كثيرة النادر والمختار . وكتابه في النَّغَم وعِلَل الأغاني المسمَّى «كتاب الآداب الرفيعة» كتاب مشهور جليل الفائدة دالٌّ على فضل مؤلِّفه .

[قص عليه الزبير بن بكار قصة فاستحسنها وأمر له بمال]

أخبرني جحظة قال حدثني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثني موسى بن هارون ، فيما أُرى ، قال : كنت عند عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد جاءه الزُّبير بن بكار فأعلمه أن المتوكِّل أو المعتز ، وأراه المعتز ، بعث إلى أخيه محمد بن عبد الله بن طاهر يأمر بإحضاره وتقليده القضاء . فقال له الزُّبير بن بكار : قد بلغتُ هذه السِّن وأتولى القضاء ! أو بعد ما رويتُ أن مَن ولي القضاء فقد ذُبح بغير سِكِّين ! فقال له : فتلحَق بأمير المؤمنين بسُر مَن رأى ، فقال له : أفعل . فأمر له بمال ينفقه ، وبظَهرٍ يحمله ويحمل ثَقَلَه . ثم قال له . إن رأيت يا أبا عبد الله أن تُفيدنا شيئاً قبل أن نفترق ! قال : نعم . انصرفتُ من عُمرة المحرَّم ؛ فبينا أنا بأُثاية[1] العَرج ، إذا أنا بجماعة مجتمعة ، فأقبلتُ إليهم وإذا رجل كان يقنِص الظباء وقد وقع ظبي في حِبالته فذبحه ، فانتفض في يده فضرب بقرنه صدره فنشِب القرن فيه فمات . وأقبلت

1 الأثاية : موضع في طريق الجحفة .

فتاة كأنها المَهاة ، فلما رأت زوجها ميتاً شهِقت ثم قالت : [من البسيط]

يا حُسنُ لـو بَطَلٌ لكنه أجل ... على الأُثاية ما أُودى به البطلُ
يا حسنُ جمَّع أحشائي وأقلقها ... وذاك يا حسن لولا غيرُه جَلَلُ
أضحتْ فتاةُ بني نَهدٍ عَلانِيَةً ... وبعلُها بين أيدي القـوم محتمَلُ

قال : ثم شهقت فماتت . فما رأيتُ أعجبَ من الثلاثة : الظبي مذبوح ، والرجل جريح ميت ، والفتاة ميتة [حَرَّى] . فأمر له عبيد الله بمال آخر . ثم أقبل إلى أخيه محمد بن عبد الله بعد خروج الزُّبير فقال : أما إن الذي أخذناه من الفائدة في خبر حُسن وفي قولها : [من البسيط]

أضحتْ فتـاةُ بني نَهـد علانيةً

تريد ظاهرة ، أكثرُ عندي مما أعطيناه من الحِباء والصِّلة . وقد أخبرني الحسين بن علي عن الدمشقيِّ عن الزُّبير بخبر حُسن فقط ، ولم يذكر فيه من خبر عبيد الله شيئاً .

[لحنه في شعر ابن هرمة يجمع النغم العشر]

ومن الأصوات التي تجمع النَّغَمَ العشرَ

صوت

وهو يجمع النَّغَم العشر كلَّها على غير تَوالٍ : [من الطويل]

وإنّكِ إذ أطمعتِني منـكِ بالرِّضا ... وأيأستِني مـن بعدِ ذلك بالغضبْ
كَمُمكِنَةٍ من ضَرعِها كفَّ حالبٍ ... ودافقةٍ مـن بعدِ ذلك مـا حَلَبْ

عروضه من الطويل . الشعر لإبراهيم بن علي بن هرمة . والغناء في هذا اللحن الجامع للنَّغَم لعُبيد الله بن عبد الله بن طاهر ، خفيف ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها وعليها ابتدأ الصوت .

[أثبت في كتابه نقد أبي نواس لشعر لابن هرمة وشعر لجرير]

وقال عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات حدثني بعض أصحابنا عن أبي نُواس أنه قال : شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه . فلو أُخِذ البيت الثاني من شعر أحدهما فجُعِل مع بيت الآخر ، وأُخِذ بيتُ ذاك فجُعل مع هذا لصار متفقاً معنىً وتشبيهاً . فقلت له : أَنَّى ذلك ؟ فقال : قول جرير للفرزدق : [من الطويل]

فإنكَ إذ تهجو تَميماً وترتشي ... تَبابِينَ قيس أو سُحوق العمائمِ[1]

1 تبابين : جمع تبان وهو سراويل صغير . والسحوق : جمع سحق ، وهو الثوب الخلق البالي .

كمُهرِيقِ مـاءٍ بالفَلاةِ وغَـرَّة سرابٌ أذاعتْه ريـاحُ السَّمائمِ

وقول ابن هَرمة : [من المتقارب]

وإنِّي وتَركي نَـدى الأكرمينَ وقَدحي بكَـفَّيَّ زَندا شَحاحا[1]

كتاركةٍ بيضَهـا بالعَـراء ومُلبِسةٍ بيضَ أُخرى جَناحا

فلو قال جرير : [من الطويل]

فإنك إذ تَهجو تَميماً وتَرتشِي تَبابِينَ قَيسٍ أو سُحُوق العمائمِ

كتاركـةٍ بيضَهـا بالعَـراء ومُلبِسةٍ بَيضَ أُخـرى جَناحا

لكان أشبه منه ببيته . ولو قال ابنُ هرمة مع بيته : [من المتقارب]

وإني وتركي نـدى الأكرمين وقدحي بكفَّيَّ زَندا شَحاحا

كمُهريـقِ مـاءٍ بالفلاةِ وغَرَّه سرابٌ أذاعتـه رياحُ السمائمِ

كان أشبه به . ثم قال : ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعدُ فقال : [من الطويل]

وإنكِ إذ أطمعتِني منكِ بالرضا وأيأستِني من بعدِ ذلك بالغضبْ

كممكنةٍ من ضرعها كفَّ حالب ودافقةٍ من بعدِ ذلك مـا حلبْ

وقد أتى عبيد الله بن عبد الله بهذا الكلام بعينه في «الآداب الرفيعة» . وإنما أخذه من أبي نُواس على ما رُوي عنه .

[ومما يجمع النغم العشر صوت ابن أبي مطر في شعر نصيب]

ووجدتُ في كتابٍ مؤلَّفٍ في النَّغم غيرِ مسمًّى الصانع : أن من الأصوات التي تجمع النَّغَمَ العشرَ صوتَ ابن أبي مطر المكي في شعر نُصَيب وهو : [من الطويل]

صوت

ألا أيُّها الرَّبـعُ المُقِيـمُ بعُنبُب سَقَتكَ السَّواقي من مُراحٍ ومَعزَبِ[2]

بذي هَيدَبٍ أمّا الرُّبى تحت وَدقِه فَتَروى وأمّـا كلُّ وادٍ فيزعَبِ[3]

عروضه من الطويل . ويروى «الربع الخَلاء بعُنبُبِ» أي الخالي . وعُنبُب : موضع ، ويروى «سقتك الغوادي من مَرادٍ . والمَراد : الموضع الذي يُرتاد فيُرعى فيه الكلأ . والمُراحُ :

1 وزند شحاح : لا يورى .

2 عُنبُب : موضع .

3 زعب الوادي أو رعب : إذا امتلأ .

الموضعُ الذي تَرُوح إليه المواشي وتَبيت فيه . وفي الحديث أنه رخَّص في الصلاة في مُراحِ الغنم ونَهى عنها في أعطانِ الإبل . والمَعزَب : الموضع الذي يُعزب فيه الرجلُ عن البيوت والمنازل . وأصل العُزوب : البُعد يقال عزَب عنه رأيُه وحلمُه أي بعُد ، والعَزَب مأخوذٌ من ذلك . وهَيدَبُ السماءِ أطرافٌ تراه في أذنابه كأنه معلَّق به . قال أوسُ بن حَجَر : [من البسيط]

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الأرضِ هَيدَبُه يكـاد يدفَعـه مَن قام بالراحِ

ويزعَب : يطفَح ، يقال : زعَبه السيلُ إذا مَلأه . الشعر لنُصَيب يقوله في عبد العزيز بن مروان .

[وفد نصيب على عبد العزيز بن مروان ومدحه فأجازه]

أخبرنا الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني جميع بن علي النُّميري عن عبد الله بن عبد العزيز بن مُحجَن بن النُّصَيب ، قال الزُّبير وكتب إليّ بذلك عبد الله بن عبد العزيز يذكره عن عوضة بنت النُّصَيب قالت : وفَد أبي على عبد العزيز بن مَروان بمصر ، فوقف على الباب فاستأذن فلم يُؤذَن له . فأرسل إليه حاجبَه فقال : استنشِده ، فإن كان شعره رديئاً فاردُده ، وإن كان جيِّداً فأدخِله . فقال نُصَيب : قد جلَبنا شيئاً للأمير ، فإن قبله نشرناه عليه وإلا طويناه ورجعنا به . فقال عبد العزيز : إن هذا لكلامُ رجلٍ ذَهِنٍ ، فأدخَلَه . فلما واجهه أنشده قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

ألا هـل أتى الصقرَ بنَ مَروان أنَّني أُرَدُّ لـدى الأبـوابِ عنه وأُحجَبُ
وأنِّي ثَوَيتُ اليـومَ والأمسِ قبلَـه على الباب حتى كادت الشمسُ تغرُبُ
وأنِّي إذا رمـتُ الدخـولَ تَرُدُّني مهابـةُ قَيسٍ والرِّتـاجُ المُضَبَّبُ[1]

قال : وكان حاجب عبد العزيز يُسمى قيساً . قال : وتشبيب هذه القصيدة : [من الطويل]

ألا أيهـا الرَّبـعُ المقيـمُ بعُنبُب سقتك السواقي من مُراحٍ ومَعزَبِ

قال : فلما دخل على عبد العزيز أُعجِب بشعره وأوجَهَه[2] ، وقال للفرزدق : كيف تسمع هذا الشعر ؟ قال : حسنٌ إلا من لغته . قال : هذا والله أشعرُ منك ! . قال : وقال نُصيب فيها أيضاً : [من الطويل]

وأهـلي بأرضٍ نازحـون ومـا لهمْ بهـا كاسبٌ غيـري ولا مُتَقَلِّـبُ

1 رتاج مضبب : مجعولة له ضبة .
2 أوجهه : جعله وجيهاً وشرفه .

فهـلْ تُلحِقَنِّيهِـم بعْبَـلٍ مُواشِكٍ على الأين من نُجب ابن مَروانَ أصهَبِ[1]
أبـو بَكَـراتٍ إن أردتُ افتحالَـه وذو ثَبَتـاتٍ بالرَّدِيفَـيْن مُتعَـبُ

فقال له عبد العزيز : ادخُلْ على المَهاري فخُذ منها ما شئت ، فلو كنتَ سألت غيره لأُعطِيتَه . فدخل فرده الجمَّال . فقال عبد العزيز : دَعه فإنما يأخذ الذي نَعت ، فأخذه .

قال الزُّبير وحدثني بعض أصحابنا عن محمد بن عبد العزيز قال : نزل عبد العزيز بن عبد الوهاب على المهدي بعُنبُب من وادي السَّراة الذي عنَى نُصَيب بقوله : [من الطويل]

ألا أيُّهـا الرَّبـعُ الخَـلاءُ بعُنبُبِ

والمَهدي[2] هو الذي يقول فيه الشاعر : [من مجزوء الرمل]

اسلمي يـا دارُ من هِنـدِ بالسُّوَيقـاتِ إلى المَهدِي[3]

[صوت له يجمع ثماني نغم وقد مدحه إسحاق]

صوت

وهو يجمع من النَّغَم ثمانيا : [من مجزوء الكامل]

يـا مَـن لِقَلبٍ مُقصِرٍ تـرك المُنـى لِفَواتِها
وتظلُّـف النفسَ التـي قـد كان مـن حاجاتِها
وطِلابُكَ الحاجاتِ مِن سَلمـى ومِـن جاراتِها
كَتَطَـرُّد العَنسِ الذَّمُـو لِ الفَضلَ مـن مَثناتِها

قوله : «يا من لقلب مقصر» تأسُّفٌ على شبابه ؛ ويدل على ذلك قوله : [من مجزوء الكامل]

وتظلُّـف النفسَ التـي قد كان مِـنْ حاجاتِها

يقال : اظلِف نفسَك عن كذا أي امنعها منه لئلا يكون لها أثر فيه . وهو مأخوذ من ظَلَف الأرض وهو المكان الذي لا أثر فيه . قال عوف بن الأحوص : [من الوافر]

ألم أُظلِفْ عن الشعراء عِرضي كما ظُلِفَ الوَسِيقـةُ بالكُراعِ[4]

الوسيقة : الجماعة من الإبل . يعني أنها تُساق فلا يوجد لها أثر في الكُراع ، وهو مُنقَطَع

1 المواشك : السريع .
2 الظاهر أنه اسم موضع .
3 السويقات : موضع بعينه .
4 أظلف : أي عميت عليهم أثري .

الجبل . قال الشاعر : [من السريع]

أمستْ كُراعُ الغَمِيمِ مُوحِشةً بعد الذي قد خلا ، من العَجَبِ[1]

وقوله : [من مجزوء الكامل]

كَتَطَرُّدِ العَنسِ الذَّمُو لِ الفضلَ مـن مَثناتها

يقول : طِلابُك هذه الحاجاتِ ضلالٌ وتتابعٌ كتطرُّد العَنس (وهي الناقة المذكَّرة الخَلْق) الفضلَ من مَثناتها . والتطرُّد : التتبُّع ؛ ومثله قول الشاعر : [من الطويل]

خَبَطتُ الصِّبا خَبطَ البعيرِ خِطامَهُ فلم أَنتَبِهْ للشَّيبِ حتى عَلانِيا

الشعر لمُسافر بن أبي عَمرو بن أُمية بن عبد شمس . والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وهذا الصوت يجمع من النَّغَم ثمانيا ، وكذلك ذكر إسحاق ووصَف أنه لم يجمع شيءٌ من الغناء قديمِه وحديثِه إلى عصره من النغم ما جمعه هذا الصوت ، ووصف أنه لو تلطَّف متلطِّف لأن يجمع النَّغَم العشر في صوت واحد لأمكنه ذلك ، بعد أن يكون فَهِماً بالصناعة طويلَ المُعاناة لها وبعد أن يُتعب نفسَه في ذلك حتى يصح له . فلم يقدر على ذلك سوى عُبيد الله بن عبد الله إلى وقتنا هذا .

1 كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .

[127] ـ ذكر مُسافِر ونسبه

[نسبه]

مسافر بن أبي عمرو بن أُمية ، ويكنى أبا أُمية . وقد تقدم نسبه وأنساب أهله . وأُمه آمنة بنت أبان بن كُلَيب بن ربيعة بن عامر بن صَعصَعة ، وهي أُم أبي مُعَيط أبان بن عمرو بن أُمية . وأبو مُعَيطٍ ومُسافرٌ أخوان لأب وأُم ، وهما أخوا عُمومتهما أبي العاصي وأخويه من بني أُمَية الذين أُمُّهم آمنة ؛ لأن أبا عمرو تزوجها بعد أبيه . وكان سيِّداً جَواداً ، وهو أحد أزواد[1] الركب ؛ وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا لا يَدَعون غريباً ولا مارَّ طريقٍ ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفّلوا به حتى يظعَن .

[مناقضاته عمارة بن الوليد]

وهو أحد شعراء قُرَيش ؛ وكان يُناقض عُمارة بن الوليد الذي أمر النَّجاشيُّ السواحر فسحرته . فمن ذلك قول عُمارة : [من الرمل]

خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنـا ... وجِيـادُ الرَّيـطِ والأُزُرُ
كابِـراً كنـا أحـقَّ بـه ... حين صِيغَ الشمسُ والقمرُ

وقال مسافر يرد عليه : [من الرمل]

أعُمارَ بـنَ الوليد وقـد ... يذكـر الشَّاعِرُ مَن ذَكَرَهْ
هـل أخـو كأسٍ مُحَقِّقُها ... ومُـوَقٌّ صحبَـه سُكُرَهْ
ومُحَيِّيهِـمْ إذا شَرِبـوا ... ومُقِـلٌّ فِيهِـمُ هَـذَرَهْ
خُلِق البِيضُ الحِسانُ لنا ... وجِيـادُ الرَّيـطِ والحِبَرَهْ
كابِـراً كنـا أحـقَّ بـه ... كلُّ حَـيٍّ تابـعٌ أَثَرَهْ

[خطب هنداً بنت عتبة]

وله شعر ليس بالكثير . والأبيات التي فيها الغناء يقولها في هند بنت عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، وكان يهواها . فخطَبها إلى أبيها بعد فِراقها الفاكِهَ بن المُغيرة ، فلم ترضَ ثروتَه

1 أزواد الركب : ثلاثة من نفر من قريش : مسافر بن أبي عمرو بن أمية ، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب ابن أسد بن عبد العزى بن قصي ، وأبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . سموا بذلك لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفره وكانوا يطعمون كل من يصحبهم ويكفونه الزاد .

ومالَه . فوفد على النُّعمان يستعينه على أمره ثم عاد ؛ فكان أولَ مَن لقيه أبو سُفيان ، فأعلمه بتزويجه من هند . فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عَمار قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيات قال حدثني ابن أبـي سَلَمة عن هشام ، قال ابن عَمار وقد حدثناه ابنُ أبي سَعد عن علي بن الصبَّاح عن هشام ، قال ابن عَمار وحدثَنيه علي بن محمد بن سليمان النَّوفَلي عن أبيه ، دخل حديثُ بعضهم في بعض : أن مسافر بنَ أبي عمرو بن أُمية كان من فِتيان قريش جمالاً وشعراً وسخاء . قالوا : فعشِق هنداً بنت عُتبة بن ربيعة وعشِقته ؛ فاتُّهم بها وحملت منه . قال بعض الرواة : فقال معروف بن خَرَّبوذ : فلما بانَ حَملُها أو كاد قالت له : اخرُج ؛ فخرج حتى أتى الحِيرةَ ، فأتى عمرَو بن هند فكان يُنادمه . وأقبل أبو سُفيان بن حرب إلى الحيرة في بعض ما كان يأتيها ، فلقى مُسافراً ، فسأله عن حال قريش والناسِ ؛ فأخبره وقال له فيما يقول : وتزوجتُ هنداً بنت عُتبة . فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استَسقى بطنُه . قال ابن خَرَّبوذ : فقال مُسافِرٌ في ذلك : [من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحتْ منكَ مَحرَما وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتِها حَما

وأصبحتَ كالمقمورِ جَفنَ سلاحه يقلِّـب بالكَفَّـينِ قوساً وأسهُما

فدعا له عمرُو بن هند الأطبَّاءَ ، فقالوا : لا دواء له إلا الكَيّ . فقال له : ما ترى ؟ قال : افعَل . فدعا له الذي يُعالجه فأحمى مَكاوِيَه ؛ فلما صارت كالنار قال : ادعُ أقواماً يُمسكونه . فقال لهم مسافر : لستُ أحتاج إلى ذلك . فجعل يضع المكاويَ عليه . فلما رأى صبرَه ضَرَط الطبيب ؛ فقال مسافر :

قـد يَضرِطُ العَيرُ والمِكـواةُ في النارِ

[لما مات رثاه أبو طالب]

فجرت مثلاً ، فلم يَزِده إلا ثِقَلاً . فخرج يُريد مكة . فلما انتهى إلى موضع يقال له هُبالة[1] مات فدُفِن بها ، ونُعِي إلى قريش . فقال أبو طالب بن عبد المطَّلب يرثيه : [من الخفيف]

ليتَ شِعرِي مُسافِرَ بنَ أبي عمـ ـرٍو وليتٌ يقولها المحزونُ

رجَـع الركبُ سالمين جميعاً وخليلي في مَرمَسٍ مدفونُ[2]

بُورِكَ الميِّتُ الغريبُ كما بو رك نَضر الرَّيحانِ والزيتونُ

بيتُ صِدقٍ على هُبالةَ قد حا لت فيافٍ من دونه وحُزونُ

1 هبالة : موضع لبني عقيل .

2 المرمس : القبر .

مِـدرَةٌ يدفَـعُ الخصومَ بأيدٍ وبوجـــهٍ يَزِينُـــه العِـــرنِينُ

صوت

[من الخفيف]

كَمْ خليـلٍ رُزئتُـه وابنِ عَمٍّ وحَميـمٍ قضت عليـه المَنونُ
فتعزَّيتُ بالتَّـأَسِّي وبالصبـ ـرِ وإنِّي بصاحبـي لضنينُ

غنى في هذين البيتين يحيى المكِّي ثاني ثقيلٍ بالوسطى من رواية ابنه والهشامي .

وأنشدنا الحِرْميّ قال أنشدنا الزُّبير لأبي طالب بن عبد المطلب في مسافر بن أبي عمرو : [من الطويل]

ألا إن خيرَ النـاسِ غيرَ مُدافَـعٍ بسَروِ سُحَيـمٍ غيَّبتـه المقابـرُ[1]
تُبَكِّي أباهـا أُمُّ وَهبٍ وقد نأى وريسانُ أمسى دونـه ويُحابِرُ
على خير حافٍ من مَعَدٍّ وناعلٍ إذا الخيرُ يُرجى أو إذا الشرُّ حاضرُ
تَنـادوْا ولا أبـو أُميـة فيهـمُ لقد بُلِغتْ كَظَّ النفوسِ الحناجرُ[2]

قال وقال النَّوفلي : إن البيتين : [من الطويل]

ألا إن هنـداً أصبحتْ منك مَحرَما

والذي بعده لهشام بن المُغيرة ، وكانت عنده أسماء بنت مَخرَمة النَّهشلية ، فولدت له أبا جهل وأخاه الحارث ، ثم غضِب عليها فجعلها مثلَ ظهر أمه ، وكان أول ظِهار كان ، فجعلته قريشٌ طلاقا . فأرادت أسماء الانصراف إلى أهلها ؛ فقال لها هشام : وأين الموعد ؟ قالت : الموسم . فقال لها ابناها : أقِيمِي معنا فأقامت معهما . فقال المغيرة بن عبد الله وهو أبو زوجها : أما والله لأُزوجنكِ غلاماً ليس بدون هشام ؛ فزوجها أبا ربيعة ولدَه الآخر ؛ فولدت له عَياشاً وعبدَ الله . فذلك قول هشام : [من الطويل]

تُحَدِّثنا أسمـاءُ أن سوف نَلتقـي أحاديثَ طَسمٍ ، إنمـا أنت حالمُ

وقوله : [من الطويل]

ألا أصبحت أسماءُ حُجْراً مُحَرَّما وأصبحتَ من أدنى حُمُوَّتها حَما

قال النَّوفلي في خبره وحدثني أبي : أنه إنما كان مسافر خرج إلى النُّعمان بن المنذر يتعرض

1 سر وسحيم : موضع .
2 كظ النفوس : كربها .

لإصابة مال ينكِح به هنداً ، فأكرمه النعمانُ واستظرفه ونادمه وضرب عليه قُبَّة من أَدَم حمراء . وكان الملك إذا فعل ذلك برجل عُرِف قدرُه منه ومكانه عنده . وقدِم أبو سفيان بن حرب في بعض تجاراته ؛ فسأله مسافر عن حال الناس بمكة ؛ فذكر له أنه تزوج هنداً ؛ فاضطرب مسافر حتى مات . وقال بعض الناس : إنه استسقَى بطنُه فكُوِي فمات بهذا السبب . قال النَّوفلي : فهو أحد مَنْ قتله العشق .

[خبر طلاق هند بنت عتبة من الفاكه بن المغيرة]

فأمّا خبر هند وطلاقُ الفاكهِ بن المُغيرة إيّاها ، فأخبرني به أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أبو السُّكَيْن زكريّا بن يحيى بن عمرو بن حِصْن بن حُمَيْد بن حارثة الطائيّ قال حدثني عمّي زَحْر بن حِصْن عن جدّه حُمَيْد بن حارثة قال : كانت هند بنت عُتْبة عند الفاكِه بن المُغيرة ، وكان الفاكه من فتيان قُريش ، وكان له بيتٌ للضيافة بارزٌ من البيوت يغشاه الناس من غير إذن . فخلا البيتُ ذات يوم ، فاضطجع هو وهند فيه ثم نهض لبعض حاجته . وأقبل رجلٌ ممّن كان يغشى البيت فولَجه ؛ فلما رآها رجع هارباً ؛ وأبصره الفاكه فأقبل إليها فضربها برجله وقال : مَنْ هذا الذي خرج من عندك !؟ قالت : ما رأيت أحداً ولا انتبهتُ حتى أنبهتني . فقال لها : ارجعي إلى أُمّك . وتكلّم الناس فيها ، وقال لها أبوها : يا بُنَيَّة ! إنّ الناس قد أكثروا فيكِ ، فأنبئيني نَبأكِ ، فإن يكن الرجل عليك صادقاً دَسَستُ عليه من يقتله فتنقطع عنك المقالة ، وإن يك كاذباً حاكمتُه إلى بعض كُهّانِ اليمن . فقالت : لا والله ما هو عليّ بصادق . فقال له : يا فاكه ، إنك قد رميتَ بنتي بأمرٍ عظيم ، فحاكِمْني إلى بعض كُهّان اليمن . فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج عُتْبة في جماعة من عبد مَناف ومعهم هند ونِسْوة . فلمّا شارفوا البلادَ وقالوا غداً نَرِد على الرجل تنكَّرْت حال هند . فقال لها عُتْبة : إنّي أرى ما حلَّ بك من تنكُّر الحال ، وما ذاك إلا لمكروهٍ عندكِ . قالت : لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه ، ولكنّي أعرف أنكم تأتون بَشَراً يخطىء ويصيب ، ولا آمنه أن يَسِمَني مِيسَماً يكون عليّ سُبَّةً . فقال لها : إني سوف أختبره لك ؛ فصَفَر بفرسه حتى أدلى ، ثم أدخل في إحليله حبَّة بُر وأوكأ عليها بسَير . فلما أصبحوا قدِموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم . فلما قعدوا قال له عُتبة : جئناكَ في أمرٍ وقد خبأْتُ لك خَبَأً أختبرك به فانظر ما هو ؟ قال : ثمرةٌ في كَمَرة . قال : إني أريد أبيَنَ من هذا . قال : حبة بُر في إحليل مُهر . قال : صَدَقتَ ؛ أنظر في أمر هؤلاء النسوة . فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول : انهضي ، حتى دنا من هند فقال لها : انهضي غير رَسحاء[1] ولا

1 رسحاء : خفيفة العجيزة .

زانية ، ولَتَلِدِنَّ مَلِكاً يقال له معاوية . فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها ؛ فنثرت يدَها من يده وقالت : إليكَ عنِّي ؛ فوالله لأحرِصُ أن يكون ذلك من غيرك ؛ فتزوجها أبو سُفيان .

وقد قيل : إن بيتَيْ مسافر بن أبي عمرو أعني : [من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحت منك محرما

لابن عجلان[1] .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني عبد الله بن علي بن الحسن عن أبي نصر عن الأصمعي عن عبد الله بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال : خرج عبد الله بن العجلان في الجاهلية فقال : [من الطويل]

ألا إن هنداً أصبحت منك مَحرما وأصبحت من أدنى حُمُوَّتِها حَما

فأصبحتَ كالمقمورِ جَفنَ سلاحِه يُقَلِّبُ بالكَفَّيْنِ قوساً وأسهُما

[شعر لمسافر في الفخر]

ثم مَد بهما صوته فمات . قال ابن سيرين : فما سمعتُ أن أحداً مات عشقاً غير هذا . ومما يغنَّى فيه من شعر مسافر بن أبي عمرو وهو من جيِّد شعره قوله يفتخر : [من الوافر]

صوت

ألم نَسقِ الحَجِيجَ ونَنـ ـحَرِ المِذلاقَةَ الرُّفُدا[2]

وزمزمُ من أُرومتنا ونفقَأ عينَ مَن حَسَدا

وإنَّ مناقبَ الخيرا تِ لم نُسبَق بها عَدَدا

فإنْ نَهلِكَ فلم نملكْ وهل من خالدٍ خَلَدا

غنَّاه ابنُ سُرَيج رَمَلاً بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وفيه لسائب خاثر لحن من خفيف الثقيل الأول بالوسطى من رواية حَماد . وفيه للزَّفِّ ثقيل بالوسطى .

---

1 هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب ، شاعر جاهلي وهو أحد المتيمين من الشعراء ممن قتلهم الحب

2 المذلاقة : النوق السريعة السير . الرفد : جمع رفود وهي التي تملأ الرفد (وهو بالفتح والكسر القدح الضخم) من النوق في حلبة واحدة .

[128] ـ فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته

[ما كان بين عمرو وعمارة لدى النجاشي]

فإن الواقدي ذكره عن عبد الله بن جعفر بن[1] أبي عَون قال : كان عُمارة بن الوليد المخزومي بعد ما مشت قريش بعمارة الى[2] أبي طالب خرج هو وعمرو بن العاص بن وائل السَّهمي ، وكانا كلاهما تاجرين ، إلى النجاشي ، وكانت أرض الحبشة لقريش مَتجراً ووَجهاً ، وكلاهما مُشرِكٌ شاعرٌ فاتكٌ وهما في جاهليتهما ؛ وكان عُمارة مُعجَباً بالنساء صاحبَ محادثة ؛ فركبا في السفينة ليالِيَ فأصابا من خمر معهما . فلما انتشى عُمارة قال لامرأة عمرو بن العاص : قَبِّليني . فقال لها عمرو : قَبِّلي ابن عمك فقبلته . وحذِر عمرو على زوجته فرصَدها ورصدته ، فجعل إذا شرِب معه أقل عمرٌو من الشراب وأَرَقَّ لنفسه بالماء مخافةَ أن يسكر فيغلبه عُمارة على أهله . وجعل عُمارة يُراودها[3] على نفسها فامتنعت منه . ثم إن عَمْراً جلس إلى ناحية السفينة يبول ؛ فدفعه عُمارة في البحر . فلما وقع فيه حتى أخذ بالقَلس[4] فارتفع فظهر على السفينة . فقال له عمارة : أما والله لو علمتُ يا عمرو أنك تُحسن السِّباحة ما فعلتُ . فاضطغنها عمرو وعلم أنه أراد قتله . فمضيا على وجههما ذلك حتى قدما أرضَ الحبشة ونزلاها . وكتب عمرو بن العاص إلى أبيه العاص أنِ اخلَعني وتبرَّأ من جَريرتي إلى بني المُغيرة وجميع بني مخزوم . وذلك أنه خشي على أبيه أن يُتبَع بجريرته وهو يَرصُد لعُمارة ما يَرصُد . فلما ورد الكتابُ على العاص بن وائل مشى في رجال من قومه منهم نُبَيْه ومُنَبِّه ابنا الحَجاج[5] إلى بني المغيرة وغيرِهم من بني مخزوم فقال : إن هذين الرجلين قد خرجا حيث علِمتم ، وكلاهما فاتكٌ صاحبُ شر ، وهما غير مأمونين على أنفسهما ولا ندري ما يكون . وإنِّي أبرأ إليكما من عمرو ومن جريرته وقد خلعتُه . فقالت بنو المغيرة وبنو مخزوم : أنت تخاف عَمْراً على عمارة ! وقد خلعنا نحن عُمارةَ وتبرأنا إليك من جريرته ، فخَلِّ بين الرجلين . فقال السَّهميون[6] : قد قبِلنا ، فابعثوا منادياً بمكة أنّا قد خلعناهما .

---

1 ل : عن .

2 ل : إلى آل .

3 ل : يريدها .

4 القلس : حبل غليظ من حبال السفن .

5 هما نبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سهم ، ماتا على الشرك في غزوة بدر .

6 السهميون : قوم عمرو بن العاص .

وتبرأ كلُّ قوم من صاحبهم ومما جر عليهم ، فبعثوا مناديا ينادي بمكة بذلك . فقال الأسود بن المطَّلب : بَطَل والله دمُ عُمارة بن الوليد آخرَ الدهر ؛ فلما اطمأنا بأرض الحبشة لم يلبث عُمارة أن دب لامرأة النجاشي فأدخلته فاختلف إليها . فجعل إذا رجع من مدخله يخبر عمرو بن العاص بما كان من أمره . فجعل عمرو يقول : ما أُصَدِّقك أنك قدَرتَ على هذا الشأن ، إن المرأة أرفع من ذلك . فلما أكثر على عمرو مما كان يُخبره ، وقد كان صدقه ولكن أحبَّ التثبُّت ، وكان عُمارة يغيب عنه حتى يأتيَه في السَّحَر ، وكان في منزلٍ واحد معه ؛ وجعل عمارة يدعوه إلى أن يشرب معه فيأبى عمرو ويقول : إن هذا يشغَلك عن مَدخَلك ، وكان عمرو يريد أن يأتيه بشيء لا يستطيع دَفعَه إن هو رفَعه إلى النجاشي فقال له في بعض ما يُذكر له من أمرها : إن كنتَ صادقاً فقل لها تَدهُنك من دُهن النجاشي الذي لا يَدَّهِنُ به غيرُه فإني أعرفه ، لو أتيتَني به لصدَّقتك . ففعل عُمارة [فجاء] بقارورة من دُهنه ؛ فلما شمَّه عرَفه . فقال له عمرو عند ذلك : أنت صادقٌ ! لقد أصبتَ شيئاً ما أصاب أحدٌ مثلَه قطُّ من العرب ونلتَ من امرأة الملك شيئاً ما سمعنا بمثل هذا ، وكانوا أهلَ جاهلية ، ثم سكت عنه ؛ حتى إذا اطمأن دخل على النجاشي فقال : أيها الملك ! إن ابن عمِّي سفيهٌ ، وقد خشِيتُ أن يَعُرّني[1] عندكَ أمرُه ، وقد أردتُ أن أُعلمَك شأنَه . [ولم أفعل] حتى استثبتُّ أنه قد دخل على بعض نسائك فأكثر وهذا من دُهنك قد أُعطِيَه ودهَنني منه . فلما شم النجاشيُّ الدُّهن قال : صدَقتَ ، هذا دُهني الذي لا يكون إلا عند نسائي . ثم دعا بعُمارةَ ودعا بالسواحر ، فجردوه من ثيابه فنفَخن في إحليله ، ثم خلَّى سبيلَه فخرج هارباً . فلم يزل بأرض الحبشة حتى كانت خلافةُ عمرَ بن الخطاب . فخرج إليه عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان اسمه قبل أن يسلم بَحِيراً فسماه رسول الله ﷺ عبد الله ، فرصده على ماء بأرض الحبشة ، وكان يَرِدُه مع الوحش ، فورد ؛ فلما وجد رِيحَ الإنس هرَب ؛ حتى إذا أجهده العطشُ ورَد فشرِب حتى تملأ ، وخرجوا في طلبه . فقال عبد الله بن أبي ربيعة : فسعيت إليه فالتزمته ، فجعل يقول لي : يا بَحِيرُ أرسِلني ! يا بَحِير أرسلني ! إني أموت إن أمسكتموني . قال عبد الله : وضغطتُه[2] فمات في يدي مكانَه . فواراه ثم انصرف . وكان شَعره قد غطَّى على كل شيء منه .

قال الواقدي عن ابن أبي الزِّناد : وقال عمرو لعُمارة : يا فائد ، إن كنتَ تحب أن أصَدِّقك بهذا أو أقبَلَه منك فأتني بثوبين أصفرين . فلما رأى النجاشي الثوبين قال له عمرو : أتعرِف الثوبين ؟ قال نعم .

---

1 عره : لطخه بعيب .

2 ل : وضبطته .

وقال الواقدي عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه ، قال النجاشي لعُمارة : إنِّي أكره أن أقتل قُرَشياً ، ولو قتلتُ قُرَشياً لقتلتك ، فدعا بالسواحر .

[شعر عمرو بن العاص في عمارة]

فقال عمرو بن العاص يذكر عُمارة وما صنع به ، قال الواقدي أخبرني ابن أبي الزِّناد أنه سمع ذلك من ابن ابنه عمرو بن شُعَيب بن عبد الله بن عمرو يذكره لجَدِّه : [من الطويل]

تَعَلَّمْ عُمارُ أنَّ من شرِّ شِيمة ... لمثلِك أن يُدْعَى ابنُ عَمٍّ له ابنَما
وإنْ كنتَ ذا بُردَيْنِ أحوى مُرَجَّلاً ... فلستَ براعٍ لابن عمِّك مَحرَما
إذا المرءُ لمْ يتركْ طعاماً يُحِبُّه ... ولم يَنهَ قلباً غاوياً حيثُ يَمَّما
قضَى وَطَراً منه يسيراً وأصبحتْ ... إذا ذُكِرتْ أمثالُها تملأ الفما
فليس الفتى ولو أَتَمَّتْ عروقُه ... بذي كرمٍ إلا بأن يَتكرَّما[1]
صَحِبتُ من الأمر الرفيقِ طريقه ... وولَّيتُ غَيَّ الأمرِ مَن قد تَلَوّما
مِن الآن فانزِعْ عن مَطاعِمَ جَمةٍ ... وعالِجْ أمورَ المجدِ لا تتندّما

[شعر خولة بنت ثابت في عمارة]

قال إسحاق وحدثني الأصمعي : أن خَولة بنت ثابت أختَ حسان قالت في عُمارة لما سُحِر : [من المنسرح]

يا ليلتي لم أَنَمْ ولم أكَدِ ... أقطَعُها بالبكاء والسَّهَدِ
أبكي على فِتيةٍ رُزِئتُهمُ ... كانوا جبالي فأوهنوا عَضُدِي
كانوا جمالي ونُصرتي وبهم ... أَمنَع ضَيمِي وكلَّ مُضطَهِدِ
فبعدَهم أرقُب النجومَ وأُذ ... رِي الدمعَ والحزنُ والجٌّ كَبِدي

قال الأصمعي واجتاز ابنُ سريج بطُوَيس ومعه فِتيةٌ من قريش وهو يغنِّيهم في هذا الصوت ، فوقف حتى سمعه ، ثم أقبل عليهم فقال : هذا والله سيِّد مَن غناه .

هذه الأصوات التي ذكرتها الجامعةُ للنَّغَم العَشرِ والثماني النَّغَمِ منها هي المشهورة المعروفة عند الرُّواة وفي روايات الرُّواة وعند المغنِّين .

[كان عبيد الله يراسل المعتضد على لسان جواريه]

وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يُراسل المعتضد بالله إذا استزار جواريَه على ألسنتهن

1 أتمت عروقه : بلغت تمامها في الكرم .

ومع ذوي الأُنس عنده من رُسله : مع أحمد بن الطَّيب وثابت بن قُرَّة الطائي ، يذكر النَّغَم وتفصيلَ مجاريها ومعانيها حتى فَهِم ذلك . فصنع لحناً يجمعُ النَّغَم العشر في قول دريد بن الصِّمة : [من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيهـا جَذَعْ أَخُبُّ فيهـا وأَضَعْ

[كان المكتفي يراسله في الغناء]

وصنع صنعةً مُتقنة جيدة ، منها ما سمعناه من المُحسنين والمُحسنات ومنها ما لم نسمعه ، يكون مبلغُها نحو خمسين صوتاً . وقد ذكرتُ من ذلك ما صلَح في أغاني الخلفاء . ثم صنع مثل ذلك للمكتفي بالله لرغبته في هذه الصناعة . فوجدتُ رقعةً بخطه كتب بها إلى المكتفي نسختُها : «قال إسحاقُ بن إبراهيم حين صاغ عند أبي العباس عبد الله بن طاهر بأمره لحنَه في : [من الخفيف]

يومَ تُبدي لنا قُتَيلةُ عن جِيـ ـدٍ تَلِيـعٍ تَزِينـه الأطواقُ
وشَتِيتٍ كالأُقحُوانِ جَلاه الطَّـ ـلُّ فيـه عُذوبـةٌ واتِّساقُ

إني نظرتُ مع إبراهيم وتصفحتُ غناءَ العرب كله ، فلم نجد في جميع غناء العرب صوتاً أطول إيقاعاً من : [من الخفيف]

عـادَكَ الهـمُّ ليلـةَ الإيجافِ من غزالٍ مُخَضَّبِ الأطرافِ

ولحنه خفيفُ ثقيلٍ لابن مُحرِز ؛ فإن إيقاعه ستة وخمسون دَوراً . ثم لحن معبد : [من الطويل]

هُريرةَ وَدِّعْها وإن لامَ لائمُ غداةَ غدٍ أمْ أنتَ للبَينِ واجمُ

وهو أحد سَبعتِه[1] . ولحنُه خفيف ثقيل ، ودور إيقاعه ستةٌ وخمسون دَوراً ، إلا أن صوت ابن مُحرز سُداسيٌّ في العروض من الخفيف ، وصوت معبد ثمانيٌّ من الطويل ؛ فصوتُ ابن محرز أعجبُ لأنه أقصر . وما زلنا حتى تهيأ لنا شعرٌ رباعيٌّ في سيِّدنا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ، دور إيقاعه ستة وخمسون دوراً ، وهو يجمع من النَّغم العشرِ ثمانياً ؛ وهذا ظريف جداً بديع لم يكن مثله . وأما الصوت الذي في تهنئة النَّوروز فلأنفسنا عمِلناه ، إذ لم يكن لنا مَن يدبِّر مثل هذا معه غيره . وقد كتبنا شعره وشعر الآخر ، وإيقاعُ كل واحد منهما خفيف ثقيل ، والصنعة فيهما تُستظرف : [من الكامل]

1 أي أحد أصواته السبعة وهي مدنه المعروفة .

جُمِع الخلائفُ كلهم لجميع ما بلَغوا وأُعطُوا في الإمام المكتفِي
ولـه الهدايـا ألـفُ نَورُوزٍ وهـ ـذا الشعرُ منهـا لحنُـه لم يُعرَفِ

والآخر : [من مجزوء الخفيف]

دولـةُ المكتفِـي الخليـ ـفةِ تُفني مَـدى الدُّوَلْ
يـومُ عِيـدٍ ويـومُ عُر سٍ فمـا بعدَهـا أَمَـلْ

الصنعةُ في البيت الأول خاصة تدور على ستة وخمسين إيقاعاً .

هكذا وجدت في الرقعة بخط عبيد الله . وما سمعتُ أحداً يغنّي هذين الصوتين . وقد عرضتهما على غير واحد من المتقدّمين ومن مغنّيات القصور فما عرَفهما أحدٌ منهن . وذكرتهما في الكتاب لأن شريطته توجب ذكرهما .

[129] ـ الأرمال الثلاثة المختارة

[الأرمال المختارة والكلام عنها]

أخبرني يحيى بن علي ومحمد بن خَلَف وكيع والحسين بن يحيى قالوا حدثنا حماد بن إسحاق قال حدثني أبي ، قال أبو أحمد رحمه الله وأخبرني أبي أيضاً عن إسحاق ، وأخبرنا علي بن عبد العزيز قال حدثنا عبيد الله بن خُرداذبه قال قال إسحاق : أجمع العلماء بالغناء أن أحسنَ رمَلٍ غُنِّي رَمَلُ : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتَّجْميرِ مَنظَرَ ناظرٍ

ثم رمل : [من الطويل]

أفاطمُ مَهـلاً بعضَ هذا التدلُّلِ

ولو عاش ابن سريج حتى يسمع لحني الرمل : [من الطويل]

لعلَّكَ إن طالت حياتُك أن تَرى

لاستحيا أن يصنع بعده شيئاً . وفي روايتَيْ وكيع وعليٍّ بن يحيى «ولعلم أني نعم الشاهد له» .

[الصوت الأوّل من هذه الأرمال في شعر ابن أبي ربيعة]

نسبة الأصوات وأخبارها
صوت

[من الطويل]

فلـم أرَ كالتجْمير منظـرَ ناظـرٍ ... ولا كليالي الحج أفلَتنَ ذا هَوى
فكم مـن قَتيـلٍ مـا يُباءُ بـه دمٌ ... ومـن غَلِـقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى[1]
ومن مـالىء عينيه من شَيءِ غيرِه ... إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى
يُسحِّبنَ أذيـالَ المُرُوطِ بـأسوُقٍ ... خِـدال وأعجـازٍ مآكِمُهـا رِوَا[2]

عروضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر . وقد كان عَلويه فيما بلغنا صنع فيه رملاً ، وفي «أفاطم مهلاً» خفيفَ رملٍ ، وفي «لعلك إن طالت حياتُك» رملاً آخر ، ولم يصنع شيئاً وسقطت ألحانُه فيها فما تكادُ تُعرف . وهذه الأبيات

1 أباء فلان القتيل بالقاتل : قتله به . وغلق الرهن في يد المرتهن : لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط .
2 الأسوُق : جمع ساق . المآكمة : العجيزة .

يقولها عمرُ بن أبي ربيعة في بنت مَروان بن الحَكَم .

[ابن أبي ربيعة وأم عمرو بنت مروان]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا ابن كُناسة عن أبي بكر بن عياش قال : حجَّت أُمُّ عمرو بنت مروان ، فلما قضت نُسُكها أتت عمر بن أبي ربيعة وقد أخفت نفسَها في نساء معها ، فحادثته ثم انصرفت ، وعادت إليه مُنصَرَفَها من عرفات وقد أثبتها . فقالت له : لا تذكُرني في شعرِك . وبعثت إليه بألف دينار . فقبِلها واشترى بها ثياباً من ثياب اليمن وطِيباً فأهداه إليها فردته . فقال : إذاً واللهِ أُنهبه الناس فيكون مشهوراً ؛ فقبلته . وقال فيها : [من الخفيف]

أيُّها الرائحُ المُجِدُّ ابتكارا قد قضَى من تِهامةَ الأوطارا
مَن يكن قلبُه الغداةَ خلياً ففؤادي بالخَيفِ أمسَى مُطارا
ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلَّ يومين حِجَّةً واعتمارا

قال ابن كُناسة قال ابن عياش : فلما وَجَّهت منصرفةً قال فيها : [من الطويل]

فكم من قَتيلٍ ما يُباء به دمٌ ومن غَلِقٍ رهناً إذا لفَّه مِنَى

قال : ويُروى «ومن غَلِقٍ رهنٍ» كأنه قال ومن رهنٍ غلِقٍ ؛ لا يُجعل من نعت الرهن . كأنه جعل الإنسان غَلِقاً وجعله رَهناً ؛ كما يقال : كم من عاشقٍ مُدنَفٍ ، ومن كَلِفٍ صَبٍّ .

قال الزُّبير وحدثني مُسلم بن عبد الله بن مُسلم بن جُندَب عن أبيه قال : أنشِده ابنُ أبي عتيق فقال : إن في نفس الجمل ما ليس في نفس الجمّال .

قال : وقال عبد الله بن عمر ، وقد أنشده عمر بن أبي ربيعة شعرَه هذا : يا ابن أخي ! أما اتَّقيتَ اللهَ حيث تقول : [من الطويل]

ليت ذا الدهرَ كان حتماً علينا كلَّ يومين حِجَّةً واعتمارا

فقال له عمر بن أبي ربيعة : بأبي أنت وأُمي ! إني وضعت لَيتاً حيث لا تُغني .

[أمر عمر بن عبد العزيز بنفيه ثم خلاه لما تاب]

أخبرني الحُسين بن يحيى عن حماد عن أبيه ، وأخبرني علي بن عبد العزيز عن عبيد الله بن عبد الله عن إسحاق ، وأخبرني ببعض هذا الخبر الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثنا مُصعَب بن عثمان : أن عمر بن عبد العزيز لما ولِيَ الخلافةَ لم تكن له همةٌ إلا عمرَ بن أبي ربيعة والأحوصَ . فكتب إلى عامله على المدينة : «قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر . فإذا أتاك كتابي هذا فاشدُدهما واحمِلهما إليّ» . فلما أتاه الكتاب حملهما إليه . فأقبل على عمر فقال له هِيه ! : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتَّجْمِيرِ منظـرَ ناظـرٍ ولا كليالي الحـجِّ أفلَتنَ ذا هَوى
وكم مالىءٍ عينيه مـن شيءٍ غيرِه إذا راح نحوَ الجمرةِ البِيضُ كالدُّمَى

[نفى الأحوص ولم يطلقه إلا يزيد بن عبد الملك]

فإذا لم يُفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يُفلتون ! أما والله لو اهتممتَ بأمر حَجك لم تنظر إلى شيءٍ غيرك ! ثـم أمـر بنفيه . فقـال : يا أمير المؤمنين ، أوَ خيرٌ من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أعاهد الله ألاّ أعودَ إلى مثل هذا الشعر ولا أذكُرَ النساء في شعرٍ أبداً وأُجدّدَ توبةً على يديك . قال : أوَ تفعل ؟ قال نعم . فعاهد الله على توبةٍ وخلاَّه . ثم دعا بالأحوص فقال هِيه ! : [من المنسرح]

اللهُ بيني وبـين قَيِّمِها يهربُ منّي بهـا وأَتّبعُ

بل اللهُ بين قيِّمِها وبينك ! ثم أمر بنفيه إلى بِيش[1] ، وقيل إلى دَهلَك وهو الصحيح ، فنُفي إليها ، فلم يزل بها . فرحل إلى عمرَ عدةٌ من الأنصار فكلموه في أمره وسألوه أن يُقدِمه وقالوا له : قد عرفتَ نسبه وقِدَمَه[2] وموضعه وقد أُخرج إلى بلاد الشرك ، فنطلب إليك أن ترده إلى حرم رسول الله ﷺ ودار قومه . فقال لهم عمر : مَنِ الذي يقول : [من الطويل]

فما هـو إلا أن أراها فُجاءةً فأُبهَتَ حتـى مـا أكاد أُحيرُ

وفي روايـة الزُّبير «أُجِيب» مكان «أُحِير» ، قالـوا : الأحوص[3] . قـال : فمن الذي يقول : [من الطويل]

أدُورُ ولـولا أن أرى أُمَّ جَعفَرٍ بأبياتكم مـا دُرتُ حيث أدورُ
وما كنتُ زوّاراً ولكن ذا الهوى إذا لم يَـزُرْ لا بـدَّ أن سيزورُ

قالوا : الأحوص . قال : فمن الذي يقول : [من المنسرح]

كأن لُبنَـى صَبِيرُ غاديـةٍ أو دُميـةٌ زُيِّنت بهـا البِيَعُ[4]
اللهُ بينـي وبـين قَيِّمِهـا يهـربُ منّي بهـا وأَتّبعُ[5]

قالوا : الأحوص : قال : إن الفاسق عنها يومئذٍ لمشغول ، والله لا أرده ما كان لي سلطان . فمكث هناك بعد ولاية عمر صدراً من ولاية يزيد بن عبد الملك ثم خلاَّه . قال : وكتب إلى

1 بيش : من بلاد اليمن قرب دهلك .
2 ل : وقديمه .
3 نسب هذا البيت لعروة بن حزام .
4 الصبير : السحابة البيضاء .
5 يهرب في الديوان : يفر .

عمر بن عبد العزيز من موضعه ، قال الزُّبير : أنشدنيها عبد الملك بن عبد العزيز ابن بنت الماجِشون قال أنشدنيها يوسف بن الماجشون يعني هذه الأبيات : [من الطويل]

أيـا راكبـاً إمّا عَرَضتَ فبلِّغنْ ... هُديتَ أميرَ المؤمنين رسائلي
وقُـلْ لأبـي حفصٍ إذا ما لَقِيتَه ... لقـد كنتَ نفَّاعـاً قليلَ الغوائلِ
أفي اللهِ أن تُدنُوا ابنَ حزم وتقطَعوا ... قُـوى حُرُمـاتٍ بيننا وَوَصائلِ[1]
فكيف تـرى للعيش طِيباً وَلَذةً ... وخالُك أمسى مُوثَقـاً في الحبائلِ
وما طمِع الحَزميُّ في الجاه قبلها ... إلى أحدٍ مـن آل مَـروان عادِلِ
وشَى وأطاعـوه بنـا وأعانَـه ... على أمرنـا مَنْ ليس عنـا بغافلِ
وكنتُ أرى أنّ القرابـة لم تَدَعْ ... ولا الحُرُماتِ في العصورِ الأوائلِ
إلى أحدٍ من آل مَروان ذي حِجىً ... بأمـرٍ كرهنـاه مقـالاً لقائلِ
يُسَرّ بمـا أنهَـى العـدوُّ وإنّه ... كنافلةٍ لي مـن خِيـار النوافلِ
فهل يَنقُصَنّي القومُ أن كنتُ مُسلِماً ... بريئـاً بلائـي في ليـالٍ قلائلِ
ألا ربَّ مسرورٍ بنـا سيَغيظه ... لدى غِـبِّ أمـر عضُّه بالأناملِ
رَجا الصُّلحَ منّي آلُ حَزمِ بن فَرتَنى ... على دِينهم جهلاً ولستُ بفاعلِ
ألا قـد يُرَجُّون الهـوانَ فإنّهـم ... بنـو حَبَقٍ نـاء عن الخيرِ فائلِ[2]
على حينَ حَلّ القول بي وتنظَّرت ... عقوبَتهـم منّـي رؤوسُ القبائلِ
فمَنْ يـك أمسَى سائلاً بشماتةٍ ... بما حـلَّ بي أو شامتاً غيرَ سائلِ
فقد عَجمتْ منّي العواجمُ ما جداً ... صبوراً على عضّات تلك التلاتِلِ[3]
إذا نـال لم يَفرَحْ وليس لنَكبةٍ ... إذا حدثـتْ بالخاضعِ المتضائلِ

قال الزُّبير : وقال الأحوص أيضاً : [من الطويل]

هَـلَ آنـت أميرَ المؤمنين فإنني ... بـودِّك مـن ودِّ العبـاد لقـانعُ
متمِّمُ أجرٍ قـد مضَى وصنيعةٍ ... لكم عندنا أو مـا تُعَـدّ الصنائعُ
فكم من عدوٍّ سائل ذي كَشاحَةٍ ... ومنتظـرٍ بالغيبِ مـا أنتَ صانعُ

1 ووصائل في ل : ووسائلي .
2 الحبق : الضراط .
3 التلاتل : الشدائد .

فلم يُغن عنه ذلك ولم يُخلِ سبيله عمرُ ؛ حتى ولي يزيدُ بن عبد الملك فأقدمه وقد غنته حَبابةُ بصوت في شعره .

أخبرنا إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبة قال قال هشام بن حسان : كان السبب في رد يزيد بن عبد الملك الأحوصَ أن جميلة غنته يوماً : [من الطويل]

كريمُ قريشٍ حين يُنسَبُ والذي أقــرّتْ لــه بالملكِ كَهلاً وأمرَدا

فطرِب يزيد وقال : وَيحك ! مَن كريمُ قريشٍ هذا ؟ قالت : أنت يا أمير المؤمنين ، ومَن عسى أن يكون ذلك غيرك ! قال : ومَن قائلُ هذا الشعرَ فيّ ؟ قالت : الأحوص وهو منفيّ . فكتب برده وحَملِه إليه وأنفذ إليه صِلاتٍ سنية . فلما قدِم إليه أدناه وقرَّبه وأكرمه . وقال له يوماً في مجلس حافل : والله لو لم تَمتَّ إلينا بحقٍّ ولا صِهرٍ ولا رَحِمٍ إلا بقولك : [من الطويل]

وإني لأستحيـيكـمُ أن يقودَني إلى غيرِكم من سائرِ الناسِ مَطمَعُ

لكفاك ذلك عندنا . قال : ولم يزل ينادمه وينافس به حتى مات . وأخبار الأحوص في هذا السبب وغيره قد مضت مشروحةً في أول ما مضى من ذكره وأخباره ؛ لأن الغرض هاهنا ذكر بقية خبره مع عمر بن أبي ربيعة في الشعرين اللَّذين أنكرهما عليهما عمرُ بن عبد العزيز وأُشخِصا من أجلهما .

[سليمان بن عبد الملك ونفيه ابن أبي ربيعة إلى الطائف]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أحمد بن زُهَير قال : قال مصعب بن عبد الله قال : حَج سليمان بن عبد الملك وهو خليفة ، فأرسل إلى عمرَ بن أبي ربيعة فقال له : ألستَ القائل : [من الطويل]

فكم من قتيلٍ مـا يُباء بــه دمٌ ومــن غَلِقٍ رهنــاً إذا لفَّه مِنَى
ومن مالىءٍ عينيه مــن شيء غيره إذا راح نحوَ الجمرةِ البيضُ كالدُّمَى
يسحِّبن أذيــالَ المُرُوطِ بأسوُقٍ خِــدالٍ وأعجــاز مآكمُهــا رِوَا
أوانسُ يسلُبــنَ الحليــمَ فــؤادَه فيا طُول ما شوق ويا طول مُجتلَى

قال نعم . قال : لا جرم والله لا تحضُر الحجَّ العامَ مع الناس ! فأخرجه إلى الطائف .

[ابن أبي عتيق وغناء ابن سريج]

أخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد قرأت على أبي حدثني ابنُ الكلبي عن أبي مسكين وعن صالح بن حسان قال : قدِم ابنُ أبي عَتيق إلى مكة فسمع غناء ابن سُريج : [من الطويل]

فلــم أرَ كالتجمير مَنظَـرَ ناظـرٍ ولا كليـالي الحجِّ أفلتنَ ذا هَوى

فقال : ما سمعت كاليوم قطُّ ، وما كنت أحسَب أن مثل هذا بمكة ، وأمر له بمال وحدَره

معه إلى المدينة ، وقال : لأصغّرنّ[1] إلى معبد نفسه ولأُهدين إلى المدينة شيئاً لم ير أهلها مثلَه حسناً وظَرفاً وطيب مجلس ودماثه خُلق ورقّة منظر ومِقَةً عند كل أحد . فقدِم به المدينة وجمع بينه وبين معبد . فقال لابن سريج : ما تقول فيه ؟ قال : إن عاش كان مغنّي بلاده .

[أبو السائب وابن سريج]

وقال إسحاق وحدثني المدائني عن جرير قال : قال لي أبو السائب يوماً : ما معك من مُرقِصات ابن سريج ؟ فغنيته : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتجمير منظـرَ ناظرٍ

فقال : كما أنت حتى أنحرم لهذا بركعتين .

[الوليد بن عبد الملك يأمر والي المدينة أن يشخص إليه ابن سريج]

حدثني الحسين قال قال حماد قرأت على أبي وحدثني أبو عبد الله الزُّبيري قال : كتب الوليد بن عبد الملك إلى عامل مكة أن أشخِص إلي ابنَ سُريج . فورد الرسول إلى الوالي ، فمر في بعض طريقه على ابن سريج وهو جالس بين قَرنَيْ بئرٍ وهو يغنّي : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتجمير منظـرَ ناظرٍ

فقال له الرسول : تالله ما رأيتُ كاليوم قطُّ ولا رأيت أحمقَ ممن يتركك ويبعث إلى غيرك . فقال له ابن سريج : أما والله ما هو بقَدَمٍ ولا ساق ، ولكنه بِقسَمٍ وأرزاق . ثم مضى الرسول فأوصل الكتاب ، وبعث الوالي إلى ابن سريج فأحضره . فلما رآه الرسول قال : قد عجبت أن يكون المطلوب غيرَك .

[عبد الله بن الزُّبير يعجب لسماع غناء ابن سريج]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمي قال رَقِيَ عبد الله بن الزُّبير أبا قُبَيس[2] ليلاً ، فسمع غناءً فنزل هو وأصحابه يتعجبون وقال : لقد سمعت صوتاً إن كان من الإنس إنه لعجب ، وإن كان من الجن لقد أعطوا شيئاً كثيراً . فاتَّبعوا الصوت فإذا ابن سريج يتغنّى في شعر عمر : [من الطويل]

فلـم أرَ كالتجمير منظـرَ ناظرٍ

[ثاني الأرمال الثلاثة في شعر امرىء القيس]

ومن هذه الأرمال الثلاثة : [من الطويل]

---

1 ل : لأقصّرن .

2 أبو قبيس : جبل بمكة .

صوت

أفاطمُ مهـلاً بعضَ هـذا التدلُّل وإن كنتِ قد أزمعتِ صرمي فأجملي
أغـرَّكِ منّـي أنَّ حبَّـكِ قاتـلي وأنّكِ مهما تأمري القلبَ يفعلِ

الشعر لامرىء القيس . والغناء في هذين البيتين من الرمل المختار لإسحاق بالبنصر .

[شيء من معلقته وشرحه]

وفي هذين البيتين مع أبيات أُخر من هذه القصيدة ألحانٌ شَتى لجماعة نذكرها هاهنا ومن غنّى فيها ، ثم نُتبع ما يُحتاج إلى ذكره منها ، وقد يُجمع سائر ما يغنَّى فيه من القصيدة معه : [من الطويل]

قِفا نَبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بِسُقْطِ اللِّوى بين الدَّخُولِ فحَومَلِ
فتُوضِحَ فالمِقْراةِ لم يعفَ رسمُهـا لِما نَسَجتْها مـن جَنوبٍ وشَمأَلِ
أفاطمُ مَهـلاً بعضَ هـذا التَّدلُّل وإن كنتِ قد أزمعتِ صُرمِي فأجمِلي
وإن كنتِ قد ساءتكِ منّي خَليقةٌ فسُلّي ثيابـي مـن ثيابـكِ تَنسُلِ
أَغَـرَّكِ منّـي أن حُبَّـكِ قاتـلي وأنكِ مهما تأمُري القلبَ يفعلِ
ومـا ذَرَفتْ عينـاكِ إلا لتضرِبي بسَهمَيكِ في أعشار قلـبٍ مُقَتَّلِ
تسلَّتْ عَمايات الرجالِ عن الصِّبا وليس فـؤادي عن هواك بمُنسَلِ
ألا أيهـا اللَّيلُ الطويـل ألا انجلِ بصبح وما الإصباحُ فيك بأمثَلِ
وَبيضـةِ خِـدْرٍ لا يُـرامُ خِباؤها تمتعتُ مـن لهوٍ بهـا غيرَ مُعجَلِ
تجاوزتُ أحراساً إليهـا ومَعشراً عليَّ حِراصـاً لـو يُسِرُّون مَقتَلي
ألا ربَّ يـوم صالح لـكِ منهما ولا سِيما يـومٌ بـدارةِ جُلجُلِ
ويـوم عقَـرتُ للعَذارى مطيَّتـي فَواعَجبـي مـن رَحلِهـا المتحَمَّلِ
وقـد أغتدي والطيرُ في وُكُناتها بمنجَـرِدٍ قَيـدِ الأوابـدِ هَيكَلِ
مِكَرٍّ مِفـرٍّ مُقبِـلٍ مُدبِـرٍ معـاً كجُلمودِ صخرٍ حطَّه السيلُ من عَلِ
فقلتُ لهـا سِيري وأرخي زِمامَه ولا تُبعدينـا مـن جَنـاك المُعَلَّلِ

عروضه من الطويل . وسُقط اللوى مُنقَطَعه . واللِّوى : المستدق من الرمل حيث يستدق فيخرج منه إلى اللِّوى . والدَّخول وحَومَلٌ وتُوضِحُ والمِقراة : مواضع ما بين إمَّرَة إلى أسود[1]

1 إمَّرَة : منزل في طريق مكة من البصرة بعد القريتين إلى جهة مكة ، وبعد رامة وهي منهل . وأسود العين : جبل بنجد يشرف على طريق البصرة إلى مكة .

العين . وقال أبو عبيدة في سقط اللوى وسقط الولد وسقط النار سَقط وسُقط وسِقط ثلاث لغات . وقال أبو زيد : اللوى : أرض تكون بين الحَزن والرمل فصلاً بينهما . وقال الأصمعي : قوله «بين الدَّخول فحومل» خطأ ولا يجوز إلا بواو «وحومل» ؛ لأنه لا يجوز أن يقال : رأيت فلاناً بين زيد فعمرو ، إنما يقال وعمرٍو ؛ ويقال : رأيتُ زيداً فعمراً إذا رأى كلَّ واحد منهما بعد صاحبه . وقال غيره : يجوز «فحومل» كما يقال : مُطِرنا بين الكوفة فالبصرة ، كأنه قال : من الكوفة إلى البصرة ، يريد أن المطر لم يتجاوز ما بين هاتين الناحيتين ؛ وليس هذا مثل بين زيد فعمرو . ويَعفُ رسمُها : يدرُس . ونسجتها : ضربتها مقبلة ومدبرة فعفتها . يعني أن الجنوب تعفي هذا الرسم إذا هبَّت وتجيء الشمأل فتكشفه . وقال غير أبي عبيدة : المِقراة ليس اسم موضع إنما هو الحوض الذي يُجمع فيه الماء . والرسم : الأثر الذي لا شخص له . ويروى «لما نسجته» يعني الرسم . ويقال عَفا يعفو عُفُواً وعَفاءً ؛ قال الشاعر : [من الوافر]

على آثار مَن ذهب العَفاءُ

يعني محو الأثر . وفاطمة التي خاطبها فقال «أفاطم مهلا» بنت العُبيد بن ثعلبة بن عامر بن عوف بن كِنانة بن عوف بن عُذرة ، وهي التي يقول فيها : [من المتقارب]

لا وأبيك ابنة العامري[1]

وأزمعتِ صُرمي ، يقال أزمعت وأجمعت وعزمت وكله سواء . يقول : إن كنتِ عزمتِ على الهجر فأجمِلي . ويقول الأسير : أجمِلوا في قتلي ، قتلةً أحسنَ من هذه ، أي على رفق وجميل . والصُّرم : القطيعة ، والصَّرم المصدر ؛ يقال : صرمته أصرِمه صَرماً مفتوحٌ إذا قطعته ، ومنه سيف صارم أي قاطع ، ومنه الصِّرام[2] ، ومنه الصرائم وهي القطع من الرمل تنقطع من معظمه . وقوله : «سُلِّي ثيابي من ثيابك» كنايةٌ ، أي اقطعي أمري من أمرك . وقوله تَنسُلِ : تَبِنْ عنها . ويقال للسن إذا بانت فسقطت والنَّصلِ إذا سقَط : نَسَل ينسُل ، وهو النسيل والنِّسال . وقال قوم : الثياب : القلب . وقوله : «وما ذرفت عيناك» أي ما بكيتِ إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلب مُقَتَّل . قال الأصمعي : يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلباً مُعَشَّرا ، أي مُكَسَّرا ؛ شبهه بالبُرمَة إذا كانت قِطَعا ، ويقال : برمةٌ أعشار . قال : ولم أسمع للأعشار واحداً . يقول :

---

1 يريد قوله :

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

في قصيدته التي مطلعها :

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

2 الصرام : جذاذ النخل أي أوان إدراكه .

لتضربي بسهميك أي بعينيك فتجعلي قلبي مخرَّقا فاسداً كما يُخرِّق الجابر أعشار البرمة ؛ فالبرمة تنجبر إذا أخرقت وأصلحت ، والقلب لا ينجبر . قال : ومثله قوله : [من الطويل]

رمتْك ابنةُ البكريِّ عن فرع ضالةٍ

أي نظرت إليك فأقرحت قلبك . وقال غير الأصمعي وهو قول الكوفيين : إنما هذا مثل أعشار الجَزُور ، وهي تنقسم على عشرة أنصِباء ، فضربتِ فيها بسهمَيكِ المُعَلَّى وله سبعة أنصِباء والرقيب وله ثلاثة أنصِباء ؛ فأراد أنها ذهبت بقلبه كلِّه . مقتَّل أي مذلَّل ؛ يقال بعير مقتَّل أي مذلَّل . تسلت : ذهبت . يقال : سلوت عنه وسَلِيتُ إذا طابت نفسُك بتركه . قال رؤبة : [من السريع]

لـو أشرب السُّلوانَ ما سَلِيتُ

والعَمايات : الجَهالات . عدّ الجهل عمي . والصِّبا : اللعب . قال ابن السِّكِّيت : صَبا يصبُو صَبْواً وصُبُوّاً وصَباءً وصِباً . انجلِ : انكشِف . والأمر الجلي : المنكشف . وقوله : أنا ابنُ جَلا أي أنا ابن المكشوف الأمر المشهور غير المستور ؛ ومنه جِلاء العروس وجِلاء السيف . وقوله «فيك بأمثل» يقول : إذا جاءني الصباح وأنا فيك فليس ذلك بأمثل ؛ لأن الصبح قد يجيء والليل مظلم بعدُ . يقول : ليس الصبح بأمثل وهو فيك ، أي يريد أن يجيء منكشفاً منجلياً لا سواد فيه . ولو أراد أن الصباح فيك أمثل من الليل لقال : منك بأمثِل . ومثله قول حُمَيد بن ثَور في ذكر مجيء الصبح والليل باق : [من الطويل]

فلما تجلَّى الصبحُ عنها وأبصرتْ وفي غَبشِ الليلِ الشخوصُ الأباعدُ

غبش الليل : بقيته . هذا قول يعقوب بن السِّكِّيت . «وبيضةِ خِدر» شبه المرأة بالبيضة لصفائها ورقتها . «غير مُعجَل» أي لم يُعجلني أحدٌ عما أُريده منها . والخِباء : ما كان على عمودين أو ثلاثة . والبيت : ما كان ستة أعمدة إلى تسعة . والخيمة : من الشَّعَر . وقوله : «يُسِرُّون مقتلي» ، قال الأصمعي : يُسِرُّونه ؛ وروى غيره : يُشِرُّون بالشين المعجمة أي يظهرونه . وقال الشاعر : [من الطويل]

فما برِحوا حتـى أتى اللهُ نصرَه وحتى أُشِرَّتْ بالأكُفِّ الأصابع

أي أُظهِرت . وقال غيرهما : لو يُسِرونه : من الإسرار أي لو يستطيعون قتلي لأسروه من الناس وقتلوني . قال أبو عبيدة : «دارة جُلجُل» في الحِمَى ؛ وقال ابن الكلبيِّ : هي عند عين كِندة . ويروى سِيَما مخففة وسيَّما مشددةً . ويقال : رُبَّ رجل ورُبْ رجل وربَّت رجل . ومن القراء من يقرأ ﴿رُبما يودُّ الذين كفروا﴾ مخفَّفة . وقرأ عليه رجل «ربَّما» فقال له :

أظنُّك يُعجبك الرُّب[1] .

ويروى : [من الطويل]

فيا عجبا من رحلها المُتحَمَّل

أي يا عجبا لسفهي وشبابي يومئذٍ . ويروى : [من الطويل]

وقد أغتدي والطير في وَكَراتها

بالراء . قال أبو عبيدة : والأُكُنات في الجبال كالتَّمارِيد[2] في السهل ، والواحدة أُكنَة وهي الوُقُنات ، والواحدة أقنَة ، وقد وَقَن يَقِن . وقال الأصمعي : إذا أوى الطيرُ إلى وَكره قيل وَكَرَ يكِر ووَكَنَ يَكِنُ ، ويقال : إنه جاءنا والطير وُكَّنٌ ما خرجن . والمنجرد : القصير الشَّعَرةِ ، وذلك من العِتق . والأوابد : الوحش ، وتأبدت : توحَّشت ، وتأبد الموضع إذا توحش . وقيد الأوابد : يعني الفرس . يقول : هو قيدٌ لها لأنها لا تفوته كأنها مقيدة . والهيكل : العظيم من الخيل ومن الشجر ؛ ومنه سُمِّي بيت النصارى الهيكلَ . وقال أبو عبيدة : يقال : قيد الأوابد وقيد الرِّهان ، وهو الذي كأن طريدته في قيدٍ له إذا طلبها ، وكأن مُسابِقَه في الرِّهان مُقَيَّد . قال أبو عبيدة : وأول من قيدها امرؤ القيس . والمُنجَرِد : القصير الشَّعَرة الصافي الأديم . والهيكل الذكر ، والأنثى هيكلة ، والجمع هياكل ، وهو العظيم العَبل الكثيف اللِّين . وقوله «مِكَرٌّ مِفَرٌّ» يقول : إذا شئتُ أن أكُر عليه وجدته ، وكذلك إذا أردتُ أن أفِر عليه أو أقبِلَ أو أدبِر . والجُلمود : الصخرة . ووصفها بأن السيل حطَّها من عَلِ لأنها إذا كانت في أعلى الجبل كان أصلب لها . «من عَلِ» : من فوقٍ . ويقال من عَلِ ومن علُ ومن عَلا ومن عَلْوُ ومن عالٍ ومن عَلوَ ومن مُعالٍ . وقوله «سيري وأرخي زمامه» أي هَوِّني عليك الأمرَ ولا تُبالي أعُقِر أم سَلِم . «وجناك» كلُّ شيء اجتنيته من قُبلَة وما أشبه : ذلك هو الجَنى ، وهو من الإنسان مثل الجَنى من الشجر أي ما اجتُنى من ثمره . والمُعَلَّل : المُلَهَّي .

غَنى في «قفا نبك» و«أفاطم مهلا» و«أغرك» و«وما ذرفتْ عيناكِ» معبد لحناً من الثقيل الأول بالسَّبَّابة في مجرى الوسطى . وغنى معبد أيضاً في الأول والرابع من هذه الأبيات خفيفَ رمل بالوسطى . وغنَّى سعيد بن جابر في الأربعة الأبيات رملاً . وغنَّت عَرِيبُ في : [من الطويل]

أغرَّك مني أن حبَّك قاتلي

---

1 الرُّب : ما يطبخ من التمر .

2 التمارِيد : جمع تِمراد وهو برج صغير للحمام .

وبعده شعر ليس منه وهو : [من الطويل]

فلا تَحرَجِي من سفك مهجة عاشقٍ بَـلى فاقتلي ثـم اقتلي ثـم فاقتلي
فلا تَدَعـي أن تفعلي مـا أردتِـه بنا ، مـا أراك اللهُ من ذاك فافعَلي

ولحنُها فيها خفيفُ رمل . وغنى ابن محرز في «تسلّت عَمايات الرجال» وبعده «ألا أيها الليل الطويل» ثانيَ ثقيل بالوسطى . وغنَّى فيهما عبد الله بن العباس الرَّبيعي ثاني ثقيل آخر بالسبَّابة في مجرى البنصر . وغنَّت جميلة في «تسلت عَمايات الرجال» وبعده «ألا رب يوم لك» لحناً من الثقيل الأول عن الهشامي . وغنَّت عَزة الميلاء في «تسلَّت عمايات الرجال» وبعده «ويوم عقرت للعذارى مطيتي» ثقيلاً أول آخر عن الهشامي . وغنَّت حُميدة جارية ابن تُفاحة في «وبيضةِ خِدرٍ» و«تجاوزت أحراساً» لحناً من الثقيل الأول بالوسطى . ولطُوَيس في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» ثقيل أول آخر . وفي «أفاطم مهلا» وأَغَرك مني أن حبك قاتلي» ليزيد بن الرحَّال هزج . ولأبي عيسى بن الرشيد في «وقد أغتدى» و«مِكَرٌّ مِفَرٌّ» ثقيل أول . ولفُليح في «قفا نبك» وبعده «أغرك منِّي» رمل . وقيل : إن لمعبد في «وبيضة خدر» لحناً من الثقيل الأول ، وقيل : هو لحن حُميدة . ولعريبَ في هذين البيتين خفيف ثقيلٍ من رواية أبي العَنْبَس . وغنى سَلام بن الغَسَّال ، وقيل بل عبيدةُ أخوه ، في «وإن كنت قد ساءتكِ مني» وأغرك مني» رملاً بالوسطى . وغنَّى في «فقلت لها سيري وأرخي زمامه» سَعدويه بن نصر ثانيَ ثقيل . وغنَّى في «قفا نبك» وبعده «فتوضح فالمقراة» إبراهيم الموصلي ثقيلاً أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن ابن المكِّيِّ . وزعم حبش أن لإسحاق فيهما ثقيلاً . وغنَّى في «أغرك مني» و«وما ذرفت» ابن سُرَيج خفيف رمل بالوسطى من رواية ابن المكِّيِّ ، وقيل : بل هو من منحوله . وغنى بُدَيح مولى بن جعفر في «وما ذرفت عيناك» بيتاً واحداً ثقيلاً أول مطلقاً في مجرى الوسطى عن ابن المكِّيِّ . فجميع ما جمع في هذه المواضع مما وجد في شعر «قفا نبك» من الأغاني صحيحها والمشكوك فيه منها اثنان وعشرون لحناً : منها في الثقيل الأول تسعة أصوات ، وفي الثقيل الثاني ثلاثة أصوات ، وفي الرمل أربعة أصوات ، وفي خفيف الرمل صوتان ، وفي الهزج صوت ، وفي خفيف الثقيل ثلاثة أصوات .

[130] ـ ذكر امرىء القيس ونسبه وأخباره[1]

[نسبه من قبل أبويه]

قال الأصمعي : هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عمرو بن حُجْر آكِلِ المُرار بن معاوية بن ثَور وهو كِندة . وقال ابن الأعرابي : هو امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن ثور وهو كندة . وقال محمد بن حبيب : هو امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الملك ابن عمرو بن حُجر آكِلِ المُرار بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن يَعْرُب بن ثور بن مُرتِع بن معاوية بن كندة . وقال بعض الرُّواة : هو امرؤ القيس بن السِّمط بن امرىء القيس بن عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة . وقالوا جميعاً : كندة هو كندة بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أُدَد بن زيد بن يَشجُب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجُب بن يَعرُب بن قَحطان بن عابر بن شالخ بن أرفَخشَذ بن سام بن نوح . وقال ابن الأعرابي : ثور هو كندة بن مُرتع بن عُفَير بن الحارث بن مُرَّة بن عَدِي بن أُدَدَ بن زيد بن عمرو بن مِسمَع بن عَريب بن عمرو بن زيد بن كهلان .

وأُم امرىء القيس فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أُخت كُلَيب ومُهَلهِل ابني ربيعة التغلبيَّين . وقال من زعم أنه امرؤ القيس بن السِّمط . أُمه تَملِك بنت عمرو بن زبيد بن مَذحِج رهط عمرو بن معد يكرب . قال من ذكر هذا وأن أُمه تملك : قد ذكر ذلك امرؤ القيس في شعره فقال[2] : [من الطويل]

ألا هـل أتاها والحوادثُ جَمَّةٌ بأن امرأ القيس بن تَملِكَ بَيقَرا

بَيقَر أي جاء العراق والحَضَر . ويقال : بيقر الرجل إذا هاجر . وقال يعقوب بن السِّكِّيت : أم حُجر أبي امرىء القيس أُم قَطام بنت سَلَمة امرأة من عَنَزة .

[كنيته ولقبه]

ويُكنى امرؤ القيس ، على ما ذكره أبو عبيدة ، أبا الحارث . وقال غيره : يكنى أبا وَهب . وكان يقال له الملك الضِّلِّيل ، وقيل له أيضاً ذو القُروح . وإياه عنى الفرزدق بقوله : [من الكامل]

وهَب القصائدَ لي النوابغُ إذ مَضَوْا وأبو يزيـد وذو القروح وجَرولُ

يعني بأبي يزيد المُخبَّل السَّعدي ، وجَرول الحُطيئة .

---

1 له ترجمة قصيرة جداً في الشعر والشعراء 105/1 .

2 ورد هذا البيت في ما زاده الطوسي والسكري وابن النحاس وأبو سهل الديوان ص 392 .

[مولده ومنزله سبب تسمية آبائه بأسمائهم]

قال : وولد ببلاد بني أسد . وقال ابن حَبيب : كان ينزل المُشَقَّر من اليمامة . ويقال : بل كان ينزل في حصن بالبحرين . وقال جميع من ذكرنا من الرواة : إنما سمِّي كِندة لأنه كَنَد أباه أي عقَّه . وسمِّي مُرتِعٌ بذلك لأنه كان يجعل لمن أتاه من قومه مَرتَعاً له ولماشيته . وسمِّي حُجْرٌ آكلُ المُرار بذلك لأنه لما أتاه الخبر بأن الحارث بن جَبَلة كان نائماً في حِجر امرأته هند وهي تَفلِيه جعل يأكل المُرار (وهو نبت شديد المرارة) من الغيظ وهو لا يدري . ويقال : بل قالت هند للحارث وقد سألها : ما تَرَيْنَ حُجراً فاعلاً ؟ قالت : كأنَّكَ به قد أدركك في الخيل وهو كأنه بعيرٌ قد أكل المَرار . قال : وسمِّي عمرو المقصورَ لأنه قد قُصِرَ على مُلك أبيه أي أقعد فيه كَرهاً .

[قصة جده الحارث بن عمرو مع قباذ وابنه أنو شروان]

أخبرني بخبره ، على ما قد سُقته ونظَمتُه ، أحمدُ بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبة ولم يتجاوزه ، وروى بعضه عن عليِّ بن الصَّبَّاح عن هشام بن الكلبي ، وأخبرنا الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه ، قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد عن علي بن الصباح عن هشام بن الكلبي ، قال ابن أبي سعد وأخبرني دارم بن عِقال بن حبيب الغَسَّاني أحدُ ولد السَّمَوءل بن عادِياء عن أشياخه ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة ، وأخبرني محمد بن العباس اليزيديُّ قال حدثني عمي يوسف عن عمه إسماعيل ، وأضفت إلى ذلك رواية ابن الكلبي مما لم أسمعه من أحد ورواية الهيثم بن عدِي ويعقوب بن السَكِّيت والأثرَم وغيرهم ، لما في ذلك من الاختلاف ، ونسبتُ رواية كل راوٍ إذا خالف رواية غيره إليه ، قالوا : كان عمرو بن حُجر وهو المقصور ملكاً بعد أبيه ، وكان أخوه معاوية وهو الجَون على اليمامة ، وأُمُّهما شُعبة بنت أبي مُعاهر بن حسان بن عمرو بن تُبَّع . ولما مات مَلَك بعده ابنُه الحارث ، وكان شديدَ الملك بعيد الصِّيت . ولما ملك قُباذُ بن فيروز خرج في أيام ملكه رجل يقال له مزدك فدعا الناس إلى الزندقة وإباحة الحُرَم وألا يمنع أحد منهم أخاه ما يريده من ذلك . وكان المنذر بن ماء السماء يومئذ عاملاً على الحِيرة ونواحيها . فدعاه قُباذُ إلى الدخول معه في ذلك فأبى . فدعا الحارث بن عمرو فأجابه ؛ فشدَّد له مُلكَه وأطرد المُنذِر عن مملكته وغلَب على ملكه . وكانت أُمُّ أنوشِروانَ بين يدي قُباذَ يوماً ، فدخل عليه مَزدَك . فلما رأى أُمَّ أنوشروان قال لقباذ : ادفعها لي لأقضيَ حاجتي منها ؛ فقال : دونكها . فوثب إليه أنوشروان فلم يزل يسأله ويَضرَع إليه أن يهَب له أُمَّه حتى قبَّل رجلَه فتركها له ؛ فكانت تلك في نفسه . فهلَك قُباذُ على تلك الحال ، وملك أنوشِروانُ فجلس في مجلس المُلْك . وبلغ المنذَر هلالُ قباذَ فأقبل إلى أنوشروان وقد علم خلافَه على أبيه فيما كانوا دخلوا فيه . فأذِن أنوشروان للناس ، فدخل عليه مَزدَك ثم دخل عليه المنذر .

فقال أنوشروان : إني كنت تمنَّيت أمنيتين أرجو أن يكون الله قد جمعهما لي . فقال مَزدَك : وما هما أيها الملك ؟ قال : تمنيت أن أملِك فأستعملَ هذا الرجل الشريفَ (يعني المنذر) وأن أقتل هؤلاء الزنادقة . فقال له مزدك : أوَتستطيع أن تقتل الناس كلَّهم ؟! قال : إنك لهاهنا يا ابن الزانية ! والله ما ذهب نَتنُ ريح جَورَبك من أنفي منذ قبَّلتُ رجلكَ إلى يومي هذا ! وأمر به فقُتل وصُلب ، وأمر بقتل الزنادقة فقَتل منهم ما بين جازِر[1] إلى النَّهرَوان إلى المدائن في ضَحوة واحدة مائة ألف زنديق وصلَبهم ؛ وسُمِّي يومئذٍ أنوشروان . وطلب أنوشروان الحارث بن عمرو ؛ فبلغه ذلك وهو بالأنبار ، وكان بها منزلُه ، وإنما سميت الأنبارَ لأنه كان يكون بها أهراء[2] الطعام وهي الأنابير ، فخرج هارباً في هجائنه وماله وولدِه فمرَّ بالثَّوِيَّة[3] ؛ وتبِعه المنذرُ بالخيل من تغلب وبَهراءَ[4] وإيادٍ ، فلَحِق بأرض كَلْب فنجا ، وانتهبوا ماله وهجائنه . وأخذت بنو تغلب ثمانيةً وأربعين نفساً من بني آكل المُرار ؛ فقُدِم بهم على المنذر فضرب رقابَهم بحَفَر الأملاك في ديار بني مَرِينا العِباديّين بين ديْر هند والكوفة . فذلك قول عمرو بن كلثوم : [من الوافر]

فآبُوا بالنِّهاب وبالسَّبايا وأُبنا بالملوكِ مُصَفَّدينا

وفيهم يقول امرؤ القيس : [من الوافر]

ملوكٌ من بني حُجرِ بن عمرو يُساقون العَشِيةَ يُقتَلونا
فلو في يوم معركةٍ أصيبوا ولكن في ديارِ بني مَرِينا
ولم تُغسَلْ جماجمُهم بغِسلٍ ولكن في الدماء مُرَمَّلينا[5]
تَظَلُّ الطيرُ عاكفةً عليهم وتنتزعُ الحواجبَ والعيونا

قالوا : ومضى الحارث فأقام بأرض كَلْب . فكلب يزعمون أنهم قتلوه . وعلماء كِندة تزعم أنه خرج إلى الصيد فألَظَّ[6] بتيسٍ من الظِّباء فأعجزه ، فآلى أليَّةً ألا يأكل أولاً إلا من كبده . فطلبته الخيل ثلاثاً فأُتي بعد ثالثة وقد هلك جوعاً ، فشُوي له بطنه ، فتناول فِلذةً من كبده فأكلها حارة فمات . وفي ذلك يقول الوليد بن عدي الكِندي في أحد بني بَجِيلة : [من الكامل]

فشوَوْا فكان شِواؤهم خَبطاً له إن المنيَّةَ لا تُجِلُّ جَلِيلا

---

1 جازر : قرية من نواحي النهروان .
2 الأهراء : الأكوام .
3 الثوية : موضع قريب من الكوفة وقيل بالكوفة .
4 بهراء : قبيلة باليمن .
5 مرملين : ملطخين .
6 ألظ به : لزمه وألح عليه ليصطاده .

وزعم ابن قُتَيبة أن أهل اليمن يزعمون أن قُباذ بن فيروز لم يُملِّك الحارث بن عمرو وأن تُبَّعاً الأخير هو الذي ملَّكه . قال : ولما أقبل المنذر إلى الحِيرة هرب الحارث وتبعته خيلٌ فقتلت ابنَه عَمْراً وقتلوا ابنه مالكاً بهِيتَ . وصار الحارث إلى مُسحُلان[1] فقتلته كلب . وزعم غير ابن قتيبة أنه مكث فيهم حتى مات حَتفَ أنفِه .

[الحارث بن عمرو وتمليكه أولاده على قبائل العرب]

وقال الهيثم بن عَدِي حدثني حمَّاد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد عن سَعية[2] بن عَرِيض من يهود تَيماء قال : لما قتل الحارث بن أبي شَمِر الغَساني عمرَو بن حُجر ملَّك بعده ابنه الحارث بن عمرو ، وأُمُّه بنت عوف بن مُحَلِّم بن ذُهل بن شيبان ونزل الحيرة . فلما تفاسدت القبائل من نِزار أتاه أشرافهم فقالوا : إنا في دينك ونحن نخاف أن تتفانى فيما يحدُث بيننا ، فوجِّه معنا بنيك ينزلون فينا فيَكُفُّون بعضنا عن بعض . ففرَّق ولدَه في قبائل العرب ، فملَّك ابنه حُجراً على بني أَسَدٍ وغَطَفان وملّك ابنه شرحبيل قتيل يوم الكُلاب[3] على بكر بن وائل بأسرها وبني حنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم والرِّباب . وملّك ابنَه مَعدِيكَرِبَ وهو غَلفاء (سُمِّي بذلك لأنه كان يُغَلِّف رأسَه) على بني تغلب والنَّمِر بن قاسط وسعد بن زيد مَناة وطوائف من بني دارم [بن مالك] بن حنظلة والصنائع وهم بنو رُقَيَّة قومٌ كانوا يكونون مع الملوك من شُذّاذ العرب . وملَّك ابنَه عبد الله على عبد القيس ، وملَّك ابنه سَلَمة على قيس .

[مقتل حجر أبي امرىء القيس]

وقال ابن الكلبي حدثني أبي : أن حُجراً كان في بني أسد ، وكانت له عليهم إتاوةٌ في كل سنة مؤقتة ؛ فغَبَر[4] ذلك دهراً . ثم بعث إليهم جابيَه الذي كان يَجبيهم ، فمنعوه ذلك ، وحُجرٌ يومئذٍ بتهامة ، وضربوا رُسله وضرجوهم ضرجاً شديداً قبيحاً . فبلغ ذلك حجراً ؛ فسار إليهم بجند من ربيعة وجند مِن أخيه من قيس وكنانة ، فأتاهم وأخذ سَراتَهم ، فجعل يقتِّلهم بالعصا ، فسُمُّوا عبيدَ العصا ، وأباح الأموال ، وصيرهم إلى تهامة ، وآلى بالله ألاّ يُساكنوهم في بلد أبداً ، وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كِندة بن فزارة الأسدي وكان سيِّداً ، وعَبيد بن الأبرص الشاعر . فسارت بنو أسد ثلاثاً . ثم إن عَبيد بن الأبرص قام فقال : أيّها الملك اسمع مقالتي : [من مجزوء الكامل]

1 مُسحُلان : موضع .
2 سعية : أخو السموءل .
3 الكلاب : اسم ماء بين الكوفة والبصرة .
4 غبر : لبث وبقي .

يـا عَينُ فابكي مـا بني أسدٍ فهم أهـلُ النَّدامهْ
أهـلَ القِبابِ الحُمرِ والنَّـ ـعَـمِ المؤبَّـلِ والمُدامهْ[1]
وذوي الجيادِ الجُردِ والأَ سَلِ المُثَقَّفـةِ المُقـامهْ
حِـلاًّ أبيتَ اللَّعـنَ حِـ ـلاًّ إن فيمـا قلتَ آمهْ[2]
في كلِّ وادٍ بـين يَثـ ـرِبَ فالقصورِ إلى اليمامهْ
تطريـبُ عـانٍ أو صيـا ح مُحَرَّقٍ أو صوتُ هامهْ
ومنعتَهـم نجـداً فقـد حَلُّوا على وَجَـلٍ تِهامهْ
بَرِمـتْ بنـو أسدٍ كما بَرِمـتْ ببيضتهـا الحمامهْ
جعلتْ لِهـا عُودين مـن نَشمٍ وآخـر مـن ثُمامهْ[3]
إمّا تركـتَ تركتَ عَفـ ـواً أو قتلتَ فـلا مَلامهْ
أنـتَ المليـكُ عليهـمُ وهـمُ العبيدُ إلى القيامهْ
ذَلُّوا لسَوطِك مثـلَ مـا ذلَّ الأُشَيقِر ذُو الخِزامهْ[4]

قال : فرَقَّ لهم حُجر حين سمع قولَه ، فبعث في أثرهم فأقبلوا . حتى إذا كانوا على مسيرة يوم من تهامة تكهن كاهنُهم ، وهو عوف بن ربيعة بن سوادة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خزيمة ، فقال لبني أسد : يا عِبادي ! قالوا : لَبَّيك ربَّنا . قال : مَن الملكُ الأصهب ، الغَلاَّب غير المغلَّب ، في الإبل كأنها الرَّبرب ، لا يعلَق رأسَه الصَّخَب ، هذا دمه ينثعِب ، وهذا غداً أول من يُسلَب . قالوا : مَن هو يا ربنا ؟ قال : لولا أن تجيش نفسٌ جاشية ، لأخبرتكم أنه حُجرٌ ضاحية . فركبوا كل صعبٍ وذلول ؛ فما أشرق لهم النهار حتى أتَوا على عسكر حُجر فهجموا على قبَّته . وكان حُجابه من بني الحارث بن سعد يقال لهم بنو خدّان بن خنثر منهم معاوية بن الحارث وشبيب ورُقية ومالك وحبيب ، وكان حجر قد أعتق أباهم من القتل . فلما نظروا إلى القوم يريدون قتلَه خيموا عليه ليمنعوه ويُجيروه . فأقبل عليهم عِلباء بن الحارث الكاهلي ، وكان حُجر قد قتل أباه ، فطعنه من خللهم فأصاب نَساه فقتله . فلما قتلوه قالت بنو أسد : يا معشر كِنانة وقيس ، أنتم إخوانُنا وبنو عَمِّنا ، والرجل بعيدُ النسب منا ومنكم ، وقد رأيتم ما كان يصنع بكم هو وقومه . فانتهبوهم فشدُّوا على

1 المؤبل : المقتنى .
2 حلاًّ : أي تحلل من يمينك . والآمة : العيب .
3 النشم : شجر جبلي تتخذ منه القسي .
4 الأشيقر : تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب .

هجائنه فمزَّقوها ولفُّوه في رَيطة بيضاء وطرحوه على ظهر الطريق . فلما رأته قيس وكِنانة انتهبوا أسلابه . ووثب عمرو بن مسعود فضم عياله وقال : أنا لهم جارٌ .

قال ابن الكلبي : وعدة قبائل من بني أسد يدّعون قتلَ حُجر ويقولون : إن عِلباء كان الساعي في قتله وصاحب المشورة ولم يقتله هو .

قال ابن حبيب : خَدّان في بني أسد وخَدّان في بني تميم وفي بني جَدِيلة بالخاء مفتوحة ، وخُدان مضمومة في الأزد ، وليس في العرب غير هؤلاء .

قال أبو عمرو الشيباني : بل كان حُجرٌ لما خاف من بني أسد استجار عُوَير بن شَجنة أحد بني عُطارد بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم لبنته هند بنت حُجر وعِياله . وقال لبني أسد لما كَثَرُوه : أما إذا كان هذا شأنكم فإني مرتحلٌ عنكم ومُخَلِّيكم وشأنَكم ؛ فواعدوه[1] على ذلك . ومال على خالد بن خَدان أحد بني سَعد بن ثعلبة . فأدركه عِلباء بن الحارث أحد بني كاهل فقال : يا خالد اقتُلْ صاحبَك لا يُفلت فيُعرَّكَ[2] وإيانا بشرٌ ، فامتنع خالد . ومر عِلباء بقصدة[3] رُمح مكسورة فيها سِنانها ، فطعن بها في خاصرة حُجر وهو غافل فقتله . ففي ذلك يقول الأسدي : [من الطويل]

وقِصدةُ عِلباء بن قَيس بن كاهلٍ مَنِيـةُ حُجْـرٍ في جوارِ ابن خَدانِ

وذكر الهيثم بن عدي أن حُجراً لما استجار عُوَيرَ بن شجنة لبنيه وقَطِينه تحول عنهم فأقام في قومه مدة ، وجمع لبني أسد جمعاً عظيماً من قومه وأقبل مُدِلاً بمن معه من الجنود . فتآمرت بنو أسد بينها وقالوا : والله لئن قهَركم هذا لَيَحكُمن عليكم حكمَ الصبي ، فما خيرُ عيش يكون بعد قهرٍ وأنتم بحمد الله أشدُّ العرب ؛ فموتوا كراماً . فساروا إلى حُجر وقد ارتحل نحوَهم فلَقُوه فاقتتلوا قتالاً شديداً . وكان صاحب أمرهم عِلباء بن الحارث ؛ فحمل على حُجر فطعنه فقتله ، وانهزمت كِندة وفيهم يومئذٍ امرؤ القيس فهرب على فرسٍ له شقراء وأعجزهم ، وأسروا من أهل بيته رجالاً وقتلوا ومَلؤوا أيديهم من الغنائم ، وأخذوا جواريَ حُجر ونساءه وما كان معه من شيء فاقتسموه بينهم .

وقال يعقوب بن السِّكيت حدثني خالد الكِلابي قال : كان سببُ قتلِ حُجر أنه كان وفد إلى أبيه الحارث بن عمرو في مرضه الذي مات فيه وأقام عنده حتى هلك ، ثم أقبل راجعاً إلى بني أسد وقد كان أغار عليهم في النِّساء وأساء ولايتَهم ، وكان يُقَدَّم بعضُ ثَقَله أمامه ويُهيأ نُزُلُه ثم

---

1 ل : فوادعوه .

2 عرَّ فلان فلاناً بشر : أصابه به .

3 القصدة : القطعة .

يجيء وقد هُيِّيء له من ذلك ما يُعجبه فينزل ، ويُقَدَّم مثل ذلك إلى ما بين يديه من المنازل فيُضْرَب له في المنزلة الأُخرى . فلما دنا من بلاد بني أسد وقد بلغهم موت أبيه طمِعوا فيه . فلما أظلهم وضُرِبت قِبابُه اجتمعت بنو أسد إلى نوفل بن ربيعة بن خدان ؛ فقال : يا بني أسد ! مَن يتلقَّى هذا الرجل منكم فيقتطعَه ؟ فإني قد أجمعتُ على الفتك به . فقال له القوم : ما لذلك أحدٌ غيرك . فخرج نَوفل في خيله على وجهين من قومه حتى أغار على الثَّقَل فقتَل مَن وجد فيه ، وساق الثَّقَل وأصاب جاريتين قينتين لحُجر ، ثم أقبل حتى أتى قومه . فلما رأوا ما قد حدث وأتاهم به عرفوا أن حجراً يُقاتلهم وأنه لا بدّ من القتال ، فحشد الناس لذلك . وبلغ حُجراً أمرُهم ، فأقبل نحوهم . فلما غَشِيهم ناهضوه القتالَ وهم بين أبرَقَين من الرمل في بلادهم يُدعيان اليوم أبرقَي حُجر ، فلم يُلبِثوا حُجراً أن هزموا أصحابه وأسروه فحبسوه . وتشاور القوم في قتله ؛ فقال لهم كاهن من كَهَنتهم بعد أن حبَسوه ليَرَوا فيه رأيهم : أي قوم ! لا تعجَلوا بقتل الرجل حتى أزجُرَ لكم . فانصرف عن القوم لينظر لهم في قتله . فلما رأى ذلك عِلباء خشِي أن يتواكلوا في قتله ؛ فدعا غلاماً من بني كاهل ، وكان ابن أخته وكان حُجرٌ قتل أباه زوج أخت علباء ، فقال : يا بُنيّ ، أعندك خيرٌ فتثأر بأبيك وتنال شرف الدهر وإن قومك لن يقتلوك ؟! . فلم يزل بالغلام حتى حرّبه[1] ، ودفع إليه حديدة وقد شحذها وقال : ادخل عليه مع قومك ثم اطعنه في مقتله . فعمد الغلام إلى الحديدة فخبأها ثم دخل على حُجر في قُبَّته التي حُبس فيها . فلما رأى الغلام غفلةً وثب عليه فقتله ؛ فوثب القوم على الغلام . فقالت بنو كاهل : ثأرُنا وفي أيدينا . فقال الغلام : إنما ثأرتُ بأبي ، فخَلَّوا عنه . وأقبل كاهنُهم المُزدجر فقال : أيْ قومِ ! قتلتموه ! مُلكُ شهر ، وذُلُّ دهر . أما والله لا تَحظَون عند الملوك بعده أبداً .

[وصيته لبنيه عند موته]

قال ابن السكيت : ولما طعن الأسدي حُجراً ولم يُجهز عليه ، أوصى ودفع كتابه إلى رجل وقال له : انطلق إلى ابني نافع ، وكان أكبرَ ولده ، فإن بكى وجزِع فآلْهُ عنه ، واستَقرِهم واحداً واحداً حتى تأتي امرأ القيس ، وكان أصغرهم ، فأيُّهم لهم يجزع فادفع إليه سِلاحي وخيلي وقُدوري ووصيتي . وقد كان بَيَّن في وصيته مَن قتله وكيف كان خبره . فانطلق الرجل بوصيته إلى نافع ابنه ؛ فأخذ التراب فوضعه على رأسه .

[امرؤ القيس يثأر بأبيه]

ثم استقراهم واحداً واحداً فكلُّهم فعل ذلك ، حتى أتى امرأ القيس فوجده مع نديم له يشرب الخمر ويُلاعبه بالنَّرد ؛ فقال له : قُتِل حُجر . فلم يلتفت إلى قوله ؛ وأمسك نديمُه . فقال له امرؤ

1 حرّبه : حرشه .

القيس : اضرب فضرب . حتى إذا فرغ قال : ما كنت لأُفسد عليك دَستَك . ثم سأل الرسول عن أمر أبيه كلِّه فأخبره . فقال : الخمر علي والنساء حرامٌ حتى أقتُل من بني أسد مائة وأُجُزَّ نواصيَ مائة . وفي ذلك يقول : [من الطويل]

أرِقتُ ولم يـأرَقْ لِما بـيَ نافعُ وهاجَ لي الشوقَ الهمومُ الروادعُ

وقال ابن الكلبي : حدثني أبي عن ابن الكاهن الأسدي : أن حُجراً كان طرد امرأ القيس وآلى ألا يقيمَ معه أَنفة من قوله الشعر ، وكانت الملوك تأنَف من ذلك ، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاطٌ من شُذَّاذ العرب من طيىء وكَلب وبَكر بن وائل ؛ فإذا صادف غديراً أو روضةً أو موضع صيد أقام فذبح لمن معه في كل يوم ؛ وخرج إلى الصيد فتصيد ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنَّته قِيانُه . ولا يزال كذلك حتى يَنقَد ماءُ ذلك الغدير ثم ينتقل عنه إلى غيره . فأتاه خبر أبيه ومقتله وهو بدَمُّون من أرض اليمن ، أتاه به رجلٌ من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوَصَّاف . فلما أتاه بذلك قال : [من الرجز]

تَطاولَ الليـلُ على دَمُّـونْ دَمُّـونُ إنّا معشرٌ يمانونْ

وإنّنـا لأهلهـا مُحِبُّـونْ[1]

ثم قال : ضيَّعني صغيراً وحمَّلني دمَه كبيراً . لا صَحوَ اليوم ولا سُكْرَ غدا . «اليومَ خمرٌ ، وغَداً أمر» فذهبت مثلا . ثم قال : [من الطويل]

خليليَّ لا في اليومِ مَصحىً لشاربٍ ولا في غدٍ إذ ذاك ما كان يُشرَبُ

ثم شرِب سبعاً . فلما صحا آلى ألا يأكلَ لحماً ، ولا يشربَ خمراً ، ولا يَدَّهِنَ بدُهن ، ولا يصيبَ امرأةً ، ولا يغسلَ رأسه من جنابة ، حتى يُدرِك بثأره . فلما جَنّه الليل رأى برقاً فقال : [من المتقارب]

أرِقـتُ لبرقٍ بليلٍ أَهَلّ يُضيء سَناه بأعلى الجبلْ[2]

أتـاني حديثٌ فكذَّبتُـه بأمر تَزَعـزَعُ منه القُلَلْ[3]

بقتـلِ بنـي أسَدٍ ربَّهم ألا كلُّ شيءٍ سواه جَلَلْ[4]

فأيـن رَبيعـةُ عـن ربِّها وأين تميـمٌ وأين الخَوَل[5]

---

1 لأهلها في الديوان ص 341 : لأهلنا .

2 أرقتُ في الديوان ص 260 : عجبت .

3 بأمر في الديوان ص 260 : وأمرٌ .

4 بقتل في الديوان ص 260 : لقتل . ربّهم في الديوان ص 260 : ربها .

5 ربها في الديوان ص 260 : ربهم . تميم في الديوان ص 260 : تيمم .

ألاَ يحضُرون لدى بابه كما يحضُرون إذا ما أكل

وروى الهيثم عن أصحابه أن امرأ القيس لما قُتِل أبوه كان غلاماً قد ترعرع ، وكان في بني حنظلة مقيماً لأن ظِئرَه كانت امرأةً منهم . فلما بلَغه ذلك قال : [من الرجز]

يا لَهفَ هندٍ إذ خَطِئن كاهلا القاتلين المَلِكَ الحُلاحِلا
تاللهِ لا يذهب شيخي باطلا يا خيرَ شيخ حَسَباً ونائلا
وخيرَهم ، قد علموا ، فواضلا يَحمِلننا والأَسَلَ النواهلا
وحيَّ صَعبٍ والوَشِيجَ الذابلا مُستَثفِراتٍ بالحصى جَوافِلا[1]

يعني صعب بن علي بن بكر بن وائل . معنى قوله «مستثفرات بالحصى» : يريد أنها أثارت الحصى بحوافرها لشدة جريها حتى ارتفع إلى أثفارها[2] فكأنها استَثْفَرَتْ به .

[هند بنت حجر يجيرها عوير بن شجنة]

وقال الهَيْثم بن عَديّ : لمّا قُتل حُجْر انحازت بنتُه وقَطينُه إلى عُوَيْر بن شَجْنة . فقال له قومه : كُلْ أموالَهم فإنهم مأكولون ، فأبى . فلما كان الليلُ حمل هنداً وقَطينَها وأخذ بخِطام جملها وأشْأم بهم في ليلة طَخْياء مُدْلَهمّة . فلما أضاء البرقُ أبدى عن ساقيه وكانتا حَمْشَتين[3] . فقالت هند : ما رأيت كالليلةِ ساقَيْ وافٍ . فسمِعها فقال يا هند : هما ساقا غادِرٍ شرٍّ . فرمى بها النِّجادَ حتى أطلعها نَجْرانَ ، وقال لها : إني لست أغْني عنكِ شيئاً وراء هذا الموضع ، وهؤلاء قومك ، وقد برئتْ خفارتي . فمدحه امرؤ القيس بعدّة قصائد ، منها قوله في قصيدة له : [من الطويل]

ألا إنّ قوماً كنتُم أمسِ دونَهم هم منعوا جاراتِكم آلَ غُدْرانِ[4]
عُوَيْرٌ ومَنْ مثلُ العُوَيْر ورَهْطِه أبرَّ بميثاقٍ وأوْفَى بجيرانِ
هم أبلغوا الحيَّ المُضَيَّع أهلَه وساروا بهم بين الفُرات ونَجْرانِ

وقوله : [من الطويل]

ألا قَبحَ اللهُ البَراجِمَ كلَّها وجدَّعَ يَرْبوعاً وعفَّر دارِما
فما فعلوا فعلَ العُوَيْر ورِهطِه لدى باب حُجرٍ إذ تجرّدَ قائما[5]

---

1 الجوافل : المسرعات .
2 الأثفار : جمع ثَفَر وهو السير الذي في مؤخرة السرج تحت ذنب الدابة .
3 حمشتين : دقيقتين .
4 آل غدران : بطن من العرب .
5 ورد في الديوان ص 130 :

وما فعلوا فعل العُوَيرِ بجاره لدى باب هندٍ إذْ تجردّ قائما

وقال ابن قُتَيبة في خبره : إنّ القصة المذكورة عن عُوَير كانت مع أبي حَنْبَل وجارية ابن مُرّ . قال ويقال : بل كانت مع عامر بن جُوَيْن الطائيّ وإن ابنته أشارت عليه بأخذ مال حُجْر وعياله ؛ فقام ودخل الوادي ثم صاح : ألا إنّ عامر بن جوين غدر ، فأجابه الصّدى مثلَ قوله ؛ فقال ما أقبح هذا من قول ! ثم صاح : ألا إنّ عامر بن جُوَين وَفَى ، فأجابه الصَّدَى بمثل قوله ؛ فقال : ما أحسن هذا ! ثم دعا ابنته بجَذَعةٍ من غنم فاحتلبها وشرب واستلقَى على قفاه وقال : والله لا أغدِرُ ما أجْزأتْني جَذَعةٌ . ثم نَهض وكانت ساقاه حَمْشَتين ؛ فقالت ابنته : والله ما رأيتُ كاليوم ساقَيْ وافٍ . فقال : وكيف بهما إذا كانتا ساقَيْ غادرٍ ! هما والله حينئذ أقبح .

[امرؤ القيس يستعدي بكراً وتغلب على بني أسد]

وقال ابن الكلبيّ عن أبيه ويعقوبُ بن السِّكِّيت عن خالد الكلابيِّ : إن امرأ القيس ارتحل حتى نزل بَكْرا وتَغْلِبَ ، فسألهم النصرَ على بني أسد . فبعث العيونَ على بني أسد فنَذِروا[1] بالعيون ولجؤوا إلى بني كِنانة . وكان الذي أنذرهم بهم عِلْباء بن الحارث . فلما كان الليلُ قال لهم عِلباءٌ : يا معشَر بني أسد تعلمون ! والله إنّ عيون امرىء القيس قد أتتكم ورجعتْ إليه بخبركم ، فارحَلوا بليل ولا تُعْلِموا بني كنانة ، ففعلوا . وأقبل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتَغْلِب حتى انتهى إلى بني كِنانة وهو يحسَبهم بني أسد فوضع السِّلاحَ فيهم وقال : يا لِثارات المَلِك ! يا لِثارات الهُمام ! فخرجت إليه عجوزٌ من بني كِنانة فقالت : أَبَيْتَ اللَّعنَ ! لسنا لك بثأر ، نحن من كنانة ، فدونكَ ثأركَ فاطلبهم فإن القوم قد ساروا بالأمس . فتبع بني أسد ففاتوه ليلتَهم تلك ، فقال في ذلك : [من الوافر]

ألا يا لَهْـفَ هنـدٍ إثْـرَ قومٍ هُمُ كانوا الشفاءَ فلم يُصابوا
وقاهـم جَدُّهـم ببني أبيهم وبالأشْقَيْنَ مـا كان العقابُ
وأفْلتهـنّ عِلْبـاءٌ جَريضـاً ولـو أدركْنه صَفِرَ الوِطابُ[2]

يعني ببني أبيهم بني كنانة ؛ لأن أسداً وكِنانة ابنَى خُزيمة أخَوان .

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم قال : سمعت رجلاً سأل يونس عن قوله «صفِر الوِطابُ» ، فقال : سألنا رُؤْبَةَ عنه فقال : لو أدركوه قتلوه وساقوا إبله فصَفِرتْ وِطابُه من اللَّبن . وقال غيره : صَفِرَ الوطابُ أي إنه كان يُقتَل فيكون جسمه صِفْراً من دمه كما يكون الوطاب صفراً من اللبن .

1 نذروا : علموا فحذروا .
2 أفلتهن جريضاً : أي بعد جهد ومشقة . صفر الوطاب أي هلك وهي في ل : مثل .

قالوا : فلما أصبح امرؤ القيس رأى آثار القوم منطلقين ، فأتبع الأثر فأدركهم ظُهْراً وقد تقطَّعتْ خيلُه وقطع أعناقَهم العطش ، وبنو أسد جامُّون بينهم على الماء ، فنَهَد إليهم فقاتلهم حتى كثُرت الجرحى والقتلى فيهم ، وحجَز اللَّيلُ بينهم ، وهَرَبت بنو أسد . فلما أصبحتْ بَكْر وتَغْلِبُ أبَوْا أن يَتّبِعوهم وقالوا له : قد أصبتَ ثأرَك . قال : والله ما فعلتُ ولا أصبتُ من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً . قالوا : بلى ، ولكنك رجل مشؤوم . وكرهوا قتالَهم بني كنانة وانصرفوا عنه . ومضى هارباً لوجهه حتى لَحِق بِحِمْيَرَ .

[يلجأ إلى عمرو بن المنذر]

وقال ابن السِّكِّيت حدّثني خالد الكلابيّ : أن امرأ القيس لمّا أقبل من الحرب على فرسه الشَّقْراء لجأ إلى ابن عمّته عمرو بن المُنْذر ، وأمّه هند بنت عمرو بن حُجْر بن آكل المُرَار ، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتَفَرُّقِ مُلْكِ أهل بيته ، وكان عمرو يومئذ خليفةً لأبيه المنذر ببَقَّة وهي بين الأنبار وهيتَ ، فمدحه وذكر صِهْرَه[1] ورَحِمَه وأنه قد تعلَّق بحباله ولجأ إليه . فأجاره ، ومكث عنده زماناً . ثم بلغ المنذرَ مكانُه عنده فطلبه ، وأنذره عمرو فهرَب حتى أتى حِمْيَرَ .

[يستنصر أزدشنوءة]

وقال ابن الكلبيّ والهَيْثم بن عَدِيّ وعمر بن شَبَّة وابن قُتَيْبة : فلما امتنعتْ بكرُ بن وائل وتَغْلِب من اتّباع بني أسد خرج من فَوْره ذلك إلى اليمن فاستنصر أزْدَشَنُوءةَ ؛ فأبَوْا أن ينصروه وقالوا : إخواننا وجيرانُنا .

[ومرثد الخير الحميري]

فنزل بقَيْلٍ يُدْعَى مَرْثَد الخير بنَ ذي جَدَن الحِمْيريّ ، وكانت بينهما قَرابة ، فاستنصره واستمدّه على بني أسد ؛ فأمدّه بخمسمائة رجل من حِمْيَرَ ؛ ومات مرثد قبل رحيل امرىء القيس بهم .

[وقرمل بن الحميم]

وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قَرْمَل بن الحميم وكانت أمُّه سوداء ، فردَّد امرأ القيس وطوّل عليه حتى همّ بالانصراف وقال : [من الطويل]

وإذ نحن ندعـو مَرْثَد الخيرِ ربَّنا وإذ نحـن لا نُدْعَـى عَبيداً لقَرْملِ

فأنفذ له ذلك الجيشَ ؛ وتبِعه شُذّاذٌ من العرب ، واستأجر من قبائل العرب رجالاً ، فسار بهم إلى بني أسد . ومرّ بتَبالةَ[2] وبها صنم للعرب تعظّمه يقال له ذو

1 ل : عهده .

2 تبالة : موضع بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليالٍ من مكة .

الخَلَصة[1] ؛ فاسْتَقْسم عنده بِقداحه وهي ثلاثة الآمر والناهي والمتربِّص ، فأجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ، ثم أجالها فخرج الناهي ؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجهَ الصنم وقال : مَصِصْتَ بَظْرَ أُمّك ! لو أبوك قُتِل ما عُقْتَني . ثم خرج فظفِر ببني أسد . ويقال : إنه ما آستُقْسِم عند ذي الخَلَصة بعد ذلك بِقدْح حتى جاء أمر الله بالإسلام وهدَمه جَرير بن عبد الله البَجَلِيّ .

[طلبه المنذر فهرب ونزل بالحارث بن شهاب]

قالوا : وألحّ المنذر في طلب امرىء القيس ووجّه الجيوشَ في طلبه من إياد وبَهْراء وتَنُوخ ولم تكن لهم طاقة ، وأمدّه أنوشِرْوانُ بجيش من الأساورة فسرَّحهم في طلبه . وتفرَّقت حِمْيَرُ ومن كان معه عنه . فنجا في عُصْبة من بني آكل المُرار حتى نزل بالحارث بن شِهاب من بني يَرْبُوع بن حَنْظَلة ، ومع امرىء القيس أدراع خمسٌ : الفَضْفاضة والضافية والمحصِّنة والخربق وأمّ الذيول كُنَّ لبني آكل المرار يتوارثونها مَلِكاً عن ملك . فقلَّما لبِثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائةً من أصحابه يُوعِده بالحرب إن لم يُسلم إليه بني آكل المُرار فأسلمهم ؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرىء القيس) والأدْرُع والسلاح ومال كان بقي معه ؛ فخرج على وجهه حتى وقع في أرض طيِّىء .

[ثم نزل على سعد بن الضباب الإيادي]

وقيل : بل نزل قبلهم على سعد بن الضِّباب الإيَادي سيِّدِ قومه فأجاره .

قال ابن الكلبيِّ : وكانت أمّ سعد بن الضِّباب تحت حُجْرٍ أبي امرىء القيس فطلَّقها وكانت حاملاً وهو لا يعرف ، فتزوّجها الضِّباب فولَدت سعداً على فراشه ، فلحِق نسبُه به . فقال امرؤ القيس يذكر ذلك : [من الطويل]

يُفاكهنا سعدٌ ويُنْعِمُ بالَنا ... ويغدو علينا بالجِفَانِ وبالجُزُرْ[2]

ونعرفُ فيه من أبيه شمائلاً ... ومن خاله ومن يزيدَ ومن حُجُرْ

سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووفاء ذا ... ونائلَ ذا إذا صحا وإذا سَكِرْ

[والمعلى بن تيم]

ثم تحوّل عنه فوقع في أرض طيِّىء فنزل برجل من بني جَديلةَ يقال له المعلَّى بن تَيْم . ففي

---

1 ذو الخلصة : مروة بيضاء منقوش عليها كهيئة التاج ، وكان سدنتها بني أمامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدي لها خثعم وبجيلة وأزد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوازن .

2 البيت في الديوان : 94 .

يفاكهنا سعد ويغدو لجمعنا ... بمثنى الزّقاق المترعاتِ وبالجُزُرْ

ذلك يقول : [من الوافر]

كأنّـي إذ نزلـتُ على المُعَلَّـى نزلـتُ عـلي البواذخ من شَمَامِ[1]
فما مَلِكُ العـراقِ على المُعَلَّـى بمقتـدرٍ ولا مَلِـكُ الشآم
أقرَّ حَشَى امرىء القيس بن حُجْرٍ بنـو تَيْـمٍ مصابيحُ الظلامِ

قالوا : فلبث عنده واتّخذ إبلاً هناك . فغدا قومٌ من بني جَديلةَ يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل . وكانت لامرىء القيس رواحل مُقَيَّدة عند البيوت خوفاً من أن يَدْهَمه أمرٌ ليسبق عليهن .

[ثم ببني نبهان]

فخرج حينئذ فنزل ببني نَبْهان من طيّىء ، فخرج نفرٌ منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جَديلة ، فرجعوا إليه بلا شيء . فقال في ذلك : [من الطويل]

وأعجبني مَشْيُ الحُزُقَّـةِ خالـدٍ كمشي أتـانٍ حُلِّئَتْ بالمناهل[2]
فدع عنك نَهْباً صيحَ في حَجَراتِه ولكن حديثاً ما حديثُ الرَّواحل[3]

ففرّقت عليه بنو نَبْهان فِرْقاً[4] من مِعْزًى يحلبُها . فأنشأ يقول : [من الوافر]

إذا مـا لم تَجِدْ إبلاً فمِعْزىً كأن قُـرون جِلَّتها العِصِيُّ[5]
إذا مـا قـام حالبُها أرَنَّتْ كأن القـومَ صبَّحهم نَعِيُّ[6]
فتمـلأُ بيتَنـا أقِطـاً وسَمْناً وحَسبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِيُّ[7]

[ثم نزل بعامر بن جوين]

فكان عندهم ما شاء الله . ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن واتخذ عنده إبلا ، وعامرٌ يومئذ أحد الخُلَعاء الفُتَّاك قد تبَّرأ قومه من جرائره ، فكان عنده ما شاء الله ، ثم همَّ أن يغلِبه على أهله وماله ؛ ففطَن امرؤ القيس بشعر كان عامر ينطق به وهو قوله : [من الطويل]

---

1 شمام : اسم جبل لباهلة .
2 الحُزُقّة : القصير . وحلئت : منعت من الماء وطردت مرة بعد مرة .
3 الحجرات : النواحي .
4 الفِرق : القطيع من الغنم والبقر والظباء .
5 إذا ما لم تجدْ في الديوان ص 163 : «ألا إلا تكنْ» .
6 البيت في الديوان ص 136 :
إذا مُشَّت حوالبها أرنّتْ كأنّ الحـيّ صبحهم نعيّ
7 فتملأُ بيتَنا في الديوان ص 137 : «فتوسع أهلها» .

فكم بالصَّعيد مـن هِجَانٍ مؤبَّلَهْ تَسير صِحاحاً ذاتَ قيد ومُرْسَلَهْ
أردتُ بها فَتْكاً فلم أرْتَمِضْ له ونَهْنهتُ نفسي بعدما كدتُ أفعلَه[1]

وكان عامر أيضاً يقول يعرِّض بهند بنت امرىء القيس : [من المتقارب]

ألا حَـيِّ هنـداً وأطلالَها وتَظْعـانَ هنـدٍ وتَحْلا لَها
هَمَمتُ بنفسي كلَّ الهُمـوم فأوْلَـى لنفسيَ أوْلَـى لها
سأحمِلُ نفسي عـلى آلـةٍ فإمّـا عليهـا وإمّـا لها[2]

هكذا رَوى ابنُ أبي سعد عن دارِم بن عِقال . ومن الناس من يَرْوي هذه الأبياتَ للخَنْساء في قصيدتها : [من المتقارب]

ألا مـا لِعَيْني ألاَ مـا لَها لقـد أخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَها

[ثم نزل بحارثة بن مرّ]

قالوا : فلما عرف امرؤ القيس ذلك منه وخافه على أهله وماله ، تغفَّله وانتقل إلى رجل من بني ثُعَل يقال له حارِثة بن مُرّ فاستجار به . فوقعت الحربُ بين عامر وبين الثُّعَليّ ، فكانت في ذلك أمورٌ كثيرة .

[نزل بعمرو بن جابر فدله على السموءل]

قال دارِم بن عِقال في خبره : فلمّا وقعت الحربُ بين طيِّىء من أجله . خرج من عندهم فنزل برجل من بني فَزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن ، فطلب منه الجوارَ حتى يَرَى ذاتَ غَيْبه[3] . فقال له الفَزاريّ : يا ابنَ حُجْر ، إني أراكَ في خَلَلٍ من قومك وأنا أنْفَسُ[4] بمثلك من أهل الشرف ، وقد كدتَ بالأمس تؤكل في دار طيِّىء ، وأهلُ البادية أهلُ بَرٍّ لا أهل حصون تمنعهم ، وبينك وبين أهل اليمن ذُؤبانٌ من قَيْس ، أفلا أدلُّك على بلد فقد جئتُ قَيْصَرَ وجئت النُّعْمانَ فلم أرَ لضيفٍ نازلٍ ولا لمُجْتَدٍ مثلَه ولا مثلَ صاحبه . قال : من هو وأين منزلُه ؟ قال : السَّمَوءلُ بتَيْماءَ ، وسوف أضرب لك مَثَله ، هو يمنع ضعفك حتى ترى ذاتَ غَيبك ، وهو في حِصْن حَصين وحَسَبٍ كبير . فقال له امرؤ القيس وكيف لي به ؟ قال : أوصلك إلى من يُوصلك إليه ؛ فصحِبه إلى رجلٍ من بني فَزَارة يقال له الرَّبيع بن ضَبُع الفَزَاري ممن يأتي السموءل فيَحْمِلُه ويُعْطيه . فلمّا صار إليه قال له الفَزَاريّ : إنّ السموءلَ يعجبه الشعر .

---

1 أرتمض : أحزن .
2 آلة : حالة .
3 ينظر في أمره ويصلح من شأنه .
4 أنفس به : أضنّ به .

فتعالَ نتناشدْ له أشعاراً . فقال امرؤ القيس : قل حتى أقول . فقال الربيع : [من الكامل]

قُـلْ للمنيَّةِ أيَّ حِـينٍ نلتقى بِفناء بيتِك في الحَضِيضِ المَزْلَقِ

وهي طويلة يقول فيها :

ولقد أتيتُ بَني المُصاصِ مُفَاخِراً وإلى السموءل زُرْتُــه بالأبلَقِ

فأتيتُ أفضلَ مَنْ تحمَّل حاجةً إن جئته في غـارِمٍ أو مُرْهَقِ

عرفتْ له الأقوامُ كلَّ فضيلةٍ وحَوَى المكارمَ سابقاً لم يُسْبَقِ

قال : فقال امرؤ القيس : [من الكامل]

طرَقَتْكَ هندٌ بعد طول تجنُّبٍ وَهْناً ولم تَكُ قبلَ ذلك تَطْرُقُ

وهي قصيدة طويلة ، وأظنُّها منحولة لأنها لا تشاكل كلام امرىء القيس ، والتوليدُ فيها بيِّن ، وما دوّنها في ديوانه أحد من الثِّقات ؛ وأحسَبها مما صنعه دارِمٌ لأنه من ولد السموءل ومما صنعه من روى عنه من ذلك فلم تكتب هنا . قال فوفَد الفزاريُّ بامرىء القيس إليه . فلما كانوا ببعض الطريق إذا هم ببقرةٍ وحشية مرميَّة . فلما نظر إليها أصحابُه قاموا فذكَّوْها . فبينما هم كذلك إذا هم بقوم قنَّاصين من بني ثُعَلَ[1] . فقالوا لهم : من أنتم ؟ فانتسبوا لهم ، وإذا هم من جيران السموءل فانصرفوا جميعاً . وقال امرؤ القيس : [من المديد]

رُبَّ رامٍ مـن بنـي ثُعَلٍ مُخْرِجٍ كَـفَّـيْهِ من قُتَرَهْ[2]

عـارضٍ زَوْراءَ من نَشَمٍ مـع بانـاةٍ على وَتَـرِهْ

هكذا في رواية ابن دارِم . ويُرْوى «غير باناةٍ» و«تحت باناةٍ» .

إذ أتتْـه الوحشُ واردةً فتثنَّـى النزعَ في يَسَرَهْ[3]

فرماهـا في فرائِصهـا بإزاء الحـوضِ أو عُقُرِهْ

بِرَهيشٍ مـن كِنانتِـه كتلظِّـي الجمرِ في شَرَرِهْ[4]

راشَه مـن رِيشِ ناهضةٍ ثم أمْهـاه على حَجَرَهْ[5]

فهـو لا تَنْمِـي رَمِيَّتُـه ما لَـهُ لا عُـدَّ من نَفَرِهْ

---

1 ثُعل : قبيلة من طيء .

2 مخرج في الديوان ص 123 : «مُثْلِجٍ» . القتر : جمع قترة وهي بيت الصائد الذي يكمن فيه للوحش لئلا تراه فتنفر منه .

3 إذ أتته في الديوان ص 124 : «قد أتته» . فتثنى في الديوان ص 124 : «فتنحّى» .

4 الرهيش : السهم الضامر الخفيف .

5 الناهض : الذي وفر جناحه ونهض للطيران .

[طلب إلى السموءل أن يكتب له إلى الحارث ليوصله إلى قيصر]

قال : ثم مضى القومُ حتى قدِموا على السَّمَوءل ، فأنشده الشعرَ ، وعرف لهم حقَّهم ، فأنزل المرأةَ في قبّة أدَم وأنزل القومَ في مجلس له بَراحٍ ؛ فكان عنده ما شاء الله . ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شَمِر الغَسّانيِّ بالشام ليوصله إلى قيصر ؛ فاستنجد له رجلاً ، واستودع عنده المرأةَ والأدراعَ والمال ، وأقام معها يزيد بن معاوية بن الحارث ابن عمّه .

[لما وصل إلى قيصر دس له عنده الطماح حتى سمه بحلة خلعها عليه]

فمضى حتى انتهى إلى قيصر ؛ فقبِله وأكرمه وكان له عنده منزلة . فاندسّ رجل من بني أسد يقال له الطمّاح ، وكان امرؤ القيس قد قتل أخاً له من بني أسد ، حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً . ثم إن قيصر ضمّ إليه جيشاً كثيفاً وفيهم جماعة من أبناء الملوك . فلما فصَل قال لقيصر قوم من أصحابه : إن العرب قومٌ غُدُرٌ ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوَك بمن بعثتَ معه . وقال ابن الكلبيِّ : بل قال له الطماح : إنّ امرأ القيس غَوِيٌّ عاهرٌ وإنه لمّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يراسل ابنتَك ويواصلها ، وهو قائل في ذلك أشعاراً يُشَهِّرها بها في العرب فيفضَحُها ويفضحُك . فبعث إليه حينئذ بحُلَّة وَشْيٍ مسمومةٍ منسوجةٍ بالذهب وقال له : إني أرسلت إليك بحُلَّتي التي كنت ألبَسُها تَكْرِمَةً لك ، فإذا وصلتْ إليك فالبَسْها باليُمْن والبركة ، واكتب إليَّ بخبرك من منزلٍ منزلٍ . فلما وصلتْ إليه لبِسها واشتدّ سرورُه بها ؛ فأسرع فيه السمّ وسقط جلده ؛ فلذلك سُمّي ذا القُروح ، وقال في ذلك : [من الطويل]

لقد طمَح الطمَّاحُ من بُعد أرضه ... ليُلْبِسَني ممّا يلبِّس أبؤسا[1]

فلو أنها نفسٌ تمـوتُ سَوِيةً ... ولكنّها نفسٌ تَساقَطُ أنفُسا[2]

قال : فلما صار إلى بلدة من بلاد الروم تُدْعى أنْقِرةَ احتُضِر بها ؛ فقال : [من منهوك الكامل]

رُبْ خُطْبةٍ مُسْحَنْفِرَهْ ... وطَعْنـةٍ مُثْعَنْجِـرَهْ

وجَفْنـةٍ متحيِّـره ... حَلَّـتْ بأرضِ أنقِرهْ[3]

ورأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنتْ في سفح جبل يقال له عَسيب ؛ فسأل عنها فأخبر بقصّتها ، فقال : [من الطويل]

أجارتَنـا إنّ المـزَارَ قريـبُ ... وإنّي مقيـمٌ مـا أقامَ عَسِيبُ

---

1 الشطر الثاني في الديوان ص 108 : «ليلبسني من دائه ما تلبسّا» .

2 سوية في الديوان ص 107 : جميعة .

3 في الديوان ص 349 : ربّ طعنة مثعنجرة ... وجفنـة متحيّـرة

وقصيـدة مُحَبَّـرة ... تبقى غـداً بأنقـرة

أجارتَنـا إنّا غريبـانِ هاهنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبُ

ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة ، فقبرُه هناك .

[عبد الملك بن عمير يحدث عمر بن هبيرة بحديث عنه فيسرّ به ويجيزه]

أخبرني محمد بن القاسم عن مُجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عُمَيْر قال : قَدِم علينا عمر بن هُبَيْرة الكوفةَ ، فأرسل إلى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه الكوفة فسمَروا عنده ، ثم قال : ليحدِّثْني كلُّ رجل منكم أحْدوثةً وابدأ أنت يا أبا عمر . فقلت : أصلح الله الأمير ! أحديثَ الحقِّ أم حديثَ الباطل ؟ قال : بل حديثَ الحق . قلت : إنّ امرأ القيس آلَى بأَلِيّة ألاّ يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة وثنتين ؛ فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهنّ عن هذا قلن أربعةَ عشر . فبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً له صغيرةً كأنها البدر ليلةَ تمامه ، فأعجبتْه ؛ فقال لها : يا جارية ! ما ثمانيةٌ وأربعةٌ واثنتان ؟ ، فقالت : أمّا ثمانيةٌ فأطْباءِ الكلبة . وأمّا أربعةٌ فأخْلاف الناقة . وأمّا اثنتان فَثدْيا المرأة . فخطبها إلى أبيها فزوَّجه إيّاها . وشرَطت هي عليه أن تسأله ليلةَ بِنائها عن ثلاثِ خِصَال ، فجعل لها ذلك ، وأن يسوق إليها مائةً من الإبل وعشرةَ أعْبدٍ وعشر وصائف وثلاثةَ أفراسٍ ففعل ذلك . ثم إنه بعث عبداً له إلى المرأة وأهدى إليها نِحْياً من سمن ونِحْياً من عسل وحُلَّةً من عَصْب . فنزل العبد ببعض المياه فنشَر الحُلَّة ولبِسها فتعلَّقت بعُشَرَةٍ فانشقَّت ، وفتح النَّحْيين فطَعم أهلُ الماء منهما فنقصا . ثم قَدِم على حيّ المرأة وهم خُلوف . فسألها عن أبيها وأمِّها وأخيها ودفع إليها هديَّتَها .فقالت له : أعلِمْ مولاك أن أبي ذهب يُقرِّب بعيداً ويُبعِّد قريباً ، وأن أمِّي ذهبت تشُقّ النَّفْسَ نفْسَين ، وأنّ أخي يراعي الشمس ، وأن سماءكم انشقَّت ، وأنّ وعاءيكم نَضَبا ، فقدِم الغلامُ على مولاه فأخبره . فقال : أمّا قولُها إنّ أبي ذهب يقرِّب بعيدا ويبعِّد قريباً ، فإنه أباها ذهب يُحالف قوماً على قومه . وأمّا قولُها ذهبتْ أمِّي تشقُّ النفس نفسين ، فإنّ أمَّها ذهبتْ تَقْبَل امرأةً نُفَساء . وأمّا قولُها : إنّ أخي يُراعي الشمس ، فإنّ أخاها في سَرْحٍ له يرعاه فهو ينتظر وُجوبَ الشمس ليَرُوحَ به . وأمّا قولُها : إن سماءكم انشقَّت ، فإن البُرْد الذي بعثتُ به انشقّ . وأمّا قولُها إن وِعاءيكم نَضَبا ، فإنّ النِّحيين اللّذين بعثتُ بهما نقصا ، فاصْدُقْني فقال : يا مولاي ، إني نزلت بماء من مياه العرب ، فسألوني عن نسبي فأخبرتُهم أنّي ابن عمِّك ، ونشرتُ الحُلّة فانشقّتْ ، وفتحتُ النِّحيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء . فقال : أوْلَى لك ! . ثم ساق مائةً من الإبل وخرج نحوَها ومعه الغلامُ ، فنزلا منزلاً . فخرج الغلام يسقي الإبل فعجَز ؛ فأعانه امرؤ القيس ؛ فرمى به الغلام في البئر ، وخرج حتى أتى المرأةَ بالإبل ، وأخبرهم أنه زوجُها . فقيل لها : قد جاء زوجكِ . فقالت : والله ما أدري أزوجي هو أم لا ؟ ولكن انحَروا له جَزُوراً وأطعِموه من كَرِشِها وذنَبها

ففعلوا ، فقالت : اسقوه لبناً حازِراً (وهو الحامض) فسقَوْه فشرب . فقالت : آفرُشُوا له عند الفَرْث والدم ، ففرَشوا له فنام . فلما أصبحتْ أرسلتْ إليه : إني أريد أن أسألك . فقال : سَلي عمّا شئتِ . فقالت : مِمَّ تختلج شَفَتاك ؟ قال : لتقبيلي إيّاك . قالت : فمِمّ يختلج كَشْحاك ؟ قال : لالتزامي إيّاك . قالت : فمِمّ يختلج فَخِذاك ؟ قال : لتورُّكي إيّاك . قالت : عليكم العبدَ فشُدُّوا أيديكَم به ، ففعلوا . قال : ومرَّ قومٌ فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ؛ فرجع إلى حَيِّه ، فاستاق مائةً من الإبل وأقبل إلى امرأته . فقيل لها : قد جاء زوجُك . فقالت : والله ما أدري أهو زوجي أم لا ؟ ولكن انحَروا له جَزُوراً فأطعِموه من كَرِشِها وذَنَبها ففعلوا . فلما أتوْه بذلك قال : وأين الكبِد والسِّنام والمَلْحاء[1] ! فأبى أن يأكل . فقالت : اسقُوه لبناً حازِراً . فأبى أن يشربه وقال : فأين الصَّريف[2] والرَّثِيئة ! . فقالت : افرُشوا له عند الفَرْث والدم . فأبى أن ينام وقال : افرشوا لي فوقَ التَّلْعة الحمراء ، واضربوا عليها خِبَاء . ثم أرسلت إليه : هَلُمَّ شَريطتي عليك في المسائل الثلاث . فأرسل إليها أن سَلي عمّا شئتِ . فقالت : ممّ تختلج شَفَتاك قال : لشربي المُشَعْشَعات . قالت : فممّ يختلج كَشْحَاك ، قال : لِلُبْسي الحِبَرات . قالت : فممّ تختلج فَخِذاك ؟ قال : لِرَكْضي المُطَهَّمات . فقالت : هذا زوجي لعَمْري فعليكم به ، واقتلوا العبد ، فقتلوه . ودخل امرؤ القيس بالجارية . فقال ابن هُبَيْرة : حَسْبُكم ! فلا خيرَ في الحديث في سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ؛ ولن تأتينا بأعجب منه . فقمنا وانصرفنا . وأمر لي بجائزة .

[مفاوضات امرىء القيس وقبائل أسد بعد موت حجر]

نسخت من كتاب جَدِّي يحيى بن محمد بن ثَوابة بخطّه رحمه الله حدثني الحسن بن سعيد عن أبي عُبَيْدة قال أخبرني سِيبَوَيْه النحويّ أنّ الخليل بن أحمد أخبره قال : قدِم على امرىء القيس بن حُجْر بعد مقتل أبيه رجالٌ من قبائل بني أسَد كهولٌ وشُبّان ، فيهم المُهَاجِر بن خِدَاش ابن عمّ عَبِيد بن الأبرص ، وقَبيصة بن نُعَيْم ، وكان في بني أسد مقيماً وكان ذا بصيرة بمواقع الأمور وِرْداً وإصداراً يعرف ذلك له من كان محيطاً بأكناف بلده من العرب . فلما علم بمكانهم أمَر بإنزالهم وتقدّم بإكرامهم والإفضال عليهم ، واحتجب عنهم ثلاثاً . فسألوا من حضرهم من رجال كِندة ، فقال : هو في شُغْل بإخراج ما في خزائن حُجْر من السِّلاح والعُدّة . فقالوا : اللهم غَفْراً ، إنما قَدِمنا في أمر نتناسى به ذكر ما سلَف ونستدرك به ما فَرط ، فليُبلَّغ ذلك عنّا . فخرج عليهم في قَباء وخُفٍّ وعمامةٍ سوداء ، وكانت العرب لا تَعْتَمُّ

1 الملحاء : لحم في الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير .

2 الصريف : الحليب الحار ساعة يصرف من الضرع . والرثيئة : الحليب يصبّ عليه اللبن الحامض فيروب من ساعته .

بالسَّواد إلا في التِّرات . فلمّا نظروا إليه قاموا له ، وبدَر إليه قَبِيصةُ : إنك في المَحَلِّ والقَدْر المعرفة بتصرُّف الدهر وما تُحْدِثه أيّامه وتتنقّل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظٍ ولا تذكِرة مجرِّب . ولك من سؤدُد مَنْصِبك وشَرَف أعراقك وكرمِ أصلك في العرب مُحْتَمَلٌ يحتمِل ما حُمل عليه من إقالة العَثْرة ، ورجوع عن هفوة . ولا تتجاوز الهِمَمُ إلى غاية إلا رجعتْ إليك فوجدتْ عندك من فضيلة الرأى وبصيرة الفهم وكرم الصفح في الذي كان من الخَطْب الجليل الذي عمَّت رَزِيّتُه نِزَاراً واليمن ، ولم تَخْصُصْ كِنْدةَ بذلك دونَنا للشَّرَف البارع . كان لحُجْرٍ التاجُ والعِمّة فوق الجبين الكريم وإخاءِ الحمد وطِيبُ الشِّيَم . ولو كان يُفْدَى هالكٌ بالأنفس الباقية بعده لما بَخِلتْ كرائمنا على مثله ببذل ذلك ولفديناه منه ، ولكن مضى به سبيل لا يَرْجع أولاَه على أُخراه ولا يَلْحَق أقصاه أدناه . فأحمدُ الحالات في ذلك أن تعرف الواجبَ عليك في إحدى خلال : إمّا أن اخترتَ من بني أسد أشرفَها بيتاً ، وأعلاها في بناء المَكْرُمات صَوْتاً ، فقُدناه إليك بنسْعِه تذهبُ مع شَفَراتِ حُسَامك قَصَدَتهُ[1] فيقول رجلٌ : آمتُحِن بهُلْك عَزيز فلم تُسْتَلَّ سَخِيمتُه إلا بتمكينه من الانتقام ؛ أو فداءٍ بما يَرُوح من بني أسد من نَعَمِها فهي أُلوفٌ تجاوز الحِسْبة فكان ذلك فداءٍ رجعتْ به القُضُب إلى أجفانها لم يَرْدُدْه تسليط الإحَن على البُرءاء ؛ وإما أن تُوادِعَنا حتى تضع الحواملُ فنَسْدُل الأزُرَ ونعقِد الخُمُرَ فوق الرايات . قال : فبكى ساعةً ثم رفع رأسه فقال : لقد علمتْ العربُ أنْ لا كُفْءَ لحُجْر في دم ، وإني لن أعتاض به جملاً أو ناقةً فأكتسبَ بذلك سُبَّةَ الأبد وفَتَّ العَضُد . وأمَّا النَّظرة فقد أوجبْتها الأجِنَّةُ في بطون أُمهاتها ، ولن أكون لعَطَبها سبباً ، وستعرفون طلائع كِنْدةَ من بعد ذلك ، تحمل القلوب حَنَقا وفوق الأسِنّة عَلَقاً[2] : [من المتقارب]

إذا جالتْ الخيلُ في مأزِقٍ تُصافِحُ فيه المنايا النفوسا

أتُقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسوأ الاختيار ، وأبلى الاجترار لمكروه وأذيّة ، وحرب وبَلّيّة . ثم نَهضوا عنه ، وقَبِيصةُ يقول متمثّلا : [من الطويل]

لعلكَ أن تستوخمَ الموتَ إن غدتْ كتائبُنا في مأزِقِ الموتِ تَمْطُرُ[3]

فقال امرؤ القيس : لاوالله لا أستوخمه ؛ فرويداً ينكشفْ لك دُجَاها عن فُرسان كِندة وكتائب حِمْيَر . ولقد كان ذكر غير هذا أولى بي إذ كنتَ نازلاً بربْعي ؛ ولكنك قلتَ فأجبتُ . فقال قَبِيصة : ما نتوقّع فوق قدر المعاتبة والإعتاب . قال امرؤ القيس : فهو ذاك .

---

1 القصدة : العنق .

2 العلق : الدم .

3 استوخم الشيء : لم يستمرّ .

[131] ـ أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة

[أصوات معبد الخمسة وألقابها]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن[1] أبي الأزهر قال حدّثنا حَمَّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة عن إسحاق ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه ، وأخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْدَاذْبَه عن إسحاق : أن مَعْبداً كان يسمّي صوتَه : [من الطويل]

هُرَيْـرةَ ودِّعها وإن لامَ لائمٌ

الدَّوَّامةَ لكثرة ما فيه من الترجيع . ويسمّي صوتَه : [من الخفيف]

عـاود القلبَ مـن تذكُّرِ جُمْلٍ

المُنَمْنَم . ويسمّي صوتَه : [من الطويل]

أمِـنْ آل ليـلى بالمَـلاَ مُتَرَبَّعُ

معقّصات القُرون أي يحرك خُصَلَ الشعر . ويسمّي صوتَه : [من الخفيف]

[جعـلَ اللهُ جعفراً لكِ بَعْلاً

المتبختر . ويسمّي صوته] : [من الخفيف]

ضوءُ بَرْقٍ بدا لعينيك أم شَبَّـ ـتْ بذى الأثْـلِ من سَلامةَ نارُ

[مقطّع الأثفار] .

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

[من الطويل]

هُرَيْـرةَ وَدِّعْها وإن لامَ لائمٌ غداةَ غـدٍ أم أنتَ للبَيْن واجمُ
لقـد كان في حولٍ ثَوَاءٍ ثَوَيتُه تقضّى لُبانـاتٍ ويسأمُ سائمُ

1 ل : عن .

مُبَتَّلـةٌ هَيْفـــاءُ رُودٌ شبابُهـا لهـا مقلتـا ريمٍ وأسودُ فاحمُ
ووجهٌ نقـيُّ اللَّونِ صافٍ يَزينه مع الحَلْيِ لَبَّاتٌ لهـا وَمَعاصِمُ

الواجم : الساكت المُطرِق من الحزن ، يقال : وَجَم يَجِم وُجُوماً . وقوله : «لقد كان في حـول ثـواء ثويتـه» : قال الكوفيون : أراد لقد كان ثواء حول ثويته ، فجعل ثواء بدلا من حول . وأخبرنا أبو خَليفة عن محمد بن سَلاَّم عن يونس قال : كان أبو عمرو بن العلاء يعيب قول الأعشى : [من الطويل]

لقـد كان في حولٍ ثواءٍ ثويتُه

جدّاً ويقول : ما أعرِف له معنى ولا وجهاً يصحُّ . قال أبو خليفة : وأمّا أبو عبيدة فإنه قال : معناه لقد كان في ثواء حول ثويته . واللُّبانات والمآرب والحوائج والأوطار واحد . والمبتَّلة : الحسنة الخَلْق . والهَيْفاء : اللطيفة الخَصْر . والرِّئم : الظبي . والفاحم : الشديد السواد . وقال : لبَّاتٌ لها وإنما لها لَبَّة واحدة ولكنّ العرب تقول ذلك كثيراً ؛ يقال : لها لَبَّاتٌ حِسَانٌ ، يراد اللَّبَّةُ وما حولها . والمعاصم : موضع الأَسْوِرَة ، وواحدها مِعْصَم .

الشعر للأعشى . والغناء لَمَعْبد ، وله فيه لحنان ، أحدهما وهو الملقَّبُ بالدوّامة خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالسبَّابة في مجري الوسطى عن إسحاق ، والآخر ثقيل عن الهشاميّ وابن خُرْداذبَه .

[132] ـ أخبار الأعشى ونسبه[1]

[نسبه وكنيته]

الأعشى هو ميمون بن قَيْس بن جَنْدل بن شَرَاحِيل بن عَوْف بن سعد بن ضُبَيْعة بن قيس بن ثَعْلبة الحِصْن بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل بن قاسِط ابنِ هِنْب بن أفْصَى بن دُعْميّ بن جَديلة بن أسَد بن رَبيعة بن نِزار . ويُكنى أبا بَصير .

[لقب أبيه قتيل الجوع]

وكان يقال لأبيه قيس بن جَنْدل قَتيلُ الجوع ؛ سمي بذلك لأنه دخل غارا يستظل فيه من الحرّ ، فوقعتْ صخرة عظيمة من الجبل فسَدّت فمَ الغار فمات فيه جُوعاً . فقال فيه جُهُنَّام واسمه عمرو وهو من قومه من بني قيس بن ثعلبة يهجوه وكانا يتهاجيان : [من الطويل]

أبوكَ قَتيلُ الجوعِ قَيْسُ بن جَنْدلٍ وخالُكَ عبدٌ من خُمَاعةَ راضعُ[2]

وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدّم على سائرهم ؛ وليس ذلك بمجمع عليه لا فيه ولا في غيره .

[أشعر الناس إذا طرب]

أخبرني أبو خَليفة عن محمد بن سَلاّم قال سألت يونس النحوي : من أشعرُ الناس ؟ قال : لا أومِيءُ إلى رجل بعينه ولكني أقول : امرؤ القيس إذا غَضِب ، والنابغة إذا رهِب ، وزهيرٌ إذا رغِب ، والأعشى إذا طرِب .

أخبرني ابن عَمّار عن ابن مَهْرُوَيْه عن حُذَيفة بن محمد عن ابن سَلاّم بمثله .

[قبيلته أشعر القبائل عند حسان]

أخبرني عمّي قال حدّثنا ابن أبي سَعْد قال حدّثنا عليّ بن الصبّاح عن ابن الكلبي عن أبيه وأبي مسكين .

أن حَسّاناً سُئل : من أشعرُ الناس ؟ فقال : أشاعر بعينه أم قبيلة ؟ قالوا : بل قَبيلة . قال : الزُّرْق من بني قَيْس بن ثَعْلَبَة . وهذا حديث يُروى أيضاً عن غير حسان .

[فاخر ابن شفيع بقبيلته بني ثعلبة عبد العزيز بن زرارة]

أخبرني أحمد بن عُبيدالله بن عَمّار عن ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثنا عبدة بن عِصْمة عن

---

1 أنظر أخباره في المرزباني 401–402 والمؤتلف 12 واللآلي 83 والخزانة 1 : 83–86 وشعراء الجاهلية 357–399 ، انظر ترجمته في الأغاني 12 : 5 .

2 خماعة : بطن من العرب . الراضع : اللئيم .

فِراس بن خِنْدِف عن عليّ بن شفيع قال : إني لواقفٌ بسُوق حَجْر[1] إذ أنا برجلٍ من هيئته وحاله عليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ وهو على نَجيب مَهْرِيّ عليه رَحْل لم أرَ قَطُّ أحسنَ منه وهو يقول : من يُفَاخِرني من يُنَافِرني ببني عامر بنِ صَعْصَعة فُرساناً وشعراءَ وعَدداً وفَعالاً ؟! قلت : أنا . قال : بمن ؟ قلت : ببني ثَعْلبة بن عُكَابة بن صَعْب بن عليّ بن بكر بن وائل . فقال : أمَا بلغك أنّ رسول الله ﷺ نهى عن المنافرة ؟ ثم ولّى هارباً . قلت : مَنْ هذا ؟ قيل : عبد العزيز بن زُرَارة بن جَزْء بن سُفْيان الكِلابيّ .

[هو صناجة العرب]

أخبرني حَبيب بن نصر المهلَّبيُّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهريُّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : قال أبو عُبَيدة : مَنْ قدّم الأعشى يَحْتجُّ بكثرة طِواله الجِياد وتصرُّفِه في المديح والهِجاء وسائر فنون الشعر ، وليس ذلك لغيره . ويقال : هو أوّل من سأل بشعره ، وٱنتجع به أقاصَى البلاد . وكان يُغَنَّى في شعره ؛ فكانت العرب تُسَمِّيه صَنَّاجةَ العرب .

أخبرني المُهَلَّبيّ والجَوْهَري قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال : سمعت خَلاداً الأرْقَطَ يقول سمعت خَلَفاً الأحمرَ يقول : لا يُعرف من أشعرُ الناس كما لا يُعرف من أشجعُ الناس ولا من كذا ولا من كذا ، لأشياء ذكرها خَلَفٌ ونسيتُها أنا . أبو زيد عمر بن شَبَّة يقول هذا .

[كان أبو عمرو بن العلاء يقدمه]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل بن أبي محمد قال أخبرني أبي قال : سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقدِّم الأعشى .

[سئل مروان بن أبي حفصة عن أشعر الناس فقدمه بشعره]

وقال هشام بن الكلبيِّ أخبرني أبو قَبِيصة المُجاشِعيُّ أن مَرْوانَ بن أبي حَفْصة سئل : من أشعرُ الناس ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

كِلاَ أبَوْيكم كان فرعَ دِعَامةٍ ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقصا[2]

يعني الأعشى .

[قدمه حماد على جميع الشعراء حين سأله المنصور عن ذلك]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ قال حدّثني عمّي قال قال سَلمَة بن نَجَاح أخبرني يحيى بن سُليم الكاتب قال : بعثني أبو جعفر أمير المؤمنين بالكوفة إلى حَمّاد الراوية أسأله عن أشعر الشعراء . قال : فأتيت بابَ حمّاد فاستأذنت وقلت : يا غلام ! فأجابني إنسانٌ من أقصى بيتٍ في

1 حجر : مدينة باليمامة .

2 فرع في الديوان ص 110 : فرعا .

الدار فقال : من أنت ؟ فقلت : يحيى بن سليم رسول أمير المؤمنين . قال : آدخل رَحِمَك الله ؛ فدخلتُ أتَسمَّتُ[1] الصوتَ حتى وقفتُ على باب البيت ، فإذا حَمّادٌ عُرْيانٌ على فَرْجه دَسْتَجةُ[2] شاهِسْفِرْم . فقلت : إن أمير المؤمنين يسألك عن أشعر الناس . فقال : نعم ؛ ذلك الأعشى صَنَّاجُها .

[أوصى أبو عمرو بن العلاء الناس بشعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال سمعت أبا عُبَيدة يقول سمعت أبا عمرو بن العَلاء يقول : عليكم بشعر الأعشى ؛ فإني شبَّهتهُ بالبازِي يَصِيد ما بين العَنْدَلِيب إلى الكُرْكيّ .

[وضعه حتى في المرتبة الثالثة بعد امرىء القيس وطرفة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال سمعت أبا عُبيدة يقول : بلغني أن رجلاً من أهل البَصْرة حجَّ ، وروى هذا الحديثَ ابنُ الكلبيِّ عن شُعيب بن عبد الرحمن أبي معاوية النحويّ عن رجل من أهل البَصْرة أنه حجّ ، قال فإني لأسيرُ في ليلةٍ إضْحِيَانةٍ[3] إذ نظرتُ إلى رجلٍ شابٍّ راكبٍ على ظَليم قد زَمّه بخِطامه وهو يذهب عليه ويجيء ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

هـل يُبْلِغَنِّيهم إلى الصَّبَاحْ هِقْـلٌ كأن رأسَه جُمَّـاحْ[4]

الجُمّاح : أطراف النبت الذي يسمى الحَلِيَّ وهو سُنْبُله ، إلا أنه ليس بخَشِن يُشْبِه أذنابَ الثعالب[5] . قال : والجُمّاح أيضاً سُهَيم يلعب به الصِّبْيان يجعلون مكان زُجِّه طيناً ، قال : فعلمتُ أنه ليس بإنسي ، فاستوحشتُ منه . فتردّد عليّ ذاهباً وراجعاً حتى أنِستُ به ؛ فقلت : مَنْ أشعرُ الناس يا هذا ؟ قال : الذي يقول : [من الطويل]

وما ذَرَفتْ عيناكِ إلاّ لتضربي بسَهْمَيْكِ في أعشار قلبٍ مُقَتَّلِ

قلت : ومن هو ؟ قال : امرؤ القيس . قلت : فمن الثاني ؟ قال : الذي يقول : [من الرمل]

تَطْـرُدُ القُـرَّ بِحَـرٍّ ساخـنٍ وعَكيكَ القَيْظِ إن جاء بِقُرّ[6]

---

1 تسمّت الشيء : قصد نحوه .

2 الدستجة : الحزمة . والشاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السُّلطاني .

3 إضحيانة : مضيئة .

4 الهقل : الفتى من النعام .

5 ذنب الثعلب : نبات على هيئة أذناب الثعالب .

6 العكيك : صفة من العك أو العكك وهو شدة الحر في سكون الريح .

قلت : ومن يقوله ؟ قال : طَرَفةُ . قلت : ومن الثالث ؟ قال : الذي يقول : [من المتقارب]

وتبـردُ بـــــردَ رِداء العَـرُو س بالصَّيْف رَقْرقْت فيه العَبِيرَا[1]

قلت : ومَنْ يقوله ؟ قال : الأعشى ؛ ثم ذهب به .

[هو أستاذ الشعراء في الجاهلية وجرير أستاذهم في الإسلام]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدّثني أبو عَدْنان قال وقال لي يحيى بن الجَوْن العَبْديُّ راويةُ بشّار : نحن حاكةُ الشّعر في الجاهلية والإسلام ونحن أعلم الناس به ، أعشى بني قيس بن ثَعْلبَة أستاذ الشعراء في الجاهلية . وجرير بن الخطفى أستاذهم في الإسلام .

[حديث الشعبي عنه]

أخبرني محمد بن العَبّاس اليزيديُّ قال حدّثنا الرِّياشيّ قال : قال الشَّعْبيُّ[2] : الأعشى أغزلُ الناس في بيت ، وأخنث الناس في بيت ، وأشجع الناس في بيت . فأمّا أغزلُ بيتٍ فقوله : [من البسيط]

غَـرَّاءُ فَرْعـاءُ مصقولٌ عوارضُها تَمْشي الهُوَيْنى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ

وأمّا أخنثُ بيت فقوله : [من البسيط]

قالـت هُرَيْرةُ لمّـا جئـتُ زائرَها وَيْـلي عليك ووَيْـلي منك يا رجل

وأمّا أشجعُ بيت فقوله : [من البسيط]

قالـوا الطِّرادَ فقلنا تلك عادتُنـا أوْ تنزلـون فإنـا مَعْشَرٌ نُـزُلُ[3]

[حماد الراوية يسأل عن أشعر العرب فيجيب من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرويه عن ابن أبي سعد قال ذكر الهَيْثم بن عديّ أن حمّاداً الراوية سُئل عن أشعر العرب ، قال الذي يقول : [من البسيط]

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيْحانِ مُتَّكئاً وقَهْوةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِلُ[4]

[كان قدرياً وكان لبيد مثبتاً]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدّثنا أبو عليّ العَنزيّ قال حدّثني محمد بن معاوية الأسَديّ قال حدّثني رجلٌ عن أبَانَ بن تَغْلِب عن سِمَاك بن حَرْب قال قال لي يحيى بن مَتّى راويةُ الأعشى وكان نَصْرانيّاً عبَاديّاً وكان مُعَمَّراً قال : كان الأعشى

1 بالصيف رقرقت في الديوان ص 69 : رقرقت بالصيف .

2 ل : الشيعي .

3 قالوا الطراد في الديوان ص 48 : قالوا الركوب .

4 الراووق : الباطية .

قَدَرِياً[1] وكان لَبيدٌ مُثْبِتاً . قال لبيد : [من الرمل]

مَـنْ هَدَاه سُبُلَ الخيرِ اهتدَى ناعِـمَ البالِ ومَـنْ شاءَ أضَلّ

وقال الأعشى : [من المجزوء البسيط]

إستأثَـرَ اللهُ بالوفـــاءِ وبالـــ ـعَدْلِ ووَلَّـى المَلامـةَ الرَّجُلا

قلت : فمن أين أخذ الأعشى مذهبَه ؟ قال : من قِبَل العِباديّين نصارَى الحِيرة ، كان يأتيهم يشتري منهم الخمر فلقّنوه ذلك .

[هريرة عشيقته]

أخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ قال حدّثنا أبو شُرَاعة في مجلس الرِّياشيِّ قال حدّثنا مشايخ بني قَيْس بن ثَعْلَبة قالوا : كانت هُرَيْرة التي يشبِّبُ بها الأعشى أمَةً سَوْدَاءَ لحَسَّان بن عمرو بن مَرْثَد .

وأخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عُبيدة عن فِراس بن الخِنْدِف قال : كانت هُرَيْرةُ وخُلَيْدةُ أختين قَيْنتَيْن كانتا لِبشر بن عمرو بن مَرْثَد ، وكانتا تغنِّيانه النَّصْب[2] ، وقَدِم بهما اليمامةَ لمّا هرَب من النُّعمان . قال ابن دُرَيْد فأخبرني عمّي عن ابن الكَلْبيِّ بمثل ذلك .

[مدح المحلق الكلابي وذكر بناته فتزوّجن]

وأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديُّ عن الرِّياشيِّ مما أجازه له عن العُتْبيِّ عن رجل من قيس عَيْلان قال : كان الأعشي يُوافي سُوقَ عُكَاظ في كلّ سنة ، وكان المُحَلِّق الكِلابيُّ مِئْناثاً[3] مُمْلِقاً . فقالت له امرأته : يا أبا كِلاب ، ما يمنعك من التعرّض لهذا الشاعر ! فما رأيتُ أحداً اقتطعه إلى نفسه إلا وأكسبه خيراً . قال : وَيْحَكِ ! ما عندي إلا ناقتي وعليها الحِمْل ! . قالت : الله يُخْلِفُها عليك . قال : فهل له بُدٌّ من الشَّراب والمُسُوح ؟ قالت : إنّ عندي ذخيرةً لي ولعليٍّ أن أجمعَها . قال : فتلقّاه قبل أن يسبق إليه أحدٌ وابنُه يقوده فأخذ الخِطام ؛ فقال الأعشى : من هذا الذي غلَبنا على خِطَامنا ؟ قال : المحلِّق . قال : شريفٌ كريم ، ثم سلَّمه إليه فأناخه ؛ فنحَر له ناقته وكشَط له عن سَنامِها وكَبِدها ، ثم سقاه وأحاطت بناته به يَغْمِزنه ويَمْسَحْنه . فقال : ما هذه الجواري حَوْلي ؟ قال : بناتُ أخيك وهنّ ثمانٍ شَرِيدتُهن قليلة . قال : وخرج من عنده ولم يقل فيه شيئاً . فلما وافى سوقَ عُكَاظ إذا هو بسَرْحةٍ قد اجتمع الناس عليها وإذا الأعشى يُنْشِدهم : [من الطويل]

---

1 القدرية : الذين يحجدون القدر أي أن الله لم يقدر الشر على عباده .

2 النّصب : ضرب من أغاني العرب شبيه بالحداء .

3 المئناث : الذي اعتاد أن يلد الإناث .

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ إلى ضوء نـار باليَفاع تَحَرَّقُ
تُشَبُّ لمقرورَيْـن يصطليانهـا وباتَ على النارِ النَّدَى والمُحَلَّقُ
رَضِيعَيْ لِبانِ ثَـدْيِ أُمٍّ تحالفا بأَسْحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ[1]

فسلَّم عليه المحلَّق ؛ فقال له : مَرْحَبا يا سيِّدي بسيِّد قومه . ونادى : يا معاشر العرب ، هل فيكم مِذْكارٌ[2] يزوِّج ابنه إلى الشريف الكريم ؟ قال : فما قام من مقعده وفيهنّ مخطوبةٌ إلا وقد زوَّجها . وفي أول القصيدة غناء وهو : [من الطويل]

صوت

أَرِقْتُ ومـا هـذا السُّهادُ المؤرِّقُ وما بـيَ من سُقْمٍ وما بيَ مَعْشَقُ
ولكـن أُراني لا أزالُ بحـادثٍ أُغادَى بما لم يُمِس عندي وأُطْرَقُ

غنّاه ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لحنٌ ليونس من كتابه غيرُ مجنَّس . وفيه لابن سُرَيجْ ثقيلٌ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو .

[اسم المحلق الكلابي وسبب كنيته وسبب اتصاله بالأعشى]

أخبرني أبو العباس اليزيديُّ قال حدّثني عمّي عُبيد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيِّ عن المُفَضَّل قال : اسم المحلَّق عبدُ العُزَّى بن حَنْتَم[3] بن شَدّاد بن رَبيعة بن عبدالله بن عُبيد وهو أبو بكر بن كِلاب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصعة . وإنما سُمِّي مُحَلَّقاً لأن حِصاناً له عضّه في وجنته فحلَّق فيه حَلْقة .

قال : وأنشد الأعشَى قصيدته هذه [كِسْرَى] ففُسِّرت له ؛ فلما سمعها قال : إنْ كان هذا سهرِ لغير سُقْم ولا عِشْق فما هو إلا لصّ .

وذكر عليّ بن محمد النَّوْفَليُّ في خبر المحلَّق مع الأعشَى غيرَ هذه الحكايات ، وزعم أن أباه حدَّثه عن بعض الكِلاَبيّين من أهل البادية قال : كان لأبي المحلق شَرَفٌ فمات وقد أتلف مالَه ، وبقي المحلق وثلاثُ أخواتٍ له ولم يترك لهم إلا ناقةً واحدة وحُلَّتَيْ بُرودٍ حِبرَة كان يشهد فيهما الحقوق . فأقبل الأعشى من بعض أسفاره يريد منزلَه باليمامة ، فنزل الماءَ الذي به المحلَّق ، فقراه أهلُ الماء فأحسنوا قِرَاه . فأقبلت عمّة المحلَّق فقالت : يا ابنَ أخي ! هذا الأعشى قد نزل بمائنا وقد

1 أسحم داج : الليل أو سواد حلمة الثدي وقيل الرحم . وعوض : أبداً .
2 المذكار : الذي اعتاد أن يلد الذكور .
3 ل : خثيم .

قراه أهلُ الماء ، والعرب تزعم أنه لم يمدَح قوماً إلا رفَعهم ، ولم يهجُ قوماً إلا وضَعهم ؛ فانظر ما أقول لك واحتَلْ في زَقٍّ من خمر من عند بعض التُّجّار فأرسِلْ إليه بهذه الناقة والزِّقّ وبُرْديْ أبيك ؛ فوالله لئن اعتلج الكَبِدُ والسَّنام والخمرُ في جوفه ونظر إلى عِطْفيه في البردين ، ليقولنّ فيك شعراً يرفَعك به . قال : ما أملِك غير هذه الناقة ، وأنا أتوقّع رِسْلها[1] . فأقبل يدخل ويخرُج وَيهُمّ ولا يفعل ؛ فكلما دخل على عمّته حضَّتْه ؛ حتى دخل عليها فقال : قد ارتحل الرجلُ ومضَى . قالت : الآنَ والله أحسنُ ما كان القِرَى ! تُتْبِعه ذلك مع غلام أبيك ، مولىً له أسودَ شيخٍ ، فحيثما لحِقه أخبره عنك أنك كنت غائباً عن الماء عند نزوله إيّاه ، وأنّك لما وردتَ الماءَ فعلمتَ أنه كان به كرِهتَ أن يفوتك قِرَاه ؛ فإنّ هذا أحسن لموقعه عنده . فلم تزل تحضُّه حتي أتي بعضَ التّجار فكلّمه أن يُقْرِضه ثمن زقٍّ خمرٍ وأتاه بمن يضمن ذلك عنه فأعطاه ؛ فوجَّه بالناقة والخمر والبردين مع مولى أبيه فخرج يتبعه ؛ فكلما مرَّ بماء قيل : ارتحل أمِس عنه ، حتى صار إلى منزل الأعشى بمنفوحةِ اليمامة فوجد عنده عدّة من الفِتيان قد غدَّاهم بغير لحم وصَبَّ لهم فَضِيخا[2] فهم يشرَبون منه ، إذ قُرِع الباب فقال : آنظروا من هذا ؟ فخرجوا فإذا رسول المحلَّق يقول كذا وكذا ، فدخلوا عليه وقالوا : هذا رسول المحلَّق الكلابيّ أتاك بكيت وكيت . فقال : وَيْحَكم ! أعرابيٌّ والذي أرسل إليّ لا قَدْرَ له ! والله لئن اعتلج الكبدُ والسَّنام والخمر في جوفي لأقولنْ فيه شعراً لم أقلْ قطُّ مثلَه . فواثبه الفتيان وقالوا : غبتَ عنّا فأطلتَ الغَيْبة ثم أتيناك فلم تُطعمنا لحماً وسقيتَنا الفَضيخَ واللَّحمُ والخمرُ ببابك ، لا نرضى أبداً منك . فقال : ائذنوا له ؛ فدخل فأدّى الرسالة وقد أناخ الجَزُورَ بالباب ووضع الزِّقَّ والبردين بين يديه . قال : أقْرِه السلامَ وقل له : وصَلتْك رَحِمٌ ، سيأتيك ثناؤنا . وقام الفتيانُ إلى الجزور فنحروها وشقُّوا خاصرتَها عن كبدها وجلَدها عن سَنامها ثم جاؤوا بهما ، فأقبلوا يَشْوُون ، وصَبُّوا الخمر فشربوا ، وأكل معهم وشرب ولبس البُردْين ونظر إلى عِطْفيه فيهما فأنشأ يقول : [من الطويل]

أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّقُ

حتى انتهى إلى قوله : [من الطويل]

أبا مِسْمَعٍ سار الذي قد فعلتُم فأنجد أقوامٌ بـه ثـم أعْرَقوا[3]

---

1 الرِّسل : اللبن .

2 الفضيخ : شراب يتخذ من بسر مفضوخ وهو أن يجعل التمر في إناء ثم يصب عليه الماء الحار حتى تستخرج حلاوته .

3 فعلتم في الديوان ص 149 : صنعتم . الشطر الثاني في الديوان ص 148 : فأنجد أقوام بذاك وأعرقوا ، وأعرق : أتي العراق .

به تُعْقَدُ الأحمالُ في كلِّ منزلٍ وتُعْقَدُ أطرافُ الحبالِ وتُطْلَقُ[1]

قال : فسار الشِّعر وشاع في العرب . فما أتت على المحلَّق سنةٌ حتى زوّج أخواتِه الثلاثَ كلَّ واحدة على مائة ناقة ، فأيْسر وشَرُف .

وذكر الهَيْثم بن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية عن مَعْقِل عن أبي بكر الهِلاليّ قال : خرج الأعشى إلى اليمن يريد قيسَ بن معديكرب ، فمَّر ببني كِلاب ، فأصابه مطرٌ في ليلة ظَلْماء ، فأوَى إلى فتًى من بني بكر بنِ كلاب ، فَبصُر به المحلَّق وهو [عبد العُزَّى بن] حَنْتَم[2] بن شَداد بن رَبيعة بن عبدالله بن عُبَيد بن كِلاب وهو يومئذ غلامٌ له ذُؤابة ، فأتى أمَّه فقال : يا أمَّهْ ! رأيت رجلاً أخلِقْ به أن يَكْسِبَنا مجداً قالت : وما تريد يا بُنَيّ ؟ قال : نَضيفه الليلةَ . فأعطتْه جِلْبابَها فاشترَى به عَشِيراً[3] من جَزُور وخمراً ؛ فأتى الأعشى ، فأخذه إليه ، فطعِم وشرِب واصطلى ، ثم اصطبح فقال فيه : [من الطويل]

أرِقتُ وما هذا السُّهَادُ المؤرِّقُ

والرواية الأولى أصح .

[سألته امرأة أن يشبب ببناتها فشبب بهنّ فزوّجنّ]

أخبرني أحمد بن عَمَّار قال حدّثنا يعقوب بن نُعَيْم قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز عن الأصمعيّ قال حدّثني رجلٌ قال : جاءت امرأة إلى الأعشى فقالت : إنّ لي بناتٍ قد كسَدن عليَّ ، فشبِّبْ بواحدة منهنّ لعلها أن تَنْفُق . فشبَّبَ بواحدة منهنّ ، فما شعَر الأعشى إلا بجزور قد بُعِثَ به إليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : زُوّجتْ فلانةُ . فشبّبَ بالأخرى فأتاه مثلُ ذلك ، فسأل عنها فقيل : زُوّجتْ . فما زال يُشبِّب بواحدة فواحدة منهنّ حتى زُوِّجنَ جميعاً .

[أسره رجل من كلب كان قد هجاه فاستوهبه منه شريح بن السموءل]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن أبي سَعيد الأمويّ عن محمد بن السائب الكلبيّ قال : هجا الأعشي رجلاً من كَلْب فقال : [من الوافر]

بنو الشهرِ الحرامِ فلستَ منهم ولستَ من الكِرام بني عُبَيْدِ[4]

ولا من رَهْطِ جبَّارِ بن قُرْطٍ ولا من رَهْطِ حارثةَ بن زيدِ

---

1 الشطر الأول في الديوان ص 149 : به تُنفض الأحلاس في كل منزلٍ .

2 ل : خثيم .

3 العشير : العُشْر .

4 بني عبيد في الديوان ص 125 : بني العبيد .

قال : وهؤلاء كلُّهم من كلب ، فقال الكلبيّ : لا أبا لك : أنا أشرف من هؤلاء . قال : فسبَّه الناس بعدُ بهِجاء الأعشى إيّاه ، وكان متغيّظاً عليه . فأغار على قوم قد بات فيهم الأعشى فأسَر منهم نَفَراً وأسر الأعشى وهو لا يعرِفه ، ثم جاء حتى نزل بشُرَيْح بن السموءل بن عَادِياء الغَسَّانيّ صاحِب تَيْمَاءَ بحِصْنه الذي يقال له الأبْلَق . فمرّ شُرَيْحٌ بالأعشى ؛ فناداه الأعشى : [من البسيط]

شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنِّي بعد مـا عَلِقَتْ ... حبالَك اليومَ بعـد القدّ أظفاري
قد جُلْتُ مـا بين بانِقْيا إلى عَدَنٍ ... وطال في العُجْمِ تَرْدَادِي وتَسْيارِي[1]
فكان أكرَمهـم عهـداً وأوثقَهم ... مجـداً أبوك بعُرْفٍ غير إنكارِ[2]
كالغيثِ ما آستمطروه جـادَ وابلُه ... وفي الشّدائد كالمُستَأسِد الضاري[3]
كُنْ كالسموءل إذ طاف الهُمَامُ به ... في جَحْفَـلٍ كهَزِيعِ اللَّيلِ جَرَّارِ[4]
إذ سامه خُطَّتَيْ خَسْفٍ فقال له ... قـل مـا تشاء فإني سامعٌ حارِ[5]
فقـال غَـدْرٌ وثُكْلٌ أنتَ بينهما ... فاخْتَرْ وما فيهمـا حَـظٌّ لمختارِ
فشَكَّ غيرَ طويـلٍ ثم قـال لـه ... اقْتُلْ أسيرَك إنّي مانـعٌ جاري[6]
وسوف يُعقِبُنيـه إن ظَفِرتَ بـه ... ربٌّ كريـمٌ وبِيضٌ ذاتُ أطهارِ
لا سِرُّهنَّ لدينـا ذاهـبٌ هَدَراً ... وحافظاتٌ إذا استُودِعنَ أسراري[7]
فاختار أدراعَه كي لا يُسَبَّ بها ... ولم يكـن وعـدُه فيها بخَتَّارِ[8]

قال : وكان امرؤ القيس بن حُجْر أودع السموءل بن عادياء أدراعاً مائةً ، فأتاه الحارث بن ظالم ، ويقال الحارث بن أبي شَمِر الغَسَّانيّ ، ليأخذها منه ، فتحصّن منه السموءل ؛ فأخذ الحارث ابناً له غلاماً وكان في الصيد ، فقال : إمّا أنْ سلَّمتَ الأدراعَ إليّ وإمّا أنْ قتلتُ ابنَك . فأبى السموءل أن يُسلِم إليه الأدراع ؛ فضرب الحارثُ وَسْطَ الغلام بالسيف فقطَعه قطعتين ،

1 بانقيا : ناحية من نواحي الكوفة . ترادي في الديوان ص 126 : ترحالي .
2 فكان أكرمهم . . . . مجداً في الديوان ص 126 : فكان أوفاهم عهداً وأمنعهم جاراً .
3 وفي الشدائد في الديوان ص 126 : وعند ذمّته .
4 إذ طاف الهمامُ به في الديوان ص 126 : إذ سار الهمام له . كهزيع في الديوان ص 126 : كسواد .
5 خسف في الديوان ص 127 : خشف . قل ما تشاء في الديوان ص 127 : مهما تقله .
6 طويل في الديوان ص 127 : قليل . اقتل أسيرك في الديوان ص 127 : اذبح هديَّك .
7 هَدَراً في الديوان ص 127 : ضائع مذق . وحافظات في الديوان ص 127 : وكاتمات .
8 الشطر الأول في الديوان ص 127 : واختار أدراعه أنْ لا يُسَبَّ بها .

فيقال : إن جريراً حين قال للفرزدق : [من الطويل]

بسيفِ أبي رَغْـوانَ سيف مُجَاشِعٍ ضربتَ ولم تَضْرِبْ بسيفِ ابن ظالم[1]

إنما عنى هذه الضربةَ . فقال السموءل في ذلك : [من الوافر]

وَفَيْـتُ بذمّـةِ الكِنْـديّ إنّي إذا مـــا ذُمّ أقـوامٌ وَفَيْتُ

وأوصي عَادِيَـا يومـــاً بأن لا تُهـدِّم يـا سمـوءلُ مـا بَنَيْتُ

بَنَى لي عَادِيَـا حِصْناً حَصيناً ومـــاءً كلَّمـا شئتُ استقيتُ

قال : فجاء شُرَيح إلى الكلبيّ فقال له : هَبْ لي هذا الأسيرَ المضرور . فقال : هو لك ، فأطلقه . وقال : أقم عندي حتى أكْرِمَك وأحْبُوَكَ . فقال له الأعشى : إنّ من تمام صنيعتك أن تُعطيني ناقةً نَجيبة[2] وتُخَلِّيَني الساعة . قال : فأعطاه ناقةً فركِبها ومضى من ساعته . وبلغ الكلبيَّ أنّ الذي وهَب لشُرَيح هو الأعشى . فأرسل إلى شُرَيح : ابعثْ إلى الأسير الذي وهبتُ لك حتى أحْبُوَه وأُعطيَه . قال : قد مضى . فأرسل الكلبيُّ في أثره فلم يَلْحَقه .

[مدح عامر بن الطفيل وهجا علقمة بن علاثة]

حدّثنا ابن عُلاثةَ عن محمد بن العبَّاس اليزيديّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شَيْخ قال حدّثنا يحيى بن سعيد بن يحيى الأمويّ عن محمد بن السائب قال : أتى الأعشى الأسودَ العَنْسيَّ وقد امتدحه فاستبطأ جائزتـه . فقـال الأسود : ليس عندنا عينٌ ولكن نُعطيك عَرَضاً ، فأعطاه خمسمائة مثقال دُهْنا[3] وبخمسمائة حُلَلاً وعَنْبَرا . فلمّا مرّ ببلاد بني عامر خافهم على ما معه ، فأتى عَلْقمَة بن عُلاثةَ فقال له : أجِرْني ؛ فقال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال لا . فأتي عامِرَ بن الطُّفَيْل فقال : أجِرْني ؛ قال : قد أجرتُك . قال : من الجنّ والإنس ؟ قال نعم . قال : ومن الموت ؟ قال نعم . قال : وكيف تُجيرني من الموت ؟ قال : إنْ متَّ وأنت في جواري بعثتُ إلى أهلك الدِّيَة . فقال : الآن علمتُ أنك قد أجرتَني من الموت . فمدح عامراً وهجا عَلْقمة . فقال علقمة : لو علمتُ الذي أراد كنتُ أعطيته إيّاه .

قال الكلبيّ : ولم يهج علقمة بشيء أشدَّ عليه من قوله : [من الطويل]

تَبِيتُون في المَشْتَى مِـلاءً بطونُكم وجاراتُكم غَرْثَـى يَبِتْنَ خَمائصَا[4]

فرفع علقمة يديه وقال : لعنه الله ؛ إن كان كاذباً . أنحن نفعل هذا بجاراتنا ! وأخبار

1 أبو رغوان : لقب مجاشع .

2 ل : ناجية .

3 ل : ذهباً .

4 غرثى في الديوان ص 109 : جوعى .

الأعشى وعَلْقمة وعامر تأتي مشروحةً في خبر مُنَافرتهما إن شاء الله تعالى .

[تزوج امرأة من عنزة ثم طلقها وقال فيها شعراً]

أخبرني محمد بن العبَّاس اليزيديُّ قال حدّثني عمّي عُبَيْد الله قال حدّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيِّ عن المفضَّل وغيره من أصحابه : أنّ الأعشى تزوّج امرأة من عَنَزة ثم من هِزَّان ، قال : وعَنزة هو ابن أسد بن رَبيعة بن نِزَار ، فلم يَرْضَها ولم يستحسن خُلفها ؛ فطلَّقها وقال فيها : [من الطويل]

بيني حَصَانَ الفَرْجِ غيرَ ذَميمةٍ ... وموموقةً فينا كذاك ووامقَهْ

وذُوقي فتَى قومٍ فإنِّيَ ذائقٌ ... فتاةَ أُناسٍ مثلَ ما أنتِ ذائقَهْ

لقد كان في فِتْيانِ قومِكِ مَنْكَحٌ ... وشُبّانِ هِزَّانَ الطِّوالِ الغَرَانِقَهْ

فبيني فإنّ البَيْن خيرٌ من العصا ... وإلا تَرَىْ لي فوقَ رأسِك بارقَهْ

وما ذاك عِندي أن تكوني دنيئةً ... ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقَهْ[1]

ويا جارتا بيني فإنّك طالقه ... كذاك أمورُ الناس غادٍ وطارقَهْ

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا الحسين بن إبراهيم بن الحُرّ قال حدّثنا المُبارَك بن سَعيد عن سُفْيان الثَّوْريِّ قال : طلاقُ الجاهلية طلاقٌ . كانت عند الأعشى امرأة فأتاها قومُها فضربوه وقالوا : طلِّقها فقال : [من الطويل]

أيا جارتا بيني فإنّك طالقَهْ ... كذاكَ أمورُ النّاسِ غادٍ وطارقَهْ

وذكر باقيَ الأبيات مثلَ ما تقدّم .

أخبرنا أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث قال حدّثنا عثمان البَرْقيُّ في إسناد له قال : أخذ قومٌ الأعشى فقالوا له : طلّق امرأتك ؛ فقال : [من الطويل]

أيا جارتا بيني فإنّك طالقهْ ... كذاكَ أمورُ الناسِ غادٍ وطارقهْ

ثم ذكر نحوَ الخبر الذي قبله على ما قدّمناه .

في هذه الأبيات غناء نسبته : [من الطويل]

صوت

فبيني فإنَّ البينَ خيرٌ من العصا ... وإلا تَرَيْ لي فوق رأسِك بارقَهْ[2]

---

1 في الديوان ص 183 :

وما ذاك من جرم عظيم جنيته ... ولا أن تكوني جئت فينا ببائقة

2 وإلا ترى في الديوان ص 183 : وإلا تزال .

وما ذاكَ عندي أن تكوني دنيئةً ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقَهْ
ويا جارتا بيني فإنّكِ طالقهْ كذاكَ أمورُ الناسِ غادٍ وطارقَهْ

الشعر للأعشى . والغناء للهُذَليِّ خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن الهشاميِّ . قال الهشاميُّ : وفيه لفُلَيح خفيفُ ثقيل بالوسطى لا يُشَكّ فيه من غنائه . وذكر حَبَشٌ أن الثقيل الثانيَ لابن سُرَيج . وذكر عُبيد الله بن عبدالله بن طاهر أنّ الخفيفَ الثانيَ المنسوبَ إلى فُلَيح لأبيه عبدالله بن طاهر . وهذا الصوت يُغَنَّى في هذا الزمان على ما سمعناه : [من الطويل]

أيا جارتا دُومي فإنك صادقَهْ وموموقةٌ فينا كذاك ووامِقَهْ
ولم نفترقْ أنْ كنتِ فينا دنيئةً ولا أن تكوني جئتِ عندي ببائقهْ

وأحسبه غُيِّر في دُور الطاهريّة على هذا .

[فخر الأخطل بشعر له في الخمر فرد عليه الشعبي بشعره]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني سَوَّار بن أبي شُرَاعة قال حدّثني أبي عن مسعود بن بِشْر عن أبي عُبيدة قال : دخل الأخطل على عبد الملك بن مَرْوان وقد شرِب خمراً وتضمّخ بلَخَالخَ[1] وخَلُوقٍ وعنده الشَّعْبيّ . فلما رآه قال : يا شعبيّ ، ناك الأخطلُ أُمّهاتِ الشعراء جميعاً . فقال له الشعبيّ : بأيّ شيء ؟ قال حين يقول : [من الكامل]

وتظلُّ تَنْصُفنا بها قَرَوِيّةٌ إبريقُها برقاعِه ملثومُ[2]
فإذا تعاورتِ الأكُفُّ زُجَاجَها نَفَحتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ

فقال الأخطل : سمعتَ بمثل هذا يا شعبيّ ؟! قال : إن أمِنْتُك قلتُ لك . قال : أنت آمن . فقلت له : أشعرُ والله منك الذي يقول : [من الوافر]

وأدْكنَ عاتِقٍ حَجْلٍ رِبَحْلٍ صبَحتُ براحِه شَرْباً كِرَاما[3]
من اللائي حُمِلن على المَطايَا كريحِ المسكِ تستلُّ الزُّكاما[4]

فقال الأخطل : وَيْحَك ! ومن يقول هذا ؟ قلت : الأعشى أعشى بني قيس بن ثعلبة . فقال : قُدّوس قُدّوس ! ناك الأعشى أُمّهاتِ الشعراء جميعاً وحقّ الصليب ! .

---

1 لخالخ : ضرب من الطيب .
2 تنصفنا : تخدمنا .
3 العاتق : القديم . الحَجل : السقاء الواسع . الربحل : الضخم ، وفي الديوان ص 135 : سِبَحْلٍ .
4 من اللائي حملن على المطايا في الديوان ص 135 : من اللاتي حُملن على الروايا .

أخبرني هاشم بن محمد الخُزَاعيّ قال حدّثنا أبو غَسَّان دَمَاذ عن أبي عُبيدة والهَيْثَم بن عدِيْ ، وحدّثني الصُّوليُّ قال حدّثني الغَلابيّ عن العُتَّبيّ عن أبيه ، وذكر هارون بن الزيّات عن حَمَّاد عن أبيه عن عبدالله بن الوليد عن جعفر بن سعيد الضَّبِّيّ ، قالوا جميعاً : قدِم الأخطل الكوفَة ، فأتاه الشعبيّ يسمع من شعره . قال : فوجدته يتغدّى ، فدعاني أتغدّى فأتيته ، فوُضع الشراب فدعاني إليه فأتيته . فقال ما حاجتُك ؟ قلت : أحبّ أن أسمع من شعرك ؛ فأنشدني قوله : [من الكامل]

صَرَمَتْ أُمَامةُ حبلَنا ورَعُومُ

حتى انتهى إلى قوله :

فإذا تعاورتْ الأكُفُّ خِتامَها نَفَحَتْ فشَمَّ رياحَها المزكومُ[1]

قال : يا شَعْبيّ ، ناك الأخطل أمّهاتِ الشعراء بهذا البيت . قلت : الأعشى أشعر منك يا أبا مالك . قال : وكيف ؟ قلت : لأنه قال : [من الكامل]

من خمرِ عانةَ قد أتى لخِتامها حَوْلٌ تَسُلُّ غُمَامةَ المزكومِ

فضرب بالكأس الأرضَ وقال : هو والمسيح أشعرُ منّي ! ناك والله الأعشى أمّهات الشعراء إلا أنا .

[مدح سلامة ذا فائش فأجازه]

حدّثني وَكيع قال حدّثني محمد بن إسحاق المَعْوَليّ عن إسحاق الموصليّ عن الهَيْثَم ابن عَدِيّ عن حَمّاد الراوية عن سِمَاك بن حَرْب قال : قال الأعشى : أتيتُ سَلامةَ ذا فائش فأطلت المُقامَ ببابه حتى وصلت إليه ، فأنشدتُه : [من المجزوء البسيط]

إنّ مَحَلاً وإن مُرْتَحَلاً وإنّ في السَّفْرِ من مَضَى مَهَلاً[2]
استأثرَ اللهُ بالوفاء وبالـ ـعَدْلِ وولّى المَلامةَ الرجلا
الشعرُ قَلَّدتُه سَلامةَ ذا فائشَ والشيءُ حيثُ ما جُعلا[3]

فقال : صدقْتَ ، الشيء حيث ما جُعل ، وأمر لي بمائة من الإبل وكساني حُللا وأعطاني كَرِشاً مدبوغةً مملوءةً عنبرا وقال : إياك أن تُخدع عما فيها . فأتيت الحِيرةَ فبعتُها بثلاثمائة ناقة حمراء .

[أراد أن يفد على النبي ليسلم فردته قريش بجائزة فعثر به بعيره فمات]

أخبرني حبيب بن نصر المُهَلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدّثنا عمر بن شَبَّة

---

1 فشم في ل : فنال .

2 من مضى في الديوان ص 155 : إذْ مضى .

3 الشعرُ . . . . فائش في الديوان ص 157 : قلدتُكَ الشّعر يا سلامة ذا التفضال .

قال قال هشام بن القاسم الغَنَوِيّ وكان عَلاَّمةً بأمر الأعشى : إنه وفد إلى النبيّ ﷺ وقد مدحه بقصيدته التي أولها : [من الطويل]

ألم تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَدَا وعادكَ ما عادَ السَّليمَ المُسَهَّدَا

وما ذاكَ من عشقِ النساءِ وإنما تناسيتَ قبل اليوم خُلَّةَ مَهْدَدَا[1]

وفيها يقول لناقته : [من الطويل]

فآليتُ لا أُرْثي لها من كَلاَلَةٍ ولا من حَفاً حتى تَزُورَ محمدا

نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْن وذكرُه أغارَ لعَمْرِي في البلادِ وأنْجدا

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ تُراحي وتَلْقَيْ من فَوَاضِله يدا[2]

فبلغ خبرُه قريشاً فرصَدوه على طريقه وقالوا : هذا صَنَّاجةُ العرب ، ما مدح أحداً قَطُّ إلا رَفع في قدره : فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بَصِير ؟ قال : أردتُ صاحبَكم هذا لأسلم . قالوا : إنه ينهاك عن خلال ويحرِّمها عليك ، وكلُّها بك رافِق ولك موافِق . قال : وما هنّ ؟ فقال أبو سفيانَ بنُ حرْب : الزِّنا . قال : لقد تركني الزِّنا وما تركته ؛ ثم ماذا ؟ قال : القِمار . قال : لعلِّي إن لَقِيتُه أن أصيبَ منه عِوَضاً من القِمار ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الرِّبا . قال : ما دِنْتُ ولا ادَّنْتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أوَّهْ ! أرْجع إلى صُبَابةٍ قد بقيتْ لي في المِهْراس[3] فأشربُها . فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما هممتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن وهو الآنَ في هُدْنة ، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سَنَتَك هذه وتنظُر ما يصير إليه أمرنا ، فإن ظهرْنا عليه كنتَ قد أخذت خَلَفاً ، وإن ظهر علينا أتيته . فقال : ما أكره ذلك . فقال أبو سفيان : يا معشر قريش ، هذا الأعشي ! والله لئن أتى محمداً واتّبعه ليُضرمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره ، فاجمعوا له مائةً من الإبل ، ففعلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع منفوحةَ[4] رمَى به بعيرُه فقتله .

[قبره بمنفوحة يتنادم عليه الفتيان]

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال حدّثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن أبي حَفْصة قال : قبر الأعشى بمَنْفُوحةَ وأنا رأيته ؛ فإذا أراد الفِتيانُ أن يشربوا خرجوا إلى قبره فشربوا عنده

1 مهدد : معشوقة الأعشى .

2 يدا في الديوان ص 103 : ندا .

3 المهراس : حجر منقور يسع كثيراً من الماء .

4 منفوحة : قرية مشهورة من نواحي اليمامة .

وصبّوا عنده فَضَلاتِ الأقداح .

أخبرني أبو الحسن الأسَديّ قال حدّثنا عليّ بن سليمان النَّوْفَلي قال حدّثنا أبي قال : أتيت اليمامة والياً عليها ، فمررتُ بمنفوحةَ وهي منزل الأعشى التي يقول فيها : [من السريع]

بشَطِّ منفوحةَ فالحاجرِ

فقلت : أهذه قرية الأعشى ؟ قالوا نعم . فقلت : أين منزله ؟ قالوا : ذاك وأشاروا إليه . قلت : فأين قبره ؟ قالوا : بِفناء بيته . فعدلت إليه بالجيش فانتهيت إلى قبره فإذا هو رَطْبٌ . فقلت : ما لي أراه رطباً ؟ فقالوا : إن الفِتْيان ينادمونه فيجعلون قبره مجلس رجل منهم ، فإذا صار إليه القدح صَبُّوه عليه لقوله :

«أرجعُ إلى اليمامة فأشبَع من الأطيَبيْن الزنا والخمر» .

[صوت معبد المسمى بالدوامة في شعره]

وأخبرنا الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات قال حدّثنا الأطْروش بن إسحاق بن إبراهيم عن أبيه : أنّ ابن عائشة غنّى يوماً : [من الطويل]

هُرَيْرةَ ودّعها وإن لام لائمُ

فأعجبتْه نفسُه ورآه ينظر في أعطافه . فقيل له : لقد أصبحت اليومَ تائهاً ! فقال : وما يمنعني من ذلك وقد أخذتُ عن أبي عَبّاد معبدٍ أحد عشر صوتاً منها : [من الطويل]

هريرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ

وأبو عَبّاد مغنّي أهل المدينة وإمامُهم ! .

قال : وكان مَعْبد يقول والله لقد صنعت صوتاً لا يقدِر أن يغنّيه شبعانٌ ممتلِيء ، ولا يقدر متكيءٌ على أن يُغنّيه حتى يَجْثُوَ ، ولا قائم حتى يقعُد . قيل : وما هو يا أبا عَبّاد ؟ قال إسحاق فأخبرني بذاك محمد بن سَلاّم الجُمَحيُّ أنه بلغه أن معبداً قاله . وأخبرني بهذا الخبر إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال : حدّثنا أبو غَسّان محمد بن يحيى قال : قال معبد : والله لأغنيّن صوتاً لا يغنيّه مهموم ولا شبعانٌ ولا حاملُ حِمْلٍ ، ثم غنّى : [من المجزوء الخفيف]

ولقد قلتُ والضمـ ـرُ كثيـرُ البلابِلِ
ليـتَ شعري تَمَنّياً والمُنَـى غيرُ طائـلِ
هـل رسولٌ مبلِّـغ فيُـؤَدِّي رسائـلي

لحنُ معبد هذا خفيفُ ثقيل بالسبّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه ثقيلٌ أوّلُ ينسب إليه أيضاً ، ويقال : إنه لأهل مكة .

[صوت معبد المسمّى بالمنمنم]

ومنها الصوت المسمَّى بالمُنَمْنَم .

صوت

[من الخفيف]

هاجَ ذا القلبَ من تَذَكُّر جُمْلٍ ... مـا يَهيـج المتيـمَّ المحزونـا
إذ تـراءتْ على البَلاطِ فلمّا ... واجهتْنا كالشمسِ تُعْشي العيونا
ليلةَ السبت إذ نظـرتُ إليها ... نظـرةً زادت الفـؤادَ جنونا

الشعر لإسماعيلَ بنِ يَسَار . والغناء لمَعْبدٍ ثقيل أوّل بالوسطى . وفيه لدَحْمانَ ثاني ثقيل بالبنصر ، ذكر الهِشاميّ أنّه لا يَشَكّ فيه من غنائه . وقد مضت أخبار إسماعيل بن يسار في المائة المختارة فاستُغْني عن إعادتها ها هنا .

[صوت معبد المسمى بمعقصات القرون]

صوت

[من الطويل]

أمـن آل لَيْلَى بالمَـلا مُتَرَبَّـعُ ... كما لاح وَشْمٌ في الذراع مُرَجَّعُ
سأتْبعُ لَيْلَى حيث سارت وخيَّمتْ ... ومـا الناسُ إلا آلِـفٌ ومُوَدِّعُ

الشعر لعمرو بن سعيد بن زيد ، وقيل : إنه للمجنون وإنّ مع هذين البيتين أخرَ وهي :

وقفتُ لليلَي بعد عشرين حِجَّةً ... بمنزلـةٍ فانهلَّـتِ العينُ تَدْمَعُ
فأمرضَ قلبي حبُّهـا وطِلابُهـا ... فيا آلَ ليلَى دعوةً كيف أصْنَعُ
سأتبَع ليلى حيث حلّت وخيمتْ ... ومـا الناسُ إلا آلِفٌ ومودِّعُ
كأن زِمامـاً في الفـؤادِ معلَّقاً ... تَقُودُ بـه حيث استمرتْ وأتبَعُ

والغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بالسبابة في مجرى الوسطى . وقد ذكر حماد بن إسحاق عن أبيه أن هذا الصوت منحول إلى معبد وأنه مما يُشبه غناءه . وذكر ابن الكلبيّ عن محمد بن يزيد أن معبداً أخذ لحن سائب خاثر في : [من الطويل]

أفاطمُ مهلاً بعضَ هذا التدلُّل

فغنى فيه : [من الطويل]

أمـن آلِ ليلى بالمَـلا متربَّعُ

[133] ـ نسب عمرو بن سعيد بن زيد أخباره

[نسبه ، وشيء عن أبيه سعيد بن زيد]

هو عمرو بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل بن عبد العُزَّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزاح بن عَدِي بن كعب بن لُؤَيٍّ بن غالب . وسعيد بن زيد يُكنى أبا الأعور ، وهو أحد العشرة الذين كانوا مع رسول الله ﷺ على حِراءَ فرجَف بهم ، فقال : «اثبُت حِراءُ فليس عليك إلا نبيٌّ أو صِدِيق أو شهيد» .

134 ـ [بعض أخبار لمغنين وشعراء]

[معبد وابن عائشة في حضرة الوليد بن يزيد]

أخبرني ابن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدثني أبي قال حدثني الهيثم بن سُفيان عن أبي مِسكين قال : جلس الوليد بن يزيد يوماً للمغنّين وكانوا متوافرين عنده وفيهم مَعبَد وابن عائشة ؛ فقال لابن عائشة : يا محمد . قال : لَبَّيك يا أمير المؤمنين . قال : إني قد قلت شعراً فغَنِّ فيه . قال وما هو ؟ فأنشده إياه ، وترنَّم به محمد ثم غنَّاه فأحسن ، وهو : [من مجزوء الرمل]

صوت

عَلِّلاني واسقِياني ... من شرابٍ أصبهاني
من شرابِ الشيخِ كِسرى ... أو شراب القَيرَوانِ
إن في الكأس لَمِسكاً ... أو بكفَّي مَن سَقاني
أوْ لقد غُودِرَ فيها ... حين صُبَّت في الدِّنانِ
كَلِّلاني تَوِّجاني ... وبشعري غَنِّياني
أطلِقاني بوَثاقي ... واشدُداني بعِناني
إنما الكأسُ ربيعٌ ... يُتعاطَى بالبَنانِ
وحُمَيَّا الكأسِ دَبَّتْ ... بين رِجْلي ولِساني

الغِناء لابن عائشة هَزَجٌ بالبنصر من رواية حَبَش ، قال : فأجاد ابن عائشة واستحسن غناءَه مَن حضَر ؛ فالتفت إلى معبد فقال : كيف ترى يا أبا عباد ؟ فقال له معبد : شِنتَ غناءَك بصَلَفِك . قال ابن عائشة : يا أحول ، والله لولا أنك شيخُنا وأنك في مجلس أمير المؤمنين لأعلمتك مَنِ الشائنُ لغنائه أنا بصَلَفي أم أنت بقبح وجهك . وفطَن الوليدُ بحركتهما فقال : ما هذا ؟ فقال : خيرٌ يا أمير المؤمنين ، لحنٌ كان معبد طارَحنِيه فأُنسِيتُه فسألته عنه لأغنِّيَ فيه أميرَ المؤمنين . فقال وما هو ؟ قال : [من الطويل]

أمِن آلِ ليلى بالمَلا مُتَربَّعُ ... كما لاح وشمٌ في الذِراع مُرَجَّعُ

فقال : هاتِ يا معبد ، فغناه إياه ؛ فاستحسنه الوليد وقال : أنت والله سيِّد مَن غنَّى . وهذا الخبر أيضاً مما يدل على أن ما ذكره حَمَّاد من أن هذا الصوت منحول لمعبد لا حقيقة له .

[أحمد بن أبي العلاء يغني المعتضد بشعر الوليد فيجيزه]

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيض قال حدثني أحمد بن أبي العلاء المغنِّي قال : غنَّيتُ المعتضدَ صوتاً في شعر له ثم أتبعتُه بشعر الوليد بن يزيد : [من مجزوء الرمل]

كلِّـلاني توِّجـــاني وبشِعــرِي غنِّيـاني

فقال : أحسن والله ! هكذا تقول الملوك المُترَفون ، وهكذا يطرَبون ، وبمثل هذا يُشيرون ، وإليه يرتاحون ! أحسنتَ يا أحمد الاختيار لِما شاكل الحالَ ، وأحسنتَ الغناء ، أعد ؛ فأعدته ، فأمر لي بعشرة آلاف درهم وشرب رطلاً ثم استعاده فأعدتُه ، وفعل مثل ذلك حتى استعاده ستَّ مَرَّات وشرب ستَّة أرطال وأمر لي بعشرة آلاف درهم ، وقال مرةً أُخرى بستمائة دينار ، ثم سكِر . وما رُئي قبل ذلك ولا بعده أعطى مغنِّياً هذه العطية . وفي الخبر زيادة وقد ذكرته في موضع آخر يصلُح له .

وقد ذكر محمد بن الحسن الكاتب عن أحمدَ بن سهل النُّوشَجاني أنه حضر أحمدَ بن أبي العلاء وقد غنَّى المعتضدَ هذا الصوتَ في هذا المجلس وأمر له بهذا المال بعينه ولم يشرح القصة كما شرحها أحمد .

[صوت معبد المسمى بالمتبختر]

ومنها صوت وهو المتبخترِ

[من الخفيف]

جعَـل الله جعفـراً لـكِ بَعلاً وشِفاءً مـن حادث الأَوصابِ
إذ تقولـين للوَليـدة قُومـي فانظُري مَـن تَرَينَ بالأبوابِ

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالبنصر . وذكر حَماد عن أبيه في كتاب معبد أنه منحول إلى معبد وأنه لكَردَم .

[صوت معبد المسمى مقطع الأثفار]

صوت
وهو المسمى مُقَطِّع الأثفار

[من الخفيف]

ضوءُ نارٍ بـــدا لعينك أم شَبَّـ ـتْ بذي الأَثَلِ من سَلامةَ نارُ
تلك بين الرِّياض والأَثلِ والبا نـاتِ منَّـا ومـن سَلامةَ دارُ

وكذاكَ الزمـــانُ يذهبُ بالنا س ِ وتَبقـــى الرُّسومُ والآثارُ[1]

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر يونس أن فيه صوتين لمعبد وعمر الوادي رَمَلٌ عن الهِشامي . وفيه لعبد الله بن العباس خفيفُ رمل بالوسطى .

[الأحوص وموسى شهوات]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عمّي قال : مدَح موسى شَهَوات أبا بكر بن عبد العزيز بن مَروان بقصيدةٍ أحسن فيها وأجاد وقال فيها : [من الخفيف]

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا س ِ وتَبقى الديـــارُ والآثارُ

فقام الأحوص ودخل منزلَه وقال قصيدةً مدح فيها أبا بكر بن عبد العزيز أيضاً وأتى فيها بهذا البيت بعينه وخرج فأنشدها . فقال له موسى شهوات : ما رأيت يا أحوصُ مثلَك ! قلتُ قصيدةً مدحتُ فيها الأمير فسرقتَ أجودَ بيت فيها وجعلتَه في قصيدتك . فقال له الأحوص : ليس الأمر كما ذكرتَ ، ولا البيت لي ولا لك ، هو للَبيد سرقناه جميعاً منه ، إنما ذكر لبيدٌ قومَه فقال : [من الخفيف]

فعفـــا آخـرُ الزمـانِ عليهم فعـــلى آخـرِ الزمان الدَّبارُ[2]

وكذاك الزمانُ يذهبُ بالنا س ِ وتبقى الرُّسُومُ والآثارُ

قال : فسكت موسى شهوات فلم يُحِرْ جواباً كأنما أُلقَمه حَجَراً .

[حديث سلامة مع الأحوص وعبد الرحمن بن حسان]

ونسخت من كتاب أحمد بن سعيد الدِّمشقي خبر الأحوص مع سَلامةَ التي ذكرها في هذا الشعر وهو موضوع لا أشكُّ فيه لأن شعره المنسوب إلى الأحوص شعر ساقطٌ سخيفٌ لا يشبه نَمَطَ الأحوص ، والتوليدُ بَيِّن فيه يشهد على أنه مُحدَث . والقصة أيضاً باطلةٌ لا أصل لها ؛ ولكنّي ذكرتُه في موضعه على ما فيه من سوء العهدة . قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني أبو محمد الجَرَري قال : كانت بالمدينة سلامةُ من أحسن الناس وجهاً وأتمِّهن عقلاً وأحسنِهن حديثاً قد قرأت القرآنَ وروت الأشعارَ وقالت الشعر ، وكان عبد الرحمن بن حَسَّان والأحوص بن محمد يختلفان إليها فيروِّيانها الشعرَ ويُناشِدانها إيَّاه . فعَلِقَت الأحوصَ وصَدَّت عن عبد الرحمن . فقال لها عبد الرحمن يعرِّض لها بما ظَنَّه من ذلك : [من الوافر]

1 الآثار في الديوان ص 125 : الدّيار .

2 الدبار : الهلاك .

أرى الإقبالَ منكِ على خليلي وما لي في حديثكُم نَصيبُ

فأجابته : [من الوافر]

لأن الله علَّقه فؤادي فحاز الحبَّ دونَكم الحبيبُ

فقال الأحوص : [من الوافر]

خليلي لا تَلُمها في هواها أَلَذُّ العيشِ ما تَهوى القلوبُ

قال : فأضرب عنها ابنُ حسَّان وخرج ممتدحاً ليزيد بنِ معاوية فأكرمه وأعطاه . فلما أراد الانصراف قال له : يا أمير المؤمنين ، عندي نصيحة . قال : وما هي ؟ قال : جارية خلَّفتُها بالمدينة لامرأة من قريش من أجمل الناس وأكملهم وأعقلهم ولا تصلحُ أن تكون إلا لأمير المؤمنين وفي سُمَّارِه . فأرسل إليها يزيدُ فاشتُريت له وحُملت إليه ؛ فوقعت منه موقعاً عظيماً وفضَّلها على جميع من عنده . وقدِمَ عبدُ الرحمن المدينةَ فمرَّ بالأحوص وهو قاعد على باب داره وهو مهموم ، فأراد أن يَزيده إلى ما به فقال : [من السريع]

يا مُبتَلىً بالحبِّ مفدوحا لاقى من الحبِّ تَبارِيحا
أَلجمه الحبُّ فما يَنثَنِي إلا بكأس الشوقِ مَصبوحا
وصار ما يُعجبه مُغلَقاً عنه وما يكره مفتوحا
قد حازها من أصبحتْ عنده ينالُ منها الشَّمَّ والرِّيحا
خليفةُ اللهِ فسَلِّ الهَوى وعَزِّ قلباً منكَ مجروحا

فأمسك الأحوصُ عن جوابه . ثم إن شابَّين من بني أُمية أرادا الوِفادةَ إلى يزيدَ ، فأتاهما الأحوص فسألهما أن يحملا له كتاباً ففعلا . فكتب إليها معهما : [من الكامل]

سَلامُ ذكرُكِ مُلصَقٌ بلساني وعلى هواكِ تَعُودُني أحزاني
ما لي رأيتُكِ في المنام مطيعةً وإذا انتبهتُ لجَجتِ في العصيانِ
أبداً محبُّك مُمسِكٌ بفؤاده يخشى اللَّجاجةَ منكِ في الهِجرانِ
إن كنتِ عاتبةً فإني مُعتِبٌ بعد الإساءة فاقبلي إحساني
لا تقتُلي رجلاً يَراكِ لما به مثلَ الشراب لغُلة الظمآنِ
ولقد أقولُ لقاطنَين مِنَ آهلنا كانا على خُلُقي من الإخوانِ
يا صاحبيَّ على فؤادي جمرةٌ وبَرى الهوى جسمي كما تَرَيانِ

أَمُرَقِّيـــانِ إلى سَلامـــةِ أنتمـــا ... مـــا قـــد لقيتُ بها وتَحتَسِبانِ[1]

لا أستطيـع الصبرَ عنهـــا إنّهـــا ... مـــن مهجتي نزلتْ بكـــلِّ مكانِ

قال : ثم غلبه جَزَعُه فخرج إلى يزيد ممتدحاً له . فلما قدِم عليه قرَّبه وأكرمه وبلغ لديه كلَّ مبلغ . فدسَّت إليه سلامةُ خادماً وأعطته مالاً على أن يُدخلَه إليها . فأخبر الخادمُ يزيدَ بذلك ؛ فقال : امضِ برسالتها . ففعل ما أمره به وأدخل الأَحوصَ ، وجلس يزيدُ بحيث يراهما . فلما بَصُرت الجاريةُ بالأَحوص بكت إليه وبكى إليها ، وأمرت فأُلقي له كرسيٌّ فقعد عليه ، وجعل كلُّ واحد منهما يشكو إلى صاحبه شدةَ الشوق . فلم يزالا يتحدثان إلى السَّحَر ويزيدُ يسمع كلامهما من غير أن تكون بينهما رِيبةٌ . حتى إذا هَمَّ بالخروج قال : [من البسيط]

أمسى فـــؤاديَ في هـــمٍّ وبِلبالِ ... مـــن حبِّ مَـــن أَزَلْ منه على بالِ

فقالت : [من البسيط]

صحا المحبُّون بعد النأي إذ يئسوا ... وقد يئستُ وما أَصحو على حالِ

فقال : [من البسيط]

مَن كان يسلو بيأسٍ عن أَخي ثِقَةٍ ... فعـــن سَلامةَ مـــا أمسيتُ بالسَّالِي

فقالت : [من البسيط]

واللهِ واللهِ لا أَنساكَ يـــا سَكَنِـــي ... حتى يُفارِقَ منِّـــي الرُّوحُ أَوصالِي

فقال : [من البسيط]

واللهِ ما خاب مَن أمسى وأنتِ له ... يا قُـرَّةَ العـــينِ في أَهلٍ وفي مالِ

ثم ودعها وخرج . فأخذه يزيدُ ودعا بها فقال : أخبراني عما كانَ جرى بينكما في ليلتكما واصدُقاني . فأخبراه وأنشداه ما قالاه ، فلم يَخرِما حرفاً ولا غيَّرا شيئاً مما سمعه . فقال له يزيد : أتحبُّها يا أَحوص ؟ قال : إي والله يا أَمير المؤمنين : [من البسيط]

حُباً شديداً تليـداً غيرَ مُطَّرِفٍ ... بين الجوانح مثلَ النار يَضطَرِمُ

فقال لها : أتحبِّينه ؟ قالت : نعم يا أَمير المؤمنين : [من البسيط]

حباً شديداً جرى كالرُّوح في جسدي ... فهـــل يُفَـــرَّق بـــين الرُّوحِ والجسدِ

فقال يزيد : إنكما لَتَصِفانِ حبّاً شديداً ، خُذها يا أَحوص فهي لك ؛ ووصله بصلةٍ سنية ، وانصرف بها وبالجارية إلى الحِجاز وهو من أَقَرِّ الناس عيناً . مضى الحديث .

---

1 أمرقيان : أي رافعان إلى سلامة .

135 ـ [مدن معبد]

[مدن معبد أو حصونه]

أصوات

معبد المسماة مُدُنَ معبد وتسمَّى أيضاً حصونَ معبد

أخبرني ابنُ أبي الأزهر والحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه ، قال حسين في خبره ، واللفظ له ، عن إسماعيل بن جامع عن يونس الكاتب قال : قال معبد وقد سمع رجلاً يقول : إن قُتَيبة بن مُسلِم فتح سبعةَ حصون أو سبعَ مُدُن بخُراسان فيها سبعة حصون صعبة المُرتَقى والمسالك لم يُوصَل إليها قطُّ . فقال : والله لقد صنعتُ سبعةَ ألحان كلٌّ لحنٍ منها أشد من فتح تلك الحصون . فسئل عنها فقال : [من الطويل]

لعَمرِي لئن شَطَّتْ بعَثمةَ دارُها

و : هُرَيرةَ ودِّعها وإن لام لائمُ [من الطويل]

و : رأيتُ عَرابةَ الأَوسِيَّ يَسمُو [من الوافر]

و : كم بذاك الحَجُونِ من حَيٍّ صِدقٍ [من الخفيف]

و : لو تعلمينَ الغَيبَ أيقنت أنّني [من الطويل]

و : يا دار عَبلةَ بالجِواء تكلَّمِي [من الكامل]

و : ودِّع هريرةَ إن الركبَ مُرتحِلُ [من البسيط]

ومن الناس من يروي مُدُنَ معبد : [من الطويل]

تقطَّع من ظَلاَّمةَ الوصلُ أجمعُ

و : خَمصانةٌ قَلِقٌ مُوشَّحُها [من الكامل]

و : يومَ تُبدِي لنا قُتَيلةُ

مكان كم بذاك الحَجُونِ من حَي صدقِ [من الخفيف]

و : لو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني [من الطويل]

و : يا دارَ عَبلة بالجِواء تكلَّمي [من الكامل]

نسبة هذه الأصوات وأخبارها

صوت

[من الطويل]

لعَمرِي لئن شَطَّت بعَثمةَ دارُها لقد كدتُ من وَشك الفِراق أُليحُ
أَرُوح بهَـمٍّ ثـم أُغـدُو بمثله ويُحسَب أني في الثيابِ صحيحُ

عروضه من الطويل . شَطت : بعُدت . ووَشك الفراقِ : دنوُّه وسرعته . وأليح : أشفِق وأَجزَع . الشعر لعُبَيد الله بن عبد الله بن عُتبة الفقيه . والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالخنصر في مجرى البنصر من رواية يونُس وإسحاقَ وعمرٍو وغيرِهم . وفيه رمل يقال : إنه لابن سُريج .

[136] ـ ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه

[نسبه]

هو عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود بن غافِل بن حَبيب بن شَمخ بن فأر بن مخزوم بن صاهِلة بن كاهِل بن الحارث بن تَميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدرِكة بن إلياس بن مضر بن نِزار . وهو في حُلفاء بني زُهرة من قريش وعِدادُه فيهم .

وعتبةُ بن مسعود وعبد الله بن مسعود البَدري صاحبُ رسول الله ﷺ أخَوان ، ولعُتبة صحبةٌ بالنبي ﷺ وليس من البَدريين .

وكان عبد الله أبو عبيد الله بن عبد الله رجلاً صالحاً ، واستعمله عمر بن الخَطاب فأحمده .

[أخواه عون وعبد الرحمن وشيء عنهما]

ولعبيد الله بن عبد الله أخَوانِ عَونٌ وعبد الرحمن .

وكان عون من أهل الفقه والأدب ، وكان يقول بالإرجاء ثم رجع عنه . وقال ، وكان شاعراً : [من الوافر]

فأولُ ما أُفارِقُ غيرَ شَكٍّ ... أُفارِقُ ما يقولُ المُرجِئونا
وقالوا مؤمنٌ من آل جَورٍ ... وليس المؤمنون بجائرينا
وقالوا مؤمنٌ دَمُه حلالٌ ... وقد حَرُمتْ دِماءُ المؤمنينا

وخرج مع ابن الأشعث ، فلما هُزِم هَرب : وطلبه الحجاج ، فأتى محمد بن مروان بن الحَكَم بنَصِيبِينَ فأَمَّنه وألزمه ابنيه مروان بن محمد وعبدَ الرحمن بن محمد . فقال له : كيف رأيتَ ابنَي أخيك ؟ قال : أما عبد الرحمن فطفلٌ ، وأما مروان فإني إن أتيتُه حجَب ، وإن قعدتُ عنه عتَب ، وإن عاتبته صَخِب ، وإن صاحبتُه غضِب . ثم تركه ولزم عمر بن عبد العزيز فلم يَزَل معه . ذكر ذلك كلَّه ومعانيه الأصمعي عن أبي نوفل الهُذلي عن أبيه .

ولعونٍ يقول جرير : [من البسيط]

يا أيُّها القارىء المُرخِي عمامتَه ... هذا زمانُك إني قد مضى زمني
أبلِغْ خليفَتنا إن كنتَ لاقِيَه ... أني لدى الباب كالمصفودِ في قَرَنِ

وخبرُه يأتي في أخبار جرير .

وأما عبد الرحمن فلم تكن له نَباهةُ أخويه وفضلُهما فسقَط ذكره .

[كان فقيهاً وهو أحد السبعة بالمدينة]

وأما عبيد الله فإنه أحد وجوه الفقهاء الذين رُوي عنهم الفقه والحديث . وهو أحد السبعة من أهل المدينة ، وهم القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعُروة بن الزُّبير ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وسعيد بن المُسَيَّب ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وخارِجة بن زيد بن ثابت ، وسليمان بن يسار . وكان عبيد الله ضريراً . وقد روى عن جماعة من وجوه الصحابة مثل ابن عباس وعبد الله بن مسعود عمه وأبي هريرة . وروى عنه الزُّهري وابنُ أبي الزناد وغيرهما من نُظَرائهما .

[كان يؤثره ابن عباس]

وكان عبد الله بن عباس يقدمه ويُؤْثِره .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال حدثنا يونُس بن محمد قال حدثنا حَماد بن زيد عن معمر عن الزُّهري قال : كان عبيد الله بن عبد الله يلطُف لابن عباس فكان يُعِزُّه عِزاً .

[حديث الزهري عنه وكان كثير الاتصال به]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار عن محمد بن الحسن عن مالك بن أَنس عن ابن شهاب الزُّهري قال : كنت أخدُم عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة حتى إن كنتُ لأستقِي الماء المِلحَ وإن كان ليسأل جاريته فتقول : غلامُك الأعمش .

أخبرني وَكيع قال حدثنا محمد بن عبد الملك بن زَنجويه قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزُّهري قال : أدركت أربعة بُحور ، عبيد الله بن عبد أحدُهم .

أخبرني وَكيع قال حدثنا محمد قال حدثنا حامد بن يحيى عن ابن عُيَينة عن الزُّهري قال : سمعت من العلم شيئاً كثيراً ، فلما لقيتُ عبيد الله بن عبد الله كأني كنت في شِعب من الشِّعاب فوقعتُ في الوادي ؛ وقال مرَّة : صِرتُ كأني لم أسمع من العلم شيئاً .

أخبرني وكيع قال حدثني بشر بن موسى قال حدثنا الحُمَيدِي عن ابن عُيَينة عن علي بن زيد بن جُدعان قال : كان عمر بن عبد العزيز يقول : ليت لي مجلساً من عبيد الله بن عبد الله ابن عُتبة بِديَةٍ .

[أثنى عليه عمر بن عبد العزيز]

أخبرني وَكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وَهب قال حدثني عمي عن يعقوب بن عبد الرحمن الزُّهري عن حمزة بنِ عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز : لو كان عبيد الله بن عبد الله بن عتبة حيّاً ما صدَرتُ إلا عن رأيه ، ولوددتُ أن لي بيوم من

عُبيد الله غُرماً . قال ذلك في خِلافته .

[ما جرى بين عمر بن عبد العزيز وعروة في شأن عائشة وابن الزُّبير]

أخبرنا محمد بن جَرير الطَّبري وعمُّ أبي عبدُ العزيز بن أحمد ومحمد بن العباس اليزيدي والطُّوسي ووَكيع والحِرْميّ بن أبي العَلاء وطاهر بن عبد الله الهاشمي ، قالوا حدثنا الزُّبَير بن بَكار قال حدثنا إبراهيم بن طَلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر الصِّدِّيق وابنُ أخيه يحيى بن محمد بن طلحة جميعاً عن عثمان بنِ عمر بن موسى عن الزُّهري قال : دخل عُروة بن الزُّبير وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة على عمَر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة . فقال عروة لشيء حُدِّث به من ذكر عائشة وعبدِ الله بن الزُّبير : سمعتُ عائشةَ تقول : ما أحببت أحداً حبِّي عبدَ الله بن الزُّبير لا أعني رسولَ الله ﷺ ولا أبوي . فقال عمر : إنكم لتنتحلون عائشةَ لابن الزُّبير انتحالَ مَن لا يرى لكلِّ مسلم معه فيها نصيباً . فقال عُروة : بركةُ عائشة كانت أوسعَ من ألاَّ يُرى لكل مسلم فيها حق ، ولقد كان عبد الله منها بحيث وضعته الرَّحِمُ والمودةُ التي لا يَشرَكُ كلَّ واحد منهما فيه عند صاحبه أحدٌ . فقال عمر : كذبتَ . فقال عُروة : هذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود يعلم أنِّي غيرُ كاذب ، وإن من أكذب الكاذبين من كذَّب الصادقين . فسكت عبيد الله ولم يدخل بينهما في شيء . فأفَّف بهما عمر وقال : اخرجا عنِّي . ثم لم يلبَث أن بعث إلى عبيد الله بن عبد الله رسولاً يدعو لبعض ما كان يدعوه إليه . فكتب إليه عبيد الله : [من الطويل]

لَعَمرُو ابنِ لَيلى وابنِ عائشةَ التي ... لَمروانَ أُدتــهُ ، أَبٌ غير زُمَّلِ[1]

لَــوَ انّهمُ عمــاً وجَـداً ووالـداً ... تأسَّــوا فسَنَّــوا سُنَّــة المُتَعَطِّلِ

عذرتُ أبا حَفص وإن كان واحداً ... من القوم يَهدي هديَهم ليس يأتلي

ولكنهم فاتُــوا وجئتَ مُصَلِّياً ... تقــرِّب إثــرَ السابــق المتمهلِ[2]

وعُمــتَ فإن تَسبِق فضنءٌ مبَرِّزٌ ... جوادٍ وإن تُسبق فنفسَك فاعذِلِ[3]

فما لك بالسلطان أن تَحمِل القَذى ... جفون عيــونٍ بالقَذى لم تُكَحَّلِ

وما الحقُّ أن تَهوى فتُسعَفَ بالذي ... هَوِيتَ إذا مــا كان ليس بأعدلِ

---

1 ابن ليلى : عبد العزيز بن مروان ، وابن عائشة : عبد الملك بن مروان . الزمل : الضعيف الساقط .

2 التقريب : عدو دون الإسراع .

3 عُمت : سرت .

أَبى اللهُ والأَحسابُ أَن تَرأَم الخَنى نفوسٌ كـرامٌ بالخَنـا لم تُوكَّلِ[1]

قال الزُّبير في خبره وحدَه : الضِّنء والضَّنء : الولد . قال : وأَنشد الخليلُ بن أَسد قال أَنشدني دَهثَم : [من الرجز]

ابنُ عَجُوزٍ ضَنوُهـا غيرُ أَمِرْ لو نحرتْ في بيتها عشرَ جُزُرْ[2]
لأَصبحتْ مـن لحمهنّ تعتذرْ تغدو على الحيِّ بعود من سَمُرْ
حتـى يَفِـرَّ أَهلُهـا كلَّ مَفَرّ

[حجبه عمر بن عبد العزيز فقال فيه شعراً ثم اعتذر فعذره]

أَخبرني الحسن بن علي ووكيع قالا حدثنا أَحمد بن زُهير قال حدثنا الزُّبير ، وأَخبرناه الحِرْميّ بن أَبي العلاء إجازةً قال حدثنا الزُّبير عن ابن أَبي أُوَيس عن بَكار بن حارثة عن عبد الرحمن بن أَبي الزِّناد عن هشام بن عروة : أَن عبيد الله بن عبد الله جاء إلى عمر بن عبد العزيز فاستأذن عليه ، فرده الحاجب وقال له : عنده عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان وهو مُختَلٍ به ، فانصرف غضبان . وكان في صلاحه ربما صنَع الأَبيات ، فقال لعمر : [من الطويل]

أَبِن لي فكُن مِثلي أو ابتغِ صاحباً كمثلكَ إِنِّي تابـع صاحباً مثلي
عزيزٌ إخائـي لا يَنـال مودتـي مـن الناس إلا مسلمٌ كامل العقلِ
ومـا يَلبَثُ الفِتيانُ أن يتفرقوا إذا لم يُؤلَّفْ روحُ شكل إلى شكلِ

قال : فأُخبِر عمر بأَبياته ؛ فبعث إليه أَبا بكر بنَ سليمان بن أَبي خَيثمة وعِراكَ بن مالك يَعذِرانه عنده ويقولان : إن عمر يقسم بالله ما علم بأَبياتك[3] ولا برد الحاجب إياك ، فعذَره . قال الزُّبير وقد أَنشدني محمد بن الحسن قال أَنشدني مُحرِز بن جعفر لعبيد الله بن عبد الله هذه الأَبيات وزاد فيها وهو أَولها : [من الطويل]

وإِنِّي امـرؤ من يُصفِني الودَّ يَلفِني وإن نزَحتْ دارٌ بـه دائـمَ الوصلِ
عزيـزٌ إخائـي لا ينـال مودتـي مـن الناسِ إلا مسلمٌ كاملُ العقلِ
ولـولا اتِّقائـي اللهَ قلـتُ قصيدةً تسيرُ بهـا الرُّكبـانُ أَبرَدُهـا يَغلي

1 ترأم الخنى : ترضاه .
2 أمر : الكثير .
3 ل : بإتيانك .

بهـا تُنقَض الأحلاسُ في كلِّ منزل ويَنفِي الكَرى عنه بها صاحبُ الرَّحلِ
كفـاني يسيرٌ إذ أراكَ بحاجتـي كَلِيلَ اللسانِ مـا تُمِـرُّ وما تُحلي[1]
تُلاوِذُ بالأبوابِ منِّـي مخافـةَ الـ ـمَلامة والإخلافُ شرٌّ مـن البخلِ[2]

وذكر الأبياتَ الأُوَلَ بعد هذه .

[شعره في عراك وابن حزم حين علم أنهما مرّا عليه ولم يسلما]

أخبرني وَكيع قال حدثني علي بن حَرب المَوصِلي قال حدثنا إسماعيل بن رَيَّان الطائي قال سمعت ابن إدريس يقول : كان عِراكُ بن مالك وأبو بكر بن حَزم وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة يتجالسون بالمدينة زماناً . ثم أن ابن حزم ولي إمرتَها وولي عِراكٌ القضاءَ ، وكانا يمران بعُبيد الله فلا يسلِّمان عليه ولا يقفان ، وكان ضريراً فأُخبر بذلك ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا أبلغا عنِّي عِـراكَ بنَ مالك ولا تَدَعـا أن تَثنيا بأبـي بكرِ
فقـد جعلتْ تَبدو شَواكِلُ منكما كأنكما بي مُوقَران مـن الصَّخرِ
وطاوعتُما بـي داعِكاً ذا مَعاكةٍ لعَمري لقد أزرى وما مثله يُزري[3]
ولولا اتِّقائـي ثم بُقيايَ فيكما للمْتُكُما لومـاً أحـرَّ من الجمرِ

صوت

[من الطويل]

فَمَسَّا تُرابَ الأرضِ منها خُلِقتُما ومنها المَعادُ والمَصِيرُ إلى الحَشرِ
ولا تأنَفـا أن تسألا وتسلِّمـا فما خشي الإنسانُ شراً من الكِبرِ
فلو شئتُ أن ألفي عدواً وطاعناً لألفَيتُه أو قال عنديَ في السرِّ
فإن أنـا آمُـرْ ولم أنـهَ عنكما ضحكتُ له حتى يَلِجَّ ويستَشرِي

عروضه من الطويل . غُنِّيَ في : [من الطويل]

فمَسّا ترابَ الأرضِ منها خُلِقتُما

والذي بعده لحن من الثقيل الأول بالبنصر من رواية عمرو بن بانة وابن المكِّي ويونسَ وغيرِهم . وزعم ابن شِهاب الزُّهري أن عبيد الله قال هذه الأبيات في عمر بن عبد العزيز

1 ما تُمر وما تُحلي : ما تضر وما تنفع .
2 تُلاوذ : تراوغ
3 الداعك : الأحمق ، والمعاكة : الحمق .

وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، يعني [أن] الأبياتَ الأوَل ليست منها في شيء وإنما أدخِلت فيها لاتفاق الرَّوي والقافية .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المُنذِر الحِزامي قال حدثنا إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عن أبيه عن ابن شهاب قال : جئت عبيد الله بن عبد الله يوماً في منزله فوجدته ينفخُ وهو مغتاظ ؛ فقلت له : مالك ؟ قال : جئت أميرَكم آنفاً ، يعني عمرَ بن عبد العزيز ، فسلَّمت عليه وعلى عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فلم يردَّا عليَّ ، فقلت : [من الطويل]

فمَسَّا ترابَ الأرضِ منها خُلقتما

وذكر الأبيات الأربعة . قال فقلتُ له : رحمكَ الله ، أتقول الشعر في فضلك ونُسكك ! قال : إن المصدور إذا نفَث بَرأ .

قال أبو زيد حدثنا إبراهيم بن المنذر ، وأنشدني هذه الأبيات عبد العزيز بن أبي ثابت عن ابن أبي الزِّناد له وذكر مثل ذلك وأنها في عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو ، وزاد فيها : [من الطويل]

وكيف يُريدانِ ابن تسعين حِجَّةً على ما أتى وهو ابن عشرين أو عشرِ

ولعبيد الله بن عبد الله شعرٌ فَحلٌ جيد ليس بالكثير . منه قوله : [من الطويل]

إذا كان لي سرٌّ فَحدثتُه العِدا وضاق به صدري فلَلنَّاسُ أعذَرُ

وسرُّك ما استُودعتَه وكتمتَه وليس بسرٍّ حين يفشو ويظهرُ

وقوله لابن شهاب الزُّهري : [من الطويل]

إذا قلتُ أمَّا بعدُ لم يُثنَ مَنطِقِي فحاذِر إذا ما قلتُ كيف أقولُ

إذا شئتَ أن تَلقى خليلاً مصافِياً لقيتَ وإخوانُ الثِّقاتِ قليلُ

[استحسن جامع ابن مرخية شعره فأجازه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عبد الجبار بن سعيد المُساحِقي عن ابن أبي الزِّناد عن أبيه قال : أنشد عبيدُ الله بن عبد الله جامعَ بنَ مُرخِيَةَ الكلابي لنفسه : [من الطويل]

لعَمْرُ أبي المُحْصِينَ أيامَ نلتقي لَما لا نُلاقِيها من الدَّهرِ أكثرُ

يَعُدُّون يوماً واحداً إن أتيتُها ويَنسُونَ ما كانت على الدهرِ تهجرُ

وإن أولعَ الواشون عَمداً بوصلنا فنحن بتجديد المودةِ أبصرُ

قال : فأعجبت أبياتُه هذه جامعاً ، فسَرَّ ذلك عبيدَ الله فكساه وحَمله .

جامع بن مُرخِيَة هذا من شعراء الحجاز ، وهو الذي يقول : [من الطويل]

سألتُ سعيدَ بن المسيَّب مفتيَ الـ ـمدينةِ هل في حبِّ ظَمياءَ من وِزرِ
فقال سعيدُ بن المسيَّبِ إنما تُلام على ما تستطيعُ من الأمرِ

فبلغ قوله سعيداً ، فقال : كذَب واللهِ ؛ ما سألني ولا أفتيتُه بما قال . أخبرني بذلك الحِرْميُّ بن أبي العلاء عن الزُّبير .

[مختارات من شعره]

ومن جيِّد شعر عبيد الله وسهلِه : [من المتقارب]

أعاذلَ عاجلُ ما أشتهي أحبُّ من الآجل الرائثِ[1]
سأُنفقُ مالي على لذتي وأوثِر نفسي على الوارثِ
أُبادِر إهلاكَ مستهلكِ لماليَ أو عبثَ العابثِ

وقوله يفتخر في أبيات : [من الطويل]

إذا هي حَلَّت وَسط عُوذِ ابن غالبٍ فذلك ودٌّ نازحٌ لا أُطالعُهْ[2]
شددتُ حَيازِيمي على قلب حازِمٍ كَتومٍ لما ضُمَّت عليه أضالعُهْ[3]
أُداجِي رجالاً لستُ مُطلِعَ بعضِهم على سرِّ بعضٍ إن صدريَ واسعُهْ
بنى لِيَ عبدُ الله في ذِروة العلا وعُتبةُ مجداً لا تُنال مصانعُهْ

وقوله وفيه غناء : [من المنسرح]

صوت

إن يَكُ ذا الدهرُ قد أضرَّ بنا من غير ذَحلٍ فربَّما نفعا[4]
أبكي على ذلك الزمانِ ولا أحسَب شيئاً قد فات مُرتَجَعا
إذ نحن في ظلِّ نعمةٍ سلَفتْ كانت لها كلُّ نعمةٍ تَبَعا

عروضه من المنسرح . غنت فيها عَرِيبُ خفيفَ رَمَلٍ عن الهشامي .

---

1 الرائث : البطيء .
2 عوذ : جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الإبل وغيرها .
3 الحيزوم : وسط الصدر .
4 الذحل : الثأر .

[قدمت المدينة مكية ففتنت الناس فشبب بها]

حدثنا محمد بن جرير الطبري والحِرْميّ بن أبي العلاء ووكيع قالوا حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني إسماعيل بن يعقوب عن ابن أبى الزِّناد عن أبيه قال : قَدِمتِ المدينة امرأة من ناحية مكة من هذيل ، وكانت جميلة فخطبها الناس ، وكادت تذهب بعقول أكثرهم . فقال فيها عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : [من الطويل]

أحِبُّكِ حباً لـو علمتِ ببعضه لَجُدتِ ولم يَصعُبْ عليكِ شَدِيدُ
وحُبُّكِ يـا أُمَّ الصبيِّ مُدَلِّهي شَهيدي أبو بكـر وأيُّ شَهيد
ويعلمُ وَجدِي القاسمُ بن محمد وعُروَةُ مـا ألقى بكم وسَعيدُ
ويعلمُ مـا أُخفِي سليمانُ علمَه وخارجةٌ يُبـدِي لنا ويُعِيدُ
متى تَسألي عمَّا أقولُ فَتُخبَري فللحبِّ عنـدي طـارفٌ وتَلِيدُ

فبلغت أبياتُه سعيد بن المسيَّب ، فقال : والله لقد أَمِنَ أن تسأَلَنا وعلم أنها لو استشهدت بنا لم نشهد له بالباطل عندها .

وقـال الزُّبير : أبو بكـر الذي ذكَر والنَّفَرُ المسمَّون معـه : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعـروة بن الزُّبير ، وسعيد بن المسيَّب ، وسليمان بن يَسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وهم الفقهاء الذين أخذ عنهم أهل المدينة .

[عتب على زوجته عثمة في بعض الأمر فطلقها ، وشعره فيها]

أخبرني وكيع قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك الزيَّات عن أحمد بن سعيد الفِهري عن إبراهيم بن المنذر بن عبد الملك بن الماجِشون : أن أبيات عبيد الله بن عبد الله بن عتبة التي أولها : [من الطويل]

لَعَمرِي لئن شَطَّت بعَثمَـةَ دارُها لقد كدتُ من وَشك الفراق أُلِيحُ

قالها في زوجة له كانت تسمَّى عَثمة ، فعتَب عليها في بعض الأمر فطلَّقها . وله فيها أشعار كثيرة ، منها هذه الأبيات ، ومنها قوله يذكر نَدَمَه على طلاقها : [من الطويل]

كتمتَ الهوى حتى أضرَّ بك الكَتمُ ولامـك أقـوامٌ ولومُهُـم ظلمُ

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير قال قال لي عمي : لقيني علي بن صالح فأنشدني بيتاً وسألني مَن قائله ؟ وهل فيه زيادة ؟ فقلت : لا أدري ، وقد قَدِم ابن أخي ، أعنِيكَ ، وقلما فاتني شيء غلا وجدتُه عنده . قال الزُّبير : فأنشدني عمي البيتَ وهو : [من الطويل]

غُرابٌ وظبيٌ أعضبُ القَرنِ نادَيا بصُـرمٍ وصِردانُ العَشِي تَصِيحُ[1]

فقلت له : قائله عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وتمامها :

لعَمرِي لئـن شَطَّت بعَثمةَ دارُها لقد كدتُ من وَشك الفِراق أُلِيحُ
أُرُوحُ بهَـمٍّ ثـم أغـدو بمثلـهِ ويُحسَبُ أنِّي في الثيـابِ صحيحُ

فكتبهما عمي عني وانصرف بهما إليه .

صوت

[من الطويل]

ألا مَن لنفسٍ لا تموت فيَنقضي عَناها ولا تحيـا حياةً لهـا طعمُ
أأتـرُك إتيـانَ الحبيب تأثُّمـاً ألا إن هِجرانَ الحبيب هـو الإثمُ
فذُقْ هجرَها قـد كنتَ تزعمُ أنه رَشادٌ ألا يا ربمـا كذَب الزَّعمُ

عروضه من الطويل . غنى يونس في هذه الأبيات الثلاثة لحناً ماخُورياً وهو خفيف الثقيل الثاني من رواية إسحاق ويونس وابن المكِّي وغيرِهم . وغنت عريبُ في : [من الطويل]

أأترك إتيانَ الحبيب تأثُّما

لحناً من الثقيل الأول ، وأضافت إليه بعدَه على الوِلاء بيتين ليسا من هذا الشعر وهما : [من الطويل]

وأقبـل أقـوالَ الوُشاة تَجَرُّمـاً ألا إن أقـوال الوُشاة هـي الجُرمُ
وأشتاقُ لي إلفاً على قُرب دارِه لأن مُلاقـاةَ الحَبيب هـي الغُنمُ

ومما قاله عبيد الله أيضاً في زوجته هذه وغُنيَ فيه : [من الوافر]

صوت

عَفَـت أطـلالُ عَثمـةَ بالغَمِيم فأضحتْ وهـي مُوحِشةُ الرُّسُومِ
وقـد كُنَّا نَحُـلُّ بهـا وفيهـا هَضِيـمُ الكَشحِ جائلـةُ البَرِيمِ

عروضه من الوافر . عَفَت : درَست . والأطلال : ما شخصَ من آثار الديار . والرُّسُوم : ما لم يكن له شخص منها ولا ارتفاع وإنما هو أثر . والهضيم الكشح الخَميص الحَشى والبطن .

1 الأعضب القرن : المكسور القرن . الصردان : جمع صرد وهو طائر أبقع أبيض البطن يتشاءم به .

والبَريم : الخَلخال ، وقيل : بل هو اسم لكل ما يُلبس من الحُلي في اليدين والرجلين . والجائل : ما يجول في موضعه لا يستقر . غنى في هذين البيتين قَفا النجَّار ، ولحنُه من القدر الأوسط من الثَّقيل الأول بالخِنصر في مجرى البِنصر .

ومما قاله في زوجته عَثمَة وفيها غناء : [من الوافر]

صوت

تغلغلَ حُبُّ عَثمـةَ في فؤادي ... فباديـه مـع الخافي يسيرُ
تغلغل حيـث لم يَبلُغْ شرابٌ ... ولا حُـزنٌ ولم يبلُغْ سرورُ
صدَعتِ القلبَ ثم ذَرَرتِ فيه ... هـواكِ فَليـمَ والتأمَ الفُطُورُ[1]
أكاد إذا ذَكرتُ العهـد منها ... أطيـر لَـوَ آن إنسانـاً يَطيرُ
غَنِـيُّ النفسِ أن أزدادَ حبـاً ... ولكنـي إلى صِلَـة فَقيرُ
وأنفَـذ جارِحـاكِ سوادَ قلبي ... فأنـت عـليَّ مـا عِشنا أميرُ

لَمعبد في الأول والثاني من الأبيات هزج بالبنصر عن حبش ، وذكر أحمد بن عبيد الله أنه منحولٌ من المكي . وفي الثالث ثم الثاني لأبي عيسى بن الرَّشيد رملٌ .

قال ابن أبي الزناد في الخبر الذي تقدم ذكرُه عن عبيد الله وما قاله من الشعر في عَثمةَ وغيرِها . فقيل له : أتقول في مثل هذا ؟! قال : في اللَّدُود راحةُ المَغمود[2] .

[بلغه أن رجلاً يقع ببعض الصحابة فجفاه]

أخبرني وَكيع قال حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال حدثنا ابن وهب عن يعقوب يعني ابن عبد الرحمن عن أبيه قال : كان رجل يأتي عبيد الله بن عبد الله ويجلس إليه . فبلغ عبيد الله أنه يقع ببعض أصحاب رسول الله ﷺ . فجاءه الرجل فلم يلتفت إليه عبيد الله . وكان الرجل شديد العقل ، فقال له : يا أبا محمد ، إن لك لشأناً ، فإن رأيتَ لي عذراً فاقبل عذري . فقال له : أتتَّهم اللهَ في علمه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : أتتَّهم رسول الله ﷺ في حديثه ؟ قال : أعوذ بالله . قال : يقول الله عز وجل : ﴿لَقَد رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إذ يُبايِعُونَكَ تَحتَ الشَّجَرَةِ﴾ وأنت تقع في فلان وهو ممن بايع ، فهل بلغك أن الله سَخِط عليه بعد أن رضي عنه ؟! قال : والله لا أعود أبداً . قال : والرجل عمر بن عبد العزيز .

---

1 الفطور : الشقوق .

2 اللدود : ما يصب بالمسعط من الدواء في أحد شقي الفم .

[صوته]

أخبرني وَكيع عن أحمد بن زهير عن يحيى بن مَعِين قال : مات عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة سنة اثنتين ومائة ، ويقال سنة تسع وتسعين .

أخبرني محمد بن جرير الطبري والحسن بن علي عن الحارث[1] عن ابن سعد عن مَعن[2] عن محمد بن هلال : أن عبيد الله توفّي بالمدينة سنة ثمانٍ وتسعين .

[صوت من أصوات معبد المعروفة بالمدن]

ومنها : [من البسيط]

صوت

ودِّع هُرَيرةَ إن الرَّكب مُرتَحِلُ ... وهل تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرجلُ

غَرَّاءُ فَرعاءُ مصقولٌ عوارضُها ... تمشي الهُوَينى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ

تسمع للحَلي وَسواساً إذا انصرفتْ ... كما استعان بريح عِشرِقٌ زَجِلُ

عُلِّقتُها عَرَضاً وعُلِّقتْ رجُلاً ... غيري وعُلِّق أُخرى غيرَها الرَّجلُ

قالت هريرةُ لما جئتُ زائرَها ... وَيلي عليك وويلي منك يا رجلُ

لم تمشِ ميلاً ولم تركبْ على جملٍ ... ولم تَرَ الشمس إلا دونها الكِلَلُ

أقول للركب في دُرنَى وقد ثَمِلوا ... شِيمُوا وكيف يَشِيم الشاربُ الثَّمِلُ[3]

كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفلِقَها ... فلم يَضِرها وأوهى قَرنَه الوَعِلُ

أبلغ يزيدَ بني شَيبانَ مألُكَةً ... أبا ثُبَيتٍ أما تَنفَكُّ تأتَكِلُ

إن تركبوا فركوبُ الخيل عادتُنا ... أو تنزلون فإنا معشرٌ نُزُلُ[4]

وقد غدوتُ إلى الحانوت يَتبَعُني ... شاوٍ نَشُولٌ مِشَلٌّ شُلشُلٌ شَوِلُ

في فِتيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... أن ليس يدفَع عن ذي الحيلةِ الحِيَلُ

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان مُتَّكِئاً ... وقهوةً مُزَّةً راووقُها خَضِلُ

غنَّى معبد في الأول والثاني في لحنه المذكور من مُدُنِ معبد لحناً من القدر الأوسط من الثقيل

1 الحارث بن أبي أسامة وابن سعد هو سليمان بن سعد .

2 معن بن عيسى القزاز .

3 للركب في ل : للشّرب وفي الديوان ص 44 : فقلت للشّرب . درنى : موضع بنواحي اليمامة ، وقيل : بنواحي العراق .

4 الشطر الأول في الديوان ص 48 : قالوا الركوب فقلنا تلك عادتنا .

الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكرت دِنانير أن فيهما لابن سريج أيضاً صنعةً . ولمعبد أيضاً في الرابع والخامس والثالث ثقيلٌ أولُ ، ذكره حَبَشٌ ، وقيل : بل هو لحن ابن سريج ، وذلك الصحيح . ولابن مُحرز في الثقيل في «إن تركبوا» وفي «كناطحٍ صخرةً» ثاني ثقيلٍ مُطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولحُنَينِ الحِيري في «أبلغ يزيد بني شيبان» و«إن تركبوا» ثاني ثقيلٍ آخر . وذكر أحمد بن المَكّي أن لابن مُحرز في «ودِّع هريرة» و«تسمع للحَلي» ثاني ثقيلٍ بالخنصر في مجرى البنصر . وفي «وقد غدوتُ» وما بعده رملٌ لابن سريج ومخارق عن الهشامي . ولابن سريج في «تسمع للحلي» وقبله «ودِّع هُريرة» رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وللغريض في «قالت هريرة» و«عُلِّقتها عَرَضاً» رمل . وفي هذه الأبيات بعينها هَزَجٌ ينسب إليه أيضاً وإلى غيره . وفي «تسمع للحلي» و«قالت هريرة» هزج لمحمد بن حسن بن مصعب . وفي «لم تمش مِيلا» و«أقول للركب»[1] لابن سريج خفيف الثقيل الأول بالبنصر عن حبش . وفي «قالت هريرة» و«تسمع للحلي» لحن لابن سريج . وإن لحنين في البيتين الاخرين لحناً آخر . وقد مضت أخبار هريرة مع الأعشى في : [من الطويل]

هُرَيـرةَ ودِّعهـا وإن لامَ لائمٌ

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال قلت لأعرابية : ما الغَرَّاء ؟ قالت : التي بين حاجبيها بَلَجٌ وفي جبهتها اتساعٌ تتباعد قُصَّتُها معه عن حاجبيها فيكون بينهما نَفَنَف[2] . وقال أبو عبيدة : الفَرعاء : الكثيرة الشعر . والعوارض : الأسنان . والهُوَينى تصغير الهُونى ، والهونى : مؤنث الأهون . والوَجِي : الظالع وهو الذي قد حَفِي فليس يكاد يستقلُّ على رجله . والوَحِلُ : الذي قد وقع في الوَحَل . والعِشرِق : نبت يَبِسَ فتحرِّكُه الريح ؛ شبَّه صوتَ حَليها بصوته . الزَّجِلُ : المصوِّت من العِشرِق . وعلَّقتها : أحببتُها . وعرضا : على غير موعد . والوَعِلُ : التَّيسُ الجبلي ، والجمع أوعال . مَأْلُكة : رسالة ، والجمع مآلِك . ما تنفكُّ : ما تزال . وتأتكل : تتحرق . وقال أبو عبيدة : الشاوي : الذي يشوي اللحمَ : والنَّشُولُ : الذي ينشُل اللحمَ من القِدر . ومِشَلٌّ : سوَّاقٌ سريع يسوق به . وشُلشُلٌ : خفيف . وشَوِلٌ : طيِّبُ الرِّيح .

[ما وقع بين بني كعب وبني همام ، وقصيدة الأعشى في ذلك]

الشعر للأعشى وقد تقدم نسبه وأخباره . يقول هذه القصيدة ليزيدَ بنِ مُسهِر أبي ثابت الشَّيباني . قال أبو عبيدة : وكان من حديث هذه القصيدة أن رجلاً من بني كعب بن سعد بن

1 ل : الشرب .

2 النفنف : المهوى بين الشيئين .

مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثَعلبة ، يقال له ضُبَيع ، قتل رجلاً من بني هَمَّام يقال له زاهِر بن سَيار بن أسعد بن هَمَّام بن مُرة بن ذُهل بن شيبان ، وكان ضُبَيع مطروقاً[1] ضعيفَ العقل . فنهاهم يزيد بن مُسهِر أن يقتلوا ضُبَيعاً بزاهر وقال : اقتلوا به سيِّداً من بني سعد بن مالك بن ضُبَيعة ، فحَضَّ بني سَيَّار بن أسعد على ذلك وأمرهم به . وبلغ بني قيس ما قاله ، فقال الأعشى هذه الكلمة يأمره أن يدع بني سَيَّار وبني كَعب ولا يُعِينَ بني سَيَّار ؛ فإنه إن أعانهم أعانت قبائلُ بني قيس بني كعب ، وحذَّرهم أن تَلقى شَيبان منهم مثل ما لَقُوا يوم العين عين محلِّم[2] بهَجَر .

[يوم عين محلم]

قال أبو عبيدة : وكان من حديث ذلك اليوم ، كما زعم عمر بن هلال أحدُ بني سعد بن قيس بن ثعلبة ، أن يزيد بن مُسْهِر كان خالعَ أُصرمَ بن عوف بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة ، وكان عوف أبو بني الأصرم يقال له الأعجَف والضَّيعةُ له وهي قرية باليمامة . فلما خلع يزيد أُصرمَ من ماله خالعه على أن يَرهَنه ابنيه أفلَتَ وشِهابا ابني أصرم ، وأُمُّهما فُطيمة بنت شُرَحبيل بن عوسجة بن ثعلبة بن سعد بن قيس ، وأن يزيد قَمر أُصرمَ فطلب أن يدفع إليه ابنيه رهينةً ؛ فأبت أُمُّهما وأبى يزيدُ إلا أخذَهما . فنادت قومَها ، فحضر الناس للحرب ، فاشتملت فطيمة على ابنيها بثوبها ، وفكَّ قومُها عنها وعنهما . فذلك قول الأعشى : [من البسيط]

نحن الفوارسُ يوم العَين ضاحيةً جَنبَيْ فُطَيمةَ لا مِيلٌ ولا عُزُلُ[3]

قال : فانهزمت بنو شيبان ؛ فحذِر الأعشى أن يلقيَ مُسهِرٌ مثلَ تلك الحال .

قال أبو عبيدة : وذكر عامر ومِسمَعٌ عن قَتادةَ الفقيه أن رجلين من بني مروان تنازعا في هذا الحديث ، فجرَّدا رسولاً في ذلك إلى العراق حتى قدِم إلى الكوفة فسأل فأُخبِر أن فُطيمة من بني سعد بن قيس كانت عند رجل من بني شيبان ، وكانت له زوجة أُخرى من بني شيبان ، فتعايَرتا فعَمدتِ الشَّيبانية فحلَّت[4] ذوائبَ فُطيمة ، فاهتاج الحَيانِ فاقتتلوا ، فهُزمت بنو شَيبان يومئذٍ .

[مسحل رثى الأعشى]

أخبرنا محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أحمد بن محمد القصير قال حدثنا محمد بن صالح قال حدثني أبو اليقظان قال حدثني جويرية عن يَشكُر بن وائل اليَشْكُري ، وكان من علماء بكر بن وائل ووُلد أيام مُسَيلِمة فجيء به إليه فمسح على رأسه فعَمِيَ ، قال

1 المطروق : الذي به هوج وجنون .

2 عين مُحلِّم : عين فوارة بالبحرين .

3 يوم العين في الديوان ص 48 : يوم الحنو . ضاحية : علانية .

4 ل : فحلفت .

جويرية فحدثني يَشكُرُ هذا قال حدثني جرير بن عبد الله البَجَلي قال : سافرت في الجاهلية فأقبلتُ على بعيري ليلةً أريد أن أسقيَه ، فجعلت أريده على أن يتقدم فوالله ما يتقدم ، فتقدمت فدنوت من الماء وعَقَلته ، ثم أتيت الماء فإذا قوم مشوَّهون عند الماء فقعدت . فبينا أنا عندهم إذ أتاهم رجل أشد تشويهاً منهم فقالوا : هذا شاعرهم . فقالوا له : يا فلان أنشد هذا فإنّه ضيف ؛ فأنشد : [من البسيط]

ودِّع هريرةَ إن الركبَّ مرتحلُ

فلا والله ما خرَم منها بيتاً واحداً حتى انتهى إلى هذا البيت : [من البسيط]

تسمع للحَلْي وَسواساً إذا انصرفتْ كما استعان بريحٍ عِشرِقٌ زَجِلُ

فأعجب به . فقلت : من يقول هذه القصيدة ؟ قال : أنا . قلت : لولا ما تقول لأخبرتك أن أعشى بني ثعلبة أنشَدَنِيها عامَ أوَّلَ بنَجرانَ . قال : فإنك صادق ، أنا الذي ألقيتُها على لسانه وأنا مِسحَلٌ صاحبه ، ما ضاع شعرُ شاعرٍ وضعه عند ميمون بن قيس : [من الوافر]

صوت

رأيتُ عَرابةَ الأوسيِّ يسمو إلى الخيراتِ مُنقَطِعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفعت لمجد تلقَّاها عَرابةُ باليمينِ

عروضه من الوافر . الشعر للشمَّاخ . والغِناء لمعبد خفيف الثقيل الأول بالوسطى . وذكر إسحاق أنه من الأصوات القليلة الأشباه . وذكر ابن المكي أن له فيه لحناً آخر من خفيف الثقيل . وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثني عمر بن شَبَّة عن محمد بن يحيى أبي غَسان قال غنَّى أبو نوئي : [من الوافر]

رأيتُ عرابةَ الأوسيِّ يسمو إلى الخيراتِ مُنقطع القَرينِ

فنسبه الناس إلى معبد . ولعلَّه يعني اللحن الآخر الذي ذكره ابن المكي . وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيَّات أخبرني حماد عن ابن أبي جَناح قال : الناس ينسبون هذا الصوت إلى معبد .

[137] ـ ذكر الشماخ ونسبه وخبره[1]

[نسبه من قبل أبويه]

هو ، فيما ذكر لنا أبو خليفة عن محمد بن سَلاَّم ، الشَّمَّاخ بن ضِرار بن سِنان بن أمية بن عمرو بن جِحاش بن بَجالة بن مازِن بن ثَعلبة بن سعد بن ذُبيان . وذكر الموفيون أنه الشماخ بن ضِرار بن حرملة بن صَيفِيٍّ بن إياس بن عبد بن عثمان بن جِحاش بن بَجالة بن مازِن بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيث بن غَطَفان . وأُمُّ الشماخ أَنمارية من بنات الخُرشُب ويقال : إنهن أنجبُ نساء العرب ، واسمها مُعاذة بنت بُجَير بن خالد بن إياس .

[مخضرم ، هو أحد من هجا عشيرته]

والشماخ مُخضرَم ممن أدرك الجاهلية والإسلام ، وقد قال للنبي ﷺ : [من الطويل]

تَعَلَّمْ رسولَ الله أنا كأننا أَفَأْنا بأَنمارٍ ثعالبَ ذي غِسلِ[2]

يعني أَنمارَ بن بغِيض وهم قومه . وهو أحد من هجا عشيرتَه وهجا أضيافَه ومَنَّ عليهم بالقِرى . والشماخ : لقب واسمه مَعقِل ، وقيل الهيثَم ، والصحيح معقل . قال جَبَل بن جَوال له في قصة كانت بينهما : [من الطويل]

لعَمري لعل الخيرَ لو تعلمانِه يَمُنّ علينا مَعقِلٌ ويزيدُ

مَنِيحةَ عنزٍ أو عطاءَ فَطِيمةٍ ألا أنّ نيل الثَّعلبي زهيدُ[3]

[له أخوان جزء ومزرّد]

وللشماخ أخوان من أُمه وأبيه شاعران ، أحدهما مُزَرِّد وهو مشهور ، واسمه يزيد وإنما سمي مُزَرِّداً لقوله : [من الطويل]

فقلتُ تَزَرَّدْها عُبَيدُ فإنني لدُردِ الشيوخِ في السنينَ مُزَرِّدُ[4]

والآخر جَزء بن ضِرار ، وهو الذي يقول يرثي عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه : [من الطويل]

---

1 انظر ترجمته في الشعر والشعراء 315/1–319 وكتب الصحابة والاشتقاق 174 والجمحي 21 والمؤتلف 138 واللآلىء 58–59 والخزانة 1 : 526 .

2 ذو غسل : موضع ، والبيت منسوب في الشعر والشعراء 315/1 لأخيه مزرد ولم يردا في أصل الديوان وإنما وردا في الملحق وبيّن محقق الديوان اعتماداً على الصادر أنه لمزرد . الديوان /454 .

3 المنيحة : الناقة أو الشاة تعطيها غيرك ليحتلبها ثم يردها عليك .

4 الشيوخ في ل : الموالي . وقد ورد البيت في الشعر والشعراء 310/1 وورد في الاشتقاق 174 والإصابة 6 : 85 والخزانة 2 : 117 وفي المؤتلف 190 .

عليك سلامٌ من أميرٍ وباركـــتْ يــدُ الله في ذاك الأَديمِ الممزَّقِ[1]
فمن يَسعَ أو يركبْ جَناحَي نَعامةٍ ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَقِ

[ناحت الجن على عمر بشعر فنحل لجزء أخيه]

وقد أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبة قال حدثنا شِهاب بن عَباد قال حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا مِسعَر عن عبد الملك بن عُمَير عن الصَّقر بن عبد الله عن عُروة عن عائشة قالت : ناحت الجنُّ على عمر قبل أن يُقتل بثلاث فقالت : [من الطويل]

أبعـد قَتيـلٍ بـالمدينة أظلمـتْ له الأَرضُ تهتزُّ العِضاهُ بأسوُقِ[2]
جزى اللهُ خيراً من إمامٍ وباركتْ يــدُ اللهِ في ذاك الأديم الممزَّقِ
فمن يَسعَ أو يركب جَناحيْ نعامةٍ ليُدرك ما حاولتَ بالأمس يُسبَقِ
قضيتَ أموراً ثم غادرتَ بعدها بوائـــقَ في أكمامهـــا لم تُفَتَّقِ
وما كنتُ أخشى أن تكون وفاته بكَفَّي سَبَنتَي أزرقِ العين مُطرِقِ[3]

أخبرني أحمد قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا سليمان بن داود الهاشمي قال أخبرنا إبراهيم بن سعد الزُّهري عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أم كلثوم بنت أبي بكر الصدِّيق : أن عائشة حدثتها أن عمر أذِن لأزواج النبي ﷺ أن يَحْجُجْنَ في آخر حِجَّةٍ حَجَّها عمر . قال : فلما ارتحل عمر من المحصَّب أقبل رجل متلثِّم فقال وأنا أسمع : هذا كان منزله ، فأناخ في منزل عمر ثم رفع عَقِيرتَه يتغنَّى : [من الطويل]

عليك سلامٌ مـــن أميرٍ وباركت يــدُ الله في ذاك الأَديــم الممزَّقِ
فمن يَجرِ أو يركب جناحَي نَعامة ليدرك مـا قدَّمتَ بالأمس يُسبَقِ
قضيتَ أموراً ثــم غادرتَ بعدها بوائـــقَ في أكمامهـــا لم تفتَّــقِ

قالت عائشة : فقلت لبعض أهلي : اعلَموا لي علمَ هذا الرجل ، فذهبوا فلم يجدوا في مُناخِه أحداً . قالت عائشة : فوالله إني لأحسبَه من الجنِّ . فلما قُتل عمر نحل الناسُ هذه الأبيات للشمَّاخ بن ضِرار أو جَمَّاع بن ضِرار . هكذا في الخبر ، وهو جَزء بن ضرار .

[وضعه ابن سلام في الطبقة الثالثة]

وجعل محمد بن سَلام في الطبقة الثالثة الشماخ وقرَنه بالنابغة ولَبيد وأبي ذُؤَيب الهُذَلي ،

---

1 هذا البيت في الشعر والشعراء 319/1 .
2 العضاة : الشجر العظيم الذي له شوك . والأسوُق : جمع ساق .
3 السبنتى : هنا الجريء ، وأزرق العين : يريد به الأعجمي . والمطرق : المسترخي العين .

ووصفه فقال : كان شديدَ متون الشعر أشدَّ كلاما من لبيد ، وفيه كَزازةٌ ، ولبيدٌ أسهلُ منه منطقاً . أخبرنا بذلك أبو خليفة عنه .

[قال الحُطيئة إنه أشعر غُطفان]

وقد قال الحُطَيئة في وصيته : أبلِغوا الشمَّاخَ أنه أشعرُ غَطَفانَ ، قد كُتب ذلك في شعر الحطيئة .

[هو أوصف الناس للحمير]

وهو أوصف الناس للحَمِير . أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني عمي عن ابن الكلبي قال : أُنشِد الوليدُ بن عبد الملك شيئاً[1] من شعر الشماخ في صفة الحمير فقال : ما أوصفه لها ! إني لأحسبَ أن أحد أبويهِ كان حمَّاراً .

أخبرني إبراهيم بن عبد الملك قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال : كان الشماخ يهجو قومه ويهجو ضيفَه ويَمُنُّ عليه بقِراه . وهو أوصف الناس للقوس والحمار وأرجَز الناس على البديهة .

[حديث الشماخ ومزرّد مع أمهما]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمِّه قال : قال مُزَرِّد لأمه : كان كعب بن زهير لا يهابني وهو اليومَ يَهابني . فقالت : يا بُنَي نَعَم ! إنه يرى جَروَ الهِراش مُوثَقاً ببابك . تعني أخاه الشماخ . وقد ذكر محمد بن الحسن الأحول هذا الخبر عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل قال : قالت مُعاذة بنت بُجَير بن خَلَف للشماخ ومُزَرِّد : عرضتُماني لشعراء العرب الحطيئة وكعب بن زُهير . فقال : كَلا ! لا تخافي . قالت : فما يؤمنني ؟ قالا : إنك ربَطتِ بباب بيتك جَروَي هِراشٍ لا يجترىء أحدٌ عليهما . يعنيان أنفسَهما .

[منازعته قوم امرأته إلى كثير بن الصلت]

أخبرني أبو خليفة قال حدثنا محمد بن سَلام قال أخبرني شُعيب بن صخر قال : كانت عند الشماخ امرأةٌ من بني سُلَيم أحدِ بني حَرام بن سِماك ، فنازعته وادَّعتْه طلاقاً وحضر معها قومُها فاختصموا إلى كَثِير بن الصَّلت ، وكان عثمان بن عفان أقعدَه للنظر بين الناس ، وهو رجل من كِندة وعِدادُه في بني جُمَح [وقد ولدتهم بنو جمح] ثم تحولوا إلى بني العباس فهم فيهم اليوم ، فرأى كَثِيرٌ عليهم يمينا ، فالتوى الشماخ باليمين يحرِّضهم عليها ، ثم حلف وقال : [من الطويل]

أَتَتني سُلَيمٌ قَضُّها وقَضِيضُها تمسِّح حولي بالبَقيع سِبالَها[2]

---

1 ل : شعراً .

2 أتتني في الديوان ص 290 : وجاءت .

يقولونَ لي آحلِفْ ولستُ بحالفٍ أُخاتِلهم عنها لكيما أنالَها[1]
ففرجتُ همَّ النفس عنِّي بحَلفةٍ كما شَقَّتِ الشقْراءُ عنها جِلالَها[2]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال : قدِم ناسٌ من بَهز المدينة يستَعدُون على الشماخ وزعموا أنه هجاهم ونفاهم ، فجحَد ذلك الشماخ . فأمر عثمان كَثِيرَ بن الصَّلت أن يستحلفه على مِنبَر النبي ﷺ : ما هجاهم . فانطلق به كَثِيرٌ إلى المسجد ثم انتحاه دون بني بَهز ، وبهز : اسمه تَيم بن سُلَيم بن منصور ، فقال له : ويلك يا شَماخ ! إنك لتحلف على منبر رسول الله ﷺ ، ومن حلف به آثِماً يتبوأ مقعدَه من النار ؛ قال : فكيف أفعل فداؤك أبي وأُمِّي ؟! قال : إني سوف أُحلِّفك ما هجوتَهم ، فاقلِب الكلامَ علي وعلى ناحيتي فقل : والله ما هجوتكم ، فأَردِني وناحيتي بذلك ، وإني سأدفع عنك . فلما وقف حلَف كما قال له وأقبل على كَثِير فقال : ما هجوتكم . فقالت بَهز : ما عنى غيرَكم ، فأعِد اليمين عليه . فقال : ما لي أتاوله ! هل استحلفتُه إلا لكم ! وما اليمين إلا مرةٌ واحدة ! انصرف يا شماخ . فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

أتتني سُلَيم قَضُّها وقَضيضُها تمسِّح حولي بالبَقيع سِبالَها
يقولون لي آحلِفْ ولستُ بحالفٍ أُخادعهم عنها لكيما أنالَها
فلو لا كَثِيرٌ نعَّم اللهُ بالَه أزلَّتْ بأعلى حُجَّتَيك نعالَها[3]
ففرجتُ همَّ الموت عنِّي بحَلفةٍ كما شَقَّتِ الشَّقراءُ عنها جلالَها

[سألته امرأة لا تعرفه عن قصته مع زوجه ، وشعره في ذلك]

ونسختُ هذا الخبر على التمام من كتاب يحيى بن حازم قال حدثني علي بن صالح صاحب المصلَّى قال قال القاسم بن مَعن : كان الشماخ تزوج امرأة من بني سُلَيم ، فأساء إليها وضربها وكسَر يدها . فعرضت امرأةٌ من قومها ، يقال لها أسماءُ ، ذاتَ يوم للطريق تسال عن صاحبتها . فاجتاز الشمَّاخ وهي لا تعرفه : فقالت له : ما فعل الخبيث شَمَّاخ ؟ فقال لها : وما تريدين منه ؟ قالت : إنه فعل بصاحبةٍ لنا كيت وكيت . فتجاهل عليها وقال : لا أعلم له خبراً ، ومضى وتركها وهو يقول : [من الطويل]

تُعارِضُ أسماءُ الرِّفاقَ عشيَّةً تسائل عن ضِغنِ النساء النَّواكح[4]

---

1 في الديوان ص 292 : ورد البيت :
يقولون لي : احلف فلست بحالفٍ أُخادعهم عنها لكيما أنالها

2 همَّ في الديوان ص 294 : أكرب .

3 أزلت : أزلقت . البيت غير مثبت في متن القصيدة .

4 النواكح في الديوان ص 104 : الطّوامح .

وماذا عليهـا إن قَلُوصٌ تمرَّغتْ بعِدلـين أو ألقتهما بالصَّحاصِحِ[1]
فإنكِ لو أُنكِحتِ دارتْ بكِ الرَّحا وأُلقيتِ رَحـلي سَمحةً غيرَ طامحِ
أأسمـاءِ إنِّـي قـد أتـاني مخبِّرٌ بفِيقةَ يُنبِـي منطقـاً غيرَ صالحِ[2]
بَعَجتُ إليه البطنَ ثـم انتصحتُه ومـا كلُّ من يُفشي إليه ناصحِ
وإنِّيَ مـن قـومٍ على أن ذممتهم إذا أُولَموا لم يُولِمـوا بنافِحِ[3]
وإنكِ مـن قـوم تَحِن نساؤُهم إلى الجانب الأقصى المَنائحِ

ثم دخل المدينة في بعض حوائجه ، فتعلَّقت به بنو سُلَيم ملامة صاحبتهم ، فأنكر . فقالوا : احلف . فجعل يطلبُ إليهم ويغلِّظ عليهم أن وشدتَها عليه ليَرضَوا بها منه حتى رَضُوا ، فحلفَ لهم وقال : [من الطويل]

ألا أصبحت عِرسي من البيت جامحاً بغير بـلاءٍ أيُّ أمـرٍ بَـدا لَها[4]
على خَيرةٍ كانت أم العِرسُ جامحٌ فكيف وقد سُقنا إلى الحيِّ ما لَها
سترجع غَضبى رَثَّةَ الحال عندنا كما قطعت منَّـا بلَيـلٍ وصالَها[5]

فذكر بعد هذه الأبيات قوله : [من الطويل]

أتتني سُلَيـم قَضُّهـا وقَضِيضُها[6]

إلى آخر الأبيات .

[خطب امرأة فتزوّجها أخوه جزء فماتا متهاجرين]

وقال ابن الكلبي : كان الشماخ يهوى امرأةً من قومه يقال لها كلبةُ بنتُ جَوال أختُ جبل بن جَوال الشاعر ابن صَفوان بن بِلال بن أُصرَم بن إياس بن عبد تَميم بن جِحاش بن بَجالة بن مازِن بن ثعلبة ، وكان يتحدث إليها ويقول فيها الشعر ؛ فخطَبها فأجابته وهمَّت أن تتزوجه . ثم خرج إلى سفر له فتزوجها أخوه جَزءِ بن ضِرار ، فآلى الشمَّاخ ألا يكلِّمه أبداً ، وهجاه بقصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

---

1 بعدلين في الديوان ص 104 : بحكمين .
2 بفيقة ينبي في الديوان بضيقةٍ ينشو . وفيقة الضحى : أولها وارتفاعها .
3 ذممتهم في ل : قصبتهم . الأنافح : جمع إنفَحة وهي كرش الحمل والجدي ما لم يأكلا ، فإذا أكلا فهي كرش .
4 بخير في الديوان ص 287 : على غير شيء .
5 في الديوان جاء البيت ص 288 :
سترجع نَدمى خسَّة الحظ عندنا كما صرَمتْ مِنّا بليلٍ وصالها
6 أتتني في الديوان ص 290 : وجاءت .

لنا صاحبٌ قد خانَ من أجل نَظرةٍ سقيمُ الفــؤادِ حبُّ كَلبةَ شاغلُهْ

فماتا متهاجرين .

[استنشد المهدي بن دأب من أشعر ما قالت للعرب فأنشده من شعره]

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال حدثني عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني أحمد بن محمد بن بكر الزُّبيري قال حدثنا الحسن بن موسى بن رَباح مولى الأنصار عن أبي غُزَيَّةَ الأنصاري قال : كنتُ على باب المهديِّ يوماً ، فخرج حاجبه فقال : أين ابن دَأب ؟ فقال : هأنذا . فقال : ادخل ؛ فدخل ثم خرج فجلس . فقلت : يا ابنَ دأب ، ما جرى بينك وبين أمير المؤمنين ؟ قال قال لي : أنشِدني أبياتاً من أشعر ما قالت العرب ؛ فأردت أن أُنشده قولَ صاحبك أبي صِرمةَ الأنصاري التي يقول فيها : [من الوافر]

لنــا صُوَرٌ يــؤول الحقُّ فيها وأخــلاقٌ يَسُود بهــا الفقيرُ

ونصحٌ للعشيرة حيث كانت إذا مُلئت مــن الغشِّ الصدورُ

وحِلمٌ لا يَصُوب الجهلُ فيــه وإطعــامٌ إذا قَحَــط الصَّبِيرُ[1]

بذات يــدٍ على مــا كان فيها نجــودُ بــه قليــلٌ أو كثيرُ

فتركتُها وقلت : إن من أشعر ما قالت العرب قول الشماخ : [من الطويل]

وأشعثَ قد قَــدَّ السِّفارُ قميصَــه يجــرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنضَجِ[2]

دعوتُ إلى مــا نابنــي فأجابني كريــم مــن الفتيان غير مُزَلَّجِ[3]

فتىً يملأ الشِّيزى ويُروِي سِنانَه ويضرب في رأس الكَمِيِّ المُدَجَّجِ[4]

فتىً ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ولا في بيوت الحــي بالمتولِّجِ[5]

فقال : أحسنتَ ! ثم رفع رأسه إلى عبد الله بن مالك فقال : هذه صفتُك يا أبا العباس . فأَكَبَّ عليه عبد الله فقبَّل رأسه وقال : ذكَرك اللهُ بخير الذِّكر يا أمير المؤمنين . قال أبو غُزَيَّةَ فقلت له : الأبياتُ التي تركتَ واللهِ أشعرُ من التي ذكرت .

---

1 الصبير : السحاب الأبيض لا يكاد يمطر .

2 يجرّ شواء في الديوان ص 80 : وجرّ الشّواء .

3 الشطر الأول في الديوان ص 81 : دعوت فلباني على ما ينوبني . المزلج : الملصق بالقوم وليس منهم ، والرجل الناقص المروءة .

4 الشيزي : خشب تتخذ منه القصاع .

5 فتى ليس بالراضي في الديوان ص 82 : أَبَلٌّ فلا يرضى .

[عرابة الذي مدحه ونسبه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : عَرابةُ الذي عَناه الشمَّاخ بمدحه هو أحد أصحاب النبي ﷺ وهو عرابة بن أوس بن قَيظِي بن عمرو بن زيد بن جُشَم بن حارثة بن الحارث بن الخَزرَج . وإنما قال له الشماخ : عرابة الأوسي ، وهو من الخَزرَج ، نسبةً إلى أبيه أوس بن قَيظِي . ولم يصنَع إسحاقُ في هذا القول شيئاً . عَرابة من الأَوس لا من الخَزرَج ؛ وفي الأوس رجل يقال له الخَزرَج ليس هذا هو الجدَّ الذي ينتهي إليه الخَزرجيون الذي هو أخو الأوس ، هذا الخَزرَج بن النَّبِيت بن مالك بن الأَوس ، وهكذا نسبه النسَّابون .

[أتى عرابة النبي في غزاة أُحد مع غلمة فردّهم]

وأخبرني به الحِرْميّ بن أبي العَلاء عن عبد الله بن جعفر بن مُصعَب عن جده مصعَب الزُّبيري عن ابن القَداح : وأتى النبيَّ ﷺ في غَزاة أُحُد ليغزوَ معه ؛ فرده في غِلمة استصغرهم : منهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وأُسَيد بن حُضَير والبَراء بن عازِب وعَرابة بن أوس وأبو سعيد الخُدري .

أخبرني بذلك محمد بن جرير الطبري عن الحارث بن سعد عن الواقِدي عن محمد بن حُمَيد عن سلَمةَ عن ابن إسحاق .

[قصة أبي عرابة وعمه مع النبي]

وأوس بن قَيظِي أبو عَرابة من المنافقين الذين شهدوا أُحُداً مع النبي ﷺ وهو الذي قال له : ﴿إن بيوتنا عَورةٌ﴾ . وأخوه مِربَع بن قَيظِي الأعمى الذي حَثا في وجه رسول الله ﷺ التراب لما خرج إلى أُحُدٍ وقد مرَّ في حائطه وقال له : إن كنتَ نبياً فما أُحِلُّ لك أن تدخل في حائطي . فضربه سعد بن زيد الأَشهَلي بقوسه فشَجَّه وقال : دَعني يا رسول الله أقتله فإنه منافق . فقال ﷺ : «دَعُوه فإنه أعمى القلبِ أعمى البصر» . فقال أخوه أوس بن قَيظِي أبو عَرابة : لا والله ولكنها عداوتُكم يا بني عبد الأَشهَل . فقال رسول الله ﷺ : «لا والله ولكنه نِفاقكم يا بني قَيظِي» .

[كان عرابة سيداً في قومه وأبوه من وجوه المنافقين]

أخبرنا بذلك الحِرْميّ عن عبد الله بن جعفر الزُّبيري عن جده مصعب عن ابن القَداح : أن عرابة كان سيِّداً من سادات قومه وجواداً من أجوادهم ، وكان أبوه أوس بن قَيظِي من وجوه المنافقين .

[لقي الشماخ بالمدينة فأكرمه فمدحه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن الحارث عن المدائني عن ابن جُعدُبة ، وأخبرني علي بن سليمان عن محمد بن يَزيد ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن عبد الله بن مسلم : أن

الشماخ خرج يريد المدينة ، فلقيه عَرابةُ بن أوس فسأله عما أقدمه المدينة ، فقال : أردت أن أمتارَ لأهلي . وكان معه بعَيران فأوقرهما له بُراً وتمراً وكساه وبَرَّه وأكرمه . فخرج عن المدينة وامتدحه بهذه القصيدة التي يقول فيها : [من الوافر]

رأيت عَرابةَ الأوسيَّ يسمو إلى الخيراتِ منقطعَ القرينِ

[سأله معاوية بأي شيء سدت فأجابه]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي قال : قال معاوية لعرابة بن أوس : بأي شيء سُدتَ قومَك ؟ فقال : أعفو عن جاهلهم ، وأعطي سائلهم ، وأسعى في حاجاتهم ، فمن فعل كما أفعل فهو مثلي ، ومن قصَّر عنه فأنا خيرٌ منه ، ومن زاد فهو خيرٌ مني . قال الأصمعي : وقد انقرض عَقِبُ عرابة فلم يبق منهم أحد .

[اعترض عليه ابن دأب في شعره لابن جعفر]

أخبرني أحمد بن يحيى بن محمد بن سعيد الهمداني قال قال يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : قال ابن دَأْب وسمع قولَ الشماخ بن ضِرار في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : [من الرجز]

إنك يـا ابنَ جعفرٍ نِعم الفتى ونعم مـأوى طـارقٍ إذا أتى

وجارُ ضيفٍ طرَق الحيَّ سُرى صادف زاداً وحديثاً ما اشتهى

إن الحديثَ طَرَفٌ من القِرى

فقال ابن دأب : العَجَب للشمَّاخ ! يقول مثلَ هذا لابن جعفر ويقول لعَرابة : [من الوافر]

إذا مـا رايـةٌ رُفعت لمجد تلقَّاهـا عَرابـةُ بـاليمينِ

ابن جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة ! .

[نقد أبو نواس بيتاً له ووازنه بشعر الفرزدق]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني الكُراني محمد بن سعد قال حدثني طائع قال أخبرني أبو عمرو الكَيِّس قال قال لي أبو نواس : ما أحسن الشماخ في قوله : [من الوافر]

إذا بلغتِني وحملتِ رحـلي عَرابةَ فاشرَقي بدم الوَتِينِ[1]

ألا قال كما قال الفرزدق : [من الوافر]

عـلامَ تَلَفَّتِين وأنـتِ تحتي وخيرُ النـاس كلِّهـم أمامي

1 وحملت في الديوان ص 323 : حططت . الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

فتى تَرِدِي الرُّصافةَ تستريحي من التَّهجير والدَّبَرِ الدَّوامي[1]

قلت أنا : وقد أخذ معنى قول الفرزدق هذا داودُ بن سَلم في مدحه قُثَمَ بن العباس فأحسن فقال : [من السريع]

نجوتِ من حِلِّي ومن رِحلتي يا ناقُ إن أدنيتِني من قُثَمْ
إنكِ إن أدنيتِ منه غداً حالفنا اليُسرُ ومات العَدَمْ
في كفِّه بحرٌ وفي وجهه بدرٌ وفي العِرنين منه شَمَمْ
أصمُّ عن قِيل الخَنا سمعُه وما عن الخير به من صَمَمْ
لم يَدرِ ما «لا» و «بلى» قد دَرى فعافها واعتاض منها «نعمْ»

[نقد عبد الملك بن مروان شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الخَراز عن المَدائني قال : أنشد عبد الملك قولَ الشماخ في عَرابة بن أوس : [من الوافر]

إذا بَلَّغتِني وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرَقي بدم الوَتينِ

فقال : بئست المكافأةُ كافأها ! حملت رحلَه وبلَّغته بُغيتَه فجعل مكافأتها نَحرَها ! .

[المهلب والشعراء]

قال الخَراز : ومثل هذا ما حدثناه المدائني عن ابن دَأْب أن رجلاً لقي المهلَّبَ فنحر ناقته في وجهه ؛ فتطيَّر من ذلك وقال له : ما قصتك ؟ فقال : [من الكامل]

إني نذرتُ لئن لَقِيتُكَ سالماً أن تستمر بها شِفارُ الجازرِ

فقال المهلَّب : فأطعمونا من كَبِد هذه المظلومة ، ووصَلَه .

قال المدائني : ولقِيَته امرأةٌ من الأَزد وقد قدِم من حرب كان نهض إليها ، فقالت : أيها الأمير ، إني نذرتُ إن وافيتك سالماً أن أُقبِّل يدك وأصوم يوماً وتهبَ لي جارية صُغدية وثلثمائة درهم . فضحك المهلَّب وقال : قد وفَينا لكِ بنذرك فلا تعاودي مثله ، فليس كل أحد يفي لك به .

[المهدي وأبو دلامة]

وأخبرني الحسن قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني بعض أصحابنا عن القَحذَمي : أن أبا دُلامة لقيَ المهديَّ لما قدِم بغداد ، فقال له : [من الكامل]

إني نذرتُ لئن رأيتكَ وارداً أرضَ العراق وأنت ذو وَفرِ

1 التهجير : المشي في الهاجر : والدَّبَر : جمع دَبَرة : قرحة الدابة .

لَتُصَلِّيَنَّ على النبيِّ محمدٍ ولتملأنَّ دراهماً حِجري

فقال له : أما النبي فصلى الله على النبي محمد وآله وسلَّم ، وأما الدراهم فلا سبيل إليها .

فقال له : أنت أكرمُ من أن تُعطِيَني أسهلَهما عليك وتمنعَني الأخرى . فضحك وأمر له بما سأل . وهذا مما ليس يجري في هذا الباب ولكن يُذكر الشيء بمثله .

[لطيفة الأعرابي على مائدة عبد الملك بن مروان بسبب بيت له]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا مسعود بن عيسى العَبدي قال حدثني أحمد بن طالب الكناني (كنانة تَغلب) ، وأخبرني به محمد بن أحمد بن الطَّلاس عن الخَرَّاز عن المدائني لم يتجاوزه به قال : نصَب عبد الملك بن مروان الموائد يُطعم الناسَ ؛ فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك الموائد . فنظر إليه خادمٌ لعبد الملك فأنكره ، فقال له : أعِراقيٌّ أنت ؟ قال : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ قال : لا . قال : بَلى . قال : ويحك ! دَعني أتهنأ بزاد أمير المؤمنين ولا تنغِّصني به . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال مَن القائل : [من الوافر]

إذا الأَرطى توسَّد أبرَدَيْهِ خدودُ جوازىء بالرَّمل عِينِ[1]

وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه ، والخادم يسمع . فقال العراقي للخادم : أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله ؟ قال : نعم . قال : يقوله عَدِي بن زيد في صفة البِطِّيخ الرَّمسي . فقال ذلك الخادم . فضحك عبد الله حتى سقط . فقال له الخادم : أخطأتُ أم أصبتُ ؟ فقال : بل أخطأتَ . فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا العراقي فعل الله به وفعل لقَّنَنِيه . فقال : أيُّ الرجالِ هو ؟ فأراه إياه . فعاد إليه عبد الملك وقال : أنت لقَّنتَه هذا ؟ قال : نعم . قال : أفخطأً لقَّنتَه أم صواباً ؟ قال : بل خطأً . قال : ولِمَ ؟ قال : لأني كنت متحرِّماً بمائدتك فقال لي كيت وكيت ، فأردتُ أن أكُفَّه عنِّي وأُضحكَكَ . قال : فكيف الصواب ؟ قال : يقوله الشماخ بن ضِرار الغَطَفاني في صفة البقر الوحشيَّة قد جَزَأت بالرُّطب عن الماء . قال : صدقتَ وأجازه ، ثم قال له : حاجتَك ؟ قال : تُنَحِّي هذا عن بابك فإنه يَشِينُه .

[سأل كثير يزيد بن عبد الملك عن معنى بيت له نسبه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال كتب إليّ إسحاق بن إبراهيم الموصليُّ أن أبا عبيدة حدثه عن غير واحد من أهل المدينة : أن يزيد بن عبد الملك لما قَدِم عليه الأحوص وصله بمائة ألف درهم . فأقبل إليه كثيِّر يرجو أكثر من ذلك ، وكان قد عوده مَن

1 الأرطى : شجر من أشجار البادية تدبغ به الجلود . الأبردان : الظل والفيء . الجوازىء : الظباء وبقر الوحش . العين : جمع عيناء ، واسعة العين .

كان قبلَ يزيدَ من الخلفاء أن يُلقي عليهم بيوتَ الشعر ويسألهم عن المعاني . فألقى على يزيد بيتاً وقال : يا أمير المؤمنين ، ما يَعني الشمَّاخ بقوله : [من الوافر]

فما أروى وإن كَرُمتْ علينا بأدنى من موقَّفةٍ حَرُونِ[1]
تُطِيف على الرُّماة فتتَّقِيهم بأوعالٍ مُعَطَّفةِ القُرونِ[2]

فقال يزيد : وما يضرُّ يا ماصَّ بَظرِ أُمِّه ألا يعلم أمير المؤمنين هذا ؟ وإن احتاج إلى علمه سأل عبداً مثلَك عنه . فندِم كثيِّر وسكَّته مَن حضَر من أهل بيته ، وقالوا له : إنه قد عوده مَن كان قبلك من الخلفاء أن يُلقي عليه أشباهَ هذا ، وكانوا يشتهونه منه ويسألونه إياه ؛ فطَفِيء عنه غضبُه . وكانت جائزته ثلاثين ألفاً ، وكان يطمع في أكثر من جائزة الأحوص .

وأخبرنا أبو خليفة بهذا الخبر عن محمد بن سَلام فذكر أنه سأل يزيد عن قول الشماخ : [من الوافر]

وقد عَرِقتْ مَغابِنُها وجادتْ بِدرَّتِها قِرى حَجِنٍ قَتِينِ[3]

فسكت عنه يزيد ، فقال يزيد : وما على أمير المؤمنين لا أمَّ لك ألا يعرفَ هذا ! هو القُراد أشبهُ الدوابِّ بك ! .

[تمثل ابن الزُّبير ببيت له في حواره لمعاوية]

نسخت من كتاب يحيى بن حازم حدثنا علي بن صالح صاحب المُصَلِّي قال حدثنا ابن دَأْب قال : قال معاوية لعبد الله بن الزُّبير وهو عنده بالمدينة في أُناس : يا ابنَ الزُّبير ، ألا تَعذِرني في حسن بن علي ؟ ما رأيتُه مُذْ قَدِمتُ المدينةَ إلا مرَّةً . قال : دع عنك حسناً ، فأنت والله وهو كما قال الشماخ : [من الطويل]

أجامِلُ أقواماً حياءً وقد أرى صدورَهمُ تَغلي عليّ مِراضُها

والله لو يشاء حسنٌ أن يضربك بمائة ألف سيف ضربك ؛ والله لأهلُ العراق أرأمُ له من أمِّ الحُوار لحُوارها . فقال معاوية رحمه الله : أردتَ أن تُغرِيَني به ! والله لأصِلن رَحِمَه ولأقبِلَن عليه ، وقال : [من الطويل]

ألا أيُّها المرءُ المُحَرِّشُ بيننا ألا اقتُلْ أخاكَ لستُ قاتلَ أربَدِ

---

1 موقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والحرون : التي تحرن في أعلى الجبل فلا تبرح .

2 على في الديوان ص 320 : بها .

3 المغابن : الآباط ، والقتين : مثل الحجن .

أبى قُربهُ منـي وحسنُ بلائه وعلمي بما يأتي به الدهرُ في غدِ

والشعر لعُروة بن قَيس ، فقال ابن الزُّبير : أما واللهِ إنِّي وإيَّاه لَيَدٌ عليك بحِلف الفُضُول . فقال معاوية : من أنت ؟ لا أُعرِض لك وحِلفَ الفُضول ! والله ما كنتَ فيها إلا كالرَّهِينة تُثخَن معنا وتَردى هزيلاً ، كما قال أخو هَمدان : [من الطويل]

إذا مـا بعيرٌ قـام علّقَ رحلـه وإن هـو أبقى بالحيـاةِ مُقَطعا

[صوت معبد في شعر كثير بن كثير بن المطلب]

صوت من مُدُن معبد

وهو الذي أوله : [من الخفيف]

أسعدانِـي بعَبـرةٍ أسرابِ مـن شؤون كثيـرةِ التَّسكابِ
إن أهـلَ الحِصاب قـد تركوني مُوزَعـاً مُولَعـاً بأهـل الحِصابِ
كم بذاك الحَجُونِ من حَيٍّ صِدقٍ وكهـولٍ أعِفَّـةٍ وشَبابِ
سَكنوا الجِزعَ جِزعَ بيت أبي مو سى إلى النخلِ من صُفِيِّ السِّبابِ
فارَقـوني وقـد علمـتُ يقينـاً مـا لمـن ذاق مِيتـةً مـن إيابِ
فَـليَ الويـلُ بعدَهـم وعليهـم صرتُ فـرداً وملَّني أصحابي

عَروضه من الخفيف . الشؤون : الشُّعَب التي يتداخل بعضُها في بعض من عظام الرأس ، واحدها شأن مهموزاً . والجِزع : منعطَف الوادي . وصُفِيُّ السِّباب : جمع صَفاة وهي الحجارة . ولُقِّبت صُفيَّ السِّباب لأن قوماً من قريش ومواليهم كانوا يخرجون إليها بالعَشِيَّات يتشاتمون ويذكرون المعايبَ والمثالبَ التي يُرمَون بها ؛ فسمِّيت تلك الحجارةُ صُفيَّ السِّباب .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن علي بن محمد النَّوفلي عن أبيه قال يقال : صَفا السِّبابِ وصُفيّ السِّباب بفتح الفاء وكسرها جميعاً ، وهو شِعبٌ من شِعاب مكة فيها صَفاً أي صخرٌ مطروح . وكانت قريش تخرج فتقف على ذلك الموضع فيفتخرون ثم يتشاتمون وذلك في الجاهلية فلا يفترقون إلا عن قتال ؛ ثم صار ذلك في صدرٍ من الإسلام أيضاً حتى نشأ سُدَيف مولى عُتبة بن أبي سُدَيف وشَبِيبٌ مولى بني أُمية ، فكان هذا يخرج في موالي بني هاشم وهذا في موالي بني أُمية ، فيفتخرون ثم يتشاتمون ثم يتجالدون بالسيوف . وكان يقال لهم السُّدَيفِية والشَّبِيبيَّة . وكان أهل مكة مقتسَمين بينهما في العصبية ؛ ثم درَس ذلك فصارت العصبية بمكة بين الجزارين والحناطين ، فهي بينهم إلى اليوم ، وكذلك بالمدينة في القِمار وغيره .

الشعر لكَثِير بن كَثِير بن المطلِب بن أبي وَداعة السَّهمي ، وقيل : بل هو لكثيِّر عَزَّة . وقد رُوي في ذلك خبر نذكره . والغِناء لمعبد ثقيلُ أول بالوسطى في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه ثقيلاً أول بالخنصر للغَريض ولحناً آخر لابن عَبَّاد ولم يجنِّسه . ولابن جامع في الخامس والسادس رَمَلٌ بالوسطى . ولابن سُرَيج في الأربعة الأُوَل ثقيلٌ أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . ولابن أبي دُباكِل الخُزاعي فيها ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامي وأبي أيوبَ المدَني وحَبَش . فمن روى هذا الشعر لكثير عزة يرويه : [من الخفيف]

إن أهل الخضاب قد تركوني

ويزعم أن كثيِّراً قاله في خِضاب خضَبَته عَزةُ به .

[ابن عائشة يذكر محادثة لكثير وعزة فيغني بشعره]

أخبرني بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبَّة ولم يتجاوزه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَماد بن إسحاق عن أبيه قال حدثني الزُبيري قال حدثني بهذا الخبر أيضاً وفيه زيادة وخبرُه أحسن وأكثر تلخيصاً وأدخل في معنى الكتاب ، قال الزبيري حدثني أبي قال : خرجت إلى ناحية فَيد[1] متنزِّهاً ، فرأيت ابن عائشة يمشي بين رجلين من آل الزُبير وإحدى يديه على يد هذا والأُخرى على يد هذا ، وهو يمشي بينهما كأنه امرأة تُجلى على زوجها . فلما رأيتهم دنوت فسلَّمت وكنت أحدثَ القومِ سِناً ، فاشتهيتُ غِناء ابن عائشة فلم أدرِ كيف أصنع . وكان ابن عائشة إذا هيَّجتَه تحرك . فقلت : رحم الله كثيِّراً وعَزة ؛ ما كان أوفاهما وأكرمَهما وأصونَهما لأنفسهما ! لقد ذكرتُ بهذه الأودية التي نحن فيها خبر عَزة حين خضَبت كثيِّراً . فقال ابن عائشة : وكيف كان حديث ذلك ؟ قلت : حدثني مَن حضره بذلك ، ومِن هاهنا تتفق رواية عمر بن شَبَّة والزُبيري ، قال : خرج كثيِّر يريد عَزة وهي منتجِعة بالصَّواري وهي الأودية بناحية فَدَك ، فلما كان منها قريباً وعلم أن القوم جلسوا عند أنديتهم للحديث بعث أعرابياً فقال له : اذهب إلى ذلك الماء فإنك ترى امرأةً جسيمةً لَحِيمةً تُبالِط الرجالَ الشعر ، قال إسحاق : المبالطة : أن تُنشِد أولَ الشعر وآخرَه ، فإذا رأيتَها فنادِ : من رأى الجملَ الأحمر ؟ مراراً . ففعل . فقالت له : ويحك قد أسمعتَ فانصَرِف ، فانصرف إليه فأخبره . فلم يلبَث أن أقبلت جارية معها طَستٌ وتَورٌ[2] وقِربة ماء حتى انتهت إليه ، ثم جاءت بعد ذلك عزَّة فرأته جالساً محتبياً قريباً من ذراع راحلته . فقالت له : ما على هذا فارقتُك ! . فركب راحلتَه وهي باركةٌ وقامت إلى لِحيته

1 فَيْد : منزل بطريق مكة .

2 تور : إناء صغير .

فأخذت التَّور فخضبته وهو على ظهر جمله حتى فرغت من خِضابه ، ثم نزل فجعلا يتحدثان حتى عَلِق الخضابُ ، ثم قامت إليه فغسلت لِحيتَه ودهنَته ، ثم قام فركب وقال : [من الوافر]

إن أهلَ الخِضابِ قد تركوني مُوزعاً مُولَعاً بأهل الخضابِ

وذكر باقيَ الأبيات كلها . وإلى هاهنا رواية عمر بن شَبة . فقال ابن عائشة : فأنا والله أُغنّيه وأُجيده ، فهل لكم في ذلك ؟ فقلنا : وهل لنا عنه مَدفَعٌ ؟ فاندفع يغنّي بالأبيات ، فخُيِّل إليَّ أن الأودية تنطق معه حسناً . فلما رجعنا إلى المدينة قصصت القصة ، فقيل لي : إن ذلك أحسن صوت يغنّيه ابن عائشة ؟ فقلت : لا أدري إلا أنّي سمعت شيئاً وافق محبتي .

[معبد وابن سريج يبكيان أهل مكة بغنائهما]

وقال عبد الله بن أبي سعد حدثني عبد الله بن الصَّبَّاح عن هشام بن محمد عن أبيه قال : زار معبدٌ ابنَ سريج والغريض بمكة ؛ فخرجا به إلى التَّنعيم ثم صاروا إلى الثَّنِيَّة العُليا ثم قالوا : تعالَوا حتى نُبكي أهل مكة ؛ فاندفع ابن سُرَيج فغنَّى صوتَه في شعر كَثِير بن كَثِير السَّهمي : [من الخفيف]

أسْعِديني بعَبــرةٍ أسرابِ من دموعٍ كثيرةِ التِّسكابِ

فأخذ أهلُ مكة في البكاء وأنُّوا حتى سُمع أنينُهم . ثم غنَّى معبد : [من الكامل]

صوت

يا راكبــاً نحوَ المدينة جَسرةً أجُــداً تلاعبِ حَلقــةً وزماما
اقرأ على أهل البَقيع من امرىء كَمِدٍ على أهلِ البقيــعِ سلاما
كم غيَّبوا فيــه كريماً ماجداً شَهماً ومُقَبِلَ الشبابِ غلاما
ونَفيسةً في أهلهـــا مرجــوةً جمعتْ صَباحةَ صورةٍ وتَماما

فنادَوا من الدروب بالويل والحَرَب والسَّلَب ، وبقي الغريض لا يقدِر من البكاء والصُّراخ أن يغنّي .

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغِناء لمعبد ثقيل أول بالوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه ليحيى المكي ، وقد غلِط . وذكر حبش أن لعَلويه فيه ثقيلاً أول آخر .

[صوت من مدن معبد في شعر قيس بن ذريح]

ومن مُدُن معبد :

صوت

وقد أُضيف إليه غيره من القصيدة : [من الطويل]

سَلي هل قَلاني من عَشيرٍ صَحِبتُه ... وهل ذَمَّ رحلي في الرِّفاق رفيقُ
وهل يَجتَوِي القومُ الكِرامُ صَحابتي ... إذا اغبرَّ مَخشيُّ الفِجاج عَميقُ
ولو تعلمين الغيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهَدايا المُشعَراتِ صديقُ
تكادُ بلادُ الله يا أُمَّ مَعمَرٍ ... بما رَحُبت يوماً عليَّ تَضيقُ
أَذُود سَوامَ الطَّرف عنكِ وهل لها ... إلى أحدٍ إلا إليكِ طريقُ
وحدثتَني يا قلبُ أنك صابرٌ ... على البَين من لُبنى فسوف تذوقُ
فمُتْ كَمَداً أو عِش سَقيماً فإنما ... تكلِّفني مالاً أراك تُطيقُ
بلُبنى أُناديَ عند أول غَشية ... ولو كنتُ بين العائدات أُفيقُ
إذا ذُكرت لبنى تَجلَّتكَ زَفرةٌ ... ويَثنِي لك الدَّاعي بها فتُفيقُ

عروضه من الطويل . الشعر لقيس بن ذَريح . والغناء لمعبد في اللحن المختار المذكور ثقيل أول بالخنصر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأول والثاني والثالث . وذَكر في موضع آخر وافقته دِنانير أن لمعبد ثقيلاً أول بالبنصر في مجرى الوسطى أوله : [من الطويل]

صوت

أتجمعُ قلباً بالعراقِ فَرِيقُه ... ومنه بأطلالِ الأَراكِ فريقُ
فكيفَ بها لا الدارُ جامعةُ النَّوَى ... ولا أنتَ يوماً عن هواكَ تُفيقُ
ولو تعلمينَ الغيبَ أيقنتِ أنني ... لكم والهدايا المُشعَراتِ صديقُ

البيتان الأولان يُروَيان لجرير وغيره ، والثالث لقيس بن ذَريح أضافه إليهما مَعبد . وذكر عمرو ويونس أن لحن معبد الأول في خمسة أبيات أُولى من الشعر . وذكر عمرو بن بانة أن لبَذل الكبيرة خفيفَ رَمَلٍ بالوسطى في الرابع من الأبيات وبعده : [من الطويل]

دَعَونَ الهوى ثم ارتَمَيْنَ قلوبَنا ... بأعيُن أعداءٍ وهنَّ صديقُ

وبعده الخامس من الأبيات وهو «أَذُود سَوامَ الطَّرف» . وزعم حَبَشٌ أن في لحن معبدٍ الثاني الذي أوله : «أتجمع قلباً» لابن سريج خفيفَ رملٍ بالبنصر . وذكر أيضاً أن للغريض في الأول والثاني والسابع ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر ، ولابن مِسجَح خفيف رملٍ بالبنصر . وفي السادس وما بعده لحَكَم الوادي ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر حبش أن للغريض فيها ثقيلاً أول بالوسطى .

[138] ـ ذكر قيس بن ذَريح ونسبه وأخباره[1]

[نسبه]

هو ، فيما ذكر الكلبي والقَحذَمي وغيرهما ، قيس بن ذَريح بن سُنَّة بن حُذافة بن طَريف بن عُتوارةَ بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مَناةَ وهو علي بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدركة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وذكر أبو شُراعة القَيسي انه قيس بن ذَريح بن الحُباب بن سُنَّة ؛ وسائر النسب متَّفق . واحتَجَّ بقول قيس : [من الطويل]

فإن يـك تَهيامي بلُبنـى غَوايةً فقد يا ذَرِيحُ بـنَ الحُبابِ غَوَيتُ

وذكر القَحذَمي أن أمه بنتُ سُنة بن الذاهلِ بن عامر الخُزاعي ، وهذا هو الصحيح ؛ وأنه كان له خال يقال له عمرو بن سُنة شاعر ، وهو الذي يقول : [من الخفيف]

ضربوا الفِيلَ بالمغمَّس حتى ظَـلَّ يحبـو كأنـه محمومُ[2]

وفيه يقول قيس : [من البسيط]

أُنبئتُ أن لخـالي هَجمةً حُبُساً كأنّهـن بجَنبِ المَشعَرِ النُّصُلُ[3]

قد كنتَ فيما مضى قِدماً تجاورُنا لا ناقـةٌ لك ترعاهـا ولا جملُ

مـا ضَرَّ خالِيَ عمـراً لو تَقَسَّمها بعضُ الحياض وجَمُّ البئر مُحتفِلُ

[هو رضيع الحسين بن علي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن موسى بن حَماد قال حدثني أحمد بن القاسم بن يوسف قال حدثني جَزء بن قَطَن قال حدثنا جَساس بن محمد بن عمرو أحدُ بني الحارث بن كعبِ عن محمد بن أبي السَّرِي عن هشام بن الكلبي قال حدثني عدد من الكنانيين : أن قيس بن ذَريح كان رضيعَ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ، أرضعته أُم قَيس .

[أول عشقه لبنى ثم زواجه بها]

أخبرني بخبر قيس ولُبنى امرأتِه جماعةٌ من مشايخنا في قِصَصٍ متصلة ومنقطعة وأخبار منثورة ومنظومةٍ ، فألَّفتُ ذلك أجمعَ ليتَّسق حديثُه إلا ما جاء مفرداً وعَسُر إخراجُه عن جملة

---

1 انظر أخباره في : المؤتلف 120 واللآلىء 739 ، 710–711 .

2 المغمس : موضع قرب مكة في طريق الطائف .

3 الهجمة من الإبل : أولها أربعون إلى ما زادت ، أو ما بين السبعين إلى المائة . النصل : جمع نصيل ، وهو حجر طويل رقيق كهيئة الصفيحة المحددة .

النظم فذكرته على حدة . فممن أخبرنا بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبة ولم يتجاوزه إلى غيره ، وإبراهيم بن محمد بن أيوب عن ابن قُتيبة ، والحسنُ بن علي عن محمد بن موسى بن حَماد البَربري عن أحمد بن القاسم بن يوسف عن جَزء بن قَطَن عن جَساس بن محمد عن محمد بن أبي السَّرِي عن هشام بن الكلبي وعلى روايته أكثر المعوَّل . ونسختُ أيضاً من أخباره المنظومة أشياء ذكرها القَحذَمي عن رجاله ، وخالدُ بن كلثوم عن نفسه ومن روى عنه ، وخالدُ بن جَمَل ونُتَفاً حكاها اليوسفيّ صاحبُ الرسائل عن أبيه عن أحمد بن حَماد عن جميل عن ابن أبي جَناح الكعبي . وحكيت كلَّ مُتَّفِقٍ فيه متصلاً ، وكل مختلفٍ في معانيه منسوباً إلى راويه . قالوا جميعاً : كان منزل قومه في ظاهر المدينة ، وكان هو وأبوه من حاضِرة المدينة . وذكر خالد بن كلثوم أن منزله كان بسَرِف[1] ؛ واحتج بقوله : [من البسيط]

الحمـد لله قـد أمستْ مُجاوِرةً أهلَ العَقيقِ وأمسَينا على سَرِفِ

قالوا : فمرّ قيس لبعض حاجته بخيام بني كعب بن خُزاعة ، فوقف على خيمة منها والحي خُلُوف والخميةُ خيمة لُبنى بنت الحُباب الكَعبية ، فاستسقى ماء ، فسقته وخرجت إليه به ، وكانت امرأةً مَديدةَ القامةِ شَهلاءَ[2] حُلوة المنظر والكلام . فلما رآها وقعت في نفسه ، وشرب الماء . فقالت له : أتنزل فتتبرَّدَ عندنا ؟ قال : نعم . فنزل بهم . وجاء أبوها فنحر له وأكرمه . فانصرف قيس وفي قلبه من لُبنى حَرٌّ لا يَطفأ ، فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع ورُوي . ثم أتاها يوماً آخر وقد اشتد وجدُه بها . فسلم فظهرت له وردت سلامَه وتحفت به ؛ فشكا إليها ما يَجِدُ بها وما يَلقى من حبها ، وشكت إليه مثلَ ذلك فأطالت ، وعرف كلٌّ واحد منهما ما له عند صاحبه . فانصرف إلى أبيه وأعلمه حالَه وسأله أن يزوجه إياها . فأبى عليه وقال : يا بني ، عليك بإحدى بناتِ عمك فهن أحقُّ بك . وكان ذَرِيحٌ كثير المال موسِراً ، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة . فانصرف قيس وقد ساءه ما خاطبه أبوه به . فأتى أُمَّه فشكا ذلك إليها واستعان بها على أبيه ، فلم يجد عندها ما يحب . فأتى الحسين بن علي بن أبي طالب وابنَ أبي عتيق فشكا إليهما ما به وما رد عليه أبوه . فقال له الحسين : أنا أكفِيك . فمشى معه إلى أبي لُبنى . فلما بَصُر به أعظمه ووثَب إليه ، وقال له : يا ابنَ رسول الله ، ما جاء بك ؟ ألا بعثتَ إليّ فأتيتُك ؟ قال : إن الذي جئتُ فيه يُوجب قصدَك وقد جئتك خاطباً ابنتَك لُبنى لقيس بن ذَريح . فقال : يا ابنَ رسول الله ، ما كنا لنَعصيَ لك أمراً وما بنا عن الفتى رغبة ، ولكن أحَب الأمرِ إلينا أن يخطُبَها ذَرِيح أبوه علينا وأن يكونَ ذلك عن أمره ، فإنا نخاف إن لم يَسعَ أبوه في هذا أن يكون عاراً وسُبَّةً علينا .

1 سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

2 الشهلاء : التي يخالط سواد عينها زرقة .

فأتى الحسين رضي الله عنه ذَريحاً وقومَه وهم مجتمعون ، فقاموا إليه إعظاماً له وقالوا له مثل قول الخُزاعيين . فقال لذَريح : أقسمتُ عليك إلا خطبتَ لُبنى لابنك قيس . قال : السمعَ والطاعة لأمرك . فخرج معه في وجوه من قومه حتى أتَوا لُبنى فخطبها ذَرِيحٌ على ابنه إلى أبيها فزوجه إياها ، وزُفت إليه بعد ذلك . فأقامت معه مدة لا يُنكر أحدٌ من صاحبه شيئاً .

[أبواه يغريانه بطلاقها ويأبى هو]

وكان أبرَّ الناس بأُمِّه ، فألهته لُبنى وعكوفُه عليها عن بعض ذلك ، فوجدَت أُمُّه في نفسها وقالت : لقد شغلت هذه المرأةُ ابني عن بِري ؛ ولم تَرَ للكلام في ذلك موضعاً حتى مرِض مرضاً شديداً . فلما بَرَأ من علته قالت أُمُّه لأبيه : لقد خَشِيتُ أن يموتَ قيسٌ وما يتركُ خَلَفاً وقد حُرِم الولدَ من هذه المرأة ، وأنت ذو مال فيصيرُ مالك إلى الكَلالة ، فزوِّجه بغيرها لعل الله يرزقه ولداً ، وألَحَّت عليه في ذلك . فأمهلَ قيساً حتى إذا اجتمع قومه دعاه فقال : يا قيس ، إنك اعتللتَ هذه العلةَ فخِفتُ عليك ولا ولد لك ولا لي سواك . وهذه المرأة ليست بوَلُود ؛ فتزوَّج إحدى بنات عمِّك لعل الله أن يَهَب لك ولداً تَقَرُّ به عينُك وأعيننا . فقال قيس : لستُ متزوِّجاً غيرها أبداً . فقال له أبوه : فإن في مالي سَعَةً فتَسَرَّ بالإماء . قال : ولا أسوءها بشيء أبداً والله . قال أبوه : فإن أقسِم عليك إلاّ طلقتَها . فأبى وقال : الموتُ واللهِ عليّ أسهل من ذلك ، ولكني أُخيِّرك خَصلةً من ثلاث خصال . قال : وما هي ؟ قال : تتزوج أنت فلعلَّ الله أن يُرزقَك ولداً غيري . قال : فما في فَضلة لذلك . قال : فدَعني أرتحلْ عنك بأهلي واصنَع ما كنتَ صانعاً لو متُّ في علتي هذه . قال : ولا هذه . قال : فأدَعُ لُبنى عندك وأرتحِلُ عنك فلعلِّي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي . قال : لا أرضى أو تطلِّقَها ، وحلَف لا يَكُنُّه سقفُ بيت أبداً حتى يطلِّق لُبنى ، فكان يخرج فيَقِفُ في حر الشمس ، ويَجيء قيسٌ فيقف إلى جانبه فيُظِله بردائه ويَصْلَى هو بحر الشمس حتى يَفِيء الفيءُ فينصرف عنه ، ويدخل إلى لُبنى فيعانقها وتعانقه ويبكي وتبكي معه وتقول له : يا قيس ، لا تُطِع أباك فتَهلِك وتُهلِكَني . فيقول : ما كنت لأُطيعَ أحداً فيك أبداً . فيقال : إنه مكث كذلك سنةً . وقال خالد بن كُلثوم : ذكر ابن عائشة أنه أقام على ذلك أربعينَ يوماً ثم طلقها . وهذا ليس بصحيح .

[طلاقه لبنى ثم ندمه على فراقها ، وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثني أحمد بن زُهير قال حدثني يحيى بن معين قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جُرَيج قال أخبرني عمر بن أبي سفيان عن ليث بن عمرو : أنه سمع قيس بن ذَرِيح يقول لزيد بن سليمان : هجَرني أبواي في لُبنى عشرَ سنين أستأذِنُ عليهما فيَرُداني حتى طلقتُها . قال ابن جُرَيج : وأُخبرت أن عبد الله بن صَفوان الطويل لَقِيَ ذَرِيحاً أبا

قيس فقال لـه : ما حمَلك على أن فرقتَ بينهما ؟ أما علمتَ أن عمر بن الخطاب قال : ما أُبالي أفرقتُ بينهما أو مشيتُ إليهما بالسيف . وروى هذا الحديث إبراهيم بن يَسار الزَّمادي عن سُفيان بن عُيينة عن عمرو بن دينار قال قال الحسين بن علي رضي الله عنهما لذَريح بن سُنة أبي قيس : أحَلَّ لكَ أن فرقتَ بين قيس ولُبنى ؟! أما إني سمعت عمر بن الخطاب يقول : ما أُبالي أفرقتُ بين الرجل وامرأته أو مشيتُ إليهما بالسيف . قالوا : فلما بانت لُبنى بطلاقه إياها وفُرغ من الكلام ، لم يَلبث حتى استُطير عقلُه وذُهِب به ولحقه مثلُ الجنون . وتذكَّر لُبنى وحالَها معه فأسِف وجعل يبكي وينْشج أحرَّ نَشيج . وبلغها الخبرُ فأرسلت إلى أبيها ليحتملها ، وقيل : بل أقامت حتى انقضت عدتها وقيسٌ يدخل عليها . فأقبل أبوها بهَودَج على ناقة وبإبل تحملُ أثاثها . فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها فقال : ويحك ! ما دهاني فيكم ؟ فقالت : لا تسألني وسَل لُبنى . فذهب ليُلِمَّ بخِبائها فيسألها ، فمنعه قومُها ، فأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت له : ما لك ويحك تسأل كأنك جاهلٌ أو تتجاهل ؟ هذه لُبنى ترتحل الليلةَ أو غداً . فسقط مغشِياً عليه لا يَعقِل ثم أفاق وهو يقول : [من الطويل]

وإني لَمُفنٍ دمعَ عينيَ بالبكا ... حِذارَ الذي قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غداً أو بعد ذاك بليلةٍ ... فراقُ حبيبٍ لم يَبِنْ وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكون منيتي ... بكفَّيكِ إلا أن ما حان حائنُ

في هذه الأبيات غِناء ولها أخبار قد ذُكرت في أخبار المجنون . قال وقال قيس : [من الطويل]

يقولون لُبنى فتنةٌ كنتَ قبلها ... بخير فلا تَندَمْ عليها وطلِّقِ
فطاوعتُ أعدائي وعاصيتُ ناصحي ... وأقررتُ عين الشامت المُتخلِّقِ[1]
وَدِدْتُ وبيتِ الله أني عَصَيتُهم ... وحُمِّلت في رِضوانِها كلَّ مُوبِقِ[2]
وكُلِّفتُ خوضَ البحرِ والبحرُ زاخرٌ ... أبِيتُ على أثباجِ موجٍ مُغَرِّقِ
كأني أرى الناسَ المحبين بعدها ... عُصارةَ ماء الحنظلِ المُتفلِّقِ
فتُنكرُ عيني بعدها كلَّ منظَرٍ ... ويكره سمعي بعدَها كلَّ منطقِ

قال : وسقط غرابٌ قريباً منه فجعل يَنعَقِ مراراً ، فتطيَّر منه وقال : [من الوافر]

لقد نادى الغرابُ بيَين لُبنى ... فطار القلب من حَذرِ الغرابِ

1 المتخلّق : الذي يتكلف ما ليس في خلقته .
2 الموبق : المهلك .

وقـال غـداً تَباعَـدُ دارُ لُبنى وتَنـأَى بعـد ودٍّ واقتـراب
فقلتُ تَعِسَت وَيحَكَ من غراب وكان الدهرَ سعيُك في تَبابِ

وقال أيضاً وقد منعه قومه من الإلمام بها : [من الطويل]

صوت

ألا يا غرابَ البَينِ وَيحَكَ نَبِّني بعلمك في لُبنى وأنـتَ خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِرْ بما قد علمتَه فلا طِرتَ إلا والجَناح كَسِيرُ
ودُرتَ بأعداءٍ حبيبُك فيهمُ كما قـد تـَراني بالحبيب أدورُ

غنَّى سليمان أخو حَجَبَةَ رملاً بالوسطى .

قالوا : وقال أيضاً وقد أُدخِلت هودجَها ورحلتْ وهي تَبكي ويتبعُها : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البَينِ هل أنت مُخبِري بخيرٍ كما خَبَّرتَ بـالنأي والشرِّ
وقلتَ كذاك الدهرُ ما زال فاجعاً صدقتَ وهل شيءٌ بباقٍ على الدهرِ

غنَّى فيهما ابن جامع ثاني ثقيل بالبنصر عن الهشامي . وذكر حبش أن لقَفا النجار فيهما ثقيلاً أول بالوسطى . قالوا : فلما ارتحـل قومُهـا اتَّبعها مَلِياً ، ثم علم أن أباها سيمنعه من المسير معها ، فوقف ينظر إليهم ويبكي حتى غابوا عن عينه فكَر راجعاً . ونظر إلى أثر خُفٍّ بعيرها فأكبَّ عليه يقبِّله ورجع يقبِّل موضعَ مجلسها وأثرَ قَدَمِها . فَلِيمَ على ذلك وعنفه قومُه على تَقبِيل التراب ؛ فقال : [من الوافر]

وما أحببتُ أرضَكمُ ولكن أُقبِّلُ إثـر مَن وَطِىء التُّرابا
لقد لاقيتُ من كَلَفِي بلُبنى بَلاءً مـا أُسِيغ بـه الشَّرابا
إذا نادى المنادي باسم لُبنى عَيِيتُ فما أُطيقُ لـه جوابا

وقال وقد نظر إلى آثارها : [من الوافر]

صوت

أَلا يا رَبعَ لُبنى مـا تقـولُ أَبِنْ لي اليومَ ما فعل الحُلولُ
فلـو أن الديـارَ تُجيب صَباً لـرد جـوابيَ الربـعُ المُحِيلُ
ولـو أني قدَرتُ غـداةَ قالت غـدَرتَ وماءُ مُقلتِها يَسِيلُ
نحرتُ النفسَ حين سمعتُ منها مقالتَهـا وذاك لهـا قليلُ
شَفَيتُ غليلَ نفسي من فِعالي ولم أُغبُرْ بـلا عقـلٍ أَجُولُ

غنَّى فيه حسين بن مُحرز خفيف ثقيلٍ من روايتَي بَذل وقُرَيض . وتمام هذه الأبيات :

كأنِّـي والِـهٌ بفـراقِ لُبنَى تَهِيـمُ بفقد واحِدهـا ثَكُولُ[1]
ألا يا قلبُ وَيحَكَ كن جَلِيداً فقد رحَلتْ وفاتَ بها الذَمِيلُ[2]
فإنـك لا تُطيق رجوعَ لُبنى إذا رحَلـتْ وإن كثُر العَوِيلُ
وكَم قد عِشتَ كَم بالقربِ منها ولكـن الفـِراقَ هـو السبيلُ
فصبـراً كلُّ مؤتَلِفَـينِ يومـاً مـن الأيـام عيشُهما يزولُ

قال : فلما جَن عليه الليلُ وانفرد وأوى إلى مضجعه لم يأخذه القرارُ وجعل يتململ فيه تململ السليم ، ثم وثب حتى أتى موضع خِبائها ، فجعل يتمرَّغ فيه ويبكي ويقول : [من الخفيف]

صوت

بِـتُّ والهمُّ يا لُبينى ضَجيعي وجرت مُذ نأيتِ عنِّي دموعي
وتنفَّستُ إذ ذكرتُـك حتى زالت اليومَ عن فؤادي ضلوعي
أتناساكِ كي يُرِيـغَ فـؤادي ثم يشتدُّ عنـد ذاك وَلُوعي[3]
يا لُبينى فَدَتكِ نفسي وأهـلي هل لدهرٍ مضى لنا من رجوعِ

غنت في البيتين الأولين شارية خفيف رمل بالوسطى . وغنى فيهما حسين بن محرز ثاني ثقيل ، هكذا ذكر الهشامي ؛ وقد قيل إنه لهاشم بن سليمان .

أخبرني محمد بن خَلَف وكيع قال قال الزُّبير بن بَكار حدثني عبد الجبار بن سعيد المُساحِقي عن محمد بن مَعن الغِفاري عن أبيه عن عجوز لهم يقال لها حَمادة بنت أبي مُسافر قالت : جاورت آلَ ذَرِيحٍ بقَطيع لي فيه الرَّائِمة[4] وذات البوّ والحائلُ والمُتبع . قالت : فكان قيسُ بن ذَريح إلى شَرَفٍ في ذلك القطيع ينظر إلى ما يَلقَين فيتعجب . فقلما لبِث حتى عزم عليه أبوه بطلاق لُبنى فكاد يموت ، ثم آلى أبوه لئن أقامت لا يُساكِن قيساً . فظعَنتْ فقال : [من الطويل]

أيـا كبـداً طـارتْ صُدوعاً نوافذاً ويـا حَسرَتا مـاذا تَغَلغَلَ في القلبِ

1 ثكول في ل : عجول .
2 الذميل : السير اللين .
3 يريغ : يحيد .
4 الرائمة : العاطفة على غير ولدها . والبوّ : جلد الحوار يحشى ثماماً أو تبناً أو غيرهما فيقرب من أم الفصيل فتعطف عليه فتدر .

فأقسِمُ مـا عُمشُ العيون شوارفٌ روائـم بَـوٌّ حائماتٌ على سَقبِ[1]
تشمَّمنَـه لـو يَستطِعـن ارتشفنَـه إذا سُفنَـه يَزددنَ نَكباً على نَكبِ[2]
رَئِمـنَ فمـا تَنحاش منهن شارفٌ وحالَفنَ حبساً في المُحول وفي الجَدبِ
بأوجَـدَ منّي يـومَ وَلَّت حُمُولُها وقد طلعتُ أولى الرِّكاب من النَّقبِ
وكلُّ مُلِمـاتِ الزمـانِ وجدتُهـا سوى فُرقـةِ الأحبابِ هيِّنَةَ الخَطبِ

أخبرني عمي قال حدثني الكُراني قال سمعتُ ابن عائشة يقول : قال إسحاق بن الفضل الهاشمي : لم يقل الناس في هذا المعنى مثل قول قيس بن ذريح : [من الطويل]

وكلُّ مُصيبات الزمـانِ وجدتُها سوى فُرقةِ الأحبابِ هيِّنةَ الخَطبِ

[خرج في فتية إلى بلادها حتى رآها ، وشعره في ذلك]

قال وقال ابن النطاح قال أبو دِعامة : خرج قيسٌ في فِتية من قومه واعتلَّ على أبيه بالصيد ، فأتى بلاد لُبنى ، فجعل يتوقعُ أن يراها أو يرى من يُرسِل إليها . فاشتغل الفتيانُ بالصيد ؛ فلما قضَوا وَطَرَهم منه رجعوا إليه وهو واقف ، فقالوا له : قد عرفنا ما أردتَ بإخراجنا معك وأنك لم تُرِد الصيد وأنما أردتَ لقاء لبنى ، وقد تعذَّر عليك فانصرِف الآن . فقال : [من الطويل]

ومـا حائماتٌ حُمنَ يومـاً وليلةً على المـاء يَغشَين العَصيَّ حَوانِ
عَوافِـيَ لا يَصدُرن عنـه لِوجهةٍ ولا هنّ من بَـردِ الحِياض دَوانِ[3]
يَرَيـنَ حَبابَ المـاء والموتُ دونه فهـنّ لأصواتِ السُّقـاةِ رَوانِ
بأجهـدَ منّي حَـرَّ شوقٍ ولَوعةٍ عليكِ ولكـنَّ العـدوَّ عَـداني
خليـلَيَّ إني ميـتٌ أو مُكَلِّـمٌ لُبَينـى بسرِّي فامضِيـا وذَراني
أَنَلْ حاجتي وَحدِي ويا رُبَّ حاجةٍ قضيتُ على هَولٍ وخوفِ جَنانِ
فإنَّ أحـقَّ النـاسِ ألا تُجاوِزا وتَطَّرِحـا مَـن لـو يشاء شفاني
ومن قادني للموتِ حتى إذا صفَتْ مشاربُـه السمَّ الذُّعـافَ سقانِي

قال : فأقاموا معه حتى لقيَها ، فقالت له : يا هذا ، إنك متعرضٌ لنفسك وفاضِحي . فقال لها : [من الوافر]

1 الشوارف : جمع شارفة وهي الناقة المسنة . السقب : ولد الناقة .
2 ساف الشيء : شمه . والنكب : ظلع البعير .
3 العوافي : جمع عافية وهي التي ترد الماء .

صدَعتِ القلبَ ثم ذرَرتِ فيه هــواكِ فلِيــمَ فالتأم الفُطورُ[1]
تَغَلغَــلَ حيــثُ لم يبلُغْ شَرابٌ ولا حــزنٌ ولم يبلغْ سرورُ

[أبو السائب المخزومي وشعر قيس]

وقال القحذمي حدثني أبو الوَردان قال حدثني أبي قال : أنشدتُ أبا السائب المخزومي قول قيس : [من الوافر]

صدعتِ القلبَ ثم ذررتِ فيه هــواكِ فلِيــمَ فالتــأم الفطورُ

فصاح بجارية له سِندية تسمَّى زُبدة ، فقال : أي زبدةُ عجِّلي . فقالت : أنا أعجِنُ . فقال : ويحك ! تعالَيْ ودَعي العجين . فجاءت فقال لي : أنشِد بيتَي قيس ، فأعدتُهما . فقال لها : يا زُبدة ، أحسنَ قيس وإلا فأنت حرة ! ارجعي الآن إلى عجينك أُدرِكيه لا يَبرُد .

[حسرته على فراقها وتأنيبه نفسه]

قالوا : وجعل قيس يعاتب نفسه في طاعته أباه طلاقه لُبنى ويقول : فأَلا رحلتُ بها عن بلده فلم أَرَ ما يفعل ولم يَرَني ؟ فكان إذا فقدني أقلع عما يفعله وإذا فقدتُه لم أتحرج من فعله ؛ وما كان عليّ لو اعتزلتُه وأقمت في حيِّها أو في بعض بَوادِي العرب ، أو عَصَيته فلم أُطِعه ! هذه جنايتي على نفسي فلا لومَ على أحد ! وهأنذا ميِّتٌ مما فعلته ، فمن يردُّ رُوحي إلي ! وهل لي سبيل إلى لبنى بعد الطلاق ؟! وكلما قرَّع نفسَه وأنَّبها بلونٍ من التقريع والتأنيب بكى أحرَّ بكاء وألصق خدَّه بالأرض ووضعه على آثارها ثم قال : [من البسيط]

صوت

وَيــلي وعَولي ومــالي حين تُفلِتُنــي من بعد ما أحرزت كفي بها الظَّفَرا
قد قــال قلبي لطَرفي وهو يعذِلُه هــذا جزاؤك مني فاكدِم الحجرا
قد كنــتُ أنهاك عنها لو تُطاوعُني فاصبِرْ فما لكَ فيها أجرُ من صبرا

غناه الغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو . وفيه لإبراهيم ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش . وفي الثالث والأول خفيف رَمَل يقال إنه لابن الهِربِذ .

قالوا وقال أيضاً : [من البسيط]

بانــت لُبَينى فأنــت اليوم متبولُ والرأي عندك بعــد الحزمِ مخبولُ
أستودِع اللهَ لُبنــى إذ تفارقنـــي بالرغمِ مني وقولُ الشيخِ مفعولُ

1 الفطور : الشقوق .

وقــد أراني بلبنــى حـقَّ مقتنعٍ والشملُ مجتمعٌ والحبلُ موصولُ

قال خالد بن كلثوم وقال : [من الطويل]

ألا ليت لُبنــى في خلاءٍ تزورني فأشكو إليهـا لَوعتي ثـم ترجعُ
صحا كلُّ ذي لـبٍّ وكلٌّ متيَّم وقلبي بلُبنَـى مـا حَيِيتُ مروَّعُ
فيا مَن لِقلبٍ مـا يُفيقُ من الهوى ويـا مَـنْ لعـينٍ بالصَّبابة تَدمَعُ

قالوا وقال في ليلته تلك : [من البسيط]

قد قلتُ للقلبِ لا لُبناكَ فاعترِف واقضِ اللُّبانةَ ما قضَّيتَ وانصرفِ
قد كنتُ أحلفُ جَهداً لا أُفارقها أُفٌّ لكثرة ذاك القِيـل والحَلِفِ
حتى تكنَّفنــي الواشونَ فافْتُلِتَتْ لا تأمَنَن أبداً مـن غشَّ مُكتنِفِ[1]
هيهاتَ هيهاتَ قد أمستْ مُجاورةً أهـلَ العَقيقِ وأمسيْنا على سَرِفِ

قال : وسَرِف على ستة أميال من مكة . والعَقيق : واد باليمامة[2] .

حَـيٌّ يَمانُونَ والبَطحاءِ منزلُنا هذا لَعمرُك شملٌ غيرُ مؤتلِفِ

[من شعره في لُبنَى وقد سنحتْ له ظبية]

قالوا : فلما أصبح خرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته يتنسَّم روائحَها ، فسنَحت له ظبيةٌ فقصدها فهربت منه فقال : [من الوافر]

ألا يـا شِبهَ لُبنَـى لا تُراعِـي ولا تتيمَّمِـي قُلَـلَ القِلاعِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

فـوا كبِدي وعاودني رُداعِي وكان فـراقُ لُبنَى كالخداعِ[3]
تكنَّفنــي الوُشاةُ فأزعجوني فيـاللهِ لِلـواشي المُطـاعِ
فأصبحتُ الغَداةَ ألومُ نفسي عـلى شيءٍ وليسَ بمستطاعِ
كمغبـونٍ يَعَضُّ عـلى يديـه تَبيَّـنَ غَبنَـه بعـد البِياعِ
بـدار مَضيعـةٍ تركتك لُبنَى كذاك الحَينُ يُهدى للمُضاعِ
وقـد عِشنا نَلَذُّ العيشَ حِيناً لَـوَ آن الدهرَ لِلإنسانِ داعِ

1 افتُلتت : أُخذت بغتة .

2 ل : بالمدينة .

3 الرداع : النكس ، وقيل : وجع الجسد كله .

ولكـنّ الجميعَ إلى افتـراق وأسبابُ الحُتوفِ لهـا دواعِ

غناه الغريض من القَدر الأوسط من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى عن عمرو والهشامي . ولشاريَةَ في البيتين الأولين ثقيلٌ أولُ آخر بالوسطى . ولابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشامي في : [من الوافر]

بـدارِ مَضِيعـةٍ تركتك لُبنى

وقبله :

فواكبـدِي وعـاودني رُداعِـي

ولِسياطٍ في البيتين الأولين خفيفُ رمل بالبنصر عن حبش .

[أغرت أمه فتيات الحي بأن يعبن عنده لبنى ليسلوها فلم يسل]

حدثني عمّي عن الكراني عن العُتبي عن أبيه قال : بعثت أُمُّ قيس ذَريح بفتيات من قومه إليه يعِبنَ إليه لُبنى ويَعِبنَه بجَزَعِهِ وبكائه ويتعرَّضْنَ لوصاله ، فأتيْنَه فاجتمعنَ حوالَيه وجعلن يمازحنَه ويَعِبنَ لُبنى عنده ويعيِّرنَه ما يفعله . فلما أُطِلنَ أقبل عليهن وقال : [من الطويل]

صوت

يَقَـرُّ بعينـي قربُهـا ويَزِيـدُني بها كَلَفـاً مَن كان عندي يَعِيبُها

وكم قائلٍ قـد قـال تُبْ فعصَيتُه وتلـك لعَمرِي توبـةٌ لا أتوبها

فيا نفسُ صبراً لستِ واللهِ فاعلمي بـأوَّلِ نفسٍ غـابَ عنهـا حبيبُها

غنَّاه دَحمان ثقيلاً أول بالوسطى . وفيه هَزَجٌ بالبنصر لسُليم ، وذكر حبش أنه لإسحاق ، قال : فانصرفن عنه إلى أُمه فأيأسنها من سَلوته . وقال سائر الرُّواة الذين ذكرتهم : اجتمع إليه النِّسوة فأطلنَ الجلوسَ عنده ومحادثتَه وهو ساهٍ عنهن ، ثم نادى : يا لُبنى ! فقلن له : ما لكَ ويحك ! فقال : خَدِرت رجلي ، ويقال : إن دعاء الإنسان باسم أحبِّ الناس إليه يُذهب عنه خَدَر الرِّجل فناديتُها لذلك . فقمن عنه ، وقال : [من الطويل]

إذا خدِرت رجلي تذكرتُ مَن لها فناديتُ لُبنـى باسمِهـا ودعوتُ

دعوتُ التي لو أن نفسي تُطِيعني لفارقتُهـا مـن حبِّهـا وقَضيتُ

بَرَتْ نبلَها للصيدِ لُبنَى ورَيَّشَت ورَيَّشتُ أُخـرى مِثلَهـا وبَرَيتُ

فلمـا رمتنـي أقصدتني بسهمها وأخطأتُها بالسَّهمِ حـين رميتُ

وفارقـتُ لبني ضَلَـةً فكأنني قُرِنـت إلى العَيُـوق ثـم هَوَيتُ

فيـا ليتَ أنّي مُـتُّ قبل فراقها وهـل تَرجِعَنْ فوتَ القضية لَيتُ
فصرتُ وشيخي كالذي عثَرتْ به غَداةَ الوَغى بـين العُداة كُمَيتُ
فقامتْ ولم تُضرَرْ هناكَ سَوِيَّـةً وفارسُها تحـتَ السَّنابِكِ مَيتُ
فـإن يـك تَهيامي بلُبنى غَوايَـةً فقد يـا ذَرِيحُ بـنَ الحُباب غَوَيتُ
فـلا أنـت مـا أمَّلتَ في رأيتَـه ولا أنـا لُبنَى والحيـاةَ حَوَيتُ
فوَطِّـن لهُلكي منـك نفساً فإنني كأنك بي قـد يـا ذَرِيحُ قَضَيتُ

[حديثه في مرضه مع عواده ومع طبيبه عن لبنى]

وقال خالد بن كلثوم : مرِض قيس ، فسأل أبوه فتياتِ الحي أن يَعُدنه ويحدِّثنه لعلَّه أن يتسلَّى أو يعلَق بعضَهن ، ففعلن ذلك . ودخل إليه طبيب ليداويَه والفتياتُ معه ، فلما اجتمعن عنده جعلن يحادثنه وأطلن السؤال عن سبب علته ، فقال : [من الخفيف]

صوت

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى داءُ قيسٍ والحبُّ داءٌ شديدُ
وإذا عـادني العوائـدُ يومـاً قالت العينُ لا أَرى من أُريدُ
ليت لُبنى تَعُودني ثـم أَقضي إنّهـا لا تعـود فيمن يعودُ
وَيحَ قيسٍ لقـد تضمَّن منها داءَ حَبلٍ فالقلبُ منـه عَميدُ

غنَّاه ابن سُرَيج خفيف رملٍ عن الهِشامي . وفيه للحَجَبي ثقيلٌ أولُ بالوسطى . وفيه ليحيى المكي رمل ، قالوا : فقال له الطبيب : منذُ كم هذه العلة ؟ ومنذُ كم وجَدتَ بهذه المرأة ما وجدتَ ؟ فقال : [من الطويل]

صوت

تعلَّق رُوحي روحَها قبل خَلقِنا ومن بعدِ ما كنَّا نِطافاً وفي المهدِ
فـزادَ كما زِدنـا فأصبحَ نامياً وليس إذا مُتنا بمُنصَرِم العهدِ
ولكنَّه بـاقٍ على كلِّ حادثٍ وزائرنا في ظُلمةِ القبرِ واللَّحدِ

غناه الغريض ثقيلاً أولَ بالوسطى من رواية حَبَش ، قالوا : فقال له الطبيب : إن مما يُسليك عنها أن تتذكر ما فيها من المساوىء والمعايب وما تَعافُه النفس من أقذار بني آدم ، فإن النفس تنبو حينئذٍ وتسلو ويخف ما بها . فقال : [من الطويل]

إذا عِبتُهـا شبَّهتُها البـدرَ طالعاً وحَسبُكَ من عيبٍ لها شَبَهُ البدرِ

لقد فُضِّلت لُبنى على الناس مثلَ ما على ألف شهر فُضِّلتْ ليلةُ القدرِ

صوت

[من الطويل]

إذا ما مشت شبراً من الأرض أرجَفت من البُهر حتى ما تَزيدُ على شبرِ
لهـا كَفَلٌ يَرتَجُّ منها إذا مشتْ ومتنٌ كغصنِ البان مُضطَمِرُ الخَصرِ

غنى في هذين البيتين ابن المكي خفيف رمل بالوسطى . وفيهما رمل يُنسب إلى ابن سُرَيج وإلى ابن طُنبورة عن الهشاميِّ ، قالوا : ودخل أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة ، فأنَّبه ولامه وقال له : يا بني ! اللهَ اللهَ في نفسِك ! فإنك ميِّت إن دمتَ على هذا ! فقال : [من الطويل]

وفي عُروةَ العُذرِي إن متُّ أُسوةٌ وعمرِو بن عَجلانَ الذي قتلت هندُ
وبي مثلُ مـا ماتا بـه غيرَ أننـي إلى أجـلٍ لم يأتنـي وقتُـه بعدُ

صوت

[من الطويل]

هـل الحبُّ إلا عَبرةٌ بعد زَفـرةٍ وحَـرٌّ على الأحشاء ليس له بَردُ
وفَيضُ دمـوعٍ تَستهـلُّ إذا بـدا لنا علمٌ من أرضكم لم يكن يبدو

غنَّى في هذين البيتين زيد بن الخطاب مولى سليمان بن أبي جعفر ، وقيل : إنه مولى سليمان بن علي ، ثقيلاً أولَ بالوسطى عن الهشامي .

[إعجاب أبي السائب المخزومي بشعر له]

وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير ، وأخبرنا اليَزيدي عن ثعلب عن الزُّبير قال حدثني إسماعيل بن أبي أُوَيس قال : جلستُ أنا وأبو السائب في النبَّالين ، فأنشدني قولَ قيس بن ذَريح : [من الخفيف]

عِيدَ قيسٌ من حبِّ لُبنى ولُبنى داءُ قيسٍ والحـب داءٌ شديدُ
ليت لُبنى تعـودني ثم أقضي إنّها لا تعـود فيمـن يعودُ

قال : فأنشدته أنا لقيس : [من الطويل]

تعلَّق رُوحِي رُوحَها قبل خَلقِنا ومن بعد ما كنا نِطافاً وفي المهدِ
فـزاد كما زِدنا وأصبح نامياً وليس إذا متنا بمنتَقِضِ العهدِ
ولكنَّه بـاقٍ على كل حادثٍ وزائرُنا في ظلمةِ القبرِ واللَّحدِ

فحلف لا يزال يقوم ويقعد حتى يرويَها . فدخل زُقاقَ النبَّالين وجعلتُ أُرَدِّدها عليه ويقوم ويقعد حتى رواها .

رجع الخبر إلى سِياقته .

[زوجه أبوه غيرها ليسلوها فتزوّجت لبنى]

وقال خالد بن جَمَل : فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بأن يزوِّجه امرأةً جميلة فلعلَّه أن يسلو بها عن لُبنى . فدعاه إلى ذلك فأباه وقال : [من الطويل]

لقد خِفتُ ألا تَقنَع النفسُ بعدها بشيءٍ من الدنيا وإن كان مَقنَعا
وأزجُر عنها النفسَ إذ حيل دونها وتأبَى إليهـا النفسُ إلا تَطلُّعا

فأعلمهم أبوه بما ردَّ عليه . قالوا : فمُره بالمَسير في أحياء العرب والنزول عليهم فلعلَّ عينه أن تقع على امرأةٍ تُعجبه . فأقسم عليه أبوه أن يفعل . فسار حتى نزل بحيٍّ من فَزارة ، فرأى جاريةً حسناء قد حسرَت بُرْقُعَ خَزٍّ عن وجهها وهي كالبدر ليلة تِمِّه ، فقال لها : ما اسمك يا جارية ؟ قالت : لُبنى . فسقط على وجهه مغشياً عليه ، فنضَحت على وجهه ماء وارتاعت لِما عراه ، ثم قالت : إن لم يكن هذا قيسَ بن ذَريح إنه لمجنون ! فأفاق فنَسَبته فانتسب . فقالت : قد علمتُ أنك قيس ، ولكن نَشَدتُك بالله وبحق لُبنى إلا أصبتَ من طعامنا . وقدَّمت إليه طعاماً ، فأصاب منه بإصبعَه . وركب فأتى على أثَره أخٌ لها كان غائباً ، فرأى مُناخ ناقته ، فسألهم عنه فأخبروه ، فركب حتى ردَّه إلى منزله ، وحلف عليه ليُقيمنَّ عنده شهراً . فقال له : لقد شَقَقتَ عليَّ ، ولكنِّي سأتبع هواك ، والفَزاري يزداد إعجاباً بحديثه وعقله وروايته ، فعرض عليه الصِّهرَ . فقال له : يا هذا إن فيك لرغبةً ، ولكنِّي في شغل لا يُنتفع بي معه . فلم يزل يعاوده والحيُّ يلومونه ويقولون له : قد خشينا أن يصير علينا فعلُك سُبَّة . فقال : دعوني ، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام . فلم يزل به حتى أجابه وعقد الصِّهرَ بينه وبينه على أخته المسماة لُبنى ، وقال له : أنا أسوق عنك صَداقها . فقال : أنا والله يا أخي أكثر قومي مالاً ، فما حاجتك إلى تكلُّف هذا ؟ أنا سائر إلى قومي وسائق إليها المَهر . ففعل وأعلم أباه الذي كان منه ، فسَرَّه وساق المهرَ عنه . ورجع إلى الفزاريين حتى أدخلت عليه زوجته ، فلم يَرَوهُ هشَّ إليها ولا دنا منها ولا خاطبها بحرفٍ ولا نظر إليها . وأقام على ذلك أياماً كثيرة . ثم أعلمهم أنه يريد الخروج إلى قومه أياماً فأذِنوا له في ذلك ، فمضى لوجهه إلى المدينة . وكان له صديق من الأنصار بها ؛ فأتاه فأعلمه الأنصاريُّ أن خبر تزويجه بلغ لُبنى فغمَّها وقالت : إنه لغَدَّار ! ولقد كنت أمتنع من إجابة قومي إلى التزويج فأنا الآن أُجيبهم ، وقد كان أبوها شكا قيساً إلى معاوية وأعلمه تعرُّضَه لها بعد الطلاق . فكتب إلى مروان بن الحكم يُهدِر دمه إن

تعرض لها ، وأمر أباها أن يزوجها رجلاً يعرف بخالد بن حِلِّزة من بني عبد الله بن غَطَفان ، ويقال : بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كَثِير بن الصَّلت الكِندِي حليف قريش ، فزوجها أبوها منه . قال : فجعل نساء الحي يقلن ليلة زِفافها : [من الهزج]

لُبَينى زوجُها أصبـ ـح لا حـرٌّ بِواديهِ
له فضلٌ على النـاس بمـا باتـت تُناجيهِ
وقيسٌ ميـتٌ حـيٌّ صريـعٌ في بَواكيهِ
فـلا يُبعِـدُه الله وبُعـداً لنَـواعيهِ

قال : فجزِع قيس جزعاً شديداً وجعل ينشج أحرَّ ويبكي أحرَّ بكاء . ثم ركب من فَوره حتى أتى مَحلَّة قومها ، فناداه النساء : ما تصنع الآن هاهنا ؟ قد نُقِلت لُبنى إلى زوجها ! . وجعل الفتيان يعارضونه بهذه المقالة وما أشبهها وهو لا يُجيبهم حتى أتى موضع خِبائِها فنزل عن راحلته وجعل يتمعَّك[1] في موضعها ويُمرِّغ خدَّه على ترابها ويبكي أحرَّ بكاء . ثم قال : [من الطويل]

صوت

إلى اللهِ أشكو فَقدَ لُبنى كما شكا إلى الله فقـدَ الوالدَيـنِ يتيـمُ
يتيـمٌ جفـاه الأقربـون فجسمُه نَحيـلٌ وعهـدُ الوالدَيـن قديـمُ
بكت دارُهم مـن نأيهم فتهللت دموعـي فـأيَّ الجازِعَـينِ ألومُ
أمُستعبِراً يبكي من الشوقِ والهوى أمَ آخـرَ يبكـي شَجـوَه ويَهِيمُ

لابن جامع في البيتين الأولين ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن الهشامي . ولِعَريب فيهما ثاني ثقيل . وفي الثالث والرابع لمَيَّاسة خفيف رمل بالبنصر عن عمرو وحبش والهشامي . وتمام هذه الأبيات ، وليست فيها صنعة ، قوله : [من الطويل]

تهيَّضَنَي مـن حبِّ لُبنى علائقٌ وأصنافُ حـبٍّ هَولُهُـن عظيمُ
ومَـنْ يتعلَّق حـبَّ لُبنى فؤادُه يَمُتْ أو يَعِش ما عاش وهو كَليمُ
فإني وإن أجمعتُ عنكِ تجلُّداً عـلى العهـد فيمـا بيننا لَمُقِيمُ
وإن زمـاناً شتَّت الشملَ بيننـا وبينكُم فيـه العِـدا لَمَشُومُ

1 يتمعك : يتمرغ .

أفي الحقِّ هـذا أن قلبـكِ فارغٌ صحيحٌ وقلبـي في هواكِ سَقيمُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات ليست لقيس وإنما خُلطت بشعره ، ولكنَّها في هذه الرواية منسوبة إليه .

قال : وقال أيضاً في رحيل لُبنى عن وطنها وانتقالها إلى زوجها بالمدينة وهو مقيم في حيها : [من البسيط]

صوت

بانت لُبَينى فهاج القلبَ مَن بانا وكان مـا وعدتْ مَطـلاً وليّانا[1]

وأخلفتْك مُنىً قـد كنتَ تأملُها فأصبحَ القلبُ بعـدَ البينِ حَيْرانا

اللهُ يدري ومـا يدري بـه أحدٌ ماذا أُجَمجِم مـن ذكراكِ أحيانا

يا أكملَ الناسِ من قَرنٍ إلى قدمٍ وأحسنَ الناس ذا ثوبٍ وعُريانا

نعـم الضَّجيعُ بُعَيد النـوم تَجلبُه إليـكَ ممتلئـاً نومـاً ويَقظانا

للغَريض في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق وعمرو . وذكر الهشاميّ أن فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ آخر . وقال أحمد بن عبيد : فيه لحنانِ ليحيى المَكي وعَلويه . وتمام هذه القصيدة : [من البسيط]

لا بارك اللهُ فيمن كان يحسَبُكم إلا على العهـدِ حتى كان ما كانا

حتى استفقتُ أخيراً بعد ما نُكحت كأنما كان ذاك القلـب حيرانا

قـد زارني طَيفُكم ليلاً فأرَّقني فبِتُّ للشوقِ أُذري الدمعَ تَهتانا

إن تصرِمي الحبلَ أو تُمسي مُفارِقةً فالدهـرُ يُحـدث للإنسان ألوانا

وما أرى مثلَكم في الناسِ من بَشَرٍ فقـد رأيتُ بـه حيـاً ونِسوانا

[شكاه أبوها إلى معاوية فأهدر دمه ، وشعره في ذلك]

وقال ابن قتيبة في خبره عن الهيثم بن عَدِي ، ورواه عمر بن شَبَّة أيضاً : أن أبا لُبنى شخَص إلى معاوية فشكا إليه قيساً وتعرُّضَه لابنته بعد طلاقه إياها . فكتب معاوية إلى مروان أو سعيد بن العاص يُهدِر دمَه إن أَلَمَّ بها وأن يشتدَّ في ذلك . فكتب مروان أو سعيد في ذلك إلى صاحب الماء الذي ينزله أبو لُبنى كتاباً وكيداً . ووجَّهت لُبنى رسولاً قاصداً إلى قيس تُعلمه ما جَرى وتحذِّره . وبلغ أباه الخبر فعاتبه وتجهَّمه وقال له : انتهى بك الأمر إلى أن يُهدر

1 ليّان ومثله ليّ : مصدر لوى بمعنى مطل .

السلطان دمك ؟ فقال : [من الطويل]

صوت

فإن يَحجُبوها أو يَحُلْ دون وصلها مقالـــةُ واشٍ أو وَعيـــدُ أميرِ
فلن يمنعوا عينيَّ من دائـــم البُكا ولن يُذهبوا ما قد أَجَنَّ ضميري
إلى اللهِ أشكو ما أُلاقي من الهوى ومـــن حُـــرَقٍ تعتـادني وزَفيرِ
ومن حَرَقٍ للحبِّ في باطنِ الحشى وليلٍ طويـلِ الحزنِ غيرِ قصيرِ[1]
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ بكاءَ حَزيـنٍ في الوثاقِ أسيرِ
وكنَّا جميعاً قبل أن يظهر الهوى بأَنعَـمِ حالَـيْ غِبطـةٍ وسرورِ
فما برحَ الواشون حتى بَدَتْ لهم بطونُ الهـوى مقلوبـةً لظهورِ
لقد كنتِ حَسبَ النفس لو دام وصلُنا ولكنَّمـا الدنيـا متـاعُ غرورِ

هكذا في هذا الخبر أن الشعر لقيس بن ذَريح . وذكر الزُّبير بن بَكَّار أنه لجده عبد الله بن مُصْعَب ، غنَّى يزيد حوراء في الأول والثاني والسادس والثالث من هذه الأبيات خفيف رَمَلٍ بالوسطى . وغنَّى إبراهيم في الأول والثاني لحناً من كتابه غير مجنَّس . وذكر حبش أن فيهما لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي الخامس وما بعده لعَريب ثقيلٌ أول ابتداؤه نشيد . وقال ابن الكلبي في خبره : قال قيس في إهدار معاوية دمه إن زارها : [من الطويل]

إن تك لُبنى قـد أتى دون قربها حجـابٌ منيعٌ مـا إليـه سبيلُ
فإنّ نسيم الجـو يجمـعُ بيننا ونُبصر قَـرنَ الشمس حين تزولُ
وأرواحنا بالليـلِ في الحيّ تلتقي ونعلـمُ أنّـا بالنهـارِ نَقيلُ
وتجمعنا الأرضُ القَـرارُ وفوقنا سماء نـرى فيهـا النجومَ تجولُ
إلى أن يعودَ الدهرُ سَلْماً وتنقضي تـراتٌ بغاهـا عندنـا وذُحولُ

[شعره فيها حين صادفها في موسم الحج]

ومما وجد في كتاب لابن النطَّاح قال العُتبي حدثني أبي قال : حج قيس بن ذَرِيح ، واتَّفق أن حجَّت لُبنى في تلك السنة ، فرآها ومعها امرأة من قومها ، فدَهِش وبقي واقفاً مكانَه ومضت لسبيلها . ثم أرسلت إليه بالمرأة تُبلغه السلامَ وتسأله عن خبره فألفَته جالساً وحدَه يُنشد ويبكي : [من الطويل]

1 الحَرَق : النار أو حُرَق جمع حرقة .

ويومَ مِنىً أعرضتِ عنّي فلم أقل بحاجةِ نفسٍ عنـد لُبنى مقالُها
وفي اليأس للنفسِ المريضة راحـةٌ إذا النفسُ رامت خُطَّـةً لا تَنالُها

فدخلت خباءه وجعلت تحدثه عن لُبنى ويحدثها عن نفسه مَلِياً ، ولم تُعلمه أن لُبنى أرسلتها إليه . فسألها أن تُبلغها عنه السلام ، فامتنعت عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الطويل]

إذا طلعـتْ شمسُ النهـارِ فسلِّمي فآيـةُ تسليمـي عليـكِ طلوعُها
بعشرِ تحيَّاتٍ إذا الشمسُ أشرقـتْ وعشرٍ إذا اصفرَّتْ وحانَ رجوعُها
ولـو أبلغتها جـارةٌ قـوليَ اسلَمِي بكتْ جَزَعاً وارفَضَّ منهـا دموعُها
وبانَ الذي تُخفِي من الوجدِ في الحَشى إذا جاءهـا عنّـي حديث يَرُوعها

غنّى في البيتين الأولين عَلويه خفيف رمل بالوسطى ، قال : وقضى الناسُ حجَّهم وانصرفوا . فمرض قيس في طريقه مرضاً شديداً أشفى منه على الموت ، فلم يأته رسولها عائداً لأن قومها رأوه وعلموا به ؛ فقال : [من الطويل]

أَلُبنى لقـد جَلَّت عليكِ مصيبتي غَـداةَ غـدٍ إذ حـلَّ مـا أتوقَّعُ
تُمنّيني نَيـلاً وتَلوِينَنِي بـهِ فنفسيَ شوقـاً كلَّ يـوم تَقَطَّعُ
وقلبكِ قـطُّ مـا يَلِين لمـا يرى فوا كبدي قد طال هذا التضرُّعُ[1]
ألومُـكِ في شأني وأنـتِ مُلِيمةٌ لَعمْرِي وأجفـى للمحبِّ وأقطعُ
أخُبرتِ أني فيكِ مَيّتُ حَسرتي فما فاض من عينيكِ للوَجدِ مَدمَعُ
ولكن لعَمرِي قد بكيتُكِ جاهداً وإن كان دائي كلُّـه منك أجمعُ
صَبِيحةَ جـاء العائداتُ يَعُدنَنِي فظَلَّـت عـليَّ العائـداتُ تَفَجَّع
فقائلـةٌ جئنـا إليـه وقد قضى وقائلـةٌ لا ، بـل تركْناه يَنزِعُ

وروى القَحذمي هاهنا : [من الطويل]

فما غَشِيتْ عينيكِ من ذاك عَبرةٌ وعيني على ما بي بذِكراكِ تدمعُ
إذا أنت لم تبكـي عـليَّ جنازةً لديكِ فلا تبكي غداً حين أُرفَعُ[2]

قال : فبلغتها الأبيات ، فجزِعت جزَعاً شديداً ، وبكت بكاءً كثيراً . ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت وقالت : إنما أبقي عليك وأخشى أن تُقتل ، فأنا أتحاماك لذلك ، ولولا

1 قط في ل : فظ .
2 الجنازة (بالكسر والفتح) الميت . والمراد هنا المريض المشرف على الموت .

هذا لما افترقنا . وودعته وانصرفت .

[شعره فيها وقد بلغه أنها كذبتْ مرضه]

وقال خالد بن كلثوم : فبلغه أن أهلها قالوا لها : إنه عليل لما به وإنه سيموت في سفره هذا . فقالت لهم لتَدفعهم عن نفسها : ما أراهُ إلا كاذباً فيما يدعي ومتعلِّلاً لا عَليلاً . فبلغه ذلك فقال : [من الطويل]

تكاد بـلادُ الله يـا أُمَّ مَعمَرٍ ... بمـا رحُبتْ يومـاً عـليّ تَضيقُ
تكذِّبني بـالودِّ لُبنـى وليتَهـا ... تُكَلَّـف منّـي مثلَـه فتذوقُ
ولـو تعلمين الغَيبَ أيقنتِ أنني ... لكـم والهدايـا المُشعِراتِ صديقُ
تتوقُ إليـكِ النفسُ ثـم أَرُدُّها ... حيـاءً ومثـلي بالحيـاءِ حَقيقُ
اذُود سوامَ النفسِ عنكِ ومـا له ... عـلى أحـدٍ إلا عليـكِ طريقُ
فإني وإن حاولت صُرمي وهِجرتي ... عليك مِنَ احداثِ الرَّدى لشَفيقُ
ولم أَرَ أيامـاً كأيامنـا التـي ... مَـرَرنَ علينـا والزمـان أَنِيقُ
ووعدكِ إيانا ولو قلتِ عاجلٌ ، ... بعيـدٌ كما قـد تعلمـين سَحِيقُ
وحدّثتْني يـا قلبُ أنك صابرٌ ... على البين من لُبنى فسوف نذوقُ
فمُت كَمَداً أو عِش سَقِيماً فإنما ... تكلِّفنـي مـا لا أَراكَ تُطِيقُ
أطعتَ وُشاةً لم يكـن لك فيهم ... خليـلٌ ولا جـارٌ عليك شَفيقُ
فـإن تـك لما تَسلُ عنها فإنني ... بهـا مُغـرَمٌ صَبٌّ الفؤاد مَشُوقُ
بلُبنى أُنـادى عنـد أول غَشيَةٍ ... ويَثنِي بهـا الدَّاعي لهـا فأُفِيقُ
شهِدتُ على نفسي بأنكِ غـادةٌ ... رَداحٌ وأن الوجـه منـكِ عَتيقُ[1]
وأنّـكِ لا تَجزِينَنـي بصَحابـةٍ ... ولا أنا للهِجران منـكِ مُطِيقُ
وأنّـكِ قسَّمتِ الفـؤادَ فنصفُـه ... رَهينٌ ونصفٌ في الحبـالِ وَثيقُ
صَبُوحِي إذا ما ذَرَّتِ الشمسُ ذكرُكم ... ولي ذكـرُكم عنـد المساء عَبُوقُ
إذا أنـا عَزَّيتُ الهوى أو تركتُه ... أتـت عَبَراتٌ بالدموع تَسُوقُ
كأن الهوى بين الحَيازِيم والحَشى ... وبـين التَّراقـي واللَّهـاة حـريقُ

1 الرداح : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الكريم .

فإن كنتِ لمَّا تَعلمي العلمَ فاسألي ... فبعضٌ لبعضٍ في الفَعـال فَوُوقُ
سَلِي هل قَلاني من عَشيرٍ صحبتُه ... وهل مَلَّ رَحلي في الرِّفـاق رفيقُ
وهل يَجتَوِي القومُ الكِرامُ صِحابتي ... إذا اغبَرَّ مَخشِيّ الفِجاج عَميقُ
وأكتُـم أسرارَ الهـوى فأميتها ... إذا بـاحَ مَـزَّاحٌ بهـنَّ بَرُوقُ
سعَى الدهرُ والواشون بيني وبينها ... فقُطِّع حبلُ الوصل وهـو وَثيقُ
هل الصبرُ إلا أن أُصُدَّ فلا أرى ... بأرضِـك إلا أن يكـونَ طريقُ

[قصته مع لبنى وزوجها وقد باعه ناقة وهو لا يعرفه]

قال : ثم أتى قومَه فاقتطع قطعةً من إبله وأعلم أباه أنه يريد المدينة ليبيعها ويَمتارَ لأهله بثمنها . فعرَف أبوه أنه إنما يريد لُبنى ، فعاتبه وزجَره عن ذلك ؛ فلم يقبل منه ، وأخذ إبلَه وقدِم بها المدينةَ . فبينا هو يَعرِضها إذ ساومه زوجُ لبنى بناقة منها وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها . فقال له : إذا كان غَدٌ فأْتني في دار كَثِير بن الصَّلت فاقبِض الثمن ؛ قال : نعم . ومضى زوج لُبنى إليها فقال لها : إني ابتعتُ ناقة من رجل من أهل البادية وهو يأتينا غداً ليقبض ثمنها ، فأَعِدِّي له طعاماً ، ففعلت . فلما كان من الغد جاء قيس فصوت بالخادم : قُولي لسيدكِ : صاحب الناقة بالباب . فعرفت لُبنى نَغمتَه فلم تقل شيئاً . فقال زوجها للخادم : قولي له : ادخل ، فدخل فجلس . فقالت لُبنى للخادم : قولي له : يا فتى ، ما لي أراك أشعثَ أغبر ؟ فقالت له ذلك . فتنفس ثم قال لها : هكذا تكون حالُ مَن فارق الأحبَّة واختار الموتَ على الحياة ، وبكى . فقالت لها لُبنى : قولي له : حدِّثنا حديثَك . فلما ابتدأ يحدث به كشفت الحجابَ وقالت : حسبك ؛ قد عرفنا حديثك ! وأسبلتِ الحجابَ . فبُهِت ساعة لا يتكلم ثم انفجر باكياً ونهض فخرج . فناداه زوجها : ويحك ؟ ما قصتك ؟ ارجع اقبض ثمن ناقتك ؛ وإن شئتَ زِدناك . فلم يكلِّمه وخرج فاغتَرز[1] في رَحله ومضى . وقالت لُبنى لزوجها : ويحك ؛ هذا قيس بن ذَريح . فما حمَلَك على ما فعلتَ به ؟ قال : ما عرفتُه . وجعل قيس يبكي في طريقه ويندُب نفسه ويوبِّخها على ما فعله ثم قال : [من الطويل]

صوت

أتبكي على لُبنى وأنتَ تركتَها ... وأنت عليهـا بالمَلا أنت أقدَرُ
فإن تكـن الدنيا بلُبنى تقلَّبت ... عليَّ فلِلدنيـا بطـونٌ وأظهُرُ

1 اغترز : أي ركب ، والغرز للجمل مثل الركاب للبعل .

لقد كان فيهـا للأمانةِ موضعٌ وللكَفِّ مُرتـادٌ وللعين مَنظَرُ
وللحائم العطشانِ رِيٌّ بريقِها وللمَرِح المختالِ خمرٌ ومُسكِرُ
كأني لهـا أُرجوحةٌ بين أَحبُلٍ إذا ذُكرةٌ منها على القلبِ تَخطُرُ

للغريض في البيتين الأولين ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو والهشامي وفيهما لعَرِيبَ رَمَلٌ . ولشاريَة خفيفُ رملٍ من رواية أبي العَنْبَس .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : تزوج رجل من أهل المدينة يقال له أبو دُرَّة امرأةً كانت قبله عند رجل آخر من أهل المدينة يقال له أبو بُطَينة ؛ فلقيه زوجها الأول فضربه ضربة شلَّت يدُه منها . فلقيه أبو السائب المخزومي فقال له : يا أبا دُرة ! أضربكَ أبو بُطَينة في زوجته ؟ قال : نعم . قال : أما إني أشهد أنها ليست كما قال قيس بن ذَريح في زوجته لُبنى : [من الطويل]

لقد كان فيها للأمانـة موضعٌ وللكَفِّ مُرتادٌ وللعـين مَنظَرُ
وللحائم العطشان رِيٌّ بريقِها ولَلمَرِح المختالِ خمرٌ ومُسكِرُ

قال : وكانت زوجة أبي دُرَّة هذه سوداء كأنها خُنفَساء .

[مرضه بعد هذه الحادثة]

قال : وعاد إلى قومه بعد رؤيته إيَّاها وقد أنكر نفسه وأسِف ولحقه أمر عظيم ؛ فأنكروه وسألوه عن حاله فلم يخبرهم ؛ ومرض مرضاً شديداً أشرف منه على الموت . فدخل إليه أبوه ورجال قومه فكلَّموه وعاتبوه وناشدوه الله . فقال : وَيحَكم ! أتَروني أمرضتُ نفسي أو وجدت لها سَلوةً بعد اليأس فاخترتُ الهَمَّ والبلاء ، أو لي في ذلك صُنع ! هذا ما اختاره لي أبواي وقتلاني به . فجعل أبوه يبكي ويدعو له بالفرج والسَّلوة . فقال قيس : [من الوافر]

لقـد عذَّبتَني يـا حبَّ لُبنى فقَعْ إمـا بمـوتٍ أو حيـاةِ
فإن المـوتَ أروحُ من حياةٍ تدومُ على التباعدِ والشَّتاتِ
وقـال الأقربون تَعَزَّ عنها فقلت لهم إذاً حانتْ وفاتي

[دست إليه رسولاً يساله لِمَ تزوّجَ حتّى تزوّجت هي ؟]

قال : ودسَّت إليه لُبنى بعد خروجه رسولاً وقالت له : استنشده ، فإن سألك عن نسبتك فانتسِب له خزاعياً ؛ فإذا أنشدك فقل له : لِمَ تزوجت بعدها حتى أجابت إلى أن تتزوج بعدك ؟ واحفَظ ما يقول لك حتى تردَّه عليَّ . فأتاه الرسول فسلَّم وانتسب خُزاعياً ، وذكر أنه من أهل الشام واستنشده ؛ فأنشده قوله : [من الطويل]

فأُقسِم ما عُمْشُ العيونِ شوارِفٌ روائمُ بَوٌّ حانياتٌ على سَقبِ

وقد مضت هذه الأبيات ، فقال له الرجل : فلم تزوجتَ بعدها ؟ فأخبره الخبر ، وحلف له أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها ، وأنه لو رآها في نِسوة ما عرفها ، وأنه ما مد يده إليها ولا كلَّمها ولا كشف لها عن ثوب . فقال له الرجل : فإني جارٌ لها وإنها من الوَجدِ بك على حالٍ قد تمنَّى زوجها معها أن تكون بقربها لتصلُح حالُها بك ؛ فحمِّلني إليها ما شئت أؤدِّه إليها . قال : تعود إليَّ إذا أردتَ الرحيل ، فعاد إليه لما أراد الرحيل . فقال تقول لها : [من الطويل]

ألا حيِّ لُبنى اليومَ إن كنتَ غادِيا وأَلِمم بها من قبلِ أن لا تَلاقِيا
وأَهدِ لها منك النصيحةَ إنها قليلٌ ولا تَخشَ الوُشاةَ الأدانيا
وقل إنني والراقصاتِ إلى مِنىً بأَجبُل جَمعٍ ينتظرنَ المناديا[1]
أصونُكِ عن بعض الأمور مَضَنَّةً وأخشى عليكِ الكاشحين الأعاديا
تساقَطُ نفسي حين ألقاكِ أنفُساً يَرِدنَ فما يَصدُرنَ إلا صَوادِيا
فإن أَحيَ أو أهلِكْ فلستُ بزائلٍ لكم حافظاً ما بَلَّ ريقٌ لسانيا
أقولُ إذا نفسي من الوَجْدِ أُصعدتْ بها زَفرةٌ تعتادني هي ما هيا
وبين الحَشى والنحرِ منِّي حرارةٌ ولوعةُ وجدٍ تترك القلب ساهيا :
ألا ليت لُبنى لم تكن ليَ خُلَّةً ولم تَرَني لُبنى ولم أدرِ ما هيا[2]
سَلِي الناسَ هل خبَّرتُ سرَّكِ منهمُ أخا ثقةٍ أو ظاهرَ الغِشِّ باديا
يقولُ ليَ الواشون لما تَظاهروا عليكِ وأَضحى الحبلُ للبين واهيا :
لعَمري لقبلَ اليومِ حُمِّلتَ ما تَرى وأُنذِرتَ من لُبنى الذي كنتَ لاقيا
خليليَّ ما لي قد بَلِيتُ ولا أرى لُبَينى على الهِجران إلا كما هيا
ألا يا غرابَ البَين ما لكَ كلَّما ذكرتُ لُبَينى طِرتَ لي عن شِماليا
أعندكَ علمُ الغيبِ أم لستَ مُخبِري عن الحيِّ إلا بالذي قد بدا ليا
جزعت عليها لو أرى ليَ مجزعاً وأفنيتُ دمْعَ العين لو كان فانيا
حياتَك لا تُغلَب عليها فإنه كفى بالذي تَلقى لنفسِك ناهيا

1 جمع : المزدلفة .
2 خُلة : صديقة .

تَمـرُّ الليـالي والشهور ولا أرى وَلُوعـي بهـا يزدادُ إلا تماديا
فما عـن نَوالٍ من لُبَينى زيارتي ولا قِلـةُ الإلمـامِ أن كنتُ قاليا
ولكنّها صَدَّت وحُمِّلتُ من هوىً لها مـا يَؤود الشامخاتِ الرواسيا

وهذه القصيدة تُخلَط بقصيدة المجنون التي في وزنها وعلى قافيتها لتشابههما ، فقلَّما يتميزان .

غنَّى الحسين بن مُحرِز في البيت الأول والبيت الخامس من هذه القصيدة ثقيلاً أولَ بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى من روايتي بَذل والهِشامي .

[أنب لبنى زوجها لافتضاح أمره بشعر قيس فغضبت]

حدثني المدائني عن عَوانة عن يحيى بن علي الكِناني قال : شُهِر أمرُ قيس بالمدينة وغنِّي في شعره الغريض ومعبد ومالك وذووهم ، فلم يبق شريف ولا وضيع إلا سمع بذلك فأطربه وحزِن لقَيس مما به . وجاءها زوجها فأنبها على ذلك وعاتبها وقال : قد فضحتِني بذكرك . فغضِبت وقالت : يا هذا ، إني والله ما تزوجتك رغبةً فيك ولا فيما عندك ولا دُلِّس أمري عليك ، ولقد علمتَ أني كنتُ زوجته قبلك وأنه أُكرِه على طلاقي . ووالله ما قبِلت التزويج حتى أُهدِر دمه إن أَلَمَّ بحيِّنا ، فخشيتُ أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيُقتَل ، فتزوجتك . وأمرُك الآنَ إليك ، ففارِقني فلا حاجة بي إليك . فأمسك عن جوابها وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنينَها بشعر قيس كما يستصلحَها بذلك ؛ فلا تزدادُ إلا تمادياً وبُعداً ، ولا تزال تبكي كلَّما سمعت شيئاً من ذلك أحرَّ بكاءٍ وأشجاه .

رجع الحديث إلى سِياقته .

[وسط بريكة في لقائها ، وشعره في ذلك]

وقال الحِرمازيُّ وخالد بن جَمَل : كانت امرأة من موالي بني زُهرة يقال لها بُريكة من أظرف النساء وأكرمِهن ، وكان لها زوج من قريش له دارُ ضيافة . فلما طالت عِلَّةُ قيس قال له أبوه : إني لأعلم أن شفاءك في القرب من لُبنى فارحَل إلى المدينة . فرحَل إليها حتى أتى دارَ الضيافة التي لزوج بُريكة . فوثَب غِلمانُه إلى رَحل قيس ليحطُّوه . فقال : لا تفعلوا فلستُ نازلاً أو ألقى بُريكة فإنّي قصدتها في حاجة ؛ فإن وجدتُ لها عندها موضعاً نزلتُ بكم وإلا رحلت . فأتوها فأخبروها . فخرجت إليه فسلَّمت عليه ورحَّبت به وقالت : حاجتُك مقضيةٌ كائنةً ما كانت ، فانزِل . فنزل ودنا منها فقال : أذكرُ حاجتي ؟ قالت : إن شئتَ . قال : أنا قيس بن ذَريح . قالت : حيَّاكَ الله وقرَّبك ! إن ذكرك لجديدٌ عندنا في كل وقت . قال : وحاجتي أن أرى لُبنى نظرةً واحدةً كيف شئتِ . قالت : ذلك لك عليّ . فنزل بهم وأقام

عندها وأخفت أمرَه ، ثم أهدى لها هدايا كثيرةً وقال : لاطفِيها وزوجَها بهذا حتى يأنَس بِك . ففعلت وزارتها مراراً ، ثم قالت لزوجها : أخبِرني عنك : أنت خيرٌ من زوجي ؟ قال : لا . قالت : فلُبنى خير مني ؟ قال : لا . قالت : فما بالي أزورها ولا تزورني ؟ قال : ذلك إليها . فأتتها وسألتها الزيارةَ وأعلمتها أن قيساً عندها . فتسارعت إلى ذلك وأتتها . فلما رآها ورأته بكيا حتى كادا يَتلَفان . ثم جعلت تسأله عن خبره وعِلَّته فيخبرُها ، ويسألها فتخبره . ثم قالت : أنشِدني ما قلتَ في علتك ؛ فأنشدها قولَه : [من الطويل]

أعالجُ من نفسي بَقايا حُشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ[1]
فإن ذُكرتْ لُبنى هَشِشتُ لذكرها ... كما هَشَّ للثدي الدَّرُورِ وَليدُ
أجيبُ بلُبنى مَن دعاني تَجَلُّداً ... وبي زَفَراتٌ تنجلي وتعودُ
تُعيدُ إلى روحي الحياةَ وإنني ... بنفسيَ لو عاينتني لأجودُ

قال : وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

صوت

أَلا ليتَ أياماً مَضَين تعودُ ... فإن عُدنَ يوماً إنني لسعيدُ
سَقى دارَ لُبنى حيثُ حَلَّتْ وخَيَّمتْ ... من الأَرضِ مُنهَلٌّ الغمامِ رَعودُ

في هذين البيتين لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى ، وقيل : إنه لغيرها . وتمام هذه القصيدة :

على كلِّ حالٍ إن دَنَت أو تباعدَتْ ... فإن تَدنُ منّا فالدنوُّ مَزيدُ[2]
فلا اليأسُ يُسلِيني ولا القربُ نافعي ... ولُبنى مَنُوعٌ ما تكاد تجودُ
كأنِّيَ من لُبنى سليمٌ مُسَهَّدٌ ... يَظَلُّ على أيدي الرجال يَمِيدُ
رمتني لُبَينى في الفؤادِ بسهمها ... وسهمُ لُبينى للفؤادِ صَيُودُ
سَلا كُلُّ ذي شَجوٍ علمتُ مكانَه ... وقلبي للبنى ما حَيِيتُ وَدودُ
وقائلةٍ قد مات أو هو مَيِّتٌ ... وللنفس منِّي أن تَفيض رَصيدُ
أُعالِج من نفسي بقايا حشاشةٍ ... على رَمَقٍ والعائداتُ تعودُ

وقال الحِرمازي في خبره خاصة : وعاتبته على تزوُّجه ؛ فحلف أنه لم ينظر إليها ملءَ عينيه

---

1 الحشاشة : بقية الروح في المريض والجريح .

2 مزيد في ل : بعيد .

ولا دنا منها ، فصدقته . وقال : [من الطويل]

صوت

ولقد أردتُ الصبرَ عنكِ فعاقَني ... عَلَقٌ بقلبي من هواكِ قديمُ
يبقى على حَدَثِ الزمانِ ورَيبِه ... وعلى جَفائِك ، إنه لكريمُ
فصَرَمتِه وصَحَحت وهو بدائه ... شَتَّانَ بين مُصَحَّح وسَقِيمُ
وارَبتِه زمناً فعادَ بحلمِه ... إن المحبَّ عن الحبيبِ حليمُ

لعَريبَ في هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ ، وللدَّارِميِّ خفيفُ رملٍ من رواية الهشامي . ومن الناس من يَنسُب خفيفَ الثَّقيل إليه وخفيفَ الرمل إليها ، قالوا : فلم يزل يومَه معها يحدثها ويشكو إليها أعفَّ شكوى وأكرمَ حديث حتى أمسى ؛ فانصرفت ووعدته الرجوعَ إليه من غدٍ فلم ترجع . وشاع خبره فلم تُرسل إليه رسولاً . فكتب هذه الأبيات في رُقعة ودفعها إلى بُرَيكة وسألها أن تُوصلها إليها ، ورحَل متوجِّهاً إلى معاوية . والأبياتُ : [من الطويل]

صوت

بنفسيَ مَن قلبي لـه الدَّهرَ ذاكرُ ... ومَن هو عنّي مُعرِضُ القلبِ صابرُ
ومَن حُبُّه يزدادُ عنديَ جِدَّةً ... وحبّي لديه مُخلَقُ العهدِ داثِرُ

[شكا إلى يزيد ما به وامتدحه فحقن دمه]

غنَّت في هذين البيتين ضنين جارية خاقان بن حامد خفيف رمل ، قالوا : ثم ارتحل إلى معاوية ، فدخل إلى يزيد فشكا ما به إليه وامتدحه ؛ فرَقَّ له وقال : سل ما شئت ، إن شئتَ أن أكتب إلى زوجها فأُحتِّم عليه أن يطلِّقها فعلتُ . قال : لا أُريد ذلك ، ولكن أحب أن أُقيم بحيث تقيم من البلاد ، أتعرَّفُ أخبارَها وأقنَعُ بذلك من غير أن يُهدَر دمي . قال : لو سألتَ هذا من غير أن ترحل إلينا فيه لَما وجب أن تُمنَعَه ، فأقِم حيث شئت ؛ وأخذ كتابَ أبيه له بأن يُقيم حيث شاء وأحبَّ ولا يَعترِضَ عليه أحد ، وأزال ما كان كتب به في إهدار دمه ؛ فقدِم إلى بلده . وبلغ الفَزاريين خبرُه وإلمامُه بلُبنى ، فكاتبوه في ذلك وعاتبوه . فقال للرسول : قل للفتى (يعني أخا الجارية التي تزوجها) : يا أخي ما غرَرتُك من نفسي ، ولقد أعلمتك أني مشغول عن كل أحد ، وقد جعلتُ أمرَ أُختك إليك فأمضِ فيه من حكمك ما رأيتَ . فتكرَّم الفتى عن أن يُفرِّق بينهما ، فمكثت في حِباله مدةً ثم ماتت .

[لقيه عياش السعدي ذاهلاً شاردَ اللب وأنشده من شعره فيها]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني سليمان بن عَياش

السَّعدي عن أبيه قال : أقبلتُ ذاتَ يوم من الغابة[1] ؛ فلما كنت بالمَذاد[2] ، إذا رَبعٌ حديثُ العهد بالسكن ، وإذا رجل مجتمعٌ في جانب ذلك الربع يَبكي ويحدِّث نفسَه . فسلَّمتُ فلم يَرُد عليَّ سلاماً . فقلت في نفسي : رجل مُلتَبَسٌ به فولَّيتُ عنه . فصاح بي بعد ساعة : وعليكَ السلام ، هَلُمَّ هلم إليَّ يا صاحب السلام ! فأتيته فقال : أما واللهِ لقد فهمتُ سلامَك ولكنِّي رجل مُشترَك اللُّب يَضِلُّ عني أحياناً ثم يعود إليَّ . فقلت : ومن أنت ؟ قال : قيس بن ذَريح اللَّيثي . قلت : صاحبُ لُبنى ؟ قال : صاحبُ لُبنى لعَمرِي وقتيلُها ! . ثم أرسل عينيه كأنهما مَزادتان ؛ فما أنسى حسنَ قوله : [من الطويل]

أبائنةٌ لُبنـى ولم تَقطِـع المَـدى ... بوصلٍ ولا صُرمٍ فيـيأسَ طامعُ
نهـارِي نهـارُ الواهِين صَبابـةً ... وليـلى تنبـو فيـه عنِّي المضاجعُ
وقد كنتُ قبل اليوم خِلواً وإنما ... تُقَسَّم بـين الهالكـين المَصارِعُ
فلولا رجاءُ القلب أن تُسعِف النَّوى ... لَمـا حبسته بينهـنّ الأضالعُ
لـه وَجَباتٌ إثـرَ لُبنى كأنها ... شَقائقُ بـرقٍ في السماء لَوامِعُ
أَبَـى اللهُ أن يَلقـى الرشادَ مُتيَّمٌ ... أَلا كلُّ أَمرٍ حُـمَّ لا بُـدّ واقعُ
هما بَرَّحا بـي مُعوِلـَينِ كِلاهمـا ... فؤادٌ وعـينٌ جفنُها الدَّهـرَ دامعُ

[عبد الله بن مسلم بن جندب ينشد من شعره]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا الزُّبير قال ، وأخبرنا به وَكيع عن أبي أيُّوب المَديني ، قال الزُّبير قال حدثتني ظَبية قالت : سمعتُ عبد الله بن مُسلِم بن جُندَب يُنشِد زوجي قولَ قيس بن ذَريح : [من الطويل]

إذا ذُكِرت لُبنى تأوَّه واشتكى ... تـأوُّه محمـوم عليـه البَلابلُ
يَبيت ويُضحِي تحت ظِلٍّ منيَّةٍ ... به رَمَقٌ تَبكي عليـه القبائلُ
قتيلٌ لُلبنى صدَّع الحبُّ قلبَه ... وفي الحبِّ شغلٌ للمحبِّين شاغلُ

فصاح زوجي : أُوَّه ! واحَرَباه واسَلَباه . ثم أقبل على ابن جُندَب فقال : وَيلَك ! أتُنشد هذا كذا ! قال : فكيف أُنشِدُه ؟ قال : لم لا تتأوه كما يتأوه وتشتكي كما يشتكي ! .

[استنشده ابن أبي عتيق أحرّ ما قال في لبنى]

وقال القَحذمي : قال ابن أبي عَتيق لقيس يوماً : أنشِدني أحرَّ ما قلتَ في لُبنى . فأنشده

1 الغابة : يريد من المدينة على طريق الشام .
2 المذاد : موضع بالمدينة . وقيل هو وادٍ بين سلع وخندق المدينة .

قولَه : [من الطويل]

وإني لأهوى النَّومَ في غيرِ حِينه ... لعلَّ لقاءً في المنام يكونُ
تُحَدِّثني الأحلامُ أنِّي أراكُمُ ... فيا ليتَ أحلامَ المنام يقينُ
شهدتُ بأني لم أَحُل عن مَوَدةٍ ... وأنِّي بكم لو تَعلمين ضَنينُ
وأن فؤادي لا يَلِين إلى هوى ... سواكِ وإن قالوا بَلى سيَلِينُ

فقال له ابن أبي عَتيق : لَقَلَّ ما رَضِيتَ به منها يا قَيس . قال : ذلك جُهدُ المُقِلِّ . غنَّى في البيتين الأولين قَفا النجَّار ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

[أنشد ثعلب من شعره وكان يستحسنه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلب لقيس بن ذَريح وكان يستحسن هذه الأبيات من شعره : [من الطويل]

سقَى طَلَلَ الدارِ التي أنتمُ بها ... حَيا ثم وَبلٌ صَيِّفٌ ورَبيعُ
مضى زمنٌ والناس يستشفعون بي ... فهل لي إلى لُبنى الغَداةَ شَفيعُ
سأصرِم لُبنى حبلَكِ اليومَ مُجمِلاً ... وإن كان صَرمُ الحبل منكِ يَرُوعُ
وسوف أُسَلِّي النفسَ عنكِ كما سَلا ... عن البلد النائي البعيدِ نَزِيعُ[1]
وإن مَسَّني للضُّرِّ منكِ كآبةٌ ... وإن نال جسمي للفِراق خُشوعُ
يقولون صَب بالنساء موكَّلٌ ... وما ذاك من فعلِ الرجال بَديعُ
نَدِمتُ على ما كان مني ندامةً ... كما نَدِم المغبونُ حين يَبيعُ
فقَدتُكِ من نفسٍ شَعاعٍ ألم أكن ... نهيتُكِ عن هذا وأنتِ جَميعُ
فقربتِ لي غيرَ القريبِ وأشرفت ... هناكَ ثَنايا ما لهنَّ طلوعُ
إلى الله أشكو نِيَّةً شَقت العصا ... هي اليوم شَتَّى وهي أمسِ جميعُ
فيا حَجَراتِ الدارِ حيثُ تحمَّلوا ... بذي سَلَمٍ لا جادكنَّ ربيعُ

صوت

[من الطويل]

فلو لم يَهِجني الظاعنون لهاجَني ... حمائمُ وُرقٌ في الدِّيار وُقوعُ

---

1 نزيع : غريب .

تَداعَينَ فاستبكَينَ مَن كان ذا هوىً نوائـح لم تَقطُـر لهـن دُموعُ

غنَّى في هذين البيتين ابنُ سُرَيج خفيفَ ثقيلٍ أول عن الهِشامي .

صوت

[من الطويل]

إذا أمرَتْني العاذلاتُ بهجرها أبـتْ كَبِـدٌ عمَّـا يَقُلـن صَديعُ

وكيف أُطِيع العاذلاتِ وذكرُهـا يؤرِّقنـي والعـاذلاتُ هُجـوعُ

غنَّى في هذين البيتين إبراهيمُ ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو .

[فكاهات لأبي السائب المخزومي في شعره وفي سيرته]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير بن بَكَّار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : أنشدتُ أبا السائب المَخزومي قولَ قيس بن ذَريح : [من الطويل]

صوت

أُحبُّك أصنافاً من الحبِّ لم أَجِدْ لهـا مَثَلاً في سائرِ الناس يُوصَفُ

فمنهنَّ حـبٌّ للحبيب ورحمـةٌ بمعرفتـي منـه بمـا يتكلَّفُ

ومنهن ألا يَعرِضَ الدَّهرَ ذكرُها على القلب إلا كادتِ النفس تَتلَفُ

وحبٌّ بدا بالجسم واللونِ ظاهرٌ وحبٌّ لدى نفسي من الرُّوحِ ألطفُ

قال أبو السائب : لا جَرَمَ والله لأُخلِصَنَّ له الصَّفاءَ ولأُغضَبَن لغضبه ولأُرضَيَن لرضاه .

غنَّى في البيتين الأولين الحسين بن مُحرِز خفيفَ ثقيلٍ عن الهِشامي وبَذل .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن أبي السائب المخزومي أنه أخبره أنه كان مع عبد الرحمن بن عبد الله بن كَثِير في سَقيفة دار كَثِير ، إذ مُرَّ بجنازة ؛ فقال لي : يا أبا السائب ، جارُك ابن كَلَدة ، ألا تقوم بنا فنصلِّيَ عليه ! قال : قلت : بلى والله فديتُك ! . فقمنا حتى إذا كنا عند دار أُوَيس إذ ذكرتُ أن جدَّه كان تزوج لُبنى ونزل بها المدينة ، فرجعتُ فطرحتُ نفسي في السَّقيفة وقلت : لا يراني الله أُصلِّي عليه . فرجع الكَثِيري فقال : أكنتَ جُنباً ؟ قلت : لا والله . قال فعلى غيرِ وُضوء ؟ قلتُ : لا والله . قال : فمالك ؟ قلتُ : ذكرتُ أن جده كان تزوج لُبنى وفرَّق بينها وبين قيس بن ذَريح لما ظعَن بها من بلادها ، فما كنت لأُصلِّيَ عليه .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن يحيى قال حدثنا عبد الله بن شَبِيب قال حدثني هارون بن موسى الفَرَوي قال أخبرنا الخليل بن سعيد قال : مررتُ بسُوق الطَّير ، فإذا

الناس قد اجتمعوا يركب بعضُهم بعضاً ، فاطَّلعتُ فإذا أبو السائب المخزومي قائم على غراب يُباع وقد أخذ بطَرَف ردائه وهو يقول للغراب : يقول لك قيس بن ذَريح : [من الطويل]

أَلا يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي أُحاذِرُ مـن لُبنى فهل أنت واقعُ

لِمَ لا تقع ! ويضربه بردائه والغراب يصيح . قال : فقال قائل له : أصلحك الله يا أبا السائب ؛ ليس هذا ذاك الغرابَ . فقال : قد علمت ، ولكن آخذ البرىء حتى يقع الجريء[1] .

[آلت لبنى ألا ترى غراباً إلا قتلته لبيت قاله من قصيدة ، وذكر المختار منها]

وقال الحرمازي في خبره : لما بلغ لُبنى قول قيس : [من الطويل]

ألا يا غرابَ البين قد طِرتَ بالذي أُحاذِرُ مـن لبنى فهل أنتَ واقعُ

آلت ألا ترى غراباً إلا قتلته ؛ فكانت كلما رأته أو رأته خادمٌ لها أو جارة ابتيع ممن هو معه وذبحته .

وهذه القصيدة العينية أيضاً من جيِّد شعر قيس . والمختارُ منها قوله : [من الطويل]

أتبكي على لُبنـى وأنـت تركتَها وكنتَ كآتٍ حَتفَه وهـو طائعُ

فيا قلبُ صبراً واعترافاً لمـا تَرى ويا حبَّها قَعْ بالذي أنت واقعُ[2]

ويا قلبُ خبِّرني إذا شَطَّتِ النَّوى بلُبنى وبانت عنك ما أنتَ صانعُ

أتصبرُ للبَين المُشِتِّ مع الجَوى أم آنت امرؤ ناسي الحياء فجازعُ

كأنَّك بِدعٌ لم تَرَ الناسَ قبلَها ولم يَطَّلِعك الدهرُ فيمن يُطالعُ[3]

أَلا يا غرابَ البَين قد طِرتَ بالذي أُحاذِر من لُبنى فهل أنت واقعُ

فليسَ محـبٌّ دائمـاً لحبيبِـه ولا ثقـةٌ إلا لـه الدهرَ فاجعُ

كأنَّ بـلادَ اللهِ ما لم تكن بها وإن كان فيها الناسُ قَفرٌ بَلاقِعُ[4]

فما أنت إذ بانت لُبَينى بهاجعٍ إذا ما اطمأنتْ بالنِّيام المَضاجعُ

صوت

أُقَضِّي نهـاري بالحديثِ وبالمُنى ويَجمعني والهـمَّ بالليـلِ جامعُ

نهارِي نهارُ الناس حتى إذا دَجا لِيَ الليلُ هَزَّتني إليك المضاجعُ

---

1 ل : النطف وهو المريب .

2 لما ترى في ل : بحبها .

3 البدع : الغمر من الرجال ، وهو الذي لم يجرب الأمور .

4 قفر في ل : وحش .

لقد رسَخت في القلبِ منكِ مَودةٌ كما رسَخت في الراحتين الأصابعُ
أحالَ عليَّ الهمُّ من كلِّ جانب ودامت فلم تبرحْ عليَّ الفواجعُ
ألا إنما أبكي لِما هو واقعٌ فهل جَزَعِي من وَشكِ ذلك نافعُ
وقد كنتُ أبكي والنَّوى مطمئنةٌ بنا وبكم من عِلمِ ما البينُ صانعُ
وأهجُركم هجرَ البَغِيض وحبُّكم على كبدي منه كلوم صوادعُ[1]
وأعمِد للأرضِ التي لا أريدها لِتَرجِعَني يوماً إليكِ الرواجعُ
وأشفِق من هِجرانكم وتَرُوعني مَخافةُ وَشكِ البين والشَّملُ جامعُ
فما كلُّ ما منَّتكَ نفسُك خالياً تُلاقي ولا كلُّ الهوى أنت تابعُ
لَعَمرِي لَمن أمسى ولُبنى ضَجيعُه من الناس ما اختيرت عليه المضاجعُ
فتلك لُبَينى قد تراخى مَزارُها وتلك نَواها غُربةٌ ما تُطاوعُ
وليس لأمرٍ حاول اللهُ جمَعه مُشِتٌّ ولا ما فرَّق اللهُ جامعُ
فلا تَبكِين في إثر لُبنى نَدامةً وقد نَزَعتها من يديك النوازعُ

غنَّى الغريضُ في الثالث والرابع والأول والعشرين وهو «لعمري لَمن أمسى ولُبنى ضجيعُه» ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وغنَّى إبراهيم الموصلي في العاشر وهو : «أقَضِّي نهاري بالحديث وبالمُنى» والحادي عشر والثاني عشر رَمَلاً بالوسطى عن عمرو . وقد قيل : إن ثلاثة أبيات من هذه وهي : «أُقضِّي نهاري بالحديث وبالمنى» [والبيتان اللذان بعده] لابن الدُّمَينة الخَثعَمي ؛ وهو الصحيح ؛ وإنما أدخلها الناس في هذه الأبيات لتشابهما .

[مآل قيس ولبنى]

وقد اختُلف في آخر أمر قيس ولُبنى ؛ فذكر أكثر الرُّواة أنهما ماتا على افتراقهما ، فمنهم من قال : إنه مات قبلَها وبلغها ذلك فماتت أسفاً عليه . ومنهم من قال : بل ماتت قبله ومات بعدها أسفاً عليها ؛ وممن ذكر ذلك اليوسُفِي عن علي بن صالح صاحب المُصَلَّى ؛ قال قال لي أبو عمرو المَدَني : ماتت لُبنى ، فخرج قيسٌ ومعه جماعة من أهله فوقف على قبرها فقال : [من مجزوء البسيط]

ماتت لُبَينى فموتُها مَوتِي هل تنفعَن حَسرتي على الفَوتِ

1 كلوم في ل : شؤون .

وسوفَ أبكـي بكاءَ مكتئبٍ قضى حياةً وَجـداً على مَيتِ

ثم أكبَّ على القبر يبكي حتى أُغمي عليه ؛ فرفعه أهلُه إلى منزله وهو لا يعقل ، فلم يزل عليلاً لا يُفيق ولا يجيب مكلِّماً ثلاثاً حتى مات فدُفن إلى جنبها .

وذكر القَحذمي وابن عائشة وخالد بن جمل أن ابن أبي عتيق صار إلى الحسن والحسين ابنَيْ علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وجماعةٍ من قريش ، فقال لهم : إن لي حاجةً إلى رجل أخشى أن يَرُدَّني فيها ، وإني أستعين بجاهكم وأموالكم فيها عليه . قالوا : ذلك لك مُبتَذَلٌ منا . فاجتمعوا ليوم وعَدهم فيه ، فمضى بهم إلى زوج لُبنى . فلما رآهم أعظم مصيرَهم إليه وأكبره . فقالوا : لقد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عَتيق . قال : هي مقضية كائنةً ما كانت . قال ابن أبي عَتيق . قد قضيتَها كائنةً ما كانت من مِلك أو مال أو أهل ؟ قال نعم . قال : تَهَب لهم ولي لُبنى زوجتَك وتطلقها . قال : فإني أُشهِدكم أنها طالقٌ ثلاثاً . فاستحيا القوم واعتذروا وقالوا : والله ما عرفنا حاجته ، ولو علمنا أنها هذه ما سألناك إياها . وقال ابن عائشة : فعوَّضه الحسنُ من ذلك مائةَ ألف درهم وحملها ابن أبي عتيق إليه . فلم تزل عنده حتى انقضت عِدَّتُها . فسأل القوم أباها فزوجها قيساً ، فلم تزل معه حتى ماتا . قالوا : فقال قيس يمدح ابن أبي عتيق : [من الوافر]

جزى الرحمنُ أفضلَ مـا يُجازي على الإحسان خيراً مـن صديقِ
فقـد جَرَّبـتُ إخواني جميعاً فمـا ألفَيتُ كابـنِ أبـي عتيقِ
سعى في جمع شَملي بعـد صَدعٍ ورَأيٍ حِدتُ فيـه عـن الطريقِ
وأطفـأ لوعـةً كانـت بقلبـي أغصَّتنـي حرارتُهـا بـريقي

قال : فقال له ابن أبي عتيق : يا حبيبي أمسِك عن هذا المديح ؛ فما يسمعه أحد إلا ظنني قَواداً . مضى الحديث .

139 ـ [من مدن معبد]

[صوت من مدن معبد في شعر عنترة]

ومن مُدُن معبد وهو الذي أوله :

يـــا دارَ عَبلـــة بالجِـــواء تكلَّمي

وقد جُمِع معه سائرُ ما يغنَّى فيه من القصيدة .

منها : [من الكامل]

صوت

هل غـادرَ الشعـراءُ مـن مُتَردَّمِ ... أم هـل عَرَفتَ الدارَ بعد تَوَهمِ

يـا دارَ عَبلـةَ بالجِواء تَكَلَّمي ... وعِمِي صَباحاً دارَ عبلةَ واسلَمي

وتَحُـلّ عبلـةُ بالجِـواء وأهلُنا ... بالحَـزنِ فـالصَّمَّانِ فالمُتَثَلِّمِ[1]

كيف القَرارُ وقـد تربَّع أهلُهـا ... بعُنَيزَتَـينِ وأهلُنـــا بالغَيلَمِ[2]

حُيِّيتَ مـن طَلَلٍ تَقادمَ عهدُه ... أَقـوى وأَقفـرَ بعـد أُم الهَيثَمِ

ولقـد نزلتِ فـلا تَظُنّـي غيرَه ... منّـي بمنزلـةِ المُحَـبِّ المُكرَمِ

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُر ... للحرب دائرةٌ على ابنَيْ ضَمضَمِ

الشَّاتِمَيْ عِرضِـي ولم أَشتُمْهما ... والنَّاذِرَيـنِ إذا لَمَ القَهمـا دمي

ولقـد شَفَى نفسي وأبرأَ سُقمَها ... قِيل الفوارسِ وَيـكَ عنترُ فاقدُمِ

مـا زِلـتُ أرميهم بثُغرة نَحرِه ... ولَبانِـه حتـى تسَربـلَ بالدَّمِ[3]

هَلاَّ سألتِ الخيلَ يـا ابنةَ مالكٍ ... إن كنتِ جاهلةً بما لم تَعلَمي[4]

يُخبِركِ مَـن شَهِـد الوَقِيعةَ أنني ... أَغشى الوَغى وأعفُّ عنـد المَغنَمِ

---

1 الصمان : موضع . والجواء بنجد ، والحزن لبني يربوع ، والصمان لبني تميم . والمتثلم : مكان .

2 كيف القرار في المعلقات العشر ص 238 : كيف المزار .

3 بثغرة نحرِه في ل : بغرة وجهه .

4 الخيل في ل : القوم .

يَدعــون عَنترَ والرِّمــاحُ كأنها أشطانُ بئــرٍ في لَبــان الأدهمِ
فشككتُ بالرُّمح الطويــلِ ثيابَه ليس الكريــمُ على القَنا بمحرَّمِ
فــإذا شَرِبــتُ فإننــي مستهلِكٌ مــالي ، وعِرضي وافــرٌ لم يُكلَمِ
وإذا صحوتُ فما أُقَصِّر عن نَدىً وكما علمــتِ شمائــلي وتكرمي

الشعر لعنترة بـن شَدَّاد العَبسي ، وقـد تقدَّمـت أخباره ونسبه . وغنى في البيت الأول ، على مـا ذكره ابن المَكي ، إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أول بالوسطى ، وما وجدتُ هذا في رواية غيره . وغنَّى مَعبد في البيت الثاني والثالث خفيفَ ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وهو الصوت المعدود في مُدُن معبد . وغنى سَلاَّم الغَسَّال في السابع والثامن والثالث والعاشر رَمَلاً بالسبَّابة في مجرى البنصر ، ووجدت في بعض الكتب أن له أيضاً في السابع وحده ثانيَ ثقيلٍ أيضاً ، وذكر عمرو بن بانة أن هذا الثقيل الثانيَ بالوسطى لمعبد ووافقه يونس ، وذكر ابن المكي أن هذا الثقيل الثانيَ للهُذَلي ، وذكر غيره أنه لابن مُحرِز . وذكر أحمد بن عبيد أن في السابع ثقيلاً أول للهزليّ ، ووافقه حَبَش . وذكر حبش أن في الثاني لمعبد ثقيلاً أول ، وأن لابن سُرَيج فيه رملاً آخر غير رمل ابن الغَسَّال ، وأن لابنِ مِسجَح أيضاً فيه خفيفَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي كتاب أبي العَنْبَس : له في الثالث لحن . وفي كتاب أبي أيوب المَدِيني : لابن جامع في هذه الأبيات لحن . ولمعبد في الحادي عشر والثاني عشر والخامس عشر والسادس عشر خفيفُ ثقيلٍ أول مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضاً . ولعَلويه في السادس والرابع ثاني ثقيلٍ ، وله أيضاً في الرابع عشر والثالث عشر رَمَلٌ . وفي كتاب هارون بن الزَّيات لعبد آلٍ في الخامس ثقيلٌ أول ؛ وقد نسَب الثقيل الثانيَ المختَلَف فيه لابن مُحرِز . وفي كتاب هارون : لأحمد النَّصيبي في الرابع والخامس لحن .

«هل غادر الشعراء» البيتَ ، يدفع أكثرُ الرواة أن يكون لعنترة ؛ وممن يدفعه الأصمعي وابن الأعرابي . وأول القصيدة عندهما «يا دارَ عَبلةَ» . فذكر أبو عمرو الشَّيباني أنه لم يكن يَرويه حتى سمع أبا حِزامٍ العُكلي يرويه له .

قوله : «هل غادر الشعراء من متردَّم» يقول : هل تركوا شيئاً يُنظَر فيه لم ينظروا فيه ؟ . والمتردَّم : المتعطَّف ، وهو مصدر . يقول : هل تركوا شيئاً يُتردَّم عليه أي يتعطَّف ؛ ويقال : تردَّمت الناقةُ على ولدها إذا تعطَّفت عليه ، وثوبٌ مردَّم وملدَّم إذا سُدت خروقُه بالرِّقاع . والرَّبع : المنزل ، سُمِّيَ ربعاً لارتباعهم فيه ؛ والرَّبيعة : الصخرة . حكى أبو نصر أنه يقول : هـل تـرك الشعـراء من خَرقٍ لم يرقَعوه وفَتقٍ لم يرتُقوه ؟ وهو أشبه بقوله من متردَّم . وقال غيره : يعني بقوله من متردَّم البناء وهو الرَّدم ، أي لم يتركوا بناءً إلا بنَوه ؛ قال الله عز وجل :

﴿أجعَل بينكُم وبَيْنَهُم رَدماً﴾ يعني بناء ؛ وردَم فلان حائطَه أي بناه . والجِواء : بلد بعينه ؛ والجواء أيضاً : جمع جَوٍّ وهو البطن الواسع من الأرض . عِمِي صباحاً ، وانعِمِي صباحاً : تحيَّةٌ . تَرَبع أهلُها : نزلوا في الرَّبيع . وعُنَيزَتَين : أَكَمةٌ سوداء بين البَصرة ومكة . والغَيلم : موضع . والطَّلَل : ما كان له شخص من الدار مثل أثفِيَّة[1] أو وَتِدٍ أو نُؤْيٍ ؛ وتقول العرب : حيا الله طلَلَك ، أي شخصَك . وابنا ضَمْضم : حُصَين وهَرِم المُرِّيَّانِ . وثُغرة نحره : موضع لَبتـه . واللَّبـان : مجـرى لَبَبِه من صدره وهو الصدر نفسه . ويـروى «بُغرة وجهه» . وتَسَربل ، أي صار له سِربال من الدم . وقوله : «هَلاّ سألت الخيلَ» يريد فرسانَ الخيل ؛ كما قـال الله تعـالى : ﴿واسألِ القَريَةَ﴾ . والوَقيعة : الوَقعةُ . والوَغى والوحى : أصواتُ الناس وجَلَبتُهم في الحرب ؛ وقال الشاعر : [من الطويل]

ولـيـلٍ كَساجِ الحِميَرِيِّ ادَّرعتُه كأنَّ وَغى حافاتِه لَغَطُ العُجمِ[2]

والأشطان : الحبال ، واحدها شَطَن . شبَّه اختلافَ الرِّماح في صدر فرسه بالأشطان . وشككتُ بالرمح : نظمت . وقال أبو عمرو : يعني بثيابه قلبَه . والعِرض : موضعُ المدح والذَّم من الرجل ؛ يقـال : طيِّب العِرض أي طيب ريح الجسم . والكُلوم : الجراح . والوافر : التام . وشمائلي : أخلاقي ، واحدها شِمال . يقال : فلان حُلو الشَّمائل والنَّحائت والضَّراب والغرائر .

[عنترة يقول معلقته لأن رجلاً سبه وعيره سواده]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا أبو سعيد السُّكري قال قال أبو عمرو الشَّيباني : قال عنترةُ هذه القصيدة لأن رجلاً من بني عَبس سابَّه فذكر سوادَه وسوادَ أُمه وإخوته وعيَّره ذلك . فقال عنترة : والله إن الناس لَيَترافَدُون[3] بالطُّعمة ، فوالله ما حضرتَ مَرفِدَ الناس أنت ولا أبوك ولا جَدُّك قَطُّ . وإن الناس لَيُدعَون في الفزع فما رأيتُك في خيلٍ قطُّ ، ولا كنتَ في أول النساء . وإن اللَّبس (يعني الاختلاط) لَيكونُ بيننا فما حضرتَ أنت ولا أحدٌ من أهل بيتك لِخُطةٍ فَيصلٍ قطُّ ، وكنتَ فَقَعاً بقَرقَرة[4] . ولو كنتُ في مَرتَبَتِك ومَغرِسِك الذي أنت فيه ثم ماجَدتُك لَمجدَتُك ، أو طاولتُك لطُلتُك . ولو سألتَ أُمَّك وأباك عن هذا لأخبراك بصحته[5] . وإني لأحتضِر الوَغى ، وأُوَفي المَغنَم ، وأعِفُّ عن المسألة ، وأجُود بما ملكتُ ، وأفصل الخُطَّةَ

1 الأثفية : الحجر توضع عليه القدر .
2 الساج : الطيلسان الأسود .
3 يترافدون : يتعاونون .
4 هذا مثل يضرب للضعيف الذليل الذي لا يمتنع على من يضيمه .
5 ل : أن نصحا لك .

الصَّمعاء[1] . فقال له الآخر : أنا أشعرُ منك . فقال : ستعلم ! . وكان عنترة لا يقول من الشِّعر إلا البيتَ أو البيتين في الحرب فقال هذه القصيدة ويزعمون أنها أول قصيدة قالها . وكانت العرب تسمِّيها المُذَهَّبة .

[صوت من بقية مدن معبد في شعر كثيّر عزة]

نسبة الأصوات التي جُعِلَت مكان بعض هذه الأصوات في مدن معبد ، وهنَّ : [من الطويل]

صوت

تَقطَّع من ظَلاَّمــةَ الوصلُ أجمَعُ أخيــراً عــلى أن لم يكــن يَتَقَطَّعُ
وأصبحتُ قد وَدعت ظَلاَّمةَ التي تَضُــرُّ ومــا كانت مع الضُّرِّ تنفعُ

الشعر لكُثيِّر . والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيلٍ أولُ بالبِنصر عن عمرو ويونس .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بَكار قال حدثني سليمان بن عياش السَّعدي قال قال السائبُ راويةُ كُثير ، وأخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال زعم ابن الكلبي عن أبي المُقَوَّم قال حدثني سائب راوية كُثير قال : كنتُ مع كُثيِّر عند ظَلاَّمة فأقمنا أياماً . فلما أردنا الانصرافَ عقدت له في عِلاقة سَوطه عُقَداً وقالت : احفَظها . ثم انصرفنا فمررنا على ماء لبنى ضَمرة ، فقال : إن في هذه الأخبية جاريةً ظريفةً ذاتَ جمال ، فهل لك أن تستبرزها ؟ فقلت : ذاك إليك . قال : فمِلنا إليهم فخرجت إلينا جاريتها فأخرجتها إلينا ، فإذا هي عَزة ، فجلس معها يحادثها ، وطرح سوطه بينه وبينها إلى أن غلَبته عيناه . وأقبلت عَزة على تلك العُقَد تَحُلُّها واحدةً واحدةً . فلما استيقظ انصرفنا . فنظر إلى عِلاقة سوطه فقال : أحلَّتها ؟ قلت : نعم ، فلا وصلها الله ، والله إنك لمجنون . قال : فسكت عني طويلاً ثم رفع السَّوط فضرب به واسطةَ رَحله وأنشأ يقول : [من الطويل]

تقطَّعُ من ظَلاَّمــةِ الوصلُ أجمعُ أخيراً عــلى أن لم يكــن يتقطَّعُ
وأصبحتُ قد ودّعت ظَلامةَ التي تَضُرُّ ومــا كانت مــع الضُّرِّ تنفَعُ
وقــد سُدَّ من أبوابِ ظَلاَّمة التي لنا خَلَــفٌ للنَّفس منهــا ومَقنَعُ

ثم وصل عزةَ بعد ذلك وقطع ظَلامة .

ومنها : وهو الذي أوله : «خَمصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها» .

1 الصمعاء : الحازمة .

[صوت من مدنه في شعر الحارث بن خالد]

صوت

[من الكامل]

أَقوى مِنَ آلِ ظُلَيمةَ الحَزمُ ... فالغَمرتانِ فأَوحَش الخَطمُ[1]
فجنوبُ أَثبِرةٍ فَمُلحَدُها ... فالسِّدرتانِ فما حَوى دَسْمُ[2]
وبما أَرى شخصاً به حسناً ... في القوم إذ حَيَّتكُمُ نُعمُ
إذ وُدُّها صافٍ ورؤيتُها ... أمنيَّةٌ وكلامُها غُنمُ
لَفاءُ مملوءٌ مُخَلخَلُها ... عَجزاءُ ليس لعَظمها حَجمُ[3]
خَمصانةٌ قَلِقٌ موشَّحُها ... رُؤْدُ الشبابِ عَلا بها عَظمُ
وكأَنَّ غالِيَةً تُباشرها ... تحت الثيابِ إذا صَغا النَّجمُ[4]
أَظُلَيمُ إن مُصابَكم رجلاً ... أَهدى السلامَ تحيةً ظُلَمُ
أَقصيتِه وأراد سَلمَكُمُ ... فَلْيَهْنِه إذ جاءكِ السَّلمُ

عروضه من الكامل . الشعر للحارث بن خالد المخزومي . والغِناء لمعبد ، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالخنصر في مجرى البِنصر . قال : ولحن معبد : [من الكامل]

خمصانةٌ قَلِقٌ مُوَشَّحُها

وأول لَحن مالك : [من الكامل]

أقوى مِنَ آلِ ظُليمةَ الحزمُ

1 أقوى : خلا ، والحزم : موضع أمام خطم الحجول . والغمرة : منهل من مناهل طريق مكة ومنزل من منازلها .
2 أثبرة : عدة جبال بمكة ، واحدها ثبير . والسدرتان : موضع . ودسم : موضع قرب مكة فيه قبر ابن سريج المغني .
3 مملوء في ل : ممكور .
4 الغالية : ضرب من الطيب : صغا النجم : مال للغروب .

[140] ـ ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر

[نسبه]

الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغِيرة بن عبد الله بن عُمَر بن مخزوم ؛ وقد تقدّم ذكره وأخباره في كتاب المائة المختارة في بعض الأغاني المختارة التي شعرُها له وهو : [من السريع]

إن امرءاً تَعتادُه ذِكَرُ

[تزوّج حميدة بنت النعمان بن بشير ثم طلقها]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال : بلغني أن الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المُغِيرة ، ويقال : بل خالد بن المُهاجِر بن خالد بن الوليد بن المغيرة ، كان تزوج حُمَيدة بنت النُّعمان بن بَشِير بدمشق لما قدِم على عبد الملك بن مروان . فقالت فيه : [من المتقارب]

نكَحتُ المَدينيَّ إذ جاءني ... فيالَكِ من نَكحَةٍ غاويهْ
كهولُ دِمَشقَ وشُبَّانُها ... أحبُّ إلينا من الجالِيهْ
صُنانٌ لهم كصُنان التُّيو ... سِ أعيا على المسك والغاليهْ

فقال الحارث يجيبها : [من الخفيف]

صوت

أسَنا ضوء نار ضَمرة بالقَفـ ... ـرة أبصرتَ أم سَنا ضوء بَرقِ
قاطناتُ الحَجُونِ أشهى إلى قلـ ... ـبيَ من ساكنات دُورِ دِمَشقِ
يَتَضوعنَ لو تضمَّخنَ بالمسـ ... ـكِ صُناناً كأنه رِيحُ مَرقِ[1]

غنَّاه مالكُ بن أبي السَّمح خفيفَ ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر من رواية إسحاق . وفيه لابن مُحرِز[2] لحنٌ من رواية عمرو بن بانة ثقيلٌ أولُ بالوسطى .

[رجعت الرواية إلى خبر الحارث]

قال : وطلَّقها الحارث ؛ فخلَف عليها رَوح بن زِنباع . قال : وكان الحارث خطَب أَمَةً لمالك بن عبد الله بن خالد بن أَسِيد ، وخطبها عبد الله بن مُطِيع . فتزوجها عبد الله ثم طلَّقها

1 المَرق : صوف العجاف والمرضى وهو منتن ، أو هو الجلد المنتن .
2 ل : مسجح .

أو مات عنها ، فتزوجها الحارث بن خالد بعد ذلك وقال فيها قبل أن يتزوج : [من الكامل]

أَقوى مِـنَ آلِ ظُليمةَ الحَـزمُ فالغَمرتـانِ فأَوحَش الخَطمُ

الأبيات التي فيها الغناء .

قال وأخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدثنا محمد بن الحَكَم عن عَوانة بهذا الخبر فذكر مثلَه ، ولم يذكر أن الحارث هو المتزوِّجُها ، وفسَّر قولَها : [من المتقارب]

أحـبُّ إلينـا مـن الجالِيـهْ

وقال : الجاليه أهل الحجاز ، كان أهل الشام يسمُّونهم بذلك لأنهم كانوا يَجلُون عن بلادهم إلى الشام . وقال في الحديث : فبلغ عبدَ الملك قولُها فقال : لولا أنها قدمت الكهولَ على الشبان لعاقبتُها .

[قتل مصعب أختها عمرة بعد قتل زوجها المختار]

قال عَوانة : وكانت لحُمَيدة أختٌ يقال لها عَمرة ، وكانت تحت المختار بن أبي عُبَيد الثَّقَفي ، فأخذها مُصعَب بعد قتله المختار وأخذ امرأتَه الأُخرى وهي بنت سَمُرةَ بنِ جُندَب ، فأمرهما بالبراءة من المختار . أما بنت سَمُرة فبرئت منه ، وأبت ذلك عَمرةُ . فكتب به مُصعَب إلى أخيه عبد الله . فكتب إليه : إن أبت أن تَبرأ منه فاقتُلها . فأبت فحفَر لها حَفِيرةً وأقيمت فيها فقُتلت . فقال عمر بن أبي ربيعة في ذلك : [من الخفيف]

إن من أعجبِ العجائبِ عندي قتـلَ بيضاءَ حُـرَّةٍ عُطبولِ[1]

قُتِلت حُـرَّة على غير جُـرمٍ إن للهِ دَرَّهـا مـن قَتيلِ

كُتب القتـلُ والقتـالُ علينا وعلى الغانيـاتِ جَـرُّ الذيولِ

رجع الحديث إلى رواية عمر بن شَبة

قال أبو زيد وحدثني ابن عائشة عن أبيه بهذا الخبر ونحوِه ، وزاد فيه أن الحارث لما تزوجها قالت فيه : [من المتقارب]

نكَحتُ المَدِينـيُّ إذ جـاءني فيـا لكِ مـن نَكحـةٍ غاويهْ

[تهاجي حميدة مع زوجها روح بن زنباع]

وذكر الأبيات المتقدمة . وقال عمر بن شَبَّة فيه : وتزوجها رَوح بن زِنباع ؛ فنظر إليها

1 العطبول : المرأة الفتية الجميلة الممتلئة الطويلة العنق .

يوماً تنظر إلى قومه جُذامَ ، وقد اجتمعوا عنده فلامها . فقالت : وهل أرى إلا جُذامَ ؟ فوالله ما أحِبُّ الحَلالَ منهم فكيف بالحرام ! . وقالت تهجوه : [من الطويل]

بكى الخَزُّ من رَوحٍ وأنكر جلدَه ... وعَجَّت عَجيجاً من جُذامَ المَطارفُ
وقال العَبا قد كنتُ حيناً لباسَكم ... وأكسيـــةٌ كُردِيـــــةٌ وقَطائِفُ

فقال رَوح : [من الطويل]

إن تَبكِ منَّـا تَبكِ ممن يُهِينُها ... وإن تَهوَكم تهوَ اللِّئامَ المَقارِفا[1]

وقال رَوح : [من الكامل]

أثنـي عليَّ بمـا علمتِ فإنَّني ... مُثنٍ عليكِ لبئسَ حَشوُ المِنطَقِ[2]

فقالت : [من الكامل]

أثنِي عليكِ بأن باعَكَ ضَيِّقٌ ... وبأن أصلَكَ في جُذامٍ مُلصَقُ

فقال رَوح : [من الكامل]

أثني عـليَّ بمـا عَلِمتِ فإنني ... مُثنٍ عليكِ بمثل رِيحِ الجَورَبِ

فقالت : [من الكامل]

فثناؤنـا شرُّ الثَّنـاءِ عليكـمُ ... أسوَا وأنتَنُ من سُلاحِ الثَّعلَبِ

وقالت : [من الطويل]

وهـل أنـا إلا مُهـرَةٌ عربيـةٌ ... سَليلـةُ أفـراس تجلَّلها بَغلُ
فإن نُتِجت مُهراً كريماً فالبحَرى ... وإن يك إقرافٌ فما أنجب الفحلُ[3]

فقال رَوح : [من الطويل]

فما بالُ مُهـرٍ رائعٍ عَرَضتْ لـه ... أتانٌ فبالتْ عنـد جَحفَلة البغلِ[4]
إذا هـو وَلّى جانبـاً ربِخَتْ لـه ... كما ربختْ قَمراءُ في دَمسٍ سهلِ[5]

وقالت عمرة لأخيها أبان بن النُّعمان : [من الوافر]

---

1 المقارف : الأنذال .
2 المنطق والنطاق : شبه إزار فيه تكة كانت المرأة تنتطق به .
3 المقرف : الذي أمه عربية وأبوه ليس كذلك ، ضد الهجين والمقرف أيضاً : النذل .
4 الجحفلة : لذي الحافر كالشفة للإنسان .
5 ربخت : استرخت . قمراء : بيضاء . دمس : دمث .

أَطـالَ اللهُ شأوَك مـن غُـلامٍ متـى كانـت مَناكحَنـا جُذامُ
أَترضـى بـالأكارع والذُّنابَـى وقـد كنـا يَقِـرُّ بنـا السَّنامُ[1]

وقال ابن عمٍّ لرَوح : [من الوافر]

رَضِي الأشياخ بالفِطيَوْنِ فَحلاً وترغَبُ للحماقـةِ عـن جُذامِ[2]
يهوديٌّ لـه بُضعُ العَـذارى فقبحـاً للكهـولِ وللغلامِ
تُـزَفُّ إليه قبـل الزوجِ خَـودٌ كأن شَمساً تدلَّتْ من غَمامِ
فأبقـى ذلكم عـاراً وخِزياً بقاءَ الوَحي في صُمِّ السِّلامِ[3]
يهـودٌ جُمِّعُـوا مـن كلِّ أوبٍ وليسوا بالغَطاريفِ الكـرامِ

وقالت : [من الوافر]

سُمِّيتَ رَوحاً وأنت الغمُّ قد عَلِموا لا روَّح اللهُ عن رَوح بن زِنباعِ

فقال رَوح : [من البسيط]

لا روَّح الله عمَّن ليس يمنعنا مالٌ رَغيبٌ وبعلٌ غيرَ مِمناعِ
كشافعٍ جَونةٍ ثُجلٍ مَخاصِرُها دَبَّابـةٍ شَثنةِ الكَفَّينِ جُباعِ[4]

قال : والجُبَّاع : القصيرة . والجُبَّاع من السهام : الذي لا نصل له . والجُباع : الرَّصَفُ[5] .

وقالت : [من المتقارب]

تُكَحِّل عينيـكَ بَردَ العَشِي كأنـكَ مُومِسةٌ زانيـهْ
وآيـةُ ذلك بعـد الخُفُوقِ تَغَلُّـفُ رأسِك بالغاليـهْ
وأن بَنِيـك لرَيبِ الزمـا ن أمستْ رقابهـمُ حاليـهْ
فلو كان أَوسٌ لهـم حاضراً لقال لهـم إن ذا ماليـهْ

1 بالأكارع في ل : بالفواسق .
2 الفطيون : رجل فاجر من اليهود كانت اليهود تدين له .
3 الوحي : الكتابة . السِّلام : الحجارة .
4 الشافع من النوق والشاة : التي في بطنها ولد ويتبعها آخر . وثجل : جمع أثجل وثجلاء . والثجل : عظم البطن وسعته . شثنة الكفين : غليظتهما .
5 الرصف : جمع رصفة وهي العصب الذي تصنع منه الأوتار .

وأوس رجل من جُذام يقال : إنه استودَع رَوحاً مالاً فلم يرده عليه . فقال لها رَوح : [من المتقارب]

إن يكن الخُلعُ من بالكم فليس الخلاعةُ من باليهْ
وإن كان مَن قد مضى مثلَكم فأُفٌّ وتُفٌّ على الماضيهْ
وما إنْ بَرا اللهُ فاستيقنيـ ـه من ذات بعلٍ ومن جاريهْ
شبيهاً بكِ اليوم فيمن بَقِي ولا كان في الأعصُر الخاليهْ
فبُعداً لمَحياكِ إذ ما حَيِيتِ وبُعداً لأعظُمِك الباليهْ

[تزوّجها بعده الفيض بن محمد بن الحكم]

وقال رَوح في بعض ما يتنازعان فيه : اللهُم إن بَقِيت بعدي فابتلِها ببعلٍ يلطِم وجهَها ويملأ حِجرَها قيئاً . فتزوجها بعده الفَيض بن محمد بن الحَكَم بن أبي عَقِيل وكان شاباً جميلاً يُصيب من الشَّراب فأحبَّته . فكان ربما أصاب من الشَّراب مُسكِراً فيلطِم وجهَها ويقيءُ في حِجرِها ؛ فتقول : يرحَم الله أبا زُرعة ، قد أجيبت دعوتُه فيَّ . وقالت لفَيض : [من البسيط]

سُمِّيتَ فيضاً وما شيءٌ تَفِيضُ به إلا سُلاَحَكَ بين البابِ والدارِ
فتلكَ دعوةُ رَوحِ الخيرِ أعرِفُها سقَى الإلهُ صَداه الأوطَفَ السَّارِي[1]

وقالت لفَيض أيضاً : [من الوافر]

ألا يا فَيضُ كنتُ أراكَ فَيضاً فلا فَيضاً أصبتُ ولا فُراتا

وقالت : [من البسيط]

وليس فيضٌ بفَياضِ العَطاء لنا لكنَّ فيضاً لنا بالقَيءِ فَياضُ
ليثُ اللُّيوثِ علينا باسلٌ شَرِسٌ وفي الحروب هَيُوبُ الصدرِ جَيَّاضُ[2]

[تزوج ابنتها من الفيض الحجاج بن يوسف]

فولدت من الفَيض ابنة فتزوجها الحَجاج بن يوسف ؛ وقد كانت قبلها عند الحَجاج أُمُّ أبانٍ بنت النُّعمان بن بَشير . فقالت حُميدة للحَجاج : [من الرجز]

إذا تذكَّرتُ نكاحَ الحَجاجْ من النَّهارِ أو من اللَّيل الداجْ

1 الأوطف : السحاب الداني من الأرض .
2 الجياض : الرواغ .

فاضتْ لــه العينُ بدمع ثَجَّاجْ وأُشعِلَ القلبُ بوَجــدٍ وَهَّاجْ
لــو كان نُعمانُ قتيــلُ الأعلاجْ مُستَوِيَ الشَّخصِ صحيحَ الأوداجْ
لكنتَ منهــا بمكـــان النَّسَّاجْ قد كنتُ أرجو بعضَ ما يرجو الرَّاجْ
أن تَنكِحيه مَلِكــاً أو ذا تاجْ

فقَدِمت حُميدة على ابنتها زائرةً . فقال لها الحَجَّاج : يا حُميدة ، إني كنتُ أحتمل مُزاحَكِ مرَّةً ، وأما اليوم فإني بالعراق وهم قومُ سَوءٍ فإياكِ ! . فقالت : سأَكُفُّ حتى أَرحل .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا سليمان بن أيوب قال حدثنا المدائني عن مَسْلَمةَ بن مُحارِب قال : قالت حُمَيدة بنت النُّعمان لزوجها رَوح بن زِنباع ، وكان أسودَ ضخماً : كيف تَسُود وفيك ثلاثُ خِصال : أنت من جُذام ، وأنت جَبانٌ ، وأنت غَيُور . فقال : أما جُذام فأنا في أُرُومتها ، وبحَسبِ الرجلِ أن يكون في أُرُومة قومه . وأما الجُبن فإنما لي نفسٌ واحدة ، ولو كان لي نفسان لجُدتُ بإحداهما . وأمّا الغَيرة فهو أمر لا أُحِب أن أُشارَك فيه ، وإن المرء لحقيقٌ بالغيرة على المرأة مثلِكِ الحَمقاء الوَرهاء لا يأمَنُ أن تأتيَ بولد من غيره فتقذِفَه في حِجره . ثم ذكر باقيَ خبرها مثلَ ما تقدم ، وقال فيه : فخلّف بعده عليها الفَيضُ بن محمد عمُّ يوسف بن عمر ، فكان يشرب ويلطِمها ويقيءُ في حِجرها ؛ فقالت : [من البسيط]

سُمِّيتَ فَيضاً وما شيءٌ تَفيضُ به إلا سُلاحَكَ بــين البابِ والدارِ

قال المدائني : وتمثَّل فيضٌ يوماً بهذا البيت : [من البسيط]

إن كنتِ ساقيةً يومــاً على كَــرَمٍ صَفوَ المُدامةِ فاسقِيها بنــي قَطَنِ

ثم تحرك فضرَط . فقالت : واسقِ هذه أيضاً بني قَطَن ! .

[أبو عثمان المازني والواثق]

وهذا الصوت أعنِي : [من الكامل]

أَقــوى مِــن آلِ ظُلَيمةَ الحَزمُ

هو الصوت الذي أَشخَص الواثقُ له أبا عثمان المازِني بسبب بيت منه اختُلف في إعرابه بحضرته ، وهو قوله : [من الكامل]

أظُلَيمُ إن مُصابَكم رجــلاً أَهْدَى السَّلامَ تَحِيَّــةً ظُلمُ

وقال آخرون : «رجلٌ» . حدثني بذلك عليُّ بن سليمان الأَخفَش عن أبي العباس محمد بن يَزيد عن أبي عثمان ، وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا القاسم بن إسماعيل وعَونُ بن محمد وعبدُ الواحد بن العباس بن عبد الواحد والطيِّبُ بن محمد الباهلي ،

يزيد بعضُهم على بعض ، قالوا حدثنا أبو عثمان المازني قال : كان سبب طلب الواثق لي أن مُخارِقاً غنّى في مجلسه : [من الكامل]

أظُلَيمُ إن مُصابَكم رجـلاً أَهْـدَى السَّلامَ تحيـةً ظُلمُ

فغناه مخارق «رجلٌ» ، فتابعه بعض القوم وخالفه آخرون . فسأل الواثقُ عمَّن بقي من رؤساء النحويين فذكِرت له ، فأمر بحَملي . فلما وصلتُ إليه قال : ممن الرجلُ ؟ قلت : من بني مازِن . قال : أمن مازن تَميم أم مازن قيس أم مازن ربيعة أم مـازن اليمن ؟ . قلت : من مازن ربيعة . فقال لي باسمُك ؟ (يريد ما اسمُك وهي لغة كثيرة في قومنا) فقلت على القياس : مَكرٌ (أي بكر) . فضحِك فقال : اجلِس واطبَئنّ (يريد : واطمئنَّ) فجلست . فسألني عن البيت . فقلت : «إن مصابكم رجلاً» فقال : أين خبرُ «إن» ؟ قلت : «ظلم» وهو الحرف الذي في آخر البيت . وقال الأخفش في خبره : وقلتُ له : إن معنى «مصابِكم» إصابتُكم ، مثل ما تقول : إن قتلكم رجلاً حيًّا كم ظلمٌ . ثم قلت : يا أمير المؤمنين ، إن البيت كله معلَّق لا معنى له حتى يتم بقوله «ظلم» . ألا ترى أنه لو قال : أظُلَيم إن مصابكم رجلٌ أهدى السلام تحيةً ، لَما احتيجَ إلى «ظلم» ولا كان له معنىً ، إلا أن يجعل التحيةَ بالسلام ظلماً ، وذلك محال ، ويجب حينئذٍ أن يقول : [من الكامل]

أَظُليمُ إن مُصابَكم رجـلٌ أَهْدَى السَّلامَ تحيـةً ظُلْما

ولا معنى لذلك : ولا هو ، لو كان له وجهٌ ، معنى قولِ الشاعر في شعره . فقال : صدقتَ ، ألك ولدٌ ؟ قلت : بُنَيَّةٌ لا غيرُ . قال : فما قالت حين ودَّعتَها ؟ قال قلتُ : أنشدت شعرَ الأعشى : [من المتقارب]

تقول ابنتي حين جَدَّ الرَّحِيلُ أَرانـا سواءً ومَن قد يَتِمْ
أبانا فـلا رِمتَ من عندِنا فإنـا بخَيـرٍ إذا لم تَرِمْ
أَرانا إذا أضمرتك البـلا دُ نُجفى وتُقطَعُ منّا الرَّحِمْ

قال : فما قلتَ لها ؟ قال : قلتُ لها قولَ جرير : [من الوافر]

ثِقِي باللهِ ليسَ لـه شريكٌ ومِن عندِ الخليفةِ بالنَّجاحِ

فقال : ثِقْ بالنجاح إن شاء الله تعالى . إن هاهنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحِنهم ، فمَن كان منهم عالِماً يُنتفَع به ألزمناهم إياه ، ومَن كان بغير هذه الصورة قطعناه عنهم . فأمر فجُمعوا إليَّ فامتحنتُهم فما وجدت فيهم طائلاً ؛ وحَذِروا ناحيتي ، فقلت : لا بأسَ على أحد . فلما رجعتُ إليه قال : كيف رأيتَهم ؟ قلت : يفضُل بعضهم بعضاً في علوم ،

ويفضُل الباقون في غيرها ، وكلٌّ يُحتاج إليه . فقال لي الواثق : إني خاطبتُ منهم أحداً فكان في نهاية من الجهل في خطابه ونظره . فقلت : يا أمير المؤمنين ، أكثرُ من تقدَّم منهم بهذه الصفة ؛ ولقد أنشدتُ فيهم : [من الكامل]

إن المعلِّمَ لا يـزال مُضَعَّفاً ولـو ابتَنى فـوقَ السماء بناءَ
من علَّم الصبيانَ أضنَوا عقلَه مما يلاقـي غُـدوةً ومَساءَ

مضى الحديث .

[صوت من مدن معبد في شعر الأعشى]

ومنها : [من الخفيف]

صوت

يومَ تُبدِي لنا قُتَيلةُ عـن جِيـ ـدٍ أَسِيلٍ تَزِينُـه الأطواقُ
وشَتِيتٍ كالأقحُوانِ جَلاه الطَّـ ـلُّ فيـه عُذوبـةٌ واتِّساقُ

الشعر للأعشى . والغناء لمعبد . وذكر إسحاق أن لحنه خفيفُ ثقيلٍ من أصواتٍ قليلاتِ الأشباه ، وذكر عمرو بن بانة أن لحنه من الثقيل الأول بالبنصر . ولإسحاق لحنٌ من الثقيل أيضاً وهو مما عارَض فيه معبداً فانتَصف منه ، ومن أوائل أغانيه وصدورها .

[قتيلات معبد]

أخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعِي قال حدثنا عمر بن شَبة عن إسحاق قال ذكر الحسن بن عُتبة اللَّهبي المعروف بفَورَكٍ قال : قال لي الوليد بن يزيد : أريد الحج ، فما يمنعني منه إلا أن يلقاني أهل المدينة بقُتَيلات معبد وبقَصره ونَخله فأفتضحَ به طرباً . يعني ثلاثةَ أصوات لمعبد من شعر الأعشى في قُتَيلة هذه ، ونسبتُها تأتي بعدُ . ويعني بقصره ونخله لحنَه : [من البسيط]

القصرُ فالنخلُ فالجَمَّاء بينهما

قال أبو زيد قال إسحاق وحدثني عبد الملك بن هِلال : وبلغني أن فِتيةً من قريش دخلوا إلى قَينةٍ ومعهم رَوح بن حاتم المُهَلَّبي ، فتمارَوا فيما يختارونه من الغناء . فقالت لهم : أُغَنِّي لكم صوتاً يُزيل الاختلاف ويُوقِع بينكم الاجتماع ، فرَضُوا بها . فغنَّت : [من الخفيف]

يومَ تُبدِي لنا قُتَيلةُ عـن جِيـ ـدٍ أَسِيـلٍ تَزِينُـه الأطـواقُ

فرَضُوا به واتفقوا على أنه أحسن صوت يعرفونه ، وأقاموا عندها أسبوعاً لا يسمعون غيرَه .

[141] ـ نسبة أصوات معبد في قُتَيلة

[الصوتان الباقيان من قتيلات معبد في شعر الأعشى]

منها : [من الكامل]

[صوت]

أَثَــوى وقَصَّــر ليلَــة ليُــزَوَّدا فمضَى وأُخلِفَ مــن قُتَيلَةَ مَوعِدا
يَجحَدنَ دَينــي بالنَّهــار وأقتضي دَينــي إذا وقَــذ النُّعاسُ الرُّقَّدا[1]
وأرى الغــوانيَ لا يُواصِلنَ امرءاً فقــد الشَّبابَ وقد يَصِلنَ الأمردا

الشعر للأعشى . والغِناء لمعبد خفيفُ ثقيل أول بالوسطى .

أخبرني محمد بن العبَّاس اليَزيدي قال حدثنا أبو شُراعة في مجلس الرِّياشي قال : حُدِّثت أن رجلاً نظر إلى الأعشى يَدُور بين البيوت ليلاً ؛ فقال له : يا أبا بَصير ، إلى أين في هذا الوقت ؟ فقال : [من الكامل]

يجحدْن دَينِــي بالنَّهارِ وأقتضي دَينــي إذا وقَــذ النُّعــاسُ الرُّقَّدا

أخبرني أحمد بن عُبيد الله بن عَمَّار قال حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدثنا أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان قال حدثني إسحاق الموصلي قال حدثني أبي قال : غنَّيتُ بين يَدَي الرشيد وسِتارتُه منصوبة : [من الكامل]

وأرى الغــوانيَ لا يُواصلن امــرءاً فقَدَ الشبابَ وقــد يَصلنَ الأمردا

فطرِب واستعاده وأمر لي بمال . فلما أردتُ أن أنصرف قال لي : يا عاضَّ كذا وكذا ! أتغنِّي بهذا الصوت وجواري من وراء ستارةٍ يسمعنَه ! لولا حُرمتُك لضربت عنقك ! . فتركته والله حتى أُنسيته .

ومنها : [من الطويل]

صوت

أَلــمَّ خيــالٌ من قُتَيلةَ بعدمــا وهَى حبلُها من حبلنا فتَصَرَّما
فبِتُّ كأنِّي شاربٌ بعد هَجعةٍ سُخاميَّةً حمراءَ تُحسَبُ عَندَما[2]

---

1 وقذه النعاس : غلبه .

2 خمر سخام وسخامية : لينة سلسة .

الشعر للأعشى . والغناء لمَعبد خفيفُ ثقيلٍ أول بالبِنصر عن عمرو . وفيه لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالوسطى عنه وعن ابن المكي .

[سبعة ابن سريج]

فأما السبعة التي جُعلت لابن سُرَيج بإزاء سبعة مَعبد فإني قرأت خبرها في كتاب محمد بن الحسن ، قال حدثني الحسين بن أحمد الأَكثَمي عن أبيه قال : ذكرنا عند إسحاق يوماً أصواتَ معبد السبعةَ فقال : والله ما سبعةُ ابن سُرَيج بدونهن . فقلنا له : وأيُّ سبعة ؟ فقال : إن مُغنّي المكيين لما سمعوا بسبعة معبد وشهرتها لحقتهم لذلك غَيرة ، فاجتمعوا فاختاروا من غِناء ابن سُرَيج سبعةً فجعلوها بإزاء سبعة معبد ، ثم خايروا[1] أهلَ المدينة فانتَصفوا منهم . فسألوا إسحاقَ عن السبعة السُّرَيجية ؛ فقال : منها : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَريَ لما جَهَدتُه

وقد مضت نسبتُه في الثلاثة الأصوات المختارة : [من الطويل]

و : لقد حَبَّبتْ نُعمٌ إلينا بوجهها

و : قَرَّب جِيرانُنا جِمالَهمُ [من المنسرح]

و : أَرِقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّقُ [من الطويل]

وقد مضى في أخبار الأعشى المذكورة في مُدُن معبد .

و : بَيْنا كذاك إذا عَجاجةُ مَوكِبٍ [من الكامل]

و : فلم أَرَ كالتَّجمير منظَرَ ناظرٍ [من الطويل]

وقد مضى في الأرمال المختارة .

و : تَضوَّع مِسكاً بطنُ نَعمانَ إذ مشتْ [من الطويل]

وقد ذُكر في المائة مع غيره في شعر النميري .

و : إن جاء فيَأْتِ على بغلةٍ [من السريع]

1 خايروا : غالبوهم .

[142] ـ نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدّما

[الكلام على ما لم يمض الكلام عليه من هذه السبعة]

فمنها : [من الطويل]

صوت

لقد حَبَّبتْ نُعمٌ إلينا بوجهِها مساكنَ ما بين الوَتائر فالنَّقعِ[1]
ومن أجلِ ذاتِ الخال أعملتُ ناقتي أكلِّفها سَيرَ الكَلالِ مع الظَّلعِ

عروضه من الطويل . والشعر لعمرَ بن أبي رَبيعة ، والغناء لابن سُرَيج ثاني ثقيلٍ بالبنصر . وذاتُ الخالِ التي عَناها هاهنا عمر امرأةٌ من ولد أبي سُفيان بنِ حَرب ، كان عمر يَكنِي عنها بذلك .

[عمر بن أبي ربيعة وذات الخال]

حدثني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثني أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم الموْصلي عن الزُّبيري والمُسَيَّبي ومحمد بن سَلاَّم والمَدائني ، وأخبرنا به الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمِّي ولم يتجاوزه : أن عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق كانا جالسين بفناء الكعبة ، إذ مرت بهما امرأة من آل أبي سفيان ، فدعا عمرُ بكَتِفٍ فكتب إليها وكَنى عن اسمها : [من الطويل]

أَلِمَّا بذاتِ الخالِ فاستطلِعا لنا على العهد باقٍ ودُّها أم تَصَرَّما
وقولا لها إن النَّوى أجنبيةٌ بنا وبكم قد خِفتُ أن تَتيمَّما

غناه ابن سُرَيج خفيف ثقيلٍ أولَ بالسبابة في مجرى البِنصر عن إسحاق ، قال فقال له ابن أبي عَتيق : سبحانَ الله ! ما تريد إلى امرأةٍ مُسلِمة مُحرِمةٍ أن تكتب إليها مثل هذا ! قال : فكيف قد سيّرتُه في الناس من قولي : [من الطويل]

لقد حَبَّبتْ نُعمٌ إلينا بوجهها مساكنَ ما بين الوتائر والنَّقعِ

1 الوتيرة : ماء بأسفل مكة لخزاعة . والنقع : موضع قرب مكة في جنبات الطائف .

ومن أجلِ ذات الخـال أعملتُ ناقتي أُكَلِّفهـا سيرَ الكَـلالِ مـع الظَّلعِ
ومن أجلِ ذات الخـال يـومَ لقِيتُها بمُندَفَع الأجنـاب أخضلِني دمعي[1]
ومن أجلِ ذات الخـال آلفُ منزلاً أحُلُّ بـه لا ذا صديـقٍ ولا زَرعِ
ومن أجلِ ذات الخـال عُدتُ كأنني مُخامَـرُ سُقمٍ داخـلٍ أو أخو رَبعِ[2]
أُلِمّـا بـذاتِ الخـالِ إن مُقامَهـا لدى الباب زاد القلبَ صَدعاً على صَدعِ
وأُخـرى لَـدى البيت العَتيق نظرتُها إليها تَمشتْ في عظامـي وفي سمعي

وقال الحِرْميّ في خبره : أما ترى ما سار لي من الشعر ! ما علم اللهُ أنّي اطلعتُ حراماً قط ! ثم انصرفنا . فلما كان من الغدِ التقينا . فقال عمر : أشعَرت أن ذلك الإنسان قد رَدّ الجواب ؟ قال : وما كان من رده ؟ قال : كتب : [من الكامل]

صوت

أمسى قَرِيضُك بالهوى نَمَّاما فاربَعْ هُديتَ وكن لـه كَتَّاما
واعلم بأن الخالَ حين وصفتَه قعـد العـدوُّ بـه عليك وقاما
لا تَحسبنَّ الكاشحينَ عَدِمتَهم عمـا يسوءك غافلـين نِياما
لا تمكننَّ من الدَّفِينة كاشحاً يتلـو بهـا حفظاً عليك إماما

غنّى فيه سُلَيم خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو . قال : وفيه لفَرِيدة وإبراهيمَ لحنان . وفي بعض النسخ : لإسحاقَ فيه ثَقيل أول غير منسوب . وذكر حَبَش أن خفيف الرَّمَل لَفريدة .

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال أخبرنا أبو أيُّوب المَدينيَ عن محمد بن سَلاَّم ، قال وأخبرني حَماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلاَّم قال : سألتُ عمر بن أبي خَليفة العَبدي ، وكان عابداً وكان يُعجِبه الغِناء ، أيُّ القوم كان أحسنَ غناء ؟ قال : ابن سُرَيج إذا تَمَعبَد ، يريد : إذا غنّى في مذهب مَعبَد من الثقيل ، قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل صوته : [من الطويل]

صوت

لقـد حَبَّبتْ نُعمٌ إلينا بوجهها مساكنَ ما بـين الوَتائر فالنَّقعِ

وقال حَماد بن إسحاق حدثني أبي قال حدثني أبو محمد العامِري قال : جلس مَعبَد والأبجَر وجماعةٌ من المغنّين فتذاكروا ابنَ سُرَيج وما اشتهاه الناس من غِنائه ، فقالوا : ما هو

1 الأجناب : موضع قرب مكة .
2 الربع : النعش ، ويكنى به عن الموت .

إلا من غِناء الزُّفافِ والمخنَّثين . فنُمِي الحديث إلى ابن سُرَيج فغنَّى : [من الطويل]

لقد حَبَّبتْ نعمٌ إلينا بوجهها

فلما جاء معبد وأصحابه واجتمعوا غنَّاهم إياه . فلما سمعوه قاموا هاربين ، وجعل ابن سُرَيج يصفِّق خَلفَهم ويقول : إلى أين ؟! إنما هو ابن ليلته فكيف لو اختَمر ! . قال فقال معبد : دَعُوه مع طرائِقِه الأوَلِ ولا تَهيجُوه على طرائقكم ، وإلا لم يَدَع لكم والله خبزاً تأكلونه .

قال الزُّبير في خبره عن عمه : وعَلِق نُعماً هذه فقال فيها شعراً كثيراً . ونحن نذكر هاهنا ما فيه غِناءٌ من ذلك . فمنه قولُه : [من الكامل]

صوت

خَطَرتْ لذات الخال ذِكرى بعد ما سلَك المَطِيُّ بنا على الأنصابِ[1]
أنصابِ عَمرةَ والمَطِيُّ كأنَّها قِطَعُ القَطا صدَرتْ عن الأَجبابِ[2]
فانهَلَّ دمعي في الرِّداء صَبابةً فسترتُهُ بالبُردِ عن أصحابي
فرأى سوابقَ دمعةٍ مسكوبةٍ بَكرٌ فقال بكى أبو الخَطابِ

عروضه من الكامل . «بكر» الذي ذكره هاهنا عمر هو ابن أبي عَتيق وهو يسمِّيه في شعره ببكر وبعَتيق ، وإياه يَعنِي بقوله : [من الخفيف]

لا تَلُمني عَتِيقُ حَسبي الذي بي إن بي يا عَتيقُ ما قد كفاني

الغناء في «خطرت لذات الخال» للغَريض ، ولحنه ثقيلٌ أول بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانةَ أن فيه ثقيلاً أولَ بالبِنصر لأبي سَعيد مولى فائد .

وأخبرني لِحِرْميّ قال حدثني الزُّبير قال حدثني عمِّي : أن عمر بن أبي ربيعة وافقها وهي تستلم الركنَ ، فقرُب منها . فلما رأته تأخرت وبعثت إليه جاريتَها . فقالت له : تقول لك ابنةُ عمِّك : إن هذا مَقامٌ لا بدَّ منه كما ترى ، وأنا أعلم أنك ستقول في موقفنا هذا فلا تقولنَّ هُجراً . فأرسَلَ إليها : لستُ أقول إلا خيراً . ثم تعرض لها وهي ترمي الجِمار ، فأعرضت عنه واستترت ؛ فقال : [من المديد]

صوت

دِينَ هذا القلبُ من نُعمِ بسَقامٍ ليس كالسُّقمِ

---

1 الأنصاب : موضع .

2 الأجباب : جمع جب وهو البئر الذي لم تطو أي لم تُبْنَ .

إن نُعماً أقصدتْ رجلاً آمِناً بالخَيفِ إذ تَرمي
اسمعي منا تَحاوُرَنا واحكُمِي رُضِّيتُ بالحكمِ
بشَتِيتٍ نبتُه رَتِلٍ طيِّبِ الأنياب والطَّعمِ[1]
يأتِكم منه بحُجَّته فله العُتبى ولا أُحمِي

عروضه من المديد . الغِناء لإسحاقَ خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمالك ثقيلٌ أول من أصوات قليلات الأشباه عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبنصر عن حَبَش . وفيه لابن مِسْجَح ثقيلٌ أول بالوسطى عن حبش أيضاً . وذكر الهِشاميُّ أن هذا الصوت مما يُشَك فيه أنه لمعبد أو غيره .

قال : وقال فيها أيضاً : [من الهزج]

صوت

أبِيني اليوم أيْ نُعْمُ أوَصلٌ منكِ أم صُرمُ
فإن يك صُرمُ عاتبةٍ فقد نَغنى وهُو سَلْمُ
تَلُومكَ في الهوى نُعمُ وليس لها به عِلمُ
صحيحٌ لو رأى نُعماً لخالط جسمَه سُقمُ

عروضه من الهَزَج . غنَّاه مالك ولحنه ثقيلٌ أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لمتيَّمَ خفيفُ رَمَلٍ بالبنصر عن إسحاق[2] ، وذكر أن فيه أيضاً صنعةً لابن سُرَيج .

ومما يُغَنَّى فيه مما قاله فيها ، وهو من قصيدة طويلة : [من الطويل]

صوت

فقلتُ لجَنَّادٍ خُذِ السَّيفَ واشتَمِلْ عليه بحزمٍ وانظُر الشمسَ تَغرُبِ
وأَسرِج لنا الدَّهماءَ واعجَلْ بمِمطَرِي ولا تُعلِمَن خَلقاً من الناسِ مذهبي[3]

عروضه من الطويل . غنَّاه زُرزور غلامُ المارِقي خفيفَ ثقيلٍ بالبنصر .

أخبرني الحِرْميُّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمي قال : قيل لعمر بن أبي ربيعة : ما أحَبُّ شيء أصبتَه إليك ؟ قال : بينا أنا في منزلي ذاتَ ليلة إذ طرَقني رسول مُصعَب بن الزُّبير بكتابه

1 الشتيت : المتفرق . والرتل : بياض الأسنان وحسن تناسقها .
2 ل : حبش .
3 المِمطر : ما يلبس للوقاية من المطر .

يقول : إنه قد وقعت عندنا أثوابٌ مما يُشبِهك ، وقد بعثتُ بها إليك وبدنانيرَ ومسك وطِيب وبغلة . قال : فإذا بثياب من وَشيٍ وخزِّ العراق لم أرَ مثلها قط وأربعِمائة دينار ومسكٍ وطِيبٍ كثير وبغلة . فلما أصبحتُ لبست بعضَ تلك الثياب وتطيَّبت وأحرزتُ الدنانير وركبت البغلة وأنا نشيط لا همَّ لي قد أحرزتُ نفقةَ سنتي ؛ فما أفدتُ فائدةً كانت أحبَّ إليَّ منها .

وقلت في ذلك : [من الطويل]

ألا أرسلت نُعمٌ إلينا أنِ ائتِنا ... فأحبِبْ بها من مُرسِلٍ مُتَغَضِّبِ
فأرسلتُ أن لا أستطيعُ فأرسلتْ ... تؤكِّد أيمانَ لحبيبِ المؤنِّبِ
فقلت لجَنَّادٍ خُذِ السيفَ واشتمِلْ ... عليه بحزمٍ وانظُرِ الشمسَ تَغرُبِ
وأسرِجْ لِيَ الدَّهماء واعجَلْ بمِمْطَري ... ولا تُعلِمَنْ خَلقاً من الناس مذهبي
وموعدُك البَطحاءُ أو بَطنُ يأجَجٍ ... أو الشِّعبُ بالمَروُخ من بطن مُغرِبِ[1]
فلما التقينا سَلَّمتْ وتبسَّمَتْ ... وقالت مقالَ المُعرِض المُتَجَنِّبِ
أمِنْ أجلِ واشٍ كاشحٍ بنَميمةٍ ... مشى بيننا صدَّقتَه لم تُكَذِّبِ
قطعتَ وصالَ الحبلِ منَّا ومن يُطِع ... بذِي ودِّه قولَ المحرِّش يُعتِبِ
فبات وِسادِي ثِنيَ كفٍّ مُخضَّبٍ ... مُعاوِدَ عَذبٍ لم يُكَدَّرْ بمَشرَبِ
إذا مِلتُ مالتْ كالكَثيب رخيمةٌ ... مُنَعَّمةٌ حُسَّانةُ المُتَجَلبَبِ

أخبرني الحِرْميُّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني عمِّي قال : بلغ عمرَ بن أبي ربيعة أن نُعماً اغتسلت في غَدير ؛ فنزل عليه ولم يزل يشرب منه حتى نضَب .

قال الزُّبير قال عمِّي : وقال فيها أيضاً : [من الخفيف]

صوت

طال ليلي وعادني اليومَ سُقمُ ... وأصابت مقاتلَ القلبِ نُعمُ
وأصابتْ مَقاتلي بسهامٍ ... نافذاتٍ وما تَبيَّن كَلمُ
حُرَّةُ الوجه والشمائلِ والجو ... هرِ تكليمُها لمن نال غُنمُ
هكذا وَصفُ ما بدا لي منها ... ليس لي بالذي تغيَّب عِلمُ
غيرَ أني أرى الثيابَ مِلاءً ... في يَفاعٍ يَزين ذلك جسمُ

1 يأجج : مكان من مكة على ثمانية أميال .

وحديثٍ بمثلـــه تَنزِل العُصـ ـمُ رَخيمٍ يشوبُ ذلكَ حِلمُ

عروضه من الخفيف . غنَّى ابن سُرَيج في الأربعة الأبيات لحناً ذكره إسحاق وأبو أيوب المَدِيني في جامع غنائه ولم يجنِّسه ، وذكر حبش أنه خفيفُ رملٍ بالبنصر .

[مناقشة بين إسحاق وإبراهيم بن المهدي في معبد وابن سريج]

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدثني عمرو بن بانة قال : كنتُ حاضراً مع إسحاق بن إبراهيم الموصلي عند إبراهيم بنِ المهدي . فتفاوضنا حديثَ المغنِّين ، حتى انتهَوا إلى أن حَكى إسحاقُ قولَ عمر بن أبي خَليفة : «إذا تَمَعبَد ابن سُرَيج كان أحسن الناس غِناءً» . فقال إبراهيم لإسحاق : حاشاك يا أبا محمد أن تقول هذا ! فقد رفع الله عِلمك وقَدرَ ابن سُرَيج عن مثل هذا القول ، وأغنى ابنَ سُرَيج بنفسه عن أن يقال له تَمَعبَد ؛ وما كان مَعبَد يضع نفسَه هذا الموضعَ ؛ وكيف ذلك وهو إذا أحسن يقول : أصبحتُ اليومَ سُرَيجياً . وما قد أنصف أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي معبداً في هذا القول ؛ لأن معبداً وإن كان يعظِّم ابنَ سُرَيج ويوفِّيه حقَّه فليس بدونه ولا هو بمرذول عنده . وقد مضى في صدر الكتاب خبرُ ابن سُرَيج لما قَدِم المدينةَ مع الغَريض ليستمنحا أهلَها ، فسمعاه وهو يصيد الطير يغنِّي لحنه : [من البسيط]

القَصرُ فالنخـل فالجَمَّاءُ بينهما

فرجع ابن سريج وردَّ الغَريضَ وقال : لا خير لنا عند قوم هذا غناء غلامٍ فيهم يصيد الطير ، فكيف بمَن داخل الجَونة ! .

[تعظيم ابن سريج لمعبد وأخذه عنه]

وأظرفُ من ذلك من أخباره وأدلُّ على تعظيم ابن سُريج معبداً ما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثني علي بن سليمان النَّوفَلي ، قال حدثني أبي قال : التقى ابن سُرَيج ومعبد ليلةً بعد افتراق طويل وبُعدِ عهد ؛ فتساءلا عما صنعا من الأغاني بعد افتراقهما ؛ فتغنَّى هذا وتغنَّى هذا ؛ ثم تغنَّى ابنُ سُرَيج لحنَه في : [من الطويل]

أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسه إذا جاوزَت مَرّاً وعُسفانَ عِيرُها[1]

فغنَّاه مُرسَلاً لا صَيحة فيه . فقال له معبد : أفَلا حسَّنتَه بصيحة ! قال : فأين أضعها ؟ قال : في : [من الطويل]

غدتْ سافراً والشمسُ قـد ذَرَّ قَرنُها

1 مرّا الظهران : موضع على مرحلة من مكة . وعسفان على مرحلتين منها .

قال : فصِح أنت فيه حتى أسمعَ منك . قال : فصاح فيه معبدٌ الصَّيحة التي يُغَنَّى بها فيه اليوم . فاستعاده ابن سُريج حتى أخذه فغنَّى صوته كما رسمه معبدٌ فحسن به جداً . وفي هذا دليل يَبِين فيه التحاملُ على معبد في الحكاية : [من الطويل]

صوت

غَدَتْ سافِراً والشمسُ قد ذَرَّ قَرنُها ... فأغشى شُعاعَ الشمس منها سفورُها
وقد علمتْ شمسُ النهار بأنها ... إذا ما بدت يوماً سيذهبُ نورُها
أنا الهالكُ المسلوبُ مهجةَ نفسِه ... إذا جاوزت مَرّاً وعُسفانَ عيرُها
أهاجتك سلمى إذ أَجَدَّ بُكورُها ... وهَجَّر يوماً للرَّواحِ بعيرها

الشعر يقال : إنه لطَرِيف العَنبَرِي . والغِناء لابن سُرَيج خفيفُ ثقيلٍ أول بالوسطى في مجراها عن ابن المَكِّي ، وذكر عمرو أنه لِسياط . ولإبراهيمَ في الثالث والأول والرابع خفيفُ رَمَلٍ مطلقٍ في مجرى الوسطى عن إسحاق وعمرو . وفيه لَبسباسَة ثقيلٌ أولُ بالبِنصر عن حَبَش . وفيه لابن جامعٌ لحنٌ عن حَبَش من رواية أبي أيُّوبَ المَديني .

[أصوات من سبعة ابن سريج في شعر ابن أبي ربيعة]

ومن سبعة ابن سريج : [من المنسرح]

صوت

قَرَّب جيرانُنا جِمالَهُمُ ... ليلاً فأضحَوا معاً قد ارتفعوا
ما كنتُ أدري بوَشكِ بينِهمُ ... حتى رأيتُ الحُداة قد طلَعوا
على مِصَكَّينِ من جِمالهمُ ... وعَنتَريسَين فيهما شَجَعُ[1]
يا نفسُ صبراً فإنه سَفَهٌ ... بالحُرِّ أن يستفزَّه الجَزَعُ

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أولُ بالوسطى عن عمرو . وذكر حَبَش أن فيه للغَريض ثقيلاً أول بالبِنصر . وذكر ابن أبي حَسَّان أن هِبةَ الله بن إبراهيم بن المهدي حدَّثه عن أبيه عن ابن جامع قال : عِيبَ على ابن سُرَيج خِفَّةُ غِنائه ، فأخذ أبياتَ عمر بن أبي رَبيعة : [من المنسرح]

قَرَّب جيرانُنا جِمالَهمُ

فغنَّى فيها في كل إيقاع لحناً . فجميع ما فيها من الألحان له .

1 المصك : القوي . والعنتريس : الناقة الغليظة الوثيقة . والشجع في الإبل : سرعة نقل القوادم .

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حَماد عن أبيه قال حدثني منصور بن أبي مُزاحِم قال حدثني رِزام أبو قيس مولى خالد بن عبد الله قال : قال لي إسماعيل بن عبد الله : يا أبا قَيس ، أي رجل أنت لولا أنك تحب السَّماع ! . قلت : أصلحك الله ! أما والله لو سمعتَ فلانةَ تُغنِّيكَ : [من المنسرح]

قَـرَّب جيرانُنـا جِمالُهـم ليلاً فأَضحَوا معاً قـد ارتفعوا

لعذَرتَني . فقال : يا أبا قيس ، لا عاتبتُك بعد هذا أبداً .

ومنها : [من الكامل]

صوت

بَيْنا كذلك إذ عَجاجةُ مَوكِبٍ رفَعوا ذَمِيلَ العِيسِ في الصحراء

قالت أبو الخَطاب أعرِف زِيَّه ولبـاسَه لا شكَّ غيرَ خَفـاء

الشعر لابن أبي ربيعة . والغِناء لابن سُرَيج ثقيلٌ أول بالبنصر ، وذكر الهِشامي وأبو العَنْبَس أنه لمعبد ؛ وليس الأمر كما ذكرا .

ومنها :

صوت

وهو الذي أقوله : [من السريع]

إن جاء فَلْيَأْتِ على بغلـةٍ

سَلمى عِديـهِ سَرحَتَي مالكٍ أو الرُّبـا دونَهمـا مَنزِلا

إن جـاء فليـأتِ على بغلـةٍ إني أخـافُ المُهـرَ أن يَصهِلا

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغِناء لابن سُرَيج من رواية يحيى بن المَكِّي والهِشامي ثقيلٌ أول بالبنصر ، وذكر يونس أنه للغريض ، وذكره إسحاق في أغاني الغريض ولم يجنِّسه .

[143] ـ أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم

[من ثبت عنه من الخلفاء أنه غنى ومن لم يثبت عنه ذلك]

قال مؤلف هذا الكتاب : المنسوبُ إلى الخلفاء من الأغاني والمُلصَقُ بهم منها لا أصلَ لجُلِّه ولا حقيقةَ لأكثره ، لاسيَّما ما حكاه ابن خُرداذبَة فإنه بدأ بعُمر بن الخطاب رضي الله عنه فذكر أنه تغنَّى في هذا البيت : [من البسيط]

كأنّ راكبها غصنٌ بمَروَحةٍ

ثم والى بين جماعة من الخلفاء واحداً بعد واحد ، حتى كأن ذلك عنده ميراث من مواريث الخلافة أو ركن من أركان الإمامة لا بد منه ولا مَعدِل عنه ، يخبِط خَبطَ العَشواء ويجمع جمع حاطب الليل . فأما عمر بن الخطاب فلو جاز هذا أن يُروى عن كل أحد لبعُد عنه ؛ وإنما رُوِي أنه تمثَّل بهذا البيت وقد ركب ناقةً فاستوطأها ، لا أنه غنَّى به ، ولا كان الغناء العربيُّ أيضاً عُرف في زمانه إلا ما كانت العرب تستعمله من النَّصب[1] والحُداء ، وذلك جارٍ مَجرى الإنشاد إلا أنه يقع بتطريب وترجيع يسير ورفع للصوت . والذي صَح من ذلك عن رُواة هذا الشأن فأنا ذاكرٌ منه ما كان متقَن الصَّنعة لاحقاً بجيد الغناء قريباً من صنعة الأوائل وسالكاً مذاهبهم لا ما كان ضعيفاً سخيفاً : وجامعٌ منه ما اتصل به خبرٌ له يُستحسَن ويجري مجرى هذا الكتاب وما تضمنه .

فأول مَن دُوِّنت له صنعةٌ منهم عمر بن عبد العزيز ؛ فإنه ذُكر عنه أنه صنع في أيام إمارته على الحجاز سبعةَ ألحان يذكر سُعاد فيها كلَّها ؛ فبعضُها عرفتُ الشاعر القائلَ له فذكرتُ خبره ، وبعضها لم أعرف قائله فأتيتُ به كما وقع إليَّ . فإن مرَّ بي بعد وقتي هذا أثبتُّه في موضعه وشرحتُ من أخباره ما اتصل بي ، وإن لم يقع لي ووقع إلى بعض من كتَب هذا الكتاب فمن أقلِّ الحقوق عليه أن يتكلَّف إثباته ولا يستثقلَ تجشُّمَ هذا القليل فقد وصل إلى فوائد جمة تجشمناها له ولنظرائه في هذا الكتاب ، فحظي بها من غير نَصَبٍ ولا كَدح ؛ فإن جمالَ ذلك موفَّر عليه إذا نُسب إليه ، وعيبَه عنا ساقطٌ مع اعتذارنا عنه إن شاء الله .

ومن الناس من يُنكر أن تكون لعمر بن عبد العزيز هذه الصَّنعة ويقول : إنها أصواتٌ مُحكَمة العمل لا يقدر على مثلها إلاّ مَن طالت دُربته بالصَّنعة وحِذَق الغناء ومهرَ فيه وتمكن

1 النصب : غناء للعرب يشبه الحداء إلا أنه أرق .

منه . ولم يوجد عمر بن عبد العزيز في وقت من الأوقات ولا حال من الحالات اشتهر بالغِناء ولا عُرف به ولا بمعاشرة أهله ، ولا جالس من يُنقل ذلك عنه ويؤدِّيه ؛ وإنما هو شيء يحسِّن المغنُّون نسبته إليه . ورُوي من غير وجه خلافٌ لذلك وإثباتٌ لصنعته إياها ، وهو أصح القولين ؛ لأن الذين أنكروا ذلك لم يأتوا على إنكارهم بحجَّة أكثر من هذا الظن والدعوى ، ومخالفوهم قد أيدتهم أخبارٌ رُوِيت .

[عمر بن عبد العزيز والغناء]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع والحسين بن يحيى عن حَماد بن إسحاق قال حدثني أبي عن أبيه وعن إسماعيل بن جامع عن سِياط عن يونس الكاتب عن شُهدة أُمِّ عاتكةَ بنتِ شُهدة عن كَردَم بن معبد عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز طارحه لحنَه في : [من الوافر]

أَلِمَّا صاحِبَـيّ نَـزُرْ سُعادا

ونسختُ هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسين الكاتب قال حدثني أبو يَعلى زُرقانُ غلامُ أبي الهُذَيل وصاحبُ أحمد بن أبي دواد قال حدثني محمد بن يونس قال حدثني هاتفٌ أراه قال أُمَّ ولد المعتصم قالت حدثتني عُلَية بنت المهدي قالت حدثتني عاتكة بنت شُهدة عن أُمِّها شهدة عن كَردَم قال :

طرح عليَّ عمر بن عبد العزيز لحنَه : [من مجزوء الرمل]

عَلِـقَ القلـبُ سُعـادا عـادتِ القلـبَ فعادا
كلَّمـا عُوتِـبَ فيهـا أو نُهِـي عنهـا تَمادَى
وهو مشغوفٌ بسُعدى قـد عصَى فيها وزادا

قال كَردَم : وكان عمر أحسن خَلْقِ الله صوتاً ، وكان حسنَ القراءةِ للقرآن .

ونسختُ من كتاب ابن الكَرَنبي بخطه حدثني أحمد بن الفَتح الحَجاجي في مجلس حَماد بن إسحاق قال أخبرني أحمد بن الحسين قال : رأيت عمر بن عبد العزيز في النوم وعليه عِمامةٌ ورأيت الشَّجَّةَ في وجهه تدل على أنها ضربةُ حافرٍ ، فسمعته يقول : قال عمر بن الخطَّاب : لا تُعلِّموا نساءكم الخُلع . قال حدثني محمد بن الحسين : فأقبلتُ عليه في نومي فقلت له : يا أمير المؤمنين ، صوتٌ يزعمُ الناسُ أنك صنعتَه في شعر جرير : [من الوافر]

أَلِمَّا صاحِبَـيّ نَـزُرْ سُعـادا لوَشكِ فِراقهـا وذَرا البِعادا
لَعَمرُك إن نفعَ سُعـاد عنِّي لمصروفٌ ونفعي عـن سعادا
إلى الفاروقِ يَنتسبُ ابنُ لَيلى ومـروانَ الذي رفـع العِمادا

فتبسَّم عمر ولم يردّ عليَّ شيئاً .

نسبة هذين الصوتين : [من الوافر]

صوت

أَلِمَّا صاحبـيّ نَـزُرْ سُعـادا لوَشكِ فِراقهـا وذَرا البِعادا
لعَمرُك إنّ نفعَ سعاد عنّـي لمصروفٌ ونفعـي عن سعادا
إلى الفاروقِ يَنتسبُ ابنُ لَيلى ومـروانَ الذي رفـعَ العِمادا

الشعر لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز بن مروان . والغناء لعمر بن عبد العزيز ثقيلٌ أولُ مطلَق في مجرى البِنصر . وفيه خفيفُ ثقيلٍ يُنسب إلى معبد .

صوت

[من مجزوء الرمل]

عَلِـق القلـبُ سُعـادا عـادتِ القلـبَ فعادا
كُلَّما عُوتِـبَ فيهـا أو نُهِـي عنهـا تَمادى
وهـو مشغوفٌ بسُعدى قد عصَى فيهـا وزادا

الغناء لعمر بن عبد العزيز خفيفُ ثقيلٍ . وفيه ثاني ثقيل يُنسب إلى الهُذَليّ .

[144] ـ ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره

[هو أشج بني مروان]

عمرُ بن عبد العزيز بن مَروان بن الحَكَم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف . ويُكنى أبا حَفص . وأُمُّه أُم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان يقال له أَشَجُّ قريش ؛ لأنه كان في جبهته أثر يقال إنه ضربة حافرٍ . فذكر يحيى بن سعيد الأُمَوِي عن أبيه أن عبد الله بن مروان كان يُؤْثِر عمر بن عبد العزيز ويَرِقُّ عليه ويُدْنيه . وإذا دخل عليه رفَعه فوق ولده جميعاً إلا الوليدَ . فعاتبه بعضُ بَنِيه على ذلك ، فقال له : أَوَ ما تَعلم لِمَ فعلتُ ذلك ؟ قال لا . قال : إن هذا سيَلي الخلافةَ يوماً وهو أَشَجُّ بني مَروان الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تُملأ جَوراً ، فما لي لا أُحبُّه وأدنِيه ! .

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا سالم بن عَجلان قال : خرج عمر بن عبد العزيز يلعب فرمحَته بغلة على جبينه . فبلغ الخبرُ أُمَّه أُمَّ عاصم ، فخرجت في خَدَمِها ، وأقبل عبد العزيز بن مروان إليها فقالت : أما الكبير فيُخدَم ، وأما الصغير فيُكرَم ، وأما الوَسَطُ فيَضيع ! لِمَ لا تتخذ لابني حاضِناً حتى أصابه ما ترى ! فجعل عبد العزيز يمسَح الدَّمَ عن وجهه ، ثم نظر إليها وقال لها : وَيحَكِ ! إن كان أَشَجَّ بني مَروان ، أو أَشَجَّ بني أُمية ، إنه لسَعيد ! .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن أحمد المُقَدَّمي قال حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهري قال حدثنا هارون بن معروف قال حدثنا ضَمرة قال سمعت ثَروانَ مولى عمَر بن عبد العزيز قال : دخل عمر بن عبد العزيز وهو غلام إصطبلَ أبيه ، فضربه فرس على وجهه ، فأُتِي به أبوه يُحمَل . فجعل أبوه يمسَح الدمَ عن وجهه ويقول : لئن كنتَ أَشَجَّ بني أُمية إنك لسعيد .

[أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب]

حدثنا محمد بن العباس اليَزيديّ قال حدثنا سليمان بن أبي شَيخ قال حدثنا مُصعَب الزُّبيري قال : كانت بنتٌ لعبيد الله بن عمر بن الخطاب تحت إبراهيم بن نُعَيم النَّحام فماتت ، فأخذ عاصمُ بن عمر بيده فأدخله منزلَه ، وأخرج إليه ابنتيه حَفصةَ وأُمَّ عاصم ، فقال له : اختَر ، فاختار حفصة فزوجها إياه . فقيل له : تركتَ أُمَّ عاصم وهي أجملُهما ! فقال : رأيت جاريةً رائعة ، وبلغني أن آل مروان ذكروها فقلت : علَّهم أن يُصيبوا من دنياهم . فتزوجها عبد العزيز بن مروان ، فولدت له أبا بكر وعمر وكانت عنده . وقُتل إبراهيم بن نُعَيم يوم الحَرَّة . وماتت أُمُّ عاصم عند عبد العزيز بن مروان ؛ فتزوج أختها حَفصةَ بعدها ، فحُملت إليه بمصر ؛ فمرَّت بأيلةَ وبها مخنَّث أو معتوه وقد كان أهدى لأُمِّ عاصم حين مرت به فأثابته . فلما مرت

به حفصةُ أُهدى لها فلم تُثِبه . فقال : «ليست حَفصةُ من رجال أُم عاصم» فذهبت مثلاً .

[لما ولِيَ بدأ بأهل بيته وأخذ ما كان في أيديهم وسمَّى أعمالهم المظالم]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثنا أبو بكر الرَّمادي وسليمان بن أبي شَيخ قالا حدثنا أبو صالح كاتبُ اللَّيث قال حدثني الليث قال : لما وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز ، بدأ بلُحْمته وأهلِ بيتِه ، فأخذ ما كان في أيديهم وسمَّى أعمالَهم المظالمَ . ففزِعت بنو أُمية إلى فاطمة بنت مَروان عمَّته . فأرسلت إليه : إنه قد عنانِي أمرٌ لا بد من لقائك فيه . فأتته ليلاً فأنزلها عن دابتها . فلما أخذت مجلسَها قال : يا عَمَّةِ ، أنتِ أولى بالكلام لأن الحاجة لكِ فتكلَّمي . قالت : تكلَّم يا أمير المؤمنين . فقال : إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً ﷺ رحمةً ، لم يبعثه عذاباً ، إلى الناس كافة ، ثم اختار له ما عنده فقبَضه إليه ، وترك لهم نهراً شِربُهم فيه سواء . ثم قام أبو بكر فترك النَّهرَ على حاله . ثم وَلِي عمرُ فعمِل على عمل صاحبه . فلما وَلِيَ عثمان اشتقَّ من ذلك النهر نهراً . ثم وَلِيَ معاويةُ فشَقَّ منه الأنهار . ثم لم يزل ذلك النهر يشُقُّ منه يزيدُ ومروانُ وعبد الملك والوليد وسليمان حتى أفضى الأمرُ إليَّ ، وقد يَبِسَ النهر الأعظم ولن يَروى أصحابُ النهر حتى يعود إليهم النهرُ الأعظم إلى ما كان عليه . فقالت له : قد أردتُ كلامَك ومُذاكرتكَ . فأما إذ كانت هذه مقالتَك فلستُ بذاكرةٍ لك شيئاً أبداً . ورجعت إليهم فأبلغتهم كلامَه .

وقال سليمان بن أبي شَيخ في خبره : فلما رجعت إلى بني أمية قالت لهم : ذُوقُوا مَغَبَّةَ أمرِكم في تزويجكم آلَ عمرَ بنِ الخطاب .

[كثيّر والأحوص ونصيب عند عمر بن عبد العزيز]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال أخبرني عبد الله بن دِينار مولى بني نصر بن معاوية قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن التَّيمي قال حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن سُهَيل عن حَماد الراوية ، وأخبرني محمد بن حسين الكندي خطيبُ القادسية قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا شَيبان بن مالك قال حدثنا عبد الله بن إسماعيل الجَحدَري عن حماد الراوية ، والروايتان متقاربتان وأكثر اللفظ للرِّياشي ، قال : دخلتُ المدينةَ ألتمس العلم ، فكان أول مَن لقيتُ كثيِّر عَزَّة . فقلت : يا أبا صَخر ، ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص ونصيب . قلت : وما هو ؟ قال : هما أحق بإخبارك . فقلت له : إنا لم نَحثُّ المَطِيَّ نحوَكم شهراً نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلَّ مَن يفعل ذلك ؛ فأخبِرني عما سألتُك ليكون ما تُخبرني به حديثاً آخُذه عنك . فقال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قَدِمتُ أنا ونُصَيب والأحوصُ وكلُّ واحدٍ منا يُدِلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان أولُ من لقِينا مَسلَمةَ بن عبد الملك وهو يومئذٍ فتى العرب ، وكلُّ واحد منا ينظر في عِطفَيه لا يَشُكُّ أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسنَ ضيافتَنا

وأكرم مَثوانا ، ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يُعطِي الشعراءَ شيئاً ؟ قلنا : قد جئنا الآن ، فوجِّه لنا في هذا الأمر وَجهاً . فقال : إن كان ذو دِينٍ من آل مروان قد وَلِيَ الخلافة فقد بقي من ذوي دنياهم من يَقْضِي حوائجَكم ويفعل بكم ما أنتم له أهل . فأقمنا على بابه أربعةَ أشهرٍ لا نصلُ إليه ، وجعل مَسلمَةُ يستأذن لنا فلا يُؤْذَن . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يومَ الجمعة فتحفَّظتُ من كلام عمرَ شيئاً ! . فأتيت المسجد فأنا أول مَن حفظ كلامه ، سمعته يقول في خطبة له : لكل سَفَرٍ زادٌ لا محالة ، فتزودوا من الدنيا إلى الآخرة التَّقوى ، وكونوا كمن عايَن ما أعدَّ اللهُ له من ثوابه وعقابه ، فعمِل طلباً لهذا وخوفاً من هذا . ولا يَطُولَن عليكم الأَمَدُ فتَقسُوَ قلوبكم ، وتنقادوا لعدوِّكم . واعلموا أنه إنما يطمئن بالدنيا من وَثِق النَّجاة من عذاب الله في الآخرة . فأما مَن لا يُداوي جُرحاً إلا أصابه جُرحٌ من ناحيةٍ أُخرى ، فكيف يطمئن بالدنيا ! أعوذ بالله أن آمُرَكم بما أَنهى نفسي عنه فتَخسرَ صَفقتي ، وتَبدُو عَيلَتي ، وتظهرَ مَسكَنتي يومَ لا يَنفع فيه إلا الحقُّ والصدق . فارتَجَّ المسجدُ بالبكاء . وبكى عمر حتى بُلَّ ثوبُه ، حتى ظننا أنه قاضٍ نَحبَه . فبلغتُ إلى صاحبيَّ فقلت : جَدِّدا لعمر من الشَّعر غيرَ ما أعددناه ، فليس الرجلُ بدُنيوي . ثم إن مَسْلَمة استاذن لنا يومَ جُمُعة بعد ما أُذِن للعامة . فدخلنا فسلمنا عليه بالخلافة فردَّ علينا . فقلت له : يا أمير المؤمنين ، طال الثَّواء وقَلتِ الفائدة وتحدثت بجفائك إيانا وفودُ العرب . فقال : يا كثيِّر ، أما سمعتَ إلى قول الله عز وجل في كتابه : ﴿إنَّما الصَّدَقاتُ لِلفُقَراءِ والمَساكِينِ والعامِلِينَ عَلَيها والمُؤَلَّفَة قُلُوبُهم وفِي الرِّقابِ والغارِمِينَ وفي سَبِيلِ اللهِ وابنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أفمِن هؤلاء أنت ؟ فقلت له وأنا ضاحك : أنا ابن سبيلٍ ومُنقَطَعٌ به . قال : أولستَ ضيفَ أبي سَعيد ؟ قلت بَلى . قال : ما أحسَب مَن كان ضَيف أبي سعيد ابنَ سبيلٍ ولا مُنقَطَعاً به . ثم استأذنتُه في الإنشاد ، فقال : قل ولا تقل إلا حقاً ؛ فإن الله سائلك . فقلت : [من الطويل]

وَلِيتَ فلم تَشتُم علياً ولم تُخِفْ ... بَرِيـاً ولم تتبَـع مقالـة مُجرِمِ
وقلتَ فصدَّقتَ الذي قلتَ بالذي ... فعلتَ ، فأضحى راضياً كلُّ مسلمِ
ألا إنما يَكفِـي الفتى بعـد زَيغه ... مـن الأَوَدِ الباقـي ثِقـافُ المُقَوِّمِ
لقـد لبِستْ لُبسَ الهَلُوكِ ثيابَها ... وأَبدتْ لك الدنيا بكفٍّ ومِعصَمِ[1]
وتُومِـضُ أحيانـاً بعـينٍ مَريضةٍ ... وتَبسِمُ عـن مثـل الجُمانِ المنظَّمِ

1 الهلوك : المتساقطة على الرجال .

فأعرضتَ عنهـا مشمئزاً كأنّمـا سَقَتك مَدُوفاً من سِمامٍ وعَلقَمِ[1]
وقد كنتَ مـن أجبالها في مُمَنَّعٍ ومن بحرها في مُزبِد الموج مُفعَمِ
وما زلتَ سَبَّاقـاً إلى كلِّ غايـةٍ صعِدتَ بهـا أعـلى البناء المقدَّمِ
فلما أتاك الملكُ عَفـواً ولم يكن لطالـبِ دنيـا بعـده مِـن تكلُّمِ
تركتَ الذي يَفنى وإن كان مُونِقاً وآثـرتَ مـا يبقى برأيٍ مصمِّمِ
فأضررتَ بالفاني وشمَّرتَ للذي أمامَك في يـومٍ من الهَولِ مُظلمِ
وما لـك أن كنتَ الخليفةَ مانعٌ سوى الله من مالٍ رَغيبٍ ولا دمِ
سَما لَكَ هـمٌّ في الفـؤادِ مؤرِّقٌ صَعِدتَ بـه أعـلى المعالي بسُلَّمِ
فما بين شرق الأرض والغرب كلِّها مُنادٍ ينادِي مـن فصيح وأعجمِ
يقـول : أميرَ المؤمنين ظلمتَني بأخـذٍ لدينارٍ ولا أخـذِ درهمِ
ولا بسطِ كَـفٍّ لامرىءٍ ظالمٍ له ولا السفكِ منه ظالِماً مِلءَ مِحجَمِ
فلـو يستطيـعُ المسلمون تقسَّموا لك الشَّطرَ من أعمارِهم غيرَ نُدَّمِ
فعِشتَ بـه مـا حَجَّ لله راكبٌ مُغِـذٌّ مُطِيـفٌ بالمَقـام وزَمزَمِ
فأَربِـحْ بهـا من صَفقـةٍ لُمبايـعٍ وأعظِم بها أعظِـمْ بها ثم أعظِمِ

فقال لي : يا كثيِّر ، إن الله سائلك عن كل ما قلتَ . ثم تقدم إليه الأحوص فاستأذنه فقال : قل ولا تقل إلا حقاً ؛ فإن الله سائلك . فأنشده : [من الطويل]

ومـا الشعرُ إلا خطبةٌ من مؤلِّفٍ بمنطـقِ حـقٍّ أو بمنطِـقِ باطلِ
فلا تَقبَلَن إلا الذي وافق الرِّضا ولا تَرجِعَنـا كالنساء الأراملِ
رأيناك لم تَعـدِل عن الحقِّ يَمنَةً ولا يَسرةً فعـلَ الظَّلومِ المُجادِلِ
ولكن أخذتَ القَصدَ جهدَكَ كلَّه وتَقفُو مثـالَ الصالحـين الأوائلِ
فقلنا ولم نَكذِبْ بما قـد بَدا لنا ومَن ذا يُرُدُّ الحـقَّ من قولِ عاذلِ
ومَن ذا يردُّ السَّهمَ بعـد مروقِه على فُوقِه إن عارَ من نَزع نابلِ[2]
ولولا الذي قـد عوَّدتنـا خلائفٌ غَطاريفُ كانت كالليوث البواسلِ
لَما وخَدَت شهراً برَحلِيَ جَسرةٌ تَفُلُّ مُتـونَ البِيدِ بـين الرَّواحلِ

1 مدوفاً : مخلوطاً . والسمام : السمّ .
2 مروقه في ل : صدوفه . السهم العائر : الذي لا يدرى من أين أتى .

ولكن رجَونا منك مثلَ الذي به ... صُرِفنا قديماً من ذويكَ الأفاضلِ
فإن لم يكن للشعر عندك موضعٌ ... وإن كان مثلَ الدُّرِّ من قول قائلِ
وكان مُصيباً صادقاً لا يَعيبه ... سِوى أنّه يُبنى بناءَ المنازلِ
فإن لنا قُربى ومَحضَ مَوَدَّةٍ ... وميراثَ آباءٍ مَشَوا بالمَناصلِ
فذادُوا عدوَّ السِّلم عن عُقر دارهم ... وأَرسَوا عَمُودَ الدِّين بعد تَمايُلِ
فقبلكَ ما أعطى الهُنَيْدةَ جَلَّةً ... على الشعرِ كعباً من سَديسٍ وبازلِ[1]
رسولُ الإله المصطفى بنُبُوَّةٍ ... عليه سلامٌ بالضُّحى والأصائلِ
فكلّ الذي عدَّدتُ يَكفِيكَ بعضُه ... ونَيلُك خيرٌ من بحورِ السوائلِ

فقال له عمر : يا أحوصُ ، إن الله سائلُك عن كلّ ما قلت . ثم تقدَّم إليه نُصَيب فاستأذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذَن له وغضِب غضباً شديداً ، وأمره باللحاق بدابِق[2] . وأمر لي وللأحوص لكلِّ واحد بمائة وخمسين درهماً .

وقال الرِّياشي في خبره : فقال لنا : ما عندي ما أُعطيكم ، فانتظروا حتى يَخرُجَ عطائي فأُواسيَكم منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة وخمسين درهماً . فما رأيت أعظمَ بركةً من الثلاثِ المائةِ التي أعطاني ، ابتعتُ بها وصيفةً فعلَّمتُها الغناء فبعتُها بألفِ دينار .

[خبر دكين الراجز معه]

أخبرني عمّي عبد العزيز بن أحمد قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني : قال : قال دُكَينٌ الراجز : امتدحتُ عمرَ بن عبد العزيز وهو والي المدينة ، فأمر لي بخمسَ عشرةَ ناقةً كرائمَ ، فكرهتُ أن أُرمِيَ بهن الفجاج ، ولم تَطِب نفسي ببيعهن . فقدِمت علينا رُفقةٌ من مصر ، فسألتُهم الصُّحبة ، فقالوا : ذاك إليك ، ونحن نخرج الليلة . فأتيتُه فودَّعتُه وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لي : يا دُكَينُ ، إن لي نفساً تَواقة ، فإن صِرتُ إلى أكثر مما أنا فيه فأْتِني ولك الإحسان . قلت : أشهِد لي بذلك . قال : أُشهِد اللهَ به . قلت : ومِن خَلْقِه ؟ قال : هذين الشيخين . فأقبلتُ على أحدهما فقلت : من أنت أعرفك ؟ قال : سالم بن عبد الله بن عمر . فقلت له : لقد استسمنت الشاهد . وقلت للآخر : من أنت ؟ قال : أبو يحيى مولى الأمير . فخرجتُ إلى بلدي بهن ، فرمى الله في أذنابهن بالبركة حتى اعتقدتُ[3] منهن الإبلَ والعبيد . فإنّي لبصحراء

1 هنيدة : اسم المائة من الإبل خاصة .
2 دابق : قرية قرب حلب .
3 اعتقد الشيء : اشتراه أو اقتناه .

فَلج[1] إذا ناعٍ يَنعى سليمان . قلت : فمن القائمُ بعده ؟ قال : عمر بن عبد العزيز . فتوجَّهتُ نحوه ، فلقيني جريرٌ منصرفاً من عنده . فقلت : يا أبا حَرزة ، من أين ؟ فقال : من عند من يُعطي الفقراء ، ويمنع الشعراء . فانطلقت فإذا هو في عَرصة دارٍ وقد أحاط الناس به ، فلم أخلُص إليه فناديتُ : [من الرجز]

يا عُمَرَ الخيراتِ والمَكارمِ وعُمَرَ الدَّسائعِ العظائمِ[2]
إني امرؤٌ من قَطَنِ بن دارمِ طلبتُ دَيني من أخي مَكارمِ
إذ تَنتَحي والليلُ غيرُ نائم عندَ أبي يَحيى وعندَ سالمِ

فقام أبو يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، لهذا البدوي عندي شهادة عليك . فقال : أعرفُها ؛ ادنُ يا دُكَين ، أنا كما ذكرتُ لك ، إن نفسي لم تنل شيئاً قط إلا تاقت لما هو فوقه ، وقد نلتُ غايةَ الدنيا فنفسي تَتُوق إلى الآخرة ، والله ما رَزأتُ من أموال الناس شيئاً ، ولا عندي إلا ألفا درهم ، فخذ نصفَها . قال : فوالله ما رأيت ألفاً كان أعظمَ بركةً منه . قال : ودُكَين الذي يقول : [من الطويل]

إذا المرءُ لم يَدنَس من اللُّؤم عِرضُه فكلُّ رِداءٍ يَرتديه جميلُ
وإن هو لم يَرفَعْ على اللؤمِ نفسَه فليسَ إلى حُسنِ الثَّناء سبيلُ

[زهده بعد أن ولي الخلافة]

أخبرني الحِرْميّ عن الزُّبير عن هارون بن صالح عن أبيه قال : كنا نعطي الغَسَّال الدراهمَ الكثيرةَ حتى يَغسِلَ ثيابَنا في أثر ثياب عمر بن عبد العزيز من كثرة الطِّيب فيها يعني المِسكَ . قال : ثم رأيت ثيابَه بعد ذلك وقد وَلِي الخلافةَ فرأيتُ غيرَ ما كنتُ أعرف .

[حبه آل البيت]

أخبرني محمد بن العباس اليَزيدي قال حدثنا الرِّياشي قال حدثنا الأصمعي عن نافع بن أبي نُعَيم قال : قدِم عبد الله بن الحسن بن الحسن على عمر بن عبد العزيز فقال : إنك لا تُغنِم أهلَك شيئاً خيراً من نفسك فارجع ، وأتبَعه حوائجَه .

قال الرِّياشي وحدثنا نصر بن علي قال حدثنا أبو أحمد محمد بن الزُّبَير الأَسَدي عن سعيد بن أبان قال : رأيت عمر بن عبد العزيز آخذاً بسُرَّة عبد الله بن حسن وقال : اذكُرها عندك تَشفَع لي يومَ القيامة .

حدثني أبو عبيد الصَّيرفي قال حدثنا الفَضل بن الحسن المصري قال حدثنا عبد الله بن عمر

---

1 فلج : واد بين البصرة وحمى ضرية .

2 الدسائع : الشمائل أو العطايا .

القَوارِيري قال حدثنا يحيى بن سعيد عن سعيد بن أبان القُرَشي قال : دخل عبد الله بن حسن على عمر بن عبد العزيز وهو حديث السِّن وله وفرةٌ[1] ، فرفَع مجلسَه وأقبل عليه وقضى حوائجَه ، ثم أخذ عُكنةً من عُكَنِه فغمَزها حتى أوجعه وقال له : اذكُرْها عندك للشَّفاعة . فلما خرج لامَه أهله وقالوا : فعلتَ هذا بغلام حديثِ السن ! فقال : إن الثِّقةَ حدثني حتى كأنِّي أسمعه من في رسول الله ﷺ قال : «إنما فاطمةُ بَضعةٌ منِّي يسرُّني ما يسرُّها» وأنا أعلمُ أن فاطمة لو كانت حَية لسرَّها ما فعلتُ بابنها . قالوا : فما معنى غَمزك بطنَه وقولِك ما قلتَ ؟ قال : إنه ليس أحدٌ من بني هاشم إلا وله شفاعة ، فرجوت أن أكون في شفاعة هذا .

[أكرم يزيد بن عيسى لأنه مولى علي]

أخبرنا محمد بن العباس اليَزيدي قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي قال أخبرني يزيد بن عيسى بن مُورِق قال : كنت بالشام زمنَ وَلِيَ عمرُ بن عبد العزيز ، وكان بخُناصِرَةَ[2] ، وكان يعطي الغرباءَ مائتي درهم . قال : فجئتُه فأجدُه متكئاً على إزار وكِساء من صوف . فقال لي : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الحجاز . قال : من أيِّهم ؟ قلت : من أهل المدينة . قال : من أيِّهم ؟ قلت : من قريش . قال : من أيِّ قريش ؟ قلت : من بني هاشم . قال : من أيِّ بني هاشم ؟ قلت : مولى علي . قال : مَن عليٌّ ؟ فسكتُّ . قال : مَن ؟ ! فقلت : ابنُ أبي طالب . فجلس وطرَح الكِساء ثم وضع يده على صدره وقال : وأنا والله مولى علي ، ثم قال : أشهد على عدد ممن أدرك النبي ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ : «من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه» . أين مُزاحِم[3] ؟ كم تُعطي مثله ؟ قال : مائتي درهم . قال : أعطِه خمسين ديناراً لولائه من علي . ثم قال : أفي فرضٍ أنت ؟ قلت لا . قال : وافرِض له ، ثم قال : الحَقْ بلادَك فإنه سيأتيك إن شاء الله ما يأتي غيرَك .

قال أبو زيد فحدثني عيسى بن عبد الله قال حدثني أبي عن أبيه قال قال أبي : وُلد لي غلام يومَ قام عمر بن عبد العزيز ، فغدوتُ عليه فقلت له : وُلد لي في هذه الليلة غلام . فقال لي : ممن ؟ قلت : من التَّغلبية . قال : فهَب لي اسمه . قلت نعم . قال : قد سمَّيته اسمي ونحَلته غُلامي مُورِقاً ، وكان نُوبِياً فأعتقه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك ؛ فولدُه اليومَ مَوالينا .

[كان يكرم عبد الله بن الحسن]

أخبرني محمد بن العباس قال حدثنا عمر قال حدثنا عيسى بن عبد الله قال أخبرني موسى بن عبد الله بن حسن عن أبيه قال : كان عمر بن عبد العزيز يراني إذا كانت لي حاجة أتردَّد إلى بابه .

---

1 الوفرة : الشَّعر المجتمع على الرأس .

2 خناصرة : بُليدة من أعمال حلب .

3 هو مزاحم بن أبي مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز .

فقال لي : ألم أقل لك : إذا كانت لك حاجةٌ فارفَع بها إليّ ! فوالله إني لأستحي من الله أن يراك على بابي .

[لم يفد من ولايته شيئاً وخلف ولده فقراء]

أخبرني عمّي قال حدثني الكُراني قال حدثني العُمَري عن العُتبي عن أبيه قال : لما حضرت عمرَ بن عبد العزيز الوفاةُ جمع ولدَه حولَه ، فلما رآهم استعبرَ ثم قال : بأبي وأُمي من خلفتُهم بعدي فقراء ! . فقال له مسلمة بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين ، فتَعَقَّب فعلك وأغنِهم ، فما يمنعك أحدٌ في حياتك ولا يرتجعُه الوالي بعدك . فنظر إليه نظرَ مُغضَب متعجِّب فقال : يا مسلمة ، منعتُهم إياه في حياتي وأشقى به بعد وفاتي ! إن ولدي بين رجلين : إما مطيعٍ لله فاللهُ مصلِحٌ له شأنه ورازقُه ما يَكفيه ، أو عاصٍ له فما كنتُ لأُعِينَه على معصيته . يا مسلمة ، إني حضرت أباك لما دُفن فحملتني عيني عند قبره فرأيته قد أفضى إلى أمرٍ من أمر الله راعَني وهالَني ، فعاهدتُ الله ألا أعملَ بمثل عمله إن وَليتُ ؛ وقد اجتهدتُ في ذلك طولَ حياتي ، وأرجو أن أُفضي إلى عفوٍ من الله وغُفران . قال مسلمة : فلما دُفِن حضرتُ دفنَه ، فما فُرِغ من شأنه حتى حملتني عيني ، فرأيته فيما يرى النائم وهو في روضةٍ خضراء نضرة فيحاء وأنهارٍ مُطَّردةٍ وعليه ثيابٌ بِيضٌ ؛ فأقبل علي فقال : يا مسلمة ، لمثل هذا فليعمل العاملون . هذا أو نحوه ، فإن الحكاية تزيد أو تنقص .

[رثاه مسلمة بن عبد الملك]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ عن يحيى بن سعيد الأموي قال : لما مات عمر بن عبد العزيز وقف مسلمة عليه بعد أن أُدرِج في كفنه فقال : رحمك الله يا أمير المؤمنين ؛ فقد أورثتَ صالحينا بك اقتداءً وهُدًى ، وملأتَ قلوبَنا بمواعظك وذكرِك خَشيَةً وتُقىً ، وأثَّلتَ لنا بفضلك شرفاً وفخراً ، وأبقيتَ لنا في الصالحين بعدَك ذِكراً .

[كتابه إلى أسارى قسطنطينية]

أخبرني الحسن قال أخبرنا الغَلابيُّ عن ابن عائشة عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى الأسارى بقسطنطينية : أما بعد ، فإنكم تَعُدُّون أنفسكم أسارى ولستم أسارى . معاذ الله ! أنتم الحُبساء في سبيل الله . واعلموا أني لستُ أقسِم شيئاً بين رعيتي إلا خصَصتُ أهلَكم بأوفر ذلك وأطيبه . وقد بعثت إليكم خمسة دنانير ، خمسة دنانير . ولولا أني خشيتُ إن زدتكم أن يحبسه عنكم طاغيةُ الروم لزِدتُكم . وقد بعثتُ إليكم فلان بن فلان يُفادي صغيرَكم وكبيرَكم ، ذكَرَكم وأُنثاكم ، حُرَّكم ومملوككم بما يسأل ، فأبشِروا ثم أبشِروا .

[كتاب الحسن البصري له وردّه عليه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة

قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال زعم لنا سليمان بن أرقَم قال : كتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز ، وكان يكاتبه ، فلما استُخلف كتب إليه : «من الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز» . فقيل له : إن الرجل قد وَلِيَ وتغيَّر . فقال : لو علمتُ أن غير ذلك أَحَبُّ إليه لاتَّبعتُ محبَّته . ثم كتب : «من الحسن بن أبي الحسن إلى عمر بن عبد العزيز . أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكن ، وكأنك بالآخرة لم تَزَل» . قال : فمضيتُ إليه بالكتاب فقدِمت عليه به . فإني عنده أتوقع الجواب إذ خرج يوماً غير يوم جمعة حتى صعِد المنبر واجتمع الناس . فلما كثُروا قام فحمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم في أسلاب الماضين ، وسيَرِثُكم الباقون حتى تصيروا إلى خير الوارثين . كلَّ يومٍ تجهِّزون غادياً إلى الله ورائحاً ، قد حضر أجله ، وطُوِي عمله ، وعاين الحساب ، وخلع الأسلاب ، وسكن التراب ، ثم تَدَعونه غير مُوَسَّد ولا مُمَهَّد . ثم وضع يديه على وجهه فبكى مَلِياً ثم رفعهما فقال : يا أيها الناس ، مَن وصل إلينا منكم بحاجته لم نأْله خيراً ، ومَن عجَز فوالله لوَدِدتُ أنه وآلَ عمر في العجز سواء . قال : ثم نزل . فأرسل إلي فدخلتُ إليه ؛ فكتب : «بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإنك لستَ بأوّل مَن كُتِب عليه الموت ، وقد مات . والسلام» .

[آخر خطبة له]

أخبرني ابن عمار قال حدثني سليمان بن أبي شيخ قال حدثنا أبو مُطَرِّف المغيرة بن مطرف عن شعيب بن صفوان عن أبيه : أن عمر بن عبد العزيز خطب بخُناصِرَة خطبةً لم يخطب بعدها ، حَمِد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إنكم لم تُخلَقوا عبثاً ولم تُترَكوا سُدىً ؛ وإن لكم مَعاداً يتولَّى الله فيه الحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وخسِر من خرج من رحمة الله التي وَسِعَت كلَّ شيء ، وحُرِم الجنَّة التي عرضُها السماوات والأرضُ . واعلموا أن الأمان غداً لمن حَذِر الله وخافه ، وباع قليلاً بكثير ، ونافداً بباق ، وخوفاً بأمانٍ . ألا تَرَونَ أنكم في أسلاب الهالكين وسيَخلُفها من بعدكم الباقون ، وكذلك حتى تُرَدُّوا إلى خير الوارثين . ثم إنكم في كلِّ يوم وليلة تُشَيِّعون غادياً إلى الله ورائحاً ، قد قضى نَحبه ، وانقضى أجلُه ، ثم تضعونه في صدعٍ من الأرض في بطن لَحد ، ثم تَدَعُونه غير موسَّدٍ ولا ممهَّد ، قد خلع الأسلاب ، وفارق الأحباب ، ووجه للحساب ، غنياً عما ترك ، فقيراً إلى ما قدّم . وايمُ اللهِ إني لأقول لكم هذه المقالة ولا أعلم عند أحدٍ منكم أكثرُ مما عندي ، وأستغفر الله لي ولكم . وما يُبلغنا أحدٌ منكم حاجتَه يسعها ما عندنا إلا سَدَدنا من حاجته ما قَدَرنا عليه ، ولا أحدٌ يتسع له ما عندنا إلا وَدِدتُ أنه بُدِيء بي وبلُحمتي الذين يَلُونني حتى يستوي عيشُنا وعيشُكم . وايمُ الله لو أردتُ غير هذا من عيش أو غَضارة لكان اللسانُ به مني ناطقاً ذلولاً

عالِماً بأسبابه ، ولكنه من الله عز وجل كتابٌ ناطق ، وسُنَّةٌ عادلة ، دَل فيهما على طاعته ونَهى فيهما عن معصيته . ثم بكى فتلقَّى دموعَه بطَرَف ردائه ؛ ثم نزل فلم يُرَ على تلك الأعواد بعدُ حتى قبضه اللهُ إليه . رحمة الله عليه .

[اشترى موضع قبره بعشرة دنانير]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني أبو سلمة المَديني عن إبراهيم بن ميسرة : أن عمر بن عبد العزيز اشترى موضع قبره بعشرة دنانير .

[وفاته]

أخبرني اليزيدي قال حدثنا عمر بن شبَّة قال حدثني أبو سلمة المديني قال أخبرني ابن مسلمة بن عبد الملك قال حدثني أبي مسلمة قال : كنا عند عمر في اليوم الذي تُوُفي فيه وأنا وفاطمة بنت عبد الملك ؛ فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، إنا نرى أنَّا قد منعناك النَّوم ، فلو تأخرنا عنك شيئاً عسى أن تنام ! قال : ما أُبالي لو فعلتما . قال : فتنحَّيت أنا وهي وبيننا وبينه سِتر . قال : فما نَشِبنا أن سمعناه يقول : حَيِّ الوجوه حَيِّ الوجوه . فابتدرناه أنا وهي فجئناه وقد أُغمِض ميِّتاً ، فإذا هاتفٌ يهتِف في البيت لا نراه : ﴿تِلكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجعَلُها للَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً في الأَرضِ ولا فَساداً والعاقِبَةُ للمُتَّقِينَ﴾ .

[من أصواته في سعاد]

ومن أصوات عمر في سعاد : [من الوافر]

صوت

أَلا يـا دِينَ قلبُك من سُلَيمى ... كما قـد دِينَ قلبُك من سُعادا

همـا سَبَتا الفـؤادَ وأَصبَتاه ... ولم يُـدرِك بذلك مـا أرادا

قِفا نَعرِفْ منازلَ من سُلَيْمَى ... دَوارِسَ بـين حَومَلَ أو عُرادا[1]

ذكرتُ بها الشَّبابَ وآلَ ليلى ... فلم يَـرُدِ الشبابُ بها مَرادا

فإن تَشِبِ الذُّؤابـةُ أُمَّ زيـدٍ ... فقـد لاقيـتُ أيامـاً شِدادا

عروضه من الوافر . الشعر لأَشهبَ بن رُمَيلة فيما ذكر ابن الأعرابي وأبو عمرو الشَّيباني . وحكى ابن الأعرابي أنه سمع بعض بني ضَبَّة يذكر أنها لابن أبي رُمَيلة الضَّبي . والغناء لعمر بن عبد العزيز رَمل بالوسطى عن الهشامي وحبشٍ وغيرِهما . وفي نسخة عمرو بن بانة الثانية : لخَزرَجٍ رمل بالبنصر .

---

1 عراد : جبل .

[145] ـ نسب الأشهب بن رُميلة وأخباره

[نسبه]

رميلة أُمُّه ، وهي أَمَةٌ لخالد بن مالك بن رِبعِي بن سلمى بن جَندل بن نهشل بن دارم بن عمرو بن تَميم . وهو الأشهب بن ثور بن أبي حارثة بن عبد الدار بن جندل بن نهشل بن دارم في النسب .

[إخوته وعزهم في الجاهلية والإسلام]

قال أبو عمرو : وولدُها يزعمون أنها كانت سبيَّة من سبايا العرب ، فولدت لثور بن أبي حارثة أربعة نفر ، وهم رَباب ، وحَجناء ، والأَشهب ، وسُوَيد . فكانوا من أشدِّ إخوةٍ في العرب لساناً ويداً ، وأمنعِهم جانباً . وكثُرت أموالهم في الإسلام . وكان أبوهم ثورٌ ابتاع رُمَيلة في الجاهلية ، وولدتهم في الجاهلية ، فعَزُّوا عِزاً عظيماً ، حتى كانوا إذا وردوا ماءً من مياه الصَّمان[1] حظَروا على الناس ما يريدون منه . وكانت لرميلة قَطِيفة حمراء ، فكانوا يأخذون الهُدبَ من تلك القطيفة فيُلقونه على الماء ، أي قد سبقنا إلى هذا ، فلا يرِدُه أحدٌ لعزهم ، فيأخذون من الماء ما يحتاجون إليه ويَدَعون ما يستغنون عنه .

[يوم الصمان بينهم وبين أبناء عمومتهم]

فوردوا في بعض السنين ماءً من مياه الصَّمان وورد معهم ناسٌ من بني قطَن بن نهشل . وكانت بنو قطن بن نهشل وبنو زيد بن نهشل وبنو مَناف بن دارم حلفاء . وكانت الأعجاز حلفاء عليهم ، وهم جَندَل وجَروَل وصَخر بنو نهشل . فأورد بعضُهم بعيره فأشرعه حوضاً قد حظَروا عليه . وبلَغهم ذلك فغضِبوا منه واجتمعوا وأحلافُهم ، واجتمعت الأحلافُ عليهم ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فضرب رَبابُ بن رُميلة رأس نُسَير بن صُبَيح المعروف بأبي بَدَّال ، وأمُّه بنتُ أبي الحُمام بن قُراد بن مَخزوم . وقال رباب في ذلك : [من الرجز]

ضربتُــه عَشِيَّـةَ الهِـلالِ أوَّلَ يـومٍ عُـدَّ من شوالِ
ضرباً على رأس أبي بَدَّال ثُمَّتَ مـا أُبتُ ولا أُبالي
ألا يـؤوبَ آخــرَ اللَّيـالي

فجمع كلُّ واحد منهما لصاحبه . فقالت بنو قَطَن : يا بني جَروَل ويا بني صخر ويا بني

1 الصمان : جبل في أرض تميم .

مَناف ، ضرب صاحبُكم صاحبَنا ضربةً لا ندري أيموتُ منها أم يعيش ، فأنصِفُونا ؛ فأبى القوم أن يفعلوا ؛ فاقتتلوا يومَهم ذلك إلى الليل . وكان أُبيّ بن أشيمَ أخو بني جَرُوَل وهو سيِّدهم خرج في حاجة له ، فلقِيه بعض بني قَطَن فأسَره وأتى به أصحابه . فقال نهشل[1] بن حَرِّيٍّ : يا بني قطَنَ ، أطيعوني اليوم وأعصوني أبداً . قالوا : نعم ، فقل . فقال : إن هذا لم يشهد شَرَّكم ولا حربَكم ، ولا يَحِلُّ لكم دمُه ، وإن قومه أحرُّ مَن يقاتلكم وشَوكتُهم ؛ فخذوا عليه العهد أن يصرفهم عنكم وخَلُّوا سبيلَه . قالوا : افعَل ما رأيتَ . فأتاه نَهشَل بن حَرِّيٍّ فقال له : يا أبا أسماء ، إن قومك قد حالوا بيننا وبين حقِّنا وقاتلوا دونه ، وقد أمكننا اللهُ منك ، وأنت والله أوفى دماً عندنا من بني رُمَيلة ، فوالله لأقتلنَّك أو تُعطيَني ما أسألك . قال : سَل . قال : تَجعَل أن تَصرِفَ بني جَرول جميعاً ، فإن لم يطيعوك انصرفتَ ببني أشيَمَ ، فإن لم يطيعوك أتيتَنا . قال نعم . فخُلِّي سبيلُه تحت الليل . فأتاهم وهم بحيث يَرى بعضهم بعضاً فقال : يا بني جَروَل انصرفوا ؛ أتعترضون على قوم يريدون حقَّهم ! ألا تَتقون الله ! والله لقد أسَرني القوم ولو أرادوا قتلي لكان فيه وفاءٌ بحقهم ، ولكنهم يكرهون حربَكم فلا تَبغُوا عليهم . فانصرف منهم أكثرُ من سبعين رجلاً . فلما رأى ذلك بنو صخر وبنو جَروَل قالوا : والله إنا لنظلم قومنا إن قاتلناهم ؛ وانصَرفوا ، وتخاذل القوم . فلما رأى ذلك الأشهب بن رميلة قال : ويلكم ! أفي ضربةٍ من عَصاً لم تصنع شيئاً تسفِكون دماءكم ! والله ما به من بأس ، فأعطُوا قومَكم حقَّهم . فقال حَجناء ورَباب : والله لَننصرِفنَّ فلنلحَقَنَّ بغيركم ولا نُعطي ما بأيدينا . فجعل الأشهب بن رميلة يقول : ويلكم ! أتُخرِّبون دار قومكم في ضربة عصاً لم تبلُغ شيئاً ؟ . فلم يزل بهم حتى جاؤوا برَبابٍ فدفعوه إلى بني قَطَن ، وأخذوا منهم أبا بَدَّال وهو المضروب فمات في تلك الليلة في أيديهم ؛ فكتَموه ، وأرسلوا إلى عباد بن مسعود ، ومالك بن رِبعِي ، ومالك بن عوف ، والقَعقاع بن معبد ، فعَرضوا عليهم الدِّية . فقالوا : وما الدِّية وصاحبُنا حي ! قالوا : فإن صاحبكم ليس بحيٍّ . فأمسكوا وقالوا : ننظر . ثم جاؤوا إلى رباب فقالوا : أوصِنا بما بدا لكَ . قال : دَعُوني أُصَلِّي . قالوا : صَلِّ . فصلَّى ركعتين ثم قال : أما والله إني إلى ربي لذو حاجة ، وما منعني أن أزيد في صلاتي إلاّ أن تَرَوا أن ذلك فَرَقٌ من الموت ، فليضربني منكم رجلٌ شديد الساعد حديد السيف . فدفعوه إلى أبي خزيمة بن نُسَير المَكني بأبي بدَّال فضرب عنقه ، فدفنوه ؛ وذلك في الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان . فقال الأشهب يرثي أخاه ويلوم نفسه في دفعه إليهم لتسكُن الحرب :

---

1 هو نهشل بن حري بن ضمرة .

أعينيَّ قَلَّـتْ عَبرةٌ من أخيكما بأن تسهرا ليـلَ التّمام وتَجزَعا
وباكيةٍ تَبكـي الرِّبـابَ وقائـلٍ جزى اللهُ خيراً ما أعفَّ وأمنَعا
وأُضرَبَ في الهَيجا إذا حَمِس الوَغى وأُطعَمَ إذ أُمسى المَراضِيعُ جُوَّعا
إذا ما اعترضنا من أخينا أخاهُم رَوِينـا ولم نَشفِ الغَلِيلَ فيَنقَعا
قَرَونا دماً والضَّيف منتظِرُ القِرى ودعوةِ داعٍ قـد دعانـا فأسمعا
مَرَدنا وكانت هفوةً مـن حُلومنا بثَدي إلى أولاد ضَمرةَ أقطعا[1]
وقد لامني قومي ونفسي تَلُومُني بما فال رأيـي في رباب وضيَّعا
فلـو كان قلبـي من حديدٍ أذابَه ولـو كان من صُمِّ الصَّفا لتصدَّعا

مضى الحديث .

1 مرد الصبي ثدي أمه : مرسه .

146 ـ [عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز]

[أصوات عمر في سعاد]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني محمد بن أحمد بن يحيى المَكي عن أبيه قال : لِعمَر بن عبد العزيز في سعاد سبعةُ ألحان .

منها : [من الخفيف]

يا سُعادُ التي سَبَتنِـي فؤادي ورُقادي هبِـي لعينـي رُقادِي

ولحنه رملٌ مطلَق .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

حـظُّ عينـي مـن سُعـاد أبـداً طـولُ السُّهـادِ

ولحنه رمل بالسبابة في مجرى البِنصر .

ومنها : [من مجزوء البسيط]

سبحان ربِّـي بَـرا سُعـادا لا تعـرف الوصـلَ والودادِ

ولحنه خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

لعَمرِي لئن كانت سعادُ هي المُنى وجنَّةَ خُلـد لا يُمَلُّ خلودُها

ولحنه ثقيل أول :

ومنها : [من الكامل]

أسُعادُ جُودِي لا شَقِيتِ سُعادا واجزِي مُحِبَّكِ رأفـةً ووِدادا

ولحنُه خفيفُ رملٍ .

ومنها : [من الوافر]

أَلِمَّا صاحبـيَّ نَـزُرْ سُعادَا

ومنها : [من الوافر]

أَلا يا دِينَ قلبُكَ من سُلَيمى

وقد ذكرتُ طريقتهما .

وقد رُوي عن عمر بن عبد العزيز حديثٌ كثيرٌ وفقهٌ ، وحَمَل عنه أهلُ العلم .

[كان محدّثاً وفقيهاًوراوياً]

أخبرنا محمد بن جرير الطَّبَري قال حدثنا عِمران بن بكار الكَلاعي قال حدثنا خالد بن علي قال حدثنا بَقِيَّةُ بن الوليد عن مبشِّر بن إسماعيل عن بشر بن عمر بن عبد العزيز عن أبيه عمر عن جده عبد العزيز عن معاوية بن أبي سفيان قال : قال رسول الله ﷺ : «مَن أحبَّ أن تَمثُل له الرجالُ قِياماً فليتبوَّأْ مقعدَه من النار» .

أخبرني محمد بن عمران الصَّيرفي وعمِّي قالا حدثنا العَنَزي قال حدثني وزير بن محمد أبو هاشم الغَساني قال حدثني محمد بن أيوب بن سعيد السُّكَّري عن عمر بن عبد العزيز عن أمه عن أبيها عاصم بن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب قال : قال رسول الله ﷺ : «نِعمَ الإدامُ الخَلُّ» .

[غناء يزيد بن عبد الملك]

وممن حُكي عنه أنه صنَع في شعره غناء يزيدُ بن عبد الملك ، ولم يأت ذلك بروايةٍ عمَّن يحصَّل قوله كما حُكي عن عمر بن عبد العزيز ، وإنما وُجد في الكتب أنه صنَع لحناً في شعره ، وذكَره من لا يُوثق به ، ولم نَروِه عن أحد فلم نأت بأخباره هاهنا مشروحةً ، وأتيت بها في أخباره مع حَبابة بحيث يصلُح . وأما اللحن الذي ذُكر أنه صنعه فهو : [من البسيط]

صوت

أبلِغْ حَبابَةَ أسقى رَبعَها المطرُ ما للفؤاد سِوى ذكراكُم وَطَرُ
إن سار صَحبِيَ لم أملَلْ بذكركُم أو عرَّسوا فهمومُ النفسِ والفِكَرُ

في هذين البيتين ثقيلٌ أولُ يقال غنه ليزيد بن عبد الملك . وذكر ابن المَكِّي أنه لحَبابة .

وحُكِي عن الهيثم بن عَدِي أن يزيد بن عبد الملك لما رأى حَبابة تعلَّقها ولم يقدِر على ابتياعها خوفاً من أخيه سليمان أو من عمر بن عبد العزيز ، وقال فيها هذين البيتين وهو راحل عن الحجاز ، وغنَّاه فيهما مَعبد ، فوصله بعد ذلك بما كان يُغنِيه ، وأخذته حَبابةُ وغيرُها عنه . وذكر الهِشامي أنه مما لا يُشَكُّ فيه من غناء معبد . وقد مضت أخبار يزيد بن عبد الملك وحَبابة في صدر هذا الكتاب فاستُغنِيَ عن إعادتها هنا .

147 ـ [غناء الوليد بن يزيد]

[غناء الوليد بن يزيد]

وممن غنى منهم الوليد بن يزيد .

وله أصوات صنعها مشهورةٌ ، وقد كان يَضرِب بالعود ويُوقِع بالطبل ويمشي بالدُّف على مذهب أهل الحجاز .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن القَطِراني عن محمد بن جَبر قال حدثني مَن سمع خالد صامة يقول : كنت يوماً عند الوليد بن يزيد وأنا أُغنِّيه : [من الوافر]

أُراني الله يــا سَلمى حيــاتي

وهو يشرب حتى سَكِر . ثم قال لي : هات العودَ ، فدفعتُه إليه ، فغنَّاه أحسنَ غناء ؛ فنَفِستُ عليه إحسانَه ، ودعوت بطبل فجعلت أُوقِع عليه وهو يضرِب حتى دفع العودَ وأخذ الطَّبل فجعل يُوقِع به أحسنَ إيقاع ، ثم دعا بدُفٍّ فأخذه ومشى به وجعل يغنِّي أهزاجَ طُوَيس حتى قلت قد عاش ، ثم جلس وقد انبَهر . فقلت : يا سيِّدي ، كنت أرى أنك تأخذ عنّا ونحن الآن نحتاج إلى الأخذ عنك ! فقال : اسكت وَيلك ! فوالله لئن سمع هذا منك أحدٌ ما دمتُ حياً لأقتلنك . فوالله ما حكيته عنه حتى قُتل .

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال أخبرنا أبو أيُّوبَ المَدِيني قال ذكَر أبو الحسن المَدائني أن يحيى مولى العَبَلات المعروف بفيل وهو الذي غنَّى : [من البسيط]

أزرى بنــا أننــا شالتْ نَعامتُنا

كان مقيماً بمكة . فلما قدِمها الوليد بن يزيد سأل عن أحسن الناس غِناءً وحكايةً لابن سُرَيج ؛ فقيل له : فيل . فدعاه وقال له : امشِ لي بالدُّفِّ ، ففعل . ثم قال له الوليد : هاته حتى أمشي به ، فإن أخطأتُ فقوِّمني . فمشى به أحسنَ من مِشية فيل . فقال له يحيى : جُعلت فداءك ! ايذَنْ لي حتى أختلفَ إليك لأتعلَّم منك .

فمن مشهور صنعته في شعره : [من المتقارب]

وَصَفراءَ في الكأس كالزعفران سباها التُّجِيبيُّ من عَسقَلانْ

تُرِيك القذاةَ وعَرضُ الإناء سِترٌ لهــا دون لمسِ البَنانْ

لحنه فيه خفيفُ رمل . وفيه لأبي كامل ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . ولعمرَ الوادي فيه ثقيلٌ أول بالوسطى عن يونس والهشامي . وقد مضت أخباره مشروحة في المائة الصوت المختارة .

148 ـ [غناء الواثق]

[غناء الواثق]

وممن دُوِّنت صنعته من خلفاء بني العباس الواثق بالله .

ولم نعلمه حُكي ذلك عن أحد منهم قبله إلا ما قدَّمنا سوء العهدة فيه عن ابن خُرداذبه ؛ فإنه حكى أن للسفاح والمنصور وسائرهم غِناء وأتى فيها بأشياء غَثَّة لا يحسُن لمحصِّلٍ ذكرها .

[غنى الواثق في شعر لأبي العتاهية بحضرة إسحاق ووصله]

وأخبرني يحيى بن محمد الصُّولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً دار الواثق بغير إذن إلى موضع أمرَ أن أدخله إذا كان جالساً . فسمعت صوت عود من بيت وترنُّماً لم أسمع أحسنَ منه قط ، فأطلع خادمٌ رأسه ثم رَده وصاح بي فدخلت فإذا الواثق . فقال أيَّ شيء سمعتَ ؟ فقلت : الطلاقُ لازمٌ لي وكل مملوك لي حرٌّ لقد سمعتُ ما لم أسمع مثله قط حُسناً ! فضحك فقال : وما هو ! إنما هذه فضلة أدب وعلم مدحه الأوائل واشتهاه أصحاب رسول الله ﷺ ورَحِمهم والتابعون بعدهم وكثُر في حَرَم الله ومُهاجر رسول الله . أتحب أن تسمعه منِّي ؟ قلت : إي والذي شرَّفني بخطابك وجميل رأيك . فقال : يا غلام ، هاتِ العود وأعطِ إسحاق رِطلاً . فدفع الرِّطل إليَّ وضرب وغنَّى في شعرٍ لأبي العتاهية بلحنٍ صنعه فيه : [من البسيط]

أضحتْ قبورُهُم من بعد عِزِّهِمُ ... تَسفِي عليها الصَّبا والحَرجفُ الشَّمَلُ

لا يَدفَعون هَواماً عن وجوههمُ ... كأنّهمْ خَشَبٌ بالقاعِ مُنجَدِلُ

فشرِبتُ الرِّطلَ ثم قمتُ فدعوتُ له ؛ فأجلسَني وقال : أتشتهي أن تسمعه ثانيةً ؟ فقلت : إي والله ، فغنَّانِيه ودعا لي برِطل ، ففعلت كما فعلت ثانيةً ثم ثالثةً . وصاح ببعض خَدَمه وقال له : احمل إلى إسحاق ثلاثمائة ألف درهم . ثم قال : يا إسحاق ، قد سمعتَ ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة أرطال وأخذتَ ثلاثمائة ألف درهم ، فانصرِف إلى أهلك ليُسَرُّوا بسرورك ؛ فانصرفت بالدراهم .

[صنع مائة صوت ليس فيها صوت ساقط]

أخبرني محمد قال سمعت أحمد بن محمد بن الفُرات يقول سمعتُ عَرِيبَ تقول : صنع الواثقُ مائة صوتٍ ما فيها صوتٌ ساقطٌ . ولقد صنع في هذا الشعر : [من البسيط]

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً ... تُدنِي إليكِ فإن الحبَّ أقصاني

هـذا كتـــابُ فتىً طالت بَلِيَّتُه يقولُ يا مُشتكى بَثِّي وأحزاني

لحناً من الرمل تشبَّه فيه بصنعة الأوائل .

نسبة هذا الصوت

الشعر ليعقوب بن إسحاق الرَّبَعِي المخزومي . والغناء للواثق رمل بالوسطى من رواية الهشامي .

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي والحِرْميُّ بن أبي العَلاء وعلي بن سليمان الأخفش قالوا حدثنا أحمد بن يحيى ثَعلب قال قال الزُّبير بن بكَّار : كتب ابن أبي مَسَرَّةَ المكِّي إلى أهل المدينة ببيتين وهما : [من البسيط]

هـذا كتابُ فتـىً طالت بَلِيَّتُه يقول يا مُشتكى بَثِّي وأحزاني

هل تعلمين وراءَ الحـبِّ منزلـةً تُدني إليكِ فإن الحبَّ أقصاني

قال الزُّبير : وكنتُ غائباً ، فلما قدِمت قال لي أهل المدينة ذلك . فقلت لهم : أيكتُب إليكم صاحبكم يعاتبكم فلا تُجيبونه ! .

[شعر يعقوب بن إسحاق الربعي]

أنشدني يعقوب بن إسحاق الرَّبَعِي المخزومي لنفسه : [من البسيط]

قال الوُشاةُ لهنـدٍ عـن تَصارُمِنا ولستُ أنسى هوى هندٍ وتنساني

يعقوبُ ليس بمتبولٍ ولا كَلِـفٍ وَيحَ الوُشاةِ فـإن الداء أضناني

ما بي سوى الحبِّ من هندٍ وإن بَخِلت حُبِّي لهندٍ بَـرى جسمي وأبلاني[1]

قد قلتُ حين بدا لي بُخلُ سيِّدتي وقـد تتابـع بـي بَثِّـي وأحزاني

هل تعلمين وراء الحـبِّ منزلـةً تُدني إليكِ فإن الحبَّ أقصاني

قالت نعم قلتُ ما ذاكم أسيِّدتي وطاعةُ الحبِّ تَنفـي كلَّ عِصيانِ

قالت فدَعنا بلا صُرمٍ ولا صِلَةٍ ولا صدودٍ ولا في حال هِجرانِ

حتى يَشُكَّ وُشاةٌ قـد رَمَوك بنا وأعلنـوا بـك فينـا أيَّ إعلانِ

[غناؤه في شعر لذي الرمة]

ومن غناء الواثق بالله : [من الطويل]

صوت

خليليَّ عُوجا من صدور الرَّواحِل بجَرعاء حُزوى وابكيا في المنازلِ

---

1 جسمي في ل : لحمي .

لعلّ انحــدارَ الدمع يُعقِب راحةً من الوَجدِ أو يَشفِي نَجِيَّ البَلابِلِ

الشعر لذي الرُّمة . والغناء للواثق بالله رَمَل مطلَق في مجرى الوسطى عن الهشامي . ولإسحاق فيهما رملٌ بالسبابة في مجرى البنصر . ولحنُ الواثق منهما الذي أولُه البيت الثاني وهو اللحن المحثوث المُسجَح وله رَدَّةٌ في «لعلّ» : ولحنُ إسحاق أولُه البيت الأول ثم الثاني وهو أشدهما إمساكاً وفيه صِياح .

[غنى إسحاق الموصلي بحضرته صوتاً أخذته عنه شجا فأجازه]

أخبرنا أبو أحمد يحيى بن عَلي بن يحيى قال حدثنا أبو أيوب المَديني قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي : أنه دخل على إسحاق بن إبراهيم الطاهري وقد كان تكلّم له في حاجة فقُضيت . فقال له : أعطاك الله أيها الأمير ما لم تُحِط به أُمنية ولم تَبلُغه رغبة . قال : فاشتهى هذا الكلامَ فاستعاده فأعدتُه . قال : ثم مكثنا ما شاء الله ؛ وأرسل الواثق إلى محمد بن إبراهيم يأمره بإشخاصي إليه في الصوت الذي أمرني أن أتغنّى فيه وهو : [من الطويل]

لقد بَخِلت حتى لَوَ انّي سألتُها

فأمر لي بمائة ألف درهم . فأقمتُ ما شاء الله ليس أحدٌ من مغنّيهم يقدِر على أن يأخذ هذا الصوت منّي . فلما طال مُقامي قلت : يا أمير المؤمنين ، ليس أحد من هؤلاء المغنّين يقدِر على أن يأخذ هذا الغِناء مني . فقال لي : ولِمَ وَيحَك ؟ قلت : لأني لا أُصحِّحه ولا تسخو نفسي لهم به . فما فعلتَ يا أمير المؤمنين في الجارية التي أخذتَها مني ؟ (يعني شَجَا ، وهي التي كان أهداها إلى الواثق وعَمِل لها المُصَنَّفَ الذي في أيدي الناس لإسحاق) . قال : وكيف ؟ فقلت : لأنها تأخذه مني وأُطِيبُ به لها نَفساً ، وهم يأخذونه منها . قال : فأمر بها فأُخرجت وأخذته على المكان . فأمر لي بمائة ألف درهم أُخرى ، وأذِن لي في الانصراف . وكان إسحاق بن إبراهيم الطاهري حاضراً عنده ، فقلت له عند وَداعي إياه : أعطاك الله يا أمير المؤمنين ما لم تُحِط به أُمنِية ولم تبلغه رغبة . فالتفت إليَّ إسحاق بن إبراهيم فقال لي : ويحك يا إسحاق ، تعيد الدعاء ! فقلت : إي والله أعيده قاصٌّ أنا أو مُغَنٍّ . فانصرفتُ إلى بغداد وأقمتُ ، حتى قدِم إسحاقُ فجئته مسلِّماً . فقال : وَيلَكَ يا إسحاق ! أتدري ما قال أمير المؤمنين بعد خروجك من عنده ؟ قلت : لا ، أيها الأمير . قال : قال لي : ويحك ! كنا أغنى الناسِ عن أن نبعَث إسحاقَ على لحننا فيُفسِدَه علينا . هذه رواية أبي أيوب .

[تقدير إسحاق لغناء الواثق]

قال أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى وأخبرني أبي رحمه الله عن إسحاق أنه قال : لما صنعتُ لحني في : [من الطويل]

خليـلـيّ عُوجَا مـن صدور الرواحلِ

غنيته الواثقَ فاستحسنه وعجِب من صحة قسمته ، ومكث صوتَه أياماً ثم قال لي : يا إسحاق ، قد صنعتُ لحناً في صوتك وفي إيقاعه ، وأمر فغُنِّيتُ به ؛ فقلت : يا أمير المؤمنين ، بَغَّضتَ إليَّ لحني وسمَّجتَه عندي . وقد كنتُ استأذنته مرَّاتٍ في الانحدار إلى بغداد بعد أن ألقيت اللحنَ الذي كان أمرني بصنعه في : [من الطويل]

لقـد بَخِلـتْ حتى لَوَ آني سألتها

فمنعني ودافعني بذلك . فلما صنع لحنه الرَّمَل في : [من الطويل]

خليلي عُوجـا مـن صدورِ الرواحلِ

قلت له : يا أمير المؤمنين ، قد والله اقتصصتَ وزدتَ ؛ فأذِنَ لي بعد ذلك . قال أبو الحسن عليُّ بن يحيى قلت لإسحاق : فأيُّهما أجود الآن لحنُك فيه أو لحنه ؟ فقال : لحني أجود قسمةً وأكثر عملاً ، ولحنه أظرف ، لأنه جعل رَدَّتَه من نفس قسمته ، فليس يقدِر على أدائه إلا متمكِّنٌ من نفسه . قال أبو الحسن : فتأملت اللحنين بعد ذلك فوجدتهما كما ذكر إسحاق . قال وقال لي إسحاق : ما كان يحضُر مجلسَ الواثق أعلمُ منه بالغِناء .

فأما نسبة هذين الصوتين ، فإن أحدهما قد مضى ومضت نسبته . والآخر : [من الطويل]

صوت

أيـا مُنشِرَ الموتى أَقِـدني مـن التي بهـا نَهِلـتْ نفسي سَقامـاً وعَلَّتِ
لقـد بَخِلـتْ حتـى لَوَ آني سألتُها قَذى العينِ من ضاحِي التُّرابِ لضَنَّتِ

الشعر لأعرابيٍّ رواه إسحاق عنه ولم يذكر اسمَه ، والناس يَغلَطون فينسُبونه إلى كثيِّر ويظنُّونه من قصيدته التي أولها : [من الطويل]

خليليَّ هـذا رَسمُ عَـزةَ فاعقِلا قَلُوصَيكما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ

وهذا خطأ ممن قال ذلك . والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ بالوسطى . ولإسحاق في البيت الثاني وبعده بيت ألحقه به ليس من الشعر ثقيلٌ أولُ بالسبابة في مجرى الوسطى . والبيتُ الذي ألحقه إسحاق به من شعره : [من الطويل]

فإن بَخِلتْ فالبخلُ منها سَجِيةٌ وإن بَذَلتْ أعطتْ قليلاً وأكدَتِ

[كان يعرض غناءه على إسحاق فيدلى فيه برأيه]

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني أبو جعفر بن الدِّهقانة النَّديم قال : كان الواثق إذا أراد أن يَعرِض صنعتَه على إسحاق نسبَها إلى غيره وقال : وقع إلينا صوتٌ قديم من بعض العجائز ما سمعه أحدٌ ، ويأمر مَن يغنيه إياه . وكان إسحاق يأخذ نفسَه في ذلك بقول الحق أشدَّ أخذٍ ،

فإن كان جيِّداً من صناعته قرَّظه ووصفه واستحسنه ، وإن كان مُطَّرِحاً أو فاسداً أو متوسِّطاً ذكر ما فيه . فربما كان للواثق فيه هَوىً فيسألُه عن تقويمه وإصلاح فَساده ، وربما اطَّرحه بقول إسحاق فيه ؛ إلى أن صنع لحناً في قول الشاعر : [من الطويل]

لقـد بَخِلتْ حتـى لَـوَ آني سألتُها قَذى العينِ من ضاحي التُرابِ لضَنتِ

[كاد عنده مخارق لإسحاق فجفاه وأصلحت بينهما فريدة]

فأُعجِبَ به واستحسنه ، وأمر المغنِّين فغنَّوا فيه ، وأمر بإشخاص إسحاقَ إليه من بغداد ليسمعه . فكاده مخارق عنده وقال : يا أمير المؤمنين ، إن إسحاق شيطانٌ خبيث داهية ، وإن قولك له فيما تصنعه : هذا صوت وقع إلينا ، لا يخفى عليه به أن الصوت لك ومن صَنعتك ولا يُوقِعُ في فهمه أنه قديم ، فيقولُ لك وبحضرتك ما يُقارب هواك ، فإذا خرج عن حضرتك قال لنا ضدَّ ذلك . فأحفظَ الواثقَ قولُه وغاظه ، وقال له : أريد على هذا القول منك دليلاً . قال : أنا أُقيم عليه الدليل إذا حضر . فلما قُدِم به وجلس في أول مجلس اندفع مخارِق يغنِّي لحنَ الواثق : [من الطويل]

لقـد بَخِلـتْ حتـى لَوَ آني سألتُها

فزاد فيه زوائدَ أفسدت قِسمتَه فساداً شديداً وخفيت على الواثق لكثرة زوائد مُخارِقٍ في غِنائه . فسأله الواثق عنه ؛ فقال : هذا غناء فاسدٌ غيرُ مَرضِي عندي . فغضِب الواثق وأمر بإسحاقَ فسُحِب حتى أُخرِجَ من المجلس . فلما كان من الغد قالت فريدة للواثق : يا أمير المؤمنين ، إن إسحاق رجل يأخذ نفسَه بقول الحق في صناعته على كل حالٍ ساءته أو سَرَّته ، لا يخاف في ذلك ضرراً ولا يرجو نفعاً ؛ وما لك منه عوض . وقد كاده مخارقٌ عندك فزاد في صدر الصوت من زوائده التي تَعرِف ، وتركه في المِصراع الثاني على حاله ، ونقَص من البيت الثاني ، وقد تبينتُ ذلك . وأنا أعرِضه على إسحاق وأُغنِّيه إياه على صِحته ، واسمَع ما يقول . وما زالت تَلطُف للواثق حتى رضِي عنه وأمر بإحضاره . فغنَّته إياه فريدة كما صنعه الواثق . فلما سمعه قال : هذا صوتٌ صحيحُ الصَّنعةِ والقسمةِ والتجزئة ، وما هكذا سمعته في المرة الأولى . ثم أخبر الواثقَ عن مواضع فَساده حينئذٍ ، وأبان ذلك له بما فهِمه . وغنَّته فريدة عدَّةَ أصوات من القديم والحديث كلُّها يقول فيها بما عنده من مدحٍ لبعضها وطعنٍ على بعض . فاستحسن الواثقُ ذلك وأجازه يومئذٍ وحَباه ، وجفا مُخارِقاً مدةً لِما فعله به .

أخبرني جَحظة قال حدثني ابن المكي عن أبيه قال : كان الواثقُ إذا صنع شيئاً من الغناء أخبر إسحاق به وعرضه عليه حتى يُصلح ما فيه ثم يُظهره .

وقد أخبرني الحسن بن علي عن يزيد بن محمد المهلَّبي بهذا الخبر فذكر نحو ما ذكرتُه هاهنا وفي ألفاظه اختلاف . وقد تقدم ذكره وابتدأناه في أخبار إسحاق . والأبيات الثانية التي غنَّى فيها الواثقُ وإسحاق أنشدَنِيها عليُّ بن سليمان الأخفش وعلي بن هارون بن علي بن يحيى جميعاً عن هارون بن علي بن يحيى عن أبيه عن إسحاقَ لأعرابيٍّ ، وأنشدَناها محمد بن العباس اليزيدي قال أنشدني أحمد بن يحيى ثعلب لبعض الأعراب : [من الطويل]

أَلا قاتَلَ اللهُ الحمامةَ غُدوةً ... على الغصن ماذا هَيَّجت حين غنَّتِ
فغنَّتْ بِصوتٍ أعجميٍّ فهيَّجتْ ... هَوايَ الذي كانت ضُلوعي أكنَّتِ
فلو قَطَرت عينُ امرِىء من صَبابةٍ ... دَماً قطَرتْ عيني دماً وألَمَّتِ
فما سكتتْ حتى أوَيتُ لصوتها ... وقلتُ أرى هذِي الحمامةَ جُنَّتِ
ولي زَفَراتٌ لو يَدُمنَ قتلنَني ... بشوقٍ إلى نادي التي قد تَولَّتِ
إذا قلتُ هذي زفرةُ اليوم قد مضت ... فمَن لي بأُخرى في غدٍ قد أَظلَّتِ
أيا مُنشِرَ الموتى أَعنِّي على التي ... بها نَهِلَت نفسي سَقاماً وعَلَّتِ
لقد بَخِلَتْ حتى لَوَ انِّي سألتُها ... قَذى العين من سافِي التراب لضَنَّتِ
فقلتُ ارحَلا يا صاحبَيَّ فليتَني ... أرى كل نفس أُعطِيَتْ ما تمنَّتِ
حلَفتُ لها بالله ما أُمُّ واحدٍ ... إذا ذكرتُه آخرَ الليلِ أَنَّتِ
وما وَجدُ أعرابيةٍ قَذَفتْ بها ... صُروفُ النَّوى من حيثُ لم تَكُ ظَنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ العِضاهِ وطِيبَه ... وبطن الحَصى من بطن خَبت أَرَنَّتِ[1]
بأعظمَ من وجدي بها غيرَ أنني ... أُجَمجِمُ أحشائي على ما أجنَّتِ

[غناه إسحاق فوصله وشعره فيه]

أخبرني جَحظة وابن أبي الأزهر ويحيى بن علي والحسين بن يحيى قالوا جميعاً أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه ، وقد جمعتُ روايتَهم في هذا الخبر وزدتُ فيه ما نقصه كل واحد منهم حتى كملت ألفاظه ، قال : ما وصلني أحد من الخلفاء بمثل ما وصلني به الواثق ، وما كان أحد منهم يُكرِمني إكرامَه . ولقد غنَّيتُه لحني : [من الطويل]

لعلَّكَ إن طالتْ حياتُك أن تَرى ... بِلاداً بها مَبدىً لليلىَ ومَحضَرُ

فاستعاده مني ليلةً لا يشربَ على غيره ، ثم وصلني بثلاثمائة ألف درهم . ولقد قَدِمتُ عليه في بعض قَدَماتي ، فقال لي : ويحك يا إسحاق ! أما اشتقتَ إليَّ ! فقلتُ : بلى والله يا

1 بطن في ل : وبرد .

سيِّدي ! وقلت في ذلك أبياتاً إن أمرتني أنشدتها . قال : هاتِ ؛ فأنشدتُه : [من البسيط]

أشكو إلى الله بُعدِي عن خليفتِه ... وما أُقاسيه من هَمٍّ ومن كِبَرِ
لا أستطيع رَحيلاً إن هَمَمتُ به ... يوماً إليه ولا أقوى على السفرِ
أنوي الرحيلَ إليه ثم يمنَعني ... ما أَحدثَ الدهرُ والأيامُ في بصري

ثم استأذنته في إنشاد قصيدةٍ مدحته بها فأذِن لي ؛ فأنشدتُه قصيدتي التي أقول فيها : [من البسيط]

لما أمرتَ بإشخاصي إليك هَوى ... قلبي حَنيناً إلى أهلي وأولادي
ثم اعتزمتُ فلم أُحفل ببينهُمُ ... وطابت النفسُ عن فَضلٍ وحَمادِ
كم نعمةٍ لأبيك الخَيرِ أفردني ... بها وخَصَّ بأُخرى بعد إفرادي
فلو شكرتُ أيادِيكم وأنعُمَكم ... لَما أحاط بها وصفي وتَعدادي
لأشكرنَّك ما غارَ النجومُ وما ... حَدا على الصُّبحِ في إثر الدُجى حادِ

قال علي بن يحيى خاصةً في خبره : فقال لي أحمد بن إبراهيم : يا أبا الحسن ، أَخبِرني لو قال الخليفة لإسحاق : أحضِر لي فَضلاً وحَماداً أليس كان يفتضح إسحاق ! (يعني من دَمامة خِلقتهما وتخلُّفِ شاهِدهما) .

[خرج معه إسحاق إلى النَّجف ، وشعره فيها وفي حنينه إلى ولده]

قال إسحاق : ثم انحدرتُ مع الواثق إلى النَّجَف ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، قد قلتُ في النَّجَف قصيدةً . فقال : هاتِها ؛ فأنشدتُه قولي : [من البسيط]

يا راكبَ العِيسِ لا تَعجَلْ بنا وقِفِ ... نُحَيِّ داراً لسُعدى ثم ننصرفِ
لم يَنزِلِ الناسُ في سهلٍ ولا جبلٍ ... أصفى هواءً ولا أغذى من النَّجَفِ
حُفَّتْ ببرٍّ وبحرٍ في جوانبها ... فالبَرُّ في طَرَفٍ والبحرُ في طَرَفِ
ما إن يزال نسيمٌ من يَمانِيةٍ ... يأتيك منها بَرياً رَوضةٍ أُنُفِ

حتى انتهيت إلى مديحه فقلت وقد انتهيتُ إلى قولي فيه :

لا يَحسَبُ الجودَ يُفنِي مالَه أبداً ... ولا يرى بَذلَ ما يَحوِي من السَّرَفِ

فقال لي : أحسنتَ يا أبا محمد ! فكناني ، وأمر لي بألف درهم . وانحدرنا إلى الصالحية التي يقول فيها أبو نُواس : [من البسيط]

فالصالحيةُ من أكناف كَلواذا

وذكرتُ الصبيان وبغداد فقلت : [من الطويل]

أتَبكِي على بغـدادَ وهـي قريبـةٌ فكيف إذا ما ازددتَ منها غداً بُعدا
لَعَمرُك مـا فارقتُ بغـدادَ عن قِلىً لَـوَ آنا وجدنـا مـن فِراقٍ لها بُدا
إذا ذَكرتْ بغـدادَ نفسي تَقَطَّعت من الشوقِ أو كادت تموت بها وجدا
كفى حَزَناً أن رُحـتَ لم تستطع لها وَداعـاً ولم تُحدِث لساكنها عهدا

فقال لي : يا موصلي ، لقد اشتقتَ إلى بغداد . فقلت : لا والله يا أمير المؤمنين ، ولكني اشتقتُ إلى الصبيان ، وقد حضرني بيتان . فقال هاتهما . فقلت : [من الوافر]

حَنَنتَ إلى الأُصَيبيةِ الصِّغارِ وشاقكَ منهـمُ قُـربُ المَزارِ
وكلُّ مُفـارقٍ يـزداد شوقـاً إذا دنت الدِّيـارُ من الديارِ

فقال لي : يا إسحاق ، صِر إلى بغداد فأقِم شهراً مع صِبيانك ثم عُد إلينا ، وقد أمرتُ لك بمائة ألف درهم .

[امتياز إسحاق على المغنين في مجلسه]

أخبرني جَحظة عن ابن حَمدون : أن إسحاق كان يحضر مجالس الخلفاء إذا جلسوا للشُّرب في جملة المغنِّين وعُودُه معه إلى أيام الواثق ، فإنه كان إذا قَدِم عليه يحضُر مع الجلساء بغير عُود ، ويُدنيه الواثق ولا يُغَنِّي حتى يقول له : غَنِّ ، فإذا قال له غَنِّ جاؤوه بعُودٍ فغَنَّى به ، وإذا فرَغ رُفع العود من بين يديه إكراماً من الواثق له .

[برّز إسحاق عليه في لحن اشتركا فيه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن وَسواسَةَ بنِ الموصلي عن حَماد بن إسحاق قال : كتب حَمدون بن إسماعيل إلى أبي : إن أمير المؤمنين الواثق يأمرك أن تصنع لحناً في هذا الشعر : [من الطويل]

لقـد بَخِلَـتْ حتـى لَوَ آني سألتُها

وقد كان الواثق غنَّى فيه غناءً أعجبه ؛ فغنَّى فيه أبي . فلما سمعه الواثق قال : أفسد علينا إسحاق ما كنا أُعجِبنا به من غنائنا . قال حَماد : ثم لم أعلم أن أبي صنع بعده غناءً حتى مات .

ومن مشهور أغاني الواثق : [من الطويل]

صوت

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظِلالِه غزالان مكحـولانِ مؤتلِفانِ
أرَغتُهما خَتلاً فلم أستطعهما ورَميـاً ففاتاني وقـد رَمَياني

ولحنُه فيه من الثقيل الأول . ولإسحاق فيه رَمَلٌ .

[قصة لأعرابي عاشق مع إسحاق بن سليمان بن علي]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني محمد بن منصور بن عُلَيـة القُرَشي قـال أخبرني جعفر بن عبيد الله بن جعفر الهاشمي عن إسحاق بن سليمان بن علي قال : لقِيتُ أعرابياً بالسُّمَية[1] فصيحاً ، فاستخففتُه وتأملته فإذا هو مُصفَرٌّ شاحب ناحل الجسم ، فاستنشدته فأنشدني الشيءَ بعد الشيء على استكراهٍ مني له . فقلت له : ما بالُك ؟ فوالله إنك لفصيح ! فقال : أما ترى الجبلين ؟ قلت بَلى . قال : في ظِلالهمـا والله ما يمنعني من إنشادك ويَشغَلُني ويُذهلني عن الناس . قلت : وما ذاك ؟ قال : بنتُ عمٍّ لي قد تيمتني وذهبت بعقلي ، والله إنه لتأتي عليَّ ساعاتٌ ما أدري أفي السماء أنا أم في الأرض ، ولا أزال ثابتَ العقل ما لم يُخامِر ذكرُها قلبي ، فإذا خامره بَطَلت حواسِّي وعزَب عنِّي لُبِّي . قلت : فما يمنعك منها ؟ أقلةُ ما في يدك ؟ قال : والله ما يمنعني منها غيرُ ذلك . قلت : وكم مهرُها ؟ قال : مائةُ ناقة . قلت : فأنا أدفعها إليك إذاً لتدفعها إليهم . قال : والله لئن فعلتَ ذلك إنك لأعظم الناس عليَّ مِنةً . فوعدتُه بذلك واستنشدتُه ما قال فيها ، فأنشدني أشياءَ كثيرةً منها قوله : [من الطويل]

سقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غَزَالانِ مكحـولانِ مؤتلفانِ

البيتان . فقلت له : يا أعرابي ، والله لقد قتلتَني بقولك «ففاتاني وقد قتلاني» وأنا بريء[2] من العباس إن لم أقُم بأمرك . ثم دعوتُ بمركوب فركبته وحملتُ معي الأعرابيَّ ، فصِرنا إلى أبي الجارية في جماعة من أهلي وموالي حتى زوجتُه إياها وتممتُ عنه الصِّداق واشتريت له مائة ناقة فسُقتُها عنه ؛ وأقمتُ عندهم ثلاثاً ونحَرتُ لهم ثلاثين جَزُوراً ، ووهبت للأعرابي عشرةَ آلاف درهم وللجارية مثلها ، وقلت : استعينا بهذا على اتصالكما وانصرفتُ . فكان الأعرابي يطرُقنا في كل سنة وامرأته معه فأهَبُ له وأُصِله وينصرف .

[غناؤه في شعر حسان]

ومن أغانيه ، أخبرني به ذُكاء وجه الرُّزة عن أحمد بن أبي العَلاء عن مُخارِق وأنه أخذه عنه : [من الكامل]

صوت

إن التـي عاطيتَهـا فرَدَدتُهـا قُتِلتْ قُتِلتَ فهاتِهـا لم تُقتَلِ

كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني بزجاجـةٍ أرخاهمـا للمَفصِلِ

يروى : «كلتاهما جَلَبُ العصير» و«حَلَبُ العصير» . ويروى : «للمَفصِل» و«للمِفصَل» .

---

1 السمية : جبل .

2 ل : نقي .

والمَفصِل : الواحد من المفاصل ، والمِفصَل هو اللسان . ذكر ذلك علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن الحسن الأحول عن ابن الأعرابي .

الشعر لحَسَّان بن ثابت . والغناء للواثق خفيفُ رملٍ بالبِنصر . وفيه لإبراهيمَ الموصلي رَمل مطلَقٌ في مجرى الوسطى . وهذه الأبيات من قصيدة حَسان المشهورة التي يمدح بها بني جَفنة ، وأولها : [من الكامل]

أسألتَ رسمَ الدار أم لم تسألِ

وهي من فاخر المديح ، منها قوله : [من الكامل]

أولادُ جَفنةَ عند قبر أبيهمُ ... قبرِ ابن ماريةَ الكريمِ المُفضِلِ
يَسقُون مَن وردَ البَريصَ عليهمُ ... بَرَدى يُصفِّق بالرَّحيق السَّلسَلِ[1]
بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أنسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأولِ
يُغشَون حتى ما تَهِرُّ كِلابُهم ... لا يَسألون عن السوادِ المُقبِلِ

[تفسير القاضي عبيد الله بن الحسن لهذا الشعر]

نسخت من كتاب الشَّاهيني : حدثني ابن عُلَيل العَنزي قال حدثني أحمد بن عبد الملك بن أبي السَّمال السَّعدِي قال حدثني أبو ظَبيانَ الجِمَّاني قال اجتمعت جماعةٌ من الحي على شراب لهم ، فتغنَّى رجل منهم بشعر حسان : [من الكامل]

إن التي عاطيتَني فرددتُها ... قُتِلَتْ قُتِلتَ فهاتها لم تُقتَلِ
كلتاهما حَلَبُ العَصير فعاطِني ... بزجاجةٍ أرخاهما للمَفصِلِ

فقال رجل من القوم : ما معنى قوله : «إن التي عاطيتَني» فجعلها واحدة ، ثم قال : «كلتاهما حلب العصير» فجعلهما ثنتين ؟ فلم يعلم أحد منا بالجواب . فقال رجل من القوم : امرأتُه طالقٌ ثلاثاً إن بات أو يسألَ القاضيَ عُبَيدَ الله بن الحسن عن تفسير هذا الشعر . قال أبو ظَبيانَ : فحدثني بعض أصحابنا السعديين قال : فأتيناه نتخطَّى إليه الأحياءَ حتى أتيناه وهو في مسجده يصلي بين العِشاءين . فلما سمع حِسَّنا أوجز في صلاته ، ثم أقبل علينا وقال : ما حاجتُكم ؟ فبدأ رجل منا كان أحسنَنا بَقِيَّةً[2] فقال : نحن ، أعز الله القاضيَ ، قوم نَزَعنا إليك من طَرَف البصرة في حاجةٍ مهمَّة فيها بعضُ الشيء . فإن أذِنتَ لنا قلنا . قال : قولوا . فذكر يمينَ الرجل والشعر . فقال : أما قولُه : «إن التي ناولَتني» هي الخمرة . وقوله : «قُتِلت» يعني مُزِجت بالماء . وقوله : «كلتاهما حَلَب

1 البريص : اسم غوطة دمشق . بردى في ل : كأساً .
2 أي أحسننا رأياً وفضلاً .

العصير» يعني به الخمرَ ومِزاجها ، فالخمر عصير العنب ، والماء عصير السَّحاب ؛ قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وأنزَلنا مِنَ المُعصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً﴾ انصرِفوا إذا شئتم .

[غناؤه لحناً على مثال لحن لمخارق]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد المُهلبي عن أبيه قال : غنَّى مُخارِقٌ يوماً بحضرة الواثق : [من السريع]

حتى إذا الليلُ خَبا ضوءُه وغابتِ الجَوزاءُ والمِرزَمُ[1]
خرجتُ والوطءُ خَفِيٌّ كما ينسابُ من مَكمَنه الأرقمُ

فاستملح الواثقُ الشعر واللحن ، فصنع في نحوه : [من السريع]

قالت إذا الليلُ دَجا فأْتِنا فجئتُها حين دجا الليلُ
خَفيَّ وطءِ الرِّجلِ من حارسٍ ولو درى حلَّ بيَ الويلُ

ولحنه فيه من الرمل . وصنع فيه الناس ألحاناً بعده : منها لعَرِيبَ خفيفُ رَمَلٍ ، ومنها ثقيلٌ أول لا أعلم لمن هو ؛ وسمعت ذُكاءً ومحمد بن إبراهيم قُرَيضاً يغنِّيانه وذكراً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العَلاء ، ولا أدري لَمن هو .

[تحدّث إسحاق إليه بقصة أعرابيّ عاشق وغنى في شعره فوصله ووصل الأعرابيّ]

حدثني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدثنا حَماد بن إسحاق قال حدثني أبي قال : سرتُ إلى سُرَّ مَن رأى بعد قدومي من الحج ، فدخلتُ إلى الواثق فقال : بأي شيء أُطرفتَني من أحاديث الأعراب وأشعارهم ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين جلس إليَّ فتىً من الأعراب في بعض المنازل ، فحادثني فرأيتُ منه أحلى ما رأيت من الفِتيان منظراً وحديثاً وأدباً . فاستنشدته فأنشدني : [من البسيط]

سقى العَلَمَ الفَردَ الذي في ظِلاله غزالان مكحولان مؤتلِفانِ
إذا أمِنا التفا بجِيدَيْ تَواصُلٍ وطَرفاهما للرَّيب مُسترِقانِ[2]
أرغتُهما خَتلاً فلم أستطعهما ورمياً ففاتاني وقد قتلاني

ثم تنفَّس تنفُّساً ظننت أنه قد قطع حَيازِيمَه . فقلت : ما لك بأبي أنت ؟ فقال : إن لي وراء هذين الجبلين شَجَناً ، وقد حِيل بيني وبين المرور به ونذَروا دمي ، وأنا أتمتع بالنظر إلى الجبلين تعلُّلاً بهما إذا قدِم الحاجُّ ، ثم يُحال بيني وبين ذلك . فقلت له : زِدني مما قلتَ في

1 غابت في ل : جارت . المرزمان : نجمان مع الشعريين .
2 الاسترقاق : اختلاس النظر والسمع .

ذلك . فأنشدني : [من الطويل]

إذا ما وردتَ الماءَ في بعض أهله حَضُورُ فعرِّض بـــي كأنك مازحُ
فإن سألت عني حَضُورُ فقُل لهـا بـه غُبَّرٌ من دائـه وهـــو صالحُ[1]

فأمرني الواثق فكتبتُ له الشعرين . فلما كان بعد أيام دعاني فقال : قد صنع بعض عجائز دارنا في أحد الشعرين لحناً فاسمَعه ، فإن ارتضيتَه أظهرناه وإن رأيتَ فيه موضع إصلاح أصلحتَه . فغنِّي لنا من وراء الستار ، فكان في نهاية الجودة ، وكذلك كان يفعل إذا صنع شيئاً . فقلت له : أحسن والله صانعُه يا أمير المؤمنين ما شاء ! . فقال : بحياتي ؟ فقلت : وحياتِك ، وحلفتُ له بما وثِق به ، وأمر لي برِطلٍ فشربتُه ، ثم أخذ العود فغنَّاه ثلاثَ مرات ، وسقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم . فلما كان بعدَ أيام دعاني فقال : قد صُنِع أيضاً عندنا في الشعر الآخر ، وأمر فغُنِّيَ به ؛ فكانت حالي فيه مثلَ الحال في الأول . فلما استحسنته وحلفت له على جودته ثلاث مرات ، سقاني ثلاثة أرطال وأمر لي بثلاثين ألف درهم . ثم قال لي : هل قضيتُ حقَّ هديتك ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ فأطال الله بقاءك ، وتمم نعمتك ، ولا أفقدنِيها منك وبك . ثم قال : لكنك لم تَقضِ حقَّ جليسك الأعرابي ولا سألتَني مَعُونتَه على أمره ، وقد سبقتُ مسألتَك وكتبت بخبره إلى صاحب الحجاز وأمرتُه بإحضاره ، وخُطبت المرأة وحُمِل صداقُها إلى قومها عنه من مالي . فقبلتُ يده وقلت : السَّبقُ إلى المكارم لك ، وأنت أولى بها من عبدك ومن سائر الناس .

نسبة ما في هذه الأخبار من الأغاني

منها الصوتان اللذان في الأخبار المتقدمة : [من السريع]

صوت

حتى إذا الليلُ خبَـا ضوءه وغابـتِ الجَـوزاءُ والمِـرزَمُ
أقبلـتُ والـوطءُ خَفِـيٌّ كما ينسابُ مـن مَكمَنه الأرقمُ

ذكر يحيى المكي أن اللحن لابن سُرَيج رمل بالسبابة في مجرى البِنصر ، وذكر الهِشامي أنه منحولٌ .

[طرب شيخ لسماع مغنية فرمى بنفسه في الفرات]

فأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار وإسماعيل بن يونس وغيرُهما قالوا حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثني إسحاق بن إبراهيم عن ابن كُناسة قال : اصطحب شيخٌ مع شَباب في سفينةٍ

1 غبر الشيء : بقيته .

في الفُرات ومعهم مغنِّية . فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ : معنا جاريةٌ لبعضنا وهي مغنِّية ، فأحببنا أن نسمع غناءها فهِبناكَ ، فإن أذِنتَ لنا فعلنا . قال : أنا أصعَد إلى طَلَلِ[1] السفينة ، فاصنَعوا أنتم ما شئتم . فصعِد ، وأخذت الجاريةُ عودَها فغنت : [من السريع]

حتى إذا الصبحُ بـدا ضوءُه وغابـت الجَـوزاءُ والمِـرزَمُ
أقبلـتُ والوطءُ خفـيٌّ كما ينسابُ مـن مَكمَنـه الأرقمُ

فطرِب الشيخ وصاح ثم رمى بنفسه بثيابه في الفُرات ، وجعل يغُوص في الفرات ويطفو ويقول : أنا الأرقمُ ! أنا الأرقمُ ! فألقَوا أنفسهم خلفَه ، فبعد لأْيٍ ما استخرجوه ، وقالوا له : يا شيخ ، ما حملك على ما صنعتَ ؟ فقال : إليكم عنِّي ! فإنِّي واللّٰه أعرف من معاني الشعر ما لا تعرفون . وقال إسماعيل في خبره : فقلت له : ما أصابك ؟ فقال : دَبَّ شيء من قدمي إلى رأسي كدَبيب النمل ونزل في رأسي مثلُه ، فلمّا وردا على قلبي لم أعقِل ما عمِلتُ .

وأما ما في الخبر من الصَّنعة في : «قالت إذا الليل دَجا» فإن لحن الواثق هو المشهور ، وما وجدتُ في كتب الأغاني غيرَه ، بل سمعت محمد بن إبراهيم المعروف بقُرَيض وذُكاءَ وجهَ الرُّزة يغنِّيان فيه لحناً من الثقيل الأول المذموم ، فسألتهما عن صانعه فلم يعرفاه ، وذكرا جميعاً أنهما أخذاه عن أحمد بن أبي العلاء .

[علمه بالغناء وعدد أصواته وذكر المشهور منها]

وأخبرني الصولي عن أحمد بن محمد بن إسحاق عن حماد بن إسحاق قال : كان الواثق أعلمَ الخلفاءِ بالغِناء ، وبلغت صنعتُه مائةَ صوتٍ ، وكان أحذَقَ من غنَّى بضرب العود . قال : ثم ذكرها فعَدَّ منها : [من الخفيف]

يفرَح الناسُ بالسَّماع وأبكي أنـا حُزناً إذا سمعتُ السَّماعا
ولهـا في الفؤادِ صَدعٌ مُقيمٌ مثلُ صَدع الزُّجاج أعيا الصُّنَاعا

الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء للواثق خفيفُ ثقيلٍ . وفيه لأبي دُلَفَ خفيفُ رملٍ .

ومنها : [من الطويل]

ألا أيُّها النفسُ التي كادها الهوى أفـأنـتِ إذا رمتُ السُّلُوَّ غَريمي
أفِيقي فقد أفنيتِ صبري أو اصبرِي لِما قـد لقيتيـه عـليَّ ودُومي

الشعر والغناء للواثق خفيف رمل .

ومنها : [من الطويل]

1 ل : ظلال . وطلل السفينة غطاء تغشى به كالسقف للبيت .

سَقى العَلَمَ الفردَ الذي في ظلاله غـزالانِ مكحـولان مؤتلِفانِ
أرغتُهما خَتلاً فلـم أستطعهما ورميـاً ففاتـاني وقـد قتلاني

الغناء للواثق ثقيلٌ أول . وفيه لإسحاق رمل وهو من غريب صنعته ، يقال إنه صنعه بالرَّقَّة .

ومنها : [من الخفيف]

كلَّ يـومٍ قَطيعـةٌ وعِتابُ ينقضي دهرُنـا ونحـن غِضابُ
ليت شعـري أنا خُصِصتُ بهذا دون ذا الخلقِ أم كذا الأحبابُ
فاصبِر النفسَ لا تكونَـن جَزُوعاً إنمـا الحـبّ حَسرةٌ وعذابُ

فيه للواثق رمل ، ولزُرزُور ثقيلٌ أول ، ولعَرِيبَ هَزَجٌ .

ومنها : [من الطويل]

ولم أرَ لَيلى بعـد موقـف ساعةٍ بخَيفِ مِنىً ترمي جمارَ المحصَّبِ[1]
ويُبدِي الحَصى منها إذا قذَفت به من البُرد أطرافَ البَنان المخُضَّب
فأصبحتُ من ليلى الغَداةَ كناظرٍ مع الصبح في أعقابِ نجم مغرِّبِ
ألا إنما غـادرتِ يا أُمَّ مالكٍ صَدىً أينما تذهبْ به الريحُ يَذهبِ

الصنعة في هذا الشعر ثقيلٌ أول وهو لحن الواثق فيما أرى . ونسبه حَبَش ، وهو قليل التحصيل ، إلى ابن مُحرِز في موضع ، وإلى سُلَيم في موضع آخر ، وإلى مَعبد في موضع ثالث .

ومنها : [من البسيط]

أمستْ وشاتُكِ قد دَبَّتْ عقاربُها وقـد رَمَوكِ بعين الغِشِّ وابتَدروا
تُرِيكِ أعيُنهم مـا في صدورهمُ إنَّ الصدورَ يـؤدِّي غيبَها النظرُ

الشعر للمجنون . والغناء للواثق ثاني ثقيلٍ . وفيه لمتيَّمَ ثقيلٌ أولُ . وقد نُسب لحنُ كل واحد منهما إلى الآخر .

ومنها : [من الطويل]

عجبتُ لسَعي الدهر بيني وبينها فلما انقضى ما بيننا سكَن الدهرُ
فيا هجرَ لَيلى قد بلغتَ بيَ المَدى وزدتَ على ما لم يكن بلَغ الهجرُ

الغناء للواثق رَمل . وفيه لمعبدٍ ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، ولابن سريج ثقيلٌ أول بالبنصر ، ولعريب ثقيلٌ أول آخر .

---

1 بخيف في ل : ببطن .

ومنها : [من مجزوء البسيط]

كأن شخصي وشخصه حَكَيا نظـامَ نِسرِينَتـين في غُصُنِ
فليـتَ لَـيْلي وليلـَه أبـداً دام ودُمنـا بـه فلـم نَبِـنِ

الشعر أظنه لعلي بن هِشام أو لمُرادَ[1] . ولحن الواثق فيه ثقيلٌ أولُ . وفيه لعريب ثقيلٌ أولُ آخر . وفيه لأبي عيسى بن الرشيد ولمتيَّمَ لحنانِ لم يقع إلي جنسُهما .

ومنها : [من الطويل]

أهابُكِ إجلالاً وما بكِ قدرةٌ عليّ ولكن ملءُ عـينٍ حَبيبُها
وما فارقتكِ النفسُ يا ليلُ أنها قَلَتكِ ولكن قَلَّ منكِ نصيبُها

لحن الواثق فيه ثقيلٌ أولُ مطلَق في مجرى الوسطى . وفيه لغيره لحن .

ومنها : [من مجزوء الرمل]

في فمي ماءٌ وهل يَنـ ـطِق مَن في فيه ماءُ !
أنـا مملـوكٌ لمملـو كٍ عليـه الرُّقَبـاءُ
كنتُ حُـراً هاشمياً فاسترقَّتنـي الإمـاءُ
وسباني مَـن لـه كا ن على الكُره السَّبـاءُ
أحمَـد اللهَ عـلى مـا ساقه نَحوِي القضـاءُ
مـا بعينـيَّ دمـوعٌ أنفـد الدمـعَ البكـاءُ

الغناء للواثق رمل .

ومنها : [من الخفيف]

أيُّ عَـونٍ على الهمومِ ثلاثُ مُترَعـاتٌ من بعدهـنَّ ثلاثُ
بعدهـا أربـعٌ تَتِمَّـةُ عَشرٍ لا بطـاءٌ لكنهـنَّ حِثـاثُ

فيه رمل يُنسب إلى الواثق وإلى متيَّم .

ومنها : [من الطويل]

أيا عَبرة العينين قد ظَمِيء الخدُّ فما لكما مـن أن تُلِمَّا بـه بُـدُّ
ويا مُقلةً قد صار يُبغضها الكَرى كأن لم يكن من قبلُ بينهما وُدُّ
لئن كان طُول العهد أحدث سَلوةً فموعدُ بينِ العينِ والعَبرة الوُجدُ[2]

1 مراد : شاعرة علي بن هشام وهي التي رثته لما قتله المأمون
2 الوجد : اللقاء .

وما أنا إلا كالذين تُخُرِّموا على أن قلبي من قلوبهم فَرَدُ

الشعر والغناء للواثق رمل . وفيه لأبي حشيشة هزج ، ذكر ذلك الهشامي الملقَّب بالمِسك ، وأخبرني جحظة أنه للمسدود . وأخبرني جحظة أن من صنعة أبي حشيشة في شعر الواثق خفيف رمل وهو : [من الرجز]

سألتُه حُوَيجةً فأعرضا وعَلِق القلبُ به ومَرِضا

فاستَلَّ مني سيفَ عزمٍ مُنتضى فكان ما كان وكابرنا القضا

قال : وفي هذا الشعر أيضاً بعينه للواثق رمل ، ولقَلَم الصالحية فيه هزج . وقد غلِط جحظة في هذا الشعر ، وهو لسعيد بن حُميد مشهور ، وله فيه خبر قد ذكرناه في موضعه .

[غاضبه خادم له فقال فيه شعراً غنى فيه]

أخبرني عمِّي عن علي بن محمد بن نصر عن جده ابن حمدون عن أبيه حمدون بن إسماعيل قال : كان الواثق يحب خادماً له كان أُهدِيَ إليه من مصر ، فغاضبه يوماً وهجره ، فسمع الخادمَ يحدِّث صاحباً له بحديث أغضبه عليه ، إلى أن قال له : والله إنه ليَجهد منذ أمس على أن أُصالحه فما أفعل . فقال الواثق في ذلك : [من البسيط]

يا ذا الذي بعذابي ظلَّ مفتخرا هل أنت إلا مليكٌ جار إذ قَدَرا

لولا الهوى لتجازَينا على قَدَرٍ وإن أفِقْ مرةً منه فسوف تَرى

قال : وغنى الواثق وعَلويه فيه لحنَين ، ذكر الهشامي أن لحن الواثق خفيف ثقيلٍ ، وفي أغاني علويه : لحنه في هذا الشعر خفيفُ رملٍ .

[غنى في شعر لعلي بن الجهم]

حدثني الصُّولي قال حدثني ابن أبي العيناء عن أبيه عن إبراهيم بن الحسن بن سهل قال : كنا وقوفاً على رأس الواثق في أول مجالسه التي جلسها لما وَلِيَ الخلافة ، فقال : مَن يُنشدنا شعراً قصيراً مليحاً ؟ فحَرِصتُ على أن أعمل شيئاً فلم يجئني ، فأنشدته لعلي بن الجَهم : [من مجزوء الرمل]

لو تنصَّلتَ إلينا لَوَهَبنا لكَ ذَنبَكْ

ليتني أملِك قلبي مثلَما تملِكُ قلبَكْ

أيُّها الواثقُ باللـ ـهِ لقد ناصحتَ ربَّكْ

سيِّدي ما أبغضَ العيـ ـشَ إذا فارقتُ قُربَكْ

أصبحتْ حُجَّتُك العُلـ ـيا وحِزبُ اللهِ حِزبَكْ

فاستحسنها وقال : لمن هذه ؟ فقلت : لعبدك عليٍّ بن الجَهم . فقال : خذ ألف دينار لك وله ؛ وصنع فيها لحناً كنا نغنّي به بعد ذلك .

[يوم له مع المغنين بسرّ من رأى]

أخبرني محمد بن يحيى بن أبي عباد قال حدثني أبي قال : لما خرج المعتصم إلى عَمُّوريَّة استخلَف الواثقَ بسُرَّ مَن رأى ، فكانت أموره كلُّها كأمور أبيه . فوجَّه إلى الجُلَساء والمغنّين أن يُبكِّروا إليه يوماً حُدِّد لهم ، ووَجَّه إلى إسحاق ، فحضر الجميع . فقال لهم الواثق : إني عزمتُ على الصَّبُوح ، ولست أجلس على سرير حتى أختلطَ بكم ونكونَ كالشيء الواحد ، فاجلسوا معي حَلقةً ، وليكن كلُّ جليس إلى جانبه مغنٍّ ، فجلسوا كذلك . فقال الواثق : أنا أبدأ ؛ فأخذ عوداً فغنَّى وشربوا وغنَّى مَن بعده ، حتى انتُهِيَ إلى إسحاق فأُعطِيَ العودَ فلم يأخذه . فقال : دَعُوه . ثم غنَّوا دَوراً آخر . فلما بَلغ الغِناءُ إلى إسحاق لم يُغَنِّ ، وفعل هذا ثلاثَ مرات . فوثَب الواثق فجلس على سريره وأمر بالناس فأُدخلوا ، فما قال لأحد منهم : اجلِس . ثم قال : عليَّ بإسحاق ! . فلما رآه قال : يا خُوزِيُّ يا كلب ! أتَنزَّلُ لك وأُغَنِّي وترتفع عنِّي ! أترى لو أني قتلتُك كان المعتصم يُقِيدُني بك ! ابطَحوه ! فبُطِح فضُرِب ثلاثين مِقرعةً ضرباً خفيفاً ، وحلَف ألاَّ يُغَنِّيَ سائرَ يومه سواه . فاعتذر وتكلَّمت الجماعة فيه ، فأخذ العودَ وما زال يغنّي حتى انقضى ذلك اليوم ، وعاد الواثق إلى مجلسه .

[شعره في خادم يهواه]

وجدتُ في بعض الكتب عن ابن المعتز قال : كان الواثق يهوى خادماً له فقال فيه : [من الطويل]

سأمنع قلبي من مودَّةِ غادر ... تعبَّدني خُبثاً بمكرِ مُكاشِرِ
خطبتُ إليه الوصل خِطبةَ راغبٍ ... فَلاحَظَنِي زَهْواً بطَرفِ مُهاجِرِ

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : وللواثق في هذا الشعر لحن من الثقيل الأول .

[ألقى على غلمانه صوتاً فأخذوه عنه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الحِمار قال حدثني عبدُ أم غلام الواثق قال : دعا بنا الواثق مع صلاة الغَداة وهو يَستاك فقال : خذوا هذا الصوتَ ، ونحن عشرون غلاماً كلُّنا يُغَنِّي ويضرب ، ثم ألقى علينا : [من البسيط]

أشكو إلى الله ما ألقَى من الكَمَدِ ... حسبي بربِّي فلا أشكو إلى أحدِ

فما زال يردِّده حتى أخذناه عنه .

نسبة هذا الصوت

أشكو إلى الله ما أَلقى من الكَمَدِ حَسبِي بربِّي فلا أشكو إلى أحدِ
أين الزمانُ الذي قد كنت ناعمةً مُهلَّةً بدُنُوِّي منك يا سَنَدِي
واسألُ الله يوماً منكِ يُفرِحُني فقد كَحَلتِ جُفونَ العين بالسَّهَدِ
شوقاً إليكِ وما تَدرِين ما لقيت نفسي عليكِ وما بالقلبِ من كَمَدِ

الغناء للواثق ثقيلٌ أولُ بالبنصر . وفيه لعَرِيبَ أيضا ثقيلٌ أول بالوسطى .

[كان إسحاق يصحح له غناءه]

أخبرني أحمد بن جعفر جَحظة قال حدثني محمد بن أحمد المَكِّي قال حدثني أبي قال : كان الواثق يَعرِض صنعتَه على إسحاق ، فيُصلِح الشيءَ بعد الشيء مما يَخفى على الواثق ؛ فإذا صحَّحه أخرجه إلينا وسمعناه .

[أمر مخارقاً وعلويه وعريب أن يعارضوا لحناً له]

حدثنا جَحظة قال حدثني حَماد بن إسحاق قال حدثني مُخارِق قال : لما صنع الواثق لحنَه في: [من المنسرح]

حَوراءُ مَمكورَةٌ مُنَعَّمةٌ كأنّما شَفَّ وجهَها نُزُفُ[1]

وصنع لحنه في «سأذكر سِرباً طال ما كنت فيهمُ» أمرني وعلويه وعَرِيبَ أن نُعارض صنعتَه فيهما ؛ ففعلنا واجتهدنا ثم غنَّيناه . فضحك فقال : أمِنا معكم أن نجد من يبغِّض إلينا صنعتَنا كما بغَّض إسحاقُ إلينا «أيا مُنشِرَ المَوتى» . قال حَماد : هذا آخر لحنٍ صنعه أبي . يعني الذي عارض به لحنَ الواثق في «أيا مُنشِرَ المَوتى» .

[غناه إسحاق صوتاً فتطير به]

أخبرني جَحظة قال حدثني حماد بن إسحاق عن أبيه قال : دخلتُ يوماً إلى الواثق وهو مُصطَبِحٌ ، فقال لي : غنِّني يا إسحاق بحياتي عليك صوتاً غريباً لم أسمعه منك حتى أُسَرَّ به بقيَّة يومي . فكأن الله أنساني الغناء كلَّه إلا هذا الصوت : [من السريع]

يا دارُ إن كان البِلى قد مَحاكْ فإنّه يُعجبني أن أراكْ
أبكِي الذي قد كان لي مَألَفاً فيكِ فآتي الدارَ من أجل ذاكْ

والغناء في هذا اللحن للأَبجَر رمل بالوسطى عن ابن المكي وهو الصواب ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسُلَيم . قال فتبينتُ الكراهية في وجهه ، ونَدِمتُ على ما فرَط مني . وتجلَّد فشرِب رِطلاً كان في يده ، وعَدلتُ عن الصوت إلى غيره . فكان والله ذلك اليومُ آخرَ جلوسي معه .

---

1 الممكورة : المدمجة الخلقة من النساء ، وقيل : المستديرة الساقين .

149 ـ [غناء المنتصر]

وممن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصرُ

فإني ذكرتُ ما رُوي عنه أنه غنَّى فيه على سوء العُهدة في ذلك وضَعف الصنعة ، لئلا يَشِذّ عن الكتاب شيءٌ قد رُوي وقد تداوله الناس . فمما ذُكِر عنه أنه غنَّى فيه : [من مجزوء الرجز]

صوت

سُقِيتُ كأساً كشِفَتْ عن ناظريَّ الخُمُرا
فنَشَّطَتني ولقد كنتُ حزيناً خاثِرا

الشعر للمنتصر ، وهو شعرٌ ضعيفٌ رَكيك إلا أنه يُغنِّي فيه .

[كان متخلفاً في قول الشعر ومتقدماً في غيره وكان يغني قبل الخلافة]

وحدثني الصولي عن أحمد بن يزيد المهلَّبي عن أبيه قال : كان طبع المنتصر متخلِّفاً في قول الشعر وكان متقدِّماً في كل شيء غيره ؛ فكان إذا قال شعراً صنع فيه وأمر المغنِّين بإظهاره ، وكان حسنَ العلم بالغِناء . فلما ولي الخلافةَ قطع ذلك وأمر بستر ما تقدم منه . من ذلك صَنعتُه في شعره وهو من الثقيل الأول المذموم : [من مجزوء الرجز]

سُقِيتُ كأساً كشَفَتْ عن ناظريَّ الخُمُرا

قال : ومن شعره الذي غنَّى فيه ولحنُه ثاني ثقيلٍ : [من الطويل]

صوت

متى تَرفَعُ الأيامُ مَن قد وضعنَه وينقادُ لي دهرٌ عليَّ جَموحُ
أُعَلِّل نفسي بالرجاء وإنني لأغدو على ما ساءني وأروحُ

قال : وكان أبي يَستجيد هذين البيتين ويستحسنهما .. ونذكر هاهنا شيئاً من أخبار المنتصر في هذا المعنى دون غيره أُسوةَ ما فعلنا في نُظَرائه .

[أراد الشرب علانية فجاء الناس ليروه فقال شعراً فتفرقوا]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عَباد قال حدثني أبي قال : أراد المنتصر أن يشرب في الزُّقاق ، فوافى الناسُ من كل وجه ليَرَوه ويخدِموه ؛ فوقف على شاطىء دِجلة وأقبل على الناس فقال : [من المتقارب]

لَعَمرِي لقـد أصحرتْ خيلُنا بأكنـاف دِجلـةَ لِلمَلعَبِ

والشعر «بأكناف دجلة للمُصعَب» ولكنه غيَّره لأنه تطيَّر من ذكر المُصعب .

فمَـن يَـكُ منـا يَبِتْ آمِناً ومَن يَـكُ مـن غيرنا يهرُبِ

قال : فعلم الناس أنه يريد الخَلوة بالنُّدَماء والمغنّين ، فانصرفوا ، فلم يبق معه إلا من يَصلُح للأنس والخدمة .

[جفا يزيد المهلبي لاختصاصه بالمتوكل ثم عفا عنه وأكرمه]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال : كان أبي أخصَّ الناس بالمنتصر ، وكان يجالسه قبل مجالسته المتوكِّل . فدخل المتوكِّل يوماً على المنتصر على غفلة ، فسمع كلامَه فاستحسنه ، فأخذه إليه وجعله في جلسائه . وكان المنتصر يريد منه أن يلازمه كما كان ، فلم يقدِر على ذلك لملازمته أباه ؛ فعتَب عليه لتأخُّره عنه على ثقةٍ بمودة وأُنسٍ به . فلما أفضت إليه الخلافة استأذن عليه ؛ فحجَبه وأمر بأن يُعتقل في الدار فحُبِس أكثرَ يومه . ثم أذِن له فدخل وسلَّم وقبَّل الأرضَ بين يديه ثم قبَّل يده ، فأمره بالجلوس ؛ ثم التفت إلى بَنان بن عَمرو وقال له : غَنِّ ، وكان العود في يده : [من الطويل]

غدَرتَ ولم أغدِر وخُنتَ ولم أَخُنْ ورُمتَ بَدِيـلاً بـي ولم أتَبَـدَّلِ

قال : والشعر للمنتصر ، فغناه بَنانٌ . وعلم أبي أنه أراده بذلك فقام فقال : والله ما اخترتُ خدمةَ غيرك ولا صرتُ إليها إلا بعد إذنك . فقال : صدقت ؛ إنما قلتُ هذا مازحاً ؛ أتُراني أتجاوز بك حكمَ الله عز وجل إذ يقول : ﴿ولَيسَ عَلَيكُم جُناحٌ فِيما أخطَأتُم بِهِ ولكِن ما تَعَمَّدَت قُلُوبُكم وَكانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ . ثم استأذنه في الإنشاد فأذِن له فأنشده : [من الوافر]

أَلا يـا قَومِ قـد بَرِح الخفاء وبـانَ الصبرُ منِّـي والعزاءُ
تَعَجَّبَ صاحبي لضياع مثلي وليس لـداء محـروم دواءُ
جفاني سيدٌ قـد كان بَـرّاً ولم أُذنِبْ فما هـذا الجفاءُ
حَلَلتُ بـداره وعلمتُ أنِّي بدار لا يَخِيبُ بهـا الرجاءُ
فلمـا شابَ رأسي في ذَراه حُجِبتُ بعُقبِ ما بَعُد اللِّقاءُ
فإن تَنـأى سُتورُ الإذن عنا فمـا نـأتِ المحبّـةُ والثناءُ
وإن يَـكُ كادني ظلماً عَدُوٌّ فعندَ البحثِ يَنكشفُ الغِطاءُ
أَلَـم تَـرَ أنَّ بالآفـاقِ منا جَماجِـمَ حَشوُ أقبُرِها الوفاءُ

وقد وصَف الزمانَ لنا زِيادٌ وقال مقالةً فيها شفاءُ
ألا يا رُبَّ مغمومٍ سيَحظى بدولتنا ومسرورٍ يُساءُ
أمنتصِرَ الخَلائِفِ جُدتَ فينا كما جادتْ على الأرضِ السماءُ
وَسِعتَ الناسَ عدلاً فاستقاموا بأحكامٍ عليهن الضياءُ
وليس يفوتنا ما عِشتَ خيرٌ كفانا أن يطولَ لك البقاءُ

قال : فقال له المنتصر : والله إنك لمن ذوي ثقتي وموضعُ اختياري ، ولك عندي الزُّلفى ، فطِبْ نفساً . قال ووصلَني بثلاثة آلاف دينار .

[شعر الحسين بن الضحاك فيه]

حدثني الصُّولي قال حدثني عَون بن محمد الكِندِي قال : لما وَلِيَ المنتصرُ الخلافةَ دخل عليه الحسين بن الضحَّاك فهنأه بالخلافة وأنشده : [من الطويل]

تجدَّدتِ الدنيا بمُلكِ محمدِ فأهلاً وسَهلاً بالزمانِ المجدَّدِ
هي الدولةُ الغَراءُ راحتْ وبَكّرتْ مُشَهَّرةً بالرُّشدِ في كلِّ مَشهَدِ
لَعَمرِي لقد شَدَّتْ عُرا الدِّين بَيعةٌ أعزَّ بها الرحمنُ كلَّ موحِّدِ
هَنَتكَ أميرَ المؤمنينَ خلافةٌ جمَعتَ بها أهواءَ أُمة أحمدِ

قال : فأظهر إكرامَه والسرورَ به ، وقال له : إن في بقائك بهاءً للملك ، وقد ضَعُفتَ عن الحركة ، فكاتِبني بحاجاتك ولا تَحمِل على نفسك بكثرة الحركة . ووصَله بثلاثة آلاف دينار ليقضيَ بها ديناً بلغه أنه عليه .

قال : وقال الحسين بن الضحاك فيه وقد ركب الظهورَ وراءَه الناسُ ، وهو آخر شعر قاله : [من المتقارب]

ألا ليتَ شعري أبَدرٌ بَدا نهاراً أم المَلِكُ المنتصرْ
إمامٌ تَضَمَّنُ أثوابُه على سَرجِه قمراً من بَشَرْ
حمى اللهُ دولةَ سلطانِه بجُندِ القضاء وجُند القَدَرْ
فلا زال ما بقِيتْ مدةٌ يروحُ بها الدهرُ أو يَبتكِرْ

قال : وغنَّى فيه بَنانٌ وعَرِيبُ .

[شعر يزيد المهلبي فيه]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلبي قال : أول قصيدة أنشدها أبي في المنتصر بعد أن وَلِيَ الخلافةَ : [من الطويل]

ليَهنِكَ مُلكٌ بالسعادةِ طائرُه مَـوارِدُه محمـودةٌ ومَصادِرُهْ
فأنت الذي كنا نُرَجِّي فلم نَخِبْ كما يُرتَجى من واقع الغيثِ باكرهْ
بمنتصرٍ بـاللهِ تَمّـتْ أُمورُنا ومَنْ ينتصرْ باللهِ فاللهُ ناصرهْ

فأمر المنتصرُ عَرِيبَ أن تغنِّيَ نشيداً في أول الأبيات وتجعلَ البَسيط في البيت الأخير ؛ فعمِلته وغنَّته به .

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد قال : صلَّى المنتصرُ بالناس في الأضحى سنة سبع وأربعين ومائتين ؛ فأنشده أبي لما انصرف : [من البسيط]

ما استشرف الناسُ عيداً مثلَ عِيدِهمُ مع الإمـامِ الذي بالله ينتصرُ
غَـدا بجَمعٍ كجُنحِ الليل يقدُمه وجهٌ أغرُّ كما يجلو الدُّجى القمرُ
يَؤُمُّهـم صادعٌ بالحـقِّ أحكمَه حزمٌ وعلمٌ بما يأتي وما يَذَرُ
لـو خُيِّر الناسُ فاختاروا لأنفسهم أحظَّ منكَ لِما نالوه ما قدَروا

قال : فأمر له بألف دينار ، وتقدم إلى ابن المكي أن يُغنِّي في الأبيات .

حدثني الصُّولي قال حدثني الحسين بن يحيى قال حدثني بَنانُ بن عمرو المغنِّي قال : غنَّيتُ يوماً بين يَدَي المنتصر : [من الكامل]

هل تَطمِسون من السماء نجومَها بأكُفِّكـم أو تستُـرون هِلالَهـا

فقال لي : إياك وأن تغنِّي بحضرتي هذا الصوتَ وأشباهَه ، فما أُحِبُّ أن أُغنَّى في أشعار آل أبي حَفصة خاصة .

150 ـ [غناء المعتز بالله]

وممن هذه سبيلُه في صنعة الغِناء المعتزُّ بالله : فإني لم أجِد له منها شيئاً إلا ما ذكره الصُّولي في أخباره ؛ فأتيت بما حكاه للعلَّة التي قدمتُها من أني كرِهتُ أن يُخِلَّ الكتاب بشيء قد دونه الناس وتعارفوه . فمما ذكر أنه غَنَّى فيه : [من المتقارب]

صوت

لعَمري لقـد أصحرتْ خيلُنا بأكنـاف دِجلَـةَ للمُصعَبِ
فمَـن يَـكُ مِنـا يَبِتْ آمناً ومن يَـكُ من غيرنـا يَهرُبِ

الشعر لعَدِي بن الرِّقاع . والغِناء للمعتز خفيفُ رملٍ . وهذه الأبيات من قصيدة لعديٍّ يقولها في الوقعة التي كانت بين عبد الملك بن مروان والمُصعب بن الزُّبير بطَسُّوج[1] مَسكِن ، فقُتل فيها مصعَبٌ بقرية من مَسكِن يقال لها دَيرُ الجاثَلِيق[2] ، وذكرته الشعراء في هذه الأبيات : [من المتقارب]

لعَمرِي لقد أصحرتْ خيلُنا بأكنافِ دِجلـةَ للمُصعَبِ
يهزُّون كلَّ طويـل القنا ةِ لَـدنٍ ومعتدلِ الثَّعلَبِ[3]
فِـداؤك أُمِّـي وأبناؤُهـا وإن شئتَ زدتُ عليها أبي
ومـا قلتُهـا رهبـةً إنما يَحُـلَّ العقابُ على المُذنِبِ
إذا شئتُ نازلتُ مُستقتِلاً أُزاحِـمُ كالجملِ الأجربِ
فمَنْ يَـكُ منّـا يَبِتْ آمِناً ومن يَكُ من غيرِنا يهربِ

1 الطسوج : القرية أو الناحية . وطسوج : مسكن بالعراق .
2 ودير الجاثليق يقع في طسوج غربي دجلة قرب بغداد .
3 الثعلب : رأس الرمح .

[151] ـ أخبار عَدِي بن الرِّقاع ونسبه[1]

[نسبه]

هو عَدِي بن زيد بن مالك بن عَدِي بن الرِّقاع بن عَصر بن عَك بن شَعل بن معاوية بن الحارث وهو عامِلةُ بن عَدِي بن الحارث بن مُرَّةَ بنِ أُدَدَ . وأُمُّ معاوية بن الحارث عاملةُ بنت وديعة من قُضاعة ، وبها سُمُّوا عاملةَ . ونسَبه الناس إلى الرِّقاع ، وهو جدُّ جدِّه ، لشهرته ؛ أخبرني بذلك أبو خليفة عن محمد بن سَلام .

وكان شاعراً مقدَّماً عند بني أُمية مَدَّاحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبد الملك . وله بنت شاعرة يقال لها سلمى ، ذكر ذلك ابن النَّطاح .

[جعله ابن سلام في الطبقة الثالثة]

وجعله محمد بن سَلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق . وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرَّض لجرير وناقضه في مجلس الوليد بن عبد الملك ، ثم لم تتمَّ بينهما مُهاجاةٌ ، إلا أن جريراً قد هجاه تعريضاً في قصيدته : [من البسيط]

حَيِّ الهِدَملةَ من ذات المَواعِيسِ[2]

ولم يصرِّح لأن الوليد حلَف إن هو هجاه أسرجَه وألجمه وحمله على ظهره ، فلم يصرِّح بهِجائه .

[ما جرى بينه وبين جرير في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني أبو خليفة إجازةً قال حدثنا محمد بن سَلام قال أخبرني أبو الغَرَّاف قال : دخل جرير على الوليد بن عبد الملك وهو خليفة وعنده عَدِي بن الرِّقاع العامِلي . فقال الوليد لجرير : أتعرف هذا ؟ . قال : لا يا أمير المؤمنين . فقال الوليد : هذا عدي بن الرِّقاع . فقال جرير : فشَرُّ الثيابِ الرِّقاعُ ، قال : ممن هو ؟ قال : العاملي . فقال جرير : هي التي يقول [فيها] الله عز وجل ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصلى ناراً حامِيَةً﴾ . ثم قال : [من الطويل]

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 2/618-619 والجمحي 88-89 ، 142 ، والاشتقاق 225 ، والمؤتلف 116 ، والمرزباني 253 واللآلي 309 .

2 الهدملة والمواعيس : موضعان .

يُقَصِّر باعُ العامليِّ عـن النَّدى ولكـنَّ أَيـسَرَ العامـليِّ طويلُ

فقال له عَدِي بن الرِّقاع : [من الطويل]

أَأُمُّكَ كانت أخبرتك بطُوله أَمَ آنت امـرؤٌ لم تَدرِ كيف تقولُ

فقال لا ! بل أدري كيف أقول . فوثب العاملي إلى رِجل الوليد فقبلها وقال : أجرني منه . فقال الوليد لجرير : لئن شتمتَه لأُسرجنَّك ولألجمنَّك حتى يركبك فيعيِّرَك الشعراءُ بذلك . فكنى جريرٌ عن اسمه فقال : [من البسيط]

إني إذا الشاعـرُ المغرورُ حرَّبني جـارٌ لقبرٍ على مَـرَّانَ مَرمُوس[1]

قـد كان أشوَسَ آبـاء فورَّثنـا شَغباً على الناس في أبنائه الشُّوس[2]

أقصِرْ فـإنَّ نِزاراً لن يفاضلَها فرعٌ لئيـمٌ وأصلٌ غيرُ مغروس[3]

وابن اللَّبُون إذا مـا لُـزَّ في قَرَنٍ لم يَستطِع صَولةَ البُزلِ القَناعِيس

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة : دخل جريرٌ على الوليد بن عبد الملك وعنده عديُّ بن الرِّقاع العامِلي . فقال له الوليد : أتعرف هذا ؟ قال : لا ، فمن هو ؟ قال : هذا ابن الرِّقاع . قال : فشرُّ الثياب الرِّقاع ، فمن هو ؟ قال : من عاملةَ . قال : أمن التي قال الله تعالى فيها : ﴿عامِلَةٌ ناصِبَةٌ تَصلى ناراً حامِيةً﴾ ! . فقال الوليد : والله ليَركبنك ! لِشاعرنا ومادِحنا والراثي لأمواتنا تقول هذه المقالة ؟ يا غلام علي بإكافٍ[4] ولجام . فقام إليه عمر بن الوليد فسأله أن يُعفيَه فأعفاه . فقال : والله لئن هجوتَه لأفعلنّ ولأفعلنّ . فلم يصرِّح بهجائه وعرَّض ، فقال قصيدته التي أولُها : [من البسيط]

حَيِّ الهِدَملَةَ من ذاتِ المَواعِيس

وقال فيها يعرِّض به : [من البسيط]

قـد جَرَّبَت عَركَتِي في كلِّ مُعتَرَكٍ غُلبُ الأُسودِ فما بالُ الضَّغابِيسِ[5]

[فضل جرير عليه كثيراً في مجلس بعض الخلفاء]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثني الزُّبيرَ بن بَكَّار قال حدثني سليمان بن عياش

---

1 أراد قبر تميم بن مر بمران على أربع مراحل من مكة إلى البصرة . وحربني : أغضبني .

2 أبنائه في ل : أيامه . الشوس : التكبر والنظر بمؤخر العين .

3 يفاضلها في ل : يفاخرها .

4 الإكاف : برذعة الحمار .

5 الغلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة . الضغابيس : جمع ضغبوس وهو الضعيف .

السَّعدِي قال : ذُكِر كثيِّر وعدي بن الرِّقاع العاملي في مجلس بعض خُلفاء بني أُمية ، فامترَوا فيهما أيُّهما أشعر وفي المجلس جرير . فقال جرير : لقد قال كُثَيِّر بيتاً هو أشهر وأعرَف في الناس من عَدِي بن الرِّقاع نفسِه ؛ ثم أنشد قول كثيِّر : [من الطويل]

أأَن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاحَ غرابُ البين أنتَ حزينُ

قال : فحلف الخليفة لئن كان عديُّ بن الرِّقاع أعرَفَ في الناس من بيت كثيِّر ليُسرِجَنَّ جريراً وليُلجِمنَّه وليُبركِبَنَّ عَدِيَّ بن الرِّقاع على ظهره . فكتب إلى والِيه بالمدينة : إذا فرغتَ من خطبتك فسَلِ الناسَ من الذي يقول : [من الطويل]

أأَن زُمَّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ وصاحَ غرابُ البين أنتَ حزينُ

وعن نسب ابن الرِّقاع . فلما فَرغ الوالي من خطبته قال : إن أمير المؤمنين كتب إليَّ أن أسألكم من الذي يقول : [من الطويل]

أأَن زُمّ أجمالٌ وفارق جِيرةٌ

قال : فابتَدروا من كل وجه يقولون : كُثيِّر كثيِّر . ثم قال : وأمرني أن أسأل عن نسب ابن الرِّقاع ؛ فقالوا : لا ندري ؛ حتى قام أعرابيٌّ من مؤخَّر المسجد فقال : هو من عاملة .

[نقد محمد بن المنجم بيتاً من شعره]

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه قال قال لي محمد بن المنجِّم : ما أحدٌ ذُكر لي فأحببتُ أن أراه فإذا رأيته أمرتُ بصَفعه إلا عَدِيَّ بن الرِّقاع . قلت ولِم ذلك ؟ قال : لقوله : [من الكامل]

وعلمتُ حتى مـا أُسائل عالماً عن علمِ واحدةٍ لكي أزدادَها

فكنت أعرِض عليه أصنافَ العلوم ، فكلما مَرَّ به شيء لا يُحسنه أمرتُ بصفعه .

[جاءه شعراء ليعارضوه فردت عليهم بنته فأفحمتهم]

حدثني إبراهيم بن محمد بن أيُّوبَ قال حدثنا عبد الله بن مُسلِم قال : كان عديُّ بن الرِّقاع ينزل بالشام ، وكانت له بنت تقول الشعر . فأتاه ناس من الشعراء ليُماتنُوه[1] وكان غائباً ؛ فسمعت بنتُه وهي صغيرة لم تبلُغ دَورَ وَعِيدهم ، فخرجت إليهم وأنشأت تقول : [من الطويل]

تجمّعتُمُ من كلِّ أوبٍ وبَلدةٍ على واحدٍ لا زلتُم قِرنَ واحدِ

فأفحمتهم :

1 ماتنه في شعره : عارضه .

[كان من أوصف الشعراء للمطية]

وقال عبد الله بن مُسلِم : ومما يَنفرد به ويقدَّم فيه وصفُ المطية ؛ فإنه كان من أوصف الشعراء لها .

[استحسن أبو عمرو شعره]

حدثني أحمد بن عبيد الله بن عَمار قال حدثنا محمد بن عباد بن موسى قال : كنت عند أبي عمرو أُعرِض أو يَعرِض عليه رجلٌ بحضرتي من شعر عَدِي بن الرِّقاع ، وقرأتُ أو قرأ هذه الأبيات : [من الكامل]

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عَسا ... فيه المَشِيبُ لزُرتُ أمَّ القاسمِ[1]

وكأنّها وَسطَ النساء أعارَها ... عينيه أَحورُ من جآذرِ جاسِمِ

وَسنانُ أقصدَه النُّعاسُ فرَنَّقتْ ... في عينهِ سِنَةٌ وليس بنائمِ

فقال أبو عمرو : أحسنَ واللهِ ! . فقال رجل كان يحضُر مجلسه أعرابيٌّ كأنّه مدني : أما والله لو رأيتَه مشبوحاً بين أربعةٍ وقُضبانُ الدِّفلي تأخذه لكنتَ أشدَّ له استحساناً . يعني إذا كان يُغنَّى به على العودِ .

[استحسن أبو عبيدة بيتاً له]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد عن علي بن المغيرة قال : كان أبو عبيدة يستحسن بيت عديِّ بن الرِّقاع : [من الكامل]

وَسنانُ أقصدَه النُّعاس فرَنَّقَتْ ... في عينهِ سِنَةٌ وليس بنائمِ

جداً ويقول : ما قال أحد في مثل هذا المعنى أحسن منه في هذا الشعر . وفي هذا الشعر غناء ، نسبتُه : [من الكامل]

صوت

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عَسا ... فيه المَشِيبُ لزُرتُ أمَّ القاسمِ

وكأنّها وَسطَ النساء أعارَها ... عينيه أَحورُ من جآذِرِ جاسمِ

وَسنانُ أقصدَه النُّعاسُ فرَنَّقَتْ ... في عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

أَلِمْ على طَلَلٍ عَفا مُتقادِمِ ... بين الذُّؤَيبِ وبين غَيب النَّاعمِ[2]

---

1 عسا : اشتد .

2 الذؤيب : ماء بنجد لبني دهمان بن نضر بن معاوية وفي ل : الركيك .

عروضه من الكامل . الجآذِر : جمع جُؤْذُر وهي أولاد البقر الوحشيَّة . وجاسِمٌ : موضع . ويُروى في هذا الشعر «عاسِم» مكان «جاسِم» . والوَسنانُ : النائم ، والوَسَنُ النوم ، الواحدة منه سِنَة . والتَّرنيق : الدنُوُّ من الشيء يريد أن يفعله ، يقال : رَنَّقتِ العُقابُ لصيدها إذا دَنَت منه ، وترنيقُها أيضاً أن تُقَصِّر عن الخَفَقان بجَناحيها . ويقال : طيرٌ مرنِّقة إذا جاءت تطير ثم أرادت الوقوعَ ومدَّت أجنحتَها فلم تَخفِق وترجَّحت . ويقال للقوم إذا قصَّروا في سيرهم ، وللسابح إذا قصَّر في الخَفق بيديه ورجليه : قد رنَّقوا ترنيقاً . الشعر لعدِيِّ بن الرِّقاع . والغِناء لابن مِسجَح خفيفُ ثقيلٍ أول بالسبَّابة في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وفيه ثقيلٌ أولُ بالبِنصر يُنسب إليه أيضاً ، وذكر الهِشامي أنه من منحول يحيى بن المَكِّي إليه .

[استحسن أبو عمرو شعره واستحسن مدنيّ الغناء به]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن عبد الله المعروف بالحَزَنبَل عن عمرو بن أبي عمرو قال : كنت عند أبي ورجلٌ يقرأ عليه شعر عَدِي بن الرِّقاع . فلما قرأ عليه القصيدة التي يقول فيها : [من الكامل]

لولا الحياءُ وأن رأسيَ قد عَسا فيه المَشيبُ لزرتُ أُمَّ القاسمِ

قال أبي : أحسن والله عَدِيُّ بن الرِّقاع ! . قال : وعنده شيخ مَدَني جالس ، فقال الشيخ : والله لئن كان عَدِي أحسن لَما أساء أبو عباد . قال أبي : ومن هو أبو عباد ؟ قال : مَعبَد . والله لو سمعتَ لحنه في هذا الشعر لكان طربُك أشدَّ واستحسانُك له أكثرَ . فجعل أبي يضحك .

[مدح عبيدة بن عبد الرحمن حين عزله الوليد فجفاه الوليد ثم رضي عنه]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدثنا أحمد بن جَرير عن محمد بن سَلاَّم قال : عزل الوليدُ بن عبد الملك عبيدة بن عبد الرحمن عن الأردُن وضربه وحلقه وأقامه للناس وقال للمتوكلين به : من أتاه متوجِّعاً وأثنى عليه فأْتُوني به . فأتى عَدِيُّ بن الرِّقاع ، وكان عبيدة إليه محسناً ، فوقف عليه وأنشأ يقول : [من الوافر]

فما عزَلوك مسبوقاً ولكن إلى الخيرات سَبَّاقاً جَوادا
وكنتَ أخي وما ولدتك أُمِّي وَصُولاً باذلاً لي مستزادا
وقد هِيضتْ لِنَكبتك القُدامَى كذاكَ اللهُ يفعلُ ما أرادا

فوثب المتوكِّلون به إليه ، فأدخلوه إلى الوليد وأخبروه بما جرى . فتغيَّظ عليه الوليد وقال له : أتمدح رجلاً قد فعلتُ به ما فعلت ! . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنه كان إليّ مُحسِناً ، ولي مُؤْثِراً ، وبي بَرّاً ؛ ففي أي وقت كنت أُكافئه بعد هذا اليوم ! . فقال : صدقتَ وكَرُمتَ ! فقد عفوتُ عنك وعنه لك ! فخُذه وانصرِف . فانصرَف به إلى منزله .

[عدّه جرير أنسب الشعراء لشعر له]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أحمد بن يحيى ثَعلَب قال : قال نوح بن جَرير لأبيه : يا أبتِ ، مَن أنسَبُ الشعراء ؟ قال له : أتَعنِي ما قلتُ ؟ قال : إني لست أُريد من شعرك إنما أُريد من شعر غيرك . قال : ابنُ الرِّقاع في قوله : [من الكامل]

لولا الحياءُ وأنّ رأسيَ قد عَسا فيه المَشيبُ لزُرتُ أُمَّ القاسمِ

الثلاثة الأبياتِ . ثم قال لي : ما كان يُبالي أن لم يقل بعدها شيئاً .

[عجب جرير من توفيقه في تشبيه دقيق]

أخبرني الحسن بن علي عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : قال جرير : سمعت عَدِيَّ بن الرِّقاع يُنشد : [من الكامل]

تُزجِي أَغَنَّ كأنَّ أبرةَ رَوقِه[1]

فرَحِمتُه من هذا التشبيه فقلت : بأيِّ شيء يُشَبِّهه تُرى ! فلما قال : [من الكامل]

قلمٌ أصاب من الدَّواةِ مِدادَها

رحِمتُ نفسي منه .

[تابع روح بن زنباع ثم خالفه وتابع ناثل بن قيس في نسبهم]

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمِّي عبيد الله عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال : مال رَوح بن زِنباع الجُذامي إلى يزيد بن معاوية لما فصَل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ، ألحِقنا بإخوتنا من مَعَدٍّ فإنا مَعَدِّيُّون ، والله ما نحن من قَصَب الشام ولا من زعاف اليمن . فقال يزيد : إن أجمع قومُك على ذلك جعلناك حيث شئتَ . فبلغ ذلك عَدِيَّ بن الرِّقاع فقال : [من البسيط]

إنّا رضِينا وإن غابتْ جماعتُنا ما قال سيِّدُنا رَوح بن زِنباعِ

يرعى ثمانين ألفاً كان مثلُهُم مّما يُخالِف أحياناً على الراعي

قال : فبلغ ذلك ناثِلَ بن قَيس الجُذامي ، فجاء يركُض فرسَه حتى دخل المقصورةَ في الجمعة الثانية . فلما قام يزيد على المنبر ، وثَب فقال : أين الغادر الكاذب رَوح بن زِنباع ؟! فأشاروا إلى مجلسه . فأقبل عليه وعلى يزيد ثم قال : يا أمير المؤمنين ، قد بلغني ما قال لك هذا ، وما نعرف شيئاً منه نُقِرُّ به ، ولكنا قوم من قَحطان يَسَعُنا ما يسعهم ويَعجِز عنا ما يعجز عنهم . فأمسك رَوح ورجع عن رأيه . فقال عَدِيُّ بن الرِّقاع في ذلك : [من الكامل]

1 الروق : القرن .

أضلالُ ليلٍ ساقطٍ أكنافُه في الناسِ أعذَرُ أم ضلالُ نهارِ
قَحطانُ والدُنا الذي نُدعى له وأبو خُزيمةَ خِندِفُ بن نِزارِ
أنبيع والدَنا الذي نُدعى له بأبي مَعاشِرَ غائبٍ مُتواري
تلكَ التجارةُ لا زَكاءَ لمثلها ذهبٌ يباع بآنُكٍ وإبارِ[1]

فقال له يزيد : غَيَّرتَ يا ابنَ الرِّقاع . قال : إن نائلاً والله عليَّ أعزُّهما سُخطاً ، وأنصحُهما لي ولعشيرتي . قال أبو عبيدة : الإبار : جمع إبرة .

[ما كان بينه وبين ابن سريج في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن جدِّه إبراهيم : أن الأحوص وابن سُرَيج قَدِما المدينة ، فنزلا في بعض الخانات ليُصلِحا من شأنهما ، وقد قدِم عَدِيُّ بن الرِّقاع وكانت هذه حالَه ، فنزل عليهما . فلما كان في بعض الليل أفاضوا في الأحاديث ؛ فقال عَدِيُّ بن الرِّقاع لابن سُرَيج : والله لخروجُنا كان إلى أمير المؤمنين أجدى علينا من المُقام معك يا مولى بني نَوفَل . قال : وكيف ذلك ؟ قال : لأنك تُوشِك أن تُلهِينا فتشغَلَنا عما قصدنا له . فقال له ابن سُريج : أوَ قِلةَ شكرٍ أيضاً ! . فغضِب عَدِيٌّ وقال : إنك لتَمُنُّ علينا أن نزلنا عليك ؛ وإني أُعاهد اللهَ ألا يُظلِّني وإياكَ سقفٌ إلا أن يكون بحضرة أمير المؤمنين . وخرج من عندهما . وقدِم الوليد من باديته فأذِن لهما فدخلا[2] . وبلغه خبر ابن الرِّقاع وما جرى بينه وبين ابن سُرَيج ؛ فأمَر بابنِ سُرَيج فأُخفِيَ في بيت ودعا بعَديٍّ فأدخله ؛ فأنشده قصيدةً امتدحه بها . فلما فرغ ، أومأ إلى بعض الخَدَم فأمر ابنَ سُرَيج فغنَّى في شعر عَدِيٍّ بن الرِّقاع يمدح الوليد : [من الكامل]

عرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها من بعدِ ما شَمِل البِلى أبلادَها[3]

فطرِب عَدِيٌّ وقال : لا والله ما سمعتُ يا أمير المؤمنين بمثل هذا قطُّ ولا ظننت أن يكون مثلُه طِيباً وحُسناً . ولولا أنه في مجلس أمير المؤمنين لقلتُ طائفٌ من الجن . أيأذَن لي أمير المؤمنين أن أقول ؟ قال : قل . قال : مثلُ هذا عند أمير المؤمنين وهو يبعث إلى ابن سُرَيج يتخطَّى به قبائلَ العرب فيقال : ابنُ سُرَيج المغنِّي مولى بني نَوفل بعث أمير المؤمنين إليه ! . فضحك ثم قال للخادم : أخرِجه فخرج . فلما رآه عدِيٌّ أطرَق خَجِلاً ثم قال : المعذرةَ إلى الله وإليك يا أخي ، فما ظننتُ أنك بهذه المنزلة ، وإنك لحَقيقٌ أن تُختَمَل على كل

1 الآنك : الرصاص .
2 ل : فأُدخل .
3 الأبلاد : الآثار .

هفوة وخطيئة . فأمر لهم الوليد بمال سَوَّى بينهم فيه ، ونادمهم يومئذٍ إلى الليل .

نسبة هذا الصوت المذكور في هذا الخبر وسائر ما مضى في أخبار عَدِي قبله من الأشعار التي فيها غناء : [من الكامل]

صوت

عرَف الدِّيارَ تَوَهُّماً فاعتادها من بعد ما شمِل البِلى أبلادَها
إلا رَواكِـدَ كلُّهن قد اصطلى حمراءَ أشعـل أهلُها إيقادَها[1]

عروضه من الكامل . الشعر لعَدِي بن الرِّقاع . والغناء لابن مُحرِز خفيف ثقيلٍ أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق .

[أفحمه كثير في حضرة الوليد بن عبد الملك]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَرَّاق قال حدثني أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَدِي قال : أنشد عَدِيُّ بن الرِّقاع الوليدَ بن عبد الملك قصيدته التي أولها :

عرَف الديارَ تَوَهُّماً فاعتادها

وعنده كثيِّر وقد كان يَبلُغه عن عَدِي أنه يطعن على شعره ويقول : هذا شعر حجازيٍّ مَقرورٌ إذا أصابه قُرُّ الشأم جمدَ وهلَك . فأنشده إياها حتى أتى على قوله : [من الكامل]

وقصيدةٍ قد بِتُّ أجمع بينها حتى أُقـوِّمَ مَيلَهـا وسِنادَها

فقال له كثيِّر : لو كنتَ مطبوعاً أو فصيحاً أو عالِماً لم تأتِ فيها بميلٍ ولا سِناد فتحتاج إلى أن تقوِّمها . ثم أنشد : [من الكامل]

نَظَرَ المثقِّفُ في كُعوب قَناته حتـى يُقِيـمَ ثِقافُـه مُنآدَها

فقال له كثيِّر : لا جَرَم أن الأيام إذا تطاولت عليها عادت عوجاءَ ، ولأن تكونَ مستقيمة لا تحتاج إلى ثِقافٍ أجودُ لها . ثم أنشد : [من الكامل]

وعلمتُ حتى ما أُسائل واحداً عن علم واحدةٍ لكي أزدادَها

فقال كثيِّر : كذَبتَ وربِّ البيت الحرامِ ؛ فليمتحنك أميرُ المؤمنين بأن يسألك عن صِغار الأمور دون كبارها حتى يتبيَّن جهلك . وما كنتَ قطُّ أحمقَ منك الآنَ حيث تظن هذا بنفسك . فضحك الوليد ومَن حضر ، وقُطِع بعدِيَ بن الرِّقاع حتى ما نطَق .

1 رواكد في الديوان ص 82 : رواسي .

[152] ـ أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جَرى هذا المجرى

[شعره في جارية يهواها]

حدثني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني علي بن محمد بن نصر قال حدثني جدِّي حَمدون بن إسماعيل قال : اصطبح المعتزُّ في يوم ثُلاثاءَ ونحن بين يديه ثم وثَب فدخل ، واعترضته جارية كان يحبها ولم يكن ذلك اليوم من أيامها فقبّلها وخرج ؛ فحدثني بما كان وأنشدني لنفسه في ذلك : [من البسيط]

صوت

إني قَمَرتُكَ يـا سؤلي ويا أَمَلِي ... أمراً مُطاعاً بـلا مَطلٍ ولا عِلَلِ
حتّى متى يا حبيبَ النفسِ تمطُلني ... وقـد قمرتك مَرّاتٍ فلم تَفِ لي
يومُ الثلاثاء يـومٌ سوف اشكره ... إذ زارني فيه مَن أهوى على عَجَلِ
فلم أَنَـلْ منـه شيئاً غيرَ قُبلتـه ... وكان ذلك عنـدي أعظمَ النَّفَلِ

قال : وعُمِل فيه لحن خفيف وشربنا عليه سائرَ يومنا . الغناء في هذه الأبيات لعَرِيبَ رملٌ عن الهشامي . ولأبي العَنْبَس في الثالث والرابع هَزَجٌ .

[طارحه بنان المغنّي في بيت من الشعر وتغنى فيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أحمد بن يزيد المهلَّبي قال حدثني أبي قال : كان المعتزُّ يشرب على بستان مملوء من النَّمَّام[1] وبين النَّمام شقائق النعمان ، فدخل إليه يونس بن بُغا وعليه قَباءٌ أخضر ؛ فقال المعتز : [من الكامل]

صوت

شبهتُ حُمرةَ خـدّه في ثوبه ... بشقائـقِ النُّعمـانِ في النَّمامِ

ثـم قـال : أَجِيزوا . فابتـدَر بَنـانٌ المغنِّي ، وكان ربمـا عبِـث بـالبيت بعـد البيت ، فقـال : [من الكامل]

والقَـدُّ منـه إذا بدا في قَرطَـقٍ ... كالغصنِ في لِينٍ وحسن قَوامِ[2]

---

1 النمام : نبت ورقه كالسذاب عطري قوي الرائحة .

2 القرطق : قباء ذو طاق واحد .

فقال له المعتز : فغَنِ فيه الآن ، فعمِل فيه لحناً . لحنُ بَنانٍ في هذين البيتين من خفيف الثقيل الثاني وهو الماخوري .

[أخبر بوفاة أم يونس بن بُغا ففتر المجلس ثم عاد أحسن ما كان]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي عَبَّاد قال حدثني عمر بن محمد بن عبد الملك قال : شرب المعتز ويونس بن بُغا بين يديه يَسقيه والجلساءُ والمغنون بين يديه وقد أُعَد الخِلَعَ والجوائز ، إذ دخل بُغا فقال : يا أمير المؤمنين ، والدة عبدك يونسَ في الموت وهي تُحِب أن تراه ؛ فأذِن له فخرج . وفَتَر المعتز ونَعَس بعده ، وقام الجلساء وتفرق المغنون ، إلى أن صُليت المغرب ، وعاد المعتز إلى مجلسه ، ودخل يونس ، وبين يديه الشموع . فلما رآه المعتز دعا برطلٍ فشربه وسقى يونسَ رِطلاً وغنَّاه المغنون ، وعاد المجلس أحسنَ ما كان ؛ فقال المعتز : [من مجزوء المتقارب]

صوت

تَغِيبُ فــلا أَفــرَحُ فليتَــك مــا تَبــرَحُ
وإنْ جئــتَ عذَبتَنــي بأنّــــكَ لا تَسمحُ
فأصبحتُ ما بين ذَيْـ ـــنِ لي كبــدٌ تُجرَحُ
على ذاك يــا سيِّدي دُنُــوُّك لي أصلـــحُ

ثم قال : غنُّوا فيه ، فجعلوا يفكِّرون . فقال المعتزُّ لسليمان بن القَصَّار الطُّنبُورِي : وَيلَكَ ! ألحانُ الطُّنبور أملَحُ وأخفُّ فغَنِّ فيه أنت ؛ فغنَّى فيه لحناً ؛ فدفع إليه دنانيرَ الخريطة وهي مائة دينار مكية ومائتان مكتوبٌ على كلِّ دينار منها «ضُرب هذا الدينار بالجَوسَق بخريطة أمير المؤمنين المعتزِّ بالله» ثم دعا بالخِلَع والجوائز لسائر الناس ، فكان ذلك المجلس من أحسن المجالس .

لحنُ سليمانَ بن القَصار في هذه الأبيات رمل مطلَق .

[لما قتل بُغا هنأه الناس بالظّفر]

حدثني الصُّولي قال حدثني محمد بن عبد السَّميع الهاشمي قال حدثني أبي قال : لما قُتِل بُغا دخلنا فهنأنا المعتزَّ بالظَّفَر ، فاصطبح ومعه يونس بن بُغا ، وما رأينا قطُّ وجهين اجتمعا أحسنَ من وجهيهما . فما مضت ثلاثُ ساعات حتى سكِر ، ثم خرج علينا المعتز فقال : [من البسيط]

ما إنْ تَرى مَنظَراً إن شئتَه حسناً إلا صَريعاً يُهادى بين سُكرَين[1]

1 يُهادى : يتمايل .

سُكرِ الشراب وسكرٍ من هَوى رَشإٍ تخالــه والذي يَهــواه غُصنَينِ

ثم أمر فتغنَّى فيه بعضُ المغنِّين .

[قصة المعتز ويونس بن بُغا مع ديراني]

حدثني الصُّولي قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق الخُراساني قال حدثني الفضل بن العباس بن المأمون قال : كنت مع المعتز في الصيد ، فانقطع عن الموكِب وأنا ويونس بن بُغا معه ، ونحن بقرب قَنطرة وَصِيف ، وكان هناك دَيرٌ فيه دَيرانيٌّ يعرفني وأعرفه ، نظيفٌ ظريفٌ مليحُ الأدب واللفظ . فشكا المعتزُّ العطشَ . فقلت : يا أمير المؤمنين ، في هذا الدير دَيرانيٌّ أعرفه خفيفُ الروح لا يخلو من ماء بارد ، أَفترى أن نميلَ إليه ؟ قال نعم . فجئناه فأخرج لنا ماءً بارداً ، وسألني عن المعتز ويونس فقلت : فَتَيانِ من أبناء الجُند ؛ فقال : بل مُفلِتانِ من حُورِ الجَنة . فقلت له : هذا ليس في دِينك . فقال : هو الآن في ديني . فضحِك المعتز . فقال لي الديرانيُّ : أتأكلون شيئاً ؟ قلت نعم . فأخرج شطيرات وخبزاً وإداماً نظيفاً ، فأكلنا أطيبَ أكل ، وجاءنا بأطراف أُشنانٍ . فاستظرفه المعتزُّ وقال لي : قل له فيما بينك وبينه : مَن تحب أن يكون معك من هذين لا يفارقك . فقلت له ، فقال : «كلاهما وتمرا»[1] . فضحك المعتزُّ حتى مال على حائط الدَّير . فقلت للديراني : لا بد من أن تختار . فقال : الاختيار واللهِ في هذا دَمار ، وما خلق الله عقلاً يميِّز بين هذين . ولحِقهما الموكب ، فارتاع الديراني . فقال له المعتز : بحياتي لا تنقطع عما كنا فيه ، فإني لِمَنْ ثَمَّ مولىً ولَمِن هاهنا صديق . فمَزحنا ساعةً ؛ ثم أمر له بخمسمائة ألف درهم . فقال : والله ما أقبلها إلا على شرط . قال : وما هو ؟ قال : يجيب أمير المؤمنين دَعوتي مع مَن أراد . قال : ذلك لك . فاتّعدْنا ليوم جئناه فيه ، فلم يُبقِي غايةً ، وأقام للموكب كلَّه ما احتاج إليه ، وجاءنا بأولاد النصارى يخدِمُوننا . ووصلَه المعتزُّ يومئذٍ صلةً سنية ؛ ولم يزل يعتاده ويُقيم عنده .

[ولي الخلافة وله سبع عشرة سنة]

حدثني الصُّولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال : بُويع للمعتز بالخلافة وله سبعَ عشرةَ سنةً كاملة وأشهرُ . فلما انقضت البَيعة قال : [من الطويل]

تَوَحَّدني الرحمنُ بالعِزِّ والعُلا فأصبحتُ فوق العالمين أميرا

هكذا ذكر الصُّولي في قافية الشعر . ووجدته في أغاني بَنانٍ مرفوعَ القافية ، وله فيه صنعة . ولعل المعتزَّ قال البيت ، فأضاف بَنانٌ إليه آخرَ وجعل المخاطبة عن نفسه للمعتز

1 مثل .

فقال : [من الطويل]

صوت

تَوَحَّـدكَ الرحمنُ بالعـزِّ والعُلا فأنـتَ عـلى كلِّ الأنـامِ أميرُ
تُقاتِـلُ عنكَ التُّركُ والخُزرُ كلُّها كأنهـمُ أُسدٌ لهـنَّ زَئيـرُ

الغناء لبَنانٍ [لَحنانٍ] خفيفُ ثقيلٍ وخفيفُ رملٍ . ومما قاله المعتزُّ وغنى فيه قولُه ، ذكر الصُّولي أن عبد الله بن المعتز أنشده إياه لأبيه : [من الوافر]

صوت

أَلا حيِّ الحبيبَ فَدَته نفسي بكأسٍ من مُدامة خانِقينا[1]
فإني قد بَقِيتُ مع الليالي أُقاسي الهَمَّ في يده سِنينا

الغِناء فيه لِعَريبَ خفيفُ رملٍ ، ولَبَنانٍ هَزَجٌ .

153 ـ [غناء المعتمد]

[غناء المعتمد]

وممن ذُكر أن له صنعةً من الخلفاء المعتمِد .

قال محمد بن يحيى الصُّولي ذكر عبدالله بن المعتز عن القاسم بن زُرزُور أن المعتمِد أَلقى عليه لحناً صنعه في هذا الشعر وهو : [من البسيط]

ليس الشَّفِيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتزِراً مثلَ الشَّفِيع الذي يأتيكَ عُريانا

الشعر للفرزدق . والغناء للمعتمِد ، ولحنُه فيه خفيفُ ثقيلٍ . هذه حكاية الصُّولي . وفي غناء عَرِيبَ : لها في هذا البيت خفيفُ ثقيلٍ . ولا أعلم لِمَن هو منهما على صحة ، إلا أن المشهور في أيدي الناس أنه لِعَريبَ . ولم أسمع للمعتمد غناءً إلا من هذه الجهة التي ذكرتُها .

1 خانقين : بلدة من نواحي السواد في طريق همذان من بغداد .

[154] ـ ذكر بعض أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره[1]

لأن أخباره كثيرة جداً ، فكرهت أن أثبتها هاهنا في غناء مشكوك فيه ، فذكرت نسبه وخبره في هذا الشعر خاصة ، وأخباره تأتي بعد هذا في موضع مفرد يتسع لطول أحاديثه .

[نسبه]

الفرزدق لقبٌ غلب عليه . واسمه هَمام بن غالب بن صعصعة بن ناجِيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشِع بن دارِم بن مالك [بن حَنظلة بن مالك] بن زيد مَناةَ بن تَميم .

[هو وجرير والأخطل أشعر طبقات الإسلاميين]

وهو وجرير والأخطل أشعرُ طبقات الإسلاميين والمقدَّمُ في الطبقة الأولى منهم . وأخباره تُذكر مفردةً في موضع آخر يتسع لها ، ونذكر هاهنا خبره في هذا المعنى . فأخبرني خبرَه في ذلك جماعة . فممن أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبة ، وأخبرني به أبو خَليفة إجازةً عن محمد بن سَلام ، وأخبرني به محمد بن العباس اليَزيدي عن السُّكَّري عن محمد بن حَبِيبَ عن أبي عُبَيدة وابن الأعرابي ، قال عمر بن شَبَّة خاصة في خبره حدثني محمد بن يحيى قال حدثني أبي :

[حديث الفرزدق والنوار وذمه بني قيس وزهيراً وبني أم النسير]

أن عبد الله بن الزُّبير تزوج تُماضِرَ بنت منظور بن زَبَّانَ ، وأُمُّها مُلَيكة بنت خارجةَ بن سِنان بن أبي حارثة ، فخاصم الفرزدقُ امرأتَه النَّوارَ إلى ابن الزُّبَير . هكذا ذكر محمد بن يحيى ولم يذكر السببَ في الخصومة ، وذكرها عمر بن شَبَّة ولم يَروِها عن أحد ، وذكرها ابن حَبِيبَ عن أصحابه ، وذكرها أبو غسان دَماذٌ عن أبي عبيدة : أن رجلاً من بني أُمية خطَب النَّوارَ بنت أُعيَنَ المُجاشعية ، فرَضيَته وجعلت أمرَها إلى الفرزدق . فقال لها : أشهِدي لي بذلك على نفسك شهوداً ففعلت ، واجتمع الناس لذلك . فتكلَّم الفرزدق ثم قال : اشهَدوا أني قد تزوجتها وأصدقتها

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 471/1 وطبقات ابن سلام : 299–379 والموشح : 156 ، والسمط : 44 وابن خلكان : 86/6 والخزانة : 105/1 والشذرات : 141/1 والشريشي : 142/1 وشواهد المغني : 4 وأمالي المرتضى : 43/1 ومرآة الجنان : 234/1 وعبر الذهبي : 236/1 وسير الذهبي : 590/4 ومعاهد التنصيص : 45/1 والنجوم الزاهرة : 268/1 وسرح العيون : 389 ، 464 والبداية والنهاية : 265/9 ومعجم الأدباء : 2785/6–2788 .

كذا وكذا ، فأنا ابن عمها وأحقُّ بها . فبلغَ ذلك النَّوارَ فأبته واستترت من الفرزدق وجزِعت ولجأت إلى بني قيس بن عاصم المِنقَري . فقال فيها : [من الطويل]

بَنِي عاصمٍ لا تُلجِئوهـــا فإنكـم مَلاجيءُ للسَّوءات دُسمُ العمائمِ[1]
بني عاصمٍ لـــو كان حياً أبوكُم لَلامَ بَنِيـه اليومَ قيسُ بن عاصمِ

فقالوا : والله لئن زدتَ على هذين البيتين لنقتلنَّك غِيلةً . فنافرته إلى عبد الله بن الزُّبير وأرادت الخروج إليه ؛ فتحامى الناسُ كِراءَها . ثم إن رجلاً من بني عَدِيٍّ يقال له زُهَير بن ثعلبة وقوماً يُعرَفون ببني أُمِّ النُّسَير أكروها ؛ فقال الفرزدق : [من الوافر]

ولولا أن تقولَ بنو عَـدِيٍّ أليستْ أُمَّ حَنظَلَةَ النَّـوارُ
أتتكم يـا بني مِلكانَ عنِّي قـوافٍ لا تُقَسِّمها التِّجارُ[2]

يعني بالنَّوارَ هاهنا بنت جُلٍّ بن عَدِي بن عبد مَناةَ وهي أُمُّ حَنظلةَ بن مالك بن زيد مَناةَ وهي إحدى جَداته . وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

سَرى بالنَّـوار عَوهَجِيٌّ يَسُوقه عُبَيدٌ قَصيرُ الشِّبرِ نائي الأقاربِ[3]
تـؤمُّ بـلادَ الأمن دائبـةَ السُّرى إلى خير والٍ من لُؤَيِّ بن غالبِ
فدونكَ عِرسي تبتغي نَقضَ عُقدتي وإبطالَ حقِّـي باليمين الكواذبِ

وقال أيضاً : [من الوافر]

ولولا أن أُمِّي مـن عَـدِيٍّ وأني كارِهٌ سُخطَ الرِّبابِ
إذاً لأتى الدواهي من قَريبٍ جزاءٍ غيرَ مُنصَرِفِ العِقابِ
وصُلتُ على بني مِلكانَ منِّي بجيش غير مُنتَظَر الإيابِ

وقال لزهير أيضاً : [من الوافر]

لبئسَ العِبءُ يحملُـه زُهَيرٌ على أعجازِ صِرمته نَوارُ[4]
لقـد أهدتْ وليدتُنا إليكم عوائـرَ لا تقسِّمها التِّجارُ[5]

---

1 دسمت عمائمهم : أي وسخت وقذرت .
2 البيت في الديوان 273/1 :
إذاً لأتى بني ملكان قول إذا ما قيل أنجد ثم غارا
3 عوهجي : طويل العنق ، يريد جملاً . قصير الشبر : متقارب الخطو . نائي الأقارب : غريب بعيد عن أهله .
4 الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .
5 عوائر : سوائر يعني قصائده .

وقال لبني أم النُّسَير : [من الطويل]

لعَمري لقد أَردى النَّوارَ وساقها إلى الغَورِ أحلامٌ خِفافٌ عقولُها[1]
أطاعت بني أُمِّ النُّسَير فأصبحت على قَتَبٍ يعلو الفَلاة دليلُها[2]
وقد سَخِطتْ مِنِّي النَّوارُ الذي ارتضى به قبلها الأزواجُ خاب رَحِيلُها[3]
وإن امرءاً أمسى تحَبَّبَ زوجتي كآشٍ إلى أُسدِ الشَّرى يَستبيلها[4]
ومن دونِ أبوالِ الأسود بَسالةٌ وبَسطةُ أيدٍ يمنعَ الضَّيمَ طُولُها[5]
وإنَّ أميرَ المؤمنينَ لعالمٌ بتأويل ما أوصَى العبادَ رسولها
فدونكها يا ابن الزُّبَير فإنها مولَّعةٌ يُوهي الحجارةَ قِيلُها

[استشفعت النوار إلى ابن الزُّبير بامرأته فاستشفع هو بابنه حمزة]

فلما قدِمت مكةَ نزلت على بنت منظور بن زَبَّانَ ، واستَشفعت بها إلى زوجها عبد الله . وانضم الفرزدق إلى حمزة بن عبد الله بن الزُّبَير ، وأُمُّه بنت منظورٍ هذه ، ومدحه فقال : [من الكامل]

أصبحتُ قد نزلت بحَمزَة حاجتي إن المنوَّه باسمِهِ الموثوقُ

الأبيات . وقال فيه أيضاً : [من البسيط]

يا حَمزُ هل لك في ذي حاجة غَرِضتْ أنضاؤه بمكانٍ غيرِ ممطورِ[6]
فأنت أحرى قريشٍ أن تكونَ لها وأنتَ بين أبي بَكر ومنظورِ
بين الحَواريِّ والصِّدِّيق في شُعَبٍ نَبَتنَ في طيِّب الإسلامِ والخِيرِ

هذه الأبيات كلُّها من رواية أبي زيد خاصَّةً . قالوا جميعاً : وقال في النَّوار : [من الوافر]

هَلُمِّي لابن عمِّك لا تكوني كمختارٍ على الفرسِ الحِمارا

وقال فيها أيضاً : [من الوافر]

تُخاصِمُني النَّوارُ وغاب فيها كرأسِ الضَّبِّ يلتمسُ الجرادا

قال أبو زيد في خبره خاصة : فجعل أمرُ الفرزدق يضعفُ وأمرُ النَّوار يَقوى .

---

1 خفاف في الديوان ص 60/2 : قليل . النوار في الديوان 60/2 : نوار .
2 الشطر الثاني في الديوان 61/2 : على شارفٍ ورقاء صعب ذلولها
3 ارتضى في الديوان 61/2 : ارتضت .
4 تحبب في الديوان 61/2 : يُخَبُّ . كآش في الديوان 61/2 : كساعٍ .
5 وبسطة في الديوان 61/2 : وصولة .
6 غرض بالمكان : ملّ وضجر .

وقال الفرزدق : [من البسيط]

أمّا بَنُوه فلـم تُقبَلْ شفاعتهم وشُفِّعت بنتُ منظورِ بنِ زَبانا

صوت

ليس الشَّفِيعُ الذي يأتيكَ مُؤْتَزِراً مثـلَ الشَّفِيع الذي يأتيكَ عُريانا

غنت في هذا البيت عَرِيبُ خفيفَ ثقيلٍ أول بالبنصر ، فبلغ ابنَ الزُّبَير هذا فدَعا النَّوار فقال : إن شئتِ فَرَّقت بينكما وقتلتُه فلا يهجونا أبداً ، وإن شئتِ سيَّرته إلى بلاد العدو . فقالت : ما أُريد واحدةً منهما . قال : فإنه ابنُ عمك وهو فيكِ راغب ، أفأُزوِّجه إياكِ ؟ قالت نعم . فزوّجه إياها . فكان الفرزدق يقول : خرجنا متباغضَين ورجعنا متحابَّين .

[هدده ابن الزُّبير وعيره جلاء قومه]

أخبرني أحمد قال حدثني عمر بن شبة قال قال عثمان بن سليمان : شَهِدتُ الفرزدق يوم نازَع النَّوارَ فتوجه القضاءُ عليه ، فأشفق من ذلك وتعرض لابن الزُّبَير بكلام أغضبه ، وكان ابن الزُّبَير حديداً . فقال له ابن الزُّبير : أيا ألأَمَ الناس ! ؛ وهل أنت وقومُك إلا جالِيةُ العرب ! وأمر به فأُقِيم . وأقبل علينا فقال : إن بني تميم كانوا وثَبوا على البيت قبل الإسلام بمائة وخمسين سنة فاستلبوه ؛ وأجمعت العربُ عليها لما انتَهكت ما لم يَنتَهِكه أحد قطُّ فأجلَتها من أرض تهامة . فلما كان في طائفة من ذلك اليوم لقيني الفرزدق فقال : هِيهِ ! أيعيِّرنا ابنُ الزُّبير جَلاءنا عن البيت ! اسمَع ! ثم قال : [من الوافر]

فإن تَغضَبْ قريشٌ ثم تغضبْ فـإن الأرضَ ترعاهـا تميمُ
همُ عَـدَدُ النجوم وكلُّ حيٍّ سواهم لا تُعَـدُّ لهـم نجومُ
فلـولا بنتُ مُـرٍّ مـن نِزارٍ لَمـا صـحَّ المَنابِـتُ والأَديمُ
بها كثُر العَديدُ وطابَ منكم وغيرَكُم أحـذُّ الرِّيشِ هِيمُ[1]
فمهلاً عن تذلُّل مَـن عَزَزتُم بخُولَتِـه وعَـزَّ بـه الحَميمُ
أعبدَ الله مهـلاً عـن أُذاتـي فإنّي لا الضعيف ولا السَّؤُومُ
ولكنّـي صَفـاةٌ لم تُوَبَّس تَـزِلُّ الطيرُ عنهـا والعُصُومُ[2]

1 أحذ الريش : قصيره . والهيم : العطاش .

2 توبس : تكسر . قد يكون جمع عصم وهو جمع عصماء . والعصم الظباء .

أنا ابن العاقــرِ الخُوَرِ الصَّفايا بصَوءَرَ حيث فُتِّحت العُكومُ[1]

وذكر الزُّبير بن بَكار عن عمه أن عبد الله بن الزُّبير لما حكم على الفرزدق قال : إنما حكمتَ عليَّ بهذا لأفارقَها فتثبَ عليها ؛ وأمرَ به فأُقيم ، وقال له ما قال في بني تَميم . قال : ثم خرج عبد الله بن الزُّبير إلى المسجد فرأى الفرزدقَ في بعض طرق مكة وقد بلغته أبياته التي قالها ، فقبض ابن الزُّبير على عنقه فكاد يَدُقُّها ، ثم قال : [من الطويل]

لقد أصبحتْ عِرسُ الفرزدق ناشِزاً ولو رضيتْ رَمحَ استِه لاستقرتِ

قال الزُّبير : وهذا الشعر لجعفر بن الزُّبير .

[ما كان بينه وبين ابن الزُّبير]

أخبرنا أبو خليفة قال أخبرنا ابن سَلام قال أخبرنا إبراهيم بن حَبيب الشَّهيد قال : قال ابن الزُّبير للفرزدق : ما حاجتُك بها وقد كرِهتك ! كُن لها أكرهَ وخلِّ سبيلَها . فخرج وهو يقول . ما أمرني بطلاقها إلا لِيَثِبَ عليها . فبلغ ذلك ابنَ الزُّبير فخرج وقد استهلَّ هلال ذي الحِجة ولبِس ثيابَ الإحرام يريد البيتَ الحَرام ، فألفى الفرزدقَ بباب المسجد عند الباعة ، فأخذ بعنقه فغمزها حتى جعل رأسَه بين ركبتيه وقال : [من الطويل]

لقد أصبحت عِرسُ الفرزدقِ ناشِزاً ولو رضيتْ رَمحَ استِه لاستقرَّتِ

قال الزُّبير : وهذا البيت لجعفر بن الزُّبير .

[هجاه جعفر بن الزُّبير فنهاه أخوه عن ذلك]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبَّة عن محمد بن يحيى عن أبيه قال : لما قال الفرزدق في ابن الزُّبير : [من البسيط]

أمّا بنــوه فلم تُقبَل شفاعتُهم وشُفِّعت بنتُ منظورِ بن زَبَّانا

قال جعفر بن الزُّبير : [من الطويل]

ألا تِلكُمُ عِرسُ الفرزدقِ جامِحاً ولــو رضيتْ رمحَ استِه لاستقرَّتِ

فقال عبد الله بن الزُّبير : أتُجزِرُنا[2] كلباً من كلاب بني تَميم ! لئن عُدتَ لم أُكلِّمْكَ أبداً .

قال : وتُماضِرُ التي عَناها الفرزدقُ أُمُّ خُبيب وثابتٍ ابنَي عبد الله بن الزُّبير . وماتت عند عبد الله ، فتزوج أُختها أُمَّ هاشم فولدت له هاشماً وحَمزة وعَبَّاداً .

---

1 الخور : جمع خوارة ، وهي الغزيرة اللبن من النوق والشاء ، والجول : الجماعة من الإبل . صَوءر : ماء لكلب فوق الكوفة . العكوم : جمع عكمة وهو العِدل أو الكارة وهي وعاء الثياب أو الطعام .

2 أجزرت القوم : إذا أعطيتهم شاة يذبحونه .

قال : وفي أُم هاشم يقول الفرزدق يستعينها على ابن الزُّبير ويشكو طولَ مُقامه : [من الطويل]

تروَّحتِ الرُّكبانُ يـا أُمَّ هاشم وهُـنَّ مُناخاتٌ لهـنَّ حَنِينُ
وخيِّسن حتى ليس فيهـن نافِقٌ لبَيـعٍ ولا مركوبُهـن سَمِينُ[1]

قال : وهذا يدل على أن النَّوار كانت استعانت بأُم هاشم لا بتُماضِرَ .

[لما أذنت النوار في تزويجها منه استعان في مهرها سلم بن زياد فأعانه]

فلما أُذِنتِ النَّوارُ لعبد الله في تزويجها بالفرزدق حكم لها عليه بمهر مثلها عشرةِ آلافِ درهم . فسأل : هل بمكة أحد يُعِينه ؟ فَدُلَّ على سَلم بن زِياد . وكان ابنُ الزُّبير حَبسه ، فقال فيه : [من الطويل]

دَعي مُغلِقي الأبوابِ دون فَعالهم ومُرِّي تَمَشَّي بي ، هُبِلتِ ، إلى سَلمِ[2]
إلى من يرى المعروف سَهلاً سبيلُه ويفعل أفعال الكرام التـي تَنمِي[3]

ثم دخل على سالم فأنشده . فقال له : هي لك ومثلها نفقتُك ، ثم أمر له بعشرين ألفاً فقبضَها . فقالت له زوجته أُمُّ عثمان بنتُ عبدِ الله بن عثمانَ بنِ أبي العاصي الثَّقَفية : أتُعطى عشرين ألفاً وأنت محبوس ! فقال : [من الطويل]

أَلا بكَـرت عِرسي تَلُوم سَفاهةً على ما مضى منِّي وتأمر بالبخلِ
فقلت لهـا والجودُ منِّـي سجيةٌ وهل يمنعُ المعروفَ سُؤَّالَـه مثلي
ذَرِيني فإني غير تـارِكٍ شِيمتِي ولا مُقصِرٍ عن السَّماحةِ والبذلِ
ولا طاردٍ ضَيفِي إذا جاء طارقاً فقد طرَق الأضيافُ شَيخِي من قبلي
أَأبخَل ! إن البخـلَ ليس بمُخلِدٍ ولا الجُود يُدنيني إلى الموتِ والقتلِ
أَبِيع بنـي حَـربٍ بـآل خُوَيلِدٍ وما ذاكَ عندَ اللهِ في البيعِ بالعدلِ
وأشرِي ابنَ مروان الخليفةَ طائعاً بنَجْل بني العَوَّام ! قُبِّح من نَجْلِ
فإن تُظهِروا لي البخلَ آلَ خُوَيلدٍ فما دَلُّكم دَلِّي ولا شَكلُكم شكلي
وإن تَقهَروني حيث غابت عَشيرتي فمن عَجَبِ الأيام أن تَقهَروا مثلي

1 خيَّسن : لم يسرّحن .
2 ومري تمشي بي في الديوان 221/2 : ولكن تمضَّيْ لي .
3 وفي الصفحة نفسها من الديوان يكون الشطر الثاني : ويعقِلُ أخلاقَ الرجال التي تنمي .

[لم تحسن النوار عشرته فتزوّج عليها حدراء بنت زيق]

قال دَماذٌ في خبره : ثم اصطلحا ورضيت به ، وساق إليها مهرَها ودخل بها وأحبلها قبل أن تخرج من مكة ثم خرج بها وهما عَدِيلانِ في مَحمِلٍ . فكانت لا تزال تُشارُّه وتخالفه ، لأنها كانت صالحةً حسنة الدِّين وكانت تكره كثيراً من أمره . فتزوج عليها حَدراء بنت زِيق بن بِسطام بن قيس بن مسعود بن قَيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمام بن مُرة بن ذُهل بن شَيبان ، فتزوجها على مائة من الإبل . فقالت له النَّوارُ : وَيلَكَ ! تزوجتَ أعرابية دقيقة السَّاقين بوالة على عَقبَيها على مائة بعير ! . فقال الفرزدق يفضِّلها عليها ويُعيرها أنها كانت تربيها أَمَةٌ : [من الطويل]

لَجاريـةٌ بـين السَّلِيـلِ عُروقُهـا ... وبـين أبي الصَّهباء من آل خالدِ[1]
أحقُّ بإغـلاء المُهـور مـن التي ... رَبَتْ وهي تَنزُو في حُجور الولائدِ

ومدحها أيضاً فقال : [من البسيط]

عَقِيلةُ مـن بنـي شَيبانَ ترفعُها ... دَعائـمٌ للعُـلا مـن آل هَمامِ
من آل مُرَّةَ بـين المُستضاء بهم ... من رَهطِ صِيدٍ مَصاليتٍ وحُكامِ
بين الأحاوِص من كَلبٍ مُرَكَّبُها ... وبين قيس بـن مسعودٍ وبِسطامِ[2]

وقال أيضاً يمدحها ويعرِّض بالنوار : [من الطويل]

لعَمـري لأعرابيَّـة في مِظَلَّـة ... تَظَلُّ بأعلى بيتهـا الرِّيحُ تَخفِقُ[3]
كأُمِّ غَـزالٍ أو كَـدُرَّة غائـصٍ ... إذا مـا أتَت مثـل الغَمامة تُشرِقُ
أحَـبُّ إلينا مـن ضِناكٍ ضِفَنَّة ... إذا وُضِعت عنها المراوحُ تَعرَقُ[4]

فقال بعض باهِلةَ يُجيبه : [من البسيط]

أعوذُ بـاللهِ مـن غُـولٍ مُغَوِّلةٍ ... كأنَّ حافرَهـا في الخدِّ ظُنبُوبُ[5]
تَستَروِحُ الشاةَ من مِيلٍ إذا ذُبِحت ... حُبَّ اللِّحامِ كما يَستَروِحُ الذِّيبُ

1 أبو الصهباء : بسطام بن قيس . والسليل : السليل بن قيس أخو البسطام .
2 الأحاوص : عوف وعمرو وشريح وربيعة أولاد الأحوص بن جعفر بن كلاب .
3 مظلة : الخباء الكبير . بأعلى في ل : بروقي وكذلك في الديوان 55/2 .
4 الضناك : الضخمة من النساء . والضفنة : الحمقاء مع عظم خلق .
5 الظنبوب : حرف الساق اليابس من قدم .

[هاجاه جرير باغراء النوار]

وأغضب الفرزدقُ النَّوارَ بمدحه إياها ، فقالت : والله لأُخزينَّكَ يا فاسق ! وبعثت إلى جرير فجاءها ؛ فقالت : ألا ترى ما قال لي الفاسق ! وشكت إليه . فقال : [من الطويل]

فلا أنا مُعطِي الحُكمِ عَن شِفٍّ مَنصِبٍ ... ولا عن بنات الحَنظَلِيين راغبُ[1]
وهنَّ كماء المُزن يُشفى به الصَّدى ... وكانت مِلاحـاً غيرَهُن المَشاربُ
لقد كنتَ أهلاً أن تَسُوقَ دِياتِكم ... إلى آل زِيـق أن يَعِيبَك عائبُ
وما عَدَلتْ ذاتُ الصَّلِيب ظعينةً ... عُتَيبةُ والرِّدفانِ منهـا وحاجبِ[2]
أَلا رُبَّما لم نُعـطِ زِيقاً بحُكمِه ... وأَدَّى إلينا الحُكمَ والغُلُّ لازِبُ
حَوَينا أبـا زِيـقٍ وزِيقاً وعمَّه ... وجَدَّةُ زِيقٍ قـد حوتْهـا المَقانِبُ[3]

فأجابه الفرزدق بقصيدة منها : [من الطويل]

أَلستَ إذ القَعساء أَنسَلَ ظهرُها ... إلى آل بِسطام بن قيس بخاطبِ[4]
فنَـلْ مثلَها من مثلهم ثم لُمهمُ ... بملكك من مـالٍ مُراحٍ وعازِبِ
فلو كنتَ من أكفاء حَدراء لم تَلُمْ ... على دارِميٍّ بـين لَيلى وغالبِ
وإني لأخشى إن خطبتَ إليهمُ ... عليك التي لاقى يَسارُ الكواعبِ

يَسارٌ كان عبداً لبني غُدانةً ، فأراد مولاتَه على نفسها ، فنهته مرةً بعد مرة ، وألحَّ فوعدته ، فجاء فقالت له : إني أُريد أن أُبخِّرَك فإن رائحتك متغيِّرة ؛ فوضعت تحته مِجمرةً وقد أُعِدَّت له حديدة حادة ، فأدخلت يدها فقبضت على ذكره وهو يرى أن ذلك لشيء ، فقطعته بالمُوسى ؛ فقال : «صبراً على مجامر الكرام»[5] فذهبت مثلاً ، عاد الشعر : [من الطويل]

ولـو قَبِلـوا منِّـي عَطيـةَ سُقته ... إلى آلِ زِيقٍ من وَصيفٍ مُقارِبِ[6]
همُ زوَّجوا قبلي ضِراراً وأنكَحوا ... لَقِيطاً وهم أكفاؤنا في المَناسبِ

---

1 الشِّف : النقصان .
2 ذات الصليب : يريد بها حدراء . ظعينة : امرأة .
3 المقانب : جمع قنب ، وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة .
4 القعساء من النساء : الداخلة الصلب العظيمة البطن .
5 مثل ، مجمع الأمثال 255/2 (طبعة صادر) .
6 عطية : هو أبو جرير . والمقارب : الدون .

ولو تُنكِح الشمسُ النجومَ بناتِها إذاً لنكحناهـنّ قبـل الكواكبِ

وقال جرير : [من البسيط]

يا زِيقُ أُنكحتَ قَيناً باستِه حَمَمٌ يا زِيقُ وَيحَكَ مَن أنكحتَ يا زِيقُ
غاب المثنَّى فلم يَشهَد نَجيَّكما والحَوفـزانُ ولم يشهَدك مفروقُ
أين الأُلى أنزلوا النعمانِ مُقتَسَراً أم أيـن أبنـاءُ شَيبانَ الغَرانِيقُ
يا رُبَّ قائلـةٍ بعـد البِناء بهـا لا الصِّهرُ راضٍ ولا ابنُ القَينِ معشوقُ

وقال الفرزدق لجرير في هذا : [من البسيط]

إن كان أنفُك قد أعياكَ مَحمَلُه فاركبْ أتانَك ثم اخطُبْ إلى زِيقِ

[رأى في طريقه إلى حدراء كبشاً مذبوحاً فتشاءم بموتها]

قال : ولامه الحجاج وقال : أتزوجتَ ابنةَ نَصراني على مائة ناقة ؟! قال : وما هي في جُود الأمير ! قال : فاشترى الإبلَ وساقها . فلما كان في بعض الطريق ومعه أُوفى بن خِنزِير أحدُ بني التَّيم بن شَيبان بنِ ثَعلبة دليلُه رأى كبشاً مذبوحاً ، فقال : يا أوفى ، هلكت واللهِ حَدراءُ ! . قال : مالك بذلك من علم ! . فلما بلغ قال له بعض قومها : هذا البيتُ فانزل ، وأما حَدراء فهلكت . وقد عرفنا الذي يُصيبكم في دِينكم من ميراثها وهو النصف فهو لك عندنا . فقال : لا والله لا أرزأ منه قطميراً ، وهذه صَدُقَتُها[1] فاقبِضوها . فقال : يا بني دارم ! والله ما صاهرنا أكرمَ منكم . قال : وفي هذه القصة يقول الفرزدق : [من الطويل]

عجبـتُ لحادِينـا المقحِّمِ سيره بنـا مُوجَفاتٍ من كَلال وظُلَّعا
ليُدنِينـا ممّـن إلينـا لقـاؤه حبيبٌ ومـن دارٍ أَرَدنا لتجمَعا
ولو يعلم الغَيبَ الذي مِن أمامِنا لكـرَّ بنا حـادِي المطيِّ فأَسرَعا
يقولون زُر حَدراءَ والتُّربُ دونَها وكيف بشيءٍ وصلُه قـد تقطَّعا
ومـا مات عند ابنِ المَراغة مثلُها ولا تبعتـه ظاعنـاً حيث ودّعا
يقول ابنُ خِنزيرٍ بكيتَ ولم تكن على امـرأةٍ عينـا أخيك لتدمَعا
وأهونُ رُزءٍ لامرىءٍ غيرِ جازعٍ رَزِيَّـةُ مُرتَـجِّ الرَّوادِفِ أفرعا

[استعان الحجاج في مهر حدراء فعذله]

وقال ابن سَلاَّم فيما أخبرنا به أبو خَليفةَ عنه قال حدثني حاجب بن زيد وأبو الغَرَّاف قالا :

1 الصدقة : المهر .

تزوج الفرزدق حَدراءَ بنت زِيق بن بِسطام بن قَيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجَدين وهو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن هَمام بن مُرَّة بن ذُهل بن شَيبان على حكم أبيها ، فاحتكم مائةً من الإبل . فدخل على الحَجَّاج فعذَله فقال : أتزوجتَها على حكمها وحكم أبيها مائةِ بعير وهي نصرانية وجئتنا متعرِّضاً أن نَسُوقَها عنك ! اخرُج ما لك عندنا شيء ! . فقال عَنبَسة بن سعيد بن العاصي وأراد نفعَه : أيها الأمير ، إنها من حَواشي إبل الصدقة ؛ فأَمَر له بها . فوثَب عليه جرير فقال : [من البسيط]

يا زِيقُ قد كنتَ من شَيبانَ في حَسَبٍ ... يا زِيقُ وَيحَكَ مَن أنكحتَ يا زِيقُ
أنكحتَ وَيحَكَ قَيناً باستِه حَمَمٌ ... يا زِيقُ وَيحَك هل بارتْ بكَ السُّوقُ

ثم ذكر باقيَ القصيدة بمثل رواية دَماذ .

[أراد أن تحمل حدراء فاعتلوا بموتها وشعر لجرير في ذلك]

قال ابن سَلاَّم : وأراد الفرزدقُ أن تُحمَل ؛ فاعتلُّوا عليه وقالوا : ماتت ، كراهةَ أن يَهتِك جريرٌ أعراضَهم . فقال جرير : [من الطويل]

وأقسِم مـا ماتت ولكنه التَوى ... بحَدراءَ قـومٌ لم يَـرَوك لها أهلا
رأوا أن صِهرَ القَين عـارٌ عليهمُ ... وأن لِبسطامٍ على غالـبٍ فضلا
إذا هي حَلَّتْ مُسحُلانَ وحاربتْ ... بشَيبان لاقى القومُ من دونها شُغلا[1]

وحَدراءُ هذه هي التي ذكرها الفرزدق في أشعاره . ومن ذلك قوله : [من الطويل]

صوت

عزَفتَ بأَعشاشٍ وما كِدتَ تَعزُفُ ... وأنكرتَ من حَدراءَ ما كنتَ تعرِفُ[2]
ولَجَّ بـك الهِجـرانُ حتـى كأَنَّما ... ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تأْلَفُ

عروضه من الطويل . عزَفتَ عن الشيء انصرفت عنه ، عزَف يَعزُفُ عُزُوفاً . الشعر للفرزدق . والغناء لسَلسَل ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى ، وفيه لحنٌ للغَريض من الثَّقيل الأول بالبنصر من رواية حَبَش .

[قصة ما كان بينه وبين ابن أبي بكر بن حزم]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش ومحمد بن العباس اليَزيدي قالا حدثنا أبو سعيد السُّكَّري قال حدثنا محمد بن حَبِيبَ وأبو غسان دَماذٌ عن أبي عبيدة قال قال اليَربوعي : قال إبراهيم بن

1 مسحلان : موضع في بلاد بني يربوع .
2 أعشاش : موضع في بلاد بني تميم .

محمد بن سَعد بن أبي وَقاص الزُّهري : قدِم الفرزدقُ المدينةَ في إمارة أَبانِ بن عثمان . قال : فإني والفرزدق وكثيِّراً لجلوسٌ في المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلامٌ شَخْتٌ[1] آدَمُ في ثوبين مُمَصَّرين (أي مصبوغين بصُفرة غير شديدة) ثم قصد نحوَنا حتى جاء إلينا فلم يسلِّم ، فقال : أيُّكم الفرزدق ؟ فقلت مخافة أن يكون من قريش : أهكذا تقول لسيِّد العرب وشاعرها ! فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومَن أنت لا أُم لك ؟! قال : رجل من بني الأنصار ثم من بني النَّجَّار ثم أنا ابن أبي بكر بن حَزم . بلغني أنك تزعمُ أنك أشعر العرب وتزعُمُ مُضَرُ ذلك لك ، وقد قال صاحبنا حَسَّان شعراً فأردتُ أن أعرِضه عليك وأؤجِّلك سنةً ؛ فإن قلتَ مثله فأنت أشعر العرب وإلا فأنتَ كذَّاب مُنتَحل . ثم أنشده قول حسان : [من الطويل]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ مـــن نَجدَةٍ دَما
مَتى مـــا تَزُرنا مـــن مَعَدٍّ عِصابةٌ وغسانَ نَمنَع حَوضَنا أن يُهَدَّما

قيل إن قوله : «وغسان» هاهنا قسمٌ أقسم به ، لأن غسان لم تكن تغزوهم مع مَعَد :

أَبى فعلُنا المعروفَ أن نَنطق الخَنا وقائلُنـــا بـــالعُرفِ إلا تَكَلُّما
ولَدنا بني العَنقاء وابنَـــي مُحَرِّقٍ فأكـــرِم بنا خالاً وأكرِم بنا ابنَما

فأنشده القصيدة إلى آخرها وقال له : إني قد أجَّلتك فيها حولاً ، ثم انصرف . وانصرف الفرزدقُ مُغضَباً يسحَب رداءه ما يَدرِي أيَّ طريقٍ يسلكُ ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كثيِّر عليَّ فقال : قاتل الله الأنصاريَّ ! ما أفصحَ لهجتَه ، وأوضح حُجَّتَه ، وأجوَدَ شعرَه ! . قال : فلم نزل في حديث الفرزدق والأنصاري بقيةَ يومنا . حتى إذا كان الغدُ خرجتُ من منزلي إلى مجلسي الذي كنت فيه بالأمس ؛ وأتاني كثيِّر فجلس معي . فإنا لنتذاكر الفرزدقَ ونقول : ليت شعري ما فعل ، إذ طلع علينا في حُلةِ أفوافٍ[2] يَمانيّةٍ مُوَشَّاةٍ ، له غَدِيرتان ، حتى جلس في مجلسه بالأمس ، ثم قال : ما فعل الأنصاري ؟ قال : فنِلنا منه وشتَمناه . فقال : قاتله الله ! ما رُمِيتُ بمثله ولا سمعت بمثل شعره ! فارقتُكما فأتيتُ منزلي فأقبلتُ أُصَعِّد وأُصوِّب في كل فنٍّ من الشعر ، فَلَكأنِّي مُفحَمٌ أو لم أقل قطُّ شعراً حتى نادى المنادِي بالفجر ، فرحَلتُ ناقتي ثم أخذت بزِمامها فقُدتُها حتى أتيتُ ذِباباً[3] ، ثم ناديتُ بأعلى صوتي : أخاكم أبا لُبنى ، وقال سعدان : أبا ليلى ! ، فجاش صدري كما يجيش المِرجَل ، ثم عَقَلتُ ناقتي وتوسدتُ ذراعها ؛ فما قمتُ حتى قلتُ مائةً وثلاثةَ عَشَرَ بيتاً . فبينا هو يُنشدنا ، إذ طلع علينا الأنصاري حتى انتهى إلينا

1 الشخت : الدقيق الضامر أصلاً لا هزالاً .
2 الأفواف : جمع فُوف وهو القطن .
3 ذِباب : جبل بالمدينة .

فسلَّم ثم قال : أما إني لم آتِك لأعجِلكَ عن الأجل الذي وقَّتَّه لك ، ولكنِّي أحببت ألا أراك إلا سألتُك عما صنعتَ . فقال : اجلس ، ثم أنشده : [من الطويل]

عزَفتَ بأعشاشٍ وما كِدتَ تَعزِفُ

فلما فرَغ الفرزدقُ من إنشاده قام الأنصاريُّ كئيباً . فلما توارى طلع أبوه وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حَزم في مَشيَخة من الأنصار ، فسلموا علينا وقالوا : يا أبا فِراس ، قد عرفتَ حللَنا ومكانَنا من رسول الله ﷺ ووصيتَه بنا . وقد بلَغنا أن سفيهاً من سُفَهائنا تعرَّض لك ، فنسألك بالله لَما حفِظت فينا وصيةَ النبي ﷺ ووهبتَنا له ولم تفضَحنا . قال إبراهيم بن محمد : فأقبلتُ أكلِّمه أنا وكثيِّر ، فلما أكثرنا عليه قال : اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي .

قال : وقد كان جرير قال : [من الطويل]

ألا أيُّها القلبُ الطَّروبُ المُكَلَّفُ أفِقْ رُبَّما يَنأى هواكَ ويُسعِفُ

ظَلِلتَ وقد خبَّرتَ أن لستَ جازعاً لِرَبع بسُلمانَينِ عَيْنُكَ تَذرفُ[1]

فجعل الفرزدقُ هذه القصيدة نَقِيضة لها .

نسبة ما في هذا الخبر من الأصوات

منها : [من الطويل]

صوت

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ من نَجدةٍ دما

ولَدنا بني العَنقاء وابنَي محرِّق فأكرِم بنا خالاً وأكرم بنا ابنَما

عروضه من الطويل . الشعر لحسان بن ثابت . والغناء لمعبد خفيف ثقيلٍ أول بالبنصر عن عمرو بن بانة .

[ما كان بين النابغة وحسان بسوق عكاظ حين مدح النابغة الخنساء]

أخبرني عمِّي الحسن بن محمد قال حدثني محمد بن سَعد الكُراني عن أبي عبد الرحمن الثَّقفي ، وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شَبة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيوبَ الصائغ عن ابن قُتيبة : أن نابغةَ بني ذُبيان كان تُضرب له قُبة من أدم بسُوقِ عُكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ؛ فدخل إليه حسان بن ثابت وعنده الأعشى وقد أنشده شعرَه وأنشدته الخَنساءُ قولَها : [من البسيط]

قَـذىً بعينِك أم بالعين عُوّارُ

1 سلمانان : اسم موضع .

حتى انتهت إلى قولها : [من البسيط]

وإن صخراً لَتأتمُّ الهُداةُ بـه كأنّـه عَلَـمٌ في رأسه نـارُ

وإن صخراً لمولانـا وسيِّدُنا وإن صخـراً إذا نَشتُو لَنحّارُ

فقال : لولا أن أبا بَصيرٍ أنشدني قبلكِ لقلت : إنك أشعر الناس ! أنت واللهِ أشعر من كل ذات مَثانة[1] . قالت : والله ومن كلِّ ذي خُصيتين . فقال حسان : أنا والله أشعر منكَ ومنها . قال : حيث تقول ماذا ؟ قال : حيث أقول : [من الطويل]

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بالضُّحى وأسيافُنا يَقطُرنَ مـن نَجدةٍ دَما

ولَدنا بنـي العَنقاء وابنَي محرِّقٍ فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابنَما

فقال : إنك لشاعر لولا أنك قلَّلتَ عدد جِفانك وفخَرتَ بمن وَلدتَ ولم تَفخَر بمن ولَدك . وفي رواية أُخرى : فقال له : إنك قلت «الجَفَنات» فقلَّلتَ العدد ولو قلت «الجفان» لكان أكثَر . وقلت «يلمعن في الضُّحى» ولو قلت «يَبرُقنَ بالدُّجى» لكان أبلغ في المديح لأن الضيف بالليل أكثر طُروقاً . وقلتُ «يَقطُرنَ من نجدة دما» فدلَلتَ على قلة القَتلِ ولو قلت «يَجرِينَ» لكان أكثرَ لانصباب الدم . وفخَرتَ بمن ولَدتَ ولم تفخَر بمن ولدَك . فقام حَسان منكسِراً منقطِعاً .

ومما يغنَّى فيه من قصيدة الفرزدق الفائية قولُه : [من الطويل]

صوت

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسِيرون خَلفَنا وإن نحـن أومأنا إلى الناس وَقَّفُوا

فيه رمل بالوسطى ، يقال : إنه لابن سُريج ، وذكر الهشامي أنه من منحول يحيى المَكّي .

أخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني أبو مسلمة موهوب بن رشيد الكِلابي قال : وقف الفرزدق على جَميلٍ والناس مجتمعون عليه وهو يُنشِد : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسِيرون خَلفَنا وإن نحن أومَأنا إلى الناس وَقَّفُوا

فيه رَمَلٌ بالوسطى ، يقال : إنه لابن سُريج ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحولِ يحيى المكّي .

[انتحل بيتاً لجميل]

أخبرنا الحِرْمِيّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني أبو مَسْلَمة موهوب بن رشيد الكلابيّ قال : وقف الفرزدق على جميل والناس مجتمعون عليه وهو يُنشِد :[من الطويل]

1 المثانة : المقصود بها هنا : الرحم .

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسِيرون خَلفَنا وإن نحن أومَأنا إلى الناس وَقَّفُوا

فأشرع إليه رأسَه من وراء الناس وقال : أنا أحقُّ بهذا البيت منك . قال : أنشُدك اللهَ يا أبا فِراس ! . فمضى الفرزدقُ وانتحله .

[عرّض هو وكثيّر كل منهما للآخر أنه سرق بيتاً من جميل]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثني الزُّبير قال حدثني أبي عن جدّي : أن الفرزدق لقي كثيِّراً فقال له : ما أشعرك يا كثيِّر في قولك : [من الطويل]

أُريـد لأنسى ذكرَها فكأنما تَمَثَّلُ لي لَيلى بكل سبيلِ

فعرَّض له بسرقته إياه من جَميل : [من الطويل]

أُريد لأنسى ذكرهـا فكأنما تَمَثَّلُ لي لَيلى على كلِّ مَرقَبِ

فقال له كثيِّر : أنت يا فرزدق أشعر منِّي في قولك : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسِيرُون خَلفَنا وإن نحن أومَأنا إلى الناسِ وَقَّفوا

قال : وهذا البيت لجميل سرقَه الفرزدق ، فقال الفرزدق لكثيِّر : هل كانت أُمُّك تَردُ البصرةَ ؟ قال : لا ! ولكن أبي كان نَزِيلاً لأُمِّك .

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير قال حدثني محمد بن إسماعيل عن عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن ابن شِهاب عن طلحة بن عبد الله بن عوف قال : لقي الفرزدق كثيِّراً بقارعة البَلاط وأنا وهو نمشي ؛ فقال له الفرزدق : يا أبا صَخر ! أنت أنسبُ العربِ حيث تقول : [من الطويل]

أُريـدُ لأنسى ذكرَها فكأنمـا تَمَثَّـلُ لي ليـلى بكلِّ سبيلِ

قال : وأنت يا أبا فِراس أفخر العرب حيث تقول : [من الطويل]

تَرى الناسَ ما سِرنا يَسِيرُونَ خَلفَنا وإن نحـن أومَأنا إلى الناس وَقَّفوا

قال عبد العزيز : وهذان البيتان جميعاً لجَميل ، سرق أحدَهما الفرزدق ، وسرَق الآخرَ كثيِّر ، فقال له الفرزدق : يا أبا صَخر ، هل كانت أُمك تَرِدُ البصرة ؟ قال : لا ! ولكن أبي كان كثيراً يَرِدُها . قال طلحة : فوالذي نفسي بيده لقد تعجبتُ من كثيِّر وجوابه ، وما رأيت أحداً قطُّ أحمقَ منه ؛ لقد دخلتُ عليه يوماً في نَفَر من قريش ، وكنا كثيراً نَهزأ به ، وكان يتشيع تشيُّعاً قبيحاً ، فقلنا له : كيف تجدك يا أبا صَخر ؟ فقال : بخير . هل سمعتم الناس يقولون شيئاً ؟ قلت : نعم ! يتحدثون أنك الدجَّال . قال : والله إن قلتَ ذلك إنِّي لأجد في عيني هذه ضعفاً منذ أيام ! .

ولجرير قصيدة يُناقض بها هذه القصيدة في أوَّلها غناء نسبته : [من الطويل]

أَلا أيُّها القلب الطَّرُوب المكلَّفُ أَفِـقْ رُبَّما يَنأى هواك ويُسعِفُ
ظَلِلتَ وقد خبَّرتَ أن لستَ جازعاً لرَبــعٍ بِسُلمانَين عينُـك تَذرِفُ

الشعر لجرير . والغناء لمحمد بن الأشعث الكوفي ثاني ثقيل بالبنصر ، عن عمرو بن بانة . وقال حبش : فيه ثقيل أول بالوسطى . وليس ذلك بصحيح .

رجع الحديث إلى سياقة حديث الفرزدق والنَّوار .

[تزوّج رهيمة بنت غنيم اليربوعية]

قال دماذ : وتزوج الفرزدق على النَّوار امرأةً من اليَرابيع ، وهم بطن من النَّمِر بن قاسط حلفاء لبني الحارث بن عُباد القَيني ، وقد انتسبوا فيهم . فقالت له النَّوار : وما عسى أن تكون القَينية ؟ فقال : [من الطويل]

أرتك نجومَ اللَّيلِ والشمسُ حيَّةٌ زِحامُ بنـاتِ الحارثِ بن عُبادِ[1]
نساءٌ أبوهنّ الأغـرُّ ولم تكـن مـن ألحُـتٍّ في أجبالهـا وهَدادِ
ولم يكن الجَوفُ الغموضُ مَحَلَّها ولا في الهِجاريِّين رَهـطِ زيادِ
أبوها الذي أدنى النَّعامة بعدمـا أبَتْ وائـلٌ في الحربِ غيرَ تَمادِ

يعني بأبيها الذي أدنى النعامةَ الحارثَ بن عُباد ، وأراد قوله :

قرِّبـا مَربَـطَ النَّعامـةِ مني

عدلتُ بها مَيلَ النَّوارَ فأصبحتْ مُقارِبـةً لي بعـد طولِ بِعادِ
وليست وإن أنبأتُ أنّي أُحِبُّها إلى دارِميَّـات النِّجـار جِيادِ

وقال أبو عبيدة حدثني أعيَنُ بن لَبطَةَ قال : تزوج الفرزدق ، مُضارةً للنَّوارَ ، امرأةً يقال لها رُهَيمة بنت غُنَيم بن دِرهم من اليَرابيع ، قوم من النَّمِر بن قاسط في بني الحارث بن عُباد . وأمها الحُمَيضة من بني الحارث . فنافرته الحُمَيضة فاستعدت عليه . فأنكرها الفرزدق وقال : أنا منها بريء ؛ وطلَّق ابنتها وقال : [من البسيط]

إن الحُمَيضة كانت لي ولابنتِها مثلَ الهَراسةِ بين النَّعلِ والقَدَمِ
إذا أتتْ أهلَهـا منّي مُطَلَّقةً فلـن أَرُدَّ عليهـا زَفـرَةَ النَّدَمِ

1 أرتك في الديوان 134/1 : أراها .

155 ـ [غناء المعتضد]

مضى الحديث . ولم أجد لأحدٍ من الخلفاء الذين ذكرتُهم والذين لم أذكرهم . بعد الواثق ، صَنعةً يُعتَدُّ بها إلا المعتضدَ ، فإنه صنَع صنعةً متقنة عجيبة ، أبرَّت على صنعة سائر الخلفاء سوى الواثق ، وفضَل فيها أكثر أهل الزمان الذي نشأ فيه . وإنما ذكرتُ صنعةَ مَن بينهما ، لأنها قد رُوِيَت ، فأما حقيقة الغِناء الجيِّد فليس بينهما مثلُهما . وذكر عبيد الله بن عبد الله بن طاهر صنعةَ المعتضِد فقرَّظها ، وقال : لم أجِد لحناً قديماً قد جمع من النَّغَم ما جمعه لحن ابن مُحرِز في شعر مُسافِر بن أبي عمرو وهو : [من مجزوء الكامل]

يـا مَـــن لِقَلبٍ مُقصِرٍ تــرَك المُنــى لفواتهـــا

فإنه جمع من النغم العشر ثمانياً ، ولحن ابن مُحرِز أيضاً في شعر كثيِّر : [من المتقارب]

توهَّمتُ بالخَيفِ رسماً مُحِيلاً لِعــزَّةَ تَعــرِفُ منــه الطُّلُولا

وهو أيضاً يجمع ثمانيا من النَّغَم . وقد تلطَّف بعضُ مَن له دُربةٌ وحِذقٌ بهذه الصناعة حتى جمع النَّغَم العشرَ في هذا الصوت الأخير متوالية ، وجمعها في صوت آخر غيرَ متوالية ، وهو في شعر ابن هَرمة : [من الطويل]

فإنكِ إذْ أطمعتِني منكِ بالرِّضا وأيأستِني من بعد ذلك بالغضبْ

وأعجبُ من ذلك ما عمله أمير المؤمنين المعتضد بالله ؛ فإنه صنع في رَجَز دُرَيد بن الصِّمة «يا ليتني فيها جَذَعْ» لحناً من الثقيل الأول يجمع النَّغَم العشرَ ، فأتى به مستوفى الصنعة مُحكَم البناء ، صحيحَ الأجزاء والقسمة ، مُشبَع المفاصل ، كثيرَ الأدوار ، لاحقاً بجيِّد صنعة الأوائل . وإنما زاد فضلُه على من تقدمه لأنه عمله في ضرب من الرجز قصير جداً ، واستوفى فيه الصنعة كلَّها على ضيق الوزن ، فصار أعجب مما تقدمه ، إذ تلك عُمِلت في أوزان تامة وأعاريضَ طِوال يتمكن الصانع فيها من الصنعة ويقتدر على كثرة التصرُّف ؛ وليس هذا الوزن في تمكُّنه من ذلك فيه مثلَ تلك .

نسبة هذا اللحن

صوت

[من مجزوء الرجز]

يا ليتني فيهـــا جَذَعْ أَخُـبُّ فيهـــا وأَضَعْ[1]

أَقُـــودُ وَطفـــاءَ الزَّمَـــعْ كأنّهـــا شاةٌ صَدَعْ[2]

الشعر لدُريد بن الصِّمة . والغناء للمعتضد ، ولحنُه ثقيلٌ أول يجمع النَّغَم العشرَ .

* * * *

1 الجذع : الصغير السن . الخبب والوضع : نوعان من السير .

2 الزمع : شبه أظفار الغنم في الرسغ . وطفاء : كثيرة الشعر سابغته ، يريد فرساً . الصدع : من الأوعال والظباء والإبل والحمر : الفتي الشاب القوي منها .

الفهرس

[125] ـ ذكر أخبار كثير ونسبه 5
[126] ـ أخبار عبيد الله بن عبد الله بن طاهر 31
[127] ـ ذكر مُسافِر ونسبه 38
[128] ـ فأما خبر عمارة بن الوليد والسبب الذي من أجله أمر النجاشي السواحر فسحرته . . . 43
[129] ـ الأرمال الثلاثة المختارة 48
[130] ـ ذكر امرىء القيس ونسبه وأخباره 59
[131] ـ أصوات معبد المعروفة بألقابها وهي خمسة 78
[132] ـ أخبار الأعشى ونسبه 80
[133] ـ نسب عمرو بن سعيد بن زيد أخباره 96
134 ـ [بعض أخبار لمغنين وشعراء] 97
135 ـ [مدن معبد] 102
[136] ـ ذكر عبيد الله بن عبد الله ونسبه 104
[137] ـ ذكر الشماخ ونسبه وخبره 118
[138] ـ ذكر قيس بن ذَرِيح ونسبه وأخباره 133
139 ـ [من مدن معبد] 163
[140] ـ ذكر الحارث بن خالد ونسبه وخبره في هذا الشعر 168
[141] ـ نسبة أصوات معبد في قُتَيلة 176
[142] ـ نسبة ما لم تمض نسبته من هذه الأصوات إذ كان بعضها قد مضى متقدِّما 178
[143] ـ أغاني الخلفاء وأولادهم وأولاد أولادهم 186
[144] ـ ذكر عمر بن عبد العزيز وشيء من أخباره 189
[145] ـ نسب الأشهب بن رُميلة وأخباره 199
146 ـ [عود إلى أخبار عمر بن عبد العزيز] 202
147 ـ [غناء الوليد بن يزيد] 204
148 ـ [غناء الواثق] 205
149 ـ [غناء المنتصر] وممن حُكي عنه أنه صنع في شعره وشعر غيره المنتصرُ 223
150 ـ [غناء المعتز بالله] 227
[151] ـ أخبار عَدِي بن الرِّقاع ونسبه 228
[152] ـ أخبار المعتز في الأغاني ومع المغنين وما جَرى هذا المجرى 236
153 ـ [غناء المعتمد] 239
[154] ـ ذكر بعض أخبار الفرزدق في هذا الشعر خاصة دون غيره 240
155 ـ [غناء المعتضد] 255

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عباس

المجلد العاشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

10

جَميع الحُقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

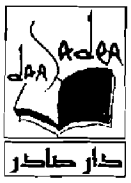

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphaḥānī)

ISBN 9953-13-045-0

[156] ـ أخبار دريد بن الصمة ونسبه[1]

[نسبه]

هو دُرَيْد بن الصِّمَّة . واسم الصِّمَّة ، فيما ذكر أبو عمرو ، معاويةُ الأصغر بن الحارث بن معاوية الأكبر بن بكر بن عَلَقة ، وقيل عَلقَمة ، بن خُزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هوازِن . وأما أبو عبيدة فقال : هو دريد بن الصِّمَّة ، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن عَلَقة ولم يذكر معاوية . وقال ابن سَلاَّم : الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلَقة .

[صفاته]

ودريد بن الصِّمَّة فارسٌ شجاع شاعر فَحل ، وجعلَه محمد بن سلام أول شعراء الفُرسان . وقد كان أطولَ الفرسان الشعراء غَزواً ، وأبعدهم أثراً ، وأكثرهم ظَفَراً ، وأيمنهم نقيبة عند العرب ، وأشعرهم دريد بن الصِّمَّة .

وقال أبو عبيدة : كان دريد بن الصِّمَّة سيد بني جُشَم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفَّراً ميمون النَّقيبة ، وغزا نحو مائة غزاة ما أُخفق في واحدة منها ، وأدرك الإسلام فلم يُسلِم ، وخرج مع قومه في يوم حُنين مُظاهراً للمشركين ، ولا فضل فيه للحرب ، وإنما أخرجوه تيمُّناً به وليقتبسوا من رأيه ، فمنعهم مالكُ بن عوف من قبول مشورته .

وخالفه لئلا يكون له ذِكر ، فقُتِل دريد يومئذٍ على شِركه . وخبرُه يأتي بعد هذا .

[إخوته]

وكان لدريد إخوة وهم عبد الله الذي قتلته غَطَفان ، وعبد يغوث قتله بنو مرَّة ، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كِلاب ، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب ، أمُّهم جميعاً رَيحانة بنت مَعد يكرب الزُّبيدي أخت عمرو بن معد يكرب كان الصِّمَّة سباها ثم تزوجها فأولدها بَنِيه . وإياها يعني أخوها عمرو بقوله في شعره[2] : [من الخفيف]

---

1 ترجمة دريد بن الصمة في الشعر والشعراء (دار الثقافة) : 635–638 والخزانة 11 : 118–121 والسمط : 39 والمعمرين : 20 وأسماء المغتالين : 223 وانظر شرح الحماسة للمرزوقي (أحمد أمين وعبد السلام هارون) : 812 ومواضع متفرقة من أيام العرب في الجاهلية . وقد جمع شعره محمد خير البقاعي في ديوان صدر عن دار قتيبة (دمشق) .

2 سترد ترجمة عمرو بن معد يكرب فيما بعد ، قالوا : إن ريحانة كانت أخته أو زوجته ، وقيل بل هي موضع (الخزانة 8 : 182) .

أَمِـن رَيحانـةَ الدّاعي السَّميعُ يؤرِّقنـي وأصحابـي هُجُـوعُ
إذا لم تَستَطِـعْ شيئـاً فَدَعْـه وجـاوِزْه إلى مـا تستطيعُ[1]

[ابنه وبنته شاعران]

وكان لدريد ابنٌ يقال له سَلَمة ، وكان شاعراً وهو الذي رمى أبا عامر الأشعري بسهم فأصاب ركبته فقتله وارتجز فقال : [من الرجز]

إن تَسألوا عنِّـي فإني سَلَمـهْ ابنُ سَمادِيـرَ لمـن ترسَّمهْ[2]
أضرِب بالسيف رؤوسَ المُسلِمَهْ

وكانت لدريد أيضاً بنتٌ يقال لها عَمرةُ وكانت شاعرة ، ولها فيه مَراثٍ كثيرة .

[شعره في الصبر]

أخبرني بخبره هاشم بن محمد الخزاعي قال : حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة وأخبرني به محمد بن الحسن بن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة ، وأخبرني بأخبار له مجموعة ومتفرقة جماعة من شيوخنا أذكرهم في مواضعهم ، وأخبرني أيضاً بخبره محمد بن خَلَف بن المرزبان عن صالح بن محمد عن أبي عمرو الشيباني وقد بيَّنتُ[3] رواية كل واحد منهم في موضعها ، قال أبو عبيدة سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قول دريد بن الصِّمَّة حيث يقول[4] : [من الطويل]

تقول ألا تَبكي أخاك ! وقـد أرى مكانَ البكا لكن بُنِيتُ على الصبرِ
لمقتـلِ عبـدِ الله والهالـكِ الذي على الشَّرَفِ الأعلى قتيلِ أبي بكرِ[5]
وعبدِ يَغُـوث أو خليليَ خالـدٍ وعَـزَّ مُصاباً حَثـوُ قبرٍ على قبرِ
أبـى القتـلَ إلا آلُ صِمَّةَ إنهم أَبَوْا غيرَه والقَدرُ يَجري إلى القَدْرِ
فإمـا تَرَيْنا مـا تـزالُ دماؤنـا لدى واترٍ يَشقَى بهـا آخرَ الدَّهرِ
فإنا لَلَحـمُ السيـفِ غيرَ نَكِيرةٍ ونَلحَمُـه حيناً وليس بذي نُكرِ[6]

1 شيئاً في ل : أمراً .
2 سمادير : اسم أم سلمة امرأة دريد .
3 ل : أثبت .
4 ديوانه : القطعة 22 وشرح الحماسة (المرزوقي) : 2 : 822–827 وفي روايته اختلاف .
5 قتيل بني أبي بكر هو قيس أخو دريد كما ذكر من قبل .
6 حيناً في ل : طوراً . ونلحمه : نطعمه اللحم .

يُغـارُ علينـا واتِريـن فيُشتَفـى بنـا إن أُصِبنا ، أو نُغِير على وِترِ
بذاكَ قَسَمنا الدَّهرَ شَطرَيْنِ قِسمةً فما يَنقضي إلا ونحـنُ على شَطْرِ

وأخبرني ابن عَمار قال : حدثني يعقوب بن إسرائيل قال حدثني محمد بن القاسم الأَسَدِي عن صاعِدٍ مولى الكُمَيت بن زيد يقول : أحسنُ شعرٍ قيل في الصبر على النوائب قولُ دريد بن الصِّمَّة ، وذكر هذه الأبيات .

[يوم اللوى ومقتل عبد الله بن الصمّة]

قال أبو عبيدة : فأما عبد الله بن الصِّمَّة فإن السبب في مقتله إنه كان غزا غَطَفان ومعه بنو جُشَمَ وبنو نَصرٍ أبناء معاوية فظفِر بهم وساق أموالهم في يوم يقال له يوم اللِّوى[1] ومضى بها . ولما كان منهم غير بعيد قال : انزلوا بنا ، فقال له أخوه دريد : يا أبا فُرْعان ، وكانت لعبد الله ثلاثُ كُنىً : أبو فُرعان ، وأبو ذُفافة ، وأبو أوفى ، وكلُّها قد ذكرها دريد في شعره : نشدتُك الله ألاّ تنزل فإن غَطَفان ليست بغافلةٍ عن أموالها ، فأُقسم لا يَرِيم حتى يأخذ مرباعَه[2] وينقع نقيعَه[3] ، فيأكل ويُطعِم ويَقسِمَ البقية بين أصحابه ، فبينا هم في ذلك وقد سطعتِ الدواخن ، إذا بغبار قد ارتفع أشدَّ من دخانهم ، وإذا عبسٌ وفزارة وأشجع قد أقبلت فقالوا لربيئتهم[4] : انظر ماذا ترى ؟ فقال أرى قوماً جِعاداً كأن سرابيلهم قد غُمست في الجادي[5] قال : تلك أشجع ، ليست بشيء . ثم نظر فقال : أرى قوماً كأنهم الصبيان ، أسنتهم عند آذان خيلهم . قال : تلك فزارة . ثم نظر فقال : أرى قوماً أُدماناً[6] كأنما يحملون الجبل[7] بسوادهم ، يَخُدُّون[8] الأرض بأقدامهم خَداً ، ويَجُرُّون رماحهم جَراً ، قال : تلك عبسٌ والموت معهم ! فتلاحقوا بالمنعرج من رميلة اللِّوى فاقتتلوا فقتل رجلٌ من بني قاربٍ وهم من بني عبس عبد الله بن الصِّمَّة فتنادوا : قُتِل أبو ذُفافة ! فعطف دريد فذَبَّ عنه فلم يُغنِ شيئاً . وجُرِح دريد فسقط فكَفُّوا عنه وهم يرون أنه قُتل ، واستنقذوا المال ونجا مَن هرب . فمرّ الزَّهدمان وهما من بني عبس ، وهما زَهدمٌ وقيس ابنا حزن بن وهب بن رواحة وإنما قيل لهما الزَّهدمان تغليباً لأشهر الاسمين عليهما ، كما قيل

1 اللوى : واد لبني سليم .
2 المرباع : ربع الغنيمة وهو حظ الرئيس في الجاهلية .
3 النقيع : ما ينقع في الماء وينصرف إلى النبيذ . والنقيعة : جزور تنحر للأضياف .
4 الربيئة : الطليعة .
5 الجادي : الزعفران .
6 أدمان : جمع آدم وهو الأسمر .
7 ل : الأرض .
8 يخدون : يشقون .

العمران لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والقمران للشمس والقمر . قال دريد : فسمعت زهدماً العبسيَّ يقول لكردم الفزاري إني لأحسب دريداً حياً فانزل فأجهز عليه ، قال : قد مات ، قال : انزل فانظر إلى سُبَّته[1] هل ترمِزُ[2] ؟ قال دريد : فسددتُ من حِتارها[3] أي من شَرَجها ، قال فنظر فقال : هيهات ، أي قد مات ، فولَّى عني ، قال ومال بالزُّجِّ في شَرَج دريد فطعنه فيه فسال دمٌ كان قد احتقن في جوفه ، قال دريد فعرفت الخِفَّة حينئذٍ فأمهلتُ ، حتى إذا كان الليلُ مشيتُ وأنا ضعيف قد نَزَفني الدم حتى ما أكاد أبصِر ، فجُزت بجماعةٍ تسير فدخلتُ فيهم ، فوقعتُ بين عُرقوبي بعير ظعينة ، فنفَر البعير فنادت : نعوذ بالله منك ، فانتسبتُ لها فأعلمتِ الحيَّ بمكاني ، فغُسل عنِّي الدم وزُوِّدتُ زاداً وسِقاء فنجوت . وزعم بعض الغطفانيِّين أن المرأة كانت فزارية وأن الحيَّ كانوا علِموا بمكانه فتركوه ، فداوته المرأة حتى برأ ولحِق بقومه . قال : ثم حجَّ كردم بعد ذلك في نَفَر من بني عبس ، فلما قاربوا ديار دريد تنكَّروا خوفاً ، ومَرَّ بهم فأنكرهم ، فجعل يمشي فيهم ويسألهم من هم ؟ فقال له كردم . عمَّن تسأل ؟ فدفعه دريد ، وقال : أمّا عنك وعمَّن معك فلا أسأل أبداً ، وعانقه ، وأهدى إليه فرساً وسلاحاً ، وقال له : هذا بما فعلتَ بي يوم اللِّوى .

وقال دريد يرثي أخاه عبد الله[4] : [من الطويل]

أرَثَّ جديدُ الحبلِ من أُمِّ معبدِ ... بعاقبةٍ وأخلفتْ كلَّ موعدِ[5]

وبانتْ ولم أحمَدْ إليكَ جِوارَها ... ولم تَرجُ منّا رِدَّةَ اليومِ أو غَدِ

وهي طويلة وفيها يقول :

أعاذِلَتي كلُّ امرىء وابنُ أُمِّه ... متاعٌ كزادِ الراكبِ المتزوِّدِ

أعاذلَ إن الرُّزءَ أمثالُ خالدٍ ... ولا رُزءَ مما أهلَكَ المرءُ عن يدِ[6]

نصحتُ لعارضٍ وأصحابِ عارض ... ورهط بني السَّوداء والقومُ شُهَّدي[7]

---

1 سبته : استه .

2 وترمز : تضطرب .

3 الحتار : ما أحاط بالشيء .

4 ديوانه : القصيدة 15 ، وفيه تخريج كافٍ لها .

5 بعاقبة : أي بآخرة .

6 ذكر أبو الفرج إخوة دريد ومنهم خالد وعبد الله . وقد روى التبريزي في شرح الحماسة أن عبد الله وعارضاً وخالداً ثلاثة أسماء لعبد الله (انظر حاشية محققي شرح المرزوقي ص 812) .

7 رهط بني السوداء : أصحاب عبد الله .

فقلتُ لهم ظُنّوا بألفَيْ مدجَّج سَراتُهمُ في الفارسيّ المُسَرَّدِ[1]
أمرتُهمُ أمري بمُنعَرَجِ اللِّوى فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغَدِ
فلما عَصَوني كنتُ منهم وقد أَرى غَوايتَهم وأنّني غيرُ مهتدِ
وهل أنا إلا مِنْ غَزِيةَ إن غَوَتْ غَوَيتُ ، وإن تَرشُد غَزيةُ أرشُدِ
دعاني أخي والخيلُ بيني وبينه فلما دعاني لم يَجِدْني بقُعدُدِ[2]
تنادَوا فقالوا أَردَتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أعبدُ اللهِ ذلكمُ الرَّدِي
فإن يَكُ عبدُ اللهِ خلَّى مكانَه فلم يَكُ وَقَّافاً ولا طائشَ اليدِ[3]
ولا بَرِماً إذا الرياحُ تناوحتْ برَطبِ العِضاه والهَشِيم المعضَّدِ[4]
نظرتُ إليه والرِّماحُ تَنُوشُه كوَقعِ الصَّياصي في النَّسِيج المُمدَّدِ[5]
فطاعنتُ عنه الخيلَ حتى تبدَّدتْ وحتى عَلاني أشقرُ اللون مُزبدُ[6]
فما رِمتُ حتى خرَّقتني رماحُهم وغُودِرتُ أكبو في القَنا المتقصِّدِ[7]
قِتالَ امرىءٍ واسَى أخاه بنفسِه وأيقن أنَّ المرءَ غيرُ مخلَّدِ
صبورٌ على وقعِ المصائبِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأَحاديثِ في غَدِ

في بعض هذه الأبيات غناء وهو : [من الطويل]

صوت

[علي يتمثل بشعره]

أمرتُهُمُ أمري بمنعَرَجِ اللِّوى فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغدِ
فلما عصَوني كنتُ منهم وقد أَرى غَوايتَهم وأنّني غيرُ مهتدِ
وهل أنا إلاّ من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ غَوَيتُ وإن تَرشُد غَزيةُ أَرشُدِ

1 ظنوا : أيقنوا .
2 القعدد : الجبان اللئيم الذي يقعد عن المكارم .
3 خلى في ل : يخلى .
4 البرم : الضَّجر . تناوحت الرياح : هبت صبا مرة وشمالاً مرة وجنوباً مرة ، وذلك آية الجدب .
5 الصياصي : جمع صيصية وهي شوكة الحائك .
6 في هذا البيت إقواء . ورواية الحماسة :
فطاعنت عنه الخيل حتى تنفست وحتى علاني حالك اللون أسودي
7 المتقصد : المتكسر .

الغناء ليحيى المكي ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى البنصر من رواية ابنه أحمد ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم ينسبُه إلى أحمد . وهذه الأبيات تمثَّل بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مُنصَرَفِه من صِفِّين .

حدثني أحمد بن عيسى بن أبي موسى العِجلي قال حدثنا حسين بن نصر بن مُزاحِم قال حدثنا عمر بن سعيد عن أبي مِخنَف عن رجاله أن علياً عليه السلام لما اختلفت كلمةُ أصحابه في أمر الحَكَمَيْن وتفرقت الخوارجُ وقالوا له ارجع عن أمر الحَكَمَيْن وتُب واعترف بأنّك كفرتَ إذ حَكَّمتَ ، ولم يَقبل ذلك منهم ، وخالَفوه وفارقوه تمثَّل بقول دُريد : [من الطويل]

أمرتُهُم أمري بمُنعَرَجِ اللِّوى فلم يَستبينوا الرُّشدَ إلا ضُحى الغدِ

الأبيات .

[عبد الله وأسماؤه وكناه]

قال أبو عبيدة : كانت لعبد الله بن الصِّمَّة ثلاثةُ أسماءٍ وثلاثُ كُنىً : عبد الله ومَعبَد وخالد . ويكنى أبا ذُفافةَ وأبا فُرعانَ وأبا أُوفى . وقال دريد[1] : [من البسيط]

أبـا ذُفافةَ مَنْ للخيـل إذ طُرِدْتَ فاضطرَّها الطعنُ في وَعثٍ وإيجافِ[2]

يا فارسَ الخيلِ في الهَيجاءِ إذ شُغِلتْ كلتا اليدين دَرُوراً غيرَ وَقافِ[3]

[أفضل بيت في الصبر]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة عن يونس أنه كان يقول : أفضلُ بيت قالته العرب في الصبر على النوائب قولُ دريد بن الصِّمَّة : [من الطويل]

قليـلُ التَّشكِّـي للمُصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غدِ

[طلق زوجته لأنها عاتبته على بكائه أخاه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبـي العَلاء عن الزُّبير عن أبي المُهاجِر ، وذكر مثلَه أبو عمرو الشَّيباني ، أن أُم مَعبد التي ذكرها دريد في شعره هذا كانت امرأتَه فطلَّقها ، لأنها رأته شديد الجَزَع على أخيه ، فعاتبته على ذلك وصغَّرت شأن أخيه وسبَّته ، فطلَّقها وقال فيها : [من الطويل]

أرَثَّ جديدُ الحبـل مِن أمِّ مَعبدِ بعاقِبـةٍ وأَخلفـتْ كلَّ موعِـدِ

---

1 ديوانه : القطعة 44 .

2 الوعث : الطريق الخشن . الإيجاف : سرعة السير .

3 دروراً في الديوان : كروراً .

وبانتْ ولم أحمَدْ إليكَ جِوارَها ولم ترجُ منّا رِدّةَ اليومِ أو غدِ

فقالت له أُمُّ معبد : بئسَ والله ما أثنيتَ عليَّ : يا أبا قُرَّة ! لقد أطعمتُك مأدُومي ، وبَثَثتُك مكتومي ، وأتيتُك باهِلاً[1] غيرَ ذات صِرار وما استَفرَمتُ قبلك إلا من حيض .

وقال أبو عبيدة في خبره : بلغ دريد بن الصمة أن زوجته سبَّت أخاه فطلَّقها وألحقها بأهلها وقال في ذلك[2] : [من الوافر]

أعبــدَ اللهِ إن سبَّتــكَ عِرْسي تقدَّم بعضُ لحمــي قبــلَ بعضِ
إذا عِرسُ امرىء شتمتْ أخاه فليسَ فــؤادُ شانئــه بحَمضِ[3]
مَعــاذَ اللهِ أنْ يشتُمنَ رَهطِي وأن يَملِكْنَ إبرامــي ونَقضي

[حارب يوم الغدير طلباً بثأر أخيه]

أخبرنا هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال : أغار دريد بن الصِّمَّة بعد مقتل أخيه عبد الله على غَطَفانَ يطالبهم بدمه ، فاستقراهم[4] حَيّاً حَيّاً ، وقتَل من بني عبسٍ ساعدةَ بن مُرّ ، وأسَر ذُؤابَ بن أسماء بن زيد بن قارِب ، أسَره مُرةُ بن عَوف الجُشَمِي . فقالت بنو جُشَمَ : لو فادَيناه[5] ! فأبى ذلك دريد عليهم ، وقتله بأخيه عبد الله ، وقتل من بني فزارة رجلاً يقال له حِزام وإخوة له ، وأصاب جماعةً من بني مُرّةَ ومن بني ثعلبة بن سعد ومن أحياء غَطَفان ، وذلك في يوم الغدير . وفي هذا اليوم وفي مَن قُتِل فيه منهم يقول[6] : [من المتقارب]

تأبَّــد مِــن أهلِــه مَعشَرُ فجَــوُّ سُوَيقــةَ فالأَصفَرُ[7]
فجِــزْعُ الخُلَيفِ إلى واسطٍ فذلــكَ مَبــدىً وذا مَحضَرُ
فأَبلِــغْ سُلَيمــى وأَلفافَهــا وقــد يَعطِفُ النَّسَبُ الأكبرُ[8]

1 الباهل : الناقة يصر ضرعها لئلا يرضعها ولدها . والفرم : حشية الحيض أو ما تضيق به المرأة متاعها .
2 ديوانه : القطعة 38 .
3 فؤاد حامض : فاسد متغير .
4 استقراهم : تتبعهم .
5 فاداه : أطلقه مقابل فدية .
6 ديوانه : القطعة 30 .
7 تأبد : أقفر .
8 ألفاف : قومها المجتمعون حولها ، مفردها لِفّ .

بأنّي ثأرْتُ بإخوانكم ... وكنتُ كأنّي بهم مُخفِرُ[1]
صبَحنا فَزارةَ سُمرَ القَنا ... فمَهلاً فَزارةُ لا تَضجَروا
وأبلِغْ لَدَيْكَ بَني مازنٍ ... فكيفَ الوَعيدُ ولم تَقرِروا
فإن تَقتُلوا فِتيَةً أُفرِدوا ... أصابهم الحَينُ أو تَظفَروا
فإنَّ حِزاماً لدى مَعرَكٍ ... وإخوتَه حولَهم أنسُرُ
ويومَ يزيدِ بَني ناشِبٍ ... وقَبلُ يَزيدُكُم الأكبرُ
أثَرنا صَرِيخَ بني ناشِبٍ ... ورَهطَ لَقِيطٍ فلا تَفخَروا
تَجُرُّ الضِّباعُ بأوصالِهم ... ويَلقَحْنَ منهم ولم يُقبَروا[2]

ويقول في ذلك أيضاً دريد بن الصمة في قصيدة له أخرى[3] : [من الطويل]

جَزَينا بَني عَبسٍ جزاءً موفَّراً ... بمقتَلِ عبدِ اللهِ يومَ الذَنائبِ
ولولا سوادُ الليلِ أدرَكَ رَكضُنا ... بذي الرِّمثِ والأَرطى عِياضَ بنَ ناشِبِ[4]
قتلنا بعبدِ اللهِ خيرَ لِداتِه ... ذُؤابَ بن أسماءِ بنِ زيد بن قارِبِ

قال أبو عبيدة : أُنشِد عبد الملك بن مروان شعرَ دريد بن الصمة هذا فقال : كاد دريد أن ينسب ذؤابَ بن أسماء إلى آدمَ . فلما بلغ المُنشِدُ قوله : [من الطويل]

ولولا سوادُ الليلِ أدركَ رَكضُنا ... بذي الرِّمثِ والأَرطى عِياضَ بنَ ناشِبِ

قال عبد الملك : ليت الشمس كانت بقيت له قليلاً حتى يُدرِكَه .

قال أبو عبيدة وقال دريد أيضاً في هذه الوقعة[5] : [من الطويل]

قَتَلْنا بعبدِ اللهِ خيرَ لِداتِه ... وخيرَ شَبابِ الناسِ لو ضُمَّ أجمعا
ذُؤابَ بنَ أسماءَ بن زيد بنِ قاربٍ ... منيتُه أجرى إليها وأوضَعا[6]

---

1 مخفر : نقض عهده وغدره .
2 إشارة إلى قولهم إن الضبع إذا لقيت قتيلاً قد ورم ركبت غرموله ثم أكلته .
3 ديوانه : القطعة 1 والترتيب فيه مختلف .
4 الشطر الثاني في رواية الديوان : وعبساً قتلناهم بحر بلادهم . سواد الليل في الديوان : جنان الليل . والرمث والأرطى : نباتان ، وذو الأرطى : موضع .
5 ديوانه : القطعة 40 .
6 أجرى إليها : قصد إليها . أوضع : الإيضاع ، ضرب من السير .

فتىً مثلَ مَتنِ السيفِ يَهتزُّ للنَّدى كعاليـةِ الرُّمحِ الرُّدَينـيِّ أروَعا[1]

وقال ابن الكلبي : قالت ريحانة بنت معد يكرب لدريد بن الصِّمَّة بعد حولٍ من مقتل أخيه : يا بني إن كنتَ عجزتَ عن طلب الثأر بأخيك فاستغِن بخالك وعشيرته من زبيد ، فأنِف من ذلك وحلَف لا يكتحِل ولا يَدَّهِن ولا يَمَسُّ طِيباً ولا يأكل لحماً ولا يشربُ خمراً حتى يُدرِك ثأره ، فغزا هذه الغَزاة وجاءها بذُؤاب بن أسماء فقتله بفِنائها ، وقال : هل بلغتُ ما في نفسِك ! قالت : نعم مُتِّعتُ بك ! ورُويَ عن ابن الكلبي لريحانة في هذا المعنى أبياتٌ لم تَحضُرني وقد كتبتُ خبرها .

[مقتل أخيه قيس بن الصمّة]

وأما قتيل أبي بكر الذي ذكره دريد فإنه أخوه قيس بن الصمة ، قتله بنو أبي بكر بن كِلاب . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به هاشم بن محمد عن دَماذ عن أبي عبيدة ، أنه غزا في قومه بني خُزاعة من بني جُشَمَ ، فأغاروا على إبلٍ لبني كَعب بن أبي بكر بن كِلاب ، فانطلقوا بها . وخرج بنو أبي بكر بن كِلاب في طلبها حتى إذا دنَوا منهم قال عمرو بن سُفيان الكِلابي ، وكان حازماً عاقلاً ، امكثوا ، ومضى هو متنكراً حتى لقِيَ رجلاً من بني خُزاعة فسلَّم عليه واستسقاه فسقاه وانتسب له هِلالياً ، فسأله عن قومه وأين مَرعى إبلهم ، وأعلمه أنه جاء رائداً لقومه يريد مجاورتَهم ، فخبَّره الرجل بكل ما أراد ، فرجَع إلى قومه وقد عرف بُغيته ، فصبح القوم فظفرت بهم بنو كِلاب وقتلوا قيس بن الصمة ، وذهبوا بإبل بني خُزاعة وارتجعوا إبلَهم . وكان يقال لعمرو بن سفيان ذو السَّيفيْن ، لأنه كان يَلقى الحربَ ومعه سيفان خوفاً من أن يخونه أحدُهما . وإياه عَنى دريد بن الصِّمَّة بقوله[2] : [من البسيط]

إن امرءاً بـــاتَ عمرٌو بين صِرمَتِه عمرُو بن سُفيانَ ذو السَّيفيْنِ مغرورُ[3]

يا آلَ سفيانَ مـــا بـــالي وبالكُمُو هل تَنتهونَ وباقي القـولِ مأثورُ ؟[4]

يا آل سُفيانَ مـــا بـــالي وبالكُمو أنتـــم كبيرٌ وفي الأحلامِ عُصفورُ

---

1 متن في ل : نصل .

2 الديوان : القصيدة 29 وفيه اختلاف كبير في الترتيب والرواية .

3 الصرمة : القطيع من الإبل أو الغنم .

4 في الديوان بيت غير هذا :

يا آل سفيان إني قد شهدتكم أيـام أمكـمُ حمـــراء مئشيرُ

والمئشير : البطرة .

هلاَّ نَهَيتُم أخـاكم عـن سَفاهتِه إذ تَشربون وغاوِي الخمر مدحورُ ؟
لا أعرِفَـنْ لِمَّـةً سَوداءَ داجِيةً تدعـو كِلاباً وفيها الرمحُ مكسورُ
لن تَسبِقوني ولو أمهلتُكم شَرَفـاً عُقبَى إذا أبطأ الفُحجُ المَخاصِيرُ[1]

[الحرب بين بني عامر وبني جشم وبين أسد وغطفان]

وأخبرنا بخبر ابتداء هذه الحروب محمد بن العباس اليزيدي قال قرأت على أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي قال : أغارت بنو عامر بن صعصعة وبنو جُشَمَ بن معاوية على أَسَدٍ وغَطَفان ، وكان دريد بن الصمة وعمرو بن سفيان بن ذي اللِّحية مُتساندَين ، فدريد على بني جُشَم بن معاوية ، وعمرو بن سفيان على بني عامر . فقـال عبد الله بن الصمة لأخيه : إني غيرُ مُعطِيكَ الرِّياسة ، ولكن لي في هذا اليوم شأناً . ثم اشترك عبدُ الله وشَراحِيلُ بن سفيان ، فلما أغار القوم أخذ عبدالله من نَعَم بني أَسَدٍ ستين وأصاب القومُ ما شاؤوا . وأدرك رجلٌ من بني جَذِيمة عبدَ الله بن الصِّمَّة فقال له عبد الله بن الصِّمَّة : ارجع فإني كنتُ شاركتُ شَراحِيلَ بن سُفيان ، فإن استطاع دريد فليأتِه وليأخذ مالي منه . وأقام دريدٌ في أواخر الحي فقال له عمرو : ارتَحِل بالناس قبل أن يأتيَك الصُّراخ[2] ، فقال : إني أنتظر أخي عبدَ الله . حتى إذا أطال عليه قال له : إن أخاك قد أدرك فوارسَ من الحُلَيفِيِّين يسوقون بظُعُنِهم فقتلوه . فانطلَقوا حتى إذا كانوا بحيث يفترقون قال دريد لشَراحِيل : إن عبد الله أنبأني ولم يَكذِبني قَطُّ أن له شَرِكةً مع شَراحِيلَ فأدُّوا إلينا شَرِكتَه . فقالوا له : ما شاركناه قطّ . فقال دريد : ما أنا بتاركِكم حتى أستحلِفكم عند ذي الخَلَصَة (وثنٍ من أوثانهم) . فأجابوه إلى ذلك وحلَفوا ، ثم جاء عبدُ الله بغَنيمةٍ عظيمة فجاءوه يَنشدونه الشِّرْكَ . فقال لهم دريد : ألم أُحَلِّفكم حين ظننتم أن عبد الله قد قُتل . فقالوا : ما حلَفنا وجعلوا يُناشِدون عبدَ الله أن يُعطيَهم ، فقال : لا ، حتى يرضى دريدٌ ، فأبى أن يَرضى فتوعَّدوه أن يَسرقوا إبلَه . فقال دريد في ذلك : [من البسيط]

هل مثلُ قلبِك في الأهواء معذورُ والحبُّ بعـد مَشِيبِ المـرءِ مغرورُ

وذكر الأبياتَ التي تقدمت في الخبر قبل هذا وزاد فيها : [من البسيط]

إذا غلَبتم صديقـاً تَبطِشون بـه كما تهـدَّم في المـاء الجَماهيرُ[3]

---

1 الفحج : جمع أفحج أو فحجاء ، والفحج : تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدواب . والمخاصير : جمع مخصور وهو الذي يشتكي خصره . وفي الديوان : المحاصر .

2 الصراخ : الاستغاثة وفي ل : الصرخاء .

3 الجماهير : الرمال الكثيرة المتراكمة .

وأنتـــمُ مَعشرٌ في عِرقِكـــم شَنَجٌ ... بُزخُ الظهورِ وفي الأَستاهِ تأخيرُ[1]
قـد علِـمَ القومُ أني من سَراتهمُ ... إذا تَقبَّـض في البطـنِ المَذاكِيرُ[2]
وقـد أُرُوعُ سَوامَ القوم ضاحيةً ... بالجُردِ يَركُضُها الشُّعثُ المَغاوِيرُ
يَحمِلنْ كلَّ هِجانٍ صارِمٍ ذَكَـرٍ ... وتحتهـم شُزَّبٌ قُـبٌّ مَضامِيرُ[3]
أوعَدتُمـو إبـلي كـلاًّ سيمنعُها ... بنـو غَزِيَّـةَ لا مِيـلٌ ولا صُورُ[4]

[مقتل أخيه عبد يغوث]

وأما عبد يَغُوثَ بن الصمة وخبرُ مقتله فإنه كان ينزل بين أظهُر بني الصَّادر فقتلوه . قال أبو عبيدة في خبره : قتله مُجَمِّع بن مُزاحِم أخو شَجنةَ بنِ مُزاحِم وهو من بني يَربُوع بن غَيظ بن مُرَّة . فقال دريد بن الصِّمَّة[5] : [من البسيط]

أبلِـغْ نُعَيماً وأُوفى إن لَقِيتَهما ... إن لم يكن كان في سَمعَيهُما صَمَمُ
فمـا أخـي بأخي سَوءٍ فيَنقُصَه ... إذا تَقارَبَ بابـن الصَّادِرِ القِسَمُ
ولن يَـزالَ شِهابـاً يُستضاءُ بـه ... يَهدِي المَقانبَ ما لم تَهلِكِ الصِّمَمُ[6]
عاري الأشاجِـع مَعصوبٌ بلِمَّته ... أمرُ الزَّعامـةِ ، في عِرنينِه شَمَمُ[7]

[مقتل أخيه خالد بن الصمّة]

قال أبو عبيدة : أما قوله «أو نَدِيمي خالد» ، فإنه يعني خالد بن الصمة ؛ فإن بني الحارث بن كعب غَزَت بني جُشم بن معاوية ، فخرجوا إليهم فقاتلوهم فقتلت بنو الحارث خالد بن الصمة ، وإياه عنى . وقال غيرُ أبي عبيدة : خالد بن الحارث[8] الذي عناه دريد

---

1 العرق : الأصل . الشنج : التقلص والتقبض . بزخ الظهور : تقاعس الظهر وبروز أسفل البطن . أي هم مشوهو الأجسام .

2 أي من الخوف .

3 الهجان : الكريم . الشزب : جمع شازب ، وهو الضامر اليابس . والقب : جمع أقب وهم من الخيل الدقيق الخصر الضامر البطن .

4 ميل : جمع أميل وهو الجبان أو الذي لا رمح له . الصور : جمع أصور وهو المائل العنق . وفي الديوان : ولا عور .

5 ديوانه : القطعة 62 .

6 المقانب : جمع مقنب وهو الجماعة من الخيل تجتمع للغارة وفي عددها خلاف : (30–40 ، دون 100 ، نحو 300) . الصمم : جمع صمة وهو الشجاع .

7 الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف ، واحدها أشجع .

8 كان أولى أن يقول «خالد الذي عناه دريد . . .» .

هو عمه خالد بن الحارث أخو الصمّة بن الحارث قتلته أَحمَسُ (بطنٌ من شَنُوءةَ) وكان دريد بن الصِّمَّة أغار عليهم في قومه فظفر بهم واستاق إبلَهم وأموالهم وسبى نساءهم وملأ يديه وأيدي أصحابه ، ولم يُصَب أحد ممن كان معه إلا خالد بن الحارث عمه ، رماه رجلٌ منهم بسهم فقتله ؛ فقال دريد بن الصمة يرثيه[1] : [من البسيط]

يا خالداً خالـدَ الأَيسارِ والنادي ... وخالدَ الرِّيحِ إذ هَبَّـتْ بصُرَّادِ[2]
وخالدَ القولِ والفعلِ المَعِيش بـه ... وخالدَ الحربِ إذ عَضَّتْ بأزرادِ[3]
وخالدَ الرَّكبِ إذ جَدَّ السِّفارُ بهم ... وخالدَ الحـيّ لمـا ضُـنَّ بالزادِ

وقال أبو عبيدة : قال دريد يرثي أخاه خالداً[4] : [من الطويل]

أُمَيمَ أَجِدِّي عافيَ الرُّزء واجشَمِي ... وشُدِّي على رُزءٍ ضلوعَك وابأسِي
حرامٌ عليها أن تَـرى في حياتِها ... كمثلِ أبي جَعدٍ فعُودِي أوِ اجلِسي
أعـفُّ وأَجـدى نائـلاً لعَشِيرةٍ ... وأكرمَ مخلودٍ لـدى كلِّ مجلِسِ
وألـينَ منـه صفحـةً لعَشيرةٍ ... وخيراً أبا ضيفٍ وخيراً لمجلسِ
تقولُ هِـلالٌ خـارجٌ من غَمامةٍ ... إذا جاء يَجرِي في شَلِيلٍ وقَونَسِ[5]
يَشُدُّ متـونَ الأَقرَبـينَ بهـاؤه ... ويُخبِثُ نفسَ الشانـىء المُتَعبِّسِ
وليس بِمِكبـابٍ إذا الليـلُ جَنَّـه ... نؤومٍ إذا مـا أُدلَجُوا في المُعَرَّسِ[6]
ولكنـه مِـدلاجُ ليـلٍ إذا سَرى ... يُنِـدُّ سُراه كلَّ هـادٍ مُمَلّسِ[7]

هذه رواية أبي عبيدة .

[يوم ثيل]

وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد عن عمه عن العباس بن هشام عن أبيه أن خالد بن الصمة قُتل في غارة أغارتْها بنو الحارث بن كعب على بني نصر بن معاوية في يوم يقال له يوم

1 ديوانه : القطعة 18 .
2 الصراد : غيم رقيق لا ماء فيه .
3 الأزراد : الدروع . وفي رواية «غصت بأوراد» جمع ورد . وهو القطيع من الطير والجيش على التشبيه .
4 ديوانه : القطعة 35 .
5 الشليل : الغلالة تلبس تحت الدرع . القونس : أعلى بيضة الحديد وقيل مقدمها .
6 مكباب : كثير النظر إلى الأرض .
7 في الديوان : عملس وهو القوي الشديد على السفر .

ثيل[1] ، فأصابوا ناساً من بني نصر . وبلغ الخبر بني جُشَمَ فلحِقوهم ، ورئيس بني جُشَمَ يومئذٍ مالكُ بن حَزن ، فاستنقذوا ما كان في أيديهم من غنائم بني نصر ، فأصابوا ذا القَرن الحارثي أسيراً وفقؤوا عينَ شهاب بن أبان الحارثي بسهم ، وقُتل يومئذٍ خالد بن الصِّمَّة وكان مع مالك بن حزن ، وأصابت بنو جُشَم منهم ناساً ، وكان رئيس بني الحارث بن كعب يومئذٍ شهاب بن أبان ، ولم يشهد دريد بن الصمة ذلك اليوم ؛ فلما رجعوا قتلوا ذا القرن بخالد بن الصمة ، ولما قُدِّم لتُضرَب عُنُقُه ، صاح بأوس بن الصمة ، وكان له صديقاً ، ولم يكن أوس حاضراً ، فلم ينفعه ذلك ، وقُتل . فلما قَدِم أوسٌ غضِب وقال : أقتلتم رجلاً استجار باسمي ؟! فقال عوف بن معاوية في ذلك : [من البسيط]

نُبِّئتُ أوساً بَكى ذا القَرنِ إذ شربا ... على عُكاظ بكاءَ غالَ مجهودي
إنِّي حلَفتُ بما جمَّعتُ من نَشَبٍ ... وما ذَبحتُ على أنصابكَ السُّودِ
لتبكينَّ قَتِيلاً منكَ مُقترِباً ... إنِّي رأيتُكَ تبكي للأباعيدِ

[خدع بالزواج بامرأة ثيب]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني عبد الله بن مالك النحوي الضرير قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : تزوج دريد بن الصمة امرأةً فوجدها ثَيِّباً ، وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفَه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقَّته أُمها لتدفعَه عنها ، فوقف يدَيها (أي حَزَّهما ولم يقطعهما) فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال[2] : [من الوافر]

أَقَرَّ العينَ أن عَصَبَتْ يديها ... وما إن تُعصَبانِ على خِضابِ
فأبقاهنَّ أن لهنَّ جَداً ... وواقيةً كواقيةِ الكلابِ[3]

قالوا : يريد أن الكلب يُصيبه الجُرح فيَلحس نفسه فيبرأ .

[بينه وبين عياض الثعلبي]

قال أبو عبيدة وابن الأعرابي جميعاً في هذه الرواية : أسَر دريد بن الصّمة عِياضاً الثعلبي أحد بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فأنعم عليه . ثم إن دريداً أتاه بعد ذلك يستثيبه . فقال له :

---

1 لعلها يوم ثيتل «وهو ماء قرب النباح كانت به وقعة مشهورة» (ياقوت) .

2 ديوانه : القطعة 8 .

3 المثل واقية كواقية الكلاب في مجمع الميداني 2 : 364 (المثل 4364) وانظر مستقصى الزمخشري 2 : 166 . قال الميداني : «وقاية كوقاية الكلاب على أولادها ، وهي أشد الحيوانات وقاية لأولادها» . وقال الثعالبي (ثمار القلوب رقم 632) يضرب مثلاً للخسيس إذا كان موقى واستشهد ببيتي دريد هذين .

إيتِ رَحلَك حتى أبعث إليك بثوابك ؛ فانصرف دريد . فبعث إليه بوَطبٍ[1] نصفه لبن ونصفه بول . فغضب دريد ولم يلبث إلا قليلاً حتى أغار على بني ثعلبة ، واستاق إبل عياض ، وأفلتَ عياضٌ منه جريحاً ؛ فقال دريد في ذلك من قصيدة[2] : [من الطويل]

فإن تَنجُ يَدمَى عارضاكَ فإنّنا تركنا بنيكَ للضِّباعِ وللرُّخمِ
جزَيتُ عِياضاً كفرَه وعُقُوقَه وأخرجتُه من المُدَفأة الدُّهمِ[3]
ألاَ هل أتاه ما ركبنا سَراتَهم وما قد عقَرنا من صَفيٍّ ومن قَرمِ[4]

[هجا عبد الله بن جدعان ثم مدحه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : هجا دريد بن الصِّمة عبد الله بن جُدعان التَّيمي تَيم قريش فقال[5] : [من البسيط]

هل بالحوادثِ والأيامِ من عَجَبِ أم بابنِ جُدعانَ عبدِ الله من كَلَبِ
استٌ حميتٌ وهي في عِكم ربته في يوم حرٍّ شديد الشرِّ والهَرَبِ[6]
إذا لقيتَ بني حَرب وإخوتَهم لا يأكلون عَطِينَ الجلدِ والأهُبِ[7]
لا يَنكُلُون ولا تُشوِي رماحُهمُ من الكُماةِ ذوي الأبدانِ والجُبَبِ[8]
فاقعُد بَطِيناً مع الأقوامِ ما قعدوا وإن غزوتَ فلا تُبعِد من النَّصَبِ
فلو ثَقِفتُكَ وَسطَ القومِ تَرصُدُني إذاً تلبَّس منكَ العِرضُ بالحَقَبِ[9]
وما سمعتُ بصَقرٍ ظَلَّ يرصُدُهُ مِن قبلِ هذا بجَنبِ المَرجِ مِن خَرَبِ[10]

قال : فلقيه عبد الله بن جُدعان بعُكاظ فحياه وقال له : هل تعرفني يا دريد ؟ قال لا . قال :

---

1 وطب : وعاء للبن من جلد .
2 ديوانه : القطعة 58 .
3 المدفأة : الإبل الكثيرة الأوبار والشحوم .
4 الصفي : الناقة الغزيرة اللبن . القرم : الفحل .
5 ديوانه : القطعة 3 .
6 حميت : متين . عكم : عدل يجعل فيه المتاع ويشد عليه بالحبال . الشر في ل : الشل .
7 العطين : الجلد المدبوغ .
8 تشوي : تصيب الشوى (الأطراف) ولا تقتل . الأبدان : جمع بدن وهو هنا الدرع القصيرة . الجبب : جمع جبة وهي هنا الدرع أيضاً .
9 وسط في ل : حول . العرض هنا : الجسد ، والحقب : شيء تعلق به المرأة حليها وتجعله في وسطها .
10 المرج : لعلها المرخ وهو شجر سريع الوري يقتدح به . خرب : ذكر الحبارى أو الحبارى كلها .

فلِمَ هجوتَني ؟ قال : ومن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن جُدعان . قال : هجوتك لأنك كنتَ امرءاً كريماً ، فأحببتُ أن أضع شعري موضعَه . فقال له عبد الله : لئن كنتَ هجوتَ لقد مدحتَ ؛ وكساه وحمله على ناقة برَحلِها . فقال دريد يمدحه[1] : [من المتقارب]

إليكَ ابنَ جُدعانَ أعملتُها ... مخفَّفةً للسُّرى والنَّصَبْ
فلا خَفضَ حتى تُلاقي امرءاً ... جَوادَ الرِّضا وحَلِيمَ الغَضَبْ
وجَلداً إذا الحربُ مَرَّتْ به ... يُعِينُ عليها بجَزلِ الحَطَبْ
وجُلتُ البلادَ فما إن أرى ... شَبِيهَ ابن جُدعانَ وَسطَ العَرَبْ
سوى مَلِكٍ شامِخٍ ملكُه ... له البحرُ يَجرِي وعينُ الذَّهَبْ

[تهاجيه الخنساء]

أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سَلام موقوفاً عليه لم يتجاوزه إلى غيره ، وحدثني حبيب بن نصر المهلَّبي وأحمد بن عبد العزيز الجوهري قالا حدثنا عمر بن شبة عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وأخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة ، وأخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عليُّ بن المغيرة عن أبي عبيدة ، وأخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدثني أبو بكر العامري قال حدثني ابن نوبة عن أبي عمرو الشَّيباني ، وأخبرني عمّي قال حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ، وقد جمعتُ أخبارَهم على اختلاف ألفاظهم في هذا الموضع ، أن دريد بن الصّمة مرَّ بالخَنساء بنت عمرو بن الشَّريد ، وهي تَهنَأ بعيراً لها وقد تبذَّلت حتى فرغت منه ، ثم نَضَت عنها ثيابَها فاغتسلت ودريد بن الصّمة يراها وهي لا تشعر به فأعجبته ؛ فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول[2] : [من الكامل]

حَيُّوا تُماضِرَ واربَعوا صَحبي ... وقِفُوا فإن وقوفكم حَسبي
أخُناسُ قد هامَ الفؤادُ بكم ... وأصابَهُ تَبلٌ من الحُبِّ
ما إن رأيتُ ولا سمعتُ به ... كاليومِ طالِيَ أينُقٍ جُربِ
متبذِّلاً تَبدو محاسنُه ... يضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقبِ[3]
متحسِّراً نضَح الهِناءِ به ... نَضحَ العَبيرِ بِرَيطَةِ العَصبِ

1 ديوانه : القطعة 4 .
2 ديوانه : القطعة 5 .
3 الهناء : القطران . النقب : المواضع المتفرقة من الجرب .

فسَلِيهِمُ عنِّـي خُنـــاسُ إذا عَضَّ الجميعَ الخَطبُ ما خَطبي

قالوا : وتُماضِرُ اسمُها . والخنساء لقبٌ غلَب عليها ، فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها إليه . فقال له أبوها : مرحباً بك أبا قُرَّة ! إنك لَلكريمُ لا يُطعَن في حَسَبِه ، والسيِّد لا يُرَدُّ عن حاجته ، والفحل لا يُقرَع أنفُه . وقال أبو عبيدة خاصة مكان «لا يُطعن في حسبه» «لا يطعن في عيبه» ، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرُك لها وهي فاعلة . ثم دخل إليها وقال لها : يا خنساء ، أتاك فارسُ هوازن وسيِّد بني جُشَم دريد بن الصمة يخطبُك وهو مَن تعلمين ، ودريد يسمع قولهما . فقالت : يا أبت ، أتُراني تاركة بني عمي مثل عَوالي الرماح وناكحةً شيخ بني جُشم هامة اليوم أو غَدِ[1] ! . فخرج إليه أبوها فقال : يا أبا قُرَّة قد امتنعت ، ولعلَّها أن تُجيب فيما بعد . فقال : قد سمعتُ قولكما ، وانصرف . هذه رواية مَن ذكرتُ . وقال ابن الكلبي : قالت لأبيها : أنظِرني حتى أُشاور نفسي ، ثم بعثت خَلفَ دريد وليدةً فقالت لها : انظري دريداً إذا بال ، فإن وجدتِ بولَه قد خرق الأرض ففيه بقية ، وإن وجدته قد ساح على وجهها فلا فضلَ فيه . فاتَّبعته وليدتُها ثم عادت إليها فقالت : وجدتُ بولَه قد ساح على وجهِ الأرض ، فأمسكت . وعاود دريد أباها فعاودها فقالت له هذه المقالةَ المذكورة ، ثم أنشأت تقول[2] : [من الوافر]

أتخطُبني ، هُبِلتَ ، على دُرَيدِ وقد أطرَدتَ سيِّدَ آلِ بَدرِ ![3]
مَعــاذَ اللهِ يَنكِحُني حَبَركَي يقال أبوه من جُشَمَ بنِ بكرِ[4]
ولو أمسيتُ في جُشَمٍ هَدِيّاً لقــد أمسيتُ في دَنَسٍ وفَقرِ[5]

فغضِب دريد من قولها وقال يهجوها[6] : [من الوافر]

وقاكِ اللهُ يــا ابنَــةَ آلِ عَمرٍو مــن الفِتيانِ أمثــالي ونَفسي
فــلا تَلِدِي ولا يَنكِحكِ مثلي إذا مــا ليلةٌ طرَقــتْ بنَحسِ

---

1 المثل في مجمع الميداني 2 : 405 ومستقصى الزمخشري : 389 .

2 ديوان الخنساء (صادر) : 77 وفيه أن المخاطب هو أخوها معاوية بن عمرو كما يدل البيت الأول من القطعة فيه ، وهو أقرب إلى الصواب إذ يستبعد أن تخاطب أباها بالدعاء عليه . وسيورد أبو الفرج هذا الخبر في ترجمة الخنساء فيما بعد .

3 أطردت : أمرت بطرد . الشطر الثاني في الديوان : أتكرهني . . . وقد أحرمت .

4 الحبركى : الغليظ الطويل الظهر القصير الرجلين .

5 الهدي : العروس .

6 ديوانه : القصيدة 34 .

لقد علِمَ المَراضِعُ في جُمادى ... إذا استَعجَلْنَ عن حَزٍّ بنَهسِ[1]
بأنِّي لا أُبيتُ بغيرِ لحمٍ ... وأبدأُ بالأرامِلِ حينَ أُمسي
وأني لا ينالُ الحَيُّ ضَيفِي ... ولا جارِي يَبيتُ خبيثَ نفسِ[2]
إذا عُقَبُ القُدورِ تَكُنَّ مالاً ... تَحُثُّ حلائلَ الأبرام عِرسِي[3]
وأصفرَ من قِداح النَّبع صُلبٍ ... خفيِّ الوَسمِ في ضَرسٍ ولَمسِ[4]
دَفَعتُ إلى المُفيضِ إذا استقلُّوا ... على الرُّكُباتِ مَطلَعَ كلِّ شَمسِ[5]
فإن أكدَى فتامِكَةٌ تُؤدَّى ... وإن أُربى فإني غيرُ نِكسِ[6]
وتزعُم أنني شيخٌ كبيرٌ ... وهلْ خبَّرتُها أني ابنُ أمسِ
تريدُ شَرَنبَثَ القدمين شَثناً ... يُبادِرُ بالجَدائِرِ كلَّ كِرسِ[7]
وما قَصُرتْ يدي عن عُظمِ أمرٍ ... أهُمُّ به ولا سَهمي بنِكسِ
وما أنا بالمُزَجَّى حين يسمو ... عظيمٌ في الأمورِ ولا بوَهسِ[8]

قال : فقيل للخنساء : ألا تُجيبينَه ؟ فقالت : لا أجمَع عليه أن أرُدَّه وأهجُوَه .

[آخر أيامه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : لما أسَنَّ دريد جعل له قومه بيتاً مفرداً عن البيوت ، ووكَّلوا به أَمَةً تخدُمه ، فكانت إذا أرادت أن تُبعِدَ في حاجة قَيَّدته بقيد الفرس . فدخل إليه رجل من قومه فقال له : كيف أنت يا دريد ؟ فأنشأ يقول[9] : [من البسيط]

أصبحتُ أقذفُ أهدافَ المنون كما ... يَرمي الدَّرِيئةَ أُدنى فُوقةِ الوَتَرِ[10]

---

1 الحز : القطع . النهس : انتزاع اللحم عن العظم بمقدم الأسنان .
2 ينال في ل : يشاوي . وفي الأمالي : وأني لا يمر الضيف كلبي .
3 عقب القدور : ما التصق بها من الطعام . تحث : تعجل . الأبرام : جمع برم وهو اللئيم أو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .
4 ضرس السهم : عجمه .
5 المفيض : الضارب بالقداح .
6 أكدى : أخفق ولم يصب . تامكة : ناقة عظيمة السنام أو السنام نفسه . نكس : ضعيف لا خير فيه .
7 الشَّرنبث والشثن : الغليظ . الجدائر : جمع جديرة وهي الخطيرة . كرس : متراكب .
8 المزجى : الملصق بالقوم وليس منهم ، الناقص المروءة ، البخيل . الوهس : الذليل .
9 ديوانه : القطعة 23 .
10 الدريئة : حلقة يتعلم عليها الرامي الرمي . والفوقة : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .

في مَنصَفٍ من مَدى تسعينَ من مائة ... كرَمية الكاعبِ العَذراء بالحجرِ[1]
في منزلٍ نـازحٍ م الحـيِّ مُنتَبذٍ ... كمَربَط العَيرِ لا أدعَـى إلى خبرِ
كأنّنـي خَـرَبٌ قُصَّتْ قوادمُـه ... أو جُثَّةٌ من بُغاثٍ في يَدَيْ خَصِرِ[2]
يُمضُون أمرَهمُ دوني وما فقدوا ... منّـي عزيمةَ أمرٍ مـا خَلا كِبَري
ونومةً لستُ أقضيها وإن مَتُعتْ ... وما مضَى قبلُ من شأوي ومن عُمُري
وأنني رابَنـي قيـدٌ حُبِستُ بـه ... وقد أكونُ وما يُمشَى على أثَرِي
إنَّ السِّنينَ إذا قَرَّبـنَ من مائـةٍ ... لَوَينَ مِـرَّةَ أحـوالٍ على مِـرَرِ[3]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : قالت امرأة دريد له : قد أسنَنتَ وضعُف جسمك وقُتل أهلك وفَنِيَ شبابك ، ولا مال لك ولا عُدة ، فعلى أي شيء تعوّل إن طال بك العمر أو على أي شيء تُخَلِّف أهلَك إن قُتِلتَ ؟ فقال دريد[4] : [من الوافر]

صوت

أعـاذلُ إنّمـا أفنَـى شَبابي ... ركوبي في الصَّريخِ إلى المُنادِي
مـع الفِتيانِ حتى كَلَّ جسمي ... وأقرَح عاتِقـي حَمـلُ النِّجادِ
أعـاذلُ إنـه مـالٌ طَرِيـفٌ ... أحَـبُّ إليَّ مـن مـالٍ تِلادِ
أعاذلُ عُـدَّتي بَـدَني وَرُمحي ... وكلٌّ مقلِّـص شَكِس القِيادِ[5]
ويَبقى بعدَ حِلمِ القـوم حِلْمي ... ويَفنَى قبلَ زاد القـوم زادي

هذا الشعر رواه أبو عبيدة لدريد ، وغيره يرويه لعمرو بن معد يكرب ، وقول أبي عبيدة أصح . لابن محرز في هذه الأبيات ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر عن إسحاقَ . وذكر عمرو بن بانة أن لابن سُرَيج فيها ثانيَ ثقيلٍ بالبنصر . وخلَط المغنون بهذا الشعر قول عمرو بن معديكرب في هذين اللحنين : [من الوافر]

أريـدُ حياتَـه ويريـدُ قتلي ... عَذِيرَك مِـن خليلكَ من مُرادِ

---

1 منصف الشيء : وسطه .
2 قصت في ل : حُصَّت . والخرب : ذكر الحباري . خصر في الديوان : هصر : أي حيوان مفترس .
3 المرة : طاقة الحبل .
4 ديوانه : القطعة 19 .
5 البدنة : الدرع . والمقلص : الفرس الطويل القوائم الضامر البطن .

ولـو لاقيتَني ومعي سلاحي تكشَّف شَحمُ قلبِكَ عن سوادِ

[قتلت بنو يربوع الصمة أباه فغزاهم]

وقال أبو عبيدة فيما رويناه عن دماذ عنه : قتلت بنو يربوع الصمة أبا دريد غَدراً ، وأسروا ابن عمٍّ له ؛ فغزاهم دريد ببني نصر فأوقع ببني يربوع وبني سعدٍ جميعاً ، فقتَل فيهم . وكان فيمن قُتل عَمار بن كَعب ؛ وقال فيهم[1] : [من الوافر]

دعوتُ الحَـيَّ نصراً فاستَهلُّوا بشُبَّانٍ ذوي كَـرَمٍ وشِيبِ
على جُـردٍ كأمثـالِ السَّعالي ورَجـلٍ مثـلِ أهميـة الكَثِيبِ[2]
فمـا جَبُنـوا ولكنّـا نَصَبنا صـدورَ الشَّرعَبِيّـة للقلوبِ[3]
فكم غـادَرنَ من كابٍ صَريعٍ يَمُجُّ نَجِيـعَ جائفـةٍ ذَنُوبِ[4]
وتلكم عـادةٌ لبني رَبـابٍ إذا مـا كان موتٌ من قريبِ
فأجلَـوا والسَّوامُ لنا مُبـاحٌ وكلُّ كَريمـةٍ خَـودٍ عَرُوبِ
وقـد تُرك ابنُ كَعب في مَكَرٍّ حَبِيساً بـين ضِبعانٍ وذيبِ

[أبوه شاعر]

قال أبو عبيدة : وكان الصّمة أبو دريد شاعراً ، وهو الذي يقول في حرب الفِجار التي كانت بينهم وبين قريش : [من المتقارب]

لاقـت قُرَيشٌ غَـداةَ العَقِيـ ـق أمـراً لها وجدَتهُ وَبِيلا
وجئنا إليهـم كموج الأَتِيِّ يعلـو النِّجاد ويَمـلا المَسِيلا[5]
وأَعـددتُ للحَربِ خَيفانةً ورمحاً طويـلاً وسيفاً صقيلا[6]
ومُحكَمـةً مـن دروعِ القُيو نِ تسمعُ للسيفِ فيها صليلا

[أخوه مالك شاعر]

قال : وكان أخوه مالك بن الصّمة شاعراً ؛ وهو القائل يرثي أخاه خالداً : [من الكامل]

---

1 ديوانه : القطعة 6 .
2 أهمية في ل : أهيلة .
3 الشرعبية : هنا الرماح الطويلة .
4 الجائفة : الطعنة التي تنفذ إلى الجوف . الذنوب : طويلة الشر والأذى .
5 الأتي : السيل لا يدرى من أين أتى .
6 الخيفانة : الفرس .

أبَني غَزِيَّـةَ إن شِلْـواً ماجِـداً وَسطَ البيوتِ السُّودِ مَدفَعَ كَركَرِ[1]
لا تَسقِني بيديـكَ إن لم ألتمسْ بالخيـلِ بـين هبولـةَ فالقَرقَرِ[2]

[تحالف مع معاوية بن عمرو بن الشريد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : تحالف دريد بن الصّمة ومعاوية بن عمرو بن الشَّريد وتواثقا إن هلَك أحدهما أن يَرثيه الباقي بعده ، وإن قُتل أن يطلب بثأره[3] . فقُتل معاوية بن عمرو بن الشَّريد ، قتله هاشم بن حرملة بن الأشعر المُرِّي . فرثاه دريد بقصيدته التي أولها[4] : [من الوافر]

أَلا هَبَّتْ تَلُـومُ بغير قَـدْرِ وقد أحفظتِني ودخلتِ سِتري
وإلا تَترُكـي لَومِـي سَفاهـاً تَلُمك عليه نفسُك غيرَ عَصرِ

وفيها يقول :

فإنَّ الرُّزءَ يـوم وقفتُ أدعو فلم أُسمعْ معاويـةَ بـن عمرِو
ولـو أسمعتَـه لأتاكَ يسعَى حَثِيثَ السَّعيِ أو لأتاكَ يجري[5]
بشِكَّةِ حـازمٍ لا غَمزَ فيـه إذا لبِس الكُمـاةُ جلودَ نِمرِ[6]
عرفتُ مكانَـه فعطَفتُ زَوراً وأين مكانُ زَورٍ يا ابنَ بكرِ[7]
على إرَمٍ وأحجـار ثِقـالٍ وأغصانٍ من السَلَماتِ سُمرِ[8]
وبُنيانُ القبـورِ أتـى عليهـا طَوالُ الدهرِ شهراً بعـدَ شهرِ

[خرفه]

أخبرني عبد الله بن مالك النحوي قال حدثنا محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : وقف عارضٌ الجُشَمي على دريد وقد خَرِف وهو عُريان وهو يكوِّم كُومَ بَطحاءَ[9] بين رجليه يلعب

1 الشلو هنا : الجسد . كركر : موضع .
2 هبولة والقرقر : موضعان .
3 ل : بدمه .
4 ديوانه : القصيدة 25 وهناك اختلاف في الترتيب والرواية كبير .
5 يسعى في ل : ركضاً .
6 الشكة : السلاح . المثل «لبست (لبس) له جلد النمر» في مجمع الميداني 2 : 180 ومستقصى الزمخشري 28 : 178 وفصل المقال : 480 .
7 الزور : الجمل القوي ، ولعله هنا اسم جمله .
8 إرم : حجارة تنصب علماً في المفازة .
9 البطحاء هنا : الحجارة الصغيرة .

بذلك ؛ فجعل عارضٌ يتعجب مما صار إليه دريد . فرفع رأسه دريد إليه وقال : [من الرجز]

كأنَّنـــي رأسُ حَضَنْ في يـــومِ غَيمٍ ودُجَنْ[1]
يا ليتني عهـــدَ زَمَنْ أنفُـــضُ رأسي وذَقَنْ
كأنَّني فَحـــلُ حُصُنْ أُرسِلَ في حَبـــلِ عُنُنْ
أُرسلَ كالظَّبـــيِ الأَرِنْ أَلصَقَ أُذنـــاً بـــأُذُنْ

قال : ثم سقَط ؛ فقال له عارضٌ : انهض دريد ! فقال : [من الرجز]

لا نَهضَ في مثـل زمـــاني الأولِ مُحنَّبَ الساقِ شديـدَ الأَعصَلِ[2]
ضخمَ الكراديسِ خَمِيصَ الأَشكلِ ذي حَنجَرٍ رحب وصُلبٍ أعدلِ[3]

[خروجه في حرب حنين]

حدثنا محمد بن جرير الطَّبَري قال حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق عن الزُّهري عن عبيد الله بن عبد الله قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة أقام بها خمسَ عشرة ليلةً يقصُر الصلاة ، وكان فتحُها في عشر ليالٍ بَقِينَ من شهر رمضان . قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو[4] بن شُعَيب عن أبيه عن جدِّه قال : لما سمعت به هوازِنُ جَمَعها مالك بن عمرو بن عَوف النَّصري ، فاجتمعت إليه ثَقيف مع هوازن ، ولم يجتمع إليه من قيس إلا هوازنُ وناسٌ قليلٌ من بني هلال ، وغابت عنها كعبٌ وكِلاب ، فجمعت نصرٌ وجُشم وسعدٌ وبنو بكر وثقيف واحتشدت ، وفي بني جُشَم دريد بن الصمة شيخٌ كبيرٌ فانٍ ليس فيه شيء إلا التيمُّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً مجرِّباً ، وفي ثقيف في الأحلاف قارِبُ بن الأسود بن مسعود ، وفي بني مالك ذو الخِمار سُبَيع بن الحارث ، وجِماعُ أمر الناس إلى مالك بن عوف . فلما أجمع مالكٌ المسيرَ حَطَّ مع الناس أموالَهم وأبناءهم ونساءهم . فلما نزلوا بأوطاس اجتمع إليه الناسُ وفيهم دريد بن الصِّمة في شجارٍ[5] له يُقاد به . فقال لهم دريد : بأي وادٍ أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نِعم مجالُ الخيل ، ليس بالحَزن الضَّرِس ولا السَّهل الدَّهِس[6] . ما لي أسمع رُغاءَ الإبل ونَهيق الحمير وبكاء الصغير

1 حضن : اسم جبل . ودجن : جمع دجنة وهي الظلمة .
2 محنب الساق : معوجها ، وهو أشد لها . والأعصل : المعوج الصلب من كل شيء . يقال ناب أعصل .
3 الكراديس : جمع كردوس وهو كل عظم تام ضخم . خميص الأشكل : رقيق الخاصرة .
4 ل : أبو عمرو .
5 شجار : مركب أصغر من الهودج .
6 الضرس : الصعب . والدهش : اللين .

وثُغاء الشاء ؟ ! قالوا : ساق مالكُ بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالَهم . فقال : أين مالكٌ ؟ فدُعي له به . فقال له : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ، وإن هذا اليوم كائن له ما بعده من الأيام ! . ما لي أسمع رُغاء البعير ونهيقَ الحمير وبكاء الصِّبيان وثُغاء الشاء ؟! قال : سُقتُ مع الناس نساءهم وأبناءهم وأموالهم . قال : ولِمَ ؟ قال : أردتُ أن أجعل مع كل رجل أهلَه ومالَه ليقاتل عنهم . قال : فانقضَّ به ووبخه ولامه ، ثم قال : راعِي ضأنٍ والله (أي أحمق)[1] ! وهل يَرُدُّ المنهزِمَ شيء ! إنها إن كانت لك لم يَنفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحتَ في أهلك ومالك . ثم قال : ما فعلت كعبٌ وكِلاب ؟ قال : لم يَشهَدها أحدٌ منهم . قال : غاب الحَد والجِدّ ! لو كان يومَ عَلاءٍ ورفعة لم تَغِب عنه كعب وكِلاب ! ولوَدِدتُ أنكم فعلتم مثلَ ما فعلوا . فمَن شَهِدها منهم ؟ قالوا : بنو عمرو بن عامر وبنو عوف بن عامر . قال : ذانِك الجَذَعانِ[2] من عامر لا ينفعان ولا يَضُران . ثم قال : يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البيضة[3] بيضة هوازن إلى نُحور الخيل شيئاً . ارفعهم إلى أعلى بلادهم وعلياء قومهم ثم القَ القوم بالرجال على مُتون الخيل ، فإن كانت لك لَحِق بك مَن وراءك ، وإن كانت عليك كنتَ قد أحرزتَ أهلَك ومالَك ولم تُفضَح في حَريمك . قال : لا والله ما أفعل ذلك أبداً ! إنك قد خَرِفتَ وخَرِفَ رأيُك وعلمُك . والله لتُطيعنني يا معشر هوازن أو لأتَّكِئَن على هذا السيف حتى يخرج من وراء ظهري ، فنفِس على دريد أن يكون له في ذلك ذكرٌ ورأيٌ ، فقالوا له : أطَعناكَ وخالفنا دريداً . فقال دريد : هذا يوم لم أشهَده ولم أغِب عنه . ثم قال[4] : [من منهوك الرجز]

يا ليتَني فيهـا جَذَعْ أخُبُّ فيهـا وأَضَعْ[5]
أقُـود وَطفـاءَ الزَّمَعْ كأنَّهـا شاةٌ صَدَعْ[6]

قال : فلما لَقِيهم رسول الله ﷺ انهزم المشركون فأتَوا الطائفَ ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضُهم بأوطاس وتوجَّه بعضُهم نحو نَخلة[7] ، وتبعت خيلُ رسول الله ﷺ مَن سلك

1 المثل [أجهل من] راعي ضأن في مجمع الميداني 1 : 189 والدرة الفاخرة : 1 : 107 .
2 الجذع : الشاب الحدث .
3 بيضة القوم : أصلهم ومجتمعهم .
4 ديوانه : القطعة 42 .
5 يعني يسير كالخيل الشابة في عدوها الخفيف والسريع .
6 وطفاء الزمع : كناية عن فرس طويلة شعر الرسغ كأنها شاة قوية فتية . والصدع : الفتي الشاب القوي من الأوعال والظباء والإبل والحمر .
7 نخلة : المراد نخلة اليمانية ، وهي واد .

نخلة ، فأدرك ربيعةُ بن رُفَيع السُّلَمي أحدُ بني يربوع بن سمال[1] بن عوف دريد بن الصِّمَّة فأخذ بخِطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه كان في شجار له ، فأناخ به فإذا هو برجلٍ شيخ كبير ولم يعرفه الغلامُ . فقال له دريد : ماذا تريد ؟ قال : أقتُلُك . قال : ومن أنتَ ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفَيع السُّلَمي . فأنشأ دريد يقول[2] : [من المتقارب]

وَيحَ ابــن أَكْمَةَ مــاذا يُريـدُ ... من المُرْعَشِ الذَّاهـب الأَدرَدِ[3]
فأُقْسِمُ لـو أنَّ بـي قـوةً ... لوَلّـتْ فرائصُـه تُرعَـدُ
ويـا لَهفَ نفسيَ ألا تكونَ ... معـي قـوةُ الشارخِ الأمرَدِ[4]

ثم ضربه السُّلَميُّ بسيفه فلم يُغنِ شيئاً . فقال له : بئس ما سلَّحتك أُمُّك ! خذ سيفي هذا من مؤخَّر رحلي في القِراب فاضرِب به وارفَع عن العظام واخفِض عن الدِّماغ ، فإني كذلك كنتُ أفعل بالرجال[5] ، ثم إذا أتيتَ أُمَّك فأخبِرها أنك قتلتَ دريد بن الصّمة ، فرُبَّ يومٍ قد منعتُ فيه نساءك ! . فزعمت بنو سُلَيم أن ربيعة قال : لما ضربته بالسيف سقَط فانكشف ، فإذا عِجانُه وبطن فخذيه مثلُ القراطيس من ركوب الخيل أعراء . فلما رجع ربيعةُ إلى أمه أخبرها بقتله إياه ؛ فقالت له : لقد أعتق قتيلُك ثلاثاً من أمهاتك . وبعث رسول الله ﷺ في آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعري ابن عم أبي موسى الأشعري ، فهزمَهم الله جلَّ وعزَّ وفتح عليه . فيزعمون أن سلمة بن دريد بن الصمة رماه بسهم فأصاب ركبته فقتله (يعني أبا عامر) .

فقالت عمرة بنت دريد ترثيه : [من الوافر]

جَـزى عنّـا الإلـهُ بنـي سُلَيـمٍ ... وأُعقبهـم بمـا فعلـوا عَقـاقِ[6]
وأسقانـا إذا سِرنـا إليهـم ... دمـاءَ خِيارِهـم يـومَ التَّـلاقي
فـرُبَّ مُنَـوِّهٍ بـكَ مـن سُلَيـمٍ ... أُجِيبَ وقـد دعـاك بـلا رِماقِ[7]
ورُبَّ كريمـةٍ أعتقـتَ منهـم ... وأُخرى قد فككـتَ مـن الوَثاقِ

---

1 ل : سماك .
2 ديوانه : القطعة 20 .
3 ابن أكمة : في سيرة ابن هشام (2 : 852) أن ربيعة ابن رفيع يقال له ابن الدغنة وهي أمه ، ويقال ابن لذعة .
4 الشارخ في ل : الشامخ . والشارخ : الشاب .
5 ل : أضرب الرجال .
6 عقاقِ : مبني على الكسر ، العقوق .
7 الرماق : ما يمسك الرمق .

وقالت عمرة ترثيه أيضاً : [من البسيط]

قالوا قتلنا دريداً قلتُ قد صدَقوا ... وظَلَّ دمعي على الخدَّين يَتدرُ
لولا الذي قهَر الأقوامَ كلَّهمُ ... رأتْ سُلَيمٌ وكَعبٌ كيفَ تأتَمِرُ
إذاً لصبَّحهم غِبّاً وظاهِرةً ... حيثُ استقرَّ نواهم جَحفَلٌ ذَفِرُ[1]

[قوله في بني الحارث وجواب عبدالله بن عبد المدان]

ونسختُ من كتاب مترجَمٍ بأنه نُسخ من نسخة عمرو بن أبي عمرو الشيباني يأثُره عن أبيه قال قال محمد بن السائب الكلبي : كان دريد بن الصّمة يوماً يشرب مع نَفَرٍ من قومه ، فقالوا له : يا أبا ذُفافة ، وكان يُكنى بأبي ذُفافة وبأبي قُرة ، أينجو بنو الحارث بن كعبٍ منك وقد قتَلوا أخاك خالداً !؟ فقال لهم : إن القوم جَمرةُ[2] مَذحِج ، وهم أكفاءُ جُشَمَ ، ولا يَجمُل بي هجاؤهم . فأحفظُوه بكثرة القول وأغضبوه ، فقال[3] : [من الرمل]

يا بني الحارثِ أنتم مَعشَرٌ ... زَندُكم وارٍ وفي الحربِ بُهَمْ[4]
ولكم خيلٌ عليها فتيةٌ ... كأُسُودِ الغابِ يَحمِينَ الأَجَمْ
ليس في الأرضِ قَبيلٌ مثلُكم ... حين يَرفَضُّ العِدا غيرَ جُشَمْ
لستُ للصِّمَّةِ إن لم آتِكم ... بالخَناذيذ تَبارى في اللُّجُمْ[5]
فتَقَرُّ العينُ منكم مرةً ... بانبعاثِ الحُرّ نَوحاً تَلتَدِمْ[6]
وتُرى نَجرانُ منكم بَلقعاً ... غيرَ شَمطاءَ وطفلٍ قد يَتِمْ
فانظُروها كالسَّعالي شُزَّباً ... قبلَ رأسِ الحَوْلِ إن لم أُخترَمْ

قال : فنُمِي قولُه إلى عبد الله بن عبد المَدان ، فقال يُجيبه : [من البسيط]

نُبِّئتُ أن دُريداً ظلَّ مُعترِضاً ... يُهدِي الوَعيدَ إلى نَجرانَ من حَضَنِ[7]
كالكلبِ يَعوِي إلى بيداء مُقفِرةٍ ... من ذا يُواعِدُنا بالحربِ لم يَحِنِ[8]

1 الذفر : متغير الرائحة .
2 جمرة : أهل منعة وشدة يصبرون للقتال دون أن يحالفوا غيرهم .
3 ديوانه : القطعة 64 .
4 بهم : جمع بهمة وهو الشجاع .
5 الخناذيذ : جياد الخيل ، واحدها خنذيذ .
6 تلتدم : تضرب صدرها في النياحة .
7 حضن : جبل بنجد .
8 لم يحن : لم يهلك .

إن تَلقَ حَـيَّ بَنـي الدَّيَّانِ تَلقَهمُ ... شُمَّ الأنـوفِ إليهم عِـزَّةُ اليمنِ
وما كان في الناس للدَّيَّان من شَبَهٍ ... إلا رُعَـينٌ وإلا آلُ ذي يَـزَنِ
أغمِضْ جفونَـكَ عمّا لستَ نائلَه ... نحنُ الذيـنَ سبقْنا الناسَ بالدمنِ
نحـنُ الذيـنَ تركنـا خالداً عَطِباً ... وَسطَ العَجاجِ كأنَّ المـرءَ لم يَكُنِ
إن تَهجُنا تَهـجُ أنجاداً شَرامِحةً ... بِيضَ الوجوهِ مَرافِيداً على الزمنِ[1]
أوْرَى زِيـادٌ لنـا زَنـداً ووالدُنا ... عبدُ المَـدان وأورى زنـدَه قَطَنُ[2]

[حمى أسماء بن زنباع ظعينته منه]

أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدثنا أبو بكر العامري عن ابن الأعرابي قال : أغار دُرَيد بن الصّمة في نفر من أصحابه ، فمروا بأسماءَ بن زِنباع الحارثي ومعه ظَعينتُه زينب ، فأحاطوا به ليتنزعوها من يده ، فقاتلهم دونَها فقتَل منهم وجرح ، ثم اختلف هو ودريد طعنتين : فطعنه دريد فأخطأه ، وطعنه أسماءُ فأصاب عينه ، وانهزم دريد ولَحِق بأصحابه ؛ فقال دريد في ذلك[3] : [من البسيط]

شَلَّتْ يمينـي ولا أشرَبْ معتَّقةً ... إذ أخطأ الموتُ أسماءَ بن زِنباعِ

قال : وهي قصيدة .

[قصته مع أنس بن مدركة الخثعمي ويزيد بن عبد المدان]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشَّيباني الذي ذكرتُه يأثُره عن محمد بن السائب الكلبي قال : جاور رجلٌ من ثُمالةَ عبدَ الله بن الصّمة ، فهلَك عبد الله وأقام الرجل في جوار دريد . وأغار أنَسُ بن مُدرِكةَ الخَثعَمي على بني جُشَمَ ، فأصاب مالَ الثُّمالي وأصاب ناساً من ثُمالةَ كانوا جيراناً لدُرَيد ؛ فكفَّ دريدٌ عن طلب القوم وشُغِل بحرب من يَليه ، وقال لجاره ذلك : أمهِلني عامي هذا . فقال الثمالي : قد أمهَلتُك عامين .

وخرج دريدٌ ليلةً لحاجته وقد أبطأ في أمر الثُّمالي ، فسمعه يقول : [من الطويل]

كساك دُريدُ الدَّهرَ ثـوبَ خَزايةٍ ... وجَدّعـكَ الحامـي حقيقتَه أنَسْ
دَعِ الخيلَ والسُّمرَ الطِّوالَ لخَثعَمٍ ... فما أنتَ والرُّمحُ الطويل وما الفَرَسْ

1 الشرامحة : جمع شرمح وهو القوي والطويل .
2 في هذا البيت إقواء .
3 هذا البيت في الديوان : رقم 39 .

وما أنت والغزوَ المُتابع للعِدا ... وهَمُّكَ سَوقُ العَودِ والدَّلوُ والمَرَسْ[1]
فلو كان عبدُ الله حياً لردَّها ... وما أصبحتْ إبلي بنَجرانَ تُحتَبَسْ
ولا أصبحتْ عِرسي بأشقى معيشةٍ ... وشيخٌ كبيرٌ من ثُمالةَ في تَعَسْ
يُراعي نجومَ الليل من بعد هَجعةٍ ... إلى الصبح محزوناً يُطاوله النَّفَسْ
وكنتُ وعبدُ اللهِ حيٌّ وما أُرى ... أُبالي من الأعداء مَن قام أو جلسْ
فأصبحتُ مهضوماً حزيناً لفقده ... وهل من نَكيرٍ بعد حولين تَلتَمِسْ

قال : فضاق دريدٌ ذَرعاً بقوله ، وشاور أُولي الرأي من قومه ؛ فقالوا له : ارحَل إلى يزيد بنِ عبد المَدان ؛ فإن أَنساً قد خلَّف المالَ والعِيالَ بنَجرانَ للحرب التي وقعت بين خَثعَم ، وإن يزيد يردُّها عليك . فقال دريد : بل أُقدِّم إليه قبل ذلك مِدحةً ثم أنظر ما مَوقِعي من الرجل ، فقال هذه القصيدةَ وبعث بها إلى يزيد[2] : [من الوافر]

بني الدَّيَّانِ رُدُّوا مالَ جاري ... وأَسرى في كُبُولهمُ الثِّقالِ
ورُدُّوا السَّبيَ إن شئتم بمَنٍّ ... وإن شئتم مُفاداةً بمالِ
فأنتم أهلُ عائدةٍ وفضلٍ ... وأيدٍ في مواهبكم طِوالِ
متى ما تَمنعوا شيئاً فليست ... حبائلُ أخذه غيرَ السؤالِ
وحربُكُمُ بني الدَّيَّانِ حربٌ ... يَغَصُّ المرءُ منها بالزُّلالِ
وجارتُكم بني الدَّيَّان بَسلٌ ... وجاركُم يُعَدُّ من العِيالِ[3]
حَذا عَبدُ المَدان لكم حِذاءً ... مُخَصَّرةَ الصدورِ على مِثالِ
بَني الدَّيَّانِ إن بني زِيادٍ ... همُ أهلُ التكرُّمِ والفَعالِ
فأَولُوني بني الدَّيَّانِ خيراً ... أُقِرّ لكم به أُخرى الليالي

قال : فلما بلَغ يزيد شعره قال : وجب حقُّ الرجل ! فبعث إليه أن أقدم علينا . فلما قدِم عليه أكرمه وأحسن مَثواه . فقال له دريد يوماً : يا أبا النَّضر ، إني رأيتُ منكم خِصالاً لم أَرَها من أحد من قومكم : إني رأيتُ أبنِيتَكم متفرِّقة ، ونِتاجَ خيلكم قليلاً ، وسَرحَكُم يجيء مُعَتَّماً ، وصبيانَكم يَتَضاغَون من غير جوع . قال : أجَل ! أما قلة نِتاجنا فنِتاجُ هَوازِنَ يكفينا وأما تفرُّق

1 العود : المسن من الإبل . والمرس : الحبل .
2 ديوانه : القطعة 49 .
3 بسل : حرام .

أبنيتنا فللغَيرة على النساء . وأما بكاء صبياننا فإنا نبدأ بالخيل قبل العِيال . وأما تَمَسُّنا بالنَّعَم فإن فينا الغرائبَ والأراملَ ، تخرج المرأة إلى ما لها حيث لا يراها أحدٌ . قال : وأقبلتْ طلائعُهم على يزيد ، فقال شيخ منهم : [من المتقارب]

أَتَتْكَ السلامةُ فارعَ النِّعَمْ ... ولا تَقُلِ الدَّهرَ إلا نَعَمْ
وسَرِّحْ دُرِيداً بنُعمَى جُشَمْ ... وإن سالَكَ المرءُ إحدى القُحَمْ

فقال له دُريد : من أين جاء هؤلاء ؟ فقال : هذه طلائعُنا لا نَسرَحُ ولا نَصطَبِحُ حتى يرجعوا إلينا . فقال له : ما ظلَمكم مَن جعلكم جمرة مَذجح . ورد يزيدُ عليه الأسارى من قومه وجيرانه ، ثم قال له : سَلني ما شئتَ ؛ فلم يسأله شيئاً إلا أعطاه إياه . فقال دريد في ذلك[1] : [من المتقارب]

مدَحتُ يزيدَ بن عبد المَدان ... فأَكرِمْ بـه من فتىً مُمتَدَحْ
إذا المدحُ زانَ فتى مَعشَرٍ ... فإنَّ يزيدَ يَزِينُ المِدَحْ
حلَلتُ به دونَ أصحابه ... فأُورى زِنادِيَ لما قَدَحْ
ورَدَّ النساءَ بأطهارِها ... ولو كان غيرُ يزيدٍ فضَحْ
وفَكَّ الرجالَ وكلُّ امرىءٍ ... إذا أَصلحَ اللهُ يوماً صلَحْ
وقلتُ له بعد عِتق النساء ... وفَكِّ الرجال وردِّ اللِّقَحْ
أَجِر فوارسَ من عامرٍ ... فأَكرِمْ بنَفحته إذ نَفَحْ
وما زلتُ أعرفُ في وجهه ... بكَرِّي السؤالَ ظهورَ الفرحْ
رأيتُ أبا النَّضر في مَذحِجٍ ... بمنزلةِ الفجرِ حينَ اتَّضَحْ
إذا قارَعوا عنه لم يُقرَعوا ... وإن قدَّموه لكَبشٍ نطَحْ
وإن حضَر الناسَ لم يُخزِهم ... وإن وازَنوه بقِرنٍ رجَحْ
فذاكَ فتاها وذو فضلها ... وإن نابحٌ بفَخارِ نَبحْ

[مع مسهر بن يزيد الحارثي]

قال وقال ابن الكلبي : خرج دريد بن الصّمة في فوارس من قومه في غَزاة له ، فلَقِيه مُسهِر بنِ يزيد الحارثي ، الذي فَقَأَ عين عامر بن الطُّفَيل ، يقود بامرأته أسماء بنت حَزن الحارثية . فلما رآه القوم قالوا : الغنيمةَ ، هذا فارسٌ واحد يقود ظَعِينةً ، وخليقٌ أن يكونَ الرجل قرشياً . فقال دريد : هل منكم رجل يمضي إليه فيقتله ويأتينا به وبالظَّعينة ؟ فانتَدب إليه رجلٌ من القوم

1 ديوانه : القصيدة 12 .

فحمَل عليه ، فلقيه مُسْهِر فاختلفا طعنتين بينهما ، فقتله مُسهِر بن الحارث . ثم حمل عليه آخر فكانت سبيلُه سبيلَ صاحبه ؛ حتى قتَل منهم أربعةَ نفر . وبَقي دريد وحدَه فأقبل إليه ، فلما رآه ألقى الخِطام من يده إلى المرأة وقال : خُذي خِطامَك ؛ فقد أقبل إليَّ فارسٌ ليس كالفُرسان الذين تقدَّموه ؛ ثم قصد إليه وهو يقول : [من الرجز]

أما ترى الفارسَ بعد الفارسْ أرداهـمُ عامـــلُ رمحٍ يابسْ

فقال له دريد : من أنت لله أبوك ؟ قال : رجلٌ من بني الحارث بن كعب . قال : أنت الحُصَين ؟ قال لا . قال : فالمُحجَّل هَوذَة ؟ قال لا . قال : فمن أنت ؟ قال : أنا مُسهِر بن يزيد . قال : فانصرف عنه دريد وهو يقول[1] : [من الطويل]

أمن ذِكْر سَلمى ماءُ عينيك يَهمِلُ كما انهلَّ خَرزٌ من شُعَيبٍ مُشَلشِلُ[2]

ومـاذا تُرَجِّـي بالسلامةِ بعدَ مـا نأتْ حِقَبٌ وابيضَّ منكَ المُرَجَّلُ

وحالتْ عَوادِي الحربِ بيني وبينها وحربٌ تَعُلُّ الموتَ صِرفاً وتُنهلُ

قِراهـا إذا باتـتْ لَدَيَّ مُفاضَةٌ وذو خُصَلٍ نَهدُ المَراكِلِ هَيكلُ[3]

كَمِيشٌ كتَيسِ الرَّملِ أخلَصَ مَتنَه ضَرِيبُ الخَلايا والنَّقِيعُ المعجَّلُ[4]

عَتِيـدٌ لأيـامِ الحـروبِ كأنَّه إذا انجابَ رَيعانُ العَجاجةِ أجدَلُ[5]

يُجاوِبُ جُرداً كالسَّراحِينِ ضُمَّراً تَـرُود بأبـوابِ البيوتِ وتَصهَلُ

على كلِّ حَيٍّ قـدْ أطلَّتْ بغـارةٍ ولا مثلَ ما لاقى الحِماسُ وزَعبَلُ

الحِماس وزَعبَل : قبيلتان من بني الحارث بن كعب .

غَـداةَ رأونـا بالغريـفِ كأنّنـا حَبِـيٌّ أدَرَّتْـه الصَّبـا متهلِّلُ[6]

بمُشعَلَةٍ تدعـو هـوازنَ ، فوقها نسيجٌ مـن المـاذِيِّ لأْمٌ مُرَفَّلُ[7]

لدى مَعرَكٍ فيها تركنـا سَراتَهم يُنـادُون ، منهـم مُوثَقٌ ومُجَدَّلُ

---

1 ديوانه : القصيدة 52 .

2 شلشل الماء : قطر .

3 المفاضة : الدرع . ذو خصل : يعني فرساً . نهد المراكل : واسع الجوف . هيكل : ضخم .

4 كميش : سريع . ضريب الخلايا : لبن النوق المخلاة للحلب .

5 الأجدل : الصقر .

6 الحبي : السحاب المتراكم .

7 الماذي : الدروع اللينة . اللأم : الدروع ، واحدتها لأمة . المرفل : المسبغ .

نَجُــذٌّ جِهاراً بالسيوف رؤوسَهم وأرماحُنــا منهــم تَعُــلُّ وتَنهَلُ
تَرى كلَّ مسودِّ العِذارَين فارسٍ يُطِيف بــه نَسرٌ وعَرفاءُ جَيأَلُ[1]

قال مؤلِّف هذا الكتاب : هذه الأخبار التي ذكرتُها عن ابن الكلبي موضوعةٌ كلُّها ، والتوليدُ بيّن فيها وفي أشعارها ، وما رأيتُ شيئاً منها في ديوان دُريد بن الصمة على سائر الروايات . وأعجبُ من ذلك هذا الخبرُ الأخيرُ ؛ فإنه ذكرَ فيه ما لحِقَ دريداً من الهُجنة والفضيحة في أصحابه وقتل من قُتِل معه وانصرافَه منفرداً ، وشعرُ دريد هذا يفخر فيه بأنه ظفِر ببني الحارث وقتلَ أماثِلَهم ؛ وهذا من أكاذيب ابن الكَلبي . وإنما ذكرتُه على ما فيه لئلا يسقطَ من الكتاب شيء قد رواه الناسُ وتَداوَلُوه .

1 العرفاء : الضبع . والجيأَلُ : من أسماء الضبع أيضاً .

[157] ـ أخبار المُعتَضِد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني

ـ دون أخباره في غير ذلك لأنها كثيرة تخرج عن حد الكتاب ـ وشيء من أخباره مع المغنِّين وغيرهم يصلح لما هاهنا

[لحن يجمع النغم العشر]

حدثني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر أن المعتضد بعث إليه ، لما صنعت جاريتُه شاجِي اللحنَ الذي يجمع النَّغَمَ العشرَ ، بظَبي وحبيب جاريتَي أخيه سليمان بن عبد الله بن طاهر حتى أخذَتا اللحنَ عنه ونقلتاه إليه وأَلقَتاه على جواريه . قال : ولم يزل يُراسِلُني مع عبد الله بن أحمد بن حمدون في أمر النَّغَم العشر ويسألني عنها وأشرحُها له ، حتى فهِمها جيِّداً وجمَعها في صوتٍ صنعه في شعر دُريد بن الصمة : [من منهوك الرجز]

يا ليتني فيها جَـذَعْ أَخُـبُّ فيهـا وأَضَعْ

وألقاه عليهما حتى أدَّتاه إليَّ مستعلِماً بذلك هل هو صحيحُ القِسمة والأجزاء أم لا ، فعرَّفتُه صحتَه ودللتُه على ذلك حتى تيقَّنه فسُرَّ بذلك ؛ وهو لَعَمرِي من جيِّد الصنعة ونادرها . وقد صنع المُعتضد ألحاناً في عدة أشعار قد صنع فيها الفحول من القدماء والمُحدَثِين وعارضَهم بصنعته فأحسن وشاكَل وضاهى ، فلم يَعجِز ولا قصَّر ولا أتى بشيء يُعتذر منه . فمن ذلك أنه صنع في : [من البسيط]

أمَّا القَطاةُ فإني سوفَ أنعتُها نَعتاً يوافقُ نعتي بعضَ مـا فيها

لحناً من الثقيل الأول بالبنصر في نهاية الجودة ، سمعت إبراهيم بن القاسم بن زُرزُور يُغَنِّيه ، فكان من أحسنِ ما صُنع في هذا الصوت على كثرة الصنعة فيه واشتراك القدماء والمُحدَثين في صنعته مثل معبد ونشيطٍ ومالك وابن مُحرِز وسِنانٍ وعُمَر الوادي وابن جامع وإبراهيم وابنه إسحاق وعلويه . وأظرفُ من ذلك أنه صنع في : [من الطويل]

تَشَكَّى الكُمَيتُ الجَريَ لمّا جهَدتُه وبَيَّنَ لـــو يَسْطيـعُ أنْ يتكلَّمـا

لحناً من الثقيل الأول[1] بالوسطى ، وقد صنع قبله ابن سُريج لحناً هو من الألحان الثلاثة المختارة من الغناء كلِّه ، فما قصَّر في صنعته ولا عَجَز عن بلوغ الغاية فيها ؛ هذا بعد أن صنع إسحاقُ فيها لحناً من الثقيل الثاني عارض ابنَ سُرَيج به في لحنه ، فما امتنع من أن يتلو مثل هذين ولا نظيرَ لهما في القدماء والمُحدثين ، ثم جوَّد غاية التجويد فيما اتبعهما به وعارضهما فيه . هذا مع أصوات له صنَعها تُزاهي المائة صوت ، ما فيها ساقطٌ ولا مَرذُول ، وسأذكر منها ما يَصلُح ذكرُه في موضعه إن شاء الله تعالى .

ومن نادر صنعة المعتضد : [من الطويل]

صوت

أَناةً فإن لم تُغـــنِ عقَّب بعدَها وَعِيداً ، فإن لم يُغنِ أغنتْ عَزائمُه

الشعر لإبراهيم بن العباس ، والغناء للمعتضد ثقيلٌ أول . هذا بيتٌ قاله إبراهيم وهو لا يعلم أنه شعر ، وإنما كتب به في رسالة عن المعتصم إلى بعض أصحاب الأطراف فقال في فصل منه : «وإن عند أمير المؤمنين في أمرك أَناةً ، فإن لم تُغنِ عقَّب بعدها وعيداً ، فإن لم يُغنِ أَغنَت عزائمُه» . فلما تأمله رأى أنه شعر وأنه بيتٌ نادر فأخرجه في شعره .

1 ل : الثاني .

[158] ـ أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه[1]

[نسبه]

إبراهيم بن العباس بن محمد بن صُول ، وكان صُولٌ رجلاً من الأتراك ، ففتح يزيد بن المهلَّب بلدَه وأسلم على يديه ، فهم موالي يزيد . ولما دعا يزيد إلى نفسه لَحِق به صُولٌ لينصرَه فصادفه قد قُتل . وكان يقاتل كلَّ مَن بينه وبين يزيد من جيش بني أمية ويكتب على سهامه : صُولٌ يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه . فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك ، فاغتاظ وجعل يقول : وَيلي على ابن الغَلفاء ! وماله وللدُّعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ؟! ولعله لا يَفقَه صَلاتَه ! . وكان ابنه محمد بن صُول من رجال الدولة العباسية ودُعاتها . وقد كان بعضُ أهليهم ادعَوا أنهم عربٌ وأن العباس بن الأحنف خالُهم . وأما صول فإن خالد بن خِداش ذكر عن أهله قالوا : كان صولٌ وفَيروزُ أخوين مَلَكا على جُرجان ، وكانا تركيَّين تمجَّسا وتشبَّها بالفُرس . فلما حضر يزيد بن المهلب جُرجان أمّنهما ، فأسلم صُولٌ على يديه ولم يزل معه حتى قُتل يوم العَقر[2] . وكان محمد بن صول يُكنى أبا عُمارة ، أحد الدُّعاة ، وقتله عبد الله بن علي لما خالف مع مُقاتل بن حكيم العَكي[3] وعِدَّةٍ آخرين . وأما إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله فإنهما كانا من وجوه الكُتاب ، وكان عبد الله أسنَّهما وأشدَّهما تقدُّماً ، وكان إبراهيم آدَبهما وأحسنَهما شعراً ، وكان يقول الشعر ثم يختاره ، ويُسقط رَذله ، ثم يُسقط الوسطَ ، ثم يسقط ما يُسبَق إليه ، فلا يَدَع من القصيدة إلا اليسيرَ ، وربما لم يَدَع منها إلا بيتاً أو بيتين ؛ فمن ذلك قوله[4] : [من الوافر]

ولكنَّ الجوادَ أبا هشامٍ وفيُّ العهدِ مأمونُ المَغِيبِ

وهذا ابتداء يدُل على أن قبله غيرَه ؛ وقولُه في أخيه[5] : [من الطويل]

---

1 ترجمة إبراهيم بن العباس الصولي في معجم الأدباء لياقوت (عباس) 1 : 70–86 والفهرست : 136 وتاريخ بغداد 6 : 117 ومروج الذهب : 23–28 وابن خلكان 1 : 44 وإعتاب الكتّاب : 746 والوافي 6 : 24 والنجوم الزاهرة 2 : 315 وله أخبار منثورة في كتب الأدب ، وديوانه مضمن في الطرائف الأدبية 126–194 بعناية عبد العزيز الميمني .

2 يوم العقر : مكان بين واسط وبغداد قتل فيه يزيد بن المهلب سنة 102هـ .

3 أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

4 الطرائف الأدبية : 184 .

5 الطرائف الأدبية : 136 .

ولكنَّ عبدَ اللهِ لما حوَى الغنى وصارَ له من بين إخوته مالُ

وهذا أيضاً ابتداء يدل على أن قبله غيرَه . وكان إبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرِّياستين ، اتَّصلا به فرفع منهما . وتنقَّل إبراهيم في الأعمال الجليلة والدواوين إلى أن مات وهو يتقلد ديوان الضِّياع والنفقات بسُرّ مَنْ رأى في سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان .

قال محمد بن داود وحدثني أحمد بن سعيد بن حسان قال حدثني ابن إبراهيم قال سمعت دِعبِلاً يقول : لو تكسَّب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركنا في غير شيء . قال : ثم أنشدنا له ، وكان يستحسن ذلك من قوله[1] : [من السريع]

إنَّ امـرأً ضـنَّ بمعروفهِ عنّي لمبذولٌ لـه عـذري
مـا أنـا بالراغبِ في عُرفهِ إن كان لا يرغبُ في شكري

[هجاؤه محمد بن عبد الملك الزيات]

وكان إبراهيم بن العباس صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ثم آذاه وقصده وصارت بينهما شَحناء عظيمة لم يمكن تلافيها ، فكان إبراهيم يهجوه ؛ فمن قوله فيه[2] : [من الطويل]

أبا جعفرٍ خَفْ خَفضةً بعد رِفعةٍ وقصِّرْ قليلاً عن مدَى غُلَوائكا
لئن كان هذا اليومُ يوماً حوَيتَه فإن رجائي في غـدٍ كرجائكا

وله فيه أيضاً[3] : [من الطويل]

دعوتك في بَلوى ألَمَّتْ صروفُها فأوقدتَ من ضِغنٍ عليَّ سعيرَها
فإنِّي إذا أدعـوكَ عنـدَ مُلِمَّةٍ كداعيـةٍ عنـدَ القبـورِ نَصِيرَها

وقال فيه لما مات[4] : [من الرجز]

لمـا أتـاني خَبَرُ الزيـات وأنه قـد صار في الأمواتِ
أيقنـتُ أن موتَـه حياتي

[صديق منافق]

أخبرني جحظة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما انحرف محمد بن عبد الملك الزيات

1 الطرائف الأدبية : 185 .
2 الطرائف الأدبية : 161 .
3 الطرائف الأدبية : 184 .
4 الطرائف الأدبية : 182 .

عن إبراهيم تحاماه الناس أن يلقَوه ، وكان الحارث بن بُسخُنَّر صديقاً له مصافياً ، فهجره في من هجره من إخوانه ؛ فكتب إليه[1] : [من الطويل]

تَغَيَّر لي في مَـنْ تغيَّر حـارثُ وكم مِن أخٍ قد غيَّرتـه الحوادثُ
أحارثُ إن شوركتُ فيك فطالما غَنينا ومـا بيني وبينكَ ثالثُ

وقد قيل : إن هذه الأبيات لإسحاق بن إبراهيم الموصلي .

ومن جيِّد قولِ إبراهيم بن العباس وفيه غناء[2] : [من مجزوء الكامل]

صوت

خـــلِّ النِّفـــاقَ لأهلـه وعليك فـالتمس الطَّريقا
واذهَبْ بنفسكَ أن تُرى إلا عـــدواً أو صديقـا[3]

الغِناء لأبي العَنْبَس بن حمدون ، ثقيلٌ أول .

[هوي قينة فنغصه تأخرها]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال : كان إبراهيم بن العباس يهوى قَينة بسُرَّ مَنْ رأى ، فكان لا يكاد يفارقها . فجلس يوماً للشرب ومعه إخوان له ، ودعا جماعةً من جواري القيان ، ودعاها فأبطأت ، فتنغص عليهم يومُهم لِما رأوا من شُغل قلبه بتأخُّرها ، ثم وافت فسُرِّيَ عنه وطابت نفسه وشرب وطرِب ، ثم دعا بدواة فكتب[4] : [من المتقارب]

ألم تَرنـا يومَنـا إذ نأتْ فلم تأتِ مـن بين أترابها
وقد غمرتْنا دواعي السرور بإشعالهـــا وبـــإلهابها
ومَـدَّتْ علينا سماءَ النعيم وكلُّ المُنى تحـت أطنابها
ونحنُ فُتـورٌ إلى أن بدتْ وبدرُ الدُّجى بـين أثوابها
فلمّا نـأتْ كيفَ كُنَّا لها ولما دَنَتْ كيفَ صِرنا بها

وأمر من حضر فقرأ عليها الأبيات ، فتجنَّت[5] وقالت : ما القصة كما وصفتَ ، وقد كنتم في

1 الطرائف الأدبية : 182 .
2 الطرائف الأدبية : 161 .
3 واذهب في الطرائف الأدبية : وارغب .
4 الطرائف الأدبية : 140 .
5 معجم الأدباء : فتغضبت .

قَصفكم مع مَن حضر ، وإنما تجمَّلتم لي لما حَضَرتُ . فأنشأ يقول[1] : [من المجتث]

يا مَــن حنيني إليــه ومــن فــوأدي لديه
ومَن إذا غابَ من بيـ ـنهم أسِفــتُ عليه
إذا حضرتِ فما مِنـ ـهُمُ مَــنَ أصبُو إليه
من غاب غيرُكِ منهم فأمــرُه في يــديه[2]

قال : فرضيت عنه ، وأتممنا يومَنا على أحسن حال .

[أجازه دعبل في شعر]

وقال محمد بن داود حدثني محمد بن القاسم قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال حدثني إبراهيم بن العباس ، قال حدثني به دِعبِلٌ أيضاً فكانا متفقَين في الرواية ، قال : كنا نطلبُ جميعاً بالشعر ، فخرجنا وكنا في مَحمِل ، فابتدأتُ أقول في المطَّلب بن عبد الله بن مالك :

أمطَّلِــبٌ أنــتَ مُستَعــذِبٌ

فقال دِعبِل : [من المتقارب]

لسمٌّ الأفاعــي ومُستَقتِــلُ

فقلت :

فإن أَشفِ منــك تكن سُبَّةً

فقال دِعبل :

وإن أعفُ عنــك فمــا تفعلُ

[الأخفش يستحسن أبياتاً له]

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس وكان يُفضِّلها ويستجيدها[3] : [من الوافر]

أميل مــع الذِّمامِ على ابنِ أمِّي وآخُــذ للصديقِ مــن الشقيقِ
وإن أَلفَيتَنــي حُــراً مُطاعــاً فإنك واجِــدي عبــدَ الصديقِ
أفــرِّق بــين معــروفي ومَنِّي وأجمــعُ بــين مــالي والحقوقِ

[جوابه لمعتذر]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسن بن أبي البَغل قال حدثني عمي قال : اجتاز محمد بن علي

1 الطرائف الأدبية : 152 .
2 فأمره في الطرائف الأدبية : فإذنه .
3 الطرائف الأدبية : 154 .

برد الخيار على أبي أيوب ابن أخت الوزير وهو متولّي ديار مُضَر فلم يتلقَّه ، ونزل الرَّقَّة فلم يصل إليه ولم يَبَرَّه ، وخرج عنها فلم يُشيِّعه . فلامه إخوانُه وقالوا : يشكوك إلى إبراهيم بن العباس . فكتب إلى إبراهيم يعتذر مما جرى بعلَّةٍ . فكتب إليه إبراهيم على ظهر كتابه[1] : [من الرمل]

أبداً مُعتَـذِرٌ لا يُعـذَرُ ورَكُـوبٌ للتي لا تُغفَرُ
ومُلَقَّـى بمساوٍ كلُّهـا منـه تبدو وإليه تصدُرُ
هي من كلِّ الورى مُنكَرةٌ وهي منه وحده لا تُنكَرُ

[الجارية «سامر» تهدي له جاريتين]

أخبرني عمي قال حدثني ابن برد الخيار عن أبيه قال : كان إبراهيم بن العباس يهوى جارية لبعض المغنِّين بسُرَّ مَن رأى يقال لها سامر[2] ، وشُهِر بها ، فكان منزله لا يخلو منها . ثم دُعِيت في وليمة لبعض أهلها فغابت عنه أياماً ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاتها . وقالت له : قد أهديتُ صاحبتَيَّ إليك عِوَضاً من مَغيبي عنك ؛ فأنشأ يقول[3] : [من البسيط]

صوت

أقبلنَ يَحفُفنَ مثلَ الشمسِ طالعةً قـد حسَّنَ اللهُ أُولاها وأُخراها
ما كنتِ فيهنَّ إلا كنتِ واسطةً وكنَّ دونكِ يُمناهـا ويُسراها

الغناء لسَلسَل مولى بني هاشم ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى مطلقٌ . وليس لسلسل خبر يُدَوَّن ولا هو من المشهورين ولا ممن خدم الخلفاء أو دُوِّن له حديث . وذكر حَبَش أنه لسلسل مولاة محمد بن حرب الهِلالي . وسَلسَل هذه كانت من أحسن الناس وجهاً وغِناءً ، وكانت لبعض المغنِّين بالبصرة ، وكان محمد بن حرب هذا يتعشَّقها ولم تكن مولاته . فأخبرني الحرمي بن أبي العَلاء قال حدثنا إسحاق بن محمد النَّخَعي قال حدثني حماد بن إسحاق قال : أتى أبانُ بن عبد الحميد الشاعر رجلاً بالبصرة وله قَينة يقال لها سَلسَل ، فصادف عندها محمد بن قَطَن الهلالي وعثمان بن الحَكَم بن صخر الثَّقَفي فقال[4] : [من الرمل]

فتنتْ سَلسَلُ قلبَ ابنِ قَطَنْ ثم ثَـنَّتْ بابن صخر فافتتنْ
فأتيتُ اليـومَ كـي أُنقِذَهم فإذا نحـنُ جميعاً في قَرَنْ

فأظُن الغَلَطَ وقع على حَبَش من هاهنا أو سمع هذا الخبر فتوهَّم أنها مولاة محمد بن حرب .

1 الطرائف الأدبية : القطعة 111 . وفيه اختلاف .
2 معجم الأدباء : ساهر .
3 معجم الأدباء : 75 .
4 الطرائف الأدبية : القطعة 39 .

[يركب مع دعبل حمير أهل الشوك]

أخبرني عمي ووكيع قالا حدثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزي قال حدثني محمد بن عيسى بن عبد الرحمن قال : خرج إبراهيم بن العباس ودِعبِل بن علي وأخوه رَزِين في نُظَرائهم من أهل الأدب رَجَّالةً إلى بعض البساتين في خلافة المأمون ، فلقِيَهم قوم من أهل السواد من أصحاب الشَّوك ، فأعطَوهم شيئاً وركِبوا تلك الحميرَ ؛ فأنشأ إبراهيم يقول[1] : [من الهزج]

أعِيضَتْ بعدَ حَمل الشَّو ك أحمالاً من الحرفِ
نَشاوَى لا من الصَّهبا ء بلْ من شِدّةِ الضّعْفِ

فقال رزين : [من الهزج]

فلو كنتم على ذاك تؤولونَ إلى قَصفِ
تساوتْ حالُكم فيه ولم تَبقَوْا على خَسفِ

فقال دعبل : [من الهزج]

وإذ فاتَ الذي فاتَ فكونوا من بني الظَّرفِ
ومُرُّوا نَقصِفُ اليومَ فإني بائعٌ خُفّي

فانصرفوا معه فباع خُفَّه وأنفقه عليهم .

[رثاؤه لابنه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مَهرويه قال قال لي علي بن الحسين الإسكافي : كان لإبراهيم ابنٌ قد يَفَع وترعرَعَ ، وكان مُعجباً به فاعتلَّ عِلَّة لم تَطُل ومات ؛ فرثاه بمراثٍ كثيرة ، وجزِع عليه جَزَعاً شديداً . فمّما رثاه به قوله[2] : [من مجزوء الكامل]

كنتَ السوادَ لمُقلتي فبكى عليكَ الناظرُ
مَن شاءَ بعدَكَ فَلْيَمُتْ فعليكَ كنتُ أُحاذِرُ

فيه رمل لابن القصار . ومن مراثيه إياه قوله[3] : [من المتقارب]

---

1 ديوان دعبل (نجم) : 110 .

2 الطرائف الأدبية : 169 والبيت :

أتت السواد لمقلة تبكي عليك وناظر

وفي رواية أخرى :

كنت السواد لناظري فعمي عليك الناظر

3 الطرائف الأدبية : 179 .

وما زلتُ مُذ لَدُ أُعطِيتُه أُدافعُ عنه حِمامَ الأَجَلْ
أُعوِّذه دائباً بالقُرانِ وأَرمي بطرفي إلى حيث حَلْ
فأضحتْ يدي قصدُها واحدٌ إلى حيثُ حلَّ فلم يَرتَحِلْ

[عاتبه أبو واثلة على العهد]

وقال أحمد بن أبي طاهر حدثني أبو واثِلةَ قال : قلت لإبراهيم بن العباس : قد أخملتَ نفسك ورضِيتَ أن تكون تابعاً أبداً لاقتصارك على القَصف واللعب ؛ فأنشأ يقول : [من مجزوء الخفيف]

إنّما المرءُ صورةٌ حيثُ حلَّتْ تَناهتِ
أنا مذ كنتُ في التصرُّ فِ لي حالُ ساعتي

[أخوه عبد الله يقاسمه وأخته ماله]

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني ابن السَّخِي قال : وهَب عبد الله بن العباس لأخيه إبراهيم ثُلُثَ ماله ، ووهب لأخته الثلث الآخر ، فسار مساوياً لهما في الحال ؛ فقال إبراهيم : [من الطويل]

ولكنَّ عبدَ الله لما حَوى الغنى وصار له من بين إخوته مالُ
رأى خَلَّةً منهم تُسَدُّ بماله فساهَمهم حتى استوتْ بهمُ الحالُ

وهذا مما عِيبَ على إبراهيم قولُه ابتداء «ولكن عبد الله» . وقد كرَّره في شعره فقال : [من الوافر]

ولكنَّ الجوادَ أبا هاشم وفيُّ العهدِ مأمونُ المَغِيبِ
بَطِيءٌ عنكَ ما استغنيتَ عنه وطَلاَّعٌ عليك مع الخطوبِ

والسبب في ذلك اختيارُه شعرَه وإسقاطُه ما لم يَرضَه منه .

[عزله عن الأهواز]

وقرأت في بعض الكتب : لما عُزِل إبراهيم بن العباس عن الأهواز في أيام محمد بن عبد الملك الزيات اعتُقِل بها وأُوذِي ، وكان محمد قَبل الوزارة صديقَه ، وكان يؤمِّل منه أن يُسامحه ويُطلِقَه ، فكتب إليه[1] : [من الطويل]

فلو إذ نَبا دهرٌ وأُنكِر صاحبٌ وسُلِّط أعداءٌ وغابَ نصيرُ
تكونُ عن الأهوازِ داري بنَجوةٍ ولكنْ مقاديرٌ جرتْ وأمورُ

1 الطرائف الأدبية : القطعة 17 وفيه اختلاف .

وإني لأرجو بعــدَ هذا محمداً لأفضلِ مــا يُرجى أخٌ ووزيرُ

فأقام محمد على قصدِه وتكشُّفِه والإساءة إليه حتى بلغ منه كلَّ مكروه ، وانفرجت الحال بينهما على ذلك ، وهجاه إبراهيم هجاءً كثيراً .

[تحامل ابن الزيات عليه]

وأخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو عبد الله الباقطاني أو الطَّالقاني قال حدثني علي بن الحسين بن عبد الأعلى قال : وجَّه محمد بن عبد الملك بأبي الجَهم أحمد بن سيف إلى الأهواز ليكشِف إبراهيم بن العباس ، فتحامل عليه تحاملاً شديداً . فكتب إبراهيم إلى محمد بن عبد الملك يُعَرِّفه ذلك ويشكوه إليه ويقول له : أبو الجهم كافرٌ لا يُبالي ما عمِل ، وهو القائل لما مات غلامُه يخاطب مَلَكَ الموت : [من المتقارب]

وأقبلــتَ تسعى إلى واحــدي ضِراراً كأنِّـــي قتلتُ الرسولا
تركــتَ عَبِيــدَ بنـــي طاهرٍ وقد ملئوا الأرضَ عَرْضاً وطولا
فسوفَ أُدِيـــنُ بتــركِ الصلاة وأصطَبِحُ الخمرَ صِرفــاً شَمولا

فكان محمد لعصبيَّته على إبراهيم وقَصدِه له يقول : ليس هذا الشعر لأبي الجَهم ، إنما إبراهيم قاله ونَسَبَه إليه .

[مدح المتوكل ببيتين]

أخبرني أحمد بن جعفر بن رفعة قال حدثني أبي قال دعاني إبراهيم بن العباس وقال : قد مدحتُ أمير المؤمنين المتوكِّل ببيتين ، فغنِّ فيهما وأشِعهما ، ودعا لي بطِيب كثير فأعطانيه ، وخلَع عليَّ خِلعة سَرِيَّة ، فغنَّيتُ فيهما . والبيتان : [من مجزوء الكامل]

صوت

مــا واحدٌ مــن واحدٍ أولى بفضــل أو مُــرُوّهْ
ممـــن أبــوه وجَــدُّه بــين الخلافــةِ والنُّبُوهْ

وأشَعتُهما وغُنِّي فيهما المتوكل فاستحسنهما ووصله صِلَةً سنية .

لحنُ جعفر بن رفعة في هذين البيتين رَمَلٌ بالبِنصر .

[مدح الرضا لما عقدت ولاية العهد]

أخبرني محمد بن يونس الأنباري قال حدثني أبي : أن إبراهيم بن العباس الصُّولي دخل على الرِّضا لما عقَد له المأمون وولاَّه العهدَ ، فأنشده قوله[1] : [من الطويل]

1 لم ترد في ديوانه .

أزالَت عَزاءَ القلبِ بعدَ التجلُّدِ مصارعُ أولاد النبـيِّ محمـدِ

ﷺ ، فوهب له عشرة آلاف درهم من الدراهم التي ضُربت باسمه . فلم تزل عند إبراهيم ، وجعل منها مُهور نسائه ، وخلَّف بعضَها لكَفَنه وجَهازه إلى قبره .

[آذى إسحاق ابن أخي زيدان فهدده]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني أبو العباس بن الفُرات والباقطاني قالا : كان إسحاق بن إبراهيم ابن أخي زيدان صديقاً لإبراهيم بن العباس ، فأنسخه شعرَه في مدح الرِّضا ، ثم ولِيَ إبراهيمُ بن العباس في أيام المتوكِّل ديوانَ الضِّياعِ ، فعزله عن ضِياع كانت بيده بحُلوان ، وطالبه بمال وجب عليه ، وتباعَد بينهُما . فقال إسحاق لبعض من يثِق به : قل لإبراهيم بن العباس : والله لئن لم يَكفُف عما يفعله فيَّ لأخرجنَّ قصيدتَه في الرضا بخطه إلى المتوكِّل . فأحجم عنه إبراهيم وتلافاه ، ووجَّه من ارتجع القصيدةَ منه وجعله على ثقةٍ من أنه لا يُظهرها ، ثم أفرج عنه وأزال ما كان يطالبه به .

[نادرته في ثقيل]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا إبراهيم بن المُدَبِّر قال : راكَبت إبراهيمَ بن العبَّاس ، فلَقِيَنا رجلٌ كان إبراهيم يستثقله ، فسلَّم عليه . فلمَّا مضى قال : يا أبا إسحاق إنه جَرمي . فقلت : ما كان عندي إلا أنه من أهل السَّواد . فضحِك وقال : إنما أردتُ قولَ الشاعر[1] : [من مجزوء الوافر]

تُسائِل عن أخي جَـرم ثقيـلٌ والذي خَلَقَـهْ

[كتابه في شفاعة]

أخبرني الصُّولي قال حدثني محمد بن السَّخِي قال حدثني الحسن بن عبد الله الصُّولي قال : كتب عمِّي إبراهيمُ بن العباس شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه : فلان ممن يَزكُو شكره ، ويحسُن ذكرُه ، ويعنيني أمرُه ، والصنيعةُ عنده واقعةٌ موقِعَها ، وسالكةٌ طريقَها[2] . [من الطويل]

وأفْضَلُ ما يأتيه ذو الدِّين والحِجا إصابةُ شكـرٍ لم يَضِعْ مَعَـهُ أجرُ

[مدحه عبيد الله بن يحيى عند المتوكل]

أخبرني عمي عن أبي العيناء قال : كان عبيد الله بن يحيى يقول للمتوكِّل : يا أمير المؤمنين ، إن إبراهيم بن العباس فضيلةٌ خبَأها الله لك ، وذخيرةٌ[3] ذَخرها لدولتك .

---

1 معجم الأدباء : 77 .

2 معجم الأدباء : 77 .

3 ل : وحسنة .

[وصف القدور الإبراهيمية]

وذُكر عن علي بن يحيى : أن المتوكل بعث إلى إبراهيم بن العباس يأمره أن يصف له القُدورَ الإبراهيمية ، وكان ابتدعها ؛ فكتب له صِفَتَها ، وكتب في آخرها في ذكر الأبازِير : «ووزن دانَقٍ» ونسيَ أن يكتب من أي شيء . فلما وصلتْ إليه الصفةُ اغتاظ ثم قال لعلي بن يحيى : احلفْ بحياتي أن تقول له ما آمُرك به ، ففعل . فقال له : قل وزنُ دانق من أي شيء ؟ أمِن بظْر أمك ! قال علي بن يحيى : فدخلتُ إليه فقلت : إني جئتك في رسالة عزيز عليَّ أن أُؤدِّيها ؛ فقال : هاتها ، فأديتُها . قال : فارجِع إليه وقل له عني : يا سيدي ، إن علي بن يحيى أخي وصديقي وقد أدَّى الرسالة ؛ فإن رأيت أن تجعل وزن الدانق من بَظْر أمي وبَظْر أمِّهِ جميعاً تفضلتَ بذلك . فقلت : قَبحك الله ! وأنا أيْش ذنبي ! قال : قد أديتَ الرسالة وهذا جوابُها . فدخلتُ إلى المتوكل فقال : إيهِ ما قال لك ؟ فقلتُ : قَبَح الله ما جئتُك به ! وأخبرته بالجواب ؛ فضحِك حتى فَحَص برجله وجعل يَشْرب عليه بقيَّةَ يومِه . وإذا لَقِيتُه قال لي : يا علي ، وزن دانق أيْشِ ! فأقول : لعنة الله على إبراهيم .

[مداعبته الحسن بن وهب]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسنُ بنُ وَهْب إبراهيمَ بن العباس ؛ فقال له : أرْكَبُ وأجيئك عشياً فلا تنتظرني بالغَداة . فأبطأ عليه ، وأسرع الحسنُ في شُرْبه فسكِر ونام ، وجاء إبراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب[1] : [من البسيط]

رُحْنا إليك وقد راحتْ بك الرَّاحُ وأسرعتْ فيكَ أوتارٌ وأقداحُ

قال : وحدثني محمد بن موسى قال : نظر إبراهيم بن العباس الحسنَ بنَ وَهْبٍ وهو مخمورٌ فقال له[2] : [من مجزوء الكامل]

عيناكَ قدْ حَكَتا مَبِيـ ـتَك كيفَ كنتَ وكيفَ كانا

ولرُبَّ عينٍ قد أرتـ ـكَ مَبيتَ صاحبها عِيانا

فأجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتاً وطالبه بمثلها ؛ فكتب إليه بأربعة أبيات وطالبه بأربعين بيتاً . وأبياتُ إبراهيمُ[3] : [من الكامل]

1 الطرائف الأدبية : القطعة 171 .

2 الطرائف الأدبية : 175 .

3 الطرائف الأدبية : القطعة 166 .

أأبا عليٍّ خيرُ قولِك ما حصَّلتَ أنجعَه ومُختصرَهْ
ما عندنا في البيعِ من غَبَنٍ للمُستَقِلِّ بواحدٍ عَشَرَهْ
أنا أهلُ ذلك غيرَ مُحْتَشِمٍ أرْضى القديمَ وأقتفي أثرهْ
ها نحنُ وفَّيناكَ أربعةً والأربعونَ لديكَ مُنتظَرَهْ

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال : سمعتُ إبراهيمَ بن العباس وقد لبِس سوادَه يوماً يقول : يا غلامُ هاتِ ذلك السيفَ الذي ما ضرَّ الله به أحداً قطُّ غيري .

[استثقاله ابن أخيه]

قال : وسأل يوماً عن ابن أخيه طماس وهو أحمد بن عبد الله بن العباس فقيل له : هو مشغول بطبيب ومُنجِّم عنده ، وكان يستثقله ، فقال قل له يا غلام : والله ما لك في الناس طَبْعٌ ؛ ولا في السماء نجم ، فما لك تَكَلَّفُ هذا التكلف .

أخبرني الصولي قال حدثني أحمد بن السَّخي قال : أمر إبراهيم بن العباس أن يُجْمَع كلُّ أعور يَمرُّ في الطريق ، فجمعوهم ووقَفُوهم وخرج ومعه طماس ، فلما رأى العُورَ مجتمعين قال لطماس : كُلُّهم مثلُك ، فاترك هذا الصَّلَف فإنه داعية إلى التَّلف .

أخبرني الصُّولي قال حدثني ميمون بن موسى قال : قال الحسن بن وَهْب لإبراهيم بن العباس : تعالَ حتى نَعُد البُغَضاء ؛ قال : ابدأ بي أولاً من أجل ابن أخي طماس ثم ثَنِّ بمن شئتَ .

[أمر الحسن بن مخلد بأمر فابطأ]

أخبرني الصُّولي قال قال جعفر بن محمود : ركِبتُ بين يَدَي إبراهيم بن العباس . فأَمَر الحسنَ بن مُخَلَّد بأمرٍ فاستبطأه فيه فنظر إليه فقال[1] : [من مجزوء الخفيف]

مُعْجَبٌ عندَ نفسِه وهو لي غير مُعْجِبِ
إن أَقُلْ لا يَقُلْ نعم عاتبٌ غيرُ مُعْتِبِ
مُولَعٌ بالخلافِ لي عامداً والتجنُّبِ
قلتُ فيه بضدّ ما قيل في أمِّ جُنْدُبِ

يريد قولَ امرىء القيس : [من الطويل]

«خليليَّ مُرّا بي على أمِّ جُنْدُبِ

أي فأنا لا أريد أن أمرَّ بك .

1 البيت الأول فقط في الطرائف الأدبية : القطعة 150 ومعه بيت ليس مما هنا .

[تنادر بابن الكلبي عند المتوكل]

قال وأخبرني الصُّولي قال حدثنا أحمد بن يزيد المُهَلَّبي عن أبيه قال[1] : كان المتوكل قد ولَّى ابنَ الكلبي البريدَ ، وأحلَفه بالطلاق ألا يَكتُمَه شيئاً من أمر الناس جميعاً ولا من أمره هو في نفسه . فكتب إليه يوماً أن امرأته خرجت مع حُبَّتها في نُزْهة ، وأن حُبتها عَرُبَدتْ عليها فجرحتْها في صُدْغها . فقرأه إبراهيم بن العباس على المتوكِّل ثم قال له : يا أمير المؤمنين ، قد صحّف ابنُ الكلبي ، إنما هو : «جرحتْها في صدعها» ، فضحك المتوكِّل وقال : صدقتَ . ما أظن القصة إلا هكذا . قال : ولم يكن ابن الكلبي هذا من العرب ، إنما كان أبوه يُلَقَّب «كلب الرَّحْل» فقيل له الكلبي .

[استعطافه محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمّي قال حدثنا ميمون بن هارون قال : كتب إبراهيم بن العباس إلى محمد بن عبد الملك يستعطفه : كتبت إليك وقد بلغت المُدْيةُ المَحَزَّ ، وعَدَتِ الأيامُ بك عليَّ ، بعد عَدْوِي بك عليها ، وكان أسْوأ ظني وأكثر خوفي ، أن تسكُنَ في وقت حركَتِها ، وتَكُفَّ عند أذاها ، فصرتَ عليَّ أضرَّ منها ، وكفَّ الصديقُ عن نُصْرتي خوفاً منك ، وبادر إليَّ العدوُّ تقرُّباً إليك . وكتب تحت ذلك[2] : [من مجزوء الوافر]

أخٌ بيني وبين الدَّهـ ـر صاحَبَ أيَّنا غَلَبا
صديقي ما استقامَ فإن نبا دهـرٌ عـليَّ نبا
وثَبْتُ على الزمانِ به فعـادَ بـه وقد وثبا
ولو عـادَ الزمانُ لنا لعـادَ بـه أخاً حَدِبا

قال وكتب إليه : أما والله لو أمِنتُ ودَّك لقلت ؛ ولكني أخاف منك عَتْباً لا تُنصفني فيه ، وأخشى من نفسي لائمةً لا تحتملها لي . وما قد قُدِّر فهو كائن ، وعن كل حادثة أُحدوثة . وما استبدلت بحالةٍ كنتُ فيها مغتبطاً حالةً أنا في مكروهها وألَمها أشدَّ علي من أني فزِعت إلى ناصري عند ظلمٍ لَحِقني ، فوجدتُ من يظلمني أخفَّ نية في ظُلْمي منه ، وأحمَدُ الله كثيراً . ثم كتب في أسفلها[3] : [من المتقارب]

وكنتَ أخي بإخـاء الزمـانِ فلمـا نَبـا صرتَ حَرْباً عَوانا

1 نقل صاحب التذكرة الحمدونية هذه الحكاية .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 101 وفيه اختلاف .
3 الطرائف الأدبية : 166 .

وكنتُ أذُمُّ إليكِ الزمانَ فأصبحتُ فيكَ أذُمُّ الزمانا
وكنتُ أعِدُّكَ للنائباتِ فأصبحتُ أطلبُ منكَ الأمانا

[هجاؤه محمد بن عبد الملك]

أخبرني الصُّولي قال أخبرني الحسين بن فَهْم قال : كان محمد بن عبد الملك قد أَغْرى الواثقَ بإبراهيم بنِ العباس ، وكان إبراهيم يُعاتبه على ذلك ويُداريه ، ثم وقف الواثق على تحامُله عليه فرفَع يدَه عنه وأمر أن يُقْبَل منه ما رفَعه ، وردَّه إلى الحَضْرة مَصُوناً ، فلما أحسَّ إبراهيمُ بذلك بسَط لسانَه في محمد ، وحسُن ما بينه وبين ابن أبي دُواد . وهجا محمدَ بن عبد الملك هِجاءً كثيراً ؛ منه قوله[1] : [من الطويل]

قدَرتَ فلم تَضْرُرْ عدواً بقدرةٍ وسُمْتَ بها إخوانَك الذُّل والرِّغْما
وكنتَ مليئاً بالتي قد يَعافها من الناسِ من يأبى الدَّنيئةَ والذمَّا

[بينه وبين أبي تمام]

أخبرني الصُّولي قال حدثنا ابن السَّخِي قال حدثني الحسين بن عبد الله قال : سمِعتُ إبراهيم بن العباس يقول لأبي تَمام الطائي وقد أنشده شعراً له في المعتصم : يا أبا تَمام ، أمراءُ الكلام رعيةٌ لإحسانك . فقال له أبو تَمام : ذلك لأني أستضيء بك وأرِدُ شريعتَك .

[اعتذر له إبراهيم ابن المدبر عن أخيه]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال سمعت إبراهيم بن المُدَبّر يقول : جرى بين إبراهيم بن العباس وبين أخي أحمد بن المدبر شيء ، وكان يوَدُّني دون أخي ؛ فَلقيتُه فاعتذرتُ إليه عنه ؛ فقال لي : يا أبا إسحاق : [من مجزوء الكامل]

صوت

خلِّ النِّفاقَ لأهلِه وعليكَ فالتمِسَ الطَّرِيقا
واذهبْ بنفسكَ أن تُرى إلا عدواً أو صديقا

الغناء لأبي العَنْبَس .

[احتال على المتوكل لينجي بعض عماله]

أخبرني الصُّولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال : انصرف إبراهيم بن العباس يوماً من دار المتوكِّل فقال لنا : أنا والله مسرورٌ بشيء مغمومٌ منه . فقلنا له : وما ذاك أعزك الله ؟ قال : كان أحمد بن المُدَبر رفَع إلى أمير المؤمنين أن بعض عُمالي اقتطع مالاً ، وصدَق في الذي قاله ،

1 الطرائف الأدبية : القطعة 139 .

وكنتُ قد رأيت هلال الشهر ونحن مع أمير المؤمنين على وجهة فدعوتُ له ، وضحِك إليَّ فقال لي : إن أحمد قد رَفَع على عاملك كذا وكذا فاصدُقْني عنه ؛ فضاقت عليَّ الحُجة ، وخِفتُ أن أحقِّق قولَه إن اعترفت ، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود عليَّ الغُرْم ، فعدَلْت عن الحُجَّة إلى الحيلة فقلت : أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلتُ فيك[1] : [من الخفيف]

صوت

رَدَّ قولي وصدَّق الأقوالا وأطاعَ الوُشاةَ والعُذالا
أتُراه يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ الهلالا

قال : لا يكون والله ذلك بحياتي يا إبراهيم ! رَوِّ هذا الشعرَ بَناناً حتى يُغَنِّيَني فيه . فقلت : نعم يا سيدي على ألا يُطلَبَ صاحبي بقول أحمد . فقال للوزير : تقبَّل قولَ صاحبه في المال . فسُررتُ بالظَّفَر ، واغتممتُ لبُطلان هذا المال وذَهابه بمثل هذه الحيلة ، ولعله قد جُمع في زمن طويل وتعب شديد .

[سرق ابن دريد وابن الرومي شعره]

أنشدتُ عمي رحمه الله أبياتاً لابن دُرَيْد يمدح رجلاً من أهل البصرة : [من الكامل]

يا مَن يُقَبِّل كفَّ كلِّ مُخرقٍ هذا ابنُ يحيى ليس بالمِخْراقِ
قَبِّلْ أناملَه فلسنَ أناملا لكنهنّ مَفاتحُ الأرزاقِ

فقال : يا بُنَيَّ هذا سرقَه هو وابنُ الرُّومي جميعاً من إبراهيم بن العباس ؛ قال إبراهيم بن العباس يمدح الفضلَ بنَ سَهْل[2] : [من مجزوء المتقارب]

لفضلِ بن سهلٍ يدٌ تَقاصَر عنها الأملْ
فباطِنُها للنَّدى وظاهرُها للقُبَلْ
وبَسْطتُها للغِنى وسطوتُها للأجلْ

وسرقه ابن الرُّومي فقال : [من الكامل]

أصبحتُ بين خَصاصةٍ ومَذَلةٍ والحُرُّ بينهما يموت هَزِيلا
فامدُدْ إليَّ يداً تعوَّد بطنُها بَذْلَ النَّدى وظهورُها التَّقبيلا

1 الطرائف الأدبية : القطعة 77 .
2 الطرائف الأدبية : 153 .

[رأي ثعلب في شعره]

أخبرني الصُّولي قال سمعتُ أحمدَ بن يحيى ثَعْلَباً يقول : كان إبراهيم بن العباس أشعرَ المُحدَثين . قال : وما روى ثعلبٌ شعرَ كاتبٍ قطُّ قال : وكان يَستحسنُ كثيراً قولَه[1] : [من الطويل]

لنـا إبـلٌ كُومٌ يَضِيق بها الفَضا ... ويَفتـرُّ عنهـا أرضُهـا وسمـاؤُها
فمـن دونهـا أن تُستباح دماؤُنا ... ومن دوننـا أن تُسْتباحَ دماؤُها[2]
حِمى وقِرًى فالموتُ دون مَرامِها ... وأيسرُ خطبٍ يـوم حَـقَّ فناؤُها

ثم قال : والله لو كان هذا لبعض الأوائل لاستُجِيد له .

[مدح الحسن بن سهل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا محمد بن يزيد قال سمعتُ الحسن بن رَجاء يقول : كنا بفَمِ الصُّلْح[3] أيامَ بَنى المأمونُ ببُورانَ بنتِ الحسن بن سَهْل ؛ فقدِم إبراهيم بن العباس علينا ودخل إلى الحسن بن سَهْل فأنشده : [من الطويل]

لِيَهْنِئْكَ أصهـارٌ أذلَّـتْ بعزِّهـا ... خدوداً وجدَّعتَ الأنوفَ الرَّواغِما
جمعتَ بها الشمْلَيْنِ من آل هاشمٍ ... وحُـزتَ بهـا للأكرمِينَ الأكارما
بَنُوك غَـدَوْا آلَ النبي ووارِثو الـ ... ـخلافةِ والحاوُونَ كِسْرى وهاشما

فقال له الحسن : «شِنْشِنَة أعرِفها من أَخْزَم»[4] أي إنك لم تزل تمدحنا ، ثم قال له : أحسَنَ الله عنا جزاءك يا أبا إسحاق ؛ فما الكثير من فِعْلنا بك بجزاءٍ لليسير من حقِّك .

[سامر غضبت عليه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال : أنشدني إبراهيم بن العباس لنفسه في قَيْنة اسمها سامِر كان يهواها فغضبتْ عليه[5] : [من الطويل]

وعلَّمتني كيـف الهـوى وجَهِلتِه ... وعلَّمكم صبري على ظُلمكم ظُلْمي
وأعلـم مـا لي عندَكـم فيردّني ... هوايَ إلى جهلٍ فأقصِر عن عِلْمي

1 الطرائف الأدبية : القطعة 92 .
2 تستباح في ل : تستذم .
3 فم الصلح : نهر كبير فوق واسط .
4 المثل في مجمع الميداني 1 : 361 ومستقصى الزمخشري 2 : 134 وفصل المقال : 219 وغيرها .
5 الطرائف الأدبية : 150 واسم القينة : ساهر .

[شعره في قصر الليل]

أخبرني الصُّولي قال : سمعتُ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يقول : لا يُعْلَم لقديمٍ ولا لمُحْدثٍ في قِصَر الليل أحسن من قول إبراهيم بن العباس[1] : [من الرجز]

وليلةٍ من الليالي الزُّهْرِ قابلتُ فيها بدرَها ببدرِ
لم تكُ غيرُ شَفَقٍ وفجرِ حتى تولَّتْ وهي بِكْر الدَّهرِ

[تنكر له ابن الزيات لصلته بابن أبي دواد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمَّار قال حدثني أحمد بن بِشْر المَرْثَدِي قال : كان إبراهيم بن العباس يوماً عند أحمد بن أبي دُواد ، فلما خرج من عنده لَقِيَه محمد بنُ عبد الملك الزيات وهو خارج من داره ؛ فتبين إبراهيمُ في وجه محمدٍ الغضبَ فلم يخاطبه في العاجل بشيء . فلما انصرف إلى منزله كتب إليه[2] : [من مجزوء الكامل]

دَعْنِي أُواصِل مَنْ قطعـ ـتَ يراك بي إذ لا يَراكا
إنِّي متى أهجُرْ لهجـ ـرك لا أضرَّ بـه سواكا
وإذا قطعتُـك في أخيـ ـك قطعتُ فيك غداً أخاكا
حتى أُرى مُتَقَسِّماً يومِي لذا وغَدِي لذاكا

[المال فرع والقلم أصل]

أخبرني الصُّولي ، قال حدثني أبو العَيناء قال : كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً ، فنقَّط من القلم نقطةً مُفسِدةً فمَسحها بكمه ، فتعجَّبتُ من ذلك ؛ فقال : لا تَعْجَبْ ، المال فرع والقلم أصل ، ومن هذا السَّواد جاءت هذه الثياب ، والأصل أحوج إلى المُراعاة من الفرع . ثم فكر قليلاً وقال[3] : [من الوافر]

إذا ما الفكرُ ولَّدَ حُسْنَ لفظٍ وأسلَمه الوجودُ إلى العِيانِ
ووشَّاه فنَمْنَمَه مُسِدٌّ فصيحٌ في المقالِ بلا لسانِ
ترى حُلَلَ البيانِ مُنَشَّرات تجلَّى بينها صُوَرُ المعاني[4]

1 الطرائف الأدبية : 145 .
2 الطرائف الأدبية : 188 .
3 الطرائف : القطعة 210 .
4 تجلَّى في الطرائف : حلى . منشرات في ل : مرحلات .

[اتهمه المأمون بإفشاء سر مقتل الفضل بن سهل]

أخبرني الصولي قال حدثني محمد بن صالح بن النطَّاح قال : لما عزَم المأمون على الفتك بالفضْل بن سَهْل ، وندَب له عبدَ العزيز بن عمران الطائي ، ومُؤْنِساً البصْري ، وخلفاً المصري وعلي بن أبي سَعْد ذا القلمين ، وسِراجاً الخادمُ ، نُمِيَ الخبرُ إلى الفضل ، فأظهره للمأمون وعاتبه عليه . فلما قُتِل الفضلُ وقتَل المأمون قَتَلَتَه ، سأل من أين سقَط الخبر إلى الفضل ؟ فعُرِّف أنه من جهة إبراهيم بن العباس ، فطلبه فاستتر . وكان إبراهيم عرَف هذا الخبرَ من جهة عبد العزيز بن عِمران ، وكان الفضل استكتب إبراهيمَ لعبد العزيز بن عِمران ، فأخبر به الفضلَ . قال : وتحمَّل إبراهيمُ بالناس على المأمون ، وجرَّد في أمره هشاماً الخطيبَ المعروفَ بالعبَّاسي وكان جريئاً على المأمون لأنه ربَّاه ، وشخص إليه إلى خُراسان في فتنة إبراهيم بن المهدي ، فلم يُجِبه المأمون إلى ما سأل . فلقِيَه إبراهيم مستتراً وسأله عما عمِل في حاجته . فقال له هشام : قد وعدَني في أمرك بما تُحِبُّ . فقال له إبراهيم : أظن أن الأمر على غير هذا ! قال : وما تظن ؟ قال : محلُّك عند أمير المؤمنين أجلُّ من أن يَعِدَك شيئاً فترضى بتأخيره ، وهو أكرم من أن يَعِد مثلَك شيئاً فيؤخِّرَه ، ولكنّك سمعتَ ما لا تحب فيَّ فكرِهت أن تغُمَّني به فقلت لي هذا القولَ ، وأحْسَنَ الله على كل الأحوال جزاءك ، فمضى هشام إلى المأمون فعرَّفه خبرَ إبراهيم ، فعجِب من فِطْنته وعفا عنه . قال : وفي هشام يقول إبراهيم بن العباس[1] : [من السريع]

مَنْ كانت الأموالُ ذُخْراً له ... فإن ذُخْري أمَلي في هشامْ

فتىً يَقِي اللأمَةَ عن عِرْضِه ... وأنهبَ المالَ قضاءَ الذِّمامْ[2]

[مدح الفضل بن سهل]

أخبرني عمي قال حدثني أبو الحسين بن أبي البغل قال : دخل إبراهيم بن العباس على الفضل بن سهل فاستأذنه في الإنشاد ، فقال هاتِ فانشده[3] : [من الكامل]

يُمضِي الأمورَ على بديهته ... وتُرِيه فكرتُه عواقبَها

فيَظلُّ يُصدِرُها ويُورِدُها ... فيَعُمُّ حاضِرَها وغائبَها

وإذا ألَمَّتْ صَعْبَةٌ عظُمتْ ... فيها الرزيَّةُ كان صاحبَها

1 الطرائف الأدبية : القطعة 36 .

2 يقي في الطرائف : نفى .

3 الطرائف الأدبية : 128 وانظر معجم الأدباء : 79 .

المستقِلّ بها وقد رَسَبَتْ ... ولوتْ على الأيامِ جانبَها
وعدَلْتَها بالحقِّ فاعتدلَتْ ... ووسِعت راغبَها وراهبَها
وإذا الحروبُ غَلَتْ بعثتَ لها ... رأياً تَفُلُّ به كتائبَها
رأياً إذا نَبَتِ السيوفُ مضى ... عزمٌ بها فشفى مَضاربَها
أجْرى إلى فئةٍ بدولتها ... وأقامَ في أخرى نوادبَها[1]
وإذا الخطوبُ تأثَّلتْ ورَسَتْ ... هَدَّتْ فواصلُه نوائبَها
وإذا جرتْ بضميره يَدُه ... أبدتْ به الدنيا مناقبَها

وأنشدني عمي لإبراهيم بن العباس في الفضل بن سهل وفيه غِناء[2] : [من المتقارب]

صوت

فلو كان للشكر شخصٌ يَبِين ... إذا ما تأمَّله الناظرُ
لمَثَّلتُه لكَ حتى تَراه ... فتعلم أني امرؤ شاكرُ

الغناء لأبي العَنْبَس ثقيل أول . وفيه لرَذاذ ثاني ثقيل . حدثني أبو يعقوب إسحاق بن يعقوب النُّوبَختي قال حدثني جماعة من عُمومتي وأهلِنا أن رَذاذاً صنع في هذين البيتين لحناً أعجب به الناس واستحسنوه ، فلما كثُر ذلك صنع فيه أبو العَنْبَس لحناً آخر ، فسقَط لحنُ رذاذ واختار الناس لحنَ أبي العَنْبَس .

[مدح المتوكل وولاة العهود]

أخبرني حنظلة قال حدثني ميمون بن هارون قال : لما عَقَد المتوكِّلُ لولاة العهود من وَلَده ركِب بسُرَّ مَنْ رأى رَكْبةً لم يُر أحسنُ منها ، وركب ولاةُ العهود بين يديه ، والأتراكُ بين أيديهم أولادُهم يمشون بين يدَي المتوكل بمناطق الذهب ، في أيديهم الطَّبْرزِيناتُ[3] المُحَلاَّة بالذهب ، ثم نزل في الماء فجلس فيه والجيش معه في الجوانحيات[4] وسائر السفن ، وجاء حتى نزل في القصر الذي يقال له العَروس ، وأذِن للناس فدخلوا إليه . فلما تكاملوا بين يديه ، مَثَل إبراهيم بن العباس بين الصفين ، فاستأذن في الإنشاد فأذِن له ، فقال[5] : [من المتقارب]

1 نوادبها في ل : منادبها .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 192 .
3 الطبرزين : آلة من السلاح تشبه الفأس .
4 الجوانحيات : نوع من السفن .
5 الطرائف الأدبية : القطعة 24 .

ولما بـدا جعفـرٌ في الخميـ ـس بين المطـلِّ وبين العَروسِ
بـدا لابساً بهمـا حُلـةً أُزيلتْ بهـا طالعاتُ النُّحوسِ
ولمـا بـدا بـين أحبابـه وُلاةِ العهـودِ وعـزِّ النفوسِ
غـدا قمـراً بـين أقمـاره وشمساً مُكلَّلـةً بالشموسِ
لإيقـاد نـارٍ وإطفائِهـا ويـومٍ أنيـقٍ ويـومٍ عَبوسِ

ثم أقبل على ولاة العهود فقال[1] : [من الكامل]

أضحتْ عُرى الإسلام وهي منوطةٌ بالنَّصـرِ والإعـزازِ والتأييدِ
بخليفـةٍ مـن هاشمٍ وثلاثـةٍ كَنَفوا الخلافـةَ من وُلاةِ عهودِ
قمـرٌ توافـتْ حولَـه أقمـارُه فحفَفْـن مطلـعَ سعده بسعودِ
رفَعتهـمُ الأيـامُ وارتفعـوا بـه فسعَـوْا بـأكرمِ أنفُسٍ وجدودِ

قال : فأمَر له المتوكِّل بمائة ألف درهم ، وأمر له وُلاةُ العهود بمثلها .

[رأي ابن برد الخيار في شعره]

أخبرني عمي قال : اجتمعت أنا وهارون بن محمد بن عبد الملك وابن برد الخيار في مجلس عبيد الله بن سليمان قبل وزارته ، فجعل هارون يُنشد من أشعار أبيه محاسنها ، ويفضلها ويقدِّمها . فقال له ابن برد الخيار : إن كان لأبيك مثلُ قول إبراهيم بن العباس[2]: [من الرمل]

أسدٌ ضـارٍ إذا هيَّجتَـه وأبٌ بَـرٌّ إذا مـا قَـدَرا
يعرِفُ الأبعـدَ إن أثْرى ولا يعـرِفُ الأدْنى إذا مـا افتقرا

أو مثلُ قوله[3] : [من الكامل]

تلِج السنون بيوتَهم وتَرى لهم عن جار بيتهم ازورارَ مَناكبِ
وتراهـمُ بسيوفهم وشِفارهـم مُسْتَشرِفين لراغـبٍ أو راهبِ
حامِـين أو قارِين حيثُ لقِيتَهم نَهْبَ العُفـاةِ ونُهْـزَةً للرَّاغبِ

فاذكُرْه وافخَرْ به ، وإلا فأقْلِل من الافتخار والتَّطاول بما لا طائل فيه ؛ فخجل هارون . وقال عبيد الله بن سليمان : لَعَمْري ما في الكُتاب أشعر من أبي إسحاق وأبي علي ، (يعني عمَّه

1 الطرائف الأدبية : القطعة 13 .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 20 .
3 الطرائف الأدبية : القطعة 6 .

الحسن بن وَهْب) ثم أمر بعضَ كُتابه بكَتْب المقطوعتين اللتين أنشدهما ابن برد الخيار .

[هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يُهنِّىء الحسن بن سهل بصِهْر المأمون[1] : [من البسيط]

هَنَتْكَ أكرومةٌ جُلِّلتَ نعمتَها أعلتْ وليَّك واجتثَّتْ أعاديكا
ما كان يحيا بها إلا الإمامُ وما كانت إذا قُرنتْ بالحقِّ تعدوكا

[هجا محمد بن عبد الملك الزيات]

أخبرني عمِّي قال حدثني محمد بن داود بن الجرَّاح قال حدَّثني أبو محمد الحسن بن مَخْلَد قال : أُودِعَ محمد بن عبد الملك الزيات مالاً عظيماً وجوهراً نفيساً ، وقد رأى تغيُّراً من الواثق فخافه وفرق ذلك في ثِقاته من أهل الكَرْخ ومُعامِليه من التِّجار . وكان إبراهيم بن العباس يُعاديه ويرصُد له بالمكاره لإساءته إليه ، فقال أبياتاً وأشاعها حتى بلغت الواثقَ يُغرِيه به[2] : [من مخلع البسيط]

نصيحةٌ شانَها وزيرُ مُستَحْفَظٌ سارقٌ مُغِيرُ[3]
ودائعٌ جَمَّةٌ عِظام قد أُسبِلتْ دونَها السُّتورُ
تسعةُ آلافِ ألْفِ ألْفٍ خِلالَها جوهرٌ خطيرُ
بجانب الكَرْخ عندَ قومٍ أنتَ بما عندَهم خبيرُ
والمَلِكُ اليوم في أمورٍ تَحْدُثُ من بعدِها أمورُ
قد شَغَلته مُحَقَّراتٌ وصاحبُ الكارَةِ الوزيرُ

[مدح المعتز]

أنشدني علي بن سليمان الأخفش لإبراهيم بن العباس يمدح المعتز وفيه غناء[4] :

[من مجزوء الوافر]

سَحُورُ مَحاجِرِ الحَدَقهْ مليحٌ والذي خَلَقَهْ
سَواءٌ في رِعايتِه مُجانبُه ومَنْ عَشِقَهْ

1 الطرائف الأدبية : القطعة 28 .
2 الطرائف الأدبية : القطعة 108 .
3 شانَها في الطرائف : أيها الوزير .
4 الطرائف الأدبية : القطعة 26 .

لعينـــي في محاسنـه ريـاضُ محـاسن أنقَهْ
فأحيانـــاً أُنزِّههـا وطـوراً في دمٍ غَرِقَهْ

يقول فيها في مدح المعتز بالله :

فيـا قمـراً أضاء لنـا يُلألِـىء نـورُه أُفُقَهْ
يُشَبِّهـه سنا المعتـزّ ذو مِقَـةٍ إذا رَمَقَهْ
أميـرٌ قلَّـد الرحـ ـمنُ أمَـر عباده عُنُقَهْ
وفضَّلـه وطيَّبـه وطهَّـر في الورى خُلُقَهْ

في الأربعة الأبيات الأوَل رَمَلٌ ذكر الهشامي أنه لابن القَصَّار ، ووجدتُه في بعض الكتب لِعَريب .

[هناه أحمد بن المدبر وكان يحرض عليه]

أنشدني الأخفش لإبراهيم بن العباس يقولها لأحمد بن المُدبر وقد جاءه بعد خلاصه من النكبة مهنِّئاً ، وكان استعان به في أمر نكبته فقعد عنه ، وبلغه أنه كان يحرِّض عليه ابنَ الزيات[1] : [من الطويل]

وكنتَ أخي بالدَّهـرِ حتى إذا نَبا نَبَوْتَ فلما عـاد عُدْتَ مع الدَّهرِ
فـلا يـومَ إقبال عَدَدْتُك طائلاً ولا يـومَ إدبارٍ عددتُـك في وِتْرِ
ومـا كنتَ إلا مثـلَ أحلام نائمٍ كِلا حالَتَيْكَ من وفاءٍ ومن غَدْرِ

[رده على عتاب ابن المدبر له]

وأنشدني الصولي له في أحمد بن المدبر أيضاً وقد عاتبه أحمد بن المدبر على شيء بلغه فقال[2] : [من المجتث]

هَـبِ الزمانَ رمـاني الشأنُ في الخُـلانِ
فيمَـنْ رمـانيَ لمّـا رأى الزمـانَ رمـاني
ومن ذَخَرتُ لنفسي فصار ذُخـرَ الزمانِ
لو قيـل لي خُذْ أماناً مـن أعظـم الحَدَثانِ
لَمـا أخـذتُ أمانـاً إلا مـن الإخـوانِ

1 الطرائف الأدبية : 158 .
2 الطرائف الأدبية : 166 .

ومن أخبار المعتضد بالله الجارية مَجرى هذا الكتاب

[المعتضد وغلامه بدر]

حدثني عمي عن جَدي رحمهما الله قال قال لي عبيد الله بن سليمان ، وكان يأنس بي أُنساً شديداً لقديم الصُّحبة وائتلاف المَنْشأ : دعاني المعتضد يوماً فقال : ألا تُعاتب بدراً على ما لا يزال يستعمله من التخرق في النفقات والإثابات والزيادات والصِّلات ! وجعل يؤكِّد القول عليَّ في ذلك ؛ فلم أخرج عن حضرته حتى دخل إليه بدر فجعل يَستأمره في إطلاقات مُسرِفةٍ ونفقات واسعة وصِلات سنية وهو يأذن له في ذلك كلِّه . فلما خرج رأى في وجهي إنكاراً لما فعله بعد ما جرى بيني وبينه ؛ فقال لي : يا عبيد الله قد عَرفتُ ما في نفسك ، وأنا وإياه كما قال الشاعر : [من البسيط]

صوت

في وجهه شافعٌ يمحو إساءته ... من القلوب مطاعٌ حيثما شَفَعا
مُسْتقبَلٌ بالذي يَهْوى وإن كثُرتْ ... منه الإساءةُ مغفورٌ لما صَنَعا[1]

وفي هذين البيتين خفيف رمل .

[المعتضد يطرب لغناء في شعر الوليد بن يزيد]

حدثني محمد بن إبراهيم قريض قال حدثني أحمد بن العلاء قال : غنَّيتُ المعتضد : [من مجزوء الرمل]

كلِّلاني توِّجاني ... وبشعري غنِّياني
أطلِقاني من وثاقي ... واشدُداني بعِناني

فاستحسنه جداً ، ثم قال لي : ويحك يا أحمد ! أما ترى زَهْوَ المُلك في شعره وقولِه : [من مجزوء الرمل]

كلِّلاني توِّجاني ... وبشعري غنِّياني

واستعاده مِراراً ، ثم وصَلَني كلَّ مرَّة استعاده بعشرة آلاف دِرهم ، وما وصل بها مغنِّياً قبلي ولا بعدي . قال : واستعاده منِّي ستَّ مرَّاتٍ ووهب لي ستِّينَ ألفاً . وقال النُّوشجاني : بل وصَله بعشرة آلاف درهم مرَّةً واحدة .

---

1 مغفور لما في ل : معذور بما .

[159] ـ صنعة أولاد الخلفاء الذُّكور منهم والإناث

فأولُهم وأتقنهم صنعةً وأشهرهم ذِكراً في الغِناء إبراهيم بن المهدي[1] ؛ فإنه كان يتحقق به تحقُّقاً[2] شديداً ويبتذِل نفسَه ولا يستتر منه ولا يُحاشي أحداً . وكان في أول أمره لا يفعل ذلك إلا من وراء سِتر وعلى حال تصوُّنٍ عنه وتَرفُّع ، إلا أن يدعوَه إليه الرشيد في خَلْوة والأمينُ بعدَه . فلما أمَّنه المأمونُ تَهتَّك بالغِناء وشُرْبِ النَّبيذ بحضرته والخروجِ من عنده ثَمِلاً ومع المغنِّين ، خوفاً منه وإظهاراً له أنه قد خلع رِبْقَةَ الخلافة من عُنُقه وهتَك سِتْرَه فيها حتى صار لا يصلُح لها . وكان من أعلم الناس بالنَّغَم والوَتَر والإيقاعات وأطبعِهم في الغِناء وأحسنِهم صوتاً . وهو من المعدودين في طِيبِ الصَّوت خاصةً ؛ فإن المعدودين منهم في الدولة العباسية : ابن جامع وعمرو بن أبي الكَنَّات وإبراهيم بن المهدي ومُخارق . وهؤلاء من الطبقة الأولى ، وإن كان بعضهم يتقدَّم . وكان إبراهيم مع علمه وطبعه ومعرفته مُقَصِّراً عن أداء الغِناء القديم وعن أن ينحوَه في صنعته ، فكان يَحذِف نَغَم الأغاني الكثيرةَ العمل حذفاً شديداً ويُخفِّفها على قَدْر ما يَصلح له ويَفِي بأدائه . فإذا عِيب ذلك عليه قال : أنا مَلِكٌ وابن ملك ، أُغنِّي كما أشتهي وعلى ما ألتذ . فهو أول من أفسد الغِناء القديمَ ، وجعل للناسِ طريقاً إلى الجَسارة على تغييره . فالناس إلى الآنَ صنفان : من كان منهم على مذهب إسحاق وأصحابه ممن كان يُنكر تغييرَ الغِناء القديم ويُعْظِم الإقدام عليه ويَعِيب مَنْ فعله ، فهو يُغنِّي الغِناء القديمَ على جهته أو قريباً منها . ومن أخذ بمذهبَ إبراهيم بن المهدي أو اقتدى به مثل مُخارق وشارِيةَ ورَيِّق ومن أخذ عن هؤلاء إنما يغنِّي الغِناء القديم كما يشتهي هؤلاء لا كما غناه من يُنسب إليه ، ويجد على ذلك مساعدين ممن يشتهي أن يَقْرُب عليه مأخذُ الغِناء ويكره ما ثقُل وثقُلت أدواره ، ويستطيل الزمانَ في أخذ الغِناء الجيد على جهته بقِصَر معرفته . وهذا إذا اطرد فإنما الصنعة لمن غنى في هذا الوقت لا للمتقدمين ؛ لأنهم إذا غيروا ما أخذوه كما يرَوْن وقد غيره مَنْ أخذوه عنه وأخذ ذلك

1 أخبار إبراهيم المهدي في كتب التاريخ ، انظر مثلاً الطبري (حوادث 201–210) وأشعار أولاد الخلفاء : 17–49 وابن خلكان 1 : 39–43 و385–390 .

2 لعلها يتحفى به تحفياً . . .

أيضاً عمن غيره ، حتى يَمضي على هذا خمسُ طبقات أو نحوُها ، لم يتأدّ إلى الناس في عصرنا هذا من جهة الطبقة غِناء قديم على الحقيقة البتَّة . وممن أفسد هذا الجنسَ خاصَّةً بنو حَمْدون بن إسماعيل فإن أصلهم فيه مُخارق ، وما نفع الله أحداً قط بما أخذ عنه ، وزِرياب الواثقية فإنها كانت بهذه الصورة تُغَيِّر الغِناء كما تريد ، وجواري شارية ورَيِّق . فهذه الطبقة على ما ذكرتُ . ومَنْ عداهم من الدُّورِ مثل دُورِ غرِيب ودُورِ جواريها والقاسم بن زُرْزُور وولده ودُورِ بَذْل الكبرى ومن أخذ عنها ، وجواري البرامكة وآل هاشم وآل يحيى بن مُعاذ ودُورِ آل الرَّبيع ومن جرى مجراهم ممن تمسك بالغِناء القديم وحمله كما سمعه ، فعسى أن يكون قد بقي ممن أخذ بذلك المذهب قليلٌ من كثير على أن الجميع من الصحيح والمُغَيَّر قد انقضى في عصرنا هذا .

فمن مشهور غِناء إبراهيم بن المهدي : [من الكامل]

صوت

هل تَطمِسون من السماء نجومَها بأكُفِّكـــم أو تَسْتُرون هلالَهـا
أو تدفعـــونَ مقالـــةً من ربِّكم جِبريـــلُ بلَّغهـا النبـــيَّ فقالَها
طرقَتْـــك زائـرةً فحـــيَّ خيالهـا زهـــراءُ تخلِـط بالدَّلالِ جمالَها

الشعر لمروان بن أبي حَفْصة . والغِناء لإبراهيم بن المهدي ، ثقيلٌ أوَّل بالبنصر ، وذكر حَبَش أن فيه لابن جامعٍ لحناً ماخورياً .

[160] ـ أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه[1]

[نسبه]

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . ويُكنى أبا السِّمط . واسم أبي حفصة يزيد . وذكر النوفلي عن أبيه أنه كان يهودياً ، فأسلم على يَدَيْ مروان بن الحَكَم . وأهلُه يُنكرون ذلك ويذكرون أنه من سَبْي إصْطَخْر ، وأن عثمان اشتراه فوهبه لمروان بن الحكم . وأخبرنا يحيى بن علي بن يحيى قال حدثنا محمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى ابن أبي حفصة بمثل ذلك . قال : وشهِد أبو حفصة الدارَ[2] مع مولاه مروان بن الحكم ، وقاتل قتالاً شديداً وقَتل رجلاً من أَسْلَمَ يقال له بَنان . وجُرح مروان يومئذٍ ، أصابته ضربةٌ قطعتْ عِلْباءه[3] فسقط ، فوثب عليه أبو حفصة واحتمله ، فجعل يحمله مرَّة على عنه ومرة يجرُّه ، فيتأوه ؛ فيقول له : اسكتْ واصْبِر ؛ فإنه إن علموا أنك حيٌّ قُتِلتَ . فلم يزل به حتى أدخله دار امرأة من عَنزة فَداواه فيها حتى بَرِىء ؛ فأعتقه مروان ونزل له عن أُمِّ ولد له يقال لها سُكّر كانت له منها بنت يقال لها حَفصة ؛ فحضنها ، فكُنِيَ أبا حفصة ؛ فحفصة بنت مروان . قال : وكان مروان إذا ولِيَ المدينةَ وجه أبا حفصة إلى اليمامة ، وكانت مُضافة إلى المدينة ، ليجمع ما فيها من المال ويحمله إليه . قال : فمر أبو حفصة بقرية من قُرى اليمامة يقال لها العِرْض ، فوقف على باب فاستسقى ماء ، فخرجت إليه جارية معصِرٌ[4] فسَقَتْه فأعجبته ؛ فسأل عنها ليشتريها ؛ فقيل له : هي حرة وهي مولاةٌ لبني عامر بن حنيفة . فمضى حتى قدِم حُجْراً[5] ، ثم تبعتْها نفسُه فتزوجها ، فلم يخرج من اليمامة حتى حَمَلتْ بيحيى بن أبي حفصة ، ثم حمَلَتْ بمحمد ثم بعبد الله ثم بعبد العزيز . فلما وقَعَتْ فتنة ابن الزُّبير خرج أبو حفصة مع مروان إلى الشام .

قال محمد بن إدريس وحدثني أبي قال كان مروان بن أبي الجَنُوب يقول : أُم يحيى بن

---

1 ترجمة مروان بن أبي حفصة في الشعر والشعراء 2 : 649–651 ومعجم المرزباني : 396 والموشح : 251 وطبقات ابن المعتز : 42–54 وابن خلكان 5 : 189–193 وتاريخ بغداد 13 : 142 وشذرات الذهب وانظر بروكلمان 2 : 21 . وقد جمع شعره قحطان رشيد التميمي (مطبعة النعمان ، النجف ، 1972) .

2 يعني دار عثمان بن عفان ، سمي يوم مقتله يوم الدار لأنه لزم داره فقتل فيها .

3 العلباء عصبة في صفحة العنق ، وفي ل : علباويه .

4 معصر : بلغت عصر شبابها وأدركت .

5 حجر : حاضرة اليمامة .

أبي حفصة لحناء[1] بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي ، وإن الشعر أتى آل أبي حفصة بذلك السبب . قال : وشَهِد أبو حفصة مع مروان يوم الجَمَل وقاتل قتالاً شديداً . فلما ظفر علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، لجأ مروان إلى مالك بن مِسْمَع فدخل دارَه ومعه أبو حفصة ، فقال لمالك : أغلِقْ بابك . فقال له مالك : إن لم أَمْنَعك والبابُ مفتوحٌ لم أمنعك والبابُ مُغلق . فطلب علي رضي الله عنه مروان منه ، فلم يدفعه إليه إلا برَهينة ، فدفع مالكٌ الرهينة إلى أبي حفصة ، ومضى مروان إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وقال لأبي حفصة : إن حَدث حَدَثٌ بصاحبك فعليك بالرَّهينة . فلما أتى مروانُ علياً كساه كُسْوةً ، فكساها مروانُ أبا حفصة ، فغدا فيها أبو حفصة . وبلغ علياً رضي الله عنه ذلك فغضِب وقال : كسوته كُسْوةً فكساها عبداً ! . وشهِد أبو حفصة مع مروان مَرْجَ راهِط ، وكان له بلاء . وكان أبو حفصة شاعراً .

قال أبو أحمد قال لي محمد بن إدريس أخبرني أبي أن أبا السِّمْط مروان بن أبي الجَنُوب أنشده لأبي حفصة يوم الدار : [من الطويل]

وما قلتُ يومَ الدَّار للقومِ صالِحُوا أَجَلْ لا ، ولا اخترتُ الحياةَ على القتلِ
ولكنَّني قـد قلتُ للقومِ جالِدوا بأسيافكم لا يُخْلَصَنَّ إلى الكهلِ

قال : وأنشدني لأبي حفصة أيضاً : [من الرجز]

لستُ على الزحامِ بالأَصَرّ[2] إني لَـوَرَّادٌ حياضَ الشرِّ
مُعاوِدٌ للكرِّ بعدَ الكَرِّ

قال يحيى وأخبرني محمد بن إدريس قال : عُكْلٌ تدّعي أن أبا حفصة منهم ، يقولون : هو من كِنانة بن عَوْف بن عبد مَناةَ بن طابِخة بن إلياس بن مُضَر ، وقد كانوا استَعْدَوْا عليه مروانَ بن الحَكَم ، وقالوا : إنما باعته عمَّتُه لمجاعةٍ ؛ فأبى هو أن يُقرَّ لهم بذلك . ثم استعدوْا عليه عبد المَلك بن مروان أيضاً ؛ فأبى إلا أنه رجل من العجم من سَبْي فارس ، نَشأ في عُكْل وهو صغير . قال محمد بن إدريس : ووَلَدُ السَّمَوْأل بن عادِياء يدَّعُونَه ، والسموأل من غسان . قال محمد : وزعم أهل اليمامة وعُكْلٌ وغيرهم أن ثلاثةَ نَفَرٍ أَتَوْا مروان بن الحَكَم وهو أبو حفصة ورجل من تميم ورجل من سُلَيْم ، فباعوا أنفسَهم منه في مجاعة نالتهم ، فاستعدى أهلُ بيوتاتهم عليهم ، فأقرَّ أحدُهم وهو السُّلَميُّ أنه إنما أتى

1 في وفيات الأعيان 5 : 193 : تحيا .
2 يقال : صر الرجل إذا صاح صياحاً شديداً .

مروان فباعه نفسه وأنه من العرب ؛ فدسَّ إليه مروانُ مَن قتله . فلما رأى ذلك الآخران ثَبَتا على أنهما مَوليان لمروان .

فأخبرني الحَسَن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال : زعم المدائني أنه كان لأبي حفصة ابنٌ يقال له مروان سماه مروان بن الحَكَم باسمه ، وليس بالشاعر ، وأنه كان شجاعاً مجرباً ، وأمدَّ به عبد الملك بن مروان الحجاج وقال له : قد بعثنا إليك مولاي ابنَ أبي حفصة وهو يَعْدِل ألف رجل . فشهد معه محاربة ابن الأَشْعث ، فأَبْلى بلاءً حسناً وعُقِرتْ تحته عدَّةُ خيول ، فاحتَسب بها الحجَّاج عليه من عطائه . فشكاه إلى عبد الملك وذمَّ الحجَّاجَ عنده ؛ فعوّضه مكان ما أغرمَه الحجاج .

وكان يحيى جدّ مروان بن سليمان جواداً مُمَدَّحاً .

[جرير يودعه ابنه]

أخبرنا محمد العباس اليزيدي قال حدثنا أبو سعيد السُّكَّري عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال : أراد جرير أن يوجِّه ابنه بلال بن جرير إلى الشام في بعض أمره ، فأتى يحيى ابن أبي حفصة فأودعه إياه ، ثم بلغ بلالاً أن بعض بني أمية يريد الخروج ، فقال لأبيه : لو كَلَّفتَ هذا القرشي أمري ! فقال له جرير[1] : [من الطويل]

أزاداً سوى يحيى تريدُ وصاحباً ... ألاَ إنَّ يحيى نِعمَ زادُ المسافرِ

وما تأمن الوَجْناءِ وقعةَ سيفه ... إذا أنْفَضُوا أو قَلَّ ما في الغرائرِ[2]

[زواجه من بنت زياد بن هوذة]

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العنزي قال : تزوج يحيى بن أبي حفصة بنتَ زياد بن هوذة بن شماس بن لأْي بن أُنف الناقة ؛ فاستعدى عليه عمَّاها عبدَ الملك بن مروان وقالا : أينكح إبراهيمُ بن عَدِي وهو من كنانة منك وإليك بنتَها ، ويَنكِح هذا العبدُ هذه ؟! فقال عبد الملك : بل العبد ابن العبد والله إبراهيمُ بن عدي ، وكان مغمور النسب في الإسلام ، والله لَهذا أشرفُ منه ، وإن لأبيه من البلاء في الإسلام ما ليس لأبيها ولا لأبيكما ، وما أُحِبُّ أن لي بيحيى ألفاً منكما . والله لو تزوج بنتَ قيس بن عاصم ما نزعتُها منه . ومَنْ زوجه فقد زوج ابني هذا ، وأشار إلى ابنه سليمان . فخرجا وتخلَّف يحيى بعدهما ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، إنهما قد أَنْضَيا رِكابَهما ، وأخلقا

1 ديوان جرير (صادر) : 183 .

2 الوجناء : الناقة الشديدة . أنفض القوم : فني زادهم .

ثيابهما ، والتزما مؤونةً في سفرهما ، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن يعوضهما عِوَضاً ! فقال : أبَعْدَ ما قالا فيك !! قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : بل أُعطيك أنت ما سألتَ لهما وتُعطيهما ما شئتَ . فكساه ووصَله وحمله . فخرج يحيى إليهما ففرق ذلك عليهما ، وزوج ابنَه سليمان بنتَ أحدهما ، وولدتْ بنتُ زياد منه أولاداً .

[يهنىء الوليد بن عبد الملك ويعزيه]

أخبرني علي بن سليمان الأَخفش قال حدثنا الفضل اليزيدي قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخل يحيى بن أبي حفصة على الوليد بن عبد الملك لما بُويع له بالخلافة بعد أبيه ، فهنأه وعزاه وأنشده : [من الكامل]

إن المنايا لا تغادرُ واحداً ... يمشي ببِزَّتِه ولا ذا جُنّةْ
لو كان خَلْقٌ للمنايا مُفْلِتاً ... كان الخليفةُ مُفْلِتاً منهنَّهْ
بكتِ المنابرُ يومَ ماتَ وإنما ... بكتْ المنابرُ فَقْدَ فارسِهُنَّهْ
لـمّا علاهُنَّ الوليدُ خليفةً ... قلنَ ابنُه ونظيرُه فسَكَنَّهْ
لو غيرُه قَرَع المنابرَ بعدَه ... لَنَكِرْنَه فطَرَحْنَه عنهنَّهْ

[زوج بنيه من بنت مقاتل المنقري وأختيه فهجاه القلاح]

أخبرني أبو الحسن الأَسدي قال حدثنا العَنزي قال : خطب يحيى بن أبي حفصة إلى مُقاتل بن طُلْبة بن قيس بن عاصم المِنقري ابنتَه وأُختَيْه ، فأنعَمَ له بذلك . فبعث يحيى إلى بنيه سليمان وعمر وجميل ، فأتَوْه بالجَفْر فزوجهن بَنِيه ثلاثتَهم ، ودخلوا بهنَّ ثم حملوهن إلى حَجْر . فقال القُلاح بن حَزن المِنقري في ذلك : [من الطويل]

سلامٌ على أوصال قيس بن عاصمٍ ... وإن كُنَّ رَمْساً في التراب بَوالِيا
أضيَّعتموا خيلاً عِراباً فأصبحتْ ... كواسدَ لا يَنْكِحْن إلا المَواليا
فلم أَرَ أبراداً أجَرَّ لخزيةٍ ... وألأَمَ مكسُوّاً وألأَم كاسيا
من الخَزِّ واللائي بحَجْرٍ عليكمُ ... نُشِرْنَ فكنَّ المُخْزِياتِ البواقيا

فقال يحيى يرد عليه : [من الطويل]

ألا قَبَح اللهُ القُلاحَ ونسْوةً ... على البئرُ يعطِشْنَ الكلابَ من النَّتْنِ
نَكَحْنا بناتِ القَرْم قيسِ بن عاصم ... وعمداً رغِبنا عن بنات بني حَزْنِ
أباً كان خيراً من أبيك أرُومةً ... وأوسطَ في سَعْدٍ وأرجحَ في الوَزْنِ

لِبيْتِ بني حَزْن مـن الذُلِّ وَهْنَةٌ كوهنةِ بيتِ العنكبوتِ التي تَبْني
ولم تَـرَ حَزْنِيّـاً ، ولو ضَمَّ أربعاً وأبْرَزَ ، في فرجٍ يَعِفُّ ولا بطنِ[1]
وضيفُ بني حَزْنٍ يجوعُ وجارُهم إذا أمِن الجيرانُ نـاءٍ من الأمنِ

[شعره في ابن المهلب وقومه]

أخبرنا يحيى بن علي قال أنشدني محمد بن إدريس ليحيى يذكر خروجَ يزيد بن المُهَلَّب ويتأسَّف على الحَجاج : [من البسيط]

لا يُصلِحُ الناسَ إلا السيفُ إذ فُتِنوا لَهْفِي عليـكَ ولا حَجَّاجَ للدينِ
لو كان حياً غداةَ الأَزْد إذ نكَثوا لم يُحْصِ قتلاهُمُ حسَّابُ ديرينِ
لم تأته الأَزْدُ عنـدَ البابِ تَرْبُصه مثـلَ الجرادِ تَنزَّى في التَّبابينِ[2]
من كلِّ أفحَجَ ذي حَنَفٍ مُخالفةً أرفَتْ به السُّفْنُ عِلْجاً غير مَجْنونِ[3]

[شعره في والي اليمامة]

قال أبو أحمد : وأنشدني ليحيى في سفيان بن عمرو والي اليمامة : [من البسيط]

لقد عَصاني ابن عمرو إذ نَصَحتُ له ولو أطِعْـتُ لمـا زلَّتْ بـه القَدَمُ
لو كنتُ أنفُخَ في فحمٍ لقد وقَدتْ ناري ولكـن رمـادٍ ما لـه حَمَمُ

[بخل مروان بن أبي حفصة]

وليحيى أشعارٌ كثيرة ؛ وإنما ذكرنا هاهنا منها ما ذكرنا لنعرِف أعراقَ مروان في الشعر . وكان مروان أبخَل الناس على يساره وكثرة ما أصابه من الخلفاء ، لا سيما من بني العباس ، فإنه كان رسمهم أن يُعطوه بكل بيت يمدحهم به ألفَ درهم .

أخبرنا أحمد بن عمار قال حدثنا علي بن محمد النَّوفلي قال سمعت أبي يقول : كان المهدي يُعطي مروان وسَلْماً الخاسر عطيَّة واحدة ، وكان سَلْمٌ يأتي بابَ المهدي على البِرْذَوْن قيمتُه عشرة آلاف درهم ، والسَّرج واللجامِ المَقْذُوذين[4] ؛ ولباسُه الخَزُّ والوَشْي وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحةُ المسك والغالية والطِّيب تفوح منه ، ويجيء مروان بن أبي

1 أبرز : اتخذ الإبريز وهو الذهب الخالص ، كناية عن كثرة المال .
2 تربصه : تنتظره . التباين : جمع تبان وهو سراويل صغير .
3 الفحج : تداني صدور القدمين وتباعد العقبين . الحنف : اعوجاج الرجل إلى الداخل . أرفت السفينة : دنت من الشاطىء . وغير مجنون : غير مغطى .
4 المقذوذ : المزين .

حفصة وعليه فَرْوُ كبشٍ ، وقميصُ كَرابيس[1] وعمامةُ كرابيس ، وخُفّا كَبْلٍ[2] وكساءٌ غليظٌ مُنْتنُ الرائحة ، وكان لا يأكل اللَّحم بخلاً حتى يَقْرَم إليه ، فإذا قَرِم أرسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله . فقيل له : نَراك لا تأكل إلاَّ الرؤوسَ في الصَّيف والشتاء ، فلم تختار ذلك ؟ قال : نعم ! الرأس أعرف سعره ، ولا يستطيع الغلام أن يغبِنَني فيه ، وليس بلحم يطبُخه الغلام فيقدِر أن يأكل منه ، إن مسَّ عيناً أو أذُناً أو خَداً وقفتُ عليه ، فآكل منه ألواناً ، آكل عينيه لوناً ، وأُذُنيه لوناً ، وغَلْصَمته لوناً ، ودماغه لوناً ، وأُكفى مؤونةَ طَبْخِه ، فقد اجتمعتْ لي فيه مرافق .

أخبرنا يحيى بن علي قال أخبرنا أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر عن أبي العَلاء المِنْقَري قال حدثني موسى بن يحيى قال : أوْصَلْنا إلى مروان بن أبي حفصة في وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع إليها مالاً حتى تمَّت مائةَ ألف وخمسين ألف درهم ، وأودَعها يزيد بن مَزْيَد . قال : فبينا نحن عند يحيى بن خالد إذ دخل يزيد بن مَزْيَد ، وكانت فيه دُعابة ، فقال : يا أبا علي أودَعَني مروان خمسين ومائة ألف درهم وهو يشتري الخبز من البقَّال . قال فغضِب يحيى ثم قال : عليَّ بمروان ، فأُتِيَ به . فقال له : أخبرَني أبو خالد بما أوْدَعتَه من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لَما يُرى من أثَر البخل عليك أضرُّ من الفقر لو كان بك .

أخبرنا يحيى قال وحدثني عمر بن شبَّة عن أبي العَلاء المِنْقَري عن موسى بهذا الخبر ، إلا أنه قال : فقال له يحيى : يا مروان ، والله البُخلُ أسْوأ عليك أثراً من الفقر لو صرتَ إليه ، فلا تَبْخَل .

أخبرنا يحيى قال حدثني عمر بن شبة قال : بلغني أن مروان بن أبي حفصة قال ما فَرِحتُ بشيء قط فَرَحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزنتُها فزادتْ درهماً فاشتريتُ به لحماً .

أخبرنا يحيى قال حكى أبو غسان عن أبي عبيدة عن جَهْم بن خَلَف قال : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة ، فأطعمنا تمراً ، وأرسل غلامَه بفَلْس وسُكُرُّجَة ليشتري له زيتاً . فلما جاء بالزَّيت قال لغلامه : خُنْتَني ! قال : من فَلْس كيف أخونك ؟ قال : أخذتَ الفَلْس لنفسك واستوهبت الزيتَ .

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أصحاب التَّوَّزي عنه قال : مرَّ مروان بن أبي حفصة في بعض سَفَراته وهو يريد مِنىً بامرأة من العرب فأضافته ، فقال : لله عليَّ إن وهب لي الأمير مائة ألف أن أهب لكِ درهماً ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاها أربعة دَوانق .

---

1 الكرابيس : جمع كرباس وهو الثوب الخشن .

2 الكبل : الكثير الصرف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال : اشترى مروان لحماً بنصف درهم ، فلما وضعه في القِدْر وكاد أن ينضَج ، دعاه صديق له ، فردَّه على القَصَّاب بنُقصان دانِقَ . فشكاه القصابُ وجعل ينادي : هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنَف لذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : أكره الإسراف .

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبي عن أبي دِعامة قال : أُنْشِدتُ لرجل من بني بكر بن وائل في مروان : [من الطويل]

وليس لمروانٍ على العِرْسِ غَيْرةٌ ولكنَّ مرواناً يَغـارُ على القِدْرِ

[قصته مع أبي الشمقمق]

أخبرنا يحيى قال أخبرني أبو هِفَّان قال حدثني يحيى بن الجَوْن العَبْدِي قال : فرَّق المهديُّ على الشعراء جوائزَ ، فأعطى مروانَ ثلاثين ألفاً . فجاءه أبو الشمقمق فقال له : أجزِني من الجائزة . فقال له : أنا وأنتَ نأخذ ولا نُعْطِي . قال : فاسمع مني بيتين . قال : هاتِ . فقال أبو الشمقمق : [من السريع]

لِحْيةُ مروانَ تَقـي عَنْبرا خالَط مسكاً خالصاً أَذْفَرا

فما يُقيمـانِ بهـا ساعـةً إلا يَعُـودانِ جميعاً خَرا

فأمر له بدرهمين . وأخبرني بهذا الخبر أحمد بن جعفر جَحظة عن أبي هِفَّان فذكر مثل الخبر الماضي وزاد فيه . فأعطاه عشرة دراهم ، فقال له خذ هذه ولا تكن راويةَ الصِّبيان .

[الهادي يداعبه في المعجل والمؤجل]

أخبرني محمد بن مَزْيَد بن أبي الأزهر قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عمِّي مُصعَب عن جدِّي عبدِ الله بن مصعب قال : دخل مروان بن أبي حفصة على موسى الهادي ، فأنشده قولَه فيه :

تَشابـه يومـا بأسِه ونوالِـه فما أحدٌ يدري لأيِّهما الفضلُ

فقال له الهادي : أيما أحب إليك : أثلاثون ألفاً مُعَجَّلةً أم مائةُ ألف تدوَّن في الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين أنت تُحسن ما هو خير من هذا ولكنَّك نَسِيتَه ، أفتأذَن لي أن أُذَكِّرك ؟ قال نعم . قال : تُعَجِّل لي الثلاثين ألفاً وتدوِّن المائة الألف في الدَّواوين . فضحِك وقال : بل يعجَّلان جميعاً ؛ فحُمِل المالُ إليه أجمع .

[بينه وبين اليزيدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدثني سليمان بن جعفر قال حدثني أحمد بن عبد الأعلى قال : اجتمع مروان بن أبي حفصة وأبو

محمد اليزيدي عند المهدي ؛ فابتدأ مروان يُنشد : [من الكامل]

طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خيالَها

فقال اليزيدي : لَحن والله وأنا أبو محمد . فقال له مروان : يا ضعيف الرأي أهذا لي يقال ! ثم قال : [من الكامل]

بيضاءُ تخلِط بالجمال دلالَها

فقال له بعض من حضر : يا أمير المؤمنين أَيَتكنَّى في مجلسك ! (يعني اليزيدي) فقال : اعذِروا شيخَنا ، فإن له حُرْمة .

[سؤال الرشيد عن الوليد بن يزيد]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني إسحاق الموصلي قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال قال لي الرشيد : هل دخلتَ على الوليد بن يزيد ؟ فقلت : نعم دخلتُ مع عمومتي إليه . قال : فأخبِرْني عنه . قال : فذهبتُ أتزحزَح . فقال لي : إن أمير المؤمنين لا يكره ما تقول ، فقل ما شئت . فقلت : يا أمير المؤمنين ، كان من أجمل الناس وأشدهم وأشعرهم وأجودهم . دخلتُ عليه مع عُمومتي ولي لِمَّةٌ فَيْنانة ، فجعل يغمِز القضيبَ فيها ويقول لي : يا غلام ولَدَتْك سُكَّر ؟ ، وهي أُمُّ وَلَدٍ لمروان بن الحَكَم فوهبها لجَدي أبي حفصة فولَدتْ منه ، فقلت له : نعم . قال لي الرشيد : فهل تحفَظ من شعره شيئاً ؟ قلت : نعم ، سمعتُه يُنشد في خلافته وذكر هشاماً وتَحامُلَه عليه وما كان يريد من نَقْض أمره وولايته[1] : [من السريع]

ليتَ هشاماً عاشَ حتى يَرى ... مِكْتَلَه الأوفرَ قد أُتْرِعا
كِلْنا له الصاعَ التي كالها ... وما ظَلَمناه بها أَصْوُعا
وما أَتَيْنا ذاكَ عن بِدْعةٍ ... أحلَّه الفُرْقانُ لي أجمعا

فقال الرشيد : يا غلامُ ، الدواةَ والقرطاسَ ، فأُتِيَ بهما ، فأمر بالأبيات فكُتبت .

[رأي خلف الأحمر في شعره]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال حدثني خَلاَّدٌ الأَرْقَط قال : جاءنا مروان بن أبي حفصة إلى حَلْقة يونس ، فأخذ بيد خَلَف الأحمر فأقامه ، وأخذ خَلَفٌ بيدي فقمنا إلى دار أبي عُمَيْر[2] فجلسنا في الدهليز . فقال مروان

---

1 في هذه الأبيات روايات مختلفة (انظر شعر الوليد بن يزيد ـ عطوان ، مكتبة الأقصى ، عمان) ولكنها لا تخرج عن مدلولها هنا .

2 ل : ابني عمير .

لخَلَفٍ : نَشَدْتُك اللهَ يا أبا مُحْرِز إلا نصحتني في شعري فإن الناس يُخْدَعون في أشعارهم ، وأنشده قولَه : [من الكامل]

طرقتْك زائرةً فحــيِّ خيالَها بيضاءُ تخلِط بالجمالِ دلالَها

فقال له : أنت أشعر من الأعشى في قوله :

رَحَلــتْ سُمَيَّةُ غُدْوةً أجْمالَها

فقال له مروان : أتَبْلُغ بيَ الأعشى هكذا ! ولا كُل ذا ! قال : ويحك ! إن الأعشى قال في قصيدته هذه :

فأصابَ حَبَّــةَ قلبهــا وطِحالها

والطِّحال ما دخل قطُّ في شيء إلا أفسده ، وأنت قصيدتُك سليمة كلها . فقال له مروان : إني إذا أردتُ أن أقول القصيدة رفعتُها في حول ، أقولها في أربعة أشهر ، وأنتخلها في أربعة أشهر ، وأَعْرِضُها في أربعة أشهر .

[رأي يونس في شعره]

وأخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سَلام قال أبو دُلَف هاشم بن محمد وحدثني به الرِّياشي عن الأصمعي قال : جاء مروان بن أبي حفصة إلى حلقة يونس ، فسلَّم ثم قال لنا : أيُّكم يونس ؟ فأَوْمأنا إليه . فقال له : أصلحك الله ! إني أرى قوماً يقولون الشعر ، لأن يَكْشِف أحدهم سوءته ثم يمشيَ كذلك في الطريق أحسنُ له من أن يُظهر مثلَ ذلك الشعر . وقد قلتُ شعراً أَعْرِضُه عليك ، فإن كان جيِّداً أظهرتُه ، وإن كان رديئاً سترتُه . فأنشده قوله : [من الكامل]

طرقتْكَ زائــرةً فحــيّ خيالَها

فقال له يونس : يا هذا اذْهَبْ فأَظْهِر هذا الشعر فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله :

رحَلتْ سُمَيَّةُ غُـدْوَةً أجْمالَها

فقال له مروان : سررتني وسُؤْتني . فأما الذي سررتني به فارتضاؤك الشعر . وأما الذي ساءني فتقديمُك إياي على الأعشى وأنت تعرف محلَّه . فقال : إنما قدَّمتُك عليه في تلك القصيدة لا في شعره كله لأنه قال فيها :

فأصابَ حبَّــة قلبَهــا وطِحالَها

والطِّحال لا يدخل في شيء إلا أفسده . وقصيدتُك سليمة من هذا وشِبْهه .

[رأي الأصمعي فيه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني العباس بن ميمون طائع قال : سمِعتُ الأصمعي ذكَر مروان بن أبي حفصة فقال : كان مولَّداً ، لم يكن له علم باللغة .

[من أشعر الناس]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثني أحمد بن عُبيد الله عن العُتْبي قال حدثني بعض أصحابنا قال : أنشدَنا مروانُ بن أبي حفصة يوماً شعر زهير ثم قال : زُهَيْر والله أشعر الناس ، ثم أنْشد للأعشى فقال : الأعشى أشعر الناس ، ثم أنْشد شعراً لامرىء القيس فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، ثم قال : والناسُ واللهِ أشعرُ الناس . أي إن أشعر الناس من أنشدتُ له فوجدته قد أجاد ، حتى يُنْتَقل إلى شعر غيره .

[اشترى من أعرابي شعراً]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد النَّوفلي قال حدثني أبي قال : اجتاز مروان بن أبي حفصة برجل من باهلة من أهل اليمامة وهو يُنشد قوماً كان جالساً إليهم شعراً مدح به مروان بن محمد ، وإنه قُتل قبل أن يلقاه ويُنشدَه إيَّاه ، أوله : [من الكامل]

مَرْوانُ يا ابنَ محمدٍ أنتَ الذي زِيدَتْ بـه شَرَفاً بنـو مروانِ

فأعجبتْه القصيدة ، فأمهل الباهليَّ حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : إني سمعتُ قصيدتَك وأعجبتْني ، ومروان قد مضى ومضى أهلُه وفاتَك ما قد رُمتَه عنده ؛ أتبيعني القصيدةَ حتى أنتحلَها ، فإنه خير لك من أن تَبقى عليك وأنت فقير ؟ قال نعم . قال : بكم ؟ قال : بثلثمائة درهم . قال : قد ابتعتُها ؛ فأعطاه الدراهم وحلَّفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المُحْرِجة ألا يَنْتحلها أبداً ولا ينسبُها إلى نفسه ولا يُنْشدَها ، وانصرف بها إلى منزله ، فغيَّر منها أبياتاً وزاد فيها ، وجعلها في مَعْن ، وقال في ذلك البيت : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به شرفـاً إلى شرف بنـو شَيْبانِ

ووفَد بها إلى مَعْن بن زائدة فملأ يديه ، وأقام عنده مدةً حتى أثْرى واتَّسعت حالُه . فكان معنٌ أوَّلَ من رفَع ذكره ونَوَّه به . قال : وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومَراثٍ حسنةٌ .

[معن والعبد الذي أطلقه تكرماً]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني محمد بن نُعَيم البَلْخي أبو يونس قال حدثني مروان بن أبي حفصة وكان لي صديقاً قال : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلباً شديداً ، وجعل فيه مالاً ؛ فحدثني معن بن زائدة باليمن أنه اضطُر لشدَّة الطلب إلى أن قام في الشمس حتى لوَّحتْ وجهَه ، وخفَّف عارضيه ولِحْيته ، ولبِس جُبَّة صوف

غليظة ، وركِب جملاً من الجمال النَّقَّالة ليمضيَ إلى البادية فيُقيمَ بها ، وكان قد أُبْلِي في حرب يزيد بن عمر بن هُبَيْرة[1] بلاء حسناً غاظ المنصور وجدَّ في طلبه . قال مَعْنٌ : فلما خرجتُ من باب حَرْب[2] تَبِعني أسودُ متقلِّداً سيفاً ، حتى إذا غِبتُ عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقَبض عليَّ ؛ فقلت له : ما لكَ ؟ قال : أنت طَلِبةُ أمير المؤمنين . قلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ! قال : مَعْنُ بن زائدة . فقلت : يا هذا اتقِ الله وأين أنا من معن ! قال : دَعْ هذا عنك فأنا والله أعْرَفُ به منك . فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهرٌ حملتُه معي يَفِي بأضعاف ما بذله المنصور لمَن جاءه بي ، فخُذه ولا تَسفِكْ دمي . قال : هاتِه فأخرجتُه إليه ؛ فنظر إليه ساعة وقال : صدَقتَ في قيمته ، ولستُ قابِلَهْ حتى أسألك عن شيء ، فإن صدَقْتني أطلقتُك . فقلت : قُلْ . قال : إن الناس قد وصفوك بالجود ، فأخبِرْني هل وهبتَ قط مالَك كلَّه ؟ قلت لا . قال : فنصفَه ؟ قلت لا . قال : فثُلُثَه ؟ قلت لا . حتى بلغ العُشْر فاستحيَيْتُ فقلت : أظن أني قد فعلتُ هذا . فقال : ما أراك فعلتَه ! أنا والله راجل ، ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمتُه آلافُ دنانير ، وقد وهبتُه لك ، ووهبتُك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلَم أن في الدنيا أجود منك ، فلا تُعْجِبْك نفسُك ولتَحْقِرْ بعد هذا كلَّ شيء تفعله ، ولا تتوقف عن مكرمة . ثم رمى بالعقد في حِجْري وخلَّى خطامَ البعير وانصرف . فقلت : يا هذا قد والله فضحتَني ، ولَسَفْكُ دمي أهونُ عليَّ مما فعلتَ ، فخذ ما دفعتُه إليك فإني غنيٌّ عنه . فضَحِك ثم قال : أردتَ أن تكذِّبني في مَقامي هذا ، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى . فوالله لقد طلبتُه بعد أن أُمِنتُ وبذلتُ لمَن جاءني به ما شاء فما عرَفتُ له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعتْه .

[بلاء معن يوم الهاشمية]

قال : وكان سبب رضا المنصور عن مَعْن أنّه لم يزل مستتِراً حتى كان يومُ الهاشمية ، فلما وثَب القوم على المنصور وكادوا يقتلونه ، وثَب مَعْن وهو متلثِّم فانتضى سيفَه وقاتل فأبلى بلاءً حسناً ، وذبَّ القومَ عنه حتى نجا وهم يُحاربونه بعدُ ، ثم جاء والمنصور راكبٌ على بغلة ولجامُها بيد الرَّبيع ؛ فقال له : تَنَحَّ فإني أحقُّ باللِّجام منك في هذا الوقت وأعظمُ فيه غَناء . فقال له المنصور : صدَق فادفعه إليه ؛ فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال . فقال له المنصور : مَن أنتَ لله أبوك ؟ قال : أنا طَلِبتُك يا أمير المؤمنين مَعْنُ بن زائدة . قال : قد

1 هو أحد رجالات بني أمية وولاتهم قتله أبو جعفر المنصور سنة 132 (انظر ترجمته في ابن خلكان 6 : 313-321) .

2 موضع ببغداد ينسب إلى حرب البلخي : أحد قواد المنصور .

أمَّنك الله على نفسك ومالك ، ومثلك يُصْطَنع . ثم أخذه معه وخلَع عليه وحَباه وزيَّنه . ثم دعا به يوماً وقال له : إني قد أمَّلتك لأمر ، فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين ، قال : قد ولَّيتك اليمنَ ، فابسُط السيفَ فيهم حتى يُنْقَض حِلفُ ربيعةَ واليمن ، قال : أَبْلُغُ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين . فولاَّه اليمَن وتوجَّه إليها فبسط السيفَ فيهم حتى أسرف .

[معن يكرمه لمدحه المنصور]

قال مروان : وقدِم مَعْن بعَقِب ذلك فدخل على المنصور فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أميرَ المؤمنين عنك شيءٌ لولا مكانُك عنده ورأيُه فيك لغضِب عليك . قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فوالله ما تعرضتُ لك منك ، قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله فيك[1] : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به شرفاً إلى شرف بنو شَيْبانِ

إن عُدَّ أيامُ الفعالِ فإنما يوماه يومُ ندًى ويومُ طِعانِ

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغك لهذا الشعر ، وإنما أعطيته لقوله : [من الكامل]

ما زلتَ يومَ الهاشميَّةِ مُعْلِماً بالسيفِ دونَ خليفةَ الرحمنِ

فمنعتَ حَوْزتَه وكنتَ وِقاءه من وَقْع كلِّ مُهَنَّدٍ وسِنانِ

فاستحيا المنصور وقال : إنما أعطيتَه ما أعطيتَه لهذا القول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ! والله لولا مخافة النقمة[2] عندك لأمْكَنْتُه من مفاتيح بيوت الأموال وأبحته إياها ، فقال له المنصور : لله درُّك من أعرابي ! ما أهْوَنَ عليك ما يَعَزُّ على الرجال وأهل الحزم !

[مدح المهدي فرده لمدحه معناً]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثني عبد الله بن محمد بن موسى قال أخبرني محمد بن موسى بن حمزة قال أخبرني الفضل بن الرَّبيع قال : رأيت مروانَ بن أبي حفصة وقد دخل على المهدي بعد وفاة معن بن زائدة في جماعة من الشعراء فيهم سَلْمٌ الخاسر وغيرُه ، فأنشده مديحاً فيه ، فقال له : ومن أنت ؟ قال : شاعرُك يا أمير المؤمنين وعبدُك مروان بن أبي حفصة . فقال له المهدي : ألست القائل[3] : [من الوافر]

أقَمْنا باليمامةِ بعدَ مَعْنٍ مُقاماً لا نُريدُ به زَوالا[4]

---

1 ديوانه : 281 .

2 في ل : الشفعة .

3 ديوانه : 270–275 .

4 باليمامة في ل : المدينة .

وقُلْنا أيـنَ نرحـلُ بعدَ مَعْـنٍ وقـد ذهبَ النَّوالُ فـلا نوالا

قد ذهب النَّوالُ فيما زعمتَ ، فلِم جئتَ تطلب نوالَنا ؟ لا شيء لك عندنا ، جُرُّوا برجله ؛ فجَروا برجله حتى أُخرِج . قال : فلما كان من العام المقبل تلطَّف حتى دخل مع الشعراء ، وإنما كانت الشعراءُ تدخل على الخلفاء في كل عام مرة ، فمثَل بين يديه وأنشده بعد رابع أو بعد خامس من الشعراء[1] : [من الكامل]

طَرَقَتْـكَ زائـرةً فحـيَّ خيالَهـا بيضاءُ تخلِـطُ بالجمـالِ دلالَها[2]

قـادتْ فـؤادَكَ فاستقادَ ومثلُهـا قـادَ القلـوبَ إلى الصِّبـا فأمالها

قال : فأنصت الناسُ لها حتى بلغ إلى قوله : [من الكامل]

هلْ تَطْمِسونَ من السماء نجومَها بأكُفِّكـم أو تَستـرون هـلالَها

أو تَجْحَدون مقالـةً عن ربِّكم جبريـلُ بلَّغهـا النَّبـيَّ فقـالها

شَهِدتْ مـن الأنفالِ آخـرُ آيـةٍ بتُراثِهـم فأَرَدْتُـم إبْطالَهـا

قال : فرأيت المهديَّ قد زحف من صدر مُصَلاَّه حتى صار على البِساط إعجاباً بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت . فأمر له بمائة ألف درهم . فكانت أول مائةِ ألف درهم أُعطيها شاعرٌ في أيام بني العباس .

[مدح الرشيد فرده لمدحه معناً]

قال : ومضت الأيام ووليَ هارون الرشيدُ الخلافة ، فدخل إليه مروان ؛ فرأيته واقفاً مع الشعراء ثم أنشده قصيدة امتدحه بها . فقال له : من أنت ؟ قال : شاعرُك وعبدُك يا أمير المؤمنين مروانُ بن أبي حفصة . قال له : ألستَ القائل في مَعْن بن زائدة ! وأنشده البيتين اللذيْن أنشده إياهما المهدي ، ثم قال : خذوا بيده فأَخْرِجوه ، لا شيء لك عندنا ، فأُخْرِج . فلما كان بعد ذلك بأيام تلطَّف حتى دخل ؛ فأنشده قصيدته التي يقول فيها[3] : [من الطويل]

لَعَمْرُك مـا أَنْسى غَداةَ المُحَصَّب إشارةَ سَلْمـى بالبنـانِ المُخَضَّبِ

وقـد صـدَرَ الحُجَّـاجُ إلا أقلَّهم مصادرَ شتى مَوْكِباً بعـدَ موكبِ

قال : فأعجبتْه ، فقال : كم قصيدتُك من بيتٍ ؟ فقال : ستون أو سبعون . فأمر له بعدد أبياتها ألوفاً . فكان ذلك رَسْمَ مروانَ عندهم حتى مات .

---

1 ديوانه : 264–267 .

2 بالجمال في ل : بالحياء .

3 ديوانه : 217 .

[مدح المهدي في الرصافة]

أخبرني عمي قال حدثني الفضل بن محمد اليزيدي عن إسحاق قال : دخل مروان بن أبي حفصة على المهدي في أول سنة قَدِم عليه . قال : فدخلتُ عليه في قصره بالرصافة فأنشدته قولي فيه[1] : [من الطويل]

أَمَرُّ وأحْلى ما بلا الناسُ طعمَه عـذابُ أمير المؤمنـين ونائلُه
فإن طليقَ الله مَنْ أنت مُطْلِقٌ وإنَّ قتيـلَ الله مَـنْ أنت قاتلُه
كـأنَّ أميرَ المؤمنـينَ محمـداً أبو جعفـر في كلِّ أمـرٍ يحاولُه

قال : فأُعجب بها ، وأمر لي بمال عظيم ؛ فكانت تلك الصلةُ أولَ صلة سنيَّة وصلتْ إليَّ في أيام بني هاشم .

[مدح المهدي وذم يعقوب ابن داود]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني محمد بن عبد الله العبدي الراوية قال حدثني حسين بن الضحَّاك قال حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلتُ على المهدي في قصر السلام ، فلما سلَّمتُ عليه ، وذلك بعَقِب سخطه على يعقوب بن داود ، قلت : يا أمير المؤمنين إن يعقوب رجل رافِضي وإنه سمعني أقول في الوراثة[2] : [من الكامل]

أنَّى يكـونَ وليس ذاكَ بكائنٍ لبَنِـي البنـاتِ وراثةُ الأعمامِ

فذلك الذي حَمَله على عداوتي . ثم أنشدته : [من الطويل]

كـأن أميرَ المؤمنـينَ محمـداً لرأفتـه بـالناسِ للناسِ والدُ
على أنه مَـن خالَفَ الحقَّ منهمُ سَقَتْه يدَ الموتِ الحُتوفُ الرَّواصدُ

ثم أنشدته : [من الكامل]

أحيـا أميرُ المؤمنـين محمـدٌ سُنَنَ النبيِّ حرامَهـا وحلالَها

قال فقال لي المهدي : والله ما أعطيك إلا من صُلْب مالي فاعْذِرني ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم . وكساني جُبَّةً ومُطْرَفاً ، وفرَض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفاً أُخرى .

---

1 ديوانه : 262 .
2 ديوانه : 279 .

[رأي ابن الأعرابي في شعره]

أخبرني عيسى بن الحسين الوَراق قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز قال حدثنا ابن الأعرابي أن مروان بن أبي حفصة أخبره أنّه وفَد على مَعْن بن زائدة فأنشده قوله[1] : [من الطويل]

بنـو مطـرٍ يـومَ اللِّقـاءِ كأنّهم أُسودٌ لها في بَطن خَفـانَ أَشْبُلُ
همُ يَمنعون الجـارَ حتـى كأنّما لجارهمُ بـين السِّماكـين منزلُ
لَهامِيمُ ، في الإسلامِ سادُوا ولم يكن كأوَّلهـم في الجاهليـة أولُ
هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا أجابوا وإن أعطَوْا أطابوا وأجزلوا
ولا يستطيـعُ الفاعلـونَ فعالَهم وإن أحسنوا في النائباتِ وأجملوا

قال : فأمر لي بصلة سنيَّة وخَلَع عليَّ وحمَلني وزودني . قال ثم قال لنا ابن الأعرابي : لو أعطاه كلَّ ما يملك لَما وفاه حقَّه . قال : وكان ابن الأعرابي يختم به الشعراء ، وما دَوَّن لأحد بعدَه شعراً .

[رأيه في شعر جرير والفرزدق]

أخبرني حبيب بن نصر قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال أخبرني أحمد بن موسى بن حمزة قال : رأيت مروان بن أبي حفصة في أيام محمد بن زُبَيْدة في دار الخلافة وهو شيخ كبير ، فسألته عن جرير والفرزدق أيهما أشعر ، فقال لي : قد سُئلتُ عنهما في أيام المهدي وعن الأخطل قبل ذلك ، فقلتُ فيهم قولاً عقدتُه في شعر ليَثْبُتَ . فسألته عنه فأنشدني[2] : [من الكامل]

ذهـب الفرزدقُ بالهجاءِ وإنَّما حُلْـوُ القريضِ ومُـرُّه لجريرِ[3]
ولقد هجا فأمضَّ أخطلُ تَغْلِبٍ وحـوى النُّهى ببيانه المشهورِ
كلُّ الثلاثةِ قـد أجـادَ فمدحهُ وهجـاؤه قـد سارَ كلَّ مَسيرِ
ولقـد جَرَيْتُ ففُتُّ غيرَ مُهَلَّلٍ بجـراءِ لا قَـرِفٍ ولا مبهورِ[4]
إني لآنـفُ أن أُحَبِّر مِدْحـةً أبـداً لغيـرِ خليفـةٍ ووزيرِ

1 ديوانه : 257–258 .
2 ديوانه : 230–231 .
3 بالهجاء في الديوان : بالفخار .
4 رواية هذا البيت والذي يليه في الديوان :

ولقد جريت مع الجياد ففتها بعنـان لا شبـم ولا مبهـور
ما زلت آنف أن أحبر مدحة إلا لصاحـب منبـر وسريـر

ما ضرني حَسَدُ اللئامِ ولم يَزَلْ ذو الفضل يحسُده ذوو التقصيرِ

قال : فلم يَر أن يقدِّم على نفسه غيرَها . وكتبتُ الأبيات عن فيه .

[معن يحكمه في عطائه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدثني أبو حاتم السِّجِسْتاني قال حدثني العَنسيّ قال : لما قدِم مَعْن بن زائدة من اليمن ، دخل عليه مروان بن أبي حفصة والمجلس غاصٌّ بأهله ، فأخذ بعِضادَتَي الباب وأنشأ يقول[1] : [من الطويل]

وما أَحْجَم الأعداءُ عنك بَقِيَّةً عليك ولكن لم يَرَوْا فيك مَطْمَعا

له راحتانِ الجودُ والحَتْفُ فيهما أبى اللهُ إلا أن تَضُرّا وتَنْفَعا

قال فقال له مَعْن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم . فقال مَعْن : ربِحْنا عليك تسعين ألفاً . قال : أقِلْني . قال : لا أقال الله من يُقيلك .

[رد معن على محرز]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني أبي قال : لما قَدِم مَعْن بن زائدة من اليمن استقبله الناس ، وتلقَّاه مروان بن أبي حفصة ، فأنشده قصيدةً يهنِّئه فيها بقدومه وبرأي المنصور فيه ، وتلقاه فيمن تلقاه أبو القاسم مُحْرِز[2] فجعل يقول له : سفَكْتَ الدماء ، وظلمتَ الناسَ ، وتعدَّيت طَوْرَك بذلك . فلما أكثر على مَعْن التفت إليه ثم قال له : يا مُحْرِز أخْبِرْني بأي خُفَّيْك تضرب اليوم : أبالسُّباعي أم بالثُّماني ؟ قال : فانقطع وسكت خَجَلاً .

[حكاية الهاشمية مرة أخرى]

ودخل مَعْنَ على المنصور ، فلما سلَّم عليه وسأله قال له : يا مَعْنُ ، أعطيتَ ابن حفصة مائة ألف درهم عن قوله فيك : [من الكامل]

مَعْنُ بن زائدةَ الذي زيدتْ به شرفاً إلى شرفٍ بنو شَيْبانِ

فقال له : كلاَّ يا أمير المؤمنين ! بل أعطيته لقوله : [من الكامل]

ما زلتَ يومَ الهاشميَّة مُعْلِماً بالسيفِ دونَ خليفةَ الرحمنِ

فاستحيا المنصورُ من تَهجينه إيَّاه فتبسَّم وقال : أحسنتَ يا معن في فعلك .

[يحيى بن منصور عاد إلى الشعر لما سمع بكرم معن]

أخبرني الحسن بن علي المصري قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن

---

1 من قصيدة طويلة في ديوانه : 245–247 .

2 أبو القاسم محرز بن إبراهيم أحد قواد أبي مسلم الخراساني .

ثَوْر قال حدثني أبو العباس العَدَوي قال : لما وَلِيَ مَعْن بن زائدة اليمنَ كان يحيى بن منصور الذُهْلي قد تنسَّك وترك الشعر . فلما بلغته أفعال مَعْن وفَد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبي حفصة[1] : [من البسيط]

لا تَعْدَمُوا راحَتَيْ مَعْنٍ فإنهما بالجودِ أفْتَتا يحيى بنَ منصورِ
لما رأى راحتَيْ مَعْن تدفَّقتا بنائلٍ من عطاءٍ غيرِ مَنْزُورِ
ألقى المُسُوحَ التي قد كان يَلْبَسها وظلَّ للشِّعرِ ذا رَصْفٍ وتَحْبيرِ

[لم يرضَ زواج امرأة من أهله في بني مطر]

أخبرني محمد بن مَزْيَد وعيسى بن الحسين قالا حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني عبد الملك بن عبد العزيز قال : ورد على مروان بن أبي حفصة كتاب وهو بالمدينة أن امرأة من أهله تزوَّجت في قوم لم يَرْضَ صِهْرَهم يقال لهم بنو مطر ؛ فقال في ذلك لأخيها[2] : [من البسيط]

لو كنتَ أشبهتَ يحيى في مَناكحِه لما تَنَقَّيْتَ فحلاً جَدُّه مَطَرُ
لله درُّ جيادٍ كنتَ سائسَها ضيَّعتها وبها التَّحجيلُ والغُرَرُ
نُبِّئتُ خَوْلَةَ قالتْ يومَ أنْكَحَها قد طالَما كنتُ منكَ العارَ أنتظرُ

[تهكم بالجني الشاعر فهجاه]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثنا الحسن بن علي المعروف بحدان عن محمد بن حفص بن عمرو بن الأيْهَم الحنفي قال : مرَّ مروان بن أبي حفصة برجل من تَيْم اللاَّت بن ثَعْلبة يُعْرَف بالجِنِّي ؛ فقال له مروان : زعموا أنك تقول الشعر . فقال له : إن شئتَ عرَّفتُك ذلك . فقال له مروان : ما أنت والشعر ، ما أرى ذلك من طريقتك ولا مذهبك ولا تقوله ! فقال الجِنِّي : اجلس واسمع فجلس ؛ فقال الجِني يهجوه : [من الطويل]

ثَوى اللؤمُ في العَجْلان يوماً وليلةً وفي دارِ مروانٍ ثَوى آخرَ الدَّهرِ
غدا اللؤمُ يَبْغِي مَطْرَحاً لرِحاله فنقَّبَ في بَرِّ البلادِ وفي البحرِ
فلما أتى مروانَ خيَّم عندَه وقال رَضِينا بالمُقامِ إلى الحشرِ
وليستْ لمروانٍ على العِرْس غَيْرةٌ ولكنَّ مروانـاً يَغارُ على القِدْرِ

فقال له مروان : ناشدتُك الله إلا كففتَ ، فأنت أشعر الناس . فحلَف الجِني بالطلاق

---

1 ديوانه : 229–230 .

2 ديوانه : 235 وهذه الأبيات تشبه أبياتاً للقلاح بن حزن المنقري يهجو بها مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم عندما زوج ابنته خولة من ابن يحيى بن أبي حفصة (انظر طبقات ابن المعتز : 44) .

ثلاثاً أنه لا يكُفُّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم : قاق في استي بيضة . فجلَبهم إليه مروان وفعل ذلك بحضرتهم ، وكان فيهم جدي يحيى بن الأَيْهم ، فانصرفوا وهم يضحكون من فعله .

[تعزيته للهادي في المهدي]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو عبد الله بن سليمان بن زيد الدَّوْسي قال حدثني الفضل بن العباس بن سعيد بن سَلْم بن قُتيبة الباهلي قال حدثنا محمد بن حرب بن قَطَن بن قَبيصة بن مُخارق الهِلالي قال : لما مات المهدي وفدت العرب على موسى يهنئونه بالخلافة ويعزُّونه عن المهدي ؛ فدخل مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتَي الباب ثم قال[1] : [من الطويل]

لقد أصبحتْ تختال في كلِّ بلدةٍ بقبرِ أميرِ المؤمنينَ المقابرُ
ولو لم تُسَكَّنْ بابنه في مكانه لما بَرحت تَبْكِي عليه المنابرُ

قال فخرج الناس بالبيتين .

[مدح عمرو بن مسعدة في مرضه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهروَيه قال حدثني إبراهيم بن المُدَبِّر قال : مَرِض عمرو بن مسعدة ، فدخل عليه مروان بن أبي حفصة وقد أبلَّ من مرضه فأنشأ يقول[2] : [من الهزج]

صحَّ الجسمُ يا عمرو لك التَّمْحِيصُ والأَجْرُ[3]
ولله علينا الحمـ ـدُ والمِنَّةُ والشكرُ
فقد كان شكا شوقاً إليك النَّهْيُ والأمرُ

قال فنحا نحوه مُسلم بن الوليد فقال[4] : [من البسيط]

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم نفسي الفِداءُ له من كلِّ محذورِ
يا ليتَ عِلَّتَه بي غيرَ أن له أَجْرَ العليلِ وأنّي غيرُ مأجورِ

[رؤيته الغول في بعض سفراته]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا أبو حُذَيفة قال

1 ديوانه : 234 .
2 ديوانه : 238 عن الأغاني .
3 صح في ل : صحيح .
4 ديوان مسلم بن الوليد (دار المعارف) : 323 .

حدثني رجل من بني سُلَيم في مسجد الرُّصافة قال أخبرني مروان بن أبي حفصة قال : وفدتُ في ركب إلى الرشيد فصِرْنا في أرض موحشةٍ قَفْرٍ ، وجَنَّ علينا الليل فسِرْنا لنقطعها ، فلم نشعر إلا بامرأة تسوق بنا إبلَنا وتحدو في آثارنا ، فإذا هي الغُول . فلما لاح الفجر عدلتْ عنا وأخذتْ عُرْضاً وجعلت تقول : [من الرجز]

يا كوكبَ الصبحِ إليكَ عني فلستُ مـن صبحٍ وليس مِنّي

قال : فما أذكر أني فزِعتَ من شيء قطُّ فزعي ليلتئذٍ .

[معارضة التغلبي له في وراثة الأعمام]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني علي بن الحسن الكوفي قال حدثني محمد بن يحيى بن أبي مُرَّة التغلبي قال : مررت بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله ، فسلَّمت عليه ، فقال لي : مرحباً يا أخا تَغلِب ، اجلس فجلست . فقال لي : أما تَعجَب من ابن أبي حفصة لعنه الله حيث يقول : [من الكامل]

أنَّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لبني البناتِ وِراثـــةُ الأعمامِ

فقلت بلى والله إني لأتعجَّبُ منه وأُكْثِر اللَّعنَ له ، فهل قلتَ في ذلك شيئاً ؟ فقال : نعم قلت : [من الكامل]

لم لا يكون وإن ذاك لكائنٌ لبَنـي البنـاتِ وِراثةُ الأعمامِ
للبنت نصفٌ كاملٌ مـن مالِه والعـمُّ متـروكٌ بغيرِ سِهامِ
مـا للطَّلِيـقِ وللتُّراثِ وإنما صلَّى الطليقُ مخافةَ الصَّمْصامِ

[صالح بن عطية الأضجم يقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن محمد بن سليمان النوفلي قال حدثني صالح بن عطية الأضجم قال : لما قال مروان :

أنّى يكونُ وليس ذاكَ بكائنٍ لِبَنـي البناتِ وراثـةُ الأعمامِ

لزمتُه وعاهدت الله أن أغتاله فأقتلَه أيَّ وقتٍ أمْكَنَني ذلك ، وما زلت ألاطفُه وأَبِرُّه وأكتب أشعاره ، حتى خُصِصْتُ به ، فأنِسَ بي جداً ، وعرفتْ ذلك بنو حَفْصة جميعاً فأنِسوا بي ، ولم أزل أطلب له غِرَّةً حتى مرض من حمَّى أصابته ، فلم أزل أظهِر له الجَزَع عليه وأُلازمه وأُلاطِفه ، حتى خلا لي البيت يوماً فوثَبتُ عليه فأخذتُ بحَلْقه فما فارقته حتى مات ، فخرجتُ وتركته ، فخرج إليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتاً ، وارتفعت الصَّيْحةُ فحضرتُ وتباكيت وأظهرتُ الجزعَ عليه حتى دُفن ، وما فطن بما فعلت أحد ولا اتهمني به .

161 ـ [رجع إلى ذكر إبراهيم بن المهدي]

[نشأته ونسب أمه]

ثم نعود إلى ذكر إبراهيم بن المهدي وأُمِّه شَكِلة . ويكنى أبا إسحاق . وشَكِلةُ أُمُّه مولَّدة ، كان أبوها من أصحاب المازِيار ، يقال له شاه أفْرَند[1] ، فقُتِل مع المازِيار وسُبِيَتْ بنتُه شَكِلة ، فحُمِلَتْ إلى المنصور ، فوهبها لمُحَيّاةَ أُمِّ ولده فربَّتها وبعثتْ بها إلى الطائف فنشأت هناك وتفحَّصت ؛ فلما كبِرتْ رُدت إليها . فرآها المهدي عندها فأعجبته ، فطلَبها من مُحَيّاة فأعطته إياها ، فولدت منه إبراهيم . وكان رجلاً عاقلاً فَهِماً دَيِّناً أديباً شاعراً راويةً للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسنَ العارضة .

وكان إسحاق الموصلي يقول : ما ولد العباس بن عبد المطلب بعد عبد الله بن العباس : رجلاً أفضل من إبراهيم بن المهدي . فقيل له : مع ما تبذَّل له من الغِناء ؟ فقال : وهل تمَّ فضلُه إلا بذاك ! .

[كان ينسب ما يصنع لشارية وريّق جاريتيه]

حدثني بذلك محمد بن يزيد عن حماد عن أبيه . وكان أشدَّ خلق الله إعظاماً للغِناء ، وأحرصهم عليه ، وأشدَّهم منافسةً فيه . وكانت صنعته ليِّنةً ، فكان إذا صنع شيئاً نسَبه إلى شارِيةَ وريِّق ، لئلا يقع عليه فيه طعن أو تقريع ، فقلَّتْ صنعتُه في أيدي الناس مع كثرتها لذلك . وكان إذا قيل له فيها شيء قال : إنما أصنع تطرُّباً لا تَكَسُّباً ، وأُغني لنفسي لا للناس ، فأعمل ما أشتهي . وكان حُسْنُ صوته يستر عَوار ذلك كلِّه . وكان الناس يقولون لم يُرَ في جاهلية ولا إسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وأخته عُلَيَّة ؟ .

[مناظراته مع إسحاق الموصلي]

وكان يُماظُّ[2] إسحاقَ ويُجادله ، فلا يقوم له ولا يَفِي به ، ولا يزال إسحاق يغلِبه ويُغِصُّه بريقه ويَغُضُّ منه بما يظهر عليه من السَّقَطات ويبيِّنه من خطئه في وقته وعجزِه عن معرفة الخطأ الغامض إذا مرَّ به ؛ وقصورِه عن أداء الغناء القديم فيفضحه بذلك . وقد ذكرتُ قطعةً من هذه الأخبار في أخبار إسحاق وأنا أذكر هاهنا منها ما لم أذكُر هناك .

ومما خالف إبراهيمُ بن المهدي ومَن قال بقوله على إسحاق فيه : الثَّقيلان وخفيفهما ؛ فإنه

---

1 ل : إفريز .

2 يُماظ : ينازع .

سمّى الثقيل الأول وخفيفَه الثقيلَ الثاني وخفيفَه ، وسمّى الثقيلَ الثاني وخفيفَه الثقيلَ الأولَ وخفيفَه ؛ وجرَتْ بينهما في ذلك مناظراتٌ ومجادلاتٌ ومراسلة ومكاتبة ومشافهة ، وحضرهما الناس ، فلم يكن فيهم مَن يَفِي بفصل ما بينهما والحكم لأحدِهما على صاحبه . ووضَع لذلك مكاييلَ لتُعْرَف بها أقدارُ الطرائق ، وأَمْسكَ كل واحد منهما إلى آخر أقداره ، فلم يصح شيء يُعمل عليه ، إلا أن قول إبراهيم بن المهدي اضمحل وبطَل وتُرِك ، وعمِل الناس على مذهب إسحاق ؛ لأنه كان أعلَم الرجلين وأشهرَهما . وأوضح إسحاق أيضاً لذلك وجوهاً فقال : إنَّ الثقيل الأول يَجيء منه قَدْران ، الثقيلُ الأول التام ، والقَدْرُ الأوسط من الثقيل الأول ، وجميعاً طريقتُه واحدةٌ لاتساعه والتمكُّنِ منه ، والثقيلُ لا يَجيء هذا فيه ولا يقاربه . والثَّقيلُ الأول يمكن الإدراج في ضربه لثِقله ، والثَقيل الثاني لا يندرج لنقصه عن ذلك . ولهما في هذا كلام كثير ومخاطبات قد ذكرتُها في أخبارهما ، وشرحتُ العِلَلَ مبسوطةً في كتابٍ ألَّفْتُه في النَّغَم شرحاً ليس هذا موضعَه ولا يصلُح فيه . وأما التَّجزئةُ والقسمُ فإنهما أفْنَيا أعمارَهما في تنازعهما فيهما ، حتى كان يَمضي لهما الزمانُ الطويلُ لا تنقطع مناظرتهما ومكاتبتهما في قسمة وتجزئة صوتٍ واحدٍ فيه ، وحتى كانا يخرجان إلى كل قبيح ، وحتى إنهما ماتا جميعاً وبينهما منازعة في هذا الصوت وقسمته : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيا أُمَّ يَعْمَرا قَبْلَ شَحْطٍ من النَّوى

لم يُفْصَل[1] بينهما فيها إلى أن افترقا . ولو ذهبتُ إلى ذكر ذلك وشَرْحِ سائر أخبار إبراهيم بن المهدي وقِصَصِه لما وَلِيَ الخلافةَ وغيرِ ذلك من وصفه بفصاحة اللسان ، وحسنِ البيان ، وجَوْدةِ الشعر ، ورواية العلم ، والمعرفة بالجَدَل ، وجزالةِ الرأي ، والتصرُّف في الفقه واللغة ، وسائر الآداب الشريفة ، والعلوم النفيسة ، والأدوات الرفيعة ، لأطَلْتُ . وإنما الغرض في هذا الكتاب الأغاني أو ما جرى مجراها ، لا سيما لمن كثُرت الروايات والحكايات عنه ؛ فلذلك اقتصرتُ على ما ذكرتُه من أخباره دون ما يستحقه من التفضيل والتبجيل والثناء الجميل .

[اعتراف إبراهيم بن المهدي بقدرته على الغناء]

أخبرني عمي رحمه الله قال حدثني علي بن محمد بن بكر عن جده حمدون بن إسماعيل قال قال لي إبراهيم بن المهدي : لولا أنّي أرفَع نفسي عن هذه الصناعة لأظهرتُ فيها ما يعلم الناس معه أنهم لم يَرَوْا قبلي مِثْلي .

---

1 يفصل في ل : ينفصل .

[رأي ابن جامع في غنائه]

أخبرني عمي قال حدثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني أحمد بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : دخلتُ يوماً إلى الرشيد وفي رأسي فَضْلَةُ خُمار ، وبين يديه ابن جامع وإبراهيم الموصلي . فقال : بحياتي يا إبراهيم غَنِّني . فأخذتُ العود ولم ألتفت إليهما لما في رأسي من الفَضْلة فغنَّيتُ : [من الكامل]

أَسْرى بخالدةَ الخيالُ ولا أرى شيئاً ألذَّ مـــن الخيالِ الطَّارقِ

فسمعتُ إبراهيمَ يقول لابن جامع : لو طلب هذا بهذا الغناء ما نطلُب لَما أكلنا خبزاً أبداً . فقال ابن جامع : صدقتَ . فلما فَرَغتُ من غنائي وضعتُ العودَ ثم قلت : خُذا في حقِّكما ودَعا باطلَنا .

نسبة هذا الصوت

صوت[1]

[من الكامل]

أَسْرى بخالدةَ الخيـالُ ولا أُرى شيئاً ألـذَّ مـن الخيـالِ الطارقِ[2]
إنَّ البليَّـةَ مَـنْ تَمَـلُّ حديثَـه فانْقَعْ فؤادَك من حديثِ الوامقِ[3]
أهْواكِ فوقَ هوى النفوسِ ولم يزلْ مُـذْ بِنْتِ قلبي كالجَناحِ الخافقِ
طَرَباً إليكِ ولم تُبـالي حاجتـي ليس المُكـاذِبُ كالخليلِ الصادقِ[4]

الشعر لجرير . والغناء لابن عائشة رَمل بالوسطى عن عمرو .

[غنى الرشيد وعنده سليمان بن أبي جعفر وجعفر بن يحيى]

أخبرني جحظة قال أخبرني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي ، وحدثني الصولي قال حدثني عون بن محمد قال حدثني هبة الله ، ولم يذكر عن أبيه ، قال : كان الرشيد يحب أن يسمعَ أبي . وقال جحظة عن هبة الله عن إبراهيم قال : كان الرشيد يحب[5] أن يسمعني ، فخلا

1 ديوان جرير (صادر) : 314 .
2 أسرى بخالدة في الديوان : أسرى لخالدة .
3 الديوان : يمل بالبناء للمجهول . فانقع في الديوان : فانشح أي اسق .
4 هذه الرواية موافقة لما في الديوان ، ورواية البيت في ل :
شوقـــاً إليك ولم تجازَ مودتي ليس المكذب بالحبيب الصادق
5 ل : يريد .

بي مرات إلى أن سمعني . ثم حَضَرْتُه مرة وعنده سليمان بن أبي جعفر ؛ فقال لي : عمُّك وسيِّد ولدِ المنصور بعد أبيك وقد أحب أن يَسمعك ؛ فلم يتركني حتى غنَّيتُ بين يديه : [من البسيط]

إذا أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذ أَجُرُّ إليكم سادراً رَسَني

فأمر لي بألف ألف درهم ، ثم قال لي ليلةً ولم يَبْق في المجلس إلا جعفر بن يحيى : أنا أُحِب أن تشرِّفَ جعفراً بأن تغنِّيه صوتاً . فغنَّيتُه لحناً صنعتُه في شعر الدَّارمي : [من البسيط]

كأنَّ صورتَها في الوصفِ إذ وُصِفَتْ دينـارُ عَيْنٍ من المصريـةِ العُتُقِ[1]

نسبة هذين الصوتين ، [الأول] منهما :
صوت[2]

[من البسيط]

سَقْياً لِرَبْعِك من رَبْعٍ بذي سَلَمٍ وللزمانِ به إذ ذاك مـن زَمَنِ

إذ أنتِ فينا لمن ينهاكِ عاصيةٌ وإذ أَجُرُّ إليكم سادراً رَسَني[3]

الشعر للأحوص . والغناء لابن سريج ثقيل أول بالوسطى عن عمرو .

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن زهير عن مصعب قال : أنشد مُنشِدٌ وابنُ أبي عبيدة عندنا قول الأحوص : [من البسيط]

إذ أنتِ فينا لمن يَنْهاكِ عاصيةٌ وإذْ أَجُـرُّ إليكم سادراً رَسَنِي

فوثَب قائماً وألقى طَرَف ردائه وجعل يخطو إلى طَرَف المجلس ويَجُرُّه . ثم فعل ذلك حتى عاد إلينا . فقلنا له : ما حمَلك على ما صنعت ؟ فقال : إني سمعتُ هذا الشعر مرةً فأطْرَبني ، فجعلت على نفسي ألاَّ أسمعه أبداً إلا جررتُ رَسَني .

والآخر من الصوتين :
صوت

[من البسيط]

كأنَّ صورتَها في الوصفِ إذ وُصِفَتْ دينـارُ عَيْنٍ مـن المِصْريـةِ العُتُقِ[4]

---

1 المصرية في ل : المضروبة .

2 شعر الأحوص : 209 عن الأغاني .

3 ينهاك في ل : يلحاك .

4 المصرية في ل : المضروبة .

أو دُرَّةٌ أعيتْ الغَوَّاصَ في صَدَفٍ أو ذَهَبٌ صاغه الصَّواغُ في وَرِقِ

الشعر للدَّارميِّ . والغِناء لمرزوق الصواف رمل بالبنصر عن ابن المكي . وذكر عمرو أن هذا اللحنَ للدارمي أيضاً . وذكر الهشامي أنه لابن سريج . وفي هذا الخبر أنه لإبراهيم بن المهدي . وفيه خفيف رملٍ يقال إنه لحنُ مرزوق الصَّواف ، ويقال إنه لمتيَّم ثاني ثقيل عن الهشامي وابن المعتز .

[غنى صوتاً على أربع طبقات]

أخبرني يحيى بن المنجِّم قال ذكر لي عبيد الله بن عبد الله بن طاهر عن إسحاق بن عمر بن بَزِيع قال : كنتُ أضرب على إبراهيم بن المهدي صوتاً[1] ذكره فغناه على أربع طبقات ، على الطبقة التي كان العود عليها ، وعلى ضِعْفها ، وعلى إسْجاحها ، وعلى إسجاح الإسجاح . قال أبو أحمد قال عبيد الله : وهذا شيءٌ ما حُكِيَ لنا عن أحد غيرِ إبراهيم ، وقد تَعاطاه بعضُ الحُذَّاق بهذا الشأن ، فوجده صعباً متعذِّراً لا يُبْلَغ إلا بالصوت القوي وأشَدّ ما فيه إسْجاح الإسْجاح ؛ لأن الضِّعف لا يُبْلَغ إلا بصوت قوي مائل إلى الدقة ، ولا يكاد ما اتسع مَخرجُه يبلُغ ذلك . فإذا دَقَّ حتى يبلُغ الإضعاف لم يقدر على الإسجاح فضلاً عن إسجاح الإسجاح . فإذا غَلُظ حتى يتمكن من هذين لم يقدر على الضِّعف .

[غنى صوتاً لمعبد]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثني أحمد بن القاسم بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال حدثني محمد بن سليمان بن موسى الهادي[2] قال : دعاني إبراهيم بن المهدي يوماً فصرت[3] إليه ، وغنَّى صوتاً لمعبد : [من الطويل]

أفي الحقِّ هذا أنّني بكَ مُولَعُ وأنَّ فؤادي نحوكَ الدَّهْرَ نازعُ

فقال لي : لمن هذا الغِناء ؟ فقلت : يا سيدي يقولون إنه لمعبد ، ولا غنَّى والله معبد كذا قط ، ولا سمعتُ أحداً يقول كذا ، لا والله ما في الدنيا كذا . قال : فضحِك ثم قال : والله يا بُنَي ما قمتُ بنصف ما كان يقوم به معبد .

نسبة هذا الصوت

أمَّا اللحن فمن الثقيل الثاني ، وقد ذكر في هذا الخبر أنه لمعبد ، وما وجدتُه في شيء من الكتب له . وذكر الهشامي أنه لابن المكي .

---

1 ل : ضرباً .

2 ل : الهمداني .

3 ل : فضربت عليه .

[عاب مخارقاً عند المأمون]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعيم قال حدثني إسحاق بن محمد قال حدثني عيسى بن محمد القُحْطُبي قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنّر قال : لما قدِم المأمون من خُراسان لم يظهر لمغنٍّ بالمدينة مدينة السلام غيري ، فكنتُ أُنادمه سراً ، ولم يظهر للندماء أربعَ سنين ، حتى ظفِر بإبراهيم بن المهدي . فلما ظفِر به وعفا عنه ظهر للندماء ثم جمَعَنا ؛ ووجَّه إلى إبراهيم فحضر في ثياب مُبتذلة[1] . فلما رآه المأمون قال : أَلْقَى عمّي رِداء الكِبْر عن مَنكِبَيْه ، ثم أمر له بخِلَع فاخرة وقال : يا فَتْح غَدٌ عمّي ؛ فتغدى إبراهيم بحيث يراه المأمون ثم تحول إلينا ، وكان مخارق حاضراً ، فغنّى مخارق : [من الكامل]

هـذا ورُبَّ مُسوِّفينَ صَبَحْتُهم مِن خمرِ بابِـلَ لذَةً للشاربِ

فقال له إبراهيم : أسأتَ فأعِدْ ؛ فأعاده ، فقال : قارَبْتَ ولم تُصِبْ . فقال له المأمون : إن كان أساء فأَحْسِنْ أنت . فغناه إبراهيم ثم قال لمخارق : أَعِدْه فأعاده ، فقال : أحسنت . فقال للمأمون : كم بين الأمرين ؟ فقال : كثير . فقال لمخارق : إنما مَثَلُك كَمَثَل الثوب الفاخر إذا غفَل عنه أهلَه وقع عليه الغبار فأحال لونَه ، فإذا نُفِض عاد إلى جوهره . ثم غنّى إبراهيمُ : [من الكامل]

يا صاحِ يـا ذا الضَّامرِ العَنْسِ والرَّحْلِ ذي الأقْتـادِ والحِلْسِ
أمّـا النَّهـارُ فمـا تُقَصِّره رَتْكاً يزيـدكَ كلَّمـا تُمْسي[2]

[ضنّ على مخارق بصوت]

قال : وكانت لي جائزة قد خرجتْ ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، تأمر سيِّدي بإلقاء هذا الصوت عليَّ مكان جائزتي فهو أحبُّ إليَّ منها . فقال : يا عم أَلْقِ هذا الصَّوتَ على مخارق ، فألقاه عليَّ ، حتى إذا كدت أن آخذه قال : اذهبْ فأنت أحذق الناس به . فقلت : إنه لم يصلُح لي بعد . قال : فاغْدُ عليَّ . فغدوتُ عليه فغناه متلوِّياً ؛ فقلت : أيها الأمير ، لك في الخلافة ما ليس لأحد ، أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة ، تجود بالرَّغائب وتبخَل عليَّ بصوت ! فقال : ما أحمقَك ! إن المأمون لم يَستبقِني محبَّةً فيَّ ولا صِلةً لرَحمي ولا رِياء للمعروف عندي ، ولكنه سميع من هذا الجرم[3] ما لم يَسْمع من غيره . قال : فأعلمتُ المأمون مقالتَه ؛ فقال : إنا لا

1 ل : منزله .
2 الرتك : سير سريع للإبل . وفي ل : دركاً .
3 الجرم : هنا الحلق .

نكدِّر على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه ، فدَعه . فلما كانت أيام المعتصم نَشِط للصَّبوح يوماً فقال : أحضِروا عمّي . فجاء في دُرَّاعة من غير طَيلسان . فأعلمتُ المعتصم خبرَ الصوت سراً . فقال : يا عم غنِّني : [من الكامل]

يـا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ

فغناه ؛ فقال : ألْقِه على مُخارق . فقال : قد فعلتُ ، وقد سبق منِّي قولٌ ألاَّ أُعيده عليه . ثم كان يتجنب أن يغنِّيَه حيث أحضُرُه .

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء

صوت

[من الكامل]

هـذا ورُبَّ مُسَوِّفِينَ صَبَحْتُهم مِن خمرِ بابـلَ لَذَّةً للشاربِ
بكَروا عليَّ بسُحْرةٍ فصبَحْتُهم بإناءِ ذي كَرَمٍ كقَعْبِ الحالبِ
بزُجاجـةٍ مِـلء اليدين كأنَّها قِنديلُ فِصْحٍ في كنيسةِ راهبِ

الشعرُ لعَدي بن زيد . والغناء لحُنَين خفيف ثقيلٍ أول بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق .

صوت

[من الكامل]

يـا صاحِ يـا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ والرَّحْـلِ ذي الأَقْتادِ والحِلْسِ
أمَّـا النَّهـارُ فمـا تُقَصِّره رَتْكـاً يَزيـدكَ كلَّمـا تُمْسي

الشعر لخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد .

[إبليس علمه النقر والنغم]

وذكر أحمد بن أبي طاهر عن أَثِيرَ مولاةِ منصور بن المهدي عن ذُؤابة مولاته أيضاً قالت قالت لي أسماء بنت المهدي : قلت لأخي إبراهيم : يا أخي أشتهي والله أن أسمع من غنائك شيئاً . فقال : إذاً والله يا أُختي لا تَسْمعين مِثلَه ، عليَّ وعليَّ ، وغلَّظ في اليمين ، إن لم يكن إبليسُ ظهرَ لي وعلَّمني النَّقْرَ والنَّغَم وصافحَني وقال لي : اذهب فأنت منِّي وأنا منك .

[غضب عليه الأمين]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : غَضِب عليَّ محمد الأمين في بعض هَناته ، فسلَّمني إلى كَوثَرٍ[1] ،

1 كوثر : خادم الأمين .

فحبسني في سِرْداب وأغلقه عليَّ فمكثت فيه ليلتي . فلما أصبحتُ إذا أنا بشيخ قد خرج عليَّ من زاوية السِّرداب ، ودفع إلي وسطاً[1] وقال : كُلْ فأكلتُ ، ثم أخرج قِنِّينة شراب فقال : اشرَبْ فشربت ، ثم قال لي : غَنِّ : [من الكامل]

لي مُـدةٌ لا بُـدَّ أبلُغها معلومةٌ فإذا انقضتْ مُتُّ
لـو ساورتني الأُسْدُ ضاريةً لغلَبتُها مـا لم يَـجِ الوقتُ

فغنَّيته . وسمعني كوثر فصار إلى محمد وقال : قد جُنَّ عمُّك وهو جالس يغنِّي بكيت وكيت . فأمر بإحضاري فأُحْضِرْتُ وأخبرته بالقصة ، فأمر لي بسبعمائة ألف درهم ورضيَ عني .

[مطارحته أخته علية بمسمع من المأمون]

أخبرني عمي قال حدثني ابن أبي سعد قال سمعت يَنْشُو يحدِّث عن أبي أحمد بن الرشيد قال : كنتُ يوماً بحضرة المأمون وهو يشرب ، فدعا بياسرٍ وأدخله فسارَّه بشيء ومضى وعاد . فقام المأمونُ وقال لي : قم ، فدخل دار الحُرَم ودخلتُ معه ، فسمِعت غناءً أذهل عقلي ولم أقدِر أن أتقدم ولا أتأخر . وفطِن المأمون لِما بي فضحك ثم قال : هذه عمتك عُلَية تُطارح عمك إبراهيم[2] : [من السريع]

مـا لي أرى الأبصارَ بي جافِيَهْ

نسبة هذا الصوت

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بـي جافِيَهْ لم تَلْتَفِـتْ منِّـي إلى ناحِيَهْ
لا ينظـرُ النـاسُ إلى المُبْتـلى وإنَّمـا النـاسُ مـع العافِيَهْ
وقـد جفـاني ظالمـاً سيِّدي فأَدْمُعـي مُنْهَلـةٌ هـامِيَهْ[3]
صَحْبي سَلُـوا ربَّكُم العافِيَهْ فقـدْ دهتنـي بعدَكُـمْ داهِيَهْ

الشعر والغناء لعُلَية بنت المهدي خفيف رمل . وأخبرني ذُكاء وجه الرُّزة أن لعريب فيه خفيف رمل آخر مَزموراً ، وأن لحن عُلية مُطْلَق .

---

1 لعلها سفطاً .
2 ديوان أبي العتاهية : 679–680 عن الأغاني .
3 هامية في ل : واهية .

[يغني صوتاً من غير أن يسمعه]

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى قال حدثني أبي عن إبراهيم عن علي بن هشام أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بجنس صوت[1] صنَعه وإصبَعِه ومَجْراه وأجزاء لحنه ؛ فغناه إبراهيم من غير أن يسمعه فأدى ما صنعه . والصوت : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيـــا أم يَعْمَـــرا قبلَ شَحْطٍ من النَّوى
قلت لا تُعْجِلوا الرَّوا حَ فقالـــوا أَلا بَلَى
أجمعَ الحيُّ رِحلـــة ففؤادي كـذِي الأَسَى

نسبة هذا الصوت

الشعر لعمر بن أبي ربيعة . والغناء لابن سُرَيج ، ولحنه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأول مطلقٌ في مجرى الوسطى ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمالك . وفيه للهُذلي خفيف ثقيل أول بالبنصر عن ابن المكي ، وزعم الهشامي أنه لحن مالك . وفيه لَحنان من الثقيل الثاني أحدُهما لإسحاق وهو الذي كتب به إسحاق إلى إبراهيم بن المهدي . والآخر زعم الهشامي أنه لإبراهيم . وزعم عبد الله بن موسى بن محمد بن إبراهيم الإمام أنه لابن مُحْرِز .

أخبرني عمي قال حدثني الحسين بن يحيى أبو الجُمان : أن إسحاق بن إبراهيم لما صنع صوتَه : [من مجزوء الخفيف]

قُلْ لِمَنْ صَـدَّ عاتِباً

اتصل خبرُه بإبراهيم بن المهدي فكتب إليه يسأله عنه ؛ فكتب إليه بشعره وإيقاعه وبسيطِه ومجراه وإصبعِه وتجزئتِه وأقسامِه ومخارِج نَغَمه ومواضِع مقاطعه ومقادير أدواره وأوزانه ، فغناه . قال : ثم لَقِيَني فغنانيه ، ففضَلني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قـل لَمَـن صَدَّ عاتِبـاً ونَـأَى عنـكَ جانِبـا
قـــد بلغتَ الذي أرد تَ وإن كنـــتَ لاعبا

الشعر والغناء في هذا اللحن لإسحاق ، ثاني ثقيل بالبنصر في مَجراها . وفيه لغيره ألحان .

1 ل : يجنس صوتاً .

[أحمد بن أبي دواد والغناء]

أخبرني ابن عمار قال حدثني يعقوب بن نُعَيْم قال حدثني إسحاق بن محمد عن أبيه قال : سمعت أحمد بن أبي دواد يقول : كنتُ أُعِيبُ الغِناء وأطعَن على أهله ، فخرج المعتصم يوماً إلى الشَّماسِية في حَراقةٍ يشرب ، ووجه في طلبي فصرت إليه ؛ فلما قَرُبْتُ منه سمعت غناءً حيرني وشغَلني عن كل شيء ، فسقط سَوْطِي من يدي ؛ فالتفتُّ إلى زنقطة غلامي أطلب منه سوطَه ، فقال لي : قد والله سقط سوطي . فقلت له : فأي شيء كان سبب سقوطه ؟ قال : صوت سمعتُه شغَلَني عن كل شيء فسقَط سوطي من يدي ؛ فإذا قِصته قِصتي . قال : وكنت أنكر أمرَ الطَّرَب على الغناء وما يستفِز الناسَ منه ويغلِب على عقولهم ، وأناظر المعتصمَ فيه . فلما دخلتُ عليه يومئذٍ أخبرته بالخبر ؛ فضَحِك وقال : هذا عمي كان يغنّيني : [من الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ من آل حَفْصٍ أنشَرَ المجدَ بعدَما كان ماتا

فإن تُبْتَ مما كنتَ تناظرنا عليه في ذَم الغناء سألتُه أن يُعيده . ففعلتُ وفعل ، وبلغ بي الطَّربُ أكثرَ مما يَبْلُغني عن غيري فأُنكره ؛ ورجعت عن رأيي منذ ذلك اليوم .

وقد أخبرني بهذا الخبر أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى المنجم عن أبيه عن عبيد الله بن عبد الله بن طاهر فذكر هذه القصة أو قريباً منها لزيادة اللفظ ونُقْصانه ، وذكر أن الصوت الذي غناه إبراهيم : [من الكامل]

طرَقَتْكَ زائرةٌ فحيِّ خيالَها بيضاءُ تَخْلِطُ بالحياءِ دلالَها

هل تَطْمِسونَ من السماءِ نجومَها بأكُفِّكُم أو تَسْتُرونَ هلالَها

[يخاطب أبناءه من عرض دجلة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عُلَيْل العنزي قال : سمعتُ هِبَة الله بن إبراهيم بن المهدي يقول : اتخذ أبي حَراقةً فأمر بشدها في الجانب الغربي بحِذاء داره ، فمضيتُ إليها ليلةً فكان أبي يُخاطبنا من داره بأمره ونَهْيه ، فنسمعه وبَيْننا عَرْض دِجلة وما أجهدَ نفسَه .

[يتنحنح فيطرب]

أخبرني عمي قال سمعت عبد الله بن مُسْلم بن قُتيبة يقول حدثني ابن أبي ظَبْية قال : كنت أسمع إبراهيم بن المهدي يتنحنح فأطْرَبُ .

[بينه وبين مخارق]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القَطِراني المُغَنّي عن محمد بن جبر عن عبد الله بن العباس الربيعي قال : كنا

عند إبراهيم بن المهدي ذاتَ يوم وقد دعا كل مُطرِبٍ مُحْسِنٍ من المغنين يومئذٍ وهو جالس يُلاعب أحدَهم بالشِّطْرَنج . فترنم بصوت فريدة : [من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَدْرِ مـا بي أتُحِـبُّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقّـا

وهو مُتَّكىء . فلما فرَغ منه ترنم به مُخارق فأحسنَ فيه وأطربنا وزاد على إبراهيم ، فأعاده إبراهيم وزاد في صوته فعَفَّى على غناء مُخارق . فلما فرَغ رده مخارق وغنى فيه بصوته كلِّه وتحفَّظ فيه ، فكِدنا نَطير سروراً . واستوى إبراهيم جالساً وكان متكئاً فغناه بصوته كلِّه ووفَّاه نَغَمَه وشُذُورَه ، ونظرتُ إلى كتفيه تهتزان وبدنه أجمع يتحرك حتى فرغ منه ، ومخارقٌ شاخِصٌ نحوه يُرْعَد وقد انتُقِع لونُه وأصابعُه تختلج ؛ فخُيل لي والله أن الإيوان يسير بنا . فلما فرغ منه تقدم إليه مخارق فقبّل يده وقال : جعلني الله فِداك أين أنا منك ! ثم لم ينتفع مخارق بنفسه بقية يومه في غنائه ، والله لكأنما كان يتحدث .

نسبة هذا الصوت

[من الخفيف]

قال لي أحمدٌ ولم يَـدْرِ ما بي أتُحِـبُّ الغـداةَ عُتْبـةَ حقّـا
فتنفستُ ثـم قلتُ نعم حبّـ ـاً جرى في العروقِ عِرْقاً فعِرْقا
مـا لدمعي عَدِمتُـه ليس يَرْقا إنَّما يَسْتَهِـلّ غَسْقاً فغَسْقا[1]
طَرَبـاً نحـوَ ظبيةٍ تركتْ قلـ ـبي من الوجدِ قَرْحةً ما تَفقَّا

الشعر لأبي العتاهية . والغناء لفريدة خفيفُ رمل بالوسطى . وفيه لإبراهيم بن المهدي خفيف رملٍ آخر . ولفريدة أيضاً لحنٌ من الثقيل الثاني في أبيات من هذه القصيدة وهي : [من الخفيف]

قد لَعَمْرِي ملَّ الطبيبُ وملَّ الـ ـأهلُ منـي ممـا أداوى وأرْقى
ليتني مُـتُّ فاسترحتُ فـإني أبداً مـا حَيِـيتُ منها مُلَقّى

[غنى الأمين فأطربه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني هِبَةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني عمي منصور بن المهديّ : أنه كان عند أبي في يوم كانت عليه فيه نَوْبَةٌ لمحمد الأمين ، فتشاغَل أبي بالشُّرْب في بيته ولم يَمْضِ ، وأرسل إليه عِدَّةَ رُسُل فتأخر . قال منصور : فلما كان

1 الغسق : الانصباب . يقال غسقت العين إذا دمعت .

من غَدٍ قال : ينبغي أن تَعْمَل على الرَّواح إلي لِنمضي إلى أمير المؤمنين فنترضاه ؛ فما أشُك في غضبه عليَّ . ففعلتُ ومَضَيْنا . فسألنا عن خبره فأُعْلمنا أنه مشرِف على حَيْر[1] الوحش وهو مخمور ، وكان من عادته ألاّ يشرب إذا لحِقه الخُمار . فدخلنا ؛ وكان طريقُنا على حجرة تُصنع فيها الملاهي . فقال لي أخي : اذهب فاختَرْ منها عوداً تَرْضاه ، وأصْلِحْه غاية الإصلاح حتى لا تحتاج إلى تغييره ألبتةَ عند الضرب ؛ ففعلت وجعلته في كمي . ودخلنا على الأمين وظهرُه إلينا . فلما بَصُرنا به من بعيد قال : أُخْرِجْ عودك فأخرجتُه ، واندفع يغني[2] : [من المتقارب]

وكأسٍ شَرِبتُ على لذةٍ ... وأُخرى تداويتُ منها بِها
لكي يعلمَ الناسُ أني امرؤٌ ... أتيتُ الفُتوةَ من بابِها
وشاهِدُنا الجُلُّ والياسَمِي ... ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها[3]
وبَرْبَطُنا دائمٌ مُعْمَلٌ ... فأيُّ الثلاثةِ أزْرى بها[4]

فاستوى الأمين جالساً وطرِب طرباً شديداً وقال : أحسنتَ والله يا عمّ وأحييتَ لي طرباً ، ودعا برطل فشربه على الرِّيق وامتد في شربه . قال منصور : وغنى إبراهيم يومئذٍ على أشد طبقة يُتناهى إليها في العود ، وما سمِعتُ مثل غِنائه يومئذٍ قط . ولقد رأيتُ منه شيئاً عجيباً لو حُدِّثت به ما صَدَّقت ، كان إذا ابتدأ يغني أصغتِ الوحشُ إليه ومدت أعناقَها ، ولم تزل تدنو منا حتى تكاد أن تضع رؤوسها على الدُّكان الذي كنا عليه ، فإذا سكتَ نَفَرتْ وبعُدت منا حتى تنتهي إلى أبعد غاية يمكنها التباعد فيها عنا ، وجعل الأمين يَعْجَبُ من ذلك ، وانصرفنا من الجوائز بما لم ننصرف بمثله قطُّ .

[يغني صوتاً كتب له به إسحاق]

أخبرني عمي والصُّولي قالا حدثنا الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجُمان أن إسحاق كتب إلى إبراهيم بن المهدي بصوت صنعه في شعر له وهو : [من مجزوء الخفيف]

قلْ لِمَنْ صَدَّ عاتِبا ... ونأى عنكَ جانِبا
قد بلغتَ الذي أَرَدْ ... تَ وإن كنتَ لاعِبا

وبيّن له شعرَه وإيقاعَه وبساطَه ومَجْراه وإصبعَه وتجزئتَه وقسمتَه ومخارجَ نَغَمه

1 ل : حائر .
2 ديوان الأعشى : طبعة دار صادر ، ص 24 .
3 الجل : الورد بمختلف ألوانه .
4 البربط : العود .

ومواضعَ مقاطعه ومقاديرَ أوزانه ، فغناه إبراهيم ، ثم لقيه بعد ذلك فغناه إياه فما خرَم منه شَذْرةً ولا نَغْمةً . قال : وفاقني فيه بحسن صوته .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الخفيف]

قـلْ لمن صَدَّ عاتباً ... ونـأى عنكَ جانِبا
قد بلغتَ الذي أردْ ... تَ وإن كنتَ لاعبا
واعترفنـا بمـا ادّعيـ ... ـتَ وإن كنتَ كاذبا
فافعَلِ الآنَ مـا أرد ... تَ فقد جئتُ تائبا

يقال : إن الشعر لإسحاق ، ولم أَجِدْه في مجموع شعره[1] . ووجدتُ فيه لحناً لحَكَم الوادي في ديوان أغانيه ولحنه من الماخوري ، وهو خفيفٌ من خفيف الثقيل الثاني بالبِنصر . وكذلك ذكرتْ دَنانيرُ أنه لحكم الوادي ؛ ويُشبه أن يكون الشعرُ لغيره . ولحن إسحاق الذي كتب به إلى إبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالبنصر في مجراها . وفيه ثقيلٌ أول مطلق في مجرى البنصر لم يقع إليَّ نسبتُه إلى صانعه ، وأظنّه[2] لحن حَكَمٍ .

[غنى أبا دلف العجلي وأهداه جارية]

أخبرني عمي قال حدثنا أبو عبد الله المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دُلَف العِجْلي قال : كنا مع المعتصم بالقاطُول ، وكان إبراهيم بن المهدي في حَراقته بالجانب الغربي وأبي وإسحاق الموصلي في حَراقتيهما في الجانب الشرقي ، فدعاهما يوم جمعة فعبَرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير وعليَّ أَقْبِيةٌ ومِنْطَقةٌ . فلما دنونا من حَراقة إبراهيم نهض ونهضنا ونهضتْ بنهوضه صَبِية له يقال لها غَضةُ ، وإذا في يديه كأسان وفي يديها كأس . فلما صَعدنا إليه اندفع فغنى : [من السريع]

حيّـاكما اللهُ خَلِيليـا ... إنْ مَيِّتاً كنتُ وإنْ حيًّا
إنْ قلتما خيراً فأهلٌ له ... أو قلتمـا غَيًّا فلا غَيا

ثم ناول كلاًّ منهما[3] كأساً وأخذ هو الكأسَ التي كانت في يد الجارية وقال : اشربا على ريقكما ، ثم دعا بالطعام فأكلوا وشَرِبوا ، ثم أخذوا العيدانَ فغناهما ساعةً وغناياه ؛ وضرب

1 نسبه من قبل إلى إسحاق دون تشكك في النسبة .
2 ل : وأصله .
3 ل : كل واحد .

وضربا معه ، وغنت الجارية بعدهم . فقال لها أبي : أحسنتِ مراراً . فقال له : إن كانت أحسنتْ فخذها إليك ، فما أخرجتُها إلا إليك .

[إطراؤه مخارق]

أخبرني عمي قال حدثنا علي بن محمد بن نصر قال حدثني أبو العَنْبَس بن حمدون قال : لما صنع مخارق لحنه في شعر العَتابي : [من الطويل]

أَخِضْني المُقامَ الغَمْرَ إنْ كان غرّني سَنا خُلَّبٍ أو زَلَّتِ القَدَمانِ

غناه إبراهيمَ بن المهدي ؛ فقال له : أحسنتَ وحياتي ما شئت ! فسجد مُخارق سروراً بقول إبراهيم ذلك له .

[عمرو بن بانة يأخذ لحناً عنه]

أخبرني عمي قال حدثني عبد الله بن أبي سعد قال حدثني القطِراني عن عمرو بن بانة قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً[1] : [من الطويل]

أداراً بحُزْوى هِجْتِ للعينِ عَبْرةً فماءُ الهوى يَرْفَضُّ أو يَتَرَقْرَقُ

فاستحسنتُه وسألتُه إعادتَه عليَّ حتى آخُذَه عنه ففعل . ثم قال لي : إن حديث هذا الصوت أحسن منه . قلت : وما حديثُه أعزَّك الله ؟ قال : غنّانِيه ابنُ جامع والصنعة فيه له ، فلما أخذتُه عنه غنيته إياه ليسمعه مني ، فاستحسنه جداً وقال : كأني والله ما سمعتُه قطُّ إلا منك ثم كان صوتُه بعد ذلك على نسبة هذا الصوت .

[مع ابن بُسْخُنَّر وشارية ومخارق وعلويه]

أخبرني علي بن إبراهيم الكاتب قال حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن خُرْداذْبه قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : وجه إليَّ إبراهيم بن المهدي يوماً يدعوني ، وذلك في أول خلافة المعتصم ، فصرتُ إليه وهو جالس وحدَه وشاريةُ جاريته خلفَ السِّتارة ، فقال : إني قلتُ شعراً وغنيت فيه وطرحتُه على شارية فأخذتْه وزعمت أنها أحذق به مني ، وأنا أقول إني أحذق به منها ، وقد تَراضَيْنا بك حَكَماً بيننا لموضعك من هذه الصناعة ، فاسمعه مني ومنها واحكم ولا تَعْجَل حتى تَسْمَعَه ثلاثَ مرات . فقلت نعم . فاندفع يغني بهذا الصوت : [من الطويل]

أضَنَّ بلَيْلى وهي غيرُ سَخِيةٍ وتَبْخَلُ ليلى بالهوى وأَجودُ

فأحسن وأجاد . ثم قال لها : تَغَنَّيْ ، فغنته فبَرَّزتْ فيه حتى كأنّه كان معها في أَبِيجاد ، ونظر إليَّ فعرف أني قد عرفتُ فضلَها عليه ، فقال : على رِسْلِك ! وتحدثنا ساعةً وشَرِبنا . ثم

1 مطلع قصيدة لذي الرمة ، ص 340 (طبعة دار صادر) .

اندفع فغناه ثانية فأَضْعف في الإحسان ، ثم قال لها : تَغَنَّيْ ، فغنت فبرَعت وزادت أضعافَ زيادته ، وكدْتُ أشُق ثيابي طرباً . فقال لي : تَثَبَّتْ ولا تَعْجَل . ثم غناه ثالثة فلم يُبْق غايةً في الإحكام ، ثم أمرها فغنت ، فكأنّه إنما كان يلعب . ثم قال لي : قل ، فقضيت لها ؛ فقال : أصبتَ ، فكم تُساوي عندك الآن ؟ فحَمَلني الحسدُ له عليها والنَّفاسةُ بمثلها أنْ قلتُ : تُساوي مائةَ ألف درهم . فقال : أَوَ ما تُساوي على هذا الإحسان وهذا التفضيل إلا مائة ألف ! قَبَح اللهُ رأيَك ! والله ما أجِد شيئاً أبلغَ في عقوبتك من أن أُصْرِفك ، قم فانصرِفْ إلى منزلك مذموماً . فقلت له : ما لقولك اخْرُجْ من منزلي جواب ، وقمت وانصرفتُ ، وقد أحْفَظني كلامُه وأَرْمَضَني . فلما خطوت خُطواتٍ التفتُّ إليه فقلت له : يا إبراهيم ! أَتَطْرُدني من منزلك ! فوالله ما تُحسن أنت ولا جاريتُك شيئاً . وضرَب الدَّهرُ ضرَبانه ، ثم دعانا المعتصمُ بعد ذلك وهو بالوزيرية في قصر التل[1] ، فدخلتُ أنا ومخارق وعلويه ، وإذا أميرُ المؤمنين مُصْطَبِحٌ وبين يديه ثلاثُ جاماتٍ : جامُ فضة مملوءةٌ دنانيرَ جُدُداً ، وجامُ ذهب مملوءة دراهم جُدُداً ، وجامُ قواريرَ مملوءةٌ عنبراً ، فظننا أنها لنا بل لم نَشُك في ذلك ، فغنَّيناه وأجهدنا أنفُسنا ، فلم يطرب ولم يتحرك لشيء من غنائنا . ودخل الحاجبُ فقال : إبراهيم بن المهدي . فأَذِن له فدخل ، فغناه أصواتاً أحسنَ فيها ، ثم غناه بصوت من صنعته وهو : [من البسيط]

ما بالُ شَمْسِ أبي الخَطَّابِ قد غَرَبَتْ ... يـا صاحبيَّ أظـنُّ الساعـةَ اقتربتْ

فاستحسنه المعتصمُ وطرِب له ، وقال : أحسنتَ والله ؟ فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين فإن كنتُ أحسنتُ فهَبْ لي إحدى هذه الجامات ؛ فقال : خذ أيتها شئتَ ، فأخذ التي فيها الدنانير ؛ فنظر بعضُنا إلى بعض . ثم غناه إبراهيم بشعر له وهو : [من المتقارب]

فمـا مُـزةٌ قهـوةٌ قَرْقَفٌ ... شَمُولٌ تَـروقُ بِرَاوُوقِها[2]

فقال : أحسنت والله يا عمّ وسَرَرْتَ . فقال : يا أمير المؤمنين إن كنتُ أحسنتُ فهَب لي جاماً أُخْرى ؛ فقال : خذ أيتهما شئتَ ، فأخذ الجامَ التي فيها الدراهم ؛ فعند ذلك انقطع رجاؤنا منها . وغناه بعد ساعة : [من الطويل]

ألا ليتَ ذاتَ الخالِ تَلْقى من الهوى ... عَشِيرَ الذي أَلْقـى فيَلْتئـمَ الحـسبُ[3]

فارتَج بنا المجلسُ الذي كنا فيه ، وطرِب المعتصمُ واستخفه الطربُ فقام على رجليه ، ثم

1 ل : قصر الليل .

2 الراووق : باطية الخمر .

3 ألقى في ل : نلقى . والعشير : جزء من عشرة ، ويعني القدر القليل .

جلس فقال : أحسنتَ والله يا عمّ ما شئتَ ؛ قال : فإن كنتُ قد أحسنتُ يا أمير المؤمنين فهَبْ لي الجام الثالثة ؛ فقال : خُذْها فأخذها . وقام أمير المؤمنين ، ودعا إبراهيمُ بمنديل فثناه طاقَتَيْن ووضع الجامات فيه وشَدَّه ، ودعا بطين فختَمه ودفَعه إلى غلامه ، ونهضنا إلى الانصراف ، وقُدِّمتْ دوابُّنا . فلما ركِب إبراهيم التفتَ إليَّ فقال : يا محمد بن الحارث ، زعمتَ أني لا أُحسن أنا وجاريتي شيئاً ، وقد رأيتَ ثمرة الإحسان . فقلتُ في نفسي : قد رأيتُ ، فخُذْها لا بارك الله لك فيها ؛ ولم أُجِبْه بشيء .

نسبة هذه الأصوات

صوت

[من البسيط]

ما بالُ شمسِ أبي الخطّابِ قد غَرَبَتْ ... يا صاحبي أظـنُّ الساعةَ اقتربَتْ
أم لا فمـا بالُ ريحٍ كنـتُ آمُلُها ... غدتْ عليَّ بِصِرٍّ بعد مـا خُبِئتْ[1]
أشكو إليك أبا الخطاب جاريـةً ... غريـرةً بفؤادي اليـوم قد لَعِبتْ
رأيـتُ قَيِّمَهـا يومـاً يحدِّثهـا ... يا ليتَها قَرُبَتْ منّـي ومـا بَعُدَتْ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي رملٌ بالبنصر . وفيه هَزَج بالبنصر ، ذكر عمرو بن بانة أنّه لإبراهيم الموصلي ، وذكر غيرُه أنه لإبراهيم بن المهدي .

صوت[2]

[من الطويل]

ألا ليتَ ذاتَ الخال تَلْقى من الهوى ... عَشِيرَ الذي أَلْقى فيلتئـمَ الحبُّ
وِصالُكُمُ صَـدٌّ وقربُكُـمُ قِلًـى ... وعطفُكُمُ سُخْطٌ وسِلْمُكُمُ حَرْبُ

الشعر للعباس بن الأحنف . والغناء لإبراهيم .

[شعره في باقة نرجس]

وقال ابن أبي طاهر حدثني المؤمل بن جعفر قال : سمِعتُ أبي يقول : كانت في يد المعتصم باقةُ نرجس فقال لإبراهيم بن المهدي : يا عَمّ قل فيها أبياتاً وغنِّ فيها . فنكَت في الأرض بقضيبٍ في يده هنيهةً ثم قال : [من المتقارب]

1 ريح صر : شديدة الصوت والبرد .
2 ديوان العباس بن الأحنف : 34 .

صوت

ثلاثُ عيونٍ من النَّرْجِسِ ... على قائمٍ أخْضَرٍ أمْلَسِ
يُذَكِّرْنَنِي طِيبَ ريّا الحَبيبِ ... فيَمْنَعْنَنِي لَذّةَ المجلسِ

وصنع فيه لحناً وغناه به ، فأعجبه وأمَر له بجائزة . لحنُ إبراهيم في هذين البيتين خفيفُ رمل بالبنصر ، ذكر لي ذُكاءٌ وغيرُه ذلك .

[استعطافه المأمون]

أخبرني علي بن سليمان الأَخْفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي عن الجاحظ ، وأخبرني به محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا يَمُوتُ بن المُزَرِّع عن الجاحظ قال : أرسل إليَّ ثُمامةُ[1] يوم جلس المأمونُ لإبراهيمَ بن المهدي وأمَر بإحضار الناس على مراتبهم فحضروا فجيء بإبراهيم ، وأخبرني عمي قال حدثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدثني محمد بن عمرو الأنباري من أبناء خُراسان قال : لما ظفِر المأمون بإبراهيم بن المهدي أحبَّ أن يوبِّخه على رؤوس الناس . قال : فجِيءَ بإبراهيم يَحْجِلُ في قيوده ، فوقف على طرَف الإيوان وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاتُه . فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ولا حفَظك ولا رعاك ولا كَلأَك يا إبراهيم . فقال له إبراهيم : على رِسْلك يا أمير المؤمنين ؛ فلقد أصبحتَ وليَّ ثأْري ، والقدرةُ تُذْهِبُ الحَفِيظةَ ، ومن مَدَّ له الاغترارُ في الأمل هَجَمَتْ به الأَناةُ على التَّلَف . وقد أصبح ذنبي فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل عفو ، وقال الحسن بن عُلَيْل في خبره : وقد أصبحت فوق كل ذي ذنب ، كما أصبح كلُّ ذي عفو دونك ، فإن تُعاقبْ فبحقك ، وإن تَعْفُ فبفضلك . قال : فأطرق ملياً ثم رفع رأسَه فقال : إن هذين أشارا عليَّ بقتلك . فالتفتَ فإذا المُعْتصِم والعباس بن المأمون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أما حقيقة الرأي في مُعْظَم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك به وما غَشاك إذ كان ما كان مني ، ولكن الله عودك من العفو عادةً جريتَ عليها دافعاً ما تَخافُ بما ترجو ، فكفاك الله . فتبسم المأمون وأقبل على ثُمامة ثم قال : إنَّ من الكلام ما يفوق الدر ويغلب السِّحْر ، وإن كلام عمي منه ، أَطْلِقوا عن عمي حديدَه[2] ورُدوه إليَّ مُكَرَّماً . فلما رُدَّ إليه قال : يا عَمّ صِرْ إلى المنادمة وارْجعْ إلى الأنس ، فلن ترى مني أبداً إلا ما تحب . فلما كان من الغد بعث إليه بدَرْجٍ[3] فيه : [من الكامل]

1 المقصود هو ثمامة بن أشرس أحد معتزلي البصرة .
2 ل : قيوده .
3 الدرج : ما يكتب فيه .

يـا خيرَ مَـن ذَمَلتْ يمانِيَةٌ بـه ... بعــدَ الرسولِ لآيسٍ أو طـامِعِ
وأبرَّ مَــنْ عبــدَ الإلهَ على الهُدَى ... نفساً وأحكَمَــه بحـقٍّ صادعِ[1]
عَسَلُ الفوارع ما أطِعْتَ فإن تُهَجْ ... فالموتُ في جُـرَعِ السِّمام النَّاقعِ[2]
متيقِّظاً حَذِراً ومــا يَخْشى العدا ... نَبْهانَ مــن وَسَناتِ ليـلِ الهاجعِ
واللهُ يعلــمُ مــا أقــولُ فإنهــا ... جَهْــدُ الأَليـةِ من حَنِيفٍ راكعِ
قَسَماً ومــا أُدلي إليــكَ بحُجةٍ ... إلا التضرُّعَ مــن محــبٍّ خاشِعِ
مــا إن عصيتُك والغُواةُ تَمُدّني ... أسبابُهــا إلا بنيــةِ طــائعِ
حتى إذا عَلِقتْ حبائــلُ شِقْوتي ... بِردىً على حُفَــر المهالكِ هائعِ[3]
لم أَدرِ أنَّ لمثــلِ ذنبــي غافــراً ... فأَقمتُ أَرْقُب أيَّ حَتْفٍ صارعي
رَدَّ الحيــاةَ إليَّ بعــدَ ذَهابها ... وَرَعُ الإمــامِ القاهــرِ المُتــواضِعِ
أحيــاكَ مَــنْ ولاك أطـولَ مدةٍ ... ورمــى عدوَّك في الوَتِـين بقاطِعِ
إن الذي قَسَم الفضائلَ حازهــا ... في صُلْــبِ آدمَ للإمــامِ السابعِ
كم مــن يَـدٍ لكَ لا تحدثني بها ... نفسي إذا آلــتْ إليَّ مطــامعي
أسديتَهــا عفــــواً إليَّ هنيئــةً ... فشكرتُ مُصْطَنَعاً لأكـرم صانعِ
ورَحِمتَ أطفالاً كأفـراخِ القَطا ... وعَويـلَ عانِسةٍ كقـوسِ النَّازعِ
وعفوتَ عمّن لم يكــنْ عن مثلِه ... عفــوٌ ولَــمْ يشفَــعْ إليك بشافعِ
إلا العُلُو عــن العقوبـةِ بعدَ مــا ... ظفِرت يداك بمستكِينٍ خاضِعِ

قال : فبكى المأمون ثم قال : عليَّ به ، فأُتي به فخلَع عليه وحمَله وأمر له بخمسة آلاف دينار ، ودعا بالفراش فقال له : إذا رأيتَ عمي مُقْبِلاً فاطرَحْ له تُكَأَةً ، فكان يُنادمه ولا يُنكر عليه شيئاً . ورُوي بعضُ هذا الخبر عن محمد بن الفضل الهاشمي فقال فيه : لما فرَغ المأمونُ من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأَحْوَل[4] وقال : هو صديقك فخُذْهُ إليك . فقال : وما تُغْني صداقتي عنه وأميرُ المؤمنين ساخطٌ عليه ! أمَا إني وإن كنتُ له صديقاً لا أمتنع من قول الحق فيه . فقال له : قُلْ فإنك غيرُ متَّهم . قال وهو يُريد التسلُّقَ على العفو عنه : إن قتلتَه فقد قتلتِ

1 نفساً في ل : غيباً .
2 الشطر الثاني في رواية الطبري : «فالصاب يمزج بالسمام الناقع» .
3 الهائع : هنا المنتشر .
4 هو أحمد بن أبي خالد الأحول ، كان المأمون يثق به .

الملوكُ قبلَك أقل جُرْماً منه ، وإن عفوتَ عنه عفوتَ عمن لم يُعْفَ قبلَك عن مثله . فسكتَ المأمونُ ساعةً ثم تمثَّل[1] : [من الكامل]

فلئن عفـوتُ لأعْفُوَنْ جَلَلاً ولئن سطوتُ لأُوهِنَنْ عَظْمِي
قَوْمِي هُـمُ قتلوا أُمَيْمَ أخي فإذا رميـتُ أصابَني سَهْمِي

خُذْه يا أحمد إليك مُكَرما ، فانصرفَ به . ثم كتب إلى المأمون قصيدتَه العينية . فلما قرأها رق له وأمر برده إلى منزله ورَدّ ما قُبِض منه من أمواله وأملاكه . وفي خبر عمي عن الحسن بن عُلَيْل قال : حدثني محمد بن إسحاق الأَشْعَري عن أبي داود : أن المأمون تقدم إلى محمد بن يزداد لما أطلقَ إبراهيمَ أن يمنعه دارَي الخاصة والعامة ، ويُوكِّل به رجلاً من قِبَله يَثِق به ليعرِّفه أخبارَه وما يَتكلم به . فكتب إليه الموكَّل به أن إبراهيم لما بلغه منعُه من دارَي الخاصة والعامة تمثل : [من البسيط]

يا سَرْحةَ الماءِ قد سُدت مَوارِدُهُ أمَا إليكِ طريقٌ غيرُ مَسْدُودِ
لِحائمٍ حـامَ حتى لا حِيامَ له مُحلَّأٍ عن طريقِ المـاءِ مَطْرودِ

فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرَّماً وإنزالِه في مرتبته ؛ فصار إليه محمد فبشَّره بذلك وأمره بالركوب فركِب . فلما دخل على المأمون قبَّل البِساطَ ثم قال : [من البسيط]

البِرُّ بي منك وَطَّا العُذْرَ عندكَ لي دونَ اعتذاري فلم تَعْذُلْ ولم تَلُمِ
وقام علمُكَ بي فاحتج عندكَ لي مقـامَ شاهِـدِ عَـدْلٍ غيرِ مُتَّهَمِ
رددتَ مـالي ولم تَمْنُنْ عليَّ بـه وقبلَ رَدِّكَ مالي قـد حقَنتَ دمي
تعفو بعَدْلٍ وتسطو إن سطوتَ به فـلا عَدِمناكَ مـن عافٍ ومُنْتَقِمِ
فبـؤتُ منـكَ وقـد كافأتها بيد هي الحياتانِ من موتٍ ومن عَدَمِ

فقال له : اجلس يا عمّ آمِناً مطمئناً ، فلن ترى أبداً مني ما تكره ، إلا أن تُحْدِثَ حَدَثاً أو تتغير عن طاعة ؛ وأرجو ألاّ يكون ذلك منك إن شاء الله .

[براعته في المحاضرة]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني ابن حمدون عن أبيه قال : كنت أُحِب أن أجمع بين إبراهيم بن المهدي وأحمد بن يوسف الكاتب بما كنت أراه من تقدُّم أحمد وغَلَبَتِه الناسَ جميعاً بحِفْظه وبلاغته وأدبِه في كل مَحْضَر ومجلِس . فدخلتُ يوماً على إبراهيم بن المهدي

1 ل : «فنكت المأمون ساعة بيده» . والبيتان اللذان تمثل بهما للحارث بن وعكة الذهلي (شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : 204) .

وعنده أحمد بن يوسف وأبو العالية الخَزَري ، فجعل إبراهيم يحدثنا فيُضيف شيئاً إلى شيء ، مرةً يُضْحكنا ومرَّة يَعِظُنا ومرَّة يُنْشِدنا ومرة يُذَكِّرنا ، وأحمد بن يوسف ساكت . فلما طال بنا المجلسُ أردتُ أن أُخاطب أحمد ، فسَبَقَني إليه أبو العالية فقال : [من الرجز]

ما لكَ لا تَنْبَحْ يا كلبَ الدَّوْمْ قد كنتَ نَبَّاحاً فما لك اليَوْمْ[1]

فتبسم إبراهيم ثم قال : لو رأيتني في يد جعفر بن يحيى لَرَحِمْتَني كما رَحِمتَ أحمدَ مني .

[ثناء إسحاق عليه]

أخبرني يحيى بن علي قال حدثني أبي قال قال لي إسحاق : ليس فيمن يدَّعي العلمَ بالغناء مثلُ إبراهيم بن المهدي وأبي دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلي . فقيل له : فأين محمد بن الحسن بن مُصْعب منهما ؟ فقال : لو قيل لك إن محمد بن الحسن يُبصر الغناء لكان ينبغي لك أن تقول : وكيف يُبْصر الغناء من نَشَأَ بخُراسان لا يَسمع من الغناء العربي إلا ما لا يفهمه ! .

[إقرار ابن بانة له ولإسحاق]

أخبرني يحيى قال حدثني أبو العَنْبَس بن حَمْدون عن عمرو بن بانة قال : رأيت إسحاق الموصلي يُناظر إبراهيم بن المهدي في الغِناء ، فتكلما فيه بما فَهماه ولم نفهم منه شيئاً . فقلت لهما : لئن كان ما أنتما فيه من الغِناء فما نحن منه في قليل ولا كثير .

[تفضيل المأمون غناءه على غناء إسحاق]

أخبرني عمي عن علي بن محمد بن نصر عن جده حَمْدون : أن المأمون قال لإسحاق : غنِّني لحنَك في شعر الأخطل : [من البسيط]

يا قَلَّ خيرُ الغَوانِي كيفَ رُغْنَ به فشِرْبُـهُ وَشَلٌ منهـنَّ تَصْرِيـدُ[2]

فغناه إياه فاستحسنه ، ثم قال لإبراهيم بن المهدي : هل صنعتَ في هذا الشعر شيئاً ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فهاته ؛ فغناه فاستحسنه المأمون وقدمه على صنعة إسحاق ، ولم يدفع إسحاقُ ذلك .

[علمه إسحاق لحناً طرب له الأمين]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون بن علي بن يحيى قال ذكر أبي عن جدي عن عبد الله بن عيسى الماهاني قال : دخلتُ يوماً على إسحاق بن إبراهيم الموصلي في حاجة ، فرأيتُ عليه مُطْرفَ خَزّ أسود ما رأيت قطُّ أحسن منه ؛ فتحدثنا إلى أن أخذنا في أمر المِطْرف فقال : لقد كانت لكم أيام حسنة ودولةٌ عجيبةٌ ، فكيف ترى هذا ؟ فقلت له : ما رأيتُ مثلَه . فقال : إن قيمته مائة ألف

1 نباحاً في ل : هراراً .

2 الوشل : القليل . والتصريد : السقي دون الري .

درهم ، وله حديث عجيب . فقلت له : ما أُقوِّمه إلا نحواً من مائة دينار . فقال إسحاق : اسمع حديثَه : شربنا يوماً من الأيام ، فبتُّ وأنا مُثْخَن ، فانتبهت لرسول محمد الأمين ، فدخل علي فقال لي : يقول لك أمير المؤمنين عجِّلْ إليَّ ، وكان بخيلاً على الطعام فكنتُ آكُل قبل أن أذهب إليه ، فقمتُ فتسوكتُ وأصلحتُ أمري ، وأعْجَلني الرسول عن الغداء . فدخلت عليه وإبراهيم بن المهدي جالس عن يمينه وعليه هذا المطرف وجُبة خز دَكْناء . فقال لي محمد : يا إسحاق تغدَّيت ؟ فقلت : نعم يا سيِّدي . فقال : إنك لَنَهِمٌ ، أهذا وقت غَداء ؟ فقلت : أصبحتُ يا أمير المؤمنين وبي خُمار ، فكان ذلك مما حَداني على الأكل . فقال لهم : كم شَرِبنا ؟ فقالوا : ثلاثة أرطال . فقال : اسقوه مثلَها . فقلت : إن رأيتَ أن تفرِّقها عليَّ ؛ فقال : تُسْقى رِطلين ورِطلاً . فدُفِع إليَّ رِطلان فجعلتُ أشربهما وأنا أتوهم أن نفسي تَسيل معهما ، ثم دُفع إليَّ رطلٌ آخر فشربته فكأن شيئاً انجلى عني . فقال غنِّني : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصِراً وأيْسَرَ جُرْماً منكَ ضُرِّجَ بالدَّمِ

فغنَّيته ؛ فقال : أحسنتَ وطرِب ، ثم قام فدخل . وكان يفعل ذلك كثيراً ، يدخل إلى النساء ويدَعُنا . فقمتُ في أثر قيامه فدعوتُ غلاماً لي فقلت : اذهب إلى منزلي وجئني بِبِزْماوَرْدَتَيْن[1] ولُفَّهُما في منديل واذهب رَكْضاً وعجِّل . فمضى الغلامُ فجاءني بهما . فلما وافى البابَ ونزل عن الدَّابة انقطع البِرْذَوْنُ فنَفَق من شدة ما رَكَضه ، فأدخلَ إليَّ البِزْماوَرْدَتَيْن فأكلتُهما ورجعَتْ إليَّ نفسي وعُدْتُ إلى مجلسي . فقال لي إبراهيم : إن لي إليك حاجة أُحب أن تقضيها لي . فقلت : إنما أنا عبدُك وابن عبدِك ، قل ما شئتَ . قال : تَرُد عليَّ : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصِراً

وهذا المِطْرفُ لك . فقلت : أنا لا آخُذ منك مِطْرفاً على هذا ، ولكني أصير إليك إلى منزلك فأُلقيه على الجواري وأرده عليك مراراً . فقال : أُحِب أن ترده عليَّ الساعة وأن تأخذَ هذا المطرَف فإنه من لُبْسك ومن حاله كذا وكذا . فرددتُ عليه الصوتَ مراراً حتى أخذه . ثم سمِعنا حركةَ محمد فقمنا حتى جاء فجلس ثم قعدنا ، فشرِب وتحدثنا . فغناه إبراهيم : [من الطويل]

كُلَيْبٌ لَعَمْرِي كان أكثرَ ناصِراً

فكأني والله لم أسمعه قبل ذلك حسناً ، وطرِب محمد طرباً عجيباً وقال : أحسنتَ والله يا عم ؛ أعْطِ يا غلام عَشْرَ بِدَرٍ لعمي الساعةَ ، فجاءوا بها . فقال : يا أمير المؤمنين إن لي فيها شريكاً . قال : ومن هو ؟ قال : إسحاق . قال : وكيف ؟ قال : إنما أخذتُه الساعةَ منه لما

1 البزماورد : طعام يصنع من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

قمتَ . فقلت له : ولم ؟ أضاقت الأموال على أمير المؤمنين حتى يُشرِكك فيما تُعْطاه ؟ قال : أما أنا فأُشْرِكك وأميرُ المؤمنين أعلم . فلما انصرفنا من المجلس أعطاني ثلاثين ألفاً وأعطاني هذا المطرف . فهذا أُخذ به مائة ألف درهم وهي قيمتُه .

[قصته مع جارية في المدينة]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال قال لي إبراهيم بن المهدي : حَجَجْتُ مع الرشيد ؛ فلما صرنا بالمدينة خرجتُ أدور في عَرَصاتها ، فانتهيت إلى بئر وقد عَطِشتُ وجاريةٌ تستقي منها ، فقلت : يا جارية ، امْتَحِي لي دَلْواً . فقالت : أنا والله عنك في شُغْل بضَرِيبة مَوالِيَّ عليَّ . فنقَرتُ بسوطي على سَرْجي وغنيتُ[1] : [من البسيط]

صوت

رامَ قلبـي السُّلُـوَّ عن أسماء وتَعَـزى ومـا بـه من عَزاء
سُخْنَةٌ في الشتاء بـاردةُ الصيـ ـفِ سِراجٌ في الليلةِ الظلماء
كفِّناني إن مُتُّ في دِرْعِ أُرْوَى وامْتَحا لي من بئرِ عُرْوةَ مائي

الشعر للأحوص . والغناء لمعبد رمل مُطلَق في مجرى الوسطى عن إسحاق ، وتمام هذه الأبيات : [من الخفيف]

إنّنـي والـذي تَحُـجُّ قريشٌ بيتَـه سالكينَ نَقْـبَ كَداء[2]
لَمُلِـمٌّ بهـا وإنْ أُبْتُ منها صادراً كالذي وَرَدْتُ بـداء
ولهـا مَرْبَـعٌ ببُرقَـة خـاخٍ ومَصِيفٌ بالقصرِ قصرِ قُبـاء[3]
قلبتْ لي ظهرَ المِجَنِّ فأمستْ قـدْ أطاعتْ مقالـةَ الأعداء

ولمعبد أيضاً في البيت الأخير من هذه الأبيات ثم الأول والثاني خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامي . ولابن سُرَيج في :

ولهـا مَرْبَـعٌ ببُرْقَـة خـاخٍ

و

كفِّناني إن متّ في درعِ أُرْوَى

رمل عن الهشامي أيضاً . ولإبراهيم في : «رام قلبي» وما بعده ثاني ثقيلٍ عن حَبَش ، قال

1 شعر الأحوص : 122 .
2 كداء : موضع بأعلى مكة .
3 برقة خاخ وقباء موضعان قرب المدينة .

إبراهيم بن المهدي في الخبر : فرفعتِ الجاريةُ رأسَها إليَّ فقالت : أتعرفُ بئر عُرْوَةَ ؟ قلت لا . قالت : هذه والله بئر عُرْوة ، ثم سقَتْني حتى رَوِيتُ ، وقالت : إنْ رأيتَ أن تُعيده ففعلتُ ، فطرِبْتْ وقالت : والله لأحْمِلنَّ قِرْبةً إلى رَحْلك ! . فقلت : افعلي ، ففعلَتْ وجاءت معي تحملها . فلما رأتِ الجيش والخدمَ فزِعتْ . فقلت لها : لا بأس عليكِ ! وكسوتُها ووهبتُ لها دنانيرَ وحبستُها عندي ، ثم صِرت إلى الرشيد فحدثتُه حديثَها ؛ فأمر بابتياعها وعِتْقها ؛ فما بَرِحتْ حتى اشتُريتْ وأُعتقت ؛ وأخذتُ لها منه صلةً وافترقنا .

[استعطافه المأمون بكلام سعيد بن العاص لمعاوية]

حدثني علي بن سليمان الأَخفش ومحمد بن خَلَف بن المَرزبان قالا حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال حدثنا الفضل بن مروان قال : لما أُدْخِل إبراهيم بن المهدي على المأمون وقد ظَفِر به ، كلمه إبراهيم بكلام كان سعيد بن العاص كلَّم به معاويةَ بن أبي سفيان في سَخْطةٍ سَخِطها عليه واستعطفه به . وكان المأمون يحفظ الكلام ، فقال له المأمون : هيهاتَ يا إبراهيم ! هذا كلامٌ سَبَقك به فَحْلُ بني العاص بن أُمية وقارِحُهم سعيد بن العاص وخاطَب به معاوية . فقال له إبراهيم : مَهْ يا أمير المؤمنين . وأنت أيضاً إن عفوتَ فقد سبقك فَحْلُ بني حَرْبٍ وقارِحُهم إلى العفو ؛ فلا تكن حالي عندك في ذلك أبعدَ من حال سعيد عند معاوية ، فإنك أشرفُ منه ، وأنا أشرف من سعيد ، وأنا أقرب إليك من سعيد إلى معاوية ، وإن أعظم الهُجْنة أن تسبِق أميةُ هاشماً إلى مَكْرُمة . فقال : صدقتَ يا عمّ ، وقد عفوتُ عنك .

[استعطافه الأمين]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزُبان قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه قال : جرى بين محمد الأمين وبين إبراهيم بن المهدي كلامٌ على النبيذ ، فوجد عليه محمد . فلما كان بعد أيام بعث إليه إبراهيم بألْطافٍ فلم يقبلها ؛ فوجه إليه وصيفةً مليحة مغنِّية معها عود معمول من عود هندي ، وقال هذه الأبيات وغنَّى فيها وألقاها عليها حتى أخذت الصنعةَ وأحكَمَتْها ، ثم وجه بها إليه . فوقفت الجارية بين يديه وقالت له : عمك وعبدُك يا أمير المؤمنين يقول لك ، واندفعتْ تغنِّي بالشعر وهو : [من المتقارب]

هَتَكْتَ الضميرَ بـــردِّ اللُّطَف ... وكشَّفتَ هجركَ لي فانْكَشف

وإنْ كنتَ تُنكرُ شيئاً جـــرى ... فَهَبْ للخلافةِ مـا قد سَلَف

وجُدْ لي بصفحكَ عن زَلتـــي ... فالبفضلِ يأخـذُ أهـلُ الشرفْ

قال : فسُرَّ محمدٌ بها ، وبعث إلى إبراهيم فأحضره ورضي عنه وأمر له بخمسة آلاف دينار وتمَّم يومَه معه .

[صالح جاريته صدوف]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المَرزبان قال أخبرني سعيد بن صالح الأَسَدي قال حدثني جعفر بن محمد الهاشمي قال حدثني بعض خدم إبراهيم بن المهدي قال : كانت لإبراهيم بن المهدي جارية يقال لها صَدُوف ، وكان لها من نفسه موضع . فحسدها جواريه على محلها منه ، فلم يَزَلْنَ يُبلغنه عنها ما يَكْره حتى غضِب عليها وجفاها أياماً ؛ ثم شقَّ ذلك عليه واغتمَّ به ، ولم يطِب نفساً بمراجعتها وصُلْحِها . فدخل عليه الأعرابي أخو مُعَلِّلة صاحبة الفضل بن الربيع ، وكان حسنَ الشِّعْر حُلْوَ اللفظ فصيحاً ، وكان إبراهيم يأنَس به ، فقال له : ما لي أرى الأمير منكسراً منذ أيام ؟ فأمسك . فقال : قد عرفتُ حالَ الأمير وقلتُ في أمره أبياتاً إن أذِن لي أنشدتُه إياها . فتبسم وقال : هاتِ ؛ فأنشده[1] : [من الكامل]

أَعَتَبْتَ أم عتبتْ عليك صَدُوفُ ... وعِتابُ مثلِكَ مثلَها تشريفُ

لا تَقْعُدنَّ تلومُ نفسَكَ دائباً ... فيها وأنتَ بحبِّها مشغوفُ

إنَّ الصَّريمةَ لا يَنُوء بحَمْلِها ... إلا القويُّ بها وأنتَ ضعيفُ

فاستحسن إبراهيم الأبيات وأمر له بمائتي دينار ، وبعث إلى صَدُوف فخرجتْ إليه ورضي عنها ، وبعثتْ إليه صَدُوفُ بمائة دينار .

[ريّق تحفظ كل غنائه]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني أحمد بن علي بن حُمَيْدة قال حدثتني رَيِّقُ قالت : مرِض إبراهيم بن المهدي مَرْضَةً أشرفَ منها على الموت ، فجعل يتذكر شغفه بالغِناء وما سلَف له فيه ويتندَّم عليه . فقال له بعض مَن حضر : فتُبْ وأحرِقْ دفاترَ الغِناء . فحرك رأسه ساعة ثم قال : يا مجانين ! فهَبْني أحرقتُ دفاتر الغِناء كلَّها ، رَيِّقُ أَيْشِ أعمَل بها ؟ أأقتُلها وهي تحفَظ كلَّ شيء في دفاتر الغناء !! .

[رأى علياً في النوم]

أخبرني جعفر بن قُدامة والحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني المُبَرد عن أحمد بن الربيع عن إبراهيم بن المهدي قال : رأيتُ علي بن أبي طالب رضي الله عنه في النوم ، فقلت له : إن الناس قد أكثروا فيك وفي أبي بكر وعمر ، فما عندك في ذلك ؟ فقال لي : إخْسأ ! ولم يَزِدْني على ذلك . وأخبرني الكَوْكَبي بهذا الخبر عن الفضل بن الربيع عن أبيه قال : كان إبراهيم شديدَ الانحراف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ؛ فحَدَّث المأمونَ يوماً أنه رأى علياً في النوم ، فقال له : من

1 مرّت هذه الحكاية والشعر (أربعة أبيات) في أخبار الوليد بن يزيد منسوبة إليه وكان الذي دخل عليه رجلاً قرشياً من المدينة ، 7 : 37 .

أنت ؟ فأخبره أنه علي بن أبي طالب . قال : فمشَيْنا حتى جئنا قنطرةً فذهب يتقدمني لعبورها ؛ فأمسكتُه وقلت له : إنما أنت رجلٌ تَدعي هذا الأمر بامرأة ونحن أحق به منك ؛ فما رأيتُ له في الجواب بلاغةً كما يُوصف عنه . فقال : وأيُّ شيء قال لك ؟ فقال : ما زادني على أن قال سلاماً سلاماً . فقال له المأمون : قد والله أجابك أبلَغ جواب . قال : وكيف ؟ قال : عرَّفك أنك جاهلٌ لا يُجاوَب مثلُك ؛ قال الله عز وجل : ﴿وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً﴾ . فخجِل إبراهيم وقال : ليتني لم أحدثك بهذا الحديث .

[تمنى له الأمين طول العمر]

أخبرني الكَوْكَبي قال حدثني المفضَّل بن سَلَمة عن هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه قال : قلت للأمين يوماً : يا أمير المؤمنين جعلني الله فداءك ! فقال : بل جعلني الله فداءك ؛ فأعظمتُ ذلك . فقال : يا عم لا تُعْظِمْه فإن لي عمراً لا يزيد ولا يَنقص ؛ فحياتي مع الأحبَّة أطيبُ من تجرُّعي فقدَهم ، وليس يضرني عيش من عاش بعدي منهم .

[طرب الأمين لغنائه]

حدثني جَحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني أبي قال : كنت يوماً بين يدَي الأمين أغنِّيه ؛ فغنَّيته : [من مجزوء الكامل]

صوت

أَقْـوَتْ منازلُ بالهِضابِ من آل هنـدٍ والرَّبابِ
خطَّـارةٌ بزِمامِهـا وإذا وَنَتْ ذُلُل الركابِ
تَرْمِـي الحصـا بمَناسِمٍ صُمٍّ صَلادِمَـةٍ صِلابِ

قال : فاستحسن اللَّحنَ وسألني عن صانعه ؛ فعرَّفته أن ابن جامع حدثني عن سِياط أنه لابن عائشة ؛ فلم يزل يشرب عليه لا يتجاوزه ، ثم انصرفنا ليلَتنا تلك . ووافاني رسوله حين انتبهت من النوم وأنا أستاك ، فقال لي : يقول لك : بحياتي يا عم لا تَشْتغِلْ بعد الصلاة بشيء غير الركوب إليَّ . فصلَّيتُ وتناولتُ طعاماً خفيفاً وأنا ألبَس ثيابي خوفاً من رجوع رسوله ، ورَكِبتُ إليه . فلما رآني من بعيد صاح بي : يا عم بحياتي :

خطَّـارةٌ بزِمامِها

فلما دخلت المجلس ابتدأته وغنَّيته ؛ فأمر بإحضار صَبِيَّةٍ كان يتحظاها ، فأخرِجَتْ إليّ صبيةٌ كأنها لؤلؤة في يدها العود . فقال : بحياتي يا عم ألْقِه عليها ! فأعدتُه مراراً وهو يشرب ؛ حتى إذا ظننتُ أنها قد أخذته أمرتُها أن تغنِّيه فغنته ، فإذا هو قد استوى لها إلا في موضع كان فيه وكان

صعباً جداً ، فجَهدتُ جَهدي أن يقع لها طلباً لَمسَرته ، وكان حقيقاً مني بذلك ، فلم يقع لها ألبتة . ورأى جهدي في أمرها وتعذُّره عليها ، فأقبل عليها وقد سَكِر ثم قال : نُفِيتُ من الرشيد وكلُّ أَمَةٍ لي حُرَّة وعليَّ عهدُ الله لئن لم تأخُذِيه في المرة الثالثة لآمُرن بإلقائِك في دِجْلة ! قال : ودِجلةُ تطفَح وبيننا وبينها نحو ذراعين وذلك في الربيع ، فتأملتُ القصة ، فإذا هو قد سَكِر ، وإذا الجارية لا تقوله كما أقوله أبداً . فقلت : هذه والله داهية ، ويتنغص عليه يومُه وأُشْرَكُ في دمها ، فعدَلْتُ عما كنتُ أغنِّيه عليه وتركتُ ما كنت أقوله ، وغنَّيته كما كانتْ هي تقوله ، وجعلتُ أُردده حتى انقضت ثلاثُ مرَّات أُعيده فيها على ما كانت هي تقوله ، وأريته أني أجتهد . فلما انقضت الثلاث المرات قلت لها : هاتيه الآن ، فغنته على ما كان وقع لها . فقلت : أحسَنَتْ يا أمير المؤمنين ، ورددتُه معها ثلاث مرات ، فطابت نفسُه وسكَن ، وأمر لي بثلاثين ألف درهم .

[حدث مماثل لجحظة مع طرخان]

قال جحظة : وقد لَحِقني مثلُ هذا ؛ فإن طَرْخانَ بن محمد بن إسحاق بن كنداجيق استحسن صوتاً غنَّيته وهو : [من مخلع البسيط]

أعيـانيَ الشَّادِنُ الرَّبيبُ أكتبُ أشكو فـلا يُجيبُ
مِن أينَ أبغي شفاءَ دائي وإنمـا دائـــيَ الطَّبيبُ

ولحنه رمل ، فقال : أُحِب أن تطرَحه على زُهرةَ جاريتي ، فمكثتُ أتردَّد إليها شهراً وأكثر وأُرَدِّده عليها وهو يَصِلُني ويخلَع عليَّ ويُعطيني كلَّ شيء حسن يكون في مجلسه ، فلا تأخذه منِّي ولا يقع لها . فلما كان بعد شهر قلت له : أيُّها الأمير قد والله استَحْيَيْتُ من كثرة ما تُعطيني بسبب هذا الصوت ، وقد أعياني أن تأخذه زُهْرةُ ؛ ثم حدثته حديثَ إبراهيم بن المهدي وقلت له : لولا أني آمَنُك عليها لقلتُه أنا كما تقوله هي حتى نتخلّص جميعاً . وليس وحياتك تأخذه أبداً كما أقوله ولا فيه حيلة . فقال لي : فدَعْهُ إذاً .

[يبخل على ابن بُسْخُنَّر بلحن]

حدثني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً بحضرة المأمون[1] : [من الكامل]

صوت

يا صاحِ يا ذا الضَّامرِ العَنْسِ والرَّحْل ذي الأَنْساع والحِلْسِ

1 مرَّ مثل هذا الخبر منسوباً إلى مخارق .

أمّـا النَّهـارُ فأنـتَ تقطعُه رَتْكاً وتُصبحُ مثلَ مـا تُمسي

في هذين البيتين لحن لمالكٍ خفيفُ ثقيلٍ عن يونس والهشامي . قال : ولمعبد فيه ثقيل أول ، وقد نسب قومٌ لحنَ كلٍّ واحد منهما إلى الآخر . قال محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر في الخبر : واللحن لمالك بن أبي السَّمْح وهو من قِصاره . هكذا في الخبر ، قال : فاستحسنه المأمون ، وذهبتُ آخذه ، ففطِنَ لي إبراهيم فجعل يزيد فيه مرَّةً وينقُص منه أُخرى بزوائده التي كان يعمَلها في الغناء ، وعلِمتُ ما هو يصنع فتركتُه . فلما قام قلت للمأمون : يا سيدي إن رأيتَ أن تأمر إبراهيم أن يُلْقي عليَّ : [من الكامل]

يا صاح يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ

قال : أفْعَلُ . فلما عاد قال له : يا إبراهيم أَلْقِ على محمد : [من الكامل]

يا صاحِ يا ذا الضَّامِرِ العَنْسِ

فألقاه عليَّ كما كان يغنّيه مُغَيَّراً ، ثم انقضى المجلس وسكِر المأمون . فقال لي إبراهيم : قم الآن فأنت أحذقُ الناس به ، فخرجتُ وخرج . ثم جئتُه إلى منزله فقلت له : ما في الأرض أعجبُ منك ؛ أنت ابن الخليفة وأخو الخليفة وعمُّ الخليفة تبخل على وليٍّ لك مثلي لا يُفاخرك بالغِناء ولا يكاثرك بصوت ؛ فقال لي : يا محمد ما في الدنيا أضعف عقلاً منك ! والله ما استبقاني المأمون محبَّةً لي ولا صِلَةً لرَحمي ، ولكنه سمع من هذا الجرم شيئاً فقَده مِنْ سواه فاستبقاني لذلك . فغاظني فعلُه . فلما دخلت على المأمون حدثته بما قال لي . فقال المأمون : يا محمد هذا أكفر الناس لنعمةٍ ! وأطرق ملياً ثم قال لي : لا نكدرُ على أبي إسحاق عَفْوَنا عنه ولا نقطع رَحِمَه ، فدعْ هذا الصوتَ الذي ضَنَّ به عليك إلى لعنة الله .

[يكيد لدعبل]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدثني محمد بن يزيد قال : قلت لدعبل : بالله أسألك أنت القائل : [من الطويل]

كذلك أهلُ الكهفِ في الكهفِ سبعةٌ إذا حُسِبوا يومـاً وثامنُهـم كلـبُ

فقال : لا والله ! فقلت : مَنْ قاله ؟ قال : مَنْ حشا اللهُ قبره ناراً إبراهيمُ بن المهدي ، كافأني بذلك عن هجائي إياه ليُشيط بدمي .

[خطأ مخارقاً في لحن]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدثنا حَمَّاد بن إسحاق قال حدثني محمد بن الحارث بن بُسْخَنَّر قال : لما رَضِي المأمون عن إبراهيم بن المهدي ونادمه ، دخل عليه متبذِّلاً في ثياب المغنِّين وزيِّهم . فلما رآه ضحك وقال : نزع عمي ثيابَ الكِبْر عن مَنْكِبيه . فدخل وجلس ، وأمر المأمونُ بأن

يُخْلَع عليه فأُلْبِس الخِلَعَ . ثم ابتدأ مُخارق فغنَّى : [من الطويل]

صوت

خليلـيّ مـن كَعْـبٍ أَلِمَّا هُدِيتُما بزينبَ لا يَفْقِدْكُما أبـداً كعـبُ
مِـنَ اليـومِ زُوراهـا فإنَّ مَطِيَّنـا غداةَ غدٍ عنها وعن أهلِها نُكْبُ[1]

فقال له إبراهيم : أسأتَ وأخطأتَ . فقال له المأمون : يا عم إن كان أساء وأخطأ فأحْسِنْ أنتَ . فغنَّى إبراهيم الصوت . فلما فرغ منه قال لمخارق : أَعِدْه الآن ، فأعاده فأحْسَنَ . فقال إبراهيم : يا أمير المؤمنين كم بين الصوت الآن وبينه في أول الأمر ؟ قال : ما أبْعَدَ ما بينهما ! فالتفت إلى مخارقٍ ثم قال : إنما مَثَلُك يا مخارق مَثَل الثوب الوَشْي الفاخر ، إذا تغافل عنه أهلُه سقط عليه الغبار فحال لونُه ، فإذا نُفِضَ عاد إلى جوهره .

[أحسن الأسماء وأسمجها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثتني شاريةُ الكبرى مولاة إبراهيم بن المهدي قالت : سمعت مولاي إبراهيم بن المهدي يحدث قال : كنتُ بين يَدَي الرشيد جالساً على طَرَف حَرَّاقةٍ من حَرَّاقاتـه وهو يريد المَوْصِلَ وقد بلغنا إلى السودقانية ، والمَدَّادون يَمُدُّون السفن ، والشَّطْرَنْجُ بيني وبينه ، والدَّسْتُ متوجِّهٌ له ، إذ أطرق هُنَيْهةً ثم قال لي : يا ابنَ أُم ، ما أحسنُ الأسماء عندك ؟ قلت : محمدٌ اسم رسول الله ﷺ . قال : ثم أي شيء بعده ؟ قلت : هارون اسم أمير المؤمنين . قال : فما أسْمَجُ الأسماء ؟ قلت : إبراهيم . فزَجَرني ثم قال : ويحك ! أتقول هذا ! أليس هو اسم إبراهيم خليل الرحمن ؟ فقلتُ له : بشُؤم هذا الاسم لَقِيَ من نَمْرُودَ ما لَقِيَ وطُرِح في النار . قال : فإبراهيم ابن النبي ﷺ ؟ قلت : لا جَرَم أنه لم يُعَمَّرْ من أجله . قال : فإبراهيمُ الإمام ؟ قلتُ بحرفة اسمه قتله مروان في حَرّان[2] . وأزيدك يا أمير المؤمنين : إبراهيمُ بن الوليد خُلِع ، وإبراهيمُ بن عبد الله بن حسن قُتِل ، وعمُّه إبراهيم بن حسن سقط عليه السجن فمات ، وما رأيتُ والله أحداً يُسمَّى بهذا الاسم إلا قُتِل أو نُكِب أو رأيته مضروباً أو مقذوفاً أو مظلوماً . ثم ما انقضى الكلام حتى سمعت ملاَّحاً يصيح بآخر : مُدَّ يا إبراهيم مُدَّ ويلك ، ثم أعاد ويلك يا إبراهيم مُدَّ ، ثم أعاد يا إبراهيم يا عاضَّ بَظر أُمِّه مُدَّ . فقلت له : أَبَقِيَ لك شيءٌ بعد هذا ! ليس والله في الدنيا اسم أشأم من إبراهيم والسلام . فضحِك والله حتى أشفقتُ عليه .

---

1 نُكب : مائلات .

2 ل : جراب النورة .

[عرض في غنائه بالحسن بن سهل]

حدثني جحظة قال حدثني أبو عبد الله الهشامي عن أبيه قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون وهو يشرَب ؛ فقال له : بحياتي وبحقّي عليك يا أبا محمد إلا شرِبتَ معي قَدَحاً ، وصبَّ له من نبيذه قَدَحاً . فأخذه بيده وقال له : مَنْ تُحِب أن يغنّيك ؟ فأوْمأ إلى إبراهيم بن المهدي فقال له المأمون : غنِّه يا عم ؛ فغناه :

تَسْمَعُ للحَلْي وَسْواساً إذا انصرفتْ

يعرِّض به لِما كان لَحِقه من السوداء والاختلاط . فغضِب المأمون حتى ظنَّ إبراهيم أنه سيُوقِع به ، ثم قال له : أبَيْتَ إلاَّ كفراً يا أكفرَ خلقِ الله لِنِعَمِه ! والله ما حَقَن دمَك غيرُه ؛ ولقد أردتُ قَتْلَكَ فقال لي : إن عفوتَ عنه فعلتَ فعلاً لم يَسْبِقك إليه أحد ، فعفوتُ والله عنك لقوله . أفحقُّه أن تعرِّض به ولا تَدَع كيدَك ولا دَغَلك ! أَوَ أَنِفْتَ من إيمائه إليك بالغِناء ؟ . فوثب إبراهيم قائماً وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أَذْهَبْ حيث ظننتَ ، ولستُ بعائد ؛ فأعرض عنه .

[جعل أحمد بن أبي دواد لا يلوم على الغناء]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبي قال حدثني جرير بن أحمد بن أبي دُواد قال حدثني أخي عن أبي قال[1] : كنت أتجنَّب الغِناء وأطعُن على أهله وأذمُّ لَهَجهم به ؛ فوجَّه المعتصم إليَّ عند خروجه من مدينة السلام : الْحَقْ بي ؛ فلحِقتُ به بباب الشماسيّة ومعي غلامي زنقطة ، فوجدته قد ركِب الزورق ، وسمعت عنده صوتاً أذهلني حتى سقط سوطي من يدي ولم أشعر به ، ثم احتجتُ وقد أعْنَق بي بِرْذَوْني أن أكُفَّه بسوطي . فقلت لغلامي : هاتِ سوطَك ؛ فقال : سقَط والله من يدي لما سمِعتُ هذا الغِناء . فغلَبني الضَّحِكُ حتى بان في وجهي . ودخلتُ إلى المعتصم بتلك الحال . فلما رآني قال لي : ما يُضحكك يا أبا عبد الله ؟ فحدثته ، فقال : أتتوب الآن من الطعن علينا في السماع ؟ فقلت له : قَبْلَ ذلك مَنْ كان يُغَنِّيك ؟ قال : عمي إبراهيم ، كان يُغَنِّيني : [من الخفيف]

إنَّ هذا الطويلَ مـن آل حَفْصٍ أَنْشَرَ المجدَ بعـدَ مـا كان ماتا

ثم قال : أعِدْه يا عم ليسمعه أبو عبد الله فإني أعلم أنه لا يَدَعُ مَذهبَه . فقلت : بلى والله لأَدَعَنَّه في هذا ولا لُمتك عليه . فقال : أما إذ كانت توبتُه على يديك يا عم فلقد فزتَ بفخرها وعَدَلْتَ برجل ضخم عن رأيه إلى شأننا .

1 تقدم هذا الخبر برواية مقاربة .

[رأي مخارق في غنائه]

حدثني أحمد بن عُبيد الله بن عمار قال حدثني طَلحة بن عبد الله الطَّلْحي قال حدثني الحسين بن إبراهيم قال : كنت أسأل مخارقاً : أيُّ الناس أحسنُ غِناء ؟ فيُجيبني جواباً مجملاً حتى حفَفْتُ عليه يوماً قال : كان إبراهيم الموصلي أحسنَ غِناء من ابن جامع بعَشْر طبقات ، وأنا أحسن غناء من إبراهيم الموصلي بعشر طبقات ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ غناء مني بعشر طبقات . قال ثم قال لي : أحسنُ الناس غناء أحسنُهم صوتاً ، وإبراهيم بن المهدي أحسنُ الجن والإنس والوحش والطير صوتاً ، وحسبُك هذا .

[إسحاق الموصلي يطرب لصوت من لحنه وشعره]

حدثني علي بن هارون المنجِّم قال حدثني محمد بن أحمد بن علي بن يحيى قال سمعت جدي علي بن يحيى يقول حدثني محمد بن الفضل الجَرجرائي قال : انتبهت يوماً مُغَلِّساً ، فدخل إلي الغلامُ فقال لي : إسحاق الموصلي بالباب قبل أن أُصلِّي الغداةَ . فقلت : يدخل ، في الدنيا إنسان يستأذَن لإسحاق ! فدخل فقال : حملني الشوقُ إليك على أن بَكَرتُ هذا البُكور ، وقد حملتُ معي نبيذي وعمِلتُ على المُقام عندك . فقلت : مرحباً بك وأهلاً . ودعوت طباخي فسألته عما في المطبخ ، فذكر أشياءَ يَسيرةً ، منها قطعةُ جَدْي وطَباهِجُ ودُرَّاجٌ معلَّق . فقال : ما أُريد غيرَ ذلك ، هاتِه الساعةَ . فقلت للطباخ : عَجِّل بإحضاره ، وعمِلتُ على الأكل معه وعلى أن نأخذ في شأننا . فدخل حاجبي فقال : رسول الأمير إسحاق بن إبراهيم بالباب ، وإذا فُرانِقٌ يذكر أنه وجَّه به إلى محمد بن الفضل ليُحْضِرَه . قال فقال لي إسحاق : قم في حفظ الله واجتهد في أن تتعجَّل . قال : فتقدمت إلى الخادم بإخراج الجواري إليه ووضْعِ النَّبيذ بين يديه ، ولبستُ ثيابي وخرجت وركِبت . فلما سِرتُ قليلاً قلت في نفسي : أنا أخسَرُ الناسِ صفقةً إن تركتُ إسحاقَ بن إبراهيم الموصلي في منزلي ومضَيْتُ إلى إسحاق بن إبراهيم المُصْعَبي ، ولا أدري ما يريد مني . فقلت للفُرانِق : هل لك في خير ؟ قال : وما هو ؟ قلت : تأخذ ثلاثين درهماً وتمضي فتقول : إنك وجدتني شاربَ دواءٍ . قال نعم . فدفعتُ إليه ثلاثين درهماً ، وختمتُ له خَتْماً ورجعت . فقال لي إسحاق : أسرعتَ الكرَّةَ ، فأخبرته بما صنعتُ ؛ فقال وُفِّقتَ . فجلست وكان يأكل فأكلت معه ، فأخذنا في شأننا . وخرج الجواري إليه يغنين حتى مرَّ صوت إبراهيم بن المهدي في شعره وهو : [من مجزوء الرمل]

جَدَّدَ الحبُّ بَلايا أمرُها ليس يسيرا

ولحنه من الثقيل الثاني ، قال : فطِرب إسحاق طرباً ما رأيتُه طَرِب مِثْلَه قط ، وعجب من إحسانه في صنعته وجودة قسمته ، ولم يزل صوتَنا يومَنا أجمع لا نغني غيره حتى شرِب

إسحاق قَطْرَميزَه[1] ، وفيه من المشمس الذي كان يشربه ثلاثة عشر رطلاً ، وكلَّما حضرتْ صلاةٌ قام إسحاق يصلي بنا ، فصلَّى بنا العَتَمة وقد فني قَطْرَميزُه فشرِب من نبيذي رِطْلين على الصوت . قال : وكان محمد بن الفضل ينزل بسُوقِ الثلاثاء وإسحاق ينزل على نهر المهدي . وقد وُزِّرَ محمد بن الفضل للمتوكل قبل عبيد الله بن يحيى .

نسبة هذا الصوت

[من مجزوء الرمل]

جَـدَّدَ الحـبُّ بلايا أمرُهـا ليس يسيرا
كَبِـرَ الحـبُّ وقِدْماً كان إذ حـلَّ صغيرا
ذلَّـلَ الحـبُّ رِقاباً كان أدناهـا عسيرا
ليس لي من حبِّ إلْفِي غيرُ حرماني السرورا

الشعرُ والغناءُ لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل .

[أحب جارية عند بعض أهله]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثني محمد بن موسى بن حماد قال حدثني عبد الوهاب بن محمد بن عيسى قال : استَتر إبراهيم بن المهدي عند بعض أهله من النساء ، فوكَّلتْ بخدمته جاريةً جميلةً وقالت لها : إن أرادكِ لشيءٍ فطاوِعيه وأعلميه ذلك حتى يتسع له ، فكانت تُوفيه حقَّه في الخدمة والإعظام ولا تُعْلمه بما قالت لها ؛ فجلَّ مقدارُها في نفسه إلى أن قبَّل يوماً يدَها ، فقبَّلتِ الأرضَ بين يديه . فقال : [من مجزوء الرمل]

يـــا غـــزالاً لي إليـهِ شافـــعٌ مـــن مُقْلَتَيْهِ
والذي أجللتُ خَـدَّ يْـــه فقبَّلـــتُ يَدَيْـهِ
بأبـــي وجهُك مـا أكـ ـــثرَ حُسادي عليـــــهِ
أنا ضيفٌ وجزاءُ الضَّيـ ـــفِ إحسانٌ إليـــــهِ

قال : وعمل فيه بعد ذلك لحناً في طريقة الهَزَج .

[غنى المأمون فرق له وأمنه]

وقال أحمد بن أبي طاهر : غَنَّى إبراهيم بن المهدي يوماً والمأمون مُصْطَبِحٌ ، وقد كان خافه وبلغه عنه تنكُّره : [من الطويل]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ منِّي هَوى الدهرُ بي عنها وولّى بها عني

---

1 قطرميز : قلة كبيرة من الزجاج .

فرقَّ له المأمون لما سمِعه ، وقال له : والله لا تذهب نفسُك يا إبراهيم على يد أمير المؤمنين ، فَطِبْ نفساً ، فإن الله قد أمَّنك إلا أن تُحْدِث حَدَثاً يشهد عليك فيه عَدْلٌ ، وأرجو ألا يكونَ منك حَدَثٌ إن شاء الله .

نسبة هذا الصوت

صوت

[من الطويل]

ذهبتُ من الدنيا وقد ذهبتْ مني هوى الدهرُ بي عنها وولَّى بها عَنّي
فإن أَبْكِ نفسي أَبْكِ نفساً نفيسةً وإن أَحْتَسِبْها أَحْتَسِبْها على ضَنٍّ

الشعر والغناء لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل بالوسطى . وهذا الشعر قاله إبراهيم بن المهدي لما أخرج الجُنْدُ عيسى بن محمد ابن أخي خالد من الحبس ، وله في ذلك خبر طويل ، وقد شَرَطْنا ألاّ نذكر من أخباره إلا ما كان من جنس الغناء . وفي هذه القصيدة يقول : [من الطويل]

وأَفْلَتَنـي عيسى وكانت خديعـةً حَلَلْت بها مُلْكي وفُلّتْ بها سِنّي

قال ابن أبي طاهر وحدثني أبو بكر بن الخصيب قال حدثني محمد بن إبراهيم قال : غنى إبراهيم بن المهدي يوماً عند المأمون فأحسن ، وبحضرة المأمون كاتبٌ لطاهر يُكنى أبا زيد ، فطرِب حتى وثب فأخذ طرَف ثوب إبراهيم فقبَّله . فنظر إليه المأمون مُنْكِراً لفعله . فقال ما تنظر ؟ أُقَبِّلُه والله ولو قُتِلتُ عليه ! فتبسم المأمون وقال : أَبَيْتَ إلا ظَرْفاً .

[يعرض لحسن بن سهل]

قال ابن أبي طاهر وحدثني علي بن محمد قال سمعتُ بعض أصحابنا يقول : اجتمع إبراهيم بن المهدي والحسن بن سهل عند المأمون ؛ فأراد الحسنُ أن يَضَع من إبراهيم فقال له : يا أبا إسحاق أيّ صوت تغنّيه العرب أحسنُ ؟ يريد بذلك أن يُشَهِّر إبراهيم بالغناء والعِلم به . فقال إبراهيم : بيت الأعشى :

تَسْمَع للحَلْيِ وَسْواساً إذا انصرفتْ

أي إنك مُوَسْوِس ، وكان بالحَسَنِ شيءٌ من هذا .

[غنت مغنية بحضرته فداعبها]

أخبرني عمي عن جدي عن علي بن يحيى المنجِّم قال : غنت مغنية وإبراهيم بن المهدي حاضر : [من الخفيف]

مَنْ رأى نُوقـاً غدَتْ سَحَرا

فقال إبراهيم : أنا رأيتُ هذا . قيل له : وأين رأيتَه أيها الأمير ؟ قال : رأيتُ ولد علي بن رَيْطة يَمْضون في السَّحَر إلى الصيد .

[بكاء رومية أعجمية تأثراً من صوته]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني الحسن بن عُلَيْل العَنزِي قال حدثني بعض الكتاب عن رَيِّق قالت : خرجتُ يوماً إلى سيدي (تعني إبراهيم بن المهدي) وقد صنع لحنه في : [من الكامل]

وإذا تُباع كريمـةٌ أو تُشْتَرى فسواك بائعُهـا وأنت المُشْتَرِي
وإذا صنعتَ صنيعـةً أتممتَها بيديـن ليس نَداهمـا بمُكَدَّرِ

وجاريةٌ لنا رومية أعجمية لا تُفْصِح في أقصى الدار تكنُس ، وهو يطرح الصوت على شارية ، والأعجمية تبكي أحرَّ بكاء سمعتُه قط ، فجعلتُ أعجَبُ من بكائها وأنظر إليها حتى سكَتَ ، فلما سكت قَطَعَتِ البكاء ، فعلِمتُ أن هذا من غَلَبته بحسن صوته لكل طبعٍ فصيحٍ وأعْجميٍّ .

[إجازة الأمين له على غنائه]

أخبرني الحسين بن يحيى وابن المكي وابن أبي الأزهر عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال : غنى إبراهيم بن المهدي ليلةً محمداً الأمين صوتاً لم أَرْضَه في شعر لأبي نُواس وهو : [من الرمل]

يـا كثيرَ النَّوْحِ في الدِّمَنِ لا عليهـا بـل على السَّكَنِ
سُنّـةُ العُشاقِ واحـدةٌ فـإذا أحببتَ فـاستَكِنِ
ظَنَّ بي من قـد كَلِفتُ به فهـو يجفوني على الظِّنَنِ
رَشَأ لـولا ملاحتُـه خَلَـتِ الدُّنيا مـن الفِتَنِ

فأمر له بثلثمائة ألف درهم . قال إسحاق فقال إبراهيم له : يا أمير المؤمنين قد أَجزْتَني إلى هذه الغاية بعشرين ألف درهم ، فقال : هل هي إلا خراج بعض الكُوَر ؟ هكذا ذكر إسحاق . وقد رَوى محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر هذه الحكاية عن إبراهيم فقال : لما أردتُ الانصراف قال : أَوْقِروا زورق عمي دنانير ، فانصرفتُ بمال جليل .

[يحسن الإيقاع على الطبل والناي]

أخبرني أبو الحسن علي بن هارون قال ذكر لي أبو عبد الله الهِشامي عن أهله قال قال إبراهيم بن المهدي ، وقد خرج إلى ذكر الطَّبْل والإيقاع به ، فقال إبراهيم : هو من

الآلات التي لا يجوز أن تُبلَغ نهايتها . فقيل له : وكيف خُصَّ الطَّبل بذلك ؟ فقال : لأن عمل اليدين فيه عملٌ واحد ، ولا بُد من أن يلحق اليسارَ فيه نَقصٌ عن اليمين ، ودعا بالطبل ليُرِيَنا كيف ذلك فأوقَع إيقاعاً لم نكن نظن أن مثله يكون ، وهو مع ذلك يرينا موضع زيادة اليمين على اليسار . قال وقال له الأمين في بعض خَلَواته : يا عم أشتهي أن أسمعك تَزْمُر . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما وضعتُ على فمي ناياً قط ولا أضعه ، ولكن يدعو أمير المؤمنين بفلانة ، من موالي المهدي ، حتى تَنْفُخ في النَّاي وأُمِرّ يدي عليه . فأُحْضِرتْ ووضَعَت الناي على فيها وأمسكه إبراهيم ، فكلما مَرَّ الهواء أُمَرَّ أصابعَه ، فسمع زمراً أجمع سائر مَن حضر على أنه لم يَسمع مثلَه قط .

[حسن ترجيعه]

وأخبرني أبو الحسن علي بن هارون أيضاً قال حدثني أبي قال حدثني عبيد الله بن عبد الله وأبو عبد الله الهشامي قالا : كان إبراهيم بن المهدي إذا غنى لحنه : [من الكامل]

هل تَطْمِسُون مِن السماء نُجومَها بأكفِّكم أو تَسْتُرونَ هلالَها

فبلغ إلى قوله : [من الكامل]

جبريلُ بلَّغها النبيَّ فقالَها

هَز حلْقه فيه ورجَّعه ترجيعاً تَتزلزل منه الأرض .

[اختلس لحناً من متيم الهشامية]

أخبرني محمد بن إبراهيم قُرَيض قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني الهشامي قال : كانت متيم الهشامية ذات يوم جالسةً بين يدي المعتصم ببغداد وإبراهيم بن المهدي حاضرٌ ، فتغنت متيم في الثقيل الأول : [من الطويل]

لزينبَ طيفٌ تَعْتريني طوارقُهْ

فأشار إليها إبراهيم أن تُعيده . فقالت متيم للمعتصم : يا سيدي إن إبراهيم يستعيدني الصوت وأظنه يريد أن يأخذه . فقال لها : لا تُعيديه . فلما كان بعد أيام كان إبراهيم حاضراً بمجلس المعتصم وكانت متيمُ غائبةً عنه ، فانصرف إبراهيم بالليل إلى منزله ومتيم في منزلها بالميدان وطريقُه عليها وهي في مَنْظَرةٍ لها مُشْرِفةٍ على الطريق وهي تَطْرَح هذا الصوتَ على بعض جَواري بني هاشم ، فتقدم إلى المَنْظرة على دابته وتَطاوَل حتى أخذ الصوتَ ، ثم ضرب بابَ المنظرة بمِقْرعته وقال : قد أخذناه بلا حَمْدك .

نسبة هذا الصوت

[من الطويل]

لزينـــبَ طيفٌ تَعْتَرِيني طوارِقُـــهُ هُدُوءاً إذا النَّجْمُ ارْجَحَنَّتْ لواحِقُهْ[1]
سَيُبْكيك مِرْنـــانُ العَشيِّ يُجِيبُه لطيفُ بَنانِ الكفِّ دُرْمٌ مَرافِقُهْ[2]
إذا مـــا بِساطُ اللَّهْوِ مُـدَّ وقُرِّبتْ للذّاتِـــــــه أنْماطُـــه ونَمـــارِقُهْ

الشعر للنُّمَيْري . والغناء لمعبد ، ولحنُه من القَدْر الأوسط من الثقيل الأول بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وفيه لمالك خفيفُ ثقيل أول بالبنصر عن يونس والهشامي .

[حكم محمد بن موسى المنجم على غنائه]

أخبرني علي بن هارون قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : كان محمد بن موسى المُنجِّم يقول : حكَمتُ أن إبراهيم بن المهدي أحسنُ الناس كلهم غناء ببرهان ، وذلك أني كنتُ أُراه بمجالس الخلفاء مِثل المأمون والمعتصم يغني المغنون ويغني ، فإذا ابتدأ الصوت لم يَبْقَ من الغِلمان والمُتَصرِّفين في الخِدمة وأصحاب الصناعات والمِهَن الصِّغار والكِبار أحدٌ إلا تَرَك ما في يده وقَرُب من أقرب موضعٍ يمكنه أن يسمعه ، فلا يزال مُصغياً إليه لاهياً عما كان فيه ما دام يُغني ، حتى إذا أمسك وتَغَنَّى غيرُه رجَعوا إلى التشاغُل بما كانوا فيه ولم يلتفتوا إلى ما يسمعون . ولا برهان أقوى من هذا في مثل هذا من شهادة الفِطَن له واتِّفاق الطبائع ، مع اختلافها وتَشَعُّب طُرُقِها ، على الميل إليه والانقياد له .

[كانت له أشياء لم يكن لأحد مثلها]

حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني هِبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال : قلتُ للمعتصم : كانت لأبي أشياء لم يكن لأحدٍ مثلها . فقال : وما هي ؟ قلت : شارية وزامِرَتُها مَعْمَعَة . فقال : أما شارية فعندنا ، فما فعلت الزَّامرة ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : وساقِيَتُه مَكْنونة ، ولم يُرَ أحسنُ وجهاً ولا ألينُ ولا أظرفُ منها . قال : فما فعلتْ ؟ قلت : ماتت . قال : وماذا ؟ قلت : نخلةٌ كانت تحمِل رُطَباً طولُ الرُّطبةِ منها شبر . قال : فما فعلت ؟ قلت : جَمَّرتُها[3] بعد وفاته . قال : وماذا ؟ قلت : قَدَحُه الضَّحْضاح . قال : وما فعل ؟ قلت : الساعةَ والله حَجَمني فيه أبو حَرْمَلة فسألته أن يَهَبه

1 ارجحنت : مالت نحو الغروب .
2 مرنان : كثير الرنين . درم : ضئيل العظام .
3 جمّر النخلة : قطع جمارها .

لي ففعل ، ووجَّهتُ به إلى منزلي فغُسِلَ ونُظِّفَ وأُعِيد إلى خِزانتي ، فرأيتُ أبي فيما يَرى النائمُ في ليلتي تلك وهو يقول لي : [من الطويل]

أيُتْرَعُ ضَحْضاحي دماً بعدَ ما غَدَتْ عليَّ بـــه مكنونـةٌ مُتْرَعاً خمرا
فإنْ كنتَ منـي أو تحبَّ مَسَرَّتي فـلا تُغْفِلَنْ قبلَ الصباحِ لـه كَسْرا

فانتبَهْتُ فَزِعاً وما فَرَق الصبحُ حتى كسرتُه .

[بينه وبين إسحاق الموصلي]

فأما المُماظَّة[1] التي كانت بينه وبين إسحاق فقد مضى في خبر إسحاق منها طَرَفٌ . ونذكر هاهنا منها ما جرى مجرى محاسِن إبراهيم والقيامِ بحجته إن كانت له ، وعذره فيما عيب عليه لأنه بذلك حقيق . فمن ذلك نسختُ من كتاب أعطانيه أبو الفضل العباس بن أحمد بن ثَوابة رحمه الله بخط إسحاق في قِرْطاس ، وأنا أعرف خطَّه ، وجوابٍ لإبراهيم بن المهدي في ظهره بخطٍّ ضعيف وأظنُّه خطَّه ؛ لأنه لو كان خط كاتبٍ لكان أجود من ذلك الخط ، وقد ذهب أولُ الكتاب فذهب منه أولُ الابتداء والجواب ، ونسختُ بقيَّتَه ؛ فكان ما وجدتُه من ابتداء إسحاق : وكنتَ ، جُعِلتُ فِداءك ، كتبتَ في كتابك إلى محمد بن واضح تذكر أنك مولاي وسيدي . فمتى دفعتُ ذلك ؟ وهل لي فخرٌ غيره ! أو لأحدٍ عليَّ وعلى أبي رحمه الله من قبلي نعمةٌ سواكم ؟ . وأُحِبُّ ذلك أن يكون ، وأرجو أن أموت قبل أن يَبْتَلِيَني الله بذلك إن شاء الله . فأما ذِكْرُك ، جُعِلْتُ فِداءك ، الصناعةَ فقد أجلَّ الله قدرَك عن الحاجة إلى دفعها والاعتذار عنها . وأما أنا المسكينَ فأنت تعلم أني لم أتَّخذ ما نحن فيه صناعةً قط ، وأني لم أُرِدْها إلا لكم شكراً لنعمتكم وحباً للقرب منكم وإليكم . فليس ينبغي أن يَعِيبني ذلك عندكم ، ولا يجوز لأحد أن يعيبني به إذ كان لكم . وقد علمتُ أنك لم تضعني من عَلويه ومُخارق بحيث وضَعْتَني إلا لغَضَبٍ أحْوَجَكَ[2] إلى ذلك ، وإلا فأنت تعلم أنهما لو كانا مملوكَيْن لي لآثرتُ تعجيلَ الرَّاحةِ منهما بعتقهما أو تَخْلِيةِ سبيلهما على ثمنٍ أُصيبه ببيعهما أو حَمْدٍ أكتسِبُه بثمنهما ، فكيف أظن أني عندك مِثلهُما ، أو أنك تَقْرِنُني إليهما وتذكرني معهما ! . أو تلومني الآن على أن أخرَس فلا أنطِق بحرف ، وأن أُفِرَّ من الغناء فِرارَك من الخطأ فيه ، وأمتعضَ منه امتعاضَك ممن يُخفي عليك شيئاً من علومه ؟ . كيف تَرى ، جُعِلْتُ فِداءك ، الآن سِبابي وأنت ترى أن أحداً لا يُحسن السَّبَّ غيرُك ! . قد أحدثتَ لي ، جعلتُ فداءك ، أدباً

1 المماظّة : المخاصمة .
2 ل : أخرجك .

وزِدْتَني بصيرةً فيما أُحِبُّ من تَرْكِه وتركِ الكلام فيه . فإن ظننتَ أن هذا فرارٌ من الحجَّة وتَعْريدٌ[1] عن المناظرة ، كما قلتَ ، فقد ظفِرت وصرت إلى ما أحببت ؛ وإلا فإنه لا ينبغي للحر أن يتلهَّى بما لا تقوم لذَّتُه بمَعَرَّته ، ولا لعاقلٍ أن يبذل ما عنده لمن لا يَحمدَه ، ولعله لا يقلِّب العينَ فيه حتى يلحقَه ما يكره منه . وأما ما قاله أبي ، رحمه الله ، من أنه لم يزل يتمنَّى أن يَرى من سادته مَنْ يعرِف قدره حقَّ معرفته ويبلُغ علمُه بهذه الصناعةِ الغايةَ العظمى حتى رآك ، فقد صدَق ، ما زال يتمنى ذلك وما زلتُ أتمنَّاه . فهل رأيت ، جُعِلْتُ فِداءك ، حظِّي منه إلا بأن ساويتَ به من لم يكن يساوي شِسْعَه ، ولعلك لا ترضى في بعض القوم حتى تفضِّله عليه ، لا تنفعه عندك معرفةٌ به ، ولا رعايةٌ لطول الصُّحبة والخِدمة ، ولا حفظٌ لآثارٍ محمودةٍ باقيةٍ نذكرها ونحتجُّ بها . ثم ها أنا من بعده تَضَعُني بالموضع الذي تضعني به ، وتَنْسُبني إلى ما تنسبني إليه ؛ لأني توخَّيْتُ الصوابَ واجتهدتُ في البَذْل والمناصحة ، لا يدفعك عني حِفظٌ لسَلَفٍ ، ولا صيانةٌ لخَلَفٍ ، ولا استدامةٌ لقديم ما نعلم ، ولا مصانعةٌ لما تطلب ، ولا ولا مما أكره أن أقوله . فما أرى ، جُعِلتُ فِداءك ، من معرفتك بما في أيدينا إلا تجرُّع الحسرات ، وتطلُّبك لنا العثرات ، والله المستعان . كيف أصنع جُعِلتُ فداءك ! إن سكَتُّ لم تقبل ذلك مني ، وإن صدقتُ كذَّبتني ، وإن كذبتُ ظفرتَ بي ، وإن مزحتُ لأُطربك وأُضحكك وأَقرُب من أُنسك وآخُذ بنصيبي من كرمك غضِبتَ وسبَبتَ ، ولو كنتُ قريباً منك لضربت ! وليتَك فعلت ، فكان ذلك أيسر من غضبك . ثم من أعظم المصائب عندي أمرُك إياي أن أسأل محمد بن واضح عن قول قلته فيَّ عند عمرو بن بانة . فوالله ، جُعِلتُ فداءك ، إني لأبْشَعُ[2] بذكره فكيف أُحِبُّ أن أذكره وأُذْكر له ! . وإني لأرثي لك من النظر إليه ، وأعجب من صبرك عليه ، مع أني ، أعوذ بالله من ذلك ، لو رغبتُ في هذا منه ومن مثله لكفيتُك ونفسي ذلك بأن أكسُوَه ثوبين ، أو أهَبَ له دينارين ، أو أقول له أحسنت في صوتين ، حتى نبلغ أكثرَ مما أردت لي أو أريده لنفسي . فالحمد لله الذي جعل حظِّي منك هذا ! ومثلَه غير مستَصْغِر لشأنك ولا مستقلٌّ لقليل حسن رأيك . والله أسأل أن يطيل بقاءك ، ويحسن جزاءك ، ويجعَلَني فداءك . قد طال الكتاب ، وكثر العِتاب . وجملة ما عندي من الإعظام والإجلال اللَّذَيْن لا أخاف أن أجعلهما عندك ، والمحبة التي لا أمتنع منها ولا أعرف سواها ، والسمع والطاعة في تسليم ما تحب تسليمه والإقرار بما أحببتَ أن أُقرَّ به ، وسأُشهِد على ذلك محمد بن واضح وأُشْهِد لك به من أحببتَ وأؤدي الخَراج . ولكن لا بد من فائدة وإلا انكسر ، فهات ، جُعِلْتُ فداءك ، وأوفِ واستوفِ فإنك واجدٌ صحةً واستقامةً إن

---

1 التعريد : الفرار .

2 بشع بالأمر : ضاق به .

شاء الله . مد الله في عمرك ، وصبَّرني عليك ، وقدمني قَبْلَك ، وجعلني من كل سوء فِداءَك .

[نسخة جواب إبراهيم بعد ما ذهب منه]

. . وأيَّةُ سلامةٍ أقدِر لك عليها إلا أسوقها إليك ، أعطاني الله ما أُحِبُّ من ذلك لك . فأمَّا أن أتكلَّم من ورائك بشيء تستثقله متعمِّداً ؛ فما أنا إذاً بحُرٍّ ولا كريم ، معاذَ الله من ذلك ؛ . ولئن جمعني وإياك وعليُّ بنَ هشام مجلسٌ لأستشهِدَنَّه على أشياء لم أذكرها لك ، ولم أكتب بها إليك ، إجلالاً لقَدْرِ حالِك عندي من اعتداد بمثل ذلك مني ، وأنت عنه غافل ، والله به عليم . وأما الرشوة فأرجو أن تجيئك على ما تشتهي آتاك الله ما تحب فيما تحب وتكره وجعلك له شاكراً . وأما الفوائدُ التي وعدتَ ورودَها علينا فإني لواثقٌ أنك لا تُفيدني شيئاً فأنظر فيه إلا وجدتُني فيه فَطِناً أجيد تفتيشه وأعرف كُنْهَه وأُفيدك فيه وفيما استنبطتَ منه ما لا تجد عند نفسك أكثر منه ، فأما غيرك فالهباءُ المنثور . ويا رأس المُشَنِّعين تقول إني عيَّرتُك بالصناعة ثم تحتج بحذْقك في تحريف الأقوال واكتساب الحجج ، لتُفْحِم خَصْمَك ، وتُعْلي حُجَّتك ، فكيف أُعيبك بحاجتي إليك ، وما أنا داخل فيه معك ؟ لا ؛ ولكني قلت لك : إني لستُ كفلان وفلان ممن لو كان عنده أمر ينازعك به ثَقُل عليك ، إنما أنا رجل من مواليك متوسِّلٌ إليك بما يسرُّك ، أو كصاحب لك تناظره بما تحب أن تجد من تناظره فيه ، فليكن ذلك بالإنصاف وطلبِ الصواب أصبتَه أو أخطأته ، لا بالحميَّة والأَنَفة والحيلة لتَرُدَّ الحق بالباطل . هذا معنى قولي ؛ وقد استشهدت عليك فيه أبا جعفر ، وجاءني كتابُك وهو عندي يشهد لي . والكتاب الذي هذا فيه بخطِّي عنده لم يَرُدَّه عليَّ ، فتَتَبَّعْ ما فيه وخُذْني به . فلَعَمري لئن كنتُ قرَنْتُك بمن ذكرتَ لأُعيبَنَّك بالتشبيه لك بهم ما عِبتُ غيرَ رأيي ، ولا جهَّلتُ غير نفسي . ولستُ أعتذِر من هذا لأنك تشهد لي بالحق فيه ، وإنما تريد أن تَخْصِمَني[1] بلا حُجَّة ، فيكفيني عِلمُك بما عندي ، وإلا فأنت إذاً بي أجهلُ مني بك . وقلتَ : «تذكرني معهما» فقد ذكر الله النار مع الجنة ، وموسى مع فرعون ، وإبليسَ مع آدم ، فلم يَهُنْ بذلك موسى ولا آدمُ ولا أُكْرِم فرعون وإبليس ، فأعفني من المغالطة لي والتحريف لقولي ، واستمتع بي وأمْتِعْني بالمصادقة . فإن أنت لم تفعل بقيتَ واحداً مستوحشاً ، ولم تَجِدْ غيري إن علم ما تعلم لم ينقُصْكَ ، وإن علم أكثرَ منك لم يَشِنْك ، وإن أفهمتَه كافاك ، وإن استفهمتَه شفاك . لا والله ما أردتُ إلا ما ذكرتُه لك ، ولا أحسَبك ظننتَ فيَّ غيرَ ذلك ؛ لأنك لا تجهلني فأنا عندك غير جاهل . وواحدة هي لك دوني ، ووالله ما كنت أُبالي ألاَّ أسمع من مُخارق وعلويه شيئاً حتى أسمع بنعيهما ، ولا أراهما حتى أراهما مَيِّتَيْن ، وما في هذا غيرُك والإعظام لك

1 خصمه : غلبه في الخصومة .

والإكرام . وذلك أنهما كانا لك غلامين فصيَّرتَهما نِدَّيْن تقول فيهما ويقولان فيك ، وإنما هما صَنِيعتاكَ وخِرِّيجا تأديبك وإن كانا غير طائل . فلو أعرضتَ عن انتقاصهما ورفعتَ ما رفع الله من قَدرك عن الإفراط في عيبهما ، لكان ذلك أشبه بك وأجملَ بمحلِّك وخَطَرِك ومكانِك . وكذلك الذي تَرْثي له منه وصاحبُه محمد بن الحارث ، فوالله ما أُحِبُّ لك في أدبك وفضلِك ودِينِك ومحلِّك أن تُشَهِّر نفسك لهما بهذا ومِثْلِه ، وأن ينتهي إليهما ذلك عنك . أقول يعلم الله في ذلك لا لهما . وإن ذلك ، لو صرتَ إليه ، لأجملُ بك وأجلُّ لقدرك وإن كنت لَتَتَخَوَّلُهما به . ولو أردتَ ذلك ، وإن زَهِدتَ فيه ، لم تَضَع نفسَك ومحلَّك مع غِلْمانٍ أحداثٍ يبسُطون ألسنتهم فيك بما بسطتَه منهم على نفسك ، ولو لم تفعل لكنتَ أعظمَ في عيونهم من بعض مواليهم الذين تولَّوْا مِنَّتَهم . هذا رأيي لك بما هو أكبرُ لأمرك وأشبهُ بمحلِّك . ووالله ما غَشَشْتُك ولا أوطأتُك عَشْواءَ ، فاخترْ لنفسك ما رأيتَ . ولا والله لا سَمِعا بهذا أبداً ولا بما قلتَه فيَّ إلا خَزِيا حتى يموتا ، ولا أردتُ ، يشهد الله ، بهذا غيرَك . وأمَّا مَنْ ذكرتَ أنِّي أسوِّيه بأبي إسحاق رحمه الله وهو لا يساوي شِسْعَه فإنك عَنَيْتَ ابنَ جامع . وأنت لا تدخل بيني وبين أبي إسحاق رضي الله عنه ، ولا أظنك والله أشدَّ حباً له مني ، ولا كان لك أشد حباً منه لي ، فقد تعلم كيف كان لي ، ولكن لا أظلم ابنَ جامع كما تظلمه أنت يا أظلم البشر . ولئن ضَمِنْتَ أن تُنْصِفَني لأكلمنَّك فيه بما لا تدفعه ، ولكني لا أكلِّمك في شيء حتى أَثِقَ بهذه منك ، وإلاَّ وَسِعني من السكوت ما وسعك . ومن العَجَب الذي لم أَرَ مثله والمكابرةِ التي لا يشبهها شيء اعتداؤك عليَّ في التجزئة حيث تقول : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيــا أُمَّ يَعْمَــرا قَبْل شَحْطٍ من النَّوى

يا أخي وحبيب نفسي فانظر كم في هذا من العيوب ؟ قولك : «يـيا» ليكون مثل «شَحْطٍ» في الوزن ، أيكون مثل هذا في الكلام ! وقولك في الجزء الثاني «حَي» حتى يكون مثل «قبل» هل يكون مثل هذا ؟ أو ليس في «يـيا» المشددة أربع ياءات ، وفي «حي» التي عطفتَ بها ثلاثٌ فتصير سبع ياءات ، وإنما هي ثلاث في الأصل : الياء المشددة وياء الاثنين حيث تقول «حييا» ! . والناس في هذا بيني وبينك بهائم ، فمَنْ أَسْتعدي عليك ؟ ولو أنصفتَ لعلمتَ أنه لا يمكن في : [من مجزوء الخفيف]

حَيِّيــا أُمَّ يَعْمَــرا

غيرُ ما جزَّأتُ أنا إلا بهذا الغَلَط الذي لا يحول من تحريك ساكنٍ تجعله أولَ الكلام فقد زدتَ قبله حرفاً ، أو تسكينِ متحرك فتزيد بعده حرفاً ؛ كقولك «أم يعمرا قابل شحطن» حيث جعلت قبل الباء ألفاً ، وكقولك «أم يعمرن قَبْلا» فزدتَ الألف لتسكتَ عليها لأن

السكوت على متحرك لا يمكن . فأيةُ حُجَّةٍ هذه ؟ أو مَن يصبر لك على هذا ؟ وإنما أردتُ أنا ما يجوز فجئني بتجزئةٍ واحدة ، لا أريد غيرَ ذلك منك . ما لَك يا أخي تَنْفَس عليَّ الصوابَ فيما لا نَقِيصةَ عليك فيه ولا عيب ، ثم اتخذتَ تَحَمُّدي إليك ، بما قلتُ لك أن تسأل محمداً عن قولي فيك بظهر الغيب ذنباً بطبعك على الظلم والتحريف ؛ حتى كأني أعلمتُك أن أحداً تنقَّصَك فحَمِيتَ لذلك ، ولم يكن غيرُ الرد عليه . والله ما مثلي يَمُنّ بهذا ، ولكني كنتُ إذا تحدثتُ مع محمد خالياً كلَّمتُه بمثل ما أكلِّمك به من الردِّ والجَدَل ، فلما كان عندنا مَن يُحْتَشَم كان كلامي بما يجب أن أتكلَّم به من الإكرام والتقديم ، فقال لي : أيُّ شيء هذا الذي أرى ؟ فقلت له : هذا كلام الحشمة وذلك كلام الأنس . فأردتُ بإعلامك هذا أن تعلم أني لا أريد بما أُنازعك فيه شيئاً يَزِيغ عما تعرف مني ، وأني أذكُرك بما يُشبهك في موضعه . فلو اتقيتَ الله وأبقيتَ على الإخاء لَما كنتَ تحرِّف هذا بشيء ، وهو جميل أرضاه من نفسي ، فتصيِّره قبيحاً تريد أن أعتذر إليك منه .

وأما أداء الخَراج والإشهاد ، فهذا شيء لم أطلبه منك ، إنما أنت طلبتَه مني ظالماً لي . وذلك لأني لم أُنازعك إلا منازعةَ مناظرٍ يُحبُّ أن يعرف حسنَ فحصه وثاقب نظرِه .

وأما الرياسة فقد جعلها الله لك على أهل هذا العمل ، ولا رياسة لي عليهم ولا لك عليَّ ؛ لأني في العلم مناظر وفي العمل متلذِّذ . فلا تظلمني ولا نفسَك لي .

ومن بعدُ فإني أُحِبُّ أن تخبرني كيف أنت اليوم بعدُ . والله غممتني ، لا غمَّك الله ولا غمَّني بك . ولو شئتَ أرسلتَ إلى يحيى بن خالد طبيبِ أخي عُبيد الله فإنه رفيقٌ مبارَكٌ عليم ، وهو منك قريب في دار الرُّوم ، فأخذتَ برأيه ومن علاجه . وهَب الله لك العافية ووهَبها لي فيك برحمته .

وإنما ذكرتُ هذا الابتداء وجوابَه على طولهما ، وهما قليلٌ من كثير من مكاتباتهما ، لتعرف بهما طرفاً من مقدارهما[1] في المنازعة والمجادلة ، وأن إسحاق كان يريد من إبراهيم التواضع له والخُنوعَ برياسته ويتحامل عليه في بعض الأوقات ، وينحو إبراهيم نحوَ ما فعله به ؛ لأن نفسه تأبى ما يريده إسحاق منه ، فيستعمل معه من المباينة مثلَ ما استعمله ، ويكونان في طَرَفَيْن من الظلم يُبْعِد كل واحدٍ منهما عن إنصاف صاحبه . وقد روى يوسف بن إبراهيم أخباراً فيما جرى بينهما ، فوجدتُ كلامَهما مرصوفاً رَصْفَ إبراهيم بن المهدي ومنظوماً نَظْمَ مَنْطِقِه ، فيها تحاملٌ على إسحاق شديدٌ ، وحكاياتٌ يُنْسَبُ مَن نَقَلَها إلى جهلٍ بصناعته . كان إسحاق

1 ل : مغزاهما .

بعيداً من مثله ، فعلمتُ أن إبراهيم عمل ذلك وألَّفه وأمرَ يوسفَ بنشره في الناس ليدور في أيديهم ذِكرٌ له يفضُل به . وذلك بعيدٌ وقوعُه ، ولن تُدفع الحقائق بالأكاذيب ، ولا يُزيل الخطأ الصواب ، ولا الخطلُ السدادَ . وكفى مَن نضَح عن إسحاق بأن أغاني إبراهيم بن المهدي لا يكاد يُعرَف منها صوتٌ ولا يُرْوى منها إلا اليسير ، وأن كلامَه في تجنيس الطرائق اطُّرِح ، وعُمِل على مذهب إسحاق ، وانقضى الصُّنع لإبراهيم بذلك مع انقضاء مدته ، كما يضمحلُّ الباطلُ مع أهله . فعدلتُ عن ذكر تلك الأخبار ؛ لا لأنها لم تَقَع إليَّ ، ولكنها أخبار يتبين فيها التحامل والحَنَق ، وتتضمن من السبِّ لإسحاق والشتمِ والتجهيل ما يعلم أنه لم يكن يقضي على مثله لأحد ولو خاف القتل ، فاستبردتُ ذلك واطَّرَحْتُه ، واعتمدتُ من أخبار إبراهيم على الصحيح ، وما جرى مَجرى هذا الكتاب[1] من خيرٍ مستحسنٍ وحكايةٍ ظريفةٍ دون ما يجري مَجرى التحامل ؛ فقد مضى في صدر الكتاب من أخبارهما وإغصاصِ إسحاق إياه بريقه وتجريعه أمَرَّ من الصبر ما ينبيء عن بطلان غيره .

وممن صنع من أولاد الخلفاء عُلَيَّةُ بنت المهدي ، ولا أعلم أحداً منهم بعد إبراهيم أخيها كان يتقدمها . وكان يقال : ما اجتمع في الجاهلية ولا الإسلام أخٌ وأختٌ أحسنُ غناء من إبراهيم بن المهدي وعُلية أختِه . وأخبارُها تُذكر بعد هذا تاليةً لما أذكُره من غِنائها . فمن صنعتها : [من الرجز]

صوت

تضحكُ عمَّا لو سَقَتْ منه شَفا ... من أقحوانٍ بَلَّهُ قطر الندى[2]
أغَرَّ يجلو عن غِشا العينِ العَشا ... حُلْوٍ بعَيْنَيْ كلِّ كَهْلٍ وفَتى
إنَّ فؤادي لا تسلِّيه الرُّقى ... لو كان عنها صاحياً لقد صَحا

الشعر لأبي النجم العِجلي . والغناء لعُلية بنت المهدي رملٌ بالوسطى .

1 ل : الجواب .
2 قطر الندى في ل : طلّ الثرى .

[162] ـ أخبار أبي النجم ونسبه[1]

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيباني : اسمه المفضَّل ، وقال ابن الأعرابي : اسمه الفضل بن قُدامة بن عبيد الله بن عبد الله بن الحارث بن عبدة بن الحارث بن إلياس بن عوف بن ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عِجل بن لُجَيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصى بن دُعْمِي بن جَديلة بن أسَد بن ربيعة بن نزار . وهو من رُجَّاز الإسلام الفُحول المقدَّمين وفي الطبقة الأولى منهم .

[كان أبلغ في النعت من العجاج]

أخبرني أبو خليفة الفضل بن الحباب الجُمَحي إجازةً عن محمد بن سَلاَّم وذكر ذلك الأصمعي أيضاً قالا قال أبو عمرو بن العَلاء : كان أبو النَّجم أبلغَ في النعت من العجاج .

[انتصاف الرجاز من الشعراء]

أخبرنا محمد بن خَلَف وكيع قال حدثني أبو أيوب المَدِيني قال حدثني الفضل بن العباس الهاشمي عن أبي عبيدة قال : ما زالت الشعراء تغلِب حتى قال أبو النجم : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوهُـوبِ المُجْـزِلِ

وقال العجاج : [من الرجز]

قـدْ جبرَ الديـنَ الإلـهُ فَجَبَرْ

وقال رؤبة : [من الرجز]

وقاتمُ الأعماقِ خاوي المُخترَقْ

فانتصفوا منهم .

[أعظمه رؤبة]

ووجدتُ في أخبار أبي النجم عن أبي عمرو الشيباني قال : قال له فتيان من عِجل : هذا رؤبة بالمِربَد يجلس فيُسمِع شعرَه ويُنشِد الناس ويجتمع إليه فتيان من بني تَميم ، فما يمنعك من ذلك ؟ قال : أوَ تُحِبُّون هذا ؟ قالوا نعم . قال : فأْتوني بعُسٍّ من نبيذ فأَتَوْه

1 لأبي النَّجم ترجمة في طبقات ابن سلام 745–753 والشعر والشعراء : 502–507 والخزانة 1 : 161 ومعاهد التنصيص 1 : 19 ومعجم المرزباني : 310 والسمط : 327 والموشح : 213 .

بـه ، فشَرِبه ثم نهض وقال : [من الرجز]

إذا اصطبحتُ أربعـاً عرَفْتَني ثــم تجشمتُ الذي جشَّمتني

فلما رآه رؤبة أعْظَمه وقام له عن مكانه وقال : هذا رَجَّاز العرب . وسألوه أن يُنشِدهم فأنشدهم : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوَهُـوبِ المُجْزِلِ

وكان إذا أنْشد أزْبد ووحَش بثيابه (أي رمى بها) . وكان من أحسن الناس إنشاداً . فلما فَرغ منها قال رؤبة : هذه أمُّ الرَّجَز . ثم قال : يا أبا النَّجْم ، قد قربت مرعاها إذ جعلتها بين رجل وابنِه . يُوهِم عليه رؤبة أنه حيث قال : [من الرجز]

تبقَّلــتْ مــن أولِ التَّبَقُّلِ بين رِماحَيْ مالكٍ ونَهْشَلِ

أنه يريد نَهشَل بن مالك بن حنظلة بن زيد مَناةَ بن تَميم . فقال له أبو النجم : هيهاتَ ! الكَمَرُ تشابَهُ . أي إني إنما أريد مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ونهشل قبيلة من ربيعة وهؤلاء يرعَوْن الصَّمَّان وعَرْض الدَّهناء . قال أبو عمرو : وكان سبب ذِكرِ هاتين القبيلتين (يعني بني مالك ونهشل) أن دماءً كانت بين بني دارِم وبني نهشل وحروباً في بلادهم ، فتَحامى جميعهم الرَّعْيَ فيما بين فَلْجٍ[1] والصَّمَّان مخافةَ أن يُعَرُّوا بشرٍّ حتى عفا[2] كَلَؤه وطال ، فذكر أن بني عجل جاءت لِعِزِّها إلى ذلك الموضع فَرَعَتْه ولم تَخَفْ من هذين الحَيَّيْنِ ، ففخَر به أبو النَّجم . قال : ويدُل على ذلك قول الفرزدق[3] : [من الطويل]

أترتعَ بالأحيــاءِ سعـدُ بن مالكٍ وقــد قَتلــوا مَثْنى بِظَنَّـةَ واحدِ[4]

فلم يَبْقَ بين الحي سعدِ بن مالكٍ ولا نَهْشَلٍ إلا دمــاءُ الأساودِ[5]

[ترتيب الرجاز]

وقال الأصمعي : قيل لبعض رُواة العرب : مَن أرجزُ الناس ؟ قال : بنو عِجْل ثم بنو سعد ثم بنو عجل ثم بنو سعد . (يريد الأغلبَ ثم العجَّاج ثم أبا النَّجْم ثم رؤبة) .

---

1 ل : فليج .

2 عفا : كثر .

3 ديوان الفرزدق 1 : 152 .

4 ظنة : تهمة .

5 الأساود : شخوص القتلى .

[تسرعه إلى رؤبة]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال قال عامر بن عبد الملك المِسْمعي : كان رؤبة وأبو النجم يجتمعان عندي فأطلب لهما النبيذ ، فكان أبو النجم يتسرع إلى رؤبة حتى أكفَّه عنه .

[مناجزته العجاج]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو الشيباني قال حدثني بعض البصريين منهم أبو برزة المَرْثَدِي ، قال وكان عالِماً راويةً ، قال : خرج العجاج متحفِّلاً عليه جُبَّة خَزٍّ وعمامة خَزٍّ على ناقةٍ له قد أجاد رَحلها حتى وقف بالمِرْبَد والناس مجتمعون ، فأنشدهم قوله : [من الرجز]

قــد جبَر الديــنَ الإلهُ فَجَبَرْ

فذكر فيها ربيعة وهجاهم . فجاء رجل من بكر بن وائل إلى أبي النجم وهو في بيته فقال له : أنت جالسٌ وهذا العجاج يهجونا بالمِربد قد اجتمع عليه الناس ؟! قال : صِفْ لي حالَه وزِيَّه الذي هو فيه ، فوصف له . فقال : ابْغِني جَمَلاً طَحَّاناً قد أُكْثِر عليه من الهِناء ، فجاء بالجمل إليه . فأخذ سراويلَ له فجعل إحدى رجليه فيها وأتَزَرَ بالأخرى وركِب الجمل ودفع خِطامَه إلى مَن يقوده ، فانطلق حتى أتى المِرْبَد . فلما دنا من العجاج قال : اخلَعْ خِطامَه فخلَعه ، وأنشد : [من الرجز]

تذَكَّر القلبُ وجَهْلاً مــا ذَكَرْ

فجعل الجملُ يدنو من الناقة يتشمَّمها ويتباعد عنه العجاج لئلا يُفسِد ثيابه ورَحْلَه بالقَطِران ، حتى إذا بلغ إلى قوله : [من الرجز]

شيطانُه أُنثــى وشيطاني ذَكَرْ

تعلَّق الناس هذا البيت وهرب العجاج عنه .

[غلب الشعراء عند الخليفة]

ونسختُ من كتاب أبي عمرو قال حدثني أبو الأزهر ابن بنت أبي النَّجْم عن أبي النجم أنه كان عند عبد الملك بن مروان ، ويقال عند سليمان بن عبد الملك ، يوماً وعنده جماعة من الشعراء ، وكان أبو النجم فيهم والفرزدقُ ، وجاريةٌ واقفةٌ على رأس سليمان أو عبدِ الملك تَذُب عنه ، فقال : من صبَّحني بقصيدة يفتخر فيها وصدَق في فخره فله هذه الجارية . فقاموا على ذلك ثم قالوا : إن أبا النجم يَغْلِبنا بمقطَّعاته (يعنون بالرَّجَز) ، قال : فإني لا أقول إلا قصيدةً . فقال من ليلته قصيدتَه التي فخَر فيها وهي : [من الكامل]

عَلِـقَ الهـوى بحبائــلِ الشَّعْثاء[1]

ثم أصبح ودخل عليه ومعه الشعراء فأنشده ، حتى إذا بلغ إلى قوله : [من الكامل]

مِنا الذي ربَع الجيوشَ لظهرِه عشرونَ وهْو يُعَدُّ في الأَحياء[2]

فقال له عبد الملك : قِفْ ، إن كنتَ صدَقْتَ في هذا البيت فلا نُريد ما وراءه . فقال الفرزدق : وأنا أعرف منه ستة عشر ، ومن وَلَد وَلَدِه أربعة كلُّهم قد ربَع . فقال عبد الملك أو سليمان : وَلَد وَلَدِه هم ولدُه ، ادفع إليه الجارية يا غلام . قال : فغلَبهم يومئذٍ .

قال : وبلغني من وجهٍ آخر أنه قال له : فإذا أقررتَ له بستة عشر فقد وهبتُ له أربعة ، ودفَع إليه الجارية ، فقدِم بها البادية ؛ فكان بينه وبين أهله شرٌّ من أجلها .

[فوزه بجارية خالد بن عبد الله القسري]

وقال أبو عمرو : بعث الجُنَيد بن عبد الرحمن المُرِّي إلى خالد بن عبد الله القَسْري بسَبْيٍ من الهند بِيضٍ ، فجعل يَهَبُ لأهل البيت كما هو للرجل من قريش ومن وجوه الناس ، حتى بَقِيتْ جاريةٌ منهن جميلةٌ كان يَدَّخِرها وعليها ثيابُ أَرْضِها فُوطتان . فقال لأبي النجم : هل عندك فيها شيءٌ حاضر وتأخذها الساعة ؟ قال : نعم أصلَحك الله ؛ فقال العُريان بن الهيثم النَّخْعي وكان على شرط خالد بن عبد الله : كذَب والله ما يقدِر على ذلك . فقال أبو النَّجم : [من الرجز]

عَلِقتُ خَوْداً من بناتِ الزُّطِّ ذاتَ جَهــازٍ مُضْغَــطٍ مُلَطِّ
رابِي المَجَسِّ جَيِّــدِ المَحَــطِّ كأنّمـا قُــطَّ عــلى مَقَــطِّ
إذا بــدا منهــا الذي تُغَطِّــي كأنَّ تحــتَ ثوبِهــا المُنْعَطِّ[3]
شَطــاً رميــتَ فوقَــه بشَطِّ لم يَنْزُ في البطــنِ ولم يَنْحَطِّ[4]
فيــه شِفاءٌ من أذى التَّمَطِّي كهامــةِ الشيخِ اليماني الثَّطِّ[5]

[أغضب هشاماً في وصفه الشمس]

وأومأ بيده إلى هامة العُريان بن الهيثم . فضحِك خالد وقال للعُريان : كيف تَرى ؟ أحتاجَ إلى أن يُرَوِّيَ فيها يا عُريان ؟ ! قال : لا والله ! ولكنه ملعون ابن ملعون : وقال أبو عمرو في هذه

1 الهوى بحبائل في ل : الفؤاد حبائل .
2 ربع الجيوش : أخذ ربع أموالهم ، وكان ذلك حظ الرئيس عند الغلبة .
3 الثوب المنعط : المشقوق .
4 لم ينز : في ل : لم يعل . الشط : جانب السنام .
5 الثطّ : الخفيف اللحية .

الرواية وأخبرني به علي بن سليمان الأَخفش قال حدثنا محمد بن يزيد المُبَرد قال حدثني محمد بن المُغيرة بن محمد عن الزُّبير بن بَكار عن فُلَيْح بن إسماعيل بن جعفر بن أبي كثِير قال : ورد أبو النجم على هشام بن عبد الملك في الشعراء . فقال لهم هشام : صِفُوا لي إبلاً فقَطَّروها وأَوْرِدوها وأَصْدِروها حتى كأني أنظر إليها . فأنشدوه وأنشده أبو النَّجم : [من الرجز]

الحمــدُ للهِ الوَهُـوبِ المُجْـزِلِ

حتى بلغ إلى ذكر الشمس فقال «وهي على الأُفْق كعين . . .» وأراد أن يقول «الأَحولِ» ثم ذكر حَولة هشام فلم يُتِمَّ البيت وأُرْتج عليه . فقال هشام : أَجزِ البيت . فقال «كعين الأَحولِ» وأتم القصيدة . فأمر هشام فُوجِيء عُنُقه وأُخرِج من الرُّصافة . وقال لصاحب شُرْطته : يا رَبِيع إياك وأن أرى هذا ! . فكلم وجوهُ الناس صاحب الشُّرطة أن يقروه ففعل ، فكان يُصيب من فُضول أطعمة الناس ويأْوِي إلى المساجد . وقال الزُّبير في خبره قال أبو النجم : ولم يكن أحدٌ بالرُّصافة يُضيف إلا سُلَيْم بنَ كَيْسان الكلبي وعمرو بن بِسطام التَّغلبي . فكنتُ آتي سُليماً فأتغدَّى عنده ، وآتي عمراً فأتعشى عنده ، وآتي المسجد فأَبِيتُ فيه . قال : فاهتَم هشام ليلةً وأمسى لَقِسَ النَّفْس وأراد محدِّثاً يحدِّثه ، فقال لخادمٍ له : ابْغِني مُحَدِّثاً أعرابياً أهوجَ شاعراً يَرْوِي الشعر . فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النَّجم ، فضرَبه برجله وقال له : قُمْ أَجِبْ أميرَ المؤمنين . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إياك أَبْغِي ، فهل تَرْوي الشعر ؟ قال : نعم وأقوله . فأقبل به حتى أدخله القصر وأغلَق البابَ ، قال : فأيْقَن بالشر ، ثم مضى به فأدخله على هشام في بيت صغير ، بينه وبين نسائه سِتْرٌ رقيقٌ والشَّمْعُ بين يديه تَزْهَر . فلما دخل قال له هشام : أبو النَّجم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين طَرِيدُك . قال : اجلس . فسأله وقال له : أين كنتَ تأْوِي ومن كان يُنْزلك ؟ فأخبرَه الخبرَ . قال : وكيف اجتمعا لك ؟ قال : كنتُ أتغدَّى عند هذا وأتعشى عند هذا . قال : وأين كنتَ تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك . قال : وما لَكَ من الولدَ والمال ؟ قال : أما المالُ فلا مالَ لي ، وأما الولدُ فلِي ثلاثُ بناتٍ وبُنَيٌّ يقال له شَيبان . فقال : هل زَوَّجْتَ[1] من بناتك أحداً ؟ قال : نعم زوّجتُ اثنتين ، وبَقِيَتْ واحدة تَجْمِز[2] في أبياتنا كأنها نعامة . قال : وما وصَّيْتَ به الأولى ؟ ، وكانت تسمى «بَرّةَ» بالراء ، فقال : [من الرجز]

أَوْصَيتُ من بَــرّةَ قلبـاً حُرّا بالكلـبِ خيراً والحَمــاةِ شَرّا

1 ل : أخرجت .

2 تجمز : تعدو .

لا تَسْأَمِي ضَرْباً لها وَجَرّا حتى تَرى حلوَ الحياةِ مُرّا
وإن كسَتْكِ ذهباً ودُرّا والحيَّ عُمِّيهم بشرٌّ طُرّا

فضحِك هشام وقال : فما قلتَ للأُخرى ؟ قال قلت : [من الرجز]

سُبِّي الحَماةَ وابْهَتي عليها وإن دَنَتْ فازْدَلِفي إليها
وأَوْجِعي بالفِهْرِ ركبتَيْها ومِرْفَقَيْها واضْرِبي جَنْبَيْها[1]
وظاهِري النُّذْرَ لها عليها لا تُخبِري الدَّهْرَ به ابنتَيْها

قال : فضَحِك هشام حتى بدَتْ نواجِذُه وسقط على قَفاه . فقال : وَيحَك ؛ ما هذه وصية يعقوب ولدَه ؛ فقال : وما أنا كيعقوب يا أمير المؤمنين . قال : فما قلتَ للثالثة ؟ قال قلت : [من الرجز]

أُوصِيكِ يا بنتي فإني ذاهبُ أُوْصِيكِ أن تَحْمَدكِ القرائبُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ لا يُرْجَعُ المسكينُ وهْو خائبُ
ولا تَني أظفارُكِ السَّلاهِبُ منهنَّ في وجه الحَماةِ كاتبُ[2]
والزوجَ إنَّ الزوجَ بئسَ الصاحبُ

قال : فكيف قلتَ لها هذا ولم تَتزوج ؟ وأي شيء قلتَ في تأخير تزويجها ؟ قال قلت فيها : [من الرجز]

كأنَّ ظَلاّمةَ أختَ شَيْبانْ يَتِيمةٌ ووالداها حيّانْ
الرأسُ قَمْلٌ كلُّه وصِئْبانْ وليس في الساقَيْن إلاّ خَيْطانْ
تلك التي يَفْزَعُ منها الشيطانْ

قال : فضحِك هشام حتى ضحك النساء لضَحكِه ، وقال للخَصي : كم بَقِي من نفقتك ؟ قال : ثلثمائة دينار . قال : أَعْطِه إياها ليجعلها في رِجْل ظَلاَّمةَ مكان الخيطين . [سرعة بديهته]

وقال الأصمعي أخبرني عمي وأخبرني ببعض هذا الحديث ابنُ بنت أبي النَّجْم أن أبا النَّجْم قال : [من الرجز]

الحمدُ للهِ الوَهُوبِ المُجْزِل

---

1 الفهر : الحجر .
2 السلاهب : الطويلة .

في قَدْر ما يَمشي الإنسان من مسجد الأَشْياخِ إلى حاتمٍ الجزار . ومقدار ما بينهما غَلْوةٌ[1] أو نحوُها . قال : وكان أسرعَ الناس بَدِيهةً .

[رأي الأصمعي في رجزه]

أخبرني محمد بن خَلَف وَكيع قال حدثنا أبو أيوب المَدِيني قال حدثنا أبو الأسود النوجشاني[2] قال : مَرَّ أبي بالأصمعي وأنا عنده فقال له : يا أبا سعيد أي الرَّجَز أحسن وأجود ؟ قال : رَجَزُ أبي النَّجْم .

[رأيه في النساء]

نسختُ من كتاب أحمد بن الحارث الخَراز قال حدثنا المدائني قال : دخل أبو النَّجم على هشام بن عبد الملك وقد أتت له سبعون سنة . فقال له هشام : ما رأيُك في النساء ؟ قال : إني لأنظر إليهن شَزْراً وينظرن إليَّ خَزْراً . فوهب له جارية وقال له : اغْدُ عليَّ فأعْلِمْني ما كان منك . فلما أصبح غدا عليه . فقال له : ما صنعتَ ؟ فقال : ما صنعتُ شيئاً ولا قدَرْتُ عليه ، وقد قلتُ في ذلك أبياتاً . ثم أنشده : [من الكامل]

نظرتْ فأعْجبَها الذي في دِرْعِها ... من حُسْنه ونظرتُ في سِرْبالِيا
فرأتْ لها كَفَلاً يَميلُ بخَصْرِها ... وَعْثاً روادِفُـه وأَجْثَمَ جاثِيا[3]
ورأيتُ مُنْتَشِرَ العِجانِ مُقَلِّصاً ... رِخْـواً مفاصِلُه وجلْداً بالِيا
أُدْني له الرَّكَبَ الحَلِيقَ كأنما ... أُدْنِـي إليـه عقاربـاً وأفاعِيا
إنَّ النَّدامةَ والسَّدامةَ فاعْلَمَنْ ... لو قد صَبَرْتُك للمَواسِي خالِيا
ما بالُ رأسِك من ورائيَ طالِعاً ... أظننتَ أنَّ حِـرَ الفتاةِ ورائِيا
فاذهبْ فإنّكَ ميتٌ لا تُرْتَجى ... أبـدَ الأبيدِ ولـو عَمِرتَ لياليا
أنتَ الغَرُورُ إذا خُبِرتَ وربما ... كان الغَرورُ لمن رجـاه شافِيا
لكـن أَيْرِي لا يُرَجـي نفعُه ... حتى أعـودَ أخـا فَتاءٍ ناشِيا

فضحِك هشام وأمر له بجائزة أُخرى .

[يضحك هشام بن عبد الملك]

قال أبو عمرو الشَّيباني قال ابن كُناسة : قال هشام بن عبد الملك لأبي النَّجْم : يا أبا النَّجْم

1 الغلوة : رمية السهم .
2 لعلها النوشجاني نسبة إلى نوشجان بفارس .
3 الوعث : اللين .

حدِّثني . قال : عني أو عن غيري ؟ قال : لا بل عنك . قال : إني لما كَبِرتُ عرَض لي البَوْلُ ، فوضعتُ عند رجلي شيئاً أبول فيه . فقمتُ من الليل أبول ، فخرج مني صوتٌ فتشددت ، ثم عُدْتُ فخرج مني صوتٌ آخر ، فأَوَيْتُ إلى فراشي ، فقلت : يا أُم الخيار هل سمِعتِ شيئاً ؟ فقالت : لا والله ولا واحدةً منهما ؛ فضَحِك . قال : وأُم الخيار التي يَعْني بقوله : [من الرجز]

قد أصبحتْ أُمُّ الخِيار تَدَّعي عـليّ ذنبـاً كلَّـه لم أصْنَعِ

وهي أرجوزة طويلة .

[ذكر فتاة في شعره فتزوجت]

وقال أبو عمرو الشَّيْباني : أتت مولاة لبني قَيْس بن ثعلبة أبا النَّجم فذكرتْ له أن بنتاً لها أدركتْ منذ سنتين ، وهي من أجمل النساء وأمدِّهن قامةً ولم يخطُبها أحدٌ ، فلو ذكرتَها في الشعر ! فقال : أفعل ، فما اسمها ؟ قالت : نَفِيسة . فقال : [من الرجز]

نَفِيسَ يـا قَتالـةَ الأقْـوامِ أقصدتِ قلبي منـكِ بالسِّهامِ
ومـا يُصِيب القلـبَ إلا رَامِ لـو يعلـم العلـمَ أبو هشامِ
ساقَ إليهـا حاصِـلَ الشامِ وجِزْيـةَ الأهْـوازِ كلَّ عـامِ
وما سَقى النِّيـلُ مـن الطعامِ إذ ضاقَ منها مَوْضِعُ الإدْغامِ
أجْثَـمُ جـاثٍ مُسْتَديرٌ حـامِ يَعَضُّ في كَيْـنٍ لـه تُـؤامِ
عَضَّ النجـاريِّ على اللِّجامِ

فقالت : حسبك حسبك ؛ ووفد إلى الشام ، فلما رجَع سمِع الزَّمْر والجَلَبة ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : نفيسة تزوجت .

[فهود عبد الملك بن بشر بن مروان]

قال أبو عمرو وذكر علي بن المِسْوَر بن عمرو عن الأصمعي قال أخبرني بعضُ الرُّواة وحدثني ابن أخت أبي النَّجْم : أن عبد الملك بن بِشْر بن مروان قال لأبي النَّجْم : صِفْ لي فُهُودي هذه . فقال : [من الرجز]

إنـا نَزَلْنـا خيرَ مَنْـزِلاتِ بـينَ الحُمَيْراتِ المُبـارَكاتِ
في لَحْـمِ وحْشٍ وحُبارَياتِ وإن أرَدنـا الصيدَ ذا اللَّذَّاتِ
جـاءَ مُطِيعـاً لمُطاوِعـاتِ عُلِّمنَ أو قـد كـنَّ عالِماتِ
فسَكّنَ الطَّـرْفَ بمُطْرِفـاتِ تُريـكَ آماقـاً مخطَّطـاتِ

[أقطعه الحجاج وادياً في بلاده]

ونسختُ من كتاب الخَراز عن المدائني عن عثمان بن حَفْص أن أبا النَّجْم مدَح الحجاجَ برجزٍ يقول فيه : [من الرجز]

وَيْـلُ آمّ دُورِ عِزةٍ ومَجْدِ دُورِ ثَقيفٍ بسَواء نَجْـدِ
أهلُ الحصونِ والخيولِ الجُرْدِ

فأعجبَ الحجاجَ رَجَزُه وقال : ما حاجتك ؟ قال تُقْطعني ذا الجبنين . فوجَم لها وسكت ، ثم دعا كاتبَه فقال : انظر ذا الجبنين ما هو ؛ فإن ذا الأعرابي سألنيه لعله نهر من أنهار العراق . فسألوا عنه فقيل : واد في بلاد بني عِجْل أعلاه حَشَفةٌ وأسفلُه سَبَخَةٌ يخاصمه فيه بنو عم له . فقال : اكتبوا له به . قال : فأهلُه به إلى اليوم .

[ما أُخذ عليه]

أخبرنا يحيى بن علي قال حدثني أبو أيوب المَدِيني قال قال الأصمعي : أخطأ أبو النَّجْم في أشياء أُخِذَتْ عليه ، منها قوله : [من الرجز]

وهي على عَـذْبٍ رَوِيٍّ المَنْهلِ دَحْلِ أبي المِرْقالِ خيرِ الأَدْحُلِ
من نَحْتِ عادٍ في الزمانِ الأوّلِ

قال الأصمعي : الدَّحْل لا تُورَده الإبلُ إنما تُورَد الرَّكايا[1] . وقد عِيب بهذا وعِيب بقوله في البيت الذي يَلِيه : إن هذا الدَّحْلَ من نحت عاد . قال : والدُّحْلان لا تُحْفَر ولا تُنحَت ، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تُصِيبها الشمسُ ، فتَبْقى فيها المياه ؛ وهي هُوة في الأرض يَضِيق فَمُها ثم يتسع فيدخلها ماء السماء .

قال الأصمعي : وقال يصف فرسه وقد أجراه في حَلْبة : [من الرجز]

تسبَح أُخــراهُ ويَطْفُـو أولُـهْ

قال الأصمعي : أخطأ في هذا ؛ لأنه إذا سبَح أُخراه كان حِمارُ الكُساح أسرعَ منه . قال الأصمعي : وحدثني أبي أنه رأى فرسه هذا فقوَّمه بسبعين درهماً . وإنما يُوصف الجواد بأنه تسبَحُ أُولاه وتَلْحَق رجلاه . قال : وخير عَدْو الذكور أن تُشْرِف ، وخيرُ عَدْو الإناث أن تَنْبَسِط وتَصْغى[2] كعَدْوِ الذئبِ .

1 الركايا : جمع ركية وهي البئر .
2 تصغى : تميل .

[163] ـ أخبار علية بنت المهدي ونسبها ونُتف من أحاديثها[1]

[أمها أم ولد]

عُلَيّة بنت المهدي أُمها أُم ولد مُغنيةٌ يقال لها مَكْنونة ، كانت من جواري المَروانية المغنية .

نسختُ من كتاب محمد بن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات أن ابن القَدّاح حدثه قال : كانت مكنونة جاريةُ المروانية ، وليست من آل مروان بن الحكم ، هي زوجة الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، مغنِّية ، وكانت أحسنَ جاريةٍ بالمدينة وجهاً ، وكانت رَسْحاء[2] ، وكان بعض من يمازحها يعبَث بها فيصيح : طَسْت طَسْت . وكانت حَسَنة الصدر والبطن ، فكانت تُوضِح بهما وتقول : ولكن هذا ! فاشْتُرِيَتْ للمهدي في حياة أبيه بمائة ألف درهم ، فغَلَبتْ عليه ، حتى كانت الخَيزران تقول : ما مَلك امرأةً أغْلَظَ عليَّ منها . واستتر أمرُها عن المنصور حتى مات ، فولدتْ له عُلَيّةَ بنت المهدي .

[بعض صفاتها]

أخبرني عمِّي قال حدثني علي بن محمد النوفلي عن عمِّه قال : كانت عليّة بنت المهدي من أحسن الناس وأظرفِهم تقول الشِّعرَ الجيِّد وتصوغ فيه الألحانَ الحسنةَ ، وكان بها عيب ، كان في جبينها فَضْلُ سَعَة حتى تسمج ، فاتخذت العصائب المكلَّلة بالجوهر لتستُر بها جبينها ، فأحدثتْ والله شيئاً ما رأيتُ فيما ابتَدَعَتْه النساء وأحدَثْته أحسنَ منه .

[كانت حسنة الدين]

أخبرني الحسين بن يحيى ووَكِيع قالا حدثنا حمَّاد بن إسحاق قال سمعتُ إبراهيم بن إسماعيل الكاتب يقول : كانت عُلَيّة حَسَنَة الدِّين ، وكانت لا تغنِّي ولا تشرَب النَّبيذ إلا إذا كانت معتزلةَ الصلاةِ ، فإذا طَهُرَتْ أقبلتْ على الصلاة والقرآن وقراءة الكتب ، فلا تَلَذُّ بشيءٍ غير قول الشعر في الأحيان ، إلا أن يدعُوَها الخليفةُ إلى شيءٍ فلا تَقْدِر على خلافه . وكانت تقول : ما حرَّم الله شيئاً إلا وقد جعل فيما حَلَّل منه عِوَضاً ، فبأيِّ شيءٍ يحتجُّ عاصيه والمُنتَهِكُ لحُرُماته ! . وكانت تقول : لا غفَر الله لي فاحشةً ارتكبتُها قط ، ولا أقول في شعري إلا عبثا .

---

1 لعلية بنت المهدي ترجمة في فوات الوفيات 3 : 123–126 والنجوم الزاهرة 2 : 191 والدر المنثور : 349 وشذرات الذهب 1 : 311 ونزهة الجلساء : 80 وانظر أعلام الزركلي .

2 رسحاء : قليلة لحم العجز والرجلين .

[غناؤها]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد الكِنْدي قال سمعت عبد الله بن العباس بن الفضل بن الرَّبيع يقول : ما اجتمع في الإسلام قط أخ وأخت أحسن غناء من إبراهيم بن المهدي وأختِه عُلَية ، وكانت تُقَدَّم عليه .

[شعرها في طَلّ]

أخبرني محمد قال حدثنا عون بن محمد الكِندي قال حدثنا سعيد بن إبراهيم قال : كانت عليَّة تحب أن تُراسِل بالأشعار مَن تختصُّه ، فاختصَّت خادماً يقال له «طَلّ» من خَدَمِ الرشيد ، فكانت تراسله بالشعر ، فلم تره أياماً ، فمَشَتْ على مِيزابٍ وحدثته وقالت في ذلك : [من الكامل]

قـد كان ما كُلِّفْتُـه زمنـاً ... يا طَلُّ من وَجْدٍ بكم يكفي
حتى أتيتكَ زائـراً عَجِـلاً ... أمشي على حَتْفٍ إلى حَتْفِ

فحلف عليها الرشيد ألا تكلِّم طَلاً ولا تسمِّيه باسمه ، فضمِنَتْ له ذلك . واستمع عليها يوماً وهي تَدْرُس آخرَ سورة البقرة حتى بلغتْ إلى قوله عز وجل : ﴿فإنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ﴾ وأرادتْ أن تقول : «فَطَلٌّ» فقالت : فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين . فدخل فقبَّل رأسَها وقال : قد وهبتُ لكِ طَلاً ، ولا أمنعك بعد هذا من شيء تريدينه . ولها في طَلٌّ هذا عِدَّةُ أشعارٍ فيها لها صنعة . منها : [من الكامل]

صوت

يا ربِّ إني قد غَرِضْتُ بهجرِها ... فإليكَ أشكـو ذاكَ يا رَبَّاهْ[1]
مـولاةُ سَوْءٍ تستهـين بعبدها ... نِعْـمَ الغـلامُ وبئستِ المولاهْ
«طَلٌّ» ولكنـي حُرِمْتُ نعيمَه ... ووصالَـه إن لم يُغِثْنـي اللهْ
يا ربّ إن كانت حياتي هكذا ... ضراً عـليَّ فمـا أريـدُ حياهْ

الشعر والغِناء لها خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وقد ذكر ابن خُرْداذْبه أن الشعر والغناء لنُبَيْهٍ الكوفي ، وأنه هوِي جارية تُغَنِّي ، فتعلَّم الغِناء من أجلها وقال الشعر ، ولم يزل يتوصل إليها بذلك حتى صار مُقَدَّماً في المغنِّين ، وأن هذا الشعر له فيها والصنعة أيضاً .

أخبرني أحمد بن محمد أبو الحسن الأَسَدي قال حدثني محمد بن صالح بن شيخ بن عُمَير عن

1 غرضت : ضقت .

أبيه قال : حُجِب طَلٌّ عن عُلية فقالت وصحَّفتِ اسمَه في أول بيت : [من الطويل]

أيـا سَرْوَةَ البستانِ طالَ تشوقي فهـلْ لي إلى ظِـلٍّ لديكِ سبيلُ
متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضَى خروجُه وليس لمـن يَهْـوى إليـه دخولُ
عسى الله أن نرتاحَ من كُرْبةٍ لنا فيَلْقـى اغتباطـاً خُـلَّـةٌ وخليلُ

عروضه من الطويل . الشعر والغناء لعليَّة خفيف رملٍ . كذا ذكر ميمون بن هارون ، وذكر عمرو بن بانة أنه لسَلْسل خفيف رملٍ بالوسطى . وأول الصوت :

متى يلتقي مَنْ ليس يُقْضى خروجُه

وذكر حبشٌ أنه للهذلي خفيف رمل بالبنصر .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن محمد بن إسحاق الطَّالقاني قال حدثني أبو عبد الله أحمد بن الحسين الهشامي قال : قالت عُليَّة في طلٍّ وصحَّفت اسمَه في هذا الشعر وغنَّت فيه : [من مجزوء الكامل]

صوت

سَلِّمْ على ذاك الغزالِ الأغيَدِ الحسنِ الدلالِ
سَلِّمْ عليـه وقُـلْ لـه يا غُـلَّ ألبابِ الرجالِ
خلَّيْتَ جسمي ضاحياً وسكنتَ في ظلِّ الحِجالِ
وبلغـتَ منـي غايـةً لم أدرِ فيها مـا احتيالي

الشعر والغناء لعليَّة خفيف رمل . وذُكر غير هذا أن الغناء لأحمد بن المكي في هذه الطريقة .

[شعرها في خادمها رشأ]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون عن محمد بن علي بن عثمان الشِّطْرَنجي : أن عليَّة كانت تقول الشعر في خادم لها يقال له «رشأ» وتكْني عنه . فمن شعرها فيه وكَنَتْ عنه بزينب : [من مجزوء الكامل]

صوت

وجَـدَ الفـؤادُ بزينبا وَجْـداً شديـداً مُتْعِبا
أصبحتُ من كَلَفِي بها أُدْعَـى سقيماً مُنْصَبا[1]

1 سقيماً في ل : شقياً .

ولقد كَنَيْتُ عن اسمها عمداً لكي لا تَغْضَبا
وجعلتُ زينبَ سُتْرَةً وكتمتُ أمراً مُعْجِبا
قالتْ وقد عَزَّ الوصا لُ ولم أجِدْ لي مذهبا
واللهِ لا نلتَ المودّ ةَ أو تنالَ الكوكبا

هكذا ذكر ميمون بن هارون ، وروايتُه فيه عن المعروف بالشِّطْرَنْجي ولم يحصل ما رواه . وهذا الصوت شعرُه لابن رُهَيْمة المدني . والغِناء ليونس الكاتب ، ولحنه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر ، وهو من زَيانِب يونس المشهورات وقد ذكرته معها . والصحيح أن عُلَيَّة غنَّت فيه لحناً من الثقيل الأول بالوسطى ، حكى ذلك ابن المكي عن أبيه ، وأخبرني به ذُكاء عن القاسم بن زُرْزُور .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني الحسين بن يحيى الكاتب أبو الجماز قال حدثني عبيدالله بن العباس الرَّبيعي قال : لما عُلِم من عُلية أنها تَكْني عن رشأ بزينب قالت : [من السريع]

صوت

القلبُ مشتاقٌ إلى رَيْب يا رَبِّ ما هذا من العيبِ
قد تَيَّمَتْ قلبي فلم أستطعْ إلا البكا يا عالِمَ الغيبِ
خبأتُ في شعري إسمَ الذي أردتُه كالخَبْء في الجيبِ

قال : وغَنَّت فيه لحناً من طريقة خفيف الرَّمَلِ الأول فصحَّفَتِ اسمَها في ريب .

[هجت طغيان جارية أم جعفر]

قال : وكانت لأم جعفر جارية يقال لها طغيان ، فوشَتْ بعُليَّة إلى رشأ وحكَتْ عنها ما لم تقل ، فقالت عليَّة : [من الطويل]

لطُغْيانَ خُفٌّ مُذْ ثلاثين حِجَّةً جديدٌ فلا يَبْلى ولا يتخرَّقُ[1]
وكيفَ بِلَى خُفٍّ هو الدَّهْرَ كُلَّه على قدميها في الهواء مُعَلَّقُ
فما خَرَقَتْ خُفاً ولم تُبْلِ جَوْرَباً وأمَّا سَراويلاتُها فتُمزقُ

قال : وحلَف رَشَأ ألاّ يشرب النبيذ سنةً ، فقالت : [من السريع]

صوت

قد ثبتَ الخاتمُ في خِنصري إذ جاءني منكِ تَجَنِّيكِ

1 ثلاثين في ل : ثلاثون .

حَرَّمتُ شربَ الرَّاح إذ عِفْتِها فلستُ في شيء أعاصِيكِ
فلو تَطَوَّعتِ لعوَّضتني منه رُضابَ الرِّيقِ من فيكِ
فيالها عنديَ من نعمةٍ لستُ بها ما عشتُ أَجْزيكِ
يا زينباً قد أَرَّقَتْ مُقْلتي أَمْتعنيَ اللهُ بحبِّيكِ

غنَّتْ فيه علية هزجاً .

[غضب المعتصم من نسبة الشعر لها]

أخبرني جحظة ومحمد بن يحيى قالا حدثنا ميمون بن هارون قال حدثني الحسن بن إبراهيم بن رَباح قال : قال لي محمد بن إسماعيل بن موسى الهادي : كنت عند المعتصم وعنده مخارق وعلويه ومحمد بن الحارث وعَقِيد ، فتغنَّى عَقِيد وكنت أضرب عليه : [من الرمل]

صوت

نامَ عُذالي ولم أَنَمِ واشتفَى الواشونَ من سَقَمِي
وإذا ما قلتُ بي أَلَمٌ شَكَّ مَنْ أهواه في أَلَمي

فطرِب المعتصم وقال : لمن هذا الشعر والغناء ؟ فأمسكوا . فقلت : لعليَّة ، فأعرض عني ، فعرفت غلَطي وأن القوم أمسكوا عَمْداً ، فقُطِع بي . وتبيَّن حالي ، فقال : لا تُرَعْ يا محمد ؛ فإن نصيبك فيها مِثل نصيبي . الغناء لعليَّة خفيف رمل . وقد قال قوم : إن هذا اللحن للعباس بن أشرس الطُّنْبوري مولى خُزاعة ، وإن الشعر لخالد الكاتب .

[غنى بنان للمنتصر بلحن لها في شعر الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن يزيد قال حدثني أبي قال : كنا عند المنتصر ، فغناه بَنانٌ لحناً من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل : [من السريع]

صوت

يا رَبَّةَ المنزلِ بالبِرْكِ وربَّةَ السلطانِ والمُلْكِ[1]
تَحَرجي باللهِ من قتلنا لسنا من الدَّيْلَم والتُّركِ

فضحِكتُ . فقال لي : مِمَّ ضحِكتَ ؟ قلت : من شَرَفِ قائلِ هذا الشعر ، وشرفِ مَنْ عَمِل اللحن فيه ، وشرفِ مُستمِعِه . قال : وما ذاك ؟ قلت : الشعرُ فيه للرشيد ، والغناء لعليَّة بنت المهدي . وأميرُ المؤمنين مستمعه . فأعجبه ذلك وما زال يستعيده .

1 بالبرك في ل : بالعرك .

[تنتحل لحناً لإسحاق]

حدثني إبراهيم بن محمد بن بركشة قال سمعت شيخاً يحدث أبي وأنا غلام فحفِظتُ عنه ما حدثه به ولم أعرِف اسمَه ، قال حدثني إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال : عَمِلتُ في أيام الرشيد لحناً وهو : [من البسيط]

صوت

سقْياً لأرضٍ إذا ما نِمْتُ نَبَّهني ... بعـدَ الهدوِّ بهـا قَرْعُ النواقيسِ
كأنَّ سَوْسَنها في كلِّ شارقـةٍ ... على الميادِيـن أذنابُ الطواويسِ

قال : فأعجبني وعَمِلتُ على أن أُباكِر به الرشيد . فلقِيَني في طريقي خادم لعُلَيَّة بنت المهدي ، فقال : مولاتي تأمرك بدخول الدِّهليز لتسمع من بعض جواريها غِناءً أخذتْه عن أبيك وشكَّتْ فيه الآن . فدخلتُ معه إلى حجرة قد أفردت لي كأنها كانت مُعدة ، فجلستُ ، وقُدم لي طعامٌ وشرابٌ فنِلت حاجتي منهما ، ثم خرج إليَّ خادم فقال لي : تقول لك مولاتي : أنا أعلم أنك قد غدوتَ إلى أمير المؤمنين بصوت قد أعددتَه له مُحْدَثٍ ، فأسمِعنيه ولك جائزةٌ سنية تتعجلها ، ثم ما يأمر به لك بين يديك ، ولعله لا يأمر لك بشيء أوْ لا يقع الصوت منه بحيث توخَّيتَ ، فيذهب سعيُك باطلاً . فاندفعتُ فغنَّيْتُها إياه ، ولم تزل تستعيده مراراً ، ثم أخرجتْ إليَّ عشرين ألف درهم وعشرين ثوباً ، وقالت : هذه جائزتك ، ولم تزل تستعيده مراراً . ثم قالت : اسمعه مني الآن ؛ فغنته غِناءً ما خرَق سمعي مثلُه . ثم قالت : كيف تراه ؟ قلت : أرى والله ما لم أرَ مثله . قالت : يا فلانة أعيدي له مثل ما أخذ ؛ فأحضرت لي عشرين ألفاً أخرى وعشرين ثوباً . فقالت : هذا ثمنه ، وأنا الآن داخلةٌ إلى أمير المؤمنين ، أبدأ أتغنى به ، وأُخبِر أنه من صنعتي . وأعطِي الله عهداً لئن نطقتَ أن لك فيه صنعةً لأقتلنك ؛ هذا إن نجوتَ منه إن علم بمصيرك إليَّ . فخرجتُ من عندها ووالله إني لكالموقن بما أكره من جائزتها أسفاً على الصوت ، فما جَسَرتُ والله بعد ذلك أن أتنغَّم به في نفسي فضلاً عن أن أُظهره حتى ماتت . فدخلتُ على المأمون في أول مجلسٍ جلسه للهْو بعدَها ، فبدأتُ به أول ما غنَّيت . فتغيَّر لون المأمون وقال : من أين لك ويلك هذا ؟ ! قلت : ولِيَ الأمانُ على الصدق ؟ قال : ذلك لك . فحدثتُه الحديث . فقال : يا بغيض ؛ فما كان في هذا من النفاسة حتى شهرتَه وذكرتَ هذا منه مع ما قد أخذتَه من العوض ؛ وهجَّنني فيه هُجْنَةً وَددتُ معها أني لم أذكره . فآليتُ ألاَّ أغنِّيه بعدها أبداً . الشعرُ في هذا الصوت لإسماعيل بن يسار النسائي ، وقيل : إنه لإسحاق ، والغناء لإسحاق لا شك فيه ولحنُه من الثقيل الأول مطلق في مجرى الوسطى . وذكر حبش أنه للهُذلي ، ولم يحصِّل ما قاله .

[طارحت أخاها إبراهيم الغناء]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن عُلَيل العنزي قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال قال لي يَنْشُو المغني حدثني أبو أحمد بن الرشيد قال : كنت يوماً عند المأمون وإلى جانبي منصور وإبراهيم عَمَّاي ، فجاء ياسر دخلة فسارّ المأمون . فقال المأمون لإبراهيم : إن شئت يا إبراهيم فانهض ، فنهض . فنظرتُ إلى ستر قد رُفِع ممّا يلي دار الحُرَم ، فما كان بأسرع من أن سمعتُ شيئاً أقلقني . فنظر إليَّ المأمون وأنا أميل فقال لي : يا أبا أحمد ما لك تميل ؟ فقلت : إني سمعت شيئاً ما سمعتُ بمثله . فقال : هذه عمَّتك عُلية تطارح عمك إبراهيم : [من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بـــي جافيهْ

نسبة هذا الصوت

صوت

[من السريع]

ما لي أرى الأبصارَ بي جافيهْ لم تلتفـتْ منِّي إلى ناحيهْ
لا ينظـرُ الناسُ إلى المُبْتَلى وإنّمـا الناسُ مـع العافيهْ
صَحْبي سَلُوا ربَّكُـم العافيهْ فقـد دهتني بعدَكم داهيهْ
صارَمَنـي بعدَكم سيِّـدي فالعـينُ من هِجرانهِ باكيهْ

الشعر لأبي العتاهية ، وذكر ابن المعتز أنه لعليّة وأن اللحن لها خفيف رمل . وذُكر أنه لغيرها خفيف رمل مطلق ، ولحن عليّة مزمومٌ .

[هديتها للرشيد وأخيه منصور]

أخبرني عمي قال حدثني أبو العباس أن بِشراً المرثدي قال قالت لي رَيِّقُ : كنت يوماً بين يدي الرشيد وعنده أخوه منصور وهما يشربان ، فدخلتْ إليه خَلُوب (جارية لعلية) ومعها كأسان مملوءتان وتحيَّتان ، ومع خادم يتبعها عودٌ ، فغنتهما قائمة والكأسان في أيديهما والتحيتان بين أيديهما : [من السريع]

صوت

حيّـــاكما اللهُ خَلِيلَيّـــا إنْ مَيِّـتـاً كنتُ وإن حيّـا
إن قلتمـا خيراً فخيرٌ لكم أو قلتمـا غَيّـاً فـلا غَيّـا

فشربا . ثم دفعتْ إليهما رقعةً فإذا فيها : «صنعتْ يا سيدي أُختُكما هذا اللَّحنَ اليوم ، وألقتْه على الجواري ، واصطبحتُ فبعثتُ لكما به ، وبعثتُ من شرابي إليكما ومن تحياتي وأُحْذَق جواري لتغنِّيَكما . هنأكما الله وسرّكما وأطاب عيشَكما وعيشي بكما» .

[إبراهيم بن المهدي يغني لحناً لها]

أخبرني عمي قال حدثني بنحوٍ مِنْ هذا أبو عبد الله بن المرزبان قال حدثني إبراهيم بن أبي دلَف العِجلي قال[1] : كنا مع المعتصم بالقاطول وكان إبراهيم بن المهدي في حَرَّاقته بالجانب الغربي ، وأبي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي في حَراقَتَيْهما بالجانب الشرقي . فدعاهما في يوم جمعة ، فعبرا إليه في زلال وأنا معهما وأنا صغير ، عليَّ أقْبيةٌ ومِنطقةٌ . فلما دنونا من حَرَّاقة إبراهيم فرآنا نهض ونهضتْ بنهوضه صبية له يقال لها «غَضَّةٌ» وإذا في يديها كأسان وفي يده كأس . فلما صعِدا إليه اندفع فغنّى : [من السريع]

حيَّاكما اللهُ خليليَّا إنْ مَيِّتاً كنتُ وإن حيّا
إن قلتما خيراً فأهْلاً بـه أو قلتما غَيّاً فلا غَيّا

ثم ناول كلَّ واحدٍ منهما كأساً ، وأخذ هو الكأسَ الثالث الذي في يد الجارية وقال : هلُمَّ نشرب على رِيقنا قدحاً . ثم دعا بالطعام فأكلنا ، ووُضِع النبيذُ فشرِبنا ، وغناه وغناهما وضربا معه وضرب معهما ، وغنَّت الصبية ، فطرِب أبي وقال لها : أحسنتِ أحسنت . فقال له إبراهيم : إن كانت أحسنَتْ فخُذْها ، فما أخرجتُها إلا لك .

[استرضاؤها الرشيد لأم جعفر]

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم وإسماعيل بن يونس قالا حدثنا أبو هِفان قال : أُهْدِيتْ إلى الرشيد جاريةٌ في غاية الجمال والكمال ، فخلا معها يوماً وأخرج كلَّ قينة في داره واصطبح ، فكان جميع من حضره من جواريه المغنِّيات والخَدَمة في الشراب زُهاء ألفَيْ جاريةٍ في أحسن زِيٍّ من كلِّ نوع من أنواع الثياب والجوهر . واتصل الخبر بأُمِّ جعفر فغلُظ عليها ذلك ، فأرسلت إلى عُلَيّة تشكو إليها . فأرسلت إليها عليّةُ : لا يَهُولَنكِ هذا ، فوالله لأردنه إليكِ ، قد عزمتُ أن أصنع شعراً وأصوغ فيه لحناً وأطرحه على جواري ، فلا تبقى عندك جاريةٌ إلا بعثت بها إليّ وألبسيهنَّ ألوانَ الثياب ليأخذنَ الصوتَ مع جواري ، ففعلتْ أُمُّ جعفر ما أمرتْها به عليّة . فلما جاء وقت صلاة العصر لم يشعر الرشيد إلا وعُلَيّة قد خرجت عليه من حُجرتها ، وأُم جعفر من حجرتها معها زهاء ألفيْ جاريةٍ من

1 تقدم هذا الخبر بنصه وسنده في ترجمة إبراهيم بن المهدي ، ص 97 .

جواريها وسائر جواري القصر ، عليهن غرائب اللباس ، وكلهن في لحنٍ واحد هَزَجٍ صَنَعتْه عليّة : [من مجزوء الرجز]

صوت

منفصــلٌ عنِّــي ومــا قلبــيَ عنــه منفصِلْ
يــا قاطعــي اليومَ لِمَنْ نويتَ بعدي أن تَصِلْ

فطرِب الرشيد وقام على رجليه حتى استقبل أمَّ جعفر وعليّة وهو على غاية السرور ، وقال : لم أرَ كاليوم قط . يا مسرور لا تُبقِينَّ في بيت المال دِرهماً إلا نثرتَه . فكان مبلغ ما نثره يومئذٍ ستةَ آلاف ألف درهم ، وما سُمِع بمثل ذلك اليومِ قط .

[تحب لحن الرمل]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد المبرد قال : كانت عُلَيَّة تقول : من لم يُطْرِبْه الرمل لم يُطربه شيء . وكانت تقول : من أصبح وعنده طَباهِجةٌ باردةٌ ولم يصطبح فعليه لعنةُ الله .

[طرب الإخوة]

حدثني عمي قال حدثني هبةُ الله بن إبراهيم بن المهدي قال حدثني يوسف بن إبراهيم قال قالت لي عَرِيبُ : أحسنُ يومٍ رأيتُه وأطيبُه يومٌ اجتمعتُ فيه مع إبراهيم بن المهدي عند أخته عليّة وعندهم أخوهم يعقوب ، وكان أحذَق الناس بالزَّمْر . فبدأت عليّة فغنتهم من صنعتها وأخوها يعقوب يزمُر عليها : [من الطويل]

صوت

تَحَبَّبْ فــإن الحــبَّ داعيــةُ الحــبِّ وكم مِنْ بعيدِ الدارِ مستوجبُ القربِ

وغنى إبراهيم في صنعته وزمَر عليه يعقوب : [من البسيط]

صوت

يا واحــدَ الحُبِّ مالي منكَ إذ كَلِفتْ نفسي بحبِّــكَ إلا الهــمُّ والحَــزَنُ[1]
لم يُنسنِيــك سرورٌ لا ولا حَــزَنٌ وكيفَ لا كيفَ يُنْسى وجهُك الحَسَنُ
ولا خــلا منكَ قلبي لا ولا جَسَدي كُلِّــي بِكُلِّــكَ مشغــولٌ ومُرْتَهَنُ
نــورٌ تولَّــدَ مِن شمسٍ ومِــن قمرٍ حتــى تكامــلَ منــه الرُّوحُ والبَــدَنُ

فما سمعتُ مثلَ ما سمعته منهما قط ، وأعلم أني لا أسمع مثله أبداً .

1 واحدَ الحبِّ في ل : فردة الحسنِ .

[عدد أصواتها]

قال ميمون بن هارون قلت لعريب : رأيتُ في النوم كأني سألت عليّة بنت المهدي عن أغانيها فقالت لي : هي نَيِّفٌ وخمسون صوتاً . فقالت لي عَرِيب : هي كذلك . وقد أخبرني بنحو هذا الخبر عبد الله بن الربيع الرَّبيعي قال حدثني وسواسة وهو أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدثتني خِشْف الواضحية أنها تمارت هي وعريب في غِناء علية بحضرة المتوكل أو غيره من الخلفاء ، فقالت هي : هي ثلاثةٌ وسبعون صوتاً . فقالت عَريب : هي اثنتان وسبعون صوتاً . فقال المتوكل : غنِّيا غِناءها ، فلم تزالا تغنِّيان غناءها حتى مضى اثنان وسبعون صوتا ، ولم تذكر خشْف الثالثَ والسبعين فقُطِع بها واستولت عريب عليها وانكسرت . قالت : فلما كان الليل رأيتُ عليّة فيما يرى النائم فقالت : يا خِشْفُ خالفتْكِ عَرِيبُ في غِنائي ! قلت : نعم يا سيدتي . قالت : الصواب معكِ ، أفتدرِين ما الصوتُ الذي أُنْسِيتِه ؟ قلت : لا والله ! ولَوَدِدتُ أني فَدَيت ما جرى بكل ما أملك . قالت هو : [من الرمل]

صوت

بُنـيَ الحُبُّ على الجَـوْرِ فَلَوْ أَنْصفَ المعشوقُ فيـه لسَمُجْ
ليسَ يُسْتَحْسَنُ في حكم الهوى عاشقٌ يُحسنُ تأليـفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبنْ مـن محبٍّ ذِلَّـةً ذلَّـةُ العاشقِ مِفتاحُ الفرجِ
وقليـلُ الحبِّ صِرْفـاً خالصاً لكَ خيرٌ مـن كثيرٍ قـد مُزجْ

وكأنها قد اندفعت تغنِّيني به ، فما سمعتُ أحسنَ مما غنَّتْه ، ولقد زادت لي فيه أشياء في نومي لم أكن أعرفها . فانتبهتُ وأنا لا أعقِل فرحاً به . فباكرتُ الخليفةَ وذكرتُ له القصة . فقالت عَريب : هذا شيء صنعتِه أنتِ لِما جرى بالأمسِ ، وأما الصوت فصحيح . فحلفتُ للخليفة بما رضي به أن القصة كما حَكَيْتُ . فقال : رؤياكِ والله أعجب ، ورحِم الله علية ! فما تركت ظَرفَها حيَّة وميِّتة ، وأجازني جائزة سنِية . ولعليّة في هذا الصوت أعنى : [من الرمل]

بُنِـيَ الحـبُّ على الجَـوْر فلوْ

لحنان : خفيف ثقيلٍ وهزج . وقيل إن الهَزَج لغيرها .

[الرشيد يمدح لحنين لها]

ونسختُ من كتاب محمد بن الحسن الكاتب حدثني أحمد بن محمد الفيرزان قال حدثني

بعض خَدَمِ السلطان عن مسرور الكبير ، ونسختُ هذا الخبر بعينه من كتاب محمد بن طاهر يرويه عن ابن الفيرزان ، وفيهما خلاف يذكر في موضعه ، قال : اشتاق الرشيد إلى إبراهيم الموصلي يوماً ، فركِب حماراً يقرب من الأرض ، ثم أمر بعض خدم الخاصة بالسعي بين يديه ، وخرج من داره ، فلم يزل حتى دخل على إبراهيم . فلما أحسَّ به استقبله وقبَّلَ رجليه . وجلس الرشيد فنظر إلى مواضع قد كان فيها قومٌ ثم مَضَوْا ، ورأى عيداناً كثيرةً ، فقال : يا إبراهيم ما هذا ؟ فجعل يدافع . فقال : ويلَك ! اصدُقْني . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، جاريتان أطرح عليهما . قال : هاتهما . فأحضر جاريتين ظريفتين ، وكانت الجاريتان لعلية بنتِ المهدي بعثت بهما يطرَح عليهما . فقال الرشيد لإحداهما : غني ، فغنتْ ، وهذا كله من رواية محمد بن طاهر : [من الرمل]

بُنـيَ الحُـبُّ على الجَوْرِ فلـوْ أنْصفَ المعشوقُ فيـه لسَمُجْ
ليس يُستحسنُ في حكم الهوى عاشقٌ يُحسِنُ تأليـفَ الحُجَجْ
لا تَعِيبَن مـن محـبٍّ ذِلـةً ذِلَّـةُ العاشقِ مِفتـاحُ الفَرَجْ
وقليـلُ الحـبِّ صرفاً خالصاً لكَ خيرٌ مـن كثيرٍ قـد مُزِجْ

فأحسنتْ جداً . فقال الرشيد : يا إبراهيم لمن هذا الشعر ؟ ما أملحه ! ولمن اللحن ؟ ما أظرفه ! فقال : لا عِلم لي . فقال للجارية ، فقالت : لستِّي . قال : ومَن ستِّكِ ؟ قالت : عليّة أختُ أميرِ المؤمنين . قال : الشعرُ واللحن ؟ ! قالت نعم ! فأطرق ساعة ثم رفع رأسَه إلى الأُخرى فقال : غني ؛ فغنَّتْ : [من الطويل]

صوت

تَحَبَّبْ فـإنَّ الحـبَّ داعيـةُ الحبِّ وكم من بعيدِ الدارِ مستوجبُ القربِ
تَبَصَّرْ فإن حُدِّثـتَ أن أخـا هوى نجا سالِماً فارجُ النَّجاةَ مـن الحبِّ
إذا لم يكن في الحبِّ سُخْطٌ ولا رِضاً فأيـنَ حـلاواتُ الرسائـلِ والكُتْبِ

الغناء لعليّة خفيف ثقيل . وفي كتاب علويه : الغناء له ، فسأل إبراهيم عن الغناء والشعر ؛ فقال : لا عِلم لي يا أمير المؤمنين . فقال للجارية : لمن الشعر واللحن ؟ فقالت لستِي . قال : ومَن ستِّكِ ؟ فقالت : عليّة أختُ أمير المؤمنين . فوثب الرشيد وقال : يا إبراهيم احتفظ بالجاريتين . ومضى فركِب حِماره وانصرف إلى عليّة . هذا كله في رواية محمد بن طاهر ، ولم يذكره محمد بن الحسن ، ولكنه قال في خبره : إن الرشيد زار الموصلي هذه الزيارة ليلاً ، وكان سببها أنه انتبه في نصف الليل فقال : هاتوا حِماري فأُتِي بحمارٍ كان له أسْوَدَ يركبه في

القصر قريبٍ من الأرض ، فركبه وخرج في دُرَّاعةٍ وشي متلثِّماً بعمامة وشيٍ مُلْتَحِفاً برداء وشيٍ ، وخرج بين يديه أربعمائة خادم أبيض سوى الفراشين . وكان مسرور الفَرْغاني جريئاً عليه لمكانته عنده ، فلما خرج على باب القصر قال : أين يريد أمير المؤمنين في هذه الساعة ؟ قال : أردتُ منزلَ الموصلي . قال مسرور : فمضى ونحن بين يديه حتى انتهى إلى منزل إبراهيم ، فتلقَّاه وقبَّل حافرَ حِماره وقال : يا أمير المؤمنين ، جعلني الله فداءك ، أفي مثل هذه الساعة تظهر ؟! قال : نعم شوقٌ طرَق بي . ثم نزل فجلس في طَرَف الإيوان وأجلس إبراهيم . فقال له إبراهيم : يا سيدي أتنشَط لشيءٍ تأكله ؟ قال : نعم ، وما هو ، قال : خامِيزُ[1] طبيٍ . فأتي به كأنما كان مُعَداً له فأصاب منه شيئاً يسيراً ، ثم دعا بشرابٍ كان حُمِل معه . فقال له إبراهيم الموصلي : أوغنِّيك يا سيِّدي أم يغنِّيك إماؤك ؟ فقال : بل الجواري . فخرج جواري إبراهيم فأخذْنَ صَدْرَ الإيوان وجانبيه . فقال : أيَضْرِبْنَ كلُّهن أم واحدةٌ واحدةٌ ؟ فقال : بل تَضْرِب اثنتان وتغنِّي واحدةٌ فواحدةٌ . ففعلن ذلك حتى مَرَّ صدرُ الإيوان وأحدُ جانبيه والرشيد يسمع ولا ينشط لشيءٍ من غِنائهن ، إلى أن غَنَّتْ صبيةٌ من حاشية الصفِّ : [من البسيط]

صوت

يا مُورِيَ الزَّنْدِ قد أعيتْ قوادحُه ... اقْبِسْ إذا شئتَ من قلبي بمِقْباسِ

مـا أقبحَ الناسَ في عيني وأسمجَهم ... إذا نظـرتُ فلم أُبْصِرْك في الناسِ

فطرِب لغنائها واستعاد الصوتَ مراراً وشرب أرطالاً ، ثم سأل الجارية عن صانعه فأمسكتْ ، فاستدناها فتقاعست . فأمر بها فأُقيمت إليه ، فأخبرته بشيءٍ أسرَّتْه إليه . فدعا بحماره فانصرف والتفتَ إلى إبراهيم فقال : ما عليك ألا تكونَ خليفةً ! فكادت نفسُه تخرُج ، حتى دعا به بعدُ وأدناه . هذا نظمُ رواية محمد بن الحسن في خبره . وقال محمد بن طاهر في خبره : فقال للموصلي : احتفظ بالجاريتين ، وركِب من ساعته إلى عليّة فقال : قد أحببتُ أن أشربَ عندكِ اليومَ . فتقدَّمتْ فيما تُصْلِحُه ، وأخذا في شأنهما . فلما أن كان في آخر الوقت حمل عليها بالنبيذ ، ثم أخذ العودَ من حِجر جارية فدفعه إليها ، فأكبرتْ ذلك . فقال : وتُربة المهدي لَتُغَنِّنَّ ! . قالت : وما أُغنِّي ؟ قال : غَنِّي : [من الرمل]

بُنِيَ الحـبُّ على الجَـوْرِ فلوْ

1 الخاميز : مرق السكباج المبرد المصفى من الدهن .

فعلمت أنه قد وقف على القصة فغنَّته . فلما أتت عليه قال لها غَنِّي : [من الطويل]

تَحَبَّبْ فإن الحبَّ داعيــةُ الحبِّ

فلَجْلَجَتْ ثم غنته . فقام وقبَّل رأسَها وقال : يا سيِّدتي هذا عندكِ ولا أعلم ! وتمَّمَ يومَه معها .

[تذهل جاريتها أخاها إبراهيم]

حدثني جحظة قال حدثني أبو العَنْبَس بن حمدون قال قال إبراهيم بن المهدي : ما خَجلتُ قَطُّ خَجْلَتي من علية أختي . دخلتُ عليها يوماً عائداً فقلت : كيف أنت يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك ؟ فقالت : بخير والحمد لله . ووقعتْ عيني على جارية كانت تَذُبُّ عنها فتشاغلتُ بالنظر إليها فأعجبتني وطال جلوسي ، ثم استحيَيْتُ من عليّة فأقبلتُ عليها فقلت : وكيف أنتِ يا أُختي جُعِلْتُ فِداءك وكيف حالُك وجسمُك ؟ فرفعتْ رأسَها إلى حاضنةٍ لها وقالت : أليس هذا قد مضى مرة وأجبنا عنه ؟ فخجِلتُ خَجَلاً ما خَجِلتُ مِثْلَه قَطُّ ، وقمتُ وانصرفتُ .

[جعفر يسمع غناءها عند الرشيد]

أخبرني عبد الله بن الربيع الربيعي قال حدثني أحمد بن إسماعيل عن محمد بن جعفر بن يحيى بن خالد قال : شَهِدتُ أبي جعفراً وأنا صغيرٌ وهو يحدث يحيى بن خالد جدي في بعض ما كان يخبره به من خَلَواته مع الرشيد ، قال : يا أبتِ ، أخذ بيدي أمير المؤمنين ثم أقبل على حُجرة يخترقها حتى انتهى إلى حُجْرة مغلقة ففُتِحتْ له ، ثم رجع مَن كان معنا من الخَدَم ، ثم صرنا إلى حُجْرة مغلقة ففتحها بيده ودخلنا جميعاً وأغلقها من داخلٍ بيده ، ثم صرنا إلى رِواقٍ ففتحه وفي صدره مجلس مغلق فقعَد على باب المجلس ، فنقَر هارون الباب بيده نَقَراتٍ فسمِعنا حساً ، ثم أعاد النَّقْرَ فسمِعنا صوتَ عود ، ثم أعاد النَّقْر ثالثةً فغنَّتْ جاريةٌ ما ظننت والله أن الله خلَق مِثْلَها في حُسْن الغِناء وجودة الضَّرب . فقال لها أمير المؤمنين بعد أن غنَّتْ أصواتاً : غَنِّي صوتي ، فغنَّتْ صوتَه ، وهو : [من الكامل]

صوت

ومُخَنَّثٍ شَهِد الزِّفــافَ وقَبْلَه غَنَّى الجواريَ حاسراً ومُنَقِّبا
لبِس الدَّلالَ وقــامَ يَنْقُر دُفَّهُ نَقْراً أقــرَّ بــه العيــونَ وأطْرَبا
إنَّ النساءَ رأينــه فعشِقْنَــه فشكونَ شدّةَ ما بهنَّ فأكذبا

في هذا اللحن خفيفُ رملٍ نسبه يحيى المكي إلى ابن سريج ولم يصح له ، وفيه حفيف ثقيل في كتاب عليّة أنه لها ، وذكر عبد الله بن محمد بن عبد الملك الزيات أنه لرَيِّقَ . واللَّحن مأخوذٌ من : [من الكامل]

إنَّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ

وهو خفيف ثقيلٍ للهُذَلي ، ويقال إنه لابن سريج ، وهو يأتي في موضع آخر ، قال : فطربتُ والله طرباً هممتُ معه أن أنطح برأسي الحائطَ . ثم قال غَنِّي : [من المديد]

طـــال تكذيبي وتصديقي

فغنَّت : [من المديد]

صوت

طالَ تكذيبي وتصديقي لم أجِدْ عهداً لمخلوقِ
إنَّ ناساً في الهوى غَدَروا أحدثوا نَقْضَ المواثيقِ
لا تَراني بعدَهم أبداً أشتكي عِشقاً لمعشوقِ

لحنُ عليّة في هذا الصوت هزج . والشعر لأبي جعفر محمد بن حُمَيد الطُّوسي وله فيه لحنٌ خفيف ثقيلٍ . ولعَرِيبَ فيه ثقيلٌ أول وخفيفُ ثقيل آخر ، قال : فرقَص الرشيد ورقصتُ معه ، ثم قال : امْضِ بنا فإني أخاف أن يبدو منا ما هو أكثر من هذا ، فمضَيْنا . فلما صرنا إلى الدِّهليز قال وهو قابض على يدي : أعرفتَ هذه المرأة ؟ قال قلت : لا يا أمير المؤمنين . قال : فإني أعلم أنك ستسأل عنها ولا تكتُم ذلك ، وأنا أُخبرك أنها عُلَيَّة بنتُ المهدي . ووالله لئن لَفَظْتَ به بين يَدَيْ أحدٍ وبلغني لأقتلنك . قال : فسمِعتُ جدي يقول له : فقد والله لفظتَ به ، ووالله ليقتلنَّك ! فاصنعْ ما أنت صانع .

نسبة الصوت الذي أُخذ منه :

[من الكامل]

ومُخَنَّثٍ شهِدَ الزِّفافَ وقَبْلَه

صوت

[من الكامل]

إنَّ الرجالَ لهم إليكِ وسيلةٌ إن يأخذوكِ تَكَحَّلي وتَخَضَّبي
وأنا امرؤٌ إن يأخذوني عَنْوةً أُقْرَنْ إلى سَيْرِ الرِّكابِ وأُجْنَبِ

ويكونُ مركبُكَ القَعودَ وحِدْجَه وابنُ النَّعامةِ يـومَ ذلك مَرْكَبي[1]

الناس يَرْوون هذه الأبيات لعنترة بن شَداد العَبْسي ، وذكر الجاحظ أنها لخُزَز بن لَوْذان ، وهو الصحيح . وخُزَزُ شاعرٌ قديم يقال إنه قبل امرىء القيس . وقد اختُلِف في معنى قوله «ابن النعامة» فقال أبو عبيدة والأصمعي : النعامة فرسُه وابنُها ظِلُّها . يقول : أُقاد في الهاجرة إلى جَنْبها فيكون ظِلِّي كالراكب لظِلِّها . وقال أبو عمرو الشَّيْباني : ابن النَّعامة مُقَدَّم رِجْله مما يَلي الأصابع . يقول : فلا يكون لي مركبٌ إلا رِجلي . وقال خالد بن كلثوم : ابن النعامة الخشبة التي يُصْلَب عليها . يقول : أُقْتَلُ وأُصْلَبُ فتكون الخشبة مركبي . واحتجَّ مَن ذكر أنه يَعني ظلَّ فرسه وأنه يكون كالراكب له بقول الشاعر[2] : [من الكامل]

إذ ظَلَّ يحسَبُ كلَّ شيءٍ فارساً ويَـرى نعامـةَ ظِلِّه فيَحُولُ

قال : وابن النعامة : ظِلُّ كلِّ شيء . وقد مضى هذا الصوت مفرداً مع خبره في موضع آخر .

[مزيد من غنائها للرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا أحمد بن يزيد المهلَّبي قال حدثنا حماد بن إسحاق قال : زار الرشيد عليَّة فقال لها : بالله يا أُختي غَنِّيني . فقالت : وحياتِك لأعملنَّ فيك شعراً ولأعملنَّ فيه لحناً ، فقالت من وقتها : [من الكامل]

صوت

تَفدِيك أُختُك قـد حَبَوْتَ بنعمةٍ لسنا نَعُـدُّ لهـا الزمـانَ عديلا
إلاَّ الخلودَ ، وذاك قربُك سيِّدي لا زالَ قربُـك والبقـاءُ طويلا
وحَمِدتُ ربِّي في إجابـةِ دعوتي فرأيـتُ حمدي عنـدَ ذاكَ قليلا

وعَمِلتْ فيه لحناً من وقتها في طريقة خفيف الرَّمل ، فأطربَ الرشيد وشرب عليه بقيَّة يومه .

قال : وقالت للرشيد أيضاً وقد طلب أختَها ولم يطلبها .

صوت

[من البسيط]

ما لي نُسِيتُ وقد نُودِي بأصحابي وكنتُ والذِّكْرُ عندي رائحٌ غادي

---

1 القعود : ما يخصص للركوب من الإبل . الحدج : من مراكب النساء .

2 البيت لجرير ، ص 382 (طبعة دار صادر) .

أنـا التي لا أطيقُ الدَّهْرَ فُرْقَتكم فَرِقَّ لي يا أخـي مـن طولِ إبعادِ

قال : وغنَّت فيه لحناً من الثقيل الثاني ، وبعثت مَن غناه للرشيد ، فبعث فأحضرها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عون بن محمد قال حدثني زُرْزُور الكبير غلام جعفر بن موسى الهادي : أن عليّة حجَّتْ في أيام الرشيد ، فلما انصرفتْ أقامت بطِيزَناباذَ[1] أياماً ، فانتهى ذلك إلى الرشيد فغضِب . فقالت علية : [من الخفيف]

صوت

أيُّ ذنـبٍ أذنبتُـه أيُّ ذنبِ أيُّ ذنبٍ لـولا رجائي لربِّي
بمُقامـي بطِيزَنابـاذَ يومـاً بعـدَه ليلـةٌ على غيرِ شُرْبِ
ثـم باكرتُهـا عُقاراً شَمُولاً تَفْتِـنُ الناسِكَ الحليمَ وتُصْبي
قَرْقَفاً قهـوةً تراهـا جَهُولاً ذاتَ حِلْم فَرَّاجَـةً كلَّ كَرْبِ

قال : وصنعتْ في البيتين الأولين لحناً من خفيف الثقيل ، وفي البيتين الأخيرين لحناً من الرمل . فلما جاءت وسمِع الشعر واللحنين رضي عنها .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني عبد الله بن إبراهيم بن المهدي قال : اشتاق الرشيد إلى عمتي عليّة بالرَّقة ، فكتب إلى خالها يزيد بن منصور في إخراجها إليه فأخرجها . فقالت في طريقها : [من البسيط]

صوت

اشْرَبْ وغَنِّ على صوتِ النَّواعِيرِ مـا كنتُ أعرِفها لولا ابنُ منصورِ
لـولا الرجاءُ لمـن أمَّلتُ رُؤْيَتَه مـا جُزْتُ بغدادَ في خوفٍ وتغريرِ

وعَمِلتْ فيه لحناً في طريقة الثقيل الأول .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدثنا الهِشامي أبو عبد الله قال : لما خرج الرشيد إلى الرَّي أخذ أُخته عُليّة معه . فلما صار بالمَرْج عمِلتْ شعراً وصاغت فيه لحناً في طريقة الرمل وغنت به ، وهو : [من الطويل]

صوت

ومُغْتَرِبٍ بالمَـرْج يَبْكي لِشَجْوِهِ وقد غابَ عنه المُسعِدون على الحبِّ

1 طيزناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

إذا ما أتاه الرَّكْبُ مِن نَحوِ أرضِه تنشَّق يَسْتشفي برائحةِ الرَّكْبِ

فلما سمِع الصَّوت علِم أنها قد اشتاقت إلى العراق وأهلِها به فردها .

ونسختُ من كتاب هارون بن محمد الزيات حدثني بعضُ موالي أبي عيسى بن الرشيد عن أبي عيسى : أن عليّة غَنَّتِ الرشيد في يوم فِطر : [من البسيط]

صوت

طالتْ عليَّ ليالي الصَّومِ واتصلتْ حتى لقد خِلتُها زادتْ على الأَبَدِ

شوقاً إلى مجلس يُزْهَى بصاحبِهِ أُعِيذُه بجلالِ الواحدِ الصَّمَدِ

الغناء لعلية ثاني ثقيل لا يُشَك فيه ، وذكر بعضُ الناس أنه للواثق ، وذكر آخرون أنه لعبد الله بن العباس الربيعي . والصحيح أنه لعلية . وفيه لعريب ثقيلٌ أول غنَّته المعتمد يوم فِطْر فأمر لها بثلاثين ألف درهم .

[ضربت وكيلها وحبسته لخيانته]

وقال ميمون بن هارون حدثني أحمد بن يوسف أبو الجَهم قال : كان لعلية وكيل يقال له سِباعٌ ، فوقفتْ على خيانته فضربته وحبسته ، فاجتمع جيرانه إليها فعرفوها جميلَ مذهبه وكثرة صِدْقه[1] ، وكتبوا بذلك رقعة ، فوقعتْ فيها : [من الطويل]

أَلا أَيُّهَذا الراكبُ العِيسَ بَلِّغَنْ سِباعاً وقُلْ إن ضَمَّ دارَكم السَّفْرُ

أَتَسْلُبني مالي وإنْ جاءَ سائلٌ رَقَقْتَ له أَنْ حطَّه نحوَكَ الفقرُ

كشافيةِ المَرْضَى بعائدةِ الزِّنا تؤمِّل أجراً حيثُ ليس لها أجرُ

[تركت الغناء لموت الرشيد]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني ميمون بن هارون قال حدثتني عَلَمُ السَّمراءِ جارية عبد الله بن موسى الهادي أنها شَهِدَتْ عُليَّة غَنَّت الأمين في شعر لها ، وهو آخر شعر قالته فيه ، وطريقته من الثقيل الثاني . وكانت لما مات الرشيد جَزِعتْ جَزَعاً شديداً وتركت النَّبيذَ والغِناء . فلم يزل بها الأمينُ حتى عادت فيهما على كرهٍ . والشعر : [من البسيط]

صوت

أَطَلْتِ عاذِلَتي لَوْمي وتَفْنِيدي وأنتِ جاهلةٌ شوقي وتَسْهِيدي

1 ل : صدقته .

لا تَشْرَبِ الرَّاحَ بين المُسْمِعاتِ وزُرْ ظَبْياً غَرِيراً نَقيَّ الخدِّ والجِيدِ
قد رنَّحتْه شَمُولٌ فَهْوَ مُنْجَدِلٌ يَحْكِي بوجنتِه ماءَ العناقيدِ
قامَ الأمينُ فأغْنى الناسَ كلَّهمُ فما فقيرٌ على حالٍ بموجودِ

لحن علية في هذا الشعر ثاني ثقيل . ولعريب فيه هزج ، وقيل إنَّ الهَزج لإبراهيم بن المهدي .

[شعرها في لبانة بنت أخيها]

وقال ميمون بن هارون حدثني محمد بن أبي عون قال حدثتني عريب أن علية قالت في لبانة بنتِ أخيها علي بن المهدي شعراً وغنَّت فيه من الثقيل الأول : [من الطويل]

صوت

وحدثني عن مجلسٍ كنتِ زَيْنَه رسولٌ أمينٌ والنساءُ شُهودُ
فقلتُ له كُرَّ الحديثَ الذي مَضى وذِكْرَكِ مِن ذاك الحديث أريدُ

وقد ذكر الهشامي أن هذا اللحن لإسحاق غنَّاه بالرَّقَّة . وليس ذلك بصحيح .

[أذهلت إسماعيل بن الهادي بغنائها]

أخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد . ونسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن الحسن عن عون بن محمد عن أبي أحمد بن الرشيد واللفظُ له قال : دخل يوماً إسماعيل بن الهادي إلى المأمون ، فسَمِع غِناءَ أذهله . فقال له المأمون : مالَكَ ؟ قال : قد سَمِعتُ ما أذهلني ، وكنتُ أُكذِّب بأن الأُرْغُن الرُّومي يقتُل طرباً ، وقد صدقتُ الآن بذلك . قال : أَوَ لا تَدْرِي ما هذا ؟ قال : لا والله ! قال : هذه عَمَّتُك عليّة تُلقي على عمِّك إبراهيمَ صوتاً من غِنائها . إلى هاهنا رواية محمد بن يحيى . وفي رواية محمد بن الحسن قال : هذه عمَّتُك تُلقي على عَمِّك إبراهيم صوتاً استحسنه من غنائها . فأصغيتُ إليه فإذا هي تُلقي عليه : [من الخفيف]

صوت

ليس خَطْبُ الهوى بخطبٍ يسيرِ ليس يُنْبِيكَ عنه مِثْلُ خبيرِ
ليس أمرُ الهوى يُدَبَّر بالرأ ي ولا بالقياسِ والتفكيرِ

اللَّحنُ في هذا لعليّة ثقيل أوَّل . وفيه لإبراهيم بن المهدي ثاني ثقيل عن الهشامي .

[وفاتها]

أخبرني جحظة قال حدثني هبة الله بن إبراهيم بن المهدي عن أبيه : أن عليّة بنت المهدي وُلِدتْ سنة ستين ومائة ، وتُوفِّيتْ سنة عشر ومائتين ولها خمسون سنة . وكانت عند موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس . وأخبرني محمد بن يحيى عن عون بن محمد قال حدثني محمد بن علي بن عثمان قال : ماتت علية سنة تسع ومائتين ، وصلى عليها المأمون . وكان سبب وفاتها أن المأمون ضمَّها إليه وجعل يقبِّل رأسها ، وكان وجهُها مُغَطىً ، فشَرِقت من ذلك وسعَلتْ ثم حُمَّتْ بعَقِب هذا أياماً يسيرةً وماتت .

وممن صنع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن الرشيد

فمن صنعته : [من مجزوء الرجز]

صوت

قـام بقلبـي وقَعَـدْ ظبيٌ نَفـى عنّي الجَلَدْ
خلَّفنـي مُدَلَّهـا أهِيـمُ في كلِّ بَلَـدْ
أسْهَـرني ثـم رَقَـدْ وما رثى لي من كَمَدْ
ظبيٌ إذا ازددتُ لـه تذلُّـلاً تـاه وصَدّ
واعَطَشا إلى فَـمٍ يَمُجُّ خمراً مـن بَرَدْ

عروضه من مجزوء الرَّجَز . والشعر والغِناء لأبي عيسى بن الرشيد ، ولحنُه فيه ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى من روايتي عبد الله بن المعتز والهشامي . وذكر الهشامي أن له أيضاً فيه لحناً من ثقيل الرمل ، وذكر حبشٌ أن الرمَل لحسين بن مُحْرِز . وفيه لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ .

[164] ـ أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه

[شيء من أوصافه]

اسمه أحمد ، وقيل بل اسمه صالح بن الرشيد . وهذا النَّسبُ أشهرُ من أن يُشْرَح[1] . وأُمُّه أُمُّ ولدٍ بَربَريَّة . وكان من أحسنِ الناس وجهاً ومجالسة وعِشرة ، وأمجنهم وأحدّهم نادرةً وأشدهم عَبَثاً . وكان يقول شعراً ليِّناً طيِّباً من مثْله .

أخبرني الحسن بن علي الخفاف قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر أنه سمع أباه يقول : سمعتُ أبي (يعني طاهر بن الحسين) يحدث أنه سمع الرشيد يقول للمأمون : أنت تعلم أنك أحبُّ الناس إليَّ ، ولو أستطيع أن أجعل لك وجه أبي عيسى لفعلت .

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني مسيِّح بن حاتم العُكْلي قال حدثنا إبراهيم بن محمد قال : كان يقال : انتهى جمالُ وَلَد الخلافة إلى أولاد الرشيد ، ومن أولاد الرشيد إلى محمد وأبي عيسى . وكان أبو عيسى إذا عزَم على الركوب جلس الناس له حتى يَرَوه أكثر مما يجلسون للخلفاء .

[مدحت عريب حسنه وغناءه]

حدثني محمد قال حدثني يعقوب بن بَنان قال حدثني علي بن الحسين الإسكافي قال : كنتُ عند أبي الصَّقْر إسماعيلَ بن بُلْبُل وعنده عَرِيب ، فسمعتُها تقول : انتهى جمالُ الرشيد إلى محمد الأمين وأبي عيسى ، ما رأى الناس مثلهما ، وكان المعتز في طِرازهما . قال : وسمعتُها تقول لأبي العباس بن حمدون : ما غناؤك من غِناء أبي عيسى بن الرشيد ! وما سمِعتُ قطُّ غِناءً أحسنَ من غنائه ، ولا رأيت وجهاً أحسن من وجهه .

[عجب الرشيد من جواب له في صباه]

أخبرني محمد قال حدثني الغَلابي قال حدثنا يعقوب بن جعفر قال : قال الرشيد لأبي عيسى ابنه وهو صبي : ليت جمالك لعبد الله (يعني المأمون) . فقال له : على أن حظَّه منك لي . فعجِب من جوابه على صِباه وضمَّه إليه وقبَّله .

---

1 ل : ينمى .

[سخط من رؤية هلال شهر رمضان]

وأخبرني الحسن بن علي وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدثنا عبدُ الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن طاهر عن أبيه قال : حدثني مَن شَهِد المأمونَ ليلةً وهم يتراءَوْن هلالَ شهرِ رمضان وأبو عيسى أخوه معه وهو مُسْتَلْقٍ على قفاه ، فرأوْه وجعلوا يَدْعُون . فقال أبو عيسى قولاً أُنكِر عليه في ذلك المعنى . كأنه كان متسخِّطاً لورود الشهر ، فما صام بعده .

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الحسين بن فَهم قال : قال أبو عيسى بن الرشيد : [من الطويل]

دهانيَ شهرُ الصَّومِ لا كان من شهرِ ... وما صُمْتُ شهراً بعدَه آخِرَ الدَّهرِ

فلو كان يُعْدِيني الإمامُ بقُدْرةٍ ... على الشهرِ لاستعدَيْتُ جهدي على الشَّهرِ

فناله بعقب قوله هذا الشعر صَرْعٌ ، فكان يُصْرَع في اليوم مرَّاتٍ إلى أن مات ، ولم يبلغ شهراً آخر .

[رأي إبراهيم بن المهدي في غنائه]

وذكر علي بن الهشامي عن جده ابن حمدون قال : قلت لإبراهيم بن المهدي : مَن أحسن الناس غناء ؟ قال : أنا . قلت : ثم مَن ؟ قال : أبو عيسى بن الرشيد . قلت : ثم مَن ؟ قال : مُخارق .

[عابث طاهر بن الحسين أمام المأمون]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني ابن أبي سعد قال حدثنا محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثنا محمد بن سعيد أخو غالب الصَّعْدي[1] قال : كان أبو عيسى بن الرشيد وطاهر بن الحسين يتغديان مع المأمون ، فأخذ أبو عيسى هِندَباءةً فغمَسها في الخلِّ وضرب بها عينَ طاهر الصحيحة . فغضِب طاهرٌ وشَقَّ ذلك عليه وقال : يا أمير المؤمنين إحدى عَيْنَيَّ ذاهبةٌ ، والأُخرى على يَدَيْ عَدْل ، يُفْعَل هذا بي بين يديك ؟! فقال له المأمون : يا أبا الطَّيِّب إنه والله لَيَعْبَث بي أكثر من هذا العَبَث .

[يُضحك المأمون وهو يخطب يوم الجمعة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبو عيسى بن علي بن عيسى بن ماهان قال : بينا المأمونُ يخطُب يومَ الجمعة على المِنبر

1 نسبة إلى صعدة في اليمن .

بالرصافة وأخوه أبو عيسى تِلْقاءَ وجهِه في المقصورة ، إذ أقبل يعقوب بن المهدي وكان أفسى الناس ، معروفاً بذلك . فلما أقبل وضع أبو عيسى كمَّه على أنفه ، وفَهِم المأمونُ ما أراد فكاد أن يضحَك . فلما انصرف بعَث إلى أبي عيسى فأحضره وقال له : والله لهمَمْتُ أن أبطحك فأضربك مائةَ دِرة ! ويْلَكَ ! أردتَ أن تفضَحني بين أيدي الناس يوم الجمعة وأنا على المنبر ؟ إياك أن تعود لمثل هذه ! . قال : وكان يعقوب بن المهدي لا يقدِر أن يُمْسك الفُساء إذ جاءه . فاتخذت له دايةٌ مُثَلَّثةً وطيَّبتْها وتنوَّقتْ فيها . فلما وضعتْها تحتَه فَسا ، فقال : هذه ليست بطيِّبة . فقالت له الداية : فديتُك ؛ هذه قد كانت طيِّبة وهي مثلثة ، فلما ربَّعتها فسدتْ . قال : وكان يعقوب هذا مُحمَّقاً ، كان يخطُر بباله الشيءُ فيشتهيه فيُثْبِتهُ في إحصاء خزائنه . فضَجَّ خازنُه من ذلك ، فكان يُثْبِتُ الشيء ثم يثبتُ تحتَه أنه ليس عنده ، وإنما أثبته ليكون ذكرُه عنده إلى أن يملِكه . فوُجِد في دفتر له فيه ثَبَتُ ثياب : «ثَبَتُ ما في الخزانة من الثِّياب المثقَّلة الإسكندرانية والهِشامية ، لا شيء ، أستغفر الله ، بل عندنا منها زرحية كانت للمهدي . الفصوص الياقوت الأحمر التي من حالها كذا وكذا لا شيء ، أستغفر الله ، بل عندنا منها دُرْجٌ كان فيه للمهدي خاتَمٌ هذه صفتُه» . فحُمِل ذلك الدفتر إلى المأمون ، فضحِك لما قرأه حتى فحَص برجله وقال : ما سمعتُ بمثل هذا قَط ! .

[كان المأمون يحبه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا سليمان بن داود المهلَّبي قال حدثني الهيثم بن محمد بن عباد عن أبيه قال : كان المأمون أشد الناس حباً لأبي عيسى أخيه ، كان يُعِدُّه للأمر بعدَه ، وتذاكرنا ذلك كثيراً . وسمعتُه يقول يوماً : إنه ليَسْهُل عليَّ أمرُ الموت وفَقْدُ المُلك ، وما يسهل شيء منهما على أحد ، وذلك لمحبتي أن يَلِيَ أبو عيسى الأمرَ من بعدي لشدة حُبِّي إياه .

[محبته صيد الخنازير]

أخبرني محمد بن علي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان سبب موت أبي عيسى بن الرشيد أنه كان يحب صيد الخنازير ، فوقع عن دابَّته فلم يَسلَم دماغُه ، فكان يتخبط في اليوم مَرَّاتٍ إلى أن مات .

[تعزية محمد بن عباد المأمون فيه]

حدثني محمد قال حدثنا أبو العَيناء قال حدثنا محمد بن عباد المهلبي قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد دخلتُ إلى المأمون وعِمامتي عليَّ ، فخلعت عِمامتي ونبذتُها وراءَ ظهري ، والخلفاء لا تُعَزَّى في العمائم ، ودنوتُ . فقال لي : يا محمد ، حال القَدَرُ دون الوَطَر[1] .

1 قريب من المثل «حال الأجل دون الأمل» في مجمع الميداني 1 : 204 .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، كلُّ مصيبةٍ أخطأتك تهون ، فجعل الله الحزنَ لك لا عليك .

[وفاته]

أخبرنا محمد قال حدثنا عون بن محمد قال سمعت هِبة الله بن إبراهيم يقول : مات أبو عيسى بن الرشيد سنة تسع ومائتين ، وصلّى عليه المأمون ونزل في قبره ، وامتنع من الطعام أياماً حتى خاف أن يَضُرَّ ذلك به .

[حزن المأمون عليه]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني أبو العيناء قال سمعت محمد بن عَباد يقول : لما توفي أبو عيسى بن الرشيد وجدَ المأمون عليه وَجْداً شديداً ، وكان له مُحِباً وإليه مائلاً . فركِب إلى داره حتى حضر أمرَه وصلَّى عليه ، وحضره الناس ، وكنتُ فيمن حضَر ، فما رأيتُ مُصاباً حزيناً قط أجمل أمراً في مُصيبةٍ ولا أَحْرَقَ وجداً منه من رجل صامت تجري دموعُه على خديه من غير كلح ولا استِنْثارٍ[1] .

[بكاء المأمون عليه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن أبي سعد الوراق قال حدثني محمد بن عبد الله بن طاهر قال حدثني أبي قال قال أحمد بن أبي دُواد : دخلتُ على المأمون في أول صحبتي إياه وقد تُوفِّيَ أخوه أبو عيسى وكان له محباً وهو يَبكِي ويَمْسَح عينيه بمِنديل ، فقَعَدتُ إلى جنب عمرو بن مَسعدَةَ وتمثَّلتُ قول الشاعر : [من السريع]

نَقْصٌ من الدنيا وأسبابِها نقصُ المنايا من بني هاشم

ولم يزل على تلك الحال ساعة يبكي ، ثم مسح عينيه وتمثل : [من الطويل]

سأبكيك ما فاضتْ دموعي فإن تَغِضْ فحسبُك مني ما تُجِنُّ الجوانحُ
كأنْ لم يَمُتْ حيٌّ سِواك ولم تَقُمْ على أحدٍ إلا عليكَ النوائحُ

ثم التفت إليَّ فقال : هِيه يا أحمد ! فتمثَّلتُ قولَ عبدة بن الطَّبِيب : [من الطويل]

عليكَ سلامُ اللهِ قَيسُ بنَ عاصمٍ ورحمتُه ما شاءَ أن يترحَّما
تحيَّةَ مَنْ أَوْلَيْتَه منكَ نعمةً إذا زارَ عن شَحْطٍ بلادَك سلَّما
وما كان قيسٌ هُلْكُه هُلْكَ واحدٍ ولكنّه بنيانُ قومٍ تهدَّما

فبكى ساعةً ثم التفتَ إلى عمرو بن مسعدة فقال : هِيهِ يا عمرو ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين : [من الكامل]

---

1 كلح : يقال : كلح وجه الرجل أي تكشر في عبوس . والاستنثار : إخراج ما في الأنف .

بَكَّوا حُذَيْفَةَ لم تُبَكُّوا مثْلَه حتى تعودَ قبائلٌ لم تُخْلَقِ

فإذا عريبُ وجَوارٍ معها يسمعنَ ما يدور بيننا ، فقلن : اجعلوا لنا معكم في القول نصيباً . فقال لها المأمون : قُولي ، فرُبَّ صوابٍ منكِ كثير . فقالت[1] : [من الطويل]

كذا فَلْيَجِلَّ الخطبُ ولْيَفْدَحِ الأمرُ وليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ
كأنَّ بني العباسِ يومَ وفاتِهِ نجومُ سماءٍ خَرَّ من بينها البدرُ

فبكى وبكينا . ثم قال لها المأمون : نُوحِي ، فناحت ورد عليها الجواري . فبكى المأمون حتى قلتُ : قد خرجتْ نفسُه ، وبكَيْنا معه أحرَّ بكاء ، ثم أمسكتْ . فقال لها المأمون : اصْنَعي فيه لحناً وغَنِّي به . فصنعت فيه لحناً على مذهب النَّوْح وغنَّته إياه على العُود . فوالذي لا يُحْلَفُ بأجَل منه لقد بَكَيْنا عليه غِناءِ أكثرَ مما بَكَيْنا عليه نَوْحاً .

[طلب المأمون من أبي العتاهية أن يسليه عنه]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثنا الطبيب بن محمد الباهلي قال حدثني موسى بن سعيد عن أخيه عمرو قال : لما مات أبو عيسى بن الرشيد وجَد عليه المأمون وَجْداً شديداً حتى امتنع من النوم ولم يَطعم شيئاً . فدخل عليه أبو العتاهية ، فقال له المأمون : حدِّثني يا أبا إسحاق بحديث بعض الملوك ممن كان في مثل حالنا وفارقها . فقال : يا أمير المؤمنين ، لبِس سليمان بن عبد الملك أفخرَ ثيابه ومَسَّ أَطْيَبَ طِيبه وركِب أَفْرَهَ خَيْلِه وتقدم إلى جميع مَن معه أن يركب في مثْلِ زِيِّه وأكمل سلاحه ، ونظر في مِرآته فأعجبتْه هيئتُه وحسنُه ، فقال : أنا الملك الشاب ، ثم قال لجارية له : كيف تَرَيْنَ ؟ فقالت : [من الخفيف]

أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كنتَ تَبْقى غيرَ أنْ لا بقاءَ للإنسانِ
أنتَ خِلْوٌ من العيوبِ ومما يكره الناسُ غيرَ أنّكَ فاني

فأعرض بوجهه ، فلم تدُر عليه الجمعة إلا وهو في قبره . قال : فبكى المأمون والناس ، فما رأيت باكياً أكثرَ من ذلك اليوم . قال : وهذان البيتان لموسى شهوات .

[بعض أصواته]

ومن غناء أبي عيسى وجَيِّد صنعته ، والشعرُ له ، وطريقتُه من الثقيل الثاني مطلق في مجرى البنصر . وذكر حَبَشٌ أن فيه لحسين بن مُحرِز أيضاً صنعةً من خفيف الرمل : [من مجزوء الخفيف]

1 هذان البيتان لأبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي الذي قتل سنة 214هـ ، وقد تقدم أن أبا عيسى توفي سنة 209هـ . وقد تغيرت «كأن بني نبهان . . .» إلى «كأن بني العباس . . .» .

صوت

رَقَـدَتْ عنك سَلْوتي والهــوى ليس يَرْقُــدُ
وأطـــارَ السُّهادُ نــو مـــي فنومـي مُشَرَّدُ
أنتَ بالحُسْنِ منكَ يا حَسَنَ الوجـهِ تَشْهَـدُ
وفـؤادي بحُسْنِ وجـ ـهِك يَشْقـى ويَكْمَدُ

ومـن غِنائـه أيضاً وهـو مـن صدور صنعتـه في شعـر الأخطـل ، ولحنـه مـن الثقيل الأول : [من الطويل]

صوت

إذا مـا زيادٌ عَلَّني ثــم عَلَّنِي ثــلاثَ زُجاجـاتٍ لهنَّ هَديرُ
خرجتُ أجُرُّ الذيلَ حتى كأنني عليـك أميــرَ المؤمنــين أميرُ

ولإسحاق في هذا الشعر رمل بالبِنصر عن عمرو .

[165] ـ وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي

فمن صنعته :

صوت

[من المتقارب]

تقاضاكَ دهـرُكَ مـا أسْلَفـا ... وكـدَّرَ عيشَكَ بعـدَ الصَّفا
فـلا تَجْزَعـنَّ فإنَّ الزمـانَ ... رهـينٌ بتشتيت مـا ألَّفـا
وما زالَ قلبُكَ مأوى السرور ... كثيرَ الهـوى ناعِمـاً مُتْـرَفاً
ألـحَّ عليـكَ برَوْعاتـه ... وأقبـلَ يَرْمِيـكَ مُسْتهـدِفا

الشعر والغِناء لعبد الله بن موسى . ولحنه ماخُورِي وهو خفيفُ الثقيل الثاني بالوسطى .

[ضرب ثقيفاً الخادم رأسه بالعود فحلم عليه]

أخبرني أحمد بن جعفر جحظة قال حدثني أبو حشيشة قال : كان عبد الله بن موسى الهادي أضْرَبَ الناسِ بالعود وأحسنَهم غِناء . وكان له غلام أسود يقال له قَلَمٌ ، فعلَّمه الصوت وحذَّقه . فاشترته منه أُم جعفر بثلثمائة ألف درهم . قال أبو حشيشة فحدثني دلشاد غلام عبد الله بن موسى قال : كنت أنا وثَقِيفٌ الخادمُ الأسودُ مولى الفضل بن الربيع نُضارِب مولاي عبدَ الله بنَ موسى وقد أخذ النَّبِيذُ من الجماعة . فضرَب عبدُ الله وثَقِيفٌ صوتا فاختلفا فيه وتشاجرا . فقال عبد الله : كذا أخذتُه من منصور زَلْزَل . وقال ثَقِيفٌ : كذا أخذتُه منه ، وطال تشاجُرُهما فيه . وكان ثقيف مُعَرْبِداً يَذْهَبُ عقلُه من أدنى شيءٍ يشربه ، وكان عبد الله أيضاً معربِداً . فغضِب ثقيف ورفعَ العودَ وهو لا يعقِل ، فضرَب به رأسَ عبدِ الله بن موسى فطوقه إيَّاه . وابتدر خَدَمُ عبدِ الله ؛ فقال لهم عبد الله بن موسى : لا تَمَسُّوه وأخرِجوا العودَ من عُنُقي فأخرجوه . وكان عبدُ الله بن موسى أشدَّ خَلْقِ الله عَرْبَدَةً أيضاً ، فرُزِق في ذلك اليوم حِلماً لم يُرَ مِثْلُه ، وقال لخَدَمه : إن قتلتُه قتلتُ كلباً وتحدث الناسُ بذلك ، ولكن اخلَعوا عليه وهَبُوا له ولا يدخل منزلي أبداً .

[الحفصي المعزفي يؤثر عليه أخاه إسماعيل]

قال جحظة قال أبو حشيشة أخبرني الحفصي المِعْزَفيّ قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً ودعاني أخوه إسماعيل ؛ فآثرت إسماعيل لِما كان في عبد الله من العربدة . فلم نشعُر إلا بعبد الله قد وافانا وقت العصر على بِرْذَوْنٍ أشهب متقلِّداً سيفاً وهو سكران . فلما رأيناه تطايرنا في الحُجر ، فنزلَ عن دابَّته وجلس . وجثا إسماعيل بين يديه إجلالاً له ، وقال له : يا سيدي قد سَرَرْتَني بتفضُّلكَ ومَصِيرك إليَّ . قال : دَعْني من هـذا ، مَن عندك ؟ قال : فلان وفلان ، فعَدَّ جماعةَ مَن كان عنده . قال له : هاتِهم . فدعا بنا فخرجنا وقد مُتْنا فَزَعاً . فأقبل عليَّ من بينهم فقال لي : يا حَفْصي ! أبْعَثُ إليك ثلاثةَ أيامٍ تباعاً فتَدَعُني وتجيء إلى إسماعيل ! وضرَب بيده إلى سيفه ، فقام إسماعيل بيني وبينه وقال : نَعَمْ ! يَجيئني ويَدَعُك ؛ لأنه لا يَنْصرِفُ من عندك إلا بِشَجَّةٍ أو عَرْبَدَةٍ مع حِرمان ، ولا ينصرف من عندي إلا ببِرٍّ مع خِلْعةٍ ووعدٍ مُحَصَّل ، أفَتلومُه على ذلك ؟ . فكَفَّ عبدُ الله وكان شديدَ العَرْبَدَة وقام وانصرف .

[شعره في خادم لصالح بن الرشيد]

أخبرني الصُّولي قال حدثني عون بن محمد الكِنْدِي قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبيه سليمان بن داود ، وكان يكتب لأبي جعفر ، قال : كنتُ جالساً مع عبد الله بن موسى الهادي ، فمر به خادمٌ لصالح بن الرشيد . فقال له : ما اسمك ؟ فقال له : اسمي «لا تَسَلْ» . فأعجبه حُسْنُه وحُسْنُ مَنْطِقه فقال لي : قُمْ بنا حتى نُسَرَ اليوم بذكر هذا البدر ، فقمتُ معه . فأنشدني في ذلك اليوم : [من مجزوء الرجز]

وشادنٍ مـــرَّ بنـــا يجـــرَحُ باللَّحْظِ المُقَلْ
مظلـومُ خَصْرٍ ظـــالمٍ منـــه إذا يمشي الكَفَلْ
اعتدلـــتْ قامتُـــــه واللحْظُ منـه مـا عَدَلْ
بـــدرٌ تـــراه أبـــداً طالِعَ سعـدٍ مـــا أفَلْ
سألتُـــه عـــن اسمـــه فقال لي اسمي «لا تَسَلْ»
وأُطْلِعَـــتْ في وجنتيـــ ـــه وَرْدتان مـــن خَجَلْ
فقلـتُ مـا أخطأ مَـنْ سَمَّـاكَ بل قـال المَثَلْ
لا تسألـــنْ عـــن شادِنٍ فـــاقَ جَمـالاً وكَمُلْ

قال : وقال فيه ، وقد قيل إنه من هذه الأبيات : [من مجزوء الرجز]

عـــزَّ الذي نَهْوى وذَلّ صَبُّ الفـــؤادِ مُخْتَبَلْ

لَجَّ بـــه الهجرُ وذا الـ ـــهجرُ إذا لَـــجَّ قَتَلْ
مـــن شادِنٍ مُنْطِـــقٍ فـــاق جَمـــالاً وكَمَلْ
تناصـــفَ الحُسْنُ بـــــه فلا تَسَلْ عن «لا تَسَلْ»

[كان له ابن جيد الضرب]

وقال العتابي حدثني محمد بن أحمد المكي عن أبيه قال : دعاني عبد الله بن موسى يوماً فقال لي : أتُقَوِّم غلاماً ضارباً مُغَنِّياً قِيمةَ عدلٍ لا حَيْفَ فيه على البائع ولا على المشتري ؟ فقلت نعم . فأخرج إليَّ ابنه القاسمَ وكنتُ قد عرَفتُه ، وهو أحسن من القمر ليلةَ البدر ، فأخذ عوداً فضرب ، فأكبَبْتُ على يديه أُقبِّلهما . فقال لي عبد الله : أتُقبِّل يَد غلامٍ مملوك ؟ ! قلت : بأبي وأُمِّي هو من مملوك ! وقَبَّلتُ رجلَه أيضاً . فقال : أما إذ عرفتَه فأُحِبُّ أن تضارِبَه ؛ ففعلت . فلما رأى الغلامُ زيادتي عليه في الضَّرْب اغتمَّ وأقبل على أبيه فقال له كالمعتذر من ذنبه : أنا مُتَلَذِّذٌ وهذا مُتَكَسِّبٌ . فضحِكتُ وقلت : هو ذاك يا سيدي . وعجِبت من حِدَّة جوابه معتذراً على صغَر سنِّه .

[كريم ممدح]

أخبرني الصُّولي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن موسى جواداً كريماً ممدَّحاً ، وفيه يقول الشاعر ، وفيه لعلويه لحن من خفيف الثقيل الأول بالبنصر : [من الوافر]

أعبـــدَ اللهِ أنـــتَ لنـــــا أميرُ وأنتَ مـــن الزمانِ لنا مُجِيرُ
حكَيْتَ أباكَ موسى في العَطايا إمـــامُ الناسِ والملـــكُ الكبيرُ

[غنى بشعر لعمر بن أبي ربيعة]

قال محمد بن يحيى والعَتَّابي : ولعبد الله بن موسى غِناءٌ في قول عمر بن أبي ربيعة : [من مجزوء الخفيف]

صوت

إنَّ أسمـــــاءَ أرسلتْ وأخـو الشوقِ مُرْسِلُ
أرسلـــتْ تَستَزِيـــرُني وتُفَـــدِّي وتعـــذِلُ

ولحنُه فيه رَمَلٌ . قال : وفيه لابن سُرَيج والغَريض ومالك ألحانٌ .

[وفاته]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش في كتاب المُغتالين قال حدثني أبو سعيد السُّكَّري عن محمد بن حبيب قال : كان عبد الله بن موسى الهادي مُعَربِداً ، وكان قد أعضل بالمأمون مما

يُعَرْبِدُ عليه إذا شرِب معه . فأمر بأن يُحبَس في منزله فلا يخرجَ منه ؛ وأَقْعد على بابه حَرَساً . ثم تذمَّم من ذلك فأظهر له الرِّضا وصرَف الحَرَس عن بابه ، ثم نادمه فعَرْبَد عليه أيضاً وكلَّمه بكلام أحفظه . وكان عبد الله مُغرَماً بالصَّيد ، فأمر المأمونُ خادماً من خواص خدمه يقال له «حسين» فسَمَّه في دُرَّاج وهو بموسى أباد ، فدعا عبد الله بالعشاء ، فأتاه حسين بذلك الدُّراج فأكله . فلما أحَسَّ بالسم ركِب في الليل وقال لأصحابه : هو آخر ما تروني . قال : وأكل معه من الدُّراج خادمان ، فأما أحدهما فمات من وقته ، وأما الآخر فبقِي مدة ثم مات ، ومات عبد الله بعد أيام .

وممن رويت له صنعة من أولاد الخلفاء
عبد الله بن محمد الأمين

فمن مشهور صنعته : [من الوافر]

أَلا يـا دَيْـرَ حَنْظَلَةَ المُفَدَّى لقـد أورثتَني سَقَماً وكَدَّا
أَزُفُّ من العُقارِ إليكِ زقاً وأجعلُ تحتَه الوَرَقَ المُنَدَّى

الشعر والغناء لعبد الله بن محمد الأمين ، أخبرني بذلك محمد بن يحيى الصُّولي عن عبد الله بن المعتز وله فيه لحنان خفيفُ رملٍ وخفيفُ ثقيل . وفيه لعبد الله بن موسى الهادي رمل . وفيه ثاني ثقيل ، وذكر حبش ، وهو ممن لا يُحَصَّل قولُه ، أنه لحُنَين ، ولم يَصِح عندنا مَن صانِعُه .

[166] ـ أخبار عبد الله بن محمد ونسبه

[نسبه]

عبد الله بن محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب . وأُمُّ عبد الله بن محمد أُمُّ وَلَد . وكان ظريفاً غَزِلاً يقول شعراً لَيِّناً ويصنع صنعةً صالحةً . وأُمُّ محمد الأمين زبيدة بنت جعفر بن المنصور . وزبيدة لَقَبٌ غلَب عليها ، واسمُها أَمَةُ العزيز . وكان المنصور يرقِّصها وهي صغيرة ، وكانت سمينة حسنة البدن ، فيقول لها : يا زبيدة يا زبيدة ، فغلَب عليها ذلك .

[أبو نهشل يحث أخاه على التنازل عن جاريته له]

أخبرني الصولي قال حدثني عون بن محمد الكِنْدي قال : كانت بين عبد الله بن محمد الأمين وبين أبي نهشل بن حُميد مودة . فاعترض عبد الله جاريةً مغنِّية لبعض نساء بني هاشم وأَعْطى بها مالاً عظيماً . فعرَفتْ منه رغبةً فيها فزادت عليه في السَّوْم ، فتركها ليكسِرهم . فجاء أخ لأبي نهشل بن حميد فاشتراها وزاد . فتبِعتْها نفسُ عبدِ الله ، فسأل أبا نهشل أن يسأل أخاه النزول له عنها ، فسأله ذلك فوعده ودافعه . فكتب عبد الله إلى أبي نهشل : [من السريع]

يـا ابنَ حُمَيْدٍ يا أبـا نهشلِ ... مِفْتاحَ بـابِ الحَدَثِ المُقْفَلِ
يـا أكرمَ النـاسِ وِداداً وأر ... عاهـم لحـقٍّ ضائـعٍ مُهْمَلِ
أحسنتَ في ودي وأجملتَ بل ... جُزْتَ فِعـال المُحْسِنِ المُجمِلِ
بيتُكَ في ذي يَمَـنٍ شامخٌ ... تَقْصُـر عنـه قُنَّتـا يَذْبُلِ
خلَفْتَ فينـا حاتماً ذا النَّدى ... وجُدْتَ جُوْدَ العارضِ المُسْبِلِ
أيُّ أخٍ أنـتَ لِذِي وَحْدَةٍ ... تركتَـه بالعِـزِّ في جَحْفِلِ
نجومُ حَظِّي منـكَ مَسْعودةٌ ... فيمـا أُرَجِّـي لَسْنَ بالأَفَّلِ
فصَدِّقِ الظـنَّ بمـا قلتَـه ... وسَهِّـلِ الأمـرَ بـه يَسْهُلِ
لا تَحْرِمَنِّـي وَلَدَيْـكَ المُنَى ... بـاللهِ صَيْـدَ الرَّشأ الأَكْحَلِ
رُمِيتُ منـه بسِهامِ الهـوى ... ومـا دَرى بالرَّمْي في مَقْتَلي
أدنَيْتَني بالوعـدِ في صَيْدِه ... إدْنـاءَ عَطْشانٍ مـن المَنْهَلِ

ثـــم تناسيـــتَ وأسْلَمْتَنـــي إلى مِطـــالٍ مُـوحش المَنْزِلِ
تركتَنـــي في لُجَّـــةٍ عائمـــاً لا أعرفُ المُدْبِـــرَ من مُقْبِلِ
صَرِّحْ بأمـــرٍ واضحٍ بَيِّـــنٍ لا خيرَ في ذي لَبَس مُشْكِلِ

قال : فلم يزل أبو نهشل بأخيه حتى نَزَل له عنها .

[مكاتبة بينه وبين أبي نهشل]

وأخبرني الصولي أيضاً بغير إسناد ، ووجدتُ هذا الخبرَ في كتابٍ لمحمد بن الحسن الكاتب يَرويه عن أبي حَسَّان الفَزَاري قال : كان أبو نهشل بن حُمَيد صديقاً لعبد الله بن محمد الأمين ونديماً . وكانت لعبد الله ضيعة بالسواد تُعرف بالعَمرية ، فخرج إليها وأقام بها أياماً . فكتب إليه أبو نهشل : [من الطويل]

سقـــى اللهُ بالعمريـــةِ الغيثَ مَنْزِلاً حَلَلْتَ بـــه يـــا مؤنسي وأميري
فأنتَ الذي لا يخلُقُ الدهرَ ذكرُه وأنتَ أخـــي حقاً وأنتَ سروري

فأجابه عبد الله : [من الطويل]

لئـــن كنـــتُ بالعَمْرِيةِ اليـــومَ لاهياً فإنَّ هـــواكم حيثُ كنتُ ضميري
فـــلا تحسبنِّـــي في هواكـــم مُقَصِّراً وكنْ شافعي من سُخْطِكم ومُجيري

قال محمد بن الحسن في خبره : وصنع عبد الله في هذه الأبيات الأربعة لحناً ، وصنع فيها سُلَيم بن سَلاَّم لحناً آخر .

[نادم الواثق والخلفاء من بعده إلى المعتمد]

أخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا عبد الله بن المعتز قال : كان عبد الله بن محمد الأمين ينادِم الواثقَ ثم نادمَ بعده سائرَ الخلفاء إلى المعتَمِد . قال : وأنشدني له في المعتمد : [من المتقارب]

رأيـــتُ الهـــلالَ على وجهكا فمـــا زِلتُ أدعـــو إلهـــي لكا
فـــلا زلتَ تحيـــا وأحيـــا معاً وآمننـــي اللهُ مـــن فَقْـــدِكا

قال : ومن شعره ، وله فيه لحنٌ من الرمل الثاني وهو خفيف الرمل : [من المجتث]

صوت

يـــا مَنْ بـــه كلُّ خَلْقٍ تـــراه صَبّـــاً مُتَيَّـــمْ
ومَـــنْ تَجالَـــلَ تِيهـــاً فمـــا تـــراه يُكَلِّـــمْ
لا شيءَ أعجبُ عنـــدي ممـــن يـــراكَ فيَسْلَـــمْ

فأما دير حنظلة الذي ذكره في شعره وفيه الغناء المذكور من صنعته متقدّماً ، فإنه دير بالجزيرة . أخبرني بخبره هاشم بن محمد أبو دُلَفَ الخُزاعي قال حدثنا الرياشي قال أنشدني أبو المُحَلم لحنظلة بن أبي عَفْراء أحد بني حيَّة الطائيين وهم رَهْطُ أبي زبيد ورهط إياس بن قبيصة : [من الطويل]

ومهما يكـــنْ رَيْبُ الزمانِ فإنني أرى قمـرَ الليـلِ المُغَرَّبَ كالفتى
يَهُـلُّ صغيراً ثـم يعظُـمُ ضَوْؤُه وصورتُه حتى إذا ما هـو استوى
تقـارب يخبـو ضَوْءُه وشُعاعُه ويَمْصَحُ حتى يَستَسِرَّ فلا يُرى[1]
كذلك زَيْدُ المـرءِ ثـم انتقاصُه وتَكْرارُه في دهرِه بعد مـا مضى
تُصَبِّحُ أهـلَ الدَّارِ والدَّارُ زِينـةٌ وتأتي الجبالَ من شَماريخها العُلا
فلا ذا غنىً يُرْجِئْنَ عن فضلِ مالِه وإن قال أخِّرْني وخُذْ رِشوةً أبى
ولا عـن فقيرٍ يـأتَخِرْنَ لفقـرِه فتنفعَه الشكوى إليهـنَّ إن شَكا

قال : وكان حنظلة هذا قد تعبَّد في الجاهلية وتفكر في أمر الآخرة وتنصَّر وبَنى ديراً بالجزيرة ؛ فهو الآن يُعرَف به ويقال له دير حنظلة . وفيه يقول الشاعر : [من الكامل]

يـا دَيْـرَ حَنْظَلَةَ المهيِّج لي الهَوى قـد تستطيـعُ دواءَ عشقِ العاشِقِ

1 يمصح : يذهب . ويستسر : يستتر .

[167] ـ وممن صنَع من أولاد الخلفاء
أبو عيسى بن المتوكل

كان عبد الله بن المتوكل جمع له صنعةً مقدارُها أكثر من ثلثمائة صوت ، منها الجيِّد الصنعة ومنها المتوسط ، قد سمِعنا كثيراً منها ؛ إلا أني أذكر من ذلك ما عرَفتُ شاعرَه وكان له خبرٌ يتصل به حَسَبَ ما شَرَطْناه في هذا الكتاب وضَمَّناه إياه من الأخبار ، ثم أذكر أخبارَ أبي عيسى بعد ذلك .

قال ابن المعتز حدثني النُّميري قال سمِعت أبا عيسى بن المتوكِّل يقول : إذا أتممتُ صنعة ثلثمائة صوت وستين صوتاً عدد أيام السنة تركتُ الصنعة ، فلما صنعها ترك الصنعة . فمنها ، وهو لعمري من جَيد الغِناء وفاخِر الصنعة ، ولو لم يصنع غيرَه لكفاه ، في شعر أبي العتاهية : [من المنسرح]

صوت

يَضْطَرِبُ الخوفُ والرجاءُ إذا حـرَّك موسى القضيبَ أو فَكَّرْ

ولحنُه من الثقيل الأول . والشعر لأبي العتاهية ، وقد مَضَتْ أخباره ؛ وإنما قدمتُ ذكرَه لجودة صنعته وأنه شُبِّه فيه بصنعة الفحول ومُحْكَمِ أغاني الأوائل .

ومنها : [من الطويل]

صوت

هي النفسُ مـا حَمَّلتَها تَتَحمَّلُ وللدهرِ أيـامٌ تَجورُ وتَعْدِلُ
وعاقِبـةُ الصَّبرِ الجميلِ جميلةٌ وأفضلُ أخلاقِ الرجالِ التَّجَمُّلُ

الشعر لعلي بن الجَهم . والغناء لأبي عيسى بن المتوكل ، ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[168] ـ أخبار علي بن الجهم ونسبه[1]

[نسبه]

هو علي بن الجهم بن بَدْر بن الجهم بن مسعود بن أسيد بن أُذَيْنة بن كَرَّاز بن كعب بن مالك[2] بن عيينة بن جابر بن الحارث بن عبد البيت بن الحارث بن سامة بن لُؤي بن غالب . هكذا يدعون ، وقريش تدفعهم عن النَّسَب وتسمِّيهم بني ناجية ، يَنسبونهم إلى أمهم ناجية ، وهي امرأة سامة بن لؤي . وكان سامة ، فيما يقال ، خرج إلى ناحية البحرين مغاضِباً لأخيه كعب بن لؤي في مُماظة[3] كانت بينهما ، فطأطأتْ ناقته رأسها إلى الأرض لتأخذ شيئاً من العشب ، فعلِق بمِشفرها أفعى فعطفته على قَتَبها فحكَّتْه به ، فدبَّ الأفعى على القَتَب حتى نهشَ ساقَ سامة فقتله . فقال أخوه يَرثيه[4] : [من الخفيف]

عـينُ جُودِي لسامَةَ بنِ لُؤيٍّ عَلِقـتْ ساقَ سامَـةَ العَلاقهْ[5]

رُبَّ كأسٍ هَرَقْتِهـا ابنَ لُـؤي حَـذَرَ المـوتِ لم تكنْ مُهْراقَهْ

وقال مَن يدفع بني سامة من نَسَّابي قريش : وكانت معه امرأته ناجية . فلما مات تزوجت رجلاً من أهل البحرين فولَدَتْ منه الحارث ، ومات أبوه وهو صغير . فلما ترعرع طمِعتْ أمّه في أن تلحقه بقريش ، فأخبرته أنه ابن سامة بن لؤي . فرحل من البحرين إلى عمِّه كعب وأخبره أنه ابن أخيه سامة . فعرَف كعب أُمَّه وظنَّه صادقاً في دعواه فقبله ومكث عنده مدةً ، حتى قدِم مكةَ رَكْبٌ من أهل البحرين ، فرأَوُا الحارثَ فسلَّموا عليه وحادثوه ساعةً . فسألهم عنه كعب بن لؤي ومن أين يعرفونه ، فقالوا له : هذا ابن رجل من أهل بلدنا يقال له فلان ، وشرحوا له خبره . فنفاه كعبٌ ونَفى أُمَّه ، فرَجعا إلى البحرين فكانا هناك ، وتزوج الحارث

---

1 ترجمة علي بن الجهم في معجم المرزباني : 286 وابن خلكان 3 : 355 وطبقات ابن المعتز : 319–322 وانظر مقدمة محقق ديوان (صادر ، بيروت) .

2 في ابن خلكان : بن كعب بن جابر بن مالك بن عتبة بن جابر بن الحارث بن قطن بن خديج بن قطن بن أحزم بن ذهل بن عمرو بن مالك بن عبيدة بن الحارث بن سامة . . . وفي ل : عتبة بدلاً من عيينة .

3 مماظة : مخاصمة .

4 انظر حكاية سامة بن لؤي وبقية الأبيات في اللسان (مادة فوق) . وفيه أن الذي قال هذا الشعر يرثيه به امرأة الأزدي الذي نزل عليه في عمان فأعجبها ، ولما رحل لدغته حية كما جاء هنا .

5 العلاقة المنية ويريد بها هنا الحية .

وأَعْقَب هذا العَقِبَ . ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : «عَمِّي سامَةُ لم يُعْقِبْ» . وكان بنو ناجِيَةَ ارتدوا عن الإسلام . ولما وَلِيَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه الخلافة دعاهم إلى الإسلام ، فأَسْلَم بعضُهم وأقام الباقون على الردة فسَباهم واسترقَّهم ؛ فاشتراهم مَصْقَلَةُ بن هبيرة منه وأدى ثُلثَ ثمنهم وأشهد بالباقي على نفسه ، ثم أعتقهم وهَرَب من تحت ليلِه إلى معاوية ، فصاروا أحراراً ، ولزِمَه الثمنُ ، فشَعَّث[1] عليٌّ بن أبي طالب شيئاً من داره ، وقيل بل هدَمها . فلم يدخل مَصْقَلَةُ الكوفة حتى قُتِل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وزعم ابن الكلبي : أن سامةَ بن لؤي وَلَدَ غالبَ بن سامةَ وأُمُّه ناجِيةُ ، ثم هلك سامةُ فخلَف عليها ابنه الحارث بن سامة ، ثم هلك ابنا سامة ولم يُعْقِبا ، وأن قوماً من بني ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان عِلاف ادَّعَوْا أنهم بنو سامة بن لؤي ، وأن أمهم ناجية هذه ونَسَبوها هذا النسبَ ، وانْتَمَوْا إلى الحارث بن سامة وهم الذين باعهم علي بن أبي طالب إلى مَصْقَلةَ . قال : ودليلُ ذلك وأن هؤلاء بنو ناجية بنت جَرْم قولُ علقمةَ الخَصي التَّميمي أحدِ بني ربيعةِ بن مالك : [من الوافر]

زعمتم أن ناجِيَ بنتَ جَرْم عجوزٌ بعد مـا بَلِيَ السَّنامُ
فإن كانت كذاك فألبِسوها فـإنَّ الحَلْيَ للأُنثـى تَمامُ

وهذا أيضاً قولُ الهيثم بن عدِي . فأما الزُّبير بن بكار فإنه أدخلهم في قريش وقال : هم قريشُ العازِبةُ . وإنما سُمُّوا العازِبةَ لأنهم عَزَبوا عن قومهم فنُسِبوا إلى أمّهم ناجية بنت جَرْم بن رَبَّان وهو عِلاف ، وهو أول من اتخذ الرِّحال العِلافيَّة فنُسِبَت إليه . واسم ناجية ليلى ؛ وإنما سُمِّيتْ ناجية لأنها سارت في مَفازةٍ معه فعَطِشَتْ فاستسقته ماء ، فقال لها : الماءُ بين يديكِ ، وهو يريها السَّرابَ ، حتى جاءت الماءَ فشرِبت وسُمِّيَت ناجية . وللزُّبير في إدخالهم في قريش مذهبٌ وهو مُخالَفةُ فِعْلِ أميرِ المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه ومَيْلُه إليهم لإجماعهم على بُغْضِه رضي الله عنه ، حَسَبَ المشهور المأثور من مذهب الزُّبير في ذلك .

[شاعر فصيح خُصَّ بالمتوكل]

وكان علي بن الجَهْم شاعراً فصيحاً مطبوعاً ؛ وخُصَّ بالمتوكِّل حتى صار من جُلسائه ، ثم أبغضه لأنه كان كثير السِّعاية إليه بنُدَمائه والذِّكرِ لهم بالقبيح عنده ، وإذا خلا به عَرَّفه أنهم يَعيبونه ويَثْلِبونه ويتنقصونه ، فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه بعد أن حبَسَه مدة . وأخبارُه تذكر على شرحٍ بعد هذا . وكان ينحو نحوَ مروان بنِ أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب

1 فشعث : نقض جزءاً منها .

وذمهم والإغراء بهم وهجاء الشِّيعة ، وهو القائل[1] : [من الوافر]

ورافضةٌ تقولُ بشِعْبِ رَضْوى إمـامٌ ، خـابَ ذلك من إمامِ
إمـامٌ مَـنْ لـه عشرون ألفاً من الأتراكِ مُشْرَعَـةُ السِّهامِ[2]

وفيه يقول البحتري[3] : [من الوافر]

إذا مـا حُصِّلتْ عُلْيـا قُرَيْشٍ فـلا في العِير أنتَ ولا النَّفيرِ[4]
ومـا رُغَثاؤك الجَهْمُ بنُ بَدْرٍ مـن الأقمارِ ثَـمَّ ولا البدورِ[5]
ولـو أعطاك ربُّكَ مـا تَمَنَّى لـزادَ الخلقَ في عِظَم الأُيورِ
عَـلامَ هَجَوْتَ مجتهِداً عليّاً بِما لفَّقتَ مـن كَذِبٍ وزُورِ
أمَالَكَ في استِكَ الوَجْعاءِ شُغْلٌ يَكفُّك عـن أذى أهلِ القبورِ

وسمعه أبو العيناء يوماً يطعَن على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقال له : أنا أدري لِمَ تطعن على علي أميرِ المؤمنين . فقال له : أتعني قصة بَيْعه أهلي من مَصْقَلَة بن هُبيرة ؟ قال : لا ! أنت أوضع من ذلك ، ولكن لأنه قتلَ الفاعلَ فِعْلَ قوم لوطٍ والمفعول به ، وأنت أسْفَلُهما .

[هجا بختيشوع فحبسه المتوكل]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الهشامي قال[6] : كان علي بن الجهم قد هجا بختيشُوع ، فسبَّه عند المتوكل فحبسه المتوكل . فقال علي بن الجهم في حبسه عدةَ قصائد كتب بها إلى المتوكل فأطلقه بعد سنة ، ثم نفاه بعد ذلك إلى خُراسان . فقال أوَّلَ ما حُبِس قصيدةً كتب بها إلى أخيه ، أولها قوله : [من الوافر]

توكَّلنـا عـلى رَبِّ السمـاء وسلَّمْنـا لأسبـابِ القضـاء
ووطَّنَّـا عـلى غِيَرِ الليـالي نفوساً سامحـتْ بعـدَ الإبـاء
وأفْنِيـةُ الملـوك محجَّبـاتٌ وبـابُ اللهِ مبـذولُ الفِنـاء

1 ديوان علي بن الجهم : 210–211 .
2 إمام في الديوان : إمامي . عشرون في الديوان : سبعون .
3 ديوان البحتري : 1038 .
4 المثل : «لا في العير ولا في النفير» في مجمع الميداني 2 : 221 ومستقصى الزمخشري 2 : 376 .
5 الرغثاء : عرق في الثور يدر اللبن . وكنى به عن الأب .
6 ديوانه : 58–61 .

هـي الأيـامُ تَكْلُمُنا وتأسُو وتأتـي بـالسعادةِ والشقاءِ
وما يُجْدِي الثَّراءُ على غَنِـيٍّ إذا مـا كانَ محظورَ العَطاءِ[1]
حَلَبْنا الدَّهْـرَ أشْطُرَهُ ومرّتْ بنـا عُقَبُ الشَّدائـدِ والرَّخاءِ
وجرَّبْنـا وجـرَّبَ أوَّلُونـا فـلا شيءٌ أعـزّ من الوفاءِ
ولم نَـدَعِ الحيـاءَ لمسٍّ ضرّ وبعضُ الضرّ يذهـبُ بالحياءِ
ولم نَحْـزَنْ على دنيا تَوَلَّتْ ولم نُسْبَـقْ إلى حُسْنِ العَزاءِ
تَوَقَّ الناسَ يـا ابنَ أبي وأُمّي فهـم تَبَـعُ المخافـةِ والرَّجاءِ
ولا يَغْرُرْكَ مـن وَغْـدٍ إخاءٌ لأمـر مـا غـدا حَسَنَ الإخاءِ
أَلَمْ تَـرَ مُظْهِريـنَ عـليَّ عَيْباً وهم بالأمسِ إخوانُ الصَّفاءِ[2]
فلما أن بُلِيتُ غَـدَوْا وراحُوا عـليَّ أشدَّ أسبـابِ البَلاءِ
أبَتْ أخطارُهم أن يَنْصُروني بمـالٍ أو بجـاه أو ثَراءِ
وخافُـوا أن يقالَ لهـم خَذَلتم صديقاً فادّعَوْا قِـدَمَ الجَفاءِ
تضافرتِ الرَّوافِضُ والنصارى وأهـلُ الاعتـزالِ على هِجائي

يعني بأهل الاعتزال علي بن يحيى المنجم وقد كان بلغه عنه ذكر له :

وعابـوني ومـا ذنبـي إليهم سوى عِلْمـي بـأولادِ الزِّناءِ
فبَخْتِيَشُوعُ يشهَد لابن عمرو وعَـزُونٌ لهـارونَ المـرائي
ومـا الجَذْماءُ بنتُ أبي سُمَيْرٍ بجذمـاءِ اللِّسانِ عـن الخَناءِ
إذا مـا عُـدَّ مِثلُكـم رجـالاً فما فضلُ الرجالِ على النساءِ[3]
عليكـم لعنـةُ اللهِ ابتـداءً وعَوْداً في الصَّباحِ وفي المَساءِ
إذا سُمِّيتُـمُ للنـاسِ قالـوا أُولئِك شَرُّ مَـنْ تحت السماءِ
أنـا المتوكِّلي هـوىً ورأيـاً ومـا بالواثِقِيَّـةِ مـن خَفاءِ
ومـا حَبْسُ الخليفةِ لي بعـارٍ وليس بمُؤْيِسي منـه التنائي

1 غني في الديوان : بخيل .
2 عيباً في الديوان : غشاً .
3 مثلكم في الديوان : مثلهم .

[يقدرون شعره في الحبس بشعر عدي بن زيد]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال قال لي أبو الشَّبْل البُرْجُمي : ما شِعر علي بن الجهم في الحبس بدون شعر عَدِي بن زيد .

[حبسه المتوكل بسعاية جلسائه]

أخبرني عمي قال حدثنا محمد قال : كان سببُ حبس المتوكل عليَّ بن الجهم أن جماعةً من الجُلَساء سَعَوْا به إليه وقالوا له : إنه يُجَمِّشُ الخَدَم ويَغْمِزهم ، وإنه كثيرُ الطعن عليك والعيبِ لك والإزراء على أخلاقك ؛ ولم يزالوا به يُوغِرون صدرَه عليه حتى حبسه ؛ ثم أبلغوه عنه أنه هجاه . فنفاه إلى خُراسان وكتب بأن يصْلَبَ إذا وَرَدها يوماً إلى الليل . فلما وصل إلى الشاذِياخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أُخرِج فصُلِب يوماً إلى الليل مجرداً ثم أُنزِل . فقال في ذلك[1] : [من مجزوء الكامل]

لم يَنْصِبوا بالشَّاذِياخِ عَشِيَّةَ ... الإثنين مسبوقاً ولا مجهولا[2]
نصَبوا بحمدِ اللهِ مِلْءَ قلوبهم ... شَرَفاً ومِلْءَ صدورهم تَبْجِيلا[3]
ما ازدادَ إلا رفعةً بِنُكوله ... وازدادت الأعداءُ عنه نُكُولا[4]
هل كان إلا الليثَ فارق غِيلَه ... فرأيتَه في مَحْمَلٍ محمولا
لا يأمَن الأعداءُ من شَداته ... شداً يفصِّل هامهم تفصيلا
ما عابه أن بُزَّ عنه لِباسُه ... فالسيفُ أهْوَلُ ما يُرى مسلولا
إن يُبْتَذَلْ فالبدرُ لا يُزْرِي به ... أن كان ليلةَ تِمِّه مبذولا
أو يَسْلُبوه المالَ يُحْزِنْ فقدُه ... ضيفاً ألَمَّ وطارقاً ونَزِيلا
أو يَحْبِسوه فليس يُحبَس سائرٌ ... من شعرِه يَدَعُ العزيزَ ذليلا
إنَّ المصائبَ ما تعدَّتْ دِينَه ... نِعَمٌ وإن صعُبَتْ عليه قليلا
واللهُ ليس بغافلٍ عن أمره ... وكَفى بربِّك ناصِراً ووكيلا
ولَتَعْلَمَنَّ إذا القلوبُ تكشَّفَتْ ... عنها الأكِنَّةُ مَنْ أضَلُّ سبيلا

1 ديوانه : 185–187 .
2 عشية في الديوان : صبيحة . مسبوقاً في الديوان : مغموراً .
3 قلوبهم في الديوان : عيونهم .
4 نكوله : التنكيل به . ونكولا : الفرار منه والاحجام عنه .

[المتوكل يأمر بإطلاقه]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كتب المتوكّل إلى طاهر بن عبد الله بإطلاق علي بن الجَهْم . فلما أطلقه قال[1] : [من الطويل]

أطاهِـرُ إنّي عـن خُراسانَ راحلُ ومُسْتَخْبَرٌ عنهـا فمـا أنـا قائِلُ
أأَصْدُق أم أَكْني عن الصِّدق أيُّما تَخَيرتَ أدتْـهُ إليـك المحـافِلُ
وسارتْ به الرُّكْبانُ واصْطَفَقَتْ به أُكُـفُّ قِيـانٍ واجْتَبتـه القبائلُ
وإنّي بغـالي الحمدِ والذمِّ عـالم بمـا فيهمـا نامـي الرَّمِيَّةِ ناضلُ
وحقاً أقولُ الصِّدقَ إني لمائـلٌ إليـكَ وإن لم يَحْظَ بالودِّ مائلُ
ألا حُرْمَـةٌ تُرْعـى ألا عَقْدُ ذمةٍ لجـارٍ ألا فِعـلٌ لقولٍ مُشاكِلُ
ألا مُنْصِفٌ إن لم نجـدْ متفضِّلاً علينـا ألا قاضٍ من الناسِ عادلُ
فـلا تَقْطَعَنْ غيظـاً عليَّ أنامـلاً فقبلـكَ مـا عُضت عليَّ الأنامِلُ
أطاهِـرُ إن تُحْسِنْ فإنّي مُحْسِنٌ إليـكَ وإن تَبْخَـل فإنّـيَ باخلُ

فقال له طاهر : لا تقل إلا خيراً فإني لا أفعل بك إلا ما تحب فوصَله وحمَله وكَساه .

[جمش جارية فباعدته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد قال : كان علي بن الجَهْم في مجلس فيه قَيْنةٌ ، فعابثها وجَمَّشها ، فباعدَته وأعرضتْ عنه ، فقال فيها[2] : [من الطويل]

خَفِـي اللهَ فِيمن قـد تَبَلت فؤادَه وغادَرْتـه نِضْواً كأنَّ بـه وَقـرا
دعِي البخل لا أسمع بـه منك إنَّما سألتُك أمراً ليس يُعْرِي لكم ظَهْرا

فقالت له : صَدَقْتَ يا أبا الحسن ، ليس يُعْرِي لنا ظَهْراً ، ولكنه يملأ لنا بطناً ! !

[تشاؤمه من الحارثي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرُوَيه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال حدثنا علي بن الجَهْم قال : كان الحارثي يجيء إلى حُلْوان وأنا أتولاها ، وكان عليّ بن الجَهْم على مظالِمها ، فإذا وردها وقع الإرْجافُ[3] بي ، فلم يَزَل متَّصِلاً حتى يخرج ، فإذا خرج سكن الإرجاف ، فأتاني مرةً وظهر كوكب الذَّنَب في تلك الليلة ،

1 ديوانه : 175–176 .
2 ديوانه : 134 .
3 الارجاف هنا : الزلازل .

فقلت[1] : [من الكامل]

لَمـا بَـدا أيقنتُ بالعَطَـبِ فسألـتُ ربِّـي خير مُنْقَلَبِ
لم يَطْلُعـا إلا لآبِـدةٍ الحارثـيُّ وكوكـبُ الذَّنَبِ[2]

قال ابن المدبر : وكان الحارثي أعور مُقَبَّح الوجه ، وفيه يقول أبو علي البصير : [من الكامل]

يـا مَعْشَرَ البُصَراء لا تَتَطرَّفـوا جيشي ولا تتعرَّضوا لنَكِيري
رُدُّوا عـليَّ الحارِثـيَّ فإنّـه أَعْمـى يُدَلِّس نفسَه في العُورِ

[ادعاؤه شعراً لإبراهيم بن العباس]

أخبرني الحسن قال حدثنا ابن مهرويه قال أنشدني إبراهيم بن المدبر لعلي بن الجهم وذكر أن علياً أنشده إياه لنفسه : [من الوافر]

أَميلُ مـع الذِّمام على ابن أُمِّي وآخُذ للصَّديـقِ مـن الشَّقيقِ
وإن أَلْفَيْتَني حُـراً مُطاعـاً فإنّكَ واجِـدِي عَبْدَ الصديقِ
أُفَـرِّق بـين معـروفي ومَنِّي وأَجْمَـعُ بـين مـالي والحقوقِ

فقال إبراهيم : كذَب والله عليٌّ بن الجَهْم وأَثِم . والله لهذا الشعرُ أشهرُ بإبراهيم بن العباس من إبراهيم بالعباس أبيه .

[أثبت المتوكل كذبه]

أخبرني الحسن قال حدثني ابن مهرويه قال حدثنا إبراهيم بن المدبر قال قال المتوكل : علي بن الجهم أكذَبُ خَلْقِ الله . حَفِظْتُ عليه أنه أخبرني أنه أقام بخُراسان ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أُخرى وأنسيَ ما أخبرني به ، فأخبرني أنه أقام بالثغور ثلاثين سنة ، ثم مضت مدة أُخرى وأُنْسِيَ الحكايتين جميعاً ، فأخبرني أنه أقام بالجبل ثلاثين سنة ، ثم مضت مدةٌ أُخرى فأخبرني أنه أقام بمصر والشام ثلاثين سنة ، فيجب أن يكون عمره على هذا وعلى التقليل مائةً وخمسين سنة ، وإنما يُزاهي سنُّه الخمسين سنةً . فليت شعري أيُّ فائدة له في هذا الكذب وما معناه فيه !! .

[هجاؤه ولد علي بن هشام]

أخبرني محمد بن إبراهيم قال حدثنا عبد الله بن المعتز ، وحدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : اجتمع علي بن الجهم مع قوم من ولد علي بن هشام في مجلس ، فعربد عليه

1 ديوانه : 74–75 .
2 الآبدة : الأمر العظيم .

بعضهم ، فغضِب وخرج من المجلس ، واتصل الشرُّ بينهم حتى تقاطعوا وهجروه وعابوه واغتابوه . فقال يهجوهم[1] : [من البسيط]

بَني مُتَيَّمَ هل تَدْرونَ مـا الخبرُ ... وكيـفَ يُسْتَرُ أمـرٌ ليس يَسْتترُ
حاجيتُكم : مَنْ أبوكم يا بني عُصَبٍ ... شَتَّـى ولكنَّمـا للعاهـرِ الحَجَرُ
قد كان شَيْخُكُمُ شيخاً له خَطَرٌ ... لكـن أُمَّكُـم في أمرِهـا نَظَرُ
ولم تكن أُمّكُم ، واللهُ يكلَؤُها ، ... محجوبةً دونَهـا الحُـراسُ والسُّتُرُ
كانت مغنِّيَـةَ الفِتْيـانِ إن شَرِبوا ... وغيرَ ممنوعـةٍ منهـم إذا سَكروا
وكان إخوانُـه غُـرّاً غَطَارِفـةً ... لا يُمْكِن الشيخَ أن يَعْصي إذا أُمَروا
قـومٌ أُعِفَّـاءُ إلا في بيوتكـمُ ... فإنَّ في مِثْلهـا قـد تُخْلَعُ العُذُرُ
فأصبحتْ كمُراحِ الشَّول حافلةً ... من كل لاقِحةٍ في بطنِها درَرُ[2]
فجئتُـم عُصَبـاً من كلِّ ناحيـةٍ ... نوعا مَخانِيثَ في أعناقِها الكَبَرُ[3]
فواحِـدٌ كِسْرَويٌّ في قَراطِقِـهِ ... وآخَـرٌ قُـرَشِيٌّ حـين يُخْتَبَرُ[4]
مـا عِلمُ أُمِّكُمُ مَنْ حَلَّ مِئزرَها ... ومَنْ رماهـا بكم يأيُّها القَذَرُ
قـوم إذا نُسِبوا فالأم واحـدةٌ ... واللهُ أعلـمُ بالآبـاءِ إذ كَثُروا
لم تَعْرِفوا الطَّعْنَ إلا في أسافلكم ... وأنتُـم في المخـازي فِتْيَةٌ صُبُرُ
أحببتُ إعلامَكـم إنِّي بأمرِكُم ... وأمرِ غيركُـم مـن أهلِكم خَبَرُ
تَفَكَّهـونَ بأعـراضِ الكرامِ وما ... أنتم وذِكْرُكُم الساداتِ يا عُرَرُ[5]
هذا الهجاءُ الذي تَبْقى مياسِمُه ... على جباهِكمُ مـا أَوْرقَ الشَّجَرُ

[حبسه المتوكل لسعيه بجلسائه وهجائه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبّر قال : كتب صاحب الخبر إلى المتوكل أن الحسن بن عبد الملك بن صالح احترق فمات . فقال علي بن الجَهْم : قد بلغني أن العامل قتَله وصانع صاحب الخبر حتى كتب بهذا . وكان يسعى

1 ديوانه : 121–122 .
2 كمراح في ل : كمربح . الشول من النوق : التي قل لبنها .
3 الكبر : الطبل .
4 القراطق : جمع قرطق وهو القباء .
5 عرر : جمع عرة وهو شين القوم .

بالجلساء إلى المتوكل فأبغضَه وأمره بأن يلزم بيته ، ثم بلغه أنه هجاه فحبَسه . وأحسنُ شعر قاله في الحبس قصيدته التي أولها[1] : [من الكامل]

قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري ... حَبْسي وأيُّ مُهَنَّـــدٍ لا يُغْمَدُ
أوَ مـا رأيـتِ اللَّيْثَ يألَفُ غِيلَه ... كِبْراً وأوبـاشُ السِّبـاع تَرَدَّدُ
والشمسُ لـولا أنّها محجوبـةٌ ... عـن ناظِرَيْك لمـا أضاءَ الفَرْقَدُ
والبدرُ يُدْركـه السَّرارُ فتنجلي ... أيامُـــه وكأنَّـــه مُتَجَـدِّدُ[2]
والغيث يَحْصُره الغَمامُ فما يُرى ... إلا ورَيِّقُـــه يَـــرُوعُ ويَرْعُدُ
والزاعِبيّـــة لا يُقيـــم كُعُوبَهـا ... إلا الثِّقـافُ وجَـذْوَةٌ تَتَوَقَّدُ[3]
والنـارُ في أحجارِهـا مخبـوءةٌ ... لا تُصْطَـلى إن لم تُثِرْهـا الأَزْنَدُ
والحبس مـــا لم تغشَه لدَنِيَّـــةٍ ... شنعاءَ نِعْـمَ المنـزِلُ المُتَوَرَّدُ[4]
بيتٌ يجـدِّدُ للكريـمِ كرامـةً ... ويُزارُ فيـه ولا يـزورُ ويُحْمَدُ[5]
لـــو لم يكنْ في الحبسِ إلا أنه ... لا يستذِلُّـكَ بالحجـابِ الأَعْبُدُ
كم مِن عليلٍ قد تخطاه الرَّدى ... فنجـا ومـاتَ طبيبُـه والعُوَّدُ
يـا أحمـدُ بـنَ أبي دوادٍ إنّما ... تُدْعـى لكـلِّ عظيمةٍ يـا أحمدُ
أبْلِـغْ أميرَ المؤمنـينَ فدونَـه ... خَوْضُ الرَّدى ومخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتـم بنـو عـمِّ النبي محمـدٍ ... أولى بمـا شَرَع النبـيُّ محمَّدُ
مـا كان مـن كَـرَمٍ فأنتم أهلُه ... كَرُمَتْ مَغارِسُكم وطابَ المَحْتِدُ[6]
أمِنَ السَّوِيَّةِ يا ابنَ عَـمِّ محمدٍ ... خَصْمٌ تُقَرِّبُـه وآخـرُ تُبْعِدُ
إنَّ الذيـنَ سَعَوْا إليـكَ بباطلٍ ... حُسَّادُ نعمتِـكَ التي لا تُجْحَدُ
شهِـدوا وغِبْنا عنهـمُ فتحكَّموا ... فينـا وليس كغائبِ مَنْ يَشْهَدُ

1 ديوانه : 88–93 .
2 السرار : آخر أيام الشهر .
3 الزاعبية : رماح منسوبة إلى رجل اسمه زاعب .
4 المتورد الذي يورد ويزار .
5 ويحمد في الديوان : يخفد أي يخدم .
6 كرم في الديوان : حسن .

لو يجمعُ الخُصَماءَ عندَكَ مجلسٌ يوماً لبان لكَ الطريقُ الأقْصَدُ
فبأيِّ جُرْمٍ أصْبحتْ أعراضُنا نَهْباً تَقَسَّمها اللئيمُ الأوْغَدُ[1]

[قوله في علة المتوكل وغضبه من جاريته قبيحة]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدثني حماد بن إسحاق قال قال لي أبو الفضل الرَّبَعي قال قال لي علي بن الجَهْم : دخلت على المتوكل وقد بَلَغني أنه كلَّم قَبيحةَ جاريته فأجابته بشيء أغضبه ، فرماها بمِخَدَّةٍ فأصابتْ عينَها فأثرتْ فيها ، فتأوَّهَت وبَكَتْ وبكى المعتز لبكائها ؛ فخرج المتوكل وقد حُمَّ من الغم والغضب . فلما بَصُرَ بي دعاني وإذا الفتح[2] يُرِي بَخْتِيَشوعَ القارورة ويشاوره فيها . فقال لي : قل يا علي في عِلتي هذه شيئاً وصفْ أن الطبيب ليس يَدْري ما بي ؛ فقلت[3] : [من الوافر]

تنكَّر حالَ عِلَّتِي الطَّبيبُ وقال أرى بجسمك ما يَرِيبُ
جَسسْتُ العِرْقَ منكَ فدَلَّ جَسِّي على أَلَمٍ له خَبَرٌ عجيبُ
فما هذا الذي بكَ هاتِ قُلْ لي فكان جوابَه مِنِّي النَّحِيبُ
وقلت أيا طبيبُ الهجرُ دائي وقلبي يا طبيبُ هُو الكئيبُ
فحرَّك رأسَه عَجَباً لقولي وقال الحبُّ ليس له طبيبُ
فأعجبني الذي قد قال جِداً وقلتُ بَلى إذا رضِي الحبيبُ
فقال هو الشفاءُ فلا تُقَصِّرْ فقلتُ أجَلْ ولكن لا يُجِيبُ
ألا هل مُسْعِدٌ يبكي لشَجْوِي فإنّي هائمٌ فَرْدٌ غريبُ

فقال : أحسنتَ وحَياتي ؛ يا غلام اسقِني قَدَحاً ؛ فجاءه بقَدَح فشَرِب وسُقِيَت الجماعة مثله . وخرجت إليه فَضْلُ الشاعرة بأبيات أمرتْها قَبيحة أن تقولها عنها . فقرأها فإذا هي : [من البسيط]

لأكتُمنَّ الذي في القلبِ من حُرَقٍ حتى أموتَ ولم يَعْلَمْ به الناسُ
ولا يقالُ شَكا مَنْ كان يَعْشَقُه إنَّ الشَّكاةَ لمن تَهْوى هي الياسُ
ولا أبوحُ بشيءٍ كنتُ أكتُمه عندَ الجلوسِ إذا ما دارت الكاسُ

1 تقسمها في الديوان : يشيد بها أي يُفشون المكروه والقبيح عنها .
2 أي الفتح بن خاقان وزير المتوكل .
3 ديوانه : 68–69 .

فقال المتوكّل : أحسنتِ يا فَضل . وأمر لها ولي بعشرين ألف درهم ، ودخل إلى قَبيحةَ فترضّاها .

[قتاله أعراباً قطعوا على قافلتهم الطريق في الشام]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : خرج عليُّ بن الجهم إلى الشام في قافلة ، فخرجتْ عليهم الأعراب في خُساف فهرَب من كان في القافلة من المُقاتِلة ، وثبت علي بن الجهم فقاتلهم قتالاً شديداً ، وثاب الناس إليه فدفعهم ولم يحظَوْا بشيء . فقال في ذلك[1] : [من الطويل]

صبَرتُ ومثلي صبرُه ليس يُنْكَرُ ... وليس على تَـرْك التَّقَحُّـمِ يُعْذَرُ
غريـزةُ حـرٍّ لا اختلاقُ تَكَلُّفٍ ... إذا خامَ في يـوم الوَغى المُتَصَبِّرُ[2]
ولمَّـا رأيتُ المـوتَ تَهْفُو بُنودُه ... وبانـتْ علامـاتٌ له ليس تُنْكَرُ
وأقبلتِ الأعرابُ من كلِّ جانبٍ ... وثـارَ عَجاجٌ أسودُ اللَّون أكْدَرُ
بكـلِّ مُشِيـحٍ مُستمِيتٍ مُشَمِّرٍ ... يَجُولُ بـه طِـرفٌ أقَبُّ مُشَمَّرُ[3]
بأرضِ خُسافٍ حين لم يكُ دافِعٌ ... ولا مانـعٌ إلا الصَّفيحُ المُذَكَّرُ[4]
فقلَّلَ في عَيْنَـيَّ عُظْـمَ جموعِهم ... عزيمةُ قلبٍ فيه مـا جـلَّ يَصْغُرُ
بمُعْتَرَكٍ فيـه المنايـا حواسِرٌ ... ونـارُ الوغـى بالمَشْرَفيَّـةِ تُسْعَرُ
فما صُنْتُ وجهي عن ظُباتِ سُيوفِهم ... ولا انْحَزْتُ عنهم والقنا تَتَكَسَّرُ
ولم أَكُ في حـرِّ الكريهةِ مُحْجِماً ... إذا لم يكن في الحربِ للوِرْدِ مَصْدَرُ
إذا ساعـدَ الطِّرْفُ الفتى وجنانُه ... وأسْمَـرُ خَطِّـيٌّ وأبيضُ مِبْتَرُ
فذاك ، وإن كان الكريمُ بنفسِه ، ... إذا اصطكَّتِ الأبطال في النَّقْع عَسْكَرُ
مَنَعْتُهمُ مـن أن ينالـوا قُلامَـةً ... وكنـتُ شَجاهـم والأسنـةُ تَقْطُرُ
وتلك سجايانـا قديمـاً وحادثـاً ... بهـا عُـرِف الماضي وعَـزَّ المؤخَّرُ
أَبَتْ لي قُـرُومٌ أنجبتنيَ أن أُرى ... وإنْ جَـلَّ خَطْبٌ خاشعاً أتضجَّرُ

1 ديوانه : 119–120 .
2 خام : نكص وجبن .
3 المشيح : المقبل مانعاً ما وراء ظهره . والطرف : الكريم من الخيل .
4 الصفيح : السيف العريض .

أولئك آلُ اللهِ فهْـرُ بـــن مالكٍ بهم يُجْبَرُ العظمُ الكَسيرُ ويُكْسَرُ
هم المَنْكِـبُ العالي على كلِّ مَنْكِبٍ سيوفُهـمُ تُفْنِـي وتُغْنـــي وتُفْقِرُ

[حبسه أبوه في الكتاب وهو صبي]

أخبرني عيسى بن الحسين الوراق والحسن بن علي قالا جميعاً حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني عيسى بن أبي حرب قال حدثني علي بن الجهم قال : حبسني أبي في الكُتاب ، فكتبت إلى أُمي[1] : [من الكامل]

يـا أُمَّنا أُفْدِيـكِ مـــن أُمٍّ أشكو إليكِ فَظاظـةَ الجَهْمِ
قـد سُرِّح الصِّبيانُ كلُّهـمُ وبَقيـتُ محصوراً بـلا جُرْمِ

قال : وهو أول شعر قلته وبعثت به إلى أُمِّي ؛ فأرسلتْ إلى أبي : والله لئن لم تُطلِقه لأَخرُجن حاسرةً حتى أُطْلِقَه . قال عيسى فحدثت بهذا الخبر إبراهيم بن المدبر فقال : عليٌّ بن الجهم كذَّاب ، وما يمنعه من أن يكون وَلَّدَ هذا الحديثَ وقال هذا الشعر وله ستون سنة ، ثم حدثكم أنه قاله وهو صغير ، ليرفع من شأن نفسه ! .

[تشفعه بأحمد بن أبي دواد وهو في الحبس ثم هجاؤه]

أخبرني عمِّي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان أحمد بن أبي دُواد منحرِفاً عن علي بن الجهم لاعتقاده مذهب الحشويَّة . فلما حُبِس عليُّ بن الجهم مدح أحمدَ بن أبي دواد عدة مدائح ، وسأله أن يقوم بأمره ويَشْفَع فيه ، فلم يفعل وقعد عنه . فمنها قوله[2] : [من الكامل]

يـا أحمـدُ بنَ أبي دُوادٍ إنما تُدْعى لكلِّ عظيمـةٍ يـا أحمدُ[3]
أَبْلِـغْ أميرَ المؤمنينَ ودونَـه خَوْضُ الرَّدى ومَخاوِفٌ لا تَنْفَدُ
أنتـم بنـو عـمِّ النبي محمدٍ أَوْلى بمـا شرَع النبـيُّ محمدُ

وهذه الأبيات من قصيدته التي أولها : [من الكامل]

قالت حُبِسْتَ فقلتُ ليس بضائري

فلما نفى المتوكِّلُ أحمدَ بن أبي دواد شَمِتَ به علي بن الجهم وهجاه فقال[4] : [من الكامل]

---

1 ديوانه : 212 .
2 ديوانه : 92 .
3 عظيمة في ل : شديدة .
4 ديوانه : 99-100 .

يا أحمدُ بنَ أبي دُوادٍ دعوةً بعثتْ إليكَ جنادلاً وحديدا
مـا هــذه البِدَعُ التي سمَّيتَها بالجهلِ منكَ العدل والتوْحيدا
أفسدتَ أمرَ الدِّينِ حين وَلِيتَه ورَمَيْتَه بأبي الوليــدِ وليدا[1]
لا مُحْكَماً جَزْلاً ، ولا مُسْتَطْرفاً كَهْلاً ، ولا مُسْتَحْدَثاً مَعْمودا[2]
شَرِهاً ، إذا ذُكِر المكارمُ والعُلا ذَكَــرَ القَلايــا مُبْدِئاً ومُعِيدا
ويَوَدُّ لو مُسِخَتْ ربيعةُ كلُّها وبنــو إيــادٍ صَحْفَــةً وثَرِيدا
وإذا تربَّــع في المجالس خِلْتَه ضَبُعاً وخِلتَ بنــي أبيه قرودا
وإذا تَبَسَّمَ ضاحكــاً شبَّهتَــه شَرِقاً تَعَجَّــلَ شُرْبَــه مَرْدودا
لا أصْبَحَتْ بالخيرِ عينٌ أبصرتْ تلك المَناخِــرَ والثَّنايا السُّودا

[كتابه لطاهر بن عبد الله بن طاهر من الحبس]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد قال : كتب علي بن الجهم إلى طاهر من الحبس[3] : [من السريع]

إنْ كان لي ذنبٌ فلي حُرْمَــةٌ والحــقُّ لا يدفعــه الباطلُ
وحُرْمَتــي أعظــمُ من زلَّتي لــو نالني مــن عَدْلِكم نائلُ
ولي حقــوقٌ غيرُ مجهولةٍ يعرِفُهــا العاقــلُ والجاهلُ
وكلُّ إنسانٍ لــه مذهــبٌ وأهــلُ مــا يفعلــه الفاعلُ
وسيرةُ الأمــلاكِ منقولــةٌ لا جائــرٌ يَخْفى ولا عادلُ
وقــد تعجَّلــتَ الذي خِفتُــه منــكَ ولم يــأتِ الذي آمُلُ

[شعره في مقين كان ينزل عنده بالكرخ]

حدثني عمي قال حدثنا محمد قال : كان علي بن الجهم يعاشر جماعة من فِتيان بغداد لما أُطلِق من حبسه وردَّ من النفي ، وكانوا يتقاينون[4] ببغداد ، ويلزمون منزل مُقَيِّنٍ بالكَرخ يقال له المفضَّل . فقال فيه علي بن الجهم[5] : [من الطويل]

نزلنــا ببابِ الكَرْخ أطْيَبَ مَنْزِلٍ على مُحْسِناتٍ مــن قِيانِ المُفَضَّلِ

1 أبو الوليد : محمد بن أحمد بن أبي دواد كان يتولى المظالم بسامراء .
2 معمودا في الديوان : محمودا .
3 الديوان 177–178 .
4 المقين : صاحب القيان . ويتقاينون : يجالسون القيان .
5 ديوانه : 188–191 .

فلابنِ سُرَيْجٍ والغَريض ومَعْبَدٍ ... بدائعُ في أسماعنا لم تُبَذَّلِ
أوانِسُ ما للضَّيفِ منهنَّ حِشْمةٌ ... ولا رَبُّهُنَّ بالجليلِ المُبَجَّلِ
يُسَرُّ إذا ما الضَّيْفُ قَلَّ حياؤه ... ويَغْفُل عنه وهو غيرُ مُغَفَّلِ
ويُكْثِر من ذمِّ الوقارِ وأهلِه ... إذا الضَّيفُ لم يَأْنَسْ ولم يَتَبَذَّلِ
ولا يدفعُ الأيدي المُرِيبةَ غَيْرةً ... إذا نالَ حَظّاً من لَبوسٍ ومأْكَلِ
ويُطْرِقُ إطْراقَ الشُّجاعِ مَهابةً ... ليُطْلِق طَرْفَ الناظرِ المتأمِّلِ
أشِرْ بيدٍ واغْمِزْ بطَرْفٍ ولا تَخَفْ ... رَقِيباً إذا ما كنتَ غيرَ مُبَخَّلِ
وأَعْرِضْ عن المِصباح والْهَجْ بمثْلِه ... فإنْ خَمَدَ المِصباحُ فادْنُ وقَبِّلِ
وسَلْ غيرَ ممنوعٍ وقُلْ غيرَ مُسْكَتٍ ... ونَمْ غيرَ مَذْعُورٍ وقُمْ غيرَ مُعْجَلِ
لك البيتُ ما دامَت هَداياك جَمَّةً ... وكنتَ مليئاً بالنَّبيذِ المُعَسَّلِ
فبادِرْ بأيام الشَّباب فإنّها ... تَقَضَّى وتَفْنى والغَوايةُ تَنْجَلِي
ودَعْ عنكَ قولَ الناسِ أَتْلَفَ مالَه ... فلانٌ فأضحى مُدْبِراً غيرَ مُقْبِلِ
هلِ الدَّهرُ إلا ليلةٌ طَرَحَتْ بنا ... أَواخرُها في يومِ لَهْوٍ مُعَجَّلِ
سقى اللهُ بابَ الكَرْخ من مُتَنَزَّهٍ ... إلى قَصْرِ وَضّاحٍ فبِرْكَةِ زَلْزَلِ[1]
مَساحِبُ أذيال القِيان ومَسْرَح الـ ... ـحِسان ومَثْوى كلِّ خِرْقٍ مُعَذَّلِ[2]
لَوَ آن امرأ القيس بن حُجْرٍ يَحُلُّها ... لأَقْصَرَ عن ذِكْر الدَّخُول وحَوْمَلِ
إذاً لرأى أن يَمْنَحَ الوُدَّ شادِناً ... مقصِّرَ أذيالِ القَبا غيرَ مُسْبِلِ
إذا الليلُ أدنى مَضْجَعي منه لم يَقُلْ ... عَقَرتَ بَعِيري يا امْرأ القيس فانْزِلِ

[إبراهيم بن المدبر يتهمه بانتحال شعر]

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثني إبراهيم بن المدبر قال أنشدني علي بن الجهم لنفسه[3] : [من الكامل]

وإذا جَزى اللهُ امرءاً بفِعالِه ... فجزى أخاً لي ماجِداً سَمْحا

---

1 قصر وضاح : قصر بني للمهدي قرب رصافة بغداد وتولى الانفاق عليه رجل اسمه وضاح فنسب إليه . وبركة زلزل : بركة حفرها زلزل الضارب ووقفها على المسلمين .

2 الخرق : الرجل الواسع الكرم . والمعذل : الذي يعذله الناس على اسرافه في الكرم .

3 قال محقق ديوانه : البيتان موجودان في ديوان الصولي .

ناديتُــه عــن كُرْبــةٍ فكأنما أطلعتُ عــن ليــلٍ بــه صُبْحا

فقلت له : وَيْلَك ؛ هذا لإبراهيم بن العباس يقوله في محمد بن عبد الملك الزيَّات ! فجَحَدني وكابر . فدخل يوماً عليّ بن الجهم إلى إبراهيم بن العباس وأنا عنده . فلما رآني قال : اجتمع الإبراهيمان . فتركتُه ساعةً ثم أنشدتُ البيتين ، وقلت لإبراهيم بن العباس : إن هذا يزعمُ أن هذين البيتين له . فقال : كَذَب ، هذان لي في محمد بن عبد الملك الزيات . فقال له علي بن الجهم بقِحَةٍ : ألم أنْهَكَ أن تَنْتَحِل شعري ؟ فغضِب إبراهيم وجعل يقول له بيده : سَوْءةً عليك سَوْءةً لك ! . ما أوقحك ! وهو لا يُنْكِر[1] في ذلك ولا يَخجل . ثم التقينا بعد مدة فقال : أرأيتَ كيف أخزيتُ إبراهيم بن العباس ؟! فجعلت أَعْجَبُ من صَلابة وجهه .

[شعره في الفراق]

حدثني عمي قال أنشدنا محمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء[2] : [من الخفيف]

اعْلَمِــي يــا أحبَّ شيءٍ إليّا أنَّ شوقــي إليــكِ قــاضٍ عليّا
إن قَضَــى اللهُ لي رجوعاً إليكم لا ذكرتُ الفِراقَ ما دمتُ حيّا[3]
إن حَــرَّ الفِراقِ أنْحَــلَ جسمي وكوى القلبَ منكِ بالشَّوقِ كيّا

[كان الزيات يسبعه عند الخليفة فهجاه]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان محمد بن عبد الملك الزيات منحرفاً عن علي بن الجهم وكان يسبِعُه[4] عند الخليفة ويعيبه ويذكره بكلِّ قبيح . فقال فيه علي بن الجهم : [من مجزوء الرجز]

لَعائِــــنُ اللهِ مُتابَعــــاتِ مُصَبِّحــــاتٍ ومُهَجِّــراتِ
على ابنِ عبد الملك الزيــاتِ عَــرَّضَ شَمْلَ المُلكِ للشَّتاتِ
وأنْفَــذَ الأحكامَ جائــراتٍ على كتــابِ اللهِ ذارِيــاتِ[5]
وعن عقــول الناس خارجاتٍ يرمــي الدواويــنَ بتوقيعاتِ
مُعَقَّــداتٍ كَرُقــى الحيَّــاتِ سبحانَ مَنْ جَلَّ عن الصِّفاتِ

1 ل : لا يفكر .
2 ديوانه : 224 .
3 إليكم في ل : إليكِ .
4 ل : يشنعه .
5 ذاريات : تذرو التراب .

بعد ركوب الطَّوْف في الفُراتِ وبعـدَ بَيْعِ الزَّيْـتِ بالحَبَّاتِ[1]
صرتَ وزيـراً شامخَ الثَّباتِ هارونُ يا ابنَ سَيِّدِ الساداتِ[2]
أمـا تـرى الأمورَ مُهْمَلاتِ تشكو إليك عَـدَمَ الكُفاةِ
فعاجِـلِ العِلْـجَ بمُرْهَفـاتٍ من بعد ألْفٍ صُخَّبِ الأصواتِ[3]
بمُثْمِـراتٍ غيـرِ مُورِقـاتِ تُـرى بمَتْنَيْـه مُرَصَّفـاتِ[4]
تَراصُفَ الأسنان في اللِّثاتِ

[شماتته بعمر بن الفرج عندما قبض عليه]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال : كان علي بن الجَهْم سأل عمرَ بن الفَرَج الرُّخَّجِي[5] معاونته ، واسْتَرْفَده في نكبته فلم يُعاوِنه ولم يُرْفِدْه ، ثم قُبِض على عمر بن الفرج وأُسْلِم إلى نَجاح ليصادره . فقال علي بن الجهم له[6] : [من البسيط]

أَبْلِغْ نَجاحاً فتـى الفِتْيانِ مأْلُكَةً تَمْضي بها الرِّيحُ إصْداراً وإيرادا
لن يخرجَ المالُ عفواً من يَدَيْ عُمَرٍ أو يُغْمَدَ السَّيفُ في فَوْدَيه إغمادا
الرُّخَّجِيُّون لا يُوفُـونَ ما وَعَدوا والرُّخَّجِيَّـاتُ لا يُخْلِفْـنَ مِيعادا

قال وقال في عمر بن الفَرَج أيضاً[7] : [من البسيط]

جمعتَ أمريْنِ ضاعَ الحزمُ بينهما تيـهَ الملـوكِ وأفعـالَ المماليكِ
أردتَ شكراً بلا بِـرٍّ ومَرْزِئـةٍ لقـد سلكـتَ طريفاً غيرَ مسلوكِ
ظننتَ عِرْضَكَ لا يُـرْمى بقارعةٍ ومـا أُراكَ على حـالٍ بمتروكِ

[تمثل بشعره نديم لسليمان بن وهب]

أخبرني عمي قال حدثني الحسن بن الحسن بن رجاء عن أبيه قال : كان لسليمان بن وهب نديمٌ يأنَسُ به ويألَفه ، فعربد عليه ليلةً من الليالي عربدةً قبيحة ، فاطَّرحه وجفاه مدة .

---

1 الطوف : قرب ينفخ فيها فتطفو على الماء فيركب عليها .
2 يقصد الواثق الخليفة العباسي .
3 يقصد ألف سوط .
4 مثمرات : أي لها عقد في أطرافها .
5 هو وأبوه من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى المتوكل الذي نكبه عند توليه الخلافة .
6 ديوانه : 98 .
7 ديوانه : 169 .

فوقف له على الطريق . فلما مَرَّ به وَثَب إليه فقال له : أيها الوزير ، ألا تكون في أمري كما قال علي بن الجهم[1] : [من البسيط]

القومُ إخوانُ صِدْقٍ بينهم نَسَب ... من المـودةِ لم يُعْـدَلْ بهـا نَسَبُ
تراضَعُـوا دِرَّة الصهبـاء بينهـمُ ... فأوجبوا لرضيع الكأسِ ما يَجبُ
لا تَحْفَظَنَّ على السَّكرانِ زَلَّتَه ... ولا تَرِيبَنْك مـن أخلاقِـه رِيَبُ

فقال له سليمان : قد رَضِيتُ عنك رضاً صحيحاً ، فَعُدْ إلى ما كنتَ عليه من ملازمتي .

وأول هذه الأبيات : [من البسيط]

الوَرْدُ يضحكُ والأوتار تصطخِبُ ... والنَّاي يَنْـدُبُ أشجاناً ويَنْتَحِبُ
والرَّاحُ تُعْرَضُ في نَوْرِ الرَّبيعِ كما ... تُجْلى العَروسُ عليها الدُّرُّ والذَّهَبُ[2]
واللَّهو يُلْحِقُ مَغْبوقاً بمُصْطَبِحٍ ... والدور سيَّـان محثوثٌ ومُنْتَخَبُ
وكلّما انسكبتْ في الكأس آونةً ... أقسمتُ أن شُعاعَ الشَّمسِ يَنْسَكبُ

[يسري عن عبد الله بن طاهر بشعره]

أخبرني عمّي قال حدثنا محمد بن سعد قال حدثني أسْلَم مولى عبد الله بن طاهر قال : دخل علي بن الجهم يوماً على عبد الله بن طاهر في غُدْوة من غُدُواتِ الرَّبيع وفي السماء غَيْم رقيق والمطرُ يجيء قليلاً ويسكن قليلاً ، وقد كان عبد الله عزَم على الصَّبُوح . فغاضبتْه حَظِيَّةٌ له ، فتنغَّص عليه عَزْمُه وفتَر . فخُبِّر علي بن الجهم بالخبر وقيل له : قُلْ في هذا المعنى شيئاً ، لعله ينشَط للصَّبوح . فدخل عليه فأنشده[3] : [من البسيط]

صوت

أَمَـا تـرى اليومَ مـا أحْلى شمائلَه ... صَحْـوٌ وغَيْـمٌ وإبْـراقٌ وإرْعـادُ
كأنَّه أنـتَ يـا مَـنْ لا شبيـهَ لـه ... وَصْـلٌ وهَجْـرٌ وتَقْرِيـبٌ وإبْعادُ
فباكِـرِ الـرَّاحَ واشربْهـا مُعتَّقـةً ... لم يَدَّخِرْ مِثْلَهـا كِسْرى ولا عادُ
واشْرَبْ على الرَّوضِ إذ لاحتْ زَخارِفُه ... زَهْـرٌ ونَـوْرٌ وأَوْراقٌ وأَوْرادُ[4]

---

1 ديوانه : 67–68 .
2 نور في ل : ثوب وفي شرح المقامات للشريشي : يوم .
3 ديوانه : 96–97 .
4 لاحت في الديوان :وشى . وأوراق في الديوان : توراق .

كأنّما يومُنا فِعْلُ الحبيبِ بنا بَذْلٌ وبُخْلٌ وإبعادٌ وميعادُ
وليس يذهبُ عنّي كلُّ فعلكمُ غَيٌّ ورُشْدٌ وإصلاحٌ وإفسادُ

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلثمائة دينار ؛ وحمَله وخلَع عليه ، وأمر بأن يُغنَّى في الأبيات . الغِناء لبَذْل الطاهرية ، خفيفُ رملٍ . وفيه لغيرها هزجٌ .

[جلس في المقابر بعد خروجه من السجن]

حدثني عمي قال حدثني محمد بن سعد قال حدثني رجلٌ من أهل خُراسان قال : رأيت علي بن الجهم بعد ما أُطلِقَ من حبسه جالساً في المقابر ؛ فقلت له : ويحك ؛ ما يُجلسك هاهنا ؟ فقال[1] : [من البسيط]

يشتاقُ كلُّ غريبٍ عندَ غُرْبَتِه ويذكرُ الأهلَ والجيرانَ والوطنا
وليس لي وطنٌ أمسَيْتُ أذكره إلا المقابرَ إذ صارتْ لهم وطنا

حدثني عمّي قال أنشدنا أحمد بن عبيد ومحمد بن سعد لعلي بن الجهم وفيه غناء[2] : [من مجزوء الرمل]

لو تَنَصَّلْتَ إلينا لَوَهَبْنا لكَ ذَنْبَكْ
بأبي ما أبغضَ العيـ ـشَ إذا فارقتُ قُرْبَكْ
ليتني أملِك قلبي مِثْلَ ما تَمْلِك قلبَكْ
أيُّها الواثقُ باللـ ـهِ لقد ناصحتَ ربَّكْ
ما رأى الناسُ إماماً أنْهَبَ الأموالَ نَهْبَكْ
أصبحتْ حُجَّتُك العُلْـ ـيا وحزبُ الله حِزبَكْ

الغناء لعريب رمل . وفيه لغيرها هزجٌ .

[هجاؤه أبا أحمد بن الرشيد]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كان علي بن الجهم قد مدح أبا أحمد بن الرشيد فلم يُعطِه شيئاً ؛ فقال يهجوه[3] : [من مجزوء الرمل]

يا أبا أحمدَ لا يُنْـ ـجِي من الشِّعْر الفِرارُ

1 ديوانه : 216 .
2 لم ترد هذه الأبيات في ديوانه .
3 ديوانه : 125–126 .

لبنـــي العبـاسِ أحـلا مٌ عِظـامٌ ووقـــارُ
ولهـم في الحربِ إقـدا مٌ ورأْيٌ واصطبـــارُ
ولهـــم أَلْسِنـــةٌ تَبْـ ـرِي كما تَبْرِي الشِّفارُ
ووجـوهٌ كنجـومِ الـ ـلَّيل تَهْدِي مـن يَحارُ
ونَسِيـمٌ كنسيـــمِ الـ ـرَّوضِ جادتْـه القِطارُ
ولِعطْفَيْـك عـن المجـ ـدِ شِمـاسٌ وازْورارُ
إن تكن منهم بلا شكٍّ فللعُـودِ قُتـــارُ[1]

[رثاؤه عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة وعمي قالا حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : دخل إلينا علي بن الجهم بعِقب موت أبي والمجلسُ حافلٌ بالمعزِّين ، فمثُل قائماً وأنشدنا يرثيه[2] : [من الخفيف]

أيُّ ركـنٍ وَهـى من الإسلامِ أيُّ يـومٍ أخْنـى عـلى الأيامِ
جَـلَّ رُزْءُ الأميرِ عـن كلِّ رُزْءٍ أدركتْـــه خواطـــرُ الأوهامِ
سَلَبتْنـا الأيـامُ ظـلاً ظَلِيـلاً وأباحـتْ حِمـىً عزيـزَ المَـرامِ
يا بَنِـي مُصْعَبٍ حَلَلْتم مـن النا سِ مَحَـلَّ الأرواحِ في الأجسامِ
فـإذا رابَكم مـن الدَّهـرِ رَيْبٌ عَمَّ مـا خَصَّكم جميـعَ الأنامِ
انظروا هـل تَـرَوْن إلاَّ دموعـاً شاهـــداتٍ على قلـوبٍ دوامي
مَنْ يُداوِي الدُّنيا ومَنْ يكلأُ المُلْـ ـكَ لدى فادحِ الخطوب العِظامِ[3]
نحـن مُتْنا بموتـه وأجـلُّ الـ ـخطبِ موتُ السَّاداتِ والأعلامِ
لم يَمُـتْ والأميرُ طاهـرُ حَـيٌّ دائـــمُ الانتقـــام والإنْعـــامِ
وهـو مـن بعـدِه نظـامُ المعالي وقِـوامُ الدُّنيـا وسيـفُ الإمامِ

قال : فما أذكر أني بكيت أو رأيتُ في دُورِنا باكياً أكثر من يومئذٍ .

[عريب تغني بشعره المعتز]

حدثني عمي قال حدثنا أبو الدِّهْقانةِ النديم قال : دخلنا يوماً إلى المعتز وهو مصطبحٌ على

1 القتار : ريح العود المحرق .
2 ديوانه : 214 .
3 فادح في ل : قادح .

صوتٍ اختاره واقترحه على عريب ، وأظُنُّ الصنعة لها ، فلم يزل يشرب عليه بقية يومِه ، فلما سَكِر أمر لها بثلاثين ألف درهم ، وفرَّق على الجلساء كلِّهم الجوائز والطِّيبَ والخلعَ . والصوت[1] : [من البسيط]

العينُ بعـدَك لم تنظرْ إلى حَسَنٍ ... والنَّفسُ بعدَك لم تسكُنْ إلى سَكَنِ
كأنَّ نفسي إذا مـا غبتَ غائبةٌ ... حتى إذا عُدْتَ لي عادت إلى بَدَني

والشعر لعلي بن الجهم .

[مع عبد الله بن طاهر]

حدثني جحظة ومحمد بن خلف وَكِيعٌ وعمي قالوا جميعاً حدثنا عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : لما أطلَق أبي طاهرٌ علي بن الجهم من الحبس أقام معه بالشَّاذِياخ مدة . فخرجوا يوماً إلى الصيد ، واتفق لهم مَرْجٌ كثير الطير والوحش ، وكانت أيامُ الزَّعفران ، فاصطادوا صيداً كثيراً حسناً ، وأقاموا يشربون على الزَعفران . فقال علي بن الجهم يصِف ذلك[2] : [من الطويل]

وَطِئنا رياضَ الزَّعْفران وأمْسَكَتْ ... علينا البزاةُ البِيضُ حُمْرَ الدَّرارجِ[3]
ولم تَحْمِهـا الأدغالُ منَّـا وإنّما ... أبَحْنا حِماهـا بالكلابِ النوابج[4]
بمُسْتَرْوِحاتٍ سابحـاتٍ بطونُها ... على الأرض أمثالَ السِّهام الزَّوالجِ[5]
ومُسْتَشْرِفاتٍ بالهَـوادِي كأنّها ... وما عَقَفتْ منها رؤوسُ الصَّوالِجِ[6]
ومِـنْ دالِعـاتٍ ألْسُناً فكأنّها ... لِحىً من رجالٍ خاضعين كَواسجِ[7]
فَلَيْنا بهـا الغِيطانَ فَلْيـاً كأنّها ... أناملُ إحدى الغانيـات الحوالجِ[8]
فَقُلْ لبُغاةِ الصَّيدِ هـل من مُفاخرٍ ... بصَيْدٍ وهل من واصفٍ أو مُخارجِ
قَرَنَّا بُـزاةً بالصُّقورِ وحَوَّمَـتْ ... شواهينُنا من بعد صَيْدِ الزَّامِجِ[9]

1 ديوانه : 219 .
2 ديوانه : 84 .
3 الدرارج في ل : التدارج .
4 النوابج : كالنوابح وفي ل : البوارج .
5 استروح الشيء : تشممه . الزوالج : السريعات .
6 الهوادي : الأعناق . وعقفت : عطفت وعوجت . الصوالج : جمع صولجان .
7 الكوسج : الذي لحيته على ذقنه لا على عارضيه .
8 حوالج : جمع حالجة وهي التي تندف القطن حتى يخلص الحب منه .
9 الزوامج : جمع زمج وهو نوع من الطير يصاد به دون العقاب .

[كتاب من حبسه إلى المتوكل]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : كتب علي بن الجهم إلى المتوكل وهو محبوس[1] : [من المتقارب]

صوت

أَقِلْني أَقالَكَ مَنْ لم يَزَلْ ... يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنك الرَّدى
ويَغْذوك بالنِّعمِ السابِغاتِ ... وليداً وذا مَيْعَةٍ أَمْرَدا
وتَجْرِي مقاديرُه بالذي ... تُحِبُّ إلى أن بلغتَ المَدى
ويُعْلِيكَ حتى لَوَ آن السماءَ ... تُنالُ لجاوزتَها مُصْعدا[2]
فما بين ربِّك جلَّ اسمُه ... وبينَك إلا نبي الهُدى
فشكراً لأَنْعُمِه إنه ... إذا شُكِرتْ نعمةٌ جَدَّدا
وعفوَك عن مُذْنبٍ خاضعٍ ... قَرَنْتَ المُقِيمَ به المُقْعِدا
إذا ادَّرع الليلَ أَفْضى به ... إلى الصُّبح من قبلِ أن يَرْقُدا
عفا اللهُ عنكَ ألاَ حُرْمةٌ ... تَعُوذُ بفضلِكَ أن أُبْعَدا[3]
لئن جَلَّ ذنبٌ ولم أعتمدْ ... لأنتَ أجَلُّ وأعْلى يَدا
أَلم تَرَ عَبْداً عدا طَوْرَه ... ومولىً عفا ورشيداً هدى
ومُفْسِدَ أمرٍ تلافيتَه ... فعاد فأَصْلَح ما أفْسَدا
فلا عُدْتُ أعصِيك فيما أمر ... تَ حتى أزورَ الثَّرى مُلْحَدا[4]
وإلا فخالفتُ ربَّ السماءِ ... وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو ... مُبيحِ العيالِ لمن أَوْلدا[5]
يكثِّر في البيتِ صِبيانَه ... يَغِيظُ بهم مَعْشَراً حُسَّدا[6]

---

1 ديوانه : 100–103 وفيه اختلاف في الترتيب .
2 ويعليك في الديوان : وأعلاك .
3 بفضلك في الديوان : بعفوك .
4 في الديوان : بعد أمرت : به أو أرى في الثرى ملحدا .
5 مبيح في الديوان : مباح .
6 رواية الديوان : أكثر صبيان بيتي لِكَيْ أغيظ بهم معشراً حسداً

[شماتته بأحمد بن أبي دواد حين فلج]

حدثني عمي قال حدثنا محمد بن سعد قال : لما فُلِجَ ابن أبي دُواد شَمِت به علي بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه[1] : [من الكامل]

لم يَبْقَ منك سوى خيالِك لامعاً ... فـوقَ الفِراشِ مُمَهَّداً بوسادِ
فَرِحَتْ بمَصْرَعِك البريَّـةُ كلُّها ... مَنْ كان منهـم مُوقِناً بمَعادِ
كم مجلسٍ للهِ قـدْ عطَّلتَـه ... كي لا يُحَدَّث فيـه بالإسنادِ
ولَكَـمْ مصابيـحٍ لنـا أطفأتَهـا ... حتى يزولَ عن الطريق الهادي
ولَكَـمْ كريمـةِ مَعْشَرٍ أَرْمَلْتَها ... ومُحَدِّثٍ أَوْثَقْـتَ في الأَقيادِ
إنَّ الأسارى في السُّجُون تَفَرَّجوا ... لَمـا أتتـك مواكـبُ العُوَّادِ
وغدا لمصرعِك الطبيبُ فلم يجدْ ... شيئاً لدائـكَ حيلـةَ المُرْتادِ
فـذُقِ الهـوانَ مُعَجَّـلاً ومؤجَّلاً ... واللهُ رَبُّ العـرشِ بـالمِرصادِ
لا زال فالِجُك الذي بك دائباً ... وفُجِعْتَ قبـلَ الموتِ بالأولادِ

[شعر له غنت فيه عريب]

أنشدني عمي لابن الجهم وفيه غناء لعريب[2] : [من الكامل]

نَطَقَ الهوى بجَوىً هـو الحقُّ ... وملكتَنـي فَلْيَهْنِـكَ الـرِّقُّ
رِفْقـاً بقلبـي يـا معذِّبَـه ... رفقـاً وليس لظـالمٍ رِفْـقُ
وإذا رأيتُـك لا تكلِّمنـي ... ضاقتْ عليَّ الأرضُ والأُفْقُ

وأنشدني له وفيه غناء أيضاً ، ويقال إنه آخر شعر قاله[3] : [من المنسرح]

يا رحمةً للغريبِ بـالبلدِ النـ ... ـازحِ مـاذا بنفسِه صَنَعا
فـارَقَ أحبابَـه فما انتفعُوا ... بالعيشِ مـن بعدِه وما انتفعا

[هجاؤه مغنّياً]

وقال لمغنٍّ حضر معه مجلساً وكان غير طيِّب[4] : [من الخفيف]

---

1 ديوانه : 106–107 .
2 ديوانه : 164 مع بعض الاختلاف .
3 ديوانه : 159 .
4 ديوانه : 57–58 .

كنتُ في مجلسٍ فقال مُغَنِّي الـ ـقومِ كم بيننا وبين الشتاء
فذَرَعْتُ البِساطَ مِنِّي إليه قلتُ هذا المقدارُ قبل الغِناء
فإذا ما عَزَمْتَ أن تَتَغنَّى آذَنَ الحَرُّ كلُّه بانقضاء

[استشفع بقبيحة إلى المتوكل]

أخبرني علي بن العباس بن أبي طلحة قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : لما حبَس أمير المؤمنين المتوكِّلُ عليَّ بن الجهم ، وأجمع الجُلساء على عداوته وإبلاغ الخليفة عنه كلَّ مكروه ووصفِهم مساويَه ، قال هذه القصيدة يمدحه ويذكِّره حقوقه عليه ، وهي : [من المتقارب]

عفا اللهُ عنكَ ألاَ حُرْمةٌ تَعُوذُ بعفوكَ أن أُبْعَدا

ووجَّه بها إلى بَيْدون الخادم ، فدخل بها إلى قبيحة وقال لها : إن عليَّ بن الجهم قد لاذ بكِ وليس له ناصرٌ سواك ، وقد قصده هؤلاء الندماء والكتاب لأنه رجل من أهل السنَّة وهم روافض ، فقد اجتمعوا على الإغراء بقتله . فدَعَتِ المعتز وقالت له : اذهب بهذه الرقعة يا بُنَي إلى سيِّدك وأوصِلْها إليه ، فجاء بها ووقف بين يَدَيْ أبيه . فقال له : ما معكَ فديتُك ؟ فدنا منه وقال : هذه رُقعة دفَعَتْها إليَّ أُمِّي . فقرأها المتوكل وضحِك . ثم أقبل عليهم فقال : أصبح أبو عبد الله ، فديتُه ، خصمَكم . هذه رقعة علي بن الجهم يستقيل ، وأبو عبد الله شفيعُه ، وهو ممن لا يُرَدّ ، وقرأها عليهم . فلما بلغ إلى قوله : [من المتقارب]

فلا عُدْتُ أعْصِيكَ فيما أمرتَ إلى أن أُحَلَّ الثَّرى مُلْحَدا
وإلا فخالفتُ رَبَّ السماء وخُنْتُ الصَّديقَ وعِفْتُ النَّدى
وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبيحِ العيالِ لمن أوْلَدا

وَثَب ابن حمدون وقال للمعتز : يا سيدي فمَن دفع هذه الرقعة إلى السيدة ؟ قال بَيْدون الخادم : أنا . فقالوا له : أحسنتَ ! تُعادينا وتوصل رُقعةَ عدوِّنا في هجائنا ! ! فانصرف بيدون وقام المعتز فانصرف . واستلَب ابنُ حمدون قوله : [من المتقارب]

وكنتُ كعَزُّونَ أو كابنِ عمرو مُبيحِ العيالِ لمن أوْلَدا

فجعل يُنشدهم إياه وهم يشتُمون ابنَ حمدون ويَضِجُّون والمتوكل يضحَك ويصفِّق ويشرب حتى سَكِر ونام ، وسرقوا قصيدته من بين يَدَيْ المتوكل وانصرفوا ، ولم يوقِّع بإطلاقه ونَسِيَه . فقالوا لابن حمدون : وَيلَك ؛ تُعِيد هجاءنا وشَتْمنا ؟! فقال : يا حَمْقى والله لو لم أفعل ذلك فيصحك ويشرب حتى يسكر وينام لوقَّع في إطلاقه ووقَعْنا معه في كلِّ ما نكره .

[هنأ المتوكل بفتح أرمينية]

أخبرني علي بن الحسين قال حدثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدثني أحمد بن حمدون قال : لما افتُتِحت أرمينية وقُتِل إسحاق بن إسماعيل دخل علي بن الجهم فأنشد المتوكِّلَ قصيدته التي يُهَنِّيه فيها بالفتح ويمدحه ، فقال فيها وأومأ بيده إلى الرسول الوارد بالفتح وبرأس إسحاقَ بن إسماعيل[1] : [من الرجز]

أَهْـلاً وسَهْلاً بكَ مـن رسولِ جئتَ بمـا يَشْفِي مـن الغَلِيلِ
بجملـةٍ تُغْنِـي عـن التفصيلِ بـرأسِ إسحاقَ بـنِ إسماعيلِ
قَهْراً بـلا خَتْـلٍ ولا تطويـلِ

فاستحسن جميع من حضر ارتجاله هذا وابتداءه ، وأمر له المتوكل بثلاثين ألف درهم ، وتمَّم القصيدة . وفيها يقول : [من الرجز]

جـاوز نَهْـرَ الكُـرِّ بالخُيولِ تَرْدِي بفِتْيـانٍ كأُسْدِ الغِيَلِ[2]
مُعَـوَّداتٍ طلـبَ الذُّحُـولِ خُزْرُ العيـونِ طيبي النُّصولِ[3]
شُعْثٌ على شُعْثٍ من الفحولِ جيشٌ يَلُفُّ الحَـزْنَ بالسُّهولِ
كأنّـه مُعْتَلِـجُ السُّيـولِ يَسُوسُه كَهْـلٌ مـن الكهولِ[4]
لا يَنْثنـي للصَّعْب والذَّلُولِ عـلى أَغَـرَّ واضحِ الحُجُولِ
حتـى إذا أَصْحَرَ للمخذولِ ناجَـزَه بصـارمٍ صَقِيلِ[5]
ضَرْبـاً طِلَحْفـاً ليس بالقليلِ ومَنْجَنِيق مثـلِ حَلْـقِ الفيلِ[6]
تَرْفَضُّ عـن خُرْطومه الطويلِ صواعقٌ مـن حَجَر السِّجِّيلِ
تترك كَيْـدَ القومِ في تَضْليلِ ما كان إلا مِثْلُ رَجْعِ القِيلِ
حتى انْجَلَتْ عن حزبه المفلولِ وعـن نساءٍ حُسَّرٍ ذُهُـولِ
صـوارِخٍ يَعْثُرْن في الذُّيـولِ ثَـواكلِ الأولادِ والبُعُـولِ

1 ديوانه : 191–192 .
2 الكر : نهر بأرمينية يشق مدينة تفليس . وتردي : ترجم الحصى بحوافرها .
3 الذحول : جمع ذحل وهو الثأر . خزر العيون : ضيق العيون . وطيبي النصول في ل : صيتي النصول .
4 معتلج السيول : متلاطم .
5 اصحر : برز .
6 طلحف : شديد .

لا والذي يُعْـرَفُ بالعقولِ مِـن غيرِ تحديـدٍ ولا تمثيلِ
مـــا قـــامَ للهِ وللرسولِ بالدِّيـــنِ والدُّنيـا وبـــالتَنزيلِ
خليفـةٌ كجعفـــرَ المأمولِ

[يرسل مديحاً إلى المتوكل من حبسه]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني محمد بن عبد السلام قال : رأيتُ مع علي بن يحيى المنجِّم قصيدةَ علي بن الجهم يمدح المتوكل ويصف الهاروني[1] ، فقلت له : يا أبا الحسن ، ما هذه القصيدة معك ؟ فضحِك وقال : قصيدةٌ لعلي بن الجهم سألني عَرْضَها على أمير المؤمنين فعرَضتها . فلما سمع قوله[2] : [من المتقارب]

وقُبَّـــة مُلْـكٍ كأنَّ النُّجـــو مَ تُصْغِـــي إليهـا بأسرارها[3]
تَخِـرُّ الوفـــودُ لهـا سُجَّـداً إذا مـــا تَجلَّـتْ لأَبْصارها
وفَـــوَّارة ثأرُهـــا في السمـاءِ فليستْ تُقَصِّر عـــن ثـــارها
تَـــرُدُّ على المُزْنِ مـــا أنزلتْ إلى الأرضِ من صَوْب مِدرارها

تهلل وجهُه واستحسنها . فلما انتهيتُ إلى قوله : [من المتقارب]

تَبوأْتُ بعـــدَك قَعْرَ السُّجون وقـد كنـتُ أُرْثـــي لزوارها

غضِب وتربَّد وجهُه وقال : هذا بما كسَبتْ يداه ، ولم يَسْمَع تمامَ القصيدة .

[مقتله في الطريق إلى حلب]

أخبرني علي بن العباس قال حدثني الحسين بن موسى قال : لما شاع في الناس مذهب علي بن الجهم وشَرُّه وذِكْرُه كلَّ أحدٍ بسوءٍ من صديقه وعدوه تحاماه الناس ، فخرج عن بغداد إلى الشام ، فاتفقنا في قافلةٍ إلى حَلَب . وخرج علينا نَفَرٌ من الأعراب ، فتسرَّع إليهم قومٌ من المُقاتِلة ، وخرج فيهم فقاتل قتالاً شديداً وهزَم الأعرابَ . فلما كان من غدٍ خرج علينا منهم خَلْقٌ كثير ، فتسرَّعت إليهم المقاتِلة وخرج فيهم فأصابتْه طعنةٌ قتلتْه ، فجئنا به واحتملناه وهو يَنزِف دمُه . فلما رآني بكى وجعل يُوصِيني بما يريد . فقلت له : ليس عليك بأس . فلما أمسينا قلِق قلقاً شديداً وأحسَّ بالموت ، فجعل يقول[4] : [من المجتث]

---

1 الهاروني : قصر قرب سامراء ينسب إلى هارون الواثق بالله .
2 من قصيدة طويلة في ديوانه : 146–149 .
3 الديوان : تفضي .
4 ديوانه : 183 .

أَزِيــدَ في الليــلِ ليلُ أم سالَ بالصُّبح سَيْلُ
ذكرتُ أهــلَ دُجَيْلٍ وأيــنَ منِّــي دُجَيْلُ

فأبكى كلَّ من كان في القافلة ، ومات مع السَّحَر ، فدُفِن في ذلك المنزل على مرحلة من حلب .

[ومن صنعة أبي عيسى بن المتوكل]

صوت

[من الطويل]

إن الناسُ غَطَّــوْني تَغَطَّيْتُ عنهمُ وإن بحثــوا عنِّــي ففيهم مَباحثُ
وإن حفَروا بئري حَفَرتُ بِئارَهم فسوفَ تَرى مــاذا تُثير النَّبائثُ[1]

الشعر لأبي دُلامة . والغِناء لأبي عيسى بن المتوكِّل ، ولحنه ثقيلٌ أولُ عن المعتز .

1 النبائث : جمع نبيثة وهو تراب البئر .

[169] ـ أخبار أبي دُلامة ونسبُه[1]

[نسبه]

أبو دُلامة زَنْد بن الجَوْن . وأكثرُ الناس يُصَحِّف اسمَه فيقول «زيد» بالياء ، وذلك خطأ ، وهو زَنْد بالنون . وهو كوفيٌّ أسودُ ، مولىً لبني أسَد . كان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له فضافض فأعتقه . وأدرك آخرَ أيامِ بني أمية ، ولم يكن له في أيامهم نباهة ، ونبغ في أيام بني العباس ، وانقطع إلى أبي عباس وأبي جعفر المنصور والمهدي ، فكانوا يقدِّمونه ويَصِلونه ويستطيبون مجالستَه ونوادرَه . وقد كان انقطع إلى رَوْح بن حاتم المُهَلَّبي أيضاً في بعض أيامه . ولم يصِل إلى أحدٍ من الشعراء ما وصل إلى أبي دُلامة من المنصور خاصةً . وكان فاسدَ الدِّين ، رديء المذهب ، مرتكِباً للمحارم ، مُضَيِّعاً للفروض ، مجاهراً بذلك ، وكان يُعْلَم هذا منه ويُعْرَف به ، فيُتَجافى عنه لِلُطْفِ مَحَلِّه .

[أول شعر عرف به]

وكان أولُ ما حُفِظ من شعره وأسْنِيَتِ الجوائزُ له به قصيدةً مدح بها أبا جعفر المنصور وذكَر قَتْلَه أبا مسلم . فأخبرني أحمد بن عُبَيْد الله بن عَمار قال حدثني محمد بن داود بن الجَرَّاح عن محمد بن القاسم عن أحمد بن حَبِيب قال : لما قال أبو دُلامة قصيدتَه في قتل أبي مسلم التي يقول فيها : [من الطويل]

أبا مُسْلِمٍ خَوَّفْتَني القتلَ فانْتَحى ... عليك بما خوَّفتَني الأسَدُ الوَرْدُ

أبا مسلمٍ مـا غيَّر اللهُ نعمـةً ... على عبـدِه حتى يغيِّرَها العبدُ

أنشدها المنصورَ في محفلٍ من الناس ، فقال له : احتكم . قال : عشرة آلاف درهم ، فأمَر له بها . فلما خلا به قال له : إيهِ ، أما والله لو تَعَدَّيتَها لقتلتُك .

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمار قال حدثني علي بن مسلم عن أبيه قال : سمَّى لي أبو

---

1 لأبي دلامة ترجمة في الشعر والشعراء : 660 وطبقات ابن المعتز : 54 وتاريخ بغداد 8 : 488 وابن خلكان 2 : 320 وسير الذهبي 7 : 374 والوافي 14 : 216 والمؤتلف والمختلف : 231 والبداية والنهاية 10 : 134 ومعاهد التنصيص 2 : 211 والدميري 1 : 163 والشذرات 1 : 249 وطرائفه منثورة في كتب الأدب ، وقد أورد صاحب التذكرة الحمدونية طائفة منها ، وقد جمع ديوانه الدكتور رشدي علي حسن (بيروت 1985) .

دلامة نفسَه زَنْداً (بالنون) ابنَ الجَوْن . وأسلم مولاه فضافض ، وله أيضاً شعر ، وكان في الصَّحابة .

[أعفاه المنصور من لبس السواد والقلانس]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير بن بكار قال حدثني جعفر بن الحسين المهلبي قال : كان أبو جعفر المنصور قد أمر أصحابه بلُبس السَّواد وقلانِسَ طِوال تُدْعَم بعِيدانٍ من داخلها ، وأن يعلقوا السُّيوفَ في المناطق ، ويكتبوا على ظهورهم : ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ . فدخل عليه أبو دُلامة في هذا الزِّي . فقال له أبو جعفر : ما حالُك ؟ قال : شَرُّ حالٍ ، وجْهِي في نِصْفي ، وسَيْفِي في استي ، وكتابُ الله وراءَ ظهري ، وقد صبغت بالسَّواد ثيابي . فضحِك منه وأعفاه وحدَه من ذلك ، وقال له : إياك أن يَسْمَع هذا منك أحد .

ونسختُ من كتابٍ لابن النطَّاح فذكَر مِثْلَ هذه القصة سواءً وزاد فيها : [من الطويل]

وكنا نرجِّـي مـن إمامٍ زيادةً فجادَ بطُولٍ زادَه في القَلانِسِ
تَراها على هامِ الرجالِ كأنّها دِنانُ يهـودٍ جُلِّلَتْ بالبرانِسِ

فضحِك منه وأعفاه .

[طلبه كلب صيد]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني محمد بن يزيد النحوي قال حدثني الجاحظ قال : كان أبو دُلامةَ بين يَدَيْ المنصور واقفاً ، وأخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قُتيبة أنه كان واقفاً بين يَدَيْ السَّفَّاح[1] ، فقال له : سَلْني حاجتَك . قال أبو دُلامة : كلبٌ أتصيَّد به . قال : أعطوه إياه . قال : ودابَّةً أتَصَيَّد عليها . قال : أعطُوه . قال : وغلامٌ يَصِيد بالكلب ويقوده . قال أعطوه غلاماً . قال : وجاريةٌ تُصْلِح لنا الصَّيْد وتُطْعِمنا منه . قال : أعطوه جارية . قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدُك فلا بد لهم من دارٍ يسكنونها . قال : أعطوه داراً تجمعهم . قال : فإن لم تكن لهم ضَيْعةٌ فمن أين يعيشون ! قال : قد أعطيتُك مائةَ جَرِيب عامرةً ومائةَ جَرِيب غامرة . قال : وما الغامرة ؟ قال : ما لا نباتَ فيه . فقال : قد أقطعتُك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جَرِيب غامرةً من فَيافي بني أسَد . فضحِك وقال : اجعلوها كلَّها عامرةً . قال : فَأْذَنْ لي أن أُقَبِّل يدَك . قال : أمّا هذه فدَعْها . قال : والله ما منعتَ عيالي شيئاً أقل ضرراً عليهم منها . قال الجاحظ[2] : فانظُر إلى حِذْقه بالمسألة ولُطفِه فيها : ابتدأ بكلب فسهَّل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على

1 انظر الشعر والشعراء : 660 .

2 الحيوان 2 : 170–171 وفيه أيضاً أن الطلب كان من السفاح ولم يذكر تعليق الجاحظ على لطف أبي دلامة في المسألة .

ترتيبٍ وفُكاهةْ ، حتى نال ما لو سأله بديهةً لَما وصل إليه .

[تكنيته باسم جبل بمكة]

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثني السُّكَّري عن محمد بن حبيب قال : اسم أبي دلامة زَنْدٌ بالنون ، ومن الناس من يرويه بالياء ، وكُنِّيَ أبا دُلامة باسم جبلٍ بمكة يقال له أبو دُلامة ، كانت قريش تَعِدُ فيه البناتِ في الجاهلية ؛ وهو بأعلى مكة .

[مديحه الغريب للمنصور]

وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة ، وأخبرني عمّي قال حدثني الكُراني عن العُمَرِي عن الهيثم قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده قصيدته التي يقول فيها : [من البسيط]

إن الخَلِيطَ أجَـدَّ البـينَ فانتجعوا ... وزَوَّدوكَ خَبالاً بئس مـا صنعوا

واللهُ يعلـمُ أنْ كادت لِبَيْنهـمُ ... يومَ الفِراق حَصاةُ القلب تَنْصَدعُ

عجِبتُ من صِبْيتي يومـاً وأمِّهِمُ ... أُمِّ الدُّلامـةِ لمـا هاجَهـا الجَزَعُ

لا بـارِكَ اللهُ فيهـا مـن مُنَبِّهةٍ ... هَبَّتْ تَلُومُ عيالي بعد مـا هَجعوا

ونحـنُ مُشْتبِهو الألـوان أوجهُنا ... سُودٌ قِبـاحٌ وفي أسمائنـا شَنَعُ

إذا تَشَكَّتْ إليَّ الجوعَ قلتُ لهـا ... ما هاج جُوعَكِ إلا الرِّيُّ والشِّبَعُ

ويُروى وهو الجيد :

أذابَكِ الجوعُ مُذْ صارت عيالُتنا ... على الخليفـة منـه الرِّيُّ والشِّبَعُ

لا والذي يا أميرَ المؤمنين قَضى ... لكَ الخلافـةَ في أسبابهـا الرِّفَعُ

مـا زِلتُ أخْلِصُها كَسْبِي فتأكلُه ... دوني ودون عيـالي ثم تضطجعُ

شَوْهاءُ مَشْنَأةٌ في بطنهـا ثَجَلٌ ... وفي المفاصل مـن أوصالها فَدَعُ[1]

ذكَّرتُهـا بكتـابِ اللهِ حُرْمتنـا ... ولم تكـن بكتـابِ الله تَنْتفعُ

فاخْرَنْطَمَتْ ثم قالت وهي مُغْضَبَةٌ ... أأنتَ تتلـو كتـابَ الله يـا لُكَعُ

اخْرُجْ لتبغِ لنـا مـالاً ومَزْرَعَةً ... كما لجيراننـا مـالٌ ومُزْدَرَعُ[2]

واخْـدَعْ خليفتَنـا عنهـا بمسألةٍ ... إنَّ الخليفـةُ للسُّؤالِ ينخدعُ

---

1 الثجل : عظم البطن واسترخاؤه . الفدع : الاعوجاج .

2 لتبغ في ل : تَبَغْ .

فضحِك أبو جعفر وقال : أرضوها عنّي واكتبوا له بمائتي جَرِيب عامرة ومائتي جرِيب غامرة ، وقال الهيثم : بستمائة جَريب عامرة وغامرة ، فقال له : أنا أُقْطِعك يا أمير المؤمنين أربعةَ آلاف جَريب غامرة فيما بين الحِيرة والنَّجَف ، وإن شئتَ زِدتُك . فضحِك وقال : اجعلوها كلَّها عامرة .

[ابن أبي ليلى يمضي شهادته]

حدثني محمد بن أحمد بن الطَّلاَّس قال حدثنا أحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائني قال : شهِد أبو دلامة بشهادة لجارة له عندَ ابن أبي ليلى على أتانٍ نازعها فيها رجل . فلما فرغ من الشهادة قال : اسْمَعْ ما قلتُ فيك قبل أن آتيكَ ثم اقْضِ ما شئتَ . قال : هات ؛ فأنشده : [من الطويل]

إن الناس غَطَّوْني تغطَّيْتُ عنهمُ وإن بحثوا عني ففيهم مَباحِثُ
وإن حفَروا بئري حفرتُ بئارَهم ليُعْلَمَ يوماً كيفَ تلكَ النَّبائثُ

ثم أقبل على المرأة فقال : أتَبيعِينني الأتانَ ؟ قالت نعم . قال : بكم ؟ قالت : بمائة درهم . قال : ادفعوها إليها ففعلوا . وأقبل على الرجل فقال : قد وهبتُها لك ، وقال لأبي دلامة : قد أمْضَيْتُ شهادتَك ولم أبحث عنك ، وابتعتُ ممن شَهِدتَ له ، ووهبتُ مِلْكي لمن رأيتُ . أرَضِيتَ ؟ قال نعم ، وانصرف .

[ذمه لابنته]

أخبرني الحسن بن علي الخَفَّاف قال حدثنا أبو بكر أحمد بن أبي خَيْثَمة قال حدثنا محمد بن سَلاَّم عن علي بن إسماعيل قال : كنتُ أسْقي أبا دلامة والسندي[1] ، إذ خرجتْ بنتٌ لأبي دلامة ، فقال فيها أبو دلامة : [من الوافر]

فما ولدتك مريمُ أُمُّ عيسى ولا ربَّاكِ لُقْمانُ الحكيمُ

أجِزْ يا أبا هاشم . فقال السندي : [من الوافر]

ولكن قد تَضُمُّكِ أُمُّ سَوْءٍ إلى لَبَّاتِها وأبٌ لئيمُ

فضحِك لذلك . ثم غدا أبو دُلامة إلى المنصور فألفاه في الرَّحَبة يُصْلِح فيها شيئاً يريده ، فأخبره بقصة بنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدهما : [من البسيط]

لو كان يَقْعُد فوقَ الشمسِ من كَرَمٍ قومٌ لَقِيل اقعدوا يا آل عباسِ

1 في رواية : السيد أي السيد الحميري .

ثم ارتقُوا في شُعاعِ الشمسِ كلُّكمُ إلى السمـاءِ فأنتـم أطهـرُ الناسِ
وقدِّموا القائـمَ المنصورَ رأسَكُم فالعينُ والأنفُ والأُذْنانِ في الراسِ

فاستحسنها ، وقال له : بأيِّ شيء تحبُّ أن أُعِينَكَ على قُبْحِ ابنتِك هذه ؟ فأخرج خريطةً قد كان خاطها من الليل فقال : تملأ لي هذه دارهمَ ، فمُلِئتْ فوَسِعتْ أربعةَ آلاف درهم .

وقد أخبرني بهذا الخبر عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني العُمَري عن الهَيْثَم بن عَدِي قال : دخل أبو عَطاء السِّنْدي يوماً إلى أبي دُلامة فاحتبسه عنده ، ودعا بطعام فأكلا وشبِعا ، وخرجتْ إلى أبي دُلامة صَبِيَّةٌ له فحملها على كتفه ، فبالت عليه فنبَذها عن كتفه ، ثم قال : [من الوافر]

بَلَلْتِ عليَّ ، لا حُيِّيتِ ، ثوبي فبـالَ عليـكِ شيطانٌ رجيمُ
فما ولَدتكِ مريـمُ أُمُّ عيسى ولا ربَّـاكِ لُقْمـانُ الحكيمُ

ثم التفت إلى أبي عطاء فقال له : أجِزْ . فقال : [من الوافر]

صدقتَ أبا دُلامةَ لم تَلِدْهـا مُطَهَّـرَةٌ ولا فحـلٌ كريـمُ
ولكـن قـد حَوَتْهـا أُمُّ سَوْءٍ إلى لَبَّاتهـا وأبٌ لئيـمُ

فقال له أبو دلامة : عليك لعنةُ الله ؛ ما حملكَ على أن بلغتَ بي هذا كلَّه ! والله لا أُنازِعك بيتَ شعرٍ أبداً . فقال أبو عَطاء : لأن يكونَ الهربُ من جهتك أحبُّ إليَّ .

[رثى السفاح فغضب عليه المنصور]

أخبرني محمد بن يحيى قال حدثني عبد الله بن المعتز قال حدثني أبو مالك عبد الله بن محمد قال حدثني أبي قال : لما تُوفِّي أبو العباس السفَّاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يُعَزُّونه ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول : [من الكامل]

أمْسَيْتَ بالأنبـار يـا ابنَ محمدٍ لم تستطعْ عـن عُقْرهـا تحويلا
وَيْلي عليـكَ ووَيْل أهـلي كلِّهم ويـلاً وعَـوْلاً في الحياةِ طويلا
فَلْتَبْكِيَـنَّ لـكَ النساءُ بعَبْـرةٍ ولْيَبْكِيَـنَّ لـكَ الرِّجـالُ عَويلا
مات النَّدى إذ مِتَّ يا ابن محمدٍ فجعلتَه لـكَ في الثـراء عديلا[1]
إني سألتُ النـاسَ بعدك كلَّهم فوجدتُ أسمحَ مَنْ سألتُ بخيلا

1 الثراء : لغة في الثرى . وسيرد البيت برواية أُخرى .

أَلِشِقْوتي أُخِّرتُ بعدَك للتي تَدَعُ العزيزَ من الرجالِ ذليلا
فلأَحْلِفَنَّ يمينَ حقٍّ بَرَّةً باللهِ ما أُعْطِيتُ بعدَك سُولا

قال : فأَبْكى الناسَ قولُه . فغضِب المنصورُ غضباً شديداً وقال : لئن سمعتُك تُنْشِدُ هذه القصيدة لأقطعن لسانَك . فقال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ، إن أبا العباس أميرَ المؤمنين كان لي مُكْرِماً وهو الذي جاء بي من البَدْو كما جاء الله بإخوة يوسف إليه ، فقل كما قال يوسف لإخوته ﴿لا تَثْريبَ عَلَيْكُم اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾ فسُرِّيَ عن المنصور . وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسَلْ حاجتَك . فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أَمَر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً وهو مريض ولم أقبِضْها . فقال المنصور : ومَنْ يعرِف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار إلى جماعة ممن حضَر . فوثَب سليمانُ بن مُجالِد وأبو الجَهْم فقالا : صدَق أبو دلامة ، نحن نعلم ذلك . فقال المنصور لأبي أيوب الخازن وهو مَغيظ : يا سليمانُ ادفَعْها إليه وسيِّرْه إلى هذه الطاغية (يعني عبد الله بن علي[1] ، وقد كان خرج بناحية الشام ، وأظهر الخلافَ) . فوثَب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، إني أعيذُك بالله أن أخرج معهم ، فوالله إني لمشؤوم . فقال المنصور : امضِ فإن يُمْني يَغْلِب شُؤْمَك فاخْرُجْ . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أُحِبُّ لك أن تجرِّب ذلك منِّي على مثل هذا العسكر ؛ فإني لا أدري أيُّهما يَغْلِب : أَيُمْنُك أم شؤمي ، إلا أني بنفسي أوثَقُ وأعْرَفُ وأطْوَلُ تجربةً . قال : دَعْني من هذا فما لكَ من الخروج بد . فقال : إني أَصْدُقُكَ الآنَ ، شَهِدتُ والله تسعةَ عشرَ عسكراً كلُّها هُزِمتْ ؛ وكنتُ سببَها . فإن شئتَ الآن على بَصيرةٍ أن يكون عسكرُك العشرين فافْعَلْ . فاستغرب أبو جعفر ضحِكاً ، وأمره أن يتخلَّف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

[أغضب المنصور لكثرة مدحه السفاح]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثني العُمَري عن الهيثم بن عَدِي قال : لما مات أبو العباس السفاح ووَلِيَ المنصور ، دخل عليه أبو دلامة ، فقال له أبو جعفر : ألستَ القائلَ لأبي العباس : [من الوافر]

وكنّا بالخليفة قد عَقَدْنا لِواءَ الأمر فانتقَض اللواءُ
فنحنُ رَعِيَّةٌ هَلَكتْ ضَياعاً تَسُوقُ بنا إلى الفِتَنِ الرِّعاءُ

قال : ما قلت هذا يا أمير المؤمنين . قال : كذبتَ والله ؛ أَفَلَستَ القائل : [من الكامل]

1 هو عم المنصور خرج بالشام وغلبه أبو مسلم .

هلَك النَّدى إذ بِنتَ يا ابن محمدٍ فجعلتَه لكَ في التراب عَدِيلا
ولقد سألتُ الناسَ بعدَك كلَّهم فوجدتُ أكرمَ مَنْ سألتُ بخيلا
ولقد حَلَفْتُ على يمينٍ بَرَّةٍ باللهِ ما أُعْطِيتُ بعدَك سُولا

فقال أبو دلامة : إن أخاك صلَّى الله عليه غلَبني على صبري ، وسلَبني عزيمتي ، وعَزَّني بإحسانه إليَّ وجزعي عليه ، فقلت ما لم أتأمَّله ، وإني أرغب في الثمن ، فاسْتَفْرَهَ السِّلْعةَ حياً وميِّتاً . فإن أعْطَيْتَ ما أعطى ، أخذتَ ما أخذ . فأمر به فحُبِس ثلاثاً ثم خَلَّى سبيلَه ودعاه إليه فوصلَه ، ثم عاد إلى ما كان عليه .

[خروجه في الحرب ومنازلته خارجياً]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد الدِّمَشْقي قال حدثني أبو دلامة قال : أُتي بي المنصورُ أو المهديُّ وأنا سكران ، فحلَف ليُخرِجَنِّي في بَعْثِ حربٍ ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلَّبي لقتال الشُّراةِ[1] . فلما التقى الجمعان قلت لرَوْح : أما والله لو أن تحتي فرسَكَ ومعي سلاحَكَ لأثَّرتُ في عدوك اليوم أثراً ترتضيه . فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك إليك ، ولآخذنَّك بالوفاء بشرطك . ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما إليَّ ، ودعا بغيرهما فاستبدل به . فلما حصلَ ذلك في يدي وزالت عنِّي حلاوة الطمع ، قلت له : أيها الأمير ، هذا مقام العائذ بك ، وقد قلت بيتين فاسمعهما . قال : هات ، فأنشدتُه : [من الكامل]

إني استجرتُك أن أُقدَّم في الوَغى لِتَطاعُنٍ وتَنازُلٍ وضِرابِ
فهَبِ السُّيوفَ رأيتُها مشهورةً فتركتُها ومضَيْتُ في الهُرَّابِ
ماذا تقولُ لما يجيء وما يُرى من واردات الموتِ في النُّشَّابِ

فقال : دع عنك هذا وستعلم . وبرَز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة ، فقال : اخرج إليه يا أبا دلامة . فقلت : أَنْشُدكَ اللهَ أيُّها الأمير في دمي . قال : والله لَتَخْرُجَن . فقلت : أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة وآخرُ يوم من الدنيا ، وأنا والله جائع ما شَبِعَتْ منِّي جارحةٌ من الجوع ، فَمُرْ لي بشيءٍ آكله ثم أخرُج . فأمر لي برغيفين ودَجاجة ، فأخذتُ ذلك وبرزتُ عن الصف . فلما رآني الشارِي أقبل نحوي عليه فَرْوٌ وقد أصابه المَطَرُ فابتل ، وأصابته الشمس فاقْفَعلَّ[2] وعيناه تَقِدان ، فأسرع إليَّ . فقلت له : على رِسلِك يا هذا كما أنت ، فوقف . فقلت :

1 الشراة : الخوارج .
2 اقفعل : تقبض .

أتقتل مَنْ لا يقاتلك ؟ قال : لا . قلت : أتقتل رجلاً على دِينك ؟ قال : لا . قلت : أفتستحِلُّ ذلك قبل أن تدعو مَنْ تقاتله إلى دِينك ؟ قال : لا ، فاذهب عني إلى لعنة الله . قلت : لا أفعل أو تسمعَ منِّي . قال : قل . قلت : هل كانت بيننا قطُّ عداوةٌ أو ترَةٌ ، أو تعرِفُني بحالٍ تُحْفِظُك عليَّ ، أو تعلم بين أهلي وأهلك وِتْراً ؟ قال : لا والله . قلت : ولا أنا والله لك إلا جميل الرأي ، وإني لأهواك وأنتحل مذهبكَ وأُدِين دينَك وأُريد السُّوءَ لَمن أراده لك . قال : يا هذا جزاك الله خيراً فانصرِفْ . قلت : إن معي زاداً أُحِبُّ أن آكُلَه معك ، وأُحِبُّ مُواكلتَك لتتوكَّدَ المودةُ بيننا ، ويرى أهلُ العسكر هوانَهم علينا . قال : فافعل . فتقدمتُ إليه حتى اختلفتْ أعناقُ دوابِّنا وجمعنا أرجلَنا على مَعارفها والناس قد غُلِبوا ضَحِكاً . فلما استَوْفَيْنا ودّعَني . ثم قلت له : إن هذا الجاهلَ إن أقمتَ على طلب المبارزة ندَبَني إليك فتُتْعِبُني وتَتْعَبُ . فإن رأيتَ ألا تبرُز اليوم فافعلْ . قال : قد فعلتُ ، ثم انصرف وانصرفتُ . فقلت لرَوْح : أمَّا أنا فقد كفَيْتُك قِرْني فقل لغيري أن يَكْفِيَكَ قِرْنَه كما كفَيْتُك ، فأمسك . وخرج آخر يدعو إلى البِرازِ ، فقال لي : اخرج إليه . فقلت : [من البسيط]

إني أَعُـوذُ بـرَوْحٍ أن يقدِّمني ... إلى البِرازِ فتَخْـزى بـي بنو أَسَدِ
إنَّ البِـرازَ إلى الأقـرانِ أعلمُـه ... ممّا يفرِّق بـينَ الروحِ والجسدِ
قـد حالفتْك المنايا إذ صَمَدْتَ لها ... وأصبحتْ لجميعِ الخلقِ بالرَّصَدِ
إن المهلَّبَ حُبَّ الموتِ أورثَكم ... وما وَرِثتُ اختيارَ الموتِ عن أحدِ
لو أنَّ لي مهجةً أُخرى لجُدتُ بها ... لكنَّهـا خُلِقتْ فَـرْداً فلم أَجُدِ

فضحِك وأعفاني .

[يفر من مبارزة خارجي أيام مروان بن محمد]

أخبرني إبراهيم بن أيوب عن ابن قتيبة قال قال أبو دلامة : كنتُ في عسكر مروان أيام زحَف إلى سِنانٍ الخارجي . فلما التقى الزَّحْفان خرج منهم رجلٌ فنادى : مَنْ يبارز ؟ فلم يخرج إليه أحدٌ إلا أعْجله ولم يُنَهْنِهه[1] . فغاظ ذلك مروانَ وجعل يندُب الناسَ على خمسمائة ، فقُتِل أصحابُ الخمسمائة ، فزاد مروانُ وندَبهم على ألفٍ ، ولم يزل يَزِيدهم حتى بلغ خمسة آلاف درهم . وكان تحتي فرس لا أخاف خَوْنه ؛ فلما سمِعتُ بالخمسة آلاف ترقبته[2] واقتحمتُ الصَّفَّ . فلما نظرني الخارجيُّ علِم أني خرجتُ للطمع ؛ فأقبل إليَّ مُتَهيِّئاً وإذا عليه فَرْوٌ قد أصابه

1 نهنهه : كفه وزجره .
2 ترقبه : رصده .

المطر فابتل ، ثم أصابته الشمسُ فاقْفَعَلَّ ، وإذا عيناه تَقِدانِ كأنَّهما من غَوْرهما في وَقْبَيْن[1] . فلما دنا مني أنشأ يقول : [من الرجز]

وخارج أخرجه حُبُّ الطَّمَعْ فَرَّ مِن الموتِ وفي الموتِ وَقَعْ
مَنْ كان يَنْوِي أهلَه فلا رَجَعْ

فلما وقَرتْ في أُذُني انصرفتُ عنه هارباً . وجعل مروانُ يقول : مَنْ هذا الفاضحُ ؟ إيتوني به ، فدخلتُ في غِمار الناس فنجَوْتُ .

[يسكر بالمال الذي أعطيه ليحج]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني أحمد بن سعيد قال حدثنا الزُّبير قال حدثنا جعفر بن الحسين اللَّهْبي قال : عزم موسى بن داود بن علي الهاشمي على الحج . فقال لأبي دلامة : احجُجْ معي ولك عشرةُ آلاف درهم . فقال : هاتِها ؛ فدُفعتْ إليه ، فأخذها وهرب إلى السَّواد ، فجعل يُنْفِقها هناك ويَشْرَب بها الخمر . فطلبه موسى فلم يقدِر عليه ، وخشي فَوْتَ الحج فخرج . فلما شارف القادسيَّة إذا هو بأبي دُلامة خارجاً من قرية إلى أُخرى وهو سكرانُ ، فأمر بأخذه وتَقْييده وطَرْحِه في مَحْملٍ بين يديه ففعِل ذلك به . فلما سار غيرَ بعيد أقبل على موسى وناداه : [من البسيط]

يا أيُّها الناسُ قولوا أجمعون معاً صلّى الإلهُ على موسى بن داودِ
كأن دِيباجتَيْ خديه من ذهبٍ إذا بدا لكَ في أثوابه السُّودِ
إني أعوذُ بداودٍ وأَعْظُمِه من أن أُكَلَّف حَجّاً يا ابن داودِ
خُبِّرتُ أنَّ طريقَ الحجِّ مَعْطَشَةٌ من الشرابِ وما شُرْبي بتَصْريدِ[2]
واللهِ ما فيَّ من أجرٍ فتطلبَه ولا الثناءُ على دِيني بمحمودِ

فقال موسى : ألقُوه لَعَنه اللهُ عن المَحْمِل ودَعُوه ينصرفُ ، فأُلْقيَ وعاد إلى قَصْفه بالسَّواد ، حتى نَفِدتِ العشرُ آلافِ درهم .

[استعفاؤه المنصور من ملازمة الجماعة في المسجد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللَّهْبي ، وأخبرني عمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عَدِي قالا : قال أبو أيوب المُورِياني لأبي جعفر ، وكان يَشْنأ أبا دُلامة ، : إن أبا دلامة معتكفٌ على الخمر فما يحضُر صلاةً ولا مسجداً ، وقد

1 الوقب : نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء .
2 صرد شربه : قطعه .

أفسد فِتيانَ العسكر . فلو أمرتَه بالصلاة معك لأُجِرْتَ فيه وفي غيره من فِتيان عسكرك بقطعِه عنهم . فلما دخل عليه أبو دلامة قال له : يا ابنَ اللَّخْناء ، ما هذا المجون الذي يبلُغني عنك ! . قال أبو دلامة : يا أمير المؤمنين ما أنا والمُجونُ وقد شارفتُ بابَ قبري ؛ . قال : دَعْني من استكانتك وتَضَرُّعِك ، وإياك أن تفوتَك صلاةُ الظهرِ والعصرِ في مسجدي . فلئن فاتتاكَ لأحْسِنَنَّ أدبَك ولأُطِيلنَّ حَبْسَك . فوقع في شرٍّ ولَزِم المسجدَ أياماً ، ثم كتب قِصَّتَه ودفَعها إلى المهدي فأوصلها إلى أبيه ، وكان فيها : [من الطويل]

ألم تَعْلَما أن الخليفةَ لَزَّني ... بمسجدِه والقصرِ ما لي وللقصرِ ![1]
أُصَلِّي بـه الأولى جميعاً وعصرَها ... فوَيْلي من الأولى ووَيْلي من العصرِ[2]
أُصَلِّيهما بالكَرْهِ في غيرِ مسجدي ... فما ليَ في الأولى ولا العصرِ من أجرِ
لقد كان في قومي مساجدُ جَمَّةٌ ... سواه ولكن كان قَدْراً من القدْرِ
يكلَفني من بعدِ مـا شِبتُ خُطَّةً ... يَحُطُّ بهـا عنّي الثقيـلَ من الوِزْرِ
ومـا ضَـرَّه واللهُ يغفـرُ ذنبَـه ... لَوَ آن ذنوبَ العالمينَ على ظَهْري

قال : فلما قرأ المنصور قِصَّتَه ضحِك وأعفاه من الحضور معه ، وأحْلَفه أن يصلِّي الصلاة في مسجد قبيلته .

أخبرنا محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن سعيد عن الزُّبير عن عمه ، ونسختُ من بعض الكتب عن نصر بن محمد الخَرَّاز عن أبيه عن الهيثم بن عَدِي ورَوَّانِيه بعضُ من روى عن الزُّبير .

أن أبا جعفر كان يُحِبُّ العَبَثَ بأبي دلامة ، وقال الآخر : إن أبا العباس السَّفَّاح كان يحب ذلك ، فكان يسأل عنه فيوجَد في بيوت الخَمَّارين لا فَضْلَ فيه . فعاتبه على انقطاعه عنه ؛ فقال : إنما أفعل ذلك خوفاً أن تَمَلَّني . فعلم أنه يُحاجِرُه[3] . فأمر الربيع أن يوكِّل به من يُحضِره الصلوات معه في جماعةٍ في الدار . فلما طال ذلك عليه قال : [من الطويل]

ألم تَرَيـا أنَّ الخليفـةَ لَـزَّني ... بمسجدِهِ والقصرِ ما لي وللقصرِ !
فقـد صَدَّني عن مسجدٍ أسْتَلِذُّه ... أعَلَّـلُ فيـه بالسَّماعِ وبالخمرِ

1 لزني : ألزمني .
2 وويلي في ل : وعولي .
3 يحاجره : يتحل المعاذير للتخلص منه .

وكلَّفنـي الأولى جميعاً وعصرَها ... فويلي من الأولى وعَوْلي من العَصْرِ
أصَلِّيهما بالكَرْهِ في غير مسجدي ... فما لي من الأولى ولا العصرِ من أجرِ
يكلِّفني مـن بعدِ مـا شِبْتُ تَوْبَةً ... يَحُطُّ بها عني المثاقيل من وِزرِي
لقـد كان في قومي مساجدُ جَمةٌ ... ولم ينشرحْ يوماً لِغشْيانها صدري
ووالله مـا لي نِيـةٌ في صلاتِـه ... ولا البِرُّ والإحسانُ والخيرُ من أمري
ومـا ضَـرَّه واللهُ يغفـرُ ذنبَـه ... لَوَ آن ذنوبَ العالمينَ على ظَهْرِي

فبلغته الأبيات فقال : صدَق ؛ ما يَضُرُّني ذلك ، والله لا يصلُح هذا أبداً ، فدَعُوه يعمَل ما يشاء . وقال الهيثم في خبره : فقال له أبو جعفر[1] : قد أعفيناك من هذه الحال ، ولكن على ألاّ تَدَعَ القيام معنا في ليالي شهر رمضان فقد أظل . فقال : أفْعَلُ . قال : إنك إن تأخَّرتَ لشُرب الخمر عَلِمتُ ذلك . ووالله لئن فعلتَ لأُحُدَّنَّك . فقال أبو دلامة : البليَّة في شهر أصلَحُ منها في طول الدهر ، سمعاً وطاعةً . فلما حضر[2] شهرُ رمضان لزم المسجد . وكان المهدي يبعث إليه في كل ليلة حرسياً يجيء به ؛ فشَقَّ ذلك عليه ، وفزِع إلى الخيزران وأبي عبيد وكلِّ مَن كان يلوذ بالمهدي ليشفَعوا له في الإعفاء من القيام ، فلم يُجبهم . فقال له أبو عبيد الله : الدَّالُّ على الخير كفاعله ، فكيف شُكْرُك ؟ قال : أتمُّ شكر . قال : عليك بريطة[3] فإنه لا يخالفها . قال : صدَقتَ والله ، ثم رفع إليها رُقعة يقول فيها : [من مجزوء الكامل]

أبْلِغـا رَيْطَـةَ أني ... كنـتُ عبـداً لأبيها
فمضى يرحمـه اللـ ... ـهُ وأوصى بي إليها
وأراهـا نَسِيَتْنـي ... مِثْـلَ نسيانِ أخيها
جاء شهرُ الصَّوْمِ يمشي ... مِشْيـةً مـا أشتهيها
قائـداً لي ليلـةَ القَـدْ ... رِ كـأني أبتغيـها
تَنْطَـحُ القِبلـةَ شهراً ... جَبْهَتـي لا تـأتليها
ولقـد عشتُ زمانـاً ... في فَيـافيَّ وجيـها
في ليـالٍ مـن شتاءٍ ... كنتُ شيخاً أصْطَليها

1 يبدو من السياق أن الذي ألزمه هو المهدي لا أبو جعفر المنصور .
2 ل : دخل .
3 هي ابنة السفاح وزوجة المهدي .

قاعـداً أُوقِـدُ نـاراً لِضِبـــاب أشْتَـوِيها
وصَبـــوحٍ وغَبـــوقٍ في عِـلابٍ أحْتَسِيها[1]
مـا أُبالي ليلـةَ القَدْ رِ ولا تُسمِعُنِيهـــا
فاطلبي لي فرجـاً منـ ـها وأَجْرِي لـكِ فيها

فلما قرأتِ الرقعة ضحكتْ وأرسلتْ إليه : اصطبرْ حتى تَمضي ليلة القَدْر . فكتب إليها : إني لم أسألكِ أن تكلِّميه في إعفائي عاماً قابلاً ؛ وإذا مضت ليلة القدر فقد فَنِيَ الشَّهْرُ . وكتب تحتها أبياتاً : [من البسيط]

خافي إلهكِ في نفسٍ قد احتُضِرَتْ قامتْ قيامتُهـا بـين المصلِّينا
ما ليلةُ القَدْرِ من همِّي فأطْلُبَها إني أخافُ المنايا قبلَ عشرينا
يا ليلةَ القدرِ قد كَسَّرتِ أرْجُلَنا يا ليلةَ القدْر حقاً مـا تُمنِّينا !؟
لا بـــاركَ اللهُ في خيرٍ أؤمِّلُه في ليلةٍ بعدَ مـا قمنا ثلاثينا

فلما قرأتِ الأبياتَ ضحِكتْ ، ودخلت إلى المهدي فشفعتْ له إليه ، وأنشدتْه الشعرين ، فضحِك حتى استلقى ، ودعا به ورَيْطةُ معه في الحَجَلَة فدخل ؛ فأخرج رأسَه إليه وقال : وقد شفَّعْنا رَيطة فيك ، وأمَرْنا لك بسبعة آلاف درهم . فقال : أما شفاعةُ سيِّدتي فيَّ حتى أعفَيْتَني فأعفاها الله من النار . وأما السبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلتَه ؛ إما أن تُتِمَّها بثلاثة آلاف فتصيرَ عشرة ، أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فإني لا أُحْسِنُ حسابَ السبعة . فقال : قد جعلتُها خمسة . قال : أعيذك بالله أن تختار أدنى الحالين وأنت أنتَ . فعبث به المهديُّ ساعةً ثم تكلَّمتْ فيه رَيْطة فأتمَّها له عشرةَ آلافِ درهم .

[شعره في نخاس]

أخبرني الحسين بن علي عن حماد عن أبيه قال : مَرَّ أبو دلامة بنخاس يَبيع الرقيق ، فرأى عنده منهـنَّ من كل شيءٍ حسَن . فانصرف مهموماً ، فدخل إلى المهدي فأنشده : [من الكامل]

إن كنتَ تَبْغِي العيشَ حُلْواً صافياً فالشعـرَ أَعْزِبْـه وكـن نَخَّاسا
تَنَـلِ الطَّرائفَ مـن ظِراف نُهَّدٍ يُحْدِثْـنَ كلَّ عَشِيَّـةٍ أَعْراسا
والربحُ فيمـا بـينَ ذلك راهنٌ سَمْحـاً ببيعك كنتَ أو مَكَّاسا

1 علاب : جمع علبة وهي قدح كبير من جلود الإبل أو الخشب .

دارتْ على الشعراء حِرْفـةُ نَوْبةٍ فتجرعـوا من بعـد كأسٍ كاسا
وتَسَرْبَلُوا قُمُصَ الكَسادِ فحاوِلُوا بالنَّخْس كَسْباً يُذْهِـب الإفلاسا

فجعل المهدي يضحك منه .

[رؤياه]

نسختُ من كتاب ابن النطَّاح قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده : [من الوافر]

رأيتُك في المنامِ كسوتَ جِلْدي ثيابـاً جَمَّـةً وقضَيْتَ دَيْني
فكان بَنَفْسَجيُّ الخَـزِّ فيهـا وساجٌ ناعـمٌ فأتـمَّ زَيْني
فصدِّقْ يا فَدَتْكَ النفسُ رؤيا رأتْهـا في المنـامِ كذاكَ عَيْني

فأمر له بذلك وقال له : لا تَعُدْ أن تتحلَّم عليَّ ثانيةً ، فأجْعَلَ حُلْمَكَ أضغاثاً ولا أُحَقِّقَه .

[حبسه المنصور لسكره]

ثم خرج من عنده ومضى فشرب في بعض الحانات فسكِر وانصرف وهو يميل . فلقِيه العَسَسُ فأخذوه ، وقيل له : من أنت وما دِينُك ؟ فقال : [من الرجز]

دِينـي على دِيـنِ بني العباسِ مـا خُتِم الطينُ على القِرْطاسِ
إنِّي اصطبحتُ أربعاً بالكاسِ فقـد أدارَ شُرْبُهـا براسي
فهـلْ بما قلتُ لكم من باسِ

فأخذوه ومَضَوْا ، وخَرقوا ثيابه وساجَه وأُتِيَ به أبو جعفر ، وكان يؤتَى بكلِّ مَنْ أخذه العَسَسُ ، فحبَسه مع الدَّجاج في بيت . فلما أفاق جعل ينادي غلامه مَرَّةً وجاريتَه أُخرى فلا يجيبه أحد ، وهو في ذلك يسمَع صوتَ الدجاج وزُقاءَ الدُّيوك . فلما أكثر قال له السجان : ما شأنك ؟ قال : وَيلك مَن أنت وأين أنا ؟ قال : في الحبس ، وأنا فلان السجان . قال : ومَن حبَسني ؟ قال : أمير المؤمنين . قال : ومَن خرَق طَيلساني ؟ قال : الحرس . فطلب منه أن يأتيه بدواةٍ وقِرطاس ففعل ، فكتب إلى أبي جعفر : [من الوافر]

أميرَ المؤمنـينَ فدَتْـكَ نفسي عَلامَ حبستَني وخَرَقْتَ ساجي
أمـنْ صَفْراءَ صافيـةِ المِزاجِ كأنَّ شُعاعَها لَهَـبُ السِّراجِ
وقـد طُبِخَتْ بنـارِ اللهِ حتى لقد صارت من النُّطَفِ النِّضاجِ[1]

1 النطفة : الماء الصافي .

تَهَشُّ لها القلوبُ وتشتهيها إذا بَرَزَتْ تَرَقْرَقُ في الزُّجاجِ
أُقاد إلى السُّجُون بغير جُرْمٍ كأني بعضُ عُمَّالِ الخَراجِ
ولو معهم حُبِسْتُ لكان سهلاً ولكني حُبِسْتُ مع الدَّجاجِ
وقد كانت تُخَبِّرني ذنوبي بأني من عقابكَ غيرُ ناجي
على أني وإن لاقيتُ شراً لخيركَ بعدَ ذاك الشرِّ راجي

فدَعا به وقال : أين حُبِسْتَ يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج . قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أَقَوْقي معهنَّ حتى أصبحتُ . فضحِك وخلَّى سبيلَه وأمر له بجائزة . فلما خرج قال له الربيع : إنه شرِب الخمرَ يا أمير المؤمنين . أما سمعتَ قولَه «وقد طبخت بنار الله» (يعني الشمس) . فأمر برَدِّه ثم قال : يا خبيثَ ، شربتَ الخمرَ ؟ قال لا . قال : أفلم تقل «طُبِختْ بنار الله» تعني الشمس . قال : لا والله ما عَنَيْتُ إلا نارَ الله المُوقَدة التي تَطَّلِعُ على فؤاد الربيع . فضحِك وقال : خُذْها يا ربيع ولا تعاود التعرُّضَ .

[لفق رؤيا لتمار]

قال ابن النطَّاح : ومَرَّ أبو دلامة بتَمَّار بالكوفة فقال له : [من المتقارب]

رأيتُكَ أطعمتني في المنامِ قَواصرَ من تَمْرِك البارحهْ[1]
فأُمُّ العِيالِ وصِبْيانُها إلى البابِ أعينُهم طامحهْ

فأعطاه جُلَّتَيْ[2] تَمْر وقال له : إنْ رأيتَ هذه الرؤيا ثانيةً لم يَصحَّ تفسيرُها . فأخذهما وانصرف .

[هنأ المهدي بقدومه من الري]

وقال ابن النطَّاح : لما قدِم المهدي من الرَّيِّ دخل عليه أبو دلامة فأنشأ يقول : [من الكامل]

إني نَذَرتُ لئن رأيتُك سالِماً بقُرى العراقِ وأنتَ ذو وَفْرِ
لتُصَلِّيَنَّ على النبيِّ محمدٍ ولتملأنَّ دراهماً حِجْري

فقال : ﷺ ، وأما الدراهم فلا . فقال له : أنت أكرم من أن تُفَرِّق بينهما ثم تختار أسهلَهما . فأمر بأن يُمْلأ حِجرُه دراهم .

[حكاية مماثلة للمهلب مع عجوز أزدية]

ومِثْلُ هذا وإن لم يكن منه ما حدثني به الحسن بن علي عن أحمد بن الحارث عن المدائني

1 قواصر : جمع قوصرة وهي وعاء يوضع فيه التمر .
2 الجلة : قفة التمر .

قال : قدِم المُهَلَّب من بعض غَزواته ، فلقِيَتْه عجوزٌ من الأزد فقالت : أيها الأمير ، أسألك بالله والرَّحِم إلا وقفتَ فوقَف ، فدَنَتْ وقبَّلتْ يدَه وقالتْ : هذا نَذْرٌ كان عليَّ ، إني نذرتُ عليّ لله أن أُقبِّل يدَك إن قَدِمتَ سالماً وتَهَب لي أربعمائة درهم وجاريةً صُغْدِيَّةً تخدِمُني . فضحِك وقال : أما نحن فقد وَفَّيْنا بنَذْرِكِ ؛ ادفعوا إليها ذلك ، وإيَّاكِ يا أمَّاه وهذه النُّذورَ ؛ فليس كلُّ أحد يَفِي لكِ بها ويَنْشَط لتحليلكِ منها .

[ضجر من الصوم والحر فكتب للمهدي شعراً]

قال ابن النطاح : وصام الناس في سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يتنجَّزُ جائزةً أمَر له المهدي بها . فكتب إليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحَرِّ والصوم وهي : [من الكامل]

أدعوكَ بالرَّحِم التي هي جَمَّعَتْ ... في القُرْبِ بين قَرِيبنا والأبْعَدِ
إلا سمِعتَ وأنتَ أكرمُ مَنْ مَشى ... من مُنْشِدٍ يرجو جزاءَ المُنْشِدِ
جاءَ الصيامُ فصُمْتُه متعبِّداً ... أرجو رجاءَ الصائمِ المتعبِّدِ
ولَقِيتُ من أمرِ الصيامِ وحَرِّه ... أمريْنِ قِيسا بالعذابِ المؤصَدِ[1]
وسجدتُ حتى جَبْهَتي مشجوجةٌ ... مما يُناطحني الحَصا في المسجدِ
فامنُنْ بتسريحي بمَطْلِكَ بالذي ... أسْلَفْتَنِيه من البَلاءِ المُرْصَدِ

فلما قرأ المهدي رُقْعَتَه غَضِب وقال : يا عاضَّ كذا من أُمِّه أي قَرابةٍ بيني وبينكَ ؟! قال : رَحِمُ آدمَ وحَوَّاء ، أنَسِيتَهما يا أمير المؤمنين ؟ فضحك وقال : لا والله ما نسيتهُما ؛ وأمَر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه . وأخبرني بهذا الخبر الحسن بن علي قال حدثنا الخُزاعي عن[2] المدائني وزاد فيه قال : وأنشده أيضاً في ذمِّ الصَّوم : [من البسيط]

هل في البلادِ لرزق الله مُفْتَرَشُ ... أم لا ففي جِلْده من خُشْنةٍ بَرَشُ

يعني أن جِلدَ الرِّزق خَشِن المَلْمَس فهو يُحْترش كما يُحْترش الضَّبُّ ، الشِّعر : [من البسيط]

أضحى الصِّيامُ مُنِيخاً وَسْطَ عَرْصتِنا ... ليتَ الصيامَ بأرض دونَها حَرَشُ
إن صُمْتُ أوْجَعَني بطني وأقْلَقني ... بين الجوانح مَسُّ الجوعِ والعَطَشُ
وإن خرجتُ بليلٍ نحوَ مسجدهم ... أضرَّني بَصَرٌ قد خانه العَمَشُ

---

1 المؤصد : المطبق .

2 ل : عن الخراز .

[عزى أم سلمة بنت يعقوب في السفاح]

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي عن أحمد بن زهير عن الزُّبير عن عمه ، ونسخت من كتاب ابن النطَّاح قال اليزيدي في خبره : دخل أبو دلامة على ريطة بعد وفاة المهدي ، وقال ابن النطَّاح : دخل على أُمِّ سلمة بنت يعقوب بن سلمة بعد وفاة أبي العباس ، وهو الصحيح ، فعزَّاها به وبكى وبكتْ معه ، ثم أنشدها : [من الكامل]

مَنْ مُجْمِلٌ في الصبر عنكَ فلم يكنْ صبرِي عليكَ غَداةَ بِنْتَ جميلا
يجدونَ أَبْدالاً بــه وأنــا امـرؤٌ لو مِتُّ وَجْداً ما وجدتُ بديلا
إني سألتُ الناسَ بعــدَك كلَّهم فوجدتُ أَجْوَدَ مَنْ سألتُ بخيلا

فقالت أُمُّ سلمة : لم أَرَ أحداً أُصِيب به غيري وغيرَك يا أبا دلامة . فقال : ولا سَواءَ يرحَمُكِ الله ، لك منه ولد وما ولدتُ أنا منه . فضحِكتْ ، ولم تكن منذ مات أبو العباس ضحِكتْ إلا ذلك الوقتَ ، وقالت له : لو حدثتَ الشيطانَ لأضحكتَه .

[خداعه وزوجته المهدي والخيزران]

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولي قال حدثنا الغَلابي قال حدثنا عبد الله بن الضحاك قال : دخل أبو دلامة على المهدي وهو يبكي . فقال له : ما لك ؟ قال : ماتت أُم دلامة ، وأنشده لنفسه فيها : [من الطويل]

وكنا كزَوْجٍ مــن قَطاً في مَفازةٍ لدى خَفْضِ عَيْشٍ ناعمٍ مُؤْنِقٍ رَغْدِ
فأفردني رَيْــبُ الزمــانِ بصَرْفــه ولم أَرَ شيئاً قطُّ أَوْحَشَ من فَرْدِ

فأمر له بثياب وطِيبٍ ودنانير ، وخرج . فدخلتْ أُمُّ دلامة على الخيزران فأعلمتْها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتْها مِثْلَ ذلك ، وخرجتْ . فلما التقى المهدي والخيزران عَرَفا حيلتَهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجَبان منه .

[يذم العباس بن محمد لأنه أنقص من عطائه]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة ، ونسختُ أنا من كتاب بن النطاح قال : دخل أبو دلامة على المنصور فأنشده : [من الرجز]

أمَــا ورَبِّ العاديــاتِ ضَبْحا حقــاً ورَبِّ المُورِياتِ قَدْحا
إن المُغِيــراتِ عــلىَّ صُبْحا والناكئاتِ مــن فؤادي قَرْحا
عَشْرُ ليــالٍ بينهــن ضبحا يَجْلُفْنَ مالي كلَّ عــامٍ صبحا

فقال له أبو جعفر : وكم تذبح يا أبا دلامة ؟ قال : أربعاً وعشرين شاة . ففرض له على كل هاشمي أربعةً وعشرين ديناراً ، فكان يأخذها منهم . فأتى العباس بن محمد في عشر الأضْحى يتنجَّزها . فقال : يا أبا دلامة ، أليس قد مات ابنُك ؟ قال بلى . قال : انْقُصُوه دينارين . قال : أصلَح الله الأميرَ لا تفعل ، فإنه ترك عليَّ ولدين . فأبى إلا أن يَنْقُصَه . فخرج وهو يقول : [من البسيط]

أخطاكَ ما كنتَ ترجوه وتأمُلُه ... فاغْسِلْ يديك من العباسِ بالياسِ
واغْسِلْ يديك بأُشنانٍ فأنْقِهما ... مما تؤمِّلُ من معروفِ عباسِ
جزاكَ ربُّك يا عباسُ عن فَرَجٍ ... جَنَّاتِ عَدْنٍ وعنِّي جُرْزَتَيْ آسِ[1]

فبلغ ذلك أبا جعفر فضحِك ، واغتاظ على العباس ، وأمره بأن يبعث إليه بأربعة وعشرين ديناراً أُخرى . هذه رواية يزيد . وأما ابنُ النطاح فإنه ذكر أن الذي نقَصه الدينارين عليُّ بن صالح وقال له : إنما نَقَصْتُك دينارين لموت ابنك دلامة . فحَلف ألا يأخذ إلا خمسين ديناراً ، ثم قام مُغْضَباً ؛ فأتْبعه الرسولَ فأعطاه إياها . فقال له : أوْلى لَه . أما ما سبق فلا حيلة فيه ، والمستأنَفُ فقد أمِنه . وقد كان قال فيه : [من الخفيف]

لعليٍّ بنِ صالح بن عليٍّ ... نَسَبٌ لو يُعِينه بسَماحِ
وبنو مالكٍ كثيرٌ ولكن ... ما لنا في بقائهم من فَلاحِ
غيرَ فَضْلٍ فإن للفَضْلِ فضلاً ... مستبيناً على قُرَيْشِ البِطاحِ

[مخاصمته رجلاً إلى عافية القاضي]

أخبرني محمد بن أحمد عن محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائني قال : خاصم رجلٌ أبا دلامة في داره ، فارتفعا إلى عافيةَ القاضي ؛ فأنشأ أبو دلامة يقول : [من المتقارب]

لقد خاصمتْني دُهاةُ الرِّجالِ ... وخاصمتُها سَنَةً وافيهْ
فما أدْحض اللهُ لي حُجَّةً ... ولا خيَّبَ اللهُ لي قافيهْ
ومَنْ خِفتُ من جَوْرِه في القضاءِ ... فلستُ أخافُكَ يا عافيهْ

فقال له عافية : أما واللهِ لأشكونك إلى أمير المؤمنين ولأعلمنَّه أنك هجوتَني . قال : إذاً يَعْزِلَك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنك لا تعرف المديح من الهجاء . فبلغ ذلك المنصورَ فضحِك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

---

1 جزرة : حزمة . والآس مما يوضع على القبور .

[هجاؤه نفسه]

أخبرني محمد بن أحمد عن أحمد بن الحارث عن المدائني قال : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده إسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس بن محمد ومحمد بن إبراهيم الإمام وجماعة من بني هاشم . فقال له : أنا أُعطي اللهَ عهداً لئن لم تَهْجُ واحداً ممن في البيت لأقطعن لسانك ، ويقال إنه قال : لأضربن عُنُقَك ، فنظر إليه القوم ، فكلما نظر إلى واحد منهم غمزه بأن عليه رِضاه . قال أبو دلامة : فعلمتُ أني قد وقعتُ وأنها عَزْمَةٌ من عَزَماته لا بدَّ منها ، فلم أَرَ أحداً أحقَّ بالهجاء مني ، ولا أَدْعى إلى السلامة من هجاء نفسي ، فقلت : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ إليك أبا دلامَهْ فليس من الكرامِ ولا كرامهْ
إذا لبِس العمامةَ كان قِرْداً وخِنزيراً إذا نزَع العِمامهْ
جمعتَ دمامةً وجمعتَ لؤماً كذاكَ اللُّؤمُ تتبَعه الدَّمامهْ
فإنْ تك قد أصبتَ نعيمَ دُنْيا فلا تَفْرَحْ فقد دَنَتِ القيامهْ

فضحك القوم ولم يبق منهم أحدٌ إلا أجازه .

[كل امرىء يأكل زاده]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدثنا الزُّبير عن عمِّه قال : خرج المهدي وعلي بن سليمان إلى الصَّيْد ، فسنَح لهما قَطيعٌ من ظِباء ، فأُرْسِلَتِ الكلابُ وأُجرِيت الخيلُ ، فرمى المهديُّ ظبياً بسهم فصرَعه ، ورمى عليٌّ بن سليمان فأصاب بعض الكلاب فقتله . فقال أبو دلامة : [من مجزوء الرمل]

قد رمى المهدي ظبياً شَكَّ بالسهم فُؤادَهْ
وعليٌّ بن سليما نَ رمى كلباً فصادَهْ
فهنيئاً لهما كـ ـلُّ امرىء يأكلُ زادَهْ

فضحِك المهدي حتى كاد أن يسقُط عن سَرْجه ، وقال : صدَق والله أبو دلامة ، وأمر له بجائزة سَنِية . أخبرني بهذا الخبر عَمي عن الكُراني عن العمري عن الهيثم بن عَدِي فذكر مِثْلَ ما ذكره وقال فيه : فلُقِّب عليٌّ بن سليمان «صائدَ الكلب» وعَلِقَ به .

[أعطاه المنصور داراً وكسوة ثم احتاج إلى الدار وعوضه بدلها]

قال ابن النطَّاح : وأنشد أبو دلامة المنصورَ يوماً : [من الكامل]

هاتيكَ والدتي عجوزٌ هِمَّةٌ مثلُ البَلِيَّة دِرْعُها في المشْجَبِ[1]

1 همة : عجوز فانية .

مهزولةُ اللَّحْيَيْن مَن يَرَهـا يَقُلْ أبصرتُ غُولاً أو خيالَ القُطْرُبِ[1]
مـا إن تركتُ لها ولا لابنٍ لها مـالاً يؤمِّل غيرَ بَكْـرٍ أجْرَبِ
ودجائجاً خمساً يَرُحْنَ إليهمُ لمـا يَبِضْنَ وغيرَ عَيْرٍ مُغْرِبِ[2]
كتبـوا إليَّ صحيفـةً مطبوعـةً جعلـوا عليهـا طِينـةً كالعَقْرَبِ[3]
فعَلِمتُ أنَّ الشَّرَّ عنـد فَكاكِها ففَكَكْتُها عـن مِثْلِ رِيحِ الجَوْرَبِ
وإذا شبيهٌ بالأفاعـي رُقِّشَتْ يُوعِدْنَنـي بتلمُّـظٍ وتَثـوُّبِ
يشكونَ أنَّ الجوعَ أهلَكَ بعضَهم لَزِبـاً فهـل لكَ في عيالٍ لُزَّبِ[4]
لا يسألونـك غيرَ طَـلِّ سَحابةٍ تغشاهُـم مـن سَيْلِك المُتَحَلِّبِ
يـا باذلَ الخيراتِ يا ابن بَذُولِها وابنَ الكرام وكلِّ قَـرْمٍ مُنْجِبِ
أنتـم بنـو العباس يُعْلَـم أنّكم قِدْمـاً فوارسُ كلِّ يـومٍ أشْهَبِ
أحْلاسُ خيـلِ اللهِ وهـي مُغِيرةٌ يَخْرُجْنَ من خَلَلِ الغُبارِ الأكْهَبِ[5]

قال : فأمر له بدارٍ يسكنها وكُسوة ودراهمَ . وكانت الدار قريبةً من قصره ، فأمر بأن تزاد في قصره بعد ذلك لحاجة دعته إليها . فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله : [من الخفيف]

يـا ابنَ عَـمِّ النبيِّ دعـوة شَيخٍ قـد دنـا هَـدْمُ دارِه ودَمارُهْ
فهو كالمخضِ التي اعتادها الطَّلْـ ـقُ فقَـرَّتْ ومـا يَقِـرُّ قَرارُهْ
إن تَحُـزْ عُسْرَهُ بكفَّيْكَ يوماً فبكفَّيْـكَ عُسْرُه ويسارُه
أو تَدَعْـه فللبَـوارِ ، وأنَّى ولِمـاذا وأنـتَ حَـيٌّ بَـوارُهْ
هل يخـافُ الهَلاكَ شاعرُ قومٍ قَدُمـتْ في مديحهـم أشعارُهْ
لكـمُ الأرضُ كلُّهـا فأعيروا شيخَكم مـا احتوى عليه جِدارُهْ
فكأنْ قـد مَضى وخلَّف فيكـم مـا أعَرتُم وأقْفرتْ منـه دارُهْ

فاستعبَر المنصور ، وأمر بتعويضه داراً خيراً منها ووصله .

---

1 اللحي : الحنك . القطرب : ذكر الغيلان أو الجني الصغير .
2 المغرب : شديد البياض .
3 مطبوعة : مختومة .
4 اللزب : ضيق العيش .
5 أحلاس الخيل : هنا الملازمون ظهورها . الأكهب : المشوب بالسواد .

[عابه عند المهدي محرز ومقاتل ابنا ذؤال]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على المهدي وعنده محرز ومقاتل ابنا ذُؤال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويَعِيبانه عنده . فقال أبو دلامة : [من الطويل]

أَلا أيُّها المهدي هل أنتَ مُخْبِري ... وإن أنت لم تفعل فهل أنت سائلي
ألم تَرْحَمِ اللَّحْيَيْن من لِحْيَتَيْهما ... وكلتاهما في طولها غيرُ طائلِ
وإن أنت لم تفعل فهل أنت مُكْرِمي ... بخَلْقِهما من مُحْرِزٍ ومُقاتِلِ
فإنْ يأذَنِ المهديُّ لي فيهما أَقُلْ ... مقالاً كوقعِ السيفِ بين المفاصلِ
وإلا تَدَعْني والهمومُ تَنُوبني ... وقلبي من العِلْجَيْن جَمُّ البلابلِ

فقال : أو آخُذُ لك منهما عشرةَ آلاف درهم يَفْدِيان بها أعراضَهما منك ؟ قال : ذلك إلى أمير المؤمنين . فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

[مدحه سعيد بن دعلج]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على سعيد بن دَعلَج[1] مولى بني تَميم فقال : [من الوافر]

إذا جئتَ الأميرَ فقُلْ سلامٌ ... عليكَ ورحمةُ الله الرحيمِ
وأما بعد ذاك فلي غريمٌ ... من الأعراب قُبِّح من غريمِ
غريمٌ لازمٌ بفِناء بيتي ... لزومَ الكلبِ أصحابَ الرَّقيمِ
له مائةٌ عليَّ ونصفُ أُخرى ... ونِصْفُ النِّصْفِ في صَكٍّ قديمِ
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن ... وصلتُ بها شيوخَ بني تَميمِ
أتَوْني بالعَشيرةِ يسألوني ... ولم أكُ في العَشيرةِ باللئيمِ

فضحِك وأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهماً وقال : ما أساء من أنصف ، وقد كافأتك عن قومك وزِدْتُك مائةً .

[يضحك المنصور في جنازة بنت عمه]

أخبرني الحِرْميّ قال حدثنا الزُّبير عن جعفر بن الحسين اللهبي عن عمه مصعب : أن حَمّادة بنت عيسى تُوفِّيتْ وحضر المنصورُ جنازتها . فلما وقف على حُفرتها قال لأبي دلامة : ما أعددتَ لهذه الحفرة ؟ قال : بنتَ عمِّك يا أمير المؤمنين حَمَّادة بنت عيسى يُجاء بها الساعةَ فتُدْفَنُ فيها . فضحِك المنصور حتى غُلِب فستَر وجهه .

---

1 كان أميراً على شرطة البصرة للمنصور ثم ولي له البحرين . وولي للمهدي طبرستان .

[قصة زوجه وابنه مع الجارية التي منحته إياها الخيزران]

أخبرني عمي رحمه الله تعالى قال حدثنا محمد بن سعد الكُراني قال قال أبو عمر حَفْص بن عمر العُمري حدثنا الهيثم قال : حَجت الخيزُران ، فلما خرجتْ صاح بها أبو دلامة . قالت : سَلُوه ما أمرُه . فقالوا له : ما أمرُك ؟ فقال : أدْنُوني من مَحْمِلها . قالت : أدنوه ، فأُدْنِيَ . فقال : أيتها السيدة ، إني شيخ كبير وأجرُكِ فيَّ عظيم . قالت : فَمَهْ . قال : تَهَبِينَ لي جاريةً من جواريكِ تؤنسني وترفُق بي وتُريحني من عجوز عندي ، قد أكلتْ رِفْدي ، وأطالت كَدِّي ، وقد عاف جلدي جلدَها ، وتمنَّيتُ بُعْدَها ، وتشوَّقت فَقْدَها . فضحكتِ الخيزران وقالت : سوف آمرُ لك بما سألتَ . فلما رجعتْ تلقَّاها وذكَّرها ، وخرج معها إلى بغداد فأقام حتى غَرِض[1] . ثم دخل على أُمِّ عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع إليها رُقعةً قد كتبها إلى الخيزُران فيها : [من مجزوء الرمل]

أَبْلِغي سيِّدتي باللـ ـهِ يا أُمَّ عَبِيدَهْ
أنّها أَرْشدها اللـ ـهُ وإن كانت رشيدَهْ
وَعَدتْني قبلَ أن تخـ ـرجَ للحجِّ وليدَهْ
فتأنَّيْتُ وأرسلـ ـتُ بعشرينَ قصيدَهْ
كلما أَخْلَقْنَ أَخْلَفْ ـتُ لها أُخرى جديدَهْ
ليس في بيتي لتمهيـ ـد فِراشي من قَعِيدَهْ
غيرُ عَجْفاءَ عَجُوزٍ ساقُها مِثْلُ القَدِيدَهْ
وجهُها أقبحُ من حُو تِ طَرِيٍّ في عَصِيدَهْ
ما حياةٌ مَعَ أُنْثى مِثْلِ عِرْسي بسعيدَهْ

فلما قُرِئتْ عليها الأبياتُ ضحِكتْ واستعادتْها منه لقوله «حُوت طَرِي في عصيده» وجعَلتْ تضحك ، ودعت بجارية من جواريها فائقةٍ فقالت لها : خُذِي كل ما لَكِ في قصري ففعلتْ ، ثم دعت ببعض الخدم وقالت له : سلِّمْها إلى أبي دلامة . فانطلق الخادمُ بها فلم يصادفه في منزله . فقال لامرأته : إذا رجَع فادفعيها إليه ، وقولي له : تقول لك السيِّدةُ : أَحْسِنْ صُحبَة هذه الجارية فقد آثرتُك بها ؛ فقالت له نعم . فلما خرج دخل ابنُها دلامة فوجد أُمه تبكي . فسألها عن خبرها فأخبرتْه وقالت : إن أردتَ أن تَبَرَّني يوماً من الدهر فاليوم . فقال :

1 غرِض : ضجر وملَّ .

قُولي ما شئتِ فإني أفعله . قالت : تدخل عليها فتُعْلِمُها أنك مالِكُها وتَطَؤُها فتَحْرُم عليه ، وإلا ذهبتْ بعقله وجفاني وجفاك . ففعل ودخل إلى الجارية فوطِئها ووافقها ذلك منه ، وخرج . ثم دخل أبو دلامة فقال لامرأته : أين الجارية ؟ قالت : في ذلك البيت . فدخل إليها شيخٌ محطَّمٌ ذاهبٌ ، فمدَّ يدَه إليها وذهب ليقبِّلها . فقالت له : ما لَك وَيْلَك ! تَنَحَّ وإلا لطمتُك لَطْمةً دقَقْتُ منها أنفَك . فقال لها : أبهذا أوصَتْكِ السيِّدة ؟ . فقالت : إنها قد بعثتْ بي إلى فتىً من حالِه وهيئته كيت وكيت ، وقد كان عندي آنفاً ، ونال منِّي حاجته . فعلِم أنه قد دُهِيَ من أُمِّ دلامة وابنها . فخرج إليه أبو دُلامة فلطمه ولَبَّبه[1] وحلف ألا يفارقه إلا عند المهدي . فمضى به مُلَبَّباً حتى وقف على باب المهدي . فعُرِّف خبرَه وإنه قد جاء بابنه على تلك الحالة فأمر بإدخاله . فلما دخل قال له : مالك وَيْلك ؟ قال : عَمِل بي هذا ابنُ الخبيثة ما لم يعمل ولدٌ بأبيه ، ولا تُرضيني إلا أن تقتله . فقال له : وَيْلَك فما فعل ؟ فأخبره الخبرَ . فضحِك حتى استلقى ثم جلس . فقال له أبو دلامة : أعجبك فعلُه فتضحَكَ منه ؟ فقال : عليَّ بالسيف والنِّطْع . فقال له دلامة : قد سمِعتُ حُجَّته يا أمير المؤمنين فاسمعْ حُجَّتي . قال : هاتِ . قال : هذا الشيخُ أصْفَقُ الناس وجهاً ، يَنِيك أمي منذ أربعين سنة ما غَضِبتُ ، ونِكتُ جاريتَه مرة واحدة فغضِب وصنَع بي ما تَرى ؛ فضحِك المهدي أكثرَ من ضحكه الأول ، ثم قال : دَعْها له يا أبا دلامة وأنا أُعطيك خيراً منها . قال : على أن تَخْبأها لي بين السماء والأرض ، وإلا ناكها والله كما ناك هذه . فتقدم إلى دلامة ألا يُعاوِد بمثلِ فعله ، وحلَف أنه إن عاود قتَله ، ووهَب له جاريةً أُخرى كما وعده .

[يطري شاعراً عند المهدي فأجازه لحسن محضره]

وقال ابن النطاح : دخل أبو دلامة على المهدي وعنده شاعرٌ يُنْشِده . فقال له : ما تَرى فيه ؟ قال : إنه قد جَهَد نفسَه لك فاجْهَدْ نفسَك له . فقال المهدي : وأبيك إنها لكلِمةٌ عَذْراءُ منك ، أحسَبك تعرفه ؛ قال : لا والله ما عرفتُه ولا قلت أنا إلا حقاً . فأمر للشاعر بجائزة ، ولأبي دلامة بمثلها لحسن مَحْضَرِه .

[خلع عليه العقيلي من ثيابه]

قال ابن النطَّاح وحدثني أبو عبد الله العُقَيلي قال : رأيتُ على أبي دلامة فَرْوَةً في الصيف ، فقلتُ له : ألا تَمَلُّ هذه الفروةَ ؟ قال : بلى ، ورب مملولٍ لا يستطاع فِراقُه[2] . فنزعتُ فاضلَ ثيابي في موضعي ودفعتُها إليه .

---

1 لببه : أخذ بتلابيب أي جمع ثيابه عند نحره وجره .

2 المثل «رب مملول لا يستطاع فراقه» في مجمع الميداني 1 : 306 وفصل المقال : 367 .

[فزع من رؤية الفيل]

قال : وأُهْدِيَ للمهدي فِيلٌ ، فرآه أبو دلامة فولَّى هارباً وقال : [من البسيط]

يـا قوم إني رأيتُ الفيلَ بعدَكُم لا بـارَكَ اللهُ لي في رؤيـة الفيلِ
أبصرتُ قصراً لـه عـينٌ يقلِّبهـا فكِدْتُ أرمي بسَلْحي في سَراويلي

[شعره في بغلته]

قال ابن النطاح : ودخل أبو دلامة على المهدي فأنشده قصيدتَه في بغلته المشهورة : [من الوافر]

أتـاني بَغْلَـةً يَسْتام مِنِّـي عريقٌ في الخَسارةِ والضَّلالِ[1]
فقـال تبيعها ؟ قلتُ ارتَبِطْها بحكمكَ إن بيعـي غيرُ غالي
فأقبلَ ضاحكاً نحـوِي سروراً وقـال أراكَ سَمْحاً ذا جَمالِ
هَلُمَّ إليَّ يخلـو بـي خداعاً وما يَدْرِي الشَّقِيُّ بمن يُخالي
فقلتُ بأربعينَ فقـال أحسِنْ إليَّ فـإن مِثْلَـك ذو سِجالِ[2]
فأتْـرُكُ خمسةً منها لعلمي بمـا فيـه يصير مـن الخَبالِ

فقال المهدي : لقد أفْلَتَّ من بَلاءٍ عظيم . قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثتُ شهراً أتوقَّع صاحبَها أن يَرُدَّها . قال : ثم أنشده : [من الوافر]

فأبْدِلْنـي بهـا يـا ربِّ طِرْفاً يكـونُ جَمالُ مَرْكَبِه جَمالي

فقال لصاحب دوابِّه : خيِّرْه من الإصْطَبْل مَرْكَبين . قال : يا أمير المؤمنين إن كان الاختيارُ لي وقعتُ في شرٍّ من البغلة ، ولكن مُرْهُ أن يختار لي ، فقال : اختَرْ له . وأخبرني به عمي عن الكراني عن العمري عن الهيثم بن عدي ، وخبره أتم .

[رهانه مع المهدي على العباس بن محمد]

وأخبرني محمد بن خَلَف عن أحمد بن الهيثم عن العُمري عن الهيثم بن عَدِي قال : دخل أبو دلامة يوماً على المهدي ، فحادثه ساعةً وهو يضحك وقال له : هل بقي أحدٌ من أهلي لم يَصِلْك ؟ قال : إن أمَّنْتَني أخبرتُك ، وإن أعْفَيْتَني فهو أحبُّ إليَّ . قال : بل تُخبرني وأنت آمِنٌ . قال : كلُّهم قد وَصَلني إلا حاتِمَ بني العباس . قال : ومن هو ؟ قال : عمُّك العباس بن

1 بغلة في ل : خائب .
2 ذو سجال : هنا لا يماكس في الثمن .

محمد . فالتفتَ إلى خادم على رأسه وقال : جَأْ[1] عُنُقَ العاضِّ بَظْرَ أُمِّه . فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تَنَحَّ يا عبدَ السَّوْء لا تُحْنِث مولاك وتَنْكُثْ عهدَه وأمانَه . فضحِك المهدي وأمر الخادمَ فتنحَّى عنه ، ثم قال لأبي دلامة : وَيْلَك ! والله عمي أبخلُ الناس . فقال أبو دلامة : بل هو أسْخى الناسِ . فقال له المهدي : والله لو مُتَّ ما أعطاك شيئاً . قال : فإن أنا أتيتُه فأجازني ؟ قال : لك بكل درهمٍ تأخذه منه ثلاثةُ دراهم . فانصرف أبو دلامة فحبَّر للعباس قصيدةً ثم غدا بها عليه وأنشده : [من البسيط]

قِفْ بالديارِ وأيَّ الدهرِ لم تَقِفِ ... على المنازلِ بين الظَّهْرِ والنَّجَفِ
وما وُقُوفُكَ في أطلالِ مَنْزِلَةٍ ... لولا الذي استدرجتْ من قلبِك الكَلِفِ
إن كنتَ أصبحتَ مشغوفاً بساكنها ... فلا وربِّكَ لا تَشفيكَ من شَغَفِ
دَعْ ذا وقُلْ في الذي قد فاز من مُضَرٍ ... بالمَكْرُماتِ وعِزٍّ غيرِ مُقْتَرَفِ[2]
هذي رسالةُ شيخ من بَني أَسَدٍ ... يُهْدِي السلامَ إلى العباس في الصُّحُفِ
تَخُطُّها من جَواري المِصْرِ كاتبةٌ ... قد طالما ضَرَبتْ في اللامِ والألِفِ
وطالما اختلفت صَيْفاً وشاتِيةً ... إلى معلِّمها باللَّوْحِ والكَتِفِ
حتى إذا نَهَدَ الثَّديانِ وامتلآ ... منها وخِيفَتْ على الإسراف والقَرَفِ
صينتْ ثلاثَ سِنِين ما تَرى أحداً ... كما يصونُ تِجارٌ دُرَّةَ الصَّدَفِ
فبينما الشيخُ يَهْوِي نحو مَجْلِسه ... مبادِراً لصلاةِ الصُّبحِ بالسَّدَفِ[3]
حانتْ له لَمْحَةٌ منها فأبصرها ... مُطِلةً بين سَجْفَيْها من الغُرَفِ
فخَرَّ واللهِ ما يَدْرِي غَداتَئِذٍ ... أخَرَّ مُنْكَشِفاً أم غيرَ منكشفِ
وجاءه الناسُ أفواجاً بمائهمُ ... ليغسلوا الرجلَ المَغْشِيَّ بالنُّطَفِ
ووَسْوسوا بقُرانٍ في مسامعه ... مَخافَةَ الجِنِّ والإنسانُ لم يَخَفِ
شيئاً ولكنّه من حُبِّ جاريةٍ ... أمسى وأصبحَ موقوفاً على التَّلَفِ
قالوا : لك الويلُ ما أبصرتَ ؟ قلتُ لهم ... تطلَّعتْ من أعالي القَصْرِ ذي الشُّرَفِ
فقلتُ أيُّكُمُ واللهُ يأجُرُه ... يُعِين قُوَّتَه فيها على ضَعَفِ

---

1 جأ : اضرب .
2 مقترف : مكتسب .
3 السدف : الظلمة .

فقـام شيـخٌ بَهِـيٌّ مـن رجالهمُ قـد طالَما خـدَع الأقوامَ بالخَلِفِ
فابتاعهـا لي بألْفَـيْ درهـمٍ فأتى بهـا إليَّ فألقاهـا عـلى كَتِفي
فبِـتُّ أَلْثُمُها طَـوْراً وأَلْزَمُهـا طوراً وأصنعُ بعضَ الشيء في اللُّحُفِ
فبـين ذاك كذا إذ جـاء صاحبُها يَبْغِي الدراهمَ بالميزانِ ذي الكِفَفِ
وذِكْرَ حـقٌّ على زَنْـدٍ وصاحبِه والحقُّ في طَـرَفٍ والطينُ في طَرَفِ
وبـينَ ذاكَ شهـودٌ لا يَضُرُّهـمُ أكنـتُ معترفـاً أم غيرَ معترفِ
فإن يكن منـك شيءٌ فهـو حقُّهمُ أوْلا فإنِّـيَ مدفـوعٌ إلى التَّلَـفِ

قال : فضحِك العباس وقال : وَيْحَك أصادقٌ أنت ؟ قال : نعم والله . قال : يا غلام ادفع إليه ألْفَيْ درهم ثمنَها . قال : فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القِصة وما احتال له به . فأمر له المهديُّ بستة آلاف درهم . وقال له المهدي : كيف لا يضرّهم ذلك ؟ قال : لأني مُعْدِم لا شيء عندي . وقال عمي في خبره : فقال له العباس بن محمد شاركْني في هذه الجارية . قال : أفعلُ ولكن على شريطةٍ . قال : وما هي ؟ قال : الشَّرِكةُ لا تكون إلا مفاوضةً[1] ، فاشْترِ معها أُخرى ، ليبعثَ كلُّ واحدٍ منا إلى صاحبه ما عنده ويأخذ الأُخرى مكانَها ليلةً وليلةً . فقال له العباس : قَبَحك الله وقَبَح ما جئتَ به ! خذ الدراهمَ لا بارك الله لك فيها وانصرِفْ .

[يضحك أبا مسلم فيعفيه من المبارزة]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني العبسي قال : كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية . فدعا رجلٌ إلى البِراز ؛ فقال له أبو مسلم : ابْرُزْ إليه . فأنشأ يقول : [من الطويل]

ألا لا تَلُمْني إن فَرَرْتُ فإنني أخاف على فُخَّارتي أن تَحَطَّما
فلو أنني في السُّوق أبتاع مِثْلَها وجَـدِّك مـا باليتُ أن أتقدَّما

فضحِك وأعفاه .

[يستنجز ريطة جارية وعدته بها]

ونسخت من كتاب ابن النطَّاح[2] : أن ريطة وعدت أبا دلامة جارية فمطلته حتى امتدحها بعِدَّة قصائد ، كلُّ ذلك لا تَفي له ، ثم خرجت إلى مكة ورجعت . وكانت لها جارية

1 شركة المفاوضة هي الشركة العامة في كل ما يملك الشريكان .
2 مرَّ الخبر عن الخيزران وفي الشعر اختلاف .

يقال لها أم عَبِيدة تخرج وتُكَلِّم الرجالَ وتبلِّغ عنها الرسائل . فقال أبو دلامة لأم عَبِيدةَ حين عِيلَ صبرُه : [من مجزوء الرمل]

أبلغـــي سيِّدتـــي إن ... شِئْتِ يـــا أُمَّ عَبِيدَهْ
أنهـــا أرشَدهـــا اللـ ... ـهُ وإن كانت رشيدَهْ
وعدتْني قبلَ أن تخـ ... ـــرجَ للحـــجِّ وَلِيدَهْ
فتنظَّـــرتُ وأرسلـــ ... ـتُ بعشرينَ قصيدَهْ
كلَّمـــا تخلـــقُ أُولى ... بُدِّلَتْ أُخرى جديدَهْ
إنّنـــي شيـــخٌ كبيرٌ ... ليس في بيتي قَعِيدَهْ
غيرُ مِثْلِ الغُولِ عندي ... ذاتِ أوصالٍ مَديدَهْ
وجهُها أسمجُ من حُو ... تٍ طَرِيٍّ في عَصِيدَهْ
ذاتِ رِجْلٍ ويدٍ كلـ ... ـتاهما مِثْـلُ القَديدَهْ

فدخلتْ على ريطة فأنشدتها الشعر ، فأمرتْ له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها .

[اشترى نبيذاً ولم يدفع الثمن]

أخبرني الحسين بن يحيى نسختُ من كتاب إسحاق الموصلي حدثني أبي عن جدي[1] : أن أبا دلامة نزَل بالكوفة ، فأتاه أضيافٌ فغداهم ، ثم بعث إلى سِنْدِيَّة نَبَّاذة يقال لها دَوْمة ؛ فبعثتْ إليهم جَرَّةً من نبيذ فشربوها ، ثم أعاد فبعثتْ إليهم بأُخرى ، ثم جاءت تتقاضى الثمنَ . فقال : ليس عندي الثمن ، ولكني أمدَحك بما هو خيرٌ من نبيذِك . فقال : [من الوافر]

ألا يـا دَوْمُ دام لـكِ النَّعيمُ ... وأحْمَرُ مِـلْءُ كَفِّكِ مستقيمُ
شديـدُ الأصل يَنْبِذُ حالِبـاه ... يَئِنُّ كأنّـــه رجـــلٌ سقيمُ[2]

وهذا الخبر يروى عن الأقيشر أيضاً .

[ذم الجنيد النخاس ومدح جارية له]

قال إسحاق وحدثني أبي : أن أبا دلامة كان كثير الزيارة للجُنَيد النخاس ، وكان يتعشَّق جاريةً له ويُبْغِضه . فجاءه يوماً فقال : أخْرِجْ لي فلانة . فقال : إلى متى تخرج إليك ولستَ بمشترٍ !! قال : فإن لم أكن مشترياً فإني أخٌ يمدَح ويُطري . قال : ما أنا بمخرجها إليك أو

1 من المستبعد أن يكون الخبر عن أبي إبراهيم الموصلي وهو ماهان بن بهمن الذي توفي وابنه طفل صغير . وسيرد هذا الخبر والشعر في ترجمة الأقيشر عن أبي عبيدة .

2 ينبذ : ينبض .

تقولَ فيها شعراً . قال : فاحلِفْ بعِتْقها أن تروِّيَها إياه وتأمُرَها بإنشاده مَن أتاك يعترِضُها ولا تحجُبَها . فحلَف لا يحجُبها . فقال أبو دلامة : [من الكامل المرفل]

إني لأحسَبُ أن سأُمسي مَيِّتاً ... أو سوفَ أُصبح ثم لا أُمسي
من حبِّ جارية الجُنَيْدِ وبُغْضِه ... وكلاهمـا قـاضٍ على نفسي
فكلامُها يُشْفـى بـه سَقَمي ... فـإذا تكلَّم عـاد لي نَكْسي

[نصح إسحاق الأزرق بمجانبة الطبيب]

أخبرني عمي قال حدثنا الكُراني قال حدثنا العمري عن الهيثم بن عدي قال : دخل أبو دلامة على إسحاق الأزرق يَعُوده ، وكان إسحاق قد مرض مرضاً شديداً ، ثم تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفاً ، وعند إسحاق طبيب[1] يصِفُ له أدويةً تقوي بدنَه . فقال أبو دلامة للطبيب : يا ابنَ الكافرة ؛ أتَصِفُ هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ؟ ما أردتَ والله إلا قَتْلَه . ثم التفت إلى إسحاق فقال : اسمَعْ أيها الأمير مني . قال : هات ما عندك يا أبا دلامة . فأنشأ يقول : [من الخفيف]

نَحِّ عنك الطبيبَ واسمَعْ لنعتي ... إنّني ناصحٌ مـن النُّصَّاحِ
ذو تجاريبَ قد تَقَلَّبْتُ في الصحـ ... ـةِ دهـراً وفي السِّقامِ المُتاحِ
غادِ هذا الكَبابَ كلَّ صباحٍ ... مـن مُتُـون الفَتِيَّةِ السُّحاحِ[2]
فإذا ما عَطِشتَ فاشرَبْ ثلاثاً ... مـن عتيـقٍ في الشمِّ كالتُّفاحِ
ثم عندَ المساء فاعكُفْ على ذا ... وعـلى ذا بأعظـم الأقداحِ
فتقوِّي ذا الضعفَ منك وتُلْفى ... عن ليالٍ أصحَّ هذي الصِّحاحِ
ذا شفاءٌ ودَعْ مقالـةَ هـذا ... نـاك ذا أمَّـه بأيْـرِ رَباحِ[3]

فضحِك إسحاق وعُوَّادُه ، وأمر لأبي دُلامة بخمسمائة درهم . وكان الطبيب نصرانياً فقال : أعوذ بالله من شَرِّك يا رَكُل (يريد يا رجل) . وقال الطبيب : اقْبَلْ منِّي أصلحك الله ولا تسألني عن شيء قُدامَه . فقال أبو دلامة : أما وقد أخذتُ أُجْرَةَ صَفْقَتي[4] وقَضَيْتُ الحقَّ في نُصْح صديقي ، فانْعَتْ له الآن أنت ما أحببتَ .

---

1 ل : متطبب .
2 السحاح : السمان .
3 رباح : القرد .
4 لعلها صنعتي .

[تنادر بسلمة الوصيف في حضرة المهدي]

أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أبو الشِّبْل عاصم بن وهب البُرْجُمي قال : دخل أبو دلامة على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفاً ، فقال : إني أهدَيْتُ إليك يا أمير المؤمنين مُهْراً ليس لأحد مثلُه . فإن رأيتَ أن تُشَرِّفَني بقبوله . فأمره بإدخاله إليه . فخرج وأدخل إليه دابَّتَه التي كانت تحته ، فإذا به بِرْذَونٌ مُحَطَّمٌ أَعْجَفُ هَرِمٌ . فقال له المهدي : أيُّ شيءٍ هذا وَيْلَك ! ألم تزعم أنه مهر ؟ . فقال له : أَوَ ليس هذا سَلمةَ الوصيفَ بين يديك قائماً تسمِّيه الوصيفَ وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيفٌ ؛ فإن كان سلمة وصيفاً فهذا مُهْرٌ . فجعل سلمة يشتُمه والمهدي يضحك . ثم قال لسلمة : ويلَك ، إن لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها في مَحْفِل فَضَحَك . فقال أبو دلامة : والله لأفضَحنَّه يا أمير المؤمنين ؛ فليس من مواليك أحدٌ إلا وقد وصَلَني غيرُه ، فإني ما شرِبت له الماء قط . قال : فقد حكمتُ عليه أن يشتري نفسه منك بألف درهم حتى يتخلَّص من يدك . قال : قد فعلتُ على أن لا يُعاود . فقال له : ما ترى ؟ قال : أَفْعَلُ ، فلولا أني ما أخذت منه شيئاً قط ما فعلتُ[1] معه مثلَ هذه . فمضى سلمةُ فحملها إليه .

[أراد ابنه أن يخصيه فحكم زوجته]

أخبرني عمي قال حدثني محمد بن سعد الكُراني قال حدثني الخليل بن أسد عن عبد الرحمن بن صالح قال : جاء ابن أبي دلامة يوماً إلى أبيه وهو في محفِلٍ من جيرانه وعشيرته جالس ، فجلس بين يديه ، ثم أقبل على الجماعة فقال لهم : إن شيخي ، كما ترون ، قد كَبِرَتْ سِنُّه ، ورَقَّ جِلدُه ، ودَقَّ عظمُه ، وبِنا إلى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أُشير عليه بالشيء يُمْسِك رَمَقَه ويُبْقي قُوَّته ، فيخالفني فيه . وأنا أسألكم أن تسألوه قضاءَ حاجة لي أذكرها بحضرتكم ، فيها صلاحٌ لجسمه ، وبقاءٌ لحياته ، فأسعفوني بمسألته . فقالوا : نفعلُ حُباً وكَرامةً . ثم أقبلوا على أبي دلامة بألسنتهم وتناولوه بالعتاب حتى رضي وهو ساكت ، فقال قولوا للخبيث فليَقُلْ ما يُريد ، فستعلمون أنه لم يأت إلا ببليَّة . فقالوا له : قل . فقال : إن أبي إنما يقتله كثرةُ الجماع ، فتُعاونوني عليه حتى أَخْصِيَه ، فلن يقطعه عن ذلك غيرُ الخِصاء ، فيكونَ أصحَّ لجسمه وأطولَ لعمره . فعَجِبوا من ذلك وعلموا أنه إنما أراد أن يعبَث بأبيه ويخجِّله حتى يَشِيعَ ذلك عنه فيرتفع له بذلك ذكر ، فضحِكوا منه . ثم قالوا لأبي دلامة : قد سمِعتَ فأجِبْ . قال : قد سمعتم أنتم وعرَّفتكم أنه لن يأتيَ بخير . قالوا : فما عندك في هذا ؟ قال : قد جعلتُ أُمَّه حَكَماً بيني وبينه فقوموا بنا إليها . فقاموا بأجمعهم فدخلوا إليها ، وقَصَّ

1 ل : ما استعملت .

أبو دلامة القصة عليها ، وقال لها : قد حكَّمتُكِ . فأقبلتْ على الجماعة فقالت : إن ابني ، أصلحه الله ، قد نصح أباه وبَرَّه ولم يألُ جُهْداً ، وما أنا إلى بقاء أبيه بأحْوَجَ مني إلى بقائه ، وهذا أمرٌ لم تقع به تجربةٌ منا ، ولا جَرَتْ بمثله عادةٌ لنا ، وما أشكُّ في معرفته بذلك . فليبدأ بنفسه فلْيَخْصِها ؛ فإذا عُوفِيَ ورأينا ذلك قد أثَّر عليه أثراً محموداً استعمله أبوه . فنَعَر أبوه وجعل يضحَك به ، وخَجِل ابنُه ، وانصرف القوم يضحكون ويعجبون من خُبْثهم جميعاً واتفاقِهم في ذلك المذهب .

[نبو السيف في يد المرواني]

أخبرني عمي قال حدثنا ميمون بن هارون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل عن أبيه قال : كان عند المهدي رجل من بني مروان ، فدخل إليه وسلَّم عليه . فأُتِي المهديُّ بعِلْج فأمر المَرْواني بضَرْبِ عُنُقِه ، فأخذ السيفَ وقام فضربه فنَبا السيفُ عنه ، فرمى به المرواني وقال : لو كان من سيوفنا ما نَبا . فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغيَّر لونُه وبانَ فيه . فقام يَقْطِينٌ فأخذ السيفَ وحسَر عن ذراعيه ثم ضرب العِلْجَ فرمى برأسه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن هذه سيوف الطاعة لا تعمَل إلا في أيدي الأولياء ولا تعمل في أيدي أهل المعصية . ثم قام أبو دُلامة فقال : يا أمير المؤمنين ، قد حضرني بيتان أفأقولهما ؟ قال : قل . فأنشده : [من الخفيف]

أيُّهذا الإمامُ سيفُك ماضٍ وبكفِّ الولي غيرُ كَهامِ[1]
فإذا ما نَبا بكفٍّ عَلِمْنا أنّها كفُّ مُبْغِضٍ لِلإمامِ

قال : فسُرِّيَ عن المهدي وقام من مجلسه ، وأمر حُجابه بقتل الرجل المرواني فقُتِل .

1 الكهام : السيف الكليل .

170 ـ [أخبار عبد الله بن المعتز][1]

وممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وبَرَع وتقدم جميعَ أهلِ عصره فَضْلاً وشرفاً وأدباً وشعراً وظرفاً وتصرفاً في سائر الآداب أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله .

[دفاع أبي الفرج عن مذهبه في الأدب]

وأمرُه ، مع قرب عهده بعصرنا هذا ، مشهور في فضائله وآدابه شهرةً تُشْرِكُ في أكثر فضائله الخاصَّ والعامَّ . وشعرُه إن كان فيه رِقةُ الملوكية وغَزَلُ الظُّرفاء وهَلْهَلةُ المُحدَثين[2] ، فإن فيه أشياء كثيرةً تجري في أسلوب المُجيدين ولا تقصُر عن مَدى السابقين ، وأشياءَ ظريفةً من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ، ليس عليه أن يتشبه فيها بفحول الجاهلية . فليس يمكن واصفاً لصَبُوح في مجلس شَكِلٍ ظريف ، بين نَدامى وقِيان ، وعلى ميادين من النَّوْر والبنفسج والنَّرجِس ومنضود من أمثال ذلك ، إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفُرُش ومختار الآلات ، ورِقة الخَدَم ، أن يَعْدِل بذلك عما يُشْبِهُه من الكلام السَّبْط[3] الرقيق الذي يفهمه كُلُّ مَن حضَر ، إلى جَعْد الكلام ووَحشيه ، وإلى وصف البِيد والمَهامِهِ والظَّبْي والظَّلِيم والناقة والجمل والديار والقِفار والمنازل الخالية المهجورة ؛ ولا إذا عدَل عن ذلك وأحسن قيل له مُسِيء ، ولا أن يُغْمَطَ حقّه كلَّه إذا أحسن الكثيرَ وتوسَّط في البعض وقَصَّر في اليسير ، ويُنْسَب إلى التقصير في الجميع ، لنشر المقابح وطَيِّ المحاسن . فلو شاء أن يفعل هذا كلُّ أحدٍ بمن تقدم لوجد مَساغاً . ولو أن قائلاً أراد الطعن على صدور الشعراء ، لقد رأى أن يطعن على الأعشى ، وهو أحدُ مَن يقدِّمه الأوائل على سائر الشعراء ، بقوله : «فأصاب حَبَّة قلبه وطِحالَها» . وبقوله : [من الطويل]

ويأمرُ لليَحْمومِ كلَّ عَشِيَّةٍ بقَتٍّ وتَعْلِيقٍ فقد كاد يَسْنَقُ[4]

---

1 ترجمة عبد الله بن المعتز في أشعار أولاد الخلفاء : 107 والفهرست : 129 وتاريخ بغداد 10 : 895 ونزهة الألباء : 160 ومعجم الأدباء (عباس) : 1519 وابن خلكان 3 : 76 وعبر الذهبي 2 : 104 والوافي 17 : 447 ومرآة الجنان 2 : 225 والبداية والنهاية 11 : 108 والفوات 2 : 239 وشذرات الذهب 2 : 221 وكتب التاريخ في حوادث سنة 296 .

2 ل : المحدث .

3 السبط : السهل المرسل . والجعد : المعقد .

4 اليحموم : اسم فرسه . ويسنق : يصيبه البشم . وانظر دفاع ابن قتيبة عن هذا البيت في الشعر والشعراء : 185 .

وأمثال لهذا كثيرةٍ . وإنما على الإنسان أن يحفَظ من الشيء أحسنَه ، ويُلغِيَ ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذاً به . ولكن أقواماً أرادوا أن يرفعوا أنفسَهم الوضيعةَ ، ويُشيدوا بذكرهم الخامل ، ويُعْلُوا أقدارَهم الساقطةَ بالطعن على أهل الفضل والقَدْح فيهم ، فلا يزدادون بذلك إلا ضَعَةً ، ولا يزداد الآخَرُ إلا ارتفاعاً . ألا ترى إلى ابن المعتز قد قُتِل أسوأَ قِتْلة ، ودَرَج فلم يَبق له خَلَفٌ يقرظه ولا عَقِبٌ يرفع منه ، وما يزداد بأدبه وشعرِه وفضله وحُسْنِ أخباره ، وتصرُّفِه في كل فنٍّ من العلوم إلا رِفْعةً وعُلُواً . ولا نُظِر إلى أضداده كلّما ازدادوا في طعنه وتقريظ أنفسهم وأسلافهم الذين كانوا مِثْلَهم في ثَلْبه والطعنِ عليه ؛ زادوها سقوطاً وضَعَةً ، وكلّما وصفوا أشعارهم وقرظوا آدابهم ، زادوا بها ثِقلاً ومقتاً . فإذا وقع عليهم المُحَصِّل الموافق ، عدَلوا عن ثَلْبه في الآداب ، إلى التشنيع عليه بأمر الدين وهجاء آل أبي طالب ، وهو أول من فعل ذلك وشنَّع به على آل أبي طالب عند المُكْتَفي حتى نهاهم عنه ، فعدَلوا عن عَيْب أنفسهم بذلك إلى عيبه ، وارتكبوا أكثر منه . وأنا أذكر ذلك بعقب أخبار عبد الله ، مُصَرِّحاً به على شرحٍ إن شاء الله تعالى .

[علمه بصناعة الموسيقى]

وكان عبد الله حسن العلم بصناعة الموسيقى ، والكلام على النغم وعِللها . وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتبٌ مشهورةٌ ، ومراسلاتٌ جَرَتْ بينه وبين عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وبين بني حمدون وغيرهم ، تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه .

[كتاب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر له]

ولقد قرأتُ بخطِّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعة إليه بخطه ، وقد بعث إليه برسالة إلى ابن حمدون في أنه يجوِّز ولا يُنكِر أن يغيِّر الإنسان بعضَ نَغَم الغناء القديم ، ويعدِلَ بها إلى ما يحسُن في حَلْقه ومذهبه . وهي رسالةٌ طويلةٌ ، وشاوره فيها . فكتب إليه عبيد الله : «قرأتُ ، أيدك الله ، الرسالة الفاضلة البارعة الموفَّقة . فأنا والله أقرؤها إلى آخرها ، ثم أعود إلى أولها مبتهجاً ، وأتأمل وأدعو مبتهلاً ، وعينُ الله التي لا تنام عليك وعلى نعمه عندك . فإنها ، علِم الله ، النعمةُ المعدومة المِثْل . ولقد تمثلت وأنا أُكرِّر نظري فيها قول القائل في سيدنا وابن سيدنا عبدِ الله بن العباس : [من الطويل]

كفَى وشَفى ما في النفوس ولم يَدَعْ لذي إرْبةٍ في القول جِداً ولا هَزْلاً

ولا والله ما رأيتُ جِداً في هَزْلٍ ، ولا هَزْلاً في جِدٍّ يُشبِه هذا الكلامَ في بلاغته وفصاحته وبيانه وإنارة برهانه وجزالة ألفاظه . ولقد خُيِّل إليَّ أن لسان جَدِّكَ العباس عليه السلام ينقسم على أجزاء ، فلك ، أعزك الله ، نصفُها ، والنصفُ الآخرُ مقسوم بين أبي جعفر المنصور

والمأمون رحمة الله عليهما . ولو أن هذه الرسالة جَبَهت الإبراهيمَيْن إبراهيمَ بنَ المهدي وإبراهيمَ الموصلي وابنَه إسحاق وهم مجتمعون لبُهِت منهم الناظر ، وأُخْرِس الناطق ، ولأقرُّوا لك بالفضل في السَّبْق ، وظهور حُجَّةِ الصِّدْقِ ، ثم كان قولُك لهم فَرْقاً بين الحق والباطل ، والخطأ والصواب . ووالله ما تأخذ في فنٍّ من الفنون ، إلا بَرَّزْتَ فيه تبريز الجواد الرائع ، المُغَبِّر في وجه كل حِصان تابع . عَضَد الله الشرفَ ببقائك ، وأحيا الأدبَ بحياتك ، وجَمَّل الدنيا وأهلَها بطول عمرك» .

هذا كلام العقلاء وذوي الفضل في مِثْلِه ، لا كلام الثقلاء وذوي الجهل . والإطالة في هذا المعنى مُسْتَغْنىً عنها . والمشهورُ عنه وعن أضداده وما يأتي من أخباره بعد ذلك ففي معنى ما شَرَطتُه من جنس ما هو المَقْصِد في كتابي هذا .

فمن صنعة عبد الله بن المعتز في شعره على أنَّ أكثرها هذه سبيله فيها : [من البسيط]

أصوات له في أشعار مختلفة

صوت

هل تَرجِعنَّ ليالٍ قد مَضَيْنَ لنا ... والدارُ جامعةٌ أزمانَ أزمانا

صنْعَتُه في بيتٍ واحدٍ ، ولحنُه ثقيلٌ أول .

ومن صنعته في الثقيل الأول أيضاً ، وفيه لعلويه رمل قديم ، وما لحنه بدون لحن علويه : [من الطويل]

صوت

سَقى جانبَ القَصْرَيْن فالدَّيْرَ فالحِمى ... إلى الشجرِ المحفوفِ بالطِّين والمَدَرْ

ومن صنعته الظريفة الشَّكِلَةِ مع جودتها : [من الخفيف]

صوت

وابلائي من مَحْضَرٍ ومَغيبِ ... وحبيبٍ منِّي بعيدٍ قريبِ

لم تَرِدْ ماءَ وجهه العينُ إلا ... شَرِقَتْ قبلَ رِيِّها برقيبِ

خفيف ثقيل ، ابتداؤه نشيد .

[زارته زرياب في يوم السعانين]

ومن صنعته ، وله خبر أخبرني به علي بن هارون بن المنجِّم عن زِرْيابَ قالت : زرتُ عبدَ الله بن المعتز في يوم السَّعانين ، فسُرَّ بورودي وصنع من وقته لحناً في شعر عبد الله بن العباس الرَّبيعي الذي له فيه هَزَجٌ وهو : [من مجزوء الرمل]

صوت

أنا في قلبي مـــن الظَّبي كُلُومُ فدعِ اللَّـوْمَ فإنَّ اللَّـوْمَ لُومُ
حبذا يـــومُ السَّعانـــين ومـــا نِلتُ فيه من سرورٍ لـــو يَدومُ

الشعرُ لعبد الله بن العباس ، ولحنه فيه هزج ، قالت : فصنَع عبد الله بن المعتز في البيت الثاني ، وبعده بيتٌ أضافه إليه ، هَزجاً وهو : [من مجزوء الرمل]

زارني مـــولايَ فيـــه ساعةً ليتَـــه واللهِ مـــا عِشتُ يُقِيمُ

ولحنُ ابن المعتز «حبذا يوم السعانين» وهذا البيت خفيف رملٍ ، وهو من نهايات الأغاني التي صنعها .

ومن صنعته التي تَظارف فيها ومَلُح : [من الرمل]

زاحَـــمَ كُمِّي كُـمَّـه فالتَوَيا وافـــقَ قلبـــي قلبـــه فاستَويا
وطالمـــا ذاقـــا الهـــوى فاكتويا يـــا قُـــرَّةَ العينِ ويـــا هَمِّي ويا

أراد هنا بقوله «ويا» ما يقوله الناس في حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من جميل أو قبيح ، فيقولون : قلتُ له يا سيدي ويا مولاي ويا ويا ، وكذلك ضده ليُستغنى بالإشارة بهذا النِّداء عن الشرح . ولحنُ ابن المعتز في هذا هَزَجٌ .

[شعره في نشر]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً وعنده نشر وكان يحبها ويَهيم بها ، فخرجتْ علينا من صدر البستان في زمن الربيع ، وعليها غِلالةٌ مُعَصْفَرة وفي يديها جنابي[1] باكورة باقِلاً . فقالت له : يا سيدي تلعبُ معي جنابي ؟ فالتفتَ إلينا وقال على بديهته غيرَ متوقِّفٍ ولا مفكر : [من البسيط]

فدَيْتُ مَنْ مَرَّ يمشي في مُعَصْفَرةٍ عَشِيَّـــةً فسَقـــاني ثـــم حيانِـــي
وقـــال تلعَبُ جنابـــي فقلتُ لـــه مَنْ جادَ بالوصلِ لم يلعبْ بهِجرانِ[2]

وأمر فغنِّيَ فيه . غَنَّتْ فيما أرى فيه هَزارُ لحناً ، وهو رَمَلٌ مُطلَق .

[فرحه عندما شفي خادمه نشوان من الجدري]

حدثني جعفر قال : كان لعبد الله بن المعتز غلامٌ يحبه ، وكان يغنّي غِناءً صالحاً ، يقال

---

1 جنابي : لعلها وعاء يحمل على الجنب . والجنابي لعبة للصبيان .
2 مَن جادَ في ديوانه : من جدّ .

له «نَشْوانُ» . فجُدِر وجَزِع عبد الله لذلك جزعاً شديداً ، ثم عُوفِيَ ولم يؤثِّر الجُدَري في وجهه أثراً قبيحاً . فدخلتُ إليه ذاتَ يومٍ فقال لي : يا أبا القاسم ، قد عُوفي فلانٌ بعدَك ، وخرج أحسنَ مما كان ، وقلتُ فيه بيتين وغَنَّتْ زِرْيابُ فيهما رَمَلاً ظريفاً ، فاسمعهما إنشاداً إلى أن تسمعهما غناء . فقلت : يتفضل الأميرُ ، أيده الله تعالى ، بإنشادي إياهما . فأنشدني : [من السريع]

لي قمـرٌ جُـدِّرَ لما استوى فـزاده حُسْناً فـزادتْ همومْ
أظنُّه غَـنَّـى لشمسِ الضُّحى فنقَّطتْـهُ طَرَبـاً بـالنجومْ

فقلت : أحسنتَ والله أيها الأمير . فقال لي : لو سمعتَه من زِرْيابَ كنتَ أشدَّ استحساناً له . وخرجتْ زِرياب فغنَّته لنا في طريقةِ الرمل في أحسن غِناء ، فشربنا عليه عامة يومِنا .

[غضب عليه غلامه نشوان]

حدثني جعفر قال : غضِب هذا الغلام على عبد الله بن المعتز ؛ فجهَد في أن يترضاه ، فلم تكن له فيه حيلة . فدخلتُ إليه فأنشدني فيه : [من مجزوء الخفيف]

بأبـي أنتَ قـد تمـا ديتَ في الهجـرِ والغضبْ
واصطبـاري على صـدو دِكَ يومـاً مـن العَجَبْ
ليس لي إن فقَـدْتُ وجـ ـهَكَ في العيشِ من أَرَبْ
رحِـمَ اللهُ مَـنْ أعـا نَ على الصلحِ واحتَسبْ

قال : فمضَيتُ إلى الغلام ؛ ولم أزل أُداريه وأَرْفُقُ به حتى ترضَّيْتُه وجئتُه به ، فمرَّ لنا يومئذٍ أطيبُ يومٍ وأحسنُه ، وغَنَّتْنا هَزارُ في هذا الشعر رملاً عجيباً .

[شعره في كره البنات]

أخبرني الحسين بن القاسم الكاتب قال حدثني إبراهيم بن خليل الهاشمي قال : دخلت يوماً إلى أبي عيسى بن المتوكل ، فوجدتُ عبدَ الله بن المعتز وقد جاءه مُسَلِّماً ، وسنُّه يومئذٍ دون عشرين سنة ، إذ دخل عليٌّ بن محمد بن أبي الشَّوارب القاضي ، فأكرمه أبو عيسى ونهض إليه . فلما استقر به المجلس قال لأبي عيسى : قد احتجتُ إلى مَعُونتك في أمر دُفِعتُ إليه لم أَستغنِ فيه عن تكليفك المعاونةَ . قال : وما هو ؟ قال : زوَّجتُ بنتاً من بناتنا رجلاً من أهلنا ، فخرج عن مذاهبنا ، وأساء عِشْرة أهلِه ، وجعل منزل عيسى بن هارون أكثرَ مَظانِّه وأوطانِه ، ويهدِّدنا ويُوعِدنا بشرِّه ، حتى لقد نالنا من عيسى بَسْطٌ ليده ولسانِه فينا بالقبيح والقولِ السيء ، وكثرةُ معاونته له على ما يُزْري بدينه ونسبه . وقد

توعدنا بأنه يكشِف وجهه لنا في معاونة صِهْرنا هذا الغاوي علينا . ولولا نسبه الذي فخرُه لنا وعارُه علينا ، لانتصفنا منه بالحق دون التعدي ، إلا أنّي أستعيذك منه . فقال له أبو عيسى : أنا أُوَجِّه إليه بعد انصرافك ، وأُراسله بما أنا المتكفل بعده بألا يعود إلى عِشْرته ، والضامن أن أَرُدَّ هذا الصِّهْرَ إلى حيث تحب ويَقَعُ بموافقتك . فشكره ودعا له وانصرف . فقال أبو عيسى : ألا تَرَوْن إلى هذا الرجل النبيه الفاضل السَّرِي الشريف يُدفَعْ إلى مِثْل هذا ! طوبى لمن لم تكن له بنت . فقال عبدُ الله بن المعتز : أيها الأمير إن لولدك في هذا المعنى شيئاً قاله واستحسنه جماعةٌ ممن يعلم ويقول الشعر . فقال : هاته فِداك عمُّك . فأنشده لنفسه : [من الوافر]

وبِكْرٍ قلتُ موتــى قبل بَعْـلٍ ... وإن أَثْرى وعُـدَّ من الصَّميمِ
أأمزُج باللِّئـامِ دَمـي ولَحْمِي ... فما عُذرِي إلى النَّسَب الكريمِ

فقال له أبو عيسى : أمْتَعَ الله أهلَكَ ببقائك ، وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك ، وجَمَّلَهم بكمال محاسنك ، ولا أرانا شرًّا فيك .

[شعره في دار يعمرها]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبد الله بن موسى الكاتب قال : دخلت على عبد الله بن المعتز وفي داره طبقاتٌ من الصُّنَّاع ، وهو يبني دارَه ويُبَيِّضُها . فقلت : ما هذه الغرامةُ الحادثة ؟ فقال : ذلك السَّيلُ الذي جاء مُذْ ليالٍ أَحْدَث في داري ما أَحْوَجَ إلى الغرامة والكُلفة ، وقال : [من المتقارب]

ألا مَـنْ لنفسٍ وأحزانِهـا ... ودارٍ تَداعَـى بحِيطـانِها
أظَـلُّ نهـاريَ في شمسِها ... شقيـاً مُعَنـىً ببنيـانِها
أُسَوِّد وجهـي بتبييضها ... وأهـدِمُ كيسي بعُمـرانِها

[صلاة النميري]

حدثني جعفر بن قدامة قال : كنت عند عبد الله بن المعتز ومعنا النميري ، وحضرتِ الصلاة ، فقام النميري فصلَّى صلاةً خفيفةً جداً ، ثم دعا بعد انقضاء صلاته وسجد سجدة طويلةً جداً ، حتى استثقله جميع مَن حضر بسببها ، وعبد الله ينظر إليه متعجباً ثم قال : [من المتقارب]

صلاتُك بين الوَرى نَقْرَةٌ ... كما اختلس الجَرْعَـةَ الوالغُ

وتسجُدُ مـن بعدِها سَجْدَةً كما خُتِـم المِـزْوَدُ الفارغُ[1]

[شعره في بنت الكراعة]

أخبرني الحسين بن القاسم قال حدثني عبيد الله بن موسى الكاتب قال : كانت بنت الكراعة تألَف عبدَ الله بن المعتز ، وكان يحب غناءها ويستظرفها ويحبُّها ويواصل إحضارها ، ثم انقطعت عنه فقال : [من الخفيف]

ليتَ شِعري بمن تَشاغلْتِ بَعْدِي وهـو لا شك جاهـلٌ مغـرورُ
هكـذا كنـتُ مِثْلَـه في سرورٍ وغَـداً في الهمـومِ مِثْـلي يَصيرُ

[يرحم القبحَ فيهواه]

حدثني جعفر بن قُدامة قال : كنا عند ابن المعتز يوماً ومعنا النميري ، وعنده جاريةٌ لبعض بنات المغنّين تغنّيه ، وكانت محسنة إلا أنها كانت في غاية[2] من القبح ، فجعل عبدُ الله يُجَمِّشُها ويتعلَّق بها . فلما قامت قال له النميري : أيها الأمير ، سألتُك بالله أتتعشق هذه التي ما رأيتُ قط أقبحَ منها ؟ فقال عبدُ الله وهو يضحك : [من السريع]

قلبـيَ وثّـابٌ إلى ذا وذا ليس يـرى شيئـاً فيأباهُ
يَهيم بـالحُسنِ كما ينبغي ويرحَـمُ القُبْـحَ فيهواهُ

[شعره في خزامى]

أخبرنا الحسين بن القاسم قال حدثني أبو الحسن الأموي قال حدثني عبد الله بن المعتز قال : كانت خُزامى جاريةُ الضبط المغني تُنادمني وأنا حَدَثٌ ثم تركتِ النبيذَ . وكانت مُغنّية مُحسِنة شاعرةً ظريفةً . فراسلتُها مراراً فتأخرت عنّي ، فكتبتُ إليها : [من الطويل]

رأيتُكِ قـد أظهرتِ زُهْداً وتوبـةً فقد سَمُجَتْ من بعد توبتِك الخمرُ
فأهديتُ وَرْداً كـي يُذَكِّـر عِيشةً لمـن لم يُمَتِّعْنـا ببهجتهـا الدهرُ

فأجابت : [من الطويل]

أتـاني قريـضٌ يـا أميري مُحَبَّرٌ حَكـى لِيَ نظمَ الدُّرِّ فُصِّلَ بالشَّذْرِ[3]
أأنكرتَ يـا ابـنَ الأكرمـينَ إنابتي وقد أفصحتْ لي ألْسُنُ الدَّهرِ بالزَّجْرِ

1 المزود : وعاء الزاد .
2 ل : نهاية .
3 الشذر : خرز تفصل به الجواهر في النظم .

وآذَنَنـــي شَرْخُ الشَّبـــابِ بِبَيْنِـــه فيا ليتَ شعري بعد ذلك ما عُذْري

[شعره في الربيع]

حدثني جعفر بن قُدامة قال : كنت أُسْرح مع عبد الله بن المعتز في يومٍ من أيام الرَّبيع . بالعباسية[1] والدنيا كالجنة المزخرفة . فقال عبد الله : [من مجزوء الرمل]

حَبّـــذا آذارُ شهـــراً فيـــه للنـــوْر انتشارُ
ينقُصُ الليـــلُ إذا جـــا ءَ ويمتـــدُّ النهـــارُ
وعلى الأرض اخضرارٌ واصفـــرارٌ واحمـــرارُ
فكـأنَّ الرَّوْضَ وَشْيٌ بالغـتْ فيـــه التِّجـــارُ
نَقْشُـــه آسٌ ونسريـــ ـــنٌ ووَرْدٌ وبَهـــارُ

[هنأ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بولاية ابنه شرطة بغداد]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّولي قال : كتب عبد الله بن المعتز إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد استخلَف مؤنس ابنَه محمد بن عبيد الله على الشُّرطة ببغداد : [من الطويل]

فَرِحتُ بما أضعافُه دون قَـدْرِكم وقلتُ عسى قد هَبَّ من نومه الدَّهْرُ
فترجِـــعُ فينا دولـــةٌ طاهريَّـــةٌ كما بدأتْ ، والأمرُ من بعده الأمرُ
عسى اللهُ ، إن الله ليس بغافـلٍ ولا بدَّ من يُسْرٍ إذا ما انتهى العُسْرُ

فكتب إليه عبيدَ الله قصيدةً فيها : [من الطويل]

ونحنُ إذا مـــا نالنـــا مَسُّ جَفْوةٍ فمِنَّـــا على لأوائهـــا الصَّبْرُ والعُذْرُ
وإن رجعتْ مـــن نعمةِ اللهِ دولـــةٌ إلينا فمِنا عندَهـــا الحمدُ والشكرُ

قال : وجاءه محمد بن عبيد الله بعقِب هذا شاكراً لتهنئته ، ثم لم يَعُدْ إليه مدةً طويلة . فكتب إليه عبدُ الله بن المعتز : [من المنسرح]

قـــد جئتنـــا مـــرةً ولم تَعُـــدِ ولم تَـــزُرْ بعدَهـــا ولم تَعِـــدِ
لستُ أرى واجـــداً بنـــا عِوَضاً فاطْلُبْ وجَرِّبْ واسْتَقْصِ واجْتَهِد
ناولَنـــي حبـــلَ وَصْلِـــهِ بيدٍ وهجـــرَه جاذبـــاً لـــه بيـــدِ
فلم يكـــنْ بـــينَ ذا وذا أَمَـــدٌ إلا كما بـــينَ ليلـــةٍ وغَـــدِ

1 العباسية : محلة ببغداد .

[أبيات من معلقة زهير]

صوت

[من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفـى دِمْنَـةٌ لم تَكَلَّم ... بحَوْمانـةِ الـدَّرّاجِ فـالمُتَثَلَّمِ
بهـا العينُ والآرامُ يَمْشِينَ خلْفَةً ... وأَطْلاؤها يَنْهَضْنَ من كلِّ مَجْثَمِ[1]
وقفتُ بها من بعد عشرينَ حِجَّةً ... فلأْياً عَرَفـتُ الدارَ بعـد توهُّمِ
فلما عرَفـتُ الدارَ قلتُ لِرَبْعها ... أَلا عِمْ صباحاً أيّها الرَّبْعُ واسْلَمِ
ومَنْ يَعْصِ أطرافَ الزِّجـاج فإنه ... يُطيع العَـوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ
ومَنْ هابَ أسبابَ المنيَـةِ يَلْقَها ... ولـو رامَ أسبابَ السمـاءِ بسُلَّمِ

عروضه من الطويل . الحَوْمانة ، فيما ذكر الأصمعي ، الأرض الغليظة ، وجمعُها حَوامِينُ . وقال غيره : الحَوْمانة : ما كان دون الرمل . والدَّرّاجُ والمتثَلَّم : موضعان . وروى أبو عمرو عن بعض ولدِ زهير «الدُّراج» مضمومةَ الدال . والعِينُ : البَقَرُ . والآرام تسكن الجبال . خِلْفَةً : يذهب فَوجٌ ويجيء فَوجٌ يخلُفه مكانَه . ويُروى : مَجْثَم ومَجْثِم . فمن قال مَجْثَم قال : جَثَمَ يجثُم جُثُوماً ، ومَنْ قال مَجْثِم قال : جَثَمَ يَجْثِمُ جَثْماً ، واللأْيُ : البطء . الزِّجاجُ : جمعُ زُجٍّ . قال : وأصله أن القوم كانوا إذا أرادوا صلحاً قَلبوا زِجاج الرماح إلى فوق ، فإن أَبَوْا إلا الحربَ قلَبوا الأسِنة ، واللَّهْذَم : السِّنان المحدَّد ؛ يقال رمح لَهْذَمٌ وسِنانٌ لَهْذَمٌ : حاد . وأُم أَوْفى : امرأة كانت لزُهَيْر فطلَّقها . وله في ذلك خبرٌ يُذْكَر بعد هذا .

الشعر لزهير بن أبي سُلْمى . والغِناء للغريض ، ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوتر في مجرى البِنصر عن إسحاق في الأول والثاني من الأبيات . وفيها لبَذْل الكبيرةِ ثقيلٌ أول بالبِنصر . ولعلويه في الثالث والرابع ثقيل أول . ولإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى في الخامس والسادس . وفيهما ثقيل أول يقال إنه ليزيد حَوْراء .

1 الآرام : جمع رئم وهو الظبي الخالص البياض . أطلاء : جمع طلا وهو ولد البقرة .

[171] ـ نسب زهير[1] وأخباره

[نسبه]

هو زهير بن أبي سُلْمى . واسم أبي سُلْمى ربيعة بن رِياح بن قُرَّة بن الحارث بن مازن بن ثعلبة بن ثور بن هرمة بن الأصم بن عثمان بن عمرو بن أُدَّ بن طابخة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . ومُزَيْنةُ أُمُّ عمرو بن أُد هي بنت كلب بن وبرة .

[هو أحد الثلاثة المقدمين]

وهو أَحَدُ الثلاثة المُقَدَّمين على سائر الشعراء ، وإنما اختُلِف في تقديم أحد الثلاثة على صاحبيه . فأما الثلاثة فلا اختلافَ فيهم ، وهم امرؤ القيس وزهير والنابغة الذُّبياني .

[رأي جرير فيه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سَلام عن أبي قيس عن عِكرمة بن جرير عن أبيه قال : شاعرُ أهلِ الجاهلية زهير .

[رأي عمر فيه]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا هارون بن عمر قال حدثنا أيوب بن سُوَيد قال حدثنا يحيى بن يزيد عن عمر بن عبد الله اللَّيثي عن ابن عباس قال : قال عمر بن الخطاب ليلةَ مَسيره إلى الجابية : أين ابن عباس ؟ فأتيته ؛ فشكا تخلُّفَ علي بن أبي طالب رضي الله عنه . فقلت : أَوَلم يعتذر إليك ؟ قال بَلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . ثم قال : أول مَن ريَّثكم عن هذا الأمر أبو بكر . إن قومكم كرِهوا أن يجمعوا لكم الخلافةَ والنبوَّة ، ثم ذكر قصةً طويلةً ليست من هذا الباب فتركتها[2] أنا ، ثم قال : هل تَرْوي لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومَنْ هو ؟ قال : الذي يقول[3] : [من الطويل]

ولو أنَّ حمـداً يُخْلِدُ الناسَ أُخْلِدوا ولكـنَّ حَمْـدَ الناسِ ليس بمُخْلِدِ

---

1 لزهير ترجمة في طبقات ابن سلام : 52 وشرح شواهد المغني : 48 والخزانة 2 : 332 والشعر والشعراء : 76 وقد نشر ديوانه بشرح ثعلب وطبع بدار الكتب المصرية (1944) وإليه نشير كما نشر شرح الأعلم الشنتمري (القاهرة 1323) وانظر شرح المعلقات للتبريزي .

2 انظر القصة مفصلة في تاريخ الطبري .

3 ديوانه : 236 وفيه بدلاً من «أخلدوا» «لم يمت» وفي رواية «لم تمت» وسيرد البيت فيما بعد بهذه الرواية .

قلت : ذاك زهير . قال : فذاك شاعرُ الشعراء . قلت : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يُعاظِل في الكلام وكان يتجنَّب وَحْشِيَّ الشعر ، ولم يمدح أحداً إلا بما فيه . قال الأصمعي : يعاظِل بين الكلام : يداخِل فيه . ويقال : يتبع حُوشِيَّ الكلامِ ، ووَحْشِيَّ الكلام ، والمعنى واحد .

[قدامة بن موسى يقدمه على الشعراء]

أخبرنا أبو خليفة قال قال ابن سَلام وأخبرني عمر بن موسى الجُمَحي عن أخيه قُدامة بن موسى ، وكان من أهل العلم : أنه كان يقدِّم زهيراً . قلت : فأي شيء كان أعجب إليه ؟ قال : الذي يقول فيه[1] : [من البسيط]

قـد جعلَ المبتغونَ الخيرَ من هَرِمٍ والسائلـونَ إلى أبوابـه طُرُقـا

[رأي جرير في شعره مرة أخرى]

قال ابن سلام وأخبرني أبو قيس العنبري ، ولم أَرَ بدوياً يَفي به ، عن عِكرمةَ بن جرير قال : قلتُ لأبي : يا أبتِ مَنْ أشعرُ الناس ؟ قال : أعن الجاهلية تسألني أم عن الإسلام ؟ قلت : ما أردتُ إلا الإسلام . فإذا ذكرتَ الجاهليةَ فأخبِرني عن أهلها . قال : زهيرٌ أشعرُ أهلِها . قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نَبْعةُ الشعر . قلت : فالأخطل ؟ قال : يُجيد مَدْحَ الملوك ويُصيب وصف الخمر . قلت : فما تركتَ لنفسك ؟ قال : نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً .

[رأي الأحنف بن قيس فيه]

أخبرني الحسن بن علي قال أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني عن عيسى بن يزيد قال : سأل معاوية الأحنفَ بن قيس عن أشعر الشعراء ، فقال : زهير . قال : وكيف ؟ قال : ألقى عن المادحين فضولَ الكلام . قال : مِثل ماذا ؟ قال : مثل قوله : [من الطويل]

فما يَكُ من خيرٍ أتَوْه فإنما تَوارَثَـهُ آبـاءُ آبائهم قَبْلُ

[مدح عمر بن الخطاب شعره]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شَبَّة قال حدثنا عبد الله بن عمرو القيسي قال حدثنا خارجةُ بن عبد الله بن سليمان عن زيد بن ثابت عن عبد الله بن أبي سفيان عن أبيه عن ابن عباس ، قال : وحدثَنيه غيره وهو أتمُّ من حديثه ، قال قال ابن عباس : خرجتُ مع عمر في أول غَزاةٍ غَزاها . فقال لي ذاتَ ليلةٍ : يا ابنَ عباس أَنْشدْني لشاعر الشعراء . قلتُ : ومَنْ هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابنُ أبي سُلْمى . قلت : وبِمَ صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع

1 ديوانه : 49 .

حُوشي الكلام ، ولا يعاظِل من المنطق ، ولا يقول إلا ما يعرِف ، ولا يمتدح الرجلَ إلا بما يكون فيه . أليس الذي يقول[1] : [من الطويل]

إذا ابتــدَرتْ قَيْسُ بنُ عَيْلانَ غايــةً ... من المَجْـدِ مَــنْ يَسْبِقْ إليها يُسَوَّدِ
سبقــتَ إليهــا كلَّ طَلْــقٍ مُبَــرِّزٍ ... سبُــوقٍ إلى الغايــاتِ غيرِ مُزَنَّـدِ[2]
كفعــلِ جوادٍ يَسْبِقُ الخيلَ عَفْوُهُ الـ ... ـسِّراعَ وإن يَجْهَدْ ويَجْهَدْنَ يَبْعُدِ[3]
ولو كان حَمْدٌ يُخْلِـد الناسَ لم تَمُتْ ... ولكنَّ حَمْــدَ النــاسِ ليس بمُخْلِدِ

أنشِدْني له ، فأنشدتُه حتى بَرَقَ الفجرُ . فقال : حَسْبُك الآنَ ، اقرأ القرآن . قلت : وما أقرأ ؟ قال : اقرأ الواقعة ، فقرأتُها ونَزَل فأذَّن وصلَّى .

أخبرني محمد بن القاسم الأنباري قال حدثني أبي قال حدثنا أحمد بن عبيد قال أخبرنا أبو عبيدة عن عيسى بن يزيد بن بكر قال قال ابن عباس : خرجت مع عمر ، ثم ذكر الحديثَ نحوَ هذا .

[استعاذ منه النبي فما قال شعراً حتى مات]

وجدتُ في بعض الكتب عند عبد الله بن شَبيب عن الزُّبير بن بكار عن حُمَيد بن محمد ابن عبد العزيز الزُّهري عن أخيه إبراهيم بن محمد يرفَعه : أن رسول الله ﷺ نظر إلى زهير بن أبي سُلْمى وله مائة سنة فقال : «اللهم أعِذْني من شيطانه» فما لاك بيتاً حتى مات .

[خرج أبوه مع خاله وابن خاله لغزو طيىء فمنعاه حقه في المغنم]

قال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني : كان من حديث زهير وأهلِ بيته أنهم كانوا من مُزَينة ، وكان بنو عبد الله بن غَطَفان جيرانَهم ، وقِدْماً ولدتْهم بنو مُرَّة . وكان من أمرِ أبي سُلْمى أنه خرج وخالَه أَسْعَد بنَ الغَدِير بن مُرَّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض وابنَه كعبَ بن أسعد في ناسٍ من بني مُرَّة يُغِيرون على طيىء ، فأصابوا نَعَماً كثيرةً وأموالاً فرجعوا حتى انتَهوْا إلى أرضهم . فقال أبو سُلْمى لخاله أسعد وابنِ خاله كعبٍ : أَفْرِدا لي سَهْمي ، فأبَيا عليه ومنعاه حقَّه ، فكفَّ عنهما ؛ حتى إذا كان الليلُ أتى أُمَّه فقال : والذي أحلِف به لَتَقُومِنَّ إلى بعيرٍ من هذه الإبل فَلَتَقْعُدِنَّ عليه أو لأضربنَّ بسيفي تحت قُرْطَيْكِ . فقامت أُمُّه إلى

---

1 ديوانه : 234–236 .

2 الطلق : طلق اليدين بالعطاء . مزند : بخيل . وفي الديوان : غير مجلد وهو الحصان الذي لا يضرب للوصول إلى الغاية .

3 رواية الديوان :

كفضل جواد الخيل يسبق عفوه الـ ... ـسراع وإن يجهدن يجهد ويُبعِد .

بعير منها فاعتنقتْ سَنامه ، وساق بها أبو سُلْمى وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

وَيْلٌ لأجمالِ العجوز منِّي إذا دنوتُ ودنـــونَ منِّي
كأنَّني سَمَعْمَعٌ من جِنِّ

سَمَعْمَعٌ : لطيفُ الجسم قليلُ اللحم ، وساقَ الإبلَ وأُمَّه حتى انتهى إلى قومه مُزَيْنَةَ . فذلك حيث يقول : [من الكامل]

ولتَغْـــدُرَنْ إبِـــلٌ مجنَّبـــةٌ مـــن عندِ أَسْعدَ وابنِـــه كعبِ

مُجَنَّبة : مجنوبة .

الآكليْـــن صَـــرِيحَ قومِهمـــا أَكْلَ الحُبارى بُرْعُـــمَ الرُّطْبِ

البُرْعُم : شجرة ولها نَوْرٌ . قال : فلبِث فيهم حيناً ، ثم أقبل بمُزَينة مُغِيراً على بني ذُبْيان . حتى إذا مُزَيْنَةُ أَسْهَلَتْ وخلَّفتْ بلادَها ونظروا إلى أرض غَطَفانَ ، تطايروا عنه راجعين ، وتركوه وحدَه . فذلك حيث يقول : [من الكامل]

مَنْ يشتري فرساً لخيرٍ غَزْوُها وأَبَتْ عَشِيرةُ ربِّها أن تُسْهِلا

يعني أن تنزِل السَّهْلَ . قال : وأقبل حين رأى ذلك من مُزَيْنة حتى دخل في أخواله بني مُرَّة . فلم يزل هو وولدُه في بني عبد الله بن غَطَفان إلى اليوم .

[معلقته في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف]

وقصيدة زهير هذه أَعْنِي : [من الطويل]

أَمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ

قالها زهير في قَتْل وَرْد بن حابِس العَبْسي هَرِمَ بن ضَمْضَم المُرِّي الذي يقول فيه عَنترةُ وفي أخيه[1] : [من الكامل]

ولقد خَشِيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحربِ دائرةٌ على ابنَيْ ضَمْضَمِ

ويمدح بها هَرِمَ بنَ سِنان والحارثَ بن عوف بن سعد بن ذُبيان المُرِّيَّيْن لأنهما احتملا دِيتَه في مالهما ؛ وذلك قول زهير : [من الطويل]

سَعى ساعيـاً غَيْظِ بنِ مُـرَّةَ بعدما تَبَزَّلَ مـا بـين العَشِيرةِ بالدَّمِ[2]

يعني بني غيظ بن مُرة بن عوف بن سعد بن ذُبيان .

---

1 من معلقته .

2 تبذل بالدم : تشقق بسفك الدم .

قال الأَثْرَمُ أبو الحسن حدثني أبو عبيدة قال : كان وَرْدُ بنُ حابس العبسي قتل هَرِمَ بنَ ضَمْضَم المُري ، فتشاجر عبسٌ وذُبيان قبل الصلح ، وحلف حصين بن ضمضم ألا يغسِل رأسَه حتى يقتل وَرْدَ بنَ حابس أو رجلاً من بني عَبْس ثم من بني غالب ، ولم يُطْلِع على ذلك أحداً ، وقد حَمَل الحمالةَ الحارثُ بن عوف بن أبي حارثة ، وقيل بل أخوه حارثة بن سِنان . فأقبل رجلٌ من بني عبس ثم أحدُ بني مخزوم ، حتى نزل بحُصَيْن بن ضَمْضَم . فقال له حُصَيْن : مَنْ أنت أيها الرجل ؟ قال : عَبْسيٌّ . قال : من أيِّ عَبس ؟ فلم يزل يَنتسِب حتى انتسب إلى بني غالب ، فقتله حُصَيْن . وبلغ ذلك الحارثَ بنَ عوف وهَرِم بن سِنان فاشتدَّ عليهما ، وبلغ بني عَبْسٍ فركِبوا نحو الحارث . فلما بلَغه ركوبُهم إليه وما قد اشتد عليهم من قَتْلِ صاحبِهم وأنهم يريدون قَتْلَ الحارث ، بعث إليهم بمائة من الإبل معها ابنُه ، وقال للرسول : قل لهم : الإبلُ[1] أحبُّ إليكم أم أنفُسكم ؟ فأقبل الرسول حتى قال لهم ذلك . فقال لهم الربيع بن زِياد : يا قوم إن أخاكم قد أرسل إليكم : «الإبلُ أحبُّ إليكم أم ابني تَقتلونه مكانَ قتيلكم» . فقالوا نأخذ الإبل ونصالح قومَنا ، ونُتِمُّ الصُّلْحَ . فذلك حين يقول زهير يمدح الحارثَ وهَرِماً : [من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنـةٌ لم تَكَلَّمِ

وهي أول قصيدة مدح بها هَرِماً ، ثم تابع ذلك بعدُ .

[قصة تحمل الحارث بن عوف]

وقد أخبرني الحسين بن علي بهذه القصة ، وروايتُه أتمُّ من هذه ، قال : حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدثنا محمد بن إسحاق المسيَّبيّ قال حدثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال : قال الحارث بن عوف بن أبي حارثة : أتُراني أخطب إلى أحد فيردَّني ؟ قال نعم . قال : ومَن ذاك ؟ قال : أَوْسُ بنُ حارثة بن لأْم الطَّائيّ . فقال الحارث لغلامه : ارحَلْ بنا ، ففعل . فركبا حتى أتيا أَوْسَ بنَ حارثة في بلاده فوجداه في منزله . فلما رأى الحارثَ بنَ عوفٍ قال : مرحباً بك يا حارِ . قال : وبكَ . قال : ما جاء بك يا حارِ ؟ قال : جئتُك خاطباً . قال : لستَ هناك . فانصرف ولم يكلِّمْه . ودخل أوسٌ على امرأته مُغْضَباً وكانت من عبس . فقالت : مَنْ رَجُلٌ وقَفَ عليك فلم يُطِلْ ولم تكلِّمْه ؟ قال : ذاك سَيِّدُ العرب الحارث بن عوف بن أبي حارثة المُرِّي . قالت : فما لكَ لم تستنزله ؟ قال : إنه استحمَق . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني

1 ل : اللبن .

خاطباً . قالت : أفتريد أن تزوج بناتِك ؟ قال نعم . قالت : فإذا لم تُزَوِّج سَيِّدَ العرب فمَنْ ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فتدارَكْ ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تَلْحَقُه فتردُّه . قال : وكيف وقد فَرَط مني ما فَرَط إليه ؟ قالت تقول له : إنك لَقِيتَني مُغْضَباً بأمرٍ لم تقدِّم[1] فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعتَ ، فانصرِفْ ولك عندي كلُّ ما أحببتَ فإنه سيفعل . فرَكِب في أثَرِهما . قال خارجةُ بن سِنان : فوالله إني لأسيرُ إذ حانت مني التفاتةٌ فرأيتُه ، فأقبلتُ على الحارث وما يُكَلِّمني غَماً ، فقلت له : هذا أوسُ بن حارثة في أثَرِنا . قال : وما نصنع به ؟ امْضِ ! . فلما رآنا لا نقِف عليه صاح : يا حار ارْبَعْ عليَّ ساعةً . فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسروراً . فبلغَني أن أوْساً لما دخل منزلَه قال لزوجته ادْعِي لي فلانةَ (لأكبر بناته) فأتته ، فقال : يا بُنية ، هذا الحارث بن عوف سَيِّدٌ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أُزوِّجَك منه فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأني امرأة في وجهي ردَّة[2] ، وفي خُلُقي بعضُ العُهدة[3] ، ولستُ بابنة عمِّه فيرعى رَحِمي ، وليس بجارِك في البلد فيَسْتَحِيَ منك ، ولا آمَنُ أن يرى منِّي ما يَكره فيطلِّقَني فيكونَ عليَّ في ذلك ما فيه . قال : قُومي بارك الله عليكِ . ادْعِي لي فلانةَ (لابنتِه الوُسْطى) ؛ فدعتْها ، ثم قال لها مِثْلَ قوله لأختها ؛ فأجابته بمثل جوابها وقالت : إني خرقاء وليست بيدي صِناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلِّقني فيكونَ عليَّ في ذلك ما تَعْلَم ، وليس بابن عمي فيرعَى حقِّي ، ولا جارِكَ في بلدك فيَسْتحْيِيَك . قال : قُومي بارك الله عليكِ . ادْعِي لي بُهَيْسةَ (يعني الصغرى) ، فأُتِيَ بها فقال لها كما قال لهما . فقالت : أنت وذاك . فقال لها : إني قد عرضت ذلك على أختيكِ فأبَتاه . فقالت ، ولم يذكر لها مقالَتيْهما ، لكني والله الجميلةُ وجهاً ، الصَّناعُ يداً ، الرفيعةُ خُلُقاً ، الحسيبةُ أباً ، فإن طلَّقني فلا أَخْلَف اللهُ عليه بخير . فقال : بارك الله عليكِ . ثم خرج إلينا فقال : قد زوَّجتُك يا حارثُ بُهَيْسَةَ بنتَ أَوْس . قال : قد قَبِلتُ . فأمر أمَّها أن تُهَيِّئها وتُصْلِح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضُرِب له ، وأنزله إيَّاه . فلما هُيِّئَتْ بعث بها إليه . فلما أُدخِلت إليه لبِث هُنَيْهة ثم خرج إليَّ . فقلت : أَفَرَغْتَ من شأنك ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لما مَدَدْتُ يدي إليها قالت : مَهْ ! أعند أبي وإخوتي !! هذا والله مالا يكون . قال : فأمر بالرِّحلة فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسِرْنا ما شاء الله . ثم قال لي : تقدمْ فتقدمتُ ، وعدَل بها عن الطريق ، فما لبِثَ أن لَحِق بي . فقلت :

---

1 ل : تقدر .

2 ردة : قبح مع شيء من الجمال .

3 العهدة : الضعف .

أَفَرَغْتَ ؟ قال لا والله . قلت : ولِمَ ؟ قال : قالت لي : أكما يُفْعَل بالأَمَةِ الجليبة أو السَّبِيَّةِ الأَخِيذة ! لا والله حتى تَنحَرَ الجُزُرَ ، وتذبح الغنمَ ، وتدعُوَ العربَ ، وتعمَلَ ما يُعْمل لمثلي . قلتُ : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، وأرجو أن تكون المرأة مُنْجِبةً إن شاء الله . فرحلنا حتى جئنا بلادَنا ، فأَحْضَرَ الإبلَ والغنمَ ، ثم دخل عليها وخرج إليَّ . فقلت : أَفَرَغْتَ ؟ قال لا . قلت : ولِمَ ؟ قال : دخلتُ عليها أُريدها ، وقلتُ لها قد أحضَرْنا من المال ما قد تَرَيْنَ ، فقالت : والله لقد ذكرتَ لي من الشرف ما لا أراه فيك . قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرُغ لنكاح النِّساء والعربُ تقتل بعضها ؟ (وذلك في أيام حرب عَبْس وذُبْيان) . قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : اخرُجْ إلى هؤلاء القوم فأَصْلِحْ بينهم ، ثم ارجعْ إلى أهلك فلن يفوتك . فقلت : والله إني لأرى هِمَّةً وعقلاً ، ولقد قالت قولاً . قال : فاخرُجْ بنا . فخرجنا حتى أَتَيْنا القومَ فمشَيْنا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ؛ فيؤخَذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الدِّياتِ ، فكانت ثلاثةَ آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذِّكْر . قال محمد بن عبد العزيز : فمُدِحوا بذلك ، وقال فيه زهير بن أبي سُلْمى قصيدتَه : [من الطويل]

أمِنْ أُمِّ أَوْفى دِمْنَةٌ لم تَكَلَّمِ

فذكرهما فيها فقال : [من الطويل]

تداركتما عَبْساً وذُبْيانَ بعدما ... تفانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْرَ مَنْشَمِ[1]

فأصبح يَجْري فيهمُ من تِلادكم ... مَغانمُ شَتَّى من إفالِ المُزَنَّمِ[2]

يُنَجِّمُها قومٌ لقومٍ غرامةً ... ولم يُهرِيقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ[3]

وذكر قيامهم في ذلك فقال : [من الطويل]

«صحا القلبُ عن سَلْمى وقد كاد لا يسلو»

وهي قصيدة يقول فيها[4] : [من الطويل]

---

1 المثل «دقوا بينهم عطر منشم» في الدرة الفاخرة وفصل المقال وجمهرة العسكري . ومنشم يقال : إنها امرأة من خزاعة كانت تبيع العطر كانوا إذا تقاتلوا اشتروا منها الكافور لموتاهم فتشاءموا منها . ويقال : أشأم من منشم . وهذه الأبيات من معلقة زهير .

2 إفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل . والمزنم فحل بعينه .

3 ينجمها : يقسطها .

4 ديوانه : 109 .

تداركتُما الأحلافَ قد ثُلَّ عرشُها وذُبْيانَ قـد زَلَّتْ بأقْدامِها النَّعْلُ[1]

وهذه لهم شرفٌ إلى الآن . ورجَع فدخل بها ، فولَدَتْ له بنين وبنات .

[مدح هرماً وأباه وإخوته]

ومما مدح به هَرِماً وأباه وإخوتَه وغُنِّيَ فيه قولُه[2] : [من البسيط]

صوت

إن الخليطَ أجَـدَّ البينَ فانفرقـا وعَلِقَ القلبُ مـن أسماءِ ما عَلِقا

وأخلفتْكَ ابنةُ البَكْرِي مـا وعدتْ فأصبحَ الحبلُ منهـا واهناً خَلَقا[3]

قامت تَبَدَّى بذي ضال لِتَحْزُنَني ولا محالـةَ أن يشتاقَ مَـنْ عشِقا

بجِيـدِ مُغْزِلَـةٍ أدْمـاءَ خاذِلـةٍ مـن الظباء تُراعـي شادناً خَرِقا

انفرق : انفعل ، من الفُرْقة . وأجَدَّ وجَدَّ بمعنىً واحد ، من الجِدِّ خلاف اللعب . والواهن والواهي واحد . والحبل : السَّبَبُ في المودّة . والضال : السِّدْرُ الصِّغارُ ، واحدتُها ضالَة . والجِيد : العُنُق . والمُغْزِلةُ : الظبية التي لها غزال . والأدْماء : البيضاء . والخاذلة : المقيمة على ولَدِها ولا تتبع الظباء . والشَّادِن : الذي قد شَدَن أي تحرك ولم يَقْوَ بعدُ . والخَرِق : الدَّهِشُ .

غَنَّى مالك في الأول والثاني من الأبيات خفيفَ رمَلٍ بالوُسطى ، وقيل إنه لابن جامع ، وقيل بل لحنُ ابن جامع بالبِنصر . وفي الثالث والرابع لابن المكِّي رملٌ صحيحٌ من روايتَيْ بَذْل والهشامي .

وفي هذه القصيدة يقول يمدح هَرِماً[4] : [من البسيط]

قـد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ والسائلـونَ إلى أبوابـه طُـرُقا

من يَلْقَ يومـاً على عِلاَّتـه هَرِماً يَلْقَ السماحةَ منـه والنَّدى خُلُقا

ليثٌ بعَثَّرَ يصطادُ اللُّيـوثَ إذا ما اللَّيْثُ كذَّبَ عن أقرانه صَدَقا[5]

---

1 الأحلاف : أسد وغطفان وطيء . وثل عرشها : مثل معناه هدم عرشها . انظر مجمع الميداني 1 : 153 وجمهرة العسكري 1 : 287 ومستقصى الزمخشري 2 : 34 . وزلت به النعل مثل آخر ، انظر مجمع الميداني 1 : 322 .

2 ديوانه : 32–35 .

3 واهناً في الديوان : واهياً .

4 الديوان : 49–54 .

5 الليوث في ل والديوان : الرجال . كذب : لم يصدق الحملة وتراجع .

يطعنُهُم ما ارتَمَوْا حتى إذا اطَّعنوا ضاربَ حتى إذا ما ضارَبوا اعتنقا

[رثاؤه سنان بن أبي حارثة]

ومن مدائحه إياهم قوله يمدح أبا هَرِم سِنانَ بن أبي حارثة . وذكر ابنُ الكلبي أنه هوِي امرأةً فاستُهيم بها ؛ وتَفاقم به ذلك حتى فُقِد فلم يُعرَف له خبر . فتزعمُ بنو مُرَّة أن الجِنَّ استطارتْه فأدخلتْه بلادَها ، واستعجلتْه لكَرَمه . وذكر أبو عبيدةَ أنه قد كان هَرِم حتى بلَغ مائةً وخمسين سنة ؛ فهام على وجهه خَرَفاً ففُقِد . قال : فزعمَ لي شيخٌ من علماء بني مُرَّة أنه خرج لحاجته بالليل فأبْعَد ، فلما رجع ضَل فهام طولَ ليلته حتى سقط فمات ، وتبع قومُه أثرَه فوجدوه ميتاً . فرثاه زهير بقوله[1] : [من الكامل]

إن الرَّزِيَّـــةَ لا رَزِيَّـــةَ مِثلُهـــا ما تبتغي غَطَفانُ يـــومَ أُضَلَّتِ
إن الرِّكابَ لتَبْتَغِـــي ذا مـــرَّةٍ بجَنُوب نَجْدَ إذا الشهورُ أُحَلَّتِ[2]
ينْعَيْـــنَ خيرَ الناس عنـــدَ شديدةٍ عَظُمَـــتْ مصيبتُه هنـاك وجَلَّتِ
ومُدَفَّـــعٍ ذاقَ الهَـــوانَ مُلَعَّـــنٍ راخيتَ عُقْـــدةَ حَبْلـهِ فانحلَّتِ[3]
ولِنعْمَ حشوُ الدِّرْعِ كان إذا سَطا نَهِلَتْ مـــن العَلَقِ الرِّماحُ وعَلَّتِ[4]

[أشعار له غنى فيها]

والذي فيه غناء من مدائح زهير قوله[5] : [من المتقارب]

صوت

أَمِنْ أُمِّ سَلْمى عرَفتَ الطُّلولا بذي حُـرُضٍ ماثلاتٍ مُثُولا[6]
بَلِـــينَ وتحسَبُ آياتِهـــن على فَرْطِ حَوْلَيْنِ رَقّاً مُحِيلا[7]

المائل هاهنا : اللاطِىءُ بالأرض ، وفي موضع آخر : المنتصب القائم . وذو حُرُضٍ : موضعٌ . والحرض : الأُشْنان . وآياتُهن : علاماتُهن . وفَرْطُ حَولَيْن : تَقَدُّمُ حولين ،

1 ديوانه : 334–335 .
2 نجد في الديوان : نخل . ذو مرة : ذو عقل ورأي مبرم . وإذا الشهور أُحلت : دخلت الأشهر التي يحل فيها الغزو .
3 حبله في ل والديوان : كبله .
4 الشطر الأول في الديوان : «ولنعم حشو الدرع كان لها إذاً» .
5 ديوانه : 193–194 .
6 أم سلمى في الديوان : آل ليلى . ذو حرض : موضع .
7 المحيل : الذي أتى عليه الحول .

والفارِط : المتقدِّم .

غنَّى في هذين البيتين إسحاق ، وله فيهما لحنان : أحدهما ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مَجرى البِنْصر ، من كتابه . والآخر ماخُوريٌّ من مجموع غِنائه ، وروايته عن الهِشامي . وفيهما للزُّبير بن دَحمان خفيف ثقيلٍ أول بالبِنْصر عن عمرو . يقول فيها : [من المتقارب]

إليك سِنانُ الغَداةَ الرَّحيـ ـلُ أُعْصِي النُّهاةَ وأُمْضِي الفُؤولا

جمع فأل ، أي لا أتطيَّر .

فلا تأمَنِي غَزْوَ أفْراسِه بَنِي وائلٍ واحْذَرِيه جَديلا

وكيف اتقاءُ امرىءٍ لا يؤو بُ بالقومِ في الغَزْوِ حتى يُطِيلا

ومن الغناء في مدائح هَرِم قوله[1] : [من البسيط]

صوت

قِفْ بالدِّيار التي لم يَعْفُها القِدَمُ بَلى وغيَّرها الأَرواحُ والدِّيَمُ

كأنَّ عيني وقد سالَ السَّلِيلُ بهم وعَبرَةٌ ما هُمُ لو أنّهم أَمَمُ

غَرْبٌ على بَكْرةٍ أو لؤلؤٌ قَلِقٌ في السِّلكِ خانَ به رَبَّاته النُّظُمُ

الدِّيَمُ : جمع دِيمَة وهو المطر الذي يَدُوم يوماً أو يومين مع سكون . سال السَّلِيلُ بهم : أي ساروا فيه سيراً سريعاً . والسَّلِيلُ : وادٍ . وقولُه وعبرةٌ ما هُمُ أي هم عبرةٌ ، وما هاهنا صلةٌ . لو أنهم أَمَم أي قَصْدٌ كنتُ أزوهم . والأَمَمُ : بين القريب والبعيد . والقَلِقُ : الذي لم يستقر لما انقطع الخيط . والنُّظُمُ : جمعٌ واحدها نِظام ، شبَّه دموعَه بلؤلؤ انقطع سلكه ، وبماءٍ سال من الغَرْب .

الغناءُ في هذه الأبيات رملٌ لابن المكي بالوسطى عن عمرو . وذكر عمرو أن لإسحاق فيها لحناً أيضاً . وذكر يونس أن فيها لحناً لمالك .

صوت[2]

[من الكامل المرفل]

لِمن الدِّيارُ بقُنَّةِ الحَجْرِ أقْوَيْنَ مُذْ حِجَجٍ ومُذْ دَهْرِ[3]

---

1 ديوانه : 145–148 .

2 ديوانه : 86–95 .

3 الحجر : موضع .

لَعــبُ الرِّيـاحُ بهـا وغَيَّرها بَعْـدِي سَوافِي الرِّيحِ والقَطْرِ[1]
دَعْ ذا وعَـدِّ القولَ في هَرِمٍ خيرِ الكُهـولِ وسَيِّـدِ الحَضْرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ كنتَ المُنَـوِّرَ ليلـةَ البـدرِ[2]

القُنَّةُ : الجبل الذي ليس بمنتشر . أقْوَيْنَ : خَلَوْنَ . والسَّوافِي : ما تَسْفِي الرياحُ . قال : والقَطْرُ مخفوضةٌ بنَسْقه على الرِّيح ، والقطرُ لا سَوافي له . وهذا تفعله العرب في المجاورة ، وهو مثل قولهم : حُجْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ .

غنَّى في هذه الأبيات سائبُ خاثر من رواية حَماد عن أبيه ، ولم يجنِّسه . وفيه ثقيلٌ أولُ بالبِنصر نَسَبه عمرو بن بانةَ إلى معبد ، ونَسبَه غيرُه إلى سائب ، وإلى الأَوْسِيَّة مما ذكر حَبَشٌ . قال : وهي من قِيان الحجاز القدائم مولاةٌ للأَوْسِ .

ومنها قوله يمدح سِنانَ بن أبي حارثة[3] : [من الطويل]

صوت

صَحا القلبُ عن سَلْمى وقد كاد لا يَسْلُو وأَقْفَرَ مـن سَلْمى التَّعانِيقُ فالثِّقْلُ[4]
وقد كنتُ مـن سَلْمى سِنِينَ ثمانياً على صِيرِ أَمْـرٍ مـا يمُرُّ وما يَحْلُو
وكنتُ إذا مـا جئتُ يوماً لحاجةٍ مَضَتْ وأَجمَّتْ حاجةُ الغَدِ ما تَحْلو
وكلُّ محـبٍّ أَحدثَ النأيُ عندَه سُلُوَّ فـؤادٍ غيرَ حُبِّكِ مـا يَسْلُو
تأوَّبَني ذِكْـرُ الأحِبَّـةِ بعدَ مـا هَجَعْتُ ودوني قُلَّةُ الحَزْنِ فالرَّمْلُ
فأقسمتُ جَهْـداً بالمنازلِ من مِنىً ومـا سُحِفَتْ فيـه المَقادِيمُ والقَمْلُ
لأَرْتَحِلَـنْ بالفجـرِ ثـم لأَدْأَبَنْ إلى الليـلِ إلاَّ أن يُعَرِّجَني طِفْلُ
وهـل يُنبِتُ الخَطِّـيَّ إلا وَشِيجُه وتُغْـرَسُ إلا في مَنابتهـا النَّخْلُ

التَّعانِيقُ والثِّقْلُ : موضعان . ويُروى : فالنَّخْل . وقولُه على صِيرِ أمرٍ : أي على شَرَف أمر . وأجَمَّتْ : دَنَتْ . وتأوبني : أتاني ليلاً . والتأويب : سَيْرُ يومٍ إلى الليل . سُحِفَتْ : حُلِقَتْ ، يقال سَحَف رأسَه وسَبَتَه وجَلَطَهُ : حَلَقَه . وقولُه «يُعَرجني طِفْلٌ» قال يقال الطفل : الليل ، ويقال الطِّفْلُ : مَغِيبُ الشمس ، وقال أبو عبيدة : الطفل : الحَزْنُ ،

1 الريح في الديوان : المور وهو التراب .
2 المنور في الديوان : المنير لليلة .
3 الديوان : 96–115 .
4 التعانيق والثِقل : أودية .

وإيقادُه نارَ التَّحْيير . والخَطِّيُّ : رِماحٌ نَسَبَها إلى الخَط وهي من جزيرة بالبحرين تُرْفَأ إليها سُفُنُ الرماح . والوشيج : القَنا واحدُها وَشِيجةٌ . والوُشُوجُ : دخولُ الشيء بعضِه في بعض .

غنَّى إبراهيمُ الموصلي في الأول والثاني ثقيلاً أول بالبنصر من رواية الهشامي وعمرو . وغنَّى إبراهيم أيضاً في السادس والسابع والثامن خفيفَ ثقيلٍ . وفي الثالث لمعبد خفيفُ ثقيلٍ . ولعلويه في السابع والثامن خفيف رملٍ . وذكر حبشٌ أن لإبراهيم في الثامن لحناً ماخُورياً .

ومن الغناء في مدائحه هَرِماً قوله[1] : [من الوافر]

صوت

لِمَـن طَلَـلٌ برامـةَ لا يَرِيـمُ عَفـا وأحالَـه عَهْـدٌ قديمُ[2]
تَطالَعُنـي خيـالاتٌ لسَلْمى كما يَتطالَـعُ الدَّيْـنَ الغَرِيمُ

غَناه دحمان ثانيَ ثقيلٍ بالبِنصر عن عمرو . وعَفا : درس هاهنا ، وفي موضع آخر : كثُر ، وهو من الأضداد . وخيالاتٌ : جمع خيال .

[مدح عمر شعره في هرم بن سنان]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحبيب بن نصر المهلَّبي قالا حدثنا عمر بن شَبَّة . وقال المهلَّبي في خبرٍ له عن الأصمعي قال : أُنشِد عمرُ بن الخطاب قولَ زهير في هَرِم بن سِنان يمدحه : [من الكامل]

دَعْ ذا وعَدِّ القـولَ في هَرِمٍ خيرِ الكهـولِ وسيِّـدِ الحَضْرِ
لو كنتَ من شيءٍ سوى بَشَرٍ كنتَ المنـوِّرَ ليلـةَ البـدرِ
ولأنتَ أَوْصَلُ مَنْ سَمِعتُ به لِشَوابِـكِ الأرحـام والصِّهْرِ
ولَنِعْمَ حَشْوُ الدِّرعِ أنـتَ إذا دُعِيَتْ نَـزالِ ولُجَّ في الذُّعْرِ
وأراك تَفْرِي مـا خَلَقْتَ وبعـ ـضُ القومِ يخلقُ ثم لا يَفْرِي
أثْني عليكَ بمـا علمتُ وما أُسْلفتَ في النَّجَداتِ من ذِكْرِ
والسِّتْرُ دونَ الفاحشاتِ ولا يلقاكَ دونَ الخيرِ مـن سِتْرِ

فقال عمر : ذلك رسولُ الله ﷺ .

---

1 ديوانه : 306–308 .

2 الشطر الثاني في الديوان : «عفا وخلا له عهد قديم» .

[خلد ذكر هرم بشعره]

قال وقال عمر لبعض ولَدِ هَرِمَ : أنشِدْني بعضَ مَدْحِ زهيرٍ أباك ، فأنشده . فقال عمر : إن كان لَيُحْسِن فيكم القولَ . قال : ونحن والله إن كنّا لَنُحْسِن له العطاءَ . فقال : قد ذهب ما أعطيتموه وبَقيَ ما أعطاكم .

[حلف هرم أن يعطيه كلما لقيه]

قال : وبلغني أن هَرِماً كان قد حَلَف ألا يمدحه زُهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلِّمَ عليه إلا أعطاه : عَبْداً أو وَلِيدَةً أو فَرَساً . فاستحيا زهيرٌ مما كان يقبَل منه ، فكان إذا رآه في ملأ قال : عُموا صباحاً غيرَ هَرِمٍ ، وخيرَكم استثنيتُ . وروى المهلَّبي : وخيرَكم تركتُ .

[عمر يسأل عن الحلل التي كساه إياها هرم]

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال : قال عمر لابن زهير : ما فعلتِ الحُلَلُ التي كساها هَرِمٌ أباك ؟ قال : أبلاها الدهر . قال : لكنَّ الحُلَلَ التي كساها أبوك هَرِماً لم يُبْلِها الدَّهر . وقد ذكر الهيثمُ بنُ عدِي أن عائشةَ خاطبتْ بهذه المقالةِ بعضَ بناتِ زُهَيْر .

[مديح لم يسبق إليه]

وقال أبو زيد عمر بن شبة : ومما سَبَقَ فيه زهير في مدح هَرِمٍ ولم يسبقه إليه أحد قولُه : [من البسيط]

قد جعلَ المبتغون الخيرَ من هَرِمٍ ... والسائلونَ إلى أبوابه طُرُقا
مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلاَّته هَرِماً ... يَلْقَ السَّماحةَ منه والنَّدى خُلُقا
يطلبُ شأوَ امْرأين قَدَّما حَسَباً ... بَذَّا الملوكَ وبَذَّا هذه السُّوَقا
هو الجوادُ فإن يَلْحَقْ بشأوهما ... على تكاليفه فمِثْلُه لَحِقا
أو يسبقاه على ما كان من مَهَلٍ ... فمِثْلُ ما قَدما من صالحٍ سَبَقا

[مدح عبد الملك بن مروان شعره في آل أبي حارثة]

أخبرني الجوهري والمهلبي قالا حدثنا عمر بن شبة قال قال المدائني : قال عبد الملك بن مروان : ما يضرُّ مَنْ مُدِحَ بما مَدَح به زهيرٌ آل أبي حارثة من قوله : [من الطويل]

على مُكْثِريهم رِزْقُ مَنْ يَعْتَرِيهُمُ ... وعندَ المقلِّين السماحةُ والبَذْلُ[1]

ألا يَمْلِك أمورَ الناس (يعني الخلافة) . قال ثم قال : ما ترك منهم زهيرٌ غنِيّاً ولا فقيراً إلا وصفه ومدحه .

---

1 يعتريهم : يقصدهم .

[مدح عثمان بن عفان شعراً له]

وقال ابن الأعرابي قال أبو زياد الكلابي : أنشد عثمان بن عفان قولَ زهير : [من الطويل]

ومهما تكن عند امرىءٍ من خَلِيقةٍ وإن خالَها تخفى على الناس تُعْلَمِ

فقال : أحسن زهيرٌ وصدَق ، ولو أن رجلاً دخل بيتاً في جوف بيت لتحدث به الناس . قال وقال النبي ﷺ : «لا تَعْمَلْ عَمَلاً تَكْرَهُ أن يُتَحَدَّثَ عنك به» .

[تمثل عروة بن الزُّبير ببيت له]

قال وقال علي بن محمد المدائني حدثني ابن جَعْدويه : أنَّ عُروةَ بن الزُّبير لَحِقَ بعبد الملك بن مروان بعد قَتْلِ أخيه عبدِ الله بن الزُّبير . فكان إذا دخل إليه منفرداً أكرمه ، وإذا دخل عليه وعنده أهل الشام استخفَّ به . فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ، بئس المَزورُ أنت ؛ تُكْرِم ضيفَك في الخَلا ، وتُهِينه في المَلا ، وقال : لله دَر زهير حيث يقول[1] : [من الوافر]

فقَرِّي في بلادكِ إن قوماً متى يَدَعُوا بلادَهُمُ يَهونوا

ثم استأذنه في الرُّجوع إلى المدينة ، فقَضى حوائجَه وأذِن له . وهذا البيت من قصيدة لزهير قالها في بني تميم ، وقد بلغه أنها حَشَدَتْ لغزو غَطَفان ؛ أولها : [من الوافر]

أَلا أبلِغْ لديك بَني تَمِيمٍ وقد يأتيك بالخبرِ الظَّنُونُ

الظَّنون : الذي لستَ منه على ثقة . والظنِين : المُتَّهَم .

[شعره في الحارث بن ورقاء عندما أخذ إبله وغلامه]

وقال ابن الأعرابي : كان الحارث بن ورقاء الصَّيْداوي من بني أَسَد أغار على بني عبد الله بن غَطَفان فغَنِم فاستاق[2] إبلَ زهير وراعيَه يساراً . فقال زهير[3] : [من البسيط]

بان الخَلِيطُ ولم يأْوُوا لمن تركوا وزوّدوكَ اشتياقاً أيَّةً سَلَكوا[4]

وهي طويلة يقول فيها :

لئن حَلَلْتَ بجَوٍّ في بَني أسَدٍ في دِين عمرو وحالت بيننا فَدَكُ[5]

لَيأتِيَنَّك منّي مَنْطِقٌ قَذَعٌ باقٍ كما دَنَّسَ القُبْطِيَّةَ الوَدَكُ[6]

---

1 ديوانه : 192 وفيه «فحلّي» .

2 فاستاق في ل : فاستخف .

3 ديوانه : 164–183 .

4 لم يأووا : لم يرحموا .

5 جو : واد . وفي دين عمرو : أي في طاعته .

6 قذع : قبيح . والقبطية : ثياب كتان بيض . الودك : الدسم .

فاردُدْ يَسراً ولا تَعْنُف عليه ولا تَمْعَكْ بعِرضِك إنَّ الغادر المَعكُ[1]
ولا تكونَـــنْ كأقـوامٍ عَلِمْتُهُمُ يَلُوُون ما عندهم حتى إذا نُهِكُوا[2]
طابت نفوسُهمُ عن حقٍّ خَصْمِهِمُ مخافةَ الشَّرِّ وارتدُّوا لمـا تَرَكوا

وفي هذه القصيدة مما يغنَّى فيه : [من البسيط]

صوت

أَهْوى لهـا أسْفَعُ الخدَّين مُطَّرِقٌ رِيشَ القوادم لم يُنْصَبْ له شَرَكُ[3]
وقـد أكـونُ أمامَ الحـي تحمِلُني جَرْداءُ لا فَحَجٌ فيها ولا صَكَكُ

أهوى لها ، يَعني القطاة تقدم وصفُه إياها ، صقرٌ . ورواه الأصمعي : «هوى لها» وقال : هوى : انقض ، وأهوى : أوفى . ومُطَّرِقٌ : ريشُه بعضُه على بعض ليس بمنتشر ، وهو أعتقُ له . وقوله لم يُنْصَب له شَرَكٌ : أي لم يُصْطَدْ ولم يُذَلَّل . والقوادِم : العشرُ المتقدمات . والفَحَجُ : تباعُدُ ما بين الفخذين . والصَّكَكُ : اصطكاك العُرْقُوبين في الدواب ، وفي الناسِ الركبتين . قال : فلما أُنْشد الحارثُ هذا الشعرَ بعث بالغلام إلى زهير . وقيل : بل أُنْشد قولَ زُهير[4] : [من الوافر]

تَعَلَّـمْ أنَّ شرَّ الناسِ حَـيٌّ يُنـادَى في شعارهـم يَسارُ[5]
ولـولا عَسْبُه لرَدَدْتُمـوه وشَرُّ مَنِيحَـة أَيْـرٌ مُعـارُ[6]
إذا جَمَحـتْ نساؤكُـم إليـه أشظَّ كأنّـه مَسَدٌ مُغـارُ[7]
يُبَـرْبِرُ حين يعـدو من بعيدٍ إليهـا وهـو قَبْقـابٌ قُطارُ[8]

فرده عليه . فلامه قومه وقالوا له : اقتله ولا تُرْسِلْ به إليه ، فأبى عليهم . فقال زهير عند ذلك[9] : [من البسيط]

---

1 المعك : المطل .
2 نهكوا : شتموا .
3 مطرق : ريشه ليس منتشراً .
4 ديوانه : 300–301 .
5 الشعار : علامة القوم في سفرهم .
6 منيحة : عارية .
7 المسد : الحبل . والمغار : الشديد الفتل . وأشظ : أنعظ .
8 يبربر : يصوت . القبقاب : من القبقبة وهي هدير الفحل . وقطار : صفة من القطر أي يسيل .
9 ديوانه : 308 .

أبلغْ لديك بَنـــي الصَّيْداء كُلَّهُمُ أن يَساراً أتانـــا غيـــرَ مَغْلُولِ
ولا مُهانٍ ولكن عنـــدَ ذي كَـرمٍ وفي حِبـــالِ وَفيٍّ العَهْـدِ مأمولِ

وهي قصيدة . فقال الحارث لقومه : أيُّما أصْلَحُ : ما فعلتُ أو ما أردتُم ؟ قالوا : بل ما فعلتَ .

[يمدح بني غطفان وبني مرة]

قال ابن الأعرابي وحدثني أبو زياد الكِلابي : أن زهيراً وأباه وولدَه كانوا في بني عبد الله بن غَطَفان ، ومنزلهم اليوم بالحاجِر ، وكانوا فيه في الجاهلية . وكان أبو سلمى تزوج إلى رجل من بَني فهْر بن مرة بن عَوف بن سعد بن ذُبيان يقال له الغَدير ـ والغدير هو أبو بشامة الشاعر ، فولَدت له زهيراً وأَوْساً ، ووُلِد لزهير من امرأة من بني سُحَيْم . وكان زهير يذكر في شعره بني مرة وغَطَفان ويمدحهم . وكان زهير في الجاهلية سيِّداً كثيرَ المال حليماً معرفاً بالورع .

[هجا بني عليم ثم ندم]

قال وحدثني حماد الراوية عن سعيد الراوية عن سعيد بن عمرو بن سعيد : أنه بلغه أن زهيراً هجا آلَ بيتٍ من كلب من بني عليم بن جَناب ، وكان بلغه عنهم شيءٌ من وراء وَراء ، وكان رجل من بني عبد الله بن غَطَفان أتى بني عُلَيم ، وأكرموه لما نزل بهم وأحسنوا جِوارَه ، وكان رجلاً مُولَعاً بالقمار فنهَوْه عنه ، فأبى إلا المقامرة . قُمِرَ مرةً فردوا عليه ، ثم قُمِر أُخرى فردوا عليه ، ثم قُمِر الثالثة فلم يردُّوا عليه ، فترحَّل عنهم وشكا ما صُنِع به إلى زهير ، والعرب حينئذٍ يتَّقُون الشعراء اتقاءً شديداً . فقال : ما خرجتُ في ليلة ظَلْماء إلا خِفْتُ أن يُصيبني الله بعقوبة لهجائي قوماً ظلمتُهم . قال : والذي هجاهم به قوله[1] : [من الوافر]

عَفـا مـــن آلِ فاطمـةَ الجِواءِ فيُمْـــنٌ فالقَـــوادِمُ فالحِساءِ[2]
فـذُو هاشٍ فمِيثُ عُرَيِّناتٍ عفَتْهـــا الرِّيح بعدَك والسماءِ
جَرَتْ سُنُحاً فقلتُ لها أَجيزي نَـــوىً مَشمُولةً فمتى اللقاءِ
كأنَّ أوابـــدَ الثِّيران فيهـــا هجائـــنُ في مَغابِنهـــا الطِّلاءِ
لقـــد طالبتُهـــا ولكلِّ شيءٍ وإن طالـــت لَجاجتُـــه انتهاءِ

1 ديوانه : 56–72 .

2 هذا موضع وكذلك ذو هاش وعريتنات في البيت التالي .

وقـد أغْـدو على شَرْبٍ كرامٍ نَشاوى واجديـن لمـا نشاءُ
لهـم طـاسٌ وراوُوقٌ ومِسْكٌ تُعَـلُّ بـه جلودُهُـم وماءُ[1]

الجِواءُ : أرض . ويُمْنٌ والقوادمُ : في بلاد غَطَفان . والمِيثُ : جمع مَيْثاء . قال أبو عمرو : إذا كان مَسِيلُ الماء مثل نصف الوادي أو ثُلُثَيْه فهي مَيْثاء . والسماء هاهنا : المطر . والسانح : ما أقْبَل من شِمالك يريد يمينك . والبارِحُ : ضِدُّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونس بن حبيب يسأل رؤبة عن السانح والبارح فقال : السانح : ما ولاَّك ميامِنَه . والبارح : ما ولاَّك مشائمه . وأجيزي : انْفُذِي . قال الأصمعي : يقال أجزتُ الواديَ إذ قطعتَه وخلَّفتَه ، وجُزْتُه : إذا سرتَ فيه فتجاوزتَه . والأوابِدُ : الوحشية . والهجائن : إبلٌ بِيضٌ . والمغابِن : الأرفاغ ، واحدها مَغْبِنٌ . ومشمولةٌ : سريعة الانكشاف . أخذه من الريح الشَّمال إذا كانت مع السحاب لم يلبث أن يذهب . وجعل مشمولة هاهنا في النوى لأن نيتهم كانت سريعة ، فأَجْرى ذلك مُجْرى الذَّمِّ ، فهذه السُّنُح .

غنى في الأول والثاني والسابع معبد ثقيلاً أول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر علي بن يحيى أن للغريض فيها خفيفَ ثقيل . وذكر حبشٌ أن فيه للهُذَلي ثانيَ ثقيلٍ بالوسطى . وفي الثالث والرابع مع بيت ليس لزهير أضيف إلى الشعر وهو : [من الوافر]

بنفسي مَـنْ تذكُّره سَقامٌ أعالجـه ومَطْلَبُـه عَنـاء

في هذه الأبيات الثلاثة خفيفُ ثقيل أول بالوسطى في مَجراها ، وذكر إسحاق أنه للغريض ، وغيرُه ينسبُه إلى ابن سريج وإلى ابن عائشة . وفي الرابع والخامس لعلويه رمل لا يُشك فيه من غِنائه .

[خاله أورثه الشعر]

وقال ابن الأعرابي حدثني أبو زِياد ، وذكر بعضَ هذا الخبر إسحاقُ الموصلي عن حماد الراوية وعن ابن الكلبي عن أبيه قال : وكان بشامة بن الغدير خال [زهير بن] أبي سُلمى ، وكان زهير منقطعاً إليه وكان معجباً بشعره . وكان بشامة رجلاً مُقعَداً ولم يكن له ولد ، وكان مُكثِراً من المال ، ومن أجل ذلك نزل إلى هذا البيت في غَطَفان لخُؤولتهم . وكان بشامةُ أحزم الناس رأياً ، وكانت غطفان إذا أرادوا أن يغزُوا أَتَوْه فاستشاروه وصَدَروا عن رأيه ، فإذا رجَعوا قسَموا له مِثْلَ ما يَقسِمون لأفضلهم ، فمن أجل ذلك كثُر ماله . وكان أسعدَ غطفان في زمانه . فلما حضره الموت جعل يَقْسِم مالَه في أهل بيته وبين بني إخوته . فأتاه زهير فقال : يا خالاه لو

1 طاسٌ في الديوان : راح .

قسمتَ لي من مالك ! فقال : والله يابن أختي لقد قَسَمْتُ لك أفضل ذلك وأجْزَله . قال : وما هو ؟ قال : شعري وَرِثْنِيه . وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعرَ ، وقد كان أولَ ما قال . فقال له زهير : الشعر شيءٌ ما قلتَه فكيف تعتد به عليَّ ؟ فقال له بشامة : ومن أين جئتَ بهذا الشعر ؟ لعلّك ترى أنك جئتَ به من مُزَيْنة ، وقد عَلِمت العرب أن حَصاتَها وعينَ مائها في الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم ، وقد رويتَه عني . وأحذاه[1] نصيباً من ماله ومات .

[شعر بشامة بن الغدير]

وبشامة شاعر مجيد وهو الذي يقول : [من البسيط]

صوت

أَلا تَرَيْـنَ وقـد قطَّعتِني قِطَعاً ... ماذا من الفَوْتِ بين البخلِ والجودِ
إلا يكن وَرَقٌ يومـاً أراحُ بـه ... للخابِطـين فإني لَيِّـنُ العُودِ[2]

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أول بالبنصر ، وقيل : إنه لإبراهيم .

[طلق زوجته أم أوفى ثم ندم]

قال ابن الأعرابي : أُمُّ أَوْفى التي ذكرها زهير في شعره كانت امرأته ، فولدتْ منه أولاداً ماتوا ، ثم تزوج بعد ذلك امرأةً أُخرى ، وهي أُم ابنَيْه كَعْب وبُجَيْر ؛ فغارت من ذلك وآذتْهُ ، فطلَّقها ثم نَدِم فقال فيها[3] : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ والخطـوبُ مُغيِّراتٌ ... وفي طـول المُعاشرةِ التَّقالي
لقـد باليْتُ مَظْعَـنَ أُمِّ أَوْفى ... ولكـن أُمُّ أَوْفـى مـا تُبـالي
فأمـا إذ نأيـتِ فـلا تقولي ... لـذي صِهْرٍ أذِلْتُ ولم تُذالي[4]
أصبتُ بَنِيَّ منكِ ونِلْتِ مني ... مـن اللذاتِ والخُلَـلِ الغَوالي

[رثاء ابنه سالم]

وقال ابن الأعرابي : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، جميل الوجه حسن الشَّعر . فأهدى رجلٌ إلى زهير بُرْدَين ، فلَبِسهما الفتى وركِب فرساً له ، فمرَّ بامرأةٍ من العرب بماء يقال له النُّتاءة ، فقالت : ما رأيتُ كاليوم قط رجلاً ولا بُرْدَيْن ولا فرساً . فعثَر به الفرسُ فاندقَّتْ عُنُقُه

1 أحذاه : أعطاه .
2 يقال : راحت الريح الشيء إذا أصابته . ويقال : ضبط الشجرة إذا شدها ونفض ورقها .
3 ديوانه : 342 .
4 أذالها : هزلها وأهانها .

وعُنُقُ الفَرس وانشقَّ البردان . فقال زهير يرثيه[1] : [من الطويل]

رأتْ رجلاً لاقى من العيش غِبطةً وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشَبَّ له فيها بَنُونَ وتُوبِعتْ سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبحَ مَحبوراً يُنَظِّرُ حولَه بغِبْطته لو أنَّ ذلك دائمُ[2]
وعندي من الأيامِ ما ليس عنده فقلتُ تَعَلَّمْ أنما أنت حالمُ
لعلكِ يوماً أن تُراعي بفاجعٍ كما راعني يوم النُّتاءةِ سالمُ

[هو وقومه شعراء]

قال ابن الأعرابي : كان لزهيرٍ في الشعر ما لم يكن لغيره ، وكان أبوه شاعراً ، وخالُه شاعراً ، وأُختُه سَلْمى شاعرةً ، وابناهُ كعبٌ وبُجَيْر شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرةً ، وهي القائلة تَرثيه : [من الوافر]

وما يُغْني تَوَقِّي الموتِ شيئاً ولا عَقْدُ التَّمِيم ولا الغَضارُ[3]

والغضار : كان أحدهم إذا خَشِيَ على نفسه يعلِّق في عُنُقه خَرَفاً أخضر .

[من الوافر]

إذا لاقى منيَّتَه فأمْسى يُساقُ به وقد حَقَّ الحِذارُ
ولاقاهُ من الأيامِ يومٌ كما من قَبْلُ لم يَخْلُدْ قُدارُ[4]

وابن ابنِه المُضَرَّب[5] بن كعب بن زهير شاعرٌ ، وهو القائل : [من البسيط]

إني لأحبسُ نفسي وهي صاديةٌ عن مصعبٍ ولقد بانت لِيَ الطُّرُقُ
رُعْوى عليه كما أُرْعى على هَرِمٍ جَدّي زهير وفينا ذلك الخُلُقُ[6]
مَدْحُ الملوك وسَعْيٌ في مَسَرَّتهم ثم الغِنى ويدُ الممدوحِ تنطلقُ

---

1 ديوانه : 341 .
2 محبور : منعم .
3 الموت في ل : المرء .
4 قدار : عاقر الناقة .
5 لقب المضرب لأنه شبب بامرأة من بني أسد فضربه أخوها مائة ضربة بالسيف ولم يمت وأخذ الدية (الشعر والشعراء 80–81) .
6 رعوى عليه : بقيا عليه .

[سبب تقديمه]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلام قال : مَنْ قَدَّم زُهَيْراً احتج بأنه كان أحسنَهم شعراً ، وأبعدَهم من سُخْفٍ ، وأجمعهم لكثير من المعاني في قليلٍ من الألفاظ[1] ، وأشدهم مبالغةً في المدح ، وأكثرهم أمثالاً في شعره .

[مرثية ابنه سالم]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الأصمعي قال : كان لزهير ابنٌ يقال له سالم ، وكان من أُمِّ كعب بن زهير ؛ فمات أو قُتل ، فجزِع عليه كعب[2] جزعاً شديداً ، فلامته امرأته وقالت : كأنه لم يُصَبْ غيرُك من الناس ! فقال : [من الطويل]

رأتْ رجلاً لاقى من العيشِ غِبطةً ... وأخطأه فيها الأمورُ العظائمُ
وشَبَّ له فيها بَنُونَ وتُوبعتْ ... سلامةُ أعوامٍ له وغنائمُ
فأصبحَ مجبوراً ينظِّرُ حولَه ... بغبطته لو أنَّ ذلك دائمُ
وعندي من الأيامِ ما ليس عنده ... فقلتُ له مهلاً فإنّكَ حالِمُ
لعلك يوماً أن تُراعِي بفاجعٍ ... كما راعني يومَ النُّتاءةِ سالمُ

صوت

[من الطويل]

عَزَفْتَ ولم تَصْرِمْ وأنتَ صَرومُ ... وكيفَ تَصابي من يقال حليمُ
صَدَدتَ فأطْوَلْتَ الصدودَ ولا أرى ... وِصالاً على طول الصُّدودِ يدومُ

عروضه من الطويل . عزفت عن الشيء : إذا تركتَه وأَبْتَه نفسُك . قال ابن الأعرابي : يقول لم تَصْرِم صُرْمَ بَتاتٍ . ولكن صَرَمْتَ صُرْمَ دَلالٍ . وأطْوَلتَ الصدودَ أي أطلته . وإنما قال هذا ضرورةً . الشعر للمَرّار بن سعيد الفَقْعَسي . والغِناء لإسحاقَ رمل .

---

1 ل : المنطق .

2 تقدم آنفاً أن الشعر لزهير وهو في ديوانه .

[172] ـ ذكر المرَّار وخبره ونسبه[1]

[نسبه]

هو المَرَّار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نَضْلةَ بن الأَشْيَم بن جَحْوان بن فَقْعَس بن طريف بن عمرو بن قُعَين بن الحارث بن ثَعْلبةَ بن ذُودان بن أَسَد بن خُزَيْمة بن مُدْرِكةَ بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . وأُمُّ المَرار بنتُ مَروان بن مُنقِذ الذي أغار على بني عامر بثَهْلان فقتل منهم مائةً بحبيب بن مُنْقِذ عمه ، وكانوا قتلوه .

وكان المرار قصيراً مُفْرِطَ القِصَرِ ضئيلَ الجسم . وفي ذلك يقول : [من الرجز]

عَـدُّونِيَ الثعلـبَ عنـدَ العَـددِ حتى استثاروا بِيَ إحدى الإحَدِ[2]

لَيْثـاً هِزَبْـراً ذا سلاحٍ مُعْتَـدِي يَرْمِـي بطَـرْفٍ كالحريـقِ المُوقَدِ

[يهاجي المساور بن هند]

وكان يُهاجي المُساوِر بن هند بن قيس بن زهير بن جَذيمة العبسي . وفيه يقول المرّار : [من الكامل]

شَقِيَتْ بنـو سَعْـدٍ بشِعْرِ مُساوِرٍ إن الشقـيَّ بكـل حبـلٍ يُخْنَقُ[3]

والمساور القائل فيه : [من البسيط]

مـا سرَّني أن أُمِّي مـن بَني أَسَدٍ وأنَّ ربِّـيَ يُنْجِينـي مـن النـارِ

أو أنّهـم زوجّـوني مـن بناتهمُ وأنَّ لي كلَّ يـومٍ ألـفَ دينـارِ

والمَرَّار من مخضرمي الدولتين . وقد قيل : إنه لم يُدرِك الدولةَ العباسية .

[من مخضرمي الدولتين]

وقال هذه القصيدة وهو محبوس . ذكر محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابي عن المُفَضَّل والكوفيين : أن المَرَّار بن سعيد كان أتى حُصَيْنَ بن بَراق من بني عبس ، فوقف على

---

1 للمرار الفقعسي ترجمة في الخزانة 4 : 288 والسمط : 231 والمؤتلف : 176 ومعجم المرزباني : 408 والشعر والشعراء : 588 .

2 إحدى الإحد : الأمر العظيم .

3 المثل «إن الشقي بكل حبل يخنق» في جمهرة العسكري 1 : 137 .

بيوتهم فجعل يحدِّث نساءهم ويُنشِدهنَّ الشعرَ . فنظروا إليه وهم مجتمعون على الماء فظنُّوا أنه يَعِظُهُنَّ . ثم انصرف من عند النساء حتى وقف على الرجال . فقال له بعضهم : أنت يا مَرَّارُ تَقِفُ على أبياتنا وتُنشد النساءَ الشعر ؟ فقال : إنما كنتُ أسألهن . فجرى بينه وبينهم كلامٌ غليظ ، فوثَبوا عليه وضرَبوه وعقَروا بعيره ؛ فانصرف من عندهم إلى بني فَقْعَس فأخبرهم الخبرَ ، فركبوا معه حتى أَتَوْا بَني عَبْس فقاتلوهم فهزموهم ، وفقأتْ بنو فقعس من بني عبس عيناً وقتلوا رجلاً ثم انصرفوا . فحمل أبو شداد النصري لبني عباس مائتي بعير وغلَّظوا عليهم في الدية . ثم إن بدر بن سعيد أخا المَرار قال : قد استوفتْ عبس حقَّها ، فعلامَ أترك ضَرْبَ أخي وعَقْرَ جَمَله ! فخرج حتى أتى جِمالاً لبني عبس في المرعى فرمى بعضَها فعقَرها ثم انصرف . فقال للمرَّار : إنه والله ما يُقْنَعُ بهذا ولكن اخرُجْ بنا . فخرجا حتى أغار على إبلْ لبني عبس فطرداها وتوجها بها نحو تَيْماء . فلما كانا في بعض الطريق انقطع بِطانُ راحلة بدر فنَدَر[1] عن رَحْلِه . فقال له المرار : يا أخي أطِعْني وانصرِفْ ودَعْ هذه الإبلَ في النار . فأبى عليه . ثم سارا ، فلما كانا في بعض الطريق عرَض لهما ظبيٌ أعْضَبُ[2] أحد القرنين . فقال المَرَّار لبدر : قد تطيَّرتُ من هذا السفر ، ولا والله ما نرجع من هذا السَّفر أبداً ، فأبى عليه بدرٌ . فتفرقت عبسٌ فرقتين في طلب الإبل ، فعمَدت فرقةٌ إلى وادي القُرى ، وفرقةٌ إلى تَيماء ؛ فصادفوا الإبل بتَيماء تُباع ، فأخذوا المَرار وبَدْراً فرفعوهما إلى الوالي . وعُرِفتْ سِماتُ عبسٍ على الإبل فدُفِعتْ إليهم ، ورُفِع المَرار وأخوه إلى المدينة فضُرِبا وحُبِسا ، فمات بدرٌ في الحبس . فكلَّمتْ عِدَّةٌ من قريش زيادَ بن عبد الله النَّصْرِي في المَرار فخلاه . وقال في حبسه : [من الطويل]

صَرَمْتَ ولم تَصْرِمْ وأنتَ صَرُومُ

وهي طويلة .

[مات أخوه بدر في الحبس فرثاه]

وقال يرثي أخاه بدراً : [من الطويل]

أَلا يا لَقومي للتَّجَلُّدِ والصبرِ ... وللقدَرِ الساري إليكَ وما تَدْرِي
وللشيءِ تَنْساه وتذكُرُ غيرَه ... وللشيءِ لا تَنْساه إلا على ذُكرِ
وما لكما بالغيبِ عِلْمٌ فتُخْبِرا ... وما لكما في أمرِ عثمانَ من أمرِ

1 ندر عن رحله : سقط .
2 أعضب : مكسور .

وهي طويلة يقول فيها : [من الطويل]

ألا قاتـل اللهُ المقاديـرَ والمُنـى وطيراً جَرَتْ بين السُّعافات والحِبْرِ[1]
وقاتـلَ تكذيبـي العِيافـةَ بعدما زجرتُ فما أغْنى اعتيافي ولا زَجْرِي
تَرَوَّحْ فقد طـالَ الثَّواءُ وقُضِّيَتْ مَشارِيطُ كانت نحوَ غايتها تجري

المشاريط : العلامات والأمارات .

ومـا لقُفُولٍ بعـد بـدرٍ بشاشةٌ ولا الحـيِّ آتيهم ولا أوبةِ السَّفْرِ[2]
تُذَكِّـرني بـدراً زعازعُ حَجْرةٍ إذا عَصَفَتْ إحدى عَشِيَّاتها الغُبْرِ

الزعازعُ : الشديدةُ الهُبوب . والحَجْرة : السنة الشديدة .

إذا شَوْلُنا لم نُـوْتَ منها بمِحْلَبٍ قَرى الضَّيفَ منها بالمهند ذي الأَثْرِ[3]
وأضيافُنـا إن نبَّهونـا ذكرتُـه فكيف إذاً أنساه غابـرةَ الدهرِ
إذا سَلَّـم السارِي تهلَّـلَ وجهُه على كل حالٍ من يَسارٍ ومن عُسْرِ
تذكَّرتُ بدراً بعدَ ما قيل عارفٌ لما نابَـه يا لَهْفَ نفسي على بدرِ[4]
إذا خَطَرَتْ منه على النفسِ خَطْرةٌ مَرَتْ دمعَ عيني فاستَهلَّ على نَحْرِي[5]
ومـا كنتُ بكَّاءً ولكن يَهِيجُ لي على ذِكْره طِيبُ الخلائقِ والخُبْرِ[6]
أعينَـي إنّي شاكـرٌ مـا فعلتما وحُـقَّ لمـا أبْلَيْتُماني بالشكرِ
سألتُكما أن تُسْعِداني فجُدْتُما عَوانَيْن بالتَّسْجامِ باقِيَتَيْ قَطْرِ[7]
فلمـا شَفاني اليأسُ عنـه بسَلْوةٍ وأعْذرتُما لا بـل أَجَلَّ من العذرِ
نَهَيْتُكمـا أن تُسْهِـراني فكنتُما صَبُورَيْن بعـد اليأس طاوِيَتَيْ غُبْرِ

يقول : طويتما أغبارَ دمعكما . والأغبار : البقايا كأغبار اللَّبن .

---

1 الحبر في ل : الحجر .
2 لقفول في ل : لقفولي .
3 الشول : النوق التي قل لبنها . واحدتها شائلة .
4 عارف : صابر .
5 مرت دمعه : أسالته . واستهال : سال .
6 يهيج في ل : يهيجني .
7 عوانين : أي تسعدانه بمواصلة البكاء .

[أضافه قرشي بالأبطح]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال حدثني رجل عن واصل بن زكريا بن المرار أن المرار قال : خرجتُ حاجّاً فأَنخْتُ بناحية الأبطح ، فجاء قوم فنَحَّوني عن موضعي وضربوا فيه قُبَّةً لرجل من قريش . فلما جاء وجلس أتيتُه فقلتُ : [من الرجز]

هــذا قَعُودِي بارِكاً بالأَبْطَحِ عليــه عِكْما أَكْمُرٍ لم تُفْتَحِ[1]

فقال : وما قصتك ؟ فأخبرتُه . فقال : والله لا تفتحُ منهما شيئاً حتى تنصرفَ ، فأَقِمْ معنا ، يدُك مع أيدينا ، وقَعُودُك مع أَباعِرِنا . فوالله ما فتحتُ العِدْلَيْن حتى انصرفتُ بهما إلى أهلي . فما هجاني أحد قطُّ هِجاءَه .

[شعره في الحبس]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعي قال حدثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال أخبرني أبو مَوهَبٍ رُتَيْلٌ الزُّبيري أحدُ بَني زبَير بن عمرو بن قُعَيْن قال : كان المَرَّار بن سعيد وأخوه بدرٌ لصَّيْن ، وكان بدرٌ أشهرَ منه بالسرقة وأكثرَ غاراتٍ على الناس . فأغار بدر على ذَوْدٍ لبعض بني غَنْم بن ذُودان فطردَها ، فأُخِذ ورُفِع إلى عثمانَ بن حَيَّان المُرِّي ، وهو يومئذٍ على المدينة فحبسه . وطرَد المَرَّارُ طَرِيدةً فأُخِذ معها وهو يَبيعها بوادي القُرى أو ببِرْمةَ ، فرُفِع إلى عثمانَ بن حَيان فحبسَه . قال : فاجتمعا ومكثا في السجن مدةً ؛ ثم أفْلَتَ المَرارُ وبقيَ بدرٌ في السجن حتى مات محبوساً مقيَّداً . فقال المَرَّار وهو في الحبس : [من الطويل]

أنارٌ بَدَتْ من كُوَّةِ السِّجْنِ ضوؤُها عشيَّة حَلَّ الحَــيُّ بالجَرَعِ العُفْرِ
عَشِيَّة حَــلَّ الحيُّ أرضاً خَصِيبةً يَطِيبُ بها مَسُّ الجنائبِ والقَطْرِ[2]
فياويلتــا سجنُ اليمامــةِ أطْلِقا أسيرَكما يَنْظُرْ إلى البرقِ ما يَفْرِي[3]
فإن تفعــلا أَحْمَدْكُما ولقد أَرى بأنّكما لا ينبغــي لكما شكري
ولو فارقتْ رجلي القيودُ وجدتُني رفيقاً بنَصِّ العِيسِ في البلدِ القَفْرِ
جديــراً إذا أُمسي بأرضٍ مَضَلَّةٍ بتقويمها حتى يُرى وَضَحُ الفجرِ

1 العكم : العدل . والأكمر : تمر لم ينضج على النخل .
2 الجنائب : جمع جنوب وهي الريح .
3 يفري : البرق يشق الظلام .

[شعره في خصومه]

وقال أبو عمرو الشيباني : كان بين المَرار بن سعيد وبين رجل من قومه لِحاءٌ ، فتقاذفا[1] وتسابا ، ثم صارا إلى الضرب بالعصا[2] ؛ فقال في ذلك : [من الوافر]

صوت

أَلَم تَرَبَــعْ فتُخْبِرَكَ المَغاني فكيف وهُنَّ مُذْ حِجَجٍ ثَمانِ
بَرِئتُ من المنازلِ غيرَ شَوْقٍ إلى الدارِ التــي بِلَــوى أَبانِ

لإسحاق في هذين البيتين هَزَجٌ بالخنْصر في مجرى البنصر من كتاب ابن المكي .

[أخوه بدر شاعر]

وكان بدر بن سعيد أخو المَرّار شاعراً وهو الذي يقول[3] : [من البسيط]

صوت

يا حَبَّذا حين تُمْسي الريحُ باردةً وادِي أُشَيٍّ وفِتْيانٌ بــه هُضُمُ[4]
مُخَدَّمُونَ كِــرامٌ في مجالسِهم وفي الرِّحــال إذا لاقيتَهم خَدَمُ
وما أُصاحِبُ من قوم فأذكُرهم إلاَّ يَزيدُهُــمُ حُبــاً إليَّ هُمُ

الغناء لابن محرز ثاني ثقيل بالخنصر والبنصر عن ابن المكي . وفيه لمتيَّم خفيف رملٍ . وذكر حبشٌ ، أن الثقيل للهُذلي . وفيه لمحمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ثقيلٌ أولُ عن الهشامي .

[صوت ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة]

صوت

[من الطويل]

خَطاطِيفُ حُجْــنٌ في حِبالٍ مَتينةٍ تَمُــدُّ بهــا أيــدٍ إليــكَ نَوازِعُ

---

1 ل : تقاذعا .
2 ل : بالحصى .
3 تنسب هذه الأبيات إلى زياد بن منقذ ولغيره (لسان العرب مادة «هضم» وشرح الحماسة للتبريزي) .
4 هضم : جمع هضوم ، أي يبددون المال بالإنفاق .

فإن كنتَ لا ذا الضِّغْنِ عنِّي مكذِّبًا ولا حَلفي عند البَراءةِ نافعُ
فإنَّكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكي وإن خِلتُ أن المُنْتأى عنك واسِعُ

عروضه من الطويل . يقول : أنا في قَبْضتِك متى شئتَ قدَرْتَ عليَّ كأني في خَطاطِيفَ تَجْذِبُني إليك ولا أَقْدِر على الهرب منك . ويُرْوى «وإن خلتُ أن المُنْتوى» أي الموضع الذي أنتوِي قصده . والمُنْتأى : المُفْتَعَل من النأي . والحُجْن : المُعْوجَّةُ . والنوازِع : الجواذِب . والضِّغْن : الحقد .

الشعر للنابغة الذُّبياني . والغناء لابن صاحبِ الوضوء من رواية إسحاقَ وعمرو ماخُوري بالبِنْصِر .

* * * *

الفهرس

[156] ـ أخبار دريد بن الصمة ونسبه 5
[157] ـ أخبار المُعتَضِد في صنعة هذا اللحن وغيره من الأغاني 34
[158] ـ أخبار إبراهيم بن العباس ونسبه 36
[159] ـ صنعة أولاد الخلفاء الذُّكور منهم والإناث 58
[160] ـ أخبار مروان بن أبي حفصة ونسبه 60
161 ـ [رجع إلى ذكر إبراهيم بن المهدي] 79
[162] ـ أخبار أبي النجم ونسبه 120
[163] ـ أخبار علية بنت المهدي ونسبها ونُتف من أحاديثها 129
[164] ـ أخبار أبي عيسى بن الرشيد ونسبه 148
[165] ـ وممن عرفت له صنعة من أولاد الخلفاء عبد الله بن موسى الهادي 154
[166] ـ أخبار عبد الله بن محمد ونسبه 158
[167] ـ وممن صنَع من أولاد الخلفاء أبو عيسى بن المتوكل 161
[168] ـ أخبار علي بن الجَهْم ونسبُه 162
[169] ـ أخبار أبي دُلامة ونسبُه 188
170 ـ [أخبار عبد الله بن المعتز] 217
[171] ـ نسب زهير وأخباره 226
[172] ـ ذكر المرَّار وخبره ونسبه 246

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عباس

المجلد الحادي عشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

11

جَميع الحُقوق محَفوظَة

الطبعة الأولى

1423هـ-2002 م

الطبعة الثانية

1426 هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429 هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

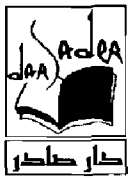

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[173] ـ أخبار النابغة ونسبه[1]

[نسبه]

النابغة اسمه زيادُ بن معاوية بن ضِباب بن جَناب بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّةَ بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبيان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان بن سَعْد بن قَيْس بن عَيلان بن مُضَر . ويُكنى أبا أُمامة . وذكر أهل الرِّواية أنّه إنّما لُقّب النابغة لقوله : [من الوافر]

فقـد نَبَغتْ لهـم منّا شؤونُ

[من الطبقة الأولى]

وهو أحد الأشراف الذين غَضّ الشعرُ منهم . وهو من الطبقة الأولى المقدَّمين على سائر الشعراء .

[سأل عمر بن الخطاب عن شعر فلما أخبر أنه له قال إنه أشعر العرب]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحَبيب بن نصر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو نُعَيم قال حدَّثنا شريكٌ عن مُجاهِد عن الشَّعبيّ عن رِبْعِيّ بن حِراش قال : قال : عمر : يا معشر غَطَفانَ ، مَن الذي يقول : [من الوافر]

أتيتُـك عاريـاً خَلَقـاً ثِيابِي على خَوْفٍ تُظَنُّ بِـيَ الظُّنونُ

قلنا : النابغة . قال : ذاك أشعرُ شعرائكم .

أخبرني أحمد وحبيب قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا عُبَيد بن جَنّاد قال حدَّثنا مَعْن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السُّلَميّ عن جدّه عن الشَّعبيّ قال : قال عمر : مَنْ أشعرُ النّاس ؟ قالوا : أنت أعلمُ يا أمير المؤمنين . قال : مَنِ الذي يقول : [من البسيط]

إلاّ سليمانَ إذ قـال الإلـه لـه قُمْ في البَرِيّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَدِ[2]

وخيِّسِ الجنَّ أنِّي قـد أذِنتُ لهم يبنُون تَدْمُـرَ بالصُّفَّاح والعمدِ[3]

قالوا : النابغة . قال : فمن الذي يقول :

أتيتُـك عاريـاً خَلَقـاً ثيابي على خوفٍ تُظَنُّ بِـيَ الظنونُ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/157-173 وفي طبقات فحول الشعراء 1 : 51 والمؤتلف : 191 ، والخزانة 1 : 287 والكامل 2 : 67 وجمهرة ابن حزم : 241 ومختصر الجمهرة : 119 والموشح : 38 ، 39 وشرح نهج البلاغة 4 : 503 والمزهر 2 : 483 .

2 فاحددها : فامنعها . والفند : الخطأ .

3 الصفّاح : حجارة دقاق عراض ، واحدها : صفاحة .

قالوا : النابغة . قال : فَمَنِ الذي يقول : [من الطويل]

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسك رِيبةً وليس وراءَ اللهِ للمرءِ مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغتَ عنّي خِيانةً لَمُبْلِغُك الواشي أَغَشُّ وأَكْذَبُ
ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّهُ[1] على شَعَثٍ أيُّ الرِّجالِ المُهَذَّبُ

قالوا : النابغة . قال : فهو أشعر العرب .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال حدَّثنا عمر بن أبي زائدة عن الشَّعْبيّ قال : ذُكِر الشِّعْرُ عند عمر ؛ ثم ذكَر مثلَه .

[سئل ابن عبّاس عن أشعر النّاس فأمر أبا الأسود بالجواب فذكره]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثني عليّ بن محمد عن المدائنيّ عن عبد الله بن الحسن عن عمر بن الحُباب عن أبي المؤمّل قال : قام رجلٌ إلى ابن عبّاس فقال : أيُّ النّاس أشعر ؟ فقال ابن عبّاس : أخبِرْه يا أبا الأسود الدُّؤَلِيّ ؛ قال الذي يقول : [من الطويل]

فإنّكَ كاللَّيــلِ الذي هو مُدْرِكي وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنك واسِعُ

[تذاكروا شعره في مجلس الجنيد]

أخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأت على أبي عن جرير بن شَرِيك بن جَرِير بن عبد الله البَجَلِيّ قال : كنّا عند الجُنَيْد بن عبد الرحمن بخراسان وعنده بنو مُرّة وجلساؤه من الناس ، فتذاكروا شعرَ النابغة حتى أنشدوا[2] قوله : [من الطويل]

فإنّك كاللّيل الذي هــو مدركي وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسعُ

فقال شيخٌ من بني مرّة : ما الذي رأى في النُّعمان حيث يقول له هذا ! وهل كان النُّعمان إلاّ على مَنْظَرةٍ من مَناظر الحِيرة ؟ وقالت ذلك القيسيَّةُ فأكثروا . فنظر إليّ الجُنَيْد وقال : يا أبا خالد ؛ لا يَهُولنّك قولُ هؤلاء الأعاريب ! فأقسم بالله أنْ لو عاينوا من النُّعمان ما عاين صاحبُهم لقالوا أكثر ممّا قال ، ولكنّهم قالوا ما تسمع وهم آمنون .

[يحكم بين الشعراء في عكاظ]

أخبرني حبيب بن نَصْر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا أبو بكر العُلَيْميّ قال حدَّثني عبد الملك بن قُرَيْب[3] قال : كان يُضْرَب للنابغة قُبّةٌ من أَدَمٍ بسوق عُكاظَ ، فتأتيه الشعراء فتَعْرِض عليه أشعارَها . قال : وأوّل مَن أنشده الأعشى ثم حسّانُ بن ثابت ثم

1 لم الأمر : جمعه وأصلحه . والشعث : انتشار الأمر وفساده .
2 ل : أنشدوه .
3 اسم الأصمعيّ

أنشدتْه الشعراء ، ثم أنشدتْه الخَنْساءُ بنت عمرو بن الشَّريد : [من البسيط]

وإنّ صخراً لَتَأْتَمُّ الهُداةُ به كأنّـه عَلَـمٌ في رأسِهِ نـارُ

فقال : والله لولا أنّ أبا بَصير أنشدني آنِفاً لقلتُ إنّكِ أشعر الجنّ والإنس . فقام حسّان فقال : والله لأنـا أشعرُ منكَ ومن أبيك ؛ فقال له النابغة : يا ابنَ أخي ، أنت لا تُحسن أن تقول : [من الطويل]

فإنّك كاللّيل الذي هـو مُدْركي وإن خِلتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ

خَطاطيفُ حُجْنٌ في حِبـالٍ مَتِينةٍ تَمُـدُّ بهـا أيـدٍ إليـك نَوازِعُ[1]

قال : فخَنَس[2] حسّان لقوله .

[جني يرى أنّ النابغة أشعر الناس]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نَصر المهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا الأصمعيّ قال حدّثنا أبو عمرو بن العَلاء قال قال فلان لرجل سمّاه فأنسيتُه : بينا نحن نسير بين أنْقاء[3] من الأرض تذاكرنا الشعرَ ، فإذا راكبُ أطَيْلِس[4] يقول : أشعرُ النّاسِ زِياد بن مُعاوية ؛ ثم تملّس[5] فلم نَرَه .

[فضله أبو عمرو على زهير]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنا الأصمعيّ قال سمعتُ أبا عمرو يقول : ما كان ينبغي للنابغة إلاّ أن يكون زُهَيْرٌ أجيراً له .

[تفضيل عبد الملك له]

أخبرني أحمد قال حدّثنا عمر قال عمرو بن المُنْتَشِر المُراديّ : وفَدْنا على عبد الملك بن مروان فدخلنا عليه ، فقام رجلٌ فاعتذر من أمرٍ وحلف عليه . فقال له عبد الملك : ماكنتَ حَرِيّاً أن تفعل ولا تعتذر . ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيُّكم يَروي من اعتذار النابغة إلى النُّعمان : [من الطويل]

حلفتُ فلَم أترك لنفسِك رِيبةً وليس وراء الله للمرءِ مذهبُ

فلم يجد فيهم مَن يَرْويه ؛ فأقبل عليّ فقال : أتَرْوِيه ؟ قلت نعم ؛ فأنشدتُه القصيدةَ كلَّها ؛ فقال : هذا أشعر العرب .

---

1 الخطاطيف : جمع خُطاف . خطاف البئر : حديدة ، تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن : معوجة ، واحدها أحجن والأنثى حجناء . ونوازع : جواذب .

2 خنس : انقبض ، أو رجع وتنحّى .

3 الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل تنقاد محدودبة .

4 أطيلس : تصغير أطلس ، وهو ما في لونه غبرة إلى السواد .

5 تملّس : تملّص وأفلت .

[رأي حماد في شعره]

أخبرنا حَبيب بن نصر وأحمد بن عبد العزيز قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : قال معاوية بن بكر الباهليّ قلتُ لحمّاد الراوية : بِمَ تَقَدَّم النابغةُ ؟ قال : باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل بربع بيت ، مثل قوله : [من الطويل]

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهبُ

[كُلُّ نصفٍ يُغنيك عن صاحبه ، وقوله : «أيّ الرّجال المهذَّبُ» ربع بيت يُغنيك عن غيره] .

وهذه القصيدة العينيّة يقولها في النُّعْمان بن المُنْذِر يعتذر إليه بها وبعدّة قصائد قالها فيه تُذْكَرُ في مواضعها . ولقد اختلفت الرُّواة في السبب الذي دعاه إلى ذلك .

[وصفه لزوجة النعمان]

فأخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة عن أبي عُبَيدة وغيره من علمائهم : إنّ النابغة كان كبيراً عند النُّعمان خاصّاً به وكان من نُدَمائه وأهل أُنْسه ؛ فرأى زوجته المتجرِّدة يوماً وغَشِيها تشبيهاً بالفُجاءة ، فسقط نَصِيفُها واستترت بيدها وذراعها ، فكادت ذراعُها تستر وجهها لعَبالتها وغِلَظها ؛ فقال قصيدتَه التي أوّلها : [من الكامل]

أَمِنَ آلِ مَيّـةَ رائحٌ أو مُغْتَدِي عجـلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُزَوَّدِ
زعَمَ البوارحُ أنّ رِحْلَتَنا غداً وبذاك تَنْعابُ الغُرابِ الأسودِ
لا مرحباً بغَـدٍ ولا أهلاً بِـهِ إن كان تفريقُ الأَحِبّةِ في غَدِ
أزفَ التَّرَحُّلُ غيرَ أنّ رِكابَنا لمّا تَـزُلْ برِحالنا وكأنْ قَدِ
في إثْرِ غانيـةٍ رمتْك بسَهْمِها فأصاب قلبَك غير أنْ لَم تُقْصِدِ[1]
بالدُّرِّ والياقـوتِ زُيِّـن نحرُها ومُفَصَّلٍ مـن لُـؤلُـؤ وزَبَرْجَدِ

عروضه من الكامل . وغنّاه أبو كاملٍ من رواية حَبَشٍ ثقيلاً أوّل بالبنصر . وغنّاه الغَريض من روايته ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى . وغنّاه ابن سُرَيج من رواية إسحاق ثقيلاً أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى .

قوله : أمن آل مَيّةَ : يخاطب نفسه كالمُسْتَثْبِت . وعجلان : من العجلة ، نصبه على الحال . والزّاد في هذا الموضع : ما كان من تسليم وردّ تحيّة . والبوارح : ما جاء من مَيامِنك إلى مَياسِرك فولاّك مَياسِره . والسانح ما جاء من مياسرك فولاّك ميامنه ؛ حكى ذلك أبو عُبيدة عن رُؤبة وقد سأله يونس عنه . وأهل نَجْدٍ يتشاءمون بالبوارح ، وغيرُهم من العرب تتشاءم بالسانح

1 تقصد : تقتل ؛ يقال : أقصد الشيء إذا ضربه أو رماه فمات مكانه .

وتتيمَّن بالبارح ؛ ومنهم مَن لا يرى ذلك شيئاً ؛ قال بعضهم : [من مجزوء الكامل]

ولقـد غدوتُ وكنتُ لا أغـدو على واقٍ وحـاتِمْ[1]
فـإذا الأشائـمُ كالأيـا مِن والأيامِـنُ كالأشائمْ

وتنعابُ الغراب : صياحه ؛ يقال : نَعَب الغراب[2] يَنْعِب نَعِيباً ونَعَباناً ، والتنعاب تَفْعالٌ من هذا . وكان النابغة قال في هذا البيت : «وبذاك خبَّرنا الغُرابُ الأسودُ» ثم ورد يَثْرِبَ فسمِعه يُغَنَّى فيه ، فبان له الإقواءُ ، فغيَّره في مواضع من شعره .

[إقواء النابغة]

وأخبرنا الحسين بن يحيى قال قال حماد بن إسحاق قرأتُ على أبي : قال أبو عبيدة : كان فَحْلانِ من الشعراء يُقْوِيان : النابغة وبِشْرُ بن أبي خازِمٍ . فأمّا النابغةُ فدخل يَثْرِبَ فهابُوه أن يقولوا له لحنتَ وأكفأتَ[3] ، فَدَعَوْا قَيْنةً وأمروها أن تغنّي في شعره ففعلتْ . فلمّا سمِع الغناء و«غير مزوَّد» و«الغرابُ الأسودُ» وبان له ذلك في اللحن فَطِنَ لموضع الخطأ فلم يَعُدْ . وأمّا بِشْر بن أبي خازمٍ فقال له أخوه سَوادةُ : إنّك تُقْوِي . قال : وما ذاك ؟ قال : قولُك : [من الوافر]

ويُنْسِي مثلَ مـا نُسِيتْ جُذامُ[4]

ثم قلت بعده «إلى البلد الشآمِ» . ففطن فلَم يَعُدْ .

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا خَلاّد الأرقط وغيره من علمائنا قالوا : كان النّابغة يقول : إنّ في شعري لعاهةً ما أقِفُ عليها . فلمّا قدِم المدينة غُنِّي في شعره ؛ فلمّا سَمِع قولَه : «واتَّقَتْنا باليد» و«يكاد من اللَّطافةِ يُعْقَدُ» تبيّن له لَمّا مُدّتْ «باليد» فصارت الكسرة ياء ومُدّتْ «يُعْقَدُ» فصارت الضمّة كالواو ؛ ففَطِن فغيّره وجعله : [من الكامل]

عَنَـمٌ على أغصانِـهِ لَـمْ يُعْقَدِ

وكان يقول : وردتُ يَثْرِبَ وفي شعري بعضُ العاهة[5] ، فصدَرتُ عنها وأنا أشْعَرُ النّاس . وقوله لا مَرْحَباً : لا سعةً ؛ ونصبُه هاهنا شبيهٌ بالمصدر ؛ كأنّه قال لا رَحُبَ رُحْباً ولا أهَلَ أهْلاً . وأزِفَ : قَرُبَ .

قال : وقال في قصيدته هذه يذكر ما نظر إليه من المتجرِّدة وسَتْرِها وجهَها

1 الواقي هنا : الصُرَد وهو طائر فوق العصفور كانت العرب تتطير بصوته . والحاتم هنا : الغراب الأسود .
2 ل : الغداف .
3 الإكفاء والإقواء من عيوب القافية .
4 وصدر البيت : ألم تر أن طول الدهر يسلي .
5 ل : الفهدة .

بذراعها : [من الكامل]

صوت

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْه واتَّقتْنا باليَدِ
بمُخَضَّب رَخْصٍ كأنّ بَنانَه عَنَمٌ على أغصانِهِ لَم يُعْقَدِ
ويفاحمٍ رَجْلٍ أَثِيثٍ نبتُه كالكَرْمِ مالَ على الدِّعامِ المُسْنَدِ
نظرت إليك بحاجةٍ لم تَقْضِها نَظَرَ السَّقِيم إلى وُجوه العُوَّدِ

غنّاه ابن سُرَيْج ، ولحنُه مِن خَفيفِ الثّقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو . والنَّصيف : الخِمار ، والجمع أَنْصِفَةٌ ونُصُفٌ . والعَنَمُ ، فيما ذكر أبو عُبيدة ، يَسارِيعُ[1] حُمْرٌ تكون في البقل في الربيع . وقال الأصمعيّ : العَنَم : شجر يَحْمَرّ ويَنْعَم[2] نبتُه . والفاحم : الشديد السواد . والرَّجِلْ : الذي ليس بجَعْد . والأثِيثُ : المتكاثِف ؛ قال امرؤ القيس : [من الطويل]

أَثِيثٍ كقِنْوِ النخلة المُتَعَثْكِلِ[3]

ويقال : شَعْرٌ رَجْلٌ ورَجِلٌ . ويُروى : [من الطويل]

ورنتْ إليَّ بمقلتَيْ مكحولةٍ

والمكحولة : البقرة . وقوله : لم تَقْضِها : يعني المرأة أي لم تقدِر على الكلام من مخافة أهلها ، فهي كالسَّقيم الذي ينظر إلى مَن يعوده .

غنّاه ابن سُرَيْج خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو بن بانة .

[قال صالح بن حسان إنّه كان مخنّثاً]

وأخبرنا محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسَد قال حدَّثنا العُمَريّ قال : قال الهَيْثم بن عَدِيّ قال لِي صالح بن حَسّان : كان والله النابغةُ مُخَنَّثاً . قلت : وما عِلْمُك به ؟ أرأيتَه قطّ ؟ قال : لا والله ! . قلت : أفأُخْبِرتَ عنه ؟ قال لا .

قلت : فما عِلْمُك به ؟ قال : أما سمعتَ قولَه : [من الكامل]

سقَط النَّصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه فتناولتْه واتَّقتْنا باليدِ

لا والله ما أحسنَ هذه الإشارة ولا هذا القولَ إلاّ مُخَنَّثٌ .

[هروبه من النُّعمان إلى ملوك غسان واختلاف الرّواة في سببه]

قال : فأنشدها النّابغةُ مُرَّةَ بنَ سعد القُرَيْعِيّ ، فأنشدها مُرّةُ النُّعمانَ ، فامتلأ غضباً فأوعد

---

1 اليسارِيع : جمع يُسروع وهي دودة حمراء تكون في البقل .
2 نَعِم العود : اخضرّ ونضر .
3 القنو : العذق . والمتعثكل : ذو العثاكيل (الشماريخ) .

النّابغةَ وتهدّده ؛ فهَرَب منه فأتى قومَه ، ثم شخَص إلى ملوك غَسّان بالشام فامتدحهم . وقيل : إنّ عِصام بن شَهْبَرٍ الجَرْمِيّ حاجبَ النُّعمان أنذره[1] وعرّفه ما يُريده النُّعمان ، وكان صديقَه ، فهرَب . وعِصامٌ الذي يقول فيه الراجز : [من الرجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصاما وعَلَّمتْـه الكَـرَّ والإقْداما[2]

وجعلتـه مَلِكـاً هُماما

وقال مَنْ رويتُ عنه خبرَ النابغة : إنّ السببَ في هَرَبِه من النُّعمان أنّ عبد القيس بن خُفاف التَّميميّ ومُرّة بن سَعْد بن قُرَيْع السَّعْدِيّ عمِلا هجاءً في النُّعمان على لسانه ، وأنشدا النُّعمانَ منه أبياتاً يقال فيها : [من الكامل]

مَلِكٌ يُلاعِـبُ أُمَّـه وقَطِينَه رِخْوُ المَفاصِلِ أَيْـرُهُ كالمِرْوَدِ

ومنه : [من الخفيف]

قَبَّح اللهُ ثـم ثَنَّـى بِلَعْـنٍ وارثَ الصائغ الجَبانَ الجَهُولا

مَنْ يَضُرُّ الأدنى ويَعْجِزُ عن ضَـ ـرِّ الأقاصي ومَنْ يَخُون الخليلا

يجمع الجيشَ ذا الألوفِ ويغزو ثـم لا يَـرْزَأُ العَـدُوَّ فَتيلا

يعني بوارث الصائغ النُّعمان ؛ وكان جدُّه لأمّه صائغاً بفَدَكَ[3] يقال له عطيّة . وأُمّ النُّعمان سَلْمى بنت عَطِيّة .

فأخبرني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال حدَّثني عمّي عُبَيْد الله عن ابن حَبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل : أنّ مُرّة بن سَعْد القُرَيعيّ الذي وشى بالنابغة كان له سيفٌ قاطع يقال له ذو الرِّيقة من كثرة فِرِنْده وجوهره ، فذكره النابغةُ للنُّعمان ، فأخذه . فاضطغن ذلك القُرَيعيّ حتى وشَى به إلى النُّعمان وحرّضه عليه .

وأخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَلاّم عن يونس بن حَبيب عن أبي عمرو بن العَلاء ، وأخبرنا إبراهيم بن أيُّوب عن ابن قُتَيْبة ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز عن عمر بن شَبّة ، قالوا جميعاً : إنّ الذي من أجله هرَب النّابغةُ من النُّعمان أنّه كان والمُنَخَّلُ بن عُبَيْد بن عامر اليَشْكُريّ جالسين عنده ، وكان النُّعمان دميماً أبْرَشَ[4] قبيح

1 أنذره : أعلمه .

2 مثل يضرب في نباهة الذكر من غير قديم كما في سيرة عصام هذا فكل من ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي ؛ فصل المقال : 137 .

3 فدك : قرية بالحجاز من نواحي خيبر .

4 الأبرش : الذي في لونه اختلاف بأن تكون نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو نحو ذلك .

المَنْظَر ، وكان المنخَّل بن عُبَيْد من أجمل العرب ، وكان يُرْمى بالمتجرِّدة زوجةِ النُّعمان ، ويتحدَّث العربُ أنّ ابني النُّعمان منها كانا من المنخّل . فقال النُّعمان للنابغة : يا أبا أُمامةَ ، صِفِ المتجرِّدةَ في شعرك ؛ فقال قصيدتَه التي وَصَفَها فيها ووصَف بطنَها وروادفها وفَرْجَها . فلحِقتِ المنخَّلَ من ذلك غَيْرةٌ ، فقال للنُّعمان : ما يستطيع أن يقول هذا الشعرَ إلاّ مَنْ جرّبه . فوقَر ذلك في نفس النُّعمان . وبلغ النابغة فخافه فهربَ فصار في غَسّان .

[كان المنخّل اليشكريّ يهوى هنداً بنت عمرو بن هند فتغزّل فيها فقتله]

قالوا : وكان المنخَّل يهوى هنداً بنت عَمرو بن هند ، وفيها يقول : [من مجزوء الكامل]

صوت

ولقــد دخلتُ على الفتا ... ةِ الخِدْرَ في اليومِ المَطِيرِ
الكاعــب الحسناءِ تَــرْ ... فُلُ في الدِّمَقْسِ وفي الحريرِ
فدفعتُهــا فتدافعــتْ ... مَشْيَ القَطـاةِ إلى الغَديرِ
ولَثَمْتُهــا فتنفَّستْ ... كتنــفُّس الظَّبْـي البَهِيرِ[1]

غنّاه إبراهيم المَوصِليّ من رواية عمرو بن بانة ثانِيَ ثقيلٍ بالوسطى على مذهب إسحاق :

وبَدَتْ وقالت يـا مُنَخَّـ ... ـلُ ما بجسمك من فُتورِ؟[2]
مـا مَسَّ جِسْمِي غيرُ حُبِّـ ... ـكِ فاهْدَئي عنّي وسِيرِي[3]
ولقد شَرِبتُ من المُدا ... مةِ بـالكبيرِ وبـالصغيرِ[4]
فـإذا سَكِـرتُ فإنّنـي ... رَبُّ الخَوَرْنَـقِ والسَّدِيرِ[5]
وإذا صحــوتُ فإنّنــي ... ربُّ الشُّوَيْهــةِ والبعيرِ
يـا هِنْـدُ هَل مـن نائلٍ ... يـا هنـدُ للعـاني الأَسِيرِ
وأُحِبُّهــا وتُحِبُّنِــي ... ويُحــبّ ناقتهـا بعيري

وقال حمّاد بن إسحاق عن أبيه في كتاب أغاني ابن مِسْجَح : في هذا الصوت لمالك ومَعْبَدٍ وابنِ سُرَيج وابن مُحْرِز والغَرِيض وابن مِسْجَح لكلهم فيه ألحانٌ . قال : فبلغ عمراً

---

1 البهير : الذي تتابع نفسه من الإعياء ، والتعب ؛ وفي الشعر والشعراء 404/1 :
وعطفتهـا فتعطفـت ... كتعطّف الظبي الغرير

2 وبدت : في الشعر والشعراء : 404/1 فترت .

3 مس : في الشعر والشعراء : 404/1 ما شفّ .

4 في الشعر والشعراء : 405/1 بالصغير وبالكبير .

5 الخورنق والسدير : قصران ، وقيل هما نهران .

خبرُ المنخَّل فأخذه فقتله . وقال المنخَّل قبل أن يقتله وهو محبوس في يده يَحُضّ قومه على طلب الثأر به : [من الخفيف]

طُلَّ وَسْطَ العِراقِ قَتْلِي بِلا جُرْمٍ وقَوْمِـــي يُنَتِّجـون السِّخالا

رجع الخبر إلى سِياقِهِ . قالوا جميعاً : فلمّا صار النابغة إلى غَسّانَ نزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شَمِر ، وأُمّ الحارث الأعرج مارِيَةُ بنت ظالم بن وَهْب بن الحارث بن مُعاويةَ بن ثَوْر بن مُرتع الكِنْدِيّة وهي ذات القُرْطين اللَّذين يُضْرَب بهما المثل فيقال لِما يُغْلى به الثمن «[خُذْه ولو][1] بقُرْطَيْ مارِيَةَ» . وأُختها هند هنود امرأة حُجْرٍ آكِلِ المُرار . وإيّاها عَنى حَسّان بقوله في جَبَلة بن الأَيْهَم : [من الكامل]

أَولادُ جَفْنَةَ حـولَ قبرِ أَبيهـمُ قبر ابن مارِيَـةَ الجَوادِ المُفْضِلِ

[مدح عمرو بن الحارث الأصغر الغسّانيّ]

ولذلك خبر يأتي في موضعه ، فمدحه النابغةُ ومدح أخاه النُّعمان . ولم يزل مقيماً مع عمرو حتى مات ، وملك أخوه النُّعمان ؛ فصار معه إلى أن استطلعه[2] النُّعمان فعاد إليه . فمِمّا مدَح بع عمراً قوله : [من الطويل]

صوت

كِليني لِهَمٍّ يـــا أُمَيْمَـةَ ناصِبِ ولَيْـلٍ أُقاسِيهِ بَطِـيء الكواكِبِ
وصَدْرٍ أَراحَ الليـلُ عازِبَ هَمِّهِ تضاعفَ فيه الحُزْنُ من كلِّ جانِبِ
تَقاعَسَ حتّـى قلتُ ليس بمُنْقَضٍ وليس الذي يَهْدِي النجومَ بِآئبِ
عليّ لِعَمْرٍو نِعْمَـةٌ بعـد نعمـةٍ لوالـــده ليست بـذاتِ عَقارِبِ

عروضه من الطويل . غنّى في البيتين الأوّلين ابن مُحْرِز خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهب إسحاقَ من رواية عمرو . وغنّى فيه الأَبْجَر من رواية حَبَشٍ ثاني ثقيل بالوسطى . وغنّى مالِكٌ في البيت الرابع ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوسطى من رواية هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات . وغنّى في الأربعةِ الأبياتِ عبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ماخُورِيّاً عن حَبَشٍ ، وغنّى فيها طُوَيْس رَمَلاً بالوسطى بحكايتين عن حَبَش .

هكذا رُوِي قولُه «يا أُمَيْمَةَ» مفتوحَ الهاء . قال الخليل : من عادة العرب أن تنادي المؤنَّث

---

1 مثل : في باب الجد في طلب الحاجة وترك التفريط فيها . هي مارية بنت الأرقم بن عمرو بن ثعلبة بن جفنة ، أو هي مارية بنت ظالم وهي أم ملك غسان الحارث بن الأعرج بن الحارث الأكبر بن عمرو بن عدي بن حجر . فصل المقال : 335 .

2 استطلعه : طلب طلوعه إليه .

بالترخيم فتقول يا أُمَيْمَ ويا عَزَّ ويا سَلْمَ ؛ فلمّا لم يُرَخِّم لحاجته إلى الترخيم أجراها على لفظها مُرَخَّمةً وأتى بها بالفتح . وكِلِيني أي دَعِيني . ووكَلْتُهُ إلى كذا أَكِلُهُ وِكالة[1] . وناصب : مُتْعِب . وبطيء الكواكب أي قد طال حتى إنّ كواكبه لا تجري ولا تَغُور . أَراح : ردّ . يقال أَراح الرجلُ إبلَه أي ردّها : فيقول : ردّ هذا الليلُ إليّ ما عزَب من هَمِّي بالنّهار ؛ لأنّه يتعلّل نهاراً بمحادثة النّاس والتشاغل بغير الفكر ، فإذا خلا بالليل راح إليه همُّه . وتقاعس تأخَّر ؛ وأصلُ التقاعس الرجوعُ إلى خَلْفٍ القَهْقَرى ، فشبَّه الليلَ في طوله بالمُتقاعِس . والذي يَهْدي النجومَ أوّلُها ، شبّهها بهواديها[2] . وقوله «ليست بذات عقارب» أي لا يكدِّرها ولا يَمُنُّها .

ومِمّا يَغنّى فيه من هذه القصيدة : [من الطويل]

حلفتُ يميناً غيرَ ذي مَثْنَوِيَّةٍ ... ولا عِلْمَ إلاّ حسنَ ظَنِّي بصاحبِ[3]

لئن كان للقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلِّقٍ ... وقَبْرٍ بصَيْداءَ الذي عند حاربِ

وللحارثِ الجَفْنيِّ سَيِّدِ قومِهِ ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجيشِ دارَ المُحارِبِ[4]

غنّاه إسحاقُ خفيفَ ثقيلٍ أوّلَ بالبنصر على مذهبه من رواية عمرو بن بانة عنه ومن رواية حَبَش . وغنّاه ابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالبنصر . يقول : ليس لِي علمٌ بما يكون من صاحبي إلاّ أنّي أحْسِن الظنَّ به . وقوله «لئن كان للقبرين» يعني لئن كان عمرٌو ابناً للمدفونَيْن في هذين القبرين ، يعني قبر أبيه وجدّه وهما الحارث الأكبر والحارث الأعرج ، لَيَلْتَمِسَنَّ جيشُه دارَ المُحارِبِ له ؛ يحرِّضه بذلك . ويُرْوى «أرْضَ المحارب» : [من الطويل]

ولا عيبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم ... بهنّ فُلولٌ من قِراعِ الكتائبِ

إذا استُنْزِلوا عنهنّ للطّعن أرْقَلوا ... إلى الموتِ إرقالَ الجِمالِ المَصاعِبِ

صوت

[من الطويل]

لهم شِيمةٌ لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم ... من النَّاسِ والأحلامُ غيرُ عَوازِبِ

على عارفاتٍ للطِّعانِ عَوابِسٍ ... بهنّ كلومٌ بين دامٍ وجالِبِ

---

1 الوكالة : اسم من التوكيل .

2 إن الذي يهدي النجوم ما يتقدمها ؛ إذ هادي كل شيء ما يتقدمه . فقيل المراد به أول النجوم ، ومعنى كونه غير آئب : غير راجع إلى مسقطه ومغيبه . وقيل المراد بهادي النجوم الشمس .

3 غير ذي مثنوية : لم أستثن فيها . في الديوان : حُسن ظنٌّ بصاحب .

4 الحارث الجفني : هو الحارث بن أبي شمر الجفني الغساني .

ولا عيبَ فيهـم غير أنّ سيوفهم بهـنّ فلولٌ من قِراع الكتائبِ
إذا استُنْزِلوا عنهـنّ للطّعنِ أَرْقَلوا إلى الموتِ إرقالَ الجمال المصاعبِ
حَبَوْتُ بها غَسّان إذ كنتُ لاحقاً بقومِي وإذْ أُعيتْ عـليَّ مَذاهِبِي

وجدْت في كتابٍ لهارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات في البيتين والثالث والرابع لحناً منسوباً إلى معبَد من خفيف الرمل بالوسطى . وأحسبه من لحن يحيى المَكّيّ . الشِّيمة : الطبيعة ، وجمعها شِيَمٌ . غير عوازب أي لا تعزُب أحلامهم فتنفُذ عنهم . وعارفات للطّعان أي صابرات عليه قد عُوِّدت أن يُحارَبَ عليها . وعوابس كوالح . وجالب أي عليه جُلْبة وهي قِشْرة تكون على الجرح ؛ يقال جَلَب الجرحُ يَجْلِب جلوباً وأجلب إجلاباً . والإرقال : مشيٌ يُشبه الخَبَبَ سريعٌ . والمصاعب واحدها مُصْعَبٌ وهو الفحل الذي لم يَمْسَسْه الحبل وإنّما يُقْتَنى للفِحْلَة ، ويقال له قَرْمٌ ومُقْرَمٌ . وقوله «حبوت بها» يعني بالقصيدة . وروى أبو عُبيدة «إذ كنت لاحقاً بقومٍ» وقال : يعني إذ كنت لاحقاً بغيركم أي بقوم آخرين ، فكنتم أحقَّ بالمدح منهم .

قالوا : فنظر إلى النُّعمان بن الحارث أخي عمرو وهو يومئذٍ غلامٌ فقال : [من السريع]

هـذا غـلامٌ حَسَنٌ وجهُـهُ مُقتبِـلُ الخيرِ سريـعُ التَّمامْ
للحارث الأكبرِ والحـارثِ الْـ ـأصغـرِ والحـارث خيرِ الأنامْ
ثـم لهنـدٍ ولهنـدٍ فقـد أسرع في الخيـراتِ منـه إمامْ[1]
خمسةُ آبـاءٍ وهُـمْ مـا هُمُ هُمْ خيرُ مَن يشرب صوبَ الغَمامْ[2]

غنّاه حُنَيْنٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر عن حَبَش .

[فضّله الشعبيّ على الأخطل]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا هارون بن عبد الله الزُّبيريّ قال حدَّثنا شيخ يُكْنى أبا داود عن الشعبيّ قال : دخلت على عبد الملك بن مَروان وعنده الأخطل وأنا لا أعرفه . فقلتُ حين دخلتُ : عامرُ بن شَراحيل الشَّعبيّ . فقال : على علمٍ ما أذِنّا لك . فقلت في نفسي : خذ واحدةً على وافد أهل العراق . فسأل عبد الملك الأخطلَ : مَن أشعرُ النّاس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . فقلت لعبد الملك : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فتبسّم وقال : هذا الأخطل . فقلت في نفسي : خُذْها ثِنْتين على وافد أهل العراق ، فقلت : أشعرُ منك الذي يقول : [من السريع]

1 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : يُنجع في الرّوضات ماء الغمام .
2 الشطر الثاني في الشعر والشعراء 158/1 : هم خير من يشرب صفو المدام .

هـذا غـلامٌ حسن وجْهُهُ مُسْتَقْبِلُ الخيرِ سريـع التَّمامْ
للحارثِ الأكبرِ والحارثِ الْـ ـأصغرِ والحـارث خير الأنامْ
خمسةُ آبـاءٍ وهُـمْ ما هُمُ هم خير مَن يشرب ماء الغمامْ

والشعر للنابغة ، فقال الأخطل : إنّ أمير المؤمنين إنّما سألني عن أشعر أهل زمانه ، ولو سألني عن أشعر أهل الجاهلية لكنتُ حَرِيّاً أن أقول كما قلتَ أو شبيهاً به . فقلت في نفسي : خذها ثلاثاً على وافد أهل العراق . (يعني أنّه أخطأ ثلاث مرّات) . ونسخت هذا الخبر من كتاب أحمد بن الحارث الخرّاز ولم أسمعه من أحد ، ووجدته أتمَّ ممّا رأيتُ في كلّ موضع ، فأتيتُ به في هذا الموضع وإن لم يكن من خاصِّ خبر النابغة لأنّه أليقُ به . قال أحمد بن الحارث الخرّاز حدَّثني المدائنيّ عن عبد الملك بن مسلم قال : كتب عبدُ الملك إلى الحجّاج : إنّه ليس شيءٌ من لَـذَّة الدُّنيا إلاّ وقد أصبتُ منه ، ولَم يبقَ عندي شيء ألَـذُّه إلاّ مناقلة الإخوان للحديث . وقِبَـلَـك عامِرٌ الشَّعْبيّ ، فابعَثْ به إليّ يحدّثني . فدَعا الحجّاج الشعبيَّ فجهّزه وبعث به إليه وقرّظه وأطراه في كتابه . فخرج الشعبيّ ، حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذِنْ لِي . قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عامر الشعبيّ . قال : حيّاك الله ؛ ثم نَهض فأجلسني على كرسيّه . فلم يلبث أن خرج إليّ فقال : ادخُلْ يرحمُك الله . فدخلت ، فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ وبين يديه رجل أبيض الرأس واللِّحية على كرسيّ ، فسلّمتُ فرَدّ عليّ السلام ، ثم أومأ إليّ بقضيبه فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : وَيْحَك ! مَن أشعرُ الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين . قال الشعبيّ : فأظْلم عليّ ما بيني وبين عبد الملك ، فلم أصبِر أن قلتُ : ومَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنّه أشعر النّاس ؟! قال : فعجب عبد الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالِي . قال : هذا الأخطل . فقلت . يا أخطل ! أشعرُ والله منك الذي يقول : [من السريع]

هـذا غـلامٌ حسنٌ وجهُـه مستقبِلُ الخير سريـع التَّمامْ
للحـارثِ الأكبرِ والحارثِ الـ ـأصغر والحـارث خير الأنامْ
ثـم لهنـدٍ ولهنـدٍ فقـد أسرع في الخيرات منـه إمامْ
خمسة آباءٍ وهُـمْ مـا هُـم هُمْ خيرُ مَن يشرب صوبَ الغمامْ

فردّدتها حتى حفِظها عبد الملك . فقال الأخطل : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشعبيّ . قال فقال : صدَق واللهِ يا أمير المؤمنين ، النابغةُ واللهِ أشعرُ منّي . فقال الشعبيّ : ثم أقبل عليّ فقال : كيف أنتَ يا شعبيّ ؟ قلت : بخير يا أمير المؤمنين فلا زلتَ به . ثم ذهبتُ لأضَعَ مَعاذيرِي لما كان من خلافي على الحجّاج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشْعَث ؛ فقال : مَهْ !

إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ولا تراه منّا في قول ولا فعل حتى تُفارقَنا . ثم أقبل عليّ فقال : ما تقول في النابغة ؟ قال قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فضّله عمرُ بن الخطّاب في غير موطن على الشعراء أجمعين ، وببابه وفدُ غَطَفانَ فقال : يا معشر غطفان ، أيُّ شعرائكم الذي يقول : [من الطويل]

حلَفتُ فلَم أترك لنفسك رِيبةً ... وليس وراء الله للمرء مَذْهَبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عنّي خِيانةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشي أَغَشُّ واكْذَبُ
ولستَ بمُسْتَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ أيُّ الرّجالِ المهذَّبُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : فأيُّكم الذي يقول : [من الطويل]

فإنّكَ كاللّيلِ الذي هــو مُدْرِكي ... وإن خلتُ أنّ المنتأى عنك واسِعُ
خَطاطِيفُ حُجْنٌ في حبــالٍ متينةٍ ... تَمُــدّ بهــا أيــدٍ إليــك نوازعُ

قالوا : النابغةُ . قال : فأيُّكم الذي يقول : [من الوافر]

إلى ابن مُحَرِّقٍ أعملتُ نفسي ... وراحلتي وقد هَـدَتِ العيونُ[1]
أتيتك عاريــاً خَلَقــاً ثِيابِي ... على خوفٍ تُظَنُّ بِــيَ الظُّنونُ
فألفيْتُ الأمانــــةَ لم تَخُنْهــا ... كذلـك كان نُــوحٌ لا يخونُ

قالوا : النابغة يا أمير المؤمنين . قال : هذا أشعر شعرائكم . قال : ثم أقبل على الأخطل فقال : أتُحِبّ أنّ لك قِياضاً بشعرك شعرَ أحدٍ من العرب أو تحبّ أنّك قلتَه ؟ قال : لا والله يا أمير المؤمنين ، إلاّ أنّي وَدِدْتُ أنْ كنتُ قلتُ أبياتاً قالَها رجل منّا ، كان والله ما علِمتُ مُغْدَفَ[2] القِناع قليل السَّماع قصيرَ الذِّراع . قال : وما قال ؟ فأنشد قصيدته : [من البسيط]

إنّا مُحَيُّــوكَ فاسْلَمْ أيُّها الطَّلَلُ ... وإن بَلِيتَ وإن طالَت بِكَ الطِّيَلُ[3]
ليس الجديدُ بــه تبقى بَشاشتُهُ ... إلاّ قليــلاً ولا ذو خُلَّــةٍ يصِلُ
والعيشُ لا عيشَ إلاّ مــا تَقَــرُّ بِهِ ... عــينٌ ولا حالَ إلاّ سوف تنتقلُ
إن تَرْجِعِي من أبي عثمانَ مُنْجِحةً ... فقد يَهُـون على المُسْتَنْجِحْ العملُ[4]
والناسُ مَــنْ يَلْقَ خيراً قائلون له ... مــا يشتهي ولأُمِّ المخطىء الهَبَلُ

1 هدت ، أصله : (هدأت) بالهمز .
2 إغداف القناع : إرساله على الوجه .
3 الطّيل : جمع طيلة وهو الدهر .
4 منجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

قـد يُـدْرِكُ المُتَـأَنِّي بعضَ حاجتِهِ وقــد يكون مع المستعجِلِ الزَّلَلُ

حتى أتى على آخرها . قال الشعبيّ : فقلت : قد قال القَطاميّ أفضلَ من هذا قال : وما قال ؟ قلت قال : [من الكامل]

طرَقَتْ جَنُوبُ رِحالَنا من مَطْرَقِ مـا كنت أَحسِبُها قريبَ المُعْنَقِ[1]

قطعتَ إليك بمثـلِ جيـدِ جَدايةٍ حَسَنٍ مُعَلَّــقُ تُومَتَيْـهِ مُطَوَّقِ[2]

ومُصَرَّعِـين مــن الكَـلالِ كأنّما شَرِبُوا الغَبُوقَ من الرَّحِيقِ المُعْرَقِ[3]

متوسِّديــن ذراعَ كلِّ نَجيبـةٍ ومُفَــرَّجٍ عُــرَقِ المَقَــذِّ مُنَوَّقِ[4]

وجَثتْ على رُكَبٍ تَهُدّ بِها الصَّفا وعلى كَلاكِـلَ كالنَّقِيـلِ المُطْرَقِ[5]

وإذا سَمِعْـنَ إلى هَماهِـمِ رُفْقَةٍ ومن النجومِ غوابِـرٌ لَم تَخْفِقِ[6]

جعلتْ تُميلُ خدودَهـا آذانُها طَرَبـاً بهنّ إلى حُـداء السُّوَّقِ

كالمُنْصِتاتِ إلى الغنـاء سمعنَـه من رائــع لقلوبهــنّ مُشَوِّقِ

وإذا نظــرنَ إلى الطريــقِ رأَينَه لَهقــاً كشاكلة الحِصانِ الأَبلقِ[7]

وإذا تخلَّــف بعدهــنَّ لحاجــةٍ حــادٍ يُشَسِّعُ نَعْلَه لَــم يَلْحَقِ[8]

وإذا يصيبك والحــوادثُ جَمَّةٌ حَـدَثٌ حَدَاك إلى أَخيكَ الأوثقِ

لئن الهمــومُ عــن الفؤادِ تفرّقت وخَــلا التَّكَلُّـمُ للّسانِ المُطْلَقِ[9]

قال : فقال عبد الملك : هذا والله أشعرُ ، ثَكِلتِ القَطاميَّ أُمُّه ! . قال : فالتفت إليَّ الأَخطل فقال : يا شعبيّ ، إنّ لك فنوناً في الأحاديث ، وإنّما لنا فنٌّ واحد ؛ فإن رأَيت ألّا

---

1 المعنق : المكان الذي أعنقت منه . العنق : ضرب من السير سريع .

2 الجَداية : الغزال . والتُّومة : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبّة كبيرة .

3 شربوا في ل : سمروا . الرحيق في الديوان : الطلا . المعرق : القليل الماء .

4 المفرّج : ما بان مرفقه عن إبطه ، وهي صفة ممدوحة في الإبل . والمقذ : ما خلف الأذن . بعير منوّق : مذلّل كأنه ناقة ، أو هو الذي اختير وتنوّق فيه .

5 النقيل : رقاع النعل والخف ، واحدتها نقيلة . والمطرق : الذي وضع بعضه فوق بعض ، أي هي شديدة كأنها نعال مرقعة .

6 غوابر في ل : غوائر أي بواق .

7 لهقاً في ل : كهفاً . واللهق : الشديد البياض . والشاكلة : الخاصرة . والأبلق من الخيل : الذي ارتفع تحجيله إلى فخذيه .

8 الشسع : أحد سيور النّعل .

9 لئن في ل : ليت . تفرّقت في ل : تفرّجت .

تحملني على أكتاف قومك فأدَعَهم حَرَضاً[1] ! . فقلت : لا أعرِض لك في شيء من الشعر أبداً ، فأقِلْني في هذه المرّة . قال : مَنْ يتكفّل بكَ ؟ قلت : أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : هو عليَّ ألاّ يعرِض لك أبداً ؛ ثم قال : يا شعبيّ ، أيُّ نساء الجاهليّة أشعر ؟ قلت : خَنْساء . قال : ولِمَ فضّلتَها على غيرها ؟ قلت : لقولها : [من الطويل]

وقائلةٍ والنَّعْشُ قد فات خَطْوَها لِتُدْرِكه يا لَهْفَ نفسي على صَخْرِ
ألا ثَكِلَتْ أُمُّ الذين غَدَوْا بِهِ إلى القبر ماذا يحملون إلى القبرِ

فقال عبد الملك : أشعرُ منها والله التي تقول : [من البسيط]

مُهَفْهَفُ الكَشْحِ والسربالِ منخرقٌ عنه القميصُ لسير الليلِ محتقرُ[2]
لا يأمَنُ الناسُ مُمْساه ومُصْبَحَهُ في كلِّ فَجٍّ وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبيّ ، لعلَّك شَقَّ عليك ما سمعتَ . قلت : إي والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقّة . إنّي أحدّثك منذ شهرين لم أفِدك إلاّ أبياتَ النابغة في الغلام . قال : يا شعبيّ ، إنّما أعلمتك هذا لأنه بلغني أنّ أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ، يقولون : إنْ كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية ؛ وأهلُ الشام أعلم بعلم العراق من أهل العراق ؛ ثم ردّ عليّ الأبيات أبياتَ لَيْلى حتى حفِظتها ، ولم أزَل عنده ؛ فكنتُ أوّلَ داخل وآخر خارج . قال : فمكثتُ كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء وعشرين رجلاً من ولدي وأهل بيتي في ألفين ألفين ؛ فبعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مَرْوان بمصر وكتب إليه : يا أخي ، إنّي قد بعثت إليك الشعبيّ ، فانظر هل رأيتَ مثلَه قطُّ ؟ ثم أذِن لي فانصرفت .

[حديث حسان عنه حين قدم على النعمان]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المَدائنيّ ، وأخبرني ببعضه أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عمر بن شَبّة عن أبي بكر الهُذَليّ قال : قال حسّان بن ثابت : قَدِمت على النُّعمان بن المنذر وقد امتدحتُه ، فأتيت حاجبه عصام بن شَهْبَر فجلستُ إليه ؛ فقال : إنّي لأرى عربيّاً ، أفمن الحجاز أنت ؟ قلت نعم . قال : فكُنْ قَحطانيّاً . فقلت : فأنا قحطانيّ . قال : فكن يَثْرَبِيّاً قلتُ : فأنا يثربيّ . قال : فكن خَزْرَجيّاً . قلت : فأنا خزرجيّ . قال : فكن حسّان بن ثابت . قلت : فأنا هو . قال : أجئتَ بمِدْحة الملك ؟ قلت نعم . قال : فإنّي أرشدك : إذا دخلتَ إليه فإنّه يسألك عن جَبَلَة بن الأيْهَم ويسُبّه ، فإيّاك أن تساعده على ذلك ،

1 الحرض : الرديء ، من النّاس .
2 مهفهف الكشح : ضامره ، وهفهفة السربال رقته وخفته .

ولكن أَمِرَّ ذكرَه إمراراً لا تُوافِق فيه ولا تُخالِف ، وقل : ما دخول مثلي أيُّها الملك بينك وبين جبلةَ وهو منك وأنت منه ؟ . وإن دعاك إلى الطعام فلا تُؤاكِلْه ؛ فإن أقسم عليك فأَصِبْ منه اليسيرَ إصابةَ بارٍّ قَسَمَه مُتَشَرِّفٍ بمؤاكلته لا أَكلَ جائعٍ سَغِبٍ ، ولا تُطِلْ محادثتَه ، ولا تبدأْه بإخبار عن شيء حتى يكون هو السائلَ لك ، ولا تُطِل الإقامةَ في مجلسه . فقلت : أَحسنَ اللهُ رِفْدَك ! قد أوصيتَ واعياً . ودخل ثم خرج إليّ فقال لِي : ادخُلْ . فدخلتُ فسلّمت وحيّيت تحيّة الملوك . فجاراني من أمر جَبَلَةَ ما قاله عِصامٌ كأنّه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنتهُ في الإنشاد فأَذِن لِي فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عِصامٌ به ، وبالشراب ففعلتُ مثلَ ذلك . فأمر لِي بجائزة سنيّة وخرجت . فقال لي عصام : بَقِيتْ عليّ واحدةٌ لم أُوصِك بها ؛ قد بلغني أنّ النابغة الذُّبياني قدِم عليه ، وإذا قدِم فليس لأحد منه حظٌّ سواه ؛ فاستأذِن حينئذٍ وانصرِف مُكَرَّماً خير من أن تنصرف مجفُوّاً ؛ فأقمتُ ببابه شهراً . ثم قدِم عليه الفَزاريّانِ وكان بينهما وبين النُّعمان دُخْلُلٌ (أي خاصّة) وكان معهما النابغة قد استجار بهما وسألهما مسألة النُّعمان أن يرضى عنه . فضرب عليهما قُبّة من أدم ، ولم يشعر بأنّ النابغة معهما . ودسَّ النابغةُ قَيْنةً تغنّيه بشعره : [من الكامل]

يـــا دارمَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ

فلمّا سمع الشعرَ قال : أُقسم بالله إنّه لشعر النابغةِ ! وسأل عنه فأُخْبِر أنّه مع الفَزاريَّيْن ؛ فكلّماه فيه فأمّنه .

وقال أبو زيد عمر بن شَبَّة في خبره : لمّا صار معهما إلى النُّعمان كان يُرسل إليهما بطِيبٍ وأَلْطاف مع قَيْنة من إمائه ، فكانا يأمُرانِها أن تبدأ بالنابغة قبلهما . فذكرتْ ذلك للنُّعمان ، فعلم أنّه النابغة . ثم أُلقي عليها شعرَه هذا وسألها أن تغنّيه به إذا أخذتْ فيه الخمرُ ؛ ففعلتْ فأطربته ، فقال : هذا شعر عُلْوي[1] ، هذا شعر النابغة ! . قال : ثم خرج في غِبِّ سماء ، فعارضه الفَزاريّان والنابغة بينهما قد خُضِب بحِنّاء فأقنأ خِضابُه[2] ، فلمّا رآه النُّعمان قال : هي بدَمٍ كان أحرى أن تُخضَب . فقال الفَزاريّان : أبيتَ اللَّعْنَ ! لا تثريب[3] ، قد أَجَرْناه ، والعفوُ أجمل . فأمّنه واستنشده أشعاره . فعند ذلك قال حسّان بن ثابت : فحسَدته على ثلاث لا أدري على أيّتهنّ كنتُ له أشَدَّ حسداً : على إدناء النُّعمان له بعد المباعدة ومسامرته[4] له

1 عُلوي : نسبة إلى العالية غير القياس ، وهي ما فوق نجد إلى أرض تهامة إلى ما وراء مكة وقرى بظاهر المدينة .

2 قنوء الخضاب : اشتداد حمرته .

3 التثريب : اللوم والتعيير بالذنب والتذكير به .

4 في ل : ومسايرته .

وإصغائه إليه ، أم على جَوْدة شعره ، أم على مائة بعيرٍ من عَصافيره[1] أَمَر له بها .

قال أبو عُبيدة : قيل لأبي عمرو : أَفَمِن مخافته امتدحه وأتاه بعد هَرَبه منه أم لغير ذلك ؟ فقال : لا لعمرُ الله ما لَمخافته فعل ، إنْ كان لآمِناً من أن يوجِّه النُّعمان له جيشاً ، وما كانت عشيرتُه لِتُسلمَه لأوّل وَهْلة ، ولكنّه رغِب في عطاياه وعصافيره . وكان النابغة يأكل ويشرب في آنية الفِضّة والذهب من عطايا النُّعمان وأبيه وجَدّه ، لا يستعمل غير ذلك . وقيل : إنّ السبب في رجوعِهِ إلى النُّعمان بعد هَربه منه أنّه بلغه أنه عليلٌ لا يُرجى ، فأقلقه ذلك ولم يملك الصبرَ على البعد عنه مع علّته وما خافه عليه وأشفق من حدوثه به ، فصار إليه وألفاه محمولاً على سريره يُنْقَل ما بين الغَمر وقصور الحِيرة . فقال لعصام بن شَهْبَرٍ حاجبه ، فيما أخبرنا به اليزيديّ عن عمّه عُبَيد الله وابن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل : [من الوافر]

صوت

أَلَم أُقْسِمْ عليـــكَ لَتُخْبِرَنِّي ... أَمحمـــولٌ عـــلى النَّعْشِ الهُمامُ

فإنِّـــي لا أَلومُـــكَ في دخولي ... ولكن مـــا وراءكَ يـــا عِصامُ[2]

فإنْ يَهْلِكْ أَبـو قابـوسَ يَهْلِكْ ... ربيـعُ النَّاسِ والشهرُ الحرامُ[3]

ونُمْسِكْ بعـده بذِنابِ عيشٍ ... أَجَبَّ الظهر ليس لـــه سَنامُ[4]

غنّاه حُنَين ثقيلاً أوّل بالبنصر عن حَبَش .

قال أبو عُبيدة : كانت ملوك العرب إذا مرِض أحدهم حملتْه الرجالُ على أكتافها يتعاقبونه ، فيكون كذلك على أكتاف الرجال ؛ لأنه عندهم أوطأ من الأرض .

وقوله : [من الوافر]

فإنّـــي لا أَلومُكَ في دخولي

أي لا أَلومك في ترك الإذن لِي في الدخول ، ولكن أَخْبِرْني بكُنْه أمره . وقوله : [من الوافر]

ربيـع النـــاس والشهر الحرامُ

---

1 العصافير : إبل نجائب كانت للملوك .

2 لا ألومك في ل : لا ألام . و«ما وراءك يا عصام» مثل . انظر مجمع الأمثال للميداني : 262/22 وكتاب الأمثال لأبي فيد : 184 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري : 225/2 وكتاب المستقصى في الأمثال للزمخشري : 334/2 .

3 أبو قابوس : كنية النُّعمان بن المنذر .

4 ذِناب كل شيء : عقبه ومؤخره . وأجب الظهر : مقطوع السّنام .

يريد أنّه كالربيع في الخِصْب لمُجتَدِيه ، وكالشهر الحرام لجاره ، لا يوصَل إلى مَن أجاره كما لا يُوصَل في الشهر الحرام إلى أحد .

[مما يغنّى فيه من شعره]

صوت

[من الطويل]

رأَيتُكَ تَرْعانِي بعينٍ بصيرةٍ ... وتبعث حُرَّاساً عليّ وناظرا[1]
فآليتُ لا آتيك إن كنتُ مُجْرماً ... ولا أَبتغي جاراً سواك مجاورا[2]
وأَهلي فداءٌ لامرىء إن أَتيته ... تقبَّل معروفي وسَدَّ المَفاقِرا[3]
أَلا أَبْلِغ النُّعمانَ حيث لَقِيتَه ... وأَهدى له اللهُ الغيوثَ البواكرا

غنّاه خُلَيْد[4] الواديّ رملاً بالبنصر من رواية حَبَش .

ومِمّا يُغنّى فيه من قصائد النابغة التي يعتذر فيها إلى النُّعمان : [من البسيط]

صوت

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْياء فالسَّنَدِ ... أَقْوَتْ وطال عليها سالفُ الأَمَدِ
وقفتُ فيها أُصَيلاناً أُسائلها ... أَعْيَتْ جواباً وما بالرَّبْعِ من أحدِ
إلاّ الأَوارِيّ لأْياً ما أُبَيِّنُها ... والنُّؤْيُ كالحَوْض بالمظلومة الجَلَدِ
ردَّتْ عليه أقاصيه ولبّده ... ضَرْبُ الوليدةِ بالمِسْحاةِ في الثّأَدِ[5]
خَلَّتْ سبيلَ أَتيٍّ كان يحبِسه ... ورفَّعته إلى السَّجْفين فالنَّضَدِ
أَضحتْ خَلاءً وأَضحى أَهلُها احْتَمَلوا ... أَخْنى عليها الذي أَخْنى على لُبَدِ

الغناء لمَعْبَد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لجَميلة ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو وحَبَش .

قال الأصمعيّ : وقوله «يا دار ميّة» يريد يأهلَ دارِ مَيَّة ، كلّما قال امرؤ القيس :

أَلا عِمْ صَباحاً أَيُّها الطَّلَلُ البالي

يريد أَهلَ الطلل . وقال الفرّاء . إنّما نادى الدّار لا أَهلَها أَسفاً عليها وتشوّقاً إلى أَهلها

---

1 ترعاني : تحرسني وتحفظني .
2 آليت : أقسمت ، ومجرماً : مذنباً .
3 يقال : سدّ الله مفاقره أي أغناه وسدّ وجوه فقره .
4 هو خليد بن عتيك أحد المغنين بوادي القرى .
5 موضع الثأد التراب الندي المبلول ، وهو إذا ضرب بالمسحاة التصق بعضه ببعض وانخفض .

وتَمَنِّيه أن تكون أهلاً . والعلياء : المكان المرتفع بناؤه ؛ يقال من ذلك عَلا يَعْلُو وعَلِيَ يَعْلى ، مثلُ حَلا يَحْلُو وحَلِيَ يَحلى ، وسَلا يَسْلُو وسَلِيَ يَسْلى . والسَّنَد : سَنَد الجبل وهو ارتفاعه حيث يُسْنَد فيه أي يُصْعد . أَقْوَتْ : أقفرتْ وخلَتْ من أهلها . وقال أبو عُبيدة في قوله يا دار مَيّة ثم قال أَقْوَتْ ولم يقل أَقْوَيْتِ : إنّ من شأن العرب أن يخاطبوا الشيء ثم يتركوه ويكُفُّوا عنه . وروى الأصمعيّ «أُصَيْلاناً» وهو تصغير أَصْلان[1] . ويُروى «عَيَّتْ جواباً» أي عَيِيَتْ بالجواب . والأَوارِيّ : جمع آرِيّ[2] . ولأياً : بُطْئاً . والمظلومة : التي لم يكن فيها أثرٌ فحفر أهلُها فيها حوضاً ؛ وظُلْمُهم إيّاها إحداثُهم فيها ما لم يكن فيها . شبّه النُّؤْيَ بذلك الحوض لاستدارته . والجَلَد : الأرض الصُّلبة الغليظة من غير حجارة . وإنّما جعلها جَلَداً لأنّ الحفر فيها لا يسهُل . وقوله «رَدَّتْ عليه أقاصيه» يعني أَمَةً فعلتْ ذلك ، أضمرها ولم يكن جرى لها ذكر . وأقاصيه : يعني أقاصي النُّؤْي على أدناه ليرتفع . ولَبّده : طَأْمَنه[3] . والوليدة : الأَمَةُ الشابّة . والثَّأد : النَّدى . والسبيل : الطريق . والأَتِيّ : النّهر المحفور ، والأَتِيّ : السيل من حيث كان . يقول : لمّا أُفسدتْ طريقُ الأَتِيِّ سهّلت له طريقاً حتّى جرى . ورفّعته أي قدّمت الحفر إلى موضع السَّجْفين ، وليس رَفَّعَتْه هاهنا من ارتفاع العُلُوّ . والسَّجْفان : سِتْران رقيقان يكونان في مُقَدَّم البيت . والنَّضَد : ما نُضِد من المَتاع . وأَخْنى : أَفْسَد . ولُبَد : آخر نسور لُقْمان التي اختار أن يُعَمَّر مثلَ أعمارها وله حديث ليس هذا موضعه .

صوت

[من البسيط]

أَسْرَتْ عليه من الجَوْزاء ساريةٌ ... تُزْجِي الشَّمالُ عليه جامدَ البَرَدِ

فارتاعَ من صَوْتِ كَلّابٍ فباتَ له ... طَوْعُ الشَّوامِتِ من خَوْفٍ ومن صَرَدِ

فَبَثَّهُنّ عليه واستمرّ بِهِ ... صُمْعُ الكُعوبِ بَرِيَّاتٌ من الحَرَدِ[4]

وكان ضُمْرانُ منه حيثُ يُوزِعُهُ ... طَعْنَ المُعارِكِ عند المُحْجَرِ النَّجُدِ[5]

شَكَّ الفَرِيصةَ بالمِدْرى فأَنْفَذَها ... طَعْنَ المُبَيْطِرِ إذ يَشْفِي من العَضَدِ

غنّى فيه إبراهيم الموصليّ هَزَجاً بالبنصر من رواية عمرو بن بانة . وفيه لحن لمالك . يعنى

1 أصلان : جمع أصيل وهو القسي .
2 الآري : الآخية التي تشدّ بها الدابة .
3 طأمنه : خفضه وسكنه .
4 بث : فرّق .
5 ضمران : اسم كلب . يوزعه : يغريه .

أنّ سحابةً مرّتْ عليه ليلاً وأنّ أنواء الجَوزاء أَسْرَتْ عليه بها . وتُزْجِي : تسوق وتَدْفَع . عَلَيْهِ أي على الثور . والكَلاّب : صاحب الكِلاب . وقوله «بات له طَوْعُ الشوامت» أي بات له ما يَسُرّ الشوامتَ[1] اللَّواتِي شَمِتْنَ بِه . وصُمْعُ الكعوب : يعني قوائمَه أنّها لازقةٌ محدَّدة الأطراف ليست برَهِلاتٍ . وأصلُ الصَّمَع رِقّة الشيء ولطافته . والحَرَدُ[2] : داء يعيبه ؛ يقال بعيرٌ أَحْرَدُ ، وناقةٌ حَرْداءُ . والمُحْجَرُ : المُلْجأ . والنَّجُدُ[3] : الشجاع . والفَرِيصةُ : مَرْجِع الكَتِف إلى الخاصرة . والمِدْرى : القَرْن . والمُبَيْطِر : البَيْطار . والعَضَدُ : داء يأخذ في العَضُد .

وفي لحن إبراهيم الموصليّ بعدَ «فارتاع من صوت كَلاّبٍ» : [من البسيط]

كأنّ رَحْلِي وقــد زالَ النّهارُ بنا يــومَ الجَليلِ على مُسْتأنِسٍ وَحَدِ[4]

مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مَوْشِيٍّ أكارِعُه طاوى المَصِير كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ الفَرَدِ

قال الأصمعيّ : زال النهار بنا أي انتصف . و«بنا» هاهنا في موضع «علينا» . ومَن روى «مُسْتَوْجِس» فإنه يعني أنه قد أَوْجَسَ شيئاً خافه فهو يَسْتَوْجِس . والجليل : الثُّمام ، واحدته جَلِيلةٌ . ووَجْرة : طَرَف السِّيِّ[5] وهي فلاة بين مَرّان وذات عِرْق وهي ستّون مِيلاً يجتمع فيها الوحش . ومَوْشِيّ أكارعُه أي إنه أبيض في قوائمه نُقَطٌ سُودٌ وفي وجهه سُفْعةٌ[6] . وطاوِي المَصِير : ضامر . والمَصِير المِعَى ، وجمعه المُصْران . والفَرَدُ : المنقطع القرينِ ؛ يقال : فَرَدٌ وفَرِدٌ وفُرُدٌ .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال : غنّى مُخارِقٌ يوماً بين يدي الرشيد : [من البسيط]

سرت عليــــه مــن الجــوزاء ساريةٌ

فلمّا بلغ إلى قوله : [من البسيط]

فارتاعَ من صوت كَلاّبٍ فبات له

قال : فارتاعُ (بضم العين) ؛ فأردتُ أن أَرُدّ عليه خطأه ، ثم خِفتُ أن يغضب الرشيد ويظنّ أنّي حسدته على منزلته منه وأردت إسقاطَه . فالتفت إليه بعضُ مَنْ حضر ، أظنّه قال محمد بن عمر الروميّ ، فقال له : ويلك يا مخارق ! أتغنّي بمثل هذا الخطأ القبيح لسُوقةٍ

---

1 الشوامت : جمع شامتة وهي القوائم .

2 الحرد : استرخاء عصب في يدي البعير من شد العقال وربّما كان خلقة .

3 النّجد : وهو العرق من عمل أو كرب أو غيره .

4 الاستئناس هنا : النظر والتوجس كأنه يخاف الإنس كما قال ابن الأعرابيّ .

5 السِّيّ : موضع .

6 السفعة : السواد ؛ وهي سواد مشرب بحمرة .

فضلاً على الملوك ! ويلك ! لو قلتَ : «فارتاعَ» كان أخفَّ على اللسان وأسهلَ من قولك «فارتاعُ» . فخجِل مُخارق ، وكُفِيتُ ما أردته بغيري . قال : وكان مخارق لَحّاناً .

ومنها : [من البسيط]

صوت

قالت ألا لَيْتما هذا الحمامُ لنا ... إلى حمامتنا ونِصْفُه فقَدِ
يَحُفُّه جانِبا نِيقٍ وتُتْبِعُه ... مثلَ الزُّجاجة لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ
فحسَبوه فألْفَوْه كما حَسِبتْ ... تسعاً وتسعين ولم تنقُص ولم تَزِدِ
فكمّلتْ مائةً فيها حمامَتُها ... وأسرعتْ حِسْبةً في ذلك العددِ

غنّاه ابن سُريج خفيف ثقيلٍ عن الهشاميّ . هذا خبرٌ رُوِي عن زَرْقاء اليَمامة ، ويُرْوى عن بنت الخُسّ[1] .

[أخذ معنى لزرقاء اليمامة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليَزيديّ قال سمعت أبا العبّاس محمد بن الحسن الأحول يقول : هذا أخذه النابغة من زرقاء اليمامة ، قالت : [من مجزوء الرجز]

ليت الحمامَ لِيَهْ ... ونِصْفَه قَدِيَهْ[2]
إلى حَمامَتِيَهْ ... تَمّ الحمامُ مِيَهْ

فسلَخه النابغة . وقال الأصمعيّ : سمعت أُناساً من أهل البادية يتحدّثون أنّ بنت الخُسّ كانت قاعدةً في جَوارٍ ، فمرّ بها قَطاً واردٌ في مَضِيقٍ من الجبل ، فقالت : [من مجزوء الرجز]

يا ليتَ ذا القَطا لِيَهْ ... ومثلَ نِصْفٍ مَعِيَهْ
إلى قَطاةِ أهْلِيَهْ ... إذاً لنا قَطاً مِيَهْ

وأُتْبِعتْ فعُدَّتْ على الماء فإذا هي ستٌّ وستّون . وقوله : «فَقَدْ» أي فحَسْبُ . ويَحُفّه أي يكون من ناحية هذا الثَّمَد ؛ يقال : حَفّ القومُ بالرجل أي اكتنفوه . والنِّيق : الجبل . ومثل الزجاجة : يريد عيناً صافية كصفاء الزجاجة . الحِسْبة : الهيئة التي تُحْسَب ؛ يقال : ما أحْسَنَ حِسْبَتَه ، مثل الجِلْسة واللِّبْسة والرِّكْبة .

ومنها : [من البسيط]

صوت

نُبِّئْتُ أنّ أبا قابُوسَ أوعدني ... ولا قَرارَ على زأْرٍ من الأسَدِ

---

1 بنت الخس : امرأة من إياد كانت مشهورة بالفصاحة اسمها هند ، وقيل : جمعة .

2 قديه : حسبي ، والهاء الساكنة للسكت .

مَهْلاً فـداءٌ لـك الأقوامُ كلُّهمُ وما أُثَمِّرُ من مالٍ ومن ولدِ
إنْ كنتُ قلتُ الذي بُلِّغْتَ مُعْتَمِداً إذاً فلا رفعتْ سَوْطِي إليَّ يدي
هذا الثناءُ فإنْ تَسْمَعْ بِهِ حَسَناً فلَم أُعَرِّضْ أُبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَّفَدِ

غنّاه الهُذَليّ ، ولحنه من الثقيل الأوّل عن الهشاميّ . أُثَمِّر : أُصلح وأجمع . والزَّأْرُ : صياح الأسد ؛ يقال : زأر زئيراً وهو الزأْر . والصَّفَد : العطيّة ؛ يقال : أصْفده يُصْفِده إصفاداً إذا أعطاه ، وصَفَده يَصْفِده صَفْداً إذا أوثقه .

[رواية أخرى في حديث حسان عنه حين وفد على النعمان]

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني الصَّلْت بن مسعود قال حدّثنا أحمد بن شَبَّوَيْهِ عن سليمان بن صالح عن عبد الله بن المبارَك عن فُلَيْح بن سليمان عن رجل قد سمّاه عن حسّان بن ثابت ، ونسخت من كتاب ابن أبي خَيْثَمَةَ عن أبيه عن مُصْعَب الزُّبيريّ قال قال حسّان بن ثابت ، وأخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف بن محمد عن عمّه إسماعيل بن أبي محمد قال قال أبو عمرو الشيبانيّ قال حسان بن ثابت ، وقد جمعتُ رواياتهم وذكرت اختلافهم فيها ، وأكثرُ اللفظ للجوهريّ ، قال : خرجتُ إلى النُّعْمان بن المنذر ، فلَقِيت رجلاً ، وقال اليزيديّ في خبره : فلقيتُ صائغاً من أهل فَدَك ، فلمّا رآني قال : كُن يَثْرَبِيّاً ؛ فقلت : الأمر كذلك . قال : كُن خَزْرَجِيّاً ؛ قلت : أنا خزرجيّ . قال : كُن نَجّارِيّاً ؛ قلت : أنا نجّاريّ . قال : كُن حسّان بن ثابت ؛ قلت : أنا هو . فقال : أين تريد ؟ قلت : إلى هذا الملك . قال : تريد أن أُسَدِّدك إلى أين تذهب ومَنْ تريد ؟ قلت نعم . قال : إن لِي به علماً وخُبْراً . قلت : فأعْلِمْني ذلك . قال : فإنّك إذا جئتَه متروكٌ شهراً قبل أن يُرسل إليك ثم عسى أن يسأل عنك رأسَ الشهر ، ثم إنك متروكٌ آخرَ بعد المسألة ثم عسى أن يُؤْذَن لك . فإنْ أنت خلوتَ به وأعْجَبْتَه فأنت مصيبٌ منه خيراً ؛ فأقِمْ ما أقمتَ ، فإن رأيتَ أبا أُمامة فاظْعَنْ ، فلا شيء لك عنده . قال : فقدِمت ففعَل بِي ما قال الرجل ثم أذِن لي وأصبتُ منه مالاً كثيراً ونادمتُه وأكلت معه . فبينا أنا على ذلك وأنا معه في قُبّة له إذا رجلٌ يرتجز حولها : [من الرجز]

أصَمُّ أم يسمع ربُّ القُبَّهْ يا أوهبَ النّاس لِعَنْسٍ صُلْبَهْ[1]
ضَرَّابةٍ بالمِشْفَرِ الأذِبَّهْ ذات هِبابٍ في يديها جُلْبَهْ[2]

1 العنس : الناقة القوية .
2 الأذبة : جمع قلة لذباب . الهِباب : النشاط والسرعة .

في لاحِبٍ كأنّه الأُطِبَّهْ[1]

وفي رواية اليزيديّ «في يديها خُدْبة» أي طول واضطراب . والأُطِبّة : جمع طِباب وهو الشِّراك يجمع فيه بين الأديمين في الخَرْزِ . وقال عمر بن شَبَّة في خبره : قال فُلَيح بن سليمان : أخذت هذا الرجز عن ابن دَأْب ، قال فقال : أليس بأبي أُمامة ؟ قالوا بلى . قال : فأَذِنوا له . ودخل فحيَّاه وشرِب معه . ثم وردت النَّعَمُ السُّودُ ، ولم يكن لأحد من العرب بعيرٌ أسود يُعْرَف مكانُه ولا يفتحل أحدٌ بعيراً أسود غير النُّعمان . فاستأذنه في أن يُنشده كلمته على الباء ؛ فأَذِن له أن يُنشده قصيدته التي يقول فيها : [من الطويل]

فإنّك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

ووردت عليه مائةٌ من الإبل السُّود الكَلْبيّة فيها رِعاؤها وبيتها وكلبُها ، فقال : شأنَك بها يا أبا أُمامة ، فهي لك بما فيها . قال حسّان . فما أصابني حسدٌ في موضع ما أصابني يومئذٍ ، وما أدري أيّما كنتُ أحْسَدَ له عليه : أَلِما أسمع من فضل شعره ، أم ما أرى من جزيل عطائه ؛ فجمعتُ جَرامِيزي[2] وركبت إلى بلادي . وقد روى الواقديّ عن محمد بن صالح الخبر فذكر أنّ حسّان قدِم على جَبَلة بن أبي شَمِر ؛ ولعلّه غلط . أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثني عمّي يوسف قال حدّثني عمّي إسماعيل عن الواقِدِيّ عن محمد بن صالح قال : كان حسّان بن ثابت يقدَم على جَبَلة بن الأَيْهَم سنةً ويُقيم سنةً في أهله . فقال : لو وفدتُ على الحارث ، فإن له قرابةً ورَحِماً بصاحبي ، وهو أبذل الناسِ لمعروف ، وقد يئس منّي أن أقدَم عليه لِما يعرف من انقطاعي إلى جَبَلة . فخرجتُ في السنة التي كنت أُقيم فيها بالمدينة حتى قدِمت على الحارث وقد هيّأت مديحاً . فقال لي حاجبه وكان لي ناصحاً : إنّ الملك قد سُرَّ بقدومك عليه ، وهو لا يَدَعُك حتى تذكُرَ جَبَلةَ . فإيّاك أن تقع فيه فإنّه يختبرك ؛ فإنّك إن وقعتَ فيه زِهد فيك ، وإن ذكرتَ مَحاسنَه ثَقُل عليه ، فلا تبتدىء بذكره ؛ فإنْ سألك عنه فلا تُطْنِب في الثناء عليه ولا تَعِبْه ، امسَحْ ذكرَه مَسْحاً وجاوِزْه . وإنه سوف يدعوك إلى الطعام وهو يُثقل عليه أن يُؤْكَل طعامُه أو يُشْرَبَ شرابُه ، فلا تَضَعْ يدك في شيء حتى يدعوَك إليه . قال : فشكرتُ له ذلك . ثم دعاني فسألني عن البلاد والناس عن عيشنا في الحجاز وكيف ما بيننا من الحرب ، وكلّ ذلك أُخبره ، حتى انتهى إلى ذكر جَبَلة فقال : كيف تَجِدُ جبلة ، فقد انقطعتَ إليه وتركتنا ؟ فقلت له : إنما جبلة منك وأنت منه ؛ فلم أجْرِ معه في مدح ولا ذَمٍّ ، وفعلتُ في الطعام والشراب كما قال لي

1 اللاحب : الطريق الواضح .

2 جمع فلان إليه جراميزه : إذا رفع ما انتشر من ثيابه ثم مضى .

الحاجب . قال : ثم قال لي الحاجب : قد بلغني قدومُ النابغة وهو صديقُه وآنسُ به ، وهو قبيح أن يجفوَك بعد البرِّ ، فاستأذِنْه من الآن فهو أحسن . فاستأذنتُه فأذِن لي وأمر لي بخمسمائة دينار وكُسأ وحُمْلان ، فقبضتها وانصرفتُ إلى أهلي .

صوت

[من الطويل]

ملوكٌ وإخوانٌ إذا ما لَقِيتُهمْ أُحَكِّمُ في أموالهم وأُقَرَّبُ
ولكنَّني كنتُ امرءاً لِيَ جانِبٌ من الأرضِ فيه مُسْترادٌ ومطلبُ

الغناء لإبراهيم ثقيلٌ أوّل . الجانب هنا : المتَّسَع من الأرض . والمُسترادُ : المُختَلَف يذهب فيه ويجيء ؛ ويقال : رادَ الرجلُ لأهله إذا خرج رائداً لهم في طلب الكلا ونحوه . ثم ذكر مستراده فقال : «ملوكٌ وإخوانٌ» .

ومن القصيدة العينيّة : [من الطويل]

صوت

عَفا ذو حُسأ من فَرْتَنا فالفوارعُ فَجَنْبا أَرِيكٍ فالتِّلاعُ الدوافِعُ[1]
فمُجْتَمَعُ الأشراجِ غَيَّرَ رَسْمَها مَصايِفُ مرَّتْ بعدنا ومَرابِعُ[2]
توهّمتُ آياتٍ لها فعرفتُها لِستّة أعوامٍ وذا العامُ سابعُ
رَمادٌ ككُحْل العين ما إنْ أُبِينُه ونُؤْيٌ كجِذْم الحوض أَثْلَمُ خاشِعُ[3]

غنّاه معبدٌ من رواية حَبَشٍ رملاً بالبنصر . [من الخفيف]

صوت

آذنتْنا ببينِها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ
بعد عَهْدٍ لها ببُرْقة شَمّا ءَ فأَدْنى ديارِها الخَلْصاءُ

عروضه من الخفيف . آذنتنا : أعلمتنا . والبَيْنُ : الفرقة . والثاوي : المقيم ؛ يقال ثَوى ثَواءً . والبُرْقة : أرض ذات رمل وطين . وشَمّاء والخَلْصاء : موضعان . الشعر للحارث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُريّ . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، ومن الناس مَن ينسبه إلى حُنَيْن .

---

1 ذو حسا وأريك : موضعان . وفرتنا : اسم امرأة . والفوارع : تلال مشرفات المسايل . والتلاع : جمع تلعة ، وهي هنا : مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض . والدوافع : التي تدفع بالماء إلى الوادي .

2 الأشراج : جمع شَرَج وهو مجرى الماء من الحرار إلى السهولة .

3 إن أبينه في الديوان : «لأياً أبينه» . النؤي : حفير حول الخيمة ليحجز عنها الماء . وجذم كل شيء : أصله .

[174] ـ أخبار الحارث بن حلّزة ونسبه[1]

[نسبه]

هو الحارث بن حِلِّزة بن مَكْرُوه بن يزيد بن عبد الله بن مالك بن عَبْد بن سَعْد بن جُشَمَ بن عاصم بن ذُبيانَ بن كِنانة بن يَشْكُرَ بنَ بَكْر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلةَ بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار .

[السبب في قول قصيدته المعلقة]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : كان من خبر هذه القصيدة والسبب الذي دعا الحارثَ إلى قولها أنّ عمرو بن هِند المِلك ، وكان جبّاراً عظيمَ الشأن والمُلْك ، لَمّا جمع بَكْراً وتَغْلِبَ ابنَيْ وائل وأَصلح بينهم ، أخذ من الحَيَّيْن رُهُناً من كلّ حيٍّ مائةَ غلام ليكفَّ بعضَهم عن بعض ؛ فكان أولئك الرُّهُن يكونون معه في مسيره ويغزُون معه ؛ فأَصابتهم سَمُومٌ في بعض مَسِيرهم فهلَك عامّة التَّغْلَبِيِّين وسَلِم البَكْرِيّون . فقالت تَغْلِب لبكر : أَعطُونا دِياتِ أبنائنا ؛ فإن ذلك لكم لازم ، فأَبَت بكر بن وائل . فاجتمعت تَغْلِب إلى عمرو بن كُلْثوم وأَخبروه بالقصّة . فقال عمرو [ابن كلثوم لتَغلب : بِمَنْ ترون بكراً تَعْصِب أمرَها اليوم ؟ قالوا : بمَن عسى إلاّ برجل من أولاد ثَعْلَبة . قال عمرو] : أرى والله الأَمرَ سينجلي عن أَحمر أَصْلَجَ[2] أَصَمّ من بني يَشْكُرَ . فجاءت بكرٌ بالنُّعمان بن هَرِمٍ أحد بني ثعلبة بن غَنْم بن يَشْكُر ، وجاءت تَغْلِب بعمرو بن كُلثوم . فلمّا اجتمعوا عند الملك قال عمرو بن كلثوم للنُّعمان بن هَرِم : يا أَصَمّ ! جاءت بك أولاد ثعلبة تُناضل عنهم وهم يفخَرون عليك ! فقال النُّعمان : وعلى مَنْ أظلَّت السماءُ كلّها يفخَرون ثم لا يُنكَر ذلك . فقال عمرو بن كلثوم له : أَمَا والله لو لَطَمتُك لطمةً ما أخذوا لك بها . فقال له النُّعمان : والله لو فعلتَ ما أَفْلَتَّ بها قَيْسَ أَيْرِ أَبيك . فغضب عمرو بن هند وكان يؤثر بني تغلب على بكر ، فقال : يا جارية أَعْطِيه لَحْياً بلسان أُنْثى (أي سُبِّيه بلسانك) . فقال : أيّها الملك أَعطِ ذلك أحبَّ أَهلِك إليك . فقال : يا نُعمان أيسرُّك أنّي أبوك ؟ قال : لا ! ولكن وَدِدتُ أنّك أُمّي . فغضِب عمرو بن هند غضباً شديداً حتى همَّ بالنُّعمان . وقام الحارث بن حِلِّزة فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً ، توكّأ على قوسه وأنشدها وانتظم[3] كفَّه وهو لا يشعر من الغضب حتى فرغ منها . قال ابن الكلبيّ : أنشد الحارث عمرو بن هند هذه القصيدة وكان به

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء : 1/197-198 ، والخزانة 1/158 ، ومعاهد التنصيص 138-139 .

2 الأصلج : الأصم ، والأصلج في لغة بعض قيس : الأصلع .

3 انتظم هنا : طعن .

وَضَحٌ[1] ، فقيل لعمرو بن هند : إنّ به وضحاً ؛ فأمر أن يُجعل بينه وبينه سِتْرٌ . فلمّا تكلّم أُعجب بمنطقه ؛ فلم يزل عمرو يقول : أَدْنُوه أدنوه حتى أمر بطرح السِّتر وأقعده معه قريباً منه لإعجابه بـه . هذه رواية أبي عمرو . وذكر الأصمعيُّ نحواً من ذلك وقال : أخذ منهم ثمانين غلاماً من كلّ حيّ وأصلح بينهم بذي المَجاز[2] ، وذكر أنّ الغلمان من بني تَغْلِب كانوا معه في حرب فأُصيبوا . وقـال في خبره : إنّ الحـارث بن حِلِّزة لمّا ارتجل هذه القصيدة بين يدي عمرو قام عمرو بن كلثوم فارتجل قصيدته : [من الوافر]

قِفي قبـل التفرُّق يـا ظعِينا

وغيرُ الأصمعيّ يُنكر ذلك ويُنكر أنه السبب في قول عمرو بن كلثوم .

وذكر ابن الكلبيّ عن أبيه أنّ الصلح كان بين بكر وتغلب عند المنذر بن ماء السماء ، وكان قد شرَط : أيُّ رجلٍ وُجِد قتيلاً في دار قومٍ فهم ضامنون لدمه ، وإن وُجِد بين مَحَلَّتين قِيسَ ما بينهما فيُنظَر أقربُهما إليه فتضمَن ذلك القتيل . وكان الذي ولِيَ ذلك واحتمى لبني تغلب قيس بن شَراحيل بن مُرّة بن هَمّام . ثم إنّ المنذر أخذ من الحَيَّيْن أشرافَهم وأعلامهم فبعث بهم إلى مكّة ؛ فشرَطَ بعضُهم على بعض وتواثقوا على ألاّ يُبقي واحد منهم لصاحبه غائلةً ولا يطلبه بشيء مما كان من الآخر من الدماء . وبعث المنذر معهم رجلاً من بني تميم يقال له الغَلاَّق . وفي ذلك يقول الحارث بن حِلِّزة : [من المتقارب]

فهَـلاَّ سَعَيْتَ لصُلْح الصَّدِيقِ كصُلحِ ابن مارِيَـةَ الأقصمِ[3]
وقَيْسٌ تـدارَكَ بَكْـرَ العِراقِ وتَغْلِـبَ من شرِّهـا الأعظمِ
وبيتُ شَراحيـلَ في وائـلٍ مكـانَ الثُّرَيّـا مـن الأنْجُمِ
فأصلَحَ مـا أفسدوا بينهـم كذلك فِعْـلُ الفتـى الأكرمِ

ابن مارية هو قيس بن شَراحِيل . ومارية أُمّه بنت الصبّاح بن شيبان من بني هند . فلبثوا كذلك ما شاء الله ، وقد أخذ المنذر من الفريقين رُهُناً بأحداثهم ؛ فمتى التَوى أحد منهم بحقٍّ صاحبه أقاد من الرُّهُن . فسرَّح النُّعمان بن المنذر ركباً من بني تغلب إلى جبل طَيِّىء في أمر من أمره ، فنزلوا بالطرفة وهي لبني شَيْبان وتَيْم اللات . فذكروا أنهم أجلَوْهم عن الماء وحملوهم على المَفازة ، فمات القومُ عطشاً . فلمّا بلغ ذلك بني تَغْلِب غضِبوا وأتوا عمرو بن هند فاستعدَوْه على

1 الوضح هنا : البرص .
2 ذو المجاز : موضع سوق من أسواق العرب بعرفة .
3 الأقصم : المكسور الثنية من النصف .

بكر ، وقالوا : غَدَرتم ونقضتم العهد وانتهكتم الحُرْمة وسَفكتم الدماء . وقال بكر : أنتم الذين فعلتم ذلك ، قذفتمونا بالعَضِيهةِ[1] وسمَّعتم الناسَ بها ، وهتكتم الحجاب والسِّتر بادّعائكم الباطلَ علينا . قد سقيناهم إذ وردوا ، وحملناهم على الطريق إذ خرجوا ، فهل علينا إذ حار القوم وضلُّوا ! ويصدِّق ذلك قولُ الحارث بن حِلِّزة : [من الخفيف]

لم يَغُرُّوكُمُ غُرُوراً ولكن يرفَع الآلُ جِرْمَهم والضَّحاءُ

[كان أبو عمرو الشيباني يعجب لارتجاله معلقته في موقف واحد]

وقال يعقوب بن السِّكِّيت : كان أبو عمرو الشيبانيّ يعجَب لارتجال الحارث هذه القصيدة في موقف واحد ويقول : لو قالها في حول لم يُلَمْ . قال : وقد جمع فيها ذكر عِدّةٍ من أيّام العرب عيّر ببعضها بني تغلب تصريحاً ، وعرّض ببعضها لعمرو بن هند ؛ فمن ذلك قولُه : [من الخفيف]

أعلينا جُناحُ كِنْدةَ أن يغـ ـنَمَ غازيهمُ ومِنّا الجزاءُ

قال : وكانت كندة قد كسَرت الخراج على الملك ، فبعث إليهم رجالاً من بني تغلب يطالبونهم بذلك ، فقُتِلوا ولم يُدْرَك بثأرهم ؛ فعيّرهم بذلك . هكذا ذكر الأصمعيّ . وذكر غيره أنّ كِنْدةَ غزَتهم فقتلت وسَبَتْ واستاقت ، فلم يكن في ذلك منهم شيء[2] ولا أدركوا ثأراً . قال : وهكذا البيت الذي يليه وهو : [من الخفيف]

أم علينا جَرّى قُضاعةَ أم ليـ ـس علينا فيما جَنَوْا أنداءُ[3]

فإنّه عيّره بأن قضاعة كانت غزت بني تغلب ففعلت بهم فِعْلَ كِنْدة ، ولم يكن منهم في ذلك شيء ولا أدركوا منهم ثأراً . قال : وقوله : [من الخفيف]

أم علينا جَرّى حَنِيفةَ أم ما جَمَّعتْ من مُحارِبٍ غَبْراءُ[4]

قال : وكانت حَنيفة محالفةً لتغلبَ على بكر ، فأذكر الحارثُ عمرَو بن هند بهذا البيت قَتْلَ شِمْر بن عمرو الحنفيِّ أحدِ بني سُحَيْم المنذر بنَ ماء السماء غِيلةً لمّا حارب الحارثَ بن جَبَلَةَ الغسّانيّ ، وبعث الحارثُ إلى المنذر بمائة غلام تحت لواء شِمْر هذا يسأله الأمانَ على أن يخرج له عن مُلْكه ويكونَ من قِبَله ؛ فركَن المنذرُ إلى ذلك وأقام الغِلْمانُ معه ، فاغتاله شِمْر بن عمرو الحنفيّ فقتله غِيلةً ، وتفرّق مَنْ كان مع المنذر ، وانتهبوا عسكرَه . فحرّضه بذلك على حلفاء بني تغلب بني حَنيفة . قال وقوله : [من الخفيف]

---

1 العضيهة : الإفك والبهتان والقالة القبيحة .

2 ل : تغيير .

3 الجرى : الجناية . الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يلحق بالإنسان من شر .

4 غبراء : أي جماعة غبراء ، يريد الفقراء الصعاليك . والغبراء أيضاً : الأرض .

وثمانـــون مـــن تميمٍ بأيديـ ـهمْ رِماحٌ صدورُهنّ القَضاءُ[1]

يعني عمراً أحد بني سعد [بن زيد] مناة ، خرج في ثمانين رجلاً من تميم فأغار على قوم من بني قَطَنٍ من تَغْلِب يقال لهم بنو رِزاحٍ كانوا يسكنون أرضاً تعرف بنَطاعِ قريةً من البَحْرَيْن ، فقتل فيهم وأخذ أموالاً كثيرة ، فلم يُدْرَك منه بثأر . قال : وقوله : [من الخفيف]

ثمّ خَيْلٌ من بعد ذاك مع الغَلاّ ق لا رأفـــةٌ ولا إبقـــــاءُ

قال : الغَلاّق صاحب هجائن النُّعمان بن المنذر ، وكان من بني حنظلة بن زيد مناة تميميّاً .

وكان عمرو بن هند دعا بني تَغْلِب بعد قتل المنذِر إلى الطلب بثأره من غسّان ؛ فامتنعوا وقالوا : لا نُطيع أحداً من بني المنذر أبداً ! أيظنُّ ابن هند أنّا له رِعاء ! . فغضِب عمرو بن هند وجمع جموعاً كثيرة من العرب ؛ فلمّا اجتمعتْ آلى ألاّ يغزوَ قبل تَغْلِب أحداً ؛ فغزاهم فقتل منهم قوماً ، ثم استعطفه مَنْ معه لهم واستوهبوه جريرتَهم ، فأمسك عن بقيّتهم ، وطُلّت دماء القتلى . فذلك قول الحارث : [من الخفيف]

مَنْ أصابوا مـن تَغْلَبِيٍّ فمطلو لٌ عليـــه إذا تولّـى العَفاءُ

ثم اعتدّ على عمرو بحسن بلاء بَكرٍ عنده فقال : [من الخفيف]

مَنْ لنا عنـــده من الخيرِ آيا تٌ ثلاثٌ في كلّهـن القضاءُ
آيـــةٌ شارِقُ الشَّقِيقةِ إذ جا ءوا جميعـاً لكلّ حيٍّ لِواءُ[2]
حولَ قَيْسٍ مُسْتَلْئمين بكَبْشٍ قَرَظِـــيٍّ كأنّـــه عَبْـلاءُ[3]
فرَدَدْناهُـــمُ بضَرب كما يخـ ـرُج من خُرْبة المَـزادِ الماءُ[4]
ثم حُجْراً أعني ابنَ أُمِّ قَطامٍ ولـــه فارسيّـــةٌ خضـراءُ[5]
أسَدٌ في اللِّقـــاء ذو أشبـالٍ وربيـعٌ إن شَنَّعـتْ غَبْراءُ[6]

1 القضاء هنا : الموت .
2 شارق : جاء من قبل المشرق .
3 المستلئم : لابس اللأمة وهي الدرع . وقرظيّ : نسبة إلى البلاد التي ينبت فيها القرظ وهي اليمن . والعبلاء : الصخرة البيضاء .
4 خربة المزادة : يريد القربة وهي مسيل الماء منها .
5 فارسية : أي كتيبة سلاحها من فارس . ووصفها بالخضرة لكثرة ما تحمل من سلاح .
6 ذو أشبال في الديوان ص 51 : ورد هموس ، والمعلقات العشر ص 363 ؛ الهموس : الخفيّ الوطء . شنعت : جاءت بأمر شنيع . والغبراء هنا : السنة التي لا مطر بها .

فرددناهُـمُ بطعـن كما تُنْـ ـهَزُ في جُمّة الطّوِيّ الدِّلاءُ[1]
وفككْنا غُلَّ امرىء القيسِ عنه بعـد مـا طال حَبْسُه والعناءُ
وأَقَدْنـاه رَبَّ غَسّان بالمُنْـ ـذِرِ كَرْهاً وما تُكال الدِّماءُ[2]
وفديناهُـمُ بتسعةِ أمـلا كٍ كـرام أسلابُهم أغلاءُ[3]
[ومع الجَوْنِ جَوْنِ آل بني الأَوْ سِ عَنُـودٌ كأنّهـا دَفْواءُ][4]

يعني بهذه الأيّام أيّاماً كانت كلّها لبكر مع المنذر ؛ فمنها يوم الشَّقِيقة وهم قوم من شيبان جاءوا مع قيس بن مَعْدِيَكرِب ومعه جمع عظيم من أهل اليمن يُغيرون على إبل لعمرو بن هند ، فردّتهم بنو يشكر وقتلوا فيهم ، ولم يوصل إلى شيء من إبل عمرو بن هند . ومنها يومُ غزا حُجْر الكِنْديّ ، وهو حُجْر بن أُمّ قَطام ، امرأ القيس وهو ماء السماء بن المنذر ، لقِيه ومع حُجْر جمعٌ كثير من كندة ، وكانت بكر مع امرىء القيس ، فخرجت إلى حُجْر فردّته وقتلت جنودَه . وقوله : [من الخفيف]

ففككنا غُلَّ امـرىء القيس عنه

وكانت غسّان أسرتْه يوم قَتْلِ المنذرِ أبيه ، فأغارت بكر بن وائل على بعض بَوادِي الشام فقتلوا ملِكاً من ملوك غسّان واستنقذوا امرأ القيس بن المنذر ، وأخذ عمرو بن هند بنتاً لذلك الملك يقال لها مَيْسُون . وقوله : «وفديناهُمُ بتسعة . . .» يعني بني حُجْر آكِلِ المُرار . وكان المنذر وجّه خيلاً من بكر في طلب بني حُجْر ، فظفِرت بهم بكر بن وائل فأتَوُا المنذرَ بهم وهم تسعة ، فأمر بذبحهم في ظاهر الحِيرة فذُبِحوا بمكان يقال له جَفْر الأملاك . قال : والجون جون آل بني الأَوْس : ملكٌ من ملوك كِنْدة وهو ابن عمّ قيس بن مَعْدِيكَرِبَ . وكان الجون جاء ليمنع بني آكل المُرار ومعه كتيبةٌ خَشْناء ، فحاربته بكرٌ فهزَموه ، وأخذوا بني الجون فجاءوا بهم إلى المنذر فقتلهم .

قال : فلمّا فرَغ الحارث من هذه القصيدة حكَمَ عمرو بن هند أنه لا يلزم بَكْرَ بن وائل ما حدث على رهائن تَغْلِبَ ؛ فتفرّقوا على هذه الحال . ثم لم يزل في نفسه من ذلك شيء حتّى همّ باستخدام أُمِّ عمرو بن كُلثوم تعرُّضاً لهم وإذلالاً ؛ فقتله عمرو بن كلثوم . وخبره يُذْكَر هناك .

1 نهز الدلاء : تحريكها لتمتلىء .
2 وما تكال في ل : وما تطلّ .
3 أغلاء : غالية .
4 عنود هنا : الكتيبة . الدفواء : المائلة . والدفواء : العقاب لعوج منقارها .

[قصيدته الدالية]

قال يعقوب بن السِّكِّيت أنشدني النَّضْر بن شُمَيْل للحارث بن حِلِّزة ، وكان يستحسنها ويستجيدها ويقول : لله دَرُّه ما أشعره : [من مجزوء الكامل]

صوت

مَـنْ حاكـمٌ بينـي وبيـ ـن الدَّهْـر مالَ عليّ عَمْدا
أودى بسادتنـا وقـد تركـوا لنا حَلَقاً وجُرْدا[1]
خيـلي وفارسُهـا ورَ بِّ أَبيـك كان أعزَّ فَقْدا
فَلَـو آنّ مـا يَـأْوِي إ لَيَّ أَصابَ من ثَهْلانَ هَدّا[2]
فَضَعِي قِناعَـكِ إنَّ رَيْـ ـبَ الدَّهْـرِ قد أَفنى مَعَدّا
فَلَكَمْ رأيـتُ مَعاشِراً قـد جَمَّعُوا مـالاً ووُلْدا
وهُـمُ زَبـابٌ حائـرٌ لا تَسْمَـعُ الآذانُ رَعْدا[3]
فَعِشْ بجَـدٍّ لا يَضِـرْ كَ النُّوك مـا لاقيت جَدّا
والعَيْشُ خيـرٌ في ظِـلا لِ النُّوك ممّـن عاش كَدّا

في البيت الأوّل من القصيدة والبيتين الأخيرين خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى لعبد الله بن العبّاس الرَّبيعيّ ، ومن الناس من ينسبه إلى بابويه .

صوت

[من الوافر]

أَلا هُبِّـي بِصَحْنِكِ فاصْبَحِينا ولا تُبْقِي خمـورَ الأَنْدَرِينا[4]
مُشَعْشَعَةً كأنّ الحُصَّ فيهـا إذا مـا المـاءُ خالطها سَخِينا[5]

عروضه من الوافر . الشعر لعمرو بن كلثوم التَّغلبيّ . والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّل بالخنصر في مجرى الوسطى من روايته . وفيه لإبراهيم ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

---

1 الحلق هنا : الدروع .
2 ثهلان : جبل .
3 الزباب : ضرب من الفئرة لا تسمع ، يشبه بها الجاهل ، والواحدة زبابة .
4 أندرين : قرية كانت جنوبي حلب شهيرة بالخمر .
5 مشعشعة : ممزوجة بالماء وأرق مزجها . الحُص : الورس أو هو الزعفران .

[175] ـ نسب عمرو بن كلثوم وخبره[1]

[نسب عمرو بن كلثوم من قبل أبويه]

هو عَمرو بن كلثوم بن مالك بن عَتّاب بن سَعْد بن زُهَيْر بن جُشَم [بن بكر] بن حُبَيْبِ بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلِب بن وائل بن قاسط بن هِنْب بن أَفْصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلَة بن أَسَد بن رَبيعة بن نِزار بن مَعَدّ بن عَدنان . وأُمّ عمرو بن كلثوم ليلى بنت مُهَلْهِل أخي كُلَيْب ، وأُمّها بنت بعج بن عتبة بن سعد بن زهير .

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثني العُكْلِيّ عن العبّاس بن هشام عن أبيه عن خِراش بن إسماعيل عن رجل من بني تغلب ثم من بني عَتّاب قال : سمعت الأَخْذَر ، وكان نَسّابة ، يقول : لمّا تزوّج مُهَلْهِلٌ بنتَ بعج بن عُتْبة أهدِيتْ إليه ، فولدت له ليلى بنت مُهَلْهِل . فقال مهلهل لامرأته هند : اقتُليها . فأمرتْ خادماً لها أن تُغَيِّبها عنها . فلمّا نام هَتف به هاتفٌ يقول : [من مجزوء الرجز]

كم مـن فتًى يُؤَمَّلْ وسَيِّـدٍ شَمَـرْدَلْ[2]
وعُـدَّةٍ لا تُجْهَـلْ في بطن بنت مهلهلْ

واستيقظ فقال : يا هند أين بنتي ؟ قالت : قتلتُها . قال : كَلاّ وإله ربيعة ! ، فكان أوّلَ من حلف بها ، فاصدُقيني ، فأخبرتْه . فقال : أَحْسِني غِذاءها . فتزوّجها كلثوم بن مالك بن عَتّاب .

[أمّه ترى مناماً في حملها به]

فلمّا حملت بعمرو بن كلثوم قالت : إنّه أتاني آتٍ في المنام فقال : [من الرجز]

يـا لَك ليلى من وَلَدْ يُقْدِمُ إقـدام الأَسَدْ
من جُشَمٍ فيه العَدَدْ أَقولُ قِيـلاً لا فَنَدْ

فولدت غلاماً فسمّته عمراً . فلمّا أتت عليه سنةٌ قالت أتاني ذلك الآتِي في الليل أعرِفه ، فأشار إلى الصبيِّ وقال : [من الرجز]

إنّـي زعيمٌ لـكِ أُمَّ عَمْرِو بماجـدِ الجَـدِّ كريمِ النَّجْرِ

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 1/234–236 ، والخزانة 1 : 517–521 . وشواهد المغني 44–45 .

2 الشمردل : القويّ الفتيّ الحسن الخلق .

أشجعَ مـــن ذي لِبَدٍ هِزَبْـــرِ وَقَّاصِ أَقـرانٍ شديـدِ الأَسْرِ[1]

يسودُهم في خمسةٍ وعشرِ

قال الأَخْذر : فكان كما قال ساد وهو ابن خمسة عشر ، ومات وله مائة وخمسون سنة .

[قصة قتله لعمرو بن هند]

قال أبو عمرو حدَّثني أَسَدُ بن عمر الحَنَفيّ وكُرْد بن السِّمعِيّ وغيرُهما ، وقال ابن الكلبيّ حدَّثني أَبي وشَرْقيٌّ بن القَطاميّ ، وأَخبرنا إبراهيم بن أَيّوب عن ابن قُتَيْبة : أنّ عمرو بن هند قال ذات يوم لنُدَمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنَف أُمُّه من خدمة أُمِّي ؟ فقالوا : نعم ! أُمُّ عمرو بن كلثوم . قال : ولِمَ ؟ قالوا : لأنّ أباها مُهَلْهِلُ بن ربيعة ، وعمّها كُلَيب وائل أعزُّ العرب ، وبَعْلها كلثوم بن مالك أفرسُ العرب ، وابنها عمرو وهو سيِّد قومه . فأرسل عمرو بن هند إلى عمرو بن كُلثوم يستزيره ويساله أن يُزِير أُمَّه أُمَّه . فأقبل عمرٌو من الجزيرة إلى الحِيرة في جماعة بني تَغْلِب ، وأقبلت ليلى بنت مهلهل في ظُعُن من بني تَغلب . وأمر عمرو بن هند برواقه فضُرب فيما بين الحِيرة والفُرات ، وأرسل إلى وجوه أهل مملكته فحضروا في وجوه بني تغلب . فدخل عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند في رِواقه ، ودخلت ليلى وهند في قُبّة من جانب الرِّواق . وكانت هند عمّة امرىء القيس بن حُجْر الشاعر ، وكانت أُمُّ ليلى بنت مُهَلْهِل بنت أخي فاطمة بنت ربيعة التي هي أُمّ امرىء القيس ، وبينهما هذا النسب . وقد كان عمرو بن هند أمر أُمَّه أن تُنَحِّي الخدم إذا دعا بالطُّرَف وتستخدَم ليلى . فدعا عمرو بمائدةٍ ثم دعا بالطُّرَف . فقالت هند : ناوليني يا ليلى ذلك الطَّبَق . فقالت ليلى : لِتَقُمْ صاحبة الحاجة إلى حاجتها . فأعادت عليها وألَحّتْ . فصاحت ليلى : واذُلّاهْ ! يا لَتَغْلِب ! فسمعها عمرو بن كلثوم فثار الدَّمُ في وجهه ؛ ونظر إليه عمرو بن هند فعرَف الشرَّ في وجهه ؛ فوثب عمرو بن كلثوم إلى سيفٍ لعمرو بن هند مُعَلّقٍ بالرِّواق ليس هناك سيفٌ غيره ، فضرب به رأس عمرو بن هند ، ونادى في بني تغلب ، فانتهبوا ما في الرِّواق وساقوا نجائبه ، وساروا نحو الجزيرة . ففي ذلك يقول عمرو بن كلثوم : [من الوافر]

أَلا هُبِّـي بِصَحْنِك فاصْبَحينا

[تعظيم تغلب قصيدته المعلقة]

وكان قام بها خطيباً بسوق عُكاظ وقام بها في موسم مكة . وبنو تغلب تعظِّمها جِدّاً ويرويها صغارُهم وكبارُهم ، حتى هُجُوا بذلك ؛ قال بعض شعراء بكر بن وائل : [من البسيط]

1 الوقص : الكسر والدقّ . شديد الأسر : معصوب الخلق غير مسترخٍ .

أَلْهى بني تَغْلِب عن كلّ مَكْرُمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يَرْوُونها أبداً مـذ كان أوَّلُهم يا لَلرجالِ لِشِعْرٍ غيرِ مسئومِ

[فخر شعراء تغلب بقتله عمرو بن هند]

وقال الفرزدق يردّ على جرير في هجائه الأخطل : [من الكامل]

مـا ضَرَّ تَغْلِبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلْتَ حيث تَناطَحَ البحرانِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنْوةً عمراً وهم قَسَطوا على النُّعْمانِ[1]

وقال أُفْنونٌ[2] صُرَيْمٌ التغلبيّ يفخَر بفعل عمرو بن كلثوم في قصيدةٍ له : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما عمرُو بن هندٍ وقد دعا لتخـدُمَ ليـلى أُمَّـه بموفَّقِ[3]
فقام ابنُ كُلْثومٍ إلى السيف مُصْلِتاً فأمسك مـن نَدْمانـه بالمُخَنَّقِ[4]
وجلّله عمـرٌو على الرأس ضربةً بذي شُطَبٍ صافي الحديدة رَوْنَقِ

[إخوته وعقبه]

قال : وكان لعمرو أخ يقال له مُرّة بن كلثوم ، فقتل المُنذِر بن النُّعمان وأخاه . وإيّاه عَنى الأخطل بقوله لجرير : [من الكامل]

أبنـي كُلَيْبٍ إنّ عَمَّـيَّ اللَّذا قتـلا الملوكَ وفكّكا الأغلالا

وكان لعمرو بن كلثوم ابن يقال له عبّاد ، وهو قاتِل بِشْر بن عمرو بن عُدَسَ . ولعمرو بن كلثوم عَقِبٌ باق ، ومنهم كلثوم بن عمرو العَتّابيّ الشاعر صاحب الرسائل .

[أغار على بني تميم ثم انتهى إلى بني حنيفة فأسره يزيد بن عمرو ثم أطلقه فمدحه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني محمد بن الحسن الأَحْوَل عن ابن الأعرابيّ قال : أغار عمرو بن كلثوم التغلبيّ على بني تميم ثم مرّ من غَزوه ذلك على حيٍّ من بني قيس بن ثعلبة ، فملأ يديه منهم وأصاب أسارى وسَبايا ؛ وكان فيمن أصاب أحمد بن جَنْدَل السَّعديّ ، ثم انتهى إلى بني حَنِيفَة باليمامة وفيهم أُناس من عِجْل ، فسمع به أهلُ حَجْر[5] ؛ فكان أوّل مَن أتاه من بني حنيفةَ بنو سُحَيم عليهم يزيد بن عمرو بن شِمْر . فلما رآهم

1 قسطوا : جاروا .
2 أفنون : لقب صريم بن معشر بن ذهل بن تيم بن عمرو بن تغلب .
3 ليلى في ل : أمّي .
4 أصلت السيف : جرّده من غمده . المخنّق : موضع حبل الخنق من العنق .
5 حَجْر : عاصمة اليمامة .

عمرو بن كلثوم ارتجز فقال : [من الرجز]

مَـنْ عاذَ منّي بعدَها فلا اجْتَبَرْ ولا سقى الماء ولا أُرعى الشَّجَرْ
بنـو لُجَيْـمٍ وجعاسيسُ مُضَرْ بجانب الدَّوِّ يُدَهْدُون العَكَرْ[1]

فانتهى إليه يزيد بن عمرو فطعنَه فصرَعه عن فرسه وأَسَره . وكان يزيد شديداً جسيماً ، فشدّه في القِدّ وقال له : أنت الذي تقول : [من الوافر]

متـــى تُعْقَـدْ قَرِينتُنـا بحَبْـلٍ تَجُـذّ الحبـلَ أو تَقِصِ القَرِينا[2]

أما إنّي سأقرِنك إلى ناقتي هذه فأطرُدُكما جميعاً . فنادى عمرُو بن كلثوم يا لَربيعةَ ! أُمُثْلة ! . قال : فاجتمعت بنو لُجَيْم فنَهَوْه ولم يكن يريد ذلك به . فسار به حتى أتى قَصْراً بحَجْرٍ من قصورهم ، وضرب عليه قُبّة ونَحَر له وكساه وحمَله على نجيبه وسقاه الخمر . فلمّا أخذتْ برأسه تغنّى : [من الوافر]

أَأَجْمَعَ صُحْبتي السِّحَرَ ارتحالا ولم أَشعُرْ بِبَيْنٍ منـكِ هالا[3]
ولَـم أَرَ مثـل هالـةَ في مَعَدٍّ أُشَبِّـه حسنَهـا إلاّ الهِلالا
أَلا أَبلِغْ بنـي جُشَمَ بنِ بكرٍ وتَغْلِبَ كلّمـا أَتَيـا حِلالا[4]
بأنّ الماجِـدَ القَرْمَ ابنَ عمرٍو غداةَ نَطاعٍ قد صدَق القِتالا[5]
كَتِيبتُـــه مُلَمْلَمَـــةٌ رَداحٌ إذا يرمونهـــا تُفْنِـي النِّبالا[6]
جزى الله الأَغَـرَّ يزيدَ خيراً ولَقَّـــاه المَسَرَّةَ والجَمـــالا
بمأخِذه ابنَ كُلْثوم بنِ عَمْرٍو يزيـــدَ الخيرِ نازلَـــــه نِزالا
بجمعٍ مـن بنـي قُرَّانَ صِيدٍ يَجيلون الطَعـــان إذا أَجالا[7]
يزيـد يقـــدم السفراء حتى يُرَوِّي صَدْرَهـا الأَسَلَ النِّهالا

1 هو لجيم بن صعب ؛ وحنيفة أبو القبيلة أحد أولاده . الجعاسيس : اللئام الخَلْق والخُلُق . واحدها جعسوس . يدهدون : يدحرجون ويقلبون .
2 في الديوان ص 65 والمعلقات العشر ص 312 : متى نَعْقِدْ . . . نجذّ .
3 أي هالة .
4 حِلال : جمع حِلّة وهي البيوت ومجتمع القوم .
5 نَطاع : أرض .
6 ململمة : مجتمعة . ورداح : ثقيلة جرارة .
7 قُرّان : حصن باليمامة .

[حواره مع عمرو بن أبي حجر الغساني حين مرّ ببني تغلب فلم يكرموه]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرنا الأَخْوَل عن ابن الأعرابيّ قال : زعموا أنّ بني تَغْلِبَ حاربوا المُنْذِرَ بنَ ماء السماء فلحِقوا بالشام خوفاً منه . فمرّ بهم عَمْرو بن أبي حُجْر الغَسّانيّ ، فتلقّاه عمرو بن كلثوم . فقال له : يا عَمْرو ، ما منعَ قومَك أن يتلقَّوْني ؟! فقال له : يا عمرو يا خيرَ الفِتيان ، فإن قومي لم يستيقظوا لحربٍ قطُّ إلاّ عَلا فيها أمرُهم واشتدّ شأنُهم ومَنَعوا ما وراء ظهورهم . فقال له : أيقاظ نَوْمةٍ ليس فيها حُلم ، أجتثّ فيها أصولَهم ، وأَنفي فلَّهم[1] إلى اليابس الجَرَدِ ، والنازح الثَّمَدِ[2] . فانصرف عمرو بن كلثوم وهو يقول : [من الوافر]

أَلا فاعلَمْ أُبَيْتَ اللَّعْنَ أَنّا ... على عَمْدٍ سنأتي ما نُرِيدُ
تَعَلَّمْ أنّ مَحْمَلَنا ثقيلٌ ... وأنّ زنادَ كبتنا شديدُ[3]
وأنّا ليس حَيٌّ من مَعَدٍّ ... يُوازينا إذا لُبِس الحديدُ

[هجاؤه للنعمان بن المنذر]

قال : وقال ابن الأعرابيّ : بلغ عمرَو بن كلثومٍ أنّ النُّعمان بن المُنذِر يتوعّده ، فدعا كاتباً من العرب فكتب إليه : [من الطويل]

أَلا أَبلِغِ النُّعْمانَ عنّي رسالةً ... فمَدْحُكَ حَوْلِيٌّ وذَمُّك قارِحُ[4]
متى تَلْقَني في تَغْلِبَ ابنةِ وائلٍ ... وأَشياعها ترقى إليك المسالحُ[5]

وهجا النُّعمان بن المنذر هجاءً كثيراً ، منه قوله يعيِّره بأُمِّه سُلَيمى : [من البسيط]

حَلَّتْ سُلَيْمى بخَبْتٍ بعد فِرْتاجِ ... وقد تكون قديماً في بني ناجِ[6]
إذ لا تُرَجِّي سُلَيْمى أن يكونَ لها ... مَنْ بالخَوَرْنَق من قَيْنٍ ونَسّاجِ
ولا يكونَ على أبوابها حَرَسٌ ... كما تلفَّف قِبْطيٌّ بِديباجِ
تمشي بِعِدْلَيْنِ من لُؤْمٍ ومَنْقَصةٍ ... مَشْيَ المقيَّدِ في اليَنْبُوت والحاجِ[7]

قال وقال في النعمان : [من الطويل]

---

1 الفل : القوم المنهزمون . والجَرَد : من الأرض ما لا ينبتَ .
2 النازح : الذي نفد ماؤه . والثمد : الماء القليل الذي لا مادّ له .
3 الكبة : الحملة في الحرب والدفعة في القتال .
4 الحَوْليّ : ما أتى عليه حول . والقارح من ذي الحافر : الذي شقّ نابه .
5 المسالح : جمع مسلحة ، وهي القوم ذوو السلاح .
6 الخبت من الأرض : المطمئن . وفرتاج : موضع . وبنو ناج : بطن من عدوان .
7 الحاج : الشوك أو ضرب منه .

لحا الله أدنانا إلى اللُّؤْمِ زُلْفةً وألأَمَنا خالاً وأعجزَنا أَبا[1]
وأجْدَرَنا أن ينفُخَ الكِيرَ خالُه يصوغُ القُروطَ والشُّنوفَ بِيَثْرِبا

[وفاته ونصيحته لبنيه]

أخبرني الحسين بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن سعيد الدِّمَشْقيّ قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثني عليّ بن المُغِيرة عن ابن الكلبيّ عن رجل من النِّمر بن قاسط قال : لمّا حضرت عمرَو بنَ كلثوم الوفاة وقد أتت عليه خمسون ومائةُ سنة ، جمع بنيه فقال : يا بَنيَّ ، قد بلغتُ من العمر ما لم يبلُغْه أحدٌ من آبائي ، ولا بدّ أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت . وإنّي والله ما عيّرت أحداً بشيء إلاّ عُيِّرتُ بمثله ، إن كان حقّاً فحقّاً ، وإن كان باطلاً فباطلاً . ومَنْ سَبَّ سُبَّ ؛ فكُفُّوا عن الشتم فإنّه أسلمُ لكم ، وأَحْسِنوا جِوارَكم يحسُن ثناؤكم ، وامنعوا من ضَيْم الغريب ؛ فربَّ رجلٍ خيرٌ من ألف ، ورَدٍّ خيرٌ من خُلْف ، وإذا حُدِّثْتم فَعُوا ، وإذا حَدَّثتم فأَوجِزوا ، فإن مع الإكثار تكون الأهذار[2] . وأَشْجَعُ القوم العَطُوفُ بعد الكَرّ ، كما أنّ أكرم المنايا القتل . ولا خير فيمن لا رَوِيّةَ له عند الغَضَب ، ولا مَنْ إذا عُوتِبَ لم يُعْتِب[3] . ومن الناس مَن لا يُرْجى خيرُه ، ولا يُخافُ شرُّه ؛ فبَكْؤه[4] خيرٌ من دَرِّه ، وعقوقُه خيرٌ من بِرِّه . ولا تتزوّجوا في حَيِّكم فإنّه يؤدّي إلى قبيح البُغْض .

صوت

[من الكامل]

لِمَنِ الدّيارُ بِبُرْقةِ الرَّوْحانِ إذ لا نَبيع زمانَنا بزمانِ[5]
صدَع الغواني إذ رَمَيْنَ فؤادَه صَدْعَ الزُّجاجة ما لذاك تَدانِي
إن زرتُ أَهلَكِ لم أُنوِّلْ حاجةً وإذا هجرتُكِ شفّني هِجْراني

الشعر لجرير يهجو الأخطلَ ويردّ عليه حكومتَه التي حكم بها للفرزدق عليه . والغناء ، فيما ذكره عليّ بن يحيى المنجِّم في كتابه الذي لقّبه بالمحدَث ، لَمَعْبَدٍ ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، وذكر الهشاميّ أنّه لحُنَيْن ، قال ويقال : إنّه لمعبد . وفيه ليزيد حَوْراء لحنٌ ذكره عبد الملك بن موسى عنه ، وقال : لا أدري أهو الثقيل الأوّل أم خفيف الرمل . وذكر حَبَشٌ أنّ الثقيلَ الأوّل للغَرِيض وأنّ خفيف الرمل بالبنصر للدَّلالِ .

1 الزلفة : القربة والدرجة والمنزلة .
2 الأهذار : جمع هذر وهو سقط الكلام .
3 الإعتاب : إرضاء العاتب والاسم منه : العتبي .
4 أصل البكء : قلة اللبن أو انقطاعه .
5 برقة الروحان : روضة باليمامة .

[176] ـ ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل

[سبب التهاجي بين جرير والأخطل]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش ومحمد بن العبّاس اليزيديّ قالا حدَّثنا أبو سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيبَ عن أبي عُبيدة وعن أبي غسّان دَماذٍ عن أبي عُبيدة ، وأخبرني محمد بن يحيى قال حدَّثنا أبو ذَكْوان القاسم بن إسماعيل قال حدَّثنا أبو غسّان عن أبي عُبَيدة ، وأخبرنا الصُّوليّ عن إبراهيم بن المُعَلَّى الباهليّ عن الطوسيّ عن ابن الأعرابيّ وأبي عمرو الشيبانيّ ، وقد جمعتُ رواياتهم . قال أبو عبيدة حدَّثني عامر بن مالك المِسْمَعِيّ قال : كان الذي هاج التهاجيَ بين جريرٍ والأخطل أنّه لمّا بلغ الأخطلَ تَهاجِي جرير والفرزدق قال لابنه مالكٍ ، وهو أكبر ولده وبه كان يُكْنى : انْحَدِرْ إلى العراق حتى تسمع منهما وتأتِيَني بخبرهما . فانحدر مالكٌ حتى لقِيهما وسمع منهما ثم أتى أباه . فقال له : كيف وجدتَهما ؟ قال : وجدتُ جريراً يغرِف من بَحْر ، ووجدت الفرزدق ينحِت من صخر . فقال الأخطلُ : الذي يغرِف من بحرٍ أشعرُهما ؛ وقال يفضِّل جريراً على الفرزدق : [من البسيط]

إنّي قضيتُ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ لَمّا سمعتُ ولَمّا جاءني الخَبَرُ
أنّ الفرزدقَ قد شالت نَعامَتُه وعضّه حيَّةٌ من قومه ذَكَرُ

وفي رواية ابن الأعرابيّ «قد سالَ الفُراتُ به» . قال أبو عبيدة : ثم إنّ بِشْرَ بن مَروان دخل الكوفة ، فقدِم عليه الأخطلُ ، فبعث إليه محمد بن عُمَير بن عُطارِد بن حاجِب بن زُرارة بألف درهم وكُسْوة وبَغْلة وخَمْر ، وقال له : لا تُعِنْ على شاعرنا ، واهجُ هذا الكلبَ الذي يهجو بني دارم ؛ فإنّك قد قضيتَ على صاحبنا ، فقُلْ أبياتاً . واقضِ لصاحبنا عليه . فقال الأخطل : [من الكامل]

أجريرُ إنّكَ والذي تسمو له كأَسِيفةٍ فَخَرَتْ بِحِدْجِ حَصانِ[1]
عَمِلتْ لربَّتِها فلمّا عُولِيتْ نَسَلتْ تعارضها مع الرُّكْبانِ[2]

1 الأسيفة : الأمة . والحِدج : مركب من مراكب النساء يشبه المحفة . والحصان : العفيفة أي الحرة التي تقابل الأمة .

2 عملت في الديوان : «حملت» . وربتها : سيدتها . وعوليت : رفعت . ونسلت : أسرعت في المشي .

أَتَعُـدُّ مأثـرةً لغيرك فخرُها وثناؤهـا في سالـف الأَزمانِ
تاجُ الملوك وفخرُهم في دارمٍ أيَّـامَ يَرْبـوعٌ مـع الرُّعيانِ[1]

وهي طويلة يقول فيها : [من الكامل]

فاخسَأْ إليك كُلَيْبُ إنّ مُجاشِعاً وأَبا الفوارس نَهْشَلاً أَخَوانِ
سبقوا أَباك بكـلّ أَعْلى تَلْعةٍ في المجدِ عند مَواقـف الرُّكبانِ[2]
قومٌ إذا خَطَرَتْ عليك قُرومُهم أَلقتْكَ بـين كَلاكِلٍ وجِرانِ[3]
وإذا وضعتَ أَباك في ميزانهم رجَحوا وشال أَبوك في الميزانِ[4]

وقال جرير يرُدّ حكومة الأخطل : [من الكامل]

لِمَـنِ الدِّيارُ ببُرْقـةِ الرَّوْحانِ إذ لا نَبِيـعُ زمانَنا بزمـانِ[5]

وهي طويلة يقول فيها : [من الكامل]

يـا ذا الغباوة إنّ بِشْراً قد قَضى ألاّ تجـوزَ حكومـةُ النَّشْوانِ
فدَعُوا الحكومة لَسْتُمُ من أَهلها إنّ الحكومـةَ في بنـي شيبانِ
قتلوا كُلَيْبَكُمُ بِلِقْحَـةِ جارِهم يا خُـزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهِجانِ[6]

[قصيدة للأخطل وشرح بعض كلماتها]

ومِمّا غُنِّي فيه من نقائض جرير والأخطل : [من الطويل]

صوت

أَناخُوا فجَرُّوا شاصِياتٍ كأَنّها رجالٌ من السُّودانِ لم يَتَسَرْبَلُوا
فقلتُ اصبَحُوني لا أَبا لأَبيكمُ وما وضعوا الأَثقالَ إلاّ ليفعلوا[7]
تمرُّ بها الأَيدي سنِيحا وبـارحاً وتُرْفَـعُ باللهُمَّ حَـيَّ وتُنْزَلُ

الشاصيات : الشائلات القوائم من امتلائها . وعَنى بالشاصيات هاهنا الزِّقاق ، لأَنّها إذا

1 صدر البيت في الديوان : في دارم تاج الملوك وصهرها . يربوع : جد لجرير .
2 أعلى تلعة في الديوان : مجمع تلعة .
3 الجران : باطن عنق البعير أو مقدمه من مذبحه إلى منحره .
4 شَوَلان الميزان : ارتفاع إحدى كفتيه .
5 برقة الروحان : روضة باليمامة .
6 اللقحة : الناقة الحلوب . والخُزر : جمع أخزر ؛ والخَزَر : صغر العين وضيقها . والهجان : البيض الكرام .
7 الأثقال : الأمتعة ، واحدها ثَقَل .

امتلأت شالت أكارعُها ؛ يقال : شَصا برجلِهِ إذا رفعها ، وشَصا ببصره إذا شخَص ؛ قال الراجز يصف الشاخصَ : [من الرجز]

وبَقَـــرٍ خَمـــاصِ يَنْظُرْنَ من خَصاصِ[1]
بـــأعيُنٍ شَواصِـي كفِلَـــق الرَّصاصِ

والسانح والسنيح : ما جاء عن يمينك يريد شمالَك . والبارح : ما جاء عن شِمالك يريد يمينَك . والجابِهُ : ما جاء من أمامك مواجهاً لك . والقَعِيدُ والخَفِيفُ : ما جاء من ورائك . شبّه دَوْرَ الكأس واختلافَها بينهم بالسوانح والبوارح . الشعر للأخطل . والغناء لمالك ، فيه لحنان كلاهما له : أحدُهما رَمَل بالبنصر في مجراها في الأبيات الثلاثة على الوِلاء من رواية إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوسطى في الثالث ثم الأوّل والثاني عن عمرو . وذكر عمرو أنّ الرملَ أيضاً لابن سُريج وأنّه بالوسطى . وفيه لإبراهيم رملٌ بالبنصر في الأوّل والثاني عن الهشاميّ وعمرو . وفيه لابن مُحْرِز خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن عمرو والهشاميّ .

ومنها : [من البسيط]

صوت

خَفّ القَطِينُ فراحُوا منك أو بَكَرُوا وأزعجتْهم نَـوًى في صَرْفها غِيَرُ
كأنَّنِـي شارِبٌ يـوم استُبدَّ بهـم من قَرْقَفٍ ضُمِّنَتْها حِمْصُ أو جَدَرُ[2]
جادت بها من ذوات القارِ مُتْرَعَةٌ كَلْفاءُ يَنْحَتُّ من خُرْطومها المَدَرُ
يا قاتـلَ اللهُ وَصْلَ الغانياتِ إذا أيقنَّ أنّـك ممّن قـــد زَها الكِبَرُ
أعْرَضْنَ لمّـا حنى قَوْسِي مُوَتِّرُها وابيضَّ بعـــد سواد اللِّمّةِ الشَّعَرُ

استُبِدَّ بهم أي عُلِيَ عليهم . والقَرْقَفُ : التي تأخذ شاربَها رِعدة لشِدَّتها . والكَلْفاءُ : الخابِيةُ في لونها كَلَفٌ[3] . وقوله «زَها الكِبَرُ» يعني استخفّه وأضعفه ؛ يقال : زَهاه وازْدَهاه . وقال أبو عُبَيدة : الأصل في زَهاهُ رَفَعه ؛ فكأنّه أراد أنّه رفعه في علوّ سِنِّه عمّا يُرِدْنَ منه . واللِّمّة : الشعر المجتمع .

---

1 خماص : ضامرات البطون ، الواحد خَمصان للذكر ، وخمصانة للمؤنث . الخصاص : الخروق ، واحدها خصاصة .

2 قرقف : في ل : قهوة .

3 الكلف : حمرة كدرة ، أو هو لون بين السواد والحمرة .

الشعر للأخطل يمدح عبد الملك بن مَروان ويهجو قَيْساً وبني كُلَيْب ، ويقول فيها : [من البسيط]

أمّا كُلَيْبٌ بنُ يَرْبُوعٍ فليس لها عند التفاخُرِ إيرادٌ ولا صَدَرُ[1]
مُخَلَّفُون ويقضي النـاسُ أمرَهُمُ وهُمْ بغَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعَروا
مُلَطَّمُون بأعقـارِ الحِياضِ فما ينفكُّ مـن دارِمِيٍّ فيهمُ أثَرُ[2]
بئس الصُّحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهُمُ إذا جـرى فيهـمُ المُزّاء والسَّكَرُ
قومٌ تناهتْ إليهـم كلُّ مُخْزِيَةٍ وكلُّ فاحشةٍ سُبَّت بهـا مُضَرُ
الآكلـون خبيثَ الزَّادِ وحدَهُـمُ والسائلونَ بظَهْرِ الغَيْبِ مـا الخبرُ

وهذه القصيدة من فاخر شعر الأخطل ومقدَّمه وممّا غُلِّب فيه على جرير . وقد احتاج جريرٌ إلى سلخ بيته هذا الأخير فردَّه عليه بعينه في نقيضة هذه القصيدة ، وضمّنه بيتين من شعره فقال : [من البسيط]

الآكلون خبيثَ الزَّادِ وحدَهـمُ والنّازلـونَ إذا واراهُـمُ الخَمَرُ[3]
والظاعنون على العَمْياءِ إن رَحَلُوا والسائلون بظهر الغيب مـا الخبرُ

وفي هذه القصيدة يقول الأخطلُ يمدح عبدَ الملك : [من البسيط]

إلى امـرىء لا تُعَرِّينـا نوافلُه أظْفَره الله فَلْيَهْنِىءْ لـه الظَّفَرُ
الخائِضُ الغَمْرَ والميمـون طائرُه خليفـةُ الله يُسْتَسْقى بـهِ المطرُ
والهَمُّ بعـد نَجِـيِّ النفس يَبْعَثه بالحَزْم والأَصمَعانِ القلبُ والحَذَرُ[4]
ومـا الفُراتُ إذا جاشتْ غواربهُ في حافَتَيْهِ وفي أوساطِـهِ العُشَرُ[5]
وزعزعته رياحُ الصَّيْفِ واضطربتْ فوق الجآجىء مـن آذِيِّه غُدُرُ[6]

---

1 عند التفاخر في الديوان سند التفارط : التقدم في الماء .
2 الأعقار : جمع عُقْر وهو مؤخر الحوض حيث تقف الإبل إذا وردت ، أو هو مقام الشاربة منه .
3 الخَمَر : واراك من شجر وغيره .
4 الأصمعان : القلب والحذر .
5 جاشت : هاجت . والغوارب : المتون ؛ يريد أمواجه وأعاليه ، وفي الديوان : حوالبه . والعشر : الشجر .
6 زعزعته : حركته ، وفي الديوان : دعذعته . الجآجىء : الصدور ، واحدها جؤجؤ . والآذي : الموج . والغُدر : جمع غدير .

مُسْحَنْفِرٌ من جبالِ الروم يستُره ... منها أَكافِيفُ فيها دونه زَوَرُ[1]
يوماً بأجْوَدَ منه حين تسأَلُه ... ولا بأجهرَ منه حين يُجْتَهَرُ
في نَبْعةٍ من قُرَيشٍ يَعْصِبون بها ... ما إن يُوازَى بأعْلى نَبْتها الشجرُ[2]
حُشُدٌ على الخير عَيّافو الخَنا أُنُفٌ ... إذا أُلِمتْ بهم مكروهةٌ صَبَروا
لا يَسْتقلّ ذوو الأضغان حربَهمُ ... ولا يُبَيِّنُ في عِيدانهم خَوَرُ[3]
شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتُقادَ لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَروا[4]

[مدح الرشيد بيتاً للأخطل]

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثنا عليّ بن الصبّاح عن أبيه : أنّ الرشيد قال لجماعة من أهله وجُلسائه : أيُّ بيت مُدِح به الخلفاءُ منّا ومن بني أُميّةَ أفخرُ ؟ فقالوا وأكثروا . فقال الرشيد : أمْدَحُ بيتٍ وأفخرُه قولُ ابن النَّصْرانِيّة في عبد الملك : [من البسيط]

شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم ... وأعظمُ الناس أحلاماً إذا قدروا

[مدح آدم بن عمر بن عبد العزيز بيتاً للأخطل في مجلس المهديّ فأغضبه]

أخبرني الحسن قال حدَّثنا ابن مهرويه قال حدَّثني أحمد بن الحارث عن المدائنيّ قال : قال المهديّ يوماً وبين يديه مَروان بن أبي حَفْصة : أين ما تقوله فينا من قولك في أمير المؤمنين المنصور : [من الطويل]

له لَحَظاتٌ عن حِفافَيْ سَرِيرِه ... إذا كرّها فيها عِقابٌ ونائلُ

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال : هيهاتَ والله يا أمير المؤمنين أن يقول هذا ولا ابنُ هَرْمة كما قال الأخطل : [من البسيط]

شُمْسُ العَداوةِ حتى يُسْتقاد لهم ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قَدَرُوا

قال : فغضِب المهديّ حتى استشاط وقال : كذَب والله ابنُ النَّصرانيّة العاضُّ بَظْر أُمِّه وكذبتَ يا عاضَّ بَظْرِ أُمِّك ! والله لولا أن يقال : إنّي خَفَرتُ[5] بك لعرّفتك مَن أكثر شعراً !

---

1 مسحنفر : سريع الجري . جبال في ل : بلاد . أكافيف الجبل : حيوده أو حروفه الناتئة في أعرضه . والزَّوَر : الميل .

2 النبع : نوع من الشجر . يعصبون بها : يطيفون بها ويلزمونها .

3 استقلّ الشيء : حمله .

4 شُمس : جمع شَموس ، وهو من الرجال العسر في عداوته ، الشديد الخلاف على من عانده .

5 ل : خرقت . وخفرت فلاناً وخفرتَ به إذا أجرته وأمنته .

خذوا برجل ابن الفاعلة فأخْرِجوه عنّي ! فأخرَجوه على تلك الحال ، وجعل يشتُمه وهو يُجَرُّ ويقول : يا ابنَ الفاعلة ! أراها في رؤوسكم وأنفسكم !

صوت

[من البسيط]

إنِّي أَرِقتُ ولم يأرَق معي صاح لِمُسْتَكفٍّ بُعَيْدَ النَّومِ لَوّاحِ
دانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأرضِ هَيْدَبُه يكاد يدفعه مَنْ قام بالرَّاحِ

عروضه من البسيط . الشعر لأَوْس بن حَجَر ، وهكذا رواه الأصمعيّ ، أخبرنا بذلك اليزيديّ عن الرِّياشيّ عنه ، ووافقه بعض الكوفيين ، وغير هؤلاء يرويه لعَبِيدِ بن الأبرص ، والغناء لإبراهيم الموصليّ ثقيلٌ أوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى . ولحسين بن مُحْرِز لحنٌ في البيت الثاني وبعده :

إنْ أَشْرَبِ الخمرَ أو أُغْلِى بها ثمناً فلا مَحالَةَ يوماً أنّني صاحِ

وطريقته خفيف رمل بالوسطى .

قوله : مُسْتَكفّ : يعني مستديراً ؛ وكلُّ طُرّة كِفَّة . أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا مهدي يقول وهو يصف شُجاعاً[1] عرض له في طريقه : تبعني شجاعٌ من هذه الشُّجعان ، فمرّ خلفي كأنّه سهمٌ زالج ، فحِدتُ عنه ، واستكفّ كأنّه كُفّةُ حابلٍ ، فرميته فنظرت ثلاثة أثنائه[2] . وكذلك يقال كُفَّة الحابل وكِفّة المِيزان بالكسر ، والأولى مضمومة . ولوّاح : من قولهم لاحَ يلوحُ إذا ظهر . ومسفّ : قد أسَفّ على وجه الأرض إذا صار عليها أو قرُب منها أو دنا إليها ؛ ومن هذا يقال : أسَفّ الطائر إذا طار على وجه الأرض ؛ ويقال ذلك للسهم أيضاً . وهَيْدَبُه : الذي تراه كالمتعلِّق بالسحاب . يقول : هذا السحاب يكاد من قام أن يمسّه ويدفعه براحته لقربه من الأرض ؛ وهو أحسن ما وُصِف به السحاب .

1 الشجاع : الحية الذكر ، أو الحية مطلقاً ، أو هو ضرب من الحيات .
2 أثناء الحية : مطاويها إذا تحوّت وتثنّت ، واحدها ثِني . ويقال أيضاً مثاني الحية ، جمع مَثناة .

[177] ـ ذكر أَوس بن حجر[1] وشيء من أخباره

[نسبه]

وقد اختُلِفَ في نسبه ، فقال الأصمعيّ ، فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ عن الرياشيّ عنه : هو أَوْسُ بن حَجَرِ بن مالك بن حَزْن بن عُقَيْل بن خَلَف بن نُمَير . وقال ابن حبيب ، فيما ذكره السكّريّ عنه ، : هو أوس بن حجر من شعراء الجاهليّة وفحولها .

[منزلته في الشعر]

وذكر أبو عُبيدة أنه من الطبقة الثالثة ، وقرَنه بالحُطَيْئة ونابغة بني جَعدة .

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال قال أبو عبيدة حدَّثنا يونس عن أبي عمرو قال : كان أَوْسٌ شاعرَ مضر حتى أسقطه النابغة وزُهَير ، فهو شاعر تميم في الجاهلية غير مُدافَع .

أخبرنا أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا الأصمعيّ قال سمعت أبا عمرو يقول : كان أَوْس بن حَجَرٍ فَحْلَ الشعراء ؛ فلمّا نشأ النابغةُ طأطأ منه . وأمّا الكلبيّ فإنّه زعم أنّ من هذه الطبقة لَبِيدَ بن رَبيعة والشَّمّاخ بن ضِرار . قال : وتميم إلى الآن مقيمةٌ على تقديم أَوْس . قال : ومنهم مَن يقول بتقديم عَدِيّ ؛ وأنشد لحارثةَ بن بَدْرٍ الغُدانيّ : [من الكامل]

والشِّعْرُ كان مَبِيتُه ومَظَلُّهُ عند العِباديّ الذي لا يُجْهَلُ

وقال يعقوب بن سليمان قال حمّاد : أدركتُ رجالاً من بني تميم لا يفضِّلون على عديّ في الشعر أحداً .

أخبرني اليزيديّ عن الرِّياشي عن الأصمعيّ قال : تميم تروي هذه القصيدةَ الحائيّة لعَبِيدٍ ، وذلك غلطٌ ؛ ومن الناس من يخلِطها بقصيدته التي على وزنها ورويِّها لتشابههما .

[تمثلت فتاة أعرابية بشعر له في السحاب]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سَعيدٍ السُّكّريّ قال حدَّثنا عليّ بن الصبَّاح قال حدَّثني عُبَيد الله بن الحسين بن المسوّد بن وَرْدان مولى رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله وسلّم قال : خرج أعرابيٌّ مكفوف ومعه ابنةُ عمٍّ له لِرَعْي غنمٍ لهما . فقال الشيخ : أجد ريحَ النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظري . فقالت : أراها كأنها رَبْرَبُ مِعْزى هَزْلى . قال :

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 1/202–209 ، والخزانة 2 : 235–236 ومعاهد التنصيص : 61–65 .

ارْعَـيْ واحـذَري . ثـم قال لها بعد ساعة : إنّـي أجد ريح النسيم قد دنا ، فارفعي رأسك فانظُري . قالت : أراها كأنها بِغالٌ دُهْمٌ تجرّ جِلالَها . قال : ارْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً ثم قـال : إنّي لأجـد ريح النسيم قـد دنا ، فانظُـري . قالت : أراها كأنها بطن حمارٍ أصْحَر . فقال : ارْعَيْ واحذَري . ثم مكث ساعةً فقال : إنّي لأجد ريح النسيم ، فما ترين ؟ قالت : أراها كما قال الشاعر : [من البسيط]

دانٍ مُسِفٌّ فويقَ الأرضِ هيدبُه يكاد يدفعـه مَـنْ قام بالراحِ
كأنّـما بـين أعـلاهُ وأسْفَلِهِ رَيْـطٌ مُنَشَّرَةٌ أو ضوءُ مصباحِ
فمَـنْ بمَحْفِلـه كمَن بنَجْوتِهِ والمُسْتَكِنّ كَمَنْ يمشي بقِرواحِ

فقال : انْجِي لا أبا لك ! فما انقضى كلامُه حتى هطلت السماء عليهما .

البيت الثاني من هذه الأبيات ليس من رواية ابن حبيب ولا الأصمعيّ .

معنى قول الجارية «كأنّها بطن حمار أصحر» : تعني أنه أبيض فيه حمرة . والصحرة لونٌ كذلك . وقوله : «فَمَنْ بمَحْفِله كمَن بنجوته» : يعني مَن هو بحيث احتفل السيلُ ، واحتفالُ كلّ شيء مُعْظَمُه ، كمن في نجوته . وقد رُوِي «بمَحْفشه» ، وهما واحد ، ومعناهما مجرى معظم السيل . يقول : فمَنْ هو في هذا الموضع منه كمَن بنَجْوته (أي ناحية عنه) سواء لكثرة المطر . والقِرْواح : الفضاء ؛ يقال قِرْواحٌ وقِرْياحٌ . ويقال في معنى المَحْفِش . حَفَشت الأوديةُ إذا سالت ، وتحفّشت المرأة على ولدها إذا قامت عليه .

[كان يسير ليلاً فصرعته ناقته ، فأكرمه فضالة بن كلدة ، فمدحه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني عليّ بن أبي عامر السَّهْمِيُّ المصريُّ قال حدّثني أبو يوسف الأصبهانيّ قال حدّثني أبو محمد الباهليّ عن الأصمعيّ ، وذكر هذا الخبر أيضاً التَّوّزيّ عن أبي عُبيدة ، فجمعت روايتيهما ، قالا : كان أَوْس بن حجر غَزِلاً مُغْرماً بالنساء ؛ فخرج في سفر ، حتى إذا كان بأرض بني أَسَدٍ بين شَرْجٍ وناظِرة[1] ، فبينا هو يسير ظلاماً إذ جالت به ناقته فَصَرعته فاندقّت فخذاه فبات مكانه ؛ حتى إذا أصبح غَدا جَوارِي الحيّ يجتنين الكَمْأة وغيرَها من نبات الأرض والناس في ربيع . فبينا هنّ كذلك إذ بَصُرن بناقته تجول وقد علِق زمامها في شجرة وأبصرنه مُلْقًى ، ففزِعن فهَرَبن . فدعا بجارية منهن فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا حَليمة بنت فَضالة بن كَلَدة ، وكانت أصغرَهن ؛ فأعطاها حَجَراً وقال لها : اذهبي إلى أبيك فقولي له : ابنُ هذا يُقرِئك السلام . فأخبرته فقال : يا بُنَيّة ،

1 شرج وناظرة : موضعان .

لقد أتيت أباكِ بمدح طويل أو هجاء طويل . ثم احتمل هو وأهلُه حتى بنى عليه بيتَه حيث صُرِع وقال : والله لا أتحوّل أبداً حتى تبرأ ؛ وكانت حليمة تقوم عليه حتى استقلّ . فقال أوس بن حجر في ذلك : [من المتقارب]

جُدِلتُ على ليلةٍ ساهره ... بصحراء شَرْجٍ إلى ناظره[1]
تُزاد لَيالِيّ في طُولها ... فليست بطَلْقٍ ولا ساكره[2]
أنوءُ برجل بها ذِهْنُها ... وأعيتْ بها أُخْتُها الغابره[3]

وقال في حَليمة : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما مَلَّتْ ثَواءَ ثَوِيِّها ... حليمةُ إذ أَلْقى مَراسِيَ مُقْعَدِ[4]
ولكن تَلَقَّتْ باليدينِ ضَمانَتي ... وحَلَّ بشَرْجٍ مِ القبائلِ عوَّدِي[5]
ولم تُلْهِها تلك التكاليفُ إنّها ... كما شئتَ من أكرومةٍ وتَخَرُّدِ[6]
سأَجزيكِ أو يَجْزِيكِ عنّي مُثَوِّبٌ ... وقَصْرُكِ أنْ يُثْنى عليكِ وتُحْمَدِي[7]

[رثى فضالة بن كلدة حين مات]

قالا : ثم مات فَضالةُ بن كَلَدة ، وكان يكنى أبا دُلَيجة ، فقال فيه أَوْس بن حَجَرٍ يرثيه : [من البسيط]

يا عينُ لا بدّ من سَكْبٍ وتَهْمالِ ... على فَضالةَ جَلّ الرُّزْءُ والعالي

ويروى «عَيْنَيّ» . العالي : الأمر العظيم الغالب . وهي طويلة جدّاً . وفيها ممّا يغنّى فيه : [من البسيط]

صوت

أَبا دُلَيْجةَ مَنْ تُوصِي بأرملةٍ ... أم مَنْ لأَشْعَثَ ذي طِمْرَيْنِ مِمْحالِ[8]
أَبا دُلَيجةَ مَنْ يكفي العشيرةَ إذ ... أمسَوْا من الأمر في لَبْسٍ وبَلْبالِ

---

1 الجدل : الصرع ، وفي ل : خذلت .
2 ليلة طلق وطلقة : طيبة لا حرّ فيها ولا برد ولا مطر ولا قرّ ؛ ويقال : يوم طلق . وليلة ساكرة : ساكنة الريح .
3 الذهن : القوة . والغابرة : الباقية .
4 الثواء : الإقامة . والثويّ هنا : الضيف . المقعد : الذي به داء يقعده ، وفي الديوان : مقعدي .
5 الضمانة : الداء في الجسد من كبر أو بلاء أو غير ذلك .
6 التخرّد : الحياء والخفر .
7 المثوّب : الذي يعطي المحسن ثواب ما عمل . قصرك : غايتك وكفايتك .
8 الطمر : الثوب الخلق . وممحال : مجدب . أي فقير .

لا زال مِسْكٌ ورَيْحانٌ لـه أَرَجٌ على صَداكَ بصافي اللَّون سَلْسالِ[1]

غنَّى فيه دَحْمان خفيفَ رمل بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رَمَلاً بالوسطى عن عمرو . وذكر حبش أنّ فيه لابن عائشة رملاً بالبنصر ، ولداود بن العبّاس ثاني ثقيل ، ولابن جامع خفيف ثقيل .

ومن فاضل مراثيه إيّاه ونادِرها قوله : [من المنسرح]

أيَّتُها النفسُ أَجمِلِـي جَزَعـا إنّ الذي تَكْرَهـين قـد وقعا
إنّ الذي جَمَّع السماحةَ والـ ـنَّجْدَةَ والحزمَ والقُوى جُمَعا
المُخْلِـفَ المُتْلِـفَ المُـرَزَّأَ لم يُمْتَعْ بضَعْفٍ ولَم يَمُتْ طَبِعا[2]
أَوْدى وهل تنفع الإشاحةُ مِنْ شيء لمن قـد يُحاول البِدَعا[3]

وهي قصيدة أيضاً يمدحه بها في حياته ويرثيه بعد وفاته . وله فيه قصائد غير هذه .

صوت

[من الطويل]

رأيتُ زُهَيْراً تحـت كَلْكَلِ خالـدٍ فأَقبلـتُ أَسعـى كالعَجُولِ أُبادِرُ
فشَلَّتْ يميني يوم أضرِبُ خالداً ويمنعـه منّـي الحديـدُ المُظاهَرُ

عروضه من الطويل . الشعر لوَرْقاء بن زُهير . والغناء لكَرْدَمٍ ، خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها عن إسحاق ، وذكر عمرو بن بانة أنه لمعبد ، وذكر إسحاق أنه ينسبه إلى معبد من لا يعلم ، وروى عن أبيه عن سِياط عن يونس أله أخذه من كَرْدَمٍ وأعلمه أنّ الصنعة فيه له .

---

1 الصدى هنا : جثة الميت في قبره .

2 المخلف المتلف : يريد أنه يتلف ماله كرماً ، ويخلفه نجدة . المرزأ : الذي تناله الرزايا في ماله بسبب العطاء . والإمتاع : الإقامة . والطبع : الدّنس .

3 الإشاحة : الحذر .

[178] ـ خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا

[نسبه]

هو وَرْقاء بن زُهَير بن جَذيمة بن رَواحة بن رَبيعة بن مازِن بن الحارث بن قُطَيْعة بن عَبس بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفان ، يقوله لمّا قَتل خالد بن جعفر بن كِلاب بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكرِمة بن خَصَفة ، أباه زهير بن جَذيمة . وكان السبب في ذلك ، فيما أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيب بن نصر قالا حدّثنا عمر بن شبّة ، ونسخت بعض هذا الخبر عن الأَثْرَم وروايةِ ابن الكلبيّ ، وأضفتُ بعضَ الروايات إلى بعض إلاّ ما أفردته وجلبته عن راويه . قال أبو عبيدة حدّثني عبد الحميد بن عبد الواحد بن عاصم بن عبد الله بن رافع بن مالك بن عَبْد بن جُلْهُمة بن حَدّاق بن يربوع بن سَعْد بن تَغْلِب بن سَعد بن عَوف بن جِلاّن بن غَنْم بن أَعْصُر ، قال حدّثني أبي عبد الواحد وعمّي صَفْوانُ ابنا عاصم عن أبيهما عاصم بن عبد الله عمّن أدرك شَأْسَ بن زُهَير . قال : كان مولد عاصم قبل مبعث النبيّ ﷺ ، وكان عاصم جاهليّاً . قال : وقال عبد الحميد حدّثني سيّار بن عمرو أحد بني عبيد بن سَعْد بن عَوف بن جِلاّن بن غَنْم . قال أبو عبيدة : وكان أعْلَمَ غَنيٍّ ، عن شيوخهم .

[مقتل شأس بن زهير أخيه]

أنّ شَأْسَ بن زُهَير بن جذيمة أقبل من عند ملك ، قال أبو عبيدة : أُراه النُّعمان ، وكان بينه وبين زُهَير صِهْر ، قال أبو عبيدة : ثم حدّثني مرّة أُخرى قال : كان ابنةُ زُهَيْر عنده ، فأقبل شأْس بن زُهير من عنده وقد حَباه أفضل الحُبْوةَ مِسْكاً وكُساً وقُطُفاً وطَنافِسَ ، فأناخ ناقتَه في يوم شَمالٍ وقُرٍّ على رَدْهةٍ[1] في جبلٍ ورياحُ بن الأَسَكّ أحدُ بني رباع بن عبيد بن سَعْد بن عوف بن جِلاّن على الرَّدْهة ليس غيرُ بيته بالجبل ؛ فأنشأ شأس يغتسل بين الناقة والبيت ؛ فاستدبره رياحٌ فأهوى له بسهم فبَتَر به صُلْبَه . قال أبو عبيدة وحدّثني رجل يُخَيَّل إليّ أنّه أبو يحيى الغَنَويّ قال : ورد شأس وقد حباه الملك بحُبوةٍ فيها قطيفةٌ حمراء ذات هُدْب وطِيبٌ ، فوردَ مَنْعِجاً[2] وعليه خِباءٌ مُلْقًى لرياح بن الأسَكّ فيه أهلُه في الظَّهيرة ؛ فألقى ثيابَه بفِنائه ثم قعد يُهْرِيقُ عليه الماء ، والمرأة قريبةٌ منه (يعني امرأة رِياح) فإذا هو مثل الثور الأبيض . فقال رياح لامرأته :

---

1 الردهة : النقرة في الجبل أو في الصخر يستنقع فيها الماء .

2 منعج : موضع .

أَنْطِيني قَوسي : فمدّتْ إليه قوسه وسهماً ، وانتزعت المرأة نَصْلَه لئلا يقتله ؛ فأَهوى عَجْلانَ إليه . فوضع السهم في مُسْتَدَقّ الصُّلْب بين فَقارتين ففصلهما ، وخرّ ساقطاً ؛ وحفَر له حَفَراً فهدَمه عليه ، ونحر جمله وأكله . قال : وقال عبد الحميد : أكل رَكُوبته وأولج متاعَه بيتَه . وقال عبد الحميد : وفُقِد شَأْسٌ وقُصَّ أثرهُ ونُشِد ، وركبوا إلى الملك فسألوه عن حاله . فقال لهم الملك : حبوته وسرَّحته . فقالوا : وما متّعته به ؟ قال : مِسْكٌ وكُساً ونُطُوع وقُطُفٌ . فأقبلوا يقصُّون أثره فلم تتّضح لهم سبيلُه . فمكثوا كذلك ما شاء الله ، لا أدري كم ، حتى رأوا امرأة رِياحٍ باعت بعُكاظَ قطيفةً حمراء أو بعض ما كان من حَباء الملك ، فعُرِفتْ وتيقّنوا أنّ رياحاً ثَأْرُهم . قال أبو عبيدة : وزعم الآخر قال : نَشَد[1] زُهَيْر بن جَذيمة الناس ، فانقطع ذكرُه على مَنْعج وَسْطَ غنيّ ، ثم أصابت الناسَ جائحةٌ وجوعٌ ، فنحر زهير ناقةً ، فأَعطى امرأةً شَطَّيْها[2] فقال : اشتري لي الهُدْبَ والطِّيبَ . فخرجتْ بذلك الشحم والسَّنام تبيعه حتى دَفَعتْ[3] إلى امرأة رِياح ، فقالت : إنّ معي شحماً أبيعه في الهُدْبِ والطِّيب ؛ فاشترت المرأة منها . فأتت المرأة زهيراً بذلك ، فعرف الهُدْبَ . فأتى زهير غَنِيّاً ، فقالوا : نعم ! قتله رياح بن الأَسَكّ ، ونحن بُرءاء منه . وقد لحِق بخاله من بني الطمّاح وبني أسد بن خُزَيمة ، فكان يكون الليل عنده ويظهر في أَبان[4] إذا أحسّ الصبحَ ، يرمي الأَرْوى[5] ؛ إلى أن أصبح ذاتَ يوم وهو عنده وعَبْسٌ تُرِيغُه . فركب خالُه جملاً وجعله على كِفلٍ[6] وراءه . فبينا هو كذلك إذ دَنَتْ ، فقالوا : هذه خيل عَبْسٍ تطلبك . فطَمَرَ[7] في قاع شجر فحفر في أصل سُوقه . ولقيت الخيل خالَه فقالوا : هل كان معك أحد ؟ قال لا . فقالوا : ما هذا المَركَبُ وراءَك ؟ لَتُخْبِرَنّا أو لنَقتلنّك ! قال : لا كَذِبَ ، هو رياح في ذلك القاع . فلمّا دَنَوْا منه قال الحُصَيْنان : يا بني عَبْسٍ دَعُونا وثأْرَنا ، فخَنَسوا[8] عنهما . فأخذ رياح نَعْلَين من سِبْتٍ[9] فصيّرهما على صدره حيالَ كبده ، ونادى : هذا غزالُكما الذي تبغيان . فحمل عليه أحدهما فطعنه ، فأزالت النعلُ الرمحَ إلى حيث شاكلته ، ورماه رياحٌ مُوَلِّياً فجذَم

1 نشد : سأل .
2 شطيها : جانبي سنامها .
3 دفعت : انتهت .
4 أبان : جبل .
5 الأروى : أنثى الوعل .
6 الكِفل : شيء مستدير يتّخذ من الخرق ونحوها ويوضع على سنام البعير .
7 طمر : استخفى .
8 خنسوا : تأخروا وتنحوا .
9 السِّبت : الجلد المدبوغ .

صُلْبَه . قال : ثم جاء الآخر فطعنه فلم يُغْنِ شيئاً ، ورماهُ مُوَلِّياً فصرَعه . فقالت عبسٌ : أين تذهبون إلى هذا ! والله ليقتلنّ منكم عَدَدَ مَرامِيه ، وقد جرحاه فسيموت . قال : وأخذ رياح رُمْحَيْهما وسَلَبَيْهما وخرج حتى سَنَدَ إلى أُبانَ . فأتته عجوزٌ وهو يَسْتَدْمِي[1] على الحوض ليشرب منه وقالت : استأسِرْ تَحْيَ ؛ فقال : جنِّبيني[2] حتى أشرب . قال : فأبَتْ ولم تَنْتهِ . فلمّا غلبته أخذ مِشْقَصاً[3] وكنّع[4] به كُرْسُوعَيْ يَديها .

[رثاء زهير بن جذيمة لابنه شأس]

قال فقال عبد الحميد : فلمّا استبان لزهير بن جذيمة أنّ رِياحاً ثأْرُه قال يرثي شأساً : [من الطويل]

بكيتُ لشَأْسٍ حين خُبِّرتُ أنّه ... بماء غَنِيٍّ آخِرَ اللّيل يُسْلَبُ
لقد كان مَأْتاهُ الرِّداهَ لِحَتْفِهِ ... وما كان لولا غِرّةُ اللّيلِ يُغْلَبُ
قتيلُ غنِيٍّ ليس شَكْلٌ كشكله ... كذاك لَعَمْرِي الحَيْنُ للمرء يُجْلَبُ
سأبكي عليه إن بكيتُ بعَبْرةٍ ... وحُقَّ لِشَأْسٍ عَبْرةٌ حين تُسْكَبُ
وحزنٌ عليه ما حَيِيتُ وعولةٌ ... على مثل ضوء البدر أو هو أعجبُ
إذا سِيمَ ضَيْماً كان للضيم منكراً ... وكان لدى الهيجاء يُخْشى ويُرْهَبُ[5]
وإنْ صوّتَ الدّاعي إلى الخير مرّةً ... أجاب لِما يدعو له حين يُكْرَبُ
ففرّج عنه ثم كان وَلِيَّه ... فقلبي عليه لو بدا القلبُ مُلْهَبُ

وقال زهير بن جذيمة حين قُتِل شأْش : شأس وما شأس ! والبأس وما البأس ! لولا مقتلُ شأس ، لم يكن بيننا بأس . قال : ثم انصرف إلى قومه ، فكان لا يَقْدر على غَنَويٍّ إلاّ قتله .

قال عبد الحميد : فغزتْ بنو عَبْسٍ غَنِيّاً قبل أن يطلبوا قَوَداً أو ديةً مع أخي شأس الحُصَيْن بن زهير بن جذيمة والحُصَيْن بن أُسَيدِ بن جَذِيمة ابن أخي زُهير . فقيل ذلك لغنيّ ؛ فقالت لرياحٍ : انجُ ، لعلّنا نُصالح على شيء أو نُرضيهم بدية وفِداء . فخرج رياح رَدِيفاً لرجل من بني كلاب ، وزعم أبو حيّة النُّمَيْريّ أنّه من بني جَعْد ، وكان معهما صُحَيْفة فيها آرابُ[6] لَحْمٍ ، لا يَرَيان إلاّ

1 يستدمي : يطأطىء رأسه يقطر منه الدم .
2 جنبيني : ابعدي عني .
3 المشقص : نصل عريض أو هو سهم فيه ذلك النصل .
4 كنّع : قطع .
5 سامه الأمر : كلّفه إيّاه .
6 آراب لحم : قطع لحم .

أنّهما قد خالفا وجهةَ القوم ، فأوجفا أيديَهما في الصُّحيفةِ فأخذ كلّ واحد منهما وَذْرةً[1] ليأكلها ، مترادفين لا يَقدران على النزول . قال : فمرّ فوق رؤوسهما صُرَدٌ[2] فصَرْصَرَ ، فألقيا اللحمَ وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا إلى مثل ذلك فأخذ كل واحد منهما عظماً ، ومرّ الصُّرَدُ فوق رؤوسهما فصرصر ؛ فألقيا العظمين وأمسكا بأيديهما وقالا : ما هذا ! ثم عادا الثالثةَ فأخذ كلّ واحد منهما قطعة ، فمرّ الصُّرَد فوق رؤوسهما فصرصر ، فألقيا القطعتين ؛ حتى فعلا ذلك ثلاث مرات ، فإذا هما بالقوم أدنى ظَلَمٍ (وأدنى ظَلَمٍ أي أدنى شيء) وقد كانا يظنّان أنّهما قد خالفا وجهة القوم . فقال صاحبه لرياح : اذْهَبْ فإنّي آتي القوم أُشاغلهم عنك وأُحدّثهم حتى تُعجزَهم ثم ماضٍ إن تركوني . فانحدر رياحٌ عن عَجُز الجمل فأخذ أدراجه[3] وعدا أثر الراحلة حتى أتى ضِفّةً[4] فاحتفر تحتها مثل مكان الأرنب فولج فيه ، ثم أخذ نَعْلَيْه فجعل إحداهما على سُرّته والأخرى على صَفْنِه ثم شدّ عليهما العِمامة ، ومضى صاحبه حتى لقي القوم ، فسألوه فحدّثهم وقال : هذه غَنِيٌّ كاملة وقد دنوت منهم ، فصدّقوه وخَلَّوْا سَرْبَه[5] . فلمّا وَلّى رأوا مركب الرجل خلفه ، فقالوا : مَنِ الذي كان خلفك ؟ فقال : لا مَكْذُبَةَ ! ذلك رياح في الأوّل من السَّمُرات . فقال الحُصَيْنان لَمَن معهما : قِفُوا علينا حتى نعلم عِلْمَه فقد أمكننا الله من ثأرنا ، ولم يُريدا أن يَشْرَكَهما فيه أحد ، فمضيا ووقف القوم عنهما . قالوا قال رياح : فإذا هما ينقُلان فرسيهما ، فما زالا يُريغاني ، فابتدراني فرميتُ الأوّل فبترت صُلْبَه ، وطعنني الآخر قبل أن أرميه وأراد السُّرّة فأصاب الرَّبَلة[6] ، ومرّ الفرس يَهْوِي به ، فاستدبرتُه بسهم فرشقت به صلبَه فانفقر مُنْحَنى الأوصال ، وقد بترتُ صُلْبَيْهما . قال أبو عبيدة قال أبو حيّة : بل قال رياح : استدبرتُه بسهم وقد خرجتْ قدمه فقطعتُها ، فكأنّما نُشِرتْ بمِنشار . قال عبد الحميد : وندّ فرساهما فلحِقا بالقوم . قال رياح : فأخذت رمحيهما فخرجتُ بهما حتى أتيت رملةً فسَنَدتُ فغرزتُ الرمحين فيها ثم انحدرتُ . قال : وطلبه القوم ، حتى إذا رُفِع لهم الرمحان لم يَقْرَبوهما عَلِم الله حتى وجدوا أثر رياح خارجاً قد فات . وانطلق رياح خارجاً حتى ورد رَدهةً عليها بيت أنمار بن بَغِيض وفيه امرأةٌ ولها ابنان قريبان منها وجملٌ لها راتع في

1 الوذرة : القطعة الصغيرة من اللحم لا عظم فيها .
2 الصّرد : طائر أبقع ضخم الرأس يكون في الشجر ، نصفه أبيض ونصفه أسود .
3 الأدراج : الطرق .
4 الضفة : جانب النهر والوادي .
5 السَّرِب : الطريق .
6 الربلة : باطن الفخذ .

الجبل ، وقد مات رياح عطشاً . فلمّا رأته يستدمي طَمِعتْ فيه ورجتْ أن يأتيها ابناها ، فقالت له : استأْسِرْ . فقال لها : دَعِيني ويحكِ أشرب ، فأَبَت . فأَخذ حديدة إمّا سِكِّيناً وإمّا مِشْقَصاً فجذم به رَواهِشها[1] فماتت ، وعبّ في الماء حتى نَهِل ثم توجّه إلى قومه . فقال رياح فيها وفي الحُصَيْنين : [من السريع]

قالت لِـــيَ اسْتأْسِرْ لِتَكْتِفَني حِيناً ويعلـو قولُهـــا قولي
ولأَنْتَ أجـــرأُ من أُسامَة أو منِّـــي غـــداةَ وقفتُ للخيلِ
إذا الحُصَيْنُ لدى الحُصَيْنِ كما عَدَل الرِّجـــازةُ جانِبَ المَيْلِ

قال الأثرم : الرِّجازة شيءٌ يكون مع المرأة في هودجها ، فإذا مال أحدُ الجانبين وضعته في الناحية الأخرى ليعتدل . قال أبو عُبيدة : يعني حُصَيْنَ بنَ زُهَيرِ بن جَذِيمة ، وحُصَيْن بن أُسيدِ بن جَذِيمةَ وهو ابن عمّه . قال أبو عبيدة قال عبد الحميد : والله لقد سمعتُ هذا الحديث على ما حدّثتك به منذ ستّين سنة . قال عبد الحميد : وما سمعتُ أنّ بني عبْسٍ أدركوا بواحد منهم ولا اقتادوا ولا أنذروا ، ولا سمعتُ فيه من الشعر لنا ولا لغيرنا في الجاهلية بأكثر ممّا أنشدتُك . وإلى هذا انتهى حديثُنا وحديثُه ، ولا واللهِ ما قَتل خالدُ بنُ جعفرٍ زُهَيْرَ بن جَذيمة في حربنا ، غيرَ أنّ الكُمَيْتَ بنَ زَيدٍ الأَسَدِيَّ ، وكانت له أُمَّانِ من غَنِيٍّ ، ذكر من مقتل أخوالِهِ من غَنِيٍّ في بني عَبْسٍ ومَنْ قتلوا من بني نُمَيْرِ بن عامر في كلمةٍ له واحدة ؛ فلعلّه لهذا الحديث قالها وذكر إدْراكاتهم وذكرَ قَتْلَ شَبِيبِ بن سالم النُّمَيْرِيِّ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أنـــا ابـــنُ غَنِـيٍّ والدايَ كلاهما لأُمَّيْنِ فيهم في الفُروعِ وفي الأصلِ
هم استودعوا هوى شبيبَ بن سالمٍ وهم عدَلـوا بين الحُصَيْنَينِ بالنَّبْلِ
وهـــم قتلوا شَأْسَ المُلوكِ ورَغَّمُوا أبـــاه زُهَيْراً بالمَذَلَّـــــةِ والثُّكْلِ
فمـــا أدركتْ فيهم جَذِيمةُ وَتْرَها بِما قَـــوَدٍ يومـــاً لديها ولا عَقْلِ

قال أبو عبيدة : فذكر عبد الحميد أنّه أتى عليهم هُنَيئةٌ من الدهر لا أدري كم وقتُ ذلك بعد انصرام أمر شأْس . قال : فما زادوا على هذا فهو باطل . قال الأثرم : هُنَيْئةٌ من الدهر وهُنَيْهةٌ وبُرْهةٌ وحِقْبةٌ بمعنى الدهر .

1 الرواهش : العصب الذي في ظاهر الذراع ، وقيل : هي عصب وعروق في باطن الذراع ، واحدها راهشة وراهش .

[179] ـ مقتل زهير بن جذيمة العبسيّ

[قتله خالد بن جعفر]

قتله خالد بن جعفر بن كلاب . قال أبو عُبيدة قال أبو حية النميريّ : كان بين انصراف حديث شأس وحديث قتل خالد بن جعفرٍ زهير بن جذيمة ما بين العشرين سنةً إلى الثلاثين سنةً .

[تعظيم هوازن له]

قال أبو عبيدة : وهوازنُ بن منصور لا تَرى زهير بن جَذِيمَة إلاّ رَبّاً[1] . قال : وهوازن يومئذٍ لا خيرَ فيها ؛ ولم تَكثُر عامر بن صعصعة بعدُ ، فهم أذَلُّ من يَدٍ في رَحِمٍ[2] ، وإنّما هم رِعاءُ الشّاءِ في الجبال . قال : وكان زهيرٌ يعشُرُهم[3] ، وكان إذا كان أيّام عُكاظ أتاها زهيرٌ ويأتيها الناس من كل وجه ، فتأتيه هوازن بالإتاوة التي كانت له في أعناقهم فيأتونه بالسَّمْنِ والأقط والغنم ، وذلك بعد ما خلعَ ذلك من أبي الجَنّاد أخي بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم . ثم إذا تفرّق الناس عن عُكاظ نزل زهيرٌ بالنفرات[4] .

قال أبو عبيدة عن عبد الحميد وأبي حَيَّة النميريّ قالا : فأتته عجوزٌ رَهِيشٌ[5] من بني نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، وقال أبو حيّة : بل أتته عجوز من هوازن ، بسمن في نِحْيٍ ، واعتذرتْ إليه وشَكَت السنين التي تتابعن على الناس . فذاقه فلم يرضَ طَعمَه ، فدعّها بقوسٍ في يده عُطُلٍ[6] في صدرها ، فاستلقتْ لحلاوة[7] القَفا فبدتْ عورتُها ، فغضب من ذلك هوازن وحَقَـدتْ[8] عليه إلى ما كان في صدرها من الغيظ والدِّمَن[9] وأوْحَرَها[10] من الحَسَك[11] .

---

1 الربّ هنا : الملك والسيّد .

2 مثل يضرب في الضعف والهوان ، وقيل : يعني يد الجنين . وقال أبو عبيد : معناه أن صاحبها يتوقّى أن يصيب بيده شيئاً . مجمع الأمثال للميداني 17/2 .

3 يعشرهم : يأخذ عشر أموالهم .

4 يبدو أنه اسم مكان .

5 عجوز رهيش : ضعيفة أو مهزولة .

6 قوس عطل : لا وتر عليها .

7 حُلاوة القفا : وسطه .

8 ل : وأصمدت .

9 الدّمن : الأحقاد .

10 أوحرها : جعلها توحر أي تغضب وتحقد .

11 الحسك هنا : العداوة والحقد .

[حلف خالد بن جعفر أن يقتله]

قال : وقد أُمِرتْ[1] عامرُ بن صعصعة يومئذٍ ؛ فآلى خالد بن جعفر فقال : والله لأجعلنّ ذراعي وراءَ عنقه حتى أُقتَلَ أو يُقتَلَ . قال : وفي ذلك يقول خالد بن جعفر بن كلاب : [من الوافر]

أدِيروني إدارتَكم فإنّي ... وحَذْفةَ كالشَّجا تحت الوَرِيدِ
مُقَرَّبةٌ أُسَوِّيها بجَزءٍ ... وأُلْحِفُها رِدائي في الجَلِيدِ
وأُوصِي الرّاعِيَيْن ليُؤْثِراها ... لها لَبَنُ الخَلِيَّةِ والصَّعُودِ[2]
تراها في الغزاةِ وهنّ شُعْثٌ ... كقُلْبِ العاجِ في الرُّسْغِ الجديدِ[3]
يَبِيتُ رِباطُها بالليلِ كَفِّي ... على عُود الحشيش وغير عودِ
لعلّ اللهَ يُمْكِنني عليها ... جِهاراً من زُهَيْرٍ أو أَسِيدِ[4]
فإمّا تَثْقَفُوني فاقتُلوني ... فمَنْ أَثْقَفْ فليس إلى خُلودِ
وقيسَ في المَعارِكِ غادرتْه ... قَناتِي في فوارس كالأُسودِ
ويربُوع بن غَيْظٍ يومَ ساقٍ ... تركناهم كجارية وبيدِ
تركتُ بها نساء بني عُصَيْمٍ ... أراملَ ما تَحِنّ إلى وليدِ
يَلُذْنَ بحارِثٍ جَزَعاً عليه ... يَقُلْنَ لحارثٍ لولا تسودُ[5]
ومنّي بالظُّوَيْلِمِ قارعاتٌ ... تَبِيدُ المُخْزِياتُ ولا تَبِيدُ
وَحَكّتْ بَرْكَها ببني جِحاشٍ ... وقد أَجْرَوا إليها من بعيدِ[6]
تركت ابنَيْ جَذِيمةَ في مَكَرٍّ ... ونَصْراً قد تركتُ لها شُهودِي

[وصف مقتله وما كان قبله من حوادث]

قال أبو عبيدة وحدّثني أبو سرّار الغنويّ قال : كان زهيرٌ رجلاً عَدُوساً[7] ، فانتقل من قومه

---

1 أُمِرَت : كثرت .

2 الخليّة : الناقة تنتج وهي غزيرة ، فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هي للحلب . والصعود : الناقة التي تسقط ولدها لغير تمام ، فتعطف على ولد عام أوّل أو ولد غيرها فتدر عليه .

3 القُلب : السوار .

4 يمكنني في ل : يفردني .

5 في هذا البيت والذي بعده إقواء .

6 البرك : الصدر .

7 عدوس : قويّ على سير الليل .

ببنيه وبني أخويه زِنباعٍ وأَسِيدٍ برَكْبةٍ يُريغ الغيثَ في عُشَراواتٍ[1] له وشَوْلٍ[2] . قال : وبنو عامر قريبٌ منهم ولا يُشْعَرُ بهم . قال عبد الحميد وأبو حَيّة : بل بنو عامر بدَمْخٍ[3] وزهيرٌ بالنفرات وبينهم ليلتان أو ثلاث . قال فقال أبو سرّار : فأتى الحارثُ بني عامر ، والله ما تغيّر طعمُ اللبن الذي زُوِّدَهُ الحارث بن عمرو بن الشّرِيد السُّلَميّ حتى أتى بني عامر فأخبرهم . قال أبو عبيدة أخبرني سليمان بن المزاحم المازنيّ عن أبيه قال : بل كانت بنو عامر بالجريثة وزهير بالنفرات ، وكانت تُماضِرُ بنت عَمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظَة بن عُصَيّة بن خُفافٍ السُّلَميّ امرأة زهير بن جذيمة وهي أُمُّ ولده . فمرّ بها أخوها الحارث بن عمرو . فقال زهيرٌ لبنيه : إنّ هذا الحمار لطليعةٌ عليكم فأَوثِقوه . فقالت أُخته لبنيها : أيزوركم خالك فتُوثِقوه وتحرموه ! فخَلَّوْه . فقالت تُماضِرُ لأخيها الحارث : إنّه لَيَرِيبُني [اكْبِئْنانُك[4] وقُروبُك[5] ، فلا يأخذنّ فيك] ما قال زهير ؛ فإنّه رجل بَيْذارةٌ[6] غَيْذارةٌ[7] شَنُوءةٌ[8] . قال : ثم حلَبوا له وَطْباً وأخذوا منه يميناً ألاّ يُخْبِرَ عنهم ولا يُنْذِرَ بهم أحداً . قال أبو عبيدة : وزعم أبو حَيّة النُّميريّ أنّه لمّا أتوه بقِراهم أراهم أنّه يشرَبه في الظُّلمة وجعل يَهْوي به إلى جيبه فيَصُبُّه بين سِرْباله وصَدره أسفاً وغيظاً . قال : وكان الذي حلَب له الوَطْبَ وقَراه الحارث بن زهير ، وبه سُمِّي . قال : فخرج يطير حتّى أتى عامراً عند ناديهم ، فأتى حاذَةً[9] أو شجرةً غيرها فألقى الوطبَ تحتها والقومُ ينظرون ، ثم قال : أيّتها الشجرة الذليلةُ اشْرَبي من هذا اللبن فانظُري ما طَعْمُه . فقال أهل المجلس : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه [عَهْدٌ] وهو يُخبركم خبراً . فأَتَوْه فإذا هو الحارثُ بن عمرو ، وذاقوا اللبن فإذا هو حُلْوٌ لم يقرُص بعدُ ، فقالوا : إنه لَيُخْبِرُنا أنّ طلبنا قريبٌ . فركب معه ستّة فوارسَ لينظروا ما الخبر ، وهُم خالدُ بن جعفر بن كِلابٍ على حَذْفة ، وحُنْدُج بن البَكّاء ، ومعاوية بن عُبادة بن عُقَيْل فارس الهَرّار وهو الأخيل جَدّ ليلى الأخيليّة ، قال : والأخْيَلُ هو معاوية ، قال : وهو يومئذٍ غلامٌ

---

1 العشراء : الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر ثم لا يزال يطلق عليها هذا الاسم إلى ما بعد الوضع ، فهي بعد الوضع عشراء أيضاً .

2 والشول : جمع شائلة ، وهي الناقة التي أتى عليها من يوم نتاجها سبعة أشهر فخفّ لبنها .

3 دمخ : جبل .

4 الاكبئنان هنا : الغم .

5 القروب : السكوت .

6 البيذارة : الكثير الكلام .

7 الغيذارة : السيء الخلق .

8 الشنوءة : المبغض .

9 الحاذة : واحدة الحاذ ، وهو ضرب من الشجر .

له ذؤابتان ، وكان أصغرَ مَنْ ركِب ، وثلاثة فوارسَ من سائر بني عامر ؛ فاقتصُّوا أثَر السير ، حتى إذا رأوا إبلَ بني جَذيمة نزلوا عن الخيل . فقالت النساء : إنا لَنَرى حَرَجةً[1] مِن عِضاةٍ[2] أو غابة رِماح بمكان لم نكن نرى به شيئاً ، ثم راحت الرِّعاء فأخبروا بمثل ما للنساء . قال : وأخبرت راعيةُ أُسيدِ بن جَذِيمة أُسيداً بمثل ذلك ؛ فأتى أُسيدٌ أخاه زهيراً فأخبره ممّا أخبرته به الرّاعية وقال : إنّما رأتْ خيلَ بني عامر ورِماحَها . فقال زهير : «كلُّ أَزَبَّ[3] نَفورٌ» ، فذهبت مثلاً ؛ وكان أُسيدٌ كثير الشَّعر خناسيا ، وأينَ بنو عامر ! أمّا بنو كِلاب فكالحيّة إن تركتها تركتْك ، وإن وَطِئتها عَضّتك . وأمّا بنو كَعبٍ فإنّهم يَصيدون اللَّأى (يريد الثور الوحشيّ) . وأمّا بنو نُمَير فإنّهم يَرعَون إبلَهم[4] في رؤوس الجبال . وأمّا بنو هِلالٍ فيبيعون العِطر . قال : فتحمّل عامّة بني رواحة ، وآلى زهير لا يبرح مكانَه حتى يُصبح . وتحمّل مَن كان معه غير ابنيه وَرقاء والحارث . قال : وكان لزهير رَبيئة[5] من الجِنّ فحدّثه ببعض أمرهم حتى أصبح ، وكانت له مِظَلّة دَوْحٍ يربِطُ فيها أفراسَه لا تَرِيمُه حَذَراً من الحوادث . قال : فلمّا أصبح صهَلت فرسٌ منها حين أُحسّت بالخيل وهي القعساء . فقال زهير : ما لها ؟ فقال رَبيئتُه : أحسّت الخيل فصهَلت إليهن . فلم تُؤْذِنْهم بِهم إلاّ والخيلُ دَوائسُ[6] مَحاضِيرُ[7] بالقوم غديّةً . فقال زهير وظنّ أنّهم أهلُ اليمن : يا أُسيدُ ما هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء الذين تُعَمِّي حديثَهم منذُ الليلة . قال : وركِب أُسيدٌ فمضى ناجِياً . قال : ووثَب زهير وكان شيخاً نبيلاً[8] فتدَثّر[9] القَعساء فرسَه ، وهو يومئذٍ شيخٌ قد بَدُنَ وهو يومئذٍ عَقُوقٌ مُتَهَمٌ ، واعرَوْرى[10] ورقاءُ والحارثُ ابناه فَرَسَيْهما ، ثم

---

1 الحرجة : الغيضة أي الشجر الكثير الملتف .

2 العضاه من الشجر كل ما له شوك ، وقيل هو أعظم الشجر .

3 الزبب : كثرة الشعر وطوله . والبعير الأزب ، وهو الذي يكثر شعر حاجبيه ، ينفر إذا ضرب الريح شعرات حاجبيه . وهنا مثل قاله زهير بن جذيمة لأخيه أسيد ، وكان أزبّ جباناً ، وكان خالد بن جعفر بن كلاب يطلبه بذحل ، وكان زهير يوماً في إبله يهنؤها ومعه أخوه أسيد ، فرأى أسيد خالد بن جعفر قد أقبل في أصحابه ، فأخبر زهيراً بمكانهم فقال له زهير «كل أزب نفور» وإنّما قال هذا لأنّ أسيداً كان أشعر . مجمع الأمثال للميداني 7/3 .

4 ل : البهم .

5 ربيئة : طليعة يستطلع له الأشياء ويخبره بها .

6 أتتهم الخيل دوائس : أي يتبع بعضها بعضاً .

7 المحاضير : جمع محضير أو محضار وهو الشديد الحُضر أي العدو .

8 نبيلاً هنا : جسيماً .

9 تدثّر فرسه : وثب عليها فركبها ، أو ركبها من خلفها .

10 اعرورى فلان فرسه : ركبه عرياناً أي ليس له سرج .

خالفوا جهةَ مالِهم ليُعَمُّوا على بني عامر مكانَ مالِهم فلا يأخذوه . فهتَف هاتفٌ من بني عامر : يا لَيحامِر ، يريد يحامر وهو شِعارٌ لأهل اليمن ، لأنْ يُعَمِّيَ على الجَذَمِيِّين من القوم . فقال زهير : هذه اليمن ، قد علمتُ أنها لأهل اليمن ! وقال لابنه ورقاء : انظُرْ يا ورقاء ما تَرى ؟ قال ورقاء : أرى فارساً على شقراء يَجْهَدها ويَكُدُّها بالسوط قد ألحّ عليها (يعني خالداً) . فقال زهير : «شيئاً ما يريد السَّوْطُ إلى الشقراء»[1] فذهبتْ مثلاً ، وقال في المرّة الثانية : «شيئاً ما يطلبُ السَّوْطُ إلى الشقراء» وهي حَذْفةُ فرسُ خالد بن جعفر ، والفارس خالد بن جعفر . قال : وكانت الشقراء من خيل غَنِيٍّ . قال : وتمرّدت القَعساء بزُهير ؛ وجعل خالدٌ يقول : لا نجوتُ إن نجا مُجَدَّعٌ (يعني زهيراً) . فلمّا تَمَعّطت[2] القعساءُ بزهير ولم تتعلّق بها حَذْفةُ ، قال خالد لمعاوية الأخْيَل بن عُبادة وكان على الهَرّار (حصان أعْوَج)[3] : أدْرِك مُعاوِيَ ، فأدرك معاويةُ زهيراً ، وجعل ابناه ورقاءُ والحارثُ يُوَطِّشان عنه (أي عن أبيهما) . قال فقال خالد : اطْعنْ يا معاوية في نَساها ، فطَعن في إحدى رِجْليها فانخذلت القعساءُ بعض الانخِذال وهي في ذلك تَمَعَّطُ . فقال زهير : اطْعنِ الأُخرى ، يَكِيده بذلك لكي تستوي رجلاها فَتَحامَلَ . فناداه خالد : يا معاوية أفِذَّ طَعْنَتَك (أي اطْعنْ مكاناً واحداً) فشَعْشَعَ الرُّمح في رجلها فانخذلتْ .

قال : ولَحِقه خالدٌ على حَذْفةَ فجعل يدَه وراءَ عُنق زُهير ، فاستخفَّ به عن الفرس حتى قلَبه ، وخرّ خالدٌ فوقع فوقه ، ورفع المِغْفَر عن رأس زهير وقال : يا لَعامِرٍ اقتلونا معاً ! فعرَفوا أنّهم بنو عامر . فقال ورقاء : وا آنقِطاع ظَهْراه ! إنّها لبنو عامر ! سائرَ اليوم . وقال غيره : فقال بعضُ بني جَذِيمة : وا آنقطاع ظَهْرِي ! . قال : ولحِق حُنْدُج بن البَكّاء وقد حسَر خالدٌ المِغْفَرة عن رأس زهير فقال : نَحِّ رأسَك يا أبا جَزْءٍ ، لم يَحِنْ يومُك . قال : فنحّى خالدٌ رأسَه وضرب حُنْدُجٌ رأسَ زهير ، وضرب ورقاءُ بنُ زهير رأسَ خالدٍ بالسيف وعليه دِرعان ، وكان أسْجَرَ[4] العينين ، أزَبَّ أقمرَ[5] ، مثلَ الفالج[6] ، فلم يُغْنِ شيئاً . قال : وأجْهَض[7] ابنا زُهير

---

1 مثل . وهو يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها . أصله رجلاً ركب فرساً له شقراء ، فجعل كلّما ضربها زادته جرياً . يضرب لمن طلب حاجة وجعل يدنو من قضائها والفراغ منها ، مجمع الأمثال للميداني 164/2 .

2 التمعط : ضرب من العدو .

3 الأعوج من الخيل : ما اعوجّت قوائمه ، ويستحبّ ذلك فيها .

4 سجرة العين : أن يخالط بياضها حمرة . وأزب : كثير الشعر .

5 القمرة : لون إلى الخضرة ، أو هي بياض فيه كدرة .

6 الفالج هنا : الجمل الضخم ذو السنامين .

7 أجهضا القوم : أي نحياهم عنه وغلباهم عليه .

القومَ عن زهير فانتزعاه مُرْتَثّاً[1] . فقال خالدٌ حين استنقذ زهيراً ابناه : وا لهفتاهْ ! قد كنتُ أظنّ أن هذا المَخْرَجَ سَيَسَعُكُم ! ولام حُنْدُجاً . فقال حُندج وكان لجلالته غصة إذا تكلّم : السيفُ حديد ، والساعدُ شديد ، وقد ضربتُه ورجلاي متمكّنتان في الركابين وسمعتُ السيفَ قال قَبْ حين وقع برأسه . ورأيتُ على ظُبَته مثلَ ثَمَر المُرار ، وذقتُه فكان حُلْواً . فقال خالد : قتلتَه بأبي أنت ! . ونظَر بنو زهير فإذا الضربةُ قد بلغتْ الدِّماغ . ونُهِي بنو زهير أن يسقوا أباهم الماء ، فاستسقاهم فمنعوه حتى نُهِك عَطَشاً . قال : وذلك أنّ المأموم[2] يُخاف عليه الماء ، حتى بلغ منه العطشُ ، فجعل يَهْتِف : أُمَيّتٌ أنا عَطَشاً ، وينادى : يا ورقاء ، قال أبو حيّة : فجعل ينادي يا شَأْس ، فلمّا رأوا ذلك سَقَوْه فمات لثالثةٍ .

[شعر ورقاء بن زهير حين قتل والده]

فقال ورقاء بن زُهَيْر : [من الطويل]

رأيتُ زُهَيراً تحت كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ[3]

إلى بَطَلَيْن يَنْهَضانِ كلاهما ... يُريغانِ نَصْلَ السَّيفِ والسيفُ نادِرُ[4]

فشَلَّتْ يميني إذ ضربتُ ابنَ جَعْفَرٍ ... وأحرزه منّي الحديدُ المُظاهَرُ

قال أبو عبيدة : وسمعتُ أبا عمرو بن العَلاء يُنشد هذا البيت فيها : [من الطويل]

وشَلَّتْ يميني يوم أضربُ خالداً ... وشَلّ بَناناها وشلّ الخَناصِرُ

قال أبو عبيدة : وأنشدني أبو سَرّار أيضاً فيها : [من الطويل]

فيا ليتني من قبل أيّامِ خالدٍ ... ويومِ زُهَيْرٍ لم تَلِدني تُماضِرُ

تماضر بنت عمرو بن الشَّريد بن رِياح بن يَقَظة بن عُصَيّةَ بن خُفاف السُّلَميّ امرأة زُهير بن جَذِيمة . قال أبو عبيدة : أنشدني أبو سرّار فيها : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد بُشِّرتِ بي إذ وَلَدْتني ... فماذا الذي رَدّتْ عليكِ البشائرُ

[شعر لخالد بن جعفر يمنّ على هوازن بقتله زهيراً]

وقال خالد بن جعفر يمُنّ على هوازن بقتله زهيراً ويصدُق الحديث ، قال أبو عبيدة أنشدنيه مالك بن عامر بن عبد الله بن بِشْرِ بن عامر مُلاعِب الأسِنّة : [من الكامل]

---

1 المرتثّ : الذي يحمل من المعركة وبه رمق .

2 المأموم : الذي أصيب في أم الرأس . وأم الرأس : الدماغ .

3 العجول من النساء والإبل : الواله التي فقدت ولدها الثكلى لعجلتها في جيئتها وذهابها جزعاً .

4 نادر : ساقط .

بل كيف تكفُرني هوازنُ بعدما أعتقتُهم فتَوالَـدُوا أحـرارا
وقتلتُ ربَّهـمُ زهيراً بعد ما جدع الأُنوف وأكثر الأوتارا
وجعلتُ حَزْنَ بِلادِهم وجِبالهم أرضاً فضاءً سهلـةً وعشارا
وجعلتُ مَهْرَ بناتهم ودمائهم عَقْلَ الملـوكِ هجائناً أبكارا

قال أبو عبيدة : ألا ترى أنه ذكر في شعره أنّ زهيراً كان ربَّهم وقد كان جدَعهم ، وأنّه قتله من أجلهم لا من أجل غَنِيٍّ ، وأنّ غَنِيّاً ليسوا من ذلك في ذكرٍ ولا لهم فيه معنًى .

قال : وقال وَرقاء بن زهير : [من البسيط]

أمّا كِلابٌ فإنّـا لا نُسالِمُها حتى يُسالِمَ ذِئبَ الثَّلةِ الرَّاعِي[1]
بنو جَذِيمة حاموا حول سَيِّدهم إلاّ أسِيداً نجا إذ ثَوَّب الدّاعِي

[شعر للفرزدق ينعي فيه على بني عبس ضربة ورقاء خالداً]

قال : ثم نَعى الفرزدق على بني عبس ضربةَ ورقاء خالداً ، واعتذر بها إلى سليمان بن عبد الملك فقال : [من الطويل]

إنْ يَكُ سيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أبى لتأخير نَفْسٍ حَتْفُها غيرُ شاهِدِ
فسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضربوا به نَبا بِيَدَيْ وَرْقاءَ عن رأس خالدِ
كذاك سيوفُ الهِنْدِ تنبو ظُباتُها وتقطعَ أحيانـاً مناطَ القلائدِ
ولو شِئتُ قدَّ السيفُ ما بين عُنْقِهِ إلى عَلَقٍ تحت الشَّراسِيفِ جامدِ[2]

قال : وكان ضِلَعُ بني عَبْسٍ مع جرير ، فقال الفرزدق فيهم هذه الأبيات . هذه رواية أبي عُبيدة .

[رواية الأصمعي لمقتل زهير وابنه شأس]

وأمّا الأصمعيّ فإنّه ذكر ، فيما رواه الأثْرَمُ عنه ، قال حدَّثني غيرُ واحد من الأعراب أنّ سبب مقتل زُهَيرٍ العبسيّ أنّ ابنه شأس بن زهير وفَد إلى بعض الملوك فرجع ومعه حِباءٌ[3] قد حُبِي به ، فمرّ بأبياتٍ من بني عامر بن صعصعةَ وأبياتٍ من بني غَنِيٍّ على ماء لبني عامرٍ أو غيرهم ، الشكّ من الأصمعيّ . قال : فاغتسل ، فناداه الغَنَوِيّ : اسْتَتِرْ ، فلم يَحْفِلْ بما قال . فقال : استترْ ويحك ! البيوت بين يديك ؛ فلم يحفِل . فرماه الغنويّ رِياحُ بن الأسَكّ بسهمٍ . أو ضربه فقتله

1 الثَّلة : الجماعة من الغنم وبضمّ الثاء الجماعة من الناس .
2 العلق : الدم ، وقيل هو الدم الجامد الغليظ . والشراسيف : أطراف الأضلاع ، واحدها شرسوف .
3 الحباء : العطاء .

والحَيُّ خُلُوفٌ ، فاتّبعه أصحاب شأس وهم في عِدّة ، فركب الفلاةَ واتّبعوه فَرَهِقوه[1] ، فقتل حُصَيْناً وأخاه حُصَيْناً ، ثم نجا على وجهه حتى أدركه العطشُ ، فلجأ إلى منزل عجوز من بني إنسان (وبنو إنسان حيٌّ من بني جُشَم) . فقال له العجوز : لا تبرحْ حتى يأتي بَنيَّ فيأسروك . قال الأصمعيّ : فأخبرني مُخْبِران اختلفا ، فقال أحدهما : إنّه أخَذَ سِكّيناً فقطع عَصَبَتَيْ يديها ، وقال الآخر : أخذ حجراً فشدَخ به رأسَها ، ثم أنشأ يقول : [من الكامل]

ولأنتَ أَشْجَعُ مـن أسامةَ أو مِنّي غـداةَ وقفـتُ للخَيْلِ
إذ الحُصَيْنُ لـدى الحُصَيْنِ كما عَدَلَ الرِّجـازةُ جانِبَ المَيْلِ[2]
وإذا أُنَهْنِهُهـا لأَفتِلَهـا جاشتْ لِيَغْلِبَ قولُهـا قولي[3]

قال : فضرب الزمانُ ضَرَبانَه[4] ، فالتقى خالد بن جعفر بن كِلاب وزهير بن جذيمة العَبسيّ . فقال خالد لزهير : أما آن لك أن تشتفي وتَكُفّ ؟ قال الأصمعيّ : يعني ممّا قتَل بشأس ، قال : فأغلَظ له زهيرٌ وحقّره . قال الأصمعيّ : وأخبرني طَلْحة بن محمد بن سعيد بن المُسَيِّب أنّ ذلك الكلام بينهما كان بعُكاظ عند قريش . فلمّا حقّره زهير وسبّه قال خالد : عسى إن كان ! يتهدّده ثم قال : اللهمّ أمكِنْ يدي هذه الشقراءَ القصيرةَ من عُنق زهير بن جَذيمة ثم أعِنّي عليه . فقال زهير : اللهمّ أمْكِنْ يدي هذه البيضاءَ الطويلة من عنق خالد ثم خلِّ بيننا . فقالت قريش : هلكتَ والله يا زُهير ! . فقال : إنّكم والله الذين لا عِلْمَ لكم .

قال الأصمعيّ : ثم نرجع إلى حديث العَبسيّين والعامريّين ، وبعضه من حديث أبي عمرو بن العَلاء . قال : فجاء أخو امرأة زهير ، وكانت امرأته فاطمة بنتَ الشَّرِيدِ السُّلَمِيّة ، وهي أُمّ قيس بن زهير ، وكان زهيرٌ قد أساء إليهم في شيء ، فجاء أخوها إلى بني عامرٍ فقال : هل لكم في زهير بن جَذِيمة يَنْتِجُ إبلَه ليس معه أحدٌ غير أخيهِ أسِيدِ بن جَذِيمة وعبدٍ راعٍ لإبله ! وجئتُكم من عنده ، وهذا لبنٌ حلبوه لي . فذاقوه فإذا هو ليس بحازر ، فعلِموا أنّه قريبٌ . فخرج حُنْدُج بن البَكّاء وخالدُ بن جعفر ومعاوية بن عُبادة بن عُقيل ، ليس على أحدهم دِرْعٌ غير خالد كانت عليه درعٌ أعاره إيّاها عمرُو بن يربوع الغَنَويّ ، وكانت دِرعَ ابن الأجْلَحِ المُرادِيّ كان قتله فأخذها منه ، وكان يقال لها ذات الأزمّة . وإنّما سمّيت بذلك لأنّها كانت لها عُرًى تُعَلَّق فضولُها بها إذا أراد أن يشمِّرها . قال : فطلعوا . فقال أُسيدُ بن

1 رهقوه : غشوه ولحقوه .
2 إذ الحصينُ في ل : عدل الحصينُ .
3 نهنهه : زجره وكفّه .
4 أي إذا ذهب بعضه .

جَذِيمة ، قال الأصمعيّ : وكان أَسِيدٌ شيخاً كبيراً ، وكان كثيرَ شعر الوجه والجسد : أُتِيتَ وربِّ الكعبة . فقال زهير : «كلُّ أَزَبَّ نَفُورُ»[1] فذهبتْ مثلاً . فلم يشعر بهم زهيرٌ إلاّ في سَواد الليل ، فركِب فرسه ثم وجّهها ، فلحِقه قومٌ أحدُهم حُنْدُجٌ أو العُقيليّ ، واختلفوا فيهما ، فطعن فَخِذَ الفرسِ طعنةً خفيفةً ، ثم أراد أن يَطْعن الرَّجل الصحيحة ، فناداه خالدٌ : يا فلان لا تفعل فيستويا ، أَقْبِلْ على السقيمة . قال : فطعنَها فانخذلَتْ الفرسُ فأدركوه . فلمّا أدركوه رمى بنفسه ، وعانقه خالدٌ فقال : اقتُلوني ومُجَدَّعا ! . فجاء حُنْدُجٌ ، وكان أعجمَ اللِّسانِ ، فقال لخالد وهو فوق زهير : نَحِّ رأْسَك يا أبا جَزْءٍ ، فنحَّى رأسَه ، فضرب حندجٌ زهيراً ضربةً على دَهَشٍ ، ثم ركبوا وتركوه . قال فقال خالد : وَيحك يا حُنْدُجُ ما صنعتَ ؟ فقال : ساعِدي شديدٌ ، وسَيْفِي حديد ، وضربتُه ضربةٌ فقال السيف قَبْ ، وخرج عليه مثلُ ثمرة المُرار ، فطَعِمْتُه فوجدتُه حُلْواً (يعني دِماغَه) . قال : إنْ كنتَ صَدَقْتَ فقد قتلتَه . قال : فجاء قومُ زهيرٍ فاحتملوه ومنعوه الماءَ كراهةَ أن يبتلّ دماغُه فيموت . فقال : يا آل غطفان أأموت عَطَشاً ! فسُقِي فمات ، وذلك بعد أيّام . ففي ذلك يقول وَرْقاء بن زهيرٍ وكان قد ضرب خالداً ضربةً فلم يصنع شيئاً ، فقال : [من الطويل]

رأيتُ زهيراً تحت كَلْكَلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعى كالعَجُولِ أُبادِرُ

إلى بَطَلَيْنِ ينهَضانِ كِلاهما ... يُريدانِ نَصْلَ السَّيْفِ والسيفُ نادِرُ

قال الأصمعيّ : فضرب الدهر من ضَرَبانِه إلى أن التقى خالدُ بن جعفر والحارثُ بن ظالم .

1 مثل ورد ذكره ص 59 من هذا الجزء .

[180] ـ ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كِلاب

[مقتل خالد بن جعفر وسببه]

قتله الحارث بن ظالمٍ المُرِّيُّ . قال أبو عُبيدةَ : كان الذي هاج من الأمر بين الحارث بن ظالم وخالد بن جعفر أنّ خالدَ بن جعفر أغار على رَهْط الحارث بن ظالم من بني يربوع بن غيْظِ بن مُرّة وهم في وادٍ يقال له حُراضٌ ، فقتل الرجالَ حتى أسرع ، والحارثُ يومئذٍ غلام ، وبَقِيت النساء . وزعموا أنّ ظالماً هلكَ في تلك الوقعة من جِراحةٍ أصابته يومئذٍ . وكانت نساء بني ذُبيان لا يحلُبن النَّعَمَ ، فلمّا بَقِين بغير رجال طَفِقن يدعون الحارثَ ، فَيشُدّ عِصابَ[1] الناقةِ ثم يحلُبنها ، ويبكين رجالَهنّ ويبكي الحارث معهنّ ، فنشأ على بُغْض خالد . وأردف ذلك قتلُ خالد زهير بن جذيمة ؛ فاستحقّ العداوةَ في غَطَفان . فقال خالد بن جعفر في تلك الوَقعة : [من الوافر]

تركتُ نساءَ يَرْبُوعِ بنِ غَيْظٍ ... أَرامـلَ يشتكِـين إلى وَلِيدِ
يَقُلْنَ لحـارثٍ جَزَعـاً عليـه ... لك الخيراتُ ما لك لا تسودُ
تركتُ بَنِـي جَذِيمة في مَكَرٍّ ... ونصراً قد تركتُ لدى الشهودِ
ومنّي سوف تأتِـي قارعـاتٌ ... تَبِيـدُ المخزِيـاتُ ولا تَبِيدُ
وقيس ابن المعـارِكِ غادرتْـه ... قَناتِـي في فـوارِسَ كالأسودِ
وحَلّتْ بَرَكْهـا ببني جِحاشٍ ... وقـد مَـدُّوا إليها من بَعِيدِ
وحَيّ بني سبيعٍ يـومَ ساقٍ ... تركناهـم كجاريـة وبيدِ[2]

قال أبو عبيدة . فمكث خالدُ بن جعفر بُرْهةً من دهره ، حتى كان من أمره وأمر زهير بن جَذِيمة ما كان ، وخالدٌ يومئذٍ رأسُ هَوازِنَ . فلمّا استحقّ عداوةَ عَبْسٍ وذُبْيان أتى النُّعمان بن المُنْذِرِ[3] مَلِكَ الحِيرةِ لينظر ما قَدْرُه عنده ، وأتاه بفرس ؛ فألفى عنده الحارث بن ظالمٍ قد أهدى له فرساً فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، نَعِمَ صباحُك ، وأهلِي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيل بني مُرّة ، فلن تُؤتى بفرسٍ يَشُقّ غُبارَه ، إن لم تَنْسُبْه انْتَسب ، كنتُ ارتبطته لغزو بني عامر بن صعصعة ؛ فلمّا

1 عصاب الناقة : ما تشدّ به لتدر .

2 وبيد في ل : وئيد .

3 ورد في الكامل لابن الأثير 351/1 : أن الملك هو النُّعمان ابن امرىء القيس ملك الحيرة . وورد أيضاً أن الملك الذي قتل ابنه كان الأسود بن المنذر .

أكرمتَ خالداً أهديتُه إليك . وقام الربيع بن زياد العبسيّ فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! نَعِمَ صباحُك ، وأَهلي فداؤك ! هذا فرسٌ من خيلِ بني عامر ارتبطتُ أباه عشرين سنةً لم يُخْفِقْ في غَزْوةٍ ولم يعتلِك في سَفَرٍ ، وفضلُه على هذين الفرسين كفضل بني عامر على غيرهم . قال : فغضِب النُّعمان عند ذلك وقال : يا مَعْشَرَ قيس ، أَرى خيلَكم أشباهاً ! أين اللواتي كأنّ أذنابَها شِقاق[1] أَعْلام ، وكأنّ مَناخِرَها وَجارُ[2] الضِّباع ، وكأنّ عيونَها بَغايا النساء ، رِقاقُ المُسْتَطعَمِ[3] ، تُعالِك اللُّجُمَ في أشداقها ، تدورُ على مَذاوِدِها[4] كأنّما يَقْضَمنَ[5] حَصًى . قال خالد : زعَمَ الحارث ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ ، أنّ تلك الخيلَ خيلُه وخيلُ آبائه . فغضِب النُّعمان عند ذلك على الحارث بن ظالم . فلمّا أَمْسَوا اجتمعوا عند قَينةٍ من أهل الحِيرَةِ يقال لها بنت عَفْزَرٍ يشربون . فقال خالِدٌ : تَغَنَّيْ : [من الكامل]

دارٌ لهنـدٍ والرَّبـابِ وفَرْتَنى ولَمِيسَ قَبْـلَ حوادثِ الأيّامِ

وهنّ خالات الحارث بن ظالم . فغضِب الحارث بن ظالم حتى امتلأ غيظاً وغضباً ، وقال : ما تَزال تُتْبِعُ أُولى بآخرة ! . قال أبو عبيدة : ثم إنّ النُّعمان بن المنذر دعاهم بعد ذلك وقدّم لهم تمراً ؛ فطفِق خالدُ بن جعفر يأكل ويُلقِي نَوى ما يأكل من التمر بين يَدَي الحارث . فلمّا فرَغ القوم قال خالد بن جعفر : أَبَيْتَ اللعن ! انظُر إلى ما بين يدي الحارث بن ظالم من النَّوى ! ما ترك لنا تمراً إلاّ أكله . فقال الحارث : أمّا أنا فأكلتُ التمر وألقيتُ النَّوى ، وأمّا أنت فأكلتَه بنواه . فغضِب خالد وكان لا يُنازَع ، فقال : أتُنازِعني يا حارث وقد قتلتُ حاضرتَك وتركتك يتيماً في حُجور النساء ! . فقال الحارث : ذلك يومٌ لم أَشْهَدْه ، وأنا مُغْنٍ اليومَ بمكاني . قال خالد : فَهَلاّ تشكُر لي إذ قتلتُ زهيرَ بن جَذِيمةَ وجعلتُك سيِّد غَطَفانَ ! . قال : بلى أَشكُرك على ذلك . فخرج الحارث بن ظالم إلى بنت عَفْزَرٍ ، فشرِب عندها وقال لها تَغَنَّيْ : [من الطويل]

تَعَلَّمْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ أنّيَ فاتكٌ من اليومِ أو مِنْ بعدِه بابن جَعْفَرِ
أُخالِدُ قد نَبَّهْتَني غيرَ نائمٍ فلا تَأْمَنَنْ فَتْكِي يَدَ الدَّهرِ واحْذَرِ
أعيَّرْتَني أنْ نِلْتَ منّا فوارساً غداةَ حُراضٍ مثلَ جِنَّانِ عَبْقَرِ[6]

1 شقاق : جمع شقة وهي نصف الشيء أو القطعة منه إذا شقّ .
2 الوجار : جحر الضبع وغيرها .
3 مستطعم الفرس : جحفلته وما حولها .
4 المذاود : جمع مِذْوَد وهو معتلف الدابة .
5 القضم : الأكل بأطراف الأسنان أو هو أكل الشيء اليابس .
6 عبقر : موضع بالبادية كانت العرب تزعم أنه كثير الجن .

أصابهمُ الدَّهـــرُ الخَتُـــورُ بخَتْرِهِ ومَنْ لا يَـــقِ اللهُ الحوادثَ يَعْثُرِ[1]
فعلّـك يومـــاً أن تنـــوء بضَرْبةٍ بكفٍّ فتًى مـــن قومه غيرِ جَيْدَرِ[2]
يُغِصّ بهـــا عُلْيـــا هَـــوازِنَ والمُنى لقاءُ أَبـــي جَـــزْءٍ بأَبيضَ مِبْتَرِ[3]

قال : فبلغ خالدَ بن جعفرٍ قوله فلم يَحْفِلْ به . فقال عبد الله بن جَعْدَةَ ، وهو ابن أُخت خالد ، وكان رجلَ قَيْسٍ رأياً ، لابنه : يا بُنَيّ ائتِ أَبا جَزْء فأَخبِرْه أنّ الحارث بن ظالم سفيهٌ موتور ، فأَخْفِ مَبِيتَك الليلةَ ؛ فإنّه قد غلبه الشرابُ . فإنْ أبيتَ فاجعل بينك وبينه رجلاً لِيَحْرُسَك . فوضعوا رجلاً بإزائه ، ونام ابن جَعْدَةَ دون الرجل ، وخالدٌ من خَلْفِ الرجل . وعرف أنّ ابن عُتْبةَ وابن جعدةَ يحرُسان خالداً . فأقبل الحارثُ فانتهى إلى ابن جَعْدة فتعدّاه ، ومضى إلى الرجل وهو يحسبه خالداً فعجَنه بكَلْكَلِهِ حتى كسرَه وجعل يكدمه[4] لا يعقِل ، فخلّى عنه والرجل تحته ، ومضى إلى خالد وهو نائم ، فضربه بالسَّيفِ حتى قتله . فقال لعُروة[5] : أَخبِرِ الناسَ أنّي قتلتُ خالداً . وقال في ذلك : [من الطويل]

أَلا سائلِ النُّعْمانَ إن كنتَ سائلاً وَحيَّ كِلاب هـــل فتكتُ بخالدِ
عَشَوْتُ عليـــه وابنُ جَعْدةَ دونَه وعُرْوةُ يَكْـــلا عمَّـــه غيرَ راقِدِ
وقد نَصَبا رَجْلاً فباشرتُ جَوْزَه بكَلْكَلِ مَخْشِيٍّ العـــداوةِ حاردِ[6]
فأَضربـــهُ بالسَّيفِ يـــأفُوخَ رأسِهِ فصمّم حتى نـــال نُوطَ القلائدِ[7]
وأَفلـــتَ عبدُ الله منّـــي بذُعْـــرِه وعُرْوةُ من بعد ابنِ جَعْدةَ شاهدي

[شعر قيس بن زهير للحارث حين قتل خالداً]

فلمّا أَبَتْ غَطَفانُ أن تُجِيره غَضِبتْ لذلك بنو عبس . وبعث إليه قيس بن زهير بن جذيمة بهذه الأبيات : [من الوافر]

1 الختر : الخديعة أو هو أسوأ الغدر وأقبحه .
2 غير جيدر : غير قصير .
3 أبو جزء : كنية خالد بن جعفر . وأبيض مبتر : سيف قاطع .
4 الكدم : العض والتأثير بحديدة ونحوها .
5 هو عروة بن عتبة وهو ابن أخي خالد بن جعفر .
6 الرَّجْل : لغة في الرِّجْل . وجوز كل شيء : وسطه . وحارد : غاضب .
7 اليأفوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس مع عظم مؤخره . وصمم : مضى . ونوط : جمع نياط ، ويناط كل شيء معلقه .

جزاك الله خيراً مِـــنْ خَلِيـلٍ شفى من ذي تُبُولته الخليلا[1]
أزحتَ بها جوًى ودَخِيلَ حُزْنٍ تَمَخَّخَ أعظُمِي زمنـاً طويلا[2]
كسوتَ الجعفريَّ أبا جُزَيْءٍ ولم تَحْفِـلْ بـــه سيفاً صَقِيلا
أبأْتَ بـــه زُهَيْرَ بَنِـي بَغِيصٍ وكنتَ لِمِثْلِها ولها حَمُولا[3]
كشفتَ له القِناعَ وكنتَ مِمّن يُجَلِّي العـارَ والأمـرَ الجَليلا

فأجابه الحارث بن ظالم : [من الوافر]

أتانِيَ عـــن قُيَيْسِ بني زُهَيْرٍ مقالـةُ كاذبٍ ذكـر التُّبُولا
فلـــو كنتـــم كما قلتـم لكنتم لقاتـل ثـأرِكم حِـرْزاً أصِيلا
ولكـن قلتُـــم جـاوِرْ سِوانا فقـــد جَلَّلْتنـا حَدَثـاً جليلا
ولو كانـوا هـــمُ قتلوا أخاكم لَما طردوا الذي قَتـل القَتِيلا

[غطفان تأبى جوار الحارث]

قال أبو عبيدة : فلمّا منعته غَطَفان لَحِق بحاجب بن زُرارةَ ، فأجاره ووعده أن يمنعه من بني عامر . وبلغ بني عامر مكانه في بني تميم ، فساروا في عُلْيا هوازنَ . فلمّا كانوا قريباً من القوم في أوّل وادٍ من أوديتهم ، خرج رجلٌ من بني غَنِيٍّ ببعض البَوادي ، فإذا هو بامرأةٍ من بني تميم ثم من بني حَنظلة تجتني الكَمأةَ ، فأخذها فسألها عن الخبر ، فأخبرتْهُ بمكان الحارث بن ظالم عند حاجب بن زُرارة وما وعده من نُصْرته ومَنْعِه . فانطلق بها الغَنَوِيّ إلى رَحْلِه ؛ فانسلّتْ في وسطٍ من الليل ، فأتى الغنويُّ الأَحْوَصَ بن جعفر ، فأخبره أنّ المرأة قد ذهبتْ وقال : هي مُنْذِرةٌ عليك . فقال له الأحوصُ : ومتى عَهْدُك بها ؟ قال : عَهْدِي بها والمَنِيُّ يقطرُ من فَرْجها . قال : وأبيك إنّ عهدَك بها لقريبٌ . وتبع المرأة عامرُ بن مالك يَقُصّ أثرها حتى انتهى إلى بني زُرارة والمرأة عند حاجب وهو يقول لها : أخبِريني أيُّ قومٍ أخذوك ؟ قالت : أخذني قومٌ يُقبِلون بوجوه الظِّباء ، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء . قال : أولئك بنو عامر . قال : فحدّثيني مَن في القوم ؟ قالت : رأيتُهم يَغْدُون على شيخ كبير لا ينظر بمأْقَيْهِ[4] حتى يرفعوا له من حاجبَيْه . قال : ذلك الأَحْوص بن جعفر . قالت : ورأيت شابّاً شديد الخَلْق ،

1 التبولة : جمع تَبِل وهو هنا الثأر .
2 تمخّخ العظم : أخرج مخّه .
3 أبأت القاتل بالقتيل : قتلته به .
4 الماق : لغة في موق العين وهو مؤخرها أو مقدمها .

كأنّ شعر ساعديه حَلَقُ الدِّرْع يَعْذِم[1] القَوْمَ بلسانه عَذْمَ الفرس العَضُوض . قال : ذلك عُتْبَةُ بن بَشِير بن خالد . قالت : ورأيت كهلاً إذا أقبل معه فَتَيانِ ، يُشْرِف القومُ إليه ، فإذا نطَق أنصتوا . قال : ذلك عَمْرُو بن خُوَيْلِد ، والفَتَيان ابناه زُرْعةُ ويَزِيدُ . قالت : ورأيتُ شابّاً طويلاً حسناً[2] ، إذا تكلّم بكلمةٍ أنصتوا لها ثم يَؤُلُّون[3] إليه كما تؤلُّ الشَّوْلُ[4] إلى فَحْلها . قال : ذلك عامر بن مالك . قال أبو عبيدة : فدعا حاجبٌ الحارثَ بنَ ظالم فأخبره برأيه وخَبَرِ القوم وقال : يا ابن ظالم ، هؤلاء بنو عامر قد أَتَوْك ، فما أنتَ صانع ؟ قال الحارث : ذلك إليك ، إن شئتَ أقمتُ فقاتلتُ القوم ، وإن شئتَ تَنَحَّيْتُ . قال حاجب : تَنَحَّ عنّي غيرَ ملوم .

[شعر الحارث حين أمره حاجب بالتنحي]

فغضِب الحارث من ذلك وقال : [من الطويل]

لَعَمْري لقد جاورتُ في حَيِّ وائلٍ ... ومِنْ وائلٍ جاورتُ في حَيِّ تَغْلِبِ
فأصبحتُ في حيِّ الأراقم لم يَقُلْ ... لِيَ القومُ يا حارِ بنَ ظالمٍ اذْهَبِ
وقد كان ظَنّي إذ عقلتُ إليكمُ ... بني عُدُسٍ ظَنّي بأصحاب يَثْرِبِ
غَداةَ أتاهم تُبَّعٌ في جُنودِهِ ... فلم يُسْلِموا المرين من حَيِّ يَحْصُبِ
فإنْ تَكُ في عُلْيا هَوازِنَ شَوْكَةٌ ... تُخافُ ففيكم حَدُّ نابٍ ومِخْلَبِ[5]
وإن يَمْنَعِ المَرْءُ الزُّرارِيُّ جارَه ... فأَعْجِبْ بها من حاجبٍ ثم أَعْجِبِ

فغضِب حاجب فقال : [من الطويل]

لَعَمْرُ أبيك الخَيْرِ يا حارِ إنّني ... لأَمْنَعُ جاراً من كُلَيْبِ بن وائلِ
وقد علِم الحيُّ المَعَدِّيُّ أنّنا ... على ذاك كنّا في الخُطوبِ الأوائلِ
وأنّا إذا ما خاف جارٌ ظُلامةً ... لبِسنا له ثَوْبَيْ وَفاءٍ ونائلِ
وأنّ تميماً لم تُحارِبْ قبيلةً ... من النّاس إلاّ أُولعتْ بالكواهلِ
ولو حاربتْنا عامرٌ يا ابنَ ظالمٍ ... لعضّتْ علينا عامرٌ بالأَنامِلِ

---

1 العذم : العض .
2 ل : طوالاً حساناً .
3 يؤلّون من الأل : السرعة .
4 الشول : جمع شائلة وهي التي خفّ لبنها وارتفع ضرعها .
5 في الأصل محلب ولكنها لا تستقيم .

ولاسْتيقنتْ عُلْيا هَوازِنَ أنّنا سنُوطِئُها في دارها بالقنابلِ[1]
ولكنّني لا أبعثُ الحربَ ظالماً ولو هِجْتُها لم أُلْفَ شَحْمةَ آكلِ

قال : فتنحّى الحارث بن ظالم عن بني زُرارةَ فلحِق بعَرُوض اليمامة . ودعا مَعْبَداً ولَقِيطاً ابْنَيْ زرارة فقال : سِيرا في الظُّعُن ، فموعدُكما رَحْرحان ؛ فإنّا مقيمون في حامية الخيل حتى تأتينا بنو عامر . وخرج عامر بن مالك إلى قومه بالخبر . فقالوا : ما ترى ؟ قال : أن نَدَعَهم بمكانهم ونَسْبِقَهم إلى الظُّعُن . قال : فلَقُوها برَحْرَحان ، فاقتتلوا قتالاً شديداً فأصابوها ، وأُسِرَ معبدٌ وجُرِح لَقِيطٌ . فبعثوا بمعبد إلى رجلٍ بالطائف كان يعذِّب الأسرى ، فقطَّعه إرْباً إرْبــاً حتى قتله .

[شعر لعامر بن مالك يرد به على حاجب]

وقال عامر بن مالك يَرُدّ على حاجب قوله : [من الطويل]

أَلِكْني إلى المراء الزُّراريِّ حاجبٍ رئيسِ تَميمٍ في الخطوب الأوائلِ[2]
وفارِسِها في كلِّ يــومٍ كريهــةٍ وخير تميــم بــين حافٍ وناعلِ
لَعَمْرِي لقد دافعتُ عن حيّ مالكٍ شآبيب مــن حَرْبٍ تَلَقَّحُ حائلِ[3]
عــلى كلّ جَـرْداء السَّراةِ طِمِرّةٍ وأَجْــرَدَ خَــوّارِ العِنانِ مُناقِلِ[4]
نصحتُ له إذ قلتُ إنْ كنتَ لاحقاً بقَوْمٍ فــلا تَعْـدِلْ بأبنــاء وائلِ
ولــو ألجأتْــه عُصْبَـةٌ تَغْلِبيّةٌ لَسِرْنــا إليهم بالقنا والقَنابِلِ[5]
ولــو رُمْتُــمُ أن تمنَعوه رأيتُــمُ هناك أُمــوراً غَيُّهــا غيرُ طائلِ
لشابَ وليــدُ الحيِّ قبل مَشِيبِهِ وعَضّــت تميــمٌ كلُّهــا بالأَنامِلِ
وقامتْ رجــالٌ منكمُ خِنْدِفِيَّةٌ يُنــادون جهــراً ليتَنــا لم نُقاتِلِ

---

1 القنابل : الجماعات من الخيل والناس ، الواحدة قَنبلة وقَنبل .
2 ألكني إلى فلان : أي كن رسولي إليه . والاسم من ألك : الألوك والألوكة والمألكة والمألُك بمعنى الرسالة .
3 الشآبيب : جمع شؤبوب ، وشؤبوب كل شيء : حدّه ، أو الدفعة منه . تلقحت الناقة : إذا شالت بذنبها لترى أنها لاقح وهي ليست كذلك . وحائل : غير حامل .
4 الأجرد من الخيل : القصير الشّعر . والسّراة : الظهر . والطمرة : أنثى الطمر وهو الفرس الجواد ، أو المشمر الخلق ، أو المستفز للوثب والعدو ، أو الطويل القوائم الخفيف . وفرس خوار العنان : سهل المعطف . والمناقل من الخيل : الذي يتّقي في عدوه الحجارة .
5 ألجأته هنا : عصمته . القنابل : الجماعات من الناس ومن الخيل الواحدة قَنْبلة وقَنبل .

[قتل الحارث لابن النُّعمان]

قال : فخرج الحارث بن ظالم من فَوْره ذلك حتى أتى سَلْمى بنتَ ظالم وفي حجْرها ابن النُّعمان ، فقال لها : إنّه لن يُجيرَني من النُّعمان إلاّ تَحَرُّمي بابنه ، فادْفَعيه إليّ . وقد كان النُّعمان بعث إلى جاراتٍ للحارث بن ظالم فسباهنّ ؛ فدعاه ذلك إلى قتل الغلام فقتله .

[اعتذار عمّ الحارث للنعمان]

فوثب النُّعمان على عمّ الحارث بن ظالم فقال له : لأَقتلنَّك أو لتأتينّي بابن أخيك . فاعتذر إليه فخلّى عنه . فأقبل ينطلق فقال : [من البسيط]

يـا حـارُ إنّيَ أَحْيا من مُخَبَّأةٍ ... وأنت أَجْرَأُ من ذي لِبْدةٍ ضارِي
قـد كان بيتيَ فيكم بالعَلاءِ فقد ... أَحْلَلْتَ بيتيَ بين السَّيْلِ والنارِ
مهما أَخَفْكَ على شيءٍ تجيء به ... فلَم أَخَفْكَ على أَمثالها حارِ
ولَم أَخَفْكَ على لَيْثٍ تُخاتِله ... عَبْلِ الذِّراعَيْنِ للأَقرانِ هَصّارِ
وقد علمتُ بأنّي لن يُنَجِّيَني ... مِمّا فعلتَ سوى الإقرارِ بالعارِ
فقد عَدَوْتَ على النُّعْمانِ ظالِمَه ... في قتلِ طِفْلٍ كمثلِ البَدْرِ مِعْطارِ
فاعلَمْ بأنّك منه غيرُ مُنْفَلِتٍ ... وقد عدوتَ على ضِرْغامةٍ شارِي[1]

[شعر للحارث في قتله ابن النُّعمان]

وقال الحارث بن ظالم في ذلك : [من الطويل]

قِفا فاسْمَعا أُخْبِرْكُما إذْ سألتما ... مُحارِبُ مَوْلاهُ ، وثَكْلانُ نادِمُ
حَسِبْتَ أَبا قابُوسَ أنّك سابِقي ... ولَمّا تَذُقْ فَتْكِي وأنفُك راغِمُ[2]
أَخُصْيَيْ حِمارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمةً ... أُتُؤْكَلُ جاراتِي وجارُك سالِمُ[3]
تَمَنَّيْتَهُ جهراً على غير رِيبةٍ ... أَحاديثُ طَسْمٍ ، إنّما أنتَ حالِمُ
فإنْ تَكُ أذوادًا أصبتَ ونسوةً ... فهذا ابنُ سَلْمى أمْرُه متفاقِمُ[4]

---

1 شاري : وصف من شَري يشرى : إذا غضب ولجّ في الأمر .

2 في المفضليات 312 : ولّما تصب ذلاً وأنفك راغم .

3 يكدم : يعض بأدنى الفم . والنجم من النبات ما لا ساق له طال أو قصر . ونجمة هنا : واحدها النجم وهو ضرب من النبت يقال له الثيّل . وفي المفضليات : أتأكل جيراني وجارك سالم .

4 في المفضليات 312 :

فإنْ تَكُ أذوادٌ أُصِبْن ونسوة ... فهذا ابنُ سلمى رأسه متفاقم

والذود : القِطع من الإبل الثلاث إلى التسع أو ما بين الثلاث إلى العشر .

علوتُ بـذي الحَيّاتِ مَفْرِقَ رَأْسِهِ وكان سِلاحي تجتويه الجماجمُ[1]
فتكتُ بـــه فتكاً كفتكي بخالدٍ وهل يركب المكروهَ إلاّ الأكارمُ[2]
بدأتُ بهــذي ثــم أثني بمثلها وثالثــةٍ تبيضّ منهــا المَقادِمُ[3]
شَفَيْتُ غَلِيلَ الصدرِ منــه بضربةٍ كذلك يأبــى المُغْضَبون القَماقِمُ[4]

[شعر للحارث يخاطب به النعمان]

فقال النُّعمان بن المنذر : ما يعني بالثالثة غيري . قال سِنان بن أبي حارثة المُرِّيُّ ، وهو يومئذٍ رأسُ غَطَفانَ : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! والله ما ذِمّةُ الحارث لنا بذمّة ، ولا جارُه لنا بجار ، ولو أمّنته ما أمّناه . فبلغ ابنَ ظالمٍ قولُ سِنانِ بن أبي حارثةَ ، فقال في ذلك : [من الطويل]

أَلا أَبْلِــغْ النُّعمانَ عنّــي رسالةً فكيف بخطّابِ الخُطُوبِ الأعاظمِ
وأنــتَ طَويــلُ البَغْيِ أَبْلَخُ مُعْوِرٌ فَزُوعٌ إذا ما خِيفَ إحْدى العَظائِمِ[5]
فمــا غَــرَّه والمرءُ يُدْرِكُ وتْرَهُ بأَرْوَعَ ماضي الهَمِّ مــن آلِ ظالمِ
أَخِي ثِقَــةٍ ماضِي الجَنانِ مُشَيَّعٍ كَمِيشِ التَّوالِي عند صِدْقِ العَزائمِ[6]
فأُقْسِم لَــولا مَــنْ تعرَّض دونه لَعُولِي بهِنْدِيٍّ الحديــدةِ صارمِ
فأَقْتُــلُ أقوامــاً لِئامــاً أذِلَّــةً يَعَضُّون مــن غَيْظٍ أُصولَ الأَباهمِ
تمنَّى سِنانٌ ضَلَّــةً أن يُخِيفَنِي ويأْمَــنَ ، مــا هذا بفعل المُسالمِ
تَمنَّيتَ جهــداً أن تَضِيعَ ظُلامتي كذبتَ وربِّ الراقصاتِ الرَّواسِمِ[7]

---

1 ذو الحيّات : اسم سيف الحارث ، كانت على سيفه تماثيل حيات .

2 ثم اختلاف في رواية هذا البيت والبيت الذي سبقه في المفضليات 312 ، إذ يتبادلان الشطر الأوّل في كلّ منهما :

علوت بذي الحيات مفرق رأسِه وهل يركب المكروه إلاّ الأكارم
فتكت بــه كما فتكت بخالــدٍ وكان سلاحي تجتويه الجماجم

وثمة اختلاف في الشطر الأول من البيت الثاني كما ترى .

3 صدر البيت في المفضليات : بدأت بهذي ثم أثني بهذه .

4 القماقم : جمع قمقام ، وهو من الرجال : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .

5 الأبلخ : المتكبّر في نفسه الجريء على ما يأتي من الفجور . معور : قبيح السريرة ، أو مريب .

6 المشيّع : الشجاع . كميش التوالي : يريد أنه مشمر جاد . وتوالي كل شيء : أواخره .

7 رقص الإبل : ضرب من سيرها وهو الخبب . والرسيم : ضرب من سيرها أيضاً وهو فوق الذميل . والذميل : سير ليّن .

يمين امرىء لم يَرْضَعِ اللُّؤْمَ ثَدْيَه ولَـم تَتَكَنَّفْـه عـــروقُ الألائِمِ

[الحارث يرد إبلاً لامرأة استجارت به]

قال : فأمّنه النُّعمان ، وأقام حيناً . ثم إنّ مصدِّقاً للنُّعمان أخذ إبلاً لامرأة من بني مُرّةَ يقال لها دَيْهَثُ ؛ فأتت الحارثَ فعلّقت دَلْوَها بدلوه ومعها بُنَيٌّ لها ، فقالت : أبا ليلى ! إنّي أتيتُك مُضافةً[1] . فقال الحارث : إذا أورد القومُ النَّعَمَ فنادِي بأعلى صَوْتِك : [من الرجز]

دَعَـوْتِ بـــالله ولم تُراعِـــي ذلك راعيـكِ فنِعْـمَ الرَّاعِي

وتلك ذودُ الحارثِ الكساعِ يمشي لهـــا بصارمٍ قَطّاعِ[2]

يَشْفِي بـــه مَجامـعَ الصُّداعِ

وخرج الحارث في أثرها يقول : [من الرجز]

أنا أبـــو ليـــلى وسَيْفِي المَعْلُوبْ كَم قد أَجَرْنا من حَرِيبٍ محروبِ[3]

وكم رَدَدْنـــا من سَلِيبٍ مسلوبْ وطَعنَـــةٍ طعنتُهـــا بـــالمنصوبِ

ذاك جهيزُ الموت عند المكروبِ[4]

ثم قال لها : لا تَرِدَنّ عليكِ ناقةٌ ولا بعيرٌ تَعْرِفينه إلاّ أخَذْتِيه ففعلتْ ؛ فأتت على لَقُوحٍ لها يحلِبُها حَبَشِيٌّ ، فقال : يا أبا ليلى ! هذه لِي . فقال الحبشيّ : كذبتِ . فقال الحارثُ : أرْسِلْها لا أُمَّ لك ! فضَرط الحبشيّ . فقال الحارث : «استُ الحالبِ[5] أعلم» ، فسارتْ مثلاً . قال أبو عبيدة : ففي ذلك يقول في الإسلام الفرزدقُ : [من الطويل]

كما كان أَوْفى إذ يُنادِي ابنُ دَيْهَثٍ وصِرْمَتُـــهُ كالمَغْنَـــمِ المُتَنَهَّـبِ[6]

فقام أبـــو ليـــلى إليـه ابنُ ظالمٍ وكان مَتى ما يَسْلُل السَّيْفَ يَضْرِبِ

ومـــا كان جـــاراً غيرَ دَلْوٍ تَعلّقتْ بحَبْلَيْنِ في مُسْتَحْصِدِ القِدِّ مُكْرَبِ[7]

---

1 مضافة : ملجأة .

2 الكسع : الضرب على الدبر .

3 المعلوب : اسم سيف له .

4 والمكرب : المشدود بالكَرَب وهو حبل يشدّ على عراقي الدلو ثم يثنى ويثلث .

5 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 104/2 «است البائن أعلم» ، يضرب لمن وَلِي أمراً وصلّى به فهو أعلم به ممن لم يمارسه ولم يصل به . وأصل المثل أن الحارث بن ظالم وجد اثنين يحلبان ناقة له فأهوى إليهما بالسيف ، فضرط البائن ، فقال المعلي والله ما هي لك ، فقال الحارث : «است البائن اعلم» .

6 الصرمة هنا : القطعة من الإبل .

7 المستحصد : الذي أحكم فتله .

[خروج الحارث إلى صديق له من كندة]

قال أبو عبيدة حدَّثني أبو محمد عِصامٌ العِجليّ قال : فلمّا قَتل الحارثُ بن ظالمٍ خالدَ بن جعفر في جِوار الملك خرج هارباً حتى أتى صديقاً له من كِنْدة يَحُلّ شُعَبى ، قال : شُعَبى غير ممدود ، فلمّا ألحّ الأسْوَدُ في طلب الحارث قال له الكِنْديُّ : ما أرى لك نجاةً إلاّ أن أُلْحِقَك بحَضْرَمَوْتَ ببلاد اليمن فلا يُوصَلَ إليك . فسار معه يوماً وليلةً ، فلمّا غرّبه قال : إنّني أنقطع ببلاد اليمن فأغترِبُ بها ، وقد بَرِئتْ منك خَفارتي . فرجع حتّى أتى أرضَ بكر بن وائل ، فلجأ إلى بني عِجْلِ بن لُجَيْم ، فنزل على زَبّان فأجاره وضرب عليه قُبّة . وفي ذلك يقول العِجْليُّ : [من الطويل]

ونحن مَنَعْنا بالرِّماح ابنَ ظالمٍ فظلّ يغنّـي آمِنـاً في خِبائنا

قال أبو عبيدة : فجاءته بنو ذُهْل بن ثَعلبة وبنو عَمْرو بن شَيبان فقالوا : أَخْرِجْ هذا المشئومَ من بين أظْهُرِنا ، لا يَعُرُّنا بشرٌّ ؛ فإنّا لا طاقةَ لنا بالمَلْحاء (والملحاء كَتِيبةُ الأسْوَدِ) فأَبَتْ عِجْلٌ أن تُخْفِرَه[1] ، فقاتلوه فامتنعتْ بنو عِجْلٍ . فقال الحارث بن ظالمٍ في الكِنْدِيِّ وفيهم : [من الطويل]

يُكَلِّفُنـي الكِنْـدِيُّ سَيْرَ تَنُوفـةٍ أكابِدُ فيهـا كلَّ ذِي صُبَّةٍ مُثْرِي

الصُّبّة : قطعةٌ من الغنم أو بقيّة منها .

وأقبـلَ دُونِي جَمْعُ ذُهْلٍ كأنّني خَلاةٌ لِذُهْلٍ والزَّعانِفِ من عَمْرِو[2]
ودُونِيَ رَكْـبٌ من لُجَيْمٍ مُصَمِّمٌ وزَبّانُ جارِي والخَفِيرُ على بَكْرِ
لَعَمْـرِيَ لا أخشى ظُلامـةَ ظالمٍ وسَعْدُ بن عِجْلٍ مُجْمِعون على نَصْرِي

[لحوقه بطيء]

قال أبو عبيدة : ثم قال لهم الحارثُ : إنّي قد اشتهر أمرِي فيكم ومكاني ، وأنا راحلٌ عنكم . فارتحل فلحِقَ بطّيء . فقال الحارثُ في ذلك : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقد حلّتْ بِيَ اليومَ ناقتي إلى ناصرٍ مـن طَـيِّءٍ غيرِ خاذلِ
فأصبحـتُ جـاراً للمَجَرَّةِ منهمُ على باذِخٍ يعلـو عـلى المُتطاوِلِ

1 الإخفار : الغدر ونقض العهد .
2 الخلاة : واحدة الخلي وهو الرطب من الحشيش .

[أخذ الأسود أموال جارات له فردّها هو إليهن]

قال أبو عبيدة وحدّثني أبو حَيّة أنّ الأَسْوَدَ حين قتل الحارثُ خالداً سأل عن أمرٍ يُبلغ منه . فقال له عُرْوةُ بن عُتْبة : إنّ له جاراتٍ من بَلِيٍّ بن عَمْرٍو ، ولا أراك تنالُ منه شيئاً أغْيَظَ له من أخْذِهنّ وأخْذِ أموالِهنّ ، فبعث الأسودُ فأخذهنّ واستاق أموالهنّ . فبلغ ذلك الحارث ، فخرج من الحينِ فانساب في غُمارِ الناس حتى عرَف موضع جاراتِه ومَرعى إبلهنّ ، فأتى الإبلَ فوجد حالبين يحلُبان ناقةً لهنّ يقال لها اللِّفاع ، وكانت لبوناً كأغْزَرِ الإبل ، إذا حُلِبتْ اجترّت ، ودمعتْ عيناها ، وأصغتْ برأسها ، وتَفاجّتْ[1] تَفاجَّ البائِل ، وهجمتْ في المِحْلَب هَجْماً حتى تُسَنِّمَه[2] ، وتجاوبت أحاليلُها[3] بالشّخْبِ هَثّاً[4] وهثيما حتى تَصُفَّ بين ثلاثةِ مَحالِب . فصاح الحارثُ بهما ورجَز فقال : [من الرجز]

إذا سَمِعْتِ حَنّةَ اللِّفاعِ فادْعِي أَبا لَيْلى ولا تُراعي
ذلك راعيكِ فنِعْمَ الرّاعي يُجبْكِ رَحْبَ الباعِ والذِّراعِ
مُنَطَّقاً بصارمٍ قَطّاعِ[5]

خلِّيا عنها ! فعَرفاه فضَرط البائنُ . فقال الحارثُ : «اسْتُ الضارطِ أَعْلَمُ»[6] فذهبتْ مثلاً ، قال الأَثْرَمُ : البائن الحالبُ الأيمنُ ، والمستعلي الحالبُ الأَيْسَرُ ، ثم عمَد إلى أموالِ جاراته وإلى جاراته فجمعهنّ وردّ أموالهنّ وسار معهنّ حتى اشتلاهنّ (أي أنقذهنّ) .

[رواية أخرى في قتله ابن الملك]

قال أبو عُبيدة : ولحِق الحارثُ ببلاد قومه مختفياً . وكانت أُخته سَلْمى بنتُ ظالم عند سِنان بن أبي حارثةَ المُرّي . قال أبو عبيدة : وكان الأسْودُ بن المُنْذِرِ قد تبنّى سنانُ بن أبي حارثةَ المُرّيُّ ابنَه شُرَحْبيلَ ، فكانت سَلْمى بنتُ كَثِيرِ بن رَبيعةَ من بني غَنْم بن دُودانَ امرأة سِنان بن أبي حارثةَ المُرّيِّ تُرضعه وهي أمّ هَرِمٍ ، وكان هَرِمٌ غَنِيّاً يقدِر على ما يُعطي سائليه . فجاء الحارثُ ، وقد كان اندسَّ في بلاد غَطَفانَ ، فاستعار سَرْجَ سِنانٍ ، ولا يعلم سِنانٌ ، وهم نُزولٌ بالشَّرَبَّةِ ، فأتى به سَلْمى ابنةَ ظالمٍ فقال : يقول لكِ بَعْلُك : ابْعَثي بابن الملك مع الحارثِ

1 تفاجت : باعدت بين رجليها .
2 تسنمه : تملؤه حتى يصير فوقه مثل السنام .
3 الأحاليل : جمع إحليل ، وهو هنا مخرج اللبن من الضرع .
4 الهث : اختلاط الصوت في حرب أو صخب .
5 منطقا : مشدوداً في وسطه .
6 مثل مرّ في صفحة 73 .

حتى أستأمِنَ له ويَتخَفَّرَ به ، وهذا سرجُه آية إليك . فزيّنته ثم دفعتْه إلى الحارث ، فأتى بالغلام ناحيةً من الشَّرَبَّةِ فقتَله ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

قِفا فاسْمَعا أُخبِرْكما إذ سألتُما مُحارِبُ مولاه ، وثَكْلانُ نادِمُ

ثكلان نادم : يعني الأسْودَ لأنّه قُتِل ابنُه شُرَحْبِيل . محارِبُ مولاه : يعني الحارث نفسَه . ومولاه : سِنانٌ .

أَخُصْيَيْ حِمارٍ باتَ يَكْدُمُ نجمةً أتُؤْكَلُ جاراتي وجارُك سالمُ
حَسِبت أبيتَ اللَّعْنَ أنّك فائتٌ ولَمّا تَذُقْ ثُكْلاً وأَنْفُك راغمُ
فإن تَكُ أذواداً أصبتَ ونسوةً فهذا ابنُ سَلْمى رأسُه مُتفاقِمُ
علوتُ بذي الحَيّاتِ مَفْرِقَ رأسِهِ وكان سِلاحِي تجتويه الجماجمُ
فتكتُ بِه كما فتكتُ بخالدٍ ولا يَركب المكروهَ إلاّ الأكارمُ
بدأتُ بتِلْك وانثنيتُ بهذه وثالثةٍ تبيضّ منها المَقادِمُ

قال : ففي ذلك يقول عَقِيلُ بن عُلَّفةَ في الإسلام وهو من بني يَرْبُوع بن غَيْظِ بن مُرَّةَ لمّا هاجى شَبِيبَ بنَ البَرْصاء ، وأبوه يزيدُ ، وهو من بني نُشْبَةَ بن غَيْظ بن مُرّة ابنُ عَمِّ سِنانِ بن أبي حارثةَ ، فعيّره بقتلِ الحارثِ بن ظالمٍ شُرَحْبيل لأنّه ربيبُ بني حارثةَ بن مُرّة بن نُشْبَةَ بنَ غَيْظِ رَهْطِ شَبِيبٍ ، ففي ذلك يقول عَقِيلٌ : [من الطويل]

قتلْنا شُرَحْبيلاً رِبيبَ أبيكُمُ بناصيةِ المَعْلُوب ضاحيةِ غصْبا[1]
فلم تُنْكِرُوا أن يَغْمِزَ القومُ جارَكم بإحْدى الدَّواهِي ثم لم تَطْلُعُوا نَقْبا[2]

قال أبو عُبيدة : وهَرب الحارث ، فغزا الأسْوَدُ بني ذُبيان إذ نقضوا العهد وبني أَسَدٍ بشَطِّ أُرِيكٍ . قال أبو عبيدة : وسألته عنه فقال : هما أُرِيكانِ الأسْوَدُ والأبيض ، ولا أدري بأيّهما كانت الوَقعةُ . قال أبو عبيدة وقال آخرون : إنّ سَلْمى امرأةَ سِنانٍ التي أخذ الحارثُ شُرَحْبِيلَ من عندها من بني أَسَدٍ . قال : فإنّما غزا الأسودُ بني أَسَدٍ لدفع الأَسَدِيّة سَلْمى ابنَه إلى الحارث ، فقتل فيهم قتلاً ذَرِيعاً وسبى واستاق[3] أموالهم . وفي ذلك يقول [الأعشى ميمون] : [من الخفيف]

وشُيوخٍ صَرْعى بشَطِّيْ أُرِيكٍ ونساءٍ كأنّهنّ السَّعالي

---

1 المعلوب : سيف الحارث بن ظالم . وضاحية : علانية وجهراً .
2 النقب : الطريق ، أو الطريق الضيق في الجبل .
3 في ل : واستخفّ .

من نَواصِي دُودانَ إذ نقضوا العهـ ـدَ وذُبْيـانَ والهِجـانِ الغَوالِي
رُبَّ رَفْـدٍ هَرَقْتَـه ذلك اليـو مَ وأَسْرى مـن مَعْشَرٍ أَقْتالِ[1]
هـؤلاَ ثـمّ هـؤلاَ كُلاًّ احْذَيْـ ـتَ نِعـالاً مَحْـذُوّةً بمِثـالِ
وأَرى مَن عصاكَ أصبح مخـذو لاً وكَعْـبُ الذي يُطيعك عالِي

[وجود نعل شرحبيل بن الأسود في بني محارب]

قال : ووجِد نعل شُرحبيل عند أضاخٍ . وهو من الشَّرَبَّةِ في بني محارب بن خَصَفَةَ بن قَيس عَيلان . قال : فأحمى لهم الأسودُ الصَّفا التي بصحراء أضاخٍ وقال لهم : إنّي أُحذِيكم نِعالاً ، فأَمشاهم على الصَّفا المُحْمى فتساقط لحمُ أقدامهم . فلمّا كان الإسلام قتل جَوْشَنٌ الكِنْدِيُّ رجلاً من بني مُحارِبِ فأُقِيد به جوشنٌ بالمدينة . وكان الكنديُّ من رهط عبّاس بن يزيد الكنديّ ، فهجا بني مُحاربٍ فعيّرهم بتحريق الأسْوَدِ أقدامَهم فقال : [من الطويل]

على عَهْـدِ كِسْرى نَعَّلتكم ملوكُنا صَفاً مـن أَضاخٍ حامياً يَتَلهّبُ

قال أبو عبيدة : وصار ذلك مثلاً يتوعّد به الشعراء مَن هَجَوْه ويحذّرونهم مثلَ ذلك . ومن ذلك أنّ ابن عَتّابٍ الكلبيّ ورَد على بني النوس من جَدِيلة طيّىء ، فسرَقوا سهاماً له ؛ فقال يحذّرهم : [من الطويل]

بنى النوس رُدُّوا أَسْهُمي إنّ أَسهُمِي كنَعْلِ شُرَحْبيلَ التي في مُحارِبِ

وقال في الجاهليّة ابنُ أُمِّ كَهْف الطائيُّ في مَدحِهِ لمالك بن حِمارٍ الشَّمْخيّ ، فذكر نعل شُرَحْبيلَ فقال : [من الوافر]

ومولاك الذي قتل ابنَ سَلْمى عَلانِيـةً شُرَحْبيلَ ابـنِ نَعْلِ

لأنّه لولا النعل لم يُعْرَف ، وإنّما عُرِف بما صنع أبوه ببني مُحارِبٍ من أجل نعله التي وُجِدت في بني مُحارِبٍ .

[أخذ الأسود لسنان بن أبي حارثة]

قال أبو عُبيدة : وأخذ الأسودُ سِنانَ بنَ أبي حارثة ؛ فأتاه الحارثُ بن سَفيان أحدُ بني الصاردِ ، وهو الحارثُ بن سفيان بن مرّة بن عوف بن الحارث بن سفيان أخو سَيّار بن عمرو بن جابر الفَزاريِّ لأمّه ، فاعتذر إلى الأسودِ أن يكون سِنانُ بن أبي حارثة علِم أو اطّلع ، ولقد كان أطْرَدَ الحارثَ من بلاد غَطَفان ، وقال : عليَّ دِيَةُ ابنِك ألفُ بَعِيرٍ دِيَةُ الملوك ؛ فحمَّلها إيّاه وخلّى عن سِنانٍ ؛ فأدّى إلى الأسْودِ منها ثمانمائةِ بعيرٍ ثم مات . فقال سيّار بن عمرو

1 الرفد : القدح الضخم . والأقتال : جمع قِتل وهو العدوّ ، والشبيه في القتال .

أخوه لأُمّه : أنا أقوم فيما بَقِي مقام الحارث بن سُفيان . فلم يرضَ به الأسودُ . فرهَنه سَيّارٌ قَوسَه ، فأدّى البقيّة . فلمّا مدح قُرادُ بن حَنَشٍ الصارِديُّ بني فَزارة جَعَل الحَمالةَ كلَّها لسَيّار بن عمرو فقال : [من الطويل]

ونحن رَهَنّا القَوْسَ ثُمَّتَ فُودِيتَ بأَلْفٍ على ظَهْرِ الفَزارِيِّ أَقْرَعا[1]
بعَشْرِ مِئِينٍ للملوكِ سَعى بها لِيُوفِيَ سَيَّارُ بن عمرٍو فأَسْرَعا
رَمَيْنا صَفاهُ بالمِئِينَ فأصبحتْ ثَناياه للساعين في المَجْدِ مَهْيَعا[2]

قال ويقال : بل قالها ربيع بن قَعْنَبٍ ، فردّ عليه قُرادٌ فقال : [من البسيط]

ما كان ثَعْلَبُ ذِي عاجٍ لِيَحْمِلَها ولا الفَزاريُّ جُوفانُ بن جُوفانِ[3]
لكن تَضَمَّنها أَلْفاً فأخرجها على تَكالِيفها حارُ بنُ سُفْيانِ[4]

وقال عُوَيْفُ القَوافي بن عُيينة بن حصنِ بن حُذيفة بن بَدْرٍ في الإسلام يفخَر على أبي منظور الوَبرِيّ حين هاجاه أحد بني وَبْرِ بن كِلابٍ : [من الرجز]

فهل وجدتم حاملاً كَحاملي إذ رَهَنَ القَوْسَ بألفٍ كاملِ
بدِيَةِ ابنِ الملكِ الحُلاحِلِ فافتكّها من قبلِ عامٍ قابلِ
سَيّارٌ المُوفي بها ذو السائلِ

[لحوق الحارث ببني دارم]

قال أبو عبيدة : فلمّا قتل الحارث شُرحبيل لحِق ببني دارِمٍ فلجأ إلى بني ضَمْرَةَ . قال : وبنو عبد الله بن دارمٍ يقولون : بل جاور مَعْبَد بن زُرارة فأجاره ، فجرّ جُوارُه يوم رَحْرَحانَ ، وجرّ يومُ رحرحان يومَ جَبَلةَ . وطلبه الأسودُ بن المُنْذِرِ بخُفْرته[5] فلمّا بلَغه نزولُه ببني دارمٍ أرسل فيه إليهم أن يُسْلِموه فأَبَوْا . فقال يَمُنّ على بني قَطَنِ بن نَهْشَلِ بن دارمٍ بما كان من النُّعمان بن المُنْذِرِ في أمر بني رشيّة وهي رُمَيْلةُ حين طلبهم من لَقِيطِ بن زُرارةَ حتى استنقذهم . ورشيّة أَمَةٌ كانت لزُرارة بن عُدُسِ بن زيدٍ المُجاشِعِيّ ، فوَطئها رجلٌ من بني نَهْشَلٍ فأولدها ؛ وكان زُرارةُ يأتي بني نهشلٍ يطلبُ الغِلْمةَ التي ولَدتْ ، وولدتِ الأَشْهَبَ بن رُمَيْلةَ والرَّبابَ بن رُمَيْلةَ وغيرَهما ،

1 بألف أقرع أي تام .
2 الثنايا : جمع ثنية وهي طريق العقبة . والمهيع : الطريق الواسع الواضح .
3 ذو عاج : واد في بلاد قيس . الجُوفان : أير الحمار .
4 يريد حارث بن سفيان .
5 الخفرة : الذمة .

وكانوا يُسْمِعونه ما يكره ، فيرجع إلى ولده فيقول : أَسْمَعني بنو عمِّي خيراً وقالوا : سنبعَث بهم إليك عاجلاً ، حتى مات زُرارَةُ . فقام لَقِيطٌ ابنُه بأمرهم ؛ فلمّا أتاهم أسمعوه ما كرِه ، ووقع بينهم شرٌّ ، فذهب النهشليّ إلى الملك فقال : أَبَيْتَ اللَّعْنَ ! لا تَصِلُني وتَصِلُ قومي بأفضلَ من طِلْبَتِكَ إلى لَقِيطٍ الغِلْمةَ لِيَكُفَّ عنّي . فدعاه فشرِب معه ، ثم استوهبهم منه فوهبهم له . فقال الأَسْوَدُ بن المنذر في ذلك : [من الطويل]

كأَيِّنْ لنا مـــن نِعْمَةٍ في رِقابكم ... بنـــي قَطَنٍ فضـــلاً عليكم وأَنْعُما
وكَمْ مِنَّـــةٍ كانتْ لنا في بُيوتكم ... وقَتْـــلٍ كَرِيـــم لم تَعُـــدُّوه مغرَما
فإنّكـــمُ لا تَمنَعـــون ابنَ ظـــالمٍ ... ولم يمس بالأَيدِي الوَشِيجَ المُقَوَّما[1]

فأجابه ضَمرة بن ضَمرةَ فقال : [من الطويل]

سَنَمْنَع جـــاراً عائذاً في بيوتكم ... بأسيافنا حتى يـــؤوبَ مُسَلَّما
إذا مـــا دَعَوْنا دارِماً حالَ دونَه ... عَوابِسُ يَعْلُكْنَ الشَّكِيمَ المُعَجَّما[2]
ولو كنتَ حَرْباً ما وردتَ طُوَيْلِعاً ... ولا حَوْفَـــه إلاّ خَمِيساً عَرَمْرَما[3]
تركتَ بنـــي ماء السماءِ وفِعْلَهم ... وأشبهتَ تَيْساً بالحِجازِ مُزَنَّما[4]
ولن أَذْكُـــرَ النُّعْمـــانَ إلاّ بصالحٍ ... فـــإنّ لـــه فضلاً علينـــا وأَنْعُما[5]

قال : وبلغَ ذلك بنـي عامر ، فخرج الأحوصُ غازياً لبني دارِم طالباً بدم أخيه خالدِ بن جعفر حين انطَوَوْا على الحارث وقاموا دونه ، فغزاهم فالتَقَوْا برَحْرَحانَ ، فهُزِمتْ بنو دارِمٍ ، وأُسِرَ مَعْبَدُ بن زُرارَة ، فانطلقوا به حتى مات في أيديهم ، وحديثُه في يوم رحرحان يأتي بعدُ .

[أسر بني قيس وبني هزان للحارث]

ثم أَسَر بنو هِزَّانَ الحارثَ بنَ ظالم . وقال أبو عبيدة : خرج الحارث من عندهم ، فجعل يطوف في البلاد حتى سقَط في ناحية من بلاد ربيعة ، ووضَع سِلاحَه وهو في فَلاةٍ ليس فيها أثرٌ ونام ، فمرّ به نَفَرٌ من بني قَيْسِ بن ثَعْلَبَةَ ومعهم قومٌ من بني هِزَّانَ من عَنَزةَ وهو نائمٌ ،

---

1 الوشيج : شجر الرماح ، أو هو من القنا أصلبه .

2 الشكيمة من اللجام : الحديدة المعترضة في الفم . والمعجم : المعضوض .

3 حوف الوادي : حرفه وناحيته . والحرب : العدو المحارب . وطويلع : ماء أو واد . والخميس : الجيش . والعرمرم : الكثير .

4 المزنم من الشاء : ما له هنة معلقة في حلقة تحت لحيته ، وخص بعضهم به العنز ، والمزنم أيضاً : الذي تقطع أذنه وتترك له زنمة .

5 رواية الشطر الثاني من البيت في اللسان (مادة زنم) : فإنّ له عندي يدياً وأنعما .

فأخذوا فرسَه وسلاحَه ثم أَوثقوه ، فانتبه وقد شدّوه فلا يَملِك من نفسه شيئاً . فسألوه مَن أنت ؟ فلم يخبرهم وطوى عنهم الخبر ، فضربوه ليقتلوه على أن يخبرهم مَن هو فلم يفعل . فاشتراه القيسيّون من الهِزّانيّين بزِقٍّ خمرٍ وشاة ، ويقال : اشتراه رجلٌ من بني سعد بإغلاق[1] بَكْرةٍ وعشرين من الشاء ، ثم انطلقوا به إلى بلادهم . فقالوا له : مَنْ أنت ؟ وما حالُك ؟ فلم يُخبرهم . فضربوه ليموت فأبى . قال : وهو قريبٌ من اليمامة . قال : فبينما هُمْ على تلك الحال وهم يُريغونه ضرباً مَرَّةً وتَهَدُّداً أخرى ولِيناً مَرّةً ليخبرهم بحاله وهو يأبى ، حتى مَلُّوه ، فتركوه في قَيْده حتى انفلت ليلاً ، فتوجّه نحو اليمامة وهي قريبٌ منه ، فلقِي غِلْمةً يلعبون ، فنظر إلى غلامٍ منهم أَحْلَقُهم للخير عنده فقال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بُجَيْرُ بن أَبْجَرَ العِجْلِيّ ، وله ذُؤابةٌ يومئذٍ وأُمّه امرأةُ قَتادة بن مَسلَمة الحنفيّ . فأتاه وأخذ بِحَقْوَيْه والتزمه وقال : أنا لك جارٌ . فيقال : إنّ عِجْلاً أجارتْه في هذا اليوم لا في اليوم الأوّل الذي ذكرناه في أوّل الحديث . فأتى الغلامُ أباه فأخبره وأجاره وقال : ائتِ عمّك قَتادةَ بن مَسلمةَ الحنفيّ فأَخْبِرْه ؛ فأتى قتادةَ فأخبره فأجاره .

قال أبو عبيدة : وأمّا فِراسٌ[2] فزعم أنّه أفلت من بني قَيْس فأقبل شَدّاً حتى أتى اليمامة ، واتّبعوه حتى انتهى إلى نادي بني حَنِيفةَ وفيه قَتادةُ بن مَسْلَمةَ . فلمّا رأوه يَهوي نحوَهم قال : إنّ هذا لخائفٌ ، وبَصُر بالقوم خَلْفَه فصاح به : الحِصْنَ الحِصن ! فأقبل حتى ولَج الحِصْنَ . وجاءت بنو قيس ، فحال دونه وقال : لو أخذتموه قبل دخوله الحِصْنَ لأسلمتُه إليكم ، فأمّا إذْ تحرَّم بي فلا سبيلَ إليه . قال فقالوا : أسيرُنا اشتريناه بأموالنا ، وما هو لكَ بجارٍ ولا تعرِفه ، وإنما أتاك هارباً من أيدينا ، ونحن قومُك وجِيرتُك . قال : أمّا أن أسلمه أبداً فلا يكون ذلك ، ولكن اختاروا منّي : إن شئتم فانظُروا ما اشتريتموه به فخذوه منّي ، وإن شئتم أعطيتُه سلاحاً كاملاً وحملتُه على فرسٍ ودَعُوه حتى يقطعَ الواديَ بيني وبينه ثم دُونَكُموه . فقالوا : رَضينا . فقال ذلك للحارث فقال نعم . فألبسه سِلاحاً كاملاً وحمله على فرسه وقال له : إنْ أفلتّهم فرُدَّ إليّ الفرسَ والسلاحُ لك . قال : فخرج ، وتركوه حتى جاز الواديَ ، ثم اتّبعوه ليأخذوه ، فلم يزل يُقاتلهم ويُطاردهم حتى ورد بلادَ بني قُشَيرٍ ، وهو قريبٌ من اليمامة أيضاً بينهما أقلُّ من يومٍ . فلمّا صار إلى بلاد بني قُشَير يئسوا منه فرجعوا عنه . وعرَفه بنو قُشَير فانطَوَوْا عليه وأكرموه . وردّ إلى قَتادة بن مَسْلَمة فرسَه وأرسل إليه بمائة من الإبل ، لا أدري أأعطاه إيّاها بنو قُشَير من أموالهم ليكافىءَ بها قَتادةَ أم كانت له ، لم يُفَسِّر أبو عُبَيدة أمرَها ولا سألتُه عنها .

---

1 أغلاق الرهن : إيجابه للرهن إذا لم يفك .

2 فراس هنا : أبو المختار فراس بن خندق القيسي .

فقال الحارثُ بن ظالم في ابنَيْ حُلاكةَ وهما من الذين باعوه من القَيْسِيِّين وفيما كان من أمره .
قال أبو عبيدة : ويقال أسره راعيانِ من بني هِزّانَ يقال لهما ابنا حُلاكةَ : [من البسيط]

أَبْلِغْ لديكَ بنـي قَيْسٍ مُغَلْغَلَةً ... أَنِّي أُقَسِّمُ في هِـزّانَ أرباعا
ابنـا حُلاكـةَ باعاني بلا ثَمَنٍ ... وبـاع ذو آل هِزانٍ بما باعا
يابْنَيْ حُلاكةَ لمّا تأخُذا ثمني ... حتّـى أُقَسَّمَ أفراساً وأدراعا
قَتـادةُ الخَيْرُ نالتنـي حَذيَّتُه ... وكان قِدْماً إلى الخيراتِ طَلاّعا[1]

وقال في ذلك أيضاً : [من الكامل]

هَمَّتْ عُكابةُ أن تَضيمَ لجيما ... فأبتْ لُجَيْمَ مـا تقول عُكابَهْ[2]
فاسْقِي بُجَيْراً من رَحِيقِ مُدامَةٍ ... واسْقِي الخفِيرَ وطَهِّرِي أَثوابَهْ
جاءتْ حَنِيفةُ قبل جَيْئةِ يَشْكُرٍ ... كُلاًّ وَجَدْنـا أَوْفِيـاءَ ذُؤابَهْ

[مروره برجل من بني أسد]

وزعم أبو عبيدة أنّ الحارثَ لمّا هُزِمتْ بنو تميمٍ يوم رَحْرَحانَ مرَّ برجلٍ من بني أَسَدِ بن خُزَيمة ؛ فقال : يا حارِ إنّك مشئومٌ وقد فعلتَ ما فعلت ، فانظُرْ إذا كنتَ بمكان كذا وكذا من بُرْقةِ رَحْرَحانَ فإنّ لِي به جملاً أحمرَ فلا تَعْرِضْ له . وإنّما يعرِّض له ويكرَه أن يصرِّح فيبلُغَ الأَسْوَدَ فيأخذَه . فلمّا كان الحارث بذلك المكان أخذ الجملَ فنجا عليه ، وإذا هو لا يُسايَرُ من أمامه ولا يُسْبَقُ من ورائه . فبلغ ذلك الأسودَ ، فأخذ الأسودُ الأَسَدِيَّ وناساً من قومه . وبلغ ذلك الحارث بن ظالمٍ فقال كأنه يهجوهم لئلاّ يتّهمهم الأسود : [من الوافر]

أَرانِـي اللهُ بالنَّعَـمِ المُنَدَّى ... بِبُرْقـةِ رَحْرَحانَ وقـد أَراني[3]
لِحـيِّ الأنكدِينَ وحـيِّ عَبْسٍ ... وحـيِّ نَعامـةٍ وبني غُدانِ

[لحوقه بمكة وانتماؤه إلى قريش]

قال : فلمّا بلغ قوله الأسودَ خلَّى عنهم . ولحِق الحارثُ بمكّة وانتمى إلى قريش ؛ وذلك قولُه : [من الوافر]

---

1 الحذية : العطية .
2 لُجَيْم : اسم القبيلة .
3 المندّى في ل : المبدّى ، وتندية الإبل : أن يوردها الرجل الماء حتى تشرب قليلاً ثم يجيء بها حتى ترعى ساعة ثم يردّها إلى الماء . وأبديت الإبل : إذا أبرزتها إلى موضع الكلأ .

وما قَوْمـي بثَعْلَبَةَ بـنِ سَعْدٍ ولا بفَـزارةَ الشُّعْـرِ الرِّقابا[1]
وقَوْمِي إنْ سألتِ بنـو لُـؤَيٍّ بمكّةَ عَلَّمُـوا مُضَرَ الضِّرابا

قال : فزوّده وحمله رَواحة الجُمَحِيُّ على ناقة ؛ فذلك قوله : [من الوافر]

وهَشَّ رَواحةُ الجُمَحِيُّ رَحْلِي بناجيـةٍ ولم يَطْلُـبْ ثَوابا
كأنّ الرَّحْـلَ والأنساعَ منها ومِيثَرتِـي كُسِينَ أَقَبَّ جابا[2]

[لحق الحارث بالشام بملك من الغساسنة]

يروى «حَشّ» و«هَشّ» وهما لغتان . وحَشَّ سَوَّى . قال : فلحِق الحارثُ بالشام بملك من ملوك غسّان ، يقال [هو] النُّعمان ، ويقال بل هو يزيد بن عَمرو الغسّانيّ ، فأجاره . وكانت للملك ناقةٌ مُحْماةٌ في عُنقها مُدْيةٌ وزِنادٌ وصُرَّةُ مِلح ، وإنما يختبر[3] بذلك رعيّته هل يجترىء عليه أحدٌ منهم . ومع الحارث امرأتان ، فوَحمتْ إحدى امرأتيه ، قال أبو عبيدة : وأصابت الناس سنةٌ شديدةٌ ، فطلبت الشَّحْمَ إليه . قال : ويحكِ ! وأنّى لي بالشحم والوَدَكِ ؛ فألحّت عليه ؛ فعمد إلى الناقة فأدخلها بطن وادٍ فلَبَّ في سَبَلتها[4] (أي طعن)[5] . فأكلتِ امرأتُه ورفعتْ ما بقي من الشحم في عُكَّتها . قال : وفُقِدَت الناقة فوُجِدتْ نَحِيراً لم يُؤخَذْ منها إلاّ السِّنام ، فأعلموا ذلك الملكَ ، وخفي عليهم مَن فعله . فأرسلَ إلى الخِمْس التَّغلبيّ ، وكان كاهناً ، فقال : مَن نحر الناقة ؟ فذكر أن الحارث نحرها . فتذمَّم[6] الملك وكذَّب عنه . فقال : إن أردتَ أن تعلم عِلْمَ ذلك فدُسَّ امرأةً تطلب إلى امرأتِه شحماً ، ففعل . فدخل الحارث وقد أخرجت امرأته إليها شحماً ، فعرف الداء فقتلها ودفنها في بيته . فلمّا فُقِدت المرأة قال الخِمْسُ : غالَها ما غالَ الناقة[7] ، فإنْ كرِه الملك أن يفتِّشه عن ذلك فليأمُرْ بالرحيل ، فإذا ارتحل بُحِث بيتُه ، ففعل . واستثار الخمسُ مكان بيته ؛ فوثب عليه الحارثُ فقتله ؛ فأُخِذ الحارثُ فحُبِس . فاستسقى ماءً

1 الشُّعر : جمع أشعر .
2 الأنساع : جمع نِسع وهو سير مضفور تشدّ به الرحال . والميثرة : وطاء محشو يوضع على رحل البعير تحت الراكب . والأقب : الضامر : والجاب والجأب : القوي الغليظ .
3 ل : يبور .
4 سبلة البعير : ثغرة نحره .
5 يقال لب البعير إذا ضربه في لبته أي طعنه في منحره .
6 تذمم : استنكف .
7 أي غال المرأة من غال الناقة ، وهي تضرب في تحري بيان الحقيقة ومعرفة خفاياها ، ورد في تمثال الأمثال للعبدري الشيبي 481/23 نقلاً عن الأغاني .

فأتاه رجلٌ بماء فقال : أتشرَبُ ؟ فأنشأ الحارث يقول : [من الطويل]

لقد قال لي عند المَجاهِدِ صاحبي وقد حِيلَ دون العَيْشِ هل أنت شاربُ[1]
وَدِدْتُ بأطرافِ البَنانِ لَوَ آنَّني بذي أُرْوَنَى تَرْمِي ورائي الثَّعالِبُ

الثعالب : من مُرّةَ وهم رُماةٌ . أُرْوَنى : مكانٌ . وقال مَرّةٌ أخرى : الثعالب بنو ثَعلبة . يقول : كانوا يرمون عنّي ويقومون بأمري . قال : فأمر الملك بقتله . فقال : إنّك قد أجرتَني فلا تَغْدِرْني . فقال : لا ضيرَ ؛ إن غَدَرْتُ بِكَ مرّة فقد غدرت بي مِراراً[2] . فأمر مالِكَ بن الخِمْسِ التغلبيّ أن يقتله بأبيه . فقال : يا ابنَ شَرِّ الأظماء أنت تقتلني ! فقتله . وقال ابن الكلبيّ : لمّا قام ابن الخِمس إلى الحارث ليقتلَه قال : مَنْ أنت ؟ قال : ابنُ الخِمْس . قال : أنت ابنُ شَرِّ الأظماء . قال : وأنت ابنُ شرِّ الأسماء ؛ فقتله . فقال رجلٌ من ضريّ ، وهم حَيٌّ من جُرْهُم ، يرثي الحارثَ بن ظالمٍ : [من الرجز]

يا حارِ حِنِّيّا حُرّاً قُطامِيّا[3]
ما كنت تَرْعِيّا في البيت ضِجْعِيّا[4]
أدْعى لُباخِيّا مُمَلأً عِيّا[5]

وأخذ ابن الخِمْس سيفَ الحارثِ بن ظالم المعلوبَ ، فأتى به سُوقَ عُكاظ في الحَرَم ، فجعل يَعْرِضه على البيع ويقول : هذا سيفُ الحارث بن ظالم . فاسْتَرْآه[6] إيّاه قيسُ بن زُهير بن جَذِيمة فأراه إيّاه ، فعلاه به حتى قتله في الحَرَم . فقال قيس بن زهير[7] يرثي الحارثَ بن ظالم : [من الطويل]

ما قَصَرتْ من حاضنٍ سِتْرَ بَيْتِها أَبَرَّ وأوفى منك حار بنَ ظالمِ[8]
أعَزَّ وأحْمى عند جارٍ وذِمَّةٍ وأضْرَبَ في كابِ من النَّقْعِ قاتِمِ

---

1 المجاهد : الشدائد .
2 مثل .
3 حنياً : لعله منسوب إلى الحنّ وهو حي أو ضرب من الجن . والقطامي : الصقر .
4 الترعي والترعية : الذي يجيد رعية الإبل . والضجعي : الذي يلزم البيت لا يكاد يبرح منزله ولا ينهض لمكرمة .
5 لباخي : ضخم كثير اللحم .
6 استرآه إيّاه : طلب إليه أن يريه إيّاه .
7 ل : قيس بن زحل .
8 قصر الستر : أرخاه .

هذه رواية أبي عُبيدة والبَصْرِيّين . وأمّا الكوفيّون فإنّهم يذكرون أنّ النُّعمان بن المنذر هو الذي قتله . أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيد عن محمد بن حَبِيب عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل قال : لمّا هرب الحارثُ إلى مكة أسِف النُّعمانُ بن المنذر على فَوْته إيّاه ، فلَطُفَ له وراسلَه وأعطاه الأَمانَ ، وأشهد على نفسه وجوهَ العرب من ربيعة ومُضَرَ واليمن أنه لا يطلبه بذَحْلٍ ولا يسوءه في حال ، وأرسل به مع جماعة لِيَسْكُن الحارث إليهم ، وأمرهم أن يتكلّفوا له بالوفاء ويَضْمَنوا له عنه أنّه لا يهيجه ، ففعلوا ذلك . وسكَنَ إليه الحارث ، فأتى النعمانَ وهو في قصر بني مُقاتِل ، فقال للحاجب : استأذِن لِي ، والنّاسُ يومئذٍ عند النُّعمان متوافرون ، فاستأذن له ، فقال النُّعمان : ائذَنْ له وخُذْ سيفَه . فقال له : ضَعْ سيفَك وادخُلْ . فقال الحارث : ولِمَ أضَعه ؟ قال : ضَعْه ، فلا بأس عليك . فلمّا ألحّ عليه وضعه ودخل ومعه الأمان . فلمّا دخل قال : انْعَمْ صباحاً أَبَيْتَ اللَّعْن . قال : لا أنعمَ الله صباحك ! . فقال الحارث : هذا كتابك ! . قال النُّعمان : كتابي والله ما أُنكره ، أنا كتبتُه لك ، وقد غَدَرْتَ وفتكتَ مِراراً ، فلا ضَير أن غَدَرتُ بك مرّة . ثم نادى : مَن يقتل هذا ؟ فقام ابن الخِمْسِ التغلبيّ ، وكان الحارث فتَك بأبيه ، فقال : أنا أقتله . وذكر باقي الخبر في قصّته مع ابن الخِمس [مثل] ما ذكر أبو عبيدة .

[181] ـ خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة

وإنّما ذُكِر هاهنا لاتّصاله بمقتل خالد بن جعفر ، ولأنّ فيما تَناقَضاه من الأشعار أُغانِيَ صالحٌ ذِكرُها في هذا الموضع .

[غضب عمرو بن الإطنابة على الحارث لقتله خالداً]

قال أبو عبيدة : كان عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ ملك الحجاز ، ولمّا بلغه قتلُ الحارث بن ظالمٍ خالدَ بن جعفرٍ ، وكان خالدٌ مصافياً له ، غَضِب لذلك غضباً شديداً ، وقال : والله لو لَقِي الحارثُ خالداً وهو يَقظان لَما نظر إليه ، ولكنّه قتَله نائماً ، ولو أتاني لعرف قَدرَه ؛ ثم دعا بشرابه ووضع التاج على رأسه ودعا بقِيانِه ، فَتَغَنَّينَ له : [من الخفيف]

عَلِّلاني وعَلِّلا صاحِبَيَّا ... واسْقِياني مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا[1]

إنّ فينا القِيانَ يَعْزِفْنَ بالدُّ ... فِّ لِفِتْيانِنا وعيشاً رَخِيّا

يَتَبارَيْنَ في النَّعِيمِ ويَصْبُبْـ ... ـنَ خِلالَ القُرونِ مِسْكاً ذَكِيّا

إنّما هَمُّهُنّ أنْ يَتَحَلَّيْـ ... ـنَ سُموطاً وسُنْبلاً فارِسيّا

من سُموطِ المَرْجانِ فُصِّلَ بالشَّذْ ... رِ فأَحْسِنْ بحَلْيِهِنّ حُلِيّا

وفتًى يَضرِب الكتيبةَ بالسَّيْـ ... ـفِ إذا كانتِ السيوفُ عِصِيّا

إنّنا لا نُسَرُّ في غير نَجْدٍ ... إنّ فِينا بها فتًى خَزْرَجِيّا

يدفَع الضَّيْمَ والظُّلامةَ عنها ... فَتَجافَي عنه لنا يا مَنِيّا

أَبْلِغ الحارثَ بنَ ظالمٍ الرِّعـ ... ـديدَ والناذرَ النُّذُور عَلَيّا

أنّما يَقْتُل النِّيامَ ولا يقـ ... ـتُل يَقْظانَ ذا سلاحٍ كَمِيّا

ومَعِي شِكّتي مَعابِلُ كالجَمْـ ... ـرِ وأعددتُ صارماً مَشْرَفِيّا[2]

لو هبطتَ البلادَ أنْسيتُك القتـ ... ـلَ كما يُنْسِيء النَّسِيء النَّسِيّا

[مسير الحارث إلى عمرو وانخذال عمرو عنه]

قال : فلمّا بلغ الحارثَ شعرُه هذا ازداد حَنَقاً وغيظاً ، فسار حتى أتى ديارَ بني الخَزرج ،

1 المروّق : المصفى .

2 الشكة : السلاح . والمعابل جمع مِعبلة وهي نصل طويل عريض .

ثم دنا من قُبّة عَمْرو بن الإطنابة ، ثم نادى : أيُّها الملك أغِثْني فإنّي جارٌ مكثورٌ[1] وخُذْ سِلاحك ، فأجابه وخرج معه . حتى إذا برزَ له عطَف عليه الحارثُ وقال : أنا أبو لَيْلى ! فاعتركا مَلِيّاً من اللّيل . وخشِي عمرٌو أن يقتلَه الحارثُ فقال له : يا حارِ ، إنّي شيخٌ كبيرٌ وإنّي تعتريني سِنَةٌ ، فهل لك في تأخير هذا الأمر إلى غدٍ ؟ فقال : هيهاتَ ؛ ومَن لي به في غدٍ ! فتجاولا ساعةً ، ثم ألقى عمروٌ الرُّمْحَ من يده وقال : يا حارِ ألم أُخبِرك أنّ النُّعاسَ قد يغلِبني ؛ قد سقَط رمحي فاكْفُفْ ، فكفَّ . قال : أنظِرْني إلى غدٍ . قال : لا أفعل . قال : فدَعْني آخُذْ رُمْحِي . قال : خُذْه . قال : أخشى أن تُعْجِلَني عنه أو تفتِكَ بي إذا أردتُ أخْذَه . قال : وذِمّة ظالمٍ لا أعجلتُك ولا قاتلتُك ولا فتكتُ بك حتى تأخذه . قال : وذِمّةِ الإطنابةِ لا آخذُه ولا أقاتلك . فانصرف الحارثُ إلى قومه وقال مُجيباً له : [من الخفيف]

اعْزِفا لِي بلَذّةٍ قَيْنَتَيّا ... قبلَ أن يُبْكِرَ المنونُ عَلَيّا
قبلَ أن يُنْكِرَ العواذلُ إنّي ... كنتُ قِدْماً لأَمْرِهِنّ عَصِيّا
ما أُبالي أراشداً فاصْبَحاني ... حَسِبتْني عَواذِلي أم غَوِيّا
بعدَ ألاّ أُصِرَّ لله إثما ... في حياتي ولا أخونَ صَفِيّا
من سُلافٍ كأنّها دمُ ظَبْيٍ ... في زُجاجٍ تخالُه رازِقِيّا
بلغتْنا مقالةُ المرءِ عمرٍو ... فأنِفْنا وكان ذاك بَدِيّا
قد هَمَمْنا بقتلهِ إذ بَرَزْنا ... ولَقِيناهُ ذا سِلاحٍ كَمِيّا
غيرَ ما نائمٍ تعلَّلَ بالخُلْـ ... ـمِ مُعِدّاً بكَفِّه مَشْرَفِيّا
فَمَنَنّا عليه بعد عُلُوٍّ ... بوفاءٍ وكنتُ قِدْماً وَفِيّا
ورجعنا بالصَّفْحِ عنه وكان الـ ... ـمَنُّ منّا عليه بعدُ تَلِيّا

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

[الغناء في شعر عمرو والحارث]

منها في شعر عمرو بن الإطنابة : [من الخفيف]

صوت

عَلّلاني وعَلّلا صاحِبَيّا ... واسْقِياني مِنَ المُرَوَّقِ رِيّا

1 مكثور : غلبه أعداؤه بكثرتهم .

إنّ فينـــا القِيـــانَ يعزِفن بالدَّ ف لِفِتْياننـــا وعيشاً رَخِيّـــا

غنّته عَزّة المَيْلاءِ من رواية حمّاد عن أبيه خفيف رملٍ بالوسطى . قال حمّاد أخبرني أبي قال بلغني أنّ معبداً قال : دخلتُ على جَميلةَ وعندها عَزّةُ الميلاءِ تغنّيها لحنَها في شِعر عمرو بن الإطنابة الخزرجيّ :

علّلاني وعلّـلا صاحبيّا

على مِعزَفةٍ[1] لها وقد أَسَنّت ، فما سمعتُ قطُّ مثلَها وذهبتْ بعقلي وفتنتني ، فقلت : هذا وهي كبيرة مُسِنّةٌ ! فكيف بها لو أدركتُها وهي شابّة ؟ وجعلتُ أعجَب منها .

ومنها في شعر الحارث بن ظالم : [من الخفيف]

صوت

ما أُبالي إذا اصطبحتُ ثلاثاً أرشيـداً حَسِبْتَنـــي أم غَوِيّـا

من سُلافٍ كأنّها دمُ ظَبْـيٍ في زُجـــاجٍ تخالـــهُ رازقِيّا[2]

غنّاه فُلَيْح بن أبي العَوراء رملاً بالبنصر عن عمرو بن بانة . وغنّاه ابن محرِزٍ خفيفَ ثقيلٍ أوّل بالخنصر من رواية حَبَشٍ .

ومنها : [من الخفيف]

صوت

بلغتْنا مقالةُ المـرء عمرٍو فأنِفْنـــا وكان ذاك بَديّا

قـد هممنا بقتلـه إذ بَرَزْنا ولَقِينـاه ذا سَلاحٍ كَمِيّا

غنّاه مالكٌ خفيفَ رملٍ بالبنصر من رواية حبش ، وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء في هذين البيتين ليونس الكاتب ، ولم يَنْسُب الطريقة ولا جَنَّسها .

1 المعزفة : آلة العزف .

2 الرازقي : الكتان أو ثياب بيض تتخذ منه ، والرازقي أيضاً : ضرب من عنب الطائف أبيض طويل الحب .

182 ـ [خبر يوم رحرحان]

ونذكر هاهنا خبر رَحْرَحانَ ويومَ قتله إذ كان مقتل الحارث وخبرُه خبرَهما

[يوم رحرحان الثاني والسبب فيه]

أخبرني عليّ بن سليمان ومحمد بن العبّاس اليزيديّ في كتاب النقائض قالا قال أبو سعيدٍ الحسنُ بن الحسين السُّكّريّ عن محمد بن حَبيبَ عن أبي عُبيدة قال : كان من خبر رَحرَحان[1] الثاني أنّ الحارث بن ظالمٍ المُرّيَّ لمّا قتل خالدَ بن جعفر بن كِلابٍ غَدْراً عند النُّعمان بن المنذر بالحِيرَة هرَب فأتى زُرارةَ بن عُدُسٍ فكان عنده ، وكان قوم الحارث قد تشاءموا به فلاموه ، وكرِه أن يكون لقومه زَعْمٌ عليه و ـ الزعم المِنّة ـ فلم يَزَلْ في بني تميمٍ عند زُرارة حتى لحِق بقُريش . وكان يقال : إنّ مُرّة بن عوفٍ من لُؤَيٍّ بن غالبٍ ، وهو قول الحارث بن ظالمٍ ينتمي إلى قريش : [من الوافر]

رفعتُ السَّيْفَ إذ قالوا قُرَيْشٌ ... وبَيَّنْتُ الشَّمائلَ والقِبابا

فما قَوْمِي بثَعْلبةَ بنِ سَعْدٍ ... ولا بفَزارةَ الشُّعْرِ الرِّقابا

وأتاهم لذلك النِّسَب ، فكان عند عبد الله بن جُدعان . فخرجتْ بنو عامر إلى الحارث بن ظالمٍ حيث لجأ إلى زُرارة وعليهم الأحوص بن جعفر ، فأصابوا امرأةً من بني تميمٍ وجدوها تَحتَطِب ، وكان [في] رأس الخيل التي خرجت في طلب الحارث بن ظالم شُرَيح بن الأحوص ، وأصابوا غِلماناً يجتنون الكَمْأة . وكان الذي أصاب تلك المرأة رجلاً من غَنِيٍّ ، فأرادت بنو عامر أخْذَها منه ، فقال الأحوص : لا تأخذوا أُخيذةَ خالي . وكانت أُمُّ جعفر (يعني أبا الأحوص) خَبِيّة بنتَ رِياح [الغَنَوِيّ] وهي إحدى المُنْجِبات . ويقال : أتى شُرَيحُ بن الأحوص بتلك المرأة [إليه] ، فسألها عن بني تميمٍ ، فأخبرتهم أنّهم لَحِقوا [بقومهم] حين بلَغهم مجيئكم . فدفَعها الأحوصُ إلى الغنويّ فقال : اعْفِجْها[2] الليلة واحْذر أن تنفلت . فوَطِئها الغنويُّ ثم نام ، فذهبتْ على وجهها . فلمّا أصبح دَعَوْا بها فوجدوها قد ذهبتْ . فسألوه عنها فقال : هذا حِرِي رَطْباً من زُبِّها . وكانت المرأة يقال لها حنظلة ، وهي بنت أخي زُرارة بن عُدُسٍ . فأتتْ قومَها ، فسألها عمُّها زُرارة عمّا رأت ، فلم تستطع أن تَنطِق . فقال بعضهم : اسقُوها ماءً حارّاً فإنّ قلبها قد بَرَد

1 يوم رحرحان الأول كان بين دارم وعامر بن صعصعة .

2 العفج : الجماع .

من الفَرَق ، ففعلوا وتركوها حتى اطمأنّت . فقالت : يا عَمِّ ! أخذني القوم أَمْسِ وهم فيما أرى يُريدونكم ، فاحْذَر أنت وقومُك . فقال : لا بأس عليكِ يا بنت أخي ، فلا تَذْعَرِي قومَك ولا تَرُوعِيهم ، وأَخْبِريني ما هيئةُ [القوم وما] نَعْتُهم . قالت : أخذني قومٌ يُقْبِلون بوجوه الظِّباء ، ويُدْبِرون بأعجاز النِّساء . قال زرارة : أولئك بنو عامر ، فمَن رأيتِ فيهم ؟ قالت : رأيتُ رجلاً قد سقَط حاجباه على عينيه فهو يرفَع حاجبيه ، صغيرَ العينين ، عن أمره يَصْدُرون . قال : ذاك الأَحوص بن جعفر . قالت : ورأيتُ رجلاً قليل المنطِق ، إذا تكلَّم اجتمع القوم لِمَنْطِقِه كما تجتمع الإبلُ لِفَحلها ، وهو من أحسن الناس وجهاً ، ومعه ابنانِ له لا يُدْبِر أبداً إلاّ وهما يَتْبعانه ، ولا يُقبِل إلاّ وهما بين يديه . قال : ذلك مالكُ بن جعفر ، وابناه عامرٌ وطُفَيلٌ . قالت : ورأيتُ رجلاً أبيضَ هِلْقامةً جَسيماً ، والهلقامة الأفوه . قال : ذلك ربيعةُ بن عبد الله بن أبي بكر بن كِلاب . [قالت : ورأيتُ رجلاً أسْوَدَ أخْنَسَ قصيراً ، إذا تكلَّم عَذَم[1] القوم عَذْمَ المنخوسِ . قال : ذلك ربيعة بن قُرْطِ بن عبد بن أبي بكر بن كلاب] . قالت : ورأيتُ رجلاً صغيرَ العينين ، أقرنَ الحاجبين ، كثير شَعَرِ السَّبَلةِ ، يسيل لُعابُه على لِحيته إذا تكلَّم . قال : ذلك حُنْدُجُ بن البَكّاء . قالت : ورأيتُ رجلاً صغير العينين ، ضيِّق الجَبْهة طويلاً ، يقود فرساً له ، معه جَفيرٌ لا يُجاوزُ يدَه . قال : ذلك ربيعةُ بن عقيل . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ ، معه ابنان له حَسَنا الوجهِ أصهبانِ ، إذا أقبلا نظر القومُ إليهما [حتى ينتهيا ، وإذا أدبرا نظروا إليهما] . قال : ذلك عمرو بن خُوَيْلِدِ بن نُفَيْلِ بن عمرو بن كِلاب ، وابناه يزيدُ وزُرْعةُ . ويقال قالت : ورأيتُ فيهم رَجُلَين أحمَرَين جَسِيمَين ذَوَي غدائر لا يَفْتَرِقان في مَمْشًى ولا مجلس ، فإذا أدبرا اتّبعهما القوم بأبصارهم ، وإذا أقبلا لم يزالوا ينظرون إليهما حتى يجلِسا . قال : ذانك خُوَيلدٌ وخالد ابنا نُفَيلٍ . قالت : ورأيتُ رجلاً آدَمَ جسيماً كأنّ رأسه مَجَزُّ غَضْوَرةٍ ، والغضورةُ : حشيشٌ دُقاقٌ خشِنٌ قائم يكون بمكّة . تريد أنّ شعرَه قائم خَشِنٌ كأنّه حشيشٌ قد جُزّ . قال : ذلك عَوفُ بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً كأنّ شعرَ فَخذَيْه حَلَقُ الدُّروع . قال : ذلك شُرَيح بن الأحوص . قالت : ورأيتُ رجلاً أسمر طويلاً يجول في القوم كأنّه غريبٌ . [قال : ذلك عبد الله بن جَعْدة . ويقال قالت : ورأيتُ رجلاً كثيرَ شعرِ الرأسِ ، صَخّاباً لا يَدَعُ طائفةً من القوم إلاّ أصخبها] . قال : ذلك عبد الله بن جعدة بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

[أسر معبد بن زرارة ومقتله]

فسارتْ بنو عامر نحوَهم ، والتقوا برحرحان ، وأسِر يومئذٍ معبدُ بن زُرارة ، أسَره

1 العذم : العض ، وهنا يريد اللوم .

عامرُ بن مالكٍ ، واشترك في أَسْرِه طُفَيْل بن مالك ورجلٌ من غَنِيٍّ يقال له أَبو عُمَيلة وهو عِصمة بن وَهْبٍ وكان أَخا طُفَيْل بن مالك من الرَّضاعة . وكان معبدُ بن زُرارة [رجلاً كثير المال . فوفَد لَقِيط بن زرارة] على عامر بن مالك في الشهر الحرام وهو رَجَبٌ ، وكانت مُضَرُ تدعوه الأَصَمَّ ؛ لأَنهم كانوا لا يَتنادون فيه يا لَفُلانٍ ويا لفلانٍ ، ولا يتغازَونَ ولا يَتنادَون فيه بالشِّعارات[1] ، وهو أيضاً مُنْصلُ الأَلِّ . والأَلُّ : الأَسِنَّةُ ، كانوا إذا دخل رَجَبٌ أَنصلوا[2] الأَسِنّة من الرِّماح حتى يخرج الشهر . وسأل لقيطٌ عامراً أن يُطلِق أَخاه . فقال : أَمّا حِصَّتي فقد وهبتُها لك ، ولكن أَرْضِ أَخِي وحَلِيفي اللذَيْن اشتركا فيه . فجعل لَقيطٌ لكلّ واحدٍ مائةً من الإبل ، فرَضِيا وأَتيا عامراً فأَخبراه . فقال عامرٌ للقيطٍ : دونَك أَخاك ، فأَطلق عنه . فلمّا أُطلِقَ فكَّر لقيطٌ في نفسه فقال : أعطيهم مائتي بعير ثم تكون لهم النعمة عليّ بعد ذلك ؛ لا والله لا أفعل ذلك ! ورجع إلى عامر فقال : إنّ أَبي زُرارة نهاني أن أَزيد على مائةٍ دِيةَ مُضَر ، فإنْ أنتم رضيتم أعطيتُكم مائةً من الإبل . فقالوا : لا حاجةَ لنا في ذلك ؛ فانصرف لقيطٌ . فقال له معبدٌ : مالي يُخرِجني من أيديهم . فأَبى ذلك عليه فقال : إذاً يقتسم العربُ بني زرارة . فقال معبدٌ لعامر بن مالك : يا عامر ! أَنشُدُك اللهَ لَمّا خَلَّيْتَ سبيلي ، فإنّما يريد ابن الحمراء أن يأكلَ كلَّ مالي ، ولم تكن أُمُّه أُمَّ لقيط . فقال له عامر : أبعدك الله ؛ إنْ لم يُشْفِق عليك أخوك فأنا أَحَقُّ أَلاَّ أُشْفِقَ عليك . فعمَدوا إلى مَعبد فشَدُّوا عليه القِدَّ وبعثوا به إلى الطائف ، فلم يَزَلْ به حتى مات . فذلك قولُ شُرَيح بن الأَحوص : [من المتقارب]

لَقِيطُ وأنت امرؤٌ ماجدٌ ... ولكنّ حِلْمَكَ لا يَهْتَدِي
ولَمّا أَمِنْتَ وساغ الشَّرا ... بُ واحتلّ بيتُك في ثَهْمَدِ[3]
رفعتَ برِجْلَيْكَ فوق الفِرا ... شِ تُهْدِي القصائدَ في مَعْبَدِ
وأسلمتَه عند جِدِّ القِتالِ ... وتبخَل بالمالِ أن تَفْتَدِي

[شعر لعوف بن عطية يعيّر لقيطاً]

وقال في ذلك عوف بن عطيّة بن الخَرِع التَّيميُّ يعيِّر لقيط بن زرارة : [من الكامل]

هَلاَّ فوارِسَ رَحْرَحانَ هَجَوْتَهم ... عُشَراً تَناوَحُ في سَرارةِ وادِ[4]

---

1 أشعار القوم : علامتهم واصطلاحهم الذي ينادون به في الحرب .

2 أنصل السنان من الرمح : أزاله عنه .

3 ثهمد : جبل أحمر فارد بديار غنيّ .

4 العُشَر : من العضاه ، وهو من كبار الشجر ينبت صعداً في السماء . وتناوح : تتقابل . وسرارة الوادي : وسطه وهي أفضل موضع فيه .

لا تأكلُ الإبِـلُ الغِراثُ نَباتَه ... مـا إن يقـومُ عِمادُه بعِمادِ[1]
هَلاَّ كَرَرْتَ على أُخيِّك مَعْبَدٍ ... والعامـريُّ يقـودُه بصِفادِ
وذكرتَ من لَبَنِ المُحَلَّقِ شَرْبَةً ... والخيلُ تعـدو بالصَّفاحِ بَدادِ

بَدادِ : متفرّقة . والصَّفاحُ : موضع . والمحلَّق : موسومة بحَلَقٍ على وجوهها . يقول ذكرتَ لبنها ، يعني إبلَه .

لو كنتَ إذ لا تستطيعُ فديتَه ... بهِجـانِ أُدْمٍ طـارف وتِلادِ
لكنْ تَرَكْتَـهُ في عَميقٍ قَعْرُها ... جَـزَراً لخامعةٍ وطيرِ عَوادِ[2]
لو كنتَ مُستَحِياً لِعِرْضِكَ مَرَّةً ... قاتلـتَ أو لَفَدَيْـتَ بالأذوادِ[3]

وفيها يقول نابغة بني جعدة : [من البسيط]

هَلاّ سألتَ بيومَيْ رَحْرَحانَ وقد ... ظَنّتْ هَـوازِنُ أنّ العِزّ قـد زالا

[مما قاله الشعراء في وقعة رحرحان]

وفيها يقول مِقدامٌ أخو [بني] عُدُس بن زيدٍ في الإسلام ، وقتلتْ بنو طُهَيّةَ ابناً للقَعْقاعِ بن معبَدٍ ، فتَوادَوْا[4] فأخذتْ بنو طُهَيّة منهم الفَضْلَ : [من الطويل]

وأنتم بنـو مـاءِ السماءِ زعمتمُ ... ومات أبوكم يـا بَني مَعْبَدٍ هُزْلا

وقال المُخَبَّلُ السَّعْدِيُّ يذكر مَعبداً : [من الطويل]

فإنْ تَـكُ نالتْنا كُلَيْبٌ بِقرَّةٍ ... فيومُـك فيهـم بالمصيفةِ أَبْرَدُ
هم قَتَلُوا يـومَ المصيفةِ مالكاً ... وشاط بأيديهـم لَقِيطٌ ومَعْبَدُ[5]

وفيها يقول عياض بن مَرْثَدِ بن أُسَيْدِ بن قُرَيْط بن لَبيدٍ في الإسلام : [من الطويل]

نحـن أَسَرْنـا مَعْبَداً يـوم مَعْبَدٍ ... فما افْتَكَّ حتّى مات مِنْ شِدّةِ الأَسْرِ
ونحـن قتلنـا بالصَّفا بعد مَعْبَدٍ ... أخـاه بأطـرافِ الرُّدَيْنِيّةِ السُّمْرِ

* * *

1 الغراث : الجياع .
2 الخامعة : الضبع ، لأنها تخمع إذا مشت .
3 مستحياً : مستبقياً . الذود : القطيع من الإبل من الإناث .
4 توادوا : دفع كل من الفريقين ديات قتلى الآخر .
5 شاط : هلك .

[183] ـ وهذا يوم شعب جبلة

[السبب في يوم جبلة]

قال أبو عبيدة : وأمّا يوم جبلةَ ، وكان من عِظام أيّامِ العرب ؛ وكان عِظام أيّام العرب ثلاثةً : يومَ كُلابِ ربيعة ، ويوم جَبَلَةَ ، ويوم ذِي قارٍ . وكان الذي هاج يوم جَبَلَةَ أنّ بني عَبْسِ بن بَغِيضٍ حين خرجوا هاربين من بني ذُبْيان بن بغيضٍ وحاربوا قومهم خرجوا مُتَلَدِّدين[1] . فقال الربيع بن زِياد العبسيُّ : أما والله لأُرمينَ العربَ بحَجَرها ، اقْصِدوا لبَني عامر ؛ فخرج حتى نزل مَضِيقاً من وادي بني عامر ثم قال : امكُثوا . فخرج ربيعٌ وعامر ابنا زيادٍ والحارثُ بن خُلَيْفٍ حتى نزلوا على ربيعةَ بن شَكَلٍ بن كَعْب بن الحَرِيش ، وكان العَقْدُ من بني عامر إلى [بني] كعب بن ربيعة [وكانت الرياسة في بني كلاب بن ربيعة] . فقال ربيعة بن شَكَلٍ : يا بني عَبْسٍ ، شأنكم جليلٌ ، وذَحْلُكم الذي يُطلبُ منكم عظيمٌ ، وأنا أعلم والله أنّ هذه الحرب أعزُّ حربٍ حاربتْها العربُ قطُّ . ولا والله ما بُدٌّ من بني كلابٍ ، فأَمْهِلوني حتى أستطلعَ طِلْعَ قومي . فخرج في قومٍ من بني كعبٍ حتى جاءوا بني كِلابٍ ، فلقيهم عَوف بن الأحوص فقال : يا قوم ، أطِيعوني في هذا الطَّرف من غَطَفان ، فاقتُلوهم[2] واغنَمُوهم لا تُفْلِح غَطَفان بعده أبداً . ووالله إنْ تَزيدون على أن تُسَمِّنوهم وتمنعوهم ثم يصيروا لقومكم أعداء . فأبَوْا عليه ، وانقلبوا حتى نزلوا على الأحوص بن جعفر فذكروا له من أمرهم . فقال لربيعةَ بن شَكَلٍ : أظَلَّلتَهُم ظِلَّك وأطعمتَهم طعامَك ؟ قال نعم . قال : قد والله أجرتَ القومَ . . فأنزَلُوا القومَ وَسْطَهم بحبوحة دارهم .

وذكر بِشْرُ بن عبد الله بن حيّان الكِلابيُّ أنّ عَبْساً لمّا حاربتْ قومها أتَوْا بني عامرٍ وأرادوا عبدَ الله بن جَعدة وابنَ الحَريش ليصيروا حلفاءهم دون كِلابٍ ؛ فأتى قيسُ بن زهير وأقبل نحو بني جعفر هو والربيع بن زيادٍ حتّى انتهيا إلى الأحوص [جالساً قدامَ بيتِه] . فقال قيسٌ للربيع : إنّه لا حِلْفَ ولا ثقةَ دون أن أنتهي إلى هذا الشيخ . فتقدّم إليه قيسٌ فأخذ بمجامع ثوبه من وراءِ فقال : هـذا مقامُ العائذِ بك ؛ قتلتم أبي فما أخذتُ له عَقْلاً ولا قتلتُ به أحداً ، وقد أتيتُك لِتُجيرنا . فقال الأحوص : نعم ؛ أنا لك جارٌ ممّا أُجير منه نفسي ، وعوف بن الأحوص عن ذلك غائبٌ . فلمّا سمع عوفٌ بذلك أتى الأحوص وعنده بنو جعفرٍ فقال : يا مَعْشَرَ بني جعفر ،

1 التلدّد : التلفّت يميناً وشمالاً تحيّراً .

2 ل : فاقطعوهم .

أطيعوني اليومَ واعْصُوني أبداً ، وإنْ كنتُ واللهِ فيكم مَعصيّاً . إنّهم واللهِ لو لَقُوا بني ذُبيان لَوَلَّوكم أطرافَ الأسنّة إذا نكَهوا في أفواههم بكلامٍ . فابْدَءوا بهم فاقتلوهم واجعلوهم مثلَ البُرْغوثِ دماغه [في] دَمِه . فأَبَوْا عليه وحالفوهم . فقال : واللهِ لا أدخل في هذا الحِلف ؛ قال : وسَمِعتْ بهم حيث قرّ قَرارُهم بنو ذُبيان ، فحشدوا واستعدّوا وخرجوا وعليهم حِصْنُ بن حُذَيفة بن بَدْرٍ ومعه الحَليفانِ أَسَدٌ وذُبيان يطلبون بدم حذيفة ، وأقبل معهم شُرحْبِيل بن أخضر بن الجَوْنِ ، والجَوْنُ هو معاوية ؛ سُمّي بذلك لشدّة سواده ، ابن آكِلِ المُرار الكِندِيّ في جَمع من كِندة ، وأقبلت بنو حَنظلة بن مالكٍ والرِّبابُ عليهم [لَقِيطُ بن زُرارةَ] يطلبون بدم مَعبدِ بن زُرارة ويَثْرِبيٌّ بن عُدُسٍ ، وأقبل معهم حسان[1] بن عمرو بن الجَوْنِ في جَمْعٍ عظيم من كِندة وغيرهم ، فأقبلوا إليهم بوضائع[2] كانت تكون بالحِيرةِ مع الملوك وهم الرابطةُ . وكان في الرِّباب رجلٌ من أشرافهم يقال له النُّعمان بن قَهْوَسٍ التَّيْمِيُّ ، وكان معه لِواء مَن سار إلى جَبَلةَ ، وكان من فُرسان العرب . وله تقول دَخْتنُوس بنت لَقِيط بن زرارة يومئذٍ : [من مجزوء الكامل]

[شعر لدختنوس بنت لقيط تعيّر ابن قهوس]

فرَّ ابنُ قَهْـوَسٍ الشُّجا ... عُ بكَفِّـه رُمْـحٌ مِتَلُّ
يعدُو بـه خاظِي البَضِيـ ... ـعِ كأنّـه سِمْعٌ أَزَلُّ[3]
إنّك مِـنْ تَيْـمٍ فَدَعْ ... غَطَفانَ إن ساروا وحلُّوا

مِتَلٌّ : مستقيم ، يُتَلُّ[4] به كلُّ شيء . الخاظِي : الشيءُ المُكْتنِز . والسِّمْعُ : ولدُ الضَّبُعِ [من الذِّئب] . والعِسْبارُ : ولدُ الذِّئب من الكلبة .

لا مِنْكَ عدُّهـمُ ولا ... آبـاكَ إن هَلَكُوا وذَلُّوا
فَخْـرَ البَغِيِّ بحِدْجِ ربّـ ... ـتها إذا النّاسُ استقلُّوا[5]
لا حِدْجَها رَكِبتْ ولا ... لِرَغـالِ فيـه مُسْتَظَلُّ[6]

1 ل : كيسان .
2 الوضائع هنا : قوم من الجند يوضعون في كورة لا يغزون منها .
3 البضيع : اللحم . أزل : أرسح أي قليل لحم الفخذين .
4 يتل : يصرع .
5 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني : 17/3 «كالفاخرة بحدج ربتها» ، يضرب لمن يفتخر بما ليس له منه شيء ، يحكي أبو عبيدة أنه أُجريت الخيل للرهان يوماً ، فجاء فرس فسبق ، فجعل رجل من النظارة يكبّر ويثب من الفرح ، فقيل له : كان الفرس لك ؟ قال : لا ، ولكن اللجام لي .
6 رغال : الأمة .

ولقـد رأيتُ أباكَ وَسْـ ـطَ القَوْمِ يَرْبِقُ أو يَجُلُّ[1]
مُتَقَلِّـداً رِبْـقَ الفُـرا رِ كأنّه في الجِيدِ غُلُّ

يَجُلّ : يُلقط البَعَرَ . والفُرار : أولادُ الغنم ، واحدُها فُرارة . قال : وكان معهم رؤساء بني تميم : حاجِبُ بن زرارة ولَقِيطٌ بن زرارة وعمرُو بن عمرٍو وعُتَيبةُ بن الحارث بن شهابٍ ، وتبِعهم غُثاءٌ من غُثاء الناس يريدون الغنيمة ، فجمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية قطُّ مثله أكثر كثرةً ، فلم تَشُكَّ العرب في هلاك بني عامر . [فجاءوا] حتى مرّوا ببني سَعْدِ بن زيد مَناة ، فقالوا لهم : سِيرُوا معنا إلى بني عامر . فقالت لهم بنو سَعْدٍ : ما كنّا لنسير معكم ونحن نزعم أنّ عامر بن صعصعة بنُ سَعْدِ [بن زيد مَناة] . فقالوا : أمّا إذ أبيتم أن تسيروا معنا فاكتُموا علينا . فقالوا : أمّا هذا فنَعَمْ .

[تشاور بني عامر في أمرهم]

فلمّا سمِعتْ بنو عامر بمسيرهم اجتمعوا إلى الأحوص بن جعفرٍ ، وهو يومئذٍ شيخٌ كبيرٌ قد وقع حاجباه على عينيه وقد ترك الغَزوَ غير أنه يُدبِّر أمرَ النّاس ، وكان مُجَرَّباً حازماً ميمونَ النَّقيبةِ ، فأخبروه الخبر . فقال لهم الأحوص : قد كَبِرتُ ، فما أستطيع أن أجيء بالحزم وقد ذهب الرأي منّي ، ولكنّي إذا سمعتُ عرفتُ ، فأجمِعوا آراءكم ثم بيتُوا ليلتكم هذه ثم اغْدُوا عليّ فاعْرِضوا عليّ آراءكم ، ففعلوا . فلمّا أصبحوا غَدَوْا عليه ، فوُضِعتْ له عَباءةٌ بفِنائه فجلس عليها . ورفع حاجبيه عن عينيه بعصابةٍ ثم قال : هاتُوا ما عندكم . فقال قيس بن زهيرٍ العبسيُّ : باتَ في كِنانتي الليلة مائةُ رأي . فقال له الأحوص : يكفينا منها رأيٌ واحدٌ حازم صلِيبٌ مُصِيبٌ ، هاتِ فانثُر كنانتَك . فجعل يعرِض كلّ رأيٍ رآه حتى أنفد . فقال له الأحوص : ما أرى باتَ في كنانتك الليلة رأيٌ واحدٌ ! . وعرض الناس آراءهم حتى أنفدوا . فقال : ما أسمع شيئاً وقد صِرتم إليّ ، احْمِلوا[2] أثقالكم وضُعفاءكم ففعلوا ، ثم قال : احْمِلوا ظُعُنَكم فحملوها ، ثم قال : اركَبوا فركِبوا ، وجعلوه في مِحَفَّةٍ ، وقال : انطلِقوا حتى تُعْلُوا في اليمين ، فإنْ أدرككم أحد كَرَرْتم عليه ، وإنْ أعجزتموهم مضيتم . فسار الناس حتى أتَوْا وادي بِحارٍ[3] ضحوةً ، فإذا الناس يرجع بعضهم على بعض . فقال الأحوص : ما هذا ؟ قيل : هذا عمرُو بن عبدِ الله بن جَعْدةَ في فِتْيانٍ من بني عامرٍ يَعْقِرون بمَن أجاز بهم

1 يربق من الربق : يشد البهيمة بالربقة وهي عروة في حبل تشد بها البهيمة .
2 ل : اجمعوا .
3 ل : وادي نجار . ورد موضع «ذو بحار» في معجم البلدان أنه ماء لغنيّ أو وادٍ في بلاد اليمن ، وورد اللفظ في أشعار أخرى بباء مثلثة .

ويقطَعون بالنساء حَواياهنّ[1] . فقال الأحوص : قدِّموني ، فقدَّموه حتى وقف عليهم فقال : ما هذا الذي تصنَعون ؟ قال عمرٌو : أردتَ أن تَفْضَحنا وتُخرِجَنا هاربين من بِلادِنا ونحن أعزُّ العرب ، وأكثرهم عدداً وجَلَداً وأَحَدُّهم شوكةً ! تريد أن تجعلنا مَوالي في العرب إذ خرجتَ بنا هارباً ! . قال : فكيف أفعلُ وقد جاءَنا ما لا طاقة لنا به ؟ فما الرأي ؟ قال : نَرْجعُ إلى شِعْبِ جَبَلَةَ فنُحْرِزُ النساءَ والضَّعَفَةَ والذَّراريَّ والأموالَ في رأسه ونكونُ في وسَطَه ففيه ثَمَلٌ (أي خِصْبٌ وماء) . فإنْ أقام مَن جاءك أسفلَ أقاموا على غير ماء ولا مُقامَ لهم ، وإن صَعِدوا عليك قاتلتَهم من فوق رؤوسهم بالحجارة ، فكنتَ في حِرْزٍ وكانوا في غير حِرْزٍ ، وكنتَ على قِتالهم أقوى منهم على قتالك . قال : هذا والله الرأي ، فأين كان هذا عنك حين استشرتُ الناسَ ؟ قال : إنّما جاءني الآن . قال الأحوص للناس : ارجِعوا فرَجعوا . ففي ذلك يقول نابغةُ بني جعدة : [من الطويل]

ونحــن حَبَسْنا الحَيَّ عَبْساً وعامراً ... لحسَّانَ وابنِ الجَوْنِ إذ قِيلَ أَقْبِلا
وقد صَعِدتْ وادِي بِحارٍ نساؤهم ... كإصْعادِ نَسْرٍ لا يرومــون منزلا
عَطَفْنا لهم عَطْفَ الضَّرُوسِ فصادفوا ... من الهَضْبةِ الحمراء عِزّاً ومَعْقِلا[2]

[دخولهم شعب جبلة]

الضَّروس : الناقة العَضوض ، فدخلوا شِعب جَبَلَةَ . وجبلة : هَضبةٌ حمراء بين الشُّرَيْف . والشَّرَف . والشُّرَيْفُ : ماءٌ لبني نُمَير . والشَّرَفُ : ماءٌ لبني كلابٍ . وجبلةُ : جبلٌ عظيم له شعْبٌ عظيمٌ واسعٌ ، لا يُؤتى الجبلُ إلاّ من قبلَ الشِّعْب ، والشِّعب متقارب [المَدْخَل] وداخله مُتَّسِعٌ ، وبه اليوم عُرَيْنةُ من بَجِيلةَ . فدخلتْ بنو عامر شِعْباً منه يقال له مُسَلِّحٌ ، فحصّنوا النساء والذراريّ والأموالَ في رأس الجبل ، وحَلَّئوا الإبل عن الماء ، واقتسموا الشِّعْبَ بالقِداح فأُقْرِعَ بين القبائل في شَظاياه[3] ، فخرجت بنو تميم ومعهم بارِقٌ (حيٌّ من الأَزْدِ حُلَفاءُ يومئذ لبني نُمَيْر . وبارقٌ هو سَعد بن عَدِيّ بن حارثة بن عمرو مُزَيْقِياء بن عامرِ ماء السماء . وسُمِّي مُزَيقِياء لأنّه كان يمزِّق عليه كلَّ يومٍ حُلَّةً) فولَجوا الخَليفَ (والخَليفُ : الطريق بين الشِّعْبَين شِبْه الزُّقاق) لأنّ سَهْمَهم تخلَّف . وفيه يقول مُعَقِّرُ بن أَوْسِ بن حِمارٍ البارقيُّ : [من الوافر]

1 الحوايا : جمع حوية وهي مركب من مراكب النساء .
2 الضروس : الناقة الحديثة النتاج . سميت بذلك لأنه يعتريها عند نتاجها عضاض أياماً حذاراً على ولدها ثم يذهب عنها .
3 الشظايا : القطع من رؤوس الجبال ، الواحدة شظية .

ونحـن الأَيْمَنُونَ بنو نُمَيْرٍ يَسِيلُ بنـا أَمامَهم الخَلِيفُ

قال : وكان مُعَقِّرٌ يومئذٍ شيخاً كبيراً أعمى ومعه ابنةٌ له تقود به جملَه . [فجعل يقول لها :] من أَسْهَلَ من الناس ؟ فتُخبره وتقول هؤلاء بنو فلان ، وهؤلاء بنو فلان ، حتى إذا تناهى الناسُ قال : اهْبِطِي ، لا يزال هذا الشِّعْبُ مَنِيعاً سائرَ هذا اليوم ، وهبط . وكانت كَبشةُ بنتُ عُرْوَةَ الرَّحَّالِ بن عُتبة بن جعفرِ بن كِلابٍ يومئذٍ حاملاً بعامر بن الطُّفَيل ، فقالت : وَيلكم يا بني عامرٍ ارفَعُوني ! فوالله إنّ في بطني لَعِزَّ بني عامر . فصَفُّوا القسيَّ على عَواتِقِهم ثم حملوها حتى أَثْوَوْها بالقُنَّةِ (يقال قُنَّةٌ وقِنانٌ) . فزعموا أنّها ولدتْ عامراً يوم فرَغ الناسُ من القتال .

[من شهد الوقعة من القبائل]

فشَهِدت بنو عامر كلّها جَبَلَةَ إلاّ هِلالَ بن عامرٍ وعامرَ بن ربيعة بن عامر ، وشهدها مع بني عامرٍ من العرب بنو عَبْسِ بن رِفاعة بن الحارث بن بُهْثَةَ بن سُلَيْمٍ وكان لهم بأسٌ وحَزْمٌ وعليهم مِرْداسُ بن أبي عامرٍ ، وهو أبو العبّاس بن مِرداسٍ . وكانت بنو عبس بن رِفاعة حلفاء بني عمرو بن كِلابٍ . وزعم بعضُ بني عامر أنّ مِرداساً كان مع أخواله [غَنِيٍّ] ، و[كانتْ] أُمُّه فاطمة بنتَ جَلْهَمة الغَنَويّةَ . وشَهِدتْها غَنِيٌّ وباهلةُ وناسٌ من بني سَعْدِ بن بكرٍ وقبائلُ بَجِيلةَ كلُّها إلاّ قَسْراً لحربٍ كانت بين قَسْرٍ وقَومِها .

[تفرق بجيلة في بطون بني عامر]

فارتحلت بجِيلةُ فتفرّقت في بطون بني عامرٍ ، فكانت عادية بن عامرٍ بن قُدادٍ من بَجِيلةَ في بني عامرٍ بن ربيعة ، وكانت سُحْمَةُ من بَجيلة في بني جعفرِ بن كِلابٍ ، ويقال : عمرو بن كلاب ، وكانت عُرَيْنةُ من بَجِيلةَ في عمرو بن كِلاب ، وكانت بنو قيس كُبَّةَ (لفَرسٍ يقال لها كُبَّةُ) من بَجِيلةَ في بني عامر بن ربيعة ، وكانت فِتيان في بني عامر بن ربيعة ، وبنو قُطَيعة من بَجِيلة في بني أبي بكر بن كِلابٍ ، ونَصِيبُ بن عبد الله من بَجِيلةَ [في بني نُمَيْرٍ ، وكانت ثعلبةُ والخِطامُ من بَجِيلة] في بني عامر بن ربيعة ، وبنو عمرو بن معاوية بن زيد من بَجِيلة في بني أبي بكر بن كِلابٍ معهم يومئذٍ نُفَيرٌ من عُكْلٍ ، فبلغ جَمْعُهم ثلاثين ألفاً . وعَمِيَ على بني عامر الخبَرُ ، فجعلوا لا يدرون ما قُرْبُ القَوْمِ من بُعْدِهم .

[ما فعله كرب بن صفوان لتميم وأسد]

وأقبلت تميمٌ وأَسَدٌ وذُبْيان ولِفُّهم نحو جَبَلة ، فلَقُوا كَرِبَ بن صَفوان بن شِجْنَةَ بن عُطارِد بن عَوْفِ بن كَعْبِ بن سعدِ بن زيد مَناة ، فقالوا له : أين تذهبُ ؟ أتريد أن تُنذِرَ بنا بني عامر ؟ قال لا . قالوا : فأَعْطنا عهداً ومَوْثِقاً ألاّ تفعلَ ؛ فأعطاهم فخلَّوْا سبيلَه . فمضى

مُسْرعاً على فرسٍ له عُرْيٍ ، حتى إذا نظر إلى مجلس بني عامر وفيهم الأحوصُ نزل تحت شجرةٍ حيث يرونه ؛ فأرسلوا إليه يدعونه ، قال : لستُ فاعلاً ، ولكن إذا رحلتُ فأْتُوا منزلي فإنّ الخبر فيه . فلمّا جاءوا منزلَه إذا فيه تُرابٌ في صُرَّةٍ وشَوكٌ قد كسَر رؤوسه وفرّق جهتَه ، وإذا حنظلةٌ موضوعةٌ . وإذا وَطْبٌ معلَّق فيه لبنٌ . فقال الأحوصُ : هذا رجلٌ قد أخذ عليه المواثيقُ ألاَّ يتكلَّم ، وهو يُخبركم أنّ القومَ مثلُ التُّراب كثرةً ، وأنّ شوكتهم كليلةٌ [وهم متفرِّقون] ، وجاءتكم بنو حنظلة . آنْظُروا ما في الوَطب ، فاصْطبُّوه فإذا فيه لبنٌ حَزَرَ (قَرَصَ) . فقال : القومُ منكم على قَدْرِ حِلاب اللّبنِ إلى أن يَحْزُز . فقال رجلٌ من بني يَربُوعٍ . ويقال قالته دَخْتَنُوس بنتُ لَقِيطِ بن زُرارة : [من الكامل]

كَرِبُ بن صَفْوانَ بنِ شِجْنَةَ لم يَدَعْ ... مِـن دارِمٍ أحداً ولا مِـن نَهْشَلِ
أجعلـتَ يَرْبوعـاً كقَوْرةِ دائـرٍ ... ولَتَحْلِفَـنْ بـاللهِ أن لم تَفْعَـلِ

وذلك قول عامر بن الطُّفيل بعد جبلة بحينٍ : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ لديكَ جُموعَ سعْدٍ ... فبِيتُـوا لـن نَهِيجَكُمُ نِياما[1]
نَصَحْتُمْ بـالمَغِيـبِ ولم تُعِينُوا ... علينـا إنّكـم كنتـم كِراما
ولو كنتم مع ابن الجَوْنِ كنتم ... كَمَنْ أَوْدى وأَصبح قد أَلاما

[صعود بني عامر الشعب وتشاور أعدائهم في الصعود إليهم]

فلمّا استيقنت[2] بنو عامرٍ بإقبالهم صَعِدوا الشِّعْبَ ، وأمر الأحوصُ بالإبل التي ظُمِّئَتْ قبل ذلك فقال : اعْقِلوها كلَّ بعيرٍ بِعقالَين [في] يديه جميعاً . وأصبح لَقِيطٌ والناسُ نزولٌ به ، وكانت مَشُورتُهم إلى لَقِيطٍ ؛ فاستقبلهم جملٌ عَوْدٌ[3] أجربُ أخذُ أَعصَلُ[4] كاشرٌ عن أنيابه ؛ فقال الحُزاةُ من بني أَسَدٍ ، والحازِي العائف[5] ، اعْقِروه . فقال لَقِيطٌ ؟ : واللهِ لا يُعْقَرُ حتى يكونَ فحلَ إبلي غداً . وكان البعير من عَصافير المُنذِر التي أخذها قُرّةُ بن هُبَيرة بن عامر بن سَلَمة بن قُشَيْرٍ . والعصافير : إبل كانت للملوك نجائب . ثم استقبلهم معاويةُ بن عبادة بن عُقَيْلٍ وكان أعسَرَ فقال : [من مجزوء الرجز]

1 سعد في ل : تيم .
2 ل : استثبت .
3 العود : المسن من الإبل ، والأحذّ هنا : خفيف شعر الذنب ، أو قصير الذنب .
4 الأعصل : الملتوي الذنب .
5 العائف الذي يزجر الطير وفي ل : القائف ، وهو من يحسن معرفة الأثر ويتتبعه .

أنـا الغُـلامُ الأَعْسَرْ الخَيـرُ فيّ والشّرّْ
والشرُّ فيّ أكثَـرْ[1]

فتشاءمت بنو أَسَدٍ وقالوا : ارجِعوا عنهم وأَطيعونا . فرجعتْ بنو أسدٍ فلم تَشهد جَبَلَةَ مع لَقِيطٍ إلاّ نُفَيْراً يسيراً ، منهم شأْسُ بن أبي بُلَيٍّ[2] أبو عمرو بن شأسٍ الشاعر ، ومعقِل بن عامرٍ بن مَوْءلةَ المالكيُّ . وقال الناس لِلَقِيطٍ : ما ترى ؟ فقال : أرى أن تَصعدوا إليهم . فقال شأْس : لا تدخلوا على بني عامر ؛ فإنّي أعلمُ الناس بهم ، قد قاتلتُهم وقاتلوني وهزمتُهم وهزموني ، فما رأيتُ قوماً قطُّ أَقْلَقَ بمنزلٍ من بني عامر ؛ والله ما وجدتُ لهم مَثَلاً إلاّ الشُّجاع ؛ فإنّه لا يَقِرّ في جُحره قَلَقاً . وسيخرجون إليكم . والله لئن بِتُّمْ هذه الليلة لا تشعُرون بهم إلاّ وهم مُنحدِرون عليكم . فقال لَقيطٌ . والله لَنَدخُلَنّ عليهم .

[صعود بني تميم الجبل ودفع بني عامر لهم]

فأَتوهم وقد أخذوا حِذْرَهم . وجعل الأحوصُ ابنَه شُرَيحاً على تعبئة الناس . فأقبل لقيطٌ وأصحابه مُدِلِّين فأسندوا[3] إلى الجبل حتى ذَرَّت الشمس . فصعِد لقيطٌ في الناس وأخذ بحافَتَي الشَّجْن[4] . فقالت بنو عامر للأحوص : قد أَتَوْك . فقال : دَعُوهم . حتى إذا نَصَفُوا الجبل وانتشروا فيه ، قال الأحوص : حُلُّوا عُقُلَ الإبل ثم احدِروها واتْبَعُوا آثارها ، ولْيَتْبَعْ كلّ رجلٍ منكم بعيرَه حجرين أو ثلاثةً ، ففعلوا ثم صاحوا بها ، فلم يَفْجأ الناسَ إلاّ الإبلُ تريد الماء والمَرعى ، وجعلوا يرمونهم بالحجارة والنَّبْل ؛ وأقبلت الإبلُ تحطِمُ كلَّ شيء مَرّت به ، وجعل البعيرُ يُدَهْدِي بيديه[5] كذا وكذا حجراً . وقد كان لقيطٌ وأصحابه سَخِروا منهم حين صنَعوا بالإبل ما صنعوا . فقال رجلٌ من بني أَسَدٍ : [من الرجز]

زعمـتَ أنّ العِيرَ لا تُقاتِلُ بَـلى إذا تَقَعْقَـعَ الرحائلُ[6]
واختلف الهِنْـدِيُّ والذّوابلُ وقالتِ الأبطالُ مَـنْ يُنازِلُ
بَـلى وفيها حَسَبٌ ونائلُ

1 الشرُّ في ل : والضرّ .
2 ل : أبي ليلى .
3 أسندوا إلى الجبل : اعتمدوا عليه .
4 الشجن : أعلى الوادي .
5 ل : بصدره .
6 تقعقع الشيء : اضطرب وتحرّك . والرحائل : جمع رحالة وهي السرج من جلود لا خشب فيه يتخذ للركض الشّديد .

[شعر لبعض بني عامر في الوقعة]

فانحطّ الناسُ مُنهزمين من الجبل حتى السَّهْل . فلمّا بلغ الناس السَّهْلَ لم يكن لأَحدٍ منهم هِمّةٌ إلاّ أن يذهب على وجهه ، فجعلت بنو عامر يقتلونهم ويصرعونهم بالسيوف في آثارهم ، فانهزموا شرَّ الهزيمة . فجعل رجلٌ من بني عامرٍ يومئذٍ يرتجز ويقول : [من الرجز]

لم أَرَ يوماً مثلَ يومِ جَبَلَهْ يومِ أتتنا أَسَدٌ وحَنْظَلَهْ
وغَطَفانُ والملوكُ أَزفَلَهْ نَضْرِبُهم بقُضُبٍ مُنْتَخَلَهْ[1]
لم تَعْدُ أن أَفرش عنها الصَّقَلَهْ حتى حَدَوْناهم حُداءَ الزَّوْمَلَهْ[2]

وجعل مَعْقِل بن عامر يرتجز ويقول : [من الرجز]

نحن حُماةُ الشِّعْبِ يومَ جبله بكلِّ عَضْبٍ صارمٍ ومِعْبَلَهْ[3]
وهَيْكَلٍ نَهْدٍ معاً وهَيْكَلَهْ[4]

المِعْبلةُ : السهمُ إذا كان نصلُه عريضاً فهو مِعْبلةٌ ، والرقيقُ : القُطْبَةُ .

[صد بني تميم لبني عامر]

وخرجت بنو تميمٍ من الخَلِيفِ على الخَيْلِ فكَرْكَرُوا الناسَ (يعني ردّوهم) وانقطع شُرَيْح بن الأحوص في فرسان حتى أخذ الجُرْفَ فقاتل الناسَ قتالاً شديداً هناك ، وجعل لقيطٌ يومئذٍ وهو على بِرْذَوْنٍ له مُجَفَّفٍ[5] بديباج أعطاه إيّاه كِسْرى ، وكان أوّل عربيٍّ جَفَّف ، يقول : [من الرجز]

عَرَفْتكُمْ والدمعُ مِ العَيْن يَكِفْ لفارِسٍ أتلفتموه ما خُلِفْ
إنّ النَّشِيلَ والشِّواء والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ[6]

---

1 الأزفلة : الجماعة . منتخلة : مختارة .

2 أفرش عنه : أقلع . والصقلة : جمع صاقل ، من صقل السيف إذا جلاه . يريد أنها حديثة الجلاء . الزوملة : الإبل .

3 حماة الشّعب في ل : سماة الخيل .

4 هيكل هنا : ضخم . والنهد من الخيل : كثير اللحم حسن الجسم مع ارتفاع .

5 مجفف : عليه تَجفاف وهو شيء يتخذ من حديد أو غيره يجعل على ظهر الفرس ليقيه الأذى ، وقد يلبسه الإنسان أيضاً .

6 النشيل هنا : اللحم المطبوخ ، أو الذي ينشل من القدر قبل النضج ، واللبن ساعة يحلب . والشُّواء : ما شوي من اللحم أو غيره . والكأس الأنف : التي لم يشرب منها من قبل .

وصَفْوةَ القِـدْرِ وتَعْجِيـلَ اللَّقَـفْ للطاعنين الخيـلَ والخيلُ قُطُفْ[1]

وجعل لا يمرّ به أحدٌ من الجيش إلاّ قال [له] : أنت والله قتلتَنا وشَتَمْتَنا . فجعل يقولُ : [من الرجز]

يـا قَـوْمِ قـد أحرقتموني باللَّوْمْ ولَـم أُقاتِـلْ عامـراً قبـل اليَوْمْ
فاليـومَ إذ قاتلتُهـم فـلا لَوْمْ تَقَدَّمـوا وقَدِّمـوني للقَـوْمْ
شَتّـانَ هـذا والعنـاقُ والنَّـوْمْ والمَضْجَعُ البـاردُ في ظِـلِّ الدَّوْمْ

وقال شأس بن أبي بُلَيٍّ يُجيبه :

لكـن أنا قاتلتها قبـلَ اليـَوْمْ إذ كنتُ لا تُعْصى أُموري في القَوْمْ

وجعل لقيطٌ يقول : مَن كَرّ فله خمسون ناقةً ، وجعل يقول :

أكُلُّكُمْ يَزْجُرُكُمْ أرْحِبْ هَلا ولن تَرَوْهُ الدَّهْـرَ إلاّ مُقْبِلا[2]
يحمـل زَغْفاً ورَئيساً حَجْفَلا وسائـلاً في أهلـه مـا فعلا[3]

وجعل يقول أيضاً :

أشْقَـرُ إنْ لم تَتَقَـدَّمُ تُنْحَر وإنْ تَـأَخَّرْ عـن هِياجٍ تُعْقَرِ[4]

ثم عاد يقول :

إنّ الشواء والنّشيـل والرُّغُـفْ

فأجابه شُرَيح بن الأحوص : [من الرجز]

إن كنتَ ذا صِدْقٍ فأقْحِمْهُ الجُرُفْ وقَـرِّب الأشْقَـرَ حتـى تَعْتَرِفْ
وجوهَنا إنّـا بنو البِيضِ العُطُفْ

[سقوط لقيط في الموقعة]

وبينه وبينه جُرْفٌ مُنْكَرٌ ، فضرب لَقيطٌ فرسَه وأقحمه عليه الجُرْفَ ؛ فطعنه شُرَيح

---

1 اللقف : يريد به ما يلقف ويتناول من الطعام . قطف : جمع قطوف وهو المتقارب الخطو أو البطيء من الدواب ، وفي ل : جنف .

2 ارحب وهلا : مما تزجر به الخيل .

3 الزغف والزّغفة : الدرع المحكمة أو اللينة .

4 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 19/3 : «كالأشقر إن تقدّم نُحر» ، وإنْ تأخّر عُقر ، والعرب تتشاءم من الأفراس بالأشقر ، قالوا : كان لقيط بن زرارة يوم جبلة على فرس أشقر ، فجعل يقول : أشقر ، إن تتقدم تُنحر ، وإن تتأخر تعقر ، وذلك أن العرب تقول : شقر الخيل سراعها ، يطلب من فرسه أن يثبت ويلزم الوقار .

[فسقَطَ] . وقد اختلفوا في ذلك ، فذكروا أنّ الذي طعنه جَزْءُ بن خالد بن جعفرٍ ، وبنو عُقَيْلٍ تزعم أنّ عَوْفَ بنَ المُنتَفِق العُقَيْلِيّ قتله يومئذٍ وأنشأ يقول : [من الكامل]

ظَلّتْ تلومُ لِمـا بهـا عِرْسِي جَهْـلاً وأنـتِ حَليمةٌ أمْسِ
إنْ تقتلـوا بَكْرِي وصاحبَه فلقـد شَفَيْتُ بسَيْفـه نفسي
فقتلتُه في الشِّعْبِ أوّلَ فارسٍ في الشَّرقِ قبل تَرَحُّلِ الشمسِ

فزعمـوا أنّ عَوْفـاً هـذا قتل يومئذٍ ستَّةَ نَفَرٍ ، وقُتِل ابنٌ له وابنُ أخ لـه . وأمّا العلماء فلا يَشُكّون أنّ شُريحاً قَتله ، وارتُثَّ وبه طَعَناتٌ ، والارتثاث أن يُحْمَل وهو مجروح ، فإنْ حُمِل مَيِّتاً فليس بمرتثّ ، فبقي يوماً ثم مات . فجعل لقيطٌ يقول عند موته : [من الرجز]

يا ليتَ شَعْرِي عَنْكِ دَخْتَنُوسُ إذا أتـاك الخبرُ المَـرْسُوسُ[1]
أتَحْلِـقُ القُـرُونَ أم تَمِيسُ لا بَـلْ تَمِيسُ إنّهـا عَروسُ

[شعر لدختنوس في أبيها]

دَخْتَنوسُ بنت لَقِيطِ بن زُرارة ، وكانت تحت عمرو بن عمرو بن عُدُسٍ . وجعلت بنو عَبْسٍ[2] يضربونه وهو ميِّت ، فقالت دَخْتَنوس : [من الطويل]

أَلا يا لَهَا الوَيْلاتُ وَيْلاتُ مَنْ بَكى لضَرْبِ بني عَبْس لَقِيطاً وقد قَضى
لقـد ضربـوا وجهـاً عليه مَهابةٌ وما تَحفِلُ الصُّمُّ الجنادلُ مَنْ رَدى
فلـو أنّكـم كنتم غـداة لَقِيتمُ لقيطـاً صَبَرتُـم للأَسِنَّـةِ والقَنا
غَدَرْتُـم ولكن كنتمُ مِثْلَ خُضَّبٍ أصابَ لها القَنّاصُ من جانبِ الشَّرى[3]
فمـا ثَـأْرُه فيكـم ولكـنّ ثأرَه شُرَيْحٌ وأردتـه الأسِنّةُ أو هَوى
فإن تُعْقِبِ الأيّامُ من عامرٍ يَكن عليهـم حَريقـاً لا يُـرامُ إذا سما[4]
ليجزيهـم بالقتلِ قَتْـلاً مُضَعَّفاً وما في دِماءِ الخُمْسِ يا مالُ مِنْ بَوا[5]

---

1 المرسوس : اسم مفعول من قولهم : رسّ له الخبر إذا ذكره له .
2 ل : بنو عامر .
3 الخضب : النّعام . والظليم الخاضب : الذي احمرّت ساقاه من أكل الربيع . أصاب : سقط ونزل ضد أصعد . والشرى : موضع .
4 من عامر يكن في ل : من فارس تكن .
5 البواء : السواء والتكافؤ .

ولو قتلتنا غالبٌ كان قتلُها علينا من العار المجدَّع للعُلا
لقد صَبَرتْ للموت كعبٌ وحافظت كِلابٌ وما أنتم هناك لَمن رأى

وقالت دَخْتَنُوس أيضاً : [من الطويل]

لعمري لئن لاقت من الشرِّ دارمٌ عناءً لقد آبتْ حميداً ضِرابُها[1]
فما جَبُنوا بالشِّعبِ إذ صَبَرَتْ لهم ربيعةُ يُدْعى كَعْبُها وكلابُها
عَصُوا بسيوف الهِنْدِ واعتكرتْ لهم بَراكاءُ موتٍ لا يطير غُرابُها[2]

براكاءُ : مباركَةُ القتال وهو الجِدُّ في القتال . يقال للرجل إذا وقع في خطب لا يطير غرابُه . وقالت دختنوس : [من مجزوء الكامل]

بَكَر النَّعِيُّ بخير خِنْـ ـدِفَ كَهْلِها وشَبابِها
وبخيرها نَسَباً إذا عُدَّتْ إلى أنسابِها
فرّت بنو أسدٍ حُرُو دَ الطيرِ عن أربابها[3]
لم يَحْفِلوا نَسَباً ولم يَلْوُوا لفيء عُقابها

[من قتل في الموقعة ومن نجا وأخبارهم]

وقُتِل يومئذٍ قُرَيظ بن مَعبد بن زُرارة ، وزيدُ بن عمرو بن عُدُس قتله الحارث بن الأبرص بن ربيعة بن عامر بن عُقَيْل ، وقُتِل الفَلَتانُ بن المنذر [بن سَلْمى بن جَنْدَلِ بن نَهْشَلٍ ، وقُتِل أبو إياس بن حَرْمَلَةَ بن جَعْدَةَ بن العَجْلانِ] بن حَشْوَرَةَ بن عَجَبِ بن ثعلبة بن سعد بن ذُبيان وهو يقول : [من الرجز]

أقْدِمْ قَطِينُ إنّهم بنو عَبْسْ المَعْشَرُ الحِلّةُ في القَوْمِ الخُمْسْ

الحلّة : لم يكونوا يتشدّدون في دينهم . قال : واستُلحم[4] [عمرو بن] حَسْحاسِ بن وَهْبِ بن أعياء بن طَرِيف الأَسَدِيُّ ، فاستنقذه [مَعْقِلُ بن] عامرِ بن مَوْءِلة فداواه وكساه . فقال معقل في ذلك : [من الوافر]

يَدَيْتُ على ابن حَسْحاسِ بنِ وَهْب بأسفلِ ذي الجَذاةِ يدَ الكريمِ[5]

1 صدر البيت في ل : لعمري لقد لاقت من الشقّ .
2 عصا بالسيف : إذا أخذه أخذ العصا ، أو ضرب به ضربه بها .
3 الحرود : التَّنحّي .
4 استُلحم الرجل : روهق في القتال واحتوشه العدوَ .
5 يديت : اتخذت عنده يداً ، وذو الجذاة : موضع .

قَصَرْتُ لـــه مـــن الدّهمـاء لمّا شهِدتُ وغاب مَنْ لَـهُ مِنْ حميمِ
ولـــو أنّـــي أشاء لكنتُ منـــه مكـــانَ الفَرْقَدَيْـنِ مـــن النُّجومِ
أُخبّره بـــأن الجُـــرْحَ يُشْوِي وأنّـــك فـــوق عِجْلِزَةٍ جَمُومِ[1]

يقول : إن الجرح الذي بك شوًى لم يُصب منك مقتلاً .

ذكـــرتُ تَعِلَّـــةَ الفتيـــانِ يومـــاً وإلحـــاقَ المَلامـــــةِ بـــالمُليمِ

قال : وحمل معاوية بن يزيد الفزاريّ فأخذ كَبْشةَ بنت الحجّاج بن معاوية بن قُشَيْر ، وكانت عند مالك بن خَفاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل ، فحمل معاوية بن خفاجة أخو مالكٍ على معاوية بن يزيد فقتله واستنقذ كبشة ، وقال : يا بني عامر ، إنّهم يموتون ، وقد كان قيل لهم إنهم لا يموتون . ونزل حسّان بن عامر بن الجَوْن وصاح : يا آل كِنْدَة ! فحمل عليه شُرَيْح بن الأحُوَصِ ؛ فاعترض دون ابن الجَوْن رجلٌ من كِنْدَة يقال له حَوْشبٌ ، فضربه شُريح بن الأحوص في رأسه فانكسر السيف فيه ، فخرج يعدو بنِصْف السيف وكان ممّا رعّب الناسَ مكانُه . وشدّ طُفَيْلُ بن مالك بن جعفر فأسر حسّان بن الجون . وشدّ عوف بن الأحوص على معاوية بن الجون فأسَره وجزّ ناصيته وأعتقه على الثواب . فلقيتْه بنو عَبْس ، فأخذه قيس بن زُهَيْر فقتله . فأتاهم عوف فقال : قتلتم طليقي فأحْيُوه أو ائتوني بمِلْكٍ مثلِه . فتخوّفت بنو عبس شرَّه وكان مَهِيباً ، فقالوا : أمْهِلْنا . فانطلقوا حتى أتَوْا أبا بَراء عامرَ بن مالك بن جعفر يستغيثونه على عوف ، فقال : دُونَكم سَلْمى بنَ مالك فإنّه نديمه وصديقُه ، وكانا مشتبهين أحمرَين أشقرين ضخمةً أنوفهما ، وكان في سَلْمى حياء ، [فأتَوْه] فقال : سأُكَلِّم لكم طُفَيْلاً حتى يأخذَ أخاه فإنّه لا يُنجيكم من عوف إلاّ ذلك ، وايمُ الله لَيأتينّ شَحِيحا[2] . فانطلقوا إليه ، فقال طفيلٌ : قد أتَوْني بك ، ما أعرَفَني بما جئتُم له ؛ أتيتموني تُريدون منّي ابن الجَوْن تُقِيدون به من عَوْف ، خُذوه ، فأعطاهم إيّاه ؛ فأتَوْا به عوفاً فجزّ ناصيته وأعتقه ؛ فسُمِّي الجَزَّازَ . فذلك قول نافع بن الخَنْجَر بن الحَكَم بن عُقَيْل بن طُفَيْلِ بن مالك في الإسلام : [من الوافر]

قَضَيْنا الجَوْنَ عن عَبْسٍ وكانت مَنِيّـــةُ مَعْبَـــدٍ فينـــا هُـــزالا

قال : وشهِدها لَبِيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جعفر وهو ابن تسع سنين ، ويقال : كان ابن بِضْعَ عشرة سنة ، وعامرُ بن مالك يقول له : اليوم يَتِمْتَ من أبيك إن قُتِل أعمامك . وقُتِل يومئذٍ زهير بن عمرو بن معاوية ، وُجِدَ مقتولاً بين ظَهْرانَيْ صفوف بني عامر حيث لم يبلُغ

1 العِجلِزة : الشديدة الخلق القوية . والجموم من الخيل : الذي إذا ذهب منه إحضار جاءه إحضار .
2 ل : سجيحاً .

الفِتال ؛ وهو معاوية الضَّباب بنُ كِلابٍ . فقال أخوه حُصَيْنٌ للذي قتله : [من الرجز]

يا ضَبُعاً عثواءَ لا تَسْتَأْنِسي تلتقم الهَبْرَ من السَّقْبِ الرَّذِي[1]
أقسم بالله وما حجَّتْ بَلي [وما على العُزَّى تُعِزُّه غني[2]
وقد حلفتُ عند مَنْحَرِ الهَدِي] أُعْطيكمُ غيرَ صُدور المَشْرَفِي
فليس مثلي عن زُهَيْرٍ بِغَني هو الشُّجاعُ والخطيبُ اللَّوْذَعِي
والفارسُ الحازمُ والشهمُ الأبي والحاملُ الثِّقْلِ إذا ينزلُ بِي

وذكروا أنّ طُفَيْل بن مالك لمّا رأى القتال يوم جَبَلَةَ قال : وَيلكم ! وأين نَعَم هؤلاء ؟ فأغار على نَعَمِ عمرٍو وإخوته وهم من بني عبد الله بن غَطَفان ثم من بني الثَّرْماء ، فاستاق ألفَ بعير . فلقيه عُبيدة بن مالك فاستجداه . فأعطاه مائة بعير ، وقال : كأنّي بك قد لَقِيتَ ظَبْيانَ بن مُرّة بن خالد فقال لك : أعطاك من ألْفِه مائةً ! فجئتَ مُغْضَبا . فلقي عُبيدة ظَبْيان ؛ فقال له : كم أعطاك ؟ قال : مائة . فقال : أمائةً من ألفٍ ؟ فغضِب عُبيدة . قال : وذُكِر أنّ عُبيدة تسرَّع يومئذٍ إلى القتال ، فنهاه أخواه عامر وطُفَيل أن يفعل حتى يرى مُقاتَلاً ، فعصاهما وتقدّم ، فطعنه رجل في كتفه حتى خرج السِّنانُ من فوق ثديه فاستمسك فيه السنان . فأتى طُفيلاً فقال له : دونك السِّنانَ فانزعه ، فأبى أن يفعل ذلك غضباً ، فأتى عامراً فلم ينزعه منه غضباً ، فأتى سَلمى بن مالك فانتزعه منه ؛ وأُلقي جريحاً مع النساء حتى فَرِغ القومُ من القتال . وقتلت بنو عامر يومئذٍ من تميم ثلاثين غلاماً أغرَل[3] . وخرج حاجبُ بن زُرارة منهزماً ، وتبِعه الزَّهْدَمانِ زَهْدَمٌ وقَيْسٌ ابنا حَزْن بن وَهْب بن عُوَيمر بن رواحة العَبْسيّان ، فجعلا يطرُدان حاجباً ويقولان له : استأسر وقد قَدَرا عليه ، فيقول : مَنْ أنتما ؟ فيقولان : الزَّهْدَمانِ ، فيقول : لا أستأسِرُ اليومَ لمولَيَيْنْ . فبينما هم كذلك إذ أدركهم مالكٌ ذُو الرُّقيبة بن سَلَمةَ بن قُشَير ، فقال لحاجب : استأسِرْ . قال : ومَنْ أنت ؟ قال : أنا مالكٌ ذو الرُّقيبة . فقال : أفعَلُ ، فلعمري ما أدركتَني حتى كدتُ أن أكون عبداً . فألقى إليه رمحه ؛ واعتنقه زهدمٌ فألقاه عن فرسه . فصاح حاجبٌ : يا غَوْثاه . [وندر السيف] ، وجعل زَهدَمٌ يُريغ[4] قائم السيف . فنزل مالكٌ فاقتلع زهدماً عن حاجب . فمضى زهدمٌ وأخوه حتى أتَيا قيس بن زهير بن جذيمة فقالا : أخذ مالكٌ أسيرَنا من أيدينا .

---

1 الضبع العثواء : الكثيرة الشعر . والعثا : لون إلى السواد مع كثرة شعر . لا تستأنسي في ل : لاستها فسي . الهبر : قطع اللحم . والسقب : ولد الناقة أو هو ساعة يولد . والرذي : المهزول الهالك ، والردي : الهالك .

2 بلي : قبيلة من العرب . تعزه غني في ل : الهدي ، وهو ما يهدى لمكة من النعم . وغني قبيلة من غطفان .

3 أغرل : أقلف لم تقطع غُرْلَته .

4 يريغ : يطلب .

قال : ومَن أسيرُكما ؟ قالا : حاجبُ بن زُرارة . فخرج قيس يتمثّل قولَ حنظلة بن الشرقيِّ القَينيِّ أبي الطَّمَحان رافعاً صوته يقول : [من الطويل]

أَجَدُّ بنـي الشَّرْقِيّ أُولِعَ أنَّني مَتى أَسْتَجِرْ جاراً وإنْ عَزَّ يَغْدُرِ
إذا قلتُ أُوفى أدركتْه دَرُوكَةٌ فيا مُوزِعَ الجِيرانِ بالغَيِّ أقْصِرِ

حتى وقف على بني عامر فقال : إنّ صاحبكم أخذ أسيرنا . قالوا : مَنْ صاحبُنا ؟ قال : مالك ذو الرُّقيبة أخذ حاجباً من الزَّهْدَمَين . فجاءهم مالك فقال : لم آخذه منهما ، ولكنه استأسَرَ لي وتركهما . فلم يَبرحوا حتى حكموا حاجباً في ذلك وهو في بيت ذي الرُّقيبة ، فقالوا : مَن أسَرَك يا حاجب ؟ فقال : أمّا مَن ردّني عن قَصدي ومنعني أن أنجو ورأى منّي عورةً فتركها فالزهدمان . وأمّا الذي استأسرتُ له فمالكٌ ؛ فحكّموني في نفسي . قال له القوم : قد جعلنا إليك الحُكْمَ في نفسك . فقال : أمّا مالكٌ فله أَلْفُ ناقةٍ ، وللزهدمين مائةٌ . فكان بين قيس بن زهير وبين الزهدمين مُغاضبةٌ [بعد ذلك] ؛ فقال قيسٌ : [من الوافر]

جَزاني الزهدمانِ جـزاءَ سَوْءٍ وكنتُ المرءَ يُجْزى بالكَرامهْ
وقـد دافعتُ قـد عَلِمتْ مَعَدٌّ بنـي قُـرْطٍ وعَمَّهـمُ قُدامهْ
رَكِبتُ بهم طريقَ الحقِّ حَتَّى أَثْبَتُهـمُ بهـا مائـةً ظُلامهْ

وقال جرير في ذلك : [من الوافر]

ويومَ الشِّعْبِ قد تركوا لَقِيطاً كـأنّ عليـه حُلَّـةَ أُرْجُوانِ
وكُبِّل حاجبٌ بشَمامِ حـوْلاً فَحكّم ذا الرُّقيبةِ وهو عاني[1]

وأمّا عمرو بن [عمرو بن] عُدُسٍ فأفلتَ يومئذٍ . فزعمتْ بنو سُلَيْمٍ أنّ الخيل عُرِضتْ على مِرْداس بن أبي عامرٍ يوم جَبلة ، وكان أبصَرَ الناس بالخيل ، فعُرِضتْ عليه فرسٌ لغلامٍ من بني كلابٍ ، فقال : واللهِ لا أعجزها ولا أدركها ذكرٌ ولا أنثى ؛ فهذا ردائي بها وخَمْسٌ وعشرون ناقةً . فلمّا انهزم الناس يوم جَبَلَةَ خرج الكِلابيّ على فرسه تلك يطلب عمرو بن عمرو . قال الكِلابيّ : فراكضتُه نهاراً على السَّواء ، واللهِ ما علمتُ أنّه سبَقني بمقدارٍ أعرفه ، ثم زاد مكانه ونَقَصتُ . فقلت : قُمِر واللهِ مِرداسٌ ، وهَوى عمرو إلى فرسه فضربها بالسَّوط فانكشفت ، فإذا هي خُنْثى ، لا ذَكَرٌ ولا أنثى ، فأخبرتُهم أنّي سُبِقْتُ . فقالوا : قُمِر السُّلَمِيُّ . فقلت لا . ثم أخبرتُهم الخبرَ . فقال مِرداس : [من الطويل]

1 شمام : موضع .

تَمَطَّـــتْ كُمَيْتٌ كالهِراوةِ ضامرٌ لَعَمْرِو بن عمرٍو بعد ما مُسَّ باليَدِ
فلـولا مَدى الخُنْثى وبُعْدُ جِرائها لَقاظَ ضعيفَ النَّهْضِ حَـقَّ مُقَيَّدِ
تذكَّـر رُبْطـاً بالعـراقِ وراحةً وقـد خَفَق الأسيافُ فوق المُقَلَّدِ[1]

وزعم علماء بني عامر أنّه لمّا انهزم الناس خرجت بنو عامر وحُلفاؤهم في آثارهم يقتُلون ويأسِرون ويسلُبون ، فلحِق قيسُ بن المُنتفِق بن عامر [بن طُفَيْل] بن عُقَيْلٍ عمرَو بن عمرو فأسَره . فأقبل الحارثُ بن الأبرص بن ربيعة بن عُقيل في سَرَعان الخيلِ ، فرآه عمرو مقبلاً فقال لقيس : إن أدركني الحارث قتلني وفاتك ما تلتمس عندي ، فهل أنت محسن إليّ وإلى نفسك ؟ تَجُزّ ناصيتي فتجعلها في كِنانتك ، ولك العهدُ لأفِيَنّ لك ، ففعل . وأدركهما الحارثُ وهو ينادي قيساً ويقول : اقْتُلْ اقتُل . فلحِق عمرو بقومه . فلمّا كان الشهر الحرام خرج قيسٌ إلى عمرو يستثيبه ، وتبِعه الحارث بن الأبرص حتّى قدِما على عمرو بن عمرو ؛ فأمر عمرو بن عمرو ابنة أخيه آمنة بنت زيد بن عمرو فقال : اضربي على قيس الذي أنعم على عمّك هذه القُبَّة . وقد كان الحارث قتَل أباها زيداً يوم جبلة . فجاءت بالقُبّة فرأتِ الحارثَ أهْيأهما وأجملَهما ، فظنّته قَيْساً فضربت القُبّة على رأسه وهي تقول : هذا والله رجلٌ لم يُطَّلَع الدَّهْرَ عليه بما اطَّلَع به عليّ . فلمّا رجعت إلى عمّها عمرو قال : يا ابنةَ أخي ، عَلى مَن ضربتِ القُبّة ؟ فنعتتْ له نَعْتَ الحارثِ . فقال : ضربتِها والله على رجلٍ قتَل أباك وأمر بقتل عمّك . فجزِعتْ مما قال لها عمُّها . فقال الحارث بن الأبرص : [من الوافر]

أما تَـــدرين يا ابنةَ آلِ زَيْـــدٍ أُمَيْنُ بِما أَجَنَّ اليومَ صدرِي[2]
فكم مـــن فـــارسٍ لم تُرزَئيـــه فَتـــى الفتيانِ في عِيصٍ وقصرِ
رأيتُ مكانَـــه فصددتُ عنه فأعيا أمـــره وشددتُ أزري
لقد آمرتُـــه فعَصى إمـــارِي بأُمِّ عزيمـــةٍ في جَنْبِ عمرو[3]
أمـرتُ بـــه لتَخْمُشَ حَنَّتَـاهُ فضيّع أمـــرَه قيسٌ وأمري[4]

الحنّة : الزوجة . يقال حَنَّتُه ، وطَلَّتُه . ثم إن عمراً قال : يا حار ، ما الذي جاء بك ؟ فوالله ما لك عندي نِعمةٌ ، ولقد كنتَ سَيِّءَ الرّاي فيّ ، قتلتَ أخي وأمرت بقتلي . فقال : بل

1 الرُّبط : جماعات الخيل ، والواحد ربيط . خفوق السيف : اضطرابه . والمقلَّد : موضع القلادة من العنق .
2 أُمَيْن : مصغّر آمنة تصغير ترخيم .
3 عزيمة في ل : غوية .
4 الخمش : الخدش في الوجه ، وقد يستعمل في سائر الجسد .

كففتُ [عنك] ، ولو شئتُ إذ أدركتُك لقتلتك . قال : ما لك عندي من يد ، ثم تذمّم منه فأعطاه مائةً من الإبل ، ثم انطلق فذهب الحارث . فلمّا جاء عمراً قيسٌ أعطاه إبلاً كثيرةً ، فخرج قيسٌ بها ، حتى إذا دنا من أهله سمع به الحارثُ بن الأبرص فخرج في فوارس من بني أبيه حتى عرض لقيس فأخذ ما كان معه . فلمّا أتى قيسٌ بني أبيه بني المنتفق اجتمعوا إليه وأرادوا الخروج . فقال : مَهْلاً ! لا تقاتلوا إخوتكم ؛ فإنّه يُوشِك أن يرجع وأن يؤول إلى الحقّ فإنّه رجل حَسُودٌ . فلمّا رأى الحارثُ أن قيساً قد كَفَّ عنه ردَّ إليه ما أخذ منه .

وأمّا عُتَيبة بن الحارث بن شِهابٍ فإنّه أسِر يومئذٍ فقُيِّد في القِدّ ، وكان يبول على قِدّه حتى عفِن . فلمّا دخل الشهر الحرام هرب فأفلتَ منهم بغير فِداء .

وغَنِم مرداس بن أبي عامر غنائمَ وأخذ رجلاً فأخذ منه مائة ناقة ، فانتزعها منه بنو أبي بكر بن كِلاب ؛ فخرج مرداسٌ إلى يزيد بن الصَّعِقِ ، وكان له خليلاً ، فانتهى إليه مرداس وهو يقول : [من الطويل]

لعمرُك ما ترجو مَعَدٌّ ربيعَها ... رجائي يزيداً بل رجائي أكثرُ
يزيد بن عمرو خير مَنْ شَدّ ناقةً ... بأقتادها إذا الرياحُ تُصَرْصِرُ[1]
تداعت بنو بكر عليّ كأنّما ... تداعت عليّ بالأحِزّة بَرْبَرُ[2]
تداعَوا عليّ أن رأوني بخَلْوةٍ ... وأنتم بأحْدان الفَوارس أبصرُ[3]

ويروى «بوُحْدان» . فركب يزيد حتى أخذ الإبل من بني أبي بكر فردّها إليه . فطَرقه البكريّون فسقَوْه الخمر حتى سكِر ، ثم سألوه الإبلَ فأعطاهم إيّاها . فلمّا أصبح ندِم ، فخرج إلى يزيد فوجد الخبر قد جاءه . فقال له يزيد : أصاحٍ أنت أم سكران ؟ !

فانصرف فاطّرد إبلاً من إبل بني جعفر فذهب بها وأنشأ يقول : [من الطويل]

أجُنَّ بلَيْلى قلبُه أم تَذَكَّرا ... منازلَ منها حول قُرَّى ومَحْضَرا[4]
تَخِرُّ الهِدالُ فوق خَيْماتِ أهْلِها ... ويُرْسون حِسّاً بالعِقال مُؤَطَّرا[5]

الحِسُّ : الفرس الخفيفة . والمؤطَّر : المعطوف .

---

1 الأقتاد : جمع قَتِد وهو خشب الرحل ؛ أو كل أداة الرحل .

2 الأحزّة : جمع حزيز ، وهو ما غلظ من الأرض وانقاد ، وفي ل : بالأخرّة : جمع خرير ، وهو المكان المنهبط بين الربوتين ينقاد .

3 أحدان : جمع واحد كراكب وركبان .

4 قُرّى ومحضر : موضعان .

5 الهدال هنا ضرب من الشجر .

سآبى وأستغنـــي كما قـد أمرتَني وأصرِفُ عنك العُسْرَ لستُ بأفقرا
وإنّ سُلَيْمـاً والحجـازُ مكانُهـا متـى آتِهـم أجِـدْ لبيتيَ مَهْجَرا

المهجَرُ : الموضع الصالح ؛ يقال : هذا أهجر من هذا إذا كان أجْوَد [منه] وأصلح .

يُفَرِّج عنّـي حَدُّهـم وعَدِيدُهم وأُسْرِج لِبْدِي خارجيّاً مُصَدَّرا[1]
قَصَرْتُ عليـــه الحالبَيْنِ فَجَوْدُه إذا ما عـدا بـلّ الحِزامَ وأمطرا[2]

الحالبين : الراعيين . يقول احتبستهما .

فخُـــذْ إبـــلاً إنّ العِتابَ كما تـرى على خَذَمٍ ثـمّ ارْمِ للنصر جعفرا[3]
فـــإنّ بأكنـاف البِحار إلى المَـلا وذي النَّخْل مَصْحًى إن صحَوْتَ ومَسْكُرا[4]
وأرْعـى من الأظلاف أثْلاً وحَمْضةً وترعَـى من الأطْواء أثْلاً وعَرْعَرا[5]

وانصرف يومئذٍ سِنانُ بن أبي حارثة المرّيّ في بني ذُبيان على حاميته ، فلحِق بهم معاويةُ بن الصَّمُوت بن الكامل[6] الكلابيّ ، وكان يسمّى الأسَد المجدَّعَ ، ومعه حَرْملةُ العُكْلِيّ ونفرٌ من النّاس ، فلحِق بسِنانِ بن أبي حارثة ومالكِ بن حمار الفَزاريّ في سبعين فارساً من بني ذُبيان . فقال سنانٌ : يا مالـكُ كُرَّ واحْمِنا ولك خَوْلَةُ بنت سنانٍ ابنتي أُزَوِّجُكها . فكرَّ مالكٌ فقتل معاوية ، ثم اتّبعه حرملة العُكْلِيّ وهو يقول : [من الرجز]

لأيِّ يـــوم يَخْبَأ المرءُ السَّعَهْ مُوَدَّعٌ ولا تَـــرى فيه الدَّعَهْ[7]

فكرّ عليه مالكٌ فقتله ، ثم اتّبعه رجلٌ من بني كِلاب ، فكرّ عليه مالك فقتله ، ثم اتّبعه رجلان من قيس كُبّةَ من بَجِيلةَ ، فكرّ عليهما فقتلهما ، ومضى مالكٌ وأصحابُه . فقال مالك في ذلك : [من الكامل]

---

1 الحد هنا : الشوكة والقوة . المصدر من الخيل : السابق .
2 الجود هنا : العرق .
3 الخذم : السرعة في السير .
4 البحار : جمع بحرة وهي الفجوة من الأرض تتسّع ، أو هي الوادي الصغير يكون في الأرض الغليظة ، أو هي الأرض العظيمة مع سعة . والملا : الأرض الواسعة أو الفلاة . صحوت في ل : سمعت .
5 الأظلاف : جمع ظلف وهو ما غلظ من الأرض وصلب . الحمض من النبات : كل نبت مالح أو حامض يقوم على سوق ولا أصل له .
6 ل : الكاهن .
7 المودّع : المترف المنعم .

ولقد صَدَدْتُ عن الغَنيمة حَرْمَلاً ... ولَقِيتُـه لَـدَداً وخيـلي تَطْرُدُ[1]
أقبلتُـه صَـدْرَ الأَغَـرِّ وصارمـاً ... ذَكَراً فخـرّ على اليَدَيْـنِ الأبعدُ[2]
وابنَ الصموت تركتُ حين لَقِيتُه ... في صـدر مارنـةٍ يقوم ويقعدُ
وابنـا ربيعـةَ في الغُبـارِ كلاهما ... وابنـا غنـيٍّ عامـرٌ والأَسْوَدُ
حتى تنفّس بعـد نَكْـظٍ مُجْحَراً ... أذهبتُ عنـه والفرائـصُ تُرْعَدُ[3]

النكظ الجهد . قال :

يعـدو ببَزِّي سابـحٌ ذو مَيْعـةٍ ... نَهْـدُ المَراكِـلِ ذُو تَليـلٍ أقودُ[4]

فخطب إليه مالكٌ خَوْلة فأبى أن يزوّجه .

وأمّا بنو جعفر فيزعمون أن عروة الرَّحَّال بن عتبة بن جعفر وجد سِنانَ بن أبي حارثة وابنَيْه هَرِماً ويزيد على غَديرٍ قد كاد العطش أن يُهْلِكَهم ، فجزَّ نَواصيَهم وأعتقهم . ثم إن عُرْوةَ أتى سناناً بعد ذلك يَستثيبه ثواباً يرضاه [فلم يثبه شيئاً] . فقال عروة في ذلك : [من الوافر]

أَلا مَـنْ مبلـغٌ عنّي سناناً ... أَلُوكاً لا أريـد بِهـا عِتابا
أَفي الخَضْراء تَقْسِمُ هَجْمَتَيْكم ... وعُـرْوةُ لم يُثَبْ إلاّ التُّرابا[5]
فلـو كان الجعافـرُ طاوعوني ... غداةَ الشِّعْبِ لم تَذُق الشَّرابا
أَتجْزِي القَيْنَ نِعْمَتَهـا عليكم ... ولا تَجْـزي بنعمتهـا كِلابا

وأمّا بنو عامر فيزعمون أن سِناناً انصرف ذاتَ يوم هو وناسٌ من طيِّىء وغيرهم قبل الوَقعة ، فبلَغه أنّ بني عامر يقولون : منَنَّا عليه ؛ فأنشأ يقول : [من الكامل]

واللهِ مـا مَـنُّوا ولكن شِكَّتي ... مَنَّتْ وحادرةُ المَناكِبِ صِلْدِمُ[6]
بخرير شول يـومَ يُدْعى عامرٌ ... لا عاجزٌ وَرَعٌ ولا مستسلمُ[7]

---

1 اللّدد : مصدر لددت فلاناً ألده إذا خصمته وجادلته .

2 أقبلت الشيء الشيء : جعلته قبالته .

3 المحجر : المضطر الملجأ .

4 السّابح : الفرس الحسن مدّ اليدين في الجري . وميعة كل شيء : أوله وأنشطه . والنهد : الجسم المرتفع . ومركل الدابة : حيث يركله الراكب برجله ليحثه على السّير . والتليل : العنق . والأقود : إن كان وصفاً لنهد فهو المنقاد الذليل ، وإن كان وصفاً لتليل فهو الطويل .

5 الخضراء من الناس : سوادهم ومعظمهم . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل .

6 الشكة : السلاح . وحادرة المناكب : غليظتها .

7 الورع : الجبان ، والضعيف في رأيه وعقله وبدنه .

وأمّا بارقٌ فتدَّعي أَسْرَ سِنانٍ يومئذٍ على الثَّواب ، ثم أَتَوْه فلم يصنع بهم خيراً . فقال معقِّر بن أَوْس بن حِمار البارقيُّ : [من الطويل]

مَتى تَكُ في ذُبيانَ منك صنيعةٌ ... فلا تَحْمَدَنْها الدَّهْرَ بعد سِنانِ
يَظَلّ يُمَنِّينا بحسن ثوابِهِ ... لكم مائةٌ يحدو بها فَرَسانِ
مخاضٌ أُؤدِّيها وجلّ لقائح ... وأُكْرِمُ مثوى منكُم مَنَ اتاني
فجئناه للنُّعْمى فكان ثوابَه ... رَغوثٌ ووَطْبا حازرٍ مَذِقانِ[1]
وظلّ ثلاثاً يسأل الحيّ ما يرى ... يُؤامرهم فينا له أَمَلانِ[2]
فإن كنتَ هذا الدهرَ لا بدّ شاكراً ... فلا تثقْن بالشكر في غَطَفانِ

[تاريخ يوم جبلة]

قال : وكان جَبَلةُ قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة قبل مَوْلِد النبيّ ﷺ بتسع عشرة سنة . ووُلِد النبيّ ﷺ عام الفيل ، ثم أُوحى الله إليه بعد أربعين سنة ، وقُبض وهو ابن ثلاث وستّين سنة ، وقدِم عليه عامرُ بن الطُّفيل في السنة التي قُبض فيها ﷺ ، قال : وهو ابن ثمانين سنة .

[ما قيل في هذا اليوم من الشعر]

وقال المعقِّر بن أَوس بن حِمارٍ البارقيّ حليفُ بني نُمَيْرِ بن عامر : [من الطويل]

أمِنْ آل شَعْثاءَ الحُمولُ البواكرُ ... مع اللّيلِ أم زالتْ قُبَيْلُ الأَباعرُ
وحلَّت سُلَيْمى في هضابٍ وأَيكةٍ ... فليس عليها يومَ ذلك قادرُ
وألقتْ عصاها واستقرّت بها النَّوى ... كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرُ[3]
وصبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ ... عليها إذا أُمستْ من اللهِ ناظرُ
معاويةُ بنُ الجون ذُبْيان حولَه ... وحَسّانُ في جَمْع الرِّبابِ مُكاثِرُ
فمرّوا بأطناب البيوت فردّهم ... رجالٌ بأطراف الرِّماحِ مساعِرُ[4]
وقد جمعوا جمعاً كأن زُهاءه ... جَرادٌ هوى في هَبْوةٍ متطايرُ[5]

1 الرغوث : ذات اللبن . والوطب : سقاء اللبن . والحازر : الحامض . والمذق : اللبن المخلوط بالماء .
2 يؤامرهم : يُشاورهم .
3 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني : 99/22 «قد ألقى عصاه» .
4 مساعر : جمع مِسعر . ومسعر الحرب الذي يؤرثها فتحمى به الحرب .
5 الهبوة : الغبار الثائر .

فباتـــوا لنـــا ضَيْفاً وبِتْنا بنَعْمةٍ لنـــا مُسْمِعاتٌ بالدُّفوف وسامِرُ
ولم نَقْرِهـــم شيئاً ولكنّ قَصْدَهم صَبُوحٌ لدينا مَطْلَعَ الشَّمس حازرُ[1]
صَبَحْناهمُ عنـــد الشُّروق كتائبـاً كأركان سَلْمى شَبْرُهـــا متواتِرُ[2]
كأنّ نَعـــامَ الدَّوّ بـــاضَ عليهمُ وأَعْيُنُهـــم تحت الحَبِيكِ جواحرُ[3]

الحَبِيكُ في البَيْض إحكام عملها وطرائقها .

من الضاربين الكَبْشَ يمشون مَقْدَماً إذا غَصّ بالريق القليـلِ الحناجرُ[4]
وظـــنّ سَراةُ القـــومِ ألاَّ يُقَتَّلوا إذا دُعِيَتْ بالسَّفْحِ عَبْسٌ وعامِرُ[5]
ضربنا حَبِيكَ البَيْض في غَمْر لُجَّةٍ فلم يَبْقَ في الناجين منهم مفاخِرُ
ولم ينـــجُ إلاّ مَنْ يكون طِمِرّه يُوائـــلُ أو نَهْـــدٌ مُلِـــحٌّ مُثابِرُ[6]
هَوى زَهْدَمٌ تحت الغُبار لحاجبٍ كما انقضّ أقنى ذو جناحين ماهرُ[7]
همـــا بطـــلان يَعْثُران كلاهمـــا أُراد رئاس السيف والسيف نادرُ[8]
ولا فضلَ إلاّ أن يكـــون جَـــراءةٌ وذُبيـــانُ تسمـــو والرؤوسُ حواسرُ
ينـــوءُ وكفَّـــا زَهْدَمٍ مـــن ورائه وقـــد عَلِقتْ مـــا بينهن الأَظافِرُ
يفرِّج عنّـــا كلَّ ثَغْـــرٍ نخافُـــه مِسَحٌّ كسِرْحان القَصيمةِ ضامرُ[9]

القصيمة من الرمل : ما أنبتت الغَضى والرِّمْثَ .

وكلُّ طَمُـــوحٍ في العِنـانِ كأنّـها إذا اغتمست في الماء فَتْخاءُ كاسِرُ[10]

---

1 قصدهم في ل : قصرهم . لدينا في ل : لنا من .
2 سلمى : جبل في بلاد طيىء . والشبر : الإعطاء . ومتواتر : متتابع .
3 جواحر : غائرات .
4 كبش القوم : رئيسهم وسيّدهم .
5 بالسفح في ل : بالصفح .
6 الطمر : الفرس الجواد ، أو المستفز للوثب ، أو هو الطويل القوائم الخفيف . ويوائل : يبادر إلى ملجإ لينجو . النهد : القويم الضخم .
7 القنا : نتوء في وسط قصبة الأنف وإشراف .
8 رئاس السيف : مقبضه . ونادر : ساقط .
9 المسح : الفرس الجواد السريع كأنه يصب الجري صبّاً . والسرحان : الذئب .
10 الفتخاء الكاسر : العقاب .

لها ناهض في المهد قـد مَهَدتْ له كما مَهَـدتْ للبَعْلِ حسناءُ عاقرُ[1]

وبهذا البيت سمِّي مُعَقِّراً واسمه سُفيان بن أوس . وإنّما خَصَّ العاقرَ لأنّها أقلُّ دَلاًّ[2] على الزوج من الوَلُودِ فهي تصنع له وتُداريه .

تخـاف نِساءٍ يبتدرنَ حليلَها مُحَرَّدةٌ قد حَرَّدَتْها الضرائرُ[3]

وقال عامر بن الطُّفَيْلِ بعد ذلك بدَهْرٍ : [من الوافر]

ويـومَ الجَمْـعِ لاقَيْنا لَقِيطاً كَسَوْنـا رأسَه عَضْباً حُساما
أَسَرْنـا حاجِبـاً فثَـوى بِقِدٍّ ولم نترك لنسوتـه سَواما[4]
وجَمْعُ الجَـوْن إذ دَلَفُوا إلينا صَبَحْنا جَمْعَهم جَيْشاً لُهاما[5]

وقال لبيد بن ربيعة في ذلك : [من الكامل]

وهُمُ حُماةُ الشِّعْب يومَ تواكلتْ أسَدٌ وذُبْيـانُ الصَّفا وتميمُ
فارتَثّ كَلْماهم عَشِيّةَ هَزْمِهم حَـيٌّ بمُنْعَرَجِ المَسِيلِ مُقِيمُ[6]

تمّ اليوم والحمد لله والمنّ .

* * *

صوت

[من الطويل]

أيجمُل مـا يُؤْتى إلى فتياتكم وأنتم رجالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ
فلـو أنّنا كنّا رجـالاً وكنتمُ نساءَ حِجالٍ لم نُقِرَّ بذا الفعلِ

الشعر لعَفِيرة بنت عِفارٍ ، وقيل بنت عبّاد ، الجَدِيسيّة التي يقال لها الشَّمُوس . والغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل مطلق في مجرى البنصر . وفيه لحنٌ من الثقيل الأوّل قديم .

---

1 الناهض : الفرخ الذي وفر جناحاه حتى استقلّ للنهوض .
2 ل : دالة .
3 التحريد هنا : من الحرد بمعنى الغيظ والغضب .
4 القِدّ : سير يقد من جلد غير مدبوغ . والسوام : الإبل الراعية .
5 وجمع الجون في ل : وجمع الحزم . اللهام : الكثير .
6 الارتثاث : أن يحمل الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح .

184 ـ [مقتل عمليق وسببه]

[عمليق ملك طسم وجديس وسبب قتله]

أخبرني بهذا الشعر والسبب الذي من أجله قِيل عليّ بن سليمان الأخفش عن السُّكَّريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ عن المُفَضَّل أن عِمْليقاً مَلِكَ طَسْمِ بن لاوَذَ بنِ إرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ عليه السلام ، وجَدِيسِ بن لاوَذ بنِ إرَم بن سام بن نوح عليه السلام ، وكانت منازلهم في موضع اليَمامة .

[احتكام امرأة من جديس وزوجها إليه]

كان في أوّل مملكته قد تمادى في الظّلم والغَشْمِ والسِّيرة بغير الحقّ ، وأنّ امرأةً من جَدِيسٍ كان يقال لها هُزَيلةُ ، وكان لها زوج يقال له قرقس ، فطلّقها وأراد أخْذَ ولدها منها ، فخاصمته إلى عِمْليق ، فقالت : «يا أيّها الملك إنّي حملته تسعا ، ووضعته دَفْعاً ، وأرضعته شَفْعاً ، حتى إذا تمّتْ أوصالُه ، ودنا فِصالُه ، أراد أن يأخذَه مِنّي كَرْها ، ويترُكني من بعده وَرْها[1] . فقال لزوجها : ما حُجَّتُك ؟ قال : «حُجَّتي أيّها الملك أنّي قد أعطيتُها المَهْرَ كاملاً ، ولم أصِبْ منها طائلاً ، إلاّ وليداً خاملا ، فافعَلْ ما كنتَ فاعلا» . فأمر بالغلام أن يُنْزَع منهما جميعاً ويُجْعلَ في غِلمانه ، وقال لهُزيلة : «ابْغِيه ولداً ، ولا تَنْكِحي أحداً ، واجْزِيه صَفَداً»[2] . فقالت هزيلة : «أمّا النكاح فإنّما يكون بالمَهْر ، وأمّا السِّفاح فإنما يكون بالقَهْر ، وما لي فيهما من أمر» . فلمّا سمع ذلك عِمْليقٌ أمر بأن تباعَ هي وزوجها ، فيُعْطى زوجُها خُمْسَ ثمنها . وتُعْطى هُزَيلةُ عُشْرَ ثمن زوجها . فأنشأتْ تقول : [من الطويل]

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا ... فأنفذ حكماً في هزيلة ظالما
لَعَمْرِي لقد حُكِّمْتَ لا مُتَوَرِّعاً ... ولا كنتَ فيما تُبرم الحكم عالما
نَدِمتُ ولم أَنْدَمْ وأنّى بعَثْرتي ... وأصبح بعلي في الحكومة نادِما

[أمر ألا تزوّج بكر من جديس حتى يفترعها]

فلمّا سمع عمليقٌ قولها أمر ألاّ تزوّج بِكْرٌ من جَدِيسٍ وتُهْدى إلى زوجها حتى يفترعها هو قبل زوجها ، فلقُوا من ذلك بلاءً وجهداً وذُلاًّ . فلم يزل يفعل هذا حتى زُوّجت

1 الورهاء : الخرقاء . والوله : الحزن وذهاب العقل لفقدان الحبيب .
2 الصفد : العطاء .

الشَّمُوس وهي عَفِيرةُ بنت عَبّاد أخت الأسْوَد الذي وقع إلى جبل طيّىء فقتلته طيىء وسكنوا الجبل من بعده . فلمّا أرادوا حَملها إلى زوجها انطلقوا بها إلى عِمْلِيقٍ . لينالَها قبله ، ومعها القِيان يتغنّين : [من الرجز]

ابدَيْ بِعِمْليقٍ وقُومِي فاركَبِي وبادِرِي الصُّبْحَ لأَمرٍ مُعْجِبِ
فسوف تَلقَيْنَ الذي لم تطلُبي ومـا لِبِكْرٍ عنـده من مَهْرَبِ

[تحريض عفيرة بنت عباد قومها عليه]

فلمّا أنْ دخلتْ عليه افترعها وخلَّى سبيلَها . فخرجتْ إلى قومها في دِمائها شاقَّة درْعَها من قُبُلٍ ومن دُبُرٍ والدمُ يسيل[1] وهي في أقبح منظرٍ ، وهي تقول : [من الرجز]

لا أَحـدٌ أَذَلّ مـن جَدِيسِ أَهكـذا يُفْعَـلُ بـالعَرُوسِ
يرضى بهـذا يـا لَقَوْمِي حُرُّ أَهْدى وقد أُعطى وسِيقَ المَهْرُ
لأخـذةُ المـوتِ كذا لنفسه خيرٌ مِـنَ انْ يُفْعَلَ ذا بعِرْسِهِ

وقالت تحرِّض قومها فيما أُتِيَ إليها : [من الطويل]

أَيَجْمُلُ مـا يُـؤْتـى إلى فَتَياتكم وأنتم رجـالٌ فيكم عَدَدُ النَّمْلِ
وتُصْبحُ تمشي في الدِّمـاء عَفِيرةٌ جِهاراً وزُفّتْ في النساء إلى بعلِ
ولـو أنّنـا كنّا رجـالاً وكنتم نساءً لَكُنّـا لا نُقِـرّ بذا الفعلِ
فموتُوا كِرامـاً أو أميتوا عَدُوّكم ودِبّوا لنار الحرب بالحَطَبِ الجَزْلِ
وإلاّ فَخَلُّـوا بطنَهـا وتحمَّلـوا إلى بَلَدٍ قَفْرٍ ومُوتـوا مـن الهُزْلِ
فللبينُ خيرٌ مـن مُقامٍ على أذًى ولَلْمَوْتُ خير من مُقامٍ على الذُّلّ
وإن أنتـمُ لم تَغضَبوا بعـدَ هذه فكونوا نساءً لا تُعاب من الكُحْلِ
ودونَكُم طِيـبَ العروس فإنّمـا خُلِقتم لأثواب العروس وللغِسْلِ[2]
فبُعْدًا وسُحْقاً للـذي ليس دافعاً ويختال يمشي بيننا مِشْيَةَ الفَحْلِ

[ائتمار جديس للغدر به وبقومه]

فلمّا سمع الأسود أخوها ذلك وكان سيِّداً مطاعاً قال لقومه : يا معشر جَديس ! إن هؤلاء القوم ليسوا بأعزَّ منكم في داركم إلاّ بما كان من مُلْك صاحبهم علينا وعليهم ، ولولا عجزُنا

1 ل : يتبيّن .
2 الغِسْل : ما يغتسل به .

وإدهاننا[1] ما كان له فضلٌ علينا . ولو امتنعنا لكان لنا منه النَّصَفُ[2] . فأطيعوني فيما آمرُكم به ، فإنّه عِزُّ الدَّهر ، وذهابُ ذلّ العمر ، واقبَلوا رأيي . قال : وقد أَحْمى جديساً ما سمعوا من قولها فقالوا : نُطيعك ، ولكنّ القومَ أكثر وأحمى وأقوى . قال فإنّي أصنع للملك طعاماً ثم أدعوهم له جميعاً . فإذا جاءوا يرفُلون في الحُلَلِ ثُرْنا إلى سيوفنا وهم غارّون فأهمدناهم[3] بها . قالوا : نفعل . فصنع طعاماً كثيراً وخرج به إلى ظهر بلدهم ، ودعا عمليقاً وسأله أن يتغدى عنده هو وأهل بيته ، فأجابه إلى ذلك وخرج إليه مع أهله يرفُلون في الحلي والحُلَل ، حتى إذا أخذوا مجالسهم ومدّوا أيديهم إلى الطعام ، أخذوا سيوفَهم من تحت أقدامهم ، فشدّ الأسود على عمليق فقتله ، وكلُّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم . فلمّا فرغوا من الأشراف شدّوا على السِّفْلة فلم يَدَعوا منهم أحداً . فقال الأسود في ذلك : [من البسيط]

ذُوقِـي ببغيك يـا طَسْمٌ مجلِّلة ... فقد أتيتِ لَعَمْرِي أعجبَ العجبِ
إنّا أبينـا فلـم ننفكّ نقتُلهم ... والبَغْيُ هيّج منّـا سَورةَ الغضبِ
ولـن يعـودَ علينـا بغيُهم أبداً ... ولن يكونوا كذي أَنْفٍ ولا ذنبِ
وإن رَعَيْتـم لنـا قُرْبى مُؤكَّدةً ... كنَّا الأقاربَ في الأرحام والنسبِ

[غزوة حسان بن تبع لجديس وهروب الأسود وقتل طيىء له]

ثم إنّ بقيّة طسم لجئوا إلى حسان بن تُبّع ، فغزا جديساً فقتلها وأخرب بلادها . فهرب الأسود قاتل عمليق ، فأقام بجبلي طيِّىء قبل نزول طيىء إيّاهما . وكانت طيىء تسكن الجُرْفَ من أرض اليمن . وهو اليومَ مَحَلَّة مُراد وهمدان ، وكان سيِّدُهم يومئذٍ أسامة بن لؤي بن الغَوث بن طيِّىء ، وكان الوادي مَسبَعةً ، وهم قليلٌ عَدَدُهم ، وقد كان ينتابهم بعيرٌ في أزمان الخريف ولم يُدْرَ أين يذهب ولم يَرَوْه إلى قابلٍ ، وكانت الأَزْدُ قد خرجتْ من اليمن أيام العَرِم ، فاستوحشت طيِّىء لذلك وقالت : قد ظعَن إخواننا فصاروا إلى الأرياف . فلمّا همّوا بالظَّعْنِ قالوا لأُسامة : إنّ هذا البعير يأتينا من بلدِ رِيفٍ وخِصْبٍ ، وإنّا لنرى في بَعَره النَّوى . فلو أننا نتعهّده عند انصرافه فشخَصنا معه لكنّا نُصيب مكاناً خيراً من مكاننا هذا . فأجمَعُوا أمرَهم على ذلك . فلمّا كان الخريف جاء البعير فضرب في إبلهم ، فلمّا انصرف احتملوا واتّبعوه يسيرون بسيره ويبيتون حيث يبيت حتى هبَط على الجبلين . فقال أُسامة بن لؤي : [من الرجز]

---

1 الإدهان : المصانعة واللين مثل المداهنة .

2 النصف : إعطاء الحق .

3 أهمدناهم : أمتناهم .

اجْعَلْ طَرِيباً كحبيبٍ يُنْسى لكلّ قَـوْمٍ مُصْبَـحٌ ومُمْسى

قال : وطَرِيبٌ اسم الموضع الذي كانوا ينزلون به . فهجمت طيىء على النخل في الشِّعاب وعلى مواشٍ كثيرة ، وإذا هم برجلٍ في شعْبٍ من تلك الشِّعاب وهو الأسود بن عبّاد ، فهالَهم ما رأوْا من عِظَم خَلقه وتخوّفوه ، وقد نزلوا ناحيةً من الأرض واستَبروها هل يرون بها أحداً غيرَه فلم يَرَوْا . فقال أُسامة بن لؤيّ لابن له يقال له الغَوْث : أي بُنيّ ! إنّ قومك قد عرَفوا فضلكَ عليهم في الجَلَد والبأس والرّمي ، فإن كَفَيْتَنا هذا الرجل سُدْتَ قومَك آخِرَ الدّهر ، وكنتَ الذي أنزلتَنا هذا البلد . فانطلق الغوث حتى أتى الرجلَ فكلّمه وساءله . فعجِب الأسود من صِغَر خَلْق الغوث فقال له : من أين أقبلتم ؟ قال : من اليمن ، وأخبره خبرَ البعير ومجيئهم معه ، وأنهم رهِبوا ما رأوا من عِظَم خَلْقه وصِغَرهم عنه ، وشغلوه بالكلام ، فرماه الغَوْثُ بسهمٍ فقتله ، وأقامت طيىء بالجبلين بعده ، فهم هنالك إلى اليوم .

185 ـ [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري]

صوت

[من الطويل]

إذا قبّل الإنسانُ آخرَ يشتهي ثناياه لم يَحْرَجْ وكان له أجرا
فإن زاد زاد اللهُ في حَسناتِه مثاقيلَ يمحو الله عنه بها وِزْرا

الشعر لرجل من عُذرةَ . والغناء لعَريب ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[حديث عمر بن أبي ربيعة عن صاحبه الجعد بن مهجع العذري]

نسخت هذا الخبر من كتاب محمد بن موسى بن حمّاد قال ذكر الرِّياشيّ قال قال حمّاد الراوية . أتيتُ مكّةَ فجلستُ في حَلْقةٍ فيها عمرُ بن أبي ربيعة ، فتذاكروا من العُذْرِيّين ، فقال عمر بن أبي ربيعة : كان لي صديقٌ من عُذْرةَ يقال له الجَعد بن مِهْجَعٍ ، وكان أحدَ بني سَلامان ، وكان يَلقى مثل الذي ألقى من الصبابة بالنساء والوجد بهن ، على أنه كان لا عاهرَ الخَلْوة ولا سريع السَّلْوةِ ، وكان يُوافي الموسمَ في كلّ سنة ؛ فإذا راث[1] عن وقته تَرَجَّمْتُ[2] عنه الأخبار ، وتوكّفتُ[3] له الأسفار[4] حتى يقدَم . فغمّني ذاتَ سنةٍ إبطاؤه حتى قدِم حُجّاج عُذْرةَ ، فأتيتُ القومَ أَنْشُد صاحبي ، وإذا غلامٌ قد تنفّس الصُّعَداء ثم قال : أعَنْ أبي المُسْهِرِ تسأل ؟ قلت : عنه أسأل وإيّاه أردتُ . قال : هيهاتَ هيهات ! أصبح والله أبو المُسْهِرِ لا مُؤْيساً فيُهْمَل ولا مرجوّاً فيعلَّل ، أصبح والله كما قال القائل : [من الطويل]

لَعَمْرُك ما حُبِّي لأسماء تاركي أعيشُ ولا أقضِي بِهِ فأموت

قال قلت : وما الذي به ؟ قال : مثل الذي بك من تهوُّركما في الضَّلال ، وجَرِّكما أذيالَ الخَسار ، فكأنّكما لم تسمَعا بجَنّة ولا نار . قلت : مَنْ أنت منه يا ابنَ أخي ؟ قال : أخوه . قلت : أمَا واللهِ يا ابن أخي ما يمنعك أن تسلُك مَسْلَكَ أخيك من الأدب وأن تركب منه مركبه إلاّ أنّك وأخاك كالبُرْد والبِجادِ لا تَرقَعُه ولا يَرْقَعُك ، ثم صرَفتُ وجهَ ناقتي وأنا أقول : [من الطويل]

---

1 راث : أبطأ .
2 ترجمته : تظننت ، من الرجم .
3 وتوكفت : توقعت وانتظرت .
4 الأسفار : جماعة المسافرين .

أرائحـــةٌ حُجَّـــاجُ عُذْرَةَ وِجْهةً ولَمّا يَرُح في القوم جَعْدُ بنُ مِهْجَعِ
خليلانِ نشكو ما نُلاقي من الهوى متى ما يَقُلْ أَسْمَعْ وإن قلتُ يَسمعِ
أَلا ليت شعري أيُّ شيءٍ أصابه فلي زَفَراتٌ هِجْنَ مـا بين أَضلُعِي
فـــلا يُبْعِدَنْـــكَ اللهُ خِلاًّ فإنّني سأَلقى كما لاقيتَ في كلِّ مَصْرَعِ

ثم انطلقتُ حتى وقفت موقفي من عَرفات . فبينا أنا كذلك إذ أنا بإنسان قد تغيّر لونُه وساءت هيئته ، فأدنى ناقتَه من ناقتي حتى خالف بين أعناقهما ، ثم عانقني وبكى حتى اشتدّ بكاؤه . فقلت : ما وراءك ؟ فقال : بَرْحُ العَذْل ، وطُولُ المَطْلِ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

لئن كانـــت عُدَيّةُ ذاتَ لبٍّ لقـــد علمتْ بأنّ الحبَّ داءُ
أَلَم تنظُـرْ إلى تغيير جسمي وأنّـــي لا يفارقُنِـــي البكاءُ
ولـــو أنّي تكلّفـــتُ الذي بي لقَفَّ الكَلْمُ وانكشف الغطاءُ[1]
فإنّ معاشري ورجـال قومي حُتُوفهـــم الصَّبابـــةُ واللِّقاءُ
إذا العُذْريُّ مات خَلِيَّ ذَرْعٍ فـــذاك العبـــدُ يبكيـــه الرِّشاءُ

فقلت : يا أبا المُسْهِر إنّها ساعة تضْرَب إليها أكباد الإبل من شَرْقِ الأرض وغَرْبها . فلو دعوتَ الله كنتَ قَمِناً أن تظفَر بحاجتك وأن تُنْصَرَ على عَدُوِّك . قال فتركني وأقبل على الدّعاء . فلمّا نزلت الشمسُ للغروب وهمّ الناسُ أن يُفِيضوا سمعتُه يتكلّم بشيء ، فأصغيتُ إليه ، فإذا هو يقول : [من الرجز]

يـــا رَبَّ كلِّ غَـــدْوةٍ ورَوْحـــهْ من مُحْرِمٍ يشكو الضُّحى ولَوْحَهْ
أنت حسيبُ الخَلْق يومَ الدَّوْحهْ

[الجعد بن مهجع يذكر لعمر سبب عشقه ومسعى عمر في زواجه ممن عشقها]

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ قال : والله لأُخبرنّك ولو لم تسألني . فيمّمنا نحو مُزْدَلِفةَ ، فأقبل عليّ وقال : إنّي رجلٌ ذو مال كثيرٍ من نَعَمٍ وشاءٍ ، وذو المال لا يُصْدِره ولا يُرْوِيه الثِّماد[2] . وقَطَر الغيث أرضَ كَلْبٍ ، فانتجعتُ أخوالي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسَقَوْني جُمَّةَ[3] الماء ، وكنتُ فيهم في خير أخوال . ثم إنّي عزمتُ على موافقة إبلي بماء لهم يقال له الحَوذان ، فركبتُ فرسي وسَمَطت[4] خَلْفي شراباً كان أهداه إليّ بعضهم ثم مضيت ،

1 قف : يبس .
2 الثماد : جمع ثمد وهو الماء القليل الذي لا ماء له .
3 جُمة الماء : معظمه .
4 سمط هنا : علق .

حتى إذا كنت بين الحيّ ومَرْعى النَّعَم رُفِعَتْ[1] لي دوحة عظيمةٌ ، فنزلتُ عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها وجلستُ في ظِلِّها . فبينا أنا كذلك إذ سطع غبارٌ من ناحية الحيّ ورُفِعتْ لي شخوصٌ ثلاثة ، ثم تبيّنتُ فإذا فارس يطرُد مِسْحَلاً[2] وأتاناً[3] ، فتأمّلته فإذا عليه درعٌ أصفرُ وعمامةُ خزٍّ سوداءُ ، وإذا فُروع شعره تضرب خَصرَيه ، فقلت : غُلامٌ حديثُ عهدٍ بعُرْس أعْجلته لذّةُ الصيد فترك ثوبَه ولبس ثوب امرأته . فما جاز عليّ إلاّ يسيراً حتى طعَن المِسْحَلَ وثَنَّى طعنةً للأتان فصرَعهما ، وأقبل راجعاً نحوي وهو يقول : [من الرجز]

نَطْعُنُهم سُلْكى ومخلوجةً كَــرَّكَ لأَمْيَنِ على نابــلِ[4]

فقلت : إنّك قد تَعِبتَ وأتعبتَ ، فلو نزلتَ ! فثنى رجلَه فنزل فشدّ فَرَسَه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدّثني حديثاً ذكرتُ به قولَ أبي ذُؤَيب : [من الطويل]

وإنّ حديثاً منكِ لــو تَبْذُلِينَهُ جَنى النَّحْلِ في ألبان عُوذٍ مَطافِلِ[5]

فقمتُ إلى فرسي فأصلحتُ من أمره ثم رجعتُ ، وقد حسَر العمامةَ عن رأسه ، فإذا غلامٌ كأنّ وجهه الدينارُ المنقوش . فقلت : سبحانَك اللهُمَّ ! ما أعظمَ قُدرتَك وأحسنَ صَنعتَك ! . فقال : مِمَّ ذاك ؟ قلت : ممّا راعني من جمالك وبَهرني من نورك . قال : وما الذي يروعُك من حبيس التراب ، وأكيل الدوابّ ، ثم لا يدري أينعَم بعد ذلك أم يبأس . قلت : لا يصنَع الله بك إلاّ خيراً . ثم تحدَّثنا ساعة ، فأقبل عليّ وقال : وما هذا الذي أرى قد سَمَطتَ في سَرْجك ؟ قلتُ : شرابٌ أهداه إليّ بعضُ أهلك ، فهل لك فيه من أرَبٍ ؟ قال : أنت وذاك . فأتيتُه به ، فشرب منه وجعل ينكُت أحياناً بالسَّوْط على ثناياه ، فجعل والله يتبيّن لي ظِلُّ السوط فيهن . فقلت : مهلاً فإنّي خائفٌ أن تكسِرهنّ . فقال : ولِمَ ؟ قلت : لأنّهن رِقاقٌ وهنّ عِذابٌ . قال : ثم رفَع عقيرته يتغنّى : [من الطويل]

إذا قبّــل الإنسانُ آخــر يشتهي ثناياه لَــمْ يأثَمْ وكان لــه أَجْرا

فــإن زاد زاد الله في حَسناتــه مثاقيلَ يمحو الله عنه بهــا الوِزْرا

---

1 رفع لي الشيء : أبصرته من بعيد .

2 المسحل : الحمار الوحشيّ .

3 الأتان : الحمارة الوحشية .

4 السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : الطعنة المعوجة عن يمين وشمال . اللأم : السهم عليه ريش لؤام . واللؤام من الريش : ما يلائم بعضه بعضاً ، وهو ما كان بطن القذة منه يلي ظهر الأخرى .

5 عوذ : جمع عائذة وهي الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوماً أو نحوها ثم هي بعد ذلك مطفل .

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع . قال : فبَرقتْ لي بارقةٌ تحت الدِّرْع . فإذا ثَدْيٌ كأنّه حُقٌّ عاجٍ . فقلت : نَشَدْتُك الله أَمْرأةٌ ؟ قالت : إي والله إلاّ أنّي[1] أكره العشيرَ وأُحِبّ الغَزَل . ثم جلستْ فجعلتْ تشرب معي ما أفقَد من أنسها شيئاً حتى نظرتُ إلى عينيها كأنّهما عينا مَهاةٍ مذعورة . فوالله ما راعَني إلاّ مَيْلُها على الدوحة سَكْرى . فزُيِّن لي والله الغَدْرُ وحَسُنَ في عيني ، ثم إنّ الله عصَمني منه ، فجلستُ حَجرةً منها . فما لبثتْ إلاّ يسيراً حتى انتبهتْ فَزِعةً ، فلاثت عِمامَتها برأسها ، وجالت في مَتْن فرسها ، وقالت : جزاك الله عن الصُّحْبة خيراً . قلت : أو ما تزوِّدينني منك زاداً ؟ فناولتني يدَها ، فقبَّلتها فشَمِمْتُ والله منها ريحَ المسك المفتوت ، فذكرتُ قول الشاعر : [من البسيط]

كأنّها إذ تقضَّى النوم وانتبهت سَحابةٌ ما لها عـينٌ ولا أَثَرُ

قلت : وأين الموعدُ ؟ قالت : إنّ لي إخوةً شُرساً وأبا غَيُوراً . ووالله لأن أَسُرّك أحبُّ إليّ من أن أَضُرَّك ، ثم انصرفت . فجعلت أُتبعها بصَري حتى غابت ، فهي والله يا ابنَ أبي ربيعة أحلّتني هذا المَحَلَّ وأبلغتني . فقلت له : يا أبا المُسْهِر إن الغَدْر بك مع ما تذكر لمليح . فبكى واشتدّ بكاؤه . فقلت : لا تَبْكِ ؛ فما قلتُ لك ما قلتُ إلاّ مازحاً ، ولو لم أبلُغ في حاجتك بمالي لسعيتُ في ذلك حتى أقدرَ عليه ، فقال لي : خيراً . فلمّا انقضى الموسمُ شددتُ على ناقتي وشدّ على ناقته ، ودعوت غلامي فشدّ على بعير له ، وحملتُ عليه قبّة حمراء من أدَمٍ كانت لأبي ربيعة المخزوميّ ، وحملتُ معي ألفَ دينار ومِطْرَفَ خَزٍّ ، وانطلقنا حتى أتينا بلادَ كَلْبٍ ، فنَشَدْنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيِّد الحيِّ وإذا الناس حَوْلَه ، فوقفت على القوم فسلّمت ، فردّ الشيخ السلام ، ثم قال : مَنِ الرجل ؟ قلت : عمر بن أبي ربيعة بن المُغيرة . فقال : المعروف غيرُ المنكر ، فما الذي جاء بك ؟ قلت : خاطباً . قال : الكُفْء ، والرَّغْبَة . قلت : إنّي لم آتِ ذلك لنفسي عن غير زَهادةٍ فيك ولا جهالةٍ بشَرَفِك ، ولكني أتيتُ في حاجة ابن أُختكم العُذْرِيّ ، وهاهو ذاك . فقال : والله إنّه لكَفِيءُ الحَسب رفيعُ البيت ، غيرَ أنّ بناتي لم يَقَعْنَ إلاّ في هذا الحيّ من قُرَيش . فوجَمتُ لذلك ، وعَرف التغيُّرَ في وجهي فقال : أما إنّي صانعٌ بك ما لم أصنعه بغيرك . قلت : وما ذاك فمثلي مَنْ شَكَر ؟ قال : أُخيِّرها فهي وما اختارت . قلت : ما أنصفتَني إذ تختار لغيري وتُولي الخِيار غيرَك . فأشار إليّ العُذْريُّ أن دَعْه يخيّرها . فأرسل إليها : إنّ من الأمر كذا وكذا . فأرسلتْ إليه : ما كنتُ لأستبدَّ برأي دون القرشيِّ ، فالخيار في قوله ، حكمُه . فقال لي : إنّها قد ولّتْك أمرَها فاقْضِ ما أنت قاض . فحَمِدْتُ الله عزّ وجلّ وأثنيت عليه

1 ل : إنها تكره .

وقلت : اشهَدوا أنّي قد زوّجتها من الجَعْدِ بن مِهْجَع وأصدقتها هذا الألَف الدِّينارِ ، وجعلتُ تَكرِمَتها العبدَ والبعيرَ والقبّة ، وكسوتُ الشيخ المِطْرَفَ ، وسألته أن يبنيَ بها عليه في ليلته . فأرسل إلى أُمّها ، فقالت : أتخرُج ابنتي كما تخرج الأَمَةُ ! . فقال الشيخ : هَجِّري[1] في جهازها ، فما برحت حتى ضربت القبّة في وسط الحريم ، ثم أُهديتْ إليه ليلاً ، وبِتُّ أنا عند الشيخ . فلمّا أصبحتُ أتيت القُبّة فصِحْتُ بصاحبي ، فخرج إليّ وقد أثّر السرور فيه ، فقلت : كيف كنتَ بعدي وكيف هي بعدك ؟ فقال لي : أبدتْ لي والله كثيراً مما كانت أخفتْه عنّي يوم لَقِيتها . فسألتُها عن ذلك فأنشأتْ تقول : [من الطويل]

كتمتُ الهـوى لمّا رأيتك جازعاً ... وقلتُ فتًى بعضَ الصديـق يريدُ
وأن تَطْرَحَنّـي أو تقـولَ فُتَيَّةٌ ... يَضُرّ بهـا بَـرْحُ الهوى فتعودُ
فورّيتُ عمّا بِي وفي داخل الحَشى ... مـن الوجدِ بَـرْحٌ فاعلمَنَّ شديدُ

فقلت : أَقِمْ على أهلك ، بارك الله لك فيهم ، وانطلقت وأنا أقول : [من الطويل]

كفيتُ أخي العذريَّ ما كان نابَه ... وإنّـي لأعبـاء النوائـب حَمّالُ
أما استُحْسنتْ منّي المَكارِمُ والعُلا ... إذا طُرِحـتْ ! إنّي لمالِي بَذّالُ

وقال العذري : [من الطويل]

إذا مـا أبو الخَطّاب خلّى مكانه ... فُأفٌّ لِدُنْيا ليس مـن أهلها عُمَرْ
فـلا حَـيَّ فِتْيانُ الحجازين بعدَه ... ولا سُقِيتْ أرضُ الحجازين بالمطرْ

صوت

[من الكامل]

إنّ الخليطَ قَـدْ ازْمَعوا تَرْكِي ... فوقفـتُ في عَرَصاتهم أبكي
جِنِيَّـةٌ بَـرَزتْ لتقتُلَنـي ... مَطْلِيّـةُ الأصـداغ بالمسكِ
عجبـاً لمثلكِ لا يكـونُ له ... خَـرْجُ العِراقِ ومِنْبَرُ الملكِ

الشعر لابن قَيس الرُّقَيّات يقوله في عائشة بنت طلحة . والغناء لمعبد ، ثقيلٌ أوّل بالسبّابة في مجرى البنصر . والسبب في قول ابن قيس هذا الشعر فيها يُذْكَر في أخبارها إن شاء الله تعالى .

1 هجّري : بادري وأسرعي .

[186] ـ أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها

[نسب عائشة بنت طلحة]

عائشة بنت طلحة بن عُبَيْد الله بن عثمان بن عامر بن عَمرو بن كَعْب بن سعد بن تَيْم . وأُمّها أُمّ كُلثوم بنت أبي بكر الصِّدِّيق . أخبرني الحسن بن يحيى قال قال حَمّاد قال أبي قال مُصعَبٌ :

[كانت لا تستر وجهها]

كانت عائشة بنت طلحة لا تستُر وجهَها من أحد . فعاتبها مُصعَبٌ في ذلك ، فقالت : إنّ الله تبارك وتعالى وَسَمني بِمَيسم جمالٍ أحببتُ أن يراه الناس ويعرفوا فضلي عليهم ، فما كنتُ لأستُره ، ووالله ما فيّ وَصْمةٌ يقدِرُ أن يذكُرَني بها أحدٌ . وطالت مُرادَّةُ مصعب إيّاها في ذلك ، وكانت شَرِسة الخلق . قال : وكذلك نساء بني تَيم هنّ أشرس خَلق الله وأحظاه عند أزواجهن . وكانت عند الحُسَين بن عليٍّ صلوات الله عليهما أُمّ إسحاق بنت طَلحة ، فكان يقول : والله لَرُبّما حَمَلتْ ووضعتْ وهي مُصارِمةٌ لي لا تكلّمني .

[غضبها على مصعب]

قال : نالت عائشة من مُصعَب وقالت : عَلَيّ كظَهر أُمّي ، وقعدتْ في غُرفة وهيّأت فيها ما يُصلحها . فجَهد مصعبٌ أنْ تكلّمه فأبتْ . فبعث إليها ابن قيس الرقيّات ، فسألها كلامَه ، فقالت : كيف بيميني ؟ فقال : هاهنا الشَّعْبيُّ فقيهُ أهل العِراق فاستفتيه . فدخل عليها فأخبرته ، فقال : ليس هذا بشيء . فقالت : أتُحِلّني وتخرج خائباً ؟ فأمرتْ له بأربعة آلاف درهم . وقال ابن قيس الرُّقيّات لمّا رآها : [من الكامل]

جِنِّيَّةٌ بَرَزتْ لتقتلنا مَطْلِيَّةُ الأقراب بالمِسْكِ[1]

وذكر باقي الأبيات .

[غضبت على مصعب فاسترضاها أشعب]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن إسحاق اليعقوبيّ قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحَكم قال : كان أشْعَب يألَف مصعباً ، فغضِبت عليه عائشة بنت طلحة يوماً ، وكانت من أحبِّ الناس إليه ، فشكا ذلك إلى أشْعب . فقال : مالي إن رَضِيتْ ؟ قال : حُكْمُك . قال . عشرة آلاف درهم . قال : هي لك . فانطلق حتى أتى

1 الأقراب : جمع قُرُب وهو الخاصرة .

عائشة فقال : جُعِلْتُ فِداءك ! قد علمتِ حُبِّي لك ومَيلي قديماً وحديثاً إليك من غير مَنالةٍ ولا فائدة . وهذه حاجةٌ قد عَرَضت تقضِين بها حَقّي وترتهنين بها شُكري . قالت : وما عَناك ؟ قال : قد جعل لي الأميرُ عشرة آلاف درهم إنْ رَضِيت عنه . قالت : ويحك ! لا يمكنني ذلك . قال : بأبي أنتِ فارْضَيْ عنه حتى يُعْطِيني ثم عُودِي إلى ما عَوّدك الله من سُوء الخُلق . فضَحِكتْ منه ورضيتْ عن مصعب . وقد ذكر المدائنيُّ أنّ هذه القصة كانت لها مع عمر بن عبيد الله بن معمر ، وأنّ الرسول إليها والمخاطِب لها بهذه المخاطبة ابن أبي عَتيق .

[وصف عزّة الميلاء لها ولامرأتين]

وأخبرني الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قال أبي حُدِّثت عن صالح بن حسّان قال : كان بالمدينة امرأة حسناء تُسَمّى عَزّة المَيْلاء يألَفها الأشراف وغيرُهم من أهل المروءات ، وكانت من أظرف الناس وأعلمهم بأمور النساء . فأتاها مصعب بن الزبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وسعيد بن العاص ، فقالوا : إنّا خطَبنا فانظري لنا . فقالت لمصعب : يا ابن أبي عبد الله ومَنْ خطبتَ ؟ فقال : عائشة بنت طلحة . فقالت : فأنت يا ابن أبي أُحَيْحةَ ؟ قال : عائشةَ بنت عثمان . قالت : فأنت يا ابن الصِّدّيق ؟ قال : أُمّ القاسم بنت زكريّا بن طلحة . قالت : يا جارية هاتي مَنْقَلي (تعني خُفَّيها) فلَبِستْهما وخرجت ومعها خادمٌ لها ، فإذا هي بجماعة يزحَم بعضُهم بعضاً ، فقالت : يا جارية أُنظري ما هذا . فنظرت ثم رجعت فقالت : امرأةٌ أُخِذَت مع رجل . فقالت : داءٌ قديم ، امضِ ويلَكِ . فبدأت بعائشة بنت طلحة فقالت : فديتُك ! كُنّا في مأْدُبة أو مأتم لقريش ، فتذاكروا جمالَ النساء وخَلْقَهن فذكروك ، فلم أدرِ كيف أُصِفُك فديتُكِ . فألقي ثيابكِ ، ففعلتْ فأقبلتْ وأدبرتْ فارتجّ كلُّ شيء منها . فقالت لها عَزّة : خُذي ثوبَك فديتك . فقالت عائشة : قد قضيتُ حاجتَكِ وبَقِيتْ حاجتي . قالت عَزّة : وما هي بنفسي أنت ؟ قالت : تُغَنِّيني صوتاً . فاندفعت تغنّي لحنَها : [من الطويل]

صوت

خَليليَّ عُوجا بالمَحَلّة من جُمْلِ ... وأترابِها بين الأُصَيْفِرِ والحبلِ
نَقفْ بمغانٍ قد محا رسمَها البِلى ... تَعاقَبُها الأيّام بالريح والوبْلِ
فلو درَج النملُ الصِّغارُ بجلدها ... لأندَبَ أعلى جِلْدِها مَدْرَجُ النّملِ[1]
وأحسنُ خلقِ الله جيداً ومقلةً ... تُشَبَّه في النسوان بالشادن الطَّفْلِ[2]

1 أندب على جلدها : ترك فيه ندوباً . والندب : أثر الجرح .

2 الشادن : من أولاد الظباء : الذي قوي وطلع قرناه واستغنى عن أمّه . والطَّفل : الناعم الرَّخْص .

الشعر لجميل بن عبد الله بن مَعمر العُذْرِيّ . والغناء لعزّة الميلاء ثقيلٌ أوّل بالوسطى . فقامت عائشة فقبّلت ما بين عينيها ودعتْ لها بعشرة أثواب وبطرائف من أنواع الفضّة وغير ذلك ، فدفعتْه إلى مولاتها فحملتْه . وأتت النسوةَ على مثل ذلك تقول ذلك لهن ، حتى أتتِ القومَ في السقيفة . فقالوا : ما صنعتِ ؟ فقالت : يا ابن أبي عبد الله ، أمّا عائشة فلا والله إنْ رأيتُ مثلها مقبلةً ومدبرةً ، محطوطةُ المتنين[1] ، عظيمة العجيزة . ممتلئة الترائب[2] ، نقيّة الثغر وصَفْحة الوجه ، فرعاءُ الشعر[3] ، لفاء الفَخِذين[4] ، ممتلئة الصدر ، خميصة البطن[5] ، ذات عُكَنٍ[6] ، ضخمة السُّرّة ، مُسَرْوَلَة الساق ، يرتجّ ما بين أعلاها إلى قدميها . وفيها عيبان ، أمّا أحدهما فيواريه الخِمار ، وأمّا الآخر فيواريه الخُفّ : عِظَمُ القَدَمِ والأُذُن . وكانت عائشة كذلك . ثم قالت عزّة : وأمّا أنت يا ابن أبي أُحيحة فإنّي والله ما رأيتُ مثلَ خَلْقِ عائشة بنت عثمان لامرأة قطّ ، ليس فيها عيب . والله لكأنّما أُفرِغتْ إفراغاً ، ولكن في الوجه رَدّة[7] ، وإن استشرتني أشرتُ عليك بوجه تستأنِس به . وأمّا أنت يا ابن الصِّدّيق فوالله ما رأيت مثل أُمِّ القاسم ، كأنّها خُوط[8] بانة تنثني ، وكأنّها جَدْلُ عِنان ، أو كأنها جانٌّ[9] يتثنّى على رمل ، لو شئتَ أن تعقِد أطرافها لفعلتَ . ولكنّها شَخْتَةُ الصدر وأنت عريض الصدر ؛ فإذا كان ذلك كان قبيحاً ، لا والله حتى يملا كلُّ شيء مثلَه . قال : فوصلها الرجال والنساء وتزوّجوهنّ .

[تُشْبه خالتها أم المؤمنين]

أخبرني الطُّوسيّ وحِرْميٌّ عن الزبير عن عمّه ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن الزّبيريّ والمدائنيّ ، ونسخت بعض هذه الأخبار من كتاب أحمد بن الحارث عن المدائنيّ وجمعت ذلك ، قالوا جميعاً : إنّ أُمَّ عائشةَ بنتِ طلحة أُمُّ كلثوم بنت أبي بكرٍ الصِّدّيق ، وأمّها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زُهير من بني الخَزرج بن الحارث . قالوا : وكانت عائشة بنت طلحة تُشَبَّه بعائشة أمّ المؤمنين خالتها . فزوّجتها عائشة عبد الله بن عبد الرحمن بن

---

1 محطوطة المتنين : ممدودتها . والمتنان : جنبتا الظهر .

2 الترائب : موضع القلادة أو هي عظام الصدر .

3 فرعاء الشعر : طويلته .

4 واللفف في الفخذين : التفافهما أو ضخامتهما واكتناز لحمهما .

5 خميصة البطن : ضامرته .

6 العكن : الأطواء في البطن ، الواحدة عكنة .

7 الردّة : القبح مع شيء من الجمال .

8 الخوط : الغصن الناعم .

9 الجان : حيّة كحلاء العين لا تؤذي . الخشف : ولد الظبية .

أبي بكر وهو ابن أخيها وابنُ خال عائشة بنت طلحة ، وهو أبو عُذْرِها ، فلم تلد من أحد من أزواجها سواه ؛ ولدتْ له عِمران وبه كانت تُكْنى ، وعبدَ الرحمن ، وأبا بكر ، وطلحة ، ونفيسة وتزوّجها الوليد بن عبد الملك ، ولكلّ هؤلاء عَقِبٌ . وكان ابنها طلحةُ من أجواد قريش ، وله يقول الحزين الدِّيليُّ : [من المتقارب]

فإنْ تــك يــا طَلْحُ أعطيتَني عُذافِــرةً تَسْتَخِـفّ الضَّفارا[1]
فمــا كان نَفْعُـك لي مَـرّةً ولا مَرّتــين ولكــن مِرارا
أبوك الذي صــدّق المصطفى وسار مع المصطفى حيث سارا
وأُمُّــك بيضــاء تَيْمِيّــةٌ إذا نُسِب الناسُ كانوا نُضارا

[مصارمتها لزوجها]

قال : فصارمت عائشةُ بنت طلحة زوجها ، وخرجت من دارها غَضْبى ، فمرّت في المسجد وعليها مِلْحَفةٌ تريد عائشة أُمّ المؤمنين ، فرآها أبو هريرة فقال : سبحان الله ! كأنّها من الحُور العِين. فمكثت عند عائشة أربعة أشهر . وكان زوجُها قد آلى منها ، فأرسلتْ عاشئة : إنّي أخاف عليك الإيلاء[2] ، فضَمّها إليه . وكان مُولِياً منها فقيل له : طَلِّقْها ، فقال : [من الطويل]

يقولــون طَلِّقْها لأُصْبحَ ثاوياً مُقيماً عليّ الهــمُّ ، أُحلامُ نائمِ
وإنّ فِراقي أهــلَ بَيْتٍ أُحِبُّهم لهم زُلفةٌ عندي لإحدى العظائمِ

فتوفّي عبد الله بعد ذلك وهي عنده ، فما فتحتْ فاها عليه ، وكانت عائشة أمّ المؤمنين تعدّد عليها هذا في ذُنوبها التي تعدّدها . ثم تزوّجها بعده مُصعَب بن الزُّبير ، فأمهرها خمسمائة ألف درهم وأهدى لها مثل ذلك . وبلغ ذلك أخاه فقال : إن مصعباً قدّم أيْرَه ، وأخَّر خَيْرَه . فبلغ ذلك من قوله عبد الملك بن مَروان فقال : لكنّه أخَّر أيْرَه وخَيرَه . وكتب ابن الزبير إلى مصعب يؤنّبه على ذلك ويُقسِم عليه أن يلحَق به بمكّة ولا ينزل المدينة ولا ينزل إلاّ بالبيداء ، وقال له : إنّي لأرجو أن تكون الذي يُخسَف به بالبيداء ، فما أمرتُك بنزولها إلاّ لهذا . وصار إليه وأرضاه من نفسه ، فأمسك عنه .

[عاسرت مُصعباً ثم ياسرته]

قال وحدّثني المدائنيّ عن سُحَيْم بن حَفْص قال : كان مصعب بن الزبير لا يقدِر عليها إلاّ

1 العذافرة : الناقة الشديدة العظيمة . الضَّفار : ما يُشَدّ به البعير من الشعر المضفور .

2 الإيلاء : اليمين ، وهو أن يقسم الزوج ألاّ يقرب امرأته ، وحكمه أن يتربص به أربعة أشهر ثم يوقف ، فإمّا أن يطلق بعد ذلك أو يرجع .

بتَلاحٍ ينالها منه وبضَرْبِها . فشكا ذلك إلى ابن أبي فَروة كاتبه . فقال له : أنا أكفيك هذا إن أذنْتَ لي . قال : نَعَمْ ! افعَلْ ما شئتَ فإنّها أفضلُ شيء نِلْتَه من الدنيا . فأتاها ليلاً ومعه أسْودان فاستأذن عليها . فقالت له : أفي مثل هذه الساعة ؟ قال نعم . فأدخلته . فقال للأسودين : احفِرا هاهنا بئراً . فقالت له جاريتها : وما تصنع بالبئر ؟ قال : شُؤْم مولاتِك ، أمرني هذا الفاجر أن أدفِنها حَيَّةً وهو أسفكُ خلقِ الله لدَمٍ حرامٍ . فقالت عائشة : فأنظِرْني أذْهَبْ إليه . قال : هيهات ! لا سبيلَ إلى ذلك ، وقال للأسودين : احفِرا . فلمّا رأتِ الجِدّ منه بكتْ ثم قالت : يا ابن أبي فَروة إنّك لَقاتلي ما منه بدٌّ ؟ قال : نعم ، وإنّي لأعلم أنّ الله سيجزيه بعدك ، ولكنّه قد غضِب وهو كافر الغَضَبِ . قالت : وفي أيِّ شيء غَضَبُه . قال : في امتناعك عنه ، وقد ظنّ أنّك تُبغِضينه وتتطلّعين إلى غيره فقد جُنّ . فقالت : أنشُدُك اللهَ إلاّ عاودتَه . قال : إنّي أخاف أن يقتلني . فبكتْ وبكى جوارِيها . فقال : قد رَقَقتُ لك ، وحلف أنه يغرِّر بنفسه ، ثم قال لها : فما أقول ؟ قالت : تَضْمَن عنّي ألاّ أعود أبداً . قال : فما لي عندك ؟ قالت : قيامٌ بحقّك ما عشتُ . قال : فأعطيني المَواثيقَ ، فأعطتْه . فقال للأسودين : مَكانَكما ، وأتى مصعباً فأخبره . فقال له : استوثِقْ منها بالأيمان ، ففعلتْ وصلحتْ بعد ذلك لمصعب .

[أخبار لها مع مصعب]

قال : ودخل عليها مصعبٌ يوماً وهي نائمة متصبِّحة[1] ومعه ثماني لؤلؤات قيمتها عشرون ألف دينار ، فأنبهها ونثر اللؤلؤ في حجرها . فقالت له : نومتي كانت أحبّ إليَّ من هذا اللؤلؤ .

قال : وصارمت مصعباً مرّة ، فطالت مصارمتها له وشقَّ ذلك عليها وعليه ، وكانت لمصعب حرب فخرج إليها ثم عاد وقد ظفِر ، فشكت عائشة مصارمته إلى مولاة لها . فقالت : الآن يصلح أن تخرجي إليه . فخرجتْ فهنّأته بالفتح وجعلت تمسَح التراب عن وجهه . فقال لها مصعب : إنّي أُشفق عليك من رائحة الحديد . فقالت : لهو والله عندي أطيب من ريح المسك الأذفر .

أخبرني ابن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المِسعَر قال : كان مصعب من أشدّ الناس إعجاباً بعائشة بنتِ طلحة ، ولم يكن لها شبه في زمانها حسناً ودَماثةً وجمالاً وهيئة ومتانةً وعِفّةً ، وإنّها دعت يوماً نسوةً من قريش فلمّا جئنها أجلستهنّ في مجلس قد نُضِد فيه الريحان والفواكه والطِّيب [و] المِجْمَرُ[2] ، وخلعت على كلّ امرأةٍ منهنّ ، خِلعةً تامّة من الوَشْي والخَزّ

1 التصبّح : نوم الغداة .

2 المجمر : العود الذي يتبخر به .

ونحوهما ، ودعت عَزّةَ الميلاء ففعلت بها مثلَ ذلك وأضعفت ، ثم قالت لعزّة ، هاتي يا عَزّة فغنّينا ، فغنّتهن في شعر امرىء القيس : [من المتقارب]

وثَغْـرٍ أغَـرَّ شَتِيتِ النباتِ لذيـــذِ المُقَبَّـلِ والمُبْتَسَمْ
ومـا ذقتُـه غيرَ ظَـنٍّ بـه وبالظنِّ يقضِي عليك الحَكَمْ

وكان مصعبٌ قريباً منهنّ ومعه إخوانٌ له ، فقام فانتقل حتى دنا منهن والستورُ مُسْبَلةٌ ، فصاح : يا هذه إنّا قد ذُقناه فوجدناه على وصفتِ ، فبارك الله فيك يا عزّة ! ثم أرسل إلى عائشة : أمّا أنتِ فلا سبيلَ لنا إليك مع مَنْ عندك ، وأمّا عزّة فتأذنين لها أن تغنّينا هذا الصوت ثم تعود إليكِ ، ففعلتْ . وخرجت عزّة إليه فغنّته هذا الصوت مراراً وكاد مصعب أن يذهب عقله فرحاً . ثم قال لها : يا عزّة إنّك لَتُحسِنين القولَ والوصف ، وأمَرها بالعَوْد إلى مجلسها ، وتحدَّثَ ساعةً مع القوم ثم تفرَّقوا .

[خطبها بشر بن مروان فتزوّجت عمر بن عبيد الله]

وقال المدائنيّ ، وذكره القَحْذَميّ أيضاً في خبره ، : فلمّا قُتِل مصعبٌ عن عائشة خطبها بِشْرٌ بن مروان ، وقدِم عُمَرُ بن عُبيد الله بن مَعْمَرٍ التيميُّ من الشام فنزل الكوفة ، فبلغه أن بِشْر بن مروان خَطبها ، فأرسل إليها جاريةً لها وقال : قُولِي لابنة عمِّي يقرئك السلامَ ابنُ عمّك ويقول لك أنا خيرٌ من هذا المبسور المطحول ، وأنا ابن عمّك وأحقُّ بك ، وإن تزوّجتُ بك ملأتُ بيتَك خيراً ، وحِرَكِ أيْراً . فتزوّجته فبنى بها بالحِيرة ومهدت له سبعةَ أفْرِشةٍ عَرْضُها أربعُ أذرُع ، فأصبح ليلةَ بنى بها عن تِسْعٍ . قال : فلقيته مولاةٌ لها فقالت : أبا حفص فديتُك ! قد كَمُلتَ في كلّ شيء حتى في هذا .

وقال مصعب في خبره إنّ بشراً بعث إليها عُمَرَ بن عُبَيد الله بن معمر يخطبها عليه ، فقالت له : يا مصارع قلة ! أمَا وجد بشرٌ رسولاً إلى ابنة عمِّك غيرَكَ ! فأين بك عن نفسك ؟! قال : أوَ تفعلين ؟ قالت نعم ، فتزوّجها . وقال مصعب الزُّبيريّ في خبره : لمّا بنى بها عمرُ قال لها : لأقتلنّك الليلةَ ، فلم يصنَع إلاّ واحدةً . فقالت له لمّا أصبح : قُمْ يا قَتّال . قال : وقالت له حينئذٍ : [من الرمل]

قـد رأيناك فلم تَحْلُ لنا وبلوناك فلم نرض الخبرْ

وهذه الحكاية تحاملٌ من مصعب الزُّبيريّ وعصبيّة . والخبر في رضاها عنه والحكاية في هذا غيرُ ما حكاه وهو ما سبق .

[ما كان في يوم زواجها من عمر بن عبيد الله]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا ابن مهرويه عن ابن أبي سعد عن القَحْذَميِّ أنّ عمر بن

عبيد الله لمّا قَدِم الكوفة تزوّج عائشة بنتَ طلحة ، فحمل إليها ألفَ ألفِ درهم : خمسمائة ألف درهم مهراً وخمسمائة ألف هديّة ، وقال لمولاتها : لك عليّ ألفُ دينارٍ إن دخلتُ بها الليلةَ . وأمر بالمال فحُمِل فأُلقي في الدار وغُطّي بالثياب . وخرجتْ عائشة فقالت لمولاتها . أهذا فرشٌ أم ثِياب ؟ قالت : انظُرِي إليه ، فنظرتْ فإذا مالٌ ، فتبسّمت . فقالت : أجزاءِ مَنْ حمل هذا أن يبيت عَزَباً ؟ قالت : لا والله ، ولكن لا يجوز دخولُه إلاّ بعد أن أتزيّن له وأستعدّ . قالت : فيم ذا ؟ فوجهُك والله أحسنُ من كلّ زينة ، وما تَمُدِّين يدَك إلى طيب أو ثوب أو مال أو فرش إلا وهو عندك . وقد عزمتُ عليكِ أن تأذَني له . قالت : افعلي . فذهبتْ إليه فقالت له : بتْ بنا الليلةَ . فجاءهم عند العشاء الآخرة ، فأُدْنِيَ إليه طعامٌ فأكل الطعام كلّه حتى أعرى الخِوان ، وغَسل يده ، وسأل عن المتوضأ فأخبرتُه فتوضّأ ، وقام يصلّي حتى ضاق صدري ونِمْتُ ، ثم قال : أعليكم إذنٌ ؟ قلت : نعم ، فادخُلْ ، فأدخلتُه وأسبلتُ الستر عليهما . فعددتُ له في بقيّة الليل على قلّتها سَبْعَ عشرة مرّة دخل المتوضّأ فيها . فلمّا أصبحنا وقفتُ على رأسه فقال : أتقولين شيئاً ؟ قلت : نعم ؛ والله ما رأيتُ مثلكَ ، أكلتَ أَكْلَ سبعة ، وصلّيت صلاةَ سبعةٍ ، ونِكْتَ نَيْكَ سبعة . فضحك وضرب بيده على مَنكِبِ عائشة ، فضحِكتْ وغطّت وجهها وقالت : [من الرمل]

قـد رأيناك فلـم تحلُ لنا وبلوناك فم نرضَ الخبرْ

ويدلّ أيضاً على بطلان خبره أنه لمّا مات ندَبته قائمةً ، ولم تندُب أحداً من أزواجها إلاّ جالسةً فقيل لها في ذلك ، فقالت : إنه كان أكرمهم عليّ وأمسّهم رحِماً بي ، وأردتُ ألاّ أتزوّج بعده . وكانت نُدْبةُ المرأة زوجَها قائمةً مما تفعله من لا تريد أن تتزوّج بعد زوجها . أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهَير بن حرب عن محمد بن سلاّم . وهذا دليل على خلاف ما ذكره مصعب .

ثم رجع الخبر إلى سياقة خبرها

[في خلوتها مع عمر]

قال المدائنيّ في خبره : قالت امرأة : كنت عند عائشة بنت طلحة ، فقيل لها : قد جاء الأمير ، فتنحّيت ، ودخل عُمر بن عُبَيد الله ، وكنتُ بحيث أسمع كلامَهما ، فوقع عليها فجاءت بالعجائب ثم خرج ، فقلت لها : أنت في نفسك وموضعك وشرفك تفعلين هذا ! فقالت : إنا نتشهّى لهذه الفحول بكلّ ما حرّكها وكلّ ما قدَرنا عليه .

[ندم ضرتها بعد أن رأتها متجردة]

قال المدائنيّ : وحدّثني مسلمة بن مُحاربٍ قال : قالت رَمْلَةُ بنت عبد الله بن خَلَفٍ ـ

وكانت تحت عمر بن عبيد الله بن معمر ، وقد ولدت منه ابنَه طلحةَ الجُود ـ لمولاة لعائشة بنت طلحة : أرِيني عائشة متجرِّدة ولك ألفا درهم . فأخبرتْ عائشةَ بذلك . قالت : فإنّي أتجرَّد ، فأعلميها ولا تعرِّفيها أنّي أعلم . فقامت عائشة كأنها تغتسل ، وأعلمتها فأشرفتْ عليها مقبلةً ومدبرةً ، فأعطتْ رملةُ مولاتَها ألفَيْ درهم ، وقالت : لَوَدِدْت أنّي أعطيتك أربعة آلاف درهم ولم أرَها . قال : وكانت رملة قد أسنّت ، وكانت حسنةَ الجسم قبيحة الوجه عظيمة الأنف . وفيها وفي عائشة يقول الشاعر : [من البسيط]

انْعَـمْ بعائشَ عَيْشاً غيرَ ذي رَنَقِ وانبِذْ برملَةَ نَبْـذَ الجَوْرَبِ الخَلَقِ

ويقال : إنّ رملة قد أسنّت عند عمر بن عُبيد الله ، فكانت تجتنبه في أيّامِ إقرائها ثم تغتسل ، تُريه أنّها تحيض ، وذلك بعد انقطاع حَيْضِها . فقال في ذلك بعضُ الشعراء : [من الخفيف]

جعـل الله كلَّ قَطْـرةِ حَيْضٍ قَطَرتْ منكِ في حَمالِيقِ عيني

[أخبار لها مع عمر بن عبيد الله]

أخبرنا بذلك الجوهريّ عن عمر بن شبّة .

وذكر هارون بن الزيّات عن أبي مُحَلِّم عن أبي بكر بن عيّاش قال : قال عمر بن عبيد الله لعائشة بنتِ طلحةَ وقد أصاب منها طِيب نَفْسٍ : ما مرّ بي مثلُ يومِ أبي فُدَيكٍ[1] . فقالت له : اعْدُدْ أيّامَكَ واذكُرْ أفضلَها ، فعدَّ يومَ سجِستانَ ويوم قَطَرِيٍّ بفارس ونحو ذلك . فقالت عائشة . قد تركتَ يوماً لم تكن في أيّامك أشجعَ منك فيه . قال : وأيّ يوم ؟ قالت : يوم أرْخَتْ عليها وعليك رملةُ السِّتْرَ . تُريد قبْحَ وجهها .

قال : فمكثت عائشة عند عمر بن عبيد الله بن معمر ثمانيَ سنين ، ثم مات عنها في سنة اثنتين وثمانين ، فتأيّمتْ بعده ، فخطبها جماعةٌ فردّتهم ، ولم تتزوّج بعده أحداً .

قال المدائنيّ : كان عمر بن عبيد الله من أشدّ الناس غَيْرةً ، فدخل يوماً على عائشة وقد ناله حرٌّ شديد وغبارٌ ، فقال لها : انفُضي الترابَ عنّي . فأخذتْ مِنْديلاً تنفُض به عنه التراب ، ثم قالت له : ما رأيتُ الغبارَ على وجه أحدٍ قطُّ كانَ أحسنَ منه على وجه مُصعَبٍ ، قال : فكاد عمر يموت غيظاً .

وقال أحمد بن حمّاد بن جميل حدّثني القَحْذَميّ قال : كانت عائشة بنت طلحة من أشدّ الناس مغايظةً لأزواجها ، وكانت تكون لمن يجيء يحدّثها في رقيق الثياب ، فإذا قالوا : قد جاء

1 أبو فديك هو عبد الله بن ثور من بني قيس بن ثعلبة ، كان من الخوارج ، قُتِل في معركة مع جيش عبد الملك بن مروان سنة 73هـ .

الأمير ضَمَّتْ عليها مِطْرَفَها وقَطَّبتْ . وكانت كثيراً ما تَصف لعمر بن عبيد الله مصعباً وجمالَه ، تَغِيظه بذلك فيكاد يموت .

[طلبت من الوليد بن عبد الملك أعواناً حين حجّت]

وقال المدائنيّ حدَّثني مَسلمة بن مُحارِب وعُبيد الله بن فائد ، وأخبرنا به حِرْميّ عن الزبير عن عمّه ومحمد بن الضحّاك ، قالوا : دخلتْ عائشة بنتُ طلحةَ على الوليد بن عبد الملك وهو بمكّة ، فقالت : يا أميرَ المؤمنين ، مُرْ لِي بأعوانٍ . فضمّ إليها قوماً يكونون معها ، فحجّت ومعها ستّون بغلاً عليها الهوادجُ والرحائلُ . فعرَض لها عُروة بن الزبير فقال : [من الرجز]

عائشُ يا ذاتَ البغالِ الستِّينْ أكُلَّ عـامٍ هكـذا تَحُجِّينْ

فأرسلت إليه : نَعَمْ يا عُرَيَّةَ ، فتَقَدَّمْ إن شئتَ ؛ فكفّ عنها . ولم تتزوّج حتى ماتت .

[حجّت مع سكينة بنت الحسين]

وقال غير المدائنيّ : إنّ عائشة بنت طلحة حجّت وسُكَيْنة بنت الحسين عليهما السلام معاً ، وكانت عائشةُ أحسنَ آلةً وثَقَلاً[1] . فقال حاديها : [من الرجز]

عائشَ يـا ذات البغال الستِّين لا زِلْتِ ما عِشْتِ كذا تَحُجِّين

فشقّ ذلك على سُكينة . ونزل حاديها فقال : [من الرجز]

عائش هـذي ضَرَّةٌ تشكوك لولا أبوهـا مـا اهتدى أبوك

فأمرتْ عائشةُ حاديَها أن يكُفَّ فكَفَّ .

[بهر موكبها في الحج عاتكة بنت يزيد]

وقال : إسحاق بن إبراهيم في خبره حدَّثني محمد بن سَلاّم عن يزيد بن عِياض قال : استأذنتْ عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية عبد الملك في الحجّ ، فأَذِن لها وقال : ارفعي حوائجك واستظهري ؛ فإنّ عائشةَ بنت طلحة تَحُجُّ ، ففعلتْ فجاءت بهيئة جَهَدتْ فيها . فلمّا كانت بين مكّة والمدينة إذا مَوكِبٌ قد جاء فضغَطها وفرّق جماعتها . فقالت : أرى هذه عائشة بنت طلحة ، فسألتْ عنها فقالوا : هذه خازنتُها . ثم جاء موكبٌ آخر أعظم من ذلك فقالوا : عائشةُ عائشةُ ، فضغَطهم ، فسألتْ عنه ، فقالوا : هذه ماشطتها . ثم جاءت مواكب على هذا إلى سننها . ثم أقبلت كوكبةٌ فيها ثلثمائة راحلةٍ عليها القِبابُ والهوادِجُ . فقالت عاتكة : ما عند الله خيرٌ وأبقى .

[كبر عجيزتها مثار العجب]

وقال هارون بن الزيّات حدَّثني قَبِيصةُ عن ابن عائشة عن أُمِّه عن سلاّمة مولاة جَدَّته أُثَيْلَة

---

1 الثقل : المتاع .

بنت المُغِيرةِ بن عبد الله بن مَعْمَرٍ قالت :

زُرْتُ مع مولاتي خالتَها عائشة بنت طلحة وأنا يومئذٍ وصيفةٌ[1] ، فرأيتُ عجيزتَها من خلفها وهي جالسةٌ كأنّها غيرُها ، فوضعتُ أصبعي عليها لأعلمَ ما هي ، فلمّا وجدتْ مسَّ أصبعي قالت : ما هذا ؟ قلت : جُعِلتُ فداءَك ! لم أدرِ ما هو ، فجئت لأنظر . فضحكت وقالت : ما أكثرَ مَنْ يَعْجَبُ مِمّا عَجِبْتِ منه .

[إعجاب أبي هريرة بجمالها]

وزعم بكر بن عبد الله بن عاصم مولى عُرَيْنَة عن أبيه عن جدِّه : أنّ عائشة نازعتْ زوجَها إلى أبي هريرة ، فوقع خِمارُها عن وجهها ، فقال أبو هريرة : سُبْحانَ الله ؛ ما أحسنَ ما غَذَّاك أهلُك ! لكأنّما خرجتِ من الجَنَّة !!

[إعجاب مَنْ بمجلس هشام بعلمها]

قال ابن عائشة وحدّثني أبي أنّ عائشة بنتَ طلحةَ وَفَدتْ على هشام ، فقال لها : ما أوفَدَك ؟ قالت : حَبَستِ السماءُ المطرَ[2] ، ومَنَع السلطان الحقَّ . قال : فإنّي أبُلُّ رَحِمَكِ وأعرِف حقَّك ، ثم بعث إلى مشايخ بني أُمَيَّة فقال : إنّ عائشة عندي ، فاسمُروا عندي الليلةَ فحضروا ، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها وأيّامها إلاّ أفاضتْ معهم فيه ، وما طلعَ نجمٌ ولا غارَ إلاّ سَمّته . فقال لها هشام : أمّا الأوّل فلا أُنكره ، وأمّا النجوم فمِنْ أينَ لك ؟ قالت : أخذتُها عن خالتي عائشة . فأمَر لها بمائة ألف درهم وردَّها إلى المدينة .

[مرّ بها النُّميري الشاعر فاستنشدته وخيره معها]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن محمد بن عبد الوهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله قال حدَّثني ابن عمران البزّازيّ قال : لمّا تأيّمتْ عائشة بنتُ طلحة كانت تُقيم بمكّة سنةً ، وبالمدينة سنةً ، تخرج إلى مالٍ لها بالطائف عظيم وقصر لها فتتنزّه وتجلس فيه بالعشيّات ، فتُناضِل بين الرُّماة . فمرّ بها النُّميريّ الشاعر ، فسألتْ عنه فنُسب لها ، فقالت : ائتُوني به . فقالت له لمّا أتوْها به : أنشِدْني ممّا قلتَ في زينب[3] . فامتنع وقال : ابنةُ عمّي وقد صارتْ عظاماً بالية . قالت : أقسمتُ لَمّا فعلتَ . فأنشدها قولَه : [من الطويل]

نزلــنَ بفَـخٍّ ثـمّ رُحْنَ عشيّةً يُلَبّـين للرحمـــن مُعْتَمِـراتِ[4]

1 وصيفة : جارية شابة .

2 ل : القطر .

3 هي زينب بنت يوسف أخت الحجاج بن يوسف الثقفي .

4 فخ : وادٍ بمكة . الاعتمار : القصد والزيارة .

يخبِّئن أطرافَ الأكُفِّ من التّقى ويخرجن شَطْرَ الليل مُعتجراتِ[1]
ولمّا رأتْ رَكْبَ النميريّ أعرضتْ وكُنَّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِراتِ
تضوّع مِسْكاً بطنُ نَعْمانَ أن مَشَتْ بِه زينبٌ في نِسوة خَفِراتِ

فقالت : والله ما قلتَ إلاّ جميلاً ، ولا وصفتَ إلاّ كرماً وطيباً وتُقًى ودِينا ، أعْطُوه ألفَ درهم . فلمّا كانت الجمعةُ الأخرى تعرّض لها ، فقالت : عليّ به فجاء . فقالت : أنشِدْني من شعرك في زينب . فقال : أَوَ أُنْشِدُكِ من قول الحارث فيك ؟ فوثب مَواليها ، فقالت : دَعُوه ؛ فإنّه أراد أن يستَقِيد لابنة عمّه ، هاتِ . فأنشدها : [من الكامل]

ظعَن الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ وغَدَوْا بلُبِّكَ مَطْلِعَ الشَّرْقِ
وتَنُوءُ تُثْقِلُها عَجيزتُها نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالوَسْقِ
ما صَبَّحتْ زوجاً بطَلْعتها إلاّ غَدا بكواكب الطَّلْقِ[2]
قُرَشيَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها عَبَقَ الدِّهانِ بجانب الحُقِّ
بيضاءُ من تيم كَلِفْتُ بها هذا الجنون وليس بالعشقِ

قالت : والله ما ذكر إلاّ جميلاً ، ذكر أنّي إذا صبَّحت زوجاً بوجهي غَدا بكواكب الطَّلْق ، وأنّي غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق . أعْطُوه ألفَ درهم واكسُوه حُلَّتين ، ولا تَعُدْ لإتياننا يا نُميريُّ .

[أخر الحارث بن خالد الصلاة لتتمّ طوافها]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا أحمد بن أبي خَيْثَمَةَ عن محمد بن سَلاّم : أنّ عبد الملك ولّى الحارث بن خالد على مكّة . فأذّن المؤذّن ، وخرج للصلاة ، فأرسلت إليه عائشةُ بنت طلحة : قد بقي من طَوافي شيءٌ لم آتِه ، وكان يتعشّقها ، فأمَر المؤذّن فكَفَّ عن الإقامة ، ففرَغت من طوافها . وبلغ ذلك عبدَ الملك فعَزَله . فقال : ما أهْوَنَ والله غَضَبَه وعَزْلَه إيّاي عليّ عند رِضاها عنّي .

[كانت معناة بعجيزتها]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثني عمر بن شَبّة قال : قال سَلْمُ بن قُتَيبة : رأيتُ عائشة بنتَ طلحة بمِنًى أو مسجِد الخَيْفِ ، فسألتني مَن أنت ؟ قلت : سَلْمُ بن قُتَيبة . فقالت : رَحِم الله مصعباً ؛ ثم ذهبتْ تقوم ومعها امرأتان تُنهِضانها ، فأعجزتْها أليتاها من عظمهما ، فقالت : إنّي

1 الاعتجار : لَيّ الثوب على الرأس من غير أن يدار تحت الحنك .
2 زوجاً في ل : وجهاً .

بكما لَمُعَنَّاةٌ ، فذكرتُ قولَ الحارث : [من الكامل]

وتنــوء تُثقِلُهــا عَجيزتُهـا نَهْضَ الضعيفِ ينـوء بالوَسْقِ

وروى هذا الخبرَ هارون بن الزيّات عن جعفر بن محمد عن أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أبو عمرو بن خَلاّد عن المدائنيّ قال : قال أبو هريرة لعائشة بنت طلحة : ما رأيتُ شيئاً أحسنَ منك إلاّ معاوية أوّلَ يومٍ خطَب على مِنْبَرِ رسول الله ﷺ . فقالت : والله لأنا أحسنُ من النار في الليلة القَرَّةِ في عين المقرور .

[ردّت أبان بن سعيد]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة قال : كتب أبانُ بن سَعِيدٍ إلى أخيه يحيى يخطُب عليه عائشة بنتَ طلحة . ففعل . فقالت ليحيى : ما أنزل أخاك أَيْلَة ؟ قال : أراد العُزلة . قالت : اكْتُبْ إلى أخيك : [من الطويل]

حَلَلْتَ مَحَلَّ الضَّبِّ لا أنتَ ضائرٌ عــدوًّا ولا مستنفعٌ بـك نافعُ

صوت

[من الطويل]

إذا المــالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءه صنيعة تَقْوى أو صديــقٌ تُوامِقُهْ

مَنَعْتَ وبعضُ المَنْــعِ حَزْمٌ وقُوّةٌ فلَم يَفْتَلِتْك المــالَ إلاّ حقائقُهْ[1]

عروضه من الطويل . توامقه : تفاعله من الموامقة ، أي تَوَدّه ويودّك ؛ يقال وَمَقْتُه أمِقُه أي أحببتُه . ويفتلتك أي يُخْرِجه من يدك وقَبْضَتِك . الشعر لكُثَيِّر . والغناء لمالك بن أبي السَّمْح ، ويقال إنّه للهُذليّ ، خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

[عمران الطلحي يتمثل ببيتين لكثير]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدّثنا طلحة بن عبد الله قال حدّثني أبو مَعمرٍ عافيةُ بن شَيْبَة قال حدّثني العُتبيُّ قال : أفلس صَيْرَفِيٌّ بالمدينة ، فخرج قومٌ يسألون له ، فمرُّوا بابن عِمران الطّلحيّ وقد فتح بابَه واجتمع له أصحابه ، فسألوه ، فقرعَ بمِخْصَرته[2] ثم رفع رأسَه إليهم فقال : [من الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاءه صنيعةُ تَقْــوى أو صَدِيقٌ تُوامِقُهْ

1 حقائقه : أي حقوقه .

2 المخصرة : ما يختصره الإنسان أي يمسكه ليتوكأ عليه .

بَخِلتَ وبعضُ البُخْـلِ حَزْمٌ وقوّةٌ فلَـمْ يفتَلِتْكَ المـــالَ إلاّ حقائقَهْ

إنّا والله ما نَحِيدُ عن الحقّ ، ولا نتدفّق في الباطل ، وإنّ لنا لحقوقاً تشغَل فضولَ أموالِنا ، وما كلُّ مَن أفلس من صَيارِفةِ المدينة قَدَرنا أن نَجْبُرَه ؛ قُومُوا . قال : فقُمْنا نستبق الباب .

[الأبرش يتمثل أمام هشام ببيتي كثيّر]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو مَسلمة[1] المَدينيّ قال أخبرني أبي قال : كان رجلٌ من الأنصار من بني حارثة مُمْلِقاً ليس في ديوانٍ ولا عَطاء ، وكان صديقاً لإبراهيم بن هشام بن إسماعيل . فقال له يوماً : إنّ أمير المؤمنين مسابقٌ غداً بين الخيل ، وقد أمرتُ الحَرَسَ ألاّ يَعْرِضوا لك حتى تكلّمه . قال : فسبَق هشاماً يومئذٍ ابنٌ له ، وكان السبق يشتدّ عليه . فعرَض له الأنصاريّ فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا امرؤ من الأنصار ، وقد بلغتُ هذه السنَّ ولستُ في ديوانٍ . فإنْ رأى أميرُ المؤمنين أن يَفْرِضَ لي فَعَلَ . قال : فأقبل عليه هشامٌ فقال : والله لا أفرِض لك حتّى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة ، ثم أقبل على الأبرش فقال : يا أبرش أخطأ أخو الأنصار المسألة . فقال : يا أمير المؤمنين ، ابن أبي جُمعة يقول : [من الطويل]

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عطاءَه صنيعةٌ تَقْوى أو خليـــلٌ توامقُهْ

منعتَ وبعض المنع حزمٌ وقوّة فلم يفتَلِتك المـالَ إلاّ حقائقُهْ

* * *

[من شعر عمرو بن شأس]

صوت

[من الطويل]

فوانَدَمـــي على الشبـــابِ ووانَدَمْ نَدِمتُ وبـان اليومَ منّي بغير ذَمّ

وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ وإذ لا أجيب العاذلاتِ من الصَّمَمْ

أرادتْ عِـــراراً بالهَوان ومن يُرِدْ عـــراراً لعمري بالهوان فقد ظَلَمْ

فإن كنتِ منّي أو تريدين صُحْبتي فكوني له كالسَّمْنِ رُبَّتْ له الأَدَمْ

وإلاّ فبِيني مثلَ مـا بـان راكبٌ تيمّمَ خِمْساً ليس في وِرده يَتَمْ[2]

---

1 ل : أبو سلمة .

2 في ديوان الحماسة :

وإلاّ فسيري مثل ما سار راكب تجشَّم خمساً ليس في سيره أمم

فإنّ عِـراراً إن يكن ذا شكيمةٍ تَعافِينَهـا منـه فما أمْلِكُ الشِّيَمْ
وإنّ عِراراً إن يكـن غيرَ واضح فإنّي أُحِبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ
وإنّـي لأُعطـي غَثَّهـا وسمينها وأُسرِي إذا ما الليلُ ذو الظُّلَم ادْلَهَمّ
حِذاراً على مـا كان قدّم والدي إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ

عروضه من الطويل . الشعر لعمرِو بن شأس الأسديّ . والغناء في الأوّل والثاني من الأبيات لمعبد ، ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مجرى الوسطى ، عن إسحاق . وذكر عمرو أنّ فيهما لمالك خفيفَ رملٍ بالبنصر . وفي الثامن والتاسع لابن جامع هَزَجٌ بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى ، وفيهما لإبراهيم ماخوريٌّ بالبنصر من نسخة عمرو الثانية ، ولابن سُرَيج ثاني ثقيل بالبنصر عن حَبَشٍ ، وفيهما رملٌ مجهولٌ وقيل : إنّه لسُلَيم . الشامخ : الذي يشمَخ بأنفه زَهْواً وكِبْراً . وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه . والشيمةُ : الطبيعة . رُبّت[1] له : يعني للسِّمْن فلا تُفسده . والأدَمُ جَمْعٌ واحدُها أديمٌ وجمعها أدَمٌ ، كما يقال أفِيقٌ وأفقٌ[2] . واليَتَم[3] : الغفلة والضَّيعة ؛ واليتيم مأخوذ من هذا . واليتيم من البهائم : ما اختُلِج عن أُمّه . والعرب تقول : «لا تخلِج الفَصِيلَ عن أُمّه ، فإنّ الذئب عالِمٌ بمكان الفصيلِ [اليتيم]» . ويقال : فلان شديد الشكيمة أي شديد اللسان كثير البيان ؛ ومنه شكيمة اللِّجام ، وجَمعُها شكائمُ . قال عُوَيْفُ القَوافي : [من الطويل]

أقـولُ لِفِتْيانٍ كـرامٍ تَرَوّحُوا على الجُرْدِ في أفواههن الشكائمُ

والواضح : الأبيض . والجَوْن : الأسود والأبيض أيضاً ؛ وهو من الأضداد . والعَمَمُ : الطويل ؛ يقال رجلٌ عَمَمٌ ، وامرأةٌ عَمَمٌ ، ورجلٌ عَميمٌ . وامرأةٌ عميمةٌ ، ونخلٌ عميمٌ ، ونبتٌ عميمٌ . والسُّرى : السيرُ ليلاً . وادلهمّ : اشتدّ سواده . والحَرْجَفُ : الريح الشديدة الباردة . والصِّرَمُ : جمع صِرمةٍ وهي القِطعة من الإبل يعني أن هذه الريح إذا هبّت طَرد الرعاءُ الإبل إلى مُراحِها وأعطانِها فتسكُن فيها .

1 الرب : خلاصة التمر بعد طبخه وعصره .
2 الأفيق والأديم : الجلد المدبوغ .
3 قيل معنى اليتم هنا : الإبطاء .

[187] ـ نسب عمرو بن شأْس[1] وأخباره في هذا الشعر وغيره

[نسبه]

هو عمرو بن شأْس بن عُبَيْدِ بن ثعلبة بن ذُؤَيبة بن مالك بن الحارث بن سعد بن ثعلبة بن دُودان بن أَسدِ بن خُزيمة . وهذا الشعر يقوله في امرأته أُمّ حسّان وابنه عِرار بن عمرو ، وكانت تُؤذيه وتعيِّره بسواده .

[شعر يخاطب به امرأته التي تؤذي ابنه عراراً]

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن الحسن الأحول قال قال ابن الأعرابيّ : كانت امرأة عمرو بن شأْس من رهطه ، ويقال لها أُمُّ حسّان ، واسمها حيّة بنت الحارث بن سعد ، وكان له ابن يقال له عِرارٌ من أَمَةٍ له سوداء ، وكانت تعيِّره وتُؤْذِي عِراراً وتشتُمه ويشتمها . فلمّا أعيتْ عمراً قال فيها : [من الطويل]

ديارَ ابنــةِ السَّعْدِيِّ هِيهِ تَكَلَّمي ... بدافِقةِ الحَوْمانِ فالسَّفْحِ من رَمَمْ[2]

لَعَمْرُ ابنــةِ السَّعْدِيِّ إنِّي لأتَّقي ... خلائقَ تُؤْبى في الثَّراء وفي العَدَمْ

وقفتُ بهــا ولم أكن قبلُ أرتجي ... إذا الحَبْلُ من إحدى حَبائبي انصرمْ

وإنِّــي لُمــزرٍ بالمَطِــيِّ تَنَقُّــلي ... عليــه وإيقاعــي المُهنَّدَ بالعِصَمْ[3]

وإنِّــي لأُعْطِــي غَثَّها وسَمِينَها ... وأَسْرِي إذا ما الليلُ ذو الظُّلَمِ ادلهمّ

إذا الثلجُ أضحى في الديار كأنّه ... مَناثرُ مِلْحٍ في السُّهول وفي الأَكَمْ[4]

حِذاراً على مــا كان قدّم والدي ... إذا روّحتهم حَرْجَفٌ تطرُد الصِّرَمْ

وأتــرك نَدْمــاني يَجُــرّ ثيابَه ... وأوصالَه من غير جُرْحٍ ولا سَقَمْ[5]

ولكنّهــا مــن رَيّــةٍ بعــد رَيّةٍ ... مُعَتّقــةٍ صهبــاء راووقُها رَذَمْ[6]

---

1 انظر أخباره في : ابن سلام الجمحي 46–47 والشعر والشعراء 1/425–426 والمرزباني 212–213 واللآلي 750–751 .

2 هيه : للاستزادة . والحومان ورمم : موضعان .

3 مزر : مستخف متهاون . العصم : القلائد ، واحدتها عصمة .

4 مناثر جمع مَنْثَر وهو اسم مكان من نثر .

5 الأوصال : المفاصل ، واحدها وصل .

6 راووق الخمر : ناجودها الذي تروّق فيه . الرذم : ممتلىء .

مـــن العانيات مـــن مُدامٍ كأنها مَذابحُ غِزْلانٍ يَطِيبُ بها الشَّمَمْ[1]
وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ وإذ لا أُجيب العاذلات من الصممْ
أَلَم يأتِهـــا أنّـــي صَحَوْتُ وأنّني تحالمتُ حتى مـــا أُعارِم من عَرَمْ[2]
وأطرقتُ إطراق الشُّجاعِ ولو يرى مَساغاً لِنابَيْهِ الشجاعُ لقـــد أَزَمْ[3]
وقـــد علمـــتْ سعدٌ بأنّي عميدُها قديماً وأنّي لستُ أُهْضِمُ من هَضَمْ

يقول : لا أظلم أحداً من قومي وأتهضَّمُه فيطلبني بمثل ذلك ، أي أرفع نفسي عن هذا .

خُزَيْمـــةُ رَدّاني الفَعـــالَ ومَعْشَرٌ قديماً بَنَوْا لي سُورةَ المَجْدِ والكَرَمْ[4]
إذا مـــا وَرَدْنا الماءَ كانـــت حُماتَه بنو أَسَدٍ يوماً على رَغْمِ مـــن رَغَمْ
أرادتْ عِـــراراً بالهوانِ ومن يُرِدْ عِراراً لَعَمْرِي بالهـــوانِ فقد ظَلَمْ

[طلّق امرأته ثم ندم وقال شعراً]

وذكر باقِيَ الأبيات . قال ابن الأعرابيّ وأبو بكر الشَّيبانيّ : فجَهِد عمرو بن شأسٍ أن يُصلح بين ابنه وامرأته أُمِّ حَسّان فلم يُمكنه ذلك ، وجعل الشرُّ يزيد بينهما . فلمّا رأى ذلك طلّقها ، ثم ندِم ولام نفسه ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

تَذَكَّر ذِكْـــرى أُمِّ حَسّانَ فاقْشَعَرّ على دُبُـــرٍ لَمّا تَبَيَّنَ مـــا ائتمرْ[5]
فكِدتُ أذوقُ الموتَ لو أنّ عاشقاً أَمَـــرَّ بمُوساه الشوارِبَ فانتحرْ[6]
تذكّرتُها وَهْناً وقـــد حال دونها رِعانٌ وقِيعانٌ بها الزَّهْرُ والشجرْ[7]
فكنتُ كذات البَوِّ لمـــا تَذَكّرتْ لها رُبَعاً حَنَّتْ لِمَعْهَدِهِ سَحَرْ[8]
حِفاظـــاً ولم تَنْزِعْ هوايَ أَثيمةٌ كذلك شأوُ المـــرء يَخْلِجُه القَدَرْ

---

1 العانيات : الأسيرات .
2 عرم عرامة وعراماً : إذا اشتدّ .
3 الشجاع : الحيّة الذكر . وأزم : عضّ .
4 ردّاني : ألبسني . سورة المجد : منزلة المجد . والسورة من البناء : ما حسن وطال .
5 ائتمر : عمل برأيه . والمؤتمر يصيب مرة ويخطىء أخرى .
6 الشوارب : عروق في الحلق .
7 الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه ، أو حين يدبر الليل . ورعان : جمع رَعن وهو أنف يتقدم الجبل ، والجبل الطويل .
8 البوّ : جلد ولد الناقة أو البقرة يحشى تبناً أو نحوه ثم يقرب إلى أمه فتعطف عليه وتدر . والرُّبَع : الفصيل ينتج في الربيع وهو أول النتاج .

قال ابن الأعرابيّ : الأثيمة الفعيلة من الإثم ، وهي مرفوعة بفعلها ، كأنّه قال : [لم] تنزع الأثيمةُ هواي . تَخلِجه : تَصرِفه . شأوُه : هَمُّه ونيَّتُه . قال وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

أَلَم تَعْلَمِي يـا أُمَّ حَسَّانَ أنّني إذا عَبْرةٌ نَهْنَهْتُهـا فَتَخلّتِ[1]
رجعتُ إلى صَدْرٍ كجَرَّةِ حَنْتَمٍ إذا قُرِعتْ صِفْراً من الماء صَلَّتِ[2]

[خبر ابنه عرار مع عبد الملك]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عُمَر بن شَبَّة عن إسحاق بن محمد بن سَلاّم ، وأخبرني إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة قال قال ابن سلاّم : لمّا قتل الحجّاجُ عبدَ الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بعث برأسه مع عِرار بن عمرو بن شأس الأسديِّ ، فلمّا ورد به وأوصل كتابَ الحجّاج ، جعل عبدُ الملك يعجَب من بيانه وفصاحته مع سواده ، فقال متمثّلاً : [من الطويل]

وإنّ عِراراً إن يَكُـنْ غيرَ واضح فإنّي أُحِبُّ الجَوْنَ ذا المَنْكِبِ العَمَمْ

فضحِك عرارٌ من قوله ضحكاً غاظ عبدَ الملك ؛ فقال له : مِمَّ ضَحِكتَ ويْحك ؟! قال : أتعرف عراراً يا أمير المؤمنين الذي قيل فيه هذا الشعر ؟ قال لا . قال : أنا والله هو . فضحِك عبد الملك ثم قال : حَظٌّ وافق كلمةً ، وأحسنَ جائزتَه وسرَّحه .

[شعره في قتل ملك من غسان]

وقال الطوسيّ : أغار ملكٌ من ملوك غسّان يقال له عدِيٌّ وهو ابن أخت الحارث بن أبي شَمِرٍ الغسّانيّ على بني أسَدٍ ، فلقيتْه بنو سَعْدِ بن ثعلبة بن دُودَانَ بالفُرات ورئيسهم ربيعةُ بن حُذار ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتلت بنو سعدٍ عَدِيّاً ، اشترك في قتله عمرو وعمير ابنا حُذار أخوا ربيعة ، وأُمُّهما امرأة من كِنانة يقال لها تُماضِرُ إحدى بني فَرّاس بن غَنْم وهي التي يقال لها مقيِّدة الحمار . فقالت فاختة بنت عديٍّ : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما خَشِيتُ على عَدِيٍّ رِماحَ بنـي مُقَيِّـدة الحمارِ
ولكنِّـي خشيتُ على عـديٍّ رمـاحَ الجِـنِّ أو إيَّاكَ حارِ

تعني الحارثَ بن أبي شمر خاله .

قَتِيلٌ مـا قتيلُ ابنَـيْ حُذارٍ بعيـدُ الهَـمِّ طَـلاَّعُ النِّجارِ

ويروى : «جواب الصحاري» . فقال عمرو بن شأس في ذلك : [من الطويل]

---

1 نهنهتها : كففتها .

2 كجرة في ل : كطسّة . والحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة . وصلّت : صوتت .

صوت

متى تَعْرِفِ العينانِ أطلالَ دمْنةٍ ... لليلى بأعلى ذي مَعارِكَ تَدْمَعا[1]
على النحرِ والسِّرْبالِ حتى تَبُلَّهُ ... سَجُومٌ ولم تَجْزَعْ على الدّارِ مَجْزَعا
خليليَّ عُوجا اليومَ نَقْضِ لُبانَةً ... وإلاّ تَعُوجا اليومَ لا نَنْطَلِقْ مَعا
وإن تنظُراني اليومَ أتْبَعْكما غداً ... قِيادَ الجَنيبِ أو أذلَّ وأطوعا

وهي قصيدة . غنّى في هذه الأبيات إبراهيم ثقيلاً أوّل بالوسطى عن الهشاميّ . والدمنة في هذا الموضع : آثار الناس وما سوّدوا ، وهي في غير هذا الموضع الحِقْدُ ؛ يقال : في صدره عَلَيَّ إحْنةٌ ، وترَةٌ ، وضَبٌّ وحَسِيكةٌ ، ودِمْنةٌ . وعُوجا : احبِسا وتَلَبَّثا ، عاجَ يَعُوج عِياجاً . وما أعِيجُ بكلامك أي ما ألتفت إليه . واللُّبانة : الحاجة ؛ يقال : لي في كذا لُبانةٌ ولبونة ولُماسةٌ ، ووَطَرٌ ، وحَوْجاء ممدودةً . وقوله «لا ننطلق معاً» ، يقول إن لم تَقِفا تأخّرت عنكما فتفرّقنا . وتنظُراني تُنْظِراني ، يقال نظرته أنظُره ، وأنظرته أُنظِره ، إنظاراً ونَظِرةً أيضاً إذا أخّرته ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرةٍ﴾ . والجنيب : المجنوب من فرس وغيره ، والجنيب أيضاً الذي يشتكي رِئته من شدّة العَطَش .

[شعره في خطبة ابنة مجاوره]

وقال الطوسيّ قال الأصمعيّ : جاور رجلٌ من بني عامر بن صَعْصَعَةَ عمرَو بن شأس ومعه بنت له من أجمل الناس وأظرفهم ، فخطَبها عمرو إلى أبيها . فقال أبوها : أمّا ما دمتُ جاراً لكم فلا ، لأنّي أكره أن يقول الناس غصَبه أمرَه ، ولكن إذا أتيتُ قومي فاخْطُبْها إليّ أُزَوِّجْكَها . فوجَد عمرو من ذلك في نفسه واعتقد ألاّ يتزوّجها أبداً إلاّ أن يُصيبها مَسْبِيَّة . فلمّا ارتحل أبوها هَمّ عمرٌو بغزو قومها ، فسار في أثر أبيها . فلمّا وقعت عينه عليه وظفِر به استحيا من جِواره وما كان بينهما من العهد والميثاق ، فنظر إلى الجارية أمامهم وقد أخرجتْ رأسها من الهَودج تنظُر إليه . فلمّا رآها رجع مُسْتَحْيِياً متذمِّماً منها . وكان عمرو مع شجاعته ونجدته من أهل الخير ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

صوت

إذا نحــن أدلَجْنا وأنــتِ أمامنا ... كَفــى لَمطايانــا بوجهِكِ هادِيا
أليس يزيــدُ العِيسَ خِفَّةَ أذْرُعٍ ... وإن كُنّ حَسْرى أن تكوني أمامِيا[2]

1 ذو معارك : موضع في ديار بني تميم .
2 الحسرى : جمع حسير وهي الدابة المتعبة .

ولولا اتّقاءُ اللهِ والعَهدُ قد رأى مَنِيّتَـه منّـي أبـوك اللّياليا
ونحـن بنـو خيرِ السِّباع أكيلةً وأحْرَبِـه إذا تنفّس عـادِيا[1]
بنـو أسَدٍ وَرْدٍ يَشُقّ بِنابِـهِ عظامَ الرجالِ لا يُجيب الرّواقِيا
متى تَدْعُ قيساً أدْعُ خِنْدِفَ إنّهم إذا مـا دُعُوا أسمعتَ ثَمَّ الدّواعِيا
لنا خاضرٌ لم يَحْضُرِ الناسُ مثلَه وبـادٍ إذا عـدُّوا علينا البَوادِيا

الغناء لإسحاق الموصليّ ثاني ثقيلٍ في الأوّل والثاني من الأبيات ، وفيه لحنٌ قديم .

[ابن سيرين ينشد من شعره]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا الحِزاميّ قال حدّثنا مَعْنُ بن عيسى عن رجل عن سُوَيْد بن أبي رُهْم قال : قلت لابن سيرين : ما تقول في الشعر ؟ قال : هو كلامٌ . حَسَنُه حسنٌ ، وقبيحُه قبيحٌ . قلتُ : فما تقول في النَّسيب ؟ قال : لعلّك تريد مثلَ قول الشاعر : [من الطويل]

إذا نحـن أدلجنا وأنتِ أمامنا كفى لمطايانـا بوجهك هاديا
أليس يزيد العيسَ خِفّةَ أذرُعٍ وإن كُنَّ حَسْرى أن تكوني أمامِيا

قال : وأراد بإنشاده إيّاهما أنّك قد رأيتَني أحفَظ هذا الجنسَ وأرويه وأنشدتُك إيّاه ، فلو كان به بأسٌ ما أنشدته .

صوت

[من الطويل]

فإنْ تَكُنِ القَتْلى بَـواءً فإنّكم فتًى ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فتًـى كان أحْيا من فتاةٍ حَيِيّةٍ وأشْجَعَ من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ

عروضه من الطويل . البَواء بالباء : التكافؤ ؛ يقال ما فلانٌ لفلانٍ بَبَواء ، أي ما هو له بكفء أن يُقْتَل به . و«ما» في قولها «فتى ما قتلتم» صلة . وآل عوف نداء . وخَفّان : موضع مشهور . وخادر : مقيم في مَكْمَنه وغِيله ، وهو مأخوذ من الخدْر[2] .

الشعر لليلى الأخيليّة تَرثي توبة بن الحُمَيِّر . والغناء لإسحاق بن إبراهيم الموصليّ ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البنصر . وفيه لإبراهيم خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَشٍ . وفي هذه القصيدة عدّة أغانٍ تُذْكَر مع سائر ما قاله توبةُ في ليلى وقالت فيه من الشعر عند انقضاء الخبر في مَقتله إن شاء الله تعالى .

---

1 أحربه : أي أحرب السباع ، أي أشدها في الحرب والمقاتلة . والعادي من السباع : الظالم الذي يفترس الناس .

2 من معاني الخدر : أجمة الأسد .

[188] ـ ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحميّر معها[1] وخبر مقتله

[نسب ليلى الأخيليّة]

هي ليلى بنت عبد الله بن الرَّحّال ، وقيل ابن الرحّالة ، بن شَدَّاد بن كَعْب بن معاوية ، وهو الأخْيَل وهو فارس الهَرّار ، ابن عُبادة بن عُقَيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وهي من النساء المتقدِّمات في الشعر من شعراء الإسلام . وكان توبة بن الحُمَيِّر يهواها .

[كان توبة بن الحمير يهواها ونسبه]

وهو توبة بن الحُمَيِّر بن حَزْمِ بن كعب بن خَفاجة بن عمرو بن عُقَيل .

أخبرني ببعض أخبارهما أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ ومحمد بن حَبِيب بن نصر المُهَلَّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد الورّاق قال حدَّثنا محمد بن عليّ أبو المُغيرة قال حدَّثنا أبي عن أبي عبيدة قال حدَّثني أُنَيْس بن عمرو العامريّ قال : كان توبة بن الحميِّر أحدَ بني اَلأسديّة ، وهي عامرة بنت والبةَ بن الحارث ، وكان يتعشّق ليلى بنتَ عبد الله بن الرحّالة ويقول فيها الشعر ، فخطبَها إلى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها وزوّجها في بني الأدْلَع . فجاء يوماً كما كان يجيء لزيارتها ، فإذا هي سافرة ولم يَرَ منها إليه بشاشةً ، فعلم أنّ ذلك لأمرٍ ما كان ، فرجع إلى راحلته فركِبها ومضى ، وبلَغ بني الأدْلَع أنّه أتاها فتبِعوه ففاتهم . فقال توبة في ذلك : [من الطويل]

نأتْكَ بليلى دارُهـا لا تزورُهـا وشَطَّتْ نَواهـا واسْتَمَرَّ مَرِيرُها[2]

وهي طويلة ، يقول فيها :

وكنتُ إذا مـا جئتُ ليلى تبرقعتْ فقـد رابَنِي منهـا الغَداةَ سُفُورُها

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال : كان توبة بن الحميّر إذا أتى ليلى الأخيليّة خرجتْ إليه في بُرْقع . فلمّا شُهِر أمرُه شَكَوْه إلى السُّلطان ، فأباحهم دَمَه إن أتاهم . فمكثوا له في الموضع الذي كان يلقاها فيه . فلمّا علمتْ به خرجتْ سافرةً حتى جلستْ في طريقه . فلمّا رآها سافرةً فَطِنَ لِما أرادتْ وعلِم أنّه قد رُصِد ، وأنّها سَفَرتْ لذلك تحذِّره ، فركض فرسَه فنجا . وذلك قوله : [من الطويل]

---

1 وردت ترجمتها في الشعر والشعراء 1/448–451 ، وثمة ذكر لها في ترجمة توبة بن الحمير 1/445–447 وفي الأمالي 1/86–89 .

2 النّوى هنا : الوجه الذي ينويه المسافر ، ومثله النية . واستمر : استحكم . والمرير هنا : العزيمة ، ومثله المريرة .

وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقـد رابَني منها الغـداةَ سفورُها

قال أبو عُبيدة وحدَّثني غير أُنَيْس أنّه كان يُكْثِر زيارتَها ، فعاتبه أخوها وقومُها فلم يُعْتِبْ[1] ، وشَكَوه إلى قومه فلم يُقْلِع ، فتظلّموا منه إلى السلطان فأهدر دمَه إن أتاهم . وعلمتْ ليلى بذلك ، وجاءها زوجُها وكان غيوراً فحلف لئن لم تُعْلِمْه بمجيئه ليَقتلنّها ، ولئن أنذرتْه بذلك ليَقتلنّها . قالت ليلى : وكنت أعرِف الوجهَ الذي يجيئني منه ، فرَصدوه بموضعٍ ورصدته بآخر ، فلمّا أقبل لم أقدِر على كلامه لليمين ، فسفرتُ وألقيتُ البُرْقُعَ عن رأسي . فلمّا رأى ذلك أنكره فركِب راحلتَه ومضى ففاتهم .

[ضافها رجل من بني كلاب]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني أحمد بن معاوية بن بكر قال حدَّثني أبو زيادٍ الكِلابيُّ قال : خرج رجلٌ من بني كِلابٍ ثم من بني الصحمة يبتغي إبلاً له حتى أَوْحَشَ وأرْمَل[2] ، ثم أمسى بأرض فنظر إلى بيت بِوادٍ ، فأقبل حتى نزل حيث ينزل الضيفُ ، فأبصر امرأة وصِبياناً يدورون بالخِباء فلم يكلِّمه أحدٌ . فلمّا كان بعد هَدْأةٍ من الليل سمِع جَرْجَرةَ إبلٍ رائحةٍ ، وسمِع فيها صوتَ رجلٍ حتى جاء بها فأناخَها على البيت ، ثم تقدّم فسمِع الرجلَ يُناجي المرأةَ ويقول : ما هذا السَّوادُ حِذاءَك ؟ قالتْ : راكبٌ أناخ بنا حين غابتِ الشمسُ ولم أُكلِّمه . فقال لها : كذبتِ ، ما هو إلاّ بعضُ خُلاَّنك ، ونَهض يضرِبها وهي تناشده . قال الرجل : فسمعتُه يقول : والله لا أترك ضَرْبَك حتى يأتِيَ ضيفُك هذا فيُغِيثَك . فلمّا عيلَ صبرُها قالت : يا صاحبَ البعير يا رَجُلُ ؛ وأخذ الصحميّ هِراوَتَه ثم أقبل يُحْضِر[3] حتى أتاها وهو يضربها ، فضربه ثلاث ضَرَبات أو أربعاً ، ثم أدركتْه المرأة فقالت : يا عبد الله ، ما لك ولنا ؟ نَحِّ عنّا نفسَك ، فانصرف فجلس على راحلته وأدلج ليلتَه كلَّها وقد ظنَّ أنّه قتل الرجل وهو لا يدري مَنِ الحيُّ بعدُ ، حتى أصبح في أخبيةٍ من الناس ، ورأى غنماً فيها أُمَّةٌ مولَّدة ، فسألها عن أشياء حتى بلغَ به الذكر ، فقال : أخبريني عن أُناسٍ وجدتُهم بشِعْبِ كذا . فضحِكَت وقالت : إنّك لتسألني عن شيء وأنت به عالِم . فقال : وما ذاك لله بلادُك ؟ فوالله ما أنا به عالِم . قالت : ذاك خِباء ليلى الأخيليّة ، وهي أحسنُ الناس وجهاً ، وزوجها رجلٌ غَيُورٌ فهو يعزُب بها عن الناس فلا يَحُلّ بها معهم ، والله ما يَقْرَبُها أحدٌ ولا يَضِيفها ، فكيف نزلتَ أنت بها ؟ قال : إنّما مررتُ فنظرتُ إلى الخباء ولم أقْرَبْه ، وكتَمها الأمرَ .

---

1 ل : لم يرضهم .

2 أوحش هنا : جاع . وأرمل : نفذ زاده .

3 الإحضار : العدو .

وتحدَّث الناس عن رجل نزل بها فضربها زوجُها فضربه الرجلُ ولم يُدْرَ مَن هو . فلمّا أخبر باسم المرأة وأقرّ على نفسه تغنَّى بشعر دلّ فيه على نفسه وقال : [من الوافر]

أَلا يــا ليلَ أُخْتَ بنــي عُقَيْلٍ أنــا الصّحْمِيُّ إنْ لم تَعْرِفيني
دَعَتْنِي دعوةً فحَجَزتُ عنها بصَكَّاتٍ رفعتُ بهــا يميني[1]
فإنْ تَــكُ غَيْرةٌ أُبْرِئكَ منها وإن تَكُ قد جُنِنْتَ فذا جُنوني

[سألها الحجّاج عن توبة]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا رشد بن حَتْم الهِلاليّ قال حدَّثني أيُّوب بن عمرو عن رجل يقال له وَرقاء قال : سمعتُ الحَجّاجَ يقول لليلى الأخيليّة : إنّ شبابَك قد ذهب ، واضمحلّ أمرُك وأمر توبة ؛ فأُقسم عليك إلاّ صَدَقْتِني ، هل كانت بينكما رِيبةٌ قَطُّ أو خاطبكِ في ذلك قطّ ؟ فقالت : لا والله أيّها الأمير إلاّ أنّه قال لي ليلةً وقد خَلَونا كلمةً ظننتُ أنّه قد خضَع فيها لبعض الأمرِ ، فقلتُ له : [من الطويل]

وذي حاجةٍ قلنا له لا تَبُحْ بها فليس إليها مــا حَيِيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونَه وأنت لأخْــرى فارغٌ وخَلِيلُ

فلا والله ما سمعت منه رِيبةً بعدها حتى فرّق بيننا الموت . قال لها الحجّاج : فما كان منه بعد ذلك ؟ قالت : وجَّه صاحباً له إلى حاضرنا فقال : إذا أتيتَ الحاضرَ من بني عُبادة بن عُقَيل فاعْلُ شَرَفاً ثم اهْتِف بهذا البيت : [من الطويل]

عفــا الله عنها هل أبِيتنَّ ليلةً من الدهرِ لا يَسْرِي إليّ خَيالُها

فلمّا فعل الرجل ذلك عرفتُ المعنى فقلتُ له : [من الطويل]

وعنه عفا ربِّي وأحسَنَ حِفْظَه عزيزٌ علينــا حاجــةٌ لا ينالُها

نسبة ما في هذا الخبر من الغناء ، وهو أجمع في قصيدة توبة : [من الطويل]

نأتك بليلى دارها لا تزورها

صوت

حمامــةَ بطــن الوادِيَيْن تَرَنَّمي سقاكِ من الغُرِّ الغَوادِي مَطِيرُها
أَبِيني لنــا لا زالَ رِيشُك ناعماً ولا زلتِ في خَضْراءَ دانٍ بَرِيرُها[2]

1 حجزت : دفعت وكففت .

2 البرير : ثمر الأراك .

وأُشْرِفُ بـالقَوْزِ اليَفـاعِ لعلّني أَرى نـارَ ليلى أو يراني بصيرُها[1]
وكنتُ إذا ما جئتُ ليلى تبرقعتْ فقد رابني منها الغداةَ سُفورُها
عليّ دِمـاءُ البُدْنِ إن كان بَعْلُها يرى لِـيَ ذنباً غيرَ أنّي أَزورُها[2]
وأنّي إذا ما زرتُها قلتُ يا اسْلَمي وما كان في قولي اسْلَمي ما يَضيرُها
وغيَّرني إن كنـتِ لَمّـا تَغَيَّري هَواجِـرُ تَكْتَنِينَهـا وأَسيـرُها
وأدماءَ مـن سِرِّ المَهاري كأنّها مَهاةُ صُوارٍ غيرَ مـا مَسَّ كُورُها[3]
قطعتُ بهـا أجـوازَ كلِّ تَنُوفةٍ مَخُوفٍ رَداها كلّما استَنَّ مُورُها[4]
ترى ضُعَفاء القـومِ فيها كأنّهم دَعامِيصُ ماءٍ نَشَّ عنهـا غديرُها[5]

غنّى في الأربعة الأبيات الأُوَل فُلَيْحُ بن أبي العَوْراء ثانِيَ ثقيلٍ بالبنصر عن عمرو . وغنّى في الثالث والرابع ابن سُرَيْج رملاً بالوسطى عن الهشاميّ وعليّ بن يحيى المنجِّم ، وذكر غيرُهما أنّه لمحمد بن إسحاق بن عمرو بن بَزِيع . وغنّى فيها الهذليُّ ثقيلاً أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ . وغنّى ابن محرز في «عليّ دماءُ البُدْن» والذي بعده خفيفَ رملٍ بالبنصر عن عمرو . وعن ابن مِسْجَحٍ في :

وغيّرني إن كنتِ لَمّا تَغَيَّرِي

وما بعده لحنٌ ذكَر أنّ عبد الله بن جعفر روّاه الأبياتَ وأمره أن يُغَنِّيَ بها ، أخبرني بذلك إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ عن عمر بن شبَّة عن إسحاق الموصليّ عن ابن الكلبيّ في خبرٍ قد ذكرته في أخبار ابنِ مِسجَحٍ ، وذكر الهشاميّ أنّ اللحن ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[رأى الأصمعيّ في شعر لتوبة]

حدَّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال حدَّثني محمد بن يعقوب بالأنبار قال حدَّثني مَن أنشد الأصمعيّ : [من الطويل]

عليّ دماءُ البُدْنِ إن كان زوجُها يـرى لِـيَ ذنباً غيرَ أنّي أَزورها

---

1 القوز : الكثيب من الرمل . واليفاع : المشرف .

2 البدن : جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة تسمن وتذبح بمكة .

3 الأدمة في الإبل : لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح . والمهاري : جمع مهرية وهي إبل منسوبة إلى مهرة أو إلى بلد . وسرها : محضها وأفضلها . المهاة : البقرة الوحشية . والصّوار : قطيع البقر .

4 أجواز : جمع جوز ، وجوز كل شيء وسطه . والتنوفة : الفلاة لا ماء فيها . واستنّ : هاج وثار . والمور : الغبار التي تثيره الرياح .

5 الدعاميص : دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت . نش : يبس ونضب .

وأنّي إذا ما زرتُها قلت يا اسْلَمى فهل كان في قولي اسْلَمى ما يَضِيرُها

فقال الأصمعيّ : شكوى مظلومٍ ، وفعلُ ظالم .

[مقتل توبة وسببه وكيف كان]

أخبرني بالسبب في مقتل توبةَ محمد بن الحسن بن دُرَيد إجازةً عن أبي حاتم السِّجِسْتانيّ عن أبي عُبيدة ، والحسنُ بن عليّ الخفّاف قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا محمد بن عليّ بن المُغيرة عن أبيه عن أبي عُبيدةَ ، وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال أخبرنا أبو سعيد السُّكريّ عن محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ ، ورواية أبي عُبيدة أتمُّ واللَّفظ له . قال أبو عبيدة : كان الذي هاج مقتلَ توبةَ بنِ الحُمَيِّر بن حَزْم بن كَعْبِ بن خَفاجةَ بن عمرو بن عُقَيْل بن كَعْب بن ربيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ أنّه كان بينه وبين بني عامر بن عوْفِ بن عُقَيْلٍ لِحاءٌ[1] ، ثم إنّ توبةَ شهِد بني خَفاجةَ وبني عَوْفٍ وهم يختصمون عند هَمّام بن مُطرف العُقَيليّ في بعض أمورهم . قال : وكان مَروانُ بن الحكَم يومئذٍ أميراً على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سُفيان ، فاستعمله على صَدَقات بني عامر . قال : فوثَب ثَوْرُ بن أبي سِمعان بن كعب بن عامر بن عَوْف بن عُقَيل على توبة بن الحميِّر فضربه بجُرْزٍ[2] وعلى توبة الدرعُ والبَيْضةُ ، فجرح أنفُ البيضة وجهَ توبة . فأمر همام بثَوْر ابن أبي سِمعانَ فأُقْعِدَ بين يدَي توبة ، فقال : خُذْ بحقّك يا توبة . فقال له توبة : ما كان هذا إلاّ عن أمرك ، ما كان ليجترىء عليّ عند غيرك . وأمّ همّام صوبانة بنت جَوْن بن عامر بن عَوف بن عُقَيْل ، فاتّهمه توبةُ لذلك ، فانصرف ولم يقتصَّ منه . فمكثوا غيرَ كثيرٍ ، وإنّ توبة بلَغه أنّ ثور بن أبي سِمْعانَ خرج في نفرٍ من رَهْطه إلى ماء من مياه قومه يقال له قوباء يريدون مالَهم بموضع يقال له جُرَيْرٌ بتَثْليثٍ ، قال : وبينهما فلاةٌ ، فاتّبعه توبةُ في ناس من أصحابه ، فسأل عنه وبحث حتى ذُكر له أنّه عند رجلٍ من بني عامر بن عقَيْل يقال له ساريةُ بن عُمَيْر بن أبي عديّ وكان صديقاً لتوبة . فقال توبة : والله لا نَطْرُقُهم عند سارية الليلةَ حتى يخرجوا عنه . فأرادوا أن يخرجوا حين يُصبحون . فقال لهم ساريةُ : ادّرِعُوا[3] الليلَ ؛ فإنّي لآمَنُ توبةَ عليكم الليلةَ فإنّه لا ينام عن طلبكم . قال : فلمّا تَعَشَّوا ادّرعوا الليلَ في الفلاة . وأقعد له توبةُ رجلين فغفَل صاحبا توبة . فلمّا ذهب الليلُ فزِع توبة وقال : لقد اغتررتُ إلى رجلين ما صنَعا شيئاً ، وإنّي لأعلم أنّهم لم يُصبحوا بهذه البلاد ، فاقتصّ آثارهم ، فإذا هو بأثر القوم قد خرجوا ، فبعَث إلى صاحبيه فأتياه ، فقال : دُونكما هذا الجملَ فأوْقِراه من الماء في مَزادتَيْه ثم اتّبِعا أثَري ، فإنْ خَفِي عليكما أن تُدْرِكاني فإنّي سأُنوِّر لكما

1 لحاه : مصدر لاحاه ملاحاة ولحاء إذا نازعه .

2 الجرُز : عمود من حديد .

3 يقال : ادّرع الليل وتدرعه إذا دخل فيه يسري ، كأنّه لبس ظلمته .

إن أمسيتما دوني . وخرج توبة في أثر القوم مسرعاً ، حتى إذا انتصف النهارُ جاوز عَلَماً يقال له أفيح في الغائط . فقال لأصحابه : هل تَرَوْنَ سَمُراتٍ إلى جنب قُرون بَقَرٍ ؟ ، وقرون بقر مكان هنالك ، فإنّ ذلك مَقِيلُ القوم لم يتجاوزوه فليس وراءه ظِلٌّ . فنظروا فقال قائلٌ : أرى رجلاً يقود بعيراً كأنّه يقوده لصيدٍ . قال توبة : ذلك ابن الحَبْتَريّة ، وذلك من أرْمى مَنْ رمى . فمَنْ له يختلِجه[1] دون القوم فلا يَنْذَرون[2] بنا ؟ قال : فقال عبد الله أخو توبة : أنا له . قال : فاحْذَرْ لا يَضْرِبنّك ، وإن استطعتَ أن تحولَ بينه وبين اصحابه فافْعَلْ . فخلّى طريقَ فرسِه في غَمْضٍ[3] من الأرض ، ثم دنا منه فحَمل عليه ، فرماه ابن الحَبْتَرِيّة ، قال : وبنو الحَبْتَرِ ناسٌ من مَذْحِجٍ في بني عُقَيل ، فعقَر فرسَ عبد الله أخي توبة واختلّ[4] السهمُ ساقَ عبد الله ، فانحاز الرجل حتى أتى أصحابَه فأنذرهم ، فجمعوا رِكابَهم وكانت متفرِّقةً . قال وغَشِيهم توبة ومن معه ، فلمّا رأوا ذلك صَفُّوا رِحالهم وجعلوا السَّمُراتِ في نحورهم وأخذوا سِلاحهم ودَرَقَهم ، وزَحف إليهم توبة ، فارتمى القومُ لا يُغْني أحدٌ منهم شيئاً في أحد . ثم إنّ توبةَ وكان يُتَرِّسُ[5] لـه أخوه عبد الله ، قال : يا أخي لا تُتَرِّسْ لي ؛ فإنّي رأيت ثوراً كثيراً ما يرفع التُّرْسَ ، عسى أن أُوافق منه عند رَفْعِه مَرْمًى فأرميَه . قال : ففعل ، فرماه توبةُ على حَلَمةِ ثديه فصرَعه . وجالَ القومُ فغَشِيهم توبةُ وأصحابُه فوضعوا فيهم السلاح حتى تركوهم صَرعى وهم سبعةُ نفرٍ . ثم إنّ ثوراً قال انتزِعوا هذا السهمَ عنّي . قال توبة : ما وضعناه لننتزعَه . فقال أصحابُ توبة : انْجُ بنا نأخذ آثارَنا ونَلْحَق راويتَنا ، فقد أخذنا ثأْرَنا من هؤلاء وقد مُتْنا عَطَشاً . قال توبة : كيف بهؤلاء القومِ الذين لا يمنَعون ولا يمتنعون ! . فقالوا : أبعدهم الله . قال توبة : ما أنا بفاعلٍ وما هم إلاّ عشيرتُكم ، ولكن تجيء الراوية فأَضَع لهم ماءً وأغْسِلُ عنهم دماءهم وأُخَيل[6] عليهم من السِّباع والطير لا تأكلهم حتى أُوذِنَ قومَهم بهم بعَمْقٍ[7] . فأقام توبةُ حتى أتته الراويةُ قبل الليل ، فسقاهم من الماء وغسَل عنهم الدماء ، وجعل في أساقيهم[8] ماءً ، ثم خَيَّل لهم بالثّياب على الشجر ، ثم مضى حتى

---

1 يختلجه : ينتزعه .

2 فلا ينذرون بنا : فلا يعلمون .

3 الغمض : المطمئن المنخفض من الأرض .

4 اختله السهم : أصابه ونفذه .

5 يترس له : يستره بالترس .

6 التخييل هنا : وضع خيال على الشيء لتفزع منه السباع .

7 عمق : موضع .

8 الأساقي : جمع أسقية ، والأسقية : جمع سِقاء وهو وعاء الماء وفي مختار الأغاني «وجعل لهم في أشنانهم ماء» والأشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق .

طرَق من الليل ساريةَ بن عُوَيمر بن أبي عَدِيّ العُقَيْليّ فقال : إنّا قد تركنا رهطاً من قومكم بسَمُراتٍ من قُرون بقر ، فأدرِكوهم ، فمَن كان حيّاً فداوُوه ، ومَن كان مَيِّتاً فادْفِنوه ، ثم انصرف فلحِق بقومه . وصبّح ساريةُ القومَ فاحتملهم وقد مات ثور بن أبي سمعان ولم يَمُت غيره . فلم يزل توبةُ خائفاً . وكان السَّليلُ بن ثَوْرٍ المقتول رامياً كثيرَ البَغْي والشرّ ، فأُخبر بغرّةٍ من توبة وهو بقُنّةٍ من قِنان الشَّرَفِ يقال لها قُنَّةُ بني الحُمَيِّر ، فركب في نحو ثلاثين فارساً حتى طرقَه ؛ فترقّى توبةُ ورجلٌ من إخوته في الجبل ، فأحاطوا بالبيوت ، فناداهم وهو في الجبل : هأنذا مَن تبغُون فاجْتَنِبوا البيوت . فقالوا : إنّكم لن تستطيعوه وهو في الجبل ، ولكن خُذوا ما استدف[1] لكم من ماله ، فأخذوا أفراساً له ولإخوته وانصرفوا . ثم إنّ توبة غزاهم ، فمرّ على أفْلَتَ بن حَزْن بن معاوية بن خَفاجة ببَطْنِ بِيشةَ . فقال : يا توبة أين تُريد ؟ قال : أريد الصبيان من بني عَوْف بن عُقَيْلٍ . قال : لا تفعَل فإنّ القوم قاتِلُوك ، فمَهْلاً . قال : لا أقلع عنهم ما عشتُ ، ثم ضرب بطنَ فرسه فاستمرّ به يُحْضِر و[هو] يرتجز ويقول : [من الرجز]

تنجُو إذا قِيل لها يَعاطِ تنجو بهم من خَلَل الأمشاطِ[2]

حتى انتهى إلى مكانٍ ، يقال له حَجْرُ الرّاشدة ، ظليلٍ ، أسْفَلُه كالعمود ، وأعلاه منتشر ، فاستظلّ فيه [هو] وأصحابه . حتى إذا كان بالهاجرة مرّتْ عليه إبلُ هُبَيرةَ بن السَّمِين أخي بني عوف بن عُقَيلٍ واردةً ماءً لهم يقال له طَلوبٌ ، فأخذها وخلّى طريقَ راعِيها ، وقال له : إذا أتيتَ صُدْغَ البقرة مولاك فأخْبِرْه أنّ توبةَ أخذ الإبلَ ، ثم انصرف توبةُ [يَطْرُدُ الإبلَ] . قال : فلمّا ورد العبدُ على مولاه فأخبره نادى في بني عَوْف وقال : حَتّامَ هذا ؟ . فتعاقدوا بينهم نحواً من ثلاثين فارساً ثم اتّبعوه . ونهضت امرأةٌ من بني خَثْعَمٍ مِنْ بني الهِرّةِ كانت في بني عَوف وكانت تُؤخِّذ[3] لهم ، فقالت : أرَوني أثَره ، فخرجوا بها فأرَوْها أثَره ، فأخذتْ من تُرابه فسافتْه فقالت : اطلُبوه فإنّه [سَيُحْبَس] عليكم . فطلبوه فسبقهم ، فتَلاوَمُوا [بينهم] وقالوا : ما نرى له أثراً ، وما نراه إلاّ وقد سبقكم . قال : وخرج توبةُ حتى إذا كان بالمضجع من أرض بني كِلاب جعل نِذارتَه[4] وحبَس أصحابَه . حتى إذا كان بشِعْبٍ من هَضْبةٍ يقال لها هِنْدٌ من كبِدِ المَضْجع جعل ابن عَمٍّ له يقال له قابضُ بن عبد الله رَبيئةً [له] على رأس الهضبة فقال : انظُر فإنْ شخَص لك شيء فأعْلِمْنا .

---

1 استدف : تهيأ وأمكن .

2 يَعاطِ : زجر للإبل ، ويزجر به الذئب وغيره . وتنجو : تسرع .

3 تؤخذ لهم أي تعالج لهم السحر .

4 النذارة : الإنذار .

فقال عبد الله بن الحُمَيِّر : يا توبةُ إنّك حائنٌ[1] ، أُذَكِّرك الله ، فوالله ما رأيتُ يوماً أَشْبَهَ بسَمُراتِ بني عوف يومَ أدركناهم في ساعتهم التي أتيناهم فيها منه ، فانْجُ إن كان بك نجاةٌ . قال : دَعْنِي ، فقد جعلتُ ربيئةً ينظُر لنا . قال : ويَرجع بنو عوف بن عُقَيل حين لم يجدوا أثر توبة فيلقَوْنَ رجلاً من غَنِيٍّ ، فقالوا له : هل أحسستَ في مجيئك أثَرَ خيلٍ أو أثَرَ إبلٍ ؟ قال : لا والله . قالوا : كذبتَ وضربوه . فقال : يا قومُ لا تضربوني ، فإنّي لم أَجِدْ أثراً ، ولقد رأيتُ زُهاءَ كذا وكذا إبلاً شُخوصاً في هاتيك الهَضبة ، وما أدري ما هو . فبعثوا رجلاً منهم يقال له يزيد بن رُوَيْبة لينظر ما في الهَضبة . فأشرف على القوم ، فلمّا رآهم أَلْوى بثوبه لأصحابه حتّى جاءوا ، فحمَل أوَّلَهُم على القوم حتى غَشِي توبةَ ، وفزِع توبةُ وأخوه إلى خيلهما ، فقام توبةُ إلى فرسه فغلبتْه لا يقدِر على أن يُلجِمَها ولا وقفتْ له ، فخلّى طريقها ، وغَشِيَه[2] الرّجلُ فاعتنقه ، فصرَعَه توبةُ وهو مدهوشٌ وقد لبِس الدِّرْعَ على السيف فانتزعه ثم أهوى به ليزيد بن رُوَيْبة فاتّقاه بيده فقطع منها ، وجعل يزيد يُناشده رَحِمَ صَفِيّةَ ، وصفيّة أُمٌّ له من بني خَفاجة . وغَشِي القومُ توبةَ من ورائه فضربوه فقتلوه ، وعَلِقَهم عبدُ الله بن الحمِّير يَطْعَنُهم بالرُّمح حتى انكسر . قال : فلمّا فرَغوا من توبة لَوَوْا على عبد الله بن الحمِّير فضربوا رجلَه فقطعوها . فلمّا وقع بالأرض أشرع سيفَه وحدَه ثم جثا على رُكبتيه وجعل يقول : هَلُمُّوا ، ولم يشعُر القوم بما أصابه . وانصرف بنو عوف بن عُقَيْل ، وولّى قابضٌ منهزماً حتى لَحِق بعبد العزيز بن زُرارةَ الكِلابيِّ فأخبره الخبر . قال : فركِب عبدُ العزيز حتى أتى توبةَ فدفَنه وضمّ أخاه . ثم ترافع القومُ إلى مَروان بن الحَكَم ، فكافأ بين الدَّمَين وحُمِلَت الجِراحات . ونزل بنو عَوفٍ بن عُقَيلٍ البادية ولحِقوا بالجزيرة والشام .

[رواية لأبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عبيدة : وقد كان توبة أيضاً يُغير زمن معاوية بن أبي سفيان على قُضاعة وخَثْعَمٍ ومَهْرةَ وبني الحارث بن كَعبٍ . وكانت بينهم وبين بني عُقَيلٍ مُغاوراتٌ ، فكان توبةُ إذا أراد الغارةَ عليهم حمل الماءَ معه في الرَّوايا ثم دفنه في بعض المفازة على مَسِيرةِ يومٍ منها ؛ فيُصِيبُ ما قدرَ عليه من إبلهم فيُدخلها المفازةَ فيطلبه القوم ، فإذا دخل المفازةَ أعجزهم فلم يقدِروا عليه فانصرفوا عنه . قال : فمكث كذلك حيناً . ثم إنّه أغار في المرّة الأولى التي قُتِل فيها هو وأخوه عبد الله بن الحميِّر ورجلٌ يقال له قابض بن أبي عُقَيل ، فوجد القومَ قد حَذِروا فانصرف توبةُ مُخْفِقاً لم يُصِبْ شيئاً . فمرّ برجل من بني عَوْفِ بن عامر بن عُقَيْلٍ مُتَنَحِّياً عن قومه ، فقتله توبةُ وقتل رجلاً كان معه من

---

1 الحائن : الهالك .

2 غشيه هنا : لحقه وأدركه .

رَهْطِهِ واطّرَدَ إبلَهما ، ثم خرج عامداً يريد عبدَ العزيز بن زُرارة بن جَزْء بن سُفيان بن عَوف بن كِلاب ، وخرج ابنُ عمٍّ لثور بن أبي سِمعان المقتول ، فقال له خُزَيمة : صِرْ إلى بني عَوْف بن عامر بن عُقَيلٍ فأخبِرهم الخبرَ . فركِبوا في طلب توبةَ فأدركوه في أرض بني خَفاجةَ ، وقد أمِن في نفسه فنزل ، وقد كان أسْرى يومَه وليلته ، فاستظلّ ببُرْدَيه وألقى عنه دِرْعَه وخلّى عن فرسه الخَوصاءِ تتردّد قريباً منه ، وجعل قابضاً ربيئةً له ونام ، فأقبلتْ بنو عوف بن عامر مُتقاطرين لئلاّ يَفْطِنَ لهم أحدٌ ، فنظر قابض فأبصر رجلاً منهم فأقبل إلى توبة فأنبهه . فقال توبةُ : ما رأيتَ ؟ قال : رأيتُ شخصَ رجلٍ واحد ، فنام ولم يكترث له ، وعاد قابضٌ إلى مكانه فغلبتْه عيناه فنام . قال : فأقبل القومُ على تلك الحال فلم يَشْعُر بهم قابضٌ حتى غَشُوه ، فلمّا رآهم طار على فرسه . وأقبل القومُ إلى توبة ، وكان أوّل مَن تقدّم غلامٌ أمردُ على فرس عُرْيٍ[1] يقال له يزيد بن رُوَيْبَةَ بن سالم بن كَعْبِ بن عَوفِ بن عامر بن عُقَيلٍ ؛ ثم تلاه ابن عمِّه عبد الله بن سالم ثم تتابعوا . فلمّا سمِع توبةُ وَقْعَ الخيلِ نهضَ وهو وَسْنانُ فلبس دِرعَه على سيفه ثم صوّت بفرسه الخَوصاء فأتته ، فلمّا أراد أن يَركَبها أهوتْ تَرْمَحه[2] ، ثلاثَ مرّاتٍ ، فلمّا رأى ذلك لطمَ وجهَها فأدبرت ، وحال القومُ بينه وبينها . فأخذ رُمْحَه وشدَّ على يزيد بن رُوَيبة فطعنَه فأنفذ فخذيه جميعاً . وشدّ على توبة ابن عمّ الغلام عبد الله بن سالم فطعنه فقتله ، وقطعوا رجلَ عبد الله . فلمّا رجع عبد الله بعد ذلك إلى قومه لاموه وقالوا له : فَرَرْتَ عن أخيك ، فقال عبد الله بن الحمِّير في ذلك . قال أبو عُبيدة وحدَّثني أيضاً مُزَرِّع بن عبد الله بن هَمّام بن مُطَرِّف بن الأعلم قال : كان أهلُ دارٍ من بني جُشَم بن بكر بن هوازِن يقال لهم بنو الشَّريد حلفاء لبني عداد بن خَفاجة في الإسلام ، فكان بينهم وبين خَمِيس بن ربيعة رَهْط قَومِه قتالٌ على ماءةٍ تُدْعى الحُلَيْفَةَ وعامّتها لجَدٍّ بن همّام . قال وشهِد عبد الله بن الحميِّر ذلك وهو أعرج ، عَرَجَ يوم قُتل توبةُ فلم يُغنِ كثيرَ غَناءٍ . فقالت بنو عُقيل : لو توبةُ تلقّاهم لبُلُوا [منه] بغير أفوق ناصل[3] .

[قصيدة لعبد الله بن الحمير يعتذر فيها إلى قومه بعد قتل أخيه]

فقال عبد الله بن الحُمَيِّر يعتذر إليهم : [من الوافر]

تَـأَوَّبَنـــي بعارمـــةَ الهمـــومُ كما يعتـــادُ ذا الدَّيْنِ الغريمُ[4]

---

1 الفرس العري : الذي لا سرج عليه .

2 ترمحه : ترفسه .

3 الأفوق من السهام : الذي كسر فوقه وهو مشق الوتر منه . والناصل من السهام : ذو النصل ، والذي سقط نصله . ونصل السهم : الحديدة التي في رأسه .

4 تأوبني الشيء : رجع إليّ ليلاً . عارمة : موضع .

كأنّ الهَمَّ ليس يُريدُ غيري ... ولو أمسى له نَبَطٌ ورُومُ
عَلامَ تقومُ عاذلتي تلومُ ... تُؤرّقني وما انجاب الصَّرِيمُ[1]
فقلتُ لها رُوَيْداً كي تَجَلَّى ... غَواشِي النَّوْمِ والليلُ البهيمُ
ألَمّا تَعْلَمِي أنّي قديماً ... إذا ما شئتُ أعصي مَنْ يلومُ
وأنّ المرءَ لا يَدْرِي إذا ما ... يَهُمُّ عَلامَ تحمِله الهُمومُ
وقد تُعْدِي على الحاجات حَرْفٌ ... كرُكنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ عقيمٌ[2]
مُداخَلَةُ الفَقارِ وذاتُ لَوْثٍ ... على الحُزّانِ مُقْحَمَةٌ غَشُومُ[3]
كأنّ الرَّحْلَ منها فوق جَأْبٍ ... بذاتِ الحاذِ مَعْقِلُه الصَّرِيمُ[4]
طَباه بِرِجْلَةِ البَقّارِ برقٌ ... فبات الليلَ مُنْتَصِباً يَشِيمُ[5]
فبينا ذاك إذ هَبَطتْ عليه ... دَلُوحُ المُزْنِ واهيةٌ هَزِيمُ[6]
تَهُبُّ لها الشَّمالُ فتمتريها ... ويَعْقُبُها بنافحةٍ نسيمُ[7]
يُكِبُّ إذا الرَّذاذُ جرى عليه ... كما يُصْغِي إلى الآسي الأَمِيمُ[8]
إذا ما قال أقْشَعَ جانباهُ ... نَشَتْ من كلّ ناحيةٍ غيومُ[9]
فأشْعِرَ ليله أرَقاً وقُرّاً ... يُسَهِّره كما أرِقَ السَّليمُ
ألا مَنْ يشتري رِجلاً بِرِجْلٍ ... تَخَوَّنَها السِّلاحُ فما تَسُومُ[10]

---

1 الصريم : الليل والصبح ، من الأضداد . وانجاب : انشق .

2 تعدى : تعين . والحرف هنا : الناقة الصلبة الضامرة ، شبهت بحرف الجبل في الصلابة . الرعن : الجبل الطويل ، وأنف يتقدم الجبل . وذعلبة : سريعة .

3 اللوث هنا : القوة . الحزان : جمع خزين وهو المكان الغليظ المنقاد . ومن معاني المقحم : البعير الذي يسير في المفازة من غير راعٍ ولا سائق . وغشوم : يريد أنها جريئة ماضية تركب رأسها إذا سارت لا يثنيها شيء عن هواها .

4 الجأب : الغليظ الصلب من الحمر الوحشية والثيران الوحشية . الحاذ : ضرب من الشجر واحده حاذة ، والحاذ : موضع بنجد . والصريم هنا : القطعة المنقطعة من معظم الرمل .

5 طباه : دعاه أو قاده . ورجلة البقار : موضع .

6 الدلوح من السحاب : كثير الماء . والواهية من السحاب : التي تنبثق بالماء انبثاقاً شديداً . وهزيم هنا : تنبعج بالماء لا تستمسك .

7 تمتريها : تحتلبها . والنافحة : وصف من نفحت الريح ، إذا هبّت .

8 يكبّ في ل : يلث ، ويكبّ : يريد أنه يطأطىء رأسه . يصغي : يميل . والأميم : المشجوج في أم رأسه أي دماغه .

9 نشت : أصله نشأت .

10 تخوّنها : تنقّصها وغيّر حالها . والسّوم هنا : سرعة المرء .

تَلُومُـكَ في القتالِ بنو عُقَيْلٍ وكيـف قِتالُ أعرَجَ لا يقومُ
ولـو كنتُ القتيلَ وكان حيّاً لَقاتـلَ لا ألَـفٌّ ولا سئومُ[1]
ولا جَثّامـةٌ وَرَعٌ هَيُـوبٌ ولا ضَرَعٌ إذا يُمْسي جَثُومُ[2]

قال : ثم إنّ خَفاجَةَ رَهْطَ تَوبةَ جمعوا لبني عَوفِ بن عامر بن عُقَيل الذين قتلوا توبةَ ، فلمّا بلغهم الخبرُ لحِقوا ببني الحارث بم كعب ، ثم افترقتْ بنو خَفاجة . فلمّا بلغ ذلك بني عوف رجعوا ، فجمعتْ لهم بنو خَفاجة أيضاً قبائلَ عُقَيْل . فلمّا رأت ذلك بنو عَوف بن عامر بن عُقَيل لحِقوا بالجزيرة فنزلوها ؛ وهم رهط إسحاق بن مُسافِر بن ربيعةَ بن عاصم بن عمرو بن عامر بن عُقَيل . ثم إنّ بني عامر بن صعصعة صاروا في أمرهم إلى مَروان بن الحَكَم وهو والي المدينة لمعاوية بن أبي سُفيان ، فقالوا : نَنْشُدُك اللهَ أنْ تَفرّقَ جماعتُنا ، فعَقَل[3] توبةَ وعقَل الآخرينَ مَعاقِلَ العرب مائةً من الإبل ، فأدّتها بنو عامر . قال : فخرجتْ بنو عوف بن عامر قَتَلةُ توبةَ فلحِقوا بالجزيرة ، فلم يبقَ بالعالية[4] منهم أحدٌ ، وأقامت بنو رَبيعة بن عُقَيلٍ وعُروة بن عُقَيل وعُبادة بن عُقَيل بمكانهم بالبادية .

[رواية أبي عبيدة في مقتله وسببه]

قال أبو عُبيدة وحدَّثنا مُزَرّع بن عمرو بن همّام ، قال أبو عبيدة : وكان معي أبو الخطّاب وغيره ، قال : تَوبة بن حُمَيِّر بن ربيعة بن كَعب بن خَفاجة بن عَمرِو بن عُقَيل ، وأمّه زُبيدة . فهاج بينه وبين السُّلَيل بن ثور بن أبي سمعان بن عامر بن عوف بن عُقيل كلامٌ ، وكان شرِّيراً ونظيرَ توبةَ في القوّة والبأس ، فبلغ الحَوْرُ[5] (وهو الكلام) إلى أن أوعد كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه ، فالتقى بعد ذلك توبةُ والسُّلَيلُ على غَديرٍ من ماء السماء ، فرمى توبةُ السليلَ فقتله . ثم إنّ توبةَ أغار ثانيةً على إبل بني السَّمِينِ بن كَعب بن عَوف بن عُقيل واردةً ماءَهم فاطّرَدَها . واتبعوه وهم سبعة نفر : يزيد بن رُوَيْبة ، وعبدُ الله بن سالمٍ ، ومُعاوية بن عبد الله ، قال أبو عُبيدة : ولم يذكر غيرَ هؤلاء ، فانصرفوا يجنُبون[6] الخيل يحمِلون المَزادَ ، فقَصُّوا أثر توبةَ وأصحابِهِ فوجدوهم وقد أخَذوا في المَضْجَعِ من أرض بني كِلابٍ في أرضٍ

1 الألف هنا : الرجل الثقيل الكثير اللحم . وهو أيضاً المقرون الحاجبين . وسئوم : ملول .
2 الجثامة هنا : النؤوم الذي لا ينهض للمكارم أو البليد . والورع : الجبان والصغير الضعيف لا غناء عنده . والضرع : الضعيف الجبان . والجثوم الذي يلزم مكانه فلا يبرح ، والذي يتلبد بالأرض .
3 عقل فلاناً : وداه أي دفع ديته .
4 العالية : اسم لكلّ ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمائرها إلى تهامة .
5 الحور : الاسم من المحاورة .
6 جنب الدابة : قادها إلى جنبه .

دَمِثةٍ[1] تَربةٍ ، فضَلّتْ فرسُ توبةَ الخَوْصاءُ من الليل ، فأقام واضطجع حتى أصبح ، وساق أصحابُ الإبلَ ، وهم ثلاثة نَفَرٍ سوى توبة : المُحْرِزُ أحدُ بني عمرو بن كِلابٍ ، وقابِضُ بن أبي عُقَيل أحدُ بني خَفاجةَ ، وعبد الله بن حُمَيِّر أخو توبةَ لأُمِّه وأبيه . فلمّا أصبح توبةُ إذا فرسُه الخوصاءُ راتعةٌ أدْنى ظَلَمٍ[2] قريبة منه ليس دونها وجاحٌ[3] فأشلاها[4] حتى أتتْه ، ثم خرج يعدُو حتى لحِق بأصحابه ، فانتهَوْا إلى هضبةٍ بكَبِدِ المَضجَع ، فارتَقى توبةُ فوقَها ينظر الطَّلَب[5] ، فرآه القوم ولم يَرَهم عند طلوع الشمس ، وبالت الخوصاء حين انتهتْ إلى الهضبة ، فقال القوم : إنّه لطائر أو إنسان . فركِب يزيد بن رُوَيْبة وكان أحدثَ القومِ سِنّاً ، وأُمُّه بنت عَمِّ توبةَ ، فأغار رَكْضاً حتى انتهى إلى الهضبة ، فإذا بولُ الفرس وعليه بقيَّةٌ من رَغْوته ، وإذا أثرُ توبةَ يعرِفونه ، فرجعَ فخبَّر أصحابَه . واندفع توبةُ وأصحابُه حتى نزلوا إلى طَرَف هَضْبةٍ يقال لها الشِّجْرُ من أرض بني كِلابٍ ، فقالوا بالظَّهيرةِ ، فلم يَشْعُرْ شِعْره إلاّ والإبلُ قد نَفَرتْ ، وكانت بَرْكاً[6] بالهاجرة ، من وَئيد[7] الخيل . فوثب توبةُ ، وكان لا يضع السيف ، فصَبّ الدِّرْعَ على السيف متقلِّدَه وَهَلاً ، وداجت القوم ، فطلب قائمَ السيف فلم يقدِر عليه تحت الدِّرع فلم يستطع سَلَّه ، فطار إلى الرُّمح فأخذه ، فأهْوى به طَعْناً إلى يزيد ين رُوَيْبة ، وقد كان يزيد عاهد اللهَ ليقتُلَنَّه أو ليأخذَنَّه ، فأنفذ فَخِذَ يزيدَ ، واعتنقه يزيدُ فعضَّ بوجنَتَيْه ، واستدبره عبدُ الله بالسيف ففلقَ رأسَ توبة . وهَيَّتَ[8] توبةُ حين اعتوره الرجلان بقابضٍ : يا قابض فلم يَلْوِ عليه ، وفرّ قابضٌ [و] الكلابيّ ، وذبّ عبدُ الله بن حُمَيِّر عن أخيه ؛ فأهوى له معاوية بن عبد الله بالسيف فأصاب رُكبتَه فاختلعت (أي سقطتْ) . فأتى قابضٌ من فَوْرِه ذلك عبد العزيز بن زُرارة أحدَ بني أبي بكر بن كِلابٍ فقال : قُتِل توبة . فنادى في قومه ، فجاءه أبوه زُرارةُ فقال : أين تريد ؟ فقال : قُتِل توبة . فقال أبوه طوط سُحْقاً لك ! أتطلب بدمِ توبةَ أنْ قتلتْه بنو عُقَيْلٍ ظالماً لها باغياً عادياً عليها ! قال لكنّي أُجنّه إذاً . قال أبوه : أمّا هذه فنَعَمْ . فألقى السِّلاحَ وانطلق حتى أجنّه ، وحمل أخاه عبدَ الله بن حميِّر . قال : فأهلُ البادية يزعمون أنّ مُحْرِزاً سُحِر فأُخِذ عن سيفه .

---

1 الأرض الدمثة : السهلة اللينة .

2 أدنى ظلم : أي أدنى شيء .

3 الوجاح : الستر .

4 أشلى الدابة : دعاها إليه .

5 الطلب هنا : جمع لطالب .

6 البرك هنا : جماعة الإبل الباركة .

7 الوئيد هنا : الصوت العالي الشديد .

8 هيت بفلان : صاح به ودعاه .

[رثت ليلى توبة بعدّة قصائد]

فقالت ليلى الأخيليّة بنت عبد الله بن الرحّالة بن شدّاد بن كَعْب بن معاوية فارس الهرّار بن عُبادة بن عُقَيل : [من الطويل]

نظـرتُ ورُكْنٌ من ذِقانَيْنِ دونَهُ مَفاوِزُ حَوْضى أيّ نَظْـرةِ ناظِرِ[1]
لأونسَ إنْ لم يَقْصُرِ الطَّرْفُ عنهمُ فلم تَقْصُرِ الأخبارُ والطَّرْفُ قاصري
فوارسَ أجـلى شأوُها عن عَقِيرةٍ لِعاقِرِهـا فيهـا عَقِيـرةُ عـاقرِ

شأوها : سُرْعتها وهو الطَّلَقُ وجريها ، وقال غيره : غايتها . عقيرة : تعني توبةَ . لعاقرها : تعني لعاقر توبة ، تُريد يزيدَ بن رُوَيبة . ووجهٌ آخر : في عَقِيرةِ عاقرٍ معنى مَدْحٍ أيْ عقيرة كريمة لعاقرها . ووجهٌ آخر : عَقيرة لعاقرها : فيها الهلاكُ بعَقْرِها .

فآنستُ خيـلاً بالرُّقـَيِّ مُغِيرةً سَوابِقُهـا مثـلُ القَطـا المُتَواتِرِ[2]
قَتِيلُ بنـي عَـوْفٍ وأَيصُرُ دونَه قتيـلُ بنـي عَـوْفٍ قتيلُ يُحابِرِ[3]
تَـواردَه أسيافُهـم فكأنّمـا تَصادَرْنَ عن أقطاعِ أبيضَ باترِ[4]
مـن الهِندُوانِيـاتِ في كلِّ قِطْعةٍ دَمٌ زلّ عن أثْرٍ من السَّيفِ ظاهرِ[5]
أتتْـه المنايـا دون زَغْفٍ حصينةٍ وأسمـر خَطِّـيٍّ وخَوْصاءَ ضامرِ[6]
على كلّ جَـرْداء السَّراة وسابحٍ دَرَأْنَ بشُبَّـاكِ الحديـدِ زوافرِ[7]
عَوابسَ تعـدُو الثَّعْلبيّـةَ ضُمَّراً وهُنّ شَواحٍ بالشَّكيم الشواجرِ[8]
فـلا يُبْعدَنـْكَ اللهُ يا تَوْبَ إنّما لِقاء المنايا دارعـاً مثـلُ حاسرِ

---

1 ذِقان : اسم جبل ، وهما جبلان أحدهما لبني عمرو بن كلاب ، والآخر لبني أبي بكر بن كلاب . وحوضى هنا : نجد من منازل بني عقيل ، وهو أيضاً : ماء لبني طهمان بن عمرو بن سلمة ينتهي إلى ابن كلاب .

2 الرقى : موضع . المتواتر : الذي يجيء بعضه إثر بعض .

3 أيصر : موضع ببلاد بني عقيل .

4 الأقطاع : جمع قِطْع وهو ما قطع من حديد أو غيره .

5 الأثر : فرند السيف ورونقه .

6 الزغف : الدروع المحكمة . والخوصاء الضامر : الفرس .

7 الجرداء من الخيل : القصير الشعر ، وهو مدح في الخيل . السراة : الظهر . والسابح من الخيل : الحسن مدّ اليدين في الجري .

8 الثعلبية : أن يعدو الفرس عدو الكلب . وشواح : فاتحات أفواهها . والشكيم : واحدته شكيمة وهي الحديدة المعترضة في الفم من اللجام . والشواجر : المشتبكة .

فـإلاّ تَـكُ القَتْلى بَـواءً فإنّكم ستَلْقَوْن يوماً وِرْدُه غيرُ صادرِ[1]
وإنّ السليـلَ إذ يـباوِي قَتِيلَكم كموحومةٍ من عَرْكِها غيرِ طاهرِ[2]
فإن تَكُـنِ القَتْلى بَـواءً فإنّكم فَتًى مـا قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فَتًـى لا تَخَطَّاه الرِّفاقُ ولا يرى لِقِدْرٍ عِيـالاً دون جـارٍ مُجاوِرِ
ولا تأخذُ الكُومُ الجِلادُ رماحَها لتوبـةَ في نَحْسِ الشِّتاءِ الصَّنابِرِ[3]
إذا مـا رأتْـه قائمـاً بسلاحه تَقَتْـه الخِفـافُ بالثِّقال البَهازِرِ[4]
إذا لم يَجُـدْ منها بِرِسْلٍ فقَصْرُه ذُرى المُرْهَفاتِ والقِلاصِ التَّواجِرِ[5]
قَرى سيفَه منهـا مُشاشاً وضَيْفَه سَنـامَ المَهارِيسِ السِّباطِ المَشافِرِ[6]
وتَوْبَـةُ أحْيـا مـن فتاةٍ حيِيَّةٍ وأجرأُ مـن لَيْثٍ بخَفّانَ خادِرِ[7]
ونِعْـمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجراً وفوق الفتى إنْ كان ليس بفاجِرِ[8]
فتـى يُنْهِلُ الحاجـاتِ ثـم يَعُلُّها فيُطلِعُهـا عنـه ثَنايـا المَصادِرِ

صوت

[من الطويل]

كأنّ فتى الفِتْيانِ تَوْبَـةَ لم يُنِخْ قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحَصا بالكَراكِرِ[9]
ولَـم يَبْنِ أبـراداً عِتاقـاً لفِتْيةٍ كِرامٍ ويَرْحَلْ قبـل فَيْءِ الهواجِرِ

في هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الأوّل لمحمد بن إبراهيم قريض وهو من خاصٍّ صنعته وغنائه .

---

1 يباوي : يساوي .
2 ومرحومة : بها داء الرحم . والعرك : الحيض .
3 الكوم : جمع كوماء وهي العظيمة السّنام من الإبل . والجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . يقال : أخذت الابل رماحها : إذا حسنت في عين صاحبها فامتنع من نحرها . ونحس الشتاء : ريحه الباردة . وصنابر الشتاء : شدّة برده .
4 البهازر من الإبل : العظام ، واحدتها بهزرة .
5 الرِّسل : اللبن . والمرهفات : الدقيقات والتواجر هنا : الإبل النافقة في التجارة وفي السّوق .
6 المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين ، الواحدة مشاشة . والمهاريس من الإبل : الجسام الثقال . ورباط المشافر : طويلتها .
7 خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة . وخادر : مقيم .
8 صدر البيت في ل : ونعم فتى الدنيا وإنْ كان فاجراً .
9 الكراكر : جمع كِركرة وهي هنا رحى زور البعير أو صدره .

ولم يَتَجَلَّ الصُّبْحُ عنه وبَطْنُه ... لَطِيف كطَيِّ السَّبِّ ليس بحادِرِ[1]
فتًى كان للمولى سناءً ورفعة ... وللطارق الساري قِرًى غيرَ باسرِ[2]
ولم يُدْعَ يوماً للحِفاظِ وللنَّدا ... وللحَرْبِ يرمي نارَها بالشرائرِ
وللبازلِ الكَوْماءِ يرغو حُوارُها ... وللخيلِ تعدو بالكُماةِ المَساعرِ[3]
كأنّكَ لم تَقْطعْ فلاةً ولم تُنِخْ ... قِلاصاً لدى فأوٍ من الأرضِ غائرِ[4]
وتُصْبِحْ بمَوْماةٍ كأنّ صَرِيفَها ... صَريفُ خَطاطِيفِ الصَّرى في المَحاوِرِ[5]
طوتْ نَفْعَها عنّا كِلابٌ وآسَدَتْ ... بِنا أجْهَلِيها بين غاوٍ وشاعرِ[6]
وقد كان حقّاً أن تقولَ سَراتُهم ... لَعاً لأخينا عالياً غيرَ عاثرِ[7]
ودَوِّيّةٍ قَفْرٍ يحارُ بها القَطا ... تَخَطَّيْتَها بالنّاعجاتِ الضّوامرِ[8]
فَتَاللهِ تَبْنِي بيتَها أُمُّ عاصمٍ ... على مثله أُخْرى الليالي الغوابرِ[9]
فليس شِهابُ الحربِ تَوْبةُ بعدَها ... بغازٍ ولا غادٍ برَكْبٍ مُسافرِ
وقد كان طَلاّعَ النّجادِ وبَيِّن اللـ ... ـسان ومِدْلاجَ السُّرى غيرَ فاترِ
وقد كان قبل الحادثاتِ إذا انتحى ... وسائقَ أو معبوطةً لم يُغادِرِ[10]
وكنتَ إذا مولاك خاف ظُلامةً ... دعاك ولم يهْتِفْ سواك بناصرِ[11]

---

1 السب : الثوب الرقيق . والحادر هنا : الغليظ السمين .

2 المولى هنا : ابن العم أو الحليف . وباسر : عابس .

3 البازل : الناقة التي انشق نابها ؛ وهي ما استكملت السنة الثامنة وطعنت في التاسعة . والكوماء : الناقة العظيمة السنام . والحوار : ولد الناقة . والمساعر : جمع مِسْعَر وهو الذي يوقد نار الحرب .

4 الفأو : بطن من الأرض تطيف به الرمال .

5 المومأة : المفازة الواسعة أو التي لا ماء فيها ولا أنيس بها . والصريف : الصوت . والخطاطيف : جمع خُطاف ، وهو حديدة جحناء تعقل بها البكرة من جانبيها وفيها المحور ، والصرى : الماء الذي طال مكثه فتغيّر . والمحاور : جمع محور وهو الحديدة التي تجمع بين الخطاف والبكرة .

6 آسدت : هيجت وأغرت .

7 لعا : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش يقال : لعا لفلان عالياً إذا دعي له .

8 الدوية ، ومثلها الداوية : الفلاة الواسعة المستوية . والناعجات من الإبل ، البيض الكريمة أو هي التي يصاد بها نعاج الوحش من الظباء والبقر . والنَّعْج : ضرب من سير الإبل سريع .

9 الغوابر هنا : الباقيات .

10 انتحى : قصد . والوسيقة : الجماعة من الإبل ونحوها كالرفقة من الناس . والمعبوطة : المذبوحة من غير داء ولا كسر .

11 ولم يهتف في ل : ولم يعدل

فإنْ يَـكُ عبدُ الله آسى ابـنَ أُمِّه وآبَ بـأسلاب الكَمِـيِّ المُغاوِرِ[1]
وكان كذات البَـوِّ تَضْرِب عنـده سِباعاً وقـد ألقَيْنَـه في الجَراجِرِ[2]
فإنّـك قـد فارقتَـه لـك عاذراً وأنّى لِحَـيٍّ عُـذْرُ مَنْ في المَقابِرِ
فأقسمـتُ أبكـي بعـد تَوْبةَ هالكاً وأحفِلُ مَـنْ نالـتْ صروفُ المَقادِرِ
على مثـلِ هَمَّـامٍ ولابنِ مُطَرِّفٍ لِتَبْكِ البَواكـي أو لِبِشْرِ بـن عامرِ
غُلامـانِ كانـا استَوْرَدا كلَّ سَوْرةٍ من المَجْدِ ثـمّ استوثقا في المَصادِرِ[3]
رَبِيعَـيْ حَيـاً كانا يَفِيضُ نَداهُما على كُلِّ مغمـورٍ نَـداهُ وغامرِ
كأنَّ سَنـا نارَيْهمـا كلَّ شَتْـوةٍ سَنا البَرْقِ يبـدو للعيـون النواظرِ

وقالت أيضاً ترثي توبةَ ، عن أُمِّ حُمَيِّر ، وأُمُّها ابنةُ أخي تَوْبةَ ، عن أُمِّها . قال أبو عبيدة : أُمّ حُمَيِّر أُختُ أبي الجرّاح العُقَيليّ . قال : وأمّها بنت أخي توبة بن حُمَيِّر . قال : وكان الأصمعيّ يُعْجَبُ بها : [من الطويل]

أيـا عَيْنُ بَكِّـي توبـةَ ابنَ حُمَيِّرٍ بسَحٍّ كفيـض الجَـدْوَلِ المُتفَجِّرِ
لِتَبْـكِ عليـه مـن خَفاجةَ نسوةٌ بمـاء شؤونِ العَبْـرة المتحـدِّرِ[4]
سَمِعْـنَ بَهيْجـا أرهقـتْ فذكرنَه ولا يبعثُ الأحـزانَ مثلُ التَّذَكُّرِ[5]
كأنّ فَتـى الفِتْيـانِ توبـةَ لم يَسِرْ بنَجْـدٍ ولم يَطْلُـعْ مـع المُتغوِّرِ[6]
ولم يَـرِدِ المـاء السِّدامَ إذا بَـدا سَنا الصُّبْحِ في بادي الحواشي مُنَوِّرِ[7]
ولَم يَغْلِبِ الخَصْمَ الضِّجاجَ ويَمْلأ الـ ـجِفانَ سَدِيفاً يـوم نَكْباء صَرْصَرِ[8]

1 آساه هنا : شاركه أو أصابه بخير . والمغاور : المقاتل الكثير الغارات .
2 الجراجر : الحلوق .
3 السَّورة من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه .
4 خفاجة : رهط توبة وهو جدّ له .
5 أرهقت : أدركت ، أو ألحقت وأغشت .
6 المتغور : الذي يأتي الغور .
7 الماء السّدام : القديم المندفن . وفي رواية الكامل : «في أعقاب أخضر مدبر» ، الأخضر هنا الليل . والعرب تسمّي الأسود أخضر .
8 الضجاج : المجادلة والمشاركة والمشاغبة . والسديف : قطع السنام . والنكباء : الريح التي تنحرف في مهبها فتجيء ، بين ريحين . والصرصر : الشديدة الصوت أو البرد .

ولم يَعْـلُ بالجُـرْدِ الجيادِ يَقُودُها ... بسُرّةَ بـين الأشْمَساتِ فـايْصُرِ[1]
وصحـراءَ مَوْمـاةٍ يَحارُ بها القَطا ... قَطَعْـتَ على هَـوْلِ الجَنانِ بمِنْسَرِ[2]
يقـودون قُبّـاً كالسَّراحينِ لاحَها ... سُراهُـمْ وسَيْرُ الراكـبِ المُتَهَجِّرِ[3]
فلمّـا بَـدَتْ أرضُ العـدوّ سَقَيْتَها ... مُجـاجَ بَقِيّـاتِ المَـزادِ المُقَيَّرِ[4]
ولمّـا أهابُـوا بالنِّهـابِ حَوَيْتَها ... بخاظِـي البَضِيعِ كَـرُّه غيرُ أعْسَرِ[5]
مُمَـرٌّ ككَـرِّ الأنْـدَرِيِّ مُثابِـرٍ ... إذا ما وَنَيْنَ مُهْلِـبِ الشَّدِّ مُحْضِرِ[6]
فألوتْ بـأعناقٍ طِـوالٍ وراعَهـا ... صَلاصِـلُ بَيْضٍ سابـغٍ وسَنَوَّرِ[7]
أَلَـم تَـرَ أنّ العبـدَ يقتـل ربَّـه ... فيظهَـرُ جَـدُّ العبد من غير مَظْهَرِ
قتلتم فتًـى لا يُسْقطُ الرَّوْعُ رُمْحَه ... إذا الخيـلُ جالـت في قَناً متكسِّرِ
فيـا تَـوْبُ لِلهَيْجا ويا تَوْبُ للنَّدى ... ويا تَـوْبُ للمُسْتَنْبِـحِ المتنـوِّرِ[8]
ألا ربَّ مكـروبٍ أجَبْـتَ ونائـلٍ ... بذلـتَ ومعـروفٍ لديـكَ ومُنْكَرِ

وقالت ترثيه : [من الطويل]

أقسمتُ أرثي بعـد توبـةَ هالكاً ... وأحْفِـلُ مَنْ دارت عليه الدوائرُ
لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفَتى ... إذا لم تُصِبْـه في الحيـاةِ المَعايرُ
ومـا أحـدٌ حيٌّ وإنْ عـاشَ سالماً ... بأخْلَـدَ مِمّـن غيّبتـه المقابرُ
ومَنْ كان ممّا يُحْدِثُ الدهرُ جازعاً ... فلا بُـدَّ يوماً أن يُرى وهو صابرُ
وليس لِذِي عيشٍ عن الموتِ مَقْصَرٌ ... وليس على الأيّـامِ والدّهرِ غابرُ[9]
ولا الحيُّ ممّا يُحْدِثُ الدهرُ مُعْتَبٌ ... ولا المَيْتُ إن لم يَصبِرِ الحيُّ ناشرُ

---

1 أشمس : جبل في شق بلاد بني عقيل . وسرّة وأيصر : موضعان .
2 المِنْسَر : قطعة من الجيش تمر أمام الجيش الكبير ، والجماعة من الخيل .
3 القلب : الدقاق الخصور . والسراحين : الذئاب . ولاحها : غيرها . والمتهجر : الذي يسير في الهاجرة .
4 المُجاج : اسم لما تَمجّه من فيك . والمزاد : الأسقية .
5 النهاب : جمع منهب وهو الغنيمة . والخاظي : المكتنز اللحم . والبضيع : اللحم .
6 المُمرّ : الحبل الذي أُجيد فتله . والكرّ هنا : الحبل الغليظ . والأندري : المنسوب إلى أندرين قرية كانت بالشام . ونين : فترن وضعفن . إلهاب الفرس للشد : متابعته للجري . إحضار الفرس : ارتفاعه في عدوه .
7 صلاصل البيض : أصواتها . والسنوّر : جملة السلاح .
8 المتنوّر : الذي يبصر النار من بعيد .
9 مقصر : محيد أو مصرف . غابر هنا : باق .

وكلُّ شبابٍ أو جديدٍ إلى بِلًى ... وكلُّ امرىء: يوماً إلى الله صائرُ
وكُلُّ قَرِينَيْ أُلْفَةٍ لِتَفَرُّقٍ ... شَتاتاً وإنْ ضَنّا وطال التّعاشُرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ الله حيّاً ومَيِّتاً ... أُخا الحرب إن دارتْ عليك الدوائرُ

ويُرْوى :

(فلا يُبْعِدَنْك الله يا توبُ هالكاً ... أخا الحرب إن دارت عليك الدوائرُ)
فآليتُ لا أنفكّ أبكيك ما دعتْ ... على فَنَنٍ ورقاءُ أو طارَ طائرُ
قتيلُ بني عَوْفٍ فيا لَهْفَتا له ... وما كنتُ إيّاهم عليه أُحاذِرُ
ولكنّما أخشى عليه قبيلةً ... لها بدروب الرّوم بادٍ وحاضرُ

وقالت ترثيه : [من البسيط]

كم هاتفٍ بَكَ من باكٍ وباكيةٍ ... يا تَوْبُ للضيف إذ تُدْعى وللجارِ
وتَوْبُ للخَصْمِ إن جارُوا وإن عَدَلوا ... وبدّلوا الأمْرَ نَقْضاً بعد إمرارِ[1]
إن يُصْدِرُوا الأمرَ تُطْلِعْهُ مواردَه ... أو يُوردوا الأمرَ تُحْلِلْهُ بإصدارِ

وقالت ترثيه : [من الطويل]

هَراقتْ بنو عَوْفٍ دماً غيرَ واحدٍ ... له نَبَأ نَجْدِيُّه سَيَغُورُ
تداعتْ له أفناءُ عوفٍ ولم يكن ... له يوم هَضْبِ الرّدْهَتَيْنِ نصيرُ[2]

وقالت ترثيه : [من البسيط]

يا عينُ بَكِّي بدَمْعٍ دائمِ السَّجَمِ ... وابْكِي لتويةَ عند الرَّوْعِ والبُهَمِ[3]
على فَتًى من بني سعدٍ فُجِعْتُ به ... ماذا أُجِنّ به في الحُفْرَةِ الرَّجَمِ[4]
من كلِّ صافيةٍ صِرْفٍ وقافيةٍ ... مثلِ السِّنانِ وأمْرٍ غيرِ مُقْتَسَمِ
ومُصْدِرٍ حين يُعْيِي القومَ مُصْدِرُهم ... وجَفْنةٍ عند نَحْسِ الكوكب الشَّبِمِ[5]

وقالت تعيِّر قابضاً : [من الطويل]

جزى الله شَرّاً قابضاً بصَنِيعِهِ ... وكلُّ امرىء يُجْزى بِما كان ساعيا

---

1 عدلوا في ل : عندوا .
2 أفناء الناس : أخلاطهم .
3 البهم هنا : مشكلات الأمور ، واحدتها بُهمة .
4 الرجم هنا : القبر .
5 الشبم : البارد . ونحس الكوكب الشبم كناية عن الشتاء .

دعـــا قابضاً والمُرْهَفـــاتُ يَرِدْنَـه فقُبِّحـتَ مدعـــوّاً ولَـبَّـيْـكَ داعِيا

وقالت لقابض وتَعْذِر عبدَ الله أخا تَوبةَ : [من الطويل]

دعـــا قابضاً والموتُ يَخْفِقُ ظِلُّه ومـــا قابضٌ إذ لم يُجِبْ بنَجِيبِ

وآسى عُبَيْدُ الله ثـــمّ ابـــنَ أُمِّه ولـــو شاء نَجَّى يوم ذاك حَبِيبي

[توبة وزنجي في الشام]

أخبرني الحسن بن عليّ عن عبد الله بن أبي سَعْدٍ عن أحمد بن معاوية بن بكر قال حدَّثني أبو الجرّاح العُقَيْليّ عن أُمِّه دِينار بنت خَيْبَريّ بن الحُمَيِّر عن توبة بن الحميِّر قال : خرجتُ إلى الشام ، فبينا أنا أسير ليلةً في بلادٍ لا أَنيسَ بها ذاتِ شجرٍ نزلتُ لأُريح ، وأخذتُ تُرْسي فألقيتُه فوقي ، وألقيتُ نفسي بين المُضْطَجع والبارك . فلمّا وجدتُ طَعْمَ النَّوْمِ إذا شيءٌ قد تجلّلني عظيمٌ ثقيلٌ قد بَرَك عليّ ، ونشزْتُ عنه ثم قَمَصْتُ[1] منه قُماصاً فرميتُ به على وجهه ، وجلستُ إلى راحلتي فانتضيت السيفَ ، ونَهض نحوي فضربتُه ضربةً انخزَلَ منها ، وعُدْتُ إلى موضعي وأنا لا أدري ما هو أإنسان أم سَبُعٌ ؛ فلمّا أصبحتُ إذا هو أسْوَدُ زِنْجيٌّ يضرِب برجليه وقد قطعتُ وَسَطَه حتى كِدتُ أبريه ، وانتهيتُ إلى ناقةٍ مُناخةٍ مُوقَرةٍ ثياباً من سَلَبه ، وإذا جاريةٌ شابَّة ناهدٌ وقد أوثقها وقَرنها بناقته . فسألتها عن خبرها ، فأخبرتني أنّه قتَل مولاها وأخذها منه . فأخذتُ الجميع وعدتُ إلى أهلي . قال أبو الجرّاح قالت أُمِّي : وأنا أدركتُها في الحيِّ تخدُم أهلَنا .

[حديث معاوية مع ليلى في توبة]

أخبرنا اليزيديّ عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال أخبرنا عَطاء بن مُصْعَب القُرَشيّ عن عاصم اللَّيْثيّ عن يونس بن حبيبٍ الضَّبّيّ عن أبي عمرو بن العلاء قال : سأل معاويةُ بن أبي سُفيان ليلى الأخيليّة عن توبةَ بن الحُمَيِّر فقال : ويحكِ يا ليلى ؛ أكما يقول الناس كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ليس كل ما يقول الناس حقّاً ، والناس شجرةُ بَغْي يحسُدون أهلَ النِّعَم حيث كانوا وعلى من كانت . ولقد كان يا أمير المؤمنين سَبْطَ البَنانِ ، حديدَ اللِّسان ، شَجاً للأقران ، كريمَ المَخْبَر ، عفيف المئزَر ، جميلَ المَنْظَر . وهو يا أميرَ المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتِ له ؟ قالت قلت ولم أتعدّ الحقَّ وعلمي فيه : [من الطويل]

بَعيـــدُ الثَّرى لا يبلغُ القومُ قَعْرَه أَلَـــدُّ مُلِـــدٌّ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهْ[2]

---

1 القُماص : الوثب .

2 ألدّ : الكثير الجدل والخصومة . وملد : وصف من أليدت بفلان ، إذا عسرت عليه في الخصومة .

إذا حَـلَّ رَكْبٌ في ذَراه وظِلِّهِ لِيَمْنَعَهـم مِمّـا تُخـافُ نَوازِلُهْ
حماهم بنَصْلِ السَّيْفِ من كلِّ فادحٍ يخافونه حتّى تمـوتَ خَصائلُهْ[1]

فقال لها معاوية : ويحِكِ ؛ يزعمُ الناس أنّه كان عاهراً خارباً[2] . فقالت من ساعتها :

مَعـاذَ إلهـي كان واللهِ سَيِّـداً جَواداً على العِـلاَّتِ جَمّاً نَوافِلُهْ
أغَـرَّ خَفاجِيّاً يـرى البُخْلَ سُبَّةً تَحَلَّـبُ كَـفّـاهُ النَّـدى وأَنامِلُهْ
عفيفـاً بعيـدَ الهَـمِّ صُلْباً قناتُه جَميـلاً مُحَيَّـاهُ قليـلاً غوائلُهْ
وقد علِمَ الجوعُ الذي بات سارياً على الضَّيْف والجيرانِ أنّك قاتلُهْ
وأنّك رَحْبُ الباعِ يا تَوْبُ بالقِرى إذا مـا لئيمُ القومِ ضاقت مَنازِلُهْ
يَبِيتُ قريـرَ العينِ مَنْ بات جارَه ويُضْحِـي بخيرٍ ضيفُـه ومُنازِلُهْ

فقال لها معاويةُ : ويحكِ يا ليلى ؛ لقد جُزْتِ بنوبةَ قَدْرَه . فقالت : واللهِ يا أمير المؤمنين لو رأيتَه وخبرتَه لعرفتَ أنّي مقصِّرة في نَعْته وأنّي لا أبلغُ كُنْهَ ما هو أهلُه . فقال لها معاوية : مِنْ أيِّ الرجالِ كان ؟ قالت : [من الطويل]

أتتْـه المَنايـا حـين تَـمَّ تَمامُه وأقصر عنـه كلُّ قِـرْنٍ يُطاوِلُهْ
وكان كليث الغابِ يحمي عَرِينَه وترضى بـه أشبالُـه وحلائلُهْ
غَضُوبٌ حليمٌ حين يُطْلَبُ حِلْمُه وسُمٌّ زُعـافٌ لا تُصابُ مَقاتِلُهْ

قال : فأمر لها بجائزةٍ عظيمة وقال لها : خبِّريني بأجْوَدِ ما قُلتِ فيه من الشعر . قالت : يا أمير المؤمنين ، ما قلتُ فيه شيئاً إلاّ والذي فيه من خِصال الخير أكثرُ منه . ولقد أجدتُ حين قلتُ : [من الطويل]

جـزى اللهُ خيراً والجـزاءُ بِكَفِّـه فتًى مـن عُقَيْـلٍ ساد غيرَ مُكَلَّفِ
فتًـى كانـتِ الدُّنيـا تهونُ بأسْرِها عليـه ولا يَنفَـكّ جَـمَّ التَّصَرُّفِ
ينـالُ عَلِيّـاتِ الأُمـورِ بهَوْنَـةٍ إذا هـي أعيتْ كلَّ خِرْقٍ مُشَرَّفِ[3]

1 الفادح هنا : الخطب من خطوب الدهر وفي ل : قادح . الخصائل : جمع خصلة ، وهي كل لحمة فيها عصب .

2 خارب : لص .

3 الهونة : الرفق والسهولة . والخِرق : السخي أو الظريف في سخاوة . ومشرف : جعله له شرف .

هـو الذَّوْبُ بَلْ أَرْيُ الخَلايا شَبيهُه ... بدِرْياقـةٍ مـن خمر بَيسانَ قَرقَفِ[1]
فيا تَوْبُ ما في العيش خيرٌ ولا نَدًى ... يُعَـدّ وقد أمسيتَ في تُرْب نَفْنَفِ[2]
وما نِلتُ منك النَّصْفَ حتى ارتمت بك الـ ... ـمنايا بسهمٍ صائب الوقع أعْجَفِ[3]
فيـا أُلْفَ أُلـفٍ كنتَ حَيّاً مُسَلَّماً ... لأَلقـاكَ مثـلَ القَسْوَرِ المُتطَرِّفِ[4]
كما كنتَ إذ كنتَ المُنحَّى من الرَّدى ... إذا الخيـلُ جالـت بالقَنا المُتَقَصِّفِ
وكَمْ مـن لَهِيفٍ مُحْجَرٍ قـد أجبتَه ... بأبيضَ قَطَّـاعِ الضَّرِيبـةِ مُرْهَفِ[5]
فأنقذتـه والمـوتُ يَحْـرِقُ نابَـه ... عليـه ولم يُطْعَـنْ ولم يُتَنَسَّفِ[6]

[ما كان بين توبة وجميل أمام بثينة]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مهرويَه عن ابن أبي سعد قال حُدِّثت عن القَحْذَميّ عن مُحارِب بن غُصَيْن العُقَيْلِيّ قال : كان توبةُ قد خرج إلى الشام ، فمرَّ ببني عُذْرةَ ، فرأتْه بُثينةُ فجعلتْ تنظر إليه ، فشقّ ذلك على جميلٍ ، وذلك قبل أن يُظهر حبّه لها . فقال له جميل : مَنْ أنت ؟ قال : أنا توبة بن الحميِّر . قال : هل لك في الصِّراع ؟ قال : ذلك إليك ، فشدّت عليه بثينةُ ملْحَفةً مُوَرَّسة[7] فأتزر بها ، ثم صارعه فصرَعه جميلٌ . ثم قال : هل لك في النِّضال ؟ قال نعم ، فناضله[8] فنضَله جميلٌ . ثم قال له : هل لك في السِّباق ؟ فقال نعم ، فسابقه فسبقه جميل . فقال له توبة : يا هذا إنّما تفعل هذا بريح هذه الجالسة ، ولكن اهبِطْ بنا الواديَ ، فصرَعه توبةُ ونضَله وسبَقه .

[عبد الملك يسألها عن سبب حب توبة لها]

أخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيْبة قال : بلغني أنّ ليلى الأخيليّة دخلت على عبد الملك ابن مَروان وقد أسنّت وعجزَتْ ، فقال لها : ما رأى توبةُ فيك حين هَوِيَكِ ؟ قالت : ما رآه الناسُ فيك حين ولَّوْك . فضحِك عبد الملك حتى بدت له سِنٌّ سَوداء كان يُخفيها .

---

1 الذّوب : العسل . الأري : العسل أيضاً . والشوب : الخلط والمزج . والدرياقة : الخمر .
2 النفنف : المفازة .
3 وما نلت في ل : وما ينل . السهم الأعجف : الرقيق .
4 القسور : الأسد . والمتطرف : المغير .
5 المحجر : المضيّق عليه .
6 حرق الأنياب : حكها بعضها ببعض ، وهو كناية عن الغضب والغيظ . وتنسف في الصراع : قبض بيده على خصمه ثم عرض له رجله فعثره .
7 مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر .
8 النضال : المباراة في الرمي . ونضله : سبقه فيه .

[وفود ليلى على الحجّاج وحديثه معها]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن [ابن] أبي سعد عن أحمد بن رشيد بن حكيم الهِلاليّ عن أيّوب بن عمرو عن رجلٍ من بني عامر يقال له وَرْقاء قال : كنتُ عند الحجّاج بن يوسف ، فدخل عليه الآذِنُ فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب امرأة تَهْدِر كما يهدِر البعيرُ النادّ[1] . قال أدْخِلْها . فلمّا دخلت نسبَها فانتسبتْ له . فقال : ما أتى بك يا ليلى ؟ قالت : إخلافُ النُّجومِ[2] ، [وقِلّةُ الغيوم] ، وكَلَب البَرْد[3] ، وشِدّة الجَهْد ، وكنتَ لنا بعدَ الله الرِّدّ[4] . قال : فأخبريني عن الأرض . قالت : الأرض مُقْشَعِرَّة[5] ، والفِجاجُ مُغْبَرّة ، وذو الغنى مُخْتَلّ[6] ، وذو الحَدِّ مُنْفَلّ . قال : وما سببُ ذلك ؟ قالت أصابتنا سِنون[7] مُجْحِفةٌ[8] مُظلمة ، لم تَدَع لنا فصيلاً[9] ولا رُبعاً ، ولم تُبْقِ عافطةً[10] ولا نافِطةً[11] ؛ فقد أهلكت الرجال ، ومزّقت العِيال ، وأفسدت الأموال ، ثم أنشدته الأبيات التي ذكرناها مُتَقَدّماً . وقال في الخبر : قال الحجّاج . هذه التي تقول : [من الكامل]

نحنُ الأَخايِلُ لا يـزالُ غُلامُنا حتى يَدِبَّ على العصا مشهورا
تَبْكِي الرِّماحُ إذا فَقَدْنَ أَكُفّنا جَزَعاً وتَعْرِفُنا الرِّفـاقُ بُحورا

ثم قال لها : يا ليلى ، أنشدِينا بعض شعرِكِ في تَوبة ، فأنشدته قولها : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما بالموتِ عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبْـه في الحيـاةِ المَعايِرُ
ومـا أحـدٌ حَيٌّ وإن عاش سالماً بأخْلَـدَ ممّـن غيّبتـه المقابرُ
فلا الحَيّ ممّا أحدث الدَّهْرُ مُعْتَبٌ ولا المَيْتُ إنْ لم يَصْبِرِ الحيُّ ناشرُ

1 النّاد : الشارد .
2 إخلاف النجوم : تريد امتناع المطر .
3 كلب البرد : شدّته .
4 الرد : الكهف والمعقل .
5 اقشعرار الأرض : تقبضها من المحل .
6 مختل : محتاج .
7 السنون : القحوط .
8 مجحفة : قاشرة تجترف المال وتذهب به . وفي الأمالي «مبلطة» بدل «مظلمة» . والمبلطة : المفقرة .
9 الفصيل : ولد الناقة أو البقرة إذا فصل عن أمّه للفطام .
10 العافطة : الضائنة .
11 النافطة : الماعزة .

وكلُّ جديـدٍ أو شبابٍ إلى بِـلى وكلُّ امرىءٍ يوماً إلى الموت صائرُ
قتيلُ بنـي عَـوْفٍ فَيـا لَهْفَتا له ومـا كنـتُ إيّـاهم عليه أحاذرُ
ولكنّنـي أخشى عليـه قبيلـةً لها بدُروب الشام بادٍ وحاضرُ

فقال الحجّاج لحاجبه : اذهَبْ فاقطَعْ لسانها . فدعا لها بالحجّام ليقطَعَ لسانها ، فقالت : ويلك ! إنّما قال لك الأميرُ اقطَعْ لسانَها بالصلة والعطاء ، فارجعْ إليه واستأذنه . فرجع إليه فاستأمره[1] ، فاستشاط عليه وهَمَّ بقطع لسانه ، ثم أمر بها فأُدخلت عليه ، فقالت : كادَ وعهدِ الله يقطع مِقْولي ، وأنشدته : [من البسيط]

حَجّاجُ أنت الذي لا فوقَـه أحدٌ إلاّ الخليفـةُ والمُسْتَغْفَـرُ الصَّمَدُ
حَجّاجُ أنت سِنانُ الحَرْبِ إن نُهِجتْ وأنت للنّاسِ في الدّاجي لنا تَقِدُ[2]

أخبرنا الحسن قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو الحسن ميمون الموصليّ عن سَلَمة بن أيّوب بن مَسلمة الهمدانيّ قال : كان جدّي عند الحجّاج ، فدخلتْ عليه امرأة بَرْزةٌ[3] ، فانتسبتْ له فإذا هي ليلى الأخيليّة . وأخبرني بهذا الخبر محمد بن العبّاس اليزيديّ ، وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال : كنتُ عند الحجّاج . وأخبرني وكيعٌ عن إسماعيل بن محمد عن المدائنيّ عن جُويرية عن بِشْرِ بن عبد الله بن أبي بكر : أنّ ليلى دخلتْ على الحجّاج ، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت : [من الطويل]

غُلامٌ إذا هـزّ القناةَ سقاها

قال لها : لا تقولي «غلامٌ» ، قولي «هُمامٌ» . وقال فيه : فأمر لها بمائتين . فقالت : زِدْني ، فقال : اجعلوها ثلاثمائة . فقال بعضُ جُلسائه : إنّها غَنَمٌ . فقالت : الأميرُ أكرمُ من ذلك وأعظمُ قَدْراً من أن يأمر لي إلاّ بالإبل . قال . فاستَحْيا وأمر لها بثلاثمائة بعير ، وإنّما كان أمر لها بغنمٍ لا إبل .

وأخبرنا [به] وكيع عن إبراهيم بن إسحاق الصالحيّ عن عمر بن شبّة عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه ، وقال فيه : ألا قلتِ مكانَ غُلامٍ هُمامٌ ! وذكر باقي الخبر الذي ذكره مَن تقدّم ، وقال فيه : فقال لها : أنشدينا ما قُلتِ في توبة ، فأنشدته قولَها : [من الطويل]

---

1 استأمره : استشاره .
2 نهجت : سلكت .
3 المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدّثون وهي عفيفة . والبرزة أيضاً : البارزة المحاسن .

فإنْ تكُنِ القَتْلى بَواءً فإنّكم فَتًى ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامرِ
فتًى كان أحْيا من فَتاةٍ حَيِيّةٍ وأشجع من لَيْثٍ بخَفّانَ خادرِ[1]
أتته المنايا دون دِرْعٍ حَصِينةٍ وأسْمَرَ خَطّيٍّ وجَرْداءَ ضامرِ
فنِعْمَ الفتى إنْ كان توبةُ فاجراً وفوق الفتى إن كان ليس بفاجرِ
كأنّ فتى الفِتْيانِ تَوْبةَ لم يُنِخْ قلائص يَفْحَصْنَ الحَصا بالكَراكِرِ

فقال لها أسماء بن خارجة : أيتها المرأة إنّك لَتَصِفينَ هذا الرجلَ بشيء ما تعرفه العرب فيه . فقالت : أيّها الرجل هل رأيتَ توبة قطُّ ؟ قال لا . فقالت : أما والله لو رأيتَه لَوَدِدْتَ أنّ كلَّ عاتقٍ[2] في بيتك حاملٌ منه ؛ فكأنّما فُقِيء في وجه أسماءَ حَبُّ الرُّمّان . فقال له الحجّاج : وما كان لك ولها ! .

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن أبي سعد عن محمد بن عليّ بن المُغيرة قال سمعتُ أبي يقول سَمِعتُ الأصمعيّ يذكر أنّ الحجّاج أمر لها بعشرة آلاف درهم ، وقال لها : هل لكِ من حاجةٍ ؟ قالت : نَعَم أصلح الله الأمير ، تحمِلني إلى ابن عمّي قُتيبة بن مُسلمٍ ، وهو على خُراسان يومئذٍ ، فحمَلها إليه ، فأجازها وأقبلتْ راجعةً تريد البادية ، فلمّا كانت بالرّيِّ ماتت ، فقَبْرُها هناك . هكذا ذكر الأصمعيُّ في وفاتِها وهو غلطٌ . وقد أخبرني عمّي عن الحَزَنْبَل الأصبهانيّ عمّن أخبره عن المدائنيّ ، وأخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْدِيّ عن ابن أبي سَعْدٍ عن محمد بن الحسن النَّخَعيّ عن ابن الخصيبِ الكاتب . واللفظُ في الخبر للحَزَنْبَل ، وروايته أتمّ : أنّ ليلى الأخيليّة أقبلتْ من سَفَرٍ ، فمرّتْ بقبر تَوبة ومعها زوجها وهي في هَودجٍ لها . فقالت : والله لا أبرحَ حتى أُسَلِّم على توبة ، فجعل زوجها يمنَعها من ذلك وتأبى إلاّ أن تُلِمّ به . فلمّا كثُر ذلك منها تركَها ، فصَعِدتْ أكمةً عليها قبرُ توبة ، فقالت : السلامُ عليك يا توبةُ ، ثم حوّلت وجهَها إلى القوم فقالت : ما عَرَفْتُ له كِذبَةً قطُّ قبلَ هذا . قالوا : وكيف ؟ قالت : أليس القائلَ : [من الطويل]

صوت

ولو أنّ ليلى الأخيليّةَ سَلّمتْ عليّ ودوني تُربةٌ وصفائحُ[3]

---

1 مثل ، ورد في مجمع الأمثال للميداني 208/2 أشجع «من أسامة» و «من ليث عرّيسة» . وورد في المصدر نفسه 337/1 «أجرأ من ليث بخفّان» وذكر بيت الشعر الوارد هنا .

2 العاتق : الشابة .

3 ودوني في ل : وفوقي .

لَسَلَّمتُ تسليـمَ البَشاشةِ أو زَقا إليها صَدًى من جانب القبر صائحُ[1]
وأُغْبَطُ مـن ليـلى بما لا أنالُه ألا كُلُّ مـا قَرَّت به العينُ صالِحُ

فما بالُه لم يُسَلِّم عليَّ كما قال . . وكانت إلى جانب القبر بومةٌ كامنةٌ ، فلمّا رأتِ الهودجَ واضطرابَه فَزِعتْ وطارت في وجه الجمل ، فنفَر فرمى بليلى على رأسها ، فماتت من وقتها ، فدُفِنتْ إلى جنبه . وهذا هو الصحيح من خبر وفاتها .

غنّى في الأبياتِ المذكورة آنِفاً حَكَمٌ الواديّ لَحْنَيْنِ ، أحدُهما رملٌ بالوسطى عن عمرو ، والآخرُ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَش ، وقال حبش : وفيها لحنان لجميلة والمَيْلاء رَمَلانِ بالبنصر ، وذكر أبو العَنْبَس بن حمدون أنّ الرمل لعُمَر الواديّ .

[كان توبة شريراً كثير الغارات]

قال أبو عبيدة : كان توبة شِرِّيراً كثير الغارةِ على بني الحارث بن كعب وخَثْعَمٍ وهَمْدان ، فكان يزور نساءً منهن يتحدّث إليهن ، وقال : [من الطويل]

أيَذْهَبُ رَيْعـانُ الشَّبابِ ولم أَزُرْ غرائرَ مـن هَمْدانَ بِيضاً نُحورُها

قال أبو عبيدة : وكان توبةُ ربّما ارتفع إلى بلاد مَهرة فيُغير عليهم ، وبين بلاد مَهْرةَ وبلاد عُقَيلٍ مَفازةٌ مُنْكَرَةٌ لا يقطعها الطَّيرُ ، وكان يحمل مَزادَ الماء فيدفِن منه على مَسيرة كلٍّ يوم مزادةً ثم يُغير عليهم فيطلبونه فيركب بها المفازة ، وإنّما كان يتعمَّد حَمارَّة القَيْظ وشِدّة الحرّ ، فإذا ركب المفازة رجعوا عنه .

[ليلى عند عاتكة زوجة عبد الملك]

أخبرني حِرْمِيٌّ عن الزبير عن يحيى بن المِقدام الرَّبعيّ عن عمِّه موسى بن يعقوب قال : دخل عبد الملك بن مروان على زوجته عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، فرأى عندها امرأةً بدويّة أنكرها ، فقال لها : مَن أنتِ ؟ قالت : أنا الواهةُ الحَرَّى ليلى الأَخيليّة . قال : أنتِ التي تقولين : [من الطويل]

أرِيقَـتْ جِفانُ ابنِ الخَلِيعِ فأصبحتْ حِياضُ النَّدى زَالَتْ بهـنّ المراتِبُ[2]
فعُفاتُـه لَهْفَـى يطوفـون حولَـه كما انقضّ عرشُ البئر والوِرْدِ عاصبُ[3]

1 زقا : صاح . والصدى هنا : طائر كالبومة كانت العرب تزعم أنه يخرج من رأس القتيل ويصيح اسقوني اسقوني حتى يؤخذ بثأره .

2 ابن الخليع : من آباء توبة . زالت في ل : زلّت .

3 العفاة : طالبو المعروف . واللهف : الحزن والتحسر . عاصب : جامع .

قالت : أنا التي أقول ذلك . قال : فما أبْقَيْتِ لنا ؟ قالت : الذي أبقاه الله لك . قال : وما ذاك ؟ قالت : نَسَباً قُرَشيّاً ، وعيشاً رَخِيّاً ، وإمْرةً مُطاعةً . قال : أفْرَدْتِه بالكَرَم ! قالت : أفردتُه بما أفرده الله به . فقالت عاتكة : إنّها قد جاءت تستعين بنا عليك في عينٍ تُسْقِيها وتَحْمِيها لها . ولستُ ليزيدَ إن شَفَّعْتُها في شيء من حاجاتها . لتقديمها أعرابيّاً جِلْفاً على أمير المؤمنين . قال : فوَثَبَتْ ليلى فقامتْ على رجْلِها واندَفعتْ تقول : [من الوافر]

ستَحْمِلُني ورَحْلِي ذاتُ وَخْدٍ ... عليها بنتُ آباءٍ كرامِ[1]
إذا جعلتْ سوادَ الشَّام جَنْباً ... وغُلِّقَ دونَها بابُ اللِّثامِ
فليس بعائدٍ أبداً إليهم ... ذوو الحاجاتِ في غَلَسِ الظَّلامِ
أُعاتِكُ لو رأيتِ غَداةَ بِنّا ... عَزاءَ النَّفْسِ عنكمُ واعتزامي
إذاً لَعَلمتِ واستَيْقَنْتِ أنّي ... مُشَيَّعةٌ ولَم تَرْعَيْ ذمامِي
أأجعلُ مثلَ توبةَ في نَداهُ ... أبا الذِّبّانِ فُوهُ الدَّهْرَ دامِي[2]
مَعاذَ اللهِ ما عَسَفتْ برَحْلِي ... تُغِذّ السَّيْرَ للبلد التَّهامي[3]
أقُلْتِ خليفةٌ فَسِواه أحْجى ... بإمْرَتِه وأوْلى باللِّثامِ
لِشامِ الملك حين تُعَدُّ كَعْبٌ ... ذوو الأخطار والخُطَطِ الجِسامِ[4]

فقيل لها : أيُّ الكَعبين عَنَيْتِ ؟ قالت : ما أخالُ كَعْباً ككَعْبي .

[رواية أخرى في وفودها على الحجاج]

أخبرنا اليزيديّ عن الخليل بن أسَدٍ عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي يعقوب الثَّقفيّ عن عبد الملك بن عُمَير عن محمد بن الحَجّاج بن يوسف قال : بينا الأميرُ جالسٌ إذ استُؤذِن لليلى . فقال الحجّاج : ومَن ليلى ؟ قيل : الأخيليّة صاحبة تَوبة . قال : أدْخِلوها . فدخلتْ امرأةٌ طويلةٌ دَعْجاء العَينين حَسنةُ المِشْية إلى الفَوَه[5] ما هي ، حَسَنةُ الثَّغْر ، فسلَّمتْ فرَدّ الحجّاج عليها ورحّب بها فدَنَتْ ، فقال الحجّاج ، دَراكِ ضَعْ لها وِسادةً يا غلام ، فجلستْ . فقال : ما أعمَلَكِ إلينا ؟ قالت : السلامُ على الأمير ، والقضاءُ لحقّه ، والتعرّض لمعروفه . قال : وكيف خلفتِ قومَكِ ؟

1 الوخد : ضرب من السّير .
2 أبو الذبان : كنية عبد الملك بن مروان لشدّة بخره .
3 عسفت : سارت وخبطت .
4 كعب : من آباء ليلى .
5 الفوه : سعة الفم .

قالت : تركتُهم في حال خِصْبٍ وأَمْنٍ ودَعَةٍ . أمّا الخِصْبُ ففي الأموال والكَلأ . وأمّا الأَمْنُ فقد أمنهم الله عزّ وجلّ بك . وأمّا الدعة فقد خامرهم من خَوفك ما أصلح بينهم . ثم قالت : ألا أُنشدك ؟ فقال : إذا شئتِ فقالت : [من الطويل]

[أحَجَّاجُ إنّ اللهَ أعطاكَ غايةً ... يُقَصِّرُ عنها مَنْ أرادَ مَداها]
أحَجَّاجُ لا يُفْلَلْ سِلاحُكَ إنّما الـ ... ـمَنايا بكَفِّ اللهِ حيثُ تراها
إذا هبَط الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تَتَبَّعَ أقصى دائها فشَفاها
شَفاها من الدّاءِ العُضالِ الذي بها ... غُلامٌ إذا هَزّ القناةَ سَقاها
سَقاها دِماءَ المارقينَ وعَلّها ... إذا جَمَحتْ يوماً وخِيفَ أذاها
إذا سَمِع الحجّاجُ رِزَّ كَتِيبةٍ ... أعَدَّ لها قبلَ النُّزول قِراها[1]
أعدّ لها مصقولةً فارسيَّةً ... بأيدي رِجالٍ يَحْلُبون صَراها[2]
أَحَجَّاجُ لا تُعْطِ العُصاةَ مُناهُمُ ... ولا اللهُ يُعْطِي للعُصاةِ مُناها
ولا كلَّ حَلاَّفٍ تَقَلَّدَ بيعةً ... فأعْظَمَ عهدَ اللهِ ثم شَراها

فقال الحجّاج ليحيى بن مُنْقِذٍ : لله بلادُها ما أشعرها ! . فقال : ما لي بشعرها علمٌ . فقال : عَلَيَّ بعُبَيْدة بن مَوْهبٍ وكان حاجبَه ، فقال : أنشدِيه فأنشدتْه : فقال : عُبيدة : هذه الشاعرة الكريمةُ ، قد وجب حقُّها . قال : ما أغناها عن شَفاعتِك ! يا غلامُ مُرْ لها بخمسمائة درهم ؛ واكْسُها خمسةَ أثواب أحدُها كِساءُ خَزّ ، وأدْخِلْها على ابنة عمّها هند بنت أسماء فقُلْ لها : حَلِّيها . فقالت : أصلح الله الأمير . أضَرّ بنا العَرِيفُ في الصدقة ، وقد خَرِبت بلادُنا ، وانكسرتْ قلوبُنا ، فأخذ خِيارَ المال . قال : اكتبوا لها إلى الحَكَم بن أيّوب فليبتَعْ لها خمسةَ أجمال وليجعلْ أحدَها نَجيباً[3] ، واكتبوا إلى صاحب اليمامة بعَزْلِ العريف الذي شكتْه . فقال ابن مَوْهَبٍ : أصلحَ الله الأمير ، أأصِلُها ؟ قال نعم ، فوصلها بأربعمائة درهم ، ووصلتْها [هند] بثلاثمائة درهم ، ووصلها محمد بن الحجّاج بوصيفتين .

قال الهيثم : فذكرتُ هذا الحديث لإسحاق بن الجَصّاص فكتبه عنّي ، ثم حدَّثني عن حمّاد الراوية قال : لمّا فَرَغتْ ليلى من شعرها أقبل الحَجّاج على جُلَسائه فقال لهم : أتدرون مَن هذه ؟ قالوا : لا ؛ والله ما رأينا امرأةً أفصحَ ولا أبلغَ منها ولا أحسنَ إنشاداً . قال : هذه ليلى

1 الرز : الصوت تسمعه من بعيد .
2 الصرى هنا : بقية اللبن . والصرى : اللبن يبقى فيتغيّر طعمه . يحلبون صراها في ل : يحسنون غذاها .
3 النجيب : الكريم .

صاحبة توبة . ثم أقبل عليها فقال لها : بالله يا ليلى أرأيتِ من توبة أمراً تَكْرَهينه أو سألكِ شيئاً يُعاب ؟ قالت : لا والله الذي أسألُه المغفرةَ ما كان ذلك منه قطّ . فقال : إذا لم يكن فيرحَمنا الله وإيّاه .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ عن ابن شَبَّةَ عن عبد الله بن محمد بن حَكيم الطائيّ عن خالد بن سَعِيد عن أبيه قال : كنت عند الحجّاج فدخلتْ عليه ليلى الأخيليّة ، ثم ذكر مثلَ الخبر الأوّل ، وزاد فيه : فلمّا قالت : [من الطويل]

غلامٌ إذا هـزّ القناةَ سقاها

قال : لا تقولي غلامٌ ، قولي هُمامٌ .

صوت

[من الخفيف]

سالَني الناسُ أينَ يَعْمِدُ هـذا قلتُ آتِي في الدّار قَرْماً سَرِيّا
ما قطعتُ البلادَ أسْرِي ولا يَمَّـ ـمْتُ إلاّ إيّـاكَ يـا زكريّا
كَمْ عطـاءٍ ونائـلٍ وجزيـلٍ كان لِي منكـمُ هَنِيّـاً مَرِيّا

عروضه من الخفيف ، الشِّعرُ للأُقَيْشر الأَسَديّ . والغناء لدَحْمان ، وله فيه لحنانِ ، أحدُهما خفيفُ ثقيلٍ من أصوات قليلةِ الأشباه عن إسحاق ، [والآخر] ثقيلٌ أوّل بالبنصر في الثالث والثاني عن عمرو ، وذكر يونس أنّه للأبجر ولم يجنّسه ، وذكر الهشاميّ أنّ لحن الأبجر خفيفُ ثقيلٍ ، وأنّ لحن ابن بَلُوعٍ في الثالث ثاني ثقيل . وليحيى بن واصل ثقيلٌ أوّل بالوسطى .

[189] ـ ذكر الأقيشر[1] وأخباره

[نسبه]

الأُقَيْشِرُ : لَقَبٌ [غلب عليه][2] ؛ لأنّه كان أحمرَ الوجه أقْشَرَ[3] ، واسمه المُغيرة بن عبد الله بن مُعْرِض بن عمرِو بن أسد بن خُزَيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزار . وكان يُكنى أبا مُعْرِض ، وقد ذكر ذلك في شعره في مواضع عِدّة ، منها قوله : [من المتقارب]

فإنّ أبـا مُعْـرِضٍ إذ حَسا ... مـن الرّاحِ كأْساً على المِنْبَرِ
خَطيـبٌ لَبِيبٌ أبـو مُعْرِضٍ ... فإنْ لِيمَ في الخَمْـرِ لم يَصْبِرِ

وعُمِّر عُمْراً طويلاً ، فكان أقعَدَ بني أَسَدٍ نَسَباً ، وما أخْلَقَه بأن يكون وُلِد في الجاهليّة ونشأ في أوّل الإسلام ؛ لأنّ سِماك بن مَخْرَمةَ الأسديّ صاحبَ مسجدِ سِماكٍ بالكوفة بناه في أيّام عمر ، وكان عُثْمانيّاً ، وأهلُ تلك المَحَلّةِ إلى اليوم كذلك . فيَرْوِي أهلُ الكوفة أنّ عليّ بن أبي طالب ، صلواتُ الله عليه ، لم يُصَلِّ فيه ، وأهلُ الكوفة إلى اليوم يجتنبونه . وسِماكٌ الذي بناه هو سِماكُ بن مَخْرَمَة بن حُمَيْن بن بَلْث بن عمرو بن مُعْرِض بن عمرو بن أَسَدٍ ، والأُقيشر أقعَدَ[4] نسباً منه . وقال الأُقيشر في ذكر مسجد سِماكٍ شعراً .

أخبرني محمد بن الحسن الكِنْدِيّ الكوفيُّ قال أخبرني الحسن بن عُلَيْل العَنَزِيُّ عن محمد بن معاوية ، وكنيتُه أبو عبد الله محمد بن معاوية . قال : الأُقَيْشِرُ من رَهْط خُرَيم بن فاتِكٍ[5] الأسديِّ . وخُرَيم إنّما نُسِب إلى جَدِّ أبيه فاتِكٍ ، وهو خُرَيْم بن الأخرم [ابن شدّاد] ابن عمرو بن فاتكٍ الأسَديّ ، وفاتكٌ ابن قُلَيْبِ بن عَمْرو بن أَسَدٍ .

[شعره في بني دودان]

والأُقيشر هو المُغيرةُ بن عبد الله بن مُعرِضِ بن عمرو بن أَسَد . قال : وهو القائل لَمّا بنى سِماكُ بن مَخْرَمةَ مسجده الذي بالكوفة ، وهو أكبر مسجدٍ لبني أَسَدٍ ، وهو في خِطّة بني نَصْر بن قُعَيْنٍ : [من الرمل]

---

1 انظر في أخباره : الشعر والشعراء 2/559–562 والخزانة 2 : 279–282 والإصابة 6 : 180 والمؤتلف 56 والمرزباني 369–370 . وقد صنع ديوانه الدكتور محمد علي دقه ، بيروت 1997 .

2 ل : به .

3 الأقشر : وصف من القشر وهو شدة الحمرة .

4 ل : أبعد .

5 خريم بن فاتك هذا صحابي شهد بدراً .

غَضِبتْ دُودانُ مـن مَسْجِدِنا وبـهِ يَعْرِفُهـم كلُّ أَحَـدْ
لـو هَدَمْنـا غُـدْوةً بُنْيانَه لانْمحتْ أسماؤهم طُولَ الأَبَدْ
اسمُهـم فيـه وهـم جيرانُه واسمُه الدَّهْـرَ لعمرو بن أَسَدْ
كُلّمـا صَلَّوْا قَسَمْنا أَجْرَه فلنـا النِّصْفُ على كلِّ جَسَدْ[1]

فحلَف بنو دُودانَ لَيَضْرِبُنّه . فأتاهم فقال : قد قلتُ بيتاً محوتُ به كلَّ ما قلتُ . قالوا : وما هو يا فاسق ؟ قال قلت :

وبنـو دُودانَ حَـيٌّ سادةٌ حَلّ بيتُ المَجْدِ فيهم والعَدَدْ

فتركوه .

[كان خليعاً ماجناً مدمناً]

أخبرني وكيع عن إسماعيل بن مُجَمِّع عن المدائنيّ قال ، وأخبرني أبو أيّوب المَدينيّ عن محمد بن سَلاّم قال : كان الأقيشر كُوفِيّاً خَلِيعاً ماجناً مُدْمِناً لشُرب الخمر ، وهو الذي يقول لنفسه : [من المتقارب]

فـإنّ أبـا مُعرِضٍ إذ حَسا مـن الرّاح كأساً على المِنْبَرِ
خطيبٌ لبيبٌ أبـو مُعْـرِضٍ فصار خليعـاً عـلى المَكْبِرِ[2]
أحَـلَّ الحـرامَ أبو مُعْرِضٍ فإنْ لِيمَ في الخمرِ لم يَصْبِرِ
يُجِلّ اللِّئـامَ ويَلْحى الكرامَ وإن أقصروا عنـه لم يُقْصِرِ[3]

[يهجو عبسيّاً لمناداته بلقبه]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ ، وأخبرني عبد الوهّاب بن عُبَيْد الصّحّاف الكوفيّ عن قَعْنَب بن مُحْرِزٍ الباهليّ عن المدائنيّ : أن الأُقيشرِ مرّ يُريدُ الحِيرَةَ ، فاجتاز على مجلسٍ لبني عَبْسٍ ، فناداه أحدُهم : يا أقيشر ، وكان يغضَب منها ، فزجَره الأشياخُ ، ومضى الأقَيْشِر ثم عاد إليه ومعه رجلٌ وقال له : قِفْ معي ، فإذا أنشدتُ بيتاً فقُلْ لي : ولِمَ ذلك ، ثم انصَرِفْ ، وخُذْ هذين الدرهمين . فقال له : أنا أصير معك إلى حيث شئتَ يا أبا مُعْرِض ولا أرزَؤك شيئاً ، قال : فافعَلْ . فأقبل به حتى أتى مجلسَ القوم ، فوقف عليهم ثم تأمّلهم وقد عرَف الشابَّ ، فأقبل عليه وقال : [من الوافر]

أتدعوني الأُقَيْشِرَ ذلك اسمـي وأدعوك ابنَ مُطْفئـةِ السِّراجِ

1 فلنا في ل : فلها .
2 المِكْبِر : الكبير في السن .
3 يُجِلّ في ل : يحب .

فقال له الرجل : ولِمَ ذاك ؟ فقال :

تُناجـي خِدْنَها باللّيـلِ سِرّاً ورَبُّ الناس يعلَمُ مـا تُناجِي

قال قَعْنَبٌ في خبره : فلُقِّب ذلك الرجلُ ابنَ مُطْفِئة السراج .

[تهاجيه مع أبي الضحاك التميمي]

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ أخبرنا به اليزيديّ عن الخَرّاز عن المدائنيّ في كتاب الجَوابات ، ولم يَرْوِه الباقون : كان الأقيشر يَكْتَري بغلةَ أبي المَضاء المُكارِي فيركَبها إلى الخمّارين بالحِيرة . فركِبها يوماً ومضى لحاجتِه ، وعند أبي المَضاء رجل من تميمٍ يُكنى أبا الضحّاك ، فقال له : مَن هذا ؟ قال : الأُقيشر . فأخذ طَبَقَ المِيزان وكتب فيه : [من الوافر]

عَجِبْتُ لشاعرٍ مـن حَيِّ سَوْءٍ ضَئيلِ الجسمِ مِبْطانٍ هَجِينِ

وقال لأبي المَضاء : إذا جاء فأَقْرِئه هذا . فلمّا جاء أقرأه . فقال له الأُقيشر : ممّن هو ؟ قال : مِنْ بني تميم . فكتبَ الأُقيشر تحت كتابه : [من الوافر]

فـلا أَسَداً أَسُبُّ ولا تَمِيماً وكيف يجوزُ سَبُّ الأَكرمينِ

ولكـنّ التَّمِيمِي حـال بيني وبينَك يا ابنَ مُضْرِطة العَجِينِ[1]

فهرب إلى الكوفة فلم يَزِدْ على هذا .

وقال قَعْنَبٌ في خبره عن المدائنيّ : فجاء التميميّ فقرأ ما كتب ، فكتب تحته : [من البسيط]

يا أيّها المُبْتَغي حُشّاً لحاجتِـهِ وجهُ الأُقَيْشِرِ حشٌّ غيرُ ممنوعِ[2]

فلمّا قرأه قال : اللهم إنّي أستعديك عليه ، وكتب تحته : [من الوافر]

إنّـي أتـاني مقـالٌ كنتُ آمَنُه فجاء من فاحشٍ في الناس مخلوعِ

عبدِ العزيزِ أبـو الضحّاك كُنْيَتُه فيه من اللُّـؤْمِ وَهْيٌ غير ممنوعِ

ولم تَبِـتْ أُمُّـهُ إلاّ مُطاحنـةً وأن تُـؤاجَـر في سوق المراضيعِ

ينساب ماء البرايا في استها سَرِباً كأنّما آنساب في بعض البلاليعِ[3]

مِنْ ثَـمّ جاءت به والبَظْرُ حَنَّكَه كأنّه في استها تِمْثالُ يُسروعِ[4]

فلمّا جاءه جزِع ومشى إليه بقوم من بني تَميم ، فطلبوا أن يُكفَّ ففعل . وأمّا عبد الله بن

1 مضرطة العجين : كناية عن أنها خادم .

2 الحش : بيت الخلاء .

3 سربا : سائلا .

4 حنكه : أحكمه . واليسروع : دودة حمراء الرأس بيضاء الجسد .

خَلَف فذكر عن أبي عَمْرو الشيبانيّ أنَّ الأُقيشر قال هذا في مِسْكِين .

والشعر الذي فيه الغناءُ يقوله الأُقيشر في زكريّا بن طلحة الذي يقال له الفَيّاض ، وكان مَدّاحاً له .

[عبد الملك يعجب بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنزِيّ عن [محمد بن] معاوية قال : غَنّتْ جاريةٌ عند عبد الملك بن مَروانَ بشعرِ الأُقيشر : [من الخفيف]

قــرّب اللهُ بالسلامِ وحيّــا زَكَرِيّــا بــنَ طَلْحةَ الفَيَّاضِ
مَعْدنُ الضَّيْفِ إنْ أناخوا إليه بعـدَ أيْنِ الطلائـح الأنقاضِ[1]
ساهماتُ العيونِ خوصٌ رَذايا قـد براها الكَلالُ بعد اياضِ[2]
زادَه خالــدُ ابــنُ عــمّ أبيه مَنْصِباً كان في العُلا ذا انتقاضِ
فَــرْعُ تَيْم من تَيْمِ مُرّةَ حَقّاً قد قضى ذاك لابن طلحةَ قاضِ

فقال عبد الملك للجارية : وَيْحَكِ ! لمن هذا ؟ قالت : للأُقيشر . قال : هذا المدحُ لا على طَمَعٍ ولا فَرَقٍ ، وأشعرُ الناس الأُقيشر .

[الكميت يثني على شعره]

وذكر عبد الله بن خَلَفٍ أنّ أبا عمرو الشيبانيّ أخبره أنّ الكُمَيْتَ بن زيد لقِي الأُقيشر في سَفْرَةٍ ، فقال له : أين تَقْصِدُ يا أبا مُعْرِض ؟ فقال : [من الخفيف]

سالني الناس أين يَقْصِدُ هــذا قلتُ آتي في الدار قَرْمــاً سَرِيّا

وذكر باقِيَ الأبيات التي فيها الغناء ، فلم يزل الكميت يستعيده إيّاها مراراً ، ثم قال : ما كذبَ مَنْ قال إنّك أشعرُ الناس .

[كان عنيناً وزعم الفحولة]

أخبرني عَمّي عن الكُرانيّ عن ابن سلاّم قال : كان الأُقيشر عِنّيناً ، وكان لا يأتي النساء ، وكان كثيراً ما كان يَصِف ضِدّ ذلك من نفسه . فجلس إليه يوماً رجلٌ من قَيْس ، فأنشده الأُقيشر : [من الكامل]

---

1 معدن : اسم من عدن بالمكان إذا أقام به . الأين : التعب . والطلائح : جمع طليح وطليحة ، وهو الذي أعياه السير . والأنقاض : جمع نِقض وهو المهزول من السير .

2 ساهمات العيون : متغيراتها . وخوص : غائرات العيون ، الواحد : أخوص وخوصاء . ورذايا : مهزولات ، والواحد رذي ورذية .

ولقد أروحُ بِمُشْرِفٍ ذي شَعْرَةٍ عَسِرِ المَكَـرَّةِ مـاؤه يَتَفَصَّدُ[1]
مَرِحٍ يطيرُ مـن المِراحِ لُعابُه وتكـاد جِلْدَتُـه بـه تتقدّدُ

ثم قال للرجل : أتُبْصِرُ الشعرَ ؟ قال نَعَمْ . قال : فما وصفتُ . قال : فرساً . قال : أفكنتَ لو رأيتَه رَكبتَه ؟ قال : إي والله وأَثْنِي عِطْفَه . فكشَف عن أَيْره وقال : هذا وصفتُ ، فقُمْ فاركَبْه . فوثب الرجلُ من مجلسه وجعل يقول له : قَبحك اللهُ من جليسٍ ؛ سائرَ اليوم .

[يشرب بعد خروجه في جنازة]

ونسختُ من كتاب عبد الله بن خَلَفٍ : حدَّثني أبو عمرو الشيبانيّ قال : ماتتْ بنتُ زيادٍ العُصْفُرِيّ ، فخرج الأُقيشر في جنازتها ، فلمّا دفنوها انصرف . فلَقِيه عابسٌ مولى عائذِ الله ، فقال له : هل لَكَ في غَداء وطِلاء[2] أتيتُ به من طِيزَناباذَ[3] ؟ قال نعم . فذهب به إلى منزله فغدّاه وسقاه ، فلمّا شرِب قال : [من الطويل]

فليـتَ زِيـاداً لا يَزَلْـنَ بَناتُـه يَمُتْنَ وأَلقى كُلَّما عِشتُ عابسا
فذلك يـومٌ غـاب عنّـيَ شَرُّه وأنجحتُ فيه بعد مـا كنتُ آيِسا

[أخذه الشرط من حانة فرشاهم]

ونسخت من كتابه : حدَّثني أبو عمرو قال : شرِب الأُقيشر في بيت خمّار بالحِيرة ، فجاءه الشُّرَطُ ليأخذوه ، فتحرّز منهم وأغلق بابه وقال : لست أشرَب ، فما سبيلُكم عليّ ! قالوا : قد رأينا العُسَّ[4] في كَفِّك وأنت تشرَب . قال : إنّما شَرِبتُ من لبن لِقْحةٍ لصاحب الدار ، فلم يَبرَحوا حتى أخذوا منه درهمين . فقال : [من الرمل]

إنّمـا لِقْحَتُنـا باطِيَـةٌ فإذا ما مُزِجتْ كانت عَجَبْ[5]
لَبَـنٌ أصفـرُ صافٍ لونُـه يَنزِع الباسورَ من عَجْبِ الذَّنَبْ
إنّمـا نشربَ مـن أموالنـا فسَلُوا الشُّرْطِيَّ ما هذا الغَضَبْ

---

1 ديوانه ص 61 رقم 15 وفي ديوان الحماسة لأبي تمام 356/4 :
ولقد غدوت بمشرفٍ يأفوخه عسر المكرة مـاؤه يتفصّـد
مـرح يمجّ مـن المراح لعابه ويكـاد جلـد إهابـه يتقدّد

2 الطلاء : من أسماء الخمر .

3 طيرناباذ : موضع بين الكوفة والقادسية .

4 العس : القدح العظيم .

5 اللقحة : الناقة الحلوب .

[عبد الملك يقول إنه شاعر بني أسد]

أخبرني الحسن بن عليّ عن العَنزِيّ عن محمد بن معاوية قال : دخل وَفْدُ بني أَسَدٍ على عبد الملك ابن مَروان ، فقال : مَنْ شاعرُكم يا بني أَسَد ؟ قالوا : إنّ فينا شعراءَ ما يَرضى قومُهم أن يفضِّلوا عليهم أحداً . قال لهم : فما فعَلَ الأُقيشِر ؟ قالوا : مات . قال : لم يَمُتْ ، ولكنّه مشتغلٌ بعِشْقه ، وما أُبْعِدُ أن يكون شاعرَكم إلاّ أنّه يُضيع[1] نفسه . أليس هو القائلَ : [من السريع]

يا أيُّها السائلُ عَمّا مَضى مِنْ عِلْمِ هذا الزَّمن الذاهبِ
إن كنتَ تَبْغِي العِلمَ أوْ أهلَه أو شاهداً يُخْبِرُ عن غائبِ
فاعتبرِ الأرضَ بأسمائها واعتبرِ الصاحبَ بالصاحبِ

[قال في جار طحان لم يقرضه]

وذكر عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشيبانيّ أنّ جاراً للأُقيشِر طَحّاناً كان يُنسِيء[2] الناسَ يُكْنى أبا عائشة . فأتاه الأُقَيشِر يسأله فلم يُعْطِه ، فقال له : [من المتقارب]

يُرِيدُ النساءَ ويأبى الرجالَ فما لِي وما لأبي عائشَهْ
أدامَ له اللهُ كَدَّ الرِّجالِ وأثكلَه ابنتَه عائشَهْ

فأعطاه ما أراد واستعفاه من أن يزيد شيئاً .

[يهجو بني هجيم ثم يكف]

نسختُ من كتاب عُبَيْد الله بن محمد اليزيديّ بخطّه : قال الهيثم بن عديّ حدّثني عَطّاف بن عاصمِ بنِ الحَدَثانِ قال : مرّ أعرابيٌّ من بني تميم كان يهزأ بالأُقيشر ، فقال له : [من الطويل]

أبا مُعْرِضٍ كن أنتَ إن مُتَّ دافِني إلى جَنْبِ قبرٍ فيه شِلْوُ المُضَلَّلِ
فعَلِّي أنْ أنجو من النارِ إنّها تُضَرَّمُ للعبدِ اللئيمِ المُبَخَّلِ
بذلك أوصاها الإلهُ ولم تَزَلْ تُحَشُّ بأوصالٍ وتُرْبٍ وجَنْدَلِ[3]
وأنت بحمدِ الله إن شئتَ مُفْلِتي بحَزْمِك فاحْزُمْ يا أُقَيْشِرُ واعْجَلِ

فقال له : ممّن أنت ؟ قال : من بني تميمٍ ثم أحد بني الهُجَيْمِ بن عمرو بن تميمٍ . فقال الأُقيشر : [من الطويل]

تميمَ بنَ مُرٍّ كَفْكِفُوا عن تَعَمُّدِي بذُلٌّ فإنّي لستُ بالمتذلِّلِ

---

1 ل : يضع .

2 ينسيء الناس : يريد ينسيء الناس الدين أي يقرضهم ويؤخرهم بالدين .

3 حشّ النار : أوقدها . الأوصال : المفاصل ، والجندل : الحجارة .

أيهــزأ بـــي العبدُ الهُجَيْمِيُّ ضَلَّةً ومثلي رمـــى ذا التُّدْرَإِ المتضلّلِ[1]
بداهيـــةٍ دَهْيـــاءَ لا يَسْتَطِيعُها شماريخُ من أركان سَلْمى ويَذْبُلِ[2]
وبالله لـــولا أنّ حِلْمِيَ زاجِري تركتُ تميماً ضُحْكَةً كلَّ مَحْفِلِ
فكُفُّوا رمـــاكم ذو الجلالِ بخِزْية تُصَبِّحُكم في كلِّ جَمْـعٍ ومنزِلِ
فأنتم لئـــامُ النـــاسِ لا تُنْكِرونه وألأمُكم طُـرّاً حُرَيْثُ بن جَنْدَلِ

فصار إليه شيوخٌ من بني الهُجَيم واعتذروا إليه واستكفّوه فكَفّ .

[شرب على غناء مع مقعد وأعمى]

أخبرني الأخفش قال حدّثني أبو الفيّاض بن أبي شُراعةَ عن أبيه قال : شرِب الأُقيشر بالحِيرة في بيتٍ فيه خَيّاطٌ مُقْعَدٌ ورجلٌ أعمى ، وعندهم مُغَنٍّ مُطْرِب ، فطرِب الأُقيشر ، فسقاهم من شربه ، فلمّا انتشَوْا وثب الأعمى يسعى في حوائجهم ، وقفزَ الخيّاط المُقْعَد يرقُص على ظلعه[3] . يجهَد في ذلك كلَّ جَهْدٍ . فقال الأقيشر : [من الطويل]

ومُقْعَدِ قـــومٍ قد مشى من شَرابِنا وأعْمـــى سَقَيْنـــاه ثلاثاً فأبصرا
شرابـــاً كريحِ العَنْبَرِ الوَرْدِ رِيحُه ومَسْحوقِ هِنْدِيٍّ من المسكِ أذفرا[4]
من الفَتَياتِ الغُـرِّ من أرضِ بابلٍ إذا شَفّها الحاني من الدَّنّ كبّرا[5]
لهـــا من زُجاج الشام عُنْقٌ غريبة تأنّـــق فيهـــا صانـــعٌ وتخيّرا
ذخائـــرُ فوعـــونَ التي جُبِيتْ له وكلٌّ يُسَمَّـــى بالعَتِيـــق مشهَّرا
إذا مـــا رآهـــا بعـــد إنقاء غَسْلِها تـــدور علينـــا صائمُ القوم أفطرا

[قال في تفرّق النّدامى]

أخبرنا عليّ بن سليمان قال حدّثني سَوّار قال حدّثني أبي قال : كان الأُقيشر صاحبَ شرابٍ ونَدامى ، فأشخص الحجّاجُ بعضَ نُدمائه إلى بعض [النواحي] ، ومات بعضهم ، ونسَكَ بعضهم ، وهرَب بعضهم ؛ فقال في ذلك : [من الخفيف]

غُلِبَ الصَّبْرُ فاعترتْني هُمُـومٌ لفِـراقِ الثِّقاتِ مـن إخواني

---

1 ذو تُدْرأ : أي ذو حفاظ ومنعة وقوة على أعدائه ومدافعة .
2 الشماريخ : رؤوس الجبال واحدها شمراخ . وسلمى ويذبل : جبلان .
3 الظّلع : العرج .
4 المسك الأذفر : البالغ الغاية في الجودة .
5 الحاني : بائع الخمر .

مات هـذا وغاب هذا وهذا دائـبٌ في تِـلاوةِ القُـرآنِ
ولقد كان قبـل إظهاره النُّسْـ ـكَ قديماً من أظرف الفتيانِ

[شعر له في بغل أبي المضاء]

وأخبرني أبو الحسن الأسَديّ عن العَنزيّ قال قال ابنُ الكلبيّ حدّثني سَلَمةُ بن عبد سُواع عن أبيه قال : كان الأُقيشر لا يسأل أحداً أكثر من خمسة دراهم ، يجعل درهمين في كِراء بغل إلى الحِيرة ، ودرهمين للشراب ، ودرهماً للطعام . وكان له جارٌ يكنى أبا المَضاء له بغلٌ يُكْريه ، وكان يُعطيه درهمين ويأخذ بغلَه فيركبه إلى الحيرةِ ، حتى يأتي بيت الخمّار فينزل عنده ويَرْبِطُه بلِجامه وسَرْجه ، فيقال إنّه أعطى ثمنَه في الكِراء ، ثم يجلس فيشرَب حتى يُمْسي ، ثم يركبه وينصرِف . فقال في ذلك : [من الكامل]

يـا بَغْلُ بَغْلَ أبي المَضاء تَعَلَّمَنْ أنّـي حلفـتُ ولليمـين نُذُورُ
لتُعَسِّفَنَّ وإن كَرِهْـتَ مَهامِهـاً فيمـا أُحِـبّ وكلُّ ذاك يسيرُ[1]
بالرغْمِ يـا ولـدَ الحمارِ قطعتَها عمـداً وأنـت مُذَلَّـلٌ مصبورُ
حتـى تـزور مُسَمِّعـاً في داره وترى المُدامـةَ بالأَكُـفِّ تدورُ
لا يَرفعـون بمـا يسوءُك نَعْرةً وإذا سَخِطْتَ فخَطْبُ ذاك صغيرُ

[خدعته امرأة بأنّها أمّ حنين الخمار]

قال : فأتى يوماً من الأيّام بيت الخمّار الذي كان يأتيه فلم يُصادفه فجعل ينتظره ، ودخلتِ الدار امرأةٌ عِبادِيّـة[2] ، فقال لها : ما فعل فلان ؟ قالت : مضى في حاجةٍ وأنا امرأته ، فما تُريد ؟ قال : نبيذاً . قالت بكَمْ ؟ قال : بدرهمين . قالت : هَلُمَّ دِرْهَمَيْك وانتظِرْني . قال لا . قالت : فذلك إليك ، ومضتْ وتبِعها ، فدخلت داراً لها بابان وخرجت من أحدهما وتركته . فلمّا طال جلوسه خرج إليه بعضُ أهل الدار ، قالوا : وما يُجلِسُك ؟ فأخبرهم . فقالوا له : تلك امرأة محتالة يقال لها أُمّ حُنَيْنٍ من العباديّين . فعلِم أنّه قد خُدِع ، فانصرف إلى خَمّاره فأخبره بالقصّة وقال له : أَنْسِئْني اليوم[3] فاسْقِني ففعل . وأنشأ الأُقيشر يقول : [من الخفيف]

لم يُغَـرَّرْ بذاتِ خُفٍّ سِوانا بعد أُخـت العِبـادِ أُمِّ حُنَيْنِ
وَعَدتْنـا بدِرهمـين نبيـذاً أو طِـلاءٍ مُعَجَّـلاً غيرَ دَيْنِ

1 عسف المفازة : أي قطعها بغير قصد ولا هداية .
2 عبادية : نسبة إلى العباد وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .
3 الإنساء والنسيء : التأخير في الدين وفي العمر .

ثم ألــوتْ بالدرهمين جميعاً يــا لَقَوْمِي لِضَيْعةِ الدرهمينِ

وذكر هذا الخبرَ عبدُ الله بن خَلَفٍ عن أبي عمرو الشَّيبانيّ وزاد فيه : أنّ الخمّار كان يسمَّى بحُنَيْنٍ ، وأنّ المرأة المحتالة قالت له : إنّها أُمّ حُنَيْنٍ الخَمّارِ الذي كان يُعامله حتى أخذتِ الدرهمين ثم هربتْ منه ، وذكر الأبياتَ الثلاثةَ التي تقدّمتْ ، وبعدها : [من الخفيف]

عاهدتْ زوجَها وقد قال إنّي سوف أغـدُو لحاجتي ولدَيْنِي
فدَعَتْ كالحِصانِ أبيضَ جَلْداً وافـرَ الأُيْـرِ مُرْسَلَ الخُصْيَتَيْنِ
قال ما أَجْرُ ذا هُدِيتِ فقالت سوف أُعطيك أجْـرَه مَرَّتينِ
فأبــدِ الآنَ بالسِّفــاحِ فلمّا سافحتْــه أرْضَتْــه بالأُخْرَيَـيْنِ
تَلَّهــا للجَبِــينِ ثُــمّ امتطاها عالِـمُ الأَيْـرِ أفْحَـجُ الحالبينِ[1]
بينما ذاك منهما وهــي تحوِي ظهــرَه بالبَنــانِ والمِعْصَمَيْنِ
جاءها زَوْجُها وقد شام فيها ذا انتصابٍ مُوَثَّقَ الأَخْدَعَيْنِ[2]
فتأسَّى وقال وَيْــلٌ طويــلٌ لِحُنَيْنٍ مــن عــارِ أُمِّ حُنَيْنِ

قال : فجاء حُنَيْنٌ الخمّار فقال له : يا هذا ما أردتَ بهجائي وهجاء أُمّي ؟! . قال : أخذتْ منّي درهمين ولم تُعْطِني شَراباً . قال : والله ما تعرِفك أُمّي ولا أخذتْ منك شيئاً قطّ ، فانظُرْ إلى أُمّي فإن كانت هي صاحبتَك غَرِمْتُ لك الدرهمين . قال : لا والله ما أعرف غيرَ أُمّ حنين ، ما قالت لي إلاّ ذلك ، ولا أهجو إلاّ أُمَّ حُنَيْن وابنها ، فإن كانت أُمّك فإيّاها أعْنِي . وإن كانت أُمَّ حُنَينٍ أُخرى فإيّاها أعني . فقال : إذاً لا يفرِّق الناسُ بينهما . قال : فما عَلَيَّ إذاً ! أترى دِرْهَمَيَّ يَضِيعانِ ! فقال له : هَلُمَّ إذاً أغرمْهما لك وأقِمْ ما تحتاج إليه ، لا بارَكَ الله لك ؛ ففعل .

[استكتبه العريان بن الهيثم من ملحه]

قال عبد الله وحدّثني أبو عمرو قال : كان العُريان بن الهيثم النَّخَعيّ صديقاً للأُقيشر ، فقال له : يا أُقيشر إنّي أُريد أن أمتدَّ إلى الشام فأَكْتِبْنِي[3] من مُلَحِكَ فأكتبه . فخرج إلى الشام فأصاب مالاً ، فبعث إلى الأُقَيْشِرِ بخمسين درهماً ، ففعل وقال : هاتِ . قال المولى : على أن تهجوَه إذ وَضَع منك ؟ قال نعم ، فأعطاه خمسين درهماً . وقال الأُقيشر : [من الكامل]

وسألْتَني يــومَ الرَّحِيـلِ قصائداً فَمَلأْتُهُــنَّ قصائــداً وكِتابا

1 تلها للجبين : صرعها . أفحج الحالبين : متباعد ما بينها .
2 الأخدعان : عرقان في جانبي العنق .
3 الإكتاب : الإملاء .

إنّي صَدَقتُك إذ وجدتُك صادقاً وكَذَبْتَنِـــي فوجدتَنـــي كذّابا
وفتحتُ بابـاً للخِيانةِ عامداً لَمّا فتحـــتَ من الخِيانةِ بابا

وكان أبو العُريان على الشُّرطة ، فخافه الأُقيشر من هجاء ابنه . وبلَغ الهيثم هذه الأبيات فبعث إليه بخمسمائة درهم وسأله الكَفَّ عن ابنه وألاّ يُشَهّره ، فأخذها وفعل .

[يهجو رجلاً من حضرموت]

قال أبو عمرو : وخطَب رجلٌ من حَضرموت امرأةً من بني أسدٍ ، فأقبل يسأل عنها وعن حَسَبها وأمَّهاتها ، حتى جاء الأُقيشر فسأله عنها . فقال له : مِن [أيْن] أنت ؟ قال : من حَضْرَمَوتَ . فأنشأ يقول : [من الرمل]

حَضْرَمَوْتٌ فَتَّشَتْ أحسابَنا وإلينا حَضْرَمَوْتٌ تَنْتَسِبْ
إخوةُ القِـرْدِ وهم أعمامُه بَرِئتْ منكم إلى الله العَرَبْ

[يقول لعمته إمّا الصلاة أو الوضوء]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أبي أيّوب المدينيّ قال قال أبو طالب الشاعر حدَّثني رجلٌ من بني أَسَدٍ قال : سَمِعتُ عَمّة الأُقَيشِر تقول له يوماً : اتّقِ الله وقُمْ فصَلِّ ، فقال : لا أُصَلِّي . فأكثرت عليه ، فقال : قد أبْرَمْتِني ، فاختـارِي خَصْلةً مـن خَصْلتَيْنِ : إمّا أنْ أُصَلِّـي ولا أتطهّـر ، وإمّـا أن أتطهَّر ولا أُصلِّي . قالت : قَبَحك الله ! فإن لم يكن غيرُ هذا فصَلِّ بلا وضوء .

[خاف شرطياً فسقاه من ثقب الباب]

قال أبو أيُّوب : وحُدِّثت أنّه شرِب يوماً في بيت خَمَّار بالحِيرة ، فجاء شُرَطِيٌّ من شُرَطِ الأمير ليدخل عليه ، فغلّق الباب دونه . فناداه الشُّرَطِيّ اسْقِني نبيذاً وأنت آمِنٌ . فقال : والله ما آمَنُك ، ولكن هذا ثَقْبٌ في الباب فاجلِس عنده وأنا أسقيك منه ، ثم وضع له أُنبوباً من قَصَبٍ في الثَّقْب وصَبّ فيه نبيذاً من داخل والشرطيّ يشرَب من خارج الباب حتّى سكِر . فقال الأُقيشر : [من الرمل]

سأَل الشُّرْطِـــيُّ أن نَسْقِيَـه فَسَقينـــاه بأنبـوب القَصَبْ
إنّمـــا نشرَب مـــن أموالنـا فسَلُوا الشُّرطِيَّ ما هذا الغضبْ

[أعطاه قيس بن محمد مالاً مراراً ثم منعه فهجاه]

أخبرني عَمّي عن الكُرانيّ عن قَعْنَبِ بن المُحْرِز ، وحدَّثنا محمد بن خَلَف عن أبي أيّوب المدينيّ عن قَعْنَب بن الهَيثَم بن عَدِيّ قال : كان قيس بن محمد بن الأشعث ضريرَ البصر ، فأتاه الأُقَيشِر فسأله ، فأمَر قَهْرَمانَه[1] فأعطاه ثلاثمائة درهم ، فقال : لا أُريدها جملةً ، ولكن مُرِ القَهْرمانَ أن

1 القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج .

يُعْطِيني في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دراهمَ حتى تَنْفَد . فكان يأخذها منه ، فيجعل درهماً لطعامه ، ودرهماً لشرابه ، ودرهماً لدابّة تحمله إلى بيوت الخمّارين . فلمّا نفِدت الدراهم أتاه الثانيةَ فسأله فأعطاه وفعل مثل ذلك ، وأتاه الثالثةَ فأعطاه وفعل مثلَ ذلك ، وأتاه الرابعةَ فسأله . فقال له قَيْسٌ : لا أبا لَكَ ! كأنّك قد جعلتَ هذا خَراجاً علينا . فانصرف وهو يقول : [من الطويل]

أَلَـم تَـــرَ قَيْسَ الأَكْمَهَ ابنَ محمد يقــول ولا تلقــاه للخيرِ يَفْعَلُ
رأيتُك أعمى العَيْنِ والقلبِ مُمْسِكاً وما خيرُ أعمى العينِ والقلب يبخَلُ
فلــو صَمَّ تَمَّتْ لَعْنــةُ الله كلُّها عليه ومــا فيــه من الشرِّ أفضلُ

فقال قيس : لو نجا أحدٌ من الأُقَيْشِر لنجوتُ منه .

[كان سكران فحكموه في الصحابة فقال شعراً]

أخبرني أبو الحسن الأسديُّ عن العَنزِيِّ عن محمد بن معاوية قال : اختصم قومٌ بالكوفة في أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ ، فقالوا : نجعَل بيننا أوّلَ مَن يَطْلُع علينا . فطلَع الأُقيشر عليهم وهو سكرانُ . فقال بعضهم لبعض : انظروا مَن حَكَمُنا . فقالوا : يا أبا مُعرِضٍ قد حَكَّمناك . قال : فيماذا ؟ فأخبروه . فمكث ساعةً ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

إذا صَلَّيــتُ خمساً كلَّ يــومٍ فــإنّ الله يغفِــر لي فسُوقي
ولم أُشْرِك بــربّ الناس شيئاً فقد أمسكتُ بالحَبْــلِ الوثيقِ
وهذا الحــقُّ ليس بــه خَفاءٌ ودَعْني مــن بُنَيّات الطَّريقِ[1]

[مدح غريب لمجوسيّ أعطاه مهر زوجته]

قال محمد بن معاوية : وتزوّج الأقيشر ابنةَ عَمٍّ له يقال لها الرّباب ، على أربعة آلاف درهم ، ويقال على عشرة آلاف درهم ، فأتى قومه فسألهم فلم يُعطوه شيئاً ؛ فأتى ابن رأسِ البَغْل وهو دُهقان الصِّين وكان مجوسيّاً ، فسأله فأعطاه الصَّداقَ . فقال الأُقيشر : [من المتقارب]

كفاني المَجوسيّ مَهْرَ الرَّبابِ فِــدًى للمجوسيِّ خالي وعمّ
شَهِدتُ بأنّك رَطْبُ المُشاشِ وأنّ أبــاك الجوادُ الخِضَمّ[2]
وأنّك سيِّــدُ أهــلِ الجحيمِ إذا مــا تَرَدَّيْتَ فيمــن ظَلَمْ
تُجــاوِرُ قــارونَ في قَعْرِهــا وفِرْعَــوْنَ والمُكْتَنــى بالحَكَمْ

1 بنيات الطريق : الطرق الصغار المتشعبة من الطريق الأعظم . وهي مثل : أي عليك بمعظم الأمر ودع الروغان مجمع الأمثال للميداني 473/1 .

2 فلان لين المشاش : إذا كان طيب النّحيزة عفيفاً عن الطّمع .

فقال له المجوسيّ : وَيْحَك ! سألتَ قومَكَ فلم يُعطوك وجئتني فأعطيتُك ، فجزَيتني ، هذا القولَ ولم أُفْلِتْ من شِعْرِك وشَرِّك ! قال : أوَ ما ترضى أنْ جعلتك مع الملوك وفوق أبي جَهْلٍ ! .

[ذهب إلى عكرمة بن ربعيّ فلم يعطه فهجاه]

ثم جاء إلى عِكْرمة بن رِبْعيٍّ التميميّ فلم يُعْطِه ، فقال فيه : [من المتقارب]

سألتُ رَبيعةَ مَنْ شَرُّها ... أبـاً ثـم أُمّاً فقالوا لِمَهْ
فقلتُ لأَعْلَمَ مَنْ شَرُّكُمْ ... وأجعلَ بالسبِّ فيه سِمَهْ
فقالوا لِعكْرِمةَ المُخْزِياتُ ... وما ذا يرى الناسُ في عِكْرِمَهْ
فإنْ يَكُ عبداً زَكا مالُه ... فما غيرُ ذا فيه من مَكْرُمَهْ

[شرب بما معه وبثيابه]

قال ابن الكلبيّ : وشرب الأُقيشر في حانة[1] خَمّار حتى أنفَد ما معه ، ثم شرب بثيابه حتى غَلِقتْ[2] فلم يَبْقَ عليه شيءٌ ، وجلس في تِبْنٍ إلى جانب البيتِ إلى حَلْقِه مستدفئاً به . فمرّ رجلٌ به يَنْشُد ضالّةً ، فقال : اللهمَّ اردُدْ عليه واحفَظ علينا . فقال له الخمّار : تَخِنتْ عينُك ؛ أيّ شيء يحفَظ عليك ربّك ؟ قال : هذا التِّبن لا تأخذه فأموتُ من البَرْد . فضحِك الخمّار وردّ عليه ثيابَه وقال : اذهَبْ فاطلُبْ ما تشرب به ، ولا تجئني بثيابك فإنّي لا أشتريها بعد ذلك .

[حواره مع شرطي وهو سكران]

قال ابن الكلبيّ : واجتاز الأُقَيْشِر برجلٍ يقال له هِشامٌ وكان على شُرْطَةِ عمرو بن حُرَيْث وهو سكرانُ ، فدعا به فقال له : أنت سكران ؟ قال لا . قال : فما هذه الرائحة ؟ قال : أكلتُ سَفَرْجَلاً ، ثم قال : [من الطويل]

يقولون لي انْكَهْ شَرِبتَ مُدامةً ... فقلت كذبتمْ بل أكلتُ سفرجلا[3]

فضحك منه ثم قال : فإنْ لم تكن سكرانَ فأخبِرني كم تصلّي في كلّ يوم . فقال : [من الوافر]

يسائلني هشامٌ عن صلاتي ... صلاةِ المسلمين فقلتُ خمسُ
صلاةُ العصرِ والأولى ثَمانٍ ... مُواترةٌ فما فيهنّ لَبْسُ
وعند مَغِيبِ قَرْنِ الشمس وِترٌ ... وشَفْعٌ بعدها فيهنّ حَبسُ
وغُدْوةً اثنتانِ معاً جميعاً ... ولَمّا تبدُ للرائين شَمْسُ

---

1 ل : حانوت .

2 الغلق هنا : ضد الفك .

3 نكه فلان : أخرج نفسه إلى أنف آخر ، ونكهه واستنكهه : شم ريح فمه .

وبعدهمـــا لوقتهمـــا صَلاةٌ لِنُسْكٍ بـالضَّحاءِ إذا نَبَسُّ[1]
أأحصيتُ الصلاةَ أيـا هشاماً فذاك مُكَدَّرُ الأخلاقِ جِبْسُ[2]
تَعَـوَّد أن يُلامَ فليس يوماً بحامـده مـن الأقوامِ إنْسُ

قال : فضحِك هشام وقال : بلى قد أخبرتَنا يا أبا مُعْرِض ، فانصرِفْ راشداً .

[استنشد قتيبة بن مسلم مرداس بن جذام شعره في قدامة بن جعدة]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْدٍ عن أبي عبيدة قال : قدِم رجلٌ من بني سَلُول على قُتيبة بن مُسْلمٍ بكتاب عامِله على الريّ وهو المُعَلَّى بن عمرو المُحاربيّ . فرآه على الباب قُدامةُ بن جَعْدَةَ بن هُبيرة المخزوميّ وكان صديقاً لقُتَيبة ، فدخل عليه فقال له : ببابِك أُلأمُ العرب ، سَلُوليٌّ رسولُ مُحارِبيٍّ إلى باهليٍّ . فتبسَّم قتيبةُ تبسُّماً فيه غيظٌ . وكان قدامة بن جعدة يُتَّهم بشرب الخمر ، وكان الأُقيشر يُنادمه . فقال قتيبة : ادعوا لي مِرداس بن جُذامٍ الأسديّ فدُعِي . فقال له : أنشِدني ما قال الأُقيشر في قُدامة بن جعدة وهو بالحيرة . فأنشده [قوله] :

رُبَّ نَدْمـانٍ كريـــمٍ ماجدٍ سَيِّدِ الجَدَّيْنِ من فَرْعَيْ مُضَرْ
قد سَقَيْتُ الكأسَ حتى هَرَّها لم يُخالِطْ صَفْوَها منه كَدَرْ[3]
قلتُ قُـمْ صَلِّ فصلَّى قاعداً تتغشّاه سماديـرُ السَّكَـرْ[4]
قَرَنَ الظُّهـرَ مـع العصر كما تُقْرَنُ الحِقَّـةُ بالحِـقِّ الذَّكَرْ[5]
تَـرَكَ الفجرَ فمـا يَقْرَؤها وقـرا الكَوثَرَ مـن بينِ السُّوَرْ

قال : فتغيّر لونُ وجهِ القُرَشيّ وخجِل . فقال له قتيبة : هذه بتلك ، والبادىء أظلم[6] .

[استنشده عبد الملك أبياته في الخمر]

أخبرني الأخفش عن محمد بن الحسن بن الحَرُون قال حدَّثنا الكَسْرَويّ عن الأصمعيّ قال : قال عبد الملك للأُقيشر : أنشِدْني أبياتَك في الخمر ، فأنشده قولَه : [من الطويل]

تُرِيك القَذى من دونها وهي دونه لِوَجْـهِ أخيها في الإناء قُطوبُ

---

1 نبسّ : من معانيها دعوة الناقة للحلب ، ومنها ما يفيد العمل ، ومنها صوت الزجر للدابة للسّوق . أو عند سوق الغنم إلى الماء .

2 الجبس : الجامد الثقيل الروح ، والفاسق ، والجبان ، واللئيم .

3 هرها : كرهها .

4 السماديرهنا : شيء يتراءى للإنسان من ضعف بصره عند السكر ، جمع سمدور .

5 الحقة من الإبل : الداخلة في السنة الرابعة .

6 مثل ورد في مجمع الأمثال 496/3 «هذه بكل والبادي أظلم ، قاله الفرزدق حين سمع إجابة جرير على هجائه له قاله أوّلاً .

كُمَيْتٌ إذا فُضَّتْ وفي الكأسِ وَرْدَةٌ لها في عِظام الشاربين دبيبُ

فقال له : أحسنتَ يا أبا مُعْرِضٍ ؛ ولقد أجدتَ وصفَها ، وأظنّك قد شَربتها . فقال : والله يا أمير المؤمنين إنّه لَيَريبني منك مَعْرفتُك بهذا .

[قصة له مع بعض ندمائه في حانة]

أخبرني الحسن بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن ابن الكلبيّ عن رجلٍ من الأَزْد قال : كان الأُقيشر يأتي إخواناً له يسألهم فيُعطونه ، فأتى رجلاً منهم فأمر له بخمسمائة درهم ، فأخذها وتوجّه إلى الحانةِ ودفعها إلى صاحبها وقال له : أَقِمْ لِي ما أحتاج إليه ففعل ذلك ، وانضمّ إليه رُفَقاء له ، فلَم يَزَلْ معهم حتى نَفِدتِ الدّراهم ، فأتاهم بعد إنفاقها بيومٍ ثم أتاهم من غدٍ فاحتملوه ، فلمّا أتاهم في اليوم الثالث نظر إليه أصحابه من بعيدٍ فقالوا لصاحب الحانة : أَصْعِدْنا إلى غُرْفتك هذه وأعْلِم الأُقَيشر انا لم نأتِ اليومَ . فلمّا جاء الأُقيشر أعلمه ما قالوه له . فعلِم الأُقيشر أنّه لا فَرَج له عند صاحب الحانة إلاّ برَهْنٍ ، فطرح إليه ثيابه وقال له : أَقِمْ لي ما أحتاج إليه ففعل . فلمّا أخذ فيه الشرابُ أنشأ يقول : [من الخفيف]

يـا خليلَـيّ اسْقِيانِيَ كاسا ثـم كأساً حتّى أخِـرّ نُعاسا
إنّ في الغُرْفةِ التي فوق رأسي لأُناسـاً يخادِعـون أُناسا
يشرّبون المُعَتَّقَ الرّاحَ صِرْفـاً ثـمّ لا يَرفعـون بالزَّوْرِ راسا

فلمّا سمع أصحابه هذا الشعر فَدَّوه بآبائهم وأُمّهاتهم ثم قالوا له : إمّا أن تصعدَ إلينا أو ننزلَ إليك ، فصعِد إليهم .

[قصته مع عمّه بعدما أعطاه بشر بن مروان]

أخبرني الحسن بن عليٍّ عن ابن مَهرويَه قال حدَّثني أبو مُسلم المُستَمْلي عن المدائنيّ قال : مدح الأُقيشر بِشْرَ بن مَروان ودخل إليه فأنشده القصيدة وعنده أيمَنُ بن خُرَيم بن فاتك الأسديُّ ، فقال أَيْمَنُ : هذا والله كلامٌ حَسَنٌ من جَوفِ خَرِبٍ . فأجابه بالبيت المذكور . وقال أبو عمرو أيضاً في خبره : فلمّا صار الأُقيشر إلى منزله بعث عمُّه فأخذ منه الألفَ الدِّرْهَمِ وقال : والله لأُخَلِّيك تُفْسِدها وتشرَب بها الخمر . قال : فتصنع بها ماذا ؟ قال : أكسوك واكسو عِيالَك وأُعِدُّ لك قوتَ عامك . فتركه ودخل على بشر فقال له : [من الطويل]

أَبلِغْ أَبـا مَـرْوانَ أنّ عطاءَه أزاغَ بـه مَنْ ليس لِي بعِيالِ

قال : ومَن ذلك ؟ فأخبره الخبر . فأمر صاحبَ شُرطته أن يُحضر عمَّه وينتزع منه الألفَ الدرهم ويسلِّمها إليه ، وقال : خُذْها ونحن نقوم لعيالك بما يُصلحهم .

[مدح خمارة بشعر داعر فسرّت به]

أخبرني هاشم بن محمد بن أبي غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : مرّ الأُقيشر بخَمّارة بالحِيرة

يقال لها دَومةُ ، فنزل عندها فاشترى منها نبيذاً ، ثم قال لها جَوِّدي لي الشراب حتى أُجيد لكِ المَدح ففعلتْ . فأنشأ يقول : [من الوافر]

أَلا يـا دَوْم دامَ لك النَّعِيمُ وأَسْمَرُ مِـلْءِ كَفِّكِ مستقيمُ
شديـدُ الأسْرِ يَنْبِض حالبـاه يُحَـمُّ كأنّـه رجـلٌ سقيمُ[1]
يُرَوِّيـــه الشرابُ فيَزْدَهِيـهِ ويَنْفُخُ فيـــه شيطـانٌ رجيمُ

قال : فسُرّت به الخمّارة وقالت : ما قِيل فيَّ أحسن من هذا ولا أَسَرَّ لي منه .

[مدح فاتك بن فضالة حين وفد على عبد الملك]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيّوب بن عَباية قال : كان فاتك بن فَضالة بن شَريكٍ الأسدِيُّ كريماً على بني أُميّة ، وهو الوافدُ على عبد الملك بن مَروان قبل أن يَنهض إلى حرب ابن الزُّبير ، فضَمِن له على أهل العراق طاعتَهم وتسليمَ بلادِهم إليه ، وأن يُسْلِموا مُصْعباً إذا لقيه ويتفرّقوا عنه . وله يقول الأَقيشِر في هذه الوِفادة : [من الكامل]

وَفَد الوفودُ فكنتَ أفضلَ وافدٍ يا فاتِكُ بنَ فَضالةَ بنِ شَرِيكِ

[انكسر المنبر من تحت الوالي التميمي فهجا قومه]

أخبرني عليّ بن سُليمان الأخفش عن السُّكَّريّ قال حدَّثني ابن حبيب قال : وَلِيَ الكوفةَ رجلٌ من بني تميم يقال له مَطَرٌ[2] ؛ فلمّا عَلا المِنبَر انكسرت الدَّرجةُ من تحته فسقط عنها ؛ فقال الأُقيشر : [من الكامل]

أَبَني تَمِيمٍ مـا لِمِنْبَرِ مُلْكِكُمْ مـا يَستقِرّ قـرارُه يَتَمَرْمَرُ[3]
إنَّ المنابـرَ أُنكرتْ أستاهَكم فادعُـوا خُزَيمـة يَسْتقِرَّ المنبرُ

[يتهاجى مع قريظة بن قرظة]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال : مرّ رجلٌ من مُحارِبٍ يقال له قُرَيظة بن يَقَظة بالأُقيشر الأَسَديِّ وهو في مجلسٍ من مجالس بني أَسَد ، فسلَّم على الأُقيشر وكان به عارفاً . فقال له القوم : مَن هذا يا أبا مُعْرِض ؟ وكان مخموراً ، فقال : [من الطويل]

ومَنْ لي بأنْ أسطيعَ أن أذكرَ اسْمَه وأَعْيا عِقالاً أن يُطِيقَ لـه ذِكرا

قال : فضحِك القومُ وقالوا : سبحانَ الله ؛ أيُّ شيء تقول ؟ فقال : اسمُه ونَسَبُه أعظمُ من

---

1 الأسر : شدّة الخلق .

2 وهو مطر بن ناجية اليربوعي ، كان غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس الشاري وقد ورد هذا الاسم في شعر للأقيشر ، الشعر والشعراء : 560/2 . انظر ديوانه ص 71 رقم 23 .

3 ديوانه ص 71 رقم 23 وفي الشعر والشعراء 560/2 : لا يستقرُّ قُعوده يتمرمر . ويتمرمر : يهتز ويضطرب .

أن أقدِر على ذكرهما في يومٍ ، فإنْ شئتُمْ سَميته اليومَ ونسبتُه غداً ، وإنْ شئتُمْ نسبتُه اليوم وسَمَّيته غداً . قالوا : هاتِ اسمَه اليومَ . فقال : قُرَيظة . فقال رجل منهم : ينبغي أن يكونَ ابن يَقَظةَ . فقال الأُقيشر : صدقتَ والله وأصبتَ ، ولقد أثقلني اسمُه حين ذكرتَه أن أقول نَعَمْ . فبلغ قريظةَ قولُه وكان شاعراً فقال : [من الطويل]

لِسانُك من سُكْرٍ ثقيلٌ عن التُّقى ... ولكنّـه بالمُخْزِيـاتِ طليقُ
وأنتَ حَقيقٌ يـا أُقَيْشِرُ أن تُرى ... كذاك إذا مـا كنـتَ غيرَ مُفِيقِ[1]
تَسَفُّ مـن الصهباء صِرفاً تَخالُها ... جَنى النَّحلِ يُهْدِيـه إليكَ صديقُ

فبلغ الأُقَيْشِر قولُ المُحاربيّ وكان يُكْنى أبا الذيّال ، فأجابه فقال : [من الطويل]

عَدِمْـتُ أبا الذيَّالِ من ذِي نَوالةٍ ... لـه في بيـوتِ العاهراتِ طريقُ
أبالخَمْرِ عَيَّرْتَ امْرءاً ليس مُقْلِعاً ... وذلك رأيٌ لـو عَلِمْـتَ وثيقُ
سأشربَها ما دُمْتُ حيّاً وإن أمُتْ ... ففـي النَّفْسِ منهـا زَفرةٌ وشهيقُ

[أعجب الرشيد بشعره في التوبة]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال : بلغني أنّ الرشيدَ سمع ليلةً رجلاً يغنّـي[2] : [من البسيط]

إنْ كانتِ الخمرُ قد عَزَّتْ وقد مُنِعتْ ... وحال من دونها الإسلامُ والحَرَجُ
فقـد أُباكِرُهـا صِرْفاً وأَشْرَبُها ... أَشْفـي بها غُلَّتي صِرْفاً وأَمْتَزِجُ[3]
وقـد تقـومُ على رأسي مُغَنِّيـةٌ ... لهـا إذا رَجَّعَتْ في صوتها غُنُجُ
وترفَـع الصوتَ أحياناً وتَخْفِضُه ... كما يَطِنّ ذُبـابُ الرَّوْضةِ الهَزِجُ

قال : فوجَّه في أثر الصوت مَن جاءه بالرجل وهو يُرْعَد ، فقال : لا تُرَعْ فإنّما أعجبني حُسْنُ صوتِك . فقال : والله يا أمير المؤمنين ما تغنَّيت بهذا الشعر إلاّ وأنا قد تُبْتُ من شرب النبيذ ، وهذا شعرٌ يقوله الأُقَيْشِر في تَوبته من النبيذ . فقال له الرشيد : وما حَمَلَكَ على تركه ؟ قال : خَشْيةُ الله . وإنّي فيه يا أمير المؤمنين كما قال زيدُ بن ظَبْيان : [من البسيط]

جـاءوا بقاقُـزَّةٍ صَفْراءَ مُتْرَعـة ... هل بين ذِي كبرةٍ والخمرِ من نَسَبِ[4]

---

1 في هذا البيت إقواء .

2 ديوانه ص 58 رقم 12 عن الأغاني .

3 في ديوان أبي محجن :

فقـد أباكرهـا ريّا وأشربهـا ... صرفاً وأطرب أحياناً فأمتزج

4 القاقُزّة : الصغيرة من القوارير .

بئس الشَّرابُ شراباً حين تَشْرَبُه يُوهِي العِظامَ وطوراً مُفْتِرُ العَصَبِ
إنِّي أخافُ مَلِيكي أنْ يُعَذِّبَني وفي العشيرةِ أن يُزري على حَسَبي

فقال له الرشيد : أنتَ وما اخترتَ أعلَمُ ، فأعِدِ الصوتَ ، فأعادَه . وأمر بإحضار المغنِّين واستعادَه ، وأمرَهم بأخْذِهِ عنه فأخذوه ، ووصَله وانصرَف ، وكان صوتَ الرّشيد أيّاماً . هكذا ذكر إسماعيل بن يونُس عن عُتْبة بن شَبَّة في هذا الخبر أنّ الأبيات للأُقيشر ، ووجدتُها في شعر أبي مِحْجَنٍ الثَّقفيّ له لمّا تاب من الشراب .

[خرج لغزو الشام فأنفق ثمن حماره في الفجور]

أخبرني عليٌّ بن سليمان قال حدّثنا أبو سعيدٍ عن محمد بن حبيب قال : كان القُباعُ ، وهو الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة ، قد أخرج الأُقَيْشِرَ مع قومه لقتال أهل الشام ، ولم يكن عند الأُقيشر فرسٌ فخرج على حمارٍ ، فلمّا عبرَ جسْرَ سُورا[1] فوصل لقريةٍ يقال لها قنّين تَوارى عند خَمّارٍ نَبَطِيٍّ يُبْرِز زوجتَه للفُجور ، فباع حِمارَه وجعل يُنفقه هناك ويشرَب بثَمنه ويفجُر إلى أن قفَل الجيش ، وقال في ذلك : [من الطويل]

خرجتُ من المِصْرِ الحَوارِيِّ أهلُه بلا نَدْبَةٍ فيها احتسابٌ ولا جُعْلِ
إلى جَيْشِ أهلِ الشَّامِ أُغْزِيتُ كارهاً سَفاهاً بلا سيفٍ حديد ولا نَبْلِ[2]
ولكنْ بِتُرْسٍ ليس فيه حِمالةٌ ورُمحٍ ضَعيفِ الزُّجِّ مُنْصَدِعِ النَّصْلِ
حَباني به ظُلْمُ القُباعِ ولم أَجِدْ سوى أمرِه والسَّيرِ شيئاً من الفِعْلِ
فأزمعتُ أَمْرِي ثم أصبحتُ غازِياً وسَلّمتُ تسليمَ الغُزاةِ على أهلي
وقلتُ لَعَلِّي أنْ أُرى ثَمَّ راكباً على فرس أو ذا مَتاعٍ على بَغلِ
جَوادِي حمارٌ كان حيناً لِظَهْرِهِ إكافٌ وإشناق المَزادةِ والحبلِ
وقد خان عينيه بياضٌ وخانَه قوائمُ سَوْءٍ حين يُزْجَرُ في الوَحْلِ
إذا ما انتَحى في الماء والوَحْلِ لم تَرِمْ قوائمُه حتّى يُؤَخَّرَ بالحِمْلِ
أُنادِي الرِّفاقَ بارَكَ الله فيكمُ رُوَيْدَكُمُ حتّى أُجوزَ إلى السَّهْلِ
فسِرْنا إلى قنّين يوماً وليلةً كأنّا بَغايا ما يَسِرْنَ إلى بَعْلِ
إذا ما نزلنا لم نَجِدْ ظِلَّ ساحةٍ سوى يابس الأنهارِ أو سَعَفِ النَّخْلِ

1 سورا : قرية بالعراق من أرض بابل ، وقد نسبوا إليها الخمر . وسوراء : موضع قرب بغداد ، وقيل هو بغداد نفسها .

2 أغزاه : حمله على الغزو .

مَرَرْنا على سُوراءَ نَسْمَع جَسْرَها يَئِطّ نَقِيضاً عن سفائنِهِ الفضلِ[1]
فلمّا بدا جسرُ السَّراةِ وأعرضت لنا سوقُ فُرَّاغِ الحديثِ إلى شُغْلِ
نزلنا إلى ظِلٍّ ظليلٍ وباءةٍ حَلالٍ برغم القلطمان وما نفلِ[2]
يُشارِطُه مَنْ شاء كان بدرهمٍ عَرُوساً بِما بين السَّبيئة والنَّسْلِ
فأتبعتُ رُمْحَ السَّوْءِ سمية نصله وبِعْتُ حماري واسترحتُ من الثِّقْلِ
تقول ظبايا قل قليلاً ألا ليا فقلتُ لها إصوى فإنّي على رِسْلِ
مهرت لها جرديقة فتركتُها بمرها كطَرْفِ العينِ شائلةَ الرِّجْلِ

وممّا يُغَنَّى فيه من شِعر الأُقَيْشِر : [من البسيط]

صوت

لا أَشْرَبَنْ أبداً راحاً مُسارَقَةً إلاّ مع الغُرّ أبناءِ البَطارِيقِ
أفنى تِلادِي وما جَمَّعتُ من نَشَبٍ قَرْعُ القَواقيزِ أفواهُ الأباريقِ[3]

الغناء لحُنَينٍ هزجٌ بالبنصر عن عمرو . وفيه لعمر الواديّ رملٌ بالبنصر عن لهشاميّ . وفيه ثقيلٌ أوّل يُنسَب إلى حُنَينٍ وعُمَر وحَكَمٍ جميعاً . وهذا الغناء المذكور من قصيدة للأُقيشر طويلةٍ ، أوّلُها : [من البسيط]

إنّي يذكّرني هنداً وجارتَها بالطَّفِّ صوتُ حَمامات على نيقِ[4]

صوت

[من الوافر]

دَعاني دَعْوةً والخيلُ تَرْدِي فلا أدري أَباسْمِي أَمْ كَنانِي
وكانَ إجابَتي إيَّاهُ أنّي عَطَفْتُ عليه خَوَّارَ العِنانِ

الشعر لابن الغَريزَة النَّهْشَلِيّ . والغناء ليحيى المكّيّ رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ . وقد جعل المُغنّون معه هذا البيتَ ولم أَجِدْه في قصيدته ، ولا أدري أَهُوَ له أم لغيره : [من الوافر]

ألا يا مَن لِذا البَرْقِ اليَمانيّ يلوحُ كأنّه مِصْباحُ بانِ[5]

---

1 يئط : يصوّت . والنقيض : الصّوت .
2 الباءة : النكاح .
3 التلاد : المال القديم من تراث وغيره . والنشب : المال الثابت كالدار ونحوها . أو هو المال الأصيل من الناطق والصامت . القواقيز : ضرب من الرّواطيم وهو الكؤوس الصغيرة .
4 الطف : موضع بناحية الكوفة . النيق : حرف من حروف الجبل ، وأرفع موضع فيه .
5 الباني هنا : الداخل بأهله . وكأنه مصباح بانٍ مثل : يضرب فيما يبقى ليله ولا يزول .

[190] ـ أخبار ابن الغريزة ونسبه

[نسبه]

كَثِيرُ بن الغَريزة التميميُّ أَحدُ بني نَهشلٍ . والغَريزةُ أُمّه . وهو مخضرمٌ ، أَدرك الجاهليّة والإسلام ، وقال الشعرَ فيهما . وهذا الشعر يقوله ابنُ الغَريزة في غَزاةٍ غزاها الأَقْرَعُ بن حابسٍ وأَخوه بالطَّالَقانِ[1] وجُوزَجانَ[2] وتلك البلادِ ، فأُصيبَ من أصحابه قومٌ بالطَّالَقانِ فرثاهم ابنُ الغَريزة .

[قصيدته التي يرثي فيها قتلى يوم الطالقان]

أَخبرني الصُّوليّ عن الحَزَنْبَلِ عن ابن أبي عمرو الشَّيبانيّ عن أبيه قال : بعثَ عُمَر بن الخطّاب الأَقْرَع بن حابسٍ وأَخاه على جيشٍ إلى الطَّالَقان وجُوزَجان وتلك البلادِ ، فأُصيب من أصحابه قومٌ بالطّالقان ، فقال ابن الغَريزة النَّهْشليّ وقد شهِد تلك الوَقعة يَرثيهم ويذكر ذلك اليوم : [من الوافر]

سَقى مُـزْنُ السَّحابِ إذا اسْتهلّتْ ... مَصـارِعَ فِتْيـةٍ بـالجُوزَجانِ

إلى القَصْرَيْنِ مـن رُسْتاق خُوطٍ ... أَبادَهُـمُ هنـاكَ الأَقْـرَعانِ[3]

ومـا بـي أَنْ أَكونَ جَزِعْتُ إلاّ ... حنـينَ القلـبِ للبَـرْقِ اليَمانِي

ومَحْبُـورٍ بِرُؤْيَتِنا يُرَجِّـي الـ ... ـلقاءَ ولَـن أَراه ولـن يَراني

ورُبَّ أَخٍ أَصاب المـوتُ قَبْلِي ... بَكَيْتُ ولـو نُعِيـتُ لـه بَكانِي

دعـاني دعوةً والخيـلُ تَردي ... فمـا أَدْرِي أَبِاسْمِـي أَمْ كَنانِي[4]

فكـان إجابَتـي إيـّاهُ أنِّـي ... عَطَفْـتُ عليـه خَـوَّارَ العِنانِ[5]

وأَيَّ فَتًـى دَعَوْتَ وقـد تَوَلَّتْ ... بهـنّ الخيـلُ ذاتُ العنظوانِ[6]

---

1 الطالقان : بلدتان ، إحداهما بخراسان ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .

2 جوزجان : كورة واسعة من كور بلخ بخراسان .

3 القصران هنا : مدينة السيرجان بكرمان كانت تسمى القصرين . وخوط هنا : من قرى بلخ . ورستاقها : سوادها وقراها . يريد بالأقرعين الأقرع بن حابس وأخاه .

4 ردت الفرس تردي : رجمت الأرض بحوافرها ، أو هو ضرب من السّير بين العدو والمشي .

5 خوّار العنان من الخيل : السهل المعطف الكثير الجري .

6 يقال : طرّف عن العسكر إذا قاتل عن أطرافه .

وأيَّ فَتًى إذا مـا مُتُّ تدعُو ... يُطَـرِّفُ عنـكَ غاشيةَ السِّنانِ
فإنْ أَهْلِكْ فلَـم أَكُ ذا صُدُوفٍ ... عن الأَقْرانِ في الحَـرْبِ العَوانِ[1]
ولَم أُدْلِجْ لأَطْرُقَ عِـرْسَ جاري ... ولَم أَجْعَـلْ على قَوْمِي لِساني[2]
ولكنِّـي إذا مـا هايَجُـوني ... مَنِيـعُ الجـارِ مُرْتَفِـعُ البَنانِ
ويَكْرَهُنـي إذا استَبْسَلْتُ قِرْني ... وأَقضِي واحـداً مـا قـد قضاني
فـلا تَسْتَبْعِـدا يَوْمِـي فإنِّي ... سأُوشِكُ مَـرَّةً أَنْ تَفْقِـداني
ويُدْرِكُنـي الذي لا بُـدَّ منـه ... وإنْ أَشْفقْتُ مـن خوفِ الجَنانِ
وتَبْكينـي نوائـحُ مُعْـوِلاتٌ ... تُرِكْـنَ بـدار مُعْتَرَكِ الزَّمانِ[3]
حَبـائسُ بالعـراقِ مُنَهْنِهـاتٌ ... سَواجِـي الطَّرْفِ كالبَقَرِ الهِجانِ[4]
أَعاذِلَتَـيَّ مِـنْ لَـوْمٍ دَعانِي ... وللـرَّشَدِ المُبَيَّـنِ فاهْدِيـاني
وعاذِلَتَـيَّ صَوْتُكمـا قريـبٌ ... ونَفْعُكُمـا بعيـدُ الخَيْرِ وانِي
فَـرُدّا المـوت عنِّـي إن أَتاني ... وَلا وأَبِيكُمـا لا تَفْعَـلانِ

صوت

[من الكامل]

دارٌ لقاتلـةِ الغَرانـقِ مـا بهـا ... غيرُ الوُحوشِ خلتْ له وخَلا لَها[5]
ظَلَّتْ تُسائل بالمُتَيَّـمِ مـا بِـهِ ... وهـيَ التي فعلتْ بِـهِ أَفعالَها

الشعر لأَعْشى بني تَغْلِبَ من قصيدة يمدَح بها مَسلَمة بن عبدِ الملك ويهجو جريراً ويُعِين الأَخطلَ عليه . ويُرْوى «رَبْعٌ لِقانصة الغَرانق» وهو الصحيحُ هكذا ، ويُغَنَّى «دارٌ لقاتلةِ» لأَنّه يقول في آخر البيت «خلَتْ له وخلا لها» . والغناء لعبد الله بن العَبّاس ثاني ثقيلٍ بالبنصر عن عَمْرو بن بانة وابن المَكّيّ . وفيه لمُخارِقٍ رملٌ من جميع أَغانِيه .

1 الصّدوف : الإعراض .
2 الإدلاج : السير من أول الليل .
3 معترك : في ل : مغولة .
4 نهنه فلان دمعه : كفه . وسواجي الطرف : ساكنات العيون . والهجان : البيض .
5 الغرانق والغرانيقَ : جمع غُرنوق وغِرنوق وغِرنيق وهو الشاب الناعم .

[191] ـ أخبار أعشى بني تغلب ونسبه

[نسبه]

قال أبو عمرو الشيبانيُّ : اسمه ربيعةُ . وقال ابن حَبيب : اسمه النُّعمان بن يحيى بن معاوية ، أحدُ بني معاوية بن جُشَمَ بن بَكْرِ بن حُبَيب بن عمرو بن تَغلِب بن وائل بن قاسط بن هِنْبِ بن أَفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَديلة بن أَسَدِ بن رَبيعة بن نِزارٍ ، شاعرٌ من شُعراء الدولة الأمويّة ، وساكني الشام إذا حَضَر ، وإذا بَدا نزلَ في بلاد قومه بنواحي المَوْصِل وديار ربيعة . وكان نَصرانيّاً ، وعلى ذلك مات .

[قصته مع الحر بن يوسف]

أخبرني عليُّ بن سليمان الأَخفشُ عن أبي سَعِيدٍ السُّكَّرِيِّ قال حدَّثنا محمد بن حبيبَ عن أبي عمرو الشيبانيِّ قال : كان أعشى بني تَغلب يُنادم الحُرَّ بن يوسُف بن يحيى بن الحكَم . فشرِبا يوماً في بُستانٍ له بالمَوْصِل ، فسكِرِ الأَعْشى فنام في البستان . ودعا الحُرُّ بجواريه فدخلنَ عليه قُبَّتَه . واستيقظ الأَعشى فأقبل ليدخلَ القبَّة ، فمانعه الخَدَمُ ، ودافعهم حتى كاد أن يهجُم على الحُرِّ مع جواريه ، فلطَمه خَصِيٌّ منهم ؛ فخرج إلى قومه فقال لهم : لطَمني الحُرُّ . فوثب معه رجلٌ من بني تَغلِب يقال له ابن أَدْعَجَ وهو شِهابُ بن هَمّام بن ثعلبة بن أبي سَعْدٍ ، فاقتحما الحائطَ[1] وهجَما على الحُرِّ حتى لطمه الأعشى ثم رجعا . فقال الأعشى : [من الوافر]

كأنِّـي وابنَ أَدْعَجَ إذ دَخَلْنا ... على قُرَشِيِّـكَ الوَرَعِ الجَبانِ[2]

هِزَبْـرا غابـةٍ وَقَصا حِمـاراً ... فَظَـلاً حَوْلَـه يَتَناهشانِ[3]

أنا الجُشَمِيُّ من جُشَمَ بنِ بَكْرٍ ... عَشِيَّةَ رُعْـتُ طَرْفَـكَ بالبَنانِ

أيْ لطمتُك . وقوله «أنا الجشميّ» أيْ مِثْلي يفعل ذلك بمثلِك .

فما يسطيع ذو مُلْـكٍ عِقابِي ... إذا اجتَرمتْ يَدِي وجَنى لِساني

عَشِيَّةَ غـاب عنك بنو هاشمٍ ... وعثمـانُ اسْتُهـا وبنـو أُبانِ

تَـرُوحُ إلى مَنازِلهـا قُـرَيشٌ ... وأنـت مُخَيَّـمٌ بـالزَّرَّقانِ

---

1 الحائط : البستان .

2 الورع : الضعيف الجبان .

3 وقص عنقها : كسرها ودقّها .

والزَّرَّقان : قريةٌ كانت للحُرِّ بسِنْجار[1] .

[مدح مدركاً الكنانيّ فأساء ثوابه فهجاه]

قال ابن حبيب : مدَح أعْشى بني تَغْلِبَ مُدْرِكَ بن عبد الله الكِنانيّ أحد بني أُقَيْشِر بن جَذِيمة بن كَعْب فأساء ثوابَه ؛ فقال الأعشى : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّي يـومَ أَمْدَحُ مُدْرِكاً لَكالْمُبْتَني حَوْضـاً على غيرِ مَنْهَلِ
أَمَرَّ الهَـوى دُوني وفَـيَّلَ مِدحَتي ولَـوْ لكَريـمٍ قُلْتُها لَم تُفَيَّلِ[2]

[شعره في شمعلة بن عامر]

قال ابن حَبيبَ : كان شَمْعَلةُ بن عامرِ بن عَمْرِو بن بَكْرٍ أَخُو بني فائدٍ وهم رَهط الفرس نَصرانيّاً وكان ظريفاً ، فدخل على بعض خُلفاء بني أُمَيّة ، فقال : أَسْلِمْ يا شمعلةُ . قال : لا والله أُسلم كارهاً أبداً ، ولا أُسلم إلاّ طائعاً إذا شئتُ . فغضِب فأمر به فقُطِعت بَضْعةٌ من فَخذِهِ وشُوِيَتْ بالنار وأُطعمها . فقال الأعشى بني تَغلب في ذلك : [من الطويل]

أَمِنْ حُذَّةٍ بالفَخْذِ منك تباشرتْ عُداكَ فلا عـارٌ عليك ولا وزرُ[3]
وإنّ أميـرَ المؤمنـين وجَرْحَـه لَكالدَّهْرِ لا عـارٌ بما فعل الدّهرُ

[قال حين منعه عمر بن عبد العزيز]

وقال ابن حبيب قال أبو عمرو : كان الوليد بن عبد الملك محسناً إلى أعشى بني تَغلِب ، فلمّا وَلِي عمرُ بن عبد العزيز الخلافةَ وفَد إليه ومدَحه فلم يُعْطِه شيئاً ، وقال : ما أرى للشُّعراء في بيت المال حقّاً ، ولو كان لهم فيه لهم حقٌّ لَما كان لك ؛ لأنَّك امرؤٌ نصرانيٌّ . فانصرف الأعشى وهو يقول : [من الطويل]

لَعَمْرِي لقـد عاش الوليدُ حياتَـه إمامَ هُـدًى لا مُسْتزادٌ ولا نَزْرُ
كأنّ بنـي مَـرْوانَ بعدَ وفاتـه جلاميدُ لا تَندى وإنْ بَلَّها القَطْرُ

[شعره حين قعد مالك بن مسمع عن معاونة بني شيبان]

وقال ابن حبيبَ عن أبي عمرو : كانتْ بين بني شَيْبانَ وبين تَغْلِبَ حروبٌ ، فعاون مالكُ بن مسْمَع بني شَيبان في بعضها ثم قَعد عنهم . فقال أعشى بني تَغْلِبَ في ذلك : [من الطويل]

---

1 سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة .
2 فيله : قبحه وخطأه .
3 الحُذَّة : القطعة من اللحم .

بنـــي أُمِّنـــا مَهْـلاً فإنّ نفوسَنا تُميتُ عليكـــم عَتْبَهـا ومَصالَها
وترعـى بـــلا جهـــلٍ قَرابَةَ بَيْنِنا وبَيْنِكُـــمُ لَـمّـــا قَطَعْتُمْ وِصالَها
جـــزى اللهُ شيباناً وتَيْماً مَلامةً جـــزاءَ المُسيءِ سَعْيَها وفِعالَها
أَبا مِسْمَعٍ مَنْ تُنْكِرِ الحقَّ نَفْسُه وتَعْجِزْ عن المعروفِ يَعْرِفْ ضَلالَها
أَأوقدتَ نارَ الحرب حتّى إذا بَدا لنفسِكَ ما تجني الحروبُ فهالَها
نَزَعْتَ وقـــد جَرّدْتَها ذاتَ مَنْظَرٍ قَبيح مُهينٍ حيثُ ألقتْ حِلالَها[1]
أَلَسْنا إذا ما الحربُ شَبَّ سعيرُها وكان صَفيـحُ المَشْرَفيِّ صلالَها[2]
أَجارتُنـــا حِلٌّ لكـــم أنْ تَناولوا مَحارِمَهـــا وأَن تَميـــزُوا حَلالَها
كذبتم يَمِينُ اللهِ حتـــى تَعاوَرُوا صُدورَ العـــوالي بيننـــا ونِصالَها[3]
وحتى ترى عينُ الذي كان شامتاً مَزاحـــفَ عَقْرى بيننا ومَجالها[4]

صوت

[من الطويل]

ويَفْرَحُ بـــالمولود مـــن آل بَرْمَكٍ بُغاةُ النَّدى والرُّمْحِ والسَّيْفِ والنَّصْلِ
وتَنْبَسِط الآمـــالُ فيـــه لِفَضْلِهِ ولا سيَّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضلِ

الشعر لأبي النَّضير . والغناء لإسحاق ، ثقيلٌ أوَّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانةَ من مجموع إسحاق . وقال حَبَشٌ : فيه لإبراهيم الموصليِّ ثقيلٌ أوّلُ بالبنصر عن عمرو بن بانة من مجموع إسحاق . وقال حبشٌ : فيه لإبراهيم الموصليِّ ثقيلٌ آخرُ بالوُسْطى ولقَضِيبَ وبَراقِشَ جاريتي يحيى بن خالد فيه لحنان .

1 الحلال هنا : متاع الرحل .
2 الصفيح : جمع صفيحة وهي هنا السيف العريض . والمشرفيّ : المنسوب إلى المشارف وهي قرى قرب حوران ، وذكر أنها في أماكن أخرى .
3 تعاوروا الشيء : تداولوه . والعوالي : أطراف الرماح . الواحدة عالية . والنصال : جمع نصل وهو حديدة السهم والرمح .
4 المزاحف : جمع مزحف وهو مكان الزحف . وعقرى : جمع عقير .

[192] ـ أخبار أبي النّضير ونسبه

أَبو النَّضير اسمُه عُمَرُ بن عبد المَلِكِ ، بَصْرِيٌّ ، مولًى لبني جُمَحَ .

أَخبرنا بذلك عمِّي عن ابن مَهْرُوَيْه عن إسحاق بن محمد النَّخَعِيِّ عن إسحاق بن خَلَفٍ الشاعر قال : قلت لأَبي النَّضِير بن أَبي إلياس : لِمَن أنت ؟ فقال : لبني جُمَحَ . وذكر أبو يحيى اللاّحقيُّ أنّ اسمَه الفضلُ بن عبد الملك .

[انقطع إلى البرامكة فأغنوه]

شاعرٌ من شعراء البصريِّين ، صالحُ المَذْهَبِ ، ليس من المعدودين المتقدّمين ولا من المولَّدين الساقطين . وكان يغنِّي بالبصرةِ على جَوارٍ له مولَّدات ، ويُظْهِرُ الخَلاعة والمُجون والفِسق . ويُعاشر جماعةً ممّن يُعْرَف بذلك الشأن . وكان أَبانُ اللاّحِقيُّ يُعاشره ثم تَصارَما ، وهجاه وهجا جواريَه وافترقا على قِلًى ، ثم انقطع أبو النَّضير إلى البرامكة فأَغْنَوْه إلى أن مات .

[قال إسحاق الموصليّ إنّه أظرف الناس]

أَخبرنا ابن أبي الأَزهر عن حمّاد بن إسحاق قال سمعتُ أبي يقول : لو قِيل لِي مَن أظرفُ مَنْ رأيتَه قطُّ أو عاشرتَه ، لقلتُ : أَبو النَّضَيرِ .

[دخل على الفضل بن يحيى فهنّأه بمولود ارتجالاً]

أَخبرني عيسى الورّاق عن الفضل اليزيديّ عن إسحاق ، وأَخبرني محمد بن مَزْيدٍ عن حمّاد عن أبيه قال : وُلِد للفَضْلِ بن يحيى مولودٌ ، فوَفَد عليه أبو النَّضِير ولم يكن عرف الخبر فيُعِدَّ له تهنئةً ، فلمّا مثَل بين يديه ورأى الناسَ يهنِّئونه نَثْراً ونَظْماً قال ارتجالاً : [من الطويل]

ويَفْرَحُ بالمولودِ من آلِ بَـرْمَكٍ بُغاةُ النَّدى والسَّيفِ والرُّمْحِ والنَّصْلِ

وتَنْبَسِطُ الآمـالُ فيـه لِفَضْلِـهِ .....

ثم أَرْتِجَ عليه فلم يَدْرِ ما يقول . فقال الفضل يُلقِّنه :

ولا سِيَّما إنْ كان من وَلَدِ الفَضْلِ

فاستحسن الناس بديهةَ الفضلِ في هذا ، وأَمر لأَبي النَّضير بصلةٍ .

[نقد الفضل بن يحيى شعراً له في مدحهم فأجابه]

وأَخبرني حبيبُ بن نَصْرٍ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثني بعض المَوالي قال : حضرتُ الفَضْلَ بن يحيى وقد قال لأَبي النَّضير : يا أبا النضير أنت القائل فينا : [من الطويل]

إذا كنتُ من بَغْدادَ في رأسِ فَرْسَخ وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل بَرْمكِ

لقد ضَيَّقْتَ علينا جِدّاً . قال : أفلأجل ذلك أيّها الأميرُ ضاقتْ عليَّ صلَتُك وضاقت عنّي مكافأتُك وأنا الذي أقول : [من السريع]

تشاغلَ النّاسُ ببُنْيانِهِمْ والفضلُ في بُنْيانِهِ جاهِدُ
كلُّ ذوي الفَضْلِ وأهلِ النُّهى للفَضْلِ في تدبيره حامدُ

وعلى ذلك فما قلتُ البيتَ الأوَّلَ كما بلغ الأميرَ ، وإنّما قلتُ : [من الطويل]

إذا كنتُ من بَغْدادَ مُنْقَطِعَ الثَّرى وجدتُ نسيمَ الجُودِ من آل برمكِ

فقال الفضلُ : إنّما أخَّرْتُ عنك لأُمازِحك ، وأمَر له بثلاثين ألْفَ درهمٍ .

[كتب إلى عنان وكان يهواها فأجابته]

أخبرني ابن عَمّارٍ عن أبي إسحاق الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النضير يَهْوَى عِنانَ جاريةَ النَّاطِفيّ ، وكتَبَ إليها : [من الخفيف]

إنَّ لي حاجةً فرَأْيَكِ فيها لَكِ نفسي الفِدا مِنَ الأوصابِ
وهْيَ ليستْ ممّا يُبَلِّغُه غيـ ـرِي ولا أستطيعُه بكتابِ
غيرَ أنّي أقولُها حين ألقا كِ رُوَيْداً أُسِرُّها من ثِيابي

فأجابتْه وقالت : [من الخفيف]

أنا مشغولةٌ بمَنْ لستُ أهْوا هُ وقلبي مِنْ دونِهِ في حِجابِ
فإذا ما أردتَ أمْراً فأسْرِرْ هُ ولا تجعلنَّه في كتابِ

قال : وقال أبو النَّضير فيها : [من الهزج]

صوت

أنا واللهِ أهْواكِ وأهواكِ وأهواكِ
وأهوى قُبْلةً مِنْكِ على بَرْدِ ثَناياكِ
وأهوى لكِ ما أهْوى لِنَفْسِي وكَفى ذاكِ
فهَلْ يَنْفَعُني ذِلـ ـكِ يوماً حين ألقاكِ
أنا واللهِ أهواك وما يَشْعُرُ مولاكِ
فإيّاكِ بأنْ يَعْلَـ ـمَ إيّاكِ وإيّاكِ

فيه لعليّ بن المارقيّ رملٌ بالبنصر عن الهشاميّ .

[عابث مكتومة المغنية حين طلبت منه صوتاً]

حدَّثنا ابن عمّار عن الطَّلحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النضير يُغَنِّي غناءً صالحاً ، فغنّى ذاتَ يومٍ صوتاً كان استفاده ببغداد . فقالت له قَينةٌ كانت ببغداد يقال لها مكتومةُ : اطْرَحْ عليّ هذا الصوتَ يا أبا النَّضير . فقال : لا تَطِيبُ نفسي به مُحابِياً ، ولكنِّي أُبيعك إيّاه . قالت : بِكَمْ ؟ قال : برأْس مالِه . قالت : وما رأسُ مالِه ؟ قال : ناكَني فيه الذي أخذتُه منه . فغطَّتْ وجهَها وقالت : عليك وعلى هذا الصوت الدَّمارُ .

[شعر له في مدح أبي جعفر عبد الله بن هشام]

أخبرني ابن عمّار عن الطَّلْحيِّ عن أبي سُهَيْل قال : قال أبو النضير ، وفيه غناءٌ لإبراهيم : [من المتقارب]

صوت

أيَصحو فُـؤادُكَ أمْ يَطْـرَبُ ... وكيف وقد شَحَطتْ زينبُ
جـرى الناسُ قبـل أبي جعفرٍ ... زمانـاً فلم يُـدْرَ مَـنْ غَلَّبُوا
فلمّـا جـرى بأبـي جعفر ... بنـو تَغْلِـبٍ سَبَقـتْ تَغْلِبُ

قال أبو سُهَيْلٍ : وأبو جعفرٍ الذي عناه أبو النَّضير هو عبدُ الله بن هشام بن عمرو التَّغْلبيّ الذي يذكره العَتَّابيُّ في شعره ورسائله ، وكان جواداً سَخِيّاً . وكان ابنُ هشامٍ وَلِي السِّنْدَ ، وفيه يقول أبو النَّضير : [من الطويل]

ألا أيُّها الغيثُ الذي سحّ وَبْلُه ... كأنّك تَحْكي راحـةَ ابنِ هشامِ
كأنّـك تَحْكِيها ولكنّ جُودَه ... يـدومُ وقـد تأتـي بغيرِ دوامِ
وفيـك جَهامٌ ربَّمـا كان مُخْلِفاً ... وراحتُـه تَغـدُو بغير جَهامِ[1]

[كان يرى أنّ الغناء على تقطيع العروض]

أخبرني ابن عمّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْلٍ قال : كان أبو النَّضير يزعمُ أنّ الغِناء على تقطيع العَروض ، ويقول : هكذا كان الذين مَضَوْا يقولون ، وكان مستهزئاً بالغناء حتى تعاطى أنْ يُغَنِّي ، وكان إبراهيم الموصليّ يُخالفه في ذلك ويقول : العَرُوض مُحْدَثٌ ، والغناء قبلَه بزمانٍ . فقال إسحاق بن إبراهيم ينصر أباه : [من الوافر]

سَكَتُّ عن الغِناء فلا أُمارِي ... بَصِيـراً لا ولا غيـرَ البصيرِ

1 الجهام : السحاب لا ماء فيه ، والسحاب الذي هراق ماءه .

مخافةَ أنْ أُجَنَّنَ فيه نَفْسي كما قد جُنَّ فيه أبو النَّضيرِ

[قاطعه أبان اللاحق وقال شعراً يهجوه]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه قال حدّثني أبو طَلحة الخُزاعيّ عن اللاَّحقيّ قال : كان جدّي أبانُ يَشْرَبُ مع إخوانٍ له على شاطىء دجلة بعد مُصارمته أبا النَّضير ، وكان القوم أصدِقاء له ولأبي النضير ، فذكروه . فقال جَدّي : إنْ حضَر انصرفتُ ، فأمسكوا جَدّي فيه : [من الخفيف]

رُبَّ يومٍ بشَطِّ دِجْلةَ لَذٍّ ولَيالٍ نَعِمتُ فِيها لِذاذِ
غَيْبةٌ لم تَطُلْ عليّ وماذا خيرُ قُرْبِ المُطَرْمِذِ المَلاَّذِ[1]
تركَ الأشْرِباتِ ليس بَعاطٍ لِرَساطُونِها ولا الرّاقيذِ[2]
وحكى الأحْمَقَ الذي ليس يَدْري أنَّ خيرَ الشرابِ هذا اللذاذِ[3]
ضَلَّ رأيٌ أراه ذاك كما ضَـ ـلَّ غُواةٌ لاذُوا بشَرٍّ مَلاذِ
أنتَ أعْمى فيما ادَّعَيْتَ كما لَسْـ ـتَ لِصَوْغِ الألحانِ بالأُسْتاذِ
كان ذنباً أتوبُ منه إلى اللـ ـه اختيارِيكَ صاحباً واتِّخاذي
إنّ للهِ صومَ شَهْرَيْنِ شُكْراً أنْ قَضى منك عاجلاً إنْقاذي
لا لِدينٍ ولا لِدُنْيا ولا يَصْـ ـلُحُ في علم ما ادَّعى بنَفاذِ

[يسأل حماد عجرد عن مجلس شرابه]

حدَّثني ابن عَمّار عن الطَّلْحيّ عن أبي سُهَيْل قال : كتب أبو النَّضير إلى حمّاد عَجْرد يسأل عن حاله في الشراب وشُرْبِهِ إيّاه ومَنْ يعاشِر عليه . فكتَبَ إليه حَمّادٌ : [من السريع]

أبا النَّضيرِ اسْمَعْ كَلامي ولا تَجْعَلْ سوى الإنصافِ من بالكا
سألتَ عن حالي ، وما حالُ مَنْ لم يَلْقَ إلاّ عابداً ناسكا
يظْهِرُ لي ذا فمتى يَفْتَرِصْ شيئاً تَجِدْه عادياً فاتِكا[4]

يعني حُرَيْثَ بن عمرو . وكان حَمّادٌ نزل عليه ، وكان حُرَيْثٌ هذا مشهوراً بالزّندقة ، وكذلك حمّادٌ هذا كان مشهوراً بها ، فنزل عليه لذلك .

1 المطرمذ : الذي يقول ولا يفعل ، والذي لا يحقق في الأمور . والملاذ : المطرمذ المتصنّع الذي لا تصحّ مودته .
2 العاطي : المتناول . والرساطون : شراب يتخذه أهل الشام من الخمر والعسل .
3 اللذاذ : مصدر لذذت الشيء لذاذة أي وجدته لذيذاً .
4 افترص الشيء : انتهزه وأصابه واغتنمه .

[كتب إلى حمدان اللاحقيّ يشكو إليه عمر بن يحيى ويهجوه]

أخبرني الحسن بن عليّ عن ابن مَهْرُوَيْه عن أبي طَلحة الخُزاعيّ عن أبي يحيى اللاحقيّ قال : كتَب أبو النضير إلى عمّي حَمْدان بن أبان . وكان له صديقاً ، يشكو إليه عُمَرَ بن يحيى الزِّيادِيَّ وكان عَرَّبَدَ عليه وشتَمه : [من مجزوء الرمل]

أَقْـرِ حَمْدانَ سلامَ الـ ـلّهِ مِـن فَضْلٍ وقُلْ لَـهْ
يـا فَتًى لستُ بحمدِ الـ ـلّهِ أَخْشى أَنْ أَمَـلَّـهْ
ذاك أنّ اللهَ قـد أَنْـ ـهَلَـه الظَّـرْفَ وعَـلَّـهْ
وذُرا بيـت رَقـاشٍ وعُلاهـا قـد أَحَلَّهْ[1]
إنَّ شَتْمَ السِّفْلَـةِ الكَشْـ ـخان ذي القَرْنَيْنِ ضَلَّهْ[2]
ولَـوَ انّ القلبَ هاجى عُمَـراً يومـاً لَغَلَّهْ[3]
ذاك أنّ اللهَ قـد أَخـ ـزى ابنَ يحيـى وأَذَلَّهْ
مَنْ يُهاجي رَجُـلاً يَسْـ ـتوعِبُ الجُـرْدانَ كُلَّهْ[4]
مـا يسيلُ الأَيْـرُ إلاّ أدخـلَ الأَيْـرَ وبَلَّهْ
وإذا عايَـنَ أَيْـراً وافِـيَ الفَيْشَةِ غَـلَّهْ
هـذه قِصَّةُ مَـنْ قـد جعَـل المُـرْدانَ شُغْلَهْ

[أنشد الفضل بن الربيع شعراً في امرأة تزوّجها وطلّقها]

حدَّثني عمّي عن أبي العيناء عن أبي النَّضير قال : دخلتُ على الفَضْلِ بن الرَّبيع فقال : هل أحدثتَ بَعْدي شيئاً . قلت : نعم ، قلتُ أبياتاً في امرأةٍ تزوَّجْتُها وطلَّقتها لغيرِ عِلَّةٍ إلاّ بُغْضي لها ، وإنّها لبيضاءُ بَضَّةٌ ، كأنّها سَبِيكةُ فِضَّةٍ . فقال لي : وما قلتَ فيها ؟ فقلت قلتُ : [من مجزوء الكامل]

رَحَلتْ سُكَيْنةُ بالطَّـلاقِ فأَرَحْتُ من غُلِّ الوَثاقِ[5]

---

1 جدّ حمدان الأعلى كان مولى لبني رقاش ، ونسبه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عقر مولى بني رقاش .

2 الكَشخان : الديوث الذي لا غيرة له على أهله .

3 غلة هنا : وضع الغل في عنقه أو يده .

4 الجردان : قضيب ذوات الحافر أو هو عام .

5 أراح فلان : وجد راحة .

رحلتْ فَلَمْ تَـأْلَـمْ لهـا نَفْسي ولم تَدْمَـعْ مَآقي
لـو لَـمْ تَبِنْ بطَلاقِها لأبنـتُ نفسي بالإباقِ
وشِفاءُ مـا لا تَشْتَهِيـ ـهِ النَّفْسُ تعجيلُ الفِراقِ

فقال : يا غُلامُ ، الدواةَ والقِرْطاسَ ، فأُتِيَ بهما ، فأَمَرني فكتبتُ له الأبياتَ ، ثم قلتُ له : أنتَ واللهِ تُبْغِضُ بنتَ أبي العبّاس الطُّوسيّ . فقال : اسْكُتْ أخزاك الله ! ثم ما لبِث أن طَلّقها .

صوت

[من الكامل]

ما بـالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها شَرِقتْ بعَبْرَتِها وطال بُكاؤها
ذكرتْ عَشِيرتَها وفُرْقةَ بَيْنِها فطوتْ لذلك غُلَّةً أحشاؤها

الشعر لعبد الله بن عُمَر العَبْليِّ . والغناءُ لأبي سعيدٍ مولى فائدٍ ، رَمَلٌ مطلقٌ في مَجرى الوُسطى عن ابن المكّيِّ ، وذكره إسحاق في هذه الطريقة ولم يَنْسُبْه إلى أحدٍ ، وقيل إنّه من منحول يحيى إلى أبي سعيدٍ .

[193] ـ أخبار العبليّ ونسبه

[من مخضرمي الدولتين]

اسمُه عبدُ الله بن عُمَر بن عبد الله بن عليٍّ بن عدِيٍّ بن رَبيعةَ بن عبد العُزّى بن عبد شَمْسِ بن عبد مَنافٍ ، ويُكْنى أبا عَدِيٍّ ، شاعرٌ مُجيدٌ من شعراء قريش ، ومن مُخضرميّ الدولتين ، وله أخبارٌ مع بني أُمَيّة وبني هاشمٍ تُذْكَر في غير هذا الموضع .

[سبب نسبه إلى العبلات]

ويقال له عبد الله بن عُمَر العَبْليّ ، وليس منهم ؛ لأنّ العَبَلات من وَلَدِ أُمَيّة الأصغر ابن عبد شمسٍ . سُمُّوا بذلك لأنّ أُمّهم عَبْلةُ بنت عُبيد بن حارِك بن قيس بن مالك بن حَنظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم ، وهؤلاء يقال لهم بَراجِمُ بني تَميمٍ ، وَلَدتْ لعبد شمس بن عبد مَنافٍ أُميّة الأصغر ، وعبد أُميّة ونَوْفَلاً ، وأمّه من بني عبد شمس ، فهؤلاء يقال لهم العَبَلات ، ولهم جميعاً عَقِبٌ . أمّا أُمَيّة الأصغرُ فإنّهم بالحجاز ، وهم بنو الحارث بن أُمَيّة ، منهم عليُّ بن عبد الله بن الحارث ، ومنهم الثُّرَيا صاحبةُ ابن أبي ربيعة . وأمّا بنو نَوفَل وعبدِ أُمَيّة فإنّهم بالشام كثيرٌ . وعبد العُزّى بن عبد شمسٍ كان يقال له أَسَدُ البطحاء . وإنّما أدخلهم النّاسُ في العَبَلات لَمّا صار الأمرُ لبني أُمَيّة الأكبرِ وسادوا وعَظُم شأنُهم في الجاهلية والإسلام وكَثُر أشرافُهم ، فجعلَ سائرَ بني عبد شَمْسٍ مَن لا يعلم قبيلةٌ واحدةً ، فسمَّوْهم أُمَيّة الصُّغْرى ، ثم قيل لهم العَبَلات لشُهرة الاسم .

وعليّ بن عَدِيٍّ جدُّ هذا الشاعر شهِد مع عائشة يومَ الجَمَلِ . وله يقول شاعر بني ضَبّة لعنةُ الله عليه : [من الرجز]

يا رَبِّ آكْبُبْ بِعَـلِيّ جَمَلَهْ ولا تُبـارِكْ في بعيرٍ حَمَلَهْ
إلاّ عليَّ بن عَـدِيٍّ ليس لـهْ

[مال إلى بني هاشم أيام الأمويين ثم خرج على المنصور]

فأمّا عبد الله بن عُمَرَ هذا الشاعر فكان في أيّام بني أُمَيّة يميل إلى بني هاشمٍ ويَذُمّ بني أُميّة ، ولم يكن منهم إليه صُنْعٌ جميلٌ ، فسَلِم بذلك في أيّام بني العبّاس ثم خرج على المنصور في أيّامه مع محمد بن عبد الله بن الحسن .

[لم يعطه هشام فقال شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زُهيرٍ عن مُصعَبٍ الزُّبَيريِّ قال : العَبْليّ عبدُ الله بن عمر بن عبد الله بن عليٍّ بن عَدِيّ بن ربيعة بن عبد العُزّى بن عبد شمسٍ ، ويُكنى أبا عَدِيٍّ ، وله أخبارٌ كثيرة مع بني هاشم وبني أُميّة . وقسَم هشام بن عبد الملك أموالاً وأجاز بجوائز ،

فلم يُعطِه شيئاً . فقال : [من الطويل]

بَخسَّ حَظِّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ليتني كنتُ من بني مَخْزُومِ
فأفوزَ الغداةَ منهم بسَهْمٍ وأَبِيعَ الأبَ الشريفَ بلُومِ

[استقدمه المنصور واستنشده فغضب عليه]

فلمّا استُخْلِف المنصور كتب إلى السَّرِيِّ بن عبد الله أن يُوجِّه به إليه ففعل . فلمّا قدِم عليه قال له : أنشِدْني ما قلتَ في قومِك ، فاستعفاه . فقال : لا أُعفيك . فقال : أَعْطِني الأمانَ فأعطاه ، فأنشده : [من الكامل]

ما بال عَيْنِك جائلاً أقذاؤها شَرِقتْ بعَبْرَتِها فطال بُكاؤها

حتى انتهى إلى قوله :

فبنو أُمَيّة خيرُ مَنْ وَطِيء الحَصى شَرَفاً وأفضلُ ساسةٍ أمراؤها

فقال له : اخْرُج عنّي لا قرّب الله دارَك ! فخرج حتى قدِم المدينة ، فألفى محمد بن عبد الله بن حسن قد خرج فبايعه .

[أكرمه السّفاح وردّ حرمه وأمواله]

أخبرني عمّي عن الكُرانيّ عن العُمَريّ عن العُتبيّ عن أبيه قال : كان أبو عَدِيٍّ الذي يقال له العَبْليّ مجفوّاً في أيّام بني مَروان وكان منقطعاً إلى بني هاشم ، فلمّا أفضتِ الدولة إليهم لم يُبْقوا على أحدٍ من بني أُميّة ، وكان الأمرُ في قتلهم جِدّاً إلاّ مَن هرَب وطار على وجهه ، فخاف أبو عديّ أن يقع به مكروه في تلك الفَوْرة فتوارَى ؛ وأخذ داود بن عليٍّ حُرَمَه وماله ، فهرب حتّى أتى أبا العبّاس السفّاح ، فدخل عليه في غُمار النّاس متنكّراً وجلس حَجْرةً[1] حتى تَقَوّض[2] القوم وتفرّقوا ، وبقي أبو العبّاس مع خاصته . فوثب إليه أبو عَدِيّ فوقف بين يديه وقال : [من الوافر]

ألا قُلْ للمَنازِلِ بالسِّتارِ سُقِيتِ الغَيْثَ من دِمَنٍ قِفارِ[3]
فهل لك بَعْدَنا عِلْمٌ بسَلْمى وأَتْراب لها شبهِ الصُّوارِ[4]
أوانِسُ لا عَوابِسُ جافياتٌ عن الخُلُقِ الجميلِ ولا عَوارِي
وفيهنّ ابنةُ القُصَويِّ سَلْمى كَهَمِّ النَّفْسِ مُفْعَمةُ الإزارِ[5]

1 حجرة : ناحية .
2 تقوّض القوم إذا أنفضوا وانصرفوا .
3 الستار : اسم لعدة مواضع .
4 الصُّوار : القطيع من البقر .
5 القصويّ : نسبة إلى قصي .

تلوثُ خِمارَهـا بأَحَـمَّ جَعْدٍ تُضِلُّ الفالِيـاتُ بـه المَدارِي[1]
بَرَهْرَهَـةٌ مُنَعَّمَـةٌ نَمَتْهـا أَبُوَّتُهـا إلى الحَسَبِ النُّضارِ[2]
فدَعْ ذِكرَ الشبابِ وعهدَ سَلْمى فما لـكَ منهمـا غيرُ ادِّكارِ
وأَهْـدِ لهاشمٍ غُـرَرَ القَوافي تَنَخَّلُهـا بعلـمٍ واخْتيـارِ[3]
لَعَمْرُكَ إنَّنـي ولُـزومَ نَجْدٍ ولا أَلْقى حِبـاءَ بني الخيارِ[4]
لَكالْبادي لأَبْـرَدَ مُستَهِـلٍّ بجَوْبـاء كبطـن العَيْر عارِ[5]
سأَرْحَـلُ رِحْلَـةً فيها اعتزامٌ وجِـدٌّ في رَواحٍ وابْتكـارِ
إلى أَهلِ الرسول غَدَتْ برَحْلِي عُذافِـرةٌ تَرامى بالصَّحارِي[6]
تَـؤُمُّ المَعشَرَ الأَبْـرارَ تبغي فكـاكاً للنّساء مـن الإسارِ
أَيـا أَهلَ الرسولِ وصِيدَ فِهْرٍ وخيرَ الواقفـين على الجِمارِ
أَتُؤخذ نِسْوتي ويُحـازُ مالي وقد جاهرتُ لو أَغْنى جِهاري
واذْعَرُ أن دُعِيتُ لعبد شَمْسٍ وقد أمسكتُ بالحَرَمِ الصَّوارِي[7]
بنُصْرةِ هاشمٍ شَهَّرتُ نفسي بـداري للعِـدا وبغير داري
بقُرْبَـي هاشمٍ وبحـقِّ صِهْـرٍ لأَحمـدَ لفَّـه طِيـبُ النِّجارِ
ومنزلُ هاشم مـن عبد شمسٍ مكانَ الجِيدِ مـن عُلْيا الفَقارِ

فقال له السفّاح : مَنْ أنت ؟ فانتسَب له . فقال له : حقٌّ لعَمْرِي أعرِفه قديماً ومَوَدَّةٌ لا أَجحَدها ، وكتب له إلى داوُدَ بن عليٍّ بإطلاق مَن حبسه من أهله وردِّ أمواله عليه وإكرامِه ، وأمر له بنفقة تُبَلِّغه المدينة .

[وفد على عبد الله بن حسن وأجازه هو وابناه وزوجه]

أخبرني أحمد بن محمد بن سعيد الهَمْدانيّ قال حدَّثنا يحيى بن الحسن العَلَويّ عن موسى بن

1 تلوث : تلفّ . والأحم : الأسود . والجعد من الشعر : وهو ما فيه التواء وتقبض . والفاليات : من فلا الرأس .
2 البرهرهة : البيضاء ، وقيل هي الرقيقة الجلد كأن الماء يجري فيها من النعمة . والنضار هنا : الخالص الذي لم يشبه ما يدنسه .
3 تنخلها : تخيّرها .
4 الحباء : العطاء .
5 البادي : الخارج إلى البادية . والأبرد هنا : النمر . ومستهل هنا : رافع صوته . وبطن العير : يقال للمكان الذي لا خير فيه جوف العير .
6 العذافرة من الإبل : العظيمة الشديدة .
7 الصواري : جمع صائرة وهي العاطفة أو المميلة .

عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن قال حدَّثني أبي قال : قال سعيد بن عُقبة الجُهَنيّ : إنّي لعند عبد الله بن الحسن إذ أتاه آتٍ فقال له : هذا رجل يدعوك ، فخرجتُ فإذا أنا بأبي عدِيّ الأمويّ الشاعر ، فقال : أعْلِمْ أبا محمد . فخرج إليه عبد الله بن حسن وابناه وقد ظهرت المُسَوِّدة وهم خائفون ، فأمر له عبد الله بن حسن بأربعمائة دينار وابناه بينهما بأربعمائة دينار ، وهندُ بنت أبي عُبَيدةَ أمُّهما بمائتي دينار ، فخرج من عندهم بألف دينار .

[استنشده عبد الله بن حسن ممّا رثى به قومه ثم أكرمه هو وأهله]

وأخبرني حِرْميّ عن الزُّبير ، وأخبرني الأخفش عن المُبَرِّد عن المُغِيرة بن محمد المهلَّبيّ عن الزُّبَير عن سليمان بن عيّاش السعديّ قال : جاء عبد الله بن عمر بن عبد الله العَبْليّ إلى سُوَيْقَةَ[1] وهو طريد بني العبّاس ، وذلك بعَقِب أيّام بني أُميّة وابتداء خروج مُلْكهم إلى بني العبّاس ، فقصده عبد الله والحسن ابنا الحسن بسُوَيقة ، فاستنشده عبد الله شيئاً من شعره فأنشده . فقال له : أريد أن تُنشِدَني شيئاً ممّا رثيتَ به قومَك ، فأنشده : [من المتقارب]

تقـول أُمامـةُ لمّـا رأتْ ... نُشُوزِي عـن المَضْجَعِ الأنْفَسِ
وقِلّـةَ نومـي على مَضْجَعي ... لـدى هَجْعةِ الأعْيُنِ النُّعَّسِ
أبي مـا عَراكَ ؟ فقلتُ الهمومُ ... عَـرَوْنَ أبـاك فلا تُبْلِسي[2]
عَـرَوْنَ أبـاك فحبَّسْنَـهُ ... من الذُّلِّ في شَرِّ مـا مَحْبِسِ
لِفَقْـدِ العشيرةِ إذ نالَهـا ... سِهامٌ مـن الحَـدَثِ المُبْئِسِ
رَمَتْهـا المنـونُ بـلا نُصَّلٍ ... ولا طائشاتٍ ولا نُـكَّسِ[3]
بأسْهُمِها الخالساتِ النُّفوسَ ... متى ما اقتضتْ مُهْجةً تَخْلِسِ
فصَرْعاهُـمُ في نواحي البِلا ... دِ تُـلْقى بـأرضٍ ولم تُرْمَسِ
كريـمٌ أُصِيـب وأثوابُه ... مـن العـارِ والذَّامِ لم تَدْنَسِ
وآخَرُ قـد طار خوفَ الرَّدى ... وكان الهُمـامَ فلم يُحْسَسِ
فكم غادروا من بَواكي العيو ... نِ مَرْضى ومن صِبْية بُـؤَّسِ
إذا مـا ذكرنَهُـمُ لم تَنَـمْ ... لحَـرِّ الهمـومِ ولم تَجْلِسِ

1 سويقة هنا : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

2 عرون في ل : منعن . الإبلاس : اليأس والتحير ، والسكوت من الغم والحزن .

3 النُصَّل : جمع ناصل ، وهو هنا السهم الذي سقط نصله ، والناصل أيضاً : ذو النصل . سهم نكس : هو الذي ينكس أو يكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله ، والجمع أنكاس .

يُرَجِّعْـنَ مثـلَ بُكاء الحَما ... مِ في مأتَـمٍ قَلِـقِ المَجْلِسِ[1]
فـذاك الذي غالني فاعْلَمي ... ولا تسألينـي فَتَستَنْحِسِي[2]
وأشياءُ قـد ضِفْنَني بالبلادِ ... ولستُ لهـنّ بمُسْتَحْلِسِ[3]
أفـاض المَدامِـعَ قَتْلى كُدًى ... وقتـلى بكُثْـوة لم تُرْمَسِ[4]
وقتـلى بـوَجٍّ وباللاَّبَتَيـ ... ـنِ من يَثْرِبٍ خيرُ ما أَنْفُسِ
وبالزَّابِيَيْنِ نفـوسٌ ثـوتْ ... وقَتْـلى بنهـرِ أبـي فُطْرُسِ
أُولئـكَ قـومٌ تداعتْ بِهِم ... نوائـب مـن زمـن مُتْعِسِ
أذلَّتْ قِيـادِي لَمَـن رامَني ... وأَلْزقـتِ الرَّغْمَ بالمَعْطِسِ[5]
فمـا أَنْسَ لا أَنْسَ قتلاهـمُ ... ولا عاش بعدَهُـم مَنْ نَسي

قال : فلمّا أُتي عليها بكى محمد بن عبد الله بن حسن . فقال له عمّه الحسنُ بن حسن بن عليّ عليهم السلام : أَتَبْكِي على بني أُميّة وأنت تُريد ببني العبّاس ما تريد ! . فقال : والله يا عمِّ لقد كنّا نَقَمْنا على بني أُميَّة ما نَقَمْنا ، فما بنو العبّاس إلاّ أَقَلُّ خَوفاً لله منهم ، وإنّ الحُجّة على بني العبّاس لأوجبُ منها عليهم . ولقد كانت للقوم أَخلاق ومَكارِمُ وفواضلُ ليست لأبي جعفر . فوثب حسن وقال : أعوذُ بالله من شَرّك ، وبعث إلى أبي عَدِيّ بخمسين ديناراً ، وأمر له عبد الله بن حسن بمثلها ، وأمر له كلُّ واحد من محمد وإبراهيم ابنَيه بخمسين خمسين ، وبعثتْ إليه أُمُّهما هندٌ بخمسين ديناراً ، وكانت منفعتُه بها كثيرة . فقال أبو عَدِيٍّ في ذلك : [من الوافر]

أَقـام ثَـوِيُّ بيتِ أبي عدِيٍّ ... بخير مَنـازِلِ الجِيرانِ جارا[6]
تقوّض بيتُـه وجَـلا طَرِيداً ... فصادفَ خيرَ دُور النّاسِ دارا[7]
وإنّـي إن نزلـتُ بدار قومٍ ... ذكرتُهُـمُ ولَـم أذْمُمْ جِوارا

فقالت هند لعبد الله وابنيها منه : أقسمتُ عليكم إلاّ أعطيتموه خمسين ديناراً أُخْرى فقد أشركني معكم في المدح ، فأعطوه خمسين ديناراً أُخرى عن هند .

---

1 قلق المجلس : اضطراب من فيه من الحزن .
2 استنحس فلان الأخبار : طلبها وتتبّعها بالاستخبار .
3 ضفنني : نزلن بي . والمستحلس للشيء : الملازم له .
4 بكثوة في ل : ببكة .
5 الرغم : التراب . والمعطس : الأنف .
6 الثويّ : الضيف .
7 جلا عن بلاده : خرج .

[ولايته الطائف ثم فراره إلى اليمن]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق عن أبي أيُّوبَ المَدِينيّ قال ذكر محمد بن موسى مولى أبي عقيل قال : قدِم أبو عَدِيٍّ العَبْلِيُّ الطائفَ والياً من قِبَلِ محمد بن عبد الله بن حسن[1] أيّام خروجه على أبي جعفر ومعه أعرابٌ من مُزَيْنةَ وجُهَيْنةَ وأَسْلَمَ فأخذ الطائف وأتى محمدَ بن أبي بكر العُمَريّ حتى بايع ، وكان مع أبي عَدِيٍّ أحدَ عشرَ رجلاً من ولد أبي بكر الصِّدِّيق ، فقَدِمها بين أذان الصُّبْح والإقامة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم بلغه خروج الحسن بن معاوية من مكّة ، فاستخلف على الطائف عبدَ الملك بن أبي زُهَيْر وخرج ليتلقّى الحسنَ بالعَرْج ، فركب [الحسنُ] البحرَ ، ومضى أبو عديٍّ هارباً على وجهه إلى اليمن . فذلك حين يقول : [من الكامل]

هُيِّجْتَ للأَجْزاع حول عرابِ ... واعتاد قلبكَ عائد الأطرابِ
وذكرتَ عهدَ مَعالِمٍ بِلِوى الثَّرى ... هيهاتَ تلك معالِمُ الأحبابِ[2]
هيهاتَ تلك معالمٌ من ذاهبٍ ... أمسى بحَوْضى أو بحَقْلِ قِبابِ[3]
قد حَلَّ بين أبارِقٍ ما إنْ له ... فيها مِنِ اخوانٍ ولا أصحابِ[4]
شَطَّتْ نَواهُ عن الأليف وساقَه ... لِقُرَى يَمانيةٍ حَمامُ كِتابِ[5]
يا أُختَ آل أبي عَدِيٍّ أقْصِري ... وذَرِي الخضابَ فما أوانُ خضابِ
أتَخَضَّبِينَ وقد تَخَرَّم غالباً ... دهرٌ أضَرَّ بها حديدُ الناب
والحربُ تَعْرُك غالباً بجِرانها ... وتَعَضُّ وهي حديدةُ الأنيابِ[6]
أم كيف نَفْسُكِ تَسْتَلِذُّ معيشةً ... أو تَنْقَعين لها أَلَذَّ شرابِ

[أنشد عبد الله بن حسن من شعره فبكى]

وذكر العبّاس بن عيسى العُقَيْليّ عن هارون بن موسى الفَرَويّ عن سعيد بن عُقْبَة الجُهَنيّ قال : حضرتُ عبدَ الله بن عُمَر المكنيّ أبا عَدِيّ الأُمويّ يُنْشِدُ عبد الله بن حسن قولَه : [من المتقارب]

أفاض المدامعَ قَتْلى كُدًى ... وقَتْلى بكُثُوةَ لم تُرمَسِ[7]

---

1 ولي مكة لمحمد بن عبد الله بن حسن وغلب عليها عامل أبي جعفر المنصور .
2 الثرى في ل : السّرى .
3 حوضى وحقل قباب : موضعان .
4 الأبارق : جمع أبرق ، وهو غليظ فيه حجارة وطين ورمل مختلفة .
5 حمام كتاب : قدره وقضاؤه .
6 عركتهم الحرب : دارت عليهم . والجران من البعير : مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره .
7 بكثوة في ل : بمكة .

قال : فرأيت عبد الله بن حسن وإنّ دموعه لتجري على خدّه .

[قيل إن القصيدة السينية اشترك فيها آخران معه حين أتاهم قتل بني أُميّة]

وقد أخبرني محمد بن مَزْيَد عن حمّاد عن أبيه عن الهيثم بن عدِيٍّ عن أبي سعيد مولى فائد قال : لمّا أتانا قتلُ عبد الله بن عليٍّ مَنْ قتل من بني أُميّة كنتُ أنا وفتًى من ولد عثمان وأبو عديٍّ العبليُّ مُتوارِين في موضع واحد ، فلَحِقني من الجَزَعِ ما يلحق الرجلَ على عشيرته ، ولحِق صاحبيَّ كما لحقني ، فبكينا طويلاً ، ثم تناولنا هذه القصيدة بيننا ، فقال كلّ واحد منّا بعضَها غيرَ مُحَصَّلٍ [ما] لكلٍّ واحدٍ منّا فيها ، قال : ثم أنشدَنيها ، فأخذتُها من فيه : [من المتقارب]

تقــول أُمامــةُ لمّــا رأتْ نُشوزي عن المضجع الأنْفَسِ

[كره سبّ بني أمية عليّاً]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا محمد بن زكريّا الغَلابيّ عن ابن عائشة قال : كان أبو عديٍّ الأمويّ الشاعر يكرَه ما يجري عليه بنو أُميّة من ذكر عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وسبِّه على المنابر ، ويُظهر الإنكارَ لذلك ، فشهِد عليه قومٌ من بني أُميّة بمكّة بذلك ونَهَوْه عنه ، فانتقل إلى المدينة وقال في ذلك : [من الخفيف]

شَرَّدوا بي عند امتداحي عَلِيّا ورأوا ذاك فيَّ داءً دَوِيّــا
فوَرَبِّــي لا أَبْرَحُ الدَّهْرَ حتى تُخْتَلى مهجتــي بحبِّــي عَلِيّا[1]
وبَنِيــهِ لحُــبّ أحمــدَ إنّي كنــت أحببتُهم بحبِّــي النبيّا
حُبُّ دِينٍ لا حُبُّ دُنْيا وشَرُّ الـ ـحبِّ حُــبٌّ يكون دُنْياوِيّا
صاغني الله في الذُّؤابــة منهم لا زَنِيمــاً ولا سَنِيداً دَعِيّا[2]
عَدَوِيّــاً خالي صَرِيحاً وجَدِّي عبــدُ شمس وهاشمٌ أبَوَيّا
فسواءٌ عــليَّ لستُ أُبــالي عَبْشَمِيّاً دُعِيــتُ أَمْ هاشِمِيّا

[فضل هشام بني مخزوم عليه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيُّ قال حدّثنا العُمَريُّ عن العُتْبيّ عن أبيه قال : وفَد أبو عديٍّ الأمويّ إلى هشام بن عبد الملك وقد امتدحه بقصيدته التي يقول فيها : [من الخفيف]

عبدُ شمسٍ أبوك وهــو أبونا لا نُنادِيكَ مــن مكــانٍ بعيدِ
والقرابــاتُ بيننا واشجــاتٌ مُحْكَماتُ القُوى بحَبْلٍ شديدِ

فأنشده إيّاها ، وأقام ببابه مدّةً حتى حضر بابَه وفودُ قريشٍ فدخل فيهم ، وأمر لهم بمال

1 تختلى : تقطع .

2 الزنيم : الدعي بالملصق بالقوم وليس منهم . وكذلك السنيد .

فضّل فيه بني مخزوم أخواله ، وأعطى أبا عديّ عطيّةً لم يرضَها ، فانصرف وقال : [من الخفيف]

خَسّ حَظّي أنْ كنتُ من عبد شمسٍ ليتني كنتُ من بني مخزومِ
فأفوزَ الغداةَ فيهم بسَهْمٍ وأبيعَ الأَبَ الكريم بُلومِ

غَنّى في البيتين المذكورين في هذا الخبر اللّذين أوّلهما :

عبدُ شمس أبوك وهو أبونا

ابن جامع ، ولحنه ثاني ثقيلٍ بإطلاق الوَتَر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وأوّل هذه القصيدة التي قالها في هشام : [من الخفيف]

ليلتي من كنودَ بالغَوْرِ عُودِي بصَفاء الهوى مِنُ امِّ أُسيدِ
ما سمعنا ذاك الهوى ونَسِينا عهدةَ فارجعي به ثمّ زِيدي
قد تولّى عصرُ الشباب فقيداً رُبَّ جارٍ يَبين غيرَ فقيدِ
خَلَقَ الثَّوبُ من شَبابٍ ولِبْسٍ وجديدُ الشَّبابِ غيرُ جديدِ
فاسْرِ عَنْك الهمومَ حين تداعتْ بعَلاةٍ مثلِ الفَنِيق وَخُودِ[1]
عَنْتَرِيسٍ تُوفي الزِّمامَ بفَعْمٍ مثلِ جِذْعِ الأشاءة المجرودِ[2]
وارْمِ جَوْزَ الفَلا بها ثم سُمْها عَجْرَفيَّ النَّجاء بالتوخيدِ[3]
وهِشاماً خليفةَ الله فاعْمدْ واصْرِمَنْ مِرَّةَ القَويّ الجليدِ[4]
تَلْقَهُ مُحْكَمَ القُوى أرْيَحِيّا ذا قِرًى عاجلٍ وسَيْبٍ عتيدِ[5]
مَلِكاً يَشْمَلُ الرعيّةَ منه بأيادٍ ليست بذات خُمودِ
أخضرُ الرَّبع والجنابُ خَصِيبٌ أفْيَحُ المُسْتَرادِ للمُسْتَرِيدِ[6]

---

1 أسر عنك الهموم : ألقها عنك . سروت الثوب : إذا ألقيته عنك ونضوته . وتداعت هنا : تجمعت وأقبلت . الفنيق : الفحل المكرم لا يؤذي لكرامته على أهله ولا يركب . العلاة هنا : الناقة المشرفة الصلبة . والوخود : كثير الوخد وهو السرعة في السير .

2 العنتريس من النوق : الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم الجواد الجريئة . الأشاءة : النخلة الصغيرة . والمجرود : المقشور .

3 جوز كل شيء وسطه . والفلا : واحدة فلاة . والنجاء : السرعة والعجرفة والعجرفية في السير : السرعة . والتوخيد : حمل الدابة على الوخد .

4 المرة : قوة الخلق وشدته .

5 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . العتيد : الحاضر المهيأ .

6 أفيح المسترادِ للمسترِيد : واسع المطلب للطالب . وفيح المسترادِ : يراد به الكرم واتساع الجود .

ذكـــرتْ ناقتـــي البِطاحَ فحنَّتْ ... حين أَنْ وَرَّكـــتْ قبـــورَ ثمودِ[1]
قلتُ بعضَ الحنينِ يـــا ناقُ سَيرِي ... نحـــوَ بَـــرْقٍ دعا لغيثٍ عميدِ
فأغـــذَّتْ في السَّيْرِ حتى أتتكـــم ... وهـــي قـــوداءُ في سَواهِمَ قُودِ[2]
قـــد براها السُّرى إليك وسَيرِي ... تحـــت حَـــرِّ الظَّهيرةِ الصَّيْخودِ[3]
وطـــوى طائـــد العَرائكِ منها ... غَـــوْلُ بِيدٍ تجتابُهـــا بعدَ بِيدِ[4]
وأتتكم حُـــدْبَ الظُّهور وكانت ... مُسْنَمـــاتٍ مَمَرَّهـــا بالكَدِيدِ[5]
واطمأنّتْ أرضَ الرَّصافةِ بالخِصْـ ... ـبِ ولم تُلْـقِ رَحْلَها بالصَّعيدِ
نزلت بامرئٍ يرى الحمدَ غُنْماً ... بـــاذلٍ مُتْلِـفٍ مُفيـــدٍ مُعِيدِ
بذل العدلَ في القِصاصِ فأضحـــى ... لا يخاف الضعيفُ ظُلْمَ الشديدِ
من بني النَّضْرِ من ذُرا مَنْبِتِ النَّضْـ ... ـرِ بـأَوْرى زَنْـــد وأكرمِ عودِ
فهـــو كالقَلْبِ في الجَوانحِ منها ... واسطٌ سِرَّ جِذْمِهـــا والعـــديدِ[6]
بـــين مَـــرْوانَ والوليدِ فبَخْ بَخْ ... للكريـــمِ المَجيـــدِ غيرِ الزَّهيدِ
لـــو جرى الناسُ نحوَ غاية مجدٍ ... لِرهـــانٍ في المَحْفِـــلِ المشهودِ
لعَلاهُـــمْ بسابغَيْنِ مـــن المجـ ... ـدِ على الناس طـــارفٍ وتليدِ[7]
إنّكُـــمْ مَعْشَرٌ أبـــى اللهُ إلاّ ... أنْ تفـــوزوا بدَرِّهـــا المحشودِ
لم يَـــرَ اللهُ مَعْشَراً من بني مَرْ ... وانَ أَوْلى بالمُلْـــكِ والتسويدِ
قـــادةٌ سادةٌ ملـــوكٌ بِحـــارٌ ... وبَهاليـــلُ للقُـــرومِ الصِّيـــدِ[8]
أَرْيَحِيُّـــون ماجـــدون خِضَمُّو ... نَ حُمـــاةٌ عند ارْبِداد الجُلودِ[9]

---

1 يقال ورّك الجبل : إذا جاوزه . وقبور ثمود : حيث كانت ديارهم بوادي القرى بين المدينة والشام .

2 القوداء من الإبل : الطويلة العنق والظهر . والساهمة : الضامرة المتغيرة في السير .

3 الظهيرة الصيخود : الهاجرة الشديدة الحر .

4 الطائد : الثابت ، وفي ل : صائد . والعرائك : جمع عريكة وهي السنام أو بقيته . وغَوْل البيد : بعدها .

5 الحدب : جمع حدباء وهي من الدواب التي بدت حراقفها . المسنمات : التي أعظم الكلأ أسنمتها . والكديد : موضع بالحجاز بين عسفان وأمج .

6 الجِذْمْ : الأصل . وسر الجذم : صريحه وخالصه .

7 بسابغين في ل : بسامقين .

8 البهاليل : جمع بهلول ، وهو هنا : السيد الجامع لكل خير . والقروم : جمع قَرْم وهو هنا السيد العظيم .

9 الأريحي : الواسع الخلق المنبسط إلى المعروف . والخضم : السيد الحمول المعطاء . ارباد الجلود : تغير لونها من الغضب والشدة .

يقطَعــون النهــارَ بالرأي والحَزْ ... مِ ويُحيُــون ليلَهــم بالسُّجودِ
أهــلُ رِفْــدٍ وسُؤْدُدٍ وحَيــاءٍ ... ووَفــاءٍ بالوعــــدِ والمــوعودِ
ويَرَوْنَ الجِــوارَ مــن حُرَم اللـ ... ـهِ فمــا الجــارُ فيهمُ بوحيدِ
لــو بمجدٍ نــال الخُلودَ قَبِيلٌ ... آلَ مَــرْوانَ فُزْتُــمُ بالخُلودِ
يا ابنَ خيرِ الأخيار من عبد شمسٍ ... يا إمــامَ الوَرى ورَبَّ الجنودِ
عبدُ شمسٍ أبوك وهــو أبونــا ... لا نُنادِيــك مــن مكــانٍ بعيدِ
ثم جَدِّي الأَدْنى وعَمُّكَ شَيْخِي ... وأبــو شَيْخِــك الكريم الجُدودِ
فالقَرابــاتُ بيننــا واشجــاتٌ ... مُحْكَمــاتُ القُوى بحبلٍ شديدِ
فأثِبْنــي ثَــوابَ مِثْلِكَ مِثْلِي ... تَلْقَنــي للثَّــوابِ غيرَ حَجُودِ
إنّ ذا الجَــدِّ مَــنْ حَبَوْتَ بــوُدٍّ ... ليس مَــنْ لا تَــوَدّ بالمجدودِ
وبِحَسْبِ امرئٍ من الخيرِ يُرجى ... كونُــه عنــد ظِلِّك الممدودِ

[يندب فرقة بني أُميّة]

وأمّا قصيدتُه التي أوّلُها : [من الكامل]

مــا بــالُ عَيْنِكَ جائلاً أقذاؤها

وهي التي فيها الغناء المذكور ، فإنّه قالها في دولة بني أُميّة عند اختلاف كلمتهم ووقوع الفتنة بينهم ، يندُب بَيْنهم[1] ، وفيها يقول : [من الكامل]

واعتادها ذِكْرُ العَشِيرة بالأَسَى ... فصَباحُهــا نــابٍ بهــا ومَساؤها
شَرِكُوا العِدا في أمرهم فتفاقمتْ ... منهــا الفُتُون وفُرِّقَــتْ أهواؤها
ظَلَّتْ هنــاكَ وما يُعاتِبُ بعضُها ... بعضاً فيَنْفَعَ ذا الرّجاء رجاؤها
إلاّ بمُرْهَفَــةِ الظُّبــاتِ كأنّها ... شُهُبٌ تَقِلُّ ، إذا هَوَتْ ، أخطاؤها[2]
وبعُسَّلٍ زُرْقٍ يكــون خِضابُهــا ... عَلَــقَ النُّحور إذا تَفيضُ دماؤها[3]
فبذاكُــمُ أمستْ تَعاتَــبُ بينها ... فلقــد خَشِيتُ بأن يُحَمَّ فَناؤها[4]

1 أي يندب فرقتهم .
2 مرهفة الظبات : السّيوف .
3 العسل : الرماح ، وعسلان الرمح : شدة اهتزازه . والزرقة في النصال شدّة صفائها .
4 يحم : يقضي .

مـــاذا أُؤَمِّـــلُ إنْ أُمَيَّةُ وَدّعتْ ... وبقـــاءُ سُكَّـــان البلادِ بقاؤها
أَهـــلُ الرِّياسةِ والسِّياسةِ والنّدى ... وأُسُودُ حَرْبٍ لا يَخِيـــمُ لِقاؤها[1]
غيثُ البلادِ هُـــمُ وهُـــمْ أُمَراؤها ... سُرُجٌ يُضيءُ دُجى الظَّلامِ ضياؤها
فلئنْ أُمَيَّـــةُ وَدَّعـــتْ وتَتايَعَتْ ... لغَوايـةٍ حَمِيـتْ لهـا خُلَفاؤها[2]
لَيُوَدِّعـــنّ مـــن البَريّـــة عِزُّها ... ومـــن البـــلادِ جَمالُها ورجاؤها
ومـن البَلِيّـــةِ أنْ بَقِيتَ خِلافَهمْ ... فَرْداً تَهِيجُك دُورُهـــم وخلاؤها
لَهْفـــي على حـــرب العَشِيرة بَيْنها ... هَـــلاَّ نَهـــى جُهَّالَهـا حُلَماؤها
هَـــلاَّ نُهًى تَنْهى الغَوِيّ عن التي ... يُخْشى عـــلى سُلْطانهـا غَوْغاؤها
وتُقًـــى وأَحـــلامٌ لهـــا مُضَرِيَّةٌ ... فيهـــا إذا تَدْمـى الكَلومُ دواؤها
لَمّـــا رأيـــتُ الحربَ تُوقَدُ بينَها ... ويَشُبُّ نـــارَ وَقودهـــا إذكاؤها
نوّهـــتُ بالمَلِكِ المُهَيمِنِ دعوةً ... وَرَواحُ نفسي في البَلاءِ دُعاؤها[3]
لِيَـــرُدَّ ألْفتَهـــا ويجمعَ أَمْرَها ... بخِيارِهـــا فخيارُهـــا رُحَماؤها
فأَجـــاب ربِّـــي في أُمَيّةَ دَعْوتي ... وحَمـــى أُمَيّـــةَ أنْ يُهَـدّ بِناؤها
وحَبـــا أُمَيَّـــةَ بالخلافـــةِ إنّهُمْ ... نُـــورُ البـــلادِ وزَيْنُها وبَهاؤها
فبنو أُمَيّة خيرُ مَنْ وَطِـــىء الثَّرى ... شَرَفـــاً وأفضلُ ساسةٍ أُمَراؤها[4]

وهي قصيدة طويلة اقتصرتُ منها على ما ذكرتُه .

صوت

[من البسيط]

مَهْلاً ذَريني فإنّـــي غالَني خُلُقِي ... وقـــد أَرى في بـــلادِ اللهِ مُتَّسَعا
ما عَضَّني الدَّهرُ إلاّ زادَني كَرَماً ... ولا استكنتُ له إن خانَ أو خَدَعا

الشعر لأبي جِلْدَةَ اليَشْكُرِيِّ من قصيدةٍ يمدح بها مِسْمَعَ بن مالك بن مِسْمَعٍ ، والغناء لعَلُّوَيْهْ رملٌ بالوسطى عن عمرو .

---

1 خام : نكص وجبن وضعف .
2 التتايع : التهافت والإسراع إلى الشيء ولا يكون التتايع إلاّ في الشر .
3 الرواح هنا : الارتياح والاستراحة .
4 الثّرى في ل : الحصى .

[194] ـ أخبار أبي جلدة ونسبه

[نسبه]

أبو جلْدَةَ بن عُبَيْد بن مُنْقِذِ بن حُجْرِ بن عُبَيْد الله بن مَسلمة بن حُبَيِّب بن عَدِيٍّ بن جُشَمَ بن غَنْمِ بن حُبَيِّبِ بن كَعْب بن يَشْكُرَ بن بَكْر بن وائلٍ ، شاعرٌ إسلاميٌّ من شُعَراء الدّولة الأُمَويّة ، ومن ساكني الكوفة . وكان ممّن خرَج مع ابن الأشْعَث فقتله الحجّاج .

[كان مع الحجّاج ثم صار حرباً عليه]

أخبرني بخبره في جُملة ديوان شعره محمد بن العبّاس اليزيديُّ وقرأتُه عليه قال حدَّثني عمّي عبد الله قال حدَّثني محمد بن حَبِيبَ ، وأخبرني به عليّ بن سليمان الأخفش أيضاً عن الحسن بن الحسن اليشكريّ عن ابن الأعرابيّ قال : كان أبو جِلْدَةَ اليَشْكُرِيُّ من أخصّ النّاس بالحجّاج ، حتى إنّه بعثه وبعث معه عبدَ الله بن شدّاد بن الهادي الليثيَّ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عليه السلامُ ، فخطَب الحجّاج منه ابنتَه أُمَّ كُلْثوم . ثم خرج بعد ذلك مع ابن الأشعث ، وكان من أشَدِّ الناس تحريضاً على الحجّاج . فلمّا أتي الحجّاج برأسه ووُضع بين يديه مكث ينظر إليه طويلاً ثم قال : كم من سِرٍّ أودعتُه في هذا الرأس فلم يخرُج حتى أُتِيتُ به مقطوعاً . فلما كان يوم الزّاوية[1] خرج أبو جلدةَ بين الصَّفَّيْنِ ، ثم أقبل على أهل الكوفة فأنشدهم قصيدتَه التي يقول فيها : [من الطويل]

فقُلْ للحَوَارِيّـــاتِ يبكين غيرَنا ... ولا تَبْكِنا إلاّ الكِلابُ النوابحُ[2]

بَكَيْـــنَ إلينـــا خَشْيةً أن تُبيحَها ... رِماحُ النّصارى والسيوفُ الجوارحُ

بكـــينَ لكيمـــا يمنَعوهنّ منهمُ ... وتأبـــى قلوبٌ أضمرتْها الجوانحُ

ونادَيْنَـــا : أيـــنَ الفِـرارُ وكنتمُ ... تَغارُونَ أن تبدُو البُرى والوشائحُ[3]

أأسلمتمونـــا للعَـــدُوِّ على القَنـــا ... إذا انْتُزِعتْ منها القُرونُ النواطِحُ

فمـــا غـــار منكـــم غائرٌ لحليلةٍ ... ولا عَـــزَبٌ عَزّتْ عليه المَناكِحُ

قال : فلمّا أنشدهم هذه الأبياتَ أنِفوا وثاروا فشَدُّوا شَدّةً تضعضعَ لهم عسكرُ الحجّاج ، وثبت لهم الحجّاج وصاح بأهل الشام فتراجعوا وثبتوا ، فكانت الدائرةُ له ، فجعل يقتّل الناس

1 الزاوية : موضع قرب البصرة كانت به الوقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث .

2 الحواريات : نساء الأمصار .

3 البرى هنا : الخلاخيل . واحدها برة . والوشائح جمع لوشاح .

بقِيّة يومه ، حتى صاح به رجلٌ : والله يا حجّاج لئن كنّا قد أسأنا في الذنب لَما أحسنتَ في العفو ، ولقد خالفتَ اللهَ فينا وما أطعتَه . فقال له : وكيف ويلَك ؟ قال : لأنّ الله تعالى يقول : ﴿فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثاقَ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِداءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أوْزارَها﴾ وقد قتلتَ فأثخنتَ حتى تجاوزت الحدّ ، فأُسِرْ ولا تقتُلْ ، ثم قال : أَوِ امْنُنْ : فقال : أولى لك[1] ! ألا كان هذا الكلامُ منك قبل هذا الوقت ؟ ثم نادى برفع السيف وأمَّنَ النّاسَ جميعاً . قال ابن حبيب قال ابن الأعرابيّ : فبلغني أنّ الحجّاج قال يوماً لجلسائه ما حرَّض عليّ أحدٌ كما حرّض أبو جلدةَ ؛ فإنّه نزل على سَرْحةٍ في وَسَط عسكرٍ لابن الأشعث ثم نزَعَ سَراوِيلَه فوضعه وسلَح فوقه والناسُ ينظرون إليه . فقالوا له : ما لَكَ ويلك أَجُنِنْتَ ؟ ما هذا الفعل ! قال : كلُّكم قد فعلتم مثلَ هذا إلاّ أنّكم سترتموه وأظهرتُه . فشَتموه وحملوا عَلَيّ ، فما أنساهم وهو يَقْدُمهم ويرتجز : [من الرجز]

نحن جَلَبْنا الخَيْلَ من زَرَنْجا ما لَكَ يا حَجّاجُ مِنّا مَنْجى[2]
لَتُبْعَجَنَّ بالسيوفِ بَعْجا أَوْ لَتَفِرَّنَّ فذاك أَحْجى[3]

فوالله لقد كاد أهلُ الشام يومئذٍ يتضعضعون لولا أنّ الله تعالى أيّد بنصره .

قال وقال أبو جِلدة يومئذٍ : [من الوافر]

أيا لَهفي ويا حُزْني جميعاً ويا غَمَّ الفُؤاد لِما لَقِينا
تركْنا الدِّينَ والدُّنْيا جميعاً وخَلَّيْنا الحلائل والبَنِينا
فما كُنّا أُناساً أهلَ دِينٍ فنصبِرَ للبلاء إذا بُلِينا
ولا كنّا أُناساً أهلَ دُنْيا فنمنَعَها وإن لم نَرْجُ دِينا
تركنا دُورَنا لطَغامِ عَكٍّ وأنْباطِ القُرى والأشْعَرِينا[4]

[ذم القعقاع بن سويد]

قال ابن حبيبَ : وكان أبو جِلْدةَ مع القَعقاع بن سُويد المِنْقَريّ بِسِجِسْتان ، فذمّ منه بعض ما عامله به ، فقال فيه : [من الوافر]

سَتَعْلَمُ أنّ رأيَك رأيُ سَوْءٍ إذا ظِلُّ الإمارةِ عنك زالا

1 أولى لك : دعاء عليه بمعنى ويل لك .
2 زَرَنْج : قصبة سجستان .
3 البعج : الشق . أحجى : أجدر وأخلف .
4 عك : قبيلة . وطغام : أوغاد . الأشعرون : جمع أشعري نسبة إلى الأشعر وهو أبو قبيلة في اليمن .

وراح بنو أبيكَ ولستَ فيهم بذِي ذِكْرٍ يَزيدُهــمُ جَمالا[1]
هناك تَذَكَّــرُ الأَسلافَ منهمْ إذا اللَّيــلُ القصيرُ عليك طالا

فقال له القَعْقاعُ : ومَتى يطول عليَّ الليلُ القصير ؟ قال : إذا نظرتَ إلى السماء مُرَبَّعةً . فلمّا عُزِل وحُبِس أخرج رأسَه ليلةً فنظر ، فإذا هو لا يرى السماء إلاّ بقَدْر تربيع السِّجْن ، فقال : هذا والله الذي حذَّرنيه أبو جلدة .

[مدح مسمع بن مالك ورثاه]

قال : ووَلِيَ مِسْمَعُ بن مالك سِجِسْتان ، وكان مُكْثُ أبي جلدةَ بها ، فخرج إليه فتلقّاه ومدحه بقصيدته التي أوّلُها : [من البسيط]

بانتْ سُعادُ وأَمْسى حَبْلُها انْقَطَعا ولَيْتَ وَصْلاً لها من حَبْلِها رَجَعا
شَطَّتْ بهــا غُرْبــةٌ زَوْراء نازحةٌ فطارتِ النَّفْسُ من وَجْدٍ بها قِطَعا[2]
ما قَــرّتِ العينُ إذ زالتْ فينفَعها طعمُ الرُّقاد إذا ما هاجعٌ هَجَعا[3]
منعتُ نفسيَ مــن رَوْحٍ تعيش به وقد أكونُ صحيحَ الصَّدْرِ فانصدعا
غدتْ تَلُوم على مــا فاتَ عاذلتي وقبــلَ لَوْمِكِ ما أغنيتِ مَن مَنَعا
مَهْــلاً ذَرِيني فإنّي غالني خُلُقي وقــد أَرى في بــلاد الله مُتَّسَعا[4]
فَخْرِي تليدٌ ومــا أنفقتُ أَخْلَفه سببُ الإله وخيرُ المــال ما نَفَعا
ما عَضّني الدّهــرُ إلاّ زادني كَرَماً ولا استكنتُ له إنْ خان أو خدَعا
ولا تَلِينُ على العِــلاتِ مَعْجَمتي في النائبات إذا مــا مسّني طَبَعا[5]
ولا تُلَيِّن مــن عُــودِي غمائــزُه إذا المُغَمَّزُ منهــا لانَ أو خضَعا[6]
ولا أُخاتِــلُ ربَّ البيتِ غَفْلَته ولا أقول لشيءٍ فاتَ مــا صنَعا
إنّي لأَمدح أقواماً ذوي حَسَبٍ لم يجعلِ اللهُ في أقوالهــم قَذَعا[7]
الطيِّبــين على العِــلاّتِ مَعْجَمَةً لو يُعْصَرُ المِسْكُ من أطرافهم نَبَعا

1 بذي ذكر في ل : بذي ذخر .
2 غربة زوراء : بعيدة .
3 زالت : فارقت .
4 غالني هنا : حبسني .
5 المعجمة : القوة والصلابة ؛ الطبع : الضعف والخور .
6 الغمائز : جمع غميزة من الغمز ، والغميزة : العيب .
7 القذع : الفحش في الكلام .

بني شِهابٍ بهـا أَعْنـي وإنّهمُ لأكـرمُ النّاسِ أخلاقاً ومُصْطَنَعا

قال : فوصله مِسْمَعُ بن مالك وحمَله وكساه وولاّه ناشيتكين وكان مكتبه . قال : ثم توفّي مِسْمَعُ بن مالك بسجستان ، فقال أبو جِلدة يَرثيه : [من البسيط]

أقـولُ للنَّفْسِ تأساءً وتَعزيـةً قد كان من مِسْمَعٍ في مالكٍ خَلَفُ
يا مِسمَعَ الخيرِ مَنْ ندعو إذا نزلتْ إحْدى النّوائب بالأقوامِ واختلفوا
يا مِسْمَعاً لِعِراقٍ لا زعيـمَ لهـا بمن تُرى يُؤْمَنُ المُسْتشرِفُ النَّطِفُ[1]
تلك العيـونُ بحيث المصر سادمة تبكيك إذ غالك الأكفانُ والجُرُفُ
قـد وسّدوك يميناً غير موسدة وبذل جود لمـا أودى بك التلفُ
كنتَ الشِّهابَ الذي يُرْمى العَدُوّ به والبَحْرَ منه سِجالُ الجُود تغترفُ

[كان ينادم شقيق بن سليط واستثقل أخاه ثعلبة فهجاه]

قال ابن حَبِيبَ عن ابن الأعرابيّ قال : كان أبو جِلدة يُنادم شقيقَ بن سَلِيطِ بن بُدَيْل السَّدوسيّ أخا بِسْطامِ بن سَلِيطٍ ، وكان لها أخٌ يقال له ثعلبةُ بن سَليطٍ وكان ثقيلاً بخيلاً مُبَغَّضاً وكان يُطَفِّل عليهم ويُؤذيهم . فقال فيه أبو جِلدة : [من الوافر]

أُحِـبُّ عـلى لَذاذتنا شَقِيقاً وأُبْغِضُ مثـلَ ثعلبـةَ الثَّقيلُ
لـه غَـمٌّ على الجُلَساء مُؤْذٍ نَوافِلُـه إذا شربـوا قليـلُ

[قال شعراً في مسمع حين خصّ عشيرته بالمال]

قال ابن حبيبَ عن ابن الأعرابيّ : وفرّق مِسْمَعُ بن مالك في عشيرته بني قيس بن ثَعلبة عطايا كثيرةً وقرّبهم وجفا سائرَ بطون بكر بن وائلٍ . فقال أبو جِلدة : [من الطويل]

إذا نِلْتَ مالاً قلتَ قيسٌ عَشِيرَتي تجـورُ علينا عامـداً في قَضائكا
وإنْ كانتِ الأُخْرى فبكرُ بن وائلٍ بزَعْمِكَ يُخْشى داؤهـا بدوائكا
هُنالِكَ لا نَمْشِي الضَّراءَ إليكمُ بَنـي مِسْمَعٍ إنّا هنـاك أولئكا[2]
عسى دولةُ الذُّهْلَيْنِ يوماً ويَشْكُرٍ تَكُـرَّ علينا سَبْغـةً مـن عطائكا[3]

قال : فبعث إليه مِسْمَعٌ فترضّاه ووَصله وفرّق في سائر بطون بكر بن وائل على جِذْمَيْن ،

1 المستشرف : الظالم . والنطف : المريب .
2 الضراء : الشجر الملتف .
3 الدولة : العقبة في الحرب .

جذْمٍ يقال له الذُّهلانِ ، وجِذْمٍ يقال لـه اللَّهازم . فالذُّهْلانِ : بنو شَيْبانَ بن ثَعْلبة بن يَشْكُرَ بن وائـلٍ ، وبنو ضُبَيعة بن رَبيعـة . واللّهازم : قيسُ بن ثَعلبة ، وتَيْمُ اللاَّتِ بن ثَعلبة ، وعِجْلُ بن لُجَيم ، وعَنَزةُ بن أَسَدِ بن ربيعة . قال الفرزدق : [من الطويل]

وأرضى بحُكْم الحَيِّ بكرِ بن وائلٍ إذا كان في الذُّهْلَيْنِ أَو في اللَّهازمِ

قال : وقد دخل بنو قيس بن عُكابة مع إخوتهم بني قيس بن ثعلبة بن عُكابة . وأمّا حَنيفةُ فلم تدخُلْ في شيء من هذا لانقطاعهم عن قومهم باليمامة في وَسَط دار مُضَر ، وكانوا لا ينصرون بَكْراً ولا يستنصرونهم . فلمّا جاء الإسلام ونزل الناس مع بني حَنِيفـة ومع بنـي عِجْلِ بن لُجيم فتَلَهْزَمُوا ودخل معهم حلفاؤهم بنو مازنِ بن جُدَيٍّ بن مالك بن صعبِ[1] بن عليٍّ ، فصاروا جميعاً في اللهازم . وقال موسى بن جابر الحَنَفيّ السُّحَيْمِيُّ بعد ذلك في الإسلام : [من الطويل]

وجدنـا أبانـا كان حَلّ ببَلْدةٍ سُوًى بين قَيْسٍ قَيْسِ عَيْلانَ والفِزْرِ[2]
فلمّـا نـأتْ عنّا العشيرةُ كلُّها أَقَمْنا وحالَفْنا السيوفَ على الدهرِ
فما أسلمتْنا بَعْدُ في يـوم وَقْعةٍ ولا نحن أغْمَدْنا السيوفَ على وِتْرِ

[كان جاره سيف يشرب ويعربد عليه فهجاه]

وقال ابن حبيب عن ابن الأعرابيِّ قال : كان لأبي جلدة بسجستان جارٌ يقال له سيفٌ من بني سَعْد ، وكان يشرَب الخمر ويُعَربِد على أبي جلدة ، فقال يهجوه : [من الطويل]

قُلْ لِذَوي سَيْفٍ وسَيْفٍ أَلَسْتُمُ أَقَلَّ بنـي سعدٍ حَصاداً ومَزْرَعا
كأنّكُمُ جِعْـلانُ دارِ مُقامـةٍ على عَذِراتِ الحيِّ أصبحنَ وُقَّعا[3]
لقد نال سيفٌ في سِجِسْتانَ نُهْزةً تَطاوَلَ منها فوق ما كان إصْبَعا
أَصابَ الزِّنا والخمرَ حتّى لقد نَمَتْ له سُرَّةٌ تُسْقى الشّرابَ المُشَعْشَعا[4]
فلولا هَوانُ الخمرِ ما ذُقْتَ طَعْمَها ولا سُقْتَ إبريقاً بكَفِّكَ مُتْرَعا[5]
كما لم يَذُقْهـا أنْ تكـونَ عزيزةً أبوك ولم يُعْـرَضْ عليها فيَطْمَعا
وكان مكانَ الكلبِ أو مِنْ ورائه إذا مـا المُغَنِّـي لِلَّذاذةِ أَسْمَعا

1 ل : مصعب .
2 يقال : مكان سُوِي . وسواء : إذا كان وسطاً بين الفريقين .
3 العَذِرة : الغائط .
4 الشراب المشعشع : الممزوج بالماء .
5 ورد في تكملة شعر الأخطل : سُفت : والسوف : الشم .

[القعقاع يهدده بالعزل حين أرجف به]

قال ابن حبيب : وكان أبو جلدة قد استعمله القَعْقاع بن سُوَيْد حين تولَّى سجِسْتان على بُسْتَ[1] والرُّخَّج[2] ، فأرجف الناسُ بالقعقاع وأرجف به أبو جلدة معهم ، وكتب القعقاع إليه يَتهدّده ؛ فكتب إليه أبو جلدة : [من الطويل]

يُهَدِّدني القعقـاعُ في غير كُنْهِـهِ ... فقلتُ لـه بَكْرٌ إذا رُمْتَني تُرْسِي
كأنَّا وإيَّاكُـمْ إذا الحربُ بيننا ... أُسودٌ عليها الزَّعْفرانُ مع الوَرْسِ[3]
تُـرى كمصابيح الدَّياجِي وُجُوهُنا ... إذا مـا لُقِينـا والهِرَقْلِيّةِ المُلْسِ[4]
هناك السُّعودُ السانحاتُ جَرَتْ لنا ... وتجرِي لكم طيرُ البَوارِح بالنَّحْسِ
وما أنتَ يا قَعْقاعُ إلاّ كمَنْ مضى ... كأنّك يوماً قد نُقِلتَ إلى الرَّمسِ
أظُـنّ بِغالَ البُرْدِ تَسْرِي إليكمُ ... بـه غَطَفانِيّـاً وإلاّ فَمِنْ عَبْسِ
وإلاّ فبالبسّال يا لَكَ إنْ سَرَتْ ... به غيرَ مَغْمُوزِ القَناة ولا نِكْسِ[5]
فعُمّالُنـا أَوْفـى وخيرٌ بَقِيّـةً ... وعُمّالُكم أهـلُ الخِيانةِ واللَّبْسِ
ومـا لبني عَمْـرٍو عليّ هَوادةٌ ... ولا للرّبابِ غيرُ تَعْسٍ من التَعْسِ

قال : فلمّا انتهت هذه القصيدة إلى القَعقاع وجَّه برسولٍ إلى أبي جِلدة ، وقال : انظُر ، فإن كان كتَب هذا الكتاب بالغَداةِ فاعْزِلْه ، وإن كان كتَبه بالليل فأقِرّه على عَمَله ولا تعزِلْه ولا تَضْرِبْه . وكان أبو جلدة صاحبَ شرابٍ ، فقال للرسول : والله ما كتبتُه إلاّ بالعَشيّ . فسأله البَيِّنةَ على ذلك فأتاه بأقوامٍ شهِدوا له بما قال ، فأقرّه على عمله وانصرَف عنه .

[شيب ببنت دهقان فأهدي ليترك ذكرها]

قال ابن حبيب : ومرَّ أبو جِلْدة بقَصْرٍ من قُصور بُسْتَ ينزِله رجلٌ من الدَّهاقِين ، فرأى ابنته تُشْرِف من أعلى القصر ، فأنشأ يقول : [من الخفيف]

إنَّ في القَصْرِ ذي الخِبا بَدْرَ تِمٍّ ... حَسَنَ الدَّلِّ للفُـؤادِ مُصِيبا
وَلِعـاً بالخَلُـوقِ يأرَجُ منه ... ريحُ رَنْـدٍ إذا اسْتَقَلَّ مُنِيبا[6]

---

1 بُست : مدينة بين سجستان وغزنين وهراة من نواحي كابل .
2 الرخج : كورة ومدينة من نواحي كابل .
3 الورس : نبت أصفر يكون باليمن تصبغ به الثياب .
4 الهرقلية : الدنانير ، نسبة إلى هرقل .
5 غمز القناة : عصرها وتليينها ، وهي كناية عن عدم الانقياد .
6 الخلوق : ضرب من الطيب . والرند : شجر طيب الرائحة ، وقيل هو العود أو الآس .

يَلْبَس الخَـــزَّ والمَطارِفَ والقَـ ـزَّ وعَصْباً مـــن اليَماني قَشِيبا
ورأيـــتُ الحبيبَ يُبْرِزُ كَفّـاً مـــا رآه المُحِبُّ إلاّ خَضِيبا

فبلغ ذلك من قوله الدِّهْقانَ ، فأهدى له وبرّه وسأله ألاّ يذكر ابنته في شعرٍ بعد ذلك .

[هتف بمسمع بن مالك حين لم يمنعه قومه في ضيم]

قال ابن حبيب : ولَحِق أبا جِلْدةَ ضيمٌ من بعض الوُلاة ، فهتَف بقومه فلم يقدِروا على منعِهِ منه ولا معونتِه رهبةً للسُّلْطان ، فهتَف بأعْلى صوتِه : يا مِسْمَعَ بن مالك ، يا أُمير بن أَحْمَرَ ، ثم أنشأ يقول : [من الوافر]

ولّـــا أنْ رأيتُ سَراةَ قومِـي سُكوتـــاً لا يثوبُ لهم زعيمُ
هتفـــتُ بِمسْمَعٍ وصَدى أميرٍ وقَبْرِ مُعَمَّـــرٍ تلـــك القرومُ[1]

قال : فأبكى جميعَ من حَضَر ، وقاموا جميعاً إلى الوالي فسألوه في أمره حتى كفَّ عنه . قال : وأمير بن أحمر رجلٌ من بني يَشْكُرَ ، وكان سيِّداً جواداً ، وفيه يقول زِيادٌ الأعجمُ : [من السريع]

لـــولا أميرٌ هَلَكَـــتْ يَشْكُرٌ ويَشْكُرٌ هَلْكَـــى على كلِّ حالْ

قال ابن الأعرابيِّ : كان أميرُ بن أحمرَ والياً على خُراسان في أيّام معاوية .

ومُعَمَّرٌ الذي عناه أبو جِلْدةَ معمَّر بن شُمَيْرِ بن عامرِ بن جَبَلَةَ بن ناعبِ بن صُرَيْمٍ ، وكان أميرَ سِجِسْتانَ ، وكان سيّداً شريفاً .

[خطب خليعة بنت صعب فأبت وتزوّجت غيره فقال شعراً]

وقال : خطَب أبو جِلْدةَ امرأةً من بني عِجْلٍ يقال لها خَلِيعةُ[2] بنت صَعْبٍ ، فأَبَتْ أن تتزوَّجه وقالت : أنت صُعلوكٌ فقيرٌ لا تَحفَظ مالَك ولا تُلْفِي شيئاً إلاّ أنفقتَه في الخمر ، وتزوّجتْ غيره . فقال أبو جِلْدةَ في ذلك : [من الكامل]

صوت

لّمـا خَطَبتُ إلى خَلِيعةَ نفسَها قالت خليعةُ ما أرى لك مالا
أوْدى بمالي يـا خَلِيعُ تَكَرُّمِي وتَخَرُّقِـــي وتَحَمُّـلي الأثقالا
إنّي وَجَدِّكِ لو شَهِدْتِ مَواقِفي بالسَّفْحِ يـومَ أُجَلِّـلُ الأبطالا
سَيْفِي ، لَسَرَّكِ أنْ تكوني خادماً عندي إذا كَـرِه الكُماةُ نِزالا

الغناء لإبراهيم المَوصليّ ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشاميّ من كتاب عليّ بن يحيى .

[ضرط بين قوم فضحكوا فأكرههم على أن يضرطوا]

قال أبو سعيدٍ السُّكَّريّ وعُمر بن سعيد صاحب الواقديّ : إنّ أبا جِلْدةَ كان في قريةٍ من

---

1 الصدى هنا : جسد الإنسان بعد موته .

2 ل : خليّة .

قُرى بُسْت يقال لها الخَيْزُرانُ ومعهم عمرو بن صُوحانَ أخو صَعْصَعَةَ في جماعةٍ يتحدّثون ويَشربون ، إذ قام أبو جِلدة لِيبول فضَرَطَ ، وكان عظيمَ البطن ، فتضاحكَ القومُ منه ، فسلّ سيفَه وقال : لأُضربنَّ مَن لا يَضرِط في مجلسه هذا ضربةً بسيفي ، أمنِّي تضحَكون لا أُمَّ لكم ! فما زال حتى ضَرطوا جميعاً غيرَ عمرو بن صُوحانَ . فقال له : قد علمتَ أنّ عبد القيس لا تضرط ولك بَدَلَها عشرُ فَسَواتٍ . قال : لا والله أو تُفْصِحَ بها ! فجعل عمرو يَجْثي وينحني فلا يقدر عليها ، فتركه . وقال أبو جلدة في ذلك : [من الطويل]

أمِنْ ضَرْطَةٍ بالخَيْزُرانِ ضَرَطْتَها ... تَشَدّد منّـي دارةً وتَلِـينُ[1]

فما هُوَ إلاّ السيفُ أو ضَرْطَةٌ لها ... يثـور دُخـانٌ ساطـعٌ وطنينُ

قال : ولعمرو بن صُوحانَ يقول أبو جلدة اليَشْكُرِيّ وطالت صُحْبته إيّاه فلم يظفَر منه بشيء : [من البسيط]

صاحبتُ عمراً زماناً ثم قلتُ له ... الْحَقْ بقومك يا عمرُو بنَ صُوحانا

فإنْ صَبَرْت فـإنّ الصبرَ مَكْرُمةٌ ... وإنْ جَزِعتَ فقـد كان الذي كانا

[هجا زياداً الأعجم لهجوه بني يشكر]

قال ابن سعيد وحدّثني أبو صالح قال : بلغ أبا جِلدة أنّ زياداً الأعجمَ هجا بني يَشكُرَ ، فقال فيه : [من الكامل]

لا تَهْجُ يَشْكُرَ يا زيادُ ولا تكنْ ... غَرَضاً وأنت عن الأذى في مَعزِلِ

واعْلَمْ بأنّهمُ إذا مـا حُصِّلوا ... خيرٌ وأكرمُ من أبيك الأَعْزَلِ

لولا زعيمُ بني المُعَلَّى لم نَبِتْ ... حتّى نُصَبِّحَكم بجيشٍ جَحْفَلِ

تمشي الضَّراءَ رجالُهم وكأنّهم ... أُسْدُ العَرِينِ بكلّ عَضْبٍ مُنْصُلِ[2]

فاحْذَرْ زِيادُ ولا تكنْ ذا تُدْرأً ... عنـد الرِّجالِ ونُهْزةً للخَتَّلِ[3]

[مدح سليمان بن عمرو بن مرثد وكان صديقاً له]

وقال ابن حبيب : كان سليمان بن عمرو بن مَرثَد البَكريّ صديقاً لأبي جِلدَة ، وكان فارساً شُجاعاً ، وقتله ابن خازمٍ لشيء بلَغه فأنكره ؛ وفيه يقول أبو جِلدة : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتـاداً نديمـاً مُكَرَّراً ... نَمـاه سَراةٌ مـن سَراةِ بني بكرِ

---

1 بالخيزران في ل : الجبروان .

2 العضب : السيف القاطع . والمُنْصُل : اسم للسيف .

3 ذو تدرأ : ذو حفاظ ومدافعة ومنعة . النهزة : الفرصة . والختل : جمع خاتل .

فـلا تَعْـدُ ذا العَلْيا سُلَيمانَ عامداً ... تَجِدْ ماجداً بالجُودِ مُنْشَرِحَ الصدرِ
كريمـاً على عِلاَّتِهِ يبذُل النّدى ... ويَشْرَبُهـا صهبـاءَ طَيِّبَـةَ النَّشْرِ
مُعَتَّقةً كالمِسْكِ يُذْهِبُ ريحُها الـ ... ـزُّكامَ وتدعو المرءَ للجُودِ بالوَفْرِ
وتترك حاسي الكأسِ منها مُرَنَّحاً ... يَمِيـدُ كما مـادَ الأثيمُ من السّكرِ
تلوحُ كعَيْنِ الدِّيكِ ينزُو حَبابُها ... إذا مُزِجتْ بالماء مثلَ لَظى الجَمْرِ
فتِلك إذا نادمـتُ من آلِ مَرْثَدٍ ... عليها نديماً ظلَّ يَهْرِف بالشِّعْرِ[1]
يُغَنِّيكَ تـاراتٍ وطوراً يَكُرُّها ... عليـكَ بحَيَّـاكَ الإلهُ ولا يدري
تَعَـوَّد ألاَّ يَجْهَلَ الدَّهْـرَ عندها ... وأن يبذُلَ المعروفَ في العُسْرِ واليُسرِ
وإنّ سليمانَ بن عَمْرِو بـن مَرْثَدٍ ... تألَّى يميناً أنْ يَرِيشَ ولا يَبْرِي[2]
فهِمَّتُـه بَـذْلُ النَّدى وابْتِنا العُلا ... وضربُ طُلى الأبطالِ في الحربِ بالبُتْرِ[3]
وفي الأمْنِ لا ينفكُّ يَحْسُو مُدامةً ... إذا ما دجا ليلٌ إلى وَضَحِ الفَجْرِ

قال : فلمّا بلغتْ سليمانَ هذه الأبياتُ قال : هجاني أخي وما تعمَّد ، لكنّه يرى أنّ الناسَ جميعاً يُؤْثِرون الصَّهباء كما يُؤْثرها هو ، ويَشربونها كما يَشربُها . وبلغ قولُه أبا جلدة فأتاه فاعتذر إليه ، وحلَف أنّه لم يتعمّد بذلك ما يكرَهه ويُنكره . قال : قد عَلِمتُ بذلك وشَهِدتُ لك به قبل أنْ تعتذر ، وقَبِل عُذْرَه .

[سأل الحضين بن المنذر شيئاً فلم يعطه إيّاه فهجاه]

وقال ابن حبيب : سأل أبو جلدةَ الحُضَيْن بن المُنْذِرِ الرَّقاشيّ شيئاً فلم يُعْطِه إيّاه ، وقال : لا أُعطيه ما يشرَب به الخَمر . فقال أبو جِلْدة يهجوه : [من السريع]

يـا يومَ بُؤْسٍ طلعتْ شَمْسُه ... بالنَّحْسِ لا فارقتَ رأسَ الحُضَيْنِ
إنّ حُضَيْنـاً لم يَـزَلْ باخلاً ... مُذْ كان بالمعروفِ كَزَّ اليَدَيْنِ

فبلغ الحضينَ قولُ أبي جِلدة ، فقال يُجيبه : [من السريع]

عَضَّ أبـو جِلْـدةَ من أُمِّهِ ... مُعْتَرِضاً مـا جاوزَ الأَسْكَتَيْنِ[4]
بَظْـراً طويـلاً غاشياً رأسُه ... أعْقَـف كالمِنْجَـلِ ذا شُعْبَتَيْنِ

1 الهرف : الهذيان ، والهرف : مجاوزة القدر في المدح والثناء .
2 تألّى : حلف . يقال رشت فلاناً ، إذا قويت جناحه بالإحسان إليه . وبراه : هزله وأضعفه . وهو مثل .
3 الطُّلى : الأعناق . والبتر : جمع بتور ، وهو السيف القاطع .
4 الأسكتان : جانبا الفرج وهما قذتاه .

وقال أبو جِلدة في حُضَيْنٍ أيضاً : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ إنّي يــوم أُسْنِدُ حاجتي إليكَ أبــا ساسانَ غيرُ مُسَدَّدِ[1]
فـلا عالِمٌ بالغَيْبِ مِنْ أَيْنَ ضَرُّه ولا خائفٌ بَثَّ الأَحاديثِ في غَدِ
فليتَ المَنايا حَلَّقَتْ بِي صُروفُها فلم أَطْلُبِ المعروفَ عند المُصَرِّدِ[2]
فلو كنت حُرّاً يا حُضَيْنُ بنَ مُنْذِرٍ لَقُمْــتَ بحاجاتــي ولَــم تَتَبَلَّدِ
تَجَهَّمتني خوفَ القِرى واطَّرَحْتني وكنتَ قصيرَ البــاعِ غير المُقَلَّدِ
ولم تَعْدُ ما قــد كنتَ أهلاً لِمِثْلِهِ من اللُّؤْمِ يا ابــنَ المُسْتَذَلِّ المُعَبَّدِ

[تهدده بنو رقاش لهجائه الحضين فقال شعراً]

قال : فبلغ أبا جِلدة أنّ بني رَقاشٍ[3] تهدّدوه بالقتل لهجائه الحُضَيْن بن مُنْذِرٍ ، فقال : [من الطويل]

تُهَــدِّدُني جهــلاً رَقــاشِ وليتَني وكلَّ رقاشيٍّ عــلى الأرضِ في الحَبْلِ
فبِاسْتِ حُضَيْنٍ واسْتِ أُمٍّ رمَتْ به فبئس مَحَلُّ الضَّيْفِ في الزَّمَنِ المَحْلِ
وإنْ أنا لَــم أَتْرُك رَقاشِ وجَمْعَهُمْ أذَلَّ عــلى وَطْءِ الهَــوانِ من النَّعْلِ
فشَلَّتْ يــداي واتّبعْتُ سوى الهُدى سبيلاً ولا وُفِّقْــتُ للخيرِ والفضلِ
عِظامُ الخُصى ثُطُّ اللِّحى مَعْدِنُ الخَنا مَباخِيلُ بالأَزْوادِ في الخِصْبِ والأَزْلِ[4]
إذا أَمِنــوا ضَرّاءَ دهــرٍ تَعاظَلُــوا عِظال الكِلابِ في الدُّجنــةِ والوَبْلِ[5]
وإنْ عَضَّهُمْ دهــرٌ بنَكْبَــةِ حادثٍ فَأَخْــوَرُ عِيداناً مــن المَرْخِ والأَثْلِ[6]
أُسُودُ شَرًى وَسْطَ النَّديِّ ثَعالِــبٌ إذا خَطَرتْ حــربٌ مَراجِلُها تَغْلي

[شعره في دهقانة كان يختلف إليها]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله الأصبهانيّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو الشيبانيّ عن أبيه قال : عَشِق أبو جِلْدةَ اليَشْكُرِيُّ دِهْقانةً بِبُسْتَ وكان يختلف إليها ويكون عندها دائماً ، وقال فيها : [من الطويل]

---

1 أبو ساسان : كنية الحضين بن المنذر .
2 التصريد : قلة العطاء .
3 رقاش : مبنية على الكسر .
4 ثط جمع أثط وهو القليل شعر اللحية . المعدن اسم مكان من عدن أي أقام . الأزل : الضيق والشدة .
5 التعاظل : الملازمة في السفاد .
6 المرخ والأثل : ضربان من الشجر .

وكأسٍ كأنّ المِسْكَ فيها حسوتُها ونازَعَنِيها صاحبٌ لِي مُلَوَّمُ[1]
أَغَرُّ كأنّ البَدْرَ سُنّةُ وَجْهِهِ لَه كَفَلٌ وافٍ وفَرْعٌ ومَبْسِمُ[2]
يُضيء دُجى الظَّلْماءِ رَوْنَقُ خدِّه وينجابُ عنه الليلُ والليلُ مظلمُ
وثَدْيانِ كالحُقَّيْن والمَتْنُ مُدْمَجٌ وجِيدٌ عليه نَسْقُ دُرٍّ مُنَظَّمُ
وبطنٌ طواه الله طَيّاً ومَنْطِقٌ رَخِيمٌ ورِدْفٌ نِيطَ بالحَقْوِ مُفْأَمُ[3]
به تَبَلَتْني واستَبَتْني وغادرتْ لَظًى في فُؤادي نارُها تَتَضَرَّمُ
أَبِيتُ بها أَهذِي إذا الليلُ جَنَّني وأُصْبِحُ مبهوتاً فما أَتكلّمُ
فمَنْ مُبْلِغٌ قومي الدُّنا أنّ مُهْجَتي تَبِينُ ، لئن بانت ألا تَتَلَوَّمُ[4]
وعَهْدِي بها ، واللهُ يُصْلِحُ بالَها ، تجودُ على مَنْ يَشْتَهِيها وتُنْعِمُ
فما بالُها ضَنَّتْ عليَّ بوُدّها وقلبي لها يا قوم عانٍ مُتَيَّمُ

قال : فلمّا بلغها الشعرُ سألتْ عن تفسيره ففُسِّر لها . فلمّا انتهى المُفَسِّر إلى هذين البيتين الأخِيرين غَضِبتْ فقالت : أنا زانيةٌ كما زَعَم ؟ إنْ كلمته كلمةً أبداً . أَوَ كُلَّما اشتَهاني إنسانٌ بذلتُ له نفسي وأنعمتُ من رُوحي إذاً ! أيْ أنا إذاً زانية . فصرَمته ، فلم يقدِر عليها وعُذِّب بها زماناً ، ثم قال فيها لمّا يئس منها : [من الوافر]

صحا قلبي وأَقْصَرَ بعد غَيٍّ طويلٍ كان فيه من الغَواني
بأنْ قصَد السبيلَ فباع جهلاً برُشْدٍ وارتَجى عُقْبى الزَّمانِ
وخاف الموتَ واعتصَمَ ابنُ حُجْرٍ من الحُبِّ المبرِّح بالجَنانِ[5]
وقِدْماً كان مُعْتَرِماً جَمُوحاً إلى لَذّاته سَلِسَ العِنانِ[6]
وأَقلعَ بعد صَبْوَته وأَضحى طويلَ اللَّيلِ يَهْرِف بالقُرانِ
ويدعو اللهَ مجتهداً لكيما ينالَ الفَوْزَ من غُرَفِ الجِنانِ

[قال شعراً في يزيد بن المهلّب ثم تنصل منه]

قال ابن حبيبَ قال أبو عُبيدة : كان يزيد بن المهلَّبِ يُتَّهمَ بالنِّساء . فقال فيه أبو

1 ملوّم : يلومه الناس كثيراً .
2 سنة الوجه : دائرته أو صورة أو الجبهة والجبينان . المبسم : الثغر .
3 نيط بالحقو : علق به . والحقو : الكشح . وردف مفأم : سمين .
4 القوم الدنا : الأقربون . التلوّم : التلبث والانتظار .
5 حجر : من آباء الشاعر .
6 الاعترام هنا الشراسة والبطر .

جِلدة : [من الطويل]

إذا اعتكرتْ ظلماءُ ليلٍ ونَوَّمتْ عيونُ رجالٍ واستلذُّوا المَضاجِعا[1]
سما نحوَ جارِ البيتِ يَسْتامُ عِرْسَه يزيـدُ دبيباً للمعانـاة قابعا[2]
وإنْ أمكنتْه جارةُ البيتِ أوْ رنتْ إليـه أتاهـا بعـد ذلك طائعا

فشاعتِ الأبياتُ ورواها الناسُ لقَتادةَ بن مُعْرِب . فقال أبو جِلدة :

أبا خالـدٍ رُكْنِي ومَـنْ أنا عبدُه لقـد غالنـي الأعداءُ عمداً لِتَغْضَبا
فـإنْ كنتُ قلتُ اللَّذْ أتاك به العِدا فشَلَّتْ يدي اليُمْنَى وأصبحتُ أعْضَبا[3]
ولا زِلـتُ محمـولاً عـليَّ بَلِيّـةٌ وأمسيتُ شِلـواً للسِّبـاع مُتَرَّبا[4]
فـلا تَسْمَعَـنْ قـولَ العِدا وتَبَيَّنَنْ أبا خالـدٍ عُذْراً وإنْ كنتَ مُغْضَبا

[سئل عنه البعيث فذكر شعراً لقتادة بن معرب يهجوه به]

وقال ابن حبيبَ : قال رجلٌ للبَعِيثِ : أيُّ رجلٍ هو أبو جِلدة ؟ فقال : قَتادةُ بن مُعْرِب أعْرَفُ به حيث يقول : [من السريع]

إنّ أبـا جِلْـدةَ من سُكْرِه لا يعرِف الحـقَّ من الباطلِ
يـزدادُ غَيّـاً وانْهِماكاً ولا يسمَع قـولَ الناصحِ العاذلِ
أعيـا أبـوه وبنـو عَمِّـه وكان في الذِّرْوَة مِـنْ وائلِ
فليتَـه لم يَـكُ من يَشْكُرٍ فبئسَ خِدْنُ الرجـلِ العاقلِ
أعْمى عَـن الحقِّ بصيرٌ بما يعرِفـه كلُّ فتًـى جاهلِ
يُصْبِحُ سَكْرانَ ويُمْسِي كما أصْبَحَ ، لا أُسْقِي مِنَ الوابلِ
شَدّ رِكابَ الغَيّ ثـم اغتدى إلى التـي تُجْلَبُ مـن بابلِ
فالسِّجْنُ إنْ عاش لـه مَنْزِلٌ والسِّجْنُ دارُ العاجـزِ الخاملِ

[شعر له يناقض به قتادة بن معرب]

وقال أبو جِلدة يُجيبه : [من السريع]

قَبُحْتَ لـو كنتَ امرءاً صالحاً تَعْرِفُ مـا الحقُّ من الباطلِ

---

1 اعتكار الظلام : اشتداده واختلاطه .
2 يستام عرسه : يطلب زوجته . القبع : تغطية الرأس بالليل لريبة .
3 الأعضب هنا : القصير اليد ، والأعضب : من لا ناصر له ، ومن الغنم : المكسور القرن .
4 المترّب : الملطخ بالتراب .

كَفَفْتَ عن شَتْمِي بلا إحنةٍ ... ولَـم تَـوَرَّطْ كفّـةَ الحابلِ[1]
لكنْ أبت نَفسُك فعلَ النُّهى ... والحَـزمِ والنَّجْـدةِ والنائلِ
فتحتَ لِـي بالشَّتْم حتى بَدا ... مكنونُ غِشٍّ في الحَشا داخلِ
فاجْهَدْ وقُـلْ لا تَتْرُكْ جاهداً ... شَتْمَ امرىءٍ ذي نَجْدةٍ عاقلِ
تَعْذُلنـي في قَهْـوةٍ مُـزَّةٍ ... دِرْياقـةٍ تُجْلَـبُ مـن بابلِ
ولَـوْ رآهـا خَـرَّ مِنْ حُبِّها ... يَسْجُـدُ للشيطـانِ بالباطلِ
يـا شَرَّ بَكْـرٍ كلِّها مَحْتِداً ... ونُهْـزةَ المختلِسِ الآكِـلِ
عِرْضَكَ وَفِّـرْهُ ودَعْني وما ... أَهـواهُ يـا أَحْمَقَ من باقلِ[2]

[عربد عليه ابن عمّ له فاحتمله وقال شعراً]

قال ابن حبيب : كان أبو جِلدة يشرَب مع ابن عمٍّ له من بَكْرِ بن وائل ، فسكِر نديمُه فعَرْبَدَ عليه وشتَمه ، فاحتمله أبو جِلدة وسقاه حتى نام ، وقال في ذلك : [من الطويل]

أبى لِيَ أَنْ أَلْحى نَديمي إذا انتشى ... وقـال كلامـاً سيِّئاً لي على السُّكْرِ
وَقارِي وعِلْمِـي بالشَّرابِ وأَهلِـهِ ... وما نادمَ القومَ الكرامَ كذِي الحِجْرِ[3]
فلستُ بِـلاحٍ لي نديمـاً بزَلَّـةٍ ... ولا هَفْـوةٍ كانت ونحـن على الخمرِ
عرَكتُ بجَنْبي قول خِدْني وصاحبي ... ونحـنُ عـلى صَهْباءَ طَيِّبـةِ النَّشْرِ[4]
فلمّـا تمادى قلـتُ خُذْها عَرِيقةً ... فإنّـك مـن قومٍ جَحاجِحَةٍ زُهْرِ
فمـا زِلْتُ أَسْقِيهِ وأَشرَب مثلَ ما ... سَقَيْتُ أَخِي حتّى بَدا وَضَحُ الفجرِ[5]
وأَيقنـتُ أنّ السُّكْـرَ طـارَ بلُبِّهِ ... فأَغرقَ في شَتْمِي وقـال وما يَدْرِي
وَلاكَ لِسانـاً كان إذْ كان صاحياً ... يقلِّبـه في كلِّ فَـنٍّ مـن الشِّعْرِ

[شعر له وقد دعا رجلاً من قومه للشراب فأبى]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثانِ قال : كان أبو جِلْدةَ اليَشْكُرِيّ قد خرج إلى تُسْتَرَ[6] في بَعْثٍ ، فشرِب بها في حانةٍ مع رجلٍ من قومه

1 كفة الحابل : حبالته التي يصيد بها .
2 إشارة إلى مثل «أعيا من باقل» .
3 ذو الحجر : ذو العقل .
4 عركت ذنبه بجنبي إذا احتملته . والخدن : الصديق .
5 وضح الفجر : بياض الصُّبح .
6 تستر : مدينة بخوزستان .

كان ساكناً بها . ثم خرج عنها بعد ذلك وعاد إلى بُسْتَ والرُّخَّج وكان مكتبُه هناك ، فأقام بها مدّة ، ثمّ لقي بها ذلك الرجلَ الذي نادَمه بتُستَر ذاتَ يومٍ ، فسلَّم عليه ودعاه إلى منزِله ، فأكلا ، ثم دعا بالشَّراب ليشرَبا ، فامتنع الرجلُ وقال : إنّي قد تركتُها لله . فقال أبو جِلدة وهو يشرَب : [من الطويل]

ألا رُبَّ يـومٍ لي بِبُسْتَ وليلـةٍ ... ولا مِثْـلَ أيّامي المَواضي بتُسْتَرِ
غَنِيتُ بها أسْقـي سُلافَ مُدامةٍ ... كريمَ المُحَيّا مِـنْ عَرانينِ يَشْكُرِ
نُبادِرُ شُرْبَ الرّاحِ حتّى نَهِرُّها ... وتَتْرُكَنـا مثـلَ الصَّريعِ المُعَفَّرِ[1]
فذلك دهـرٌ قـد تولّى نعيمُه ... فأصبحتُ قد بُدِّلْتُ طولَ التَّوَقُّرِ
فراجَعني حِلْمِي وأصبحتُ منهج الـ ... ـشّرابِ وقِدْمـاً كنـتُ كالمتحيِّرِ
وكلّ أوان الحقّ أبصرتُ قَصْدَه ... فلستُ وإن نُبِّهتُ عنـه بمُقْصِرِ
سأرْكُضُ في التَّقْوى وفي العِلْمِ بعدَما ... ركضتُ إلى أمـر الغَوِيِّ المُشَهَّرِ
وباللهِ حَـوْلي واحْتِيـالي وقُوّتي ... ومَنْ عندَه عُرْفي الكثيرُ ومُنْكَري

[مرّ به مسمع بن مالك فقال فيه شعراً]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا محمد بن الحارث المدائنيّ قال مرّ مِسْمَعُ بن مالكٍ بأبي جِلْدةَ ، فوثَب إليه وأنْشأ يقول : [من الرجز]

يـا مِسْمَعُ بنَ مالكٍ يـا مِسْمَعُ ... أنـتَ الجوادُ والخطيبُ المِصْقَعُ
فاصنَعْ كما كان أبـوك يَصْنَعُ

فقال له رجلٌ كان جالساً هناك : إنْ قبِل منك والله يا أبا جِلدَة ناكَ أُمَّه . فقال له : وكيف ذلك ويحك ؟ قال : لأنّك أمرتَه أن يصنَع كما كان أبوه يصنع .

[مدح مقاتل بن مسمع طمعاً فلمّا ردّه هجاه]

وقال أبو عمرو الشَّيبانيّ : كان مِسْمَعُ بن مالك يُعطي [أبا جِلدة ، فقال فيه] : [من البسيط]

يسعى أُناسٌ لكَيْمـا يُدْرِكوكَ ولَوْ ... خاضُوا بِحارَك أو ضَحْضاحَها غرِقوا[2]
وأنتَ في الحربِ لا رَثُّ القُوى بَرِمٌ ... عِنـد اللِّقـاء ولا رِعْديـدةٌ فَرِقُ[3]
كلُّ الخِلال التي يسعى الكرامُ لَها ... إنْ يَمدحوكَ بها يومـاً فقد صدَقوا

---

1 هرّه : كرهه .

2 الضحضاح : الماء القليل القعر .

3 رث القوى : ضعيفها . البرم : الضجر الملول . الرعديدة : الجبان .

ساد العِـراقَ فحالُ الناسِ صالحـةٌ وسادَهـم وزمـانُ النـاسِ مُنْخَرِقُ
لا خارجـيٌّ ولا مُسْتَحْدَثٌ شَرَفاً بل مجدُ آلِ شِهابٍ كان مذ خُلِقوا

قال : ثم مدح مُقاتِلَ بن مِسْمَعٍ طمعاً في مثل ما كان مِسْمَعٌ يُعطيه ، فلم يَلتفِتْ إليه وأَمَر أن يُحْجَبَ عنه . فقيل له : تعرّضتَ لِلسان أبي جِلْدةَ وخُبْثه . فقال : ومَنْ هو الكلبُ ؟ وما عسى أن يقول قبَحه الله وقبَح مَنْ كان منه ! فَلْيَجْهَدْ جَهْدَه . فبلغ ذلك من قوله أَبا جِلْدة فقال يهجوه : [من الطويل]

قَرى ضَيْفَه الماءَ القَراحَ ابنُ مسْمَعٍ وكان لئيمـاً جـارُه يَتَذَلَّلُ
فلمّا رأى الضيفُ القِرى غيرَ راهنٍ لديـه تولّـى هاربـاً يَتَعَلَّـلُ
يُنادِي بأَعلى الصوتِ بَكْرَ بْنَ وائِلٍ أَلا كُـلُّ مَن يرجو قِراكم مُضَلَّلُ
عَمِيدُكُم هَـرَّ الضيوفَ فما لَكم ربيعـةُ أَمسى ضيفُكـم يتحوَّلُ
وخفتُمْ بأنْ تَقْرُوا الضيوفَ وكنتُم زماناً بِكُم يَحْيا الضَّرِيكُ المُعَيِّلُ[1]
فمـا بالُكُمْ بـاللهِ أنتـم بَخِلْتُمُ وقَصَّرتُمُ والضيفُ يُقْرى ويُنْزَلُ
ويُكْرَمُ حتّى يُقْتَرى حين يُقْتَرى يقول إذا ولّـى جميلاً فيُجْمَلُ[2]
فمَهْـلاً بني بَكْـرٍ دَعُوا آل مِسْمَعٍ ورَأْيَهُـمُ لا يَسْبِقُ الخيلَ مُحْثَلُ[3]
ودُونَكُـمُ أَضيافَكُـمْ فتحدَّبُوا عليهـمْ وواسوهُمْ فذلك أَجملُ
ولا تُصْبِحُـوا أُحدوثـةً مثلَ قائلٍ بـه يَضرِبُ الأمثـالَ مَنْ يَتَمَثَّلُ
إذا ما التقى الرُّكْبانُ يوماً تذاكروا بَنِي مِسْمَعٍ حتَّـى يُحَمُّوا ويَثْقُلُوا
فـلا تَقْرَبُوا أبياتَهم إنّ جارَهُمْ وضَيْفَهُـمُ سيَّـانِ أنّى تَوَسّلوا
هُمُ القومُ غَرَّ الضيفَ منهم رُواؤُهُمْ ومـا فيهـمُ إلاّ لئيـمٌ مُبَخَّلُ
فلَـوْ ببني شَيْبانَ حَلَّتْ رَكائبي لكان قِراهُـمْ راهنـاً حين أَنْزِلُ
أُولئـك أَوْلى بـالمَكارِمِ كلِّها وأَجْدَرُ يوماً أن يُواسُوا ويُفْضِلُوا
بني مِسْمَعٍ لا قـرَّب اللهُ دارَكم ولا زال واديكم من الماءِ يُمْحِلُ
فلم تَرْدَعُوا الأبطالَ بالبِيضِ والقَنا إذا جعلـتْ نـارُ الحُروبِ تَأَكَّلُ

1 المعيل : ذو العيال . والضريك : الفقير السيء الحال .
2 يقترى في الأولى : تتبع وفي الأخرى : أضاف .
3 المحثّل : الضاوي والدقيق السيء الغذاء .

[195] ـ أخبار علويه ونسبه

[نسبه]

هو عليّ بن عبد الله بن سَيْف . وكان جَدُّه من السُّغْد[1] الذين سباهم الوليد بن عثمان بن عَفّان واسترقَّ منهم جماعةً اختصّهم بخِدْمته ، وأعتق بعضَهم ، ولم يُعْتِق الباقين فقتلوه . وذكر ابن خُرْداذْبه . وهو ممّن لا يحصَّل قولُه ولا يُعْتَمَد عليه ، أنّه من أهل يَثْرِبَ مولى بني أُمَيّة ، والقولُ الأوّل أصحّ .

[مهارته في الغناء والضرب وسبب وفاته]

ويُكْنى عَلُّويَهْ أبا الحسن . وكان مغنّياً حاذقاً ، ومؤدِّباً محسناً ، وصانعاً متفنّناً ، وضارباً متقدِّماً ، مع خِفّة رُوح ، وطِيبِ مُجالسة ، ومَلاحةٍ نوادرَ . وكان إبراهيم الموصليّ علّمه وخرّجه وعُنِي به جدّاً ، فبرعَ وغنّى لمحمد الأمين ، وعاش إلى أيّام المتوكّل ، ومات بعد إسحاق الموصليّ بمُدَيْدَةٍ يسيرة . وكان سببُ وفاته أنّه خرج به جَرَبٌ ، فشكاه إلى يحيى بن ماسَوَيْهِ ، فبعَث إليه بدواءٍ مُسْهِلٍ وطِلاء ، فشرِب الطِّلاء واطَّلى بالدواء المُسْهِل ، فقتله ذلك . وكان إسحاق يتعصّب له في أكثر أوقاته على مُخارِق . فأمّا التقديمُ والوصفُ فلم يكن إسحاقُ يرى أحداً من جماعته لهما أهلاً ، فكانوا يتعصّبون عليه لإبراهيم بن المَهْديّ ، فلا يَضُرّه ذلك مع تقدُّمه وفَضْلِه .

[رأى إسحاق الموصلي فيه وفي مخارق]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال : قلت لأبي : أيّما أفضلُ عندك مُخارِقٌ أو عَلُّويَه ؟ فقال : يا بُنيّ عَلُّويَهْ أعْرفُهما فهماً بما يخرُج من رأسِه وأعْلَمُهما بما يُغَنّيه ويُؤدّيه ، ولو خُيِّرتُ بينهما مَنْ يُطارِح جَواريَّ أو شاورني مَنْ يَسْتنصحني لَما أشرتُ إلاّ بعَلُّويَه ؛ لأنّه كان يؤدّي الغناء ، وصنَع صنعةً مُحْكَمَةً . ومُخارِقٌ بتمكُّنِهِ من حَلْقه وكثرة نَغَمِه لا يُقْنَع بالأخذ منه ؛ لأنه لا يؤدّي صوتاً واحداً كما أخذه ولا يغنّيه مرّتين غِناءً واحداً لكثرة زوائده فيه . ولكنّهما إذا اجتمعا عند خليفةٍ أو سُوقةٍ غَلب مخارقٌ على المجلس والجائزةِ لِطيبِ صوته وكثرة نَغَمِه .

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني أبو عبد الله بن حمدون قال حدّثني أبي قال : اجتمعتُ مع إسحاق يوماً في بعض دُور بني هاشم ، وحضَر عَلُّويَهْ فغنّى أصواتاً ، ثم غنّى من صَنْعته : [من الطويل]

1 السّغد : ناحية كثيرة المياه والبساتين والأشجار بين بخارى وسمرقند .

صوت

ونُبِّئْتُ ليـلى أرسلتْ بشفاعةٍ إليّ فهَلاَّ نَفْسُ ليـلى شَفِيعُها

ولحنه ثاني ثقيل . فقال له إسحاق : أحسنتَ والله يا أبا الحسن ! أحسنتَ ما شئتَ ! فقام علّويَهْ من مجلسه فقبَّل رأس إسحاق وعينيه وجلس بين يديه وسُرّ بقوله سروراً شديداً ، ثم قال : أنت سيّدي وابنُ سيِّدي ، وأستاذي وابنُ أستاذي ، ولي إليك حاجةٌ . قال : قل ، فوالله إنّي أَبلُغ فيها ما تُحِبّ . قال : أيّما أفضلُ عندك أنا أو مخارق ؟ فإنّي أُحِبُّ أن أسمع منك في هذا المعنى قولاً يُؤثَر ويَحكيه عنك مَن حضَر ، فتُشَرِّفني به . فقال إسحاق : ما منكم إلاّ مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ ، فلا تُرِدْ أن تَرى في هذا شيئاً . قال : سألتُك بحَقّي عليك وبتربية أبيك وبكلّ حقٍّ تعظّمه إلاّ حكمتَ . فقال : وَيْحَك ؛ والله لو كنتُ أستجيز أن أقولَ غيرَ الحقّ لقلتُه فيما تُحِبّ ، فأمّا إذ أبيتَ إلاّ ما ذكرتَ فهاكَ ما عندي : فلو خُيِّرتُ أنا مَنْ يُطارح جَوارِيَّ أو يغنّيني لَما اخترتُ غيرَك ، ولكنّما إذا غَنَّيْتُما بين يَدَيْ خليفةٍ أو أميرٍ غلَبَك على إطْرابه واستبدّ عليك بجائزته . فغضِب علّويه وقام وقال : أُفٌّ من رضاك ومن غضَبك ! .

[شاع له صوت كان الناس يظنّونه لإسحاق]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : قَدِمتُ مِنْ سُرّ مَنْ رأى قَدْمةً إلى بَغْدادَ ، فلَقِيتُ أبا محمد إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ ، فجعل يسألني عن أخبار الخليفة وأخبار الناس حتّى انتهى إلى ذكر الغِناء ، فقال : أيُّ شيء رأيتَ الناسَ يستحسنونه في هذه الأيّام من الأغاني ، فإنّ الناس ربّما لهِجوا بالصوت بعد الصوت ؟ فقلت : صوتاً من صَنعتك . فقال : أيّ شيء هو . فقلت : [من الطويل]

صوت

أَلا يا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما بقَلبي الهـوى لَمّـا تَغَنَّيْتُما لِيا[1]

وأَبْكَيْتُماني وَسْطَ صَحْبي ولَم أَكُنْ أُبالي دموعَ العينِ لو كنتُ خاليا

فضحِك وقال : ليس هذا لي ، هذا لعَلّويه ، ولقد لَعَمْري أحسنَ فيه وجوَّد ما شاء .

لحن علّويه في هذين البيتين ثاني ثقيلٍ بالوسطى .

[أطعم أصحابه وغنّاهم]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن عمرو قال حدَّثني أحمد بن محمد بن عبد الله الأَبزاريّ

1 دوران : موضع خلف جسر الكوفة كان به قصر لإسماعيل القسري أخي خالد بن عبد الله القسري أمير الكوفة . (معجم البلدان 480/2) .

قال : أتيتُ علّويه يوماً بالعشيّ ، فوجدتُ عنده خاقانَ بن حامدٍ وعبدَ الله بن صالح صاحبَ المُصَلَّى ، وكنتُ حملتُ معي قفصَ فراريجَ كَسْكَرِيّة[1] مُسَمَّنة وجِرابَيْ دقيقٍ سَمِيذٍ[2] ، فسلّمتُه إلى غلامه ، وبعث إلى بِشْرِ بن حارثة : أطعمْنا ما عندك ، فلم يَزل يُطعمنا فضَلاتٍ حتى أدرك طعامُه ، ثم بعث إلى عبد الوهّاب بن الخَصِيب بن عمرو فحضَر ، وقُدِّم الطعامُ فأكل وأكَلْنا أكْلَ مُعَذَّرينَ[3] ، ثم قال : إنّي صنعتُ البارحةَ لحناً أعجبني ، فاسمعوه وقولوا فيه ما عندكم ، وغنّانا فقال : [من الكامل]

صوت

هَزِئتْ عُمَيْرةُ أنْ رأتْ ظهري انْحَنى ... وذُؤابتي عُلّتْ بماءِ خِضابِ

لا تَهْزَئي منّي عُمَيْرُ فإنّني ... مَحْضٌ كريمٌ شيبتي وشَبابي

لحن علّويَهْ في هذين البيتين من الثقيل الثاني بالوسطى . فقلنا له : حسنٌ والله جميلٌ يا أبا الحسن ، وشربنا عليه أقداحاً . ثم استُؤذن لعَثْعَثٍ غلام أحمد بن يحيى بن مُعاذ ، فأذِن له ، ومع عَثْعث كتابٌ من مولاه أحمد بن يحيى : سمعتُ يا سيِّدي منك صوتاً عند أمير المؤمنين (يعني المعتصمَ) ، فأُحِبّ أن تتفضّل وتطرَحه على عبدك عثعث . وهو : [من الطويل]

صوت

فواحَسْرَتا لم أَقضِ منكِ لُبانةً ... ولم أَتَمَتَّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ

يقولون هذا آخرُ العهدِ منهمُ ... فقلتُ وهذا آخِرُ العهدِ من قلبي

لحنُ علّويه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ، وهو من مقدَّم أغانيه وصدورها . وأوّل هذا الصوت : [من الطويل]

ألا يا حَمامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مُوَرِّقٍ ... سقَتْكَ الغَوادِي من حمامٍ ومن شِعْبِ

قال : وإذا مع حُسَين رُقْعةٌ من مولاه : سَمِعتُك يا سيِّدي تُغَنِّي عند الأمير أبي إسحاقَ إبراهيمَ بن المَهْديّ : [من الطويل]

ألا يا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما ... بقلبي الهَوى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيا

أُحِبُّ أنْ تطرَحه على عبدك حُسين . قال : فدعا بغلامٍ له يُسمَّى عَبْدَ آل فطرحه عليهما حتى أحكماه ثم عرَضاه عليه حتّى صحّ لهما . فما أعلمُ أنّه مرَّ لنا يومٌ يقاربُ طِيبَ ذلك اليومِ وحُسْنَه .

---

1 الفراريج الكسكرية : منسوبة إلى كسكر ، وهي كورة كانت بين البصرة والكوفة . وكانت قصبتها «واسط» .

2 السميذ : الحواريّ ، وهو خالص الدقيق بعد استخراج ما فيه من نخالة .

3 المعذورون هنا : المقصرون الذين لم يبالغوا في الأكل .

[وصف الواثق له]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول سمعت الواثق يقول : عَلُّويَه أصَحُّ الناسِ صَنْعةً بعد إسحاق ، وأطيبُ الناس صوتاً بعد مُخارِق . وأضربُ الناسِ بعد رَبْرَبٍ ومُلاحظ ، فهو مُصَلِّي كلِّ سابق قادرٍ ، وثاني كُلِّ أوّل واصلٍ مُتَقَدِّمٍ . قال : وكان الواثقُ يقول : غِناءُ عَلّويَه مثلُ نَقْرِ الطَّسْتِ يبقى ساعةً في السمع بعد سُكوته .

[خطّأ إسحاق لحناً غنّاه عند المعتصم فردّ هو عليه]

نسختُ من كتاب أبي العبّاس بن ثَوابَة بخطّه : حدَّثني أحمد بن إسماعيل أبو حاتم قال حدَّثني عبد الله بن العبّاس الربيعيّ قال : اجتمعتُ يوماً بين يَدَي المعتصم وحضر إسحاقُ الموصليُّ ، فغنّى عَلُّويه : [من الطويل]

لِعَبْدَةَ دارٌ مـــا تكلِّمنا الدارُ تلوح مَغانِيها كما لاح أَسْطارُ[1]

فقال إسحاق : أخطأتَ فيه ، ليس هو هكذا . فغضِب علّويه وقال : أُمُّ مَنْ أخذنا عنه هكذا زانيةٌ . فقال إسحاق : وَشتَمَنا قَبحه الله ، وسكت وبانَ ذلك فيه . قال : وكان عَلُّويه أخذه من أبيه .

[كان أعسر وعوده مقلوب الأوتار]

حدَّثني عمِّي قال حدَّثنا هارون بن مُخارِق قال : كان علّويه أعسرَ وكان عُودُه مقلوبَ الأوتارِ : البَمُّ أسفل الأوتار كلّها ، ثم المَثْلَثُ فوقه ، ثم المَثْنى ، ثم الزِّير ، وكان عُودُه إذا كان في يدِ غيره مقلوباً على هذه الصفة ، وإذا كان معه أخذه باليمنى وضرب باليسرى ، فيكونُ مستوياً في يده ومقلوباً في يد غيره .

[غنّى بشعر ابن أخته القاضي الخلنجي فعزله المأمون]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال كان الخَلَنْجيُّ القاضي ، واسمه عبد الله [بن محمد] ، ابنَ أخت علّويه المغنّي ، وكان تَيَّاهاً صَلِفاً ، فتقلّد في خلافة الأمين قضاء الشَّرْقيّة[2] ، فكان يجلس إلى أُسطوانة من أساطين المسجد فيستند إليها بجميع جَسَده ولا يتحرّك ، فإذا تقدّم إليه الخَصْمانِ أقبل عليهما بجميع جسده وترك الاستناد حتّى يَفْصِلَ بينهما ثم يعود لحاله . فعمَد بعض المُجّان إلى رُقْعةٍ من الرِّقاع التي يُكْتَبُ فيها الدَّعاوى فألصقها في موضع دنّيته بالدِّبْق ومَكّن منها الدِّبْقَ . فلمّا تقدّم إليه الخصوم وأقبل عليهم بجميع جسده كما كان يفعل

1 الأسطار : جمع سطر يشير إلى الكتابة .

2 الشرقية هنا : محلة بالجانب الغربي من بغداد .

انكشف رأسُه وبقيتِ الدّنيةُ[1] موضعَها مصلوبةً ملتصقةً ، فقام الخَلَنْجِيّ مُغْضَباً وعلِم أنّها حيلةٌ وقعتْ عليه ، فغطّى رأسَه بطَيْلَسانِه ، وقام فانصرف وتركها مكانَها ، حتى جاء بعضُ أعوانه فأخذها . وقال بعض شعراء ذلك العصر فيه هذه الأبيات : [من مخلع البسيط]

إنّ الخَلَنْجِـيَّ مـن تَتايُهه ... أثقـلُ بـادٍ لنـا بطَلْعَتِهِ
مـا إنْ لِذِي نَخْوَةٍ مُناسَبَةٌ ... بـين أخاوينـه وقَصْعتـهِ
يُصالح الخَصْمُ مَنْ يُخاصِمُه ... خوفـاً مـن الجَوْرِ في قَضيَّتِهِ
لـو لَـمْ تُدَبِّقْهُ كَفُّ قانِصِهِ ... لطـارَ تِيهـاً عـلى رَعِيَّتِهِ[2]

قال : وشُهِرَتِ الأبياتُ والقِصّةُ ببَغْدادَ ، وعمِل له علُّويَه حكايةً أعطاها للزَّفانِين[3] والمُخنَّثين فأَحْرجوه فيها ، وكان عَلُّويه يُعاديه لمنازعةٍ كانت بينهما ففضحه ، واستعفى الخلنجيُّ من القضاء ببغدادَ وسأل أن يُوَلَّى بعضَ الكُوَرِ البعيدة ، فوُلِّي جُنْدَ دِمَشْقَ أو حِمْصَ . فلمّا وَلِي المأمونُ الخلافة غنّاه علُّويه بشعر الخَلَنْجِيِّ فقال : [من الطويل]

بَرِئتُ منَ الإسْلامِ إنْ كان ذا الذي ... أتـاكِ بـه الواشون عنّـي كما قالوا
ولكنَّهـم لَمّـا رأوكِ غَرِيَّـةً ... بهجـرِي تَواصَوا بالنميمةِ واحتالوا[4]
فقـد صِـرْتِ أُذْنـاً للوُشاةِ سميعةً ... ينالون من عِرْضِي وإن شئتِ ما نالوا

فقال له المأمون : مَنْ يقول هذا الشعر ؟ فقال : قاضي دِمَشْقَ . فأمر المأمون بإحضاره ، فكُتِب إلى صاحب دِمَشْق بإشخاصه فأُشخِص وجلَس المأمون للشُّرْبِ وأحضر علُّويه ، ودعا بالقاضي فقال له : أَنْشِدْني قولَك : [من الطويل]

بَرِئتُ من الإسلامِ إن كان ذا الذي ... أتـاكِ بـه الواشون عنّي كما قالوا

فقال له : يا أمير المؤمنين هذه أبياتٌ قلتُها منذ أربعين سنةً وأنا صبيٌّ ، والذي أكرمك بالخلافةِ وورّثك ميراثَ النبوّة ما قلتُ شعراً منذ أكثر من عشرين سنةً إلاّ في زُهْدٍ أو عتابِ صديق . فقال له : اجْلِسْ فجلَسَ ، فناولَه قَدَح نبيذ كان في يده فقال : يا أمير المؤمنين ، ما غيرت الماء بشيء قطّ مما يختلف في تحليله ، فقال لعلّك تريد نبيذ التمر أو الزَّبيب . فقال : لا والله يا أميرَ المؤمنين ما أعرِف شيئاً منها . فأخذ القَدَحَ من يده وقال : أَمَا والله لو شرِبتَ شيئاً

1 الدنيّة : غطاء الرأس .
2 الدبق : الغراء . التدبيق : صيد الطائر بالدبق وهو الغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به .
3 الزفانون : الرقاصون .
4 غريّة : مولعة .

من هذا لضربتُ عنقك . وقد ظننتُ أنّك صادِقٌ في قولك كلِّه ، ولكن لا يتولّى لي القضاء رجلٌ بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام ، انْصرِفْ إلى منزلك . وأمر عَلّويه فغيَّر الكلمة وجعل مكانَها «حُرِمْتُ مُنايَ منك» .

[ضربه الأمين بوشاية ابن الربيع]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : كان علُّويه يغنّي بين يدي الأمين ، فغنّى في بعض غنائه : [من الرمل]

ليتَ هنداً أنجزتْنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أَنْفُسَنا مِمّا تَجِدْ

وكان الفضلُ بن الربيع يطعَن عليه ، فقال للأمين : إنّما يُعَرِّض بك ويستبطىء المأمونَ في محاربته ؛ فأَمَر به فضُرِب خمسين سوطاً وجُرّ برجله ، وجفاه مدّةً ، حتى ألقى نفسه على كَوْثَرٍ فترضّاه له وُردّ إلى خدمته ، وأمر له بخمسة آلاف دينار . فلمّا قدِم المأمون تقرّب إليه بذلك ، فلم يقع له بحيث يُحِبّ . وقال له : إنّ المَلِكَ بمنزلة الأسَد أو النار ، فلا تتعَرَّض لِما يُغضبه ، فإنّه ربّما جرى منه ما يُتلفك ثمّ لا تقدِر بعد ذلك على تلافي ما فرَط منه ، ولم يُعطه شيئاً .

[غضب الأمين على إبراهيم الموصلي بعد موته]

ومثل هذا من فعل الأمين ، ما حدّثني به محمد بن مَزْيَد بن أبي الأَزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدَّثني أبي قال : دخلتُ على الأمين فرأيتُه مُغْضَباً كالحاً ، فقلتُ له : ما لأمير المؤمنين ، تمّم الله سرورَه ولا نغّصه ، أراه كالحائر ؟ قال : غاظني أبوك الساعةَ لا رحِمه الله ! والله لو كان حيّاً لضربتُه خمسمائة سوطٍ ، ولولاك لنبَشتُ الساعةَ قبرَه وأحرقتُ عِظامه . فقمتُ على رِجلي وقلت : أعوذُ بالله من سُخْطك يا أمير المؤمنين ! ومَنْ أبي وما مقدارُه حتّى تغتاظ منه ! وما الذي غاظك فلعلّ له فيه عُذراً ؟ فقال : شدّةُ محبّته للمأمون وتقديمُه إيّاه عليّ حتى قال في الرشيد شعراً يقدّمه فيه عليّ وغنّاه فيه ، وغُنِّيته الساعةَ فأورثني هذا الغيظ . فقلتُ : والله ما سمعتُ بهذا قطُّ ولا لأبي غناءٌ إلاّ وأنا أرويه ، ما هو ؟ فقال : قوله : [من الوافر]

أبو المأمونِ فينا والأمينِ لـه كَنَفانِ منْ كَرَمٍ ولِينِ

فقلت له : يا أمير المؤمنين لم يُقَدِّمِ المأمونَ في الشعر لتقديمه إيّاه في المُوالاة ، ولكنّ الشعر لم يَصحَّ وزنه إلاّ هكذا . فقال : كان ينبغي له إذ لم يَصِحَّ الشعرُ إلاّ هكذا أن يَدَعه إلى لعنة الله . فلَم أزَل أُداريه وأرفُق به حتى سكَن . فلمّا قدِم المأمون سألني عن هذا الحديث فحدّثته به ، فجعل يضحَك ويَعجب منه .

[مدحه عبد الله بن طاهر]

حدَّثني جعفرُ بن قُدامة قال حدَّثني عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر قال : سمعتُ أبي يقول : لو خُيِّرتُ لوناً من الطعام لا أَزيد عليه غيرَه لاخترتُ الدُّرّاجة[1] ؛ لأنّي إنْ زِدتُ في خَلِّها صارتْ سِكْباجةً[2] ، وإنْ زدتُ في مائها صارت إسْفِيدباجةً[3] ، وإنْ زدتُ في تَصْبِيرِها بل في تَشْييطها صارتْ مُطَجَّنَةً[4] . ولو اقتصرتُ على رجل واحد لَما اخترتُ سِرِى عَلُّويَه ؛ لأنّه إنْ حدَّثني ألهاني ، وإنْ غنّاني أشجاني ، وإنْ رجعتُ إلى رأيه كفاني .

[حضر عند سعيد بن عجيف فأكرمه ثم طلبه عجيف]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني عبد الله بن أبي سَعْد قال حدَّثني محمد بن محمد الأَبزاريّ قال : كنتُ عند سَعيد بن عُجَيْفٍ أنا وعبدُ الوهّاب بن الخَصيب وعبدُ الله بنُ صالح صاحبُ المُصَلَّى ، إذ دخل عليه حاجبه فقال له : علُّويَهْ بالباب ، فأَذِن له فدخل . فقال له : لا تَحْمَدْني فإنّي لم يَجئني رسولُ رجلٍ اليومَ ، فعرَضت إخواني جميعاً على قلبي فلم يَقَعْ عليه غيرُك . فدعا له بِبرْذَونٍ ادْهَمَ بسَرْجِه ولِجامه فأهداه إليه ، وجلسنا نشربَ وعلّويه يغني . فلمّا تَوَسّطْنا أمرَنا جاء رسولُ عُجَيْفٍ[5] يطلبُه في منزله ، فقالوا له : هو عند ابنه سَعيد . فأتاه الرسولُ فقال له : أجِبِ الأميرَ . فقلنا : هذا شيءٌ ليس فيه حِيلةٌ . وقد جاء الرسول وهو يغنّي : [من الطويل]

صوت

أَلَم تَـرَ أنّي يـومَ جَوِّ سُوَيقةٍ بكيتُ فنادتْني هُنَيْدَةُ مالِيا[6]
فقلتُ لهـا إنّ البكاء لراحةٌ به يَشتفي مَنْ ظَنّ أنْ لا تَلاقِيا

لحنُ علّويه في هذا رملٌ . والشعر للفَرَزدق . قال : فقام علّويه ثم قال : هُوَ ذا ، أَمضي إلى الأمير فأُحدِّثه بحديثنا وأَستأذِنه في الانصراف بوقتٍ يكون فيه فضلٌ لكم . فانصرف بعد المغرب ومعه جامٌ ، فيه مِسْكٌ وعشرةُ آلاف درهمٍ ومَنَيانِ[7] فيهما رماطونٌ[8] ، فقال : جئتُ أشرَب عندكم ، وآخذُه وأنصرِف إلى إنسانٍ له عندي أيادٍ (يعني عليَّ بن مُعاذٍ أخا يحيى بن

1 الدُّراج : ضرب من طير العراق أسود باطن الجناحين وظاهرهما أغبر .
2 السكباج : مرق يعمل من اللحم والخل .
3 الاسفيدباجة : لون من الطعام يتكون من البصل والزبدة ومن أشياء أخرى .
4 مطجنة : مقلوة بالطاجن .
5 هو عجيف بن عنبسة أحد رجالات دولة بني العباس ومن قوّاد المعتصم .
6 جوّ سويقة : من جواء الصمّان .
7 المنى : مكيال يكيلون به السمن وغيره .
8 قد يكون صوابه (الرساطون) والرّساطون : ضرب من الشراب يتّخذ من الخمر والعسل .

مُعاذ) . فلم يَزَل عندنا حتّى همّ بالانصراف . فلمّا رأيت ذلك فيه قمتُ قبلَه فأتيتُ منزلَ عليّ بن مُعاذ ، فقيل له : ابن الأبزاريّ بالباب : فبعث إليّ : إنْ أردتَ مَضاءه فخُذْه (يعني غلاماً كان يغنّي) ، فقلتُ له : لست أريده ، إنّما أُريدك أنت ، فأْذِن لي فَدخلتُ . فقال : ألك حاجةٌ في هذا الوقت ؟ فقلت : الساعةَ يجيئك علّويه . فقال : وما يُدريك ؟ فحدّثته بالحديث . ودخل علّويه ، فقال لي : ما جاء بك إلى هاهنا ؟ فقلتُ : ما كنتُ لأَدَعَ بقيّةَ ليلتي هذه تضيع ، فما زال يُغنّينا ونشرَب حتى نام الناس ثم انصرفنا .

[فضّله عمرو بن بانة على نفسه]

حدّثني جعفر بن قُدامةَ قال حدّثنا هارون بن مُخارِق قال حدّثني أبي قال : قلت لعمرو بن بانة : أيّما أجودُ صَنْعتُك أم صنعةُ علّويَهْ ؟ فقال : صنعةُ علّويه ، لأنّه ضاربٌ وأنا مُرتَجِلٌ . ثم أطرق ساعةً وقال : لا أكذِبك يا أبا المُهنّأ والله ما أُحْسِنُ أن أصنَع مثلَ صنعةِ علّويَهْ : [من الطويل]

فواحسرتا لم أَقضِ منكِ لُبانةً ولم أَتمتّعْ بالجِوارِ وبالقُرْبِ

ولا مثلَ صنعتِه : [من الكامل]

هزِئتْ أُمَيْمَةُ أنْ رأتْ ظهري انحنى وذُؤابتي عُلّتْ بماء خضابِ

ولا مثلَ صنعته : [من الطويل]

ألا يا حَمامَيْ قصرِ دُورانَ هِجْتُما لقلبي الهوى لَمّا تَغَنَّيْتُما لِيا

وقد مضتْ نسبة هذه الأصوات .

[غنّى في شعر هجاء فضربه الأمين]

حدّثني جَحْظة قال حدّثني أحمد بن الحسين بن هشام أبو عبد الله قال حدّثني أحمد بن الخليل بن هشام قال : كان بين علّويَه وبين عليّ بن الهَيْثم جَوَنْقا شرٌّ في عَرْبدةٍ وقعتْ بينهما بحضرة الفضل بن الربيع وتمادى الشرّ بينهما ، فغنّى علّويَه في شعرٍ هجاه به أبو يعقوب[1] في حاجةٍ ، فهجاه وذكر أنّه دَعِيٌّ . وكان جَوَنْقا يَدّعي أنّه من بني تَغْلِب ، فقال فيه أبو يعقوب : [من الخفيف]

يا عليُّ بنَ هَيْثَمٍ يا جَوَنْقا أنت عندي من الأَراقِم حَقّا[2]

عربيٌّ وجَدُّه نَبَطِيٌّ ! فَدَبَنْقا لِذا الحديث دَبَنْقا

قد أصابتْك في التقرُّب عينٌ فاستنارتْ لشهبها الفلك برقا

وإذا قال إنّني عربيٌّ فانتهِرْه وقل له أنت شفقا

1 هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الشاعر المعروف بالخريمي .

2 الأراقم هنا : حيّ من تغلب .

وللخُرَيْميّ فيه أَهاجٍ كثيرةٌ نَبَطيّة . فغنّى علّويه لحناً صنعه في هذه الأبيات بحضرة الأمين ، وكان الفضل بن الربيع حاضراً فقال : يا أمير المؤمنين عليُّ بن الهيثم كابني ، وإذا استخفّ به فإنّما استخفّ بي . فقال الأمين : خُذوه ، فأخذوه وضُرب ثلاثين دِرّة ، وأمر بإخراجه . فطرَح علّويَه نفسَه على كَوْثرٍ فاستصلح له الفضلَ بن الربيع ، وترضَّى له الأمينَ حتى رضي عنه ووهب له خمسة آلاف دينار :

[ادّعى أنّه لو شاء جعل الغناء كالجوز فردّ عليه إسحاق بما أخجله]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال حدَّثني مُخارِق قال : غنّى علّويه يوماً بحضرة الواثق هذا الصوت : [من البسيط]

مَنْ صاحبَ الدَّهْرَ لم يَحْمَدْ تَصَرُّفَه عَنَـاً وللدَّهـرِ إحـلاءٌ وإمرارُ

ولحنه ثقيلٌ أوّل ، فاستحسنه الواثق وطرِب عليه . فقال علُّويَه : والله لو شئتُ لجعلت الغِناء في أيدي الناس أكثرَ من الجَوْز ، وإسحاق حاضرٌ بين يدي الواثق ، فتضاحك ثم قال : يا أبا الحسن ، إذاً تكون قيمتُه مثلَ قيمة الجَوْز ، ليتَك إذْ قَلَّلْتَه صنعتَ شيئاً ، فكيف إذا كثَّرته ؟ . فخجِل علّويَه حتى كأنّما ألقمه إسحاق حجراً ، وما انتفع بنفسه يومئذٍ .

[ترك موعد المأمون ليذهب إلى عريب]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ قال حدّثني عبد الله الهشاميّ قال : قال لي عَلّويه : أَمَرنا المأمونُ أنّ نُباكره لنصطبح ، فلقيني عبد الله بن إسماعيل المَراكبيّ مولى عَرِيبَ ، فقال : أيّها الظالم المعتدي أما ترحَم ولا تَرِقّ ، عريبُ هائمةٌ من الشّوق إليك تدعو الله وتستحكمه عليك وتحلمُ بك في نومها في كلّ ليلة ثلاثَ مرّات . قال علّويه : فقلت أُمّ الخلافةِ زانيةٌ ، ومضيتُ معه . فحين دخلتُ قلت : استوثِقْ من الباب ، فأنا أعْرَفُ الناس بفضول الحُجّاب ، فإذا عريبُ جالسةٌ على كرسيٍّ تطبُخ ثلاثَ قُدور من دَجاج . فلمّا رأتْني قامت فعانقتْني وقبّلتني وقالت : أيَّ شيء تشتهي ؟ فقلت : قِدْراً من هذه القدور ، فأفرغتْ قِدْراً بيني وبينها فأكلْنا ، ودعتْ بالنَّبيذِ فصبّتْ رِطْلاً فشَرِبتْ نِصْفَه وسقتْني نصفَه ، فما زِلتُ أشرَب حتى كِدتُ أنْ أسكَرَ . ثم قالت : يا أبا الحسن ، غنّيتُ البارحةَ في شعرٍ لأبي العَتاهية أعجبني ، أفتسمَعُه منّي وتُصْلِحُه ؟ فغنّتْ : [من الطويل]

صوت

عذِيرِي مِنَ الإنسانِ لا إنْ جَفَوْتُه صَفا لِي ولا إنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ

وإنّي لَمشتاقٌ إلى ظِـلِّ صاحبٍ يَرُوقُ ويصفُو إن كَـدَرتُ عليهِ

فصيّرناه مجلساً . وقالت : قد بقي فيه شيء ، فلم أزَلْ أنا وهي حتى أصلحناه . ثم قالت :

وأُحِبّ أن تغنّي أنت فيه أيضاً لحناً ، ففعلتُ . وجعلنا نشربَ على اللَّحنين مَلِيّاً . ثم جاء الحُجّاب فكسروا الباب واستخرجوني ، فدخلتُ إلى المأمون فأقبلتُ أرقُص من أقصى الإيوان وأُصَفِّق وأُغَنّي بالصوت ، فسمِع المأمون والمغنُّون ما لم يعرِفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون : ادْنُ يا عَلّويَه وردِّدْه[1] ، فردّدته عليه سبعَ مرّات . فقال لي في آخرها عند قولي :

يَروقُ ويصفُو إن كَـدَرتُ عليهِ

يا عَلّويَه خُذِ الخلافةَ وأعطِني هذا الصاحبَ .

[سمع منه إبراهيم بن المهديّ صوتين فحسده]

لحنُ عَرِيبَ في هذا الشعر رَمَلٌ . وفيه لعلّويه لحنان : ثاني ثقيلٍ ، وماخُوريّ . وقال العَتّابيّ حدّثني أحمد بن حَمْدون قال : غاب منّا علّويَه مدّةً ثم صار إلينا . فقال له إبراهيم بن المهديّ : ما الذي أحدثتَ بعدي من الصَّنْعة يا أبا الحسن ؟ قال : صنَعتُ صوتين . قال : فهاتِهما إذاً ؛ فغنّاه : [من الطويل]

صوت

ألا إنّ لِي نَفْسَيْنِ نفساً تقولُ لي تَمَتَّعْ بليلى مـا بـدا لك لِينُها
ونفساً تقول اسْتَبْقِ وُدَّكَ واتَّئِـدْ ونَفْسَك لا تَطْرَحْ على مَنْ يُهينُها

لحن علّويه في هذين البيتين خفيف ثقيل . قال : فرأيتُ إبراهيم بن المهديّ قد كاد يموت من حسده وتغيّر لونُه ، ولم يدرِ ما يقول له ؛ لأنّه لم يجدْ في الصوت مَطْعَناً ، فعدَل عن الكلام في هذا المعنى وقال : هذا يدُلّ على أنّ ليلى هذه كانت من لِينها مثلَ المُوم[2] بالبَنَفْسَج ، فسكَت علّويه . ثم سأله عن الصوت الآخر ، فغنّاه : [من الطويل]

صوت

إذا كان لي شَيْئان يا أُمَّ مالكٍ فإنّ لِجاري منهما مـا تَخَيَّرا
وفي واحدٍ إنْ لم يَكُنْ غيرُ واحدٍ أُراه لـه أهلاً إذا كان مُقْتِرا

والشعر لحاتم الطائيّ . لحنُ علّويه في هذين البيتين أيضاً خفيفُ ثقيلٍ . وقد رُوِي أنّ إبراهيم الموصِليّ صنَعه ونحله إيّاه ، وأنا أذكر خبرَه بعَقِبِ هذا الخبر . قال أحمد بن حمدون : فأتى والله بما برَّز على الأوّل وأوفى عليه ، وكاد إبراهيم يموت غيظاً وحسداً لمنافسته في الصَّنعة وعجزِه عنها . فقال له : وإن كانت لك امرأتان يا أبا الحسن حبوتَ جارَك منهما واحدةً ؟ فخجِل علّويه

1 يقال : ردّ القول ترداداً إذا كرّره ، مثل ردّده .
2 الموم هنا : الشمع .

وما نطق بصوت بقيّة يومه . وحدّثني عمّي عن عليّ بن محمد عن جدّه حمدون هذا الخبر . ولفظُه أقلّ من هذا .

[نحله إبراهيم الموصليّ صوتاً فلم يظهره إلاّ أيّام المأمون]

فأمّا الخبر الذي ذكرته عن علّويه أن إبراهيم الموصليّ نحله هذا الصوت فحدّثني جحظة قال حدّثني ابنُ المكيّ المُرتجلِ وهو محمد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني علّويه قال : قال إبراهيم الموصليّ يوماً : إنّي قد صنعتُ صوتاً وما سمِعه منّي أحدٌ بعد ، وقد أحببتُ أن أنفعَك وأرفَع منك بأنْ أُلقيه عليك وأهَبَه لك ، ووالله ما فعلتُ هذا بإسحاق قطُّ وقد خصصتُك به ، فانتحِله وادَّعِه . فلستُ أنسُبه إلى نفسي وستَكْسِب به مالاً . فألقى عليَّ قولَه : [من الطويل]

إذا كان لي شيئانِ يا أُمَّ مالكٍ فإنّ لجاري منهما مـا تخيَّرا

فأخذته وادَّعيته وسترتُه طولَ أيّام الرشيد خوفاً من أن أُتَّهَم فيه وطولَ أيّام الأمين حتى حدَث عليه ما حدث . وقدِم المأمون من خُراسان وكان يخرج إلى الشَّماسِية[1] دائماً يتنزّه ، فركِبتُ في زَلاّلٍ[2] وجئتُ أتْبعه ، فرأيتُ حَرَّاقةَ عليّ بن هشام ، فقلتُ للمَلاّح : اطْرَحْ زَلالي على الحَرّاقة ففعل ، واستُؤْذِن لي فدخلتُ وهو يشرَب مع الجواري ، وما كانوا يحجُبون جَواريهم في ذلك الوقت ما لم يَلِدْنَ ، فإذا بين يديه مُتَيَّم وبَذْلُ [من] جَوارِيه ، فغنّيته الصوتَ فاستحسنه جدّاً وطرِب عليه وقال : لِمَن هذا ؟ فقلتُ : هذا صوتٌ صنعتُه وأهديته لك ، ولم يَسمِعه أحدٌ قبلَك ، فازداد به عجباً وطَرَباً وقال لها : خُذِيه عنه ، فألقيتُه عليها حتى أخذتْه ، فسُرَّ بذلك وطرِب ، وقال لِي : ما أجِدُ لك مُكافأةً على هذه الهديّة إلاّ أن أتحوّل عن هذه الحَرّاقة بما فيها وأُسَلِّمه إليك أجمَعَ . فتحوّل إلى أُخرى ، وسُلِّمَتِ الحَرّاقة بخزانتها وجميع آلاتها إليّ وكلّ شيء فيها ، فبِعتُ ذلك بمائةٍ وخمسين ألفَ درهمٍ واشتريتُ بها ضَيْعَتي الصالحيّة .

[غنّى المأمون لحناً في بيت لم يعرفه أحد]

حدّثني جَحْظةُ قال حدّثني ابن المكّيّ المرتجل عن أبيه قال قال إسحاق بن حُمَيْدٍ كاتبِ أبي الرازيّ وحدّثني به عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني حسان بن محمد الحارثي عن إسحاق بن حُميدٍ كاتب أبي الرازي قال : غنّى علّويه الأعسرُ يوماً بين يَدَي المأمون : [من الطويل]

تَخَيَّرتُ من نَعْمانَ عُودَ أُراكةٍ لهنـدٍ فمَـنْ هذا يُبَلِّغه هِنْدا

فقال المأمون : أُطلبوا لهذا البيت ثانياً فلم يُعْرَف ، وسأل كلَّ مَنْ بحضرته من أهل

1 الشماسية هنا : من ضواحي بغداد .

2 الزلال : ضرب من الزوارق .

الأَدَب والرُّواة والجُلَساء عن قائل هذا الشعر فلم يعرفه أَحدٌ . فقال إسحاق بن حُمَيد : لمّا رأيتُ ذلك عُنِيتُ بهذا الشعر وجَهَدتُ في المسألة وطلبتُه ببغدادَ عند كلّ متأدِّب وذي معرفةٍ فلَم يَعْرِفه . وقلّد المأمون ابا الرازيّ كُوَرَ دِجْلَةَ وأنا أَكتُب له ، ثم نقله إلى اليَمامة والبَحْرَيْن . قال إسحاق بن حُمَيْد : فلمّا خرجنا ركِبت مع أبي الرازيّ في بعض اللّيالي على حِمارة ، فابتدأ الحادي يحدو بقصيدةٍ طويلةٍ ، وإذا البيتُ الذي كنت أطلبُه ، فسألتُه عنها فذكر أنّها للمُرقِّش الأكبر ، فحفِظْتُ منها هذه الأبيات : [من الطويل]

خلِيلَيَّ عُوجا بارَكَ الله فيكما ... وإنْ لم تَكُنْ هندٌ لأَرضِكما قَصْدا
وقُولا لها ليس الضَّلالُ أَجازَنا ... ولكنّنا جُزْنا لِنَلْقاكُمُ عمْدا
تَخَيَّرتُ من نَعْمانَ عودَ أَراكةٍ ... لهندٍ فمَنْ هذا يبلِّغه هنْدا
وأَنْطَيْتُه سيفي لكيما أُقِيمَه ... فلا أَوَداً فيه استبنتُ ولا خَضْدا[1]
ستَبْلُغُ هنداً إنْ سَلِمْنا قَلائصٌ ... مَهارِي يُقَطِّعن الفَلاةَ بنا وَخْدا
فلمّا أَنَخْنا العيسَ قد طار سيرُها ... إليهم وجدْناهم لنا بالقِرى حَشْدا
فناولتُها المِسْواكَ والقلبُ خائفٌ ... وقلتُ لها يا هِندُ أَهْلَكْتِنا وَجْدا
فمدّتْ يداً في حُسْنِ دَلٍّ تَناوُلاً ... إليه وقالتْ ما أَرى مثلَ ذا يُهْدى
وأقبلتُ كالمُجتازِ أدَّى رسالةً ... وقامتْ تَجُرّ المَيْسانيَّ والبُرْدا[2]
تَعَرَّضُ للحيّ الذين أريدهم ... وما التمست إلاّ لِتقتُلني عَمْدا
فما شِبْهُ هندٍ غيرُ أَدماءَ خاذلٍ ... من الوَحْشِ مُرْتاعٍ مُراعٍ طَلاً فردا[3]

قال : فكتب بها إلى المأمون فاستُحْسِنَتْ ورُوِيَتْ ، وأمر علّويه فصنَع في البيتين الأوّلين منها غناء يُشبه [. . .]

أغاني علّويه في هذه الأبيات : اللحن الأوّل في قوله :

تخيّرت من نَعمانَ عودَ أراكةٍ

غَنّاه عَلُّويَه وليس اللحن له ، اللحن لإبراهيم خفيفُ ثقيلٍ بالبِنصر . ولحنُه الثاني الذي أمره أنْ يصنَعه في :

---

1 أنطى : لغة في أعطى . الخضد : كسر العود من غير أن يبين .

2 الميساني : ضرب من الثياب منسوب إلى ميسان .

3 الأدمة في الظباء والنوق : لون مشرب بياضاً . والخاذل من الظباء : التي تتخلف عن صواحبها وتنفرد ، أو أقامت على ولدها . والطلا هنا : ولد الظبية .

خَلِيليّ عُوجا بارك الله فيكما

رملٌ .

[دفع إلى المعتصم رقعة في أمر رزقه ثم غنّاه بشعر لابن هرمة]

حدَّثني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك قال : عرَض عَلُّويه على المعتصم رُقعةً في أمر رِزقه وإقطاعه وهو يشرب دفَعها إليه من يده ، فلمّا أخذها اندفع علّويه يغنّي : [من الكامل]

صوت

إنّي اسْتحيتُكَ أنْ أفُوهَ بحاجتي فـإذا قرأتَ صحيفتي فَتَفهَّمِ
وعليكَ عهـدُ اللهِ إنْ خبَّرتَه أحـداً ولا أظهرتَـه بِتَكلُّمِ

فقرأ المعتصم الرُّقعة وهو يضحَك ، ثم وقَّع له فيها بما أراد .

الشعر لابن هَرمة كتَب به إلى بعض آل أبي طالبٍ وهو إبراهيم بن الحسن يطلُب منه نبيذاً وقد خرج هو وأصحابُه إلى السَّيالةِ[1] ، فكتَب إليه البيتَ الأوّل على ما رويناه ، والثاني غيّره المغنُّون ، وهو : [من الكامل]

وعليكَ عهدُ الله إنْ أعلمتُه أهلَ السَّيالةِ إنْ فعلتَ وإنْ لَمِ

فلمّا قرأ الرُّقعة قال : عليّ عهدُ الله إنْ لَم أُعْلِمْ به عامل السَّيالةِ . [وكتب إلى عامل السَّيالة] : إنّ ابن هَرْمة وأصحاباً له سُفَهاء يشربون بالسَّيالة ، فارْكَبْ إليهم ، حتّى تأخذَهم ، فركِب إليهم ونَذِروا به[2] ، فهرَب ، وقال يهجو إبراهيم : [من الوافر]

كتبتُ إليـكَ أستهدِي نَبِيذاً وأُدْلي بالمَـودّةِ والحقـوقِ
فخَبَّرْتَ الأميرَ بـذاك جهـلاً وكنتَ أخا مُفاضَحةٍ ومُوقِ[3]

حدَّثني بذلك الحِرْميّ بن أبي العَلاء قال حدَّثنا الزُّبير . وقد ذكرتُهُ في أخبار ابن هَرْمة . والغناءُ لعَبادِلَ .

[غنّى هو ومخارق معرّضين بفرس كميت للمعتصم فأعطاهما غيره]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني موسى بن هارون الهاشميّ قال حدَّثني أبي قال : كنتُ واقفاً بين يدي المعتصم وهو جالسٌ على حَيْر الوَحْشِ والخيلِ تُعْرَض عليه وهو يشرَب وبين يديه علّويه ومُخارِق يغنّيان ، فعُرِض عليه فرسٌ كُمَيْتٌ أحمرُ ما رأيتُ مثلَه قَطُّ ، فتغامز

1 السيالة : أرض في طريق الحاج ، قيل هي أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكّة .
2 نذر به : علم به .
3 الموق هنا : الحمق في غباوة .

عَلُّويَه ومُخارق ، وغنّاه علّويه : [من الرمل]

وإذا مـــا شرِبوهـــا وانتَشوْا وهَبُـــوا كلّ جَـــوادٍ وطِمِرّْ[1]

فتغافل عنه . وغنّاه مُخارِقٌ : [من الخفيف]

يَهَـــبُ البِيضَ كالظِّباءِ وجُرْداً تحت أَجْلالِها وعِيسَ الرِّكابِ[2]

فضحِك ثم قال : اسكُتا يا ابْنَي الزّانيتين ، فليس يملِكه والله واحدٌ منكما . قال : ثم دار الدَّوْرُ ، فغنّى عَلّويه : [من الرمل]

وإذا مـــا شرِبوهـــا وانتَشَوْا وَهَبُـــوا كلَّ بِغـــالٍ وحُمُرْ

فضحِك وقال : أمّا هذا فَنَعَمْ ، وأَمَر لأحدِهما ببَغْلٍ وللآخرِ بحِمار .

[اجتمع مع أصحاب له عند زلبهزة]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن محمد الأَبزاريّ قال : كنّا عند زلبهزة النخّاس ، وكانت عنده جاريةٌ يقال لها خِشْفٌ ابتاعها من علّويه ، وذلك في شهر رمضانَ ، ومعنا رجلٌ هاشميّ من ولد عبد الصَّمد بن عليّ يقال له عبدُ الصَّمد ، وإبراهيم بن عمرو بن نهبون وكان يحبّها ، فأعطى بها زلبهزَة أربعة آلاف دينارٍ فلم يَبِعْها منه ، وبقيتْ معه حتى تُوُفِّيتْ ، فغنّتنا أصواتاً كان فيها : [من الطويل]

أَشارتْ بطَرْفِ العين خِيفةَ أَهلِها إشارةَ محـــزونٍ ولَـــم تَتكَلَّمِ

فأَيقنتُ أنّ الطَّرْفَ قد قال مَرْحَباً وأَهـــلاً وسَهْـــلاً بالحبيبِ المُسَلِّمِ

وأبـــرزتُ طَرْفي نحوَها لأُجيبَها وقلتُ لها قولَ امرىء غيرِ مُعْجِمِ

هنيئاً لكـــم قَتْلي وصَفْوُ مَودّتي وقد سِيط في لحمي هواكِ وفي دمي[3]

الغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّل عن الهشاميّ . قال : فلمّا وثبنا للانصراف قال لنا وقد اشتدّ الحرّ : أقيموا عندي . فوجَّهتُ غلاماً معي وأعطيتُه ديناراً وقلتُ له ابْتَعْ فَراريجَ بعشرة دراهم وثلجاً بخمسة دراهم وعَجِّلْ ، فجاء بذلك فدفَعه إلى زلبهزة وأمره بإصلاح الفراريج ألواناً ، وكتبتُ إلى علّويه فعرّفته خبرنا ، فجاءنا وأقام ، وأفطرنا عند زلبهزة ، وشرب منّا مَن كان يستجيز الشرابَ ، وغنّى علّويه لحناً ذكر أنّه لابن سُرَيْج ثقيلٌ أوّل ، فاستغربه الجماعة ، وهو : [من السريع]

---

1 الطمّر : الجواد .

2 الجرد من الخيل : القصيرات الشعر . وعيس الركاب : النوق البيض .

3 سيط : خلط ومزج .

صوت

يـا هندُ إنّ الناسَ قد أفسدوا ... وُدَّكِ حتـى عَـزّني المَطْلَبُ
يـا ليتَ مَنْ يسعى بنا كاذباً ... عـاشَ مُهانـاً في أذًى يَتْعَبُ
هَبِيـهِ ذنبـاً كنتُ أذنبتُه ... قـد يغفِـر اللهُ لِمَنْ يُذْنِبُ
وقد شَجاني وجـرتْ دَمْعَتي ... أنْ أرسلتْ هندُ وهِي تَعْتِبُ
مـا هكذا عاهدتَنا في مِنًى ... مـا أنـتَ إلاّ ساحرٌ تَخْلُبُ
حلفـتَ لي بـالله لا نَبْتَغي ... غيرَكِ مـا عشتِ ولا نَطْلُبُ

قال : وقام عبدُ الصمد الهاشميّ ليبول . فقال علّويه : كلُّ شيء قد عرَفتُ معناه : أمّا أنت فصديقُ الجماعةِ ، وهذا يتعشَّق هذه ، وهذا مولاها ، وأنا ربَّيتها وعلَّمتها ، وهذا الهاشميّ أَيْشٍ معناه ! . فقلتُ لهم : دعُونِي أُحكُّه[1] وآخذ لزلبهزة منه شيئاً . فقال : لا والله ما أُريد . فقلت له : أنت أحمقُ ، أنا آخذ منه شيئاً لا يستحي القاضي من أَخْذه . فقال : إنْ كان هكذا فنعَمْ . فقلت له : إذا جاء عبدُ الصَّمد فقُلْ لِي : ما فعلَ الآجُرُّ الذي وعدتني به . فإنّ حائطي قد مال وأخاف أن يقَع ، ودَعْني والقِصَّةَ .

فلمّا جاء الهاشميّ قال لي زلبهزة ما أمرتُه به ، فقلتُ : ليس عندي آجُرٌّ ، ولكن اصبِر حتّى أطلُب لك من بعض أصدقائي ، وجعلتُ أنظُر إلى الهاشميّ نَظَرَ مُتَعرِّضٍ به . قال الهاشميّ : يا غلامُ دواةً ورُقْعةً ، فأحضر ذلك . فكتَب له بعشرة آلاف آجُرّةٍ إلى عامل له ، وشرِبنا حتّى السَّحَرِ وانصرفنا . فجئتُ برُقْعته إلى الآجُرّي . ثم قلتُ : بكَم تَبيعه الآجُرَّ ؟ فقال : بسبعة وعشرين درهماً الألفَ . قلت : فبِكم تشتريه منِّي ؟ قال : بنُقْصان ثلاثة دراهم في الألف . فقلتُ : فهاتِ ، فأخذتُ منه مائتين وأربعين درهماً ، واشتريتُ منها نبيذاً وفاكهةً وثلجاً ودَجاجاً بأربعين درهماً ، وأعطيتُ زلبهزة مائتي درهم وعرّفته الخبر ، ودعونا علّويَه والهاشميّ ، وأقمنا عند زلبهزة ليلَتنا الثانية . فقال علّويَه : نَعَمْ ! الآن صار للهاشميّ عندكم موضعٌ ومعنى .

[هو مصلي كل سابق في الصنعة]

أخبرني جحظة قال حدَّثني أحمد بن حمدون قال حدّثني أبي قال : قال لنا الواثق يوماً : مَن أحذقُ الناس بالصَّنْعة ؟ قلنا إسحاق . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَنْ أضربُ الناس ؟ قلنا : ثَقِيفٌ . قال : ثم مَنْ ؟ قلنا : علّويه . قال : فمَن أطيبُ الناس صوتاً ؟ قلنا : مُخارق . قال ثم مَن ؟ قلنا : علّويه . قال : اعترفتم له بأنّه مُصَلِّي كلِّ سابقٍ ، وقد جمع

1 أحكه ، يريد أحتك به وأتعرض له .

الفضائلَ كلَّها وهي متفرّقةٌ فيهم ، فما ثَمَّ ثانٍ لهذا الثالث .

[غنّى المأمون في دمشق بما أغضبه]

وحدَّثني جَحْظة قال حدَّثني محمد بن أحمد المكّيّ المُرْتَجِل قال حدَّثني أبي قال : دخلتُ إلى عَلّويه أعوده من عِلّة اعتلّها ثم عُوفِي منها ، فجرى حديثُ المأمون ، فقال لي : كِدْتُ ، عَلِم الله ، أذهَب دَفْعةً ذاتَ يومٍ وأنا معه لولا أنّ الله تعالى سلمني ووهب لي حِلْمَه . فقلت : كيف كان السبب في ذلك ؟ فقال : كنتُ معه لمّا خرج إلى الشام ، فدخلْنا دمشق فطُفنا فيها ، وجعل يطوف على قصور بني أُميّة ويَتَّبع آثارَهم ، فدخل صَحْناً من صُحونهم ، فإذا هو مفروشٌ بالرُّخام الأخضر كلُّه وفيه بِركةُ ماء يدخُلها ويخرج منها من عينٍ تَصُبّ إليها . وفي البركة سمكٌ ، وبين يديها بستانٌ على أربعِ زواياه أربعُ سَرَواتٍ كأنّها قُصّتْ بمِقراض من التفافها أحسنُ ما رأيتُ من السَّرْو قطُّ قدّاً وقَدْراً . فاستحسن ذلك ، وعزَم على الصَّبُوح ، وقال : هاتوا لي الساعةَ طعاماً خفيفاً ، فأُتِي ببَزْماوَرْدٍ[1] فأكَل ، ودعا بشرابٍ ، وأقبل عليّ وقال : غَنِّني ونَشِّطْني ، فكأنّ الله عَزّ وجلّ أنساني الغناء كلَّه إلاّ هذا الصوت : [من السريع]

لـو كان حَوْلي بنو أُميَّةَ لَمْ تَنْطِقْ رجـالٌ أراهُمُ نَطَقوا

فنظر إليّ مُغْضَباً وقال : عليكَ وعلى بني أُمَيَّةَ لعنةُ الله ؛ ويلَكَ ! أقُلتُ لك سُؤْني أو سُرَّني ! ألَم يكن لك وقتٌ تذكرُ فيه بني أُميّة إلاّ هذا الوقتَ تعرِّض بي ! . فتحيَّلتُ عليه وعلمتُ أنّي قد أخطأتُ ، فقلت : أتلومُني على أنْ أذكر بني أُمَيّة ! هذا مولاكم زِرْياب عندهم يركَب في مائتي غُلامٍ مملوكٍ له ، ويملِك ثلاثمائة ألفِ دينارٍ وهبوها له سوى الخيل والضِّياع والرَّقيق ، وأنا عندكم أموت جوعاً . فقال : أوَلَم يكنْ لك شيءٌ تذكِّرني به نفسَك غيرَ هذا ! فقلتُ : هكذا حضَرني حين ذكرتُهم . فقال : اعْدِلْ عن هذا وتَنَبَّهْ على إرادتي . فأنساني الله كلّ شيء أُحْسِنه إلاّ هذا الصوتَ : [من الكامل]

الخَيْنُ ساق إلى دِمَشْقَ ولم أَكُنْ أرضـى دِمَشْقَ لأهلِنـا بَلَدا

فرماني بالقَدَح فأخطأني فانكسر القدح ، وقال : قُمْ عنّي إلى لعنة الله وحرِّ سَقَرَ ، وقام فركِب . فكانت والله تلك الحالُ آخِرَ عهدي به ، حتى مرض ومات . قال : ثم قال لي : يا أبا جعفر كَمْ تُراني أُحْسِن ! أُغنّي ثلاثةَ آلافِ صوت ، أربعةَ آلاف صوت ، خمسةَ آلاف صوت ، أنا والله أُغنّي أكثرَ من ذلك ، ذهب عَلِم الله كلُّه حتى كأنّي لم أعْرِفْ غيرَ ما غنَّيْتُ . ولقد ظننتُ أنّه لو كانت لي ألفُ رُوح ما نجتْ منه واحدةٌ منها ، ولكنّه كان رجلاً حليماً ، وكان في العُمْرِ بقيَّة .

1 البزماورد : طعام يتخذ من اللحم المقلي بالزبد والبيض .

نسبة هذين الصوتين المذكورين في الخبر

صوت

[من السريع]

لـــو كان حـــولي بنو أُمَيَّةَ لَم تَنْطِـــقْ رجـــالٌ أراهُمُ نَطَقُوا
مِـــنْ كلّ قَـــرْمٍ مَحْضٍ ضرائبُه عـــن مَنْكِبَيْه القميصُ يَنخرِقُ[1]

الشعر لعبد الله بن قيس الرُّقيّات . والغناء لَمعْبَد ، ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سُرَيج . وذكر ابن خُرداذبه أنّ فيه لدُكَيْنٍ بن عبد الله بن عَنْبَسة بن سعيد بن العاصي لحناً من الثقيل الأوّل ، وأنّ دُكَيْناً مدنيٌّ كان منقطعاً إلى جعفر بن سليمان .

صوت

[من الكامل]

الحَيْنُ ساقَ إلى دِمَشْقَ ومـــا كانـــت دمشقُ لأَهلِنـــا بَلَدا
قادتْكَ نَفْسُك فاستقدتَ لها وأُرِيـــتَ أَمـــرَ غَوايـــةٍ رَشَدا

لعُمَرَ الواديِّ في هذا الشعر ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن ابن المكيّ . قال : وفيه ليعقوب الواديّ رملٌ بالبِنصر .

[اعترض على خطابه فأجاب]

حدّثني عمّي قال حدّثنا هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال سمعتُ الحسن بن وَهْبٍ الكاتبَ يحدّث : أنّ علّويَه كان يَصطبح في يوم خِضابه مع جواريه وحُرَمه ، ويقول : أجعلُ صَبُوحي في أحسن ما يكون عند جَوارِيَّ . فقيل له : إنّ ابن سِيرِينَ كان يقول : لا بأسَ بالخِضابِ ما لَم تُغَرَّرْ به امرأةٌ مسلمةٌ . فقال : إنمّا كُرِه لئلاّ يَتَصَنَّع به لَمن لا يعرفه من الحرائر فيتزوّجها على أنّه شابٌّ وهو شيخ ، فأمّا الإماء فهنّ مِلْكِي ، وما أُريد أنْ أغُرّهنّ .

قال الحسن : فتعالَلَ علّويَه على المعتصِم ثلاثةَ أيّامٍ متوالية واصطبح فيها ، فدعاني ، وكان صوتُه على جَوارِيه في شعر الأخطل : [من البسيط]

كأنّ عَطّـــارةً باتـــتْ تُطِيفُ بِهِ حتى تَسَرْبَلَ مثلَ الوَرْسِ وانْتَعَلا[2]

فقال لي : كيف رويتَه ؟ فقلتُ له : قرأتُ شعرَ الأخطلِ وكان أعلمَ النّاسِ به ، كان يختار

---

1 انخراق القميص : إشارة إلى جذب العفاة ، أو إلى إيثار غيره بثيابه .

2 مثل في ل : ماء .

«تَسَرْوَلَ» ويقول : إنّما وصف ثوراً دخل رَوْضَةً فيها نُوّارٌ أصفرُ فأثّر في قوائمه وبطنِه فكان كالسَّراويلِ ، لا أنّه صارَ له سِرْبالٌ . ولو قال : «تسربلَ» أيضاً لم يكن فاسداً ، ولكنّ الوجهَ «تسروَلَ» .

[مدح إسحاق لحناً له]

أخبرني جعفر بن قُدامةَ قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : قَدِمتُ من سُرَّ مَنْ رأى قَدْمةً بعد طُولِ غَيبة ، فدخلتُ إلى إسحاق الموصليّ ، فسلّم عليَّ وسألني خبري وخبر الناس حتى انتهينا إلى ذكر الغِناء ، فسألني عمّا يتشاغل الناس من الأصوات المُستَجادةِ[1] . فقلتُ له : تركتُ الناسَ كلَّهم مُغْرَمين بصوتٍ لك . قال : وما هو ؟ فقلتُ :

أَلا يــا حَمامَيْ قَصْرِ دُورانَ هِجْتُما

فقال : ليس ذلك لي . ذاك لعَلّويَه . وقد لَعَمْرِي أحسنَ فيه وجَوّدَ ما شاء .

[قال المأمون أبياتاً فغنّاه فيها فوصله]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن مالك الخُزاعيّ قال حدَّثني علّويَه قال : خرج المأمون يوماً ومعه أبيات قد قالها وكتبها في رُقْعة بخَطّه ، وهي : [من الطويل]

صوت

خرجْنا إلى صَيْد الظِّباء فصادَني هناكَ غَــزالٌ أدعجُ العَيْنِ أحْوَرُ
غــزالٌ كأنّ البدرَ حَــلَّ جبينَه وفي خدّه الشِّعْرى المنيرةُ تَزْهَرُ
فصاد فُــؤادي إذْ رماني بِسَهْمِهِ وسهمُ غزالِ الإنْسِ طَرْفٌ ومِحْجَرُ
فيا مَنْ رأى ظبياً يَصِيدُ ومَنْ رأى أخــا قَنَصٍ يُصْطادُ قَهْراً ويُقْسَرُ

قال : فغنّيته [فيها] ، فأمَر لي بعشرة آلاف درهم .

قال أبو القاسم جعفر بن قُدامة : لحن علّويَه في هذا الشعر ثقيلٌ أوّل ابتداؤه نشيد .

[غنّى في مجلس الرشيد بما أغضبه]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ قال حدَّثني حمّاد عن أبيه قال : غَنّيتُ الرشيدَ يوماً : [من البسيط]

هما فَتاتانِ لَمّا يَعْرِفا خُلُقي وبالشَّبابِ على شَيْبِي يُدِلاّنِ

فطرِب وأمَر لي بألفِ دينار . فقال له ابنُ جامع ، وكان أحسَدَ الناس : اسمَعْ غناء العُقلاء ودَعْ غناء المجانين ، وكنتُ أخذتُ هذا الصوتَ من مجنون بالمدينة كان يُجيده . ثم غنّى قولَه : [من الرمل]

1 ل : المستجدة .

ولقد قالتْ لأتراب لها كالَمها يَلْعَبْنَ في حُجْرتِها
خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يَتْبَعُني وغدتْ تسعى إلى قُبَّتِها

فطرِب وأمر له بألف وخمسمائة دينار . ثم تغنّى وَجْهُ القَرْعَةِ : [من المنسرح]

يَمشونَ فيها بكلِّ سابغةٍ أُحْكِمَ فيها القَتِيرُ والحَلَقُ[1]

فاستحسنه وشرِب عليه وأَمَر له بخمسمائة دينار . ثم تغنّى عَلّويَه : [من الكامل]

وأرى الغَـــوانيَ لا يُواصِلنَ امرءاً فَقَدَ الشّبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

فدعاه الرشيد وقال له : يا عاضَّ بَظْرِ أُمّه ! تُغَنِّي في مدح المُرْدِ وذمِّ الشّيب وستارتي منصوبةٌ وقد شِبْتُ ؛ كأنّك إنّما عرَّضتَ بي ! ثم دعا بمَسْرورٍ فأَمَره أن يأخذ بيده فيُخْرِجَه فيضربَه ثلاثين دِرّةً ولا يردّه إلى مجلِسِه ، ففعل ذلك ، ولم ينتفع الرشيد يومئذٍ بنفسه ولا انتفعنا به بقيّة يومنا ، وجفا علّويَه شهراً فلم يأذَنْ له حتّى سألناه فأذِن له .

نسبة هذه الأصوات التي تقدّمت

صوت

[من البسيط]

همـا فتاتانِ لَمّـا يَعْرِفـا خُلُقِي وبالشّبـابِ عـلى شَيْبِي يُدِلاّنِ
كلُّ الفَعالِ الذي يفعلنَـه حَسَنٌ يُضْنِي فؤادي ويُبْدي سِرَّ أشجاني
بَلِ احذَرا صَوْلةً من صَوْلِ شَيْخِكما مَهْلاً عـنِ الشَّيْخِ مهلاً يا فتاتانِ

لم يَقَعْ إليّ شاعرُه . فيه لابن سُرَيْج ثاني ثقيلٍ بالسبّابة في مَجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج رملٌ بالبِنصر عن عمرو . وفيه لسليمان المُصاب رملٌ كان يغنّيه . فدسَّ الرشيد إليه إسحاقَ حتّى أخذه منه ، وقيل : بل دسّ عليه ابنَ جامع .

[خبر أخذ إسحاق صوتاً من سليمان المصاب]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : دعاني الرشيدُ لمّا حجّ ، فقال : صِرْ إلى موضع كذا وكذا من المدينة ؛ فإنّ هناك غلاماً مجنوناً يغنّي صوتاً حسناً ، وهو : [من البسيط]

هُما فتاتانِ لمّا يعرِفـا خُلقِي وبالشبابِ على شيبي يُدِلاّنِ

وله أمٌّ ، فصِرْ إليها وأَقِمْ عندها واحْتَل حتّى تأخذَه . فجئتُ أستدلّ حتّى وقفت على بيتها ،

1 الدرع السّابغة : التي تجر في الأرض أو على الكعبين لطولها وسعتها . والقتير : مسامير الدرع .

فخرجتْ إليّ فوهبتُ لها مائتي درهم ، وقلتُ لها : أُريد أن تحتالي على ابنِكِ حتّى آخُذَ منه الصوتَ الفلانيّ . فقالت : نَعَمْ ، وأدْخَلتني دارَها ، وأمرتْني فصَعدتُ إلى علّيّة لها ، فما لبِثتُ أنْ جاء ابنها فدخل . فقالت له : يا سليمانُ فدتْك نفسي ؛ أُمُّك قد أصبحتِ اليومَ خاثرةً[1] مُغْرَمةً[2] ، فاحِبّ أن تغنّي ذلك الصوتَ :

هما فتاتان لّمـا يعرفـا خُلقي

فقال لها : ومتى حدَث لك هذا الطَّرَب ؟ قالت : ما طَرِبتُ ولكنّني أحببتُ أن أتفرَّج من همٍّ قد لحِقني . فاندفع فغنّاه ، فما سمعتُ أحسنَ من غِنائه . فقالت له أُمه : أحسنتَ ! فديتُك ! فقد والله كشفتَ عنّي قِطعةً من هَمّي ، فأسألُك أن تُعِيدَه . قال : والله ما لي نَشاطٌ ، ولا أشتري غَمّي بفَرَحك . فقالتْ : أعِدْه مرّتين ولك درهمٌ صحيحٌ تشتري به ناطِفاً[3] . قال : ومن أين لكِ درهم ؟ ومتى حدَث لكِ هذا السخاء ؟ فقالت : هذا فضولٌ لا تَحتاج إليه ، وأخرجتْ إليه درهماً فأعطته إيّاه ، فأخذه وغنّاه مرّتين ، فدارَ لي وكاد يَسْتَوي . فأومأتُ إليها من فوقُ أن تَستزيده . فقالتْ : يا بُنَيّ بحقّي عليك إلاّ أعدتَه . فقال أظُنّ أنّكِ تريدين أن تأخذيه فتَصيري مغنّية . فقالت : نَعَمْ ! كذا هو . قال : لا ؛ وحقّ القبر لا أعدتُه إلاّ بدرهم آخر . فأخرجتْ له درهماً آخَر ، فأخذه وقال : أظنُّك والله تَزَنْدَقْت وعَبدت الكَبْشَ فهو ينقُد لكِ هذه الدراهمَ ، أوْ قد وجدتِ كنزاً . فغنّاه مرّتين ، وأخذتُه واستوى لِي . ثم قام فخرج يعدو على وجهه . فجئتُ إلى الرشيد فغنّيته به وأخبرتُه بالقصّة ، فطرِب وضحِك وأمَر لي بألف دينار ، وقال لي : هذه بَدَلُ مائتي الدِّرهم .

صوت

[من الرمل]

ولقد قالـتْ لأترابٍ لهـا كالمَها يَلْعَبْنَ في حُجْرَتِها
خُذْنَ عنّي الظِّلَّ لا يتبَعني وعَـدَتْ سَعْيـاً إلى قُبَّتِها
لم يُصِبْها نَكدٌ فيما مَضى ظَبْيةٌ تختـالُ في مشْيَتِها

في هذه الأبيات رملٌ بالبِنصر ذكر الهشاميُّ أنّه لابن جامع المكّيّ ، وذكر ابن المكّيّ أنّه لابن سُرَيج ، وهو في أخبار ابن سريج وأغانيه غيرُ مُجَنَّس .

1 خاثرة : ثقيلة النفس غير طيبة ولا نشيطة .
2 المغرمة هنا : المصابة بألم يلازمها ويلح عليها .
3 الناطف : ضرب من الحلوى يقال له القبّيطي .

صوت

[من مخلّع البسيط]

يمشون فيهـا بكـلّ سابغةٍ أُحْكِـمَ فيهـا القَتِيرُ والحَلَقُ
تعـرِف إنْصافَهُـمْ إذا شَهِدوا وصَبْرَهم حين تَشْخَصُ الحَدَقُ[1]

الغناء لابن مُحْرِز ، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وحبش .

صوت

[من الكامل]

يَجْحَدْنَني دَيْنِي النهارَ وأقتضي دَيْني إذا وَقَـذ النُّعاسُ الرُّقَدا
وأرى الغواني لا يُواصِلْنَ امرءاً فَقَد الشبابَ وقد يَصِلْنَ الأَمْرَدا

الشعر للأَعْشى . والغناء لمعبدٍ ، خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو .

صوت

[من السريع]

أَيَّةُ حـالٍ يـا ابن رامِينِ حـالُ المُحِبِّينَ المَساكِينِ
تركتهم موتى ومـا مُوّتوا قد جُرِّعُوا منكَ الأَمَرَّيْنِ[2]
وسِرْتَ في رَكْبٍ على طِيّةٍ رَكْـبٍ تَهـامٍ ويَمانِينِ
يا راعِيَ الذَّوْدِ لقد رُعْتَهُمْ وَيْلَكَ مـن رَوْعِ المُحِبِّينِ

الشعر لإسماعيل بن عَمّارٍ الأَسَدِيّ . والغناء لمحمد بن الأَشْعَث بن فجوة الزُّهْرِيِّ الكوفيِّ ، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى ، عن الهشاميّ وأحمد بن المكّيّ .

---

1 يقال : شخص بصر فلان إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف . وشخوص الحدق كناية عن الفزع وشدّة الخوف في الحرب .

2 لقي منه الأمرّين : أي الدواهي .

[196] ـ نسب إسماعيل بن عمّار وأخباره

[نسبه]

هو إسماعيل بن عمّار بن عُيينة بن الطُّفيل بن جَذيمة بن عمرو بن خَلَف بن زبّان بن كَعْب بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة . أخبرني بذلك عليّ بن سليمان الأخفش عن السّكّريّ عن ابن حبيب .

[من مخضرمي الدولتين وكان ينزل الكوفة]

وإسماعيل بن عمّارْ شاعرٌ ، مُقِلٌّ ، مخضرمٌ من شعراء الدولتين الأُموية والهاشمية . وكان ينزل الكوفة .

[كان ممّن يختلف إلى ابن رامين وجواريه]

قال ابن حبيب : كان في الكوفة صاحب قِيانٍ يقال له ابن رامِين ، قَدِمها من الحجاز ؛ فكان مَن يسمع الغناء ويشرب النبيذ يأتونه ويقيمون عنده : مثل يحيى بن زيادٍ الحارثيّ ، وشُراعة بن الزَّنْدَبُوذ ، ومُطِيع بن إياس ، وعبد الله بن العبّاس المفتون ، وعَوْنٍ العِبادِيّ الحِيريّ ، ومحمد بن الأشعث الزُّهْرِيّ المغنّي . وكان نازلاً في بني أَسَدٍ في جِيران إسماعيل بن عمّار ، فكان إسماعيل يغشاه ويشرب عنده . ثم انتقل من جِواره إلى بني عائذ [الله][1] ، فكان إسماعيل يزوره هناك على مَشَقّة لبُعد ما بينهما . وكان لابن رامين جَوارٍ يقال لهن سَلاّمةُ الزرقاء ، وسَعْدَةُ ، ورُبَيْحة ، وكنّ من أحسن الناس غناء ، واشترى بعد ذلك محمد بن سليمان سلاّمة الزرقاء التي يقول فيها محمد بن الأشعث : [من البسيط]

أمسى لِسَلاّمةَ الزرقاءِ في كَبِدِي ... صَدْعٌ مُقِيمٌ طَوالَ الدَّهرِ والأَبَدِ

لا يستطيعُ صَناعُ القومِ يَشْعَبُه ... وكيف يُشْعَبُ صَدْعُ الحُبِّ في كبِدِ

[قصيدة له في جواري ابن رامين]

وفي جواريه يقول إسماعيل بن عمّار : [من البسيط]

هَلْ مِنْ شِفاءٍ لِقلبٍ لَجَّ محزونِ ... صَبا وصَبَّ إلى رئْم ابن رامِنِ

إلى رُبَيْحةَ إنّ اللهَ فَضّلها ... بحُسْنِها وسَماعٍ ذي أفانينِ[2]

وهاجَ قلبيَ منها مَضْحَكٌ حسنٌ ... ولَثْغةٌ بعدُ [في] زايٍ وفي سينِ

نَفْسي تأبَّى لكمْ إلاّ طَواعِيةً ... وأنتِ تأبَيْنَ لُؤماً أنْ تُطيعيني

---

1 عائذ الله : حي من العرب .

2 السماع : الغناء .

وتلك قِسْمةُ ضِيزى قد سمعتِ بها ... وأنـت تَتْلِينَها مـا ذاك في الدِّينِ
إنْ تُسْعِفِيني بذاك الشيء أرضَ به ... وإنْ ضَنَنْتِ بـه عنّـي فَزَيِّنِي
أنتِ الطبيبُ لداءٍ قـد تلبَّس بي ... من الجَوى فانْفُثِي في فيّ وارْقِيني
نَعَمْ شِفاؤكَ منهـا أن تقولَ لهـا ... أَضْنَيْتني يـوم دَيْرِ اللُّجّ فاشْفِيني[1]
يـا ربِّ إنَّ ابـنَ رامِينٍ له بَقَرٌ ... عِـينٌ وليس لنـا غيرُ البراذينِ
لـو شئتَ أعطيتَه مالاً على قَدَرٍ ... يرضى به منكَ غيرَ الرَّبْرَبِ العِينِ[2]
لا أَنْسَ سَعْدةَ والزَّرْقاءَ يومَ هُما ... باللُّجِّ شَرْقِيَّـهُ فـوق الدَّكاكينِ[3]
يُغَنِّيانِ ابـنَ رامـينٍ على طَرَبٍ ... بالمِسْجَحـيّ وتشبيـبِ المحبِّينِ[4]
أذاكَ أَنْعَـمُ أم يـومٌ ظَلِلتُ به ... فِراشي الوَرْدُ في بُسْتان شُورِينِ
يَشْوِي لنا الشيخُ شُورِينٌ دَواجنَه ... بالجَرْدَنـاج وسحّاج الشقابينِ[5]
نُسْقى طِـلاءً لِعمْـرانٍ يُعَتِّقُه ... يَمْشي الأَصِحّاءُ منـه كالمجانينِ
يُزِلّ أَقدامَنـا مـن بعد صِحّتها ... كأنّها ثِقَـلاً يُقْلَعْنَ مـن طينِ
نمشي وأَرجُلُنـا مطويّـةٌ شَللاً ... مَشْيَ الإوَزِّ التي تأتـي من الصينِ
أو مَشْيَ عُمْيانِ دَيْرٍ لا دليلَ لهم ... سِوى العِصِيِّ إلى يـومِ السَّعانينِ
في فِتيةٍ من بَني تَيْمٍ لهوتُ بهم ... تَيمِ بـن مُـرّةَ لا تَيْمِ العَدِيِّينِ
حُمْرُ الوُجوهِ كأنّا من تَحَشُّمنا ... حسناءَ شمطاء وافتْ من فِلَسْطينِ
ما عائذُ اللهِ لولا أنتِ من شَجَني ... ولا ابـنُ رامينَ لولا ما يُمَنِّيني
في عائذ الله بيتُ مـا مررتُ به ... إلاّ وُجِئْتُ عـلى قلبي بسكينِ[6]
يا سَعْدَةُ القَيْنةُ الخضراءُ أنتِ لنا ... أُنْسٌ لأنَّك في دار ابن رامينِ[7]
ما كنتُ أحسَبُ أنَّ الأُسْدَ تُؤْنِسني ... حتى رأيتُ إليكِ القلبَ يدعوني
لولا رُبَيْحةُ ما استأنستُ ما عَمَدتْ ... نفسي إليك ولو مُثِّلتِ من طينِ

1 دير اللج : بالحيرة .
2 الربرب : القطيع من حمر الوحش . والعين : الواسعة العيون ، واحدتها عيناء .
3 الدكاكين : جمع دكان ، وهو بناء يسطح أعلاه للجلوس عليه ، وهو المصطبة .
4 المسجحيّ : الغناء المنسوب لابن مسجح .
5 الجردناج : من أنواع الشواء . الشقابين : جمع شقبان وهو طير نبطي .
6 وجئت : ضربت .
7 الخضراء : يريد السوداء ، وكانت سعدة كذلك .

[باع ابن رامين سلامة في حجّه فقال هو شعراً]

قال : وحجّ ابن رامينَ وحجّ بَجوارِيه معه ، وكان محمد بن سليمان إذ ذاك على الحِجاز ، فاشترى منه سَلاّمة الزَّرْقاء بمائة ألفِ درهمٍ . فقال إسماعيل بن عمَّار : [من السريع]

أيّةُ حـالٍ يـا ابنَ رامـينِ حـالُ المُحِبِّـين المساكينِ
تركتَهم مَوْتـى ومـا مُوِّتوا قـد جُرِّعـوا منك الأَمَرِّينِ
وسِرْتَ في ركبٍ على طِيَّـةٍ رَكْـبٍ تَهـامٍ ويَمـانينِ
حَجَجْتَ بيتَ الله تبغي به الـ ـبِرَّ ولم تَـرْثِ لمحـزونِ
يـا راعِيَ الذَّوْدِ لقـد رُعْتَهُمْ وَيْلَـكَ مـن رَوْعِ المُحِبِّينِ
فرّقتَ قومـاً لا يُرى مِثْلُهم مـا بـين كُوفانٍ إلى الصِّينِ[1]

[مات له ابن فرثاه]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا السكَّريّ عن محمد قال : كان لإسماعيل بن عمّارٍ ابنٌ يقال له مَعْنٌ فمات ، فقال يرثيه : [من الكامل]

يـا مَوْتُ ما لكَ مُولَعاً بِضِرارِي إنّي عليـكَ وإنْ صَبَرْتُ لزاري[2]
تعـدو عـليّ كأنّني لك واتـرٌ وأؤول منـكَ كما يـؤولُ فِرارِي
نَفْسُ البعيـدِ إذا أردتَ قريبـةٌ ليستْ بناجيـةٍ مـع الأقدارِ
والمرءُ سوف وإنْ تطاولَ عُمْرُه يومـاً يصيرُ لحُفْـرة الحَفَّارِ
لَمّـا غَـلا عَظـمٌ بـه فكأنَّه مـن حسن بنْيتِه قَضيبُ نُضارِ[3]
فجَّعْتنـي بأعَـزِّ أهـلي كُلِّهم تعـدو عليـه عَـدْوَة الجبَّارِ
هَـلاَّ بنفسي أو ببعض قَرابَتـي أوقعـتَ أَوْ مـا كنتَ للمُختارِ
وتركتَ ربتـي التي مِـنْ أجلِها عِفْتُ الجِهادَ وصِرْتُ في الأَمصارِ

[رفض أن يكون عاملاً لما رأى العمال يعذبون وشعره في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان قال حدَّثني السكريّ عن محمد بن حبيبَ قال : قال رجلٌ من بني أَسَدٍ كان وَجْهاً ، لإسماعيلَ بنِ عَمّار : هَلُمَّ أركَبْ معكَ إلى يوسفَ بن عُمَر ، فإنّه صديقٌ ، حتى أُكَلِّمه فيك يستعملُك على عملٍ تنتفع به . فقال له إسماعيل : دَعني حتى يحولَ الحولُ . فنظر إسماعيلُ إلى عمّال يوسف يُعَذَّبون ، فقال في ذلك : [من الوافر]

1 كوفان : الكوفة ، وكوفان أيضاً : قرية بهراة .
2 يقال : فلان زارٍ على فلان إذا كان عاتباً ساخطاً غير راض .
3 النضار هنا : الأثل الطويل المستقيم الغصون .

رأيتُ صَبِيحةَ النَّيْروزِ أمـراً ... فظيعـاً عـن إمارتهم نَهاني
فَـرَرتُ من العِمالةِ بعد يَحْيى ... وبعـد النَّهْشَلِيّ أبـي أبانِ
وبعـد الزور وابن أبي كَثِيرٍ ... وفيقـدِ أشْجَعٍ وأبـي بِطانِ
فحابَ بها أبا عُثمانَ غيري ... فمـا شأنُ الإمارةِ لي بشانِ
أُحـاذِرُ أنْ أُقَصَّر في خَراجي ... إلى النَّيْروزِ أو في المِهْـرَجانِ
أُعَجِّـلُ إنْ أتى أجلي بوقتٍ ... وحَسْبي بالمُجَرَّحـةِ المِتانِ[1]
فما عُذْرِي إذا عَرّضتُ ظهري ... لألفٍ من سِياطِ الشّاهِجانِ[2]
تُعَـدُّ ليوسفٍ عـدّاً صحيحاً ... ويحفَظهـا عليـه الجالدانِ
وأُسْحَبُ في سَراويـلي بقَيْدِي ... إلى حَسّانَ مُعْتَقَـلَ اللِّسانِ
فمنهم قائـلٌ بُعْـداً وسُحْقاً ... ومنهـم آخَـرانِ يُفَدِّيانِ
كفاني مـن إمارتهم عَطائي ... وما أُحْذِيتُ من سَبَق الرِّهانِ[3]
كفاني ذاك منهـم مـا بَقِينا ... كما فيمـا مَضى لي قد كفاني

[شعره في بوبة وصيفة عبد الرحمن بن عنبسة]

وقال ابن حبيب في الإسناد الذي ذكرناه : إنّه كانت لعبد الرحمن بن عَنْبَسةَ بن سعيد بن العاصي وصيفةٌ مغنِّيةٌ يؤدِّبها ، ويَصنعها[4] ليُهْدِيها إلى هشام بن عبد الملك يقال لها بُوبة . فقال فيها إسماعيل بن عمّار : [من الخفيف]

بُوبَ حُيِّيتِ عن جليسِكِ بُوبا ... مُخطئـاً في تحيَّتي أو مصيبا
مـا رأينا قتيلَ حـيٍّ حبا القا ... تـلَ بالوِتْرِ أنْ يكـونَ حبيبا
غيرَ ما قد رُزِقْتِ يا بُوبَ منِّي ... فهنيئـاً وإنْ أتيـتِ عجيبا
غيرَ مَـنٍّ به عليكِ وإنْ كُنْـ ... ـتُ بقَـدْرِ القِيانِ طَبّـاً طبيبا
بنـتُ عَشْرٍ أديبـةٌ في قُرَيْشٍ ... بَخٍ فأكْـرِمْ بهـم أباً ونَسِيبا
أُدِّبتْ في بنـي أُمَيّـةَ حتّى ... كَمَلتْ في حُجورهـم تأديبا

قال : ثم أهداها ابن عنبسة إلى هشام . فقال إسماعيل بن عمّار : [من الهزج]

ألا حُيِّيتِ عنّـا ثُـ ... ـمَّ سَقْياً لكِ يـا بُوبَهْ

1 المجرحة المتان : السياط الشديدة التي تقطع الجلد .
2 الشاهجان : هي مرو الشاهجان ، كانت قصبة خراسان وأشهر مدنها .
3 أحذيت : أعطيت . والسبق : ما يجعل من المال رهناً على المسابقة وغيرها .
4 صنع الجارية : ربّاها وأحسن تغذيتها .

وأَكْـــرِمْ بِكِ مُهْداةً وأَحْبِبْ بِـــك مَطْلوبَهْ
وواهاً لك مـــن بِكْر وواهـــاً لـــكِ مثقوبَهْ
وواهـــاً لـــك مُلْقاة وواهـــاً لـك مكبوبَهْ
لقـــد عايَـــنَ مَنْ يَلْقا كِ من حُسْنِكِ أُعجوبَهْ
ويا وَيْـــلي ويـــا عَوْلي فنَفْسي الدَّهْرَ مكروبَهْ
عـــلى هَيْفـــاءَ حَوْراء على جَيْـــداءَ رُعْبوبَهْ[1]
إذا ضاجَعهـــا المَـوْلى فقـــد أدركَ محبـوبَهْ

[هجاؤه لجارية له كان يبغضها]

قال ابن حبيب في هذه الرواية : كان لإسماعيل بن عمّار جاريةٌ قد ولدَتْ منه ، وكانت سيئةَ الخُلق قبيحةَ المَنْظَر ، وكان يُبْغِضها وتُبغضه ، فقال فيها : [من المتقارب]

بُلِيـــتُ بزَمَّـــرْدةٍ كالعَصـــا أَلَصَّ وأَخبـــثَ مـــن كُنْدُشِ[2]
تُحِبّ النساءَ وتأبـى الرجـالَ وتمشي مـع الأَسْفَهِ الأَطْيَشِ
لهـــا وجـــهُ قِرْدٍ إذا ازَّيَّنَتْ ولونٌ كبَيْضِ القَطـــا الأَبْرَشِ[3]
ومِـــن فوقِـــهِ لِمَّـــةٌ جَثْلَـــةٌ كمثلِ الخوافي مِـنَ المَرْعَشِ[4]
وبطـــنٌ خَواصِـرُه كالوِطـــا ب زادَ على كَرِشِ الأَكْرَشِ[5]
وإنْ نَكَهتْ كِـــدتُ من نَتْنِها أُخِـــرُّ على جانِـــبِ المَفْرَشِ[6]
وثَـــدْيٌ تدلَّـــى على بطنِهـــا كقِرْبـــةِ ذي الثَّلَّةِ المُعْطِشِ[7]
وفَخْـــذانِ بينَهمـــا بَسْطـــةٌ إذا مـــا مشتْ مِشْيَةَ المُنْتَشي[8]
وساقٌ يُخَلْخِلُهـــا خاتـــمٌ كساق الدَّجاجـةِ أَو أَحمشُ[9]

1 رعبوبة : بيضاء ناعمة .
2 الزمردة : المرأة التي تشبه الرجال خَلقاً وخُلقاً . كندش : لقب لص معروف وقيل إنه العقعق . والعقعق : طائر ، تضرب العرب به المثل في الخبائث وسوء الخلق .
3 البرش والبرشة : لون مختلف : نقطة حمراء وأخرى سوداء أو غبراء أو غير ذلك .
4 الجثلة : الكثيرة الملتفة . والمرعش : جنس من الحمام أبيض يحلق في الهواء .
5 الوطاب : جمع وطب ، وهو سقاء اللبن . والأكرش : عظيم البطن .
6 نكه : تنفس على أنف آخر .
7 الثلة : القطعة من الغنم . والمعطش : الذي عطشت غنمه . ويروى الشطر الأول في الحماسة (وثدي يجول على نحرها) .
8 يروى الشطر الأول في الحماسة : (وفخذان بينهما نفنف) أي مهواة بينهما .
9 أحمش : أي دقيق .

وفي كلِّ ضِرْسٍ لها أَكْلَةٌ ... أَصَلُّ من القبر ذي المَنْبَشِ[1]
ولّما رأيتُ خَوا أنفها ... وفِيها وإصْلالَ ما تحتَشي[2]
إلى ضامرٍ مثلِ ظِلْفِ الغَزالِ ... أَشَدَّ اصفراراً من المِشْمِشِ
فَرَرتُ من البيتِ من أجلها ... فِرار الهَجينِ من الأَعمشِ
وأبردُ من ثَلْج ساتِيدَما ... إذا راح كالعُطُبِ المُنْفَشِ[3]
وأرْسَحُ من ضَفْدَعٍ عَثّةٍ ... تَنِقُّ على الشَّطّ من مَرْعَشِ[4]
وأَوْسَعُ من باب جَسْرِ الأَميرِ ... تُمِرُّ المَحامِلَ لم تَخْدِشِ
فهذِي صِفاتِي فلا تَأْتِها ... فقد قلتُ طَرْداً لها كَشْكِشِي[5]

[هجا جاراً له مسجدٌ قرب داره]

وقال ابن حبيبَ : كان في جِوارِ إسماعيل بن عمّار رجلٌ من قومه ينهاه عن السُّكْر وهجاء الناس ويعذُله ، وكان إسماعيل له مُغضباً . فبنى ذلك الرجلُ مسجداً يُلاصق دارَ إسماعيل وحسَّنه وشيَّده ، وكان يجلس فيه هو وقومه وذوو التستُّر والصلاح منهم عامَّةَ نهارِهم ، فلا يقدِر إسماعيل أن يشرَب في داره ولا يدخُل إليه أحدٌ ممّن كان يألَفه من مغنٍّ ومغنِّية أو غيرِهما من أهل الرِّيبة . فقال إسماعيل يهجوه . وكان الرجل يتولّى شيئاً من الوقوف للقاضي بالكوفة : [من الطويل]

بَنى مسجداً بُنْيانُه من خِيانةٍ ... لَعَمْرِي لَقِدْماً كنتَ غيرَ مُوَفَّقِ
كصاحبةِ الرُّمّانِ لّما تَصَدَّقتْ ... جَرَتْ مَثَلاً للخائنِ المتصدِّقِ
يقولُ لها أهلُ الصَّلاح نصيحةً ... لكِ الوَيْلُ لا تَزْنِي ولا تَتَصدَّقي

[استعدى على غاضري كلف رهطه الطواف]

وقال ابن حبيب : وُلِّي العَسَسَ[6] رجلٌ غاضريٌّ ، فأخذ بني مالكٍ وهم رهطُ إسماعيل بن عمّار بأن كانوا معه ، فطافوا إلى الغَداة . فلمّا أصبح غدا على الوالي مُسْتعدياً على الغاضريّ . فقال له الوالي ، وكان رجلاً من هَمْدانَ : ماذا صنَع بك ؟ فأنشأ يقول : [من السريع]

عَسَّ بنا ليلَتَه كُلَّها ... ما نحن في دُنْيا ولا آخِرَهْ
يأمُر أشياخَ بني مالكٍ ... أن يحرُسوا دون بني غاضِرَهْ

1 الأكلة : داء يقع في العضو .
2 أصل : أنتن . الخواء : الهواء بين الشيئين .
3 ساتيدما : جبل متصل من بحر الروم إلى بحر الهند . العطب : القطن .
4 الرسح : قلة لحم الفخذين والعجز . العثة : المحقورة والضئيلة الجسم . مرعش : مدينة بين الشام وبلاد الروم .
5 الكشكشة هنا : الهرب .
6 العسس : الحراس .

واللهُ لا يرضـــى بـــذا كائناً من حُكْمِ هَمْدانَ إلى الساهرَهْ[1]

قال فقال له الوالي : قَدْ لَعمري صَدَقتَ ، ووظَّف على سائر البطون أنْ يطوفوا مع صاحب العَسَس في عشائرهم ولا يتجاوزوا قبيلةً إلى قبيلةٍ ، ويكون ذلك بنَوائب[2] بينهم .

[كان منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد فلمّا مات رثاه]

وقال ابن حبيبَ : كان إسماعيل بن عمّار منقطعاً إلى خالد بن خالد بن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْطٍ ، وكان إليه مُحسِناً ، وكان يُنادمه . فوَلِي خالد بن خالدٍ عملاً للوليد بن يزيد بن عبد الملك فخرج إليه ، وكان إسماعيل عليلاً فتأخّر عنه ، ثم لم يَلبَثْ خالد أنْ مات في عمله ، فورد نَعْيُه الكوفةَ في يوم فِطْرٍ . فقال إسماعيل بن عمّار يَرثيه : [من الخفيف]

مـــا لِعَيْني تَفِيضُ غيرَ جَمُـــودِ ليس تَرْقـــا ولا لهـــا من هُجودِ
فإذا قَـــرّتِ العيـــونُ اسْتهلّتْ فإذا نِمْـــنَ أُولِعـــتْ بالسُّهودِ
أَلِنَعْيِ ابـــنِ خالـــدٍ خالـــدِ الخَيْـ ـــرات في يـــومِ زِينةٍ مشهودِ
سَنَحتْ لِي يومَ الخميسِ غداةَ الـ ـفِطْرِ طيرٌ بـــالنَّحْس لا بالسُّعودِ
فتعَيَّفـــتُ أنّهـــنّ لأَمـــرٍ مُفْظِعٍ مّـــا جَرَيْنَ في يـــومِ عيدِ[3]
فنعتْ خالـــدَ بنَ أَرْوى وجَلَّ الـ ـخطبُ فِقْـــدانُ خالدِ بن الوليدِ

[سعى به عثمان بن درباس فهجاه فاستعدى عليه السلطان فحبسه]

وقال ابن حبيب : كان لإسماعيل بن عمّار جارٌ يقال له عثمان بن دِرباس ، فكان يُؤذيه ويسعى به إلى السلطان في كلّ حال ، ثم سعى به أنّه يذهبَ مذهبَ الشُّراة[4] ، فأُخِذ وحُبِس . فقال يهجوه : [من البسيط]

مَنْ كان يحسُدني جاري ويَغْبِطني مِـــنَ الأَنامِ بعثمانَ بنِ دِرْباسِ
فقـــرَّب اللهُ منـــه مثلَـــه أبـــداً جاراً وأَبْعَـــدَ منـــه صالحَ النّاسِ
جارٌ لـــه بـــابُ ساجٍ مُغْلَقٌ أبداً عليه من داخلٍ حُرَّاسُ أَحْـــراسِ[5]
عَبْـــدٌ وعبـــدٌ وبنْتـــاهُ وخادِمُه يدعُون مثلَهمُ مـــا ليس من ناسِ
صُفْرُ الوجوهِ كأنَّ السُّلَّ خامَرَهُمْ وما بهم غيرَ جَهْدِ الجوعِ من باسِ

1 الساهرة : الأرض أو الفلاة .
2 نوائب : جمع نيابة بمعنى نوبة .
3 عيافة الطير : زجرها .
4 الشراة : الخوارج .
5 الساج : ضرب من الشجر ينبت في الهند .

اــه بَنُــونَ كأطْبــاءٍ مُعَلَّقةٍ ... في بطن خِنزيرةٍ في دار كَنَّاس[1]
إن يُفْتَحِ البابُ عنهم بعد عاشرةٍ ... تظنُّهم خرجــوا من قَعْرِ أرماس[2]
فليتَ دارَ ابــنِ دِرْباسٍ مُعَلَّقةٌ ... بالنَّجْمِ بــين سَلاليم وأمْراس[3]
فكــان آخِــرَ عَهْدِي منهمُ أبداً ... وابتعــتُ داراً بغِلْماني وأفْراسي

قال : وقال فيه أيضاً : [من مجزوء الرمل]

لَيْتَ بِرْذَوْنِي وبَغْلي ... وجَــوادِي وحِمارِي
كُنَّ في الناس وأُبدِلْـ ... ـتُ غداً جاراً بجارِ
جارَ صِدْقٍ بابنِ دِرْبا ... سٍ وإلاّ بِعْتُ داري
فَتَبدّلــتُ بــه مِنْ ... يَمَنٍ أو مــن نِزارِ
بَدَلاً يَعْرِف مــا اللّـ ... ـهُ ومــا حَقّ الجِوارِ
لــو تَبَدَّلــتُ سِواهُ ... طاب ليــلي ونَهارِي
واسْتَرَحْنا مــن بَلايا ... هُ صغــارٍ أو كبارِ
لــو جَزَيْناهُ بها كُنّـ ... ـنا جميعاً في فَجارِ[4]
أو سكتْنا كان ذُلاًّ ... داخــلاً تحت الشِّعارِ[5]

قال : فلمّا قال فيه الشعرَ استعدى عليه السلطان ، وذكَرَ أنّه من الشُّراة ، وأنّهم مجتمعون عنده ، وأنّه من دُعاة عبد الله[6] بن يحيى وأبي حَمزة المُختار . فكتب من السجن إلى ابن أخٍ له يقال له مُعانٌ : [من السريع]

أبْلِــغْ مُعانــاً عنّــي وإخوتَه ... قــولاً وما عالِمٌ كمَنْ جَهِلا
بأنَّنــي والمُصَبِّحــات مِنًــى ... يعــدُون طَــوْراً وتــارةً رَمَلا
لخائــفٌ أنْ يكــونَ وُدُّكُمُ ... إيَّــايَ بعــد الصفاء قد أفَلا
أئنْ عَرانِــي دَهْــرِي بنائبةٍ ... أصبحَ منهــا الفــؤادُ مشتعلا

1 الأطباء : جمع طبي ، وهي حلمات الضرع .
2 ل : ديماس .
3 أرماس : واحدها مرس وهي الحبال .
4 فجار : اسم للفجور .
5 الشعار من الثياب : ما يلي البشرة .
6 هو عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمر بن معاوية من حضرموت ، خرج في أيام مروان بن محمد وآخرون ، فغلبوا على اليمن والحجاز ، ثم قتلوا أخيراً .

حاولتـــمُ الصُّرْمَ أَوْ لعلّكُـــمُ ظَنَنتُـــمُ مـــا أصابنـــي جَلَلا
لا تُغْفِلونا بنـــي أخـــي فلقدْ أصبحتُ لا أبتغي بكـــم بَدَلا
تمسَّكوا بالذي امتسكتُ به فإنّ خيرَ الإخـــوانِ مَنْ وَصَلا

قال : فكتب إليه ابنُ أخيه : [من السريع]

يا عَمِّ عُوفِيتَ من عذابِهِم الـ ـكُرِ وفارقـــتَ سِجْنَهم عَجِلا
كتبتَ تشكو بني أخيك وقد أُرسلَ مَـــنْ كان قَبْلنا مَثَلا
«أبْدَأْهُمُ بالصُّراخِ يَنْهزموا» فأنـــت يا عَـــمِّ تبتغي العِلَلا[1]
زعمتَ أنّا نـــرى بلاءك في دارِ بـــلاءٍ مُكَبَّـــلا جَلَلا
يا عَـــمِّ بئس الفِتْيانُ نحن إذاً أمَّا وفي رِجْلك الكُبُولُ فَلا
عليَّ إنْ كنتَ صادقـــاً حِجَجٌ للبيتِ عامَيْنِ حافيـــاً رَجُـلا
بُعِّدَ عنكَ الهمومُ فارْجُ من الـ ـلَّهِ خَلاصاً وأَحْسِنِ الأَمَلا

[أطلقه الحكم بن الصلت من السجن وشعره فيه حين عزل]

قال : وثمّ وَلِي الحَكَمُ بن الصَّلْتِ فأطلقَه وأحسَنَ إليه ، فلم يَزَل يشكره ويمدحه . ثم عُزِل الحكم بعد ذلك ؛ فقال إسماعيل فيه : [من المنسرح]

تباركَ اللهُ كيـــف أَوْحشتِ الـــ ـكوفـــةُ أَنْ لَم يَكُنْ بهـــا الحَكَمُ
الحَكَـــمُ العَـــدْلُ في رعيّتِهِ الـ ـكاملُ فيـــه العفـــافُ والفَهَمُ
فأصبح القصرُ والسَّريـــرانِ والـ ـمِنبَرُ كالكـــلّ مـــن أبٍ يَتَمُ[2]
يُـــذْرِي عليـــه السريرُ عَبْرَتَـــه والمِنْبَـــرُ المَشْرَفـــيُّ يَلتـــدِمُ[3]
والناسُ من حُسْنِ سِيرةِ الحَكَمِ بـ ـنِ الصَّلْتِ يبكـــون كُلّما ظُلِموا
مثلُ السّكارى في فَرْطِ وَجْدِهِمُ إلاّ عَـــدُوًّا عليـــه يُتَّهَـــمُ
يـــومَ جَرى طائـــرُ النُّحوسِ لهم يُنْزَعُ منـــه القِرْطـــاسُ والقَلَمُ
فأرغـــمَ اللهُ حاسِدِيـــهِ كما أرغـــمَ هُودَ القُرودِ إذْ رَغِمُوا[4]

1 أصل هذا المثل «أبدأهم بالصراخ يفروا» . ذلك أن يكون الرجل قد أساء إلى الرجل فيتخوّف لائمة صاحبه فيبدؤه بالشكاية والتجنّي ليرضى من الآخر بالسكوت . يضرب للظالم يتظلّم ليسكت عنه . مجمع الأمثال للميداني 178/1 .

2 القصر في ل : القبر .

3 اللدم والالتدام : ضرب المرأة صدرها أو وجهها من الحزن .

4 الهود : اليهود . وهود القرود : هم أهل القرية التي كانت حاضرة البحر ، كان محرماً عليهم الصيد أو العمل في يوم السبت .

بني سَبْتِهم يـــوم نابَ خَطْبُهُم والله مِمّـــنْ عصـــاهُ ينتقمُ
إنّـــا إلى الله راجعـــون أَمَـــا لِلنّـــاسِ عهـــدٌ يُوفى ولا ذِمَمُ
حَـــوْلٌ علينـــا ، وليلتانِ لنـا من لَـذّةِ العيش ، بئسَما حَكَمُوا
لا حُكْـــمَ إلاّ للهِ يُظْهِـــرُه يَقْضي لِضيزائهـــا التّي قسَموا
مـــاذا تُرَجّي مـــن عَيْشِها مُضَرٌ إنْ كان من شأنِها الذي زَعَموا

[ذم ولاية خالد القسريّ]

وقال ابن حبيب : سمِع إسماعيل بن عمّار رجلاً يُنْشِدُ أبياتاً للفرزدَق يهجو بها عُمَر بن هُبيرة الفَزاريَّ لمّا وَلِيَ العراقَ ويعجَب من وِلايته إيّاها ، وكان خالدٌ القَسْرِيُّ قد وَلِي في تلك الأيّام العراق ، فقال إسماعيل : أعْجَبُ واللهِ ممّا عجب منه الفرزدقُ من ولاية ابن هُبيرة ، [وهو] ما لستُ أراه يُعْجَبُ منه ، ولايةُ خالدٍ القَسْريِّ وهو مُخَنَّثٌ دَعِيٌّ ابن دعيٍّ ، ثم قال : [من الكامل]

عَجِب الفرزدقُ من فَزارةَ أنْ رأى عنهـــا أُمَيّـــةَ بالمَشارِقِ تَنْزِعُ
فلقدْ رأى عَجَبـــاً وأُحْدِثَ بعده أمـــرٌ تطيرُ لـــه القلوبُ وتفزَعُ
بَكتِ المنابرُ مـــن فَزارةَ شَجْوَها فـــالآن من قَسْرٍ تَضِجّ وتجزَعُ
فملوكُ خِنْـــدِفَ أضْرَعونا للعِدا للهِ دَرُّ مُلوكِنـــا مـــا تَصْنَعُ[1]
كانـــوا كقاذفـــةٍ بَنِيهـــا ضَلّةً سَفَهاً وغيرُهُـــمُ تَـــرُبُّ وتُرْضِعُ

[شعر له في عينه وقلبه]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلبيُّ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثنا عبد الله بن سعيد بن أُسيد العامريّ قال حدَّثني محمد بن أُنَسٍ الأُسَدِيُّ قال : جلستُ إلى إسماعيل بن عمّار ، وإذا هو يفتِل أصابعَه متأسِّفاً ، فقلتُ : عَلامَ هذا التأسُّف والتلهُّف ؟ فقال : [من مخلع البسيط]

عينـــايَ مشؤومتـان وَيْحَهما والقلـــبُ حَـــرّانُ مُبْتَلًى بهما
عرَّفتـــاه الهـــوى لِظُلْمهما يـــا ليتَني قبـــلَ ذا عَدِمْتُهما
هُما إلى الحَيْـــن دَلّتا وهمـــا ذَلّ على مَنْ أُحِبُّ دَمْعُهما[2]
سأَعْذِرُ القلبَ في هـــواه وما سَبَّبَ كلَّ البَـــلاء غيرُهما

1 أضرعونا : أذلونا وأخضعونا .
2 ذل الدمع : هان .

صوت

[شعر للأعشى وشرحه] [من المتقارب]

فكَعْبَةُ نَجْـرانَ حَتْمٌ عليـ ـكِ حتَّى تُناخِي بأبوابِها
نَزورُ يَزِيدَ وعبدَ المَسِيحِ وقَيْساً هُـمُ خيرُ أربابِها
وشاهِدُنا الجُلُّ والياسَمِيـ ـنُ والمُسْمِعاتُ بقُصَّابِها[1]
وبَرْبَطُنـا دائـمٌ مُعْمَلٌ فأيُّ الثلاثـةِ أَزْرى بِها[2]
إذا الحَبَرَاتُ تَلَوّتْ بهم وجَرُّوا أَسافـلَ هُدَّابِها[3]
فلمّـا التقَيْنا على آيـةٍ ومَـدّتْ إليّ بأسبابِها[4]

عروضُه من المتقارب . الشعرُ للأعشى يمدحَ بني عبد المَدانِ الحارثيّين من بني الحارث بن كَعب . والغناء لحُنَيْن ، خفيفُ ثقيل بالوسطى في مَجراها عن إسحاق . وذكر يونس أنّ فيه لحناً لمالك . وزعم عمرو بن بانة أنّه خفيف ثقيلٍ . وزعم أبو عبد الله الهشاميّ أنّ فيه لابن المَكّيّ خفيف رملٍ بالوسطى أوّلُه : [من المتقارب]

تنازِعني إذ خلـتْ بُرْدَها[5]

ومعه باقي الأبيات مخلَّطةً مقدَّمةً ومؤخَّرة . والكعبةُ التي عناها الأعشى هاهنا يقال إنها بِيعةٌ بناها بنو عبد المَدان على بناء الكعبة ، وعظّموها مُضاهاة للكعبة ، وسمّوها كعبةَ نَجْرانَ ، وكان فيها أساقفةٌ يُقيمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبيّ ﷺ ودعاهم إلى المُباهلة ، وقيل : بل هي قُبّة من أَدَمٍ سمّوها الكعبةَ . وكان إذا نزل بها مستجيرٌ أُجير ، أو خائفٌ أُمِن ، أو طالبُ حاجةٍ قضيتْ ، أو مسترفدٌ أُعطِي ما يريده . والمُسْمِعاتُ : القِيانُ . والقُصَّاب : أوتار العيدان . وقال الأصمعيّ : قلت لبعض الأعراب : أَنْشِدْني شيئاً من شعرك . قال : كنتُ أقول الشِّعر وتركتُه . فقلت : ولِم ذاك ؟ قال : لأنّني قلت شعراً وغنّى فيه حَكَمٌ الواديّ وسمعته فكاد يذهَل عقلي . فآليتُ ألاّ أقولَ شعراً ، وما حرّك حَكَمٌ قصّابَه إلاّ توهّمتُ أنّ الله عزّ وجلّ مُخلِدي بها في النّار .

* * * *

1 في ديوان الأعشى : «وشاهدنا الورد» . والجلّ : الورد أبيضه وأحمره وأصفره ، واحده جلة . قُصّاب : جمع قاصب وهو الزامر . والقصّاب : الأوتار كما قال أبو عبيدة .
2 البربط : العود . والمزهر : العود أيضاً .
3 الحبرات : ضرب من برود اليمن منمر .
4 آية في ل : آلة .
5 تمام البيت : مفضلة غير جلبابها .

الفهرس

[173] ـ أخبار النابغة ونسبه 5
[174] ـ أخبار الحارث بن حلّزة ونسبه 29
[175] ـ نسب عمرو بن كلثوم وخبره 35
[176] ـ ذكر الخبر عن السبب في اتصال الهجاء بين جرير والأخطل 41
[177] ـ ذكر أوس بن حجر وشيء من أخباره 47
[178] ـ خبر ورقاء بن زهير ونسبه وقصة شعره هذا 51
[179] ـ مقتل زهير بن جذيمة العبسيّ 56
[180] ـ ذكر مقتل خالد بن جعفر بن كِلاب 65
[181] ـ خبر الحارث وعمرو بن الإطنابة 85
182 ـ [خبر يوم رحرحان] 88
[183] ـ وهذا يوم شعب جبلة 92
184 ـ [مقتل عمليق وسببه] 113
185 ـ [حديث عمر بن أبي ربيعة وصاحبه العذري] 117
[186] ـ أخبار عائشة بنت طلحة ونسبها 122
[187] ـ نسب عمرو بن شأس وأخباره في هذا الشعر وغيره 136
[188] ـ ذكر ليلى ونسبها وخبر توبة بن الحميّر معها وخبر مقتله 141
[189] ـ ذكر الأقيشر وأخباره 169
[190] ـ أخبار ابن الغريزة ونسبه 187
[191] ـ أخبار أعشى بني تغلب ونسبه 189
[192] ـ أخبار أبي النّضير ونسبه 192
[193] ـ أخبار العبليّ ونسبه 198
[194] ـ أخبار أبي جلدة ونسبه 209
[195] ـ أخبار علويه ونسبه 224
[196] ـ نسب إسماعيل بن عمّار وأخباره 245

كتاب الأغاني

لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني

المتوفى سنة ٣٥٦هـ - ٩٧٦ م

تحقيق

الدكتور إحسان عباس

الدكتور إبراهيم السعافين　　الأستاذ بكر عباس

المجلد الثاني عشر

دار صادر
بيروت

كتاب الأغاني

12

جَميع الحُقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423هـ -2002 م

الطبعة الثانية

1426هـ - 2005م

الطبعة الثالثة

1429هـ - 2008م

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية ، أو أشرطة ممغنطة ، أو وسائل ميكانيكية ، أو الاستنساخ الفوتوغرافي ، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر .

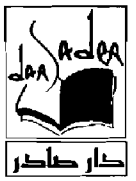

تأسست سنة 1863

ص.ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER *Publishers*

P.O.B. 10 Beirut, Lebanon

Fax: (961) 4.910270

e-mail: dsp@darsader.com

http: www.darsader.com

KITĀB AL-AGHĀNĪ 1/25

(Abu al-Faraj al-Isphahānī)

ISBN 9953-13-045-0

[197] ـ أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره[1]

[كان الأعشى مثبتاً ولبيد مجبراً]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم بن فِراس قال حدَّثنا العُمَريّ عن الهيثم بن عَدِيّ عن حمّاد الراوية عن سِماك بن حَرْب عن يونس بن مَتّى راوية الأعشى قال : كان لبيد مُجَبِّراً[2] حيث يقول : [من الرمل]

مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهْتَدى ناعِمَ البال ومَنْ شاء أضَلّ

وكان الأعشى مثبتاً[3] حيث يقول : [من المنسرح]

استأثر اللهُ بالوَفاء وبالْـ ـعَدْلِ وولّى المَلامةَ الرَّجُلا

فقلت له : من أين [أخذ] هذا ؟ فقال : أخذه من أساقفة نَجْران . وكان يعود[4] في كلّ سنةٍ إلى بني عبد المَدانِ ، فيمدحهم ويُقيم عندهم يشرب الخمرَ معهم ويُنادمهم ، ويسمَع من أساقفة نَجْرانَ قولَهم ؛ فكلُّ شيءٍ في شعره منه هذا فمنهم أخذه .

خبر أساقفة نجران مع النبيّ ﷺ

فأمّا خبر مباهلتهم[5] النبيّ ﷺ ، فأخبرني به عليّ بن العبّاس بن الوليد البَجَليُّ المعروف بالمَقانِعِيّ الكوفيّ قال : أنبأنا بكّار بن أحمد بن اليَسَع الهَمْدانيّ قال حدَّثنا عبد الله بن موسى عن أبي حمزة عن شَهْر بن حَوْشَب . قال بكّار وحدَّثنا إسماعيل بن أبانٍ العامِريّ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبيه عن جدِّه عن عليٍّ عليه السلام ، وحديثه أتمّ الأحاديث . وحدَّثني [به] جماعة آخرون بأسانيدَ مختلفةٍ وألفاظٍ تزيد وتنقص : فممّن حدَّثني به عليّ بن أحمد بن حامد التميميّ قال حدَّثنا الحسن بن عبد الواحد قال حدَّثنا حسن بن حسين عن

---

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء 1/257–266 والأغاني 9 : 80 والمرزباني 401–402 والمؤتلف 12 واللآلي 83 والخزانة 1 : 83–86 وشعراء الجاهلية 357–399 والتذكرة الحمدونيّة 8 : 356–360 .

2 المجبر : الذي يقول بالجبر . وتقول الجبرية : إنّه لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة ، بل هو بمنزلة الجمادات فيما يوجد منها .

3 مثبتاً : من يثبت القدر .

4 ل : يفد .

5 المباهلة : الملاعنة .

حيّان بن عليّ [عن] الكلبيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس ، وعن الحسن بن الحسين عن محمد بن بكر عن محمد بن عبد الله بن عليٍّ بن أبي رافِعٍ عن أبيه عن جَدِّه عن أبي رافع . وأخبرني عليّ بن موسى الحِمْيَريُّ في كتابه قال حدَّثنا جَنْدَلُ بن والِقٍ قال حدَّثنا محمد بن عمر عن عَبَّاد الكُلَيْبِيّ عن كامل] أبي العلاء عن أبي صالح عن ابن عبّاس . وأخبرني أحمد بن الحسين بن سعد بن عثمان إجازةً قال حدَّثنا أبي قال حدَّثنا حُصَيْن بن مُخارِقٍ عن عبد الصَّمد بن عليّ عن أبيه عن ابن عبّاسٍ . قال الحصين وحدَّثني أبو الجارود وأبو حمزة الثّماليّ عن أبي جعفر ، قال : وحدَّثني حَمْد بن سالم وخليفةُ بن حسّان عن زيد بن عليّ عليه السلام . قال حصين وحدَّثني سعيد بن طَرِيفٍ عن عِكْرِمةَ عن ابن عبّاس . وممّن حدَّثني [أيضاً] بهذا الحديث عليّ بن العبّاس عن بكّار عن إسماعيل بن أبان عن أبي أُوَيْس المدنيّ عن جعفر بن محمد وعبد الله والحسن ابني الحسن . وممّن حدَّثني به أيضاً محمد بن الحسين الأُشْنانيُّ قال حدَّثنا إسماعيل بن إسحاق الراشِديّ قال حدَّثني يحيى بن سالم عن جابرٍ عن أبي جعفر عليه السلام . وممّن أخبرني به أيضاً الحسين بن حمدان بن أيّوب الكوفيّ عن محمد بن عمرو الخشّاب عن حسين الأشقر عن شَرِيك عن جابر عن أبي جعفر ، وعن شريك عن المغيرة عن الشعبيّ ، واللفظ للحديث الأوّل . قالوا : قَدِمَ وَفْدُ نصارى نَجْران وفيهم الأُسْقُفُ ، والعاقِب وأبو حَبَشٍ ، والسَّيِّدُ ، وقيس ، وعبد المسيح ، وابن عبد المسيح الحارث وهو غلام ، وقال شهر بن حَوْشَب في حديثه : وهم أربعون حِبْراً ، حتى وقفوا على اليهود في بيت المِدْراس ، فصاحوا بهم : يا ابنَ صُورِيّا يا كَعْبُ بن الأشراف ، انْزِلُوا يا إخوة القُرود والخنازير . فنزلوا إليهم ؛ فقالوا لهم : هذا الرجل عندكم منذ كذا وكذا سنةً [قد غَلَبكم !] أَحْضِروا المُمْتَحِنة [لِنَمْتَحِنَه] غداً . فلمّا صلَى النبيُّ ﷺ الصبحَ ، قاموا فبركوا بين يديه ، ثم تقدّمهم الأُسْقُفُ فقال : يا أبا القاسم ، موسى مَنْ أبوه ؟ قال : عِمران . قال : فيوسُف مَن أبوه ؟ قال : يعقوب . قال : فأنتَ مَنْ أبوك ؟ قال : أبي عبدُ الله بنُ عبد المطّلب . قال : فعيسى مَن أبوه ؟ فسكت رسولُ الله ﷺ وآله ؛ فانقضَّ عليه جبريلُ عليه السلامُ فقال : ﴿إنَّ مَثَلَ عِيسى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾ فتلاها رسولُ الله ﷺ ؛ فنزا[1] الأُسقُفُ ثم دِيرَ به مَغْشِيّاً عليه ، ثم رفع رأسه إلى النبيّ ﷺ فقال [له] : أتزعمُ أنّ الله جلّ وعلا أوحى إليك أنّ عيسى خُلِق من تراب ! ما نَجِدُ هذا فيما أُوحي إليك ، ولا نجده فيما أُوحى إلينا ؛ ولا تجده هؤلاء اليهود فيما أُوحي إليهم . فأوحى الله تبارك وتعالى إليه : ﴿فَمَنْ حاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وأَبْناءَكُمْ ونساءَنا ونِساءَكُمْ وأَنْفُسَنا

1 نزا : وثب .

وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ على الكاذِبِينَ﴾ . فقال : أنصفتَنا يا أبا القاسم ، فمتى نُباهِلُك ؟ فقال : بالغداة إن شاء الله تعالى . وانصرف النصارى ، وانصرفتِ اليهودُ وهي تقول : واللهِ ما نُبالي أيَّهما أهلك الله الحَنِيفيَّة أو النصرانيّة . فلمّا صارت النصارى إلى بيوتها قالوا : والله إنّكم لتعلمون أنّه نبيٌّ ، ولئن باهلناه إنّا لنخشى أن نَهْلكَ ، ولكن استَقيلُوه لعلّه يُقِيلُنا . وغَدا النبيُّ ﷺ من الصُّبْح وغدا معه بعليٍّ وفاطمة والحَسَنِ والحُسَين صلواتُ الله عليهم . فلمّا صلّى الصبح ، انصرف فاستقبل الناس بوجهه ، ثم برك باركاً ، وجاء بعليٍّ فأقامه بين يديه ، وجاء بفاطمة فأقامها بين كَتِفَيه ، وجاء بحَسَنٍ فأقامه عن يمينه ، وجاء بحُسَينٍ فأقامه عن يساره . فأقبلوا يستترون بالخُشُب والمسجد فَرَقاً أنْ يبدأهم بالمُباهلة إذا رآهم ، حتى بركوا بين يديه ، ثم صاحوا : يا أبا القاسم ، أقِلنا أقالَك الله عَثْرَتَك . فقال النبيّ ﷺ : نعم ، قال : ولم يُسأَل النبيّ ﷺ شيئاً قَطُّ إلاّ أعطاه ، فقال : قد أَقَلْتُكم [فَوَلَّوْا] . فلمّا وَلَّوْا قال النبيّ ﷺ : «أَمَا والذي بَعَثني بالحَقِّ لو باهلتُهم ما بَقِي على وجه الأرض نَصْرانِيٌّ ولا نَصرانية إلاّ أهلكهم الله تعالى» . وفي حديث شهر بن حَوْشَب أنّ العاقب وثب فقال : أُذَكِّرُكم اللهَ أن نُلاعِنَ هذا الرجل ! فوالله لئن كان كاذباً ما لَكُمْ في مُلاعنته خيرٌ ، ولئن كان صادقاً لا يَحُول الحَوْلُ ومنكم نافخُ ضَرَمةٍ[1] . فصالَحوه ورجعوا .

[خبر قبة نجران]

وأمّا خبر القُبّة الأَدَمِ التي ذكرها الأعشى فأخبرني بخبرها عمّي وحبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عليّ بن عمرو الأنصاريّ عن هشام بن محمد عن أبيه قال : كان عبد المسيح بن دارِسِ بن عَرَبِيٍّ بن مُعَيْقِرٍ[2] من أهل نَجران ، وكانت له قُبّة من ثلاثمائة جِلْدِ أديم ، وكان على نهر بنجران يقال النُّحَيْردانُ . قال : ولم يأتِ القُبّة خائفٌ إلاّ أَمِن ، ولا جائعٌ إلاّ شَبع ؛ وكان يَستَغِلّ من ذلك النهر عشرة آلاف دينارٍ ، [وكانت القُبّة تستغرق ذلك كلّه] . وكان أوّلُ مَن نزل نجران من بني الحارث بن كعب يزيد بن عبد المَدان [ابن الدَّيّان . وذلك أنّ عبد المسيح بن دارِسٍ زوَّج يزيد بن عبد المدان] ابنته رُهَيمةَ ، فولدتْ له عبد الله بن يزيد ؛ فهم بالكوفة . ومات عبد المسيح ، فانتقل مالُه إلى يزيد ؛ فكان أوّل حارِثيٍّ حَلَّ في نَجران . وفي ذلك يقول أعشى قيس بن ثعلبة : [من المتقارب]

فكعبةُ نجرانَ حَتْمٌ عَلَيْـ ـكِ حتّى تُناخي بأبوابِها

1 الضرمة : الجمرة ؛ يقال : ما في الدار نافخ ضرمة ، أي ما فيها أحد وهنا مثل ورد في مجمع الأمثال للميداني 269/3 «ما بها نافخ ضرمة» يعني بالمثل ما في الدار من أحد .

2 ل : معيفر .

نزورُ يزيــدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً هُـمُ خير أربـابِها

[خطب يزيد بن عبد المدان وعامر بن المصطلق بنت أميّة بن الأسكر فزوّجها ليزيد]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثني عمّي عن العباس بن هشام [عن أبيه قال حدّثني بعضُ بني الحارث بن كعب ، [و] أخبرني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد] قال حدّثني عبد الله بن الصبّاح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : اجتمع يزيد بن عبد المَدان وعامر بن الطُّفَيل بمَوْسِمِ عُكاظَ ، وقَدِم أُمية بن الأسكر الكِنانيُّ ومعه ابنةٌ له من أجمل أهل زمانها ، فخَطَبها يزيدُ وعامرٌ . فقالت أُمّ كلابٍ امرأةُ أُمَيّة بن الأسكر : مَن هذان الرجلان ؟ فقال : هذا يزيد بن عبد المدان بن الديّان ، وهذا عامرُ بن الطُّفيل . فقالت : أعْرِف بني الديّان ولا أعرف عامراً . فقال : هل سَمِعْتِ بمُلاعِب الأَسِنّة[1] ؟ فقالت نعم . قال فهذا ابنُ أخيه . وأقبل يزيد فقال : يا أُميّة ، أنا ابن الديّان صاحبُ الكَثِيبِ ، ورئيس مَذحِج ، ومُكَلِّم العُقاب ، ومَنْ كان يُصَوِّب أصابعه فتَنْطِفُ[2] دماً ، ويَدْلُك راحتيه فتُخرجان ذَهَباً ، فقال أُميّة : بَخٍ بَخٍ . [فقال عامر : جَدِّي الأَخْرَم ، وعمّي مُلاعِبُ الأَسِنَّة ، وأبي فارسُ قُرْزُل . فقال أُميّة : بَخْ بَخْ] مرعًى ولا كالسَّعدان[3] . فأرسلها مثلاً . فقال يزيد : يا عامِرُ ، هل تعلَم شاعراً من قومي رَحَل بمدحةٍ إلى رجلٍ من قومك ؟ قال : اللهمّ لا . قال : فهل تعلم أنّ شعراء قومك يرحَلون بمدائحهم إلى قومي ؟ قال : اللهمَّ نعم . قال : فهل لكم نجمٌ يمانٍ أو بُرْدٌ يمانٍ أو سيفٌ يمانٍ أو رُكْنٌ يمانٍ ؟ قال لا . قال : فهل مَلَكْناكم ولم تَمْلِكونا ؟ قال نعم . فنهض يزيد وأنشأ يقول : [من الرجز]

أُمَيَّ يا ابنَ الأسكرِ بنِ مُدْلِجِ لا تَجْعَلَنْ هَوازِنـاً كمَذْحِجِ
إنَّكَ إنْ تَلْهَجْ بأمـرٍ تَلْجَجِ ما النبع في مَغْرِسِه كالعَوْسَجِ[4]
ولا الصَّرِيحُ المَحْضُ كالمُمَزَّجِ[5]

1 هو أبو البراء عامر بن مالك ؛ سمّي بملاعب الأسنّة لقول أوس بن حجر فيه :
فلاعب أطراف الأسنّة عامر فراح له حظ الكتيبة أجمع

2 تنطف : تقطر .

3 مرعى ولا كالسعدان مَثَلٌ يضرب للشيء يفضل على أقرانه وأشكاله ، وقد روى المفضل أن هذا المثل لامرأة من طيء وكان تزوجها امرؤ القيس بن حجر الكنديّ وكان مفرّكاً ، فقال لها : أين أنا من زوجك الأول فقالت : «مرعى ولا كالسعدان ، فصل المقال للبكري 199 .

4 النبع : ضرب من الشجر تتخذ منه القسيّ ومن أغصانه السهام ، ينبت في قُلل الجبال . والعوسج : ضرب من الشوك .

5 الصريح : الخالص من كل شيء .

قال : فقال مرّة بن دُودان النُّفيليّ وكان عدوّاً لعامر : [من الرجز]

يا ليت شِعْرِي عنك يـا يزيدُ ... مـــاذا الذي مِن عامرٍ تُرِيـدُ
لِكُـــلِّ قـــومٍ فَخرُكم عتِيـدُ ... أمُطْلَقُـــونَ نحـــنُ أم عَبِيـدُ
لا بل عَبِيدٌ زَادُنا الهَبيدُ[1]

قال : فزوَّج أُميّة يزيد بن عبد المَدان ابنته . فقال يزيد في ذلك : [من الكامل]

يا لَلرِّجـالِ لِطارق الأَحزانِ ... ولِعامِـرِ بـــنِ طُفَيْـلٍ الوَسْنانِ
كانت إتـــاوة قومِـهِ لمُحَرِّقٍ ... زمناً وصارتْ بعـدُ للنُّعمانِ[2]
عـدَّ الفَوارِسَ من هَوازِنَ كلِّها ... فخـراً عـليّ وجئتُ بالدِّيّانِ
فإذا لِيَ الشَّرَفُ المتين بوالدٍ ... ضَخْمِ الدَّسِيعةِ زانني ونَماني[3]
يا عـامُ إنّك فارسٌ ذو مَيْعةٍ ... غَضُّ الشَّبابِ أخو نَدًى وقِيانِ[4]
واعلمْ بأنّك بابن فارِس قُرْزُلٍ ... دون الذي تسعى لـه وتُدانِي
ليست فـوارسُ عامـرٍ بِمُقِرّةٍ ... لكَ بالفضيلةِ في بنـي عَيْلانِ
فإذا لَقِيتَ بني الحَماسِ ومالكٍ ... وبني الضِّباب وحيّ آلِ قَنانِ[5]
فاسألْ عن الرَّجُلِ المُنَوَّهِ باسمِهِ ... والدّافع الأَعـداءِ عن نَجْرانِ
يُعْطِي المَقادَةَ في فوارِسِ قَوْمِهِ ... كَرَماً لَعَمْرُك والكريمُ يَمانِي

فقال عامرُ بن الطُّفَيل : [من الكامل]

عجبـاً لواصِف طارقِ الأَحزانِ ... ولِمـا يَجِـيء بـه بنـو الدَّيّانِ
فَخَـرُوا عـليَّ بحَبْـوةٍ لِمُحَرِّقٍ ... وإتـاوةٍ سِيقـتْ إلى النُّعْمـانِ[6]
مـا أنـتَ وابنُ مُحَرِّقٍ وقَبِيلهُ ... وإتـاوةُ اللَّخمِـيِّ في عَيْـلانِ
فاقْصِدْ بفَخْرِكَ قَصْدَ قومِك قُصْرةً ... ودَعِ القَبائـلَ مـن بنـي قَحْطانِ

---

1 الهبيد : حب الحنظل .

2 محرق ، لقب به من ملوك لخم بالحيرة امرؤ القيس بن عمرو بن عديّ ويقال له المحرق الأكبر ، وعمرو بن هند يقال له المحرق الثاني . ولقّب به أيضاً الحارث بن عمرو من ملوك غسان بالشام .

3 الدسيعة هنا : العطية .

4 ميعة كل شيء : أوّله .

5 الحماس ، والضباب ، وقنان : قبائل من مذحج .

6 الحبوة (مثلثة الحاء) : العطية .

إنْ كان سالفــةُ الإتــاوةِ فيكــمُ أوْلا ففَخْـرُكَ فخــرُ كلِّ يَمانِي
وافْخَرْ برَهْطِ بني الحِماسِ ومالكٍ وبنـــي الضِّبــاب وزَعْبَـلٍ وقَنانِ
فأنــا المُعَظَّمُ وابنُ فــارِس قُرْزُلٍ وأبـــو بَـــراءٍ زانـــي ونمانِي
وأبــو جُزَيْءٍ ذو الفَعــالِ ومالكٌ مَنَعــا الذِّمــارَ صباحَ كلِّ طِعانِ
وإذا تَعاظمــتِ الأُمــورَ هَــوازنٌ كنـــتُ المُنَــوَّهَ باسمِــهِ والبانِي

[طلب بنو عامر إلى مرة بن دودان أن يهجو بني الديّان فأبى]

فلمّا رجع القوم إلى بني عامر ، وثَبُوا على مُرّة بن دودان وقالوا له : أنت من بني عامر ، وأنت شاعرٌ ، ولم تَهْجُ بني الدَّيّان ؛ فقال مُرّة : [من الوافر]

تُكَلِّفُنــي هــوازنُ فخرَ قومٍ يقولــون : الأَنــامُ لنــا عبيدُ
أبونــا مَـذْحِجٌ وبنـــو أبِيـهِ إذا مــا عُـدَّتِ الآبــاءُ هُودُ[1]
وهل لِي إن فَخَرْتُ بغير حقٍّ مَقــالٌ والأَنــامُ لهـــم شُهودُ
فأنَّى تَضْرِبُ الأعلامُ صَفْحاً عــن العَلْياء أم مَنْ ذا يَكِيدُ
فقولوا يــا بنـــي عَيْــلانَ كنّا لهم قِنّاً ، فمــا عنهــا مَحِيدُ

[محاورة في مجلس ابن جفنة]

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية : قَدِم يزيدُ بن عبد المَدان وعمرُو بن معد يكرب ومَكْشوحٌ المُراديّ على ابن جفنةَ زُوَّاراً ، وعنده وجوه قَيْس : مُلاعِبُ الأَسِنَّة عامرُ بن مالك ، ويزيد بن عَمْرو بن الصَّعِق ، ودُريد بن الصِّمَّة . فقال ابن جفنة ليزيد بن عبد المَدان : ماذا كان يقول الدّيان إذا أصبح فإنّه كان ديّاناً[2] . فقال : كان يقول : آمنتُ بالذي رَفَع هذه (يعني السماء) ، ووَضَع هذه (يعني الأرض) ، وشقَّ هذه (يعني أصابعَه) ، ثم يَخِرُّ ساجداً ويقول : سَجَد وجهي للذي خَلَقه وهو عاشمٌ[3] ، وما جَشَّمَني من شيءٍ فإنّي جاشم . فإذا رفع رأسه قال : [من الرجز]

إنْ تَغْفِرِ اللهمَّ تَغْفِرْ جَمًّا وأيُّ عَبْدٍ لك ما أَلَّما

فقال ابن جَفنة : إنّ هذا لذو دِين ، ثم مال على القيسيين وقال : أَلا تحدِّثوني عن هذه الرياح : الجنوب والشَّمال والدَّبور والصَّبا والنَّكْباء ، لِمَ سُمِّيتْ بهذه الأَسماء ؛ فإنّه قد أعياني عِلْمُها ؟ فقال القوم : هذه أَسماءٌ وجدنا العربَ عليها لا نعلمُ غير هذا فيها . فضحِك يزيد بن

1 هود : جمع هائد ، وهو الراجع إلى الحق .
2 الديّان هنا : الحاكم والسائس والقاضي .
3 العاشم : الطّامع .

عبد المَدان ثم قال : يا خيرَ الفِتيان ، ما كنتُ أَحْسِبُ أنّ هذا يسقُط علمه على هؤلاء وهم أَهل الوَبَر . إنّ العرب تضرب أبياتَها في القِبْلة مَطْلَع الشمس ، لِتُدْفِئهم في الشِّتاء وتزولَ عنهم في الصيف . فما هَبَّ من الرياح عن يمين البيت فهي الجنوب ، وما هَبَّ عن شِماله فهي الشَّمال ، وما هَبَّ من أمامه فهي الصَّبا ، وما هبَّ من خَلْفه فهي الدَّبور ، وما استدار من الرياح بين هذه الجهات فهي النَّكْباء . فقال ابن جفنة : إنّ هذا لَلْعِلْمُ يا ابنَ عبد المَدان .

[سأل ابن جفنة القيسيين عن النُّعمان بن المنذر فعابوه]

وأقبل على القيسيين يسألُهم عن النُّعمان بن المنذر . فعابوه وصغّروه . فنظر ابن جفنة إلى يزيد فقال له : ما تقول يا ابن عبد المدان ؟ فقال يزيد : يا خيرَ الفِتيان . ليس صغيراً مَن منعك العراقَ ، وشَرِكَك في الشام ، وقيل له : أبيْتَ اللَّعْنَ ، وقيل لك : يا خير الفِتيان ، وأَلفى أباه مَلِكاً كما أَلفيتَ أباك ملكاً ؛ فلا يسرُّك مَنْ يغرّك ، فإنّ هؤلاء لو سألهم عنك النُّعمان لقالوا فيكَ مثل ما قالوا فيه . وايمُ اللهِ ما فيهم رجلٌ إلاّ ونِعمةُ النُّعمان عنده عظيمة ! فغَضِب عامرُ بن مالك وقال له : يا ابن الديّان ، أَما والله لتحتلبنَّ بها دَماً ! فقال له : ولِمَ ؟ أَزِيدَ في هَوازِنَ من لا أعرفه ؟ فقال : لا ، بل هم الذين تَعْرِف . فضحِك يزيد ثم قال : ما لهم جمرة بني الحارث ، ولا فَتْكُ مُراد . ولا بأسُ زُبَيْد ، ولا كَيْدُ جُعْفيّ ، ولا مُغارُ طَيِّىء . وما هم ونحن يا خيرَ الفتيان بسواء ، ما قتلنا أسيراً قَطُّ ، ولا اشتهينا حُرّةً قط ، ولا بكينا قتيلاً [حتى] نُبيء[1] به . وإنّ هؤلاء لَيَعْجِزُون عن ثأرِهم ، حتى يُقْتَلَ السَّميُّ بالسَّمِيِّ . والكَنِيُّ بالكَنِيِّ ، والجارُ بالجارِ . وقال يزيد بن عبد المَدان فيما كان بينه وبين القيسيِّين شعراً غَدا به على ابن جَفنة : [من الطويل]

تَمالا على النُّعمانِ قومٌ إليهمُ ... مَوارِدُهُ في مُلْكِهِ ومَصادِرُهْ
على غَير ذنبٍ كان منه إليهمُ ... سِوى أَنَّه جادتْ عليهم مَواطِرُهْ
فباعَدَهُمْ من كلِّ شَرٍّ يَخافُه ... وقَرَّبَهم من كلِّ خيرٍ يُبادِرُهْ
فظَنُّوا ، وأعراضُ الظّنون كثيرةٌ ، ... بأنّ الذي قالوا من الأمر ضائرُهْ[2]
فلم يَنْقُصوه بالذي قِيلَ شَعْرةً ... ولا فُلَّتْ أَنيابُه وأَظافِرُهْ
ولَلْحارِثُ الجَفْنِيُّ أَعلمُ بالذي ... يَنُوءُ به النُّعْمانُ إن خَفَّ طائِرُهْ[3]
فيا حارِ كَمْ فيهمْ لِنُعْمانَ نِعْمَةٍ ... من الفضلِ والمَنِّ الذي أَنا ذاكِرُهْ

1 أباء القاتل بالقتيل : قتله به .

2 الظنون في ل : المنون .

3 خفّ طائر فلان إذا استخفّ واستفز ، ويقال عكس ذلك سكن طائر فلان أو وقع إذا كان وقوراً .

ذُنوبـاً عَفـا عنهـا ومالاً أفادَه وعَظْمـاً كسيراً قَوَّمَتْـه جَوابِرُهْ
ولو سالَ عنك العائبين ابنُ مُنْذِرٍ لقالوا لـه القولَ الذي لا يُحاوِرُهْ

قال : فلمّا سمِع ابنُ جَفْنَة هذا القولَ عظُم يزيد في عينه ، وأجلسه معه على سريره ، وسقاه بيده ، وأعطاه عطيّة لم يُعْطِها أحداً ممّن وَفَدَ عليه قَطُّ .

[استشفع رجل إلى يزيد عند ابن جفنة فوهبه له]

فلمّا قرَّب يزيدُ ركائبَه ليرتحلَ سمِع صوتاً إلى جانبه ، وإذا هو رجلٌ يقول : [من المتقارب]

أَمَـا مِـنْ شفيعٍ من الزائرين يُحِـبّ الثَّنـا زَنْـدُه ثاقِبُ[1]
يُريـد ابـنُ جفنـة إكرامـه وقـد يمسَح الضَّـرَّةَ الحالِبُ
فيُنْقِـذَني مـن أظـافيرِهِ وإلاّ فإنِّـي غـداً ذاهبُ
فقـد قلـتُ يومـاً على كُرْبةٍ وفي الشَّرْبِ في يَثْرِبٍ غالِبُ
ألا ليـتَ غَسَّانَ في مُلْكِهـا كلَخْمٍ ، وقَد يُخْطِىءُ الشاربُ
ومـا في ابن جَفْنةَ مـن سُبَّةٍ وقـد خَفَّ حِلْمِي بها العازِبُ
كأنِّـي غريبٌ من الأبْعَدِينَ وفي الخَلْـقِ مِنِّي شَجاً ناشِبُ

فقال يزيد : عليَّ بالرجل ، فأُتِي بـه . فقـال : مـا خَطْبُكَ ؟ أنت تقول هذا الشعر ؟ قـال : لا ! بل قاله رجلٌ من جُذامَ جفاه ابن جَفْنة ، وكانت له عند النُّعمان منزلةٌ ، فشَرِب فقال على شرابه شيئاً أنكره عليه ابنُ جفنة فحبسه ، وهو مُخْرِجهُ غداً فقاتِلُه . فقال [له] يزيد : أنا أُغنِيك . فقال له : ومن أنت حتى أعرِفَك ؟ فقال : أنا يزيد بن عبد المَدانِ . فقال : أنتَ لها وأبيك ؟ قال : أجَلْ ! قد كفيتُك أمْرَ صاحبِك ، فلا يَسْمَعَنَّك أحدٌ تُنْشِد هذا الشعر . وغَدا يزيد على ابنِ جَفْنةَ لِيُوَدِّعه ؛ فقال له : حيَّاك الله يا ابن الديّان ! حاجتَـك . قـال : تُـلْحِقُ قُضاعة الشامِ [بغسّان] ، وتُؤْثِر مَن أتاك من وفود مَذْحِج ، وتَهَبُ لِي الجُذاميّ الذي لا شفيعَ له إلاّ كرمُك ، قال : قد فعلتُ . أما إنّي حبستُه لأَهَبَه لسيِّد أهل ناحيتك ، فكنت ذلك السيِّدَ ، ووَهَبَه له . فاحتمله يزيد معه ، ولم يزل مُجاوِراً له بنَجْرانَ في بني الحارث بن كعب . وقال ابن جَفْنةَ لأصحابه : ما كانت يميني لِتَفِي إلاّ بقَتله أو هِبَتِه لرجلٍ من بني الديّان ؛ فإنّ يميني كانت على هذين الأمرين . فعظم بذلك يزيدُ في عين أهلَ الشام ونَبُه ذكره وشرُف .

1 ثقوب الزند ووريه : كناية عن الكرم وغيره من الصفات المحمودة .

[استغاث هوازني يزيد في فكّ أسر أخيه فأغاثه]

وقال ابن الكلبيّ في هذه الرواية عن أبيه : جاورَ رجلان من هَوازِنَ ، يقال لهما عمرٌو وعامر ، في بني مُرّة بن عَوف بن ذُبيان ، وكانا قد أصابا دماً في قومهما . ثم إنّ قيس بن عاصم المِنْقَريّ أغار على بني مُرّة بن عوف بن ذُبيان ، فأصاب عامراً أسيراً في عِدّة أُسارى كانوا عند بني مُرّة ، ففَدى كلُّ قومٍ أسيرَهم من قيس بن عاصمٍ وتركوا الهَوازِنيّ ، فاستغاث أخوه بوجوه بني مُرّة : سِنانِ بن أبي حارثة والحارثِ بن عوف والحارث بن ظالمٍ وهاشم بن حَرملة والحُصَيْن بن الحُمام فلم يُغيثوه ، فركِب إلى موسم عُكاظ ، فأتى مَنازِلَ مَذْحِجَ ليلاً فنادى : [من الطويل]

دعوتُ سِناناً وابنَ عوفٍ وحارثاً ... وعالَيتُ دَعْوى بالحُصَيْنِ وهاشِمِ
أُعَيِّرهم في كلِّ يومٍ وليلةٍ ... بِتَرْكِ أسيرٍ عند قيسٍ بن عاصمِ
حَلِيفِهِمُ الأَدْنى وجارِ بيوتهم ... ومَنْ كان عمّا سرَّهم غيرَ نائمِ
فَصَمُّوا وأَحداثُ الزمانِ كثيرةٌ ... وكَمْ في بني العَلاّتِ من مُتَصامِمِ[1]
فيا ليتَ شِعْرِي مَنْ لإطلاقِ غُلِّهِ ... ومَنْ ذا الذي يَحْظى به في المَواسِمِ

قال : فسمِع صوتاً من الوادي ينادي بهذه الأبيات : [من المتقارب]

ألا أيُّهذا الذي لم يُجَبْ ... عليكَ بحَيٍّ يُجَلِّي الكُرَبْ
عليكَ بذا الحيّ من مَذْحِجٍ ... فإنَّهمُ للرِّضا والغَضَبْ
فنادِ يزيدَ بنَ عبدِ المَدانِ ... وقَيْساً وعمرَو بنَ مَعْدِيكَرِبْ
يَفُكُّوا أخاكَ بأموالهمْ ... وأَقْلِلْ بِمِثْلِهِمُ في العَرَبْ
أُولاكَ الرؤوسُ فلا تَعْدُهُمْ ... ومَنْ يجعلُ الرأسَ مثلَ الذَّنَبْ

قال : فاتّبع الصوتَ فلم يَرَ أحداً ، فغدا على المكشوح ، واسمُه قيس بن عبد يَغُوثَ المُراديّ ، فقال له : إنّي وأخي رجلانِ من بني جُشَمَ بنِ معاوية أصَبْنا دماً في قومنا ، وإنّ قيس بن عاصم أغار على بني مُرّة وأخي فيهم مُجاوِرٌ فأخذه أسيراً ، فاستغثتُ بسِنانِ بن أبي حارثة والحارث بن عوف والحارث بن ظالم وهاشم بن حرملة فلم يُغيثوني . فأتيت الموسم لأصيب به من يَفُكّ أخي ، فانتهيت إلى مَنازل مَذْحِجَ ، فناديتُ بكذا وكذا ، فسمِعت من الوادي صوتاً أجابني بكذا وكذا ، وقد بدأتُ بك لِتفكّ أخي . فقال له المكشوح : والله إنّ قيس بن عاصم لرجل ما قارضته معروفاً قطُّ ولا هو لي بجار ، ولكن اشْتَرِ أخاك منه وعليَّ

1 بنو العلاّت : بنو أمهات شتى من أبٍ واحد .

الثمن ، ولا يَمنعْك غَلاؤه . ثم أتى عمرو بن مَعدِيكرب فقال له مثلَ ذلك ؛ فقال : هل بدأتَ بأحدٍ قبلي ؟ قال : نعم ؛ بقيس المكشوح . قال : عليكَ بمن بدأتَ به . فتركه ، وأتى يزيد بن عبد المَدان فقال له : يا أبا النَّضْر ، إنّ من قِصَّتي كذا وكذا . فقال له : مرحباً بك وأهلاً ، أبعثُ إلى قيس بن عاصم ؛ فإن هو وهَب لي أخاك شكرتُه ، وإلاّ أغرتُ عليه حتى يَتَّقِيني بأخيك ، فإنْ نِلتُها وإلاّ دفعتُ إليك كلَّ أسير من بني تميم بنَجْرانَ فاشتريتَ بهم أخاك . قال : هذا الرضا . فأرسلَ يزيد إلى قيس بن عاصمٍ بهذه الأبيات : [من البسيط]

يا قَيْسُ أَرْسِلْ أَسيراً من بني جُشَمٍ ... إنِّي بكلِّ الذي تأتـي به جازي
لا تأْمَنِ الدَّهْرَ أن تَشْجى بغُصّتِهِ ... فاختَرْ لنفسِك إحمادِي وإعْزازي
فافْكُكْ أخا مِنْقَرٍ عنه وقُلْ حَسَناً ... فيمـا سُئِلـتَ وعَقِّبْـهُ بإنجازِ

قال : وبعث بالأبيات رسولاً إلى قيس بن عاصم ؛ فأنشده إيّاها ، ثم قال [له] : يا أبا عليّ ، إنّ يزيد بن عبد المَدان يقرأ عليك السلام ويقول لك ، إنّ المعروف قُروض ، ومع اليوم غدٌ . فأطْلِقْ لي هذا الجُشَميّ ؛ فإنّ أخاه قد استغاث بأشراف بني مُرّة وبعمرو بن مَعدِيكرب وبمكشوح مُرادٍ فلم يُصِبْ عندهم حاجتَه فاستجار بي . ولو أرسلتَ إليّ في جميع أُسارى مُضَرَ بنَجْرانَ لقضيتُ حقَّك . فقال قيس بن عاصم لِمَنْ حضره من بني تميم : هذا رسولُ يزيد بن عبد المَدان سيِّد مَذْحِج وابن سيِّدها ومَن لا يزال له فيكم يدٌ ، وهذه فرصةٌ لكم ، فما تَرَون ؟ قالوا : نرى أن نُغْلِبَه عليه ونَحكُم فيه شَطَطاً ؛ فإنّه لن يخذُلَه أبداً ولو أتى ثمنُه على ماله . فقال قيس : بئس ما رأيتم ! أما تخافون سِجالَ الحروب ودُوَلَ الأيّام ومجازاةَ القُروض ! فلمّا أَبَوْا عليه قال : بِيعُونِيه ، فأغْلَوْه عليه ، فتركه في أيديهم ، وكان أسيراً في يد رجل من بني سعد ، وبعث إلى يزيد فأعلمه بما جرى ، وأعلمه أنّ الأسير لو كان في يده أو في بني مِنقَر لأخذه وبعث به ، ولكنّه في يد رجل من بني سعد . فأرسل يزيد إلى السعديّ أن سِرْ إليّ بأسِيرك ولك فيه حُكْمُك . فأتى به السعديُّ يزيدَ بن عبد المدان ؛ فقال له : احْتَكِم . فقال : مائةُ ناقةٍ ورِعاؤها . فقال له يزيد : إنّك لَقصير الهِمّة قريب الغِنَى جاهلٌ بأخطار بني الحارث . أمَا والله لقد غبنتُك يا أخا بني سعد ، ولقد كنتُ أخاف أن يأتي ثمنُه على جُلِّ أموالنا ، ولكنّكم يا بني تميم قومٌ قصار الهِمَم . وأعطاه ما احتكم . فجاوره الأسير وأخوه حتى ماتا عنده بنَجْران .

[أغار عبد المدان على هوازن في جماعة من بني الحارث فهزموا بني عامر]

وقال ابن الكلبيّ : أغار عبدُ المَدان على هَوازِنَ يوم السَّلَف[1] في جماعةٍ من بني الحارث بن

1 السّلف : مخلاف باليمن .

كعب ، وكانت حُمته[1] على بني عامر خاصّة . فلمّا التقى القوم حَمَل على وَبْر بن معاوية النُّميريّ فصرَعَه ، وثَنَّى بطُفَيل بن مالك فأجرّه[2] الرمحَ ، وطار به فرسُه قُرْزُلٌ فنجا ، واستحرّ القتلُ في بني عامر ، وتَبِعتْ خيلُ بني الحارث مَنِ انهزم من بني عامر ، وفي هذه الخيل عُمَيْرٌ ومَعْقلٌ وكانا من فُرسان بني الحارث بن كعب ، فلم يزالوا بقيّة يومِهم لا يُبْقون على شيء أصابوه . فقال في ذلك عبد المَدان : [من الطويل]

عَفا من سُلَيْمى بطنُ غَوْلٍ فَيَذْبُلُ ... فغَمْرةُ فَيْفِ الرِّيحِ فالمُتَنَخَّلُ[3]

ديارُ التي صاد الفؤادَ دَلالُها ... وأَغرتْ بها يوم النَّوى حين تَرْحَلُ

فإنْ تَكُ صَدَّتْ عن هَوايَ وراعَها ... نَوازِلُ أَحداثٍ وشيبٌ مُجَلِّلُ

فيا رُبَّ خيلٍ قد هَدَيْتُ بِشَطْبَةٍ ... يُعارِضُها عَبْلُ الجُزارةِ هَيْكَلُ[4]

سَبُوحٌ إذا جالَ الحِزامُ كأنّه ... إذا انْجابَ عنه النَّقْعُ في الخيلِ أَجْدَلُ

يُواغِلُ جُرْداً كالقَنا حارثيّةً ... عليها قَنانٌ والحِماسُ وزَعْبَلُ[5]

مَعاقِلُهمْ في كلِّ يومٍ كريهةٍ ... صدورُ العَوالي والصَّفِيحُ المُصَقَّلُ

وزَغْفٌ من الماذيّ بِيضٌ كأنّها ... نِهاءٌ مَرَتْها بالعَشِيّاتِ شَمْأَلُ[6]

فما ذَرَّ قَرْنُ الشمسِ حتى تلاحقتْ ... فَوارِسُ يَهْدِيها عُمَيْرٌ ومَعْقِلُ

فجالتْ على الحيّ الكِلابيّ جولةً ... فباكَرَهُمْ وِرْدٌ من الموتِ مُعْجَلُ

فَغادَرْنَ وَبْراً تَحْجُلُ الطيرُ حولَه ... ونجَّى طُفَيْلاً في العَجاجةِ قُرْزُلُ

فلَم ينجُ إلاّ فارِسٌ من رِجالهم ... يُخَفِّفُ ركضاً خشيةَ الموت أَعْزَلُ

وليزيد بن عبد المَدان أخبارٌ مع دُريد بن الصِّمّة قد ذكرتْ مع أخبار دُريد في صنعة المُعتضِد مع أغاني الخلفاء ، فاستُغْني عن إعادتها في هذا الموضع .

---

1 الحمة : الشدّة .

2 أجره الرمح : طعنه به وتركه فيه يجرّه .

3 غول : موضع ، جبل أو واد أو ماء ، فيه أقوال ، ولعلّه اسم لعدّة مواضع . ويذبل : جبل بنجد . غمرة ، وفيف الريح ، والمتنخل : مواضع .

4 الشطبة (بالكسر والفتح) من الخيل : الطويلة السبطة اللحم . عبل الجزارة : ضخم الأطراف .

5 يُواغل جرداً : يداخلها . الحماس ، وقنان ، وزعبل : قبائل .

6 الزّغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة أو الرقيقة حسنة للسّلاسل والماذي هنا : السلاح من الحديد . ونهاء جمع نهي : غدران .

[أنعم يزيد بن عبد المدان على ملاعب الأسنّة وأخيه فلمّا مات رثته أختهما]

أخبرني عليّ بن سليمان قال أخبرني أبو سعيد السُّكّريّ قال حدَّثني محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ وأبي عُبَيدة وابن الكلبيّ ، قالوا : أغار يزيد بن عبد المَدان ومعه بنو الحارث بن كَعْبٍ على بني عامرٍ ، فأسر عامرَ بن مالك مُلاعِبَ الأسِنَّةِ أبا بَراء وأخاه عَبِيدَةَ بن مالك ثم أنعم عليهما . فلمّا مات يزيد بن عبد المَدانِ ، واسمُ عبدِ المَدانِ عمرو ، وكنيته أبو يزيد ، وهو ابن الديّان بن قَطَن بن زِياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ، قالت زينب بنت مالك بن جعفر بن كِلاب أخت مُلاعِب الأسنّة ترثي يزيد بن عبد المَدان : [من المتقارب]

بكيتُ يزيـدَ بـن عبـد المدا ... نِ حَلّتْ بـه الأرضُ أثقالها
شَرِيـكُ المُلـوكِ ومَنْ فَضْلُه ... يَفْضُـلُ في المجـدِ أفضالَها
فَكَكْتَ أُسارى بنـي جَعْفَرٍ ... وكِنْـدةَ إذ نِلْـتَ أقوالَها[1]
ورَهْـطُ المُجالِدِ قـد جَلَّلتْ ... فواضـلُ نُعْمـاكَ أجبـالَها

وقالت أيضاً ترثيه : [من المتقارب]

سأبكِي يزيـدَ بنَ عبد المَدان ... على أنّه الأحْلَـمُ الأكـرمُ
رِمـاحٌ مـن العَزْمِ مركوزةٌ ... مُلـوكٌ إذا بَـرَزتْ تَحكمُ

قال : فلامها قومها في ذلك وعيَّروها بأن بكتْ يزيد ؛ فقالت زينب : [من الطويل]

ألا أيُّها الزارِي عـليَّ بأنَّنِي ... نِزاريَّـةٌ أبكِـي كريماً يَمانِيا
وما لِيَ لا أبكِي يزيـدَ ورَدَّنِي ... أجُرُّ جَدِيداً مِدْرَعـي ورِدائِيا

صوت

[من الطويل]

أطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضِي ... وعِشْ ما شِئْتَ فانْظُرْ مَنْ تَضِيرُ
إذا أبصرتَنـي أعرضتَ عَنِّـي ... كأنّ الشمسَ مـن قِبَلِي تَدُورُ

الشعر لعبد الله بن الحَشْرَج الجَعديّ . والغناء لابن سريج ثقيلٌ أوّلُ بالبِنصر عن الهشاميّ .

1 أقوال : جمع قَيْل ، وهو الملك عند أهل اليمن .

[198] ـ أخبار عبد الله بن الحشرج

[نسبه]

هو عبدُ الله بن الحَشْرَج بن الأَشْهَب بن وَرْد بن عَمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هوازِن . وكان عبد الله بن الحشرج سيِّداً من ساداتِ قيس وأميراً من أمرائها ، وَلِي أكثر أعمالِ خُراسان ، ومن أعمال فارس ، وكَرْمان . وكان جواداً مُمَدَّحاً . وفيه يقول زيادٌ الأعجم : [من الكامل]

[إنّ السماحةَ والشَّجاعةَ والنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحَشْرَجِ

وله يقول أيضاً] : [من الطويل]

إذا كنتَ مُرْتادَ السَّماحةِ والنَّدى فسائِلْ تُخَبَّرْ عن دِيارِ الأَشاهِبِ

نسبه إلى الأَشْهَب جَدِّه . وفي بني الأشهب يقول نابغةُ بني جعدة : [من المتقارب]

أَبعدَ فَوارِسِ يومِ الشُّرَيْـ ـفِ آسى وبعدَ بني الأَشْهبِ[1]

[بعض أخبار أبيه وعمّه زياد]

وكان أبوه الحشرج بن الأشهب سَيِّداً شاعراً وأَميراً كبيراً . وكان غَلَب على قُهِسْتان[2] في زمن عبد الله بن خازم ، فبعث إليه عبد الله بن خازمٍ المُسَيَّب بن أَوفى القُشَيريَّ ، فقتل الحَشْرَجَ وأخذ قُهِسْتان . وكان عمُّه زياد بن الأَشهب أيضاً شريفاً سَيِّدا ، وكان قد سار إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، يُصلح بينه وبين معاوية على أن يُوَلِّيه الشام فلم يُجِبه . وفي ذلك يقول نابغة بني جعدة يعتدّ على معاوية : [من الطويل]

وقام زيادٌ عند بابِ ابنِ هاشمٍ يُريـد صَلاحاً بينكم ويُقَرِّبُ

[مدحه قدامة بن الأحرز فوصله واعتذر]

أخبرني محمد بن خَلَف بن المرزبان قال حدَّثني أحمد بن الهيثم بن فِراسٍ قال : حدَّثنا العُمَريّ عن عَطاء بن مُصعَبٍ عن عاصم بن الحَدَثان قال : جاء إلى عبد الله بن الحَشْرَج وهو بِقُهِسْتان رجلٌ من قُشَيرٍ يقال له قُدامةُ بن الأحرز ، فدخل عليه وأنشأ يقول : [من الطويل]

---

1 الشريف : ماء لبني نمير . ويوم الشّريف من أيامهم .

2 قهستان : موضع ببلاد العجم ، وأكثر ما تستعمل : قوهستان .

أَخٌ وابـنُ عَـمٍّ جاءَكم مُتَحَرِّماً ... بِكُمْ فارْأَبُوا خَلاَّتِهِ يا ابنَ حَشْرَجِ
فأَنْتَ ابنُ وَرْدٍ سُدْتَ غيرَ مُدافَعٍ ... مَعَدّاً على رَغْـمِ المَنُوطِ المُعَلْهَجِ[1]
فَبَرَّزتَ عَفْواً إذْ جَرَيْتَ ابنَ حَشْرَجٍ ... وجاء سُكَيْتاً كلُّ أَعْقَـدَ أَفْحَجِ[2]
سبقتَ ابنَ وَرْدٍ كلَّ حافٍ وناعلٍ ... بِجَدٍّ إذا حـار الأَضاميمُ مِمْعَجِ[3]
بِـوَرْدِ بـن عَمْرٍ فُتَّهُمْ إنَّ مِثْلَه ... قليلٌ ومَـنْ يَشْرِ المَحامِدَ يَفْلُجِ[4]
هُوَ الواهِبُ الأَموالِ والمُشْتَري اللَّها ... وضَرَّابُ رأسِ المُسْتَمِيتِ المُدَجَّجِ[5]

قال : فأعطاه أربعة آلاف درهم ، وقال : اعذِرْني يا ابن عمِّي ؛ فإنِّي في حالةٍ اللهُ بها عليمٌ من كثرة الطلاّب ، وأنت أحقُّ مَن عَذَرني . قال : والله لو لم تُعْطِني شيئاً مع ما أَعلَمه من جميل رأيك في عشيرتك ومَنِ انْقَطَع إليك لعذرتُك ، فكيف وقد أجزلتَ العطاء ، وأرغمت الأعداء ! .

[قال في ابن عم له ناله بمساءة]

وكان لابن الحَشْرَج ابنُ عَمٍّ يقول للقُشَيريّ : ويحك ؛ ليس عنده خير ، وهو يَكْذِبُك ويَمْلُذُكَ[6] . فبلغ ذلك عبد الله بن الحشرج فقال : [من الوافر]

أَطِلْ حَمْلَ الشَّناءةِ لي وبُغْضي ... وعِشْ ما شئتَ فانظُرْ مَنْ تَضِيرُ
فمـا بيَدَيْـكَ خيرٌ أَرتَجيـهِ ... وغيرُ صُدُودِكَ الحَرَبُ الكَبيرُ
إذا أَبصرتَنـي أَعرضتَ عنِّي ... كأنّ الشمسَ مـن قِبَلي تَدُورُ
وكيف تَعِيبُ من تُمْسِي فقيراً ... إليـه حـين تَحْزُبك الأُمورُ
ومَنْ إنْ بِعْتَ منزلـةً بأُخرى ... حَلَلْتَ بأَمـرِهِ وبـه تَسِيرُ
أَتزعـمُ أَنَّني مَلِـذٌّ كَذُوبٌ ... وأَنَّ المَكْرُمـاتِ لـديَّ بُورُ
وكيف أَكـون كَـذَّابـاً مَلُوذاً ... وعنـدي يَطْلُبُ الفَرَجَ الضَّرِيرُ

1 المنوط : الدعيّ الذي ينتمي إلى قوم ليس هو من أصلهم ، والمعلهج : الأحمق الهذر اللئيم والدعي ، والهجين الذي ولد من جنسين مختلفين .
2 السكيت : آخر خيل الحلبة . والأعقد : الملتوي الذنب . والأفحج : ذو الفحج .
3 الأضاميم : الجماعات ، والممعج : الكثير المعج ، وهو السرعة في المرّ .
4 يفلج : يظفر .
5 اللها : جمع لهاة .
6 ملذه : أرضاه بكلام لطيف وأسمعه ما يسرّ من غير فعل .

أُواسِي في النَّوائبِ مـن أَتاني ويُجْبَرُ بِي أَخــو الضُرّ الفَقِيرُ

[كان يعطى كثيراً فلامته زوجه وأيدها صديق له]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ قال حدَّثنا أحمد بن الهيثم عن العمريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال : أعطى عبدُ الله بن الحَشْرَج بخراسان حتّى أعطى مِنْشَفةً [كانت] عليه وأعطى فِراشَه ولِحافَه . فقالت له امرأته : لَشَدَّ ما تَلاعبَ بك الشيطان ، وصِرْتَ من إخوانه مُبذِّراً ؛ كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿إنّ المُبَذِّرِينَ كانُوا إخْوانَ الشَّياطِين﴾ . فقال عبد الله بن الحشرج لِرفاعة بن زُوَيٍّ النَّهْديّ وكان أخاً له وصديقاً : يا رِفاعة ، ألا تسمَع إلى ما قالتْ هذه الوَرْهاء[1] وما تتكلَّم به ؟ فقال : صدقتْ واللهِ وبَرَّتْ ! إنّك لمبذِّر ، وإنّ المبذِّرين لإخوانُ الشياطين . فقال ابن الحشرج في ذلك : [من الطويل]

مَتــى يأتنا الغَيْثُ المُغيثُ تَجدْ لنا مَكارِمَ مــا تَعْيــا بأَمْوالِنــا التُّلْدِ[2]
مَكارِمَ مــا جُدْنا بِــهِ إذْ تَمَنَّعتْ رِجالٌ وضنَّتْ في الرَّخاء وفي الجَهْدِ
أَرَدْنا بمــا جُدْنــا بــه من تِلادِنا خِلافَ الذي يأتي خِيارُ بني نَهْدِ
تَلومُ عــلى اتْلافِــيَ المالَ طَلَّتِي ويُسْعِدُها نَهْدُ بن زَيْدٍ على الزُّهْدِ[3]
أَنَهْدُ بن زَيْدٍ لستُ منكمْ فتُشفِقُوا عليَّ ولا منكم غَواتِي ولا رُشْدِي[4]

أراد «غوايتي» فحذف الياء ضرورة .

أَبَــيْتُ صَغيراً ناشئــاً مــا أَردتُمُ وكَهْلاً وحتَّى تُبْصِرُونِيَ في اللَّحْدِ
سأَبْذُلُ مــالي إنَّ مالِــي ذَخِيرةٌ لِعَقْبي ومــا أَجْني بــه ثَمَرَ الخُلْدِ
ولستُ بمِبْكــاءٍ على الزَّادِ باسِلٍ يَهِرُّ على الأَزْوادِ كالأَسَدِ الوَرْدِ[5]
ولَكِنَّني سَمْحٌ بمــا حُزْتُ باذِلٌ لِما كُلِّفتْ كَفَّايَ في الزَّمَنِ الجَحْدِ
بذلــك أَوصاني الرُّقــادُ وقَبْلَــه أَبــوه بأَنْ أُعْطِــي وأُوفِيَ بالعَهْدِ

الرُّقاد : ابن عمرو بن ربيعة بن جَعدة بن كعب وهو من عمومته ، وكان شجاعاً سيِّداً جَواداً .

قال عطاء بن مُصعَبٍ : وقال عبد الله بن الحَشْرج أيضاً في [ذلك] هذه القصيدة .

---

1 الورهاء : الحمقاء .
2 التلد : المال القديم .
3 طلة الرجل : زوجته .
4 نهد بن زيد : القبيلة التي ينتسب إليها رفاعة بن زويّ .
5 باسل هنا : بمعنى غاضب .

وقد ذكر ابن الكلبيّ وأبو اليَقْظان شيئاً من هذه القصيد في كتابَيْهما المُصَنَّفَيْن ونَسَبا[ها] إليه : [من الطويل]

سأجعل مالِي دونَ عِرْضِي وِقايةً ... من الذَّمِّ ؛ إن المالَ يَفْنى ويَنْفَدُ
ويُبْقِي لِيَ الجُودُ اصطناعَ عَشِيرَتِي ... وغَيْرِهِمُ والجُودُ عِزٌّ مُؤَبَّدُ
ومُتَّخِذٍ ذَنْباً عليَّ سَماحتي ... بمالي ، ونارُ البُخْلِ بالذَّمِّ تُوقَدُ
يَبِيدُ الفتى والحمدُ ليس ببائدٍ ... ولَكنَّه للمرءِ فضلٌ مُؤَكَّدُ
ولا شيءَ يبقى للفتى غيرُ جُودِهِ ... بما مَلَكتْ كَفَّاهُ والقومُ شُهَّدُ
ولائمةٍ في الجُودِ نَهْنَهْتُ غَرْبَها ... وقلتُ لها بَنْيُ المَكارِمِ أَحمدُ[1]
فلمّا أَلَحَّتْ في المَلامةِ واعترتْ ... بذلك غَيْظِي واعتراها التَّبَلُّدُ
[عرضتُ عليها خَصْلَتَيْنِ سَماحتي ... وتَطْليقَها والكَفُّ عَنِّيَ أَرشدُ]
فلَجَّتْ وقالتْ أنتَ غاوٍ مُبَذِّرٌ ... قَرِينُك شيطانٌ مَرِيدٌ مُفَنَّدُ
فقلتُ لها بيني فما فيكِ رغبةٌ ... ولِي عنكِ في النِّسْوانِ ظِلٌّ ومَقْعَدُ
وعيشٌ أَنِيقٌ والنِّساءُ مَعادِنٌ ... فَمِنْهُنَّ غُلٌّ شَرُّها يتمرَّدُ[2]
لها كلَّ يوم فوق رأسيَ عارِضٌ ... من الشَّرِّ بَرَّاقٌ يَدَ الدَّهرِ يُرْعِدُ
وأُخرى يَلَذُّ العيشُ منها ، ضَجيعُها ... كريمٌ يُغادِيهِ من الطيرِ أَسْعَدُ
فيا رَجُلاً حُرّاً خُذِ القَصْدَ واتْرُكِ الْـ ... ـبَلايا فإنَّ الموتَ للنَّاسِ مَوْعِدُ
فعِشْ ناعماً واتْرُكْ مَقالةَ عاذلٍ ... يلومُك في بَذْلِ النَّدى ويُفَنِّدُ
وجُدْ باللُّها إنّ السماحةَ والنَّدى ... هي الغايةُ القُصْوى وفيها التَّمَجُّدُ[3]
وحَسْبُ الفَتى مجداً سماحةُ كَفِّه ... وذُو المَجْدِ محمودُ الفِعال مُحَسَّدُ

[طلّق امرأته لعذلها إيّاه فلامه حنظلة بن الأشهب]

قال فقالت له امرأته : والله ما وَفَّقك الله لِحَظِّك ! أَنْهَبْتَ مالَك وبذَّرته وأَعطيته هَيَّان بن بَيَّان[4] ، ومَنْ لا تدري من أَيٍّ هافيةٍ[5] هو ! قال : فغضِب فطَلَّقها ، وكان لها محبّاً وبها مُعْجَباً .

1 نهنهت غربها : كفكفت حدتها وزجرتها .
2 يتمرّد : يتجاوز الحدّ .
3 اللها : العطايا مفردها لهوة .
4 هيان بن بيان : يقال لمن لا يعرف هو ولا يعرف أبوه .
5 هفت هافية من الناس : طرأت .

فعَنَّفه فيها ابنُ عَمٍّ لها يقال له حنظلةُ بن الأَشهب بن رُمَيْلة ، وقال له : نَصَحتْكَ فكافأتَها بالطَّلاق ! فوالله ما وُفِّقتَ لرُشْدِك ، ولا نِلْتَ حَظَّك ، ولقد خاب سَعْيُك بعدها عند ذوي الأَلبابِ . فهَلاَّ مَضَيْتَ لِطيَّتك ، وجَرَيْتَ على مَيْدانِك ، ولم تلتفت إلى امرأةٍ من أَهل الجَهالة والطَّيْش لم تُخْلَقْ للمَشُورة ولا مثلُ رأْيها يُقْتَدى به . فقال ابن الحَشْرَج لحنظلة : [من الطويل]

أَحَنْظَلَ دَعْ عنك الذي نال مالَه ... لِيَحْمَدَه الأَقوامُ في كلِّ مَحْفِلِ
فكَمْ من فَقِيرٍ بائس قد جَبَرْتُه ... ومِنْ عائلٍ أَغنيتُ بعدَ التَّعَيُّلِ
ومن مُتْرَفٍ عن مَنْهَجِ الحقِّ جائرٍ ... علوتُ بعَضْبٍ ذي غِرارَيْنِ مِقْصَلِ[1]
وزارٍ عليَّ الجُودَ والجودُ شيمتي ... فقلتُ له دَعْني وكُنْ غَير مُفْضِلِ
فمِثْلُك قد عاصَيْتُ دهراً ولم أَكُنْ ... لأَسمَعَ أَقوال اللئيم المُبَخَّلِ
أَبى لِيَ جَدِّي البُخْلَ مذ كنتُ يافعاً ... صغيراً ومن يَبْخَلْ يُلَمْ ويُضَلَّلِ
ويَسْتَغْنِ عنه الناسُ ، فارْكَبْ مَحَجَّةَ الْـ ... ـكِرامِ ودَعْ ما أَنت عنه بمَعزِلِ
فإِنِّي امرؤٌ لا أَصحَبُ الدَّهرَ باخِلاً ... لئيماً وخيرُ النَّاسِ كلُّ مُعَذَّلِ
ومُسْتَحْمَقٍ غاوٍ أَتته نَذِيرَتي ... فلَجَّ ولَم يَعْرِفْ مَعَرَّةَ مِقْوَلي[2]
نفحتُ ببيتٍ يملأُ الفَمَ شاردٍ ... له حَبَرٌ كأَنَّه حِبْرُ مِغْوَلِ[3]
فكَفَّ ، ولَو لَمْ أَرْمِهِ شاعَ قولُه ، ... وصار كدِرْياقِ الذُّعاف المُثَمَّلِ[4]
ولَيْلٍ دَجُوجِيٍّ سَرَيتُ ظلامَه ... بناجيةٍ كالبُرْجِ وَجْناءَ عَيْهَلِ[5]
إلى مَلِكٍ مِنْ آل مَرْوانَ ماجِدٍ ... كريمِ المُحَيَّا سَيِّدٍ مُتَفَضِّلِ
يجودُ إذا ضَنَّتْ قريشٌ برِفْدِها ... ويَسْبِقُها في كلِّ يومٍ تَفَضُّلِ
أَبوه أَبو العاصي إذا الحَرْبُ شَمَّرتْ ... مَراها بمَسْنونِ الغِرارَيْنِ مِنْجَلِ[6]
وَقُورٌ إذا هاجتْ به الحربُ مِرْجَمٌ ... صَبُورٌ عليها غيرُ نِكْسٍ مُهَلِّلِ[7]

---

1 السيف المقصل : القطاع .
2 النذيرة : طليعة الجيش التي تنذره .
3 مغول : شبه سيف قصير يشتمل به المرء تحت ثيابه أو هو سوط في جوفه سيف دقيق .
4 المثمل : السم الناقع .
5 البرج : الحصن . الناجية : الناقة السريعة ، والوجناء : الشديدة ، والعيهل : السريعة .
6 مسنون الغرارين : الرمح . والمنجل : الواسع الجرح من الأسنة .
7 المرجم من الرجال : الشديد . والمهلل : الجبان .

أَقـامَ لأَهــل الأَرضِ دِيــنَ محمدٍ وقــد أَدبَرُوا وارتـابَ كلُّ مُضَلَّلِ
فمـا زالَ حَتَّــى قَــوَّمَ الدِّينَ سَيْفُهُ وعَــزَّ بحَــزْمٍ كُلَّ قَــرْمٍ مُحَجَّلِ
وغـادَرَ أَهـلَ الشَّكِّ شَتَّى ، فمِنْهُمُ قَتِيلٌ ونــاجٍ فــوق أَجْــرَدَ هَيْكَلِ
نَجا مــن رماح القوم قُدْماً وقد بَدا تَباشِيــرُه في العــارِضِ المُتَهَلِّــلِ

قال عاصم : يعني بهذا المَدْح محمدَ بن مَروان لمّا قَتَل مُصْعَب بن الزُّبير بدَيْر الجاثَلِيقِ[1] . وكان محمد بن مروان يقوم بأَمْره ، ويُوَلِّيه الأعمالَ ، ويَشْفَع له إلى أَخيه عبد الملك .

[لامه ابن عم له في تبذيره]

أَخبرني محمد بن خَلَفٍ قال حدَّثنا أَحمد بن الهيثم قال حدَّثنا العُمَريّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال : قال عبد الله بن الحَشْرَج لابن عمٍّ له لامه في إنهاب مالِه وتَبذيره إيّاه ، وقال له فيما يقول : امرأَتُك كانت أَعلَم بك ، نَصَحَتْك فكافأْتها بالطلاق . فقال له : يا ابنَ عمّ ، إنّ المرأة لم تُخلَقْ للمَشُورة ، وإنّما خُلِقتْ وِثاراً للباءة[2] . ووالله إنّ الرُّشْد واليُمْنَ لفي خِلاف المرأة . يا ابن عمّ ، إيّاك واستماعَ كلامِ النساء والأَخْذَ بـه ؛ فإنّك إن أَخذتَ به نَدِمتَ . فقال له ابن عمّه : والله لَيُوشكنّ أَن تحتاج يوماً إلى بعض ما أَتلفتَ فلا تَقْدِر عليه ولا يُخْلِفه عليك هَنٌ وهَنٌ[3] . فقال ابن الحَشْرَج : [من الطويل]

وعاذلــةٍ هَبَّــتْ بلَيْــلٍ تَلُومُني وتَعْذُلُنــي فيمــا أُفِيــدُ وأَتْلِفُ
تَلَوَّمتُهــا حتّى إذا هــي أَكثرتْ أَتيتُ الذي كانت لَــدَيّ تَوَكَّفُ[4]
وقلتُ عليكِ الفَجَّ أَكثرتِ في النَّدى ومِثْــلي تَحاماه الأَلَــدُّ المُغَطْرِفُ[5]
أَبى لِيَ مــا قد سُمْتِني غيرُ واحدٍ أَبٌ وجُدودٌ مَجْدُها ليس يُوصَفُ
كُهــولٌ وشُبّانٌ مَضَوْا لِسَبِيلِهِمْ إذا ذُكِرُوا فالعــينُ مِنِّــي تَذْرِفُ
هُمُ الغيثُ إن ضَنَّتْ سماءٌ بقَطْرِها وعندهــمُ يرجــو الحَيــا مُتَلَهِّفُ
وحَرْبٍ يخافُ النَّاسُ شِدَّة عَرِّها تَظَلُّ بأَنــواع المَنِيّــةِ تَصْرِفُ[6]

1 دير الجاثليق : كان قرب بغداد ، غربي دجلة بين السّواد وأرض تكريت .
2 الوثار : الفراش الوطيء .
3 هن : كناية عن اسم الإنسان ، أي فلان وفلان .
4 تلومتها : أمهلتها . توكّف : توقّع .
5 المغطرف : المتكبّر المختال .
6 العر : الشرّ والأذى . تصرف : تصوّت .

حَمَوْها وقاموا بالسُّيوف لِحَمْيِها ... إذا فَنِيتْ أُضحتْ لهم وهْيَ تَعْصِفُ
فلمّا أَبَتْ إلاّ طِماحاً تَنَمَّرُوا ... بأَسيافِهِمْ والقومُ فيهم تَعَجْرُفُ[1]
فذَلَّتْ وأُعطتْ بالقِيادِ وأُذعنتْ ... إذا ما اشتَهى قومي وذُو الذُّلِّ يُنْصِفُ
وكانتْ طَمُوحَ الرَّأسِ يَصْرِف نابُها ... من الشَّرِّ تاراتٍ وطوراً تَقَفْقَفُ[2]
[فَلَمَّا امتَرَيْنا بالسُّيوفِ خُلوفَها ... تَأَبَّتْ علينا والأَسِنَّةُ تُرْعَفُ]
فدَرَّتْ طِباقاً وارعوتْ بعد جَهْلِها ... وكُنَّا رِماماً لِلَّذِي يَتَصَلَّفُ[3]

[ولامه ابن زوي في تبذيره]

قال : وقال عبد الله بن الحَشْرَج لِرفاعة بن زُوَيٍّ النهديّ فيما كان يلومُه فيه من التبذير والجود : [من الطويل]

أُلامُ على جُودِي وما خِلْتُ أَنَّني ... ببَذْلِي وجُودِي جُرْتُ عن مَنْهَج القَصْدِ
فيا لائِمي في الجُودِ أَقْصِرْ فإنَّني ... سأَبْذُل مالي في الرّخاء وفي الجَهْدِ
وجَدتُ الفَتى يَفْنى وتبقى فعالُه ... ولا شيءَ خيرٌ في الحديث من الحَمْدِ
وإنِّي وباللهِ احتيالي وحِرْفَتي ... أُصَيِّرُ جارِي بين أَحشاي والكَبْدِ
أَرى حَقَّه في الناسِ ما عِشْتُ واجباً ... عليَّ وآتِي ما أَتيتُ على عَمْدِ
وصاحبِ صِدْقٍ كان لي ففقدتُه ... وصَيَّرني دَهْرِي إلى مائِقٍ وَغْدِ[4]
يُلُومُ فَعالِي كلَّ يومٍ ولَيلةٍ ... ويعدو على الجيرانِ كالأَسَدِ الوَرْدِ
يُخالفُني في كلِّ حقٍّ وباطلٍ ... ويأنَفُ أَن يَمْشي على مَنْهَج الرُّشْدِ
فلمّا تَمادى قلتُ غيرَ مُسامِحٍ ... له : النَّهْجَ فارْكَبْ يا عَسِيف بني نَهْدِ[5]

[مدحه زياد الأعجم فوصله]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيلَ العَتَكيّ قال حدَّثنا ابن عائشة قال : وَفَد زِيادٌ الأَعْجَمُ على عبد الله بن الحَشرج الجَعديّ وهو بسابور[6] أميرٌ عليها ،

1 التعجرف : ركوب الأمر لا تروّي فيه .
2 تقفقف : ارتعد .
3 طباقاً : دفعات متوالية . الرمام : جمع رُمة وهي قطعة يشدّ بها الأسير ويقلد بها البعير .
4 المائق : الأحمق .
5 العَسِيف : الأجير ، والعبد المستهان به .
6 سابور : كورة مشهورة بأرض فارس .

فأمر بإنزالِهِ وألْطَفَه وبَعَث إليه ما يحتاج إليه . ثم غَدا عليه زيادٌ فأنشده : [من الكامل]

إنَّ السَّماحةَ والمُروءة والنَّدى في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابن الحَشْرَجِ
مَلِكٌ أَغَرُّ مُتَوَّجٌ ذو نائلٍ للمُعْتَفِينَ يَمِينُه لم تَشْنَجِ[1]
يا خَيْرَ مَنْ صَعِدَ المنابِرَ بالتُّقى بعدَ النبيِّ المصطفى المُتَحَرِّجِ
لَمّا أَتيتُكَ راجياً لِنَوالِكُمْ ألفيتُ بابَ نَوالِكُمُ لم يُرْتَجِ

قال : فأمر له بعشرة آلاف درهم .

وقد قيل : إنّ الأبياتَ التي ذكرتُها وفيها الغناءُ ونسبتُها إلى عبد الله بن الحَشرج لغيره . والقول الأصحّ هو الأوّل . أخبرني بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدَّثنا العُمَريّ عن هشام بن الكلبيّ : أنّه سمع أبا باسِلٍ الطائيّ يُنْشِد هذا الشعر ، فقلت : لَمَن هو ؟ فقال : لِعمِّي عَنترة بن الأخْرَس ؟ قال : وكان جدّي أخرسَ ، فوُلِد له سبعةٌ أو ثمانيةٌ كلُّهم شاعر أو خطيب . ولعلّ هذا من أكاذيب ابن الكلبيّ ، أو حكاه عن رجل ادّعى فيه ما لا يعلَم .

صوت

[من الطويل]

أَصاحِ أَلا هَلْ من سبيلٍ إلى نَجْدِ ورِيحِ الخُزامى غَضَّةً من ثَرَى جَعْدِ
وهل لِلَيالِينا بِذِي الرَّمْثِ مَرْجِعٌ فنَشْفي جَوى الأَحزانِ من لاعِجِ الوَجْدِ[2]

عروضه من الطويل . الشعر للطِّرِمَّاح بن حَكِيم . والغناء ليحيى المكيّ ، ثقيلٌ أوّل بالبنصر من كتابه .

1 شنجت يده : تقبضت ، كناية عن البخل .
2 ذو الرمث : واد لبني أسد .

[199] ـ أخبار الطّرمّاح ونسبه[1]

[نسبه]

هو الطِّرِمّاح بن حَكيم بن الحَكَم بن نَفْرِ بن قَيس بن جَحْدَر بن ثعلبة بن عبد رِضا بن مالك بن أَمان بن عَمرو بن ربيعة بن جَرْوَل بن ثُعَلَ بن عَمرو بن الغَوث بن طيىء . ويُكنى أبا نَفْرِ ، وأبا ضَبِينة . والطِّرِمّاح : الطويل القامة . وقيل : إنّه [كان] يُلقَّب الطّرّاح . أخبرني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثني عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه قال : كان الطِّرِمّاح بن حكيم يُلقَّب الطّرّاح لقوله : [من الطويل]

[صوت]

أَلا أيُّها الليلُ الطويــلُ أَلاَّ ارْتَحِ ... بصُبْحٍ وما الإصباحُ منكَ بأَرْوَحِ[2]

بَـلى إنّ للعينين في الصُّبْحِ راحةً ... بِطَرْحِهِما طَرْفَيْهِمـا كلَّ مَطْرَحِ[3]

في هذين البيتين لأحمد بن المكيّ ثقيلٌ أولُ بالوسطى من كتابه .

والطِّرِمَّاح من فُحول الشعراء الإسلاميين وفُصحائهم . ومنشؤه بالشام ، وانتقل إلى الكوفة بعد ذلك مع مَن وَرَدها من جيوش أَهل الشام ، واعتقد مذهب الشُّراة الأَزارقة .

[كيف دخل في مذهب الشراة]

أَخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا عمر بن شَبّة عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : قَدِم الطِّرِمّاح بن حَكيم الكوفة ، فنزل في تَيْم اللاّتِ بن ثعلبة ، وكان فيهم شيخٌ من الشُّراة له سَمْتٌ وهيئة ، وكان الطِّرِمّاح يُجالسه ويسمع منه ، فرسَخ كلامُه في قلبه ، ودعاه الشيخ إلى مذهبه ، فقبِله واعتقده أشدَّ اعتقادٍ وأصحَّه ، حتى مات عليه .

أخبرني ابن دُرَيْد قال حدّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال قال رؤبة : كان الطِّرِمّاح والكُميت يصيرانِ إليّ فيَسْألاني عن الغريب فأُخبِرهما به ، فأراه بَعْدُ في أشعارهما .

[غريب شعره]

أَخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال سمعت محمد بن حبيب يقول : سألتُ ابنَ الأعرابيّ

---

1 انظر أخباره في الاشتقاق : 234 والمؤتلف : 148 والعيني 2 : 276–278 وفي مقدمة ديوانه تحقيق عزة حسن : 7–12 ، وجمهرة أنساب العرب : 402–403 .

2 ألاّ ارتح في الديوان 96 : ألا اصبحي . وبصبحٍ في الديوان 96 : ببمٍّ ، وبمّ : مدينة بكرمان .

3 بلى إن في الديوان 96 : على أنّ .

عن ثماني عشرة مسألةً كلُّها من غريب شعر الطِّرِمّاح ، فلم يَعرف منها واحدةً ، يقول في جميعها : لا أدري ، لا أدري .

[صداقة الطِّرِمّاح والكميت]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدَّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنا إبراهيم بن أيّوب قال حدَّثنا ابن قُتَيبة ، قالا : كان الكُمَيت بن زيد صديقاً للطِّرِمّاح ، لا يَكادان يفترقان في حالٍ من أحوالهما . فقيل للكميت : لا شيء أعجبُ من صفاء ما بينك وبين الطِّرِمّاح على تباعُد ما يَجمَعُكما من النَّسب والمَذهب والبلد : هو شآميّ قَحْطانيّ شارِيٌّ ، وأنت كوفيٌّ نِزاريٌّ شِيعِيٌّ ، فكيف اتَّفقتما مع تَباين المذهب وشدّة العصبيّة ؟ فقال : اتَّفقنا على بُغض العامّة .

قال : وأنشِد الكميت قول الطِّرِمّاح : [من الطويل]

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمَّـاحِ أخْلقـتْ عُرى المَجْدِ واسْتَرْخى عِنانُ القصائدِ

فقال : إي والله ، وعِنانُ الخَطابةِ والرواية والفصاحة والشجاعة . وقال عمر بن شَبّة : «والسماحة» مكان «الشجاعة» .

[وفد على مخلد بن زياد ومعه الكميت]

نسختُ من كتاب جَدّي لأمّي يحيى بن محمد بن ثَوابة ، رحمه الله تعالى ، بخطّه قال حدَّثني الحسن بن سعيد عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : وَفَد الطِّرِمَّاح بن حكيم والكُمَيت بن زيد على مَخْلَد بن يزيد المهلَّبيّ ، فجلس لهما ودعاهما . فتقدّم الطِّرِمّاح لِيُنشِد ؛ فقال له : أنْشِدنا قائماً . فقال : كلاَّ والله ، ما قَدْرُ الشعرِ أن أقوم له فيَحُطَّ منّي بقيامي وأَحُطّ منه بضراعتي ، وهو عمود الفخر وبيت الذِّكر لمآثر العرب . قيل له : فتَنَحَّ . ودُعِي بالكميت فأنشد قائماً ، فأمر له بخمسين ألف درهم . فلمّا خرج الكُميت شاطَرها الطِّرِمّاح ، وقال له : أنت أبا ضَبِينة أبعدُ هِمّة وأنا ألطَف حِيلةً . وكان الطِّرِمّاح يُكْنى أبا نَفْرٍ وأبا ضَبِينة .

[هو والكميت وذو الرمّة في مسجد الكوفة]

ونسخت من كتابه رضي الله عنه : أخبرني الحسن بن سعيد قال أخبرني ابن عَلاَّق قال أخبرني شيخٌ لنا أنَّ خالد بن كلثوم أخبره قال : بينا أنا في مسجد الكوفة أريد الطِّرِمّاح والكميت وهما جالسان بقُرب باب[1] الفيل ، إذ رأيتُ أعرابيّاً قد جاء يَسحب أهداماً[2] له ، حتى إذا توسَّط المسجدَ خَرّ ساجداً ، ثم رمى ببصره فرأى الكميتَ والطِّرِمّاح فقصدهما .

1 باب الفيل : موضع بالكوفة .

2 الأهدام : جمع هِدم وهو الثوب البالي المرقع .

فقلتُ : مَن هذا الحائن[1] الذي وقع بين هذين الأسدين ! وعَجِبتُ من سجدته في غير موضع سُجود وغيرِ وقت صلاة . فقصدتُه ، ثم سلّمت عليهم ثم جلست أمامهم . فالتفتَ إلى الكُمَيت فقال : أسْمعْني شيئاً يا أبا المُستَهِلّ ؛ فأنشده قوله : [من المتقارب]

أبتْ هذِهِ النَّفْسُ إلاّ ادِّكارا

حتى أتى على آخرها . فقال له : أحسنتَ والله يا أبا المستهلّ في ترقيص هذه القوافي ونَظْمِ عِقْدِها . ثم التفتَ إلى الطِّرِمّاح فقال : أسمِعني شيئاً يا أبا ضَبِينة ، فأنشده كلمته التي يقول فيها : [من الطويل]

أساءَكَ تقويضُ الخَلِيطِ المُباينِ نَعم والنَّوى قَطَّاعةٌ للقَرائِنِ[2]

فقال : للهِ دَرُّ هذا الكلام ! ما أحسَنَ إجابته لرَوِيَّتِكَ ! إنْ كِدتُ لأُطِيلُ لك حسداً . ثم قال الأعرابيّ : والله لقد قلتُ بعدكما ثلاثة أشعار ، أمّا أحدها فكِدْتُ أطير به في السماء فرحاً . وأمّا الثاني فكدتُ أدَّعِي به الخلافة . وأمّا الثالث فرأيت رقصاناً استفَزَّني به الجَذَلُ حتّى أتيتُ عليه . قالوا : فهاتِ ؛ فأنشدهم [قوله] : [من البسيط]

أإنْ تَوَهَّمْتَ منْ خَرْقاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ من عينيك مسجومُ[3]

حتّى إذا بلغ قوله :

تَنْجُو إذا جَعَلتْ تَدْمى أخِشَّتُها وابْتَلَّ بالزَّبَدِ الجَعْدِ الخَراطِيمُ[4]

قال : أعلمتم أنّي في طلب هذا البيت منذ سنةٍ ، فما ظَفِرتُ به إلاّ آنِفاً ، وأحْسِبكم قد رأيتم السجدة له . ثم أسمعهم قولَه : [من البسيط]

ما بالُ عينِك منها الماءُ يَنْسَكِبُ

ثم أنشدهم كلمته الأخرى التي يقول فيها : [من الطويل]

إذا اللَّيْلُ عن نَشْزٍ تَجَلَّى رَمَيْنَهُ بأمثالِ أبصارِ النِّساء الفَوارِكِ

قال : فضرب الكُمَيت بيده على صدر الطِّرِمّاح ، ثم قال : هذه والله الدِّيباجُ لا نَسْجي ونسجك الكرابيس[5] . فقال الطِّرِمّاح : لن أقول ذلك وإن أقررتُ بجَودته . فغضب ذو الرُّمّة

1 الحائن : الهالك ، وكل ما لم يوفق للرشاد فهو حائن .

2 التقويض : نزع القوم أعواد خيامهم وأطنابها . والخليط هنا : القوم الذين أمرهم واحد .

3 مسجوم : مصبوب .

4 تنجو : تسرع . والأخشّة : جمع خِشاش وهو الحلقة التي توضع في أنف البعير ليجذب بها . والجعد من الزبد : الثخين الغليظ .

5 الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب غليظ من القطن .

وقال : يا طرِمّاح ! أأنت تُحسن أن تقول : [من الطويل]

وكائنْ تَخطَّتْ ناقتي من مَفازةٍ إليكَ ومِنْ أحواضِ ماءٍ مُسَدَّمِ[1]
بأعْقارِهِ القِرْدانُ هَزْلى كأنَّها نَوادِرُ صِيصاء الهَبيدِ المُحَطَّمِ[2]

فأصغى الطِّرِمّاح إلى الكميت وقال له : فانظُرْ ما أخذ من ثواب هذا الشعر ؛ قال : وهذه قصيدةٌ مدح بها ذو الرُّمَّة عبد الملك ، فلم يمدحه فيها ولا ذَكَره إلاّ بهذين البيتين ، وسائرُها في ناقته . فلمّا قدِم على عبد الملك بها أنشده إيّاها . فقال له : ما مدحتَ بهذه القصيدة إلاّ ناقتك ، فخُذْ منها الثَّوابَ . وكان ذو الرُّمّة غيرَ محظوظ من المديح ، قال : فلم يَفهم ذو الرمّة قول الطِّرِمّاح للكميت . فقال له الكميت : إنّه ذو الرمّة وله فضلُه ، فأعْتِبْه[3] . فقال له الطِّرِمّاح : معذرةً إليك ؛ إنّ عِنان الشِّعر لَفي كَفِّك ، فارجعْ مُعْتَباً ، وأقول فيك كما قال أبو المستهلّ .

[مرّ الطرماح يخطر بمسجد البصرة فسأل عنه رجل فأنشد هو شعراً]

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن يحيى الصُّوليّ قالا حدَّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزيّ قال حدَّثني محمد بن إبراهيم بن عبّاد قال حدَّثني أبو تَمّام الطائيُّ قال : مَرّ الطِّرِمّاح بن حكيم في مسجد البصرة وهو يخطر في مشيته . فقال رجل : مَن هذا الخطّار ؟ فسمِعه فقال : أنا الذي أقول : [من الطويل]

صوت

لقد زادَني حُبّاً لِنَفْسِيَ أنّني بَغِيضٌ إلى كلِّ امرىءٍ غيرِ طائِلِ[4]
وأنّي شَقِيٌّ باللِّئام ولا ترى شقيّاً بهم إلاّ كريمَ الشمائِلِ
إذا ما رآني قطَّع اللحظَ بينه وبينيَ فعلَ العارِفِ المُتَجاهِلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتى كأنّها من الضِّيق في عينيه كِفَّةُ حابِلِ[5]

في هذه الأبيات لأبي العَنْبَس بن حمدون خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

[قصته مع خالد القسري حين وفد عليه بمدح]

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وَكيع قال أخبرنا إسماعيل بن مُجَمِّع قال حدَّثنا هشام بن محمد قال

---

1 الماء المسدم : المتغير لطول العهد .
2 الأعقار : جمع عقر . وعقر الحوض : مؤخّره حيث تقف الإبل إذا وردت . والأعطان : مبارك الإبل . والهبيد : حب الحنظل . والصيصاء : الضاوي الهزيل منه .
3 أعتبه : أرضاه وأزال عتبه .
4 رجل غير طائل : أي دون خسيس .
5 كفة الصائد : حبالته ، أي مصيدته .

أخبرنا ابن أبي العَمَرَّطةَ الكِنديّ قال : مدَح الطِّرِمّاح خالد بن عبد الله القسريّ ، فأقبلَ على العُريان[1] بن الهيثم فقال : إنّي قد مدحتُ الأمير فأُحِبّ أن تُدْخِلَني عليه . قال : فدخلَ إليه فقال له : إنّ الطِّرِمّاح قد مدحك وقال فيك قولاً حسناً . فقال : ما لي في الشعر من حاجةٍ . فقال العُرْيان للطِّرِمّاح : تَراءَ له . فخرج معه ، فلمّا جاوز دارَ زيادٍ وصعِد المُسَنّاة[2] إذا شيءٌ قد ارتفع له ، فقال : يا عُريان انظُر ، ما هذا ؟ فنظر ثم رجع فقال : أصلحَ الله الأمير ، هذا شيءٌ بعث به إليك عبد الله بن أبي موسى من سجِسْتان ؛ فإذا حُمُرٌ وبغال ورجالٌ وصبيانٌ ونساءٌ . فقال : يا عريان ، أين طِرِمّاحُك هذا ؟ قال : هاهنا . قال : أعْطِه كلَّ ما قُدِم به . فرجع إلى الكوفة بما شاء ولم يُنْشِده . قال هشام : والطِّرِمّاح : الطويل .

[سمع بيتاً لكثير في عبد الملك فقال لم يمدحه بل موّه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دُريد قال حدَّثنا أبو حاتم قال حدَّثني الحَجَّاجيّ قال : بلغني أنّ الطِّرِمّاح جلس في حلقةٍ فيها رجلٌ من بني عَبس ، فأنشد العبسيُّ قول كُثَيِّرٍ في عبد الملك رحمه الله : [من الطويل]

فكنتَ المُعَلَّى إذ أُجِيلتْ قِداحُهُم وجـال المَنِيحُ وَسْطَهـا يَتَقَلْقَلُ[3]

فقال الطِّرِمّاح : أما إنّه ما أراد به أنّه أعلاهم كعباً ، ولكنّه موَّه عليه في الظاهر وعنى في الباطن أنّه السابع من الخُلفاء الذين كان كثيِّر لا يقول بإمامتهم ؛ لأنّه أخرج عليّاً عليه السلام منهم ، فإذا أخرجه كان عبد الملك السابع ، وكذلك المُعلَّى السابعُ من القِداح ؛ فلذلك قال ما قاله . وقد ذكر ذلك في موضع آخر فقال : [من المتقارب]

وكان الخَلائِـفُ بعـدَ الرَّسُو لِ للهِ كُـلُّهـمُ تابِعـا
شهيدانِ مـن بعـد صِدِّيقِهِمْ وكان ابنُ حَرْبٍ لهم رابِعـا
وكان ابنُـه بعـدَه خامساً مُطِيعـاً لِمَـن قبلَـه سامِعـا
ومَرْوانُ سادِسُ مَنْ قد مَضى وكان ابنُـه بعـدَه سابعـا

قال : فَعجِبْنا من تنبُّه الطِّرِمّاح لمعنى قولِ كُثَيِّر ، وقد ذهب على عبد الملك فظنَّه مدحاً .

[فضله أبو عبيدة والأصمعيّ ببيتين له]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسّان دَماذ قال : كان أبو عبيدة والأصمعيّ

1 كان العريان بن الهيثم بن الأسود النخعيّ أحد أشراف العراق المقدمين حين كان خالد القسري أميراً على العراق .
2 المسناة : الأحباس تبنى في وجه السّيل .
3 المعلى من القداح ، له أكبر نصيب من أنصبة قداح الميسر ، وهي عشرة . والمنيح : قدح منها لا نصيب له .

يفضّلان الطِّرِمّاح في هذين البيتين ، ويزعُمان أنّه فيهما أشعرُ الخَلْق : [من الكامل]

مُجْتابُ خُلَّة بُرْجُدٍ لِسَراته قِدَدا وأَخْلَفَ ما سَواه البُرْجُدُ[1]

يبدو وتُضْمِرُه البِلادُ كأنّه سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ

[أثنى أبو نواس على بيت له]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ قال قال أبو نواس : أشعرُ بيتٍ قيل بيتُ الطِّرِمّاح : [من الطويل]

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمّاح أَخْلَقَتْ عُرى المجدِ واسْتَرْخى عِنانُ القصائدِ

[مناقضة بينه وبين حميد اليشكري]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبي عبيدة قال : فَضَّل الطِّرِمّاح بني شَمْخ[2] في شعره على بني يَشْكُرَ ؛ فقال حُمَيد اليشكريّ : [من الوافر]

أَتَجْعَلُنا إلى شَمْخ بن جَرْمٍ ونَبْهانٍ فَأُفٌّ لذا زَمانا

ويومَ الطَّالَقانِ حَماك قَومي ولم تَخْضِبْ بها طَيٌّ سِنانا[3]

فقال الطِّرِمّاح يُجيبُه : [من الوافر]

لقد عَلِم المُعَذَّلُ يومَ يدعو بِرِمْثَةَ يومَ رِمْثَةَ إذ دعانا[4]

فوارسُ طَيِّءٍ مَنَعُوه لَمّا بكى جَزَعاً ولولاهم لَحانا[5]

فقال رجلٌ من بني يَشكر : [من البسيط]

لأَقْضِيَنّ قضاءً غيرَ ذي جَنَفٍ بالحقِّ بين حُمَيْدٍ والطِّرِمّاحِ

جَرى الطِّرِمّاحُ حتّى دَقّ مِسْحَلَهُ وغُودِرَ العبدُ مقروناً بوَضّاحِ[6]

يَعْني رجلاً من بني تميم كان يُهاجي اليشكريّ .

[شعر له في الشراة]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال قال الأصمعيّ قال خَلَفٌ : كان

---

1 مجتاب خلة : لابسها . والسّراة : الظهر . والبُرجد : كساء من صوف أحمر وقيل كساء مخطّط ضخم . والقدد جمع قِدة وهي القطعة من الشيء .

2 شمخ ابن جرم ونبهان : بطنان من طيء .

3 الطالقان : اسم بلدتين ، إحداهما بخراسان بين مرو والروذ وبلخ ، والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وأبهر .

4 رمثة : ماء ونخل لبني ربيعة باليمامة .

5 حان : هلك .

6 المسحل : اللجام .

الطِّرِمّاح يَرى رأيَ الشُّراة ، ثم أنشَد له : [من المنسرح]

للهِ دَرُّ الشُّـراةِ إنّهـــــمُ إذا الكَرى مالَ بالطُّلى أَرِقُوا[1]
يُرَجِّعــون الحَنِــينَ آونــةً وإن عَـلا ساعةً بهـم شَهَقوا
خوفــاً تبيتُ القلوبُ واجفةً تكاد عنهــا الصـدورُ تَنْفَلِقُ
كيف أُرَجِّــي الحياةَ بعدهُمُ وقــد مضى مُؤنِسيَّ فانطلَقوا
قَــومٌ شِحاحٌ على اعتقادِهمُ بالفَوْزِ ممّــا يُخافُ قد وَثِقوا

[أنشد خالداً القسريّ شعراً في الشكوى فأجازه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال أخبرنا أبو عثمان عن التَّوَّزِيّ عن أبي عبيدة عن يونس قال : دخل الطِّرِمّاح على خالد بن عبد الله القَسْرِيّ فأنشده قولَه : [من الطويل]

وشيَّبَني مـا لا أزالُ مُناهِضاً بغيرِ غِنًـى أَسْمُو بـه وأَبوعُ[2]
وأنّ رجالَ المال أَضحَوْا ومالُهُمُ لهـم عند أبوابِ الملوكِ شَفِيعُ
أمُخْترمي رَيْبُ المَنُونِ ولَم أَنَلْ منَ المالِ ما أَعْصي بـه وأُطِيعُ

فأمر له بعشرين ألفَ درهم وقال : امْضِ الآن فاعْصِ بها وأَطِعْ .

[قال المفضل : كأنّه يوحى إليه ، في الهجاء]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرويه قال حدَّثنا حُذَيفة بن محمد الكوفيّ قال قال المُفَضَّل : إذا رَكِب الطِّرِمّاح الهجاءَ فكأنّما يُوحى إليه ، ثم أنشد له قوله : [من البسيط]

لــو حــانَ وِرْدُ تَميم ثم قيل لها حوضُ الرَّسولِ عليه الأَزْدُ لم تَرِدِ
أَوْ أنــزلَ اللهُ وحيــاً أنْ يُعَذِّبَها إن لم تَعُــدْ لِقتالِ الأَزْدِ لم تَعُدِ
لا عَزّ نَصْرُ امرىءٍ أَضْحى له فرسٌ على تميمٍ يُريــد النصرَ مــن أَحَدِ
لو كان يَخْفى على الرحمنِ خافيةٌ من خلقِــه خَفِيتْ عنــه بنو أَسَدِ

[افتقده بعض صحبه فلم يرعهم إلاّ نعشه]

أخبرني إسماعيل بن يونس قال أخبرنا عُمَر بن شَبّة قال حدَّثني المدائنيّ قال حدَّثني ابنُ دأبٍ عن ابن شُبْرُمَةَ ، وأخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال أخبرني أبي قال حدَّثني

1 الطُّلى : الأعناق ، واحد طُلْية .
2 في الديوان 314 : «أنْ لا أزال» . أبوع : يبوع : يمدّ باعه .

الحسنُ بن عبد الرحمن الرَّبَعيّ قال حدَّثني محمد بن عِمران قال حدَّثني إبراهيم بن سَوَّار الضَّبِّيّ قال حدَّثني محمد بن زيادٍ القُرشيّ عن ابن شُبرُمَةَ قال : كان الطِّرِمّاح لنا جليساً فَفَقَدْناه أيّاماً كثيرة ، فقُمْنا بأجمعنا لننظرَ ما فَعَلَ وما دهاه . فلمّا كنّا قريباً من منزله إذا نحن بنَعْشٍ عليه مُطْرَفٌ أخضرٌ ، فقلنا : لِمَن هذا النعش ؟ فقيل : هذا نعش الطِّرِمّاح . فقلنا : والله ما استجاب الله له حيث يقول : [من الطويل]

وإنّـي لَمُقْتـادٌ جَـوادِي وقاذِفٌ ... به وبنَفْسي العامَ إحـدى المَقاذِفِ
لأَكسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غنًى ... منَ اللهِ يَكْفِيني عِـداتِ الخَلائِفِ
فَيا رَبِّ إنْ حانَتْ وفاتي فلا تَكُنْ ... على شَرْجَعٍ يُعْلى بخُضْرِ المَطارِفِ[1]
ولكـنّ قَبْري بطـنُ نَسْرٍ مَقِيلُه ... بجَوّ السماءِ في نُسورٍ عَواكِفِ[2]
وأمْسي شهيداً ثاويـاً في عِصابةٍ ... يُصابُونَ في فَجٍّ من الأرضِ خائِفِ[3]
فَوارِسُ مـن شَيْبانَ ألَّفَ بينهُمْ ... تُقى اللهِ نَزّالونَ عنـد التَّزاحُفِ
إذا فارقوا دُنياهُمُ فارقوا الأذى ... وصاروا إلى مِيعاد ما في المَصاحِفِ[4]

صوت

[من البسيط]

هل بالدِّيارِ التي بالقاع منْ أَحَدِ ... باقٍ فَيَسْمَعَ صوتَ المُدْلِجِ السَّارِي
تلك المنازِلُ من صَفْراءَ ليس بهـا ... حـيٌّ يُجِيبُ ولا أَصواتُ سُمَّارِ

الشعر لبيْهَسٍ الجَرْميّ . والغناء لابن محرزٍ ثاني ثقيل بالبِنصر ، عن عمرو وقال : ذكر ذلك يحيى المكيّ ، وأظنّه من المنحول . وفيه لطيّاب بن إبراهيم الموصليّ خفيفٌ ثقيل ، وهو مأخوذ من لحن ابن صاحِبِ الوَضُوء :

ارْفَعْ ضَعِيفَك لا يَحُرْ بك ضَعْفُهْ

1 شرجع : النعش . بخضر في الديوان 333 : بدُكن .
2 ولكن قبري في الديوان 336 : ويصبح قبري .
3 الشطر الأول من البيت في الديوان 334 : «ولكن أَحِنْ يومي شهيداً وعصبته» .
4 في الديوان 334 : موعود .

[200] ـ أخبار بيهس ونسبه

[نسبه]

هو بَيْهس بن صُهَيب بن عامر بن عبد الله بن ناتل بن مالك بن عُبَيد بن عَلقمة بن سَعْد بن كَثِير بن غالِب بن عَدِيّ بن سُمَيْس بن طَرود بن قُدامة بن جَرْم بن ربَّان بن حُلْوان بن عِمران بن إلحاف بن قُضاعة ، شاعرٌ فارسٌ من شعراء الدولة الأمويّة . وكان يبدو بنواحي الشام مع قبائل جَرْمٍ وكَلْبٍ وعُذْرة ، ويحضُر إذا حَضَروا فيكون بأجناد الشام .

[اتّهم بقتل غلام من قيس فاستجار بمحمد بن مروان]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : لمّا هدأتِ الفِتنةُ بعد وقعة مَرج [راهِطٍ] وسكن الناس ، مرَّ غلامٌ من قيسٍ بطوائفَ من جَرْم وعُذْرةَ وكلْبٍ ، وكانوا مُتَجاورين على ماءٍ هناك لهم . فيُقال : إنّ بعض أحداثهم نَخَس به ناقته فألقته ، فاندقّت عُنقه فمات . واستعدى قومُه عبد الملك بن مروان ، فبعث إلى تلك البطون مَن جاءه بوجوههم وذوي الأخطار منهم ، فهَرَب بَيْهَسُ بن صُهَيْب الجَرْميّ ، وكان قد اتُّهم بأنّه هو الذي نخس به ، فنزل بمحمد بن مروان واستجارَ به ، فأجارَه إلاّ من حَدٍّ تُوجبه عليه شهادةٌ ، فَرَضي بذلك .

صوت

[من الطويل]

أَلا يا حَماماتِ اللِّوى عُدْنَ عودةً ... فإنِّي إلى أَصواتِكُنَّ حَرِينُ
فعُدْنَ فلمّا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنني ... وكِدْتُ بأَسْرارِي لَهُنَّ أُبِينُ
دَعَوْنَ بأَصواتِ الهَدِيلِ كأَنّما ... شَرِبْنَ حُمَيّا أَوْ بِهِنّ جُنُونُ
فلَمْ تَرَ عيني مِثْلَهُنّ حمائماً ... بَكَيْنَ ولَم تَدْمَعْ لَهُنّ شؤُونُ

الشعر لأعرابيّ ، هكذا أنشدْناه جعفر بن قدامة عن أحمد بن حمدون عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل . والغناء لمحمد بن الحارث بن بُسخُنّر خفيف رملٍ بالوسطى عن الهشاميّ . وقد قيل : إنّ الشعر لابن الدُّمَينة .

[201] ـ أخبار محمد بن الحارث بن بسخنَّر

[نسبه وبعض أخباره]

هو محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ، ويُكْنى أبا جعفر . وهم ، فيما يزعمون ، مَوالي المنصور . وأحسبه ولاءَ خِدْمةٍ لا ولاءَ عِتْق . وأصلُهم من الرَّيِّ . وكان محمد يزعم أنّه من ولد بَهْرام چُوبين[1] . وولِد محمدٌ بالحِيرة . وكان يُغنِّي مُرتجلاً ، إلاّ أنّ أصل ما غنّى عليه المِعْزَفة ، وكانت تُحْمَلُ معه إلى دار الخليفة . فمرّ غلامه بها يوماً ، فقال قوم كانوا جلوساً على الطريق : مع هذا الغلام مِصيدة الفأر ، وقال بعضهم : لا ، بل هي مِعْزَفةُ محمد بن الحارث . فحلَف يومئذٍ بالطلاق والعِتاق ألاّ يُغنِّي بمِعزفة أبداً أنفةً من أن تشتبه آلةٌ يغنِّي بها بمِصيدة الفأر . وكان محمد أحسن خَلْقِ الله تعالى أداءً وأسرعَه أخذاً للغناء . وكان لأبيه الحارث بن بُسْخُنَّر جَوار مُحسِنات . وكان إسحاق يرضاهنّ ويأمرهنّ أن يَطرَحن على جواريه . وقال يوماً للمأمون وقد غنَّى مُخارق بين يديه صوتاً فالتاث[2] غناؤه فيه وجاء به مُضْطرباً ، فقال إسحاق للمأمون : يا أمير المؤمنين ، إنّ مخارقاً قد أعجبه صوته وساء اداؤُه في غنائه ، فمُرْه بمُلازمةِ جَواري الحارث بن بُسْخُنَّر حتى يعود إلى ما تريد .

[هو أفضل من أخذ عن إسحاق أصواتاً]

أخبرني جحظة قال حدَّثني أبو عبد الله الهشاميّ قال : سمعتُ إسحاق[3] بن إبراهيم بن مُصعب يقول للواثق : قال لي إسحاق بن إبراهيم الموصليّ : ما قَدَر أحدٌ قطُّ أن يأخذ منّي صوتاً مستوياً إلاّ محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر ؛ فإنّه أخذ منّي عدّة أصوات كما أُغنِّيها . ثم لم نلبَث أن دخل علينا محمد بن الحارث . فقال له الواثق : حدَّثني إسحاق بن إبراهيم عن إسحاق الموصليّ فيك بكذا وكذا . فقال : قد قال إسحاق ذاك لي مرّات . فقال له الواثق : فأيّ شيءٍ أخذت من صنعته أحسنَ عندك ؟ فقال : هو يزعمُ أنّه لم يأخذ منه أحدٌ قطّ هذا الصوت كما أخذتُه منه : [من الطويل]

---

1 من ملوك الفرس في أواخر القرن السادس الميلادي .

2 التاث هنا : اختلط .

3 كان إسحاق حاكم بغداد في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

صوت

إذا المَرْءُ قاسى الدَّهْرَ وابيَضَّ رأسُه وثُلِّـــم تَثْلِيـــمَ الإنـــاء جَوانِبُهْ
فليس له في العيش خيرٌ وإنْ بكـى على العيشِ أو رجَّى الذي هو كاذِبُهْ

الشعر والغناء لإسحاق ، ولحنه فيه رَمَلٌ بالوسطى ، فأمره الواثق بأن يُغَنِّيه ، فغنَّاه [إيّاه] وأحسنَ ما شاء وأجاد . واستحسنه الواثق وأمَره بأنْ يُردِّده ، فردَّده مراراً كثيرةً ، حتى أخذه الواثق وأخذه جَواريه والمُغنُّون . قال جحظة قال الهشاميّ فحدَّثتُ بهذا الحديث عمرَو بن بانة فقال : ما خَلَقَ الله تعالى أحداً يُغَنِّي هذا الصوت كما يُغنِّيه هِبة الله بن إبراهيم بن المَهدِيّ . فقلت له : قد سمعتَ ابن إبراهيم يُغنّيه ، فاسمَعْه من محمد ثم احْكُم . فلَقِيَني بعد ذلك فقال : الأمرُ كما قلتَ ، قد سمِعتُه من محمد فسَمِعتُ منه الإحسان كلَّه .

[ردّد صوتاً لجارية كان يحبّها]

أخبرني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كنتُ يوماً في منزلي ، فجاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر مُسَلِّماً وعائداً من عِلةٍ كنتُ وجدتها ؛ فسألته أن يُقيم عندي ففعل ، ودعوتُ بما حَضَر فأكلنا وشَرِبنا ، وغنّى محمد بن الحارث هذا الصوت : [من الطويل]

صوت

أمِنْ ذِكْرِ خَوْدٍ عينُك اليومَ تَدْمَعُ وقلبُـكَ مشغـولٌ بخَوْدِكَ مُولَعُ
وقائلـةٍ لي يـومَ ولَّيْتُ مُعْرِصا أهذا فِراقُ الحِبِّ أمْ كيف تَصْنَعُ
فقلتُ كَذاكِ الدَّهْرُ يا خَوْدُ فاعلَمي يُفَـرِّقُ بـين الناسِ طُرّاً ويَجْمَعُ

أصل هذا الصوت يمانٍ هزج بالوسطى . قال الهشاميّ : وفيه لفُلَيْح ثاني ثقيلٍ ، ولإسحاق خفيف رملٍ . قال عليّ بن يحيى : فقلتُ له وقد ردّد هذا الصوت مراراً وغنّاه أشْجى غِناءٍ : إنّ لك في هذا الصوت معنى ، وقد كَرَّرْتَه من غير أن يقترحه عليك أحد . فقال : نعم هذا صوتي على جاريةٍ من القِيانِ كنتُ أُحِبُّها وأخذته منها . فقلت له : فلِمَ لا تُواصلها ؟ فقال : [من السريع]

لـو لَمْ أَنِكْها دام لي حُبُّها لكِنَّنِـي نِكْتُ فـلا نِكْتُ

فأجبتُه فقلت : [من البسيط]

أكثرتَ من نَيْكِها والنَّيْكُ مَقْطَعةٌ فارْفُقْ بِنَيْكِكَ إنّ الرِّفْـقَ محمودُ

[أخذ جواري الواثق منه غناء أخذه من إسحاق]

وأخبرني جعفر بن قُدامة عن عليّ بن يحيى أنّ إسحاق غنّى بحضرة الواثق لحنه : [من الطويل]

ذَكَرْتُكِ إذ مَـرَّتْ بِنا أُمُّ شادِنٍ أَمـامَ المَطايـا تَشْرئبُّ وتَسْنَحُ[1]
من المُؤْلِفاتِ الرَّمْـلَ أدمـاءُ حُرَّةٌ شُعاعُ الضُّحى في مَتْنِها يَتَوَضَّحُ[2]

والشعر لذي الرُّمّة . ولحن إسحاق فيه ثقيلٌ أوّلُ ، فأمره الواثق أن يُعِيدَه على الجواري ، وأحلفَه بحياته أن ينصَح فيه . فقال : لا يستطيع الجواري أن يأخُذْنَه منّي ، ولكن يحضُر محمد بن الحارث فيأخذه منّي وتأخذه الجواري منه ؛ [فأُحْضِرَ وأُلقاه عليه ، فأخذه منه ، وأخذتْه الجواري منه] .

أخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل المعروف بوَسْواسة المَوصليّ قال حدَّثني حمّاد بن إسحاق قال : قال لي محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر : أخذتْ جاريةٌ للواثق منّي صوتاً أخذتُه من أبيك ، وهو : [من الخفيف]

صوت

أصبحَ الشَّيْبُ في المَفارِقِ شاعا واكتسى الرَّأسُ مِنْ مَشِيبٍ قِناعا
وتولَّـى الشَّبـابُ إلاّ قليـلاً ثـمّ يأبـى القليـلُ إلاّ وَداعا

الشعر والغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ . قال : فسَمِعه الواثق منها ، فاستحسنه وقال لعلُّويَه ومُخارق : أتَعرِفانه ؟ فقال مخارق : أظُنّه لمحمد بن الحارث . فقال علّويَه : هيهاتَ ؛ ليس هذا ممّا يدخل في صنعة محمدٍ ، هو يُشبه صنعة ذلك الشيطان إسحاق . فقال له الواثق : ما أبعدتَ . ثم بعث إليّ فأخبرني بالقصّة ؛ فقلت : صَدَق علّويه يا أمير المؤمنين ، هذا لإسحاق ومنه أخذتُه .

[غنّت جارية صوتاً أخذته عنه فأكرمها]

حدَّثني جعفر بن قدامة قال حدَّثني عبد الله بن المعتزّ قال قال لي أحمد بن الحسين بن هشام : جاءني محمد بن الحارث بن بُسْخُنَّر يوماً فقال لي : قُمْ حتّى أُطَفِّل بك على صديقٍ لي حُرٍّ ، وله جاريةٌ أحسنُ خلق الله تعالى وجهاً وغِناءً . فقلتُ له : أنت طُفَيْلِيّ وتُطَفِّل بي ؟ هذه والله أخَسُّ حال . فقال لي : دعِ المجُونَ وقمْ بنا ؛ فهو مكانٌ لا يستحي حرٌّ أن يتطفّل عليه . فقمتُ معه ، فقصَد بي دار رجل من فتيان أهلِ «سُرَّ مَنْ رأى» كان لي صديقاً يُكْنى أبا صالح ، وقد غُيِّرت كنيته على سبيل اللّقب فكُنِّي أبا الصالحات ، وكان ظريفاً حسنَ المروءة ، [يضرب بالعُود على مذهب الفُرْس ضرباً حسناً] ، وله رِزقٌ سَنِيّ في المَوالي ، وكان من أولادهم ، ولم يكن منزله يخلو من طعامٍ كثيرٍ نظيفٍ لكثرة قَصْد أخواته منزلَه . فلمّا طَرَق بابَه قلتُ له : فرَّجْتَ عنّي ،

1 أم شادن : ظبية . تسنح : تعرض لك أو تأتي عن شمالك . والمعنى الأول أولى هاهنا .
2 الأدم من الظباء : البيض تعلوهن جدد فيها غبرة .

[هذا صديقي] وأنا طُفَيْليّ بنفسي لا أحتاج أن أكون في شفاعة طفيليّ . فدخلنا ، وقُدِّم إلينا طعامٌ عَتِيدٌ طيّب نظيف فأكلنا ، وأُحضِرنا النبيذ ، وخرجتْ جاريته إلينا من غير سِتارةٍ ، فغنّت غناءً حسناً شَكِلاً ظريفاً ، ثم غَنَّتْ من صنعة محمد بن الحارث هذا الصوت وكانت قد أخذتْه عنه ـ وفيه أيضاً لحنٌ لإبراهيم ، والشعر لابن أبي عُيَيْنة : [من الكامل]

صوت

ضيَّعْتِ عهـدَ فَتًى لِعَهْدِكِ حافظٍ ... في حفْظِـهِ عَجَبٌ وفي تَضْيِيعِكِ

إن تَقْتُلِيـهِ وتذهبِـي بفـؤادِهِ ... فبِحسْنِ وَجْهِكِ لا بِحُسْنِ صَنِيعِكِ

فطَرِب محمد بن الحارث ونَقَّطها بدنانير مُسَيَّفةٍ[1] كانت معه في خريطته ، ووجَّه غلامه فجاءه ببَرْنِيَّة غاليةٍ كبيرةٍ ، فغَلَّفها[2] منها ووَهَب لها الباقي . وكان لمحمد بن الحارث أخٌ طَيِّب ظريف يُكنى أبا هارون ، فطَرب ونَعَر ونَخَر ، وقال لأخيه : أريد أن أقول لك شيئاً في السِّرِّ . قال : قُلْهُ عَلانيّةً . قال : لا يصلحُ . قال : والله ما بيني وبينك شيءٌ أُبالي أن تقوله جهراً ، فقُلْه . فقال : أشتهي عَلِم اللهُ أن تسأل أبا الصَّالحاتِ أن يَنِيكَني ، فعسى صوتي أن يَنْفتِح ويَطيبَ غِنائي . فضحِك أبو الصالحات وخَجِلت الجارية وغَطَّتْ وجهَها وقالت : سَخِنَتْ عينُك ! فإنّ حديثَك يشبِه وجهَك .

صوت

[من الطويل]

وأيُّ أَخٍ تَبْلُـو فتَحْمَـدَ أَمْـرَهُ ... إذا لَـجَّ خَصْمٌ أو نَبـا بِكَ مَنْزِلُ[3]

إذا أنـتَ لَم تُنْصِفْ أَخـاك وجدتَه ... على طَـرَفِ الهِجْرانِ إنْ كان يَعْقِلُ

سَتَقْطَعُ في الدُّنيـا إذا مـا قطعتَني ... يَمِينـكَ فانْظُـرْ أيَّ كَـفٍّ تَبَـدَّلُ

إذا انصرفتْ نفسي عن الشَّيْءِ لَم تَكَدْ ... إليـهِ بِوَجْـهٍ آخِـرَ الدَّهْـرِ تُقْبِلُ

الشعر لِمَعْن بن أَوس المُزَنيّ . والغناء لِعَريب [خفيف] رمل بالوسطى .

---

1 دينار مسيّف : إذا كانت جوانبه نقية من النقش .

2 غلّفها : ضمخها وطيبها .

3 البيت في ديوان الحماسة لأبي تمام رقم 8 ص 326 :

وإنّي أخوك الدائم العهد لم أخنْ ... إنْ آبزاك خصم أو نبا بك منزلُ

[202] ـ أخبار معن بن أوس ونسبه

[نسبه]

هو مَعْن بن أَوْس بن نصر بن زياد بن أَسْحم بن زياد بن أَسعد بن أَسحم بن ربيعة بن عَدِيّ بن ثعلبة بن ذُؤَيب بن عَدَّاء بن عثمان بن مُزَيْنَةَ بن أُدّ بن طابِخة بن إلياس بن مُضر بن نزارٍ . ونُسِبوا إلى مُزَيْنة وهي امرأة : مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرةَ ، وأَبوهم عمرٌو بن أدّ بن طابِخة .

أَخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ وهاشم بن محمد الخُزاعيّ وعِمِّي قالوا : حدَّثنا أَحمد بن الحارث الخَرَّاز عن المدائنيّ قال : مُزَيْنةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرة ، تزوَّجها عمرو بن أدّ بن طابخة ، فولدتْ له عثمان وأَوْساً ، فغلبَتْ أُمُّهما على نَسَبهما . فعلى هذا القول عَدَّاء هو ابن عثمان بن عمرو بن أُدّ بن طابخة .

[شاعر فحل مخضرم له مدائح في الصحابة]

ومَعْنٌ شاعرٌ مُجيدٌ فحْل ، من مخضرميّ الجاهليّة والإسلام وله مدائح في جماعةٍ من أصحاب النبيّ ﷺ ورَحمهم ، منهم عبد الله بن جَحْش ، وعُمَر بن أبي سَلَمة المخزوميّ . ووفَد إلى عُمَر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه مُستعيناً به على بعض أُمرِه ، وخاطَبه بقصيدته التي أوّلها : [من الطويل]

تَـأَوَّبَه طيفٌ بذاتِ الجَرائِم فنـامَ رَفيقـاهُ وليس بنائمِ[1]

وعُمِّر بعد ذلك إلى أيّام الفِتنة بين عبد الله بن الزبير ومَروان بن الحَكَم .

[رأي معاوية في شعر مزينة]

أَخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيع قال حدَّثنا عبد الله بن أَبي سعد قال حدَّثني إبراهيم بن المُنْذِر الحِزاميّ قال حدَّثنا عبد الملك بن عبد العزيز عن يحيى بن عبد الله بن ثَوبان عن عَلقمة بن مِحْجَن الخزاعيّ عن أبيه قال : كان معاوية يُفَضِّل مُزَيْنةَ في الشِّعر ، ويقول : كان أَشعر أَهل الجاهليّة منهم وهو زهير ، وكان أَشعر أَهل الإسلام منهم وهو ابنه كَعبٌ ، ومَعْنُ بن أَوس .

[هو مئناث وله شعر في تفضيل البنات]

أَخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال حدَّثني العُتبيُّ قال : كان مَعْن بن أَوس مِئناثاً[2] ، وكان يُحْسِن صُحْبةَ بناتِه وتربيتهنّ ؛ فوُلِد لبعض عشيرته بنتٌ

1 ذات الجرائم : موضع .

2 رجل مئناث : الذي يلد الإناث ، وكذلك المرأة .

فكَرِهَها وأظهر جَزَعاً من ذلك ؛ فقال مَعْنٌ : [من الطويل]

رأيتُ رجالاً يَكْرَهون بَناتِهم وفِيهنّ ، لا تُكْذَبْ ، نِساءٌ صَوالِحُ
وفيهنّ ، والأيّامُ تَعْثُر بالفتى ، نَوادِبُ لا يَمْلَلْنَهُ ونَوائِحُ

[مرّ به عبيد الله بن العبّاس ، وقد كفّ بصره]

أخبرني محمد بن عمران الصَّيْرَفي قال حدَّثنا العَنَزيّ (يعني الحسن بن عُلَيْل) قال حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عليّ بن سُوَيد بن مَنجُوفٍ عن أبيه قال : مرّ عُبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب بمَعْن بن أوس المُزَنيّ وقد كُفَّ بصرُه فقال له : يا معن ، كيف حالُك ؟ فقال له : ضَعُف بَصَريّ وكَثُر عِيالي وغَلَبني الدَّيْن . قال : وكَم دَيْنك ؟ قال عشرة آلافِ درهم . فبَعث بها إليه ثم مرّ به من الغدّ فقال له : كيف أصبحتَ يا مَعْن ؟ فقال : [من الطويل]

أخذتُ بعَيْنِ المال حتّى نَهِكْتُه وبالدَّيْنِ حتّى ما أكاد أُدانُ
وحتّى سألتُ القَرْضَ عند ذَوي الغِنى وردّ فلانٌ حاجتي وفُلانُ

فقال له عبيد الله : الله المُستعان ، إنّا بعثنا إليك بالأمس لُقمةً فما لُكْتَها حتّى انتُزِعَتْ من يدك ، فأيُّ شيء للأهل والقَرابة والجيران ؛ وبَعَث إليه بعشرة آلاف درهم أُخْرى . فقال معنٌ يمدَحه : [من الطويل]

إنّك فَرْعٌ من قُرَيْشٍ وإنّما تَمُجُّ النَّدى منها البحورُ الفَوارِعُ
ثَوَوْا قادةً للنّاس بَطْحاءَ مَكّةٍ لَهُمْ وسِقاياتُ الحَجيج الدَّوافعُ
فلمّا دُعُوا للموت لَمْ تَبْكِ منهمُ على حادثِ الدَّهْرِ العيونُ الدَّوامِعُ

[أعرابيّ زوجته حضريّة]

أخبرني محمد بن عِمران قال حدَّثني العَنَزيّ قال حدَّثني الفَضْل بن العبّاس القُرشيّ عن سعيد بن عمرو الزُّبيريّ قال : كان لِمَعْنِ بن أوْس امرأة يقال لها ثور وكان لها مُحِبّاً ، وكانت حَضَريّة نشأتْ بالشام ، وكانت في معن أعرابيّةٌ ولُوثةٌ ، فكانت تضحَك من عجْرفِيّته . فسافر إلى الشام في بعض أعوامه ، فضَلَّتْ الرُّفقةُ عن الطريق وعدَلوا عن الماء ، فطوَوْا منزلَهم وساروا يومهم وليلتهم ، فسقَط فرسُ مَعْن في وِجار ضَبٍّ دخلتْ يدُه فيه ، فلم يستطع الفرسُ أن يقوم من شدّة العَطَش حتّى حمله أهلُ الرُّفقة حَمْلاً فأنهضوه ، وجعل معنٌ يقوده ويقول : [من الرجز]

لَوْ شَهِدَتْني وجَوادِي ثَوْرُ والرَّأسُ فيه مَيَلٌ ومَوْرُ[1]

1 المور : الاضطراب والتحرك .

لضحِكتْ حتَّى يَميـلَ الكَوْرُ[1]

[قدومه على ابن الزبير بمكّة فلم يحسن ضيافته ، وأكرمه غيره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا محمد بن سعد الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن العُتْبيّ قال : قَدِم معنُ بن أَوْسٍ مكّةَ على ابن الزبير فأنزله دارَ الضِّيفان ، وكان يَنْزِلها الغُرباءُ وأبناءُ السبيل والضِّيفان ، فأقام يومَه لم يُطعَم شيئاً ؛ حتّى إذا كان الليل جاءهم ابن الزُّبير بتَيْسٍ هَرِمٍ هَزِيلٍ فقال : كُلُوا من هذا ، وهم نَيِّفٌ وسبعون رجلاً ؛ فغَضِب معنٌ وخرج من عنده ، فأتى عبيد الله بن العباس ، فقراه وحَمله وكساه ، ثم أتى عبد الله بن جعفر وحدَّثه حديثَه ، فأعطاه حتى أرضاه ، وأقام عنده ثلاثاً ثم رَحَل . فقال يهجو ابن الزُّبير ويمدح ابن جعفر وابن عبّاس رضي الله تعالى عنهم أجمعين : [من الطويل]

ظَلِلْنا بمُسْتَنِّ الرِّيـاحِ غُدَيَّـةً ... إلى أن تعالى اليومُ في شَرِّ مَحْضَرِ[2]

لَـدى ابن الزُّبَيْر حابِسينَ بمَنْزِلٍ ... من الخير والمعروفِ والرِّفْدِ مُقْفِرِ[3]

رَمانا أبو بكـرٍ وقـد طال يومُنا ... بِتَيْسٍ مـن الشَّاءِ الحِجازِيّ أَعْفَرِ[4]

وقال اطْعَمُوا منـه ونحـن ثلاثةٌ ... وسبعون إنسانـاً فيالُـؤْمَ مَخْبَرِ

فقلْـت لـه لا تَقْرِنـا فأمامَنا ... جِفانُ ابن عَبَّاس العُلا وابنِ جَعْفَرِ

وكُنْ آمِنـاً وانْعَقْ بِتَيْسِكَ إنّـه ... لـه أَعْنُزٌ يَنْزُو عليهـا وأَبْشرِ[5]

[أنشده الفرزدق بيتاً في هجاء مزينة فرد عليه]

أخبرني محمد بن عمْران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ قال حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن معاوية الأسديّ قال : قدِم معنٌ بن أَوْس المُزَنيّ البصرة ، فقَعَد يُنْشِد في المِرْبَد ، فوقف عليه الفرزدق فقال : يا مَعْنُ مَن الذي يقول : [من الوافر]

لَعَمْرُكَ ما مُزَيْنَةُ رَهْطُ مَعْنٍ ... بأَخفـاف يَطَـأْنَ ولا سَنامِ

فقال معنٌ : أتَعْرِف يا فرزدق الذي يقول : [من الوافر]

---

1 الكور هنا : الدور من العمامة . يريد الدور مما تلفّ به رأسها .

2 مستن الرياح : مضطربها حيث تهب وتجري .

3 حابسين : أي محبوسون هنا .

4 أبو بكر : كنية عبد الله بن الزبير .

5 النعيق هنا : دعاء الراعي الشاء .

لَعَمْرُكَ ما تميمٌ أهلُ فَلْجٍ بأَرْدافِ المُلوكِ ولا كِرامِ[1]

فقال الفرزدق : حَسْبُك ؛ إنّما جَرَّبْتُك . قال : قد جَرَّبتَ وأنت أعلَم . فانصرف وتركه .

[تمثل أحد أبناء روح بشعر له وهو على فاحشة]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ أبو دُلَفَ قال حدَّثنا الرِّياشيّ قال حدَّثنا الأصمعيّ قال : دخلتُ خَضْراءَ رَوْحٍ ، فإذا أنا برجلٍ من وَلَده على فاحشةٍ يوماً ، فقلتُ : قَبَحك الله ! هذا موضعٌ كان أبوك يَضْرِب فيه الأعناقَ ويُعْطي اللُّهى وأنت تفعل [فيه] ما أرى ! فالتفتَ إليّ من غير أن يزولَ عنها وقال : [من الوافر]

وَرِثْنا المجدَ عن آباء صِدْقٍ أَسَأنا في دِيارِهمُ الصَّنِيعا
إذا الحَسَبُ الرَّفِيعُ تَواكَلَتْهُ بُناةُ السَّوْءِ أَوْشَكَ أن يَضِيعا

قال : والشِّعر لِمَعن بن أَوْس المُزَنيّ .

[سافر إلى الشام وخلّف ابنته في جوار ابن أبي سلمة وابن عمر بن الخطّاب]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ صهر المُبَرِّد قال حدَّثنا أحمد بن عُبَيْدٍ أبو عَصِيدةَ عن الحِرْمازِيّ قال : سافر مَعْنُ بن أَوْس إلى الشامِ وخَلَّف ابنتَه ليلى في جِوار عُمَر بن أبي سَلَمةَ ، وأُمُّه أُمُّ سَلَمة أُمُّ المؤمنين رَضي الله تعالى عنها ، وفي جوار عاصم بن عُمَر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه . فقال له بعض عشيرته : على مَنْ خلّفتَ ابنتكَ ليلى بالحجاز وهي صبيّة ليس لها مَنْ يَكْفُلها ؟ فقال معنٌ رحمه الله تعالى : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما ليلى بدارِ مَضِيعَةٍ وما شَيْخُها أَنْ غاب عنها بخائفِ
وإنّ لها جارَيْنِ لن يَغْدُرا بها رَبِيبَ النبيِّ وابنَ خَيْر الخلائفِ

[رأي عبد الملك في شعر معن]

أخبرني محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْلٍ العَنَزيّ قال حدَّثني مسعود بن بِشْر عن عبد الملك بن هِشام قال : قال عبد الملك بن مَروان يوماً وعنده عِدّةٌ من أهلِ بيته وولَدِه : لِيَقُلْ كلُّ واحد منكم أحسنَ شِعْرٍ سَمِع به ؛ فذكروا لامرىء القيس والأَعْشى وطَرَفةَ فأكثروا حتّى أتَوْا على مَحاسِنِ ما قالوا . فقال عبد الملك : أشعرهُم والله الذي يقول : [من الطويل]

---

1 فلج هنا : واد بين البصرة وحمى ضربة من منازل عديّ بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم . الأرداف : جمع رِدف وهو هنا : جليس الملك عن يمينه يشرب بعده ويخلفه إذا غزا .

وذِي رَحِمٍ قَلَّمْتُ أَظْفارَ ضِغْنِهِ بِحِلْمِيَ عنهُ وَهْوَ ليس لـه حِلْمُ
إذا سُمْتُه وَصْلَ القَرابةِ سامَني قَطِيعتَها ، تلك السَّفاهةُ والظُّلْمُ
فأَسْعى لِكَيْ أَبْنِي ويهْدِمُ صالحي وليس الذي يَبْنِي كمَنْ شأْنه الهَدْمُ
يُحاوِلُ رَغْمي لا يُحاول غيرَه وكالموتِ عندي أن ينالَ لـه رغمُ
فما زِلْتُ في لِينٍ لـه وتَعَطُّفٍ عليه كما تحنُو على الوَلَدِ الأُمُّ
لأَسْتَلَّ منه الضِّغْنَ حتَّى سَلَلْتُه وإنْ كان ذا ضِغْنٍ يَضِيقُ به الحِلْمُ

قالوا : وَمَنْ قائلها يا أَمير المؤمنين ؟ قال : مَعْنُ بن أَوْسٍ المُزَنيّ .

[خروجه إلى البصرة وزواجه من ليلى ثم عودته إلى زوجته الأولى]

أَخبرني عيسى بن حسين الورّاق قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني الزبير بن بكّار قال حدَّثني سليمان ابن عَيّاش السَّعْديّ عن أبيه قال : خرج معنُ بن أَوس المُزَنيّ إلى البصرة ليمتار منها ويَبيع إبلاً له ؛ فلمّا قَدِمَها نزل بقومٍ من عشيرته ، فتولَّتْ ضِيافتَه امرأةٌ منهم يقال لها ليلى ، وكانت ذاتَ جمالٍ ويَسارٍ ، فَخَطبها فأجابته فتزوّجها ، وأَقام عندها حولاً في أَنْعمِ عيشٍ . فقال لها بعد حَوْلٍ : يا ابنةَ عمّ ، إنّي قد تركتُ ضَيْعَةً لي ضائِعةً ، فلو أَذِنْتِ لي فاطَّلَعْتُ[1] [طِلْعَ] أَهلي ورَمَمْتُ[2] من مالي ! فقالت : كم تُقيم ؟ قال : سنةً ، فأَذِنَتْ له . فأَتى أَهلَه فأَقام فيهم وأَزْمَنَ عنها (أَي طال مُقامه) . فلمّا أَبطأَ عليها رحلتْ إلى المدينة فسأَلتْ عنه ، فقيل لها : إنَّه بعَمْقٍ (وهو ماءٌ لِمُزَيْنةَ) . فخرجتْ ، حتّى إذا كانت قريبةً من عَمْقٍ نزلتْ منزلاً كريماً . وأَقبل معن في طلب ذَوْدٍ له قد أَضلَّها وعليه مِدْرَعةٌ من صُوفٍ وبَتٌّ من صوفٍ أَخضرَ ، قال : والبَتُّ : الطَّيْلَسان ، وعِمامةٌ غليظةٌ . فلمّا رُفِع[3] له القومُ مال إليهم لِيَسْتَسْقِي ، ومع ليلى ابنُ أَخٍ لها ومولًى من مَواليها جالسٌ أَمام خِباءٍ له . فقال له معنٌ : هل من ماءٍ ؟ قال : نعم ، وإن شِئْتَ سَوِيقاً ، وإن شئتَ لبناً ؛ فأَناخ . وصاح مولى ليلى : يا مُنْهِلة ، وكانت مُنْهِلةُ الوصيفةَ التي تقوم على مَعْنٍ عندهم بالبصرة ، فلمّا أَتته بالقَدَح وعَرَفها وحَسَر عن وَجْهه ليشرب عرفته وأَثبتَته ، فتركت القَدَح في يده وأَقبلتْ مسرعةً إلى مَولاتها فقالت : يا مولاتي ، هذا والله معنٌ إلاّ أَنّه في جُبَّةِ صُوفٍ وبَتِّ صوفٍ . فقالت : هو والله عَيْشُهم ، الْحَقِي مولاي فقولي له : هذا معنٌ ، فاحبِسْه . فخرجتِ الوصيفةُ مُسرعةً فأَخبرت . فوضع معنٌ القَدَحَ وقال له : دَعْني حتّى أَلقاها في غير هذا الزِّيّ . فقال :

1 اطّلع طِلْعَه : عرف أمره .
2 رممت من مالي : أصلحت .
3 رُفع له الشيء : أبصره عن بُعد .

لستَ بارحاً حتّى تدخل عليها . فلمّا رأته قالت : أهذا العيش الذي نزعتَ إليه يا معن ؟ ! قال : إي والله يا ابنةَ عمٍّ ! أما إنّك لو أقمتِ إلى أيّام الربيع حتى يُنبِتَ البلد الخُزامى والرُّخامى[1] والسَّخْبَر[2] والكَمْأَةَ ، لأَصَبْت عيشاً طيِّباً . فغسلتْ رأسَه وجَسَدَه ، وألبسته ثياباً ليِّنة ، وطيَّبته ، وأقام معها ليلَته أجمعَ يَهْرِجُها[3] ، ثم غدا متقدِّماً إلى عَمْقٍ حتّى أعدّ لها طعاماً ونَحَر ناقةً وغَنَماً ، وقَدِمتْ على الحيّ ، فلم تَبْق [فيهم] امرأةٌ إلاّ أتتها وسلّمتْ عليها ، فلم تَدَعْ منهنّ امرأةً حتّى وصلتْها . وكانت لمعنٍ امرأةٌ بعَمْقٍ يقال لها أُمّ حقَّةَ . فقالت لمعن : هذه والله خيرٌ لك منّي ، فطَلِّقْني ، وكانت قد حملتْ فدَخَله من ذلك وقام . ثم إنّ ليلى رحلتْ إلى مكّة حاجَّةً ومعنٌ معها . فلمّا فَرَغا من حَجِّهما انصرفا ، فلمّا حاذَيا مُنْعَرَجَ الطريق إلى عَمْقٍ قال معن : يا ليلى ، كأنّ فؤادي ينعرِجُ إلى ما هاهنا . فلو أقمتِ سَنَتَنا هذه حتّى نَحُجَّ من قابِلٍ ثم نَرْحَل إلى البصرة ؛ فقالت : ما أنا ببارحةٍ مكاني حتّى تَرْحَلَ معي إلى البصرة أو تطلِّقَني . فقال : أمّا إذ ذكرتِ الطلاق فأنت طالق . فمضت إلى البصرة ، ومضى إلى عَمْقٍ . فلمّا فارقته نَدِم وتَبِعَتْها نفسه ؛ فقال في ذلك : [من الطويل]

تَوَهَّمْتُ رَبْعاً بالمُعَبِّر واضحاً ... أَبَتْ قَرَّتاهُ اليومَ إلاَّ تَراوُحا[4]
أَرَبَّتْ عليه رادةٌ حَضْرَمِيَّةٌ ... ومُرْتَجِزٌ كأَنَّ فيه المَصابِحا[5]
إذا هِيَ حَلَّتْ كَرْبَلاءَ فلَعْلَعاً ... فجَوْزَ العُذَيْبِ بعدها فالنَّوابِحا[6]
وبانَتْ نَواها من نَواكَ وطاوعتْ ... معَ الشَّائنِين الشامتاتِ الكَواشِحا
فقُولا لليلى هل تُعَوِّضُ نادماً ... له رجعةٌ قال الطلاقَ مُمازِحا
فإنْ هِيَ قالتْ لا فقُولا لها بَلى ... أَلا تَتَّقِينَ الجارياتِ الذَّوابِحا

وهي قصيدةٌ طويلة . فلمّا انصرف وليستْ ليلى معه قالت له امرأته أُمّ حِقَّةَ : ما فعلتْ ليلى ؟ قال : طَلَّقْتُها . قالت : واللهِ لو كان فيك خيرٌ ما فعلتَ ذلك ، فطَلِّقْني أنا أيضاً . فقال لها معنٌ : [من الوافر]

---

1 الرُّخامى : نبتة غبراء الخضرة لها زهرة بيضاء نقية ولها عرق أبيض تحفره الحمر بحوافرها .

2 السّخبر : يشبّه الثمام له جرثومه وعيدانه كالكراث في الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب أو أرق منها ، وإذا طال تدلت رؤوسه وانحنت .

3 يهرجها : يُجامعها .

4 المعبِّر : موضع تلقاء الوتدات من البقيع . قَرَّتاه : الغداة والعشيّ .

5 أَرَبَّتْ : أقامت .

6 لعلع والعذيب والنوابح مواضع متقاربة بظاهر الكوفة .

أعاذِلُ أَقْصِرِي ودَعِي بَياتي فإنَّكِ ذاتُ لَوْماتٍ حُماتِ[1]
فإنّ الصُّبْحَ مُنْتَظَرٌ قريبٌ وإنَّك بالمَلامَةِ لن تُفاتي
نأَت لَيْلى فليلى لا تُواتي وضَنَّتْ بالمَوَدَّةِ والبَتاتِ
وَحَلَّتْ دارُها سَفَوانَ بَعْدِي فذا قار فَمُنْخَرَقَ الفُراتِ[2]
تُراعي الرِّيفَ دانيةً عليها ظِلالٌ ألفَّ مُخْتَلِطِ النَّباتِ
فدَعْها أو تَناوَلْها بِعَنْسٍ من العِيديّ في قُلُص شِخاتِ[3]

وهي قصيدة طويلة . قال : وقال لأمّ حِقّة في مُطالبتها إيّاه بالطلاق : [من الطويل]

كأنْ لم يَكُنْ يا أُمَّ حِقّةَ قبلَ ذا بِمَيْطانَ مُصطافٌ لنا وَمَرابعُ[4]
وإذْ نحن في غُصْنِ الشَّبابِ وقد عَسا بنا الآنَ إلاّ أَنْ يُعَوَّضَ جازِعُ[5]
فقد أنكرتْه أُمُّ حِقّةَ حادِثاً وأنكرها ما شِئْتَ والوُدُّ خادعُ
ولو آذنتنا أُمُّ حِقّةَ إذ بنا شبابٌ وإذ لَمّا تَرُعْنا الرَّوائِعُ
لَقُلْنا لها بيني بِلَيْلٍ حميدةً كذاكِ بلا ذمٍّ تُؤَدَّى الصنائعُ

صوت

[من الطويل]

أعابدُ حُيِّيتُمْ على النَّأْيِ عابدا سقاكِ الإلهُ المُنْشآتِ الرَّواعِدا
أعابِدَ ما شمسُ النَّهارِ إذا بَدَتْ بأحسنَ مِمّا بين عَيْنَيْكِ عابدا

ويُروى :

أعابِدَ ما شمسُ النّهار بدتْ لنا

ويروى :

أعابِدُ ما الشَّمْسُ التي برزتْ لنا بأحسنَ ممّا بين ثَوْبَيْكِ عابدا

الشعر للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب . والغناء لِعَطَرَّد ثاني ثقيلٍ بالبِنصر . وفيه ليونس لحنٌ من كتابه غير مُجَنَّس .

---

1 دعي لومي في البيات . حمات : جمع حمة ، وهي السم .
2 سفوان الآن بلدة قريبة من البصرة .
3 العيدي : نسبة إلى عيد : فحل معروف تنسب إليه النجائب العيدية ، أو هو نسبة إلى رجل . الشِّخات : جمع شخة وشخت ، وهو الدقيق الضامر لا هزالاً .
4 ميطان : من جبال المدينة .
5 عسا النبات : غلظ ويبس .

[203] ـ أخبار الحسين بن عبد الله

[شعره في عابدة قبل زواجه بها]

قد تقدّم نسبُه ، وهو أشهر من أن يُعاد . ويُكنى أبا عبد الله . وكان من فِتيان بني هاشم وظُرَفائهم وشُعَرائهم . وقد روى الحديث وحُمِلَ عنه ، وله شِعرٌ صالح . وهذه الأبيات يقولها في زوجته عابدة بنت شُعَيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهي أُخت عمرو بن شُعيب الذي يُرْوى عنه الحديث . وفيها يقول قبلَ أن يتزوّجها : [من الطويل]

صوت

أعابِـدَ إنّ الحُبَّ لا شَكَّ قاتِـلي ... لئن لم تُقارِضْني هَوى النَّفسِ عابِدَهْ
أعابِـدُ خـافي اللهَ في قَتْـلِ مُسْلِمٍ ... وجُودي عليه مَرَّةً قَـطُّ واحِدَهْ
فإنْ لَم تُرِيدِي فيَّ أجراً ولا هَوًى ... لَكُمْ غيرَ قَتْلي يـا عُبَيْدُ فَراشِدَهْ
فكَمْ ليلةٍ قد بِتُّ أَرْعى نُجومَها ... وعَبْـدةُ لا تَـدْري بذلك راقِدَهْ

الغناء لحَكَم الواديّ ، رملٌ بإطلاق الوتر في مجرى البِنْصر ، عن إسحاق .

[لا حرج إن شاء الله]

فمِمَّا حُمِلَ عنه من الحديث ما حدَّثني به أحمد بن سَعِيد قال حدَّثني محمد بن عُبيد الله [ابن] المُنادِي قال حدَّثني يونس بن محمد قال حدَّثنا أبو أُوَيْس عن حُسَيْن بن عبد الله بن عُبيد الله بن عبّاس عن عِكْرِمَة عن ابن عبّاس قال : مرّ النبيّ ﷺ على حسّان بن ثابت وهو في ظلّ فارِعٍ[1] وحولَه أصحابُه وجاريتُه سِيرين تُغَنّيه بمِزْهَرِها : [من مجزوء الخفيف]

هَـلْ عـليَّ وَيْحَكُما ... إنْ لَهَوْتُ مـن حَرَجِ

فضحِك النبيّ ﷺ ثم قال : «لا حَرَجَ إنْ شاء الله» .

وكانت أُمّ عابدة هذه عمَّةَ حسين بن عبد الله بن عبيد الله ، أُمّها عَمْرةُ بنت عُبيد الله بن العبّاس ، تزوّجها شُعَيْب فولدتْ له محمداً وشُعَيباً ابنَي شُعيب وعابدة ، وكان يقال لها عابدة الحُسْن ، وعابِدة الحسناء .

[عابدة تزوجت الحسين بن عبد الله ، والتعريف به]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العَلاء والطُّوسيّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن

1 فارع : حصن كان لحسان بن ثابت بالمدينة .

يحيى قال : خَطَبَ عابدة بنتَ شُعَيْب بكّار بن عبد الملك وحُسَين بن عبد الله ، فامتنعتْ على بَكّار وتزوّجت الحسين . فقال له بكّار : كيف تزوّجتْك العابدةُ واختارتْكَ مع فَقْرِك ؟ فقال له الحسين : أتُعَيِّرُنا بالفَقْرِ وقد نَحَلَنا اللهُ تعالى الكَوْثَرَ !

أخبرني الحِرْميّ والطُّوسيّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار عن عَمِّه قال : كان حسين بن عبد الله أُمُّه أُمُّ ولدٍ ، وكان يقول شيئاً من الشِّعر ، وتزوّج عابدة بنت شُعيب وولدتْ منه ، وبسببها رُدَّت على ولدِ عمرو بن العاص أموالُهم في دولة بني العبّاس . وكان عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر صديقاً له ، ثم تعكّر ما بينهما ؛ فقال فيه ابن معاوية : [من مجزوء الكامل]

إنَّ ابـنَ عَمِّـكَ وابـنَ أُمِّـ ـكَ مُعلَـمٌ شاكي السِّلاحِ
يَقِصُ العَـدُوَّ وليس يَـرْ ضَى حـين يَبْطِشُ بالجِراحِ[1]
لا تَحْسَبَنَّ أذى ابـنِ عَمِّـ ـكَ شُرْبَ أَلبـانِ اللِّقاحِ
بَـلْ كالشَّجاةِ ورا اللَّهـا ةِ إذا تُسَوَّغُ بـالقَراحِ
فـاخْتَرْ لنفسك مَـنْ يُجيـ ـبُكَ تحـتَ أطرافِ الرِّماحِ
مَـنْ لا يـزالُ يَسُوءُهُ بالغَيْـبِ أنْ يلحـاكَ لاحي

فقال حسين له :

أَبْرِقْ لِمَـنْ يَخْشى وأَوْ عِـدْ غيرَ قَوْمِـك بـالسِّلاحِ
لسنا نُقِـرُّ لِقائـلٍ إلاّ المُقَـرَّطَ بـالصَّلاحِ[2]

قال : ولحسين يقول ابن معاوية : [من الخفيف]

قُلْ لِذِي الوُدِّ والصَّفاءِ حُسَيْنٍ أُقْـدُرِ الـوُدَّ بيننـا قَدَرَهْ
ليس لِلدَّابِـغِ المُحَلِّـمِ بُـدٌّ من عِتابِ الأديمِ ذي البَشَرَهْ[3]
لستُ إنْ راغ ذو إخاءٍ ووُدٍّ عَـنْ طَرِيـقٍ بِتابِـعٍ أَثَرَهْ
بَـلْ أُقِيمُ القَناةَ والوُدَّ حتّى يَتْبَـعَ الحَـقَّ بعـدُ أو يَذَرَهْ

[كان صديقاً لابن أبي السمح ومدحه]

أخبرني محمد بن مَزْيَد قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلاّم قال :

---

1 وقص : كسر .

2 المقرّط بالصلاح : الموسوم به .

3 المحلِّم : الذي ينزع الحلم (وهو دود) عن الجلد . إشارة إلى المثل «إنّما يعاتب الأديم ذو البشرة» .

كان مالك بن أبي السَّمح الطائيّ المُغنِّي صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس ونديماً له ، وكان يتغنّى في أشعاره . وله يقول الحسين رحمه الله تعالى : [من المنسرح]

لا عَيْشَ إلاّ بمالكِ بن أبي السَّمْـ ـحِ فلا تَلْحَني ولا تَلُمِ
أَبْيَضُ كالسيف أو كما يَلْمَعُ الـ ـبارِقُ في حِنْدِسٍ من الظُّلَمِ
يُصِيبُ مِنْ لَذَّةِ الكريمِ ولا يَهْتِكُ حقَّ الإسلامِ والحُرَمِ
يا رُبَّ ليلٍ لنا كحاشيةِ الـ ـبُرْدِ ويومٍ كذاكَ لم يَدُمِ
قد كنتُ فيه ومالِكُ بن أَبي السمـ ـح الكريمِ الأَخلاقِ والشِّيَمِ
مَنْ ليس يَعْصِيك إنْ رَشَدْتَ ولا يَجْهَلُ آي التَّرْخِيص في اللَّمَمِ

قال : فقال له مالك : ولا إنْ غَوَيْتَ والله بأبي [أنت] وأُمّي أَعْصِيك . قال وغنّى مالكٌ بهذه الأبيات بحضرة الوليد بن يزيد ، فقال له : أخطأ حسين في صِفَتك ، إنّما كان ينبغي أن يقول : [من المنسرح]

أَحْوَلُ كالقرْدِ أو كما يخرُج الـ ـسَّارِقُ في حالكٍ من الظُّلَمِ

[الحسين بن يحيى وحبّه للغناء]

[أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس إذا صلّى العصر دخل منزلَه وسَمِع الغناء عشيته . فأتاه قومٌ ذات عشيّةٍ في حاجةٍ لهم فقضاها ، ثم جلسوا يحدِّثونه . فلمّا أطالوا قال لهم : أتأذَنون ؟ فقالوا نعم . فقام في أصحاب له وهو يقول : [من الطويل]

قُومُوا بنا نُدْرِكْ من العيش لَذَّةً ولا إثمَ فيها للتَّقِيِّ ولا عارا]

صوت

[من الخفيف]

إنّ حَرْباً وإنّ صَخْراً أبا سُفْـ ـيانَ حازا مَجْداً وعِزّاً تليدا
فهُما وارِثا العُلا عن جُدُودٍ وَرِثُوها آباءَهم والجُدودا

الشعر لفَضالة بن شَرِيكٍ الأَسديّ من قصيدةٍ يمدَح بها يزيد بن معاوية . وبعد هذين البيتين يقول :

وحَوى إرْثَها مُعاويةُ القَرْ مُ وأَعطى صَفْوَ التُّراثِ يزيدا

والغناء لإبراهيم بن خالد المُعَيْطِيّ ثقيلٌ أوّل بالبِنصر عن الهشاميّ . والله أعلم .

[204] ـ أخبار فضالة بن شريك ونسبه

[نسبه]

هو فَضالة بن شريك بن سَلمان[1] بن خويلد بن سلمة بن عامرٍ موقد النار بن الحَريش بن نُمَير بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دُودان [بن أسد] بن خُزيمة بن مُدرِكة بن إلياس بن مُضَر بن نِزارٍ . وكان شاعراً فاتكاً صعلوكاً مخضرماً أدرك الجاهلية والإسلام . وكان له ابنان شاعران ، أحدهما عبد الله بن فَضالة الوافد على عبد الله بن الزبير والقائل له : إنّ ناقتي قد نَقِبَتْ[2] ودَبِرَتْ ؛ فقال له : ارقَعْها بجِلْدٍ واخْصِفْها بهُلْبٍ[3] وسِرْ بها البَرْدَين[4] .

[ابن فضالة يقول لابن الزبير : لعن الله ناقة حملتني إليك]

فقال له : إنّي قد جئتُك مُستَحمِلاً لا مستشيراً ، فلَعَن الله ناقةً حملتني إليك . فقال له ابن الزُّبير : إنّ وراكِبَها . فانصرف من عنده وهو يقول : [من الوافر]

أَقــولُ لغِلْمَتــي شُدّوا رِكابي ... أَجــاوِزْ بَطْنَ مكّــة في سَوادِ
فما لي حــينَ أَقْطَعُ ذاتَ عِرْقٍ ... إلى ابنِ الكاهِليّــةِ مــن مَعادِ[5]
سَيُبْعِــدُ بينَنا نَــصُّ المَطايــا ... وتَعْلِيــقُ الأَداوَي والمَــزادِ[6]
وكلُّ مُعَبَّــدٍ قــد أَعلمتْــهُ ... مَناسِمُهُــنَّ طَــلاَّعِ النِّجــادِ
أَرى الحاجاتِ عند أَبي خُبَيْبٍ ... نَكِــدْنَ ولا أُمَــيَّةَ بالبلادِ[7]
مِنَ الأَعياصِ أَو مِنْ آل حَرْبٍ ... أَغَــرُّ كغُــرَّةِ الفَرَسِ الجَوادِ

[ابنه فاتك ومدح الأقيشر له]

حدَّثنا بذلك محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنيّ . فأمّا فاتكُ ابن فضالة فكان سيِّداً جَواداً . وله يقول الأُقيشر يمدحه : [من الكامل]

---

1 ل : سليمان .
2 يقال : نقب البعير ، إذا حفي ورقّت أخفافه ، والدّبر : جرح يكون في ظهر الدابة .
3 الهلب : الشعر .
4 البردان : الغداة والعشي .
5 ذات عرق : موضع وهو الحد بين نجد وتهامة . ابن الكاهلية : يريد ابن الزُّبير .
6 نص المطايا : سيرها الشديد ، الأداوي جمع إداوة وهي المطهرة . والمزاد : الأسقية ، واحدها مزادة .
7 أبو خبيب : كنية لعبد الله بن الزبير . نكدن : تعسّرن .

وَفَـد الوفودُ فكنتَ أوّلَ وافِدٍ يا فاتِكُ بنَ فَضالةَ بن شَرِيكِ

[مرَّ فضالة بعاصم بن عمر بن الخطّاب فلم يقره فهجاه]

أخبرني بما أذكُر من أخباره هاهنا مجموعاً عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا أبو سعيدٍ السُّكّريّ عن محمد بن حبيب ، وما ذكرته متفرِّقاً فأنا ذاكرٌ إسنادَه عمّن أخذتُه . قال ابن حبيب : مرّ فَضالةُ بن شريكٍ بعاصم بن عُمَر بن الخطّاب ، رضي الله تعالى عنهما ، وهو مُتَبَدٍّ بناحية المدينة ، فنزل به فلم يَقْرِه شيئاً ولم يَبعَث إليه ولا إلى أصحابه بشيءٍ وقد عَرَّفوه مكانهم ، فارتحلوا عنه . والتفت فضالةُ إلى مولًى لعاصمٍ فقال له : قُلْ له : أما واللهِ لأطَوِّقَنَّك طَوقاً لا يبلى . وقال يهجوه : [من الطويل]

ألا أيّها الباغي القِرى لستَ واجِداً قِراكَ إذا ما بِتَّ في دارِ عاصمِ
إذا جئتَه تَبْغِي القِرى باتَ نائماً بَطِيناً وأمسى ضَيفُهُ غيرَ نائمِ
فدَعْ عاصماً أُفٌّ لأفعالِ عاصمٍ إذا حُصِّل الأقوام أهلُ المَكارِمِ
فتًى من قريشٍ لا يجودُ بنائلٍ ويَحْسَبُ أنّ البُخْلَ ضَرْبَةُ لازِمِ
ولولا يدُ الفاروق قَلَّدْتُ عاصماً مُطَوَّقةً يُحْدى بها في المَواسِمِ
فليتَك من جَرْمِ بن زَبَّانَ أو بَني فُقَيْمٍ أو النَّوكى أبانِ بن دارِمِ
أُناسٌ إذا ما الضَّيْفُ حَلَّ بُيوتَهم غَدا جائعاً عَيْمانَ ليس بغانمِ[1]

[قال] : فلمّا بلغتْ أبياتُه عاصماً استعدى عليه عمرو بن سعيد بن العاص وهو يومئذٍ بالمدينة أميرٌ ، فهرَب فَضالةُ بن شريك فلحق بالشام ، وعاذ بيزيدَ بن معاوية وعَرَّفه ذَنْبَه وما تَخَوَّف من عاصم ؛ فأعاذه ، وكتب إلى عاصمٍ يُخبره أنّ فضالةَ أتاه مستجيراً به ، وأنّه يُحِبّ أن يَهَبَه له . ولا يذكر لمعاوية شيئاً من أمره ، ويَضْمَن له ألّا يعود لهجائه ؛ فقَبِل ذلك عاصمٌ وشَفَّع يزيد بن معاوية . فقال فَضالة يمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

إذا ما قُرَيْشٌ فاخرتْ بقَدِيمها فَخَرْتَ بمَجْدٍ يا يزيدُ تَلِيدِ
بمجدِ أمير المؤمنين ولم يَزَلْ أبوك أمينُ الله غيرَ بَلِيدِ
به عَصَم اللهُ الأنامَ من الرَّدى وأدرَكَ تَبْلاً من مَعاشِرَ صِيدِ[2]
ومَجْدِ أبي سُفْيان ذِي الباعِ والنَّدى وحَرْبٍ وما حَرْبُ العُلا بزَهِيدِ

1 عيمان : عطشان .
2 التَّبل : الثأر .

فمَنْ ذا الذي إن عدّد الناسُ مَجْدَهم يَجِيء بمَجْـدٍ مِثْـلِ مجدِ يزيدِ

وقال فيه القصيدة المذكور فيها الغناء في هذه القصّة بعينها .

[هجا ابن مطيع حين طرده المختار عن ولاية الكوفة]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني السُّكّريّ عن ابن حبيب قال : كان عبد الله بن الزُّبير قد وَلَّى عبد الله بن مُطِيع بن الأسود بن نَضْلَةَ بن عبيد بن عَوِيج بن عَدِيّ بن كَعْب ، الكوفة ، فطَرَده عنها المختارُ بن أبي عُبَيد حين ظَهَر ؛ فقال فَضالة بن شَرِيكٍ يهجو ابن مُطِيع : [من الطويل]

دعـا ابنُ مُطيـعٍ لِلْبياعِ فجئتُه إلى بَيْعةٍ قلبـي بهـا غيرُ عارِفِ
فقَرَّبَ لِـي خَشْناء لَمّـا لَمَستُها بِكَفَّيَ لم تُشْبِهْ أَكُـفَّ الخَلائِفِ
مُعَـوَّدةً حَمْـلَ الهَراوِي لِقَوْمِها فَرُوراً إذا ما كان يـومُ التَّسايُفِ[1]
من الشَّثَناتِ الكُزم أنكرتُ لَمْسَها وليستْ من البِيضِ السِّياطِ اللَّطائفِ
ولَمْ يُسْمِ إذْ بايعتُـهُ مِنْ خَلِيفَتِي ولم يَشْتَرِطْ إلاّ اشتراطَ المُجازِفِ
متى تَلْقَ أَهلَ الشأم في الخَيْلِ تَلْقَني على مُقْرَبٍ لا يُزْدَهى بالمَجاذِفِ[2]
مُمَـرٌّ كبُنْيانِ العِبـادِيِّ مُخْطَفٍ من الضَّارِياتِ بالدِّماءِ الخَواطِفِ[3]

[هجا عامر بن مسعود لأنه تسوّل في جمع صداق زوجه]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : تزوّج عامرُ بن مسعود بن أُميّة بن خَلَفٍ الجُمَحِيّ امرأةً من بني نَصْر بن معاوية ، وسأل في صَداقها بالكوفة ، فكان يأخذ من كلّ رجلٍ سأله دِرهَمين درهمين . فقال له فَضالة بن شريكٍ يهجوه بقوله : [من البسيط]

أَنْكَحْتُمُ يـا بنـي نَصْرٍ فَتاتَكُمُ وَجْهاً يَشِينُ وُجوهَ الرَّبْرَبِ العِينِ
أَنكحتُمُ لا فَتـى دُنْيا يُعاشُ به ولا شُجاعاً إذا انْشَقَّتْ عَصا الدِّينِ
قـد كنتُ أَرجو أَبا حَفْصٍ وسُنَّتَهُ حتَّـى نَكَحْتَ بأرزاقِ المَساكِينِ

[هجا رجلاً من بني سليم خان الأمانة]

وقال ابن حبيب في هذا الإسناد : أَوْدَع فضالةُ بن شَرِيكٍ رجلاً من بني سُلَيْمٍ يقال له قيس ناقةً ، فخرج في سفَرٍ ، فلمّا عاد طَلَبها منه ، فذكر أنها سُرِقتْ . فقال

---

1 التّسايف : التضارب بالسيوف .

2 المقرّب من الخيل : الذي يقرب مربطه ومعلفه لكرامته . ولا يزدهى : لا يستخفّ .

3 مُمَرّ : موثق الخلق . العباديون : نصارى الحيرة . ضرى بالشيء : لهج به وأغرم .

[فيه] : [من المتقارب]

ولَــوْ أنَّني يومَ بَطْنِ العَقيقِ ذَكرتُ وذو اللُّبِّ يَنْسى كَثِيرا
مُصابَ سُلَيْمٍ لِقــاحَ النَبِــيِّ لَمْ أُودِعِ الدَّهْرَ فيهمْ بَعِيرا[1]
وقــد فــاتَ قَيْسٌ بِعَيْرانــةٍ إذا الظِّلُّ كان مَــداهُ قصيرا
مِنَ اللاَّعِبــاتِ بِفَضْلِ الزِّمامِ إذا أَقلقَ السَّيْرُ فيهِ الضُّفُورا[2]
ومَنْ يَبْكِ منكمْ بَني مُوقِدٍ ولَم يَرَهُمْ يَبْكِ شَجْواً كَبيرا
هُــمُ العاسِفُونَ صِلابُ القَنا إذا الخَيْلُ كانتْ من الطَّعْنِ زُورا[3]
وأَيْسارُ لُقْمــانَ إذْ أَمْحِلُوا وعِزٌّ لِمَنْ جاءهم مُسْتَجيرا[4]
فإنْ أنــا لم يُقْضَ لِــي أَلْقَهُمْ قَــرَأْتُ السَّلامَ عليهمْ كَثيرا

[عود إلى شعر في ذم ابن الزبير قيل إنّه لفضالة]

وذكر ابن حبيب في هذه الرواية أنّ القصيدة التي ذَكَرتُها عن المدائنيّ في خبر عبد الله بن فَضالةَ بن شَريكٍ مع ابن الزبير كانت مع فَضالة وابنِ الزبير لا مع ابنه ، وذَكَر الأَبيات وزاد فيها : [من الوافر]

شَكوتُ إليه أنْ نَقِبتْ قَلُوصي فَــرَدَّ جــوابَ مَشْدودِ الصِّفادِ[5]
يَضِنُّ بناقَــةٍ ويــــرومُ مُلْكــاً مُحــالٌ ذلِكــمْ غَيْــرُ السَّدادِ
وَلِيــتَ إمــارةً فبَخِلْتَ لَمّــا وَلِيتَهــمُ بمُلْــكٍ مُسْتَفــادِ
فــإنْ وَلِيَــتْ أُمَيّــةُ أَبْدَلُوكُمْ بِكُــلِّ سَمَيْــدَعٍ واري الزِّنادِ
من الأَعْياصِ أَوْ مِــنْ آل حَرْبٍ أَغَــرَّ كغُــرّةِ الفَــرَسِ الجَوادِ
إذا لَــمْ أَلْقَهُــم بمنًــى فإنِّــي ببَيْتٍ لا يَهَشّ لــه فــؤادي
سَيُدْنِينــي لَهُــمْ نَصُّ المَطايــا وتعليــقُ الأَداوى والمَــزادِ
وظَهْــرُ مُعَبَّــدٍ قــد أَعْمَلَتْهُ مَناسِمُهُــنّ طَــلاّعِ النِّجادِ

1 اللقاح : ذوات الألبان من النوق ، واحدتها لقوح ولقحة .
2 الضفور : جمع ضَفر ما يشد به البعير من الشعر المضفور .
3 زور : مائلات ، واحدها أزور وزوراء .
4 أيسار : أصحاب القداح المجتمعون على الميسر ، الواحد يسر .
5 الصفاد : ما يوثق به الأسير من قدّ أو قيد .

رَعَيْنَ الحَمْضَ حَمْضَ خُناصِراتٍ وما بالعِرْقِ من سَبَلِ الغَوادِي[1]
فهُنّ خَواضِعُ الأَبدانِ قُودٌ كأنَّ رؤوسَهُنَّ قبورُ عادِ[2]
كأنّ مَواقِعَ الغِرْبانِ منها مَناراتٌ بُنِينَ على عِمادِ[3]

[طلب عبد الملك فضالة فوجده قد مات فأكرم أهله]

[قال] : فلمّا وَلِي عبدُ الملك بعث إلى فَضالةَ يطلبُه ، فوجده قد مات ، فأمر لورثته بمائة ناقةٍ تحمل وِقْرَها بُرّاً وتمْراً . [قال] : والكاهلية التي ذكرها زُهْرةُ بنتُ خَثْعَمٍ امرأةٌ من بني كاهِلِ بن أَسَدٍ ، وهي أُمُّ خُوَيْلد بن أَسَدِ بن عبد العزّى .

صوت

[من الطويل]

لقدْ طالَ عَهْدِي بالإمامِ محمدٍ وما كنتُ أَخشى أن يطولَ به عهدي
فأصبحتُ ذا بُعْدٍ ودارِي قريبةٌ فَواعَجَبا من قُرْبِ دارِي ومن بُعْدِي
فيا ليتَ أنّ العِيدَ لِي عادَ يَوْمُهُ فإنّي رأيت العِيدَ وَجْهَك لي يُبْدِي
رأَيتُك في بُرْدِ النبيّ محمدٍ كبَدْرِ الدُّجى بين العِمامةِ والبُرْدِ

الشعر لأبي السِّمْط مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر بن أبي حفصة . والغناء لِبُنانٍ خفيفُ رملٍ مطلق ابتداؤه نشيد . وذكر الصُّولِيّ أنّ هذا الشعر ليحيى بن مروان . وهذا غلط قبيح .

1 خناصرات : خناصرة من أعمال حلب تحاذي قنسرين .
2 قود : جمع أقود وقوداء . والقود : طول الظهر والعنق .
3 الغرابان من الفرس والبعير : حرفا الوركين الأيسر والأيمن اللذان فوق الذنب . والغراب أيضاً : قذال الرأس .

[205] ـ أخبار مروان الأصغر

[كان أهله شعراء]

قد مرّ نسبه في نسب أبيه وأهله وأخبارهم مُتقدِّما . وكان مروان هذا آخرَ مَنْ بَقِي منهم يُعَدّ في الشعراء ، وبقي بعده منهم مُتَوَّجٌ . وكان ساقطاً بارد الشِّعر . فذُكِر لي عن أبي هِفَّان أنّه قال : شِعْرٌ آل أبي حَفصة بمنزلة الماء الحارّ . ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تَلِين حرارته ، ثم يفتُر ثم يَبْرُد ، وكذا كانت أشعارهم ، إلاّ أنّ ذلك الماء لمّا انتهى إلى مُتَوَّج جَمَد .

وهذا الشعر يقوله مروان في المنتصر ، وكان قد أقصاه وجفاه ، وأظهر خِلافاً لأبيه في سائر مَذاهبه حتى في التشيُّع ، فطَرَد مروانَ لِنَصْبه ، وأخرجه عن جُلسائه . فقال هذه الأبياتَ وسأل بُنانَ بن عمرو فغنَّى فيها المنتصرَ ليستعطفه . وخبرُه في ذلك يُذْكَر في هذا الموضع من الكتاب . إن شاء الله .

[مدح المتوكّل وولاة عهده فأكرمه وأقطعه ضيعة]

أخبرني عمّي وحبيبُ بن نصر المهلّبيّ قالا حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني حمّاد بن أحمد بن سليمان الكلبيّ قال حدَّثني أبو السِّمْط مروان الأصغر قال : لمّا دخلتُ إلى المتوكّل مدحتُه ومدحتُ وُلاةَ العُهود الثلاثة ، وأنشدته : [من الطويل]

سَقى الله نَجْداً والسلامُ على نَجْدِ ... ويا حَبَّذا نجدٌ على النَّأْي والبُعْدِ
نظـرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها ... لَعَلِّي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ
ونجدٌ بهـا قـومٌ هَواهُمْ زِيارتي ... ولا شيءَ أحلى من زِيارتهمْ عندي

قال : فلمّا فرغتُ منها أمر لي بمائة وعشرين ألفَ درهم وخمسين ثوباً وثلاثةٍ من الظَّهْر فَرَسٍ وبَغْلةٍ وحِمارٍ ، ولم أبرَحْ حتّى قلتُ قصيدتي التي أشكره فيها وأقول : [من الطويل]

تَخَيَّرَ ربُّ النّـاسِ للنّاس جعفرا ... ومَلَّكَه أمـرَ العِبـادِ تَخيُّرا

فلمّا صرتُ إلى هذا البيت : [من الطويل]

فأَمْسِكْ نَدى كَفَّيْكَ عنّي ولا تزِد ... فقد كِدْتُ أنْ أطغى وأنْ أتَجبَّرا

قال لي : لا والله لا أُمسِكُ حتّى أُغَرِّقَك بجُودي .

وحدّثني عمّي بهذا الخبر قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني حماد بن أحمد بن يحيى قال حدّثني مَروان بن أبي الجَنُوب ، فذكر مثلَ هذا الخبر سواء ، وقال بعد قوله : «لا والله لا أمسك حتّى أُغَرِّقك» : سَلْني حاجتك . فقلت : يا أمير المؤمنين ، الضيعة التي أمرتَ أنْ أُقْطَعَها باليمامة ، ذكر ابن المُدَبِّر أنّها وَقْفُ المعتصم على وَلَده ، فقال : قد قَبَّلْتُك[1] إيّاها مائة سنةٍ بمائة درهمٍ . فقلتُ : لا يحسُن أن تُضْمَنَ ضيعةٌ بدرهمٍ في السنة . فقال ابن المدبِّر : فبألفِ درهم في كلّ سنة . فقلت نعم . فأمر ابنَ المدبِّر أن يُنْفَذَ ذلك لي ، وقال : ليستْ هذه حاجةً ، هذه قَبالةٌ ، فسَلْني حاجتَك . فقلتُ : ضيعة يقال لها السُّيُوح أمر الواثق بإقطاعي إيّاها ، فمَنَعنيها ابن الزيّات ؛ فأمر بإمضاء الإقطاع لي .

[هجاء علي بن الجهم في حضرة المتوكل فغلبه]

حدّثني جعفر بن قدامة قال حدّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان عليّ بن الجَهْم يَطعن على مروان بن أبي الجنوب ويَثْلُبُه حسداً له على موضعه من المتوكّل . فقال له المتوكّل [يوماً] : يا عليّ ، أيّما أشعرُ أنتَ أو مروان ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين . فأقبل على مروان فقال له : قد سمعتَ ، فما عندك ؟ قال : كلُّ أحدٍ أشعرُ منّي يا أمير المؤمنين ، وما أصِفُ نفسي ولا أُزَكّيها . وإذا رَضِيني أميرُ المؤمنين فما أُبالي مَن زَيَّفني . فقال له : قد صَدَّقْتُك ، عليٌّ يزعمُ سرّاً وجهراً أنّه أشعرُ منك . فالتفت إليه مروان فقال له : يا عليّ ! أأنتَ أشعرُ منّي ؟ فقال : أوَتَشُكُّ في ذاك ؟ قال : نعم ؛ أشُكُّ وأشُكُّ ، وهذا أميرُ المؤمنين بيننا . فقال له عليّ : إنّ أمير المؤمنين يُحابيك . فقال المتوكّل : هذا عيٌّ منك يا عليّ ؛ ثم قال لابن حَمدون : احْكُمْ بينهما . فقال : طَرَحْتَني والله يا أمير المؤمنين بين أنيابِ ومخالِبِ أسَدَيْنِ . قال : واللهِ لَتحكمنّ بينهما . فقال له : أمّا إذْ حلفتَ يا أمير المؤمنين فأشعرُهما عندي أعْرَفُهما في الشِّعْر . فقال له المتوكّل : قد سمعتَ يا عليّ . قال : قد عَرَف مَيْلَك إليه فمال معه . فقال : دَعْنا منك ، هذا كلُّه عيٌّ ، فإن كنتَ صادقاً فاهْجُ مروانَ . قال : [قد] سَكرتُ ولا فضلَ فيّ . فقال المتوكّل لمروان : اهْجُه أنت ، وبحياتي لا تُبْقِ غايةً . فقال مروان : [من الطويل]

إن ابن جَهْمٍ في المَغِيبِ يَعِيبُني ... ويقول لي حَسَناً إذا لاقاني

صَغُرتْ مَهابتُه وعُظِّمَ بَطْنُه ... فكأنّما في بطنِهِ وَلَدانِ

وَيْحَ ابنِ جَهْمٍ ليس يَرْحَم أُمَّهُ ... لو كان يرحَمها لَما عاداني

فإذا التقينا ناك شِعْرِي شِعْرَه ... ونَزا على شَيطانه شيطاني

1 قبلتك إياها أي ضمنتها لك والتزمت بذلك .

قال : فضحِك المتوكّل والجلساءُ منه ، وانخزل[1] ابن الجهم ، فلم يكن عنده أكثر من أن قال : جَمَع حِيلةَ الرِّجالِ وحيلةَ النساء . فقال له المتوكّل : هذا أيضاً من عِيّك وبَرْدِك ، إن كان عندك شيءٌ فَهاته ؛ فلم يأتِ بشيء . فقال لمروان : بحياتي إنْ حَضَرك شيء فهاته ، ولا تُقَصِّرْ في شَتْمك . فقال مروان : [من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما الجَهْمُ بن بَدْرٍ بشاعرٍ وهذا عليٌّ بعده يَدّعي الشِّعْرا
ولكن أبي قد كان جاراً لأُمِّه فلمّا ادّعى الأشعارَ أوهمني أَمْرا

قال : فضحك [المتوكل] وقال : زِدْه بحياتي . فقال فيه : [من مجزوء الرمل]

يا ابنَ بَدْرٍ يا عَلِيَّهْ قُلْتِ إنِّي قُرَشِيَّهْ
قلتِ ما ليس بحقٍّ فاسْكُتي يا نَبَطِيَّهْ
أُسْكُتي يا بنتَ جَهْمٍ أُسْكُتي يا حَلَقِيَّهْ[2]

فأخذ عَبّادةُ هذه الأبيات فغنّاها على الطَّبْل وجاوبه مَن كان يغنّي ، والمتوكلُ يضحَك ويضرب بيديه ورجليه ، وعليٌّ مُطْرِقٌ كأنّه ميِّت ، ثم قال : عليَّ بالدواة فأُتِيَ بها ، فكتب : [من الوافر]

بَلاءٌ ليس يُشْبِهُهُ بَلاءٌ عَداوةُ غيرِ ذي حَسَبٍ ودِينِ
يُبِيحُكَ منه عِرْضاً لم يَصُنْهُ ويرتَع منك في عِرْضٍ مَصُونِ

[قال عليّ بن الجهم شعراً في حبسه ، فعارضه فلم يطلقوه]

أخبرني عليّ بن العبّاس بن أبي طلحة قال حدّثني جعفر بن هارون بن زِياد قال حدَّثني محمد بن السَّرِيّ قال : لَمّا مدح عليُّ بن الجَهْم وهو محبوسٌ المتوكّل بقوله : [من الوافر]

تَوَكَّلْنا على رَبِّ السماء وسلمنا لأسباب القضاء

وذكرَ فيها جميع النُّدَماء وسَبَعَهم[3] وهجاهم ، انتدب له مروان بن أبي الجنوب فعارضه فيها ، وقد كان المتوكّل رقَّ له ، فلمّا أنشده مروان هذه القصيدة اعْتَوَرَتْه أَلْسِنة الجلساء فثَلَبُوه واغتابوه وضربوا عليه ، فتركه في مَحبِسِه . والقصيدة : [من الوافر]

أَلَم تَعْلَم بأنَّك يا ابنَ جَهْمٍ دَعِيٌّ في أُناسٍ أدعياء

1 انخزل في كلامه : انقطع .
2 نسبة إلى داء الحلاق وهي ألاّ تشبع الأتان من السِّفاد .
3 سبعه : شتمه ووقع فيه .

أعبـدَ الله تهجـو وابنَ عَمْرٍ وبَخْتِيَشُوعَ أصحـاب الوفاء
هجوتَ الأكرمين وأنت كلبٌ حقيـقٌ بالشَّتِيمـةِ والهِجاء
أَتَرْمـي بالزِّنـاء بنـي حَلالٍ وأنـت زَنِيـمُ أولادِ الزِّناء
أُسامةُ من جُدُودِك يا ابنَ جَهْمٍ! كذبتَ ومـا بذلك من خَفاء

[قال في المعتصم شعراً بعدما كان من أمر العباس بن المأمون وعجيف]

أخبرني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثنا الحسين بن يحيى قال حدَّثني إبراهيم بن الحسن قال : لمّا كان من أمر العبّاس بن المأمون وعُجَيف ما كان ، أنشد مروان بن أبي الجَنوب المعتصم قصيدةً أوّلها : [من الوافر]

ألا يـا دولةَ المَعْصُومِ دُومي فإنَّك قُلْت للدُّنْيـا استقيمي

فلمّا بلغ إلى قوله :

هَـوى العَبّاسُ حين أراد غَدْراً فَوافـى إذ هوى قَعْرَ الجحيمِ
كذاك هَوى كمَهْواهُ عُجَيْفٌ فأصبحَ في سَواء لَظى الحَمِيمِ

[قال المعتصم : أبعده الله !]

[مدح أشناس فطرب له وأجازه من غير أن يفهمه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثنا أبو العيناء قال : دخل مروان الأصغرُ بن أبي الجَنوبِ على أشناس وقد مدحه بقصيدة فأنشده إيّاها ، فجعل أشْناس يُحَرِّك رأسَه ويومىء بيديه ويُظهر طرباً وسروراً ، وأمر له بصِلَةٍ . فلمّا خرج قال له كاتبه : رأيتُ الأميرَ قد طَرِب وحرّك رأسَه ويديه لِما كان يسمَعه ، فقد فَهِمَه ؟ قال نعم . قال : فأيَّ شيء كان يقول ؟ قال : ما زال يقول عليّ رُقيةَ الخُبْزِ حتّى حَصَّل ما أراد وانصرف .

[هجا علي بن يحيى المنجم فردّ عليه]

حدَّثني جعفر بن قُدامة قال حدَّثني عليّ بن يحيى المنجِّم قال : كان المتوكِّلُ يُعابِثُني كثيراً ، فقال في يومٍ من الأيّام لمروان بن أبي الجنوب : أهْجُ عليّ بن يحيى ؛ فقال مروان : [من الطويل]

ألا إنّ يحيـى لا يُقـاسُ إلى أبـي وعِرْضُ ابن يحيى لا يُقاسُ إلى عِرْضي

وهي أبيات تركتُ ذكرَها صيانةً لعليّ بن يحيى . قال : فأجبتُه عنها فقلتُ : [من الطويل]

صدقتَ لَعَمْرِي مـا يقاسُ إلى أبي أبوك ، ومَن قاس الشَّواهِقَ بالخَفْضِ
وهَـلْ لك عِـرْضٌ طاهرٌ فتَقِيسُه إذا قِيسَتِ الأعراضُ يوماً إلى عِرْضي

ألستُمْ مَـــوالي لِلَّعِـــينِ ورَهْطِـــهِ أعادِي بني العَبَّاسِ ذي الحَسَبِ المَحْضِ
تُوالُـــونَ مَـــنْ عادى النبيَّ ورَهْطَهُ فتَرْمُونَ مَنْ والى أُولي الفَضْلِ بالرَّفْضِ
وليس عجيباً أنْ أرى لـــك مُبْغِضاً لأنَّكَ أهـــلٌ للعَـــداوةِ والبُغْضِ

[نقد أبو العنبس الصيمري شعراً له فتهاجرا]

حدَّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال : أنشد مروان بن أبي الجَنوب المتوكِّل ذات يومٍ : [من الكامل]

إنِّي نـــزلتُ بساحة المُتَوكِّلِ ونزلتَ في أقصى دِيارِ المَوْصِلِ

فقال له بعض مَنْ حَضَر : فكيف الاتِّصالُ بين هؤلاء والمُراسلة ؟ فقال أبو العَنْبَس الصَّيْمَرِيّ : كان له حَمامٌ[1] هُدًى يبعث بها إليه من الموصل حتّى يُكاتبه على أجنحتها . فضحِك المتوكِّلُ حتى استلقى ، وخَجِل مروان وحَلَف بالطلاق لا يكلِّم أبا العَنْبَس أبداً ، فماتا متهاجِرَيْن . كذا أكبرُ حفظي أنّ جحظة حدَّثني به عن عليّ بن يحيى ؛ فإنِّي كتبتُه عن حِفْظي .

[أنشد المتوكل في مرضه بالحمى قصيدة ، فقال عليّ بن الجهم إن بعضها منتحل]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني إبراهيم بن المُدَبِّر قال قرأتُ في كتاب قديم : قال عوف بن مُحَلِّم لعبد الله بن طاهر في عِلّةٍ اعتلَّها : [من الطويل]

فإنْ تَكُ حُمَّى الرِّبْعِ شَفَّكَ وِرْدُها فعُقْباكَ منها أن يطولَ لك العُمْرُ[2]
وَقَيْناكَ لو نُعْطى المُنى فيك والهَوى لكان بِنا الشَّكْوى وكان لك الأَجْرُ

قال : ثم حُمَّ المتوكِّلُ حُمَّى الرِّبْع ، فدخل عليه مروان بن أبي الجَنوب بن مروان بن أبي حَفصةَ ، فأنشده قصيدةً له على هذا الرَّوِيِّ ، وأدخل البيتين فيها ، فسُرَّ بها المتوكّل . فقال له عليّ بن الجَهْم : يا أمير المؤمنين ، هذا شعرٌ مَقُولٌ ، والتفتَ إليّ وقال : هذا يعلَم . فالتفتَ إليّ [المتوكِّل] وقال : أتعْرِفه ؟ فقلتُ : ما سمعتُه قبلَ اليوم . فشَتَم عليَّ بن الجَهْمِ وقال له : هذا من حَسَدك وشَرِّك وكَذِبك . فلمّا خرجنا قال عليُّ بن الجَهْم : وَيحك ؟ مالكَ قد جُنِنْتَ ؟ أما تعرِف هذا الشعرَ ؟ قلتُ : بلى ؛ وأنشدتُه إيّاه . فلمّا عدتُ إلى المتوكّل من غدٍ قال له : يا أمير المؤمنين ، قدِ اعترف لي بالشِّعر وأنشدَنيه . فقال لي : أكذاك هو ؟ فقلتُ : كَذَب [يا أمير المؤمنين] ! ما سمعتُ به قطُّ ، فازداد عليه غيظاً وله شتماً . فلمّا خرجنا قال لي : ما في الأرض

1 الحمام الهداء : ضرب من الحمام يدرّب على السفر من مكان إلى مكان .
2 حمّى الربع : التي تنوب في اليوم ثم تدع المريض يومين ثم ترده في اليوم الرابع .

شَرٌّ منك . فقلتُ له : أنت أحمقُ ، تريد منّي أن أجيء إلى شِعْرٍ قد قاله فيه شاعرٌ يُحِبُّه ويُعْجِبه شعرُه فأقول له : إنّي أعرفه فأُوقِع نفسي وعِرْضي في لسان الشاعر لترتفع أنت عنده ، ويَسقط ذاك ويُبْغِضَني أنا !

صوت

[من مجزوء الرمل]

ما لإبراهيمَ في العِلْـ ـمِ بهذا الشَّأنِ ثانِ
إنَّما عُمْرُ أبي إسْـ ـحاقَ زَيْنٌ لِلزَّمانِ
فإذا غَنَّى أبو آسْحا قَ أجابتْهُ المَثاني
منه يُجْنى ثَمَرُ اللَّهْـ ـوِ ورَيْحانُ الجِنانِ
جَنَّةُ الدُّنْيا أبو إسـ ـحاقَ في كلِّ مكانِ

عَروضه من الرمل . الشِّعْرُ لابن سَيابة . والغناء لإبراهيم المَوْصِلِيّ خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق ابنه .

[206] ـ أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه

[جدّه حجام وهو لا نباهة له ولا شعر]

إبراهيم بن سَيابَة مولى بني هاشم . وكان يقال : إنّ جَدَّه حَجَّام أعتقه بعض الهاشميين . وهو من مُقارَبي شُعَراء وقتِه ، ليست له نباهةٌ ولا شعرٌ شريف ، وإنّما كان يميل بمودّته ومَدْحِه إلى إبراهيم المَوصِلِيّ وابنِه إسحاق ، فغنَّيا في شعره ورفعا منه ، وكانا يذكُرانه للخُلفاء والوزراء ويُذَكِّرانهم به إذا غنَّيا في شعره ، فينفَعانِه بذلك . وكان خليعاً ماجناً . طَيِّبَ النادرة ، وكان يُرْمى بالأُبْنة .

[يعشق جارية سوداء فلامه أهله]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا يعقوب بن إسرائيل قال حدَّثني أبو زائدة عن جعفر بن زيادٍ قال : عَشِقَ ابنُ سَيابة جاريةً سوداء ، فلامه أهلُه على ذلك وعاتبوه ؛ فقال : [من الوافر]

يكونُ الخالُ في وجهٍ قَبيحٍ ... فيكسُوه المَلاحةَ والجَمالا
فكيف يُلامُ معشوقٌ على مَنْ ... يراها كلَّها في العينِ خالا

[قصته مع ابن سوّار القاضي ودايته رُحاص]

أخبرني محمد بن مَزْيَدٍ وعيسى بن الحسين والحسين بن يحيى قالوا حدَّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : لَقِيَ[1] إبراهيم بن سَيابة وهو سكرانُ ابناً لسَوّار بن عبد الله القاضي أَمْرَدَ ، فعانقه وقبَّله ، وكانت معه دايةٌ يقال لها رُحاص ، فقيل لها : إنّه لم يُقَبِّلْه تقبيلَ السلام ، إنّما قبَّله قُبْلَةَ شَهْوةٍ . فلَحِقَتْه الدّاية فشتمته وأسمعَته كلَّ ما يكره ، وهَجَره الغلام بعد ذلك . فقال له : [من المجتث]

قُلْ لِلَّذِي ليس لِي مِنْ ... يَدَيْ هَواهُ خَلاصُ
أأن لثَمْتُكَ سِرّاً ... فأبصرتْني رُحاصُ
وقال في ذاك قومٌ ... على انْتقاصي حِراصُ
هَجَرْتَني وأتتني ... شَتِيمةٌ وانتقاصُ
فَهاكَ فاقْتَصَّ مِنِّي ... إنّ الجُروحَ قِصاصُ

1 ل : أتي .

ويُروى أنّ رُحاصَ هذه مغنّية كان الغلام يُحِبُّها ، وأنّه سَكِرَ ونام ؛ فقبَّله ابن سَيابة . فلمّا انتبه قال للجارية : ليت شِعْري ما كان خَبَرُكِ مع ابن سَيابة ؟ فقالت له : سَلْ عن خبرك أنت معه ، وحدَّثته بالقِصَّة ؛ فهجره الغلام ؛ فقال هذا الشعر .

[جوابه لمَن عاتبه على مجونه]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا ابن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا علي بن الصَّبّاح قال : عاتَبْنا ابن سَيابة على مجونه ، فقال : وَيلكم ؛ لأَنْ ألقى الله تبارك وتعالى بذلِّ المعاصي فيَرْحَمَني ، أَحَبُّ إليّ من أَنْ ألقاه أتبختر إدلالاً بحسناتي فيَمْقُتَني .

قال : ورأيتُ ابن سَيابة يوماً وهو سكرانُ وقد حُمِل في طَبَقٍ يَعْبُرون به على الجسر ، فسألهم إنسانٌ ما هذا ؟ فرفع رأسه من الطبق وقال : هذا بقيَّةٌ ممّا ترَكَ آلُ موسى وآلُ هارون تَحمِله الملائكة يا كِشْخان[1] .

[ولع به أبو الحارث جُمَّين حتى أخجله فهجاه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا أبو الشِّبْل البُرْجُميّ قال : وَلِع [يوماً] أبو الحارث جُمَّيْن بابن سَيابة حتى أخجلَه . فقال عند ذلك ابن سيابة يهجوه :

بَنى أبو الحارثِ الجُمَّيْنِ في وَسَطٍ ... من ظَهْرِهِ وقَرِيباً من ذِراعَيْنِ
دَيْراً لِقَسٍّ إذا ما جاء يدخلُه ... أُلقى على بابِ دَيْرِ القَسِّ خُرْجَيْنِ
يعدو على بَطْنِهِ شَدّاً على عَجَلٍ ... لا ذو يَدَيْنِ ولا يمشي برجلينِ

[جوابه لمن اقترض منه فاعتذر]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إبراهيم تِينةٌ قال : كَتَبَ ابن سيابة إلى صديقٍ له يقترض منه شيئاً ؛ فكتب إليه يعتذر له ويحلِف أنّه ليس عنده ما سأله . فكتب إليه : «إن كنتَ كاذباً فَجَعَلكَ اللهُ صادقاً ، وإن كنتَ ملوماً فجعلَكَ الله معذوراً» .

[ضرط في جماعة فكلم استه]

أخبرني محمد بن أبي الأَزهَر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : كان ابنُ سيابة الشاعر عندنا يوماً مع جماعةٍ نتحدّث ونتناشد وهو يُنشِدنا شيئاً من شِعره ، فتحرّك فضرَط ، فضرب بيده على استِه غير مكترثٍ ، ثم قال : إمّا أنْ تسكُتي حتّى أتكلّم ، وإمّا أن تتكلّمي حتى أسكُتَ .

1 الكشخان : الديوث .

[غلام يريد أن يتعلم الزندقة]

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم الأنباريّ الكاتب قال حدَّثني أبو هِفّان قال : غَمَز ابن سيابة غلاماً أَمْرَدَ ذاتَ يومٍ فأجابه ، ومضى به إلى منزله ، فأكلا وجَلَسا يَشرَبان . فقال له الغلام : أنت ابن سيابة الزِّنديق ؟ قال نعم . قال : أُحِبُّ أن تُعَلِّمني الزندقة . قال : أفعَلُ وكرامةً . ثم بَطَحه على وجهه ، فلمّا تَمَكّن منه أدخل عليه ؛ فصاح الغلامُ أُوَّهْ ! أيْشٍ هذا ويحك ! قال سألتَني أنْ أُعَلِّمَك الزندقة ، وهذا أوّل بابٍ من شرائعها .

[المصيبة العظمى في فقد الدقيق]

أخبرني الحسين بن القاسم الكَوْكَبِيُّ قال حدَّثني مُحْرِز بن جعفر الكاتب قال : قال لي إبراهيم بن سيابة الشاعر : إذا كانت في جيرانك جِنازة وليس في بيتك دقيقٌ فلا تحضُر الجنازة ، فإنّ المصيبة عندك أكبرُ منها عند القوم ، وبيتك أَوْلى بالمأتم من بيتهم .

[سخط عليه الفضل بن الربيع ، فاستعطفه فرضي عنه ووصله]

أخبرني جعفر بن قُدامةَ ومحمد بن مَزْيَدٍ قالا حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : سَخِط الفضلُ بن الربيع على ابن سيابة ، فسألته أن يرضى عنه فامتنع . فكَتَبَ إليه ابن سيابة بهذه الأبيات وسألني إيصالها : [من الكامل]

إنْ كان جُرْمِي قد أحاطَ بجُرْمتي ... فأَحِطْ بجُرْمي عَفوَك المأمولا
فكَمِ ارتَجَيْتُكَ في التي لا يُرْتَجى ... في مِثْلِها أحدٌ فنِلْتُ السُّولا[1]
وَضَلَلْتُ عنك فلم أجِدْ لي مَذْهَباً ... ووجدتُ حِلْمَكَ لي عليك دليلا
هَبْني أَسأتُ وما أَسأتُ أُقِرُّ كَيْ ... يزدادَ عَفْوُك بعد طَوْلِكَ طُولا[2]
فالعَفْوُ أَجْمَلُ والتَّفَضُّلُ بامرىءٍ ... لم يَعْدَمِ الرَّاجون منه جميلا

فلمّا قرأها الفضلُ دَمَعتْ عيناه ورضي عن ابن سيابة ، وأَوْصَلَه إليه وأَمَر له بعشرة آلاف درهم .

[حواره المقذع مع بشار]

أخبرني الحسن بن عليٍّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثنا الحسن بن الفضل قال سمعتُ ابنَ عائشةَ يقول : جاء إبراهيم بن سَيابة إلى بَشّار فقال له : ما رأيتُ أعمى قَطُّ إلاّ وقد عُوِّض من بصره إمّا الحِفْظَ والذَّكاءَ وإمّا حُسنَ الصوت ، فأيُّ شيء

1 السؤل والسؤلة : ما سألته ويترك همزهما .
2 الطَوْل : الفضل .

عُوِّضْتَ [أنت] ؟ قال : ألاَّ أرى ثقيلاً مثلَك ، ثم قال له : مَن أنتَ ويحَك ؟ قال : إبراهيم بن سيابة . فتَضاحَكَ ثم قال : لو نُكِح الأسدُ في استِه لذلَّ . وكان إبراهيم يُرمى بذلك . ثم تمثَّل بَشَّار : [من مجزوء البسيط]

لـو نُكِح اللَّيْثُ في استِهِ خَضَعا ومـات جوعـاً ولَم يَنَلْ شِبَعا
كذلـك السيفُ عنـد هِزَّتِـهِ لـو بَصَقَ النَّاسُ فيـه مـا قَطَعا

[نزل على سليمان بن يحيى بن معاذ بنيسابور]

أخبرني حبيبُ بن نصر المهلَّبي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني عبد الله بن أبي نصر المَرْوَزيّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله الطَّلْحيّ قال حدَّثني سليمان بن يحيى بن مُعاذ قال : قدِم إبراهيم بن سيابة نَيْسابور فأنزلتُه عليَّ ؛ فجاءني ليلةً من الليالي وهو مُهْرِبٌ[1] ، فجعل يصيح بي : يا أبا أيُّوب . فخَشِيتُ أن يكون قد غَشِيَه شيءٌ يؤذِيه ، فقلتُ : ما تشاء ؟ فقال : [من مخلع البسيط]

أعْيانيَ الشَّادِنُ الرَّبِيبُ

فقلتُ بماذا ؟ فقال :

أكتُبُ أشكو فلا يُجِيبُ

قال فقلتُ له : داره وداوه ؛ فقال : [من مخلع البسيط]

مِنْ أينَ أبْغي شِفاءَ ما بي وإنّمـا دائـيَ الطَّبِيبُ

فقلت : لا دواءَ إذاً إلاّ أن يُفَرِّجَ اللهُ تعالى . فقال :

يا رَبِّ فَرِّجْ إذاً وعَجِّلْ فإنَّـكَ السَّامِعُ المُجِيبُ

ثم انصرف .

في هذا الشعر رملٌ طُنْبورِيٌّ لجحظة .

[من قصيدة أُخت الوليد بن طريف في رثائه]

صوت

[من الطويل]

أيـا شَجَرَ الخابـورِ مالَكَ مُورِقاً كأنَّـك لم تحـزَنْ على ابن طَرِيفِ

1 أهرب فهو مهرب : جدّ في السير مذعوراً .

فَتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاَّ من التُّقى ولا المالَ إلاّ من قَنًا وسُيُوفِ

الشعر لأُخت الوليد بن طَرِيفٍ الشاريّ . والغناء لعبد الله بن طاهر ثقيلٌ أوّل بالوسطى ، من رواية ابنه عُبيد الله عنه . وأوّلُ هذه الأبيات كما أنشدنا محمد بن العبّاس اليزيديّ عن أحمد بن يحيى ثعلب : [من الطويل]

بتَلٍّ بُناثا رَسْمُ قَبْرٍ كأنَّه على عَلَمٍ فوق الجبالِ مُنِيفِ
تَضَمَّنَ جُوداً حاتميّاً ونائِلاً وسَوْرَةَ مِقْدامٍ وقَلْبَ حَصِيفِ
أَلا قاتلَ اللهُ الجُثا حيث أُضمرتْ فتًى كان بالمعروفِ غيرَ عَفِيفِ
فإنْ يَكُ أَرْداهُ يَزِيدُ بنُ مَزْيَدٍ فيا رُبَّ خيلٍ فَضَّها وصُفوفِ
أَلا يا لَقَوْمٍ للنَّوائبِ والرَّدى ودَهْرٍ مِلِحٍّ بالكرام عَنِيفِ
ولِلْبَدْرِ من بين الكواكِبِ إذْ هوى وللشَّمْسِ هَمَّتْ بعدَه بكُسوفِ
أَيا شجرَ الخابورِ ما لَكَ مُورِقاً كأَنَّك لم تَحزَنْ على ابنِ طَرِيفِ
فتًى لا يُحِبُّ الزَّادَ إلاّ مِنَ التُّقى ولا المالَ إلاّ من قَناً وسيوفِ
ولا الخَيْلَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءَ شَطْبَةٍ وكلَّ حِصانٍ باليدين غَرُوفِ[1]
فلا تَجْزَعا يا ابنَيْ طَرِيفٍ فإنَّني أَرى الموتَ نَزَّالاً بكلِّ شريفِ
فَقَدْناكَ فِقْدانَ الرَّبِيعِ ولَيتَنا فَدَيْناكَ من دَهْمائنا بأُلوفِ

وهذه الأبيات تقولها أُخت الوليد بن طريفٍ تَرثيه ، وكان يزيد بن مَزْيَدٍ قتلَه .

1 الغروف من الخيل : التي تغرف الجري غرفاً فتنهب الأرض نهباً في سرعتها .

207 ـ [خبر مقتل الوليد بن طريف]

[ذكر الخبر في ذلك]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد عن عمّه عن جماعة من الرُّواة قال : كان الوليد بن طَريفٍ الشَّيبانيّ رأسَ الخوارج وأشدَّهم بأساً وصَوْلةً وأشجعهم ؛ فكان مَن بالشَّماسيّة[1] لا يأمَنُ طُروقَه [إيّاه] ، واشتدّتْ شَوْكتُه وطالتْ أيّامَه . فوجَّه إليه الرشيدُ يزيدَ بن مَزْيَدٍ الشيبانيَّ ، فجعلَ يُخاتِلُه ويُماكِرُه . وكانتِ البرامكةُ منحرفةً عن يزيد بن مَزْيَدٍ ، فأغْرَوْا به أميرَ المؤمنين ، وقالوا : إنّما يتجافى عنه للرَّحِم ، وإلاّ فشوكة الوليد يسيرة ، وهو يُواعِدُه وينتظر ما يكون من أمره . فوَجَّه إليه الرشيدُ كتابَ مُغْضَب يقول فيه : «لو وَجَّهْتُ بأحد الخَدَم لقامَ بأكثر ممّا تقوم به ، ولكنّك مُداهِنٌ مُتعصِّب . وأمير المؤمنين يُقْسِم بالله لئن أخَّرْتَ مُناجَزةَ الوليد لَيُوَجِّهنّ إليكَ مَن يحمِل رأسَك إلى أمير المؤمنين» . فلقِيَ الوليدَ عَشِيَّةَ خميسٍ في شهر رمضان . فيقال : إنّ يزيدَ جُهِد عَطَشاً حتى رمى بخاتمه في فِيه ، فجعل يَلُوكه ويقول : اللهُمَّ إنّها شدّةٌ شديدةٌ فاسْتُرْها . وقال لأصحابه : فِداكم أبي وأُمّي ، إنّما هي الخوارج ولهم حَملةٌ ، فاثْبُتوا لهم تحت التِّراس[2] ، فإذا انقضتْ حملتُهم فاحْمِلُوا ؛ فإنّهم إذا انهزموا لم يرجعوا . فكان كما قال ، حَمَلوا حملةً وثَبَت يزيد ومَن معه من عشيرته وأصحابه ، ثم حَمَل عليهم فانكشفوا . ويقال : إنّ أسَد بن يزيد كان شبيهاً بأبيه جِدّاً ؛ وكان لا يَفْصِل بينهما إلاّ المتأمِّل ، وكان أكثرُ ما يُباعده منه ضربةً في وجهِ يزيد تأخذ من قَصاصِ شَعْرِهِ ومنحرفةً على جَبهته ؛ فكان أسدٌ يتمنّى مثلها . فهَوَتْ له ضربةٌ فأخرجَ وجهه من التُّرْس فأصابته في ذلك الموضع . فيقال : إنّه لو خُطَّتْ على مثالِ ضَرْبة أبيه ما عدا ، جاءت كأنّها هي . واتّبَع يزيد الوليد بن طريفٍ فلَحِقه بعد مسافةٍ بعيدةٍ فأخذ رأسَه . وكان الوليد خرج إليهم حيث خرج وهو يقول : [من الرجز]

أنا الوليدُ بنُ طَرِيفَ الشَّارِي قَسْوَرَةٌ لا يُصْطَلى بِناري
جَوْرُكُمُ أخرجني من داري

1 الشماسية : محلة كانت قرية من بغداد .
2 التراس : جمع تُرس .

[خرجت أخته لتثأر له فزجرها يزيد بن مزيد]

فلمّا وقع فيهم السيفُ وأُخِذ رأسُ الوليد ، صَبَّحَتْهم أُخته ليلى بنت طَريفٍ مستعدّةً عليها الدِّرع والجَوشَنُ ، فجعلتْ تحمِل على الناس فعُرِفَتْ . فقال يزيد : دَعُوها ، ثمّ خرج إليها فضَرَب بالرُّمْح قَطاة[1] فرسها ، ثم قال اغْرُبي غَرّب اللهُ عليك ! فقد فَضَحْتِ العشيرة ؛ فاسْتَحيَتْ وانصرفتْ وهي تقول : [من الطويل]

أيــا شجــرَ الخابــورِ ما لَـكَ مورقاً ... كأنَّكَ لم تَحْــزَنْ على ابنِ طريفِ
فتًــى لا يُحِــبُّ الزَّادَ إلاّ مِنَ التُّقى ... ولا المــالَ إلاّ مــن قَنــاً وسُيوفِ
[ولا الذُّخْرَ إلاَّ كُلَّ جَرْداءَ صِلْدِمٍ ... وكلَّ رقيــقِ الشَّفْرَتَيْــنِ خفيفِ[2]]

فلمّا انصرف يزيدُ بالظَّفَر حُجب بِرأي البرامكة ، وأظهر الرشيد السخطَ عليه . فقال : وحَقِّ أمير المؤمنين لأصيفَنّ وأشْتُوَنّ على ظهر فَرَسي أو أدخلَ . فارتفع الخبر بذلك فأُذِن له فدخلَ . فلمّا رآه أمير المؤمنين ضَحِك وسُرّ وأقبل يصيح : مَرْحَباً بالأعرابيّ ! حتى دخل وأُجْلِسَ وأُكْرِمَ وعُرِف بَلاؤه ونقاءُ صَدْرِهِ .

[من قصيدة مسلم بن الوليد في يزيد بن مزيد]

ومدَحه الشعراء بذلك . فكان أحسنُهم مدحاً مُسلمُ بن الوليد ؛ فقال فيه قصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

أُجْرِرْتُ حَبْلَ خَلِيعٍ في الصِّبا غَزِلِ ... وشَمَّرتْ هِمَمُ العُــذَّالِ في عَذَلِي
هاجَ البكاءَ على العين الطَّمُوحِ هَوًى ... مُفَــرَّقٌ بــين توديــع ومُحْتَمَــلِ[3]
كيــف السُّلُــوُّ لِقَلْبٍ بات مُخْتَبَلاً ... يَهْذِي بصاحب قَلْــبٍ غيرِ مُخْتَبَلِ

وفيها يقول :

يَفْتَــرُّ عنــد افترارِ الحَــرْبِ مبتسماً ... إذا تَغَيَّــرَ وجــهُ الفــارسِ البَطَلِ
مُوفٍ على مُهَج في يــومِ ذِي رَهَجٍ ... كأنَّــه أَجَــلٌ يسعــى إلى أَمَلِ
ينالُ بالرِّفــقِ مــا يَعْيــا الرِّجالُ به ... كالمــوت مُستعجِلاً يأتــي على مَهَلِ
لا يَرْحَــلُ النَّاسُ إلاّ نحــوَ حُجرتِهِ ... كالبيت يُفْضِي إليــه مُلْتَقى السُّبُلِ

1 قطاة الفرس : عجزها أو مقعد الرديف منها .
2 الصلدم من الخيل : الشديدة الحافر . ورقيق الشفرتين : السّيف .
3 العين الطّموح : المرتفعة في النظر إلى الأحبّة وهم سائرون .

يَقْـرِي المَنِيّـةِ أرواحَ العُـداةِ كما ... يقرِي الضُّيوفَ شُحومَ الكُومِ والبُزُلِ[1]
يكسو السُّيوفَ رُؤوسَ الناكثين به ... ويجعلُ الهـامَ تيجـانَ القَنا الذُّبُلِ
إذا انتَضى سيفَـه كانـت مَسالِكُه ... مسالِكَ المـوت في الأبدانِ والقُلَلِ
لا تُكْذَبَـنَّ فإنَّ المَجْـدَ مَعْدِنُـهُ ... وِراثـةٌ في بنـي شَيْبانَ لَـم تَزَلِ
إذا الشَّرِيكِيُّ لَـم يَفْخَـرْ على أحدٍ ... تكلَّـم الفخـرُ عنـه غير مُنْتَحلِ[2]
الزَّائديُّـونَ قـوم في رِماحِهِـمُ ... خوفُ المُخِيفِ وأَمْنُ الخائِفِ الوَجِلِ[3]
كَبيرُهـمْ لا تقـوم الرّاسِياتُ له ... حِلْمـاً وطِفْلُهُمُ في هَـدْيِ مُكْتَهِلِ
اسْلَمْ يزيدُ فمـا في المُلْكِ مـن أَوَدٍ ... إذا سَلِمْتَ ولا في الدِّينِ مـن خَلَلِ
لولا دِفاعُكَ بأسَ الرُّومِ إذْ مَكَرتْ ... عن بَيْضةِ الدِّيـن لم تَـأْمَنْ من الثَّكَلِ
والمارِقُ ابنُ طَريفٍ قـد دَلَفْتَ له ... بِعـارِضٍ لِلمَنايـا مُسْبِـلٍ هَطِلِ
لـو أنّ غيرَ شَرِيكـيٍّ أطافَ بـه ... فـازَ الوليدُ بقِدْحِ النَّاضلِ الخَصِلِ[4]
مـا كان جَمْعُهُـمُ دَلفـتَ لهـم ... إلاّ كمثـلِ جَـرادٍ رِيـعَ مُنْجَفِلِ
كم آمـنٍ لـك نائـي الدّارِ ممتنعٍ ... أخرجتَه من حُصونِ المُلْكِ والخَوَلِ
تـراه في الأَمْنِ في دِرْعٍ مُضاعَفةٍ ... لا يأمَنُ الدَّهْرَ أنْ يُدْعى على عَجَلِ
لا يَعْبَـقُ الطِّيبُ خَدَّيْـهِ ومَفْرِقَه ... ولا يُمسِّحُ عينيـه مـن الكُحُلِ
يأبى لـك الذَّمَّ في يَوْمَيك إنْ ذُكِرا ... عَضْبٌ حُسامٌ وعِـرْضٌ غيرُ مُبْتَذَلِ
فافْخَرْ فمالـك في شَيْبانَ مـن مَثَلٍ ... كذاك مـا لبنـي شيبانَ من مَثَلِ

[كان معن يقدمه على بنيه فعاتبته امرأته فأراها حالهم وحاله]

وقال محمد بن يزيد : يعني بقوله :

تراه في الأمن في دِرْعٍ مُضاعَفَةٍ

خبرَ يزيدَ بن مَزْيَدٍ . وذاك أنّ امرأة مَعْن بن زائدةَ عاتبتْ مَعْناً في يزيد وقالت : إنّك لَتُقَدِّمه وتُؤَخِّر بَنِيك ، وتشِيد بذكْره وتُخمِل ذِكرَهم ، ولو نَبَّهتهم لانتَبهوا ، ولو رفعتَهم لارتفعوا .

1 الكوم : النوق العظام الأسنمة واحدتها كوماء .
2 الشريكي : نسبة إلى «شريك» جد من أجداد يزيد بن مزيد .
3 الزائديون : نسبة إلى «زائدة» أحد الأجداد .
4 الناضل : المصيب ومثله الخَصِل .

فقال مَعنٌ : إن يزيد قريبٌ لم تَبْعُدَ رَحِمُه ، وله عليّ حُكم الولد إذ كنتُ عمَّه . وبعدُ فإنّهم أَلْوَط[1] بقلبي وأدنى من نفسي على ما تُوجبه واجبةُ الوِلادة للأُبوّة من تقديمهم ، ولكنّي لا أَجِدُ عندهم ما أَجده عنده . ولو كان ما يَضْطلِع به يزيد في بعيدٍ لصار قريباً ، وفي عدوٍّ لصار حبيباً . وسأُريكِ في ليلتي هذه ما ينفسح به اللَّوْم عنّي ويتبيَّن به عُذْرِي . يا غلامُ اذْهَبْ فادْعُ جَسَّاساً وزائدة وعبد الله وفلاناً وفلاناً ، حتى أتى على أسماء وَلَده ؛ فلم يلبَثْ أن جاءوا في الغلائل المطيَّبة والنِّعالِ السِّنْدِيّة ، وذلك بعد هَدْأةٍ من الليل ، فسلَّموا وجلسوا . ثم قال : يا غلام ادْعُ لي يزيدَ وقد أَسْبَلَ سِتْراً بينه وبين المرأة ، وإذا به قد دخل عَجِلاً وعليه السِّلاح كلُّه ، فوضع رُمْحَه بباب المجلس ثم أتى يُحْضِر[2] . فلمّا رآه معه قال : ما هذه الهيئة أبا الزبير ؟ ، وكان يزيد يُكنى أبا الزبير وأبا خالد ، فقال : جاءني رسول الأمير فسَبَق إلى نفسي أنّه يُريدني لوجهٍ ، فقلت : إن كان مضيْتُ ولم أُعَرِّجْ ، وإن يكن الأمر على خلاف ذلك فنزعُ هذه الآلةِ أيسرُ الخَطْبِ . فقال لهم : انصرِفوا في حفظ الله . فقالت المرأة : قد تبيَّن عُذْرُك . فأنشد معنٌ متمثِّلاً : [من الرجز]

نَفْسُ عِصامٍ سَوَّدَتْ عِصاما وعوّدتـه الكَـرَّ والإقداما[3]
وصَيَّرتْه مَلِكاً هُماما

[من شعر أخته في رثائه]

وأخبرني محمد بن الحسن الكِندي قال حدَّثنا الرياشيّ قال : أنشدني الأصمعيّ لأخت الوليد بن طَريف تَرثيه : [من المتقارب]

ذكـرتُ الوليدَ وأيّامَـهُ إذِ الأرضُ مـن شَخْصه بَلْقَعُ
فأقبلـتُ أطلبـه في السَّماء كما يبتغـي أَنْفَـه الأَجْدَعُ
أضاعـك قومُـك فليطلبوا إفـادَةَ مِثْـلِ الـذي ضَيَّعُوا
لَـوَ انَّ السُّيوفَ التـي حَـدُّها يُصِيبُك تَعلَـمُ مـا تصنَعُ
نَبَتْ عنـكَ أو جعلـتْ هيبةً وخوفـاً لصَوْلِـك لا تَقْطَعُ

1 ألوط بقلبي : ألصق به .
2 يُحضر : يعدو ويسرع .
3 مثل يقال في نباهة الذكر من غير قديم ، وعصام بن شهبر حاجب النعمان ، فكلّ مَن كان ليس له قديم فشرف بنفسه قيل له عصامي . فصل المقال : 137 .

208 ـ [بعض أخبار عبد الله بن طاهر]

[بعض أخلاق عبد الله بن طاهر]

فأمّا خبرُ عبد الله بن طاهر في صنعته هذا الصوت ، فإنّ عبد الله كان بمحلٍّ من عُلُوِّ المنزلةِ وعِظَم القَدْر ولُطف مكانٍ من الخلفاء ، يَستغني به عن التقريظ له والدّلالة عليه . وأمرُه في ذلك مشهورٌ عند الخاصة والعامّة ، وله في الأدب مع ذلك المَحَلُّ الذي لا يُدفَع ، وفي السماحة والشجاعة مالا يقاربه فيه كبيرُ أحدٍ .

[فرّق خراج مصر وقال أبياتاً أرضى بها المأمون]

أخبرني عليٌّ بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد المُبَرِّد أن المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال مصر لسنةٍ خَراجَها وضِياعَها ، فوهبه كلَّه وفرّقه في الناس ، ورجع صِفْراً من ذلك ؛ فغاظ المأمون فِعلُه . فدخل إليه يوم مَقْدَمِه فأنشده أبياتاً قالها في هذا المعنى ، وهي : [من البسيط]

نَفْسي فداؤكَ والأعناقُ خاضعةٌ ... للنّائباتِ أَبِيّاً غيرَ مُهْتَضَمِ
إليكَ أقبلتُ من أرضٍ أقمتُ بها ... حَوْلَيْنِ بعدَك في شَوْقٍ وفي أَلَمِ
أقفُو مَساعِيَكَ اللاّتي خُصِصتَ بها ... حَذْوَ الشِّراكِ على مثْلٍ من الأَدَمِ
فكان فَضْلِيَ فيها أنّني تَبَعٌ ... لمَا سَنَنْتَ من الإنعامِ والنِّعَمِ
ولو وُكِلْتُ إلى نَفْسي غَنِيتُ بها ... لكن بدأتَ فلم أُعْجِزْ ولَم أُلَمِ

فضحِك المأمون وقال : واللهِ ما نَفِسْتُ عليك مكرمةً نِلتَها ولا أُحدوثةً حَسُن عنك ذِكرُها ، ولكن هذا شيءٌ إذا عوَّدتَه نفسَك افتقرتَ ولم تَقدِر على لَمِّ شَعَثِك ، وإصلاح حالِك . وزال ما كان في نفسه .

[سوغه المأمون خراج مصر وأتاه معلى الطائي ومدحه فأجازه بكل ما لديه]

أخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سَعْدٍ قال حدَّثني عبد الله بن فَرْقَدٍ قال أخبرني محمد بن الفضل بن محمد بن منصور قال : لمّا افتتح عبد الله بن طاهر مصرَ ونحن معه ، سوَّغه المأمون خَراجَها . فصَعِد المِنبَر فلم يزل حتى أجاز بها كلّها ثلاثة آلاف ألفِ دينارٍ أو نحوَها . فأتاه مُعَلَّى الطائي وقد أعلموه ما قد صنع عبد الله بن طاهر بالنّاس في الجوائز ، وكان عليه واحداً ، فوقف بين يديه تحت المِنبر فقال : أصلح الله الأمير ! أنا مُعَلَّى الطائيّ ، وقد بلغ منّي ما كان منك [إليَّ] من جفاءٍ وغِلَظٍ ، فلا يَغلظَنَّ عليَّ قلبُك . ولا يَستخفَّنَّك الذي بلغك ، أنا الذي أقول : [من البسيط]

يـا أَعظمَ النّاسِ عفواً عند مَقْدِرةٍ ... وأَظْلَمَ الناس عنـد الجُـودِ للمالِ
لو أَصبحَ النِّيلُ يجري ماؤه ذَهَباً ... لَمـا أَشرتَ إلى خَـزْنٍ بمِثْقالِ
تُغْلي بمـا فيـه رِقُّ الحمدِ تَملِكُهُ ... وليس شيءٌ أَعاضَ الحمدَ بالغالي[1]
تَفُكُّ باليُسْرِ كَفَّ العُسْرِ من زَمَنٍ ... إذا استطـالَ على قـومٍ بإقلالِ
لم تَخْلُ كَفُّكَ من جُودٍ لُمختَبِطٍ ... [أ]وْ مُرْهَفٍ قاتلٍ في رأس قَتَّالِ[2]
ومـا بَثَثْتَ رَعِيـلَ الخيلِ في بَلَدٍ ... إلاّ عَصَفْـنَ بـأَرزاقٍ وآجالِ
إن كنتُ منكَ على بالٍ مَنَنْتَ به ... فإنّ شُكْرَك من قلبـي على بالي
مـا زِلْتُ منقضِباً لـولا مُجاهَرَةٌ ... من أَلْسُنٍ خُضْنَ في صَدْرِي بأَقوالِ

قال فضحك عبد الله وسُرَّ بما كان منه ، وقال : يا أَبا السَّمراء أَقْرِضْني عشرة آلاف دينار ، فما أَمسيتُ أَملِكها ؛ فأَقرضه فدفعها إليه .

[أحسن إلى موسى بن خاقان ثم جفاه ، فمدح موسى المأمون بشعر غنّته «ضعف» جاريته]

أَخبرني عليّ بن عبد العزيز عن ابن خُرْداذبه قال : كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان له مُؤْثِراً مُقَدِّماً ؛ فأَصاب منه معروفاً كثيراً وأَجازه بجوائز سنيَّة هناك وقبل ذلك . ثم إنّه وَجَد عليه في بعض الأَمر ، فجفاه وظَهَر له منه بعضُ ما لم يُحِبَّه ، فرجع حينئذٍ إلى بغداد وقال : [من السريع]

صوت

إنْ كان عبدُ اللهِ خَلاَّنـا ... لا مُبْدِئـاً عُرْفاً وإحسانا
فحَسْبُنا اللهُ رَضِينا بـه ... ثـمّ بعبـد الله مـولانا

يعني بعبد الله الثاني المأمون ، وغنّتْ فيه جاريته ضَعْفُ لحناً من الثقيل الأوّل ، وسَمِعه المأمون فاستحسنه ووصله وإيّاها . فبلغَ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاظه ذلك وقال : أَجَل ؛ صَنَعْنا المعروفَ إلى غير أَهله فضاع .

وكانَتْ ضَعْفُ إحدى المُحسِنات . ومن أوائل صَنعتها وصدور أغانيها وما بَرَّزتْ فيه وقُدِّمت فاختيرت ، صَنعتُها في شعر جَميلٍ : [من الطويل]

أَمِنْكِ سَرى يـا بَثْنُ طَيْفٌ تَـأَوَّبا ... هُدوءاً فهاج القلبَ شوقاً وأنصبا

---

1 تغلي بالشيء : تجعله غالياً .

2 اختبطه وتخبطه : سأله المعروف بلا وسيلة من آصرة قربى أو مودّة أو معرفة .

عَجِبْتُ له أَنْ زارَ في النومِ مَضْجَعي ولـو زارني مُسْتَيْقِظاً كان أعجبا

الشعر لجميل ، والغناء لضَعْفَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر .

[قصته مع محمد بن يزيد الأموي الحصني]

أخبرني عمّي قال حدّثني أبو جعفر بن الدّهقانة النديم قال حدّثني العبّاس بن الفضل الخُراسانيّ ، وكان من وجوه قُوّاده طاهر وابنِه عبد الله ، وكان أديباً عاقلاً فاضلاً ، قال : لمّا قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي يفخر فيها بمآثر أبيه وأهله ويفخَر بقَتلِهم المخلوعَ ، عارضه محمد بن يزيد الأمويّ الحِصنيّ ، وكان رجلاً من ولد مَسلَمة بن عبد الملك ، فأفرط في السَّبِّ وتجاوز الحدّ في قُبْح الردّ ، وتوسَّط بين القوم وبين بني هاشم فأربى في التوسُّط والتعصُّب . فكان ممّا قال فيه : [من المديد]

يا ابنَ بَيْتِ النّارِ مُوقِدُها ما لِحاذَيْهِ سَراوِيلُ[1]

مَنْ حُسَيْنٌ مَنْ أبوك ومَنْ مُصْعَبٌ ؟ غالتكمُ غُولُ

نَسَبٌ في الفَخْرِ مُؤْتَشَبٌ وأُبـوّاتٌ أَراذيـلُ[2]

قاتـلُ المخلـوعِ مقتولُ ودَمُ المقتـولِ مطلـولُ

وهي قصيدة طويلة . فلمّا وُلِّي عبد الله مِصْرَ ورُدَّ إليه تدبير أمر الشام ، علم الحِصْنِيُّ أنّه لا يُفْلِت منه إن هَرَب ، ولا ينجو من يده حيث حَلَّ ؛ فثَبَت في موضعه ، وأحْرَز حُرَمَه ، وترك أموالَه ودَوابَّه وكلَّ ما كان يملكه في موضعه ، وفَتَح باب حِصنِه وجلس عليه ، ونحن نتوقَّع من عبد الله بن طاهر أن يُوقِع به . فلمّا شارَفْنا بَلَدَه وكنّا على أنْ نُصَبِّحَه ، دعاني عبدُ الله في الليل فقال لي : بِتْ عندي الليلةَ ، وليَكُنْ فرسُك مُعَدّاً عندك لا يُرَدُّ ، ففعلتُ . فلمّا كان في السَّحَر أمَر غلمانه وأصحابه ألاَّ يرحلوا حتى تطلُعَ الشمس ، ورَكِب في السَّحَر وأنا وخمسةٌ من خواصِّ غِلمانه [معه] ، فسار حتى صَبَّح الحِصنيَّ ، فرأى بابه مفتوحاً ورآه جالساً مُسترسِلاً ، فقصده وسلَّم عليه ونزل عنده وقال له : ما أجلَسَك هاهنا وحَمَلك على أن فتحتَ بابَك ولم تتحصَّن من هذا الجيش المُقْبِل ولم تتنحَّ عن عبد الله بن طاهر مع ما في نفسه عليك وما بَلَغه عنك ؟ فقال : إنّ ما قُلْتَ لم يَذهَبْ عليّ ، ولكنّي تأمّلتُ أمري وعَلِمتُ أنّي أخطأتُ خطيئةً حَمَلني عليها نَزَقُ الشَّبابِ وغرَّةُ الحَداثة ، وأنّي إنْ هربتُ منه لم أفُتْه ، فباعدت البناتِ والحُرَمَ ، واستسلمتُ بنفسي وكلِّ ما أملِك ؛ فإنّا أهلُ بيتٍ قد أسرع القتْلُ فينا ، ولي بمن مضى أُسْوةٌ ؛ فإنّي أثِق بأنّ الرجلَ إذا

1 الحاذان من الدابة : ما وقع عليه الذئب من أدبار الفخذين . يريد الفخذين .

2 نسب مؤتشب : غير صريح .

قتلني وأخذ مالي شفى غَيْظَه ولم يتجاوز ذلك إلى الحُرَم ولا له فيهنّ أَرَبٌ ، ولا يُوجِب جُرْمي إليه أكثر مِمّا بذلتُه . قال : فواللهِ ما اتّقاه عبد الله إلاّ بدُموعه تجري على لِحيته . ثم قال له : أتعرِفني ؟ قال : لا والله ! قال : أنا عبد الله بن طاهر ، وقد أمّن الله تعالى رَوعتَك ، وحَقَن دَمَك ، وصان حُرَمَك ، وحَرَس نِعْمَتَك ، وعفا عن ذَنبِك . وما تَعَجَّلْتُ إليك وحدي إلاّ لتأمن من قبل هجوم الجيش ، ولئلاّ يُخالِط عَفْوي عنك روعةٌ تَلْحقُك . فبكى الحِصْنيُّ وقام فقبَّل رأسَه ؛ وضَمَّه [إليه] عبد الله وأدناه ، ثم قال له : إمّا [لا] فلا بدّ من عتاب . يا أخي جعلني الله فداك ! قلتُ شعراً في قومي أفخرَ بهم لم أطعَنْ فيه على حَسَبك ولا ادّعيت فضلاً عليك . وفخرتُ بقتل رجلٍ هو وإن كان من قومك ، فهم القومُ الذين ثأرُك عندهم ؛ فكان يَسَعُك السكوتُ ، أو إن لم تسكُتْ لا تُغْرِقْ ولا تُسْرِفْ . فقال : أيّها الأمير ، قد عفوتَ ، فاجْعَله العفوَ الذي لا يخلِطه تثريبٌ ، ولا يكدِّر صَفْوَه تأنيب . قال : قد فعلتُ ، فقُمْ بنا ندخل إلى منزلك حتّى نُوجِبَ عليك حقّاً بالضيافة . فقام مسروراً فأدخلنا ، فأتى بطعام كان قد أعدَّه ، فأكلنا وجلسنا نشرَب في مُسْتَشرَفٍ له . وأقبل الجيش ، فأمرني عبد الله أن أتلقّاهم فأُرَحِّلهم ، ولا ينزل أحدٌ منهم إلاّ في المنزل ، وهو على ثلاثة فراسخ ؛ [فنزلتُ فرحّلتهم . وأقام عنده إلى العصر] . ثم دعا بدواةٍ فكتب له بتسويغه خَراجَه ثلاثَ سنين ، وقال له : إنْ نَشِطتَ لنا فالحَقْ بِنا ، وإلاّ فأقِمْ بمكانك . فقال : فأنا أتجهّز وألْحَقُ بالأمير . ففعل فلَحِق بنا بمصر . ولم يَزَل مع عبد الله لا يفارقه حتى رَحَل إلى العراق ، فودّعه وأقام ببلده .

[بعض الأشعار التي غنّى فيها وأخبارها]

فأمّا الأصواتُ التي غنّى فيها عبد الله بن طاهر فكثيرة . وكان عبيد الله بن عبد الله إذا ذكر شيئاً منها قال : الغناء للدّار الكبيرة ، وإذا ذكر شيئاً من صنعته قال : الغناء للدار الصغيرة . فمنها ومن مختارها وصُدورها ومُقدّمها لحنُه في شِعر أُخت [عمرو بن] عاصية ، وقيل : إنه لأُخت مسعود بن شَدّاد . فإنه صوتٌ نادر جيد . قال أبو العَنْبَس بن حَمدون وقد ذكره ففضّله : جاء به عبدُ الله بن طاهر صحيح العمل مُزْدَوِجَ النَّغَم بين لينٍ وشدّةٍ على رَسْم الحُذّاق من القدماء ، وهو : [من البسيط]

صوت

هَــلاّ سَقَيْتُمْ بنــي سَهْمٍ أسيركُم نَفْسي فِداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

الطاعــنُ الطَّعْنــةَ النَّجلاء يَتْبَعُها مُضَرِّج بعــد مــا جادتْ بإزْبادِ

الشعر لأُخت عمرو بن عاصية السُّلَميّ [ترثيه] . وكان بنو سَهْم ، وهم بطنٌ من هُذَيل ، أسَروه في حربٍ كانت بينهم ولم يعرفوه ، فلمّا عرَفوه قتلوه . وكان قد عَطِش

فاستسقاهم ، فمنعوه وقتلوه على عَطَشِه . وقيل : إنّ هذا الشعر للفارعة أُخت مسعود بن شدّاد . ولحنُ عبد الله بن طاهر خفيف ثقيل أوّل بالوسطى ابتداؤه استهلال .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وحبيبُ بن نصر المُهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شبّة قال : قتلتْ بنو سَهْمٍ ، وهم بطن من هُذَيل ، عمرو بن عاصية السُّلَميَّ ، وكان رجلان منهم أخذاه أخذاً ، فاستسقاهما ماء فمنعاه ذلك ، ثم قتلاه . فقالت أخته ترثيه ، وتذكر ما صنعوا به : [من البسيط]

شَبَّتْ هُذَيْلٌ وبَهْزٌ بينها إرَةً فلا تَبُوخُ ولا يَرْتَدُّ صاليها[1]

[ويروى : «شبت هذيلٌ وسهمٌ» ، وهو الصحيح ، ولكن كذا قال عمر بن شبّة] : [من البسيط]

إنّ ابنَ عاصيةَ المقتولَ بينكما خَلَّى عليّ فِجاجاً كان يَحميها

وقالت أيضاً ترثيه : [من البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسِيَ لَهْفاً دائماً أبداً على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادي

هلاَّ سَقَيتُمْ بني سَهْمٍ أَسيرَكُمُ نَفْسِي فِداؤك من ذِي غُلَّةٍ صادي

قال : فغزا عَرْعَرَةُ بن عاصية هُذيلاً يطلبهم بدم أخيه ، فقتل منهم نَفَراً وَسبى امرأةً فجرّدها ، ثم ساقها معه عاريةً إلى بلاد بني سُلَيْم ؛ فقالت عند ذلك : [من الطويل]

أَلامَتْ سُلَيْمٌ في السِّياقِ وأَفحشتْ وأَفرطَ في السَّوقِ العنيف إسارُها[2]

لعلّ فتاةً منهمُ أن يسوقَها فوارسُ منّا وهْيَ بادٍ شَوارُها[3]

فإنْ سَبَقتْ عُلْيا سُلَيْمٍ بذَحْلِها هُذَيْلاً فقد باءتْ فكيف اعتذارُها

أَلا ليت شِعْري هل أرى الخيلَ شُزَّباً تُثير عَجاجاً مستطيراً غُبارُها[4]

فتَرْقا عيونٌ بعد طُول بُكائها ويُغْسَلُ ما قد كان بالأَمس عارُها[5]

هذه رواية عمر بن شَبّة . فأمّا أبو عبيدة فإنّه خالفه في ذلك ، وذكر في مقتله ، فيما أخبرني به محمد بن الحسن بن دُريد إجازةً عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال : خرج عمرو بن عاصية

1 أصل الإرة : الحفرة والمقصود هنا : الحرب .
2 ألامت : فعلت ما تستحقّ عليه اللوم .
3 الشوار : الحسن والهيئة والزينة واللباس .
4 شزب : ضوامر ، الواحد شازب .
5 ترقا : في الأصل ترقأ أي تجف .

السُّلَميُّ ثم البَهْزِيّ في جماعةٍ من قومه ، فأغاروا على هُذَيْل بن مُدرِكة ، فصادفوا حيّاً من هُذَيلٍ يقال لهم بنو سَهم بن معاوية . وكانت امرأةٌ من هُذيل تحت رجل من بني بَهْزٍ ، فقالت لابن لها معه : أيْ بُنَيَّ انطلِق إلى أخوالك فأنْذِرْهم بأنّ ابن عاصية السُّلَميّ قد أمسى يريدهم ، وذلك حين عَزَم ابن عاصية على غَزوهم وأراد المسيرَ إليهم . فانطلق الغلام من تحت ليلته حتى أتوا أخواله فأنذرهم ، فقال : ابن عاصية السُّلميّ يريدكم ، فخذوا حِذْرَكم ؛ فبَدَر القوم واستعدّوا . وأصبح عمرو بن عاصية قريباً من الحيّ ، فنزل قَرِباً لأصحابه على جبل [مشرف على القوم] ، فإذا هم حَذِرون . فقال لأصحابه : أرى القوم حَذِرين ، إنّ لهم لشأنا ، ولقد أنْذِرُوا علينا . فكَمَن في الجبل يطلب غَفلتهم ، فأصابه وأصحابه عطشٌ شديد ، فقال ابن عاصية لأصحابه : هل فيكم مَن يرتوي لأصحابه ؟ فقال أصحابه : نخاف القوم ، وأبى أحدٌ منهم أن يُجيبه إلى ذلك . قال : فخرج على فرسٍ له ومعه قِرْبته . وقد وضعتْ هُذَيلٌ على الماء رجلاً منهم رصداً ، وعَلِموا أنّهم لا بُدّ لهم من أن يَرِدوا الماء . فمرّ بهم عمرو بن عاصية وقد كمن له شيخٌ وفتيان من هُذيل ، فلمّا نظروا إليه همّ الفتيانِ أن يُثاوراه[1] . فقال الشيخ : مَهْلاً ! فإنّه لم يَرَكما ، فكَفّا . فانتهى ابن عاصية إلى البئر ، فنظر يميناً وشِمالاً فلم يَرَ أحداً والآخرون يرمُقونه من حيث لا يراهم . فوثب نحو قربته فأخذها ثم دخل البئر فطَفِق يملأ القربة ويشرب . وأقبل الفَتيان والشيخ معهما حتى أشرفوا عليه وهو في البئر ، [فرفع رأسه فأبصر القوم] ؛ فقالوا : [قد] أخزاك الله يا ابن عاصية وأمكن منك ؛ قال : ورمى الشيخَ بسهم فأصاب أخمصه فأنفذه فصرعه ، وشُغِل الفَتيانِ بنَزْع السهم من قَدَمِ الشيخ ، ووثب ابن عاصية من البئر شَدًّا نحو أصحابه ، وأدركه الفَتيانِ قبل وصوله فأسراه . فقال لهما حين أخذاه : أرْوِياني من الماء ثم اصنعا ما بَدا لكما . فلم يَسْقِياه وتَعاوراه بأسيافهما حتى قتلاه . فقالت أخت عمرو بن عاصية تَرثي أخاها : [من البسيط]

يا لَهْفَ نَفْسيَ يوماً ضَلَّةً جَزَعاً ... على ابن عاصيةَ المقتولِ بالوادي

إذ جاء ينفُض عن أصحابه طَفَلاً ... مَشْيَ السَّبَنْتى أمام الأيكة العادي[2]

هَلاّ سَقيتُمْ بني سَهْمٍ أسِيرَكُمُ ... نَفْسي فداؤك من ذي غلة صادي

قال أبو عبيدة : وآب غَزِيٌّ[3] بني سُلَيم بعد مقتل ابن عاصية . قال : فبلغ أخاه عرعرة بن عاصية قَتْلُ هُذَيلٍ أخاه وكيف صُنِع به ، فجمع لهم جمعاً من قومه فيهم فوارسُ من بني سُلَيم منهم عَبِيدةُ بن حكيم الشَّرِيديّ وعمرو بن الحارث الشَّريديّ وأبو مالك البَهْزِيّ وقيس بن

---

1 ثاوره : واثبه .

2 ينفض : يكشف الطريق ويتجسّس . الطفل طفلان : طفل الغداة وطفل العشي . السبنتى : النمر أو الأسد .

3 الغزيّ : اسم جمع لغاز .

عمرو أحد بني مطرود من بني سُلَيْم وفوارس من بني رِعْلٍ . قال : فسَرى إليهم عرعرة ، فالتَقَوْا بموضع يقال له الجُرف فاقتتلوا قِتالاً شديداً ، فظفرتْ بهم بنو سُلَيم فأوجعوا فيهم وقتلوا منهم قتلى عظيمةً ، وأَسَروا أَسْرى ، وأَصابوا امرأةً من هُذَيْل فعَرَّوْها من ثيابها واستاقوها مجرّدةً فأفحشوا في ذلك . وقال عرعرة بن عاصية في ذلك يذكر مَن قَتَل : [من الوافر]

أَلا أَبْلِغْ هُذَيلاً حيثُ حَلَّتْ مُغَلْغَلَةً تَخُبُّ مع الشَّفِيقِ
مُقامَكُم غَداةَ الجُرْفِ لمّا تواقفتِ الفوارسُ بالمَضِيقِ
غَداةَ رأيتُمُ فُرْسانَ بَهْزٍ ورِعْلٍ أَلبدتْ فوق الطريقِ[1]
ترامِيتُمْ قليلاً ثمّ ولَّتْ فوارسُكم تَوَقَّلُ كُلَّ نِيقِ[2]
بِضَرْبٍ تسقُط الهاماتُ منه وطَعْنٍ مثلِ إشعال الحريقِ

وقال لي : إنّ هذا الشعر الذي فيه صنعة عبد الله بن طاهر لمسعود بن شدّاد يَرثي أَخاه ، وزعم أنّ جَرْماً كانت قتلتْه وهو عطشان ، فقال :

يا عينُ جُودِي لمسعود بن شَدّادِ بكلّ ذي عَبَراتٍ شَجْوُه بادي
هَلاَّ سقيتم بني جَرْمٍ أَسيرَكُمُ نَفْسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

فأَنشدَنيها بعضُ أَصحابنا قال أنشدني أَبو بكر محمد بن [الحسن بن] دريد قال أنشدني أَبو حاتم عن أبي عبيدة لفارعة المُرِّيّة أُخت مسعود بن شَدّاد ترثيه ، فذكر من الأبيات البيت الأول ، وبعده : [من البسيط]

يا مَنْ رأى بارقاً قد بِتُّ أَرمُقُه جَوْداً على الحَرّة السوداء بالوادي[3]
أسقِي به قَبر مَنْ أَعْني وحُبَّ به قبراً إليّ ولو لَم يَفْدِهِ فادي
شَهّادُ أنديةٍ رَفّاعُ أَبنيةٍ شَدّادُ أَلويةٍ فَتّاح أَسدادِ
نَحّارُ راغيةٍ قَتّالُ طاغيةٍ حَلاَّلُ رابيةٍ فَكّاكُ أَقيادِ[4]
قَوّالُ مُحْكَمةٍ نَقّاضُ مُبْرَمَةٍ فَرّاجُ مُبْهَمةٍ حَبّاسُ أَورادِ[5]

1 ألبد بالمكان : أقام به ولزمه .
2 توقل : تتصعد . والنيق : أعلى الجبال .
3 البارق : هنا السحاب .
4 الراغية : الناقة .
5 أوراد : جمع وِرد وهو الجماعة الواردون للماء ، والقطيع من الطير والإبل ، والجيش .

حَـــلاَّلُ مُمْرِعَةٍ حَمَّالُ مُضْلِعَةٍ قَـــرَّاعُ مُفْظِعـــةٍ طَلاَّعُ أنجادِ[1]
جَمّاع كُلِّ خِصالِ الخَيْرِ قد عَلِموا زَيْنُ القَرِينِ وخَطْمُ الظالم العادي[2]
أبـــا زُرارةَ لا تَبْعَـدْ فكُلُّ فَتًى يومـــاً رَهـينُ صَفيحاتٍ وأعوادِ

والغناء في هذا الشعر لعبد الله بن طاهر خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر . قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : لمّا صنع أبي هذا الصوت لم يُحِبَّ أن يَشيع عنه شيءٌ من هذا ولا يُنْسَب إليه ؛ لأنّه كان يترفَّع عن الغناء ، وما جَسَّ بيده وَتَراً قَطُّ ولا تعاطاه ، ولكنه كان يعلم من هذا الشأن بطول الدُّربة [وحُسْن الثقافة] ما لا يعرِفه كبير أحدٍ . وبلغ من عِلْم ذلك إلى أن صَنَع أصواتاً كثيرة ، فألقاها على جواريه ، فأخَذْنها عنه وغنَّينَ بها ، وسَمِعها النّاسُ منهنّ وممّن أخذ عنهنّ . فلمّا أن صنع هذا الصوت : [من البسيط]

هَـــلاّ سقَيْتُمْ بنـــي جَرْمٍ أسيرَكُمُ نَفْسي فداؤك من ذي غُلَّةٍ صادي

نسبه إلى مالك بن أبي السَّمْح . وكان لآل الفضل بن الربيع جاريةٌ يقال لها داحة ، فكانت ترغب إلى عبد الله بن طاهر لمّا نَدَبه المأمون إلى مصر [في أن يأخذها معه] ، وكانت تغنيه ، وأخذت هذا الصوت عن جواريه ، وأخذه المغنُّون عنها وَروَوْه لمالك مدّة . ثم قَدِم عبد الله العراق فحضر مجلس المأمون ، وغُنِّي الصوتُ بحضرته ونُسِب إلى مالك ؛ فضَحِك عبدُ الله ضحكاً كثيراً . فسُئِل عن القصّة فصَدَق فيها واعترف بصنعة الصوت . فكَشَف المأمون عن ذلك ، فلم يَزَل كلُّ مَن سُئِل عنه يُخْبر عمّن أخذه [عنه] ، فتنتهي القصّة إلى داحةَ ثم تقف ولا تعدوها . فأحضِرتْ داحة وسئلت فأخبرتْ بقصته ؛ فعُلِم أنّه من صنعته حينئذ بعد أن جاز على إسحاق وطبقته أنه لمالك . ويقال : إنّ إسحاق لم يَعجَب من شيءٍ عَجَبَه من عبد الله وحِذْقه بمذاهب الأوائل وحكاياتهم .

قال : ومن غنائه أيضاً : [من الخفيف]

صوت

راح صَحْبي وعاودَ القَلْبَ داءُ مـــن حَبِيبٍ طِلابُـه لي عَناءُ
حَسَنُ الرأي والمَواعيدِ لا يُلْـ ـــفى لشيءٍ مما يقول وَفاءُ
مَنْ تَعَزَّى عمّـن يُحِبُّ فإنّي ليس لي ما حَيِيتُ عنـه عَزاءُ

الغناء لابن طُنبورة خفيف ثقيلٍ أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى . ولحن عبد الله بن طاهر ثاني ثقيلٍ بالبنصر .

---

1 المضلعة : المثقلة للأضلاع .

2 خطمه : إذا ضرب مخطمه وهو الأنف .

209 ـ [أخبار متفرقة]

ومنها : [من الهزج]

فمَـنْ يَفْـرَحْ ببينِهِـمُ فغَيْري إذ غَـدَوْا فَرِحا

[شعر لعمر بن أبي ربيعة وسببه]

صوت

[من الخفيف]

يـا خَلِيلَـيَّ قـد مَلِلْتُ ثَوائي بالمُصَلَّـى وقد شَنِئتُ البَقِيعا

بَلِّغـاني ديـارَ هندٍ وسَلْمى وارْجِعا بي فقد هَويتُ الرجوعا

الشعر لعُمَر بن أبي ربيعة . والغناء للغريض خفيف ثقيل بالوسطى في مجراها [عن إسحاق] ، وذكر الهشاميّ أنّه لابن سُرَيج . وذكر حبشٌ أنّ فيه رَمَلاً بالبنصر لإبراهيم . وفيه لحن لمعبد ذَكَره حمّاد بن إسحاق عن أبيه ولم يجنّسه .

أخبرني بخبر عمر بن أبي ربيعة في هذا الشعر وقوله إيّاه الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بَكّار قال حدَّثنا سليمان بن عيّاش السَّعديّ قال [أخبرني السائب بن ذَكْوان راوية كُثَيِّر قال] : قَدِم عمر بن أبي ربيعة المدينة ، وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن عثمان بن حفص قال ، وأخبرني عليُّ بن صالح عن أبي هِفَّانَ عن إسحاق عن عثمان بن حفص والزُّبيريّ والمُسَيَّبيّ ، وأخبرني به أحمد بن عبد العزيز [الجوهريّ] قال حدَّثنا عمر بن شَبّة موقوفاً عليه . وجمعتُ رواياتهم ، وأكثر اللفظ للزُّبير [بن بَكّار] وخبره أتـمُّ : أنّ عمر بن أبي ربيعة قَدِم المدينة ؛ فزعموا أنّه قَدِمَها من أجلِ امرأةٍ من أهلها ، فأقام بها شهراً ؛ فذلك قوله : [من الخفيف]

يـا خليلَيَّ قـد مَلِلْتُ ثَوائي بالمُصَلَّـى وقـد شَنِئتُ البقيعا

[خرج عمر هو والأحوص إلى مكّة فمرّا بنصيب وكثير وتحاوروا]

قال : ثمّ خرج إلى مكة ، فخرج معه الأحوصُ واعتمرا .

قال الزبير في خبره عن سائب راوية كُثَيِّرٍ إنّه قال : لمّا مَرّا بالرَّوْحاء[1] اسْتَتْلَياني[2] فخرجت

1 الروحاء : قرية كانت لمزينة بينها وبين المدينة واحد وأربعون ميلاً .

2 استتلاه : طلب إليه أن يتلوه .

أتلوهما ، حتّى لحقتُهما بالعَرْج[1] عند رَواحهما . فخرجنا جميعاً حتى وَرَدنا وَدّانَ[2] ، فحبسهما النُّصَيْب وذَبَح لهما وأكرمهما ، وخرجنا وخرج معنا النُّصيب . فلمّا جئنا كُلَيّة[3] عدلنا جميعاً إلى منزل كثيِّر ، فقيل لنا : هبَط قُدَيْداً[4] ، فذُكِر لنا أنّه في خيمةٍ من خِيامها . فقال لي ابن أبي ربيعة : اذهَب فادْعُه لي . فقال النُّصَيب : هو أحمق وأشدُّ كِبْراً من أن يأتيك . فقال لي عمر : اذهَب كما أقول [لك] فادْعُه لي : فجئتُه ، فهَشَّ لي وقال : «اذْكُرْ غائباً تَرَه[5] ، لقد جئتَ وأنا أذكُرُك . فأبلغتُه رسالةَ عمر ؛ فحدَّد إليَّ نظرةً وقال : أما كان عندك من المعرفة ما تردَعُك عن إتياني بمثل هذه الرسالة ! قلت : بلى والله ؛ ولكنّي سترتُ عليك فأبى اللهُ إلاّ أن يَهْتِك سترَك . فقال لي : إنّك والله يابنَ ذَكُوان ما أنتَ من شكلي ؛ فقُلْ لابن أبي ربيعة : إنْ كنتَ قرشيّاً فأنا قرشيٌّ . فقلت له : لا تترك هذا التَّلَصُّق وأنت تُقْرَفُ عنهم كما تُقْرَفُ الصَّمْغةُ ؛ فقال : والله لأنا أثبتُ فيهم منك في سَدُوسَ . ثم قال : وقل له : إنْ كنتَ شاعراً فأنا أشعرُ منك . فقلت له : هذا إذا كان الحُكْمُ إليك . فقال : وإلى مَنْ هو ومَن أولى بالحكم منّي ؟ [وبعد هذا يا ابن ذكوان فاحْمَدِ الله على لومك ؛ فقد منعَك منّي] اليوم ؟ فرجعتُ إلى عُمَر ، فقال : ما وراءك ؟ فقلتُ : ما قال نُصَيْبٌ . فقال : وإنْ . فأخبرتُه فضَحِك وضحِك صاحباه ظَهْراً لبَطْنٍ ، ثم نهضوا معي إليه . فدخلنا عليه في خيمةٍ ، فوجدناه جالساً على جِلْدِ كَبْش ، فوالله ما أوسع للقُرشيّ . فلمّا تحدّثوا مَلِيّاً فأفاضوا في ذكر الشِّعر ، أقبلَ على عُمَرَ فقال له : أنت تَنْعَت المرأة فتنْسب بها ثم تَدَعُها وتَنْسِب بنفسِك . أخبرني يا هذا عن قولك : [من المنسرح]

قالتْ تَصَدَّيْ لـه لِيَعْرِفَنا ... ثمّ اغْمِزيه يا أُخت في خَفَرِ
قالت لها قد غَمَزْتُه فأبى ... ثم اسبَطَرَّتْ تشتدُّ في أَثَري[6]
وقَوْلُها والدُّموعُ تَسْبِقُها ... لَنُفْسِدَنَّ الطَّوافَ في عُمَرِ

أتُراكَ لو وصفتَ بهذا هِرَّة أهلِك ألَم تكن قد قَبَّحْتَ وأسأتَ وقُلْتَ الهُجْر : إنما تُوصَف الحُرّة بالحياء والإباء والالْتِواء والبُخْل والامتناع ، كما قال هذا ، وأشار إلى الأحوص : [من الطويل]

---

1 العرج : قرية كانت جامعة في واد من نواحي الطائف .
2 ودان : قرية جامعة من نواحي الفُرْع بين مكّة والمدينة .
3 كُلية : قرية بين مكّة والمدينة .
4 قديد : موضع قرب مكّة .
5 مثل ، ويروى «اذكر غائباً يقترب» ، هذا المثل يروى عن عبد الله بن الزبير أنّه ذكر المختار يوماً وسأل عنه ، والمختار يومئذٍ بمكّة قبل أن يقدم العراق ، فبينما هو في ذكره إذ طلع المختار فقال ابن الزبير هذا المثل . مجمع الأمثال للميداني 11/2 .
6 اسبطرت : أسرعت .

أدُورُ ولـولا أنْ أرى أُمّ جَعْفَرٍ بأبياتِكُـمْ مـا دُرْتُ حيثُ أدورُ
ومـا كُنْتُ زَوَّاراً ولكنّ ذا الهَوى إذا لَـم يَـزُرْ لا بُـدّ أن سَيَزورُ
لقـد مَنَعتْ معروفَهـا أُمّ جَعْفَرٍ وإنّـي إلى معروفهـا لَفقيـرُ

قال : فدخلتِ الأحوص أُبَّهةٌ وعُرِفَتِ الخُيَلاءُ فيه . فلمّا استبانَ كُثَيِّر ذلك فيه قال : أبطل آخِرُك أوّلَك . أخبِرْني عن قولك : [من الوافر]

فـإن تَصِلي أصِلْكِ وإنْ تَبيني بِصُرْمِـك بعـد وَصْلِكِ لا أُبالي
ولا أَلْفى كَمَـنْ إنْ سِيمَ صَرْماً تَعَـرَّضَ كـي يُـرَدّ إلى الوِصالِ

أما والله لو كنتَ فَحْلاً لبالَيْتَ ولو كَسَرتْ أَنْفَك . ألا قلتَ كما قال هذا الأسود ، وأشار إلى نُصيب : [من الطويل]

بِزَيْنَبَ أَلِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ وقُـلْ إنْ تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القَلْبُ

قال : فانكسر الأحوصُ ، ودخلتِ النُّصَيْبَ أُبّهةٌ . فلمّا نَظَر أنّ الكبرياء قد دخلته ، قال له : يا ابنَ السوداء ، فأخبِرني عن قولك : [من الطويل]

أَهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَيِيتُ فإنْ أَمُتْ فَوا كَبِدِي مَنْ ذا يَهِيمُ بها بَعْدِي

أَهَمَّكَ مَنْ يَنِيكُها بعدَك ؟ فقال نُصيب : استوتِ القِوَقُ[1] ، قال : وهي لُعبةٌ مثل المنقلة . ومن هذا الموضع ينفرد الزُّبير بروايته دون الباقين . قال سائب : فلمّا أمسك كُثَيِّر أقبل عليه عُمَر فقال له : قد أنصَتْنا لك فاسمع يا مذبوبُ[2] [إليَّ] ! أخبرني عن تخيُّرك لنفسك وتخيُّرك لَمن تُحِبّ حيث تقول : [من الطويل]

أَلا ليتَنا يـا عَـزَّ كُنّا لِذِي غِنًى بَعِيرَيْنِ نَرْعى في الخَلاءِ ونَعْزُبُ
كِلانا بـه عَـرّ فَمَـنْ يَرَنا يَقُلْ عَلى حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأَجْرَبُ
إذا مـا وَرَدْنا مَنْهَـلاً صاح أَهْلُهُ علينا فما نَنْفَكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ
وَدِدْتُ وبَيْتِ اللهِ أَنَّكِ بَكْـرَةٌ هِجانٌ وأَنّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ[3]
نكون بَعِيرَي ذِي غِنًـى فيُضيعُنا فلا هُـوَ يَرْعانـا ولا نحن نُطْلَبُ

وقال : تَمَنَّيْتَ لها ولنفسك الرِّقّ والجرب والرَّمْيَ والطَّرْدَ والمَسْخَ ، فأيَّ مَكْروهٍ لم تَمَنَّ لها

1 في نسخة : الفيق وهو هدف يوضع لرمي السهام وإصابته .
2 المذبوب : المجنون .
3 بكرة هجان : بيضاء . والمصعب : الفحل .

ولنفسك ؟ لقد أصابها منك قولُ القائل : «معاداةُ عاقلٍ خيرٌ من مودَّة أحمقَ» . قال : فجعل يختلج جسده كلّه . ثم أقبل عليه الأحوص فقال : إليَّ يا ابن استها[1] أُخبِرْكَ بخبرك وتعرُّضِك للشرّ وعجزك عنه وإهدافك لِمَن[2] رَماك . أخبرني عن قولك : [من الطويل]

وقُلْنَ ، وقد يَكْذِبْن ، فيكَ تَعَيُّفٌ ... وشُؤْمٌ إذا ما لم تُطَعْ صاح ناعقُهْ
وأَعْيَيْتَنا لا راضياً بكرامةٍ ... ولا تاركاً شَكْوى الذي أنت صادِقُهْ
فأدركتَ صَفْوَ الودِّ مِنَّا فلُمْتَنا ... وليس لنا ذَنْبٌ فنحن مَواذِقُهْ[3]
وأَلْفَيتَنا سَلْماً فَصَدَّعْتَ بَيْنَنا ... كما صَدَّعتْ بين الأديمِ خَوالِقُهْ[4]

والله لو احتفلَ عليك هاجيك ما زاد على ما بُؤْتَ به على نَفْسِك . قال : فخَفَقَ كما يَخْفِق الطائرُ . ثم أقبل عليه النُّصَيبُ فقال : أَقْبِلْ عليَّ يا زُبَّ الذُّباب ! فقد تَمَنَّيْتَ معرفة غائبٍ عندي عِلْمُه فيك حيث تقول : [من الطويل]

وَدِدْتُ ، وما تُغْني الوَدادةُ ، أنَّني ... بما في ضَمِير الحاجِبيَّة عالمُ
فإنْ كان خيراً سَرَّني وعَلِمْتُه ... وإنْ كانَ شَرّاً لَم تَلُمْني اللَّوائمُ

انْظُر في مِرْآتِك واطَّلِعْ في جَيْبِك واعْرِفْ صورةَ وجهِك ، تَعْرِفْ ما عندها [لك] . فاضطرب اضطراب العُصفور ، وقام القوم يضحَكون . وجلست عنده ؛ فلمّا هدأ شأْوُه قال لي : أَرْضَيْتُك فيهم ؟ فقلت له : أمّا في نفسك فنعَمْ ! فقد نحِسَ يومُك معهم ، وقد بقِيتُ أنا عليك . فما عُذْرُكَ ، ولا عُذْرَ لك ، في قولك : [من الطويل]

سقى دِمْنَتَيْنِ لَم نَجِدْ لهما أَهْلا ... بِحَقْلٍ لكم يا عَزَّ قد رابَنا حَقْلا
نَجاءُ الثُّرَيَّا كُلَّ آخرِ لَيْلةٍ ... يَجُودُهما جَوْداً ويُتْبِعُه وَبْلا

[ثم قلتَ في آخرها] :

وما حَسِبتْ ضَمْرِيَّةٌ حَدَرِيَّةٌ ... سِوى التَّيْس ذي القَرْنَيْنِ أنّ لها بَعْلا

أهكذا يقول الناس ويحك ! ثم تظنّ أنّ ذلك قد خَفِيَ ولم يعلَم به أحدٌ ، فتَسُبّ الرجالَ وتَعيبهم ؟ فقال : وما أنت وهذا ؟ وما علْمُك بمعنى ما أردت ؟ فقلت : هذا أعجبُ من ذاك . أتذكُر امرأةً تَنْسِبُ بها في شِعْرك وتَسْتَغْزِرُ لها الغيثَ في أوّل شِعْرك ، وتَحمِلُ عليها التَّيْسَ في

1 يقال لابن الأمة عند تحقيره : «يا ابن استها» يعنون أنها ولدته من استها .
2 أهدف لكذا : تعرّض له .
3 مواذق : جمع ماذقة . يقال مذق الود إذا لم يخلصه .
4 البين هنا : الوصل . خوالق الأديم : اللائي قدرنه قبل أن يقطعنه .

آخره ! قال : فأطرقَ وذَلَّ وسَكَن . فعُدْتُ إلى أصحابي فأعلمْتُهم ما كان من خبَره بعدَهم . فقالوا : ما أنت بأهْوَن حجارتِه التي رُمِي بها اليوم منّا . قال فقلتُ لهم : إنّه لم يَتِرْني فأطلبَه بذحْلٍ ، ولكنّي نصحتُه لئلاّ يُخِلَّ هذا الإخلالَ الشديد ، ويركبَ هذه العروض[1] التي رَكِب في الطَّعْن على الأحرار والعَيْبِ لهم .

[شدد والي مكة في الغناء ، فخرج فتية إلى وادي محسر وبعثوا لابن سريج فغناهم]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثني إسحاق الموصليّ قال حدَّثني ابن جامع عن السَّعِيديّ عن سهل بن بَرَكةَ وكان يَحْمِل عُودَ ابنِ سُرَيج قال : كان على مكّة نافعُ بن عَلقمة الكِنانيّ ، فشَدَّد في الغِناء والمغنّين والنبيذ ، ونادى في المخنّثين . فخرج فِتيةٌ من قريش إلى بطن مُحَسِّرٍ[2] وبعثوا برسولٍ لهم فأتاهم براويةٍ من الشراب الطائفيّ . فلمّا شَرِبوا وطَرِبوا قالوا : لو كان معنا ابن سريج تَمَّ سرورنا . فقلت : هو عليَّ لكم . فقال لي بعضهم : دونَك تلك البغلةَ فارْكَبْها وامْضِ إليه . فأتيته فأخبرتُه بمكان القوم وطلبِهم إيّاه . فقال لي : وَيْحَكَ ؛ وكيف لي بذاك مع شِدّة السلطان في الغناء ونِدائه فيه ؟ فقلت له : أفتردُّهم ؟ قال : لا والله ! فكيف لي بالعُودِ ؟ فقلت له : أنا أُخْبَؤه لك فشأنَك . فركب وسترتُ العُودَ وأردفني . فلمّا كنّا ببعض الطريق إذا أنا بنافع بن علقمة قد أقبل ، فقال لي : يا ابنَ بَرَكةَ هذا الأمير ؛ فقلتُ : لا بأس عليك ، أرْسِلْ عِنانَ البغلة وامْضِ ولا تَخَف ، ففعل . فلمّا حاذيناه عَرَفني ولم يعرف ابن سُرَيج ، فقال لي يا ابن بركة : مَن هذا أمامَك ؟ فقلت : ومَنْ ينبغي أن يكون ! هذا ابن سُريج . فتبسَّم [ابن] علقمة ثم تمثّل : [من الطويل]

فإنْ تَنْجُ منها يا أبانُ مُسَلَّماً فقد أفلتَ الحَجّاجُ خيلَ شَبِيبِ

ثم مضى ومَضَيْنا . فلمّا كنّا قريباً من القوم نزلنا إلى شجرةٍ نستريح ، فقلت له : غَنِّ مرتجلاً ؛ فرفع صوته فخُيِّل إليَّ أنّ الشجرة تنطق معه ، فغنّى : [من الكامل]

صوت

كيف الثَّواءُ بِبَطْنِ مَكَّةَ بعد ما هَمَّ الذين تُحِبّ بالإنجادِ
أمّ كيف قلبُك إذ ثَوَيْتَ مُخَمَّراً سَقَماً خِلافَهمُ وكَرْبُكَ بادي[3]
هل أنتَ إن ظَعَن الأحِبَّةُ غادِي أم قبلَ ذلك مُدْلِجٌ بسَوادِ

---

1 العَروض : الطريق في عرض الجبل .
2 بطن محسّر : وادي المزدلفة بالقرب من مكّة .
3 المخمر : أصله المصدع من الخمر .

الشعر للعرجيّ . وذكر إسحاق في مُجَرَّده أنّ الغناء فيه لابن عائشةَ ثاني ثقيلٍ مطلق في مجرى الوسطى . وحكى حماد ابنه عنه أنّ اللحن لابن سريج . قال سهل : فقلت : أحسنتَ والذي فلَقَ الحبَّة وبَرأ النَسمة ، ولو أنّ كنانة كلّها سَمِعَتْك لاستحسنتْك فكيف بنافع بن علقمة ! المغرور مَنْ غَرَّه نافع . ثم قلت : زِدْني وإنْ كان القوم متعلّقةً قلوبهم بك . فغنّى وتناول عُوداً من الشجرة فأوقَعَ به على الشجرة ؛ فكان صوتُ الشجرة أحسنَ من خَفْق بُطون[1] الضَّأن على العيدان إذا أخذتْها قُضْبان الدِّفْلى . قال : والصوت الذي غنّى : [من الكامل]

صوت

لا تَجْمَعي هَجْراً عليّ وغُرْبةً فالهَجْرُ في تَلَفِ الغريبِ سريعُ
مَنْ ذا ، فديتُكِ ، يستطيع لِحُبِّهِ دَفْعاً إذا اشتملتْ عليه ضُلوعُ

فقلتُ : بنفسي أنت واللهِ مَنْ لا يُمَلُّ ولا يُكَدُّ ، والله ما جَهِل مَن فهِمَك ؛ ارْكَبْ ، فدتْك نفسي ، بنا . فقال : أَمْهِلني كما أمهلتُك اقْضِ بعض شأني . فقلت : وهل عما تُريد مَدْفَعٌ ! فقام فصلّى ركعتين ، ثم ضرب بيده على الشجرة وقال : أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللهُ وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ثم قال : يا حبيبتي إذا شَهِدْتِ بذاك الشيء فاشهَدي بهذا . ثم مضينا والقوم متشوّقون . فلمّا دَنَونا أحسّت الدوابّ بالبغلة فصَهَلَتْ ، وشَحَجتِ البغلة ، وإذا الغريض يُغَنّيهم لحنَه : [من الكامل]

مِنْ خَيْلِ حَيٍّ ما تَزالُ مُغِيرةً سَمِعتْ على شَرَفٍ صَهِيلَ حِصانِ

فبكى ابن سُريج حتى ظننتُ أنّ نفسه قد خرجتْ ، فقلت : ما يُبكيك يا أبا يحيى ؟ [جُعلْتُ فداكَ !] لا يسوءك الله ولا يُريك سوءا ! قال : أبكاني هذا المخنَّث بحسن غنائه وشَجا صوتِه ؛ واللهِ ما ينبغي لأحدٍ أن يُغَنّيَ وهذا الصبيُّ حيٌّ . ثم نزل فاستراح وركِب . فلمّا سار هنيهةً اندفع الغريض فغنّاهم لحنَه : [من الخفيف]

يا خليليّ قد مَلِلتُ ثَوائي بالمُصَلّى وقد شَنِئتُ البقِيعا

قال : ولصوته دَوِيٌّ في تلك الجبال . فقال ابن سريج : ويلك يا ابن بركة ! أسَمِعتَ أحسنَ من هذا الغِناء والشعر قَطّ ؟ قال : ونظروا إلينا فأقبلوا نَشاوى يسحَبون أعطافَهم ، وجعلوا يُقبّلون وجهَ ابن سُرَيج . فنزل فأقام عندهم ثلاثاً والغريض لا ينطِق بحرف [واحد] ، وأخذوا في شرابهم وقالوا : يا حبيبَ النفس وشقيقَها أعْطِها بعض مُناها ؛ فضرب بيده إلى جَيبه فأخرج منه مِضْراباً ، ثم أخذه بيده ووضع العود في حِجره ، فما رأيتُ يداً أحسنَ من يده ، ولا خشبةً

1 يريد ببطون الضأن الأوتار التي تتّخذ من المعيّ .

تَخَيَّلَتْ إليّ أنّها جوهرةٌ إلاّ هي ، ثم ضرب فلقد سَبَّح القومُ جميعاً ، ثم غنَّى فكُلٌّ قال : لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ ! فكان ممّا غنَّى فيه ، واللحن له هزج : [من مجزوء الرجز]

صوت

لَبَّيْكِ يا سَيِّدَتي ... لَبَّيْكِ ألفاً عَدَدا
لَبَّيْكِ من ظالمةٍ ... أحببتُها مُجْتَهِدا
قُومُوا إلى مَلْعَبِنا ... نَحْكِ الجَواري الخُرَّدا
وَضْعَ يَدٍ فوق يَدٍ ... تَرْفَعُها يَداً يَدا

فكلٌّ قال : نفعل ذاك . فلقد رأيتُنا نستبق أيُّنا تَقَعُ يدُه على يده . ثم غنَّى : [من مخلّع البسيط]

ما هاجَ شَوْقَكَ بالصَّرائمْ ... رَبْعٌ أحالَ لأُمِّ عاصِمْ[1]
رَبْعٌ تَقادَمَ عهدهُ ... هاجَ المُحِبَّ على التَّقادُمْ
فيه النَّواعِمُ والشَّبا ... بُ الناعمون مع النَّواعِمْ
مِنْ كلّ ناعمة الجَبِـ ... ـنِ عَمِيمةٍ رَيّا المَعاصِمْ[2]

ثم إنّه غنّى : [من الطويل]

صوت

شَجاني مَغاني الحَيِّ وانْشَقَّتِ العَصا ... وصاح غُرابُ البين أنت مَريضُ
ففاضتْ دُموعي عند ذاك صبابةً ... وفيهنّ خَوْدٌ كالمَهاةِ غَضِيضُ
وَوَلَّيْتُ مخزونَ الفؤادِ مُرَوَّعاً ... كئيباً ودمعي في الرِّداءِ يَفيضُ

الغناء لابن مُحْرِز خفيف ثقيل مطلق في مجرى البنصر ، وفيه خفيف ثقيل آخر لابن جُنْدَب . قال : فلقد رأيت جماعةَ طيرٍ وقعن بقُرْبِنا وما نُحِسُّ قبل ذلك منها شيئاً ؛ فقالت الجماعة : يا تمامَ السرورِ وكمالَ المجلس ! لقد سَعِد مَن أخذ بحَظّه منك ، وخابَ مَن حُرِمَك ، يا حياةَ القلوب ونسيمَ النفوس جعلَنا [الله] فداءك ! غَنِّنا ؛ فغنَّى واللحنُ له : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا هِنْدُ إنَّكِ لو عَلِمْـ ... ـتِ بعاذِلَيْنِ تَتابَعا

---

1 أحال الشيء : مرّ عليه حول ، مثل أحول الشيء .

2 امرأة عميمة : تامة القوام والخلق طويله .

وهذا الصوت يأتي خبره مفرداً لأنّ فيه طُولاً ، فبدرتُ من بينهم فقبَّلت بين عينيه ، فتهافتَ القوم عليه يقبِّلونه ؛ فلقد رأيتُني وأنا أرفَعُهم عنه شفقةً عليه .

[ما في الأشعار التي تناشدها عمر وأصحابه من أغانٍ]

وفي هذه الأشعار التي تناشدها كُثيِّر وعُمَر ونُصَيْبٌ والأَحوصُ أغانٍ .

منها : [من المنسرح]

صوت

أبصرتُهـا ليلـةً ونسْوَتَهـا يَمْشِينَ بـين المَقامِ والحَجَرِ
ما إنْ طَمِعْنا بها ولا طَمِعتْ حتّـى التَقَيْنا ليـلاً على قَدَرِ
بِيضاً حِسانـاً خرائـداً قُطُفاً يَمْشِينَ هَوْنـاً كمِشْيةِ البَقَرِ

الشعر لعُمَر . والغناء لابن سريج رملٌ بالوسطى عن الهشاميّ وحَبَشٍ . وذكر عمرو أنّ فيه لابن سُريج خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . ولأبي سعيدٍ مولى فائد ثقيلٌ أوّل ، وقيل : إنّه لِسِنانٍ الكاتب . ومن هذه القصيدة أيضاً ، وهذا أوّلها : [من المنسرح]

صوت

يـا مَـنْ لِقَلْـبٍ مُتَيَّمٍ كَمِدٍ يَهْـذِي بخَـوْدٍ مَرِيضَةِ النَّظَرِ
تمشِي رُوَيْـداً إذا مَشَتْ قَطَفاً وهْيَ كمثل العُسْلوج مِ البُسُرِ[1]
مـا زالَ طَرْفِي يَحـارُ إذ بَرَزتْ حتّى عرفتُ النُّقْصانَ في بَصَري

غنّاه ابن محرز ، ولحنُه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى .

ومنها : [من المنسرح]

صوت

قالـتْ لِتِرْبٍ لهـا تُحَدِّثُها لَنُفْسِدنّ الطَّـوافَ في عُمَرِ
قالـتْ تَصَدَّيْ لـه لِيَعْرِفَنا ثمّ اغْمِزِيه يـا أُختِ في خَفَرِ
قالتْ لهـا قـد غمزتُه فأَبـى ثم اسْتُطِيرتْ تشتدُّ في أَثَري[2]

غناء يونس خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر عن حَبَشٍ . وقيل : إنّ فيه لعبد الله بن العَبّاس لحناً جَيِّداً .

ومنها ما لم يَمْض ذكرُه في الكتاب : [من الطويل]

---

1 قطفاً : بطيئات السير : الواحدة قطوف . العسلوج : ما لان واخضر من القضبان ، والبسر : التمر قبل إرطابه .

2 استطيرت : ذُعرت .

صوت

أَلا ليتنا يـا عَـزَّ من غيرِ بِغضَةٍ بَعِيرَيْنِ نَرْعـى في الخَلاءِ ونَعْزُبُ
كلانا بِـه عَـزٌّ فمَنْ يَرَنـا يَقُل على حُسْنِها جَرْباءُ تُعْدِي وأَجربُ
إذا مـا وَرَدْنا مَنْهَلاً صاح أَهلُـهُ علينا فمـا نَنْفَكُّ نُرْمى ونُضْرَبُ

الغناء لإبراهيم ، رملٌ بالوسطى عن حَبَشٍ .

[فضلت عزّة الأحوص في الشعر على كُثَيِّر ، فنقدته وأوردت نماذج من شعر الأحوص]

أخبرنا محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبي عبيدة عن عَوانة وعيسى بن يزيد : أنّ كُثَيِّراً دخل على عَزّة ذات يومٍ ، فقالت له : ما ينبغي لنا أن نأذَنَ لك في الجلوس . قال : ولِمَ ؟ قالت : لأنّي رأيتُ الأحوصَ أَلْيَنَ جانباً [في شِعْرِهِ] منك في شِعْرِك وأَضْرَعَ خَدّاً للنساء ، وإنّه لأشعرُ منك حين يقول : [من البسيط]

يـا أيُّها اللاَّئِمِي فيها لأُصْرِمَها أكثرتَ لو كان يُغْني منك إكْثارُ
ارْجعْ فلستَ مُطاعاً إذ وَشَيْتَ بها لا القَلْبُ سالٍ ولا في حُبِّها عارُ

وإنّي استَرقَقْتُ قوله : [من الطويل]

ومـا كُنت زَوَّاراً ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُـزَرْ لا بُـدَّ أَنْ سَيَزُورُ

وأعجبني قوله : [من البسيط]

كَمْ من دَنِيٍّ لها قـد صِرْتُ أَتْبَعُه ولو صحا القلبُ عنها كان لي تَبَعا[1]
وزادني كَـلَفاً بالحُبِّ أَنْ مَنَعتْ أَحَبُّ شيءٍ إلى الإنسانِ ما مُنِعا[2]

وقوله أيضاً : [من الطويل]

وما العَيْشُ إلاّ مـا تَلَذّ وتَشْتَهي وإنْ لام فيـه ذو الشَّنانِ وفَنَّدا[3]

فقال كثيِّر : قد والله أجاد ؛ فما الذي استَجْفَيْتِ من قولي ؟ قالت : أخزاك الله ! أما استحييتَ حين تقول : [من الطويل]

يُحـاذِرْنَ منّـي غَيْرةً قـد عَرَفْنَها لَـدَيَّ فما يَضْحَكْنَ إلاّ تَبَسُّما

فقال كُثَيِّر : [من الطويل]

---

1 صحا في ل : سلا .
2 مثل .
3 الشنان : البغض من الشنآن .

وَدِدْتُ وبيتِ اللهِ أَنَّكِ بَكْـرةٌ هِجانٌ وأَنِّي مُصْعَبٌ ثم نَهْرُبُ
كِلانا بــه عَـرٌّ فمَـنْ يَرَنا يَقُلْ على حُسْنِها جَرْباء تُعْدِي وأَجْرَبُ
نكـون لِــذي مـالٍ كثيرٍ مُغَفَّلٍ فلا هُـوَ يرعانـا ولا نحن نُطْلَبُ

[أبيات من شعر أبي زبيد وبيان ألحانها]

فقالت لي : وَيحَك ! لقد أردتَ بي الشقاءَ الطويل ، ومن المُنى ما هو أعفى من هذا وأَطْيَبُ : [من المنسرح]

صوت

قــد كنتَ في مَنْظرٍ ومُسْتَمَعٍ عَنْ نَصْرِ بَهْراءَ غير ذي فَرَسِ
لا تِــرَةٌ عندهــم فتَطْلُبَهـا ولا هــمُ نُهْــزةٌ لُمُخْتَلِسِ
بكَــفٍّ حَــرّانَ ثائــرٍ بـدَم طَلاَّب وِتْرٍ في الموتِ مُنْغَمِسِ
إمّا تَقارَشْ بــك الرّماحُ فـلا أُبكيــك إلاّ للدّلْــوِ والمَرَسِ
تَذُبُّ عنــه كَــفٌّ بهـا رَمَقٌ طيراً عُكُوفــاً كَزُوّر العُرُسِ
عمّــا قليــلٍ يَصْبَحْنَ مُهْجَتَه فهُــنَّ مــن والغٍ ومُنتهِسِ

الشعر لأبي زُبَيْد الطائيّ . والغِناء لابن مُحْرِز في الأوّل والثاني خفيفُ ثقيلٍ الأوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّ في الأربعة الأُوَل خفيفَي ثقيلٍ كلاهما بالبنصر لمَعْبَد وابن مُحْرِز ، ووافقه الهِشاميّ في لحن مَعْبَدٍ في الأوّل والثاني وذكر أنّه بالوسطى . وفي كتاب ابن مِسْجَحٍ عن حَمّاد له ؛ فيه لحنٌ يقال إنّه لابن مُحْرِز . ولابن سُرَيْج في الأوّل والخامس والسادس والسابع رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر لنا حبشٌ أنّ الرمل لمعبد ، وذكر إسحاق أنّه لابن سُرَيْج أيضاً ، وأوّله : [من المنسرح]

تَذُبُّ عنه كــفٌّ بها رمقٌ

وفيه لمالك في السادس والسابع خفيف ثقيل آخر . وفيه لابن عائشة رَمَلٌ . وفيه لِحُنَينٍ ثاني ثقيل . هذه الحكايات الثلاث عن يونس ، وطرائقُها عن الهشاميّ . ولِمُخارق في الرابع والأوّل خفيفُ رَمَلٍ . ولِمُتَيَّم في الأوّل والثاني خفيف رملٍ آخر . وذكر حبشٌ أنّ لإبراهيم في الأوّل والثاني ثقيل بالوسطى ، ولابن مسْجَحٍ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى .

[210] ـ أخبار أبي زبيد ونسبه

[نسبه]

هو حَرْمَلَةُ بن المُنْذِر ، وقيل المنذر بن حرملة . والصحيح حرملة بن المنذر بن مَعْدِيكَرِبَ بن حَنظَلَة بن النُّعمان بن حَيَّة بن سَعْنَةَ بن الحارث بن ربيعة بن مالك بن سكر بن هَنيء بن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّىء بن أُدَدٍ بن زيد بن يَشْجُبَ بن عَريب بن زيد بن كَهْلان .

[نصراني مخضرم في الطبقة الخامسة عند ابن سلام]

وكان أَبو زُبَيْدٍ نَصرانيّاً وعلى دينه مات . وهو ممّن أدرك الجاهليّة والإسلام فَعُدّ في المخضرمين . وأَلحقه ابن سلام بالطبقة الخامسة من الإسلاميين ، وهم العُجَيْر السَّلُوليّ وذووه[1] . وقد مضى أَكثرُ أخباره مع أخبار الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعَيْط .

[من زوّار الملوك ، وكان عثمان يقرّبه]

أَخبرني أَبو خليفة الفضلُ بن الحُباب الجُمَحِيّ إجازةً قال : حدَّثني محمد بن سَلاّم الجُمَحِيّ قال حدَّثني أَبو الغَرّاف قال : كان أَبو زُبَيْدٍ الطائيّ من زُوّار الملوك وخاصّة ملوك العجم ، وكان عالِماً بِسِيَرهم . وكان عثمان بن عَفّان رضي الله تعالى عنه يُقَرّبه على ذلك ويُدْني مجلسه ، وكان نصرانيّاً . [فحضَر ذاتَ يومٍ عثمان وعنده المهاجرون والأنصار] ، فتذاكروا مآثِرَ العربِ وأَشعارَها .

[استنشده عثمان فأنشده قصيدة فيها وصف الأسد]

قال : فالتفتَ عثمان إلى أَبي زُبَيد وقال : يا أَخا تُبَّعِ المسيح أَسْمِعْنا بعضَ قولك ؛ فقد أُنبِئتُ أَنّك تُجيد . فأَنشده قصيدته التي يقول فيها :

مَنْ مُبْلِغٌ قومَنا النائين إذ شَحَطُوا أَنّ الفــؤادَ إليهــم شَيِّــقٌ وَلِعُ

ووصَفَ [فيها] الأَسد . فقال عثمان رضي الله تعالى عنه : تالله تفتأُ تذكرُ الأَسدَ ما حَيِيتَ . واللهِ إنّي لأَحْسِبُك جَباناً هِداناً[2] . قال : كلاّ يا أَمير المؤمنين ، ولكنّي رأَيتُ منه مَنظَراً وشَهِدتُ منه مَشْهَداً لا يرح ذِكْرُه يتجدَّد ويتردّد في قلبي ، ومعذورٌ أَنا يا أَمير

1 هم العجير بن عبد الله السلوليّ ، وعبد الله بن همام السلوليّ ، ونافع بن لقيط الأسديّ .

2 الهدان : الأحمق الثقيل .

المؤمنين غيرُ مَلُوم . فقال له عثمان رضي الله عنه : وأنَّى كان ذلك ؟ قال : خرجتُ في صُيَّابة[1] أشرافٍ من أفناء[2] قبائل العرب ذوي هيئةٍ وشارةٍ حسنةٍ ، ترتمي بنا المَهارِي بأكسائها[3] ، ونحنُ نريد الحارث بن أبي شَمِرٍ الغَسَّانيّ ملك الشام ؛ فاخْرَوَّطَ[4] بنا السيرُ في حَمارَّة القَيْظ ، حتى إذا عَصَبتِ[5] الأفواه ، وذَبَلتِ الشِّفاه ، وشالتِ المياه[6] ، وأَذْكتِ الجَوْزاءُ المَعْزاءَ[7] ، وذابَ الصَّيْهَد[8] ، وصَرَّ الجُنْدَبُ ، وضاف العُصْفورُ الضَّبَّ وجاوره في حُجْره ، قال قائل : أيُّها الرَّكْبُ غَوِّروا بنا في ضَوْج[9] هذا الوادي ، وإذا وادٍ قد بَدا لنا كثيرُ الدَّغَل ، دائمُ الغَلَل[10] ؛ شَجْراؤه مُغِنَّةٌ ، وأطيارُه مُرِنَّة[11] . فحَطَطْنا رِحالنا بأُصولِ دَوْحاتٍ كَنَهْبَلاتٍ[12] ، فأَصَبْنا من فَضَلات الزّاد وأَتْبَعْناها الماءَ البارد . فإنَّا لَنَصِفُ حَرَّ يومِنا ومُماطَلَتَه[13] ، إذ صَرَّ أُقصى الخيلِ أُذُنَيْه[14] ، وفَحَص الأرضَ بيديه . فوالله ما لَبِثَ أنْ جال ، ثم جَمْحَمَ فَبال ، ثم فعل فِعْلَه الفرسُ الذي يليه واحداً فواحداً ، فتضعضعتِ الخيلُ ، وتَكَعْكَعتِ[15] الإبل ، وتقهقرتِ البِغال ، فمِن نافرٍ بشِكاله[16] ، وناهضٍ بِعقاله ؛ فَعَلِمنا أَنْ قد أُتِينا وأنَّه السَّبُعُ ؛ ففَزِع كلُّ رجلٍ منّا إلى سيفه فاستلَّه من جُرُبَّانه[17] ، ثم وقفنا [له] رَزْدَقاً (أي صَفّاً) . وأقبل أبو الحارث من أجمته يَتَظالَعُ في مِشيته من نَعْته[18]

---

1 صُيّاب القوم : خيرتهم وسادتهم .

2 من أفناء العرب : أي لا يدري من أي القبائل هم .

3 أكساء : جمع كُسي وهو مؤخر العجز .

4 اخروّط : طال .

5 عصبت الأفواه : جفت .

6 شالت المياه : قلّت .

7 المعزاء : الأرض الصلبة كثيرة الحصى .

8 الصيهد : السراب الجاري وشدّة الحرّ .

9 الضّوج : منعطف الوادي .

10 الغلل : الماء الذي يجري بين الأشجار .

11 مُرِنّة : أي مغرّدة .

12 كَنَهْبَل : شجر عظام .

13 المماطلة : الطول والامتداد .

14 صرّ أُذنيه : سوّاهما ونصبهما للاستماع .

15 تكعكعت : تأخّرت إلى وراء .

16 الشِّكال : الحبل الذي تشدّ به قوائم الدابة .

17 جُرُبّانة السيف : غمده .

18 ل : بغيه .

كأنّه مجنوبٌ[1] ، أو في هِجارٍ[2] [معصوب] ؛ لِصَدْرِه نَحِيطٌ[3] ، ولِبَلاعِمه غَطِيطٌ ؛ ولِطَرْفِه وَمِيضٌ ، ولأرساغِه نَقِيضٌ[4] ؛ كأنّما يَخْبِط هَشِيماً ، أو يَطأُ صَرِيماً[5] وإذا هامةٌ كالمِجَنّ ، وخَدٌّ كالمِسَنّ[6] ، وعَينانِ سَجْراوانِ[7] ، كأنّهما سَراجان يَقِدان ، وقَصَرةٌ رَبِلَة[8] ، ولِهْزِمةٌ رَهِلة[9] ؛ وكَتَدٌ مُغْبَطٌ[10] ، وزَوْرٌ مُفْرط[11] ؛ وساعدٌ مجدول ، وعَضُدٌ مفتول ؛ وكَفٌّ شَثْنة البَراثن[12] ، إلى مَخالِبَ كالمَحاجِن[13] . فضرب بيده فأَرْهَجَ[14] ، وكشَّر فأفْرَجَ ، عن أنيابٍ كالمَعاول مصقولة ، غير مفلولة ؛ وفَمٍ أَشْدَقَ ، كالغار الأجوف ؛ ثم تمطَّى فأسرع بيديه ، وحفز[15] وَرِكَيه برجليه ، حتى صار ظِلُّه مِثْلَيْهِ ؛ ثم أَقْعى فاقشعرّ ، ثم مَثَل[16] فاكْفَهَرَّ ، ثم تَجَهَّم فازبَأَرَّ[17] . فلا وذُو بَيْتُه في السماء ما اتَّقيناه إلاّ بأوّل أخٍ لنا من فَزارة ، كان ضَخْمَ الجُزارةِ[18] ، فوقَصَه ثم نَفضه نَفْضةً فَقَضْقَضَ متنيه[19] ، فجعل يَلَغُ في دمه . فَذَمَرْتُ أصحابِي[20] ، فَبَعْدَ لأْيٍ ما اسْتَقْدَمُوا . فَهَجْهَجْنا به[21] ، فكَرَّ مُقْشَعِرًّا بزُبْرَتِه[22] ،

---

1 المجنوب : المصاب بذات الجنب .

2 الهِجار : حبل يُشدّ في رسغ رجل البعير ثم يشدّه إلى حقوه .

3 نحيط : زفير .

4 النقيض الأرساغ : صوتها .

5 الصريم : الحبّ المقطوع من الزرع .

6 المِسَنّ : الحجر الذي يُسنّ به أو يُسَنّ عليه .

7 عين سجراء أي بيّنة السجر ، وهو أن يخالط بياضها حمرة .

8 القصرة : أصل العنق إذا غلظت ، والربلة : كل لحمة غليظة .

9 اللهزمة : عظم ناتىء أو مضغة عليّة تحت الأذن ، ورهلة : منتفخة .

10 الكتد : ما بين الكاهل إلى الظهر . ومغبط : مرتفع .

11 الزور : الصدر .

12 شثن البراثن : خشنها ، والبراثن : جمع البرثن ، وهو من السّباع والطير بمنزلة الأصابع من الإنسان .

13 المحجن : العصا المنعطفة الرأس كالصولجان .

14 أرهج : أثار الغبار .

15 حفز : دفع .

16 مثل : قام منتصباً .

17 ازبأرّ : تنفّش حتى ظهرت أصول وبر شعره .

18 ضخم الجزارة : كبير الرأس واليدين والرجلين يريد أنه عظيم الجسم .

19 وقصه : دق عنقه . قضقض متنيه : كسر متنَي الظهر .

20 ذمر أصحابه : لامهم وحضّهم وحثّهم .

21 هجهجنا به : صحنا به وزجرناه ليكفّ .

22 الزّبرة : الشعر المجتمع بين كتفَي الأسد .

كأنّ به شَيْهَماً حَوْلِياً ،[1] ، فاختلجَ رجلاً أَعْجَرَ ذا حَوايا[2] ، فنَفَضَه نفضةً تزايلَتْ [منها] مفاصله ، ثم نَهَمَ ففَرْفَرَ[3] ، ثم زفر فبربَرَ[4] ، ثم زأرَ فجَرْجَرَ[5] ، ثم لَحَظ[6] ، فوالله لَخِلْتُ البَرْقَ يتطايرُ من تحت جُفونه ، من عن شِماله ويمينه . فأُرْعِشَتِ الأَيدي ، واصْطَكَّتِ الأَرجُل ، وأَطَّتِ الأَضلاعُ[7] ، وارْتَجَّتِ الأَسماعُ ، وشَخَصتِ العيونُ ، وتَحَقَّقتِ الظُّنونُ ، وانْخَزلتِ المُتُون . فقال له عثمان : اسْكُتْ قَطَع الله لِسانَك ! فقد أرعبتَ قلوبَ المسلمين .

[خوفه من الأسد]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا الخليل بن أَسَدٍ قال حدَّثني العُمَريّ قال حدَّثني شُعْبةُ قال : قلتُ للطِّرِمّاح بن حكيم : ما شأنُ أبي زُبَيْدٍ وشأنُ الأَسَدِ ؟ فقال : إنّه لَقِيه بالنَّجَفِ ، فلمّا رآه سَلَح من فَرَقه ، وقال مرّة أُخرى : فسَلَّحَه ، فكان بعد ذلك يَصفه كما رأيت .

[مفاخرة بين المكاء الطائي وبين الشيباني وشعر أبي زبيد في ضربة المكاء]

أخبرني أبو خليفة عن محمد بن سلاّم قال حدَّثني أبي عمّن يَثِق به أنّ رجلاً من طيِّىءٍ من بني حيّةَ نزل به رجُلٌ من بني الحارث بن ذُهْل بن شَيبان يقال له المُكّاء ، فذبح له شاةً وسقاه الخمر ، فلمّا سكِرَ الطائيّ قال : هلُمَّ أُفاخرك : أبنو حيَّةَ أكرمُ أم بنو شيبان ؟ فقال له الشيبانيّ : حديثٌ [حسن] ، ومُنادَمةٌ كريمةٌ أحبُّ إلينا من المفاخرة . فقال الطائيّ : والله ما مَدّ رجلٌ قطُّ يداً أطولَ من يَدي . فقال الشيبانيّ : والله لئن أعدتَها لأَخْضِبَنَّها من كُوعِها . فرفع الطائيّ يده ، [فضربها الشيبانيّ بسيفه فقطعها] . فقال أبو زبيدٍ في ذلك : [من الخفيف]

خبَّرَتْنا الرُّكبانُ أن قد فَخَرْتُمْ ... وفَرِحْتُمْ بضَرْبة المُكّاء
ولَعَمْري لَعارُها كان أدنى ... لَكُمُ من تُقًى وحَقٌّ وفاء
ظَلَّ ضيفاً أخوكُم لأخينا ... في صَبُوح ونَعْمةٍ وشِواء

---

1 الشيهم : ما عظم شوكة من ذكور القنافذ . والحولي : ما أتى عليه حول .
2 اختلج رجلاً : انتزعه ، وأعجر : ممتلىء جدّاً ، أو عظيم البطن ، الحوايا : الأمعاء .
3 نهم : أخرج صوتاً كالأنين . وفرفر : صاح .
4 بربر : صاح .
5 جرجر : ردّد صوته في حنجرته .
6 لحظ : نظر بمؤخر العين عن يمين ويسار غاضباً .
7 أطّت الأضلاع : صوّتت .

ثم لمّـــا رآه لانتْ به الخمـ ـــر وأن لا يريبـــهُ باتّقاء
لم يَهَبْ حُرْمةَ النَّديم وحُقَّت يـــا لقـــومٍ للسَّوْءة السَوْءاء

[ما قاله في كلبه أكدر حين لقيه الأسد فقتله]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني عمّي عبيد الله عن محمد حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان لأبي زبيدٍ كلبٌ يقال له أَكْدَر ، وكان له سلاحٌ يُلْبسُه أيّاه ، فكان لا يَقوم له الأسد ، فخرج ليلة قبل أن يلبِسَه سلاحَه ، فلقيَه الأسد فقتله ، ويقال : أخذه فأفْلَت منه ، فقال عند ذلك أبو زبيد : [من البسيط]

أحـــالَ أَكْـــدرُ مُخْتـالاً كعادته حتى إذا كان بين البئر والعَطَنِ[1]
لاقى لدى ثُلَـلِ الأَطـــواء داهيةً أَسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل في قَرَنِ[2]
حطَّت بـــه شيمةٌ وَرْهاءُ تطردُهُ حتى تَناهى إلى الحُولات في السَّنَنِ[3]
إلى مُقابَـــل خَطْـوِ السَّاعدَيْن له فوق السَّراة كذِفْرى الفالج القَمِنِ[4]
رئبالِ غابٍ فـلا قَحْمٌ ولا ضرَعٌ كالبغلِ يحتطم العِلجين في شطَنِ

[لامه قومه على كثرة وصفه الأسد مخافة أن تسبهم العرب فأجابهم]

وهي قصيدةٌ طويلةٌ . فلامه قومُه على كَثرة وصفِه للأسد ، وقالوا له : قد خِفنا أن تَسُبَّنا العربُ بوصفك له . قال : لو رأيتم منه ما رأيتُ أو لَقِيكم ما لَقِي أكدر لما لُمْتُموني . ثم أمسك عن وصفِه فلم يصِفْه بعد ذلك في شعره حتى مات .

[وصف النُّعمان بن المنذر وذكر ما حدث في مجلس له]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثني أبو سعيدٍ السكَّريّ قال حدَّثني هارون بن مُسْلم بن سَعدان أبو القاسم قال حدَّثنا هشامٌ ابن الكلبيّ قال : كان الأجلحُ الكِنْدِيُّ يحدّث عن عمارةَ بن قابوس قال : لقيتُ أبا زُبَيْد الطائيّ فقلت له : يا أبا زبيد هل أتيتَ النُّعمانَ بن المنذر ؟ قال إي والله لقد أتيتُه وجالستُه . قال قلت : فصِفْه لي . فقال : كان أحمر أزرق أبْرَش قصيراً . فقلت له : بالله أخبرني أيَسرُّك أنّه سمع مقالتَك هذه وأنّ لك حُمْرَ النَّعَم ؟ قال : لا والله ولا سُوَدها ؛ فقد رأيتُ ملوكَ حِمير في مُلْكها ، ورأيت ملوك غَسّان في ملكها ، فما

1 أحال : أقبل . مختالاً في ل : مشياً . العطن : مناخ الإبل حول الورد .
2 ثلة البئر : ما أخرج من ترابها . والأطواء : جمع الطويّ . القرن : حبل يجمع به البعيران .
3 الحُولات : جمع حُولة وهي الداهية .
4 الفالج : البعير ذو السّنامين . والقمن : السريع .

رأيتُ أحداً قطُّ كان أشدَّ عزّاً منه . وكان ظهْرُ الكوفة يُنْبت الشقائق ، فَحَمى ذلك المكانَ ، فنُسِب إليه فقيل «شقائقُ النُّعمان» .

فجلس ذات يوم هناك وجَلسْنا بين يديه كأنّ على رؤوسنا الطّير ، وكأنّه باز . فقام رجل من الناس فقال لـه : أَبَيْتَ اللعن ؛ أعْطني فإنّي محتاج . فتأمّله طويلاً ثم أَمَر به فأُدْني حتى قَعَد بين يديه ، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مَشاقِص[1] فجعل يَجَأُ[2] بِها في وَجْهه حتى سَمِعْنا قَرْعَ العِظام ، وخُضبت لحيتُه وصدره بالدم ، ثم أَمر به فنُحّي . ومكثنا مليّاً .

ثم نهض آخرُ فقال له : أَبَيْت اللَّعنَ ؛ أعْطِني . فتأمّله ساعةً ثم قال : أَعْطُوه ألفَ درهم ، فأخذها وانطلَقَ .

ثم التفَتَ عن يمينه ويساره وخَلْفِه ، فقال : ما قولُكم في رجلٍ أَزْرق أَحْمَر يُذْبح على هذه الأَكَمَة ، أترون دمَه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي ؟ فقُلنا له : أنتَ ، أبيتَ اللعن ، أَعْلى برأيك عَيْنا . فدعا برجل على هذه الصِّفة فأَمَر به فذُبح .

ثم قال : أَلا تسأَلوني عمّا صنعتُ ؟ فقلنا : ومن يسأَلُكَ ، أبيتَ اللعن ، عن أَمْرِكَ وما تصنع ؟ فقال : أما الأوّل فإنّي خرجتُ مع أبي نتَصيَّد ، فمررت به وهو بفناءِ بابه وبين يديه عُسٌّ من شراب أو لبن ، فتناولتَه لأشربَ منه ، فثار إليّ فهراقَ الإناء فملا وجهِي وصدري ، فأعطيتُ الله عَهْداً لئن أمكنني منه لأخْضَبنَّ لحيتَه وصدرَه من دم وجهه .

وأمّا الآخر فكانت له عندي يَدٌ كافأته بها ، ولَم أَكُنْ أُثْبته ، فتأمّلته حتى عرفته .

وأمّا الذي ذبحتُه فإنّ عينا لي بالشام كتب إليّ : إنّ جَبَلة بن الأَيْهَم قد بعث إليك برجُل صِفَتُه كذا وكذا ليغتالَك . فطلبته أيّاماً فلم أَقْدِرْ عليه ، حتى كان اليوم .

[مات نديم له في غيبته فرثاه وصبّ الخمر على قبره]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال : كان لأبي زُبَيدٍ نديمٌ يشرب معه بالكوفة ، فغاب أبو زبيد غَيْبةً ، ثم رجع فأخبر بوفاته ، فعَدَل إلى قَبره قبل دخوله منزلَه ، فوقَفَ عليه ثم قال : [من المنسرح]

يا هاجِرِي إذ جئتُ زائرَهُ ما كان منْ عاداتكَ الهَجْرُ
يا صاحبَ القبْر السّلام على مَنْ حال دون لِقائه القَبْرُ

1 المِشقص : نصل عريض أو سهم .
2 الوجء : الضرب .

ثم انصرَف . وكان بعد ذلك يجيء إلى قبره فيشرَب عنده ويصُبُّ الشراب على قبره .

والأبيات التي فيها الغناء المذكور يقولُها في غلامٍ له قَتَلَتْه تغلِبُ ، وكان مُجاوراً فيهم ، فدَلَّ بَهْراءَ على عَوْرتهم وقاتلهم معهم فقُتِل .

[شعره في غلبة تغلب على بهراء وقتل غلامه]

أخبرني بخَبَره أبو خليفة قال حدَّثني محمد بن سلاّم . وأخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ قال : كان أخوالُ أبي زبيد بني تَغْلب ، وكان يقيم فيهم أكثرَ أيّامه ، وكان له غلام يرعى إبله ، فغزتْ بهراءُ بني تَغْلِب ، فمرّوا بغلامه ، فدَفَع إليهم إبلَ أبي زبيد وقال : انطلقوا أدُلُّكم على عَوْرة القَوْم وأُقاتل مَعَكم . ففعلوا ، والتَقَوْا ، فهُزِمت بهراءُ وقُتِل الغلامُ ، فقال أبو زبيد هذه القصيدة وهي : [من المنسرح]

هل كنتَ في مَنْظَرٍ ومُسْتَمَع ... عن نَصْرِ بَهْراء غيرَ ذي فَرَسِ
تَسْعى إلى فِتيةِ الأَراقِمِ واسـ ... ـتعجلْتَ قَبْل الجمان والقبسِ[1]
في عارضٍ من جبال بها الأ ... لُّ مَرين الحروب عن دُرَسِ[2]
فَنُهْزَةً مَنْ لَقُوا حَسِبْتُهم ... أَحْلى وأَشْهى من بارِدِ الدِّبسِ
لا تِرة عندهم فتطلبَها ... ولا هُمُ نُهْزَة لمُخْتَلِسِ
جُودٌ كرام إذا هُم نُدِبُوا ... غَيْرُ لئامٍ ضُجْرٍ ولا كُسُسِ[3]
صُمْتٌ عظام الحلُوم إن قعدوا ... عن غير عِيٍّ بِهم ولا خَرَسِ
تقُوتُ أفراسَهُم نساؤُهُمُ ... يُزْجُون أجمالَهمْ مع الغَلسِ
صادفْتَ لمّا خرجتَ مُنْطَلِقاً ... جَهْمَ المُحَيّا كباسلٍ شِرسِ
تَخالُ في كفِّه مثقّفةً ... تلمَع فيها كَشُعْلة القَبَسِ
بكفِّ حرّانَ ثائرٍ بدمٍ ... طَلاّبِ وِترٍ في الموتِ مُنْغَمِسِ
إمّا تَقارَنْ بك الرِّماح فلا ... أبكيك إلاّ للذُّلو والمَرَسِ
حَمِدتَ أمْري ولمت أمرَك إذ ... أمسك جَلْزُ السِّنانِ بالنَّفَسِ[4]

1 الجمان والقبس : ناقتان .
2 مرين الحروب : جلبنها . دُرَس : جمع دُرسة وهي الرياضة .
3 كُسس : جمع أكس ، أي ليس فيهم خروج الأسنان السّفلى على الحنك الأسفل .
4 جلز السّنان : الحلقة المستديرة في أسفله .

وقــد تصلّيتَ حَــرَّ نارهــمُ كما تَصَلّى المقرور من قَرَسِ[1]
تَــذُبُّ عنه كــفٌّ بهــا رمق طيراً عكوفــاً كَزُوَّرِ العُرُسِ[2]
عمّــا قليــلٍ علــون جُثّتــه فهــنَّ مــن والــغ ومُنْتهِسِ

[أخذ دية غلامه وثمن إبله من تغلب وقال شعراً]

فلمّا فرغ أبو زبيد من قصيدته بعثت إليه بنو تغلِب بدِية غلامه وما ذهب من إبله ، فقال في ذلك : [من الوافر]

ألا أبلغ بني عمرٍو رسولاً فإنّــي في مودّتكـم نَفِيسُ

هكذا ذكر ابن سلاّم في خبره ، والقصيدة لا تَدُلُّ على أنّها قِيلت فيمن أحسن إليه وودى غلامه وردَّ عليه ماله . وفي رواية ابن حبيب : [من الوافر]

ألا أبلِغ بني نصر بن عمرٍو

وقوله أيضاً فيها : [من الوافر]

فما أنا بالضعيفِ فتظلِموني ولا جافي اللقاء ولا خسِيسُ
أفي حقٍّ مواساتــي أخــاكم بمــالي ثم يظلِمني السرِيسُ

السريس : الضعيف الذي لا ولد له ــ وهذا ليس من ذلك الجنس . ولعلّ ابن سلام وهِم .

[هو أحد المعمرين]

وأبو زبيد أحدُ المُعَمَّرِين ، ذكر ابن الكلبيّ أنّه عمر مائةً وخمسين سنة .

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : كان طول أبي زبيد ثلاثة عشر شبرا .

[كان يدخل مكة متنكراً لجماله]

أخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز وأحمد بن عبيد الله بن عمار قالا حدَّثنا محمد بن عبد الله العبدِيُّ أبو بَكْرة قال حدَّثني أبو مِسعرٍ الجُشَمِيّ عن ابن الكلبيّ قال : كان أبو زبيد الطائيّ مِمَّنْ إذا دخل مكّة دخلها متنكّراً لجماله .

[منادمته الوليد بن عقبة بعد اعتزال الوليد عليا ومعاوية]

وأخبرني إبراهيم بن محمد بن أيّوب قال حدَّثنا محمد بن عبد الله بن مسلم قال : لمّا صار الوليدُ بن عقبة إلى الرَّقَّةِ واعتزل عليّاً عليه السلام ومعاوية ، صار أبو زبيد إليه ، فكان ينادمه ،

1 القرس : البرد الشديد .
2 الزور : جمع الزائر . والعرس : طعام الوليمة .

وكان يُحْمَل في كلّ أحدٍ إلى البِيعة مع النصارى . فبينا هو يوم أحَدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر ثم رمى بالكأس من يده وقال : [من الطويل]

إذا جَعَل المرءُ الذي كان حازماً يُحَـلُّ بـه حَلَّ الخُوارِ ويحملُ
فليس له في العيش خيرٌ يريده وتكفينُهُ مَيْتـاً أعـفُّ وأجملُ

[دفن مع الوليد بن عقبة بوصية منه]

ومات فدُفِن هناك على البَلِيخ[1] . فلمّا حضرت الوليدَ بن عقبة الوفاةُ أوصى أن يُدفن إلى جنب أبي زبيد . وقد قيل : إنّ أبا زبيد مات بعد الوليد ؛ فأوصى أن يدفن إلى جنب الوليد .

[قال ابن الكلبيّ في خبره الذي ذكره إسحاق عنه : هرب أبو زبيد من الإسلام فجاور بهراء فاستأجر منهم أجيراً لإبله فكان يقبِّلُه[2] حلبَ الجُمان والقيس ، وهما ناقتان كانتا له . فلمّا كان يوم حابس ، وهو اليوم الذي التقت فيه بهراء وتغلب خرج أجيرُ أبي زُبيد مع بهراء ، فقتل وانهزمت بهراء ، فمرّ أبو زبيد به وهو يجود بنفسه ، فقال فيه هذه القصيدة] .

أخبرني محمد بن يحيى ويحيى بن عليّ الأبوابيُّ المدائنيّ قالا حدَّثنا عقبة المِطرفيُّ قال : كنّا في الحمام ومعي ابن السَّعْدِيّ وأنا أقرأ القرآن ، فدخل سعد الرُّواسيّ فغنّى : [من المنسرح]

قـد كنـت في منظرٍ ومستَمع عن نصر بهراء غيرَ ذي فرسِ

فقال ابن السعديّ : اسكت اسكت ؛ فقد جاء حديث يأكل الأحاديث .

[أوصى له الوليد بن عقبة حين احتضر بالخمر ولحوم الخنازير]

[أخبرني عمّي والحسن بن عليّ قالا حدَّثني العمريّ قال حدَّثني أحمد بن حاتم قال حدَّثني محمد بن عمرو الجمّاز قال حدَّثني أبو عبيدة عن يونس وأبي الخطّاب النحويّ : أنّ الوليد بن عقبة بن أبي معيط أوصى لما احتُضِر لأبي زُبيد بما يُصلِحه في فِصحِه وأعياده ، من الخمر ولحوم الخنازير وما أشبه ذلك . فقال أهله وبنوه لأبي زُبيد : قد علمتَ أنّه لا يحلُّ لنا هذا في ديننا ، وإنّما فعله إكراماً لك وتعظيماً لحقّك ، فقدِّره لنفسك ما شئت أن تعيش ، وقَوِّمْ ما أوْصى به لك حتى نعطيك قيمتَه ولا تفضحْنا وتفضح آباءَنا بهذا ، واحفظه واحفظنا فيه ، ففعل أبو زبيد ذلك ، وقبله منهم] .

---

1 نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون .

2 من قولهم قبّلت العامل العمل ، أي جعلته في كفالته .

صوت

[من البسيط]

هَلْ تعرفَ الدار من عامين أو عام دارٌ لِهندٍ بجِزع الحُـرج فالدامِ[1]
تحنــو لأطلائِهــا عِـينٌ مُلَمَّعَةٌ سُفْعُ الحدود بعيدات من الرامي[2]

الحرج والدام : موضعان ، ويروى «مذ عامين» . وهذا الأجود ، وكلاهما رُوِي . وعِين : بقر . وأطلاؤها : أولادها ، واحدها طلا . ويروى : «بعيدات من الذام» هو الذي يذم .

[الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعريّ حين توليته العراق]

الشعر للحطيئة يمدح به أبا موسى الأشعريَّ لما ولاّه عمرُ بنُ الخطّاب رضي الله عنه العراق . والغناء لمالك ، خفيفُ رملٍ مطلقٌ في مجرى الوسطى عن إسحاق . وذكر أنّ فيه لابن جامع أيضاً صنعةً .

1 الحرج والدام : موضعان .
2 الملمّعة : التي فيها بقع تخالف سائر لونها وقيل بقعة من السواد خاصة .

211 ـ [أخبار متفرقة عن الحطيئة وغيره]

قال محمد بن حبيب : أتى الحطيئة أبا موسى يسأله أن يكتبه معه ، فأخبره أنّ العِدّةَ قد تمّت ، فمدحه الحطيئة بهذه القصيدة التي ذكرتها ، وأوّلها : [من البسيط]

هل تعرِف الدار من عامينِ أو عامِ ... دار لهند بجِزعِ الحرجِ فالدامِ

وفيها يقول :

وجحفلٍ كسوادِ الليلِ منتَجعٍ ... أرضَ العدوّ ببوسٍ بعد إنعامِ

جمعتَ من عامرٍ فيه ومن أسدٍ ... ومن تميم ومن حاء ومن حامِ

حاء من مذحج ، وحام من خثعم :

وما رَضِيتَ لهم حتّى رَفَدتهم ... من وائل رهطِ بِسطامٍ بأصرامِ[1]

فيه الرماح وفيه كلّ سابغة ... جدلاءَ مُحْكَمةٍ من نسجِ سلاّمِ

يعني سليمان النبيّ :

وكلُّ أجردَ كالسِّرحان أضمره ... مسحُ الأُكُفّ وسقي بعد إطعامِ

مستحقباتٍ رواياها جحافِلُها ... يسمو بها أشعريٌّ طرفه سامِ[2]

الروايا : الإبل التي تحمل أثقالهم وأزوادهم ، وتجنب[3] الخيل إليها فتضع حجافلها على أعجاز الإبل :

لا يزجُرُ الطَّيْرَ إن مرّت به سُنُحاً ... ولا يُفِيض على قِدْحٍ بأزلامِ

وقال المدائنيّ : لمّا مدح الحطيئة أبا موسى رضي الله عنه بهذه القصيدة وصله أبو موسى . وقد كان كتب مَن أراد وكملت العدّةُ ، فبلغ ذلك عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فكتب يلومُه ، فكتب إليه : إنّي اشتريت منه عِرضي ، فكتب إليه : أحسنتَ . قال : وزاد فيه حمّاد الراوية أنّه ، يعني نفسه ، أنشدها بلالَ بن أبي بردة ولم يكن عرفها فوصله .

أخبرني القاضي أبو خليفة إجازةً قال حدّثنا محمد بن سلاّم قال أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدِم حمّاد الراوية البصرة على بلال بن أبي بُرْدة وهو عليها فقال له : ما أطرفتني شيئاً يا حمّاد ، فعاد إليه فأنشده قول الحطيئة في أبي موسى ، فقال له : ويحك ! يمدح الحطيئة

---

1 أصرام : جماعات .

2 مستحقبات : من استحقب الشيء : شدّه في مؤخّر الرحل واحتمله خلفه .

3 تجنب إليها : تقاد إلى جنبها .

أبا موسى وأنا أروي شعره كلّه ولا أعلم بهذه ؟ أذِعْها تذهبْ في النّاس .

وكانت ولاية أبي موسى الكوفة بعد أن أخرج أهلُها سعيد بن العاص عنها ، وتحالفوا ألاّ يُوَلُّوا عليها إلاّ مَن يريدون .

[وجوه أهل الكوفة من القراء يختلفون إلى سعيد بن العاص]

أخبرني بالسبب في ذلك أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثني عمر بن شبَّة قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي مِخْنف عن عبد الملك بن نوفل بن مُساحق قال : كان قوم من وجوه أهل الكوفة من القُرّاء يختلفون إلى سعيد بن العاص ويسألونه ، فتذاكروا يوماً السهلَ والجبل ، فقال حسانُ بنُ محدوج : سهلنا خير من جبلنا : أكثرُ بُرّاً وشعيراً ، فيه أنهارٌ مطَّردة ، ونخل باسِقات ، وقلَّت فاكهةٌ يُنبِتُها الجبل إلاّ والسهل ينبت مثلها . فقال له عبد الرحمن بن حُبَيش : صدقتم ، ودِدت أنّه للأمير وأنّ لكم أفضلَ منه . فقال الأشتر : تمنّ للأمير أفضلَ ولا تتقرّب إليه بأموالنا ، فقال : ما ضَرَّكَ ذلك . والله لو يشاء أن يكون له لكان . قال : كذبت والله لو أراد ذلك ما قدر عليه . فقال سعيد : والله ما السوادُ إلاّ بستانٌ لقريش ، ما شئنا أخذنا منه ، وما شئنا تركنا . فقال له الأشتر : أنت تقول هذا أصلحك الله وهذا من مركز رماحنا وفيئنا ؛ ثم ضربوا عبد الرحمن بن حُبَيْش حتى سقط .

قال المدائنيّ فحدَّثني عليُّ بن مجاهد عن محمد بن إسحاق عن الشعبيّ [ومجالد بن حمزة بن بيض عن الشعبيّ] قال : بينا القرّاء عند سعيد بن العاص وهم يأكلون تمراً وزُبْداً إذ قال سعيد : السواد بستان قريش ، فما شِئنا أخذنا منه وما شئنا تركنا . فقال له عبد الرحمن بن حبيش وكان على شرطة سعيد : صدَق الأمير . فوثب عليه القرّاء فضربوه ، وقالوا له : يا عدوّ الله ، يقول الباطِلِ وتصدقه ! فقال سعيد : اخرجوا من داري . فخرجوا ، فلمّا أصبحوا أتوا المسجدَ فداروا على الحِلَق فقالوا : إنّ أميركم زعم أنّ السواد بستان له ولقومه وهو فيئُنا ومركزُ رماحنا ، فوالله ما على هذا بايعنا ولا عليه أسلمنا . فكتب سعيد إلى عثمان رضي الله عنه : إنّ قِبَلي قوماً يُدْعَون القرّاء وهم السفهاء ، وثبتوا على صاحب شرطتي فضربوه واستخفّوا بي . منهم عمرو بن زرارة ، وكُمَيْل بنُ [زياد ، والأشتر وحُرقوص بن هبيرة ، وشريح بن أوفى ، ويزيد بن] المكفَّف ، وزيد وصعصعة ابنا صُوحان وجُندب بن عبد الله . فكتب إليهم عثمان رضي الله عنه يأمرهم أن يخرجوا إلى الشام ويغروا مغازِيَهم . وكتب إلى سعيد : قد كفيتك الذي أردت فأقرئهم كتابي فإنّي أراهم لا يخافون إن شاء الله ، واتّق الله جَلَّ وعزَّ وأحسِن السيرة . فأقرأهم الكتاب ، فخرجوا إلى دمشق فأكرمهم معاوية وقال : إنّكم قدِمتم بلداً لا يعرف أهله إلاّ الطاعةَ فلا تجادلوهم فتدْخِلوا الشكَّ قلوبَهم . فقال له الأشتر : إنّ الله جلّ وعزّ

قد أخذ على العلماء في علمهم ميثاقاً أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه ، فإن سألنا سائل عن شيء نعلمه لم نكتمه . فقال : قد خفتُ أن تكونوا مُرْصِدين للفتنة ، فاتّقوا الله ﴿وَلا تَكُونُوا كالَّذينَ تَفَرَّقُوا واخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ البَيِّناتُ﴾ . فقال عمرو بن زُرارة : نحن الذين هدى الله . فأمر معاوية بحبسهم . فقال له زيدُ بن صُوحان : إنّ الذين أشخصونا إليك لم يَعجِزوا عن حبسنا لو أرادوا . فأحسِنُوا جِوارنا ، وإن كنّا ظالمين فنستغفر الله ، وإن كنّا مظلومين فنسأل الله العافية . فقال له معاوية : إنّي لا أرى حبسك أمراً صالحاً ، فإن أحببتَ أن آذن لك فترجع إلى مصرك وأكْتب إلى أمير المؤمنين بإذنك فعلت . قال : حسبي أن تأذن وتكتبَ إلى سعيد . فكتب إليه ، فأذن له ، فلمّا أراد زيد الشخوص كلّمه في الأشتر وعمرو بن زرارة فأخرجهما . وأقام القوم بدمشق لا يرون أمراً يكرهونه ؛ ثم أشخصهم معاويةُ إلى حِمْص ، فكانوا بها ، حتى أجْمَعَ أهلُ الكوفة على إخراج سعيد فكتبوا إليهم فقدموا .

قال أبو زيد قال المدائنيّ حدَّثني الوقاصيّ عن الزهريّ : أنّ أهل الكوفة لمّا قدِموا على عثمان يشكون سعيداً قال لهم : أكتب إليه فأجمع بينكم وبينه . ففعل ، فلم يحقّقوا عليه شيئاً إلاّ قولَه : «السوادُ بستانُ قريش» ، وأثنى الآخرون عليه . فقال عثمان : أرى أصحابكم يسألون إقراره ، ولم يثبتوا عليه إلاّ كلمةً واحدة ، لم يَنْتهك بها لأحد حرمةً . ولا أرى عزله إلاّ أن تُثبتوا عليه ما لا يحلُّ لأحد تركُه معه . فانصرِفوا إلى مصركم . فرجع سعيدٌ والفريقان معه ، وتقدّمهم عليُّ بن الهيثم السدوسيُّ حتى دخل رحبَةَ المسجد فقال : يا أهل الكوفة إنّا أتينا خليفتنا فشكونا إليه عاملنا ، ونحن نرى أنّه سيصرفه عنّا ، فردّه إلينا وهو يزعم أنّ السواد بستان له . وأنا امرؤ منكم أرضى إذا رضيتم . فقالوا : لا نرضى .

[الأشتر يخطب محرضاً على عثمان]

وجاء الأشتر فصعد المِنبر فخطب خطبة ذكر فيها النبيّ ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وذكر عثمان رضي الله عنه ، فحرّض عليه ثم قال : مَن كان يرى أنّ للهِ جلّ وعزّ حقّاً فلْيصْبح بالجَرَعة ، ثم قال لكُمَيْل بن زياد : انطلق فأخرج ثابتَ بن قيس بن الخَطِيم ، فأخرجه . واستعمل أهلُ الكوفة أبا موسى الأشعريّ .

[عثمان يخضع لقوّة الرأي العام فيعزل سعيداً ويولي أبا موسى]

أخبرني أحمد قال حدَّثنا عمر قال حدَّثنا عفّان قال حدَّثنا أبو مِحْصَنٍ قال حدَّثنا حصينُ بن عبد الرحمن قال حدَّثني جُهَيْمٌ قال : أنا شاهد للأمر ، قالوا لعثمان : إنّك استعملت أقاربَك . قال : فليقم أهلُ كلّ مصر فليُسْلِمُوا صاحبهم . فقام أهل الكوفة فقالوا : اعزل عنّا سعيداً واستعمل علينا أبا موسى الأشعريّ . ففعل .

[ثناء امرأة على سعد بن أبي وقاص وذمها سعيداً]

قال أبو زيدٍ : وكان سعيدٌ قد أبغضه أهل الكوفة لأمور : منها أنّ عطاء النساء بالكوفة كان مائتين مائتين فحطّه سعيد إلى مائة مائة . فقالت امرأة من أهل الكوفة تذمّ سعيداً وتثني على سعد بن أبي وقّاص : [من الطويل]

فليتَ أبا إسحاق كان أميرَنا ... وليت سعيداً كان أوّلَ هالكِ[1]

يُحَطِّطُ أشراف النساءِ ويتّقي ... بأبنائهنّ مُرْهَفات النَّيازِكِ[2]

[هدية سعيد بن العاص إلى علي بن أبي طالب]

حدَّثني العبّاس بن عليّ بن العبّاس ومحمدُ بن جرير الطبريّ قالا حدَّثنا يحيى بن معين قال حدَّثنا أبو داود وأخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شَبّة قال حدَّثنا أبو داود قال حدَّثنا شعبة بن عمرو بن مُرّة قال سمعت أبا وائل يحدّث عن الحارث بن حُبَيْش قال : بعثني سعيدُ بنُ العاص بهدايا إلى المدينة وبعثني إلى علي عليه السلام وكتب إليه : إنّي لم أبعث إلى أحد بأكثر ممّا بعثت به إليك إلاّ شيئاً في خزائن أمير المؤمنين . قال : فأتيت عليّاً فأخبرته ، فقال : لشدَّ ما تَحْظُر بنو أُمَيّة تراث محمد ﷺ . أمّا والله لَئِنْ وليتُها لأُنْفُضَنَّها نفضَ القصّاب لتراب الوذَمةِ .

قال أبو جعفر : هذا غلط إنّما هو لِوِذامِ التَّربة[3] .

قال أبو زيد وحدَّثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائيّ عن السعديّ عن أبيه قال : بعث سعيد بن العاص مع ابن أبي عائشة مولاه بصلةٍ إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ فقال : والله لا يزالُ غلامٌ من غِلْمان بني أُمَيّة يبعث إلينا ممّا أفاءَ اللهُ على رسوله بمثل قوتِ الأرملة ، واللهِ لئن بقيتُ لأُنْفُضَنَّها نفضَ القصّابِ لوِذام التربة . هكذا في هذه الرواية .

صوت

[من الرمل]

رُبَّ وَعدٍ منكِ لا أنساه لي ... أَوْجَبَ الشُّكرَ وإن لم تَفْعَلي

أَقْطعُ الدَّهرَ بظنٍّ حَسَنٍ ... وأُجَلِّي غَمْرةً ما تَنْجلي

كلَّما أمَّلتُ يوماً صالحاً ... عَرَضَ المَكْروهُ لي في أَمَلي

وأرى الأيَّامَ لا تُدْنِي الذي ... أَرْتَجي منكِ وتُدْني أَجَلي

عروضه من الرّمل ؛ الشِّعرُ لمحمد بن أُمَيّة ، والغناء لأبي حَشيشة ، رملٌ طُنْبوريّ وفيه لَحْن لحسين بن مُحْرِز ثاني ثقيلٍ بالوُسْطى عن أبي عبد الله الهشاميّ .

---

1 أبو إسحاق : كنية سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

2 النيازك : جمع نيزك ، وهو الرمح القصير .

3 الوذام : جمع وذمة : قطعة الكرش . والتربة : الكرش .

[212] ـ أخبار محمد بن أُميّة وأخبار أَخيه عليّ بن أُميّة وما يغنَّى فيه من شعرهما

[نسبه]

سألتُ أَحمدَ بن جعفرٍ جَحْظة عن نسبه قُلتُ له : إنّ النّاسَ يقولون ابنُ أُمَيّة وابنُ أَبي أُميّة ؛ فقال : هُوَ محمد بن أُميّة بن أَبي أُميّة .

[ومنادمته إبراهيم بن المهديّ]

قال : وكان محمدٌ كاتباً شاعراً ظريفاً ، وكان ينادمُ إبراهيم بن المَهْدِيِّ ، وربّما عاشَرَ عليَّ بنَ هِشام ، إلاّ أنّ انقِطاعَه كان إلى إبراهيم ، وربّما كتبَ بين يديه . وكان حَسَنَ الخطّ والبَيان . وكان أُمَيّة بنُ أَبي أُميّة يكتُبُ للمَهْدِيّ على بَيْتِ المال . وكان إليه خَتْمُ الكُتُبِ بِحَضْرته ، وكان يأنس به لأَدَبِهِ وفَضْلِهِ ، ومكانِه من وَلائِهِ ، فزامَلَه أَرْبَعَ دَفَعاتٍ حَجّها في ابتدائِهِ ورُجُوعِهِ .

قال جَحظةُ : وحدَّثني بذلك أَبو حَشيشَة .

[إعجاب أبي العتاهية به في حضرة إبراهيم بن المهديّ]

وحدَّثني جحظة أيضاً قال حدَّثني أَبو حشيشة عن محمد بن عليّ بن أُمَيّة قال حدَّثني عمّي محمد بن أُمَيّة قال : كنتُ جالساً بين يديْ إبراهيم بن المهديّ ، فدخل إليه أَبو العتاهية وقد تَنَسَّك ولبس الصوفَ وترك قولَ الشعر إلاّ في الزهد ، فرفعه إبراهيم وسُرَّ به ، وأَقبل عليه بوجهه وحديثِهِ ؛ فقال له أَبو العتاهية : أيُّها الأَمير بلغَني خبرُ فتًى في ناحيتك ومن موالِيك يُعْرَف بابن أُمَيّة يقول الشعرَ ، وأُنْشِدْتُ له شعراً أَعجبني ، فما فَعَل ؟ قال : فضحك إبراهيم ثم قال : لعلّه أَقربُ الحاضرين مجلساً منك . فالتفت إليّ فقال لي : أنت هو فَدَيْتُك ؟ فتشوّرت[1] وخجلت وقلت له : أَنا محمد بنُ أُمَيّة جُعلت فداءك ؛ وأَمّا الشعر فإنّما أَنا شابٌّ أَعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبث الشابُّ ؛ فقال لي : فديتك ، ذلك والله زمانُ الشعر وإبّانه ، وما قيل فيه فهو غُرَرُه وعيونُه ، وما قَصُر من الشعر وقيل في المعنى الذي تومىء إليه أَبلغُ وأَملحُ . وما زال ينشّطني ويؤنسني حتى رأى أنّي قد أَنِست به ، ثم قال لإبراهيم بن المهديّ : إنْ رأى الأَمير ، أكرمه الله ، أَن يأمره بإنشادي ما حضر من الشعر . فقال لي إبراهيم : بحياتي يا محمد أَنشِده . فأَنشدته :

---

1 تشوّرت : استحييت .

رُبَّ وعـد منكِ لا أنساهُ لي أوجـبَ الشكر وإن لم تفعلي

وذكر الأبيات الأربعة . قال : فبكى أبو العتاهية حتى جرت دموعُه على لحيته وجعل يُرَدّد البيت الأخير منها وينتحِب، ، وقام فخرج وهو يردّده ويبكي حتى خرج إلى الباب .

[هو وخداع جارية خال المعتصم وأشعاره فيها]

أخبرني عمّي قال حدَّثني يعقوب بن إسرائيل قرقارةُ قال حدَّثني محمد بن عليّ بن أميّة قال : كان عمّي محمد بن أُميّة يهوى جاريةً مغنّية يقال لها خِداعُ كانت لبعض جواري خالِ المعتصم ، فكان يدعوها ، ويعاشره إخوانه إذا دعوه بها اتّباعاً لمسرّته . وأراد المعتصم الخروجَ والتأهُّب للغزو ؛ وأمر الناس جميعاً بالخروج والتأهّب ، فدعاه بعضُ إخوانه قبل خروجهم بيوم ، فلمّا أضحى النّهار جاءَ من المطرِ أمرٌ عظيمٌ لم يقدِرْ معه [أحد] أن يُطلِعَ رأسَه من داره ، فكاد محمد أن يموت غمّاً ، فكتب إلى صديقه الذي دعاه [وقد كان ركِب إليه ثم رجعَ لشدّة المطر] ولم يقدِر على لقائه : [من الوافر]

تمادى القَطْرُ وانقطع السبيلُ من الإلفين إذ جرتِ السيولُ
على أنّي رِكبتُ إليكَ شوقاً ووجـهُ الأرض أودِيـةٌ تجولُ
وكان الشوقُ يَقْدُمُنـي دليلاً وللمشتـاق معتزِمـاً دليـلُ
فلـم أجِـد السبيلَ إلى حبيبٍ أُودِّعـه وقـد أَفِـدَ الرحيلُ
وأرسلْتُ الرسولَ فغاب عنّي فيـا للهِ مـا فعـل الرسولُ !

وقال في ذلك أيضاً : [من الرمل]

مجلس يُشْفى بـه الوطرُ عـاق عنـه الغيمُ والمطرُ
رَبِّ خُذْ لي منهما فهُما رحمـةٌ عمّـت ولي ضررُ
مـا على مـولاي مَعْتبـةٌ عـذره بـادٍ ومستترُ
شُغِلـتْ عينـي بعبرتهـا واستمالـت قلبيَ الفِكـرُ

قال : ثم بِيعت خِداعُ هذه فاشتراها بعضُ ولد المهديّ وكان ينزل شارع الميدان ، فحجِبت عنه وانقطع ما بينهما إلاّ مكاتبةً ومُراسلةً .

قال محمد بن عليّ فأنشدني يوماً عمّي محمد لنفسه فيها : [من الخفيف]

خطراتُ الهوى بذكر خِداعٍ هِجْنَ شوقي لا دراساتُ الطلولِ
حُجِبتْ أن تُرى فلستُ أراها وأرى أهلَهـا بكـلّ سبيلِ

وإذا جاءهـا الرسولُ رآهـا ... ليْتَ عيني مكان عينِ الرسولِ
قـد أتاكِ الرسول يَنْعتُ ما بي ... فاسمعي منـه مـا يقول وقولي

وقال فيها أيضاً : [من الطويل]

بناحية المَيـْدان دربٌ لـو آنني ... أُسمِّيهِ لم أرشُد وإن كان مُفْسدي
أُخافُ على سكّانـه قولَ حاسدٍ ... يشير إليهـم بالجفـون وباليدِ
وصائفُ أبكـارٌ وعُـونٌ نواطِقٌ ... بألسنةٍ تشفي جَوى الهائم الصَّدي
يُقارِبْن أهلَ الوُدّ بالقول في الهوى ... ومـا النجمُ من معروفهنّ بأبعدِ
يزِدن أخـا الدنيا مُجُونـاً وفِتنة ... ويَشغَفن قلـب الناسك المتعبِّدِ
وليلة وافى النوم طيف سَرى به ... إليَّ الهـوى منهـنّ بعـد تجرُّدِ
فقاسَمْتُه الأشْجان نِصْفـين بيننا ... وأوْرَدْتُهُ من لوعةِ الحبّ مَوْرِدي
ونِلْـتُ الذي أمَّلتُ بعـد تَمَنُّع ... وعاهدتُـه عهـدَ امرىء متوكِّدِ
فلمّا افترقنـا خاس بالعهد بيننا ... وأعرضَ إعراضَ العروسِ من الغدِ[1]
فـوا ندمـاً ألا أكونَ ارتهنته ... لأخْبُرَهُ في حفـظِ عهـدٍ وموعدِ

[إعجاب أبي العتاهية بشعره]

أخبرني الحسن بن عليّ وعمّي قالا حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني حذيفةُ بن محمد قال قال لي محمدُ بن أبي العتاهية : سمع أبي يوماً مخارقاً يغنّي : [من الطويل]

أحبُّـكِ حُبّـاً لـو يُفَضُّ يَسِيرُهُ ... على الخَلْقِ ماتَ الخلْقُ من شِدَّةِ الحُبِّ[2]
وأعْلَـمُ أنّي بعـدَ ذاكَ مقصِّرٌ ... لأنَّكِ في أعْلى المَراتِـبِ مِنْ قَلْبي

فطَرِبَ ثم قال له : من يقولُ هذا يا أبا المُهنأ ؟ قال : فتى من الكتَّاب يخدُمُ الأميرَ إبراهيمَ بنَ المهديّ . فقال : تَعْني محمدَ بنَ أُميَّة ؟ قال : نعم . قال : أحسَنَ والله ، وما يزال يأتي بالشَّيء المليحِ يبدو له .

[مزاحه مع مسلم بن الوليد]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا أحمدُ بنُ أبي طاهرٍ قال حدَّثني أحمد بن أُمَيّة بن أبي أميّة قال : لَقِي أخي محمّدُ بن أُميّة مُسْلمَ بن الوليد وهُو يَمْشي وطويلته[3] مع بعض رواته ، فسلم عليه ثم

1 خاس بالعهد : نقضه وخانه .
2 يفض : يفرق .
3 الطويل : يراد بها قلنسوة طويلة .

قال له : قد حضرني شيءٌ ؛ فقال : هاتِه ؛ فقال : على أنّه مِزاح لا يُغْضَبُ منه ، قال : هاتِه ولو أنّه شتم . فقال : [من الرمل]

مَنْ رأى فيما خَـلا رجُلاً تِيهُـهُ يُرْبِـي على جِدَتِهْ
يَتَباهـى راجـلاً ولـه شاكِـريٌّ في قُلَنْسِيتِهْ[1]

فسكَتَ عنه مسلم ولم يُجِبْه ، وضحِك منه محمدٌ وافترقا .

[مداعبة مسلم له حين نفق برذونه]

قال : وكان لمحمد بن أُمَيّةِ بِرْذَوْن يركبه ، فلقِيَه مسلمٌ وهو راجلٌ فقال : ما فعل بِرذونُك ؟ قال : نَفَقَ . قال : الحمد لله ، فَنُجازيك إذاً على ما كان منك إلينا . ثم قال مسلم : [من السريع]

قل لابن ميٍّ لا تكن جازعاً لن يرجع البِرذونُ باللَّيْتِ
طامَـنَ أحشاءَك فِقدانُـهُ وكنتَ فيه عاليَ الصوتِ
وكنتَ لا تنزلُ عـن ظهرِهِ ولَـوْ من الخُشِّ إلى البيتِ
ما مات من حتف ولكنّهُ مات من الشَّوْق إلى الموتِ

[تعلقه بإحدى الجواري وما كان بينهما]

أخبرني أحمدُ بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا يعقوبُ بن إسرائيل قال حدَّثني محمد بن عليّ بن أُميّة قال حدَّثني حسين بن الضحّاك قال : دخلت أنا ومحمد بن أُميّة منزل نَخّاس بالرَّقة أيّامَ الرشيد وعنده جاريةٌ تغنّي فوقعت عينُها على محمد ، ووقعت عينُه عليها ، فقال لها : يا جاريةُ ، أتغنّين هذا الصوت : [من الخفيف]

خبِّريني مَـنِ الرسولُ إليكِ واجعَلِيـهِ من لا ينمُّ عليكِ
وأشيري إليّ مـن هو باللحـ ـظِ ليخفى على الذين لديكِ
وأقلِّي المُزاح في المجلسِ اليو م فإنّ المزاح بين يديكِ

فقالت له : ما أعرِفه ، وأشارت إلى خادمٍ كان على رأسها واقِفاً . فمكثا زماناً والخادم الرسول بينهما . قال : والشعر لمحمد بن أُميّة .

[تغنّى بشعرٍ له عمرو الغزال فتطيّر إبراهيم بن المهديّ]

حدَّثني جَحظة قال حدَّثني ميمون بن هارون قال حدَّثني بعضُ مَن كان يختلط بالبرامكة قال : كنتُ عند إبراهيم بن المهديّ ، وقد اصطبحنا وعنده عمرُو بن بانة ، وعبيد الله بن أبي غسّان ، ومحمد بن عمرو الروميّ ، وعمرو الغزّال ، ونحن في أطيب ما

1 الشاكري : الأجير والمستخدم . القلنسية والقلنسوة : من لباس الرأس .

كنّا عليه إذ غنّى عمرو الغَزَّالُ ، وكان إبراهيم بن المهديّ يستثقله ، إلاّ أنّه كان يتخفَّف بين يديه ويَقصِدُه ، ويَبْلُغه عنه تقديمٌ له وعصبيّة ، فكان يَحْتَمِلُ ذاك منه ، فاندفع عمرٌو الغزال ، فتغنّى في شعرِ محمد بن أُميّة : [من السريع]

ما تمّ لي يومُ سرورٍ بمَنْ أهواهُ مُذْ كنتُ إلى اللَّيلِ
أغبطَ ما كنتُ بما نلته منهُ أتتني الرسْلُ بالرَيْلِ
لا والذي يعلَمُ كلَّ الذي أقولُ ذي العِزَّةِ والطَّوْلِ
ما رُمْتُ مذْ كنتُ لكم سَخْطَةً بالغَيْبِ في فِعْلٍ ولا قَوْلِ

قال : فتطيَّر إبراهيم ، ووضع القَدح من يده ، وقال : أعوذُ بالله من شرِّ ما قلتَ . فوالله ما سَكَتَ ، وأخذنا نتلاقى في إبراهيمَ ، إذ أتى حاجبُه يعدو فقال : ما لَك ؟ فقال : خرج الساعةَ مسرورٌ من دار أميرِ المؤمنين حتى دخل إلى جعفر بن يحيى ، فلم يلبث أن خرج ورأسُه بين يديه وقبض على أبيه وإخوته . فقال إبراهيم : ﴿إنَّا للهِ وإنَّا إلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ارفع يا غلام ارفع . فرفع ما كان بين أيدينا ، وتفرّقنا فما رأيت عَمْراً بعدها في داره .

[كان يستطيب الشراب عند هبوب الجنوب]

أخبرني محمد بن يحيى الصّوليّ قال حدَّثني الحسين بن يحيى الكاتب قال حدَّثني محمد بن يحيى بن بُسْخُنَّر قال : كنت عند إبراهيم بن المهديّ بالرَّقَّة وقد عزمنا على الشراب ومعنا محمد بن أميّة في يوم من حزيران ، فلمّا هممنا بذلك هبّت الجَنوب ، وتلطَّخَت السماءَ بغيم ، وتكدَّر ذلك اليوم ، فترك إبراهيمُ بنُ المهديّ الشُّرْبَ ولحقه صُداع ، وكان يناله ذلك مع هبوب الجنوب ، فافترقنا ؛ فقال لي محمدُ بن أميّة : ما أحبَّ إليّ ما كرِهتموه من الجنوب ! فإن أنشدْتُك بيتين مليحين في معناهما تساعدني على الشرب اليوم ؟ قلت : نعم . فأنشدني : [من البسيط]

إنّ الجنوبَ إذا هبَّت وجدتُ لها طِيباً يذكِّرني الفِردوسَ إنْ نَفَحا
لمّا أتَتْ بنسيم منكِ أعرِفُه شَوْقاً تَنَفَّستُ واستقبلتُها فَرِحا

فانصرفتُ معه إلى منزله ، وغنَّيتُ في هذين البيتين وشربنا عليهما بقيةَ يومنا .

[ما قاله في تفاحة أهدتها إليه خداع]

وجدتُ في بعض الكتب بغير إسنادٍ : أهدَتْ جاريةٌ يقال لها خِداعُ إلى محمد بن أُميّة ، وكان يهواها ، تفّاحةً مُفلَّجةً[1] منقوشةً مطيَّبة حسنةً ، فكتب إليها محمد : [من المنسرح]

خِداعُ أهديتِ لنا خُدْعةً تُفَّاحةً طيِّبةَ النَّشْرِ

1 مفلجة : مقسّمة .

ما زلتُ أرجوكِ وأخْشى الهوى ... مُعْتَصِماً بالله والصَّبرِ
حتى أتتني منكِ في ساعةٍ ... زَحْزحَتِ الأحزانَ عن صَدري
حشوتِها مِسْكاً ونقَّشتِها ... ونَقْشُ كفَّيكِ من السِّحرِ
سَقْياً لها تفاحةً أُهْدِيَت ... لو لَم تكُنْ من خُدَعِ الدَّهْرِ

[التقى بجارية يهواها وشعره في ذلك]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدَّثني عبد الله بن جعفر اليقطيني قال حدَّثني أبي جعفر بن عليّ بن يقطينَ قال : كنتُ أسيرُ أنا ومحمد بن أُميّة في شارع المَيْدان ، فاستقبلتْنا جاريةٌ ، كان محمدٌ يَهواها ثم بِيعتْ ، وهي راكبةٌ ، فكلَّمها ، فأجابته بجواب أخفَتْه فلم يفهمه ، فأقبل عليّ وقد تغيَّر لونه فقال : [من البسيط]

يا جعفرُ بن عليّ وابن يقطينِ ... أليْسَ دونَ الذي لاقيتَ يَكْفِيني
هذا الذي لم تَزَلْ نَفْسي تخوّفُني ... منها فأيْنَ الذي كانَتْ تُمَنِّيني
خاطَرْتُ إذ أقبلتْ نحوي وقلتُ لها ... تَفدِيكِ نفسي فداءً غيرَ مَمْنونِ
فخاطبتني بما أخْفَته فانصرفتْ ... نفسي بظنَّيْن مخشِيٍّ ومأمونِ

[تمثل المنتصر ببيت له]

حدَّثني محمد بن يحيى الصُّوليّ قال حدَّثني أحمد بن يزيد المهلّبيّ قال حدَّثني أبي قال : كنت بين يدي المنتصر جالساً فجاءتْه رُقعَة لا أعلمُ مِمَّن هي ، فقرأها وتبسَّمَ ثم إنّه أقبل عليَّ وأنشد : [من الوافر]

لطافةُ كاتبٍ وخشوعُ صبٍّ ... وفِطْنةُ شاعرٍ عندَ الجَوابِ

ثم أقبل عليّ فقال : مَن يقول هذا يا يزيد ؟ فقلتُ : محمد بن أُميّة يا أمير المؤمنين . فضحك وقال : كأنّه والله يصفُ ما في هذه الرُّقعة .

[عاتبه أخوه وابن قنبر لمّا لحقه من وله كالجنون لبيع جارية يحبها]

أخبرني الحسنُ بن عليّ قال حدَّثنا محمدُ بن القاسم بن مَهْرُويه قال حدَّثني حذيفةُ بن محمد قال : كنت أنا وابن قنْبر عند محمد بن أُميّة بعقب بَيْع جاريةٍ كان يحبُّها وقد لحِقَه عليها ولهٌ كالجنون ، فجعل ابن قنبرٍ وأخوه عليّ بن أُميّة يعاتبانه على ما يظهر منه ، فأقبل بوجهه عليهما ثم قال : [من الطويل]

لو كنتَ جَرَّبْتَ الهوى يا ابن قَنْبَرٍ ... كوصفك إيّاه لألهاك عن عذْلي[1]

1 لألهاك في ل : لأغناك .

أنـا وأخـي الأدنى وأنت لها الفِدا وإن لم نكونـا في مودّتهـا مثلي
أإنْ حُجبـتْ عنّـي أجود لغيرها بودّي وهل يُغري المُحبَّ سوى البُخْلِ
أُسَرَّ بـأن قالـوا تَضنّ بودّهـا عليك ومن ذا سُرّ بالبخل مـن قبلي

قال : فضحك ابن قَنْبر ، وقال : إذا كان الأمرُ هكذا فكن أنتَ الفداء لها ، وإن ساعدك أخوك فاتَّفِقا على ذلك ، وأمّا أنا فلستُ أنشط لأن أُساعدك على هذا . وافترقنا .

[قطع الصوم بينه وبين خداع فقال شعراً]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال أنشدني محمد بن الحسن بن الحزَوَّر لمحمد بن أُميّة في جارية كان يهواها ، وقطَع الصومُ بينهما ، فقال يخاطب محمد بن عثمان بن خُرَيْم المريَّ : [من الطويل]

قفـا فابكيـا إن كنتُما تجدان كوَجْدِي وإن لم تَبْكِيـا فدَعاني
قفي الدَّمْع ممّا تُضْمر النفسَ راحةٌ إذا لم أُطِـقْ إظهـارَه بلساني
أغَصُّ بـأسراري إذا مـا لقيتُها فأُبْهَـتُ مشدوهـاً أغصُّ بناني
فيابن خُريم يا أخي دون إخوتي ومـن هُـوَ لِي مِثلي بكلّ مكانِ
تأمّلْ أحظّي مـن خِداعَ وحُبِّها سوى خُدَع تُذْكي الهوى وأماني
وأصبح شهرُ الصوم قد حال بيننا فيـا ليـتَ شوّالاً أتى بزمانِ

[شعر له فيها استحسنه ابن المعتزّ]

أنشدني جعفرُ بن قُدامة قال أنشدني عبد الله بن المعتزّ قال أنشدني أبو عبد الله الهشاميُّ لمحمد بن أُميّة ، وفيه غناء لمتيّم ، قال واستحسنه عبد الله : [من الكامل]

صوت

عجَبـاً عجبتُ لمُذنـبٍ متغَضِّبِ لـولا قبيـحُ فَعالـه لم أُعْجَبِ
أخِداعُ ، طالَ على الفراش تقلُّبي وإليكِ طـولُ تشوّقـي وتطرّبي
لهفـي عليكِ ومـا يـردّ تلهّفي قصرت يداي وعزّ وجـه المطلبِ

الغناء لمتيّم ، فيه لحنان : رملٌ عن ابن المعتزّ ، وخفيف رمل عن الهشاميّ . وهذا من شعر محمد فيها بعد أن بيعت . قال : وغنّتنا هَزارُ هذا الصوت[1] يومئذٍ .

1 ل : اللحن .

[أشعاره فيها إذ فقدها وحين وجدها]

حدَّثني عمّي قال حدَّثنا أحمد بن محمد الفيرزان قال حدَّثني شيبةُ بنُ هِشام قال : دعانا محمد بن أُمَيَّةَ يوماً ووجَّه إلى جاريةٍ كان يحبّها فدعاها ، وبعث إلى مولاها يُحْدرها[1] مع رسوله ، فأبطأ الرسولُ حتّى انتصف النهار ثم عاد وليست معه وقال : أخذوا منّي الدراهم ثم ردّوها عليّ ، ورأيتهم مُخْتَلِطين ، ولهم قصة لم يُعَرِّفُونيها ، وقالوا : ليسَتْ هاهنا فإن عادت بعَثْنا بها إليكم . فتنغَّصَ عليه يومُه وتغيَّر وجهُه وتجمَّل لنا ؛ ثم بكَرنا من غد بأجمعنا إلى منزل مولاها فإذا هي قد بيعت ، فوَجَم طويلاً ، وسار حتى إذا خلا لنا الطريق اندفع باكياً . فما أنسى حُرْقَةَ بكائه وهو ينشدني : [من الطويل]

تخطَّى إليَّ الدهرُ من بين مَن أرى ... وسوءُ مقاديرٍ لهنَّ شئونُ
فشتَّتَ شملي دون كلِّ أخي هوًى ... وأقْصَدَني بلْ كلَّهم سَيَبِينُ[2]
ومهما تكُن من ضَحْكة بعد فَقْدها ... فإنّي وإن أظهرتُها لحزينُ
سلامٌ على أيَّامِنا قبل هذه ... إذِ الدّارُ دارٌ والسرورُ فنونُ

قال : ومضَتْ على ذلك مدّةٌ . ثم أخبرني أنّه اجتاز بها ، وهي تنظُر من وراء شُبَّاك ، فسلَّم عليها فأومأتْ بالسلام إليه ودخلَتْ ، فقال : [من الوافر]

تُطالِعُني على وجلٍ خِداعُ ... من الشُّبَكِ التي عُملت حَدِيدا
مُطالِعتي ، قفِي بالله حتَّى ... أُزَوِّدَ مُقْلَتي نظراً جديدا
فقالتْ إنْ سَها الواشون عنّا ... رجَوْنا أن تَعُودَ وأن نَعودا

وأنشدني أيضاً في ذلك : [من مجزوء الكامل]

صوت

يا صاحبَ الشُّبَكِ الذي اسْـ ... ـتَخْفى ، مكانُكَ غيرُ خافِ
أفَما رأيتَ تلدُّدِي ... بفِناء قَصْرِكَ واختلافِي[3]
أو ما رحمتَ تخشُّعي ... وتلفُّتي بَعْدَ انصرافي[4]

1 يحدرها : يرسلها .
2 أقصدني : طعنني ولم يخطئني .
3 تلددي : مكثي ووقوفي . واختلافي : تردّدي .
4 تخشّعي : تضرّعي .

صوت

[من الكامل]

إنّ الرّجـالَ لهـم إليكِ وسيلةٌ إنْ يَأْخذوكِ تكحَّـلي وتخضَّبي
وأنا امْـرؤٌ إن يأخـذوني عَنْـوَةً أُقْـرنْ إلى سَيْر الرّكابِ وأُجْنَبِ
ويكون مَرْكَبُك القعودَ وحِدْجَه وابنُ النّعامةِ يـومَ ذلك مَرْكبي[1]

عروضه من الكامل . قال ابن الأعرابيّ في تفسير قوله :

وابنُ النعامةِ يومَ ذلك مَرْكَبي

ابن النعامة : ظِلّ الإنسان أو الفَرس أو غيره . قال جرير : [من الكامل]

إذْ ظَلَّ يَحْسَبُ كلَّ شيءٍ فارساً ويـرى نعامـة ظِلّـه فَيَحُولُ

يعني بنعامةِ ظِلّه جَسَده . وقال أبو عمرو الشيبانيّ : النَّعامةُ ما يلي الأصابع في مُقَدّمِ الرِّجل . يقـول : مَرْكَبـي يومئـذٍ رِجْلي . وقال الجاحظ : ذَكر علماؤنا البصريون : أنَّ النعامةَ اسمُ فرسه . يقول : إنّي أشُدُّ على ركابـي السرج فإذا صارَ للفرس ، وهـو الذي يُسَمَّى النعامـةَ ، ظلٌّ وأنا مقرونٌ إليه صار ظلّه تحْتي فكنتُ راكباً له . وجعل ظلّها هاهنا ابنَها .

الشعر للحارث بن لوذان بنِ عوف بن الحارث بن سدوس بن شيبانَ بنِ ذهلِ بن ثعلبة . وقال ابن سلام : لخُزَزَ بن لَوْذان . ومن الناس مَن ينسب هذا الشعر إلى عنترةَ ، وذلك خطأ . وأحد من نسبه إليه إسحاق الموصليّ . والغناء لعزّةَ المَيْلاء . وأوّل لحنها : [من الكامل]

لِمَن الديـارُ عرفتها بالشُّرْبُـب ذهب الذين بهـا ولمّا تذهبِ[2]

وبعده «إن الرجال» .

وطريقتُه من خفيفِ الثقيل الأوّل بالبنصر من روايتي حمّادٍ وابن المكّيّ . وفيه للهذيل خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ . وفيه لعريبَ خفيفُ رمل . وفيه لعزّةَ المرزوقيّة لحن . وقال هارونُ بنُ محمدِ بنِ عبد الملك الزيّات : هذا اللحنُ لريق ، سلخت لحن «ومخنث شهِد الزفافَ وقبله» فجعلته لهذا ، وهو لحنٌ محرَّك يشبه صنعة ابن سُرَيج وصنعةَ حَكَم في محركاتهما ، فمن هنا يغلط فيه ويظنّ أنّه قديم الصنعة .

---

1 الحِدج : مركب من مراكب النّساء نحو الهودج .

2 الشربب : واد في ديار بني ربيعة .

213 ـ [بعض أخبار لابن أبي عتيق]

[ابن أبي عتيق يعجب بغناء عزّة الميلاء]

أخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثت عن صالح بن حسان قال : كان ابن أبي عتيق معجباً بغِناء عزّة الميلاء كثرَ الزيارة لها ، وكان يختار عليها قوله :

لَمَن الديار عرفتها بالشُّرْبُبِ

فسألها يوماً زيارتَه فأجابته إلى ذلك ومضت نحوه ، فقال لها بعد أن استقرّ بها المجلسُ : يا عزّة ، أحبُّ أن تغنّيني صوتي الذي أنا له عاشق . فغنّته هذا الصوت ، فطرِب كلّ الطرب وسر غاية السرور .

[جارية ابن أبي عتيق ومعابثة فتى لها]

وكانت له جارية ، وكان فتى من أهل المدينة كثيراً ما يعبث بها ؛ فأعلَمتْ [ابنَ أبي عتيق بذلك ؛ فقال لها : قولي له : وأنا أحبُّكَ ؛ فإذا قال لك : وكيف لي بك ؟ فقولي له : مولايَ يخرج غداً إلى مال له ، فإذا خرج أدخلتُكَ المنزل . وجمع] ابن أبي عتيق ناساً من أصحابه فأجلسهم في بيته [ومعهم عزّة الميلاء] ، وأدخلَت الجاريةُ [الرجلَ . وقال لعزّة : غنّي فأعادت الصوت . وخرجت الجاريةُ] فمكثت ساعة ثم دخلت البيت كأنّها تطلب حاجة ، فقال لها : تعالي . فقالت : الآن آتيك . ثم عادت فدعاها فاعتلّت[1] ، فوثب فأخذها فضرب بها الحجلة[2] ، فوثب ابنُ أبي عتيق عليه هو وأصحابه ، فقال لهم وهو غيرُ مكترث : يا فسّاقُ ما يُجلسكم هاهنا مع هذه المغنّية ؟ فضحِك ابن أبي عتيق من قوله وقال له : استر علينا سترَ الله تعالى عليك . فقالت له عَزّةُ : يا ابنَ الصِّدّيق[3] ، ما أظرف هذا لولا فسقه ! فاستحيا الرجل فخرج ، وبلغه أنّ ابنَ أبي عتيق قد آلى إن هو وقع في يده أن يصير به إلى السلطان . فأقبل يعبث بها كلّما خرجت ، فشكت ذلك إلى مولاها ، فقال لها : أولَم يرتدع من العبث بك ! قالت : لا . قال : فَهَيِّئي الرّحى وهيّئي من الطعام طحينَ ليلةٍ إلى الغداة . فقالت : أفْعَلُ يا مولاي . فهيّأت ذلك على ما أمرها به ثم قال لها : عِدِيه الليلة فإذا جاء فقولي له : إن وظيفتي الليلة طحنُ هذا البرّكلّه ثم اخرجي من البيت واتركيه . ففعلت ، فلمّا دخل طحنت الجاريةُ

---

1 اعتلت : اعتذرت .

2 الحَجَلة : بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار كبار .

3 المقصود ابن أبي عتيق .

قليلاً ، ثم قالت له : إن كفّتْ الرّحى فإنّ مولاي جاء إليّ أو بعض مَن وكّله بي ، فاطحن حتى نأمَن أن يجيئنا أحدٌ ، ثم أصيرَ إلى قضاء حاجتك . ففعل الفتى ومضت الجارية إلى مولاها وتركته . وقد أمر ابنُ أبي عتيق عدّة من مولياته أن يتراوحن على سهر ليلتهنّ ويتفقّدن أمرَ الطحين ويحثثن الفتى عليه كلّما أمسك ؛ ففعلن ، وجعلن ينادينه كلّما كفّ : يا فلانة إنّ مولاك مستيقِظ ؛ والساعةَ يعلم أنّك كففت عن الطّحن ، فيقومُ إليك بالعصا كعادته مع مَن كانت نوبتها قبلك إذا هي نامت وكفّت عن الطّحن . فلم يزل الفتى كلّما سمع ذلك الكلامَ يجتهد في العمل والجارية تتعهّد وتقول : قد استيقظ مولاي . والساعةَ ينام فأصير إلى ما تحبّ . فلم يزل الرجل يطحن حتى أصبح وفرغ من جميع القمح . فلمّا فرغ وعلِمت الجارية أتته فقالت : قد أصبحت فانجُ بنفسك . فقال : أوَقد فعلتِها يا عدوّة الله ! فخرج تعِباً نصِباً فأعقبه ذلك مرضاً شديداً أشرف منه على الموت ، وعاهد الله تعالى ألّا يعودَ إلى كلامِها ، فلم تَرَ منه بعد ذلك شيئاً يُنكَر .

صوت

[من الوافر]

أَجَـدَّ اليـومَ جيرتُك احتمالا وحـثَّ حُداتُهـمْ بهمُ عِجالا
وفي الأظعـانِ آنِسة لعـوب تـرى قتـلي بغير دمٍ حلالا

عروضه من الوافر . الشعر للمتوكّل الليثيّ ، والغناء لابن مُحرِز ثاني ثقيلٍ بالسبابة في مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابنِ مِسْجَح ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى البِنصِر عنه . وذكر حَبَشٌ أنّ هذا اللحن لابن سُرَيْج ، وفيه لإسحاق هزجٌ .

[214] ـ نسب المتوكّل الليثي وأخباره

[نسبه]

هو المتوكّل بن عبد الله بن نهشَل بنِ مُسافِع بن وهْب بن عمرو بن لَقِيط بن يَعْمَر بن عَوْف بن عامر بن لَيْث بن بكر بن عبدَ مناة بن كنانة بن خُزيمة بن مدرِكة بن إلياس بن مضَر بن نِزارٍ . من شعراء الإسلام ، وهو من أهل الكوفة . كان في عصر معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . ويكنى أبا جهمة . وقد اجتمع مع الأخطل وناشده عند قبِيصة بن والقٍ ، ويقال عند عكرمة بن رِبْعيّ الذي يقال له الفيّاضُ ، فقدمه الأخطل .

وهذه القصيدة التي أوّلها الغناء قصيدة هجا بها عِكرمة بن رِبْعي وخبره معه يذكر بعد إن شاء الله تعالى .

أخبرني بذلك الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ عن الزبير بن بَكّار عن عمّه .

[تناشد هو والأخطل الشعر]

وأخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد الدمشقيّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك قال أخبرني هارون بن مسلم قال حدّثني حفص بن عمر العُمَريّ عن لَقيط بن بُكَير المحاربيّ قال : قدِم الأخطل الكوفة فنزل على قَبِيصةَ بنِ والق ، فقال المتوكّل بن عبد الله الليثيّ لرجل من قومه : انطلق بنا إلى الأخطل نستنشِده ونسمع من شعره . فأتياه فقالا : أنشِدنا يا أبا مالك . فقال : إنّي لخاثر[1] يومي هذا . فقال له المتوكّل : أنشدنا أيّها الرجل ، فوالله لا تُنشِدني قصيدة إلاّ أنشدتك مثلها أو أشعر منها من شعري . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا المتوكّل . قال : أنشدني ويحك من شعرك ! فأنشده : [من الكامل]

للغانِياتِ بذي المجاز رسومُ ... فبِبَطن مكّة عهْدُهنّ قديمُ[2]

فبِمَنْحَرِ البُدْنِ المقلَّد من مِنًى ... حِلَلٌ تلوح كأنّهنّ نجومُ[3]

1 يقال خثَرت نفسه : غثت وخبثت وثقلت واختلطت .

2 ذو المجاز : موضع بسوق عرفة ، وماء لهذيل بعرفة .

3 الحلل : جمع حلّة ، وهي جماعة بيوت القوم .

لا تنـــهَ عن خُلقٍ وتأتيَ مثله عـارٌ عليك إذا فعلـت عظِيمُ
والهَـــمُّ إن لم تُمضِه لسبيلـه داءٌ تضمَّنَـــه الضلـوعُ مُقيمُ

غنَّى في هذه الأبيات سائبُ خاثرٍ من رواية حمّاد عن أبيهِ ولم يُجنّسه . قال وأنشده أيضاً : [من السريع]

الشِّعْر لُـبُّ المـــرء يَعرِضُـه والقـــولُ مثـــلُ مواقع النَّبْلِ
منهـــا المقصِّرُ عـــن رميَّتـــه ونوافـــذٌ يذهبْـنَ بالخَصْلِ[1]

قال وأنشده أيضاً : [من الخفيف]

إنّنـــا معشرٌ خُلِقْنـــا صُـدُورا من يسوِّي الصُّدورَ بالأذنابِ

[ما قاله في زوجه رهيمة حين طلبت الطلاق]

فقال له الأخطل : ويحك يا متوكّل ! لو نبحت الخمر في جوفك كنت أشعر الناس . قال الطوسيّ قال الأصمعيّ : كانت للمتوكّل بن عبد الله الكنانيّ امرأةٌ يقال لها رُهَيمة ، ويقال أُمَيمة ، وتُكْنى أُمّ بكرٍ ، فأقْعِدت ، فسألته الطلاق ، فقال : ليس هذا حينَ طلاق . فأبت عليه ، فطلّقها ، ثم إنّها برئت بعد الطلاق ، فقال في ذلك : [من الوافر]

طربتُ وشاقني يـا أمَّ بكر دعـاءُ حمامـةٍ تدعو حَماما
فَبِتُّ وبـات همِّي لي نجيّاً أُعَـزّي عنـكِ قلباً مُستَهاما
إذا ذُكِرَتْ لقلبـكَ أُمُّ بكرٍ يبيت كأنّمـا اغتبـق المُداما
خَدَلَّجة تـــرِفُّ غُروبُ فيها وتكسو المتْنَ ذا خُصَلٍ سُخاما[2]
أبى قلبـي فما يهـوى سِواها وإن كانـت مودّتهـــا غراما
ينـام الليـــلَ كلُّ خليّ همٍّ [وتأبى العَـينُ منّي أنْ تَناما
أُراعِـــي التّالياتِ من الثريّا] ودَمعُ العَينِ مُنحـدِرٌ سِجاما
على حينَ ارعويت وكان رأسي كأنَّ عـــلى مفارقـــه ثَغـاما[3]
سعى الواشون حتى أزعجوها ورثَّ الحبـل فانجذَم انجِذاما
فلسْتُ بزائلٍ مـــا دمتُ حيّاً مُسِرّاً مـــن تذكُّرهـــا هُياما

1 الخصل : الخطر ، وهو السّبق الذي يتراهن عليه .
2 الخدلجة : الممتلئة الذراعين والسّاقين ، ترف : تبرق . وغروب الفم : ماؤه . والسّخام : اللّين الحسن والأسود .
3 الثّغام : نبت ، ويُقال أثغم الرّأس إذا صار كالثغامة بياضاً .

تُرجِّيها وقد شَحطت نَواها ومنَّتك المُنى عاماً فعاما
خدَلّجة لها كَفَلٌ وثِير ينوءُ بها إذا قامت قِياما
مُخَصّرةٌ ترى في الكشْحِ منها على تثْقِيل أسفلِها انهضاما
إذا ابتسمت تلألأ ضوءُ برق تهلّل في الدّجُنّة ثم داما
وإن قامت تأمّل رائِياها غمامة صيِّفٍ ولجت غماما[1]
إذا تمشي تقولُ دبيبُ أيْم تعرّجَ ساعةً ثم استقاما[2]
وإن جلست فدُمْيةُ بيتِ عِيدٍ تُصانُ ولا تُري إلاّ لماما
فلو أشكُو الذي أشكو إليها إلى حجرٍ لراجعني الكلاما
أُحِبُّ دُنُوّها وتُحِبّ نأْيِي وتعتام التنائيَ لِي اعتياما[3]
كأنّي من تذكُّر أُمّ بكرٍ جريحُ أسنّة يشكو كِلاما
تَساقَطُ أنفُسا نَفْسي عليها إذا شَحطت وتغْتمّ اغتماما[4]
غشِيتُ لها منازلَ مقْفِراتٍ عفَتْ إلاّ الأياصِرَ والثُّماما[5]
ونؤْياً قد تهدّم جانِباه ومبناها بذي سلم خِياما
صِلِيني واعلمي أنّي كريمٌ وأنّ حَلاوتي خُلِطت عُراما
وأنّي ذو مُجامَحةٍ صَلِيبٌ خُلِقت لَمن يماكِسني لِجاما[6]
فلا وأبِيك لا أنساكِ حتى تُجاوِبَ هامتي في القبرِ هاما

[شعر آخر له في امرأته يمدح فيه حوشباً الشيبانيّ]

والقصيدة التي فيها الغناء المذكور في أوّل خبر المتوكّل يقولها أيضاً في امرأته هذه ويمدح فيها حَوْشباً الشَّيبانيّ ، ويقول فيها : [من الوافر]

إذا وعدَتْكَ معروفاً لوتْه وعَجَّلتِ التّجرُّم والمِطالا[7]

1 الصَّيِّف : المطر الذي يجيء صيفاً .
2 الأيم : الحيّة .
3 تعتام : تختار .
4 شحطت : بعدت .
5 الأياصر : جمع أيصر ، وهو وتد الطنب ، أو حبل صغير يشد به أسفل الخباء . والثمام : نبت .
6 يماكسني : يُشاكسني .
7 تجرّم عليه : ادّعى عليه الجرم .

لهـا بشر نقِـيّ اللون صافٍ ومتنٌ حُطَّ فاعتـدل اعتدالا[1]
إذا تمشي تـأوّدَ جانِباهـا وكاد الخصر ينخزِل انخزالا[2]
تنـوء بهـا روادفها إذا ما وُشاحاهـا عـلى المتْنين جالا
فإن تصبح أُميمـةُ قـد تولَّتْ وعاد الوصل صرْمـاً واعتلالا
فقد تدنـو النّوى بعد اغتراب بهـا وتفـرّقُ الحيَّ الحِلالا[3]
تُعبِّسُ لِـي أُميمة بُعـد أُنس فمـا أدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فربّ أخٍ مضـافٍ رزئتُ ومـا أُحِبّ بـه بِدالا
أصرمٌ منـكِ هـذا أم دلال فقـد عَنّى الدّلال إذاً وطالا
أم استبدلتِ بي ومللتِ وصلي فبُوحي لِي به ودعي المِحالا[4]
فـلا وأبيكِ مـا أهوى خليلاً أُقاتِلُـه عـلى وصـلي قِتالا
وكم مـن كاشح يـا أُمّ بكرٍ مـن البغضاء يأتكِـل ائتكالا
لبستُ على قنـاعٍ مـن أذاه ولـولا اللهُ كنتُ لـه نَكالا

وممّا يغنّى به من هذه القصيدة قوله :

صوت

أنا الصقر الذي حُدّثـتَ عنـه عِتاق الطّيرِ تنْدَخـل اندخالا[5]
رأيـت الغانياتِ صدفْـن لِما رأيْن الشيبَ قد شَمل القَذالا
فلم يُلـووا إذا رحلوا ولكن تولّـت عِيرُهـم بهمُ عِجالا

غنّى فيه عمر الواديُّ خفيف رمل عن الهشاميّ . وذكر حبش أنّ فيه لابن مُحرِز ثاني ثقيل بالوسطى ، وأحسبه مضافاً إلى لحنه الذي في أوّل القصيدة .

[هجاه معن بن حمل فترفع عنه ثم هجاه واعتذر]

وقال الطوسيّ قال أبو عمرو الشيبانيّ : هجا معنُ بن حمل بن جَعونة بن وهب ، أحد بني لقيط بن يَعمر المتوكّل بن عبد الله الليثيّ ؛ وبلغ ذلك المتوكّل ، فترفع عن أن يجيبه ، ومكث

1 محطوطة المتن : ممدودة .
2 ينخزل : ينقطع .
3 الحلال : القوم الذين يحلّون موضعاً وفيهم كثرة .
4 المحال : الكيد والمكر .
5 عتاق الطير : جوارحها .

معن سنين يهجوه والمتوكّل معرض عنه . ثم هجاه بعد ذلك وهجا قومه من بني الدّيل هجاء قَذِعاً استحيا منه وندم ، ثم قال المتوكل لقومه يعتذر ويمدح يزيد بن معاوية : [من الطويل]

خليليّ عُوجا اليومَ وانتظراني ... فإن الهوى والهمَّ أُمُّ أبانِ
هي الشمسُ يدنو لي قريباً بعيدُها ... أرى الشمس ما أَسْطِيعُها وتراني
نأت بعد قربٍ دارُها وتبدّلت ... بنا بَدَلاً والدّهرُ ذو حَدَثانِ
فهاج الهوى والشوقَ لِي ذكرُ حُرّةٍ ... من المُرْجَحِنّات الثقالِ حَصانِ[1]

غنّى في هذه الأبيات ابن مُحرز من كتاب يونس ولم يجنّسه : [من الطويل]

سيعلم قومي أنّني كنتُ سُورةً ... من المجد إنْ داعي المنون دَعاني
ألا ربّ مسرورٍ بموتِيَ لو أتى ... وآخرَ لو أنْعى له لَبكاني
خَليليّ ما لامَ امرءاً مثلُ نفسِه ... إذا هي لامت فاربَعا ودَعاني[2]
ندمتُ على شتمِي العشيرةَ بعدما ... تغنَّى بها غَورِي وحنّ يماني
قلبت لهم ظهرَ المجنّ وليتني ... رجعتُ بفضلٍ من يدي ولساني
على أنّني لَم أرمِ في الشعرِ مسْلِماً ... ولم أَهجُ إلاّ من روى وهجاني
هُمُ بَطِرُوا الحلمَ الذي من سَجِيَّتي ... فبدّلت قومي شدّةً بلَيانِ[3]
ولو شئْتُمُ أولادَ وهبٍ نزعتُمُ ... ونحنُ جميعٌ شمْلُنا أخَوانِ
نهيْتُمْ أخاكم عن هجائي وقد مَضى ... له بعد حول كاملٍ سنتانِ
فلجَّ ومَنّاه رجالٌ رأيتُهُم ... إذا قارنوني يكرهون قِراني
وكنتُ امرءاً يأبى لِيَ الضيمَ أنّني ... صَرومٌ إذا الأمرُ المُهِمُّ عَناني[4]
وَصُولٌ صرومٌ لا أقول لمُدْبر ... هلمَّ إذا ما اغْتَشَّني وعَصاني
خليليَّ لو كنتُ امرءاً بِيَ سقطةٌ ... تضعضعْتُ أو زلَّتْ بِيَ القدمانِ
أعيش على بَغْي العُداةِ ورغمِهم ... وآتي الذي أهوى على الشنآنِ
ولكِنّني ثَبْتُ المَريرة حازمٌ ... إذا صاح طُلاّبي ملأت عِناني

1 مرجحنّات : جمع مرجحنّة ، وهي المرأة السمينة .
2 اربعا : توقّفا وكفّا وارفقا .
3 بطروا : كرهوا .
4 عناني في ل : دعاني .

خليليّ كم مـــن كاشح قد رميته بقافيـــــةٍ مشهـــورَةٍ ورمـاني
فكان كذات الحيْض لم تُبْق ماءها ولم تُنْـقِ عنهـا غُسْلَها لأوانِ

ثم إنّه يقول فيها ليزيد بن معاوية :

أبا خالـدٍ حنّت إليـك مطيّتي على بعـد منتاب وهَـوْلِ جَنانِ
أبا خالدٍ في الأرض نأيٌ ومَفْسَح لِذِي مِرّة يُرمـى بـه الرَّجَوان[1]
فكيفَ ينام الليـلَ حـرٌّ عَطاؤه ثـلاثٌ لرأس الحـولِ أو مائتان
تناهتْ قُلوصي بعد إسآدِيَ السُّرى إلى ملكٍ جـزلِ العطـاء هِجانِ[2]
تـرى الناس أفواجاً ينوبون بابَـه لِبكرٍ مـــن الحاجات أو لعَوانِ[3]

[معن أجابه مفتخراً]

فأجابه مَعْن بن حَمَلٍ فقال : [من الطويل]

ندِمتَ كذاك العبدُ يندم بعـد مـا غُلِبـتَ وسار الشعـر كلَّ مكانِ
ولاقَيْت قَـرْماً في أُرُومـةِ ماجدٍ كريمـاً عزيـزاً دائمَ الخَطَرانِ
أنا الشاعر المعروف وجْهي ونسبتي أعـفُّ وتحميني يـدِي ولساني
وأغلِبُ من هاجيتُ عفواً وأنتمي إلى معشرٍ بِيضِ الوجـوهِ حِسانِ
فهاتِ إذاً يا ابنَ الأتان كصاحبِ الـ ـملوك أبـي ، أسيِّـد كَمُهـانِ
فهاتِ كزيدٍ أو كَسَيْحانَ لا تِجدْ لهـمْ كفُـوًا أو يُبْعثَ الثَقَلانِ

[هو عكرمة بن ربعي]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا العكليّ عن العباس بن هشامٍ عن أبيه عن عَوانة قال : أتى المتوكّل الليثيّ عِكرمةَ بن رِبعيّ الذي يقال له الفيّاض ، فامتدحه فحرمه ، فقيل له : جاءك شاعر العرب فحرمته ! فقال : ما عرفْتُ . فأرسل إليه بأربعة آلاف درهم ، فأبي أن يقبلها وقال : حرمني على رؤوس الناس ويبعث إليّ سراً .

[نسيبه بحسناء وهو يعاني الرمد وهجاؤه عكرمة]

فبينا المتوكّل بالحِيرة وقد رَمِد رَمداً شديداً ، فمرّ به قَسٌّ منهم قال : ما لك ؟ قال : رمِدتُ .

---

1 الرجا : ناحية كلّ شيء ، وخص بعضهم به ناحية البئر من أعلاها إلى أسفلها ، ويرمى به الرجوان ؛ أي استهين به . ومثل ورد في مجمع الأمثال للميداني : 213/1 «حتى متى يُرمى بي الرَّجَوان» .

2 الإسآد : الإسراع في السير . الهجان : الرجل الحسيب .

3 أو لعَوان في ل : غير عوان .

قال : أنا أعالجك . قال : فافعل . فذرّه[1] ، فبينا القسّ عنده وهو مذرور العين مستلْقٍ على ظهره ، يفكّر في هجاء عِكرمة ، وذلك غير مطَّرِدٍ له ولا القولُ في معناه ، إذ أتاه غلام له فقال : بالباب امرأة تدعوك . فمسح عينيه وخرج إليها ، فسَفَرت عن وجهها فإذا الشمس طالعةً حُسْناً ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت : أُميّةُ . قال : فممّن أنتِ ؟ فلم تخبِره . قال : فما حاجتكِ ؟ قالت : بلغني أنّك شاعر فأحببت أن تنسِب بي في شعرك . فقال : أسفِري . ففعلت فكرَّ طرفه في وجهها مُصعِّدا ومصوِّبا ، ثم تلثّمت وولّت عنه ، فاطَّرد له القولُ الذي كان استَصعَبَ عليه في هجاء عِكرمة وافتتحه بالنسيب فقال : [من الوافر]

أجِـدَّ اليومَ جيرتُكَ احتمالا ... وحثَّ حُداتُهم بِهِمُ الجِمالا
وفي الأظعـان آنِسَةٌ لَعُـوبٌ ... تـرى قَتْلِـي بغير دمٍ حَلالا
أُمَيّةُ يـوم دَيْرِ القَسِّ ضنَّت ... علينـا أن تُنوِّلنـا نَـوالا
أَبِيني لِي فـربَّ أخٍ مصافٍ ... رُزِئت ومـا أُحبّ بـه بِدالا

وقال فيها يهجو عِكرمة :

أقلني يـا ابـن رِبعي ثَنائي ... وهبْها مِدحـة ذهبت ضَلالا
وهبْها مِدحـة لم تُغنِ شيئاً ... وقَـولاً عـاد أكثرهُ وَبالا
وجدنا العِزَّ مـن أولاد بكرٍ ... إلى الذُّهْلَيْـنِ يَرجع والفِعالا
أعكـرِمَ كنـتُ كالمبتاع داراً ... رأى بَيْـعَ الندامـةِ فاستقالا
بنُـو شَيْبان أكـرمُ آل بكرٍ ... وأمتَنُهـم إذا عقـدوا حِبالا
رِجـال أُعطِيتْ أحلامَ عـادٍ ... إذا نطقـوا وأيدِيَهـا الطوالا
وتيمُ اللهِ حـيٌّ حـيُّ صِدقٍ ... ولكـنّ الرَّحى تعلو الثُّفالا[2]

صوت

[من الطويل]

سقى دِمنتين لم نجِـد لهما أهلا ... بحقلٍ لكم يا عزَّ قـد رابني حَقْلا
فيا عزَّ إن واشٍ وشى بِيَ عندكم ... فلا تُكرِميه أن تقولي لـه مهْلا

1 الذر : طرح الذرور في العين ، وهو الكحل ونحوه .
2 الثُّفال : ما وقيت به الرّحى من الأرض .

كما نحن لو واشٍ وشى بِك عندنا لقلنا تزحزحْ لا قريباً ولا سَهْلا
أَلَمْ يأْن لِي يا قلبِ أَن أَترك الجهلا وأَن يُحدِث الشيبُ المِلِمُّ لِيَ العَقْلا
على حينَ صار الرأس منّي كأنّما علَت فوقـه ندَّافةُ العُطُبِ الغزْلا

عروضه من الطويل . الدِّمَن : آثار الديار ، واحدتها دِمنة . والحقل : الأرض التي يزرع فيها . والعُطُب هو القطن .

الشعر لكثيِّر كلُّه إلاّ البيت الأوّل فإنّه انتحله ، وهو للأَفوه الأَوْدِيّ . والغِناء لابن سريج ثاني ثقيلٍ بالوسطى عن الهِشاميّ في الثلاثة الأبيات الأُوَل متوالية . وذكر حبش أنّه لمعبد . وفي الرابع والخامس والثاني والثالث لحنين ثقيل أوّل بالسَّبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه ثقيل أوّل بالبنصر ؛ ذكر ابن المكّي أنّه لمعبد ، وذكر الهشاميّ أنّه من منحول يحيى المكّيّ .

[215] ـ نسب الأفوه الأوديّ وشيء من أخباره[1]

[نسبه]

الأفوَه لقب ، واسمه صَلاءة بن عمرو بن مالك بنِ عوف بنِ الحارث بن عوف بن منبِّه بن أوْد بن الصعب بن سعد العشيرة . وكان يقال لأبيه عمرو بن مالك فارس الشوهاء ؛ وفي ذلك يقول الأفوه : [من الطويل]

أبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ غداة الوغى إذ مال بالجدّ عاثِرُ[2]

[كان سيد قومه وقائدهم وشاعرهم]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مهرويَه قال حدَّثنا ابن أبي سعد عن عليّ بن الصَّباح عن هشام بن محمد الكلبيّ عن أبيه قال : كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان سيّد قومِه وقائدَهم في حروبهم ، وكانوا يصدُرون عن رأيه . والعرب تعدّه من حكمائها . وتعدّ داليته : [من البسيط]

معاشر مـا بنـوا مجداً لقومهمُ وإن بنى غيرُهم ما أفسدوا عادوا[3]

[أبياته التي أخذ منها كثير بيتاً]

من حكمة العرب وآدابها . فأمّا البيت الذي أخذه كثيّر من شعر الأفوه وأضافه إلى أبياته التي ذكرناها وفيها الغناء آنِفاً فإنّه من قصيدة يقول فيها[4] : [من الطويل]

نُقاتِـل أقوامـاً فنسْبي نساءهم ولم يَـرَ ذو عِـزٍّ لنِسوتنا حِجْلا
نقود ونأبـى أن نُقـاد ولا نَرى لقـومٍ علينـا في مُكارَمةٍ فضلا
وإنّا بِطـاء المشي عنـد نسائنـا كما قَيَّدتْ بالصَّيْفِ نجْديّةٌ بُزلا
نظـلّ غَيـارى عنـد كلّ سَتِيرةٍ نُقلِّب جِيدا واضحاً وشَوًى عَبْلا[5]

---

1 انظر أخباره في : الشعر والشعراء 223/1 ، والعيني 421/1 ، سمط اللآلي 365 ، 844 ، والمعاهد 150/2 والمزهر 238/2 ، 296 ومنتخب شمس العلوم 4 . وله ديوانه بتحقيق د . محمد ألتونجي ، وإليه نشير .

2 الشوهاء : اسم فرس . والشوهاء : من الخيل الطويلة الرائعة ، وفي الديوان 79 : الصّرماء .

3 وفي الديوان 64 :

فينـا معاشر لم يبنـوا لقومهـم وإن بنى قومُهم ما أفسدوا عادوا

4 ديوانه : ص 100 .

5 الستيرة : المرأة المستورة . الشوى : اليدان .

وإنّا لنعطـي المـالَ دون دمائنا ونأبى فما نَسْتام دون دمٍ عقلا[1]

[سبب هذه الأبيات]

قال أبو عمرو الشيبانيّ : قال الأفوه الأودِيّ هذه الأبيات يفخر بها على قومٍ من بني عامر ، كانت بينه وبينهم دماء ، فأدرك بثأره وزاد ، وأعطاهم دِياتِ مَنْ قُتِل فضلاً على قتلى قومه ، فقبِلوا وصالحوه .

[بنو أود وبنو عامر]

وقال أبو عامر : أغارت بنو أود ، وقد جمعها الأفوه ، على بني عامر ، فمرِض الأفوه مرضاً شديداً ، فخرج بدله زيد بن الحارث الأوديّ وأقام الأفوه حتى أفاق من وجعِه ، ومضى زيد بن الحارث حتى لقي بني عامر بتُضارِع ، وعليهم عوف بن الأحوص بن جعفر بن كِلاب . فلمّا التقوا عرف بعضهم بعضاً ، فقال لهم بنو عامر : سانِدونا فما أصبنا كان بيننا وبينكم . فقالت بنو أود ، وقد أصابوا منهم رجلين : لا والله حتّى نأخذ بطائِلتنا[2] . فقام أخو المقتول ، وهو رجل من بني كعب بن أوْد فقال : يا بني أوْد ، والله لتأخُذُنّ بطائلتي أو لأنْتَحِيَنّ على سيفي . فاقتتلت أود وبنو عامر ، فظفِرت أود وأصابت مغنماً كثيراً . فقال الأفوه في ذلك[3] : [من الوافر]

صوت

ألا يا لهف لو شهدتْ قناتي قبائلَ عامرٍ يـوم الصبِيبِ[4]
غـداة تجمّعت كعـبٌ إلينا حلائبَ بين أفناء الحروبِ[5]
فلمّـا أن رأوْنـا في وَغاها كآساد الغَريفـة والحجيبِ[6]
تداعَـوْا ثم مالُوا عن ذراها كفعل الخامعات من الوجيبِ[7]
وطـاروا كالنَّعـامِ ببطن قَوٍّ مُواءلَـة على حـذر الرقيبِ[8]

1 العقل : الدية .
2 الطائلة : الثأر والوتر .
3 ديوانه : ص 59 .
4 شهدت في ل : شدَّت .
5 الحلائب : الجماعات . والأفناء : الأخلاط . وأفناء الحروب في ل وفي الديوان : أبناء الحريب .
6 الغريفة : الأجمة وفي الديوان العرينة . الحجيب : موضع .
7 الخامعات : الضباع ، وفي الديوان كفعل معانت أمن الرجيب ، والوجيب : الخوف .
8 بطن قوّ : موضع ، والمواءلة : طلب النجاة .

216 ـ [خبر النشناش اللص]

صوت

[من الطويل]

كأن لم تَرَيْ قبلي أسيراً مُكبّلا ولا رَجُلاً يُرمى بـــه الرّجَوانِ
كأنّي جوادٌ ضَمَّه القيدُ بعدما جرى سابقاً في حَلبـةٍ ورهانِ

الشعر لرجل من لُصوص بني تميم يُعرف بأبي النَّشْناش ، والغناء لابن جامع ثاني ثقيلٍ بالبِنصر من روايتَي عليّ بن يحيى والهِشاميّ .

[النشناش واعتراضه القوافل وهربه بعد الظفر به ، وما كان بينه وبين اللهبيّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأَخفشُ قال حدَّثنا أبو سعيد السكريّ عن محمد بن حبيب قال : كان أبو النّشناش من مَلاصّ[1] بني تميم ، وكان يعترض القوافل في شُذَّاذٍ من العرب بين طريق الحجاز والشامِ فيجتاحها . فظفِر به بعض عمّال مروان فحبسه وقيّده مدّة ، ثم أمكنه الهربُ في وقت غِرّة فهرب ، فمرّ بغرابٍ على بانةٍ ينتِف ريشه وينعَب ، فجزِع من ذلك . ثم مرَّ بحيٍّ من لِهْبٍ فقال لهم : رجل كان في بلاءٍ وشرّ وحبسٍ وضِيقٍ فنجا من ذلك ، ثم نظر عن يمينه فلم ير شيئاً ، ونظر عن يساره فرأى غراباً على شجرة بانٍ ينتِف ريشه وينعَب . فقال له اللهْبيّ : إن صدقتِ الطير يُعاد إلى حبسه وقيده ، ويطول ذلك به ، ويقتل ويصلب . فقال له : بفيك الحجر . قال : لا بل بفِيك . وأنشأ يقول : [من الطويل]

وسائلـةٍ أيـــن ارتحـالي وسائلٍ ومَن يسأل الصُّعلوكَ أين مذاهِبُهْ
مذاهِبـــه أنّ الفِجـــاج عريضةٌ إذا ضنّ عنـــه بالنَّـــوالِ أقارِبُهْ
إذا المرءُ لَم يسْرَحْ سَواما ولَم يُرِح سَواما ولم يبسُط له الوجهَ صاحبُهْ
فَلِلْموتِ خيرٌ للفتى مـــن قُعُودِهِ عديماً ومِن مولًى تُعاف مشاربُهْ[2]
ودَوِّيّـــةٍ قفـــرٍ يَحارُ بهـــا القطا سرَت بأبي النّشْناشِ فيها ركائبُهْ[3]

1 ملاص : جمع مَلصة وهم اسم جمع للص .
2 تعاف مشاربه في ل : تدبّ عقاربه .
3 دويّة : مفازة .

لِيُدرِكَ ثـأراً أو لِيَكْسِب مغْنَما ألا أنّ هـذا الدَّهرَ تترى عجائبُهْ
فلَـم أَرَ مثلَ الفقرِ ضاجَعه الفتى ولا كسوادِ الليـل أخفـق طالِبُهْ
فعِش مقتراً أو مُـتْ كريماً فإنّني أرى الموتَ لا يبقي على مَن يطالِبُهْ

صوت

[من الطويل]

أصادِرَةٌ حُجَّاج كعبٍ ومالكٍ على كلِّ فتلاء الذراعين محنِقِ
أقـام قنـاة الودّ بينـي وبينه وفارقنـي عـن شيمة لم تُرَنَّقِ

عروضه من الطويل . الصادر : المنصرف ، وهو ضدّ الوارِد ، وأصله من ورودِ الماء والصَّدَرِ عنه ، ثم يقال لكلِّ مقبِلٍ إلى موضع ومنصرِف عنه . وكعب : من خزاعة . ومالك : يعني مالك بن النضر بن كِنانة . وكان كثيِّر ينتمي وينمي خزاعة إليهم . ومحنِق : ضامرة . والشيمة : الخلق والطبيعة . وترنَّق : تكدّر . والرنَق : الكدر .

الشعر لكثيِّر عزّة يرثي خَنْدَقاً الأسديّ ، والغناء للهذليّ ثاني ثقيلٍ بالخِنصر في مجرى البِنصر من رواية إسحاق . وفي الثاني من البيتين ثم الأوّل لِسياطٍ رملٌ بالبِنصرِ عنه وعن الهِشاميّ وعمرو . وفيهما لمعبد لحنٌ ذكره يونس ولم يجنِّسه . وفي رواية حمّاد عن أبيه أنّ لحن الهذليّ من الثقيل الأوّل ، فإن كان ذلك كذلك فالثقيل الثاني لمعبد . وذكر أحمد بن عبيد أنّ الذي صحَّ فيه ثقيل أوّل أو ثاني ثقيل .

[217] ـ خبر كثيِّر وخندق الأسديّ
الذي من أجله قال هذا الشعر

[كانا يقولان بالرجعة]

حدَّثني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثني محمد بن حبيب . وأخبرني وكيعٌ قال حدَّثنا عليّ بن محمد النوفليّ عن أبيه . وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شبَّة عن ابن داحةَ ، قالوا : كان خَنْدَقُ بنُ مرّة الأسدِيّ ، هكذا قال النوفليّ . وغيره يقول : خندق بن بدر ، صديقاً لكثيِّر ، وكانا يقولان بالرجعة وكانوا خشبيين جميعاً ، فاجتمعا بالموسِم فتذاكرا التشيع . فقال خندق : لو وجدت من يضمن لي عِيالي بعدي لوقفت بالموسم فذكرت فضل آل محمد ﷺ ، وظلم الناس لهم وغَصْبَهم إيّاهم على حقّهم ، ودعوت إليهم وتبرأت من أبي بكر وعمر . فضمِن كُثيِّر عِياله ، فقام ففعل ذلك وسبّ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما وتبرّأ منهما .

قال عمر بن شبة في خبره فقال : أيّها الناس إنّكم على غير حقّ ، قد تركتم أهل بيتِ نبيكم ، والحقُّ لهم وهم الأئمّة ، ولم يقل إنّه سبَّ أحداً ، فوثب عليه الناس فضربوه ورموه حتى قتلوه . ودُفِن خندق بِقَنَوْنى[1] . فقال إذ ذاك كُثيِّر يرثيه : [من الطويل]

أُصادِرة حُجَّـــاج كعبٍ ومالكٍ ... على كلّ عَجْلَى ضامرِ البطنِ مُحْنِقِ
بمرثيـــةٍ فيهـــا ثنـــاء مُحبَّـــرٌ ... لأزهـــرَ مـــن أولادِ مرّة مُعْرِقِ
كأنَّ أخـــاه في النّوائـــبِ مُلْجأً ... إلى علمٍ من رُكنِ قُدْسَ المُنطَّقِ[2]
ينـــال رجـــالاً نفعـــه وهْو منهمُ ... بعيـــدٌ كعيُّـــوق الثريّـــا المعَلَّقِ[3]
تقول ابنة الضَّمريّ ما لكَ شاحباً ... ولونُـــك مصفرٌّ وإن لَم تَخلَّقِ[4]
فقلت لها لا تعجبي ، مَن يَمُتَ له ... أَخٌ كأبـــي بـــدرٍ وجَـــدٍّك يُشْفَقِ
وأمرٍ يُهـــمُّ النـــاسَ غِبُّ نِتاجِهِ ... كفَيْتَ وكرْبٍ بالدَّواهي مطرِّقِ[5]

---

1 قنونى : واد من أودية السراة يصبّ إلى البحر في أوائل أرض اليمن من جهة مكّة .
2 قدس : جبل عظيم بنجد . والمنطق : المرتفع .
3 العيّوق : نجم أحمر مضيء في أطراف المجرّة الأيمن يتلو الثريّا لا يتقدّمها .
4 تخلّق : تطيّب بالخلوق .
5 مطرق : من قولهم طرقت القطاة : حان خروج بيضها .

كشفتَ أبا بدرٍ إذا القوم أحجموا وعضَت ملاقي أمرِهم بالمخنَّقِ[1]
وخَصمٍ أبا بدر ألدَّ أبَتَّه على مثل طعم الحنظل المتفلّقِ[2]
جزى الله خيراً خَندقاً من مكافىءٍ وصاحبِ صِدقٍ ذي حِفاظٍ ومَصْدقِ
أقام قناةَ الودّ بيني وبينه وفارقني عن شيمةٍ لم تُرنَّقِ
حلفْت ، على أن قد أجنّتْكَ حفرةٌ ببطن قَنَوْنى ، لو نعيش فنلتقِي
لألفيتني بالوُدِّ بعدك دائماً على عهدنا إذْ نحن لم نتفرَّقِ
إذا ما غدا يهتزّ للمجدِ والنّدى أشمَّ كغصن البانةِ المتورِّقِ
وإنّي لجازٍ بالذي كان بيننا بني أسدٍ رهط ابنِ مرّة خَنْدَقِ

[كثيّر وإنكار الطُّفيل انتسابه إلى كنانة]

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة : إنّ كثيِّراً لمّا انتمى إلى قريش وجرى بينه وبين الحزين الدِّيليّ من المُواثبة والهجاء ما جرى بلغ ذلك الطُّفَيل بن عامر بن واثلةَ وهو بالكوفة ، فأنكر أمر كثيّر وانتسابه إلى كِنانة وتصييرَه خُزاعةَ منهم ، وما فعله الحزين . فحلف لئن رأى كثيِّراً ليضربنه بالسيف أو ليطعننه بالرّمح ، فكلّمه فيه خندق الأسديّ ، وكان صديقاً له ولكثيِّر ، فوهبه له ، واجتمعا بمكّة فجلسا مع ابن الحنفية . فقال طفيل : لولا خندق لوفَيْت لك بيميني ، فقال يرثيه ، وعنه كان أخذ مقالته : [من الطويل]

ونال رجالاً نفعُهُ وهو منهمُ بعيدٌ كعيّوق الثريّا المعلق

وذكر باقي الأبيات .

[نسيبه بعزّة]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العَلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني محمد بن إسماعيل قال حدَّثني حُميدُ بن عبد الرحمن أحد بني عِتوارَة بن جُدَيّ قال : كان كثيّر قد سلّطه الله يَنْسِبُ بعزّةَ بنتِ عبد الله ، أحدِ بني حاجب بن عبد الله بن غِفار . قال : وكان نسوانهم قد لقينَها وهي سائرة في نسائهم في الجلاء ، في عام أصابت أهلَ تهامةَ فيه حَطْمةٌ شديدةٌ ، وكانت عزَّة من أجمل النساء وآدبهن وأعقلهن ، ولا والله ما رأى لها وجهاً قطُّ ، إلاّ أنّه استُهيمَ بها قلبُه لِما ذُكِر له عنها . فلقيه رجال من الحيّ لِما بلغهم ذلك عنه ، فقالوا له : إنّك قد شهَرْت نفسَك وشهرتنا وشهرت صاحبتنا فاكفف نفسك . قال : فإنّي لا أذكرها بما تكرهون . فخرجوا جالِينَ إلى

1 المخنق : موضع حبل الخنق من العنق .
2 أبتّه : الفعل أصله أبات .

مصرَ في أعوام الجلاء . فتبعهم على راحلته فزجروه ، فأبى إلا أن يلحقهم بنفسه ، فجلس له فِتيةٌ من جُدَيّ ، قال : وكان بنو ضَمْرة كلّهم يهونُ عليهم نسيبُه لِما يعرفون من براءتها ، إلاّ ما كان من بني جُديّ فإنّهم كانوا صُمْعاً غُيُراً[1] . فقعد له عون ، أحد بني جديّ في تسعة نفر على مَحالج[2] ، فلمّا جاز بهم تحت الليل أخذوه ، ثم عدلوا به عن الطريق إلى جيفة حمار كانوا يعرفونها من النهار ، فأدخلوه فيها وربَطوا يديه ورجليه ، ثم أوثقوا بطن الحمار ، فجعل يضطرب فيه ويستغيث ، ومضوا عنه ، فاجتاز به خندق الأسديّ ، فسمع استغاثته ، وهو خَنْدق بن بدر ، فعدل إلى الصوت حين سمعه ، فوجد في الجيفة إنساناً ، فسأله مَن هو وما خبره ؟ فأخبره . فأطلقه وحمله وألحقه ببلاده . فقال كُثيِّر في ذلك . قال الزبير أنشدنِيها عُمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن عبد الله بن أبي عبيدة معْمَر بن المثنّى : [من الطويل]

أصادِرةٌ حُجَّاجُ كعبٍ ومالكٍ على كلّ فتْلاء الذراعين مُحنِقِ

وذكر القصيدة كلَّها على ما مضت .

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثنا عمر بن أبي بكر المؤمّليّ عن أبي عبيدة قال : خَندقٌ الأسديّ هو الذي أدخل كُثيِّراً في مذهب الخَشبيّة[3] .

[كثيِّر يرثي خندقاً حين قتل بعرفة]

أخبرني محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا محمد بن حبيب قال : لمّا قُتِل خَنْدقٌ الأسديّ بعرفةَ رثاه كثيِّر فقال : [من الوافر]

شجا أظعانُ غاضرةَ الغوادي بغير مَشُورةٍ عَرَضاً فؤادي

أغاضِرُ لَوْ شهدتِ غداة بِنْتم حُنوَّ العائداتِ على وِسادي

أويتِ لعاشقٍ لم تَشكُمِيه نوافِذه تَلذّع بالزّنادِ[4]

ويومَ الخيلِ قد سفَرت وكفّت رِداءَ العَصْب عن رَتَل بُرادِ[5]

الرَتِل : الثغر المستوي النبت .

وعن نجلاءَ تَدْمَع في بياضٍ إذا دَمعت وتنظُر في سوادِ

1 صمع : ذوو حزم . غير : جمع غيور .

2 المحالج : جمع مِحلَج ، وهو الخفيف من الحمر .

3 الخشبية : قوم من الجهمية يقولون إنّ الله تعالى لا يتكلّم ، وإن القرآن مخلوق .

4 أويت : رثيت وأشفقت . لم تشكميه : لم تجازيه . النوافذ : الفم وثقبا الأذنين والأنف .

5 البراد : البارد .

وعن متكاوسٍ في العَقْصِ جَثْلٍ أثِيثِ النبتِ ذي عُذَرٍ جِعادِ[1]
وغاضِرةُ الغـداةَ وإن نَـأَتْنا وأصبح دونهـا قُطـر البِلادِ
أحـبُّ ظعينةٍ وبناتُ نَفْسي إليهـا لـو بَلِلْن بها صَوادِي
ومِنْ دونِ الذي أمّلـت وُدّاً ولَـو طالبتُهـا خَـرْطُ القَتادِ
وقـال الناصحون تحـلَّ منها ببـذل قبْـل شيمتها الجمادِ

تَحَلَّ : أصِب . يقال : ما حَلِيت من فلان بشيءٍ ولا تحلّيت منه بشيء ، ومنه حُلوان الكاهن والراقي وما أشبه ذلك :

فقـد وعدَتْك لـو أقبلتَ وُدّاً فلجَّ بـك التدلُّـل في تَعادِ[2]
فأسررتَ الندامـةَ يـوم نادى بـردّ جِمال غاضِرةَ المُنادِي
تمادى البعـدُ دونهمُ فأمستْ دموعُ العينِ لجَّ بهـا التّمادي
لقـد مُنِـع الرقادُ فبِتُّ لَيْلي تجافينـي الهمومُ عـن الوِسادِ
عَـداني أن أزورَكَ غيرَ بُغْضٍ مُقامُك بـين مُصْفحَة شِدادِ[3]
وإنّـي قائـل إن لَـم أزره سَقَتْ دِيَمُ السَواري والغوادي
محـلَّ أخـي بنـي أسدٍ قَنَوْنى فمـا والى إلى بَـرْك الغِمادِ[4]
مقِيـم بالمجازَة مـن قَنَوْنى وأهلـكَ بالأُجَيْفِرِ والثمادِ[5]
فـلا تَبعَـدْ فكلّ فتًى سيأتي عليـه الموتُ يطرُق أو يُغادِي
وكلُّ ذخيرةٍ لا بـدّ يومـاً ولـو بقِيـتْ تصير إلى نَفادِ
يعـزُّ عـليّ أن نغدو جميعاً وتصبحَ ثاويـاً رَهْنـاً بِوادِ
فلَو فُودِيتَ مـن حدَث المنايا وقيتُـك بالطَّرِيـف وبالتِّلادِ

في هذه القصيدة عدّة أصوات هذه نِسبتها قد جُمِعَت .

---

1 المتكاوس : المتراكب . الجثل : الشعر الكثير . والأثيث : الكثير العظيم . والعذرة : الناصية ؛ وقيل الخصلة من الشعر .

2 التعادي : التباعد .

3 المصفحة : العريضة ، ويريد حجارة القبر .

4 برك الغماد : موضع وراء مكة بخمس ليالٍ ممّا يلي البحر .

5 المجازة : منزل من منازل طريق البصرة . الأجيفر : موضع في أسفل السبعان من بلاد قيس . والثماد : موضع في ديار بني تميم .

صوت

أغاضرَ لـو شهدتِ غداةَ بِنتم حُنـوَّ العائداتِ على وِسادي
رثيـتِ لعاشقٍ لَـم تشكُمِيه نوافِـذُه تَلـذَّع بـالزنادِ
عـداني أن أزورك غير بغضٍ مقامـكَ بـين مُصفَحةٍ شِدادِ
فـلا تبعَـدْ فكلّ فتًى سيأتي عليه الموت يطـرُق أو يُغادي

لمعبد في البيتين الأوّلين لحن من خفيف الثقيل الأوّل بالوسطى عن عمرو وابن المكيّ والهشاميّ . وفيهما لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهشاميّ وأحمد بن عُبَيد . وفيهما للغريض ثاني ثقيل عن ابن المكيّ . ومن الناس مَن ينسُب لحن مالكٍ إلى معبد أيضاً . وفي الثالث والرابع لابن عائشة ثاني ثقيل مطلق في مَجْرى الوُسطى عن إسحاق وعمرو وغيرهما . ويقال : إن لابن سُريج وابن محرزٍ وابن جامعٍ فيهما ألحاناً .

غاضِرةُ هذه التي ذكرها كثيِّر مولاة لآل مروان بن الحكم ، وقد رُوِي في ذكره إيّاها غير خبرٍ مختلف .

[أمّ البنين وما كان بينها وبين وضاح وكثيّر]

فأخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني عمر بن أبي بكر المؤمَّليّ قال حدَّثني عبد الله بن أبي عبيدة قال : حجَّتْ أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان فقالت لكثيِّر ووَضّاح : انسُبا بِي .

فأمّا وضّاح فنسب بها ، وأمّا كثيِّر فنسب بجاريتها غاضرةَ حيث تقول : [من الوافر]

شجا أظعـانُ غاضِرةَ الغوادِي بغير مشورة عرضـا فـؤادِي

قال : وكانت زوجة الوليد بن عبد الملك ، فقتَل وَضّاحاً ولَم يجِد على كُثيِّر سبيلاً .

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني إبراهيم بن محمد بن عبد العزيز الزُّهْرِيّ عن مُحْرِز بن جعفر عن أبيه عن بُديح قال : قدِمت أُمّ البنين بنتُ عبد العزيز بن مروان ، وهي عند الوليد بن عبد الملك ، حاجّة ، والوليد إذ ذاك خليفة . فأرسلت إلى كثيِّر ووضّاح أن انسُبا بي . فنسب وضّاح بها ونسب كثيِّر بجارِيتها غاضرة في شعره الذي يقول فيه :

شجا أظعـانُ غاضرة الغوادي

قال : وكان معها جَوارٍ قد فَتنّ الناسَ بالوَضاءة .

[لابن قيس الرقيات في أُمّ البنين]

قال بُديح : فلقِيت عُبيد الله بن قيسِ الرقيّاتِ فقلتُ له : بمَن نسَبتَ من هذا القطِينْ[1] ؟

1 القطين : الحشم والإماء .

فقال لي : [من الهزج]

ما تصنعُ بالشرِّ إذا لَم تَكُ مجنونا
إذا قاسيت ثِقْل الشـ ـرّ حَسَّاكَ الأمرِّينا
وقد هِجتَ بما قد قُلْـ ـتَ أمراً كان مدفونا

قال بُديح : ثم أخذ بيدي فخلا بِي وقال لي : يا بديح ، احفظ عنّي ما أقول لك فإنّك موضع أمانة ؛ وأنشدني : [من مجزوء الكامل]

أصحوتَ عن أُمّ البنيـ ـن وذِكرِها وعَنائها
وهجرتَها هجرَ امرىءٍ لم يَقْلِ حملَ إخائها
من خيفةِ الأعداءِ أن يُوهُوا أديمَ صفائها
قُرشِيّة كالشَّمس أشـ ـرَقَ نورُها ببهائها
زادت على البِيضِ الحسا نِ بحسنها ونقائها
لما اسْبكرّت للشَّبا ب وقُنِّعت بردائِها[1]
لم تلتفِت لِلداتها ومضت على غُلَوائها

غنّى ابن عائشة في الثلاثة الأبيات الأُوَل لحناً من الثقيل الأولِ عن الهِشاميّ عن يحيى المكيّ . وفي الرابع وما بعده لحُنينٍ لحنانِ : أحدهما ثاني ثقيل بالبنصر ، والآخرُ خفيف ثقيل بالبِنصر عن ابنه وغيره . وغنّى إبراهيم الموصليّ في الأربعة الأول لحناً آخرَ من الثقيل الأولِ وهو اللحن الذي فيه استهلال . وذكر الهشاميّ أنّ الثقيل الثاني لابن مُحرِز .

قال : فقتل الوليد وضَّاحاً ولم يجِد على كثيِّر سبيلاً . قال : وحجّت بعد ذلك وقد تقدّم الوليد إليها وإلى من معها في الحجاب ؛ فلقيني ابن قيس حيث خرجَتْ ولم تكلِّم أحداً ولَم يرها ، فقال لي : يا بُديح : [من المنسرح]

صوت

بان الخلِيطُ الذي به نثِقُ واشتدّ دون المليحة القَلَقُ
من دون صفراء في مفاصِلِها لِينٌ وفي بعض بطْشها خُرُقُ
إن خَتَمت جاز طينُ خاتَمها كما تجوز العَبْدِيّة العُتُقُ[2]

غنّى في هذه الأبيات مالك بن أبي السَّمْح لحناً من الثقيل الأوّل بالبِنصر ، عن عمرو ويونس . وفيها لابن مسجح ، ويقال لابن مُحرز ، وهو ممّا يشبه غناءهما جميعاً وينسَب

1 اسبكرت : استقامت واعتدلت .
2 العتق : جمع عتيق ، وهي كل نفيس قديم .

إليهما ، خفيف ثقيلٍ أوّل بالبنصر . والصحيح أنّه لابنِ مسجح . وفيها ثاني ثقيلٍ لابن محرز عن ابن المكّيّ . وذكر حبش أنّ لِسِياط فيها لحناً ماخُوريّاً بالوسطى . وفي هذه الأبيات زيادة يُغنّى فيها ولم يذكرها الزُّبير في خبره ، وهي :

إنّي لأخْـلي لهـا الفِراش إذا ... قَصَّعَ في حِضْنِ زوجه الحَمِقُ[1]

عن غيرِ بغضٍ لهـا لديّ ولـ ... ـكن تلك مِنّـي سَجِيّة خُلُقُ

قال الزُّبير : أراد بقوله في هذه الأبيات :

إن ختمت جاز طينُ خاتِمَها

أنّها كانت عند سلطان جائرِ الأمر . والعبدية هي الدنانير ، نسبها إلى عبد الملك . ثم وصل ابنُ قيس الرقيّات هذه الأبيات ، يعني الهائية ، بأبياتٍ يمدح بها عبد الملك فقال : [من مجزوء الكامل]

صوت

اسمـعْ أمير المؤمنيـ ... ـن لِمدحتـي وثَنائها

أنـت ابن عائشة التي ... فَضَلت أُرُوم نسائها[2]

متعطّف الأعْياصِ حو ... لَ سرِيرهـا وفِنائها[3]

وَلَـدَتْ أغـرَّ مُباركاً ... كالبـدر وسْطَ سمائها

غنّاه ابن عائشة من رواية يونس ولم يجنّسه . وهذا الشعر يقوله ابن قيس الرقيّات في عبد الملك لا الوليد .

[إصرار ابن قيس الرقيات على كلمة في شعره]

أخبرني الحسين وابن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ : أن عبد الملك لمّا وهب لابن جعفر جُرم عبيد الله بن قيس الرقيات وأمّنه ، ثم تواثب أهل الشام ليقتلوه ، قال : يا أمير المؤمنين ، أتفعل هذا بي وأنا الذي أقول : [من مجزوء الكامل]

اسمـع أمير المؤمنيـ ... ـن لِمدحتي وثنائِها

أنـتَ ابن مُعْتَلج البِطا ... حِ كُدَيِّهـا وَكَدائِها[4]

ولِبَطْـنِ عائشةَ التـي ... فضَلَـت أرومَ نسائِها

1 قصّع : لزم البيت ولم يبرحه .

2 الأروم : جمع أرومة وهي الأصل .

3 الأعياص من قريش : أولاد أميّة بن عبد شمس الأكبر ، وهم العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص .

4 كدي وكداء : موضعان بمكة .

فلمّا أنشد هذا البيت قال له عبد الملك : قل «ولنسل عائشة» . قال : لا بل «ولبطن عائشة» . حتى ردّ ذلك عليه ثلاث مرّات وهو يأبى إلاّ «ولبطن عائشة» . فقال له عبد الملك : اسْحَنْفِر[1] الآن . قال : وعائشة أُمّ عبد الملك بنت معاوية بن المغِيرة بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس . هذه رواية الزبير بن بكّار .

وقد حدَّثنا به في خبر كثيِّر مع غاضِرةَ هذه بغير هذا محمد بن العبّاس اليزيديّ . قال : حدَّثنا محمد بن حبيب عن هشام بن الكلبيّ .

[محاورة السائب بن حكيم لغاضرة ولم يكن قد عرفها]

وأخبرني الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن ابن الكلبيّ عن أبي عبد الرحمن الأنصاريّ عن السائب بن حكيم السَّدُوسيّ راوية كثيِّر قال : والله إنّي لأسير يوماً مع كثيِّر ، حتى إذا كنّا ببطن جِدار (جبلٍ من المدينة على أميال) إذ أنا بامرأة في رِحالةٍ[2] متنقِّبة ، معها عبِيد لها يسعون معها ، فمرّت جَنابِي فسلّمتْ ثم قالت : مِمّن الرجل ؟ قلت : من أهل الحجاز ، قالت : فهل تروي لكثيِّر شيئاً ؟ قلت : نعم . قالت : أما والله ما كان بالمدينة من شيء هو أحبّ إليّ من أن أرى كثيِّراً وأسمعَ شعره ، فهل تروي قصيدته : [من الطويل]

أهاجك برقٌ آخِرَ الليلِ واصِبُ

قلت : نعم : فأنشدتها إيّاها إلى آخرها . قالت : فهل تروِي قوله : [من الطويل]

كأنّك لم تسمعْ ولَم ترَ قبلها تَفــرُّقَ أُلاّف لهــنّ حنينُ

قلت : نعم وأنشدتها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

لعزّةَ من أيّام ذي الغُصْن شاقني

قلت : نعم وأنشدتها إلى آخرها . قالت : فهل تروي قوله أيضاً : [من الطويل]

أطلالَ سُعدى باللوى تَتَعهَّد

قلت : نعم وأنشدتها حتّى أتيت على قوله : [من الطويل]

فلَم أرَ مثلَ العين ضنّت بمائها عليّ ولا مثلي على الدَّمعِ يَحسُدُ

قالت : قاتله الله ! فهل قال مثل قول كثيِّر أحدٌ على الأرض . والله لأن أكون رأيت كثيِّراً ، أو سمِعتَ منه شعره أحبّ إليّ من مائة ألف درهم . قال : فقلت : هو ذاكِ الراكبُ أمامك ، وأنا السائب راويته . قالت : حيّاك الله تعالى . ثم ركضت بغلتها حتى أدركتْه فقالت : أنت كثيِّر ؟

1 اسحنفر الرجل في منطقه : مضى فيه ولم يتمكث .

2 الرحالة : مركب من جلود لا خشب فيه .

قال : ما لكِ ويلك ! فقالت : أنتَ الذي تقول : [من الطويل]

إذا حُسرتْ عنه العِمامةُ راعها جميلُ المحيَّا أغفلتْه الدواهِنِ

والله ما رأيت عربيّاً قطّ أقبحَ ولا أحقرَ ولا ألأمَ منكَ . قال : أنتِ والله أقبح منى وألأم . قالت له : أولسْتَ القائل : [من الطويل]

تَراهنّ إلاّ أن يؤدِّين نظرةً بمُؤْخِرِ عينٍ أو يُقلِّبن معصَما
كواظِمَ ما ينطِقْن إلاّ مَحُورة رجيعةَ قولٍ بعد أن يُتَفَهَّما[1]
يحاذرْن منِّي غَيْرةً قد عرفْنها قديماً فما يضحكْن إلاّ تبسُّما

لعن الله من يفرَق منك . قال : بل لعنكِ الله . قالت : أوَلست الذي تقول : [من الوافر]

إذا ضَمْرِيَّةٌ عَطَست فنِكها فإن عُطاسَها طرَفُ الوِداقِ[2]

قال : من أنتِ ؟ قالت : لا يضرّك أن لم تعرِفني ولا مَن أنا . قال : والله إنّي لأراكِ لئيمة الأصل والعشيرةِ . قالت : حَيَّاك الله يا أبا صخر ! ما كان بالمدينة رجل أحبَّ إليَّ وجهاً ولا لقاء منك . قال : لا حياكِ الله ، والله ما كان على الأرض أحدٌ أبغض إليّ وجهاً منكِ . قالت : أتعرفني ؟ قال : أعرف أنّك لئيمة من اللئام . فتعرّفتْ إليه فإذا هي غاضرة أُمّ ولدٍ لبشْر بن مروان . قال : وسايَرَها حتى سندنا[3] في الجبل من قِبَل زَرود[4] . فقالت له : يا أبا صخر ، أضمن لك مائة ألف درهم عند بِشر بن مروان إن قدِمتَ عليه . قال : أفي سبِّكِ إيّاي أو سبِّي إيّاكِ تضمنين لِي هذا ؟ والله لا أخرج إلى العراق على هذه الحال ! فلمّا قامت تودّعه سفرَت ، فإذا هي أحسن من رأيتُ من أهل الدّنيا وجهاً . فأمَرتْ له بعشرة آلاف درهم ، فبعد شَدٍّ ما قبلِها وأمرتْ لي بخمسة آلاف درهم . فلمّا ولّوا قال : يا سائبُ أين نُعنّي أنفسَنا إلى عِكرمةَ ، انطلِق بنا نأكلْ هذه حتى يأتينا الموت . قال : وذلك قوله لمّا فارقَتْنا : [من الوافر]

شجا أظعان غاضِرةَ الغوادي بغير مشيئةٍ عرضا فؤادي

وقد روى الزبير أيضاً في خبر هذه المرأة غير هذا ، وخالف المعاني .

[كثيِّر وامرأة لقيها بقديد]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني سليمان بن عيّاش

---

1 المحورة : الجواب .
2 الوداق في كل ذات حافر : الغلمة .
3 سندنا : علونا .
4 زرود : اسم جبل .

السعديُّ قال : كان كثيِّر يلقى حاجَّ المدينة من قريش بقُديد[1] في كلّ سنة ، فغَفَل عاماً من الأعوام عن يومهم الذي نزلوا فيه قُدَيْداً حتى ارتفع النهار ، ثم ركب جملاً ثَقالاً[2] واستقبل الشمس في يوم صائف ، فجاء قُديداً وقد كلّ وتعِب ، فوجدهم قد راحوا . وتخلّف فتى من قريش معه راحلتُه حتى يُبرِد[3] . قال الفتى القرشيّ : فجلس كثيّر إلى جنبي ولم يسلّم عليّ ، فجاءت امرأة وسِيمة جميلة ، فجلست إلى خَيْمة من خيام قُديد واستقبلت كثيِّراً فقالت : أأنت كثيِّر ؟ قال : نعم : قالت : ابن أبي جُمعة ؟ قال : نعم . قالت : الذي يقول : [من الطويل]

لعزّة أطلالٌ أبَــت أن تكلَّما

قال : نعم . قالت : وأنت الذي تقول فيها : [من الطويل]

وكنتُ إذا ما جِئتُ أجللْن مجلسي وأظهرْن منِّــي هَيْبــةً لا تَجهُّما

فقال : نعم . قالت : أعلى هذا الوجه هيبة . إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فضجِر وقال : مَن أنتِ ؟ فلم تجبه بشيء ، فسأل المولياتِ اللواتي في الخِباء بقديد عنها ، فلم يخبِرنه شيئاً ، فضجِر واختلط . فلمّا سكن من شأوه[4] قالت : أأنت الذي تقول : [من الطويل]

متى تَحسِروا عنِّي العِمامة تُبْصِروا جميــل المُحيَّــا أغفلته الدّواهنُ

أهذا الوجه جَميل المُحيّا ؟ إن كنتَ كاذباً فعليك لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين . فاختلط وقال : والله ما عرفتكِ ، ولو عرفتكِ لفعلتُ وفعلت . فسكتت ، فلمّا سكن من شأوه قالت : أأنت الذي تقول : [من الطويل]

يروق العيون الناظراتِ كأنّه هِرَقليٌّ وزنٍ أحمرُ التّبرِ راجحُ[5]

أهذا الوجهُ يروق العيونَ الناظراتِ ؟ إن كنت كاذباً فعليك لعنة الله ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين . فازداد ضجراً وغيظاً واختلاطاً وقال لها : قد عرفتك والله لأقطعنَّكِ وقومَك بالهجاء . ثم قام فالْتفتُّ في أثره ، ثم رجعت طرْفي نحو المرأة فإذا هي قد ذهبت ، فقلت لمولاة من مولياتها بقُديد : لكِ الله عليّ إن أخبرتني مَن هذه المرأة لأطْوِينّ لكِ ثوبيَّ هذين إذا قضيتُ حَجّي ثم أُعطِيكِهما . فقالت : والله لو أعطيتني زِنَتهما ذهباً ما

1 قديد : اسم موضع قرب مكّة .
2 ثقالاً : بطيئاً .
3 أبرد : دخل في آخر النهار .
4 الشأو : الحزن .
5 الهرقليّ : الدينار ، نسبة إلى هرقل ملك الروم .

أخبرتك مَنْ هي ؛ هذا كثيِّر وهو مولاي قد سألني عنها فلم أُخبِره . قال الفتى القرشيّ : فرُحت والله وبي أشدُّ ممّا بِكثيِّر .

قال سليمان : وكان كُثيِّر دميماً قليلاً[1] أحمرَ أقيشِرَ[2] عظيمَ الهامةِ قبيحاً .

نسبة ما في هذه الأخبار من الشعر الذي يغنّى به

منها : [من الطويل]

صوت

أشاقك بـرقٌ آخرَ الليلِ واصِبُ تضمَّنه فـرْش الجَبا فالمسارِبُ[3]
كما أَوْمَضَتْ بالعينِ ثم تبسَّمتْ خرِيعٍ بدا منهـا جبينٌ وحاجِبُ[4]
وهَبْـتُ لِليـلى مـاءه ونباتَـه كما كلُّ ذي وُدّ لَمـن ودّ واهِبُ

عروضه من الطويل . الواصِب : الدائم ، يقال وصب يصِب وُصُوباً أي دام . قال الله سبحانه : ﴿وَلَهُ الدِّينُ واصِباً﴾ أي دائماً .

ومنها : [من الطويل]

صوت

لِعزّة مـن أيّامِ ذي الغُصْنِ شاقني بِضاحِـي قَـرارِ الرَّوضَتينِ رُسُومُ
هي الدار وَحْشاً غير أن قَدْ يَحُلُّها ويَغْنى بِهـا شخصٌ عـليَّ كريمُ
فما برسوم الدَّارِ لو كنتَ عالِماً ولا بالتِّـلاع المُقْويـاتِ أَهِيمُ
سألت حكيماً أين شطَّت بِها النَّوى فخبَّرَني مـا لا أُحـبُّ حكيمُ
أجـدّوا فأمَّا آلُ عَـزَّة غُدوة فبانـوا وأمَّـا واسط فمقيمُ[5]
لعمري لئن كان الفؤادُ من الهوى بغـى سَقَمـاً إنّـي إذاً لسَقِيمُ

حكيمٌ هذا هو أبو السائبِ بن حكيم راوية كثيِّر . ذكر ذلك لنا اليزيديّ عن ابن حبيب .

في هذه الأبيات لمعبد لحنان ، أحدهما في الثلاثة الأوَل خفيف ثقيلٍ بالوسطى عن الهشاميّ وابن المكّيّ وحَبشٍ ، وفي الثلاثة الأُخَر التي أوّلها :

---

1 القليل من الرجال : القصير الدقيق الجثة .
2 الأقيشر : مصغّر الأقشر ، وهو الشديد الحمرة .
3 فرش الجبا : موضع بالحجاز .
4 الخريع : المرأة الحسناء .
5 واسط : موضع أسفل من جمرة العقبة .

سألت حكيماً أين شطَّتْ بهـا النوى

له أيضاً ثقيل أوّل بالبنصر عن يونس وحبشٍ. وذكر حَبشٌ خاصةً أنّ فيها لكَرْدم خفيف ثقيل آخر ، وفي الثالث والثاني لابن جامع خفيف رملٍ عن الهشاميّ . وقال أحمد بن عبيد : فيه ثلاثة ألحان : ثقيل أوّل وخفيفه ، وخفيفُ رمل .

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدَّثني المؤمَّليّ أنّ ابن أبي عبيدة كان إذا أنشد قصيدة كثيِّر : [من الطويل]

لعزَّةَ من أيّامِ ذي الغصن شاقني بِضاحـي قَـرار الروضتين رسومُ

يَتحازنُ حتى نقول : إنّه يبكي .

[تمثّل الحزين الكنانيّ بشعر لكثيِّر]

أخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمّي عن الضَّحّاك بن عثمان قال : قال عروةُ بن أذينة : كان الحزين الكنانيّ الشاعرُ صديقاً لأبي ، وكان عشيراً له على النبيذ ، فكان كثيراً ما يأتيه ، وكانت بالمدينة قيْنةٌ يهواها الحزينُ ويُكثِر غِشيانَها ، فبِيعت وأُخرجتْ عن المدينة ، فأتى الحزين أبي ، وهو كئيب حزين كاسِفٍ ، فقال له أبي : يا أبا حكيمٍ ما لك ؟ قال : أنا والله يا أبا عامر كما قال كثيِّر : [من الطويل]

لَعَمرِي لئن كان الفؤادُ من الهَوى بَغـى سَقمـاً إنّـي إذاً لَسقيمُ

سألت حكيماً أين شطّت بها النّوى فخبَّرني مـا لا أُحِـبُّ حكيمُ

فقال له أبي : أنت مجنون إن أقمت على هذا .

[قصيدة كثيِّر في عزّة لمّا أُخرجت إلى مصر]

وهذه القصيدة يقولها كثيِّر في عزّة لمّا أُخرجت إلى مصر ، وذلك قوله فيها : [من الطويل]

ولست براءٍ نحـوَ مصرَ سحابةً وإن بَعُـدَتْ إلاَّ قعدتُ أشيمُ[1]

فقد يوجَد النِّكْسُ الدنيّ عن الهوى عَزُوفاً ويَصبو المـرء وهْـوَ كريمُ

وقـال خليـلي ما لهـا إذ لقيتَها غـداةَ الشَّبا فيهـا عليك وُجومُ[2]

فقلـت لـه إن المـودّة بيننا على غير فُحْشٍ والصفـاءُ قديمُ

وإنّي وإن أعرضتُ عنهـا تجلُّدا على العَهْـدِ فيمـا بيننـا لَمُقِيمُ

1 أشيم : أنظر .

2 الشبا : واد بالأثيل من أعراض المدينة .

وإن زمانـاً فـرَّقَ الدَّهـرُ بيننا ... وبينكُـمُ في صرفِـهِ لَمَشُومُ
أَفي الحـقِّ هـذا أنَّ قلبَكِ سالِمٌ ... صحيحٌ وقلبـي في هواكِ سَقِيمُ
وأنّ بجسمي منـكِ داءٌ مخامراً ... وجسْمُك موفـورٌ عليـكِ سليمُ
لعمرُكِ مـا أنْصفْتِني في مودَّتي ... ولكنّني يـا عـزَّ عنْـكِ حليمُ
فإمّـا تَرَيْني اليومَ أُبْدِي جَلادةً ... فإنّـي لعمري تحـت ذاكِ كَليمُ
ولسْتُ ابنةَ الضَّمْرِيِّ منكِ بناقِمٍ ... ذُنـوبَ العِـدا إنّي إذاً لَظَلومُ
وإنّي لَذُو وجْدٍ إذا عـاد وصلها ... وإنّـي على ربِّـي إذا لكريمُ

ومنها : [من الطويل]

صوت

لعـزَّةَ أَطْلالٌ أَبَـت أَن تكلَّما ... تهيـجُ مغانيهـا الفـؤادَ المتيَّما
وكنتُ إذا ما جئْتُ أجللْنَ مجلسي ... وأظهرنَ منّـي هيبـةً لا تَجهُّما
يُحاذرْنَ منّـي غَيْرَةً قـد عرفنها ... قَديمـاً فمـا يضحكْنَ إلاّ تبسُّما

عروضه من الطويل . غنّى فيه مالك بن أبي السَّمْح لحنين عن يونس . أحدهما ثقيل أوّل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق ، وغيرُه ينسبه إلى معبد . والآخر ثاني ثقيلٍ بالوُسطى عن حَبَشٍ ، وفيه لابن مُحرِز خفيف ثقيل أوّل بالبِنصر عن عمرو والهشاميّ . وغيره يقول : إنّه لحن مالك . وفيه لابن سُرَيج خفيف رملٍ بالبنصر عن عمرو والهشاميّ وعلي بن يحيى ، والله أعلم .

[الرشيد ومسرور الخادم وما دار بينه وبين جعفر بن يحيى حين أمره بقتله]

وأخبرني أحمد بن جعفر حجظة قال حدَّثني ميمونُ بنُ هارونُ قال حدَّثني مَن أَثِق به عن مسرور الخادم : أنّ الرشيد لمّا أراد قتل جعفرِ بن يحيى لم يُطْلِعْ عليه أحداً بَتّة . ودخل عليه جعفر في اليوم الذي قتله في ليلته فقال له : اذهب فتشاغل اليومَ بمَن تأنس به واصطَبِح فإنّي مصْطَبِح مع الحُرَم . فمضى جعفر ، وفعل الرشيد ذلك . ولَم يزل برّ الرشيد وألطافه[1] وتُحفه وتحياته تَتابع إليه لئلاّ يستوحش . فلمّا كان في الليل دعاني فقال لي : اذهب فجئني الساعة برأس جعفر بن يحيى ، وضَمَّ إليّ جماعةً من الغلمان ، فمضيتُ حتى هجمتُ عليه منزلَه . وإذا أبو زَكّار الأعمى يغنّيه بقوله : [من الوافر]

فلا تَبْعَـدْ فكلّ فتًى سيأتـي ... عليـه الموتُ يَطْرُقُ أو يُغادي

فقلت له : في هذا المعنى ومثله والله جئتك فأجِب . فوثب وقال : ما الخبر يا أبا هاشم

1 اللّطف ، بالتحريك : واحد الألطاف ، وهو الهدية .

جعلني الله فداءك ! قلت : قد أمرتُ بأخذ رأسك . فأكبّ على رجلي فقبّلها وقال : الله الله ، راجعْ أميرَ المؤمنين فيّ . فقلت : ما لي إلى ذلك سبيل . قال : فأعْهَدُ ؟ قلت : ذاك لك . فذهب يدخل إلى النساء فمنعتُه ، وقلت : اعهد في موضعك . فدعا بدواة وكتب أحرفاً على دَهَشٍ ثم قال لي : يا أبا هاشم بَقيتْ واحدة . قلت : هاتِها . قال : خذني معك إلى أمير المؤمنين حتى أخاطبه . قلت : ما لي إلى ذلك سبيل . ويحك لا تقتلني بأمره على النبيذ . فقلت : هيهات ما شرب اليوم شيئاً . قال : فخذني واحبسني عندك في الدار ، وعاوِدْه في أمري . قلت : أفعل . فأخذته ، فقال لي أبو زكّار الأعمى : نشدتُك اللهَ إن قتلتَه إلاّ ألحقتَني به . قلت له : يا هذا لقد اخترتَ غيرَ مختار . قال : وكيف أعيش بعده وحياتي كانت معه وبه ، وأغناني عمّن سواه ، فما أحبّ الحياة بعده . فمضيت بجعفر وجعلته في بيت وأقفلت عليه ووكّلت به ، ودخلتُ إلى الرشيد ، فلمّا رآني قال : أين رأسه ويلَك ؟ فأخبرته بالخبر . فقال : يا ابن الفاعلة ، والله لئن لم تجئني برأسه الساعة لآخذنّ رأسك ؛ فمضيت إليه ، فأخذت رأسه ووضعته بين يديه . ثم أخبرته خبره ، وذكرت له خبر أبي زكّار الأعمى ، فلمّا كان بعد مدّة أمرني بإحضاره ، فأحضرته ، فوصله وبرّه وأمَر بالجِراية عليه .

[شعر في خولة غنّى فيه]

صوت

[من الوافر]

قِفــا في دار خولةَ فاسألاها تَقــادمَ عهدُهــا وهَجرْتُماها
بمِحْلالٍ يفــوح المسكُ منه إذا هبَّــت بأبْطَحه صَباها[1]
أتَرْعى حيثُ شاءَت من حِمانا وتمنعُنا فــلا نرعــى حِماها[2]

عروضه من الوافر . الشعر لرجل من فَزارة . والغناءُ ذكر حمّادٌ عن أبيه أنّه لمعبَد ، وذَكَر عنه في موضع آخر أنّه لابن مِسْجَح . وطريقتُه من الثقيل الأوّل مطلق في مجرى الوسطى .

1 المحلال : الأرض السهلة المخضبة . الأبطح : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .
2 فلا في ل : إذا .

218 ـ [أخبار منظور بن زبّان]

[نسبه]

وهذا الشعر يقوله الفَزاريّ في خَوْلة بنتِ منظور بن زَبّان بن سيّار بن عمرو بن جابر بن عقيل بن هلال بن سُمَيّ بن مازن بن فَزارة بن ذُبْيان بن بَغيض بن رَيْث بن غَطَفان . وكان منظورُ بن زَبّان سيدَ قومه غيرَ مدافَع ، أمّه قِهطِم بنت هاشم بن حَرْمَلةَ ، وقد ولدَتْ أيضاً زُهَير بن جَذِيمة ، فكان آخذاً بأطراف الشرف في قومه . وهو أحد مَن طالَ حَمْلُ أمّه به .

[سبب تسميته منظوراً وشعر أبيه في ذلك]

قال الزبير بن بكّار أجاز لنا الحِرْميُّ بن أبي العلاء والطّوسيّ روايتَه عنهما ممّا حدّثا به عنه حدّثتني مُغيرةُ بنتُ أبي عَدِيّ . قال الزُّبير وقد حدّثني هذا الحديث أيضاً إبراهيمُ بن زِيادٍ عن محمد بن طلحة ، وحدّثنيه أحمد بن محمد بن سعيد بن عُقدة عن يحيى بن الحسن العلويّ عن الزبير قالا جميعاً : حملت قهْطِم بنتُ هاشمٍ بمنظور بن زَبّانَ أربعَ سنين ، فولدته وقد جَمع فاهُ فسمّاه أبوه منظوراً لذلك ، يعني لطول ما انتظره ، وقال فيه على ما رواه محمد بن طلحة : [من الكامل]

ما جِئتَ حتّى قيل ليس بوارِدٍ ... فسُمّيتَ منظوراً وجِئْتَ على قدْرِ

وإنّي لأَرجو أن تكونَ كَهاشمٍ ... وإنّي لأَرْجُو أن تسودَ بَني بَدْرِ

[تزوّج مليكة زوج أبيه ففرّق عمر بينهما فتبعتها نفسه وقال شعراً]

ذكر الهيثم بن عديّ عن ابن الكلبيّ وابن عيّاشٍ ، وذكر بعضَه الزُّبير بن بكّار عن عمّه عن مجالد : أنّ منظورَ بن زَبّان تزوّج امرأة أبيه ، وهي مُلَيْكةُ بنت سِنانَ بن أبي حارثة المُرّيّ ، فولدت له هاشماً وعبد الجَبّار وخَوْلَةَ ، ولَم تزلْ معه إلى خلافةِ عمر بن الخطّابِ رضي الله عنه . وكان يشربُ الخمرَ أيضاً ، فرُفِع أمرُه إلى عُمَر ، فأحضره وسأله عمّا قيل ، فاعترف به وقال : ما علِمت أنّها حرام . فحبسه إلى وقت صلاةِ العصر ، ثم أحْلفه أنّه لم يعلم أنّ الله جلّ وعزّ حرّم ما فعله . فحلف ، فيما ذكر ، أربعين يميناً . فخلّى سبيلَه ، وفرّق بينه وبين امرأة أبيه وقال : لولا أنّك حلفتَ لضربت عنقَك .

قال ابن الكلبيّ في خبره : إنّ عمرَ قال له : أتنكِحُ امرأة أبيك وهي أُمّك ؟ أو ما علِمتَ أنّ هذا نِكاح المقتِ[1] ! . وفرّق بينهما . فتزوّجها محمد بن طلحة .

1 نكاح المقت : هو أنْ يتزوّج الرجل امرأة أبيه بعده .

قال ابن الكلبيّ في خبره : فلمّا طلّقها أَسِف عليها وقال فيها : [من الطويل]

أَلا لا أُبالي اليومَ مـا صَنَع الدّهرُ إذا مُنِعتْ منّـي مُلَيكَةُ والخمرُ
فإن تَكُ قد أَمسَتْ بعيداً مَزارُها فحَيٌّ ابنةَ المـرّيِّ مـا طَلَعَ الفجْرُ
لَعَمْرِيَ مـا كانتْ مُلَيكـةُ سَوْءَةً ولا ضُمَّ في بيتٍ على مِثْلِها سِتْرُ

وقال أيضاً : [من الطويل]

لعمـرُ أَبـي ، دِيـنٌ يُفَرِّق بيننا وبينَـك قَسْراً إنّـه لَعظيمُ

وقال حُجرُ بن معاوية بن عُيينة بن حصْن بن حُذيفة لمنظور : [من البسيط]

لَبِئس مـا خلـفَ الآبـاءَ بعدَهُمُ في الأُمَّهاتِ عِجالُ الكلبِ منظورُ
قد كُنْتَ تَغمِزُها والشيخ حاضِرُها فالآن أنـت بطُـول الغمزِ معْذُورُ

[تزوّجت ابنته خولة الحسن بن علي بعد موت زوجها]

قال أبو الفرج الأصفهاني : أَخطأ ابن الكلبيّ في هذا . وإنّما طلحةُ بن عبيد الله الذي تزوّجها ؛ فأمّا محمد فإنّه تزوّجَ خولة بنتَ منظورٍ فولدت له إبراهيم بن محمد وكان أَعرجَ ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فتزوّجها الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن عليهما السلام . وكان إبراهيم بن محمد بن طلحةَ نازعَ بعضَ ولد الحُسين بن عليّ بعضَ ما كان بينهم وبين بني الحسين من مال عليّ عليه السلام ، فقال الحُسينيّ لأَمير المدينة : هذا الظالم الضالِع[1] الظالِع ، يعني إبراهيم ، فقال له إبراهيم : والله إنّي لأُبغِضُك . فقال له الحسيني : صادق ، والله يحب الصادقين ، وما يمنعك من ذلك وقد قَتَل أَبي أَباك وجدَّك ، وناكَ عمِّي أُمَّك ؟ ، لا يَكني ، فأمر بهما فأُقِيما من بين يدي الأَمير .

[لقي مليكة بعد فراقها فتعرض لها ولزوجها]

رجع الخبرُ إلى رواية ابن الكلبيّ قال : فلمّا فرّق عمر رضي الله عنه بينهما وتزوّجت رآها منظورٌ يوماً وهي تمشي في الطريق ، وكانت جميلة رائعة الحسن ، فقال : يا مُليكةُ ، لعن الله ديناً فرّق بيني وبينك ! فلم تكلّمه وجازت ، وجاز بعدها زوجها ؛ فقال له منظور : كيف رأيت أثر أَيري في حِرِ مُليكة ؟ قال : كما رأيتَ أَثَر أَيرِ أَبيك فيه ، فأَفحمه . وبلغ عمر رضي الله عنه الخبر فطلبه ليعاقبه ، فهرب منه .

[رجع إلى زواج ابنته خولة بالحسن]

وقال الزبير في حديثه : فتزوّج محمد بن طلحة بن عبيد الله خولةَ بنتَ منظورٍ فولدت له

1 الضالع : الجائر .

إبراهيم وداود وأُمّ القاسم بني محمد بن طلحةَ ، ثم قُتِل عنها يوم الجمل ، فخَلَف عليها الحسنُ بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام ، فولدت له الحسن بن الحسن رضي الله عنهما .

قال الزبير : وقال محمد بن الضحّاك الحزاميّ عن أبيه : تزوّج الحسن عليه السلام خَولة بنت منظور ، زوّجه إيّاها عبد الله بن الزُّبير وكانت أختُها تحتَه .

وأخبرني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسن قال حدَّثني موسى بن عبيد الله بن الحسن قال : جعلت خولةُ أمرَها إلى الحسن عليه السلام فتزوّجها ، فبلغ ذلك منظورَ بن زبّان فقال : أمثلي يُفتات عليه ابنَتِه ! فقدِم المدينة ، فركّز راية سوداء في مسجد رسول الله ﷺ ، فلم يبقَ قيسيّ بالمدينة إلاّ دخل تحتها ، فقيل لمنظور بن زبّان : أين يُذْهَبُ بك ؟ تَزوّجها الحسن بن عليّ عليه السلام وليس مثله أحد . فلم يقبل . وبلَغ الحسن عليه السلام ما فعل ، فقال له : ها ، شأنك بها . فأخذها وخرج بها . فلمّا كان بقُباءٍ جَعلتَ خولةُ تُندِّمُه وتقول : الحسن بن عليّ سيّد شباب أهل الجنّة . فقال : تلبَّثي هاهنا ، فإن كانت للرجل فيك حاجة فسيلحقنا هاهنا . قال : فلحِقه الحسن والحسين عليهما السلام وابن جعفر وابن عبّاس ، فتزوّجها الحسن ، ورجع بها . قال الزبير : ففي ذلك يقول جفير العبْسيّ : [من البسيط]

إنّ النَّدى من بني ذُبيانَ قد عَلِموا ... والجُودَ في آل منظورِ بنِ سيَّارِ
الماطِرِين بأيديهم نَدًى دِيَماً ... وكلّ غيثٍ من الوَسْميّ مِدرارِ[1]
تَزُورُ جاراتِهم وهْناً فواضِلُهم ... وما فَتاهم لها سرّاً بِزوّارِ[2]
تَرضى قريشٌ بهم صِهراً لأنفسهم ... وهُمْ رضاً لبني أُختٍ وأصهارِ

[لمّا أسنّت خولة بنته برزت للرجال وغنّاها معبد بشعر قيل فيها فطربت]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشِّيعيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثني ابن أبي أيّوب عن ابن عائشة المغنّي عن مَعْبَد : أنّ خولة بنت منظور كانت عند الحسن بن عليّ عليهما السلام ، فلمّا أسنَّت مات عنها أو طلَّقها ، فكشفَت قِناعَها وبرزت للرجال . قال معبد : فأتيتُها ذات يوم أُطالبها بحاجةٍ ، فغنّيتها لَحْني في شعرٍ قاله فيها بعض بني فَزارة ، وكان خَطَبها فلم يُنكِحها أبوها : [من الوافر]

1 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل .
2 الوهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . الفواضل : الأيدي الجسيمة .

قِفـا في دار خولـة فاسألاها تقـادم عهدُهـا وهَجرتُماها
بمحـلالٍ كأنّ المسك فيـه إذا فاحـت بأبطَحِـه صَباها
كأنّكِ مُزْنَـةٌ بَرقَـت بلَيْلٍ لِحِـرّانٍ يُضِيءُ لـه سَناها
فلـم تُمْطِرْ عليـه وجاوزَتْه وقد أَشْفى عليهـا أَو رَجاها
ومـا يَمْـلا فُؤادي فاعلَميه سُلُوُّ النّفسِ عنـكِ ولا غِناها
وتَرعى حيث شاءَت من حِمانا وتمنعُنا فَـلا نَرْعـى حِماها

قال : فطرِبت العجوز لذلك ، وقالت : يا عبد ابن قَطَن ، أنا والله يومئذٍ أحسَنُ من النارِ الموقَدةِ في الليلة القَرَّةِ .

صوت

[من الكامل]

للهِ درّ عِصابـةٍ صاحبْتُهـم يومَ الرُّصافةِ مثلُهُم لم يُوجدِ
متقلِّديـن صَفائحـاً هِنْدِيّـة يتركْن مَن ضَرَبُوا كأن لم يُوْلَدِ
وغدا الرّجال الثائرون كأنّما أَبصارهم قِطَعُ الحديدِ الموقَدِ

عروضه من الكامل . الشعر للجحّافِ السُّلميّ الموقِع ببني تغلِب في يوم البِشر . والغناء للأَبْجَرِ أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق .

[219] ـ خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر

[نسبه]

هو الجحّاف بن حَكِيم بن عاصم بن قيس بن سِباع بن خُزاعيّ بن مُحاربيّ بن فالج بن ذَكْوانَ بن ثَعْلَبَة بن بُهْثة بن سُلَيْم بن منصور .

[قصّته يوم البشر وسبب ذلك]

وكان السببُ في ذلك فيما أُخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليُّ بن سليمان الأخفش قالا حدَّثنا أبو سعيد السكريُّ عن محمد بن حبيبٍ عن ابنِ الأعرابيّ ، وأُخبرنا إبراهيم بن أيّوب عن ابن قتيبة ، وأُخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريُّ وحبيبُ بن نصرٍ المهلَّبيّ قالا حدَّثنا عمر بن شَبَّةَ ، وقد جَمَعْتُ رواياتهم . وأكثرُ اللفظ في الخبر لابن حبيب : أنّ عُميرَ بنَ الحُباب لمّا قَتَلَتْهُ بنو تغلِب بالحشّاكِ ، وهو إلى جانب الثَّرْثار ، وهو قريبٌ من تَكْريتَ ، أتى تميمُ بنُ الحُباب أخوه زُفَرَ بن الحارث فأخبره بمقتل عمير ، وسأله الطلب له بثأره ، فكرِه ذلك زُفَرُ ، فسار تميم بن الحُباب بمَن تَبِعه من قيس ، وتابعه على ذلك مسلم بن أبي ربيعة العُقَيْليّ . فلمّا توجّهوا نحو بني تغلِبَ لقيهم الهذيل في زراعة لهم ؛ فقال أين تريدون ؟ فأخبروه بما كان من زفر ؛ فقال : أمهلوني ألْقَ الشَّيخَ . فأقاموا ومضى الهذيل فأتى زفَر ؛ فقال : ما صنعت ؟ والله لئن ظُفِر بهذه العصابة إنّه لعارٌ عليك ، ولئن ظفِروا إنّه لأشدّ ؛ قال زُفَر : فاحبِس عليّ القومَ ؛ وقام زفر في أصحابه ، فحَرَّضهم ، ثم شخَص واستخلف عليهم أخاه أوْساً ، وسار حتى انتهى إلى الثَّرثار فدفنوا أصحابهم ، ثم وجَّه زُفر بن الحارث يزيد بن حُمران في خيل ، فأساء إلى بني فَدَوْكس من تغلب ، فقتل رجالهم واستباح أموالهم ، فلم يبق في ذلك الجوّ غير امرأة واحدة يقال لها حُمَيْدة بنت امرىء القيس عاذت بابن حُمران فأعاذها . وبعث الهذيلَ إلى بني كعَب بن زهير فقتل فيهم قتلاً ذريعاً . وبعث مُسْلِمَ بن ربيعة إلى ناحية أُخرى فأسرع في القتل . وبلغَ ذلك بني تَغْلِبَ واليمن ، فارتحلوا يريدون عُبورَ دجلة ، فلحِقهم زُفَرُ بالكُحَيْل ، وهو نهرٌ أسفل الموصِل ، مع المغرب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وتَرَجَّلَ أصحابُ زفرَ أجمعون ، وبقي زفر على بغل له ، فقتلوهم من لَيْلَتهم ، وبَقَرُوا ما وجدوا من النساء . وذُكِر أن مَن غرِق في دِجلة أكثرُ مِمَّن قُتِل بالسيف ، وأنّ الدم كان في دِجلة

قريباً من رَمية سهم . فلم يزالون يقتلون مَنْ وجدوا حتى أصبحوا ؛ فذكر أنّ زفرَ دخل معهم دجلة وكانت فيه بُحَّةٌ ، فجعل ينادي ولا يسمعه أصحابه ، ففقدوا صوته وحسبوا أن يكون قُتِل ، فتذامروا[1] وقالوا : لئن قُتِل شيخُنا لَما صَنَعْنا شيئاً ، فاتبعوه فإذا هو في دِجلة يصيح بالناس ، وتغلِبُ قد رمَت بأنفسها تعبر في الماء ، فخرج من الماء وأقام في موضعه . فهذه الوقعةُ الحَرَجِيَّةُ لأنّهم أُحرِجوا فألقوا أنفسهم في الماء . ثم وجّه يزيد بن حُمران وتميم بن الحُباب ومسلم بن ربيعة والهذيل بن زفر في أصحابه ، وأمرهم ألاّ يلقَوْا أحداً إلاّ قتلوه ، فانصرفوا من ليلتهم ، وكلٌّ قد أصاب حاجته من القتل والمال ، ثم مضى يستقبِل الشَّمال في جماعة مِنْ أصحابه ، حتّى أتى رأس الأثيل ، ولم يُخَلِّ[2] بالكُحَيل أحداً ، والكُحَيلُ على عشرة فراسخَ من الموصل فيما بينها وبين الجنوب ، فصعد قِبلَ رأس الأثيل ، فوجد به عسكراً من اليمن وتغلِب ، فقاتلهم بقية ليلتهم ، فهربت تغلِبُ وصبرت اليمن . وهذه الليلةُ تسميها تَغلِب ليلة الهرِير . ففي ذلك يقول زُفَر بنُ الحارث ، وقد ذُكِرَ أنّها لغيره : [من الوافر]

ولّـــا أن نعـى النّاعي عُمَيْراً حسبتُ سماءهـم دُهِيت بليلِ

دهِيت بليل ، أي أظلمت نهاراً كأنّ ليلاً دهاها .

وكان النجـــمُ يطلُعُ في قَتامٍ وخاف الذُّلَّ مِنْ يَمَن سُهَيْلُ[3]
وكنـــتُ قبيْلَها يـــا أُمَّ عمرٍو أُرَجِّـــلُ لِمَّتـــي وأَجـــرُّ ذيلي[4]
فلـــو نُبِش المقابـــرُ عـــن عمير فيخبَرَ مِنْ بـــلاء أبي الهذيلِ
غـــداةَ يقـــارعُ الأبطالَ حتّى جرى منهم دماً مَرْجُ الكُحَيْلِ
قبِيـــلٌ يَنْهَـــدون إلى قبيـــلٍ تساقى المـــوت كيلاً بعد كيلِ

وفي ذلك يقول جرير يعيِّر الأخطل : [من الكامل]

أَنسيتَ يومَك بالجزيرة بعدما كانـت عواقِبُـه عليك وبالا !
حملتْ عليك حُماةُ قيسٍ خيلَها شُعْثاً عوابسَ تحمِـل الأبطالا

1 تذامروا : حض بعضهم بعضاً على القتال .
2 ل : يخلِّف .
3 القتام : الغبار ، في هذا البيت إقواء .
4 اللمّة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .

ما زلتَ تحسِبُ كلّ شيء بعدهم خيـلاً تَكُرُّ عليكمُ ورجالا
زفرُ الرئيسُ أبـو الهذيل أباركم فسَبى النساء وأحرز الأموالا

[أغراه الأخطل بشعره بأخذ الثأر من تغلب ففعل وفرّ إلى الروم]

فلمّا أن كانت سنة ثلاث وسبعين ، وقُتِل عبد الله بن الزبير هدأتِ الفتنةُ واجتمع الناس على عبد الملك بنِ مروانَ ، وتكافَّتْ قيس وتغلِبُ عن المَغازي بالشام والجزيرة ، وظنّ كلٌّ واحد من الفريقين أنّ عنده فضلاً لصاحبه ، وتكلّم عبدُ الملك في ذلك ولم يُحْكم الصلح فيه ، فبينا هم على تلك الحال إذ أنشد الأخطلُ عبدَ الملك بن مروان وعنده وجوه قيس قولَه : [من الطويل]

ألا سائِلِ الحجّافَ هـل هو ثائرٌ بِقَتْلى أُصيبتْ مِـنْ سُلَيْم وعامرِ
أحجّافُ إنْ نهبِطْ عليك فتلتقي عليك بحـورٌ طامِيـاتُ الزواخِرِ
تكن مثل أبداءِ الحباب الذي جرى بِـهِ البحرُ تزهاهُ ريـاحُ الصراصِرِ[1]

فوثب الجحّاف يجرّ مُطْرَفه وما يَعْلَمُ من الغضب ، فقال عبد الملك للأخطل : ما أحسبك إلاّ قد كَسَبْتَ قومَك شرّاً . فافتعل الجحّاف عهداً من عبد الملك على صدقات بكرٍ وتغلِب ، وصحبِه من قومه نحوٌ من ألف فارسٍ ، فثار بهم حتّى بلغ الرُّصافة ، قال : وبينها وبين شطّ الفرات ليلةٌ ، وهي في قِبْلة الفرات ، ثم كشف لهم أمره ، وأنشدهم شعرَ الأخطل ، وقال لهم : إنّما هي النارُ أو العارُ ، فمن صبرَ فَلْيُقْدِم ومن كرِه فلْيَرْجع ، قالوا : ما بأنفسنا عن نفسك رغبةٌ ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحنُ معك فيما كنتَ فيه من خير وشرٍّ ، فارتحلوا فطرقوا صُهَيْنَ بعدُ رؤبة[2] من الليل ، وهي في قِبلة الرصافة وبينهما ميل ، ثم صبّحوا عاجنة الرَّحوب في قِبلةِ صُهَيْنَ والبِشر ، وهو وادٍ لبني تغلِب ، فأغاروا على بني تغلِب ليلاً فقتلوهم ، وبقروا من النساء من كانت حاملاً ، ومَن كانت غيرَ حامل قتلوها . فقال عمرُ بنُ شَبَّةَ في خبره : سمعت أبي يقول : صعِد الجحّافُ الجبلَ ، فهو يوم البِشر ، ويقال له أيضاً يومُ عاجنة الرَّحوب ، ويومُ مخاشِن ، وهو جبلٌ إلى جنب البِشر ، وهو مرج السَّلَوْطَح لأنّه بالرحوب ، وقَتَل في تلك الليلة ابناً للأخطل يقال له أبو غياثٍ ، ففي ذلك يقول جرير له : [من الوافر]

شرِبتَ الخمر بعـد أبي غِياثٍ فلا نعِمت لك السَّوءات بالا[3]

قال عمرُ بن شبّة في خبره خاصّةً : ووقع الأخطلُ في أيديهم ، وعليه عباءةٌ دَنِسة ، فسألوه

1 زهت الريح الشجر تزهاه : هزّته وحرّكته .
2 رؤبة : قطعة ، وأصلها القطعة يسدّ بها ثلمة الإناء .
3 السوءات في ل : النشوات .

فذكر أنّه عبدٌ من عبيدهم ، فأطلقوه ؛ فقال ابنُ صَفَّار في ذلك : [من الكامل]

لَـم تنـج إلاّ بالتعبُّدِ نفسُه لَـمَّـا تيقّـن أنّـهمْ قـومٌ عِدا
وتشابهت بُـرْقُ العَباء عليهمُ فنجا ولو عرفـوا عباءته هوى[1]

وجعل يُنادي : مَن كانت حاملاً فإليّ ، فصعِدْنَ إليه ، فجعل يبقَرُ بطونهنّ . ثم إنّ الجحّاف هرب بعد فِعله ، وفرّق عنه أصحابه ولحق بالروم ، فلحِق الجحافَ عُبَيدَةُ بن همامٍ التغلبيّ دون الدَّرْبِ ، فكرّ عليه الجحاف فهزمه ، وهزم أصحابَه وقتلهم ، ومكث زمناً في الروم ، وقال في ذلك : [من الطويل]

فإن تَطْرُدوني تطردوني وقد مضى من الوِرْدِ يـومٌ في دماء الأراقمِ[2]
لدن ذَرَّ قرنُ الشمس حتى تَلَبَّسَتْ ظلاماً بركض المُقْرَبات الصلادِمِ[3]

[رجع بعد عفو عبد الملك عنه وتمثّل بشعر الأخطل]

حتّى سكن غضبُ عبدِ الملك ، وكلَّمتْهُ القَيْسيّة في أن يُؤمِّنه ، فَلانَ وتلكأ ، فقيل له : إنّا والله لا نأمنُه على المسلمين إن طال مُقامُه بالرّوم ؛ فأمَّنه ، فأقبل فلمّا قدِم على عبد الملك لقِيه الأخطلُ فقال له الجحاف : [من الطويل]

أبا مالكٍ هل لمتني إذ حضضتَني على القتل أمْ هل لامني لك لائمي
أبا مالكٍ إنّـي أطعتُـك في التّي حضضتَ عليها فعلَ حَرَّانَ حازمِ
فإن تدعُني أُخرى أُجبْك بمثلها وإنّي لَطَبٌّ بالوَغـى جِـدُّ عالِمِ

قال ابن حبيب : فزعموا أنّ الأخطلَ قال له : أراك والله شيخَ سَوْءٍ . وقال فيه جرير : [من الطويل]

فإنّـك والجحافَ يـوم تَحُضُّه أردتَ بذاك المُكثَ والوِرْدُ أعجلُ
بكى دَوْبَلٌ لا يُرقِـىءُ اللهُ دمعَه ألا إنّما يبكـي مِنَ الذُّلِّ دَوبلُ[4]

---

1 الأبرق : كلّ شيء اجتمع فيه سواد وبياض ، وهي برقاء والجمع برق .

2 الأراقم : حيّ من تغلب وهم جشم ، أو هم بنو بكر وجشم ومالك والحارث ومعاوية ، سمّوا كذلك تشبيهاً لعيونهم بعيون الأراقم من الحيات .

3 المقربات من الخيل : التي ضمرت للركوب فهي قريبة معدة . والصلادم : جمع صلدم ، كزبرج وهو الفرس الصلب الشديد .

4 رقأ الدمع : جفّ وسكن . الدوبل : الخنزير أو ولده .

وما زالت القتلى تَمورُ دماؤهم بدِجلة حتى ماءِ دجلةَ أَشْكَلُ[1]

فقال الأخطل : ما لجرير لعنه الله ! والله ما سَمَّتْني أُمّي دَوْبلاً إلاّ وأنا صبيّ صغير ثم ذهب ذلك عنّي لما كبِرت . وقال الأخطل : [من الطويل]

لقد أَوقع الجحّافُ بالبِشْرِ وقعةً إلى اللهِ منها المُشْتَكى والمُعَوَّلُ
فسائل بني مروان ما بالُ ذمّةٍ وحبلٍ ضعيفٍ لا يزال يُوصَّلُ
فإلاّ تُغَيِّرْها قريش بمِلْكِها يكن عن قريشٍ مستراداً ومَزْحَلُ[2]

[حمله الوليد دية قتلى البشر فاستطاع أن يأخذها من الحجاج]

فقال عبد الملك حين أنشده هذا : فإلى أَينَ يا ابنَ النَّصرانية ؟ قال : إلى النار قال : أولى لك لو قلتَ غيرها ؛ قال : ورأى عبدُ الملك أنّه إن تركهم على حالهم لم يُحْكِمِ الأمر ، فأمر الوليدَ بنَ عبد الملك ، فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضمَّن الجحّاف قتلى البِشر ، وألزمه إيّاها عقوبةً له ، فأدّى الوليد الحِمالات ، ولم يكن عند الجحّاف ما حُمِّل ، فلحِق بالحجّاج بالعراق يسأله ما حُمِّل لأنّه من هوازن ، فسأل الإذنَ على الحجّاج ، فمنعه . فلقي أسماءَ بنَ خارجة ؛ فَعَصَبَ حاجته به فقال : إنّي لا أَقدِرُ لك على منفعة ، قد علِم الأمير بمكانك وأبى أن يأذن لك ؛ فقال : لا والله لا أُلْزِمُها غيرك أَنْجَحَتْ أو أكْدت[3] ، فلمّا بلغ ذلك الحجّاج قال : ما له عندي شيء ، فأَبْلِغه ذلك ؛ قال : وما عليك أن تكونَ أنت الذي تُوئسُه فإنّه قد أبى ، فأذن له فلمّا رآه قال : أعهدتني خائناً لا أبا لَكَ ! قال : أنت سيّدُ هوازن ، وقد بدأنا بِك ، وأنت أميرُ العراقين[4] ، وابنُ عظيم القريتين[5] ، وعَمالتُك في كلّ سنة خمسمائة ألفِ درهم ، وما بِك بعدها حاجة إلى خِيانةٍ ؛ فقال : أشهد أنّ الله تعالى وفّقك ، وأنّك نظرت بنور الله ، فإذا صدقت فلك نصفُها العام ، فأعطاه وادّوا البقية .

[تنسك وخرج إلى الحجّ في زيّ عجيب]

قال : ثم تألّه[6] الجحاف بعد ذلك ، واستأذن في الحجّ ، فأذِن له ، فخرج في المشيخة الذين شهدوا معه ، قد لبسوا الصوف وأحرموا ، وأبرَوا أنوفهم ، أي خزموها وجعلوا فيها

1 أمار الدم : جرى ، والأشكل ما فيه بياض يضرب إلى الحمرة والكدرة .
2 بملكها ، أي بقدرتها . المستراد : المرعى . مزحل : مبعد .
3 أكدى : أصله من أكدى الحافر : إذا حفر فبلغ الكدية وهي الصخرة فانقطع عن الحفر .
4 العراقان : الكوفة والبصرة .
5 القريتان : مكة والطائف .
6 تألّه : تعبّد وتنسّك .

البُرى[1] ، ومشوا إلى مكّة فلمّا قدِموا المدينة ومكّة جعل الناس يخرجون فينظرون إليهم ، ويَعجبون منهم . قال : وسمع ابن عمر الجحاف وقد تعلّق بأستار الكعبة وهو يقول : اللهمّ اغفِرْ لي وما أُراك تفعل ؛ فقال له ابنُ عمر : يا هذا ، لو كنت الجحافَ ما زِدت على هذا القول ؛ قال : فأنا الجحافُ ، فسكت . وسمِعه محمد بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يقول ذلك ؛ فقال : يا عبد الله ، قُنوطُك من عفو الله أعظمُ من ذنبك !

قال عمر بن شبّة في خبره : كان مولد الجحّاف بالبصرة .

[دخل على عبد الملك بعد أن أمنه وأنشده شعراً]

قال عبد الله بن إسحاق النحويُّ : كان الجحافُ معي في الكتابِ ، قال أبو زيد في خبره أيضاً : ولمّا أمّنه عبد الملك دخل عليه في جُبَّةِ صوف ، فلبث قائماً ، فقال له عبد الملك : أنشدْني بعضَ ما قلتَ في غزوتك هذه وفَجْرَتِك ، فأنشده قوله : [من الكامل]

صبرتْ سليـمٌ للطعان وعامرٌ وإذا جزِعنا لَم نَجِد مَن يصبِرُ

فقال له عبد الملك بن مروان : كذبت ، ما أكثر مَن يصبر ! ثم أنشده : [من الكامل]

نحـنُ الذين إذا علَوا لَمْ يَفْخَروا يـوم اللقا وإذا عُلُوا لم يضجروا

فقال عبد الملك : صدقتَ ، حدَّثني أبي عن أبي سفيان بن حرب أنّكم كنتم كما وصفت يومَ فتحِ مكّةَ .

[عود إلى قصة يوم البشر]

حُدِّثْتُ عن الدمشقيّ عن الزبير بن بكّار ، وأخبرني وكيعٌ عن عبد الله بن شبيب عن الزبير بن بكّار عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد عن أبيه عن عمر بن عبد العزيز بن مروان : أنّه حضر الجحافُ عند عبد الملك بن مروان يوماً والأخطل حاضرٌ في مجلسه ينشد : [من الطويل]

ألا سائِلِ الجحّاف هل هـو ثائرٌ بِقَتْلى أُصيبت مـن سليم وعامِرِ

قال : فتقبّض وجهُه في وجه الأخطل ، ثم إنّ الأخطل لمّا قال له ذلك قال له : [من الطويل]

نعَـمْ سوفَ نَبْكِيهِم بكـلّ مُهَنَّدٍ ونبْكِي عميراً بالرماحِ الخواطرِ[2]

ثم قال : ظننتُ أنّك يا ابن النصرانية لم تكن تجترىء عليَّ ولو رأيتني لك مأسوراً . وأوْعده ، فما برح الأخطلُ حتّى حُمَّ ، فقال له عبد الملك : أنا جارُك منه ؛ قال : هذا أجرْتَني منه يقظانَ ، فمن يجيرني منه نائماً ؟ قال : فجعل عبدُ الملك يضحك . قال : فأمّا قولُ الأخطل : [من الطويل]

1 البرى : جمع برة ، وهي الحلقة في أنف البعير .

2 الخواطر : خطر الرمح : اهتزّ فهو خاطر والجمع خواطر .

ألا سائل الجحافَ هل هـو ثائِرٌ بقتـلى أُصيبتْ مـن سُلَيم وعامرِ

فإنّه يعني اليوم الذي قَتَلَتْ فيه بنو تغلب عميرَ بنَ الحُباب السُّلميّ .

وكان السببُ في ذلك فيما أخبرني به عليّ بنُ سليمان الأخفش قال حدَّثني أبو سعيد السكريُّ عن محمّد بن حبيب عن أبي عبيدة عن ابن الأعرابيّ عن المفضل : أنّ قيساً وتغلب تحاشدوا لِما كان بينهم من الوقائع منذ ابتداء الحرب بِمَرْج راهطٍ ، فكانوا يتغاورون[1] . وكانت بنو مالك بن بكر جامعةً بالتوْباذ وما حوله ، وجَلَبَتْ إليها طوائفَ تغلب وجميع بطونها ، إلاّ أنّ بكر بن جُشَم لم تجتمع أحلافُهم من النَّمِرِ بنِ قاسط . وحشدت بكر فلم يأت الجمعُ منهم على قدر عددهم . وكانت تغلبُ بدوًا بالجزيرة لا حاضرة لها إلاّ قليل بالكوفة ، وكانت حاضرة الجزيرة لقيسٍ وقضاعةَ وأخلاط مضر ، ففارقتهم قضاعةُ قبل حرب تغلِب ، وأرسلت تغلِبُ إلى مهاجِريها وهم بأَذْرَبيجان ، فأتاهم شعيبُ بنُ مُلَيْل في ألفيّ فارس . واستنصر عمير تميماً وأسداً فلم يأته منهم أحد ؛ فقال : [من الطويل]

أيا أخَوَيْنـا مـن تميم هُدِيتُما ومن أسدٍ هـل تسمعانِ المُنادِيا

ألَم تعلما مُذْ جاء بكرُ بنُ وائل وتغلِبُ ألفافـاً تَهُـزّ العواليا

إلى قومِكم قـد تعلمـون مكانهم وهم قُرْبُ أدنى حاضِرين وبادِيا

وكان مَنْ حضر ذلك من وجوه بكر بن وائلٍ المُجَشَّرُ بنُ الحارث بنِ عامرِ بنِ مرّة بن عبد الله بن أبي ربيعة بن ذُهلِ بن شيبان ، وكان من سادات شيبانَ بالجزيرة فأتاهم في جمع كثيرٍ من بني أبي ربيعة . وفي ذلك يقول تميمُ بن الحباب بعد يوم الحشّاك : [من الطويل]

فإن تحتجِزْ بالمـاء بكرُ بنُ وائلٍ بنـي عمّنـا فالدَّهـر ذو مُتَغَيَّرِ

فسوف نُخيضُ الماء أو سوف نلتقي فنقتصَّ من أبنـاء عـمّ المُجَشَّرِ[2]

وأتاهم زِمامُ بنُ مالك بن الحصين من بني عمرو بن هاشم بن مُرّة في جمع كبيرٍ فشهدوا يوم الثرثار ، فقُتِل . وكان فيمن أتاهم من العراق من بكر بن وائل عبيدُ الله بنُ زيادِ بن ظَبْيان ، ورهصة بنُ النُّعمان بن سويد بن خالد من بني أسعد بن همّام ، فلذلك تحامل المُصْعَبُ بنُ الزُّبير على أبانِ بن زياد أخي عبيد الله بن زياد فقتله . وفي هذا السببِ كانت فُرْقَةُ عبيد الله لمصعب ، وجمعت تغلِبُ فأكثرت ، فلمّا أتى عميراً كثرةُ مَن أتى من بني تغلِب وأبطأ عنه أصحابه قال يستبطئهم : [من الوافر]

1 يتغاورون : يغير بعضهم على بعض .

2 أخاضه في الماء : جعله يخوضه .

أُناديهم وقــد خَذَلَتْ كلاب وحولي مــن ربيعةَ كالجِبالِ
أُقاتِلُهــم بحـيّ بنــي سُلَيْـمٍ ويَعْصُرَ كالمصاعِيــبِ النِّهالِ[1]
فِـدًى لفوارس الثرثــار قومي ومــا جَمَّعْتُ من أهلي ومالِي
فإمّا أُمْسِ قــد حانــت وفاتي فقد فارقــت أعصرَ غير قالِ
أَبَعْـدَ فوارسِ الثرثــار أرجو ثَراءَ المــالِ أو عــددَ الرّجالِ ؟

ثم زحف العسكرانِ ، فأتت قيسٌ وتغلِبُ الثرثار ، بين رأس الأثيل والكُحَيْل ، فشاهدوا القتال يوم الخميس . وكان شعيب بنُ مُلَيْلٍ وثعلبةُ بنُ نِياطٍ التغلبيّان قدِما في ألفي فارس في الحديد ، فعبروا على قرية يقال لها لِبَّ على شاطىء دِجلةَ بين تكرِيت وبين الموصِل ، ثم توجّهوا إلى الثرثار ، فنظر شعيبٌ إلى دواخِن[2] قَيس ، فقال لثعلبة بن نِياط : سِر بنا إليهم ، فقال له : الرأيُ أن نسير إلى جماعةِ قومِنا فيكون مقاتلُنا واحداً ، فقال شعيبٌ : والله لا تَحَدَّثُ تغلِبُ أنّي نظرتُ إلى دواخِنِهم ثم انصرفتُ عنهم ، فأرسل ناساً من أصحابه قُدَّامه وعميرٌ يقاتِل بني تغلب . وذلك يوم الخميس ، وعلى تغلِب حنظلةُ بنُ هَوبَرٍ ، أحدُ بني كنانة بن تميم ، فجاء رجلٌ من أصحاب عميرٍ إليه فأخبره أنّ طلائع شعيب قد أتته ، وأنّه قد عدل إليه ، فقال عميرٌ لأصحابه : اكفوني قتال ابن هوبرٍ ، ومضى هو في جماعة من أصحابه ، فأخذ الذين قدمهم شعيبٌ ، فقتلهم كلّهم غيرَ رجل من بني كعب بن زهير يقال له : قَتَبُ بنُ عبيد ، فقال عميرٌ : يا قتبُ ، أخبرني ما وراءك ؟ قال : قد أتاك شعيب بن مليل في أصحابه . وفارق ثعلبةُ بنُ نِياطٍ شعيباً ، فمضى إلى حنظلة بن هوبرٍ ، فقاتل معه القيسيّة ، فقُتِل ، فالتقى عمير وشعيب فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فما صُلِّيت العصر حتى قُتِل شعيب وأصحابه أجمعون ، وقُطِعت رِجلُ شعيب يومئذٍ ، فجعل يقاتل القوم وهو يقول : [من السريع]

قــد علِمت قيسٌ ونحن نعلم أن الفتى يفتِك وهْـوَ أجذمُ[3]

فلما قتِل شعيب نزل أصحابه ، فعقروا دوابَّهم ، ثم قاتلوا حتى قُتِلوا ، فلما رآه عمير قتيلاً قال : من سرّه أن ينظر إلى الأسد عقِيراً فها هو ذا . وجعلت تغلِبُ يومئذٍ ترتجز وتقاتل وهي تقول : [من الرجز]

1 يعصر أو أعصر : قبيلة من قيس عيلان . وجمال مصاعب ومصاعيب : جمع مصعب وهو الفحل الذي يقتصر عمله على الفحلة .
2 الدواخن : جمع داخنة ، وهي المدخنة .
3 أجذم : أقطع .

انْعَـوَا إياساً واندُبـوا مُجاشعاً كلاهمـا كان كريمـاً فاجِعـا
وَيْـهِ بني تغلب ضرباً ناقِعا[1]

وانصرف عميرٌ إلى عسكره ، وأُبلغ بني تغلِب مقتل شعيب ، فحمِيتْ على القتال وتذامرت على الصبرِ ، فقـال مِحصنُ بنُ حصين بن جنجور أحـدُ الأبناء : مضيت أنا ومَن أفـلَتَ من أصحاب شعيب بعد العصر ، فأتينا راهِباً في صومعته ، فسألنا عن حالنا ، فأخبرناه ، فأمر تلميذاً له ، فجاءه بِخِرَق فداوى جِراحَنا ، وذلك غداةَ يوم الجمعة . فلمّا كان آخر ذلك اليوم أتانا خبرُ مقتلِ عمير وأصحابه ، وهرب مَن أفلتَ منهم : [من الخفيف]

صوت

إنَّ جنبي عـلى الفراش لنـابِ كتجافي الأَسَرِّ فـوق الظِّرابِ
مـن حديثٍ نَمى إليّ فما أَطْـ ـعَمُ غُمْضاً ولا أَسِيغُ شرابي
لِشُرَحْبِيـلَ إذ تعـاوَرَه الأر مـاحُ في حالِ شدَّة وشبابِ
فارس يطعَنُ الكُماةَ جـريء تحتـه قـارِحٌ كلونِ الغرابِ[2]

عروضه من الخفيف . الأَسَرّ : البعيرُ الذي يكون به السَّرَرُ ، وهي قرحةٌ تخرج في كِرْكِرَتِه ، لا يقدرُ أن يَبْرَك إلاّ على موضعٍ مُسْتوٍ من الأرض ، والظرابُ : النشوزُ والجبال الصغار ، واحدها ظِربٌ . والشعرُ لِغَلْفاءَ ، وهو معديكربُ بنُ الحارث بن عمرو بن حُجْر آكلِ المُرار الكِنديّ يرثي أخاه شُرَحبِيل قتيلَ يوم الكُلاب الأول ، والغناء للغريض ثقيل أوّلُ بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق ويونس وعمرو .

1 ويه : إغراء وتحريض .
2 القارح : الفرس إذا استتم السنة الخامسة ودخل في السادسة .

220 ـ [قصة يوم الكُلاب الأول]

وكان السببُ في مقتله وقصّة يوم الكُلاب فيما أخبرنا به محمد بن العبّاس اليزيديّ وعليُّ بن سليمان الأخفشُ قالا حدَّثنا أبو سعيد السكريُّ قال أخبرنا محمد بن حبيبٍ عن أبي عبيدة قال أخبرني إبراهيم بن سَعدان عن أبيه عن أبي عبيدة قال أخبرني دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان من حديث الكُلاب الأوّل أن قُباد ملك فارسَ لَمّا ملك كان ضعيف المُلْك ، فوثبت ربيعةُ على المنذر الأكبر بن ماء السماء ، وهو ذو القرنين بن النُّعمان بن الشُّقَيِّقة ، فأخرجوه ؛ وإنما سُمِّي ذا القرنين لأنّه كانت له ذُؤابتان ، فخرج هارباً منهم حتى مات في إيادٍ ، وترك ابنه المنذرَ الأصغر فيهم ، وكان أذكى ولدِه ، فانطلقت ربيعة إلى كِندة ، فجاءوا بالحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرار ، فملّكوه على بكر بنِ وائل ، وحشدوا له ، فقاتلوا معه ، فظَهَر على ما كانت العربُ تسكُنُ مِنْ أرض العراق ، وأبى قباذُ أن يُمِدَّ المنذرَ بجيش . فلمّا رأى ذلك المنذِرُ كتب إلى الحارث بن عمرٍو : إنّي في غير قومي ، وأنت أحقّ مَنْ ضَمَّني ، وأنا مُتَحَوِّلٌ إليك ؛ فحوّله إليه وزوَّجه ابنته هنداً . ففرّق الحارث بنيه في قبائل العرب ، فصار شُرَحبيلُ بن الحارث في بني بكر بن وائل وحنظلة بن مالك وبني أسيّد ، وطوائف من بني عمرو بن تميمٍ والرِّبابِ ، وصار معدِيكربُ بن الحارث ، وهو غَلْفاء ، في قيس ، وصار سَلَمة بن الحارث في بني تغلب والنَّمِر بن قاسطٍ وسعد بن زيد مناة . فلمّا هلك الحارثُ تشتّت أمر بنيه ، وتفرّقت كلمتهم ، ومشت الرجالُ بينهم ، وكانت المغاورةُ بين الأحياء الذين معهم ، وتفاقم الأمر حتى جمع كلّ واحد منهم لصاحبه الجموع ؛ فسار شُرَحبيل ومَنْ معه من بني تميم والقبائل ، فنزلوا الكُلاب ، وهو فيما بين الكوفة والبصرة على سبع ليالٍ من اليمامة ، وأقبل سلمة بن الحارث في تَغْلِبَ والنَّمِرِ ومَن معه ، وفي الصنائع ، وهم الذين يقال لهم بنو رقيَّة ، وهي أُمٌّ لهم ينتسبون إليها ، وكانوا يكونون مع الملوك ، يريدون الكُلاب . وكان نصحاء شُرَحبيل وسَلَمة قد نَهَوهما عن الحرب والفساد والتحاسد ، وحذّروهما عَثَرات الحرب وسوء مغبّتها ، فلم يقبلا ولم يبرحا ، وأبيا[1] إلاّ التتابعُ واللجاجة في أمرهم ، فقال امرؤ القيس بنُ حُجْر في ذلك : [من السريع]

أنّى عليّ استتبَّ لومُكما ... ولَم تلوما عَمْراً ولا عُصُما
كَلاَّ يمين الإله يجمعنا ... شيء وأخوالَنا بني جُشَما
حتى تزور السباعُ ملحمةً ... كأنّها من ثمودَ أوْ إرَما

1 ل : وأقاما على .

وكان أوّلَ من ورد الكُلابَ من جمع سلمةَ سفيان بن مُجاشع بن دارم ، وكان نازلاً في بني تَغْلب مع إخوته لأمّه ، فقتلت بكرُ بنُ وائلٍ بنين له ، فيهم مُرّةُ بنُ سفيان ، قتله سالم بن كعب بن عمرو بن أبي ربيعةَ بن ذُهْل بن شيبان ؛ فقال سفيان وهو يرتجز : [من مجزوء الرجز]

الشيـــخُ شيخٌ ثَكـــلانْ والجوفُ جوفٌ حَرّانْ
والـــوِردُ وِردٌ عجـلانْ أَنْعى مُـــرّةَ بـنَ سُفْيانْ

وفي ذلك يقول الفرزدق : [من الوافر]

شيوخٌ منهُمُ عُدُسُ بنُ زيد وسفيانُ الذي ورد الكُلابا

وأوّل مَن ورد الماء من بني تغلب رجلٌ من بني عبدِ بن جُشَمَ يقال له النُّعمان بن قُرَيع بن حارثة بن معاوية بن عبد بن جشم ، وعبدُ يغوث بن دَوْسٍ ، وهو عمّ الأخطل ـ دوسٌ والفَدَوْكَسُ أخوان ـ على فرس له يقال له الحَرُون ، وبه كان يعرف ثم ورد سلمةُ ، ببني تغلب وسعد وجماعة الناس ، وعلى بني تغلب يومئذٍ السفاح ، واسمه سلمة بن خالد بن كعب بن زُهَير بن تيم بن أُسامة بن مالك بن بكر بن حبيب ، وهو يقول : [من الرجز]

إنّ الكُلاب ماؤنا فَخَلُّوه وساجراً والله لَن تَحُلُّوهُ[1]

فاقتتل القوم قتالاً شديداً ، وثَبَتَ بعضُهم لبعض ؛ حتى إذا كان في آخر النّهار من ذلك اليوم خَذَلَتْ بنو حنظلة وعمرُو بن تميم والرِّبابُ بكرَ بنَ وائل ، وانصرفت بنو سعد وألفافُها عن بني تغلب ، وصبر ابنا وائلٍ : بكرٌ وتغلبُ ليس معهم غيرُهُم ، حتى إذا غشيهم الليل نادى مُنادي سلمةَ : مَنْ أتى برأس شرحبيلَ فله مائة من الإبل ، وكان شُرَحْبيل نازلاً في بني حنظلةَ وعمرو بن تميم ، ففَرُّوا عنه ، وعَرَفَ مكانه أبو حَنَش ، وهو عُصْمُ بنُ النُّعمان بن مالكِ بن غياثِ بن سعدِ بن زهيرِ بن جُشَم بن بكر بن حبيب ، فَصَمَدَ نحوه ، فلمّا انتهى إليه رآه جالساً وطوائفُ الناس يقاتلون حوله ، فطعنه بالرمح ، ثم نزل إليه فاحتزّ رأسه وألقاه إليه . ويقال إنّ بني حنظلة وبني عمرو بن تميم والرِّباب لمّا انهزموا خرج معهم شُرَحبيلُ ، فلحِقه ذو السُّنَيْنَة ـ واسمه حبيب بن عُتيبة بن حبيب بن بعج بن عتبة بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر وكانت له سنٌّ زائدةٌ ـ فالتفت شرحبيل فضرب ذا السنينة على رُكْبته ، فأطنّ[2] رجلَه ، وكان ذو السنينة أخا أبي حَنَشٍ لأمّه ، أُمُّهُما سَلْمى بنتُ عدِيّ بن ربيعة بنتُ أخي كليبٍ ومهلهلٍ ، فقال ذو السنينة : قتلني الرجل ! فقال أبو حنش : قتلني الله إنْ لم أقتلْه ، فَحَمَلَ عليه ، فلمّا غَشِيَه قال : يا أبا حنش ،

1 ساجر : موضع بين ديار غطفان وديار بني تميم .
2 أطنّ رجله : قطعها .

أَملِكاً بسوقة ؟ قال : إنّه قد كان مَلِكي ، فطعنه أبو حنش ، فأصاب رادفة[1] السّرج ، فورَّعَت[2] عنه ، ثم تناوله فألقاه عن فرسه ، ونزل إليه فاحتزّ رأسه ، فبعث به إلى سلمة مع ابنٍ عمٍّ له يقال له أبو أجأ بنُ كعب بن مالك بن غيّاث ، فألقاه بين يديه ؛ فقال له سلمة : لو كنت ألقيته إلقاء رفيقاً ؛ فقال : ما صَنَع بي وهو حيٌّ أشدُّ من هذا ، وعرف أبو أجأ الندامةَ في وجهه والجزَع على أخيه ، فهرب وهرب أبو حنَش فتنحّى عنه ، فقال معدِيكربُ أخو شرحبيل ، وكان صاحب سلامة معتزلاً عن جميع هذه الحروب : [من الوافر]

ألا أبلغْ أبا حنشٍ رسولاً ... فما لك لا تجيءُ إلى الثوابِ !
تعلّمْ أنّ خيرَ الناس طُرّاً ... قتيلٌ بين أحجار الكُلابِ
تداعت حوله جُشَمُ بن بكر ... وأسلمه جعاسيسُ الرِّبابِ[3]
قتيلٌ ما قتيلُك يا ابن سَلْمى ... تضرُّ به صديقك أو تُحابي

فقال أبو حَنَش مجيباً له : [من الوافر]

أحاذر أن أجيئكُمُ فتَحْبُو ... حِباءَ أبيك يوم صُنَيْبِعاتِ[4]
فكانت غدرةً شنعاء تهفو ... تَقَلَّدها أبوك إلى المَماتِ

ويقال : إنّ الشعر الأوّل لسلمةَ بن الحارث : وقال معديكرب المعروف بغَلْفاءَ يرثي أخاه شَرحبِيل بن الحارث : [من الخفيف]

إنّ جنبي عن الفراش لنابي ... كتجافي الأَسَرِّ فوق الظِّرابِ
من حديثٍ نَمى إليّ فلا تر ... قَأْ عيني ولا أسِيغُ شرابي
مُرَّةٌ كالذُّعاف أكتُمها النا ... سَ على حَرِّ مَلَّةٍ كالشِّهابِ[5]
من شَرحبيلَ إذ تَعاوَرُه الأر ... ماحُ في حال لذّة وشبابِ
يا ابن أُمّي ولو شهِدتُك إذ تد ... عو تميماً ، وأنت غيرُ مجابِ
لتركتُ الحسام تجري ظُباه ... من دماء الأعداء يوم الكُلابِ

1 رادفة السرج : مؤخرته .
2 ورّعت عنه : منعت .
3 جعاسيس : جمع جعسوس وهو القصير الدميم .
4 صنيبعات : موضع أو ماء .
5 الملّة : الرماد الحار .

ثم طاعنتُ من ورائك حتى تبلـغَ الرَّحْبَ أو تُبَزَّ ثيابي[1]
يـوم ثارت بنو تميـم وولَّت خيلُهـم يتَّقِـين بالأذْنابِ
ويْحَكم يـا بنـي أُسَيِّدَ إنِّي ويحكم ربُّكُـم وربُّ الرِّبابِ
أين معطِيكمُ الجزيـلَ وحابيـ ـكم على الفقر بالمئين الكُبابِ[2]
فارس يضـرِب الكتيبةَ بالسيـ ـف على نحره كَنَضْحِ المَلابِ[3]
فارسٌ يطعُـنُ الكماة جريء تحته قـارحٌ كلـون الغرابِ

قال : ولّما قُتِل شرحبيلُ قامت بنو سعدِ بن زيد مناةَ بن تميم دون عِياله ، فمنعوهم وحالوا بين الناس وبينهم ، ودفعوا عنهم حتى أَلحقوهم بقومهم ومأمنهم . ولِيَ ذلك منهم عوفُ بنُ شَجْنَةَ بنِ الحارث بن عُطاردِ بن عوف بن سعد بن كعبٍ ، وحشد له فيه رهطُهُ ونهضوا معه ، فأثنى عليهم في ذلك امرؤ القيس بن حُجْرٍ ، ومدحهم به في شعره فقال : [من الطويل]

ألا إنّ قومـاً كنتُمُ أمسِ دونهم هم استنقذوا جاراتكم آلَ غُدْرانِ
عُوَيْـرٌ ومَـن مثلُ العوير ورهطِه وأسعدَ في يـوم الهَزاهِز صَفْوانِ[4]

وهي قصيدة معروفة طويلة : [من الطويل]

صوت

وعينُ الرّضا عن كلِّ عيب كليلةٌ ولكنّ عينَ السخط تُبدي المساويا
وأنت أخي مـا لم تكن لي حاجة فإن عرضَتْ أيقنتُ أن لا أخا لِيا

الشعرُ لعبد الله بن معاوية بنِ عبد الله الجعفريّ ، يقوله للحسين بن عبدِ الله بنِ عبيد الله بن العبّاس ؛ هكذا ذكر مصعبٌ الزُّبيريّ . وذكر مؤرِّج فيما أخبرنا به اليزيديّ عن عمّه أبي جعفر عن مُؤرِّج ، وهو الصحيح ، أنّ عبد الله بن معاوية قال هذا الشعر في صديقٍ له يقال له قُصَيّ بن ذَكْوان ، وكان قد عتب عليه . وأوّل الشعر : [من الطويل]

رأيت قُصَيّاً كان شيئاً مُلفَّفاً فكشَّفَه التمحيصُ حتّى بدا لِيا
فلا زاد مـا بيني وبينك بعدما بلوتُكَ في الحاجاتِ إلاّ تنائيا

والغناء لبنان بن عمرون رملٌ بالوسطى . وفيه الثقيلُ الأوّل لعَريبَ من رواية أبي العَنْبس وغيره .

---

1 تبز ثيابي : أي تنزع عنّي بموتي .
2 الكباب : الكثير الإبل ، وفي ل : اللّباب .
3 الملاب : ضرب من الطيب أو الزعفران .
4 أسعد : أعان . الهزاهز : الفتن يهتزّ فيها النّاس .

[221] ـ خبر عبد الله بن معاوية ونسبه

[نسبه]

هو عبدُ الله بنُ معاوية بنِ عبد الله بنِ جعفرِ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف . وأُمُّ عبدِ الله بن جعفر وسائرِ بني جعفر أسماءُ بنتُ عُمَيْسِ بن مَعْد[1] بن تميم بن مالك بن قُحافة بن عامر بن ربيعةَ بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن بشر بن وهب الله بن شَهْران بن عِفْرِس بن أُفْتَل ، وهو خُماعة بن خَثْعَم بن أنمار . وأمُّها هند بنتُ عوفٍ ، امرأةُ من جُرَش . هذه الجُرَشيَّة أكرمُ الناس أحماء ؛ أحماؤها : رسول الله ﷺ وعليٌّ وجعفرٌ وحمزةُ والعبّاسُ وأبو بكر رضي الله تعالى عنهم . وإنّما صار رسولُ الله ﷺ من أحْمائها أنّه كان لها أربعُ بناتٍ : ميمونةُ زوجةُ رسول الله ﷺ ، وأُمُّ الفضل زوجةُ العبّاس وأُمّ بنته ، وسَلْمى زوجة حمزةَ بن عبد المطّلب ، بناتُ الحارث ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْس أختُهُنَّ لأُمّهنّ ؛ كانت عند جعفرِ بن أبي طالب ، ثم خلَف عليها أبو بكر رضي الله تعالى عنه ثم خلف عليها عليُّ بن أبي طالب عليه السلام . وولدت من جميعهم . وهنّ اللواتي قال رسول الله ﷺ لهنّ : «إنّهنّ مؤمِناتٌ» .

حدَّثني بذلك أحمدُ بن محمد بن سعيد قال حدَّثني يحيى بن الحسين العلويُّ قال حدَّثنا هارونُ بن محمد بن موسى الفرويُّ قال : حدَّثنا داودُ بنُ عبد الله قال : حدَّثني عبد العزيز الدَّراوَرْدِي عن إبراهيم بن عُقبة عن كُرَيْب عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «الأخوات المؤمِناتُ : ميمونة ، وأُمُّ الفضل ، وسَلْمى ، وأسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ أختُهُنَّ لأُمّهنّ» .

حدَّثني أحمد قال حدَّثني يحيى قال حدَّثنا الحسن بن عليّ قال حدَّثني عبد الرزّاق قال أخبرني يحيى بنُ العَلاء البَجَليُّ عن عمّه شعيبِ بن خالدٍ عن حنظلة بن سَمُرة بن المسيَّب عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاس قال : دخل النبيّ ﷺ على فاطمة وعليٍّ ، عليهما السلام ـ ليلةَ بَنى بها ـ فأبصر خيالاً من وراء السّتر ؛ فقال : «من هذا ؟» فقالت : أسماءُ ؛ قال : «بنتُ عميس» ؟ قالت : نعم ، أنا التي أحْرُس بنتَكَ يا رسول الله ؛ فإنّ الفتاة ليلة بنائها لا بدّ لها من امرأة تكون قريباً منها ، إن عَرَضَتْ لها حاجةٌ أفضت بذلك إليها ؛ فقال رسول الله ﷺ : «فإنّي أسأل إلهي أن يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شِمالك مِنَ الشيطان» .

---

1 ل : معقل .

[طائفة من أخبار عبد الله بن جعفر]

وقد أدرك عبدُ الله بنُ جعفرٍ رحِمه الله رسول الله ﷺ وروى عنه .

[ما روى عن رسول الله]

فمِمَّا رَوى عنه ما حدَّثنيه حامدُ بن محمد بن شعيب البَلْخيُّ وأحمدُ بن محمد بن الجَعْد قالا حدَّثنا محمد بن بكّار قال حدَّثني إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر قال : رأيت النبيّ ﷺ يأكل البِطِّيخ بالرُّطَبِ .

[رآه النبيّ يلعب فداعبه]

حدَّثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثنا يحيى بن الحسن قال حدَّثنا سلمة بن شبيب قال حدَّثنا عبد الرزّاق قال أخبرني ابن يحيى وعثمان بن أبي سليمان قالا : مرّ النبيّ ﷺ بعبد اللهِ بنِ جعفرٍ وهو يصنع شيئاً من طين من لُعَبِ الصبيان فقال : «ما تصنعُ بهذا» ؟ قال : أبيعه ، قال : «ما تصنعُ بثمنه» ؟ قال : أشتري به رُطَباً فآكُلُه ؛ فقال النبيّ ﷺ : «اللهمّ بارك له في صَفْقَةِ يَمينه» . فكان يقال : ما اشترى شيئاً قطّ إلاّ ربح فيه .

[تعرّض له الحزين بالعقيق وطلب منه ثيابا]

أخبرني الحِرْميُّ بن أبي العلاء والطُّوسيُّ قالا حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدَّثني عمّي مصعب عن جديّ عبد الله بن مصعب : أنّ الحزين قُمِر[1] في العقيق في غداةٍ باردةٍ ثيابه ، فمرّ به عبدُ الله ابن جعفر وعليه مُقَطَّعاتُ خَزٍّ ؛ فاستعار الحزينُ من رجل ثوباً ، ثم قام إليه فقال : [من المتقارب]

أقــولُ لــه حــين واجهتهُ عليــك السلام أبا جعفرِ

فقال : وعليك السلام ؛ فقال : [من المتقارب]

فأنت المهذّبُ مــن غالبٍ وفي البيتِ منها الذي تُذْكَرُ

فقال : كذبتَ يا عَدوّ الله ؛ ذاك رسول الله ﷺ ، فقال : [من المتقارب]

فهذي ثيابــيَ قــد أخلَقَتْ وقــد عضَّني زمــنٌ منكرُ

قال : هاكَ ثيابي ، فأعطاه ثيابَه .

قال الزُّبير قال عمّي : أما البيتُ الثاني فحدَّثنيه عمّي عن الفضل بن الرّبيع عن أبي ، وما بقي فأنا سمِعته من أبي .

[تعرّض له أعرابيّ هو على سفر فأعطاه راحلة بما عليها]

حدَّثنا أحمدُ بن محمد بن سعيدٍ قال أخبرنا يحيى بن الحسن قال : بلغني أنّ أعرابيّاً وقف

---

1 قُمر : غلب في القمار .

على مروان بنِ عبد الحكم أيّامَ الموسم بالمدينة فسأله ، فقال : يا أعرابيُّ ، ما عندنا ما نِصلُك ؛ ولكن عليك بابن جعفر . فأتى الأعرابيُّ باب عبدِ الله بن جعفر فإذا ثَقَلُهُ[1] قد سار نحوَ مكّة ، وراحلتُه بالباب عليها متاعُها وسيفٌ معلَّق ، فخرج عبد الله من داره وأنشأ الأعرابيّ يقول : [من الطويل]

أبو جعفرٍ من أهلِ بيت نبوّة ... صلاتُهُم للمسلمين طَهورُ
أبا جعفر إن الحجيجَ ترَّحلوا ... وليس لرحلي فاعلمنَّ بعيرُ
أبا جعفر ضنّ الأميرُ بمالِهِ ... وأنت على ما في يديك أميرُ
وأنت امرؤٌ من هاشم في صميمها ... إليكَ يصيرُ المجدُ حيث تصيرُ

فقال : يا أعرابيّ ، سار الثَّقلُ فدونك الراحلةَ بما عليها ، وإيّاك أن تُخْدَعَ عن السَّيْفِ فإنّي أخذتُه بألف دينار . فأنشأ الأعرابيّ يقول : [من الطويل]

حبانِيَ عبدُ الله ، نفسي فِداؤهُ ... بأعيسَ مَوّارٍ سِباطٍ مَشافِرُهْ[2]
وأبيضَ من ماء الحديدِ كأنّه ... شِهاب بدا والليلُ داجٍ عساكِرُهْ[3]
وكل امرىء يرجو نوال ابن جعفر ... سيجري له باليُمْنِ والبشرِ طائرُهْ
فيا خيرَ خلق الله نفساً ووالداً ... وأكرَمَه للجارِ حينَ يجاورهْ
سأثْني بما أوليتني يا ابن جعفر ... وما شاكرٌ عُرْفاً كمَن هو كافِرهْ

[ذكر له شاعر أنّه كساه في المنام ، فكساه جبّة وشي]

وحدَّثني أحمد بن يحيى عن رجلٍ قال حدَّثني شيخٌ من بني تميم بخراسان قال : جاء شاعرٌ إلى عبد الله بن جعفر فأنشده : [من المتقارب]

رأيت أبا جعفر في المنامِ ... كساني من الخَزِّ دُرَّاعَهْ[4]
شكوتُ إلى صاحبي أمرها ... فقال ستؤتى بها الساعَهْ
سيكسُوكَها الماجِدُ الجعفريّ ... ومَن كفُّه الدَّهرَ نفَّاعَهْ
ومَن قال للجودِ لا تَعْدُني ... فقال لك السمع والطاعَهْ

فقال عبدُ الله لغلامه : ادفع إليه دُرّاعتي الخزّ ثم قال له : كيف لو ترى جبّتي المنسوجة

---

1 الثَّقَل : المتاع والحشم .
2 أعيس : واحد العيس ، المَوّار : النشيط في سيره .
3 عسكر الليل : ظلمته .
4 الدرّاعة : جبّة مشقوقة المقدّم .

بالذهب التي اشتريتها بثلثمائة دينارٍ ! فقال له الشاعر : بأبي دعني أغْفى إغفاءةً أُخرى فلعلّي أرى هذه الجبّة في المناك ، فضحك منه وقال : يا غلام ادفع إليه جبّتي الوشي .

[اعترض ابن دأب على شعر الشمّاخ في مدحه بأنّه دون شعره في عرابة]

حدَّثنا أحمد قال قال يحيى قال ابن دَأبٍ : وسمع قولَ الشمّاخ بنِ ضِرارٍ الثعلبيِّ في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رحمه الله : [من الرجز]

إنّك يا ابن جعفرٍ نعم الفتى ونعم مـأوى طـارقٍ إذا أتى
وجار ضيفٍ طرق الحيَّ سُرى صادَفَ زاداً وحديثـاً يُشْتَهى
إنّ الحديث طَرَفٌ من القِرى

فقـال ابن دأب : العجب للشمّاخ يقـول مثل هذا القول لابن جعفر ويقول لعرابة الأوسيّ : [من الوافر]

إذا مـا رايـةٌ رُفعت لمجد تلقَّاهـا عَرابـةُ باليمينِ

عبد الله بنُ جعفر كان أحقَّ بهذا من عرابة .

[جوده على أهلِ المدينة]

قال يحيى بن الحسن وكان عبد الله بنُ الحسن يقول : كان أهلُ المدينة يَدّانُون بعضُهم من بعض إلى أن يأتي عطاءُ عبد الله بن جعفر .

[جوده على رجلٍ جلب إلى المدينة سكّراً كسد عليه]

أخبرني أحمد قال حدَّثني يحيى قال : حدَّثني أبو عبيد قال حدَّثني يزيدُ بنُ هارونَ عن هشام عن ابن سِيرين قال : جلَبَ رجلٌ إلى المدينة سُكَّراً فَكَسَدَ عليه فقيل له : لو أتيت ابنَ جعفر قبله منك وأعطاك الثَّمن ، فأتى ابنَ جعفرٍ فأخبره ، فأمره بإحضاره وبُسِطَ له ، ثم أمَرَ به فنُثِر ، فقال : للناس انتهبوا ، فلمّا رأى الناسَ ينتهبون قال : جُعِلتُ فداءَك ! آخذ معهم ؟ قال : نعم ، فجعل الرجل يَهِيلُ في غرائره ، ثم قال لعبد الله : أعطني الثمنَ فقال : وكم ثمنُ سكّرك ؟ قال : أربعة آلافِ درهم ، فأمر له بها .

أخبرنا أحمدُ قال حدَّثني يحيى بنُ عليّ ، وحدَّثني ابن عبد العزيز قال حدَّثنا أبو محمد الباهليُّ حسنُ بنُ سعيد عن الأصمعيِّ نحوه وزاد فيه ، قال : فقال الرجل : ما يدري هذا وما يعقِلُ أخذَ أم أعطى ! لأطلبَنَّهُ بالثمن ثانية ، فغدا عليه فقال : ثمنُ سكّري ، فأطرق عبدُ الله مليّاً ثم قال : يا غلامُ ، أعطِه أربعةَ آلاف درهم ؛ فأعطاه إيّاها ، فقال الرجل : قد قلتُ لكم : إنّ هذا الرجلَ لا يعقل : أخذ أم أعطى ! لأطلبنّه بالثمن . فغدا عليه فقال : أصلحك الله ! ثمنُ سكّري ، فأطرق عبدُ الله مليّاً ، ثم رفع رأسه إلى رجل ، فقال : ادفع

إليه أربعة آلاف درهم . فلمّا وُلّي ليقبِضها قال له ابن جعفر : يا أعرابيّ ، هذه تمام اثنيْ عشرَ ألفَ درهم ، فانصرف الرجل وهو يعجب من فعله .

[باعه رجل جملاً وأخذ ثمنه مراراً فمدحه]

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ عن دَماذ عن أبي عبيدة : أنّ أعرابيّاً باع راحلةً من عبدِ الله بن جعفر ، ثم غدا عليه فاقتضى ثمنها ، فأمر له به ، ثم عاوده ثلاثاً ، وذكر في الخبر مثلَ الذي قبله وزاد فيه : فقال فيه : [من البسيط]

لا خير في المُجْتَدى في الحينِ تسألُهُ ... فاستمطِروا من قريش خيرَ مُخْتَدعِ[1]

تخـــال فيـــه إذا حاورتـــه بَلَهاً ... من جودِهِ وهْوَ وافي العقلِ والورعِ

وهذا الشعر يروى لابن قيسِ الرُّقَيّات .

[وفاته عام الجحاف]

أخبرني الحِرْميُّ بنُ أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني مصعبُ بنُ عثمان قال : لمّا ولِي عبد الملك الخلافة جفا عبدَ الله بنَ جعفر ، فراح يوماً إلى الجمعة وهو يقول : اللهمَّ إنّك عوّدتني عادةً جريتُ عليها ، فإن كان ذلك قد انقضى فاقبِضني إليك ، فتُوفِّي في الجمعة الأُخرى . قال يحيى : تُوفِّي عبد الله وهو ابنُ سبعين سنة في سنة ثمانين وهو عامُ الجُحاف لسيلٍ كان بمكّة جَحَفَ الحاجَّ فذهب بالإبل عليها الحُمولةُ ، وكان الوالي على المدينة يومئذٍ أبانُ بنُ عثمان في خلافة عبدِ الملك بنِ مروان ، وهو الذي صلّى عليه .

[وقف عمرو بن عثمان على قبره ورثاه]

حدَّثني أحمد بن محمد قال أخبرنا يحيى قال حدَّثنا الحسينُ بن محمد قال أخبرني محمدُ بنُ مُكْرَمٍ قال أخبرني أحمدُ بنُ إبراهيم بنِ إسماعيلَ بنِ داودَ قال أخبرني الأصمعيّ عن الجعفريّ قال : لمّا مات عبدُ الله بنُ جعفر شهده أهل المدينة كلُّهم ، وإنّما كان عبدُ الله بنُ جعفر مأوى المساكينِ وملجأَ الضعفاء ، فما تنظر إلى ذي حِجاً إلاّ رأيته مُسْتَعبِراً قد أظهر الهلعَ والجزعَ ، فلمّا فرغوا من دفنه قام عمرو بن عثمان فوقف على شَفِير القبر فقال : رحمك الله يا ابنَ جعفر ؛ إن كنتَ لِرَحمك لواصلاً ، ولأهلِ الشرِّ لمبغضا ، ولأهل الرّيبة لقاليا ، ولقد كنتَ فيما بيني وبينك كما قال الأعشى : [من الطويل]

رعيتَ الذي كان بيني وبينكم ... من الـوُدِّ حتّى غيّبتْك المقابِرُ

---

1 المجتدى : الذي تطلب جدواه أي عطيته .

فرحِمك الله ؛ يوم ولِدتَ ويوم كنتَ رجلاً ويوم متَّ ويوم تُبعثُ حيّاً ؛ والله لئن كانت هاشمٌ أُصيبَتْ بك لقد عمّ قريشاً كلَّها هُلْكُك ، فما أظنُّ أن يُرى بعدك مثلُك .

[ووقف عمرو بن سعيد على قبره ورثاه]

فقام عمرُو بنُ سعيد بن العاص الأشدقُ فقال : لا إله إلاّ الله الذي يرث الأرضَ ومَنْ عليها وإليه تُرْجعون ، ما كان أحلى العيشَ بِك يا ابن جعفر ! وما أسْمَجَ ما أصْبَحَ بعدك ! والله لو كانت عيني دامعةً على أحد لدمَعتْ عليك ، كان والله حديثُك غيرَ مشوبٍ بكَذِبٍ ، وَوُدُّك غيرَ ممزوج بكدرٍ .

[نازع أحد ولد المغيرة عمرو بن سعيد على مدحه له فذمّه وأسكته]

فوثب ابنٌ للمُغيرة بنِ نوفلٍ ، ولم يُثبِت الأصمعيُّ اسمه ، فقال : يا عَمْرو ، بِمن تعرِّض بمزج الودّ وشَوْب الحديثِ ؟ أفبابْنَيْ فاطمةَ ؟ فهما والله خيرٌ منك ومنه ، فقال : على رِسْلِكَ يا لُكَع[1] ! أردتَ أن أُدخِلَكَ معهم ؟ هيهات لستَ هُناكَ ، والله لو متَّ أنتَ ومات أبوك ما مُدِحتَ ولا ذُمْتَ ، فتكلّم بما شئتَ فلن تجد لك مجيباً .

[شعر ابن قيس الرقيات في علّته التي مات فيها]

فما هو إلاّ أن سمعهما الناسُ يتكلّمان حتى حجزوا بينهما وانصرفوا . قال يحيى : وقال عبدُ الله بن قيس الرُّقيّات في علّة عبدِ الله بنِ جعفر التي مات فيها : [من الخفيف]

باتَ قلبي تَشُفُّه الأوجاع ... من همومٍ تُجِنُّها الأضلاعُ[2]

من حديث سمعتُه مَنَعَ النو ... مَ فقلبي ممّا سمعتُ يُراعُ

إذ أتانا بِما كرِهْنا أبو اللَّسْـ ... ـلاسِ ، كانت بنفسه الأوجاعُ

قال ما قال ثم راح سريعاً ... أدركتْ نفسَه المنايا السِّراعُ

قال يشكو الصُّداعَ وهو ثقيلٌ ... بك لا بالذي عَنَيتَ الصُّداعُ

ابنَ أسماءَ لا أبا لَكَ تَنْعى ... أنّه غيرُ هالكٍ نفّاعُ

هاشميّاً بكفِّه من سِجال الـ ... ـمجدِ سَجْلٌ يهون فيه القُباعُ[3]

نشر الناسُ كلَّ ذلك منه ... شيمة المجد ليس فيه خِداعُ

---

1 اللكع : اللئيم والأحمق .

2 شفّه الحزن : لذعه وأحرقه . أجنّه : ستره .

3 السجل : الدلو العظيمة مملوءة . والقباع : مِكيال ضخم واسع .

لم أجِـد بعدك الأخِلاَّءَ إلاّ كثِمادٍ بـه قَـذًى أو نِقاعُ[1]
بيتُه مـن بيوت عبدِ منافٍ مـدّ أطنابَـهُ المكانُ اليَفاعُ[2]
منتهى الحمـدِ والنبوّة والمجـ ـدِ إذا قصّر اللئام الوِضاعُ[3]
فستأتيك مِدحـةٌ مـن كريم ناله مـن نَدى سِجالِك باعُ

من هذا الشعر الذي قاله ابن قيسٍ في عبد الله بن جعفر بيتان يغنّى فيهما ، وهما : [من الخفيف]

صوت

قـد أتانـا بما كرِهنا أبو اللَّسـ ـلاس كانت بنفسه الأوجاعُ
قال يشكو الصداع وهو ثقيل بك لا بالذي ذكرتَ الصُّداعُ

غنَّاه عمرُو بنُ بانةَ خفيف ثقيل ، الأوّل بالوسطى على مذهب إسحاق . ويقال إنّ عمرو بن بانة صاغ هذا اللحنَ في هذا الشعر وغنّى به الواثقَ بعقب علّة نالتْه وصُداعٍ تشكّاه ؛ قال : فاستحسنه وأمر له بعشرة آلاف درهم . وأُمُّ معاوية بن عبد الله بن جعفر أُمُّ ولد . وكان من رجالات قريش ، ولم يكن في ولد عبد الله مثلُه .

[بشّروه وهو عند معاوية بولد فسمّاه باسمه]

حدَّثنا محمد بنُ العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا أحمدُ بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي عبد الرحمن القرشيّ : أنّ معاوية بن عبدِ الله بنَ جعفرُ وُلِدَ وأبوه عبد الله عند معاوية ، فأتاه البشير بذلك وعرف معاويةُ الخبرَ فقال : سمِّه معاويةَ ولك مائةُ ألفِ درهم ، ففعل فأعطاه المال ، وأعطاه عبدُ الله للذي بشّره به . قال المدائنيّ : وكان عبد الله بن جعفر لا يؤدّب ولده ، ويقول : إن يُرِدِ الله جلَّ وعزَّ بهم خيراً يتأدّبوا ، فلم ينجِبْ فيهم غير معاوية .

[خبر ابن هرمة مع معاوية بن عبد الله بن جعفر]

أخبرني محمد بنُ خلف وكيعٌ قال حدَّثنا هارونُ بنُ محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدَّثنا حمادُ بنُ إسحاق عن أبيه ، قال هارونُ وحدَّثني محمدُ بنُ عبد الله بن موسى بن خالد بن الزبير بن العوّام قال حدَّثني عمرُو بنُ الحَكَم السَّعيديُّ وإبراهيمُ بن محمد ومحمد بنُ معنِ بنِ عَنْبسةَ قالوا : كان معاوية بن عبد الله بن جعفر قد عوّد ابنَ هَرْمةَ البِرَّ ، فجاءه يوماً وقد ضاقت يدُه وأخذ خمسين ديناراً بدَيْنٍ ، فرفع إليه مع جاريته رقعَةً فيها مديحٌ له يسأله فيه أيضاً بِرّاً ، فقال للجارية :

1 الثماد : الماء القليل لا مادّ له . النقاع : جمع نقع وهو الغبار .
2 اليفاع : ما ارتفع من الأرض .
3 الوضاع : جمع وضيع .

قولي له : أيدِينا ضَيِّقةٌ ، وما عندنا شيءٌ إلاّ شيءٌ أخذناهُ بكُلْفةٍ ، فرجعتْ جاريتُه بذلك ، فأخذ الرقعة فكتب فيها : [من المتقارب]

فإنّـي ومدحَـــك غيرَ المصيـ ـــب كالكلب ينبح ضوءَ القمرْ
مدحتك أرجو لديك الثوابَ فكنتُ كعاصرِ جَنْـبِ الحَجَرْ

وبعث بالرقعة مع الجارية ، فدفعتْها إلى معاوية ، فقال لها : ويحك قد علِم بها أحدٌ ؟ قالت : لا والله إنّما دفعها من يدِه إلى يدي ؛ قال : فخذي هذه الدنانير فادفعيها إليه ، فخرجت بها إليه ، فقال : كلاّ ، أليس زَعَم أنّه لا يدفع إليّ شيئاً ؟

[كان ابنه معاوية صديقاً ليزيد بن معاوية فسمّى ابنه باسمه]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء والطوسيُّ قالا حدَّثنا الزبير قال حدَّثني عمّي مصعب قال : سمّى عبد الله بن جعفر ابنه بمعاوية بن أبي سفيان . قال : وكان معاوية بنُ عبد الله بن جعفر صديقاً ليزيدَ بن معاوية خاصة ، فسمّى ابنه بيزيدَ بن معاوية .

[وصيته لابنه معاوية عند وفاته]

قال الزُّبير : وحدَّثني محمد بن إسحاق بن جعفر عن عمّه محمد : أنّ عبدَ اللهِ بنَ جعفر لمّا حضرته الوفاة دعا ابنه معاوية فنزع شَنْفاً[1] كان في أذنه وأوصى إليه ، وفي ولدِه مَنْ هو أسنُّ منه ، وقال له : إنّي لَم أزل أؤمِّلُك لها . فلمّا تُوفّي احتال بدَيْنِ أبيه وخرج فطلب فيه حتى قضاه ، وقَسَمَ أموالَ أبيه بين ولدِه ، ولم يستأثِر عليهم بدينار ولا درهم ولا غيرهما .

وأُمُّ عبدِ الله بن معاوية أُمُّ عون بنتُ عبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطّلب . ويقال : بنت عيّاش بن ربيعة . وقد روى عبّاسٌ عن النبيّ ﷺ وكان معه يومَ حُنَيْنٍ ، وهو أحد من ثَبَتَ معه يومئذٍ .

[بعض صفات عبد الله بن معاوية]

وكان عبد الله من فتيان بني هاشم وجُوَدائهم وشعرائهم ، ولم يكن محمودَ المذهب في دينه ، وكان يُرْمى بالزندقة ويستولي عليه مَن يُعْرفُ ويُشْهَرُ أمرُه فيها ، وكان قد خرج بالكوفة في آخر أيّام مروانَ بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى نواحي الجبل ثم إلى خراسان ، فأخذه أبو مسلم فقتله هناك .

[مدح ابن هرمة لعبد الله بن جعفر]

ويُكنى عبد الله بن جعفر أبا معاوية ، وله يقول ابن هرمة : [من الخفيف]

1 الشنف : الذي يلبس في أعلى الأذن .

أُحْبُ مدحاً أَبا معاويةَ الما جـدَ لا تلقَـه حَصُوراً عَيِيّا[1]
بل كريماً يرتاح للمجدِ بسّا مـاً إذا هـزّه السّؤال حَيِيّا
إنّ لي عنده وإن رَغِم الأعـ ـداءُ حظّاً مـن نفسه وقَفِيّا

قفيّا : أثرة ، يقول : إن لي عنده لأثرة على غيري ، وقال قوم آخرون : القفيّ : الكرامة .

إن أمت تَبْقَ مِدحتي وإخائي وثنائـي مـن الحيـاة مَلِيّا
يأخذ السبقَ بالتقدّم في الجر ي إذا مـا النَّدى انتحاه علِيّا
ذو وفاءٍ عند العِداتِ وأوصا ه أَبـوه أَلاَّ يـزالَ وفيّا
فَرَعى عقـدةَ الوَصاة فأكرِم بهما مُوصِياً وهـذا وصِيّا
يا ابن أسماءَ فاسقِ دَلوي فقد أو ردتُهـا مَنْهَـلاً يُثـجُّ رَوِيّا

يعني أمّه أسماءَ ، وهي أُمّ عون بنتُ العبّاس بن ربيعةَ بن الحارث بن عبد المطّلب . وأوّلُ هذه القصيدة : [من الخفيف]

عاتِـبِ النّفسَ والفـؤادَ الغَوِيّا في طِلابِ الصِّبا فلستَ صبيّا

قال يحيى بن عليّ فيما أجازه لنا : أخبرني أبو أيّوب المدينيُّ وأخبَرناه وكيعٌ عن هارونَ بن محمد بن عبد الملك عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قالا : مدح ابن هرْمَة عبدَ الله بن جعفر بن أبي طالب فأتاه ، فوجد الناس بعضَهم على بعض على بابه . قال ابن هرمة : ورآني بعض خدمه فعرفني ، فسألته عن الذين رأيتُهُم ببابه فقال : عامّتُهم غُرماءُ له ، فقلت : ذاك شرٌّ . واستوْذِن لي عليه فقلت : لم أعلم واللهِ بهؤلاء الغرماءِ ببابك ، قال : لا عليك أنشِدني . قلت : أعيذُك بالله . واستحييت أن أنشِد ، فأبى إلاّ أن أنشده قصيدتي التي أقول فيها : [من الطويل]

حلَلْتَ محلَّ القلب من آل هاشم فعُشُّك مـأوى بيضِهـا المتفلِّقِ
ولم تـك بالمُعْزى إليهـا نِصابهُ لِصاقـاً ولا ذا المركـب المُتعَلِّقِ
فمن مثلُ عبد الله أو مثـلُ جعفرٍ ومثـل أبيك الأريَحِـيِّ المُرَهَّقِ[2]

فقال : مَن هاهنا من الغرماء ؟ فقيل : فلانٌ وفلان ، فدعا باثنين منهم فسارَّهما وخرجا ، وقال لي : اتْبَعهما . قال : فأعطياني مالاً كثيراً . قال يحيى : ومن مختار مدحه فيه منها قوله : [من الطويل]

فـإلاّ تُواتِ اليـومَ سلمى فربّما شرِبنـا بحوض اللهـو غيرِ المرنَّقِ

1 الحصور : الممسك البخيل الضيق ، والضيق الصدر .
2 المرهق : الكريم الجواد الذي يغشاه الناس .

فدعها فقد أَعْذَرتَ في ذكر وصلها وأجريت فيها شأْوَ غربٍ ومَشْرِقِ[1]
ولكن لعبـد الله فـانطِق بمِدحة تُجيرُك من عُسْر الزمانِ المُطبِّقِ[2]
أخ قلـت للأدْنَـينَ لمّا مدحتُه هَلُمُّوا وساري الليل مِ الآن فاطْرُقِ
شديدُ التأنّي في الأُمورِ مجـرّب متى يَعْرُ أمرُ القوم يَفْرِ ويخلُقِ[3]
ترى الخير يجري في أسرَّة وجهه كما لألأتْ في السيف جريةُ رَوْنقِ
كريم إذا مـا شاء عـدَّ لـه أبا لـه نسبٌ فـوق السِّماك المحلِّقِ
وأُمّـاً لهـا فضلٌ على كلّ حرّة متى ما تسابِق بابنها القوْمَ تَسْبِقِ

وممّا يغنّى فيه من قصيدة ابن هرمة اليائيّة التي مدح بها ابن معاوية قوله : [من الخفيف]

صوت

عجِبتْ جارتي لشيبٍ علاني عمرَكِ اللهَ هـل رأيتِ بَدِيّا[4]
إنّمـا يُعْـذر الوليد ولا يُعـ ـذَر مَن عاش في الزّمان عتيّا

غنّى فيهما فُلَيحٌ رملاً بالبنصرِ من روايةِ عمرْو بن بانةَ ومن روايةِ حبشٍ فيهما لابن محرزٍ خفيف ثقيل بالبنصر .

[خروج عبد الله بن معاوية على بني أمية]

حدَّثنا بالسبب في خروجه أحمد بن عبيد الله بن عمّارٍ قال حدَّثنا عليٌّ بن محمد النوفليُّ عن أبيه وعمّه عيسى ، قال ابن عمّار وأخبرنا أيضاً ببعض خبره أحمد بن أبي خَيْثَمة عن مصعبٍ الزبيريّ ، قال ابن عمّار وأخبرني أحمدُ بنُ الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي اليقظانِ وشِهابِ بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمّار وحدَّثني به سليمان ابن أبي شيخ عمّن ذكره . قال أبو الفرج الأصفهانيّ : ونسخت أنا أيضاً بعض خبره من كتاب محمد بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ وغيره فجمعت معانيَ ما ذكروه في ذلك كراهةَ الإطالة : أنّ عبد الله بنَ معاوية قدِم الكوفة زائراً لعبد الله بن عُمَرَ بن عبد العزيز ومستمِيحاً له ، فتزوّج بالكوفة بنتَ الشرقيّ بن عبـد المُؤمن بن شَبَث بن رِبْعِيٍّ الرياحيّ ، فلمّا وقعت العصبية أخرجه أهلُ الكوفة على بني أُميّة ، وقالوا له : اخرُجْ فأنت أحقُّ بهذا الأمرِ مِن غيرك ، واجتمعت له جماعةٌ ، فلم يشعر به عبد الله بن عمر إلاّ وقد خرج عليه . قال ابن عمّار في خبره : إنّه إنّما خرج في أيّام يزيدَ بن

1 أعذر : بلغ الغاية في العذر ، والشأو : الغاية .
2 طبق الشيء : عمّ .
3 يخلق : يقدّر .
4 البدي : البديء وهو العجيب .

الوليد ، ظهر بالكوفة ودعا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ولبس الصوفَ وأظهرَ سيمى الخير ، فاجتمع إليه وبايعه بعض أهل الكوفة ، ولم يبايعه كُلُّهُمْ وقالوا : ما فينا بَقِيّةٌ ، قد قُتِل جمهورنا مع أهل هذا البيت ، وأشاروا عليه بقصدِ فارس وبلادِ المشرق فقبِل ذلك ، وجمع جموعاً من النواحي ، وخرج معه عبد الله بن العبّاس التميميُّ . قال محمد بن عليّ بن حمزة عن سليمان بن أبي شيخ عن محمد بن الحكم عن عَوانة : إن ابن معاوية قَبْلَ قَصْدِه المشرقَ ظهر بالكوفة ودعا إلى نفسه ، وعلى الكوفة يومئذٍ عاملٌ ليزيد الناقصِ يقال له عبدُ الله بن عمر ، فخرج إلى ظهر الكوفة ، ممّا يلي الحَرَّة ، فقاتل ابن معاوية قتالاً شديداً . قال محمد بن عليّ بن حمزة عن المدائنيّ عن عامر بن حفصٍ ، وأخبرني به ابن عمّار عن أحمد بن الحارث عن المدائنيّ : أنّ ابن عمر هذا دسّ إلى رجل من أصحاب ابن معاوية مَن وعده عنه مواعيدَ على أن ينهزم عنه وينهزم الناس بهزيمته ، فبلغ ذلك ابن معاوية ، فذكره لأصحابه وقال : إذا انهزم ابن حمزة فلا يهُولنكم ، فلمّا التقوا انهزم ابن حمزة وانهزم الناسُ معه فلم يبقَ غير ابن معاوية ، فجعل يقاتل وحده ويقول : [من الوافر]

تفرّقتِ الظبـاءُ على خِداشٍ فما يـدري خداش مـا يصيدُ

ثم ولّى وجهه منهزماً فنجا ، وجعل يجمع من الأطراف والنواحي مَن أجابه ، حتى صار في عدّة ، فغلب على ماهِ الكوفة وماهِ[1] البصرة وهَمَذان وقُمَّ والرَّيّ وقُومَسَ وأصبَهان وفارسَ ، وأقام هو بأصبهان . قال : وكان الذي أخذ له البيعة بفارس محاربُ بن موسى مولى بني يَشْكُر ، فدخل دار الإمارة بنعل ورداء واجتمع الناس إليه ، فأخذهم بالبيعة ؛ فقالوا : علام نبايع ؟ فقال : على ما أحببتم وكرِهتم ، فبايعوا على ذلك .

وكتب عبد الله بن معاوية فيما ذكر محمد بن عليّ بن حمزة عن عبد الله بن محمد بن إسماعيل الجعفريّ عن أبيه عن عبد العزيز بن عِمران عن محمد بن جعفر بن الوليد مولى أبي هريرة ومحرِزِ بن جعفر : أنّ عبد الله بن معاوية كتب إلى الأمصار يدعو إلى نفسه لا إلى الرضا من آل محمد ﷺ ، قال : واستعمل أخاه الحسن على إصْطَخْر ، وأخاه يزيدَ على شِيرازَ ، وأخاه عليّاً على كَرْمان ، وأخاه صالحاً على قُمّ ونواحيها ، وقَصَدَتْهُ بنو هاشم جميعاً منهم السفّاح والمنصور وعيسى بن عليّ . وقال ابن أبي خيثمةَ عن مصعب : وقصده وجوهُ قريش من بني أميّة وغيرهم ، فمِمَّنْ قصده من بني أميّة سليمانُ بن هشام بن عبد الملك وعمرُ بنُ سُهيل بن عبد العزيز بن مروان ، فمَن أراد منهم عملاً قلّده ، ومَن أراد منهم صِلة وصله .

1 يراد بماه البقرة نهاوند ، وبماه الكوفة الدينور .

[وجّه إليه مروان بن محمد جيشاً لمحاربته بقيادة ابن ضبارة]

فلم يزل مقيماً في هذه النواحي التي غَلَب عليها حتى ولِيَ مروانُ بنُ محمد الذي يقال له مروان الحِمار ، فوجّه إليه عامرَ بنَ ضُبارة في عسكر كثيف ، فسار إليه حتى إذا قرب من أصبهان ندب له ابن معاوية أصحابَه وحضّهم على الخروج إليه ، فلم يفعلوا ولا أجابوه ، فخرج على دَهَشٍ هو وإخوته قاصِدين لخراسان ، وقد ظهر أبو مسلم بها ونفى عنها نصر بن سيّار ، فلمّا صار في بعض الطريق نزل على رجل من التُّنّاء[1] ذي مروءة ونعمة وجاهٍ ، فسأله معونته ، فقال له : مَن أنت مِنْ ولد رسول الله ﷺ ؟ أأنت إبراهيم الإمام الذي يُدعى له بخراسان ؟ قال : لا ، قال فلا حاجة لي في نصرتك .

[التجأ إلى أبي مسلم فحبسه]

فخرج إلى أبي مسلم وطمع في نصرته ، فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ، وجعل عليه عيناً يرفع إليه أخباره ، فرفع إليه أنّه يقول : ليس في الأرض أحمقُ منكم يا أهل خُراسان في طاعتكم هذا الرجل وتسليمكم إليه مقاليدَ أموركم من غير أن تراجِعوه في شيء أو تسألوه عنه ، والله ما رضِيت الملائكَةُ الكرام من الله تعالى بهذا حتى راجعته في أمر آدمَ عليه السلام ، فقالت : ﴿أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها ويَسْفكُ الدِّماءَ﴾ . حتى قال لهم : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ﴾ .

[كتابه إلى أبي مسلم وهو في حبسه]

ثم كتب إليه عبد الله بن معاوية رسالته المشهورة التي يقول فيها : «إلى أبي مسلم ، من الأسير في يديه ، بلا ذنب إليه ولا خلاف عليه . أمّا بعد ، فإنّك مستَودع وَدائع ، ومُولي صنائع ؛ وإنّ الودائع مرعِيّةٌ ، وإنّ الصنائع عارِيةٌ ؛ فاذكر القصاص ، واطلب الخلاص ؛ ونبِّه للفكر قلبَك ، واتّقِ الله ربَّك ؛ وآثِر ما يلقاك غداً على ما لا يلقاك أبداً ؛ فإنّك لاقٍ ما أسلفتَ ، وغيرُ لاقٍ ما خلَّفْتَ ؛ وفّقك الله لِما ينجّيك ، وآتاك شُكْرَ ما يُبلِيك»[2] .

[قتله أبو مسلم ووجّه برأسه إلى ابن ضبارة]

قال : فلمّا قرأ كتابه رمى به . ثم قال : قد أفسد علينا أصحابَنا وأهلَ طاعتنا وهو محبوس في أيدينا ، فلو خرج وملك أمرنا لأهلَكَنا ، ثم أمضى تدبيره في قتله . وقال آخرون : بل دَسَّ إليه سمّاً فمات منه ، ووجّه برأسه إلى ابن ضبارة فحمله إلى مروان . فأخبرني عمر بن عبد الله العَتَكيُّ قال : حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا محمد بن يحيى أنّ عبد العزيز بنَ عمران حدَّثه عن عبد الله بن الربيع عن سعيدِ بن عمرو بن جَعْدة بن هُبيرةَ أنّه حضر مروانَ يوم الزّابِ وهو

1 التُّنّاء : جمع تانىء ، وهو الدهقان ؛ زعيم فلاحي العجم ، أو رئيس الإقليم .

2 الإبلاء هنا : الإنعام والإحسان .

يقاتل عبد الله بن عليّ ، فسأل عنه فقيل له : هو الشابُّ المُصْفرُّ الذي كان يسبُّ عبد الله بن معاوية يوم جيء برأسه إليك فقال : والله لقد هممتُ بقتله مراراً ، كلُّ ذلك يُحال بيني وبينه ، ﴿وكان أمرُ الله قَدَراً مقدوراً﴾ .

[كانت الزنادقة من خاصته]

حدَّثني أحمد بن عبد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليُّ عن أبيه عن عمِّه قال : كان عُمارةُ بن حمزة يُرْمى بالزندقة ، فاستكتبه ابنُ معاوية ، وكان له نديمٌ يعرف بمطِيعِ بنِ إياسٍ ، وكان زنديقاً مأبوناً ، وكان له نديمٌ آخر يعرف بالبقليّ وإنّما سمّي بذلك لأنّه كان يقول : الإنسان كالبقلة فإذا مات لم يرجع ، فقتله المنصور لما أفضت الخلافة إليه . فكان هؤلاء الثلاثة خاصَّته ، وكان له صاحبُ شُرطة يقال له قيسٌ ، وكان دُهريّاً[1] لا يؤمن بالله معروفاً بذلك ، فكان يَعُسُّ بالليل فلا يلقاه أحد إلاّ قتله ، فدخل يوماً على ابن معاوية فلمّا رآه قال : [من الخفيف]

إنّ قيساً وإن تقنَّـع شيباً لَخبيثُ الهوى على شمطِهْ[2]
ابنُ تسعين منظراً ومشيباً وابنُ عشرٍ يُعَدّ في سَقَطِهْ

وأقبل على مطِيع فقال : أجِز أنت ، فقال : [من الخفيف]

وله شُرْطَةٌ إذا جنَّـه الليـ ـل فعوذوا بالله من شُرَطِهْ

[قسوته]

قال ابن عمّارٍ : أخبرني أحمد بن الحارث الخرّازُ عن المدائنيّ عن أبي اليَقْظان وشبابِ بن عبد الله وغيرهما ، قال ابن عمّار وحدَّثني به سليمان بن أبي شيخ عمّن ذكره : أنّ ابن معاوية كان يغضب على الرجل فيأمُر بضربه بالسياط وهو يتحدّث ويتغافل عنه حتى يموت تحت السياط ، وأنّه فعل ذلك برجل ، فجعل يستغيثُ فلا يلتفت إليه ، فناداه : يا زنديقُ ، أنتَ الذي تزعم أنّه يُوحى إليك ! فلم يلتفت إليه وضربه حتى مات .

حدَّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثني النوفليّ عن أبيه عن عمِّه عيسى قال : كان ابن معاوية أقسى خلقِ الله قلباً ، فغضِب على غلام له وأنا جالس عنده في غرفة بأصبهان ، فأمر بأن يرمى به منها إلى أسفلَ ، ففُعِل ذلك به فتعلّق بدَرَابَزِين كان على الغرفة ، فأمر بقطع يده التي أمسكه بها ، فقُطِعت ومرَّ الغلامُ يَهوِي حتى بلغ إلى الأرض فمات .

---

1 رجل دهري : ملحد لا يؤمن بالآخرة ، ويقول ببقاء الدهر .

2 الشمط : بياض الرأس يخالط سواده .

[بعض شعره]

وكان مع هذه الأحوال من ظرفاء بني هاشم وشعرائهم ، وهو الذي يقول : [من المتقارب]

ألا تَزَعُ القلبَ عـن جهله وعمّا تُؤَنِّبُ مـن أجلِهِ !
فأُبدِل بعـد الصّبـا حِلْمَه وأَقْصَرَ ذو العَذْلِ عن عذلِهِ
فـلا تركبنّ الصنيعَ الذي تلـوم أخـاك على مثلِهِ
ولا يعجبنّك قولُ امرىء يخالِف مـا قـال في فِعلِهِ
ولا تُتبع الطَّرْفَ ما لا تنال ولكن سَل اللهَ مـن فضلِهِ
فكم مِن مُقِلٍّ ينـال الغنى ويَحمـد في رزقـه كلِّهِ

أنشدنا هذا الشعر له ابن عمّار عن أحمد بن خيثمة عن يحيى بن معين . وذكر محمد بن عليّ العلويّ عن أحمد بن أبي خيثمةَ أن يحيى بنَ معين أنشده أيضاً لعبد الله بن معاوية : [من الطويل]

إذا افتقرت نفسي قَصَرْتُ افتقارَها عليهـا فلـم يظهـر لها أبـداً فَقْرِي
وإن تلقَني في الدّهرِ مندوحـةُ الغِنى يكـن لأخـلاّئي التوسُّعُ في اليسرِ[1]
فـلا العسرُ يُزْري بي إذا هـو نالني ولا اليسر يوماً إن ظفرتُ به فخرِي

وهذا الشعر الذي غنّى به ، أعني قوله : [من الطويل]

وعين الرّضا عن كلّ عيب كليلة

يقوله ابن معاويةَ للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الحسين أيضاً سيء المذهب مطعوناً في دينه .

[شعره في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثني عليُّ بن محمد بن سليمان النوفليُّ قال حدَّثني إبراهيم بنُ يزيدَ الخشّاب قال : كان ابن معاوية صديقاً للحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب ، وكان حسين هذا وعبد الله بنُ معاوية يُرْمَيان بالزندقة . فقال الناس : إنّما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما شيء من الأشياء فتهاجرا من أجله ، فقال عبد الله بن معاوية : [من الطويل]

وإنّ حسينـاً كان شيئـاً ملفَّفـاً فمحّصه التكشيفُ حتى بَدا لِيا
وعين الرّضا عن كلّ عيبٍ كليلةٌ ولكن عين السخط تبدي المساويا

1 مندوحة : سعة .

وأنت أخي ما لَم تكن لي حاجة فإن عرضتَ أيقنت أن لا أخا لِيا

وله في الحسين أشعارٌ كلُّها معاتبات ، فمنها ما أخبرني به أحمدُ بن محمد بن سعيد بن عُقدة . قال : أنشدني يحيى بن الحسن لعبد الله بن معاوية ؛ يقوله في الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب : [من الخفيف]

قل لذي الودّ والصفاء حسينٍ أقْـــدُرِ الـــوُدَّ بيننـا قَدَرَهْ
ليس للدّابـغ المُقَـرِّظِ بُـــدٌّ من عتابِ الأديمِ ذي البَشَرَهْ[1]

قال وقال له أيضاً : [من مجزوء الكامل]

إنّ ابـــن عمّـك وابنَ أُمـ ـكَ مُعلمٌ شاكي السلاحِ[2]
يَقصُ العـــدوَّ وليس يـــر ضى حـين يَبْطِشُ بالجناحِ[3]
لا تحسبن أذى ابـــن عَمِّـــ ـكَ شربَ ألبـــان اللِّقاحِ[4]
بل كالشجا تحـــت اللَّهـــا ةِ إذا يُسَوَّغ بـــالقَراحِ[5]
[فانظـــر لنفسك من يجيـ ـبك تحت أطراف الرماحِ]
مَـــن لا يـــــزال يسوءه بالغيب أن يلحـــاك لاحي[6]

[خبره مع جدّه عبد الحميد بن عبيد الله]

أخبرني الحِرْميّ والطوسيّ قالا حدَّثنا الزبير وحدَّثني أحمد بن محمد بن سعيد قال حدَّثنا يحيى بن الحسن قال حدَّثنا الزبير قال حدَّثني محمد بن يحيى : أنّ عبد الله بن معاويةَ مرَّ بجدّه عبدِ الحميد في مزرعته بصَرام وقد عطِش فاستسقاه ، فخاض[7] له سَويق لوزٍ فسقاه إيّاه ، فقال عبد الله بن معاوية : [من الوافر]

شربتُ طَبَرْزَذاً بغريضِ مُـزنٍ كذوب الثلج خالطه الرُّضابُ[8]

قال يحيى قال الزبير : الرضاب ماء المسك ، ورضاب كلّ شيء : ماؤه . فقال عبد الحميد بن

---

1 قرظ الأديم : دبغه بالقرظ . ضمن البيت المثل «إنّما يعاتب الأديم ذو البشرة» والمعاتبة هنا : المعاودة .
2 أعلم الفارس : جعل لنفسه علامة الشجعان .
3 وقصه : كسره ودقه .
4 اللقاح : جمع لقحة ، وهو الناقة الحلوب .
5 الشجا : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه ، واللهاة : اللحمة المشرفة على الحلق .
6 لحاه : لامه .
7 خاض : خلط ، والسويق : ما يعمل من الحنطة والشعير .
8 الطبرزذ : السكر . والغريض : ماء المطر .

عبيد الله يجيبُ عبدَ الله بن معاوية على قوله : [من الوافر]

ما إن ماؤنا بغريض مُزْن ولكنّ المِلاح بكم عِذابُ
وما إن بالطبْرزِذ طاب لكن بمَسَّكَ لا بـه طاب الشرابُ
وأنتَ إذا وطِئت تراب أرضٍ يطيب إذا مشيتَ بها الترابُ
لأنّ نداك يُطفي المَحْل عنها وتُحييها أيادِيك الرِّطابُ

[تغنّى إبراهيم الموصليّ في شعره]

قال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن جدّه إبراهيم الموصليّ قال : بينا نحن عند الرشيد أنا وابن جامع وعمرو الغَزالُ إذ قال صاحب السِّتارة لابن جامع : تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، قال : ولَم يكن ابنُ جامعٍ يغنّي في شيء منه ، وفطنت لِما أُراد من شعره ، وكنت قد تقدّمت فيه ، فأُرْتِج على ابن جامع ، فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت : [من المتقارب]

صوت

يهِيمُ بجُمْلٍ وما إن يرى لـه مـن سبيل إلى جُملِهِ
كأن لم يكن عاشِق قبله وقد عشِق الناس من قبلِهِ
فمنهم مَن الحبّ أودى به ومنهمْ مَنَ اشْفى على قتلِهِ

فإذا يد قد رفعتِ الستارة ، فنظر إليّ وقال : أحسنت والله ؛ أَعِد ، فأعدته فقال : أحسنت ! حتى فعل ذلك ثلاث مرّاتٍ ، ثم قال لصاحب الستارة كلاماً لم أفهمه ، فدعا صاحب الستارة غلاماً فكلّمه ، فمرّ الغلامُ يسعى فإذا بَدْرةُ دنانيرَ قد جاءت يحملها فرّاش ، فوُضِعَتْ تحت فخذي اليسرى وقيل لي : اجعلها تُكأَتك ، قال : فلمّا انصرفنا قال لي ابن جامع : هل كنتَ وضعت لهذا الشعر غناء قبل هذا الوقت ؟ فقلت : ما شِعر قيل في الجاهلية ولا الإسلام يدخل فيه الغناء إلاّ وقد وضعت له لحناً خوفاً من أن ينزل بي ما نزل بك . فلمّا كان المجلسُ الثاني وحضرناه قال صاحب الستارة : يا ابن جامع ، تغنّ في شعر عبد الله بن معاوية ، فوقع في مثل الذي وقع فيه بالأمس ، قال إبراهيم : فلمّا رأيت ما حلّ به اندفعت فغنّيت : [من مجزوء الكامل]

صوت

يـا قوم كيف سِواغُ عيـ ـشٍ ليس تؤمَـن فاجِعاتُهْ

ليست تـــزالُ مطِلَّـــةً تغـدو عليـك منغّصاتُهْ
المــوت هــولٌ داخلٌ يومــاً على كــرْهٍ أناتُهْ
لا بـــدّ للحـذِر النَّفو رِ مـنَ آنْ تَقَنَّصَـهُ رُماتُهْ
قـد أُمنـــح الودّ الخليـ ـلَ بغير ما شيء رزاتُهْ[1]
ولـــه أقيـــمُ قناةَ ودّ ي ما استقامت لي قناتُهْ

قال : فأومأ إليّ صاحب الستارة أن أمسِك ، ووضع يده على عينه كأنّه يومىء إليّ أنّه يبكي ، قال : فأمسكت ثم انصرفنا ، فقال لي ابن جامع : ما صبَّ أميرُ المؤمنين على ابن جعفر ؟ قلتُ : صبه الله عليه لبدرةِ الدنانير التي أخذتُها . قال : ثم حضر بعد ذلك ، فلمّا اطمأنّ بنا مجلسنا قال ابن جامع بكلام خفيّ : اللهمّ أنْسِه ذكْرَ ابن جعفر ، قال فقلت : اللهمّ لا تستجِب ، فقال صاحبُ الستارة : يابن جامع تَغَنَّ في شعر عبد الله بن معاوية ، قال : فقال ابن جامع : لو كان عندهم في عبد الله بن معاوية خيرٌ لطار مع أبيه[2] ولم يُقْبِل على الشعر ، قال إبراهيم : فسمعنا ضحكة من وراء الستارة . قال إبراهيم : فاندفعت أُغنّي في شعره : [من المتقارب]

صوت

سلا ربَّـــةَ الخِدرِ مـا شأنُها ومـن أيِّما شأنِنـا تعجـبُ
فلستُ بـأوّل مَـــن فاتـه على إرْبِهِ بعضُ مـا يَطْلُبُ[3]
وكائن تعرَّضَ مـــن خاطب فَـزُوِّج غيرَ التـــي يخطبُ
وأُنكِحَهـا بعـــده غيـرُه وكانـــت لـــه قبلـه تُحجَبُ
وكنّـا حديثـاً صَفِيَّيْنِ لا نخـاف الوشاةَ ومـــا سبَّبوا
فإن شطَّـــتِ الدّار عنّـا بها فبانـت وفي الناس مُسْتَعتَبُ[4]
وأصبح صـدعُ الـــذي بيننا كصدع الزجاجةِ ما يُشْعَبُ[5]

1 أصله رزأته .
2 يريد جدّه جعفر بن أبي طالب .
3 الإرب : العقل والدهاء .
4 وفي الناس : في ل : وفي القلب .
5 يشعب : يصلح .

وكالـدَّرِّ ليست لــه رجعـة إلى الضَّرْعِ من بعدما يُحْلَبُ

غنّى في البيتين الأوّلين إبراهيم الموصليُّ خفيف ثقيلٍ الأوّل بالوسطى من روايةِ أحمدَ بن يحيى المكّيّ ووجدتهما في بعض الكتب خفيف رملٍ غيرَ منسوب . قال : فقال لي صاحب الستارة : أعد فأعدته ، فأحسِب أميرَ المؤمنين نظر إلى ابن جامع كاسفَ البالِ ، فأمر له بمثل الذي أمر لي بالأمس ، وجاءوني ببدرة دنانير فوضعت تحت فخذي اليسرى أيضاً ، وكان ابنُ جامع فيه حسد ما يستتِر منه ، فلمّا انصرفنا قال : اللهمّ أرِحنا من ابنِ جعفرٍ هذا ، فما أشدَّ بغضي له ، لقد بغَّضَ إليّ جدَّه ، فقلت : ويحك ؛ تدري ما تقول ! قال : فمَن يدري ما يقول ؟ إذاً لودِدتُ أنّي لَم أرَ إقباله عليك وعلى غنائك في شعر هذا البغيض ابن البغيضة ، وأنّي تصدّقت بها ، يعني البدرة .

وهذا الصوت الأخير يقول شعره عبد الله بن معاوية في زوجته أُمّ زيد بنت زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام .

[شمتت به امرأته حين تزوّج امرأة أخرى]

أخبرني الطوسيّ والحِرْميّ قالا حدَّثنا الزبير بن بكّار عن عمّه قال : خطب عبدُ الله بن معاوية رُبَيْحةَ بنتَ محمد بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، وخطبها بكّارُ بن عبد الملك بن مروان ، فتزوّجت بكاراً ، فشمِتت بعبد الله امرأتُه أُمّ زيد بنتُ زيد بن عليّ بن الحسين ، فقال في ذلك : [من المتقارب]

سلا ربَّةَ الخِدْرِ مــا شأنُها ومِــنْ أيِّما شأنِنا تعجبُ

فقال ابن أبي خيثمة في خبره عن مصعب قالت له : والله ما شمِتُّ ولكنّي نَفِست[1] عليك ، فقال لها : لا جَرَمَ ؛ والله لا سُؤْتُكِ أبداً ما حييتُ : [من الكامل]

صوت

طاف الخيال من أمّ شيْبَةَ فاعترى والقومُ من سنةٍ نَشاوى بالكرى[2]

طافــت بخُوصٍ كالقِسيّ وفتيةٍ هجعوا قليلاً بعد ما ملُّوا السُّرى[3]

الشعر لأبي وَجْزة السعديّ ، والغناء لإسحاق ، ثقيل أوّل بالبنصر .

1 نفس عليه بخير : حسده .

2 نشاوى : جمع نشوان .

3 الخوص : جمع أخوص وهو الغائر العينين .

[222] ـ أخبار أبي وجزة[1] ونسبه

[نسبه]

اسمه يزيد بن عبيد فيما ذكره أصحاب الحديث . وذكر بعض النسابين أنّ اسمه يزيد بن أبي عبيد ، وأنّه كان له أخٌ يقال له عبيد ، وانتسب إلى بني سعد بن بكر بن هوازن لولائه فيهم .

[سليميّ دخل مع أبيه في بني سعد]

وأصله من سُليم من بني ضَبِيس بن هلال بن قُدَم بن ظَفَر بن الحارث بن بُهْثة بن سُلَيم ؛ ولكنّه لحِق أباه وهو صبيّ سِباءٌ في الجاهلية ، فبِيع بسوق ذي المَجاز ، فابتاعه رجل من بني سعد ، واستعبده ، فلمّا كبِر استعدى عمر رضي الله عنه وأعلمه قصّته ، فقال له : إنّه لا سِباء على عربيّ ، وهذا الرجل قد امتنّ عليك فإن شئت فأقِم عنده ، وإن شئت فالحِق بقومك ، فأقام في بني سعْد وانتسب إليهم هو وولده .

[كان بنو سعد أظآرُ رسول الله ﷺ]

وبنو سعد أظآرُ[2] رسول الله ﷺ ، كان مسترضَعاً فيهم عند امرأةٍ يقال لها حليمة ، فلم يزل فيهم عليه السلام حتى يَفَعَ ، ثمّ أخذه جدّه عبد المطّلب منهم فردّه إلى مكّة ، وجاءته حليمةُ بعد الهجرة ، فأكرمها وبرَّها وبسط لها رداءه فجلست عليه . وبنو سعد تفتخِرُ بذلك على سائر هوازن ، وحقيقٌ بكلّ مكرُمَةٍ وفخرٍ من اتصل منه رسول الله ﷺ بأدنى سبب أو وسيلةٍ .

[آثر أبوه الانتساب إلى بني سعد]

أخبرني بخبره الذي حكيتُ جملاً منه في نسبه وولائه أبو دُلَف هاشمُ بنُ محمد الخزاعيُّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل العَتَكِّيُّ قال حدَّثنا محمد بن سلاّم الجمحيُّ عن يونس . وأخبرني أبو خليفة فيما كتب به إليّ عن محمد بن سلاّم عن يونس وأخبرني به عمّي عن الكُرانيّ عن الرِّياشيّ عن محمد بن سلاّم عن يونس وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ عن أبي سعيدٍ السكّريّ عن يعقوب بن السِّكّيت قالوا جميعاً سوى يعقوب .

كان عبيدٌ أبو أبي وجزَة السعديُّ عبداً بِيع بسوق ذي المجاز في الجاهلية فابتاعه وُهَيبُ بن خالدِ بنِ عامر بنِ عُمَير بنِ ملاّنَ بنِ ناصِرةَ بنِ فُصَيّةَ بن نصر بن سعدِ بنِ بكر بنِ

1 انظر أخباره في الشعر والشعراء : 2 : 702–703 والتاريخ الكبير للبخاري 348/214 ، والتهذيب 12 : 349 ، والخزانة 2 : 147–150 .

2 أظآر : جمع ظئر وهي العاطفة على ولد غيرها المرضعة له .

هوازن ، فأقام عنده زماناً يرعى إبله ، ثم إنّ عبيداً ضرب ضَرْعَ ناقةٍ لمولاه فأدماه ، فلطم وجهه ، فخرج عبيدٌ إلى عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه مستعدياً فلمّا قدِم عليه قال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجلٌ من بني سُلَيْمٍ ، ثم من بني ظَفَر أُصابني سِباء في الجاهلية كما يصيب العرب بَعْضَها من بعض ، وأنا معروفُ النسب ، وقد كان رجل من بني سعد ابتاعني ، فأساء إليّ وضرب وجهي ، وقد بلغني أنّه لا سِباء في الإسلام ، ولا رِقَّ على عربيّ في الإسلام . فَما فَرَغَ مِنْ كلامه حتّى أتى مولاه عمرَ بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه على أثره ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامٌ ابتعتُهُ بذي المَجاز ، وقد كان يقومُ في مالي ، فأساء فضربته ضربة والله ما أعلُمني ضربتُه غيرَها قطّ ، وإنّ الرجل ليضرب ابنَه أشدَّ منها فكيف بعبده ، وأنا أُشهِدك أنّه حرٌّ لوجه الله تعالى ، فقال عمر لعبيد : قد امتنَّ عليك هذا الرجل ، وقطع عنك مؤنة البيّنة ، فإن أحببت فأقِم معه ، فله عليك مِنّة ، وإن أحببت فالحق بقومك ، فأقام مع السعديِّ وانتسب إلى بني سعدِ بنِ بكر بن هوازن ، وتزوّج زينبَ بنتَ عُرْفُطَة المُزَنِيَّة ، فَولدت له أبا وجزة وأخاه ، وقال يعقوب : «وأخاه عبيداً» وذكر أنّ أباهما كان يقال له أبو عبيدٍ ، ووافق مَن ذكرتُ روايتَه في سائر الخبر ، فلمّا بلغ ابناه طالباهُ بأن يَلْحق بأصله ويَنْتَمي إلى قومه من بني سليم ، فقال : لا أفعلُ ولا أَلْحَقُ بهم فيعيِّروني كلَّ يوم ويدفعوني ، وأترك قوماً يُكْرموني ويشرِّفوني ، فوالله لئن ذهبتُ إلى بني ظَفَرٍ لا أرعى طُمَّة ، ولا أرِد جَمَّة ، إلاّ قالوا لي : يا عبدَ بني سعدٍ قال : وطُمّة : جبل لهم . فقال أبو وجزة في ذلك : [من الكامل]

أنْمى فأعْقِلُ في ضَبيسٍ مَعقِلاً ضخماً مناكِبُه تميمَ الهادي[1]

والعَقَدُ في مَلاَّن غير مُزَلّجٍ بقُوَى متيناتِ الحبالِ شِدادِ[2]

[كان من التابعين وروى عن جماعة من الصحابة]

وكان أبو وجزةَ من التابعين ، وقد روى عن جماعة من أصحاب رسولِ الله ﷺ ، ورأى عمَرَ بنَ الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، ولم يسنِد إليه حديثاً ؛ ولكنّه حدَّث عن أبيه عنه بحديث الاستسقاء ، ونقل عنه جماعة من الرّواة .

أخبرني محمد بن خَلَفٍ وكيعٌ وعمّي قالا حدَّثنا عبد الله بنُ شبيبٍ قال حدَّثني إبراهيم بن حمزة قال حدَّثني موسى بنُ شَيْبَة قال : سمعتُ أبا وجزة السعديَّ يقول قال رسولُ الله ﷺ : «ليس شعرُ حسانَ بن ثابت ولا كعب بن مالك ولا عبدِ الله بن رَواحةَ شعراً ، ولكنّه حكمةٌ» .

---

1 أعقل : لجأ إلى معقل ، والهادي : العنق ، والتميم : التام والشديد .

2 المزلّج : كل ما لم تبالغ فيه ولم تحكمه .

فأمّا خبرُ الاستسقاء الذي رواه عن أبيه عن عمر فإنّ الحسنَ بنَ عليّ أخبرَنا به قال حدَّثنا محمد بنُ القاسم قال حدَّثني عبدُ الله بن عمرو عن عليّ بن الصبّاح عن هشامِ بن محمدٍ عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : شهِدتُ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه وقد خرج بالناس ليستسقيَ عامَ الرَّمادة ؛ فقام وقام الناس خلفه ، فجعل يستغفِرُ الله رافعاً صوتَه لا يزيد على ذلك ، فقلت في نفسي : ما له لا يأخذ فيما جاء له ؛ ولم أعلَم أنّ الاستغفار هو الاستسقاء فما برِحنا حتى نشأت سحابة وأظلّتنا ، فسقي الناس ، وقَلَدتْنا[1] السماء قَلْداً ، كلّ خمس عشرة ليلة ، حتّى رأيت الأَرِينَةَ[2] تأكلها صِغارُ الإبل من وراء حِقاقِ العُرْفُط [3] .

[مات سنة ثلاثين ومائة]

وأخبرني أبو الحسن الأسديّ وهاشمُ بن محمد الخزاعيّ جميعاً عن الرياشيّ عن الأصمعيّ عن عبد الله بن عمر العُمَريّ عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه ، وذكر الحديث مثله . وأخبرني به إبراهيم بنُ أيّوب عن عبد الله بن مسلم بن قتيبةَ ، واللفظ متقاربِ وزاد الرياشيُّ في خبره : فقلت لأبي وجزة : ما حِقاقُ العُرْفُط ؟ قال : نبات سنتين وثلاث . وزاد ابن قتيبة في خبره عليهم قال : ومات أبو وجزة سنة ثلاثين ومائة .

[هو أحد من شبب بعجوز]

وهو أحد مَن شبَّب بعجوزٍ حيث يقول : [من الكامل]

يا أيّها الرجلُ الموكَّلُ بالصّبا ... فيم ابنُ سبعينَ المعمَّرُ من دَدِ[4] ؟
حتّام أنت موكَّلٌ بقديمةٍ ... أمست تَجَدَّدُ كاليمانيّ الجيّدِ
زان الجلالُ كمالها ورسا بها ... عقلٌ وفاضِلة وشيمةُ سيّدِ[5]
ضنّت بنائلها عليك وأنتما ... غِرّان في طلب الشباب الأغيدِ[6]
فالآن ترجو أن تُثيبك نائلاً ... هيهات ؛ نائلُها مكانَ الفَرقَدِ[7]

---

1 قلدتنا : مطرتنا .

2 الأرينة : نبت عريض الورق .

3 العرفط : شجر العضاه ، وحقاق العرفط : صغارها وشوابها ؛ تشبيهاً بحقاق الإبل ، والحِقّ : البعير إذا استكمل السنة الثالثة ودخل في الرابعة ، والأنثى حِقَّة .

4 الدد : اللهو واللعب .

5 زان : في الشعر والشعراء 703/2 : شبّ .

6 غران : في الشعر والشعراء : 703/2 : إلفان .

7 فالآن : في الشعر والشعراء 703/2 : أفلان ، وأيضاً هيهات : أيْهات .

[روى عن أبيه صورة استسقاء عمر]

وأخبرنا الحِرْميّ بن أبي العلاء والطوسيّ جميعاً قالا حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن الحسن المخزوميّ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي وجزة السعديّ عن أبيه قال : استسقى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فلمّا وقف على المِنبر أخذ في الاستغفار ، فقلت : ما أراه يعمل في حاجته ! ثم قال في آخر كلامه : اللهمّ إنّي قد عجزتُ وما عندك أوسعُ لهم . ثم أخذ بيد العبّاس رضي الله تعالى عنه ، ثم قال : وهذا عمّ نبيّك ، ونحن نتوسّل إليك به . فلمّا أراد عمر رضي الله تعالى عنه أن ينزل قَلَب رداءه ، ثم نزل فتراءى الناس طُرَّةً[1] في مغرب الشمس ، فقالوا : ما هذا ! وما رأينا قبلَ ذلك قَزَعة[2] سحاب أربع سنين ؟ قال : ثم سمِعنا الرعد ، ثم انتشر ، ثم اضطرب ، فكان المطر يَقلِدنا قَلْداً في كلّ خمس عشرة ليلة ، حتى رأيت الأرِينَة خارجة من حِقاق العُرْفُط تأكلها صغار الإبل .

[مدح بني الزبير فأكرموه]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عمّي عن جدّي قال : خرج أبو وَجْزة السعديّ وأبو زيد الأسلميّ يريدان المدينة ، وقد امتدح أبو وجزة آل الزُّبير ، وامتدح أبو زيد إبراهيم بن هشام المخزوميّ ، فقال له أبو وجزة : هل لك في أن أشاركك فيما أصيب من آل الزُّبير ، وتشارِكني فيما تصيب من إبراهيم ؟ فقال : كلاّ والله ، لَرجائي في الأمير أعظم من رجائك في آل الزبير . فقدِما المدينة ، فأتى أبو زيد دار إبراهيم ، فدخلها وأنشد الشعر وصاح وجلَب ، فقال إبراهيم لبعض أصحابه : اخرجْ إلى هذا الأعرابيّ الجِلف فاضربه وأخرجه ، فأُخرج وضُرِب . وأتى أبو حمزة أصحابه فمدحهم وأنشدهم ، فكتبوا له إلى مال لهم بالفُرع[3] أن يعطى منه ستين وَسْقاً[4] من التمر ، فقال أبو وجزة يمدحهم : [من البسيط]

راحت قَلُوصي رواحاً وهي حامدة ... آلَ الزُّبير ولَم تَعدِل بهم أحدا
راحت بستّين وَسْقاً في حقيبتها ... ما حُمِّلت حِملَها الأدنى ولا السَّدَدا[5]
ذاك القِرى لا كأقوامٍ عهِدتهمُ ... يَقْرون ضيفَهم الملويّةَ الجُدُدا

يعني السياط .

1 الطرة : الطريقة من السّحاب .
2 القزعة : القطعة من السحاب .
3 الفرع : قرية من نواحي الربذة بينها وبين المدينة أربع ليالٍ على طريق مكّة .
4 الوسق : حمل البعير .
5 السدد : الوفق .

قال أبو الفرج الأصفهاني : قول أبي وجزة : [من البسيط]

راحت بستّين وسقا في حقيبتها

أنّها حملت ستّين وَسْقاً ولا تحمل ناقة ذلك ولا تُطيقه ولا نصفَه ، وإنّما عَنى أنّه انصرف عنهم وقد كتبوا له بستّين وسْقاً فركِب ناقته والكِتاب معه بذلك قد حملتْه في حقيبتها ، فكأنّها حاملة بالكتاب ستّين وَسْقاً ، لا أنّها أطاقت حَمْلَ ذلك . وهذا بيت معنى يُسأل عنه .

[أحسن عمرو بن زياد جواره فمدحه]

وقال يعقوب بن السكيت فيما حكيناه من روايته التي ذكرها الأخفش لنا عن السكريّ في شعر أبي وجزة وأخباره : كان أبو وجزة قد جاور مُزَيْنَة ، وانتجع بلادهم لصِهْره فيهم ، فنزل على عمرو بن زياد بن سُهَيْل بن مُكَدَّم بن عُقَيْل بن وهب بن عمرو بن مُرَّة بن مازن بن عوف بن ثور بن هُذْمة بن لاطم بن عثمان ، فأحسن عمرو جِواره وأكرم مثواه ، فقال أبو وجزة يمدحه : [من الطويل]

لمن دِمنةٌ بالنَّعْفِ عافٍ صَعيدُها ... تَغَيَّر باقيها ومَحَّ جديدُها[1]

لِسَعدة من عام الهزيمة إذ بنا ... تصافٍ وإذ لّما يَرُعْنا صُدودُها

وإذا هي أمَّا نفسُها فأَرِيه ... لِلَهوٍ ، وأمّا عن صِباً فَتَذُودُها[2]

تَصَيَّدُ ألبابَ الرجالِ بدَلِّها ... وشيمتُها وَحْشِيّةٌ لا نَصِيدها

كباسِقه الوَسْمِيِّ ساعةَ أسبلتْ ... تلألأ فيها البرقُ وابيضّ جِيدُها[3]

الباسقة : التي فضلت غيرها من الغمام وطالت عليه ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿والنَّخْلَ باسقاتٍ﴾ :

كبِكرٍ تُراني فَرقَدين بقَفْرة ... من الرّملِ أو فَيْحانَ لم يَعْسُ عُودُها[4]

لعمرو الندى عمرو بن آل مكدّم ... [كثيرُ عليّاتِ الأُمورِ جليدها]

[فتًى بين مَسْروجٍ وآلِ مُكدَّمٍ] ... وعمرٌو فتى عثمانَ طُرّاً وسيدُها[5]

---

1 النّعف : موضع ، وأصله ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادي . محّ : بلي .

2 فأريه : في ل : فأبيّة .

3 الوسميّ : مطر الربيع الأوّل . أسبلت : أمطرت .

4 بقرة بكر : فتية . ترانى : من الرنوّ . الفرقد ولد البقرة . فيحان : اسم أرض . عسا : يبس وصلب .

5 السيد : الأسد .

حليم إذا ما الجهلُ أفرط ذا النّهى ... على أمره ، حامى الحَصاة شديدُها[1]
وما زال ينحو فعلَ مَنْ كان قبله ... مِنَ آبائه يَجنى العلا ويُفيدها
فكم من خليلٍ قد وصلتَ وطارقٍ ... وقَرّبْتَ مِنْ أدماءَ وارٍ قصيدُها[2]
وذي كربةٍ فرّجتَ كُربةَ همّه ... وقد ظلّ مُسْتَدّاً عليه وصيدُها[3]

[تزوّج زينب بنت عرفطة]

أخبرني عمّي قال حدّثني العَنَزيّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن يعقوب بن سلام بن عبد الله بن أبي مسروج قال : تزوّج أبو وجزة السعديُّ زينب بنت عُرْفُطة بن سهلِ بن مكدَّم المزنيّة فولدت له عُبيداً وكانت قد عنَّست ، وكان أبو وجزة يُبْغضها ، وإنّما أقام عليها لشرفها ، فقال لها ذات يوم : [من الرجز]

أعطى عُبَيْداً وعبيدٌ مَقْنَعُ ... من عِرمسٍ مَحْزِمُها جَلَنْفَعُ[4]
ذاتِ عساسٍ ما تكاد تَشْبَع ... تجتلِدُ الصحْنَ وما إنْ تَبْضَعُ[5]
تمرّ في الدّارِ ولا تَوَرَّعُ ... كأنّها فيهمْ شجاعٌ أقرعُ

فقالت زينب أمّ وجزة تجيبه : [من الرجز]

أعْطى عُبيداً من شُيَيْخ ذي عَجَرْ ... لا حَسَنِ الوجه ولا سمْحٍ يَسَرْ[6]
يشرب عُسَّ المَذْق في اليوم الخَصِر ... كأنّما يقذف في ذات السُّعُرْ[7]
تقاذفَ السيلِ من الشّعبِ المُضِرّ[8]

[قال في ابنه عبيد رجزاً فأجابه برجز]

قال : وقال أبو وجزة لابنه عُبيد : [من الرجز]

يا راكب العَنْسِ كمِرداة العَلَمْ ... أصلحك الله وأدنى ورحِمْ[9]

---

1 أفرط في ل : أفرد وأفرطه : أعجله ، والحصاة : العقل .
2 ناقة أدماء : بيضاء سوداء المقلتين . وار : سمين . القصيد : سنام البعير إذا سمن .
3 الوصيد : فناء الدار .
4 العرمس : الناقة الصلبة الشديدة . المحزم : ما وضع عليه الحزام ، يعني البطن . جلنفع : واسعة البطن .
5 عساس : جمع عُسّ ، وهو القدح الضخم . اجتلد الإناء : شرب كل ما فيه . والصحن : العس العظيم . بضع من الماء وبه : روي وامتلأ .
6 العَجَر : عظم البطن .
7 السُّعُر : حرّ النّار .
8 المضرّ : القريب الداني يقال : سحاب مضرّ : مسف .
9 المرداة : الحجر الثقيل .

إن أنت أبلغتَ وأدَّيتَ الكَلِمْ عنّي عُبيدَ بنَ يزيـدَ لـو علِمْ
قـد علِـم الأقوام أن سيَنْتقِم منك ومـن أُمّ تلقَّـك وعمْ
ربٌّ يجازي السيئاتِ مَن ظَلَم أنذرْتُك الشَّدّةَ مِن لَيثٍ أُضِمْ[1]
عـادٍ أبي شِبلين فَرْفـارٍ لَحِمْ فارجع إلى أُمّك تُفرِشك ونَمْ[2]
إلى عجوز رأسُها مثـل الإرَم واطعَمْ فإنّ الله رَزّاق الطُّعَمْ[3]

فقال عبيد لأبيه :

دعها أبا وجزةَ واقعد في الغنمْ فسوف يكفيك غـلامٌ كالزَّلَمْ
مشمِّر يُرقِـلُ في نعـلٍ خَذِمْ وفي قَفـاه لقمـة مـن اللقَمْ[4]
قـد ولَّهتْ الآفَهـا غيرَ لَمَمْ حتّى تناهت في قَفا جَعْدٍ أَحَمْ[5]

[هجاه أبو المزاحم وعيره بنسبه]

قال يعقوب : وقال أبو المزاحم يهجو أبا وجزة ويعيّره بنسبه : [من الطويل]

[دَعَتْـكَ سُليمٌ عبدهـا فأجبتَها وسعدٌ ، وما ندري لأيّهما العبدُ ؟

فأجابه أبو وجزة فقال] : [من الطويل]

أعيَّرتمـوني أنْ دعتنـي أخاهمُ سليـمٌ وأعطتني بأيمانهـا سعدُ
فكنتُ وسيطـاً في سُلَيم معاقِداً لسعد ، وسعدٌ مـا يُحَلُّ لها عَقْدُ[6]

[مدح عبد الله بن الحسن وإخوته]

أخبرني أبو جعفر أحمدُ بن محمد بن نصر الضُّبَعيّ إجازةً قال حدَّثنا محمد بن مسعود الزُّرَقيّ عن مسعود بن المفضَّل مولى آل حسن بن حسن قال : قدِم أبو وجزة السعديّ على عبد الله بن الحسن وإخوته سُوَيْقَةَ[7] ، وقد أصابت قومه سنة مجدبة ، فأنشده قوله يمدحه : [من البسيط]

أُثْني على ابْنَيْ رسول الله أفضلَ ما أُثْنى بـه أحـدٌ يومـاً على أحدِ

---

1 الشدّة : الحملة . أضم : غضوب .
2 فرفار ، يفرفر كل شيء ، أي يكسره . أفرشه ، فرش له .
3 الإرم : الحجارة .
4 خذم : مقطّع .
5 ولهت : أحزنت وحيّرت . اللمم : الجنُون . الجعد : البخيل اللئيم . الأحم : الأسود .
6 الوسيط : الحسيب في قومه .
7 سويقة : موضع قرب المدينة كان يسكنه آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

السيدينِ الكريميْ كلِّ مُنْصَرَفٍ ... من والِدين ومن صهرٍ ومن ولدِ
ذريّةٌ بعضُها من بعضها عَمِرَت ... في أصل مجد رفيع السَّمْك والعَمَدِ
ماذا بنى لهمُ من صالحٍ حسنٌ ... وحَسَنٌ وعليّ وابتَنَوْا لغَدِ
فكرَّم الله ذاك البيتَ تكرِمَةً ... تَبقى وتخلُد فيه آخرَ الأَبَدِ
همُ السَّدى والنَّدى ، ما في قناتهمُ ... إذا تعوّجت العِيدانُ من أَوَدِ[1]
مهذَّبون هِجانٌ أُمّهاتُهمُ ... إذا نُسِبن زُلالُ البارقِ البَرِدِ[2]
بين الفواطم ماذا ثَمَّ من كرمٍ ... إلى العواتك مجد غير مُنْتَقَدِ[3]
ما ينتهي المجد إلاّ في بني حسن ... وما لهم دونه من دارِ مُلْتَحَدِ[4]

قال : فأمر له عبد الله بن الحسن وحسن وإبراهيمُ بمائةٍ وخمسين ديناراً وأوقروا[5] له رواحلَه بُرّاً وتمراً ، وكسوه ثوبين ثوبين .

[فرض له عبد الملك بن يزيد السعديّ عطاه وندبه لحرب أبي حمزة الشاري]

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيُّ قال حدَّثنا عمر بن شَبَّةَ قال حدَّثني أبو غسّان والمدائنيّ جميعاً : أنّ عبد الملك بن يزيد بن محمد بن عطيّة السعديَّ كان قد نُدب لقتال أبي حمزة الأزديّ الشاري لما جاء إلى المدينة فغلب عليها ، قال : وبعث إليه مروانُ بن محمد بمال ، ففرّقه فيمن خفّ معه من قومه ، فكان فيمن فُرِض [له] منهم أبو وجزة وابناه ، فخرج معترضاً للعسكر على فرس ، وهو يرتجز ويقول : [من الرجز]

قُل لأبي حمزة هِيدِ هِيدِ ... جئناك بالعادِيَةِ الصِّنْديدِ
بالبطل القَرْم أبي الوليد ... فارِس قيسٍ نَجدِها المعدودِ
في خيل قيسٍ والكُماةِ الصِّيدِ ... كالسيفِ قد سُلَّ من الغُمودِ
محضٍ هِجانٍ ماجدِ الجدودِ ... في الفَرعِ من قيسٍ وفي العمودِ
فِدًى لعبد الملك الحميد ... ما لي من الطارفِ والتليدِ

1 السّدى : المعروف .
2 هجان : كرام . البارق : السحاب ذو البرق . البرد : ذو البرْد .
3 الفواطم : يقال للحسن والحسين أبناء الفواطم ، والعواتك جدّات النبيّ ﷺ .
4 الملتحد : الملتجأ .
5 أوقر الدابة : حملها وِقراً ، وهو الحمل الثقيل .

يـــوم تَنادى الخيل بالصعيدِ كأنّـــه في جُنَـــن الحديـدِ[1]
سيدٌ مُدِلٌّ عَـزَّ كلَّ سيدِ

قال : وسار ابن عطيّة في قومه ، ولحقت به جيوش أهل الشام ، فلقى أبا حمزة في اثني عشر ألفاً ، فقاتله يوماً إلى الليل حتى أصاب صناديد عسكره ، فنادوه . يا ابن عطيّة ، إنّ الله جلَّ وعزَّ قد جعل الليل سَكَنا ، فاسكنوا حتى نسكن ، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعاً .

[كان منقطعاً لابن عطيّة مداحاً له]

قال : وكان أبو وجزة منقطعاً إلى ابن عطيّة ، يقوم بقوت عياله وكسوته ويعطيه ويُفْضِلُ عليه ، وكان أبو وجزة مدّاحاً له ، وفيه يقول : [من البسيط]

حَنَّ الفؤاد إلى سُعدى ولم تُثِبِ فيم الكثيرُ من التَّحْنان والطربِ
قالت سعادُ أرى من شيبه عجباً مهلاً سعادُ فما في الشيب من عجبِ

غنّى في هذين البيتين إسحاق خفيف ثقيل أوّل بالوسطى في مجراها من كتابه :

إمّـــا تَرَيني كساني الدهرُ شيبتَه فإن مـــا مـــرّ منه عنكِ لم يَغِبِ
سَقْياً لسعدى على شيب ألمّ بنا وقبل ذلك حين الرأسُ لم يشِبِ
كأنّ رِيقتَها بعد الكرى اغتبقت صوبَ الثريا بماء الكَرْم من حَلَبِ

وهي قصيدة طويلة يقول فيها :

أهدي قِلاصاً عناجِيجاً أُضرَّ بها نَصُّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ[2]
يقصِدْن سيِّدَ قيسٍ وابنَ سيّدها والفارسَ العِدَّ منها غيرَ ذي الكذبِ[3]
محمـــد وأبـــوه وابنـــه صنعوا له صنائعَ من مجد ومن حَسَبِ
إنّي مدحتهـــمُ لمّـــا رأيت لهمْ فضلاً على غيرهم من سائر العربِ
إلاّ تُثِبْنِي بـــه لا يَجْـــزِني أحد ومَن يُثيبُ إذا ما أنت لم تُثِب !

والأبيات التي ذكرتُ فيها الغناءَ المذكورَ معه أمرُ أبي وجزة من قصيدة له مدح بها أيضاً عبدَ الملك بن عطيّة هذا . وممّا يختار منها قوله : [من الكامل]

---

1 جنن : جمع جنة ، وهي : كل ما وقى .

2 العناجيح هنا : الإبل جمع عُنجوج . نصّ ناقته : استخرج أقصى ما عندها من السّير . العقب : جمع عقبة وهي قدر فرسخين أو قدر ما تسيره .

3 العِدّ هنا : الذي لا تنفذ شجاعته . من قولهم ماء عِدّ ، أي دائم لا تنفد مادته .

حتّى إذا هَجَدوا ألمَّ خيالُها سرّاً ، ألا بِلِمامه كان المُنى
طَرَقَتْ بَرِيّاً روضةٍ من عالِجٍ وَسْمِيَّةٍ عذُبت وبيَّتها النَّدى[1]
يا أُمّ شيبة أيَّ ساعةِ مَطْرَقٍ نَبَّهتِنا ، أين المدينة مِن بَدا[2]
إنّي متى أقض اللُّبانة أجتَهدْ عَنَقَ العِتاق الناجِيات على الوَجى
حتى أزورَك إن تيسَّر طائري وسلمتُ من ريب الحوادث والردى

وفيها يقول :

فَلأمدحنَّ بني عطيّةَ كلَّهم مدحاً يوافي في المواسم والقُرى
الأكرمين أوائلاً وأواخراً والأحلمين إذا تُخُولِجَتِ الحُبا[3]
والمانعين من الهَضيمة جارَهُم والجامعين الراقعين لما وَهى[4]
والعاطفين على الضَّريك بفضلهم والسابقين إلى المكارم مَنْ سعى[5]

وهي قصيدة طويلة يمدح فيها بني عطيّة جميعاً ويذكر وقعتهم بأبي حمزة الخارجيّ ، ولا معنى للإطالة بذكرها .

[مدح عبد الله بن الحسن فغضب ابن الزبير فصالحه بشعر مدحه به]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي لأزهر قال حدَّثنا حمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ قال : كان أبو إسحاق وجزة السعديّ منقطعاً إلى آل الزُّبير ، وكان عبدُ الله بن عروة بنُ الزبير خاصّة يُفْضِل عليه ويقوم بأمره ، فبلغه أن أبا وجزة أتى عبد الله بنَ الحَسَن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام ، فمدحه فوصله ، فاطّرحه ابن عروة ، وأمسك يده عنه فسأل عن سبب غضبه فأخبره به الأصمّ بن أرطاة ، فلم يزل أبو وجزة يمدح آل الزُّبير ، ولا يَرْجعُ له عبدُ الله بن عروة إلى ما كان عليه ولا يرضى عنه حتى قال فيه : [من المتقارب]

آل الزبير بنو حُرّة مَرَوا بالسيوف صدوراً خنافا[6]
سَلِ الجُرْدَ عنهم وأيّامها إذا امتعطوا المُرهَفاتِ الخِفافا

1 عالج : رملة بالبادية . وسمية : المطر الوسمي وهو مطر الربيع الأوّل .
2 بدا : موضع بالشام قرب وادي القرى .
3 تُخُولِجَت : تنوزعت . الحبا : جمع حبوة .
4 الهضيمة : الظلم والغضب .
5 الضّريك : الزَّمِن والضرير والفقير السيء الحال .
6 مرى الدم : استخرجه وأساله . خناف : جمع خانف ، خنف بأنفه : شمخ بأنفه من الكبر .

امْتَعَطوا : سَلّوا ، ومنه ذئبٌ أَمعطُ ، مُنْسَلٌّ من شعره : [من المتقارب]

يموتــونَ والقَتْلُ داءٌ لهـــم ... ويَصلَوْنَ يومَ السِّياف السِّيافا
إذا فــرج القَتْلُ عَــنْ عِيصهِمْ ... أَبى ذلــكَ العيصُ إلاّ التفاتا[1]
مطاعيـــمُ تُحْمَــدُ أَبْياتُهُــمْ ... إذا قُنِّعَ الشاهقاتُ الطِّخافا[2]
وأَجْبَنُ مِــنْ صافــرٍ كلبُهُــمْ ... إذا قرعتــه حصــاةٌ أَضافا[3]

فلمّا أَنْشد ابن عروة هذه الأبيات رضي عنه وعاد له إلى ما كان عليه .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

أَلا هَــلْ أَسيرُ المالكيّــة مُطْلَقُ ... فقــد كاد لو لَم يُعْفِهِ الله يَغْلَقُ[4]
فلا هو مقتولٌ ، ففي القتل راحة ... ولا مُنْعَــمٌ يومــاً عليــه فَمُعْتَقُ

الشعر لعقيل بن عُلَّفةَ البيت الأوّلُ منه ، والثاني لشبيب بنِ البَرصاء ، والغناء لأَحمدَ بنِ المَكّيّ ، خفيف ثقيل بالوسطى من كتابه ، وفيه لدُقاق رملٌ بالوسطى من كتاب عمرو بن بانةَ ، وأوّله : [من الطويل]

سلا أُمَّ عمرو فِيمَ أَضْحى أَسيرُها ... يُفادى الأَسارى حَوْله وهو مُوثَقُ

وبعده البيت الثاني وهو :

فلا هو مَقتولٌ ففي القَتْــلِ راحةٌ ... وَلا مُنْعَــمٌ يومــاً عليــه فَمُعْتَقُ

والبيتان على هذه الرواية لِشبيب بن البَرْصاء .

---

1 العيص : الشجر الكثيف الملتفّ .
2 الطخاف : السحاب المرتفع .
3 الصافر : طائر يتعلّق من الشجر برجليه وينكس رأسه خوفاً من أن ينام فيؤخذ ، فيصفر منكوساً طول ليلته . وأضاف : خاف وأشفق وحذر .
4 يغلق : من غلق الرّهن : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر راهنه على تخليصه .

[223] ـ أخبار عقيل بن علّفة

[نسبه]

عَقِيل بن عُلّفة بن الحارث بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بنِ غَيْظِ بن مرّة بن سعد بن ذُبيان بن بَغِيض بن الرَّيْث بنِ غَطَفان بن سعد بن قَيْس عَيْلان بن مُضر ، ويكنى أبا العمَلّس وأبا الجَرباء .

وأُمّ عَقيل بن عُلّفة العَوْراء ، وهي عَمرة بنتُ الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مُرَّة بن نشْبَة بنِ غَيْظ بن مُرَّة . وأمّها زينبُ بنتُ حَصن بنِ حذيفة . هذا قولُ خالد بن كلثوم والمدائنيّ . وقال ابنُ الأعرابيّ : كانت عَمْرة العَوْراء أُمّ عَقِيل بن عُلّفة والبرصاءُ أُمُّ شبيب بن البَرْصاء أختين ، وهما ابنتا الحارث بن عوف . واسم البَرْصاء قرْصافة ، أمّها بنت نَجَبة بن ربيعةَ بن رِياح بن مالك بن شَمْخ .

[كان يعتد بنسبه وكانت قريش ترغب في مصاهرته]

وعَقِيل شاعر مُجيد مقلّ ، من شعراء الدولة الأمويّة . وكان أعرج جافياً شديدَ الهَوَج والعَجْرفيّة والبَذَخ[1] بنسَبِه في بني مرّة ، لا يرى أنّ له كفئاً . وهو في بيت شرف في قومِه من كلا طرفيه . وكانت قريشٌ ترغبُ في مصاهرته . تزوّج إليه خلفاؤها وأشرافها ، منهم يزيد بن عبد الملك ، تزوّج ابنته الجَرْباء ، وكانت قبله عندَ ابن عمٍّ لِعَقيل يقال له مطيعُ بن قُطْعةَ بن الحارث بن معاوية . وولدت ليزيد بُنيّاً دَرَجَ[2] . وتزوّج بنته عَمْرَةَ سَلَمةُ بنُ عبد الله بن المغيرة ، فولدت له يعقوب بن سلمة ، وكان من أشراف قريش وجُودائها . وتزوّج أُمَّ عمرو بنتَه ثلاثةُ نفَر من بني الحَكَم بن أبي العاص : يحيى والحارث وخالد .

[خطب إليه والي المدينة إحدى بناته فأنكر عليه]

أخبرني محمد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابيّ عن المفضَّل قال : دخل عَقِيل بن عُلّفة على عثمان بن حَيّان وهو يومئذٍ على المدينة ، فقال له عثمانُ : زوّجني ابنتك ، فقال : أبَكْرةً من إبلي تَعْني ؟ فقال له عثمان : ويلك ! أمجنونٌ أنت ؟ قال : أيّ شيء قلتَ لي ؟ قال : قلتُ لك : زوّجني ابنتك ، فقال : أفعلُ إن كنتَ عَنَيْتَ بَكْرةً من إبلي . فأمر به فَوُجِئت[3] عُنُقه . فخرج وهو يقول : [من الطويل]

---

1 البذخ : الكبر وتطاول الرجل بكلامه وافتخاره .

2 درج : مات .

3 وجأه باليد وبالسكين : ضربه .

كنّا بني غَيْظ الرجالِ فأصبحتْ بنــو مالك غَيْظاً وصرنــا كمالكِ
لحــى الله دهراً ذَعْذَع المالَ كلَّه وسوَّد أشباه الإمــاء العَوارِكِ[1]

[خطب إليه رجل من بني سلامان فكتفه وألقاه في قرية النمل]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا أبو غسان دَماذ عن أبي عبيدة قال : كان لعَقِيل بن عُلَّفة جارٌ من بني سَلامان بن سعد ، فخطب إليه ابنته ، فغضب عَقِيل ، وأخذ السَّلامانيّ فَكَتَفَهُ ، ودهن استَهُ بشحم ، وألقاه في قرية[2] النمل ، فأكلن خُصْيَيْه حتى ورم جَسَدُه ، ثم حلّه وقال : يخطب إليّ عبد الملك فأردّه ، وتجترىء أنت عليّ ؟ قال : ثم أجدبتْ مراعي بني مُرّة ، فانتجع عَقِيل أرض جُذامَ وقُربهم عُذْرة . قال عَقِيل : فجاءني هُنَيٌّ مثلُ البعرة ، فخطب إليّ ابنتي أُمّ جعفر . فخرجتُ إلى أكمة قريبة من الحيّ ، فجعلت أنبحُ كما ينبحُ الكلب ، ثم تحملت وخرجت ، فاتّبعني جمعٌ من حُنّ (بطن عُذْرة) فقالوا : اختر ، إن شئت حبسناك ، وإن شئت حَدَرْناك[3] وبُعَيْرةً من رأس الجبل ، فإن سبقتها خلّينا عنك . فأرسلوا بعيرةً فسبقتُها ، فخلّوْا سبيلي ، فقلت لهم : ما طمعتم بهذا من أحد ! قالوا : أردنا أن نضع منك حيثُ رغبتَ عنّا . فقلت فيهم : [من الطويل]

لقد هِزئتْ حُنٌّ بنا وتلاعبتْ وما لعبت حُنٌّ بذي حسَب قبلي
رويداً بني حُنّ تَسيحوا وتأمنوا وتنتشر الأنعامُ في بلد سهلِ

والله لأموتنّ قبل أن أضعَ كرائمي إلاّ في الأكْفاء .

[خرج إلى الشام مع أولاده ثم عادوا منها فقال شعراً أجازه ابنه وابنته]

أخبرني الحِرْميّ بنُ أبي العلاء قال حدَّثنا الزُّبيرُ بنُ بكّار قال حدَّثني محمد بن الضحّاك عن أبيه قال : وجدتُ في كتاب بخطّ الضحّاك قال : خرج عَقيل بن علّفة وابناه : عُلَّفة وجَثّامةُ ، وابنتُه الجرباء حتى أتوْا بنتاً له ناكِحاً في بني مرْوان بالشام فآمت[4] . ثم إنّهم قفلوا بها حتّى كانوا ببعض الطريق ، فقال عَقيل بن عُلّفة : [من الطويل]

قضتْ وطراً من ديــر سعدٍ وطالما على عُــرُضٍ ناطحْنَهُ بالجماجمِ[5]

1 ذعذع الحال : فرّقه وبدّده . والعوارك : الحُيّض .
2 قرية النمل : مجتمع تُرابها .
3 حدرناك ، من الحدر : وهو الحط من علو إلى سفل .
4 آمت المرأة : فقدت زوجها .
5 دير سعد : بين بلاد غطفان والشام .

إذا هبطتْ أرضاً يموت غرابُها بها عطشاً أعطينَهم بالخزائمِ[1]

ثم قال : أنفِذ يا علّفة ، فقال علّفة :

فأصبحن بالمَوماة يحملن فِتْيةً نَشاوى من الإدلاج مِيلَ العمائمِ[2]

إذا عَلَمٌ غادرْنَه بتَنوفة تذارعن بالأيدي لآخر طاسِمِ[3]

ثم قال : أنفذي يا جرباء ، فقالت : وأنا آمنة ؟ قال نعم . فقالت :

كأنّ الكرى سقّاهمُ صَرْخَديّةً عُقاراً تَمشّى في المطا والقوائم[4]

فقال عَقيل : شربتها وربّ الكعبة ؛ لولا الأمانُ لضربت بالسيف تحت قُرْطك ، أما وجَدْتِ من الكلام غير هذا ؟ فقال جَثّامة : وهي أساءت ! إنّما أجازت . وليس غيري وغيرُك . فرماه عَقيل بسهم فأصاب ساقَه وأنفذ السهم ساقَه والرَّحَل ، ثم شدّ على الجَرْباء فعقر ناقتها ثم حملها على ناقةِ جَثّامة وتركه عَقِيراً مع ناقة الجرباء . ثم قال : لولا أن تسبَّني بنو مرّة ما ذقت الحياة . ثم خرج متوجّهاً إلى أهله وقال : لئن أخبرتِ أهلَك بشأنِ جثّامة ، أو قلتِ لهم إنّه أصابه غيرُ الطاعون لأقتلنّك . فلمّا قدِموا على أهل أُبَيْر (وهم بنو القَيْن) ندِم عَقِيل على فعله بجثّامة . فقال لهم : هل لكم في جَزور انكسرت ؟ قالوا : نعم . قال : فالزموا أثر هذه الراحلة حتى تجدوا الجَزور ، فخرج القوم حتّى انتهوا إلى جَثّامة فوجدوه قد أنزفه الدم ، فاحتملوه وتقسَّموا الجزور ، وأنزلوه عليهم ، وعالجوه حتى برأ ، وألحقوه بقومه .

ونسخت هذا الخبرَ من كتاب أبي عبد الله اليزيديّ بخطّه ولم أجِده ذكر سماعه إيّاه من أحد قال : قرِىء على عليّ بن محمد المدائنيّ عن الطِّرِمّاح بن خليل بن أبرد ، فذكر مثل ما ذكره الزبير منه وزاد فيه : أن القوم احتملوا جَثّامة ليلحِقوه بقومه ؛ حتى إذا كانوا قريباً منهم تغنّى جَثّامة : [من الطويل]

أيُعْذَر لاهِينا ويُلْحَيْن في الصِّبا وما هنّ والفِتيانُ إلاّ شقائِقُ

فقال له القوم : إنّما أفلتَّ من الجِراحة التي جرحك أبوك آنِفاً ، وقد عاودتَ ما يكرهُه ، فأمسِكْ عن هذا ونحوِه إذا لقِيته لا يلحقك منه شرّ وعرّ[5] . فقال : إنّما هي خَطْرةٌ خَطَرتْ ، والرّاكب إذا سار تغنّى .

---

1 الخزائم : جمع خزامة ، وهي حلقة من شعر تجعل في أحد جانبي منخري البعير لينقاد بها .

2 المومأة : المفازة الواسعة . نشاوى : سكارى .

3 تذارعن : سِرن ، وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً إذا سار على قدر سعة خطوة . رسم طاسم : دارس .

4 الصرخدية : نسبة إلى صرخد : بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق . المطا : الظهر .

5 عرّه بمكروه : أصابه وساءه .

[أصابه القولنج في المدينة فنعتت له الحقنة فأبى]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثني أحمدُ بن سعيد الدّمشقيّ قال حدَّثنا الزبير بنُ بكّار قال حدَّثني عبد الله بن إبراهيم الجمحيّ قال : قدِم عَقِيلُ بنُ عُلَّفة المدينةَ فنزل على ابن بنته يعقوب بن سلَمةَ المخزوميّ ، فمَرِض وأصابه القولَنج ، فنُعِتَتْ له الحُقنة ، فأبى . وقدِم ابنه عليه فبلغه ذلك ، فقال : [من الطويل]

لقد سرّني واللهُ وقّاك شَرَّها نجاؤك منها حين جاء يقودُها
كفى خزيةً ألاّ تزال مُجَبِّيا على شَكْوة تُوكى وفي استك عُودُها[1]

[شدّ على ابنه علفة بالسيف فحاد عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا عليُّ بن محمد عن زيد بن عيّاش التغلَبيّ والربيع بن ثُمَيْل قالا : غدا عَقِيل بن عُلَّفة على أفراس له عند بيوته فأطلقها ثم رجع ، فإذا بنوه مع بناتِه وأُمِّهِمْ مجتمعون ، فشدّ على عملّس فحاد عنه ، وتغنّى علّفة فقال : [من الطويل]

قفي يا ابنةَ المُرِّيّ أسألْكِ ما الذي تريدين فيما كنتِ مَنَّيْتِنا قبلُ
نخبِّرْك إن لم تنجزي الوعدَ أنّنا ذَوا خُلّة لم يبقَ بينهما وصلُ
فإن شئتِ كان الصُّرم ما هبّت الصبا وإن شئتِ لا يفنى التكارم والبذلُ

فقال عَقيل : يابن اللَّخناء[2] ، متى منَّتْك نفسك هذا ؟ وشدّ عليه بالسيف ، وكان عملّس أخاه لأمّه ، فحال بينه وبينه ، فشدّ على عملَّس بالسيف وترك عُلّفة لا يلتفت إليه ، فرماه بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فسقط عَقيل وجعل يتمعّك[3] في دمه ويقول : [من الرجز]

إنّ بَنِيَّ سَرْبَلُوني بالدَّمِ مَنْ يَلْقَ أبطال الرّجال يُكْلَمِ
ومَنْ يكن ذا أَوَدٍ يُقَوَّمِ شَنْشَنةٌ أعرِفها من أَخْزَمِ[4]

قال المدائنيّ : «شِنشنة أعرفها من أخزم» مَثَلٌ ضربه . وأخزمُ : فحلٌ كان لرجل من العرب ، وكان منجِباً ، فضرب في إبل رجلٍ آخر ، ولم يعلم صاحبُه ، فرأى بعد ذلك من نسله

1 يقال جبّى فلان ؛ إذا أكبّ على وجهه باركاً . الشكوة : القربة الصغيرة .

2 اللخناء : من اللَّخَن ، وهو النتن .

3 يتمعّك في دمه : يتمرّغ .

4 مثل ، وهو من باب تشبيه الرجل بأبيه ، وهذا المثل يروى أنّ عمر بن الخطّاب قاله في ابن عبّاس رضي الله عنهما يشبهه بأبيه في جودة الرأي . فصل المقال 219 وورد في مجمع الأمثال 155/2 . الشنشنة : الخليقة . المثل في اللسان منسوب إلى أبي أخزم الطائيّ ، قال : «قال ابن برّيّ : كان أخزم عاقاً لأبيه فمات وترك ابنين عقوا جدّهم وضربوه وأدموه ، فقال ذلك .

جملاً ، فقال : شِنْشِنة أعرِفها من أَخْزَم .

[عاتبه عمر بن عبد العزيز في شأن بناته]

أخبرني محمد بن خلف وكيعٌ قال حدَّثني سليمان المدائنيّ قال حدَّثني مصعب بن عبد الله قال : قال عمر بن عبد العزيز لِعَقيل بن عُلّفة : إنّك تخرج إلى أقاصي البلاد وتدع بناتك في الصحراء لا كالىءَ لهنَّ ، والناس ينسُبُونك إلى الغيرة ، وتأبى أن تزوّجهنّ إلاّ الأكفاء . قال : إنّي أستعين عليهنّ بخَلّتين تَكْلآنِهنَّ ، وأستغني عن سواهما . قال : وما هما ؟ قال : العُرْيُ والجوعُ .

[رماه ابنه عملس فأصاب ركبته ، فغضب وخرج إلى الشام]

نسخت من كتاب محمد بن العبّاس اليزيديّ : قال خالدُ بنُ كلثوم : لمّا رمى عملّس بنُ عَقيل أباه فأصاب ركبته غضب وأقسم ألاّ يساكن بنيه ، فاحتمل وخرج إلى الشام ، فلمّا استوى على ناقته المسمّاة بأطلال بكت ابنته جرباء وحنّت ناقته ، فقال : [من الطويل]

أَلَم تريا أطلالَ حَنَّتْ وشاقَها ... تفرُّقُنا يومَ الحَبيبِ على ظهرِ[1]

وأسبل من جرباءَ دمعٌ كأنّه ... جُمانٌ أضاع السلك أجْرَتَه في سطرِ

لعمرُك إنّي يوم أغذو عَملّسا ... لكالمتربِّي حَتفَه وهو لا يدري[2]

وإنّي لأسقيه غَبوقي وإنّني ... لَغَرْثانُ منهوكُ الذِّراعينِ والنحرِ[3]

[خرج ابنه علفة إلى الشام أيضاً وكتب إلى أبيه شعراً]

قال : ومضى علّفة أيضاً ، فافترض[4] بالشام وكتب إلى أبيه : [من الطويل]

ألا أبلغا عنّي عَقيلاً رسالةً ... فإنّك من حربٍ عليّ كريمُ

أما تذكر الأيّامَ إذ أنت واحِد ... وإذ كلُّ ذي قُربى إليك ذميمُ

وإذ لا يَقيك الناسُ شيئاً تخافُه ... بأنفسهم إلاّ الذين تَضيمُ

تَناول شأْوَ الأبعدين ولَم يقم ... لشأوك بين الأقربين أديمُ

فأمّا إذا عضَّتْ بك الحرب عَضَّةً ... فإنّك معطوفٌ عليك رحِيمُ

وأمّا إذا آنسْتَ أمنا ورِخْوةً ... فإنّك للقُرْبى ألدُّ ظَلُومُ[5]

فلمّا سمِع عقيل هذه الأبيات رضي عنه ، وبعث إليه فقدِم عليه .

---

1 حبيب : بلد من أعمال حلب بالشام .

2 تربّبه وتربّاه : أحسن القيام عليه ووليه .

3 غرثان : جائع .

4 افترض الجند : أخذوا عطاياهم .

5 الألدّ : الخصم الجدل الذي لا يرجع إلى الحقّ .

[سبّ عمر بن عبد العزيز فعاتبه]

أخبرني هاشم بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن محمد بن سلاّم قال حدَّثني ابن جُعْدُبة قال : عاتب عمر بن عبد العزيز رجلاً من قريش ، أُمُّه أختُ عقيل بن عُلَّفة فقال له : قَبَحك الله ؛ أشبهتَ خالَك في الجفاء . فبلغتْ عَقيلاً فجاء حتى دخل على عمر فقال له : ما وجدْتَ لابن عمِّك شيئاً تُعيِّره به إلاّ خُؤولتي ؟ فقبَّح الله شرّكما خالاً . فقال له صُخَير بنُ أبي الجَهْم العَدَوِيُّ (وأمّه قُرشيّة) : آمين يا أمير المؤمنين . فقَبِح الله شرّكما خالا ، وأنا معكما أيضاً . فقال له عمر : إنّك لأعرابيٌّ جِلْف جافٍ ، أما لو كنتُ تقدّمتُ إليك لأدّبتك . والله لا أراك تقرأُ من كتاب الله شيئاً ، قال : بلى ، إنّي لأقرأُ ، قال : فاقرأ . فقرأ : ﴿إذا زُلْزِلتِ الأرْضُ زِلْزالَها﴾ حتى بلغ إلى آخرها فقرأ : فمن يعمل مِثقال ذرةٍ شراً يره ومَن يعمل مِثقال ذرةٍ خيراً يره ، فقال له عمر : ألَم أقُل لك إنّك لا تحسن أن تقرأ ؟ قال : أوَلَم أقرأ ؟ قال : لا ، لأنّ الله جلّ وعزّ قدّم الخير وأنّك قدّمت الشرّ . فقال عَقيل : [من الطويل]

خـذا بَطْنَ هَرْشى أو قَفاها فإنّه كِلا جانبـيْ هَرْشى لهنّ طريقُ[1]

فجعل القوم يضحكون من عَجْرَفِيَّته .

وروى هذا الخبر عليُّ بنُ محمد المدائنيّ ، فذكر أنّه كان بين عُمرَ بنِ عبد العزيز وبين يعقوب بن سَلَمة وأخيه عبد الله كلامٌ ، فأغلظ يعقوبُ لعمر في الكلام فقال له عمر : اسكت فإنّك ابنُ أعرابيّة جافِية . فقال عَقيل لعمر : لعن الله شرَّ الثلاثة ، منّي ومنك ومِنه ؛ فغضب عمرُ ، فقال له صُخَير ابنُ أبي الجَهْم : آمين . فهو والله أيّها الأمير شرّ الثلاثة . فقال عمر : والله إنّي لأراك لو سألتَه عن آية من كتابِ الله ما قرأها . فقال : بلى والله إنّي لقارىء لآية وآياتٍ فقال : فاقرأ ، فقرأ : إنّا بعثنا نوحاً إلى قومه ، فقال له عمر : قد أعلمتك أنّك لا تُحْسِن . ليس هكذا قال الله ، قال : فكيف قال ؟ قال : ﴿إنّا أرْسَلْنا نُوحاً﴾ فقال : وما الفرق بين أرسلنا وبعثنا ! [من الطويل]

خذا أنف هَرْشى أو قَفاهـا فإنّه كلا جانبي هَرْشى لهـنّ طريقُ

[دخل المسجد بخفّين غليظين وجعل يضرب بهما فضحك الناس منه]

أخبرني عُبيد الله بن أحمد الرازيّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثني علي بن محمد المدائنيّ عن عبد الله بن أسلم القرشيّ قال : قدِم عَقِيل بن عُلَّفة المدينة ، فدخل المسجد وعليه خُفَّانِ

1 هرشى : ثنية في طريق مكّة قريبة من الجحفة . وفي البيت مثل : يضرب فيما سَهُل إليه طريق من وجهين . وهرشى : ثنيّة في طريق مكّة شرّفها الله تعالى قريبة من الجحفة يرى منها البحر ولها طريقان فكلّ مَن يسلكها كان مصيباً . (معجم الأمثال للميدانيّ 3/31-32) .

غليظانِ ، فجعل يضربُ برجْلَيْه ، فضحكوا منه فقال : ما يُضحِكُكم ؟ فقال له يحيى بنُ الحَكَم ، وكانت ابنة عَقيل تحته : يضحكون من خُفَّيك وضرْبِك برجليك وشدّةِ جفائك . قال : لا ، ولكن يضحكون من إمارتك ؛ فإنّها أعجبُ من خُفّيّ . فجعل يحيى يضحك .

[خبره مع يحيى بن الحَكَم أمير المدينة وزواج ابنته]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدَّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدَّثني عمّي عن عبد الله بن مُصْعَب قاضي المدينة قال : دخل عَقِيلُ بن عُلَّفة على يحيى بنِ الحكم ، وهو يومئذٍ أميرُ المدينة . فقال له يحيى : أنكِح ابن خالي ، يعني ابنَ أوفى ، فلانةَ ابنتك ؟ فقال : إن ابنَ خالك لَيَرْضى منّي بدون ذلك ، قال : وما هو ؟ قال : أن أكُفَّ عنه سَنَنَ[1] الخيلِ إذا غشِيَتْ سَوامَه[2] . فقال يحيى لحرسيَّيْن بين يديه : أخرِجاه . فأخرجاه ، فلمّا ولّى قال : أعِيداه إليّ ، فأعاداه ، فقال عَقِيل له : ما لك تُكرِّني إكرارَ الناضِح[3] ؟ قال : أما والله إنّي لأكرك أعرج جافيا . فقال عَقِيل : كذلك قلت : [من البسيط]

تَعَجَّبَتْ إذ رأت رأسي تَجَلَّله ... من الروائع شيبٌ ليس من كبَرِ[4]

ومِن أديمٍ تولّى بعد جِدّته ... والجفنُ يَخلقُ فيه الصَّارِمُ الذكَرُ[5]

فقال له يحيى ، أنشِدني قصيدتَك هذه كلّها . قال : ما انتهيتُ إلاّ إلى ما سمعت . فقال : أما والله إنّك لَتقول فتقصّر ، فقال : إنّما يكفي من القلادة[6] ما أحاط بالرقبة . قال : فأنكِحني أنا إحدى بناتِك . قال : أمّا أنت فنعم . قال : أما والله لأملأنّك مالاً وشرفاً . قال : أما الشَّرف فقد حمّلتُ ركائبي منه ما أطاقت ، وكلفتها تجشُّمَ ما لم تطِقْ ، ولكن عليك بهذا المال فإن فيه صلاحَ الأيِّم ورضا الأبيّ . فزوّجه ثم خرج فهداها إليه ، فلمّا قدِمت عليه بَعَث إليها يحيى مولاة له لتنظر إليها ، فجاءتها فجعلت تغمِز عضُدها . فرفعت يدها ، فدقّت أنفها . فرجعت إلى يحيى وقالت : بعثتني إلى أعرابيّة مجنونة صنعتْ بي ما ترى ؛ فنهض إليها يحيى ، فقال لها : ما لك ؟ قالت : ما أردتَ أن بعثتَ إليّ أمَة تنظر إليّ ! ما أردتُ بما فعلتُ إلاّ أن يكون نظرك إليّ قبل كلّ ناظر ، فإن رأيتَ حسناً كنتَ قد سبقت إلى بهجته ، وإن رأيت قبيحاً كنتَ أحقّ مَن

1 السنن : استنان الخيل : وهو عدوها لمرحها ونشاطها .

2 السّوام : كل ما رعى من المال في الفلوات إذا خلي يرعى حيث يشاء .

3 الناضح : الدابة يستسقى عليها الماء .

4 الروائع : في ل : الوقائع .

5 تولّى : في ل : تعرّى . الذكر والذكير من الحديد : أيبسه وأشدّه وأجوده ، وفي البيت إقواء .

6 مثل ، ورد في مجمع الأمثال 196/1 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 62/2 «حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق» .

ستره . فسرّ بقولها وحظِيتْ عنده .

وذكر المدائنيّ هذا الخبر مثْلَه ، إلاّ أنّه قال فيه : فإن كان ما تراه حسناً كنت أوّلَ مَن رآه ، وإن كان قبيحاً كنت أوّلَ مَن واراه .

[زواج يزيد بن عبد الملك ابنته الجرباء]

أخبرني ابنُ دريد قال حدّثنا عبد الرحمن عن عمّه قال : خطب يزيد بن عبد الملك إلى عَقِيل بن عُلّفة ابنتَه الجرباء ، فقال له عَقِيل : قد زوّجتكها ، على أن لا يزُفّها إليك أعْلاجُك[1] ؛ أكونُ أنا الذي أجيءُ بها إليك . قال : ذلك لك . فتزوّجها ، ومكثوا ما شاء الله . ثم دخل الحاجبُ على يزيد فقال له : بالباب أعرابيٌّ على بعيرٍ ، معه امرأةٌ في هَوْدج قال : أراه والله عَقِيلاً . قال : فجاء بها حتى أناخ بعيرَها على بابه ، ثم أخذ بيدها فأذعنت ، فدخل بها على الخليفة فقال له : إن أنتما وُدِنَ[2] بينكما ، فبارك الله لكما ، وإن كرهتَ شيئاً فضع يدها في يدي كما وضعتُ يدها في يدك ثم برِئت ذمتك . فحملت الجِرباء بغلام ففرِح به يزيد ونَحَله وأعطاه . ثم مات الصبيّ ، فورِثت أمُّه منه الثُّلث ، ثم ماتت فورِثها زوجها وأبوها فكتب إليه : إن ابنك وابنتك هلكا ، وقد حسبت مِيراثك منهما فوجدته عشرةَ آلاف دينارٍ ، فَهَلُمَّ فاقبِضه .

[موت ابنته وامتناعه عن أخذ ميراثها]

فقال : إنّ مصيبتي بابني وابنتي تَشغَلني عن المال وطلبه ، فلا حاجةَ لي في مِيراثِهما ، وقد رأيتُ عندك فرساً سَبَقتَ عليه الناس ، فأعطِنيه أجعله فحلاً لخيلي . وأبى أن يأخذ المال ، فبعث إليه يزيد بالفرس .

[قال لرجل من قريش بالرفاء والبنين فأنكر عليه ذلك]

أخبرنا عبيدُ الله بنُ محمد قال حدّثنا الخرّاز عن المدائنيّ عن إسحاق بن يحيى قال : رأيتُ رجُلاً من قريش يقول له عَقِيل بن عُلّفة : بالرِّفاء والبنين والطائرِ المحمودِ . فقلت له : يا ابن عُلّفة ؛ إنّه يُكرَه أن يُقالَ هذا . فقال : يا ابن أخي ، ما تريد إلى ما أُحدِثَ ! إنّ هذا قولُ أخوالك في الجاهليّة إلى اليوم لا يعرِفون غيره . قال : فحدّثْتُ به الزُّهريّ فقال : إنّ عَقيلاً كان من أجهل الناس . قال : وإنّما قال لإسحاق بن يحيى بن طلحة : «هذا قول أخوالك» ، لأنّ أمّ يحيى بنِ طلحةَ مُرِيّة .

[خطب إليه رجل كثير المال مغموز في نسبه]

قال المدائنيّ وحدّثني عليُّ بنُ بشرٍ الجُشَمِيُّ قال قال الرُّمَيْحُ : خطب إلى عَقِيلٍ رجل من

---

1 أعلاجك جمع علج : الرجل الشديد الغليظ .

2 الودن والودان : حسن القيام على العروس ؛ ويقال : ودن العروس : أحسن القيام عليها .

بني مرّة كثيرُ المال ، يُغْمَزُ في نسبه ، فقال : [من الطويل]

لَعمْري لئن زوّجتُ من أجلِ ماله هجِيناً لقــد حُبَّتْ إليَّ الدراهمُ[1]
أأُنكِحُ عبداً بعــدَ يحيــى وخالدٍ أولئك أكفائــي الرجــالُ الأكارِمُ
أَبى لِيَ أَنْ أُرضــى الدنيّــةَ أنّني أمُــدُّ عِنانــاً لم تخنْــه الشكائمُ

[خطب إليه رجل من بني مرّة فطعن ناقته بالرمح فصرعته]

نسخت مِن كتاب محمد بن العبّاس اليزيديّ بخطّه يأثُره[2] عن خالد بنِ كلثوم بغير إسناد متصل بينهما : أنّ رجلاً من بني مُرّة يقال له داودُ أقبل على ناقةٍ له ، فخطب إلى عَقِيل بن عُلَّفة بعضَ بناتِه ، فنظر إليه عَقِيل ، وإنّ السيف لا يناله ، فطعن ناقَتَهُ بالرّمح فسقطت وصرعته ، وشدّ عليه عَقِيلٌ فهرب ، وثار عَقِيلٌ إلى ناقته فنَحَرها ، وأطعمها قومه وقال : [من الرجز]

أَلَـم تَقلْ يا صاحبَ القَلُوصِ داودَ ذا الساج وذا القميصِ[3]
كانت عليه الأرض حِيصٍ بيصِ حتى يَلُــفّ عِيصَه بعِيصي[4]
وكنــتُ بالشبّان ذا تقميــصِ

فقال داود فيه من أبيات : [من الطويل]

فتــى يَجْعَل الأمــرَ الحلالَ ببيتِهِ حراماً ويَقْرِي الضيفَ عَضْباً مهنَّدا

[فرّت منه زوجته الأنماريه فردّها إليه عامل فدك]

وقال المدائنيّ حدَّثني جوشن بن يزيد قال : لّما تزوّج عَقِيلُ بن عُلَّفة زوجَتَه الأنمارية ، وقد كَبر ، فرّت منه ، فلقيها جحّافٌ ، أحدُ بني قِتالِ بنِ يَرْبوع ، فحملها إلى عامل فَدَك ، وأصبح عقيلٌ معها ، فقال الأمير لِعَقِيل : ما لهذه تستعدي عليك يا أبا الجَرْباء ؟ فقال عقيلٌ : كَلَّ ذَكَري ، وذهب ذَفَري[5] ، وتغايَبَ نفَرِي ، فقال : خذ بيدها ، فأخذها وانصرف ، فولدت له بعد ذلك عُلَّفة الأصغر .

[شعره يحرض بني سهم على بني جوشن]

أخبرني هاشمُ بن محمد الخُزاعيّ قال حدَّثنا دَماذ عن أبي عبيدة قال : لما نشِبت الحرب بين بني جوشن وبين بني سهمِ بنِ مرّة رهط عَقِيل بن عُلَّفة المريّ ، وهو من بني غَيْظ بن مرّة بن سهم بن مُرَّةَ إخوتهم ، فاقتتلوا في أمر يهوديٍّ خَمّارٍ كان جاراً لهم ، فقتلته بنو جَوْشَنٍ

1 الهجين : العربيّ ابن الأمة .
2 يأثره : ينقله ويرويه .
3 السّاج : الطيلسان الضخم الغليظ .
4 حيص بيص : في الأصل جحر الفأر وهي هنا بمعنى ضيقة . عيصى المرء : أصله .
5 الذفر : شدّة ذكاء الريح .

من غطفان ، وكانوا متقاربي المنازل وكان عقيل بن عُلّفة بالشام غائباً عنهم ، فكتب إلى بني سهم يُحَرِّضُهم[1] . [من المتقارب]

فإمّـا هلكـتُ ولَـم آتِكُـمْ فأَبْلِـغْ أماثـلَ سَهْـمٍ رَسُولا
بـان التي سامكُـمْ قومُكُمْ لقـد جعلوهـا عليكم عُدولا
هـوان الحيـاة وضَيْمُ الممات وكـلاًّ أراه طعامـاً وبيـلا
فـإن لم يكـن غيرُ إحداهمـا فسيروا إلى الموت سيراً جميلا
ولا تقعـدوا وبكـم مُنَّـةٌ كفى بالحوادث للمرء غُولا[2]

قال : فلمّا وردت الأبياتُ عليهم تكفّلَ بالحربِ الحُصَيْن بن الحُمام المُرّيّ أحد بني سهم ، وقال : إليّ كتبَ وبي نَوّهَ ، خاطَبَ أماثلَ سهم وأنا من أماثلهم . فأبْلى في تلك الحروبِ بلاءً شديداً . وقال الحصين بن الحُمام في ذلك من قصيدة طويلة له : [من الطويل]

يَطَأن من القَتْلى ومـن قِصَدِ القَنا خَبـاراً فمـا ينهضْنَ إلاّ تَقَحُّما[3]
عليهنّ فِتْيـانٌ كساهـم محـرِّقٌ وكان إذا يَكْسو أَجـاد وأكرما[4]
صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قُيونُها ومطَّرداً مـن نسج داود محكَما[5]
تأخرت أستبقي الحياة فلم أجِـدْ لنفسي حيـاة مثـلَ أن أتقدما

[نهب بنو جعفر إبلاً لجاره فردّها إليه]

وقال المدائنيّ قال جَرّاح بن عِصام بن بُجَيْر : عدَتْ بنو جعفر بنِ كِلاب على جار لعَقيل فأطردتْ إبله وضربوه ، فغدا عَقِيل على جار لهم فضربه ، وأخذ إبلَه فأطردها ، فلم يردّها حتى ردّوا إبل جاره وقال في ذلك : [من الكامل]

إن يَشْرَقِ الكلبيّ فيكم بريقِه بني جعفر يُعْجَلْ لجاركُمُ القتلُ
فلا تحسبوا الإسلام غيَّر بعدكم رماحَ مواليكم فذاك بكم جهلُ
بني جعفر إن ترجعوا الحرب بيننا نُذِقكم كما كنّا نُذيقكُمُ قبلُ
بدأتم بجاري فانثنيتُ بجاركم وما منهما إلاّ له عندنا حَبْلُ

---

1 وردت بعض هذه الأبيات في المفضليات رقم 10 : منسوبة إلى بشامة بن عمرو دون تغيير ، وهي (1 ، 4 ، 5) وفي البيتين (2 ، 3) اختلاف واضح في الألفاظ .

2 الغول : كل ما أهلك الإنسان .

3 القصد : جمع قصدة ، وهي القطعة من القناة المتكسّرة . الخَبار من الأرض : ما لان واسترخى .

4 محرّق : لقب عمرو بن هند ، سمّي بذلك لأن أحرق مائة من بني تميم .

5 مطرداً : أي درعاً مطرداً ، أطرد الشيء : تبع بعضه بعضاً ، والمعنى تتابعت حلقاتها واتصلت .

[أسره بنو سلامان وأطلقه بنو القين]

وذكر المدائنيّ أيضاً : أنّ عَقِيلاً كان وحده في إبله ، فمرّ به ناس من بني سَلامان فأسَروه ، ومرّوا به في طريقه على ناس من بني القَيْن ، فانتزعوه منهم ، وخلّوْا سبيله . فقال عقيل في ذلك : [من الطويل]

أسعدَ هُذَيْم إنّ سعداً أباكُمُ ... أبى لا يوافي غاية القَيْنِ من كلبِ
وجاء هُذيمٌ والركابُ مُناخةٌ ... فقيل تأخّرْ يا هذيمُ على العَجْبِ[1]
فقال هذيم إن في العَجْبِ مركبي ... ومركب آبائي وفي عَجْبِها حَسْبي

قال : وسعد هذيم هم عُذرةُ وسَلامان والحارثُ وضَبّة .

[مات ابنه علفة بالشام فرثاه]

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويْه قال حدّثني أبو مسلم عن المدائنيّ عن عبد الحميد بن أيّوب بن محمد بن عُمَيْلة قال : مات عُلّفة بن عَقيل الأكبر بالشام ، فنعاه مُضَرِّس بن سَوادة لعَقِيل بأرض الجناب ، فلم يصدّقه وقال : [من الكامل]

قَبَح الإلهُ ـ ولا أقبّح غيره ـ ... ثَفَرَ الحمار مضرِّس بنَ سَوادِ[2]
تَنْعى امرءاً لم يَعْلُ أُمَّك مثلُهُ ... كالسَّيْفِ بين خَضارمٍ أنجادِ[3]

ثم تحقق الخبر بعد ذلك ، فقال يرثيه : [من الطويل]

لَعَمري لقد جاءتْ قوافل خبّرت ... بأمرٍ من الدنيا عليّ ثقيلِ
وقالوا ألا تبكي لمصرعِ فارس ... نعتْه جنودُ الشام غيرِ ضئيلِ
فأقسمتُ لا أبكي على هُلْك هالكٍ ... أصاب سبيلَ اللهِ خيرَ سبيلِ
كأن المنايا تبتغي في خيارِنا ... لها نسباً أو تهتدي بدليلِ
تَحُلُّ المنايا حيثُ شاءت فإنّها ... مُحَلَّلةٌ بعد الفتى ابن عَقِيلِ
فتًى كان مولاه يَحُلُّ بربْوَةٍ ... فَحلَّ الموالي بعده بمَسِيلِ

[حطم رجل من بني صرمة بيوته فأقبل ابنه عملس من الشام فانتقم له]

أخبرني محمد بنُ الحسن بنُ دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة : قال : كان عَقِيل بن عُلّفة قد أطردَ بنيه ، فتفرّقوا في البلاد وبقي وحده . ثم إنّ رجلاً من بني صِرمة ، يقال له بَجِيل ، وكان كثير المال والماشية ، حَطَمَ بيوتَ عَقِيل بماشيته ، ولم يكن قبل ذلك أحد يقرُب من بيوت

1 العجب : أصل الذنب وهو العصعص .
2 الثفر : السير الذي في مؤخّر السّرج تحت ذنب الدابة .
3 خضارم ، جمع خضرم : الجواد الكثير العطية .

عَقِيل إلاّ لَقِيَ شرّاً . فطردت صافنةُ (أَمةٌ له) الماشية ، فضربها بَجيلٌ بعصا كانت معه فشجّها . فخرج إليه عَقيل وحده ، وقد هرِم يومئذٍ وكبرتْ سِنّه ، فزجره فضربه بَجِيل بعصاه ، واحتقره . فجعل عَقِيل يصيح : يا عُلّفة ، يا عَمَلّس ، يا فلان ، يا فلان ، بأسماء أولاده مستغِيثاً بهم ، وهو يحسبهم لهرمِه أنّهم معه . فقال له أرطاة بن سُهَيّة : [من الوافر]

أكلتَ بنِيكَ أكلَ الضبِّ حتى وجدتَ مرارةَ الكـلأ الوبيلِ

ولـو كان الألى غابوا شهوداً منعتَ فِناءَ بيتِك مـن بَجِيلِ

وبلغ خبرُ عَقيلٍ ابنَه العَملّس وهو بالشام ، فأقبل إلى أبيه حتى نزل إليه ، ثم عمَد إلى بَجيل فضربه ضرباً مبرِّحاً ، وعقر عِدَّة من إبله وأوثقه بحبل ، وجاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه ، ثم ركِب راحلتَه ، وعاد من وقته إلى الشام ، لم يَطعَم لأبيه طعاماً ، ولم يشرب شراباً .

[خبر ابنه المقشعر مع أعرابي نزل]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا ابن عائشة قال : نزل أعرابيّ على المُقْشَعِرّ بن عَقِيل بن عُلّفة المرّي فشربا حتى سكِرا وناما ، فانتبه الأعرابيّ مُرَوَّعاً في الليل وهو يهذِي ، فقال له المُقْشَعِرُّ : ما لك ؟ قال : هذا ملك الموتِ يقبِض روحي . فوثب ابن عقِيل فقال : لا والله ولا كرامةَ ولا نِعمة[1] عينٍ له ! أيقبِض رُوحَك وأنت ضيفي وجاري ؟ فقال : بأبي أنتم وأُمّي ! طال والله ما منعتم الضَّيم . وتلفَّف ونام .

تمّت أخبار عقِيل ولله الحمد والمِنّة .

قد مضت أخبارُ عقيلٍ فيما تقدّم من الكتاب ، ونذكر هاهنا أخبار شَبيب بن البَرْصاء ونسبه ، لأنّ المُغنّين خلطوا بعضَ شعره ببعض شِعر عَقِيل في الغناء الماضي ذِكْرُهُ ، ونعيدُ هاهنا من الغناء ما شعرُهُ لشبيبٍ خاصةً وهو : [من الطويل]

صوت

من المائة المختارة

سَلا أُمَّ عمرِو فيم أضحى أَسيرُها تُفادى الأسارى حوله وهو موثقُ

فلا هـو مقتول ففي القتـل راحَةٌ ولا منعَـمٌ يومـاً عليـه فمطْلَقُ

ويروى :

ولا هـو مَمْنونٌ عليـه فمطلقُ

الشعرُ لشبيب بن البرصاء ، والغناء لِدُقاق جاريةِ يحيى بن الربيع . رملٌ بالوسطى عن عمرو . وذكر حبشٌ أنّ فيه رملاً آخر لطويس .

---

1 نعمة عين : قرّتها .

[224] ـ أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه

[نسبه]

هو شبيبُ بنُ يزيد بن جمرةَ ، وقيل جبرة بن عوف بن أبي حارثة بن مرّة بن نُشْبة بن غَيْظ بن مرّة بن سعد بن ذُبيان . والبرصاء أمّه ، واسمها قِرْصافة بنت الحارث بن عوف بن أبي حارثة ، وهو ابن خالة عقيل بن عُلّفة ، وأمّ عقيل عَمْرَة بنت الحارث بن عوف ، ولُقّبت قِرْصافةُ البَرْصاء لبياضِها ، لا لأنها كان بها برص .

[هاجى عقيل بن علفة]

وشبيبٌ شاعرٌ فصيح إسلاميٌّ من شعراء الدولة الأموية ، بَدَويّ لم يَحْضُر إلاّ وافداً أو منتجِعاً . وكان يُهاجي عَقِيلَ بن عُلّفة ويُعاديه لشراسة كانت في عَقِيل وشرّ عظيم . وكلاهما كان شريفاً سيّداً في قومه ، في بيت شرفهم وسُؤْدُدهم . وكان شَبيب أعور ، أصاب عينه رجل من طيىء في حَرْب كانت بينهم .

[هاجى أرطاة بن سهية]

أخبرنا محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدَّثنا أبو حاتم السِّجِستانيّ عن أبي عبيدة قال : دخل أرْطاة بن سُهَيَّة على عبد الملك بن مروان ، وكان قد هاجى شَبِيب بن البرصاء ، فأنشده قوله فيه : [من الطويل]

أَبِي كان خيراً من أبيك ولَم يزلْ جنِيبـاً لآبائـي وأنـت جَنِيبُ[1]

فقال له عبد الملك : كذبت ! ثم أنشده البيت الآخر فقال :

وما زلتُ خيراً منك مذ عضّ كارهاً برأسِكَ عـادِيُّ النِّجـادِ رَكُوبُ[2]

فقال له عبد الملك : صدقت . وكان أرطاة أفضل من شَبِيبٍ نفساً ، وكان شبيب أفضل من أرطاة بيتاً .

[فاخره عقيل بن علفة فهجاه]

أخبرني محمد بن يحيى الصوليّ قال حدَّثنا الخَزَنْبَل عن عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال : فاخر عَقِيل بن عُلّفة شَبِيب بن البرصاء فقال شبيب يهجوه ، ويُعَيِّرُه برجلٍ من طيىء كان يأتي أمّه عَمْرَةَ بنت الحارث يقال له حَيّان ، ويهجو غيظ بن مرّة : [من الطويل]

---

1 الجنيب : المنقاد التّابع .

2 العاديّ : القديم . النجاد : جمع نجد . والركوب : المركوب الموطوء .

ألسنا بفُرْعٍ قد علمتم دِعامةً ورابيةً تنشقُّ عنها سيولُها[1]
وقد علِمتْ سعد بن ذُبيان أنّنا رحاها الذي تأوي إليها وجُولها[2]
إذا لم نَسُسْكم في الأمورِ ولم نكُنْ لحربٍ عَوانٍ لاقِحٍ مَنْ يَئُولها[3]
فلستم بأهدى في البلاد مِن التي تَرَدَّدُ حَيْرى حين غاب دليلُها
دعت جُلُّ يربوع عقيلا لحادثٍ من الأمر فاستخفى وأعيا عقيلُها
فقلت له : هلاّ أجبتَ عشيرةً لطارقِ ليلٍ حين جاء رسولُها !
وكائِن لنا من رَبْوة لا تنالها مَراقيك أو جُرثومةٍ لا تطولُها
فخَرْتَ بأيّامٍ لغيرك فخرُها وغُرَّتُها معروفةٌ وحُجُولُها
إذا الناس هابوا سَوْءةً عَمَدتْ لها بنو جابر شُبَّانُها وكُهولُها
فَهَلاّ بني سعدٍ صَبَحْتَ بغارةٍ مُسَوَّمةٍ قد طار عنها نَسيلُها ![4]
فتُدركَ وِتراً عند ألأم واترٍ وتُدْرِكَ قتلى لم تُتَمَّمْ عقولُها[5]

[افتخر عليه عقيل بمصاهرته للملوك فهجاه]

وقال أبو عمرو : اجتمع عَقِيل بن عُلَّفة وشبيب بن البرصاء عند يحيى بن الحَكَم فتكلّما في بعض الأمر ، فاستطال عقيلٌ على شبيب بالصِّهر الذي بينه وبين بني مروان وكان زَوّج ثلاثاً من بناته فيهم ، فقال شبيب يهجُوه : [من الوافر]

ألا أبلغ أبا الجَرْباء عَنّي بآياتِ التباغُض والتَّقالي
فلا تذكُرْ أباك العبدَ وافخر بأمّ لست مُكرِمَها وخالِ
وهبها مُهْرَةً لَقحت ببغل فكان جنينُها شرَّ البغالِ
إذا طارت نفوسُهُمُ شَعاعاً حَمَيْنَ المُحْصَنات لدى الحِجالِ[6]
بطعنٍ تعثُرُ الأبطالُ منه وضربٍ حيثُ تُقْتَنَصُ العَوالي[7]

1 الفُرع : عدّة قرى آهلة على أربعة أيّام من المدينة .
2 الجول : الصخرة التي في الماء يكون عليها الطيّ فإنْ زالتْ تلك الصخرة تهوّر البئر .
3 يئولها : يسومها .
4 الغارة : الخيل المغيرة . مسوّمة : مرسلة وعليها ركبانها ، أو معلمة . النسيل : ما سقط من شعر وصوف .
5 العقول : جمع عقل ، وهو الدية .
6 الحجال جمع حَجَلة : وهي الكلّة تهيّأ للعروس .
7 العوالي : جمع عالية وهي أعلى الرمح.

أبـى لِـي أنّ آبائـي كـرام ... بَنَوْا لي فـوق أشرافٍ طِـوالِ[1]
بيوتَ المجـد ثـم نموت منها ... إلى عليـاءَ مُشْرِفـة القَـذالِ
تَـزِلُّ حِجـارةُ الرامـين عنهـا ... وتقصُر دونهـا نَبـلُ النِّضالِ
أَبالْحُفَّـاثِ شرٌّ النـاس حيّـاً ... وأعنـاقِ الأُيـورِ بنـي قِتـالِ
رَفعـتَ مُسامِياً لتنـالَ مجـداً ... فقد أصبحتَ منهـم في سَفـالِ

قال أبو عمرو : بنو قِتال إخوةُ بني يربوع رهط عقيل بن علّفة وهو قوم فيهم جفاء ، قال أبو عمرو : مات رجل منهم فلفّه أخوه في عباءة له ، وقال أحدهما للآخر : كيف تحمِله ؟ قال : كما تُحْمَل القربة . فعمَد إلى حبل فشدّ طَرَفه في عنقه وطرفه في ركبتيه وحمله على ظهره كما تُحمل القِربة ، فلمّا صار به إلى الموضع الذي يريد دفنه فيه حفر له حفِيرةً ، وألقاه فيها ، وهال عليه التراب حتى واراه . فلمّا انصرفا قال له : يا هناه[2] ، أُنْسِيتُ الحبل في عنق أخي ورجليه ، وسيبقى مكتوفاً إلى يوم القيامة . قال : دعه يا هناه ، فإن يرِد الله به خيراً يَحْلُلْه .

[خطب بنت يزيد بن هاشم فردّه ثم قبله فأبى]

وقال أبو عمرو : خطب شبِيب بن البرصاء إلى يزيد بن هاشم بن حَرْملة المُرّيّ ثم الصِّرْميّ ابنتَه ، فقال : هي صغيرة ، فقال شبيب : لا ؛ ولكنّك تبغي أن تردّني ، فقال له يزيد : ما أردت ذاك ، ولكن أنظِرني هذا العام ، فإذا انصرم فعليّ أن أزوّجك . فرحل شبيبٌ من عنده مُغْضَباً ، فلما مضى قال ليزيدَ بعضُ أهله : والله ما أفلحتَ ! خطب إليك شبيبٌ سيّدُ قومك فرددتَه ! قال : هي صغيرة ، قال : إن كانت صغيرة فستكبَر عنده . فبعث إليه يزيد : ارجع فقد زوّجتك ، فإنّي أكره أن ترجع إلى أهلك وقد رددتك ، فأبى شبيبٌ أن يرجع وقال : [من الطويل]

لَعَمْري لقـد أشرفتُ يـوم عُنَيزةٍ ... على رغبةٍ لو شدّ نفسي مَرِيرُها[3]
ولكنّ ضعفَ الأمـر ألاّ تُمِـرَّه ... ولا خير في ذي مِـرّةٍ لا يُغِيرُها[4]
تَبَيَّنُ أدبـارُ الأمـورِ إذا مضت ... وتُقبِلُ أشباهاً عليـك صدورُها
تُرَجِّي النفوسُ الشيءَ لا تستطيعُهُ ... وتَخشى من الأشياء ما لا يَضيرُها
ألا إنّما يكْفي النفوس إذا اتّقت ... تُقـى الله مِمّا حـاذَرتْ فيُجيرُها

---

1 أشراف : جمع شرف ، وهو المكان العالي .
2 هن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان .
3 المرير والمريرة : العزيمة . وعنيزة : موضع ، وهي هضبة سوداء ببطن فلج بين البصرة وحمى ضرية .
4 أمر الحبل : أحكم فتله . وأغار الحبل : أحكم فتله .

ولا خيرَ في العِيـدانِ إلاّ صِلابُها ولا ناهِضاتِ الطير إلاّ صُقورُها
ومستنبحٍ يدعو وقـد حـال دونه من الليل سَجفا ظُلمةٍ وستُورُها[1]
رفعتُ لـه ناري فلمّا اهتدى لها زجرتُ كلابـي أن يَهِـرّ عَقُورُها
فبات وقـد أسرى من الليلُ عُقْبَةً بليلةِ صِدْقٍ غاب عنهـا شُرورُها
وقـد علِـم الأَضياف أنّ قِراهُمُ شِواءُ المَتـالي عندنـا وقَدِيرُها[2]
إذا افتخرت سعدُ بنُ ذُبيان لم يَجِد سوى مـا بنينا مـا يَعُدّ فَخورها
وإنّـي لترّاكُ الضغينةِ قـد بـدا ثَراهـا من المولى فـلا أستثِيرها[3]
مخافةَ أن تجنـي عـليّ وإنّما يَهِيج كبيراتِ الأُمـورِ صغيرُها
إذا قِيلت العَوراءُ ولّيتُ سمعَهـا سواي ولم أُسمع بها مـا دَبِيرُها[4]
وحاجةِ نفسٍ قـد بلغتُ وحاجةٍ تركتُ إذا ما النفس شحَّ ضميرها
حيـاءٍ وصبراً في المواطـن إنّني حييٌّ لَدى أمثالِ تلـك سَتِيرها[5]
وأحبِس في الحـقّ الكريمةَ إنّما يقوم بحـقّ النائبـات صَبورها[6]
أُحابي بهـا الحيَّ الذي لا تُهِمُّه وأحسابَ أمـواتٍ تُعَـدّ قبورها
أَلَـم تَـرَ أنّا نـورُ قـوم وإنّما يُبَيِّـن في الظلماء للنّـاس نورُها

[تمثّل محمد بن مروان بشعره]

أخبرني محمد بن عِمران الصَّيْرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عُلَيْلُ العَنَزِيّ قال حدَّثني محمد بن عبد الله بن آدم بن جُشَم العبديّ قال : كانت بين بني كلب وقوم من قيس دِياتٌ ، فمشى القوم إلى أبناء أخواتهم من بني أُمية يستعينون بهم في الحَمالة[7] ، فحملها محمد بن مروان كلَّها عن الفريقين ، ثم تمثّل بقول شبِيب بن البرصاء : [من الكامل]

ولقد وقفتُ النفسَ عـن حاجاتِها والنَّفسُ حاضِرةُ الشَّعـاعِ تَطَلَّعُ

1 السّجف : السّتر .
2 ناقة متلية ومتل : يتلوها ولدها أي يتبعها . والقدير : اللحم المطبوخ في القدر .
3 ثراها : أثرها . والمولى : الصاحب وابن العمّ .
4 العوراء : الكلمة العوراء .
5 الستير : العفيف .
6 الكريمة : أي الناقة الكريمة .
7 الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم .

وغرِمت في الحَسَب الرفيع غَرامةً يَعيا بها الحَصِر الشَّحيحُ ويَظْلَعُ[1]
إنّي فتًى حرٌّ لِقَدْريَ عارفٌ أُعْطي بـه وعليـه مِمَّا أُمنَعُ

[نزل هو وأرطاة بن زفر وعويف القوافي على رجل من أشجع فلم يكرم ضيافتهم فهجوه]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال . حدَّثنا إسحاق بن محمد النَّخَعيّ قال . حدَّثني الحِرمازيُّ قال : نزل شبيبُ بن البرصاء وأرطاةُ بنُ زُفَر وعُوَيْفُ القوافي برجل من أشْجَعَ كثيرِ المال يُسمّى عَلْقَمةَ ، فأتاهم بشربة لبن ممذوقةٍ ولَم يَذْبح لهم ، فلمّا رأوا ذلك منه قاموا إلى رواحلهم فركبوها ثم قالوا : تعالَوْا حتى نهجوَ هذا الكلب . فقال شبيب : [من الطويل]

أفي حَدَثانِ الدهـر أمْ في قديمـه تعلّمتَ ألاَّ تَقْرِيَ الضيفَ علقما[2] ؟

وقال أرطاة : [من الطويل]

لبِثنا طويـلاً ثـم جـاء بمَذْقَـةٍ كماء السَّلا في جانب القَعْبِ أثْلَما[3]

وقال عُوَيف : [من الطويل]

فلمّـا رأينـا أنّه شرّ منـزلٍ رمينا بهنّ الليلَ حتى تُخُرِّما[4]

[عاد من سفر فعلم بموت جماعة من بني عمّه فرثاهم]

أخبرني هاشمُ بن محمدٍ الخُزاعيّ قال : حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن القحذميّ قال : غاب شبيبُ بن البرصاء عن أهله غيبةً ، ثم عاد بعد مدّة ، وقد مات جماعة من بني عمّه ، فقال شبيب يرثيهم : [من البسيط]

تخـرَّم الدهرُ إخواني وغادرني كما يُغـادَرُ ثـورُ الطـارد الفَئِدُ[5]
إني لبـاقٍ قليـلاً ثـم تابِعُهُم ووارِدٌ مَنهـلَ القومِ الذي وَرَدُوا

[هاجى رجلاً من غني فأعانه أرطاة بن سهيّة عليه]

قال أبو عمرو : هاجى شبيبُ بنُ البرصاء رجلاً من غَنيّ ، أو قال من باهلةَ ، فأعانه أرطاة بن سُهَيّة على شبيب ، فقال شبيب : [من الطويل]

لعمري لئن كانت سهيّةُ أوضَعَت بأرطاةَ في رَكْبِ الخيانة والغدرِ[6]

---

1 الحصر : البخيل .
2 حدثان : بمعنى حديث .
3 السّلا : الجلدة الرقيقة فيها الولد من الناس والمواشي ، إنْ لم تنزع عن وجه الولد قتلته . والقعب : القدح .
4 تخرّم : استؤصل وانقضى .
5 الفئد : الذي يشكو فؤاده .
6 أوضعت : أسرعت .

فما كان بالطِّرْف العَتيقِ فيُشْتَرى لِفِحلتـه ، ولا الجوادِ إذا يجرِي
أتنْصُرُ منّـي معشراً لستَ منهـم وغيرُك أولى بالحِياطـةِ والنصـرِ

ويروى : «وقد كنتُ أولى بالحِياطة» وهو أجود .

[استعدى عليه رهط أرطاة عثمان بن حيان لهجائه إيّاهم]

وقال أبو عمرو : استعدى رهطُ أرطاةَ بن سُهَيَّة على شبيب بن البرصاء إلى عثمان بن حَيَّان المرّي وقالوا له : يعُمَّنا بالهجاء ويشتُم أعراضنا ، فأمر بإشخاصه إليه فأشخِص ، ودخل إلى عثمان وقد أتي بثلاثة نفر لصوص قد أفسدوا في الأرض يقال لهم بَهْدَل ومثغورٌ وهَيْصَم ، فقتل بهدلاً وصلبه ، وقطع مثغوراً والهيصم ، ثم أقبل على شبيب فقال : كم تَسُبُّ أعراض قومك وتستطيل عليهم ؛ أُقسِمُ قسماً حقّاً لئن عاودت هجاءهم لأقطعنّ لسانك ، فقال شبيب : [من الطويل]

سجنتَ لساني يا ابن حيّانَ بعدما تَولَّى شبابي ، إنّ عَقْـدك مُحْكَمُ
وَعيدُك أبقى مـن لساني قُذاذةً هَـيُوبـاً ، وصَمْتاً بعدُ لا يتكلّمُ[1]
رأيتك تَحْلَوْلي إذا شئت لامرىءٍ ومُرّاً مُـراراً فيـه صابٌ وعَلْقَمُ[2]
وكلّ طريـدٍ هالـكٌ مُتَحَيِّـر كما هلـك الحيرانُ والليـل مظلمُ
أصبتَ رجالاً بالذنوب فأصبحوا كما كان مثغـورٌ عليـك وهَيْصَمُ
خطاطِيفُك اللاتـي تخطّفن بَهْدَلاً فأوفى به الأشرافَ جِذعٌ مقوَّمُ[3]
يـداك يَـدا خير وشرٌّ فمنهما تَضُـرُّ وللأخـرى نَـوالٌ وأنعُمُ

[ذهب دعيج بن سيف بإبله فخرج في طلبها فرماه دعيج فأصاب عينه]

وقال أبو عمرو : استاق دُعَيجُ بن سيف بن جذيمة بن وهب الطائيُّ ثم الجَرْميُّ إبلَ شبيب بن البرصاء فذهب بها ، وخرج بنو البرصاء في الطلب ، فلمّا واجهوا بني جَرْم قال شبيب : اغتنِموا بني جَرْم ، فقال أصحابه : لسنا طالبين إلاّ أهل القَرْحَة ، فمضوا حتى أتوا دُعيجاً وهو برأس الجبل ، فناداه شبيب : يا دعيج ، إن كانت الطِّراف حَيَّة فلك سائر الإبل ، فقال : يا شبيب ، تبصَّرْ رأسها من بين الإبل ، فنظر فأبصَرها ، فقال شبيب : شدّوا عليه واصعدوا وراءه ، فأبوا عليه ، فحمل شبيب عليه وحده ، ورماه دُعيجٌ فأصاب عينَه ، فذهب

1 القذاذة من كل شيء : ما قطع منه .
2 المرار : شجر مرّ .
3 أشراف الناس : أعلاه .

بها ، وكان شبيبٌ أعورَ ثم عمِيَ بعد ما أسنّ ، فانصرف وانصرف معه بنو عمّه ، وفاز دعيج بالإبل ، فقال شبيب : [من الطويل]

أمرتُ بنـي البرصاء يـومَ حُزابَةٍ ... بأمـرٍ جميـع لم تَشتَّتْ مصادِرُهْ
بشَوْل ابن معروف وحَسَّانَ بعد ما ... جَرى لِيَ يُمنٌ قد بدا لِيَ طائِرُهْ[1]
أيرجع حُرٌّ دون جَرْم ولَم يكن ... طِعانٌ ولا ضربٌ يُذَعْذَع عاسِرُهْ[2] ؟
فأذهَبَ عيني يـوم سفح سَفِيرةٍ ... دُعَيْجُ بنُ سيف ، أعوزتْه معاذِرُهْ
ولمّا رأيت الشَّولَ قـد حال دونها ... من الهَضْب مُغْبَرٌّ عنيفٌ عمائِرُهْ[3]
وأعرض ركـنٌ من سَفيرةَ يُتَّقى ... بشُمٍّ الذُّرى لا يعبُـدُ اللهَ عامِرُهْ[4]
أخذت بني سيفٍ ومالِكَ مَوْقَعٍ ... بما جَرّ مولاهمْ وجَرّت جرائِرُهْ[5]
ولو أنّ رَجْلي يوم فرّ ابنُ جَوْشنٍ ... عَلِقن ابن ظبي أعوزَتْـه مَغاوِرُهْ[6]

[هجاه أرطاة بن سهيّة ونفاه عن بني عوف]

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن عاصم بن الحَدَثان قال : هجا أرطاةُ بن سهيّة شبيبَ بن البرصاء ونفاه عن بني عوف فقال : [من الطويل]

فلـو كنتَ عَوْفِيّا عمِيتَ وأَسْهَلَتْ ... كُداكَ ولكـنّ المُريـب مُرِيبُ[7]

قال : فعمِي شبيب بن البرصاء بعد موت أرطأة بن سهيّة ، فكان يقول : ليت ابن سهيّة حيّاً حتى يعلم أنّي عَوفيّ ، قال : والعمى شائع في بني عوف ، إذا أسنّ الرجل منهم عميَ ، وقلّ مَن يفلت من ذلك منهم .

[امتدح شعره عبد الملك بن مروان وفضله على الأخطل]

وحدّثني عمّي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عليٌّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال : أنشد الأخطل عبد الملك بن مروان قوله : [من الكامل]

---

1 الشول : النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فشال لبنها أي ارتفع .
2 يذعذع : يبدّد ويفرّق . العاسر : الناقة ترفع ذنبها في عدوها . سفيرة : ناحية من بلاد طيىء ، وقيل : صهوة لبني جذيمة من طيىء يحيط بها الجبل .
3 الهضب : جبل ينبسط على الأرض . عمائر : جمع عمارة وهي أصغر من القبيلة .
4 عامرة : يعني به دعيجاً .
5 موقع : اسم موضع .
6 الرجل : جماعة الرجالة .
7 الكديّ : جمع كدية وهي الأرض الصلبة .

بَكَـر العواذِل يبتدِرْن ملامتي والعاذِلون فكلُّهـم يَلْحـاني
في أن سبقتُ بِشَربـة مَقَدِيَّةٍ صرفٍ مُشَعْشَعَةٍ بماءِ شُنانِ[1]

فقال له عبد الملك : شبيبُ بن البرصاء أكرم منك وصفاً لنفسه حيث يقول : [من الطويل]

وإنّي لسهلُ الوجـه يُعرَف مجلسي إذا أحـزَنَ القـاذورةُ المتَعَبِّسُ[2]
يضيءُ سَنا جودي لَمن يبتغي القـرى وليلُ بخيـلِ القـوم ظَلمـاءُ حِندِسُ
أَلِـينُ لذي القُربـى مِـراراً وتَلتَوِي بأعنـاقِ أعدائـي حبـالٌ تَمَرَّسُ[3]

[كان عبد الملك يتمثّل بشعره ويعجب به]

قال : وكان عبد الملك يَتمثَّل بقول شبيبٍ في بذل النفس عند اللقاء ويُعجَب به : [من الطويل]

دعـاني حِصنٌ للفِـرار فساءَني مواطِـنُ أن يُثْنـى عـليّ فأُشْتَما
فقلت لحِصنٍ نَـحِّ نفسَك إنّما يذُود الفتى عن حوضه أن يُهَدَّما
تأخّرتُ أستبقي الحيـاةَ فلم أجِد لنفسي حيـاةً مثـلَ أن أتقدّما
سيكفيك أطـرافَ الأسنّة فارسٌ إذا رِيـعَ نادى بالجواد وبالحِمى
إذا المرءُ لم يَغْشَ المكارِهَ أو شَكَتْ حِبالُ الهُوَيْنى بالفتـى أن تَجَذَّما[4]

[سبب مهاجاته عقيل بن علّفة]

نسختُ من كتاب أبي عبد الله اليزيديّ ولَم أقرأه عليه ، قال خالد بن كلثوم : كان الذي هاج الهجاءَ بين شبيب بن البرصاء وعقِيل بن علّفة أنّه كان لبني نُشْبَة جار من بني سَلامان بن سعد ، فبلغ عقيلاً عنه أنّه يطوف في بني مرّة يتحدّث إلى النساء فامتلأ عليه غيظاً ، فبينا هو يوماً جالس وعنده غِلمان له وهو يجُزّ إبلاً له على الماء ويَسِمُها إذ طلع عليه السَّلاماني على راحلته ، فوثب عليه وهو وغِلمانه فضربوه ضرباً مبرِّحاً ، وعقر راحلته ، وانصرف من عنده بشرّ ، فلم يعد إلى ذلك الموضع ، ولَجَّ الهجاء بينهما . وكان عقيلٌ شَرِساً سيّىء الخلق غَيُوراً .

1 خمر مقدية : نسبة إلى مقد وهي قرية بالأردن . مشعشعة : ممزوجة . الشنان : الماء البارد .
2 أحزن : صار في الحزن . القاذورة : السيء الخلق .
3 تتمرس : يشتدّ التواؤها .
4 تجذّم : تقطّع .

[225] ـ أخبار دُقاق

[تزوّجت يحيى بن الربيع ثم بعدّة من القوّاد والكتاب فماتوا]

كانت دقاقُ مغنّيةً محسنة جميلةَ الوجهِ قد أخذت عن أكابر مُغنّي الدولة العباسيّة ، وكانت ليحيى بن الربيع ، فولدت له أحمدَ ابنه ، وعُمِّر عمراً طويلاً وحدَّثنا عنه جحظة ونظراؤه من أصحابنا ، وكان عالِماً بأمر الغناء والمغنين ، وكان يغنّي غناء ليس بمُستَطاب ولكنّه صحيح . ومات يحيى بنُ الربيع فتزوّجت بعده من القوّاد والكتّاب بِعِدّة ، فماتوا وورِثَتْهم .

[مغنية مجيدة مشهورة بالظرف والمجون]

فحدّثني عمّي قال حدَّثني أحمدُ بن الطيب السَّرَخْسيُّ قال : كانت دقاق ، أمّ ولد يحيى ابن الربيع أحمد المعروفِ بابن دقاق ، مغنيةً محسنة متقِنَة الأداءِ والصّنعة ، وكانت قد انقطعت إلى حَمدونَة بنتِ الرشيد ثم إلى غَضِيض ، وكانت مشهورة بالظَّرف والمجون والفتوَّة . قال أحمد بن الطيب : وعَتَقتْ[1] دقاق فتزوّجها بعد مولاها ثلاثةٌ من القوّاد من وجوههم ، فماتوا جميعاً ، فقال عيسى بن زينبَ يهجوها : [من الخفيف]

قلتُ لمّا رأيتُ دارَ دقاقِ ... حسنُها قد أضرّ بالعشّاقِ
حذِّروا الرابع الشَّقيَّ دقاقاً ... لا يكوننَّ نجمُه في مِحاقِ
أُلْهُ عن بَضْعها فإن دُقاقاً ... شُؤْمُ حِرْها قد سار في الآفاقِ[2]
لم تضاجع بعلاً فهبّ سليماً ... بل جريحاً وجُرحُه غير راقي[3]

[كتبت إلى حمدون تصف هنها فردّ عليها]

أخبرني الحسين بن القاسم الكوكبيّ قال حدَّثني الهَداديّ الشاعر قال حدَّثني أبو عبد الله بن حمدون وأخبرني جحظةُ عن ابن حمدون ، وروايةُ الكوكبيّ أتمّ ، قال : كتبتْ دقاق إلى أبي تصفُ هنها[4] صفةً أعجزه الجوابُ عنها ، فقال له صديق له : ابعث إلى بعض المُخنَّثين حتى يصف متاعك ، فيكون جوابَها ، فأحضر بعضَهم وأخبره الخبر ، فقال : اكتب إليها : عندي

1 عَتَقَ العبد : خرج عن العتق .
2 البَضع : التزوج ، والبُضع : النكاح .
3 راقي : مسهّل راقىء ، من رقأ الدم أو الدمع : جفّ .
4 هن المرأة : فرجها .

القُوقُ[1] البُوقُ ، الأصلع المزبوق[2] ، الأقرع المفروق ، المنتفِخُ العروق ، يسدّ البُثوقَ[3] ، ويفتُق الفُتوق ، ويُرِمُّ[4] الخُروق ، ويَقْضي الحقوق ، أسدٌ بين جملين[5] ، بغلٌ بين حَمَلَيْن[6] ، منارةٌ بين صخرتين ، رأسه رأس كلب ، وأصله مترس[7] دَرْب ، إذا دخل حَفَر ، وإذا خرج قَشَر ، لو نطح الفيلَ كوَّره ، ولو دخل البحر كدّره ؛ إذا رقَّ الكلامُ ، وتقاربتِ الأجسام ، والتفتِ الساقُ بالساق ، ولُطِخ باطنُها[8] بالبُصاق ، وقُرِع البَيْضُ بالذكور[9] ، وجَعلت الرماح تَمُور ، بطعن الفِقاح[10] ، وشقِّ الأَحْراح[11] ، صبرْنا فلم نجزع ، وسلّمنا طائعين فلم نُخْدع . قال : فقطَعَها .

[مجلس بين ابنها وبين أبي الجاموس اليعقوبيّ]

حدَّثني عمّي قال حدَّثني أحمد بن الطيّب قال حدَّثني أحمد بن عليّ بن جعفر قال : حضرتُ مرّة مجلساً وفيه ابنُ دقاق وفيه النصرانيّ المعروف بأبي الجاموس اليعقوبيّ البزّاز قَرابة بلال قال : فعبِث ابن دقاق بأبي الجاموس ، فلمّا أكثر عليه قال : اسمعوا منّي ، ثم حلف بالحنيفية أنّه لا يكذب ، وحدَّثنا قال : مضيت وأنا غلام مع أستاذي إلى باب حمدونةَ بنتِ الرشيد ، ومعنا بَزٌّ نعرضه للبيع ، فخرجت إلينا دقاقُ أُمُّ هذا تُقاوِلنا[12] في ثمن المتاع ، وفي يدها مِرْوحة على أحد وجهيها منقوشٌ : الحِرُ إلى أَيْرين أحوجُ من الأير إلى حِرَين ، وعلى الوجه الآخر : كما أنّ الرّحا إلى بغلين أحوج من البغل إلى رَحَوَيْن ، قال : فأسكته والله سكوتاً علِمنا معه أنه لو خرِس لكان الخرَس أصوَنَ لعرضه ممّا جرى .

---

1 القوق : الفاحش الطول .
2 المزبوق : المنتوف .
3 البثوق : الشقوق .
4 يرمّ : يصلح .
5 ل : بين شبلين .
6 ل : بين حمارين .
7 المترس : خشبة توضع خلف الباب .
8 ل : رأسه .
9 أخذه من قول مهلهل يرثي أخاه كليباً :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذّكور

والبيض : بيض الحديد الذي يلبس على الرأس . والذكور السّيوف من حديد غير أنيث .
10 الفقاح : جمع فَقْحة ، وهي حلقة الدُّبُر .
11 الأحراح : جمع حِرْح وهو الفرج .
12 تقاولنا : تفاوضنا .

[كان لها غلامان خلاسيان فرماها الناس بهما]

قال أحمد : وفي دقاق يقول عيسى بن زينب وكان لها غلامان خِلاسيّان[1] يروّحانها في الخَيش ، فتحدّث الناس أنّها قالت لواحد منهما أن يَنيكها ، فعَجَز فقالت له : نِكني وأنت حرّ ، فقال لها : نيكيني أنتِ وبيعيني في الأعراب ، فقال فيها عيسى بن زينب : [من السريع]

أحسنُ من غَنّى لنا أو شَدا دقاقُ في خفضٍ من العيشِ
لها غلامان ينِيكانِها بعِلّة الترويح في الخيشِ

[قال فيها إبراهيم بن المهديّ شعراً]

حدّثني جحظة قال حدّثني هبة الله بن إبراهيم بن المهديّ قال : كانت دقاقُ جارية يحيى بن الربيع تواصل جماعة كانوا يميلون إليها وتُري كلّ واحد منهم أنها تهواه ، وكانت أحسنَ أهلِ عصرها وجهاً ، وأشأمهم على من رابَطها[2] وتزوّجها ، فقال فيها أبو إسحاق ، يعني أباه : [من الوافر]

صوت

عدِمتُكِ يا صديقةَ كلِّ خَلْقٍ أكلَّ الناسِ ويحكِ تعشَقِينا ؟
فكيف إذا خلطتِ الغَثَّ منهم بلحمِ سمينِهم لا تبشَمِينا[3]

فيه خفيف رملٍ ينسب إلى إبراهيم بن المهدي وإلى رَيّق وإلى شارِيَة .

[قال فيها أبو موسى الأعمى شعراً]

أخبرني عمّي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثنا أبو هفّان قال : خرج يحيى بن الربيع مولى دقاق ، وكانت قد ولدت منه ابنه أحمد بن يحيى ، إلى بعض النواحي ، وترك جاريته دقاق في داره ، فعمِلت بعده الأوابِدِ[4] ، وكانت من أحسن الناس وجهاً وغناءً ، وأشأمِه على أزواجها ومواليها ورُبَطائها ، فقال أبو موسى الأعمى فيه : [من الخفيف]

قل ليحيى نعمْ صَبَرْتَ على المو ت ولم تخشَ سهْمَ ريبِ المَنونِ
كيف قل لي أطَقْتَ ويحك يا يحـ ـيى على الضَعف منك حملَ القُرونِ !
ويحُ يحيى ما مرّ باست دُقاقٍ بعد ما غاب من سِياط البطونِ

1 الخلاسي : الولد بين أبوين أبيض وأسود .
2 رابطها : لازمها .
3 بَشِم : أتخم .
4 الأوابد : جمع آبدة ، وهي الداهية يبقى ذكرها على الأبد .

صوت
من المائة المختارة

[من الطويل]

تكاشرني كُرْهـاً كأنّك ناصحٌ وعينُك تُبْدِي أنَّ صدرك لي دَوِي[1]
لسانُكَ لِـي حلـوٌ وعينك علقمٌ وشَرُّك مبسوطٌ وخيرُك مُلْتَوي

الشعر ليزيد بن الحكم الثقفيّ والغناء لإبراهيم ثقيل أوّل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق ، وفيه لجهم العطار خفيف ثقيل عن الهشاميّ .

1 كاشره : ضحك في وجهه وباسطه . دَوِيَ : مرض .

[226] ـ نسب يزيد بن الحكم وأخباره

[نسبه]

هو يزيد بنُ الحَكَم بن عثمان بن أبي العاص صاحب رسول الله ﷺ ، كذلك وجدت نسبه في نسخة ابن الأعرابيّ . وذكر غيره أنّه يزيد بن الحكم بن أبي العاص ، وأنّ عثمان عمُّه ، وهذا هو القول الصحيح . وأبو العاص بن بِشر بن عبد دُهْمان بن عبد الله بن همّام بن أبان بن يَسار بن مالك بن حُطَيط بن جُشَم بن قَسيّ وهو ثقِيفُ .

[روى جدّه عثمان حديثاً]

وعثمان جدُّه أو عمّ أبيه أحدُ من أسلم من ثقيف يوم فتح الطائف هو وأبو بَكْرَة ، وشطٌّ عثمان بالبصرة منسوب إليه ؛ كانت له هناك أرض أقْطِعَها وابتاعها وقد رَوى عن رسول الله ﷺ الحديث ، وروى عنه الحسنُ بن أبي الحسن ومُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير وغيرهما من التابعين .

أخبرني الحسن بن علي قال حدَّثنا بشر بن موسى قال حدَّثنا الحُمَيْدِيُّ قال حدَّثنا سفيان ، سمعه من محمدِ بن إسحاق ، وسمعه محمدٌ من سعيد بن أبي هند ، وسمعه سعيدُ بن أبي هند من مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير قال : سمعت عثمانَ بنَ أبي العاص الثقفيّ يقول : قال لي رسول الله ﷺ : «أُمَّ قومَك واقدُرْهم بأضعفهم فإن منهم الضعيفَ والكبيرَ وذا الحاجة» . قال الحُمَيديّ وحدَّثنا الفُضَيْل بن عِياض عن أشعبَ عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص قال قال رسول الله ﷺ : «اتخذوا مؤذّناً ولا يأخذ على أذانه أجراً» .

[مرّ به الفرزدق وهو ينشد شعراً فامتدحه]

أخبرني أحمدُ بن عبد العزيز الجوهريُّ قال حدَّثنا عمر بن شبَّة قال حدَّثنا العلاء بنُ الفضل قال حدَّثني أبي قال : مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن أبي العاص الثقفيّ وهو يُنْشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي يُنشِد شعراً كأنّه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيدُ بن الحكم ، فقال : نعم ؛ أشهد بالله أن عمّتي ولدته . وأمّ يزيد بَكرةُ بنتُ الزِّبْرِقان بن بدر ، وأمّها هُنَيدةُ بنتُ صَعْصَعة بن ناجية . وكانت بكرة أوّلَ عربيّة ركِبت البحر فأخْرِجَ بها إلى الحكم وهو بتَوَّجَ[1] ، وكان الزّبرقان يكنى أبا العبّاس ، وكان له بنون منهم العبّاسُ وعيّاش .

1 تَوَّج : بلد بفارس .

[خبره مع الحجّاج وقد ولاّه كورة فارس]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عبد الله بن شبيب قال حدّثنا الحِزاميّ قال : دعا الحجاجُ بن يوسف بيزيد بن الحَكَم الثقفيّ ، فولاّه كورةَ فارسَ ، ودفع إليه عهدَه بها ، فلمّا دخل عليه ليودّعه قال له الحجّاج : أنشِدْني بعضَ شعرك ، وإنّما أراد أن يُنشِده ، مديحاً له ، فأنشده قصيدةً يفخر فيها ويقول : [من الكامل]

وأبي الذي سلب ابنَ كسرى رايةً بيضاء تَخْفِقُ كالعُقاب الطائرِ

فلمّا سمع الحجّاج فخره نهض مُغْضَباً ، فخرج يزيد من غير أن يودّعه ، فقال الحجّاج لحاجبه : ارتجع منه العهد ، فإذا ردّه فقل له : أيّهما خيرٌ لك : ما ورّثك أبوك أم هذا ؟ فردّ على الحاجب العهد وقال : قل له : [من الكامل]

ورِثتُ جدّي مجدَه وفَعالَه وورثت جدَّك أعْنُزاً بالطائفِ

[خرج عن الحجّاج مغضباً ولحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه]

وخرج عنه مغضباً ، فلحق بسليمان بن عبد الملك ومدحه بقصيدته التي أوّلها : [من البسيط]

أمسى بأسماءَ هذا القلبُ مَعْمُودا إذا أقول صَحا يَعْتادُه عِيدا

يقول فيها :

سُمِّيتَ باسم امرىء أشبَهْتَ شيمتَه عدلاً وفضلاً سليمانَ بن داوُدا
أحْمِدْ به في الوَرى الماضينَ من مَلِكٍ وأنت أصبحت في الباقين محمودا
لا يَبْرأ الناس من أن يحمدوا مَلِكاً أولاهُمُ في الأمور الحلمَ والجودا

فقال له سليمان : وكَمْ كان أجرى لك لعِمالة فارس ؟ قال : عشرين ألفاً . قال : فهي لك عليّ ما دمتَ حيّاً . وفي أوّل هذه القصيدة غناء نسبته : [من البسيط]

صوت

أمسى بأسماءَ هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عِيدا
كأنّ أحورَ من غِزلان ذي بَقَرٍ أهدى لها شَبَهَ العينين والجِيدا[1]
أجرِي على مَوعدٍ منها فتُخْلِفُني فلا أمَلٌّ ولا تُوفي المواعيدا
كأنّني يوم أُمْسي لا تُكَلِّمُني ذُو بُغْية يبتغي ما ليس موجودا

ومن الناس مَن ينسب هذه الأبيات إلى عمر بن أبي ربيعة وذلك خطأ .

1 ذو بقر : موضع .

عروضه من البسيط ، والغناء للغريض ، ثقيل أوّل بالبنصر في مجراها عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أنّه لمعبد ثقيل أوّل بالوسطى .

[حديثه مع الحجّاج وقد سمع شعره في رثاء ابنه عنبس]

أخبرنا محمد بن العبّاس اليزيديّ قال حدّثنا الخليل بن أسد قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ قال أخبرنا ابنُ عيّاش عن أبيه قال : سمعت الحجّاج ، واستوى جالساً ، ثم قال : صدق والله زهيرُ بن أبي سُلمى حيث يقول : [من الطويل]

وما العفوُ إلاّ لامرىءٍ ذي حفيظة متى يَعْفُ عن ذنب امرىء السَّوء يَلْجَجِ

فقال له يزيد بن الحَكَم : أصلح الله الأمير ، إنّي قد رثيت ابني عَنْبساً ببيت ، إنّه لشبيهَ بهذا . قال : وما هو ؟ قال قلت : [من الطويل]

ويأمنُ ذو حِلْمِ العشيرة جهلَه عليه ، ويخشى جهلَه جُهَلاؤها

قال : فما منعك أن تقولَ مِثلَ هذا لمحمد ابني ترثيه به ؟ فقال : إنّ ابني والله كان أحبَّ إليّ من ابنك .

وهذه الأبيات من قصيدة أخبرني بها عمّي عن الكُرانيّ عن الهيثم بن عديّ . قال : كان ليزيد بن الحَكَم ابنٌ يقال له عَنْبَس ، فمات فجزِع عليه جزعاً شديداً وقال يرثيه : [من الطويل]

جَزى الله عنّي عَنْبساً كلَّ صالحٍ إذا كانت الأولادُ سَيْئاً جزاؤها
هو ابني وأمسى أجرُه لي وعزَّني على نفسه ربٌّ إليه وَلاؤها
جهولٌ إذا جَهْلُ العشيرة يُبتَغى حليمٌ ويَرْضى حلمَه حُلَماؤها

وبعد هذا البيتُ المذكور في الخبر الأوّل .

[شاعر ثقيف في الجاهلية خير من شاعرها في الإسلام]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا العُمَريّ عن لَقيطٍ قال قال عبد الملك بن مروان : كان شاعر ثقيفٍ في الجاهليّة خيراً من شاعرهم في الإسلام ، فقيل له : من يَعْنى أمير المؤمنين ؟ فقال لهم : أمّا شاعرهم في الإسلام فيزيدُ بن الحَكَم حيث يقول : [من الطويل]

فما منك الشبابُ ولستَ منه إذا سألْتك لحيتُك الخِضابا
عقائلُ من عقائل أهل نَجدٍ ومكّة لم يُعَقِّلْنَ الرِّكابا
ولَم يَطرُدن أبقعَ يوم ظعنٍ ولا كلباً طردن ولا غرابا[1]

وقال شاعرهم في الجاهلية : [من الكامل]

1 الغراب الأبقع : ما كان فيه سواد وبياض .

والشيب إن يظهرْ فإنّ وراءه عُمُراً يكـون خلالَـه مُتَنَفَّسُ
لم يَنتقِص منّـي المَشيبُ قُلامَةً وَلَما بَقِي مِنِّـي أَلَبٌّ وأَكيَسُ[1]

[شعره ليزيد بن المهلّب حين خلع يزيد بن عبد الملك]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا الكُرانيّ قال حدَّثنا العُمَريّ عن لقيط قال قال يزيد بن الحَكَم الثقفيّ ليزيد بن المهلّب حين خَلَع يزيد بن عبد الملك : [من الطويل]

أبا خالد قد هِجْتَ حربـاً مريرةً وقـد شمرتْ حربٌ عوانٌ فشمِّرِ

فقال يزيد بن المهلّب : بالله أستعين ، ثم أنشده ، فلمّا بلغ قوله :

فإنَ بني مـروان قـد زال مُلكُهُمْ فإن كنتَ لم تَشْعُر بذلك فاشعُرِ

فقال يزيد بن المهلّب : ما شَعرت بذلك ، ثم أنشده فلمّا بلغ قوله :

فمت ماجداً أو عش كريماً فإن تَمُتْ وسيفك مشهور بكفّـك تُعـذرِ

قال : هذا ما لا بدَّ منه .

قال العمريّ : وحدَّثني الهيثم بن عدي عن ابن عيّاش أنّ يزيد بن المهلّب إنّما كتب إليه يزيد بن الحَكَم بهذه الأبيات ، فوقّع إليـه تحت البيت الأوّل : أستعين بالله . وتحت البيت الثاني : ما شعرت . وتحت البيت الثالث : أمّا هذه فنعم .

[مدح يزيد بن المهلّب وهو في سجن الحجّاج]

أخبرني محمد بن خلفٍ وكيعٌ قال حدَّثني الغَلاَّبيّ قال حدَّثني ابن عائشة قال : دخل يزيد بن الحَكَم على يزيد بن المهلّب في سجن الحجّاج وهو يعذَّب ، وقد حلّ عليه نَجْمٌ كان قد نُجِّم[2] عليه ، وكانت نجومه في كلّ أسبوع ستّةَ عشر ألف درهم فقال له : [من المنسرح]

أَصْبَح في قَيْدِك السماحةُ والجو دُ وفضل الصَّلاح والحَسَبُ[3]
لا بَطِـرٌ إن تتابعـتْ نِعَـمٌ وصابـرٌ في البـلاء محتَسِبُ
بَزَزْتَ سَبْقَ الجيادِ في مَهَـلٍ وقَصَّرَتْ دون سَعْيك العَرَبُ

قال : فالتفت يزيد بن المهلّب إلى مولًى له ، وقال : أعطِهِ نجمَ هذا الأسبوع ، ونصبرُ على العذاب إلى السبت الآخر .

وقد رُويتْ هذه الأبيات والقصّة لحمزة بنِ بِيضٍ مع يزيد .

---

1 ألبّ وأكيس : أكثر عَقْلاً وحزماً .
2 تنجيم الدين : أنْ يقدر دفعه في أوقات معلومة متتابعة مشاهرة أو مساناة .
3 وفضل الصلاح في ل : وحمل السلاح .

[جرير يروي بعض شعره]

أخبرني عمّي قال حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال : حدَّثني هارون بن مُسلِم قال حدَّثني عثمان بن حفص قال حدَّثني عبد الواحد عَرِيفُ ثقيفٍ بالبصرة : أنّ العبّاسَ بنَ يزيد بن الحَكَم الثقفيّ هرب من يوسفَ بنِ عمر إلى اليمامة ، قال : فجلست في مسجدها وغشِيني قومٌ من أهلها ، قال : فوالله إنّي لكذلك إذا أنا بشيخ قد دخل يترجَّح في مشيته ، فلمّا رآني أقبل إليّ ، فقال القومُ : هذا جريرٌ ، فأتاني حتى جلس إلى جنبي ، ثم قال لي : السَّلامُ عليك ، مِمَّنْ أنت ؟ قلت : [رجل من ثقيفٍ . قال : أعرضْتَ[1] الأديمَ ، ثمّ ممّن ؟ قلت :] رجل من بني مالك ، فقال : لا إله إلاّ الله ! أمثلُك يعرَفُ بأهل بيته ! فقلت : أنا رجلٌ من ولد أبي العاصي ، قال : ابن بشْر ؟ قلت : نعم . قال : أيُّهُمْ أبوك ؟ قلت : يزيد بن الحَكَم . قال : فمن الذي يقول : [من الكامل]

فَنِيَ الشّبابُ وكلُّ شيء فانِ ... وعَلا لِداتي شيبهُم وعلاني

قلت : أبي ، قال . فمن الذي يقول : [من الوافر]

ألا لا مرحباً بفراق ليلى ... ولا بالشيب إذ طَرَدَ الشبابا
شبابٌ بان محموداً وشَيبٌ ... ذميمٌ لم نَجِد لهما اصطحابا
فما منك الشبابُ ولستَ منه ... إذا سألتك لِحيتُك الخضابا

قلت : أبي ، قال : فمن الذي يقول : [من الطويل]

تعالَوْا فعُدّوا يعلِم الناسُ أيُّنا ... لصاحبه في أوّل الدّهرِ تابعُ
تزيَّدُ يربوعٌ بكم في عِدادها ... كما زِيد في عَرْض الأديم الأكارِعُ[2]

قال : قلت : غفر الله لك ، كان أبي أصْوَنَ لنفسه وعِرضه من أن يدخل بينك وبين ابن عمّك ، فقال : رحم اللهُ أباك ، فقد مضى لسبيله ، ثم انصرف ، فنَزَّلني بكبشين ، فقال لي أهل اليمامة : ما نَزَّل أحداً قبلك قطّ .

[شعره في جارية مغنّية كان يهواها]

أخبرني محمد بن مَزْيد بنِ أبي الأزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن إبراهيم الموصليّ عن يزيد حَوْراءَ المغنّي قال : كان يزيد بنُ الحَكَم الثقفيّ يَهْوى جاريةً مغنّية ، وكانت غير مطاوِعةٍ له ، فكان يهيم بها ، ثم قدِم رجلٌ من أهل الكوفة فاشتراها ، فمرّت بيزيد بن

1 أعرض الشيء وعرّضه : جعله عريضاً أي واسعه .

2 الأكارع : جمع كراع ، وهو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس وهو مستدقّ الساق .

الحَكَم مع غِلمة لمولاها وهي راحلة ، فلمّا علِم بذلك رفع صوته فقال : [من مخلع البسيط]

يا أيّها النازِحُ الشَّسُوع ودائعُ القلب لا تَضيعُ[1]
أستودِعُ اللهَ مَنْ إليه قلبي على نأيه نَزُوعُ[2]
إذا تذكرتُه استهلّت شوقاً إلى وجهه الدّموعُ

[الجارية تكتب إليه]

ومضت الجارية وغاب عنه خبرها مدّة ، فبينا هو جالسٌ ذات يوم إذ وقف عليه كهل فقال له : أأنت يزيدُ بنُ الحَكَم ؟ قال : نعم ، فدفع إليه كتاباً مختوماً ، ففضّه فإذا كتابها إليه وفيه : [من مخلع البسيط]

لئن كوى قلبَكَ الشُّسوعُ فالقلبُ منّي به صُدوعُ
وبي وربِّ السماء فاعلم إليك يا سيّدي نُزُوعُ
أعزِزْ علينا بما تلاقي فينا وإن شَفَّنا الوَلوعُ
فالنّفس حَرَّى عليك وَلْهى والعين عَبْرى لها دموعُ
فموتنا في يدِ التنائي وعيشُنا القربُ والرجوعُ
وحيثما كنتَ يا منايا فالقلب مِنّي به خُشوعُ
ثم عليك السلام منّي ما كان من شمسها طلوعُ

قال : فبكى والله حتى رحمه من حضر ، وقال لنا الكهل : ما قصّتُه ؟ فأخبرناه بما بينهما ، فجعل يستغفِر الله مِن حَمْلِه الكتاب إليه ، وأحسب أنّ هذا الخبر مصنوع ؛ ولكن هكذا أخبرنا به ابن أبي الأزهر .

[شعر نسب إليه وإلى طرفة بن العبد وأبو الفرج يرى أنه ليس من نوع شعر طرفة]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دَماذُ عن أبي عبيدة قال أنشدني أبو الزعراء ، رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، لطرفة بن العبد : [من الطويل]

تُكاشرني كرهاً كأنّك ناصح وعينك تُبدي أن صدرك لي جَوِي

قال : فعجبت من ذلك وأنشدته أبا عمرو بن العلاء وقلت له : إنّي كنت أرويه ليزيد بن الحكم الثقفيّ فأنشدنيه أبو الزعراء لطرفة بن العبد ، فقال لي أبو عمرو : إنّ أبا الزعراء في سنّ يزيد بن الحَكَم ، ويزيد مولّد يجيد الشعر ، وقد يجوز أن يكون أبو الزعراء صادقاً .

---

1 الشسوع : الشّاسع البعيد .
2 النزوع : المشتاق .

قال مؤلّف هذا الكتاب : ما أظنّ أبا الزعراء صدق فيما حكاه ، لأنّ العلماء من رواة الشعر رَوَوْها ليزيد بن الحكم ، وهذا أعرابيّ لا يحصِّل ما يقوله ، ولو كان هذا الشعر مشكوكاً فيه أنّه ليزيد بن الحَكَم ، وليس كذلك ، لكان معلوماً أنه ليس لطرفة ، ولا موجوداً في شعره على سائر الروايات ، ولا هو أيضاً مشبِهاً لمذهب طرفة ونمطِه ، وهو بيزيد أشبه ، وله في معناه عِدّة قصائد يعاتِب فيها أخاه عبد ربِّه بن الحَكَم وابن عمِّه عبد الرحمن بن عثمان بن أبي العاصي . ومَن قال إنّه ليزيد بن الحكم بن عثمان قال إنّ عمّه عبد الرحمن هو الذي عاتبه ، وفيه يقول : [من الطويل]

ومَوْلًى كذئبِ السَّوء لو يستطيعني ... أُصاب دمي يوماً بغير قتيلِ
وأُعْرِضُ عمّا ساءه وكأنّما ... يقاد إلى ما ساءني بدليلِ
مجاملَةً منّي وإكرامَ غيره ... بلا حَسَنٍ منه ولا بجميلِ
ولو شئت لولا الحلمُ جدّعتُ أنفه ... بإيعاب جَدْعٍ بادىءٍ وعليلِ[1]
حفاظاً على أحلام قوم رُزِئْتُهم ... رِزانٍ يَزِينون النّديّ كُهولِ

وقال في أخيه عبد ربّه : [من البسيط]

أخي يُسِرُّ لِيَ الشَّحناءَ يُضْمِرها ... حتى وَرى جَوْفَه من غِمْرِه الداءُ[2]
حَرّانُ ذو غُصّة جُرِّعتُ غُصَّتَه ... وقد تعرّض دون الغصةِ الماءُ
حتى إذا ما أساغ الريقَ أنزلني ... منه كما يُنزِل الأعداءَ أعداءُ
أسعى فَيكفُرُ سعيي ما سعيتُ له ... إنّي كذاك من الإخوان لَقّاءُ
وكم يدٍ ويدٍ لي عنده ويدٍ ... يعدّهنّ تِراتٍ وهْيَ آلاءُ

فأمّا تمام القصيدة التي نُسِبت إلى طرفة فأنا أذكر منها مُخْتارها لِيُعْلَم أنّ مرذول كلام طرفة فوقه : [من الطويل]

تُصافِحُ من لاقيتَ لي ذا عداوةٍ ... صِفاحاً وعنّي بينُ عينيك مُنْزَوِي
أراك إذا لَم أَهْوَ أمراً هَوِيتَه ... ولستَ لِما أهوى من الأمرِ بالهَوِي
أراك اجتويتَ الخيرَ منّي وأجتوِي ... أذاكَ ، فكلٌّ يجتوي قُرْبَ مجتوِي
فليت كَفافاً كان خيرُك كلّه ... وشرُّك عنّي ما ارتوى الماءَ مرتوِي

1 جدعت : قطعت . وأوعبه إيعاباً : استوعبه .
2 يقال : ورى القيح جوفه : أفسده . الغمر : الحقد والغلّ .

عـدوّك يخشى صولتي إن لقيتُه وأنت عدوّي ، ليس ذاك بمستوِي
وكم موطنٍ لولاي طِحتَ كما هَوى بأجرامه من قُلّـة النِّيـقِ مُنهوي[1]
إذا ما ابتنى المجدَ ابنُ عمّك لم تُعِن وقلـتَ ألا يـا ليت بنيانَه خَوِي[2]
كأنّك إن نـال ابنُ عمِّك مَغْنَماً شَجٍ أو عميدٌ أو أخو غُلّة لَوِي[3]
وما برِحتْ نفسٌ حسودٌ حُشِيتَها تُذِيبُكَ حتى قيل هل أنت مكتوي
جمعتَ وفُحشاً غِيبةً ونميمةً ثلاثَ خصال لستَ عنهنّ ترعوي
ويدحو بك الدّاحي إلى كلّ سَوْءةٍ فيا شرَّ مَن يدحو إلى شرّ مُدْحَوِي[4]
بـدا منك غِشٌّ طالما قـد كتمته كما كتمتْ داءَ ابنها أُمّ مُدَّوِي[5]

وهذا شعرٌ إذا تأمّله مَن له في العِلم أدنى سَهْمٍ عَرَف أنّه لا يَدخل في مذهب طَرَفَة ولا يقاربه .

صوت

من المائة المختارة

[من الطويل]

أبـى القلـب إلاّ أُمَّ عوفٍ وحُبَّها عجوزاً ، ومَن يعشَقْ عجوزاً يُفَنَّدِ
كثوب يمـانٍ قـد تقادمَ عهدُه ورُقعتُه ما شِئتَ في العـين واليدِ

الشعر لأبي الأسودَ الدّؤليّ والغناء لعَلّويه ، ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو بن بانة .

---

1 طاح يطيح ويطوح : هلك . أجرام : جمع جرم وهو الجسم . القلة : أعلى الجبل . النيق : أرفع موضع في الجبل .

2 خوي المنزل : خلا من أهله .

3 شجٍ : حزين . لَوِي : أصابه اللوى ؛ وهو وجع في الجوف .

4 ل :

ويدعو بك الداعي إلى كلّ سوءة فيا شرّ من يدعو إلى شرّ من دُعِي

5 ادّوى : أكل الدواية ، وهي جليدة رقيقة تعلو اللبن والمرق .

[227] ـ أخبار أبي الأسود الدؤليّ ونسبه

[نسبه]

اسمه ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَندل بن يَعْمُر بن حِلْس بن نُفاثةَ بن عديّ بن الدُّئِل بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نِزار ، وهم إخوة قريش ، لأنّ قريشاً مختلَفٌ في الموضع الذي افترقت [فيه] مع بني أبيها ، فخُصَّت بهذا الاسم دونهم ، وأبعَدُ مَن قال في ذلك مَدًى مَن زعم أن النضر بن كِنانة منتهى نسبِ قريش ؛ فأمّا النسّابون منهم فيقولون إن من لم يلِده فِهْر بن مالك بن النضر فليس قرشيّاً .

[كان من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم]

وكان أبو الأسود الدؤليّ من وجوه التابعين وفقهائهم ومحدّثيهم . وقد روى عن عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما فأكثر ، وروى عن ابن عبّاس وغيرِه ، واستعمله عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم ، وكان من وجوه شيعة عليّ . وذكر أبو عبيدة أنّه أدرك أوّل الإسلام وشهِد بدراً مع المسلمين . وما سمعتُ بذلك عن غيره .

[ولاّه عليّ البصرة بعد ابن عبّاس]

وأخبرني عمّي عن ابن أبي سعد عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السُّلَميّ عن أبي عبيدة مِثلَه .

واستعمله عليّ رضي الله عنه على البصرة بعد ابن عبّاس ، وهو كان الأصلَ في بناء النحو وعَقْدِ أصوله .

[كان أوّل مَن وضع النحو ورسم أصوله]

أخبرنا أبو جعفر بن رُسْتم الطَّبَريّ النحويّ بذلك عن أبي عثمان المازِنيّ عن أبي عمر الجَرْميّ عن أبي الحسن الأخفش عن سِيبويه عن الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله ابن أبي إسحاق الحَضْرميّ عن عَنْبسة الفِيل وميمون الأقرن عن يحيى بن يَعمُر الليثيّ .

أنّ أبا الأسود الدؤليّ دخل إلى ابنته بالبصرة فقالت له : يا أبتِ ما أشدُّ الحرّ ! (رفَعَتْ أشدّ) فظنّها تسأله وتستفهم منه : أيُّ زمان الحرّ أشدُّ ؟ فقال لها : شهر ناجر ، [يريد شهر صفر . الجاهلية كانت تسمّي شهور السنة بهذه الأسماء] . فقالت : يا أبتِ إنّما أخبرتك ولم أسألك . فأتى أميرَ المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ، ذهبتْ لغة العرب لمّا خالَطَت العَجَم ، وأوشك إن تَطاولَ عليها زمان أن تضمحِلَّ ، فقال له : وما

ذلك ؟ فأخبره خبر ابنته ، فأمره فاشترى صحفاً بدرهم ، وأملّ عليه : الكلام كلّه لا يخرج عن اسم وفعلٍ وحرفٍ جاء لمعنى ، وهذا القول أوّل كتاب سيبويه ، ثم رسم أصول النحو كلّها ، فنقلها النحويّون وفرّعوها . قال أبو الفرج الأصفهانيّ : هذا حفِظته عن أبي جعفر وأنا حديث السنّ ، فكتبتُه من حِفْظي ، واللفظ يزيد ويَنقص وهذا معناه .

[أمره زياد أن ينقط المصاحف فنقطها]

أخبرني عيسى بن الحسين قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن المدائنيّ قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤليّ أن ينقط المصاحف ، فنَقَطها ورَسَم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عَنبسةُ بن مَعْدانَ المَهْريّ ، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميُّ وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزديُّ وكان صلِيبة فلحب الطريق[1] . ونَجَم علي بن حمزة الكسائيّ مولى بني كاهلٍ من أسدٍ فرسم للكوفِيّين رسوماً هم الآن يعملون عليها .

[أخذ النحو عن عليّ]

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدَّثنا محمد بن يزيد النحويّ قال حدَّثنا التَّوَّزِيّ والمَهْرِيّ قالا حدَّثنا كَيْسان بن المعرّف الهُجَيْميّ أبو سليمان عن أبي سفيان بن العلاء عن جعفر بن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه قال : قيل لأبي الأسود : من أين لك هذا العِلم ؟ ، يعنون به النحو ، فقال : أخذت حدوده عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

[خبره مع زياد في سبب وضع النحو]

أخبرني أحمد بن العبّاس العسكريّ قال حدَّثني عبيد الله بن محمد عن عبد الله بن شاكر العنبريّ عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عيّاش عن عاصم بن أبي النجود قال : أوّل مَنْ وضع العربيّة أبو الأسود الدؤليّ ، جاء إلى زياد بالبصرة فقال له : أصلح الله الأمير ، إنّي أرى العرب قد خالطتْ هذه الأعاجم ، وتغيّرتْ ألسنتهم ، أفتأذن لي أن أضع لهم عِلماً يقيمون به كلامَهم ؟ قال : لا . قال : ثم جاء زياداً رجل فقال : مات أبانا وخلّف بنون ، فقال زياد : مات أبانا وخلّف بنون ! ردّوا إليّ أبا الأسود الدؤليّ ، فرُدّ إليه ، فقال : ضع للناس ما نهيتُك عنه . فوضع لهم النحو . وقد رَوى هذا الحديث عن أبي بكر بن عيّاش يزيدُ بن مِهْران ، فذكر أنّ هذه القصّة كانت بين أبي الأسود وبين عبيد الله بن زياد .

[أوّل باب وضعه في النحو باب التعجّب]

أخبرني أحمد بن العبّاس قال حدَّثنا العَنَزيّ عن أبي عثمان المازنيّ عن الأخفش عن

---

1 صلِيبة : عربي صليب : خالص النسب ، وامرأة صليبة : كريمة النسب عريقة . لحب الطريق : بيّنه .

الخليل بن أحمد عن عيسى بن عمر عن عبد الله بن أبي إسحاق عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : أوّل باب وضعه أبي من النحو باب التعجّب .

[كان معدوداً في طبقات من الناس وهو في كلّها مقدم]

وقال الجاحظ : أبو الأسود الدؤليّ معدود في طبقات من الناس ، وهو في كلّها مقدَّم ، مأثورٌ عنه الفضلُ في جميعها ؛ كان معدوداً في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدِّثين والأشراف والفُرسان والأمراء والدُّهاة والنحويّين والحاضِرِي الجواب والشيعة والبخلاء والصُّلْع الأشراف والبُخْر الأشراف .

[حديثه عن عمر بن الخطّاب]

فمما رواه من الحديث عن عمر مسنداً عن النبيّ ﷺ ، حدّثنا حامد بن محمد بن شعيب البَلْخيّ قال حدَّثنا أبو خَيْثمة زُهير بن حرب قال حدَّثنا يونس بن محمد قال حدَّثنا داود بن أبي الفُرات عن عبد الله بن أبي بُرَيْدة عن أبي الأسود الدؤليّ قال : أتيت المدينة فوافقتها وقد وقع فيها مرض فهم يموتون موتاً ذريعاً ، فجلستُ إلى عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه ، فمرّت به جنازة فأُثْنِيَ على صاحبها خير ، فقال عمر رضي الله عنه : وَجبتْ ، ثم مرّ بأُخرى فأثني على صاحبها بشرّ ، فقال عمر : وَجبتْ ، فقال أبو الأسود : ما وَجبتْ يا أمير المؤمنين ؟ فقال : قلت كما قال رسول الله ﷺ : «أيُّما مسلمٍ شهِد له أربعة بخير أدخله الله الجنّة» فقلنا : وثلاثة ؟ قال : «وثلاثة» ، فقلنا : واثنان ؟ قال : «اثنان» ، ثم لم نسأله عن الواحد .

حدَّثني حمّاد بن سعيد قال حدَّثنا أبو خيثمة قال حدَّثنا معاذ بن هشام قال حدَّثني أبي عن قَتادة عن أبي الأسود الدؤليّ قال : خطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الناسَ يوم الجمعة فقال : إنّ نبيّ الله ﷺ قال : «لا تزال طائفةٌ من أمّتي على الحقّ منصورة حتى يأتي أمر الله جلّ وعزّ» .

[حديثه عن علي]

وممّا رواه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرميّ قال حدَّثنا هنّاد بن السَّرِيّ قال حدَّثنا عَبْدة بن سليمان عن سعيد بن أبي عَرُوبة عن قَتادة عن أبي حرب بن أبي الأسود الدؤليّ عن أبيه أبي الأسود الدؤليّ عن عليّ كرّم الله وجهه أنّه قال في بول الجارية : يُغْسَل ، وفي بول الغلام : يُنْضَح ما لَم يأكلا الطعام .

[تبع ابن عبّاس حين خرج من البصرة إلى المدينة ليردّه فأبى]

أخبرني محمّد بن العبّاس اليزيديّ قال حدَّثنا البَغَوِيّ قال حدَّثنا عليّ بن الجَعْد قال حدَّثنا مُعَلَّى بن هلال عن الشَّعْبيّ وأخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال حدَّثنا المدائنيّ جميعاً قالوا : لمّا خرج ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما إلى المدينة من البصرة تبعه أبو

الأسود في قومه ليردّه ، فاعتصم عبد الله بأخواله من بني هِلال فمنعوه ، وكادت تكون بينهم حرب ، فقال لهم بنو هلال : نَنْشُدكم اللهَ ألاّ تَسفِكوا بيننا دماء تَبقى معها العداوة إلى آخر الأبد ، وأمير المؤمنين أولى بابن عمّه ، فلا تُدخلوا أنفسكم بينهما ، فرجعت كنانة عنه ، وكتب أبو الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره بما جرى ، فولاّه البصرة .

[كان كاتباً لابن عبّاس على البصرة قبل أن يتولاّها]

أخبرني حبيب بن نصر المهلَّبيّ ووكيع وعمّي قالوا جميعاً حدَّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدَّثني محمد بن عمران الضَّبّيّ قال حدَّثني خالد بن عبد الله قال حدَّثني أبو عبيدة مَعْمَر بن المُثَنَّى قال : كان أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لابن عبّاس على البصرة ، وهو الذي يقول : [من الكامل]

وإذا طلبتَ من الحوائج حاجة ... فـادْعُ الإله وأحسِنِ الأعمالا

فَلْيُعْطِيَنَّـك مـا أراد بقـدرة ... فهـو اللطيف لِمـا أراد فِعالا

إنّ العبـادَ وشأنَهم وأمورَهم ... بيـدِ الإلـه يقلِّـب الأحوالا

فدعِ العبادَ ولا تكن بطِلابِهم ... لَهِجاً تَضَعْضَعُ للعبادِ سؤالا[1]

[كان يكثر الخروج والركوب في كبره وتعليله ذلك]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا الرِّياشيّ عن محمد بن سلام قال : كان أبو الأسود الدؤليّ قد أسنَّ وكبِر ، وكان مع ذلك يركب إلى المسجد والسُّوق ويزور أصدقاءه ، فقال له رجل : يا أبا الأسود ، أراك تُكثر الركوب وقد ضعُفتَ عن الحركة وكبِرتَ ، ولو لزمتَ منزلك كان أودَ عَ لك . فقال له أبو الأسود : صدقتَ ولكنّ الركوب يُشدّ أعضائي ، وأسمعُ من أخبار الناس ما لا أسمعه في بيتي ؛ وأستنشى الريح ، وألقى إخواني ، ولو جلست في بيتي لاغتمّ بي أهلي ، وأنِسَ بي الصبيّ ، وآجترأ عليّ الخادم ، وكلّمني من أهلي من يَهاب كلامي ، لإلْفِهم إيّاي ، وجلوسِهم عندي ؛ حتى لعلّ العنز أن تبول عليّ فلا يقول لها أحد : هُسْ[2] .

[سأله بنو الديل المعاونة في دية رجل فأبى وعلّل امتناعه]

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدَّثني أبي قال حدَّثنا أبو عِكرمة قال : كان بين بني الديل وبين بني ليث منازعة ، فقتلت بنو الديل منهم رجلاً ، ثم اصطلحوا بعد ذلك على أن يؤدّوا دِيته ، فاجتمعوا إلى أبي الأسود يسألونه المعاونة على أدائها ، وألحّ عليه غلام منهم ذو بيانٍ وعارِضة ، فقال له : يا أبا الأسود ، أنت شيخ العشيرةِ وسيّدهم ، وما يمنعك من معاونتهم قِلّة ذاتِ يدٍ ولا سؤددٍ ولا جود ، فلمّا أكثر أقبل عليه أبو الأسود ، ثم قال له : قد

---

1 تتضعضع : تخضع وتذلّ .

2 هُسْ : زجر للغنم .

أكثرت يا ابن أخي فاسمع منّي : إنّ الرجل والله ما يعطي مالَه إلاّ لإحدى خِلالٍ : إمّا رجلٌ أعطى مالَه رجاءَ مكافأةِ ممّن يعطيه ، أو رجلٌ خاف على نفسه فوقاها بماله ، أو رجل أراد وجه الله وما عنده في الدار الآخرةِ ، أو رجل أحمقُ خُدِع عن ماله ، ووالله ما أنتم إحدى هذه الطبقات ، ولا جئتم في شيء من هذا ، ولا عمُّك الرجل العاجِز فينخدِع لهؤلاء ، ولَما أفدتَك إيّاه في عقلك خيرٌ لك من مال أبي الأسود لو وصل إلى بني الديل ، قوموا إذا شئتم . فقاموا يبادرون الباب .

[استهزأ به رجل فردّ عليه فأفحمه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال : كان طريق أبي الأسود الدؤليّ إلى المسجد والسوق في بني تيم الله بن ثعلبة وكان فيهم رجل متفحش يكثر الاستهزاء بمَن يمرّ به ، فمرّ به أبو الأسود الدؤليّ يوماً فقال لقومه : كأنّ وجهَ أبي الأسود وجهُ عجوزٍ راحت إلى أهلها بطلاقٍ ، فضحك القوم ، وأعرض عنهم أبو الأسود . ثم مرّ به مرّة أخرى ، فقال لهم : كأنّ غُضونَ قفا أبي الأسود غُضونُ الفِقاحِ . فأقبل عليه أبو الأسود فقال له : هل تعرف فَقْحةَ أمّك فيهنّ ؟ فأفحمه ، وضحك القوم منه ، وقاموا إلى أبي الأسود ، فاعتذروا إليه ممّا كان ، ولم يعاوده الرجل بعد ذلك ، وقال فيه أبو الأسود بعد ذلك حين رجع إلى أهله : [من الطويل]

وأَهْوَجَ مِلْجاجٍ تصامَمتُ قبلَه ... أن اسمعَه وما بِسَمْعِيَ مِن باسِ
ولو شئتُ قد أعرضتُ حتى أُصيبَه ... على أنفه حَدباءَ تُعْضِل بالآسي[1]
فإن لساني ليس أُهونَ وَقْعةً ... وأصغرَ آثاراً من النحتِ بالفاسِ
وذي إحنةٍ لم يُبْدِها غيرَ أنّه ... كذي الخَبْل تأبى نفسُه غيرَ وَسواسِ
صفَحتُ له صفحاً جميلاً كصفحه ... وعيني ـ وما يدري ـ عليه وأحراسي
وعندِي له إن فار فَوّارُ صدرِه ... فَحاً جَبَليٌّ لا يعاوده الحاسي[2]
وخَبٍّ لحومُ الناس أكثرُ زادِهِ ... كثيرِ الخَنا صَعْبِ المَحالةِ هَمّاسِ
تركتُ له لحمي وأبقيت لحمه ... لَمن نابه من حاضِرِ الجنّ والناسِ
فكَرَّ قليلاً ثم صدَّ كأنّما ... يَعَضُّ بصُمٍّ من صَفا جبلٍ راسِي

1 حدباء : صعبة شديدة . الآسي : المداوي . أعضل به الأمر : ضاقت عليه الحيل فيه .

2 الفحا : توابل القدور .

[حكايات في بخله]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ قال : خرج أبو الأسود الدؤليّ ومعه جماعةَ أصحابٍ له إلى الصيد ، فجاءه أعرابيّ فقال له : السلام عليك . فقال له أبو الأسود : كلمة مَقُولة . قال : أدخلُ ؟ قال : وراؤك أوسعُ لك . قال : إنّ الرَّمْضاء قد أحرقتْ رِجلي ، قال : بُلْ عليها أو ائتِ الجبل يَفِيء عليك . قال : هل عندك شيء تُطعِمُنيه ؟ قال : نأكل ونطعم العِيال ، فإن فضَل شيء فأنت أحقّ به من الكلب ، فقال الأعرابيّ : ما رأيت قطُّ ألأمَ منك . قال أبو الأسود : بلى قد رايت ؛ ولكنّك قد أنسيتَ .

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثنا عيسى بن إسماعيل عن المدائنيّ بهذا الخبر فقال فيه : كان أبو الأسود جالساً في دِهليزه وبين يديه رُطَب ، فجاز به رجل من الأعراب يقال له ابن أبي الحمامة ، فسلّم ثم ذكر باقي الخبر ، مثلَ الذي تقدمّه ، وزاد عليه فقال : أنا ابن أبي الحمامة . قال : كن ابن أبي طاوُسة ، وانصرف . قال : أسألك بالله إلاّ أطعمتني ممّا تأكل ، قال : فألقى إليه أبو الأسود ثلاث رُطَبات ، فوقعت إحداهنّ في التراب ، فأخذها يمسحها بثوبه ، فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به ، فقال : إنّما كرِهتُ أن أدَعَها للشيطان ، فقال له : لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعُها .

[أسرّ إلى صديقه أنه يريد خطبة امرأة من عبد القيس فأفشى سرّه إلى ابن عمّها فزُوِّجت ابن عمّها]

أخبرني محمد بن عِمران الضبيُّ الصَّيْرفيُّ قال حدَّثنا الحسن بن عُليل قال حدَّثنا محمد بن معاوية الأسديّ قال ذَكر الهيثمُ بنُ عديّ عن ابن عيّاش قال : خطب أبو الأسود الدؤليّ امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد بن غنيم ، فأسرّ أمرها إلى صديق له من الأزد يقال له الهيثم بن زياد ، فحدّث به ابن عمّ لها كان يخطبها ، وكان لها مال عند أهلها ، فمشى ابن عمّها الخاطب لها إلى أهلها الذين مالها عندهم ، فأخبرهم خبر أبي الأسود ، وسألهم أن يمنعوها من نكاحه ، ومن مالها الذي في أيديهم ، ففعلوا ذلك ، وضاروها حتى تزوّجت بابن عمّها ، فقال أبو الأسود الدؤليّ في ذلك : [من الطويل]

لعمري لقد أفشيتُ يوماً فخانني ... إلى بعضِ من لم أخشَ سِرّاً مُمنَّعا

فمزّقه مَزْقَ العَمِي وهو غافل ... ونادى بما أخفيتُ منه فأسْمعا

فقلت ولم أفحِش لَعاً لك عاثراً ... وقد يعثُر الساعي إذا كان مسرِعا[1]

ولستُ بجازيك الملامةَ إنّني ... أرى العفو أدْنى للرشاد وأوسَعا

1 لعاً لك : كلمة يدعى بها للعاثر أن ينتعش .

ولكن تعلّمْ أنّــه عهــدُ بيننا فبِــنْ غيرَ مذمــوم ولكن مُودَّعا
حديثاً أضعناه كلانــا فــلا أرى وأنت نجيّاً آخــرَ الدّهــر أجمعا[1]
وكنتَ إذا ضيّعتَ سرّك لم تجد سواك لـــه إلاّ أشَتَّ وأضيَعا

[وقال أيضاً في مَن أفشى سرّه]

قال : وقال فيه : [من الطويل]

أمِنتُ امرءاً في السرّ لم يك حازما ولكنّــه في النصح غيرُ مُـرِيبِ
أذاع بــه في الناس حتــى كأنّه بعليــاءَ نــارٌ أُوقــدتْ بثَقُوبِ[2]
وكنتَ متى لم تَرْعَ سرَّك تلتبسْ قوارعُــه مــن مخطىء ومُصيبِ
فما كلّ ذي نصح بمؤتيك نُصحَه ومــا كلّ مــؤتٍ نصحَه بلبيبِ
ولكن إذا ما استجمعا عند واحدٍ فحُقَّ لــه مــن طاعــة بنصيبِ

[اشترى جارية حولاء فعابها أهله فردّ عليهم]

أخبرني عمّي قال حدَّثني الكُرانيّ قال حدَّثنا العمري عن الهيثم بن عديّ عن ابن عيّاش قال : اشترى أبو الأسود جارية ، فأعجبته ، وكانت حولاء ، فعابها أهله عنده بالحوَل ، فقال في ذلك : [من الطويل]

يَعيبونها عنــدي ولا عيبَ عندها سوى أن في العينين بعضَ التأخّرِ
فــإن يــك في العينين سوء فإنّها مُهَفْهَفَة الأعــلى رَداحُ المؤخَّــرِ[3]

[تحاكم إليه ابنا عم وأحدهما صديق له فحكم على صديقه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ قال حدَّثنا عبد الرحمن بن أخي الأصمعيّ عن عمّه قال : كان لأبي الأسود الدؤليّ صديق من بني تميم ثم من بني سعد يقال له مالك بن أصرم ، وكانت بينه وبين ابن عمّ له خصومة في دار له ، وأنّهما اجتمعا عند أبي الأسود فحكّماه بينهما ، فقال له خصم صديقه : إنّي بالذي بينك وبينه عارف ، فلا يحملنك ها ذاك على أن تَحِيف عليّ في الحكم ، وكان صديق أبي الأسود ظالما ، فقضى أبو الأسود على صديقه لخصمه بالحقّ ، فقال له صديقه : والله ما بارك الله لي في صداقتك ، ولا نفعني بعلمك وفقهك ، ولقد قضيت عليّ بغير الحقّ ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

---

1 النجيّ : المسار .
2 الثقوب : ما أثقبت به النار أي أوقدتها به .
3 مهفهفة : ضامرة البطن . رداح : ضخمة العجيزة ثقيلة الأوراك .

إذا كنتَ مظلوماً فلا تُلْفَ راضياً عن القوم حتى تأخذ النِّصفَ واغضبِ[1]
وإن كنت أنت الظالمَ القوم فاطَّرِحْ مقالتهم واشغَبْ بهم كلَّ مَشْغَبِ
وقارِبْ بذي جهل وباعد بعالم جَلوبٍ عليك الحقَّ من كلّ مَجْلَبِ
فإن حدِبوا فاقعَسْ وإن هم تقاعسوا ليستمكِنوا ممّا وراءك فاحدَبِ[2]
ولا تدْعُني للجَورِ واصبِر على التي بها كنتُ أقضي للبعيد على أبي
فإنّي امرؤ أخشى إلهي وأتّقِي مَعادي وقد جرّبتُ ما لم تجرِّبِ

[كتب مستجدياً إلى نعيم بن مسعود فأجابه ، وإلى الحصين بن أبي الحرّ فرمى كتابه]

كتب إليّ أبو خليفة يذكر أنّ محمد بن سلام حدَّثه ، وأخبرني محمد بن يحيى الصولي عن أبي ذَكوان عن محمد بن سلام قال : وجه أبو الأسود الدؤليّ إلى الحصين بن أبي الحُرّ العَنبريّ جدّ عبيد الله بن الحسن القاضي ، وهو يلي بعض أعمال الخراج لزياد ، وإلى نُعَيم بن مسعود النَّهشَليّ وكان يلي مثل ذلك برسول ، وكتب معه إليهما وأراد أن يَبَرَّاه ، ففعل ذلك نعيم بن مسعود ، ورمى الحصين بن أبي الحرّ بكتاب أبي الأسود وراء ظهره ، فعاد الرجل فأخبره ، فقال أبو الأسود للحصين : [من الطويل]

حسِبت كتابي إذ أتاك تعرُّضاً لسَيْبك ، لم يذهب رجائي هنالكا
وخبَّرني من كنتُ أرسلتُ أنما أخذتَ كتابي مُعرِضاً بشِمالكا
نظرتَ إلى عنوانه فنبذتَه كنبذك نعلاً أخلقتْ مِن نِعالِكا
نعَيمُ بن مسعود أحقُّ بما أتى وأنت بما تأتي حقيق بذلكا
يصيبُ وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النُّوْك إلاّ كذلكا ؟

قال محمد بن سلام : فتقدّم رجل إلى عبيد الله بن الحسن بن الحصين بن أبي الحرّ ، وهو قاضي البصرة ، مع خصم له فخلط في قوله ، فتمثّل عبيد الله بقول أبي الأسود :

يصيب وما يَدْري ويُخطي وما درى وكيف يكون النَّوْك إلاّ كذلكا

فقال الرجل : إن رأى القاضي أن يُدنيني منه لأقول شيئاً فعل . فقال له : ادنُ ، فقال له : إن أحقّ الناس بستر هذا الشعر أنت ، وقد علمتَ فيمن قيل ، فتبسم عبيد الله وقال له : إنّي أرى فيك مُصْطَنعاً[3] فقم إلى منزلك ، وقال لخصمه : رح إليّ ، فغرِم له ما كان يطالب به .

1 النصف : الانتصاف .
2 قعس : نقيض الحدب .
3 المصطنع : أي محل للصنيعة والجميل .

[أراد السفر إلى فارس في الشتاء فأبت عليه ابنته]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ عن ابن عائشة قال : أراد أبو الأسود الدؤليّ الخروج إلى فارس ، فقالت له ابنته : يا أبت إنّك قد كبِرت ، وهذا صميم الشتاء ، فانتظر حتى ينصرِم وتَسلك الطريق آمناً ، فإنّي أخشى عليك ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

إذا كنتَ معنِيّاً بأمرٍ تُريده ... فما للمَضاء والتوكّل من مِثْلِ
توكّل وحمِّل أمرَك اللهَ إن ما ... ترادَ به آتيك فاقنع بذي الفضلِ
ولا تحسبنَّ السيرَ أقربَ للردى ... من الخفضِ في دار المُقامة والثَّمْلِ[1]
ولا تحسبيني يآبنتي عزَّ مذهبي ... بظنّك ، إن الظنّ يَكذِبُ ذا العقلِ
وإنّي ملاقٍ ما قضى اللهُ فاصبِري ... ولا تجعلي العِلْمَ المحقَّق كالجهلِ
وإنّك لا تدرين : هل ما أخافه ... أبعدِيَ يأتي في رحِيلِيَ أو قبلي
وكم قد رأيتَ حاذراً متحفِّظا ... أُصيبَ وألفتْه المنيةُ في الأهلِ

[خبره مع صديقه نسيب بن حميد]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عيسى بن إبراهيم العَتَكيّ قال حدّثنا ابن عائشة عن أبيه قال : كان لأبي الأسود صديق من بني سُليم يقال له نُسَيْب بن حُمَيد ، وكان يغشاه في منزله ، ويتحدّث إليه في المسجد ، وكان كثيراً ما يحلف له أنّه ليس بالبصرة أحد من قومه ولا من غيرهم آثر عنده منه ؛ فرأى أبو الأسود يوماً معه مُسْتُقه[2] مُخْمَلة أصبهانية من صوف ، فقال له أبو الأسود : ما تصنع بهذه المُستُقة ؟ فقال : أريد بيعها ، فقال له أبو الأسود : انظر ما تبلغ فعرِّفنيه حتى أبعثَ به إليك ، فإنّها من حاجتي ، قال : لا بل أكسوكَها ، فأبى أبو الأسود أن يقبلها إلا بثمنها ، فبعث بها إلى السوق فقوّمت بمائتي درهم ، فبعث إليه أبو الأسود بالدراهم ، فردّها وقال : لست أبيعها إلاّ بمائتين وخمسين درهماً ، فقال أبو الأسود : [من الكامل]

بِعْنِي نُسَيبُ ولا تُثِبْني إنّني ... لا أستثيبُ ولا أُثيبُ الواهبا
إن العطيّة خيرُ ما وجَّهتَها ... وحسِبتَها حمداً وأجراً واجبا
ومن العطيّة ما يعود غرامةً ... وملامة تَبقى ومَنّاً كاذبا
وبلوتُ أخبارَ الرجال وفِعلَهم ... فمُلئتُ علماً منهمُ وتجاربا

1 الثمل : الإقامة والمكث .
2 المستقه : فروة طويلة الكم . وثوب مُخْمَل : له خَمْل : أي هدب كهدب القطيفة .

فأخذتُ منهم ما رضيتُ بأخذِه وتركتُ عَمْداً ما هنالك جانبا
فإذا وعدتُ الوعدَ كنتُ كغارمٍ دَيناً أقرَّ بـه وأحضر كاتِبا
حتى أنفِّذَه على ما قلتُه وكفى عليّ به لِنفسيَ طالبا
وإذا فعلتُ فعلت غيرَ محاسِب وكفى بربّك جازياً ومحاسِبا
وإذا منعتُ منعتُ منعاً بيِّنا وأرحتُ من طولِ العَناء الراغِبا
لا أشتري الحمدَ القليلَ بقاؤه يوماً بذمّ الدّهرِ أجمعَ واصبا[1]

[ضرط في مجلس معاوية فطلب منه أن يسترها عليه ، فوعده ولم يفعل]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ ومحمد بن العبّاس اليزيديّ وعمّي قالوا حدَّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنيّ قال : زعم أبو بكر الهذليّ أنّ أبا الأسود الدؤليّ كان يحدّث معاوية يوماً فتحرّك فضَرَط ، فقال لمعاوية : استرها عليّ ، فقال : نعم ، فلمّا خرج حدّث بها معاوية عمرو بن العاص ومروانَ بن الحكم ، فلمّا غدا عليه أبو الأسود قال عمرو : ما فعلَتْ ضَرْطتك يا أبا الأسود بالأمس ؟ قال : ذهبتْ كما تذهب الريح مقبلةً ومدبرةً ، من شيخ ألان الدهر أعصابه ولحمه عن إمساكها ، وكلّ أجوف ضروط ، ثم أقبل على معاوية فقال : إن امرءاً ضعفت أمانته ومروءته عن كتمان ضرطة لحقيق بألاّ يؤمن على أمور المسلمين .

[تزوّج امرأة برزة زعمت أنها مدبرة صناع فوجدها مبذرة فطلّقها]

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدَّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدَّثنا محمد بن الحكم عن عوانة قال : كان أبو الأسود يجلس إلى فِناء امرأة بالبصرة فيتحدّث إليها ، وكانت برزة[2] جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك في أن أتزوّجك ؟ فإنّي صَناع[3] الكفّ ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور ، قال : نعم ، فجمعت أهلها فتزوّجته ، فوجد عندها خلاف ما قدّره ، وأسرعت في ماله ، ومدّت يدها إلى خيانته ، وأفشت سرّه ، فغدا على مَنْ كان حضر تزويجه إيّاها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ففعلوا ، فقال لهم : [من المتقارب]

أَرَيتَ امرءاً كنت لم أَبْلُهُ أتاني فقال اتّخِذْني خليلا[4]

1 واصباً : دائماً .
2 امرأة برزة : كهلة جليلة تبرز للقوم فيجلسون إليها ويتحدثون .
3 امرأة صناع اليدين : حاذقة ماهرة بعمل اليدين .
4 أريت : أصله أرأيت ، يقولون : أرأيتك بمعنى أخبرني .

فخاللتُـــه ثـــم أكرمتـــه فلـــم أستفـــد من لدْنه فتيلا
وألفيتُـــــه حـــين جرّبتُـــه كَذُوبَ الحديث سروقاً بخيلا
فذكَّرتـــه ثـــم عاتبتُـــه عتابـــاً رفيقاً وقـــولاً جميلا
فألفيتُـــه غيـــرَ مستعتِـــبٍ ولا ذاكـــرِ اللهِ إلاّ قليلا[1]
ألستُ حقيقـــاً بتوديعـــه وإتْباع ذلك صَرماً طويلا ؟

فقالوا : بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبتكم ، وقد طلّقتها لكم ، وأنا أحبّ أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم .

[أنكر عليه معاوية بخره فردّ عليه]

حدَّثنا اليزيديّ قال حدَّثنا البَغَويّ قال حدَّثنا العمريّ قال : كان أبو الأسود أبخر ، فسارَّ معاوية يوماً بشيء فأصغى إليه ممسكاً بكمّه على أنفه ، فنحَّى أبو الأسود يده عن أنفه ، وقال : لا والله لا تسود حتى تصبر على سِرار المشايخ البُخْر .

[عابه زياد عند عليّ]

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدَّثنا محمد بن الحارث الخرّاز قال حدَّثنا المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام استعمل أبا الأسود على البصرة ، واستكتب زياد بن أبيه على الديوان والخراج ، فجعل زياد يَسبَع[2] أبا الأسود عند عليّ ويقع فيه ويبغي عليه ، فلمّا بلغ ذلك أبا الأسود عنه قال فيه : [من الطويل]

رأيـــت زيـــاداً ينتحينـــي بشرّه وأُعْرِض عنـــه وهـــو بـــادٍ مَقاتِلُهْ
وكلّ امـــرىء ، والله بالناس عالم لـــه عـــادة قامـــت عليها شمائلُهْ
تَعوَّدهـــا فيمـــا مضـــى مـــن شبابه كذلك يدعـــو كلَّ أمـــرٍ أوائلُهْ
ويُعجبُـــه صفحـــي لـــه وتجمُّلي وذو الجهلِ يحذو الجهلَ مَن لا يعاجِلُهْ[3]
فقلـــت لـــه دعنـــي وشأنيَ إنّنا كلانـــا عليـــه مَعْمَـــلٌ هـــو عاملُهْ[4]
فلولا الذي قـــد يُرتجـــى من رجائه لجرَّبتَ منّي بعضَ مـــا أنت جاهِلُهْ
لجرّبتَ أنّي أُمنح الغَـــيَّ مَـــن غَوى عليّ وأُجـــزي مـــا جَزى وأطاوِلُهْ

1 استعتبه : استرضاه .
2 سبعه : شتمه ووقع فيه .
3 حذاه : أعطاه .
4 معمل : عمل .

وقال لزياد أيضاً في ذلك : [من البسيط]

نُبِّئتُ أنّ زيـاداً ظـلّ يَشتُمني ... والقولُ يُكْتَبُ عنـد الله والعملُ
وقد لقِيتُ زيـاداً ثـم قلت له ... وقبلَ ذلك مـا خَبَّت به الرسلُ[1]
حتّام تَسرِقنـي في كلّ مَجْمَعَـة ... عِرضي ، وأنت إذا ما شئت منتفِلُ
كل امـرىء صائر يومـاً لشيمته ... في كلّ منزلـة يُبْـلى بها الرجلُ

قال : فلمّا ادّعى معاوية زياداً وولاّه العراق كان أبو الأسود يأتيه فيسأله حوائجه ، فربّما قضاها وربّما منعها لما يعلمه من رأيه وهواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وما كان بينهما في تلك الأيّام وهما عاملان ، فكان أبو الأسود يترضّاه ويداريه ما استطاع ويقول في ذلك : [من الطويل]

رأيت زياداً صدّ عنّـيَ وجهَه ... ولَم يَكُ مردُوداً عن الخير سائلُهْ
ينفِّذ حاجاتِ الرجال ، وحاجتي ... كداء الجَوى في جوفه لا يزايلُهْ
فـلا أنـا ناسٍ مـا نَسِيتُ فآيِسٌ ... ولا أنـا راءٍ مـا رأيت ففاعِلُهْ
وفي اليأس حـزم لِلَّبيب وراحـة ... من الأمر لا يُنسى ولا المرء نائلُهْ

[أكرمه عبد الرحمن بن أبي بكرة]

وقال المدائنيّ : نظر عبد الرحمن بن أبي بَكرة[2] إلى أبي الأسود في حال رَثَّة فبعث إليه بدنانير وثياب ، وسأله أن ينبسط إليه في حوائجه ويستمنحه إذا أضاق[3] ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الوافر]

أبـو بحـرٍ أَمَـنُّ الناسِ طُرّاً ... علينا بعـد حـيٍّ أبي المُغيرَهْ
لقـد أبقـى لنا الحَدَثانُ منه ... أخـا ثقـةٍ منافعُـه كثيرَهْ
قريبَ الخير سهلاً غيرَ وعرٍ ... وبعضُ الخير تمنعُـه الوُعورَهْ
بَصُرتَ بأنّنا أصحابُ حـقٍّ ... نُدِلّ بـه وإخـوانٌ وجيرَهْ
وأهلُ مَضيعةٍ فوجدتَ خيرا ... من الخُلاّن فينـا والعشيرَهْ[4]
وإنّك قـد علمت وكلُّ نفسٍ ... تُرى صَفَحاتُهـا ولهـا سريرَهْ

1 خبت : سارت .
2 أبو بكرة : هو أخو زياد لأمّه .
3 أضاق : ذهب ماله .
4 مضيعة : ضياع واطراح وهوان .

لذو قلبٍ بذي القُربى رحيم وذو عين بما بلَغتْ بصيرَهْ
لعمرك ما حَباك الله نفسا بها جَشَعٌ ولا نفساً شَرِيرَهْ[1]
ولكن أنت لا شَرِسٌ غليظ ولا هَشْمٌ تُنازِعه خُؤورَهْ[2]
كأنّا إذ أتيناه نزلنا بجانب رَوضةٍ رَيّا مَطِيرَهْ

[كان عبيد الله بن زياد يماطله في قضاء حاجاته فعاتبه]

قال المدائنيّ : وكان أبو الأسود يدخل على عبيد الله بن زياد ، فيشكو إليه أنّ عليه ديناً لا يجد إلى قضائه سبيلاً ، فيقول له : إذا كان غد فارفع إليّ حاجتك فإنّي أحبّ قضاءها ، فيدخل إليه من غد ، فيذكر له أمره ، ووَعْده فيتغافل عنه ، ثم يعاوده فلا يصنع في أمره شيئاً ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

دعاني أميري كي أفوه بحاجتي فقلت فما ردّ الجواب ولا استمَعْ
فقمت ولَم أحسُسْ بشيء ولَم أصُنْ كلامي وخير القول ما صِينَ أو نفَعْ
وأجمعتُ يأساً لا لُبانة بعده ولليأسُ أدنى للعفاف من الطمَعْ

[سأله رجل فمنعه فأنكر عليه فاحتج ببيت لحاتم]

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تِينةَ قال حدّثني ابن عائشة قال : سأل رجل أبا الأسود شيئاً فمنعه ، فقال له : يا أبا الأسود ما أصبحتَ حاتميّاً ؟

قال : بلى قد أصبحت حاتميّاً من حيث لا تدري ، أليس حاتم الذي يقول : [من الطويل]

أماوِيّ إمّا مانِعٌ فمبيِّنٌ وإمّا عطاء لا يُنهِنهُهُ الزجرُ[3]

[شعره في جار له كان يحسده]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا ابن عائشة قال : كان لأبي الأسود جار يحسِدُه وتَبلغه عنه قوارِصُ ، فلمّا باع أبو الأسود داره في بني الديل ، وانتقل إلى هُذيل ، قال جار أبي الأسود لبعض جيرانه من هذيل : هل يسقيكم أبو الأسود من ألبان لِقاحه ؟ وكانت لا تزال عنده لَقْحة[4] أو لَقْحتان ، وكان جاره هذا يصيب من الشراب ، فبلغ أبا الأسود قوله ، فقال فيه : [من الطويل]

---

1 شريرة : ذات شرّ .
2 هَشْم : هشيم رخْو . خؤورة : ضعف وفتور .
3 نهنهه : كفّه .
4 اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

إنّ امـــرءاً نُبِّئتُه مـــن صديقِنا يسائل هل أسقي من اللبن الجارا ؟
وإنّي لأسقي الجار في قعـــر بيته وأشرب مـــا لا إثمَ فيه ولا عارا
شرابـــاً حلالا يترك المرء صاحياً ولا يتولّـــى يَقْلِسُ الإثمَ والعارا[1]

[قصد صديقه حوثرة بن سليم فأعرض عنه]

أخبرني عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال حدّثنا المدائنيّ قال : كان لأبي الأسود صديق من بني قيس بن ثعلبة يقال له حَوْثَرَة بن سُلَيْم ، فاستعمله عبيدالله بن زياد على جَيّ[2] وأصبهان ، وكان أبو الأسود بفارس ، فلمّا بلغه خبره أتاه فلم يجد عنده ما يقدّر ، وجفاه حوثرة ؛ فقال فيه أبو الأسود وفارقه : [من الطويل]

تروّحتَ من رُستاق جَـيٍّ عشيةً وخلّفتَ في رستاق جَيٍّ أخاً لكا
أخا لك إن طال التنائي وجدتَه نسيّـــاً وإن طـــال التعاشُرُ مَلّكا
ولو كنتَ سيفاً يُعجِب الناسَ حدُّه وكنتَ له يوماً من الدّهـــر فَلّكا[3]
ولو كنتَ أهدى الناس ثم صحِبتَه وطاوعتـــه ضلَّ الهـــوى وأضلّكا
إذا جئته تبغي الهدى خالف الهدى وإن جُرت عن باب الغَواية دلّكا

[ساومه جار له في شراء لقحة وعابها فأبى عليه]

قال المدائنيّ : وكان لأبي الأسود جار ، يقال له وَثاق من خُزاعة ، وكان يحِبّ اتّخاذ اللقاح ويغالي بها ويصفِها ؛ فأتى أبا الأسود وعنده لِقحة غزِيرة يقال لها : الصَّفوف فقال له : يا أبا الأسود ما بلقحتِك بأسٌ لولا عيب كذا وكذا ، فهل لك في بيعها ؟ فقال أبو الأسود : على ما تذكر فيها من العيب ؟ فقال : إنّي أغتفر ذلك لها لِما أرجوه من عزارتها ، فقال له أبو الأسود : بئست الخلّتان فيك ؛ الحِرص والخِداع ، أنا لِعيب مالي أشدّ اغتفاراً ؛ وقال أبو الأسود فيه : [من الطويل]

يريـــد وَثـــاقٌ ناقتـــي ويعِيبها يخادِعني عنها وثـــاقُ بن جابِرِ
فقلت تعلَّـــمْ يـــا وثاقُ بأنّها عليك حِمًى أُخرى الليالي الغَوابِرِ
بصُرتَ بها كَوماءَ حَوساءَ جَلْدةً من المُولِياتِ الهـــامَ حدَّ الظواهرِ[4]

1 أصل يقلس من قلست الكأس : قذفت بالشراب لشدّة الامتلاء ، وقلست النحل العسل : مجّته .
2 جيّ : مدينة ناحية أصبهان .
3 فل السيف : ثلمه .
4 الكوماء : الناقة العظيمة السنام ، والهوساء : الشديدة النفس ، والجلدة : القوية .

فحاولتَ خَدعي والظنونُ كواذِبٌ وكم طامعٍ في خَدعتي غيرُ ظافِرِ

[سارمه رجل من سدوس في لقحة له وعابها فأبى عليه بيعها]

قال : وكانت له لقحة أخرى يقال لها الطَّيفاء ، وكان يقول : ما ملكت مالاً قط أحبّ إليّ منها ، فأتاه فيها رجل من بني سَدوس يقال له أوس بن عامر ، فجعل يماكر أبا الأسود ويَعِيبها ، فألفاه بها بصيراً وفيها منافساً ، فبذل له فيها ثمناً وافياً ، فأبى أن يبيعه وقال فيه : [من الطويل]

أتــانيَ في الطيفاء أوسُ بن عامرٍ ليخدعني عنهــا بجِنّ ضراسِها[1]
فسام قليــلاً ناسئاً غير ناجــز وأُحصِر نفساً وانتهى بمِكاسها[2]
فأُقسمُ لــو أعيطتَ ما سمتَ مِثلَه وضِعفاً لــه لما غَدوتَ برأسِها
أغرَّك منهــا أن نَحــرتُ حُوارها لجيرانِ أمّ السَّكْنِ يــوم نفاسِها
فولَّى ولم يطمع وفي النفس حاجةٌ يردّدهــا مــــردودةً بإياسِها

[جوابه لسائل ملحف]

أخبرنا اليزيديّ قال حدَّثنا عيسى عن ابن عائشة والأصمعيّ : أنّ رجلاً سأل أبا الأسود الدؤليّ فردّه فألحّ عليه ، فقال له أبو الأسود : ليس للسائل الملحِف مثل الردّ الجامِس . قال : يعني بالجامس الجامد .

[خطب امرأة من بني حنيفة فعارضه ابن عم لها]

وقال المدائنيّ : خطب أبو الأسود امرأة من بني حنيفة ، وكان قد رآها فأعجبته ، فأجابته إلى ذلك وأذِنت له في الدخول إليها ، فدخل دارها فخاطبها بما أراد ، فلمّا خرج لقِيه ابن عمّ لها قد كان خطبها على أخيه ، فقال له : ما تصنع هاهنا ؟ فأخبره بخطبته المرأة ، فنهاه عن التعرّض لها ، ووضع عليها أرصاداً ، فكان أبو الأسود ربّما مرّ بهم واجتاز بقبيلتهم ، فدسّوا إليه رجُلاً يوبِّخه في كلّ محفِل يراه فيه ، ففعل ، وأتاه وهو في نادي قومه فقال له : يا أبا الأسود ، أنت رجل شريف ، ولك سنّ وخَطَر وعِرْض ، وما أرضى لك أن تلِمَّ بفلانة ، وليست لك بزوجةٍ ولا قرابةٍ ، فإنّ أهلها قد أنكروا ذلك وتَشكَّوه ، فإمّا أن تتزوّجها أو تُضرب عنها ، فقال له أبو الأسود : [من الطويل]

---

1 يقولون في الناقة : «هي بجن ضراسها» ، أي بحدثان نتاجها ، وإذا كانت كذلك حامت عن ولدها ، وعضّت حالبها .

2 أحصره العدد : ضيّق عليه . والمماكسة والمكاس في البيع : انتقاص الثمن واستحطاطه .

لقد جدّ في سَلمى الشكاةُ وللَّذي ... يقولون ـ لو يبدو لك الرشدُ ـ أرشدُ
يقولون لا تَمذُل بعِرضك واصطنِع ... مَعادَك إنّ اليوم يَتْبَعه غدُ[1]
وإيّاك والقومَ الغِضابَ فإنّهم ... بكلّ طريق حولهم تترصَّدُ
تلام وتُلحى كلَّ يوم ولا تُرى ... على اللوم إلاّ حولَها تتردّدُ !
أفادَتْكَها العينُ الطموحُ وقد ترى ... لك العينُ مالا تستطيع لك اليدُ

وقال أبو الأسود : [من الطويل]

دعُوا آلَ سلمى ظِنّتي وتعنُّتي ... وما زَلّ منّي ، إنّ ما فات فائتُ[2]
ولا تُهلِكوني بالملامةِ إنّما ... نطقتُ قليلاً ثم إنّي لساكتُ
سأسكت حتى تحسِبوني أنّني ... من الجهدِ في مَرْضاتكم متماوتُ
ألم يكفِكم أنْ قد منعتم بيوتَكم ... كما منع الغِيلَ الأسودُ النواهِتُ[3] !
تصِيبون عِرضي كل يوم كما علا ... نشيطٌ بفأسٍ معدِنَ البُرْم ناحِتُ[4]

[جفاه ابن عامر لهواه في علي]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عديّ عن مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : كان ابن عبّاس يكرّم أبا الأسود الدؤليّ لمّا كان عاملاً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام على البصرة ويقضي حوائجه ، فلمّا ولِي ابن عامرٍ جفاه وأبعده ومنعه جوائجه لِما كان يعلمه من هواه في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ذكرتُ ابنَ عبّاس بباب ابنِ عامر ... وما مَرَّ من عيشي ذكرتُ وما فَضَلْ
أميرين كانا صاحِبيَّ كلاهما ... فكلٌّ جزاه الله عنّي بما فعلْ
فإن كان شرّاً كان شرّاً جزاؤه ... وإن كان خيراً كان خيراً إذا عدلْ

[كان لابنه صديق من باهلة فكره صداقته له]

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبة قال ذكر الهيثم بن عدي عن خالد بن سعيد أخبرني محمد بن خلف وكيع قال حدَّثنا عبد الله بن شبيب قال حدَّثنا إبراهيم بن المنذر الخِزاميّ قال حدَّثنا محمد بن فُلَيح بن سليمان عن موسى بن عقبة قال

1 مذلت نفسه بالشيء : سمحت .
2 الظنة : التهمة .
3 النواهت : جمع ناهت ، يقال : نهت الأسد نهيتاً ، وهو صوت الأسد دون الزئير .
4 البرم : جمع برمة ، وهي قدر من حجارة .

قال أبو الأسود الدؤليّ لابنه أبي حرب ، وكان له صديق من باهِلة يكثر زيارته ، فكان أبو الأسود يكرهه ويستريب منه : [من الطويل]

أحــبَّ إذا أحببتَ حبّــاً مُقارِباً فإنّك لا تدري متى أنــت نازِعُ
وأبغِض إذا أبغضت بغضاً مقارباً فإنّك لا تدري متى أنــت راجعُ
وكن معدِنا للحلم واصفح عن الخَنا فإنّك راءٍ مــا عمِلــتَ وسامِعُ

[آذاه جار له فباع داره واشترى داراً في هذيل]

وقال المدائنيّ حدَّثني أبو بكر الهذليّ قال : كان لأبي الأسود جار من بني حُلَيس بن يَعمُر بن نُفاثة بن عدِيّ بن الدّيل ، من رهطه دِنيةً ، ومنزل أبي الأسود يومئذٍ في بني الديل ، فأولع جاره برميه بالحجارة كلّما أمسى ، فيؤذيه . فشكا أبو الأسود ذلك إلى قومه وغيرهم ، فكلّموه ولاموه ، فكان ما اعتذر به إليهم أن قال : لست أرميه ، وإنّما يرميه الله لقطعه للرحم وسرعته إلى الظلم وبخله بماله ، فقال أبو الأسود : والله ما أجاور رجلاً يقطع رحمي ويكذب على ربّي . فباع داره واشترى داراً في هذيل ، فقيل له : يا أبا الأسود ، أبِعت دارك ؟ قال : لمْ أبِع داري ، ولكن بِعت جاري[1] ، فأرسلها مثلاً وقال في ذلك : [من الطويل]

رمــانيَ جــاري ظالمــاً برميَّــة فقلتُ لــه مهلاً فأنكَرَ مــا أتى
وقال الذي يرميك ربُّك جازياً بذنبك ، والحَوْباتُ تُعقِب ما ترى[2]
فقلت لــه لــو أنّ ربِّــي برمية رماني لمــا أخطا إلهيَ مــا رمى
جزى الله شرّاً كلَّ مَن نال سوءة ويَنْحَلُ فيهــا ربَّه الشرَّ والأذى

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

لَحى الله مولى السَّوء لا أنت راغب إليــه ولا رامٍ بــه مــن تحاربهْ
وما قُربُ مولى السوء إلاّ كبعده بل البعدُ خير مــن عدوٍّ تُصاقِبهْ[3]

وقال فيه أيضاً : [من الطويل]

وإنّي لَتَثنيني عــن الشتم والخَنا وعن سبّ ذي القربى خلائقُ أربعُ
حيــاء وإسلام ولطــف وأنّني كريم ، ومثلي قــد يضرّ وينفعُ

1 ورد المثل في مجمع الأمثال للميداني 1 : 104 والمستقصى في الأمثال للزمخشري 2 : 10 وكتاب جمهرة الأمثال للعسكري 1 : 203 ، 219 ، وكتاب الأمثال للقاسم بن سلام : 278 .

2 الحوبة : الإثم .

3 صاقبه : قاربه .

فإن أعف يوماً عن ذنوب أتيتَها فإن العصا كانت لِمثلي تُقْرَعُ[1]
وشتان ما بيني وبينك إنّني على كلّ حال أستقيم وتَظلَعُ

[قصته مع جار له آذاه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكُرانيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن العتبيّ قال : كان لأبي الأسود جار في ظهر داره له باب إلى قبيلة أخرى ، وكان بين دار أبي الأسود وبين داره باب مفتوح يخرج منه كلّ واحد منهما إلى قبيلة صاحبه إذا أرادها ، وكان الرجل ابن عمّ أبي الأسود دِنيةً ، وكان شرِساً سيءّ الخلق ، فأراد سدّ ذلك الباب ، فقال له قومه : لا تفعل فتضرَّ بأبي الأسود وهو شيخ ، وليس عليك في هذا الباب ضرر ولا مُؤْنة ، فأبى إلاّ سدَّه ، ثم ندِم على ذلك لأنّه أضرّ به ، فكان إذا أراد سلوك الطريق التي كان يسلكها منه بعُد عليه ، فعزم على فتحه ، وبلغ ذلك أبا الأسود فمنعه منه وقال فيه : [من الوافر]

صوت

بُلِيت بصاحبٍ إنْ أدنُ شِبرا يَزِدني في مباعدةٍ ذِراعا
وإن أمدُدْ له في الوصلِ ذَرْعي يَزِدني فوق قِيس الذرع باعا[2]
أبت نفسي له إلاّ اتّباعاً وتأبى نفسه إلاّ امتناعا
كلانا جاهد أدنو ويأى فذلِك ما استطعتُ وما استطاعا

الغناء في هذه الأبيات لإبراهيم ثقيل أوّل بالبنصر ، وفيه لعريب خفيف رملٍ . ولعلّويه لحن غير منسوب . قال وقال أبو الأسود أيضاً في ذلك : [من الطويل]

لنا جِيرة سدّوا المَجازة بيننا فإن أذكروك السدَّ فالسدُّ أكْيسُ
ومن خير ما ألصقتَ بالجارِ حائط تزِلُّ به سُفْعُ الخطاطيفِ أملسُ[3]

وقال أيضاً في ذلك : [من مجزوء الكامل]

أعصيتَ أمر ذوي النهى وأطعت أمر ذوي الضلالَهْ
أخطأتَ حين صرمتني والمرء يعجِزُ لا محالَهْ

---

1 يشير إلى المثل : «إن العصا قرعت لذي الحلم» ، ومعناه أنّ الحكيم إذا نبّه انتبه ، وأوّل مَن قرعت له العصا عامر بن الظرب لمّا طعن في السنّ أنكر من عقله شيئاً ، فقال لبنيه : إذا رأيتموني خرجت من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المجن بالعصا» .

2 قِيس : قدر .

3 سفع : سود تضرب إلى الحمرة .

والعبدُ يُقرَع بالعصا والحرّ تكفيه المقالَهْ[1]

[نزل في بني قشير فآذوه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدَّثنا محمد بن القاسم بن مَهرُويه قال حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة عن أبيه وأخبرني به محمد بن جعفر النحويّ قال حدَّثنا أحمد بن القاسم اليزيديّ قال حدَّثني إسحاق بن محمد النخعيّ عن ابن عائشة ولم يقل عن أبيه قال : كان أبو الأسود الدؤليّ نازلاً في بني قُشَير ، وكانت بنو قشير عثمانية ، وكانت امرأته أمّ عوف منهم ، فكانوا يؤذونه ويسبّونه وينالون من عليّ عليه السلام بحضرته ليغيظوه به ، ويرمونه بالليل ، فإذا أصبح قال لهم : يا بني قشير ، أيُّ جِوارٍ هذا ؟ فيقولون له : لم نرمِك ، إنّما رماك الله لسوء مذهبك وقبح دينِك ، فقال في ذلك : [من الوافر]

يقـــول الأرذلـون بنو قشير طَوالَ الدهـــر لا تنسى عليّا !
فقلت لهم : وكيف يكون تركي من الأعمال مفروضاً عليّا ؟
أُحِبّ محمـــداً حبّـــاً شديداً وعباساً وحمـــزةَ والوصيّا
بنـــي عـــمّ الرسول وأقربيه أحـــبّ النـاسِ كلّهـــم إليّا
فإن يـــك حبّهم رُشْداً أُصبِه ولست بمخطىءٍ إن كان غيّا
هُمُ أهـــل النصيحة غيرَ شكّ وأهل مودّتـــي ما دمت حيّا
هَـــوًى أُعطِيتُه لما استدارت رحى الإسلام لم يُعْدَل سَوِيّا
أحبّهـــمُ لحـــبّ الله حتّـــى أُجـــيء إذا بُعِثتُ على هَوَيّا[2]
رأيـــت الله خالـــقَ كلّ شيءٍ هداهم واجتبـــى منهم نبيّا
ولم يخصُص بها أحداً سِواهم هنيئاً مـــا اصطفاه لهم مريّا

قال : فقالت له بنو قشير : شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول :

فـإن يـــك حبّهم رشداً أُصبِه

فقال : أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ : ﴿وإنّا أَوْ إيّاكُمْ لَعَلى هُدًى أَوْ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ . أفترى الله جلّ وعزّ شكّ في نبيّه ؟ وقد رُوِي أنّ معاوية قال هذه المقالة ، فأجابه بهذا الجواب .

---

1 مثل : ورد في مجمع الأمثال للميداني 345/2 :
«العبد يُقـرع بالعصا والحرّ تكفيه الإشارة»
يضرب في خسة العبيد .

2 على هويّا : على هواي .

[تهكّم معاوية به فأجابه]

أخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال حدّثنا أبو عثمان الأُشْنانْدانيّ عن الأخفش عن أبي عمر الجَرميّ قال : دخل أبو الأسود الدؤليّ على معاوية ، فقال له : لقد أصبحت جميلاً يا أبا الأسود ، فلو علّقت تميمة تَنفي عنك العينَ ؛ فقال أبو الأسود : [من البسيط]

أفنى الشبابَ الذي فارقتُ جِدّتَه ... كرُّ الجدِيدين مـن آتٍ ومنطلِقِ
لم يتركا لِيَ في طـول اختلافهما ... شيئاً تُخاف عليـه لَـذْعةُ الحَدَقِ

[خبره مع فتى دعاه أن يأكل معه فأتى الفتى على طعامه]

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني الحارث بن محمد قال حدّثنا المدائنيّ عن عليّ بن سليمان قال : كان أبو الأسود له على باب داره دُكّان يجلس عليه ، مرتفِع عن الأرض إلى قدر صدر الرجل ، فكان يوضع بين يديه خِوان على قدر الدكان ، فإذا مرّ به مارّ فدعاه إلى الأكل لم يجِد موضِعاً يجلس فيه ، فمرّ به ذات يوم فتى فدعاه إلى الغداء ، فأقبل فتناول الخِوان فوضعه أسفلَ ، ثم قال له : يا أبا الأسود ، إن عزمت على الغداء فانزِل ، وجعل يأكل وأبو الأسود ينظر ليه مغتاظاً حتى أتى على الطعام ، فقال له أبو الأسود : ما اسمك يا فتى ؟ قال : لقمان الحكيم ، قال : لقد أصاب أهلك حقيقة اسمك .

قال المدائنيّ : وبلغني أنّ رجلاً دعاه أبو الأسود إلى طعامه وهو على هذا الدكان ، فمدّ يده ليأكل ، فشبّ به فرسه فسقط عنه فوُقِص[1] .

[كان أبو الجارود صديقاً له فلمّا ولي ولاية جفاه فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دَماذُ عن أبي عبيدة قال : كان أبو الجارود سالِم بن سَلَمة بن نَوفل الهذليّ صديقاً لأبي الأسود ، يهادِيه الشعر ، ويجيب كلّ واحدٍ منهما صاحبه ، ويتعاشرانِ ويتزاورانِ ، فولِي أبو الجارود وِلاية ، فجفا أبا الأسودِ وقطعه ، ولم يبدأه بالمكاتبة ولا أجابه عنها ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أبلِغْ أبـا الجارود عنّـي رسالة ... يَرُوح بها الغادي لرَبْعك أو يغدو
فيخبرَنا مـا بالُ صَرمك بعـد ما ... رضِيتَ وما غَيَّرْتَ من خُلُقٍ بعدُ
أإنْ نِلـتَ خيراً سَرَّني أن تنالـه ... تنكَّرتَ حتى قلتُ ذو لِبدةٍ وَرْدُ ؟
فعيناك عينـاه وصوتك صوته ... تُمثِّلـه لي غيرَ أنّـك لا تعدو

1 وقص : دقّت عنقه وكسرت .

لئن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا لقد جعلَتْ أشراطُ أوّلـه تبدو[1]
فإنّي إذا مـا صاحبٌ رَثَّ وصلُه وأعرَضَ عنّي قلّ منّي لـه الوَجدُ

[خبره مع الحارث بن خليد وشعره فيه]

قال المدائنيّ : كان لأبي الأسود صديق يقال له الحارث بن خُلَيد ، وكان في شرف من العطاء ، فقال لأبي الأسود : ما يمنعك من طلب الديوان ؟ فإنّ فيه غنًى وخيراً ، فقال له أبو الأسود : قد أغناني الله عنه بالقناعة والتجمّل ، فقال : كلا ، ولكنّك تتركه إقامةً على محبّة ابن أبي طالب وبغْضِ هؤلاء القوم . وزاد الكلام بينهما ، حتى أغلظ له الحارث بن خليد ، فهجره أبو الأسود ، وندِم الحارث على ما فرط منه ، فسأل عشيرته أن تصلِح بينهما ، فأَتَوا أبا الأسود في ذلك وقالوا له : قد اعتذر إليك الحارث ممّا فرطَ منه وهو رجل حدِيد[2] ، فقال أبو الأسود في ذلك : [من المتقارب]

لنا صاحب لا كلِيلُ اللسان فيَصمُتَ عنّا ولا صارِمُ
وشرُّ الرّجـال على أهلِـهِ وأصحابِـهِ الحَمِـقُ العارِمُ

وقال فيه : [من الطويل]

إذا كان شيء بيننـا قيـل إنّـه حدِيـدٌ فخالِـفْ جهلَـه وترفَّقِ
شنِئتُ من الأصحاب من لستُ بارحاً أُداملِـه دَمْـلَ السقـاء المخـرَّقِ[3]

[كتب إلى الحصين كتاباً فتهاون به]

وقال المدائنيّ : ولّى عبيد الله بن زياد الحصينَ بن أبي الحُرّ العنبريّ مَيْسانَ ، فدامت وِلايته إيّاها خمس سنين ، فكتب إليه أبو الأسود كتاباً يتصدّى فيه لرِفده ، فتهاون به ولَم ينظر فيه ، فرجع إليه رسوله فأخبره بفعله ، فقال فيه : [من الطويل]

ألا أبلِغـا عنّـي حُصَيْناً رسالةً فإنّك قـد قطّعتَ أُخرى خِلالِكا
فلو كنتَ إذ أصبحتَ للخَرج عاملاً بميسانَ تُعْطِي الناسَ من غير مالِكا[4]
سألتـك أو عرَّضتُ بـالودِّ بيننا لقـد كان حقّاً واجباً بعضُ ذلِكا

1 أشراط : جمع شَرَط ، وهو العلامة .
2 حديد : حاد اللّسان .
3 داملِه : داراه ليصلح ما بينه وبينه .
4 الخرج : الخراج .

وخبَّرني مَـن كنت أرسلت أنّما أخذتَ كتابـي مُعْرِضاً بشمالِكا
نظـرتَ إلى عنوانـه ونَبَذتـه كنبذك نعـلاً أخلقَتْ من نِعالِكا
حسِبت كتابـي إذ أتاك تعرّضاً لسَيبِك ، لم يذهب رجائي هنالِكا
يُصيب وما يدري ويُخطي وما درى وكيف يكون النَّوْك إلاّ كذلِكا

فبلغت أبيات أبي الأسود حصيناً ، فغضِب وقال : ما ظننت منزلة أبي الأسود بلغَتْ ما يتعاطاه من مساءتِنا وتوعّدِنا وتوبيخنا ، فبلغ ذلك أبا الأسود فقال فيه : [من المتقارب]

أبلِـغ حصينـاً إذا جئتـه نصيحةَ ذي الرأي للمجتنِيها
فلا تكُ مثل التي استخرجت بأظلافِهـا مُديـةً أو بِفِيها[1]
فقـام إليهـا بهـا ذابح ومن تَدْعُ يوماً شَعوبُ يجِيها[2]
فظلّـت بأوصالهـا قِدرُها تُحُشّ الوليـدةُ أو تشتوِيها[3]
وإن تأبَ نصحي ولا تنتهي ولم تَـرَ قـولي بنصحٍ شبيها
أُجَرِّعْـك صابـا وكان المُرا ر والصاب قِدْماً شراباً كريها

[خبره مع معاوية بن صعصعة]

وقال خالد بن كلثوم : كان معاوية بن صعصعة يلقى أبا الأسود كثيراً فيحادثه ويظهر له المودّة ، وكانت تبلغه عنه قوارص فيذكرها له فيجحدها أو يحلِف أنّه لم يفعل ، ثم يعاوِد ذلك ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ولي صاحب قـد رابني أو ظلمته كذلك ما الخصمان بَـرٌّ وفاجرُ
وإنّي امـرؤ عندي وعمدا أقوله لآتِيَ مـا يأتي امرؤ وهـو خابرُ
لسانان معسولٌ عليـه حـلاوة وآخـر مسموم عليـه الشَّراشِرُ[4]
فقلـت ولم أبخل عليه نصيحتي وللمـرء نـاهٍ لا يـلام وزاجرُ
إذا أنت حاولت البراءة فاجتنب عواقبَ قـول تعتريـه المعاذرُ
فكم شاعـرٍ أرداه أنْ قال قائل له في اعتراض القول إنّك شاعِرُ

---

1 يشير إلى المثل «كباحثة عن حتفها بظلفها» ، وأصله أنّ رجلاً كان جائعاً بالفلاة القفر ، فوجد شاة ولم يكن معه ما يذبحها به ، فجثت الشاة الأرض بأظلافها فسقطت على شفرة فذبحها به .

2 شعوب : المنية .

3 حش النار : أوقدها .

4 شرشر السكين : أحدّها .

عطفتُ عليه عطفة فتركته ... لِما كان يرضى قبلها وهو حاقرُ
بقافية حذّاء سهلٍ رويُّها ... وللقول أبوابٌ تُرى ومحاضرُ[1]
تَعَزَّى بها من نومه وهو ناعِس ... ـ إذ انتصف الليلُ ـ المُكلُّ المسافِرُ[2]
إذا ما قضاها عاد فيها كأنّه ... للذّته سكران أو متساكرُ

[شعره في عبد الله بن عامر وكان مكرماً له ثم جفاه لتشيّعه]

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثني العمريّ عن العتبيّ قال : كان عبد الله بن عامر مكرماً لأبي الأسود ثم جفاه لما كان عليه من التشيّع فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

ألَم تَرَ ما بيني وبين ابن عامر ... من الودِّ قد بالت عليه الثعالبُ
وأصبح باقي الودّ بيني وبينه ... كأن لم يكن ، والدَّهرُ فيه عجائبُ
إذا المرء لم يُحْبِبك إلاّ تكرُّهاً ... بدا لك من أخلاقه ما يغالِبُ
فَلَلنأيُ خير من مُقامٍ على أذى ... ولا خيرَ فيما يستقلّ المعاتِبُ

[قصّته مع زوجتيه القشيريّة والقيسيّة وشعره في ذلك]

أخبرني محمد بن خلف بن المرزُبان قال حدّثنا عبيد الله بن محمد قال حدّثنا ابن النطاح قال ذكر الحِرْمازِيّ عن رجل من بني الدّيل قال : كانت لأبي الأسود الدؤليّ امرأة من بني قُشَير وامرأة من عبد القيس ، فأسنَّ وضعف عمّا يطيقه الشباب من أمر النساء ، فأمّا القشيريّة فكانت أقدمهما عنده وأسنّهما ، فكانت موافقة له صابرة عليه ، وهي أُمّ عوف القشيريّة التي يقول فيها : [من الطويل]

أبى القلب إلاّ أمّ عوف وحبّها ... عجوزاً ومن يحبب عجوزاً يفنَّدِ
كسَحْق يمانٍ قد تقادم عهده ... ورُقعته ما شئت في العين واليدِ[3]

وأمّا الأُخرى التي من عبد القيس فهي فاطمة بنت دُعْميّ ، وكانت أشبَّهما وأجملهما ، فالتوت عليه لمّا أسنّ ، وتنكّرت له وساءت عشرتها ، فقال فيها أبو الأسود : [من الطويل]

تعاتبني عِرسي على أن أُطيعها ... لقد كذّبتها نفسُها ما تمنَّتِ
وظنّت بأنّي كلُّ ما رضيتْ بِهِ ... رضيتُ به ، يا جهلها كيف ظنّتِ !

1 حذّاء : سائرة أو منقحة لا عيب فيها .
2 أكلّه : أتعبه .
3 السحق : الثوب البالي .

وصاحبتُها مـا لو صحِبتُ بمثله على ذعرهـا أُرْوِيـة لاطمأنّتِ[1]
وقد غرَّها منّي على الشيبِ والبِلى جنوني بها ، جُنَّت حِيالي وجُنَّتِ

يقال : جُنَّ وجُنّ ، وهو من الإتباع كما يقال : حسنٌ بَسَن .

ولا ذنب لي قد قلتُ في بدء أمرنا ولو علِمت مـا عُلِّمَتْ ما تعنَّتِ[2]
تَشكَّـى إلى جاراتهـا وبناتِهـا إذا لَم تجـد ذنبـاً علينا تجنَّتِ
أَلَـم تعلمي أنّي إذا خِفت جفوة بمنزلةٍ أبعـدتُ منهـا مطيّتي
وأنّي إذا شقَّت عـليَّ حليلتي ذَهَلتُ ولَم أحنِنْ إذا هي حنَّتِ[3]

وفيها يقول : [من الطويل]

أفاطِم مهـلاً بعضَ هذا التعبّس وإن كانَ منك الجِدّ فالصَّرْمُ مُوئسي
تَشَتَّمُ لِـي لمـا رأتنـي أحبّهـا كذي نعمة لم يُبْدِهـا غيرَ أبؤسِ
فإن تنقُضي العهد الذي كان بيننا وتُلوي بـه في ودّك المتحلِّسِ[4]
فإنّي ، فلا يغرُرْكِ منّي تجمّلي ، لأسلى البعـاد بالبعـاد المكنِّسِ
وأعلـم أنّ الأرض فيها مَنادح لَمن كان لم تُسْدَد عليه بمحبسِ[5]
وكنت امرءاً لا صحبةَ السوء أرتجي ولا أنـا نـوّام بغير معرِّسِ[6]

[أرسل غلامه يشتري له جارية فأخذها لنفسه]

وقال المدائنيّ : كان لأبي الأسود الدؤليّ مولى يقال له نافع ويكنى أبا الصبّاح ، فذُكرت لأبي الأسود جارية تباع ، فركِب فنظر إليها فأعجبته ، فأرسل نافعاً يشتريها له فاشتراها لنفسه وغدر بأبي الأسود ، فقال في ذلك : [من الطويل]

إذا كنت تبغـي للأمانـة حامـلاً فدَع نافعاً وانظر لهـا مَن يُطيقُها
فإن الفتـى خَـبٌّ كذوب وإنّه لـه نفس سَوء يجتويها صديقُها
متى يخـلُ يومـاً وحـده بأمانة تُغَـلّ جميعـاً أو يُغَـلّ فريقُها
على أنّه أبقـى الرّجـال سَمانة كما كلُّ مسمان الكلاب سَروقُها

---

1 الأروية : الأنثى من الوعول .
2 تعنّاه : عناه وأوقعه في العناء .
3 شقّ عليه ، أوقعه في المشقة . ذهله وعنه : سلاه وطابت نفسه عن إلفه .
4 تحلس بالمكان : أقام به .
5 مناد ح : جمع مندوحة : وهي السعة .
6 المعرس : موضع التعريس ؛ وهو نزول القوم في السّفر آخر الليل للاستراحة .

[خطبته حين نعي له عليّ]

أخبرني حبيب بن نصر المهلّبيّ قال حدَّثنا عمر بن شبّة قال حدَّثنا علي بن محمد المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال : أتى أبا الأسود الدؤليّ نعيُ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وبيعة الحسن عليه السلام ، فقام على المِنبر فخطب الناس ونعى لهم عليّاً عليه السلام فقال في خطبته : «وإنّ رجلاً من أعداء الله المارقة عن دينة ، اغتال أمير المؤمنين عليّاً كرّم الله وجهه ومثواه في مسجده وهو خارج لتهجّده في ليلة يرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله ، فيا لله هو من قتيل ! وأكرمْ به وبمقتله ورُوحه من روح عَرَجت إلى الله تعالى بالبِرِّ والتُّقى والإيمان والإحسان ؛ لقد أطفأ منه نور الله في أرضه لا يبين بعده أبداً ، وهدم ركناً من أركان الله تعالى لا يشاد مثله ؛ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون ، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ويوم قتل ويوم يبعث حيّاً» .

ثم بكى حتى اختلفت أضلاعه ، ثم قال : «وقد أوصى بالإمامة بعده إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه ، وإنّي لأرجو أن يجبر الله عزَّ وجلَّ به ما وَهَى ، ويسدّ به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويطفىء به نيران الفتنة ، فبايِعوه تَرشُدوا» .

[كتب إليه معاوية يدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة فرثى علي بن أبي طالب]

فبايعت الشيعة كلّها ، وتوقّف ناس ممّن كان يرى رأى العثمانية ولم يظهروا وأنفسهم بذلك ، وهربوا إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية ودسّ إليه رسولاً يُعلمه أنّ الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح ، ويدعوه إلى أخذ البيعة له بالبصرة ، ويعده ويُمَنّيه ؛ فقال أبو الأسود : [من الوافر]

ألا أبلغ معاويةَ بن حرب ... فلا قَرَّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير الناس طُرّاً أجمعينا
قتلتم خيرَ مَن ركِب المطايا ... وخيَّسها ومَن ركِب السفينا[1]
ومَن لبِس النّعال ومَن حَذاها ... ومَن قرأ المثاني والمئينا[2]
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمَت قريش حيث حلّت ... بأنّك خيرها حَسَباً ودِينا

[لزم ابنه المنزل فحثّه على العمل والسعي في طلب الرزق]

أخبرني أبو الحسن الأسديّ قال حدَّثنا الرياشيّ عن الهيثم بن عديّ عن أبي عبيدة قال : كان

1 خيسها : ذلّلها .
2 حذاه نعلاً : أعطاه إيّاها .

أبو حرب بن أبي الأسود قد لزم منزل أبيه بالبصرة لا ينتجع أرضاً ، ولا يطلب الرزق في تجارة ولا غيرها ، فعاتبه أبوه على ذلك ، فقال أبو حرب : إن كان لي رزق فسيأتيني ، فقال له : [من الوافر]

وما طلب المعيشة بالتمنّي ولكن ألق دلوك في الدِّلاء
تجئك بملئها يوماً ويوماً تجئك بحَمْأة وقليلِ ماء[1]

[مولاته لطيفة تتبنّى ابن عبدها وتحبّه كأنّه حفيدها]

وقال المدائنيّ : كانت لأبي الأسود مولاة يقال لها لطيفة ، وكان لها عبد تاجر يقال له مُلِمّ فابتاعت له أَمَة وأنكحته إيّاها ، فجاءت بغلام فسمّته زيداً ، فكانت تؤثره على كلّ أحد ، وتجد به وجْدَ الأمّ بولدها ، وجعلته على ضيعتها ، فقال فيه أبو الأسود ، وقد مرضت لطيفة : [من الوافر]

وزيد هالكٌ هُلْكَ الحُبارى إذا هلكت لطيفة أو مُلِمُّ[2]
تبنَّته فقال وأنتِ أُمِّي فأنّى بعدها لكِ زيدُ أُمُّ !
تَرُمُّ متاعه وتزيد فيه وصاحبها لما يحوي مِضَمُّ[3]
ستلقى بعدها شرّاً وضرّاً وتُقْصى إن قربت فلا تُضَمُّ
وتَلقاك الملامة كلَّ وجه سلكتَ وينتحي حالَيْك ذمُّ

قال : فماتت لطيفة من علّتها تلك ، وورثها أبو الأسود ، فطرد زيداً عمّا كان يتولاّه من ضيعتها ، وطالبه بما خانه من مالها فارتجعه ، فكان بعد ذلك ضائعاً مهاناً بالبصرة كما قال فيه وتوعّده .

[اشترى جارية للخدمة فتعرّضت له]

وقال المدائنيّ أيضاً : اشترى أبو الأسود أَمَة للخدمة ، فجعلت تتعرّض منه للنّكاح وتتطيّب وتشتمل بثوبها ، فدعاها أبو الأسود فقال لها : اشتريتك للعمل والخدمة ، ولم أشترِك للنّكاح ، فأقبلي على خدمتك ، وقال فيها : [من الكامل]

أصلاحُ إنّي لا أُريدك للصِّبا فدَعي التشمّلَ حولنا وتبذّلي[4]

---

1 الحمأة : الطين الأسود المنتن .

2 الحبارى : طائر ، ومن أمثالهم فيه : «فلان ميت كَمَد الحبارى» ، وذلك أنها تحسر مع الطير أيّام التحسير فتلقي الريش ثم يبطىء نبات ريشها ، فإذا طار سائر الطير عجزت عن الطيران فتموت كمداً» .

3 مضم : شديد الضمّ .

4 تبذّل : لبس البذلة ، وهي ثوب الخدمة والاعتمال . تشمل بالشَّملة : تغطّى بها ، وهي كساء دون القطيفة يلتحف به .

إنّـي أُريدك للعجين وللرَّحى ولحمـلِ قربتنا وغَلْيِ المِرْجَلِ
وإذا تروَّحَ ضيفُ أهلك أو غدا فخُذي لآخَـرَ أهبةَ المستقبلِ

[أهدى إليه المنذر بن الجارود ثياباً فمدحه]

أخبرنا الحسن بن الطيب الشجاعيّ قال حدَّثنا أبو عُشانة عن ابن عبّاس قال : كان المنذِر بن الجارود العبديّ صديقاً لأبي الأسود الدؤليّ تعجبه مجالسته وحديثه ، وكان كلّ واحد منهما يغشى صاحبه ؛ وكانت لأبي الأسود مُقَطَّعة[1] من برود يكثر لُبسها ، فقال له المنذر : لقد أدمنت لبس هذه المقطعة ، فقال له أبو الأسود : ربّ مملول لا يستطاع فراقه[2] ؛ فعلِم المنذر أنّه قد احتاج إلى كسوة فأهدى له ثياباً ، فقال أبو الأسود يمدحه : [من الطويل]

كساك ولم تستكسه فحمِدتَـه أخ لك يعطيك الجزيـل وناصرُ
وإنّ أحـقّ النّاس إن كنت حامِداً بحمدك مَن أعطاك والعِرض وافرُ

[أبيات أوصى فيها ابنه]

أنشدني محمد بن العبّاس اليزيديّ عن عمّه عبيد الله عن ابن حبيب لأبي الأسود يوصي ابنه ، وفي هذه الأبيات غناء : [من الكامل]

صوت

لا ترسلـن رسالـــة مشهورة لا تستطيع ، إذا مضت ، إدراكَها
أكرِمْ صديق أبيـك حيث لقِيته واحْبُ الكرامة مَن بَدا فحباكَها
لا تبديـــنَّ نميمـة حُدِّثْتَهـا وتحفَّظـنّ مـن الذي أنباكَها

[اعتذر لزياد في شيء جرى بينهما فلم يقبل عذره]

أخبرني محمد بن خلف بن مرزبان قال حدَّثنا أبو محمد المروزيّ عن القَحْذَميّ عن بعض الرّواة أن أبا الأسود الدؤليّ اعتذر إلى زياد في شيء جرى بينهما ، فكأنّه لم يقبل عذره فأنشأ يقول : [من الخفيف]

إنّنـــي مجـرم وأنـت أحـقّ النـ ـــاس أن تقبـــل الغَداةَ اعتذاري
فاعف عنّي فقد سُفِهتُ وأنت الـ ـحِمرء تعفـو عـن الهَنات الكبارِ

فتبسّم زياد وقال : أمّا إذا كان هذا قولك فقد قبلت عذرك وعفوت عن ذنبك .

1 المقطعات من الثياب : شبه الجباب من الخز وغيره .

2 مثل : يضرب في قضاء الحاجة قبل سؤالها ، يقال : دخل أبو الأسود على بعض إخوانه فرأى عليه ثوباً قد خلق ، فقال له : يا أبا الأسود : أما آن لهذا الثوب أن يبدّل ؟ فقال هذا المثل فبعث إليه صديقه بعدّة أثواب . مجمع الأمثال 2 : 58 فصل المقال 367 .

[استشير في رجل أن يولى ولاية فذمّه]

أخبرني هاشم بن محمد قال حدَّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمِّه عن عيسى بن عمر قال : سئل أبو الأسود عن رجل ، واستشير في أن يولَّى ولاية ، فقال أبو الأسود : هو ما علمتُه : أَهْيَسُ أَلْيَسُ ، أَلَدُّ مِلْحَسُ[1] ، أن أُعطى انتهر ، وإن سئل أَزَرَ[2] . قال الأصمعيّ : الأهيس : الحاد ، ويقال في المثل : [من الرجز]

إحدى لياليكِ فهِيسي هِيسي[3]

قال : ويقال ناقة لَيْساء : إذا كانت لا تبرح من المبرك . قال : وهو مِمّا يوصف به الشجاع ، وأنشد في صفة ثور : [من الرجز]

أَلْيَسُ عـــن حَوبائـه سخيّ[4]

[ضمن له كاتب ابن عامر أن يقضي حاجة ثم نكث]

أخبرني أحمد بن محمد بن عِمران الصيرفيّ قال حدَّثنا الحسن بن عليل العنزيّ قال حدَّثني أحمد بن الأسود بن الهيثم الحنفيّ قال حدَّثنا أبو مُحَلِّم عن مؤرِّج السدوسيّ عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يَسار قال ، وكان من أفصح أهل زمانه ، قال : أوصى أبو الأسود الدؤليّ كاتباً لعبد الله بن عامر بحاجةٍ له فضمن له قضاءها ثم لم يصنع فيها شيئاً ، فقال أبو الأسود : [من الطويل]

لعمرِي لقد أوصيتُ أمسِ بحاجتي ... فتى غيرَ ذي قصدٍ عليّ ولا رَؤُفْ[5]
ولا عـارفٍ مـا كان بيني وبينه ... ومن خير ما أُدلى به المرء ما عُرِفْ
ومـا كان مـا أمَّلتُ منـه ففاتني ... بأوّل خيرٍ مـن أخي ثقةٍ صُرِفْ

[جفاه أبو الجارود فقال فيه شعراً]

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدَّثني محمد بن القاسم مولى بني هاشم قال حدَّثني أبو زيد الأنصاريّ سعيد بن أوس قال حدَّثني بكر بن حبيب السهميّ عن أبيه ، وكان من جلساء أبي الأسود الدؤليّ قال : كان أبو الجارود سالم بن سَلَمة بن نوفل الهذليّ شاعراً ، وكان صديقاً لأبي

---

1 ألدّ : جدل شديد الخصومة . والملحس : الحريص ، والذي يأخذ كل شيء يقدر عليه ، والشجاع .
2 أزَرَ : تضام وتقبّض من بخله .
3 مثل : في حؤول الدهر وتنقله بأهله ، فهذا من أمثالهم في الذي ينزل به الأمر الشديد الذي يحتاج أن ينصب فيه ويتعنّى ، قاله رجل من طسم حين أوقعت بها جديس يخاطب ناقته وهو فار ، فصل المقال 464/463 .
4 الألْيَس : الشجاع الذي لا يبالي الحرب . الحوباء : النفس .
5 رؤف : رؤوف .

الأسود الدؤليّ ، فكان يهاديه الشعر ، ثم تغيّر ما بينهما ، فقال فيه أبو الأسود : [من الطويل]

أبلغ أبا الجارود عنّي رسالة ... يروح بها الماشي ليلقاك أو يغدو
فيخبرَنا ما بالُ صَرمك بعد ما ... رضيت وما غيّرت من خُلُق بعدُ
أإن نلت خيراً سرّني حين نلته ... تنكّرتَ حتى قلت ذو لِبدة وَرْدُ ؟
فعيناك عيناه وصوتك صوته ... تُمثّله لِي غيرَ أنّك لا تَعْدو
فإن كنت قد أزمعت بالصَّرم بيننا ... وقد جعلت أسباب أوّله تبدو
فإنّي إذا ما صاحب رَثَّ وصله ... وأعرض عنّي قلت بالأبعدِ الفقدُ

[وفاته]

وكانت وفاة أبي الأسود فيما ذكره المدائنيّ في الطاعون الجارف سنة تسع وستّين وعمره حينئذٍ خمس وثمانون سنة . قال المدائنيّ : وقد قيل إنّه مات قبل ذلك ؛ وهو أشبه القولين بالصواب ، لأنّا لم نسمع له في فتنة مسعود وأمر المختار[1] بذكر ، وذكر مثل هذا القول بعينه . والشكّ فيه هل أدرك الطاعون الجارف أوّلاً ، عن يحيى بن مَعِين . أخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن المدائنيّ ويحيى بن مَعِين : [من مجزوء الوافر]

صوت

لعمرك أيّها الرجل ... لأيّ الشّكل تنتقِلُ
أتهجر آل زينب أم ... تزورهمُ فتعتدلُ ؟
هُمُ رَكْبٌ لقُوا ركبا ... كما قد تُجْمَع السُّبُلُ
فذلك دأبنا وبذا ... ك تجري بيننا الرسُلُ

الشعر لأبي نَفيس بن يَعْلى بن مُنْية ، والغناء لمعبد خفيف ثقيل أوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى ، وفيه لابن سريج رمل بالوسطى ، ولجميلة خفيف رمل بالبنصر .

1 هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفيّ ، كان قد خرج يطلب بدم الحسين رضي الله عنه ، ونشبت بينه وبين مصعب بن الزبير وقائع انتهت بقتله سنة 67هـ .

[228] ـ أخبار أبي نفيس ونسبه

[نسبه]

اسمه حُيَيّ بن يحيى بن يَعْلى بن مُنْية ، وقيل بل اسم أبي نَفِيس يحيى بن ثعلبة بن منْية ، ومنْية أُمّه ، ذكر ذلك الزُّبير بن بكّار عن عمرو بن يحيى بن عبد الحميد عن جدّه . قال الزُّبير : وكان جدّي يقول : اسمه ميمون بن يعلى ؛ وأُمّه منية بنت غَزْوان أخت عُتْبة بن غزوان ، وأبوه أُميّة بن عَبدة بن همام بن جُشَم بن بكر بن زيد بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، وجدت ذلك بخطّ أبي محلّم النسابة . قال : ويقال لبني زيد بن مالك بنو العدويّة ؛ وهي فُكَيْهة بنت تميم بن الدئل بن حِسل بن عديّ بن عبد مناة بن تميم ، ولدت لمالك بن حنظلة زيداً وصُدَيّاً ويربوعاً ، فهم يُدْعون بني العدوية .

[بعض أخبار جدّه يعلى بن منية]

وكان يعلى بن مُنْية حليفاً لبني أُميّة وعديداً[1] لهم ، وبينه وبينهم صِهر ومناسبة ، وقد أدرك النبيّ ﷺ وسمع منه حديثاً كثيراً وروى عنه حديثاً كثيراً ، وعمّر بعده ؛ وكان مع عائشة يوم الجمل على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

أخبرني عمّي قال حدّثنا أحمد بن الحارث قال حدّثنا المدائنيّ عن أبي مِخْنف عن عبد الرّحمن بن عبيد عن أبي الكنود قال : قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مُنيت ، أو بليت ، بأطوع الناس في الناس عائشة ، وبأدهى النّاس طلحة ، وبأشجع الناس الزبير ، وبأكثر النّاس مالاً يَعْلى بن منية ، وبأجود قريش عبدِ الله بن عامر ؛ فقام إليه رجل من الأنصار فقال : والله يا أمير المؤمنين لأنت أشجع من الزُّبير ، وأدهى من طلحة ، وأطوع فينا من عائشة ، وأجود من ابن عامر ، ولَمال الله أكثر من مال يعلى بن منية ، وليكوننّ كما قال الله جلّ وعزّ : ﴿فَسَيُنْفِقُونَها ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ . فسر عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله : ثم قام إليه رجل آخر منهم فقال : [من المتقارب]

أمّا الزبيـر فأكفِيكَـــه ... وطلحـةُ يكفِيكَـه وَحْوحَهْ

ويَعْلى بن مُنية عنـد القتالِ ... شدِيـد التثاؤبِ والنَحْنَحَهْ

1 العديد : الذي يعد من أهلك وليس منهم .

وعائِشُ يكفِيكها واعِــظ وعائش في الناس مستنصَحَهْ
فــلا تجزعــنَّ فإن الأمور إذا مــا أتينــاك مستنجَحَهْ
ومــا يصلح الأمــر إلاّ بنا كما يصلح الجبن بالإنْفَحَهْ[1]

قال : فسرّ عليّ عليه السلام بقوله ، ودعا له وقال : بارك الله فيك . قال : فأمّا الزبير فناشده عليّ عليه السلام فرجع فقتله بنو تميم ، وأمّا طلحة فناشده وحوحة ، وكان صديقه وكان من القرّاء ، فذهب لينصرف ، فرماه رجل من عسكرهم فقتله .

فأمّا ما رواه عن النبيّ ﷺ فكثير ، ولكنّي أذكر منه طرفاً كما ذكرت لغيره .

[روى يعلى الحديث عن النبيّ ﷺ]

أخبرني أحمد بن الجعد قال حدّثني محمد بن عباد المكّيّ قال حدّثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن مُنْية عن أبيه أنّه سمع النبيّ ﷺ يقرأ على المِنبر : ﴿وَنادَوا يا مالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنا رَبُّكَ﴾ . وقد روى يَعْلى عنه ﷺ حديثاً كثيراً اقتصرت منه على هذا لتعرف رِوايته عنه .

[أقرض يعلى الزبير بن العوام يوم الجمل مالاً ، فقضاه عنه ابنه عبد الله بعد مقتله]

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثنا محمد بن الحَكَم عن أبي مخنِف قال : أقرض يَعْلى بن مُنْية الزبير بن العوّام حين خرج إلى البصرة في وقعة الجمل أربعين ألف دينار ، فقضاها ابن الزُّبير بعد ذلك لأنّ أباه قتل يومئذٍ ولم يقضه إيّاها .

قال : ولمّا صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزُّبير في الصلاة ، فاتّفقا على أن يصلّي ابن هذا يوماً وابن هذا يوماً ، وقال شاعرهم في ذلك : [من المتقارب]

تبــارى الغلامــانِ إذ صَلَّيا وشَحَّ على الملك شيخاهما
ومالي وطلحــةَ وابن الزبير وهذا بذي الجِزع مولاهما[2]
فأمّهمــا اليــوم غَرَّتهمــا ويَعــلى بــن مُنْيــة دلاَّهما[3]

[رثى يعلى زوجه حين توفّيت بتهامة]

أخبرني الحِرْميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بكّار قال حدّثني محمد بن يحيى عن جدّه عبد الحميد قال : كان يعلى بن منية ـ ويكنى أبا نفيس ـ وسمعت غير جدّي يقول اسمه يحيى

1 الإنفحة : شيء يستخرج من بطن الجدي الراضع أصفر فيعصر في صوفة مبتلة في اللبن فيغلظ كالجبن .
2 جزع الوادي : منعطفه .
3 أمهما : يعني عائشة أمّ المؤمنين .

وهو من بني العدويّة من بني تميم من بني حنظلة ، تزوّج امرأة من بني مالك بن كنانة يقال لها زينب ، ولهم حِلف في بني غِفارٍ ، وهي من بنات طارق اللاتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحـن بنـات طارقِ نمشي عـلى النمارقِ

فتوفيت بتِهامة فقال يرثيها : [من الرجز]

يا ربِّ ربَّ النّاسِ لمـا نَحَّبوا وحين أَفْضَوا من مِنًى وحَصَبوا[1]
لا يُسْقَيَـنَّ مَلَـحٌ وعُلَيْـبُ والمُستَرادُ لا سقاه الكوكبُ[2]
مـن أَجـل حُمّاهن ماتت زينبُ

قال الزُّبير : وأَنشدنيها عمّي مصعب لأَبي نفيس بن يعلى بن منية ، قال : واسمه ميمون ، وكان عمّي يقول : اسم أَبي نفِيس ميمون بن يعلى ، وقال في الأَبيات : [من الرجز]

لا يسقـين عُنْبُبٌ وعُلَيْـبُ[3]

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى عن جدّه غسّان بن عبد الحميد قال : رأَت عائشة زوج النبيّ ﷺ بنات طارق اللواتي يقلن : [من مجزوء الرجز]

نحـن بنـات طارقِ نمشي عـلى النَّمارقِ

فقالت : أَخطأَ مَن يقول : الخيل أَحسن من النساء .

قال : وقالت هند بنت عُتْبة لمشركي قريش يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحن بنـات طـارقِ نمشي عـلى النمارقِ
الدُّرُّ في المَخانِـقِ والمسك في المَفـارقِ[4]
إن تُقْبِلـوا نُعانِـقِ أَو تُدْبِـروا نفارِقِ
فِـراقَ غير وامِـقِ

أَخبرني الحِرْميّ قال حدَّثنا الزُّبير قال حدَّثني محمد بن يحيى بن عبد الملك الهُدَيْريّ قال : جلست ليلة وراء الضحّاك بن عثمان الحِزاميّ في مسجد رسول الله ﷺ وأَنا متقنّع ، فذكر

1 نحبوا : ساروا سيراً سريعاً دائباً .
2 ملح : موضع من ديار بني جعدة باليمامة . وعليب : موضع بين الكوفة والبصرة . والمستراد : موضع في سواد العراق من منازل إياد . والكوكب : الماء .
3 عنبب : اسم موضع .
4 المخنقة : موضع القلادة .

الضحّاك وأصحابه قولَ هند يوم أُحُد : [من مجزوء الرجز]

نحـن بنـــات طارقِ

فقال : وما طارق ؟ فقلت : النجم . فالتفت الضحّاك فقال : أبا زكريّا ، وكيف بذاك ؟ فقلت : قال الله عزّ وجلّ : ﴿والسَّماءِ والطَّارِقِ وَما أَدْراكَ ما الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ . فقالت : إنّما نحن بنات النّجم ، فقال : أحسنت .

صوت

[من الطويل]

خلِيـلـيَّ قومـا في عَطالَةَ فانظرا أَناراً أرى من نحو يَبْرِينَ أم برقا[1]

فإن يَكُ برقـا فهو في مُشْمَخِرَّةٍ تغـادِر مـاءً لا قليـلاً ولا طَرْقا[2]

وإن تَكُ نـاراً فهي نار بملتقًى من الرّيح تَسفِيها وتَصْفِقها صَفْقا[3]

ويروى : «تَزْهاها[4] وتَعْفِقها عَفْقا» .

لأُمِّ عـلـيٍّ أَوقَدَتْها طَماعـةً لأوبة سَفْر أن تكونَ لهم وَفْقا

الشعر لِسُويد بن كُراع ، والغناء لابن محرز خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن يحيى المكّيّ ، وذكر غيره أنّه لابن مسجح .

1 عطالة : جبل منيف بديار بني سعد .

2 المشمخر : الجبال العالية . الطرق : الماء المجتمع الذي خيض فيه فكدر فهو مطروق وطرق .

3 صفقته الريح : ضربته وحرّكته .

4 زهت الريح النبات : هزّته غبّ الندى . وعفقها : جمعها وضمّها .

[229] ـ أخبار سويد بن كراع[1] ونسبه

[نسبه]

سُويد بن كُراع[2] العُكليّ ، أحد بني الحارث بن عوف بن وائل بن قيسِ بن عُكْل . شاعر فارس مقدم من شعراء الدولة الأمويّة . وكان في آخر أيّام جرير والفرزدق .

[كان شاعر محكماً وكان رجل بني عكل وذا الرأي والتقدّم فيهم]

وذكر محمد بن سلام في كتاب الطبقات فيما أخبرنا عنه أبو خليفة قال : كان سويد بن كراع شاعراً مُحْكِماً[3] ، وكان رجلَ بني عُكْل وذا الرأي والتقدّم فيهم ، وعُكْل وضَبَّة وعدِيّ وتَيْم هم الرِّباب .

قال : وكان بعض بني عديّ بن التيم ضرب رجلاً من بني ضبّة ، ثم من بني السِّيد ، وهم قوم نُكْدٌ[4] شُرْس ، وهم أخوال الفرزدق ؛ فاجتمعوا حتى ألَمَّ أن يكون بينهم شرّ ، فجاء رجل من بني عديّ فأعطى يده رهينة[5] لينظروا ما يصنع المضروب ، فقال خالد بن علقمة (ابن الطَّيْفان)[6] حليف بني عبد الله بن دارم : [من الطويل]

أسالِمُ إنّي لا إخالُـك سالمـاً ... أتيتَ بني السِّيد الغُواةَ الأشائما
أسالِم إن أفلتَّ مـن شرّ هذه ... فوائِلْ فِـراراً إنّما كنتَ حالِما[7]
أسالِم مـا أعطى ابنُ مامةَ مثلها ... ولا حاتِمٌ فيما بـلا الناسُ حاتِما

[قال شعراً يردّ به على خالد بن علقمة]

فقال سويد بن كراع يجيبه عن ذلك : [من الطويل]

أشاعِرَ عبدِ الله إن كنتَ لائمـاً ... فإنّي لمـا تأتـي مـن الأمرِ لائِمُ

---

1 انظر أخباره في الإصابة 3 : 173 ، والشعر والشعراء 2 : 635 .
2 كراع : اسم أمّه ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : سلمة .
3 ل : محدثاً .
4 نكد : جمع أنكد ، وهو الرجل العسر الشديد الشرّ .
5 أعطى يده رهينة : أسلم نفسه للأسر .
6 الطيفان : أم خالد بن علقمة .
7 واءل : طلب النجاة .

تُحَضِّض أفناء الرَّباب سفاهَةً وعِرضُك موفور وليلَك نائِمُ[1]
وهل عَجَبٌ أن تدرك السيِّدُ وِترَها وتصبِرَ للحقِّ السَّراةُ الأكارِمُ[2]
رأيتك لَم تمنع طُهَيَّةَ حكمَها وأعطيتَ يربوعاً وأنفُك راغِمُ[3]
وأنتَ امرؤ لا تقبل النصحَ طائعاً ولكن متى تقْهَرْ فإنّك رائِمُ[4]

ووجدت هذا الخبر في رواية أبي عمرو الشيبانيّ أتمّ منه هاهنا وأوضح فذكرته ؛ قال : كان بين بني السيِّد بن مالك ، من ضبّة ، وبين بني عديّ بن عبد مَناة تَرامٍ على خَبْراءَ[5] بالصَّمَّان يقال لها ذات الزِّجاج ، فرُمي عمرو بن حَشَفَة أخو بني شُيَيْم فمات ، ورمت بنو السيِّد رجلاً منهم يقال له مُدْلِج بن صَخْر العدويّ فمكث أيّاماً لم يَمُتْ ، فمرَّ رجلٌ من بني عدِيّ يقال له مُعَلِّل على بني السيِّد وهو لا يعلم الخبر ، فأخذوه فشدّوه وَثاقاً فأفلت منهم ، ومشى بينهم عِصمة بن أُبَيْر التيميّ سفيراً ، فقال لسالم بن فلان العدويّ : لو رهنتَهم نفسك فإن مات مدلِج كان رجل برجلٍ ، وإن لم يمُت حملت دية صاحبهم ، ففعل ذلك سالم على أن يكون عند أخثم بن حِمْيريّ أخي بني شُيَيْم من بني السيِّد ، فكان عنده . ثم إنّ بني السيِّد لمّا أبطأ عليهم موتُ مدلِج أتوا أخثم لينتزِعوا منه سالِماً ويقتلوه ، فقوّض عليه أخثم بيته ثم قال : يا آل أُمّي ، وكانت أُمّه من بني عبد مناة ابن بكر ، فمنعه عبد مناة . ثم إنّ بني السيِّد قالوا لأخثم : إلى متى تمنع هذا الرجل ! أمّا الدية فوالله لا نقبلها أبداً . فجعل لهم أجلاً إن لم يمُت مدلِج فيه دفع إليهم سالِماً فقتلوه به . فلمّا كان قبل ذلك الأجل بيوم مات مدلِج ، فقتلوا سالِماً ، فقال في ذلك خالد بن علقمة أخو بني عبد الله بن دارِم ، وهو ابن الطَّيفان : [من الطويل]

أسالِمُ ما مَنَّتك نفسك بعدما أتيت بني السيِّد الغواة الأشائِما ؟
أسالم قد منتك نفسك أنما تكون دِياتٌ ثم ترجعُ سالِما
كذبتَ ولكن ثائِر متبسِّل يُلَقِّيك مصقولَ الحديدة صارِما[6]

1 أفناء : أخلاط .
2 يريد بالحق هنا القصاص .
3 طهية ، من بني حنظلة ، وبنو يربوع بن حنظلة أبناء عمومتهم .
4 رائم : محبّ آلف .
5 الخبراء : منبت الخبر ، وهو شجر السّدر . والصَّمّان : جبل في أرض تميم .
6 تبسّل : عبس غضباً أو شجاعة .

أسالِم ما أُعْطى ابنُ مامـةَ مِثلَها ولا حاتِمٌ فيما بـلا النّاسُ حاتِما
أسالِم إن أفْلتَّ مـن شرّ هذه فوائِلْ فِراراً إنّما كنـت حالِما
وقـد أسلمتْ تيمٌ عدِيّاً فأُرْبَعَتْ ودلّتْ لأسباب المنيّـة سالِما[1]

فأجابه سويد بن كراع بالأبيات التي ذكرها ابن سلاّم ، وزاد فيها أبو عمرو : [من الطويل]

دعوتم إلى أمـر النَّواكـة دارِما فقـد تركتكـم والنواكَـةَ دارِمُ
وكنتَ كذاتِ البَوِّ شُرِّمت استُها فطابقتَ لمّـا خَرّمتك الغمائمُ[2]
فلـو كنت مولى مسلت ما تجللت بـه ضبع في ملتقى القوم واحِمُ[3]
ولَم يـدرك المقتولُ إلاّ مجرّه وما أسْأرت منه النسورُ القَشاعِمُ[4]
عليك ابنَ عوف لا تدعـه فإنّما كفاك موالِينا الذي جـرَّ سالِمُ
أتذكر أقوامـاً كفـوك شئونهم وشأنـك إلاّ تركَـه متفاقِمُ

قال : وقال سويد بن كراع في ذلك : [من الطويل]

أرى آل يربـوع وأفناء مالكٍ أعضُّوك في الحربِ الحديدَ المُنَقَّبا[5]
هـمُ رفعوا فأسَ اللجام فأدركت لَهاتَك حتّى لم تَدعْ لك مَشْرَبا[6]
فإن عُدْت عادوا بالتي ليس فوقها مـن الشرِّ إلاّ أن تبيتَ محجَّبا
وتصبح تُـدْرى الكُعْكُبِيّةَ قاعِدا ويُنتَف من لِيتَيْك مـا كان أزغبا

تدرى : تمشط بالمِدرى كما يفعل بالسناء ، والكعكبيّة : مِشطة معروفة .

فهـل سألوا فينا سَواءَ الذي لهم وهـل نحـن أعطَينا سِواه فنَعْجَبا[7]

---

1 أسلمت : خذلت . أربعت : اطمأنّت ؛ من قولهم : أربع القوم إذا أقاموا في المربع . دلت : من التدلية . والأسباب : الجبال .

2 البوّ : جلد الحوار يحشى تبناً فيقرب من الناقة فتعطف عليه فتدرّ . وشرمت استها : شققت . وطابقت : أذعنت وبجعت . الغمامة : خرقة كالكرة تدخل في أنف الناقة لئلاّ تشمّ .

3 زعموا أن الرجل إذا ضربت عنقه سقط على وجهه فإذا انتفخ انتفخ غرموله وعظم ، فقلبه عند ذلك على القفا ، فإذا جاءت الضبع لتأكله ، فرأته على تلك الحال استدخلت غرموله وقضت وطرها منه ثم أكلته . تجلل الفحل الناقة : علاها . الواحم : المشتهية للضراب .

4 أسأرت : أبقت . نسر قشعم : مسنّ .

5 المنقب : المثقب . أعضوك الحديد : جعلوك تعضّه .

6 فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

7 سواء وسوى واحد .

ويروى :

فهل سألونا خَصلة غَير حقّهم

وهو أجود .

[استعدت بنو عبد الله سعيد بن عثمان عليه]

قال : فاستعدتْ بنو عبد الله سعيدَ بن عثمان بن عفّان على سويد بن كراع في هجائه إيّاهم ، فطلبه ليضربه ويحبسه ، فهرب منه ، ولم يزل متوارِياً حتّى كُلِّم فيه ، فأمّنه على ألاّ يعاوِد ، فقال سويد بن كراع : [من الطويل]

تقول ابنةُ العوفيّ ليلى ألا تَرى ... إلى ابن كراعٍ لا يزال مُفَزَّعا
مخافةُ هذين الأميرين سهَّدتْ ... رُقادي وغَشَّتني بياضاً تفرَّعا
على غير ظلمٍ غيرَ أنْ جارَ ظالِمٌ ... عليّ فجهزْتُ القصيدَ المفرَّعا
وقد هابني الأقوام لما رميتُهم ... بفاقِرةٍ إن همَّ أن يتشجَّعا[1]
أبِيتُ بأبواب القوافي كأنّما ... أُصادِي بها سِرباً من الوحشِ نُزَّعا[2]
أُكالِئُها حتّى أُعَرِّسَ بعدما ... يكون سُحَيْرٌ أو بُعَيْدُ فأهجعا[3]
فجشّمني خوفُ ابن عثمان رَدّها ... ورِعْيَتَها صيفاً جديداً ومَربَعا
نهاني ابنُ عثمانَ الإمامِ وقد مضت ... نوافِذُ لو تَرْدِي الصفا لتصدعا[4]
عوارِقُ ما يَتْركْن لَحماً بعَظْمِهِ ... ولا عظمَ لحم دون أن يتمزَّعا[5]
أحقّاً هداك الله أن جار ظالم ... فأنكَرَ مظلوم بأن يؤخذا معا
وأنت ابنُ حُكّام أقاموا وقَوَّموا ... قُرُوناً وأعطَوا نائلاً غيرَ أقطَعا[6]

[انتجع بقومه أرض بني تميم]

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدَّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهيثم بن عديّ عن حمّاد الراوية قال : انتجع سويد بن كراع بقومه أرض بني تميم ، فجاور بني قُرَيع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، فأنزله بغِيض بن عامر بن شمّاس بن

1 فاقرة : داهية تكسر الفقار .
2 صاداه : داراه وساتره .
3 أكالئها : أراقبها وأراعيها . وسحيرٌ في الشعر والشعراء 1 : 635 : سحيراً .
4 رداه : رمّاه .
5 عوارق : جمع عارقة ، من عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم .
6 الأقطع في الأصل : المقطوع اليد .

لأُي بن أُنف الناقة بن قُرَيع وأرعاه ، ووصله وكساه . فلَم يزل مقيماً فيهم حتى أحيا[1] ، ثمّ ودّعهم وأتى بغِيضاً وهو في نادي قومه وقد مدحه فأنشده قوله .

قال حمّاد : ومَن لا يعلم يروي هذه القصيدة للحطيئة لكثرة مدحه بغيضاً ، وهي لسويد بن كراع : [من البسيط]

ارتعتُ للزَّورِ إذ حيّا وأرَّقني ... ولَم يكن دانياً منّا ولا صَدَدا[2]

ودونه سَبْسَبٌ تُنْضى المطيُّ به ... حتى تَرى العَنْسَ تُلْقِي رحلها الأَجُدا

إذا ذكرتُكِ فاضت عبرتي دِرَراً ... وكاد مكتومُ قلبي يَصدع الكبِدا[3]

وذاك منّي هوًى قد كان أضمَرَه ... قلبي فما ازداد من نقص ولا نفِدا

وقد أرانا وحالُ النّاس صالحةٌ ... نحتلُّ مربوعةً أُدمانَ أو بَرَدى[4]

ليت الشباب وذاك العيش راجَعَنا ... فلَم نزل كالذي كنّا به أبدا

أيّام أعلم كَم أعملتُ نحوكُمُ ... من عِرمسٍ عاقدٍ لَم تَرْأَمِ الولدا[5]

تُصيخ عند السُّرى في البيد ساميةً ... سطعاءَ تنهض في مِيثائها صُعُدا[6]

كأن رَحْلِي على حُمْشٍ قوائمه ... برمل عِرْنانَ أمسى طاويا وحَدا[7]

هاجت عليه من الجوزاء سارِيةٌ ... وَطْفاء تحمِل جَوْناً مُرْدَفا نَضَدا[8]

فألجأتْه إلى أرْطاةِ عانكةٍ ... فَيْحاءَ ينهال منها تُرْبُ ما ٱلتبَدا[9]

تخال عِطْفيه من جَوْل الرَّذاذِ به ... منظَّماً بِيَدَيْ دارِيَّةٍ فَرَدا[10]

---

1 أحيا : حسنت حال مواشيه .

2 الزور : الطيف . الصدد : القصد والقرب .

3 عبرتي : في ل : أدمعي .

4 أدمان : شعبة بينها وبين بدر ثلاثة أيام . بردى : جبل الحجاز . مربوعة : أصابها مطر الربيع .

5 العرمس : الناقة الصلبة . ناقة عاقد : تعقد بذنبها عند اللقاح . رئمت الناقة ولدها : عطفت عليه ولزمته .

6 سطعاء : طويلة العنق . الميثاء : الطريق المسلوك .

7 على حمش قوائمه : أي على ثور وحشي قوائمه حمش أي دقاق . عرنان : اسم واد دون وادي القرى إلى فيد ، كثير الوحش . وحداً : وحيداً منفرداً .

8 مردفاً : متتابعاً متوالياً . النضد : السحاب المتراكم .

9 الأرطاة : واحدة الأرطى وهو شجر ينبت بالرمل . وعنك الرمل : انعقد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، ورملة عانك ، فيها تعقد لا يقدر البعير على المشي فيها إلاّ أن يحبو . فيحاء : واسعة . التبد : تلبّد بعضه على بعض .

10 العطف : الجانب ، جول : جولان . الداريّة : منسوبة إلى دارين . فَرَد : منقطع القرين .

حتى إذا مـا انجلت عنه دُجُنَّتُه ... وكشَّف الصبحُ عنه الليلَ فاطّردا
غـــدا كذي التاج حلَّته أُساوِرةٌ ... كأنّما اجتاب في حَرِّ الضّحى سَنَدا[1]

وهي طويلة اختصرتها ، يقول فيها : [من البسيط]

لا يُبْعد اللهُ إذ ودَّعـــت أرضَهمُ ... أخـــي بَغيضاً ولكـن غيرُه بَعُدا[2]
لا يـبعد اللهُ مَن يعطي الجزيل ومَن ... يحبو الخليل وما أكدى وما صَلَدا[3]
ومـــن تُلاقيه بالمعروف معترفـــاً ... إذا اجْرَهَدَّ صفا المذمومِ أو صلَدا[4]
لاقيتُـــه مُفْضِلا تَنْـدى أناملُـــه ... إن يُعطك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا
تجـــيء عفـواً إذا جاءت عطيّتُه ... ولا تخالِـــطُ تَرْنيقـاً ولا زَهَدا[5]
أَوْلاهُ بالمَفخَـر الأعلى وأعظَمُـــه ... خُلقـاً وأوسَعُـــه خيـــراً ومُنتَفَدا[6]
إذا تكلّـــف أقـــوامٌ صنائِعَـه ... لاقَوا ، ولَم يُظْلَموا ، مِن دونها صَعَدا[7]
بَحْـرٌ إذا نَكَسَ الأقوامُ أو ضَجِروا ... لاقَيتَ خيرَ يديـــه دائمـــاً رَغَدا[8]
لا يَحسِبُ المدحَ خَدْعا حين تَمدَحه ... ولا يَـــرى البُخـــلَ مَنْهاةً له أبدا
إنِّي لَرافِـدُه وُدِّي ومَنْصَرتـــي ... وحافِـظٌ غيبَه إن غابَ أو شَهِدا

صوت

[من الوافر]

حَنَتْني حانياتُ الدّهـرِ حتّـى ... كأنّي خاتِـلٌ يدنـو لِصَيْدِ
قريبُ الخَطْوِ يَحسِبُ مَن رآني ... ـ ولستُ مقيَّـداً ـ أنّي بقَيْدِ

---

1 السند : ضرب من البرود .
2 بعد : هلك .
3 أكدى : بخل وقلّ خيره . صلد : بخل .
4 اجرهـدّت الأرض : لم يوجـد فيهـا نبت ولا مرعى . صلد الزّند : صوت ولم يورِ ، ويقال للبخيل : صلدت زناده .
5 الترنيق : التكرير . والزهد : القلّة .
6 يقال في ماله منتفد ، أي سعة .
7 الصّعد : المشقّة .
8 الأقوام : في ل : الأنجاد .

عروضه من الوافر . الخاتل : الذي يتقتَّر[1] للصيد ويَنحني حتّى لا يُرى . ويقال لكلّ مَن أراد خِداع صيدٍ أو إنسانٍ : ختله ، وَرَّى أمرَه فلَم يُظهِره . ومَن رواه : «كأنّي حابل» فإنّه يعني الذي يَنصِب حِبالةً للصيد . الشعر لأبي الطَّمَحان القَيْني . والغناء لإبراهيم ماخوريّ وهو خفيف الثقيل الثاني بالوسطى . وذكر ابن حبيب أنّ هذا الشعر للمِسجاح بن سِباع الضبيّ ، فإن كان ذلك على ما قال فلأبي الطمحان ممّا يُغنَّى فيه من شعره ولا يُشَكّ فيه أنّه له قوله : [من الطويل]

صوت

أَضاءَتْ لَهُمْ أحسابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ دُجى اللَّيْلِ حَتّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبُهْ

الغناء لعريب ثاني ثقيل وخفيف رمل ، وذكر ابن المعتزّ أنّ خفيف الرمل لها ، وأنّ الثقيل الثاني لغيرها .

* * * *

1 يتقتّر : يتهيّأ .

الفهرس

[197] ـ أخبار الأعشى وبني عبد المدان وأخبارهم مع غيره 5
[198] ـ أخبار عبد الله بن الحشرج 17
[199] ـ أخبار الطِّرِمّاح ونسبه 25
[200] ـ أخبار بيهس ونسبه 33
[201] ـ أخبار محمد بن الحارث بن بسخنَّر 34
[202] ـ أخبار معن بن أوس ونسبه 38
[203] ـ أخبار الحسين بن عبد الله 45
[204] ـ أخبار فضالة بن شريك ونسبه 48
[205] ـ أخبار مروان الأصغر 53
[206] ـ أخبار إبراهيم بن سيابة ونسبه 59
207 ـ [خبر مقتل الوليد بن طريف] 64
208 ـ [بعض أخبار عبد الله بن طاهر] 68
209 ـ [أخبار متفرقة] 76
[210] ـ أخبار أبي زبيد ونسبه 86
211 ـ [أخبار متفرقة عن الحطيئة وغيره] 96
[212] ـ أخبار محمد بن أُميّة وأخبار أخيه عليّ بن أُميّة وما يُغنّى فيه من شعرهما 100
213 ـ [بعض أخبار لابن أبي عتيق] 109
[214] ـ نسب المتوكّل الليثي وأخباره 111
[215] ـ نسب الأفوه الأوديّ وشيء من أخباره 119
216 ـ [خبر النشناش اللص] 121
[217] ـ خبر كثيِّر وخندق الأسديّ الذي من أجله قال هذا الشعر 123
218 ـ [أخبار منظور بن زبّان] 137
[219] ـ خبر الجحّاف ونسبه وقصّته يوم البشر 141
220 ـ [قصة يوم الكُلاب الأول] 150
[221] ـ خبر عبد الله بن معاوية ونسبه 154
[222] ـ أخبار أبي وجزة ونسبه 172
[223] ـ أخبار عقيل بن علّفة 183
[224] ـ أخبار شبيب بن البرصاء ونسبه 195
[225] ـ أخبار دقاق 203
[226] ـ نسب يزيد بن الحكم وأخباره 207
[227] ـ أخبار أبي الأسود الدؤليّ ونسبه 215
[228] ـ أخبار أبي نفيس ونسبه 244
[229] ـ أخبار سويد بن كراع ونسبه 248